التاريخ الإسلامي

- ١٣ -

التاريخ المعاصر

وادي النيل

مصر والسودان

١٣٤٢ - ١٤٠٩هـ

١٩٢٤ - ١٩٨٩م

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

التاريخ الإسلامي

- ١٣ -

التاريخ المعاصر

وادي النيل

مصر والسودان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى إخوانه وآله وأصحابه، ومَن سار على نهجه إلى يوم الدين **وَبَعْـد**،

فإن التاريخ المعاصر لوادي النيل ذو أهمية خاصة، إذ للموقع الذي يحتلّه مكانة بين دول العالم وعند المسلمين. إن وقوعه في منطقة التقاء القارات، ومنطقة صلة الغرب بالشرق عن طريق قناة السويس قد جعل العالم يتّجه بأنظاره إلى هذا الموقع، وتُفكّر القوى الكبرى في السيطرة عليه، أو جعله على الأقلّ تحت نفوذها، وفي الوقت الذي يُفكّر حُكّامه بالتمكين لأنفسهم والتميّز تعمل الدول الكبرى على الاعتداء على المنطقة لإبقائها تحت هيمنتها كما حدث عام ١٣٧٦هـ، وإن كان الذي تمّ يومذاك يرمي إلى هدفٍ آخر وهو إبراز ذلك الحاكم ليتناسب مع الدولة التي يحكمها وموقعها، ولينسجم الموقف مع القوة المحرّكة في المنطقة، والتي أرادت تثبيت أقدامها في مصر بشكلٍ قويٍّ، هذا بالإضافة إلى إمكانات المنطقة الاستهلاكية بالنسبة إلى الدول الصناعية، والمواد الخام المتوفّرة في أراضيها، والتي يُمكن أن تمدّ بها معامل تلك الدول والتي هي بأشدّ الحاجة إليها.

ويجب ألا ننسى أبداً الموقع المهمّ الذي تُجاور فيه المنطقة دولة اليهود التي أقامتها الدول الصليبية من غربيةٍ وشرقيةٍ لتكون امتداداً لها ولحضارتها المادية، ولتنقل فكرها والمبادئ التي تقوم عليها إلى المسلمين في سبيل تهديم عقيدتهم وإبعادهم عن مبادئهم، مع العمل الدائب لنشر الفساد بين أبنائهم كي يتخلّوا عن دينهم وفكرهم. ولتكون هذه الدولة المغروسة بين المسلمين شوكةً

في حُلوقهم تُؤرّقهم في كل وقتٍ، وتعمل على ضرب كلّ من تُسوّل له نفسه بالخروج عن قبضة القوى التي أنشأتها، أو لتُبقيهم على حالةٍ من الضعف والتجزئة كي لا تقوم لهم قائمةٌ، ولتتفق مع كلّ حاكمٍ مُستغربٍ، وكلّ مسؤولٍ مُرتبطٍ، وكلّ زعيمٍ مُتحررٍ من مبادئه وتعاليم دينه تدعمه، وتتفق معه سرّاً حتى لا يفتضح أمره، ويَضعُف مركزه بين شعبه، ويبتعد عنه أنصاره، وينتهي وضعه بل رُبّما تُظهر له العداء كي يبرز في رعيته، ويُظنّ به الخير والإخلاص، حتى أصبح الذين تتكلّم عنهم بالسوء وتُردّد تخوّفها منهم إن هم إلاّ أنصاراً لها، وتسكت دائماً عن أعدائها وقد تُثني على بعض مواقفهم ليرتاب الناس في أمرهم، ويشكّوا في إخلاصهم، وتُوجّه إليهم التّهم. وقد يأتي قريباً اليوم الذي تُكشّر فيه عن أنيابها، وتُظهر تحالفها صراحةً مع من تُؤيّد، وتُعلن عداوتها بوضوحٍ لمن تكره وتُحارب، وربّما كان هذا بعد أن يتمكّن أنصارها، ويُذلّ المسلمون، ويقبلون الخنوع، ويرضخون للطغاة الذين يقبلون بالدولة المزروعة بينهم، ويعترفون بها وبنظامها، ويعملون على التعاون معها، وذلك بعد أن يُقدّمون هذا لشعوبهم جرعةً بعد جرعةٍ إذ يرفض المسلمون قبول هذا، ويخشى الطغاة على أنفسهم من هذا الرفض الذي قد يُطيح بعروشهم، ولكن قد يتجرّعون دفعةً بعد أخرى بشيء من الصعوبة والإكراه، ولكن ما العمل وقد ذلّوا من كثرة النكبات الداخلية والخارجية وشدّة الضربات حتى طأطؤوا رؤوسهم وخنعوا.

وتعمل دولة اليهود على التوسّع حسب خطّتها المرسومة والتي تحلم بها وتعمل على تحقيقها وهي امتداد سيطرتها من النيل إلى الفرات، ولن يكون هذا التوسّع إلا على حساب المسلمين، وهذا ما ترمي إليه دولة اليهود حيث تعدّ هذا ثأراً لما أصاب أسلافها في المدينة، ووادي القرى، وخيبر، وفَدَك نتيجة جرائمهم وما اقترفته أيديهم، كما تعدّ ذلك مرحلةً من مراحل تحقيق سيطرتها على العالم، وهذا من أهداف الصليبيين خاصّةً، وأعداء الله عامّةً من كل نوعٍ وأصحاب كل عقيدةٍ غير عقيدة الإسلام فهذا إذلال للمسلمين، وإضعافٌ لشوكتهم، وإخماد لنارهم، وتحقيق لمآرب أصحاب الهوى والأطماع.

يُدرك المسلمون هذا، ويعرفون لسكان وادي النيل مكانتهم لموقع بلادهم، وفضل علمائهم، ومراكزهم العلمية، وإمكاناتهم القتالية بما يملكون من أعدادٍ كبيرةٍ من الجند، وقدراتهم الدفاعية، وجهادهم أعداء الله خلال مراحل التاريخ.

ويُدرك الأعداء هذا أيضاً، لذا فهم يُوجّهون اهتمامهم إلى هذه المنطقة لتسليط البُغاة عليها، ومُحاولة نشر الفساد بين أهلها، ونشر الأفكار الخبيثة والمُغرضة، ومنها أن مصر من الناحية الحضارية مرتبطة بأوروبا أو أنها جزء منها، وأنها تُدير ظهرها للشرق تماماً، ويعمل الأعداء على إبراز الذين يحملون هذه الأفكار، ويُظهرونهم على كل صعيدٍ، ويُطلقون عليهم الألقاب العلمية، ويرفعونهم إلى أعلى المراتب، ولا شكّ أن هذا لا يأتي من فراغٍ، فإن لديهم إمكاناتٍ، ويملكون مواهب أمثال طه حسين وأضرابه. كما يدعمون أولئك الذين يعملون على الحطّ من شأن الإسلام وإلقاء الشُّبه على تعاليمه أو النيل من اللغة العربية لأنها لغة القرآن، ومصدر الثقافة الإسلامية من أمثال علي عبد الرازق، وسلامة موسى وغيرهم، وفي الوقت نفسه يعملون على الحطّ من شأن الذين ينهجون النهج السليم ويرسمون للأُمّة معالم الطريق القويم وإذا أدّى الأمر إلى قتلهم كان ذلك أفضل أمثال حسن البنا، وسيّد قطب، وإن مُقاومة الحركات الإسلامية وضربها باستمرار غدا من الأمور المعروفة، وإن العمل على احتواء الشخصيات والحركات أصبح شائعاً، وإن اتّهام الذين يصمدون أمام الأعداء، ويعتزّون بإسلامهم، ويدعون لدينهم، ويتميّزون عن غيرهم بخطّهم ومواقفهم ليُحاربون في كل مكان، ويجتمع الشرق والغرب، وأتباع هذا وأزلام ذاك على مُطاردتهم أينما حلّوا وفي أي مكانٍ نزلوا، وربما لم يبق لبعضهم موضع قدمٍ على هذه الأرض على رحبها، ومع ذلك لم يهنوا، ولم يجزعوا، ويشعرون دائماً أنهم الأعلون بإيمانهم، وعندهم ثقة كبيرة بنصر الله ما داموا معه يسيرون على الطريق الحق.

وربما نجد أنّ التركيز في هذا على مصر أكثر من غيرها من الأمصار، وإن كانت البقية لا تخلو من هذا أبداً، وخاصةً بلاد الشام التي يُركزّ عليها الأعداء منذ أيّام الحروب الصليبية بل منذ رحيل الرّوم عنها. وما التركيز على

مصر إلا بسبب الذي ذكرنا، وسنرى هذا بوضوح أثناء دراستنا لتاريخها المعاصر في هذا الجزء من هذه الموسوعة ـ إن شاء الله.

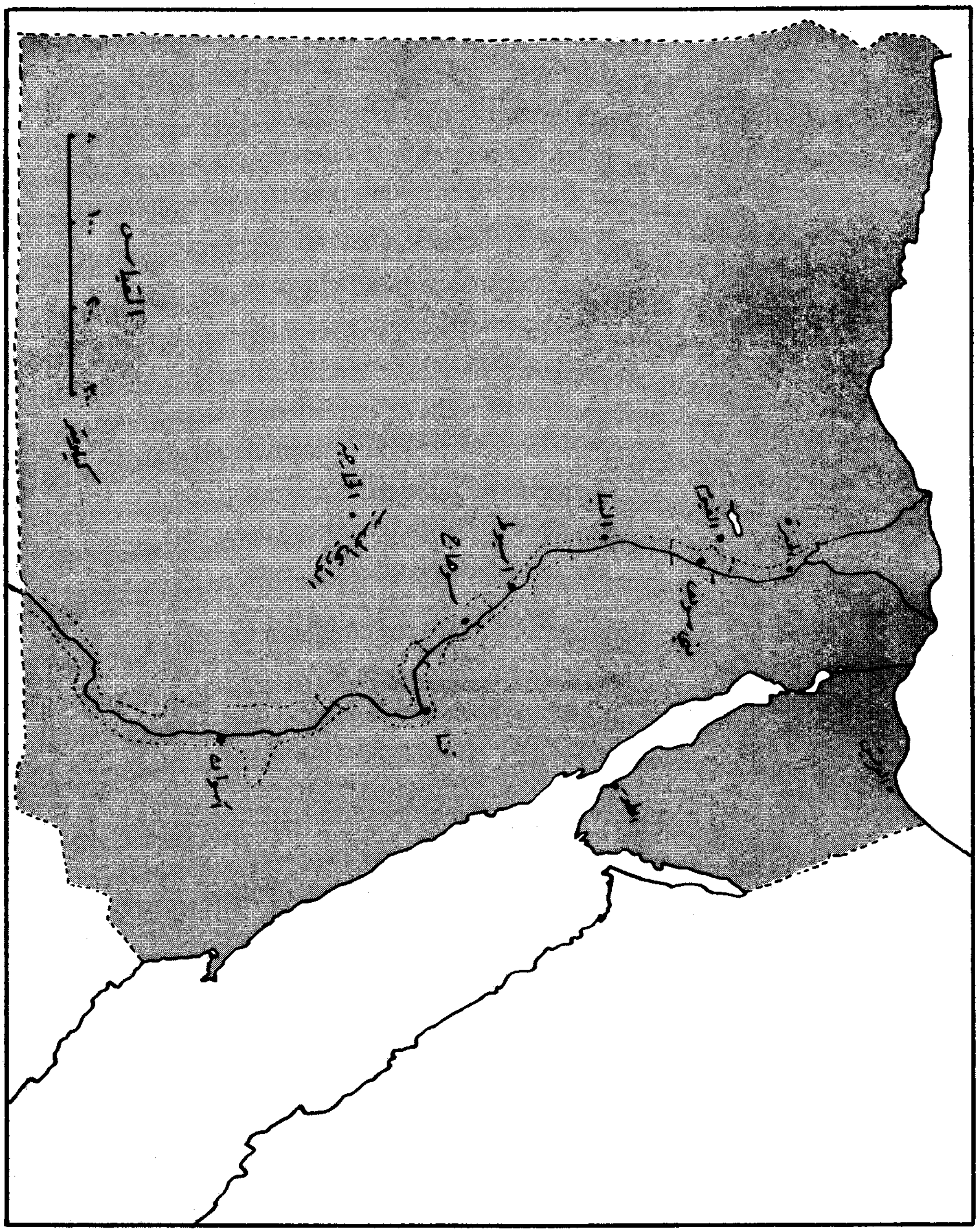
نسأل الله التوفيق، وسداد الخُطا، وقول الحقّ، وإنّا لا نستعين إلاّ به، ولا نعمل إلاّ في سبيله، ولا نرجو الأجر إلاّ منه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة صفر عام ١٤٠٩هـ

محمود شاكر

الباب الأوّل

مصر



لمحة تاريخية
من احتلال إنكلترا لمصر حتى إلغاء الخلافة

بعد فتح قناة السويس، ومدّ مصر بالقُروض المالية الفرنسية والإنكليزية، وبعد مُناوراتٍ سياسية فإنّ إنكلترا قد احتلّت وادي النيل حيث دخلت مصر إثر الثورة العرابية عام ١٢٩٩هـ، كما دخلت السودان أو جدّدت احتلالها بعد الثورة المهدية، ورغم هذا الاحتلال إلاّ أنّ مصر قد بقيت مرتبطةً بالدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى. وقد عقدت إنكلترا مع مصر عام ١٣١٧هـ مُعاهدةً ثنائيةً لحكم السودان حيث قضت هذه المعاهدة أن يكون الحكم مشتركاً بين الدولتين حتى أُطلق على البلاد اسم السودان المصري ـ الإنكليزي.

حرصت إنكلترا منذ احتلالها لمصر أن تبحث عن عناصر قوية تستطيع عن طريقها التمكين لنفسها في مصر أو تثبيت دعائمها لإبقاء سيطرتها على البلاد وتنفيذ مُخطّطاتها الاستعمارية فيها. وهي تعلم أن الذين يرتمون أمام أصحاب السلطة كثيرون، وأن الذين يتزلّفون لكل حاكم جديد أكثر، غير أن هؤلاء لا يمكن الاعتماد عليهم إلاّ من أجل الغوغاء ونشر الشائعات والتجسّس، أما استمرارية ذلك وتنفيذ المُخطّطات الاستعمارية فإن الأمر يحتاج إلى من هم أصلب منهم عوداً، وأرسخ قواعد بين الشعب، وأثبت على المؤازرة أثناء الشدائد، فإن المتزلّفين وأصحاب المصالح لا يثبتون على وضعٍ إذ ينصرون دائماً الوضع القائم ويقفون مع القوي فإذا بدا عليه شيء من الضعف تخلّوا عنه وتفرّقوا من حوله إذ يميلون مع الريح حسب مصالحهم للين عُودهم وشدّة خوفهم.

كان أكثر رجالات مصر ينضوون تحت لواء الحركة الوطنية أو ما عُرف بالحزب الوطني، ويُعادون الاحتلال، ويرون أنه مؤقت، وخاصةً أن البلاد تتبع

اسمياً الدولة العثمانية فهي صاحبة الحقّ الشرعيّ، وليست إنكلترا سوى دولةٍ مُحتلّةٍ باغيةٍ مُستعمرةٍ، وإن أغلب هؤلاء الرجال قد تأثّروا بفكر جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، الفكر الذي يظهر من مُعاداة المُحتلّين ومُحاربة أعداء الإسلام إذ لم يكونوا على درجةٍ من الوعي ليُدركوا خفايا النفوس، وخُبث النوايا، وسريّة الأهداف، حيث لم تُعرف بعد أبعاد المُخطّطات، ومكر الأعداء، وشرّ المؤسسات الماسونية ومحافلها، وخرج جمال الدين الأفغاني من مصر، وأيّد الشيخ محمد عبده الحركة العرابية، ودفع الناس، وحرّضهم ضدّ التدخّل الأجنبي في شؤون البلاد، فأُبعد إلى بلاد الشام، وانتقل بعدها إلى فرنسا حيث عمل مع أستاذه الأفغاني في تحرير «العروة الوثقى» واستمرّت الحركة الوطنية تُؤدّي دورها.

أما الخديوي توفيق بن إسماعيل فقد انحنى أمام المحتلّين الإنكليز ورضخ لأوامرهم بعد أن كان ضدّهم قبل أن يؤول إليه الأمر، وبذا فقد أصبح الوضع في قبضة الأعداء تماماً، وانطلقوا يبحثون عن ضالّتهم، وبذروا بعض الحبّ ونثروا شيئاً من الإغراءات، فرجع الشيخ محمد عبده عام ١٣٠٦هـ، وتولّى منصب القضاء، ثم كان مُستشاراً في محكمة الاستئناف، ثم مُفتياً للديار المصرية عام ١٣١٧هـ. وبرز الذين رغب فيهم المحتلّون ولم يرغبوا إلا في الذين عندهم استعداد للتخلّي عن مبادئهم والتحرّر من كل ما تفرضه عليهم العقيدة الإسلامية، وظهر سعد بن إبراهيم زغلول الذي كان قد لازم جمال الدين الأفغاني مُدّةً، واشتغل مع الشيخ محمد عبده بتحرير مجلة «الوقائع»، واشترك في الثورة العرابية، وسُجن بعدها، وخرج فاشتغل بالمحاماة، ثم عُيّن قاضياً، واختير مُستشاراً، ونجح في الاختبار إذ أوكلت إليه وزارة المعارف، ثم وزارة العدل «الحقّانية»، ووكالة الجمعية التشريعية وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى، وبعد نجاحه بدأت عملية إظهاره إثر تلك الحرب، فكان رجل مصر، وخطيبها، وأول من خلعت زوجه الحجاب. كانت عليه تبعة تنفيذ المخطّطات الاستعمارية، وإليه تُوجّه الأنظار، وفي الوقت نفسه تُعلن له العداوة الظاهرة لتبدو وطنيته، وليزداد تألّقاً ولمعاناً.

ومات الخديوي توفيق عام ١٣١٠هـ، وقام مكانه ابنه عباس حلمي

«الثاني»، وكان يُساير الحركة الوطنية، ويكره الاحتلال الإنكليزي ولكن يُخفي ذلك ولا يُبديه، غير أنه إذا اشتدّ الضغط عليه أعلن خضوعه وإمكانية تلقّيه الأوامر منهم، وبذا كانت هناك فئات ثلاث أو قوى ثلاث هي: جماعة قصر عابدين التي تُؤيّد الخديوي، وجماعة الاحتلال التي تتلقّى الدعم من الإنكليز، وتعيش على مُساعدتهم وتحقيق رغباتهم، والحركة الوطنية التي تلتقي مع الخديوي أحياناً في مُحاربة الاحتلال، وربما كان بعض رجال الحركة الوطنية يرون أن التعاون مع الدولة العثمانية أمر واجب من جانبٍ إسلامي، وما دامت هي صاحبة السلطة الاسمية في مصر إضافةً إلى ما في ذلك من غيظٍ للمحتلّين، وقد بدأ الصراع بين هذه القوى الثلاث، وظهر على صفحات الصحف والمجلات إذ كان لكلٍ جماعةٍ وسائل إعلامٍ خاصّة بها، كما تكوّنت عام ١٣٢٥هـ الأحزاب السياسية التي نشأت على هذه التقسيمات فكان الحزب الوطني الذي يتزعمّه مصطفى كامل، والذي أعلن تأسيسه في ١٦ رمضان ١٣٢٥هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٠٧م) رغم قيامه قبل هذا التاريخ، ويرى العمل على الاستقلال ضمن دولة الخلافة، ومن الضروري بمكانٍ وجود حزبٍ واحدٍ تنضوي تحت لوائه كلّ العناصر الوطنية لمقاومة المحتلّين. ورغم أن معظم رجال الأحزاب كانوا في هذه المرحلة من الطبقة العليا (إن صحّت هذه التسمية) وهم غالباً من الأعيان والمُلاّك ثم من المثقفين، والمُلاّك غالباً هم الذين يتسلّمون الوظائف، وإن الذين يشتغلون بالأعمال الحزبية والسياسية يعملون بها بمقدار ما يحصلون على سلطةٍ ونفوذٍ، ومع هذا فإن الحزب الوطني كان يضمّ عناصر من فئاتٍ أُخرى، وقد انضمّوا إليه بسبب سوء وضعهم فثاروا على المحتلّين وانخرطوا في صفوف هذا الحزب الذي يرفع هذا الشعار ويعمل له. ولهذا فقد اتّهمه أعداؤه أنه حزب الطبقة الواطئة، وكان يردّ عليهم بأن هذه الطبقة تُشكّل تسعة أعشار الأمّة.

وظهر حزب الأمة في ١١ شعبان عام ١٣٢٥هـ بعد أن تحوّلت شركة الجريدة إلى حزبٍ، ويُعدّ حزب المُلاّك، ورئيسه محمود سليمان ووكيلاه حسن عبد الرازق، وعلي الشعراوي، وأمين سرّه أحمد لطفي السيد، ويرى الاستقلال الكامل، وضرورة الاشتراك بالحكم، ولم يُطالب بالدستور. وكان

تأثير الشيخ محمد عبده واضحاً على هذا الحزب، وقد كانت سياسته تقوم على اللين، والاعتدال مع الاحتلال، وعلى مُعاداة الخديوي.

وبرز حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، وقد عرض الخديوي عبّاس الثاني على شركة الجريدة قبول علي يوسف صاحب جريدة «المُؤيّد» فيها، غير أن محمود سليمان رئيس الشركة قد رفض ذلك، فخاف الخديوي من الجريدة، وأسّس حزب الإصلاح، وكان الشيخ علي يوسف رئيساً له، وأحمد حشمت وكيلاً، ويُعدّ هذا الحزب حزب الخديوي عبّاس حلمي، أو حزب القصر، ومن مهمته السرية تفتيت حزب الأمة. وكان عبد العزيز فهمي محامي هذا الحزب، وفي الوقت نفسه محامي جريدة الحزب «المُؤيّد».

هذه الأحزاب الرئيسية الثلاثية في مصر قبيل الحرب العالمية الأولى، ورُبَّما كان الحزب الوطني أهمها وأكبرها، وعندما أعلن مصطفى كامل تأسيسه أزعج الحزبين الآخرين لأن الطُّلاب قد اتَّجهوا نحوه، وكان زعماؤه يعدّون حزب الأمة قد فتت الحركة الوطنية التي يجب أن تبقى ضمن تجمُّعٍ واحدٍ، والحزب الوطني له جذوره القديمة التي تعود إلى ما قبل الحركة العرابية، وإن كان إعلان تأسيسه قد ظهر بعد قيام حزب الأُمَّة. ويُصِرّ هذا الحزب على عداء الاحتلال، والتعاون مع الخديوي، والولاء للخلافة الإسلامية.

وإضافةً إلى هذه الأحزاب الثلاثة الكبيرة وجدت أحزاب أخرى صغيرة، وتسير في فلك إحدى القوى البارزة الخديوي أو الاحتلال، أولها صفة التَّجمُّع الطّائفي أو العرقي ومن أبرز هذه الأحزاب. حزب الأحرار الوطني الحر، ورئيسه محمد وحيد، ووكيله نشأت بك، ويرى تأييد الاحتلال الذي يُعدّ ـ في نظره ـ أسعد عصور مصر لما فيه من خيرٍ لأبناء مصر.

والحزب الدستوري الذي يرى تأييد الخديوي والاحتلال. والحزب المصري الذي كان أكثر أعضائه من الأقباط، ويرأسه «أخنوخ فانوس»، ويميل إلى إنكلترا، وقد انسحب أكثر الأقباط من الحزب الوطني عندما تأسَّس الحزب المصري. وحزب النبلاء وأكثر أعضائه من السكان ذي الأصول التركية. والحزب الجمهوري الذي يرأسه محمد غانم، وشعاره «حرية ـ إخاء ـ مساواة»

وهو شعار الثورة الفرنسية أو شعار «الماسون» وأكثر أعضائه من ذوي التأثّر بالثقافة الفرنسية، والحزب الاشتراكي.

وقد تمثَّل الصراع بين الأحزاب على صفحات الجرائد إذ كان لكل حزب صحيفته الخاصّة به، إن لم يكن له أكثر من صحيفة فكانت جريدة «اللواء» صحيفة الحزب الوطني الرئيسية، ويرأس تحريرها عبد العزيز جاويش، هذا إضافةً إلى جريدته «الدستور» التي يُحرّرها محمد فريد وجدي، و «مصر الفتاة» التي يُحرِّرها «سيد علي»، و «ضياء الشرق» في القاهرة ويُحرِّرها محمود حسيب، و «وادي النيل» في الإسكندرية ويُحرّرها أحمد الكلزة، و «البلاغ المصري» ويُحرِّرها إسماعيل شيمي، و «القطر المصري» ويُحررّها أحمد حلمي، وجريدة «العلم» هذا إضافةً إلى جريدتين إحداهما تصدر بالفرنسية، والأخرى بالإنكليزية.

وكانت صحيفة «المُؤيَد» تنطق بلسان حزب «الإصلاح»، وقد صدرت منذ عام ١٣٠٧هـ بتأييد من رئيس الوزراء رياض باشا، ونطقت باسم الاحتلال في بداية الأمر، وكانت تنفرد بنشر شعر أحمد شوقي، كما كتب فيها الكثير من الشخصيات مثل: مصطفى كامل، ومصطفى لطفي المنفلوطي، ومحمد عبده، وأحمد تيمور، وقاسم أمين، وسعد زغلول و. . .

وكانت صحيفة «الجريدة» تنطق بلسان حزب الأمة، ورئيس تحريرها أحمد لطفي السيد، وهناك الصحف الثانية التي عمل فيها الشاميون أو عملوا على تأسيسها إذ أنَّ الاحتلال الإنكليزي لمصر قد شجَّع كثيراً من نصارى الشام للقدوم إلى مصر لدعمه، وقد عمل يعقوب صرّوف جريدة «المقتطف»، وجرجي زيدان مجلة «الهلال»، وكان شبلي شميل يكتب في «الأخبار»، وفرح أنطون في «الجامعة»، وأسّس فيليب تقلا جريدة «الأهرام». . .

وأعطى المحتلّون نصارى الشام، والأرمن كثيراً من الوظائف الكبرى حتى كان بأيديهم ٣٠٪ من تلك المناصب على حين لم يكن بيد المصريين سوى ٢٨٪ منها.

كان المعتمد البريطاني في هذه المدة من الاحتلال وحتى عام ١٣٢٦هـ

يتصرَّف تصرُّف المستعمر، وخاصةً «كرومر» الذي وجد صداقات مع بعض الرجالات أمثال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، وسعد زغلول وأمثالهما، ووقعت حادثة «دانشواي» عام ١٣٢٤هـ، فثار الناس على ظلم الإنكليز بعد أن ألهب مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني حماسة الشعب، واضطرت إنكلترا لسحب المعتمد البريطاني «كرومر».

وفي هذه الأثناء وقعت حادثتان غيّرت من السياسة العامة قليلاً حتى كان عام ١٣٢٦هـ عام وفاقٍ تقريباً، أما الحادثتان فأولاهما: وفاة زعيم الحزب الوطني مصطفى كامل وهو في ريعان الشباب، وعمره لا يزيد على خمسةٍ وثلاثين عاماً، وكانت وفاته في العاشر من شهر محرم عام ١٣٢٦هـ (١٠ شباط ١٩٠٨م)، وانتُخب مكانه في رئاسة الحزب محمد فريد وكان موقفه مع الخديوي أصلب من مصطفى كامل، وذلك أن مصطفى كامل كان في حالة اجتماعيةٍ متوسطةٍ فكان يقبل دعم الخديوي ومُساعدته للحزب فهو على لينٍ ومُرونةٍ معه على حين كان محمد فريد من كبار المُلّاك ولا يقبل أيّة مُساعدةٍ، ومن هنا جاءت صلابته. غير أنه قد وُجد في صفوف الحزب من يُؤيّد الإبقاء على التعاون مع الخديوي، وينطق بلسان هؤلاء صحيفة «الدستور» وصحيفة «مصر الفتاة» التي وُجدت لتحمل هذا الرأي. وأما الحادثة الثانية: فهي وجود تقارب بين الخديوي عباس حلمي وبين المعتمد البريطاني «غورست» الأمر الذي قرّب نسبياً بين الأحزاب الثلاثة الكبرى على الأقلّ.

لم تلبث أن عادت سياسة القهر بعد مُضي عام ١٣٢٦هـ، وذلك أنه حدث الشقاق في صفوف حزب الأمّة وانفصل عنه أحمد عفيفي، وفتحي زغلول، وتمّ تقارب بين الحزب الوطني وحزب الأمة، وثم حدث الانقلاب في الدولة العثمانية ضدّ السلطان عبد الحميد في جمادى الآخرة من عام ١٣٢٦هـ الأمر الذي قلّل من الدعوة إلى الولاء لدولة الخلافة، وخفّف من هيبة الخديوي ما دام يُمّثل رسمياً الدولة العثمانية. وبدأ الحزب الوطني ينتقد وزارة بطرس غالي انتقاداً قوياً، وهي أوّل وزارة تألّفت بناءً على رأي الخديوي وليس حسب رغبات المحتلين وذلك في شوال من عام ١٣٢٦هـ (تشرين الثاني ١٩٠٨م). وبدأ الخديوي يسعى لدبّ الخلاف بين الحزب الوطني وحزب

الأمّة، والعمل لتفتيت الحزب الوطني وقد نجح في العمل على إصدار جريدة «مصر الفتاة» من قبل جماعة من الحزب الوطني، وتُنادي بضرورة بقاء التعاون بين الحزب الوطني والخديوي على خلافٍ مع بقية أعضاء الحزب الذي يرون البُعد عن الخديوي. واغتيل رئيس الوزراء بطرس غالي[1] في صفر عام ١٣٢٨هـ (شباط ١٩١٠م)، وتمّ تقارب بين حزب الأمة وبين الخديوي عباس حلمي وحزبه «الإصلاح»، وبدأ العمل بتطبيق قانون المطبوعات للضغط على الحريات، واضطر الحزب الوطني إلى العمل السري.

ولم يمض عام ١٣٢٨هـ حتى عاد الخلاف بين الخديوي والمعتمد البريطاني الجديد «كتشنر» الذي تسلّم المنصب الجديد بعد وفاة المعتمد السابق «غورست»، فاستمرّ في سياسة القهر، وعمل الخديوي[2] على التقرّب من ممثلي الحركة الوطنية، ولكنه فشل مع الحزب الوطني على حين نجح مع حزب الأمّة، واقتنع عدد من رجالات هذا الحزب باستقلال مصر عن دولة الخلافة بعد أن تسلّط الاتحاديون على حكم الدولة العثمانية، وإن لم تكن الخلافة قد أُلغيت بعد.

اندلعت الحرب العالمية الأولى، ووقفت فيها الدولة العثمانية بجانب ألمانيا ضدّ الحلفاء الذين هم دول: إنكلترا، وفرنسا، وروسيا، وإيطاليا، واليابان و. . . ولما كانت مصر لا تزال تتبع الدولة العثمانية رسمياً، وفيها من يدعو إلى توطيد الصّلة مع العثمانيين على أنهم يُمثّلون الخلافة الإسلامية وأنّ العاطفة الإسلامية تدعو إلى ذلك، وكان الحزب الوطني أكبر التّجمعات

---

(١) اغتيل رئيس الوزراء بطرس غالي على يد إبراهيم ناصف الورداني من جمعية «التضامن الأخوي»، واتهم أعضاء آخرون من الجمعية، وقد ذكر القاتل أن أسباب الجريمة:

١ ـ مد امتياز شركة قناة السويس إلى عام ١٩٩٩م بعد أن كانت إلى عام ١٩٦٥م.

٢ ـ التوقيع على اتفاقية السودان ١٨٩٩م.

٣ ـ إصدار القوانين الجائرة.

وأعدم القاتل شنقاً في ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٢٨هـ (٢٨ حزيران ١٩١٠م).

(٢) جرت محاولة لقتل الخديوي عباس حلمي أثناء زيارته لاستانبول على يد الطالب محمود مظهر، فأخطأه، وقتل أحد الحراس محمود مظهر بالسيف، وأسدل الستار على الحادث.

المصرية وأهمها يتبنّى هذا الاتجاه، لذا وبسبب ظروف الحرب فقد أعلنت إنكلترا الأحكام العرفية في مصر، وفرضت الحماية عليها، وأعلنت فصلها عن الدولة العثمانية رسمياً، وخلعت الخديوي عبّاس حلمي الذي يحمل عاطفةً طيبةً تجاه دولة الخلافة، وعيَّنت مكانه عمَّه حسين كامل، وأطلقت عليه لقب سلطان نكايةً بالسلطان العثماني ومُضاهاةً له، ومنعت الاجتماعات، وراقبت الصحافة، وألغت الأحزاب، وسخّرت اقتصاد البلاد لمصلحة الجيش الإنكليزي، وفرضت على الشعب أعمال السخرة في تعبيد الطرق، وحفر الآبار، ومدّ أنابيب المياه، وتُوفيّ حسين كامل[١] قبل نهاية الحرب فعيّنت مكانه أخاه أحمد فؤاد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا.

انتهت الحرب العالمية الأولى وخرجت إنكلترا وحلفاؤها منها منتصرين، وتوقّعت بدء المطالبة بالاستقلال مع انتهاء الحرب، ومع الأماني التي كانت تُقدّمها للشعوب المغلوب على أمرها بمنحها الاستقلال بعد الحصول على النصر، وحسب السياسة البريطانية المُتَّبعة بتسليم البلاد لبعض أبنائها الذين يمكنهم أن يُنفِّذوا سياستها، ويُطبِّقوا مخططاتها، ويحلّوا محلّها إذ ترى ذلك أفضل من السيطرة العسكرية لأنها تُكلّف الكثير، وتحتاج إلى الجنود، وتُؤدّي في النهاية إلى المفاصلة التامة بينها وبين البلاد التي تستعمرها فتخسرها كسوقٍ تُصرَّف فيها مُنتجاتها، وكمركزٍ للحصول على المواد الخام منها، هذا إضافةً إلى ما يفقده الطرفان من أبنائهما في حركات المقاومة والثورات والعمل على إخمادها، وربما كانت هذه السياسة الإنكليزية الاستعمارية تختلف عن سياسة باقي دول أوروبا الاستعمارية التي تتبع فرض السياسة العسكرية وهيمنتها التامة على مقدرات البلاد كلها على حين كانت إنكلترا تُكلّف غيرها للقيام بهذه

---

(١) جرت عدة محاولات لقتل السلطان حسين كامل:

١ ـ كانت أول محاولة على يد الطالب محمد خليل من بلدة المنصورة وذلك في مطلع شهر جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ (نيسان ١٩١٥م). وقد أعدم محمد خليل بعد عدة أيام.

٢ ـ وكانت المحاولة الثانية على يد محمد نجيب الهلباوي في ٢٧ شعبان ١٣٣٣هـ (٩ تموز ١٩١٥م)، ولقد ألقى الهلباوي قنبلةً على السلطان لكنها لم تنفجر، وقضى ثمانية أعوام في السجن مع زملائه المشتركين معه في محاولة القتل.

المُهِمَّة، وهي سياسة أكثر ليونةً، وأكثر حنكةً، وأكثر مكراً ودهاءً، وأطول عهداً، وأقلّ كُلفةً، وأقلّ ضجةً في العالم.

ووقع اختيارها للقيام بهذه المُهِمَّة على سعد زغلول وأعوانه فقد نجح في الاختبار الذي أجرته عليه أثناء تسلّمه الوزارة قبل الحرب العالمية الأولى، وعند تولّيه مُهِمَّة وكيل رئيس الهيئة التشريعية قبل الحرب كذلك، وأظهر الاستعداد اللازم، كما وجدت فيه الإمكانات التي تُخوّله مثل ذلك المنصب الخطير.

أظهرت إنكلترا اللين، وأبدت الاستعداد لفكرة الاستقلال، وأعطت الضوء الأخضر للعمل، وأوحت إلى سعدٍ بالتحرّك، فدعا إلى اجتماعٍ في ٦ صفر عام ١٣٣٧هـ تمخّض عن المطالبة بالاستقلال، وتشكيل وفدٍ للسَفر إلى باريس لعرض قضية بلادهم على مؤتمر الصلح، وتشكّل هذا الوفد من سعد زغلول، وعلي شعراوي[١]، وعبد العزيز فهمي[٢]. غير أن الأمر لا يصحُّ بهذه الصورة من الهدوء إذ لا بدّ من إحداث ضجّةٍ وتسليط الأضواء على هؤلاء الرجال أعضاء الوفد.

قابل الوفد المندوب السامي البريطاني «ريجينالد وينغت» وطلبوا منه السماح لهم بالسفر إلى إنكلترا ليُطالبوا باستقلال البلاد، ورفض المندوب السامي ذلك. واتّجه سعد وأصدقاؤه إلى جهةٍ ثانيةٍ وهي استعدادهم للسفر إلى باريس ليُدافعوا عن قضية البلاد أمام مؤتمر الصلح، فعدّت إنكلترا هذا تمرّداً منهم، فألقت القبض على سعد زغلول[٣]، وإسماعيل

---

(١) علي شعراوي: من حزب الأمة سابقاً والذي يرى المرونة مع الاحتلال.

(٢) عبد العزيز فهمي: محامي حزب الإصلاح، حزب الخديوي، وقد زال الخديوي وأصبح مكانه سلطان مُعيّن من قبل المُحتلين.

(٣) سعد زغلول: ولد في «إبيانة» من قرى الغربية عام ١٢٧٣، وتوفي أبوه وهو في الخامسة، فتعلم في كتّاب القرية، ودخل الأزهر عام ١٢٩٠، ولازم جمال الدين الأفغاني مدة، واشتغل بالتحرير في جريدة «الوقائع المصرية» مع الشيخ محمد عبده، واشترك بالثورة العرابية، وقبض عليه عام ١٢٩٩هـ، ودخل السجن عدة شهور، وأفرج عنه، واشتغل بالمحاماة عام ١٣٠١، واختير قاضياً، ثم مستشاراً، وتولى وزارة المعارف، فالعدل فوكالة رياسة الجمعية التشريعية، وقاد مصر بعد الحرب العالمية الأولى، وتسلّم رئاسة الوزراء، ورئاسة مجلس النواب، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٤٦هـ.

صدقي(١)، ومحمد محمود(٢)، وحمد الباسل(٣). وكان سعد زغلول قد أبرق إلى الرئيس الأمريكي مُحتجاً على التصرف الإنكليزي، ومُطالباً بإلغاء الحماية، ولكنه لم يتلقّ جواباً، فأخذ بعقد الاجتماعات، وكتابة العرائض، وأخذ التوقيعات تحت سمع وبصر السلطات الإنكليزية، ورأت السياسة الاستعمارية أن تُعطيهم صفة الوطنية فنفتهم إلى مالطة، فقامت في البلاد ثورة عارمة شملت كل أرجائها، وقُطعت الاتصالات مع القاهرة، وقامت مجموعات من السكان بحصار الحاميات الإنكليزية حيثما وجدت في الصعيد، وحصلت اعتداءات على جنود الاحتلال، واستُعملت الطائرات لنقل الجنود، وبقيت البلاد دون وزارةٍ بعد استقالة وزارة حسين رشدي(٤) إذ كان رئيسها مُتعاطفاً مع الحركة الوطنية. وقامت مظاهرة نسائية برئاسة

---

(١) إسماعيل صدقي: ابن أحمد شكري بن محمد سيد أحمد، ولد بالإسكندرية عام ١٢٩٢، وتعلّم بمدرسة «الفرير» النصرانية، ودرس الحقوق، وولي نظارة الزراعة، وعمل مع الوفد في بدء تأسيسه، ثم اختلف معه اعتقل مع سعد زغلول شهراً في مالطة، وعيّن وزيراً للمالية عام ١٣٣٩، واشترك مع عبد الخالق ثروت في مفاوضاته مع الجنرال «اللنبي» التي انتهت بتصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢، وتولى رئاسة الوزارة من ١٣٤٩ ـ ١٣٥٢، وغيّر الدستور المصري، وأسّس حزب الشعب، ورأس الوزارة ١٣٦٥ ـ ١٣٦٦هـ، وفاوض وزير الخارجية البريطانية «بيفن» ورفض ذلك منه المصريون، فاستقال من الوزارة، وسافر إلى فرنسا، فمات في باريس عام ١٣٦٩هـ، ونقل إلى القاهرة.

(٢) محمد محمود سليمان بن عبد العال بن عثمان بن نصر بن حسب النبي، من بني سليم: ولد في بلدة ساحل سليم بأسيوط عام ١٢٩٤هـ، تعلّم بأسيوط والقاهرة وجامعة «أكسفورد» بإنكلترا، تسلّم مديراً للفيوم، ثم محافظاً للقناة، ثم مديراً للبحيرة. انشّق عن الوفد بعد عودتهم إلى مصر، واختير وكيلاً ثم رئيساً لحزب «الأحرار الدستوريين». رأس الوزارة عام ١٣٤٦، وحلّ المجلس النيابي، وفاوض «هندرسون»، واستقال عام ١٣٤٧، وشارك في مفاوضات ١٣٥٥هـ ثم عاد لرئاسة الوزارة، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٦٠هـ.

(٣) حمد الباسل: ابن محمود بن محمد الباسل: مغربي الأصل، مصري المولد والوفاة، كان عمدة لقبيلة «الرماح» بالفيوم، توفي بالقاهرة عام ١٣٥٩هـ، ودفن بالفيوم.

(٤) حسين رشدي: ولد في القاهرة عام ١٢٨٠، وتعلم فيها، وفي باريس، تولى وزارة العدل، واستلم رئاسة الوزارة أربع مراتٍ، وفي أولاها خلع عباس حلمي من الخديوية، وكان مع عدلي يكن في المفاوضات، وبعدها عين في مجلس الشيوخ، ثم رئيساً لذاك المجلس، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفي في القاهرة عام ١٣٦٤هـ.

هدى شعراوي[1]، زوجة علي شعراوي، وصفيَّة بنت مصطفى فهمي[2] زوجة سعد زغلول، والغريب في هذه المظاهرة أن النساء خرجن يندّدن بالإنكليز فلست أدري لماذا انقلب غضبهن من مُعاداةِ للمحتلّ الدخيل إلى الحجاب حيث نزعت كل من هدى شعراوي، وصفية زغلول حجابها وأحرقته، وكذلك فعلت بعض النساء من أمثالهن؟ لا شكَّ أنه كان وراء هذا التصرّف أيدِ قذرةِ تحرّك التظاهرات ضدَّ الإسلام عن طريق بعض النسوة بينهن، فلو كان الإنكليز هم الذين فرضوا الحجاب على النساء لكان التصرّف سليماً وطبيعياً ولكنه أمر ديني لا علاقة للإنكليز به، بل هذا التصرّف من الأمور الأساسية التي يعمل لها الإنكليز، وهذا يُؤيّدهم، ويسرّهم، ويُظهر الرضا عنهم، وعن سياستهم وأسلوبهم فهذا تقليد لهم.

بدأت الثورة بتظاهر كلية الحقوق يوم ٧ جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ (٩ آذار ١٩١٩م) ثم انضم إليهم طلبة الهندسة والزراعة، والطب، والتجارة، وتصدّى الإنكليز للمظاهرات بالرصاص فوقع عدد من القتلى والجرحى.

وفي يوم ٩ جمادى الآخرة أي بعد يومين أضرب المحامون احتجاجاً على المقاومة العنيفة التي قامت بها السلطات ضد الطلاب.

وبعد ٤ أيام أخرى (١٣ جمادى الآخرة) أضرب عمال العنابر، وتتابع إضراب الفئات الأخرى، وإذا كانت المظاهرات قد بدأت سليمةً إلاَّ أنها

---

(١) هدى شعراوي: ولدت في المنيا، مصر الوسطى، عام ١٢٩٦هـ، وكان أبوها محمد سلطان رئيس أول مجلس نيابي في مصر، ونشأت في القاهرة إذ انتقل أبوها إليها، وتزوّجت علي شعراوي أحد أعضاء الهيئة التشريعية، وقد خرجت في المظاهرة النسائية سافرةً، فهي أول امرأةِ مسلمةِ ترفع الحجاب في مصر. ومات زوجها عام ١٣٤٠هـ وترك لها ثروةً ضخمة كانت من أسباب بطرها، وألفت جميعة «الاتحاد النسائي» بمصر، وحضرت عدة مؤتمرات نسائيةِ، وتوفيت بالقاهرة ١٣٦٧هـ.

(٢) سلّم الإنكليز مصطفى فهمي الوزارة ثلاث مرات ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١٢، واستمرت الأخيرة حتى عام ١٣٢٧هـ، وأقاله الخديوي عباس حلمي فغضب كرومر، وخالف الخديوي، وقد عرفت صفية بعد زواجها من سعد زغلول باسم «صفية زغلول» على العادة الأجنبية حيث تنسب المرأة لزوجها، وكذلك كان أمر سابقتها هدى شعراوي.

تحوّلت مع الأيّام، ومع تصرّف السلطان إلى قطع أسلاك الهاتف، وتعطيل المواصلات، والقيام ببعض أعمال التخريب.

وكانت مظاهرة النساء التي ألمحنا عنها يوم ١٤ جمادى الآخرة.

وأخيراً أضرب الموظفون جميعاً في ٢ رجب ١٣٣٧هـ (٢ نيسان ١٩١٩م)، وتركوا العمل، ووُزِّعت المنشورات، واستمرّ إضراب الموظفين ثلاثةً وعشرين يوماً حيث أصدرت اللجنة العليا للموظفين منشوراً أعلنت فيه إنهاء الإضراب يوم ٢٥ رجب ١٣٣٧هـ (٢٥ نيسان ١٩١٩م)، ورافق ذلك كله موجة من الاغتيالات السياسية.

وأذيع يوم ٢٢ رجب اعتراف الرئيس ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالحماية البريطانية على مصر حتى استأنف الشعب المظاهرات.

وتتابعت الوزاوات بعضها يعقب بعضه فقد كُلّف محمد سعيد[1] بتشكيل الوزارة بعد استقالة حسين رشدي في ٢١ شعبان ١٣٣٧هـ (٢١ أيار ١٩١٩م)، غير أن محمد سعيد قد قدّم استقالة حكومته في ١٢ صفر ١٣٣٨هـ (٥ تشرين الثاني ١٩١٩م)، وخلفه يوسف وهبة[2] الذي استقال أيضاً يوم ٢ رمضان ١٣٣٨هـ (١٩ أيار ١٩٢٠م) وبعد ثلاثة أيامٍ شكّل الوزارة محمد توفيق نسيم[3].

كانت إنكلترا قد استدعت مندوبها السامي «ريجنالد وينغت» لتعرف

---

(١) محمد سعيد: ولد في الإسكندرية عام ١٢٧٩هـ، وأسس «العروة الوثقى» فيها، درس الحقوق بالقاهرة، وتسلّم وزارة الداخلية، وأسندت إليه رئاسة مجلس الوزراء عام ١٣٢٩هـ، فقاوم الحزب الوطني، وجارى السياسة الإنكليزية، واستقال ١٣٣٢هـ، ثم عاد إلى رئاسة مجلس الوزراء عام ١٣٣٧هـ فناصر الحركة الوطنية، واستقال، وأخيراً شغل منصب وزير المعارف في وزارة سعد زغلول، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٤٧هـ.

(٢) يوسف وهبة: ولد عام ١٢٦٩هـ، قبطي الأصل، كان مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختلطة، وتسلّم وزارة الخارجية عام ١٣٣١هـ، وأسندت إليه رئاسة مجلس الوزراء، وتوفي عام ١٣٥٣هـ.

(٣) محمد توفيق نسيم: محمد توفيق بن محمد نسيم بن حسن بن تحسين، تركي الأصل، مصري المولد والنشأة والوفاة، تخرج من مدرسة الحقوق، تولّى وزارات الأوقاف، والمالية، وتسلّم رئاسة مجلس الوزراء مرتين، وتوفي عام ١٣٥٧هـ.

أحوال مصر منه بشكلٍ دقيقٍ غير أن الواقع قد استدعته لتُنهي عمله، فغادر مصر في ١٩ ربيع الثاني عام ١٣٣٧هـ (٢١ كانون الثاني ١٩١٩م)، واندلعت الثورة وهو غائب عن البلاد، ولم يأتِ خلفه بعد، وجاء الجنرال «اللنبي» مندوباً سامياً، وقد جاء في البيان الرسمي الذي أُذيع من لندن يوم ١٩ جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ (٢١ آذار ١٩١٩م) أنه (وُكِّل إليه أن يقوم بالسلطة العليا في جميع المسائل العسكرية والملكية، وأن يتخذ جميع الوسائل التي يرى ضرورتها ومُناسبتها حتى يُعيد القانون والنظام في هذه البلاد، وحتى يُدير جميع الشؤون إذا لزم الأمر ناظراً إلى ضرورة تأييد حماية جلالة الملك على القطر المصري على قاعدةٍ ثابتةٍ عادلةٍ).

وصل الجنرال «اللنبي» إلى القاهرة يوم ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ (٢٥ آذار ١٩١٩م) فجمع الأعيان وكبار مسؤولي الدولة وبيّن مهمّته وحدّد الأساس الذي يجب عمله:

١ ـ وضع حدٍّ للاضطرابات الحالية.

٢ ـ عمل تحرّياتٍ دقيقةٍ في جميع الأسباب التي حملت أهل البلاد على الشكوى.

٣ ـ إزالة كل الشكاوي التي تستوجب العدالة إزالتها.

أراد الجنرال «اللنبي» جعل المصريين يقبلون الحماية البريطانية لهم، لذا فقد أبدى شيئاً من اللين وأظهر التعاطف مع الشعب، وأبدى رغبته في التعرّف على مطالب المجتمع بكل صراحةٍ ووضوحٍ.

أرسل إلى إنكلترا يوم ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ (٣١ آذار ١٩١٩م) ينصح بإطلاق سراح المنفيين في مالطة، والسماح لهم بالسفر إلى أوروبا لعرض مطالبهم، وإبداء آرائهم، فما كان من إنكلترا إلاّ أن وافقت على ذلك، وكانت قد انتهت من الاتفاقات مع الدول الثانية مثل فرنسا والولايات المتحدة وحلّت المشكلات الخاصة فيما بينها، وادّعت أنها قد منحت مندوبها كل الصلاحيات في التصرّف فهي تُوافقه على الخطة التي يُريد أن يسير عليها وتُسهّل له الطريق.

وفي ٧ رجب (٧ نيسان) أذاع «اللنبي» بلاغاً أعلن فيه أنه بالاتفاق مع صاحب العظمة السلطان فؤاد «لم يبق حجز على السفر، وأن جميع المصريين الذين يُريدون مُغادرة البلد لهم مُطلق الحرية، وأن المنفيين في مالطة قد أطلق سراحهم من الاعتقال، ولهم حقّ السفر كذلك» وما أن أُذيع هذا البلاغ حتى سارع بعض الشخصيات إلى تنظيم أنفسهم، وتشكيل وفدٍ للسفر إلى أوروبا مؤلفٍ من: علي شعراوي، سينوت حنا، جورج خياط، مصطفى النحاس، حافظ عفيفي، على أن ينضمّ إليهم في مالطة الذين كانوا منفيين فيها، سعد زغلول، إسماعيل صدقي، حمد الباسل، محمد محمود. وبدأ جمع التبرعات لهذا الغرض، فأبدى المواطنون أريحيةٍ طيّبة جداً، وتسابقوا في الدفع.

وفي ١١ رجب ١٣٣٧هـ (١١ نيسان ١٩١٩م) غادر الوفد البلاد، ووصل إلى باريس بعد ثمانية أيامٍ، وبدأ الاتصال بالمسؤولين في مؤتمر الصلح غير أن كل شيءٍ كان مُهيَّأً ضدّهم، وهو ما فعلته إنكلترا في المدة السابقة. وأرسل سعد زغلول إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية ـ صاحب مبدأ حقّ تقرير المصير ـ يطلب منه الإذن في مُقابلةٍ خاصةٍ للوفد المصري، فجاء الجواب بعدم الإمكانية، وأن الولايات المتحدة قد اعترفت بالحماية البريطانية على مصر يوم ١٩ رجب (١٩ نيسان) أي يوم وصول الوفد المصري إلى باريس.

وفي ٢٢ رجب أذاعت دار الحماية في القاهرة نص الكتاب الذي تلقّته من «هامبسون غاري» مُعتمد الولايات المتحدة بمصر ويقول فيه: «أتشرّف بإخباركم أن حكومتي قد كلّفتني أن أبلغكم أن الرئيس يعترف بالحماية البريطانية التي أعلنتها حكومة جلالة الملك على مصر في ١٨ كانون أول ١٩١٤م (١ صفر ١٣٣٣هـ)، مع مُوافقة الرئيس على هذا الاعتراف فإنه بالضرورة يحفظ لنفسه حق المناقشة في المستقبل في تفاصيل ذلك، وفي التعديلات التي قد تنتج عن هذا القرار فيما يمسّ حقوق الولايات المتحدة، وبهذه المناسبة فقد كُلّفت أن أقول: إن الرئيس والشعب الأمريكي يعطفان كل العطف على أماني الشعب المصري المشروعة لتوسعة نطاق الحكم الذاتي، على أنهما ينظران بعين الأسف إلى أيّ مجهود يُبذل لتحقيق ذلك باللجوء إلى القوّة والشدّة».

أعلنت شروط الصلح التي قرّرها الحلفاء، وسلّمت إلى الوفد الألماني في مؤتمر «فرساي» يوم ٧ شعبان ١٣٣٧هـ (٧ أيار ١٩١٩م)، وفيها ثمان مواد تتعلق بمصر، وأرقامها من ١٤٧ ـ ١٥٤، وتُلزم ألمانيا على الاعتراف بالحماية البريطانية، والتنازل عن الامتيازات في مصر، ونقل السلطات المخوّلة إلى تركيا «الدولة العثمانية» بموجب اتفاقية عام ١٨٨٨م عن حرية المرور في قناة السويس إلى بريطانيا.

وقرّرت إنكلترا ارسال لجنة «ملنر» للتحقيق في شأن الاضطرابات، واقتراح القانون الضروري للحكم الذاتي، وضمان المصالح الأجنبية في ظلّ الحماية البريطانية.

كان حسين رشدي قد عاد إلى رئاسة الوزارة في ٩ رجب ١٣٣٧هـ أي قبل سفر الوفد بيومين، ولكن هذه الوزارة لم تطل مدتها إذ قدّم رئيسها حسين رشدي استقالة حكومته في ١٩ شعبان ١٣٣٧هـ (١٩ أيار ١٩١٩م) أي لم تحكم سوى شهرٍ وعشرة أيام، وذلك لأن حسين رشدي قد شعر بالحرج أمام مطالب الضباط الذين أصرّوا أن تكون الحراسة من اختصاصهم في الميادين العامة، وكذلك شعر بالحرج أمام مطالب الموظفين الذي شكّلوا لجنةً مؤلّفةً من اثنين وثلاثين موظفاً تكون صلةً بين الحكومة والموظفين في موضوع الأمور السياسية التي تتعرّض لها البلاد.

وشكل الوزارة من جديد محمد سعيد في ٢١ شعبان، وكانت مُهمّتها إعادة الهدوء وعدم التدخّل بالأمور السياسية التي تتعلّق بمركز مصر، ووضعها الدولي. وقد نجحت هذه الحكومة نسبياً، إذ استطاعت تحويل قضايا المواطنين من المحاكم العسكرية إلى المحاكم الأهلية إذ تمكّن رئيسها من إقناع السلطات البريطانية للموافقة على ذلك، وأفرج عن بعض المعتقلين السياسيين، وألغى الرقابة عن الصحف. واعترض محمد سعيد على مجيء لجنة «ملنر» قبل توقيع الصلح مع تركيا، كما نصح الجنرال «اللنبي» بعدم مجيء اللجنة قبل عدة شهور (قبل شهر أيلول) حتى تستطيع الحكومة أن تثبت أقدامها في الحكم.

وفي ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٧هـ (٢٢ أيلول ١٩١٩م) أعلن في إنكلترا

تشكيل لجنة من جميع الأحزاب البريطانية للسفر إلى مصر، والتحقيق في الاضطرابات التي حدثت، وكانت اللجنة برئاسة وزير المستعمرات (ألفريد ملنر).

وفي ١٥ صفر ١٣٣٨هـ (٨ تشرين الثاني ١٩١٩م) أعلنت دار الحماية البريطانية في مصر بلاغاً رسمياً ينبئ عن قرب وصول لجنة «ملنر» إلى البلاد، ويحدد مهمتها باقتراح النظام السياسي الذي يلائم مصر تحت الحماية. فرد الحزب الوطني بشعاره المعروف لا مفاوضة إلا بعد الجلاء، وأعلن الوفد تمسكه بالاستقلال التام.

وبعد إعلان هذا البلاغ زادت المظاهرات، وتأجّجت نار الثورة فقدم محمد سعيد استقالة حكومته في ٢٧ صفر ١٣٣٨هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩١٩م)، وشكّل الوزارة يوسف وهبة في ٢٨ صفر.

وصلت لجنة «ملنر» إلى مصر ١٦ ربيع الأول ١٣٣٨هـ (٨ كانون الأول ١٩١٩م)، وما أن حطّت رحالها في البلد حتى وجدت مُعارضةً شديدةً لها، وفي اليوم التالي لوصولها أصدرت لجنة الوفد المركزية بياناً إلى الشعب جاء فيه: لقد تمّ الإجماع على مقاطعة لجنة «اللورد ملنر» وتعود أسباب تلك المقاطعة إلى:

١ ـ إن المسألة المصرية مسألة دولية، وقبول المفاوضة مع لجنة «ملنر» يُفقدها هذه الصبغة، ويجعلها مسألةً داخليةً بين مصر وإنكلترا.

٢ ـ إن اللجنة تُريد المفاوضة على أساس الحماية، مع أن الشعب لم يقبل الحماية، بل رفضها رفضاً باتاً، وأعلن أنه لا يرضى إلاّ بالاستقلال التام.

٣ ـ إن كل استفتاءٍ سياسيٍ لا يجوز أن يكون في ظلّ الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية. وإن إصرار إنكلترا على إرسال هذه اللجنة على الرغم من الإجماع الذي تجلّى في كثيرٍ من المظاهر، لا يُفيد إلاّ أن السياسة الحاضرة تُريد أن تستخدم كل ما لديها من الوسائل للتأثير في الإجماع الوطني.

واتّفقت كلمة الشعب على أن وفد مصر في باريس، هو صاحب الرأي

في المفاوضة، واتصل «ملنر» بكل من حسين رشدي، وعدلي يكن، وعبد الخالق ثروت فرفضوا المفاوضة، وطلبوا أن يتوجّه إلى الوفد للمحادثة، وإنما كتبوا إلى الوفد في باريس يقترحون عليه العودة إلى القاهرة للمفاوضة مع لجنة «ملنر»، ولكن الوفد رفض العودة إلا إذا كان الغرض منها الوصول إلى مُعاهدة تضمن استقلال مصر التّام. ولم يكن سعد يرفض المُفاوضة إذا حدثت في أوروبا. وقد أرسل الوفد محمد محمود مندوباً إلى الولايات المتحدة للعمل هناك للقضية المصرية.

سافرت لجنة «ملنر» من مصر في ٢٨ جمادى الآخرة عام ١٣٣٨هـ (١٨ آذار ١٩٢٠م) وعندما وصلت إلى لندن، أرسلت أحد أعضائها إلى باريس ليدعو الوفد للسفر إلى لندن للمفاوضة مع اللجنة.

سافر الوفد المصري إلى لندن في ١٩ رمضان ١٣٣٨هـ (٥ حزيران ١٩٢٠م)، وبعد يومين بدأت المفاوضة، وقدّم «ملنر» مشروعاً رفضه الوفد المصري، وقدّم سعد مشروعاً رفضته لجنة «ملنر»، وتوقّفت المفاوضات، وتوسط عدلي يكن في الأمر فأرجأ الوفد عودته، وتسلّم المذكرة الثانية من لجنة «ملنر» في ٢١ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (٥ آب ١٩٢٠م)، وبدأت المفاوضة من جديد، واستمر ذلك حتى ١ ذي الحجّة، واختلفت آراء الوفد، واقترح بعضهم عرض المشروع على الشعب، فأرسل الوفد أربعة أعضاء منه، وهم: محمد محمود، وعلي ماهر، وأحمد لطفي السيد، وعبد اللطيف المكباتي، وينضمّ إليهم في القاهرة حافظ عفيفي، ومصطفى النحاس، وويصا آصف لعرض المشروع على الشعب والعودة إلى لندن لاستئناف المفاوضة مع لجنة «ملنر». وقام أعضاء الوفد في القاهرة بالمُهمّة، وكان اتجاه أكثرية الشعب إلى قبول المشروع مع بعض التحفّظات التي تحدّ من تدخّل بريطانيا في شؤون مصر بعد عقد المعاهدة.

رجع سعد من لندن إلى باريس في ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٨هـ، وتبعه في اليوم التالي بقية الأعضاء، وبعد يومين وصل عدلي يكن.

ورجع أعضاء الوفد من القاهرة إلى باريس، ودعا «ملنر» الوفد المصري إلى لندن فسافر عدلي يكن وتبعه سعد زغلول في ٨ صفر ١٣٣٩هـ (٢١ تشرين

الأول ١٩٢٠م)، وتبيّن من بداية المفاوضات أن «ملنر» يرفض رفضاً قاطعاً التحفُّظات التي وضعها الوفد المصري على المشروع، ويقول: إما أن يُؤخذ المشروع كما هو أو يُرفض، وهكذا تعثرت المفاوضات فترك الوفد المصري لندن ورجع إلى باريس في ٢٨ صفر عام ١٣٣٩هـ (١٠ تشرين الثاني ١٩٢٠م)، وفي باريس وقع الخلاف بين أعضاء الوفد المصري، إذ رأى أعضاء الوفد أن يتركوا عدلي يكن يُفاوض «ملنر»، ويُراقب الوفد المفاوضات غير أن سعداً قد رفض ذلك إذ عدّ نفسه أنه هو المُوكَّل من الأُمَّة وحده وليس الوفد، وهو مسؤول أمام الأُمَّة لا أمام غيرها ولا يحترم إلاّ إرادتها، ولن يخضع للأغلبية. وعاد أعضاء الوفد إلى مصر إلاّ سعداً.

رفع «ملنر» تقريراً إلى حكومته وأوصاها بالعدول عن سياسة الحماية، والعمل على مُعاهدةٍ يرضاها الطرفان، فيها تحقيق لأماني المصريين، ومصالح البريطانيين والأجانب كأن تحصل إنكلترا على إبقاء قوةٍ عسكريةٍ في مصر لحماية مواصلاتها، وتكون لها الرقابة على التشريع والإدارة الخاصة بالأجانب، وإبعاد السودان عن هذه التسوية وبعدئذٍ ترك شؤون مصر الداخلية بيد أبنائها، وهو ما يُعرف بالاستقلال المُقيّد.

وافقت الحكومة البريطانية على ترك نظام الحماية واستبداله بعبارة العلاقة بين مصر وإنكلترا، ورأت أن أعضاء الوفد يتفاوتون في خطة التسوية والمفاوضات، وقد أبلغت السلطان فؤاد في ١٧ جمادى الأولى ١٣٣٩هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٢١م) رغبتها في تبادل الآراء حول اقتراحات «ملنر» مع وفدٍ يُعيّنه السلطان للوصول إن أمكن استبدال الحماية بمعاهدةٍ تضمن مصالح إنكلترا والأجانب وتُحقّق أماني المصريين.

وفي ٦ رجب ١٣٣٩هـ (١٥ آذار ١٩٢١م) عُرضت الوزارة على عدلي يكن[1] فقبلها على أن يكون هدفه المباشر استئناف المفاوضات. شكّل عدلي

---

(١) عدلي يكن: عدلي بن إبراهيم يكن: ولد في القاهرة عام ١٢٨٠هـ، وتعلم في المدارس الأجنبية فيها، تسلّم وزارة الخارجية، والمعارف في عدة حكومات، ثم أسندت إليه رئاسة الوزارة ثلاث مرات، وذهب لمفاوضة إنكلترا وفشل، وهو من مؤسسي حزب الأحرار الدستوريين، توفي في باريس ١٣٥٢هـ، ونقل إلى القاهرة.

الوزارة وعرفت بوزارة الثقة، وذلك لأن سعداً كان يرى وهو في أوروبا تأليف وزارة ثقة تضع الدستور وتتولّى أمر المفاوضات. وقد جاء في بيان وزارة عدلي أن الحكومة ستعمل على وضع دستور للبلاد، وسيكون لممثلي الشعب كلمة الفصل في الاتفاق الذي سينتج عن المفاوضات التي تقوم بها الحكومة مع إنكلترا.

دعا عدلي يكن سعداً للاشتراك في المفاوضات، وكان سعد لا يزال في أوروبا، فأجاب بأنه سيحضر إلى مصر، وفعلاً فقد وصل إلى الإسكندرية في ٢٦ رجب ١٣٣٩هـ (٤ نيسان ١٩٢١م) وفي اليوم التالي وصل إلى القاهرة.

لم يلبث أن وقع الخلاف بين عدلي يكن وسعد زغلول، وذلك لأن سعداً يرى نفسه مُمثّلاً للأُمّة وقائماً بأمر الشعب، لذا يجب أن يكون هو رئيس الوفد المفاوض، ويجب أن يكون الوفد من أنصاره ومُؤيديه وكان من صفاته أنه عندما لا تكون المُهمّة مُلقاةً على عاتقه يظهر من أشدّ الوطنيين ومن أكثر المُخلصين بل من المُتطرّفين، ولكن عندما يكون على رأس مهمّةٍ يلين ويتنازل، ومن خالفه على كل حالٍ فهو خائن أثيم، ولو كانت المخالفة على أبسط الأمور، أما عدلي فكان يرى أن يكون الوفد رسمياً تتحمّل الحكومة أمره. غير أن الخلاف بين الرجلين قد ظهر من قبل وذلك أن سعداً تقدّم بشروطه عندما تسلّم بيان وزارة عدلي يكن، ولا يزال في أوروبا، وقد تضمّنت هذه الشروط.

١ ـ الوصول إلى إلغاء الحماية إلغاءً تاماً صريحاً أي إلغاء الحماية التي فُرضت على مصر عندما قامت الحرب العالمية الأولى غرة صفر عام ١٣٣٣هـ (١٨ كانون الأول ١٩١٤م).

٢ ـ الاعتراف باستقلال مصر استقلالاً تاماً ودولياً عاماً سواء في الداخل أم في الخارج مع إرادة الأمة التي أبدتها في التحفّظات التي قدّمها الوفد للجنة «ملنر».

٣ ـ إلغاء الأحكام العُرفية والرقابة على الصحافة قبل الدخول في المُفاوضات.

٤ ـ يجب أن تكون غالبية المفاوضين للوفد، ورئاسة المفاوضات من الوفد.

وليس أكثر من هذا تطرّف ومع ذلك فإن الخلاف إنما وقع حول الشرط الرابع إذ أن عدلي قد تمسّك بأن تكون له الرئاسة ما دام هو رئيس الحكومة، مستنداً إلى التقاليد السياسية التي لا تسمح بدخول رئيس حكومةٍ في هيئةٍ سياسيةٍ لا يكون فيها رئيساً، وهذا أمر طبيعي ومنطقي بل لا يصحّ أن يكون غيره. وكان عدلي أيضاً مُخطئاً إذ يظنّ أن الوفد بجانبه لأنهم هم الذين اقترحوا أن يكون عدلي هو المفاوض، وما دام عدلي قد خالف سعداً فإن الغضب قد وقع عليه ويجب أن يحمل أوزار كل ما وقع وما سيقع، وهو خائن عميل. وفعلاً فقد ألقى سعد خطاباً في «شبرا» يوم ١٧ شعبان عام ١٣٣٩هـ (٢٥ نيسان ١٩٢١م) أعلن فيه الخلاف، ووصف عدلي وإخوانه بأنهم برادع للإنكليز، وأنهم إذا ما تفاوضوا مع الإنكليز فإن ذلك لا يعني سوى أن جورج الخامس يُفاوض جورج الخامس.

واستمرّ الخلاف ما يقرب من شهرين ألقى خلالها سعد حمماً وقذائف من التُّهم والخيانات، وفي هذا الجو الحار من الخلاف سافر عدلي مع وفدٍ إلى لندن، واستغلّ الإنكليز هذا الوضع وتشدّدوا في مطالبهم وشروطهم، وفي ١٠ ربيع الأول ١٣٤٠هـ (١٠ تشرين الثاني ١٩٢١م) سلّم «كيرزون» الوفد المصري مشروع الحكومة البريطانية. فرأى الوفد أن هذا المشروع لا يُحقّق الغاية التي سافر من أجلها، لذا لا يصحّ أن يُتابع موضوع المفاوضة، وفشلت المباحثات وسبب ذلك يعود إلى إصرار إنكلترا على إبقاء حاميةٍ إنكليزيةٍ في مصر، وعدم الاتّفاق على تحديد الإشراف على شؤون مصر الخارجية. ومع ذلك فقد حدّد هذا المشروع علاقات إنكلترا مع مصر، واستمرّ ذلك مدة أربعة عشر عاماً. وقد أظهر «كيرزون» من قبل رفض المفاوضات مع سعدٍ، ولكنه يمكنه التفاوض مع حسين رشدي وعدلي يكن، غير أن حسين رشدي قد رفض ذلك كي لا يحدث الانقسام دخل الحركة الوطنية.

رجع عدلي إلى مصر في ١٩ ربيع الأول ١٣٤٠هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٢١م)، ومع هذا الفشل في المفاوضات مع المعتدلين في مصر كان على بريطانيا إما أن تستجيب لمصر ولكن تقف أمامها عقبة سعد الذي لا يرضى شيئاً إلاّ إذا كان صادراً عنه، ويستمع الشعب منه وينقاد له. أي أنها لا ترضى عن المفاوضات، فعندما تريدها تتفاوض مع سعد أو تطلب منه الموافقة، ولكن لا تريدها هي فلا يمكن أن يقبل سعد، وإما أن تجبر مصر على الخضوع والخنوع غير أن هذا له نتائجه إذ تخشى استمرار الحركات وتأجّج نار الثورة، إضافةً إلى أن مندوبها السامي في مصر وهو الجنرال «اللنبي» كان ضدّ هذه السياسة.

رأت إنكلترا أنه لا يوجد زعيم يدين له بقية رجالات مصر، وأن سعداً رغم ما هُيِّءَ له من فرص فلا تزال أمامه مُعارضة، فالأولى أن تفسح له مجالات أخرى كي يبذَّ الآخرين، وأفضل هذه المجالات النفي الذي يجعل الشعب يرتبط به، ويُطالب به، وفي الوقت نفسه يكون قد ضعُف خصومه، وبدا أنهم يتساهلون مع المحتلّ، كما يمكن مرحلياً أن تتمّ المُفاوضة معهم، وعلى هذا جرت السياسة الإنكليزية في هذه المرحلة.

جرى اتفاق بين المعتمد البريطاني في القاهرة وبين عبد الخالق ثروت، وعدلي يكن، وإسماعيل صدقي وذلك في ١٤ جمادى الأولى ١٣٤٠هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٢٢م)، وقد نص الاتفاق على تأليف وزارةٍ برئاسة عبد الخالق ثروت شريطة موافقة الحكومة البريطانية على النقاط الآتية: إلغاء الحماية، والاعتراف بمصر دولةً مستقلةً ذات سيادةٍ، وإعادة وزارة الخارجية، وإنشاء مجلس نيابيٍ، وتأليف حكومةٍ دستوريةٍ، وإلغاء الأحكام العسكرية، وأن أربع نقاط فقط للتسوية وهي: تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية، الدفاع عن مصر ضد كلّ اعتداءٍ أو تدخُّلٍ أجنبي بصفةٍ مباشرةٍ، وحماية المصالح الأجنبية والأقلّيات، السودان.

طلب الجنرال «اللنبي» من حكومته اعتماد هذا الاتفاق، وبعد عدة اتصالات وافقت الحكومة البريطانية على هذا المشروع ولكن أدخلت عليه

بعض التعديلات منها جعل الهيئة التشريعية بيد مجلسين: مجلس للنواب ينتخبه الشعب، ومجلس للشيوخ يعينه الملك، وبهذا أصبح الملك ذا نفوذٍ وقوةٍ يستطيع أن يضغط بها.

وقد ضمّ المشروع المعدّل وثيقتين مُهمتين: أولاهما تصريح ٢ رجب ١٣٤٠هـ (٢٨ شباط ١٩٢٢م) وينصّ على إنهاء الحماية عن مصر مع أربعة تحفّظاتٍ، وثانيهما كتاب مفصل عن السلطان.

وقد جاء في التصريح: بما أن حكومة جلالة الملك عملاً بنواياها التي جاهرت بها ترغب في الحال بالاعتراف بمصر دولةً مستقلةً ذات سيادةٍ، وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للإمبراطورية البريطانية فبموجب هذا تُعلن المبادئ الآتية:

١ ـ انتهاء الحماية البريطانية عن مصر، وتُصبح مصر دولةً مستقلةً ذات سيادةٍ.

٢ ـ حالما تُصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (إقرار الإجراءات العسكرية التي اتّخذت باسم السلطات العسكرية) نافذ المفعول على جميع ساكني مصر، تُلغى الأحكام العرفية التي أعلنت في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م (١٤ ذي الحجة ١٣٣٢هـ).

٣ ـ إلى أن يحين الوقت الذي يتسنّى فيه إبرام اتفاقاتٍ بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلّق بالأمور الآتي بيانها وذلك بمفاوضاتٍ وديّةٍ غير مقيّدةٍ بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورةٍ مُطلقةٍ بتولّي هذه الأمور وهي:

أ ـ تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر.

ب ـ الدفاع عن مصر من كل اعتداءٍ أو تدخُّلٍ أجنبيٍ بالذات أو بالواسطة.

ج ـ حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات.

د ـ السودان.

أما السلطان أحمد فؤاد[١] فقد أصبح ملكاً على مصر.

❀ ❀ ❀

(١) ولد أحمد فؤاد ١٢٨٦هـ، وكان مع أبيه عندما نفي إلى إيطاليا عام ١٢٨٨هـ، ولم يزد عمره على السنتين يومذاك، وتعلّم هناك الإيطالية، كما تعلّم الفرنسية، ودخل الجيش الإيطالي ثلاث سنوات، ورجع إلى مصر، وعيّنه ابن أخيه عبّاس حلمي كبيراً لحاشيته، وأعطاه رتبة لواء بالجيش، وعندما مات السلطان حسين كامل أثناء الحرب الأولى بتاريخ ٢٣ ذي الحجة عام ١٣٣٥هـ (٩ تشرين الأول ١٩١٧م) ورفض ابنه كمال الدين حسين العرش، رُشح أحمد فؤاد، وكان قد اختاره لذلك أخوه الأكبر حسين كامل عندما رفض ابنه، وأعلنت إنكلترا أنها هي التي رشحته فكان بيانه الأول اعترافه بجميلها إذ أعلن أن على مصر أن تدفع ثلاثة ملايين ونصف جنيه إلى إنكلترا للأغراض العسكرية.

الفَصْل الأوّل
الملكيّة أو الاستقلال المقيّد

بعد تصريح ٢ رجب ١٣٤٠هـ (٢٨ شباط ١٩٢٢م) أصبحت مصر دولةً مستقلةً ذات سيادةٍ، ولكنها مُقيَّدة بشروطٍ. وشكّل الوزارة عبد الخالق ثروت[1] بناءً على الاتفاق الذي سبق مع الجنرال «اللنبي». وفي الوقت نفسه نُفي سعد زغلول إلى عدن، فجزيرة سيشل تمهيداً لظهوره بشكلٍ أفضل، وكانت حُجَّة نفيه أنه قام بجولةٍ في الوجه القبلي يُؤلّب فيها الشعب على حكومة عدلي، وحاولت السلطة منعه فحدثت اشتباكات بين الشعب والشرطة، فأصدرت أمراً بكفّه عن النشاط وعدم مواصلة رحلته فأبى فحدَّدت إقامته ثم قامت بنفيه، وصدر كذلك الأمر إلى كل من فتح الله بركات، وعاطف بركات، ومصطفى

---

(١) عبد الخالق بن إسماعيل ثروت: ولد بالقاهرة عام ١٢٩٠هـ، وتعلم الحقوق فيها. وعهد إليه بوزارة العدل في عدة وزارات، وأصبح رئيساً للوزراء بعد الاستقلال. وكذلك شكّل وزارة ثانية بعد وزارته الأولى بأربع سنوات. وتوفي في باريس عام ١٣٤٧هـ، ونقل إلى القاهرة.

وكانت وزارة عبد الخالق ثروت على النحو الآتي في ٣ رجب ١٣٤٠هـ (١ آذار ١٩٢٢م).

١ ـ عبد الخالق ثروت: رئيساً للوزراء.
٢ ـ إسماعيل صدقي: وزيراً للمالية.
٣ ـ إبراهيم فتحي: وزيراً للحربية والبحرية.
٤ ـ جعفر ولي: وزيراً للأوقاف.
٥ ـ مصطفى ماهر: وزيراً للمعارف العمومية.
٦ ـ محمد شكري: وزيراً للزراعة.
٧ ـ مصطفى فتحي: وزيراً للحقانية.
٨ ـ حسين واصف: وزيراً للأشغال العمومية.
٩ ـ واصف سميكة: وزيراً للمواصلات.

النحاس، وجعفر فخري، وأمين عز العرب، وصادق حنين، ومكرم عبيد، وسينوت حنا، ولكنهم رفضوا الأوامر أيضاً، فقرّرت الحكومة نفي سعد زغلول، ومصطفى النحاس، ومكرم عبيد، وسينوت حنا إلى سيشل يوم ٢ رجب ١٣٤٠هـ (٢٨ شباط ١٩٢٢م) بعد أن كانت السلطة قد نفتهم إلى عدن، ومعهم فتح الله بركات، وعاطف بركات في ربيع الثاني ١٣٤٠هـ (كانون الأول ١٩٢١م).

وزارة عبد الخالق ثروت:

وفي ١٧ رجب ١٣٤٠هـ، أعلن الملك فؤاد استقلال البلاد، واتّخذ لقب ملك مصر، وعهد إلى رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت اتّخاذ الإجراءات لوضع دستور البلاد.

وفي ٩ شعبان ١٣٤٠هـ ألّفت الوزارة لجنةً لوضع الدستور، وقد ضمّت ثلاثين عضواً، وقد رفض كل من الحزب الوطني، وحزب الوفد الاشتراك فيها بحُجَّة أنها معيّنة، ويجب أن تكون مُنتخبةً، وقد بدأ سعد كعادته بالهجوم عليها فأطلق عليها «لجنة الأشقياء» وكانت هذه اللجنة نواةً لحزب الأحرار الدستوريين.

وفي ١٣ محرم ١٣٤١هـ (٤ أيلول ١٩٢٢م) نقل سعد زغلول ومن معه إلى جبل طارق، وبقي في منفاه حتى ٣ شعبان ١٣٤١هـ (٢٠ آذار ١٩٢٣م) أي سبعة أشهر ونصف.

وزارة محمد توفيق نسيم[1]:

كان عبد الخالق ثروت قد قدّم استقالة حكومته، ١٠ ربيع الثاني ١٣٤١هـ

---

(١) كانت وزارة محمد توفيق نسيم قد شكلت على النحو الآتي:
١ ـ محمد توفيق نسيم: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ إسماعيل سري: وزيراً للأشغال العمومية.
٣ ـ أحمد ذو الفقار: وزيراً للحقانية.
٤ ـ يحيى إبراهيم: وزيراً للمعارف العمومية.
=

(٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٢م) وعُهد إلى محمد توفيق نسيم بتشكيل وزارة جديدة فألّفها، ولم يطُل عهدها إذ استقالت بعد شهرين، وبعد أن حذفت النصوص الخاصة بالسودان من مشروع الدستور.

وزارة يحيى إبراهيم:

عُهد إلى يحيى إبراهيم[1] بتشكيل الوزارة وبقيت مصر أكثر من شهر دون وزارة وفي عهده صدر الدستور في ٤ رمضان ١٣٤١هـ (١٩ نيسان ١٩٢٣م)، ووصل سعد زغلول إلى البلاد بعد الإفراج عنه، وأصبح زعيماً لا منافس له، واطمأن الإنكليز إلى نهاية الصراع مع المصريين، ومرّ سعد على فرنسا مع

= ٥ ـ محمد توفيق رفعت: وزيراً للمواصلات.
٦ ـ محمود فخري: وزيراً للخارجية.
٧ ـ يوسف سليمان: وزيراً للمالية.
٨ ـ أحمد علي: وزيراً للزراعة.
٩ ـ محمد إبراهيم: وزيراً للأوقاف.
١٠ ـ محمود عزمي: وزيراً للحربية والبحرية.

(١) يحيى إبراهيم: ولد عام ١٢٨٧هـ في بلدة «بهبشين» من قرى بني سويف، وتعلم بمدرسة الأقباط الكبرى في القاهرة، ودرس الحقوق، ودرّسها، وعمل رئيساً لمحكمة الاستئناف، وعمل وزيراً للمعارف ثم استلم رئاسة الوزراء، كما تسلّم منصب وزير المالية في وزارة أحمد زيور، وأسّس حزب الاتحاد، وأخيراً كان من أعضاء مجلس الشيوخ حتى توفي عام ١٣٥٥هـ.
ألف يحيى إبراهيم وزارته بعد أكثر من شهر من استقالة وزارة توفيق نسيم وكانت وزارته على النحو الآتي:
١ ـ يحيى إبراهيم: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ أحمد حشمت: وزيراً للخارجية.
٣ ـ محمد محب: وزيراً للمالية.
٤ ـ أحمد زيور: وزيراً للمواصلات.
٥ ـ أحمد ذو الفقار: وزيراً للحقانية.
٦ ـ محمد توفيق رفعت: وزيراً للمعارف العمومية.
٧ ـ أحمد علي: وزيراً للزراعة.
٨ ـ محمود عزمي: وزيراً للحربية والبحرية.
٩ ـ حسن حافظ: وزيراً للأوقاف.
١٠ ـ فوزي جرجي المطيعي: وزيراً للأشغال العمومية.

زملائه بعد الإفراج عنهم، ومنها عادوا إلى مصر. وقد منح الدستور صلاحياتٍ واسعةٍ للملك ومنها:

١ ـ حقّ حلّ المجلس النيابي.

٢ ـ حقّ تأجيل انعقاد المجلس النيابي.

٣ ـ إصدار مراسيم تشريعية في حالة غياب المجلس.

٤ ـ تعيين الوزراء وإقالتهم.

٥ ـ تعيين خُمس أعضاء مجلس الشيوخ. أما الباقون فيُنتخبون من قبل الأشخاص الذين لا يقلّ دخلهم عن ١٥٠٠ جنيه من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية والمُلّاك الذين يؤدون ضريبةً لا تقلّ عن ١٥٠٠ جنيه في العام.

وزارة سعد زغلول:

وجرت الانتخابات النيابية، واجتمع أوّل مجلسٍ نيابي بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٣٤٢هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢م)، وأحرز حزب الوفد نجاحاً كبيراً، وقدّم يحيى إبراهيم استقالة حكومته، وكُلّف سعد زغلول بتأليف حكومة جديدة[1]، وقد تمّ تشكيل الحكومة في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٤٢هـ (٢٨ كانون الثاني ١٩٢٤م) وهي أوّل وزارةٍ انتخابيةٍ. وقد استخدمت أحط الوسائل

(١) كانت وزارة سعد زغلول على النحو الآتي:
١ ـ سعد زغلول: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ محمد سعيد: وزيراً للمعارف العمومية.
٣ ـ محمد توفيق نسيم: وزيراً للمالية.
٤ ـ أحمد مظلوم: وزيراً للأوقاف.
٥ ـ حسن حسيب: وزيراً للحربية والبحرية.
٦ ـ محمد فتح الله بركات: وزيراً للزراعة.
٧ ـ مرقص حنا: وزيراً للأشغال العامة.
٨ ـ مصطفى النحاس: وزيراً للمواصلات.
٩ ـ واصف بطرس غالي: وزيراً للخارجية.
١٠ ـ محمد نجيب غرابلي: وزيراً للحقانية (العدل).

للحصول على الأكثرية في مجلس النواب، وكانت هذه الطريقة ـ مع الأسف ـ سلوك الأحزاب كلها.

وفي ١٠ ذي الحجة عام ١٣٤٢هـ (١٢ تموز ١٩٢٤م) سافر سعد زغلول إلى لندن للمفاوضة مع رئيس وزراء إنكلترا «رامزي مكدونالد» رئيس حزب العمال، وكان قد زار مصر قبل ثلاث سنوات وقال لسعد يومذاك: سنحلّ معاً القضية المصرية قبل أن ننتهي من شرب فنجان القهوة، وفي التجربة عندما أصبح جدياً تعثّرت المفاوضات، ورجع سعد إلى مصر بعد غياب ما يزيد على ثلاثة أشهر.

وفي ٢٢ ذي الحجة عدّل سعد وزارته وهو غائب في لندن فعيّن أحمد زيور وزيراً دون وزارة.

ولما رجع سعد من لندن إثر فشل المفاوضات عيّن الملك أحمد فؤاد وكيلاً للديوان الملكي فؤاد حسن نشأت دون إقرار الوزارة لذلك التعيين، وثار سعد لتصرّف الملك وقدّم استقالته وأصرّ عليها، وعلى أن لا يعود للوزارة إلا إذا سلّم الملك ورضي أن يكون فقط حاكماً دستورياً للبلاد، وانتهت الأزمة، ورضخ الملك فتراجع سعد عن استقالته، وكسب الجولة.

محاولة اغتيال سعد زغلول:

وعندما أراد سعد زغلول أن يركب القطار بمحطة القاهرة للسفر إلى لندن لإجراء المفاوضات أطلق عليه شاب من الحزب الوطني، ويُدعى عبد اللطيف عبد الخالق الدلبشاني النار من مسدسٍ فأُصيب في يده وتجلّد وتابع السفر بعد أن ضمدت جراحه، وحاول رجال حزب الوفد اتهام الحزب الوطني بتدبير المؤامرة، وتوجّهت الأنظار نحو عبد العزيز جاويش، ولم يثبت شيء، وحكم على الشاب بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة.

مقتل حاكم عام السودان:

واتّجهت أنظار بعض الفدائيين لقتل أمين سر «سكرتير» عام حكومة السودان الذي كان يقيم بميدان توفيق غير أنه في ذلك الوقت قد وصل إلى

مصر حاكم عام السودان والذي كان في الوقت نفسه سردار الجيش المصري وهو «سيرلي ستاك» فتحولت الأنظار إليه، وبدأت مراقبته، وكان يزور وزارة الحربية يومياً، وتقرّر إطلاق النار عليه عند تقاطع شارع القصر العيني مع أحد الشوارع حيث يضطر سائق سيارته لتهدئة السرعة، وتمت الخطة وقتل حاكم عام السودان، وثارت ثائرة إنكلترا، وأعلنت عن مطالبها بدفع مصر غرامةً قدرها نصف مليون جنيه، وسحب الجيش المصري من السودان، والقبض على المجرمين ومعاقبتهم أشدّ عقوبة، واعتذار حكومة مصر عن الجريمة. وكان ذلك يوم ٢١ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩٢٤م)، وبعد أربعة أيام انطلق المندوب السامي الإنكليزي الجنرال «اللنبي» مع عدد كبير من العسكريين بما يُشبه المظاهرة إلى رئاسة مجلس الوزراء، ووجّه إنذاره إلى سعد زغلول رئيس الوزراء وعاد. ورغم أن سعداً قد وافق على دفع الغرامة، والاعتذار، والقبض على المجرمين إلا أن السلطات البريطانية لم تقنع بذلك، واحتلت جمارك الإسكندرية، واضطرت حكومة سعد إلى الاستقالة بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ.

وزارة أحمد زيور[١]:

بعد تقديم سعد زغلول استقالة حكومته عهد إلى أحمد زيور بتأليف حكومةٍ جديدةٍ فألفها في اليوم نفسه[٢]. ونفّذت هذه الحكومة كل ما تريده

---

(١) أحمد زيور: ولد في الإسكندرية عام ١٢٨٢هـ من أبٍ قوقازي، وتعلم في مدرسة فرنسية بالإسكندرية، ثم في كلية «الجيزويت» في لبنان ـ بيروت حيث حصل على إجازة في الحقوق. وتقلّب في وظائف النيابة العامة والقضاء ورئاسة المحاكم، ثم اختير محامياً عاماً، ثم مستشاراً لمحكمة الاستئناف، ثم محافظاً للإسكندرية، وعُين وزيراً للأوقاف في وزارة حسين رشدي، وللمعارف في وزارة محمد سعيد، وللمواصلات في وزارات محمد سعيد، ويوسف وهبة، ومحمد توفيق نسيم، وعدلي يكن، ثم عين وزيراً مفوضاً في روما، ثم اختير وزيراً للمواصلات في وزارة يحيى إبراهيم، ثم رئيساً لمجلس الشيوخ، فوزيراً دون وزارة في حكومة سعد، وتسلم رئاسة الوزارة وعمره ستون سنة، وكان يجيد الإنكليزية والفرنسية، والإيطالية والتركية إلى جانب العربية.

(٢) كانت وزارة أحمد زيور على الشكل الآتي:
١ ـ أحمد زيور: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والخارجية. =

إنكلترا فقد دفعت التعويض المالي، وسحبت الجيش المصري من السودان، واعتذرت من إنكلترا عما ارتكبه الجناة، وعبأت جهودها وكل أجهزتها السرية للبحث عن قتلة حاكم السودان، وجعلت عشرة آلاف جنيه لكل من يدل عليهم.

أعطي المجلس النيابي إجازةً لمدة شهر، ثم صدر قرار بحله بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٢٤م) وحُدّد موعد ١١ شعبان ١٣٤٣هـ لإجراء الانتخابات، وتمت عملية الانتخابات وفاز حزب الوفد على الأحزاب الأخرى المنافسة له، وكانت الحكومة قد عدّلت قانون الانتخابات، وجعلته على درجتين بعد أن كان على درجةٍ واحدةٍ وفي ١٨ شعبان قدّم أحمد زيور استقالة حكومته، ولكنه كُلّف في اليوم نفسه بتشكيل حكومةٍ من الاتحاديين، والأحرار الدستوريين والمستقلين[1].

= ٢ ـ أحمد خشبة: وزيراً للمعارف، ووزيراً للحقانية بالوكالة. (استقال بعد أسبوع لأنه وفدي).
٣ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية. (استقال بعد أسبوع لأنه وفدي).
٤ ـ محمد سيد أبو علي: وزيراً للزراعة.
٥ ـ محمد صدقي: وزيراً للأوقاف.
٦ ـ يوسف قطاوي: وزيراً للمالية، وهو يهودي.
٧ ـ نخلة جورجي المطيعي: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ محمد صادق يحيى: وزيراً للحربية والبحرية.
٩ ـ أحمد موسى: وزيراً للعدل (الحقانية).
١٠ ـ إسماعيل صدقي: عُين بعد أسبوعين وزيراً للداخلية.
١١ ـ محمد توفيق رفعت: دخل الوزارة بعد استقالة العضوين الوفديين.
١٢ ـ محمود صدقي: دخل الوزارة بعد استقالة العضوين الوفديين.

(١) شكل أحمد زيور وزارته المعدلة على النحو الآتي:
أولاً: المستقلون.
١ ـ أحمد زيور: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ إسماعيل صدقي: وزيراً للداخلية. يتعاطف مع الأحرار الدستوريين.
٣ ـ إسماعيل سري: وزيراً للأشغال العمومية.
٤ ـ يوسف قطاوي: وزيراً للمواصلات. وهو يهودي.
ثانياً: الأحرار الدستوريين:
٥ ـ عبد العزيز فهمي: وزيراً للعدل. رئيس الحزب.
٦ ـ محمد علي علوبة: وزيراً للأوقاف. =

اجتمع المجلس النيابي في ٢٨ شعبان، وجرى اقتراح على رئاسة المجلس ففاز سعد زغلول بأغلبية ١٢٣ صوتاً ضد ٨٥ صوتاً نالها عبد الخالق ثروت الذي رشحته الأحزاب الأخرى. وحُدّد موعد لحلّ المجلس بعد شهرين أي في أول شهر ذي القعدة من العام نفسه على أن تجري الانتخابات بعد يومين من ذلك التاريخ إلا أنها لم تجر إلاّ بعد سنةٍ كاملةٍ.

وجرت الانتخابات النيابية في ١١ ذي القعدة ١٣٤٤هـ (٢٢ أيار ١٩٢٦م)، ولم يحصل فيها حزب الاتحاد إلا على أربعة مقاعد من أصل ٢٣٥ مقعداً، على حين حصل حزب الوفد على ١٥٩ مقعداً، وحصلت بقية الأحزاب والمستقلون على ٧٢ مقعداً.

وزارة عدلي يكن الثانية:

وقدّم أحمد زيور استقالة حكومته الثانية في ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٤هـ. وعهد الملك إلى رئيس حزب الأحرار الدستوريين عدلي يكن[1] بتأليف حكومةٍ، فشكّل وزارة ائتلافية[2] من حزبه وحزب الوفد على حين تسلم سعد زغلول رئاسة المجلس النيابي.

= ٧ ـ توفيق دوس: وزيراً للزراعة. كان وفدياً.

ثالثاً: الاتحاديون:

٨ ـ يحيى إبراهيم: وزيراً للمالية. رئيس الحزب.

٩ ـ علي ماهر: وزيراً للمعارف العمومية.

١٠ ـ اللواء فؤاد موسى: وزيراً للحربية والبحرية. نائب رئيس الحزب. استقال يوسف قطاوي بعد مدةٍ وحلّ مكانه حلمي عيسى من حزب الاتحاد.

(١) عدلي بن خليل بن إبراهيم يكن: ولد بالقاهرة عام ١٢٨٠هـ، درس مبادئ العلوم في استانبول، ثم رجع إلى القاهرة فتعلّم في مدارس الإرساليات التنصيرية، ثم التحق بوظائف الدولة وترقى فيها، وتسلّم منصب وزارة الخارجية، فالمعارف، فالداخلية، وشكّل ثلاث حكومات، وهو من مؤسسي حزب الأحرار الدستوريين، توفي في باريس عام ١٣٥٢هـ، ونقل جثمانه إلى القاهرة.

(٢) كانت هذه هي الوزارة الثانية لعدلي يكن إذ شكل وزارة قبل هذا العهد، وتألفت على النحو الآتي:

١ ـ عدلي يكن: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.

٢ ـ عبد الخالق ثروت: وزيراً للخارجية.

٣ ـ محمد فتح الله بركات: وزيراً للزراعة. =

وزارة عبد الخالق ثروت:

شكّل عبد الخالق ثروت وزارته(١) في ٢٤ شوال ١٣٤٥هـ (٢٦ نيسان ١٩٢٧م)، في اليوم نفسه الذي استقالت فيه حكومة سلفه عدلي يكن. وجرت المفاوضات بينه وبين «تشمبرلن»، وقد تعثرت المفاوضات، وفشلت، ورفض الشعب مشروع المعاهدة الذي قدّم.

وتوفي سعد زغلول في هذه الآونة بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٤٦هـ (٢٣ آب ١٩٢٧م)، وأصبح مصطفى النحاس بعد ذلك زعيم حزب الوفد.

واستقالت الحكومة في ١٣ رمضان ١٣٤٦هـ (٤ آذار ١٩٢٨م).

وزارة مصطفى النحاس(٢) الأولى:

كان لموت سعد زغلول أثر في مصر، الأمر الذي رفع أسهم خليفته فلما

= ٤ ـ محمد نجيب الغرابلي: وزيراً للأوقاف.
٥ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للبحرية والحربية.
٦ ـ محمد محمود: وزيراً للمواصلات.
٧ ـ أحمد أبو السعود: وزيراً للحقانية.
٨ ـ مرقص حنا: وزيراً للمالية.
٩ ـ علي الشمسي: وزيراً للمعارف العمومية.
١٠ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ عبد الخالق ثروت: رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية.
٢ ـ جعفر ولي: وزيراً للحربية والبحرية.
٣ ـ أحمد زكي أبو السعود: وزيراً للحقانية.
٤ ـ محمد فتح الله بركات: وزيراً للزراعة.
٥ ـ مرقص حنا: وزيراً للخارجية.
٦ ـ محمد نجيب الغرابلي: وزيراً للأوقاف.
٧ ـ علي الشمسي: وزيراً للمعارف العمومية.
٨ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للمواصلات.
٩ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
١٠ ـ محمد محمود: وزيراً للمالية.

(٢) مصطفى النحاس: ولد في «سمنود» عام ١٢٩٦هـ وتعلم بالقاهرة، وأجيز بالحقوق عام ١٣١٨هـ، وعمل محامياً بالمنصورة، وعين قاضياً بالمحاكم الأهلية، وفصل من عمله، واعتقل مع سعد زغلول، وتولى وزارة المواصلات، ثم رئاسة الوزارة خمس مرات ورئاسة المجلس النيابي، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٨٥هـ. =

استقال عبد الخالق ثروت كلّف مصطفى النحاس بتشكيل وزارةٍ ائتلافيةٍ، ولكن لم يلبث أن تصدّع الائتلاف، فأُقيلت حكومة مصطفى النحاس بتاريخ ٧ محرم ١٣٤٧هـ (٢٥ حزيران ١٩٢٨م).

وزارة محمد محمود[(١)]:

كلّف محمد محمود بتشكيل الوزارة الذي أصبح رئيس حزب الأحرار الدستوريين بعد استقالة رئيسه الثاني عبد العزيز فهمي، وتمّ تأليف الوزارة في ٧ محرم ١٣٤٧هـ، وقد روّجت هذه الحكومة للمفاوضات مع إنكلترا كثيراً، وتمت المفاوضات مع «هندرسون» ولكن الشعب قد رفض أيضاً التصديق على

= تشكلت وزارة مصطفى النحاس الأولى في ٢٦ رمضان ١٣٤٦هـ (١٧ آذار ١٩٢٨م)، وكانت ائتلافية من حزبي الوفد والأحرار الدستوريين، وتشكّلت على النحو الآتي:

١ ـ مصطفى النحاس: رئيساً للوزارة، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ جعفر ولي: وزيراً للحربية والبحرية.
٣ ـ واصف بطرس غالي: وزيراً للخارجية.
٤ ـ محمد نجيب الغرابلي: وزيراً للأوقاف.
٥ ـ علي الشمسي: وزيراً للمعارف العمومية.
٦ ـ أحمد خشبة: وزيراً للأوقاف.
٧ ـ محمد محمود: وزيراً للمالية.
٨ ـ محمد صفوت: وزيراً للزراعة.
٩ ـ إبراهيم فهمي كريم: وزيراً للأشغال العمومية.
١٠ ـ مكرم عبيد: وزيراً للمواصلات.

(١) شكل محمد محمود وزارته على النحو الآتي:

١ ـ محمد محمود: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ جعفر ولي: وزيراً للحربية والبحرية، ووزيراً للأوقاف بالوكالة.
٣ ـ عبد الحميد سليمان: وزيراً للمواصلات.
٤ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للحقانية.
٥ ـ نخلة المطيعي: وزيراً للزراعة.
٦ ـ علي ماهر: وزيراً للمالية.
٧ ـ إبراهيم فهمي كريم: وزيراً للأشغال العمومية.
٨ ـ حافظ عفيفي: وزيراً للخارجية.
٩ ـ أحمد لطفي السيد: وزيراً للمعارف العمومية.

مشروع المعاهدة، وأخيراً قدّم استقالته بتاريخ ٢٨ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ (٢ تشرين الأول ١٩٢٩م)، وقد حلّت هذه الوزارة المجلس النيابي، وعطلّت الدستور، وبقي معطلاً ثلاث سنوات.

وزارة عدلي يكن الثالثة:

بعد أن قدّم محمد محمود استقالة حكومته كُلّف عدلي يكن(١) بتأليف حكومة مهمتها الإشراف على الانتخابات، وقد أصبح عدلي يكن مُستقلاً بعد تركه رئاسة حزب الأحرار الدستوريين الذي أسسه وكان أول رئيسٍ له.

أجريت الانتخابات، وأسفرت عن فوزٍ كبيرٍ لحزب الوفد، وعادت الحياة النيابية إلى البلاد، بعد أن تعطلّت مدةً ليست بالقصيرة، وقدّم عدلي يكن استقالته بعد أن أدّت مُهمّتها بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٤٨هـ (٣١ كانون الأول ١٩٢٩م).

وزارة مصطفى النحاس(٢) الثانية:

عُهد إلى زعيم الحزب الذي فاز بالانتخابات بالأكثرية بتشكيل الوزارة،

---

(١) ألف عدلي يكن وزارته على النحو الآتي:
١ ـ عدلي يكن: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ أحمد مدحت سليم: وزيراً للخارجية.
٣ ـ عبد الرحيم صبري: وزيراً للمواصلات.
٤ ـ حسين درويش: وزيراً للحقانية.
٥ ـ مصطفى ماهر: وزيراً للمالية.
٦ ـ حسين واصف: وزيراً للأشغال العمومية.
٧ ـ واصف سميكة: وزيراً للزراعة.
٨ ـ أحمد علي: وزيراً للأوقاف.
٩ ـ حافظ حسن: وزيراً للمعارف العمومية.
١٠ ـ محمد أفلاطون: وزيراً للحربية والبحرية.

(٢) ألف مصطفى النحاس وزارته الثانية على النحو الآتي:
١ ـ مصطفى النحاس: رئيساً للوزارة، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ واصف بطرس غالي: وزيراً للخارجية.
٣ ـ محمد نجيب الغرابلي: وزيراً للحقانية.
٤ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية. =

فشكّل الوزارة، ومنحه المجلس النيابي تفويضاً لإجراء المفاوضات مع بريطانيا، وأجريت المفاوضات، ولكنها تعثرت بسبب المادة المتعلقة بالسودان، فقطعت من الطرفين، وعاد مصطفى النحاس إلى البلاد، وقامت العراقيل في وجه حكومته مما اضطره إلى الاستقالة في ٢١ محرم ١٣٤٩هـ (١٧ حزيران ١٩٣٠م).

وزارة إسماعيل صدقي(١):

عيّن الملك إسماعيل صبري رئيساً للوزارة فبدأ بالقيام بالأمور التي تجعله سيداً مستبداً من غير أن يُحاسبه أحد، فأجل انعقاد المجلس النيابي شهراً، فضّ الدورة النيابية، ثم صدر الأمر الملكي بإلغاء دستور عام (١٩٢٣م) وذلك بتاريخ ٣٠ جمادى الأولى عام ١٣٤٩هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٠م)، وحلّ مجلس النواب ومجلس الشيوخ، ثم أصدر دستوراً، ودستوراً جديداً للانتخابات، وأخيراً أنشأ حزب الشعب الذي كان رئيسه، وأصدر صحيفة تحمل اسم الحزب «الشعب». فعمّت المظاهرات البلاد، وأضرب العمال، وقاطعوا الانتخابات، وقوبلت المظاهرات بالعنف فوقع عدد من القتلى، وجرح عدد آخر.

= ٥ ـ محمد صفوت: وزيراً للزراعة.
٦ ـ مكرم عبيد: وزيراً للمالية.
٧ ـ محمود فهمي النقراشي: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ بهي الدين بركات: وزيراً للمعارف.
٩ ـ محمود بسيوني: وزيراً للأوقاف.
١٠ ـ حسن حسيب: وزيراً للحربية والبحرية.

(١) ألف إسماعيل صدقي وزارته على النحو الآتي:
١ ـ إسماعيل صدقي رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والمالية.
٢ ـ محمد توفيق رفعت: وزيراً للحربية والبحرية.
٣ ـ عبد الفتاح يحيى: وزيراً للحقانية.
٤ ـ حافظ حسن: وزيراً للأشغال العامة، والزراعة.
٥ ـ علي ماهر: وزيراً للمعارف.
٦ ـ توفيق دوس: وزيراً للمواصلات. =

ووافق المجلس النيابي الذي انتخب على يديه على التنازل عن واحة «جغبوب» لإيطاليا التي كانت تحتل ليبيا على حين لم توافق على ذلك المجالس النيابية السابقة بعد أن تنازل عن ذلك أحمد زيور. واضطر إسماعيل صدقي إلى تقديم استقالته في ٨ رمضان ١٣٥١هـ (٤ كانون الثاني ١٩٣٣م)، وذلك بعد أن استقال وزير المعارف علي ماهر، ووزير الحقانية عبد الفتاح يحيى، ووقع خلاف في الوزارة بعد حادثة قتل مأمور البداري.

عهد الملك إلى إسماعيل صدقي بإعادة تشكيل الوزارة فشكلها في اليوم نفسه[١]، واستمّرت حتى ٨ جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ (٢٧ أيلول ١٩٣٣م).

وزارة عبد الفتاح يحيى:

عُهد إلى عبد الفتاح يحيى بتشكيل وزارة جديدةٍ[٢]. كان عبد الفتاح يحيى

= ٧ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للأوقاف.
٨ ـ حافظ عفيفي: وزيراً للخارجية.
ثم تمّ تعيين:
٩ ـ إبراهيم فهمي كريم: وزيراً للأشغال.
١٠ ـ مراد سيد أحمد: وزيراً للمعارف.

(١) كانت وزارة إسماعيل صدقي الثانية على النحو الآتي:
١ ـ إسماعيل صدقي: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والمالية.
٢ ـ محمد شفيق: وزيراً للأشغال العمومية.
٣ ـ أحمد علي: وزيراً للحقانية.
٤ ـ حافظ حسن: وزيراً للزراعة.
٥ ـ نخلة المطيعي: وزيراً للخارجية.
٦ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للمواصلات.
٧ ـ إبراهيم فهمي كريم: وزيراً للمعارف العمومية.
٨ ـ علي جمال الدين: وزيراً للحربية والبحرية.
٩ ـ محمد مصطفى: وزيراً للأوقاف.
واستقال حافظ حسن، ومحمد مصطفى، ودخل الوزارة نتيجة التعديل الذي تمّ بعد استقالة الوزيرين:
١ ـ محمد علام: وزيراً للزراعة.
٢ ـ علي المنزلاوي: وزيراً للأوقاف.
٣ ـ محمود فهمي القيسي: وزيراً للداخلية.

(٢) شكل عبد الفتاح يحيى وزارته على النحو الآتي: =

وكيلاً لرئيس حزب الشعب إسماعيل صدقي غير أنه استقال من الوزارة تضامناً مع علي ماهر، وترك وكالة الحزب، فلما كلّف برئاسة الوزارة عاد يحتفظ بوكالة الحزب، فوافق إسماعيل صدقي على ذلك، ولكنه «إسماعيل صدقي» لم يلبث أن استقال من الحزب ومن عضوية المجلس النيابي. وقدم عبد الفتاح يحيى استقالة حكومته في ٧ شعبان ١٣٥٣هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٣٤م). واقترح حزب الوفد على المندوب السامي التدخل لتشكيل وزارة جديدة برئاسة محمد توفيق نسيم، إذ بدا الضعف واضحاً على الحكومة القائمة.

وزارة محمد توفيق نسيم:

شكّل وزارةً جديدةً[1] وألغى دستور ١٩٣٠م، وحل المجلس النيابي، وفي عهد هذه الحكومة، صرح وزير الدولة لشؤون الخارجية البريطاني «صموئيل هوم» أن دولته تعارض عودة دستور عام (١٩٢٣م) وذلك بتاريخ ١٣

= ١ ـ عبد الفتاح يحيى: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ أحمد علي: وزيراً للحقانية.
٣ ـ محمد نجيب الغرابلي: وزيراً للأوقاف.
٤ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للمعارف العمومية.
٥ ـ إبراهيم فهمي كريم: وزيراً للمواصلات.
٦ ـ محمود فهمي القيسي: وزيراً للداخلية.
٧ ـ علي المنزلاوي: وزيراً للزراعة.
٨ ـ صليب سامي: وزيراً للحربية والبحرية.
٩ ـ عبد العظيم راشد: وزيراً للأشغال العمومية.
١٠ ـ حسن صبري: وزيراً للمالية.

(١) شكل محمد توفيق نسيم وزارته على النحو الآتي:
١ ـ محمد توفيق نسيم: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ أحمد عبد الوهاب: وزيراً للمالية.
٣ ـ أمين أنيس: وزيراً للحقانية.
٤ ـ كامل إبراهيم: وزيراً للخارجية، والزراعة.
٥ ـ عبد العزيز محمد: وزيراً للأوقاف.
٦ ـ أحمد نجيب الهلالي: وزيراً للمعارف العمومية.
٧ ـ عبد المجيد عمر: وزيراً للأشغال العمومية، والمواصلات.
٨ ـ محمد توفيق عبد الله: وزيراً للحربية والبحرية.

شعبان ١٣٥٤هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٣٥م) فقام الطلبة بمظاهرات صاخبة احتجاجاً على تصريح «صموئيل هوم»، وعلى ضعف رئيس الوزراء، وقوبلت المظاهرات فسقط عدد من القتلى، وكانت الهتافات كلها تطالب بالجلاء، وساعد الجنود الإنكليز المسلحين قوات الشرطة في مقاومة المظاهرات. وتحت الضغط ونتيجة الظروف الدولية لانت قناة إنكلترا، وسكتت عن الممانعة في عودة دستور عام (١٩٢٣م) وأعلن الملك عن عودة الدستور، وناشد الشعب والأحزاب في الاتفاق فيما بينها، وفعلاً تكوّنت في ١٨ رمضان ١٣٥٤هـ (١٣ كانون الأول ١٩٣٥م) جبهة وطنية ضمّت أقطاب الأحزاب، وعادت الحياة النيابية، وسقطت وزارة محمد توفيق نسيم في ٧ ذي القعدة ١٣٥٤هـ (٣٠ كانون الثاني ١٩٣٦م).

وزارة علي ماهر[(١)]:

بعد سقوط وزارة محمد توفيق نسيم، عهد إلى علي ماهر بتشكيل وزارة ائتلافية، ولم يطل عهدها إلى أكثر من أربعة أشهر.

أصدر الملك فؤاد مرسوماً ملكياً بتشكيل وفد المفاوضة برئاسة مصطفى النحاس[(٢)] بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٣٥٤هـ (١٣ شباط ١٩٣٦م)، إذ كانت مهمتها إجراء الانتخابات، وقد تمت.

---

(١) شكل علي ماهر وزارته على النحو الآتي:
١ ـ علي ماهر: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والخارجية بالوكالة.
٢ ـ أحمد علي: وزيراً للحقانية، والأوقاف.
٣ ـ حافظ حسن: وزيراً للأشغال العمومية.
٤ ـ محمد علي علوبة: وزيراً للمعارف العمومية.
٥ ـ حسن صبري: وزيراً للمواصلات، والتجارة، والصناعة.
٦ ـ أحمد عبد الوهاب: وزيراً للمالية.
٧ ـ صادق وهبة: وزيراً للزراعة.
٨ ـ علي صدقي: وزيراً للحربية والبحرية.

(٢) تشكل الوفد من: مصطفى النحاس رئيساً، وعضوية كل من: محمد محمود، إسماعيل صدقي، عبد الفتاح يحيى، واصف بطرس غالي، أحمد ماهر، علي الشمسي، عثمان محرم، حلمي عيسى، مكرم عبيد، حافظ عفيفي، محمود فهمي النقراشي، أحمد حمدي سيف النصر. =

وفي ٧ صفر ١٣٥٥هـ (٢٨ نيسان ١٩٣٦م) مات الملك فؤاد، وكان ولي العهد فاروق في إنكلترا لمتابعة علومه، فعاد في ١٥ صفر ١٣٥٥هـ، وتشكّل مجلس وصاية برئاسة الأمير محمد علي وعضوية عبد العزيز عزت، ومحمد شريف صبري، واستمر المجلس يمارس وصايته إلى أن بلغ فاروق سن الرشد في (شهر تموز من عام ١٩٣٨م).

وجرت الانتخابات النيابية في ١٢ صفر ١٣٥٥هـ، وأسفرت عن نجاح حزب الوفد، وحصوله على أكثرية المقاعد، فدعا الملك زعيم حزب الوفد مصطفى النحاس لتشكيل الوزارة.

وزارة مصطفى النحاس[1] الثالثة:

شكل مصطفى النحاس وزارته بتاريخ ١٩ صفر ١٣٥٥هـ (٩ أيار ١٩٣٦م) وفي ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ (٢٦ آب ١٩٣٦م) وقّع مصطفى النحاس المعاهدة مع إنكلترا والتي عرفت بمعاهدة عام (١٩٣٦) وتنص هذه المعاهدة على:

١ - إنهاء الاحتلال العسكري والوصاية البريطانية مع استثناء بعض القواعد العسكرية للدفاع عن وادي النيل وقناة السويس ضد أيّ عُدوانٍ خارجيٍ.

= ويمثل الوفد مختلف الأحزاب باستثناء الحزب الوطني الذي رفض الاشتراك على أساس رفعه لشعار (لا مفاوضات قبل الجلاء).

(١) كانت وزارة مصطفى النحاس الثالثة على النحو الآتي:
١ - مصطفى النحاس: رئيساً للوزارة، ووزيراً للداخلية، ووزيراً للصحة.
٢ - واصف بطرس غالي: وزيراً للخارجية.
٣ - عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
٤ - محمد صفوت: وزيراً للأوقاف.
٥ - مكرم عبيد: وزيراً للمالية.
٦ - محمود فهمي النقراشي: وزيراً للمواصلات.
٧ - أحمد حمدي سيف النصر: وزيراً للزراعة.
٨ - محمود غالب: وزيراً للحقانية.
٩ - علي فهمي: وزيراً للحربية والبحرية.
١٠ - عبد السلام فهمي جمعة: وزيراً للتجارة والصناعة.
١١ - على زكي العرابي: وزيراً للمعارف العمومية.
والوزارة كلها من أعضاء حزب الوفد.

٢ ـ وضع الأراضي المصرية، وطرق مواصلاتها، ومطاراتها، وموانئها تحت تصرّف الجيش البريطاني في حالة قيام حرب.

٣ ـ تخلي إنكلترا عن المصالح الأجنبية.

٤ ـ تعهُّد إنكلترا بقُبول مصر في عُضوية عصبة الأمم.

٥ ـ إبقاء السودان شركةً بين مصر وإنكلترا.

٦ ـ تعهد الطرفين بعدم عقد معاهدة سياسية تتعارض مع مضمون هذه المعاهدة.

٧ ـ مدة المعاهدة عشرون سنة، ويُعاد النظر بعدها فيها.

وعاد مصطفى النحاس من لندن إلى مصر، وبدأ يُروّج لهذه المعاهدة ويدعو إلى تأييدها، وأطلق عليها اسم معاهدة «الشرف والاستقلال».

انشقّ أحمد ماهر، ومحمود فهمي النقراشي عن حزب الوفد، وشكّلوا الهيئة السعدية، وبدأ الصراع بين الطرفين، وظهر هذا فيما بعد.

وأُلقيت قنبلة على دار للصور المتحركة «سينما» يرتادها الضباط الإنكليز، وكانت بجانب جمعية الشبان النصرانية، وذهب نتيجة ذلك عدد من القتلى والجرحى.

وجرت محاولة من عز الدين فهمي من أعضاء الحزب الوطني لقتل مصطفى النحاس، ولكن أخطأ، وحكم على عز الدين فهمي بالأشغال الشاقة المؤبدة.

وزارة مصطفى النحاس الجديدة:

وعندما تولى الملك فاروق سلطاته الدستورية في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ (٢٩ تموز ١٩٣٧م) عهد إلى مصطفى النحاس بتشكيل وزارته الرابعة[١]. وقد أخرج من وزارته السابقة أربعة وزراء ووضع غيرهم، وبقيت

---

(١) كانت وزارة مصطفى النحاس الرابعة على النحو الآتي: =

هذه الوزارة في الحكم حتى ٢٧ شوال ١٣٥٦هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٣٧م).

وزارات محمد محمود:

شكّل محمد محمود الوزارة بعد إقالة حكومة مصطفى النحاس[١] التي

= ١ ـ مصطفى النحاس: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ واصف بطرس غالي: وزيراً للخارجية.
٣ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
٤ ـ محمود بسيوني: وزيراً للأوقاف.
٥ ـ مكرم عبيد: وزيراً للمالية.
٦ ـ أحمد حمدي سيف الدين النصر: وزيراً للمواصلات.
٧ ـ محمد صبري أبو علم: وزيراً للحقانية.
٨ ـ محمد محمود خليل: وزيراً للزراعة.
٩ ـ عبد السلام فهمي جمعة: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٠ ـ علي زكي العرابي: وزيراً للمعارف.
١١ ـ عبد الفتاح الطويل: وزيراً للصحة.
أي أنه قد أخرج من وزارته السابقة أربعة وزراء هم: محمود فهمي النقراشي ـ محمد صفوت ـ محمود غالب ـ علي فهمي وعين مكانهم محمود بسيوني ـ محمد محمود خليل ـ عبد الفتاح الطويل ـ محمد صبري أبو علم.

(١) تألفت وزارة محمد محمود الثانية على النحو الآتي:
١ ـ محمد محمود: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ إسماعيل صدقي: وزيراً للدولة، ويتولى وزارة المالية.
٣ ـ عبد الفتاح يحيى: وزيراً للدولة، ويتولى وزارة الخارجية.
٤ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للحقانية.
٥ ـ عبد العزيز فهمي: وزيراً للدولة.
٦ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للأوقاف.
٧ ـ أحمد لطفي السيد: وزيراً للدولة.
٨ ـ محمد بهي الدين بركات: وزيراً للمعارف العمومية.
٩ ـ حسن صبري: وزيراً للمواصلات.
١٠ ـ حسين رفقي: وزيراً للحربية والبحرية.
١١ ـ حسين سري: وزيراً للأشغال العامة.
١٢ ـ مراد وهبة: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ أحمد كامل: وزيراً للتجارة.
١٤ ـ محمد حافظ رمضان: وزيراً للدولة.
١٥ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للدولة.
١٦ ـ محمد كامل البنداري: وزيراً للصحة.

كان في عهدها قد تسلّم الملك فاروق مهامه إذ كان قد بلغ سنّ الرشد، فعيّن علي ماهر رئيساً للديوان الملكي.

حلّت الحكومة المجلس النيابي خوفاً من فشلها في الحصول على الثقة، وأجرت الانتخابات ففاز أنصارها، وقدمت استقالتها، فعهد إليه الملك بتأليف وزارةٍ جديدةٍ[1] بعد مدةٍ في ٢٧ صفر ١٣٥٧هـ (٢٧ نيسان ١٩٣٨م). واستقال علي ماهر من رئاسة الديوان الملكي في ٩ ربيع الأول ١٣٥٧هـ (٨ أيار ١٩٣٨م)، وكان يطمح في رئاسة الوزارة، وتقدّم محمد محمود باستقالة حكومته في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٥٧هـ (٢٤ حزيران ١٩٣٨م)، فعهد إليه الملك بتأليف وزارةٍ قومية جديدة تشترك فيها الهيئة السعدية، وفي اليوم نفسه تألفت الوزارة الجديدة[2].

---

(١) كانت وزارة محمد محمود الثالثة على الشكل الآتي:
١ ـ محمد محمود: رئيساً للوزارة، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ إسماعيل صدقي: وزيراً للمالية.
٣ ـ عبد الفتاح يحيى: وزيراً للخارجية.
٤ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للحقانية.
٥ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للمواصلات.
٦ ـ أحمد لطفي السيد: وزيراً للدولة.
٧ ـ حسن صبري: وزيراً للحربية والبحرية.
٨ ـ حسين سري: وزيراً للأشغال.
٩ ـ مراد وهبة: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٠ ـ أحمد كامل: وزيراً للصحة.
١١ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للمعارف.
١٢ ـ رشوان محفوظ: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.

(٢) كانت وزارة محمد محمود الرابعة على الشكل الآتي:
١ ـ محمد محمود: رئيساً للوزراء.
٢ ـ عبد الفتاح يحيى: وزيراً للخارجية.
٣ ـ أحمد ماهر: وزيراً للمالية.
٤ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للحقانية.
٥ ـ محمود فهمي النقراشي: وزيراً للداخلية.
٦ ـ حسن صبري: وزيراً للحربية والبحرية. =

وزارة علي ماهر:

قدّم محمد محمود استقالته لأسباب صحية، فقبلها الملك في ٣ رجب ١٣٥٨هـ (١٨ آب ١٩٣٩م) وعين مكانه علي ماهر[1] رئيس الديوان الملكي سابقاً فشكل الوزارة، وفي عهده اندلعت الحرب العالمية الثانية في ١٦ رجب ١٣٥٨هـ، واستفادت إنكلترا من بنود معاهدة (١٩٣٦) فدفعت الوزارة المصرية إلى إعلان الأحكام العرفية، ومراقبة المطبوعات، وقطع علاقاتها مع ألمانيا، وإلقاء القبض على رعاياها، ومصادرة أملاكها، وفي الوقت نفسه استولت

= ٧ ـ محمود غالب: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ حسين سري: وزيراً للأشغال العمومية.
٩ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للمعارف العمومية.
١٠ ـ رشوان محفوظ: وزيراً للزراعة.
١١ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.
١٢ ـ حامد محمود: وزيراً للصحة.
١٣ ـ سابا حبشي: وزيراً للتجارة والصناعة.
وخرج من هذه الوزارة ممثلا الأحزاب الصغيرة محمد حلمي عيسى «حزب الاتحاد» وأحمد كامل «حزب الشعب».

(١) وتألفت وزارة علي ماهر على النحو الآتي:
١ ـ علي ماهر: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والخارجية.
٢ ـ محمد علي علوبة: وزير دولة للشؤون النيابية.
٣ ـ محمود فهمي النقراشي: وزيراً للمعارف.
٤ ـ محمود غالب: وزيراً للمواصلات.
٥ ـ حسين سري: وزيراً للمالية.
٦ ـ حامد محمود: وزيراً للصحة.
٧ ـ سابا حبشي: وزيراً للتجارة والصناعة.
٨ ـ عبد الرحمن عزام: وزيراً للأوقاف.
٩ ـ إبراهيم عبد الهادي: وزير دولة للشؤون النيابية.
١٠ ـ مصطفى محمود الشوربجي: وزيراً للعدل.
١١ ـ عبد السلام الشاذلي: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٢ ـ عبد القوي أحمد: وزيراً للأشغال.
١٣ ـ محمد صالح حرب: وزيراً للدفاع الوطني.
١٤ ـ محمود توفيق الحفناوي: وزيراً للزراعة.
لقد ضمت الوزارة تسعة من المستقلين وخمسة من الهيئة السعدية.

إنكلترا على أكثر المدن والموانئ المصرية، وصادرت الحاصلات الزراعية. وطلبت عزل رئيس أركان الجيش المصري عبد العزيز علي المصري مُتهمةً إياه بالانحياز إلى الألمان، كما طلبت تسريح القوة المصرية، وتسليم أسلحتها للقوة البريطانية خوفاً من أن تطعنها من الخلف. واحتل الإنكليز أيضاً ساحل مصر على البحر المتوسط من جهة الغرب، وأوكلت إلى الجيش المصري مُهمّة الدفاع عن الجزء الداخلي المقابل لحدود ليبيا حيث الطليان والألمان، ويتحرّكون نحو جهة الشرق باتجاه مصر. وكانت إنكلترا قد تضايقت من وزارة علي ماهر إذ ترى فيها عدواناً عليها إذ ضمّت بعض العناصر ذوي الاتجاهات الإسلامية الذين ترى أنهم لا يُؤيدون سياستها ومنهم: محمد صالح حرب، وعبد الوهاب عزام، ومصطفى الشوربجي، وزاد الأمر تأكيداً تعيين عبد العزيز علي المصري رئيساً لأركان الجيش المصري لذا فقد كانت تحاربها وتعمل على إنهاء حكمها، وقدّم علي ماهر استقالة حكومته في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ (٢٧ حزيران ١٩٤٠م).

وزارة حسن صبري[(١)]:

كُلف حسن صبري بتشكيل وزارة[(٢)] في هذه الأوقات الحرجة، وزادت

---

(١) درس الحقوق، واشتغل بالمحاماة وعين في القضاء، وتدرج بالمناصب القضائية، ثم عين وزيراً مفوضاً في لندن عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م). تسلم رئاسة الوزارة ١٣٥٩هـ.

(٢) شكل حسن صبري وزارته على النحو الآتي:
١ ـ حسن صبري: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ عبد الحميد سليمان: وزيراً للمالية.
٣ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للعدل.
٤ ـ محمود فهمي النقراشي: وزيراً للداخلية.
٥ ـ محمود فهمي القيسي: وزيراً للدفاع الوطني.
٦ ـ صليب سامي: وزيراً للتموين.
٧ ـ محمود غالب: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ حسين سري: وزيراً للأشغال العمومية.
٩ ـ محمد حافظ رمضان: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٠ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للمعارف العمومية.
١١ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف. =

على إنكلترا حرجاً إذ قامت حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق، وهدّدت الجيوش الألمانية ـ الإيطالية في ليبيا القوات الإنكليزية في مصر، واشتدّت وطأة الهجوم الألماني على جزيرة مالطة، وقطعت الإمدادات الحربية عن مصر من جهة البحر المتوسط، وفكرت القيادة البريطانية بالانسحاب من حوض البحر المتوسط الشرقي وتركيز جهودها للدفاع عن جبل طارق.

وأحيل الفريق عبد العزيز علي المصري رئيس أركان حرب الجيش على التقاعد لكثرة حصوله على الإجازات، وتم تعيين اللواء إبراهيم عطا الله مرافق الملك الخاص مكانه.

وفي ١٤ شوال ١٣٥٩هـ توفي رئيس الوزراء، وهو يلقي خطاب العرش أمام المجلس النيابي نيابة عن الملك فاروق الذي كان حاضراً الجلسة.

وزارة حسين سري[١] الأولى:

بعد وفاة حسن صبري في ١٤ شوال ١٣٥٩هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٤٠م) عهد إلى حسين سري بتشكيل الوزارة، فألفها[٢]، وقد رشحه لذلك الملك والسفير الإنكليزي في القاهرة.

= ١٢ ـ إبراهيم عبد الهادي: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٣ ـ أحمد عبد الغفار: وزيراً للزراعة.
١٤ ـ علي أيوب: وزيراً للدولة.
١٥ ـ علي إبراهيم: وزيراً للصحة العمومية.
١٦ ـ عبد المجيد إبراهيم صالح: وزيراً للدولة.

(١) ولد حسين سري عام ١٣١٠هـ، وتخرج من المدرسة السعيدية عام ١٣٢٨هـ، وحصل على شهادة الهندسة من لندن عام ١٣٣٥هـ، وعيّن في وزارة الأشغال مساعداً لمدير الري بالوزارة، وترقّى في المناصب حتى أصبح وكيلاً للوزارة.
عين وزيراً للأشغال في وزارة محمد محمود عام ١٣٥٦هـ، ثم تسلّم وزارة الدفاع، والمالية، والمواصلات، ثم عهد إليه بمنصب رئيس الوزراء.
وعين رئيساً للديوان الملكي عام ١٣٧٠هـ، وقبل قيام الثورة بثلاثة أسابيع اختير رئيساً للوزراء فبقي في منصبه ثلاثة أسابيع، واستقال قبل قيام الثورة بيومٍ واحدٍ.

(٢) شكل حسين سري وزارته الأولى على النحو الآتي:
١ ـ حسين سري: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، ووزيراً للخارجية. =

أعلنت مصر أنها على الحياد في الحرب، غير أن الطائرات الإيطالية بدأت تقصف المدن المصرية، وخاصةً الإسكندرية التي بدأ أهلها يرحلون عنها، وأعطت دولته راتب شهر لكل موظف يريد ترحيل أسرته من الإسكندرية. وبدأت التبرعات تجمع للمنكوبين. وأقيل الإيطاليون الذين يعملون في مصر من مناصبهم، وتقرر وقف الهجرة الداخلية إلى مديرية البحيرة حيث اكتظت بالسكان.

في صباح يوم الجمعة ٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٠هـ (١٦ أيار ١٩٤١م) قام اثنان من ضباط سلاح الطيران المصري ومعهما ثالث بالاستيلاء على إحدى طائرات السلاح، وأثناء محاولتهم الهرب اصطدمت الطائرة بسلك كهربائي في المنطقة ما بين «قها» و«قليوب» فسقطت الطائرة، وحاول ركابها الثلاثة الفرار وتمكنوا من الهرب والوصول إلى القاهرة، وتبيّن بالتحقيق أن هؤلاء هم: الفريق المتقاعد عبد العزيز علي المصري، والطيار أول حسين ذو الفقار صبري، والطيار أول عبد المنعم عبد الرؤوف، وأعلنت الحكومة مكافأة ألف جنيه لمن يعاون أو يرشد أو يدلي ببيانات تساعد في القبض عليهم.

وزارة حسين سري الثانية:

قدمّ حسين سري استقالة حكومته في ٨ رجب ١٣٦٠هـ (٣١ تموز ١٩٤١م) فعهد إليه بتشكيل حكومةٍ جديدة[1]، وقد ضمت هذه الوزارة خمسة

= ٢ ـ محمد حلمي عيسى: وزيراً للعدل.
٣ ـ صليب سامي: وزيراً للتجارة والصناعة.
٤ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للمعارف العمومية.
٥ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.
٦ ـ عبد القوي أحمد: وزيراً للأشغال العمومية.
٧ ـ أحمد عبد الغفار: وزيراً للزراعة.
٨ ـ عبد المجيد إبراهيم صالح: وزيراً للمواصلات، والتموين.
٩ ـ علي إبراهيم: وزيراً للصحة العمومية.
١٠ ـ حسن صادق: وزيراً للمالية.
١١ ـ محمد عبد الجليل سمرة: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٢ ـ يونس صالح: وزيراً للدفاع الوطني.

(١) شكل حسين سري وزارته الثانية على النحو الآتي:
١ ـ حسين سري: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والخارجية.

وزراء من الهيئة السعدية، وخمسة من حزب الأحرار الدستوريين، وخمسة من المستقلين، وقد رفض حزب الوفد الاشتراك في الحكومة، واشترط حلّ المجلس النيابي.

وقد شهدت البلاد نقصاً في السلع التموينية، وغلاء في الأسعار، وأعلنت البلاد قطع علاقاتها السياسية مع اليابان، وسمحت لمن يريد من رعايا اليابان بالسفر، ومن رأت ضرورة باعتقالهم حفاظاً على الأمن أودعتهم السجن، كما وضعت الأموال والممتلكات اليابانية في مصر تحت الحراسة.

وصدر ميثاق الأطلسي بعد اللقاء الذي تمّ بين الرئيس الأميركي «روزفلت» ورئيس وزراء إنكلترا «ونستون تشرشل» وينصّ على احترامهما لحق جميع الشعوب في اختيار شكل حكوماتها، وأن تسترد الأمم المغلوبة حقّها المسلوب، وأن لا يقع أي تبدّل إقليمي يتعارض مع رغبة الشعوب صاحبة الحق في ذلك. ولم يكن هذا الميثاق سوى محاولة لكسب ودّ الشعوب.

ثم تمّ اجتماع في القاهرة بين الرئيس الأمريكي «روزفلت»، ورئيس وزراء بريطانيا «تشرشل»، ورئيس حكومة الصين «شان كاي شيك»، واستغل زعماء

= ٢ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للمواصلات.
٣ ـ عبد الحميد بدوي: وزيراً للمالية.
٤ ـ صليب سامي: وزيراً للخارجية.
٥ ـ محمود غالب: وزيراً للعدل.
٦ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للمعارف العمومية.
٧ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.
٨ ـ حامد محمود: وزيراً للصحة العمومية.
٩ ـ إبراهيم عبد الهادي: وزيراً للأشغال العمومية.
١٠ ـ عبد القوي أحمد: وزيراً للوقاية المدنية.
١١ ـ حسن صادق: وزيراً للدفاع الوطني.
١٢ ـ إبراهيم دسوقي إباظة: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٣ ـ محمد راغب عطية: وزيراً للزراعة.
١٤ ـ عبد الرحمن عمر: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٥ ـ محمد حامد جودة: وزيراً للتموين.

المعارضة في مصر هذا الاجتماع فقدّموا مذكرة إلى هؤلاء الرؤساء يُطالبون فيها برفع القيود التي فرضتها معاهدة عام (١٩٣٦م) على مصر، وبانسحاب القوات الأجنبية بعد انتهاء الحرب العالمية، وبالاعتراف باستقلال مصر. غير أن حزب الوفد قد رفض نشر هذه المذكرة في الصحف بل الإشارة إليها.

وفي منتصف محرم ١٣٦١هـ (١ شباط ١٩٤٢م) قامت المظاهرات تُطالب بإسقاط الحكومة حيث ظهر أنها توالي المعتدين الإنكليز، وصادف ذلك هوى في نفس الملك فاروق، فأقال تلك الحكومة بحجة أنها قطعت العلاقة السياسية مع حكومة «فيشي» الفرنسية التي كانت برئاسة الجنرال «بيتان» دون الرجوع إلى الملك، وبناءً على تعليمات السفير الإنكليزي في القاهرة، وأقيلت حكومة حسين سري أو قدم استقالته في ١٦ محرم ١٣٦١هـ (٢ شباط ١٩٤٢م).

أحداث ١٨ محرم ١٣٦١هـ:

كلف علي ماهر بتشكيل الوزارة غير أنه لم يباشر البحث في تكوينها إذ استمرت المظاهرات، وأبدت عداءها الصريح لإنكلترا حتى كانت تهتف «إلى الأمام يا رومل»، وكان الألمان قد استعادوا مدينة بنغازي وتملّك الخوف الإنكليز حتى صاروا يغادرون البلاد.

وفي ١٧ محرم ١٣٦١هـ (٣ شباط ١٩٤٢م) اتصل السفير الإنكليزي «مايلز لامبسون» بالملك فاروق، وأخبره أن حكومته تصرّ على تغيير الوزارة القائمة، وتشكيل حكومةٍ وفديةٍ برئاسة مصطفى النحاس.

وردّ الملك فاروق على السفير في اليوم نفسه بأنه سيتصل في هذا اليوم بالشخصيات السياسية للتشاور في الأمر، ومن بين هذه الشخصيات علي ماهر ومصطفى النحاس، وذلك قبل أن يقطع بالأمر وحده، واجتمع الملك بالشخصيات السياسية فعلاً في اليوم نفسه، وتشاوروا في إصرار إنكلترا على تشكيل حكومةٍ وفدية برئاسة مصطفى النحاس.

وفي صبيحة يوم ١٨ محرم ١٣٦١هـ سلّم السفير الإنكليزي لمكتب أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي إنذاراً إنكليزياً خطيراً وينصّ: «إذا لم أسمع قبل الساعة السادسة مساءً هذا اليوم أن مصطفى النحاس قد دعي لتشكيل الوزارة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمّل ما يترتّب على ذلك من نتائج».

إن الملك كان يريد أن يُثبت وجوده أمام زعماء بلاده السياسيين وأمام إنكلترا، وإن المحتلّ يريد أن يذلّ الملك ويذل الشعب ويُعرفه أن ما تريده إنكلترا هو الذي يجب أن يكون ولا يصحّ أن تكون مخالفة أبداً من أية جهةٍ كانت مهما تعاظمت هذه الجهة، بل على الجميع الطاعة والإذعان، والواقع أن الظروف كانت مساعدةً لإنكلترا فالحرب عالمية، وأحداثها خطيرة لا يمكن معها المناقشة والجدل.

واجتمع الملك ثانية بزعماء مصر السياسيين، وقرأ عليهم رئيس الديوان الملكي الإنذار الإنكليزي، فأبدى الجميع تأثرهم الشديد، وشعروا بالإهانة التي لحقتهم، ولحقت بالشعب كله، فقرروا إرسال احتجاجٍ للسفير ووقّعوه جميعاً، ومصطفى النحاس من بينهم، وأجمعوا على تشكيل وزارةٍ وطنيةٍ برئاسة مصطفى النحاس للتخلص من المأزق الذي وقعوا فيه. غير أن مصطفى النحاس قد أصر على أن تكون الوزارة وفديةً خالصةً، فظهر الخلاف، ولكن هذا ما تريده إنكلترا، فهي لا تثق إلا بمصطفى النحاس كما كانت تثق بسعد زغلول من قبله، وإن كانت تظهر عكس ذلك، وتبدي مخالفتها له لتُظهر وطنيته أمام الشعب، وتُبين أنها تخاف منه ليكبر في أعين الناس فتستفيد من إخلاصه لها والتمكين لقواتها، ويستفيد من بناء زعامته وتسلمه السلطة، وتظهر حربها له ولحزبه وقت الرخاء، وتستعين به وقت الشدّة، وتفرضه وقت المحنة، وليس هناك من وقتٍ أفضل من هذا الوقت لتستفيد من زعامته أو لتأخذ مما سبق لها أن بنته له من مجدٍ فالحرب في الأوج، وتخشى من اقتحام الألمان مصر، وقد أصبحوا على مقربةٍ منها بل دخلوا جزءاً من أرضها، والمصريون ضدها يهتفون للقائد الألماني رومل، الذي غدا في «العلمين»، وليس لها من سندٍ كمصطفى النحاس وحزبه، وليس من زعيم يمكن أن يضبط وضع البلاد في مثل هذه الظروف غيره، لما له من شعبيةٍ، وقد لعبت دوراً كبيراً في بنائها له ولسلفه سعد زغلول من قبل، وآن لها أن تقطف ثمر بعض صنائعها، وآن له أن يُقدّم الشكر لما قدمته لها.

ورفض السفير الإنكليزي احتجاج الزعماء المصريين، وأخطر رئيس الديوان الملكي أنه سيزور الملك بنفسه في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم ليُبين له الأمر، وتأزم الموقف.

وفي الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ١٨ صفر ١٣٦١هـ (٤ شباط ١٩٤٢م) وقبل موعد زيارة السفير للملك بنصف ساعة تحرّكت الدبابات البريطانية نحو قصر عابدين وطوّقته، ومنعت الجنود الدخول إليه والخروج منه، وجرّدت الحرس فيه من أسلحتهم، ولا يزال الملك مجتمعاً بالزعماء السياسيين.

وفي الساعة التاسعة انطلق موكب السفير إلى القصر، وكأنه ملك العالم، واتّجه مباشرةً إلى مكان لقاء الملك بالزعماء، ودخل عليهم متغطرساً كأنه يريد أن يركل كل واحدٍ منهم، فوثبوا وقوفاً احتراماً له، وأسرعوا يُسلّمون عليه، فجلس وخيّر الملك وهو غاضب بين أمرين لا ثالث لهما: إما التوقيع على وثيقة تنازله عن العرش، وإما التوقيع على تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة فوراً، وشعر مصطفى النحاس بنشوة الظفر، ثم تكلّم السفير فقال: إن الموقف لا يقبل التباطؤ أبداً، فالجيوش الألمانية داخل مصر على مشارف العلمين، ولا بدّ لبريطانيا العظمى من تأمين مركزها.

واختار الملك الأمر الثاني، ووقّع على تكليف مصطفى النحاس بتأليف الوزارة[1] فشكّلها من أعضاء حزب الوفد، وبدا أن الأزمة قد انفرجت.

---

(١) شكل مصطفى النحاس وزارته الخامسة بتاريخ ١٨ محرم ١٣٦١هـ (٤ شباط ١٩٤٢م) على النحو الآتي:

١ ـ مصطفى النحاس: رئيساً للوزراء، وزيراً للداخلية، وزيراً للخارجية.
٢ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
٣ ـ مكرم عبيد: وزيراً للمالية.
٤ ـ أحمد نجيب الهلالي: وزيراً للمعارف العمومية.
٥ ـ أحمد حمدي سيف النصر: وزيراً للدفاع الوطني.
٦ ـ عبد السلام فهمي محمد جمعة: وزيراً للزراعة.
٧ ـ علي زكي العرابي: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ محمد صبري أبو علم: وزيراً للعدل.
٩ ـ عبد الفتاح الطويل: وزيراً للصحة العمومية.
١٠ ـ علي حسين: وزيراً للأوقاف.
١١ ـ كامل صدقي: وزيراً للتجارة والصناعة.

وزارة مصطفى النحاس:

بدأ رئيس الوزراء الجديد مهمته بإرسال خطاب شكر للسفير الإنكليزي على ما قام به لتسلمه رئاسة الوزارة، وكان نص الخطاب:

«يا صاحب السعادة:

لقد كُلّفت بمُهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذي صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية. وليكن مفهوماً أن الأساس الذي قبلت عليه هذه المهمة هو أن لا المعاهدة البريطانية ـ المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة إنكلترا بالتدخل في شؤون مصر الداخلية وبخاصة في تأليف الوزارة أو تغييرها[1].

ولي الأمل يا صاحب السيادة أن تتفضلوا بتأييد ما في خطابي هذا من المعاني وبذلك تتوطّد صلات المودة والاحترام المتبادلين وفقاً لنصوص المعاهدة.

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق الاحترام».

٥/ ٢/ ١٩٤٢م

وأجاب السفير:

«يا صاحب المقام الرفيع

لي الشرف أن أؤيّد وجهة النظر التي عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم، وإني أُؤكّد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون بإخلاص مع حكومة مصر كدولةٍ مُستقلةٍ وحليفة في تنفيذ المعاهدة البريطانية ـ المصرية من غير أي تدخلٍ في شؤون مصر الداخلية ولا في تأليف الحكومة أو تغييرها[2].

---

(١) يريد مصطفى النحاس أن يقول للشعب: إنه لم يكن راضياً عما تمّ بالأمس، ولا يريد أن تتدخل إنكلترا بشؤون مصر الداخلية، وأن ما حدث أمس لم يكن تدخلاً ويجب أن يقف عند هذا الحد وكفى.

(٢) أكد السفير ما يريده مصطفى النحاس، وأن من سياسة إنكلترا عدم التدخل في شؤون مصر، فهي دولة مستقلة ذات سيادة وهكذا طمس على ما وقع مساء أمس.

وإني لأنتهز هذه الفرصة لأقدّم لرفعتكم فائق احترامي».

وبعد تأليف الوزارة في اليوم نفسه ذهب السفير وهنأ مصطفى النحاس بين هتافات أفراد حزب الوفد بحياة بريطانيا.

واستمّرت الحرب تتطوّر لمصلحة ألمانيا وحلفائها من طليان ويابانيين، وعادت المظاهرات في مصر ترحب بالألمان حقداً على الإنكليز، وبدأت القيادة البريطانية تستعدّ للرحيل عن مصر، وأخذت تحرق الوثائق، وتخلي مقرّها. لكن لم تلبث أن تغيّرت مجريات الحرب، ورجحت الكفّة لصالح الحلفاء إنكلترا ـ الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفياتي. و. . . انفرجت الغمّة عن إنكلترا.

وزارة مصطفى النحاس السادسة:

كان قد عدل مصطفى النحاس وزارته بتاريخ ١١ جمادى الأولى ١٣٦١هـ (٢٦ أيار ١٩٤٢م) أي بعد أقلّ من أربعة أشهرٍ من تكليفه بالوزارة على أسنة الحراب الإنكليزية، أو فرضه من قبل إنكلترا على مصر، وكان السبب الرئيسي في هذا التعديل الوزاري إخراج مكرم عبيد وزير المالية من الوزارة[١].

---

(١) شكل مصطفى النحاس وزارته السادسة على النحو الآتي:

١ ـ مصطفى النحاس: رئيساً للوزراء، وزيراً للداخلية، والخارجية.
٢ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
٣ ـ أحمد نجيب الهلالي: وزيراً للمعارف العمومية.
٤ ـ أحمد حمدي سيف النصر: وزيراً للدفاع الوطني.
٥ ـ محمد صبري أبو علم: وزيراً للعدل.
٦ ـ عبد الفتاح الطويل: وزيراً للمواصلات.
٧ ـ كمال صدقي: وزيراً للمالية.
٨ ـ محمد فؤاد سراج الدين: وزيراً للزراعة.
٩ ـ محمد عبد الهادي الجندي: وزيراً للأوقاف.
١٠ ـ عبد الحميد عبد الحق: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١١ ـ أحمد حمزة: وزيراً للتموين.
١٢ ـ مصطفى نصرت: وزيراً للوقاية المدنية.
١٣ ـ عبد الواحد الوكيل: وزيراً للصحة العمومية.
١٤ ـ محمود سليمان غنام: وزيراً للتجارة والصناعة.

بقي مصطفى النحاس على رأس الحكم حتى اتضح تماماً أن الوضع الإنكليزي أصبح ثابتاً في مصر، إذ زال الخطر الألماني في الغرب، وهُزم رومل في «العلمين» وتراجع، كما تصدّع موقف القوات الألمانية في روسيا، وبدأت تتراجع، وعندها تراخت قبضة إنكلترا عن مصر، ولم تعد إنكلترا تهتمّ بالوزارة المصرية، وشعر الملك بذلك فأقال مصطفى النحاس، وتعاونت هذه الحكومة كثيراً مع إنكلترا إذ سلمتها كل ما طلبت من أراضي ومباني، وتدفقت جيوش الحلفاء إلى مصر، وأهدى الملك قصر التين ليكون مستشفى للضباط الإنكليز، وفي عهد هذه الوزارة تأسست جامعة الدول العربية. وعيّن مكانه أحمد ماهر، رئيس الهيئة السعدية.

وزارة أحمد ماهر[1] الأولى:

عهد الملك بتشكيل الوزارة إلى أحمد ماهر[2] بعد إقالة مصطفى النحاس

---

(١) أحمد بن محمد ماهر: ولد بالقاهرة عام ١٣٠٥هـ، وتعلم بها، ودرس الحقوق بالقاهرة وبجامعة مونبليه بفرنسا، وعين أستاذاً للاقتصاد والقانون، وعيّن وزيراً للمعارف في وزارة سعد زغلول، وهو من مؤسسي الهيئة السعدية التي انفصلت عن حزب الوفد، وتسلم رئاسة الوزارة، واغتيل عام ١٣٦٤هـ، وهو رئيس للوزارة.

(٢) شكل أحمد ماهر وزارته على النحو الآتي:

١ ـ أحمد ماهر: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ محمود فهمي النقراشي: وزيراً للخارجية.
٣ ـ إبراهيم عبد الهادي: وزيراً للصحة.
٤ ـ مكرم عبيد: وزيراً للمالية.
٥ ـ محمود غالب: وزيراً للأشغال العمومية.
٦ ـ حافظ رمضان: وزيراً للعدل.
٧ ـ محمد حسين هيكل: وزيراً للمعارف العمومية، والشؤون الاجتماعية.
٨ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.
٩ ـ إبراهيم عبد الهادي: وزيراً للصحة العمومية.
١٠ ـ أحمد عبد الغفار: وزيراً للزراعة.
١١ ـ إبراهيم دسوقي أباظة: وزيراً للمواصلات.
١٢ ـ طه محمد عبد الوهاب السباعي: وزيراً للتموين.
١٣ ـ راغب حنا: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٤ ـ السيد سليم: وزيراً للدفاع الوطني.

وذلك بتاريخ ٢١ شوال ١٣٦٣هـ (٨ تشرين الأول ١٩٤٤م). وقد أعاد أحمد ماهر الموظفين الذين عزلهم مصطفى النحاس، وألغى كافة الترفيعات التي تمت في عهد الحكومة السابقة، وأحال على التقاعد كل من تعاطف مع الوفد من كبار الموظفين، وأطلق سراح المعتقلين السياسيين الذين اعتقلوا في أيام الوزارة السابقة في ظل الأحكام العرفية.

وتشلكت لجنة برئاسة وزير المالية مكرم عبيد للتحقيق في التصرفات التي تمت في زمن حكومة مصطفى النحاس.

وحلّت الحكومة الجديدة المجلس النيابي ٣٠ ذي القعدة ١٣٦٣هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٤٤م)، وأجرت الانتخابات النيابية في ٢٤ محرم ١٣٦٤هـ، ولم يشترك حزب الوفد في هذه الانتخابات، وإنما قاطعها لذا فقد حصلت الهيئة السعدية على ١٢٥ مقعداً، وحصل حزب الأحرار الدستوريين على ٧٤ مقعداً، وحصلت الكتلة الوفدية التي شكلها مكرم عبيد على ٢٩ مقعداً، وحصل المستقلون على ٢٩ مقعداً، وحصل الحزب الوطني على سبعة مقاعد، وهي مجموع مقاعد المجلس البالغة ٢٦٤ مقعداً.

واجتمع المجلس النيابي في ٤ صفر ١٣٦٤هـ، وصدر مرسوم بإعادة الشيوخ الذين أخرجتهم وزارة مصطفى النحاس من مجلس الشيوخ.

واستمر تقدّم الحلفاء في الحرب على دول المحور، وأحسّت إنكلترا باقتراب النصر، ولكن أخذت تستعجل به، ورأت أن تعلن كل الدول ذات السيادة الاسمية الحرب على دول المحور. فزار وزير الخارجية البريطانية «إيدن» مصر، وقابل أحمد ماهر رئيس الوزراء، وأطلعه على الموقف في جبهات القتال، وطلب منه إعلان الحرب على دول المحور، وربما كان هذا الإعلان سبباً لقبول مصر في عضوية هيئة الأمم المتحدة. فرأى أحمد ماهر أن يُسرع في هذا الإعلان عسى أن تُصيب مصر منه خيراً في الحصول على الاستقلال التام.

وزارة أحمد ماهر الثانية:

قدم أحمد ماهر استقالة حكومته الأولى ليتسنّى له تأليف وزارة جديدة[1] على ضوء الانتخابات التي حصل عليها حزبه فقبلت الاستقالة، وكلّف بتشكيل وزارة جديدة في ١ صفر ١٣٦٤هـ وفي ١٢ ربيع الأول ١٣٦٤هـ (٢٤ شباط ١٩٤٥م) ألقى أحمد ماهر بياناً في جلسةٍ سريةٍ لمجلس النواب دعا فيه بحرارة إلى إعلان الحرب ضدّ دول المحور، ووجد تأييداً في مجلس النواب، وخرج ليُلقي البيان نفسه في مجلس الشيوخ، وهو في طريقه مبتهجاً بما حصل عليه من تأييد في مجلس النواب إذ يرميه أحد شباب الحزب الوطني، وهو محمود العيسوي الذي يعمل محامياً في مكتب عبد الرحمن الرافعي بأربع طلقات أصابته في صدره فوقع قتيلاً، ولم يفرّ محمود العيسوي بل وقف مكانه، واعترف بالقتل، ورغم العذاب الشديد الذي ناله في السجن للاعتراف بشركاء له في الجريمة لم يعترف بشيء، وإنما ذكر أنه أقدم على هذه العملية بسبب ما يريد رئيس الوزراء من القيام بإعلان الحرب على دول المحور وهذا موضوع لا يهمّ مصر كثيراً أو قليلاً، وأُعدم محمود العيسوي شنقاً بتاريخ ١٨ شعبان

---

(١) شكل أحمد ماهر وزارته الثانية على النحو الآتي:
١ ـ أحمد ماهر: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ مكرم عبيد: وزيراً للمالية.
٣ ـ محمود فهمي النقراشي: وزيراً للخارجية.
٤ ـ محمود غالب: وزيراً للأشغال العمومية.
٥ ـ حافظ رمضان: وزيراً للعدل.
٦ ـ مصطفى عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.
٧ ـ إبراهيم عبد الهادي: وزيراً للصحة العمومية.
٨ ـ السيد سليم: وزيراً للدفاع الوطني.
٩ ـ حنفي محمود: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٠ ـ أحمد عبد الغفار: وزيراً للزراعة.
١١ ـ إبراهيم الدسوقي أباظة: وزيراً للمواصلات.
١٢ ـ طه محمد عبد الوهاب السباعي: وزيراً للتموين.
١٣ ـ راغب حنا: وزير دولة.
١٤ ـ عبد الرزاق السنهوري: وزيراً للمعارف العمومية.
١٥ ـ عبد المجيد بدر: وزيراً للشؤون الاجتماعية.

١٣٦٤هـ (٢٨ تموز ١٩٤٥م) أي بعد انتهاء الحرب، وقبل صعوده إلى حبل المشنقة توضأ وصلى ركعتين.

وزارة محمود فهمي النقراشي[(١)]:

وخلف أحمد ماهر في رئاسة الوزارة نائبه في رئاسة الهيئة السعدية، ورغب على ما يبدو في تهدئة الأوضاع، وحاول أن يكسب رضا الشعب. ورفع مذكرةً إلى السفير الإنكليزي بتاريخ ١٦ محرم ١٣٦٥هـ (٢٠ كانون الأول ١٩٤٥م) يُطالب فيها بتحقيق أهداف الشعب المصري في الجلاء عن مصر، ووحدة وادي النيل غير أن السفير قد رفض المذكرة وادعى أن الوقت لم يحن بعد لبحث هذه الموضوعات، على الرغم من أن الحرب قد انتهت منذ أكثر من أربعة أشهر.

ووقف حزب الوفد موقف المعارض من هذه المذكرة لأنها لم تكن عن طريقه، فالصراعات كانت من أجل السلطة لا من أجل قضايا الشعب المهمة.

وجرت محاولة لاغتيال مصطفى النحاس في ٢ محرم عام ١٣٦٥هـ، ولكن انفجرت القنبلة التي ألقيت عليه خلف السيارة، وذلك في الاحتفال بذكرى رأس السنة الهجرية.

وبرز في هذه الآونة أمين عثمان[(٢)] الذي كان أمين سر عام هيئة

---

(١) محمود فهمي بن علي النقراشي: ولد عام ١٣٠٥هـ بالإسكندرية، وتعلم بها، ثم بجامعة «نوتنغهام» بإنكلترا، واشتغل بالتدريس، وتسلم إدارة تعليم أسيوط، وانضم إلى حزب الوفد فأصبح وكيلاً لمحافظة القاهرة، فوكيلاً لوزارة الداخلية، وتسلم وزارة المواصلات، وانشق عن حزب الوفد، وأسس مع أحمد ماهر الهيئة السعدية، وعين رئيساً للوزارة بعد أن اغتيل أحمد ماهر، وتسلم رئاسة الوزارة الثانية، واغتيل وهو رئيس للوزارة بعد أن حل الإخوان المسلمين وذلك عام ١٣٦٨هـ.

(٢) أمين عثمان: ولد في الإسكندرية عام ١٣١٧هـ، ودرس في كلية «فيكتوريا» بالإسكندرية، وحصل على الثانوية العامة منها عام ١٣٣٥هـ، وسافر إلى إنكلترا ودرس الحقوق في جامعة «أكسفورد»، ونال درجة الأستاذية عام ١٣٤٠هـ، وتزوج من السيدة كاتلين غريغوري الإنكليزية، وعاد إلى مصر عام ١٣٤٣هـ، وسار في فلك إنكلترا وعلى نهجها، وتدرج في الوظائف الحكومية، وعين وزيراً للمالية في وزارة مصطفى النحاس أثناء الحرب العالمية الثانية.

المفاوضات التي جرت بين مصر وإنكلترا في لندن والتي وُقعت في ٩ جمادى الآخرة عام ١٣٥٥هـ (٢٦ آب ١٩٣٦م)، وكان له يد في نجاحها، ثم كان صلة الوصل بين إنكلترا وحزب الوفد. وقد أسس عام ١٣٦٣هـ جماعةً لتوثيق الروابط بين إنكلترا ومصر سمّاها «رابطة النهضة»، واتّخذ مقراً لها في ٢٤ شارع عدلي بالقاهرة، وأخذ يقوم بنشاطات واضحة في مقر الرابطة فيلقي المحاضرات، ويُعطي التصريحات، وكان مما صرّح به، وانتقده الكثيرون عليه «إن إنكلترا ومصر متزوجتان زواجاً كاثوليكياً لا انفصام بينهما» ففي الوقت الذي يقدّم فيه الشعب الضحايا، ويقوم بالمظاهرات، ويُطالب بالجلاء ينادي أمين عثمان بزيادة الارتباط مع إنكلترا، بل فعل أكثر من هذا إذ سافر بعد الحرب العالمية الثانية إلى إنكلترا وقدّم للحكومة البريطانية مبلغ مائة ألف جنيه على أنه تبرّع جمعه من الشعب المصري للمساهمة في إعادة بناء إحدى القرى التي دمّرتها الغارات الألمانية أثناء الحرب. قام بهذا الفعل والشعب المصري يتضوى جوعاً من الفقر، والقرى المصرية شبه خربة. وترددت شائعات أن إنكلترا ترشّحه لتشكيل الوزارة وسيكون من عداد أعضائها عدد ممن ترضى عنهم إنكلترا. وفي ٢ صفر ١٣٦٥هـ (٥ كانون الثاني ١٩٤٦م) أطلق عليه ثلاثة من الشباب الرصاص فأصيب ونقل إلى المستشفى غير أن المنية أدركته، واتهم في قتله حسين توفيق، وألقي القبض عليه وسجن، ثم هرب من السجن، كما اتّهم عزيز علي المصري، وأنور السادات، وسرت شائعات في هرب حسين توفيق كثيرة، والواقع أنه هرب إلى مدينة (قنا) ومنها إلى القصير، وأبحر بزورق إلى السعودية، وقد ساعده الأمير فيصل بن عبد العزيز تقديراً لوطنيته.

طالب رئيس الوزراء الحكومة البريطانية فتح باب المفاوضات للنظر في تعديل معاهدة (١٩٣٦م)، وخاصة أن الحرب قد انتهت، وأن مصر قد قدّمت خدمات وتضحيات لمصلحة الحلفاء، وقامت المظاهرات الطلابية في البلاد فاضطر إلى الاستقالة بعد استقالة عددٍ من الوزراء.

وفي شهر ربيع الأول ١٣٦٥هـ قدم محمود فهمي النقراشي استقالة حكومته، وعُين إسماعيل صدقي رئيساً للوزارة الجديدة.

وزارة إسماعيل صدقي الثالثة[1]:

وقد وجهت هذه الحكومة اهتماماً واضحاً في تطوير صناعة مصر، وفي شتى الجوانب الاقتصادية. وقررت في ١٦ ربيع الثاني ١٣٦٥هـ (١٩ آذار ١٩٤٦م) تأليف هيئة للمفاوضات، وعرضت على حزب الوفد الاشتراك فيها، على أن يمثِّل كل حزب بعضوٍ واحدٍ، ويُمثَّل حزب الوفد بعضوين، لكن حزب الوفد قد رفض ذلك، وطالب بأن تكون له الأكثرية والرئاسة. فتكونت هيئة المفاوضات دون اشتراك حزب الوفد فيها، وكانت على النحو التالي:

١ ـ إسماعيل صدقي: رئيساً.

٢ ـ حسين سري: عضواً.

٣ ـ علي ماهر: عضواً.

٤ ـ محمود فهي النقراشي: عضواً.

٥ ـ إبراهيم عبد الهادي: عضواً.

---

(١) شكل إسماعيل صدقي وزارته من المستقلين إذ لم يقبل الاشتراك معه في الوزارة من الأحزاب سوى حزب الأحرار الدستوريين الذين شغلوا أربعة مناصب وزارية، وقد حدثت تعديلات وزارية كثيرة في أيام الحكومة الأولى لأنها خرجت على الأعراف الدستورية حيث لم تعتمد على قاعدة نيابية، وقد تشكلت على النحو الآتي:

١ ـ إسماعيل صدقي: رئيساً للوزراء، وزيراً للداخلية، والمالية.
٢ ـ أحمد لطفي السيد: وزير دولة، وزير خارجية.
٣ ـ سابا حبشي: وزيراً للتجارة، والصناعة، والتموين.
٤ ـ عبد القوي أحمد: وزيراً للأشغال العمومية.
٥ ـ محمد عبد الجليل سمرة: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
٦ ـ إبراهيم دسوقي أباظة: وزيراً للأوقاف.
٧ ـ حنفي محمود: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ اللواء أحمد عطية: وزيراً للدفاع الوطني.
٩ ـ محمد كامل مرسي: وزيراً للعدل.
١٠ ـ محمد حسن العشماوي: وزيراً للمعارف العمومية.
١١ ـ حسين عنان: وزيراً للزراعة.
١٢ ـ سليمان عزمي: وزيراً للصحة العمومية.

٦ ـ مكرم عبيد: عضواً.

٧ ـ أحمد لطفي السيد: عضواً.

٨ ـ حافظ عفيفي: عضواً.

٩ ـ عبد الفتاح يحيى: عضواً.

١٠ ـ شريف صبري: عضواً.

١١ ـ علي شمسي: عضواً.

١٢ ـ محمد حسين هيكل: عضواً.

ورأس الوفد البريطاني «أرنست بيفن» وزير الخارجية.

وثارت صحف الوفد على سياسة إسماعيل صدقي في تشكيل هيئة للمفاوضات من غير أن يكون الوفد فيها كل شيء، وتكون له الرئاسة فيها والكبرياء في الأرض، وهذا ما اضطر إسماعيل صدقي إلى مصادرتها أولاً، ثم إلغاء رخصة بعضها، وإلقاء القبض على محرريها، وزجهم في السجن.

كان رأي الوفد البريطاني في المفاوضات أن يكون الجلاء عن مصر بعد خمس سنوات، وأن يسمح لإنكلترا باستخدام الأراضي المصرية كاملةً أثناء الحرب. أما الوفد المصري فكان يرى أن يتمّ الجلاء خلال سنتين، ومن الضروري وحدة وادي النيل، ولا علاقة للتهديدات أثناء وقوع الحرب، وأرادت الحكومة المصرية التساهل غير أن أكثرية هيئة المفاوضات قد رفضت ذلك.

ولما أخفقت المفاوضات رجع إسماعيل صدقي مع من معه، ورأى الملك فاروق أن يتعهد شخصياً بتنفيذ أية معاهدة يتمّ الاتفاق عليها، وبعث برسالةٍ خاصةٍ إلى عبد الفتاح عمرو السفير المصري في إنكلترا. ورأى الملك كذلك أن يُشكل وزارةٍ برئاسة خاله شريف صبري، وكلفه بذلك بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٣٦٥هـ (٧ تشرين الأول ١٩٤٦م) بالإسكندرية، وبدأت المشاورات لتشكيل هذه الوزارة مع محمود فهمي النقراشي، ومحمد حسين هيكل، وحسين سري في منزل حسين سري ولكنها باءت بالفشل، واعتذر شريف

صبري عن تشكيل الوزارة مما اضطر الملك إلى رفض استقالة إسماعيل صدقي.

استمرت حكومة إسماعيل صدقي في الحكم، وعرض رئيسها السفر إلى لندن للمفاوضة غير أن الهيئة قد رفضت ذلك، وعرض علي ماهر، وعلي شمسي أن لا تقوم مفاوضات مع إنكلترا أبداً.

سافر إسماعيل صدقي رئيس الوزراء مع إبراهيم عبد الهادي وزير خارجيته إلى لندن، ووضع مشروع معاهدة، ولكن إنكلترا أخذت تماطل بالوقيع عليه رسمياً بعد أن وقّعت عليه بالأحرف الأولى، وذلك لأن الحكومة البريطانية كانت قد طلبت اشتراك حزب الوفد في المفاوضة لكنه لم يشترك، وهي لا تريد الاتفاق على معاهدة لا يكون حزب الوفد طرفاً فيها، هكذا سياستها التي عرفت بها، وأخيراً وقعت، ورجع إسماعيل صدقي، وإبراهيم عبد الهادي يحملان مشروع المعاهدة. وأذيع في مصر أن المشروع يشمل وحدة وادي النيل فكذّبت إنكلترا الخبر ببيانٍ أذاعه رئيس الوزراء ووزير الخارجية، وقد جاء فيه أن إنكلترا لن تجلو عن السودان.

أما مشروع المعاهدة التي عرفت باسم «صدقي - بيفن» فينصّ على:

أولاً: إنهاء العمل بالمعاهدة ١٩٣٦م.

ثانياً: جلاء القوات البريطانية التام عن الأراضي المصرية في موعد أقصاه أيلول ١٩٤٩م.

ثالثاً: في حالة الاعتداء المسلح على مصر يتخذ الطرفان بالاتفاق أيّ إجراء يرونه ضرورياً.

رابعاً: تكوين لجنة دفاع مشترك من السلطات الحربية لدى الحكومتين لدرس وسائل الدفاع عنهما برّاً، وبحراً، وجوّاً.

خامساً: الاحتفاظ بمعاهدة ١٨٩٩م المتعلقة بالسودان.

عرض المشروع على هيئة المفاوضات فرفضته، فحلّ إسماعيل صدقي الهيئة. وتقدّم بالمشروع على الوزارة فاستقال أحمد لطفي السيد منها، وعرضه على مجلس النواب فانسحب من المجلس خمسة وخمسون عضواً، ويمثلون

الحزب الوطني، وحزب الوفد، والكتلة الوفدية، والمستقلين[١].

وخطر في نية إسماعيل صدقي إرسال وزير خارجيته إبراهيم عبد الهادي إلى لندن للتوقيع على مشروع المعاهدة، فقامت المظاهرات، وأعمال الشغب، وإلقاء المتفجرات، واضطر إسماعيل صدقي إلى تقديم استقالته بتاريخ ١٣ محرم ١٣٦٦هـ (٧ كانون الأول ١٩٤٦م) وعهد الملك إلى محمود فهمي النقراشي بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ.

وزارة محمود فهمي النقراشي الثانية:

شكّل محمود فهمي النقراشي حكومته[٢] في منتصف محرم أي بعد يومين من تكليفه، وحاول إقناع إنكلترا بإعادة النظر في معاهدة (١٩٣٦م) وبأنها مناقضة للاتفاقات الدولية، وطالب بجلاء القوات البريطانية عن مصر ولوّح بأن الاحتلال لو استمرّ فلن يكون في إمكانية أحد إخماد ثورة الشعب العارمة. كما طالب بإنهاء النظام الإداري القائم بالسودان. غير أن إنكلترا قد أصرت على موقفها من الرفض، وتمسكت بتنفيذ شروط المعاهدة القائمة بينها

---

(١) انتقد الإخوان المسلمون هذه المفاوضات، فجرت اعتقالات في صفوفهم، وكان من بين المعتقلين أحمد السكري. وقامت مظاهرات ضد هذه المفاوضات فتصدت لها الشرطة، وأصيب حسن البنا بجرح في يده.

(٢) شكل محمود فهمي النقراشي وزارته الثانية على النحو الآتي:
١ - محمود فهمي النقراشي: رئيساً للوزراء، وزيراً للداخلية، والخارجية.
٢ - أحمد محمد خشبة: وزيراً للعدل.
٣ - محمد علي علوبة: وزيراً للأوقاف.
٤ - إبراهيم عبد الهادي: وزيراً للمالية.
٥ - أحمد عبد الغفار: وزيراً للزراعة.
٦ - عبد المجيد إبراهيم صالح: وزيراً للأشغال العمومية.
٧ - إبراهيم دسوقي أباظة: وزيراً للمواصلات.
٨ - عبد الرزاق أحمد السنهوري: وزيراً للمعارف العمومية.
٩ - عبد المجيد بدر: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٠ - أحمد عطية: وزيراً للدفاع الوطني.
١١ - محمود حسن: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٢ - نجيب إسكندر: وزيراً للصحة العمومية.

وبين مصر، ولما فشل محمود فهمي النقراشي لجأ إلى مجلس الأمن في رمضان ١٣٦٦هـ (آب ١٩٤٧م)، وعرض عليه القضية المصرية مطالباً بإصدار قرار فيها، ولكن مجلس الأمن يرعى شؤون الدول الكبرى ولا ينظر في قضايا الدول المغلوب على أمرها إلا بمقدار ما تريده الدول العظمى، فلم يصدر أي قرارٍ، ولم يبال بما قاله محمود فهمي النقراشي أمامه بأن الشعب معبّأ للثورة. وربما كان سبب إهمال مجلس الأمن للقضية المصرية المذكرة التي أرسلها حزب الوفد في أن لجنة المفاوضات لا تمثل مصر، بل تمثل نفسها، وإنما يمثل مصر حزب الوفد الذي يملك الأغلبية، وهكذا تصرّف السادة إن لم يكونوا في المقدمة، وعلى الواجهة مع الأعداء ضد إخوانهم. وما أن عاد النقراشي إلى البلاد حتى قامت المظاهرات في كل البلاد تطالب بالجلاء العاجل والاستقلال، ونتيجة للخطر الذي ربما ينجم عن هذه المظاهرات فقد بدأت القوات البريطانية ترحل عن داخل مصر إلى منطقة قناة السويس، وتتركّز فيها حيث أقامت هناك قاعدةً عسكريةً، ومطاراتٍ واسعةً، ومستودعات للذخيرة، ووصل عدد قواتهم هناك إلى ثمانين ألف جندي. ولكن المصريين لم يقبلوا بهذا الجلاء الجزئي فبقيت النفوس مُعبأة.

عيّن الملك فاروق رئيساً جديداً للديوان الملكي هو إبراهيم عبد الهادي الذي كان وزيراً للخارجية في الحكومة السابقة. وأعلنت الأحكام العرفية في البلاد في ٥ رجب ١٣٦٧هـ بسبب أحداث فلسطين، وعين محمود فهمي النقراشي حاكماً عسكرياً.

جرت محاولة جديدة لاغتيال مصطفى النحاس إذ ألقيت قنبلة على غرفة نومه، ولم يصب بأذى.

وفي ٢٤ صفر ١٣٦٨هـ (٢٥ كانون الأول ١٩٤٨م) أصدر محمود فهمي النقراشي قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين، وبعد ثلاثة أيام أطلق عليه النار من المسدس الطالب عبد المجيد حسن الطالب في كلية الطب البيطري، فأرداه قتيلاً، وهو يهمّ بدخول وزارة الداخلية صباحاً، وكان الطالب يرتدي زيًّا عسكرياً، ولم يخطر بباله الهرب بل وقف مكانه حتى قبض عليه، وحُقّق معه،

واعترف ولكن التحقيق رغم التعذيب الشديد لم يستطع أن يأخذ منه شيئاً، وأعدم شنقاً.

وعهد إلى رئيس الديوان الملكي إبراهيم عبد الهادي بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ فهو نائب محمود فهمي النقراشي في رئاسة الهيئة السعدية.

وزارة إبراهيم عبد الهادي(١):

أعلنت هذه الحكومة الأحكام العرفية، وزجّت في السجون مئات الإخوان المسلمين، وأوعزت إلى سلطات السجون بتعذيبهم أشدّ العذاب، ولكن لم يفدها ذلك شيئاً إذ كانوا كالكتلة من الصخر. وفي ١٤ ربيع الثاني ١٣٦٨هـ اغتيل حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر.

جرت محادثات عسكرية مع الجنرال سليم قائد القوات البريطانية في قناة السويس، ولكنها لم تؤدّ إلى نتيجةٍ، حيث كانت إنكلترا تُبدي باستمرار أنها لا تريد التفاوض مع أحزاب الأقلّية، أي تبغي المفاوضة مع حزب الوفد فقط.

---

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ إبراهيم عبد الهادي: رئيساً للوزراء، وزيراً للداخلية، والمالية.
٢ ـ أحمد عبد الغفار: وزيراً للأشغال العمومية.
٣ ـ إبراهيم دسوقي أباظة: وزيراً للخارجية.
٤ ـ عبد المجيد عبد الحق: وزيراً للتموين.
٥ ـ طه محمد عبد الوهاب السباعي: وزيراً للدولة.
٦ ـ عبد الرزاق أحمد السنهوري: وزيراً للمعارف العمومية.
٧ ـ محمود حسن: وزيراً للدولة.
٨ ـ نجيب إسكندر: وزيراً للصحة العمومية.
٩ ـ ممدوح رياض: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٠ ـ علي عبد الرازق: وزيراً للأوقاف.
١١ ـ الفريق محمد حيدر: وزيراً للحربية والبحرية.
١٢ ـ جلال فهيم: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٣ ـ أحمد مرسي بدر: وزيراً للعدل.
١٤ ـ رياض عبد العزيز سيف النصر: وزيراً للمواصلات.
١٥ ـ عباس أبو حسين: وزيراً للزراعة.
١٦ ـ مصطفى مرعي: وزيراً للدولة.

عمل إبراهيم عبد الهادي لإجراء انتخاباتٍ جديدةٍ، وكان هجوم المعارضة عليه عنيفاً فقد كان مصطفى النحاس يصف حكمه بالوضع الإرهابي نتيجة الأحكام العرفية القائمة.

وطلب الملك من إبراهيم عبد الهادي التفاهم مع حزب الوفد فلم يستطع فقدّم استقالته في ٤ شوال ١٣٦٨هـ (٢٩ تموز ١٩٤٩م)، وبعد أن اختلفت الأحزاب المشاركة للوزارة على تقسيم الدوائر الانتخابية.

وزارة حسين سري الثالثة:

عهد الملك إلى حسين سري بتشكيل وزارة جديدةٍ تكون ائتلافيةً من الأحزاب جميعها، وبدأ الخلاف من البداية، إذ كان إبراهيم عبد الهادي زعيم الهيئة السعدية، ومحمد حسين هيكل زعيم الأحرار الدستوريين يعترضان على تسلّم فؤاد سراج الدين وزارة الداخلية. وأخيراً شُكلت الوزارة[1].

---

(١) ضمت الوزارة ٤ أعضاء من حزب الوفد، و٤ من الهيئة السعدية، و٤ من الأحرار الدستوريين، و٤ من المستقلين، و٢ من الحزب الوطني.
وكانت على النحو الآتي:
١ ـ حسين سري: رئيساً للوزراء، وزيراً للداخلية، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ أحمد محمد خشبة: وزيراً للعدل.
٣ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
٤ ـ محمود غالب: وزيراً للدولة.
٥ ـ أحمد عبد الغفار: وزيراً للزراعة.
٦ ـ نجيب إسكندر: وزيراً للصحة العمومية.
٧ ـ الفريق محمد حيدر: وزيراً للبحرية والحربية.
٨ ـ محمد زكي علي: وزيراً للدولة.
٩ ـ محمد محمد الوكيل: وزيراً للدولة.
١٠ ـ أحمد علي علوبة: وزيراً للدولة.
١١ ـ علي أيوب: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٢ ـ إبراهيم دسوقي أباظة: وزيراً للأوقاف.
١٣ ـ محمد فؤاد سراج الدين: وزيراً للمواصلات.
١٤ ـ مصطفى نصرت: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٥ ـ أحمد مرسي بدر: وزيراً للمعارف العمومية. =

ثم ظهر الخلاف في الوزارة حول الإفراج عن الإخوان، وإعادة نشاطهم فرئيس الوزارة حسين سري، وحزب الوفد يوافقان على الإفراج عن الإخوان، ويرفض ذلك السعديون والأحرار الدستوريون، وأخيراً، أفرج عن الإخوان.

وبدأ الخلاف في توزيع الدوائر الانتخابية، فاختلف فؤاد سراج الدين وأحمد عبد الغفار على ذلك فتصدع الائتلاف، وقدّم حسين سري استقالة حكومته في ١٢ محرم ١٣٦٩هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٤٩م).

وزارة حسين سري الرابعة:

شكّل حسين سري وزارة محايدة[1] للإشراف على الانتخابات، وقد تمت الانتخابات وحصل حزب الوفد على الأكثرية حيث حصل على ٢٢٨ مقعداً، على حين حصل السعديون على ثمانية وعشرين مقعداً، والأحرار على ٢٦

= ١٦ ـ مصطفى مرعي: وزيراً للدولة.
١٧ ـ حسين فهمي: وزيراً للمالية.
١٨ ـ عبد الرحمن الرافعي: وزيراً للتموين.
١٩ ـ محمد هاشم: وزيراً للدولة.

(١) تشكلت وزارة حسين سري الرابعة، وهي المحايدة على النحو الآتي:
١ ـ حسين سري: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ صليب سامي: وزيراً للتجارة والصناعة.
٣ ـ محمد حسن العشماوي: وزيراً للمعارف العمومية.
٤ ـ حسين عنان: وزيراً للزراعة.
٥ ـ الفريق محمد حيدر: وزيراً للحربية والبحرية.
٦ ـ محمد هاشم: وزيراً للدولة.
٧ ـ محمد المفتي الجزائرلي: وزيراً للأوقاف.
٨ ـ محمد عبد الخالق حسونة: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
٩ ـ عبد الشافي عبد المتعال: وزيراً للمالية.
١٠ ـ إبراهيم شوقي: وزيراً للصحة العمومية.
١١ ـ محمد علي راتب: وزيراً للتموين.
١٢ ـ مصطفى فهمي: وزيراً للأشغال العمومية.
١٣ ـ سيد مصطفى: وزيراً للعدل.
١٤ ـ محمد علي نمازي: وزيراً للمواصلات.

مقعداً، والحزب الوطني على ستة مقاعد، والحزب الاشتراكي على مقعدٍ واحدٍ، على حين حصل المستقلون على ٣٠ مقعداً.

وبذا أصبحت رئاسة الوزارة من حقّ حزب الوفد، وكان الملك لا يريد أن يتسلّم مصطفى النحاس رئاسة الحكومة، فعرض ذلك على أمين سر الحزب فؤاد سراج الدين فرفض تجاوز زعيمه، وكُلّف مصطفى النحاس بتشكيل الحكومة بتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٣٦٩هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٥٠م)، وبعد يومين قدّم حسين سري استقالة حكومته.

واجتمع مجلس الوزراء في أول جلسةٍ له في ٢٥ ربيع الأول، واجتمع مجلس النواب في ٢٧ من الشهر نفسه.

وزارة مصطفى النحاس[1]:

جاء وزير خارجية بريطانيا «بيفن» إلى زيارة مصر بتاريخ ٩ ربيع الثاني

(١) تشكلت وزارة مصطفى النحاس السابعة على النحو الآتي:
١ ـ مصطفى النحاس: رئيساً للوزراء.
٢ ـ عثمان محرم: وزيراً للأشغال العمومية.
٣ ـ علي زكي العرابي: وزيراً للمواصلات.
٤ ـ عبد الفتاح الطويل: وزيراً للعدل.
٥ ـ محمد فؤاد سراج الدين: وزيراً للداخلية.
٦ ـ أحمد حمزة: وزيراً للزراعة.
٧ ـ مصطفى نصرت: وزيراً للحربية والبحرية.
٨ ـ محمود سليمان غنام: وزيراً للصناعة والتجارة.
٩ ـ محمد محمد الوكيل: وزيراً للاقتصاد الوطني.
١٠ ـ أحمد حسين: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١١ ـ مرسي فرحات: وزيراً للتموين.
١٢ ـ ياسين أحمد: وزيراً للأوقاف.
١٣ ـ عبد اللطيف محمود: وزيراً للصحة العمومية.
١٤ ـ إبراهيم فرج: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١٥ ـ حامد زكي: وزيراً للدولة.
١٦ ـ محمد صلاح الدين: وزيراً للخارجية.
١٧ ـ طه حسين: وزيراً للمعارف العمومية. =

١٣٦٩هـ (٢٨ كانون الثاني ١٩٥٠م) حيث قابل وزير الخارجية المصرية محمد صلاح الدين.

كانت الحكومة تنوي إجراء مباحثات مع الحكومة البريطانية من أجل الجلاء وإلغاء معاهدة (١٩٣٦م)، والمباحثات تعني عدم كتابة محاضر للجلسات لتكون وثائق كما هي حال المفاوضات، وقد رأت أن يتولّى شؤون المباحثات وزير الخارجية محمد صلاح الدين، ووزير الشؤون البلدية والقروية إبراهيم فرج، أما المفاوضات فيتولى أمرها رئيس الوزراء مصطفى النحاس.

بدأت المباحثات بين مصطفى النحاس والجنرال سليم بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٦٩هـ (٥ حزيران ١٩٥٠م)، وكانت إنكلترا ترغب إنشاء حلف للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط، ويكون مؤلفاً من إنكلترا والولايات المتحدة الأميركية، وتركيا، والدول العربية، أما مصطفى النحاس فكان يرفض هذا الرأي كلياً، ويبدو أن فؤاد سراج الدين يرغب في إقامة دفاع بين الدول العربية فقط. وقد طالت المباحثات والتأجيل، وفي ٨ محرم عام ١٣٧١هـ (٨ تشرين الأول ١٩٥١م) ألغى مصطفى النحاس المعاهدة بخطاب أمام مجلس النواب.

وقابل سفراء الولايات المتحدة، وإنكلترا، وفرنسا، وتركيا وزير الخارجية محمد صلاح الدين، واحتجوا على إلغاء المعاهدة بتقديم كل واحدٍ منهم مذكرة احتجاج باسم دولته.

وكانت العقبة الرئيسية هي السودان، فإن الجلاء عن مصر أمر مفروغ منه، ولكن موضوع السودان هو المشكلة، وهو الذي بحاجة إلى مناقشاتٍ ومباحثاتٍ. وطالبت مذكرات السفراء الرجوع إلى السودانيين وإجراء استفتاء حول قضية المصير، أما المصريون فإنهم يرون أن الموضوع منتهٍ فالسودان جزء لا يتجزأ من مصر، فالخرطوم والإسكندرية سواء. وعندما عرضت مذكرات السفراء على مجلس الوزراء رفضت.

وشجّعت الحكومة أعمال الفدائيين في قناة السويس بعد إلغاء المعاهدة،

= ١٨ ـ محمد زكي عبد المتعال: وزيراً للمالية.
١٩ ـ محمد حيدر: وزيراً، القائد العام للقوات المسلحة.

وكانت تمدّهم بالسلاح عن طريق ضباط الشرطة، بل انضمّ إليهم عدد من ضباط الجيش، وكان أكثر الفدائيين من شباب الإخوان المسلمين وخاصة طلاب الجامعة منهم.

واحتجت الولايات المتحدة على مقتل راهبةٍ ممرضةٍ أمريكيةٍ قُتلت برصاص الإنكليز غير أن الحكومة قد رفضت هذا الاحتجاج.

وبعد إلغاء المعاهدة قدّم السفير البريطاني «رالف ستيفنسون» مذكرة إلى رئيس الحكومة في ١٣ محرم ١٣٧١هـ (١٣ تشرين الأول ١٩٥١م) تنطوي على مشروع للدفاع عن الشرق الأوسط تكون مقرّ قيادته القاهرة وتشترك فيه: الولايات المتحدة، وإنكلترا، وفرنسا، وتركيا، وقد رفضت الحكومة هذه المذكرة أيضاً.

وبقيت وزارة النحاس حتى حريق القاهرة يوم ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢م) حيث نزل الجيش إلى المدينة بأمر وزير الداخلية بعد استئذان الملك. وفي المساء أُقيلت الحكومة، وكُلّف علي ماهر بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ.

وزارة علي ماهر الثالثة[١]:

لم يطل عمر هذه الوزارة إلا مدةً قصيرةً تزيد على الشهر إلا قليلاً كانت

(١) شكل علي ماهر وزارته على النحو الآتي:
١ ـ علي ماهر: رئيساً للوزراء، وزيراً للخارجية، والحربية والبحرية.
٢ ـ صليب سامي: وزيراً للزراعة.
٣ ـ محمد عبد الخالق حسونة: وزيراً للمعارف العمومية.
٤ ـ إبراهيم شوقي: وزيراً للصحة العمومية، والشؤون البلدية والقروية.
٥ ـ محمد علي نمازي: وزيراً للعدل.
٦ ـ محمد زكي عبد المتعال: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٧ ـ أحمد مرتضى المراغي: وزيراً للداخلية.
٨ ـ إبراهيم عبد الوهاب: وزيراً للتجارة والصناعة والتموين.
٩ ـ سعد اللبان: وزيراً للأوقاف.
١٠ ـ محمود حسن: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١١ ـ حامد سليمان: وزيراً للأشغال العمومية، والمواصلات.

كلها خلافاً مع القصر لأمورٍ بسيطةٍ، وتعييناتٍ. وطلب منه الملك حلّ المجلس النيابي ذي الأكثرية الوفدية والقيام بحركة تطهير، ولكنه رأى أن تبدأ الحكومة بالمفاوضة مع الحكومة البريطانية ووضع حلّ للمشكلات الخارجية، ثم تلتفت بعدها إلى المشكلات الداخلية، وقد أعلنت الدولة الأحكام العرفية.

وقدم علي ماهر استقالة حكومته في ٦ جمادى الآخرة ١٣٧١هـ (٢ آذار ١٩٥٢م)، وكلف أحمد نجيب الهلالي بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ، وكان قد اعتذر من قبل عن تشكيل الحكومة، ورشحّ لها علي ماهر.

وزارة أحمد نجيب الهلالي[1]:

كان نجيب الهلالي من حزب الوفد، ثم تركه عندما أصبح فؤاد سراج الدين أميناً لسرّ الحزب، ورشح نجيب الهلالي اللواء محمد نجيب ليكون وزيراً للحربية، غير أن الملك قد رفض ذلك. كما رفض نجيب الهلالي اقتراحاً

---

(١) أحمد نجيب الهلالي: ولد بأسيوط عام ١٣٠٨هـ، ودرس بمدرسة الحقوق الخديوية، ودرّس بها، وعمل بالمحاماة، وتدرّج بمناصب القضاء، ثم تسلّم وزارة المعارف، فوزارة التجارة، وله مصنفات بالقانون، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٧٨هـ.
وقد شكل وزارته على النحو الآتي:
١ ـ أحمد نجيب الهلالي: رئيساً للوزراء.
٢ ـ صليب سامي: وزيراً للتجارة، والصناعة والتموين.
٣ ـ طه محمد عبد الوهاب السباعي: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
٤ ـ محمد كامل مرسي: وزيراً للعدل.
٥ ـ محمد المفتي الجزائرلي: وزيراً للأوقاف.
٦ ـ محمد عبد الخالق حسونة: وزيراً للخارجية.
٧ ـ محمد زكي عبد المتعال: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٨ ـ أحمد مرتضى المراغي: وزيراً للداخلية، والحربية والبحرية.
٩ ـ محمد رفعت: وزيراً للمعارف العمومية.
١٠ ـ محمد فريد زعلوك: وزير دولة للدعاية.
١١ ـ طراف علي: وزيراً للمواصلات.
١٢ ـ نجيب إبراهيم: وزيراً للأشغال العمومية.
١٣ ـ محمود عثمان غزالي: وزيراً للزراعة.
١٤ ـ راضي أبو سيف راضي: وزيراً للشؤون الاجتماعية، والصحة العمومية.

للملك بتعيين أحمد النقيب وزيراً للصحة. وحدّدت الحكومة إقامة فؤاد سراج الدين بحجة أنه لا يزال يحرّض الفدائيين في منطقة قناة السويس. وفشل نجيب الهلالي في جرّ الإخوان المسلمين إلى الاشتراك في الانتخابات. وأجلت الحكومة المجلس النيابي مدة شهر ثم حلته، وأعلنت عن موعد للانتخابات ولكن تأجل الموعد...

قدم الهلالي استقالة حكومته في ١٠ شوال ١٣٧١هـ (٢ تموز ١٩٥٢م).

وزارة حسين سري:

شكل حسين سري الوزارة[١] في ١٠ شوال ولم تدم أكثر من عشرين يوماً، حيث استقال في ١ ذي القعدة ١٣٧١هـ.

وكان قد نجح اللواء محمد نجيب في إدارة مجلس نادي الضباط على غير رغبة القصر الذي عمل على حل مجلس إدارة النادي فاستقال اللواء محمد نجيب، وعمل رئيس الوزراء على إنقاذ الموقف بأن يُعيّن محمد نجيب وزيراً للحربية فلم يفلح فقدم استقالة حكومته. وكان قد اقترح من قبل تعيين عزيز

---

(١) كانت وزارة حسين سري على الشكل الآتي:

١ ـ حسين سري: رئيساً لمجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية، والحربية والبحرية.
٢ ـ محمد هاشم: وزيراً للداخلية.
٣ ـ محمد علي راتب: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
٤ ـ نجيب إبراهيم: وزيراً للأشغال، والمالية، والاقتصاد بالوكالة.
٥ ـ سامي مازن: وزيراً للمعارف العمومية.
٦ ـ كريم ثابت: وزير دولة.
٧ ـ سيد عبد الواحد: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ أحمد زكي: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
٩ ـ محمد علي الكيلاني: وزيراً للزراعة.
١٠ ـ حسين كامل الغمراوي: وزيراً للتموين.
١١ ـ عبد المعطي خيال: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٢ ـ محمود محمد صلاح الدين: وزيراً للصحة العمومية.
١٣ ـ علي بدوي: وزيراً للعدل.
١٤ ـ محمد أحمد فرج السنهوري: وزيراً للأوقاف.

علي المصري وزيراً للحربية، فرفض طلبه أيضاً بحجة أن صحته لا تسمح بذلك.

وحاول القصر وخاصة الملك ثني حسين سري عن تقديم استقالته، ولكن رئيس الوزراء لم يرضخ وأصرّ فقبلت بشيء من الجفاء.

وزارة أحمد نجيب الهلالي:

وهي آخر وزارة قبل الثورة، ولم تستمر أكثر من يومين إذ شكلت يوم ٢٩ شوال وفي ٢ ذي القعدة قامت الثورة[١].

وقالوا فيما بعد: إن حافظ عفيفي الذي له علاقة بسفارة الولايات المتحدة قد ألحّ كثيراً ليتسلّم إسماعيل شيرين وزارة الحربية وقد تمّ ذلك، وهذا لتزداد نقمة الجيش والشعب على القصر، وليمهّد بذلك لحركة الجيش أن تقوم إذ كان إسماعيل شيرين معروفاً بتعلقه بالقصر، ومكروهاً، وهو زوج الأميرة فوزية أخت الملك. وقد أحسّ إسماعيل شيرين بما يجري، ولم يحلف

---

(١) كانت وزارة أحمد نجيب الهلالي على الشكل الآتي:

١ ـ أحمد نجيب الهلالي: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ طه محمد عبد الوهاب السباعي: وزيراً للتموين.
٣ ـ محمد كامل مرسي: وزيراً للعدل.
٤ ـ محمد المفتي الجزائرلي: وزيراً للأوقاف.
٥ ـ محمد عبد الخالق حسونة: وزيراً للخارجية.
٦ ـ محمد زكي عبد المتعال: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٧ ـ أحمد مرتضى المراغي: وزيراً للداخلية.
٨ ـ محمد رفعت: وزيراً للمعارف.
٩ ـ محمد فريد زعلوك: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٠ ـ طراف علي: وزيراً للمواصلات.
١١ ـ راضي أبو سيف راضي: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٢ ـ إسماعيل شيرين: وزيراً للحربية والبحرية.
١٣ ـ حسن كامل الشيشيني: وزيراً للزراعة.
١٤ ـ يوسف سعد: وزيراً للأشغال العمومية.
١٥ ـ مريت غالي: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١٦ ـ سيد شكري: وزيراً للصحة العمومية.

اليمين الدستورية، وكان يرى أن يُكلف مصطفى النحاس برئاسة الوزارة وهو الطريق الوحيد للحيلولة دون حدوث انقلابِ عسكري فإن البلاد مُقبلة عليه... وتردّد الملك، وفكّر بإرسال إسماعيل شيرين لاستقدام النحاس غير أن رئيس الديوان الملكي حافظ عفيفي سوّل غير ذلك... وكان الإعداد للحركة قد انتهى وبعد ثلاثة أيامٍ حدثت الثورة...

وقد اشترط أحمد نجيب الهلالي شروطاً لرئاسة الوزارة، وهي:

أ ـ إخراج كريم ثابت من الإذاعة.

ب ـ أن يكون حافظ عفيفي المعتمد الوحيد بين القصر والوزارة.

ج ـ أن يختار وزراءه حسب ما يريد دون تدخّل القصر.

د ـ إبعاد العناصر الفاسدة من رجال الشرطة.

هـ ـ إلغاء الأحكام العرفية، وأن تقرر الوزارة الجديدة موعد الانتخابات دون تدخل القصر.

وأمام الظروف القائمة لم يكن أمام الملك سوى قبول هذه الشروط التي تألّفت بمتضاها الوزارة.

وهذا ملخص عن الحكومات المتتالية في العهد الملكي:

١ ـ عبد الخالق ثروت «الأولى»: ٣ رجب ١٣٤٠ ـ ١٠ ربيع الثاني ١٣٤١هـ. (١آذار ١٩٢٢ ـ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٢م).

٢ ـ محمد توفيق نسيم «الثانية»: ١٠ ربيع الثاني ١٣٤١ ـ ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤١هـ. (٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ ـ ٩ شباط ١٩٢٣م).

٣ ـ يحيى إبراهيم: ٢٨ رجب ١٣٤١ ـ ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٤٢هـ. (١٥ آذار ١٩٢٣ ـ ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٤م).

٤ ـ سعد زغلول: ٢١ جمادى الآخرة ١٣٤٢ ـ ٢٧ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ. (٢٨ كانون الثاني ١٩٢٤ ـ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٤م).

٥ ـ أحمد زيور «الأولى»: ٢٧ ربيع الثاني ١٣٤٣ ـ ١٨ شعبان ١٣٤٣هـ. (٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٤ ـ ١٣ آذار ١٩٢٥م).

٦ ـ أحمد زيور «الثانية»: ١٨ شعبان ١٣٤٣ ـ ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٤هـ. (١٣ آذار ١٩٢٥ ـ ٧ حزيران ١٩٢٦م).

٧ ـ عدلي يكن «الثانية»: ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٤ ـ ١٩ شوال ١٣٤٥هـ. (٧ حزيران ١٩٢٦ ـ ٢١ نيسان ١٩٢٧م).

٨ ـ عبد الخالق ثروت «الثانية»: ٢٤ شوال ١٣٤٥ ـ ١٣ رمضان ١٣٤٦هـ. (٢٦ نيسان ١٩٢٧ ـ ٤ آذار ١٩٢٨م).

٩ ـ مصطفى النحاس «الأولى»: ٢٥ رمضان ١٣٤٦ ـ ٧ محرم ١٣٤٧هـ. (١٦ آذار ١٩٢٨ ـ ٢٥ حزيران ١٩٢٨م).

١٠ ـ محمد محمود «الأولى»: ٧ محرم ١٣٤٧ ـ ٢٨ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ. (٢٥ حزيران ١٩٢٨ ـ ٢ تشرين الأول ١٩٢٩م).

١١ ـ عدلي يكن «الثالثة»: ٢٩ ربيع الثاني ١٣٤٨ ـ ٣٠ رجب ١٣٤٨هـ. (٣ تشرين الأول ١٩٢٩ ـ ٣١ كانون الأول ١٩٢٩م).

١٢ ـ مصطفى النحاس «الثانية»: ١ شعبان ١٣٤٨ ـ ٢١ محرم ١٣٤٩هـ. (١ كانون الثاني ١٩٣٠ ـ ١٩ حزيران ١٩٣٠م).

١٣ ـ إسماعيل صدقي «الأولى»: ٢٣ محرم ١٣٤٩ ـ ٨ رمضان ١٣٥١هـ. (١٩ حزيران ١٩٣٠ ـ ٤ كانون الثاني ١٩٣٣م).

١٤ ـ إسماعيل صدقي «الثانية»: ٨ رمضان ١٣٥١ ـ ٨ جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ. (٤ كانون الثاني ١٩٣٣ ـ ٢٧ أيلول ١٩٣٣م).

١٥ ـ وزارة عبد الفتاح يحيى: ٨ جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ ـ ٧ شعبان ١٣٥٣هـ. (٢٧ أيلول ١٩٣٣ ـ ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٤م).

١٦ ـ محمد توفيق نسيم «الثالثة»: ٧ شعبان ١٣٥٣ ـ ٧ ذي القعدة ١٣٥٤هـ. (١٤ تشرين الثاني ١٩٣٤ ـ ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٦م).

١٧ ـ علي ماهر «الأولى» ٧ ذي القعدة ١٣٥٤ ـ ١٩ صفر ١٣٥٥هـ. (٣٠ كانون الثاني ١٩٣٦ ـ ٩ أيار ١٩٣٦م).

١٨ ـ مصطفى النحاس «الثالثة»: ١٩ صفر ١٣٥٥ ـ ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ. (٩ أيار ١٩٣٦ ـ ٢٩ تموز ١٩٣٧م).

١٩ ـ مصطفى النحاس «الرابعة»: ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٦ ـ ٢٧ شوال ١٣٥٦هـ. (٢٩ تموز ١٩٣٧ ـ ٣٠ كانون الأول ١٩٣٧م).

٢٠ ـ محمد محمود «الثانية»: ٢٨ شوال ١٣٥٦ ـ ٢٧ صفر ١٣٥٧هـ. (٣١ كانون الأول ١٩٣٧ ـ ٢٧ نيسان ١٩٣٨م).

٢١ ـ محمد محمود «الثالثة»: ٢٧ صفر ١٣٥٧ ـ ٢٦ ربيع الثاني ١٣٥٧هـ. (٢٧ نيسان ١٩٣٨ ـ ٢٤ حزيران ١٩٣٨م).

٢٢ ـ محمد محمود «الرابعة»: ٢٦ ربيع الثاني ١٣٥٧ ـ ٣ رجب ١٣٥٨هـ. (٢٤ حزيران ١٩٣٨ ـ ١٨ آب ١٩٣٩م).

٢٣ ـ علي ماهر «الثانية»: ٣ رجب ١٣٥٨ ـ ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ. (١٨ آب ١٩٣٩ ـ ٢٧ حزيران ١٩٤٠م).

٢٤ ـ حسن صبري: ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥٩ ـ ١٤ شوال ١٣٥٩هـ. (٢٧ حزيران ١٩٤٠ ـ ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٠م).

٢٥ ـ حسين سري «الأولى»: ١٥ شوال ١٣٥٩هـ ـ ٨ رجب ١٣٦٠هـ. (١٥ تشرين الثاني ١٩٤٠ ـ ٣١ تموز ١٩٤١م).

٢٦ ـ حسين سري «الثانية»: ٨ رجب ١٣٦٠ ـ ١٨ محرم ١٣٦١هـ. (٣١ تموز ١٩٤١ ـ ٤ شباط ١٩٤٢م).

٢٧ ـ مصطفى النحاس «الخامسة»: ١٨ محرم ١٣٦١ ـ ١١ جمادى الأولى ١٣٦١هـ. (٤ شباط ١٩٤٢ ـ ٢٦ أيار ١٩٤٢م).

٢٨ ـ مصطفى النحاس «السادسة»: ١١ جمادى الأولى ١٣٦١ ـ ٢١ شوال ١٣٦٣هـ. (٢٦ أيار ١٩٤٢ ـ ٨ تشرين الأول ١٩٤٤م).

٢٩ ـ أحمد ماهر «الأولى»: ٢١ شوال ١٣٦٣ ـ ١ صفر ١٣٦٤هـ. (٨ تشرين الأول ١٩٤٤ ـ ١٥ كانون الثاني ١٩٤٥م).

٣٠ ـ أحمد ماهر «الثانية»: ١ صفر ١٣٦٤ ـ ١٢ ربيع الأول ١٣٦٤هـ. (١٥ كانون الثاني ١٩٤٥ ـ ٢٤ شباط ١٩٤٥م).

٣١ ـ محمود فهمي النقراشي «الأولى»: ١٤ ربيع الأول ١٣٦٤ ـ ١٤ ربيع الأول ١٣٦٥هـ. (٢٤ شباط ١٩٤٥ ـ ١٥ شباط ١٩٤٦م).

٣٢ ـ إسماعيل صدقي «الثالثة»: ١٥ ربيع الأول ١٣٦٥ ـ ١٥ محرم ١٣٦٦هـ. (١٦ شباط ١٩٤٦ ـ ٩ كانون الأول ١٩٤٦م).

٣٣ ـ محمود فهمي النقراشي «الثانية»: ١٥ محرم ١٣٦٦ ـ ٢٧ صفر ١٣٦٨هـ. (٩ كانون الأول ١٩٤٦ ـ ٢٨ كانون الأول ١٩٤٨م).

٣٤ ـ إبراهيم عبد الهادي: ٢٧ صفر ١٣٦٨ ـ ٤ شوال ١٣٦٨هـ. (٢٨ كانون الأول ١٩٤٨ ـ ٢٩ تموز ١٩٤٩م).

٣٥ ـ حسين سري «الثالثة»: ٤ شوال ١٣٦٨ ـ ١٢ محرم ١٣٦٩هـ. (٢٩ تموز ١٩٤٩ ـ ٣ تشرين الثاني ١٩٤٩م).

٣٦ ـ حسين سري «الرابعة»: ١٢ محرم ١٣٦٩ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٣٦٩هـ. (٣ تشرين الثاني ١٩٤٩ ـ ١٢ كانون الثاني ١٩٥٠م).

٣٧ ـ مصطفى النحاس «السابعة»: ٢٣ ربيع الأول ١٣٦٩ ـ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧١هـ. (١٢ كانون الثاني ١٩٥٠ ـ ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٢م).

٣٨ ـ علي ماهر «الثالثة»: ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧١ ـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٧١هـ. (٢٧ كانون الثاني ١٩٥٢ ـ ٢ آذار ١٩٥٢م).

٣٩ ـ أحمد نجيب الهلالي «الأولى»: ٦ جمادى الآخرة ١٣٧١ ـ ١٠ شوال ١٣٧١هـ. (٢ آذار ١٩٥٢ ـ ٢ تموز ١٩٥٢م).

٤٠ ـ حسين سري «الخامسة»: ١٠ شوال ١٣٧١ ـ ١ ذي القعدة ١٣٧١هـ. (٢ تموز ١٩٥٢ ـ ٢٢ تموز ١٩٥٢م).

٤١ ـ أحمد نجيب الهلالي «الثانية»: ١ ذي القعدة ١٣٧١ ـ ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ. (٢٢ تموز ١٩٥٢ ـ ٢٣ تموز ١٩٥٢م).

وهكذا تعاقبت إحدى وأربعون وزارةً في عهد الملكية في مدة لا تزيد كثيراً على الثلاثين سنة ونصف السنة من: ٣ رجب ١٣٤٠ إلى ٣ ذي القعدة ١٣٧١هـ. (١ آذار ١٩٢٢ إلى ٢٣ تموز ١٩٥٢م).

وإذا كان بعض هذه الوزارات قد زادت مدة حكمها على السنتين كوزارة محمود فهمي النقراشي الثانية ووزارة مصطفى النحاس السابعة فإن بعضها لم تصل مدتها إلى ٢٤ ساعة كوزارة أحمد نجيب الهلالي الثانية آخر وزارة في العهد الملكي.

وقد رأس حزب الوفد ثمان وزارات:	٨	مصطفى النحاس رأس سبع وزارات. وسعد زغلول رأس وزارة واحدة.
ورأس حزب الأحرار الدستوريين ثمان وزارات أيضاً	٨	عبد الخالق ثروت رأس وزارتين. وعدلي يكن رأس وزارتين. ومحمد محمود رأس أربع وزارات.
ورأس حزب الهيئة السعدية خمس وزارات	٥	أحمد ماهر رأس وزارتين. ومحمود فهمي النقراشي رأس وزارتين. وإبراهيم عبد الهادي رأس وزارة واحدة.
ورأس حزب الشعب أربع وزارات	٤	إسماعيل صدقي رأس ثلاث وزارات. وعبد الفتاح يحيى رأس وزارة واحدة.
ورأس حزب الاتحاد ثلاث وزارات	٣	يحيى إبراهيم رأس وزارة واحدة. محمد توفيق نسيم رأس وزارتين.

أما باقي الوزارات فقد تسلمها مستقلون:

وتسلّم أحمد زيور وزارتين	٢
وتسلّم علي ماهر ثلاث وزارات	٣
وتسلّم حسين سري خمس وزارات	٥

وتسلم أحمد نجيب الهلالي وزارتين ٢

وتسلّم حسين صبري وزارة واحدة ١

---

٤١ وزارة

❁ ❁ ❁

الفصل الثّاني
الجمهوريّة أو الاستقلال

انتهت الحرب العالمية الثانية، وظهر في العالم دولتين عُظميين: الولايات المتحدة الأمريكية في الغرب، ولها هيمنة على دول القارة الأمريكية، وعلى دول غربي أوروبا بقوّتها العسكرية وضخامة اقتصادها، والاتحاد السوفيتي في الشرق وله سيطرته على أراضي الإمبراطورية الروسية ودول شرقي أوروبا. وكان في العالم معسكران أو حلفان: حلف شمالي الأطلسي أو المعسكر الغربي ويشمل دول غربي أوروبا والولايات المتحدة وكندا، وحلف «وارسو» أو المعسكر الشرقي ويشمل دول شرقي أوروبا وما يُسيطر عليه الروس في القارة الآسيوية. ودول العالم الأخرى تبع لهذا أو ذاك، تسير في فلك دولةٍ كبرى، أو تخضع لها، أوتتلقّى دعماً مادياً أو مُساعدات عسكرية، أو تعيش في ظلّ حمايتها والمحافظة على الحكم فيها.

ورأت الولايات المتحدة الأمريكية أن المعسكر الشرقي أكثر تكتُّلاً وأكثر ترابطاً وانسجاماً إذ فيه رأس واحد هو «الإمبراطورية الروسية» هو يُصدر الأوامر، ويستجيب الآخرون، ويضع الخطط وينفّذ الآخرون، هو الأصل وبقية دول المعسكر تسير في فلكه من غير رأي ولا مُعارضةٍ. أما المعسكر الغربي ففيه أكثر من رأس كلّ يُريد لنفسه الهيمنة، ويسعى إلى السيطرة، ويرغب في القوة ليتفوّق على الآخرين، وهناك إلى جانب الولايات المتحدة كل من إنكلترا، وفرنسا، كما أن ألمانيا الغربية تمدّ برأسها لتُطاول أشقائها، بل وتتنافس فرنسا وإنكلترا في مستعمراتهما ومناطق نفوذهما، حتى ليبدو أن في هذا المعسكر خللاً إذا ما قُورن مع خصمه المعسكر الآخر.

ورأت الولايات المتحدة أن الخلاص من هذا هو العمل على زيادة قوّتها

والسعي لزيادة اقتصادها كي يقوى نفوذها أكثر بين حلفائها، وتتمةً للخطة لا بدّ من إضعاف دول معسكرها أمامها وليس أمام خصمها لتكون مكانتها كمكانة الاتحاد السوفيتي بين دول معسكره. وإن أقرب طريق لهذا هو أن تحلّ الولايات المتحدة محلّ إنكلترا وفرنسا في مناطق نفوذهما فتزداد قوّتها، ويتعاظم اقتصادها وفي الوقت نفسه تقلّ منافسة هاتين الدولتين لها لما يُصيبها من ضعفٍ، وإن هذا لن يفقد المعسكر شيئاً فإن ما كان يأتيه من إمكاناتٍ لا يزال يأتيه بل يزيد نتيجة ضخامة رأس المال وتوحيد الجهود، وكل ما هنالك أنه كان يدخل عليه من جهةٍ فأصبح يدخل من جهةٍ ثانيةٍ. وإن من مناطق النفوذ هذه مصر التي كانت ضمن مناطق نفوذ إنكلترا.

اتّجهت الولايات المتحدة نحو مصر بعد أن كانت قد حلّت محلّ إنكلترا وفرنسا في عددٍ من الدول التي كانت تخضع لتلك الدولتين، وكانت تجد مُقاومةً وعُنفاً في البلدان التي يكون نفوذ إحدى الدولتين ذا جُذور متينةٍ حتى تضطر للتهيئة لعدّة انقلابات أو بذل رؤوس أموال أكثر ضخامةً، ولربما نجد في بلدٍ واحدٍ انقلاباً يتلو انقلاباً، تهيئ واحداً فيُعقبة من صديقتها المنافسة لها انقلاب ثانٍ وهكذا مرّاتٍ ومرّاتٍ، وقد لا يحتاج الأمر أكثر من صراع واحدٍ، وحتى يكون هذا، وكي لا يُكلّفها كثيراً بدأت تُركّز بشكلٍ أفضل من السابق فالتجربة سيّدة العلم، وقاعدة الدراسات.

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية في مصر: ملك غارق في لهوه، همّه بسط نفوذه وسيطرته كي لا تكون لأحدٍ سواه كلمة. وأحزاب تتصارع على الحكم، لا تُبالي بالشعب إلاّ وقت الانتخابات، ومجلس نيابي يُحلّ بأمرٍ، ويُرجع بآخر لا يختلف عن أحزابه المتعددة، والشعب فقير بائس مسحوق بالحكم ومطحون من قبل ملاّك الأرض. وقد بدأت أعداد كبيرة من الشعب والتي تسمح لها ظروفها بالتعلُم والتحرُك تتجه نحو دعوة الإخوان المسلمين بحكم عاطفتها الدينية، ولعلّها تتخلّص مما تُعاني أو على الأقل ترتاح نفسياً من مُشكلاتها، وخاصّةً بعد أن برزت جماعة الإخوان المسلمين بالدعاية التي حصلت عليها في القتال في فلسطين، وفي حرب القناة، وبعد أن لاحظ الشعب سلوك أفراد هذه الجماعة الطيّب، خُلقاً، وعبادةً، ومُعاملةً، واستقامةً،

وتزداد هذه الجماعة قوةً بنظامها الخاص، وضباطها في الجيش، وقد غدت أكبر قوّة مُنظَّمةٍ حزبياً في مصر.

وضعت الولايات المتحدة خطَّةً لنفسها وهي التهيئة لانقلاب عسكري بالاتصال بضباط الجيش الناقمين على الحكم لوضعه، اللهو، والفساد، وإهمال الجيش وقد ظهر ذلك في القتال في فلسطين، ويُؤيّد هذا الانقلاب شعبياً بالإخوان المسلمين نتيجة القنوات التي تصل بين الضباط الناقمين وضباط الإخوان، حتى إذا تمّ الأمر وحدث الانقلاب كان الضباط الناقمون على معرفةٍ تامةٍ بنظيم الإخوان، وضباطهم، ومراكز قوتهم، ونقاط ضعفهم، بل ومن المفيد جداً أن تُهيَّأ مستمسكات على الإخوان أثناء العمل المشترك كمخازن للأسلحة أو غيرها، كما يجب العمل على ضمّ ما أمكن ضمّه من ضباط الإخوان إلى الضباط الناقمين على الحكم للإفادة منهم في الحركة، وفي ضرب الإخوان عندما يُباشر بذلك.

بدأ الاتصال بضباط الجيش الناقمين على الحكم، وقد كان لهم تنظيم سرّيّ في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية، وكانت لأكثرهم صلة مع الإخوان، ثمَّ انفرط عقد هذا التنظيم، وانقطعت الصلة مع الإخوان نتيجة الأحكام العرفية التي أُعلنت لظروف الحرب، ثم نتيجة حلّ تنظيم جماعة الإخوان بعد مقتل النقراشي، واستمرّ ذلك حتى عام ١٣٦٩هـ حيث رجع العمل إلى التنظيم كما عاد الاتصال مع ضباط الإخوان والتعرّف عليهم، ولم يكن هؤلاء الضباط الذين بدؤوا بالتنظيم من الضباط الذين يطلبون الدعم والمساعدة من الإخوان، وإنما أظهروا انخراطهم في صفوف الجماعة، ولم يُبال قادة الإخوان بذلك كثيراً بل على العكس شعروا بالارتياح حيث ظنّوا أن هذا الانضمام إيمان حقيقي بالدعوة وإيمان سليم في النفوس، وكذلك أحسّ قادة جماعة الإخوان أن حركتهم تنمو فالشعب ذو فطرةٍ سليمةٍ وعاطفةٍ دينيةٍ صحيحة، ولم يُدركوا أن هذا تخطيط ماكر، وقد سبق أن خطب الحكام ودّ الإخوان غير أن الإخوان قد عزفوا عن كل شيءٍ لأنهم لم يكونوا طُلَّاب سلطةٍ ولا أصحاب مصلحةٍ وجاهٍ، واستمرّت المفاصلة مع الحكّام.

وزاد عدد الضباط الناقمين على الحكم، وعُرف تنظيمهم باسم «الضباط الأحرار» وزادت صلتهم مع الإخوان، وتمَّ التنسيق، وكثرت اللقاءات، وجاءت الظروف المناسبة، وفي صباح يوم الأربعاء ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢م) تمّ الانقلاب، وسيطر القائمون بالحركة على الوضع تماماً، وكان التعاون بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، وقد أوعز الإخوان إلى ضباطهم في الجيش والشرطة بتنفيذ أوامر رجال الحركة، وقد تمّ ذلك إذ أدّى ضباط الإخوان كل ما طلبت الحركة منهم القيام به، كما أن أفراد جوّالة الإخوان وبعض أعضائهم قد سيطروا على طريق القاهرة ـ السويس حساباً لأية عمليةٍ قد تقوم بها القوات الإنكليزية الموجودة في منطقة القناة.

وكان المقدّم أنور السادات قد دخل بمجموعته دار الإذاعة، وسار إلى غرفة الأخبار ليُذيع بيان الثورة، ولكن المذيع رفض السماح له بذلك إلا بعد مُوافقة الرقيب العام أنور حبيب، فاتصل أنور السادات[١] هاتفياً بأنور حبيب فوافق على إذاعة البيان على مسؤوليته الخاصة، وأعلن المقدّم أنور السادات من الإذاعة: انتهى عهد وبدأ عهد.

قدّم اللواء محمد نجيب إلى رئيس الوزراء أحمد نجيب الهلالي طلبات الجيش وهي:

١ ـ تكليف علي ماهر بتشكيل الوزارة.

---

(١) كان حسين توفيق قد شكل جمعية سرية هو وأنور السادات. وقد اعتقل أنور السادات في شهر ذي الحجة من عام ١٣٦١هـ (كانون الأول ١٩٤٢م) بتهمة صلته مع الألمان وقضى ما يقرب من عامين في السجن، وعندما أفرج عنه في شوال ١٣٦٣هـ اختفى.

وألقى حسين توفيق قنبلةً في أوائل شوال ١٣٦٤هـ على سيارة مصطفى النحاس. وبعد ذلك بقليل قتل أمين عثمان بتهمة صلته مع الإنكليز، فقبض على أنور السادات في ٩ صفر عام ١٣٦٥ (١٢ كانون الثاني ١٩٤٦م).

وفي الوقت نفسه كان أنور السادات على صلة مع القصر حتى ٥ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢٦ تموز ١٩٥٢م) أي حتى اليوم الثالث من قيام الثورة، وكانت تلك الصلة عن طريق طبيب القصر يوسف رشاد، وعبد الرؤوف نور الدين الضابط في الستار الحديدي الذي يقوم لضرب من يقف في وجه القصر.

٢ ـ تعيين اللواء محمد نجيب قائداً عاماً للقوات المسلحة.
٣ ـ طرد ستةٍ من حاشية الملك.

رفع رئيس الوزراء طلبات الجيش إلى الملك فوافق عليها، وقدّم أحمد نجيب الهلالي استقالة حكومته، وكلّف الملك علي ماهر بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ. وكان الإخوان المسلمون هم الذين رشّحوا علي ماهر إلى رجال الثورة لرئاسة الوزارة فوافق الضباط الأحرار عليه.

وافق علي ماهر يوم الخميس٣ ذي القعدة على قبول التكليف، وتحدّد موعد مقابلته مع الملك لأداء الوزارة لليمين الدستورية، وقد تمّ ذلك في اليوم نفسه حيث كان علي ماهر قد دبّر أموره مع الضباط والوزراء الذين وقع الاختيار عليهم وأُذيع يومها تأليف الوزارة(١).

---

(١) تم تشكيل وزارة علي ماهر على الشكل الآتي:
١ ـ علي ماهر: رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية، والخارجية، والحربية والبحرية.
٢ ـ إبراهيم شوقي: وزيراً للصحة العمومية.
٣ ـ إبراهيم عبد الوهاب: وزيراً للتجارة والصناعة والتموين.
٤ ـ سعد اللبان: وزيراً للمعارف العمومية.
٥ ـ محمد علي رشدي: وزيراً للعدل.
٦ ـ عبد الجليل إبراهيم العمري: وزيراً للمالية، والاقتصاد.
٧ ـ ألفونس جريس: وزيراً للزراعة.
٨ ـ محمد زهير جرانة: وزيراً للمواصلات، والشؤون الاجتماعية.
٩ ـ محمد كامل نبيه: وزيراً للأشغال.
١٠ ـ فؤاد شيرين: وزيراً للأوقاف.
١١ ـ عبد العزيز عبد الله سالم: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
وفي ١٧ ذي الحجة ١٣٧١هـ صدر مرسوم بقبول استقالة كل من:
١ ـ محمد كامل نبيه: وزيراً للأشغال.
٢ ـ عبد العزيز عبد الله سالم: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
وتعيين كل من:
١ ـ مريت غالي: وزيراً للشؤون القروية.
٢ ـ محمود محمد محمود: وزيراً للمواصلات.
٣ ـ مراد فهمي: وزيراً للأشغال.
٤ ـ إبراهيم بيومي مدكور: وزيراً للإنشاء والتعمير.
٥ ـ نور الدين طراف: وزيراً للشؤون البلدية.

وذهب اللواء محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة يوم الجمعة ٤ ذي القعدة إلى رئاسة مجلس الوزراء ومعه قائد الجناح جمال سالم والنقيب إسماعيل فريد، فاستقبلهم علي ماهر، وطلب اللواء محمد نجيب إبعاد الستة من حاشية الملك وهم: إلياس أندراوس، وأنطوان بوللي، والطيار حسن عاكف، والدكتور يوسف رشاد، ومحمد حلمي حسين، ومحمد حسن. كما أن كريم ثابت كان قد قدّم استقالته، ولما أخبر الملك وافق، وقدّم الجميع استقالاتهم. وأمر الملك بإعطاء محمد نجيب رتبة فريق. كما انتقل الملك من قصر المنتزه إلى قصر رأس التين ومعه زوجته «ناريمان»، وابنه ولي العهد أحمد فؤاد، وبناته، وقاد الملك السيارة بنفسه.

واقترب بعض الجنود من قصر رأس التين، فأطلق عليهم جنود القصر النار، فردّوا عليهم النار بالمثل، ثم توقّف الرمي، واستدعى الملك علي ماهر لمعرفة ما يُقصد من إطلاق النار، كما وصل المستشار بالسفارة الأمريكية مبعوثاً من السفير «جيفرسون كافري» لمعرفة الخبر. وعرف الجميع أن إطلاق النار لم يكن سوى خطأ وقع من جنود القصر إذ ظنّوا أن جنود الجيش يريدون الاعتداء على القصر فأطلقوا عليهم النار فردّوا عليهم بالمثل. كما وصل إلى القصر الفريق محمد نجيب وقدّم له إنذاراً من الجيش للملك بالتنازل عن العرش قبل الظهر، ومغادرة البلاد قبل آخر النهار، وكان ذلك كله يوم السبت ٥ ذي القعدة. وذهب علي ماهر إلى قصر رأس التين، وقابل الملك، وأبلغه الإنذار، ونصحه بالقبول فوافق.

مطالب الملك فاروق:

طلب الملك أن يُسافر إلى إيطاليا بحراً على ظهر الباخرة «المحروسة»[1] وأن تصحبه زوجته ناريمان، وولي عهده، وبناته، وأن يقوم الأسطول المصري بحماية الباخرة حتى إيطاليا.

وأن يُودّع بصورة تتناسب بملكٍ تنازل عن عرشه باختياره.

(١) أصبح اسم الباخرة «المحروسة» فيما بعد «الحرية» وعلى ظهرها سافر جده إسماعيل باشا إلى إيطاليا متنازلاً عن الحكم.

وأن تشترك الحكومة في وداعه مُمثلةً برئيسها.

وأن يشترك الجيش في الوداع مُمثلًا بالفريق محمد نجيب.

وأن يُقابل السفير الأمريكي «جيفرسون كافري» قبل السفر.

ووافق محمد نجيب على هذه المطالب كلها عدا حراسة الباخرة، فإن حراسة الأسطول المصري لها سيكون حتى نهاية المياه الإقليمية لمصر، وليس إلى إيطاليا.

وصدر الأمر الملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢م.

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان.

لما كنّا نطلب الخير دائماً لأمتنا ونبغي سعادتها ورقيّها.

ولما كنّا نرغب رغبةً أكيدةً في تجنب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة.

ونزولاً على إرادة الشعب.

قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٧١هـ (٢٦ تموز ١٩٥٢م).

وغادر الملك القصر، وأُنزل العلم الملكي، وسلّمه قائد الحرس الملكي إلى علي ماهر الذي قدّمه بدوره إلى الملك، واستقلّ الملك الزورق، وأطلقت المدفعية واحدةً وعشرين طلقةً، وأدّى حرس الشرف التحية العسكرية. وتحدّث الملك مع علي ماهر والسفير الأمريكي، وصافح مُودّعيه، وجاء اللواء محمد نجيب ومعه العقيد أحمد شوقي، والمقدم حسين الشافعي، وقائد الجناح جمال سالم، والنقيب إسماعيل فريد، وأدّى محمد نجيب التحية العسكرية. وأوصى فاروق اللواء محمد نجيب بالجيش، وكان مع جمال سالم عصا، فأمره الملك

بإلقائها، وحاول جمال الامتناع فأمره محمد نجيب بإلقائها فألقاها، وودّع فاروق الحضور وأبحرت الباخرة، وفي مساء ذلك اليوم نُودي بالملك أحمد فؤاد الثاني ملكاً على البلاد، وأُعلن عن مجلس الوصاية، واستمرّ ذلك حتى أعلنت الجمهورية في ٦ شوال ١٣٧٢هـ (١٨ حزيران ١٩٥٣).

وفي الساعة السادسة والنصف مساءً أذاع اللواء محمد نجيب بصوته البيان التالي:

بني وطني: إتماماً للعمل الذي قام به جيشكم الباسل في سبيل قضيتكم قمت في الساعة التاسعة من صباح اليوم ٢٦ تموز ١٩٥٢م الموافق الرابع من ذي القعدة عام ١٣٧١هـ بمقابلة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء، وسلّمته عريضةً مُوجّهةً إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب.

الأول: أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولي عهده قبل ظهر اليوم.

الثاني: أن يُغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساءً.

وقد تفضّل جلالته فوافق على المطلبين، وتمّ التنفيذ في المواعيد المحددة دون حدوث ما يُعكّر الصفو. وإن نجاحنا الآن في قضية البلاد يعود إلى تضافركم معنا بقلوبكم، وتنفيذكم لتعليماتنا، وإخلادكم إلى الهدوء والسكينة.

وإني أُعلن أن الفرح قد يفيض عن صدوركم لهذا النبأ غير أنني أتوسل إليكم أن تستمرّوا في التزام الهدوء حتى نستطيع مواصلة السير بقضيتكم في أمانٍ.

ولي كبير الأمل في أنكم ستُلبّون ندائي في سبيل الوطن، وفّقنا الله جميعاً لما فيه خيركم ورفاهيتكم والسلام.

وفي الساعة الثامنة أيضاً بثّت الإذاعة البيان الثاني لقائد الحركة اللواء محمد نجيب بصوته أيضاً وقد جاء فيه.

بني وطني: إن ما يُنسب إليّ من عملٍ مجيدٍ إن هو في الحقيقة إلاّ

جهود وتضحيات لرجال الجيش البواسل من جنودٍ وضباط ولم يكن لي إلاّ شرف قيادتهم.

وقد أمر جلالة الملك فاروق عندما طلب الجيش إسناد منصب القيادة العامة إليّ بأن يُنعم عليّ برتبة فريقٍ بدرجة الوزير فلم أعلن رفضها حتى لا يعرقل ذلك غرضاً أسمى، وهو تنازل الملك عن العرش.

والآن وقد انتهت الأمور فإني أعلن تنازلي عن هذه الرتبة قانعاً برتبة اللواء مراعاة لحالة الدولة المادية.

وفي اليوم التالي غادر الفريق محمد نجيب الإسكندرية راجعاً إلى القاهرة. وشكّل الضباط الأحرار مجلس قيادة الثورة برئاسة الفريق محمد نجيب[1]، وصار الرائد عبد الحكيم عامر مديراً لمكتبه.

وفي ١٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢ آب ١٩٥٢م) صدر أمر بإلغاء الألقاب التي كان معمول بها رسمياً، وهي ألقاب تركية مثل «باشا» و «بك» و «أفندي»، وإن كانت قد أُلغيت رسمياً إلا أنها بقيت سائدةً على ألسنة الشعب المصري، ولم يستطع التخلّص منها، وكل رجل يُخاطب أعلى منه لا بدّ له من إضفاء أحد هذه الألقاب، ويعظم اللقب كلما كان يُريد المتكلّم إظهار التعظيم أو التزلّف.

---

(١) تشكل مجلس قيادة الثورة من:
١ ـ الفريق محمد نجيب رئيساً.
٢ ـ المقدم جمال عبد الناصر عضواً.
٣ ـ المقدم زكريا محيي الدين عضواً.
٤ ـ المقدم عبد اللطيف البغدادي عضواً.
٥ ـ المقدم جمال سالم عضواً.
٦ ـ المقدم حسين الشافعي عضواً.
٧ ـ المقدم عبد المنعم أمين عضواً.
٨ ـ الرائد خالد محيي الدين عضواً.
٩ ـ الرائد عبد الحكيم عامر عضواً.
١٠ ـ الرائد حسن إبراهيم عضواً.
١١ ـ الرائد صلاح سالم عضواً.
١٢ ـ الرائد كمال الدين حسين عضواً.

وفي ١٨ ذي الحجة من العام نفسه، طلب من علي ماهر تقديم استقالة حكومته، وشكّل محمد نجيب بنفسه الوزارة[١].

---

(١) شكل محمد نجيب الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ اللواء أركان حرب محمد نجيب: رئيس مجلس الوزراء، وزير الحربية والبحرية مع احتفاظه بالقيادة العامة للقوات المسلحة.

٢ ـ سليمان حافظ: نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية.

٣ ـ عبد الجليل إبراهيم العمري: وزير المالية، والاقتصاد.

٤ ـ عبد العزيز عبد الله سالم: وزير الزراعة.

٥ ـ مراد فهمي: وزير الأشغال.

٦ ـ نور الدين طراف: وزير الصحة العمومية.

٧ ـ أحمد حسني: وزير العدل.

٨ ـ إسماعيل محمود القباني: وزير المعارف.

٩ ـ حسين أبو زيد: وزير المواصلات.

١٠ ـ أحمد محمد فراج طايع: وزير الخارجية.

١١ ـ عبد العزيز علي: وزير الشؤون البلدية والقروية.

١٢ ـ أحمد حسن الباقوري: وزير الأوقاف.

١٣ ـ محمد فؤاد جلال: وزير الشؤون الاجتماعية.

١٤ ـ محمد صبري منصور: وزير التجارة والصناعة.

١٥ ـ فريد أنطون: وزير التموين.

١٦ ـ فتحي رضوان: وزير الدولة.

وفي ٢٩ صفر ١٣٧٢هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٥٢) صدر مرسوم بتعيين فتحي رضوان وزير الدولة وزيراً للإرشاد القومي.

وفي ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٢هـ (٩ كانون الأول ١٩٥٢م) صدر مرسوم بقبول استقالة كل من:

١ ـ عبد العزيز عبد الله سالم: وزير الزراعة.

٢ ـ أحمد محمد فراج طايع: وزير الخارجية.

٣ ـ عبد العزيز علي: وزير الشؤون البلدية والقروية.

٤ ـ فريد أنطون: وزير التموين.

وتعيين كل من:

١ ـ محمد فؤاد جلال: وزير الشؤون الاجتماعية، ووزيراً للإرشاد القومي.

٢ ـ محمد صبري منصور: وزير التجارة والصناعة، ووزيراً للتموين.

٣ ـ فتحي رضوان: وزير الإرشاد القومي، ووزيراً للدولة.

٤ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.

٥ ـ عباس مصطفى عمار: وزيراً للشؤون الاجتماعية. =

ومن المفارقات في وزارة علي ماهر، أن الوزارة الأولى التي شكلها تولّت سلطات الملك الدستورية بعد وفاة الملك فؤاد، وتولي الملك فاروق عرش مصر، وها هو يُشكّل الوزارة الرابعة لتتولى سلطات الملك الدستورية بعد تنازل الملك فاروق عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد.

وفي ٢٠ ذي الحجة ١٣٧١هـ (٩ أيلول ١٩٥٢م) صدر قانون الإصلاح الزراعي حيث حدّد الملكية، وجعلها لا تزيد على ثلاثمائة فدان لمن له أولاد، ومائتين لمن ليس له أولاد.

وفي ٢٣ ربيع الأول ١٣٧٢هـ (١٠ كانون الأول ١٩٥٢م) صدر أمر بإلغاء الدستور بحجة أن الملك كان يتّخذ من الدستور مطيةً لتحقيق أغراضه وتنفيذ أهوائه.

وجرت الاتصالات مع زعماء السودان من أجل المفاوضة مع بريطانية من أجل الجلاء عن مصر، وحلّ مشكلة السودان، ولا بدّ من فصل المشكلتين بعضهما عن بعض لإمكانية نجاح المفاوضات، وقد وافق الزعماء السودانيون على هذا الإجراء وهو فصل المشكلتين بعضهما عن بعض. وعمل زعماء مصر الجدد على دمج الأحزاب السودانية الاتحادية (التي تُنادي بالاتحاد مع مصر) مع بعضها بعضاً، ونشأ منها الحزب الوطني الاتحادي[1]. وكان على الشعب السوداني أن يبحث في حق تقرير مصيره بالاتحاد مع مصر أو بالاستقلال.

بدأت المفاوضات المصرية ـ البريطانية، وتوصّل المتفاوضون إلى الاتفاق بسرعة، ووقعت بينهما المعاهدة في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ (١٢ شباط ١٩٥٣م)، وكانت هذه المعاهدة تتألف من خمس عشرة مادة، ولعلّ أهمّ ما جاء فيها:

= ٦ ـ حلمي بهجت بدوي: وزيراً للتجارة والصناعة.
٧ ـ عبد الرزاق صدقي: وزيراً للزراعة.
٨ ـ وليم سليم حنا: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.

(١) كان إسماعيل الأزهري رئيساً للحزب الجديد، ومحمد نور الدين نائباً للرئيس.

١ ـ الاحتفاظ بوحدة السودان شماليه وجنوبيه.

٢ ـ تحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات لإنهاء الإدارة الثنائية.

٣ ـ انتخاب مجلس نيابيٍ سودانيٍ بإشراف لجنةٍ.

٤ ـ تأليف لجنةٍ للسودنة.

٥ ـ وضع قانون لانتخاب جمعية تأسيسية.

وكان الرائد صلاح سالم هو المُكلَّف بشؤون السودان، فقام بتصرفاتٍ أفسدت العلاقات بين السودانيين ومصر، إذ اختلف مع إسماعيل الأزهري، فاتصل مع نائبه محمد نور الدين بعد أن أوقع بينهما، كما اتّخذ من الرشوة وسيلةٍ لكسب الزعماء إلى صفّ الاتحاد مع مصر، وقام بالتقرّب من الشيوعيين، وهذا ما كرّه السودانيين بالاتحاد، وحتى ابتعد عن الاتحاد كثير من الذين كانوا يُؤيّدونه سابقاً. وسقطت وزارة إسماعيل الأزهري التي تشكّلت على أساس العمل للاتحاد مع مصر، وتألّفت وزارة عبد الله خليل التي كانت ترى الاستقلال، وأخيراً تمّ اتفاق زعماء السودان على استقلال بلادهم على أنها دولة مستقلة خاصة بالسودان من حدود مصرٍ حتى حدود أوغندا.

وفي ٢ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٥٣م) صدر قرار بحلّ الأحزاب السياسية، واستُثني من هذا القرار الإخوان المسلمون على أنهم جمعية دينية اجتماعية.

وفي ٦ شوال من عام ١٣٧٢هـ (١٨ حزيران ١٩٥٣م) أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بإلغاء النظام الملكي، وإعلان النظام الجمهوري بمصر. وقد كانت مصر تحكم منذ ٥ ذي القعدة ١٣٧١هـ أي بعد قيام الثورة بثلاثة أيام، ومنذ تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه باسم ذلك الطفل الصغير أحمد فؤاد بن فاروق. وبعد أن عدّد القرار سلبيات الأسرة التي كانت تحكم البلاد والتي ذكر منها الخيانة، والعبودية، وعدم احترام الدستور أعلن البيان التالي مُوقّعاً من مجلس قيادة الثورة:

١ ـ نُعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكي، وحكم أسرة محمد علي، مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة.

٢ ـ إعلان الجمهورية وتولّي اللواء محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية في ظلّ الدستور الموقّت الصادر في ١٠ شباط ١٩٥٣م (٢٦ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ).

٣ ـ يستمرّ هذا النظام طوال فترة الانتقال، ويكون للشعب الكلمة الأخيرة في تحديد نوع الجمهورية، واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد.

وكان قد صدر قرار في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ بتشكيل لجنة لوضع الدستور، وقد تألفت من خمسين عضواً، وقد ضمّت عدداً من رجال الأحزاب (إذ سبق هذا قرار حلّ الأحزاب بأربعة أيام) حيث شملت أربعةً من حزب الوفد، واثنين من حزب الأحرار الدستوريين، واثنين من الهيئة السعدية، وثلاثةً من الإخوان المسلمين، وثلاثةً من الحزب الوطني، وثلاثةً من رجال القضاء، وثلاثةً من العسكريين، وعدداً من أساتذة الجامعة.

وبعد ثلاثة أيام صدر إعلان دستوري ينصّ على أن يتولّى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا، وأن يتولّى قائد الثورة اتخاذ التدابير التي يراها ضروريةً لحماية الثورة، ويكون من حقّه تعيين الوزراء. وينظر مجلس قيادة الثورة مع مجلس الوزراء في سياسة البلاد العامة، وتكون السلطة بيد المجلسين، وذلك ريثما يصدر الدستور الموقت. والذي لم يصدر إلاّ بعد ثلاثة أعوام.

وقد شملت هذه المرحلة إلى الآن أربعة رؤساء جمهوريات وهم:

١ ـ محمد نجيب.

٢ ـ جمال عبد الناصر.

٣ ـ أنور السادات.

٤ ـ حسني مبارك.

١ ـ عهد محمد نجيب

مع انتهاء النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري، استقالت وزارة محمد نجيب[١] الأولى، فشكّل وزارةً جديدةً ضمّت عدداً من العسكريين وفي الوقت نفسه قلّ فيها عدد المدنيين. وأصبح محمد نجيب رئيساً للجمهورية، ورئيساً لمجلس قيادة الثورة، ورئيساً لمجلس الوزراء.

وكان أول قرار وقّعه الرئيس محمد نجيب مرسوم ترقية الرائد عبد الحكيم عامر إلى رتبة لواء، وتعيينه قائداً عاماً للجيش والقوات المسلحة.

أما نائب رئيس الوزراء السابق سليمان الحافظ فقد عين مستشاراً قانونياً لرئيس الجمهورية.

وفي ٨ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٥٤م) صدر قراراً بحلّ جماعة الإخوان المسلمين. واتخذ بعض رجال الثورة وخاصةً جمال عبد الناصر، وجمال سالم، وصلاح سالم مضايقات لرئيس الجمهورية محمد نجيب، فكانت تُختصر كلماته في وسائل الإعلام، وتُهمل أحياناً، ويُطلب منه إبعاد بعض أعوانه دون سببٍ، ويُشتم أمام أنصاره، ويطلب منهم إبلاغه، وأمام هذه المضايقات قدّم محمد نجيب استقالته إلى مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (٢٢ شباط ١٩٥٤م)، وبعد ثلاثة أيّامٍ صدر قرار

---

(١) ولد محمد نجيب بالخرطوم في ٢ ذي القعدة ١٣١٨هـ، والتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة عام ١٣٣٥هـ، وعندما تخرج عُيّن بالخرطوم، ونقل عام ١٣٤٠ إلى القاهرة إلى الحرس الملكي.

حصل على الإجازة بالحقوق عام ١٣٤٦هـ، وحصل على رتبة عميد «أميرلاي» عام ١٣٦٧هـ، واشترك في حملة فلسطين، ونال عام ١٣٧٠هـ رتبة لواء، وعين مديراً لسلاح الحدود، ثم لسلاح المشاة.

مجلس قيادة الثورة بقبول استقالة اللواء محمد نجيب على أن يقوم جمال عبد الناصر بكافة سلطاته حتى تحقّق الثورة أهدافها بجلاء المستعمر.

وزارة جمال عبد الناصر[1]:

قامت المظاهرات المؤيّدة لرئيس الجمهورية محمد نجيب وقد قادها الإخوان المسلمون، واشترك فيها كل العناصر المناوئة للاستبداد، والمعارضة للتسلّط العسكري، وكان من بينها بعض الضباط الذين لا يرون الحكم العسكري، وانطلقت هذه المظاهرات من الجامعات، وقد شارك أكثر أعضاء هيئة التدريس الجامعي فيها. وساهمت الهيئة القضائية، ونقابة المعلمين، ونقابة الصحافة في هذه المظاهرات، وأعلنوا جميعاً ضرورة الإفراج عن المعتقلين، وعودة الحكم المدني، وانسحاب الجيش إلى الثكنات.

---

(١) شكل جمال عبد الناصر وزارته على النحو الآتي:
١ ـ المقدم أركان حرب جمال عبد الناصر حسين: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ قائد الجناح جمال سالم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وزيراً للمواصلات.
٣ ـ عبد الجليل إبراهيم العمري: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وزيراً للشؤون الاقتصادية.
٤ ـ نور الدين طراف: وزيراً للصحة.
٥ ـ أحمد حسني: وزيراً للعدل، ولشؤون رئاسة الجمهورية.
٦ ـ أحمد حسن الباقوري: وزيراً للأوقاف.
٧ ـ فتحي رضوان: وزيراً للدولة.
٨ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
٩ ـ حلمي بهجت بدوي: وزير دولة للشؤون العامة.
١٠ ـ سليم حنا: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١١ ـ عباس مصطفى عمار: وزيراً للمعارف.
١٢ ـ عبد الرزاق صدقي: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ قائد الجناح عبد اللطيف محمود البغدادي: وزيراً للحربية.
١٤ ـ الرائد أركان حرب صلاح الدين سالم: وزيراً للإرشاد القومي، ووزير دولة لشؤون السودان.
١٥ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال العامة.
١٦ ـ المقدم أركان حرب زكريا محيي الدين: وزيراً للداخلية.
١٧ ـ الرائد أركان حرب كمال الدين حسين: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٨ ـ حسن أحمد بغدادي: وزيراً للصناعة والتجارة والتموين.
١٩ ـ علي الجرتيلي: وزيراً للمالية والاقتصاد.

رأى بعض رجال مجلس الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر تصفية الإخوان المسلمين والشيوعيين وزعماء الأحزاب التي مُنعت من النشاط، ولكن المجلس لم يُؤيّد هذا الرأي، وخاصةً أن المظاهرات كانت عنيفةً إذ يخشى مغبة الأمر فيما إذا حدثت تصفيات، كما أن سلاح الفرسان قد تحرّك وطالب بعودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية، ورجوع الجيش إلى الثكنات، ودخل ضباطه في نقاشٍ حادٍ مع جمال عبد الناصر.

وزارة محمد نجيب الثانية:

اجتمع مجلس قيادة الثورة في مبنى القيادة، واتخذ قراراً بعودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية، وأن يُشكّل خالد محيي الدين وزارةً انتقاليةً لمدة ستة أشهرٍ مهمتها القيام بإجراء انتخابات جمعيةٍ تأسيسيةٍ تقوم بوضع دستورٍ للبلاد، ويعود أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى وحداتهم.

واجتمعت مجموعة أخرى من الضباط[1] بعد هذا في مبنى القيادة نفسه، واتخذت قرارات معاكسة لقرارات مجلس قيادة الثورة، ولمقاومة خطة خالد محيي الدين التي كانت ترمي إلى أخذ محمد نجيب من منزله إلى قصر عابدين بمظاهرةٍ عسكريةٍ من سلاح الفرسان، وقد اتخذت هذه المجموعة القرارات التالية:

١ ـ أن يقوم سلاح الجو بالتحليق فوق سلاح الفرسان في أول بزوغ الفجر يحول دون حركة سلاح الفرسان.

٢ ـ أن تقوم الشرطة العسكرية باعتقال الضباط الذين يتزعمون الحركة في سلاح الفرسان.

٣ ـ أن يُعتقل محمد نجيب ويُحتفظ به في سلاح المدفعية بـ (ألماظة)، ويُمنع الاتصال به.

---

(١) ضمت هذه المجموعة النقيب كمال رفعت، والرائد صلاح نصر، والرائد مجدي حسنين، والرائد محمد وحيد أباظة، والنقيب سعد زايد، والنقيب حسن تهامي، والنقيب أحمد أنور، والنقيب داود عويس وغيرهم.

وقد قام النقيبان كمال رفعت، وداود عويس باعتقال محمد نجيب، وأبلغاه إلغاء ما اتفق عليه مجلس قيادة الثورة من إعادته رئيساً للجمهورية، ومن تشكيل خالد محيي الدين للحكومة الانتقالية، كما أخبراه بأن سلاح الفرسان محاصر، وقد صدّق كل ما قيل له حيث كان سلاح الطيران يُحلّق في الجو.

واجتمع مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (٢٧ شباط ١٩٥٤م)، وأصدر قرارات جديدة بعد تراجعه عما سبق أن أصدره قبل أقلّ من ٢٤ ساعة، وقد قرر دعوة اللواء محمد نجيب للعودة إلى رئاسة الجمهورية على أساس التحولات الآتية:

١ ـ تحويل جمهورية مصر إلى جمهوريةٍ نيابيةٍ باسم «الجمهورية النيابية المصرية».

٢ ـ تشكيل جمعيةٍ تأسيسيةٍ، تُمثّل كافة هيئات الشعب المختلفة، تُؤدّي مُهمّة المجلس النيابي مُوقتاً، وتُراجع نصوص الدستور بعد أن يتمّ وضعها.

٣ ـ إجراء انتخابات بعد ذلك لإجراء الحياة النيابية في مدةٍ أقصاها المرحلة الانتقالية.

وقد قبل محمد نجيب أن يعود إلى رئاسة الجمهورية على هذا الأساس. واستمرّت المظاهرات، وأخذت الآن تُعلن فرحتها وابتهاجها بعودة الرئيس محمد نجيب.

اجتمع مجلس قيادة الثورة في مطلع شهر رجب ١٣٧٣هـ (٥ آذار ١٩٥٤م)، وقرّر أن تتشكّل اللجنة التأسيسية عن طريق الانتخاب، وأن تُلغى الأحكام العرفية، وأن تُلغى الرقابة عن الصحافة.

وفي ٣ رجب ١٣٧٣هـ (٨ آذار ١٩٥٤م) صدر أمر مجلس قيادة الثورة بتعيين: اللواء محمد نجيب رئيساً لمجلس قيادة الثورة رئيساً لمجلس الوزراء، والمقدم أركان حرب جمال عبد الناصر حسين نائباً لرئيس مجلس الوزراء، كما

صدر في اليوم نفسه أمر آخر بتأليف الوزارة برئاسة اللواء محمد نجيب[1].

أشاع الذين يُريدون التسلّط من الضباط أن نهاية الثورة معناه سوق عددٍ منهم إلى السجن فخشي عدد كبير منهم، وتمسّكوا بمواقفهم، ورغبوا في استمرارية الحكم العسكري، وكانوا أثناء هذه الأحداث قد تعرّفوا على مؤيدي محمد نجيب فعملوا على التخلّص منهم وإخراجهم من الجيش بأية وسيلةٍ من الوسائل، وعملوا على إلقاء المتفجرات في عدد من أحياء القاهرة وروّجوا أن سياسة اللين لن تُؤدّي إلا إلى خراب البلد لذلك يجب الضغط على الشعب، وإظهار قوة السلطة، وتهديد المغرضين. وصدر قرار بإعادة جماعة الإخوان المسلمين فتراجع عدد منهم عن المعارضة.

---

(١) تشكلت وزارة اللواء محمد نجيب على النحو الآتي:
١ ـ اللواء محمد نجيب: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ المقدم أركان حرب جمال عبد الناصر حسين: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.
٣ ـ قائد الجناح جمال سالم: وزيراً للمواصلات.
٤ ـ عبد الجليل إبراهيم العمري: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٥ ـ نور الدين طراف: وزيراً للصحة.
٦ ـ أحمد حسني: وزيراً للعدل، ولشؤون رئاسة الجمهورية.
٧ ـ أحمد حسن الباقوري: وزيراً للأوقاف.
٨ ـ فتحي رضوان: وزيراً للدولة.
٩ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
١٠ ـ حلمي بهجت بدوي: وزير دولة للشؤون العامة.
١١ ـ وليم سليم حنا: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١٢ ـ عباس مصطفى عمار: وزيراً للمعارف.
١٣ ـ عبد الرزاق صدقي: وزيراً للزراعة.
١٤ ـ قائد الجناح عبد اللطيف محمود البغدادي: وزيراً للحربية.
١٥ ـ الرائد أركان حرب صلاح الدين مصطفى سالم: وزيراً للإرشاد القومي، ووزير دولة لشؤون السودان.
١٦ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال.
١٧ ـ المقدم أركان حرب زكريا محيي الدين: وزيراً للداخلية.
١٨ ـ الرائد أركان حرب كمال الدين حسين: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٩ ـ حسن أحمد بغدادي: وزيراً للتجارة والصناعة والتموين.
٢٠ ـ علي الجرتيلي: وزيراً للمالية والاقتصاد.

واجتمع مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٢١ رجب ١٣٧٣هـ (٢٥ آذار ١٩٥٤م)، وتقدّم جمال عبد الناصر بعددٍ من المقترحات التي تناصر الحرية والحياة النيابية ومنها.

١ ـ يسمح بتشكيل الأحزاب ونشاطها.

٢ ـ لا يؤلف مجلس الثورة حزباً.

٣ ـ لا يحرم أحد من الحقوق السياسية.

٤ ـ تنتخب الجمعية التأسيسية انتخاباً حرّاً مُباشراً، وتكون لها سلطة السيادة وسلطة المجلس النيابي.

٥ ـ حلّ مجلس قيادة الثورة في ٢٤ تموز أي بعد مرور عامين عليها، وبذلك تكون قد انتهت.

٦ ـ تنتخب الجمعية التأسيسية مجرّد انعقادها رئيس الجمهورية.

حدث إضراب عام للمواصلات بتدبير الرائد إبراهيم الطحاوي. فوافق المجلس على ذلك. وبعدها نزل عمال مديرية التحرير إلى القاهرة، وهم يهتفون للثورة ويُنادون بسقوط محمد نجيب بتدبير من الرائد مجدي حسنين.

هاجم عمال مديرية التحرير وجنود الشرطة العسكرية بملابسهم المدنية وبإمرة الرائد حسين عرفة مجلس الدولة لأنه أيّد الحياة النيابية، وأجبروا عبد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة وباقي الأعضاء على توقيع بيانٍ بتأييد مجلس الثورة.

ونتيجة هذه الأحداث توقف نشاط المعادين لرجال الثورة.

واجتمع مجلس قيادة الثورة، وأوقف تنفيذ قرارات ٢١ رجب (٢٥ آذار).

وجرت عدّة اعتداءات على محمد نجيب وصل بعضها إلى الضرب من المقدّم أحمد أنور، فتأثر، وأصبح صورةً في الرئاسة.

وزارة جمال عبد الناصر:

قدَّم محمد نجيب استقالته، فاستلم مكانه جمال عبد الناصر، وشكّل وزارته الثانية، في ١١ شعبان ١٣٧٣هـ (١٧ نيسان ١٩٥٤م)[1]، وبدا التسلّط واضحاً والاستبداد ظاهراً، ويتركّز على الحكم في يد فردٍ، وتدور أجهزة الدولة في اتجاه شخصٍ واحدٍ هو جمال عبد الناصر، وإن كانت له حتى هذا الوقت

---

(١) شكل جمال عبد الناصر وزارته الثانية على النحو الآتي:
١ ـ المقدم أركان حرب جمال عبد الناصر حسين: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ قائد الجناح جمال سالم: وزيراً للمواصلات.
٣ ـ نور الدين طراف: وزيراً للصحة.
٤ ـ أحمد حسني: وزيراً للعدل.
٥ ـ أحمد حسن الباقوري: وزيراً للأوقاف.
٦ ـ فتحي رضوان: وزيراً للدولة.
٧ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
٨ ـ عبد الرزاق صدقي: وزيراً للزراعة.
٩ ـ قائد الجناح عبد اللطيف محمود البغدادي: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١٠ ـ الرائد أركان حرب صلاح الدين سالم: وزيراً للإرشاد القومي، وزير دولة لشؤون السودان.
١١ ـ المقدم أركان حرب زكريا محيي الدين: وزيراً للداخلية.
١٢ ـ الرائد أركان حرب كمال الدين حسين: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٣ ـ المقدم أركان حرب حسين الشافعي: وزيراً للحربية، وللدولة.
١٤ ـ قائد الجناح حسن إبراهيم: وزيراً للدولة لشؤون رئاسة الجمهورية.
١٥ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال.
١٦ ـ محمد عوض محمد: وزيراً للمعارف.
١٧ ـ حسن مرعي: وزيراً للتجارة والصناعة.
١٨ ـ جندي عبد الملك: وزيراً للتموين.
١٩ ـ عبد الحميد الشريف: وزيراً للمالية، والاقتصاد.
٢٠ ـ النقيب أركان حرب عبد الفتاح حسن: نائباً لوزير الدولة لشؤون السودان.
٢١ ـ عبد المنعم القيسوني: نائباً لوزير المالية والاقتصاد.
٢٢ ـ محمد أبو نصير: نائباً لوزير التجارة والصناعة.
وفي ٢٤ شعبان ١٣٧٢هـ (٣٠ نيسان ١٩٥٤م) صدر أمر مجلس قيادة الثورة بقبول استقالة كل من:
١ ـ محمد عوض محمد: وزير المعارف.

مظاهر في بعض الضباط الآخرين يُوجّههم ويُقوّيهم ليخدموه، وأخذت بعض الإجراءات الاستبدادية تظهر بشكل قوانين جائرة تفوح منها روائح الحقد والتشفّي، ومن هذه الإجراءات:

١ ـ أصدر مجلس قيادة الثورة في ١٤ شعبان عام ١٣٧٣هـ قراراً بحرمان كل من تولّى الوزارة من عام (١٩٣٦م) حتى قيام الثورة من الوظائف العامة لمدة خمس سنوات.

٢ ـ فصل بعض الطلاب من الجامعات أو حرمان بعضهم من الامتحانات، ويقصد بذلك الطلاب الذين قادوا المظاهرات التي خرجت تطالب بعودة محمد نجيب إلى الرئاسة.

٣ ـ فصل بعض أعضاء هيئة تدريس الجامعة أو إحالتهم على التقاعد لدعمهم المظاهرات، أو مشاركتهم فيها، أو تشجيع الطلبة عليها.

٤ ـ طرد أفراد الأسرة التي كانت تحكم مصر من البلاد نهائياً.

٥ ـ وضع قوانين جائرة للصحافة، ومصادرة بعض الصحف والمجلات.

٦ ـ حرمان بعض السياسيين القدامى من الحقوق السياسية، ومحاكمة بعضهم دون سبب.

٧ ـ التخلص من بعض المحامين من أعضاء النقابة.

وكان نتيجة ذلك أن استقال معظم الوزراء من غير العسكريين، ولم تعد هناك قدرة لمحمد نجيب على الوقوف في وجه تيار الاستبداد، وأُبعد خالد محيي الدين عن مجلس قيادة الثورة وعيّن سفيراً للبلاد دون سفارةٍ وذلك لموقفه بجانب محمد نجيب أثناء الأزمة. وتخوّف السودانيون من هذا الظلم ففضلوا الاستقلال والابتعاد عن مصر حتى أولئك الذين كانوا يُنادون في الوحدة بين الجزأين. وأُتلفت الأشرطة التي كانت مسجلةً خطب محمد نجيب كلها وكذلك الأشرطة التي فيها ثناء عليه.

وكانت حركة التحرير التي أُنشئت بعد ستة أشهر من قيام الثورة مجال حركة العسكريين والنطق باسمها، والدعوة، والظلم، وتحقيق الأهداف باسمها،

ولمصلحتها، وفي سبيل المحافظة عليها، واستمرّت هذه الحركة كحزبٍ للدولة مدة أربع سنواتٍ.

اتفاقية الجلاء:

لقد كان موضوع السودان هو نقطة الخلاف دائماً بين المفاوضين المصريين والإنكليز، فالمصريون يعدّون السودان جزءاً من مصر لا يمكن التنازل عنه، والإنكليز يُريدون الفصل بين الجزأين، ولهذا كانت تتعثّر المفاوضات بين الطرفين مدة ثلاثين سنةً كاملةً، فلما وافق رجال الثورة المصرية على الفصل سارت المفاوضات بشكلٍ سريعٍ نحو التوصل إلى الاتفاق بين وجهات النظر.

بدأت الاجتماعات لاتفاقية الجلاء عن مصر في ١٣ شعبان ١٣٧٢هـ (٢٧ نيسان ١٩٥٣م) غير أنها لم تلبث أن توقّفت بعد عشرة أيامٍ (٢٤ شعبان ١٣٧٢هـ). واستمرّت متوقّفةً أكثر من سنةٍ حيث عادت اللقاءاتُ في شهر ذي القعدة وفي ٢٧ منه (٢٧ تموز ١٩٥٤م) وتمَّ التوقيع على بنود الاتفاقية بالأحرف الأولى. ثم تَمَّ التوقيع النهائي عليها في ١٤ صفر ١٣٧٤هـ (١١ تشرين الأول ١٩٥٤م)، ومما سهّل أيضاً على التفاهم إعطاء إسرائيل الضوء الأخضر في الأمن، وأن مصر لن تعتدي على إسرائيل، ولن تحول دون استخدامها خليج العقبة للملاحة إذ كانت إسرائيل من قبل تعدّ وجود القوات الإنكليزية في قناة السويس حاجزاً بين مصر وإسرائيل فإن تمّ الجلاء زال المانع في انتقال قواتٍ مصريةٍ ضخمةٍ من أرض مصر إلى سيناء وإلى ضفاف خليج العقبة الغربية، لذا كانت تُمانع في الجلاء، وتطالب إنكلترا باستمرارها، فلما زار عبد الرحمن صادق المستشار الصحفي لجمال عبد الناصر إسرائيل سرّاً طمأن اليهود من ناحية مصر، وأن الخطر لا يمكن أن يأتي إلى إسرائيل من جهة الثورة المصرية، وصدر البلاغ المشترك بين إنكلترا ومصر بعد التوقيع النهائي على الاتفاقية وقد جاء فيه:

وقع اليوم في القاهرة رئيس وزراء جمهورية مصر وزملاؤه أعضاء الجانب المصري، والسيد «تاننغ» وزير الدولة بوزارة الخارجية البريطانية، والسفير

البريطاني، وميجور جنرال «بنسون» اتفاقاً بشأن منطقة قاعدة السويس، الغرض منه إقامة العلاقات المصرية ـ الإنكليزية على أساسٍ جديدٍ من التعاون، ولقد بذل الجانبان جهداً كبيراً للوصول إلى اتفاق واضحٍ شاملٍ يكون أداةً بناءةً لقضية السلام.

١ ـ انتهاء معاهدة (١٩٣٦م).

٢ ـ جلاء القوات البريطانية جلاءً تاماً عن الأراضي المصرية في مدةٍ أقصاها عشرون شهراً من تاريخ توقيع الاتفاقية.

٣ ـ يحقّ للقوات البريطانية العودة إلى هذه القاعدة في حالة تعرّض مصر أو إحدى الدول العربية المنضمّة إلى معاهدة الضمان الجماعي أو تركيا إلى هجومٍ مسلحٍ من الخارج، ومن أجل هذا تبقى القاعدة في حالةٍ صالحةٍ للاستعمال، ومعدَّةٍ للاستخدام فوراً، ويقوم بالإشراف عليها خبراء مدنيون بريطانيون لا يتجاوز عددهم ألف خبيرٍ.

٤ ـ إذا حدث ما يستدعي العودة للقاعدة فإن الجيوش البريطانية تجلو عنها مجرد وقف القتال الذي استدعى العودة إليها.

٥ ـ في حالة التهديد بحربٍ في المنطقة السابقة تجري اتصالات بين مصر وبريطانيا لتقرير ما يلزم.

٦ ـ مدة الاتفاقية سبع سنواتٍ، ويتشاور الطرفان في السنة الأخيرة منها لتقرير ما يلزم من تدابير. وكان رئيس الجانب المصري بالمفاوضات جمال عبد الناصر.

وبناءً على هذه الاتفاقية أخذت القوات البريطانية بالجلاء عن القناة في ٥ ذي القعدة ١٣٧٥هـ (١٣ حزيران ١٩٥٦م)، وانتهى بعد أكثر من شهر قليلاً في ١٠ ذي الحجة ١٣٧٥هـ (١٨ تموز ١٩٥٦م).

انتقد كثيرون اتفاقية الجلاء هذه إذ أبقت مصر مرتبطةً بإنكلترا، ولإنكترا قاعدة في مصر تعود إليها، واحتمال الاعتداء على تركيا أمر قائم بل كان مُتوقّعاً يومذاك في كل لحظةٍ، وكان الإخوان المسلمون أكثر من انتقد هذه

الاتفاقية، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لم يتعوّد أن يُنتقد في عملٍ يقوم به لذا فقد خطّط للإيقاع بالإخوان المسلمين.

حادثة المنشية:

أُقيم حفل تكريم لجمال عبد الناصر ورفاقه الذين وقعوا اتفاقية الجلاء، وكان مكان الحفل في حديقة المنشية بمدينة الإسكندرية في ٢٩ صفر ١٣٧٤هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٥٤م). وقد اتخذت الاحتياطات الأمنية اللازمة، وخُصّصت الأماكن كلها القريبة من جمال عبد الناصر لهيئة التحرير، ومديرية التحرير، والحرس الوطني. وأثناء الحفل أُطلقت ثمانية عياراتٍ ناريةٍ من مسدسٍ باتجاه جمال عبد الناصر، ولكنه لم يصب أحد وادُّعي أنَّ محمود عبد اللطيف الذي ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين هو الذي قام بإطلاق النار يُريد اغتيال جمال عبد الناصر بتخطيطٍ من الإخوان المسلمين، ورغم أن المسرحية واضحة إلا أنها أُخذت حقيقةً، فالإخوان المسلمون لا يمكن أن يرسلوا فرداً واحداً لمثل هذه المهمة، وعندهم الإمكانات الكافية. ولم يحدث ذعر في الحفل في المقاعد الأولى إذ كان من المفروض أن يحدث، وأن يُغادر المكان بعضهم وأن تأتي قوّة جدية من قوات الأمن، ولم يحدث هذا أبداً مما يدل على أن الأمر كان معروفاً. ولم يوجد أي أثرٍ للرصاص على الجدار الذي خلف جمال عبد الناصر فكأن الطلقات كانت محشوةً بارودًا فقط، بل إن أسرة جمال عبد الناصر لم تصب في منزلها بأي ذعرٍ وكأنها تعرف ماذا سيتمّ من تمثيلٍ. وبدأت بعدها الأخيلة تسبح في الأوهام، وكلها تُعطي دلالةً على أن الحادثة لم تخرج عن كونها مسرحيةً، ومثلاً خرجت جريدة «الأهرام» بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٣٧٤هـ لتقول: اعترف محمود عبد اللطيف بأن الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين سلّمه المسدس الذي استخدمه في ارتكاب الجريمة، وأعطاه جنيهين للإنفاق على أسرته أثناء غيابه لارتكاب الحادث بالإسكندرية، وأن الأستاذ هنداوي دوير المحامي في «أمبابة» هو الذي حرّضه وأعطاه المسدس. (وكأن جنيهين فيهما إعالة أسرة).

كما ذكرت الصحف المصرية عقب الحادثة أن نوبياً اسمه آدم خديوي عثر على المسدس الذي استعمل في الجريمة، وذهب سيراً على الأقدام من

الإسكندرية إلى القاهرة. يا سبحان الله، ألم يُؤخذ المسدس من الجاني؟ ألم يُسأل عنه؟ لماذا السير على الأقدام؟ ألا يخشى أن يسأله أحد؟ أمور مضحكة، ورغم ذلك جعلوها حقيقةً، وأكثروا من الحديث فيها. وشُكّلت محكمة الشعب برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات، وحسين الشافعي، وكانت على مستوى تلك المسرحية وصدر حكم الإعدام بحقّ ستةٍ من كبار الإخوان المسلمين: حسن الهضيبي المرشد العام، ومحمد الفرغلي، وعبد القادر عودة، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وهنداوي دوير، ثم محمود عبد اللطيف، ثم خُفّفت الحكم عن المرشد العام لكبر سنه، ومرضه ونُفّذ بالآخرين. ثم زجّ بالآلاف في السجون، ومارس المسؤولون أبشع أنواع العذاب وأقساه وأحقره، ولم تنج النساء من ذلك.

ودارت الشائعات حول محمد نجيب، وتقرّر تقديمه إلى المحكمة، ثم اقتصر جمال عبد الناصر على عزله من منصبه، وتحديد إقامته، وحرمانه من الحقوق السياسية، وبقي تحت الإقامة الجبرية حتى توفّي.

أما جمال عبد الناصر فسخّر بعدئذٍ وسائل الإعلام كلها لتمجيده، والثناء عليه، ورفعه فوق مستوى الشعب، حتى فُرض على المدارس أن تفتتح نهارها بأناشيد المدح له، وتُنهي يومها بمثل ذلك، ولم يعد في الساحة ناقد بعد القضاء على الإخوان المسلمين. وبعد أن أمّن الوضع الداخلي اتّجه نحو خارج مصر ليبني مجده أمام شعبه، وليُحقّق أماني النفس بالعظمة التي يبغيها، وكذلك كانت الدول التي وضعته في ذلك الموضع تُريد ذلك ليرتفع شأنه وتُنفّذ من ورائه مخططاتها.

مؤتمر باندونغ:

عُقد في مدينة «باندونغ» في أندونيسيا مؤتمر حضرته تسع وعشرون دولة مما جعل له تلك الأهمية، وكانت الجلسات من ٢٦ شعبان ـ ٢ رمضان ١٣٧٤هـ (١٨ ـ ٢٣ نيسان ١٩٥٥م)، وقد زار جمال عبد الناصر باكستان في طريقه إلى المؤتمر، واستقبل كرئيسٍ لدولةٍ إسلاميةٍ استقبالاً ضخماً، وزار الهند وبالغت الهند في الترحيب به لتكسبه إلى جانبها ضدّ باكستان حيث الخلاف

بينهما كبيراً، ولما وصلت أخبار استقباله في باكستان والهند أعدّت أندونيسيا له استقبالاً مماثلاً، وفي كل هذه الجولة ووسائل الإعلام المرافقة تشيد وتُمجِّد، وتبعث بالمعلومات المبالغ فيها إلى وكالات الأنباء العالمية، ووسائل الإعلام المصرية فتقوم بدورٍ كبير وتُتمم أعمال الوسائل المرافقة، حتى عظم الرجل في أعين الجيل الناشئ من غير حقٍّ.

وفي أندونيسيا في مؤتمر باندونغ أعلن أنه سيتوجه إلى طلب السلاح من الشرق، ويكسر احتكار الغرب للسلاح، وفعلاً طلب السلاح من روسيا، وأرسلت له صفقة تشيكية أول الأمر وتلتها أخرى روسية.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تُريد الحصول على بعض الأسرار والمعلومات الروسية، وتبغي مفتاحاً لها لتنفيذ هذا الغرض فاتّخذت من جمال عبد الناصر هذا المفتاح، ورسمت له الطريق فسار فيه، وكانت تُوجّه له النقد للتعمية، ويقوم هو بالهجوم عليها للغرض نفسه. وتُظهر الابتعاد عنه ومحاولة إرباكه، ويُبدي النأي عنها والتعالي عليها ليرتبط به الشعب، وتستطيع تنفيذ ما تُريد.

السدّ العالي:

سحبت الولايات المتحدة الأمريكية تمويلها للسدّ العالي، وحالت دون إمداد البنك الدولي له بالقروض، فاتّجه الرئيس المصري نحو روسيا فأعطته الخبراء وتعهّدت ببناء السدّ العالي، وكان مجالاً آخر للدعاية والفخر، واستمر يتحرّك نحو اليمين ويُهاجمه ويُنادي بالتوجّه نحو الشمال ويُثني عليه.

المؤتمر الإسلامي:

عُقد في القدس المؤتمر الإسلامي، وكان يضمّ عدداً من زعماء الإخوان المسلمين، ويتسلّم سعيد رمضان أمانة سرّه فأغاظ ذلك جمال عبد الناصر، فعمل على إنشاء المؤتمر الإسلامي الدولي الذي شمل عدداً من الدول الإسلامية، وأوكل أمانته العامة إلى أنور السادات، وكان هذا العمل مجالاً آخر للدعاية رغم أنه لم يُقدّم شيئاً مع الإمكانات الضخمة التي وُضعت تحت تصرّفه من بعض الدول الغنيّة. ثمّ حلّ المؤتمر الإسلامي الدولي بعد أقلّ من عشر سنواتٍ، وحل محلّه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

الرئاسة:

انتهت المرحلة الانتقالية التي حدّدها مجلس قيادة الثورة، فقرَّر جمال عبد الناصر التفرّد بالسلطة، والانتهاء من رجال الثورة إذ يُريد أن يضعهم تحت يديه يتصرّف بهم، ويتنقّل بهم حيث يشاء كأحجار الشطرنج، وأعلن أنه يريد أن يسير بالبلاد نحو الحياة الدستورية، فيكون هناك رئيس للجمهورية، ومجلس تشريعي.

كان الدستور المؤقّت قد صدر في ٣ جمادى الآخرة ١٣٧٥هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٥٦م)، فأعلن عن الترشيح لرئاسة الجمهورية، ورشحّ نفسه وبشكلٍ طبيعي لم يترشّح آخر، حيث لا يجرؤ ثانٍ على ترشيح نفسه إلا إن كان يريد الانتحار، وبالنهاية يبقى جمال عبد النّاصر وحده في الميدان، وجرى الاستفتاء على هذا الترشيح، والاستفتاء لعبة من ألاعيب الخداع لكسب الصفة الشرعية، وحصل على الأصوات كلها إلا ما استثني لإظهار الحرية وكانت نسبة ما حصل عليه ٩٩,٩٩٩٪، وبذا أصبح رئيساً للجمهورية، وانتهت مُهمَّة مجلس قيادة الثورة، وانتهى دوره، وحلّ تلقائياً منذ تمّ الاستفتاء في ١٧ ذي القعدة ١٣٧٥هـ (٢٥ حزيران ١٩٥٦م).

وبعد مرور ثلاث سنواتٍ ميلاديةٍ تماماً على قيام الثورة عدَّت المرحلة الانتقالية قد انتهت وجرى الاستفتاء على الدستور الموقّت، في ١٥ ذي الحجة ١٣٧٥هـ (٢٣ تموز ١٩٥٦م)، وتمّت الموافقة عليه وبذا أصبح لمصر رئيس جمهوريةٍ، ولها دستور قد وافق عليه الشعب.

تعاقبت في هذه المرحلة ست وزارات وهي:

١ ـ وزارة علي ماهر: ٣ ذي القعدة ١٣٧١ ـ ١٨ ذي الحجة ١٣٧١هـ. (٢٤ تموز ١٩٥٢ ـ ٧ أيلول ١٩٥٢م).

٢ ـ وزارة محمد نجيب الأولى: ١٨ ذي الحجة ١٣٧١ ـ ٦ شوال ١٣٧٢هـ. (٧ أيلول ١٩٥٢ ـ ١٨ حزيران ١٩٥٣م).

٣ ـ وزارة محمد نجيب الثانية: ٦ شوال ١٣٧٢ ـ ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ. (١٨ حزيران ١٩٥٣ ـ ٢٢ شباط ١٩٥٤م).

٤ ـ وزارة جمال عبد الناصر الأولى: ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٣ ـ ٤ رجب ١٣٧٣هـ. (٢٢ شباط ١٩٥٤ ـ ٨ آذار ١٩٥٤م).

٥ ـ وزارة محمد نجيب الثالثة: ٤ رجب ١٣٧٣ ـ ١٤ شعبان ١٣٧٣هـ. (٨ آذار ١٩٥٤ ـ ١٧ نيسان ١٩٥٤م)،

٦ ـ وزارة جمال عبد الناصر الثانية: ١٤ شعبان ١٣٧٣ ـ ١٧ ذي القعدة ١٣٧٥هـ. (١٧ نيسان ١٩٥٤ ـ ٢٥ حزيران ١٩٥٦م).

٢ ـ عهد جمال عبد الناصر

تسلّم جمال عبد الناصر مهمة رئاسة الجمهورية بعد انقضاء ثلاث سنواتٍ على قيام الثورة، أو بعد انتهاء المرحلة الانتقالية، ومارس صلاحياته من ذلك اليوم، وإن كان يُمارسها حقيقةً ومن غير منازعٍ منذ استقالة محمد نجيب وقبول ذلك، ثم العودة عن القبول ورجوعه إلى الرئاسة في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (٢٧ شباط ١٩٥٤م).

تأميم قناة السويس:

كان أول عمل قام به جمال عبد الناصر بعد تسلّمه منصب رئاسة الجمهورية رسمياً إضافة إلى رئاسة الوزراء[١] تأميم قناة السويس في ١٨ ذي

---

(١) أصدر جمال عبد الناصر أمراً بتشكيل الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ عبد اللطيف البغدادي: وزيراً للشؤون البلدة والقروية، ووزير دولة للتخطيط.
٢ ـ زكريا عبد المجيد محيي الدين: وزيراً للداخلية.
٣ ـ حسين محمود الشافعي: وزيراً للشؤون الاجتماعية، والعمل.
٤ ـ عبد الحكيم عامر: وزيراً للحربية مع احتفاظه بالقيادة العامة.
٥ ـ كمال الدين حسين: وزيراً للتربية والتعليم.
٦ ـ نور الدين طراف: وزيراً للصحة.
٧ ـ أحمد حسني: وزيراً للعدل.
٨ ـ أحمد حسن الباقوري: وزيراً للأوقاف.
٩ ـ فتحي رضوان: وزيراً للإرشاد القومي.
١٠ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
١١ ـ عبد الرزاق صدقي: وزيراً للزراعة.
١٢ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال.
١٣ ـ عبد المنعم القيسوني: وزيراً للمالية والاقتصاد.
١٤ ـ محمد أبو نصير: وزيراً للتجارة. =

الحجة ١٣٧٥هـ (٢٦ تموز ١٩٥٦م). أعلن ذلك من الإسكندرية دون دراسةٍ، ومن غير نظرٍ إلى ما سيُؤدّي إليه هذا التصرّف، ومن غير استشارة أحدٍ من مستشاريه، أو من المقربين إليه بل من المسؤولين عن الجيش والقوات المسلحة لبحث إمكانية التصدّي للاحتمالات المُرتقبة، أعلن ذلك ردّ فعلٍ لتصريحٍ أدلى به وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية «جون فوستر دلاس» وقال فيه: إن الاقتصاد المصري منهار.

ترك المرشدون الأجانب عملهم في القناة، وعددهم ١٦٥ مرشداً، وبقي منهم سبعة فقط من اليونان إضافةً إلى أربعين آخرين من مصر، ولكن لم يلبث أن حلّ محلّهم خبراء من الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، ويوغسلافيا، والهند وسار الأمر بشكل طبيعي ومُنظّم.

وضعت مصر يدها على أموال الشركة في البنك العثماني، وقيمتها خمسة ملايين جنيه.

كان ردّ فعل إنكلترا أن جمّدت الحساب الجاري لمصر بالعملة الإسترلينية، وقيمته مائة واثنا عشر مليوناً من الجنيهات، وفرضت الحماية على أموال الشركة في لندن.

وجمّدت فرنسا أرصدة مصر في البنوك الفرنسية.

وجمّدت الولايات المتحدة كذلك أرصدة مصر في البنوك الأمريكية وتُقدّر بستين مليون جنيه.

رفضت فرنسا وإنكلترا دفع رسوم على سفنها التي تمر في القناة، وكانت من قبل تدفع الرسوم للشركة القديمة في لندن وباريس.

= ١٥ ـ كمال رمزي استينو: وزيراً للتموين.
١٦ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة.
١٧ ـ مصطفى خليل كامل مصطفى: وزيراً للمواصلات.
١٨ ـ سيد مرعي: وزير دولة للإصلاح الزراعي.
١٩ ـ عبد الفتاح حسن: نائباً لوزير الخارجية.

قررت الولايات المتحدة، وإنكلترا، وفرنسا عقد مؤتمرٍ للدول البحرية وعددها ثمان وهي المُوقّعة على معاهدة إستانبول، إضافةً إلى ست عشرة دولةً منتفعةً بالقناة، وعُقد المؤتمر في لندن بتاريخ ١٠ محرم ١٣٧٦هـ (١٦ آب ١٩٥٦م)، وقرّر المؤتمر إنشاء هيئةٍ دوليةٍ لإدارة القناة مع مصر تعرف باسم «هيئة المنتفعين» مع الاعتراف بحقّ السيادة المصرية على القناة، وضمان دخلٍ عادلٍ لمصر منها، وأرسل لجنةً إلى مصر برئاسة «روبرت منزيس» رئيس وزراء أستراليا لإبلاغها القرار غير أن مصر قد رفضت هذا القرار.

بدّلت الولايات المتحدة الأميركية موقفها المُتعنّت أو الذي كان يظهر عليه التعنّت، وأبدت التساهل مع مصر، وأعلن وزير خارجيتها (جون فوستر دالاس) أن قناة السويس لا تمثّل مركزاً رئيسياً من اهتمام الولايات المتحدة.

عرضت إنكلترا وفرنسا الأمر على مجلس الأمن في ١ ربيع الأول ١٣٧٦هـ (٥ تشرين الأول ١٩٥٦م) وبعد المناقشة أصدر مجلس الأمن القرار الآتي:

١ ـ تكون الملاحة حرةً في قناة السويس ومفتوحةً للجميع دون تمييزٍ.

٢ ـ أن تحترم سيادة مصر عليها.

٣ ـ أن تكون إدارة القناة منفصلةً عن سياسات كل الدول.

٤ ـ أن تحدّد رسوم القناة بالاتّفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة.

٥ ـ أن تُخصّص نسبة عادلة للتحسينات والتطوير.

٦ ـ يسوّى الأمر في حالة النزاع بالتحكيم.

(يلاحظ في البند الأول أن عدم التمييز إنما يقصد به إسرائيل).

وقد وافقت مصر على هذا القرار الذي عُرف بالمبادئ الستة، ولكن إنكلترا وفرنسا قد أصرّتا على قرار هيئة المنتفعين، وأخذتا بالاستعداد لعمل شيءٍ حاسمٍ في الموضوع، وكانت الأمور تُشير إلى ذلك، فوصلت معلومات من الملحقِ العسكري المصري ثروت عكاشة في فرنسا تُنبئ بذلك، ونقلَ الأمريكيون معلوماتٍ عن ذلك إلى السفير المصري في واشنطن، غير أن جمال

عبد الناصر لم يقنع بهذا كله، واستبعد ذلك، أو هو يعلم ذلك، ولكنه لا يريد أن يظهر هذه المعرفة، أو يحسب للأمر حساباً لذا بدا أنه غير مصدّق، وأن الخبر عارٍ عن الصحة. لذا لم يتخذ أية احتياطات، وأفهمت إنكلترا وفرنسا دولة إسرائيل في أن التأميم إنما يُقصد منه حصارها ومنع السفن القادمة إلى إسرائيل أو المنطلقة منها من المرور في القناة لذا عليها القيام بعملٍ ضدّ هذا الإجراء وإلاّ يعقبه آخر. ووصلت الأخبار بالحشود الإنكليزية والفرنسية في قبرص إلى زكريا العادل الملحق العسكري المصري في تركيا عن طريق الأتراك، وأبلغ بذلك الحكم المصري، ولكن جمال عبد الناصر لم يُبد أي اهتمامٍ.

وتقوم إسرائيل بالهجوم على سيناء يوم الاثنين مساءً تاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٧٦هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦م)، وأنزلت المظليين عند ممر (متلا)، فصدرت الأوامر إلى رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية صدقي محمود لضرب القوات الإسرائيلية فأجاب بعدم الاستعداد لعدم توفّر الوقود اللازم للطائرات لديه.

أرسلت إنكلترا وفرنسا إنذاراً إلى كلٍّ من مصر وإسرائيل بسحب قواتهما بعيداً عن قناة السويس مسافةً لا تقلّ عن عشرة أميالٍ. وأن قوات إنكلترا وفرنسا ستحتلّ النقاط الرئيسية في كلٍ من بور سعيد، والإسماعيلية، والسويس لضمان الملاحة بالقناة لجميع سفن العالم، وكان هذا الإنذار يوم الثلاثاء ٢٦ ربيع الأول، وذكرتا أن الإنذار إن لم يُنفّذ خلال ١٢ ساعة فإنهما ستضطران للتدخّل العسكري.

صدرت الأوامر إلى القوات المصرية في سيناء بالانسحاب وذلك مساء يوم الأربعاء، وبدأت الغارات على القاهرة، واستمرّ ذلك يوم الخميس والجمعة، ودُمّرت الطائرات المصرية بضربةٍ واحدةٍ. وبدأ التعب على الجنود في القتال، وعلى المسؤولين في أماكنهم ويزداد ذلك ساعةً بعد ساعةٍ يوم السبت والأحد. وسافر جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي يوم الأحد إلى بور سعيد، وزادت الغارات عليها، فتقرّر الانسحاب من بورسعيد يوم الاثنين.

وتدخّل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية «إيزنهاور» يوم الاثنين فأمر بوقف إطلاق النار فوراً، وأعلن يوم الثلاثاء أمين سر عام الأمم المتحدة «داغ همرشولد» موافقة إنكلترا وفرنسا على وقف إطلاق النار في منتصف الليل حسب توقيت لندن. وبعد توقّف إطلاق النار بعث «خروتشوف» و «بلغانين» الإنذار الروسي بوقف إطلاق النار.

انسحبت إنكلترا وفرنسا يوم ٢١ جمادى الأولى ١٣٧٦هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٥٦م)، وبعد ثلاثة أشهرٍ انسحبت إسرائيل، ولكن بقيت قوة دولية في «شرم الشيخ» كي تتمكّن إسرائيل من الملاحة في خليج العقبة، والانطلاق منه إلى البحر الأحمر فشرقي إفريقية، وجنوبي آسيا وشرقيها.

ورغم كل ما أصاب مصر فقد سمّى جمال عبد الناصر يوم انسحاب إنكلترا، وفرنسا ٢١ جمادى الأولى عيد نصرٍ، وبدأت الأناشيد والأغاني تُشيد بهذا النصر حتى كاد الناس يُكذّبون أنفسهم، ولكن الأطفال الناشئين قد رُبّوا على هذا، واقتنعوا أنه كان نصراً على إنكلترا وفرنسا.

الاتحاد القومي:

أسّس جمال عبد الناصر الاتحاد القومي كتجمعٍ سياسيٍ يحكم عن طريقه البلد، وقد بعث علي صبري إلى البرتغال لدراسة الاتحاد القومي هناك الذي نظّمه «سالازار» طاغية البرتغال. وقد نصّ دستور عام ١٩٥٦م على هذا التنظيم، وذكر على أن هذا التجمّع سياسي يعمل على تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها ثورة عام ١٩٥٢م.

ولم يكن هذا التنظيم حزباً سياسياً، كما جرت العادة وإنما كان تنظيماً حكومياً، حيث تتحمّل خزينة الدولة كامل نفقاته. وقد أعلن عن قيام هذا التنظيم في ٢٩ شوال ١٣٧٦هـ (٢٨ أيار ١٩٥٧م)، وتولّى أنور السادات منصب الأمين العام له، ثم رأى جمال عبد الناصر غير ذلك، فأصدر مرسوماً بتعيين كمال الدين حسين مُشرفاً عاماً عليه، يُمارس أعمال الأمين العام، وكان شعار هذا التجمع السياسي الحكومي «اشتراكيتنا اشتراكية تمليكٍ وليست اشتراكية مُصادرةٍ»، وهذا يعني أن التنظيم كان اشتراكياً، من نوعٍ جديد، أو عنوان اشتراكي يُمارس

تحت ظله مختلف أنواع الاستبداد. ولم يطل عمر الاتحاد القومي إذ حُلّ مع قيام الوحدة بين مصر وسوريا، أي انتهى قبل أن يستدير العام على قيامه.

الانتخابات:

كان من المقرر أن تجري الانتخابات في البلاد بعد صدور الدستور الذي تحدّث عنها: غير أنها تأجّلت بسبب أحداث القناة، وما أن انتهت الأحداث، وجلت القوات المعتدية الإنكليزية والفرنسية حتى بدأ الاستعداد للانتخابات وذلك منذ يوم ٢١ جمادى الأولى ١٣٧٦هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٥٦م). وكان هناك اعتراض على حقّ الترشيح فيما إذا أراد أحد الرجال غير المرغوب فيهم أن يُرشّح نفسه، وكان الاتحاد القومي هو الذي يقوم بالترشيح لأعضاء مجلس الأمة، وقد أُغلقت بعض الدوائر الانتخابيّة وحصرت ببعض الضباط الأحرار كي يُؤمّن نجاحهم.

انعقد مجلس الأمة بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٧٦هـ (٢٢ تموز ١٩٥٧م)، ولم يطل عمره أيضاً إذ حلّ مع قيام الوحدة كذلك، وقد كلّم جمال عبد الناصر أنور السادات ليتسلّم رئاسة هذا المجلس وذلك قبل انعقاده بثلاثة أيام، ثم عاد فعدل رأيه قبل الانعقاد بيومٍ واحدٍ فكلّف عبد اللطيف البغدادي برئاسة المجلس.

الوحدة بين مصر وسوريا:

قام وفد نيابي من سوريا بزيارة مصر، ودعا إلى الوحدة بين الدولتين العربيتين، وردّ وفد مصري الزيارة ورُحّب به، وكذلك قام وفد عسكري، وكان جمال عبد الناصر يُريد أن يقوم اتحاد بين الدولتين، ولا يرى الدمج، غير أن الوضع في سوريا كان قلقاً جداً، وكان الشعب يرى الوحدة رغبةً فيها، وحباً في التخلّص مما هم فيه من التسلّط العسكري، وتحكّم الغوغائيين من البعثيين والشيوعيين حتى صار الناس يخشون تصرّفاتهم فيضطرون للسكوت عنهم بل ومُسايرتهم. وكذلك فإن رئيس الأركان السوري عفيف البزري ذا الميول الشيوعية كان يُدرك رغبة جمال عبد الناصر في الاتحاد وليس في الوحدة فأراد أن يُحرجه فيرفض الوحدة، ويبقى بعيداً عن سوريا التي تبقى في قبضة عفيف

البزري والبعثيين، ثم تقع في النهاية في أنياب الشيوعية العالمية. لذا فقد عرض عفيف البزري الوحدة فما كان من جمال عبد الناصر إلا أن قبلها وقد أدرك أيضاً نوايا رئيس الأركان السوري.

تمّ الاتفاق على الوحدة في ١٢ رجب ١٣٧٧هـ (أول شباط ١٩٥٨م) وجرى الاستفتاء عليها، وعلى الرئيس جمال عبد الناصر في ٣ شعبان ١٣٧٧هـ (٢٢ شباط ١٩٥٨م).

عيّن جمال عبد الناصر أربعة نواب لرئيس الجمهورية اثنين من مصر وآخرين من سوريا[١]. أما الوزارة فكانت هناك وزارة مركزية[٢] في القاهرة التي

---

(١) عُين عبد الحكيم عامر، وعبد اللطيف البغدادي نائبين لرئيس الجمهورية وهما من مصر. أما من سوريا فقد عُين أكرم الحوراني الذي كان رئيس مجلس النواب، وصبري العسلي الذي كان رئيس الوزارة، أما شكري القوتلي الذي كان رئيساً للجمهورية السورية فقد أطلق عليه اسم «المواطن العربي الأول» ولم يقم بأي عملٍ سواء أكان رسمياً أم غير رسمي.

(٢) وكانت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ عبد اللطيف محمود البغدادي: نائب رئيس الجمهورية.
٢ ـ محمد عبد الحكيم علي عامر: نائب رئيس الجمهورية، ووزيراً للحربية.
٣ ـ أكرم الحوراني: نائب رئيس الجمهورية.
٤ ـ صبري العسلي: نائب رئيس الجمهورية.
٥ ـ زكريا محيي الدين: وزيراً للداخلية.
٦ ـ حسين الشافعي: وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل، ووزير التخطيط بالإقليم المصري.
٧ ـ حسن جبارة: وزير التخطيط بالإقليم السوري.
٨ ـ كمال الدين حسين: وزير التربية والتعليم.
٩ ـ نور الدين طراف: وزير الصحة بالإقليم المصري.
١٠ ـ أحمد حسني: وزير العدل بالإقليم المصري.
١١ ـ عبد الوهاب حومد: وزير العدل بالإقليم السوري.
١٢ ـ أحمد حسن الباقوري: وزير الأوقاف.
١٣ ـ فتحي رضوان: وزير الإرشاد القومي.
١٤ ـ محمود فوزي: وزيرالخارجية.
١٥ ـ صلاح الدين البيطار: وزير دولة.
١٦ ـ نور الدين كحالة: وزير الأشغال بالإقليم السوري. =

أصبحت عاصمة الجمهورية العربية المتحدة، وهو الاسم الذي اختير لدولة الوحدة، ومجلس تنفيذي في القاهرة لإدارة شؤون مصر، وآخر في دمشق لإدارة شؤون سوريا. وقد أُطلق على شطري الوحدة اسم الإقليم المصري أو الإقليم الجنوبي، والإقليم السوري أو الإقليم الشمالي.

ولم يلبث جمال عبد الناصر أن عدّل الوزارة في ٢٤ ربيع الأول ١٣٧٨هـ (٧ تشرين الأول ١٩٥٨م)، وقد ضمّت الوزارة المركزية[١] الجديدة تسعة عشر

= ١٧ ـ عبد المنعم القيسوني: وزير الاقتصاد والتجارة بالإقليم المصري.
١٨ ـ خليل الكلاس: وزير الاقتصاد والتجارة بالإقليم السوري.
١٩ ـ فاخر كيالي: وزير الخزانة بالإقليم السوري.
٢٠ ـ كمال رمزي أستينو: وزير التموين بالإقليم المصري.
٢١ ـ عزيز صدقي: وزير الصناعة.
٢٢ ـ مصطفى خليل كامل مصطفى: وزير المواصلات بالإقليم المصري.
٢٣ ـ سيد مرعي: وزير الزراعة، ووزير دولة للإصلاح الزراعي بالإقليم المصري.
٢٤ ـ علي صبري: وزير شؤون رئاسة الجمهورية.
٢٥ ـ حسن عباس زكي: وزير خزانة بالإقليم المصري.
٢٦ ـ عبد الحميد السراج: وزير داخلية بالإقليم السوري.
٢٧ ـ مصطفى حمدون: وزير الشؤون الاجتماعية والعمل بالإقليم السوري.
٢٨ ـ أحمد عبد الكريم: وزير الشؤون البلدية والقروية بالإقليم السوري.
٢٩ ـ أحمد الحاج يونس: وزير الزراعة بالإقليم السوري.
٣٠ ـ أمين النفوري: وزير المواصلات بالإقليم السوري.
٣١ ـ شوكت القنواتي: وزير الصحة بالإقليم السوري.
٣٢ ـ فتحي رزق أحمد: نائب وزير الحربية.
٣٣ ـ كمال الدين محمود رفعت: نائب وزير شؤون رئاسة الجمهورية.

(١) تؤلف الوزارة المركزية للجمهورية العربية المتحدة من السادة:
١ ـ عبد اللطيف محمود البغدادي: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للتخطيط.
٢ ـ عبد الحكيم علي عامر: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للحربية مع احتفاظ بالقيادة العامة للقوات المسلحة.
٣ ـ أكرم الحوراني: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للعدل.
٤ ـ زكريا عبد المجيد محيي الدين: وزيراً للداخلية.
٥ ـ حسين محمود الشافعي: وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل.
٦ ـ حسن جبارة: وزيراً للخزانة.
٧ ـ أحمد حسن الباقوري: وزيراً للأوقاف. =

وزيراً بينهم تسعة ضباط. أما المجلس التنفيذي في القاهرة فقد شمل خمسة عشر وزيراً بينهم خمسة ضباط[1]، وكان المجلس التنفيذي في دمشق يضم أربعة عشر وزيراً بينهم أربعة ضباطٍ[2]، وبذا فإن الحكومة كانت أقرب إلى العسكرية.

= ٨ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
٩ ـ صلاح الدين البيطار: وزيراً للثقافة والإرشاد القومي.
١٠ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال.
١١ ـ عبد المنعم القيسوني: وزيراً للاقتصاد.
١٢ ـ فاخر كيالي: وزيراً للدولة.
١٣ ـ كمال رمزي أستينو: وزيراً للتموين.
١٤ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة.
١٥ ـ علي صبري: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
١٦ ـ أحمد عبد الكريم: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١٧ ـ أمين نفوري: وزيراً للمواصلات.
١٨ ـ كمال الدين محمود رفعت: وزيراً للدولة.
١٩ ـ بشير العظمة: وزيراً للصحة.
ثم صدر مرسوم بتعيين نائبين لوزير الخارجية وهما:
١ ـ حسين ذو الفقار صبري.
٢ ـ فريد زين الدين.

(١) أما المجلس التنفيذي للإقليم المصري فقد صدر مرسوم بتعيينه على النحو الآتي:
١ ـ نور الدين طراف: رئيساً.
٢ ـ أحمد حسني: وزيراً للعدل.
٣ ـ محمد أبو نصير: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
٤ ـ مصطفى خليل كامل مصطفى: وزيراً للمواصلات.
٥ ـ حسن عباس زكي: وزيراً للاقتصاد.
٦ ـ فتحي رزق أحمد: وزيراً للصناعة.
٧ ـ ثروت عكاشة: وزيراً للثقافة.
٨ ـ عباس رضوان: وزيراً للداخلية.
٩ ـ محمد محمود نصار: وزيراً للصحة.
١٠ ـ موسى عرفة: وزيراً للأشغال.
١١ ـ أحمد نجيب هاشم: وزيراً للتربية والتعليم.
١٢ ـ أحمد محمد المحروقي: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ حسن أحمد بغدادي: وزيراً للإصلاح الزراعي.
١٤ ـ حسن صلاح الدين: وزيراً للخزانة.
١٥ ـ محمد توفيق عبد الفتاح: وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل.

(٢) كما تم تعيين المجلس التنفيذي في الإقليم السوري على النحو الآتي: =

كما صدر مرسوم: يعتبر كل من رئيس المجلس التنفيذي للإقليم المصري، ورئيس المجلس التنفيذي في الإقليم السوري وزيراً للدولة في

= ١ - نور الدين كحالة: رئيساً، ووزيراً للأشغال والتخطيط.
٢ - عبد الوهاب حومد: وزيراً للخزانة.
٣ - خليل كلاس: وزيراً للاقتصاد.
٤ - عبد الحميد السراج: وزيراً للداخلية.
٥ - مصطفى حمدون: وزيراً للإصلاح الزراعي.
٦ - أحمد الحاج يونس: وزيراً للزراعة.
٧ - شوكت القنواتي: وزيراً للصحة.
٨ - نهاد القاسم: وزيراً للعدل.
٩ - عبد الغني قنوت: وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل.
١٠ - وجيه السمان: وزيراً للصناعة.
١١ - محمد العالم: وزيراً للمواصلات.
١٢ - أمجد الطرابلسي: وزيراً للتربية والتعليم.
١٣ - طعمة العودة الله: وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
١٤ - رياض المالكي: وزيراً للثقافة.

وتقدّم الوزراء البعثيون باستقالاتهم فقبلت وجرى تعديل وزاري محلي فعيّن في ٢١ رمضان ١٣٧٩هـ (١٨ آذار ١٩٦٠م).

١ - حسني الصواف: وزيراً للاقتصاد. مكان خليل الكلاس المستقيل.
٢ - أكرم الديري: وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل. مكان عبد الغني قنوت الذي نقل إلى الوزارة المركزية.
٣ - أحمد الحنيدي: وزيراً للإصلاح الزراعي. مكان مصطفى حمدون المستقيل.
٤ - ثابت ثابت العريس: وزيراً للثقافة والإرشاد القومي. مكان رياض المالكي المستقيل.

ثم عُيّن:

١ - جادو عز الدين: وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهورية منصب جديد.
٢ - يوسف مزاحم: وزيراً للأوقاف. منصب جديد.
٣ - جمال الصوفي: وزيراً للتموين. منصب جديد.
٤ - عبد الحميد السراج: رئيساً للمجلس التنفيذي، ووزيراً للداخلية (في ٢٩ ربيع أول ١٣٨٠ والموافق ٢٠ أيلول ١٩٦٠م).

وفي ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٠هـ (٢٠ أيلول ١٩٦٠م) أصبح كمال الدين حسين رئيساً للمكتب التنفيذي في مصر حتى الانفصال.

الوزارة المركزية للجمهورية العربية المتحدة وعُيّن عبد الحكيم عامر حاكماً لسوريا في ربيع الثاني ١٣٧٩هـ (تشرين الأول ١٩٥٩م)، وفي العام التالي استقال وزراء حزب البعث ونائب رئيس الجمهورية البعثي أكرم الحوراني، وذلك لأنهم أقدموا على الوحدة وهم يظنّون أنهم سيحكمون مصر وسوريا ما داموا مُنظّمين، بل وسيُؤثّرون على جمال عبد الناصر، غير أنهم وجدوا غير ما توقّعوا، فقد أصبحت سوريا تعجّ بالمخابرات رغم كثرتها في السابق لكنها كانت لمصلحتهم في الماضي فأصبحت عليهم الآن، لذا لم يستطيعوا الصبر، وقد اعتادوا أن يُسايرهم الحكم اتقاء شرّهم، ويتودّد إليهم الناس خشية تسليط وسائل الإعلام ضدهم. أما بقية الأحزاب فقد كان لهم دور أيضاً. فالإخوان المسلمون بينهم وبين جمال عبد الناصر عداوة، وقد حلّوا تنظيمهم في سبيل مصلحة الأمة بالوحدة، ومُسايرةً لبقية الأحزاب ولرغبة الشعب، أما وقد رأوا الاستبداد فمن واجبهم مُقاومته، لذا عادوا إلى تنظيم أنفسهم سرّاً برئاسة عصام العطار. وكان الشيوعيون من البداية ضدّ الوحدة وقد غادر رئيسهم خالد بكداش البلاد عندما تقرّر إقامة الوحدة. وأما بقية الأحزاب، وهي حزب الشعب، والحزب الوطني فهما تجمّعاتٍ مصلحيةٍ، فكان لكل فردٍ رأيه وهواه حسب ما يُحقّق من مصالح في ظل الوحدة فكان بعضهم معها وبعضهم ضدها. وأما العامة فهم يُؤيّدون الوحدة عاطفةً.

حدث استياء عام في أوساط الطبقة المتعلمة في سوريا وفي الجيش. ففي مجال التعليم قدم إلى سوريا أعداد من المدرسين المصريين، وكلّ منهم يتولّى شؤون «المدرس الأول» في المدرسة التي يعمل بها، وعدد منهم له عمل خاص سرّيّ في المخابرات، وفي الجيش تسلّم عدد من الضباط المصريين قطعاتٍ في الجيش السوري، وكان كل صاحب رتبةٍ من مصر هو أقدم من أي ضابطٍ سوري يحمل الرتبة نفسها إضافةً إلى أن أكثرهم كان ينتظم أيضاً في سلك المخابرات، ولهذا كله حدث تذمّر في صفوف ضباط الجيش وفي نقابة المعلمين، ولكن لم يستطع أحد أن يُعبّر عن رأيه أو يُلمّح إلى ذلك خوفاً من البطش به. ولهذا كله تجمّع رجالات الأحزاب

بعضها مع بعض، وبدأ بعض ضباط الجيش يعملون على تقريب العناصر التي يثقون بها من العاصمة أو يُوزّعونهم على القطاعات بشكلٍ يستفيدون منهم إن دعت الحاجة إلى ذلك، ومن بين هؤلاء العقيد عبد الكريم النحلاوي مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، ومدير شؤون الضباط، من غير فتح الموضوع إلى أي ضابطٍ، ودون علم أحدٍ بما كان ينويه، فكان يستعين بالكتمان على تدبير شؤونه، واستطاع أن يجمع حوله عدداً من الضباط من مختلف الاختصاصات وكلهم من ذوي الرتب الصغيرة التي دون رتبته، وينتظر الوقت المناسب.

أعاد الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة في ٥ ربيع الأول ١٣٨١هـ (١٦ آب ١٩٦١م) وعيّن سبعة نوابٍ لرئيس الجمهورية[١].

---

(١) عُيّن:
١ ـ عبد اللطيف محمود البغدادي: نائباً لرئيس الجمهورية لشؤون التخطيط.
٢ ـ محمد عبد الحكيم علي عامر: نائباً لرئيس الجمهورية، وزيراً للحربية.
٣ ـ نور الدين كحالة: نائباً لرئيس الجمهورية للإنتاج.
٤ ـ زكريا محيي الدين: نائباً لرئيس الجمهورية للمؤسسات العامة.
٥ ـ حسين محمود الشافعي: نائباً لرئيس الجمهورية للإدارة المحلية.
٦ ـ كمال الدين حسين: نائباً لرئيس الجمهورية للشؤون الداخلية.
٧ ـ عبد الحميد السراج: نائباً لرئيس الجمهورية للشؤون الداخلية.
أما الوزارة فتشكلت كما يلي:
١ ـ نور الدين طراف: وزيراً للصحة.
٢ ـ أحمد حسني: وزيراً للدولة.
٣ ـ عبد الوهاب حومد: وزير دولة للتخطيط. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول سنة ١٩٦١م)].
٤ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
٥ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال.
٦ ـ عبد المنعم القيسوني: وزيراً للاقتصاد، والخزانة.
٧ ـ فاخر كيالي دولة. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٨ ـ كمال رمزي أستينو: وزيراً للتموين.
٩ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة.
١٠ ـ مصطفى خليل: وزيراً للمواصلات.
١١ ـ سيد مرعي: وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي. =

= ١٢ ـ علي صبري: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
١٣ ـ أحمد الحاج يونس: وزير دولة للزراعة والإصلاح الزراعي. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
١٤ ـ عباس زكي: وزيراً للاقتصاد والخزانة.
١٥ ـ شوكت القنواتي: وزيراً للصحة. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م).
١٦ ـ كمال الدين محمود رفعت: وزيراً للعمل، ووزير دولة.
١٧ ـ نهاد القاسم: وزيراً للعدل. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
١٨ ـ طعمة العودة الله: وزيراً للإسكان المرافق. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
١٩ ـ أمجد الطرابلسي: وزيراً للتعليم العالي. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٢٠ ـ ثروت عكاشة: وزيراً للثقافة والإرشاد القومي.
٢١ ـ عباس رضوان: وزيراً للداخلية.
٢٢ ـ موسى عرفة: وزيراً للسدّ العالي.
٢٣ ـ أحمد محمد المحروقي: وزير دولة للإصلاح الزراعي.
٢٤ ـ أحمد عبد الله طعيمة: وزيراً للأوقاف.
٢٥ ـ أحمد حنيدي: وزيراً للإصلاح الزراعي. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٢٦ ـ أكرم ديري: وزيراً للاقتصاد والخزانة.. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٢٧ ـ جادو عز الدين: وزيراً للإدارة المحلية. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٢٨ ـ جمال الصوفي: وزيراً للتموين. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٢٩ ـ ثابت العريس: وزيراً للشؤون الاجتماعية. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٣٠ ـ يوسف مزاحم: وزيراً للأوقاف. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)].
٣١ ـ محمد عبد القادر حاتم: وزيراً للدولة.
٣٢ ـ عبد المحسن أبو النور: وزيراً للإدارة المحلية.
٣٣ ـ فريد زين الدين: وزيراً للدولة. [استقال في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م)]. =

=

٣٤ ـ أحمد علي فرج: وزير دولة للتخطيط.
٣٥ ـ محمد يوسف: وزيراً للتربية والتعليم.
٣٦ ـ صلاح الدين هدايت: وزيراً للبحث العلمي.
وفي التاريخ نفسه صدر أمر بتعيين:
١ ـ حسين ذو الفقار صبري: نائباً لوزير الخارجية.
٢ ـ محمد علي حافظ: نائباً لوزير التربية والتعليم.
٣ ـ عبد الوهاب البشري: نائباً لوزير الحربية.
وعندما استقال الوزراء السوريون في ١ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٦١م) بعد الانفصال صدر أمر بندب:
١ ـ زكريا محيي الدين: لوزارة العدل.
٢ ـ كمال رفعت: لوزارة الشؤون الاجتماعية.
٣ ـ عبد المحسن أبو النور: لوزارة الإسكان.
٤ ـ محمد يوسف: لوزارة التعليم العالي.
ثم جرى التعديل التالي، وصدر مرسوم من رئيس الجمهورية في ٩ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (١٨ تشرين الأول سنة ١٩٦١م) بتعيين:
١ ـ عبد اللطيف محمود البغدادي: نائباً لرئيس الجمهورية للإنتاج، ووزيراً للخزانة والتخطيط.
٢ ـ محمد عبد الحكيم علي عامر: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للحربية.
٣ ـ زكريا عبد المجيد محيي الدين: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للداخلية.
٤ ـ حسين محمود الشافعي: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للأوقاف، والشؤون الاجتماعية.
٥ ـ كمال الدين حسين: نائباً لرئيس الجمهورية، ووزيراً للخدمات، ووزيراً للإدارة المحلية وللإسكان والمرافق.
٦ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
٧ ـ أحمد عبده الشرباصي: وزيراً للأشغال.
٨ ـ عبد المنعم القيسوني: وزيراً للاقتصاد.
٩ ـ كمال رمزي أستينو: وزيراً للتموين.
١٠ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة.
١١ ـ مصطفى خليل: وزيراً للمواصلات.
١٢ ـ علي صبري: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
١٣ ـ كمال الدين محمود رفعت: وزيراً للعمل.
١٤ ـ ثروت محمود فهمي عكاشة: وزيراً للثقافة والإرشاد القومي.
١٥ ـ عباس رضوان: وزيراً للدولة.

=

مجلس الأمة الثاني:

جرت انتخابات للاتحاد القومي في الإقليمين على مستوى القرى، حيث يكون لكل تجمع سكاني عدد من أعضاء الاتحاد القومي مهما قلّ العدد، ويتناسب عدد الأعضاء مع عدد السكان، ثم صدر قرار بتعيين ستمائة عضوٍ في مجلس الأمة وقد اختيروا من بين أعضاء الاتحاد القومي، وكان أربعمائةٍ من الإقليم الجنوبي ومائتان من الإقليم الشمالي، واختير أنور السادات رئيساً لمجلس الأمة هذا.

انعقد مجلس الأمة الثاني في أوائل عام ١٣٨٠هـ (تموز ١٩٦٠م)، وحلّ هذا المجلس مع قيام الانفصال.

الانفصال:

وقع الانفصال في ١٨ ربيع الثاني ١٣٨١هـ (٢٨ أيلول ١٩٦١م)، بتدبيرٍ عسكريٍ قام به عدد من ضباط الجيش السوري بتخطيط من العقيد عبد الكريم النحلاوي[١]، ولم يعلم بهذا التخطيط أحد قبل التنفيذ إلا ما عرفه العقيد

= ١٦ ـ موسى عرفة: وزيراً للسد العالي.
١٧ ـ محمد عبد القادر حاتم: وزير دولة.
١٨ ـ محمد عبد المحسن أبو النور: وزيراً للإصلاح الزراعي وإصلاح الأراضي.
١٩ ـ أحمد علي فرج: وزير دولة للتخطيط.
٢٠ ـ محمد يوسف: وزيراً للتربية والتعليم.
٢١ ـ صلاح الدين هدايت: وزيراً للبحث العلمي.
٢٢ ـ عبد العزيز السيد: وزيراً للتعليم العالي.
٢٣ ـ فتحي الشرقاوي: وزيراً للعدل.
٢٤ ـ محمد نجيب حشاد: وزيراً للزراعة.
٢٥ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
كما صدر في الأمر نفسه تعيين:
١ ـ حسين ذو الفقار صبري: نائباً لوزير الخارجية.
٢ ـ محمد علي حافظ: نائباً لوزير التربية والتعليم.
٣ ـ عبد الوهاب البشري: نائباً لوزير الحربية.

(١) كان أبرز ضباط الانفصال:
١ ـ اللواء عبد الكريم زهر الدين: وضع واجهةً يوم التنفيذ.

مهيب الهندي شقيق زوج عبد الكريم النحلاوي، أما بقية المشاركين في التنفيذ فقد علموا به قبل يومين فقط، وبعد الانفصال كُلّف علي صبري برئاسة[1] المجلس التنفيذي.

= ٢ ـ العميد عبد الغني دهمان: قائد معسكرات قطنا.
٣ ـ العميد موفق عصاصة: قائد سلاح الجو.
٤ ـ العقيد عبد الكريم النحلاوي: مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، ومعاون مدير شؤون الضباط.
٥ ـ العقيد مهيب الهندي: رئيس أركان اللواء ٧١ في قطنا.
٦ ـ المقدم حيدر الكزبري: قائد قوات العشائر.
٧ ـ الرائد هشام عبد ربه.
٨ ـ الرائد فايز الرفاعي.

(١) شكّل جمال عبد الناصر مجلساً للرئاسة في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ (٢٧ أيلول ١٩٦٢م) من السادة:
١ ـ جمال عبد الناصر: رئيس الجمهورية رئيساً.
٢ ـ عبد اللطيف البغدادي: نائب رئيس الجمهورية عضواً.
٣ ـ عبد الحكيم عامر: نائب رئيس الجمهورية عضواً.
٤ ـ زكريا محيي الدين: نائب رئيس الجمهورية عضواً.
٥ ـ حسين الشافعي: نائب رئيس الجمهورية عضواً.
٦ ـ أنور السادات: نائب رئيس الجمهورية عضواً.
٧ ـ حسين إبراهيم عضواً.
٨ ـ علي صبري: رئيس المجلس التنفيذي عضواً.
٩ ـ نور الدين طراف: عضواً.
١٠ ـ كمال الدين رفعت: عضواً.
وفي الأول من جمادى الأولى ١٣٨٢هـ (٢٩ أيلول ١٩٦٢م) تشكّل المجلس التنفيذي برئاسة علي صبري على النحو الآتي:
١ ـ علي صبري: رئيساً للمجلس التنفيذي.
٢ ـ محمود فوزي: وزيراً للخارجية.
٣ ـ عبد المنعم القيسوني: وزيراً للخزانة والتخطيط.
٤ ـ كمال رمزي أستينو: وزيراً للتموين.
٥ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة.
٦ ـ مصطفى خليل: وزيراً للمواصلات.
٧ ـ عباس رضوان: وزيراً للإدارة المحلية.
٨ ـ محمد عبد القادر حاتم: : وزيراً للثقافة والإرشاد القومي.
٩ ـ عبد المحسن أبو النور: وزيراً للإصلاح الزراعي، وإصلاح الأراضي. =

السد العالي:

تعهد الروس ببناء السد العالي، ووضع الرئيس جمال عبد الناصر الحجر الأساسي له في ١١ رجب ١٣٧٩هـ (٩ كانون الثاني ١٩٦٠م)، وانتهت المرحلة الأولى منه عام ١٣٨٤هـ، وكانت مجمل النفقات على بناء السدّ ٣٢٠ مليون جنيه.

القوانين الاشتراكية:

في ٦ صفر ١٣٨١هـ ولمدة أربعة أيام سُنّت عدة قوانين اشتراكية، وربما كان لهذه القوانين أثر في زيادة التذمّر في الإقليم السوري والإسراع في قيام الانفصال.

= ١٠ ـ محمد يوسف: وزيراً للتربية والتعليم.
١١ ـ صلاح الدين هدايت: وزيراً للبحث العلمي.
١٢ ـ عبد العزيز السيد: وزيراً للتعليم العالي.
١٣ ـ فتحي الشرقاوي: وزيراً للعدل.
١٤ ـ محمد نجيب حشاد: وزيراً للزراعة.
١٥ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
١٦ ـ حسن زكي: وزيراً للأشغال.
١٧ ـ عبد الوهاب البشري: وزيراً للحربية.
١٨ ـ أحمد زند: وزيراً للاقتصاد.
١٩ ـ أحمد محرم: وزيراً للإسكان والمرافق.
٢٠ ـ طلعت خيري: وزير الدولة للشباب.
٢١ ـ محمد صدقي سليمان: وزيراً للسد العالي.
٢٢ ـ عبد العظيم فهمي: وزيراً للداخلية.
٢٣ ـ محمد البهي: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
٢٤ ـ حكمت أبو زيد: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
٢٥ ـ محمد عبد اللطيف سلامة: وزيراً للعمل.
كما صدر في الأمر نفسه تعيين كل من:
١ ـ حسين ذو الفقار صبري: نائباً لوزير الخارجية.
٢ ـ محمد علي حافظ: نائباً لوزير التربية والتعليم.
٣ ـ محمد لبيب شقير: نائباً لوزير التخطيط.
٤ ـ إبراهيم نجيب إبراهيم: نائباً لوزير الإسكان والمرافق.

الاتحاد الاشتراكي:

بعد قيام الانفصال، وحلّ مجلس الأمة الثاني، حلّ بشكل طبيعي الاتحاد القومي، فأقام الرئيس جمال عبد الناصر تنظيماً جديداً أطلق عليه اسم الاتحاد، الاشتراكي، وأعلن رئيس الجمهورية عن قيامه في ٢ صفر ١٣٨٢هـ (٤ تموز ١٩٦٢م) فحلّ محلّ الاتحاد القومي وانبثق عنه مجلس الأمة الثالث الذي انعقد في ١٣ ذي القعدة ١٣٨٣هـ (٢٦ آذار ١٩٦٤م) وعهد إلى علي صبري برئاسة الوزارة الجديدة[1].

---

(١) شكل علي صبري وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - علي صبري: رئيساً للوزراء، ووزيراً للتخطيط.

٢ - نور الدين طراف: نائباً لرئيس الوزراء، ويشرف على وزارات: العدل، والعمل، والشباب.

٣ - أحمد عبده الشرباصي: نائباً لرئيس الوزراء للأوقاف وشؤون الأزهر، ووزيراً للأوقاف.

٤ - كمال الدين محمود رفعت: نائباً لرئيس الوزراء للشؤون العلمية ويشرف على وزارات: التعليم العالي، والبحث العلمي.

٥ - محمود فوزي: نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الخارجية ويشرف على وزارات الخارجية، ووزارة العلاقات الثقافية الخارجية.

٦ - عبد المنعم القيسوني: نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية والمالية، ووزيراً للاقتصاد وللتجارة الخارجية، ويشرف على وزارة الخزانة.

٧ - كمال رمزي أستينو: نائباً لرئيس الوزراء للتموين والتجارة الداخلية، ووزيراً للتموين والتجارة الداخلية.

٨ - عزيز صدقي: نائباً لرئيس الوزراء للصناعة المعدنية، ووزيراً للتعدين والبترول، ووزيراً للصناعة الخفيفة، ويشرف على وزارات: الصناعات الثقيلة، والقوى الكهربائية.

٩ - مصطفى خليل: نائباً لرئيس الوزراء للمواصلات والنقل، ويشرف على وزارة المواصلات ووزارة النقل،.

١٠ - عباس رضوان: نائباً لرئيس الوزراء للإدارة المحلية والخدمات، ووزيراً للإدارة المحلية، ويشرف على وزارات: التربية والتعليم، والصحة، والشؤون الاجتماعية، والإسكان والمرافق.

١١ - محمد عبد القادر حاتم: نائباً لرئيس الوزراء للثقافة والإرشاد القومي ويشرف على وزارات: الإعلام، والسياحة والآثار.

١٢ - عبد المحسن أبو النور: نائباً لرئيس الوزراء للزراعة والري، ووزيراً للإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي، ويشرف على وزارات: الري، والزراعة. =

حرب اليمن:

عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا، أعلن الإمام أحمد إمام اليمن انضمام دولة اليمن إلى الجمهورية العربية المتحدة، ونشأ ما سُمّي باسم اتحاد الدول العربية، وبذلك ضمن الإمام أحمد عدم شنّ الحرب الإعلامية عليه وعلى دولته، والعيش بمنأى عن شتائم صوت العرب من القاهرة. فلما قام الانفصال في ١٨ ربيع الثاني ١٣١٨هـ حُلّ اتحاد الدول العربية تلقائياً. لذا نالت اليمن قسطاً من الحرب الإعلامية ضدّها.

= ١٣ ـ محمد أبو نصير: وزيراً للإسكان والمرافق.
١٤ ـ محمد يوسف: وزيراً للتربية والتعليم.
١٥ ـ عبد العزيز السيد: وزيراً للتعليم العالي.
١٦ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
١٧ ـ حسن زكي: وزيراً للري.
١٨ ـ عبد الوهاب البشري: وزيراً للحربية.
١٩ ـ محمد صدقي سليمان: وزيراً للسد العالي.
٢٠ ـ عبد العظيم فهمي: وزيراً للداخلية.
٢١ ـ حكمت أبو زيد: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
٢٢ ـ محمد عبد اللطيف سلامة: وزيراً للعمل.
٢٣ ـ حسين خلاف: وزيراً للعلاقات الثقافية الخارجية.
٢٤ ـ بدوي إبراهيم حمودة: وزيراً للعدل.
٢٥ ـ محمد لبيب شقير: وزيراً للدولة للتخطيط.
٢٦ ـ محمد عزت سلامة: وزيراً للقوى الكهربائية.
٢٧ ـ محمود رياض: وزيراً للخارجية.
٢٨ ـ أحمد رياض تركي: وزيراً للبحث العلمي.
٢٩ ـ سمير حلمي إبراهيم: وزيراً للصناعة الثقيلة.
٣٠ ـ محمود محمد رياض: وزيراً للمواصلات.
٣١ ـ محمود عبد السلام: وزيراً للنقل.
٣٢ ـ نزيه أحمد ضيف: وزيراً للخزانة.
٣٣ ـ شفيق علي الخشن: وزيراً للزراعة.
وفي المرسوم نفسه صدر الأمر بتعيين كل من:
١ ـ محمد علي الحافظ: نائباً لوزير التربية والتعليم.
٢ ـ نجيب إبراهيم نجيب: نائباً لوزير الإسكان والمرافق.
٣ ـ عبد الملك سعد: نائباً لوزير المواصلات.

توفي الإمام أحمد ٢٠ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ (١٩ أيلول ١٩٦٢م)، وخلفه في الإمامة ابنه البدر، ولم تلبث أن قامت الثورة عليه بإمرة العقيد عبد الله السلال وذلك في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ (٢٦ أيلول ١٩٦٢م)، وهرب البدر من البلاد، وأخذ يستعدّ للعودة. أيّدت مصر الثورة في اليوم الثاني من قيامها في ٢٨ ربيع الثاني، ووصلت طلائع القوات المصرية إلى اليمن في ٧ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ (٥ تشرين الأول ١٩٦٢م)، ووصل أنور السادات أيضاً حيث عقد مع اليمن معاهدة الدفاع المشترك.

قطعت مصر علاقتها السياسية مع المملكة العربية السعودية في ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ، وخسرت مصر في حربها باليمن الأموال الكثيرة، وأعداداً من الجنود كبيرة، أو وقعت في ورطةٍ لم تستطع التخلّص منها. وقد عزل كمال الدين حسين من مناصبه نتيجة معارضته للحرب في اليمن. وكانت إسرائيل تحرّض بصورة غير مباشرةٍ على زيادة إشعال النار في اليمن لتُغطّي على ما تقوم به. ولم يخرج الجنود المصريون من اليمن إلا بعد عام ١٣٨٧هـ بعد الحرب التي حدثت بين الدول العربية وبين إسرائيل، وكان الخروج نتيجة الاتفاق الذي تمّ بين الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية، وبين الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وذلك في مؤتمر الخرطوم بالسودان.

مجلس الرئاسة:

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن تشكيل مجلس للرئاسة ليس للحد من سلطته الفردية واستشارة الآخرين، وإنما على ما يبدو للحدّ من سلطة عبد الحكيم عامر التي قويت بين العسكريين حتى خشيها، وتشكل هذا المجلس من نور الدين طراف، وأحمد عبده الشرباصي، وعلي صبري، وكمال الدين رفعت، ومن بقي من الأحياء من مجلس قيادة الثورة، وذلك في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ (٢٧ أيلول ١٩٦٢م)[١].

---

(١) انظر هوامش الصفحات السابقة.

اقترح جمال عبد الناصر على مجلس الرئاسة أن يكون تعيين قادة الأسلحة من اختصاص مجلس الرئاسة، وفي الجلسة التي عقدت لبحث هذا الموضوع رأس الجلسة عبد اللطيف البغدادي لغياب جمال عبد الناصر، واعترض عبد الحكيم عامر على هذا الاقتراح فأهمل، وأهمل معه المجلس... ثم بدأت الاستقالات حتى انتهى، وهذا يدلنا على الهدف من تشكيله.

وصدر دستور مؤقت للجمهورية العربية المتحدة في ١١ ذي القعدة ١٣٧٣هـ (٢٤ آذار ١٩٦٤م) وقام ما سمي بالتنظيم الطليعي الذي ترتبط به منظمات الشباب، ويرأس هذا التنظيم شعراوي جمعة، وسعد زايد، وسامي شرف، وحلمي السعيد، ومحمد فائق، وأحمد كامل، ويوسف غزولي، ومحمود عروق، ومحمود أمين العالم.

وفي ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ (١ تشرين الأول ١٩٦٥م) عهد رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر برئاسة الوزراء إلى زكريا محيي الدين[١].

---

(١) صدر قرار التعيين على النحو الآتي:
المادة الأولى: عين زكريا محيي الدين: نائب رئيس الجمهورية رئيساً للوزراء، ووزيراً للداخلية.
المادة الثانية عين كل من:
١ ـ أحمد عبده الشرباصي: نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف، والشؤون الاجتماعية، وشؤون الأزهر.
٢ ـ محمود فوزي: نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية.
٣ ـ عبد المنعم القيسوني: نائب رئيس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية.
٤ ـ كمال رمزي أستينو: نائب رئيس الوزراء للتموين والتجارة الداخلية.
٥ ـ مصطفى خليل: نائب رئيس الوزراء للصناعة، والثروة المعدنية، والكهرباء، ووزيراً للصناعة والثروة المعدنية، والكهرباء.
٦ ـ محمد عبد القادر حاتم: نائب رئيس الوزراء للثقافة والإرشاد القومي، والسياحة.
٧ ـ عبد المحسن أبو النور: نائب رئيس الوزراء للزراعة والري، ووزيراً للإصلاح، واستصلاح الأراضي.
٨ ـ محمود يونس: نائب رئيس الوزراء للنقل والمواصلات، ووزيراً للمواصلات.
المادة الثالثة: عين كل من:
١ ـ محمد يوسف: وزيراً للتربية والتعليم. =

مقدمات الحرب مع اليهود:

ما قامت حرب في المنطقة إلا وزُجّ قبلها العلماء والإخوان المسلمون، ورجال الحركات الإسلامية في السجون، وفي الوقت نفسه يُطلق العنان للمفسدين والشيوعيين للحركة والنشاط وبثّ الأفكار.

لقد صدر عفو عام شامل عن العقوبات التي صدرت فيما مضى ضد

= ٢ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
٣ ـ عبد الوهاب البشري: وزيراً للحربية.
٤ ـ محمد طلعت خيري: وزير دولة للشباب.
٥ ـ محمد صدقي سليمان: وزيراً للسدّ العالي.
٦ ـ محمد عبد اللطيف: وزيراً للعمل.
٧ ـ محمد لبيب شقير: وزيراً للاقتصاد، والتجارة الخارجية، والتخطيط.
٨ ـ محمد عزت سلامة: وزيراً للإسكان والمرافق.
٩ ـ محمود رياض: وزيراً للخارجية.
١٠ ـ محمود عبد السلام: وزيراً للنقل.
١١ ـ نزيه أحمد ضيف: وزيراً للخزانة.
١٢ ـ شفيق علي الخشن: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ شعراوي محمد جمعة: وزيراً للدولة.
١٤ ـ سليمان حزين: وزيراً للثقافة.
١٥ ـ عبد الفتاح حسن: وزيراً للدولة.
١٦ ـ محمد عصام الدين حسونة: وزيراً للعدل.
١٧ ـ أحمد حمدي أحمد عبيد: وزير دولة للإدارة المحلية.
١٨ ـ عبد الخالق الشناوي: وزيراً للري.
١٩ ـ محمد نور الدين قره: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢٠ ـ عزيز أحمد ياسين: وزيراً للسياحة والآثار.
٢١ ـ أمين حامد هويدي: وزيراً للإرشاد القومي.
٢٢ ـ حسين محمد سعيد: وزيراً للتعليم العالي.

المادة الرابعة:

عين كل من:

١ ـ إبراهيم نجيب إبراهيم: نائباً لوزير الإسكان والمرافق.
٢ ـ عبد الملك سعد: نائباً لوزير المواصلات.
٣ ـ يوسف حافظ: نائباً لوزير الداخلية.
٤ ـ أحمد محمد خليفة: نائباً لوزير الأوقاف والشؤون الاجتماعية.

الشيوعيين. وتشكّلت لجنة برئاسة عبد الحكيم عامر لتصفية الإقطاع، وكان الغرض منها إثارة أصحاب الأملاك ضد عبد الحكيم عامر، وهذا ما يُريده جمال عبد الناصر، وإثارتهم أيضاً ضد الحكم عامة، وهذا ما يهدف إليه الذين كانوا وراء التخطيط لهذا الموضوع.

وبدأت اعتقالات الإخوان المسلمين في ٢ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ (٣٠ تموز ١٩٦٥م)، وأُجريت المحاكمات وحُكم على سيد قطب واثنين من إخوانه بالإعدام، ونُفِّذ فيهم الحكم رغم وساطاتٍ كثيرةٍ من العالم الإسلامي، ومُظاهراتٍ تُندّد بالظلم والطغيان.

وفي ٢٥ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ (١٠ أيلول ١٩٦٦م) غيّر الرئيس جمال عبد الناصر الوزارة، وكلّف محمد صدقي سليمان برئاستها[1].

---

(١) قرر رئيس الجمهورية:
المادة الأولى: عُيّن السيد محمد صدقي سليمان: رئيساً للوزراء.
المادة الثانية: عُيّن كل من:
١ ـ محمود فوزي: نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الخارجية.
٢ ـ عبد المحسن أبو النور: نائباً لرئيس الوزراء للزراعة والري، ووزيراً للإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي.
٣ ـ محمود يونس: نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للكهرباء، والبترول، والتعدين.
٤ ـ ثروت عكاشة: نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للثقافة.
المادة الثالثة: عُيّن كل من:
١ ـ حسن عباس زكي: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٢ ـ محمد يوسف: وزيراً للتربية والتعليم.
٣ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
٤ ـ عبد الوهاب البشري: وزيراً للإنتاج الحربي.
٥ ـ محمد طلعت خيري: وزير دولة للشباب.
٦ ـ محمد عبد اللطيف سلامة: وزيراً للعمل.
٧ ـ محمد لبيب شقير: وزيراً للتخطيط.
٨ ـ محمد عزت سلامة: وزيراً للتعليم العالي.
٩ ـ محمود رياض: وزيراً للخارجية.
١٠ ـ محمود عبد السلام: وزيراً للنقل.
١١ ـ نزيه أحمد ضيف: وزيراً للخزانة. =

كانت الثورة المصرية قد قامت برعاية الولايات المتحدة الأمريكية، وبتوجيه منها لتحلّ محلّ إنكلترا في مصر، واتجهت هذه الثورة في بداية أمرها إلى تسوية الوضع الداخلي بإزالة المعارضة، وما تُريد الدول الغربية تنفيذه فأزاحت الشيوعيين، ونكّلت بالإخوان المسلمين، وكمّمت الأفواه، ولكن هذا التصرّف قد قطع الصلة بين الحكم العسكري القائم وبين الشعب في مصر بل وفي المنطقة العربية، لذا فقد اتّجه قادة الثورة بعدئذٍ إلى كسب الدعاية لأنفسهم في مصر والمنطقة العربية كلها، فكانت فكرة السدّ العالي، وتأميم قناة السويس، وكان العدوان الثلاثي على مصر، وقامت وسائل الإعلام بدورها، فربح الحكام الجولة، وكسبوا الدعاية، وأصبح جمال عبد الناصر الناطق الرسمي باسم الشعب العربي، وذلك كله بالتوجيه نفسه والدعاية ذاتها التي قامت الثورة في مصر مستندة عليهما.

وبالتوجيه نفسه أخذت مصر بالتقرّب نحو الكتلة الشرقية، فكانت

= ١٢ ـ شفيق علي الخشن: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ شعراوي محمد جمعة: وزيراً للداخلية.
١٤ ـ محمد عصام الدين حسونة: وزيراً للعدل.
١٥ ـ أحمد حمدي أحمد عبيد: وزير دولة للإدارة المحلية.
١٦ ـ عبد الخالق الشناوي: وزيراً للري.
١٧ ـ محمد نور الدين قره: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٨ ـ عزيز أحمد ياسين: وزيراً للإسكان والمرافق والسياحة.
١٩ ـ أمين حامد هويدي: وزيراً للدولة.
٢٠ ـ شمس الدين بدران: وزيراً للحربية.
٢١ ـ أحمد توفيق البكري: وزيراً للصناعة.
٢٢ ـ محمد محمد فائق: وزيراً للإرشاد القومي.
٢٣ ـ كمال هنري أبادير: وزيراً للمواصلات.
٢٤ ـ أحمد محمد خليفة: وزيراً للأوقاف والشؤون الاجتماعية.
المادة الرابعة: عُيّن كل من:
١ ـ إبراهيم نجيب إبراهيم: نائباً لوزير الإسكان والمرافق.
٢ ـ عبد الملك سعد: نائباً لوزير المواصلات.
٣ ـ يوسف حافظ: نائباً لوزير الداخلية.

الولايات المتحدة تقوم بتصرّفٍ تجعل مصر تتجه نحو روسيا فتقبل روسيا ما رفضته الولايات المتحدة ويسير المخطط، ترفض الولايات المتحدة مثلاً مدّ مصر بالسلاح فتتجه مصر نحو الكتلة الشرقية فتقوم بإعطاء السلاح، تسحب الولايات المتحدة عرضها بتمويل السدّ العالي فتتحرّك مصر نحو روسيا فتتعهد روسيا بتمويل السدّ العالي، وتقوم بتنفيذ ما تعهدت به.

وأحسّت روسيا بالدور الذي يقوم به جمال عبد الناصر، وأحسّت بوقوعها بالمخطط الذي رُسم لها لذا فقد وقفت موقفاً عدائياً للوحدة بين مصر وسوريا، وكذلك وقف عملاؤها الشيوعيون في كلا البلدين لذا فقد لاحظنا أن الزعماء الشيوعيين في سوريا قد غادروا البلاد عندما تمت الوحدة إشارةً إلى رفضها ومُحاربتها، وقد نكَّلَ عبد الحميد السراج وكيل جمال عبد الناصر في سوريا ببعض من بقي منهم، وقد أذاب فرج الله الحلو في حمض الكبريت المكثّف.

غير أن روسيا لا ترغب أن تظهر بسذاجتها أمام الشعوب لذا فقد أبقت الصلة الظاهرة مع جمال عبد الناصر، وبقيت على مدّه بالسلاح مكتفيةً بما تربحه من دعايةٍ لنفسها ولنظامها بين أفراد الشعب، وبما تُحقّقه لأنصارها من تمكين، لكنها لا تدخّر وسعاً في المحاولة لتحطيم جمال عبد الناصر لتريه سوء عاقبة ما يقوم به.

وشعرت الولايات المتحدة أن روسيا قد أحسّت باللعبة الدولية، لذا فقد طلبت من جمال عبد الناصر أن يتجاهل ما يُريده الروس، وما يقوم به هو، وأن يزيد من صلته بالروس، ويُحقّق لهم بعض ما يرغبون فيه، لذا نراه يعفو عن الشيوعيين، ويُشكّل لجنةً لتصفية الإقطاع، ويبدأ باعتقال الإخوان وهذا ما يهمّ الروس ويعملون من أجله بل إنه يزور موسكو، ومن هناك يتهم الإخوان ويُعلن عن اعتقالهم، وكل ذلك ليُبعد الروس عما ظنّوا به، ولكن الروس تجاهلوا أيضاً، وأظهروا رضاهم، وأضمروا في أنفسهم شيئاً.

وأرادت الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً توريط جمال عبد الناصر، فقد استُهلك ولم يعد لها رغبة فيه إذ كُشف للروس دوره، وهو في الوقت نفسه لم يُؤدّ مهمته إذ كان قد رسم له أن يخطو خطوةً واسعةً بالنسبة إلى القضية الفلسطينية غير أن خطوته كانت أقلّ مما توقع الأعداء، لقد اقتصرت على عدم

تقوية الجيش المصري، وتفرقة صفوف الدول العربية، والعمل على إبراز منظمة التحرير الفلسطينية لتُؤدّي دورها في المستقبل نيابةً عن الحكومات العربية، والتهديدات المستمرة لليهود لتدعوهم إلى العمل الجاد. لذا كان من الضروري للولايات المتحدة أن يُستبدل بشخصٍ آخر يمكنه أن يخطو خطوةً جديدةً وربما تكون أوسع لمصلحة اليهود، ومن هذا المنطلق كان التخطيط.

وكان جمال عبد الناصر وحكام سوريا من البعثيين كفرسي رهانٍ على المتاجرة بالعصبية العربية، ومُحاولة كسب الشعب، وأرضاء الجماهير، لذا كان البعثيون يرغبون فعلاً في تحطيم جمال عبد الناصر، ولا يقلّ هو عنهم في نظرته إليهم بل لا ينسى كارثة الانفصال. ولهذا لم يُوضّح البعثيون حقيقة الوضع على حدودهم مع فلسطين إذ لم تكن أية حشودٍ يهوديةٍ هناك(١)، كما كان يُذاع بل حرصوا على تأكيد ذلك لتوريط جمال عبد الناصر في الموضوع.

وأما إسرائيل فكانت تُريد التوسّع غير أنها محاطة، وتوجد في سيناء قوات دولية للطوارئ، وتخشى التوسّع في جهات الأردن، وسوريا، ولبنان قبل تأمين الجبهة الجنوبية لذا لا بد من حربٍ على تلك الجبهة وإخراج مصر من المعركة أولاً ثم التوجّه إلى الجبهات الثانية.

لقد كانت اللعبة دولية، ومثّل كل طرفٍ دوره أحسن تمثيلٍ منهم من يدري أين يسير، ومنهم لا يدري وإنما يُنفّذ ما يُطلب منه، وربما كان يظنّ أنه يسير في طريقٍ تخدم أمته، وتُحقّق له مصلحته وزعامته إذ نُصح وأُفهم أن النتيجة ستكون كذلك.

---

(١) كان الكاتب على الحدود قبل القتال بشهر ولم تكن هناك أية حشود، وبدأ القتال على الجبهة المصرية ومعظم جنود اليهود على تلك الجبهة، أما الجبهة السورية فكانت شبه خالية حتى جاء دورها في القتال. واستمر هناك إلى أيام القتال، ولما أطلقت القوات السورية قذائف مدفعيتها على أرض فلسطين لم يكن هناك من جنود ويهود. وبقي الوضع على الحدود على هذه الحالة، ولم تتقدم القوات السورية في الأرض الفلسطينية رغم أنه لا يوجود ما يمنعها أو يحول دون ذلك، فلما جاءت القوات اليهودية حيث أتى الدور للجبهة السورية، انسحب الجيش السوري أمامها، وكان ذلك بأوامر من وزارة الدفاع السورية.

قامت إسرائيل في ٢٧ ذي الحجة ١٣٨٦هـ (٧ نيسان ١٩٦٧م) بشنّ غارةٍ على سوريا انتقاماً من الفدائيين الذين دخلوا فلسطين من الجبهة السورية، وقاموا ببعض العمليات، وتمكنت إسرائيل من إسقاط بعض الطائرات السورية التي تعرّضت لها فوق أجواء ضواحي دمشق. وأبلغ الروس آنذاك جمال عبد الناصر أن إسرائيل قد حشدت عشرة ألويةٍ على الحدود السورية لغزوها، ويُريدون توريطه في حرب للقضاء عليه.

كانت المهاترات قائمةً بين بعض حكام الدول العربية، وكان هجوم جمال عبد الناصر على الملك حسين ملك الأردن شديداً، وأراد الملك حسين الدفاع عن نفسه وردّ الهجوم فأعلن أن مصر تضع قوات الطوارئ الدولية على أرضها وعلى نفقتها، وفي الوقت نفسه تفسح المجال لليهود بالملاحة عبر خليج العقبة حيث توجد أيضاً قوات للأمم المتحدة في «شرم الشيخ»، وكان هذا كله سرًّا ومجهولاً من قبل الشعب.

أخذت جمال عبد الناصر الحمية أو استُدرج إليها فأمر يوم ٥ صفر ١٣٨٧هـ (١٤ أيار ١٩٦٧م) القوات المصرية أن تزحف إلى سيناء، وهي منزوعة السلاح منذ عام ١٣٧٦هـ. وطلب في اليوم التالي من (يوثانت) الأمين العام للأمم المتحدةِ إنهاء عمل قوات الطوارئ الدولية في الأرض المصرية، فاستجاب «يوثانت» للطلب مباشرةً، فاحتلّ المصريون مكانها في سيناء وفي شرم الشيخ[1]، وتأزّم الوضع.

وأعلنت مصر في ١٤ صفر ١٣٨٧هـ (٢٣ أيار ١٩٦٧م) إغلاق خليج العقبة أمام السفن اليهودية، والسفن التي تحمل بضائع لإسرائيل، ولو لم تكن السفن إسرائيليةً، وأن ذلك هو ما كان معمولاً به قبل عام ١٣٧٦هـ.

أما إسرائيل فقد أعلنت أنها ستقوم بفتح مضائق تيران بالقوة إن استدعى الأمر ذلك، وإذا لم تجد الوسائل السياسية، وقد وقف «جونسون» رئيس

(١) شرم الشيخ: ميناء يطل على مضائق «تيران» التي تشرف على الملاحة بين خليج العقبة والبحر الأحمر.

الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء بريطانيا «ويلسون» مؤيدين لإسرائيل.

وصل الأمين العام للأمم المتحدة «يوثانت» إلى القاهرة في ١٥ صفر عسى أن يحلّ الموضوع بشكلٍ سلميٍ ولكن جمال عبد الناصر تعنّت ورفض ذلك أيما رفضٍ، ولكن خرج «يوثانت» من القاهرة، وقد أخذ ضماناتٍ من مصر ألا تقوم بالهجوم، وهو المطلوب.

وفي اليوم التالي سافر وزير الحربية المصري شمس الدين بدران إلى موسكو، فنصحه الروس أن لا يكون المصريون مُهاجمين، لأنهم لو قاموا بالهجوم لفسدت الخطة، وإنما يجب أن ينتظروا حتى يُباغتوا بالضربة لتكون القاضية وهذا ما حدث.

وبدأت وسائل الإعلام المصرية، وخطب جمال عبد الناصر تُذكي نار الحرب بالتهديدات التي تُطلق دون معرفةٍ للنتائج.

وفي ٢٠ صفر بُحث موضوع النزاع المصري ـ الإسرائيلي في مجلس الأمن دون فائدةٍ وذلك لأن اللعبة الدولية تقضي بقيام حربٍ لتحقيق الأهداف المرسومة.

ولإخراج الدور بشكلٍ جيدٍ قام الملك حسين بزيارة للقاهرة يوم ٢١ صفر، ووقّع اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر، ونُسي الخلاف الذي كان قائماً بين الطرفين قبل أيامٍ في سبيل مُواجهة العدو المشترك، ولم تلبث العراق أن انضمّت إلى هذه الاتفاقية بعد أربعة أيامٍ فقط أي قبل يومٍ واحدٍ من بدء القتال.

والواقع أن الجيش المصري لم يكن مُهيَّأً إذ لم يهتمّ به جمال عبد الناصر أبداً، ولم يكن يتوقّع أن تكون هناك حرب في بداية الأمر أو منذ أن قام الجيش بحركته وكان يتصوّر أن الهدنة ستحول دون قيام نزاعٍ مسلحٍ، يقول محمود رياض في مذكراته: «فتحدّثت مع الرئيس جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أكثر من مرةٍ في بداية عام ١٩٥٣م حول ضرورة تقوية الجيش المصري بغرض الحفاظ على توازن القوى مما يحول دون إقدام ابن غوريون

على مغامرةٍ عسكريةٍ من أجل التوسّع إلا أن الرئيس عبد الناصر كان من رأيه ضرورة إعطاء مشاريع التنمية الأولوية في الإنفاق، كما كان مقتنعاً بأن اتفاقية الهدنة تحول دون قيام نزاعٍ مُسلحٍ.

وقد استمر عبد الناصر على موقفه هذا إلى أن قامت إسرائيل بهجومٍ على قطاع غزة في ٢٨ شباط ١٩٥٥م، مما أدّى إلى مقتل ثمانية وثلاثين من العسكريين المصريين، وكان ذلك الهجوم نقطة تحوُّلٍ في المنطقة، فقرّر عبد الناصر ضرورة الإسراع بتقوية الجيش بعد أن تبيّن له بوضوح أن ابن غوريون لا يرغب في السلام لأنه يعوق خططه التوسعية»[١]. وقد عُقدت اتفاقية عسكرية بين مصر وسوريا في ٤ ربيع الأول ١٣٧٥هـ (٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥م) وانضمّت إليها الأردن قبل أقلّ من عام، ولكن لم يكن لهذه الاتفاقية أيّ مفعولٍ فلم نجد لها أيّ أثرٍ في العدوان الثلاثي، وقد طلبت سوريا عدّة مراتٍ التدخل في القتال وزحف الجيش على فلسطين من الشمال لتخفيف الضغط عن المصريين في الجنوب، وكذلك طلبت الأردن، ولكن جمال عبد الناصر أبى وحذّر، ولذا لا ندري هل كان عدم الاهتمام بالجيش المصري التفاتاً إلى مشروعات التنمية أم السير ضمن مخططٍ مرسومٍ، وأنا أميل إلى الجانب الثاني، يقول محمود رياض في مذكراته: «وعرضت سوريا والأردن معاونتهما العسكرية لمصر بالهجوم على إسرائيل لتخفيف الضغط عليها، إلا أن الرئيس عبد الناصر طلب عدم اشتراكهما في المعركة حتى لا يتعرّضا للعدوان البريطاني ـ الفرنسي.

وقد حضرت جلسةً صاخبةً لمجلس الوزراء السوري بطلب من رئيس الجمهورية شكري القوتلي لإقناع الوزراء بأن مصر هي التي تلحّ في عدم خوض سوريا المعركة، وكان عدد من الوزراء يصرّ على دخول المعركة بجانب مصر مهما كانت النتائج، ويُردّدون لا يحقّ أن يُسجّل التاريخ أن مصر كانت تضرب والشعب السوري ساكن لا يتحرّك»[٢].

---

(١) مذكرات محمود رياض البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط ص١٨.

(٢) المرجع نفسه ص٢١ =

وإذا كان جمال عبد الناصر قد اهتمّ بالجيش المصري قبيل العدوان الثلاثي وبعده كما يزعم محمود رياض، وهو غير صحيحٍ، فقد شغله بأمورٍ ما له أن يُشغله بها إذا أرسل قوات إلى الكونغو، وإلى قبرص، وساعد نكروما، ونقل أكفأ الضباط إلى وزارة الخارجية، وأشغل بعضهم بالسياسة فكان منهم الوزراء، ومديرو المديريات والمؤسسات، وهؤلاء الذين تدرّبوا على السلاح والقتال قبل الثورة، أما الذين دخلوا الكليات الحربية في ظلّ الثورة فقد تربّوا على المخابرات لذا فقد امتلأت بهم الدوائر في مصر والسفارات خارج مصر، وعندما تتعرّض مصر للعدوان لا يجد الجنود وسيلةً لهم إلا التراجع بل يتلقّون أوامر الانسحاب قبل التفكير بالتراجع[1].

الحرب:

قامت إسرائيل بالهجوم صباح ٢٧ صفر ١٣٨٧هـ (٥ حزيران ١٩٦٧م)،

= كان من المفروض دخول سوريا والأردن المعركة إلى جانب مصر ليظهر للأعداء أن الشعب العربي متضامن حتى يحسبوا حساباً لكل عمل يقدمون عليه ضده في أية بقعةٍ كانت.

(١) وكان هناك تذمر في صفوف الجيش للتصرفات التي تحدث:
ففي ٨ شوال ١٣٨٦هـ (١٩ كانون الثاني ١٩٦٧م) تقدم عشرون ضابطاً بطلب إلى عبد الحكيم عامر لرفع الحجر المفروض على عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين، وكان عبد اللطيف البغدادي قد أعفي من مهماته منذ عام ١٩٦٢م ووضع تحت الإقامة الجبرية، ولحقه كمال الدين حسين في عام ١٩٦٥م.
في ١١ شوال ١٣٨٦هـ بدأت المطالبة بالحريات الدستورية. ووضعت متفجرات في مكاتب أجهزة الإعلام المصري. وأعلنت حالة الطوارئ وفرض منع التجول في ست قرى مصرية. وأحرق مقر وكالة أنباء الشرق الأوسط في القاهرة. وشكلت لجنة برئاسة عبد الحكيم عامر لتقصي الأخبار عن العناصر المحركة المعارضة للحكم.
ووضعت مذكرة على مكتب الرئيس جمال عبد الناصر بتوقيع الضباط الأحرار وفيها بعض المطالب ومن أهمها.
١ ـ وجوب سحب القوات المصرية من اليمن.
٢ ـ إطلاق سراح المعتقلين السياسيين المدنيين والعسكريين.
٣ ـ إلغاء مجلس الأمة.
٤ ـ إلغاء الاتحاد الاشتراكي.
٥ ـ إلغاء الحلف بين موسكو والقاهرة.
٦ ـ إبعاد البعثة الروسية.

واستهدفت المطارات بغاراتٍ خاطفةٍ، وما هي إلا ساعة من الزمن إلا وغدا الطيران المصري خارج المعركة بعد أن فقد معظم طائراته، وتعطّلت المطارات، وبذا فقد الجيش المصري الحماية وأصبح مكشوفاً، وجاءت أوامر الانسحاب، فكان الطيران الإسرائيلي يعمل حصداً في المنسحبين مما كان له أكبر الأثر في زيادة الخسائر، ولو أن الجيش المصري لم يتراجع وإنما تقدّم واشتبك مع الجيش الإسرائيلي في القتال لخفّ أثر الطيران الإسرائيلي، وربما لم تكن الخسائر بهذه الصورة وخاصةً إذا علمنا أن اليهود لا يجرؤون على القتال إلا في قرىً محصّنةٍ أو من وراء جُدُرٍ، لذا فإن قتالهم الرئيسي إنما يعتمد على المدرعات والطيران فإن خفّفنا من أثر طيرانهم بالاشتباك ما دمنا قد فقدنا طيراننا فيجب أن ننازلهم بالبر ومدرعاتنا وأسلحتنا لم تصب بعد بأذى.

ونتيجة الانسحاب فقد خسر الجيش المصري ٨٠٪ من سلاحه، وفقد عشرة آلاف جندي، وألف وخمسمائة ضابط، وترك من الأسرى خمسة آلاف جندي، وخمسمائة ضابطٍ، وطلبت مصر وقف إطلاق النار، وتوقّفت الحرب على الجبهة المصرية، والتفتت إسرائيل إلى الجبهة الأردنية، وكانت لا تزال حتى هذا الوقت هادئةً فاحتلّت الضفة الغربية رغم المقاومة الشريفة، ولكن ما النتيجة والروح المعنوية منهارة والقوى غير متكافئة، وطلبت الأردن وقف إطلاق النار فكان لها، واتجهت إسرائيل نحو الجبهة السورية وكانت لا تزال هادئةً حتى ساعتذاك، بل لم يكن على الجانب الإسرائيلي أية جنودٍ رغم ما ادُّعي قبل الحرب من وجود حشودٍ يهوديةٍ عليها، وجاءت الأوامر من وزارة الدفاع السورية بالانسحاب قبل أن يكون اشتباك جاءت الأوامر للقوات الاحتياطية فقط دون تعميمٍ على القوات العضوية لكن لم ير قادة القوات العضوية انسحاب الاحتياط حتى سبقوهم عشوائياً دون تخطيطٍ، ولم تحدث مقاومة إلا من القطاع الشمالي حيث بدأ الخرق الإسرائيلي من جهة «القلع»، وكانت المقاومة في موقع «تل الفخار» حيث ظهرت البطولة إذ كان هناك عدد من ضباط الإخوان المسلمين الذين أُبعدوا إلى الجبهة، وسقطت مرتفعات الجولان مع قاعدتها مدينة القنيطرة، وتوقّف القتال، وتنفّست إسرائيل الصعداء بعدما بذلته من جهدٍ، وشعرت بنشوة النصر، وشعر قادة الجيوش المنهزمة بالخزي.

أعلن الرئيس المصري أنه سيتخلّى عن السلطة ما دام قد هُزم في المعركة، غير أنه من جانبٍ آخر قد أوعز إلى المخابرات، وعمال مصانع الدولة والمؤيدين له بالقيام بالمظاهرات والهتافات له رئيساً للبلاد، وبحياته، ومُتابعة طريق العزة والكرامة التي أهداها للشعب المصري، فاستجاب الزعيم لهذه النداءات واستمرّ على رأس السلطة يتحمّل المسؤولية كاملةً بكل جرأةٍ لا يُبالي بالعواصف العاتية.

وظهرت نغمة جديدة تبريراً للهزيمة المنكرة، وهي أن إسرائيل قد فشلت في حربها فقد استهدفت الأنظمة القائمة في مصر وسوريا، ولم تستطع تحقيق هدفها إذ ثبتت الأنظمة وظهر صمودها، أما الأرض فلا قيمة لها حيث تسترجع، إن القيمة كل القيمة لهذه الأنظمة التي منحها الله للشعب في هذين المصرين.

وعاش الشعب بئيساً لهزيمته ولاستمرار هذين النظامين اللذين ابتلاه الله بهما، وبدأ يسعى لتضميد جراحه ليأتي النظام بجديد يُوسّع فيه الجراح، ويزيد له جراحاً أخرى. وأعاد جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة في ١١ ربيع الأول ١٣٨٧هـ (١٩ حزيران ١٩٦٧م) برئاسته[١].

(١) شكل جمال عبد الناصر الوزارة برئاسته وكانت على النحو الآتي:
جمال عبد الناصر: رئيس الجمهورية رئيساً للوزراء.
زكريا محيي الدين: نائباً للرئيس.
حسين محمود الشافعي: نائباً للرئيس، ووزيراً للأوقاف والشؤون الاجتماعية.
علي صبري: نائباً للرئيس، ووزيراً للإدارة المحلية.
محمد صدقي سليمان: نائباً للرئيس، ووزيراً للصناعة، والكهرباء، والسد العالي.
وعُيّن كل من:
١ ـ كمال الدين محمود رفعت: وزيراً للعمل.
٢ ـ عبد المنعم القيسوني: وزيراً للتخطيط.
٣ ـ عبد المحسن أبو النور: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
٤ ـ محمود يونس: وزيراً للنقل، والبترول، والثروة المعدنية، والإسكان والمرافق.
٥ ـ ثروت عكاشة: وزيراً للثقافة.
٦ ـ سيد مرعي: وزيراً للزراعة، والإصلاح الزراعي.
٧ ـ عبد العزيز السيد: وزيراً للتربية والتعليم. =

بعد الحرب:

عقدت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وتحدث جمال عبد الناصر في اللقاء الذي تمّ يوم ٢٧ و٢٨ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ، وانتقد نقداً شديداً نظام الحكم القائم، واقترح أن يكون حزباً آخر مُعارضاً غير الاتحاد الاشتراكي حتى لا يكون استبداد في المستقبل يُؤدّي إلى سيطرة فردٍ أو جماعةٍ على الحكم، واقترح إجراء انتخاباتٍ في شعبان (كانون الأول من عام ١٩٦٧م) على أساس قيام حزبين.

ونتيجة المناقشات تمّ الاتفاق على عدم إجراء أي تعديلٍ في الحكم حتى إزالة آثار العدوان.

وعدّ جمال عبد الناصر قيادة عبد الحكيم عامر للجيش سبباً من أسباب الهزيمة حيث اتهمه بأنه قد سلّم القيادة لعناصر ليست بذات كفاءةٍ، مواليةٍ له،

= ٨ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
٩ ـ عبد الوهاب البشري: وزيراً للحربية والإنتاج الحربي.
١٠ ـ محمد طلعت خيري: وزيراً للشباب.
١١ ـ محمد لبيب شقير: وزيراً للتعليم العالي.
١٢ ـ محمود رياض: وزيراً للخارجية.
١٣ ـ نزيه أحمد ضيف: وزيراً للخزانة.
١٤ ـ شعراوي محمد جمعة: وزيراً للداخلية.
١٥ ـ محمد عصام الدين حسونة: وزيراً للعدل.
١٦ ـ عبد الخالق الشناوي: وزيراً للري.
١٧ ـ محمد نور الدين قره: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٨ ـ أمين حامد هويدي: وزيراً للدولة.
١٩ ـ أحمد شفيق البكري: وزيراً للدولة.
٢٠ ـ محمد محمد فائق: وزيراً للإرشاد القومي.
٢١ ـ كمال هنري أبادير: وزيراً للمواصلات.
٢١ ـ أمين مصطفى شاكر: وزيراً للسياحة.
ثم صدر في ٢٤ شوال ١٣٨٧هـ (٢٤ كانون الثاني ١٩٦٨م) قرار بتعيين:
١ ـ عبد المحسن أبو النور: وزيراً للإدارة المحلية.
٢ ـ محمد فوزي: وزيراً للحربية.
٣ ـ أمين حامد هويدي: وزيراً للدولة.

لذا فقد تمّ عزله، ثم مات بالسم مقتولاً أو منتحراً، وتمّ تعيين الفريق أول محمد فوزي قائداً عاماً للقوات المسلحة.

ورأى الحكم أن يكون الجيش بعد الآن لتحرير الأرض لا لحماية النظام.

أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فقد وقفت موقفاً تظهر فيه الشدّة ضدّ مصر، واتفقت مع روسيا بشأن عدم جواز غزو الأراضي بواسطة الحرب طبقاً لميثاق الأمم المتحدة، ويطلب مشروع القرار الذي تمّ الاتفاق عليه من كل أطراف النزاع أن تقوم إسرائيل دون تأخير بسحب قواتها من الأراضي التي تمّ احتلالها بواسطتها بعد ٤ حزيران ١٩٦٧م. لكن الولايات المتحدة عادت فسحبت موافقتها على مشروع القرار ليزول الشك من الصلة مع الحكم المصري القائم. وفي الوقت نفسه فقد ارتأى جمال عبد الناصر أن يلتجئ إلى الروس نهائياً أمام الموقف الأمريكي، وأعلم بذلك الروس الذين خُدعوا للمرة الثانية، وطلبوا زيارة جمال عبد الناصر لموسكو غير أنه قد ردّ عن طريق السفير الروسي في القاهرة الذي قابل وزير الخارجية المصري محمود رياض أن العرف المتبع أن يُزار المصاب في بيته ولا يذهب لزيارة الآخرين. وبالفعل فقد وصل إلى القاهرة يوم ١٤ ربيع الأول ١٣٨٧هـ (٢١ حزيران ١٩٦٧م) من موسكو: بودغورني، ورئيس أركان الجيش «المارشال زخاروف»، وتمت اللقاءات وحضرها من الجانب المصري إلى جانب الرئيس جمال عبد الناصر كل من زكريا محيي الدين، وعلي صبري، ومحمود رياض، والفريق أول محمد فوزي. وبدأ الخبراء الروس بعدها يصلون إلى مصر، وتتدفّق الأسلحة الروسية المنسّقة من الجيش الروسي، وفي الوقت نفسه تتراكم الديون على مصر.

وعقد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٨٧هـ (٢٩ آب ١٩٦٧م) وتعهدت دول النفط وهي: المملكة العربية السعودية، والكويت، وليبيا تقديم مساعدات كتعويض للخسائر التي مُنيت بها الدول العربية التي اعتدت عليها إسرائيل، وقد تعهدت أن تدفع الكويت ٥٥ مليون جنيه إسترليني، والسعودية ٥٠ مليون جنيه إسترليني، وليبيا ٣٠ مليون جنيه

إسترليني، فالمجموع هو (١٣٥ مليون جنيه إسترليني)، وهو المبلغ الذي طُلب من هذه الدول. ولم تحصل سوريا على شيء، إذ كانت تُهاجم المملكة العربية السعودية باستمرار، ولم تحضر مؤتمر القمة هذا.

وكان الضغط على مصر من كل جهة لعقد صلحٍ منفردٍ مع إسرائيل غير أن الحكم لم يستطع أن يخطو هذه الخطوة أمام الشَعب الذي يحقد على اليهود لما يراه من جرائم وعدوان. وأعاد جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة[1].

---

(١) أعاد جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة برئاسته أيضاً، وكانت على النحو الآتي:

١ ـ حسين محمود الشافعي: نائباً للرئيس، ووزيراً للأوقاف.
٢ ـ محمد صدقي سليمان: وزيراً للكهرباء والسدّ العالي.
٣ ـ كمال الدين محمود رفعت: وزيراً للعمل.
٤ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة، والبترول، والثروة المعدنية.
٥ ـ عبد المحسن أبو النور: وزيراً للإدارة المحلية.
٦ ـ ثروت عكاشة: وزيراً للثقافة.
٧ ـ محمد أبو نصير: وزيراً للعدل.
٨ ـ سيد مرعي: وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي.
٩ ـ حسن عباس زكي: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
١٠ ـ محمد النبوي المهندس: وزيراً للصحة.
١١ ـ محمد عبد الوهاب البشري: وزيراً للإنتاج الحربي.
١٢ ـ محمد لبيب شقير: وزيراً للتعليم العالي.
١٣ ـ محمود رياض: وزيراً للخارجية.
١٤ ـ شعراوي محمد جمعة: وزيراً للداخلية.
١٥ ـ أمين حامد هويدي: وزيراً للدولة.
١٦ ـ محمد محمد فائق: وزيراً للإرشاد القومي.
١٧ ـ كمال هنري أبادير: وزيراً للمواصلات.
١٨ ـ محمد حلمي مراد: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٩ ـ محمد فوزي «فريق أول»: وزيراً للحربية.
٢٠ ـ محمد عبد الله مرزبان: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢١ ـ إبراهيم زكي قناوي: وزيراً للري.
٢٢ ـ علي زين العابدين صالح: وزيراً للنقل.
٢٣ ـ أحمد مصطفى أحمد: وزيراً للبحث العلمي.
٢٤ ـ السيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
٢٥ ـ حسن حسين مصطفى: وزيراً للإسكان.

=

وقد جرى الاستفتاء في ٤ صفر ١٣٨٨هـ (٢ أيار ١٩٦٨م)، كما جرت انتخابات الاتحاد الاشتراكي.

حرب الاستنزاف:

بدأت المناوشات بين المصريين والإسرائيليين في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٨٨هـ (أيلول ١٩٦٨م)، كما جرت كذلك على الجبهة السورية، وعرفت هذه المناوشات باسم حرب الاستنزاف إذ كان السوريون والمصريون يُريدون إنهاك العدو الإسرائيلي بهذه المناوشات إضافةً إلى ما يقوم به الفدائيون الفلسطينيون من عملياتٍ جريئةٍ داخل فلسطين، ولا شك فإن حالة اليهود الاقتصادية السيئة في فلسطين ستضطرّهم إلى الانسحاب من الأراضي التي احتلّوها لأن الاستنفار الدائم في الجيش يُكلّف نفقاتٍ باهظةٍ إضافةً إلى التدمير

= ٢٦ ـ محمد بكر أحمد: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
٢٧ ـ عبد العزيز محمد حجازي: وزيراً للخزانة.
٢٨ ـ محمد حافظ غانم: وزيراً للسياحة.
٢٩ ـ محمد صفي الدين أبو العز: وزيراً للشباب.
٣٠ ـ ضياء الدين محمد داود: وزيراً للشؤون الاجتماعية، ووزير دولة لشؤون مجلس الأمة.

وعين:
عبد العزيز كامل: نائباً لوزير الأوقاف.
وفي ٦ شعبان ١٣٨٨هـ (٢٨ تشرين الأول ١٩٦٨م) صدر أمر بتعيين:
١ ـ عبد العزيز كامل: وزيراً للأوقاف.
٢ ـ محمد حمدي عاشور: وزيراً للإدارة المحلية.
٣ ـ عبد الوهاب علي البرلسي: وزيراً للتعليم العالي.
٤ ـ محمد عبد الوهاب شكري: وزيراً للصحة.
٥ ـ حافظ بدوي: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
وفي ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ (١٠ تموز ١٩٦٩م) صدر أمر بتعيين.
١ ـ محمد حافظ غانم: وزيراً للتربية والتعليم.
وفي ١٨ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ (٣١ آب ١٩٦٩م) صدر أمر بتعيين:
١ ـ مصطفى كامل إسماعيل: وزيراً للعدل.
وفي ١٠ رجب ١٣٨٩هـ (٢٢ أيلول ١٩٦٩م) صدر أمر بتعيين:
١ ـ محمد عوض القوني: وزيراً للسياحة.

الذي يحدث في البلاد، والروح المعنوية التي تضعف تدريجياً بالمناوشات، وبالمقابل فإن اليهود أخذوا يشنّون غاراتٍ جويةٍ على مصر وسوريا، ثم أخذت تدخل في الأعماق، وتستهدف المؤسسات الاقتصادية بل والمنشآت الاجتماعية، فقد أغارت في شهر ذي الحجة ١٣٨٩هـ على مصنع أبي زعبل، وقتلت سبعين عاملاً، وجرح مثلهم، وأغارت في شهر صفر عام ١٣٩٠هـ على مدرسة بحر البقر، وقتلت ستةً وأربعين طفلاً، وجرح أكثر منهم.

ورحّب جمال عبد الناصر بمبادرة «روجرز» للسلام فبدأ الهجوم الفلسطيني عليه من إذاعة صوت فلسطين في القاهرة فأغلق الرئيس المصري هذه المحطة.

وفي ١٠ شوال ١٣٨٩هـ (١٩ كانون الأول ١٩٦٩م) عيّن جمال عبد الناصر زميله أنور السادات رئيساً أول لرئاسة الجمهورية، وذلك قبيل مغادرته القاهرة لحضور مؤتمر القمة العربي في الرباط، وقد فشل المؤتمر، وانسحب الرئيس المصري منه.

ووقعت مصر اتفاقيةً عسكريةً مع سوريا.

وجرى خلاف بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية أدّى إلى صدامات واسعة بين الطرفين في شهر رجب ١٣٩٠هـ (أيلول ١٩٧٠م) قدّم الفلسطينيون خلالها كثيراً من الضحايا، ودعا الرئيس المصري إلى عقد مؤتمر قمةٍ عربيٍ مستعجلٍ في القاهرة لتدارك الوضع، وتمّ اللقاء، ولم تُدع الأردن إلى ذلك المؤتمر، وأرسل المؤتمرون وفداً إلى الأردن، فأبلغهم الملك بأنه سيحضر إلى القاهرة، وقد حضر، وشرح للمجتمعين الموضوع، وانتهى المؤتمر، وأخذ الممثّلون يُغادرون القاهرة، ويُودّعهم الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وكان آخر المغادرين أمير الكويت، وخرج جمال لوداعه، فكانت وفاته يوم الاثنين ٢٨ رجب ١٣٩٠هـ (٢٨ أيلول ١٩٧٠م) أثناء الوداع.

وهكذا دامت رئاسة جمال عبد الناصر أكثر من أربعة عشر عاماً، وتعاقبت خلالها عشر وزارات.

شكّل جمال عبد الناصر منها	أربع وزاراتٍ	٤
ونور الدين طراف	وزارةً واحدةً	١
وكمال الدين حسين	وزارةً واحدةً	١
وعلي صبري	وزارتين	٢
وزكريا محيي الدين	وزارةً واحدةً	١
ومحمد صدقي سليمان	وزارةً واحدة	١
		١٠

١ ـ جمال عبد الناصر (الثالثة): ١٧ ذي القعدة ١٣٧٥ ـ ١٥ شعبان ١٣٧٧هـ. (٢٥ حزيران ١٩٥٦ ـ ٦ آذار ١٩٥٨م).

٢ ـ جمال عبد الناصر (الرابعة): ١٥ شعبان ١٣٧٧ـ ٢٤ ربيع الأول ١٣٧٨هـ. (٦ آذار ١٩٥٨ ـ ٧ تشرين الأول ١٩٥٨م).

٣ ـ نور الدين طراف: ٢٤ ربيع الأول ١٣٧٨ ـ ٩ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ. (٧ تشرين الأول ١٩٥٨ ـ ٣٠ أيلول ١٩٦٠م).

٤ ـ كمال الدين حسين: ٩ ربيع الثاني ١٣٨٠ ـ ١٨ ربيع الثاني ١٣٨١هـ. (٣٠ أيلول ١٩٦٠ ـ ٢٨ أيلول ١٩٦١م).

٥ ـ علي صبري (الأولى): ١٨ ربيع الثاني ١٣٨١ ـ ١٢ ذي القعدة ١٣٨٣هـ. (٢٨ أيلول ١٩٦١ ـ ٢٥ آذار ١٩٦٤م).

٦ ـ علي صبري (الثانية): ١٢ ذي القعدة ١٣٨٣ ـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ. (٢٥ آذار ١٩٦٤ ـ ١ تشرين الأول ١٩٦٥م).

٧ ـ زكريا محيي الدين: ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥ ـ ٢٥ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ. (١ تشرين الأول ١٩٦٥ ـ ١٠ أيلول ١٩٦٦م).

٨ ـ محمد صدقي سليمان: ٢٥ جمادى الأولى ١٣٨٦ ـ ٢٧ صفر ١٣٨٧هـ. (١٠ أيلول ١٩٦٦ ـ ٥ حزيران ١٩٦٧م).

٩ ـ جمال عبد الناصر (الخامسة): ١٢ ربيع الأول ١٣٨٧ ـ ٢١ ذي الحجة ١٣٨٧هـ. (١٩ حزيران ١٩٦٧ ـ ٢٠ آذار ١٩٦٨م).

١٠ ـ جمال عبد الناصر (السادسة): ٢١ ذي الحجة ١٣٨٧ ـ ٢٨ رجب ١٣٩٠هـ. (٢٠ آذار ١٩٦٨ ـ ٢٨ أيلول ١٩٧٠م).

٣ ـ عَهْد أنور السَّادات

انتهى جمال عبد الناصر في نظر الغرب والشرق. فالولايات المتحدة شعرت أن روسيا قد أحسّت بالدور الذي يلعبه جمال عبد الناصر في التفاهم مع المعسكر الشرقي لمصلحة الغرب، ولذا فلم يعد يصلح لها للقيام بهذه المهمة، ومن جانب آخر فإنه لم يستطع أن يخطو خطوةً واسعةً لمصلحة إسرائيل التي يُطالب بها اليهود حكومة الولايات المتحدة، ويستعجلونها في ذلك، ويؤكّدون عليها باستمرار، ومع أنه قد انسحب مرتين أمام إسرائيل، وتخلّى في المرتين لها عن سيناء إلا أنه لا يزال يخشى الضغط الشعبي مع أنه قد وصل إلى مرحلةٍ يستطيع معها أن يحرّك الشعب العربي وكثيراً من الشعوب الإسلامية التي تُؤيّد العرب من باب العاطفة الإسلامية والشعور بوحدة الأمة غير أنه يخاف أن يهدّم ذلك المجد الذي بناه لنفسه لذا فهو يترنّح في الجرأة السياسية التي عُرف بها، ويحذر التقدّم نحو إسرائيل أو الركوع أمامها أكثر مما فعل، لذا يجب استبداله من جهة الولايات المتحدة بآخر يخطو خُطوةً أخرى وأوسع نحو إسرائيل. وانكشف أمره أمام المعسكر الشرقي وانتهى. إذن لا بدَّ من التخلّص منه بأية صورةٍ، ووضع له الزئبق في الطعام، وكان ما كُتِب له من حياةٍ قد انتهى بأمر الله ومات فجأةً ـ كما رأينا ـ.

تسلّم أنور السادات النائب الأول لرئيس الجمهورية في عهد جمال عبد الناصر منصب الرئاسة بالنيابة ريثما تتفق الهيئات العليا للدولة على اختيار رئيس جديدٍ، ثم رشّح أنور السادات نفسه من قبل الاتحاد الاشتراكي لتولّي المنصب، وقد تمّ هذا في الاستفتاء الذي أجري في ١٤ شعبان ١٣٩٠هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٧٠م). وقدّم وزير الإعلام محمد حسنين هيكل استقالته من الوزارة وقبل ذلك الرئيس، واستقالت الحكومة، وعهد إلى محمود فوزي

تشكيلها[1] وصدر القرار بالتعيين في ١٩ شعبان ١٣٩٠هـ (٢٠ تشرين الأول ١٩٧٠م).

---

(١) صدر قرار عن رئاسة الجمهورية في مصر، يقضي بتشكيل الحكومة الجديدة على الشكل الآتي:

١ ـ محمود فوزي: رئيساً للوزراء.
٢ ـ محمد صدقي سليمان: وزيراً للكهرباء والسدّ العالي.
٣ ـ كمال الدين محمود رفعت: وزيراً للعمل.
٤ ـ عزيز صدقي: وزيراً للصناعة والبترول والثروة المعدنية.
٥ ـ ثروت عكاشة: وزيراً للثقافة.
٦ ـ سيد مرعي: وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي.
٧ ـ حسن عباس زكي: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٨ ـ محمود رياض: وزيراً للخارجية.
٩ ـ شعراوي محمد جمعة: وزيراً للداخلية.
١٠ ـ أمين حامد هويدي: وزيراً للدولة.
١١ ـ محمد محمد فائق: وزيراً للإرشاد القومي.
١٢ ـ كمال هنري بادير: وزيراً للمواصلات.
١٣ ـ محمد فوزي: وزيراً للحربية.
١٤ ـ محمد عبد الله مرزبان: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٥ ـ علي زين العابدين صالح: وزيراً للنقل.
١٦ ـ إبراهيم زكي قناوي: وزيراً للري.
١٧ ـ أحمد مصطفى أحمد: وزيراً للبحث العلمي.
١٨ ـ سيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
١٩ ـ حسن حسن مصطفى: وزيراً للإسكان والمرافق.
٢٠ ـ محمد بكر أحمد: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
٢١ ـ عبد العزيز محمد حجازي: وزيراً للخزانة.
٢٢ ـ محمد حافظ غانم: وزيراً للتربية والتعليم.
٢٣ ـ محمد صفي الدين أبو العز: وزيراً للشباب.
٢٤ ـ عبد العزيز كامل: وزيراً للأوقاف، وشؤون الأزهر.
٢٥ ـ محمد حمدي عاشور: وزيراً للإدارة المحلية.
٢٦ ـ عبد الوهاب البرلسي: وزيراً للتعليم العالي.
٢٧ ـ حافظ علي بدوي: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
٢٨ ـ عبده محمود سلام: وزيراً للصحة.
٢٩ ـ مصطفى كامل إسماعيل: وزيراً للعدل.
٣٠ ـ محمد عوض القوني: وزيراً للسياحة. =

لم تكن شخصية أنور السادات تلك الشخصية البارزة في العهد السابق، ولست أدري فيما إذا كانت قوة شخصية جمال عبد الناصر قد طغت عليه، أم أن طبيعة أنور السادات هي كذلك لا يمكنها الظهور فيما إذا كانت تعمل تحت إدارة غيرها، وهي مُنفّذة وليست صانعة للقرار، ولكنها تلمع عندما تكون القرارات بأيديها؟. وربما كانت المهمة المنوطة به هي التي جعلته يُؤدّي دور الصموت في المرحلة الأولى ودور الخُطا الواسعة والتحدّي في المرحلة الثانية، وكلها أسئلة ربما كانت أجوبتها واحدةً أو متكاملةً بعضها مع بعضٍ.

بدأ الرئيس السادات يُبدي أن يسير على غرار ما سار عليه جمال عبد الناصر، ولكنه يغمز منه، ويُلمّح إلى عدم الحكمة في منهجه في الحكم، وفي أسلوب مُعالجته للموضوعات، ويعود في نهاية الخطبة أو في آخر الحديث إلى الترحّم عليه، وعلى كلٍّ فقد استطاع تدريجياً أن يُقوّي مركزه، وأن يُثبّت أعوانه في مراكز السلطة، وأن يُقلّل من مكانة جمال عبد الناصر من النفوس، ويُخفّف من هيبته التي فرضها بالقوة، وأخاف بها الناس بالتجسّس عليهم، وبالقتل، وعدم الخوف من الله، وارتكاب أبشع الجرائم بمخالفيه.

وفي ١٧ رمضان ١٣٩٠هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٧٠م) قدّم محمود فوزي استقالته للرئيس المصري أنور السادات الذي قبلها، وكلّفه بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ. وطلب من الوزراء الاستمرار في أعمالهم حتى صدور قرارات إعادة التشكيل التي تمت بعد يومين[(١)].

= ٣١ ـ حسن محمد التهامي: وزيراً للدولة.
٣٢ ـ محمد سعد الدين زايد: وزيراً للدولة.
٣٣ ـ عبد الرؤوف سامي شرف: وزيراً للدولة.
وأصدر الرئيس أنور السادات قراراً بتعيين الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء مساعداً لرئيس الجمهورية للشؤون السياسية.
وأصدر قراراً ثانياً بتعيين محمد محمد فائق وزير الإرشاد القومي وزيراً للخارجية بالنيابة.
وأصدر قراراً ثالثاً بتعيين حسين الشافعي، وعلي صبري نائبين لرئيس الجمهورية.

(١) شكل محمود فوزي وزارته الثانية على النحو الآتي:
١ ـ محمود فوزي: رئيساً للوزراء. =

= ٢ ـ عزيز صدقي: نائباً لرئيس الوزراء للإنتاج، ووزيراً للصناعة والنفط والثروة المعدنية.
٣ ـ سيد مرعي: نائباً لرئيس الوزراء للزراعة والري، ووزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي.
٤ ـ محمود رياض: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٥ ـ شعراوي محمد جمعة: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٦ ـ محمد محمد فائق: وزيراً للإعلام.
٧ ـ كمال هنري بادير: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ محمد فوزي: وزيراً للحربية.
٩ ـ محمد عبد الله مرزبان: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
١٠ ـ إبراهيم زكي قناوي: وزيراً للري.
١١ ـ علي زين العابدين صالح: وزيراً للنقل.
١٢ ـ أحمد مصطفى أحمد: وزيراً للبحث العلمي.
١٣ ـ السيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
١٤ ـ محمد بكر أحمد: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
١٥ ـ عبد العزيز حجازي: وزيراً للخزانة.
١٦ ـ محمد حافظ غانم: وزيراً للتربية والتعليم.
١٧ ـ محمد صفي الدين أبو العز: وزيراً للشباب.
١٨ ـ عبد العزيز كامل: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
١٩ ـ محمد حمدي عاشور: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢٠ ـ عبد الوهاب البرلسي: وزيراً للتعليم العالي.
٢١ ـ حافظ بدوي: وزيراً للشؤون الاجتماعية، ووزير دولة لشؤون مجلس الأمة.
٢٢ ـ عبده سلام: وزيراً للصحة.
٢٣ ـ محمد سعد الدين زايد: وزيراً للإسكان والمرافق.
٢٤ ـ سامي شرف: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
٢٥ ـ حلمي السعيد: وزيراً للكهرباء.
٢٦ ـ محمد حافظ إسماعيل: وزيراً للدولة.
٢٧ ـ محمد أحمد محمد: وزيراً للإدارة المحلية.
٢٨ ـ حسن فهمي البدوي: وزيراً للعدل.
٢٩ ـ عصمت عبد المجيد: وزيراً للدولة.
٣٠ ـ أحمد السيد درويش: وزيراً للسياحة.
٣١ ـ بدر الدين أبو غازي: وزيراً للثقافة.
٣٢ ـ عبد اللطيف بلطية: وزيراً للعمل.
٣٣ ـ محمد الخواجة: نائباً لوزير الاقتصاد والتجارة الخارجية. =

وحذَّر محمود فوزي إسرائيل من أنه ليست هناك فرص للسلام طالما ظلَّت فوق الأرض العربية. وأعلن أن مصر تُريد السلام، وقد قبلت قرارات الأمم المتحدة، ومُبادرة وزير الخارجية الأمريكية «وليم روجرز»، ووافقت على وقف إطلاق النار ولكن ليست هناك استجابة من إسرائيل.

وأخذ الرئيس السادات يُصرّح بضرورة الحرية الفكرية، وطرق المناقشة والحوار، وأن حكومته لن تكون حكومة الرأي الواحد مثل طريق المرور. فالاستبداد هو عدم السماح بإبداء الرأي، وعدم سماع آراء غير رأي أصحاب السلطة.

كما بدأ بالتركيز على موضوع السلاح والثناء على موقف الروس في تزويد مصر بالأسلحة، ويُطالب بالمزيد منها، ويبدو أنه كان يُفكّر بموضوع ويعمل له، ويسعى إليه، ثم يقوم فجأةً بالتنفيذ.

كانت الوزارة دائمة التغيير، رغم أن معظم وزرائها هم أنفسهم لم يتغيّروا أبداً، ورئيس الوزراء نفسه وهو الدكتور محمود فوزي، وقد شكّل أربع وزاراتٍ مُتلاحقةٍ، وكانت مدة الوزارة حوالي ستة أشهر، ففي ١٩ ربيع الأول ١٣٩١هـ (١٤ أيار ١٩٧١م) شكلّ محمود فوزي الوزارة الثالثة[١].

= ثم صدر قرار بتعيين أحمد نوح وزيراً للدولة لشؤون الطيران المدني.
كما ألحق بقرار آخر بتعيين محمد عبد السلام الزيات وزيراً للدولة لشؤون مجلس الأمة.

(١) كانت الوزارة الثالثة على النحو الآتي:
١ ـ محمود فوزي: رئيساً للوزارة.
٢ ـ عزيز صدقي: نائباً لرئيس الوزراء للإنتاج والتجارة، ووزيراً للصناعة والبترول والثروة المعدنية.
٣ ـ محمد عبد القادر حاتم: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للإعلام.
٤ ـ سيد مرعي: نائباً لرئيس الوزراء للزراعة والري، ووزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي.
٥ ـ محمود رياض: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٦ ـ كمال هنري بادير: وزيراً للمواصلات.
٧ ـ محمد عبد الله مرزبان: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية، ووزيراً للتموين بالنيابة.
٨ ـ السيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
=

وكان أنور السادات على خلافٍ مع بعض الشخصيات التي كانت تُحيط بجمال عبد الناصر، والتي كانت تقوم بدور كبيرٍ في الحكم، وتتسلّط على الناس، وكانت الكراهية تتحكّم في الفريقين، ولا بُدَّ من أن يأكل أحدهما الآخر، فلما تسلّم السلطة أنور السادات أبدى أنه سيترك الأمور على حالتها

= ٩ ـ عبد العزيز حجازي: وزيراً للخزانة.
١٠ ـ محمد حافظ غانم: وزيراً للتربية والتعليم.
١١ ـ عبد العزيز كامل: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
١٢ ـ محمد حمدي عاشور: وزيراً للإدارة المحلية.
١٣ ـ عبد الوهاب البرلسي: وزيراً للبحث العلمي.
١٤ ـ حافظ بدوي: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
١٥ ـ عبده محمود سلام: وزيراً للصحة.
١٦ ـ محمد حافظ إسماعيل: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١٧ ـ محمد أحمد محمد: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
١٨ ـ حسن فهمي البدوي: وزيراً للعدل.
١٩ ـ أحمد عصمت عبد المجيد: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
٢٠ ـ أحمد السيد درويش: وزيراً للسياحة.
٢١ ـ عبد اللطيف بلطية: وزيراً للعمل.
٢٢ ـ أحمد نوح: وزيراً للدولة لشؤون الطيران المدني.
٢٣ ـ محمد عبد السلام الزيات: وزيراً للدولة لشؤون مجلس الأمة.
٢٤ ـ ممدوح سالم: وزيراً للداخلية.
٢٥ ـ محمد أحمد صادق: وزيراً للحربية.
٢٦ ـ محمد مرسي أحمد: وزيراً للتعلم العالي.
٢٧ ـ أحمد سلطان: وزيراً للكهرباء.
٢٨ ـ علي السيد محمد: وزيراً للإسكان والمرافق.
٢٩ ـ سليمان عبد الحي: وزيراً للنقل.
٣٠ ـ محمد عبد الرقيب: وزيراً للري.
٣١ ـ علي والي: وزيراً للدولة للبترول والثروة المعدنية.
٣٢ ـ مصطفى كمال طلبه: وزيراً للشباب.
٣٣ ـ إسماعيل غانم: وزيراً للثقافة.
٣٤ ـ إسماعيل صبري عبد الله: نائباً لوزير التخطيط.
ثم عين محمد فتح الله الخطيب: وزيراً للشؤون الاجتماعية.
وعين عبد الملك سعد: وزيراً للمواصلات، وأعفي كمال هنري بادير.
وعينت عائشة راتب: وزيرة للشؤون للاجتماعية.

الأولى، وسيُبقي كلاً في مكانه الذي يحتلّه ومركزه الذي يُشغله. ثم وجد أعواناً له، واعتمد على الفريق محمد صادق قائد الجيش، وعلى ممدوح سالم قائد الشرطة، واتفق معهما على إنهاء وضع المتسلّطين، وقد أوكل إلى الفريق محمد صادق وزارة الحربية، وإلى ممدوح سالم وزارة الداخلية في وزارة محمود فوزي الثالثة، وفي اليوم التالي لاستلام هذه الحكومة السلطة ضرب أنور السادات ضربته واعتقل مخالفيه[١]، وقد صبّ أنور السادات عداءه على منافسيه على حين ترك الذين يلعبون بشؤون الناس من المحتكرين، وتجار المخدرات وغيرهم يمرحون كما يحلو لهم.

ولما نجح أنور السادات في مساعيه أعاد تشكيل مجلس الشعب، والاتحاد الاشتراكي، بل ومجالس المؤسسات والأندية، وأصبح للعهد الجديد صفةً خاصةً تختلف عما كانت عليه أيام جمال عبد الناصر، وغدا السادات سيّد البلاد، وله حاشية جديدة.

وأصدر قراراً بإعادة إطلاق كلمة «مصر» على البلاد، وأصبح الاسم الرسمي هو «جمهورية مصر العربية» بعد أن حملت اسم «الجمهورية العربية المتحدة» ما يقرب من اثني عشرة سنةً أي منذ الوحدة بين مصر وسوريا حتى بعد وفاة جمال عبد الناصر بسنةٍ واحدةٍ.

وشكّل محمود فوزي وزارته الرابعة والأخيرة[٢] في ٢٩ رجب ١٣٩١هـ

---

(١) كان على رأس مخالفيه علي صبري نائب رئيس الجمهورية في عهد جمال عبد الناصر. وشعراوي محمد جمعة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية السابق، ومحمد فوزي وزير الحربية، وسامي شرف وزير شؤون رئاسة الجمهورية، وشمسي بدران، وصلاح نصر و....

(٢) كانت وزارة محمود فوزي على النحو الآتي:
١ ـ محمود فوزي: رئيساً للوزراء.
٢ ـ عزيز صدقي: نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء.
٣ ـ محمد عبد القادر حاتم: نائب لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للثقافة والإعلام.
٤ ـ سيد مرعي: نائب لرئيس مجلس الوزراء للزراعة والري، ووزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي.
٥ ـ محمود رياض: نائب لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية. =

(١٩ أيلول ١٩٧١م). وبدأ الرئيس محمد أنور السادات يعمل على إطلاق الحريات، ذلك لأن المهمّة المهيّأة تقتضي أن يكون ذلك، فالحرب مثلاً إذا دخلها مستبدّاً، ولم تكن نتائجها في مصلحته أثارت عليه الرعية، وربما قضى ذلك قبل أن يُؤدّي الدور المعدّ له، وهو بالنسبة إلى الرئيس المصري أنور السادات القيام بخطوةٍ واسعةٍ نحو التقارب مع إسرائيل لذا فقد وُجّه نحو إطلاق الحريات، فأخرجت أفواج من السجون، وبدأ الحديث عن الحريات، وجرى شيء من الانفتاح بالنسبة إلى الصحف والمجلات، كما أخذ الرئيس

= ٦ ـ محمد عبد الله مرزبان: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية، ووزيراً للتموين والتجارة الداخلية بالنيابة.
٧ ـ السيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
٨ ـ عبد العزيز حجازي: وزيراً للخزانة.
٩ ـ محمد حافظ غانم: وزيراً للتربية والتعليم.
١٠ ـ عبد العزيز كامل: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
١١ ـ محمد أحمد محمد: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
١٢ ـ أحمد عصمت عبد المجيد: وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء.
١٣ ـ أحمد السيد درويش: وزيراً للصحة، ووزيراً للشؤون الاجتماعية بالنيابة.
١٤ ـ عبد اللطيف بلطية: وزيراً للقوى العاملة.
١٥ ـ أحمد نوح: وزيراً للدولة لشؤون الطيران المدني.
١٦ ـ ممدوح سالم: وزيراً للداخلية.
١٧ ـ محمد أحمد صادق: وزيراً للحربية.
١٨ ـ محمد مرسي أحمد: وزيراً للتعليم العالي.
١٩ ـ أحمد سلطان: وزيراً للكهرباء.
٢٠ ـ علي السيد محمد: وزيراً للإسكان والتشييد.
٢١ ـ سليمان عبد الحي: وزيراً للنقل والمواصلات.
٢٢ ـ محمد عبد الرقيب: وزيراً للري.
٢٣ ـ علي والي: وزيراً للدولة لشؤون البترول والثروة المعدنية.
٢٤ ـ إبراهيم نجيب: وزيراً للسياحة.
٢٥ ـ محمد سلامة: وزيراً للعدل.
٢٦ ـ محمد إبراهيم حسن سليم: وزيراً للدولة لشؤون الإنتاج الحربي.
٢٧ ـ محمد مراد غالب: وزيراً للدولة لشؤون الخارجية.
٢٨ ـ محمود حمدي: وزيراً للنقل البحري. (توفي بعد ثلاثة أشهر وقام سليمان عبد الحي بأعمال الوزارة).

نفسه يستمع إلى بعض رجالات البلاد وأبناء الشعب.

وفي أول ذي الحجة ١٣٩١هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٧٢م) شكّل عزيز صدقي الوزارة(١) بعد استقالة حكومة محمود فوزي الرابعة.

---

(١) شكلت الحكومة على النحو الآتي:
١ ـ عزيز صدقي: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ محمد عبد القادر حاتم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للإعلام والثقافة.
٣ ـ محمد عبد السلام الزيات: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.
٤ ـ محمد عبد الله مرزبان: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٥ ـ ممدوح سالم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٦ ـ محمد أحمد صادق: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية والإنتاج الحربي.
٧ ـ محمود رياض: وزيراً للمواصلات.
٨ ـ السيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
٩ ـ عبد العزيز حجازي: وزيراً للخزانة.
١٠ ـ أحمد نوح: وزيراً للطيران المدني.
١١ ـ أحمد سلطان: وزيراً للكهرباء.
١٢ ـ محمد سلامة: وزيراً للعدل.
١٣ ـ محمد إبراهيم حسن سليم: وزيراً للإنتاج الحربي.
١٤ ـ محمد مراد غالب: وزيراً للخارجية.
١٥ ـ عائشة راتب: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
١٦ ـ عبد العزيز كمال محمد: وزيراً للإسكان والتشييد.
١٧ ـ إسماعيل صبري عبد الله: وزيراً للدولة للتخطيط.
١٨ ـ محمد حسن الزيات: وزيراً للخارجية.
١٩ ـ يحيى الملا: وزيراً للصناعة والبترول والثروة المعدنية.
٢٠ ـ فؤاد موسى: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢١ ـ أحمد محمد عفت: وزيراً للنقل الجوي.
٢٢ ـ مصطفى الجبلي: وزيراً للزراعة واستصلاح الأراضي.
٢٣ ـ عبد الحليم محمود: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
٢٤ ـ علي عبد الرزاق: وزيراً للتربية والتعليم.
٢٥ ـ عزيز يوسف سعد: وزيراً للري.
٢٦ ـ زكي هاشم: وزيراً للسياحة.
٢٧ ـ عبد المنعم يونس عمارة: وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء.
٢٨ ـ عثمان عدلي بدران: وزيراً لاستصلاح الأراضي. =

طرد الخبراء الروس:

ومنذ ٢٧ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ (٨ تموز ١٩٧٢م) أخذ الروس يتباطؤون بإرسال الأسلحة إلى مصر، وأحسّ الرئيس أنور السادات أن الموضوع مُتعمّداً إذ اكتشف الروس أن الانحياز المصري للغرب بيّن وواضح، ويجب ألا يُخدعوا أكثر من مرّةٍ لذا أخذوا لا يُبالون في رضا مصر أم غضبها، فأبلغ الرئيس المصري السفير الروسي بإنهاء عمل الخبراء الروس في مصر، مع استبقاء الوحدات العسكرية الروسية على أن يتمّ وضعها تحت القيادة المصرية، وفي حالة رفض الطلب فعليها أن تُغادر الأراضي المصرية قبل يوم ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ (١٧ تموز ١٩٧٢م). وغادر الروس مصر، واستعادت مصر القاعدة العسكرية التي كانت قد منحتها للخبراء الروس، وشنَّ الروس على مصر حملةً إعلاميةً شعواء في أنها دولة تسير ضمن المخطط الاستعماري، وأنها تأتمر بأوامر الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ٢٢ صفر ١٣٩٣هـ (٢٧ آذار ١٩٧٣م) شكّل رئيس الجمهورية أنور السادات حكومةً جديدةً برئاسته[1]، وأحسَّ أنه سائر في دربٍ تنتهي به إلى

= ٢٩ ـ شمس الدين الوكيل: وزيراً للتعليم العالي.
٣٠ ـ حسن حميدة: وزيراً للنقل.
٣١ ـ محمود محمد محفوظ: وزيراً للصحة.
٣٢ ـ صلاح الدين محمد غريب: وزيراً للقوى العاملة.
٣٣ ـ أحمد كمال أبو المجد: وزيراً للدولة للشباب (عين فيما بعد).
ثم عُيّن: أحمد إسماعيل علي: وزيراً للحربية.
أحمد كامل البدري: وزيراً للإنتاج الحربي.

(١) شكل أنور السادات الحكومة على النحو الآتي:
يتولى رئيس الجمهورية محمد أنور السادات رئاسة مجلس الوزراء.
١ ـ محمد عبد القادر حاتم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للثقافة والإعلام.
٢ ـ ممدوح محمد سالم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٣ ـ عبد العزيز محمد حجازي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٤ ـ عبد العزيز عبد القادر كامل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الدينية، ووزيراً للأوقاف.
٥ ـ أحمد إسماعيل علي: وزيراً للحربية.
٦ ـ محمود رياض: وزيراً للمواصلات. =

حربٍ، فالروس لا يُقدّمون السلاح حيث لا يُريدون لمصر أن تنتصر على

= ٧ ـ السيد جاب الله السيد: وزيراً للتخطيط.
٨ ـ محمد مراد غالب: وزيراً للإعلام.
٩ ـ عائشة راتب: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
١٠ ـ إسماعيل صبري عبد الله: وزيراً للدولة للتخطيط.
١١ ـ محمد حسن الزيات: وزيراً للخارجية.
١٢ ـ علي عبد الرازق: وزيراً للتربية والتعليم.
١٣ ـ عزيز يوسف سعد: وزيراً للري.
١٤ ـ عثمان عدلي بدران: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
١٥ ـ محمود محمد محفوظ: وزيراً للصحة.
١٦ ـ صلاح الدين محمد غريب: وزيراً للقوى العاملة.
١٧ ـ أحمد كمال أبو المجد: وزيراً للإنتاج الحربي.
١٨ ـ أحمد كامل البدري: وزيراً للإنتاج الحربي.
١٩ ـ يوسف السباعي: وزيراً للثقافة.
٢٠ ـ فخري محمد عبد النبي: وزيراً للعدل.
٢١ ـ محمد مجيب محمد زكي: وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي.
٢٢ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزير الدولة لأمانة الحكم المحلي والمنظمات الشعبية.
٢٣ ـ محمود أمين عبد الحافظ: وزيراً للإسكان والتشييد.
٢٤ ـ أحمد عز الدين حسن هلال: وزيراً للبترول والثروة المعدنية.
٢٥ ـ إبراهيم سالم محمدين: وزيراً للصناعة.
٢٦ ـ حسن أحمد الشريف: وزيراً للتأمينات.
٢٧ ـ عبد الفتاح عبد الله محمود: وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء.
٢٨ ـ أحمد محمد ثابت: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢٩ ـ إسماعيل فهمي: وزيراً للسياحة.
٣٠ ـ عبد العزيز محمد عيسى: وزيراً لشؤون الأزهر.
٣١ ـ محمد كامل ليلة: وزيراً للتعليم العالي.
٣٢ ـ عبد المعطي أحمد إسماعيل العربي: وزيراً للنقل البحري.
٣٣ ـ الحسيني عبد اللطيف عبد الرحمن: وزيراً للنقل.
ثم عُيّن:
عثمان أحمد عثمان: وزيراً للتعمير.
عبد الحميد حسن محمد: نائباً لوزير الدولة للشباب.
ثم جرى تعديل فأصبح.
إسماعيل فهمي: وزيراً للخارجية.
ومحمد حسن الزيات: مستشاراً لرئاسة الجمهورية.
ومحمد عبد القادر حاتم: وزيراً للإعلام.

إسرائيل، بل لا يستطيعون ذلك لأن الولايات المتحدة لا تُوافق على هذا، وروسيا تُخطّط مع دولةٍ كبرى هي الولايات المتحدة، ولا تُخطّط مع مصر أو أية دولةٍ أخرى صغيرةٍ وهكذا تكون لعبة الأمم، وكذلك لا تريد الولايات المتحدة أن تنتصر مصر على إسرائيل لما لإسرائيل من نفوذٍ في الولايات المتحدة أولاً ثم لأن مصر لو انتصرت على إسرائيل لأسرعت خطا المنطقة نحو التجمّع والاتحاد ولكان لها شأن ربما أزعج الولايات المتحدة وروسيا معاً، وهذا ما ترفضانه وتحولان دونه كل الحيلولة.

حرب رمضان:

شعر العرب بالمرارة في حرب ٢٧ صفر ١٣٨٧هـ (٥ حزيران ١٩٦٧م) إذ تظاهر عليهم الشرق والغرب، وحتى في البلدان العربية أصبحت فجوة بين الشعب الذي اعتقد أن أصحاب السلطة قد قصّروا في الاستعداد وتهاونوا في القتال وبين الذين بيدهم الأمر إذ اعتمدوا على سلاح الشرق فخذلهم، ولم يتوقّعوا من الغرب دعماً لإسرائيل بهذه الصورة نتيجةِ الصلة معه فخاب الظنّ، ووقف الغربيون بجانب اليهود وخذلوا العرب. وكان الشعب العربي والمسلمون من ورائه يتألّمون لما أصابهم، وأصبح عندهم أمل للاندفاع ذاتياً دون الاعتماد على أحدٍ علّهم يُحرزون بعض ما عجزت عنه الجيوش.

ودرس الغرب والشرق هذه الظاهرة وحاولوا التخفيف من مرّها على العرب خوفاً من حركاتٍ داخليةٍ تقوم دون إمكانية استيعابها وخاصةً أنهم قد وجدوا تحرّكاً في العمل الفدائي الفلسطيني، وتأييداً مُتزايداً له بل واندفاعاً نحوه. وإذا كانت رؤوس خيطانه بأيديهم لكنهم لا يضمنون تفلّت بعض هذه الخيوط تحت تأثير الضغوط المتزايدة والرغبة في قيادة التيارات الهائجة والظهور على أكتافها وتجاوز القيادات القائمة وخاصةً أن الأسلحة قد أصبحت في مُتناول الأيدي، أيدي الأفراد الذين تأخذهم الحماسة وربما انفلتوا من عقالهم وتركوا قيادتهم.

وجد الغرب والشرق مُتفاهمين تخفيف المرارة على سكان المنطقة، ورأوا إعادة الربط بين السلطة والشعب إلى حدٍّ، فتغيّرت الواجهات السياسية في مصر وسوريا قطبي المعركة والقتال، وإن لم تكن الواجهات الجديدة بعيدة

عن الساحة عام ١٣٨٧هـ إلا أنه تغيير، وإذا كان التغيير في مصر قد أعلن سيره نحو الغرب فقد أبدى المسؤولون في سوريا تحركهم نحو الشرق أو المحافظة على ما كان سلفهم عليه مع اتهام من سبقهم بالتوجّه نحو الغرب، والحقيقة التي لا مراء فيها أن كلا الواجهتين سواء أكانتا قبلاً أم حديثاً فإنهما تشربان من منهلٍ واحدٍ، وتسيران في فلكٍ واحدٍ، مع ادّعاءاتٍ مُتباينةٍ، وتصريحاتٍ تُشير إلى خطٍ، وتسير في خطٍ، ومع وعودٍ بالتحرير ومُناداةٍ بالاستعداد نفد صبر الناس وانتظروا وهم على يقين ألا يحدث جديد، ولا يتمّ إلا ما هو مُخطَّط له أن يتمّ.

ورأى الغرب والشرق مُتفاهمين أن يحدث جديد بعد التغيير يُخفّف من المرارة ويُعيد للشعب شيئاً من الطمأنينة بعدم التكالب على المسلمين من كل الجهات كما يُعيد للقيادات شيئاً من الثقة في نفوس رعاياهم، ولكن لن يكون هذا أبداً على حساب إسرائيل بل لا يصحّ أن يكون، وإنما يمكن أن يكون انتصاراً وهمياً، وحبذا لو كان سياسياً، أو يكون بتقدم طرفٍ في قطاعٍ وتراجعه في قطاعٍ ثانٍ فيكون كل فريقٍ قد أحرز نصراً أمام شعبه، وتأتي صافرة الحكم التي هي مجلس الأمن الدولي ويقف كل فريقٍ في مكانه، وتكون إسرائيل قد تفوّقت أمام اليهود في القطاع الذي تقدّمت فيه، أو الجبهة التي أحرزت فيها نصراً وتبقى في أعين شعبها ذات إمكاناتٍ دفاعيةٍ متطوّرةٍ، وتكون الحكومات العربية التي دخلت المعركة قد استرجعت بعض الأجزاء التي فقدتها، ولو كان الاسترجاع لمدة محدودةٍ أو في معركةٍ فاستعادت شيئاً من هيبتها أمام رعاياها بل استعادت مكانتها أمام جيرانها، وهذا ما كان من سير المعركة، وإن كنا نتوقّعه من بعد انتهاء حرب عام ١٣٨٧هـ بمدةٍ وجيزة، ويجب ألا ننسى أن الحقد العربي على الدول الكبرى يقلّ إذ يمتصّه النصر الوهمي الذي تُنادي به وسائل الإعلام كلها.

حرصت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتمّ العملية سياسياً فلم تُوفّق إذ استمرّت سنةً ونصف السنة قبل المعركة وهي تُحاول توقيع اتفاقيةٍ بين مصر وإسرائيل تحت رعايتها، وأخيراً بذل جهده وزير خارجيتها «كيسنجر» فلم، ينجح، إذ أن الشعب العربي لا يمكنه أن يرضى عن هذا ولا يمكن أن يسير السادة إلا في التيار نفسه خوفاً من الغرق.

وكان الاتفاق والتنسيق بين مصر وسوريا على حرب إسرائيل ومُتابعة القتال لتحرير الأرض المحتلّة عام ١٣٨٧هـ، وعلى هذا الإعلان للشعب دخلتا الحرب بعد تخطيطٍ وتوقيتٍ، ولم تكن الأردن بعيدةً عن المخطط، وإن كان طول جبهتها لا يسمح لها بزجّ قواتها في المعركة قبل جلاء بعض النتائج ووضوح سيرها.

في ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ (٦ تشرين الأول ١٩٧٣م) اجتازت القوات المصرية قناة السويس، وانتقلت إلى الضفة الشرقية، واقتحمت خط «بارليف» الذي أقامه اليهود على حدود شبه جزيرة سيناء الغربية والذي حصّنوه جيداً، ووضعوا أمامه تلّاً ترابياً ليحمي تحرّكهم عن أعين المصريين الراصدة، وكان هذا العبور وهذا الاقتحام المُفاجىء والسريع قد زاد في مبالغة وسائل الإعلام العربية كلها بل والعالمية حتى أصبح مُعجزةً في نظر العرب عامةً والمصريين خاصةً، وتاجرت به القيادة مدةً طويلةً ولا تزال تتغذّى عليه، ولكن الجيش المصري مع الأسف لم يُتابع تقدّمه في سيناء ليُحررّها مع وجود الإمكانية يومذاك، كما لم يتجه نحو المضائق ليُغلقها في وجه إسرائيل ويحصرها من جهة الجنوب، وإنما اتخذ له مواقع دفاعيةً على بعد عشرة كيلومترات من شاطئ القناة الشرقي في داخل سيناء، وهذا ما عرّض مصر للنقد السوري إذ أن إسرائيل استطاعت بهذا التصرف المصري أن تنقل قواتها من الجبهة المصرية إلى الشمال وترمي بثقلها وبإمكاناتها كاملةً ضدَّ الجيش السوري بينما اتخذ الجيش المصري موقف المدافع في الوقت الذي هو فيه قادر على الهجوم والتقدّم لتحرير الأرض، ولتخفيف الضغط الإسرائيلي عن الجبهة السورية، ولكنّه مُخطّط مرسوم لا يمكن للجيش المصري أن يتجاوزه. وبهذا نال الجيش المصري شرف هذا النصر، واستعادت القيادة هيبتها، واكتفت بهذا تُردّده، واستمرّت في ترديده حتى بعد قيام اليهود بالهجوم المعاكس والحصول على النصر.

وفي ٢٠ رمضان عبرت عدّة دباباتٍ يهوديةٍ قناة السويس في منطقة «الدفرسوار»، وفتحت ثغرةً في القوات المصرية فتبعت الدبابات دبابات أخرى، وقوات انتشرت على طول القناة على الضفة الغربية، وحاصرت مدن القناة، وحجزت القوات المصرية في سيناء، وبهذا انقطعت وسائل الاتصال بين القطاعات المصرية، وبدت إسرائيل أمام اليهود جميعاً أنها المنتصرة، وأنها

مُتحكّمة في القوات المصرية في سيناء، ويمكنها أن تعدّها أسيرةً لديها، كما حاولت دخول مدن القناة إذ قامت بعدّة هجماتٍ في سبيل اقتحام السويس، والإسماعيلية، وبور سعيد ولم تنجح، وبذا لم تفقد شيئاً من مكانتها السابقة التي حقّقتها بعد حرب ١٣٨٧هـ.

أما الجبهة على الحدود السورية فقد تقدّمت القوات السورية بشكلٍ سريعٍ في القطاع الجنوبي، ووصلت إلى مياه بحيرة طبريا أي استعادت في هذا القطاع كلّ ما فقدته في حرب ١٣٨٧هـ، ولكنها لم تُنظّف المنطقة التي استعادتها بشكلٍ جيدٍ فبقيت فيها بعض الجزر اليهودية في تحصيناتها، ولكن القوات الإسرائيلية تقدّمت في القطاع الشمالي ودخلت عدّة قرىً جديدةٍ إذ وصلت إلى قرب قرية «سعسع»، وتراجعت أمامها القوات السورية، ولكن تصوير المعركة في وسائل الإعلام لم يكن واضحاً وخاصةً بالنسبة إلى الذين لا يعرفون المنطقة، إذ تصمد القوات السورية أمام القوات الغازية في موقعٍ في معركةٍ، ثم تنسحب إلى موقعٍ خلفي، ولكن لا تذكر وسائل الإعلام هذا الانسحاب، ثم تعود إلى الصمود في الموقع الخلفي ثانيةً، وهكذا فيتصور المستمع أن الصمود مستمر في المواقع المتقدّمة ما دام لا يعرف المنطقة.

ولمّا اتّخذت القوات المصرية خطّة الدفاع، واتخذت مواقع لذلك، ووقفت عندها، نقل اليهود قواتهم من الجبهة المصرية إلى السورية وزجّوا بقواتهم كلها في المعركة واستطاعوا احتلال ما خرجوا منه من القطاع الجنوبي، وخسر الجيش السوري كثيراً في هذا التراجع إذ حاول التشبّث فيما دخله ولكن دون جدوى. وإذا كان السوريون قد عزوا هذا الانسحاب الذي اضطروا إليه إلى المصريين الذين لم يتقيّدوا بما اتفقوا عليه من دخول المعركة معاً والخروج منها معاً، واستمرار القتال على الجبهتين حتى لا تتهيأ الفرصة لإسرائيل لنقل قواتها من جبهةٍ إلى جبهةٍ وتجميع قواتها ضدّ طرفٍ واحدٍ[1]. إلاّ أن هذا النقد السوري كان سرياً وعلى المستويات الرسمية دون إعلانه، أو إذاعة شيءٍ منه. أما من حيث الإعلام فقد كانت سوريا أيضاً تُردّد تقدّمها في الأيّام الأولى في

---

(١) انظر الجزء العاشر من هذه الموسوعة، موضوع حرب رمضان.

القطاع الجنوبي وتبني من ذلك أمجاداً، وتُردّد وسائل الإعلام كلها ذلك مما أعاد للسلطة شيئاً من المكانة التي فقدتها في حرب ١٣٨٧هـ، حيث كان المستمع يسمع هذا من أية محطةٍ إذاعيةٍ استمع إليها، وغدت حقيقةً في الأوساط الرسمية والشعبية. وفي الوقت نفسه فإن إسرائيل كانت تفخر أمام شعبها بتقدّمها في القطاع الشمالي والرجوع إلى ما تخلّت عنه في القطاع الجنوبي وأعلمت شعبها أنها لم تخسر شبراً واحداً من الأرض التي سبق لها أن احتلتهاعام ١٣٨٧هـ بل زادت فيها، وبذا فقد احتفظت بمكانتها أيضاً. وعلى هذا فقد تمّ ما خطّط له الشرق والغرب.

كانت مدة وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهرٍ تنتهي في ١٤ ذي الحجة ١٣٩٣هـ (٧ كانون الثاني ١٩٧٤م)، وقد عقد الرئيس أنور السادات مجلس الدفاع لمناقشة هذا الموضوع في ١٦ ذي الحجة، ورأى أعضاء المجلس تمديد وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهرٍ أخرى بالإجماع.

وكانت مصر قد وافقت على ما تقدّم به وزير خارجية الولايات المتحدة «كيسنجر» من حيث وقف إطلاق النار وذلك في ١٤ شوال ١٣٩٣هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٧٣م).

وزار كيسنجر الرئيس المصري في أسوان فوافق على فضّ الاشتباك بين مصر وإسرائيل في ٢٤ ذي الحجة ١٣٩٣هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٧٤م)، أما سوريا فقد تمت الموافقة منها على فضّ الاشتباك بعد ستة أشهر من موافقة مصر.

الهجوم على الكلية الفنية العسكرية:

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٤هـ (نيسان ١٩٧٤م) وقع الهجوم على الكلية الفنية العسكرية بإمرة صالح عبد الله سرية، فقُدّم هو وزملاؤه إلى المحكمة التي حكمت على بعضهم بالإعدام وعلى بعضهم الآخر بالسجن لمدةٍ مختلفةٍ، وقد صادق الرئيس المصري على الأحكام في ٨ شوال ١٣٩٥هـ. وقد نُفّذ حكم الإعدام بصالح عبد الله سرية، وكارم عزت الأناضولي.

تخلّص الرئيس أنور السادات قبل حرب رمضان ١٣٩٣هـ من بقايا أعضاء

مجلس قيادة الثورة، ولم يبق منهم سوى حسين الشافعي الذي كان نائباً لرئيس الجمهورية، ولم يكن سوى صورةٍ في هذا المنصب الذي يتقلّده، وبعد الحرب أُنهيت مهمة حسين الشافعي، وعُيّن مكانه نائباً لرئيس الجمهورية حسني مبارك. وبذا انتهت آثار الثورة التي هزّت المنطقة بوسائل الإعلام، وبالحروب، والتهديدات، وقيام الاتحادات ولم يبق من آثارها سوى الرئيس نفسه أنور السادات، الذي أعلن بصورةٍ غير رسميةٍ تبرؤه منها، ومن سلفه الذي حمل اسمها أو حملت اسمه وهو جمال عبد الناصر الذي لم تقتصر ويلاته على مصر بل تجاوزت ذلك إلى المنطقة كلها.

وفي ٣ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ (٢٥ نيسان ١٩٧٤م) أعاد أنور السادات تشكيل الوزارة[١]، وأخذ يسير نحو ما أطلق عليه الحرية، فقد حصل على

---

(١) كانت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ يتولى رئيس الجمهورية منصب رئيس الوزراء.
٢ ـ عبد العزيز محمد حجازي: نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء.
٣ ـ ممدوح محمد سالم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٤ ـ عبد العزيز عبد القادر كامل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للشؤون الدينية.
٥ ـ أحمد إسماعيل علي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية.
٦ ـ محمود رياض: وزيراً للنقل والمواصلات.
٧ ـ إسماعيل فهمي: وزيراً للخارجية.
٨ ـ أحمد سلطان: وزيراً للكهرباء.
٩ ـ إسماعيل غانم: وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي.
١٠ ـ إبراهيم نجيب إبراهيم: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
١١ ـ عائشة راتب: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
١٢ ـ إسماعيل صبري عبد الله: وزيراً للتخطيط.
١٣ ـ عثمان عدلي بدران: وزير دولة لشؤون السودان.
١٤ ـ محمود محمد محفوظ: وزيراً للصحة.
١٥ ـ صلاح الدين محمد غريب: وزيراً للقوى العاملة.
١٦ ـ أحمد كمال أبو المجد: وزيراً للإعلام.
١٧ ـ أحمد كامل البدري: وزيراً للإنتاج الحربي.
١٨ ـ يوسف السباعي: وزيراً للثقافة.
١٩ ـ محمد محب محمد زكي: وزيراً للزراعة واستصلاح الأراضي.
٢٠ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزير دولة للحكم المحلي والتنظيمات الشعبية. =

شيءٍ من التأييد بعد أن اعتقد الناس أنه قد حقّق نصراً على العدو الإسرائيلي وذلك تحت تأثير وسائل الإعلام، والشعب في مصر عاطفي يتأثّر بسرعةٍ إضافةً إلى ما أعطى من حريةٍ بالنسبة إلى سلفه، ولما كانت خطوته المقرّر القيام بها لم تتم بعد لذا كان لا بدّ من مقدّماتٍ لها من حريةٍ، وإظهار الإخلاص، والعمل لصالح البلاد و. . . والاستماع إلى بعض الرجال، وإن كان يرغب أن يكون هناك صراع بين الفئات ليتمكّن من الخطو وإذا ما حدث نقد فإنما يقع الصراع بين الفئات المتباينة في الداخل، ويبقى هو في منأى، وتتمّ العملية.

وفي ٩ رمضان ١٣٩٤هـ (٢٥ أيلول ١٩٧٤م) شكل عبد العزيز حجازي الوزارة[١]، وبذا فقد ترك الرئيس منصب رئاسة الوزارة ليكون العمل باسم

= ٢١ ـ أحمد عز الدين حسن هلال: وزيراً للبترول.
٢٢ ـ إبراهيم سالم محمدين: وزيراً للصناعة والتعدين.
٢٣ ـ حسن أحمد الشريف: وزيراً للتأمينات.
٢٤ ـ عبد الفتاح عبد الله محمود: وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.
٢٥ ـ عبد العزيز محمد عيسى: وزيراً لشؤون الأزهر.
٢٦ ـ عبد المعطي أحمد إسماعيل العربي: وزيراً للنقل البحري.
٢٧ ـ آلبرت برسوم سلامة: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب.
٢٨ ـ عثمان أحمد عثمان: وزيراً للإسكان والتعمير.
٢٩ ـ مصطفى أبو زيد فهمي: وزيراً للعدل.
٣٠ ـ أحمد علي كمال: وزيراً للري.
٣١ ـ محمد عبد الفتاح إبراهيم: وزيراً للمالية.
٣٢ ـ محمد هادي المغربي: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٣٣ ـ فتحي أحمد المتبولي: وزيراً للتجارة الخارجية.
٣٤ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتربية والتعليم.
٣٥ ـ يحيى عبد العزيز الجمل: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
وعُيّن:
عبد الحميد حسن: نائب وزير للشباب.
محمد أحمد السيسي: نائب وزير للسياحة والطيران المدني.
ثم عُيّن فيما بعد. :
محمد سميح أنور: وزير دولة للشؤون الخارجية.

(١) تشكلت الوزارة على النحو التالي:
١ ـ عبد العزيز محمد حجازي: رئيساً لمجلس الوزراء. =

الحكومة التي ستتحمّل المهمّة الأساسية في التّصرف، وبدأت الخُطا تُسرع

=
٢ ـ ممدوح محمد سالم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٣ ـ عبد العزيز عبد القادر كامل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الدينية، ووزيراً للأوقاف.
٤ ـ أحمد إسماعيل علي: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للحربية.
٥ ـ محمود رياض: وزيراً للنقل والمواصلات.
٦ ـ إسماعيل فهمي: وزيراً للخارجية.
٧ ـ أحمد سلطان: وزيراً للكهرباء.
٨ ـ إسماعيل غانم: وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي.
٩ ـ إبراهيم نجيب إبراهيم: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
١٠ ـ عائشة راتب: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
١١ ـ إسماعيل صبري عبد الله: وزيراً للتخطيط.
١٢ ـ عثمان عدلي بدران: وزير دولة لشؤون السودان.
١٣ ـ صلاح الدين محمد غريب: وزيراً للقوى العاملة.
١٤ ـ أحمد كامل البدري: وزيراً للإنتاج الحربي.
١٥ ـ محمد كمال أبو المجد: وزيراً للإعلام.
١٦ ـ يوسف السباعي: وزيراً للثقافة.
١٧ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزيراً للصحة.
١٨ ـ أحمد عز الدين حسن هلال: وزيراً للبترول.
١٩ ـ حسن أحمد الشريف: وزيراً لتأمينات.
٢٠ ـ عبد الفتاح عبد الله محمود: وزير دولة للمتابعة والمراقبة.
٢١ ـ عبد العزيز محمد عيسى: وزيراً لشؤون الأزهر.
٢٢ ـ عبد المعطي أحمد إسماعيل العربي: وزيراً للنقل البحري.
٢٣ ـ البرت برسوم سلامة: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب.
٢٤ ـ عثمان أحمد عثمان: وزيراً للإسكان والتعمير.
٢٥ ـ مصطفى أبو زيد فهمي: وزيراً للعدل.
٢٦ ـ أحمد علي كمال: وزيراً للري.
٢٧ ـ محمد عبد الفتاح إبراهيم: وزيراً للمالية.
٢٨ ـ فتحي أحمد المتبولي: وزيراً للتجارة.
٢٩ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتربية والتعليم.
٣٠ ـ يحيى عبد العزيز الجمل: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
٣١ ـ محمد سميح أنور: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٣٢ ـ طاهر أمين حسن: وزير دولة للتعاون الاقتصادي.
٣٣ ـ محمود علي حسن: وزيراً للصناعة والتعدين.
٣٤ ـ محمود أحمد عبد الآخر: وزيراً للزراعة واستصلاح الأراضي. =

نحو القيام بالمهمة المعدّة له والمُقرّر أن يقوم بتنفيذها، وكان العمل يسير بالتقرّب من إسرائيل وفي الوقت نفسه تُهيّأ الظروف الدولية، كما يسعى للتقرّب من البلدان العربية وخاصةً الشرقية منها، مع السعي للدعاية لنفسه في الداخل والقيام ببعض المشروعات التي تكون أداةً لتلك الدعاية، وأكثر ما كان يهمّ الشعب المصري يوم ذلك قناة السويس، وحقول النفط في سيناء لأنها تؤمّن دخلاً لمصر وربّما أثّر ذلك على حياة الشعب الذي يعيش في حالةٍ من البؤس إذ لا تتوفّر الحاجات الضرورية.

وفي ٤ ربيع الثاني ١٣٩٥هـ (١٦ نيسان ١٩٧٥م) أُعيد تنظيم المناصب العليا في الدولة، وعهد إلى ممدوح سالم بتشكيل الوزارة[١].

= ٣٥ ـ محمد حامد محمود: وزير دولة للحكم المحلي والتنظيمات الشعبية.
٣٦ ـ عبد الرحمن الشاذلي: وزيراً للتموين.
ثم عين: أحمد حمدي النشار: وزيراً للمالية.
وأسندت وزارة التأمينات إلى محمد عبد الفتاح إبراهيم بعد وفاة حسن أحمد الشريف وزير التأمينات.
وعين: الفريق أول محمد عبد الغني الجمسي وزيراً للحربية بعد وفاة أحمد إسماعيل علي.
وعين:
عبد الحميد حسن: نائباً لوزير الشباب.
محمد أحمد السيسي: نائباً لوزير السياحة والطيران المدني.

(١) صدر القرار رقم ٣٣٦ الذي عُيّن بموجبه:
أ ـ محمد حسني مبارك: نائباً لرئيس الجمهورية.
ب ـ ممدوح محمد سالم: رئيساً لمجلس الوزراء.
جـ ـ محمد حافظ غانم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتعليم العالي.
د ـ إسماعيل فهمي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
هـ ـ محمد عبد الغني الجمسي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية.
وكان أعضاء الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ عبد اللطيف بلطية: وزيراً للقوى العاملة والتدريب.
٢ ـ أحمد سلطان: وزيراً للكهرباء.
٣ ـ إبراهيم نجيب: وزيراً للسياحة.
٤ ـ عائشة راتب: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
٥ ـ عثمان عدلي بدران: وزيراً للزراعة، ووزير دولة لشؤون السودان. =

الحريات:

وأخذ الرئيس المصري يُعطي الحرية تدريجياً إذ وجد أنه من الأصلح له أن يستمع إلى آراء الآخرين، ويتصرَّف من خلال ما يتشكَّل عنده من انطباعات خوفاً من العمل السري ضدّه، فقد أصدر قراراً بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٩٥هـ (٣ تموز ١٩٧٥م) بإعادة أملاك تسع عشرة شخصيةً سياسيةً كانت قد

= ٦ ـ أحمد كمال أبو المجد: وزيراً للإعلام.
٧ ـ أحمد كامل البدري: وزيراً للإنتاج الحربي.
٨ ـ يوسف السباعي: وزيراً للثقافة.
٩ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزيراً للصحة.
١٠ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للبترول.
١١ ـ عبد الفتاح عبد الله محمود: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء، والرقابة.
١٢ ـ البرت برسوم سلامة: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب.
١٣ ـ عثمان أحمد عثمان: وزيراً للإسكان والتعمير.
١٤ ـ محمد عبد الفتاح إبراهيم: وزيراً للتأمينات.
١٥ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتربية والتعليم.
١٦ ـ محمد حامد محمود: وزير دولة للحكم المحلي، والتنظيمات الشعبية.
١٧ ـ عبد الرحمن الشاذلي: وزيراً للتموين.
١٨ ـ عادل يونس: وزيراً للعدل.
١٩ ـ محمود عبد الرحمن فهمي: وزيراً للنقل البحري.
٢٠ ـ إبراهيم حلمي عبد الرحمن: وزيراً للتخطيط.
٢١ ـ حسين فهمي: وزيراً للداخلية.
٢٢ ـ زكريا توفيق عبد الفتاح: وزيراً للتجارة.
٢٣ ـ عبد العظيم عبد الله أبو العطا: وزيراً للري.
٢٤ ـ عيسى عبد الحميد شاهين: وزيراً للصناعة والتعدين.
٢٥ ـ محمد عبد المعبود الجبيلي: وزيراً للبحث العلمي والطاقة الذرية.
٢٦ ـ جمال الدين محمد صدقي: وزيراً للنقل.
٢٧ ـ أحمد أحمد أبو إسماعيل: وزيراً للمالية.
٢٨ ـ محمد محمد زكي شافعي: وزيراً للاقتصاد والتعاون الاقتصادي.
٢٩ ـ محمد كمال الدين حسنين: وزيراً للمواصلات.
٣٠ ـ محمد حمدي أبو زيد: وزيراً للطيران المدني.
٣١ ـ محمد السيد حسين الذهبي: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
ثم عُيّن فيما بعد:
محمد محمود رياض: وزير دولة للشؤون الخارجية.

أُمّمت أملاكهم، ومن بينهم فؤاد سراج الدين أمين سرّ حزب الوفد، وإبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء الأسبق والأمين العام للهيئة السعدية.

وكان قد أصدر قراراً في ٢٨ جمادى الآخرة بالعفو عن ألفين من السياسيين الذين صدرت بحقهم أحكام قبل ٢٠ ربيع الأول ١٣٩١هـ (١٥ أيار ١٩٧١م) أي قبل المحاولة التي تزعّمها علي صبري وعدد من السياسيين ضدّه، وقد شمل هذا القرار العفو عن الإخوان المسلمين، والشيوعيين.

وصدر في غرة شهر رجب قرار من مجلس الدولة المصري بالإجازة للأفراد بإصدار صحفٍ خاصةٍ، وكانت الصحف قد أُمّمت منذ عام ١٣٨٠هـ بموجب قانون تنظيم الصحافة.

ووافق الرئيس المصري على اقتراح من أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي بإعادة انتخابه رئيساً للجمهورية لفترةٍ ثانيةٍ، حيث تنتهي مدة رئاسته في شهر شوال ١٣٩٦هـ.

ووافق على إعادة فتح قناة السويس، وابتدأ تطهيرها بعد انسحاب إسرائيل من الضفة الشرقية للقناة، وقد أُعيد فتحها في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ (٥ حزيران ١٩٧٥م) أي بعد مرور ثمان سنوات على إغلاقها.

وفي هذه الأثناء توتّرت العلاقات بين مصر وليبيا إذ حاولت الثانية منهما العمل لضمّ قسمٍ من الصحراء الغربية المصرية إليها، وأخذت كل منهما تتّهم الأخرى باتّهاماتٍ مُثيرةٍ، ثم تحسّنت العلاقات بين الطرفين، وقام ممدوح سالم رئيس الوزراء المصرية بزيارة ليبيا.

وفي مطلع رمضان من عام ١٣٩٥هـ أعلن فكُّ الارتباط الثاني، وتقرّر انسحاب إسرائيل إلى ما بعد الممرات في سيناء، وعودة مكامن النفط في «البلاعيم» و«أبو رديس» إلى مصر.

وفي ١٧ شوال ١٣٩٥هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٧٥م) أخذت فكرة العودة إلى تعدّد الأحزاب للمعارضة البنّاءة خوفاً من استبداد الرأي الفردي وحب التسلّط، وبدأت فكرة إقامة المنابر الحرة تمهيداً لقيام الأحزاب، ولكن ذلك لم

يجد أذناً صاغيةً لدى الشعب إذ تمّ ذلك ضمن الاتحاد الاشتراكي الذي يرمز إلى الاستبداد والطغيان الذي مارسه الحاكم ضد رعيته، ثم كلّف الرئيس المصري أنور السادات رئيس وزرائه أن يُؤلّف حزب مصر الذي لم يكن سوى امتدادٍ للاتحاد الاشتراكي الذي هو أيضاً امتداد للاتحاد القومي، وما الاتحاد القومي سوى تتمة لهيئة التحرير. كما أشار إلى إبراهيم شكري أن يُؤلّف حزب العمل، وأنشأ مصطفى كامل مراد حزب الاتحاد، وخالد محيي الدين حزب التجمّع، وكانت خيوط هذه التجمّعات تلتقي في يد الرئيس.

ثم ظهر حزب الوفد الجديد، ولم يستمر سوى مائة يوم حيث توقّف نشاطه بعد ذلك لحرمان رئيسه فؤاد سراج الدين من الحقوق السياسية.

وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٩٦هـ (١٩ آذار ١٩٧٦م) عُدّل تشكيل الوزارة بقرار رئيس الجمهورية رقم ٣٣٦ برئاسة ممدوح سالم[١] الذي يعدّ رئيس

---

(١) كان تشكيل الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ ممدوح سالم: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ محمد حافظ غانم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للتنمية الاجتماعية والخدمات، ورئيساً للجنة الوزارية للحكم المحلي.
٣ ـ إسماعيل فهمي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٤ ـ محمد عبد الغني الجمسي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية والإنتاج الحربي.
٥ ـ أحمد سلطان: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للإنتاج، ووزيراً للكهرباء والطاقة.
٦ ـ عبد اللطيف بلطية: وزيراً للقوى العاملة والتدريب المهني.
٧ ـ إبراهيم نجيب: وزيراً للسياحة والطيران.
٨ ـ عائشة راتب: وزيرة للشؤون الاجتماعية، والتأمينات.
٩ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزيراً للصحة.
١٠ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للبترول.
١١ ـ عبد الفتاح عبد الله محمود: وزيراً للنقل والمواصلات.
١٢ ـ آلبرت برسوم سلامة: وزيراً للدولة لشؤون مجلس الشعب.
١٣ ـ عثمان أحمد عثمان: وزيراً للإسكان والتعمير.
١٤ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتعليم.
١٥ ـ محمد حامد محمود: وزيراً للدولة للحكم المحلي، والتنظيمات الشعبية والسياسية.
=

حزب مصر، وهو زعيم الأغلبية في مجلس الشعب رغم أن هذا المجلس والوزارة لم يكونا سوى امتدادٍ للاتحاد الاشتراكي أي المجموعة التي تتحكّم في شؤون البلاد، حتى النقابات، ومنها الاتحاد النسائي الذي تُشرف عليه زوج الرئيس المصري، والتي تُسمّى سيدة مصر الأولى، ولم يكن دورها في السلطة بأقل من زوجها أبداً. بل كانت تتدخّل في كل الموضوعات وتحلّ القضايا باسمها، ولم يكن من يستطع الوقوف في وجهها، وربما كانت من أسباب النقمة الرئيسية على أنور السادات زوجها.

وفي ١٧ ذي القعدة ١٣٩٦هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٧٦م) أعاد ممدوح سالم تشكيل الوزارة بقرارٍ من رئيس الجمهورية[١].

= ١٦ ـ عادل يونس: وزيراً للعدل.
١٧ ـ محمود عبد الرحمن فهمي: وزيراً للنقل البحري.
١٨ ـ زكريا توفيق عبد الفتاح: وزيراً للتجارة والتموين.
١٩ ـ حسين فهمي: وزيراً للداخلية.
٢٠ ـ عبد العظيم عبد الله أبو العطا: وزيراً للزراعة والري.
٢١ ـ عيسى عبد الحميد شاهين: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
٢٢ ـ محمد عبد المعبود الجبيلي: وزيراً للدولة للبحث العلمي والطاقة الذرية.
٢٣ ـ جمال الدين محمد صدقي: وزيراً للدولة للإنتاج الحربي.
٢٤ ـ أحمد أحمد أبو إسماعيل: وزيراً للمالية.
٢٥ ـ محمد محمد زكي شافعي: وزيراً للاقتصاد والدولة للتعاون الاقتصادي.
٢٦ ـ محمد السيد حسين الذهبي: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
٢٧ ـ محمد محمود رياض: وزيراً للدولة للعلاقات الخارجية.
٢٨ ـ أحمد فؤاد الشريف: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء والمتابعة والرقابة والتنمية الإدارية.
٢٩ ـ جمال العطيفي: وزيراً للإعلام والثقافة.
٣٠ ـ حسن بهجت محمد حسنين: وزيراً للدولة للزراعة وشؤون السودان.
٣١ ـ محمد محمود الإمام: وزيراً للتخطيط.
وتوفي عادل يونس فعُيّن مكانه أحمد سميح طلعت.
وتوفي أحمد فؤاد الشريف.

(١) كان تشكيل الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ ممدوح محمد سالم: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ عبد المنعم القيسوني: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية. =

معاهدة دفاع مع السودان:

وفي ٢٥ محرم ١٣٩٧هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٧م) وُقّعت معاهدة دفاع

= ٣ ـ محمد حافظ غانم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للتنمية الاجتماعية والخدمات.
٤ ـ إسماعيل فهمي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٥ ـ عبد الغني الجمسي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية والإنتاج الحربي.
٦ ـ أحمد سلطان: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للكهرباء والطاقة.
٧ ـ عبد اللطيف بلطلية: وزيراً للقوى العاملة والتدريب المهني.
٨ ـ إبراهيم نجيب: وزيراً للسياحة والطيران.
٩ ـ عائشة راتب: وزيرة للتأمينات والشؤون الاجتماعية.
١٠ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزيراً لشؤون مجلس الشعب.
١١ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للبترول.
١٢ ـ عبد الفتاح عبد الله محمود: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
١٣ ـ ألبرت برسوم سلامة: وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء والمتابعة والرقابة.
١٤ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتعليم.
١٥ ـ محمد حامد محمود: وزير دولة للحكم المحلي، والشباب، والتنظيمات الشعبية والسياسية.
١٦ ـ حسين فهمي: وزيراً للداخلية.
١٧ ـ زكريا توفيق عبد الفتاح: وزيراً للتجارة والتموين.
١٨ ـ عبد العظيم عبد الله أبو العطا: وزيراً للزراعة والري.
١٩ ـ عيسى عبد الحميد شاهين: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
٢٠ ـ محمد عبد المعبود الجبيلي: وزيراً للدولة للبحث العلمي، والطاقة الذرية.
٢١ ـ جمال الدين محمد صدقي: وزير دولة للإنتاج الحربي.
٢٢ ـ محمد محمود رياض: وزير دولة للعلاقات الخارجية.
٢٣ ـ جمال العطيفي: وزيراً للإعلام والثقافة.
٢٤ ـ عبد العزيز حسين: وزير دولة للزراعة وشؤون السودان.
٢٥ ـ محمد محمود الإمام: وزيراً للتخطيط.
٢٦ ـ أحمد سميح طلعت: وزيراً للعدل.
٢٧ ـ علي عبد الحميد عبده: وزير دولة للتنمية الإدارية.
٢٨ ـ حسن محمد حسن: وزيراً للإسكان والتعمير.
٢٩ ـ حامد عبد اللطيف الساج: وزيراً للاقتصاد والتعاون الاقتصادي.
٣٠ ـ إبراهيم جميل مصطفى بدران: وزيراً للصحة.
٣١ ـ محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية.
٣٢ ـ محمد متولي عبد الحافظ الشعراوي: وزيراً للأوقاف، ووزير دولة لشؤون الأزهر.

بين مصر والسودان، وقد وقّعها نيابةً عن مصر، الفريق أول محمد عبد الغني الجمسي وعن السودان الفريق بشير محمد علي.

وفي اليوم التالي وجّهت مصر تحذيراً للحبشة التي كانت تقوم بحشد جيوشها على حدود السودان استعداداً للهجوم عليها، وأعلمت الحبشة أن أي هجومٍ على السودان إنما هو هجوم على مصر.

أعمال الشغب:

وقد قامت بعض أعمال التخريب في البلاد في يومي ٢٩ و ٣٠ محرم فألقى الرئيس المصري أنور السادات خطاباً اتهم فيه الحزب الوحدوي التقدمي اليساري أنه وراء هذه الأعمال، وأنه يتلقّى التعليمات من موسكو.

الحرية السياسية:

وفي ١٤ صفر ١٣٩٧هـ (٢ شباط ١٩٧٧م) أعطى أنور السادات حرية تكوين الأحزاب السياسية. وفي اليوم نفسه أعلن عن تعديل الوزارة[١].

وفي هذا الوقت كانت المحاولة السياسية تتجه نحو إقامة وحداتٍ بين بعض الأمصار العربية، وقد قطعت مرحلةً بين كل من مصر، وسوريا،

---

(١) شمل التعديل الوزاري:
١ ـ ممدوح محمد سالم: رئيساً لمجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ عبد العظيم عبد الله أبو العطا: وزيراً للري.
٣ ـ عبد العزيز حسين: وزير دولة للمجمعات الزراعية والصناعية والثروة المائية وشؤون السودان.
٤ ـ عبد المنعم محمود الصاوي: وزيراً للإعلام والثقافة.
٥ ـ إبراهيم محمود شكري: وزيراً للزراعة.
٦ ـ محب رمزي ستينو: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٧ ـ آمال عثمان: وزيرة للشؤون والتأمينات الاجتماعية.
وأبعد: حسين فهمي: وزير الداخلية.
جمال العطيفي: وزير الثقافة والإعلام.
وعُيّن محمد نبوي إسماعيل: نائباً لوزير الداخلية.
كمال حامد خير الله: نائباً لوزير الداخلية.
ثم عُيّن عبد الرزاق عبد المجيد: وزيراً للتخطيط.

والسودان، وفي ١٤ رمضان ١٣٩٧هـ (٢٨ آب ١٩٧٧م) أُعلنت أسماء القيادة السياسية بين هذه الأمصار الثلاثة.

زيارة إسرائيل:

كان التخطيط أن يخطو الرئيس المصري خُطوةً أوسع مما قبله من حكام مصر، ومن غيره من البقية، لذا كان عليه أن يتفاهم مع عددٍ من رؤساء الدول العربية حتى لا ينفرد وحده بهذه الخطوة أو يضمن على الأقل عدم الهجوم عليه بشكلٍ واسعٍ وخاصةً أن الشعب العربي لن يتقبّل هذه الخُطوة ويضطر الرؤساء في كثيرٍ من الأحيان مُسايرة الشعوب قبل سير مثل هذه الخُطوات، وكان أكثر ما يُريده أن يتفاهم مع سوريا التي تُعدّ مركز الجبهة الشمالية وقوتها الرئيسية، كما أن مصر مركز الجبهة الجنوبية وقوتها الرئيسية، وإذا كان الشعب العربي في مصر أكثر ليونةً وتقبّلاً لهذه الخُطوة إلا أنه في بقية الدول العربية لن يتقبّل ذلك بتلك السهولة التي ربما يسكت عنها الكثير من المصريين.

قام أنور السادات في ١٤ ذي القعدة ١٣٩٧هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٧٧م) بتعديل الوزارة، وعهد إلى ممدوح سالم رئيس الوزارة نفسه بإعادة تشكيلها[1].

---

(١) أعاد ممدوح سالم تشكيل وزارته على النحو الآتي:
١ ـ ممدوح محمد سالم: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ عبد المنعم القيسوني: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية، ووزيراً للتخطيط.
٣ ـ محمد حافظ غانم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للتنمية الاجتماعية، ووزيراً لشؤون مجلس الوزراء، وشؤون السودان.
٤ ـ محمد عبد الغني الجمسي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية والإنتاج الحربي.
٥ ـ أحمد سلطان: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للكهرباء والطاقة.
٦ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزيراً لشؤون مجلس الشعب.
٧ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للصناعة والبترول والتعدين.
٨ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتعليم، ووزير دولة للبحث العلمي. =

وأعلن في ٢٨ ذي القعدة ١٣٩٧هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٧٧م) أمام مجلس الأمة أنه على استعداد للذهاب إلى جنيف للمفاوضة مع إسرائيل بل بإمكانه الذهاب إلى الكنيست الإسرائيلي بفلسطين ومُناقشة اليهود هناك، وربما كان هذا التصريح جسّ نبضٍ للشعب ولمعرفة ردّ الفعل الذي يمكن أن يكون داخل مصر وخارجها.

وأمام هذه التصريحات فقد قدّم استقالته من الوزارة المصرية إسماعيل فهمي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية، ومحمد محمود رياض وزير

= ٩ ـ محمد حامد محمود: وزيراً للدولة للحكم المحلي، والشباب، والتنظيمات الشعبية والسياسية.
١٠ ـ زكريا توفيق عبد الفتاح: وزيراً للتجارة والتموين.
١١ ـ عبد العظيم عبد الله أبو العطا: وزيراً للري واستصلاح الأراضي.
١٢ ـ عيسى عبد الحميد شاهين: وزيراً للدولة للرقابة والمتابعة.
١٣ ـ محمد محمود رياض: وزيراً للشؤون الخارجية.
١٤ ـ أحمد سميح طلعت: وزيراً للعدل.
١٥ ـ حامد عبد اللطيف السايح: وزيراً للاقتصاد والتعاون الاقتصادي.
١٦ ـ إبراهيم جميل مصطفى بدران: وزيراً للصحة.
١٧ ـ محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية.
١٨ ـ محمد متولي عبد الحافظ الشعراوي: وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر.
١٩ ـ عبد المنعم محمود الصاوي: وزيراً للإعلام والثقافة.
٢٠ ـ إبراهيم محمود شكري: وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي والتنمية الريفية.
٢١ ـ محب رمزي ستينو: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٢٢ ـ آمال عثمان: وزيرة للشؤون والتأمينات الاجتماعية.
٢٣ ـ محمد نبوي إسماعيل: وزيراً للداخلية.
٢٤ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للإسكان والتعمير.
٢٥ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة.
٢٦ ـ نعيم مصطفى أبو طالب: وزير دولة.
٢٧ ـ عبد الستار مجاهد عرفة: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
٢٨ ـ علي السلس: وزير دولة.
٢٩ ـ سعد محمد أحمد: وزيراً للقوى العاملة والتدريب المهني.
ثم استقال إسماعيل فهمي: نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الخارجية.
ومحمد محمود رياض: وزير الدولة للشؤون الخارجية.
وعين بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.

الدولة للشؤون الخارجية، وقد قبل الرئيس المصري هذه الاستقالات، وعيّن وزير الدولة بطرس بطرس غالي وزير دولة للشؤون الخارجية.

وقام الرئيس المصري بزيارةٍ مُفاجئةٍ إلى سوريا، وأمله كبير في أن يتجه إلى القدس مع الرئيس السوري حافظ الأسد، غير أن الشعب العربي في سوريا لا يمكنه السكوت عن مثل هذا التصرّف، وقبول مثل هذا الضيم، وقد رفض الرئيس السوري مُشاركة الرئيس المصري في هذه الخُطوة ونصحه أثناء وداعه بالمطار للعدول عنها، غير أن السادات كان من المُقرّر أن يقوم بها، وقد عزم على ذلك، ولا يمكنه أن يتراجع، وفعلاً قام بزيارة القدس في ٨ ذي الحجة ١٣٩٧هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧م).

وما إن عاد من الزيارة حتى تغيّرت النظرة إليه داخلياً وخارجياً، ففي الداخل شعر الشعب أن الحرية التي أعطاها ولو كانت نسبيةً إلا أنه كان يقصد منها أن يشتغل الناس في الخلافات فيما بينهم، فالصراع الحزبي يُلهي رجال الأحزاب بعضهم ببعض وخاصةً أن النشاط في أوله، كما حرص الرئيس المصري على إثارة الخلافات الدينية فأثار النصارى على المسلمين الذين اتهمهم بالتعصب والتطرف، كما عمل على تفرقة المسلمين فيما بينهم ونعت جماعةً منهم بالرجعية وآخرين بالمرونة وإمكانية التفاهم معهم وذلك من أجل الإيقاع بهم، كل هذا من أجل أن يشغل الناس عن خُطوته التي خطاها.

ولكن هذا قد جعل حقداً عليه، وخاصةً من الفئات الإسلامية التي اعتاد أن يُوجّه إليها اللوم في مناسبةٍ وغير مناسبةٍ، واستطاع أن يستوعب بعض المشايخ من أهل السوء ويطلب منهم مناقشة من سجن من الفئات الإسلاميّة في عمليةٍ لغسل الأدمغة حسب تخطيطه إلا أن بعض هؤلاء الشباب كان أقدر على الجدل من أولئك المشايخ، ما داموا على الحق، وما داموا يتكلّمون مؤمنين بما يقولون، أما أهل الشرّ فإنما يتكلّمون إرضاءً لمن بعثهم، وزُلفى، وفي سبيل الحصول على مغنم عند السلطان، دون الإيمان بما يُخاطبون به الذين يُناقشونهم، بل إن أحاديثهم للناس أثناء الوعظ والتذكير لتختلف عما يُجادلون به مع من كُلّفوا بجدالهم.

وفي الوقت نفسه فقد أعطى شيئاً من الحرية، وسمح بإصادر الصحف والمجلات، وأقام ما أطلق عليه اسم المنابر في سبيل رصد عناصر كل مجموعةٍ لمراقبة أهل الرأي فيها والحركيين من أفرادها، فقد سمح للإخوان المسلمين بإصدار مجلة «الدعوة» وكان همّه رصد العناصر العاملين فيها والذين ينشطون في الكتابة والتوزيع، وعملية الطباعة إذ أن ضعف إمكاناتهم المادية تُلزمهم على تكليف أفرادهم للقيام بمثل هذه المهمة، وقد استطاع أن يرصد ما أراد لحسن نية الإخوان وعدم إدراك قادتهم ألاعيب السياسة، وسوء المقصد.

كما أن المسلمين الملتزمين إسلامياً قد ضاقوا ذرعاً بزوج الرئيس «جيهان» التي كانت كالصبي المراهق تقطع البلاد طولاً وعرضاً، وتتحرّك يميناً وشمالاً، تلتقي مع الرجال والنساء على حدٍّ سواء ومع الساسة والتنظيمات الاجتماعية، وتتدخّل بأمور السياسة، بل كانت صاحبة باعٍ طويلٍ فيما أطلق عليه «تقنين الشريعة» وهي في كل هذه الحركة حاسرةً سافرةً هازلةً كالفتيان.

وكانت كل الأحزاب التي وجدت حذرةً منه، تتحرّك على حذرٍ، وتُصدر البيانات على وجلٍ، تخشى رجال المخابرات وتخاف ساعة البطش المفاجئة.

واستمرّ الحقد على الرئيس المصري والحذر منه حتى اغتيل عام ١٤٠١هـ في احتفالٍ عام بتخطيطٍ وتدبيرٍ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

أما من الناحية الخارجية فقد وقف في وجه تصرّفه الحكومات العربية، فقاطعت مصر سياسياً إضافةً إلى وقف عضويتها في جامعة الدول العربية، والمنظمات والمؤتمرات العربية والإسلامية، وانتقل مقرّ الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، وكذا المؤسسات العربية الأخرى التي توزّعت في عواصم الدول العربية، واستمرّ ذلك مدة عهد أنور السادات ومدةً من عهد خلفه حسني مبارك.

كان سكوت الشعب العربي في مصر على هذه الخطوة التي أقدم عليها رئيسه نتيجة تخطيط عدّة عقودٍ من السنوات أذاق المسؤولون في البلد رعاياهم الذلّ، وسقوهم من كأس الإهانة حتى يصلوا إلى هذه المرحلة من الخنوع والسكوت عن كل ما يقوم به رؤساؤهم خوفاً من أن يُصيبهم ما أصابهم سابقاً.

وأما الأحزاب التي قامت فلم تكن بحالةٍ أفضل من عناصر الشعب العاديين ليس خوفاً، وإن كان هذا عند الأعضاء العاديين، وإنما للسير في الطريق نفسه وأخذ الماء عنصر الحياة عندهم من النبع ذاته. وإذا كانت الحركة الإسلامية قد أبدت بعض التأفّف وعدم الرضا إلا أن الصوت كان ضعيفاً والخُطوة أضخم منه والمخطط أكبر منه، ولم يحدث ردّ فعلٍ بالمعنى الصحيح، ومرّت العاصفة ولم يحدث شيء رغم تبجّح السياسيين، ولم يكن أحد يتوقّع هذا، وربما كانت تظهر همسات وترتفع أحياناً لتصل إلى إعلانات وتصريحات بأننا موافقون على ما تمّ فقد قدّمت مصر الكثير من الضحايا ومن الأموال والتضحية في المصلحة ولم نصل إلى نتيجةٍ، كل ذلك في سبيل الفلسطينيين الذين يعيشون بحالةٍ أفضل مما يعيشه المصريون، فليُضحّوا من أجل بلدهم وأرضهم، ولا شكّ أن هذه كلمات مسمومة ومُوجّهة من أعداء، وممّن لا يخافون الله ويُردّدها جهلة غافلون. وعلى كلٍّ فلم تحدث اضطرابات، ولم تفتح معتقلات.

وفي ٢ جمادى الآخرة عام ١٣٩٨هـ (٩ أيار ١٩٧٨م) عهد الرئيس المصري إلى ممدوح سالم بإعادة تشكيل الوزارة[1].

---

(١) أعيد تشكيل الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ ممدوح محمد سالم: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ محمد عبد الغني الجمسي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للحربية والإنتاج الحربي.
٣ ـ أحمد سلطان: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للإنتاج ووزير، الكهرباء والطاقة.
٤ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: وزيراً لشؤون مجلس الشعب.
٥ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للصناعة والبترول والتعدين.
٦ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتعليم، ووزير دولة للبحث العلمي.
٧ ـ محمد حامد محمود: وزير دولة للحكم المحلي والتنظيمات الشعبية والسياسية والشباب.
٨ ـ زكريا توفيق عبد الفتاح: وزيراً للبترول.
٩ ـ عبد العظيم عبد الله أبو العطا: وزيراً للري، ووزير دولة لشؤون السودان.
١٠ ـ عيسى عبد الحميد شاهين: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء والمتابعة والرقابة.
١١ ـ حامد عبد اللطيف السايح: وزيراً للاقتصاد والتعاون الاقتصادي.
١٢ ـ إبراهيم جميل مصطفى بدران: وزيراً للصحة.
١٣ ـ محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية. =

ولم تكن الأوضاع في البلدان الأخرى بأفضل حالاً، إذا عدّوا ذلك قضيةً محلّيةً، أو أن ما أصاب الشعب العربي في مصر قد أصابه في الأمصار الأخرى، على حين اتّخذ الحكام في البلدان العربية إجراءات ضدّ الحكم المصري أكثر مما حدث من ردود فعلٍ من الشعب إذ كانوا يتوقّعون حركاتٍ صاخبةٍ، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أن سياسة الضغط والقمع التي اتُّخذت مدةً ليست قصيرةً قد أثمرت وألزمت الشعب على الخنوع والسكوت عمّا يحدث بسبب الخوف، وبسبب تعميق وترسيخ الفكرة الإقليمية حيث أصبح الشعب يعدّ كل ما يحدث في مصرٍ آخر قضايا محلّية لا علاقة له بها، حتى قضية فلسطين أصبحت محليّة تخصّ أبناءها، وأُبعدت عنها الصفة الإسلامية، وهذا ما يخطط له الأعداء ويعملون له منذ مدةٍ طويلةً.

وفي ٣ ذي القعدة ١٣٩٨هـ (٥ تشرين الأول ١٩٧٨م) قبل الرئيس المصري استقالة حكومة ممدوح سالم وعهد إلى مصطفى خليل بتشكيل

= ١٤ ـ محمد متولى عبد الحافظ الشعراوي: وزيراً للأوقاف، ووزير دولة لشؤون الأزهر.
١٥ ـ عبد المنعم محمود الصاوي: وزيراً للثقافة والإعلام.
١٦ ـ إبراهيم محمود شكري: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
١٧ ـ محب رمزي ستينو: وزيراً للصناعة والطيران المدني.
١٨ ـ آمال عثمان: وزيرة للشؤون والتأمينات الاجتماعية.
١٩ ـ عبد الرازق عبد المجيد: وزيراً للتخطيط.
٢٠ ـ محمد إبراهيم كامل: وزيراً للخارجية.
٢١ ـ محمد نبوي إسماعيل: وزيراً للداخلية.
٢٢ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير والمجتمعات الجديدة.
٢٣ ـ بطرس بطرس غالي: وزيراً دولة للشؤون الخارجية.
٢٤ ـ نعيم مصطفى أبو طالب: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
٢٥ ـ عبد الستار مجاهد عرفة: وزيراً دولة للإنتاج الحربي.
٢٦ ـ علي السلس: وزير دولة للتنمية الإدارية.
٢٧ ـ سعد محمد أحمد: وزيراً للقوى العاملة والتدريب المهني.
٢٨ ـ أحمد طلعت توفيق: وزيراً للإسكان.
٢٩ ـ أحمد ممدوح عطية: وزيراً للعدل.
٣٠ ـ محمود محمد داود: وزيراً للزراعة.
٣١ ـ ناصف عبد المقصود إبراهيم طاحون: وزيراً للتموين.

الوزارة[1]. ولم تكن استقالة ممدوح سالم إحساساً منه بما قام به من دورٍ،

---

(١) تشكلت الحكومة على النحو الآتي:
١ ـ مصطفى خليل: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ فكري مكرم عبيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء لشؤون مجلس الشعب.
٣ ـ كمال حسن علي: وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٤ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للبترول.
٥ ـ حامد عبد اللطيف السايح: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية والتعاون الاقتصادي.
٦ ـ محمد نبوي إسماعيل: وزيراً للداخلية.
٧ ـ محمود أمين عبد الحافظ: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٨ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للشؤون والتأمينات الاجتماعية.
٩ ـ عبد الرازق عبد المجيد: وزيراً للتخطيط.
١٠ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير والمجتمعات الجديدة.
١١ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١٢ ـ علي محمد السلمي: وزير دولة للمتابعة والرقابة.
١٣ ـ سعد محمد أحمد: وزيراً للقوى العاملة والتدريب المهني.
١٤ ـ محمود محمد داود: وزيراً للزراعة.
١٥ ـ ناصف عبد المقصود طاحون: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٦ ـ حسن محمد إسماعيل: وزيراً للتعليم والبحث العلمي والثقافة.
١٧ ـ أحمد علي موسى: وزيراً للعدل.
١٨ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزير دولة للحكم المحلي.
١٩ ـ توفيق حامد كراره: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
٢٠ ـ محمد عبد الهادي سماحة: وزيراً للري، ووزير دولة لشؤون السودان.
٢١ ـ عبد الآخر محمد عمر عبد الآخر: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب.
٢٢ ـ علي فهمي الداغستاني: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
٢٣ ـ مصطفى متولي الحفناوي: وزيراً للإسكان.
٢٤ ـ إبراهيم عبد الرحمن: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
٢٥ ـ مصطفى كمال صبري: وزيراً للكهرباء.
٢٦ ـ علي جمال الناظر: وزير دولة للتعاون الاقتصادي.
٢٧ ـ محمد عبد الرحمن بيصار: وزيراً للأوقاف، ووزير دولة لشؤون الأزهر.
٢٨ ـ حسني محمد السيد علي: وزير دولة للإسكان.
٢٩ ـ كمال توفيق أحمد نصار: وزير دولة للإنتاج الحربي.
٣٠ ـ ممدوح كمال جبر: وزيراً للصحة.
٣١ ـ علي لطفي محمود لطفي: وزيراً للمالية.
٣٢ ـ محمد أحمد العقيلي: وزيراً للدولة.

ولا تأثراً بما يسمع من نقدٍ أو ما يُهمس نحوه من خيانةٍ قام بها سيده، وإنما كانت مهمته قد انتهت، وقد ذكرنا أن أنور السادات قد طلب منه أن يؤلّف حزب مصر، وقد قام بما أوكل إليه، ثم رأى الرئيس المصري أن يكون هو زعيم حزبٍ يحكم البلاد، فأنشأ الحزب الوطني الديمقراطي، وقد أُضيفت كلمة ديمقراطي لأنه لم يكن الدستور ليُبيح إعادة حزبٍ قديم، وكذا أضيفت كلمة «الجديد» إلى حزب الوفد. فلما تأسّس الحزب الوطني الديمقراطي انضمّ إليه رجالات وأعضاء حزب مصر، وبقي رئيسه ممدوح سالم دون أية قاعدةٍ فانسحب واستقال من الحكم، إذ فقد سبب وجوده، فالحزب الوطني هو امتداد لحزب مصر الذي قام مكان الاتحاد الاشتراكي وريث الاتحاد القومي بديل هيئة التحرير. وهكذا فهذا الحزب ونظيره لم يقم على مبدأ أو فكرة، وإنما لمصلحة وصول صاحب السلطة، فلما كان أنور السادات يدعم حزب مصر لقي تأييداً فلما أقام حزباً جديداً تبعته العناصر، وانضوت تحت جناحه.

وفي ٢٤ رجب ١٣٩٩هـ (١٩ حزيران ١٩٧٩م) أعاد مصطفى خليل تشكيل الوزارة[١]. وأخذ الاستبداد يظهر من جديد والتبذير في الأموال العامة

---

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ مصطفى خليل: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ فكري مكرم عبيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء لشؤون مجلس الشعب.
٣ ـ كمال حسن علي: وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٤ ـ أحمد عز الدين هلال: وزيراً للبترول.
٥ ـ مصطفى كمال حلمي: وزيراً للتعليم والبحث العلمي.
٦ ـ حامد عبد اللطيف السايح: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية والتعاون الاقتصادي.
٧ ـ محمد نبوي إسماعيل: وزيراً للداخلية.
٨ ـ محمود أمين عبد الحافظ: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٩ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للشؤون والتأمينات الاجتماعية.
١٠ ـ عبد الرازق عبد المجيد: وزيراً للتخطيط.
١١ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير والمجتمعات الجديدة.
١٢ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١٣ ـ سعد محمد أحمد: وزيراً للقوى العاملة والتدريب المهني.
١٤ ـ ناصف عبد المقصود طاحون: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٥ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزير دولة للحكم المحلي. =

يبدو على الرئيس إذ أصبح له في كل مدينةٍ مصريةٍ قصر يحمل اسم «استراحة»، ولا يقبل نصحاً، ولا رأياً من أحدٍ مما أخذ النقد يشتدّ، والمعارضة الداخلية السرّية تظهر.

وفي ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ (١٤ أيار ١٩٨٠م) شكّل الرئيس المصري أنور السادات وزارة برئاسته[1]. ويبدو أن دور أنور السادات قد انتهى

= ١٦ ـ توفيق حامد كرارة: وزيراً لاستصلاح الأراضي.
١٧ ـ محمد عبد الهادي سماحة: وزيراً للري، ووزير دولة لشؤون السودان.
١٨ ـ عبد الآخر محمد عبد الآخر: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب.
١٩ ـ علي فهمي الداغستاني: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
٢٠ ـ مصطفى متولي الحفناوي: وزيراً للإسكان.
٢١ ـ إبراهيم عبد الرحمن عطا الله: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
٢٢ ـ مصطفى كمال صبري: وزيراً للكهرباء.
٢٣ ـ علي جمال الناظر: وزير دولة للتعاون الاقتصادي والتمويل الخارجي.
٢٤ ـ كمال توفيق نصار: وزير دولة للإنتاج الحربي.
٢٥ ـ ممدوح كمال جبر: وزيراً للصحة.
٢٦ ـ علي لطفي محمود لطفي: وزيراً للمالية.
٢٧ ـ عبد المنعم أحمد النمر: وزيراً للأوقاف.
٢٨ ـ عبد الحميد حسن محمد: وزير دولة للشباب والرياضة.
٢٩ ـ أنور عبد الفتاح أبو سحلي: وزيراً للعدل.
٣٠ ـ منصور محمد محمود حسن: وزير دولة لرئاسة الجمهورية.

(١) يتولى رئيس الجمهورية محمد أنور السادات رئاسة مجلس الوزراء.
أ ـ يُعيّن محمد حسني مبارك نائباً لرئيس الجمهورية.
ب ـ يعين كل من:
١ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.
٢ ـ فكري مكرم عبيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء لشؤون مجلس الشعب.
٣ ـ أحمد عز الدين هلال: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للإنتاج، ووزيراً للبترول.
٤ ـ محمد نبوي إسماعيل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للخدمات، ووزيراً للداخلية.
٥ ـ عبد الرزاق عبد المجيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية والمالية، ووزيراً للتخطيط والمالية والاقتصاد.
وينوب أحمد فؤاد محيي الدين عن رئيس الجمهورية في الإشراف على اجتماعات مجلس الوزراء في حالة غيابه، وهو يتولى تقديم برنامج الوزارة لمجلس الشعب.
ج ـ يعين كل من: =

ويجب أن يأتي غيره ليقوم بدورٍ جديدٍ، فما قام به لم يكن له ردّ فعل عند

= ١ ـ أحمد بدوي سيد: وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٢ ـ مصطفى كمال حلمي: وزير دولة للتعليم والبحث العلمي.
٣ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات الاجتماعية، ووزيرة دولة للشؤون الاجتماعية.
٤ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير، ووزير دولة للإسكان واستصلاح الأراضي.
٥ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٦ ـ سعد محمد أحمد: وزير دولة للقوى العاملة والتدريب.
٧ ـ محمود محمد داود: وزير دولة للزراعة والأمن الغذائي.
٨ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
٩ ـ محمد عبد الهادي سماحة: وزيراً للري، ووزير دولة لشؤون السوادن.
١٠ ـ عبد الآخر محمد عمر عبد الآخر: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب.
١١ ـ علي جمال الناظر: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
١٢ ـ ممدوح كمال جبر: وزير دولة للصحة.
١٣ ـ أنور عبد الفتاح أبو سحلي: وزيراً للعدل.
١٤ ـ منصور محمد محمود حسن: وزير دولة للثقافة والإعلام.
١٥ ـ محمد طه زكي: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
١٦ ـ محمد ماهر محمد عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء.
١٧ ـ أحمد أحمد نوح: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٨ ـ جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
١٩ ـ زكريا البري: وزير دولة للأوقاف.
ثم عين
١ ـ فؤاد كمال حسين: وزير دولة للمالية.
٢ ـ سليمان سليمان نور الدين: وزير دولة للاقتصاد.
٣ ـ عثمان أحمد عثمان: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للتنمية الشعبية. ولم يلبث أن استقال.
٤ ـ سعد محمد السيد الشربيني: وزير دولة للتنمية الشعبية.
٥ ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة: وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي، وقائداً عاماً للقوات المسلحة.
٦ ـ أحمد سمير سامي: وزيراً للعدل بعد استقالة أنور عبد الفتاح أبو سحلي.
ثم عيّن البرت برسوم سلامة: وزير دولة.
ومحمد رشوان محمود: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب والشورى.
ومحمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة للثقافة.
ومختار حسن سالم هاني: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب والشورى.

الشعب العربي في مصر أو في غيرها، ومعنى هذا أنه أصبح الوضع عند الشعب قابلاً لإنهاء قضية فلسطين أو بالأحرى إسرائيل، غير أن أنور السادات لا يمكنه أن يقوم بأكثر مما قام به، وخاصةً أن الشعب قد ملّه، وكرهه، ولذا فقد وُجّه لاتباع سياسة الظلم ليكون ضحيتها.

لقد قام باعتقالاتٍ واسعةٍ في شهر ذي القعدة من عام ١٤٠١هـ، وقد شملت ما يزيد على ١٢٣٥ شخصاً، وتحتلّ العناصر الإسلامية الطليعة فيها، مما أثار النقمة، وأخذت النفوس تتوثّب، وكانت الخيانة التي قام بها في زيارته للقدس، واشتداده على العناصر الإسلامية، ومحاولة النيل منها في كل مناسبةٍ، واستهتاره بأمر الدين رغم محاولة إظهاره، وتبذيره لأموال المسلمين، وتصرّف زوجه جيهان كلها عوامل دعت إلى اغتياله.

وفي الاحتفال الذي أُقيم في ٨ ذي الحجة عام ١٤٠١هـ (٦ تشرين الأول ١٩٨١م) بمناسبة حرب رمضان ١٣٩٣هـ، وبينما كان على منصة الشرف يرتدي البزة العسكرية، وحوله أعوانه، وتمرّ أمامه أرتال الجند ومختلف أسلحة الجيش تقدّم منه الضابط خالد إسلامبولي، وأطلق عليه النار، وأرداه قتيلاً.

تولّى أنور السادات حكم مصر ما يزيد على أحد عشر عاماً، حكمت خلالها ست عشرة وزارةً، شكّل:

محمود فوزي منها	أربع وزارات	٤
وعزيز صدقي	وزارةً واحدةً	١
وأنور السادات نفسه	ثلاث وزاراتٍ	٣
وعبد العزيز حجازي	وزارةً واحدةً	١
وممدوح سالم	خمس وزاراتٍ	٥
ومصطفى خليل	وزارتين	٢
		١٦ وزارة

وكانت على الشكل التالي:

١ ـ محمود فوزي (الأولى): ١٩ شعبان ١٣٩٠ ـ ١٧ رمضان ١٣٩٠هـ (٢٠ تشرين الأول ١٩٧٠ ـ ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠م).

٢ ـ محمود فوزي (الثانية): ١٧ رمضان ١٣٩٠ ـ ١٩ ربيع الأول ١٣٩١هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ ـ ١٤ أيار ١٩٧١م).

٣ ـ محمود فوزي (الثالثة): ١٩ ربيع الأول ١٣٩١ ـ ٢٩ رجب ١٣٩١هـ (١٤ أيار ١٩٧١ ـ ١٩ أيلول ١٩٧١م).

٤ ـ محمود فوزي (الرابعة): ٢٩ رجب ١٣٩١ ـ ١ ذي الحجة ١٣٩١هـ (١٩ أيلول ١٩٧١ ـ ١٧ كانون الثاني ١٩٧٢م).

٥ ـ عزيز صدقي: ١ ذي الحجة ١٣٩١ ـ ٢٢ صفر ١٣٩٣هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٧٢ ـ ٢٧ آذار ١٩٧٣م).

٦ ـ أنور السادات (الأولى): ٢٢ صفر ١٣٩٣ ـ ٣ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ (٢٧ آذار ١٩٧٣ ـ ٢٥ نيسان ١٩٧٤م).

٧ ـ أنور السادات (الثانية): ٣ ربيع الثاني ١٣٩٤ ـ ٩ رمضان ١٣٩٤هـ (٢٥ نيسان ١٩٧٤ ـ ٢٥ أيلول ١٩٧٤م).

٨ ـ عبد العزيز حجازي: ٩ رمضان ١٣٩٤ ـ ٤ ربيع الثاني ١٣٩٥هـ (٢٥ أيلول ١٩٧٤ ـ ١٦ نيسان ١٩٧٥م).

٩ ـ ممدوح سالم (الأولى): ٤ ربيع الثاني ١٣٩٥ ـ ١٨ ربيع الأول ١٣٩٦هـ (١٦ نيسان ١٩٧٥ ـ ١٩ آذار ١٩٧٦م).

١٠ ـ ممدوح سالم (الثانية): ١٨ ربيع الأول ١٣٩٦ ـ ١٧ ذي القعدة ١٣٩٦هـ (١٩ آذار ١٩٧٦ ـ ٩ تشرين الثاني ١٩٧٦م).

١١ ـ ممدوح سالم (الثالثة): ١٧ ذي القعدة ١٣٩٦ ـ ١٤ ذي القعدة ١٣٩٧هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٧٦ ـ ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٧م).

١٢ ـ ممدوح سالم (الرابعة): ١٤ ذي القعدة ١٣٩٧ ـ ٢ جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٧٧ ـ ٩ أيار ١٩٧٨م).

١٣ ـ ممدوح سالم (الخامسة): ٢ جمادى الآخرة ١٣٩٨ ـ ٣ ذي القعدة ١٣٩٨هـ (٩ أيار ١٩٧٨ ـ ٥ تشرين الأول ١٩٧٨م).

١٤ ـ مصطفى خليل (الأولى): ٣ ذي القعدة ١٣٩٨ ـ ٢٤ رجب ١٣٩٩هـ (٥ تشرين الأول ١٩٧٨ ـ ١٩ حزيران ١٩٧٩م).

١٥ ـ مصطفى خليل (الثانية): ٢٤ رجب ١٣٩٩ ـ ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ (١٩ حزيران ١٩٧٩ ـ ١٤ أيار ١٩٨٠م).

١٦ ـ أنور السادات (الثالثة): ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٠٠ ـ ٨ ذي الحجة ١٤٠١هـ (١٤ أيار ١٩٨٠ ـ ٦ تشرين الأول ١٩٨١م).

٤ ـ عَهْد مُحَمَّد حُسني مُبَارك

انتهى دور مصر المرحلي بالخُطوة التي خطاها الرئيس أنور السادات بزيارة القدس، والاعتراف بإسرائيل، والصلح معها، والتبادل السياسي مع حكومتها، وأدّى هذا إلى مُقاطعة الدول العربية لمصر، وانتقال مقرّ جامعة الدول العربية إلى تونس، كما نُقلت المؤسسات التابعة إلى الجامعة إلى العواصم العربية الأخرى، وإذا كان أنور السادات قد أدّى هذا الدور فإن على خلفه محمد حسني المبارك أن يُنهي دور القطيعة العربية، وأن يُعيد لمصر مكانتها السابقة بين شقيقاتها، وأن يسير بها إلى ما سار سلفه أنور السادات دون أن تكون مُعارضة لها لسياسة مصر، ولا انتقاد منه لما تسير عليه بل ينطلق الجميع في مسيرةٍ واحدةٍ نحو ما سُمّي بالحلّ السلمي، وإحلال السلام في المنطقة حسب الاصطلاح الذي أُطلق يومذاك.

قُتل الرئيس محمد أنور السادات يوم ٨ ذي الحجة عام ١٤٠١هـ (٦ تشرين الأول ١٩٨١م) في الحفل الذي أقيم للاحتفال بذكرى حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ، فتولّى رئاسة الجمهورية مُوقَّتاً رئيس مجلس الأمة صوفي أبو طالب حسب الدستور المصري، فأصدر في اليوم التالي قراراً عُيّن فيه محمد حسني مبارك نائباً لرئيس الجمهورية، كما فُوّض في مُباشرة الاختصاصات المقررة في اللوائح والقوانين للقائد الأعلى للقوات المسلحة، وترأس اجتماعات مجلس الوزراء القائم.

وانقضت عطلة عيد الأضحى التي كانت ستبدأ في اليوم التالي، وتسلّم بعدها محمد حسني مبارك مُهمّة رئاسة الجمهورية، وفي ١٦ ذي الحجة

١٤٠١هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٨١م)، شكّل وزارةً جديدةً برئاسته[1].

---

(١) كانت الوزارة على النحو الآتي:

١ - يتولى محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية رئاسة مجلس الوزراء.

٢ - يعين أحمد فؤاد محيي الدين نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء، وينوب عن رئيس الجمهورية في رئاسة اجتماعات مجلس الوزراء في حالة غيابه، ويتولى تقديم برنامج الوزارة لمجلس الشعب.

٣ - يُعيّن كل من:

فكري مكرم عبيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء لشؤون مجلسي الشعب والشورى.

كمال حسن علي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.

أحمد عز الدين هلال: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للإنتاج، ووزيراً للبترول.

محمد نبوي إسماعيل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للخدمات، ووزيراً للداخلية.

عبد الرزاق عبد المجيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية والمالية، ووزيراً للتخطيط والمالية والاقتصاد.

٤ - يُعيّن كل من:

١ - محمد عبد الحليم أبو غزالة: وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.

٢ - البرت برسوم سلامة: وزير دولة.

٣ - مصطفى كمال حلمي: وزير دولة للتعليم والبحث العلمي.

٤ - آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات الاجتماعية، ووزيرة دولة للشؤون الاجتماعية.

٥ - حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير، ووزير دولة للإسكان واستصلاح الأراضي.

٦ - بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.

٧ - سعد محمد أحمد: وزير دولة للقوى العاملة والتدريب.

٨ - محمود محمد داود: وزير دولة للزراعة والأمن الغذائي.

٩ - سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.

١٠ - محمد عبد الهادي سماحة: وزيراً للري، ووزير دولة لشؤون السودان.

١١ - عبد الآخر محمد عمر عبد الآخر: وزير دولة لشؤون مجلس الشعب والشورى.

١٢ - علي جمال الناظر: وزيراً للسياحة والطيران المدني.

١٣ - ممدوح كمال جبر: وزير دولة للصحة.

١٤ - محمد طه زكي: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.

١٥ - محمد ماهر محمد عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة.

١٦ - أحمد أحمد نوح: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.

١٧ - جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.

١٨ - زكريا البري: وزير دولة للأوقاف. =

وتمّ إعدام قاتل الرئيس السابق أنور السادات، وسارت البلاد بعدها بشكلٍ يظهر عليه الهدوء لتأدية الدور المنوط بها. ولم يكن من خلافاتٍ سياسيةٍ مع البلدان العربية إلا ما كان مع ليبيا ومع سوريا، وكلها صراعات إعلامية فقط لم تتعد ذلك، وأما بقية البلدان العربية فكانت السياسة الخارجية معها هادئةً تماماً.

اكتمل الانسحاب الإسرائيلي من شبه جزيرة سيناء عام ١٤٠٢هـ، ولم يبق من خلافٍ على الأرض بين مصر وإسرائيل سوى موقع (طابا) على خليج العقبة.

عادت مصر إلى نشاطها في المؤتمر الإسلامي، وأُلغي قرار الاعتقال الذي صدر في أواخر عهد الرئيس السابق أنور السادات.

وفي ٨ ربيع الأول ١٤٠٢هـ (٣ كانون الثاني ١٩٨٢م) كلّف الرئيس المصري محمد حسني المبارك الدكتور أحمد فؤاد محيي الدين بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ[١].

= ١٩ ـ فؤاد كمال حسين: وزير دولة للمالية.
٢٠ ـ سليمان سليمان نور الدين: وزير دولة للاقتصاد.
٢١ ـ سعد محمد السيد الشربيني: وزير دولة للتنمية الشعبية.
٢٢ ـ أحمد سمير سامي: وزيراً للعدل.
٢٣ ـ محمد رشوان محمود: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٤ ـ محمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة للثقافة.
٢٥ ـ مختار حسن سالم هاني: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ فكري مكرم عبيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٣ ـ كمال حسن علي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٤ ـ أحمد عز الدين هلال: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للإنتاج، ووزيراً للبترول.
٥ ـ محمد نبوي إسماعيل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للخدمات، ووزيراً للحكم المحلي.
٦ ـ محمد عبد الفتاح إبراهيم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية والمالية، ووزيراً لشؤون الاستثمار والتعاون الدولي. =

= ٧ - محمد عبد الحليم أبو غزالة: وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٨ - البرت برسوم سلامة: وزير دولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج.
٩ - مصطفى كمال حلمي: وزير دولة للتعليم والبحث العلمي.
١٠ - محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية.
١١ - آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات الاجتماعية، ووزيرة دولة للشؤون الاجتماعية.
١٢ - حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير، ووزير دولة للإسكان واستصلاح الأراضي.
١٣ - بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١٤ - سعد محمد أحمد: وزير دولة للقوى العاملة والتدريب.
١٥ - سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
١٦ - محمد عبد الهادي سماحة: وزيراً للري، ووزير دولة لشؤون السودان.
١٧ - محمد ماهر محمد عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة.
١٨ - أحمد أحمد نوح: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٩ - جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
٢٠ - سعد محمد السيد الشربيني: وزير دولة للتنمية الشعبية.
٢١ - أحمد سمير سامي: وزيراً للعدل.
٢٢ - محمد رشوان محمود: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٣ - محمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة للثقافة.
٢٤ - مختار حسن سالم هاني: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٥ - جاد الحق علي جاد الحق: وزير دولة للأوقاف.
٢٦ - محمد صبري زكي: وزير دولة للصحة.
٢٧ - عادل محمود عبد الباقي: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزير دولة للتنمية الإدارية.
٢٨ - محمد صفوت محمد يوسف الشريف: وزير دولة للإعلام.
٢٩ - كمال أحمد الجنزوري: وزيراً للتخطيط.
٣٠ - فؤاد إبراهيم أبو زغلة: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
٣١ - عادل إبراهيم طاهر: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٣٢ - حسن سليمان أبو باشا: وزيراً للداخلية.
٣٣ - فؤاد هاشم عوض: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٣٤ - يوسف أمين والي: وزير دولة للزراعة والأمن الغذائي.
ثم عُيّن: جاد الحق علي جاد الحق شيخاً للأزهر، وعين إبراهيم الدسوقي عبد الحميد مرعي وزيراً للأوقاف.

وقفت مصر بجانب العراق في حربها مع إيران، ودعمتها بشكلٍ واضحٍ تقرّباً من السياسة العربية، وقد توّج هذا الموقف بقيام مجلس التعاون العربي بين كلٍ من مصر، والعراق، والأردن، واليمن وذلك عام ١٤٠٩هـ.

وسمح لأحزاب المعارضة باستئناف النشاط، إذ سمح لحزب الوفد بالعودة إلى مُمارسة نشاطه، وصدر قرار ببطلان حرمان رئيسه فؤاد سرج الدين من الحقوق السياسية بل صدر قرار آخر بأن حزب الوفد لم يُحل ولكنه جُمّد، ويحقّ له النشاط في الوقت الذي يراه مُناسباً، وأخذ الوضع يسير نحو الحياة الدستورية بصورةٍ باهتةٍ، ولكنها لم تكن سوى صفةٍ اسميةٍ للحياة الدستورية.

وفي ١٢ ذي القعدة ١٤٠٢هـ (٣١ آب ١٩٨٢م) تشكّلت حكومة جديدة برئاسة رئيس الوزراء السابق أحمد فؤاد محيي الدين[١].

---

(١) تشكلت الحكومة الجديدة على النحو الآتي:
١ ـ أحمد فؤاد محيي الدين: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ كمال حسن علي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٣ ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٤ ـ أحمد عز الدين هلال: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للإنتاج، ووزيراً للبترول.
٥ ـ مصطفى كمال حلمي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء للخدمات، ووزيراً للتعليم والبحث العلمي.
٦ ـ البرت برسوم سلامة: وزير دولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج.
٧ ـ محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية.
٨ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات الاجتماعية، ووزيرة دولة للشؤون الاجتماعية.
٩ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير، ووزير دولة للإسكان واستصلاح الأراضي.
١٠ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١١ ـ سعد محمد أحمد: وزير دولة للقوى العاملة والتدريب.
١٢ ـ أحمد ممدوح عطية: وزيراً للعدل.
١٣ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
١٤ ـ محمد عبد الهادي سماحة: وزيراً للري.
١٥ ـ محمد ماهر محمد عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة. =

وفي الوقت الذي كانت فيه السياسة المصرية تسير بخطٍ متوازٍ مع السياسة العربية كي تعود إلى الجامعة العربية حتى تستطيع أن تُؤدّي الدور المُناط بها والمُكلّفة به لكنها من حيث السياسة الداخلية لم تعمل على إقامة مشروعاتٍ حيويةٍ تُفيد الاقتصاد الوطني وترفع من مستوى المواطن المصري، وهذا ما جعل الوضع الاقتصادي يتردّى باستمرار، ويشعر السكان بالبؤس والشقاء، ويحسّون بالحياة تطحنهم، فانزوى بعضهم بؤساً وانحنى بعضهم الآخر زُلفى يتقرّب من السلطة يبتغي لقمة العيش. وفي ٥ شعبان ١٤٠٤هـ (٥ أيار ١٩٨٤م) توفي رئيس الوزراء، وهو في مكتبه فتولى رئاسة الوزارة نائبه كمال حسن علي حتى ١٧ شوال ١٤٠٤هـ (١٦ تموز ١٩٨٤م) حيث

= ١٦ ـ أحمد أحمد نوح: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
١٧ ـ جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
١٨ ـ محمد رشوان محمود: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
١٩ ـ محمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة للثقافة.
٢٠ ـ مختار حسن سالم هاني: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢١ ـ محمد صبري زكي: وزير دولة للصحة.
٢٢ ـ عادل محمود عبد الباقي: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزير دولة للتنمية الإدارية.
٢٣ ـ محمد صفوت محمد يوسف الشريف: وزير دولة للإعلام.
٢٤ ـ كمال أحمد الجنزوري: وزيراً للتخطيط.
٢٥ ـ فؤاد إبراهيم أبو زغلة: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
٢٦ ـ حسن سليمان أبو باشا: وزيراً للداخلية.
٢٧ ـ يوسف أمين والي: وزير دولة للزراعة والأمن الغذائي.
٢٨ ـ إبراهيم الدسوقي عبد الحميد مرعي: وزير دولة للأوقاف.
٢٩ ـ يوسف صبري أبو طالب: وزير دولة للأوقاف.
٣٠ ـ وجيه محمد شدى: وزيراً لشؤون الاستثمار والتعاون الدولي.
٣١ ـ مصطفى كامل السعيد إبراهيم: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٣٢ ـ توفيق عبده إسماعيل: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
ثم عُيّن في ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ.
١ ـ محمد سعد الدين مأمون: وزير دولة للحكم المحلي.
٢ ـ محمد ناجي محمود شتلة: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٣ ـ محمد السيد الغروري: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.

كلّفه الرئيس المصري محمد حسني مبارك رسمياً بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1].

---

(١) تشكلت الحكومة الجديدة على النحو الآتي:
١ ـ كمال علي حسن: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ مصطفى كمال حلمي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي.
٣ ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٤ ـ أحمد عصمت عبد المجيد: وزيراً للخارجية.
٥ ـ آلبرت برسوم سلامة: وزير دولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج.
٦ ـ محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية.
٧ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات الاجتماعية، والشؤون الاجتماعية.
٨ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير والمجتمعات الجديدة، واستصلاح الأراضي.
٩ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١٠ ـ سعد محمد أحمد: وزيراً للقوى العاملة والتدريب.
١١ ـ أحمد ممدوح عطية: وزيراً للعدل.
١٢ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
١٣ ـ محمد ماهر عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة.
١٤ ـ جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
١٥ ـ محمد عبد الحميد رضوان: وزيراً للثقافة.
١٦ ـ محمد صفوت محمد يوسف الشريف: وزيراً للإعلام.
١٧ ـ محمد صبري زكي: وزيراً للصحة.
١٨ ـ كمال أحمد الجنزوري: وزيراً للتخطيط والتعاون الدولي.
١٩ ـ حسن سليمان أبو باشا: وزيراً للحكم المحلي.
٢٠ ـ يوسف أمين والي: وزيراً للزراعة والأمن الغذائي.
٢١ ـ وجيه محمد شندي: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٢٢ ـ مصطفى كامل السعيد إبراهيم: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٢٣ ـ توفيق عبده إسماعيل: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٤ ـ محمد ناجي محمود شتلة: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢٥ ـ أحمد رشدي: وزيراً للداخلية.
٢٦ ـ عصام راضي عبد الحميد راضي: وزيراً للري.
٢٧ ـ محمد محمود فرج عبد الوهاب: وزيراً للصناعة.
٢٨ ـ عبد الهادي محمد قنديل: وزيراً للبترول والثروة المعدنية.
٢٩ ـ عاطف محمد محمد عبيد: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزيراً للتنمية الإدارية. =

ومع الحرية المزعومة والحياة الدستورية المدّعاة إلاّ أن الحزب الحاكم «الحزب الوطني الديمقراطي» كان يتصرّف بأمور البلاد والعباد، بل إن قانون الانتخابات المبني على أساس القائمة الواحدة والذي يجعل من أصوات الأحزاب الضعيفة التي لم تحصل على نسبةٍ معينة من الأصوات تكون من نصيب أكبر الأحزاب، وهي طريقة وحيدة في الدنيا، وتجعل الحزب الحاكم يستمر في حصوله على الأغلبية وتبقى السلطة بيده على الدوام، كما تضعف الأحزاب الأخرى بجانبه، ولذا يقبض على الحكم بكلتا يديه ويستبدّ، وتضعف المعارضة ويكون أثرها محدوداً.

وفي ٢٠ ذي الحجة ١٤٠٥هـ (٥ أيلول ١٩٨٥م) عهد الرئيس المصري محمد حسني مبارك إلى علي لطفي محمود لطفي بتشكيل الوزارة فألّف الحكومة من اثنين وثلاثين وزيراً[1].

= ٣٠ ـ عبد السلام عبد القادر عبد الغفار: وزيراً للتربية والتعليم.
٣١ ـ محسن عبد الفتاح صدقي: وزيراً للإسكان والمرافق.
٣٢ ـ محمد الأحمدي أبو النور: وزيراً للأوقاف.

(١) تشكلت الحكومة على النحو الآتي:
١ ـ علي لطفي محمود لطفي: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٣ ـ أحمد عصمت عبد المجيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٤ ـ كمال أحمد الجنزوري: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتخطيط والتعاون الدولي.
٥ ـ يوسف أمين والي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للزراعة والأمن الغذائي.
٦ ـ محمود صلاح الدين حامد: وزيراً للمالية.
٧ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات والشؤون الاجتماعية.
٨ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للتعمير والمجتمعات الجديدة واستصلاح الأراضي.
٩ ـ بطرس بطرس غالي: وزيراً للدولة للشؤون الخارجية.
١٠ ـ سعد محمد أحمد: وزيراً للقوى العاملة والتدريب.
١١ ـ أحمد ممدوح عطية: وزيراً للعدل.
١٢ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري. =

ومع ضعف المعارضة وعدم إقامة مشروعاتٍ حيويةٍ في البلاد فقد ضاق بعض الناس ذرعاً بالحكم، وظهرت بعض الأحداث التي أطلقت عليها السلطة أعمال الشغب والفوضى، وكان للتجمّعات الإسلامية النصيب الأوفى منها لأنها كانت مستهدفةً باستمرار، وكان كل ما لا يروق الدولة يُعرف بالتّطرّف أو هكذا تُسمّيه وكل ما يُسايرها هو المرونة والتعقّل حتى أصبح العمل الإسلامي إذا ما أوضح حقيقة الإسلام كان تطرّفاً إذ الدولة لا تسير على النهج الإسلامي، وكل من نافق وتزلّف وانتقد العمل الإسلامي كان هو العارف لدين الله الملتزم بشرعه، وأصبح كل من ينتقد يتّهم بالتطرّف، وظهرت كتابات كثيرة عن التطرّف، ومن كان اليوم متطرّفاً يُصبح غداً غير مُتطرّفٍ، فيما لو ظهر على

= ١٣ ـ محمد ماهر عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة.
١٤ ـ جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
١٦ ـ محمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
١٧ ـ محمد صفوت الشريف: وزيراً للإعلام.
١٨ ـ حسن سليمان أبو باشا: وزيراً للحكم المحلي.
١٩ ـ محمد ناجي محمود شتلة: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢٠ ـ أحمد رشدي: وزيراً للداخلية.
٢١ ـ عصام راضي عبد الحميد راضي: وزيراً للري.
٢٢ ـ محمد محمود عبد الوهاب: وزيراً للصناعة.
٢٣ ـ عبد الهادي محمد قنديل: وزيراً للبترول والثروة المعدنية.
٢٤ ـ عاطف محمد محمد عبيد: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزير دولة للتنمية الإدارية.
٢٥ ـ محمد الأحمدي أبو النور: وزيراً للأوقاف.
٢٦ ـ محمد سلطان أبو علي: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٢٧ ـ السيد علي السيد: وزير الدولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٨ ـ منصور إبراهيم حسين: وزيراً للتربية والتعليم.
٢٩ ـ عبد الرحمن لبيب: وزيراً للإسكان والمرافق.
٣٠ ـ أحمد عبد المقصود هيكل: وزيراً للثقافة.
٣١ ـ وليم نجيب سيفين: وزير دولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج.
٣٢ ـ محمد فتحي محمد علي: وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي.
٣٣ ـ فؤاد عبد اللطيف سلطان: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٣٤ ـ حلمي عبد الرزاق الحديدي: وزيراً للصحة.

الساحة من يُنادي بالاستقامة، فكل مستقيمٍ مُتطرّف في نظرهم، والواقع أن الضغط هو الذي يُوجد التطرّف.

وفي ٩ ربيع الأول ١٤٠٧هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٨٦م) عهد الرئيس المصري محمد حسني مبارك إلى عاطف محمد نجيب صدقي بتشكيل الحكومة[١].

---

(١) تشكلت الحكومة على النحو الآتي:

١ ـ عاطف محمد نجيب صدقي: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٣ ـ أحمد عصمت عبد المجيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٤ ـ كمال أحمد الجنزوري: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتخطيط والتعاون الدولي.
٥ ـ يوسف أمين والي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للزراعة واستصلاح الأراضي.
٦ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات والشؤون الاجتماعية.
٧ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للإسكان والمرافق والتعمير والمجتمعات العمرانية.
٨ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٩ ـ أحمد ممدوح عطية: وزيراً للعدل.
١٠ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري.
١١ ـ محمد ماهر عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة.
١٢ ـ جمال السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
١٣ ـ محمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
١٤ ـ محمد صفوت الشريف: وزيراً للإعلام.
١٥ ـ عصام راضي عبد الحميد راضي: وزيراً للري.
١٦ ـ محمد محمود عبد الوهاب: وزيراً للصناعة.
١٧ ـ عبد الهادي محمد قنديل: وزيراً للبترول والثروة المعدنية.
١٨ ـ عاطف محمد محمد عبيد: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزيراً للتنمية الإدارية.
١٩ ـ السيد علي السيد: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٠ ـ أحمد عبد المقصود هيكل: وزيراً للثقافة.
٢١ ـ فؤاد عبد المعطي سلطان: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
٢٢ ـ زكي مصطفى بدر: وزيراً للداخلية.
٢٣ ـ محمد جلال الدين أبو الذهب: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية. =

وقامت الدولة تضغط على الحركة الإسلامية، وتُحاول أن تُوقع بين الجماعات منها بعضها ضد بعضٍ، وتأخذ آراء بعض العناصر البارزة عن التطرّف فيتحدّثون عن التعصّب والشدّة في طلب الحقّ، ويُقصد منه العمل الإسلامي، وقد لجأ العمل الإسلامي إلى إنشاء مؤسساتٍ إسلاميةٍ لسدّ ما قصّرت به الدولة في إيجاد عملٍ لبعضهم واستثمار أموال من يملك منها فضغطت عليها الدولة، وعملت على اتهامها، وإماتتها، والقضاء عليها بصورٍ شتّى.

وعهد الرئيس المصري محمد حسني مبارك في ٢٠ صفر ١٤٠٨هـ (١٣ تشرين الأول ١٩٨٧م) إلى عاطف محمد نجيب صدقي بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[١].

= ٢٤ ـ عادل عبد الحميد عز: وزير دولة لشؤون البحث العلمي.
٢٥ ـ محمد راغب دويدار: وزيراً للصحة.
٢٦ ـ يسري علي مصطفى: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٢٧ ـ أحمد سلامة محمد: وزيراً للحكم المحلي.
٢٨ ـ أحمد فتحي سرور: وزيراً للتعليم.
٢٩ ـ محمد أحمد الرزاز: وزيراً للمالية.
٣٠ ـ محمد علي محجوب: وزيراً للأوقاف.
٣١ ـ عدلي عبد الشهيد بشاي: وزير دولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج.
٣٢ ـ عاصم عبد الحق صالح: وزيراً للقوى العاملة والتدريب.

(١) تشكلت الحكومة الجديدة على النحو الآتي:
١ ـ عاطف محمد نجيب صدقي: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدفاع والإنتاج الحربي.
٣ ـ أحمد عصمت عبد المجيد: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٤ ـ كمال أحمد الجنزوري: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتخطيط.
٥ ـ يوسف أمين والي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للزراعة واستصلاح الأراضي.
٦ ـ آمال عبد الرحيم عثمان: وزيرة للتأمينات والشؤون الاجتماعية.
٧ ـ حسب الله محمد الكفراوي: وزيراً للإسكان والمرافق والتعمير والمجتمعات العمرانية الجديدة.
٨ ـ بطرس بطرس غالي: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٩ ـ سليمان متولي سليمان: وزيراً للنقل والمواصلات والنقل البحري. =

وبدا الحكم ضعيفاً، وأخذ يترنّح رغم استبداد الحزب الواحد، وأخذ وزير الداخلية اللواء زكي مصطفى بدر يُشدِّد قبضته، ويخرج عن دائرة الحرية السياسية والعمل الرسمي، ويتحدّث بكلامٍ غير مألوف لا يليق، ويبدو أن دور الحرية المزعومة قد انتهى، وأخذت تسير الموجة نحو حكمٍ استبدادي جديدٍ لتأدية دورٍ مطلوبٍ بعد أن خنع الشعب، ويبدو أنه قد دنا من الاستسلام حتى الشركات اليهودية التي كانت المقاطعة العربية قد وضعتها ضمن قائمة المحظور التعامل معها قد نزلت إلى السوق لتأخذ مكانها، وكان آخرها شركة «فورد» للسيارات، وشركة «كولا» للمرطبات.

= ١٠ ـ محمد ماهر عثمان أباظة: وزيراً للكهرباء والطاقة.
١١ ـ جمال الدين السيد إبراهيم: وزير دولة للإنتاج الحربي.
١٢ ـ محمد عبد الحميد رضوان: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
١٣ ـ محمد صفوت الشريف: وزيراً للإعلام.
١٤ ـ عصام راضي عبد الحميد راضي: وزيراً للأشغال العامة والموارد المائية.
١٥ ـ محمد محمود عبد الوهاب: وزيراً للصناعة.
١٦ ـ عبد الهادي محمد قنديل: وزيراً للبترول والثروة المعدنية.
١٧ ـ عاطف محمد محمد عبيد: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، ووزيراً للتنمية الإدارية.
١٨ ـ فؤاد عبد اللطيف سلطان: وزيراً للسياحة والطيران المدني.
١٩ ـ زكي مصطفى بدر: وزيراً للداخلية.
٢٠ ـ محمد جلال الدين أبو الذهب: وزيراً للتموين والتجارة الداخلية.
٢١ ـ عادل عبدالحميد عز: وزير دولة لشؤون البحث العلمي.
٢٢ ـ محمد راغب دويدار: وزيراً للصحة.
٢٣ ـ يسري علي مصطفى: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٢٤ ـ أحمد سلامة محمد: وزير دولة لشؤون مجلسي الشعب والشورى.
٢٥ ـ أحمد فتحي سرور: وزيراً للتعليم.
٢٦ ـ محمد أحمد الرزاز: وزيراً للمالية.
٢٧ ـ محمد علي محجوب: وزيراً للأوقاف.
٢٨ ـ عاصم عبد الحق صالح: وزيراً للقوى العاملة والتدريب.
٢٩ ـ فاروق محمود سيف النصر: وزيراً للعدل.
٣٠ ـ موريس مكرم الله واصف: وزير دولة لشؤون التعاون الدولي.
٣١ ـ فؤاد إسكندر إسكندر: وزير دولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج.
٣٢ ـ فاروق عبد العزيز حسني: وزيراً للثقافة.

وفي ٧ شعبان ١٤٠٩هـ (١٤ آذار ١٩٨٩م) تمّ الاتفاق بين الجانب المصري والجانب الإسرائيلي بشأن بلدة «طابا» وما جاورها حيث عادت إلى مصر، ودفعت حكومة مصر ما يزيد على خمسة وأربعين مليون جنيه استرليني ثمن الفندق القائم هناك والمنشآت السياحية.

ولما كانت الحكومة تريد إضعاف الجماعات الإسلامية وهذا أمر أصبح طبيعياً كلما أرادت دولة أن تقوم بعمل أو تدخل معركةً لا بدّ لها من القبض على رؤوس العمل الإسلامي، وقبل أن يقع مثل هذا فقد طلبت الدولة من عددٍ ممن يُشار إليهم أن يتحدثوا عن التطرف، وأن الحكومة لا تعمد مخالفة الشرع، وقد أصدر هؤلاء المشايخ بياناً ذكروا فيه أن الحكومة لا تردّ حكماً لله، ولا تقوم بعمل يُخالف الشرع، وإنما تحرص الحرص كله على العمل بمنهج الله، وتعمل تدريجياً حتى تجد الوقت المناسب لتطبيق الشريعة فعلى الشباب ألا يتسرعوا في الحكم عليها، ولا يتصرفوا بما يخالفها ويثير عليها[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر مجلة الاعتصام العدد العاشر تاريخ ١٥ جمادى الآخرة عام ١٤٠٩هـ (كانون الثاني ١٩٨٩م).

الفصل الثالث
الصراعات الداخلية

يُقدّر عدد سكان مصر بما يقرُب من ستةٍ وأربعين مليوناً عام ١٤٠٨هـ، وتُقدّر الزيادة السنوية باثنين بالمائة، وتزيد هذه النسبة في الريف على ما هي عليه في المدن نتيجة العمل الزراعي.

يعيش معظم السكان في الوادي والدلتا أي في مساحةٍ لا تزيد على ثلاثةٍ وثلاثين ألفاً من الكيلومترات المربعة، وهو ما يُعادل ١/ ٣٠ من مساحة مصر البالغة مليون كيلومتر مربع تقريباً. أي أن ٩٨٪ من السكان يعيشون في هذه المنطقة، وتكون الكثافة ١١٠٠ في الصعيد، و٩٠٠ في الدلتا. أما الصحراء الغربية فيعيش فيها ٢٥٠,٠٠٠ في منطقة تبلغ مساحتها ٤٥,٠٠٠كم². وفي الصحراء الشرقية يعيش ٨٢,٠٠٠ في منطقة تبلغ مساحتها ٣٠,٠٠٠كم². وفي شبه جزيرة سيناء يعيش ٢١٠,٠٠٠ في منطقة تبلغ مساحتها ٢٢,٠٠٠كم². وفي الساحل الشمالي الغربي يعيش ٢٥٠,٠٠٠ في منطقة تبلغ مساحتها ١٨,٠٠٠كم².

ويتجمّع ربع سكان مصر في المدينتين الكبريين القاهرة والإسكندرية إذ يعيش فيهما ما يزيد على أحد عشر مليوناً لذا فإن الحياة السياسية تكاد تتركّز فيهما.

يدين ٩٢,٥٪ من السكان بالإسلام، وجميعهم من أهل السنة والجماعة، وقد وُجد في الآونة الأخيرة أفراد من الفرقة البهائية الضالة. وهناك ٦,٥٪ من النصارى وجلّهم من الأقباط. وقد وفدهم أفواج من نصارى بلاد الشام قبيل الحرب العالمية الأولى، وأكثر هؤلاء النصارى يعيشون في المدن، وتكون نسبتهم في القاهرة ١٠,١٣٪، وفي الاسكندرية ٦,٧٤٪، وتقلّ نسبتهم في مدن القناة فهي ٢,٧٨٪ في الإسماعيلية، و٤,٢٤٪ في بورسعيد، و٤,٢٧٪ في

السويس. وأقلّ نسبةٍ لهم في الدلتا في دمياط إذ لا تزيد على ٠,٢٥٪، وترتفع نسبتهم في مصر الوسطى أو في شمال الصعيد فهي: ١٤,٦٪ في سوهاج، و١٩,٣٨٪ في المنيا، و١٩,٩٩٪ في أسيوط، وفي الفيوم ٣,٧٧٪، وفي الجيزة ٣,٨٣٪.

وتعيش في مصر جاليات أوروبية نصرانية منها: اليونانية والإيطالية وغيرهما، ويُقيم أكثرها في القاهرة والإسكندرية.

أما اليهود فلا تزيد نسبتهم على ٠,٥٪ وبذا فلا يصل عددهم إلى ٢٥٠ ألفاً، وقد غادر أكثرهم مصر إلى فلسطين عندما استطاع اليهود السيطرة على القسم الأكبر منها، وأقاموا لأنفسهم فيها دولةً، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم من اليهود في البلدان العربية الأخرى التي كانوا يسكنون فيها بأمنٍ وأمانٍ. ويُقيم معظم من بقي من اليهود في القاهرة والإسكندرية.

ويتكلّم السكان جميعاً اللغة العربية، غير أن اللهجة المصرية قد دخلها كثير من الكلمات الأجنبية وخاصةً التركية، والإنكليزية، والفرنسية نتيجة حبّ التقليد عند المصريين وبسبب سيادة التركية من قبل، ثم شيوع الإنكليزية والفرنسية، ومن اللهجة المصرية انتقلت هذه الكلمات إلى عددٍ من البلدان العربية نتيجة أسبقية مصر في التعليم، ووجود عددٍ من أبنائها يعملون في هذه المهنة في بلدانٍ عربيةٍ ثانيةٍ، إضافةً إلى أسبقية مصر لشقيقاتها في مهنة التمثيل.

ويعمل أغلب سكان مصر في الزراعة، وهم أهل الريف، أما أهل المدن فيعملون في الصناعة والتجارة، وبعضهم من المُلّاك، ومع الأسف فإن بعضهم متفرّغ لما يُسمّونه الفنّ، وللسرقة، وأحياناً للسؤال بطريقةً من الطرق. وجلّهم يعيش حياة استقرارٍ ولا تُمثّل البداوة سوى ٠,٧٪ من السكان، وأكثر القبائل تحيا حياة شبه استقرارٍ في الصحراء الغربية، والشرقية،، وشبه جزيرة سيناء والساحل الشمالي الغربي.

يمكن أن نُميّز في هذا العصر الصراعات الداخلية في مصر حسب ثلاث مراحل:

١ ـ **المرحلة الأولى**: وتمتدّ من ٢ رجب ١٣٤٠ ـ ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ

(٢٨ شباط ١٩٢٢ ـ ٢٣ تموز ١٩٥٢م). وتتميّز بالصراعات الحزبية، والأحزاب يزداد عددها في مصر مع مرور الأيام. وعدد منها قد انشقّ عن حزب الوفد، ويلتقي معظمها على مُحاربة حزب الوفد، ويُخطّط لذلك القصر والإنكليز كي يبقى التوازن قائماً ـ حسب اصطلاحهم ـ فلا يطغى الوفد، ويتحكّم بالبلاد وتكون له القوة وربما خرج عن رأي المحتلّين، أما القصر فيختلف عن المحتلّ في نظرته هذه، لأن الوفد على خلافٍ دائم مع القصر، فكل منهما يريد أن لا يكون له مُنازع في حرية اليد، ولا معادي في بسط النفوذ.

٢ ـ **المرحلة الثانية**: وتمتدّ من ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ ـ ١٥ شعبان ١٣٩٠هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢ ـ ١٥ تشرين الأول ١٩٧٠م). وتتميّز بالصراع بين السلطة والإخوان المسلمين، واتخاذ كل الإجراءات لإضعاف شأن الإخوان، واستعداء الناس عليهم وتسخير وسائل الإعلام للنيل منهم، وفي الوقت نفسه التمجيد بشخصية الحاكم وإرواء غروره بالسلطة.

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: وتمتد من ١٥ شعبان ١٣٩٠هـ... إلى اليوم (١٥ تشرين الأول ١٩٧٠م ـ......) وتتميّز بعودة الحياة الحزبية وصراعها فيما بينها، وتنقّل الإخوان بين الأحزاب، وتعدّد الجماعات الإسلامية.

المرحلة الأولى

بدأ النشاط الحزبي بعد الحرب العالمية الأولى، ولم يبق من الأحزاب التي نشأت قبل الحرب سوى الحزب الوطني، أما بقية الأحزاب أو التجمّعات فقد وُجدت من جديدٍ، وكان أهمها حزب الوفد الذي يرجع عدد من رجاله إلى حزب الأمة الذي كان قائماً قبل الحرب، والذي يرى المرونة مع الاحتلال. وعندما برز واكتسب شعبيةً للظروف التي نشأ فيها أو نتيجة العوامل الخارجية لظهوره على الساحة أسرع إليه أصحاب المصالح والذين يرغبون في الشهرة فانضووا تحت لوائه. لقد بدأ سعد زغلول بالالتقاء بالزعماء، وضمّهم إليه، وتجميعهم حوله، وقد كان من غير شك صاحب إمكاناتٍ ومواهب، ولو لم يكن كذلك لم يقع الاختيار عليه ليقوم بمهمة التمكين لإنكلترا في مصر، ولم يستطع أن يقوم بما قام به، ولم يُؤد الدور الذي أدّاه ورُسم له.

حزب الوفد:

تأسّس حزب الوفد في ٨ صفر ١٣٣٧هـ (١٣ تشرين الثاني ١٩١٨م)، وقد التقى سعد زغلول، وعبد العزيز فهمي، وعلي الشعراوي، ومحمد محمود سليمان، وحمد الباسل مع المعتمد البريطاني «ريجينالد وينغث»، فنفوا إلى جزيرة مالطة، ومنها سافروا إلى باريس، ولما رجعوا تشكّلت هيئة الوفد المصري من سبعة أعضاء، خمسة منهم من حزب الأمة والمتعاطفين معه، واثنان من الحزب الوطني.

توالى على رئاسة حزب الوفد اثنان من الزعماء فقط وهما: سعد زغلول، واستمرّت حتى وفاته عام ١٣٤٦هـ، وخلفه مصطفى النحاس الذي بقي في رئاسة الحزب حتى أُلغيت الأحزاب بعد الحركة الانقلابية ٢ ذي القعدة عام ١٣٧١هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢م).

وشكّل حزب الوفد سبع وزاراتٍ حزبيةٍ، كما شارك في ثلاث وزاراتٍ ثانيةٍ، ولم يقبل الإنكليز إبرام أية معاهدةٍ إلاّ مع حزب الوفد، لأن الأحزاب الأخرى لم تكن واثقةً بنفسها من الناحية الشعبية، كما لم يثق الإنكليز بقدرتها، على حين يتوفّر هذا لحزب الوفد، ومن ناحيةٍ أخرى فإن إنكلترا ترغب في إبراز هذا الحزب في الوقت الذي تُعلن أنها غير راضيةٍ عنه، كما تُجبره أحياناً لترك الحكم تأكيداً لعدم رغبتها في سياسته، غير أنها في الظروف الحرجة التي تُريد أن تضمن تأييدها والسير بجانبها تُجبره على تسلّم السلطة.

الأحرار الدستوريون:

وبعد فشل مفاوضات «عدلي ـ كيرزون» وتصريح ٢ رجب ١٣٤٠هـ (٢٨ شباط ١٩٢٢م)، وانتقاد سعد الحاد لعدلي يكن تأسّس حزب «الأحرار الدستوريون» في ٩ ربيع الأول من عام ١٣٤١هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٢م) برئاسة عدلي يكن. وقد توالى على رئاسة هذا الحزب أربعة زعماء وهم: عدلي يكن، وعبد العزيز فهمي، ومحمد محمود، ومحمد حسين هيكل، وكان أكثر أعضائه من الذين كانوا من حزب الأمة أو ممن كانت لهم علاقة بهذا الحزب، ومنهم: مدحت يكن، وحافظ عفيفي، وأحمد عبد الغفار، ودسوقي أباظة. وكان الصراع بين الوفديين والأحرار الدستوريين واضحاً.

حزب الاتحاد:

وظهر حزب الاتحاد في الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٣٤٢هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٢٤م)، وقد عمل على تأسيسه وكيل الديوان الملكي حسن نشأت، وكان رئيسه الفعلي، ولكن رسمياً يرأسه يحيى إبراهيم رئيس الوزارة السابق، وكانت مهمته الإيقاع بين الوفديين، والسير على سياسة الديوان الملكي، وظهرت جريدة «الاتحاد» التي تنطق باسم هذا الحزب، ورأس تحريرها النائب الوفدي الذي انضمّ إلى حزب الاتحاد عبد الحليم البيلي، وظهرت كذلك في الإسكندرية جريدة «الشعب المصري» إضافةً إلى جريدة «الليبرتية» التي تصدر باللغة الفرنسية. وجعل هذا الحزب شعاره «الولاء للعرش» وعلّل حسن نشأت تأسيس هذا الحزب الجديد بقوله: إن في البلد

حزبين لا ثالث لهما، والحزب الجديد يُراد به أن يكون حزب موازنةٍ في المجلس النيابي، يستطيع القصر به أن يُغلّب أحد الحزبين على الآخر. وقد انضمّ إليه محمد سعيد رئيس الوزراء الأسبق بعد أن انشقّ عن الوفد، واللواء المتقاعد موسى فؤاد. وأطلق على هذا الحزب «حزب الملك».

أُقيم حفل تأسيس الحزب في فندق سميراميس يوم ٣ جمادى الآخرة عام ١٣٤٢هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٢٤م) وحضر الحفل ثلاثمائة شخص. وتمّ اختيار لجنةٍ تضمّ ثمانيةً وعشرين شخصاً بينهم ستة أعضاءٍ في مجلس الشيوخ. ولم يتمّ بعد اختيار رئيس للحزب.

وفشلت محاولات إقناع توفيق نسيم، وأحمد ذو الفقار، وأحمد زيور في تسلّم رئاسة حزب الاتحاد، كما اعتذر للملك عزيز عزت في قبول هذا المنصب. ويبدو أنه قد انضمّ إلى هذا الحزب خمسة وعشرون عضواً في مجلس الشيوخ من بين خمسةٍ وأربعين يُعلنون معارضتهم لسعد زغلول. وأصبح مكتب حسن نشأت في قصر عابدين ملتقى لأولئك الذين يرغبون التزلّف للملك، أو إنه مقرّ للحزب غير رسمي، وضمّ الحزب كثيراً من مُلّاك الأراضي الأغنياء، وأخيراً رست رئاسة الحزب على يحيى إبراهيم.

وكان لنجاح حزب الاتحاد، ولانفضاض بعض الزعماء عن الوفد أثر كبير في نفسية سعد، وهذا ما جعله يترك قصره في القاهرة، ويذهب إلى فندق «مينا هاوس» بجوار الهرم ليعتكف هناك.

ولكن لم يلبث هذا الحزب أن ضعف إذ لم يحصل إلاّ على أربعة مقاعد في انتخابات (١٩٢٦م)، وعلى ثلاثة مقاعد في انتخابات (١٩٢٩م)، وقد شارك بعد هذا بعضوين في وزارة محمد محمود، وبوزيرٍ واحدٍ في كلٍ من وزارتي حسن صبري، وحسين سري، وبوزيرٍ في وزارة محمد محمود الرابعة.

صدر أمر بحلّ المجلس النيابي في ٢٨ جمادى الأولى من عام ١٣٤٣هـ (٢٤ كانون الأول١٩٢٤م)، والدعوة إلى انتخاباتٍ جديدةٍ، وأشرفت وزارة أحمد زيور على إجراء الانتخابات العامة.

عدّل رئيس الوزراء أحمد زيور قانون الانتخابات وجعلها على درجتين

بعد أن كانت مباشرةً على درجةٍ واحدةٍ، وجرت الانتخابات، وحصل الأحرار الدستوريون وحزب الاتحاد على خمسةٍ وثمانين مقعداً أي أقل من ثلث مقاعد المجلس بينما حصل حزب الوفد على مائة وثلاثة وعشرين مقعداً. وقد سقط عدلي يكن في الانتخابات عن دائرة عابدين، وفاز خصمه طبّاخه الخاص الذي رشّحه سعد زغلول ضدّ سيّده، فغضب عدلي يكن من هذه النتيجة المخزية، واستقال من رئاسة الحزب، ونجح عبد العزيز فهمي في استلام منصب رئاسة حزب الأحرار الدستوريين.

اجتمع المجلس النيابي في ٢٨ شعبان ١٣٤٣هـ (٢٣ آذار ١٩٢٥م)، وتلا أحمد زيور خطاب العرش، وهو البيان الوزاري، وجرى اقتراع على رئاسة المجلس ففاز سعد زغلول بأغلبية ١٢٣ صوتاً ضدّ عبد الخالق ثروت الذي رشّحته الأحزاب الأخرى، والذي حصل على ٨٥ صوتاً، وحُدّد موعد حلّ المجلس النيابي في أول ذي القعدة من عام ١٣٤٣هـ (٢٣ أيار ١٩٢٥م) على أن تجري عملية الانتخابات بعد يومين أي في الثالث من ذي القعدة غير أنها لم تجر إلاّ بعد عامٍ من هذا التاريخ.

وكان أحمد زيور قد قدّم استقالة وزارته في ١٨ شعبان ١٣٤٣هـ (١٣ آذار ١٩٢٥م)، وكلّف في اليوم نفسه بتشكيل وزارةٍ من الاتحاديين والأحرار الدستوريين والمستقلين.

ولكن الوئام بين الحزبين لم يكن قائماً، وكانت مُهمّة أحمد زيور وإسماعيل صدقي التوفيق بين حزبي الاتحاد والأحرار الدستوريين.

وفي ١٨ ذي القعدة من عام ١٣٤٣هـ (٩ حزيران ١٩٢٥م) صدر قانون العقوبات للتشديد على الصحافة، وبعد ٢٤ ساعة من صدور هذا القانون يُسافر رئيس الوزراء أحمد زيور في إجازةٍ صيفيةٍ، حُدّدت بأربعة أشهرٍ، فتولّى كانه بالنيابة يحيى إبراهيم أي في منصب رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية، وكان يحيى إبراهيم ضعيفاً يخضع لزوجته وتفرض عليه المحسوبيات، ويضطر إلى أن يلجأ إلى عدم الصدق، والمنصب الذي تسلّمه بالنيابة جعل منه أحاديث الشارع. كما كان الحديث يتناول أحمد زيور الذي سيُسافر إلى أوروبا، وسيمرّ

على لندن، وسيلتقي بالمندوب السامي الجديد «جورج لويد» في الوقت الذي لا توجد في البلاد حياة نيابية، وسعد زغلول معتزل، والحكم ضعيف بل إن يحيى إبراهيم قد وقع تحت نفوذ حسن نشأت وكيل الديوان الملكي ورئيسه بالنيابة، وحسن أنيس وكيل وزارة الخارجية.

وكان هناك خلاف بين يحيى إبراهيم وبين إسماعيل صدقي فقد اتهم إسماعيل صدقي بعلاقته مع ابنة يحيي إبراهيم، وانتحرت الفتاة نتيجة ذلك، ولا يستطيع أحدهما أن يرى الآخر مع أن كلاهما في وزارةٍ واحدةٍ أحدهما وزيراً للداخلية والآخر وزيراً للمالية، فلما سافر رئيس الوزراء أحمد زيور وآلت الرئاسة إلى يحيى إبراهيم لم يستطع إسماعيل صدقي أن يتحمّل ذلك، فقرّر السفر في إجازةٍ صيفيةٍ إلى أوروبا أيضاً بعيداً عن مصر، وعن يحيى إبراهيم.

ولما كان المندوب السامي «نيفيل هندرسون» قائماً بالنيابة أيضاً لذا فقد بقي بعيداً عن الصراعات الداخلية في مصر، وترك أصحابها يُوجّهون اهتمامهم إلى الخلافات الحزبية.

موضوع كتاب «الإسلام وأصول الحكم»:

وبدأ يتأجّج الصراع الداخلي بسبب كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لمؤلفه الشيخ علي عبد الرازق، القاضي الشرعي بمحكمة المنصورة، والشيخ من أسرةٍ مصريةٍ معروفةٍ واسعة النفوذ والأملاك، وكانت ترعى حزب الأمة، وتعمل على تمويل حزب الأحرار الذي يعدّه كثير من السياسيين امتداداً لحزب الأمة.

وتوجد خصومة شخصية بين الملك وهذه الأسرة لأنها رفضت بيع بيتها المجاور للقصر الملكي في عابدين، وقد رفض الملك تعيين محمود عبد الرازق وزيراً عندما رشّحه محمد محمود عام ١٣٤٧هـ.

وحسن عبد الرازق شقيق الشيخ علي كان مُؤيّداً للإنكليز في ثورة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)، وقتل عند خروجه من اجتماع مجلس إدارة حزب الأحرار الدستوريين الذي عُقد في مقرّ جريدة «السياسة». وشقيقاه محمود، ومصطفى من رجال الحزب البارزين.

وفي ٢ ذي الحجة من عام ١٣٤٣هـ (٢٣ حزيران ١٩٢٥م) يرفع اثنان وستون عالماً من رجال الأزهر إلى شيخه، وإلى بعض المقامات العالية، طلباً لمحاكمة الشيخ علي عبد الرازق.

الحزب الوطني يُهاجم من خلال صحفه الكتاب، ويستعدي الملك على حزب الأحرار الدستوريين، وفي الوقت نفسه يكون قد استعدى حزب الاتحاد، وهو حزب الملك على الأحرار أيضاً، ويقف حزب الوفد الموقف نفسه.

ويحرص حزب الاتحاد ألا يخوض في هذا الموضوع، ولذا فقد بقيت صحيفة «الاتحاد» صامتة ثم أخذت بعد شهرين تتحدّث عن الرأي وحرية الكلام...

أما جريدة «السياسة» صحيفة حزب الأحرار الدستوريين فهي وحدها التي دافعت عن الكتاب وصاحبه.

وفي ٨ محرم ١٣٤٤هـ (٢٩ تموز ١٩٢٥م) أعلنت هيئة كبار العلماء اتهامات الشيخ علي وأبلغته إياها، وأن المحاكمة ستكون يوم ١٥ محرم، فطلب التأجيل أسبوعاً واحداً لإعداد دفاعه، فأُجّلت المحكمة إلى ٢٢ محرم، وعقدت في اليوم المذكور برئاسة محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر.

واستعان أنصار الشيخ وحزب الأحرار الدستوريين بالملك وبالمندوب السامي لمنع المحاكمة. وكثر الحديث والجدل حول هذا الموضوع.

ومن المعلوم أن مجلس العلماء يتمتع بمقتضى قانون عام (١٩١١م) بسلطة تجريد العالم من صلاحيته الدينية إذا ثبتت إدانته باقتراف أمرٍ غير لائقٍ، ويتضمّن هذا القرار بصورةٍ آليةٍ طرده - كإجراءٍ إداريٍ - من أيّ وظائف مدنيةٍ قد يشغلها.

ولمّا كان الشيخ علي قاضياً في المحاكم الشرعية، فإن إدانته سيعقبها أمر مُوقّع من وزير العدل «الحقانية» بحرمانه من هذا المنصب. ووزير العدل هو عبد العزيز فهمي رئيس حزب الأحرار الدستوريين فلا يمكنه أن يُوقّع مثل هذا الأمر، وسيستقيل من الوزارة ولن يُوقّع هذا الأمر، وسيستقيل معه وزيرا

الحزب أيضاً وهما محمد علي علوبة وزير الأوقاف، وتوفيق دوس وزير الزراعة، وربما تعاطف معهم وزير الداخلية إسماعيل صدقي. ومعنى ذلك سيُؤدّي الأمر إلى استقالة الحكومة ويختلف الحزبان اللذان تتألّف منهما الحكومة «الاتحاد والأحرار الدستوريون».

وسرت إشاعة أن الملك هدّد بطرد شيخ الأزهر إن لم يصوّت ضد الشيخ علي، ويدينه. وذلك لأن الملك أحمد فؤاد كان يطمح بالترشيح للخلافة بعد أن ألغى مصطفى كمال الخلافة في تركيا، فإذا لم يقف بجانب العلماء فمعنى ذلك أنه لا يستحقّ أن يكون خليفةً للمسلمين إضافةً إلى أن الملك لا يُكنّ تقديراً لأسرة عبد الرازق للخلاف الذي سبق أن ذكرناه، كما أنه لا يحبّ الأحرار الدستوريين.

لكن المعتمد البريطاني كان يرغب أن تكون وقيعة بين الملك وحزب الاتحاد من جهةٍ وبين حزب الأحرار من جهةٍ أخرى ويكون صراع بين الطرفين وتستفيد السلطة البريطانية فتنفّذ مُخطّطاتها.

وجاء الموعد المحدد للمحاكمة يوم ٢٢ محرم ١٣٤٤هـ، وحضر الشيخ علي، وجرت المحاكمة واستمرّت ساعتين ونصف، وأصدرت بعدها هيئة كبار العلماء الحكم الآتي: «حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر، بإجماع أربعة وعشرين معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ علي عبد الرازق، أحد أعضاء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الشرعية، ومؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء».

الصراعات الشخصية:

كانت هناك صراعات بين رجالات مصر الكبار، وكان لهذه الصراعات دورها الكبير على السياسة الداخلية.

١ ـ بين إسماعيل صدقي وعبد الخالق ثروت: يبدو للعامة أن هناك صداقةً حميمةً بين الرجلين، والواقع أن بينهما خلافاً واسعاً. كان إسماعيل صدقي يأمل أن يتسلّم رئاسة الوزارة غير أن عبد الخالق ثروت كان يسدّ أمامه الطريق. لذا كان إسماعيل صدقي يلحّ ليكون عبد الخالق عضواً في مجلس

الشيوخ، كي يبتعد عن مجلس النواب، وهذا ما تمّ له أخيراً عن طريق الملك.

٢ ـ بين عبد العزيز فهمي رئيس حزب الأحرار الدستوريين وبين يحيى إبراهيم رئيس حزب الاتحاد، وقد بدأ العداء عندما كان يحيى إبراهيم رئيساً للوزراء، وقد كانت الوزارة يومذاك مُكلفةً بوضع الدستور، فكان عبد العزيز فهمي يُوجّه خطابات مفتوحةً في الصحف يُطالب فيها رئيس الوزراء بصدور الدستور.

وفي وزارة أحمد زيور كان عبد العزيز فهمي وزيراً للعدل، وقد طلب يحيى إبراهيم لابنه منصباً قضائياً استثناءً، وقد رفض عبد العزيز فهمي هذا الطلب بعنفٍ، فلما استقال عبد العزيز فهمي من الوزارة عُيّن ولد يحيى إبراهيم في المنصب الذي طلبه.

٣ ـ بين يحيى إبراهيم وإسماعيل صدقي: إن يحيى إبراهيم ضعيف في بيته ولزوجه أثر كبير عليه، وهذا ما جعل بناته يتصرّفن بحريةٍ، ونشأت علاقة بين إسماعيل صدقي وإحدى بنات يحيى إبراهيم وتطوّرت الصلة حتى فُضح الأمر، فانتحرت الفتاة فنشأت عداوة بين الرجلين.

٤ ـ وكان الملك أحمد فؤاد يكره عبد العزيز فهمي لأمور تتعلّق بوقوف عبد العزيز فهمي أمام مصالح الملك في تبادل بعض أملاكه مع بعض أملاك الدولة، هذا إضافةً إلى كونه رئيس حزب الأحرار الدستوريين غير المرغوب كثيراً عند الملك.

٥ ـ ويكره الملك أحمد فؤاد إسماعيل صدقي أيضاً لأنه يظهر الاستقلالية مع أنه يتعاطف مع حزب الأحرار الدستوريين أكثر من أعضاء الحزب البارزين، ويرى الملك أنه ليس هناك من مُحايدٍ، فلا بُدّ للرجل من أن يكون صاحب اتجاهٍ واضحٍ وخطٍّ بيّنَ، وهذا لم يجده عند إسماعيل صدقي لذا كان يعدّه مُنافقاً.

هذا إلى جانب الخلافات الحزبية وصراعات القيادات، فكل ما عدا الوفديين يُحارب سعد زغلول ويقف في وجه الوفد، ويتضايق سعد زغلول

عندما يرى رجالاً عمل على إبرزهم، ثم تركوه وانفضّوا من حوله، وساروا نحو أحزابٍ أخرى، ويعملون من خلالها على حربه. وكان عبد العزيز فهمي يرى نفسه أحقَّ بقيادة الأمة من سعد زغلول.

الصراعات الحزبية:

تُوفّي أحد أعضاء مجلس الشيوخ وهو إبراهيم سعيد، وكان من حزب الوفد، فأراد حزب الأحرار الدستوريين أن يُعَين مكانه رجل من الحزب، ورشَّح لهذا المنصب أحد رجالاته وهو إبراهيم هلباوي، غير أن الاتحاديين قد رفضوا ذلك، واشتدّ الخلاف بين الحزبين.

ورغب الأحرار أن يحصل إبراهيم الهلباوي على رتبة باشوية، ورفض الاتحاديون أيضاً فزاد الخلاف.

وجاء موضوع كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، ورئيس الوزراء أحمد زيور غائب في أوروبا، وإسماعيل صدقي الذي يدعم الأحرار غائب في أوروبا أيضاً. وعدلي يكن وعبد الخالق ثروت من رؤساء الوزارات السابقة وهم من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين أيضاً في أوروبا. وسبعة آخرون من زعماء الحزب في أوروبا وهم: محمد محمود وحافظ عفيفي وكيلا الحزب، وإبراهيم هلباوي، ووهيب دوس، ومحمد الشريعي، ونعمان الأعصر، وكامل بطرس.

أرسل شيخ الجامع الأزهر الحكم إلى رئيس الوزراء طالباً تنفيذه لأن المادة ١٦٨ من قانون الأزهر تجعل رئيس الوزراء مسؤولاً عن تنفيذ هذا القانون.

والمادة ١٠١ من قانون الجامع الأزهر، والتي أُدين بمقتضاها الشيخ علي صريحة، وتقول: «إذا وقع من أحد العلماء أيًا كانت وظيفتة أو مهنته ما لا يُناسب وصف العالمية يُحكم عليه من شيخ الأزهر، بإجماع تسعة عشر عالماً معه من هيئة كبار العلماء بإخراجه من زمرة العلماء، ولا يُقبل الطعن في هذا الحكم.

ويترتَّب على الحكم محو اسم المحكوم عليه من سجلّات الجامع الأزهر

والمعاهد الأخرى، وطرده من كل وظيفةٍ، وقطع مرتّباته من أيّ جهةٍ كانت، وعدم أهليته للقيام بأيّةٍ وظيفةٍ عموميةٍ دينيةٍ كانت أم غير دينيةٍ».

وكان رئيس الوزراء بالنيابة يحيى إبراهيم لا يعرف ماذا يفعل؟ هل يُفصل القاضي بقرارٍ من مجلس الوزراء أم بمرسومٍ ملكيٍ، لأن القضاة يُعيّنون بمرسومٍ ملكيٍ، أم يُحال الأمر إلى وزير العدل لفصل الشيخ؟

وكان وزير العدل عبد العزيز فهمي رئيس حزب الأحرار الدستوريين بحيرة أكبر من حيرة رئيس الوزراء بالنيابة، فالملك يريد تفتيت حزب الأحرار وهذه فرصة مناسبة، فإذا قام بفصل الشيخ عليّ عبد الرازق فإن أسرته ستتخلّى عن الحزب وهي أسرة يعتمد عليها الحزب، وتُشكّل بعض عناصره البارزين، وسينقسم الحزب، وإذا رفض الفصل فإن أعداء الحزب سيتهمونه بالإلحاد، وستكون فرصة لإخراجه من الحكم، وسيتظاهر الملك بأنه من أنصار الدين ورجال العلم لتحقيق ما يُريد.

ووزير العدل عبد العزيز فهمي عضو في لجنة الدستور، ومن المعروفين بالدفاع عن الدستور، فكيف يتّخذ إجراءً غير دستوري؟ ويبدو أنه كان مستعدّاً لفصل الشيخ على ألاّ يُوقّع قرار الفصل بنفسه حسبما كان يُسرّ لبعض إخوانه.

المعتمد البريطاني لم يكن مُتعاطفاً مع حزب الأحرار إلى الحدّ الذي يُؤيّد بقاءه في الحكم، فلم يُنذر المعتمد البريطاني «هندرسون»، ولم يتوعّد كما كان سابقه «اللنبي»، وإنّما يُريد أن يتصارع زعماء مصر بعضهم مع بعض ليلعب كما يرغب.

القصر مُتردّد، أيترك الأزمة قائمةً ليحلّها رجالها بأنفسهم، ويستمرّ الصراع أم يتدخّل، ويسحب الثقة من الوزارة حتى تسقط الوزارة، ويأتي بغيرها بالصورة التي يبغيها؟

ويرى وزير العدل عبد العزيز فهمي من ناحيةٍ أخرى أن قرار الفصل لو جاء من مجلس الوزراء فإن ذلك سيُريحه إذ يُخليه من مسؤولياته تجاه الحزب والأسرة، ولما لم يفعل مجلس الوزراء ذلك وإنما أحال الموضوع إلى وزير العدل، لذا فإن وزير العدل كان يُريد تأجيل الموضوع حتى تنتهي الأزمة، ويتخلّص من بعض الإحراجات له.

أرسل شيخ الجامع الأزهر الحكم بحيثياته إلى الشيخ علي نفسه، والذي قام بدوره بإبلاغ وزير العدل أن القرار باطل، وأرسل الوزير يستشير أهل القانون. وبُحث الموضوع في مجلس الوزراء عدّة مراتٍ، وطُولب وزير العدل بتنفيذ الأمر فأبى أن يُنفّذه على غير بيّنةٍ، وأجاب: أنا لا أفعل إلا ما يرضى عنه ضميري مهما كانت الأحوال، وخرج رئيس الوزراء بالنيابة من الجلسة ليُقابل المندوب السامي والملك. وفي الجلسة التالية: أعلن مخاطباً وزير العدل أن عملنا معاً غير متيسرٍ فإما أن تستقيل وإما أن أقيلك، ورفض الوزير الاستقالة، فاستصدر يحيى إبراهيم مرسوماً بتعيين علي ماهر وزيراً للعدل بالنيابة.

وجرت محاولات لعدم فرط عقد التحالف بين الأحرار والاتحاديين، باشتراك أحد أعضاء حزب الأحرار بالوزارة، أو استقالة يحيى إبراهيم أو... غير أن حزب الأحرار قد قرّر في اجتماع مجلس الإدارة التخلّي عن الوزارة. ويُقدّم وزيرا حزب الأحرار «توفيق دوس، ومحمد علي علوبة» استقالتهما، ويطلب منهما رئيس الوزراء بالنيابة الاستمرار في عملهما انتظاراً لقرار جلالة الملك، فكان الوزيران يحضران إلى مكتبيهما ويُوقّعان بعض الأوراق الرسمية.

وكانت الفكرة عند الديوان الملكي ورئيس الوزراء بالنيابة التخلّص من إسماعيل صدقي بل يتكلّم وزراء الاتحاد عن استقالتهم فيما إذا بقي إسماعيل صدقي في الوزارة، ويعلم إسماعيل صدقي أن دوره قادم لطرده من الوزارة لذا فقد قدّم استقالته تضامناً مع حزب الأحرار، رغم ادعائه أنه مستقلّ. وقبلت استقالته قبل قبول استقالة وزراء الأحرار. وتأخّر الملك في قبول استقالة وزيري الأحرار غير أنهما امتنعا عن مزاولة عملهما في الوزارة، وأخيراً صدر مساء الأحد ٢٤ صفر عام ١٣٤٤هـ (١٢ أيلول ١٩٢٥م) مرسوم ملكي بتعديل تأليف الوزارة التي استقال منها وزراء حزب الأحرار والتي يرأسها أحمد زيور. وقد عُيّن أحمد ذو الفقار وزيراً للعدل مكان عبد العزيز فهمي، وعُيّن محمد توفيق رفعت وزيراً للأوقاف والمواصلات مكان محمد علي علوبة، وعُيّن نخلة جورجي المطيعي وزيراً للزراعة مكان توفيق دوس، وعُيّن حلمي عيسى وزيراً للداخلية مكان إسماعيل صدقي.

وانضمَّ الوزراء الجدد بعد تعيينهم وزراء إلى حزب الاتحاد، فأصبحت الوزارة كلها اتحادية، وانفرد حزب الاتحاد بالحكم.

تمّ كل هذا ورئيس الوزراء أحمد زيور في مدينة «فيشي» بفرنسا يستجمّ، وأُخبر برقياً بكل ما حدث، وبقي هناك حيث كان رئيساً صورياً.

ويستمرّ الصراع الحزبي بين الاتحاد وبين الأحرار، ويتمثّل في الحرب الصحفية في جريدتي الاتحاد والسياسة، وأخيراً يستقيل توفيق دوس من حزب الأحرار.

ونفّذ وزير العدل الجديد علي ماهر حكم هيئة كبار العلماء ضدّ الشيخ علي عبد الرازق.

ووصل إلى مصر المندوب السامي الجديد «جورج لويد» بتاريخ ٤ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٢٥م)، وبدأت لقاءاته بالملك وكبار رجال الدولة.

وعاد رئيس الوزراء أحمد زيور بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني (٩ تشرين الثاني)، واشتدّت معارضة الحكومة التي أصبحت ضعيفةً، وتناولها الوفديون والأحرار، والقصد من ذلك النيل من الملك، وحسن نشأت، ورئيس الحكومة.

تدخّل المندوب السامي وضغط على الملك لنقل حسن نشأت من الديوان الملكي، فعُيّن وزيراً مفوَّضاً في مدريد.

واجتمع المجلس النيابي المنحلّ تلقائياً في ٤ جمادى الأولى أي بعد شهر من وصول المندوب السامي، وطالب الشعب بالدستور بل إن كثيراً من أفراد الأسرة المالكة قد طالبوا الملك أحمد فؤاد بالدستور.

استقال عبد العزيز فهمي من رئاسة حزب الأحرار الدستوريين في شعبان ١٣٤٤هـ (آذار ١٩٢٦م)، واستقال أحمد زيور رئيس الوزارة، وأُجريت الانتخابات في شوال ١٣٤٤هـ (أيار ١٩٢٦م)، وتشكّلت وزارة ائتلافية من الوفديين والأحرار الدستوريين لعام ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٤هـ (٧ حزيران ١٩٢٦م)، وكانت برئاسة عدلي يكن أول رئيس لحزب الأحرار الدستوريين، ورفض المندوب السامي أن

يتسلّم سعد زغلول رئاسة الوزارة ليكون فوق رؤساء الأحزاب. ولإمكانية الضغط به على من يُريد، ولكن اختير رئيساً للمجلس النيابي. وكان قد اجتمع مؤتمر الخلافة في القاهرة في شهر شوال من عام ١٣٤٤هـ. ولم يحصل حزب الاتحاد في الانتخابات إلا على أربعة مقاعد.

في الشعر الجاهلي:

حصلت أزمة حول كتاب ألّفه طه حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة «جامعة فؤاد سابقاً» فثار ضدّه علماء الأزهر، والطلاب الوفديون، واجتمع مجلس الجامعة لبحث الموضوع وترك الأمر لمدير الجامعة أحمد لطفي السيد ليتصرّف بالموضوع، وعندما عاد طه حسين إلى مصر من سفره في فرنسا تراجع عمّا ورد في الكتاب ممّا يتعلق في الأمور الدينية، غير أن الجامعة جمعت نسخ الكتاب من السوق، ولكن طه حسين أعاد طباعة الكتاب بعنوانٍ جديد «في الأدب الجاهلي» بعد أن حذف بعض الفصول منه.

كان طه حسين يُهاجم سعد زغلول في جريدة السياسة، فهل ينتقم الوفديون، ويُثيرون حلفاءهم في الوزارة الأحرار الدستوريين، أم يتركون حرية الرأي وليتكلّم طه حسين كما يُريد، ويتلّقون نقمة أهل العلم.

وكانت المعركة داخل المجلس النيابي، وكان وزير المعارف وفدياً، وهو علي الشمسي، كما كان وزير العدل وفدياً، وهو أحمد زكي أبو السعود، وهما أصحاب الشأن في هذا الموضوع. وزادت المناقشة عُنفاً بين رئيس مجلس النواب سعد زغلول ورئيس الوزراء عدلي يكن، ولما تدخّل وزيرا المعارف والعدل مُؤيدين رأي رئيس الوزراء على الرغم من أنهما من حزب الوفد غضب سعد زغلول، وخرج من المجلس بعد أن رفعت الجلسة. واسترضى عدد من رجالات، البلاد سعد زغلول أمثال حسين رشدي رئيس مجلس الشيوخ، وعدلي يكن رئيس مجلس الوزراء، ومحمد محمود، وفتح الله بركات.

وعاد المجلس النيابي للانعقاد في اليوم التالي، وأصرّ سعد زغلول على

حقّ المجلس النيابي في مراقبة وتوجيه الحكومة، على حين بقي عدلي يكن يرفض هذا المبدأ. ولكنّه تقرّر ترك قضية طه حسين بين يدي وزير المعارف.

حزب الشعب:

أسّس إسماعيل صدقي حزب الشعب في ٢٦ جمادى الآخرة من عام ١٣٤٩هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٣٠م)، وأصدر جريدة الشعب التي يرأسها محمد زكي عبد القادر، وقد رأس الوزارة التي أجرت الانتخابات النيابية، وأشرفت عليها، وحصل حزب الشعب على أكثرية مقاعد المجلس النيابي فيها، وأعاد تشكيل الوزارة، ثم اختلف مع الملك أحمد فؤاد إذ خاف الملك من تسلّط إسماعيل صدقي. ثم شارك الحزب في وزارة عبد الفتاح يحيى التي تشكّلت بعد وزارة صدقي الثانية.

الهيئة السعدية:

أجرت وزارة علي ماهر الانتخابات النيابية، وقد فاز فيها حزب الوفد فشكّل زعيم الحزب مصطفى النحاس الوزارة في ١٠ صفر ١٣٥٥هـ (١ أيار ١٩٣٦م)، وفي أيام هذه الوزارة تولّى الملك فاروق السلطة الدستورية في ١٨ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ (٢٦ تموز ١٩٣٧م) فكان على مصطفى النحاس أن يُقدّم استقالة حكومته فقدّمها، وكُلّف ثانيةً بإعادة تأليفها، فرآها فرصةً مُناسبةً للتخلّص من بعض الوزراء ومنهم وزير المواصلات محمود فهمي النقراشي، فكان أن انشق حزب الوفد، وتأسس منه حزب الهيئة السعدية، وأصدر محمود فهمي النقراشي بياناً بتاريخ ٢ رجب ١٣٥٦هـ (٧ أيلول ١٩٣٧م) انتقد فيه مصطفى النحاس، وبعد ذلك أصدر حزب الوفد بياناً بعد ستة أيامٍ (٨ رجب) فصل فيه النقراشي من الحزب.

وفي ١٨ رجب ١٣٥٦هـ انسحب رئيس المجلس النيابي من حزب الوفد بعد أن أصدر بياناً أيضاً انتقد فيه الوزارة النحاسية. وفي أواخر عام ١٣٥٦هـ تكوّنت الهيئة السعدية التي اختارت أحمد ماهر رئيساً لها.

وفي ٢٧ شوال ١٣٥٦هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٣٧م) قدّم مصطفى النحاس استقالة حكومته، وكُلّف محمد محمود بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ. وقد

جرت الانتخابات النيابية في شهر صفر من عام ١٣٥٧هـ (نيسان ١٩٣٨م) حصل فيها السعديون على أكثريةٍ في المجلس إذ فازوا بثمانين مقعداً على حين لم يحصل الوفديون إلاّ على اثني عشر مقعداً.

الحزب الوطني:

تُوفيّ رئيس الحزب الوطني محمد فريد في أوروبا عام ١٣٣٨هـ، وكانت أهم النقاط التي يرتكز عليها هذا الحزب: ١ ـ رفض الاحتلال. ٢ ـ الجامعة الإسلامية. ٣ ـ تأييد الخديوي عبّاس حلمي، لذا لم يعترف الحزب بالسلطان حسين كامل ولا بخليفته أحمد فؤاد. غير أن أحمد فؤاد قد قوي مركزه عندما أصبح ملكاً.

وعاد الحزب الوطني إلى النشاط عام ١٣٣٨هـ في صحيفته «المحروسة» القاهرية، و «الأمة» في الإسكندرية، ولم تلبث أن صدرت بعد عام «اللواء المصري» التي يرأس تحريرها حافظ رمضان. وكان نائب رئيس الحزب علي فهمي كامل شقيق مصطفى كامل، وقد تبادل البرقيات مع الخديوي عبّاس حلمي مُتجاهلاً السلطان أحمد فؤاد، فطلب منه السلطان مُغادرة مصر، وأصدر أمراً بتعطيل صحيفة «اللواء المصري» ولكنها لم تلبث أن عادت إلى الصدور بعد عامٍ، وانتخب حافظ رمضان بعد عامٍ آخر رئيساً للحزب بسبب غياب علي فهمي كامل. وقد ترك الحزب الروابطَ مع الكماليين ومع الخديوي عبّاس الثاني، واعترف بالملك فؤاد. وعلى كلٍّ فإن شعار الحزب الوطني كان لا مفاوضات قبل الجلاء، والعمل الثوري.

ولم يكن الحزب الوطني على وفاقٍ مع الوفد ولا مع بقية الأحزاب التي انشقّت عن الوفد كالأحرار الدستوريين، والهيئة السعدية، وذلك بسبب موقفه من الإنكليز، وكذلك بالنسبة إلى بقية الأحزاب كالاتحاد بسبب موقفه من الملك.

لقد كان معظم نشاط الحزب الوطني منصباً في بداية الأمر على الصحافة، ومن هذا المجال كان يُهاجم خصومه السياسيين عندما يجد فرصةً لذلك. وكان على صلةٍ حسنةٍ مع «مصر الفتاة»، أما بالنسبة إلى المشاركة

السياسية الإدارية فقد كان بعيداً عن الوزارات، ولكنه شارك لأول مرةٍ في وزارة محمد محمود التي تألّفت في ٢٩ شوال ١٣٥٦هـ (١ كانون الثاني ١٩٣٨م)، وفي وزارة حسن صبري ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م)، ووزارة أحمد ماهر، ووزارة محمود فهمي النقراشي، وقد استقال حافظ رمضان من وزارة النقراشي في ٢ شوال عام ١٣٦٤هـ (٩ أيلول ١٩٤٥م)، وقد عُرف من رجالات هذا الحزب إضافةً إلى حافظ رمضان، نور الدين طرّاف، وعبد الرحمن الرافعي، وفكري أباظة، فتحي رضوان، سعد الدين كامل، ويوسف حلمي.

مصر الفتاة:

وقد ظهرت في النصف الثاني من عام ١٣٥٢هـ، وأسّسها أحمد حسين، وفتحي رضوان، وكان الهدف الاستفادة من الشباب، وجذبهم عن طريق العادة على الطاعة والنظام، وحفظ نشيدٍ يُردّدونه، ولباس زيٍ واحدٍ، وهذا يُغري الشباب، إذ يُشعرهم بالقوة عندما يكثر عددهم. وقد اتّخذوا لباس القمصان الخضراء، وقد اتّهمهم أعداؤهم بأنهم يُريدون السيطرة بالقوة.

وكانوا يُعادون حزب الوفد، وقد اتّخذ حزب الوفد لشبابه لبس القمصان الزرقاء وحدثت صدامات بين الجماعتين، حتى اضطرت الدولة إلى إلغاء لباس القمصان الملوّنة بعد خمس سنواتٍ من تشكيل الجماعة، إذ أن أصحاب القمصان الزرقاء قد تمكّنوا من ضرب أصحاب القمصان الخضراء.

لما كانت العداوة قد تأصّلت بين مصر الفتاة وحزب الوفد، لذا فإن رجالات حزب مصر الفتاة قد حاولوا الإفادة من معاداة بعض الأحزاب للوفد، وتقرّبوا منهم: مثل حزب الوطني، والأحرار الدستوريين، بل وصلوا إلى درجةٍ أكبر من ذلك حيث عملوا على التعاون مع الطليان الذين برزوا يومذاك أيام موسوليني من أجل ضرب الإنكليز في مصر، وفكّر رجالات الحزب أثناء الحرب العالمية الثانية، تسمية حزبهم بالحزب الإسلامي الوطني، وقد قضى هؤلاء الرجال أكثر أيام الحرب في المعتقلات.

وبعد الحرب العالمية الثانية ترك فتحي رضوان جماعته والتحق بالحزب الوطني، وانفرد أحمد حسين برئاسة الحزب، وسار به نحو خطٍّ اشتراكيٍ حتى

أطلق عليه اسم «الحزب الاشتراكي» وكانت الصحيفة الناطقة باسمه تسمى «الاشتراكية» وتصدر مرتين في الأسبوع.

كان هذا الحزب أكثر الأحزاب ضجةً بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أظهر الصخب في المظاهرات، والاجتماعات، ووسائل العمل السياسي، ومهاجمة الإنكليز والقصر. واتُّهم أعضاء هذه الجماعة في حريق القاهرة ٢٨ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢م).

ولم تشترك هذه الجماعة في المجالس النيابية ولا في الوزارات المتتالية لأن الحكومات كانت دائماً تُلاحقها، وإن كان إبراهيم شكري وحده قد نجح في انتخابات عام ١٩٥٠م عن دائرة «شربين»، ودخل المجلس النيابي لشهرته في منطقته لا لكونه أحد أقطاب مصر الفتاة أو الحزب الاشتراكي.

الكتلة الوفدية:

نشأت خلافات في حزب الوفد، وربما بدأ هذا الخلاف قبيل الحرب العالمية الثانية إذ بينما كان مكرم عبيد يُسيطر على الحزب، دخلت عناصر لتقف في وجه هذه السيطرة وتمكّنت من جذب زينب الوكيل زوجة زعيم الحزب مصطفى النحاس إلى جانبها ومن بين هذه الشخصيات فؤاد سراج الدين فأصبح في الحزب جناحان.

ولمّا نجح مكرم عبيد في فرض سيطرته، وحدث أن انشقّ محمود فهمي النقراشي وأحمد ماهر، وتشكّلت الهيئة السعدية ظهرت في الأفق إشارات إلى هيمنة مكرم عبيد فأصبحت بعض الشخصيات تخافه، وتعمل في الخفاء على إبعاده عن الحزب.

ولما فرض الإنكليز أثناء الحرب العالمية الثانية حزب الوفد فرضاً على الحكم ليأمنوا المحافظة على الوضع في مصر، وهذا رغم أنف القصر. لذا فإن رجال القصر يريدون أن يثأروا من حزب الوفد ويعملوا على تجزئته في سبيل إضعافه، وهذا ما بذله رئيس الديوان الملكي أحمد حسين باشا، وجاءت الفرصة المناسبة إذ طلب النحاس بعض الاستثناءات ورفضها وزير المالية مكرم

عبيد ونشر مذكرة اللجنة المالية التي عدّها مصطفى النحاس تشهيراً به، فعدّل الوزارة وأخرج منها وزير المالية مكرم عبيد، ثم أُخرج من الحزب.

تقدّم ١٤ نائباً وفدياً وثلاثة شيوخ من هيئة الوفد باستقالاتهم في مُذكرةٍ مشهورةٍ وشكّلوا «الكتلة الوفدية» برئاسة مكرم عبيد، وتذكر هذه المذكرة برنامج الكتلة المزمع إنشاؤها.

وكانت ظروف الحرب قائمةً، ويُعدّ رئيس الوزراء مصطفى النحاس حاكماً عسكرياً، ومع ذلك فقد أصبحت الكتلة الوفدية تتحدّاه، بل رفع رجالها عريضةً إلى الملك يبدون فيها مخالفات الحاكم العسكري، وهذا ما دعا إلى اعتقال مكرم عبيد واتخاذ إجراءات قمع ضد الكتلة الوفدية.

دخل الحزب الجديد الانتخابات التي جرت في أواخر عام ١٩٤٤م وحصل على تسعةٍ وعشرين مقعداً، ولم يدخل الحزب انتخابات سوى هذه المرة، وشارك في وزارات السعديين الثلاث التي تشكّلت مرتين برئاسة أحمد ماهر، والثالثة برئاسة محمود فهمي النقراشي.

بقي مكرم عبيد يُعطي لنفسه المكانة التي كانت له في حزب الوفد، فيظنّ بنفسه أكبر من الجميع حتى من رئيس الوزارة التي يُشارك هو فيها، ويُعدّ أحد أعضائها إذ كان بالفعل أكبر منه يوم كانا معاً في الحزب، فلما سار كل في خطّه غدت مكانته الشخصية مرهونة بمركزه الذي يحتلّه وبمكانته داخل المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا ما سبّب مُنغّصات واضحةً في وزارة النقراشي مما جعلها تستقيل بسبب استقالة مكرم عبيد ورفاقه منها في ١٣ ربيع الأول ١٣٦٥هـ (١٤ شباط ١٩٤٦م)، وهذه آخر مرةٍ يشترك فيها مكرم عبيد أو بقية أعضاء حزبه في وزارة.

وأصدرت الكتلة الوفدية صحيفة «الكتلة» ولكنها بقيت ضعيفةً بسبب ضعف الحزب أولاً وآخراً، رغم إمكانات مكرم عبيد البلاغية وجهده الكبير الذي يبذله حيث يظهر أثره في كل موضوعٍ، ولكن من الصعب بمكانٍ أن يستمرّ إنسان وحده يبذل هذه الطاقة لمدةٍ طويلةٍ، الأمر الذي جعل الموضوع يتراجع تدريجياً.

والأمر الذي يُلفت الانتباه أن الأحزاب تنشأ، وتتمكّن مُباشرةً من الحصول على أكثرية في المجلس النيابي، وتُشكّل الوزارة أو تُشارك في ائتلافٍ وزاريٍ، يُلاحظ هذا في حزب الأحرار الدستوريين، والاتحاد، والهيئة السعدية، والكتلة الوفدية، وحزب الشعب، وإذا كان حزب الاتحاد قد برز بقوة القصر، وحزب الشعب بشخصية إسماعيل صبري فإن بقيّة الأحزاب، وإن كنا لا نُنكر قوة زعمائها المؤسسين لها، إلاّ أنها مُنشقّة عن حزب الوفد، والشكل الطبيعي ألاّ تحتل المكان الذي احتلّته بهذه السرعة وربما يعود هذا لأسباب منها:

١ ـ طبيعة الشعب في مصر الذي يُؤيّد من بيده السلطة، ويرغب في التزلّف إليه دون النظر إلى ماضيه أو السياسة التي يرتبط بها.

٢ ـ التلاعب في الانتخابات، فالذي يُشرف على الانتخابات يحصل على نتائج طيبةٍ، وهذا يرتبط بالسبب الأول إلى حدٍّ.

٣ ـ رغبة القصر، ورغبة المندوب السامي أو المعتمد البريطاني في عدم بقاء السيطرة لحزبٍ واحدٍ حتى ولو كانت ترضى عنه الجهة التي تدعمه، خوفاً من تطوّراتٍ تحدث دون علمها، وعلى غير رأيها، وربما كان هذا السبب الذي دعا إلى الانشقاق المتتابع عن حزب الوفد، وإن كان لطبائع النفوس دور، كما للخلافات دور، وللمصالح مثل ذلك.

وكما تظهر الأحزاب بقوةٍ مباشرةً تعود للاختفاء سريعاً فبعد أن تبرز إثر دورةٍ انتخابيةٍ تعود للانكماش فترجع أحزاباً ثانويةً لها بعض الأثر، وقد تُشارك في ائتلافٍ وزاريٍ، وربما اختفت من الساحة السياسية.

وإذا كان حزب الوفد قد بقي قوياً رغم الانشقاقات المتتابعة التي تعرّض لها، فإن ذلك يعود إلى أنه لم يكن على وفاقٍ أبداً مع القصر الذي لم يرتح إليه الشعب في غالب الأحيان، كما يظهر للعامة أنه على خلافٍ مع الإنكليز الدخلاء المعتدين الذين يكرههم الشعب في قرارة نفسه، وإن كان يبدو أحياناً غير ذلك على عادة المصريين في عدم وقوفهم أمام المتسلّط بقوةٍ أو رغبة بعضهم في التزلّف، وإن كان هذا ليس عامّاً فإن في مصر من الفحول ما فيها، وفيها الكثير من العمالقة الرجال والقادة الأبطال فالغالب لا يمنع وجود

الخصوص، والواقع أن الإنكليز كانوا على رضىً تام عن زعيمي الحزب اللذين تولّوا أمره، وهم الذين أبرزوهما، إذ لم يرغبوا في مفاوضةٍ إلاّ مع هذا الحزب، وإذا حَزَبَ الأمر لم يقبلوا غيره حاكماً، وفي الحرب العالمية الثانية عندما اشتدّ أمر المحور، واقترب الألمان مع حلفائهم الطليان من حدود مصر الغربية، ضغط الإنكليز على القصر، وألزموه في إعطاء الحكم لحزب الوفد، وشكّل مصطفى النحاس الوزارة مرّتين حتى إذا انتهت الحرب وزال خوف الإنكليز، وتراجع المحور، جرت الانتخابات، وفازت الهيئة السعدية، وتسلمت الحكم، وابتعد الوفد عن الساحة السياسية نسبياً. ولمّا اشتدّ ضغط الشعب على الإنكليز عام ١٣٧٠هـ، وجرت أعمال الفداء على ضفاف قناة السويس، وكانت قضية فلسطين تُؤثّر تأثيراً واضحاً في النفوس ويُخشى من أحداث لم يجد الإنكليز بدّاً من تسليم الحكم إلى حزب الوفد، وعاد مصطفى النحاس يُشكّل الوزارة، غير أن إنكلترا كانت تُظهر عداءها لحزب الوفد ولزعمائه عندما لا تكون بحاجةٍ إليهم لترسّخ نفوذهم عند الشعب، وتُقوّي سلطانهم في نفوس أفراد المجتمع العاديين، وأكثر شعبنا، ومعظم مجتمعاتنا على درجةٍ من البساطة حيث يُصدّقون ما تنشره وسائل الإعلام حتى أولئك الذين يدّعون أنهم يُتابعون الأحداث، ويعرفون خفايا السياسة. وتدّخر إنكلترا الوفد لوقت الملمّات وساعة حاجتها إليه.

أما الحزب الوطني فمعروف بعدائه للمحتلّ، ويطرح دائماً شعار لا مفاوضات قبل الجلاء، كما هو معروف بخلافه مع القصر لذا فإنه قد بقي في ظلّ السياسة على الرغم من وجود عناصر قويةٍ في عداد أعضائه، وإذا دعت الحاجة شاركت بعض هذه العناصر في الوزارة لقوّتها لا لانتمائها إلى الحزب الوطني، ولكن تحسب عليه بصفتها الحزبية. ومع هذا لا يمكننا أن ننفي إمكانية استغلال بعض عناصر هذا الحزب وتسييرها بخطٍ مُعيّن والإفادة منها سياسياً غير أن هذه العناصر أيضاً تستغلّ لضعفها أو لسيرها وراء مصالحها وشهواتها لا لانتمائها إلى الحزب.

الحزب الشيوعي:

على الرغم من انتشار الفقر في المجتمع المصري، ووجود أصحاب

الأملاك الواسعة، وهما ما ترتكز عليهما الشيوعية في دعايتها، وتجد المُناخ الملائم في مثل هذا الوسط لبثّ سمومها، ومع هذا فلم تجد البيئة المناسبة لها في مصر، ولم تقم خلايا شيوعية ظاهرة على الأقلّ، ولعلّ ذلك يعود إلى سيطرة العاطفة الدينية لدى المصريين، وهذا ما يحول دون تقبّلهم مثل هذه الأفكار الإلحادية التي تختفي تحت غطاء الظروف الاقتصادية والاجتماعية. هذا إضافةً إلى أن إنكلترا صاحبة الكلمة الأولى في مصر ذات نظامٍ اقتصادي يختلف عن النظام الشيوعي، وهذا ما حال أيضاً دون الجهر بمثل هذه الآراء خوفاً من السلطة، وهيبةً من أصحاب النفوذ من المّلاك.

غير أن الحرب العالمية الأولى قد أفرزت في نهايتها سيطرة الحزب الشيوعي على مُقدّرات روسيا، وأخذ يمتدّ إلى بقية الأجزاء التي يُسيطر عليها الروس، وإذا كان قد وجد مُقاومةً في كثيرٍ من الجهات إلاّ أنه في النهاية قد تربّع على كل أجزاء الإمبراطورية الروسية، وهذا ما شجّع قيام بعض الحركات التي حملت اسم الاشتراكية، وطرحت بعض الآراء في الصحف، في البلدان الأخرى ومنها مصر إذ ظهرت فيها تنظيمات اشتراكية ومن أهمها: «الحزب الاشتراكي المصري» الذي نشر برنامجه في جريدة الأهرام في ٢٥ ذي الحجة من عام ١٣٣٩هـ (٢٩ آب ١٩٢١م) ومن أبرز أعضائه: حسن عرابي صاحب الرأي الماركسي، وسلامة موسى الاشتراكي النزعة، ولم يستدر العام حتى حدث انشقاق في هذا الحزب إذ انفصلت شعبة الحزب في الإسكندرية ذات الاتجاه الماركسي، وسيطر الشيوعيون على الحزب، ولم يلبث أن قام زعماؤه بحركةٍ للسيطرة على المعامل في شهر رجب من عام ١٣٤٢هـ (شباط وآذار من عام ١٩٢٤م) فتصدّت لهم حكومة سعد زغلول، واعتقلت الزعماء، وأودعتهم السجن، وأصدرت أحكاماً ضدّهم في شهر ربيع الأول من عام ١٣٤٣هـ (تشرين الأول ١٩٢٤) وهكذا قُضي على هذا الحزب، غير أن الفكر لا يُقضى عليه بالضغط ولا يُحارب بالشدّة، وإنما الفكر والحجّة الأقوى، لذا قامت مجموعات مُتعدّدة حول أشخاصٍ معروفين، وإن كانت أكثر اعتمادها على العناصر النصرانية من يونانيةٍ، وإيطاليةٍ، وشاميةٍ.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، واشتدّ الغلاء حيث سيقت المواد الغذائية

إلى الجبهات، وكانت الحكومات وخاصّةً الخاضعة منها لنفوذ أو لسيطرة الدول المتحاربة تجمّع المواد الغذائية بالإكراه، وإبقاء السكان بحالةٍ من الجوع، والفقر، والمرض فتأثّر الناس، وطُرحت عليهم الشعارات المعسولة فتقبّلتها بعض النفوس نتيجة الضيق الذي تُعانيه، فظهرت «الحركة المصرية للتحرّر الوطني» و «الشرارة» و «تحرير الشعب» و «الطليعة» و «الفجر الجديد» و «عصبة الماركسيين»، كان هذا، ولم تنته بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي نهاية الحرب كانت هناك ثلاثة تنظيمات شيوعية هي: «طليعة العمال» وتُصدر مجلة «الفجر الجديد» و «الشرارة» وتضمّ مجموعة من المتعلّمين، و«الحركة المصرية للتحرّر الوطني» وتشمل تنظيمين، أولهما «عصبة الماركسيين» وثانيهما «شعوب وادي النيل» وقد أصدرت صحيفة «أم درمان» التي يُشرف عليها الشيوعيون السودانيون من داخل هذا التنظيم.

قام الشيوعيون بحركاتٍ تخريبيةٍ لإشاعة الفوضى كعادتهم إذ أن حياتهم تنتعش في الفوضى، وهذا ما أدّى إلى استقالة حكومة النقراشي في ربيع الأول ١٣٦٥هـ (شباط عام ١٩٤٦م)، وقيام حكومة إسماعيل صدقي التي ضغطت على الشيوعيين.

وجاءت أحداث فلسطين، وأُعلنت الأحكام العرفية، واضطر الشيوعيون إلى الخنوع، وخاصةً أن الامبراطورية الروسية، التي اعتمدوا على دعمها، وقوي مركزهم بمساعدتها قد أيّدت تقسيم فلسطين، ووقفت موقفاً مُؤيّداً لليهود فخجل من كان يستحي من الشيوعيين، وسكتوا عن الحديث عن فكرتهم.

وعادت الحرية السياسية منذ تشكيل وزارة حسين سري الائتلافية في شوال من عام ١٣٦٨هـ حتى قيام الانقلاب العسكري في ذي القعدة من عام ١٣٧١هـ فتأسّس الحزب الشيوعي المصري، وأصدر جريدة «راية الشعب»، وكان هذا التنظيم سرياً، ومُعادياً صريحاً للوفد.

الإخوان المسلمون:

أسّس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا المعلّم في الإسماعيلية، وقد وجد تجاوباً طيباً فالدعوة حقّ، والرجل مُخلص ونشيط، والتربة خصبة

فالمصريون أصحاب عاطفة دينيةٍ، وقد يئسوا من الأنظمة الوضعية الفاسدة، وملّوا الوعود الخلّابة بتحسين الأوضاع بانتهاء الاحتلال الأجنبي، وخروج الدخيل على حين أن أصحاب الوعود يرتمون أمام القصر، ويتلقّون تعليمات المحتلّ، ويسيرون على نهجه، وحسب إرشاداته، وكبار مُلّاك الأرض يرتعون في المناصب، ويدخلون ضمن ألاعيب السياسة.

وبعد خمس سنواتٍ من العمل في الإسماعيلية بدءاً من عام ١٣٤٦هـ انتقل إلى القاهرة فوجد ما لقيه في الإسماعيلية من نجاحٍ، وقويت الجماعة وبخاصةٍ بعد عام ١٣٥٥هـ نتيجة تأييد الثورة في فلسطين، فدعم الحاج محمد أمين الحسيني الحركة، كما تقرّب إلى حسن البنا عدد من الزعماء في مصر أمثال عبد الرحمن عزام، وعلي ماهر ليستفيدوا من نشاطه وحركته في مصر، بل وفي الدعاية لهم خارج مصر.

وفي عام ١٣٥٧هـ قرّر البنّا الدخول في معترك السياسة المصرية، وأصدر مجلة «النذير»، وأعلن أن شُعب الإخوان قد بلغ عددها ثلاثمائة شُعبة، وأعلن للإخوان أنه سيُخاطب رجالات البلاد، ويدعوهم للعمل بالإسلام، وسينصح، وأبان أن الإخوان سيُواجهون خصوماً عنيفين داخل مصر وخارجها، وسيتعرّضون للابتلاء.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وزاد نشاط الإخوان، وكثر عددهم، وانضمّ إليهم أعضاء جدد كثيراً، وأصبح لهم فرق للجوّالة، ولجمع السلاح، وتنظيم خاص سرّيّ يتدرّب على الطاعة والسلاح.

كان لهذا الإقبال الشديد على الجماعة، وهذا التنظيم والتدريب آثار إيجابية وأخرى سلبية، فمن الإيجابيات المساهمة في القتال في فلسطين وقد أبدوا ضروباً كبيرة من الشجاعة والتضحية بل إن العمل المصري في فلسطين يكاد يقتصر على ما قدّمه الإخوان، وإنهم قد دعموا الجيش المصري، وأنقذوه عدّة مراتٍ من مآزق وقع فيها. وكانت الصحف كلها تذكر لهم هذه المآثر وتفتخر بها، ومن الإيجابيات أيضاً قتالهم الإنكليز على ضفاف قناة السويس لطرده من الأراضي المصرية كلها وذلك في عام ١٣٧١هـ، ويمكن أن نُضيف

إلى الإيجابيات إنقاذهم لكثيرٍ من الشباب من الوقوع في مهاوي الرذيلة والأخذ بأيدي أعضائهم إلى طريق الخير، وتأثير ذلك على المجتمع كله.

أما السلبيات فيمكن أن نقول: إن أعداداً قد دخلوا في صفوف الجماعة، ولم يُربّوا التربية الكاملة مما يعرّضهم للوقوع تحت التأثيرات الكثيرة التي قد تُؤدّي إلى زلزلة الجماعة وتمزيق صفوفها، أو السير ببعض تجمّعات منها نحو طرق غير سليمةٍ. بل إن كثرة الإقبال كثيراً ما كانت حائلاً دون إمكانية احتضان وتربية كل العناصر الملتزمة حديثاً، وهذا ما يُؤدي أيضاً إلى ضعفٍ في التربية الإسلامية في صفوف الجماعة. وإن القوة التي أظهرتها الجماعة في القتال سواء أكان ذلك في فلسطين أم على ضفاف القناة أم في المظاهرات أم في كثرة الأعداد التي كثيراً ما كانت فخر رجالها قد جعل منها ما ينتاب أعداءها الحذر سواء أكانوا في الخارج أم في الداخل، وبدأت توضع الخطط للقضاء عليها أو لضربها من الداخل بزرع أفرادٍ فيها ورعايتهم وتوجيههم أو للتأثير على بعض العناصر بالمغريات المتعددة، وربما كان بعض الأحيان بإثارة حماسة الشباب في نفوس بعضهم بعضاً فيقوم ببعض الأعمال التي تُؤدّي بالجماعة إلى الهاوية. وإن النظام السري قد نما وشعر قادته بإمكاناتهم وقوّتهم وهذا ما أفقدهم عنصر الطاعة عندما لا يؤخذ برأيهم، ويُحكّم السلاح وخاصة عندما غاب المرشد الأول حسن البنا، وكذلك لعبت حماسة الشباب في هذا النظام الدور نفسه، بل ربما استطاع بعضهم أن يحتوي بعض هؤلاء الشباب تحت التأثير، ودوافع الحماسة، والإخضاع للقوة. وغدا كل ما يحدث من تفجيرات أو تخريب يُنسب للإخوان ولو كانوا بعيدين عنه كل البعد، وربما قامت به عناصر معادية لهم كي يُنسب إلى الإخوان، وإذا ما اغتيل أي إنسان له خصومة أو خلاف مع الإخوان نُسب إليهم ذلك الاغتيال أو تلك الجريمة، وهم غالباً لا يقومون بمثل هذه الأعمال خوفاً من الله إلا إذا كانت واضحةً كل الوضوح في خيانة إنسانٍ ضالٍّ أو وقوف أحدٍ يُحارب الله ورسوله علناً ويتحدّى الدعوة.

ونتيجة الخوف من جماعة الإخوان المسلمين من أطرافٍ متعددةٍ، منها الإنكليز، والقصر، ورجالات الأحزاب الأخرى فقد أصدر رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي أمراً بحلّ الجماعة بتاريخ ٧ صفر ١٣٦٨هـ (٨ كانون

الأول ١٩٤٨م)، ولكن لم يمض أكثر من أربعةِ وعشرين يوماً حتى قُتل النقراشي بتاريخ ٢٧ صفر فتعرّضت الجماعة لضغوطِ كثيرةٍ، وقُتل حسن البنا بعد ذلك بتاريخ ١٤ ربيع الثاني أي بعد مقتل النقراشي بستةٍ وأربعين يوماً، واستمرّ قرار حلّ الجماعة حتى أُلغي في عهد وزارة حسين سري في أوائل عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م)، حيث شاركت الجماعة في أعمال الفداء على ضفاف قناة السويس، وكان لها الدور الأساسي في تلك الأعمال.

وكان همّ خصوم الإخوان العمل ضدّهم مثل: الوقوف في وجه ترشيح حسن البنا للمجلس النيابي، حلّ الجماعة، ومُصادرة أملاكها، ومُطاردة أعضائها، بثّ الشائعات ضدّها، اختلاق التّهم ورمي أعضاء الجماعة بها، ارتكاب الجرائم ونسبها للإخوان مثل: حريق القاهرة، وإلقاء المتفجرات.

الصراع الديني:

منذ أن فتح المسلمون مصر والأقباط يعيشون في ظلّ الحكم الإسلامي بكل أمنٍ وحريةٍ مُطمئنين على أنفسهم، وأملاكهم، وأموالهم، وأعراضهم اللّهم إلاّ في أوقاتٍ قصيرةٍ يعمل فيها الأقباط بتحريض من الأوروبيين فينالون جزاء خيانتهم كما حدث أيام نزول الصليبيين في مصر سواء أكان ذلك أيام الحملات الصليبية أم أيام الاستعمار الصليبي من فرنسيين وإنكليز، وما أن يخرج الصليبيون من البلاد حتى يعود الأقباط إلى رشدهم خوفاً أو تعقّلاً فلا يجدون عند المسلمين إلا العفو والمسامحة حتى تزيد أحياناً على الحدّ، الأمر الذي يجعل الخيانة تتكرّر.

وفي هذه المرحلة أسّس الأقباط حزباً خاصاً بهم، أمام دعوة الحزب الوطني للخلافة الإسلامية ـ على زعمهم ـ وكانت لهم صحفهم، بل كانوا أصحاب عدة صحفٍ ومجلاّت، وكان الإنكليز يدعمونهم، ويُحرّضونهم على بعض الأعمال وضدّ بعض الفئات، ويركنون إلى المحتلّين، وقد حاول الانكليز إثارة الأقباط ضد الفدائيين من الإخوان المسلمين أثناء القتال على ضفاف قناة السويس، وقام جنود المحتّل بإحراق كنيسة السويس، وادعوا أن الإخوان أقدموا على هذا الفعل. وزار حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين البطريرك الذي ذكر أنه على يقينٍ تامٍ أن الإخوان بريئون من هذا العمل.

المَرحَلَة الثانيَة

سبق أن ذكرنا أن هذه المرحلة قد امتازت بالصراع بين السلطة والإخوان المسلمين، وإذا كانت الأحزاب قد أُلغيت وتوقّف دورها ونشاطها خلال هذه المرحلة إلاّ أن الإخوان المسلمين ليسوا حزباً سياسياً بالمعنى الصحيح أو ليسوا كبقية الأحزاب فهم أصحاب منهجٍ وفكر وعمل لن يستطيعوا أن يتخلّوا عنه كما تفعل بقية الأحزاب التي يتركُ أعضاؤها مركزهم ولقاءهم فيه، ويصبحوا مثل بقية الأفراد العاديين في المجتمع، وربما التقى بعضهم مع بعضٍ فتحدّثوا عن أوضاع البلاد أو انتقدوا أو... وربما أخذ بعضهم منصباً فنسي ما كان يدعو إليه بالأمس أو تحقّقت مصلحة له فأصبح يُطنب في المديح ويُثني. أما الإخوان فإن عليهم واجباتٍ يتميزوا بها عن غيرهم، وهي العبادات، وصحيح أنها واجبة على كل مسلمٍ، وليس كل مسلمٍ منخرطاً في تنظيم إلا أنّه معروف من كان داخل التنظيم منْ غيره، وما دام مواظباً على عباداته وسلوكه فهو في نظر غير الملتزمين بالعبادة والسلوك مُنظّم في جماعةٍ أو داخل في تنظيم، وهذا أمر أصبح معروفاً في أكثر الأمصار الإسلامية.

والواقع أن الحرب كانت على الإسلام أكثر من أن تكون على جماعة الإخوان، فالحقد الصليبي على الإسلام كبير، وقد يأخذ أشكالاً مُتعددةً. فلو كان الحرب على التنظيم لكان شأن الإخوان شأن بقية الأحزاب، أُغلقت المراكز، ومُنعت الاجتماعات وانتهى الأمر بمصادرة صحف ومجلات وأملاك وأموال الفئات كلها، ولكن الأمر غير ذلك فلو أن أحد أعضاء الإخوان استمرّ في عباداته وارتياده على المساجد وهذا واجب عليه، يفرضه عليه دينه لعُدّ هذا العضو أنه لا يزال على نشاطه وصلاته بإخوانه فيخضع للرقابة والضغط وللاعتقال، ويُحال بينه وبين أي عملٍ حكوميٍ يُريد أن يتسلّمه، ولكن لو أن

أحد الأعضاء - وهو نادر - ترك عبادته، واتجه إلى لهوه وفساده لعُدّ أنه قد صلح حاله وسار في طريقٍ سليمةٍ، وهذا منتهى الغرابة فالمستقيم الذي يسير في طريقٍ صحيحةٍ غير مرضيٍّ عنه ويقال إنه يسير في دربٍ غير سليمةٍ، والمنحرف الذي يمشي في الفساد والفجور مستقيم، وهذا في عُرف أعداء الإسلام، ومن هذا يصل المرء إلى أن العداء كان للإسلام لا لتنظيم جماعة الإخوان، وكل مسلم مستقيم لا يرضون عنه ينسبونه إلى الإخوان المسلمين أو أية جماعة إسلامية أخرى غير مرضي عنها من قبل المحتلّين الأعداء أو المتسلّطين الخصوم، لذا كان الضغط منصبًّا عليهم دون سواهم.

وسبق أن ذكرنا في الفصل السابق أن الولايات المتحدة الأمريكية أرادت أن تحلّ محلّ إنكلترا في مصر من جملة المراكز الأخرى التي تسعى أن تحلّ محلّ إنكلترا وفرنسا فيها، وإذا كانت الولايات المتحدة وانكلترا أعداء للإسلام وللحركات الإسلامية الواعية كبقية الدول الصليبية إلا أن سبيل الولايات المتحدة في حربها ضدّ الإسلام يختلف عن طريق إنكلترا العريقة في الاستعمار، والتي لها أسلوبها الخاص في محاربة الإسلام. كانت انكلترا تستعدي في مصر القصر، ومُؤيديها من الأحزاب، ورجالات البلاد على الحركات الإسلامية وأفرادها، وتُشيع الشائعات، وتُحاول تنفير الناس من الحركات الإسلامية، وتدفع من يقوم ببعض الجرائم، وتلصقها بأعضاء الحركات، ولا تترك وسيلةً إلا وتتخذها لتدمير التنظيمات بل وتشجّع الفرق المنحرفة والضالة وربما يصل الأمر بها إلى تبنّيها، أما الولايات المتحدة فقد رأت زرع أعوانٍ لها بين أفراد الحركات الإسلامية وخاصّةً الإخوان منهم واستخدامهم وسيلة لجرّ بعض الأعضاء البارزين إليها أو كسبهم إلى جانب أتباعها للتعاون معاً والسير بالجماعة إلى تغيير نظام الحكم، وهي تسعى إليه، وتريد الولايات المتحدة جعله يتّجه للسير في فلكها بدلاً من أن يكون في خطّ انكلترا، فاتصلت بضباط في الجيش المصري ووجّهتهم ليكونوا على صلةٍ بضباط تنظيم الإخوان في الجيش وفي النظام الخاص، وقد جرت صلات في القتال في فلسطين وفي القناة، وتوقّعوا أن يكون بعض الضباط الذين احتكّوا بهم على صلةٍ بالإخوان نتيجة السلوك والعبادة. الإخوان يُريدون تغيير النظام

لتطبيق الإسلام، والولايات المتحدة تُريد تغيير النظام وإيجاد نظامٍ تابعٍ لها، والإخوان قوة يمكن الإفادة منها بل أوّل الفئات التي تتجه الأنظار نحوها للإفادة منها أو لاستغلالها لقوتها، وهكذا التقى الطرفان في هدفٍ واحدٍ هو تغيير النظام، وإن عمل كل منهما وحده، غير أن الإخوان يظنّون أن الضباط الآخرين مخلصين وطنيين ما داموا من أبناء البلاد فهم يسعون لمصلحة بلادهم، وقد رأوا فساداً قد استشرى يُريدون إصلاحه، لذا فقد مدّ الإخوان أيديهم نحوهم، أو كانت لهم قنوات تصلهم بهم. أما الطرف الآخر فإنه يُريد استغلال الإخوان لذا كان يحرص على إغراء بعضهم بكل الوسائل للسير معهم وربما حصلوا على بعض النصر فكسبوا بعض العناصر الأساسية والمهمّة وبخاصّةٍ عندما تمكّنوا من السلطة، وكان من خطة الولايات المتحدة أن تحصل على مواضع أسلحة الإخوان التي استعملوها في فلسطين، وعلى مواطن ضعفهم، ومقاتلهم، ومراكز قوّتهم من الصلة بين عناصرها ـ أقصد العناصر التي أصبحت تستطيع توجيهها ـ وعناصر الإخوان أو من الأعضاء الذين تمكّنت عناصرها من كسبهم وذلك لضرب الإخوان الضربة القاضية، أو استخدام تلك العناصر لحياكة بعض الألاعيب أو التمثيليات ورمي الإخوان ببعض التهم أو إلصاقها بهم، أو جعل بعض هؤلاء الأفراد يُؤدّون بعض الأدوار فيجرّوا الإخوان إلى المهالك أو القيام بردود الفعل، وإذا تصرّف أحد هذه العناصر ببعض الأعمال أخذت الجماعة بجريرة عمله وقُضي عليه وعليها.

استطاعت الولايات المتحدة بالفعل تغيير النظام في مصر في ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ، وساعدها على ذلك نقمة الشعب على الحكم ومفاسده، والقصر وفساده، ونقمة الجيش على أوضاعه، وتسلّط الديوان عليه عن طريق بعض الأفراد، وكان للإخوان دور في هذا التغيير عن طريق عناصرهم في الجيش، وعن طريق تأييدهم للحركة والوقوف إلى جانبها عسى أن يكون فيها خير للبلاد والمجتمع.

ونهض الجيش بالأمر، وأصدر قراراً بإلغاء الأحزاب، واستثنى الإخوان على أنهم جماعة دينية وليسوا حزباً سياسياً، وقام الإخوان في هذه المدة بنشاط فعّال ودورٍ تأييدي بنّاء. فلما تمكّن رجال الجيش المهيئون لذلك أزاحوا

من طريقهم كل مراكز القوى التي يمكن أن تقف في وجههم وفي مقدمتها الإخوان المسلمون، وصدر الأمر بحلّ الجماعة، فلما قامت تُريد الدفاع عن نفسها وحماية ما انكشف من مراكزها عن طريق تلك الصلات بينها وبين السلطة الجديدة، وقف جمال عبد الناصر في وجهها، وهو الرجل القوي لأنه المُهيَّأ لهذا الدور، فأزاح من طريقه كل ما يمكن أن تستند عليه الجماعة في حماية نفسها، ثم كانت حادثة تمثيلية الأزبكية، وبدأ الصراع واضحاً مكشوفاً سافراً بين جمال عبد الناصر ومن وراءه وبين الإخوان المسلمين ومن يُؤازرهم من الشعب أو بالأحرى من بقي إلى جانبهم لأن المؤيدين يكثرون في الرخاء وعند اقتراب جني المصالح حسب توقّعهم ويقلّون عند الشدّة فيتناثرون من جانب من ساروا بالقرب منه بالأمس عسى. . . .

وأقول هنا وأُكرّر وربما لألف مرّةٍ لا للنقد ولا لإصلاح رجال اليوم فإن أيامهم قد انصرمت وإنما لتربية الأجيال ولتعريف الدعاة، وكما زرع آباؤنا لنأكل، فنحن نزرع ليأكل أبناؤنا وأحفادنا، وكذلك نكتب لتعتبر الأجيال من بعدنا ولنُقدّم ما وصلنا إليه، إن تجميع الأعضاء والحرص على كثرة الأعداد دون تربيةٍ لا يُؤدّي إلاّ إلى الاختلاف، والانشقاقات، والاحتواء، وضياع الدعوة. إن وجود أصحاب مصالح في أية حركةٍ سيجعل الخلاف يقع بين أفرادها بعد مدةٍ وجيزةٍ وخاصةٍ إن وجدت مغانم أو لاحت في الأفق مصالح.

لقد حرص الإخوان المسلمون في مصر وفي كثير من الأمصار الإسلامية على زيادة الأعداد وحشد الأفراد لا إساءةً أو تفاخراً وإنما رغبةً في إسلام الناس ومحبةً في الأجر وأملاً في تطبيق الإسلام، ولم تكن عندهم الإمكانات لاحتواء هذه الجموع وتربيتها لذا بقي هناك نقص ظاهر في التربية، وعدم معرفة الواقع، والتصرّف السليم في الأوقات الحرجة، وفي الوقت نفسه كانت هناك أعداد من الذين التحقوا بالجماعة قد انضمّوا إليها مُجاملةً وصحبةً لأصدقائهم الملتزمين، ومنهم من انضمّ لأن أسرته قد عُرفت بهذا الاتجاه فدافع عنه عصيبةً لا إيماناً ومن الدفاع انقلب إلى عضو أو عُدّ منها لدفاعه عنها، ومنهم من ينوي الرفعة، ومنهم من يحرص على الفائدة بعد أن رأى النشاط والقوة فظنّ أنّ الوقت قد حان لقطف الثمار، وقد وصل بعض هؤلاء إلى

القيادة ولا تزال الأفكار التي دخل عليها ترتع في نفسه وتراوده بين الحين والآخر، ولا شك أن هناك فئةً وهي الغالبة ما انضوت في صفوف الجماعة إلاّ إيماناً صادقاً للعمل في سبيل الله.

إن الخلل لا يظهر إلاّ في القادة الكبار الذين يظهرون للناس جميعاً ولهذا بدا الأمر واضحاً في قيادة الثورة «الضباط الأحرار» الذين حكموا البلد، والذين لم يكن التحاق أكثرهم بحركة الإخوان المسلمين إلاّ مصلحةً وإفادةً من قوّة الإخوان العسكرية والشعبية فأرادوا استغلالها للوصول إلى أهدافهم التي وضعوها نصب أعينهم، كما أن كثيراً من المدنيين لم يكونوا أقلّ من العسكريين مصلحةً، وقد أفاد العسكريون عندما وصلوا إلى السلطة من هؤلاء المدنيين أصحاب المصالح، فانتزعوهم من حركة الإخوان بتأمين بعض المصالح لهم، وضربوا بهم الجماعة وفرّقوا صفوفها فأضعفوها، ثم تصرّفوا حيث شاءوا، وقد زالت من أمامهم أكبر قوّةٍ كانوا يخشونها، وأكبر عثرة تُعرقل خط سيرهم المنحرف.

ولما كان العسكريون قد حكموا مصر، وسُلّطت عليهم الأضواء، وعرفهم الناس، فلا بدّ من بحث موضوع الصراع معهم. بدأ عمل الإخوان في الجيش منذ عام ١٣٥٧هـ، وخاصةً أن مجلة «النذير» الإخوانية كانت تُناقش بعض القضايا التي تحدث في الجيش ومنها القضايا الاجتماعية، وموضوع خدمة الضباط من قبل الأفراد الأمر الذي جعل كثيراً من أفراد الجيش يقرؤون هذه المجلة فتأثّر بها عدد منهم، كما أن الإخوان كانوا دائمي الحديث عن الجهاد، وموضوع القوة، وعدم الخضوع للأعداء، وكانت مصر تئن من وطأة الاستعمار الإنكليزي، وهذه الموضوعات تُغري الشباب، وتُثير فيهم الحماسة، وتهزّ مشاعرهم، وهذا ما جعل أعداداً من العاملين في الجيش يلتفتون نحو الإخوان، ويتأثرون بهم، أو يطمحون بالوصول إلى أهدافهم عن طريق هذه الجماعة.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أراد بعض أفراد الجيش الإفادة من ظروف الحرب القائمة وتحقيق بعض مصالح مصر، فتقدّم عدد منهم في شهر

ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ، (كانون الأول ١٩٤١م) بعريضةٍ تحمل توقيع اسم «الجنود الأحرار»، ورفعوها إلى السلطات العليا مُطالبين بإلغاء اتفاقية ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، مع انكلترا ومنع كل ما يتعارض مع الإسلام في الجيش، وكان المسؤول عن هذا النشاط صلاح شادي فإذا ما توسّم في ضابطٍ الخير ولاحظ عليه العبادة تعرّف عليه، وعرّفه على المرشد، ويقوم المرشد باللقاء معه، ثم يُعرّفه على وكيل الجماعة للشؤون العسكرية محمود لبيب، وأخيراً يجمعه محمود لبيب برئيس النظام الخاص عبد الرحمن السندي، إذ كان العمل العسكري في الإخوان المسلمين مرتبطاً يومذاك بالنظام الخاص الذي وجد عام ١٣٥٩هـ أي في نهاية السنة الأولى من بداية الحرب العالمية الثانية، وكان يُشرف عليه في أول الأمر لجنة مؤلفة من: صالح عشماوي، وحسين كمال الدين، وحامد شربت، وعبد العزيز أحمد، ومحمود عبد الحليم، ثم رُشّح لرئاسته عبد الرحمن السندي، وبقي يخضع لإشراف حسن عشماوي، وحسين كمال الدين المسؤولين عن الإخوان في القاهرة.

لما كثر عدد الإخوان في الجيش أُفرد لهم قسم خاص، وكان رئيس قسم الجوّالة في الإخوان محمود لبيب هو المسؤول عن هذا القسم ويُساعده في هذا الحقل الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف، ويتمّ التنسيق عادةً بين كلٍ من:

محمود لبيب الضابط السابق، وعبد المنعم عبد الرؤوف الضابط الطيار في الجيش.

صلاح شادي الضابط في الشرطة «البوليس».

عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص.

حسين كمال الدين المسؤول عن الإخوان في القاهرة.

وكان عدد الضباط الذين اتصلوا بالإخوان عن هذه الطريق، وأثناء الحرب العالمية الثانية كبيراً، ومنهم: جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وعبد اللطيف البغدادي، وحسين الشافعي، وكمال الدين حسين، وخالد محيي الدين، وصلاح سالم، وحسن إبراهيم، وحمدي أبو زيد، وعبد الرحمن عنان أي أكثر رجال الثورة. وقد عمل عدد منهم على تدريب الإخوان على الأسلحة

في أوقات مُتعددةٍ، ومن هؤلاء المدرّبين جمال عبد الناصر، وصلاح سالم الذي كان يشتري الأسلحة للإخوان وينقلها إليهم من العريش إلى قناة السويس، وعبد اللطيف البغدادي الذي شكّل كتائب فدائيةً من الإخوان وأمدّهم بالأسلحة والذخيرة. ويبدو أن أكثر هؤلاء قد انضمّ إلى الإخوان حماسةً للجهاد والقتال الذي كان يُنادي به الإخوان، أو طمعاً إلى الوصول إلى السلطة، وإن كنا لا نستطيع أن ننفي الأثر الإيماني الذي يتجلّى في بعض الأوقات عند كثيرٍ منهم وخاصةً عند كمال الدين حسين.

وكان الشباب عامّةً والضباط خاصّةً يتألّمون من وجود الإنكليز في قناة السويس ويتمنّون في كل حينٍ لو يتمكّنون من إزالتهم ويستعدّون لليوم الذي يُفسح أمامهم المجال لطردهم، وقد بلغت هذه الحماسة ذروتها أثناء الحرب العالمية الثانية إذ كانت الظروف مناسبةً لذلك وربما كان أنسب تلك الظروف عندما تقدّم الألمان مع الطليان في ليبيا نحو مصر، حتى فكّر عدد من الضباط بالاتصال مع الألمان للعمل على طرد الإنكليز من مصر، ومن هؤلاء الضباط أنور السادات، وقد دخل السجن من أجل هذا، وفرّ بعض الضباط المصريين إلى الألمان، وانتقل أحدهم بطائرته إليهم، ولكنه لم يستطع الوصول لسقوط الطائرة «عبد المنعم عبد الرؤوف».

وربما نستطيع أن نلحظ رغبة بعض هؤلاء الضباط بالسلطة، وحبّ المصلحة من الصلة بكل مراكز القوى القائمة يومذاك، ولنأخذ مثلاً أنور السادات الذي كان على صلةٍ مع القصر عن طريق عبد الرؤوف نور الدين أحد ضباط الستار الحديدي الذي يعمل لخدمة الملك وحمايته وتنفيذ أوامره، وعن طريق يوسف رشاد طبيب القصر الخاص، وقد نفّذ أنور السادات بعض العمليات لحساب القصر، وفي الوقت نفسه اتصل بالإخوان المسلمين، ولسنا ندري إن كانت له صلات أخرى مع جهاتٍ ثانية، وهذا أنموذج من الضباط الأحرار.

كان أبرز الضباط بلا شك وألمعهم وأكثرهم طموحاً جمال عبد الناصر، وكان لا يقف في وجه طموحه أخوة ولا عهد. اتصل جمال بالإخوان

المسلمين بعد عودته من السودان، ولم يجد عند عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص ورئيسه المباشر ما يُحقِّق أطماعه ويملأ نفسه، وقد قام جمال عبد الناصر في هذه المرحلة بتدريب الإخون على السلاح. واتصل في عام ١٣٦٣هـ بالرائد محمود لبيب وسُرّ كل منهما بالآخر، واستمرّت الصلة بينهما، ولكن يبدو أن جمال عبد الناصر قد بدأ منذ عام ١٣٦٥هـ بالعمل لنفسه فكان يجمع الضباط حوله من خلف الرائد محمود لبيب، ولذا كان يُبدي له كثيراً من الودّ كي لا ينتبه إلى ما يُخطّط له.

وفترت الصلة بين الإخوان وبين مجموعة الضباط في المدة التي صدر فيها قرار حلّ الجماعة أيام حكومة محمود فهمي النقراشي، ونعود مرّةً أخرى إلى ضعف التربية لدى الإخوان فنُلاحظ أن هؤلاء الضباط في أيام غياب الجماعة عن الساحة يضيعون فيسير كل في هواه على حين أن تربية الضباط يجب أن تكون على شيء من التركيز نتيجة ظروفهم والبيئة التي يعيشون فيها، وربما إذا أردنا أن نجد بعض الأعذار لهم نقول: إن الظروف التي مرّت فيها الجماعة بين أوقاتٍ تُعلن فيها الأحكام العرفية، وأيام تتوقّف عن النشاط بسبب الحلّ كل هذا جعل التربية ضعيفةً عند الضباط. ففي هذه المدة أُهدي لخالد محيي الدين بعض الكتب الشيوعية فتأثّر بها، ونحى نحوها فابتعد عن الخطّ الإسلامي الذي كان أحد أفراده.

وجاءت حكومة حسين سري إثر استقالة إبراهيم عبد الهادي فأصدرت الحكومة الجديدة قراراً بإعادة الجماعة وعاد النشاط إلى الإخوان، وأرادت مجموعة الضباط أن تستفيد من هذا النشاط وخاصةً أن معظمها كان له صلة سابقة مع الإخوان تنظيماً أو عملاً. وعرض صلاح سالم على عبد الفتاح غنيم إعادة تشكيل الضباط الذين كانوا من جماعة الإخوان قبل حلّها، فجمعه مع صلاح شادي الذي وافق على هذا العرض، وتمّ اللقاء بين كل من صلاح شادي، وعبد المنعم عبد الرؤوف، وجمال عبد الناصر، وصلاح سالم، وكان اللقاء في مكتب حسن عشماوي، وطلب جمال عبد الناصر يومها برنامجاً ثقافياً لمجموعة من الضباط فقام حسن عشماوي بعمل ذلك المنهج وقُدّم لجمال عبد الناصر.

وفي نهاية عام ١٣٧١هـ (مطلع عام ١٩٥٢م) زاد النشاط العسكري، وزاد نشاط الإخوان المسلمين، وظهرت الحركة الشيوعية، وأحسّت المخابرات الأجنبية بهذه التحرّكات كلها، بل إن نشاط جماعة الإخوان المسلمين كان شبه مكشوفٍ وظاهراً، وهذا ما دعا وزارة الخارجية الأمريكية إلى أن تُرسل «كيرميت روزفلت» إلى مصر، واستمرّت هذه الزيارة ثلاثة أشهرٍ، اتّصل خلالها بالمسؤولين، كما اتّصل بقيادة الضباط الأحرار، ورجع وقد استكمل الصورة الحقيقية عن واقع مصر يومذاك، ورفع تقريراً إلى وزير خارجية الولايات المتحدة «دين اتشيسون» وقد جاء فيه ما ملخصه:

١ ـ لم تعد وزارة الخارجية تخشى الثورة الشعبية التي يسعى إليها الإخوان المسلمون أو الشيوعيون.

٢ ـ لم يعد هناك أمل في إبعاد الجيش عن القيام بانقلاب.

٣ ـ يرفع قادة الانقلاب شعارات فيها لين للشعب لإسكاته وليس فيها ما تخشاه الولايات المتحدة الإمريكية.

٤ ـ يجب موافقة الحكومة الأمريكية على إقصاء فاروق عن الحكم وربما التخلُّص من النظام الملكي نهائياً.

وقد رسم جمال عبد الناصر المسؤول عن تنظيم الضباط الأحرار لنفسه خطةً في مطلع عام ١٣٧٢هـ يمكن أن نلخصها بما يلي:

١ ـ إبقاء الصلة مع الإخوان المسلمين للإفادة من قوتهم وشعبيتهم، وذلك بإظهار استمرار الارتباط بهم وتلقّي التوجيه منهم.

٢ ـ إبعاد ضباط الإخوان عن مجموعة الضباط الأحرار، ولذا فقد أطاح برأس ضباط الإخوان عبد المنعم عبد الرؤوف قبل الحركة بثلاثة أشهر تقريباً، وأن تستمرّ الصلة به شخصياً أو بمن يثق به على ألاّ ينفرد بلقاء.

٣ ـ ألاّ يدخل مجموعة الضباط الأحرار ضابط ذو رتبةٍ أعلى من رتبة جمال عبد الناصر كي يبقى هو المسيطر، وذلك حتى قبيل الحركة بقليل حيث يمكن قبول عناصر ذات رتبٍ عاليةٍ تستغلّ مرحلياً، ويمكن التخلّص منها

بسهولةٍ بعد الحركة إذ ليست ذات جذور بين رجال الثورة، وذلك كي تعود له القيادة دون مُنازعٍ، وهذا ما حدث مع محمد نجيب على سبيل المثال.

٤ ـ الحرص على إيجاد نقاط إدانة للإخوان المسلمين تكون جاهزةً عندما يُريد أن يصطدم بهم، فيُشيع الشائعات عنهم، ويُثير حولهم التهم.

وجاءت الأمور مناسبةً منذ أواخر عام ١٣٧١هـ فقد وقع حريق القاهرة في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢م)، ويعود السبب ـ كما مرّ معنا في الفصل الثاني ـ إلى أن القوات البريطانية في الإسماعيلية قد حاصرت قوات الشرطة المصرية، وطلبت منها تسليم الأسلحة ورفع الأيدي، فرفض ضباط الشرطة، ووقعت معركة ذهب ضحيتها سبعون من رجال الشرطة المصريين، فصدرت أوامر الحكومة المصرية إلى القوات في (الجيزة) والمكلّفة بحماية الجامعة بالسفر إلى الإسماعيلية لمعاونة إخوانهم هناك، واستلام أماكنهم، وفي الطريق وأثناء المرور بالقاهرة أخذ أفراد القوات يهتفون ضدّ الإنكليز، وضدّ الحكومة ويبدو أن هذا قد تمّ للفت نظر الشعب إلى ما حدث وإلى ما قد يحدث، وإشعار الناس بتقصير الحكومة، وفي الوقت نفسه فقد أحرقوا المحلاّت الإنكليزية. وكان ذلك اليوم قد بلغ العمل الفدائي مداه في قناة السويس، وأُعلنت في مصر الأحكام العرفية، وأُقيلت حكومة مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد، وكُلّف علي ماهر بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ وهدّد الإنكليز بالزحف على القاهرة لإعادة النظام.

وكان جمال عبد الناصر قد كّلف مجدي حسنين بتدريب شباب الإخوان على استخدام الأسلحة الخفيفة، فلما كان يوم حريق القاهرة ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧١هـ، طلب جمال من الإخوان مكاناً لإخفاء الأسلحة الموجودة في مدرسة الأسلحة الخفيفة، فنُقلت بسيارات منير دلة، وحسن عشماوي، وعبد القادر حلمي، وصالح أبو الرقيق إلى منزل عبد القادر حلمي، ثم نقلت إلى عزبة والد حسن عشماوي في الريف بناءً على طلب جمال عبد الناصر الذي ذهب إلى العزبة، ورسم مخطط مكان التخزين بنفسه. واحتفظ جمال عبد الناصر لنفسه بالسرّ الذي يكمن وراء نقل هذه الأسلحة وتخزينها، فستكون يوماً تهمةً للإخوان على حيازة الأسلحة لمحاولات إجراميةٍ وتغيير الحكم.

ومن الأمور التي جاءت مواتيةً للضباط الأحرار تغيير الوزارات المستمرة، فقد أُقيلت حكومة الوفد إثر حريق القاهرة يوم ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٧١هـ، وجاءت حكومة علي ماهر ولم تدم أكثر من ثلاثة وثلاثين يوماً، إذ استقالت في ٣ جمادى الآخرة، وجاءت وزارة نجيب الهلالي، ولم تزد مدتها على أربعة أشهرٍ، إذ استقال إثر عيد الفطر مباشرةً، وقد أشرفت حكومته على الانتخابات، وفشلت في جرّ الإخوان إلى دخول المعركة الانتخابية. وجاءت حكومة حسين سري ولم تستمرّ في عملها سوى سبعة عشر يوماً إذا استقالت في ٢٨ شوال من العام نفسه، وقد طلب تعيين محمد نجيب وزيراً للحربية، ولكن الملك رفض، وطلب تعيين حسين عامر، وعاد نجيب الهلالي إلى رئاسة الوزارة وعيّن إسماعيل شيرين وزيراً للحربية، غير أن هذه الحكومة لم تكمل يومها الثاني إذ قامت الحركة الانقلابية في ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢م).

ومن الأمور التي جاءت مناسبةً للضباط الأحرار، انتخابات نادي القوات المسلحة إذ رشّح عامة الضباط اللواء محمد نجيب، واعترض الملك عليه، ورشّح أحد أعوانه، غير أن نتائج الانتخابات قد أعطت اللواء محمد نجيب رئاسة النادي بالأغلبية، فكان هذا حافزاً لإمكانية العمل ضدّ القصر إذ دلّت هذه الحادثة أن الملك ليس له مُؤيّدين بين الضباط إلاّ النذر اليسير في حقيقة الأمر لا في الظاهر.

الحركة:

بعد حادثة حريق القاهرة كثر اللقاء بين جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان المسلمين، وكان يُمثّلهم: صالح أبو الرقيق، صلاح شادي، حسن عشماوي، عبد القادر حلمي. وقد ناقشوا موضوع الحركة، وتوصّلوا إلى:

١ ـ الانقلاب: إمكانية النجاح قائمة بل مضمونة إذ ذكر جمال عبد الناصر أن الحراسة في القاهرة بيد الجيش، وأكثر المشرفين عليها من الضباط الأحرار. وفي كل قطعةٍ مجموعة منهم عدا البحرية ولكن لا يُخشى منها إذ لا تُشكّل خطراً علي الحركة.

٢ ـ الحكم: استبعدوا أن يظهر الإخوان في الواجهة فإن ذلك يُثير الدول الأخرى وخاصة الكبرى منها. ولكن يُؤيّد الإخوان ويُوجهون.

كما أن الجيش يجب أن يبتعد عن السلطة وإنما يبقى المُوجّه لها، لذا يجب أن يكون الحكم بيد سلطةٍ مدنيةٍ، وقد اقترح الإخوان حكومةً مدنيةً برئاسة علي ماهر.

٣ ـ التأييد الشعبي: اتّفقوا على أن رجال الأحزاب سيُؤيّدون الحركة بل سيُسرعون في التقرّب لتأمين مصالحهم، ولن يستنكف سوى الشيوعيين، ولكن لا وزن لهم، وسيقوم الإخوان بالتأمين الشعبي، كما سيتولّون حراسة المنشآت.

٤ ـ الموقف الدولي: أكّد جمال عبد الناصر أن أمريكا لا تتدخّل بل تُؤيّد أيّ انقلابٍ ضدّ الملك، ولكن ليس لديه معلومات عن إنكلترا.

٥ ـ الملك: إن الظروف هي التي تتحكّم في وضعه.

وفي يوم ٢٧ شوال ١٣٧١هـ (١٨ تموز ١٩٥٢م) تمّ لقاء في دار صلاح شادي حضره عن جماعة الإخوان المسلمين: صلاح شادي، وصالح أبو الرقيق، وحسن عشماوي، وعبد القادر حلمي، وعن مجموعة الضباط الأحرار: جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وكمال الدين حسين، وقد رأوا ضرورة القيام بالحركة ولكن يجب أخذ موافقة المرشد العام حسن الهضيبي قبل ذلك، وكان الهضيبي في الإسكندرية، فأرسل الإخوان إليه فحضر إلى القاهرة، وتمّ اللقاء مع الضباط يوم ٣٠ شوال، واتّفقوا على تطبيق الشريعة، وأن تكون الحركة مُشاركةً بين جماعة الإخوان المسلمين ومجموعة الضباط الأحرار. وانطلق كل ليُؤدّي دوره.

وقد لاحظ ضباط من الإخوان المسلمين «عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحي» تحرّكات الضباط الأحرار فجاءا إلى صلاح شادي يستوضحان عن الأمر فلم يُخبرهما إذ لم يكن مخولاً من المرشد بإعلام أحدٍ عن الحركة.

وفي الساعة الثالثة من فجر ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢م) تحرّكت القطعات العسكرية، واستلمت مراكزها، واستولت على المراكز المحدّدة لها، وجاءت الأوامر إلى عبد المنعم عبد الرؤوف بمحاصرة قصر

الملك بالإسكندرية بقواته فأدى دوره تماماً، ولم ينظر إلى خلافه مع جمال عبد الناصر الذي عمل على إبعاده عن الضباط الأحرار منذ ثلاثة أشهرٍ. وقام الإخوان بدورهم أيضاً فوقفت جماعات منهم على طريق السويس لمقاومة الإنكليز فيما إذا فكّروا بالتقدّم نحو القاهرة، وكانت جماعات منهم أيضاً تقوم بحماية المنشآت والسفارات حسب خطةٍ مرسومةٍ بين القيادة العسكرية وقيادة الإخوان.

وبعد الانتهاء من استلام السلطة والسيطرة على جميع المرافق استدعى جمال عبد الناصر حسن عشماوي وطلب منه أن يُصدر المرشد حسن الهضيبي بياناً بتأييد الثورة.

وفي ٥ ذي القعدة أُجبر الملك على التنازل عن العرش إلى ولي عهده الصغير أحمد فؤاد الذي لم يتجاوز من العمر ستة أشهرٍ على أن يقوم عليه مجلس وصاية من كلٍ من: الأمير محمد عبد المنعم، ورشاد مهنا، وبهاء الدين بركات.

وفي ٧ ذي القعدة تم اللقاء بين حسن الهضيبي وجمال عبد الناصر في منزل محمود عبد الحليم وحضر اللقاء من الإخوان صلاح شادي، وحسن عشماوي، وعبد القادر حلمي، وقال يومها جمال عبد الناصر لحسن الهضيبي: قد يقال لك إننا اتفقنا على شيءٍ والواقع أننا لم نتفق على شيءٍ بعد. ودعا الهضيبي جمال عبد الناصر إلى تطبيق القرآن فردّ بأن الثورة قامت ضدّ الظلم الاجتماعي، والاستبداد السياسي، والاستعمار الإنكليزي لا لتحكيم القرآن، وقد طالبت الثورة بالتحقيق في مقتل البنا، وطالبت حكومة علي ماهر بالإفراج عن السياسيين، وفي مقدمتهم الإخوان.

وتشكّل مجلس قيادة الثورة برئاسة اللواء محمد نجيب، وعُهد إلى علي ماهر بتشكيل وزارةٍ حسب رأي الإخوان.

وفي ٩ ذي القعدة تمّ لقاء أيضاً في دار صالح أبو الرقيق بين حسن الهضيبي وجمال عبد الناصر.

الصراع بين الإخوان والثورة:

استقرّت الأوضاع واستتب الأمر لرجال الثورة، وشعرت جماعة الإخوان

أنها شاركت مُشاركة فعّالةً في الحركة وأن لها اليد الطولى في النجاح سواء أكان ذلك في التأييد الشعبي أم في تأدية الدور المطلوب منها عسكرياً، وجوّالةً، وفي التوجيه والتخطيط.

ورأى جمال عبد الناصر أنه قد آن الأوان للسير في مخططه لقطف ثمار جهده والعمل لنفسه، وقرّر أن يسير بالأمر منفرداً، يتخلص من الإخوان كما يتخلّص من الضباط أصحاب الرتب الذين هم أعلى منه رتبةً، ورأى أن عليه:

١ ـ توجيه الأنظار إلى الضباط الكبار بإبرازهم بدءاً للتخلص منهم، فسلّم اللواء محمد نجيب رئاسة مجلس قيادة الثورة، ثم رئاسة الوزارة، ثم رئاسة الجمهورية وليس بعد ذلك إلا الإقالة والعزل.

وحلّ الأحزاب والإبقاء على جماعة الإخوان المسلمين الذين يظنّون أن هذا الاستثناء قربى لهم وحسن صلةٍ، وهو في الواقع حقداً، وفي سبيل إحصاء تحرّكاتهم وتصرّفاتهم، وهم المجموعة القوية شعبياً، القوية عدداً، القوية تنظيماً.

وعندما تزول القوى الرئيسية من أمامه والتي تستطيع أن تقول: لا. لا يوجد بعدئذٍ من يقول له: لا، أو يقف في وجهه. وعندما يختلق أحداثاً أو يدّعي أشياء ضدّ من يُريد لا يوجد هناك من يُكذّبه، وأجهزة الإعلام بيده، والمتزلّفون يُؤمّنون على أفعاله، ويصفونها بالإلهام.

٢ ـ إبعاد الإخوان عن الضباط الأحرار كي لا يكون لهم عليهم أي أثرٍ، وكل ما يدّعيه ضدهم يُصدّق من قبل رجال الثورة، وقد رأينا كيف أبعد عبد المنعم عبد الرؤوف قبل ثلاثة أشهرٍ من قيام الحركة. وإذا استطاع شراء بعض عناصرهم التي في الجيش فهو أمر مطلوب، ويُسعى له، وقد فعل، وتمكّن من إغراء بعضهم.

٣ ـ العمل على التفرقة بين الإخوان، وضرب مجموعةٍ بأخرى لإضعافهم، وإمكانية القضاء عليهم. وقد حرص على ضرب المرشد بالنظام الخاص الذي يرأسه عبد الرحمن السندي على الرغم من عدم محبته للسندي والشكوى السابقة منه، ويُمكنه استعمال طرق الإغراء بالمناصب لبعض هؤلاء

ما دام الأمر قد أصبح بيده. وقد تمكّن من بعض النجاح عن هذه الطريق. فقد أخرج أحمد حسن الباقوري من الجماعة بتسليمه وزارة الأوقاف. وهيّأ صالح العشماوي لاستلام منصب المرشد العام، وسلّم إبراهيم الطحاوي رئاسة هيئة التحرير، وأعطى مجدي حسنين مديرية التحرير، وترك له حرية العمل بالرشوة. واستقدم نجيب جويفل من بيروت وأعطاه جواز سفر، وكلّفه بمهمة التفرقة بين الإخوان في البلدان العربية ليكون بمنزلة المرشد العام. وقد استجاب هؤلاء لأطماعهم، ومشوا في الطريق التي رسمت لهم.

والغريب أن جماعة الإخوان حتى الآن لم تأخذ عبرةً من هذه الدروس، ويعود السبب في ذلك إلى أن أفرادها لم يعترفوا بهذه الأخطاء، وإنما يجدون الأعذار والمبررات، وما دامت لا توجد أخطاء فالأمر صحيح وليس هناك من عبرةٍ، وإلى الآن لا يوجد في الجماعة جهاز لحماية أفرادها والسهر على أمنها لذا فكل يتصرّف بما يُرشده إليه فكره دون رقابةٍ ولا مُحاسبة، ورُبّما وُجد مثل هذا الجهاز في بعض الأوقات في بعض الأمصار ولكن لم يُمارس صلاحياته فبقي مُعطّلاً كأن لم يوجد. كما لا يوجد في الجماعة مكتب استشاري، يُشير على المسؤول الأول، ويُقوّم أعماله لذا كانت تصدر تصريحات وخاصةً في الآونة الأخيرة غير مُوفّقة تُظهر ما يجب ستره، وتستر ما يجب إظهاره، بل تحدّث بعضهم عن أوائل حياته وقال: إنه رقص، وإنه مارس كل شيءٍ سوى الزنا والخمر، وهذا أمر ستره الله عليه، فيجب ستره لأنه يُقلّل من هيبة الرجل ويُضعف من شأنه، ولم ينصحه أحد من إخوانه ولم ينتقده أحد من جماعته، فالجماعة كأنها معصومة فلا أخطاء، ولذا لا توجد عبرة نستفيد منها، وتقوم العصبية الحزبية التي لا يقرّها أحد، ولو تكلّم أحد وأراد النصح أجابه بعض صغار العقول: إن للجماعة علماءها وهم على معرفةٍ، ويُمكنهم التقويم وإسداء النصح عند الحاجة إليه فما حدث صحيح، ولا يمكن أن يصدر إلا صحيح لأن علماء الجماعة قد عرفوه وأقرّوا ذلك، فيصل بذلك إلى العصمة ولا يدري ما يقول سوى العصبية، وصحيح أنه توجد مجالس شورى في أكثر الجماعات الإسلامية القائمة لكنها لا تُمارس ما يجب مُمارسته وإنما يظن أعضاؤها أن مُهمّتهم قانونية فقط ومناقشة بعض الجوانب وخاصةً السياسية منها.

وزارة محمد نجيب:

وفي شهر ذي الحجة من عام ١٣٧١هـ (أيلول ١٩٥٢م) استدعى جمال عبد الناصر إلى مكتب قيادة الثورة حسن عشماوي، وأبلغه عن تضايق مجلس قيادة الثورة من رئيس الوزراء علي ماهر، وقد اتّخذ قراراً للتخلّص من علي ماهر وإسناد رئاسة الوزارة إلى اللواء محمد نجيب، وأن يشترك عدد من الضباط الأحرار في هذه الوزارة، وأن يكون سليمان حافظ نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وأن يشترك الحزب الوطني أيضاً بوزيرين، ويرغب مجلس قيادة الثورة أن يشاور الإخوان المسلمين في هذا الموضوع.

وتمّ اللقاء بين حسن الهضيبي وجمال عبد الناصر، وقد دعا جمال عبد الناصر الإخوان إلى الاشتراك بالوزارة بثلاثة وزراء، وفي حالة عدم الرغبة في الاشتراك ترشيح أشخاص للوزارة، وكان يرى جمال أن يكون وزراء الإخوان: أحمد حسن الباقوري، وحسن عشماوي، ومنير دلّة.

اجتمع مكتب الإرشاد وقرّر عدم الاشتراك بالوزارة غير أنه قد رشح بعض العناصر لها مثل عبد العزيز علي، وأحمد حسني، وقد تسلّما مناصب وزاريةً فعلاً، غير أن جمال عبد الناصر قد استطاع إقناع أحمد حسن الباقوري بالخروج عن قرار مكتب الإرشاد وقبول وزارة الأوقاف، وكان أن قدّم استقالته من الإخوان كلياً، وهكذا بدأت الإغراءات، وبدأت عوامل التجزئة تظهر. وحاول كمال الدين حسين إقناع الجماعة بالعدول عن قرارها غير أنه لم يُفلح، وعدّ جمال عبد الناصر هذا التصرّف خلافاً بينه وبين الجماعة.

وما مرّت أربعة أشهر من العام الجديد ١٣٧٢هـ حتى بدأن الأحداث تتلاحق وتزدحم إذ بدأ كل طرفٍ ـ بالسرعة ـ لإنجاز ما خطّط له.

هيئة التحرير:

صدر قرار بحلّ الأحزاب السياسية، ولم ينل هذا القرار الإخوان المسلمين على أنهم جمعية إصلاحية دينية وليسوا حزباً سياسياً، وقد قصد هذا القرار إزالة العقبات من وجه جمال عبد الناصر للتفرّد بالسلطة، وإزاحة كل منظمةٍ يُمكن أن يصدر منها نقد للحاكم الوحيد، إذ يُمكن بعدها تأسيس جماعةٍ

يعتمد عليها في دعم سلطانه وتقوم بتنفيذ مآربه، وتُحقّق له كل ما يرغب، وتُهيّيءُ السبيل لذلك.

قام جمال عبد الناصر بجولة في الوجه القبلي تهيئةً لتأسيس جماعته بإبراز شخصه بالاحتفالات وتسليط الأضواء على زعيم مصر الصاعد إلى القمة بالهتافات، وطلب من الإخوان قبل الزيارة تهيئة الاستقبال الشعبي له حيث يرتحل، وقد قاموا بالفعل، غير أن هذا قد كان مُنغّصاً له ولهم. إذ كانت تُثيره هتافاتهم الخاصة بدعوتهم، على حين كان يُريد أن يكون كل شيءٍ مُوجّهاً له ولمصلحته الخاصة التي يُريد منها الآن ظهوره في المجتمع بمظهر الزعيم المنقذ والرائد المصلح. وأحسّ من داخله وبكل جوارحه أنه لا يُمكن وجود جوادين في آنٍ واحدٍ، فإما هو وإما جماعة الإخوان، لذا يجب البدء بالتخطيط للقضاء عليهم والخلاص منهم.

وكان الإخوان قد ظنّوا عندما صدر القرار بحلّ الأحزاب السياسية واستثنى الإخوان إنما يُراد لهم خير غير أنهم شعروا الآن أن ذلك القرار قد استبقاهم ليكونوا مطيةً يرتقي عليهم جمال عبد الناصر، لذا يجب الحذر، ولم يقوموا بتقويم تلك المرحلة التي اجتازوها ويعترفوا بما وقعوا فيها من زلاّت وإنما أوجدوا لأنفسهم التبريرات واعتقدوا أن كل ما قاموا به كان صحيحاً.

رجع جمال عبد الناصر من رحلته، وصدر الأمر بتشكيل هيئة التحرير لتكون القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الحكم، وأسرع إليها المُتزلّفون وانضمّوا إليها، وهرع نحوها أصحاب المصالح، وانضووا تحت لوائها، وأصبحت تمثّل قطاعاً كبيراً من الشعب، وأُسندت رئاستها إلى إبراهيم الطحاوي.

ومن الأمور التي يجب ملاحظتها أنه تشكّل في سوريا في هذه الآونة حزب سياسي يحمل الاسم نفسه «هيئة التحرير» ويتزعّمه رئيس جمهورية سوريا العسكري أديب الشيشكلي ومن المعلوم أنهما يسيران في فلكٍ واحدٍ، وقد جرت محاولات للتنسيق بين الهيئتين.

وأصبحت جماعة الإخوان المسلمين تُمثّل بالنسبة إلى جمال عبد الناصر

وإلى هيئة التحرير الجماعة الضرار، ولا بدّ من إزالة إحدى الهيئتين، ولا شكّ فإن جماعة الإخوان المسلمين هي الي ستزول بصفتها المعادية لحاكم البلاد العسكري، وبصفتها الهرمة نسبياً، على حين أن هيئة التحرير شابة وضخمة الإمكانات ما دامت تضمّ مجموعة الحكم وبيدها الإغراءات من مناصب ومراكز و. . . ولكن الواقع غير ذلك فالإخوان المسلمون جماعة مُنظّمة تحمل فكراً وتُمثّل عقيدةً يُؤمن بها أكثر المجتمع المصري على حين أن هيئة التحرير منظمة تضم أصحاب المصالح الذين يتفرّقون عنها ويبتعدون منذ أوّل أزمةٍ إذ لا يمكن لفردٍ من أعضائها أن يُضحّي في سبيل لا شيء، وهو قد وُجد في موقعه لمصلحته فقط فإن زالت مصلحته فلا داعي لوجوده أساساً، وهذا ما حدث فقد زالت هيئة التحرير وعفى عليها الزمن ونسيها الناس، ولا تزال جماعة الإخوان المسلمين قائمةً.

رأى جمال عبد الناصر لإزالة جماعة الإخوان المسلمين دمجها في هيئة التحرير فتذوب شخصيتها، ويزول تميُّزها، ويتوزّع أعضاؤها في المراكز والمناصب، وتطلّعاتهم والإغراءات التي توفّرها السلطة لهم.

اتصل جمال عبد الناصر بحسن عشماوي وأرسل إليه إبراهيم الطحاوي ليطلب منه العمل على دمج جماعة الإخوان المسلمين في هيئة التحرير، وقد جعل هذا الطلب تحت شعار كاذب «توجيه الهيئة والإشراف عليها»، ويحمل هذا الطلب في طياته الإغراءات الواسعة إذ يُظنّ توجيه السلطة واستلام الأمر وهذا ما تمّ الاتفاق عليه عند التخطيط للقيام بالحركة العسكرية. وطلب جمال عبد الناصر في الوقت نفسه تحديد موعد للقاء. وتمّ اللقاء في دار عبد القادر حلمي وحضره من جانب الإخوان: حسن عشماوي، صالح أبو الرقيق، فريد عبد الخالق، منير دلّة، عبد القادر حلمي، محمود عبد الحليم، وحضره من جانب الضباط: جمال عبد الناصر، عبد الحكيم عامر، كمال الدين حسين، عبد اللطيف البغدادي، صلاح سالم، أنور السادات، وأحمد أنور «قائد البوليس الحربي». ورفض الإخوان هذا الدمج، وهذا أمر طبيعي إذ من المستحيل الموافقة عليه لأن الهدف منه معروف وهو إذابة كيان الجماعة ضمن إطار هيئة التحرير. وبعد الرفض أجابهم جمال عبد الناصر: إنكم عصاة. وإن

جرى نقاش حول هذه العبارة إلا أن القصد من إلقائها هو الإيذان ببدء الخلاف، والإشعار بأن كل طرفٍ يسير في طريق.

المفاوضات مع الإنكليز:

كانت إنكلترا تعتقد أن الحركة التي حدثت في مصر كانت مُشاركةً بين جماعة الإخوان المسلمين وجماعة الضباط الأحرار، وكانت الحركة مُوجّهةً ضدّ انكلترا بالدرجة الأولى ولما أحسّت بشيءٍ من الخلاف بين الطرفين المشاركين في الحركة وفي السلطة اليوم، فكّرت زيادة الخلاف وكسب طرفٍ من هاتين الجماعتين إليها، وهذا الطرف هو الإخوان طبعاً رغم كرهها الشديد للإخوان بل حقدها الدفين عليهم وعلى دعوتهم، كما أن الإخوان لا يقلّون كرهاً لها عن كرهها لهم، والطرف الثاني وهو الضباط الأحرار مرتبط مع منافستها في الاستعمار الولايات المتحدة الأمريكية على حين أن الإخوان لا ارتباط لهم بأية جهةٍ من الجهات، فإذا استطاعت كسب ودّ الإخوان مرحلياً، وانتصرت بهم فقد رجعت إلى مركزها وتسلّطها على مصر، وإن حدث قتال بين الطرفين واتهامات، وإن مجرّد الاتصال بالإخوان سيحدث هذا، فإن المجموعتين تضعفان ويمكنها إعادة نفوذها عن طريق رجالها الذين لم تزل لهم قوة، وإن انتصر الطرف الثاني وهو رجال الثورة من الضباط فإنها تكون قد تخلّصت من أحد العدوّين، ولن يكون أسوأ ممّا حدث فقد تزعزعت أركانها في مصر. وربما تكتفي بإشاعة هي أن الإخوان عملاء فإن لم يشعر أحد أشاعته هي ونشرت ما تمّ من لقاءات بينها وبينهم.

وكان مجلس قيادة الثورة العسكري يرى ضرورة التفاهم مع إنكلترا للجلاء عن قناة السويس، وإن لم يتّم ذلك عن طريق التفاوض والتفاهم فليس هناك من حلّ سوى العودة إلى الجهاد.

اتصل محمد سالم الذي له علاقة بالسفارة الإنكليزية نتيجة علاقته بها كمستشار في إحدى المؤسسات مع صالح أبو الرقيق ونقل له رغبة السفارة الإنكليزية بالالتقاء ببعض المسؤولين من الإخوان، فأبلغ صالح أبو الرقيق المرشد العام حسن الهضيبي بهذا الخبر، فكلّف المرشد العام كلاً من منير دلّة

وصالح أبو الرقيق بالالتقاء مع «إيفانز» المستشار الشرقي للسفارة، وطلب منهما الاستماع دون إبداء الرأي، كما كلّف في الوقت نفسه حسن عشماوي لإبلاغ عبد الناصر بهذا الخبر.

أوضح «إيفانز» للإخوان أن إنكلترا أصبحت على قناعةٍ تامةٍ بضرورة الجلاء خلال سنتين على أن تكون هناك علاقة بينها وبين مصر بعد الجلاء، ونقل الإخوان هذا الحديث إلى المرشد فكلّف صالح أبو الرقيق بكتابة محضرٍ عن اللّقاء وإرسال نسخةٍ منه إلى جمال عبد الناصر.

وتمّ لقاء بين المرشد و «إيفانز» في بيت المرشد بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ (٩ شباط ١٩٥٣م)، واتصل المرشد إثرها بجمال عبد الناصر، وحدثت لقاءات في بيت منير دلّة. وضرب موعد للقاء جديد في ٨ جمادى الآخرة ١٣٧٢هـ (٢٢ شباط ١٩٥٣م) بين المرشد و «إيفانز» في منزل المرشد، وأُبلغ جمال عبد الناصر بالموعد فحضر قبل يومين من الموعد فأُعلم ثانيةً بأن الموعد مع «إيفانز»، ورأى جمال عبد الناصر ألاّ تكون هناك مفاوضات قبل أن يكون هناك اتفاق تام مع الإخوان.

وجاء الموعد المحدّد، وأتى «إيفانز» إلى بيت المرشد، وعرض العرض نفسه الذي عرضه على صالح أبي الرقيق ومنير دلّة.

وتمّ لقاء بين جماعة الإخوان ومُمثّلي مجلس قيادة الثورة في منزل منير دلّة بتاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٣٧٢هـ (٢٥ شباط ١٩٥٣م) حضره عن جماعة الإخوان: حسن الهضيبي المرشد العام، وحسن عشماوي، وصلاح شادي، وصالح أبو الرقيق، وعبد القادر حلمي، ومنير دلّة، وحضره عن مجلس قيادة الثورة: جمال عبد الناصر، عبد الحكيم عامر، كمال الدين حسين، صلاح سالم. وفي اللّقاء أبدى جمال عبد الناصر بُعد إمكانية التوجّه نحو المعسكر الشرقي، ولكن التوجّه نحو الغرب أمر طبيعي يفرضه الواقع وتُحتّمه الظروف، وما يمنع إبقاء قاعدة الإسماعيلية بيد الإنكليز، ولكن يجب تحديد عدد المُشرفين الإنكليز فهم عشرة آلاف، ويرى المصريون ألا يزيد ذلك العدد على خمسة آلاف. وكذلك يُوافق ـ على عودة الإنكليز إلى القاعدة في حالة قيام

حربٍ فعليةٍ في بلاد تقع في خط الدفاع الأوّل عن مصر مثل تركيا، وليس كما يعرض الإنكليز في حالة وجود خطر قيام الحرب.

يبدو من هذا الكلام الذي طرحه جمال عبد الناصر وهو يحوي الخطوط الرئيسية التي قامت عليها اتفاقية الجلاء فيما بعد أن هناك مُشاورات بين السفارة الإنكليزية في القاهرة وبين مجلس قيادة الثورة المصري إذ كان الإنكليز يتحرّكون على محورين، ففي الوقت الذي كانوا يُفاوضون الإخوان المسلمين كانوا يتشاورون مع مجلس قيادة الثورة حيث كانوا يرغبون في مسك أطراف الخيوط كلها بأيديهم أو أنهم عندما وجدوا تشدّداً من المرشد حسب رأيهم إذ طلب من «إيفانز» الجلاء مباشرة دون شروط، وأنه إذا أرادت إنكلترا قيام علاقةٍ طيبةٍ مع مصر فإن ذلك لا يكون إلا بجلائها عن قناة السويس. فلما رأت السفارة الإنكليزية ذلك اتّجهت إلى مجلس قيادة الثورة لعلّها تجد تجاوباً أكثر أو مرونةً أفضل، فوجدت تساهلاً لم يكن يخطر على بالها. وأغلب الظن أن الولايات المتحدة كانت وراء عملية التفاهم بين قيادة الثورة وإنكلترا فكل طرفٍ حليف لها في جهة قيادة الثورة في مصر، وإنكلترا في حلف الأطلسي ولكل مصلحة في الجهة التي يرتبط فيها.

ولكن جمال عبد الناصر مُمثّلاً لمجلس قيادة الثورة كان يُخفي ما يدور في السرّ بينه وبين الإنكليز، ويمكر بالإخوان، ويُخطّط لضربهم والتخلّص منهم، بينما كان الإخوان من باب حسن النية أو إن شئت تسمّيها غفلةً يذكرون كل شيءٍ مُباشرةً لجمال عبد الناصر، ويُعلمونه ما يُريدون طرحه وموعد اللقاء، ويظنّون أن هذا يُبرّر لهم تلك اللقاءات المريبة إذا لا يحقّ لهم الاتصال بدولةٍ أجنبيةٍ ما داموا لا يُمثّلون جهةً رسميةً، ويعتقدون أن إخبار السلطة مُتمثّلةً بجمال عبد الناصر يُبرّر لهم ذلك غير أن جمال عبد الناصر كان يستفيد من هذا كثيراً فيحتفظ به وما يؤكده من وثائق ومحادثات لإبرازها وقت الحاجة، الوقت الذي يُريد فيه ضرب الإخوان فيُبرز هذا للناس ويُبرهن على أنهم كانوا على صلةٍ رسميةٍ بدولة أجنبيةٍ ولديه الدليل، ولا يستطيع أحد أن يُكذبه، بل لا يستطيع أن يقول له: إنك كنت على علمٍ بكل تفصيلات الموضوع وخُطوةً خُطوةً فوسائل الإعلام بيده وليس في مصر فوقه أحد، ولا يُسمع سوى صوته،

وهذا ما حدث فعلاً. لقد أصبحت الوثائق بيده وبخطّ صالح أبو الرقيق، والمكالمات مُسجّلة بينه وبين حسن الهضيبي، كما أنه على علمٍ بموضع الأسلحة التي خبّأها بيده في عزبة والد حسن عشماوي وبناءً على رأيه وتوجيهاته بل وصُنع المخزن حسب تخطيطه وكل هذه مستمسكات بيده، ويدين بها الإخوان وسيستعملها وقت الحاجة إليها. ولكن - مع الأسف - لا يزال الإخوان على موقفهم لم يعترفوا بهذا الغلطة التي وقعوا فيها، إذ ليس لهم الحقّ بالاتصال بأية سفارةٍ ما داموا لا يحملون الصفة الرسمية، مهما كانت قوّتهم ومهما كان دورهم في الثورة، ومهما كانت شعبيتهم، لذا لم يأخذوا العبرة مما حدث، وهم على وضعهم الذي كانوا فيه يوم ذاك. مع اعتبار التراجع بالنسبة إلى مرور الزمن.

وفي ١٣ شعبان ١٣٧٢هـ (٢٧ نيسان ١٩٥٣م) تشكّل وفد المفاوضة المصري برئاسة اللواء محمد نجيب وعضوية كلٍّ من جمال عبد الناصر، وصلاح سالم، ومحمود فوزي، وحامد سلطان، وعلي حسن زين العابدين. ولما رأت إنكلترا التساهل من الطرف المصري تشدّدت في مطالبها من مصر الأمر الذي أوقف المفاوضات في ٢٧ شعبان ١٣٧٢هـ (١١ أيار ١٩٥٣م)، وجاء في اليوم نفسه «جون فوستر دالاس» وزير خارجية الولايات المتحدة لزيارة مصر.

كانت الولايات المتحدة ترغب في الاتفاق بين مصر وإنكلترا لجلاء إنكلترا عن قناة السويس وإنهاء وضعها في مصر، ولم تكن ترغب في الصدام، وكان اللواء محمد نجيب قد طلب من الرئيس إيزنهاور رئيس الولايات المتحدة في ربيع الأول ١٣٧٢هـ (أوائل عام ١٩٥٣م) مساعدات عسكرية ومالية، فأجاب بموافقة الولايات المتحدة على ذلك إذا ما تمّ الاتفاق بين مصر وإنكلترا، وقد رأينا أن المفاوضات قد بدأت ولكنها تعثّرت وتوقّفت، ثم استؤنفت في ١١ ذي القعدة ١٣٧٣هـ (١١ تموز ١٩٥٤م)، واستمرّت ستة عشر يوماً، حيث انتهت بوساطة الولايات المتحدة التي قدّمت لمصر أربعةً وأربعين مليون دولار أمريكي، وثلاثة ملايين دولار أيضاً هديةً شخصيةً لرئيس الدولة، وجاء مندوبان لتزويد مصر بالسلاح الذي يحتاج له الأمن الداخلي. ووُقّع على الاتفاقية نهائياً

في ٢٢ صفر ١٣٧٤هـ (١٩ تشرين الأول ١٩٥٤م)، وقد انتقد الإخوان هذه الاتفاقية لأنها زادت في رباط قناة السويس بإنكلترا بدلاً من أن تنهيه، وذلك لأن إنكلترا كانت مُلزمةً بالجلاء عن قناة السويس حسب اتفاقية عام (١٩٣٦م) قبل أقلّ من عامين من تاريخ توقيع الاتفاقية الأخيرة، أما الآن فلها الحقّ في العودة إليها في حالة اعتداءٍ على أية دولةٍ عربيةٍ أو على تركيا، كما أن رأي الإخوان أن معاهدةً كهذه يجب أن تُعرض على مجلسٍ منتخبٍ. ويجب أن نُلاحظ هنا نقطةً رُبّما يقول بعضهم: كيف تُنافس الولايات المتحدة الأمريكية إنكلترا وفي الوقت نفسه ترغب في عقد اتفاقية بين مصر وإنكلترا بل دفعت أموالاً في سبيل تنفيذ هذه الاتفاقية؟ والأمر واضح فإن الولايات المتحدة قد أخرجت إنكلترا من مصر، وبقيت القناة ـ مرتبطةً في المعسكر الغربي ككل، وقابل جمال عبد الناصر انتقاد الإخوان بالتنكيل بهم.

انتقاد الإخوان للثورة:

كان الإخوان ينتقدون الحكم العسكري لما فيه من تسلّطٍ واستبدادٍ، والحكم من قبل فردٍ أو على الأقلّ من قبل مجموعةٍ قليلة العدد ورُبّما لا خبرة لها في السياسة، لذا كانوا يرفضون حلّ التنظيمات السياسية والأحزاب ولو استثناهم القرار من ذلك، فهم يعملون لمصلحة الأمة لا لمصلحة أنفسهم ولا يُفكّرون في العصبية الحزبية والمكاسب الخاصة. وكانوا يدعون إلى إجراء انتخاباتٍ عامةٍ والعودة إلى الحياة النيابية، وهذا لا شكّ يُخالف رأي العسكريين الذين يُريدون أن يستأثروا بالسلطة، ويُطالب الإخوان بتحديد موعدٍ لإعلان الدستور، غير أن العسكريين لن يرضوا بهذا لأنه يحدّ من تسلّطهم واستبدادهم.

وكان الإخوان ينتقدون الحفلات التي تُسمّى بالترفيهية والتي تُقام في المعسكرات والتي كان يُقيمها وجيه أباظة وأمثاله.

وانتقد الإخوان اتفاقية الجلاء، كما سبق أن ذكرنا، وقد هاجم حسن دوح زعيم الإخوان في الجامعة هذه الاتفاقية بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٧٣هـ (٢٧ آب ١٩٥٤م)، وفي اليوم نفسه هاجم جمال عبد الناصر الإخوان بمقرّ هيئة التحرير.

تخطيط جمال عبد الناصر للصراع:

إن لجمال عبد الناصر دوراً عليه أن يُؤدّيه لغيره، وهو تأمين مصالح الذين دعموه، وهذه المصالح تكاد تكون ثابتةً للولايات المتحدة، ورُبّما كان أهمها: التمكين لليهود في فلسطين، وتأمين قواعد للمعسكر الغربي في نقاطٍ مُهمّةٍ فيما يُسمّونه بالشرق الأوسط، ومحاربة الإسلام وضرب التنظيمات الإسلامية الحركية وخاصةً الإخوان المسلمين، وخنق الشيوعية. وكذلك فإنّ لجمال عبد الناصر دوراً يُؤدّيه تجاه نفسه فهو يُريد الزعامة بل لا يمكن أن يعمل في أي مجال يكون فيه الرجل الثاني بل لا بدّ من أن يكون دائماً الرجل الأول بل الرجل الذي يأمر فلا يُخالف، ويتكلّم فلا يُناقش، وهذه ميزات أهّلته ليكون موضع الاختيار في الدور الذي سيؤدّيه والمُهمّة التي ستقع على عاتقه، وهي مُهمّة صعبة، ولكن إمكانات الرجل كافية، وطموحه وميزاته مناسبة.

لقد أدّى جمال عبد الناصر الخُطوة الأولى، وحلّت الولايات المتحدة الأمريكية محلّ إنكلترا في مصر، وأخذ يستعدّ لتنفيذ المراحل الثانية لمُهمّته الشخصية والعالمية.

عندما خطّط أو خُطّط له كان عليه أن يستغلّ جماعة الإخوان المسلمين وقد فعل، وعليه الآن أن يتخلّص منهم. فما أن انتهى من المرحلة الأولى ووضع رجله على أول درجةٍ من السلّم حتى أخذ يُفكّر في الثانية وهي التخلّص من جماعة الإخوان المسلمين ومن ضربهم. فبدأ بإخبارهم أن هناك مجموعتين: مجموعة الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين ولكلٍّ لها طريقها ومنهجها لتبدو التفرقة من بداية الطريق، فقال لحسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين: إننا لم نتفق على شيءٍ، وعندما زاره صلاح شادي ومنير دلّة، وطلبا منه عرض القوانين على الإخوان قبل إصدارها أجابهما: لا نُريد وصايةً من أحدٍ. وعندما رفض الإخوان إذابة كيانهم في هيئة التحرير قال لهم: إنكم عصاة، وعندما دعاه حسن الهضيبي إلى تطبيق الشريعة أجاب: إن الثورة قد قامت ضدّ الظلم الاجتماعي، والاستبداد السياسي، والاستعمار الإنكليزي لا لتطبيق الشريعة، إذن فالمنهج مُتباين، والفكر مُغاير.

إن جمال عبد الناصر لا يستطيع أن يُنزل الضربة بجماعة الإخوان المسلمين ما دامت هناك فئات أخرى، وما دامت كلمة لم تزل بين كلمات، فهناك الملك ومجلس الوصاية، وهناك محمد نجيب، وهناك الأحزاب، فأخذ يُزيل عقبةً بعد عقبةٍ. حلّ الأحزاب بعد الثورة بستةِ أشهرٍ، وأزال النظام الملكي بعد أقلّ من سنةٍ في ٤ شوال ١٣٧٢هـ (١٦ حزيران ١٩٥٣م)، فلم يبق إلاّ محمد نجيب والإخوان فلا بدَّ من مُناورات ليرى بأيّهم يبدأ.

وجّه اهتمامه ضدّ جماعة الإخوان المسلمين، وحاول أن يفرّق بينهم، وتمكّن من فصل أحمد حسن الباقوري، وكيل الجماعة بإدخاله في وزارة محمد نجيب، وكان يلتقي مع عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص رغم كرهه له، ويحرّضه على المرشد العام وعلى القيادة، ويعمل على إبعاد حسن الهضيبي فيُشيع الشائعات ضدّه بأنه غريب عن الجماعة ـ والواقع أنه كان من الجماعة ومن بين أعضائها غير أن منصبه قد اقتضى في المدة الأولى أن يكون بعيداً عن الجو العام ـ وهذا بناءً على اتفاق بينه وبين حسن البنا. ويُرشّح صالح العشماوي لتولّي منصب المرشد العام حقداً لا حُبّاً، وأخيراً رشّح النظام الخاص صالح عشماوي ليكون مرشداً، وقامت محاولة في ٢١ ربيع الأول ١٣٧٣هـ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣م) لاحتلال المركز العام من قبل الفئات التي تريد التغيير، لإجبار الهضيبي على الاستقالة، وكانت النتيجة أن فُصل من الجماعة: عبد الرحمن السندي، وصالح عشماوي، وأحمد زكي، وأحمد عادل كمال، وأحمد عبد العزيز جلال، ومحمد الغزالي، ومحمود الصباغ، وسيد سابق وعدد من الإخوان. ومع ما في هذا الحادث من فاجعةٍ إلاّ أن الإخوان قد تماسكوا واستمرّت الدعوة، وعُيِّن يُوسف طلعت مكان عبد الرحمن السندي مسؤولاً عن النظام الخاص.

وأرسل جمال عبد الناصر شاباً يُدعى نجيب جويفل إلى البلدان العربية ليقوم بالدور نفسه في التفرقة بين الإخوان بعد أن كسبه إلى صفّه باستقدامه من بيروت، وكان قد فرّ إليها خِلسةً بعد اتّهامه في مقتل حامد جودة، وقدّم له جواز سفرٍ رسميٍّ وأكرمه. وقد تمكّن نجيب من أداء مُهمّته وخاصةً في

سوريا[1]، واضطر حسن الهضيبي يومذاك من السفر إلى سوريا ولبنان في ٢٧ ذي القعدة ١٣٧٣هـ لحلّ هذه المشكلة غير أنه لم يُفلح، ووقع الخلاف في سوريا أو بالأحرى قد استمرّ إذ كانت رغبة نجيب جويفل إبعاد مصطفى السباعي عن قيادة العمل، والتفّ حول نجيب لفيف من الشباب الطامحين، وشكّل منهم نظاماً خاصاً، وأراد ربطه بمصر بحجة أن العمل في البلدان العربية كلها مرتبط في مصر، وذلك ليكون الارتباط بعبد الرحمن السندي أو نائبه أحمد زكي، وجاء المرشد، وأنكر هذا، وقال: كل بلدٍ عربي قد اختار تسميةً خاصة للمسؤول عن التنظيم، فمصر اختارت المرشد العام، واختارت سوريا، والأردن، والكويت والسودان المراقب العام، واختارت لبنان أمير الجماعة، واختارت العراق رئيس جميعة إنقاذ فلسطين. ولكل بلدٍ ظروفه الخاصة، فلا يصحّ أن يتحمل التنظيم، في بلدٍ ما يحدث في البلد الثاني، ولكن الفكر واحد، والتعاون قائم، غير أن نجيب لم يسمع لأنه لا يرغب أن يسمع إذ في نفسه شيء يُريد أن يُحقّقه، واستمرّ الخلاف أو بالأحرى الانشقاق، كما استمرّت هذه الفكرة، كل يُريد أن يُفسّرها كما تروق له، واستمرّ لكل بلدٍ تنظيمه حتى كان المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية في عام ١٣٨٢هـ، برئاسة عصام العطار من سوريا، ولمّا اقترح التنظيم السوري أن يكون التنظيم في البلدان العربية كلها واحداً كانت مصر أوّل المعارضين وكذلك العراق، والسودان. ولما عاد النشاط للتنظيم المصري بعد وفاة جمال عبد الناصر رأى القادة الجدد في التنظيم أن يكون لهم نفوذ على بقية البلدان العربية، وحدث نتيجة ذلك انشقاق في سوريا. وهذا أمر غريب إذ أن دعوة الإخوان تقوم على المناداة بتطبيق الإسلام، ومن مبادئ الإسلام التي لا يجهلها أحد أن الخليفة لا يُشترط فيه أن يكون من مكان دون مكانٍ، على حين أنهم يفرضون على تنظيمات البلدان العربية أن يكون المسؤول «المرشد» ـ ويُمثّل الخليفة ـ من مصر.

وعندما فشل جمال عبد الناصر بالإيقاع بين الإخوان بالشكل المطلوب

---

(١) يراجع في هذا الموضوع إلى الجزء العاشر من هذا الكتاب في الباب الأول ـ الفصل الثالث.

استدعى محمد فرغلي لإغرائه ففشل معه، وأصدر بعدها قراراً بتاريخ ١١ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٥٤م) بحل جماعة الإخوان المسلمين.

ووجد الحظّ قد حالفه فبدأ الضغط على محمد نجيب حتى أجبره على تقديم استقالته إلى مجلس قيادة الثورة، وقبلت في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (٢٥ شباط ١٩٥٤م)، غير أن الضغط الشعبي كان كبيراً إضافةً إلى ما بدا على العسكريين من تذمّرٍ، وخاصةً ضباط الفرسان، وذلك أن كمال رفعت، وحسن التهامي قد قبضا من نفسيهما على محمد نجيب ونقلاه إلى مقرّ سلاح المدفعية، وبعد حركة ضباط سلاح الفرسان في ٢٤ جمادى الآخرة التقى مجلس قيادة الثورة وورد عزم أكيد على تدمير سلاح الفرسان، ولكن تغيّر في الوقت نفسه، وصدر قرار عودة محمد نجيب، وعودة الحكم المدني.

وفي اليوم التالي ٢٥ جمادى الآخرة أُعيد محمد نجيب إلى مناصبه رئيساً للجمهورية، والوزارة، ومجلس قيادة الثورة، ولكن جمال عبد الناصر قد احتفظ لنفسه بالحاكم العسكري.

وفي اليوم الثاني ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (١ آذار ١٩٥٤م) تظاهر الشعب وفرح بعودة الرئيس محمد نجيب، وكان الإخوان من المؤيّدين لهذه المظاهرات والمشاركين فيها، وكان عبد القادر عودة بينهم، وخرج محمد نجيب ليردّ على المتظاهرين، فرأى عبد القادر عودة فدعاه ووقف إلى جانبه، وقال محمد نجيب في خطابه ذاك: «إننا قرّرنا أن تكون الجمهورية نيابيةً، وعلى أساس أن نبدأ فوراً بتأليف جمعيةٍ تأسيسيةٍ تمثّل كافة هيئات الشعب المختلفة لتُؤدّي وظيفة المجلس النيابي موقتاً، وتُراجع مواد الدستور بعد أن يتمّ وضعها، وبعد ذلك تعود الحياة النيابية إلى البلاد، وفي مدةٍ أقصاها المرحلة الانتقالية وهذا مُتّفق عليه، ونحن عند وعدنا الذي قطعناه على أنفسنا، من أننا لم نقم إلا لإعادة الدستور على أساسٍ سليمٍ في نهاية فترة الانتقال.

وفي ٢٨ جمادى الآخرة قامت سلطات الشرطة العسكرية «البوليس الحربي» باعتقال ١١٨ رجلاً، منهم ٤٥ من الإخوان المسلمين، و ٢٠ من

الاشتراكيين، و٥ من حزب الوفد، و٤ من الشيوعيين بتهمة أنهم يُريدون إحداث فتنةٍ مُستغلّين الفرحة بعودة محمد نجيب، وكان من بين الإخوان: حسن الهضيبي، وعبد القادر حلمي، وصالح أبو الرقيق و... وكان جمال عبد الناصر قد ظنّ أنّ لعبد القادر عودة دوراً فيما قاله الرئيس محمد نجيب إذ كان بجانبه الأمر الذي زاد من حقده على الإخوان.

وفي ٢١ رجب ١٣٧٣هـ (٢٥ آذار ١٩٥٤م) أُعلن أن مجلس قيادة الثورة لن يُؤلّف حزباً، وليس هناك من حرمان أحدٍ من الحقوق السياسية، وأن مجلس قيادة الثورة سيحلّ في ٢٤ ذي القعدة ١٣٧٣هـ (٢٤ تموز ١٩٥٤م)، وستنتخب الجمعية التأسيسية انتخاباً مُباشراً، وستنتخب هذه الجمعية رئيس الجمهورية وفي هذا اليوم أُفرج عن الإخوان المعتقلين جميعاً، وزارهم جمال عبد الناصر في بيت المرشد، وفي اليوم التالي عاد الإخوان إلى النشاط. وبعد أربعة أيّامٍ أيّ في ٢٥ رجب خرج عمال وزارة الزراعة في سيارات هيّأتها لهم الوزارة وبتشجيع منها، وكانوا يهتفون في الشوارع، لا أحزاب، ولا حزبية، ولا انتخابات ولا جمعية تأسيسية، وبنى جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة على هذا أن الشعب لا يريد مجلساً نيابياً ولا إجراء انتخاباتٍ لذا فقد حدث تراجع عما سبق أن أُعلن، وبقي مجلس قيادة الثورة يُمارس صلاحياته وكذا الحاكم العسكري جمال عبد الناصر.

وكانت بعد ذلك قد بدأت حرب النشرات التي كان يُصدرها الإخوان يُندّدون فيها باتفاقية الجلاء، ويُبيِّنون عُوارها.

وفي ٢٧ ذي القعدة خرج حسن الهضيبي إلى سوريا ولبنان لإصلاح ما حدث من خلافٍ ولم يُوفّق، ورجع بعد غيابٍ دام ستةً وعشرين يوماً.

محاولة اغتيال جمال عبد الناصر:

اقتنع جمال عبد الناصر أنه لا بدّ من إنزال ضربةٍ قاسيةٍ بالإخوان المسلمين، ودُبّرت تمثيلية، وأُخذ محمود عبد اللطيف أحد عُمّال الإخوان إلى المكان المعدّ ليكون ساحة التمثيلية، وبينما كان جمال عبد الناصر يُلقي خطاباً أُطلقت عليه النار فوقع أرضاً، ثم قام ليُلقي خطاباً حماسياً وكان ذلك في ميدان

المنشية في الإسكندرية بتاريخ ٢٩ صفر ١٣٧٤هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٥٤م) فأُلقي القبض على محمود عبد اللطيف وقيل: إنه هو الذي أطلق النار مُحاولاً اغتيال جمال عبد الناصر. واستنكر كثير من الناس هذا الأسلوب، وعُدّت الحادثة حقيقيةً فليس هناك من مصدرٍ سوى من خطّط لهذه الحادثة ورسم خطوطها وقام على تنفيذها.

وفي ٦ ربيع الأول ١٣٧٤هـ (١تشرين الثاني ١٩٥٤م) شُكّلت محكمة عسكرية برئاسة قائد الجناح جمال سالم، وقُدّم للمحكمة عدد من المتهمين وفي طليعتهم: يوسف طلعت، رئيس النظام الخاص، وصلاح شادي قائد تنظيم رجال الشرطة «البوليس»، وعبد المنعم عبد الرؤوف قائد التنظيم العسكري. وكانت النتيجة أن أعدم ستة من الإخوان وهم: يوسف طلعت، وعبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، وهنداوي دوير، وإبراهيم الطيب، ومحمود عبد اللطيف، وقضت المحكمة بسجن المئات وأكثرهم من كبار الإخوان، وقضى بعضهم عشرين سنةً في السجن، وتوسّط عدد من زعماء المسلمين لتخفيف الحكم فلم يُجدِ ذلك، ونُفّذ الحكم، وخرجت مُظاهرات في أكثر أمصار العالم الإسلامي تُندّد بالظلم والتسلّط والحكم الاستبدادي وجمال عبد الناصر، وهذا ما زاد من حقد حاكم مصر. وانطلقت وسائل الإعلام تُطلق الشائعات، وتفتري الكذب على الإخوان، وقدّم لها جمال عبد الناصر ما ادخره في جعبته، مخزن الأسلحة الذي صنعه بنفسه والمفاوضات التي كان على علمٍ بها، وحيكت من هذين الموضوعين قضايا واتهامات لا حصر لها.

وتعرّض الإخوان عامةً لمحنةٍ قاسيةٍ داخل السجون بنفوسهم وأجسامهم وخارج السجون بأسرهم، ومسّهم ضُرّ شديد، وحدثت أحداث يندى لها الجبين، وسكت الإخوان على آلامهم وجراحهم، واستمرت المحنة أكثر من عشر سنوات، وما كادت تنفرج حتى أعقبتها محنة ثانية، وقدّم الإخوان فوجاً جديداً من الشهداء الأبرار.

كان سيد قطب قد أُلقي في السجن في المحنة الأولى ١٣٧٤هـ، وقضى عشر سنوات، وقوّم ما حدث، وأحسّ أنه كان هناك توسّع أُفقي في التنظيم، ويجب أن تتكوّن قبل ذلك قاعدة صلبة يقوم عليها هيكل البنيان التنظيمي،

ونظر في المجتمع وتطلّعاته، ولمح الجاهلية الحديثة بكل أبعادها، واتجه إلى مُنطلقاتٍ جديدةٍ وأخذ يُدوّن بعض أفكاره، فكانت الأجزاء التي صدرت من كتابه «في ظلال القرآن» في السجن تختلف عما كان قد صدر منها قبل السجن، كما صدر له كتاب «معالم في الطريق» فكان له أثره في الناس وخاصة الناشئة منهم، وأخذ يُفكّر في أسس بناءٍ تنظيمي جديدٍ، وخرج من السجن عدة أشهرٍ، ثم أعيد، ورأى المتسلّطون والجاهليون خطراً في هذا الرجل عليهم، بل كان هذا رأي أعداء الإسلام من قبل، فحُبكت مُؤامرة لقتله، واتُّهم أنه يعمل لتغيير الأوضاع القائمة بالقوة، ونُفّذ فيه حكم الإعدام بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ (١ آب ١٩٦٦م) مع مجموعةٍ من إخوانه، رغم وساطاتٍ كثيرةٍ من زعماء العالم الإسلامي ومنهم: عبد السلام عارف الرئيس العراقي الذي لقي حتفه بعد هذه الوساطة، واستمرّت محنة الإخوان أو تجدّدت، غير أن الرئيس المصري كان قد بلغ أوج جبروته، وبدأت بعدها تتوالى هزائمه ويتعاقب فشله، وأحسّ موجّهوه أن دوره قد انتهى، ولم يعد قادراً على تأدية مُهمّاتٍ أخرى، وكان من مُخطّطاتهم أن تدخل قضية فلسطين مرحلةً جديدةً، وتتقدّم خُطوة أُخرى بالنسبة إلى مسؤولي جيرانها، ويجب أن يرحل هذا الصديق الذي خدمهم ثمانية عشر عاماً، وكان أن أخذ الزئبق يدخل في طعامه، ومات فجأة مُرهقاً وهو يستقبل أو يودّع حاكم الكويت.

الصراع مع الشيوعيين:

برز الرئيس جمال عبد الناصر مُؤيِّداً ومُؤيَّداً للمعسكر الغربي ومنه، وخاصةً الولايات المتحدة، وقد أدخل نفوذها إلى مصر وأحلّه محلّ النفوذ الإنكليزي، وأخذ يُؤدّي دوره المرسوم له ضمن دائرة طموحاته وحبّه الشديد للزعامة وإرضاء غروره بها. غير أن ذلك قد بدا واضحاً وضوحاً صارخاً كاد يُفقده إمكانية تأدية الدور الواجب عليه عمله. كما أن استبداده وجبروته وتعلّقه بالوصول إلى القمة فجأةً قد أبغض الناس فيه وأكرههم له، وكم خرجت مُظاهرات في كثيرٍ من الأمصار الإسلامية تُندّد بالظلم والاستبداد وخاصةً أن بعضها قد أُزيح عنه شيء من الكابوس الذي كان يجثم عليه من ضغط الاستعمار، وظلم المسؤولين فيه، والأحكام العرفية التي سادت أثناء الحرب

العالمية الثانية وبعدها، ورأى بصيصاً من نور فانطلق يطلب المزيد من الضوء، ويعمل للزحزحة قليلاً من تحت ما وضع فوقه، فلما شعر أن ركاماً ثقيلاً وعبئاً غليظاً قد جيء به ليوضع فوق كاهل أبناء مصر ويخشى أن يلحقه منه أذى، أو يُصيبه شرر منه انطلق يُحاربه ويهتف بسقوطه. فكان على الموجّهين أن يخرجوا الرئيس المصري من الهوة التي كاد يسقط فيها، وأن يُمهّدوا له الطريق ليصل إلى هدفه ويُوصل إليهم ثمن ما قدّموه إليه.

وتجرّع المسلمون المرّ من الاستعمار الغربي إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها ويكفي ذكر ما أصابهم منه في فلسطين وكشمير، ويكفي جلوسه على صدور المسلمين في كثير من أمصارهم وكأنّهم بهذه الجرعة الشديدة المرارة قد نسوا ما لحقهم من مُنافسة الاستعمار الشرقي في بلاد القفقاس، وتركستان، وبلاد التتار، وكأن الشدّة القائمة تُنسي السابقة أو لا يذكر الإنسان إلا معاناته الحالية، لذا فكان كل من يتعاون أو يُفكّر في ذلك أو يلقى تأييداً ودعماً من تلك الجهة فقد حُكم عليه بالإعدام من قبل الشعب، ولما كان الارتباط سافراً بين جمال عبد الناصر والمعسكر الغربي لذا كان لا بدّ من وضع قناعٍ يُخفي تلك الحقيقة ويُغطّي بشاعتها. وإذن يجب إدخال الرجل في دور التجميل وإخراجه للناس من جديدٍ في ثوبٍ قشيبٍ ـ حسب تفكيرهم السياسي ـ.

كان العدوان الثلاثي، وكانت كراهية الناس شديدةً لدول العُدوان من قديم: استعماراً، وعقيدةً وظلماً، وسوءاً، واتجهوا لمحاربة تلك الدول، واضطروا للانضواء تحت لواء الذي يرفع شعار محاربتها أو من وضعته الظروف رمزاً لقتالها، فكان جمال عبد الناصر بطل الحرب المتوّج وإليه تتجه الأنظار لذا رُشّح لتمثيل هذا الدور وهو التوجّه نحو المعسكر الشرقي، حتى التحق به العامة، وكانوا بالأمس يُحاربونه، وتركوا خصومه وكانوا البارحة معهم، وغدا أعداؤه خصوم الأمّة ـ حسب التصور الجديد ـ ويُرسل مندوبه من قريب إلى الشام فلا يوجد من يستقبله واليوم تحنّ إليه نفوس الشاميين.

ويُعلن توجّهه إلى المعسكر الشرقي لأخذ السلاح فيُصبح كلامه شعاراتٍ لإنصاف المتعلّمين وأصحاب الغايات الذين يُريدون مُعاداة الحركة الإسلامية خصمهم التقليدي.

ولكن الزعيم المصري لا يُمكنه أن يُقدم على عملية التأميم التي قد تُؤدّي إلى حربٍ إلاّ إذا ضمن الموقف الدولي المتمثّل بالولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وإذا كانت الولايات المتحدة مضمون موقفها ولكنها غير مستعدةٍ في هذه الظروف للدخول في حرب مع الاتحاد السوفيتي أو شنّ حرب عالمية، لذا يجب ضمان موقف الاتحاد السوفيتي ليكون منسجماً مع موقف الولايات المتحدة وهذا يستدعي أيضاً التوجه نحو الاتحاد السوفيتي، ولكن لا يمكن أن يكون التوجّه هكذا مُباشرةً، ودون مُقدّماتٍ أو أسبابٍ، ومن الدواعي لذلك أن يكون الأمر دولياً، ولا تعدم الدول الكبرى أسباباً تجعل لصنائعها مجالاً للتحرّك لتخدم مصالحها وتُحقّق أغراضها وتُنفّذ لها مُخطّطاتها. فقد سحبت الولايات المتحدة وإنكلترا في ١١ ذي الحجة عام ١٣٧٥هـ (١٩ تموز١٩٥٦م) تعهدهما بتمويل السدّ العالي، وأعلن ذلك البنك الدولي، وأسرع الاتحاد السوفيتي ليُعلن استعداده لتمويل السدّ العالي وبنائه، وانطلت اللعبة، وبدأت العلاقة تتوطّد مع الروس، وأعلن جمال عبد الناصر في ١٧ ذي الحجة قرار تأميم قناة السويس وظهر الأمر طبيعياً ـ حسب اللعبة الدولية ـ إذ كان ردّ فعلٍ من الرئيس المصري، ولمّا كانت الولايات المتحدة وإنكلترا تمثّلان المعسكر الغربي، فتكون ردّة الفعل بالتوجّه نحو المعسكر الشرقي، وبدا للناس استقلالية الرئيس المصري ووطنيته وإخلاصه، وتتابع مسلسل اللعبة الدولية فقام ردّ الفعل الغربي، وشنّت إنكلترا وفرنسا غارةً على القاهرة في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٦هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٥٦م) على أنهما من أصحاب أسهم قناة السويس، وحدث العُدوان الثلاثي، وانطلق الشعب المصري يعمل على ردّ المعتدين ويقف وراء رئيسه، وأخذت وسائل الإعلام تُشيد بالرئيس الملهم، والوطنية، والزعامة... وتدخّل الرئيس الأمريكي والرئيس السوفيتي، وأُنذرت دول العدوان الثلاثي بإنهاء القتال وتوقّف. وخرج جمال عبد الناصر مُنتصراً أمام الشعب، وبلغ أوجه القوة وليس هذا في مصر بل وفي البلدان العربية جميعها، وربما تعدّى ذلك إلى كثيرٍ من المسلمين خارج بلاد العرب إذ لم يعرف الشعب شيئاً عن خفايا السياسة الدولية، وما يجري خلف الأستار.

وتبسّمت الولايات المتحدة الأمريكية لدقّة إخراج اللعبة فقد بدا كبير

أنصارها أنه من أعوان المعسكر الشرقي أو على الأقلّ قد تخلّص من ربقة النفوذ والاستعمار الغربي، وهذه هي اللعبة السياسية: أن يبدو المرء على غير حقيقته يتحرّك نحو اليمين ويُشير إلى الشمال.

وهلّل الشيوعيون بالتوجّه نحو الروس، وهتفوا لجمال عبد الناصر بهذا الحدث العظيم، ورحّبوا بوصول النفوذ الروسي إلى مصر، ودخل الخبراء الروس لإقامة السدّ العالي، وأبدوا إعجابهم بتقدّميّة جمال عبد الناصر بضرب الحركة الإسلامية، وتجاوزه لآثار الرجعية في الأمة غير مبالٍ بما تُعشعش في عقول الناس من أفكارٍ وآراءٍ رجعيةٍ، وقد زال أمامهم الخطر الإسلامي الذي يعدّونه عدوّهم الأول الذي يسبق الإمبريالية بأشواطٍ طويلةٍ.

ليس معنى ذلك أن الاتحاد السوفيتي بعيد عن اللعبة الدولية أو أنَّ ساسته مغفّلون لدرجةٍ لم يُدركوا حقيقة جمال عبد الناصر وما يحدث على الساحة المصرية، نعم يُدركون كثيراً من الحقائق ولكن رضوا بما يحصلون عليه من ربحٍ في وضع أقدامهم على أرض مصر، ودخول رجالهم إليها كخبراء وصلتهم مع أنصارهم مُباشرةً، وتوجّه الشعب نحو الروس خلف الرئيس، وإذا كان الرئيس ميؤوس منه إلاَّ أنَّ الشعب لا يُدرك ما يدور في الخفاء، ويظنّ أنَّ الروس أصدقاء له كما يُردَّد، وهذا غاية ما يأمل به سدنة الكرملين.

ويبدو أن الشيوعيين قد غالوا في هذا النصر الذي أحرزوه بعد أن رأوا الخبراء الروس يصلون إلى مصر، والأسلحة الروسية تتدفّق على مصر، وتمادوا في تمجيد الرئيس المصري حتى خاف جمال عبد الناصر من طغيانهم، وخافت الولايات المتحدة من أن يتسرّب الدخان إلى الهشيم دون رؤيةٍ واضحةٍ، حتى سدنة السياسة الروسية قد خشوا أن يتعلّق الشيوعيون في مصر بجمال عبد الناصر، وأن ينقلب عندهم الفكر الشيوعي العالمي إلى شيوعيةٍ وطنيةٍ. وكان على الولايات المتحدة أن تُوجّه للحدّ من النشاط الشيوعي وتُخوّف منه، وكان على جمال عبد الناصر أن يضغط، وكان على روسيا أن تُؤكد على الأفكار الشيوعية التي تتبنّاها.

وضغط جمال عبد الناصر على الشيوعيين، وكبح جماحهم، وارتاحت

الولايات المتحدة لهذا التصرّف، وصحا الشيوعيون من سكرتهم، وأحسّوا أن جمال عبد الناصر ليس إلاّ صديقاً مُؤقّتاً، وأنه في الواقع بعيد عن الفكر الشيوعي بل وعدوّ له. وارتاحت موسكو لهذا أيضاً إذ بعُد أنصارها عن جمال عبد الناصر، وتُريد منهم أن يتربّوا في المحن وتحت الضغط لينشأوا حاقدين على مجتمعاتهم. وأعلن جمال عبد الناصر أنه صديق للروس، وأنه من دعاة السلام (الذي ينادي به الروس) ولكنه على خلاف مع الشيوعيين في مصر وسوريا ولا يقبل منهم تصرّفاتهم السياسية والاجتماعية وذلك كي لا يُتّهم في دينه من قبل أعدائه. غير أن الشيوعيين لا يُريدون هذا فقط ولا يقبلون إلا أن يكون المرء منهم مُحارباً للأديان، عدوّاً للأوطان، لذا فهم عملوا ضدّ مشروعاته، وعندما أُعلنت الوحدة بين مصر وسوريا وقف الشيوعيون ضدّها، وخرج خالد بكداش الزعيم الشيوعي السوري من سوريا، وقبض عبد الحميد السراج المتصرّف في سوريا باسم جمال عبد الناصر على فرج الله الحلو، وأذابه في حمض الكبريت المكثّف. وظهرت الغيوم في جوّ العلاقات الودية بين جمال عبد الناصر والشيوعية، وكان الخط البياني لسياسة الرئيس المصري قد بدأ ينزل، وحدث الانفصال بين مصر وسوريا، وتجرّأ الناس على الهجوم على شخصه، وتورّط في اليمن، وبدأت تظهر حملات إعلامية ضدّه.

أراد جمال عبد الناصر أن يعود ثانيةً إلى دغدغة حلف وارسو والاتحاد السوفيتي والشيوعية، فزار موسكو ومنها أعلن إعدام سيد قطب فابتهجت موسكو رضىً عن ذلك التصرّف وإن لم ترض عن جمال عبد الناصر ولا عن سياسته، وصفّقت واشنطن بكل ارتياحٍ، غير أن نزوله استمرّ، وجاءت حرب ٢٧ صفر ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) فأنزلته من مكانته، وأخذ يُعالج موقفه، ويُحاول تضميد جراحه من غير جدوى، وجاءه الأجل المحتوم.

ومن المعلوم أنه لم يكن في هذه المرحلة صراع بين الأحزاب لأنه لم يوجد سوى حزب واحد هو حزب الرئيس جمال عبد الناصر سواء سُميّ حركة التحرير أم الاتحاد القومي أم الاتحاد الاشتراكي حسب المراحل التي مرّ فيها.

المرحلة الثالثة

مات جمال عبد الناصر فجأةً، وكاد يحصل صراع على السلطة لأن نواب الرئيس لم تكن لهم بالواقع سلطة، وإنما كانوا أسماء من غير مُسميّات، لأن شخصية جمال عبد الناصر كانت تطغى عليهم، ولم تترك لهم مجالاً للعمل، كما أن الخوف منه كانت تجعلهم يسمعون ويُطيعون بل ويُحنون رؤوسهم، فقد تخلّص من أصدقائه، وأحبّ الناس إليه، وممن خدموه في العسر واليسر وأظهروا له الخضوع، ومجّدوا فيه الرجولة، وقضوا حياتهم في رفعه والعمل على تعظيمه، فقد انتهى جمال سالم، ولا نعرف كيف قضى نحبه، وانتهى صلاح سالم كأخيه، وعُزل كمال الدين حسين، وعبد اللطيف البغدادي، وحسين الشافعي من غير سببٍ، وفرضت على علي صبري الإقامة الجبريّة دون داعٍ لها، ونُحر عبد الحكيم عامر وقالوا: انتحر، وأُقصي خالد محيي الدين، وهؤلاء الذين عاونوه، وهم الذين نهضوا بالعبء معه، وتحمّلوا سوء تصرّفاته، وحموه في الشدّة، ووقفوا في وجه خصومه وهم يعلمون أن صاحبهم مُخطئ، ومن رأى العبرة بغيره فليعتبر، وكان قد بقي من جماعته الكبار أنور السادات، وعلي صبري، وزكريا محيي الدين لذا كانوا قوى سكوت فلّما مات جمال عبد الناصر برز الذين كانوا الأداة المُنفّذة له والأيدي الباطشة بأمره من مخابراتٍ وأجهزةٍ خاصةٍ مثل: شمس الدين بدران، وسامي شرف، وصلاح نصر، وشعراوي جمعة، ومحمد فائق و. . .

مات جمال عبد الناصر وقد خلّف وراءه تركةً ثقيلةً تتمثّل في نقطتين:

١ ـ رهبة شديدة من السلطة نتيجة الظلم الذي لحق بالشعب عامةً وبالإخوان المسلمين خاصةً حتى لم يعد أحد يجرؤ على قول الحقيقة. وأصاب الذلّ الناس، وهذا ما يهدف إليها المستبدّون.

٢ ـ فقر مدقع نتيجة الإجراءات التي اتخذها ومنها ما أطلق عليه الاشتراكية، حتى كره الناس هذا الاسم ومن يحمله رغم رفعه شعاراً والمناداة به أحياناً بسبب الخوف ومسايرة الحاكم فيما يقول.

جاء أنور السادات ليُؤدّي المهمة مهمّة التمكين لليهود، والتي يجب دفعها خُطوةً نحو الأمام، إذ أصبح جمال عبد الناصر في أواخر أيامه عاجزاً عن دفعها بسبب الفشل الذي مُني به والهزائم السياسية التي أصابته، ورأى أنور السادات أنه عاجز عن معرفة رأي الشعب بسبب ما حلّ به أيام جمال عبد الناصر من خوفٍ فهو يقول ما يُريد الرئيس لذا قرّر أن:

١ ـ يُعطي الحرية، ويسمح بقيام الأحزاب السياسية، ويُفرج عن المعتقلين السياسيين فقد كانت السجون تغصّ بهم، وتمتلئ خاصةً بالإخوان المسلمين.

٢ ـ طرد الخبراء الروس والتوجّه إلى الولايات المتحدة صراحةً مع الإبقاء على كلمة الاشتراكية. وفتح المجال أمام التجار والذين يُريدون العمل خارج مصر.

وتأمّل أن تؤدّي هذه السياسة إلى المصارحة مع الشعب، ودفع العجلة للاعتراف بدولة اليهود في فلسطين.

ولكن لا يستطيع أن يسير في هذه الطريق قبل أن يتخلص من منافسيه والذين بدؤوا في الصراع معه ما داموا يحملون شرف الانتماء إلى تلك الثورة التي هدّت كاهل مصر بالديون، والأعباء، والتضحيات، وقتل الكثيرين من السكان وإذلال من بقي، وهم من رجالها ومن مساعدي بطلها جمال عبد الناصر.

لقد استطاع أنور السادات أن يكسب الجولة على منافسيه، وأن يقبض على رؤوسهم: علي صبري، وشعراوي محمد جمعة، ومحمد فوزي، وسامي شرف، ومحمد فائق، وشمسي بدران، وصلاح نصر. وأصبح سيد الموقف، ولا منافس له، ولا منازع فقد انتهى أصحاب شرف الانتماء إلى الثورة وبقي فريدهم، وحامل مشعلها. وإذا بقي ضابط آخر هو حسين الشافعي فوضعه في

ظله نائباً له في رئاسة الجمهورية لكن لم يكن سوى صورة، وكان من قوى السكوت.

استطاع أنور السادات إخراج منافسيه من ساحة الصراع إذ قبض عليهم يوم ٢٠ ربيع الأول ١٣٩١هـ (١٥ أيار ١٩٧١م)، فشعر الناس بالراحة إذ وجدوا ركائز الظلم تتهدّم وقواعد الاستبداد تُدكّ، القاعدة تلو الأخرى، وكسب السادات شيئاً من المحبة.

وأفرج عن المعتقلين السياسيين فخرج الآلاف من الأقبية، ورأوا النور وخاصةً الإخوان المسلمين فأحسّ الناس بشيءٍ من الحرية، وإن كان الحذر يشوب كل حركةٍ إذ لا يزالون يتصوّرون الإجرام السابق، ويرون في الرئيس الجديد شريكاً للرئيس السابق فيخشونه، ومع ذلك فقد شعروا بقليلٍ من الانفراج، وإن كان الخوف لا يزال قائماً فسيّد الموقف اليوم أحد طغاة الأمس.

وطرد الخبراء الروس، وسار مُتوجّهاً نحو الغرب، واستقبل الناس هذا بابتهاجٍ لعلهم يحصلون على لقمة العيش التي حرمتهم إياها الاشتراكية والدعوة إليها، ولقي التأييد ونال محبة جزءٍ من الناس، وهم غالباً الذين أجاعتهم الاشتراكية وأذلّتهم.

وطرح فكرة الحرية، وأعطى الضوء الأخضر لقيام الأحزاب، وسمح بإنشاء الصحف والمجلات فلقي هذا سروراً من الشعب، وظنّوا أن الضوء سينبلج، وينتهي الظلام فاكتسب شيئاً من الشعب على الرغم مما يقوم به المحتكرون، وما تعيشه البلاد من ضائقةٍ إذ نسوا هذا أمام ما يحصلون عليه، والذي طال انتظارهم له، ويعدّونه أملاً لهم.

ودخل الحرب مع اليهود حرب رمضان، وأخذ الدعاية بالنصر في الأيام الأولى التي غطّت على الأيام التالية، كما كانت الدعاية الواسعة من شتّى الجهات كفيلةً أن تُغطّي على كل ما أتت به الأيام التي تلت العبور لقناة السويس، واجتياز خط «بارليف» بل كفيلة بأن تُغطّي على أضعاف ما حدث. كما ابتهج الشعب في مصر بإعادة افتتاح قناة السويس.

ومن هذه الأعمال التي قام بها حصل على كل من كان يريد إذ ربح الجولة على منافسيه، وسبقهم فقبض عليهم، وبقي السيد الوحيد، وارتفع في أعين شعبه، وغداً يمكنه أن يتصرّف بما يرغب وخاصةً أن منافسةً أصبحت بين الأحزاب التي أوجدها، فهي حديثة النشأة ويريد قادتها الحصول على مركزٍ ممتازٍ في البلد ليتمكّنوا من الحكم، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإنه منذ مدةٍ لم يحدث نشاط يُمارسه الشباب، ولم تُعط الحرية منذ وقتٍ طويلٍ لممارسة هذا النشاط فاندفع الشباب، كما يتسابقون إلى الخروج في المنتزهات في يوم مشمسٍ من أيام الربيع جاء بعد أيامٍ مطيرةٍ وقت عطلةٍ.

وقبل أن يخطو الرئيس المصري خطوته المطلوب منه أن يسيرها جعل صراعاً في مصر يقوم بين الأحزاب أولاً ثم بين الأديان، أما الأحزاب وإن أخذت في محاولةً لمنافسة الحزب الحاكم وهو الحزب الوطني الديمقراطي إلا أنها محاولة يائسة، فالحزب الحاكم بيده السلطة أي بيده المناصب والوظائف، والمصريون يجاملون السلطة كثيراً، ويتودّدون لأصحاب المناصب أكثر، ولربما كان الضغط الكثير الذي قاسوه هو الذي جعل هذه العادة متأصّلةً في نفوسهم، ولربما كان الفقر والحاجة هما اللذان يدفعانهم لهذا السلوك، وإذا كان للسلطة اعتبار يُقوّم بين ٦٠ ـ ٧٠٪ في بلاد العالم فإن هذا الاعتبار يصل في مصر إلى أكثر من ٨٠٪. ثم هناك قانون الانتخابات الذي يجعل للحزب الحاكم تفوّقاً دائماً، وهذا ما يبقي السلطة بيده باستمرار، ويشجع الناس للتزلّف له وإظهار التأييد والانخراط في صفوفه وطلب العضوية. وأما الأديان فقد رغب الرئيس المصري أن يُشجّع الأقباط ويُهدّد بهم المسلمين بأن الحركات الإسلامية فيما إذا بقيت على إصرارها بالمطالبة بتطبيق الشريعة وإظهار الشدّة فإن الأقباط سيتحرّكون، ويطلبون إبعاد الشريعة وسيحدث انشقاق في الصف الوطني لذا يجب على المسلمين أن يكونوا على درجة من اللين والتعقل، وقد أخذ يدعو إلى لقاءات يحضرها علماء من المسلمين وبطارقة الأقباط ويستمع من كلا الطرفين، ويغمز أحياناً بالمسلمين كلما سنحت له الفرصة، ولم يكن هذا التصرف في مصلحته أو مصلحة مصر حسب زعمه إذ نلاحظ أن الأقباط قد بدأوا ينشطون في مناطق تجمعهم وخاصةً في الوجه القبلي في «أسيوط، والمنيا،

ثم بني سويف» غير أن هذا النشاط القبطي قد قابله نشاط إسلامي في المناطق نفسها، وربما أدّى هذا إلى احتكاكٍ وانقسامٍ على حين لو ترك الأمر على حالته الطبيعية لم يُفكّر الأقباط بأي شيءٍ فهم يعيشون في أمنٍ واستقرارٍ وطمأنينةٍ واحترامٍ منذ أن دانت مصر بالإسلام سنة عشرين للهجرة حتى يومنا هذا، وهذا ما يُطالَب به أتباعه في معاملة أهل الذمة، وإذا حدثت بعض المنغصات في التاريخ فذلك عندما يقوى الصليبيون، ويهددون المسلمين، ويقتربون من حدودهم، ويتصلون ببعض الأقباط فيستجيبون لهم، وهذا ما تمّ أيام الحروب الصليبية، ويوم مجيء الفرنسيين والإنكليز مستعمرين وهذا ما أراد له أنور السادات أن يتمّ ليحمي نفسه من الحركات الإسلامية، غير أن الأقباط ما أن ينتهي أمر الصليبيين، ويزول خطرهم عن ديار الإسلام، أو يجلوا عن الأرض حتى يعلموا أنهم كانوا على وهمٍ، فيعودون يطلبون العفو من المسلمين فيجدونهم رحماء رغم تكرار هذه الخيانة، والأصل ألا يقبل المسلمون غدراً تكرر.

أما الحركات الإسلامية فقد كانت قبل الثورة قويةً تتمثّل بالإخوان المسلمين، وإن وجدت مجموعات أخرى فدونها، فقد وجدت جمعية الشبان المسلمين غير أنها كانت على صلةٍ وثيقةٍ بالإخوان وكذلك وجدت جمعية أنصار السنة لكن لم تكن لتختلف مع الإخوان، وهكذا يبدو الانسجام غير أنه بعد انتهاء جمال عبد الناصر ومجيء أنور السادات إلى الحكم والإفراج عن الإخوان المسلمين ظهرت الحركة الإسلامية مهيضة الجناح، فهناك انقسامات حدثت في صفوف الإخوان في بداية الثورة، ووجد علماء استزلهم الشيطان فوقفوا ضد الإخوان مسايرة لرجال الحكم تزلفاً وطمعاً في مغنم، وهناك من استطاعت السلطة شراءهم، وكان عدد منهم من رجال الأزهر المعروفين أو أصحاب المناصب البارزين، وهذا ما ضعضع الحركة. ثم كان الضغط، وكان السجن، وكان العذاب فسقط بعضهم، وإن كان أكثرهم قد ثبت وأعانه الله على الصبر وتحمّل الأذى غير أن كثيراً من الناس الذين كانوا قريبين من الإخوان قد أخافهم الأمر فابتعدوا عن الجماعة وهكذا فقدت الحركة بعض أنصارها الذين كانوا بجانبها في السابق.

وفتح أنور السادات أبواب السجون وخرج الإخوان، خرجوا بقلوبٍ ثابتةٍ غير أن بعضهم قد أثقله العذاب داخل السجن فخرج متثاقلاً، وبعضهم قد قضى مايقرب من العشرين سنةً داخل الأقبية صابراً محتسباً غير أن الزمن قد هدّ من جسمه، وحطّ السنّ من بدنه، وإن كانت الروح المعنوية عالية في أغلب الأحيان عند أكثرهم، ولكن الشباب وإن دبت الحماسة فيهم، وتحركت روح الإيمان عندهم فاندفعوا إلى العمل، غير أنهم أحبّوا النشاط تحت أجنحة القدماء الذين عرفوا فلا ضير عليهم والذين نجحوا في الامتحانات. وأراد أنور السادات أن يرصد نشاطهم من خلال تحرّكهم فسمح لهم بإصدار مجلة الدعوة أو العودة إلى إصدارها باسم صاحبها الأول رغم تركه الجماعة منذ مدةٍ ليست قصيرة المهمة كانت عنده الرصد، وعندهم الحركة، فانطلقوا في مهمتهم، وتابع تنفيذ مخططه.

رأى الإخوان ألا يبرز أحدهم لذلك اعتمدوا على تشكيل قيادة جماعية من غير أن تُعرف عند المجتمع ومن غير أن يعرف من يبايع عند قادة الإخوان في البلدان العربية، وهذه طريقة بعيدة عن الإسلام لذا فقد تعرّضوا لنقدٍ شديدٍ من هذه الناحية.

أرادت قيادة الحركة الإخوانية في مصر رغم اختفائها لفّ الإخوان المسلمين في بقية الأمصار تحت جناحها، رغم رفضهم هذه الفكرة سابقاً لأنه لكل بلدٍ مشكلاته الخاصة وأوضاعه السياسية الخاصة التي قد تعرّض الآخرين لأمورٍ هم في غنى عنها، ولم يكن الذين سبقوهم ليقرّوا هذا، وقد استبعد حسن الهضيبي ـ رحمه الله ـ هذا الموضوع كثيراً، وهذا التصرّف قد سبب انشقاق الإخوان في سوريا، وعرض الإخوان في مصر لانتقاداتٍ كثيرةٍ منها غياب المسؤول، وعدم معرفة القائد.

ونتيجة هذا النقد ظهر عمر التلمساني ـ رحمه الله ـ كمسؤول ومن بعده حامد أبو النصر وكلاهما من الذين قضوا وقتاً مديداً في السجن، وتحمّلوا الكثير، وثبتوا، ونجحوا في الامتحانات، ولكن لم يكونا بالفعل هما اللذان يقودان العمل إنما هناك أيد تحركهما وهما واجهة، ورغم فضلهما لكن ليست

لديهما كفاءة القائد[1]، إن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، من السابقين للإسلام وله من الفضل ما لغيره، وإن سعيد بن زيد من العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين وله من الفضل ما لغيره، وإذا ما تحرك جيش الجهاد يقوده خالد بن الوليد أو عمرو بن العاص رغم أفضلية ابن مسعود وسعيد بن زيد عليهما، والقاعدة الشرعية تصح ولاية الفاضل مع وجود الأفضل، وأبو بكر، رضي الله عنه، يقول: «إني لقد وليت عليكم ولست بخيركم»، ولكن يبدو أن عمر التلمساني ـ رحمه الله ـ وحامد أبو النصر قد وضعا لأنهما معروفان فلا حاجة للتعمية عنهما، وبارزان لا يحتاج الأمر للدعاية لهما كثيراً، وقد ثبتا أثناء المحنة فاكتسبا فضلاً يعرفه لهم أصحاب الفضل والإيمان أما الذين غير معروفين فيجب أن يبقوا خلف الواجهات يعملون لله، وربما ليسيران بالجماعة حسب رأيهم، ونرجو أن يكون في ذلك الخير. وإن كان يبدو على الشاشة بوضوح أن بطانة الرجلين ليست من النصحة إذ كثيراً ما صدرت تصريحات للمسؤول الأول لا تدلّ على خبرةٍ في القيادة ومعرفة في السياسة، وأمور يُحبّ ويفضل سترها، وإذا كان أغلبها يدل على إيمان وطيبٍ إلا أن بعضها يعطي خطًا في السياسة ليس صحيحاً، وبعيداً عن الوعي الإسلامي والفكر الإيماني، وأكثر هذا ما كان في السياسة، وهو الذي كان يمسّ قضية فلسطين. ولنمرّ سريعاً على بعضها: أجاب المرشد العام للإخوان المسلمين على سؤالٍ وجّهته إليه مجلة المجتمع الكويتية ضمن أسئلةٍ كثيرةٍ: هل يُؤيّد الإخوان إقامة حكومةٍ فلسطينيةٍ في المنفى، أم أن الأمر لن يضيف جديداً؟ فقال: إن أمر تكوين حكومةٍ فلسطينيةٍ في المنفى هو من شأن الإخوة الفلسطينيين أنفسهم فهم أدرى الناس بحقيقة أمورهم، ونحن نؤيد كل خُطوةٍ سليمةٍ وصادقةٍ تُعبّر عن إرادة الشعب الفلسطيني الكريم[2].

---

(١) ولم يكن اختيارهما إلا لتقدمهما في الجماعة وثباتهما، ولم أعرف مبدأ يقرر هذا الاختيار ولو صح لاختير بلال خليفة.

(٢) مجلة المجتمع:
الواقع أن قضية فلسطين قضية إسلامية، وإقامة حكومة لهم تهمّ المسلمين جميعاً وليست من شأن الفلسطينيين وحدهم، وخاصةً إذا علمنا أن الذي ينطق باسم الفلسطينيين هي منظمة التحرير وهي تنطلق من منطلقاتٍ علمانيةٍ، وليست من منطلقات إسلامية لذلك لا يمكن أن نترك لها حرية التصرف، ونسكت إن كانت هناك ضرورات للكلام.

ولننظر إلى بعض الفقرات من الرسالة التي وجهها المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر حامد أبو النصر إلى الرئيس المصري محمد حسني مبارك: لهذا يقتضينا الواجب الديني والوطني أن نتقدّم لسيادتكم ببعض المقترحات رجاء أن تجدوا فيها ما ينفع الأمة في حاضرها ومستقبلها.

أولاً: عدم الدخول في أي تحالفٍ عسكري تحت أي اسم[١]. وعدم منح تسهيلات عسكرية لأية دولةٍ من الدول[٢] لما لذلك من أخطارٍ ماحقة لا تخفى على سيادتكم.

ثانياً: عدم التورط في أي حربٍ إقليميةٍ عربيةٍ أو غير عربيةٍ[٣]، فمن الميسور أن تبدأ الحرب ولكن من العسير انتهاءها وحسبنا تجربة اليمن في الماضي، والعراق حالياً[٤].

وجاء في الرسالة نفسها في فقرة السياسة الداخلية: أما في مجال السياسة الداخلية فأود أن أعرض على سيادتكم بعض الحقائق:

أولاً: إن مصر هي زعيمة العالم الإسلامي وحاميته على مدى القرون، ومنارته عبر الأجيال، بها يهتدون، ومنها يستمدون. وفي أزهرها الشريف يتعلمون أسمى المعارف وأرقى العلوم، وإن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بالدين ويقدسون شعائره، وقامت حضارتهم القديمة منذ أكثر من سبعة آلاف عام مضى[٥]، ثم أصبح المصريون في تاريخهم الحديث حماة الأمة الإسلامية والخلافة الإسلامية ومهبط آل بيت رسول الله ﷺ. إن الصحوة الإسلامية التي تشهدها مصر الآن ليست نتوءاً بل هي تعبير صادق من صميم وجدانها أدركت هذا يا سيادة الرئيس منذ أكثر من خمسين عاماً مضت.

ويقول في الرسالة نفسها في مجال التعليم:

---

(١) أحتى لو كان التحالف إسلامياً ضدّ عدوٍ لله؟

(٢) أحتى لو كانت دولةً إسلاميةً تبغي مداهمة يهود؟.

(٣) هل لو كانت ضد اليهود، أو دعم دولة إسلامية تعرّضت لغزو اليهود؟

(٤) مجلة الشعب العدد ٣٧٦ الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ (١٧ شباط ١٩٨٧م).

(٥) هل يقول أكثر من هذا أكثر دعاة القومية المصرية تطرفاً؟

١ ـ إصلاح التعليم: فينبغي أن يتوحد التعليم في مصر حتى تتقارب ثقافات أبناء الوطن الواحد، ولا بد أن يكون التعليم في مستوى عالمي، يحفظ للأجيال المصرية قدراً من العلم لا يقلّ بحالٍ عن أندادهم في الدول الأخرى، ولا بد أن يكون التعليم تعليماً قومياً[١]، لا يضيع معه تراث الوطن وتاريخ الأمة، ولا تطغى عليه الثقافات الأجنبية كل هذا مع الحرص التام على تدريس المواد الدينية في كافة مراحل التعليم، كل بما يناسبها، بالقدر الذي ينبغي على كل مسلمٍ ومسلمةٍ أن يعلمه من أمور دينه، كما ينبغي العناية بالتربية والسلوك والعمل حتى يشبّ النشء على مبادئ الأخلاق الفاضلة الكريمة.

ويبدو أن السياسة العامة للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين قد أخذت تتجه للسير في طريقٍ لا تُرفض عالمياً إذ يمكنها أن تخضع للعبة الدولية، وتتحرّك ضمن أطرها العامة دون معرفةٍ من القواعد التي تتحرك إيمانياً فقط، ولا من شخصية المرشد العام الطيب.

إن طريقة اختيار المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر بأن يكون أكبر أعضاء مكتب الإرشاد في الماضي سناً لطريقة غريبة جداً، إذ لا تهتمّ بالكفاءة على القيادية ولا بأمرٍ آخر، وكأن القصد منها إيجاد شخص لا يستطيع الإشراف على مؤسسات الجماعة كاملة كي يتمكن أفراد من العمل باسمه من خلفه. وإنها لطريقة لا تختلف عن طريقة قانون الانتخابات المصري الذي يحرص على إبقاء الحزب الحاكم في السلطة وأخذ أصوات الأحزاب الصغيرة التي لا تستطيع الحصول على نسبةٍ معينةٍ إليه.

ولما كان قانون الانتخابات المصري لا يسمح للجماعات التي تحمل

---

(١) هل يقول دعاة العصبية القومية بأكثر من هذا؟

الواقع أن الرسالة مطلوب بعثها، واجب الإكثار منها، مفروض النصح للمسؤولين، غير أنها جاءت بفكرٍ امتزجت فيه الفكرة الإسلامية بالدعوة القومية الأمر الذي يدلّ على سطحيةٍ، وعدم وضوح في الرؤية، وعدم وجود نصحة من الإخوة الأحبة، ألا تعرض أمثال هذه الرسالة على لجنة؟، وأظن أن الهدف إظهار المرونة وعدم التمييز لقبول فكر الجماعة داخلياً وعالمياً.

صفة دين معين دخول الانتخابات والوصول إلى المجلس النيابي، وكان الإخوان يرغبون في دخول المجلس النيابي، لذا فقد تحالف الإخوان مع حزب الوفد، ودخلوا الانتخابات تحت مظلته وشعاره. وفي الدورة الانتخابية التالية تحالفوا مع حزب الأحرار بل انضم بعض أفرادهم إليه، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على عدم التميّز الإسلامي الصحيح، وعدم السعي وراء هذا التميّز.

وعندما قامت الثورة في إيران كان هناك تعاطفاً من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين نحوها بل إن بعض التنظيمات فيه مثل لبنان، وسوريا قد اندفعوا خلفها وكانوا المنافحين عنها من غير نظرٍ صحيحٍ إلى موضوع العقيدة، ثم لم يلبث التنظيم السوري أن تحالف مع العراق وبدأ حملة شعواء عليها، وهذه تنظيمات ضمن التنظيم الدولي الذي يتبع تنظيم مصر وإن لم يتغير الوضع إلى هذه الدرجة في مصر. لذا فإن وزير الداخلية المصري زكي بدر يزعم ويتهم الإخوان أنهم أتباع إيران كذباً وزوراً، ويريد الهجوم عليهم وتشبيه فكرتهم بحركة الخميني بعد أن ظهر أنها ليست إسلامية وإنما عصبية متعصبة لمذهبٍ بعيد عن الإسلام، وأنها دموية متطرفة.

هذه السلوكيات فتتت الحركة الإسلامية الواحدة في مصر وجعلتها جماعات وإن لم يكن بينها صراعات صارخة إلا أنها قائمة، وسهل على من يريد الوقوف في وجهها بعد أن كان صعباً إذ كانت كلها من قبل وراء حركة الإخوان المسلمين.

بعد إعدام سيد قطب ـ رحمه الله ـ نشأت جماعة فهمت أن المفاصلة مع المجتمع الجاهلي مفاصلة تامة وليست مفاصلةً شعورية، لذا فقد كفّرت هذا المجتمع، وانفردت برأيها وتصرفها وعُرفت باسم جماعة الهجرة والتكفير، وبرزت مدةً ثم قلّ شأنها، وعُرف زعيمها مصطفى شكري.

وفي عام ١٤٠٦هـ لما عادت جماعة الإخوان المسلمين إلى النشاط رأى شباب من الحركة عدم الانضواء تحت لوائها فالقيادة غير معروفة ولا يوثق بمجهول، ولما ظهر المرشد العام عمر التلمساني ظهر لهم أنه يُستغلّ ولا

يشرف تماماً على كافة مؤسسات التنظيم، وأن آخرين يتحرّكون من خلفه ليسوا نصحةً له ولا للدعوة، لذا فإن هؤلاء الشباب رفضوا الانضواء تحت جناح الإخوان وعملوا دون تنظيم، ثم لم يلبثوا أن أطلقوا على أنفسهم اسم الجماعات الإسلامية «تنظيم الجهاد»، وبرز منهم عمر عبد الرحمن كرأسٍ لهم - هكذا يظنّ - وقد كثر أفراد هذه الجماعة حتى ضاهوا حركة الإخوان أو بزّوهم، أو هكذا يتصوّر المراقبون.

وأصبح تجمّع خاص بالحركة السلفية أيضاً، وقد برز في الإسكندرية الطبيب محمد إسماعيل، وفي القاهرة أسامة عبد العظيم وهو أحد الأساتذة في جامعة الأزهر.

وهناك جماعة أنصار السنة التي يُشرف عليها محمد حامد الفقي، والجمعية الشرعية التي يتعهدها عبد اللطيف المشتهري، وجمعية الشبان المسلمين و. . .

كما أن هناك عدداً من العلماء الذين يرون رأي أصحاب السلطة، ويتحرّكون بتوجيههم في سبيل مراكزهم وبعض المغانم التي يأملون بها، وهؤلاء أكثر ما يُضايق الشباب.

أما صراعات الأحزاب في هذه المرحلة فتكاد تكون ضعيفة لأنّها تنصبّ بين الفئات المعارضة كلها وبين الحزب الحاكم الذي بيده السلطة، ويملك الأغلبية وهذا ما يجعل المعارضة لا وزن لها، وخاصةً أن قانون الانتخابات المصري يبقي الوضع على حاله الراهنة. وتتمثّل المعارضة في حزب الوفد الذي يرأسه فؤاد سراج الدين، وحزب الأحرار الذي يرأسه مصطفى كامل مراد، ويعمل الإخوان ضمنه، ولهم عدد من النواب في المجلس النيابي، وحزب العمل الذي يرأسه إبراهيم شكري، وإن برز مجاهد أحمد الذي يُنافس إبراهيم شكري على زعامة الحزب، وحزب التجمع الذي يرأسه خالد محيي الدين، وهناك حزب الأمة برئاسة أحمد الصباحي.

ولكن الحزب الحاكم لا يبالي بهذه المعارضة الحزبية وإنما يحسب حساباً للتجمّعات الشعبية التي تتمثّل بالدرجة الأولى في التيار الإسلامي الذي

يبرز في الجماعات التي تحدثنا عنها، وفي مقدمتها الإخوان المسلمون. ثم أخذت تظهر تجمعات ضعيفة تتمثل في الشيوعيين والناصريين ولكن لا يُؤبه بها أمام التيار الإسلامي لقلّة أتباعها.

ويبدو أن هذه الحرية الدستورية المزعومة القائمة في مصر ستتحول إلى استبدادٍ عسكري يفوقه استبدادية الحزب القائم بكثير، وهذا ما يشير إليه خطّ مجريات الأحداث.

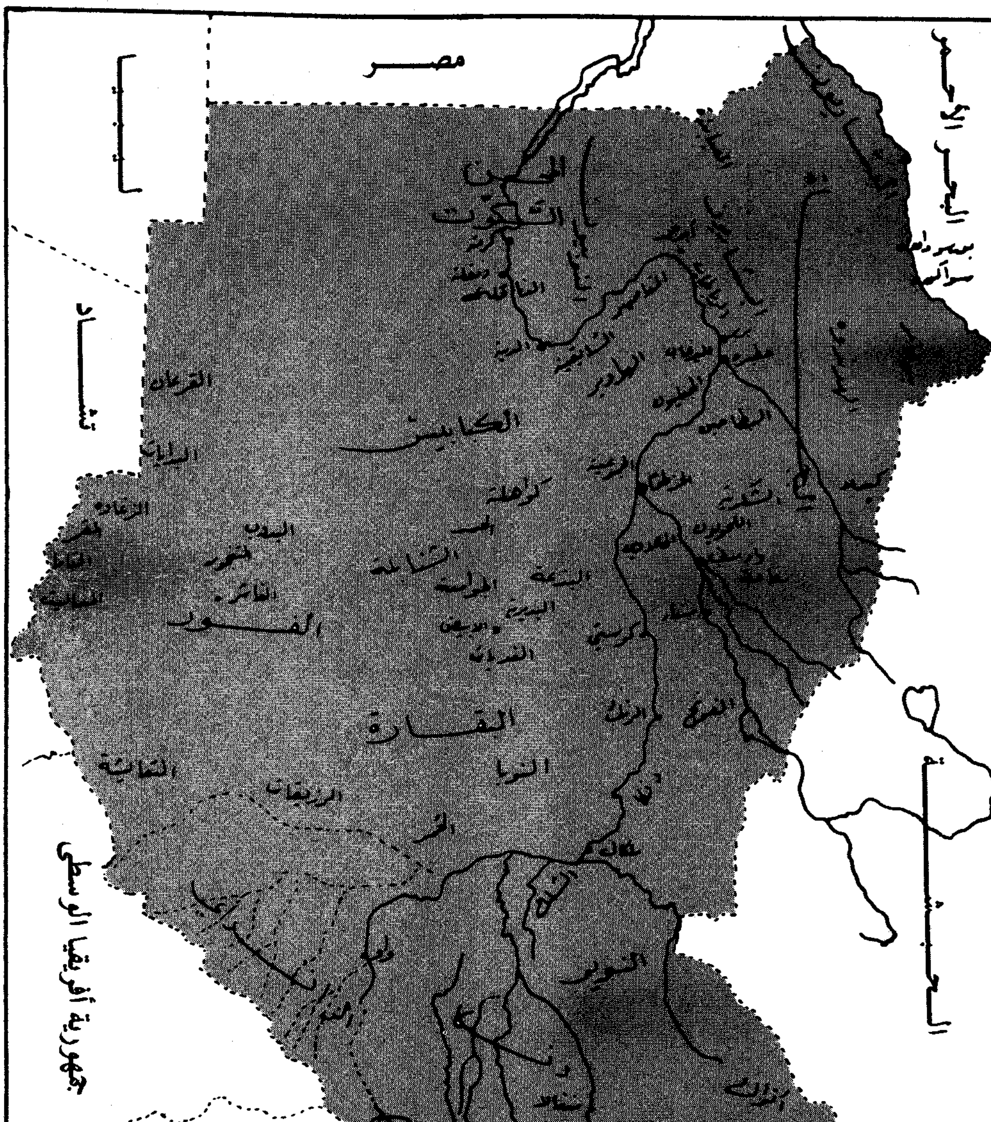
❁ ❁ ❁

المَراجع

- **الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢**، يونان لبيب رزق، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ـ أيار ١٩٧٧م.
- **الإخوان المسلمون رؤية من الداخل**، محمود عبد الحليم.
- **أسرار مجلس الوزراء**، كامل مرسي، المكتب المصري الحديث، القاهرة ـ الإسكندرية.
- **أصول الحكم ـ تاريخ مصر بالوثائق**، محسن محمد، دار المعارف ـ القاهرة.
- **البناء السياسي**، إشراف: محمد فتح الله الخطيب، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
- **الثائر الصامت**، عبد العزيز علي، دار المعارف ـ القاهرة.
- **ثورة يوليو الأمريكية**، محمد جلال كشك، الزهراء للإعلام العربي.
- **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- **سنوات ما قبل الثورة ١٩٣٠ ـ ١٩٥٢م**، صبري أبو المجد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.
- **موسوعة التاريخ الإسلامي**، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ١٩٨٨م.

الباب الثاني

السُّودان


مصر
البحر الأحمر
تشاد
الكبابيش
الفور
البقارة
جمهورية أفريقيا الوسطى
الحبشة
زائير
أوغندا
كينيا
القياس
كيلومتر

لمحة تاريخيّة
مِن احتلال إنكلترا للسّودان حتى إلغاء الخلافة

احتلّ محمد علي باشا والي مصر عام ١٢٣٦هـ منطقة وادي النيل في السودان الشمالي، وبقي حكم هذا الجزء لأسرته من بعده، وفي عام ١٢٨٧هـ عين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ضابطاً إنكليزياً يهودياً هو «صموئيل بيكر» على السودان، وأعطاه رتبة فريقٍ، وعهد إليه بفتح جنوبي السودان بما في ذلك ما يُسمّى اليوم «أوغندا» فعمل بيكر لمصلحة بني جنسه، وأهل عقيدته، ولما انتهت مدة عقده اختار إسماعيل ضابطاً إنكليزياً آخر هو «غوردن» وقد جاء هذا أيضاً إلى المنطقة لخدمة المصالح البريطانية، وعمل في أوغندا للوقوف في وجه الإسلام، وبذل جهده لاعتناق الوثنيين النصرانية، وعندما انتهى عقده كافأه إسماعيل فعيّنه حاكماً عاماً للسودان فعمل على بثّ الفوضى، وإثارة الاضطرابات، والإساءة إلى زعماء القبائل في المنطقة كي يشعر أهل البلاد بفساد الحكم المصري، ويطلبوا الانضواء تحت ظل السيطرة الإنكليزية، كما أخذ يُفرّق بين المصريين والسودانيين، وبين شمالي السودان وجنوبيه، وهذا ما حرّك مشاعر السكان، وقامت الثورة المهدية عام ١٢٩٩هـ، ونجحت في السيطرة على المنطقة.

أما المنطقة الغربية من السودان «دارفور» فكانت تحت حكم أسرة الفور، وقد تمكّن الزبير باشا من دخول المنطقة، وأنهى حكم آخر ملوكها، وقتله عام١٢٩٢هـ، وأعلن ضمّ هذه المناطق التي سيطر عليها كلها إلى الحكم المصري الذي يتبع بدوره الدولة العثمانية اسمياً، فمنحه الخديوي لقب

باشا[1]، ثم ترك ابنه سليمان وسار هو إلى مصر، وجاءت القوات المصرية بقيادة «جس» الإيطالي، فاستسلم له سليمان بعد أن أُعطي الأمان، ولكن «جس» غدر به وقتله مع سبعمائةٍ من رجاله رمياً بالرصاص، أما رابح أحد قادته فقد انتقل مع ألفٍ من أتباعه إلى منطقة تشاد حيث أسّس دولةً له هناك. وحكم المنطقة «سلاطين باشا» النمساوي الذي استسلم للمهديين عام ١٣٠٢هـ، وأعلن إسلامه.

سيطر المهديون على السودان كلها، وجاءت الأوامر الإنكليزية للمصريين بالانسحاب من السودان، وأحس المصريون خطر هذا الانسحاب ومصلحة إنكلترا فيه فرفض رئيس الوزارة محمد شريف الأوامر، واستقال، ورفض رياض باشا تشكيل الوزارة، فعهد إلى نوبار الأرمني النصراني فشكل الوزارة ونفذ أوامر الانسحاب، وتوفي المهدي في أواخر عام ١٣٠٣هـ، وخلفه عبد الله التعايشي، وجاءت على البلاد سنوات عجاف.

وتنوي إنكلترا العودة إلى السودان واحتلالها من جديد، وأخذت تستعدّ لذلك. وهُزمت إيطاليا أمام الحبشة في معركة «عدوة» في ١٧ رمضان ١٣١٣هـ (١ آذار ١٨٩٦م) فاستنجدت إيطاليا بإنكلترا وطلبت منها أن يتحرّك الجيش من الشمال من «حلفا» باتجاه السودان أو من «سواكن» على ساحل البحر الأحمر نحو الداخل ليحول دون التفاهم بين المهديين والأحباش.

وتشكّل جيش مصري تحت قياداتٍ إنكليزيةٍ من أجل إعادة احتلال السودان، وتجمّع في حلفا، وصدرت الأوامر للجيش بالتقدّم نحو السودان من المندوب السامي الإنكليزي دون علم الحكومة المصرية، فلما علمت بالخبر أبدى الخديوي غضبه لعدم استشارته غير أنه اضطر للخضوع للأمر الواقع،

---

(١) وقع الخلاف بين الزبير باشا وبين حاكم السودان المصري إسماعيل أيوب، فاستدعي الزبير إلى مصر، وترك دارفور لابنه سليمان، وسُيّر الزبير عام ١٢٩٤هـ لقتال الروس بجانب العثمانيين، ولما انتهت الحرب عام ١٣٠٣هـ عاد إلى مصر، واتهم بالتآمر مع المهديين فنفي إلى جبل طارق، وبعد عامين ونصف رجع إلى مصر، وتوفي في السودان عام ١٣٣٣هـ.

وإظهار الرضا بما تمّ إذ ليس له من الأمر شيء، وطلبت الحكومة المصرية نصف مليون جنيه من الاحتياطي العام لهذا الغرض.

قاد الجيش «كتشنر» وهو ضابط إنكليزي من سلاح الهندسة، وبلغ عدد أفراد هذه القوة عشرة آلاف مُقاتلٍ بالاستعداد الكامل، وتجمّعت القطعات في الجنوب في منطقة «حلفا»، وفي ١٩ ذي القعدة من عام ١٣١٣هـ (١ أيار ١٨٩٦م) أُعطيت له الأوامر بالتّقدم في أرض السودان، وفي اليوم نفسه حدث اصطدام بين دوريةٍ من هذا الجيش وقوةٍ من الأنصار.

وحدثت معركة «فركة» يوم ٢٦ ذي الحجة ١٣١٣هـ (٧ حزيران ١٨٩٦م)، ولم يكن عدد السودانيين لِيزيد على ثلاثة آلاف على حين كان الجيش المصري بكامله وهو عشرة آلاف، فكانت النتيجة أن قُتل ثمانمائةٍ من السودانيين بينهم قائدهم «حمودة»، وجُرح خمسمائةٍ، وأُسر ستمائةٍ، وتراجع بقية الجيش نحو «دنقلة». وجرت اتصالات سرية بين الضباط الإنكليز وأعيان «كردفان»، وزعيم الكبابيش، وعبد الله ولد سعد زعيم قبيلة الجعليين لإعادة الحكم المصري، غير أن الجيش المصري قد أُصيب بكارثة انتشار مرض الكوليرا بين أفراده.

وجد أمير دنقلة ولد بشارة أنه لا يستطيع الصمود أمام الغزاة فأخلى مدينته، ودخلها «كتشنر» دون مُقاومةٍ، ووصل إلى مدينة «مروى». ومدّ الإنكليز خطاً حديدياً على جناح السرعة بين «حلفا» و «أبو حمد»، وحاولت قوة مهدية المقاومة في «أبو حمد» غير أنها قد هُزمت أمام قوة السلاح رغم ما قدّمت من تضحيةٍ، وكذلك فقد انسحب أمير «بربر» إلى أم درمان.

وجاءت قوة من الجيش المصري من «سواكن» على البحر الأحمر، وتقدّمت نحو الداخل، وأخذت مدينة «كسلا» من أيدي الإيطاليين وذلك في ٢٦ رجب عام ١٣١٥هـ (٢٠ كانون الأول ١٨٩٧م). وانتصر «كتشنر» على قائد الجيش السوداني «محمود» في بلدة «النخيلة» على نهر عطبرة في ١٥ ذي القعدة ١٣١٥هـ (٦ نيسان ١٨٩٨م).

وتقدّم الإنكليز بجنودهم المصريين نحو الجنوب وجرت معركة «كرري»

في منتصف الطريق بين «شندي» و «أم درمان» يوم ١٦ ربيع الثاني ١٣١٦هـ (٢ أيلول ١٨٩٨م)، وقتل في هذه المعركة عشرة آلافٍ من الأنصار، من بينهم يعقوب أخو الخليفة عبد الله التعايشي، ومحمد بن المهدي. وانتقل عبد الله التعايشي إلى إقليم «كردفان».

ودخل «كتشنر» الخُرطوم، ورُفع عليها العلمان المصري والإنكليزي. وتمّ التفاهم مع الفرنسيين في «فاشودة».

وفي ٨ رمضان ١٣١٦هـ (١٩ كانون الثاني ١٨٩٩م) تمّ التوقيع على الحكم الثنائي للسودان وذلك بين «كرومر» المندوب السامي الإنكليزي في مصر، ووزير خارجية مصر بطرس غالي. وقد جاءت هذه الاتفاقية كما يأتي:

اتفاقية

بين حكومة جلالة ملكة الإنكليز وحكومة الجناب العالي خديوي مصر بشأن إدارة السودان في المستقبل

حيث إن بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة فخامة الحضرة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التي تمت باتحاد حكومتي جلالة ملكة الإنكيز والجناب العالي الخديوي، وحيث قد أصبح من الضرورة وضع نظامٍ خاصٍ لإدارة الأقاليم المفتوحة المذكورة، وسنّ القوانين اللازمة لها لمراعاة ما هو عليه من الأهمية الكبرى لتلك الأقاليم من التخلف وعدم الاستقرار على وضعٍ حتى الآن، وما يلزم لكل جهةٍ من الاحتياطات المختلفة، وبمقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتّب على ما لها من حقّ الفتح فإن من حقّها أن تشترك في وضع النظام الإداري والقانوني الآنف ذكره، وفي تنفيذه، وتوسيع نطاقه في المستقبل، وقد تبيّن أنه من الأفضل إلحاق «وادي حلفا» و «سواكن» إدارياً بالأقاليم المفتوحة المجاورة لها، ولذلك فقد تمّ الاتفاق والإقرار بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو:

المادة الأولى: يُطلق لفظ السودان في هذه الاتفاقية على جميع الأراضي الواقعة جنوب خط العرض ٢٢ شمالاً. وهي:

أ ـ الأراضي التي لم تُخلها قطّ الجنود المصرية منذ عام ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م).

ب ـ الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة، وفقدتها مؤقتاً، ثم أعادت دخولها حكومة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد.

ج ـ الأراضي التي قد تدخلها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن وإلى المستقبل.

المادة الثانية: يُرفع العلمان البريطاني والمصري في البر والبحر في جميع أنحاء السودان عدا مدينة «سواكن» فلا يرفع فيها إلا العلم المصري. (ثم ألحقت «سواكن» بإدارة السودان في اتفاقيةٍ خاصةٍ في ربيع الأول ١٣١٧هـ (تموز ١٨٩٩م).

المادة الثالثة: تُفوّض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان إلى موظفٍ واحدٍ يُلقّب حاكم عموم السودان، ويتمّ تعيينه بأمرٍ سامٍ من الخديوي بناءً على ترشيح من حكومة جلالة الملكة، ولا يُفصل من وظيفته إلا بأمرٍ سامٍ من الخديوي يصدر بموافقة الحكومة البريطانية.

المادة الرابعة: إن القوانين وكافة الأوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به، والتي من شأنها تحسين الإدارة في السودان، أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها، وما تؤول إليه والتصرّف فيها يجوز سنّها، أو تحريرها، أو نسخها من وقتٍ إلى آخر بمنشورٍ من الحاكم العام. وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسري مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزءٍ مُعيّنٍ منه، ويجوز أن يترتّب عليها صراحةً أو ضمناً تبديل أو نسخ أي قانونٍ أو لائحةٍ من القوانين واللوائح المعمول بها.

المادة الخامسة: لا يسري على السودان أو على أي جزءٍ منه شيء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن وما بعد إلا ما يصدر بإجرائه منها منشور من الحاكم العام بالصورة السابق بيانها.

المادة السادسة: المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي يتمّ بموجبها التصريح للأوروبيين من أية جنسيةٍ كانت بحريّة التجارة، أو السكن بالسودان، أو الملكية ضمن حدوده لا يشمل تخصيص دولةٍ مُعيّنةٍ أو عدّة دولٍ.

المادة السابعة: لا تُدفع رسوم على البضائع الواردة من الأراضي المصرية حين دخولها إلى السودان، ولكنه يجوز دفع رسومٍ على البضائع العادية القادمة من غير الأراضي المصرية. وإذا ما وردت تلك البضائع عن طريق «سواكن» أو أي ميناءٍ آخر من موانئ البحر الأحمر فلا يجوز أن تزيد الرسوم على القيمة التي تدفع على ما يُماثلها من البضائع الواردة إلى مصر من الخارج. وتُقرّر رسوم على البضائع التي تُصدّرها السودان حسب ما يُقدّره الحاكم العام من وقتٍ إلى آخر بالمنشورات التي يُصدرها بهذا الشأن.

المادة الثامنة: لا تمتدّ سلطة المحاكم المختلطة على أية جهةٍ من جهات السودان، ولا يُعترف بها فيه بوجهٍ من الوجوه فيما عدا مدينة «سواكن» (أصبح الأمر نافذاً على مدينة سواكن) بعد اتفاقية ربيع الأول ١٣١٧هـ (تموز ١٨٩٩م).

المادة التاسعة: تُطبّق في السودان بكل أراضيه «عدا سواكن» الأحكام العرفية وتبقى سارية المفعول حتى يتمّ خلاف ذلك بمنشورٍ من الحاكم العام.

المادة العاشرة: لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري مراكز بالسودان، ولا يُسمح لهم بالإقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية.

المادة الحادية عشرة: يُمنع منعاً مُلطقاً إدخال الرقيق إلى السودان أو أخذه منها، وسيصدر منشور بالإجراءات الواجب اتخاذها لتنفيذ هذا الأمر.

المادة الثانية عشرة: اتّفقت الحكومتان على وجوب محافظتهما على تنفيذ معاهدة «بروكسل» المبرمة بتاريخ ١٥ ذي القعدة ١٣٠٧هـ (٢ تموز ١٨٩٠م) فيما يتعلق بإدخال الأسلحة النارية، والذخائر الحربية، والخمور وبيعها أو تصنيعها.

القاهرة ٨ رمضان ١٣١٦هـ (١٩ كانون الثاني ١٨٩٩م).

التوقيع: كرومر. بطرس غالي.

والواقع أن المعتمد البريطاني في مصر يُشرف على أوضاع السودان بشكلٍ غير مباشرٍ وخاصةً أيام المعتمد كرومر. وكان المعتمد البريطاني كرومر يرى أن تكون السودان لإنكلترا رغم أن الجندي المصري والخزينة المصرية تحمّلا العبء الكبير، ولكنه يرى أن كفاءة الجندي المصري القتالية لولا التدريب الإنكليزي لم تكن موجودةً وأن المالية المصرية إن كانت قد نمت فإنما هو بفضل الإنكليز. وأن وجود بريطانيا في السودان يُنهي السيادة العثمانية الاسمية. ولكن ربط السودان بإنكلترا يثير إشكالاتٍ دوليةٍ وخاصةً من قبل فرنسا لذلك فمن الأفضل تغطية وجود بريطانيا في السودان بإدخال مصر شريكاً لبريطانيا في الحكم للسودان، ومصر لا تتحرّك إلا برأي الإنكليز وهم أصحاب السيادة الرسمية في مصر. ولو ضُمَّت السودان إلى مصر فإن السيادة العثمانية الاسمية هي المعترف عليها في مصر دولياً ولو كان ذلك نظرياً، والعلم عثماني، والنقد المتداول عثماني، والحكومة الشرعية هي حكومة الخديوي، ويُعيّن الخديوي بمرسوم من السلطان، وإن كانت السلطة الفعلية بيد المعتمد السامي البريطاني. لذا فإن أفضل وسيلةٍ لحكم السودان إنما هو اشتراك مصر وبريطانيا في ذلك، وهو ما أطلق عليه اسم «الحكم الثنائي» إذ أن ذلك يحول دون الإشكالات الدولية بوجود مصر وفي الوقت نفسه يُنهي السيادة العثمانية بوجود إنكلترا. مع أن مصر تحكم رسمياً من قبل بريطانيا.

وعُيّن «كتشنر» أوّل حاكمٍ عامٍّ للسودان مع احتفاظه بمنصبه في الجيش المصري.

كان الخليفة عبد الله التعايشي قد انتقل بعد معركة «كرري» إلى إقليم كردفان، فأقام مدّة في «أم ركبة» غرب «كوستي»، ثمّ اتصل بقائد حامية «الأُبيّض» الختيم موسى، ورحل إلى ديار قبيلة «الجوامعة»، واستقرّ في «الغبشة»، واتصل بقائد حامية «القضارف» أحمد فضيل.

حاول عبد الله التعايشي السير إلى جبال النوبا حيث يمكنه الاعتصام فيها

لوعورة مسالكها، ولكنه وجد مُقاومةً عنيفةً فسار إلى «قدير» دار الهجرة الأولى للمهدي، واستقرّ هناك فأرسل له «كتشنر» حملةً مُؤلفةً من ثمانية آلاف مُقاتلٍ، غير أن الحملة لم تواصل السير إذا بلغها أن عبد الله التعايشي قد سار إلى «أم درمان» لأخذها من يد السلطات الإنكليزية.

فخرج إليه «وينغث» في جيشٍ لصدّه عن العاصمة أم درمان فالتقى الطرفان في «أم دويكرات» صباح يوم ٢١ رجب ١٣١٧هـ (٢٤ تشرين الثاني ١٨٩٩م)، فانتصر الإنكليز، وقُتل التعايشي وأصحابه في المعركة.

بقي الجيش المصري حامياً للوضع في السودان دون أن يكوّن جيشاً خاصاً بالسودان، مع وجود قوةٍ رمزيةٍ إنكليزيةٍ لحفظ الذخيرة والأسلحة.

وكان للحاكم العام ـ كما نصّت الاتفاقية ـ سلطات واسعة ولكن عن طريق المعتمد الإنكليزي في مصر، وكان كرومر في بداية الأمر هو المعتمد البريطاني فهو صاحب الكلمة المسموعة والرأي المطاع، وربما أكثر من أي معتمدٍ آخر جاء بعده.

عيّن الحاكم العام في السودان «كتشنر» مُعاونيه من العسكريين في الإدارة المركزية، وكانت جميع الرواتب من الخزينة المصرية لأنهم ضباطاً بالأصل في الجيش المصري.

واضطرت إنكلترا إلى سحب «كتشنر» من السودان، ونقله مع عددٍ آخر من الضباط الإنكليز الذين يعملون في الجيش المصري إلى جنوبي إفريقية لزجّهم في حرب «البوير» التي كانت مُشتعلةً هناك. وسرت شائعة في الجيش وهي نقل عددٍ من الفصائل السودانية التي تعمل في الجيش المصري إلى جنوبي إفريقية، وبدأ العمل على سحب الذخيرة من تلك الفصائل، فرفض الجنود تسليم أسلحتهم والذخيرة التي معهم، ففُصل عدد منهم وعوقب آخرون.

وعُيّن حاكماً عاماً للسودان «ريجنلد وينغت» خلفاً لـ «كتشنر» المنقول إلى جنوبي إفريقية، وفي الوقت نفسه كان «ريجنلد وينغت» مدير شؤون الضباط في الجيش المصري، كما كان سلفه «كتشنر». واضطر الحاكم الجديد أن يُعيّن في

الإدارة المركزية عدداً من الموظفين المدنيين ليحلّوا محلّ أولئك الضباط الإنكليز الذين نُقلوا إلى جنوبي إفريقية.

الحركات:

إن العاطفة الدينية قوية في السودان، واستطاعت الحركة المهدية أن تزيدها رسوخاً، غير أن الجهل يُخيم على الأوساط الشعبية على نطاقٍ واسعٍ الأمر الذي يجعلهم يتأثّرون بكل من يُنادي بالإسلام سواء أكان عن علمٍ وبيّنةٍ وحكمةٍ أم عن هوىً واستغلالٍ، ولم يعدم وقت من الأوقات جهلة يريدون الإفادة من عاطفة الناس فيدعون دعاوى باطلة. لذا كان بين الحركات من ادّعى أمراً من الأمور كذباً ودجلاً.

في ١٣٢١هـ سار الشريف محمد الأمين من مهاجري الغرب لأداء فريضة الحج ورجع يحمل وثيقةً تُثبت أنه من آل البيت وتدعو القبائل السودانية إلى مُناصرته، فسيّر إليه «ماهون» مدير كردفان حملةً قضت عليه قبل أن يقوى أمره.

وفي عام ١٣٢٢هـ ادّعى رجل في «سنجة» أنه نبي الله عيسى، عاد إلى الأرض ليُصلحها، ويُقيم حكم الله فيها.

وفي عام ١٣٢٤هـ ثار مدير مركز «أبو رفاس»، ولكن الحكم عاجله، وقضى عليه.

وفي عام ١٣٢٥هـ ادّعى رجل آخر في القضارف أنه النبي المنتظر عيسى، عليه السلام، ولكن أمره لم يتوسّع.

وفي عام ١٣٢٦هـ أعلن العصيان أحد رجال قبيلة الحلاويين، ويدعى «عبد القادر ولد حبوبة»، وقد كان مع الأنصار، ورافق الحملة التي انطلقت لغزو مصر بإمرة عبد الرحمن النجومي وأُسر، ولكن قُضي عليه، وأُعدم مع أتباعه.

وقامت ثورة في جبال النوبا، واستطاعت الحكومة القضاء عليها في شهر صفر من عام ١٣٣٦هـ (كانون الأول ١٩١٧م).

حركة علي دينار:

كانت أسرة «سولونغ» تحكم منطقة دارفور حتى عام ١٢٩٣هـ حيث استطاع الزبير باشا أن يدخلها، وأن يقتل آخر الملوك فيها وهو إبراهيم، وأعلن الزبير تبعية دارفور للدولة العثمانية مع بقائه حاكماً عليها باسم العثمانيين، ثم استُدعي إلى مصر بعد أن وقع خلاف بينه وبين إسماعيل أيوب حاكم السودان من قبل مصر، فسار إلى القاهرة وترك ابنه سليمان مكانه، وفي مصر اعتقل الزبير، ونفي إلى جبل طارق حيث قضى هناك عامين ونصف العام، وأُعيد إلى مصر حيث بقي فيها حتى أيامه الأخيرة، ثم رجع إلى السودان، ومات فيها عام ١٣٣٣هـ، ودُفن بقرية «الجبلي» مسقط رأسه في محافظة الخرطوم على الضفة الشرقية لنهر النيل.

أما سليمان بن الزبير الذي حكم مكان أبيه عندما استُدعي إلى مصر فقد أُرسلت له حملة عام ١٢٩٧هـ بإمرة «جسّ» الإيطالي، وطُلب منه الاستسلام بعد إعطائه الأمان، وإرسال النصح له من أبيه بالتسليم، فلما أصبح بيد «جسّ» أمر بقتله رمياً بالرصاص مع ٧٠٠ رجلٍ من أتباعه، وهكذا انتهت أسرة الزبير أيضاً من دارفور.

حكم دارفور سلاطين باشا الذي استسلم لجيش المهديين، وأعلن إسلامه، غير أن عبد الله التعايشي حاكم السودان بعد المهدي والذي حمل اسم خليفة قد استقدم إليه زعماء دارفور، ومنهم سلاطين باشا، ومنهم علي دينار بن زكريا من أسرة «سولونغ» التي كانت تحكم دارفور قبل مجيء الزبير إليها، وبقي هؤلاء على باب عبد الله التعايشي حتى معركة «كرري».

فرّ سلاطين باشا من بيت عبد الله التعايشي، ووصل إلى مصر، وجاء في جيش «كتشنر» لدخول السودان.

وقبيل معركة «النخيلة» على نهر عطبرة في ١٥ ذي القعدة عام ١٣١٥هـ (٦ نيسان ١٨٩٨م) هرب من جيش المهديين إبراهيم علي الذي يمتّ إلى أسرة «سولونغ» بصلة، والتجأ إلى جيش المصريين فأرسله «كتشنر» إلى دارفور لينشر الأمن في ربوعها ـ على حدّ زعمه ـ ويتسلّم زمام السلطة الموقّتة إلى أن يفرغ

الجيش من مهمته في السيطرة على أرض السودان كله، وبعدها يرى «كتشنر» ما يراه صالحاً لحكم دارفور.

وبعد معركة «كرري» في ١٦ ربيع الثاني عام ١٣١٦هـ (٢ أيلول ١٨٩٨م) أو في اليوم السابق لها غادر أم درمان علي دينار بن زكريا بن السلطان محمد الفضل مع مجموعةٍ من أصحابه تقلّ عن عشرة أفراد مُستغلّين فرصة الاضطراب التي سادت أم درمان، واتّجهوا نحو الغرب ناحية دارفور، وكان أثناء طريقه ينضمّ إليه بعض أبناء منطقته فما وصل إليها إلا ومعه ما يقرب من ألفي رجلٍ. وما حلّ في «الفاشر» حتى سلّمت له السلطات التي كانت تُباشر الحكم نيابةً عن المهديين.

بدأت المنافسة بين علي دينار وإبراهيم علي، وأُخبر «كتشنر» بالخبر فطلب منهما التريّث ريثما ينتهي من أمر السودان تماماً، غير أن إبراهيم وجد نفسه دون علي دينار لذلك فقد تنازل له عن الأمر دون تدخل الحكومة.

كانت رغبة حكومة السودان إيجاد سلطنةٍ في دارفور بإمرة علي دينار، حيث تُترك له حكم المنطقة ذاتياً على أن يطلب المستشارين منها، ويُقيم بجواره معتمد من قبلها، وأبدى علي دينار الموافقة، والتزم بدفع ضريبةٍ معلومةٍ سنوياً، ولكنه لم يكن في قرارة نفسه ليرغب أن تتدخل حكومة السودان في شؤونه، لذا بدأ يعمل ضمناً لاستقلاله عنها. وفي الواقع فإن الحكومة قد تركته وشأنه وخاصةً أنه قد وطّد الأمن في منطقته والتي عجزت الحكومة بل ومن قبلها حكومات على توطيد الأمن في جهات دارفور. ولكن زعماء بعض القبائل المجاورة لدارفور بقيت تشنّ الغارات عليها كالبقارة، والرزيقات، والناما وغيرها. وفي إحدى الغارات التي شنتها قبيلة الرزيقات سار إليها علي دينار، وأخضعها إلاّ أن زعيمها، «موسى مادبو» قد التجأ إلى الخرطوم فآوته الحكومة، فأخذ علي دينار يعتب على الحكومة في هذا التصرّف.

كان سلاطين باشا النمساوي قد ارتدّ عن الإسلام الذي أظهره أيام المهديين، وجاء إلى أم درمان ليعيش فيها على باب عبد الله التعايشي، ثم فرّ إلى مصر، وجاء مع «كتشنر»، وارتفعت مكانته ثانيةً، وأصبح ضابط الاتصال

بين الحكومة وبين علي دينار، وكان في ردّه على خطابات علي دينار يُظهر نوعاً من الاستعلاء عليه، ويرفض علي دينار مثل هذه الأجوبة لسلطان.

بدأت العلاقات تتوتّر بين الحكومة السودانية والسلطان علي دينار، فهي ترى أن شهرته قد وصلت إلى درجةٍ أصبحت تزعجها، وكان يرسل محملاً إلى الحجاز في كل عام كبقية حكام المسلمين، وهي تتأثّر من هذا كل التأثّر، ويستطيع أن يخضع ما تعجز عنه، وبالمقابل فإنه يرى أنه لا يحصل على حقّه ولا يلقى أية مُساعدةٍ فيطلب أسلحةً وذخيرة فلا يُعطى، ويعتدي الفرنسيون من تشاد على دارفور فلا تقوم حكومة السودان بأي ردّ فعلٍ، بل تسكت عن هذا كلياً، ويقوم زعيم قبائل الرزيقات بمناهضته وتُؤويه حكومة السودان، ويتعدّى الكبابيش على دارفور فلا تُنصفه الحكومة منهم، وتفرّ قبائل الزيادية من وجهه إلى كردفان فلا تعيدها الحكومة، ويُرسل مندوباً إلى الحجاز لشراء الذخيرة، فلا يسمح للمندوب بالسفر. وبذا فُقدت الثقة بين الحكومة والسلطان.

اندلعت الحرب العالمية الأولى ودخلت الدولة العثمانية الحرب بجانب ألمانيا ضدّ الحلفاء الذين هم: إنكلترا، وفرنسا، وروسيا، وإيطاليا و... وبدأت الشائعات تروّج في كل مكانٍ، فأعداء أي طرفٍ يُشيعون الأخبار غير الصحيحة ضدّ الطرف الثاني، ومن هنا كان أعداء الإنكليز في السودان يُروّجون الشائعات ضدّ الحلفاء ولمصلحة العثمانيين وتجد آذاناً صاغيةً عند المسلمين الذين يتعاطفون مع العثمانيين، وكثرت الشائعات من هذا النوع في دارفور حتى اضطرت الحكومة السودانية أن تخبر السلطان علي دينار أن الأخبار الصحيحة هي ما تنشره جريدة السودان التي تصدر في الخرطوم، وما عدا ذلك فهو غير صحيح يجب تكذيبه ومُعاقبة مُروّجيه. ولما كان السلطان علي دينار مُتديناً فقد كان مُتعاطفاً مع العثمانيين ويقبل الأخبار التي تُشاع ضدّ الحلفاء، وأن هزيمتهم أضحت وشيكةً، وقد بعث علي دينار برسالةٍ إلى خليفة المسلمين يُبدي له عواطفه نحو دولة الخلافة، وردّ أنور باشا وزير خارجية الدولة العثمانية على رسالة علي دينار بخطابٍ مُؤرّخٍ بـ ١٩ ربيع الأول ١٣٣٣هـ (٣ شباط ١٩١٥م) يذكر له فيه اعتداء الحلفاء، وفتوى علماء المسلمين بأن الجهاد أصبح فرض

عينٍ على المسلمين كافةً، وأنه قد أرسل له جعفر بك، في حين أرسل للسنوسي في ليبيا نوري بك «شقيق أنور باشا»، ويروي له أيضاً انتصارات الدولة العثمانية وأصدقائها.

وردّ السلطان علي دينار على خطاب أنور باشا، وأعلمه أنه قد قطع علاقته مع الكفار منذ أن اندلعت الحرب العالمية الأولى، واعتدى الكفار على خليفة المسلمين وما فعل ذلك إلا غيرةً لدينه.

وصلت أخبار تلك المراسلات إلى الحكومة السودانية، وعرفت أن نيّة السلطان علي دينار إعلان العصيان على حكومة السودان، ورأت أن تبدأ به قبل أن يستعدّ أو يقوم هو بالهجوم، أو تصل إليه مساعدات من العثمانيين. وجهّزت الحكومة حملةً قوامها ثلاثة آلاف مُقاتلٍ أغلبهم من الجنود المصريين، وجعلت قيادتها إلى «كلي باشا»، وسارت الحملة إلى دارفور، وفي شمال الفاشر بعشرين كيلومتراً جرت وقعة «برنجية» بين الطرفين، وثبت جيش السلطان غير أنه هُزم في النهاية أمام الأسلحة الآلية، وخلّف خمسمائة قتيلٍ في أرض المعركة. وترك السلطان العاصمة وانتقل إلى جبل «مرّة» يتحصّن فيه، فتابعه «هدلستون» بعد أن علم أن أتباع السلطان قد بدأوا يتخلّون عنه، وقُتل السلطان علي دينار يوم ١١ محرم عام ١٣٣٥هـ (٦ تشرين الثاني ١٩١٦م)، وضُمّت دارفور إلى السودان.

ونُلاحظ من هذه الحركات أن السودانيين لم يستكينوا لحكم الإنكليز ولم يهدأوا، وإذا كانت حركاتهم أو ثوراتهم غير كبيرة، ولا مُنظّمةً تنظيماً دقيقاً فإن ذلك يعود لأسباب منها:

١ ـ البساطة التي تغلب على السودانيين، والعاطفة مع الجهل الذي يسود الأمر الذي يجعلهم يسيرون وراء كل ناعقٍ دون المعرفة الجيدة التي يجب أن يتمتع بها. وخاصةً أن تلك المرحلة التي نتحدث عنها كانت تغلب عليها تلك الصفة ليس في السودان فحسب بل في العالم الإسلامي كلّه.

٢ ـ اتساع أرض السودان التي تجعل اتصال الناس بعضهم مع بعض ضعيفاً، وخاصةً إذا علمنا سوء المواصلات في تلك المرحلة، والفقر، والعوامل الطبيعية التي تفصل بين الأقاليم كالصحارى في الشمال.

٣ ـ تغطية الاستعمار الإنكليزي بالحكم المصري، ومصر ترتبط اسمياً بالدولة العثمانية التي تمثّل الخلافة الإسلامية، فالعلم في مصر عثماني، والنقد المتداول عثماني، والخديوي يُعيّن بأمرٍ من السلطان، إذن مصر جزء من دولة الخلافة، والسودان ترتبط بمصر، فالسودان من أراضي الخلافة الإسلامية، وليس وضع الإنكليز، وسيطرتهم، ونفوذهم إلا أمور طارئة تزول بقوة المسلمين. وهذا ما يجعل المتدينين في السودان يحقدون على الإنكليز دون كبير نظرة سوءٍ إلى الحكم لأنه من مصر، ومصر مسلمة، ومن أرض الخلافة الإسلامية وإن كان مغلوب على أمرها في الوضع الراهن، لذا لا يرون ضرورةً قصوى للقيام بالثورات التي قد تعود برد فعلٍ معاكسٍ قد يؤدّي إلى تمكين الإنكليز، واتّباع طريقة التحكّم التام، والضغط على السكان، وزيادة الوطأة عليهم.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، وأعلنت إنكلترا الحماية على مصر، وإلغاء التبعية الاسمية للدولة العثمانية، تغيّر الوضع بالنسبة إلى السودانيين، وتغيّرت نظرتهم إلى الإنكليز إذ غدت نظرة كرهٍ ومقتٍ، فهم مستعمرون صليبيون يريدون إذلال المسلمين، ومصّ دمائهم، والسيطرة على بلادهم، غير أن ظروف الحرب، وتطبيق الأحكام العرفية قد حالت دون القيام بحركاتٍ اللّهم إلا ما كان من حركة علي دينار ـ كما رأينا ـ أو ظهور النيّة عنده للقيام بحركة.

بعد الحرب:

بدأت مُقاومة السودانيين للإنكليز بعد الحرب، وأخذت طريق التنظيم وإن كان في أول أمره غير دقيق، ولكنه يتّفق والوسائل المتاحة له آنذاك، وإذا كان بعض شيوخ القبائل وبعض الأعيان تبدو عليهم الملاينة فإن ذلك يعود إلى وجودهم في الواجهة، واضطرارهم إلى التعاون مع المسؤولين في الحكم، والضغط عليهم أحياناً، وإجبارهم على اتخاذ بعض المواقف في الأمور الرسمية كالتهنئة بالنصر إثر الحرب، والسفر إلى لندن للسبب ذاته، وفي الوقت نفسه لا ننسى أن لبعضهم مصالح وارتباطات ولا تزال مقدمةً على غيرها، وكما يجب أن نعترف أنهم ليسوا جميعاً على مستوىً من الوعي الإسلامي أو الفكري والسياسي.

نشأت بعد الحرب جمعية «الاتحاد السوداني» وهو جمعية سريّة لمقاومة الإنكليز عن طريق المنشورات لنشر الوعي وتعبئة المجتمع ضد المتسلّطين الصليبيين الدخلاء. وكان أكثر أعضاء هذه الجمعية من خريجي كلية «غوردن»، وقد بعثت هذه الجمعية بعض خريجي الكلية إلى مصر لمتابعة الدراسة.

❀ ❀ ❀

الفصل الاول
من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

ألغى مصطفى كمال الخلافة يوم ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) بتوجيهٍ من إنكلترا التي ارتبط بها الارتباط كله، فتناثرت الدول الإسلامية التي كانت تشعر برابطٍ يجمعها بعضها إلى بعضٍ، وإن كان يومها رابط تبدو عليه العاطفة غير أنه ذو جذورٍ راسخةٍ في النفوس، وغدا كل إقليم يتخذ لنفسه مساراً مُنفصلاً يسير فيه، ويريد أن يتطوّر ضمن حدوده، وتنشأ نتيجة هذه الانفصالية أفكار خاصة غريبة عن عقيدة سكان العالم الإسلامي وربما كانت مُوجّهةً إليهم من أعدائهم الأوروبيين، ويحدث بسبب ذلك التقوقع.

لم تعد إنكلترا ترى ضرورةً لارتباط مصر والسودان بعضها مع بعض ما دامت دول الخلافة قد تناثرت، وأقاليمها قد تجزّأت وتبعثرت، وغدت إنكلترا تطرح فكرة «السودان للسودانيين»، وتُحاول أن تصوّر للسودانيين الماضي وما حدث في ديارهم من آثار المصريين، دخول إسماعيل بن محمد علي وما فعله بالجعليين، الأحداث التي قام بها الإنكليز تنسبها إلى المصريين، المآسي التي تمّت والمذابح والجرائم يوم عاد المصريون تحت قياداتٍ إنكليزية إلى السودان إثر القضاء على الحركة المهدية. . .

كانت مصر ترى أنّ قضية السودان مرتبطة بها الارتباط كلّه بل هي جزء منها، على حين يرى الإنكليز أنّ قضية السودان منفصلة كلّ الانفصال عن مصر، ولا علاقة لمصر بالسودان، ولا يُهمّها منها سوى مياه نهر النيل.

جمعية اللواء الأبيض:

أسّس الملازم علي عبد اللطيف[1] جمعيةً أسماها «جمعية اللواء الأبيض»

---

(١) ولد علي عبد اللطيف عام ١٣١٠هـ في حلفا، وعمل أبوه جندياً في الجيش المصري، =

وقد ربطت كفاحها بمصر، وجعلت شعارها علماً رسم عليه نهر النيل من المنبع إلى المصب، وكتب تحته عبارة «إلى الأمام». وقد قامت هذه الجمعية بمظاهراتٍ في عددٍ من المدن السودانية فقُبض على رؤسائها، وأُلقوا في السجن، وقد مات أمين سر الجمعية عبيد حاج الأمين في السجن، وبقي علي عبد اللطيف يُنقل من سجنٍ إلى آخر حتى مات، وقُضي على الجمعية في ذي القعدة من عام ١٣٤٢هـ (حزيران ١٩٢٤م). وكانت مظاهرات هذه الجمعية تأييداً لما يحدث في مصر.

كان الأعضاء في المجلس النيابي المصري ينتقدون الحكومة في سكوتها على ما تتمتع به إنكلترا من وضعٍ ممتازٍ في السودان، وليس لمصر شيء من هذا على الرغم من أنها شريكة إنكلترا في حكم السودان. كما كان الانتقاد على وضع قيادة الجيش المصري في السودان بأيد الإنكليز الذين لهم وحدهم حقّ القيادة بل حقّ التصرّف. وطالب أعضاء المجلس أيضاً بأن تُعرض ميزانية السودان على المجلس النيابي المصري، كما كانت تُعرض على الجمعية التشريعية قبل الحرب فماذا جدّ بعد الحرب؟ وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على تردّي الأوضاع والرجوع إلى الخلف. (الواقع كما ذكرنا أنه قبل الحرب كانت مصر والسودان تتبعان اسمياً الدولة العثمانية ـ وكانت توجد خلافة والآن لا تبعية ولا خلافة ـ).

مظاهرات طلاب المدرسة الحربية:

وفي مطلع عام ١٣٤٢هـ (آب ١٩٢٤م) خرج طلاب المدرسة الحربية في الخرطوم بمظاهراتٍ سياسيةٍ تُؤيّد ما يدور في مصر حول السودان، وعدّ الإنكليز هذه المظاهرات تمرّداً وخاصةً أنهم لم ينصاعوا لأوامر رؤسائهم من

= والتحق علي عبد اللطيف بالمدرسة الحربية في الخرطوم وتخرّج منها ضابطاً عام ١٣٣٩هـ، وعُيّن نائباً لقائد الكتيبة المرابطة في وادي مدني، واختلف مع رئيسه الإنكليزي بسبب التحية، وأحيل إلى الاستيداع، ورجع إلى الخرطوم وكتب مقالاً لجريدة «حضارة السودان» وهي الوحيدة يومذاك، فلم يُنشر المقال، وقُدّم صاحبه للمحكمة، وحكم عليه سجن سنة، وقد سجن.

الضباط الإنكليز وهذا في العرف العسكري عصيان ويُقدّم من يقوم به إلى محكمةٍ عسكريةٍ، وقد أحاط الجيش الإنكليزي بالمدرسة الحربية، وقبض على الطلاب فيها، وألقوا في السجن، وفُصل بعضهم. ومع أن الطلاب الذين يتخرّجون من هذه المدرسة يُقسمون على الولاء والطاعة للملك (ملك مصر) ولكن لا أثر لمصر على الجيش أبداً، ولو كان معظم أفراده من مصر بالذات.

مقتل حاكم عام السودان:

عقد اجتماع في لندن برئاسة رئيس الوزراء البريطاني رمزي مكدونالد، حضره المندوب السامي البريطاني في مصر الجنرال «اللنبي» وحاكم عام السودان «لي ستاك»، واتفقوا فيه على أن تخرج مصر من السودان، وتتشكّل قوة دفاعٍ سودانيةٍ خاصة لا سلطة لمصر عليها، ولا تضمّ مصريين.

وأثناء عودة الحاكم العام مرّ من القاهرة، وكان الفدائيون يُفكّرون باغتيال أمين سره فلما جاء هو اتجهت الأنظار نحوه، واغتيل يوم ٢١ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩٢٤م). فأرسلت الحكومة البريطانية إنذاراً إلى مصر لسحب القوات المصرية من السودان، ودفع ٧٥٠ ألف جنيه كنفقات لقوة الدفاع السودانية التي سوف تنشأ، ومطالب أخرى[١] واستقالت بناءً على ذلك وزارة سعد زغلول، وشكّل أحمد زيور وزارة جديدةً قبلت شروط الإنذار كاملةً، وبدأت بتنفيذها.

أخذت السلطات الإنكليزية بإجلاء القوات المصرية غير أن الجنود السودانيين قد تضامنوا مع المصريين، وتحرّكوا لمنع انسحابهم، ويُحاول الحاكم العام للسودان «هدلستون» منعهم فيرفضون ويُصرّون على أن الأوامر إنّما هي من «رفعت» الذي اتصل بالملك ليتلقّى الأوامر منه لا ليصدرها. وأرسل الملك أمراً بطائرةٍ خاصةٍ. وسرت شائعة أن المدفعية تُقاوم أمر الجلاء فهبّ الجنود السودانيون، وخرجوا بأسلحتهم وذخيرتهم فتصدّت لهم القوات الإنكليزية التي تحتلّ كلية «غوردون»، ومنعهتم من التقدّم، فأمر الحاكم العام

---

(١) يرجع إلى هذا الموضوع في الباب الأول من هذا الكتاب ـ الفصل الأول.

«هدلستون» بإطلاق النار، ودمّر أكبر مستشفى آنذاك بالخرطوم، ودارت معركة بين السودانيين والقوات الإنكليزية استمرّت سبع ساعاتٍ فقُتل ثلاثة ضباطٍ من الإنكليز، وأُصيب سبعة عشر من القوات الإنكليزية، غير أن الذخيرة قد نفدت من الجنود السودانيين، فأُلقي القبض عليهم، وقُدّم أربعة ضباطٍ منهم إلى المحكمة فحُكم عليهم بالإعدام، ثم خُفّف الحكم إلى خمس عشرة سنة سجناً.

وما أن انتهى شهر جمادى الأولى من عام ١٣٤٣هـ (كانون الأول ١٩٢٤م) حتى تمّ سحب الضباط والجنود المصريين، وأُخلي السودان منهم تماماً، ثم تبع ذلك سحب المدرسين وبعض الموظفين الآخرين. واقترح نائب الحاكم العام إنزال العلم المصري من جانب العلم البريطاني في كل أنحاء السودان، وإزالة كل صفةٍ قانونيةٍ للوجود المصري إذ لا يمكن إنشاء جيشٍ مزدوج الطاعة، لملك مصر وللحاكم العام الإنكليزي، وإن الأُسس التي بُني عليها الحكم الثنائي قد أصبحت مزعزعة الأركان.

أشاع الإنكليز أن هذه الحركات التي قامت في السودان ليست إلا من دعايةٍ مصريةٍ، وتوجيهٍ وتمويلٍ مصريين، وتأثّر بهذه الشائعات بعض السودانيين، واعتقدوا أن مصر تُريد أن تفرض سيطرتها على هذا الجزء من وادي النيل، بينما يجب أن تكون السودان للسودانيين حسب هذا الشعار الذي طرحه الإنكليز، ولم يُطالب هؤلاء السودانيون البسطاء الإنكليز باستلام أهل البلاد للحكم وإحلالهم محل المصريين على أقلّ تقديرٍ، أو تدريب المواطنين على استلام المناصب الإدارية، وإنما اكتفوا بالدعاية الإنكليزية وقد كان لهذا الفريق السوداني من الناس التأييد الكامل من المستعمر وتقديمه على غيره. أما الفريق الذي قام بالحركات، ومن أيّدهم، ومن نظر بعين الواقع فقد كان يرى الإذلال الذي يتبعه الإنكليز ضد السودانيين، وما يتصرّف به الضباط الأجانب من المستعمرين في محاولة احتقارهم للعسكريين المصريين والسودانيين على حدٍ سواء جنوداً وضباطاً لذا رأوا أنه لا بدّ من ربط مصيرهم بمصر ومقاومة المتسلّطين الغرباء بكل ما أوتوا من قوةٍ، وحتى لو كانوا أتباعاً لمصر حسبما تدّعي إنكلترا فهو أفضل بألف مرّة من أن يكونوا تبعاً للإنكليز ويحيون في ذلٍ وامتهانٍ مدة حياتهم.

«جون مافي» وسياسته:

عُيّن حاكم عام جديد للسودان خلفاً للحاكم السابق المقتول «لي ستاك»، وكان الحاكم الجديد يدعي «جوفري آرثر» لكنه لم يلبث أن اختلف مع المندوب السامي الإنكليزي في مصر «جورج لويد»، كما اختلف مع كبار مُعاونيه في السودان لذا فقد قدّم استقالته ورحل عن البلاد، وعُيّن مكانه «جون مافي»، وكانت سياسته تقوم على مُقاومة النفوذ المصري، ومُراقبة طرق المواصلات بين البلدين، والضغط على المتعلمين، وتطوير الإدارة المحلية ومنحها سلطاتٍ واسعة. وتشكّلت في هذه الآونة قوة دفاعٍ سودانيةٍ خاصة تدين بالطاعة للحاكم العام، وليس للحكم المصري أي نفوذٍ عليها، وإن كانت نفقاتها، وهي ٧٥٠ ألف جنيه تدفعها مصر سنوياً تبعاً للإنذار الذي قبلته الحكومة المصرية (وزارة أحمد زيور) بعد مقتل «لي ستاك» حاكم عام السودان الأسبق.

أ ـ الإدارة:

أصدر الحاكم العام لائحة الإدارة الأهلية، حدّد فيها سلطات واختصاصات زعماء القبائل. إذ كانت الإدارة حسب لائحته تعتمد على شيوخ ورجال العشائر. وكانت المحاكم الأهلية تتعدّى على اختصاص المحاكم الشرعية، وتهدف إلى إزالتها.

وعمل «جون مافي» على تأهيل بعض السودانيين لاستلام الوظائف الإدارية، غير أن الترشيح لا يكون حسب المؤهلات العلمية، وإنما حسب التوصيات من زعماء القبائل المتعاونة معهم، ومن رجالات الإنكليز، أي من الذين يعملون بإيحاءاتٍ خارجيةٍ ويقبلون الأفكار الغربية.

وكانت نتيجة هذه السياسة سيئةً جداً، إذ غدا الإداريون من الذين تهمهم مصالحهم ومصالح قبائلهم، ومن الذين يرتبطون بالسياسة الإنكليزية.

وكانت الأحكام القضائية لا تستند على شرعٍ ولا تعتمد على قانونٍ أو عرفٍ وإنما تصدر حسب نزواتٍ فرديةٍ وآراءٍ شخصيةٍ، وقد تكون حسب مكانة المحكوم عليه، وصلته بالغرباء الإنكليز.

وتراجع مستوى التعليم إذ فقد عنصراً أساسياً بترحيل المدرسين المصريين، وقد عملت الحكومة على إملاء الفراغ الذي تركوه بمديري المدارس الأولية، واستقدام عددٍ من الشاميين النصارى من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت للتدريس في كلية غوردون.

وهبط المستوى العسكري لدى الضباط إذ أُغلقت المدرسة الحربية، وأصبح الترفيع إلى رتبة الضباط يتمّ حسب الترشيح والرضا عن سلوك الجنود في الخضوع للإنكليز.

ووُجدت النعرات القبلية والإقليمية لاعتماد الإدارات على رجال القبائل.

وبعُدت الشقة بين الإدارة والحكم المصري فلم تعد للحاكم العام صفة الارتباط بالجيش المصري والتبعية لوزير الحربية. وأصبحت القوة السودانية تدين بالولاء للحاكم العام وليس لملك مصر، وبشكلٍ عامٍ فقد انفرد الإنكليز بالسيطرة على السودان، ولم يبق من آثار الحكم الثنائي سوى العلم المصري الذي يُرفع فوق الدوائر بجانب العلم الإنكليزي.

ب ـ مياه نهر النيل:

كان كثيراً ما يُطالب بعض الزعماء المصريين بنصيب مصر في حكم السودان الثنائي، ويكون الردّ الإنكليزي إن مصر لا يُهمّها من السودان سوى مياه نهر النيل، وإن بريطانيا تضمن هذا لمصر.

وعندما أُقيم مشروع الجزيرة في السودان حُدّدت المساحات التي يمكن زراعتها، كما عُيّنت المدة التي لا يحقّ للسودان أن تأخذ فيها مياه من نهر النيل وهي أيام التحاريق وذلك لتصل المياه إلى مصر بشكلٍ منتظمٍ.

ولما قُتل الحاكم العام «لي ستاك» كان الإنذار الإنكليزي الذي قدّم المندوب السامي في مصر الجنرال «اللنبي» إلى حكومة سعد زغلول ينصّ على بندٍ يتعلق بمياه نهر النيل وهو أنّ للسودان الحقّ في زيادة مساحات الأرض المزروعة كما لها الحقّ في سحب ما تراه من مياهٍ في أي وقتٍ من الأوقات، ثم سحب هذا البند من الإنذار إلا أن مصر قد بقيت قلقةً على موضوع المياه حتى حدثت اتفاقية حول هذا الموضوع بين الطرفين عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م).

ج ـ الأزمة الاقتصادية:

ظهرت أزمة مالية في العام عام ١٣٤٨هـ، فانخفضت في السودان نتيجة ذلك أسعار القطن، كما رافق ذلك نقص في الإنتاج بسبب انتشار أمراض القطن، وغزو الجراد لحقول الذرة، فعملت الحكومة على تخفيض المصروفات فقللت عدد الوظائف، وأنقصت رواتب خريجي كلية غوردون، فأحسّ هؤلاء الخريجون بالغبن الذي لحقهم وهم يشعرون أنهم يعيشون تحت الضغط منذ مقتل الحاكم العام الأسبق «لي ستاك»، وزاد من شعورهم هذا عودة أول بعثةٍ تعليميةٍ إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، إذ رجع هؤلاء المبتعثون عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) ومعهم شيء من حرية الأفكار فبدأ الحديث عن الضغط. وما يُؤدي إليه، وعن الحرية وما يتفتق عنها، وعن العلم وما ينتج عنه، وكل هذا دعا إلى قيام إضراب.

د ـ إضراب طلاب كلية غوردون:

عندما اقتُطع من رواتب الخريجين أحسّ الطلاب أن رواتبهم ستكون ضئيلةً عندما يتخرّجون، وحرّضهم الطلاب الذين رجعوا من بيروت فأعلنوا إضرابهم عن الدراسة، ولم تُجد مُحاولات إعادتهم. وتشكّلت لجنة من المتخرّجين ضمّت عشرة عناصر توسّطت بين الحكومة والطلاب، ونجحت في مساعيها إذ أنقصت الحكومة نسبة تخفيض الرواتب فأصبحت ٢٠٪ بعد أن كانت ٣٠٪، ولو أن ما حصل عليه الطلاب من زيادةٍ كان قليلاً إلاّ أنّه قد أثمر، وأصبح سلاحاً عند الكثيرين.

ونستطيع أن نقول: إن قتل الحاكم العام الأسبق «لي ستاك» قد جرّ على السودان مُشكلاتٍ كثيرة، وحاول الحاكم الجديد «جون مافي» أن يثأر لسلفه من أهل السودان فصبّ عليهم نقمته بما قام به من تصرّفاتٍ سيئةٍ بقصد الانتقام والإغاظة ثأراً للحاكم للمقتول.

جورج «ستيوارت سايمز»:

انتهى عهد «جون مافي»، وانتهى معه عهد الضغط والظلمة على السودان إذا عُيّن حاكم عام جديد للسودان هو «جورج ستيوارت سايمز».

أخذ الحاكم الجديد يُعيد شيئاً من الاتصال مع مصر. ودعا لزيارة بعثةٍ اقتصاديةٍ مصريةٍ إلى السودان.

وخفّف من الضغط على السكان، وكبت الحريات.

وفي الوقت نفسه فقد تحسّنت الأوضاع الاقتصادية إذ انتهت الآفات الزراعية وتحسّنت أسعار القطن، وأعاد الرواتب إلى ما كانت عليه قبل الأزمة، كما فتح الباب من جديد لملء الشواغر في الوظائف. وأخذت الأوضاع تتطوّر وتتقدّم ولو كانت بصورةٍ نسبيةٍ.

معاهدة ١٣٥٥هـ في مصر:

كانت إيطاليا قد احتلّت أريتريا أو كانت من نصيبها عندما تقاسمت الدول الصليبية شرقي إفريقية عام ١٣٠٦هـ، غير أن إيطاليا أخذت بالتفكير في الحبشة وظهرت أطماعها فيها تماماً رغم أن الكنيسة هي المسيطرة على الحكم، وتُعدّ الحبشة دولةً نصرانية رغم أن أكثرية سكانها من المسلمين، ورغم أن الدول الصليبية التي تقاسمت فيما بينها شرقي إفريقية قد أعطت الحبشة جزءاً من هذه القسمة بصفتها دولةً نصرانيةً حيث حصلت على منطقتي «هود، والأوغادين» من الصومال وهما جزءان داخليان من الصومال ويدين أهلهما بالإسلام، كما يختلف أبناؤهما، عن الأحباش من حيث الأصول.

وهُزمت إيطاليا في معركة عدوة يوم ١٧ رمضان عام ١٣١٣هـ أمام الحبشة، غير أنها قد تحصّنت في أريتريا، فلما قام موسوليني وأخذ يُرسل جيوشه خارج إيطاليا تتوسّع في المناطق، وتنشر الذعر والإرهاب بما تقتل وتُدمر، ومن هذه المناطق كانت ليبيا في غرب مصر والسودان، وكانت الحبشة في شرق السودان.

واستطاعت جيوش إيطاليا أن تتسلّط على ليبيا وأن تغدر بالشيخ عمر المختار، وأن تُخيف الآمنين، كما استطاعت أن تدخل الحبشة، وأن تُسيطر عليها، واضطر الإمبراطور هيلاسيلاسي أن يخرج من بلاده، ورأت إنكلترا وقد أصبح الحكم الإرهابي «الفاشستي» يُجاور مصر والسودان من الضرورة أن تعقد مُعاهدةً مع مصر تضمن عدم اتجاه أنظار بعض المصريين أو السودانيين إلى

ذلك الحكم للتخلّص من الإنكليز، ومن هذا المنطلق كانت معاهدة ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ (٢٦ آب ١٩٣٦م).

وإذا كانت هذه المعاهدة قد نصّت في أحد بنودها على أن تبقى السودان شركةً بين مصر وإنكلترا، ولم يكن لمصر من هذه الشركة كما سبق أن ذكرنا سوى رفع العلم المصري بجانب العلم الإنكليزي، إلا أن الملاحق لها قد تعرّضت لموضوع السودان، وزادت من الأثر المصري، حيث سمحت بإعادة فصيلةٍ من الجيش المصري إلى السودان تحت إشراف الحاكم العام، وجعلت المساواة بين المصريين والإنكليز في الوظائف عندما لا يتوفّر لها سودانيون، وكذلك أشارت إلى إقامة خبيرٍ اقتصادي مصري في الخُرطوم، وكما يتساوى المصريون والإنكليز في الوظائف يتساوون أيضاً في التجارة والهجرة وملكية الأراضي.

ولقد كانت هذه الاتفاقية ذات أهميةٍ بالنسبة إلى إنكلترا حتى جرت في القاهرة وليس في لندن، واشترك فيها ممثلون عن الأحزاب المصرية جميعها، ولم ينفرد بها حزب واحد، وعندما اتفق الفريقان المتفاوضان على كل فقراتها سافروا إلى لندن حيث جرت مراسيم التوقيع، ووافق عليها المجلسان النيابيان في كلٍ من القاهرة ولندن.

جورج ستيوارت سايمز وسياسته:

لم يرض الحاكم الجديد عما سار عليه سلفه من الضغط على المتعلمين، بل لا بد من أن تكون هناك سياسة تقاربٍ بين السلطة والمتعلمين وهذا ما سار عليه إذ جعل المتعلمين يُشاركون في المجالس البلدية في المدن وخاصةً في الخرطوم، بل رأى أن تكون إمكانية التعليم الجامعي للسودانيين.

الخريجون:

كان نشاط الخريجين من الناحية الاجتماعية على كتابة بعض المقالات بين الحين والآخر في الصحف، أو إلقاء بعض الكلمات في المناسبات التي تقوم عادةً في البلدان الإسلامية مثل المولد النبوي والهجرة و... أو المناقشات في الجلسات الأدبية في البيوت أو الأندية هذا مع الخوف الشديد من السلطة نتيجة الضغط القائم.

وتأسّست دار للثقافة فكانت كمنتدى يتبادل فيها المتعلمون الآراء، وربما كانت مشكلة الرواتب أهم دوافع اللقاء والمناقشة لذا تكوّن جهاز إداري للعمل الجماعي من أجل حلّ هذه المشكلة، وتأسّست بعض المنتديات والجمعيات الأدبية. وأثناء المناقشات طُرحت في الجمعية الأدبية بنادي الخريجين بمدينة «واد مدني» فكرة إنشاء جهازٍ إداري للخريجين، وانتقلت الفكرة إلى العاصمة أم درمان، وفعلاً نشأت هيئة مؤتمر الخريجين في ١٢ ذي الحجة ١٣٥٦هـ (١٢ شباط ١٩٣٨م).

ووُضعت لهذه الهيئة أهداف، كما وُضع دستور، ومن أجل الحصول على مُوافقة السلطة على هذه الهيئة فقد سُجّلت بشكلٍ لا ترى فيها الحكومة أي خطر عليها أو أية صفةٍ سياسيةٍ، وقد جاء هذا في خطاب أمين سرّ الهيئة الذي وجهه إلى أمين السر الإداري إذ جاء فيه، إن الهيئة تهدف إلى العمل في ميدان الإصلاح الاجتماعي والأعمال الخيرية، وليس من أهدافها إحراج الحكومة أو القيام بنشاطٍ يتعارض مع سياستها، وإن أغلبية أعضائها من موظفي الحكومة، وهم يشعرون بواجبهم كموظفين، وهم على ثقةٍ من أن الحكومة تُقدّر موقفهم كمجموعةٍ أخذت نصيباً من العلم عليها واجبات يجب أن تقوم بها للمصلحة العامة. وكذلك كان نصّ مقدمة دستور الهيئة في أنها تعمل لخدمة مصالح الخريجين أولاً ومصالح البلاد عامةً ثانياً. وقد كان ردّ أمين السر الإداري باسم الحكومة بأنه يُرحّب بقيام هذه الهيئة ما دامت تهدف خدمة البلاد والأعمال الخيرية، ولكن الحكومة لا تعترف بها كهيئةٍ سياسيةٍ، وليس لها أن تُمثّل غير وجهة نظر أعضائها.

بدأت هيئة مؤتمر الخريجين نشاطها بجمع التبرعات لفتح المدارس الأهلية الابتدائية التي تحتاج إليها البلاد، إذ لم يكن في السودان كله سوى عشر مدارس ابتدائية يومذاك. وفي الواقع فإن مؤسسي هيئة مؤتمر الخريجين كان ينوون منذ البداية على جعل هذا المؤتمر هيئةً سياسيةً تتحدّث باسم أبناء السودان، ولكن بعد أن تقف على رجليها ويقوى ساعدها، وتُعرف في الأوساط العامة، ويظهر أثرها في المنتديات، ويبرز رجالها من خلال العمل الاجتماعي في البداية.

أخذ الخريجون بشكلٍ طبيعيٍ يتصلون ببعض الأعيان والشخصيات المعروفة كأي عضوٍ في المجتمع السوداني، وكان من أبرز هذه الشخصيات عبد الرحمن المهدي بن محمد أحمد المهدي، وعلي الميرغني.

كان عبد الرحمن المهدي صغيراً عندما دخل الإنكليز إلى السودان على رأس الجيش المصري عام ١٣١٦هـ، وشهد مصرع إخوته الذين هم أكبر منه برصاص الإنكليز فتولّدت في نفسه كراهية الإنكليز وحقده عليهم، ولكن ليس بيده شيء فعندما شبّ انصرف إلى أعماله الخاصة واتجه إلى زراعة القطن فاستفاد من ذلك مادياً وكثر الخير عنده، وأبدى كرماً فبرز، وكان يفد إليه أناس من جهات كردفان في الغرب من جماعة أنصار أبيه، وتضايق الإنكليز من هذا، تضايقوا من نجاح زراعة القطن عنده إذ زادت من موارده فأنفق منها، وليس كالإنفاق على الناس طريق إلى الشهرة والظهور، وليست زعامة لبخيلٍ أو مُقتّرٍ، وتضايقوا من وفود جماعاتٍ من غربي السودان إليه، وتضايقوا من التفاف الأنصار حوله، فكانت إنكلترا لذلك تخشى من تطلعه إلى حركةٍ تشبه حركة أبيه، وخاصة أن جذور المهدية لم يقض عليها، وتحملها بعض الحركات التي قامت تُناوئ الإنكليز، هذا بالإضافة إلى العاطفة الدينية الموجودة في السودان والتي رسّخت جذورها الحركة المهدية، ورغب الإنكليز في لفّ عبد الرحمن المهدي في ركابهم، ومحاولة إشعاره أن ظهوره كان عن طريقهم، فقد أُخذ إلى لندن تأييداً لإنكلترا في حربها ضدّ الألمان والعثمانيين. كما سار مرّةً ثانيةً إلى العاصمة الإنكليزية تهنئةً بالنصر في الحرب، وكانت الرحلة في المرتين مع أعيان السودان ومشايخهم، وعدّ هو على رأس الوفد مع السيد علي الميرغني، ولكن لم يُخدع بهم وبسلوكهم فإن نفسه مليئة منهم إذ هم الذين قضوا على أسرته، وأزالوا الدولة التي أقامها والده، وحطّموا الحكم الإسلامي الذي يعمل له، وفوق هذا كله فهم نصارى صليبيون مستعمرون أعداء له ولأمته ولبلده. ومع هذا كانوا يُظهرون له الاحترام ويحذرون منه أشدّ الحذر، وربما زاد الحذر والخوف منه عندما استضاف عام ١٣٥٤هـ الوفد التجاري المصري في الجزيرة، فقدم إليه الوفد، وكان هناك مجرىً صغير لفرع من النيل يحول دون وصول عربات الوفد فأشار على أنصاره بردمه فردِم

بساعاتٍ، ويحتاج ردمه إلى مشروعٍ من الدولة يستمرّ عدّة أيّام فأحسّ الإنكليز بحبّه من أنصاره وطاعتهم له والبَذل أمامه، فتوجّسوا منه خيفةً، وأصبحوا يحسبون له حساباً.

أما السيد علي الميرغني فكان والده محمد عثمان الميرغني يُعارض الحركة المهدية، وقد انتقل إلى مصر يوم نجاحها وهناك نشأ وتربّى ولده علي الميرغني فكانت له صلات، ولما عاد المصريون والإنكليز إلى السودان رجع إلى شرقي السودان وأقام في «الخاتمية» جنوب «كسلا» حيث يُدفن هناك جده الأعلى صاحب الطريقة الختمية فعمل مُوجّهاً دينياً، ولما قضي على عبد الله التعايشي انتقل السيد علي الميرغني إلى أم درمان يعمل موجهاً دينياً كوالده، ولم يكن الإنكليز يحذرون منه كحذرهم من عبد الرحمن المهدي إذ لم يسبق لهم أن قضوا على أسرته ليتولّد عنده حقد عليهم، كما لم يُزيلوا دولةً أقامها أحد أسلافه، ولم يكن أبوه سوى موجّهٍ يلتفّ حوله الناس، بل عارض الحركة المهدية وانتقل إلى مصر وعاش في كنف السلطة الإنكليزية هناك حيث تسيطر على الحكم ورجع معهم، لذا كان الإنكليز يُظهرون له الاحترام، ويعدّونه الموجّه الديني الأكبر نكايةً في عبد الرحمن المهدي أولاً ومُحاولةً لكسبه إلى صفّهم ثانياً، وقد سافر إلى لندن على رأس الوفد في المرتين اللتين سافر بهما عبد الرحمن المهدي. وكان السيد علي الميرغني يُبادل الإنكليز احتراماً باحترامٍ.

برز هذان السيدان بين الحربين العالميتين مُعتمدين على ماضي أسرتيهما، فعبد الرحمن المهدي قد أقام والده حركة المهدية ودولتها، ولا يزال لها أتباع وأنصار، وقد حملوا اسم الأنصار وهم أقرب إلى الطريقة الصوفية، وعلي الميرغني كان لوالده وجدّه أتباع الطريقة الختمية التي آلت إليه مشيختها. وغدت المنافسة بين الفريقين، وكانت إنكلترا تُغذّيها لتتمكن من تفرقة السودانيين وسيطرتها عليهم.

ولمّا بدأ الخريجون يلتقون بهذين السيدين، ويتأثّر كل فريقٍ بالسيد الذي يلتقي معه، بدأت الجذور الحزبية تتكوّن وتظهر تدريجياً، وفي الوقت نفسه أصبح الإنكليز يتقرّبون من المثقفين، ويحرصون على كسب أو لفّ من يستطيعون للسير في ركابهم والتحرّك في فلكهم. وأدّى الانشقاق في الخريجين

إلى وجود مجموعتين: يتزعّم الأولى أحمد السيد الفيل، وقد نسبت مجموعته إليه وتابع علي الميرغني، ومحمد علي شوقي ونسبت جماعته إليه، وقد تابع عبد الرحمن المهدي. ورغم هذا الانشقاق فإن مؤتمر الخريجين قد أعلن تأييده للديمقراطية ضدّ دول المحور، غير أنه رفض الدعوة إلى تجنيد السودانيين. وهكذا أخذ الخريجون يتدخّلون في الأمور السياسية، إضافةً إلى إذاعة بعض النشرات باسم مؤتمر الخريجين في إذاعة أم درمان التي أُنشئت عام ١٣٥٩هـ.

وفي اجتماع الخريجين للمرة الثانية عام ١٣٥٨هـ، لم يكن عدد الحضور كبيراً، وأُعيد انتخاب إسماعيل الأزهري أميناً عاماً للمرة الثانية. واهتم الخريجون بالتعليم إذ أوصوا بزيادة عدد المدارس، ومنذ عام ١٣٥٨هـ بدأت استشارة الخريجين بالمنح الدراسية للطلاب السودانيين الذين يدرسون في مصر، وقدم المؤتمر مذكرتين للحكومة إحداهما تخصّ المعهد العلمي في أم درمان، وتطالب الحكومة بزيادة المخصصات له، وإدخال المناهج الحديثة في الدراسة، واستقدام أساتذة له من الأزهر، وحبذا لو تولى الأزهر أمر إدارته، واختصت الثانية بالتعليم بشكلٍ عامٍ حيث من الواجب أن تستهدف السياسة التعليمية: محو الأمية ورفع مستوى التعليم، والتربية على روح التعاون. وقد قُدّمت المذكرة في جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ.

وفي الاجتماع الثالث انتخب حماد توفيق أميناً عاماً، وحدثت خلافات مع الإدارة البريطانية فاستقال بعض الأعضاء، فانتخبت لجنة جديدة تولّى رئاستها إسماعيل الأزهري.

وعندما انتصر الحلفاء على الإيطاليين في معركة «كرن» في ١٧ صفر ١٣٦٠هـ (١٥ آذار ١٩٤١م)، كما انتصروا في العلمين بقيادة مونتغمري أرسلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر برقيةً للحاكم العام تبدي ارتياحها بهذا النصر، وتأمل بأن يعترف الحلفاء بعد تحقيق النصر بحقوق السودان في حق تقرير المصير وبقية الدول العربية. وانتخبت لجنة جديدة عام ١٣٦١هـ برئاسة إبراهيم أحمد، وكانت ترى التعاون مع الإدارة البريطانية.

كانت إنكلترا بعد ثورة اللواء الأبيض قد عملت على تعميق الخلاف بين

الشمال والجنوب، وأخذت تحول دون انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية من الشمال إلى الجنوب، وخاصةً أنها قد عدّت بعض قادة تلك الحركة من الجنوب، وقد قامت سياسة إنكلترا منذ عام ١٣٤٩هـ على هذا الأساس، وأُصدرت عدة قرارات وقوانين وتبنتها، وعدّت فيها الجنوب منطقةً مُغلقةً في وجه الشمال، وأهم أسس هذه السياسة:

١ ـ توفير العاملين الذين تحتاجهم الإدارة في الجنوب من غير الناطقين بالعربية.

٢ ـ استخدام اللغة الإنكليزية لغةً أساسيةً في التعامل، إلى جانب اللهجات المحلية.

٣ ـ حظر هجرة التجار من الشمال إلى الجنوب، وإغلاق الجنوب تماماً في وجه الشمال.

٤ ـ العودة إلى حياة التقاليد والأعراف.

٥ ـ منع الزواج المختلط بين الشمال والجنوب.

٦ ـ إبعاد القبائل ذات الأصول العربية من الجنوب.

ولما بدأت كفّة الحرب تأخذ في الرجحان إلى جانب الحلفاء قدّم مؤتمر الخريجين العام مذكرةً تضمُّ المطالب الآتية:

١ ـ إصدار تصريحٍ مُشتركٍ في أقرب فرصةٍ مُمكنةٍ من الحكومتين الإنكليزية والمصرية بمنح السودان بحدوده الجغرافية حقّ تقرير مصيره بعد الحرب مُباشرةً، وإحاطة ذلك الحق بضمانات تكفل حرية التعبير عن ذلك الحقّ حريةً تامةً، كما تكفل للسودانيين الحقّ في تكييف الحقوق الطبيعية مع مصر باتفاقٍ خاصٍ بين الشعبين المصري والسوداني.

٢ ـ تأسيس مجلس أعلى للتعليم أغلبيته من السودانيين، وتخصيص ما لا يقلّ عن ١٢٪ من الميزانية للتعليم.

٣ ـ تأسيس هيئةٍ تمثيليةٍ من السودانين لإقرار الميزانية والقوانين.

٤ ـ فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.

٥ ـ إلغاء قوانين المناطق المقفولة، ورفع قيود مزاولة التجارة والانتقال داخل الأراضي السودانية عن السودانيين.

٦ ـ وضع تشريعٍ يُحدّد الجنسية السودانية.

٧ ـ وقف الهجرة إلى السودان فيما عدا ما قرّرته المعاهدة الإنكليزية ـ المصرية.

٨ ـ عدم تجديد عقد الشركة الزراعية بالجزيرة.

٩ ـ تطبيق مبدأ الرفاهية والأولوية في الوظائف وذلك بـ:

أ ـ إعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلي في الحكم بتعيين سودانيين في وظائف ذات مسؤوليةٍ سياسيةٍ في جميع فروع الحكومة.

ب ـ قصر الوظائف على السودانيين. أما المناصب التي تدعو الضرورة لملئها من غير السودانيين فتُملأ بعقودٍ محدودة الأجل يتدرّب في أثنائها سودانيون لشغلها في نهاية المدة.

١٠ ـ تمكين السودانيين من استثمار موارد البلاد التجارية والزراعية والصناعية.

١١ ـ وضع قانون بإلزام الشركات والبيوتات التجارية بتحديد نسبٍ معقولةٍ من وظائفها للسودانيين.

١٢ ـ وقف الإعانات لمدارس الإرساليات التنصيرية وتوحيد مناهج التعليم بين الشمال والجنوب.

غير أن الأمين الإداري الإنكليزي «دوغلاس نيوبولد» قد ردّ على المذكرة ردّاً مختصراً، وأعلن رفضها، وأعلنت الإدارة البريطانية أن المؤتمر بتقديمه هذه المذكرة قد نقض عهد التعاون معها، كما خالف شروط الاعتراف به.

وأما حيثيات الردّ فقد كانت مبنيةً على:

١ ـ طرحت المذكرة قضايا تتعلّق بالوضع السياسي، وهي مسألة تخصّ دولتي الحكم الثنائي.

٢ ـ خالف المؤتمر دستوره وذلك بمحاولة جعل نفسه هيئةً سياسيةً على الصعيد الوطني، وادّعى أنه يُمثّل السودانيين.

٣ ـ إن الحكومة كانت تعني بالرغبة الوطنية المشروعة الخاصة بالمستنيرين السودانيين لزيادة مُساهمتهم في الإدارة وتطوير بلادهم. وهذا الأمر هو واجب ومسؤولية حكومة السودان وحدها ولا يخصّ أي هيئةٍ أو منظمةٍ سواها.

ولكن الأمين الإداري الإنكليزي حاول رأب الصدع مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر والتقى مع بعض أعضائها، وأرسل لهم خطاباً بأن الحكومة الإنكليزية لا تقف موقفاً مُعادياً من المستنيرين السودانيين، وأبدى استعداده للتعاون. ولكن بعد تبادل المذكرات طلب عدم استمرارها، وهذا ما وسّع شقّة الخلاف بين الطرفين، واتجه مؤتمر الخريجين إلى النشاط التعليمي والتنظيمي، وكان يُمثّل المعتدلين إبراهيم أحمد على حين يُمثّل إسماعيل الأزهري الأقلّ اعتدالاً. وانتخب في عام ١٣٦٢هـ إسماعيل الأزهري رئيساً للمؤتمر، وانسحب المعتدلون من اللجنة التنفيذية.

هنّأ المؤتمر الحكومة بالنصر على إيطاليا عام ١٣٦٢هـ، وقال: إنه يأمل أن تستجيب الحكومة لمطالب السودانيين. وأخذت الحكومة على عاتقها مُشاركة السودانيين في الحكومة المركزية، وأعلنت عن تكوين مجلس استشاري لشمالي السودان. غير أن مؤتمر الخريجين رفض فكرة المجلس الاستشاري، وهدّد بفصل العضو الذي يشترك فيه وذلك:

١ ـ لأنه لم يكن للمجلس المقترح أية سلطةٍ تشريعيةٍ.

٢ ـ لإبعاد الجنوب من المجلس، وقصره على الشمال فقط.

٣ ـ لأن غالبية الأعضاء من زعماء العشائر.

٤ ـ إن ما خُصّص لمؤتمر الخريجين من أعضاء وهو عضوان لا يمكنهما القيام بأي عملٍ.

وإن هذا الرأي قد سبّب خلافاً آخر في المجلس إذ كان هناك من يرى المشاركة، وهو فرصته لمساهمة المتعلمين لمناقشة قضايا البلاد، وانفصل من المؤتمر أصحاب هذا الرأي.

المفاوضات بين مصر وإنكلترا بعد الحرب العالمية الثانية:

كانت السودان نقطةً أساسيةً في كل المفاوضات التي جرت بين مصر وإنكلترا، وكانت وجهتا نظريهما مختلفة تمام الاختلاف ففي الوقت الذي كانت مصر تطالب فيه إنكلترا بالجلاء عن البلاد، كانت تعدّ السودان جزءاً منها أو تحرص على ذلك على حين أن إنكلترا ترغب في أن تفصل قضية مصر عن السودان، وترغب في البقاء في السودان وحكمها منفردةً، ولا ترى في قرارة نفسها معاهدة الحكم الثنائي سوى معاهدةٍ صوريةٍ تريد منها أن تستخدم المصريين في تنفيذ مطامعها في السودان.

مذكرة النقراشي:

في مطلع عام ١٣٦٥هـ وفي شهر محرم (كانون الأول ١٩٤٥م)، قدّمت الحكومة المصرية مذكرةً رسميةً إلى إنكلترا تتعلّق بالجلاء عن مصر، وتحقيق الوحدة بين مصر والسودان، ولكن الحكومة البريطانية قد ردّت ردّاً غير مقبول إذ ادّعت أنها لا تزال تتمسّك بمعاهدة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، وهذا ما أدّى إلى قيام مظاهراتٍ في مصر قمعتها الحكومة، واضطر محمود فهمي النقراشي إلى تقديم استقالة حكومته في ١٤ ربيع الأول ١٣٦٥هـ (١٥ شباط ١٩٤٦م)، وسحبت إنكلترا مندوبها في مصر اللورد «كيلرن»: واعتمدت مكانه «رونالد كامبل». إلا أن المظاهرات قد استمرّت في مصر بل انتقلت إلى السودان حيث تظاهر طلاب كلية غوردون، واتحاد العمال الزراعيين، ومؤتمر الخريجين قد أسهم في هذه المظاهرات إسهاماً واضحاً.

مفاوضات صدقي ـ بيفن:

كلّف الملك إسماعيل صدقي بتأليف وزارةٍ مصريةٍ جديدةٍ، وتشكّل وفد مصري برئاسة رئيس الوزارة المصرية إسماعيل صدقي، وتألّف وفد إنكليزي برئاسة وزير الخارجية «بيفن» من أجل المفاوضات، وقدّم الوفد المصري في

هذه المفاوضات ملحقاً خاصاً بالسودان جاء فيه: «يتعهّد الطرفان الساميان المتعاقدان بالدخول فوراً في مفاوضاتٍ بقصد تحديد نظام الحكم في السودان في نطاق مصالح الأهالي السودانيين على أساس وحدة وادي النيل تحت تاج مصر». غير أن المفاوضات لم تتقدّم خُطوةً واحدةً نحو الأمام رغم استمرارها مدةً طويلةً، وهذا ما جعل رئيس الوزراء إسماعيل صدقي يُقدّم استقالة حكومته في ٣ ذي القعدة ١٣٦٥هـ (٢٨ أيول ١٩٤٦م). غير أن الملك فاروق رفض الاستقالة وطلب منه الاستمرار في الحكم، والسفر إلى لندن لمتابعة المفاوضات، وتمّ الاستمرار، وتمّ السفر، وجرت المفاوضات واستمرّت شهراً كاملاً (٢٣ ذي القعدة ـ ٢١ ذي الحجة ١٣٦٥هـ)، وانتهت بالاتفاق على مشروع معاهدةٍ، وبروتوكولين: أحدهما يتعلّق بجلاء إنكلترا عن مصر، ويتعلّق الثاني بالسودان وهذا ما يُهمّنا وقد جاء فيه: «إن السياسة التي يتعهّد الطرفان الساميان المتعاقدان اتباعها في السودان في نطاق وحدة مصر والسودان تحت تاج مصر المشترك ستكون أهدافها الأساسية تحقيق رفاهية السودانيين، وتنمية مصالحهم، وإعدادهم إعداداً فعلياً للحكم الذاتي، وتبعاً لذلك ممارسة حقّ اختيار نظام الحكم للسودان في المستقبل.... وإلى أن يتسنّى للطرفين الساميين المتعاقدين الاتفاق التام المشترك بينهما تبقى اتفاقية سنة ١٨٩٩م ساريةً، وكذلك الماد ١١[1] من معاهدة ١٩٣٦م

(١) تنص المادة ١١ من معاهدة ١٩٣٦م وملحقها على ما يلي:

١ ـ الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة في المستقبل لتعديل اتفاقيتي ١٩ كانون الثاني و١٠ تموز ١٨٩٩م ـ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين، ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين. والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لإدارتهما في السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين.

٢ ـ وبناءً على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين في السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذي يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين في الوظائف الجديدة التي لا يتوفر لها سودانيون أكفاء.

٣ ـ يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلاً عن الجنود السودانيين.

٤ ـ تكون هجرة المصريين إلى السودان خاليةً من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام. =

مع ملحقها[1] والفقرات من ١٤ ـ ١٦[2] من المحضر المتفق عليه للمعاهدة المذكورة نافذةً».

= ٥ ـ لا يكون هناك تمييز في السودان بين الرعايا البريطانيين والرعايا المصريين في شؤون التجارة والمهاجرة والملكية.

٦ ـ اتفق الطرفان المتعاقدان على الأحكام الواردة في ملحق هذه المادة فيما يتعلّق بالطريقة التي تصبح بها الاتفاقات الدولية ساريةً في السودان.

(١) الملحق بالمادة (١١) هو:

ما لم وإلى أن يتفق الطرفان المتعاقدان على غير ما يأتي تطبيقاً للفقرة الأولى من هذه المادة يتعيّن أن يكون المبدأ العام الذي يراعيانه في المستقبل بالنسبة إلى الاتفاقات الدولية هو أنه لا تطبق على السودان إلا بعمل مشترك تقوم به حكومة المملكة المتحدة وحكومة مصر، وإن مثل هذا العمل المشترك يكون لازماً كذلك إذا أريد إنهاء اشتراك السودان في اتفاقٍ دولي منطبق عليه.

والاتفاقات التي يراد سريانها في السودان تكون على العموم اتفاقات ذات صفةٍ فنيةٍ أو أنسانية، ومثل هذه الاتفاقات تكاد تشمل على الدوام حكماً خاصاً بالانضمام إليها فيما بعد. وفي مثل هذه الأحوال تتبع هذه الطريقة لجعل الاتفاق سارياً في السودان ويجري الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها عن مصر وعن المملكة المتحدة كل فيما يخصه شخصان مفوضان في ذلك تفويضاً صحيحاً، وتكون طريقة إيداع وثيقة الانضمام في كل حالة موضع اتفاق بين الحكومتين.

وفي حالة ما إذا أريد أن يطبق على السودان اتفاق لا يحتوي على نص خاص بالانضمام تكون طريقة تحقيق ذلك موضع تشاورٍ واتفاقٍ بين الحكومتين.

وإذا كان السودان بالفعل طرفاً في اتفاقٍ وأريد إنهاء اشتراكه فيه فتشترك المملكة المتحدة ومصر في إصدار الإعلان اللازم لهذا الإنهاء.

ومن المتفق عليه أن اشتراك السودان في اتفاق ما وإنهاء ذلك الاشتراك لا يكون إلا بعملٍ مشتركٍ يجري خصيصاً بالنسبة إلى السودان ولا يترتبان على مجرد كون المملكة المتحدة ومصر طرفين في الاتفاق ولا نقضهما لهذا الاتفاق.

وفي المؤتمرات الدولية التي تجري فيها المفاوضات في مثل هذه الاتفاقات يكون المندوبان المصري والبريطاني بطبيعة الحال على اتصالٍ دائمٍ بالنسبة لأي إجراء قد يتفقان على أنه مرغوب فيه لصالح السودان.

(٢) الفقرات من ١٤ ـ ١٦ هي:

١٤ ـ من المتفق عليه بالإشارة إلى الفقرة الأولى من المادة الحادية عشرة أن يُقدّم الحاكم العام إلى حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة وإلى الحكومة المصرية تقريراً سنوياً عن إدارة السودان وأن يبلغ التشريع السوداني إلى رئيس مجلس الوزراء المصري مباشرةً.

١٥ ـ من المتفق عليه بالإشارة إلى الفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أنه بينما يكون=

ولكن يبدو أن كل طرفٍ قد فهم الاتفاقية من خلال وجهة نظره الخاصة وما استقرّ في ذهنه، إذ صرّح إسماعيل صدقي بعد عودته إلى القاهرة «أن الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصري قد تقرّرت نهائياً».

وصرّح وزير الخارجية البريطانية «بيفن» في مجلس العموم أنه لم يحدث أي تغيير على حالة السودان القائمة، وكل ما تمّ لا يعدو أن يكون تأكيداً لما هو قائم. ثم أكّد ذلك بمذكرةٍ سُلّمت إلى السفير المصري في لندن بتاريخ ١٢ محرم ١٣٦٦هـ (٦ كانون الأول ١٩٤٦م).

واضطر إسماعيل صدقي بالردّ على المذكرة، كما اضطر إلى تقديم استقالة حكومته في ١٥ محرم أي بعد ثلاثة أيامٍ فقط من تسليم المذكرة البريطانية إلى السفير المصري. وكلّف الملك فاروق، محمود فهمي النقراشي بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ.

إن التصريحات البريطانية قد شجّعت الحاكم العام في السودان إلى دعم العناصر التي تدعو إلى انفصال السودان عن مصر، كما أنهى خدمة قاضي قضاة السودان المصري حسن مأمون، ونشطت حركة الحاكم العام بما يتفق والأهداف الإنكليزية.

= تعيين الرعايا المصريين في وظائف السودان الرسمية خاضعاً بالضرورة لعدد الوظائف المناسبة الخالية، ووقت خلوها، ومؤهلات المرشحين المتقدمين لها، فإن أحكام تلك الفقرة تسري فوراً مجرد نفاذ المعاهدة.

وتكون ترقية الموظفين في حكومة السودان إلى أية درجةٍ كانت دون مراعاة للجنسية وذلك بالاختيار تبعاً للجدارة الشخصية.

ومن المفهوم أيضاً أن هذه النصوص لا تمنع الحاكم العام من أن يعين أحياناً في بعض الوظائف الخاصة أشخاصاً من جنسيات أخرى إذا لم يتيسر وجود ذوي المؤهلات من الرعايا البريطانيين والرعايا المصريين أو من السودانيين.

١٦ ـ من المتفق عليه فيما يتعلّق بالفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة أنه نظراً لأن الحكومة المصرية ترغب في إرسال جنودٍ إلى السودان فإن الحاكم العام سيبادر بالنظر في أمر عدد الجنود المصرية اللازمة للخدمة في السودان والأماكن التي يقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم، وسترسل الحكومة المصرية فوراً مجرد نفاذ المعاهدة ضابطاً مصرياً عظيماً يستطيع الحاكم العام استشارته في هذه الأمور.

مفاوضات النقراشي ـ كامبل:

قدّمت حكومة محمود فهمي النقراشي في ٢٢ صفر ١٣٦٦هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٤٧م) مشروع بروتوكول خاص بالسودان، وقد جاء فيه: «اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان بغية ضمان رفاهية السودانيين وتنمية مصالحهم والعمل الدائب على إعدادهم للحكم الذاتي على أساس وحدة مصر والسودان تحت تاج مصر المشترك أن يدخلا فوراً في مُباحثاتٍ عن السودان تُمثّل فيها مصر والمملكة المتحدة ويُستشار فيها السودانيون.

وإلى أن يبلغ السودان الحكم الذاتي تستمرّ اتفاقية سنة ١٨٩٩م ساريةً، وتظلّ المادة ١١ من معاهدة سنة ١٩٣٦م مع ملحقها والفقرات من ١٤ ـ ١٦ من المحضر المتفق عليه، والملحق بالمعاهدة المذكورة معمولاً بها». ولم يستطع الجانبان الاتفاق، لذا فقد قرر مجلس الوزراء المصري في ٣ ربيع الأول ١٣٦٦هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٤٧م) قطع المفاوضات وعرض قضية البلاد على مجلس الأمن.

سافر وفد سوداني إلى مصر برئاسة إسماعيل الأزهري، وضمّ مختلف الأحزاب السودانية، لكن لم يلبث أن اختلف أعضاؤه ورجع أعضاء حزب الأمة، ومن يُؤيّدهم إلى السودان. كما استطاعت إنكلترا أن تزيد الشقاق بين الأطراف السودانية وقد سافر عبد الرحمن المهدي إلى لندن في مطلع عام ١٣٦٦هـ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٦م)، والتقى برئيس الوزارة البريطاني «اتلي» وبأعضاء مجلس العموم وزعماء المعارضة وحذّر الجميع من مغبة الاتفاق مع مصر لضمّ السودان إلى التاج المصري.

قضية السودان في مجلس الأمن:

قدّمت حكومة محمود فهمي النقراشي مذكرةً إلى مجلس الأمن بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٦٦هـ (٨ تموز ١٩٤٧م) عن طريق الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة عن طريق السفير المصري في نيويورك محمود حسن وقد جاء فيها: «إن احتلال القوات البريطانية لمصر في سنة ١٨٨٢م كان غير مشروع، وإن احتلالها للجزء الجنوبي لوادي النيل أي السودان كان تبعاً لذلك، وهذا ما مكّن

لحكومة المملكة المتحدة من سنة ١٨٩٩م من أن تفرض على مصر اشتراكها معها في إدارة السودان، وقد تنفرد بعدئذٍ بالسلطان، وقد استخدمت حكومة المملكة المتحدة هذا الوضع لكي تتبع سياسةً ترمي إلى فصل السودان عن مصر عاملةً على تشويه سمعة مصر والمصريين، وبذر بذور التفرقة بين المصريين والسودانيين، وبثّ الانقسام بين السودانيين أنفسهم، وإثارة حركاتٍ انفصاليةٍ مُصطنعةٍ والحضّ عليها.

وأنه وفقاً للمادة ٢٣ من ميثاق الأمم المتحدة ـ وعلى الرغم من أن وجود القوات الأجنبية لا يتلاءم بداءةً مع حرية المفاوضات ـ سعت الحكومة المصرية في حسن نيةٍ إلى الوصول إلى حلٍ عادلٍ لهذا النزاع عن طريق مفاوضاتٍ مُباشرةً مع المملكة المتحدة، لكن أخفقت هذه المفاوضات الطويلة المضنية، وحاولت حكومة المملكة المتحدة التمسّك بمعاهدة ١٩٣٦م، لكنه لا يمكن أن تلتزم مصر بها إذ أنها استنفدت أغراضها».

بحث مجلس الأمن القضية من ١٨ رمضان المبارك حتى ٢٤ شوال ١٣٦٦هـ (٥ آب حتى ١٠ أيلول ١٩٤٧م). وفي يوم ١٨ رمضان عرض رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي القضية أمام مجلس الأمن، وردّ عليه رئيس الوفد البريطاني «ألكسندر كادوغان» ثم ردّ عليه النقراشي. . . وأخيراً امتنع مجلس الأمن عن إصدار قرارٍ بهذا الشأن. ففشلت مصر في بحث الموضوع.

مفاوضات صلاح الدين ـ بيفن:

أرسل وزير خارجية مصر محمد صلاح الدين في جمادى الأولى ١٣٦٩هـ (آذار ١٩٥٠م) مذكرةً رسميةً إلى «أرنست بيفن» وزير خارجية بريطانيا لفتح باب المفاوضات للوصول إلى وضعٍ مُستقرٍ يُؤدّي إلى الاستقلال التام ووحدة وادي النيل، واستجابت بريطانيا لذلك، واستؤنفت المفاوضات في ١٣ ذي القعدة ١٣٦٩هـ (٢٦ آب ١٩٥٠م).

واستمرّت ما يقرب من عامٍ حيث انتهت بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٧٠هـ (٢٦ تموز ١٩٥١م).

تقدّمت الحكومة البريطانية ببعض المبادئ لتكون أساساً لمناقشة مسألة السودان وهي:

١ ـ بالنظر إلى اعتماد كلٍ من مصر والسودان على مياه نهر النيل، ولضمان التوسّع في كميات المياه التي يمكن الانتفاع بها ـ يتطلّب الأمر أن يرتبط الشعبان بأوثق علاقات الصداقة.

٢ ـ الهدف المشترك لمصر وبريطانيا العظمى هو أن تُمكّنا الشعب السوداني من بلوغ الحكم الذاتي الكامل في أقرب فرصةٍ.

٣ ـ بسبب الفروق الواسعة بين السودانيين في الثقافة، والجنس، والدين، والتطور السياسي ـ فإن الوصول إلى الحكم الذاتي الكامل ـ يقتضي تعاون مصر والمملكة المتحدة مع السودان.

٤ ـ من أجل ذلك تُوافق الحكومتان على أن تُؤلّفا لجنةً ثلاثيةً لمعاونة السودانيين على بلوغ الهدف الموضّح في الفقرة الثانية ومساعدتهم على وضع دستورهم المقبل.

وقد اقترح الوفد المصري على أن تكون مبادئ المناقشة كالآتي:

١ ـ وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري.

٢ ـ تمتع السودانيين في نطاق الوحدة وفي مدى عامين بالحكم الذاتي.

٣ ـ انسحاب القوات البريطانية والموظفين البريطانيين، وإنهاء الحكم القائم حالياً في السودان بعد انتهاء هذين العامين.

٤ ـ وفي حالة قبول هذه المبادئ تُوافق الحكومة الملكية المصرية على تأليف لجنةٍ ثلاثيةٍ للمعاونة على بلوغ الهدف الموضّح في الفقرة الثانية.

وطالت المباحثات دون فائدةٍ، وفي الاجتماع الأخير ٢٢ شوال ١٣٦٩هـ قال وزير الخارجية المصري محمد صلاح الدين رئيس الوفد إلى الوفد الإنكليزي: «إنني لا أرى بارقة أملٍ تدلّ على إمكانية الاتفاق لأنكم:

١ ـ تُنكرون حقّنا الثابت في وحدة مصر والسودان.

٢ ـ تدّعون لأنفسكم ـ دون حق ـ مسؤوليات قبل السودان ونحن لا نُقرّكم عليها.

٣ ـ تتعلّلون بهذه المسؤوليات لتعقيد الموقف واستمرار الحالة القائمة في السودان ـ حيث يتعذر الوصول إلى حلٍ مرضٍ».

واتهم كل طرفٍ الآخر في موضوع تعثّر المفاوضات، وكان المصريون يرون أن المرحلة الانتقالية في السودان للحكم الذاتي تحتاج إلى سنتين على حين يرى الإنكليز أن هذه المدة تحتاج إلى خمسة عشر عاماً على الأقل.

إلغاء معاهدة ١٩٣٦م:

وفي ٨ محرم ١٣٧١هـ (٨ تشرين الأول ١٩٥١م) ألغت الحكومة المصرية من جانبها معاهدة ١٩٣٦م، وصدق الملك فاروق على ذلك بعد أسبوعٍ، وكان القرار قد وافق عليه مجلس الشيوخ ومجلس النواب بالإجماع.

وصدر قرار آخر بتعديل الدستور، وقد أُلغيت المادة ١٥٩ واستعيض عنها بالنص الآتي: «تجري أحكام الدستور على المملكة المصرية جميعها ـ ومع أن مصر والسودان وطن واحد ـ فإنه ينفرد نظام الحكم في السودان بقانونٍ خاص».

وأُلغيت المادة ١٦٠ واستعيض عنها بـ «يُلقّب الملك بملك مصر والسودان».

وصدر قانون آخر بوضع دستورٍ ونظامٍ خاص بالسودان، ويقضي هذا القانون بأن يكون للسودان دستور خاص تُعدّه جمعيّة تأسيسية تُمثّل أهالي السودان، ويُنفّذ بعد تصديق الملك عليه. ويكفل هذا الدستور قواعد أساسية أهمها.

١ ـ إقرار النظام الديمقراطي النيابي في البلاد سواء تكونت الهيئة النيابية من مجلسٍ أم من مجلسين.

٢ ـ الفصل بين السلطات الثلاث ـ التشريعية ـ التنفيذية ـ القضائية.

٣ ـ إنشاء مجلسٍ وزاريٍ من أهل السودان وتكون الوزارة مسؤولةً مسؤوليةً تضامنيةً لدى الهيئة النيابية.

٤ ـ تشترك الهيئة النيابية مع الملك في مُمارسة السلطة التشريعية بما في ذلك اقتراح القوانين.

٥ ـ ضمان استقلال السلطة القضائية.

٦ ـ كفالة حقوق الأفراد والحريات العامة.

٧ ـ يحتفظ بالشؤون الخارجية، وشؤون الدفاع، والجيش، والنقد، فيتولاّها الملك في جميع أنحاء البلاد.

غير أن رئيس الوزراء البريطاني «ونستون تشرشل» رفض هذا، وأعلن تمسّك حكومته بمعاهدة ١٩٣٦م، واتفاقيتي عام ١٨٩٩م، وأن حكم السودان من مسؤولية الحاكم العام.

وتشكّلت في مصر فرق الفدائيين التي لعب فيها الإخوان المسلمون دوراً كبيراً. وحدثت معركة في الإسماعيلية بين قوات الشرطة المصرية والإنكليزية بتاريخ ٨ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٥٢م).

وتمّ الانقلاب في مصر في ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢م) ورأى الحكام الجُدد أن علاج مشكلة السودان كفيل بحلّ مشكلة الجلاء عن مصر. لذا قدّمت الحكومة في صفر ١٣٧٢هـ (تشرين الثاني ١٩٥٢م) مذكرةً للحكومة البريطانية بشأن الحكم الذاتي للسودان وحقّ تقرير مصيره. وقد تضمّنت المذكرة:

١ ـ إن الحكومة المصرية تُؤمن بحقّ السودانيين في تقرير مصيرهم.

٢ ـ وللوصول إلى هذا الهدف لا بدّ من:

أ ـ تمكين السودانيين من مُمارسة الحكم الذاتي الكامل.

ب ـ تهيئة الجوّ الحرّ المُحايد الذي لا بدّ من توفّره لتقرير المصير.

٣ ـ تُعدّ مدّة الانتقال تصفيةً للإدارة الثنائية.

٤ ـ يُعاون الحاكم العام للسودان في مدة المرحلة الانتقالية لجنة مؤلّفة من خمسة أعضاء: مصري ـ بريطاني ـ اثنين من السودان ـ وعضو هندي أو باكستاني تُعيّنه حكومته.

٥ ـ تُشكّل لجنة من ستة أعضاء (ثلاثة من السودان، مصري، بريطاني، أمريكي، هندي أو باكستاني) وذلك لاتخاذ الإجراءات اللازمة للانتخابات.

٦ ـ تكون الانتخابات مُباشرةً في جميع الدوائر باستثناء مديرية بحر الغزال، والمديرية الاستوائية، ومديرية أعالي النيل.

٧ ـ تبدأ الانتخابات قبل نهاية عام ١٩٥٢م.

٨ ـ تُشكّل لجنة للسودنة للإسراع في سودنة الإدارة، والشرطة، وقوة دفاع السودان، وغير ذلك من الوظائف الحكومية. وعلى هذه اللجنة أن تُنجز مهمتها في ثلاث سنواتٍ.

٩ ـ تُوصي الحكومة المصرية بإنشاء منصب وكيل وزارة سوداني يكون حلقة اتصال بين الحاكم العام ومجلس الوزراء.

١٠ ـ تبدأ مدة المرحلة الانتقالية بتعيين اللجنة الخماسية، ولا تتجاوز مدتها ثلاث سنواتٍ.

١١ ـ عند انتهاء المرحلة الانتقالية تعدّ الحكومة السودانية القائمة وقتذاك مشروعاً بقانون الانتخاب (جمعية تأسيسية).

١٢ ـ تنسحب القوات العسكرية البريطانية والمصرية من السودان بعد إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية بسنةٍ واحدةٍ على الأقلّ.

١٣ ـ مهمة الجمعية التأسيسية:

أ ـ تقرير مصير السودان.

ب ـ إعداد دستور بما يتماشى مع القرار الذي يُتخذ. ويكون تقرير مصير السودان إما الارتباط بمصر على صورةٍ ما، وإما الاستقلال عن المملكة المتحدة ومصر.

١٤ ـ تحترم الدولتان القرار الذي تتخذه الجمعية التأسيسية في شأن مصر والسودان، وتتخذ كل من الحكومتين من جانبهما التدابير اللازمة التي تكفل تنفيذ هذا القرار.

مباحثات محمد نجيب ـ ستفنسون:

بدأت المباحثات بين الطرفين في رئاسة مجلس الوزراء المصري بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٣٧٢هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢م)، وانتهت بتاريخ ٢٨ جمادى

الأولى ١٣٧٢هـ (١٢ شباط ١٩٥٣م). وكان الوفد المصري برئاسة اللواء محمد نجيب رئيس مجلس الوزراء، وكان الوفد الإنكليزي برئاسة «رالف ستفنسون» السفير الإنكليزي في القاهرة، وأهم بنود هذه الاتفاقية:

١ ـ حقّ الشعب السوداني في تقرير مصيره.

٢ ـ تُعطى مرحلة انتقالية يتوفّر للسودانيين فيها الحكم الذاتي الكامل، وتكون هذه المرحلة تمهيداً لإنهاء الإدارة الثنائية (المادتان ١، ٢).

٣ ـ يُمارس الحاكم العام ـ إبان مرحلة الانتقال ـ سلطاته بمعاونة لجنة خماسية تُشكّل من اثنين من السودان، وعضو مصري، وعضو من بريطانيا، وعضو باكستاني (المادة ٣، ٤).

٤ ـ الاحتفاظ بوحدة السودان كإقليم واحد (مادة ٥).

٥ ـ تُشكّل لجنة للانتخابات من سبعة أعضاء ثلاثة من السودانيين، وعضو مصري، وعضو من بريطانيا، وعضو من الولايات المتحدة الأمريكية، وعضو هندي تكون له رئاسة اللجنة (المادة ٧).

٦ ـ تُشكّل لجنة للسودنة من عضو مصري، وآخر بريطاني، وثلاثة أعضاء سودانيين وعضو أو أكثر من لجنة الخدمات العامة (مادة ٨) وحُدّدت وظيفة هذه اللجنة في ملحق الاتفاق باتمام سودنة الإدارة، والشرطة، وقوة الدفاع السودانية وغير ذلك من الوظائف الحكومية التي قد تُؤثّر على حرية السودانيين عند تقرير المصير. وتنظر اللجنة في الوظائف غير الضرورية أو الزائدة عن الحاجة التي يشغلها الموظفون المصريون أو البريطانيون، وحُدّد لهذه اللجنة مدة لا تتعدّى ثلاثة أعوامٍ لإنهاء مهمتها.

٧ ـ تنتهي المرحلة الانتقالية عندما يعرب المجلس النيابي السوداني عن رغبته في اتخاذ التدابير للشروع في تقرير المصير، وحينئذٍ يجب أن تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان، وتنتخب جمعية تأسيسية (المواد ٩، ١٠، ١١).

٨ ـ مهمة الجمعية التأسيسية:

أ ـ أن تُقرِّر مصير السودان كوحدةٍ لا تتجزأ إما بارتباطها بمصر على أية صورةٍ أو الاستقلال التام.

ب ـ تُعدّ دستوراً للسودان يتواءم مع القرار الذي يتخذ في هذا الصدد.

٩ ـ تحترم الحكومتان المتعاقدتان قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلّق بمستقبل السودان وتقوم كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار، وقد أُلحق بهذا الاتفاق أربعة ملاحق: تتعلّق بسلطات لجنة الحاكم العام، وسلطات لجنة الانتخابات، وسلطات لجنة السودنة، وملحق ببعض التعديلات لمشروع قانون الحكم الذاتي وفقاً لهذا الاتفاق.

أصدر الحاكم العام القانون التفصيلي للحكم الذاتي الكامل في السودان بتاريخ ٦ رجب عام ١٣٧٢هـ (٢١ آذار ١٩٥٣م).

وفي ١٨ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ (١١ كانون الثاني ١٩٥٥م) أنهت لجنة السودنة مهمتها وأبلغت حكومة السودان دولتي الحكم الثنائي بقرار الجمعية التأسيسية بالرغبة في مزاولة حقّ تقرير المصير، وقبلت الدولتان قرار اللجنة.

وفي ٢٤ ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٥٥م) جلت قوات الدولتين عن الأراضي السودانية نهائياً. وتركت الحكومة المصرية جميع الأسلحة الثقيلة الخاصة بها إلى السودان.

وفي ٥ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ (١٩ كانون الأول ١٩٥٥م) أصدر مجلس النواب السوداني قراراً يقضي بأنه يعدّ جلاء الجيوش عن أرضه استقلالاً له، فلا حاجة إلى إجراء استفتاء لاختيار نوع الحكم.

وأعلنت الحكومة السودانية قيام الجمهورية السودانية، وأبلغت دولتي الحكم الثنائي بذلك، ودعت لانتخاب جمعية تأسيسيةٍ لتضع الدستور النهائي للسودان.

وفي ١٧ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ (٣١ كانون الأول ١٩٥٥م) أقرّ المجلس النيابي السوداني الدستور وأصبح نافذاً من اليوم التالي أي من مطلع عام ١٩٥٦م.

التطورات الإدارية:

شكّل الحاكم العام لجنةً خاصةً بتاريخ ٢٧ ذي الحجة عام ١٣٦١هـ (٤

كانون الثاني ١٩٤٣م) لدراسة إمكانية تشكيل مجلسٍ استشاريٍ لشمالي السودان، فقامت اللجنة بالمهمّة، وأدخل الحاكم بعض التعديلات، ثم أصدر قانوناً بإنشاء مجلسٍ استشاريٍ لشمالي السودان بتاريخ رمضان ١٣٦٢هـ (أيلول ١٩٤٣م)، وعدّه خُطوةً كي يشترك السودانيون في الحكومة المركزية.

وكان المجلس يتألّف من رئيسٍ هو الحاكم العام، ونائبٍ للرئيس هو الأمين الإداري «دوغلاس نيوبولد» وثمانيةٍ وعشرين عضواً. (٣ أعضاء من كل إقليم من الأقاليم الشمالية الستة وهي: النيل الأزرق - كسلا - دارفور - كردفان - الخَرطوم - الإقليم الشمالي) وعشرة أعضاءٍ يُعيّنون من قبل الحاكم العام.

وقد قاطعت الأحزاب الاتحادية المجلس الاستشاري، وانتقدته، على حين أن حزب الأمة والجبهة الاستقلالية كانوا يرون أن التبعية لمصر جريمة.

ودعت الحكومة السودانية في ٢١ جمادى الأولى ١٣٦٥هـ (٢٢ نيسان ١٩٤٦م) لعقد مؤتمر إدارة السودان، ويتمّ تشكيل هذا المؤتمر من أعضاء بريطانيين بحكم وظائفهم، ومن ممثلين عن المجلس الاستشاري لشمالي السودان، وطلب الحاكم العام من الأحزاب الاتحادية ومن مؤتمر الخريجين إرسال ممثلين عنهم غير أنهم رفضوا الاشتراك فيه.

وفي ٩ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (٣١ آذار ١٩٤٧م) قدّم رئيس المؤتمر «روبرتسن» للحاكم العام تقريراً شاملاً عن المؤتمر، وما يراه، وكان من أهم ما يراه:

١ - إنشاء جمعية تشريعيةٍ تتألّف من أعضاء سودانيين يتمّ انتخابهم، بحيث تضمّ الجمعية التشريعية مُمثّلين عن السودان كله شماليه وجنوبيه، وأن تحلّ محلّ المجلس الاستشاري وقد حُدّدت مُهمَّتها بالتشريع، والإدارة، والمالية، واقترح المؤتمر أن يكون عدد أعضاء الجمعية ستين عضواً، وربما يزيد في المستقبل حتى يصل عدد الأعضاء إلى المائة، وأن يحتفظ بعددٍ من المقاعد يتمّ تعيين أصحابها عن طريق الحاكم العام.

٢ - إنشاء مجلسٍ تنفيذي يحلّ محل الحاكم العام ويتألّف من اثني عشر عضواً (رئيس وثلاثة أمناء وستة وكلاء وعضوين ويُرشّحهم الحاكم العام).

ورفع الحاكم صورةً من التقرير إلى كلٍ من الحكومتين المصرية والبريطانية، وقد رفضته الحكومة المصرية، وأبدت عليها الملاحظات التالية:

١ ـ إن تشكيل اللجنة التشريعية على هذه الصورة المقترحة لا يفسح المجال لتمثيل السكان تمثيلاً صحيحاً، فهي أقرب إلى التعيين منها إلى الانتخاب، وأن من الواجب وضع قانونٍ للانتخاب يسمح بتمثيل السودانيين تمثيلاً صحيحاً.

٢ ـ إن السلطات التي أُعطيت للجمعية التشريعية محدودة بالنسبة إلى السلطات التي خُوّلت للحاكم العام ومُعاونيه الأربعة الذين يعدّون أعضاء بحكم وظائفهم في المجلس التنفيذي، وهؤلاء كلهم من الإنكليز.

٣ ـ رأي الجمعية التشريعية لا يخرج على أنه استشاري محض.

٤ ـ لا يتسنّى للجمعية التشريعية النظر في جميع القوانين قبل نفاذها، مع أنها لا تملك إلا الرأي الاستشاري.

٥ ـ لا يُستساغ الجمع بين الوظيفة الحكومية وعضوية الجمعية التشريعية.

٦ ـ لا تملك الجمعية إلا رأياً استشارياً في الميزانية كما هي الحال في بقية القوانين الأخرى.

٧ ـ لا يملك أعضاء الجمعية التشريعية اقتراح مشروعات قوانين يتقدّمون بها إلى الجمعية.

٨ ـ الحاكم العام له الحقّ المطلق في التصديق على التشريعات أو رفضها.

٩ ـ إن معاوني الحاكم العام في المجلس التنفيذي المقترح كلهم من الإنكليز، وقد أعطاهم النظام المقترح السيطرة على المجلس.

١٠ ـ يلقي النظام المقترح المسؤولية الكاملة على البريطانيين على الرغم من أن الغرض منه تدريب السودانيين على الحكم الذاتي.

١١ ـ لم يُشر النظام إلى الحريات الدستورية، والشخصية، والصحافة.

١٢ ـ لم يضمّ المؤتمر الذي أصدر هذه التوصيات عناصر كان من اللازم حضورها حتى يتمكّن المؤتمر من القيام بمُهمّته بشكلٍ مُرضٍ.

ورفض ذلك حزب الأمة وأنصاره، وكذلك رفضته أكثر الأحزاب الاتحادية غير أن المجلس الاستشاري قد وافق عليه، ومن ثم أصدر الحاكم العام قانون الجمعية التشريعية ونشر رسمياً في ١٢ شعبان عام ١٣٦٧هـ (١٩ حزيران ١٩٤٨م).

وحدثت مظاهرات صاخبة، ودعت الأحزاب الاتحادية إلى مقاطعة الانتخابات، وزاد الأمر تعقيداً اختلاف وجهات نظر أبناء السودان وخاصة الأنصار والختمية.

وفي ١٤ صفر ١٣٦٨هـ (١٥ كانون الأول ١٩٤٨م) افتتحت الجمعية التشريعية، وكان نصف أعضائها من الجبهة الاستقلالية، وقد استمرّت المظاهرات، واعتُقل إسماعيل الأزهري. وكان من قانون الجمعية أن تنتخب الجمعية رئيساً لها، ويكون وزيراً، وهو بالاتفاق مع الحاكم العام يُعيّن الوزراء. ويستطيع الحاكم العام إقالة الوزراء ووكلائهم، وتعيين آخرين مكانهم، وحلّ الجمعية التشريعية بل له الكلمة الأولى والأخيرة في كل شيء.

وفي شهر صفر ١٣٧٠هـ (تشرين الثاني ١٩٥٠م) تقدّم الأمين العام الإداري باقتراحٍ جديدٍ يقضي بأن يكون جميع أعضاء الجمعية التشريعية من المنتخبين، وأن يكون جميع أعضاء مجلس الوزراء من السودانيين، وأن يكون مجلس الوزراء مسؤولاً أمام الجمعية التشريعية عن كل الشؤون باستثناء الشؤون الخارجية. وأن يكون للسودان حكم ذاتي، وفي الوقت نفسه يبقى الحاكم العام مسؤولاً عن الشؤون الخارجية والدفاع ولديه سلطات محدّدة للتدخّل في الشؤون السياسية لحفظ الأمن، والنظام، ووقف التدهور الاقتصادي، ومراعاة الطوائف الأجنبية بما في ذلك الموظفين الإنكليز.

وفي الشهر نفسه (صفر ١٣٧٠هـ) أصدرت الجمعية التشريعية قراراً بتكوين لجنة الانتخابات، ولم يمض شهر على ذلك حتى وافقت الجمعية على اقتراح بالحكم الذاتي بأغلبية ٣٩ صوتاً ضدّ ٣٨ عضواً.

غير أن الحاكم قد رفض هذا، وعدّ القرار ضعيفاً إذ أن نتيجة التصويت تدلّ على أن الانقسام قوي في الجمعية التشريعية، كما أن هذا ليس من اختصاص الجمعية التشريعية.

وفي ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧١هـ (٢٠ شباط ١٩٥٢م) أبلغت وزارة الخارجية البريطانية الأمين المدني أنه ليس من سياسة حكومة صاحب الجلالة إعداد السودان للحكم الذاتي في العام المقبل فلا بدّ من مرور مرحلةٍ.

وفي هذه الآونة أخذت السودان تدخل ضمن السياسة الدولية، وذلك لأن الولايات المتحدة أخذت تحلّ محلّ شريكتيها فرنسا وإنكلترا في مستعمراتها تارةً بالغزو الاقتصادي وأخرى عن طريق الانقلابات العسكرية لتصبح دول أوروبا الغربية، وكل الدول صاحبة النظام الرأسمالي تدور في فلك الولايات المتحدة كما تدور الدول الشيوعية في فلك الروس لتكون دول المعسكر أكثر ترابطاً في مواجهة دول المعسكر الآخر، وفي الوقت نفسه تريد الدول الرأسمالية وفي طليعتها إنكلترا وفرنسا أن يبقى لها كيانها، وتبقى لها هيمنتها، وقد استطاعت الولايات المتحدة أن تُنفّذ سياستها في بعض الدول وأن تنجح فيما قامت به، وجاء دور مصر وتعني مصر (مصر والسودان) لذا بدأت إنكلترا ترسم لنفسها سياسةً جديدةً بعد أن كانت تهتمّ بالدرجة الأولى في فصل السودان عن مصر لاختلاف التطوّر السياسي بين المنطقتين ـ حسب مزاعمها السياسية ـ فإن مصر لا بدّ من أن تجلو عنها عاجلاً أم آجلاً، فإذا جاء وقت الجلاء ترى أن تتخذ الخطة لتبقى منطقة السودان ضمن دائرة نفوذها، في الوقت الذي ترى فيه مصر أن السودان جزء منها وإنكترا يجب أن تجلو عن الجزأين على أنهما جزء واحد.

طلبت الحكومة البريطانية من رجالات الحكم في مصر الذين يُمكنها التعاون معهم أن يُوطّدوا علاقتهم بالسودانيين لتبقى المنطقتان في دائرة نفوذها ويمكنها الثبات أمام اللعبة أو السياسة الأمريكية، فكأن إنكلترا أصبحت ترغب في بقاء مصر والسودان معاً على أن تُركّز جهودها فيهما لتقوية نفوذها عن طريق أنصارها في الجزأين عامةً.

بدأ الحكم المصري يُفاوض حزب الأمة غير أن المفاوضات لم تلبث أن انقطعت في ١٨ شعبان ١٣٧١هـ، وقامت بعد ذلك بقليل حركة ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ (٢٣ تموز ١٩٥٢م)، وتغيّرت السياسة في مصر، وأصبح للولايات المتحدة النفوذ الأول فيها. ورأى الحكم الجديد أن موضوع جلاء إنكلترا عن القناة والأراضي المصرية عامة إنما هو مرتبط بموضوع السودان لذا فإن من الأفضل فصل الموضوعين بعضهما على بعض للحصول على الجلاء أولاً، وإذا كان للولايات المتحدة دور في هذا الشأن غير أنها لا تمانع في السيطرة على مصر مرحلياً، ثم ترسم خطةً جديدةً لكن كان للحكّام الجدد مصلحة فعادت المفاوضات مع حزب الأمة والجبهة الاستقلالية، وتمّ الاتفاق في ٢٣ محرم ١٣٧٢هـ، ثم اتفقوا مع الأحزاب الاتحادية في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ. كانت سياسة إنكلترا من البدء فصل السودان عن مصر، واستمرّت على ذلك، وكانت سياسة حزب الأمة والجبهة الاستقلالية كذلك بل كانوا يعدّون التبعية لمصر جريمةً. وكانت سياسة الحكم الجديد في مصر الالتفات إلى مصر لجلاء القوات الإنكليزية وللتمكين لأنفسهم، وهذا ما تفاهموا عليه مع الأحزاب الاتحادية وإن كان الأمر يقتضي عندهم وعند الولايات المتحدة توطيد الصلة مع الأحزاب الاتحادية من أجل المستقبل، ومن أجل إحلال السياسة الأمريكية مكان السياسة الإنكليزية في السودان.

وفي ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ تمّ الاتفاق بين مصر وإنكلترا على منح السودان الحكم الذاتي، وحقّ تقرير المصير. وكان القرار الذي سبق أن ألمحنا إليه يقضي أن تتشكّل لجنة للانتخابات من ثلاثةٍ من السودانيين، وعضو بريطاني، وعضوِ أمريكيٍ، وعضوِ هنديٍ.

وجرت الانتخابات النيابية في السودان، ودعي المجلس للاجتماع في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ (١ كانون الثاني ١٩٥٤م) وكان مُؤلّفاً من الأحزاب الآتية:

الحزب الوطني الاتحادي	وحصل على	٥١ مقعداً.
حزب الأمة	وحصل على	٢٢ مقعداً.
الحزب الجمهوري الاشتراكي	وحصل على	٣ مقاعد.

المستقلون	وحصل على	١١ مقعداً.
الحزب الشيوعي	وحصل على	١ مقعد.
حزب الأحرار الجنوبيين	وحصل على	٩ مقاعد.
		٩٧ مجموع مقاعد المجلس النيابي.

وفي ٥ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ تشكّلت أول وزارةٍ سودانيةٍ برئاسة إسماعيل الأزهري[1].

وكان مجلس الشيوخ يتألّف من ثلاثين عضواً، حصل الحزب الوطني الاتحادي على اثنين وعشرين مقعداً في هذا المجلس.

أخذت مصر تُفكّر بمدّ نفوذها إلى السودان لعلّها تستطيع ضمّ السودان إليها، وكانت الولايات تحثّ على هذا لتحلّ هي محلّ إنكلترا في السودان عن طريق مدّ النفوذ المصري الذي غدا يتعاون مع الولايات المتحدة أو هو من صنائعها. وكُلِّف الرائد صلاح سالم عضو مجلس الثورة المصري بمتابعة أوضاع السودان، وقد عقد اجتماعاً في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ مع حزب الأشقاء الذي انضمت إليه الأحزاب الاتحادية «الأشقاء ـ الاتحاديون ـ الأحرار

---

(١) كانت الوزارة على الشكل الآتي:
١ ـ إسماعيل الأزهري: رئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ مبارك رزوق: وزيراً للمواصلات.
٣ ـ خلف الله خالد: وزيراً للدفاع.
٤ ـ أمين السيد: وزيراً للصحة.
٥ ـ ميرغني حمزة: وزيراً للري، والزراعة، والمعارف.
٦ ـ علي عبد الرحمن: وزيراً للعدل.
٧ ـ حماد توفيق: وزيراً للمالية.
٨ ـ سانتنيودينغ: وزيراً للدولة.
٩ ـ دال داي: وزيراً للدولة.
١٠ ـ إبراهيم المفتي: وزيراً للاقتصاد والتجارة.
١١ ـ محمد نور الدين: وزيراً للأشغال.
١٢ ـ بولين أكير: وزيراً للدولة.

الاتحاديون ـ وحدة وادي النيل و.....» وأسّسوا الحزب الوطني الاتحادي.

وفي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (١ آذار ١٩٥٤م) زار وفد مصري برئاسة محمد نجيب السودان، غير أن حزب الأمة وأنصاره قد تجمهروا، وبدأت هتافات مُعادية، واصطدموا مع الشرطة، واضطر محمد نجيب للعودة، وقطع الزيارة، وأُلغي الاحتفال، وأعلن حزب الأمة أنه لا يقبل أي نوعٍ من التعاون مع مصر، وأنهم يريدون الاستقلال التام، وإذا لم يتمّ ذلك فستقع أحداث دامية، ولن يستقر السودان.

وبدأت العجلة تدور نحو الاستقلال وتدوس على فكرة الاتحاد، فانسحب وزيران من الوزراء من الحزب الوطني الاتحادي وهما: ميرغني حمزة، وخلف الله خالد، وسحبوا ثقتهم من إسماعيل الأزهري، وأسّسوا حزب الاستقلال الجمهوري مع أحمد جالي في ٩ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ بتأييد علي الميرغني.

ثم جرت مصالحة بين زعيم طائفة الأنصار عبد الرحمن المهدي، وعلي الميرغني زعيم طريقة الختمية وأصدرا بياناً في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ (٥ كانون الأول ١٩٥٥م) أنهما يعملان لمصلحة السودان.

كما أعلن عبد الرحمن المهدي أنه من أنصار الاستقلال وذلك بتاريخ ٢٣ رجب ١٣٧٤هـ، وما كان من حزب الأمة إلا أن عارض سياسة حزب الاتحاد الوطني وإسماعيل الأزهري.

وفي آخر يوم من أيام عام ١٣٧٤هـ (١٨ آب ١٩٥٥م) أُعلن التمرّد في الجنوب، وكان الهدف الحصول على الحكم الذاتي، وأعلنوا أن الجنوب لن يُوافق على الاستقلال إن لم يمنح الجنوب الاستقلال الذاتي، وطلبت مصر من الحاكم العام إرسال قواتٍ مصريةٍ وإنكليزيةٍ للجنوب للقضاء على التمرد لكنه رفض، وهدأت الأحوال ذاتياً.

وفي ١١ محرم ١٣٧٥هـ قرّر المجلس النيابي السوداني الاستفتاء المباشر، ووجده أفضل وسيلةٍ للتعبير الصحيح عن رغبة الشعب غير أنه لم يلبث أن

وجده صعب التحقيق لذا فقد أقلع عنه بعد أن رأى صعوبة إجراء الاستفتاء.

وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ قدّم الحاكم العام للسودان استقالته إلى رئيس الوزراء إسماعيل الأزهري، وأعلنت الحكومة البريطانية، وأبلغت الحكومة المصرية أيضاً أنها لا تريد ترشيح آخر ليحلّ محلّ الحاكم العام المستقيل في محاولة للتقرّب من السودانيين، فكان على السودانيين أن يُعلنوا استقلال بلدهم من داخل المجلس النيابي، كما على المجلس اختيار رأس الدولة. والتقت الأحزاب السودانية على تأليف حكومةٍ من مختلف الأحزاب واتفقت على أن يكون رئيسها إسماعيل الأزهري، غير أن الوزارة السابقة[١] قد استمرّت في مهمتها حتى شهر رجب حيث تشكلت حكومة قومية.

وفي يوم ٥ جمادى الأولى ١٣٧٥ أعلن الاستقلال في داخل المجلس النيابي فقد وقف النائب عبد الرحمن محمد إبراهيم دبكة[٢] وقال: نحن أعضاء

---

(١) وكانت الحكومة على الشكل الآتي:
١ ـ إسماعيل الأزهري: رئيس الوزراء، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ محمد نور الدين: وزير الأشغال.
٣ ـ ميرغني حمزة: وزير التربية.
٤ ـ حماد توفيق: وزير المالية.
٥ ـ إبراهيم المفتي: وزير التجارة.
٦ ـ مبارك رزوق: وزير المواصلات.
٧ ـ خلف الله خالد: وزير الدفاع.
٨ ـ محمد أمين السيد: وزير الصحة.
٩ ـ علي عبد الرحمن: وزير العدل.
١٠ ـ بدر الدين البرت: وزير دولة.
١١ ـ سانتينيو دينغ: وزير دولة.
١٢ ـ يحيى الفضلي: وزير الشؤون الاجتماعية.
١٣ ـ محمد أحمد المرضي: وزير الحكومات المحلية.
١٤ ـ إبراهيم حسن: وزير التعدين.
١٥ ـ حسن عوض الله: وزير الزراعة.
١٦ ـ مدثر علي البوشي: وزير العدل/ لاحقاً.

(٢) من نواب حزب الأمة من منطقة دارفور.

مجلس النواب في البرلمان نعلن باسم شعب السودان القوي الباسل أن السودان قد أصبح دولةً مستقلة كاملة السيادة، ونرجو من معاليكم أن تطلبوا من دولتي الحكم الثنائي الاعتراف بذلك فوراً.

وفي ١٨ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ (١ كانون الثاني ١٩٥٦م) كان استقلال السودان، وتشكّل مجلس السيادة الأولى من خمسة أعضاء[١].

❀ ❀ ❀

(١) تألّف مجلس السيادة من:
١ ـ أحمد محمد ياسين.
٢ ـ عبد الفتاح المغربي صالح.
٣ ـ أحمد محمد صالح.
٤ ـ سريسيو أرو.
٥ ـ الديرديري محمد عثمان.

الفصل الثاني
الاستقلال

انضمّت السودان إلى جامعة الدولة العربية بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٣٧٥هـ (١٩ كانون الثاني ١٩٥٦م) واستمرّت حكومة إسماعيل الأزهري حتى ١ رجب ١٣٧٥هـ حيث ألّف وزارةً قوميةً ضمّت مختلف الأحزاب(١). وذلك أن كل الأحزاب قد ابتعدت عن مصر، وتقاربت آراؤها بعضها مع بعض بعد أن رأوا أن رجال الثورة قد تنكّروا لرئيسهم محمد نجيب الذي كان يُعدّ أو هكذا يعدّه السودانيون على الأقل أنه رمز الوحدة بين مصر والسودان. ثم رأوا تصرّف رجال الثورة المصريين تجاه السودان فقد كان الرائد صلاح سالم وزير الإرشاد القومي وفي الوقت نفسه وزير شؤون السودان إذ حرص الحرص

---

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ إسماعيل الأزهري: رئيس الوزراء، وزير الداخلية، وزير الدفاع.
٢ ـ مبارك رزوق: وزير المواصلات والأشغال.
٣ ـ حماد توفيق: وزير المالية.
٤ ـ إبراهيم المفتي: وزير التجارة والصناعة.
٥ ـ علي عبد الرحمن: وزير التربية والتعليم.
٦ ـ محمد أمين السيد: وزير الصحة.
٧ ـ سانتينيو دينغ: وزير دولة.
٨ ـ يحيى الفضلي: وزير الشؤون الاجتماعية، والتعدين.
٩ ـ محمد أحمد المرضي: وزير الحكومات المحلية.
١٠ ـ خضر حمد: وزير الري.
١١ ـ مدثر البوشي: وزير المواصلات.
١٢ ـ حسن عوض الله: وزير دولة.
١٣ ـ فلمون ماجوك: وزير النقل الميكانيكي.
١٤ ـ بوث ديو: وزير الثروة الحيوانية.

الشديد على إيقاع الخلاف أو زيادته بين الأنصار والختمية، وعمل على الاندساس بين صفوف الضباط السودانيين في الجيش وتشكيل مجموعة الضباط الأحرار ليكونوا بيد مصر تتصرّف بتوجيههم وتحريكهم حسب مصالحها كلما رأت ذلك، وقد أنفق الأموال الكثيرة في سبيل تحقيق أغراضه، وكل هذا بمنتهى الأعمال الصبيانية المكشوفة والمفضوحة وقد ذهب إلى الجنوب ومن أجل التقرّب إلى الشعب حسب رأيه ـ رقص عارياً مع مجموعة القبائل هناك داخل الأحراج ليرتبطوا به ما دام يُوافقهم ويعدّ نفسه واحداً منهم. والواقع أن هذا كله كان من سياسة الولايات المتحدة التي تريد أن تمدّ نفوذها إلى السودان وتحلّ محلّ إنكلترا كما فعلت في مصر، وليكن سفراؤها في سياستها هذه أولئك الذين اعتمدتهم في مصر لنقل النفوذ من إنكلترا إليها. وما دام الساسة السودانيون قد أدركوا هذا فقد أصبح من البعيد أن يعود النفوذ المصري إلى السودان وكذلك من وراءه ومن يُوجّهه على الأقلّ في المرحلة الراهنة بل إن هذا قد سبّب جفوة بين الشعبين الشقيقين المتجاورين. وقبلت السودان عضواً في هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٣٧٦هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٥٦م).

انحلّ عقد حزب الاستقلال الجمهوري في هذه الآونة وقبل ثلاث سنواتٍ والذي أسّسه، ميرغني حمزة، وخلف الله خالد، وأحمد جالي، وظهر حزب جديد أطلق عليه حزب الشعب الديمقراطي وكان برئاسة علي عبد الرحمن وزير العدل في وزارة إسماعيل الأزهري السابقة، كما كان الحزب السابق برئاسة اثنين من وزراء إسماعيل الأزهري أيضاً وهما كما ذكرنا ميرغني حمزة وزير الري والزراعة والمعارف وخلف الله خالد وزير الدفاع. وهذا ما خلخل الوزارة القومية[1]، واستقالت حكومة إسماعيل الأزهري، وتشكّلت

---

(١) عدل إسماعيل الأزهري وزارته بعد شهر من تشكيلها وأصبحت كما يأتي:
١ ـ إسماعيل الأزهري: رئيس الوزراء، ووزير الداخلية.
٢ ـ مبارك رزوق: وزير الخارجية، والعدل.
٣ ـ حماد توفيق: وزير المواصلات.
٤ ـ إبراهيم أحمد: وزير المالية، والاقتصاد.
٥ ـ عبد الله خليل: وزير الدفاع.
٦ ـ زيادة أرباب: وزير الشؤون الاجتماعية. =

وزارة ائتلافية[1] ضمت أحزاب الأمة، والشعب الديمقراطي، والأحرار الجنوبيين، وأصبح الحزب الوطني الاتحادي في المعارضة. وعلى كلٍّ فإن هذه الوزارة تلقى تأييد عبد الرحمن المهدي زعيم الأنصار قطب الائتلاف، وعلي الميرغني زعيم الطريقة الختمية قطب الائتلاف الثاني، والقطبان هما حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي، ولا تختلف هذه الوزارة عن سابقتها إذ كانت مؤيّدةً أيضاً من الأنصار والختمية وكل ما في الأمر أن الختمية كانت تؤيد إسماعيل الأزهري وأصبحت اليوم تُؤيّد علي عبد الرحمن.

بدأت الشكوك تدور حول مصر وربما كان أهمها بسبب السدّ العالي الذي يُضيع على السودان جزءاً من الأرض تغمرها مياه نهر النيل، وثانيهما

= ٧ ـ محمد نور الدين: وزير الحكومات المحلية.
٨ ـ ميرغني حمزة: وزير الزراعة والري.
٩ ـ بنجامين لونكي: وزير التعدين.
١٠ ـ ستناسلوس بايساما: وزير النقل الميكانيكي.
١١ ـ يوسف العجب: وزير دولة.

(١) تشكلت الوزارة الائتلافية برئاسة عبد الله خليل وكانت كما يأتي:
١ ـ عبد الله خليل: رئيس الوزراء، ووزير الدفاع.
٢ ـ علي عبد الرحمن: وزير الداخلية.
٣ ـ ميرغني حمزة: وزير الزراعة والري.
٤ ـ إبراهيم أحمد: وزير المالية.
٥ ـ محمد أحمد محجوب: وزير الخارجية.
٦ ـ محمد نور الدين: وزير الحكومات المحلية.
٧ ـ زيادة أرباب: وزير العدل، والتعليم.
٨ ـ محمد أمين السيد: وزير الصحة.
٩ ـ حماد توفيق: وزير التجارة.
١٠ ـ بنجامين لونكي: وزير الأشغال.
١١ ـ مأمون حسين شريف: وزير المواصلات.
١٢ ـ يوسف العجب: وزير دولة.
١٣ ـ الفرد بيرجوك: وزير التعدين.
١٤ ـ غوردون أيوم: وزير الثروة الحيوانية.
١٥ ـ أمين التوم: وزير دولة.
١٦ ـ محمد أحمد أبو سّن: وزير الشؤون الاجتماعية.

بسبب فكرة القومية العربية التي أخذت مصر تُصدّرها إلى السودان وإلى بقية البلدان العربية، وفي السودان مجموعات لا تنتمي إلى العنصر العربي فهي تُحارب الفكرة أولاً والأحزاب السودانية تريد ودّها للكسب الحزبي أو للظهور بالمظهر الوطني، وهناك نقطة أخرى تنطلق من النقطة الثانية وهي أن القوميين العرب بدأوا يظهرون في السودان، ويعرفون على حقيقتهم، وينمون عن طريق البذخ حيث يمدّهم بالمال زكريا محيي الدين الذي غدا وزيراً للداخلية، وأسّس دولة المخابرات، وهناك مشروع النقطة الرابعة الأمريكي الذي يقضي بتقديم المساعدات العسكرية والمالية إلى الحكومات التي تحتاجها بغية بناء جهازها الدفاعي، كما أن الرئيس الأمريكي من حقّه أن يُرسل القوات المسلحة الأمريكية للدفاع عن أي من الحكومات الصديقة في الشرق الأوسط التي تُواجه تهديداً مسلّحاً من قبل أية دولةٍ أخرى تدور في فلك الشيوعية العالمية، وفي حالة عدم وجود مثل هذا التهديد السافر فيمكن تقديم المساعدات الاقتصادية، وهذا ما خوّله الكونغرس الأمريكي للرئيس ايزنهاور.

كانت مصر تتلقّى المساعدات الاقتصادية والأغذية من الدول الغربية كافةً ومن بينها أمريكا، ومع هذا فإن مصر تُعلن أن سيرها حسب خطٍ اشتراكيٍ، وأن هناك عوامل لقاءٍ وارتباطٍ بينها وبين موسكو، كالسائق الذي يشير نحو اليسار ويتجه نحو اليمين.

وزار «ريتشارد نيكسون» نائب الرئيس الأمريكي عدة دولٍ إفريقية ومنها السودان، وجرت محادثات بعد ذلك بين السودان والحكومة الأمريكية، ولعدم معرفة الساسة السودانيين بأساليب الألاعيب السياسية فقد ظنّ حزب الشعب الديمقراطي أن اللعبة إنما هي إحلال النفوذ الأمريكي في السودان مكان النفوذ المصري الذي هو حليف حزب الشعب الديمقراطي، ولم يدر محمد عبد الرحمن زعيم هذا الحزب أن النفوذ الأمريكي لا يدخل إلى السودان إلا عن طريق مصر، وأن التوجّه نحو موسكو لم يكن سوى تعمية على الشعوب التي أخذت تتضايق من التصرّفات والمواقف الأمريكية خاصةً والغربية عامةً في الوقت الذي تكره فيه الشيوعية وتمقتها، لذا بدأ محمد عبد الرحمن يضع العراقيل في وجه حليفه في الحكم حزب الأمة. ولما زار نيكسون السودان

خرجت المظاهرات التي دبّرها حزب الشعب الديمقراطي وأعوان الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وندّد المتظاهرون بالمواقف الأمريكية، لكن السفير الروسي كان أول رجالات السلك السياسي الذين يستقبلون نائب الرئيس الأمريكي.

وكان الرئيس المصري في غاية السرور وهو يرى الألاعيب تنطلي على حزب الشعب الديمقراطي وبعض رجال السياسة، وخاصةً أنه كان في بداية ارتفاع الخط البياني لشهرته وتزعمه للشارع في كثيرٍ من البلدان العربية، ومع هذا فإن الذين يُخالفونه في السودان كثيرون، لذا بدأ بإعطاء الأوامر بالتحرّك العسكري الذي عمل له الرائد صلاح سالم وزير شؤون السودان، ومن بعده زكريا محيي الدين رئيس الوزارة.

وفي شهر رجب من عام ١٣٧٦هـ جرت محاولة انقلاب برئاسة العميد محمود أبو بكر، والنقيب عبد الرحمن كبيدة، ويعقوب كبيدة، وعمر خلف الله، وعوض بابكر، والملازم أول جعفر النميري، وقد أُبعد عدد منهم من الخدمة، وأُحيل بعضهم إلى الاستيداع بعد التحقيق والمحاكمة وكان الملازم أول جعفر النميري من الذين أُحيلوا على التقاعد.

وكان الخلاف بين مصر والسودان حول مياه نهر النيل، وحول «حلايب والحدود الشمالية» إذ كانت مصر تطلب من السودان التنازل لها عن المناطق الواقعة شمال خط العرض ٢٢° شمالاً، والحلايب بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر الأحمر، وقد أُثيرت هذه القضايا أثناء الاستعداد للانتخابات النيابية، وفي الوقت نفسه كان الاستعداد للاستفتاء على الوحدة بين مصر وسوريا (٣ شعبان ١٣٧٧هـ)، غير أن السودان قد رفض هذا التنازل، وأعلن أنه سيُحارب في سبيل المحافظة على الحدود الشمالية. وسافر وزير الخارجية السودانية على رأس وفدٍ إلى القاهرة في ٢٩ رجب، ورُفعت القضية إلى مجلس الأمن في ٢ شعبان. والواقع أن القصد من إثارة هذا الخلاف كان هو تأجيل الانتخابات السودانية إلى ما بعد الاستفتاء على الوحدة بين مصر وسوريا حيث تُثار عاطفة الوحدة وتستفيد منها الأحزاب الاتحادية في السودان المناصرة

للرئيس المصري أو تلك الأحزاب التي يستخدمها جمال عبد الناصر للدعاية لنفسه ولتنفيذ مخططاته، وربما استطاعت هذه الأحزاب النجاح والدعوة بالانضمام إلى دولتي الوحدة، وفي الوقت نفسه فإن الأحزاب السودانية الاستقلالية كانت أيضاً تريد الاستفادة من إثارة الرأي العام السوداني ضدّ مصر لتحقق الانتصار على خصومها في الانتخابات، كما أنها تخشى آثار الوحدة بين مصر وسوريا.

وجرت الانتخابات السودانية في موعدها المحدد يوم ٨ شعبان ١٣٧٧ هـ (٢٧ شباط ١٩٥٨م)، واستمر الائتلاف بين أحزاب الحكومة (الأمة - الشعب الديمقراطي)، واتفقا أيضاً على عدم التنافس فيما بينهما في الدوائر الانتخابية، وتقسيم الدوائر التي زادت على مقاعد المجلس النيابي السابق فيما بينهما، وخاضا الانتخابات بصورة غير مشروعةٍ وتُخالف كل ما يُسمّونه الديمقراطية حيث كان التنسيق بينهما شبه تامٍ.

ظهرت نتيجة الانتخابات للجمعية التأسيسية في ٢٩ شعبان ١٣٧٧هـ. وكانت كالآتي:

حزب الأمة ٦٣ مقعداً.

حزب الشعب الديمقراطي ٢٦ مقعداً.

الحزب الوطني الاتحادي ٤٠ مقعداً.

حزب الأحرار الجنوبي ٤٠ مقعداً.

وشكّل عبد الله خليل أمين عام حزب الأمة حكومةً ائتلافيةً[1] من حزبه،

---

(١) تشكلت الوزارة الائتلافية الجديدة على الشكل الآتي:
١ ـ عبد الله خليل: رئيس الوزراء، ووزير الدفاع.
٢ ـ ميرغني حمزة: وزير الداخلية، والري.
٣ ـ إبراهيم أحمد: وزير المالية.
٤ ـ علي عبد الرحمن: وزير الزراعة، والتجارة.
٥ ـ محمد أحمد محجوب: وزير الخارجية.
٦ ـ محمد نور الدين: وزير الصحة.
٧ ـ علي عبد الرحمن طه: وزير الحكومات المحلية.
٨ ـ محمد أحمد أبو سنّ: وزير الشؤون الاجتماعية. =

وحزب الشعب الديمقراطي الذي يتسلّم زعيمه علي عبد الرحمن وزارة الداخلية، وكانت المعارضة من الحزب الوطني الاتحادي وحزب الأحرار الجنوبي. ولم يكن الائتلاف الحكومي وطيد الأركان، وبدت تظهر بوادر للتفاهم والتقاء وجهات النظر بين الحزب الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي، وبدأت المناورات السياسية والإشاعات تنطلق في الشارع. وتطلب الحكومة المعونة الأمريكية وتُهاجم المعارضة ذلك بشدّة، وأكثر ما يكون الهجوم من وسائل الإعلام المصرية، بل إن علي عبد الرحمن رغم كونه مُشاركاً في الحكومة فإنه يُشيع أن الولايات المتحدة قد طلبت مقابل المعونة إقامة مطارات حربية في «نيالا» و «جبيت».

وسرت شائعة نشرتها وكالة أنباء «رويتر» أن عبد الله خليل قد رحّب بالإنزال الأمريكي في لبنان لحماية الرئيس كميل شمعون، كما أن الشائعة قد صدرت بقبول عبد الله خليل لمبدأ ايزنهاور.

ومقابل هذا فإن علي عبد الرحمن قد رحّب بالثورة في العراق، وندّد بالإنزال الأمريكي في لبنان وبالحماية الإنكليزية للأردن. وقد وجّهت مصر حملةً إعلاميةً شديدةً على السودان حتى اضطرت الحكومة إلى الإعلان في ٣ محرم عام ١٣٧٨هـ (١٩ تموز ١٩٥٨م) أن قنصل مصر الجديد «علي خشبة» غير مرغوب فيه لاتهامه من قبل سلطات الأمن باتصاله بالعناصر المخرّبة، وأمرته بمغادرة البلاد خلال ٢٤ ساعة.

سافر أمين سر الحزب الوطني الاتحادي «خضر حمد» إلى مصر في ١٨ صفر ١٣٧٨هـ رغبةً في إعادة التفاهم بين الأحزاب الاتحادية، وطلب الرئيس

= ٩ ـ زيادة أرباب: وزير العدل، والتعليم.
١٠ ـ بوث ديو: وزير الأشغال.
١١ ـ مأمون حسين شريف: وزير المواصلات.
١٢ ـ فيرناند اربينغ: وزير التعدين.
١٣ ـ أمين التوم: وزير دولة.
١٤ ـ عبد الله عبد الرحمن: وزير دولة.
١٥ ـ سانتينيو دينغ: وزير الثروة الحيوانية.

المصري من إسماعيل الأزهري عدم الهجوم على علي عبد الرحمن، وجاءت الفرصة المناسبة للمعارضة كي تتحرّك إذ ساءت الأوضاع الاقتصادية، واستطاع الحزب الشيوعي أن يُؤثر على اتحاد النقابات التي نظّمت المظاهرات المستمرة حتى ٨ ربيع الثاني ١٣٧٨هـ، وبدأت المعارضات بالنقد، فأخذ إسماعيل الأزهري يتهم رئيس الحكومة بالرغبة في ربط السودان في فلك الدول الغربية إذ أخذ أسلحةً بريطانيةً، كما انتقد وزير الداخلية ميرغني حمزة، ووجّه له التهمة نفسها وبالتفاهم مع الأنظمة الرجعية، وقام الإخوان المسلمون بمظاهراتٍ في جامعة الخرطوم تضامناً مع الشارع دون أن يكون لهم أيةِ مصلحةٍ في ذلك.

لم يكن من طريق أمام الحكومة إلا أن تمنع تلك اللقاءات السياسية التي كانت تتمّ، وتقف في وجه مظاهرات الطلاب في جامعة الخرطوم وأم درمان خوفاً من زيادة تصاعدها.

وأخيراً أعلن حزب الشعب الديمقراطي فكّ الائتلاف القائم مدّعياً أن مجموعةً من حزب الأمة تفكر جديّاً في إعلان الملكية في البلاد وتتويج عبد الرحمن المهدي ملكاً على السودان. وسافر عبد الله خليل رئيس وزراء السودان ووزير الداخلية، ووزير الري ميرغني حمزة إلى القاهرة للتفاهم مع الرئيس المصري على مياه نهر النيل، كما اتّفق الطرفان على أن تدفع مصر مبلغ ٣٥ مليون جنيه مصري كتعويضٍ لأهالي وادي حلفا الذين ستغرق مياه السد العالي بلدتهم وأرضهم.

رجع رئيس الوزراء إلى الخرطوم فوجد أن الجنوب يستعدّ للتمرّد من جديد. وهناك احتمال للتفاهم بين حزب الشعب الديمقراطي والحزب الوطني الاتحادي. وأن الرئيس المصري يسعى للقيام بانقلابٍ في السودان وقيام حكومةٍ برئاسة إسماعيل الأزهري، ويتشكّل ائتلاف بين الحزبين «الاتحادي والشعب الديمقراطي». كما بلغه احتمال التفاهم بين حزبي الأمة والاتحادي لتشكيل حكومةٍ ائتلافيةٍ برئاسة الأزهري، وشعر عبد الله خليل أن حزبه أيضاً ضدّه من الخلف، وتوقع أيضاً أن تطرح الثقة بالوزارة في أول اجتماع للمجلس

النيابي الذي كان مقرراً أن يكون في ٦ جمادى الأولى ١٣٧٨هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٥٨م) وستحجب الثقة عن حكومته، لذا أجّل اجتماع المجلس النيابي إلى ٢٧ جمادى الأولى ١٣٧٨هـ (٨ كانون الأول ١٩٥٨) بعد أن كان في ٦ جمادى الأولى أي أنه قد أجّله مدة ثلاثة أسابيع ريثما يدرس الموضوع.

استقرّ رأي عبد الله خليل على تسليم السلطة إلى العسكريين فإنه أفضل له حسبما رأى من أن يستلّمها من خصومه السياسيين، ودرس المجلس الأعلى للقوات المسلّحة الأمر، وكان من قبل متردداً، غير أن إلحاح رئيس الوزارة بالسرعة في استلام العسكريين للسلطة وذلك قبل انعقاد اجتماع المجلس النيابي، وأخيراً تمت موافقة الجيش، وتسلّم السلطة اللواء إبراهيم عبود في ٦ جمادى الأولى ١٣٧٨هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٥٨م).

❁ ❁ ❁

الإنقلاب العسكري الأوّل

٦ جمادى الأولى ١٣٧٨ - ١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ

(١٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ - ٢١ تشرين الأوّل ١٩٦٤م)

حلّ القائد العام الأحزاب كلها وصادر ممتلكاتها، وألغى المجلس النيابي، وعطل الدستور والصحف، كما حلّ النقابات العمالية، وطالب الشعب بعدم الاشتغال بالأمور السياسية، ووعد بعودة الجيش إلى مراكزه في الوقت المناسب. وشكّل المجلس الأعلى للقوات المسلحة من ثلاثة عشر عضواً[١]، وسلّم سبعةً منهم وزاراتٍ في الوزارة التي شكّلها، والتي شملت بعض المستقلين.

أعلنت الوزارة[٢] السودانية أنه لا يوجد في اتفاقية المعونة الأمريكية ما يحدّ

---

(١) شكل المجلس الأعلى للقوات المسلحة من:

١ - الفريق إبراهيم عبود: القائد العام، ورئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة.
٢ - اللواء أحمد عبد الوهاب: نائب القائد العام.
٣ - اللواء محمد طلعت فريد.
٤ - اللواء أحمد عبد الله حامد.
٥ - العميد محمد أحمد عروة.
٦ - العميد أحمد مجذوب البحاري.
٧ - العميد أحمد رضا فريد.
٨ - العميد حسن بشير نصر.
٩ - العميد محمد نصر عثمان.
١٠ - العميد محمد أحمد التيجاني.
١١ - العميد محمد أحمد الخواص.
١٢ - العقيد عوض عبد الرحمن صغيرون.
١٣ - العقيد حسين علي كرار.

(٢) أما الوزارة فكانت على الشكل الآتي:

١ - إبراهيم عبود: رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع. =

من استقلال السودان أو يخدش كرامته، وقد صادق مجلس الوزراء على الاتفاقية. وقد وافق عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني على الحكومة وأظهرا التأييد، وهذا ما كان له أثره على نفسية الرئيس المصري الذي يصعب عليه أن يرى في دولٍ مجاورةٍ له اتفاقاً بين أهلها دون أن يكون له أيدٍ تتحرّك وخاصةً أن الذين أيّدوا من الختمية كان يعدّهم من أنصاره. لذا أخذت الشائعات تروّج للتفريق بين الطرفين المتنافسين: الأنصار، والختمية، فيُشاع أن نائب القائد العام وزير الداخلية اللواء أحمد عبد الوهاب يريد أن يستأثر بالسلطة لصالح حزب الأمة، وأنه على باب الإطاحة بالقائد العام. كما أخذت الدعايات تُثير كوامن النفس الشخصية، وقد اتصل أناس بالضباط أصحاب الرتب العالية، وحرّضوهم، كيف يضمّ المجلس الأعلى للقوات المسلحة رُتباً دونهم؟ وكيف تشمل الوزارة عسكريين أقلّ منهم رتبةً؟. وفي الوقت نفسه أطلقت الشائعات أن الحكم يميل إلى الغرب وأنه يُحارب الشيوعية ليتحرّك أنصارها، ولتضعف الحكومة، ولتُوضع أمامها العراقيل.

في ٢١ جمادى الأولى ١٣٧٨هـ منعت جريدة «الطليعة» من الصدور، وهي صوت نقابة العمال. فأرسل اتحاد العمال احتجاجاً في ٢٧ جمادى

= ٢ ـ أحمد عبد الوهاب: وزيراً للداخلية، والحكومات المحلية.
٣ ـ محمد طلعت فريد: وزير الاستعلامات والعمل.
٤ ـ أحمد عبد الله حامد: وزير الزراعة.
٥ ـ محمد أحمد عروة: وزير التجارة.
٦ ـ أحمد مجذوب البحاري: وزير الحكومات المحلية.
٧ ـ أحمد رضا فريد: وزير المواصلات.
٨ ـ عبد الماجد أحمد: وزير المالية.
٩ ـ أحمد خير: وزير الخارجية.
١٠ ـ زيادة أرباب: وزير التربية والتعليم.
١١ ـ مكي لمنا: وزير الري.
١٢ ـ سانتينيو دينغ: وزير الثروة الحيوانية.
كما اشترك في الوزارة في أوقات مختلفة:
١٣ ـ محمد أحمد علي: وزير الصحة.
١٤ ـ أحمد علي الزاكي: تسلّم وزارة الصحة في ٢٠ شباط ١٩٦٢.
١٥ ـ سليمان حسين: تسلّم وزارة المواصلات في ٢٠ شباط ١٩٦٢.
١٦ ـ مأمون بحيري: تسلّم وزارة المالية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣.

الأولى، فألقت الحكومة القبض على الشفيع أحمد الشيخ أمين سرّ الاتحاد وعلى ستةٍ من رفاقه. واحتجّ الاتحاد ثانيةً وبعث ببرقيةٍ إلى مكتب العمل الدولي في جنيف. وكان من قبل قد أعلن الحزب الشيوعي معارضته للانقلاب.

وفي ٢٢ شعبان أرسل العميد عبد الرحيم شنان قائد القيادة الشمالية في شندي، والعميد محيي الدين أحمد عبد الله سعد قائد القيادة الشرقية في القضارف كتيبتين لدخول الخرطوم وهما في طريقهما إلى الجنوب بواسطة القطارات. وكانت الكتيبة الشمالية بقيادة العقيد أبو بكر فريد والكتيبة الشرقية بقيادة العقيد إبراهيم رمضان، وقد استطاعت هاتان الكتيبتان بمساعدة القوات القادمة من الجنوب بإمرة المقدّم حسن إدريس والرائد أحمد محمد أبو الذهب من احتلال الخرطوم في ٢٢ شعبان وتطويق القيادة العامة للجيش وإلقاء القبض على اللواء أحمد عبد الوهاب مع اثنين من أعضاء المجلس الأعلى، وحصار منزل الفريق إبراهيم عبود، ثم جاءت قوات إضافية من الشمالية والشرقية للدعم ـ وللسيطرة على الخرطوم. واضطر القائد العام أن يرضخ للأمر الذي يُطالب قادة الحركة وهو تشكيل مجلسٍ أعلى جديدٍ يضمّهم ويشمل أيضاً العميد مقبول الأمين الحاج قائد القيادة الوسطى بكردفان، وتصحيح موقف الحكومة من الجمهورية العربية المتحدة، ففي مساء ٢٤ شعبان أعلن الفريق إبراهيم عبود قبول استقالة المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وتشكيل مجلسٍ جديدٍ يضمّ عشرةً من العسكريين بينهم قادة الحركة. ووقع خلاف داخل الوزارة وأصر اللواء أحمد عبد الوهاب على تقديم الانقلابيين إلى محكمةٍ عسكريةٍ لتمرّدهم وإثارة الفتنة والشائعات، وتأزّم الموقف داخل الجيش وكادت تحدث اشتباكات، واضطرّ أحمد عبد الوهاب إلى الاستقالة إذ لم يستجب لرأي من آرائه وذلك في ٢٩ شعبان، وهكذا خرج اللواء أحمد عبد الوهاب من المجلس ومن الحكومة، ودخل الانقلابيون المجلس، وتسلّموا مناصب وزارية، إذ أُعطي العميد مقبول الأمين الحاج وزارة الداخلية وفي الوقت نفسه تسلّم أمين سر المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وأعطي العميد عبد الرحيم شنان وزارة الحكومات المحلية، وأعطي العميد محيي الدين أحمد عبد الله وزارة المواصلات، وأُعيد بعض الضباط إلى الخدمة وكانوا من قبل قد طردوا من الجيش.

بدأ العميد عبد الرحيم شنان يُثير المشكلات داخل المجلس الأعلى، وفي الوزارة ويُسانده أيضاً اللواء محيي الدين عبد الله، وفي ١٤ ذي القعدة من عام ١٣٧٨هـ تقدّمت أربعة سياراتٍ مُدرّعةٍ من القيادة الشرقية بالقضارف إلى الخرطوم لكنها اضطرّت إلى العودة، وحاولت قوة من «شندي» أن تتقدّم إلى الخرطوم أيضاً للغرض نفسه فاعتقل أفرادها قبل دخولهم المدينة، وكان القصد منها السيطرة على الحكم، وقد سبق ذلك هجوم واضح على اللواء حسن بشير نصر الذي تولّى مسؤولية الجيش بالنيابة عن الفريق إبراهيم عبود، فاتُّهم أنه يميل إلى حزب الأمة وإلى الغرب. غير أن باقي أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة قد تضامن بعضهم مع بعضٍ، ووقفوا بحزمٍ، فأصدر المجلس أوامره بالقبض على العميد عبد الرحيم شنان والعميد محيي الدين عبد الله وأنصارهم. وبعد شهرٍ من الحركة قُدّم أفرادها إلى المحكمة التي أعلنت أحكامها في ٢٠ ربيع الأول ١٣٧٩هـ وهي:

حكم العميد عبد الرحيم شنان بالإعدام.

العميد محيي الدين عبد الله بالإعدام.

المقدم محمد علي السيد بالسجن المؤبد.

المقدم حسن إدريس بالسجن المؤبّد.

المقدم محمود حسيب بالسجن المؤبد.

الرائد أحمد محمد أبو الذهب بالسجن المؤبّد.

المقدم عبد الحفيظ شنان بالسجن ١٥ عاماً.

النقيب محجوب بابكر سوار الذهب بالسجن ١٥ عاماً.

النقيب أسامة المرضي بالسجن عامين.

الملازم أول محمد علي كيلا بالسجن عامين.

الرائد عبد الحفيظ حسيب بالسجن عاماً واحداً.

وطرد من الجيش سبعة عشر ضابطاً منهم: .

١ ـ العقيد علي صالح سوار الذهب.

٢ ـ المقدم عبد الحليم شنان.

٣ ـ المقدم عباس أبو نوره.

٤ ـ النقيب عبد الغفار شنان.

٥ ـ النقيب جعفر النميري.

٦ ـ النقيب عبد الله الطاهر بكر.

كما أُبعد اللواء حسن بشير نصر نائب الفريق إبراهيم عبود.

كما صدرت أحكام على أعضاء من الحزب الشيوعي منهم:

عبد الخالق محجوب.

الشفيع أحمد الشيخ.

أحمد سليمان.

عز الدين علي عامر.

جوزيف قرنق.

وفي ١٠ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ وضعت الحكومة يدها على حركة يقودها رشيد الطاهر بكر المراقب العام للإخوان المسلمين، وقد كان أول رئيس لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم واصطدم مع الشيوعيين في الاتحاد وقد تمكّن من إخراجهم منه. كان أخوه عبد الله قد اشترك في محاولة الانقلاب السابقة وطُرد من الجيش فكان يزور أخاه الرشيد في مكتبه مكتب المحاماة الذي يشترك فيه مع محمد أحمد محجوب، وبمجيء أخيه صار يلتقي مع زملاء أخيه من الضباط فسار في تيارهم، وعرض على الإخوان المسلمين فكرة الانقلاب فرفضوا وحذّروه من عاقبة الأمر، كما حذّره محمد أحمد محجوب شريكه في مكتب المحاماة، وحذّره أيضاً علي طلب الله الذي أخبره بأن الحكومة تراقب الحركة. وقبض على رشيد الطاهر بكر، والمقدم علي حامد، والمقدم يعقوب كبيدة.

ورأت الحكومة أن تشتدّ في أحكامها كي يُردع الطامعون في السلطة والمتطلّعون إلى الحركات والانقلابات، وشُكّلت المحكمة بسرعةٍ وقُدّم إليها الانقلابيون وخلال أسابيع قليلة صدرت الأحكام، وكانت إعدام خمسة ضباط وهم:

١ ـ المقدم علي حامد.

٢ ـ المقدم يعقوب كبيدة.

٣ ـ الرائد عبد البديع كرار.

٤ ـ النقيب عبد الحميد عبد الماجد.

٥ ـ النقيب الطيار الصادق محمد الحسن.

وصدر الحكم بحق ضابطين بالسجن المؤبد وهما: الرائد عبد الرحمن كبيدة، والملازم محمد محجوب عثمان.

كما صدر الحكم بسجن النقيب عبد الله الطاهر بكر مدة أربعة عشر عاماً، أما أخوه الرشيد الطاهر فقد حكم عليه بسجن خمس سنوات.

وتعرّض للطرد من الخدمة العسكرية والإحالة على الاستيداع: المقدم أبو بكر فريد، والرائد محمد خير محمد سعيد، والنقيب جعفر النميري، والنقيب محمد الحسن أبو طيارة، والملازم محمد حسن مكي.

وتشكّل وفد اتحاد جامعة الخرطوم وذهب إلى الصديق المهدي وطلب منه التدخل والضغط على الحكومة حتى لا يُنفّذ حكم الإعدام في الضباط غير أنه رفض. فإن إعدامهم يزيد من النقمة على الحكم. ولم يمكنهم من الذهاب إلى علي الميرغني إذ أن طريقته مُتهمة على أن لها يداً في الحركة. ونُفّذت الأحكام بسرعةٍ.

ومع أن الحكومة قد أرادت إعطاء ضجّةٍ لهذه الأحكام ليُردع الناس إلا أنها في الوقت نفسه قد حالت دون إقامة التعزية والنواح على عادة السودانيين وقد صلّى الناس مع اتحاد الطلاب صلاة الغائب على الذين أعدموا وخرج المصلون من جامعة الخرطوم بمظاهرةٍ صاخبةٍ، واعتُقل عدد من الطلاب. كما اعتقل الرائد فاروق عثمان حمد الله.

وكان اتحاد الطلاب[1] قد تقدّم بمذكرةٍ إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة يُطالبه بعودة الجيش إلى الثكنات العسكرية وذلك في شهر ربيع الأول

---

(١) كان رئيس اتحاد الطلاب جعفر الشيخ إدريس وهو من الإخوان المسلمين، وطالب بعودة الحياة المدنية أيضاً.

من عام ١٣٧٩هـ فاعتقلت السلطة اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

وطلب الصديق المهدي تشكيل حكومةٍ مدنية للإعداد للانتخابات فلم يُردّ عليه، وتقدّم إسماعيل الأزهري بمثل ذلك فلم يُسمع منه، وأُهملت المذكرتان.

وبدأ التنظيم والإعداد للإطاحة بالنظام. حيث تشكّلت الجبهة الوطنية من حزب الأمة، والوطني الاتحادي، والحزب الشيوعي، وبعض المستقلين.

زار الرئيس المصري جمال عبد الناصر السودان في شهر جمادى الأولى من عام ١٣٨٠هـ، فأعدّ له الصديق المهدي استقبالاً شعبياً، كان القصد إبراز قوة الأنصار وحزبهم حزب الأمة.

وقدّم السياسيون مذكرةً تُطالب بتشكيل حكومةٍ مدنيةٍ وإجراء الانتخابات وذلك في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٠م)، ووقعت هذه المذكرة من حزب الأمة، والوطني الاتحادي؛ والشيوعي من غير جدوى[١]، واستمرّ تقديم المذكرات، واستمرّ الإهمال لها.

أعيد تنظيم الضباط الأحرار في الجيش، وصدرت مجلتهم السرية الأولى «صوت القوات المسلحة» وجرى تعديل قانون جامعة الخرطوم فأضرب الطلاب مدة يومين، وأخيراً وبعد سنتين أُلحقت الجامعة بوزارة التربية والتعليم. فتقدّمت المذكرات احتجاجاً على هذه التصرّفات، واستقال بعض أساتذة الجامعة.

وأضرب عمال السكك الحديدية فكانت النتيجة أن حُلّت نقابتهم.

وجرت مصادمات بين حزب الأمة والشرطة وقتل أحد عشر شخصاً.

أُرسلت برقية إلى الفريق إبراهيم عبود احتجاجاً على التعذيب لأحد

(١) وقع على المذكرة صديق المهدي، إسماعيل الأزهري، عبد الله خليل، مبارك رزوق، محمد أحمد محجوب، محمد أحمد المرضي، عبد الرحمن شاخور، عبد الله عبد الرحمن نقد الله، عبد الخالق محجوب، أحمد سليمان فاعتقلتهم السلطات وأضربوا عن الطعام فأطلق سراحهم.

السجناء السياسيين في مدينة «الأُبيّض»، وهو حسن أبو حسنين من الحزب الشيوعي.

بعد الجفوة التي كانت قد وقعت بين مصر والسودان سافر وفد من السودان ضم ثلاثةً من أعضاء المجلس العسكري فقط دون خبراء، وكان الوفد برئاسة اللواء محمد طلعت فريد، ووصل الوفد إلى القاهرة بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٥٩م)، وبحث الوفد موضوع توزيع مياه النيل بعد بناء السد العالي، وتمّ الاتفاق على أن تكون حصة مصر من مياه النهر ٥٥ مليار متر مكعب، ونصيب السودان ١٨ مليار متر مكعب، وتدفع مصر مبلغ ١٥ مليون جنيه مصري كتعويضٍ لأهالي وادي حلفا عن منازلهم وأراضيهم على حين أن حكومة عبد الله خليل الأخيرة كانت قد طلبت ٣٥ مليون جنيه مصري، ثم وجدت أن تكلفة البناء للسكان المهجّرين تصل إلى ٦٠ مليون جنيه. وبعد توقيع الاتفاقية أعلن الفريق عبود أن الجفوة التي كانت بيننا وبين مصر قد انتهت. وأصبح الحكم في السودان بعدها تقدّمياً في نظر الرئيس المصري وأعوانه، وغدت وسائل الإعلام في البلدين مُتشابهةً إن لم نقل واحدةً. أما نتائج الاتفاقية عند الشعب في السودان فقد كانت صعبةً فلم يجد أهالي مدينةِ وادي حلفا أمامهم سوى المظاهرات تعبيراً عن سخطهم، وانتقلت تلك المظاهرات إلى مدينة عطبره، وإلى بورسودان.

وكان للانفصال بين مصر وسوريا دور في الحركة السودانية إذا شجّع السكان على الرئيس المصري الذي هزّ الانفصال كيانه، وحطّ من كبريائه، إذ لم يستطع قبلها حاكم أو شعب عربي أن يخرج عن الرئيس حيث تنزله وسائل الإعلام الناصرية إلى أسفل سافلين، وتلوكه ألسنة الأعوان، وتجرّحه أنيابهم.

وجاءت إضرابات الشيوعيين واتحادات العمال، وقامت مظاهرات الإخوان المسلمين، في الجامعة والمعاهد العلمية، وتأزّم الموقف بين الشعب والحكم.

غير أن أشدّ الخطر قد جاء إلى السلطة من الجنوب حيث مسّ كيان الغرب، واتحاد الكنائس العالمي. لقد كان محافظ المديرية الاستوائية (علي بلدو) قد فتح معاهد للقرآن الكريم، ومدارس للغة العربية، وحرص الحكم

على توحيد العطلة الأسبوعية في البلاد، حيث تصبح يوم الجمعة فإن ذلك أفضل من أن تكون يوم الجمعة في الشمال ويوم الأحد في الجنوب، هذا إضافةً إلى توحيد المناهج التعليمية إذ تصبح واحدةً بين الشمال والجنوب وهنا ثارت ثائرة الإرساليات التنصيرية في السودان، وأشاعت في الدول النصرانية أن جنوبي السودان مُهدّد بالإسلام وذوبان ما فيه من نصارى، وحثّتهم للإسراع وإنقاذ أبناء الصليب، وبدأ التحريض، فما كان من الحكم السوداني إلا أن طرد ثلاثمائة رجل دين نصراني من رجال الإرساليات، فبدأ تحريض أبناء الجنوب من خارج البلاد، فنشأ تنظيم عسكري عُرف باسم منظمة «الأنيانيا» وبدأت بالهجوم على الثكنات العسكرية، والغارات على المراكز الحكومية. وفي الوقت نفسه كانت الفاتيكان تستحث الدول الأوروبية لتتحرك وتزيل نظام الحكم القائم في السودان، وتدخّل إمبراطور الحبشة في الموضوع، وتدخّل وزير الخارجية اللبنانية فؤاد عمّون الذي هو معتمد بابوية الفاتيكان.

أخذت جماعة الإخوان المسلمين تُقيم ندواتٍ علميةٍ في الجامعة، وأصدر الحكم العسكري أمراً بمنع تلك الندوات فلم يُستجب لطلبه، وفي ١٥ جمادى الآخرة ١٣٧٤هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٦٤م) أُقيمت ندوة علمية، وحاولت السلطة منعها، وأطلقت الرصاص وقُتل أحمد القرشي طه، فعمّت المظاهرات، وتقدم أساتذة الجامعة باحتجاجاتٍ وقدّم بعضهم استقالته، وأعلن قضاة المحكمة العليا الاحتجاج أيضاً، واستقال بعضهم، واضطر الحكم العسكري إلى ترك السلطة إلى المدنيين، ورشّح بعض القادة العسكريين سر الختم خليفة لاستلام رئاسة مجلس الوزراء، ووافقت عليه الأحزاب وجبهة الهيئات.

كان الفريق إبراهيم عبود قبل تركه الحكم بسنةٍ تقريباً قد أقام مؤسسةً تشريعية أطلق عليها اسم «المجلس المركزي» ويتألّف من سبعين عضواً يتمّ انتخاب بعضهم من قبل الشعب مباشرةً ويتمّ اختيار بعضهم الآخر، وقد ضمّ هذا المجلس ستةً وأربعين عضواً من أتباع الطريقة الختمية[1]، كما شمل اثني

---

(١) يُعدّ إبراهيم عبود من أتباع الختمية لصلته الوثيقة مع زعيم الطريقة علي الميرغني، ولانتمائه بالأساس إليها.

عشر عضواً من حزب الأمة، ومع أن هذا المجلس كان يتألّف بأغلبية أعضائه من هاتين المجموعتين، فإن هاتين المجموعتين أيضاً قد كانتا من العوامل الأساسية في زوال حكم إبراهيم عبود، فكأن البلاد كلها تتألف من هاتين المجموعتين فقط. هذا ويُعدّ الوزراء أعضاء في المجلس بحكم مناصبهم.

❃ ❃ ❃

الحكم المدني الثاني

١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٤ ـ ٩ ربيع الأول ١٣٨٩هـ

(٢١ تشرين الأول ١٩٦٤ ـ ٢٥ أيار ١٩٦٩م)

اجتمعت جهود مختلف الفئات للإطاحة بالحكم العسكري، وعُقد مؤتمر المائدة المستديرة الذي ضم:

١ ـ حزب الأمة.

٢ ـ الحزب الوطني الاتحادي.

٣ ـ حزب الشعب الديمقراطي.

٤ ـ حزب الاستقلال الجمهوري.

٥ ـ جبهة الميثاق الإسلامي.

٦ ـ الحزب الجمهوري الاشتراكي.

٧ ـ الحزب الشيوعي.

٨ ـ الحزب الإسلامي الاشتراكي.

٩ ـ حزب السلام الوطني الديمقراطي.

١٠ ـ اتحاد جبال النوبا العام.

١١ ـ حزب مؤتمر البجاة.

١٢ ـ حزب الأحرار الجنوبيين.

١٣ ـ جبهة الجنوب.

١٤ ـ حزب الاتحاد الوطني السوداني **«سانو»**.

١٥ ـ اتحاد الكنائس العالمي.

١٦ ـ جبهة الهيئات «النقابات والمهنيين».

ووضع الميثاق الوطني الذي ينص على:

١ ـ تصفية الحكم العسكري الحالي.

٢ ـ إطلاق الحريات العامة وحرية الصحافة.

٣ ـ رفع حالة الطوارئ.

٤ ـ تأمين استقلال القضاء.

٥ ـ تأمين استقلال الجامعة.

٦ ـ إطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

٧ ـ تتبع الحكومة الانتقالية سياسةً خارجية ضد الاستعمار.

٨ ـ أن تضمّ الوزارة الانتقالية عضواً من كل من الأحزاب التقليدية وهي: حزب الأمة ـ الوطني الاتحادي ـ الشعب الديمقراطي ـ الإخوان المسلمون ـ الحزب الشيوعي، وسبعة أعضاء من اتحاد النقابات ويكون من بينهم أمين عام اتحاد العمال، ورئيس اتحاد المزارعين، إضافة إلى عضوين من الجنوب وبهذا يكون عدد أعضاء الوزارة الانتقالية أربعة عشر وزيراً دون رئيس الوزارة.

ولما انسحب العسكريون من السلطة، واقترح بعض القادة العسكريين سر الختم خليفة لرئاسة الوزارة، ووافقت عليه الأحزاب وجبهة الهيئات. شكّل سر الختم خليفة الوزارة[1]، وظهر أنها وزارة أكثر أعضائها من ذوي الميول

---

(١) تشكلت الوزارة الانتقالية على الشكل الآتي:

١ ـ سر الختم خليفة: رئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع.

٢ ـ محمد أحمد محجوب: وزيراً للخارجية. «الأمة».

٣ ـ مبارك رزوق: وزيراً للمالية. «الوطني الاتحادي».

٤ ـ أحمد السيد أحمد: وزيراً للري. «الشعب الديمقراطي». =

الشيوعية، فالوزراء الخمسة الذين يُمثّلون الأحزاب معروفون وكذا وزراء الجنوب، أما ممثلو جبهة الهيئات فلم يكن من المتوقّع أن يكونوا على هذه الصورة.

وإذا كانت الجفوة قد زالت بين البلدين الشقيقين المتجاورين مصر والسودان بعد توقيع اتفاقية مياه نهر النيل في ٩ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ ولكنها رجعت الآن من جديدٍ، وتحاول مصر السيطرة على الوضع، وبدأت بمحاولة القيامة بانقلابٍ على يد عدد من الضباط، وقد أُعلن من إذاعة أم درمان في اليوم الأول من شهر رجب عام ١٣٨٤هـ بيان بأسماء هؤلاء الضباط الذين منهم:

١ ـ العميد عمر الحاج موسى.

٢ ـ العميد محمد الباقر أحمد.

٣ ـ العميد مزمل سليمان غندور.

٤ ـ المقدم جعفر النميري.

٥ ـ المقدم فؤاد ماهر فريد.

٦ ـ المقدم محمد عبد الحليم.

= ٥ ـ محمد صالح عمر: وزيراً للثروة الحيوانية. «إخوان مسلمون».
٦ ـ أحمد سليمان: وزيراً للزراعة. «شيوعي».
٧ ـ خلف الله بابكر: وزيراً للاستعلامات والشؤون الاجتماعية.
٨ ـ عبد الكريم ميرغني: وزيراً للتجارة، والصناعة، والتموين.
٩ ـ الأمين محمد الأمين: وزيراً للصحة.
١٠ ـ الشفيع أحمد الشيخ: وزيراً لشؤون الرئاسة.
١١ ـ رحمة الله عبد الله: وزيراً للتربية والتعليم.
١٢ ـ كليمنت أمبورو: وزيراً للداخلية.
١٣ ـ أزبوني منديري: وزيراً للمواصلات.
١٤ ـ عابدين إسماعيل: وزيراً للحكومات المحلية.
١٥ ـ عبد الرحمن العاقب: وزيراً للأشغال والثروة المعدنية.

٧ ـ المقدم أحمد عبد الحليم.

٨ ـ الرائد فيصل حماد توفيق.

٩ ـ الرائد فاروق عثمان حمد الله.

١٠ ـ الرائد عزت منصور دسوقي.

١١ ـ الرائد مصباح الصادق.

١٢ ـ الرائد علاء الدين محمد عثمان.

١٣ ـ النقيب بابكر عبد الرحيم.

١٤ ـ النقيب منير حمد.

١٥ ـ النقيب الرشيد محمد نور الدين.

١٦ ـ الملازم خالد حسن عباس.

كما وزّع تنظيم الضباط الأحرار منشوراً هاجم فيه الحكومة، وأثنى على الضباط المعتقلين وعدّهم عنوان الحرية ورمز الوطنية، وأنهم قد ساهموا مساهمةً فعالة في القضاء على الحكم المباد.

اختلف رئيس الوزراء سر الختم خليفة مع قائد الجيش الفريق إبراهيم عبود حول هؤلاء الضباط إذ رأى إبراهيم عبود أن يُوزّع هؤلاء الضباط في أنحاء البلاد، ويُبعدوا عن العاصمة ما داموا لم يُباشروا التهمة التي أُلصقت بهم، فتّم ذلك وأُبعد المقدّم جعفر النميري، والرائد فيصل توفيق حماد إلى دارفور، ووُزّع بعضهم في مديريات الجنوب، وعُيّن بعضهم ملحقين عسكريين في السفارات السودانية في الخارج.

وفي ١٠ رجب ١٣٨٤هـ تقدّم مائتا ضابطٍ بمذكرةٍ تُطالب بتطهير القوات المسلحة فاعترض عليها قائد الجيش الفريق إبراهيم عبود، وخرجت في اليوم التالي مظاهرات تُطالب بإبعاده، فاضطر إلى تقديم استقالته وخرج من الجيش.

وفي ١٤ رجب تشكّلت لجنة من بعض الضباط، وبعض رجال القانون للعمل على تطهير القوات المسلحة، فكان أول ما عملته إبعاد نائب القائد العام

اللواء الطاهر عبد الرحمن مقبول، واللواء عوض عبد الرحمن صغيرون، ثم عملت على طرد عددٍ من الضباط الآخرين.

وفي ١٨ رجب أصدر مجلس الوزراء قراراً بإطلاق سراح السجناء السياسيين والعسكريين، وكان على رأسهم العميد عبد الرحيم شنان، والعميد محيي الدين أحمد عبد الله. وهكذا عاد عدد من الضباط المعتقلين والمبعدين، وأبعد عدد من القائمين على رأس عملهم، وأصبح الجيش يعمل بالسياسة تبعاً لتصرّفات الحكومة فكان العمل تخريبياً أكثر مما يكون تطهيراً وإصلاحاً.

وكان رئيس الوزراء قد وعد في ٢٦ جمادى الآخرة بحلّ مشكلة الجنوب في بيان وجّهه إلى الشعب، كما أعلن العفو العام عن المتمرّدين، ومن كان قد ناصرهم من الجنوبيين، ودعا إلى عودة كل من غادر البلاد إلى الدول المجاورة فراراً من سياسة البطش والإرهاب التي كانت سائدةً أثناء الحكم العسكري. ثم دعا إلى عقد مؤتمرٍ قوميٍ تشترك فيه جميع الأحزاب السودانية الشمالية والجنوبية ويشهده مراقبون من سبع دولٍ إفريقيةٍ عربيةٍ وغير عربية وذلك للنظر في مشكلة الجنوب برمّتها والتشاور في أفضل الوسائل لحلّها.

وفي ١٤ شعبان ١٣٨٤هـ (١٨ كانون الأول ١٩٦٤م) جرى الانقسام والخلاف على الانتخابات التي ستجري في البلاد فقدّم رئيس الوزراء سر الختم خليفة استقالة حكومته، ولكن عهد إليه ثانيةً فأجرى تعديلاً وزارياً[1] في ٢٢ شوال ١٣٨٤هـ (٢٣ شباط ١٩٦٥م).

---

(١) شمل التعديل الوزاري:

١ ـ محمد جبارة العوض: وزير دولة.

٢ ـ صالح محمود إسماعيل: وزير الاستعلامات والشؤون الاجتماعية.

٣ ـ محمد إبراهيم خليل: وزير الحكومات المحلية.

٤ ـ هلاري باولو لوقالي: وزير الأشغال والتعدين.

٥ ـ أحمد المهدي: وزير الري.

٦ ـ الرشيد الطاهر: وزير الثروة الحيوانية.

٧ ـ بدوي مصطفى: وزير التعليم.

٨ ـ الهادي عابدون: وزير الصحة.

وانضم إلى الوزارة في ٣ ذي الحجة ١٣٨٤هـ.

إبراهيم المفتي: وزيراً للمالية، والاقتصاد.

وكان في ٢٩ رجب ١٣٨٤هـ (٣ كانون الأول ١٩٦٤م) قد تشكّل مجلس السيادة الثاني من خمسة أعضاء[1]، وكانت رئاسته دوريةً، حيث يتناوب على الرئاسة عضو كل شهرٍ.

وجرت الانتخابات النيابية في محرم ١٣٨٥هـ (أيار ١٩٦٥م) وكانت نتائجها كالتالي:

حصل حزب الأمة على ٧٣ مقعداً.

حصل الحزب الوطني الاتحادي على ٥١ مقعداً.

حصل المستقلون على ١٨ مقعداً.

وحصل حزب الشعب الديمقراطي على ٣ مقاعد.

وحصلت جبهة الميثاق الإسلامي على ٣ مقاعد.

وحصل مؤتمر البجاة على ١٠ مقاعد.

وتشكّل مجلس السيادة الثالث[2] في ٢٢ صفر ١٣٨٥هـ (٢١ حزيران ١٩٦٥م) واختير إسماعيل الأزهري رئيساً دائماً للمجلس.

---

(١) ضم مجلس السيادة الثاني:
١ ـ التيجاني الماحي.
٢ ـ عبد الحليم محمود.
٣ ـ مبارك الفاضل شداد.
٤ ـ لوينجي أورنوك يونغ.
٥ ـ إبراهيم يوسف سليمان.

(٢) ضم مجلس السيادة الثالثة:
١ ـ إسماعيل الأزهري: اختارته الجمعية التأسيسية رئيساً دائماً لمجلس السيادة في ٩ صفر.
٢ ـ خضر حمد.
٣ ـ عبد الله الفضل المهدي: توفي في ٢٨ محرم ١٣٨٦هـ، وخلفه في مجلس السيادة داود الخليفة في ١٩ شوال ١٣٨٥هـ.
٤ ـ لوينجي أورنوك يونغ: استقال من المجلس مباشرةً، وخلفه فلمون مجوك في ٧ ربيع الأول ١٣٨٥هـ.
٥ ـ عبد الحليم محمد: استقال من المجلس، وخلفه عبد الرحمن عبدون.

وعقد في ١٤ ذي القعدة ١٣٨٤هـ (١٦ آذار ١٩٧٥م) مؤتمر المائدة المستديرة لحلّ مشكلة الجنوب، وقد ضمّ مختلف الأحزاب[١]. وكان ذلك خُطوةً لردّ الثقة إلى النفوس، وقد عاد عدد من الذين كانوا قد غادروا البلاد، ومنهم «وليم دينغ» أحد أعضاء حزب الاتحاد الوطني السوداني «سانو» الذي حضر وشارك في المؤتمر مُمثّلا، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين الشمال والجنوب.

عُهد إلى محمد أحمد محجوب تشكيل حكومةٍ ائتلافيةٍ[٢] إثر الانتخابات وقد ضمّت حزب الأمة، والوطني الاتحادي، والإخوان المسلمين، فتألفت الوزارة[٣] في ١٤ صفر ١٣٨٥هـ (١٣ حزيران ١٩٦٥م).

---

(١) ضم مؤتمر المائدة المستديرة:
١ ـ حزب الأمّة: ومثّله الصادق المهدي.
٢ ـ الوطني الاتحادي: ومثّله إسماعيل الأزهري.
٣ ـ جبهة الميثاق الإسلامي: ومثّله حسن الترابي.
٤ ـ حزب الشعب الديمقراطي: ومثّله علي عبد الرحمن.
٥ ـ الحزب الشيوعي: ومثّله عبد الخالق محجوب.
٦ ـ جبهة الجنوب: ومثله غوردون مورتان.
٧ ـ حزب سانو: ومثله وليم دينغ.

(٢) كان الاتفاق أن تضم حكومة محمد أحمد محجوب ٣ وزراء من كل من: حزب الأمة، والوطني الاتحادي، والشعب الديمقراطي، وكتلة الجنوب، ووزيراً من كل من: الإخوان المسلمين، والحزب الشيوعي.

(٣) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ محمد أحمد محجوب: رئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع.
٢ ـ عبد الرحمن نقد الله: وزيراً للحكومات المحلية.
٣ ـ محمد أحمد المرضي: وزيراً للتجارة والصناعة والتعاون والتموين.
٤ ـ أحمد عبد الرحمن المهدي: وزيراً للداخلية.
٥ ـ محمد إبراهيم خليل: وزيراً للخارجية، والعدل.
٦ ـ حسن عوض الله: وزيراً للتعليم.
٧ ـ الشريف حسين الهندي: وزيراً للري.
٨ ـ عبد الرحمن النور: وزيراً للاستعلامات، والعمل.
٩ ـ أحمد بخاري: وزيراً للصحة.
١٠ ـ نصر الدين السيد: وزيراً للمواصلات. =

وبعد وفاة الصديق المهدي انشقّ حزب الأمة إلى قسمين: قسم تزعّمه الصادق بن الصديق بن عبد الرحمن بن المهدي، وآخر تزعمه عمّه الهادي بن عبد الرحمن بن المهدي.

وأما حزب الشعب الديمقراطي فبقي خارج المجلس النيابي، ثم رجع فانضمّ إلى الوطني الاتحادي وأصبح الحزبان يحملان اسم حزب الاتحاد الديمقراطي، ويحظى برعاية علي الميرغني شيخ الطريقة الختمية.

أما الإخوان المسلمون فقد اختلفوا مع المراقب العام السابق الرشيد الطاهر بكر، وكان قد خرج من السجن بعد الإطاحة بالحكم العسكري مع من خرج، وترشّح للانتخابات ونجح باسم الإخوان لكن كانت له صلة بالضباط الأحرار من الإخوان المسلمين في مصر وعلى رأسهم أبو المكارم عبد الحي لذا كان يرى فكرة إنشاء تنظيمٍ عسكريٍ واستلام السلطة عن طريق الانقلاب، فاختلف مع جماعته فانفصل عنهم، وسار في طريقه، حتى كان في التجمّع الناصري «الاتحاد الاشتراكي»، وتعاون مع جعفر النميري حيث عرفه يوم التخطيط للانقلاب الذي أسلفنا عنه، إذ كان صديق أخيه عبد الله الطاهر بكر.

وكانت هذه المرحلة مرحلة انصراف الناس من الصراع بين حزبي البلاد التقليديين حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي أو بالأحرى بين الأنصار والختمية إلى الصراع بين الإخوان المسلمين والشيوعيين، فالإخوان يعتمدون على عاطفة الشعب الإسلامية، ويعتمد الشيوعيون على دقة التنظيم والدعم الخارجي ومناصرة كل الفئات غير الإسلامية الملحدة والصليبية واليهودية. وقد بدأت الأزمة في ندوة عن مشكلة البغاء في معهد المعلمين العالي. فتعرّض

= ١١ ـ عبد الحميد الصالح: وزيراً للدولة.
١٢ ـ عبد الماجد أبو حسبو: وزيراً للأشغال العامة، والثروة الحيوانية.
١٣ ـ أندرو ديو: وزيراً للزراعة والغابات والمياه الريفية.
١٤ ـ الفرد وول: وزيراً للدولة.
١٥ ـ بوث ديو: وزيراً للثروة المعدنية.
ثم عُيّن:
١٦ ـ داود عبد اللطيف: وزيراً للاستعلامات، والعمل.

المحاضر[1] إلى قول كارل ماركس بأن البغاء ظاهرة اجتماعية بورجوازية فقام أحد الشيوعيين للردّ وتعرّض لبيت النبوة وهذا ما أثار الشعب. ووصل الخبر إلى الشارع فتجمهر الناس في مظاهرات عنيفة انطلقت إلى بيت رئيس مجلس السيادة إسماعيل الأزهري مطالبين بحلّ الحزب الشيوعي فأخذته الحمية أيضاً، وأعلن أنه سيقود المظاهرات إن لم تتخذ الجمعية التأسيسية مرسوماً بحلّ هذا الحزب الملحد.

استمرّت المظاهرات في شهر رجب ١٣٨٥هـ، وجهتها الجمعية التأسيسية لاتخاذ قرارٍ سريعٍ لحلّ الحزب، كما كان لخطباء المساجد دور وإسهام بتعبئة الشعور في كل أنحاء البلاد.

وفي اجتماع الجمعية التأسيسية بتاريخ ٢٩ رجب ١٣٨٥هـ (٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٥م) أصدرت الجمعية التأسيسية تعديلاً للمادة ٤١، ألغت بموجبه عضوية النواب الذين ينتمون للحزب الشيوعي، وصدر قرار في ١٥ شعبان ١٣٨٥هـ (٨ كانون الأول ١٩٦٥م) بحلّ الحزب ومصادرة أملاكه.

لم يعترف الحزب بقرار الحل، ورفع نائبان يمثلان الحزب مذكرة احتجاج إلى المحكمة الدستورية العليا، فأصدر القاضي صلاح حسن قاضي المحكمة العليا حكماً بعدم دستورية الحلّ. واستمرّ هذا الموضوع يشغل الرأي العام عدة سنواتٍ وحتى كان انقلاب ٩ ربيع الأول ١٣٨٩هـ (٢٥ أيار ١٩٦٩م) برئاسة العقيد جعفر النميري. فأيّدت نقابة المحامين قرار المحكمة الدستورية العليا، ودافعت الحكومة والجمعية التأسيسية عن رأييهما، وحدث خلاف بين القضاة، واستقال رئيس القضاء بابكر عوض الله، وانتقل إلى مصر مُؤيّداً وجهة نظر الشيوعيين، وقد أظهرته وسائل الإعلام المعادية للإسلام حتى غدا في مصاف المحامين عن الحرية التي لا يعرفها الشيوعيون، ولم ترد في معاجم أفكارهم.

في هذه الأثناء عُقد مؤتمر المائدة المستديرة، وجرى الخلاف بين

---

(١) كانت المحاضرة للسيدة سعاد الفاتح.

الشمال والجنوب[1]. وفي ١٣ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ (١ تموز ١٩٦٦م) شكّل الصادق المهدي حكومةً ائتلافيةً[2] من حزبي الأمة والاتحادي الديمقراطي، بعد أن سحب المجلس النيابي الثقة من حكومة محمد أحمد محجوب.

وفي ١٦ رمضان ١٣٨٦هـ (٢٨ كانون الأول ١٩٦٦م) جرت محاولة انقلاب أعدّ لها الملازم خالد حسين الكد (ابن أخت عبد الخالق محجوب) وقد استغلّ تدريبه للجنود في بداية التحاقهم بالخدمة، وبدأ يتحدّث مع الرقباء، ووصلت المعلومات إلى رئيس الوزراء الصادق المهدي الذي كلّف القوات المسلحة بمتابعة المؤامرة، وكان المخطط أن يتألّف مجلس القيادة العسكري بعد النجاح من:

١ ـ العقيد جعفر النميري.

٢ ـ المقدم الرشيد محمد نور الدين.

---

(١) انظر الفصل الثالث من هذا الباب الصراعات الداخلية.

(٢) تألّفت حكومة الصادق المهدي: رئيساً للوزراء، ووزيراً للثروة الحيوانية، والمياه الريفية.
٢ ـ إبراهيم المفتي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٣ ـ حسن عوض الله: وزيراً للتعليم.
٤ ـ عبد الرحمن نقد الله: وزيراً للداخلية.
٥ ـ أحمد بحاري: وزيراً للصحة.
٦ ـ نصر الدين السيد: وزيراً للمواصلات، والسياحة.
٧ ـ الشريف حسين الهندي: وزيراً للحكومات المحلية.
٨ ـ حمزة ميرغني: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٩ ـ جيرفس يول أوبانيو: وزيراً للري.
١٠ ـ مأمون سنادة: وزيراً للعدل.
١١ ـ عز الدين السيد: وزيراً للصناعة والتعدين والتجارة والتموين.
١٢ ـ أحمد إبراهيم دريج: وزيراً للتعاون والعمل.
١٣ ـ أروب يور أيوك: وزيراً للأشغال.
١٤ ـ أحمد عبد الرحمن المهدي: وزيراً للاستعلامات، والشؤون الاجتماعية، والدفاع.
١٥ ـ محمد خوجلي: وزيراً للزراعة والغابات.
وبعد ما يقرب من ستة أشهرٍ عُيّن محمد موسى الحلو، وعمر نور الدايم، أعضاء في مجلس الوزراء بدلاً من أحمد عبد الرحمن المهدي، ومحمد خوجلي.

٣ ـ الرائد مصطفى عبادي.

٤ ـ الرائد عثمان أبو شيبة.

٥ ـ الرائد بابكر حسن إسماعيل.

٦ ـ النقيب هاشم العطا.

٧ ـ النقيب الرشيد أبو شامة عبد المحمود.

وتابعت المخابرات العسكرية خيوط المؤامرة، وقبل التنفيذ أُلقي القبض على المحرّكين لها من الضباط كما قُبض على أربعمائةٍ من المدنيين على رأسهم عبد الخالق محجوب، والشفيع أحمد الشيخ والنواب الذين طُردوا من المجلس النيابي على أنهم من الحزب الشيوعي. وقد وُجدت أسلحة في منزل معاوية سورج أمين سر الحزب الشيوعي، ومع هذا فقد خرج الجميع من السجن قبل انتهاء شهر رمضان حيث لم تصل مدة سجنهم إلى أسبوعين.

وشكل محمد أحمد محجوب وزارة[1] في ٢٢ محرم ١٣٨٧هـ (١ أيار

---

(١) شُكلت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ محمد أحمد محجوب: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ حسن عوض الله: وزيراً للداخلية.
٣ ـ يحيي الفضلي: وزيراً للتخطيط، والتعليم.
٤ ـ بوث ديو: وزيراً للري.
٥ ـ أحمد السيد أحمد: وزيراً للتجارة والتموين.
٦ ـ هيلاري باولو لوقالي: وزيراً للعمل والتعاون.
٧ ـ الشريف حسين الهندي: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٨ ـ نصر الدين السيد: وزيراً للثروة الحيوانية.
٩ ـ عبد الماجد أبو حسبو: وزيراً للاستعلامات والشؤون الاجتماعية، والعدل.
١٠ ـ الفرد وول: وزيراً للأشغال.
١١ ـ حسن محجوب مصطفى: وزيراً للحكومات المحلية.
١٢ ـ ميرغني حسين زكي الدين: وزيراً للزراعة والغابات.
١٣ ـ أحمد زين العابدين: وزيراً للصحة.
١٤ ـ محمد زيادة: وزيراً للصناعة والتعدين.
١٥ ـ محمد عبد الجواد: وزيراً للمواصلات، والسياحة.
١٦ ـ آدم محمد موسى مادبو: وزيراً للدفاع.

١٩٦٧م). وحلّ مجلس السيادة المجلس النيابي، وجرت الانتخابات لتشكيل جمعيةٍ تأسيسيةٍ في مطلع عام ١٣٨٨هـ (نيسان ١٩٦٨م)، وكانت نتائج الانتخابات كالآتي:

الحزب الاتحادي الديمقراطي ١٠١ مقعداً.

حزب الأمة جناح الهادي المهدي ٣٨ مقعداً.

حزب الأمة جناح الصادق المهدي ٣٥ مقعداً.

حزب سانو ١٥ مقعداً.

المستقلون ١٠ مقاعد.

الإخوان المسلمون ٣ مقاعد.

اتحاد جبال النوبا العام ١ مقعد.

حزب البجاة ١ مقعد.

الجبهة الاشتراكية ٢ مقعد.

حزب النيل ١ مقعد.

وفي مطلع شهر صفر ١٣٨٨ هـ (أيار ١٩٦٨م) اختار المجلس النيابي مجلس السيادة من:

١ ـ إسماعيل الأزهري.

٢ ـ خضر حمد.

٣ ـ داود الخليفة عبد الله.

٤ ـ الفاضل البشري عبد الله.

٥ ـ جيرفس بياك.

وأمام صراعات الأحزاب بعضها مع بعض، وانقسام بعضها على بعض، وأمام مشكلة الجنوب التي استعصت على فئات الشمال، والتمرّد الذي يقوم به بعض الزعماء في الجنوب ويُسيطرون على السكان وعلى المنطقة كل هذا أظهر ضعف الحكم ولا بد من استبداله، وقام جعفر النميري بحركته.

كان جعفر النميري، بعد حركة ١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٦٤م) قد أُرسل في بعثةٍ إلى أمريكا للحصول على أركان حرب، ورجع إلى السودان بعد غياب أقل من سنتين، ورُفّع إلى رتبة عقيد، والتحق بالقيادة الشرقية بالقضارف، واتهم بالاشتراك بحركة ١٦ رمضان ١٣٨٦هـ (٢٨ كانون الأول ١٩٦٦م) التي قام بها الملازم خالد حسين الكد (اّبن أخت عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي) غير أن المحكمة قد برّأت ساحة جعفر النميري.

أوكلت الحكومة إلى جعفر النميري مهمة تدمير معسكرٍ لمنظمة «الأنيانيا» الجنوبية، فتمكّن من القيام بالمهمة بمساعدة المظليين، والمدفعية الثقيلة، فسلّطت الأضواء على هذه المهمة، وعمل الشيوعيون على إبراز شخصية قائد العملية.

نقل النميري إلى مدرسة المشاة في «جبيت» على تلال البحر الأحمر كقائدٍ ثانٍ للمدرسة.

❀ ❀ ❀

الانقلاب العسكري الثاني

٩ ربيع الأول ١٣٨٩ - ١٦ رجب ١٤٠٥ هـ

(٢٥ أيار ١٩٦٩ - ٦ نيسان ١٩٥٨م)

قام انقلاب عسكري بزعامة العقيد جعفر محمد النميري، واستولى على الحكم، وأزاح وزارة محمد أحمد محجوب، وشكل مجلساً للثورة[١]، وحكومة[٢].

---

(١) ضم مجلس قيادة الثورة الضباط الآتية أسماؤهم:
١ - جعفر محمد النميري: رئيساً لمجلس قيادة الثورة.
٢ - فاروق عثمان حمد الله.
٣ - خالد حسن عباس.
٤ - مأمون عوض أبو زيد.
٥ - أبو القاسم هاشم.
٦ - زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
٧ - أبو القاسم محمد إبراهيم.
٨ - هاشم عطا الله.
٩ - بابكر النور عثمان.
هذا بالإضافة إلى بابكر عوض الله من المدنيين.

(٢) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:
١ - بابكر عوض الله: رئيساً لمجلس الوزراء، وزيراً للخارجية.
٢ - جعفر محمد النميري: وزيراً للدفاع.
٣ - فاروق عثمان حمد الله: وزيراً للداخلية.
٤ - عبد الكريم الميرغني: وزيراً للاقتصاد، والتجارة.
٥ - منصور محجوب: وزيراً للخزانة.
٦ - مكاوي مصطفى: وزيراً للتخطيط.
٧ - محيي الدين صابر: وزيراً للتربية والتعليم.
٨ - أمين الطاهر الشبلي: وزيراً للعدل، والنائب العام. =

وفي اليوم التالي أعاد إلى الخدمة عدداً من الضباط[1].

وكان الانقلاب العسكري قد استهدف الجبهة الإسلامية قبل غيرها إذ اعتقل أعضاءها قبل أن يعتقل أعضاء الحكومة.

وقد جرت تعديلات على هذه الوزارة[2]، وأُملئت المناصب الشاغرة.

= ٩ ـ موريس سدرة: وزيراً للصحة.
١٠ ـ محمد عبد الله نور: وزيراً للزراعة والغابات.
١١ ـ محجوب محمد عثمان: وزيراً للإرشاد والإعلام.
٢ ـ محمود حسيب: وزيراً للمواصلات.
١٣ ـ أبيل ألير: وزيراً للإسكان.
١٤ ـ سيد أحمد الجاك: وزيراً للأشغال.
١٥ ـ مصطفى أحمد إبراهيم: وزيراً للري.
١٦ ـ موسى المبارك: وزيراً للصناعة والثروة المعدنية.
١٧ ـ طه الطيب عابدون: وزيراً للثروة الحيوانية.
١٨ ـ فاروق أبو عيسى: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
١٩ ـ جوزيف قرنق: وزيراً للتموين والتجارة.
٢٠ ـ خلف الله بابكر: وزيراً للإدارة المحلية.
٢١ ـ طه بعشر: وزيراً للعمل.
٢٢ ـ خلف الله بابكر: وزيراً للحكومة المحلية.
وبقيت وزارات شاغرة.

(١) في ١٠ ربيع الأول صدر أمر بإعادة الضباط الآتية أسماؤهم:
١ ـ العقيد الطيار محيي الدين أحمد مبروك.
٢ ـ العقيد محمد خير عمر.
٣ ـ المقدم أحمد عبد الحليم عبد الرحمن.
٤ ـ المقدم عمر محمد سعيد.
٥ ـ الرائد أحمد دوقة فضل مولى.
٦ ـ الرائد فاروق عثمان حمد الله.
٧ ـ النقيب محمد المباركة.
٨ ـ الملازم أول خليل أحمد طه.
٩ ـ الملازم أول النور عبد النور.

(٢) في ٤ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ (١٩ حزيران ١٩٦٩م) أعفي جوزيف قرنق من وزارة التموين والتجارة، وأسندت مؤقتاً إلى أبيل ألبير وزير الإسكان.
وعين عمر الحاج موسى: وزيراً للدفاع. =

حمل الانقلاب عنواناً اشتراكياً، وضمّ تحت هذا العنوان عناصر مختلفةً، منها الشيوعية، ومنها الاشتراكية، ومن التي تُنادي بالاشتراكية وتعمل في الوقت

= ومنصور خالد: وزيراً للشباب والرياضة.
وعثمان أبو القاسم: وزيراً للتعاون والتنمية الريفية.
ومبارك سنادة: وزيراً للإسكان.
جوزيف قرنق: وزيراً للدولة لشؤون الجنوب (وقد أحدثت في هذا التاريخ).
محمد عبد الله نور: وزيراً للإنتاج والإصلاح الزراعي (أحدثت في هذا التاريخ) وقد أضيفت إلى وزير الزراعة، والأغذية والموارد الطبيعية.
وفي ١٧ شعبان ١٣٨٩هـ (٢٨ تشرين الأول ١٩٦٩م) عُيّن:
جعفر محمد النميري: رئيساً للوزراء، إضافةً إلى رئاسة مجلس قيادة الثورة.
بابكر عوض الله: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، والنائب العام.
الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للحكم الشعبي المحلي.
أحمد سليمان: وزيراً للمالية والاقتصاد.
عمر الحاج موسى: وزيراً للثقافة والإعلام.
الرائد هاشم عطا: وزيراً للثروة الحيوانية.
علي التوم: وزيراً للإنتاج والإصلاح الزراعي.
وفي الوقت نفسه فقد أُعفي من منصبه كل من:
عبد الكريم ميرغني: وزير المالية والاقتصاد الوطني.
محجوبّ عثمان: وزير الثقافة والإعلام.
أمين الطاهر الشبلي: النائب العام.
مكاوي مصطفى: وزير التخطيط القومي.
وفي ١٨ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ (٢١ تموز ١٩٧٠م) أُعفي من الوزارة كل من:
أبيل ألير: وزير التموين والتجارة.
موريس سدرة: وزير الصحة.
موسى المبارك: وزير الصناعة.
طه بعشر: وزير العمل.
محمد عبد الله نور: وزير الزراعة والأغذية والموارد الطبيعية.
سيد أحمد الجاك: وزير التشييد والأشغال العامة.
منصور خالد: وزير الشباب والرياضة.
أحمد سليمان: وزير المالية والاقتصاد.
وفي الوقت نفسه عُيِّن كل من:
جعفر محمد النميري: أضيفت وزارة الخارجية إلى مهامه رئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس مجلس الوزراء.
علي التوم: وزيراً للزراعة، والانتاج الزراعي، والغابات. =

نفسه بخطٍ رأسمالي وهذه الأخيرة هي العناصر المؤيّدة من الحكم في مصر القائم يومذاك والذي يتمثّل في جمال عبد الناصر.

= طه بعشر: وزيراً للصحة.
أبيل ألير: وزيراً للتشييد والأشغال العامة.
فاروق أبو عيسى: وزيراً للعمل.
الرائد أبو القاسم هاشم أبو القاسم: وزيراً للشباب والرياضة.
أبو القاسم محمد إبراهيم: مساعد رئيس مجلس الوزراء.
المقدم بابكر النور عثمان: وزيراً للتخطيط القومي، مساعد رئيس مجلس الوزراء للاقتصاد.
سيد أحمد الجاك: وزيراً للمواصلات.
مأمون عوض أبو زيد: وزيراً للدولة لشؤون الرئاسة، ورئيساً لجهاز الأمن القومي.
منصور محجوب: وزيراً للتجارة، والاقتصاد، والتموين.
محمد عبد الحليم: وزيراً للخزانة.
معاوية إبراهيم: وزيراً للخارجية.
وفي ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ (٢٢ آب ١٩٧٠م) عُيِّن:
فاروق أبو عيسى: وزيراً للخارجية إضافةً إلى وزارة العمل.
وفي ٢١ شعبان ١٣٩٠هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٧٠م). عُيِّن:
الرائد هشام عطا: مساعداً لرئيس مجلس الوزراء للقطاع الزراعي، إضافةً إلى وزارة الثروة الحيوانية.
وفي ١٨ رمضان ١٣٩٠هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠م) أُعفي من منصبه:
المقدم بابكر النور: مساعد رئيس مجلس الوزراء للاقتصاد، وزير التخطيط القومي.
الراشد هاشم عطا: مساعد رئيس مجلس الوزراء للقطاع الزراعي، وزير الثروة الحيوانية.
الرائد فاروق حمد الله: وزير الداخلية.
وفي اليوم نفسه تسلّم:
جعفر محمد النميري: وزيراً للتخطيط القومي.
الرائد زين العابدين محمد أحمد: مساعداً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للثروة الحيوانية.
الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للداخلية.
وفي ٢٢ رمضان ١٣٩٠هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٠م) تسلّم:
مأمون يحيى منصور: وزيراً للثروة الحيوانية.
معاوية إبراهيم سودغ: وزيراً للعمل.
وفي التاريخ نفسه أعفي:
الرائد زين العابدين محمد أحمد: وزير الثروة الحيوانية.
فاروق أبو عيسى: وزير العمل.
وفي ١٠ ذي القعدة ١٣٩٠هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧١م) تسلّم عثمان أبو القاسم: وزيراً=

بدأت الحركة بتطبيق الاشتراكية في بعض القطاعات، وانقسمت البلاد إلى قسمين: الحكومة وأنصارها من جهةٍ، وجبهة المقاومة الشعبية من جهةٍ أخرى، وقد ضمّت هذه المقاومة فئات من حزب الأمة، والحزب الوطني الاتحادي، وجبهة الميثاق الإسلامي، واختارت لجنة تخطيطٍ لها تألّفت من:

١ ـ الشريف حسين الهندي: رئيساً، من الحزب الوطني الاتحادي.

٢ ـ عمر نور الدين: نائباً للرئيس، من حزب الأمة.

٣ ـ عثمان خالد مضوي: عضواً، من جبهة الميثاق الإسلامي.

٤ ـ محمد صالح عمر: عضواً، من جبهة الميثاق الإسلامي.

٥ ـ زين العابدين الركابي: عضواً، من جبهة الميثاق الإسلامي.

وابتدأ تدريب أفراد من جبهة المقاومة الشعبية، والعمل للإطاحة بالحكم، وقد يكون العمل مكشوفاً نتيجةً طبيعيةً للحياة القبيلية في السودان التي لا يزال لها دورها. وقد طلبت الجبهة الدعم من الهادي المهدي فعرض شروطه

= للزراعة، والإنتاج الزراعي، والغابات.
وفي ١٦ ذي الحجة ١٣٩٠هـ (١١ شباط ١٩٧١م) عُيّن:
جعفر محمد علي بخيت: وزير الحكم الشعبي المحلي.
عبد الرحمن عباس: وزير دولة لقطاع الخدمات.
محمد إدريس محمود: وزير دولة للقطاع الاقتصادي.
عبد الجليل حسن عبد الجليل: وزير دولة.
وفي ٢٦ ذي الحجة من العام نفسه أضاف الرئيس جعفر محمد نميري إلى مهامه منصب وزير الخزانة.
وفي ١٠ جمادى الأولى ١٣٩١هـ أُعفي فاروق أبو عيسى من وزارة الخارجية.
وفي ٢٤ جمادى الأولى ١٣٩١هـ (١٧ تموز ١٩٧١م) عُيّن:
أحمد بابكر عيسى: أميناً لمجلس الوزراء برتبة نائب وزير.
وعزل جوزيف قرنق من منصبه.

للتعاون وهي:

١ ـ إبعاد الشيوعيين عن الحكم.

٢ ـ إطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

٣ ـ تحديد مدة المرحلة الانتقالية لعودة الحياة الدستورية.

ومع أن هذه الشروط كان متفقاً عليها إلا أنها قد رُفضت بحجة أنه لا تُملى شروط للعمل الوطني، وما دام الاتفاق قائماً على أن الحكم غير شرعي ومرفوض.

بدأت الصدامات بين الحكومة وأنصارها من جهةٍ وبين حركة المقاومة الشعبية من جهةٍ أخرى، وكان أول الصدامات دخول قوات الأمن إلى مسجد عبد الرحمن المهدي الذي يتجمّع فيه الأنصار عادةً، فقُتل ثلاثون رجلًا من قوات الأمن على حين قُتل ألف من الأنصار (جماعة المهدي)، وقد رفض الهادي زيارة النميري لجزيرة «أبا»[1] لأنه لم يُجب على أسئلته التي وجّهها إليه.

تجمّعت قوات من جبهة المقاومة الشعبية في جزيرة «أبا»، وقد ادّعى الرئيس جعفر النميري يوم ٢٠ محرم عام ١٣٩٠هـ (٢٧ آذار ١٩٧٠م) أنه قد جرت محاولة لاغتياله بسكينٍ، لذا فقد قامت قوات الحكومة وداهمت جزيرة «أبا» بالمدفعية والمدرعات، والطائرات، واشترك الطيران المصري[2] فقتلت أعداداً كبيرةً من قوات الجبهة بل ومن السكان، وقد وصل الرقم عند بعض الجهات إلى ٢٥ ألف قتيلٍ، وفي ليلة ٢٥ محرم أُذيع نبأ مقتل الهادي المهدي عند الحدود الشرقية مع دولة الحبشة في محاولته الهرب من البلاد. وكانت

---

(١) جزيرة أبا: تقع في النيل الأبيض جنوب مدينة الخرطوم بحوالي أربعمائة كيلومتر، ويملكها المهدي.

(٢) كان الطيران المصري الذي اشترك في قصف جزيرة أبا بإمرة محمد حسني مبارك الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجمهورية مصر العربية.

القوة العسكرية التي أرسلها النميري إلى جزيرة «أبا» بقيادة العميد أبو الذهب، ومعه قائد حامية «كوستي» وبرفقة ستمائة جندي.

وبعد معركة جزيرة «أبا» عمل الشيوعيون في الحكومة على جرّها لتصفية جميع أعدائهم تصفيةً جسديةً، فعمّ القتل في البلاد، وساد جو من الرعب والذعر، فخنع الناس، وظهر إثر ذلك أن الشعب قد استكان، وأن الأمر قد استتب للحكام. ووضعت مكافأة مقدارها خمسة آلاف جنيه لمن يقبض على محمد صالح عمر.

انقسم الشيوعيون في السودان إلى فريقين: أحدهما بزعامة عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي السوداني ويرى ضرورة النضال الحزبي بصورةٍ متميزةٍ لتطبيق النظام الشيوعي وإعلان إقامة حكمٍ شيوعيٍ، والثاني بزعامة وزير الصناعة والتعدين أحمد سليمان، وفاروق أبو عيسى وزير الخارجية، ومعاوية عبد الحي إبراهيم وزير العمل، ويرى هذا الفريق ضرورة ركوب الحكم القائم والإفادة منه ريثما يتهيّأ الجو المناسب، فالشعب في السودان لا يمكن حمله الآن على تطبيق النظام الشيوعي إلا إذا أبيد القسم الأكبر منه، ولو تمّ ذلك لانكشف أمر الشيوعية، وابتعد عنها الناس، ولم يقتصر الأمر على السودان بل لكان لذلك صداه العالمي.

توسّعت شقة الخلاف بين الفريقين الشيوعيين، واستطاع فريق أحمد سليمان أن ينتصر، وأن يبعد أنصار الفريق الأول عن السلطة وعن مجلس قيادة الثورة، فأرسل المقدم بابكر النور عثمان، والرائد فاروق عثمان حمد الله إلى لندن، ونُحّي الرائد هاشم العطا من منصبه، أما عبد الخالق محجوب فقد وضع في البداية تحت الإقامة الإجبارية، ثم اختفى، وأخيراً زجّ به في السجن.

ابتدأ جعفر النميري يُهاجم الحزب الشيوعي الجناح المعارض جناح عبد الخالق محجوب، وكان أول هجوم له في البيان الذي ألقاه في ١٧ ذي الحجة ١٣٩٠هـ (١٢ شباط ١٩٧١م)، وقد أعلن جعفر النميري آنذاك أنه لا مانع لديه من التعاون مع الشيوعيين الوطنيين بشرط خدمة البلاد تحت راية الحكم، والاشتراكية، والوطنية، واتهم الجناح المعارض له بالعمالة.

وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٩١هـ (١٣ أيار ١٩٧١م) نحّى الرئيس جعفر النميري كلًا من:

١ ـ بابكر عوض الله: النائب الأول لرئيس الجمهورية، وعضو المكتب السياسي.

٢ ـ بابكر النور عثمان، وأُبعد إلى لندن.

٣ ـ فاروق عثمان حمد الله: وأبعد إلى لندن.

٤ ـ هاشم العطا.

وحرموا من المناصب التي يتسلّمونها، والرتب التي يحملونها في السودان.

وفي ٢٩ ربيع الأول من العام نفسه تمّ تعيين اللواء أركان حرب محمد الباقر أحمد نائباً للرئيس إضافةً إلى منصبه الرسمي كوزير للداخلية.

وكانت حكومة السودان قد عزمت على الدخولِ مع مصر، وليبيا في اتحادٍ عربي، ولكن الشيوعيين عارضوا هذا الاتحاد، وخاف عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي السوداني أن يُعيد لحزبه تجربته مع الحكم المصري أيام جمال عبد الناصر، كما أن ليبيا تُعارض الشيوعية صراحةً وتُحاربها لذا لا بدّ من الوقوف في وجه هذا الاتحاد، ولما كان الحكم عازماً على ذلك لذا فلا بدّ من حركةٍ تحول دون ذلك.

كما أن الجنوبيين يُعارضون هذا الاتحاد إذ يرون أن شخصيتهم تضيع فيه لذا فقد شدّدوا من هجماتهم بغية إزعاج الحكم، وشلّه، وإظهار المعارضة له، وكذلك فإن الشيوعيين يريدون إرضاء الجنوب للالتقاء معهم في الوثنية ومُعاداة الإسلام، ومُعارضة الحكم، كما لهم أنصار بينهم، ويرون فيهم سنداً قوياً وقت الأزمات، والحاجة إليهم عند التخطيط لتحريكهم ضد السلطة.

الانقلاب الشيوعي:

تحرّكت بعض القطاعات العسكرية بإمرة الرائد هاشم العطا، وسيطرت على الوضع، واعتقلت اللواء جعفر النميري في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٩١هـ (١٩ تموز ١٩٧١م)، غير أنها لم تستطع السيطرة على الحكم لأكثر من ثلاثة

أيام، حيث قامت القطعات الموالية لجعفر النميري، ودعمها طلبة الكلية العسكرية المصريون في الخرطوم، وبعض القوات المصرية المتمركزة في الجنوب، واستدعى وزير الدفاع في حكومة جعفر النميري اللواء خالد حسن عباس القوات السودانية المرابطة على حدود سيناء ضدّ إسرائيل، فنُقلت إلى السودان، إضافةً إلى الطيران المصري الذي اشترك في المعركة.

انتقل المقدم بابكر النور عثمان، والرائد فاروق عثمان حمد الله من لندن إلى السودان على طائرةٍ بريطانيةٍ، وهما من زعماء الانقلاب الذي وقع في السودان غير أن الطائرة قد أُجبرت على الهبوط في بنغازي في ليبيا، وقام الحكم الليبي بتسليمهما إلى اللواء جعفر النميري.

تمكن النميري من القيام بحركةٍ مُضادةٍ، وإحباط الانقلاب الشيوعي، والعودة إلى الحكم في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٩١هـ، وأخذ في الهجوم على الذين كانوا وراء الانقلاب الشيوعي وقال: إن الروس هم الذين كانوا وراءه، وتأزّم الموقف بين الدولتين، وقطعت العلاقات السياسية بينهما.

وقُطعت العلاقات أيضاً مع العراق التي كانت قد أعلنت تأييدها للانقلاب منذ الساعات الأولى، وأرسلت وفداً على مستوى عالٍ لتنسيق التعاون بين العراق والانقلابيين، غير أن الوفد لم يستطع الوصول إلى السودان حيث احترق مع الطائرة التي كانت تقله إلى الخرطوم أثناء رحلتها.

ويُظن أن بريطانيا كانت مُؤيّدةً للحركة في بدايتها، أو أنها استدرجت الانقلابيين للقيام بحركتهم غير المدروسة فلما تم لهم الأمر عملت على تحطيمها، وكان لها دور في الإعلان عن انتقال قادتهم من لندن إلى الخرطوم، وهبوط الطائرة التي تقلّهم في بنغازي.

نسب اللواء جعفر النميري كل ما حدث من فوضى، ومن تصرفات قتلٍ وانتقام أثناء حكمه السابق إلى الشيوعيين، وأعلم عن قيام حكم وطني وجبهةٍ وطنيةٍ جديدةٍ في البلاد، وشكّل وزارة جديدة[1] في ٢٤ شعبان ١٣٩١ (١٤

---

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي:

=

تشرين الأول ١٩٧١م)، وكان قد قام ببعض التعديلات في المناصب

= ١ ـ جعفر النميري: رئيساً للوزارة، ووزيراً للتخطيط.
٢ ـ اللواء خالد حسن عباس: وزيراً للدفاع.
٣ ـ منصور خالد: وزيراً للخارجية.
٤ ـ اللواء محمد الباقر أحمد: وزيراً للداخلية، نائباً أول لرئيس الجمهورية.
٥ ـ أحمد سليمان: وزيراً للعدل، النائب العام.
٦ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزيراً للخدمة العامة، والإصلاح الإداري.
٧ ـ جعفر محمد بخيت: وزيراً للحكومة المحلية.
٨ ـ مبارك سنادة: وزيراً للإسكان والمرافق العامة.
٩ ـ الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للصحة.
١٠ ـ بشير عبادي: وزيراً للمواصلات.
١١ ـ موسى عوض بلال: وزيراً للتموين.
١٢ ـ محمد عبد الحليم عبد الرحمن: وزيراً للخزانة.
١٣ ـ إبراهيم منعم منصور: وزيراً للاقتصاد.
١٤ ـ الرائد زين العابدين أحمد عبد القادر: وزيراً للنقل.
١٥ ـ أحمد عبد الرحمن العاقب: وزيراً للصناعة.
١٦ ـ وديع حبشي: وزيراً للزراعة.
١٧ ـ عثمان أبو القاسم: وزيراً للتعاون والتنمية الريفية.
١٨ ـ أحمد محمد الحسن: وزيراً للتعليم العالي.
١٩ ـ محمد النصري حمزة: وزيراً للإنتاج الحيواني.
٢٠ ـ يحيى عبد المجيد: وزيراً للري والطاقة الكهربائية.
٢١ ـ محيي الدين صابر: وزيراً للتربية والتعليم.
٢٢ ـ عمر الحاج موسى: وزيراً للإعلام والثقافة.
٢٣ ـ المقدم صلاح عبد العال: وزيراً للشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية.
٢٤ ـ عون الشريف قاسم: وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية.
٢٥ ـ أبو القاسم هاشم: وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية.
٢٦ ـ موسى المبارك الحسن: وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء.
٢٧ ـ أبيل ألير: وزير الدولة لشؤون الجنوب.

كما تضمن التشكيل الوزاري:

١ ـ اللواء مصطفى عثمان: نائباً لوزير الدفاع.
٢ ـ فخر الدين محمد: نائباً لوزير الخارجية.
٣ ـ أحمد عبد الحليم: نائباً لوزير الإعلام والثقافة.
٤ ـ نفيسة أحمد الأمين: نائبة لوزير الشباب والرياضة.
٥ ـ بيترجوات كوات: نائباً لوزير الدولة لشؤون الجنوب.
٦ ـ مهدي مصطفى الهادي: أمين عام رئاسة الجمهورية برتبة وزير.

الوزارية[1] في ١١ جمادى الآخرة ١٣٩١هـ (٣ آب ١٩٧١م)، ضمّت عدداً من الجناح الشيوعي المعارض للجناح الذي قام بالانقلاب، كما وعد بإنهاء مشكلة الجنوب، وهي أكبر مشكلةٍ واجهت الحكم منذ الاستقلال، وكانت سبباً رئيسياً في زوال معظم الحكومات التي تعاقبت على البلاد.

كان اللواء جعفر النميري قد أعلن بعد تسلّمه السلطة إعطاء الحكم الذاتي للجنوب، وقام بتعيين (أبيل ألير) أحد زعماء الجنوب نائباً لرئيس الجمهورية، ودخل في المكتب السياسي للتنظيم السياسي الوحيد الموجود في البلاد، وأعلن النميري كذلك عن تعيين ثلاثة محافظين جدد لمديريات الجنوب من أبناء تلك المديريات، ومثّل الجنوب في الوزارة عدد من الوزراء، واشترك عدد من الجنوبيين في السلك السياسي السوداني. وبدأ النميري بالاتصال بالدول المجاورة التي تعطف على الجنوبيين، وبالدول الغربية ذات العلاقة، وبمجلس الكنائس العالمي، وبالإرساليات التنصيرية التي لا يتّم شيء دونها، وأخيراً توالت الاتصالات التي انتهت باتفاقية إديس أبابا في ١٢ صفر ١٣٩٢هـ (٢٧ آذار ١٩٧٢م).

---

(١) شملت التعديلات تعيين:
منصور خالد: وزيراً للخارجية.
موسى المبارك: وزيراً للعمل.
يحيى عبد المجيد: وزيراً للري.
زين العابدين محمد أحمد: وزيراً للمواصلات.
تربي مادوت: وزيراً للدولة لشؤون الجنوب.
ميرغني النصري حمزة: وزيراً للثروة الحيوانية.
لويجي أدوك: نائب وزير.
وفي الوقت نفسه عزل:
يحيى مأمون منصور: وزيرالثروة الحيوانية.
معاوية إبراهيم: وزير العمل.
سيد أحمد الجاك: وزير المواصلات.
وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩١هـ حيث عُيِّن:
عبد الرحمن عبد الله: وزيراً للحكم الشعبي المحلي.
كما سبق أن عُيّن:
نور محجوب: وزيراً للمالية والاقتصاد في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٩١هـ (٢١ تموز ١٩٧١م).

اقترح الجنوبيون تسع دول إفريقية ليكون المؤتمر في إحداها وهي: زائير، أوغندا، كينيا، الحبشة، تانزانيا، تشاد، الكمرون، سالح العاج، إفريقية الوسطى، وأخيراً تمّ عقد المؤتمر في الحبشة.

وبدأت محاكمة زعماء الانقلاب الشيوعي ومن أيّدهم، وقد أُعدم كل من: عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي السوداني، والمقدم بابكر نور عثمان الذي كان من المقرر أن يصبح رئيس مجلس قيادة الثورة، والرائد هاشم العطا رأس الحركة والمخطط لها، والرائد فاروق عثمان حمد الله، والمقدم محجوب إبراهيم، والنقيب بشير عبد الرزاق، والملازم أحمد زيادة، والشفيع أحمد الشيخ أمين عام اتحاد نقابات العمال، والدكتور مصطفى خوجلي المرشّح لرئاسة الحكومة الانقلابية، ثم استبدل هذا الحكم بالسجن مدة عشرين سنةً.

كان التغيير في المناصب الكبرى وفي الدوائر الرسمية لإمكانية القبض على زمام الأمور والارتباط الدائم برأس البلاد[1].

---

(١) في ٢٤ شعبان ١٣٩١هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٧١م) أُعفي:
نور محجوب من وزارة المالية والاقتصاد.
وأبو القاسم محمد إبراهيم: من وزارة الداخلية، وأسندت إليه وزارة الصحة.
وعُيّن كل من:
صلاح عبد العال مبروك: وزيراً للشباب والرياضة.
موسى مبارك: وزيراً لشؤون رئاسة مجلس الوزراء.
بشير عبادي: وزيراً للمواصلات.
فخر الدين محمد: نائباً لوزير.
محمود جادين: نائباً لوزير الإسكان.
نفيسة أحمد الأمين: نائبة لوزير الشباب والرياضة.
وفي ٣٠ ذي القعدة ١٣٩١هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٧٢م) عُيّن: مهدي مصطفى الهادي: مستشاراً عاماً لرئاسة الجمهورية.
وأُعفي: أحمد عبد الحليم من منصبه كنائب لوزير الثقافة والإعلام.
وأُعطي: بيتر جاث كوت: منصب مستشار لوزارة الجنوب برتبة وزير بعد أن كان نائباً لوزير الجنوب.
وفي ١٧ ذي الحجة ١٣٩١هـ (٢ شباط ١٩٧٢) عُيّن: =

ونُصّب جعفر النميري رئيساً للجمهورية في ٢٢ شعبان ١٣٩١هـ (١٢ تشرين الأول ١٩٧١م) بعد الانتخابات، وأصبح الحزب السياسي الوحيد المعترف به هو الاتحاد الاشتراكي السوداني. إذ أحبّ أن يكون الحكم دستورياً، فوُضعت قواعد للانتخابات، وأُجريت الانتخابات في ١٤ شعبان ١٣٩٢هـ (٢٢ أيلول ١٩٧٢م)، وكان من شروط المرشح أن يُبرز شهادة من الاتحاد الاشتراكي السوداني بعدم الاعتراض على ترشيحه، واجتمع المجلس الذي عُرف باسم «مجلس الشعب القومي»، وكان عدد مقاعده مائةً وخمسةً وعشرين مقعداً، سبعون منها لفئات قوى الشعب العاملة، وهي تتوزّع على النحو الآتي:

١٠ مقاعد اتحاد المزارعين.

١٠ مقاعد اتحاد العمال.

= أبو القاسم هاشم: وزيراً للتخطيط.
وأُعطي: مهدي مصطفى الهادي: رتبة وزير.
وفي ٢٤ محرم ١٣٩٢ هـ (٩ آذار ١٩٧٢م) عُيّن:
مهدي مصطفى الهادي: وزير دولة لرئاسة الجمهورية.
أبو بكر عثمان محمد صالح: أمين عام لرئاسة الجمهورية برتبة نائب وزير.
وفي ٢٤ صفر ١٣٩٢هـ (٨ نيسان ١٩٧٢م) عُيّن:
لورنس وول: وزير دولة لشؤون التخطيط.
سر الختم خليفة: وزير التعليم العالي والبحث العلمي.
وبهاء الدين محمد إدريس: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
موسى مبارك: وزير الخزانة.
صموئيل لوباي: وزير دولة لشؤون الحكم الشعبي المحلي.
جعفر محمد علي بخيت: وزير الحكم الشعبي المحلي.
محمود حسيب: نائب وزير الحكم الشعبي المحلي.
وفي ٢١ صفر ١٣٩٢هـ (٥ نيسان ١٩٧٢م) عُيّن:
أبيل ألير: وزير شؤون الجنوب نائباً لرئيس الجمهورية.
وفي ١٣ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ (٢٤ تموز ١٩٧٢م) أسند إلى:
بونا ملوال: نائب وزير الثقافة والإعلام.

٤ مقاعد الرأسمالية الوطنية.

٤ مقاعد القوات النظامية.

٨ مقاعد الأساتذة الجامعيين.

١ مقعد الأطباء.

١ مقعد المهندسون.

٢ مقعد المهن الزراعية.

٤٠

٣٠ مقعداً للمنظمات الجماهيرية وهي:

١٠ لجان تطوير القرى.

١٠ اتحاد الشباب.

١٠ اتحاد النساء.

٧٠

كما عين ٣٢ عضواً بينهم ثلاث نساء، وبذا أصبح عدد النساء في مجلس الشعب ١٥ امرأةً. وأعلن عن استقالة الحكومة، وشكّل حكومة جديدة[١] في ٢ رمضان ١٣٩٢هـ (٩ تشرين الأول ١٩٧٢م).

---

(١) تشكّلت الحكومة على النحو الآتي:

١ ـ اللواء جعفر محمد النميري: رئيساً للوزارة، وزيراً للدفاع.

٢ ـ اللواء محمد الباقر أحمد: وزيراً للداخلية.

٣ ـ منصور خالد: وزيراً للخارجية.

٤ ـ أحمد سليمان: وزيراً للعدل، والنائب العام.

٥ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزيراً للخدمة العامة.

٦ ـ الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للصحة.

٧ ـ مبارك سنادة: وزيراً للإسكان والمرافق العامة.

٨ ـ جعفر محمد علي بخيت: وزيراً للحكومة المحلية. =

وعين الرئيس السوداني لجنةً مركزيةً للاتحاد الاشتراكي التنظيم السياسي الوحيد في السودان وتتألف من مائتين وستين عضواً، وتضم الوزراء جميعاً. وفي الوقت نفسه قبل استقالة الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر من عضوية المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي(١).

= ٩ ـ بشير عبادي: وزيراً للمواصلات.
١٠ ـ إبراهيم منعم منصور: وزيراً للاقتصاد الوطني.
١١ ـ مليكة عوض خلاف: وزيراً للصناعة.
١٢ ـ لورنس وول: وزيراً للتخطيط.
١٣ ـ إبراهيم الياس: وزيراً للخزانة.
١٤ ـ أحمد الأمين حميدة: وزيراً للنقل.
١٥ ـ وديع حبيشي: وزيراً للزراعة.
١٦ ـ يحيى عبد المجيد: وزيراً للري وللقوى الكهربائية.
١٧ ـ عبد الله عبد الرحمن: وزيراً للموارد الطبيعية.
١٨ ـ بونا ملوال: وزيراً للإعلام والثقافة.
١٩ ـ صلاح عبد العال منصور: وزيراً للشباب.
٢٠ ـ سر الختم خليفة: وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي.
٢١ ـ عوني الشريف: وزيراً للشؤون الدينية.
٢٢ ـ محمد خير عثمان: وزيراً للتربية والتعليم.
٢٣ ـ مهدي مصطفى الهادي: وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهورية.
٢٤ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
٢٥ ـ صموئيل لوباي: وزير دولة لشؤون الحكم المحلي.
٢٦ ـ عبد الله الحسن الخضر: وزير التعاون والتنمية الريفية.
٢٨ ـ مصطفى عثمان: نائب وزير النقل.
٢٨ ـ موسى عوض بلال: نائب وزير الصناعة.
٢٩ ـ محمود حادين: نائب وزير الإسكان.
٣٠ ـ نفيسة أحمد الأمين: نائبة وزير الشباب والرياضة.
٣١ ـ أحمد بابكر عيسى: نائب وزير الأمين العام لمجلس الوزراء.
٣٢ ـ عمر الحاج موسى: وزير الإعلام والثقافة.
٣٣ ـ عبد العلام الحسن: وزير المصادر الوطنية.

(١) كان المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني يضم:
١ ـ جعفر محمد النميري.
٢ ـ بابكر عوض الله. =

وكانت الوزارة السودانية في شهر ربيع الأول ١٣٩٣هـ (نيسان ١٩٧٢م) كما هو مُبيّن أدناه[1].

= ٣ ـ المقدم خالد حسن عباس.
٤ ـ الرائد مأمون عوض أبو زيد.
٥ ـ أبو القاسم هاشم.
٦ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم.
٧ ـ الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
٨ ـ أبيل ألير.
٩ ـ محيي الدين صابر.
١٠ ـ عثمان أبو القاسم.
١١ ـ موسى المبارك.
١٢ ـ مهدي مصطفى الهادي.
١٣ ـ أحمد عبد الحليم عبد الرحمن.
١٤ ـ بيتر غاسكون.
١٥ ـ كامل محجوب.
والأمين العام: الرائد مأمون عوض أبو زيد.

(١) الوزارة السودانية:
١ ـ جعفر محمد النميري: رئيساً للوزراء، وزيراً للدفاع.
٢ ـ منصور خالد: وزيراً للخارجية.
٣ ـ محمد الباقر أحمد: وزيراً للداخلية.
٤ ـ أحمد سليمان: وزيراً للعدل.
٥ ـ لورنس وول: وزيراً للتخطيط.
٦ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزيراً للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
٧ ـ جعفر محمد علي بخيت: وزيراً للحكم المحلي.
٨ ـ مبارك سنادة: وزيراً للإسكان.
٩ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للصحة.
١٠ ـ بشير عبادي: وزيراً للمواصلات.
١١ ـ إبراهيم إلياس: وزيراً للخزانة.
١٢ ـ إبراهيم منعم منصور: وزيراً للاقتصاد.
١٣ ـ موسى عوض بلال: وزيراً للصناعة.
١٤ ـ أحمد الأمين حميدة: وزيراً للنقل.
١٥ ـ وديع حبيشي: وزيراً للزراعة.
١٦ ـ عبد الله الحسن الخضر: وزيراً للمصادر الطبيعية.
١٧ ـ يحيى عبد المجيد: وزيراً للري والطاقة الكهرمائية. =

وجرى تعديل في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني إذ أصبح كما هو مُبيّن أدناه[1].

= ١٨ ـ محمد خير عثمان: وزيراً للتعليم.
١٩ ـ عمر الحاج موسى: وزيراً للثقافة والإعلام.
٢٠ ـ صلاح عبد العال مبروك: وزيراً للشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية.
٢١ ـ عون الشريف قاسم: وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية.
٢٢ ـ سر الختم خليفة: وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي.
٢٣ ـ مهدي مصطفى الهادي: وزيراً لشؤون الرئاسة.
٢٤ ـ بهاء الدين إدريس: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء.
٢٥ ـ صموئيل لوباي: وزيراً للشؤون المحلية للدولة.

(١) المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني:
١ ـ جعفر محمد النميري.
٢ ـ محمد الباقر أحمد.
٣ ـ أبيل ألير.
٤ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم.
٥ ـ جعفر محمد علي بخيت.
٦ ـ منصور خالد.
٧ ـ بيتر غاتكوث.
٨ ـ أحمد عبد الحليم عبد الرحمن.
٩ ـ مهدي مصطفى الهادي.
١٠ ـ لويجي أدوك.
١١ ـ توبي مادوت.
١٢ ـ هيلري لوغالي.
١٣ ـ لورنس وول.
١٤ ـ جوزيف أودوهو.
١٥ ـ عمر الحاج موسى.
١٦ ـ إبراهيم منعم منصور.
١٧ ـ صلاح عبد العال مبروك.
١٨ ـ نفيسة الأحمد الأمين.
١٩ ـ الرشيد الطاهر بكر.
٢٠ ـ عز الدين السيد.
٢١ ـ عبد الله الحسن الخضر.
٢٢ ـ وديع حبيشي.
٢٣ ـ عبد الرحمن عبد الله. =

وفي ٩ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ (١١ أيار ١٩٧٣م) أُعيد تشكيل الوزارة[(١)].

= ٢٤ ـ بدر الدين سليمان.
٢٥ ـ مبارك سنادة.
ويُضاف إلى هؤلاء أعضاء الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي السوداني.
أما المجلس التنفيذي الأعلى للجنوب فيضمّ أحد عشر عضواً برئاسة أبيل ألير، والناطق الرسمي كليتو حسن.

(١) أعيد تشكيل الوزارة على النحو الآتي:
ـ جعفر محمد النميري: رئيساً لمجلس الوزراء.
ـ محمد الباقر أحمد: نائباً للرئيس.
ـ أبيل ألير: نائباً للرئيس، ورئيس اللجنة العليا للجنوب.
ـ عوض خلف الله: وزيراً للدفاع.
ـ منصور خالد: وزيراً للخارجية.
ـ عبد الله الحسن الخضر: وزيراً للداخلية.
ـ سر الختم خليفة: وزيراً للتعليم.
ـ بونا ملوال: وزيراً للثقافة والإعلام.
ـ عمر الحاج موسى: وزيراً للثقافة والإعلام.
ـ موسى عوض بلال: وزيراً للصناعة والمعادن.
ـ مبارك سنادة: وزيراً للإنشاء والأشغال العامة.
ـ زكي مصطفى: وزيراً للعدل، والنائب العام.
ـ أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للصحة والشؤون الاجتماعية.
ـ وديع حبيشي: وزيراً للزراعة والمصادر الطبيعية.
ـ بشير عبادي: وزيراً للنقل والمواصلات.
ـ المقدم صلاح عبد العال مبروك: وزيراً لشؤون رئاسة الدولة والشؤون المصرية في السودان.
ـ إبراهيم منعم منصور: وزيراً للاقتصاد.
ـ يحيى عبد المجيد: وزيراً للري.
ـ جعفر محمد علي بخيت: وزيراً للحكم الشعبي المحلي والمرافق العامة.
ـ أحمد بابكر عيسى: أمين عام الحكومة بدرجة وزير دولة.
ـ حسين محمد علي بليل: أمين عام للدولة للتجارة.
ـ عون الشريف قاسم: الأمين العام للمجلس القومي للشؤون الدينية والأوقاف.
ـ جمال محمد أحمد: وزيراً للدولة.
ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزيراً للدولة للشؤون الخاصة.
ـ محمد خير عثمان: وزيراً للدولة للتعليم العالي.
ـ حسين إدريس: وزيراً للدولة للأبحاث والخدمات. =

وفي ١ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ (١تموز ١٩٧٣م) ردّ الرئيس جعفر النميري الاعتبار لعددٍ من الإخوان المسلمين والشيوعيين، ثم ألقي القبض على ثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي[1]، وكانوا قد اختفوا منذ الانقلاب الشيوعي الفاشل الذي وقع في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٩١هـ (١٩ تموز ١٩٧١م).

وفي بداية العام الجامعي ١٣٩٣هـ أصدر اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بياناً بتوقيع أحمد عثمان مكي أعلن فيه أن هذا العام هو عام الحسم مع النظام وحمل البيان تاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ (١١ تموز ١٩٧٣م). وفي ٣٠

= - كمال عبد الله عقباوي: وزيراً للدولة للإنتاج الزراعي.
- يحيى عبد المجيد: وزيراً للدولة لشؤون الري.
- محمود حسيب: نائب وزير الحكم الشعبي المحلي.
- الشريف الخاتم: نائب وزير المالية.
- بشير صالح عيسى: نائب وزير للشباب والرياضة.
- فاطمة عبد المحمود: نائبة وزير الرعاية الاجتماعية.
- مصطفى عثمان: نائب وزير النقل والمواصلات.
- أندريو ويو: نائب وزير التنسيق.

وجرت بعض التعديلات على الوزارة.

في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ (١٠ تموز ١٩٧٣م) عُيّن:

اللواء مصطفى عثمان نائب وزير النقل والمواصلات، وزير دولة للتشييد والأشغال العامة مكان مبارك سنادة الذي أُعفي من منصبه.

وفي ١ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ (٢٣ نيسان ١٩٧٤) عُيّن:

المقدم صلاح عبد العال مبروك وزير دولة لشؤون مصر بالسودان، وقد أنشئت هذه الوزارة لأول مرة، وكان يتولّى وزير دولة لشؤون رئاسة الدولة، وفي الوقت نفسه عُيّن مكانه فيصل محمد عبد الرحمن.

وفي ١٨ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ (١٠ أيار ١٩٧٤م) أحيل وزير الدفاع الفريق الطيار عوض خلف الله على التقاعد، وتولّى وزارة الدفاع مكانه الرئيس جعفر محمد النميري.

وفي ٢ رجب ١٣٩٤هـ (٢١ تموز ١٩٧٤م) عُيّن:

أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي.

النذير دفع الله: وزيراً للصحة.

وفي التاريخ نفسه أُعفي يحيى عبد المجيد من وزارة الري.

(١) وهم: علي حزيلي السيد، والسيد جعفر، وخضير نصّار.

جمادى الآخرة خرج الطلاب بمظاهرةٍ، وخرج كذلك الاتحاد الاشتراكي ووقع صدام بين الطرفين، فقتل أحد الشباب وجرح آخرون.

وتضامن مع اتحاد الطلاب كل من نقابة المحامين، ونقابة السكة الحديدية، ونقابات النقل، وتجمع العمال وأعلنوا الإضراب لمدة ثلاثة أيام.

وأعلنت حالة الطوارئ، وأغلقت المدارس والجامعات في ٨ شعبان ١٣٩٣هـ (٥ أيلول ١٩٧٣م).

جرت الانتخابات في ربيع الأول ١٣٩٤هـ (نيسان ١٩٧٤م)، وكانت الجمعية الشعبية تتألّف من مائتين وخمسين عضواً يُنتخب نصفهم (١٢٥ عضواً) لمدة أربع سنوات، وتقدّم الاتحادات المهنية، وتجمّع العمال مائة عضوٍ، ويختار الرئيس الخمسة والعشرين عضواً الباقين. وافتتحت الجمعية في شهر ربيع الثاني ١٣٩٤هـ. وكانت الوزارة السودانية في شهر جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ (تموز ١٩٧٤م) كما هو مُبيّن أدناه[1] وعمّ إضراب الطلاب، واضطرت السلطة

---

(١) ١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، رئيس الوزراء.
٢ ـ محمد الباقر أحمد: النائب الأول للرئيس.
٣ ـ أبيل ألير: النائب الثاني للرئيس، رئيس المجلس التنفيذي الأعلى لجنوب السودان.
٤ ـ منصور خالد: وزير الشؤون الخارجية.
٥ ـ عوض خلف الله: وزير الدفاع.
٦ ـ جعفر محمد علي بخيت: وزير الحكم المحلي، والتنمية.
٧ ـ إبراهيم منعم منصور: وزير المالية والاقتصاد الوطني.
٨ ـ سر الختم خليفة: وزير التعليم.
٩ ـ وديع حبيشي: وزير الزراعة والتغذية، والمصادر الطبيعية.
١٠ ـ عمر الحاج موسى: وزير الثقافة والإعلام.
١١ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم: وزير الصحة والرعاية الاجتماعية.
١٢ ـ بشير عبادي: وزير النقل والمواصلات.
١٣ ـ موسى عوض بلال: وزير الصناعة والتعدين.
١٤ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزير الخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١٥ ـ زاكي مصطفى: وزير العدل، والنائب العام.
١٦ ـ عبد الله الحسن الخضر: وزير الداخلية.
١٧ ـ صلاح عبد العال مبروك: وزير الشؤون المصرية.
١٨ ـ إبراهيم حسن علام: وزير المدقق العام. =

إلى الخضوع لشروط الطلاب، واعترفت باتحاد الطلاب القائم. واقتحم الطلاب الإسلاميون في جامعة الخرطوم لقاءً للاتحاد الاشتراكي وتوتّر الوضع.

والتقت المعارضة من جديد، وأسّست الجبهة الوطنية برئاسة زعيم حزب الأمة الصادق المهدي، وبدأ التدريب العسكري خارج البلاد في ليبيا، وفي الحبشة. وكان شباب الإخوان المسلمين يهيئون الشعب داخل البلاد بالمظاهرات وتوزيع المنشورات. وفي الخارج بإذاعة بيانات الجبهة الوطنية.

= ١٩ ـ جمال محمد أحمد: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٢٠ ـ يحيى عبد المجيد: وزير دولة للري.
٢١ ـ صموئيل لوباي: وزير دولة للحكم المحلي.
٢٢ ـ بونا ملوال: وزير دولة للإعلام.
٢٣ ـ حسن محمد علي بليل: وزير دولة للتجارة.
٢٤ ـ كمال عبد الله عقباوي: وزير دولة للإنتاج الزراعي.
٢٥ ـ محمد خير عثمان: وزير دولة للتعليم العام.
٢٦ ـ أحمد بابكر بيزا: وزير دولة لأمانة سر الحكومة.
٢٧ ـ مصطفى عثمان: وزير دولة للعمل والتشييد.
٢٨ ـ فيصل محمد عبد الرحمن: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
٢٩ ـ حسين إدريس: وزير دولة للبحوث والخدمات.
٣٠ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير دولة لشؤون رئاسة الحكومة.

وتألّف المجلس التنفيذي الأعلى للجنوب من اثني عشر عضواً برئاسة أبيل ألبير، والأمين العام كليتو حسن. وقلّ عدد أعضاء المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي إذ خرج منه كل من:
١ ـ بيتر غاتكوث.
٢ ـ توبي مادوت.
٣ ـ صلاح عبد العال مبروك.
٤ ـ نفيسة الأحمد الأمين.
٥ ـ عز الدين السيد.
٦ ـ وديع حبيشي.
٧ ـ عبد الله الحسن الخضر.
٨ ـ عبد الرحمن عبد الله.
٩ ـ مبارك سنادة.
وانضمّ إليه فقط عوض خلف الله.

انقلاب حسن حسين عثمان:

ووقع في ٢٩ شعبان ١٣٩٥هـ (٥ أيلول ١٩٧٥م)، وقد نجح في بداية الأمر، وأخرج الانقلابيون السجناء السياسيين من المعتقلات، لكن لم يلبث أن انتهى أمر جماعة الانقلاب، ورجع الرئيس جعفر محمد النميري إلى السلطة، وحاكم قادة الانقلاب وأعدمهم، وكانوا ثمانية عشر عسكرياً، واتهم الرئيس جعفر النميري الحكومة الليبية بأنها كانت وراء عملية الانقلاب الفاشلة.

انقلاب محمد نور سعد:

ولم يستدر العام حتى وقع انقلاب آخر بقيادة العقيد محمد نور سعد بتاريخ ٥ رجب ١٣٩٦هـ (٢ تموز ١٩٧٦م)، وهرب الرئيس جعفر النميري، واحتلّ الانقلابيون المعسكرات، ومطار الخرطوم، ودار الهاتف، وكان لشباب الإخوان المسلمين دور في احتلال المطار، ودار الهاتف.

واستطاع جعفر النميري أن يعود بعد يومين إلى مقره، وانضمّت إليه بعض القطعات، فقادها، وقام بعملية مضادة، ولم يستطع دخول دار الهاتف إلا بصعوبةٍ حيث كان يرابط فيها الإخوان المسلمون، وقُتل تسعة منهم، ورفضت جماعة الأنصار التي ساهمت في هذه الحركة إطلاق سراح المعتقلين السياسيين الذين هم في سجن «كوبر»، كما منعوا الإخوان المسلمين والاتحاديين من دخول دار الإذاعة التي سيطروا عليها، غير أنهم لم يعرفوا إدارة الأجهزة فيها، وربما كان هذا من أسباب فشل هذه الحركة. إذا اختلف القائمون بالحركة بعضهم مع بعض، وعطلوا الإذاعة عن البث. وساعدت مصر الحكومة السودانية إذ سمحت بانتقال ألفاً وخمسمائة جندي سوداني كانوا يرابطون على قناة السويس إلى جانب إخوانهم المصريين.

وقتل في هذه الحركة ثمانمائة شخص، سبعمائة منهم من الانقلابيين، وأُعدم بعد ذلك ما يقرب من المائة شخص.

وكانت الوزارات تتغير باستمرار وتدخل عليها تعديلات بشكلٍ دائم[1]

(١) كانت الوزارة في ٩ صفر عام ١٣٩٦هـ (١٠ شباط ١٩٧٦م) على النحو الآتي:
١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع. =

= ٢ ـ محمد الباقر أحمد: النائب الأول لرئيس الجمهورية، وزيراً للداخلية.
٣ ـ أبيل ألير: النائب الثاني لرئيس الجمهورية، رئيس مجلس الجنوب.
٤ ـ محجوب مكاوي: وزيراً للخارجية تسلم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
٥ ـ خالد حسن عباس: وزيراً للصحة. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
٦ ـ بونا ملوال: وزيراً للثقافة والإعلام. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
٧ ـ صلاح عبد العال مبروك: وزيراً للشؤون المصرية في السودان.
٨ ـ منصور خالد: وزيراً للتربية. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
٩ ـ مأمون بحيري: وزيراً للتخطيط والاقتصاد الوطني. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
١٠ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم: وزيراً للزراعة والتغذية والموارد الطبيعية.
١١ ـ عثمان حسن: وزيراً للأشغال.
١٢ ـ بدر الدين سليمان: وزيراً للصناعة. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
١٣ ـ فاطمة عبد المحمود: وزيرة للشؤون الاجتماعية. تسلّمت الوزارة في ٢٠ شعبان ١٣٩٥هـ.
١٤ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزيراً للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١٥ ـ بشير عبادي: وزيراً للمواصلات.
١٦ ـ مأمون عوض أبو زيد: وزيراً للداخلية. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
١٧ ـ يحيى عبد المجيد: وزيراً للري والطاقة.
١٨ ـ عبد الله الحسن الخضر: وزيراً لشؤون الرئاسة. تسلّم مهامه في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
١٩ ـ زين العابدين أحمد محمد عبد القادر: وزيراً للشباب والرياضة. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
٢٠ ـ عون الشريف قاسم: وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
٢١ ـ هارون العوض: وزيراً للتجارة والتموين. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
٢٢ ـ محمد أحمد كرار وكان: وزيراً للحكم الشعبي المحلي. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.

خلف الله الرشيد: رئيس المحكمة العليا.
زكي عبد الرحمن: النائب العام، ووزيراً للعدل. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
إبراهيم حسن علام: المراجع العام.
عز الدين حامد: وزير دولة لشؤون الرئاسة. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
فرنسيس دينغ: وزير دولة للشؤون الخارجية. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
عز الدين الحافظ: وزير دولة للتعليم العام.
إسماعيل الحاج موسى: وزير دولة للثقافة والإعلام. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ. =

....

= الشريف الخاتم: نائب وزير دولة للخزانة. تسلّم الوزارة في ٢٠ شعبان ١٣٩٥هـ.
بهاء الدين محمد إدريس: وزير دولة لرئاسة الحكومة.
إبراهيم قنديل: وزير دولة للتعاون. تسلّم الوزارة في ١٠ ربيع الثاني ١٣٩٥هـ.
عباس عبد الماجد: وزير دولة للإنتاج الزراعي. تسلّم الوزارة في ٢٠ شعبان ١٣٩٥هـ.
محمود حسيب: وزير دولة حاكم إقليم جنوبي كردفان.
أمين الربيع: وزير دولة حاكم إقليم شمالي كردفان.
بشير إبراهيم عثمان: وزير دولة للمالية. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
نصر الدين مصطفى: وزير دولة للتخطيط. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
عثمان هاشم عبد السلام: وزير دولة للاقتصاد. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
محمد توم التيجاني: وزير دولة للتعليم العالي. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
مصطفى عثمان: وزير دولة للتشييد والأشغال العامة. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
أتون داك: وزير دولة للحكم الشعبي المحلي. تسلّم الوزارة في ١٣ محرم ١٣٩٥هـ.
أمين أبو سنينة: نائب وزير الصناعة. تسلّم الوزارة في ٥ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ.
جمال محمد أحمد: وزيراً للخارجية. تسلّم الوزارة في ٥ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ.
عبد المجيد إمام: وزيراً للعدل، والنائب العام. تسلّم الوزارة في ٥ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ.
مزمل سليمان غندور: وزيراً للداخلية. تسلّم الوزارة في ٢٠ شعبان ١٣٩٥هـ.
مبارك عثمان رحمة: وزيراً للتجارة والتموين. تسلّم الوزارة في ٢٠ شعبان ١٣٩٥هـ.
أندرو ويو: وزير دولة للشؤون الإدارية برئاسة الجمهورية. تسلّم الوزارة في ٢٣ شعبان ١٣٩٥هـ.
الشريف الخاتم: وزير دولة للحكم الشعبي المحلي. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
عبد الرحمن عبد الله: وزير دولة للصناعة. تسلّم الوزارة في ٩ صفر ١٣٩٦هـ.
وكان المجلس الأعلى للجنوب على الشكل الآتي:
أبيل ألير: رئيساً للمجلس.
غاما حسن: الوزير الإقليمي للزراعة.
كليتو حسن: الأمين العام.
إيزكيل كودي: الوزير الإقليمي للتنمية الريفية.
لورنس وول: الوزير الإقليمي للتجارة.
العقيد صموئيل أبو جون: الوزير الإقليمي للمالية والتنمية.
هيليري باولو لوغالي؛ الوزير الإقليمي للطرق والمواصلات.
مادينغ دي قرنق: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام والشباب.
جستنيان ياك: الوزير الإقليمي للصحة. =

= لوباري رامبا: الوزير الإقليمي للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
مرسيس شول: الوزير الإقليمي لإدارة الشرطة والسجون.
لورنس لوال لوال: الوزير الإقليمي للتربية.
أوليفر أكينو: الوزير الإقليمي للإسكان والمرافق العامة.
ناتالي ألواك: الوزير الإقليمي لشؤون الرئاسة والمجلس التنفيذي العالي.
وكان رشيد الطاهر بكر الناطق الرسمي باسم الجمعية الشعبية، ورئيسها جعفر محمد علي بخيت. أما في الجنوب فكان هيلري باولو لوغالي الناطق الرسمي على حين أن الأمين العام هو إسكندر نجيب.
وكان المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي وهو التنظيم السياسي الوحيد في السودان يتألف من:
١ ـ جعفر محمد النميري رئيساً.
٢ ـ محمد البشير أحمد نائباً للرئيس.
٣ ـ أبيل ألير.
٤ ـ مكاوي عوض المكاوي.
٥ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم.
٦ ـ بدر الدين سليمان.
٧ ـ الرشيد الطاهر بكر.
٨ ـ فاطمة عبد المحمود.
٩ ـ أحمد عبد الحليم.
١٠ ـ ناتالي ألواك.
١١ ـ مهدي مصطفى الهادي.
١٢ ـ عبد الله الحسين الخضر.
١٣ ـ عوض خلف الله.
١٤ ـ جعفر محمد علي بخيت.
١٥ ـ هيلري باولو لوغالي.
١٦ ـ لورنس وول وول.
١٧ ـ منصور خالد.
١٨ ـ عمر الحاج موسى.
١٩ ـ مأمون بحيري.
٢٠ ـ عبد الرحمن عبد الله.
٢١ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
٢٢ ـ خالد حسن عباس.
٢٣ ـ مأمون عوض أبو زيد. =

واستمرّ التعديل الوزاري، وتقريب مؤيدين، وإبعاد من لا يرضى عنهم الرئيس جعفر النميري[1] نتيجة تردّي الأوضاع، فأيّ تصرّف ليس فيه تزلف يُفسّر بعدم الرضا، فيُبعد عن المسؤولية صاحبه.

وفي ٢١ صفر ١٣٩٧هـ (١٠ شباط ١٩٧٧م) جرت إعادة لتشكيل الوزارة[2]. وبعد شهرين أُعيد انتخاب الرئيس جعفر محمد النميري رئيساً للدولة.

= ٢٤ ـ أبو القاسم هاشم.
وكانت الأمانة تتألف من:
١ ـ جعفر محمد النميري.
٢ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم.

(١) في ١٤ ربيع الثاني ١٣٩٦هـ (١٤نيسان ١٩٧٦م) عين كل من:
محمد الشاذلي عثمان: وزيراً للدولة.
عبد الرحيم مكي: وزيراً للدولة.
عبد الله الحسن الخضر: وزيراً لشؤون مصر في السودان.
واستقال في التاريخ نفسه:
صلاح عبد العال مبروك من وزارة شؤون مصر في السودان.
وفي ٢١ جمادى الأولى عين صغيرون زين صغيرون وزيراً للري.
وفي ٢٥ ذي الحجة ١٣٩٥هـ (٢٨ كانون الأول ١٩٧٥م) أبعد فيصل عبد الرحمن عن الوزارة.
وفي ١٣ شعبان ١٣٩٦هـ (٩ آب ١٩٧٦م) أبعد أبو القاسم محمد إبراهيم عن وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي.
وفي التاريخ نفسه عُيِّن:
دفع الله الحاج يوسف: وزيراً للتربية والتعليم.
عباس عبد الماجد: وزيراً للزراعة.
علي شمو: وزير دولة للشباب والرياضة.
الفريق أول بشير محمد علي: وزيراً للدفاع.
والشريف الخاتم: وزيراً للحكم الشعبي المحلي.
وعُيِّن في ١٦ شعبان ١٣٩٦هـ (١٢ آب ١٩٧٦م):
أحمد عبد الكريم بدري: وزير دولة للمواصلات.
وفي ٣ رمضان ١٣٩٦هـ (٢٨ آب ١٩٧٦م) عُيِّن:
عبد الله الحسن الخضر: وزير شؤون مجلس الوزراء.
عز الدين الحامد: وزير دولة برئاسة مجلس الوزراء.

(٢) كانت الوزارة على النحو الآتي: =

= ١ ـ جعفر محمد النميري: رئيساً للوزراء، والرئيس الأعلى للقوات المسلحة.
٢ ـ محمد البشير أحمد: النائب الأول للرئيس.
٣ ـ أبيل ألير: النائب الثاني، ورئيس المجلس الأعلى للمناطق الجنوبية.
٤ ـ منصور خالد: مساعد رئيس الجمهورية للتنسيق، ووزيراً للخارجية.
٥ ـ بشير محمد علي: وزيراً للدفاع.
٦ ـ خالد حسن عباس: وزيراً للصحة.
٧ ـ بونا ملوال: وزيراً للثقافة والإعلام.
٨ ـ دفع الله الحاج يوسف: وزيراً للتعليم.
٩ ـ الشريف الخاتم: وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني.
١٠ ـ عبد الأحمد عبد الله: وزيراً للزراعة والمصادر الطبيعية.
١١ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزيراً للصناعة والمعادن.
١٢ ـ فاطمة عبد المحمود: وزيرة للشؤون الاجتماعية.
١٣ ـ كرم الله العوض: وزيراً للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١٤ ـ حسن عابدين: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
١٥ ـ فرنسيس دينغ: وزير دولة للشؤون الخارجية.
١٦ ـ حسن أحمد يوسف: وزير دولة لشؤون التعليم.
١٧ ـ إسماعيل الحاج موسى: وزير دولة لشؤون الثقافة والإعلام.
١٨ ـ عبد الرحيم مكي: وزير دولة لشؤون الري والتغذية والمصادر الطبيعية.
١٩ ـ بشير عبادي: وزيراً للنقل والمواصلات.
٢٠ ـ عبد الوهاب إبراهيم: وزير دولة للداخلية.
٢١ ـ صغيرون الزين صغيرون: وزير دولة للري والطاقة المائية.
٢٢ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر: وزيراً للرياضة والشباب.
٢٣ ـ عون الشريف قاسم: وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف.
٢٤ ـ هارون العوض: وزيراً للتجارة والتموين.
٢٥ ـ نصر الدين مصطفى: وزيراً للتخطيط.
٢٦ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزيراً للشؤون الخاصة.
٢٧ ـ محمد هاشم عوض: وزيراً للتعاون.
٢٨ ـ مأمون عوض أبو زيد: وزيراً للحكم الشعبي المحلي.
٢٩ ـ حسن عمر: وزيراً للعدل، والنائب العام.
٣٠ ـ عثمان هاشم عبد السلام: وزير دولة للتجارة والاقتصاد الوطني.
٣١ ـ محمد بشير جماع: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
٣٢ ـ عز الدين حامد: وزير دولة للشؤون المصرية في السودان.
٣٣ ـ علي شمو: وزير دولة للشباب والرياضة. =

وفي ١١ جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ (٦٩ أيار ١٩٧٧م) جرت تعديلات وزارية واسعة، شملت تغييرات في الحقائب الوزارية، ودخل الوزارة أعضاء جدد ونُحّي آخرون، فقد أضيف وزراء للدولة محمد طاهر حمد، وخالد الخير، كما دخلت أم سلمى سعيد كنائبة لوزير الشباب والرياضة.

اللقاء بين الحكومة والمعارضة:

التقى رئيس الجبهة الوطنية المعارضة للحكومة الصادق المهدي مع ممثلي السلطة بتاريخ ٢١ رجب ١٣٩٧هـ (٧تموز ١٩٧٧م) دون أن يعلم بذلك اللقاء بقية قادة الجبهة آنذاك. ثم تمت المصالحة مع الإخوان المسلمين مع بقائهم في صف المعارضة.

وجرت تعديلات على الوزارة إذ عيّن الرئيس جعفر النميري نائباً له، ووزيراً للخارجية الرشيد طاهر بكر في ٢٧ رمضان ١٣٩٧هـ (١٠ أيلول ١٩٧٧م)، وهو من كبار جماعة الإخوان المسلمين سابقاً، إذ كان فيما مضى المراقب العام لهم في السودان، ثم اعتزلهم، وأصبح من أعضاء الاتحاد الاشتراكي المؤيّد لرئيس مصر جمال عبد الناصر.

واستمرّ جعفر النميري في طريقته بالتغييرات الوزارية والتعديلات بشكلٍ

= ٣٤ ـ أحمد عبد الكريم بدري: وزير دولة للمواصلات والنقل.
٣٥ ـ محمد الشاذلي عثمان: وزير دولة للتشييد والعمران.
٣٧ ـ معاوية أبو بكر: وزير دولة للتشييد والعمران.
٣٨ ـ أمين أبو سنينة: وزير دولة.
أما المجلس الأعلى للجنوب فبقي أعضاؤه كما كانوا عليه في العام الماضي.
وأما الجمعية الشعبية فكان رئيسها مهدي مصطفى الهادي، ومركز الناطق الرسمي شاغراً، وفي الجنوب كان الناطق الرسمي جونشان ملوال والأمين العام توماس كويم.
ودخل المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني:
بيتر غاتكوث.
بشير عبادي.
وخرج منه:
فاطمة المحمود.
جعفر محمد علي بخيت.
عوض خلف الله.

مُستمرٌ، وكانت الوزارة في ربيع الأول ١٣٩٨هـ (شباط ١٩٧٨م) تضم عناصر جديدة[١].

---

(١) كانت الحكومة على النحو الآتي:

١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، رئيس الوزراء، القائد الأعلى للقوات المسلحة، وزير المالية.
٢ ـ عبد العظيم محمد إبراهيم: النائب الأول للرئيس.
٣ ـ أبيل ألير: رئيس المجلس الأعلى للجنوب، ونائب الرئيس، ووزير الشؤون الخارجية.
٤ ـ بشير محمد علي: وزير الدفاع، ورئيس القوات الشعبية.
٥ ـ خالد حسن عباس: وزير الصحة.
٦ ـ بونا ملوال: وزير الثقافة والإعلام.
٧ ـ دفع الله الحاج موسى: وزير التعليم.
٨ ـ عبد الله أحمد عبد الله: وزير الزراعة، والتغذية، والمصادر الطبيعية.
٩ ـ معاوية أبو بكر: وزير العمل والتشييد.
١٠ ـ بشير عبادي: وزير الصناعة.
١١ ـ فاطمة عبد المحمود: وزيرة الشؤون الاجتماعية.
١٢ ـ كرم الله العوض: وزير الخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١٣ ـ عبد الرحمن عبد الله: وزير المواصلات.
١٤ ـ عمر محمد الطيب: وزير الأمن الوطني.
١٥ ـ يحيى عبد المجيد: وزير الري والطاقة الكهربائية.
١٦ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر: وزير الشباب والرياضة.
١٧ ـ شريف قاسم: وزير الشؤون الدينية.
١٨ ـ هارون العوض: وزير التجارة والتموين.
١٩ ـ نصر الدين مصطفى: وزير التخطيط الوطني.
٢٠ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير شؤون الرئاسة.
٢١ ـ محمد هاشم عوض: وزير التعاون.
٢٢ ـ مأمون عوض أبو زيد: وزير الطاقة والتعدين.
٢٣ ـ حسن عمر أحمد: وزير العدل، والنائب العام.
٢٤ ـ خالد الخير عمر: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
٢٥ ـ فرنسيس دينغ: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٢٦ ـ حسن أحمد يوسف: وزير دولة للتعليم.
٢٧ ـ إسماعيل الحاج موسى: وزير دولة للثقافة والإعلام.
٢٨ ـ محمد الشاذلي عثمان: وزير دولة للزراعة والتغذية والمصادر الطبيعية.
٢٩ ـ عثمان هاشم عبد السلام: وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني. =

= ٣٠ ـ عز الدين حامد: وزير دولة لشؤون مصر في السودان.
٣١ ـ علي شمو: وزير دولة للرياضة والشباب.
٣٢ ـ أحمد عبد الكريم بدري: وزير دولة للمواصلات.
أما المجلس الأعلى للجنوب فقد تشكل على النحو الآتي:
١ ـ أبيل ألير: رئيساً للمجلس.
٢ ـ غاما حسن: الوزير الإقليمي للزراعة.
٣ ـ إيزكيل كودي: الوزير الإقليمي للتعاون والتنمية الريفية.
٤ ـ لورنس وول وول: الوزير الإقليمي للتجارة.
٥ ـ صموئيل أبو جون: الوزير الإقليمي للطرق والمواصلات.
٦ ـ بيتر غاتكوث: الوزير الإقليمي للمالية والتنمية.
٧ ـ مادينغ دي قرنق: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام.
٨ ـ جستنيان ياك: الوزير الإقليمي للصحة.
٩ ـ لوباري رامبا: الوزير الإقليمي للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١٠ ـ عيسى كولانغ: الوزير الإقليمي للشباب والرياضة.
١١ ـ مرسيس شول: الوزير الإقليمي لإدارة الشرطة والسجون.
١٢ ـ لورنس لوال لوال: الوزير الإقليمي للتربية.
١٣ ـ أوليفر أكينو: الوزير الإقليمي للإسكان والمرافق العامة.
١٤ ـ ناتالي ألواك: الوزير الإقليمي لشؤون الرئاسة والمجلس التنفيذي العالي.
١٥ ـ هنري باغو: الوزير الإقليمي لشؤون الرئاسة والمجلس التنفيذي العالي.
أما الجمعية الشعبية فالناطق الرسمي باسمها: أبو القاسم هاشم ورئيسها أمير جمال الدين.
وأما الجمعية الشعبية للمناطق الجنوبية. فالناطق الرسمي باسمها جون أثان ورئيسها توماس كويم.
ويشمل المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني:
١ ـ جعفر محمد النميري.
٢ ـ محمد البشير أحمد.
٣ ـ أبيل ألير.
٤ ـ بيتر غاتكوث.
٥ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم.
٦ ـ خلف الله رشيد.
٧ ـ الرشيد الطاهر بكر.
٨ ـ أحمد عبد الحليم.
٩ ـ بشير محمد علي.
١٠ ـ مهدي مصطفى الهادي. =

وفي هذا العام جرت الانتخابات، وأصبحت الجمعية الشعبية تتألف من ثلاثمائة وأربعة أعضاء، ويُنتخب منهم مائتان وأربعة وسبعون عضواً لمدة أربع سنوات، أما الباقي وهو ثلاثون عضواً فإن الرئيس السوداني جعفر محمد النميري يتولّى تعيينهم.

أجرى الرئيس جعفر النميري تعديلات وزارية، فكانت الصيغة الوزارية في جمادى الأولى ١٣٩٩هـ (نيسان ١٩٧٩م) على النحو المشار إليه أدناه[1].

= ١١ ـ بونا ملوال.
١٢ ـ بشير عبادي.
١٣ ـ هيلري بالو لوغالي.
١٤ ـ لورنس وول.
١٥ ـ منصور خالد.
١٦ ـ جوزيف لاغو.
١٧ ـ محمد هاشم عوض.
١٨ ـ عبد الرحمن عبد الله.
١٩ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
٢٠ ـ خالد حسن عباس.
٢١ ـ مأمون عوض أبو زيد.
٢٢ ـ أبو القاسم هاشم.
٢٣ ـ موسى المبارك.
٢٤ ـ عون الشريف قاسم.
٢٥ ـ صلاح عبد العال مبروك.
هذا بالإضافة إلى الأمانة العامة التي تضمّ تسعة أعضاء.

(١) ١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، القائد الأعلى للقوات المسلحة، رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع.
٢ ـ أبيل ألير: نائب الرئيس.
٣ ـ جوزيف لاغو: نائب الرئيس، رئيس المجلس الأعلى للمناطق الجنوبية.
٤ ـ الرشيد طاهر بكر: نائب الرئيس، وزير الشؤون الخارجية.
٥ ـ عثمان هاشم عبد السلام: وزير المالية والاقتصاد الوطني.
٦ ـ خالد حسن عباس: وزير الصحة.
٧ ـ علي شمو: وزير الثقافة والإعلام.
٨ ـ دفع الله الحاج يوسف: وزير التعليم.
٩ ـ عبد الله أحمد عبد الله: وزير الزراعة والتغذية والمصادر الطبيعية. =

= ١٠ ـ محمد سيد أحمد عبد الله: وزير التشييد والعمل.
١١ ـ بشير عبادي: وزير الصناعة.
١٢ ـ كرم الله العوض: وزير الخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١٣ ـ أحمد عبد الكريم بدري: وزير المواصلات.
١٤ ـ عمر محمد الطيب: وزير الأمن الوطني.
١٥ ـ يحيى عبد المجيد: وزير الري والطاقة.
١٦ ـ محمد هاشم عوض: وزير التجارة والتموين.
١٧ ـ نصر الدين مصطفى: وزير التخطيط الوطني.
١٨ ـ أبو بكر عثمان محمد صالح: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء.
١٩ ـ شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
٢٠ ـ مصطفى عثمان حسن: وزير النقل.
٢١ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير شؤون الرئاسة.
٢٢ ـ مهدي الفحل: وزير العدل، والنائب العام.
٢٣ ـ خالد الخير عمر: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
٢٤ ـ فرنسيس دينغ: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٢٥ ـ إسماعيل الحاج موسى: وزير دولة للثقافة والإعلام.
٢٦ ـ محمد الشاذلي عثمان: وزير دولة للزراعة، والتغذية والمصادر الطبيعية.
٢٧ ـ فاروق المقبول: وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني.
٢٨ ـ عز الدين حامد: وزير دولة لشؤون مصر في السودان.
٢٩ ـ يوسف ميخائيل: وزير دولة مستشاراً قانونياً لرئيس الجمهورية.
٣٠ ـ محمد محجوب سليمان: وزير دولة مستشاراً صحفياً لرئيس الجمهورية.
٣١ ـ الشيخ بشير الشيخ: وزير دولة مستشاراً لشؤون الحكم الشعبي المحلي لدى رئيس الجمهورية.

ثم عُيّن في ٢٥ رمضان ١٣٩٩هـ (١٨ آب ١٩٧٩م):
حيدر كبسون: وزير دولة للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
أما المجلس الأعلى للجنوب فكان على النحو الآتي:
١ ـ جوزيف لاغو: رئيس المجلس.
٢ ـ صموئيل أروبول: الوزير الإقليمي لإدارة الشرطة والسجون.
٣ ـ بنيامين بول أكوك: الوزير الإقليمي للزراعة والغابات والحيوانات ومصادر السمك.
٤ ـ جوزيف أدوهو: الوزير الإقليمي للتعاون والتنمية الريفية.
٥ ـ إيزكيل ماكوي كودي: الوزير الإقليمي للتجارة والصناعة والتموين.
٦ ـ جوزيف جيمس تومبورا: الوزير الإقليمي للطرق والمواصلات.
٧ ـ لورنس وول وول: الوزير الإقليمي للمالية والتخطيط الاقتصادي. =

= ٨ ـ سيمون موري: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام.
٩ ـ باسيفيكو لوليك: الوزير الإقليمي للصحة والرعاية الاجتماعية.
١٠ ـ أكوت أتم: الوزير الإقليمي للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
١١ ـ دانيال كوت ماثويث: الوزير الإقليمي للشباب والرياضة.
١٢ ـ صموئيل غيتوت: الوزير الإقليمي للسياحة.
١٣ ـ ماتزو أوبور أنينغ: الوزير الإقليمي للتربية.
١٤ ـ بارنابا دومو: الوزير الإقليمي للإسكان والمرافق العامة.
١٥ ـ أرنو لوب: الوزير الإقليمي لشؤون الرئاسة والمجلس التنفيذي العالي.
١٦ ـ صموئيل لوبي: الوزير الإقليمي للشؤون القانونية.

وكان رئيس الجمعية الشعبية بدر الدين سليمان والناطق الرسمي باسمها أبو القاسم هاشم. وأما الجمعية الشعبية للمناطق الجنوبية فإن الناطق الرسمي هو كلمنت مبورو ورئيسها فيليب أكوت.

وأما المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي فكان كما يأتي:

١ ـ جعفر محمد النميري.
٢ ـ محمد البشير أحمد.
٣ ـ أبيل ألير.
٤ ـ بيتر غاتكوث.
٥ ـ أبو القاسم محمد إبراهيم.
٦ ـ خلف الله رشيد.
٧ ـ الرشيد الطاهر بكر.
٨ ـ أحمد عبد الحليم.
٩ ـ عبد الرحمن عبد الله.
١٠ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
١١ ـ خالد حسن عباس.
١٢ ـ مأمون عوض أبو زيد.
١٣ ـ أبو القاسم هاشم.
١٤ ـ بشير محمد علي.
١٥ ـ مهدي مصطفى الهادي.
١٦ ـ بونا ملوال.
١٧ ـ بشير عبادي.
١٨ ـ هيلري باولو لوغالي.
١٩ ـ لورنس وول وول.
٢٠ ـ منصور خالد. =

كان الإخوان المسلمون في هذا الوقت يطالبون بتعديل الدستور، وتقييد السلطات المطلقة للرئيس، وحرية الصحافة، وقد قاطعوا الاستفتاء الذي جرى لتجديد الولاء لرئيس الجمهورية.

وقام الإخوان بمظاهرات تعلن سخطها على غزو الروس لأفغانستان، كما قادوا مظاهرات أخرى تطالب بتطبيق الشريعة إذ قامت ثورة في إيران تدعو إلى ذلك وإن كانت على فكرة الرفض التي لا يعرف العامة شيئاً عنها. وكذلك قاموا بمظاهرات تستنكر زيارة الرئيس المصري أنور السادات لدولة اليهود التي اغتصبت أرض فلسطين وأقامت عليها حكماً لها.

وأخذ الإخوان يُلحّون على تطبيق الشريعة الإسلامية لإنقاذ أوضاع السودان مما هي عليه بعد أن أفلست القوانين الوضعية من رأسماليةٍ، واشتراكيةٍ، وشيوعيةٍ وغيرها في وضع حدٍ للتدهور المستمر(١).

= ٢١ ـ جوزيف لاغو.
٢٢ ـ محمد هاشم عوض.
٢٣ ـ موسى المبارك.
٢٤ ـ عون الشريف قاسم.
٢٥ ـ صلاح عبد العال مبروك.
٢٦ ـ صادق عبد الرحمن المهدي.
٢٧ ـ حسن عبد الله الترابي.
٢٨ ـ أحمد الميرغني.
٢٩ ـ كلمنت مبورو.
٣٠ ـ صموئيل أرو.
٣١ ـ بدر الدين سليمان.

(١) كانت الدولة والوزارة في ربيع الأول ١٤٠٠هـ (شباط ١٩٨٠م).
١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء.
٢ ـ عبد الماجد خليل: النائب الأول للرئيس، وزير الدفاع، القائد الأعلى للقوات المسلحة.
٣ ـ أبيل ألير: نائب الرئيس.
٤ ـ جوزيف لاغو: نائب الرئيس، رئيس المجلس الأعلى للمناطق الجنوبية.
٥ ـ الرشيد الطاهر بكر: نائب الرئيس، وزير الشؤون الخارجية.
٦ ـ بدر الدين سليمان: وزير المالية والاقتصاد الوطني. =

= ٧ ـ نصر الدين مصطفى: وزير التخطيط الوطني.
٨ ـ دفع الله الحاج يوسف: وزير التربية والتعليم.
٩ ـ إسماعيل الحاج موسى: وزير الثقافة والإعلام.
١٠ ـ خالد حسن عباس: وزير الصحة.
١١ ـ فاروق المقبول: وزير التجارة والتعاون والتموين.
١٢ ـ عثمان حسن عبد السلام: وزير الصناعة.
١٣ ـ عبد الله أحمد عبد الله: وزير الزراعة والتغذية والمصادر الطبيعية.
١٤ ـ محمد سيد أحمد عبد الله: وزير العمل والعمران.
١٥ ـ شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
١٦ ـ يحيى عبد المجيد: وزير الري والطاقة الكهربائية.
١٧ ـ عمر محمد الطيب: وزير الأمن الوطني.
١٨ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير شؤون الرئاسة.
١٩ ـ أحمد سيد حمد: وزير المواصلات.
٢٠ ـ جلال علي لطفي: وزير الشؤون الاجتماعية.
٢١ ـ حسن عبد الله الترابي: وزير العدل والنائب العام.
٢٢ ـ خالد الخير عمر: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
٢٣ ـ أبو بكر عثمان محمد صالح: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
٢٤ ـ محمد محجوب: وزير دولة للشؤون الصحفية.
٢٥ ـ بشير الشريف: وزير دولة لشؤون الحكومات المحلية.
٢٦ ـ عز الدين حمد: وزير دولة للشؤون المصرية.
٢٧ ـ عثمان عبد الله النذير: وزير دولة للمالية والاقتصاد.
٢٨ ـ محمد ميرغني مبارك: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٢٩ ـ محمد حسن الجاك عمر الأمين: وزير دولة للزراعة والتغذية والمصادر الطبيعية.
٣٠ ـ محمد حيدر كبسون: وزير دولة للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
٣١ ـ أحمد سالم: وزير دولة للتعاون، والتجارة والتموين.

أما المجلس الأعلى للجنوب فكان على النحو الآتي:

١ ـ جوزيف لاغو: رئيساً للمجلس.
٢ ـ بيتر غاتكوث: الوزير الإقليمي للمالية، والصناعة والتخطيط الاقتصادي.
٣ ـ جوزيف أدوهو: الوزير الإقليمي للخدمة العامة والمصادر البشرية.
٤ ـ ناتال ألواك ألولاوين: الوزير الإقليمي للإدارة والشؤون القانونية، والتنسيق.
٥ ـ جوزيف جيمس تومبورا: الوزير الإقليمي للعمل الشعبي، والإسكان، والطرق والمواصلات.
٦ ـ باسيفيكو لوليك: الوزير الإقليمي للصحة.
٧ ـ جوستين ياك أروب: الوزير الإقليمي للزراعة والمصادر الطبيعية. =

وأضيف في ربيع الأول ١٤٠٠هـ (شباط ١٩٨٠م) إلى الجمعية الشعبية حوالي ١٢٠ ـ ١٤٠ مقعداً من التنظيمات الأخرى حيث نال حزب الأمة عشرين مقعداً، والحزب الاتحادي الديمقراطي ثلاثين مقعداً، وجماعة الإخوان المسلمين عشرين عضواً، وحوالي ٤٠ ـ ٦٠ مقعداً للشخصيات ذات النفوذ المحلي، وما بقي وهو ما يقرب من عشرة مقاعد إلى الأحزاب اليسارية الوطنية.

وكانت السلطة التنفيذية في ربيع الأول ١٤٠١هـ (كانون الثاني ١٩٨١م) على النحو الموضح أدناه[١].

= ٨ ـ بارنابا دومو: الوزير الإقليمي للتربية والتعليم.
٩ ـ مارتين ماجير: الوزير الإقليمي للتعاون والتجارة والتموين.
١٠ ـ لورنس وول وول: الوزير الإقليمي لشؤون الوزارة.
١١ ـ أمبروز رنغ تيك: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام.
وكانت الجمعية الشعبية السودانية برئاسة عون الشريف قاسم، وكان الناطق الرسمي باسمها أبو القاسم هاشم، وأما الجمعية الشعبية للمناطق فرئيسها ميخائيل وول، والناطق باسمها عيسى كولانغ.
أما المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني فيتألف من:
جعفر محمد النميري.
أبيل ألير.
زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
خالد حسن عباس.
عمر محمد الطيب.
الرشيد طاهر بكر.
بدر الدين سليمان.
مهدي مصطفى الهادي.
أحمد السيد حمد.
عون الشريف قاسم.
إسماعيل الحاج موسى.
حسن عبد الله الترابي.
عبد الله حمد عبد الله.
بيتر غاتكوث غوال.
هيلري لوغالي.
بونا ملوال.
جوزيف لاغو.
نفيسة أحمد الأمين.

(١) ١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء. =

= ٢ ـ عبد الماجد خليل: نائب الرئيس، وزير الدفاع، القائد الأعلى للقوات المسلحة.
٣ ـ أبيل ألير: نائب الرئيس، رئيس المجلس الأعلى للجنوب.
٤ ـ بدر الدين سليمان: وزير التخطيط الوطني.
٥ ـ نصر الدين مصطفى: وزير التخطيط الوطني.
٦ ـ دفع الله الحاج يوسف: وزير التربية والتعليم.
٧ ـ إسماعيل الحاج موسى: وزير الثقافة والإعلام.
٨ ـ خالد حسن عباس: وزير الصحة.
٩ ـ فاروق إبراهيم مقبول: وزير التعاون والتجارة والتموين.
١٠ ـ عز الدين حامد: وزير الصناعة.
١١ ـ عبد الله حمد عبد الله: وزير الزراعة، والتغذية والمصادر الطبيعية.
١٢ ـ محمد سيد أحمد عبد الله: وزير التشييد والعمل.
١٣ ـ شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
١٤ ـ الرياح عبد السلام: وزير الري والطاقة الكهرمائية.
١٥ ـ عمر محمد الطيب: وزير الأمن الوطني.
١٦ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير شؤون الرئاسة.
١٧ ـ أحمد عبد الرحمن محمد: وزير الشؤون الداخلية.
١٨ ـ أحمد سيد حمد: وزير المواصلات.
١٩ ـ حسن عبد الله الترابي: وزير العدل والنائب العام.
٢٠ ـ خالد الخير عمر: وزير دولة لشؤون الرئاسة.
٢١ ـ أبو بكر عثمان محمد صالح: وزير دولة لشؤون رئاسة مجلس الوزراء.
٢٢ ـ محمد محجوب: وزير دولة للشؤون الصحفية.
٢٣ ـ بشير الشريف: وزير دولة لشؤون الحكومات المحلية.
٢٤ ـ محمد أحمد الحاج: وزير دولة للشؤون المصرية.
٢٥ ـ عبد الرحمن عبد الوهاب: وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني.
٢٦ ـ محمد ميرغني مبارك: وزير دولة للشؤون الخارجية.
٢٧ ـ محمد حسن الجاك: وزير دولة للزراعة والتغذية والمصادر الطبيعية.
٢٨ ـ عمر الأمين: وزير دولة للزراعة والتغذية والمصادر الطبيعية.
٢٩ ـ محمد حيدر كبسون: وزير دولة للخدمة العامة والإصلاح الإداري.
٣٠ ـ أحمد سليم: وزير دولة للتعاون والتجارة والتموين.
٣١ ـ محمد عثمان أبو ساق: وزير دولة للإعلام.
٣٢ ـ ميرغني محمد أحمد: وزير دولة للتخطيط الوطني.
أما المجلس الأعلى للجنوب فكان على الشكل الآتي:
١ ـ أبيل ألير: رئيساً للمجلس.
٢ ـ بيتر غاتكوث غوال: نائباً للرئيس، والوزير الإقليمي، للمالية والصناعة التخطيط الاقتصادي. =

....

= ٣ ـ هيلري لوغاري: الوزير الإقليمي لإدارة الشرطة والسجون.
٤ ـ عيسى كولانغ: الوزير الإقليمي للطرق والمواصلات والنقل.
٥ ـ جوستين ياك أروب: الوزير الإقليمي للتعاون والتنمية.
٦ ـ غاما حسن: الوزير الإقليمي للزراعة والمصادر الطبيعية.
٧ ـ آرثر أكوين: الوزير الإقليمي للتجارة والصناعة والتموين.
٨ ـ توبي مادوت: الوزير الإقليمي للإسكان والعمل.
٩ ـ مارتين ماجير: الوزير الإقليمي للشؤون القانونية، والتنسيق.
١٠ ـ صموئيل أبو جون: الوزير الإقليمي للسياحة والصيانة.
١١ ـ أندرو ويو: الوزير الإقليمي للتعليم.
١٢ ـ دانيال غانفيك: الوزير الإقليمي لشؤون المجلس الأعلى.
١٣ ـ زكريا دينغ: الوزير الإقليمي للصحة.
١٤ ـ جوزيف يوكلّو: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام.
١٥ ـ مانوه ماجوك: مستشار رئيس المجلس التنفيذي الأعلى.

وأما الجمعية الشعبية السودانية فكان المنظم لها عبد الحمد صالح، وكان الناطق الرسمي باسمها الرشيد الطاهر بكر. وأما الجمعية الشعبية للمناطق في جوبا فكان رئيسها سيمون موري، والناطق الرسمي أنجلو بيدا.

أما المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني فكان يتألف من:
١ ـ جعفر محمد النميري: رئيساً.
٢ ـ عبد الماجد خليل: أميناً عاماً.

والأعضاء هم:
١ ـ أبيل ألير.
٢ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
٣ ـ خالد حسن عباس.
٤ ـ عمر محمد الطيب.
٥ ـ الرشيد الطاهر بكر.
٦ ـ بدر الدين سليمان.
٧ ـ مهدي مصطفى الهادي.
٨ ـ أحمد السيد حمد.
٩ ـ عون الشريف قاسم.
١٠ ـ حسن عبد الله الترابي.
١١ ـ إسماعيل الحاج موسى.
١٢ ـ عبد الله حمد عبد الله.
١٣ ـ بيتر غاتكوث غوال. =

تشكلت لجنة لتعديل القوانين حتى تتماشى مع الشريعة الإسلامية، وكانت السلطة التنفيذية في جمادى الأولى عام ١٤٠٢هـ (آذار ١٩٨٢م) على النحو المبيّن أدناه[1].

= ١٤ ـ هيليري لوغلي.
١٥ ـ بونا ملوال.
١٦ ـ جوزيف لاغو.
١٧ ـ نفيسة أحمد الأمين.

(١) ١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، وزير الزراعة والري.
٢ ـ عمر محمد الطيب: نائب الرئيس، وزير الأمن الوطني.
٣ ـ أبيل ألير: نائب الرئيس.
٤ ـ إبراهيم منصور: وزير المالية والاقتصاد الوطني.
٥ ـ النذي دفع الله: وزير التعليم والتوجيه.
٦ ـ علي محمد فادي: وزير الصحة.
٧ ـ فاروق إبراهيم مقبول: وزير التعاون والتجارة والتموين.
٨ ـ محمد البشير الواجي: وزير الصناعة.
٩ ـ خالد حسن عباس: وزير النقل والمواصلات.
١٠ ـ بابكر علي التوم: وزير التشييد والعمل.
١١ ـ محمد شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
١٢ ـ محمد بهاء إدريس: وزير مجلس الرئاسة.
١٣ ـ خالد الخير عمر: وزير مجلس الرئاسة.
١٤ ـ أحمد عبد الرحمن محمد: وزير الشؤون الداخلية.
١٥ ـ محمد ميرغني مبارك: وزير الشؤون الخارجية.
١٦ ـ أبو بكر محمد عثمان صالح: وزير شؤون مجلس الوزراء.
١٧ ـ حيدر محمد كبسون: وزير القوى العاملة.
١٨ ـ يوسف ميخائيل بخيت: وزير الشؤون القانونية.
١٩ ـ شيخ بشير الشيخ: وزير اللامركزية.
٢٠ ـ محمد محجوب سليمان: وزير الشؤون الصحفية.
٢١ ـ حسن عبد الله الترابي: وزير العدل والنائب العام.
٢٢ ـ بشير إبراهيم عثمان الشاق: وزير دولة للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٢٣ ـ عبد الرحمن عبد الوهاب: وزير دولة للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٢٤ ـ عثمان عبد الرحمن حكيم: وزير دولة للزراعة.
٢٥ ـ صغيرون زين الصغيرون: وزير دولة للري.
ـ يوسف سليمان: وزير دولة للطاقة والتعدين. =

= ـ محمد عثمان أبو ساق: وزير دولة للشؤون الداخلية.
ـ أحمد سليم أحمد: وزير دولة للتعاون والتجارة والتموين.
ـ محمد الحسن أحمد الحاج: وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.

المجلس الأعلى للمناطق الجنوبية

١ ـ كاسمولا عبد الله رازاس: رئيس المجلس.
٢ ـ أندرو ماكوت: نائب الرئيس، وزير التعاون الإقليمي، والتطور التنظيمي.
٣ ـ جوزيف كوال: الوزير الإقليمي للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٤ ـ لورنس وول: الوزير الإقليمي للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٥ ـ توبي مادوت: الوزير الإقليمي للصحة والرعاية الاجتماعية.
٦ ـ صموئيل كيتوت: الوزير الإقليمي للسياحة والصيانة.
٧ ـ أوثوان داك: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام.
٨ ـ فيليب أوبانغ أويوي: الوزير الإقليمي للتربية والتعليم.
٩ ـ ألكسندر نجيب: الوزير الإقليمي لشؤون المجلس التنفيذي الأعلى.
١٠ ـ ويلسون إيرمابا: الوزير الإقليمي للشؤون القانونية والتنسيق.
١١ ـ مانوه بابك: الوزير الإقليمي للزراعة والمصادر الطبيعية.
١٢ ـ إرنو لوب: الوزير الإقليمي للصناعة والتعدين.
١٣ ـ نيقولا أبويا: الوزير الإقليمي للإسكان.
١٤ ـ صموئيل رينزي: الوزير الإقليمي للخدمة العامة والقوى العاملة.
١٥ ـ داريوس بشير: الوزير الإقليمي للنقل والمواصلات. أما الجمعية الشعبية فقد أصبحت تضمّ ١٥١ عضواً منهم:

٦٨ ينتخبون لمدة أربع سنوات.
٧٠ يقدمهم العمال والاتحادات.
١٣ يختارهم الرئيس.

وكان رئيس الجمعية الشعبية بدر الدين سليمان والناطق الرسمي عز الدين السيد. أما الجمعية الشعبية للمناطق الجنوبية والتي اختيرت في جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ (أيار ١٩٨٠م) في جوبا فقد كان رئيسها سيمون موري، والناطق الرسمي أنجلو بيرا.

أما الاتحاد الاشتراكي السوداني فقد كانت رئاسته تتألف من:

١ ـ جعفر محمد النميري: رئيساً.
٢ ـ عوض مالك: نائباً للرئيس.

أما المكتب السياسي فقد شمل:

١ ـ أبيل ألير.
٢ ـ زين العابدين محمد أحمد عبد القادر.
٣ ـ خالد حسن عباس.
٤ ـ عمر محمد الطيب. =

وفي ربيع الثاني ١٤٠٣هـ (شباط ١٩٨٣م) تعدّلت السلطة التنفيذية، وأصبحت كما هو موضّح أدناه[١]. وقد انتهت لجنة تعديل القوانين من

= ٥ ـ الرشيد الطاهر بكر.
٦ ـ بدر الدين سليمان.
٧ ـ أحمد السيد أحمد.
٨ ـ عون قاسم الشريف.
٩ ـ إسماعيل الحاج موسى.
١٠ ـ حسن عبد الله الترابي.
١١ ـ عبد الرحمن محمد.
١٢ ـ حميد علي شاش.
١٣ ـ الفاتح محمد.
١٤ ـ بشير بشارة.
١٥ ـ أحمد إبراهيم ديريغ.
١٦ ـ عبد الله حمد عبد الله.
١٧ ـ بيتر غاتكوث غوال.
١٨ ـ بونا ملوال.
١٩ ـ جوزيف لاغو.
٢٠ ـ نفيسة أحمد الأمين.

(١) ١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الدولة، رئيس الوزارة، وزير الدفاع.
٢ ـ عمر محمد الطيب: النائب الأول للرئيس، وزير الأمن الوطني.
٣ ـ جوزيف لاغو: نائب الرئيس.
٤ ـ إبراهيم منعم منصور: وزيراً للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٥ ـ عثمان سيد أحمد إسماعيل: وزير التعليم.
٦ ـ علي محمد فادي: وزير الصحة.
٧ ـ محمد البشير العراجي: وزير الصناعة.
٨ ـ خالد حسن عباس: وزير النقل والمواصلات.
٩ ـ بابكر علي التوم: وزير التشييد والعمل.
١٠ ـ محمد شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
١١ ـ عثمان عبد الرحمن حكيم: وزير الزراعة والري.
١٢ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير في مكتب الرئيس.
١٣ ـ خالد الخير عمر: وزير في مكتب الرئيس.
١٤ ـ أحمد عبد الرحمن محمد: وزير الشؤون الداخلية.
١٥ ـ محمد عثمان أبو ساق: وزير الإعلام والتوجيه الوطني.
١٦ ـ محمد ميرغني مبارك: وزير الشؤون الخارجية.
١٧ ـ أبو بكر محمد عثمان صالح: وزير في مكتب رئيس مجلس الوزراء. =

مهمتها، وأخذ تطبيق الشريعة الإسلامية يُنفّذ من شهر ذي الحجة ١٤٠٣هـ (أيلول ١٩٨٣م)، فأثار ذلك الأمر الأعداء، وكأن الأرض قد زلزلت تحت أقدامهم فتحرّك اتحاد الكنائس العالمي، والإرساليات التنصيرية، والدول الصليبية، وأتباع الأنظمة الوضعية كلها، وإسرائيل، وأصحاب العصبيات، وحُذّر الرئيس السوداني من مغبة ذلك، فخاف على مركزه، وأخذ يُغيّر رأيه ويُبدّل طريقه إذ استحب الحياة الدنيا، وكانت السلطة التنفيذية في جمادى

= ١٨ ـ محمد الحسن أحمد الحاج: وزير في مكتب رئيس مجلس الوزراء.
١٩ ـ حيدر محمد كبسون: وزير شؤون القوى العاملة.
٢٠ ـ يوسف ميخائيل بخيت: وزير الشؤون القانونية.
٢١ ـ شيخ بشيرالشيخ: وزير شؤون اللامركزية.
٢٢ ـ محمد محجوب سليمان: وزير الشؤون الصحفية.
٢٣ ـ حسن عبد الله الترابي: وزير العدل والنائب العام.
أما المجلس التنفيذي الأعلى للجنوب فقد بقي وكان في ذلك العام على النحو الآتي:
١ ـ جيمس جوزيف تومبورا: رئيس المجلس.
٢ ـ داهول أشول: نائب الرئيس والوزير الإقليمي للشؤون القانونية.
٣ ـ اوثوان داك: الوزير الإقليمي للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٤ ـ فليب أوبانغ أويوي: الوزير الإقليمي للتربية والتعليم.
٥ ـ آجو ديدي: الوزير الإقليمي للزراعة والمصادر الطبيعية.
٦ ـ نيكانورا مانوك: الوزير الإقليمي للصحة والرعاية الاجتماعية.
٧ ـ أرشنجولو لولواك: الوزير الإقليمي للإسكان.
٨ ـ سيفارينو واني: الوزير الإقليمي للنقل والمواصلات.
٩ ـ فاروق أكاشاه: الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام.
١٠ ـ جون وول: الوزير الإقليمي للتنسيق والتطور التنظيمي.
١١ ـ هاباكوك سورو: الوزير الإقليمي للسياحة والصيانة والمصادر.
١٢ ـ صموئيل رينزي: الوزير الإقليمي للخدمات والقوى العاملة.
١٣ ـ شارلس غوات كافوني: الوزير الإقليمي للحكومة اللامركزية.
١٤ ـ نيقولا أبويا: الوزير الإقليمي للتجارة والتموين.
١٥ ـ دانيال ماثويس: الوزير الإقليمي للصناعة والتعدين.
١٦ ـ كورنيلو كوريوم: الوزير الإقليمي للتنسيق في الخرطوم.
١٧ ـ فرنسيس وغو: الوزير الإقليمي لشؤون المجلس التنفيذي الأعلى.
١٨ ـ باسيفيكو لادولوليك: مستشار الشؤون السياسية.
١٩ ـ داريوس بشير: مستشار الحكومة الشعبية المحلية.

الأولى ١٤٠٤هـ (شباط ١٩٨٤م) على النحو الموضّح أدناه[١].

أعلن الرئيس جعفر محمد النميري في جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ (١٠ آذار ١٩٨٥م) عن اكتشاف مؤامرة ضده من الإخوان المسلمين، فألقى القبض على بعضهم، وأبعد الآخرين. وأعلن تغيير الوزارة[٢]. وألغت الدولة دعم الغذاء

---

(١) جعفر محمد النميري: رئيس الدولة.
عمر محمد الطيب: النائب الأول للرئيس، وزير الأمن الوطني.
جوزيف لاغو: النائب الثاني للرئيس.
الوزارة:
١ ـ جعفر محمد النميري: رئيس الوزراء، وزير الدفاع.
٢ ـ إبراهيم منعم منصور: وزير المالية والتخطيط الاقتصادي.
٣ ـ عثمان سيد أحمد إسماعيل: وزير التعليم.
٤ ـ علي محمد فادي: وزير الصحة.
٥ ـ أحمد سليم أحمد: وزير التعاون والتجارة والتموين.
٦ ـ محمد البشير الواجي: وزير الصناعة.
٧ ـ خالد حسن عباس: وزير النقل والمواصلات.
٨ ـ أبيل ألير: وزير التشييد والعمل.
٩ ـ محمد شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
١٠ ـ عثمان عبد الرحمن حكيم: وزير الزراعة والري.
١١ ـ بهاء الدين محمد إدريس: وزير في مكتب الرئاسة.
١٢ ـ خالد الخير عمر: وزير في مكتب الرئاسة.
١٣ ـ أحمد عبد الرحمن محمد: وزير الشؤون الداخلية.
١٤ ـ محمد خوجلي صالحين: وزير التوجيه والإعلام الوطني.
١٥ ـ محمد ميرغني مبارك: وزير الشؤون الخارجية.
١٦ ـ أبو بكر محمد عثمان صالح: وزير في مكتب رئاسة الوزارة.
١٧ ـ محمد الحسن أحمد الحاج: وزير في مكتب رئاسة الوزارة.
١٨ ـ بدر الدين سليمان: وزير العمل والضمان الاجتماعي.
١٩ ـ الرشيد الطاهر بكر: وزير العدل والنائب العام.

(٢) ١ ـ **رأس الدولة:**
جعفر محمد النميري: رئيس الدولة.
عمر محمد الطيب: النائب الأول للرئيس، رئيس جهاز أمن الدولة.
جوزيف لاغو: النائب الثاني للرئيس.
الرشيد الطاهر بكر: النائب الثالث للرئيس.
٢ ـ مجلس الرئاسة:
=

والوقود، فارتفع سعر الخبز بنسبة ٣٣٪ فازداد إحساس الناس بالضيق، وقامت المظاهرات التي كانت تمهيداً للانقلاب الذي قام بتاريخ ١٦ رجب ١٤٠٥هـ (٦ نيسان ١٩٨٥م) أي بعد أقل من شهرٍ من إعلان الرئيس جعفر النميري لاكتشاف مؤامرة من الإخوان المسلمين ضده، ولم يكن ذلك الإعلان سوى وجود مبرر لضرب هذه الجماعة، وقد عمّت الفوضى البلاد مدة هذا الشهر وهذا ما دعا الجيش للتحرك والقيام بالانقلاب.

نلاحظ مما تقدم أن عهد الرئيس جعفر محمد النميري قد مرّ بأربع مراحل:

١ ـ التعاون مع الشيوعيين وتسليمهم المناصب الحسّاسة في الدولة والمراكز العسكرية، وتقديم العناصر الملحدة غير أنهم لم يصدقوا معه، ولم

= جعفر محمد النميري: رئيس مجلس الوزراء.
عبد الرحمن سوار الذهب: وزير الدفاع.
عبد الرحمن عبد الوهاب: وزير المالية والتخطيط الاقتصادي.
عثمان سيد أحمد إسماعيل: وزير التعليم والتربية.
عبد السلام عيسى: وزير الصحة والرعاية الاجتماعية.
فوزي رحيم وصفي: وزير التجارة والصناعة والتعاون.
أبو غورون: وزير الشؤون القانونية.
خالد حسن عباس: وزير النقل والمواصلات.
أبيل ألير: وزير التشييد والعمل.
محمد شريف التهامي: وزير الطاقة والتعدين.
عثمان عبد الرحمن حكيم: وزير الزراعة والري.
خالد الخير عمر: وزير في مكتب الرئيس.
علي ياسين إبراهيم: وزير الشؤون الداخلية.
علي محمد شمو: وزير الثقافة والإعلام.
هاشم عثمان: وزير الشؤون الخارجية.
محمد الحسن أحمد الحاج: وزير شؤون الرئاسة.
فرح حسن: وزير العمل والضمان الاجتماعي.
حسن بشير: وزير الطيران المدني والسياحة.
صغيرون زين الصغيرون: وزير الري والطاقة الكهرمائية.
فيصل محمد عبد الرحمن: وزير الدولة في مجلس الرئاسة.
عوض الجيد: وزير العدل والنائب العام.

يقبلوا منه ما دام ليس منهم، ولم يُظهر شيوعيته، ولم يُعلن قيام الدولة الشيوعية في السودان، ولم يرتبط بموسكو، رغم أن الدولة بأيديهم لذا فقد قاموا ضده بانقلاب، ولكنهم فشلوا، وحصلوا على بعض ما اقترفوا.

٢ ـ التوجّه نحو الرأسمالية، وتقديم العناصر الموالية للغرب والمعروفة بالاتجاه العلماني، غير أن الشعب ضاق ذرعاً بالانتهازيين، وأصحاب المصالح، وعانت الدولة من الفساد، والرشوة.

وأراد سدنة النظام الرأسمالي من الرئيس جعفر محمد النميري أن يسير خطوات أوسع نحو الارتماء بالأحضان، والتنكّر لعقيدته وأمته، وأن يفسح المجال للتنصير في الجنوب على نطاق كبير، وأن يعلن استقلال الجنوب لترتع الإرساليات التنصيرية بصورةٍ أرحب رغم أنه أعطى الجنوب المزيد من الحرية وجعل منه إقليماً شبه مستقل ولكن لم يقنع المُنصّرون ومن وراءهم بهذا بل يريدون المزيد. . .

٣ ـ التوجّه نحو الإسلام: إذ لم يرض عنه سدنة النظام الرأسمالي ولا الإرساليات التنصيرية، ولا اتحاد الكنائس العالمي مما أجبره على تركهم والتحرّك تدريجياً نحو الإسلام عدوّهم الألد، وربما تحرّك في نفسه الإيمان، وعزّ عليه أن يتخلّى عن عقيدته أو أن يجعل أمته هملاً فأخذ يعود إلى انتماءاته بعاطفةٍ لا بإيمان صادق. وقد يكون نظر بعين الواقع فوجد أن بلاده لم تجن من الشيوعية إلا القتال، ولم تحصد من الرأسمالية إلا الشوك، وقد جرّب كلاهما وبقيت بلاده فقيرةً بئيسة مُتخلّفةً فأراد تجربة الإسلام فانطلق نحوه، فأخذت أوضاع البلاد تتحسّن وتزدهر، وشعر السكان بالطمأنينة، وساروا وراء رئيسهم وأيّدوه، ولو استمرّ الوضع بتطبيق الإسلام لتقدّمت البلاد، وعاش الناس بأمنٍ ورفاهيةٍ.

٤ ـ طار صواب أعداء الإسلام، وخشوا أن تخرج السودان من أيديهم إلى النهاية، وأن تحذو البلدان الإسلامية حذوها وتُطبّق الإسلام، وأن يقبل الناس نحو الإسلام بعد أن أحسّوا بالخير، ويسلم من لم يسلم، وهذا ما يُشكّل خطراً على سدنة الصليبية واليهودية، والبلدان النصرانية كلها، وعلى

أصحاب النظريات السياسية والاقتصادية، ورجال الأنظمة الوضعية... لذا فقد خوّفوا الرئيس جعفر محمد النميري من استمراره على هذا السلوك، وحذّروه من بقائه على هذا التفكير...

خاف النميري وقرر تغيير خطه فأعلن عن اكتشافه مؤامرة من الإخوان المسلمين ضده فبدأ بالتخلّي عنهم، والحرب عليهم، ورجع يلتمس النصر من الغرب ومن الشرق... فأظهروا تأييدهم له، وحمايته من خصومه... وأبطنوا رميه في أماكن المهملات... وتضايق المسلمون أيضاً منه بعد أن رأوا ارتماءه في أحضان الأعداء... وخافوا أن يضيعوا ما كسبوه من تطبيق الشريعة وحصلوا عليه من الأمن والطمأنينة وتحسّن الأوضاع الاقتصادية...

قامت حركة ضدّه وأطاحت بنظامه الغريب. وبقي المسلمون يعملون على استمرار تطبيق القوانين الشرعية، وأخذ الأعداء من رأسماليين، وشيوعيين، وعلمانيين، وصليبيين، ويهود يُحاربون استمرارية تطبيق تلك القوانين، ووحّدوا صفوفهم وعملوا على دعم حركة التمرّد في الجنوب للتخلّص من تطبيق الشريعة الإسلامية ووضعوا ثقلهم وراء تلك الحركة الانفصالية، وخلف الدول المجاورة النصرانيّة، ويدعم ذلك اتحاد الكنائس العالمي، والإرساليات التنصيرية، والدول النصرانية كافةً من شيوعيةٍ ورأسمالية، وإسرائيل، وكل من يسير في فلك هذه الدول.

لذا أصبح استمرار تطبيق الشريعة الإسلامية هو الحدّ الفاصل للتفاهم أو الاختلاف في كل حوارٍ أو مناقشةٍ، وتأييد النظام القائم أو محاربته.

ورغم أن الرئيس جعفر محمد النميري قد جعل من الجنوب إقليماً خاصاً، وجعل له مجلساً تنفيذياً أعلى أشبه ما يكون بحكومةٍ مستقلةٍ فإن جون قرنق يُحمّله مسؤولية كل ما حدث إذا يدعي أن جعفر النميري كان يريد أن يتخلّص من معاهدة «أديس أبابا» عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م). كما يتهمه بحلّ المجلس النيابي والتنفيذي للجنوب عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) دون سندٍ دستوريٍ.

الإنقلاب العسكري الثالث

١٦ رجب ١٤٠٥ - ١٦ رجب ١٤٠٦ هـ

(٦ نيسان ١٩٨٥ - ٢٦ آذار ١٩٨٦ م)

قام بالانقلاب وزير الدفاع عبد الرحمن سوار الذهب مع عدد من كبار ضباط الجيش الذين شكّلوا المجلس العسكري[1] الأعلى الذي تحمّل مسؤولية تسيير الحكم، وقد أعلن من البداية أنه لا يريد الاستئثار بالسلطة، وإنما سيسلمها إلى حكومةٍ مدنيةٍ بعد مرحلةٍ انتقاليةٍ لا تزيد على السنة، وقد وفى بوعده فعلاً.

عمل المجلس العسكري قبل كل شيءٍ على إنهاء قضية الجنوب، ودعا ما يُسمّى بالحركة الشعبية المتمرّدة إلى صفوف القوى الوطنية التي قامت بالحركة الانقلابية غير أنه لم يجد أية استجابةٍ من قبل المتمرّدين.

وأصدر المجلس العسكري عفواً عاماً، وأمر بوقف إطلاق النار، ووجّه النداءات المتكررة إلى جون قرنق للحضور إلى الخرطوم للتفاهم. غير أن المتمرّدين وصفوا المجلس العسكري برئاسة عبد الرحمن سوار الذهب[2] أنه

(١) ضمّ المجلس العسكري:

١ - الفريق أول: عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب.

٢ - الفريق: تاج الدين عبد الله.

٣ - الفريق: يوسف حسين.

٤ - الفريق: توفيق خليل.

٥ - اللواء: حسن تاج.

(٢) كان عبد الرحمن سوار الذهب صديقاً لجون قرنق، وقبل أن يعلن جون قرنق تمرّده بيومين كان عند عبد الرحمن سوار الذهب في منزله وقد تناول عنده طعام الغداء.

(مايو رقم ـ ٢ ـ) وأخذ جون قرنق يدعو إلى التمرّد، ويُحرّض السكان على القيام ضدّ الحكم العسكري القائم.

كلّف قائد الانقلاب العسكري عبد الرحمن سوار الذهب رئيس نقابة الأطباء دفع الله الجزولي بتشكيل حكومةٍ انتقاليةٍ[1] لمدة سنة واحدةٍ، تجري في نهاية مدتها انتخابات الجمعية التأسيسية، وتسلّم الحكم للمدنيين.

أرسل رئيس الوزراء دفع الله الجزولي خطاباً إلى جون قرنق زعيم الحركة الشعبية المتمرّدة في الجنوب للانضمام إلى صفوف السودانيين والتفاهم معهم، غير أن جون قرنق شنّ هجوماً على الحركة العسكرية وعلى الحكم في بيان أصدر بتاريخ ٢٩ رجب ١٤٠٥هـ (١٩ نيسان ١٩٨٥م) كردٍّ على خطاب رئيس الوزراء، ثم أصدر بياناً آخر بتاريخ ٨ رمضان ١٤٠٥هـ (٢٧ أيار ١٩٨٥م) هاجم فيه الحكام العسكريين الجدد بشكلٍ أعنف مما جاء في البيان الأول.

وأعلنت الحركة الشعبية المتمرّدة في الجنوب بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٤٠٥هـ أنها ستردّ على خطاب رئيس الوزارة دفع الله الجزولي، غير أنها لم

---

(١) تشكلت الحكومة في ٢ شعبان ١٤٠٥هـ (٢٢ نيسان ١٩٨٥م) على النحو الآتي:
١ ـ دفع الله الجزولي: رئيساً للوزراء.
٢ ـ صموئيل أرو: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للري.
٣ ـ إبراهيم طه أيوب: وزيراً للخارجية.
٤ ـ عوض عبد المجيد: وزيراً للمالية، والتخطيط.
٥ ـ سيد أحمد السيد: وزيراً للتجارة، والتعاون، والتموين.
٦ ـ عبد العزيز عثمان موسى: وزيراً للطاقة، والصناعة، والتعدين.
٧ ـ بيتر جات كوت: وزيراً للنقل والمواصلات.
٨ ـ صديق عابدين: وزيراً للزراعة والموارد الطبيعية.
٩ ـ حسين أبو صالح: وزيراً للصحة والرعاية الاجتماعية.
١٠ ـ أوليفر باتال البينو: وزيراً للخدمة العامة والعمل.
١١ ـ اللواء عباس مدني: وزيراً للداخلية.
١٢ ـ أمين مكي مدني: وزيراً للتشييد والبناء.
١٣ ـ محمد بشير حامد: وزيراً للثقافة والإعلام.
١٤ ـ بشير حاج التوم: وزيراً للتعليم.

تفعل. وكانت مطالب جون قرنق التي أعلنها بعد قيام الحركة العسكرية في ١٦ رجب ١٤٠٥هـ هي إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية التي اتخذت في ذي الحجة من عام ١٤٠٣هـ (أيلول ١٩٨٣م)، ووقف إطلاق النار، ورفع حالة الطوارئ، ووقف إعلان سيادة الشمال على الجنوب.

ولما كانت قضية الجنوب أهم مشكلةٍ تواجه السودان لذا فقد جرت عدة مبادراتٍ، وكان منها:

مبادرة جوزيف لاغو:

جوزيف لاغو أحد زعماء الجنوب، تسلّم الوزارة مراتٍ عدة، وتقلّد منصب رئيس المجلس التنفيذي الأعلى في الجنوب سنواتٍ عدة. اقترح أن تترك الحركة الشعبية المتمرّدة في الجنوب شعار الاشتراكية الذي ترفعه لأنه غير مقبول سواء أكان في الشمال أم في الجنوب، كما اقترح قيام حكومةٍ قويةٍ على أساسٍ نسبي بين الشمال والجنوب، وبناء جيش سوداني على أساسٍ نسبيٍ أيضاً، وإقامة مجلس رأسٍ للدولة مؤلفٍ من خمسة أعضاء على أن يكون اثنان منهم من أبناء الجنوب.

مبادرة الأساقفة النصارى:

تعد النصرانية قضية الجنوب السوداني قضية ذات أهميةٍ بالغةٍ بالنسبة لها حيث يجري فيها صراع بينها وبين الإسلام على حد رأي سدنتها من الأساقفة والبطارقة لذا فهم يمدّون أنوفهم في كل موضوع بل يُثيرون الشغب والفوضى باستمرار ضد الحكم القائم، ويتحرّكون باسم الصليبية ويُحرّضون النصارى في العالم أجمع ودولهم ضد المسلمين ولدعم الجنوب ولو كان دعماً للوثنية.

تقدّم الأساقفة بمبادرةٍ منهم باقتراحاتٍ في ربيع الثاني من عام ١٤٠٦هـ (كانون الأول ١٩٨٥م)، ومن هذه الاقتراحات إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية المعمول بها، وإيجاد حلولٍ لمشكلات الجنوب.

مبادرة الحكومة:

كان الحكم السوداني قبل هذا، وفي مطلع عام ١٤٠٦هـ (أيلول ١٩٨٥م)

قد طرح إجراء تجمّعٍ وطنيٍ يضمّ جميع القوى الشعبية في السودان لبحث قضية الجنوب.

مبادرة حزب الأمة والنقابات:

تمّ اجتماع بين حزب الأمة ممثلاً في إدريس البنا، وبشير عمر علي، وشاركت فيه بعض النقابات وبين الحركة الشعبية المتمرّدة مبادرةً من حزب الأمة، وقد تمّ الاجتماع في شهر رجب من عام ١٤٠٦هـ (آذار ١٩٨٦م)، واقترح حزب الأمة تجميد قوانين الشريعة الإسلامية، وقد عُرف هذا الاتفاق باسم «اتفاقية كوكادام».

❁ ❁ ❁

الحكمُ المدني الثّالث

١٦ رجب ١٤٠٦ ـ ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ

(٢٦ آذار ١٩٨٦ ـ ٣٠ حزيران ١٩٨٩ م)

وجرت الانتخابات النيابية في السودان لتشكيل الجمعية التأسيسية في شعبان ١٤٠٦هـ (نيسان ١٩٨٦م) حسب الوعود التي قطعها على نفسه قائد الانقلاب العسكري عبد الرحمن سوار الذهب، واجتمعت الجمعية التأسيسية في ١٦ شعبان ١٤٠٦هـ (٢٦ نيسان ١٩٨٦م)، وحاز حزب الأمة على أكثر الأصوات، وتلاه الحزب الاتحادي الديمقراطي فالجبهة الإسلامية، فاختير الصادق المهدي رئيساً للوزارة[١]، كما تشكّل في الوقت نفسه مجلس لرئاسة

---

(١) تشكلت الوزارة يوم الاثنين ٧ رمضان ١٤٠٦هـ (١٥ أيار ١٩٨٦م)، وقد ضمت ثمانية وزراء من حزب الأمة، وستة وزراء من الحزب الاتحادي الديمقراطي، وأربعة وزراء من أحزاب الجنوب، وأبعد عن الوزارة الحزب القومي السوداني الذي يرأسه فيليب غبوش، وكانت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ الصادق المهدي: رئيساً للوزراء، وزيراً للدفاع (الأمة).

٢ ـ عمر نور الدائم: وزيراً للزراعة. (الأمة).

٣ ـ آدم موسى ماديبو: وزيراً للطاقة. (الأمة).

٤ ـ مبارك عبد الله الفاضل: وزيراً للصناعة. (الأمة).

٥ ـ بكري أحمد عديل: وزيراً للتربية. (الأمة).

٦ ـ صلاح الدين عبد السلام خليفة: وزيراً لشؤون مجلس الوزراء. (الأمة).

٧ ـ بشير عمر علي: وزيراً للمالية. (الأمة).

٨ ـ عبد المحمود حاج صالح: وزيراً للعدل. (الأمة).

٩ ـ زين العابدين الشريف الهندي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وزيراً للخارجية. (اتحادي ديمقراطي).

١٠ ـ سيد أحمد حسين: وزيراً للداخلية. (اتحادي ديمقراطي).

١١ ـ محمد طاهر جيلاني: وزيراً للإسكان. (اتحادي ديمقراطي).

الدولة[١] من خمسة أعضاء يُمثّلون الحزبين الرئيسيين وهما: حزب الأمة والحزب الاتحادي الديمقراطي إضافةً إلى عضوٍ يُمثّل الجنوب. وقد شغلت مشكلة الجنوب الحكومة والشعب المدة كلها.

قام الصادق المهدي بزيارةٍ للحبشة، بصفته الشخصية من غير أن يحمل صفة رئاسة الوزارة أو زعامة حزب الأمة وذلك بناءً على اقتراح من جون قرنق وإصرارٍ على هذا الاقتراح، والتقى فيها مع جون قرنق لمدة تسع ساعاتٍ يوم ٢٤ شوال من عام ١٤٠٦هـ (١ تموز ١٩٨٦م)، وأبدى الصادق المهدي وجهة نظره في إعادة النظر في اتفاقية «كوكادام» لأنه لم يُشارك فيها حزبان رئيسيان هما: الاتحادي الديمقراطي، والجبهة الإسلامية إضافةً إلى أن إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية لا بدّ لها من إيجاد بديلٍ لها قبل إلغائها. غير أن جون قرنق رأى أن الصادق المهدي يُريد التهرّب من الاتفاق، وأن إعادة النظر في الاتفاقية أو إلغاءها لا بدّ من موافقة كل من حضر الاتفاقية، وحدث خلاف بين الرجلين، وعدّ قرنق أن الاتصال مع ليبيا ومع الحبشة ليس له من داعٍ لولا الرغبة في العمل على خنق حركته لذا فقد أعلن عن توطين نفسه لحربٍ طويلةٍ.

وفي ١١ ذي الحجة ١٤٠٦هـ (١٦ آب ١٩٨٦م) أسقطت الحركة الشعبية الجنوبية طائرة مدنيةً فوق مدينة «ملكال»، بإطلاق صاروخ من نوع سام ـ ٧ ـ فأغلقت قناة الحوار.

---

١٢ ـ محمد وفيق أحمد: وزيراً للإعلام. (اتحادي ديمقراطي).
١٣ ـ محمود يوسف أبو حريرة: وزيراً للتجارة. (اتحادي ديمقراطي).
١٤ ـ حسين أبو صالح: وزيراً للصحة. (اتحادي ديمقراطي).
١٥ ـ الدواغوا دينغ: وزيراً للحكم المحلي. (جنوب).
١٦ ـ جاشو ديلوار: وزيراً للحكم المحلي. (جنوب).
١٧ ـ إسماعيل أباكار: وزيراً للثروة الحيوانية. (جنوب).
١٨ ـ وولتر كونيغوك: وزيراً للعمل. (جنوب).
١٩ ـ خالد ياجي: وزيراً للوحدة والسلام. (جنوب).
٢٠ ـ سرفينو واني: وزيراً للاتصالات. (جنوب).

(١) ضمّ مجلس رئاسة الدولة: أحمد علي ميرغني رئيساً من الحزب الوطني الاتحادي، وإدريس البنا نائباً للرئيس من حزب الأمة وكل من ميرغني النصري من الوطني الاتحادي، وعلي حسن تاج الدين من حزب الأمة، وباسفيكو لادوليغ ممثلاً للجنوب.

أما الجبهة الإسلامية فقد عارضت اتفاقية «كوكادام»، وأرسلت وفوداً إلى الحبشة، وكينيا، وأوغندة، وإنكلترا التقت بمُمَثّلين عن الحركة الشعبية التي يتزعّمها جون قرنق، وطرحت حلاً لقضية الجنوب مُغايراً لاتفاقية «كوكادام»، وهو ما عُرف بميثاق السودان، وترى إقامة حكم اتحاديٍ في البلاد، وعقد مؤتمرٍ للسلام بدلاً من المؤتمر القومي الدستوري وذلك في شهر جمادى الأولى من عام ١٤٠٧هـ (مطلع عام ١٩٨٧م).

ندوة واشنطون:

في ١٨/١٧ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ (١٧/١٦ شباط ١٩٨٧م) عقد فرانسيس دينغ أحد زعماء الجنوب السوداني، وكان وزيراً أيام حكم جعفر النميري ندوةً في مدينة واشنطون في معهد «ودور ويلسون» الدولي للعلماء، وقد رأى رجال الندوة أن قضية الجنوب ليست صراعاً بين المسلمين والنصارى، ولا بين الشمال والجنوب، وإنما نتيجة التخلّف القائم في جنوبي السودان، وأنه يمكن اعتماد اتفاقية «كوكادام» منطلقاً لحلّ المشكلات.

وفي ٧ رمضان من عام ١٤٠٧هـ (٥ أيار ١٩٨٧م) أسقطت قوات جون قرنق طائرةً سودانيةً أُخرى فوق مدينة «ملكال» أيضاً، فازداد الوضع سوءاً، وخاصةً أنه كان قد أُشيع في الشهر الماضي عن محاولةٍ جرت لتغيير نظام الحكم غير أن الصادق المهدي قد نفى ذلك.

وفي ١٦ شوال ١٤٠٧هـ (١٣ حزيران ١٩٨٧م) أعلن الشيوعيون عن رأيهم في القضية فاقترحوا إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية، وإلغاء اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر لإعطاء الثقة للحركة الشعبية المتمردة وزعماء الجنوب كافةً.

وفي ذي الحجة من عام ١٤٠٧هـ (آب ١٩٨٧م) تقدم الرئيس النيجري «أوباسنغو» بمبادرةٍ منه وبواسطة من فرانسيس دينغ باقتراحٍ لحلّ مشكلة الجنوب بإلغاء قوانين الشريعة الإسلامية، والاتفاقات العسكرية، وتحديد جدول أعمال المؤتمر الدستوري.

وفي مطلع عام ١٤٠٨هـ (أيلول ١٩٨٧م)، قام وفد من الأحزاب الإفريقية السودانية بزيارة الحبشة، وأوغندة، وكينيا، والتقى الوفد بممثلين عن الحركة

الشعبية المتمرّدة وزعماء تلك الدول وتمّ توقيع ثلاثة مواثيق التزموا فيها بخط الحركة الشعبية والتوقيع على اتفاقية «كوكادام».

وعمل الرئيس الأوغندي «يوري موسفيني» على الوساطة لحلّ المشكلة. . . ولكن الحركة الشعبية قد رفضت المبادرة وكل ما سبق من مبادراتٍ.

وفي ربيع الثاني من عام ١٤٠٨هـ (أواخر عام ١٩٨٧م) قامت قوات الحركة الشعبية باحتلال الكرمك، وتصدّت لها القوات الحكومية وأوقفتها من التقدم.

وفي جمادى الأولى من عام ١٤٠٨هـ (مطلع عام ١٩٨٨م) تمّ التوقيع على ميثاق السودان الانتقالي الذي يقضي بتشكيل لجنةٍ من الأحزاب الموقّعة عليه كافةً، وتُسمى لجنة كلّ الأحزاب، وقد شكّلت هذه اللجنة لجنةً تسيير برئاسة «باسفيكو لادوليغ» عضو مجلس الرئاسة، غير أن حلّ حكومة الائتلاف وتشكيل حكومة الوفاق[1] قد جمّد نشاط اللجنة.

---

(١) تشكلت حكومة الوفاق في ٢٨ رمضان ١٤٠٨هـ (١٤ أيار ١٩٨٨م) على النحو الآتي:

١ ـ الصادق المهدي: رئيساً للوزراء.
٢ ـ الفريق أول متقاعد عبد الماجد خليل: وزيراً للدفاع.
٣ ـ حسين سليمان أبو صالح: وزيراً للخارجية.
٤ ـ حسن عبد الله الترابي: وزيراً للعدل، ونائباً عاماً.
٥ ـ فاتح التيجاني: وزيراً للزراعة والموارد الطبيعية.
٦ ـ بكري أحمد عديل: وزيراً للطاقة والتعدين.
٧ ـ صلاح الدين عبد السلام خليفة: وزيراً لشؤون رئاسة مجلس الوزراء.
٨ ـ محمود بشير جماع: وزيراً للري والموارد المائية.
٩ ـ شيخ محجوب: وزيراً للتربية والتعليم العالي، والبحث العلمي.
١٠ ـ ريتشارد ماكوبي: وزيراً للتنسيق الإقليمي، وتخطيط الحكم المحلي.
١١ ـ أوهاج محمد موسى: وزيراً للصحة.
١٢ ـ عبد الوهاب عثمان: وزيراً للصناعة.
١٣ ـ علي حاج محمد آدم: وزيراً للتجارة الداخلية، والتعاون، والتموين.
١٤ ـ إسماعيل أدكر: وزيراً للثروة الحيوانية.
١٥ ـ والدواغو دينغ: وزيراً للنقل.
١٦ ـ تاج السر مصطفى عبد السلام: وزيراً للاتصالات العامة.
١٧ ـ عثمان عمر علي المحامي: وزيراً للأشغال العامة، وتخطيط إسكان.
١٨ ـ ماسيور أبور: وزيراً للعمل. =

وفي احتفالات ليبيا بالفاتح من أيلول (٢٠ محرم ١٤٠٩هـ) حضر وفد سوداني إلى طرابلس، وكان برئاسة حسين سليمان أبو صالح وزير الخارجية السوداني، وقد جرت مفاوضات مع المسؤولين في ليبيا لتشكيل لجانٍ سودانيةٍ - ليبيةٍ للإعداد لمشروع الوحدة بين البلدين، وقد صدر بيان مشترك بهذا الشأن، إذ أعلن نائب الأمين العام للحزب الاتحادي سيد أحمد الحسين أن الحزب يرفض أي شكلٍ من أشكال الوحدة مع ليبيا، وذلك للعلاقة التاريخية التي تربط الحزب بمصر والتي أرسى دعائمها علي الميرغني راعي الحزب، وإسماعيل الأزهري مُؤسّس الحزب ومعظم القيادات التقليدية للحزب. هذا مع العلم أن وزير الخارجية السوداني رئيس الوفد حسين سليمان أبو صالح هو الذي وقّع على البيان المشترك، وهو من الحزب الاتحادي نفسه. كما أعلن تاج السر محمد صالح وزير الدولة بوزارة الخارجية السودانية وهو من الحزب الاتحادي الديمقراطي نفسه عدم علمه أو موافقته على البيان، وأن التوقيع على البيان إنما تمّ بصفة حسين سليمان أبو صالح الشخصية لا بصفته الوزارية ولا بصفته الحزبية، فردّ وزير الخارجية بأن التوقيع قد تمّ بصفته الحكومية كما أن

= ١٩ - مبارك عبد الله الفاضل المهدي: وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
٢٠ - عبد الله محمد أحمد حسن: وزيراً للثقافة والإعلام.
٢١ - أحمد عبد الرحمن محمد: وزيراً للرعاية الاجتماعية، وشؤون اللاجئين.
٢٢ - جشو دي وال: وزيراً للشباب والرياضة.
٢٣ - حسن شبو: وزيراً للإغاثة والنازحين.
٢٤ - فضل الله علي فضل الله: وزيراً للخدمة العامة، والإصلاح الإداري.
٢٥ - عبد الملك الجعلي: وزيراً للشؤون الدينية.
٢٦ - أمين بشير فلين: وزيراً للسياحة، والفنادق، والطيران.
٢٧ - أنجلو بيد: وزيراً رئيساً لمجلس الجنوب.
وبذا ضمّت هذه الوزارة:
١ - عشرة وزراءٍ من حزب الأمة.
٢ - ستة وزراءٍ من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
٣ - خمسة وزراءٍ من الجبهة الإسلامية.
٤ - خمسة وزراءٍ من الأحزاب الجنوبية الصغيرة والتي تُؤيّد رئيس الوزراء.
٥ - وزيراً واحداً يُمثّل الحزب الوطني السوداني الذي يُمثّل سكان النوبا.

أعضاء من الحزب قد شاركوا في إعداد هذا البيان مُشيراً إلى زميله في الوفد وفي الوزارة وفي الحزب، وهو أحمد سعد عمر وزير شؤون رئاسة الجمهورية. أما صحافة الحزب الاتحادي فكانت تسخر من هذا المشروع.

أما حزب الأمة الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء، وهو الحزب الرئيسي في الحكم فقد أعلن تأييده للبيان، ولمشروع الوحدة، وإن وزير الإعلام عبد الله محمد أحمد الذي ينتمي إلى حزب الأمة هو الذي قطع برامج الإذاعة وأذاع البيان، كما أن عمر نور الدايم وزير المالية والاقتصاد، وهو من كبار رجالات حزب الأمة قد أعلن صراحةً تأييده وتأييد الحزب لمشروعِ الوحدة، واتهم الحزب الاتحادي بالتهرب من المسؤولية، وقال: إن الشريف حسين الهندي كان من أكبر المؤيّدين لمشروع الوحدة مع ليبيا، وقد وقّع بياناً بذلك عام ١٣٩٢هـ، كما شارك يومها بالتوقيع على ذلك البيان حزب الأمة ممثلاً بشخصية «عمر نور الدايم»، والإخوان المسلمون ممثلين بعثمان خالد مضوي.

وأما الجبهة الإسلامية فكان موقفها عادياً ليس فيه شيء من المعارضة رغم توقيع اثنين من أعضائها على البيان وهما: عثمان خالد مضوي، ومهدي إبراهيم، وفي الوقت نفسه ليس في موقفها نوع من الحماسة.

وهذا قد جعل خلافاً في الحكومة حسب انتماءات أعضائها، وفي الوقت نفسه وقع خلاف بين أعضاء الحزب الاتحادي الديمقراطي.

وتقدّمت الحكومة الجديدة بمبادرةٍ جديدةٍ عن طريق الحبشة «منغستو مريام»، وقد نصّت المبادرة على عقد اجتماعٍ تمهيديٍ لمناقشة ترتيبات وقف إطلاق النار، وتنشيط عمليات الإغاثة للمناطق المُتضرّرة، وموعد، ومكان اللقاء للمؤتمر القومي الدستوري، وجدول أعمال المؤتمر، ومناقشة طبيعة الدولة أهي مركزية أم اتحادية؟ وموضوع الدين والسياسة، وتوزيع الثروة والتنمية العادلة، والمشاركة في الحكم.

وجرت عدة لقاءاتٍ بين مُمثّلين من حزب الأمة ومن الحركة الشعبية نوقشت فيها اتفاقية «كوكادام» وإمكانية تعديلها باتفاقيةٍ جديدةٍ.

الاتفاق بين الحزب الاتحادي الديمقراطي والحركة الشعبية:

وفي مطلع عام ١٤٠٩هـ (آب ١٩٨٨م) التقى بعض أعضاء الحزب

الاتحادي الديمقراطي برئاسة سيد أحمد الحسين نائب الأمين العام للحزب، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية مع وفدٍ من حركة جون قرنق، وبحثوا موضوع إلغاء اتفاقية الدفاع المشترك التي وقعت مع مصر في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ (١٥ حزيران ١٩٧٦م)، ورأى الحضور ضرورة لقاء الزعيمين زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي محمد عثمان الميرغني، وزعيم الحركة الشعبية جون قرنق. بدأت المحادثات في «لندن»، ثم انتقلت إلى «نيروبي»، ثم إلى «أديس أبابا» حيث التقى الزعيمان، واتفقا في ٩ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩٨٨م) على

١ ـ تجميد قوانين الشريعة الإسلامية.

٢ ـ إلغاء الاتفاقات العسكرية ومنها معاهدة الدفاع المشترك مع مصر.

٣ ـ وقف إطلاق النار.

٤ ـ رفع حالة الطوارئ.

٥ ـ عقد المؤتمر الدستوري في ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ (٣١ كانون الأول ١٩٨٨م).

غير أن الجبهة الإسلامية قد عارضت هذه الاتفاقية بعنفٍ، ولما كانت الجبهة مُشاركةً في الحكومة لذا فإن الحكومة لم تُوافق على هذه الاتفاقية، وسقطت عندما طُرحت على المجلس النيابي. وهذا ما دعا إلى خروج الحزب الاتحادي الديمقراطي من الحكم، كما اضطر أعضاء الحزب في مجلس رئاسة الدولة إلى الاستقالة[1]، وجاءت هذه الأزمة في الوقت الذي حدثت فيه زيادة في أسعار السكر الأمر الذي أدّى إلى انشقاق في الجبهة الداخلية.

وفي يوم الخميس ١٢ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨م) أي بعد الاتفاقية بثلاثة أيامٍ أطلقت قوات جون قرنق صاروخاً من نوع سام ـ ٧ ـ على طائرة وزير الدفاعٍ عبد الماجد حامد خليل والقائد العام للقوات المسلحة

(١) أعضاء الحزب الاتحادي الديمقراطي في مجلس رئاسة الدولة. أحمد علي ميرغني رئيس المجلس، وميرغني النصري.

السودانية الفريق أول فتحي أحمد علي بعد إقلاعها من مدينة «واو» بلحظاتٍ وكان على متن الطائرة أيضاً عدد من القادة العسكريين[1].

إن هذا الحادث أعطى صفة الخداع لتلك الاتفاقية كما أعطى المبرر لمعارضة الجبهة الإسلامية لهذه الاتفاقية.

انسحب الحزب الاتحادي الديمقراطي من الحكومة فأعاد الصادق المهدي تشكيل الوزارة حيث دخلتها الجبهة الإسلامية[2]. وبقيت مشكلة الجنوب شغل السلطة الرئيسي.

---

(١) ادعت جماعة جون قرنق أن الذين أطلقوا الصاروخ على الطائرة من الذين كانوا داخل الأحرار، ولم يعلموا بما تمّ من اتفاقٍ، مع العلم أن عبد الماجد خليل هو الذي كان قد بعث جون قرنق إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على شهادة الدكتوراه.

(٢) شمل التعديل الوزاري عدداً من الوزارات، وقد عُيّن بموجبه:
١ ـ حسن عبد الله الترابي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ والدواغوا دينغ: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للزراعة والموارد الطبيعية.
٣ ـ مأمون يوسف: وزيراً للصحة.
٤ ـ مبارك عبد الله الفاضل المهدي: وزيراً للداخلية.
٥ ـ عبد الله محمد أحمد: وزيراً للاقتصاد.
٦ ـ حسن شيخ إدريس: وزيراً للأشغال العامة والإسكان.
٧ ـ حبيب سرنوب الضو: وزيراً للطاقة والتعدين.
٨ ـ تاج السر مصطفى: وزيراً للنقل والمواصلات.
٩ ـ بشير عمر محمد فضل الله: وزيراً للثقافة والإعلام.
١٠ ـ حافظ الشيخ زاكي: وزيراً للعدل، ونائباً عاماً.
أما باقي الوزارات فلم تحدث فيها تغييرات حيث احتفظ في حقيبته الوزارية كل من:
١١ ـ الفريق أول عبد الماجد حامد خليل: وزيراً للدفاع.
١٢ ـ عمر نور الدايم: وزيراً للمالية والتخطيط.
١٣ ـ علي الحاج محمد آدم: وزيراً للتجارة الداخلية.
١٤ ـ أحمد عبد الرحمن محمد: وزيراً للرعاية الاجتماعية والزكاة.
١٥ ـ محمود بشير جماع: وزيراً للسياحة والفنادق.
١٦ ـ صلاح الدين عبد السلام خليفة: وزيراً لشؤون الرئاسة.
١٧ ـ ريتشارد ماكوبي: وزيراً للتنسيق الإقليمي.
١٨ ـ فضل الله علي فضل الله: وزيراً للخدمات العامة، والإصلاح الإداري.
١٩ ـ إسماعيل أدكر: وزيراً للثروة الحيوانية.

منبر برغن:

عُقد ما عُرف بمنبر «برغن» في النرويج، وقد ضمّ كل القوى السياسية بالسودان بما فيها حركة «قرنق»، وقد هدّد وفد الجبهة الإسلامية بالانسحاب فيما إذا طُرح موضوع اتفاق الحزب الاتحادي الديمقراطي والحركة الشعبية، ولكن لم يتوصّل الحضور إلى نتيجة.

محاولة انقلاب:

جرت محاولة انقلاب أعدّ لها أنصار الرئيس السوداني السابق جعفر محمد النميري غير أنها فشلت وذلك في جمادى الأولى ١٤٠٩هـ (كانون الأول ١٩٨٨م).

مذكرة القوات المسلحة:

تقدّمت القوات المسلحة بمذكرةٍ إلى الحكومة، وطالبتها بتوسعة قاعدة الحكم، وبحث قضية الجنوب بشكلٍ جديٍ، إمّا بتقديم المال للقوات المسلحة للقضاء على المتمرّدين، وإمّا بالمفاوضة لإحلال السلام.

حكومة الجبهة الوطنية المتحدة:

شكّل الصادق المهدي حكومةً جديدةً[١] في ١٨ شعبان ١٤٠٩هـ (٢٥

---

(١) تشكلت الحكومة ولم يكتمل بعد توزيع الحقائب الوزارية، ودون اشتراك أحزاب الجنوب التي وقع خلاف فيما بينها أدّى إلى سحب مرشحيها للوزارة. كما حدث خلاف داخل حزب الأمة فأسندت وزارة الطاقة والتعدين إلى عمر بشير الذي كان قد أعطي وزارة النقل، ومن ثم بقيت دون وزير. وقام الصادق المهدي باستعجال مجلس رئاسة الدولة بقبول الحكومة حتى يزول الغموض الذي ساد الأجواء السياسية في الأيام السابقة. وقد صدرت المراسم الخاصة بتشكيلها من حزبي الأمة والاتحادي الديمقراطي مناصفةً، وكانت على النحو الآتي:

١ ـ الصادق المهدي: رئيساً لمجلس الوزراء. من حزب الأمة.

٢ ـ مبارك عثمان رحمة: وزيراً للدفاع. من حزب الأمة.

٣ ـ عمر نور الدايم: وزيراً للمالية والتخطيط. من حزب الأمة.

٤ ـ مبارك الفاضل المهدي: وزيراً للداخلية. من حزب الأمة.

٥ ـ الشيخ محجوب جعفر: وزيراً للتربية والتعليم. من حزب الأمة. =

آذار ١٩٨٩م) لبحث قضية الجنوب بشكلٍ جدّي، فتبنّت مبادرة السلام، وشكّلت لجنةً وزاريةً لهذا الغرض. واجتمعت اللجنة الوزارية مع ممثلين عن الحركة الشعبية وتحدّد يوم ١٧ صفر ١٤١٠هـ (١٨ أيلول ١٩٨٩م) موعداً لاجتماع المؤتمر الدستوري.

وعاد الصادق المهدي بعد خمسة أشهرٍ من توقيع الاتفاقية الحزب الوطني الاتحادي الديمقراطي والحركة الشعبية فوافق عليها، وجرت الجولة الأولى من المباحثات في شهر ذي الحجة ١٤٠٩هـ (حزيران ١٩٨٩م)، وتقرر أن تكون الجولة الثانية في ١ ذي الحجة ١٤٠٩هـ (٤ تموز ١٩٨٩م) غير أن حركة الجيش التي قادها العميد عمر حسن أحمد البشير قد أنهت الموضوع.

محاولة انقلاب:

أعلن الصادق المهدي عن محاولة انقلاب وقعت في ١٥ ذي القعدة ١٤٠٩هـ (١٨ حزيران عام ١٩٨٩م) بقيادة العميد صلاح الضوي من سلاح المظلات، والعميد علي يوسف، والمُقدّم محمد أبو سنّ، وأُعلن أنها كانت لصالح الرئيس السوداني السابق جعفر النميري.

= ٦ ـ بشير عمر: وزيراً للطاقة والتعدين. من حزب الأمة.
٧ ـ إسماعيل أدكر: وزيراً للإسكان والأشغال. من حزب الأمة.
٨ ـ محمود بشير جماع: وزيراً للري والقوى المائية. من حزب الأمة.
٩ ـ صلاح الدين عبد السلام خليفة: وزيراً لشؤون الرئاسة. من حزب الأمة.
١٠ ـ سيد أحمد الحسين: وزيراً للخارجية. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١١ ـ حسين أبو صالح: وزيراً للإعلام. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٢ ـ أوهاج محمد موسى: وزيراً للرعاية الاجتماعية. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٣ ـ ميرغني عبد الرحمن: وزيراً للتجارة. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٤ ـ عثمان عمر علي المحامي: وزيراً للعدل ونائباً عاماً. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٥ ـ إبراهيم رضوان: وزيراً للصناعة. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٦ ـ عبد الرحمن أبو الكل: وزيراً للصحة. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٧ ـ عكاشة بابكر: وزيراً للعمل. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.
١٨ ـ أبو زيد محمد صالح: وزيراً للخدمة العامة. من الحزب الاتحادي الديمقراطي.

الانقلاب العسكري الرّابع

في صباح يوم الجمعة ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٩هـ (٣٠ حزيران ١٩٨٩م) وقع الانقلاب العسكري الرابع بقيادة العميد الركن عمر حسن أحمد البشير(١)، الذي أعلن نفسه رئيساً لمجلس قيادة الثورة الجديد(٢) في السودان، وقد أعلن

---

(١) عمر حسن أحمد البشير: ولد عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) في قرية جنوب شندي تدعى «حوش ودبانقا» حصل على الثانوية العامة عام ١٣٨٥هـ، والتحق بالكلية العسكرية، وتخرّج منها ١٣٨٧هـ في سلاح المظلّات، وينتمي إلى قبيلة «الجعليين»، ونال درجة الماجستير في العلوم العسكرية «أركان حرب» من الخرطوم، وانتدب للعمل في وزارة الدفاع في دولة الإمارات العربية عام ١٣٩٩هـ، ثم عمل في القيادة العامة رئيساً لأركان حرب سلاح المظلّات، ثم في اللواء الثامن جنوبي كردفان، ثم في منطقة «بانتيو» جنوبي السودان، وقاد فرقته العسكرية لتحرير مدينة «مايوم» من أيدي المتمردين عام ١٤٠٧هـ، وله سبعة إخوة ذكور هو أكبرهم. وابتعث إلى القاهرة لحضور دورةٍ تدريبيةٍ، وهو في طريقه من جنوبي السودان إلى القاهرة مكث في الخرطوم للراحة عدّة أيام وحضّر للانقلاب وقاده.

(٢) تألف مجلس قيادة الثورة من:

١ ـ العميد الركن عمر حسن أحمد البشير رئيساً.
٢ ـ العميد الركن الزبير محمد صالح نائباً للرئيس.
٣ ـ العميد الركن التيجاني آدم طاهر عضواً.
٤ ـ العميد الركن فيصل علي أبو صالح الزين عضواً.
٥ ـ العميد الركن عثمان أحمد حسن عثمان عضواً.
٦ ـ العميد الركن إبراهيم نايل إيدام عضواً.
٧ ـ العميد الركن البحري حسين محمد فراج عضواً.
٨ ـ العقيد الركن سليمان محمد سليمان البدري عضواً.
٩ ـ العقيد الركن الطيار فيصل مدني عضواً.
١٠ ـ المقدم الركن محمد الأمين خليفة يونس عضواً.
١١ ـ المقدم الركن بكري حسين صالح عضواً.
١٢ ـ الرائد إبراهيم شمس الدين إبراهيم عضواً. =

قادة الانقلاب بياناتهم باسم «الحركة القومية لتصحيح الأوضاع»، ثم أطلقوا على أنفسهم «ثورة حزيران» ثم «ثورة الإنقاذ الوطني»، وقد أعلنت البيانات الإطاحة بحكومة الصادق المهدي، وتعطيل الدستور، وحلّ المجلس النيابي، والأحزاب السياسية، ومجلس رأس الدولة، وحكومات الأقاليم، وجميع النقابات، ومصادرة أملاك الأحزاب. وألغت رخص الصحف، وحلّت الجمعيات كلها غير الدينية منها، ثم عين قائد الانقلاب نفسه رئيساً لمجلس قيادة الثورة، ورئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع، وقائداً للقوات المسلحة، وفي اليوم الثاني للانقلاب، أعلن العفو العام، وتوقّف إطلاق النار، ونشاط عمليات الإغاثة.

وقع الانقلاب في الوقت الذي كان فيه رئيس مجلس رأس الدولة أحمد الميرغني في اليونان لقضاء إجازته هناك. كما أن رئيس الوزراء الصادق المهدي كان يستعدّ للسفر إلى ليبيا للقيام بزيارةٍ رسميةٍ، وكان سيغادر الخرطوم في اليوم التالي للانقلاب.

وفي يوم الاثنين ٧ ذي الحجة ١٤٠٩هـ (١٠ تموز ١٩٨٩م) أي بعد عشرة أيام من وقوع الانقلاب تشكّلت الوزارة برئاسة قائد الانقلاب العميد عمر حسن البشير[١]، والذي حمل بعدها رتبة فريق.

= ١٣ ـ العميد دومنيك كاسيانو قينوا وابخيت عضواً.
١٤ ـ العقيد بيو بكوان دينغ عضواً.
١٥ ـ العقيد مارتن ملوال أروب عضواً.
١٦ ـ العقيد البحري صلاح الدين محمد أحمد كرار، عضواً.

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ الفريق عمر حسن أحمد البشير: رئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع.
٢ ـ العميد الزبير محمد صالح: نائباً لرئيس الوزراء.
٣ ـ المقدم الصبيب إبراهيم محمد خير: وزيراً لشؤون الرئاسة.
٤ ـ علي سحلول: وزيراً للخارجية.
٥ ـ العميد فيصل علي أبو صالح: وزيراً للداخلية.
٦ ـ حسن إسماعيل البيلي: وزيراً للعدل، ونائباً عاماً.
٧ ـ علي محمد شمو: وزيراً للثقافة والإعلام.
٨ ـ سيد علي زكي: وزيراً للمالية والتخطيط الاقتصادي الوطني. =

وفي ١٧، ١٨ محرم ١٤١٠هـ (١٩ و٢٠ آب ١٩٨٩م) كانت جولة المفاوضات الأولى للسلام سافر وفد إلى الحبشة برئاسة العقيد محمد الأمين خليفة، والتقى بممثلين عن الحركة الشعبية، وتمّ الاتفاق أن يكون الاتصال مباشراً بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية عن طريق السفارة السودانية في أديس أبابا.

وفي الوقت الذي كان الحكم يُفاوض المتمردين كان في الوقت نفسه يستعدّ لمنازلتهم وينتصر عليهم، ويُقلّل من دائرة نفوذهم وذلك لأنه رأى تعنّتهم، وعدم الرغبة عندهم بالوصول إلى حلٍّ إذ كان وراءهم من نصارى ويهودٍ وعلمانيين من يُشجّعهم لبث الفوضى في أرجاء السودان رغبةً منهم في امتداد نفوذ الإرساليات النصرانية لتعمل عملها في شمالي السودان وكل أنحائه. وإن انتصار الحكم السوداني الجديد على المتمرّدين قد هزّ كيان الأعداء للمسارعة في دعم الحركة الشعبية في الجنوب ومدّها بما تحتاج إليه مادياً ومعنوياً، وأسرعت الحبشة، وإسرائيل، ونصارى إفريقية، واتحاد الكنائس العالمي، والإرساليات التنصيرية لتقديم المساعدات والوقوف إلى جانب المتمرّدين، وتدعم ذلك كله الدول الكبرى وبقية الدول النصرانية التي تعدّ نفسها صاحبة الشأن.

= ٩ ـ أحمد علي قنيف: وزيراً للسياحة والموارد الطبيعية.
١٠ ـ عبد الله دينق نيال: وزيراً للإرشاد والتوجيه.
١١ ـ ناتالي بانكي أسيو: وزيراً للحكم المحلي، وتنسيق شؤون الأقاليم.
١٢ ـ يعقوب أبو شورة موسى: وزيراً للري.
١٣ ـ عبد المنعم خوجلي: وزيراً للطاقة والتعدين.
١٤ ـ محمد عمر عبد الله: وزيراً للصناعة.
١٥ ـ محجوب البدوي محمد: وزيراً للتربية والتعليم.
١٦ ـ محمد الهادي مأمون المرضي: وزيراً للإسكان والتشييد والمرافق العامة.
١٧ ـ بيتر أورات أدور: وزيراً للإغاثة وشؤون النازحين.
١٨ ـ علي أحمد إبراهيم: وزيراً للنقل والمواصلات.
١٩ ـ جورج كونقا: وزيراً للعمل والتأمينات الاجتماعية.
٢٠ ـ فاروق البشري: وزيراً للتجارة والتعاون والتموين.
٢١ ـ شاكر السراج: وزيراً للصحة والرعاية الاجتماعية.

كما أن الاتجاه العام للحكم يميل إلى الإسلام، وهذا ما زاد من حقد الأعداء حتى أن الولايات المتحدة قد قطعت المساعدات التي كانت تُقدّمها للسودان بحجة أن الحكم إسلامي، وقد أعلنت هذا بكل صراحةٍ ومن غير خجلٍ، وحبذا لو يدرك المسلمون الذين يتجهون شرقاً أو غرباً إلى ما وراء هذا الإعلان.

وتنتظر الدول الأخرى لتُؤدّي دورها تجاه هذا الحكم وبشكلٍ أقوى مما بدأت به الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ٣ جمادى الأولى ١٤١٠هـ (١ كانون الأول ١٩٨٩م) جرت مفاوضات أيضاً بين الحكومة السودانية[١] والحركة الشعبية المتمرّدة التي يتزعّمها جون قرنق[٢]، واستمرّت خمسة أيام دون الوصول إلى نتيجة.

---

(١) كان وفد الحكومة برئاسة اللواء الطيار عبد الخالق إبراهيم، ويضم في عضويته كلاّ من:
١ ـ سفير السودان في الحبشة علي نميري.
٢ ـ العميد كمال علي مختار.
٣ ـ عبد الباسط سبدرات.
٤ ـ عبد السميع عمر.
٥ ـ العقيد حسن ضحوي.
٦ ـ عبد الله إدريس.
٧ ـ غازي صلاح الدين.
٨ ـ فيليب أوبانغ.
٩ ـ ماثيور أوبور.
١٠ ـ أندرو كاوانغ.
١١ ـ أندرو ليك.
١٢ ـ صلاح محمد إبراهيم.
١٣ ـ فضل السيد أبو قصيصة.

(٢) كان وفد الحركة الشعبية المتمرّدة يضمّ:
١ ـ منصور خالد.
٢ ـ ياسر عرمان.
٣ ـ بنجامين برنابا.
٤ ـ اليجا مالو.
٥ ـ محمد سعيد بازرعة.

وتبثّ الحركة الشعبية المتمرّدة أخبارها عن طريق إذاعة أديس أبابا التي تُخصّص لها ساعةً كل يوم لتذيع أنباء الحوادث الدائرة في الجنوب من وجهة نظرها، وتُوجّه النداءات لأبناء السودان، والدول المجاورة، والنصارى لدعمها، وتبثّ اتهاماتها للحكومة السودانية.

ومن المؤسف أن كل من يختلف مع الحكم القائم لأي سببٍ من الأسباب يتجه نحو المتمردين دون التفكير في شؤون عقيدته أو أمته أو بلاده التي يُحاربها أعداء من الخارج ويدعمون جون قرنق ليُؤدّي الدور عنهم، وربما يغضّ المرء الطرف عن إنسانٍ عاديٍ جاهلٍ فيجد له العذر لجهله أما أمثال منصور خالد الذي شغل في يوم من الأيام نائب رئيس الدولة وتقلّد عدة وزاراتٍ، وعدة مناصب سياسية هامة ثم يلتجئ إلى جون قرنق ويكون رئيس وفده، والرجل الناطق باسمه، وأمثال مبارك عبد الله الفاضل المهدي الذي يُعدّ أحد أقطاب حزب الأمة، ذلك الحزب الذي يدّعي الاتجاه الإسلامي، وحامي الأنصار، وأن أسرة مبارك من آل المهدي قد حملت لواء الإسلام في سنوات خلت. . . ومع ذلك فإن مجرد ابتعاده عن السلطة قد جعله يُعادي الحكم الجديد، ويتجه إلى المتمردين، مع علمه الكامل أن العهد الجديد لا يُحارب بهذه الضراوة إلا لما يحمل من أفكارٍ وتوجّهٍ إسلامي.

غير أن الشعب قد انتبه إلى ما لم يتنبه إليه الساسة الكبار فعضد الحكم، وشمّر عن الساعد لقتال المرتدين.

الفَصْل الثَالِث
الصِّراعاتُ الدّاخِليّة

تزيد مساحة السودان على مليونين ونصف من الكيلومترات المربعة وهي مساحة كبيرة، إذ تُعدّ السودان أكبر البلدان العربية مساحةً، وكذلك أكبر دول إفريقية، ومع هذا فلا يزيد عدد سكانها على اثنين وعشرين مليوناً كثيراً، وبذا فالكثافة السكانية قليلة مع إمكانات البلاد الكثيرة.

ويختلف السكان من حيث الأصول ويتباينون حسب نمط المعيشة، ويفترقون حسب المناطق وأنواع المناخ ومع ذلك فإن هذا لا يُسبّب تفرقةً فيما بينهم، وإنما يبدو الاختلاف حسب العقيدة، وهذا هو الواقع والصحيح، وإن كان الأعداء المتمثّلون في المستعمرين وفي الإرساليات النصرانية هم الذين حاولوا توسعة هذا الخلاف في محاولةٍ لنشر النصرانية بين القبائل الوثنية في الجنوب، وفي محاولةٍ لفصل الجنوب عن الشمال. ومع هذا الذي يجب أن يُدركه المسلمون، ويعملوا على توثيق أواصر الصلة فيما بينهم، ويسعوا للوقوف في وجه الأعداء فإن المصالح قد فرّقتهم، والأهواء قد شتّتتهم، وجاءت الأحزاب السياسية فقسّمتهم وجعلتهم فرقاً أمام الأعداء فسُهل النيل منهم، ورسم المخططات لإذلالهم.

الجماعات البشرية:

إن موقع السودان واتساع أرضه قد جعله موطناً لعددٍ من الجماعات البشرية وطريقاً لمرور عددٍ آخر فاستقرّ على أرضه بعضها ومن أهم هذه الجماعات:

١ ـ النوبيون:

ويعيشون في شمال السودان على طرفي نهر النيل، ويُشكّلون ٢,٩٪ من

سكان البلاد، ويدينون بالإسلام، ويتكلّمون العربية إضافةً إلى لغتهم الخاصة. وهم: الدناقلة ويسكنون المناطق الواقعة إلى جنوب مدينة «دنقلة» وإلى الشمال منها. و«السُّكّوت» شمال المجموعة الأولى، و«المَحْس» قرب الحدود المصرية. ويعيش الآن نصف هذه المجموعات في المديرية الشمالية أي في مواطنهم الأصلية، على حين قد ارتحل النصف الآخر طلباً للرزق، فأقام نصف المرتحلين في العاصمة «الخرطوم»، وربعهم في مديرية «النيل الأزرق»، وأكثر القسم الباقي يعمل في «كردفان» و«كسلا». ولما غمرت مياه السدّ العالي أجزاء من أراضي «المَحْس» و«السُّكّوت» انتقلوا إلى العمل والاستيطان في مشروع «خشم القربة».

٢ ـ البجاة:

وينتشرون في الشمال الشرقي من السودان بين البحر الأحمر، ونهر النيل، ونهر عطبرة، ويدينون جميعاً بالإسلام، ويُجيدون العربية مع لغتهم الخاصة، ويمتهنون رعي الإبل غالباً ثم الزراعة، ويُشكّلون ٦٪ من سكان البلاد، وهم أربع مجموعاتٍ رئيسيةٍ إضافةً إلى مجموعاتٍ أخرى وقبائل صغيرة، والمجموعات الكبرى هي: البشاريون: ويُؤلّفون ١/١٠ البجاة، وجماعة «أم علي» يعيشون في الشمال الشرقي، وجماعة «أم ناجي» يُقيمون حول عطبرة حتى سهل «البطانة». والأمرار: ويُؤلّفون ١/٦ البجاة، ويُقيمون شمال الخط الحديدي عطبرة ـ بور سودان. والهدندوة: ١/٣ البجاة، وينتقلون بين «سواكن» و«سنّار». وبنو عامر: ١/٦ البجاة، ويصلون إلى أريتريا، ويسكنون في منطقة «كسلا» و«القضارف» و«خور بركة».

٣ ـ العرب:

ويُقيمون في المناطق الوسطى، وقد جاءوا في أوقاتٍ مختلفةٍ ومنهم:

أ ـ الجعليون: ويعيشون على طول مجرى نهر النيل من جنوب دنقلة إلى جنوب أم درمان، وتعيش جماعات منهم على مجرى النيل الأبيض، وأخرى وسط كردفان. وهم مجموعات كثيرة، وبطون متعددة، حتى غدت بطون كثيرة وقبائل لها استقلاليتها، ويظنّ أفرادها أنهم لا يترابطون بغيرهم.

ب ـ الكواهلة: ويُقيمون على النيل الأبيض، وشمالي كردفان، ومنهم مجموعة تسكن على النيل الأزرق.

ج ـ جهينة: ويعيشون في منطقة الجزيرة، وسهل البطانة، ومنهم: رفاعة، والشكرية، والحلاوين، وكنانة، والعوامرة، والخوالدة. كما انتقلت مجموعات منهم إلى غرب نهر النيل، ويعيش معظمهم في منطقة كردفان، ومنهم: الكبابيش والبقارة.

الفونج: ويدّعون الانتساب إلى بني أمية، ويُقيمون بجنوب الجزيرة.

وهناك الرشايدة، والزبيدية، والعبابدة، والقرعان، والزغاوة، والبدايات، والهواوير. وكلهم من العرب، والعرب في السودان جميعهم من المسلمين.

٤ ـ الفور:

ويسكنون غربي السودان في المنطقة المنسوبة إليهم «دارفور» وعليهم ملامح الزنوج، وإن كانوا يدّعون الانتساب إلى العباسيين. وهم عدة مجموعاتٍ، ويبدو أن بعضها يعود إلى أصلٍ عربيٍ، وربما رجعت إلى بني هلال، وهي «الكنجارة»، ومجموعات تبدو عليها التقاطيع الزنجية مثل «الداجو» و«الميدوب» و«التاما» و«القمر» و«المساليت» وغيرها.

٥ ـ أهل النوبا:

وهم من الزنوج، ويسكنون تلال النوبا إلى الغرب من النيل الأبيض وشمال بحر الجبل، وتُمثّل هذه القبائل ٤٪ من مجموع سكان السودان، وبدأ الإسلام ينتشر بينهم، واللغة العربية تدخل إلى لسانهم، وحاولت الإرساليات النصرانية البروتستانتية تنصيرهم غير أنها فشلت.

٦ ـ المجموعة السودانية:

وتعيش في الجنوب الغربي، وتُمثّل ٣,٥٪ من مجموع السكان، وأبرز قبائل هذه المجموعة: الزاندي الذين لهم لغة مكتوبة، والبونغو، والميتو.

٧ ـ المجموعة النيلية:

وتعيش في مديرية أعالي النيل، وبحر الغزال، وتُمثّل ١٧,٥٪ من مجموع

السكان، وأشهر قبائلها: الدنكا، والنوير، والشُّلك، والأنواك، واللو، واللانغو، وربما كانت قبيلة الدنكا نصف هذه المجموعة، وتُمثّل النوير الربع.

٨ ـ المجموعة النيلية الحامية:

وتعيش في المديرية الاستوائية، وتُمثّل ٤٪ من مجموع السكان، وهي عدد من القبائل مثل: الباري، والمنداري، والكوكو، والمورو وغيرها.

٩ ـ الهمج:

وهم عدد من المجموعات تعيش في الجبال الواقعة جنوبي الجزيرة، ومنها قبائل: البرتا، والبورون.

ويعيش في السودان عدد من الأجانب تبلغ نسبتهم ١٠٪ من مجموع السكان، معظمهم من غربي إفريقية، ويُقيمون في بور سودان، وكسلا، والجزيرة، وكردفان، ودارفور ويعمل أكثرهم حمّالةً أو في المشروعات الزراعية، وهناك بعض اليمنيين وبعض المصريين وغيرهم.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف الكبير في المجموعات العرقية والتجمعات القومية إلا أنه لم تحدث صراعات على هذه الأسس، وإن كانت تحدث أحياناً خلافات بين القبائل وربما كانت من أصلٍ واحدٍ، على مناطق الرعي، أو رغبةً في توسعة منازل هذه القبائل بعضها على حساب بعض. غير أن الصراعات التي حدثت إنما قامت على أساس العقيدة.

يدين أكثر من ٨٠٪ من السكان بالإسلام، ويشمل: العرب، والبجاة، والنوبيون، والفور وجزءاً من أهل النوبا، وقسماً من سكان الجنوب.

ويدين بالنصرانية ما يقرب من ٥٪ فقط يعيش معظمهم في الجزء الجنوبي من البلاد، وقد اعتنقوا النصرانية تحت تأثير الاستعمار والإرساليات التنصيرية، ورغم أن هذه النسبة قليلة إلا أن أثرها كبير وذلك بسبب الإمكانات التي تملكها والتي تمدّها بها الإرساليات، وبسبب الدعم الكبير من قبل الدول الأوروبية عامةً، وبسبب انتشار الوثنية في أماكن وجودها الأمر الذي يجعل الوثنيين الضعفاء البسطاء الفقراء يتبعون النصارى الأقوياء بالدعم الذي يتلقّونه،

الماكرين بالمخططات التي ترسمها لهم الإرساليات، الأغنياء بالمساعدات التي تصل إليهم، ويضطر الوثنيون مسايرة النصارى للحصول على الدواء والغذاء والتعليم، وكل هذا بيد الإرساليات النصرانية، لذا يتوهّم كثير من الناس أن الجنوب نصراني، وربما شاع هذا حتى ثبت في أذهان الناس وخاصةً أن أحداث الجنوب التي تتحرّك بإمرة النصارى للسبب الذي سبق وذكرت. وتعيش في الشمال أقلية نصرانية في المدن، وهم من الأقباط ويعودون إلى أيام النصرانية الأولى حيث انتشرت في السودان في القرن النصراني الأول، وعاش هؤلاء النصارى بين المسلمين في أمنٍ وأمان. كما يوجد النصارى الأرثوذكس وغيرهم من أتباع بقية المذاهب، ويعود بعضهم إلى أصلٍ يوناني، كما يرجع بعضهم إلى بلاد الشام الذين عملوا في الماضي تُجّاراً والذين سهل الاستعمار قدومهم إلى السودان كما سهل مجيئهم إلى مصر في تلك المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، ومن المدن التي يعيش فيها هؤلاء النصارى: الخرطوم، بور سودان، كسلا، القضارف، وادي مدني، عطبرة، الأُبيّض، كوستي.

وتوجد أعداد من اليهود لا يصل عددهم إلى المئات.

وتوجد مجموعة من الهنود الهندوس وتتوزع في: الخرطوم، وبور سودان، وكسلا، والقضارف.

ويعيش ١٥٪ من مجموع السكان من الوثنيين في جنوبي السودان وجبال النوبا، ورغم هذه النسبة المرتفعة قليلاً إلا أن أثرهم ضعيفٌ بسبب الحياة البدائية التي تعيشها قبائلهم أو البساطة الغالبة، غير أن وقوعهم تحت تأثير رجال النصرانية الذين تدفعهم الصليبية وتشحنهم الإرساليات حقداً قد جعلهم يعدّون دائماً ضمن أبناء الجنوب الذين يتحرّكون حسب الرأي النصراني. ولم يكن الخلاف قائماً قبل مجيء الاستعمار، فإنكلترا هي التي أثارت الصراع بين الشمال والجنوب أو بين المسلمين في الشمال وسكان الجنوب من الوثنيين الذين يسيرون بالتوجيه النصراني. وذلك بغية جذب الوثنيين إلى النصرانية والتأثير عليهم.

الصراع بين الشمال والجنوب:

وهو في الواقع صراع بين الإسلام والنصرانية، وهو ما أوجده الاستعمار

وعملت الإرساليات التنصرية على تحريكه باستمرار. إن الصراع بين العقائد لم يحدث في ديار الإسلام في أي مرحلةٍ من مراحل التاريخ بل عاش أصحاب العقائد الأخرى من أهل الكتاب ومن تبعهم من المجوس في ظل الإسلام حياةً كلها طمأنينة وسعادة، محفوظة أموالهم، مأمونة أعراضهم، محترمة عقائدهم، محمية دور عبادتهم. وإذا حدث أن وقعت بعض الأحداث البسيطة، وهي لم تقع، ورجعنا نتقصّى أسبابها وجدنا جهةً خارجيةً تُغذّيها، وقد بدأت تظهر هذه الأحداث بعد الحروب الصليبية إذ انحاز بعض النصارى إلى الغزاة المعتدين وبقوا على صلةٍ بهم بعد اضطرارهم إلى الرحيل. ثم لما ضعف المسلمون وقوي الصليبيون وقاموا بغزوهم الاستعماري بدؤوا يحرّكون نصارى البلدان التي دخلوها ليكونوا عوناً لهم، وأداةً يُسيّرونها، ووسيلةً يحكمون بها، وعيوناً لهم على أبناء وطنهم، وجهازاً للحكم مُعدّاً فيما إذا ارتحل الصليبيون عن البلد، يُنفّذون مخططاتهم عن طريقهم، ويبقون على ارتباطٍ بهم، وعملوا على نشر النصرانية تحت هذه الإغراءات وإغراءات منها المال، ومنها الجنس، ومنها التعليم، وتقديم الدواء والغذاء، وأعدّوا لذلك الإرساليات التنصيرية لتُؤدّي هذا الدور على أن هذا من مهمتها الأساسية التي وجدت من أجلها فهي مؤسسات تعليمية، وصحية، واجتماعية ولكنها لم تكن في الواقع سوى مؤسساتٍ صليبيةٍ تعمل لدينها وتطعن في بقية العقائد وخاصةً الإسلام الذي تعدّه عدوّها الأول، استعماريةٍ تعمل بتوجيه دولها لتمكين نفوذها وترسيخ أقدامها في البلدان التي احتلتها، فهي تُؤدّي دور دولها وتأخذ منها الأعطيات السخية، وتنفث سمومها بدافع حقدها الصليبي، على حين تدّعي الدول الاستعمارية الغازية أنها دول علمانية لا تهتمّ بأمر العقائد ولا تُفضّل ديناً على آخر، والجميع عندها سواء، تدّعي هذا وقد أوكلت مُهمّتها إلى رجال الإرساليات المختصين بهذه الأمور فهم أقدر على تنفيذ هذه السياسة. وربما نجد أنموذجاً على هذه السياسة بعمل إنكلترا في السودان.

طبقت إنكلترا سياستها الاستعمارية الصليبية في السودان بعد إعادة احتلاله، وقد مرّت هذه السياسة بثلاث مراحل رئيسية وهي:

المرحلة الأولى:

منذ إعادة الاحتلال حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد اتخذت

إنكلترا في هذه المرحلة قراراً بعد إعادة الاحتلال بأربع سنواتٍ فصلت فيه الجنوب عن الشمال، وعاملت كل قسم معاملةً تختلف عن معاملة الآخر بحجة أن الجنوب بحاجةٍ إلى المزيد من الوقت والمال والوسائل لتطويره بسبب الحياة البدائية فيه. وكانت الحجة الثانية هي حماية الجنوبيين من تجارة الرقيق التي يُمارسها الشمال ـ حسب دعواها ـ إذ هي الدولة الرحيمة بالعالم، والتي تحمل وحدها صفة الإنسانية بغضّ النظر عما يُقترف من جرائم في مستعمراتها، وتُشرّد شعوباً وتحلّ مكانها آخرين، والواقع أنها قد فقدت هذه الإنسانية وخاصةً أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ وجدت مآسي الحرب، وما تقوم به الدول الأخرى فاضطرت إلى مسايرتها فوعدت اليهود بإعطائهم أرض فلسطين وإحلالهم محلّ سكانها الآمنين بشرط أن يرتكبوا أبشع الجرائم ضد المسلمين مع مراعاة حماية النصارى. وكانت السمة الغالبة على السياسة البريطانية في جنوبي السودان عدم التدخل في شؤون هذا الإقليم إلاّ بالقدر الذي تُمليه عليها ضرورات حفظ الأمن، وهيبة الحكم، وتيسير نشاط المُنصّرين، وعدم القيام بأي مشروعٍ من المشروعات الإنشائية بسبب الفقر إلا بمقدار ما تقتضيه الضرورات الثلاث: الأمن ـ الحكم ـ التنصير. وقد أُعطي للمنصّرين حرية العمل التامة بغية إحداث نوع من التحسّن العام في أحوال السكان واكتساب ولائهم للحكم الإنكليزي بالإضافة إلى كسبهم إلى النصرانية. وذلك لأن تحسّن أحوال السكان لا يتمّ إلا عن طريق الإرساليات التنصيرية لأنها مختصة بالمعرفة النصرانية، والتعليم، وتقديم الخدمات الصحيّة والاجتماعية، أما دولة إنكلترا العظمى يومذاك فهي غير مستعدةٍ للقيام بمثل هذه المهمات أو عاجزة عن ذلك، لذلك فقد أطلقت يد الإرساليات النصرانية لتُؤدّي عنها هذه الأعمال الجليلة التي تعمل على تحسّن أوضاع السكان. وكان المنصرون يرون بسبب حماستهم الشديدة لدينهم أنه لا بدّ من السعي لتنصير سكان البلاد جميعاً من مسلمين ووثنيين، شماليين وجنوبيين فإن أوضاع السكان لا تتحسّن إلا إذا اعتنقوا النصرانية الديانة الوحيدة للحضارة والمدنية إذ لا يمكن للبشرية أن تتطوّر، وتتحسّن أوضاع أبنائها إلا إذا دانت للنصرانية، ولم يكن «كرومر» حاكم السودان الإنكليزي يومذاك يرى هذا الرأي لذلك فقد تعرّض لكثيرٍ من الضغوط

كي يسمح بذلك. وقُسّم الجنوب إلى عددٍ من مناطق النفوذ كل منطقةٍ لإحدى الكنائس أو المذاهب النصرانية المختلفة تُمارس فيها نشاطها بحريةٍ كاملةٍ بغية تنصير السكان، وفي الوقت نفسه فقد فُتحت بعض المدارس التنصيرية في مدينة الخرطوم، وبنيت فيها كنيسة، وبُرّر ذلك بوجود عددٍ من غير المسلمين في المدينة. وكانت الحكومة النمساوية تدعم الإرساليات والمدارس الكاثوليكية إضافةً إلى حكومات فرنسا، وإيطاليا، على حين تدعم إنكلترا الكنائس، والإرساليات، والمدارس الإنجيلية، وعدد من آباء هذه الكنيسة من ذوي النفوذ والجاه في العالم كله. وهكذا مضت الجمعيات النصرانية في مزاولة نشاطها في جنوبي السودان في حمى الحكومة الاستعمارية وبمساعدتها مما كان له أعمق الأثر في تعميق هوة الاختلاف بين جزئي السودان.

المرحلة الثانية:

وتمتدّ من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت إنكلترا قبل هذه المدة تعدّ مصر والسودان وحدةً ماليةً وإداريةً، فلما قامت الحركة في مصر بعد الحرب الأولى ضدّ إنكلترا ولو كانت تمسك خيطها بيدها، إلا أنها خشيت أن يمتدّ لهيب تلك الحركة إلى السودان، ولم تستعدّ لها، ولم تُهيّئ الرجال الذين يُحرّكونها، ويقبضون زمامها بشكلٍ ترتاح إليه كما فعلت في مصر، لذا خافت أن تفلت الأمور من يدها وتسير الحركات على غير هواها ودون رأيها، لذا فقد عملت على تغيير سياستها والعمل على فصل مصر عن السودان، والتأكيد على سياسة فصل شمالي السودان عن جنوبيه وبشكلٍ أوضح وأمتن، وتهدف من وراء ذلك إلى عزل جنوبي السودان عن المؤثّرات الإسلامية إلى أبعد حدٍّ ممكنٍ، لذلك عملت على أن يكون الموظفون في الجنوب من أبناء المديريات الجنوبية، وإذا دعت الضرورة القصوى إلى موظفين في الجنوب لا تتوفّر في أبنائه فيجب أن يكونوا من أقباط مصر. كما جعلت العطلة الأسبوعية يوم الأحد، وبحثت إنشاء نظام لامركزي في السودان، يستهدف فصل الأقاليم الشمالية الإسلامية عن الإقليم الجنوبي الوثني، وتقرّر بناءً على هذه السياسة أن يجتمع مديرو الجنوب وحدهم منفصلين عن مديري الشمال.

وقد صدر قانون الجوازات عام ١٣٤٠هـ، وكان أكثر الوسائل التي اتخذتها الإدارة البريطانية فعاليةً لفصل شطري السودان بعضهما عن بعض. فقد عدّ هذا القانون المديريات الجنوبية مناطق مُقفلةً لا يحق للمسلمين مهما كانت جنسياتهم دخولها على حين يسمح لرجال الإرساليات التنصيرية بصبغها بالألوان التي يرونها. وأدخل بموجب هذا القانون نظام التصاريح الذي يمنع الأجانب من دخول السودان دون إبداء أي سببٍ لذلك، وخوّل هذا القانون السلطة اعتبار أية منطقةٍ تُريدها مُقفلةً. وجعل المناطق المقفلة قسمين: قسم سُمّي بالمناطق المقفلة تماماً وقد حرّم دخولها على الأجانب والسودانيين الشماليين تحريماً تاماً، وقسم سمح للمسؤولين بإعطاء تصريح لدخولها لمن يرون، ومنع من يرون. وأُقيمت منطقة مجرّدة بين الشمال والجنوب كالمناطق التي يدور فيها قتال ضار، وتوقّف فيه القتال بتوسط جهةٍ معينةٍ.

وبعد أن تمّ طرد الشماليين من الجنوب، والفلاتة[١]، والغرباويين[٢]، والبندلة[٣] بدأ تنفيذ المخطط البريطاني بشنّ الحملات الإرهابية على الذين اعتنقوا الإسلام من الجنوبيين، وتسمّوا بأسماء عربية، وبدأ فصل كل مسلمٍ جنوبي من أي عملٍ حكوميٍّ يتولاّه.

وفي الوقت نفسه فقد منع قانون الجوازات أيضاً هجرة الجنوبيين إلى الشمال للعمل خوفاً من المؤثرات الإسلامية عليه، وفي الوقت الذي منع التجار المسلمين شجع التجار اليونانيين والشاميين النصارى بالمتاجرة مع الجنوب. ولما كانت العلاقات بين جزئي السودان ليست تجاريةً فقط بل هي اجتماعية ورسمية لذا فقد أبعد الموظفون الشماليون عن الجنوب أيضاً، غير أن هذا قد أنقص الإداريين، ولم يكن باستطاعة الجنوبيين ملء الشواغر الإدارية الناجمة عن رحيل الشماليين، ولم يكن التدريب كافياً لدى الجنوبيين لذا فقد

---

(١) الفلاتة: هو الاسم الذي يطلق في السودان على كل القادمين إليه من مسلمي غربي إفريقية، وأصله مشتق من قبيلة الفولاني.

(٢) الغرباويون: يقصد بهم سكان غربي السودان أي: كردفان، ودارفور.

(٣) البندلة: قوم مختلطون من آباءٍ عرب وأمهاتٍ من جنوبي السودان.

عملت الحكومة على تشجيع الإرساليات النصرانية، وزيادة المعونات لها للقيام بتدريب الجنوبيين على إدارة الأعمال.

وعملت الإدارة البريطانية على محو اللغة العربية من مناهج التدريس ومن التحدّث بها، وشجّعت اللهجات المحلية واللغة الإنكليزية كلغةٍ بديلةٍ، كما رغّبت في التعصّب القبيلي، ومنعت استعمال الكلمات العربية مثل: شيخ، وسلطان، واتخذت العبارات المقابلة لها في اللهجات المحلية مثل: كلمة «بنغ» عند قبائل الدنكا، وحثّت زعماء العشائر وعامة الناس الجنوبيين على المحافظة على أسمائهم القبيلية، وكانت السلطة ترفض تسجيل أي مُواطن جنوبي باسم عربيٍ، وكانت تعطيه رقماً مؤقتاً حتى يبقى حاملاً معه اسماً قبيلياً يشبه أسماء الحيوانات. ومن الغريب فعلاً أن تجد مسلماً يتكلم العربية، واسمه اسم نصراني أو وثني، ثم يتقدّم بطلب للدراسة في جامعةٍ إسلاميةٍ.

وحاربت الإدارة البريطانية صنع الألبسة العربية، وحاولت اتخاذ الأزياء الأجنبية أو الإبقاء على العريّ، وربما يتساءل المرء عن هذه الحضارة التي تحرص على الإبقاء على العريّ خوفاً من انتشار لباسٍ معروفٍ لدى شعبٍ من الشعوب. فهل العريّ خير من اللباس؟ وهل الخوف من هذا الشعب لهذه الدرجة؟ وما السبب في ذلك؟.

وفي الوقت الذي ركد فيه التعليم في الشمال ركوداً تاماً اهتمت الحكومة المستعمرة بتعليم أبناء الجنوب على يد الإرساليات النصرانية لتربية الأجيال على كره الإسلام، وتثقيفهم الثقافة الغربية، وجعلهم أعواناً لسلطتها وخاصةً بعد جذبهم إلى ديانتها، وكانت تزيد الإعانات إلى هذه الإرساليات بين المدة والأخرى وذلك لمساعدتها في تنفيذ خطتها التي تسعى إليها. وكان التعليم في المدارس الابتدائية باللهجات المحلية التي جعلت كتابتها بالحرف اللاتيني، وفي المدارس المتوسطة كانت اللغة الإنكليزية هي السائدة.

ورأت إنكلترا أن تضمّ جنوبي السودان إلى شرقي إفريقية أو إلى أوغندة واعتبارهما دولةً واحدةً وذلك لإبعاد الجنوب الوثني عن الشمال المسلم، ولتحول دون تقدّم الإسلام نحو الجنوب، ولتقطع الطريق على الدعاة والتجار

المسلمين، وليزيد عدد الوثنيين في الدولة المقترحة وفي الوقت نفسه تقلّ نسبة المسلمين فيضعف شأنهم ويقلّ مركزهم، وبدأت إنكلترا تُهيّئ لهذه الخطة فشقّت الطرق بين جنوبي السودان وأوغندة، وهي غير موجودة مع شمالي السودان، كما وجهت أبناء جنوبي السودان لإتمام دراستهم في جامعة «ماكريري» الأوغندية التي افتتحتها بدلاً من التوجّه إلى الخرطوم. ويظهر هذا جليّاً مما وصفه الحاكم البريطاني العام للسودان في أواخر عام ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ) بأن سياسةً جديدةً ستتبع وتقوم على عدّة أسسٍ أهمها:

١ ـ إلغاء تطبيق القوانين الحديثة واللجوء إلى العرف والتقاليد للتحكيم بين أبناء الجنوب.

٢ ـ العمل على تشجيع اللهجات المحلية، وتثبيت الحياة القبيلية بكل مظاهرها وعاداتها وتقاليدها.

٣ ـ نشر اللغة الإنكليزية، وجعلها لغةً رسميةً، ولغة التفاهم الرئيسية بين القبائل الجنوبية ومحاربة اللغة العربية والأسماء العربية.

٤ ـ محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال إلى الجنوب، وتشجيع العريّ والإبقاء عليه.

٥ ـ نقل كل ضباط الإدارة والحكومة المحلية الشماليين من الجنوب.
وتحدّد ٣١ كانون الأول من عام ١٩٣٠م (٥ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ) موعداً أقصى لطرد الشماليين بعدما صدر قانون الجوازات الذي تكلمنا عنه عام ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ).

وعمدت الإدارة البريطانية إلى تخفيض مرتبات الجنوبيين بحجة أن الحياة لا تستدعي أجوراً عاليةً، وأصبح أجر العامل اليومي لا يزيد على ثلاثة قروش فازداد البؤس نتيجة انخفاض الدخل، وكانت هذه سبيل لتوجّه السكان نحو الكنائس والإرساليات النصرانية وطلب المساعدات منها. وتدخّلت الكنائس فعلاً، وقدّمت المساعدات المادية والعينية، فسدّت بذلك النقص الذي نشأ من تخفيض المرتبات، وظهرت للأهالي بمظهر العطوف الرحيم الذي يهتمّ بالإنسان، ولعل أن تكون هذه المساعدات مجالاً للإقبال على النصرانية بعد أن سيطرت الكنائس على العاملين في القطاع الحكومي بالمدن.

٣ ـ المرحلة الثالثة:

وتمتد من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عهد الاستقلال عام ١٣٧٦هـ، وقد حدثت عدة أمورٍ سياسيةٍ، جعلت إنكلترا تُغيّر سياستها القائمة في السودان، وأهم هذه الأمور:

أ ـ تغيّرت السياسة الاستعمارية الصليبية بعد الحرب العالمية الثانية إذ أصبح سدنة الاستعمار وخاصةً الإنكليزي منه يُفضّلون تسليم الحكم في البلاد المستعمرة إلى رجالٍ من أهل البلاد، فهم يحملون الصفة الوطنية غير أنهم يرتبطون معهم مُقابل تسليمهم السلطة، وهم مقابل هذا يُنفّذون المخططات الاستعمارية الصليبية سواء أكانت سياسيةً أم اقتصاديةً أم اجتماعيةً أم دينيةً، حيث تكون بلادهم مفتوحةً لبضائع المستعمرين السابقة، ويختار المستعمرون من المواد الخام التي تتوفّر في البلاد ما يشاءون ولهم حرية التنقيب والاستخراج والتصدير حسب المصلحة التي يراها. ولا يرتبطون مع دولةٍ ثانيةٍ إلا بعلمهم كما لا يعقدون معاهدةً أو حلفاً مع آخرين إلا برأيهم، وللمستعمرين الحق في إنشاء قواعد عسكرية سواء أكانت بريةً أو بحريةً أم جويةً وربما كان أكثر من ذلك، وهو الاحتفاظ بعددٍ من جنود المستعمرين على جزءٍ من أرض الوطن، وتقديم التسهيلات والخدمات المطلوبة وقت الضرورة وخاصةً أيام الحروب، هذا بالإضافة إلى مساعدة مدارس الإرساليات النصرانية وحمايتها وإعطائها استقلاليتها في التربية والمناهج، والمحافظة على الحرية الفردية والدينية ويقصد من وراء هذا المصطلح لا الصورة البراقة التي تعطيها، ولا الناحية الإنسانية التي ربما تخطر على بال الناس، وإنما القصد منها إعطاء الفرد الحرية الكاملة في الفساد من شربٍ للخمر، وزنا، وتحرّرٍ من الأخلاق، وحرية التعبير على كل ما هو متعارف عليه أنه غير مسموحٍ به كالأدب السافر ويقصد به غير الأدب والكلام على العقائد والمقدسات و. . . وقبول النصح أي العمل بالإيحاء عن الفئات والتجمّعات فهذه فرقة يمكن التعاون معها والإفادة منها، وتلك رجعية يجب الحذر منها ومراقبتها وضربها بحزم وشدةٍ إن دعا الأمر و. . . وربما كانت هذه الأمور ما يتطلّبها المستعمر من الذين يُؤهلهم لتسلّم السلطة أو يمنحهم الدعم والحماية إذا ساروا عليها،

وإذا خالفوا حسب تخطيطٍ لهم يظنّونه بأنفسهم خديعةً أو حسب نزواتٍ فرديةٍ تخلى المستعمرون عنهم فأصبحوا عرضة للتيارات التي قد تعصف بهم أو بالأحرى سيخضعون لنقمة ساداتهم الذي ولّوهم الأمر، وسيُزيلونهم عما نصّبوهم عليه، والأمر سهل على المستعمرين إذ لديهم أكثر من جوادٍ يُراهنون عليه، وكل منهم مُسرج مُعدّ للوقت اللازم، ولذا يكون الخنوع أكثر والخوف أشدّ على المنصب، والتمسّك به يؤدّي إلى الاستسلام للذي يُخشى منه. ومن يُطاح به يكون عبرةً لخلفه فيبقى أكثر طواعيةً وأشدّ خضوعاً، مثل هؤلاء وعلى هذا النهج ربّى المستعمرون لهم أعواناً قبل أن يرحلوا، واستمرّ ذلك بعد ذهابهم.

قدّر المستعمرون أن هذه البلاد نتيجة ظروفها الاقتصادية ستبقى مرتبطةً بالاستعمار الذي خطّط لهذه السياسة، فالمواد الأولية التي تنتجها البلاد لا تجد لها سوقاً إلا في أوروبا، والمصنوعات ليس لها معامل في البلاد، وهي بحاجةٍ إليها، مضطرة إلى أن تشتريها من أوروبا. وبهذه السياسة يُوفّر المستعمر على نفسه تكاليف الإدارة، وإيجاد الحامية على حين لم يتغيّر شيء بالنسبة إليه من الناحية الخارجية والاقتصادية بل والاجتماعية، وفي الوقت نفسه فهو ليس بحاجةٍ إلى مقاومة الحركات التي تُطالب بالاستقلال، وليس بحاجةٍ إلى الإعلام للردّ على الدعاية ضدّه والنقمة عليه فإن ما يُريده يُحقّقه على أيدي أبناء البلاد الذين تقوم عليهم النقمة والحركات والثورات ويستدعيه الأمر إلى البطش والعنف وربما كان هذا من طبعه وسياسته الخاصة المحليّة والمُوجّهة، وينظر المستعمر من بعيدٍ ويُردّد إنها أحداث داخلية لا نتدخّل فيها.

ب ـ دلّت خطط إنكلترا في شرقي إفريقية على ضعف وعدم وضوح وخاصّةً فيما يتعلّق بربط جنوبي السودان بشرقي إفريقية نتيجة الخلاف وعدم التجانس، وما يجب أن يُبذل من جهودٍ وأموالٍ في سبيل رفع المستوى.

جـ ـ النقد الشديد لسياسة الفصل التي تنتهجها إنكلترا فقد قدّم مؤتمر الخريجين إلى حكومة السودان عام ١٣٦٠هـ مذكرةً تقضي بإلغاء نظام المناطق المقفلة، ورفع القيود التي كانت مضروبةً على تحرّكات السودانيين داخل بلادهم، وأرسلت لجنة «السودنة» التي أُنشئت عام ١٣٦٥هـ لجنةً فرعيةً لدراسة

أوضاع الجنوب، حيث قدّمت تقريراً ضافياً بعد زيارتها للجنوب فضحت فيه السياسة البريطانية وانتقدتها أشدّ النقد.

وبناءً على ذلك كله، وبناءً على الصعوبات التي كان يجدها الموظفون الإنكليز في الجنوب وخاصةً بالنسبة إلى الأسماء حيث كان للكثير أسماء يُعرفون بها بين أترابهم وفي القبيلة، وهي أسماء عربية بينما هي في السجلات الحكومية أسماء قبيلية، وهذا ما يستغرق وقتاً طويلاً للتحقيق من هذا. لذا عقدت الحكومة مؤتمراً في مدينة «جوبا» عام ١٣٦٦هـ برئاسة السكرتير الإداري وعضوية مديري المديريات الجنوبية، ومدير ديوان شؤون الموظفين، وسبعة عشر من أعيان الجنوب بعضهم زعماء العشائر وبعضهم الآخر من خريجي مدارس الإرساليات النصرانية، وستة أعضاء من الشمال، وقرّر المؤتمر رغبة الجنوبيين في الاتحاد مع الشمال في دولةٍ واحدةٍ، وبناءً عليه تقرّر وجوب تمثيل الجنوب في الجمعية التشريعية المقترحة، كما يجب تشجيع التجارة وتحسين المواصلات بين الجزأين، وتوحيد سياسة التعليم.

أخذت إنكلترا بمقترحات المؤتمر وغيّرت سياستها السابقة، وربما فكّرت في الإبقاء على السودان موحّداً، وتستطيع بما لها من نفوذٍ في الإقليمين وبما بينهما من خلافٍ أن تُثير للمشكلات في كل وقتٍ ترىٰ من مصلحتها ذلك، وكثيراً ما يلجأ المستعمرون إلى مثل هذا، فقبل أن يرحل المستعمر يُبقي بعض المشكلات الحادة أو الخلافات القائمة بين أجزاء الدولة الواحدة أو مع الدول المجاورة لها. وهكذا كان لإنكلترا الأثر الكبير في وجود مشكلة جنوبي السودان وترك جراحٍ عميقةٍ بين الشمال والجنوب لا يمكن علاجها ومعالجتها بسهولة.

وجاء الاستقلال عام ١٣٧٦هـ والسودان مُوحّد غير مجزّأ، وإن كانت فكرة التجزئة قائمةً في نفوس عددٍ من أبناء الجنوب، ممن اعتمدتهم الدولة المستعمرة من النصارى، ومن ربّتهم على هذه الفكرة وعلى كره الشمال المسلم.

اصطدمت الحكومة الوطنية أثناء تطبيق سياستها التعليمية الموحدة بالواقع

المرّ الذي أوجده في الجنوب المستعمرون والإرساليات التنصيرية، ولذا فقد اهتمت بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أما معالجة المشكلة على الصعيد السياسي والدستوري فقد أوكل الأمر كله إلى لجنة الدستور القومية التي لم تكن من صلاحياتها بحث هذا الأمر. كما أن أعضاء الجنوب في هذه اللجنة قد انسحبوا منها عندما رفضت البحث في طلبٍ تقدّموا به قبل الاستقلال لإقامة حكومةٍ اتحاديةٍ في المديريات الجنوبية.

تأسّس في الجنوب حزب «الاتحاد الوطني السوداني» «سانو»، ويرأس هذا الحزب «جوزيف أودوهو» وأمين سره «وليم دينغ» ومساعده «اكري غادين»، كما انضمّ إليه «ساترينو لاهورا»[1] رئيس حزب الأحرار الجنوبي، وكثير من المتعصبين والذين لديهم حماسة زائدة ضدّ الشمال.

ومع استمرار مشكلة الجنوب استمرّت الصدامات بين أبناء الشمال وأنصار الحكومة الوطنية وبين أبناء الجنوب الذين قادهم حزب الاتحاد الوطني السوداني، وزادت أعمال التمرّد والعصيان.

استمرّت مشكلة الجنوب، وازدادت تأزّماً أيام الحكم العسكري برئاسة الفريق إبراهيم عبود إذ ظهرت في الجنوب منظمة عسكرية عُرفت باسم «أنيانيا» ومعناها ثعبان الكوبرا السام الأسود، وقد أعلنت في بيانٍ لها أن الصبر قد نفد، وأن العنف هو الطريق الوحيد للوصول إلى حلٍّ حاسمٍ، ونشطت هذه المنظمة في أعمالها، وأخذت تتلقّى المساعدات العسكرية والمادية من جهاتٍ دوليةٍ مُتعددةٍ، ولعل أكبر المساعدات كانت تأتي عن طريق الإرساليات التنصيرية.

حاولت الحكومة العسكرية معالجة مشكلة الجنوب غير أنها سلكت حلاً غير مقبول إذ اتخذت أسلوب البطش والإرهاب والقتل دون تمييزٍ مما أذهل مسلمي الجنوب حيث نالهم ما نال غيرهم وأصاب الآمنين ما لحق بالمتمردين وهذا ما أجبر عدداً من المسلمين في الجنوب إلى العمل مع الوثنيين ضد

---

(١) قتل ساترينو لاهورا على الحدود الأوغندية عام ١٣٨٧هـ.

تصرّف الحكومة غير الصحيح، فقد قُتل عدد من زعماء التجار وكبارهم، واضطر عدد من السكان إلى الهرب خارج الحدود عبر أراضي أوغندة، والحبشة، وكينيا، وتشاد.

وإضافةً إلى هذا فقد أقدم الحكم العسكري على طرد الإرساليات التنصيرية من الجنوب على أنها أساس المشكلة، ومع أنه تصرّف داخلي ومنطقي إلاّ أنه قد أزعج المستعمرين بشكلٍ كبيرٍ فطار صوابهم لأنهم يعملون خلف رجال تلك الإرساليات، ومنذ تلك اللحظة تغيّرت النظرة للحكم العسكري وبدأت تقوية خصومه وتجميع صفوفهم، وعُقد مؤتمر المائدة المستديرة حيث ضمّ أحزاب الشمال وأحزاب الجنوب إضافةً إلى اتحاد الكنائس العالمي، وجبهة الهيئات التي تضمّ النقابات والمهنيين التي تشكّلت إثر ذلك. ونتيجة المقاومة اضطر الحكم العسكري إلى ترك السلطة وتسلّمتها حكومة مدنية برئاسة «سر الختم خليفة» ووعد رئيس الوزراء في بيانٍ وجّهه إلى الشعب في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٦٤م). أعلن فيه العفو العام عن المتمردين، وعمن كان قد ناصرهم من الجنوبيين، ودعا إلى عودة كل من غادر البلاد إلى الدول المجاورة فراراً من سياسة البطش والإرهاب التي كانت سائدةً أثناء الحكم العسكري، كما دعا إلى عقد مؤتمرٍ قوميٍ تشترك فيه جميع الأحزاب السودانية الشمالية والجنوبية، ويشهده مراقبون من سبع دولٍ إفريقيةٍ عربيةٍ وغير عربيةٍ وذلك للنظر في مشكلة الجنوب برمتها والتشاور في أكثر الوسائل نجاحاً لحلّها.

عُقد مؤتمر المائدة المستديرة بالخرطوم على الصورة التي سُمّي بها وذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٣٨٤هـ (آذار ١٩٦٥م) فكان خطوةً لردّ الثقة إلى النفس، ولتلمّس الطريق إلى حلولٍ سياسيةٍ وإداريةٍ مُرضيةٍ من الشمال والجنوب على حدٍّ سواء، وقد عاد عدد من الذين غادروا البلاد ومنهم «وليم دينغ» أحد زعماء حزب سانو، وشارك في مؤتمر المائدة المستديرة، ولكن لم يلبث أن ظهر الخلاف بين الشمال والجنوب.

قال الجنوبيون: إن مؤتمر جوبا عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) الذي طالب

بالوحدة بين الشمال والجنوب لم يكن يُمثّل إرادة الجنوبيين، كما ادّعى أنصاره، وإن اتفاقية ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) كانت بين إنكلترا، ومصر، وأحزاب الشمال، ولم يكن أي رأيٍ للجنوبيين فيها، وإن استغلال الشمال للجنوب كان في الماضي والحاضر إذ لم تقم أية مشروعاتٍ حيويةٍ في الجنوب. ثم طالبوا باستقلال الجنوب، وانسحاب الجيش وقوات الأمن من المديريات الجنوبية، وادّعوا أنِ الحكومة لا تسيطر على الوضع.

واقترحت أحزاب الجنوب وهي: حزب سانو، وجبهة الجنوب إجراء استفتاءٍ في مديريات الجنوب تحت إشراف هيئةٍ مُستقلّةٍ على أن تُرفع حالة الطوارئ، ويعود الجيش إلى ثكناته في الشمال، وتتعهد أحزاب الجنوب بالعمل على إنهاء التمرّد. ولا شك فإن انسحاب الجيش من الجنوب هو تسليم زمام السلطة إلى المتمرّدين. وترى أحزاب الجنوب أن يكون الاستفتاء على الاحتمالات الآتية:

أ ـ الاتحاد اللامركزي.

ب ـ الوحدة المركزية.

جـ ـ الانفصال.

وتكون نتائج الاستفتاء ملزمة للشمال والجنوب على حدٍّ سواء. إن الاستفتاء الذي يجري في الجنوب بعد انسحاب الجيش وقوات الأمن سيكون تحت ترتيب وتهيئة وضغط المتمرّدين، وإن كانت توجدُ هيئة إشرافٍ مستقلةٍ، بل يمكن لأحزاب الجنوب أن تلعب لعبتها وعلى مرأى من هيئة الإشراف وتدّعي بعدئذٍ ما تريده، ويتمّ الأمر، وتظهر النتائج، وتأخذ الصفة الشرعية، ولهذا فإن أحزاب الجنوب كانت مطمئنةً إلى النتائج حسب ما ترغب.

أما أحزاب الشمال فترى أن حزب سانو وجبهة الجنوب لا يُمثّلان رأي الجنوبيين وإنما يفرضون أنفسهم على السكان فرضاً والدليل على ذلك أنهما قد أصدرا بياناً دعوا فيه لوقف القتال، ولكن لم يُستجب لندائهما. ومعنى سحب قوات الأمن من الجنوب حسب طلب أحزاب الجنوب إنما معناه تعرّض حياة المواطنين هناك للخطر، وخاصةً أنه توجد فئات تعيث فساداً في المنطقة دون

احترامٍ لأي قانونٍ، وكذلك بالنسبة لسحب الجيش إلى الشمال، فالجيش لكل البلاد وليس لمنطقةٍ دون أخرى، كما لا يصحّ لجماعات تتمثّل في الحكومة بثلاثة وزراء أن تتهمها بأنها لا تسيطر على الوضع ولا على الجيش إلا إن كان هؤلاء الوزراء لا يُمثّلون أحداً. وإن كل الأقوال التي تكلمت فيها أحزاب الجنوب لا يُفهم منها إلا الرغبة في تقسيم البلاد، وهذا ما لا يرضاه مواطن. وأن الاستفتاء الآن لا يمكن أن يتمّ بسبب الأمطار، وسوء المواصلات، وفساد المتمرّدين، إضافةً إلى أن حقّ تقرير المصير هو حقّ للأمّة وليس لجزءٍ منها، كما أن الاستفتاء إعلان صريح لفشل المؤتمر. وأن انتخاب عام ١٣٧٣هـ كان مُمثّلاً للشعب السوداني تمثيلاً صادقاً، حيث تم تحت إشراف لجنةٍ دوليةٍ، وأعلن المجلس المنتخب آنذاك استقلال السودان بحدودها الحالية المعروفة وذلك في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ (١ كانون الثاني ١٩٥٦م).

ورأت أحزاب الشمال أن أفضل حلٍّ هو الحكم الإقليمي حيث اعتقدت أن الحكم المركزي لا يناسب الحال بسبب وجود الخلاف، كما أن الحكم الاتحادي لن يُؤدّي إلا إلى الانفصال وزيادة أعمال القتال. ورأت هذه الأحزاب الشمالية أن يكون للجنوبيين في الحكومة المركزية نيابة رئاسة الجمهورية وما لا يقلّ عن ثلاثة وزراء، ونواب حسب السكان.

أصرّ الجنوبيون على الاستفتاء وأضافوا نقطةً رابعة يمكن الاستفتاء عليها وهي الحكم المحلي، وبالنتيجة لم يتوصّل مؤتمر المائدة المستديرة إلى قرارٍ إجماعيٍ حول شكل الحكم الذي ينبغي تطبيقه في البلاد، إلا أنه قرّر وجوب استبعاد شكلين للحلّ هما: الانفصال واستمرار الوضع الحالي «الدولة المركزية» لذلك طلب من الأعضاء أن يتقدّموا إلى اللجنة بمقترحاتهم حول الوضع الدستوري لمعالجة المشكلة.

وأخيراً تمّ الاتفاق على الحكم الإقليمي، ووُضّحت سلطات الحكومة المركزية والإقليمية والمشتركة بينهما، إلا أن الخلاف قد عاد فظهر حول تقسيم البلاد إلى أقاليم، ثم أصدرت اللجنة القومية للدستور توصيات حول الحكم الإقليمي وذلك في ١٦ شوال عام ١٣٨٧هـ (١٦ كانون الأول عام ١٩٦٧م).

وبينما كانت الحكومة تقوم من جهتها بتنفيذ القرارات كانت الأحوال في الجنوب سيئةً وتزداد تعقيداً، حيث كانت أعمال العنف تعرقل تنفيذ ما يجب عمله لذلك بقيت المشكلة قائمةً. وتتهم الحكومة منظمة «الأنيانيا» بالقيام بأعمال الإرهاب، وتدينها، بينما يقول الجنوبيون: إن هذه الأعمال ليست من طرفٍ واحدٍ بل إن جنود الحكومة هم الذين يرتكبون أغلبها.

ويبدو من هذا أن المفاوضين الجنوبيين من حزب «سانو» وجبهة الجنوب لا يمثلون أبداً سكان مناطقهم حيث أن أعمال التمرّد لا تزال قائمةً بل تزداد والمفاوضات مستمرة وأن النداء الذي وجهانه إلى وقف أعمال العنف لم يستمع إليه أحد ولم يلتفت إليه المشاغبون. ثم إن الخلاف إنما هو قائم على أساس شمال وجنوب أو مسلم وغير مسلم بغضّ النظر عما تعنيه كلمة مسلم، فالإخوان المسلمون والشيوعيون وبقية الأحزاب على اختلافها في الشمال على اتفاقٍ في وجهات النظر، وأحزاب الجنوب على اختلافها مع اتحاد الكنائس العالمي على اتفاق في وجهات نظرهم فالمشكلة موضوع انتماء إلى عقيدةٍ دون النظر إلى الإيمان بها، فالحقد على الشيوعي الذي ينتمي إلى أصلٍ إسلاميٍ كالحقد على أي مسلمٍ آخر مؤمنٍ بدينه مُنفِّذٍ لتعاليمه.

وأثناء أحد الاجتماعات تلقّت أمانة السرّ برقيةً من حزب «سانو» بشرقي إفريقية مضمونها فصل «وليم دينغ» من الحزب وتكليف جبهة الجنوب بتمثيلهم في اللجنة إلا أن «وليم دينغ» ومُؤيّديه أصرّوا على أنهم الممثّلون الشرعيون لحزب «سانو» ورغم وصول ممثلٍ جديدٍ لحزب «سانو» من الخارج إلا أن اللجنة قررت الاعتراف بحقّ حزب «سانو» في داخل البلاد بالتمثيل في اللجنة، وهكذا ظهر الانشقاق في هذا الحزب، وتزعّم «وليم دينغ» جناحاً بينما تزعّم الجناح الآخر «جوزيف أودوهو» من خارج البلاد، واستمرّت الانشقاقات، وتشكيل الجبهات، ومنها جبهة «أزانيا» للتحرر والتي تهدف لإقامة دولةٍ تحمل اسم «أزانيا»[1] تبلغ مساحتها ربع مساحة السودان أي ما يقرب من ستمائة وخمسين ألف كيلومتر مربع، وتضمّ ٣٧٪ من مجموع سكان السودان. وقد

---

(١) أزانيا: اسم لمملكة قديمة قامت في الجنوب.

قامت أيضاً حكومات جنوبية خارج البلاد، منها حكومة جنوبي السودان الموقتة برئاسة «اكري غادين» وقامت عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)، وحلّت مكانها حكومة النيل الموقتة[١]، ونافستها حكومة «أنايبدي» الموقتة، وكانت لكل من هذه الحكومات جهات ومصادر لتقديم المساعدات المادية والعسكرية والإعلامية ومن وراء كل هذا الإرساليات التنصيرية ومجلس اتحاد الكنائس العالمي.

وظهرت خلال هذه الانشقاقات في القيادة السياسية زعامة الكولونيل «جوزيف لاغو» رئيس منظمة «الأنيانيا» الذي قاد العمل السياسي والعسكري للجنوبيين من خارج البلاد.

وعندما استقرّ وضع جعفر النميري في الحكم وعد بإنهاء مشكلة الجنوب، وهي أكبر مشكلةٍ واجهت الحكم منذ الاستقلال، وكانت سبباً رئيسياً في زوال الحكومات التي تعاقبت على البلاد. وكان الرئيس جعفر النميري قد أعلن بعد حركة ٧ ربيع الأول ١٣٨٩هـ (٢٥ أيار ١٩٦٩م) إعطاء الحكم الذاتي للجنوب، وقام بتعيين «أبيل ألير» أحد زعماء الجنوب نائباً لرئيس الجمهورية، ودخل في التنظيم السياسي القائم في البلاد، وأعلن عن تعيين ثلاثة محافظين جددٍ لمديريات الجنوب من أبناء تلك المديريات، ومثّل في الوزارة عدد من الوزراء، واشترك عدد من الجنوبيين في السلك السياسي السوداني، وبدأ الاتصال بالدول المجاورة التي تعطف على الجنوبيين، وبالدول الغربية ذات العلاقة، وبمجلس اتحاد الكنائس العالمي، والإرساليات التنصيرية التي لا يتمّ شيء في هذا المجال دونها، وأخيراً توالت الاتصالات التي انتهت باتفاقية «أديس أبابا» في مطلع عام ١٣٩٢هـ (آذار ١٩٧٢م).

وتقدّم الجنوبيون باقتراح تسع دولٍ إفريقية ليكون المؤتمر المقترح فيها، وهي: زائير، أوغندة، كينيا، الحبشة، تانزانيا، الكاميرون، ساحل العاج،

---

(١) حكومة النيل الموقتة أقامها «غوردن مارتان»، وقد عارض اتفاقية أديس أبابا. أما حكومة «أنايبدي» فقد أقامها الجنرال «تافن» بعد فشل انقلابه ضدّ «غوردن مارتان» وحكومته «حكومة النيل الموقتة»، وكان قد تسلّم رئاسة أركان حكومة «اكري غادين»، وهو يعارض أيضاً اتفاقية أديس أبابا.

تشاد، إفريقية الوسطى. ويلاحظ أن ستاً من هذه الدول مجاورة للسودان، وهي ذات حكوماتٍ نصرانيةٍ تُعادي الإسلام، وإن كان بعضها ذا أكثرية مسلمةٍ وهي: الحبشة، وتشاد، وتانزانيا، وإفريقية الوسطى، والكاميرون، وساحل العاج أما أوغندة فكان عيدي أمين لا يزال يسير في فلك الدول الأوروبية، ولم يتجه بعد نحو الدول الإسلامية، وكانت مقرّ الحكومات الموقتة السودانية الجنوبية، إضافةً إلى أنها ترغب في فصل الجنوب السوداني عن الشمال وترى أنه ربما ينضم الجنوب إليها كما كانت خطة إنكلترا الدولة المستعمرة للمنطقتين.

وكانت تشاد تساعد المتمرّدين، وتعمل حكوماتها على إقامة معسكراتٍ لهم، وتقوم على تدريبهم في أرضها، وتحرص على فصل الجنوب السوداني عن شماليه.

وأما الحبشة فقد كانت يومذاك من أكبر مراكز العداوة للإسلام، وقاعدةً لانطلاق الاستعمار، كما أنها مركز للإرساليات النصرانية ومن هذا المنطلق فهي تساعد ثوار جنوبي السودان ضدّ الشمال، ولما كانت السودان تساعد ثوار أريتريا لذا فإن الحبشة قد اتخذت من مساعدة الجنوب ضغطاً على الشمال لوقف مساعدة الثورة الأريترية، وهذا ما حدث بالفعل حيث توقفت كل مساعدةٍ للثورة الأريترية بل إن الحدود السودانية قد أُغلقت في وجهها تماماً الأمر الذي جعلها تضعف عما كانت عليه من قبل. وكانت عاصمة الحبشة «أديس أبابا» مركزاً لتسوية القضية السودانية. ولكن يجب أن نُؤكّد أن مساعدة الحبشة للمتمردين في الجنوب لم تكن ردّ فعلٍ لمساعدة السودان الدائمة للثورة الأريترية، وإنما كانت مساعدة الحبشة تقوم على أساس العقيدة ومعاداة الإسلام.

ويجب ألاّ ننسى دعم اليهود في فلسطين للمتمرّدين، واتحاد الكنائس العالمي، ثم هناك سوء المواصلات، وكثرة المستنقعات، والقتال داخل الغابات، والبيئة التي لم يعتد الشماليون على القتال فيها. كل هذه العوامل مجتمعةً قد ضغطت على الشمال، وجعلته يقبل بالشروط التي يفرضها

الجنوبيون. أما الجنوبيون فقد رأوا أن الانفصال مستحيل لأن المنطقة فقيرة ومعزولة وسط إفريقية، وبعيدة عن كل صلة بالبحر الذي يُسهّل ارتباطها ببقية دول العالم، وأن الانضمام إلى إحدى الدول المجاورة أمر صعب، فقد كانت أوغندة هي الهدف الذي يُسعى إليه غير أنها أصبحت الآن لا تختلف كثيراً عن الشمال بعد تحوّل الرئيس عيدي أمين الفكري والسياسي، إضافةً إلى أن انتشار الإسلام في أوغندة وتوسّعه بسرعةٍ يجعل المستقبل غامضاً بل إن مصلحة التنصير والإرساليات النصرانية فصل أوغندة عن المناطق المسلمة في الشمال بدولةٍ وثنيةٍ يكون للتنصير فيها دوره الكبير وقاعدته الخطيرة. كما أن العمل العسكري صعب لتفوّق الشمال عددياً وثقافياً. إضافةً إلى سوء المواصلات التي تُعيق الحركة بالنسبة للقوات المقاتلة.

وإن عدم اتفاق زعماء الجنوب على رأيٍ واحدٍ بالنسبة إلى المستقبل لعب دوراً، فقد كان مُمثّل جبهة الجنوب «اكري غادين» قد طالب باسم جبهته التي يتزعّمها «أزبوني منديري» بالاستقلال للجنوب، وكلّف «أميورو» الوزير في حكومة إبراهيم عبود العسكرية عام ١٣٨٤هـ بالعمل لذلك، أما «وليم دينغ» مُمثّل حزب «سانو» فقد اقترح نظاماً اتحادياً يُعطى فيه الجنوب صلاحياتٍ واسعةً.

هذه العوامل مجتمعةً أيضاً جعلت قادة الجنوب يتنازلون عن بعض الشروط التي كانوا في الماضي يُصرّون عليها، وجعلتهم أكثر مرونةً حيث يرضون عن بعض شروط الشمال.

انعقد مؤتمر «أديس أبابا»، ومثّل الشمال فيه «أبيل ألير» نائب رئيس الجمهورية، وهو من مديريات الجنوب، ويرافقه «دافيد كول» أحد قادة الجنوب، وهذا التمثيل معناه موافقة الشمال على ما يُمليه الجنوب إذ كان الحلّ كله بيد أهل الجنوب حيث يُمثّلون الطرفين المتنازعين، أما رئيس وفد الجنوب فكان «جوزيف لاغو» قائد قوات «الأنيانيا»، وحضر المؤتمر مُمثّلون عن المنظّمات الكنسية، والمنظمات الدولية، ومنظمة الوحدة الإفريقية، وإنكلترا، وعدد من الدول الإسكندنافية، والفاتيكان وهذه الجهات كلها كانت

وراء المشكلة. ويدلّ هذا الحشد على أهمية هذه القضية بالنسبة إلى الحضور وخاصةً دول أوربا النصرانية والفاتيكان.

أعدّت الحكومة السودانية مؤتمراً لإغاثة وتوطين أهل الجنوب أثناء انعقاد المؤتمر، ورصدت المنظمة الدولية «اليونيسيف» ثلاثة ملايين دولار للمساهمة في المشروعات الصحية.

توصّل المؤتمر إلى الاتفاق على قيام اتحادٍ بين الشمال والجنوب، تقوم فيه الحكومة المركزية بكل شؤون الدفاع، والخارجية، والمالية، والتعليم، والمواصلات، كما شمل إصدار قانون بالعفو العام عن الذين شاركوا في التمرّد والعصيان، وعملوا ضدّ السلطة، وتمّ الاتفاق على:

١ ـ أن تكون اللغة الرسمية للبلاد هي اللغة العربية، وأن تكون اللغة الإنكليزية لغة رئيسيةً في الجنوب إلى جانب اللغة المحلية الأساسية التي تقضي الإدارة بضرورة استعمالها.

٢ ـ تصبح مديريات الجنوب إقليماً واحداً، ويقصد بمديريات الجنوب: مديريات أعالي النيل، وبحر الغزال، والاستوائية بحدودها التي كانت عليها يوم الاستقلال عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م).

٣ ـ تكون مدينة جوبا عاصمة الإقليم الجنوبي.

٤ ـ يكون للإقليم الجنوبي مجلس تشريعي وآخر تنفيذي.

٥ ـ تُقدّر القوات المسلّحة في الجنوب باثني عشر ألف جندي، نصفهم من الجنوبيين خلال خمس سنواتٍ.

٦ ـ يتمّ التوقيع النهائي على هذا الاتفاق يوم ١١ صفر عام ١٣٩٢هـ (٢٧ آذار ١٩٧٢م)، وهذا التأخير لإمكانية إبلاغ الأوامر للثوار الجنوبيين حيث لا تسمح الظروف الطبيعية بالإبلاغ السريع.

ويمكن أن نقول: إن إنكلترا والمنظمات الكنسية الدولية كان يمكنها إبقاء مشكلة الجنوب السوداني قائمةً تستفيد منها كلما وجدت لها مصلحةً في ذلك هذا فيما لو كان سكان الجنوب من المسلمين حيث ترغب دائماً في اقتتال

الطرفين، وإجراء فعالية الأسلحة على الجانبين. ولكن العقيدة مُتباينة، وزيادة القتل في الجنوبيين لا تُوافق عليه أبداً، وإقامة دولةٍ في الجنوب فيه مصلحة لاتحاد الكنائس العالمي وللاستعمار حيث ينتهي حلّ المشكلة. وقد نتج عن الحل.

١ ـ وقف القتل في أبناء الجنوب، وتوطينهم، وإعادة المشرّدين إلى ديارهم.

٢ ـ إعادة عمل التنصير بشكلٍ جيدٍ ومُنظّمٍ بعد أن ضعُف أثناء تأزّم المشكلة.

٣ ـ إضعاف قوة السودان بعد تجزئته.

٤ ـ الفصل بين مسلمي أوغندة وشمالي السودان بدولةٍ مصطنعةٍ يحتضنها التنصير والاستعمار.

٥ ـ إنهاء مشكلة أريتريا بالضغط على السودان فيما إذا فكّر بمساعدة الأريتريين، وحصرها بقطع كل طرق المساعدة.

٦ ـ إضعاف مصادر الثورة في تشاد ضدّ حكومة الأقلية النصرانية، وقد تكرّرت هذه الثورة ثلاث مراتٍ خلال ستة أعوامٍ، وقادتها من المسلمين الذين لهم صلات مع السودان.

وقد عارضت الجبهة الوطنية السودانية، وهي التي تُعارض حكم الرئيس جعفر النميري، هذا الاتفاق، ووزّعت بياناً حمل توقيع حسين الهندي[١]، رئيس الجبهة، وعمر نور[٢]، وعثمان خالد مضوي[٣]. وقالت الجبهة في بيانها: إن هذا الاتفاق سيُؤدّي حتماً إلى الانفصال التام خاصةً وأن مديريات الجنوب قد أصبحت إقليماً واحداً[٤].

---

(١) حسين الهندي: من أعضاء الحزب الوطني الاتحادي، وكان وزيراً للمالية في حكومات محمد أحمد محجوب التي قامت حركة ٧ ربيع الأول ١٣٨٩هـ ضدّها.

(٢) عمر نور: من حزب الأمة.

(٣) عثمان خالد مضوي: من الإخوان المسلمين ويمثل جبهة الميثاق الإسلامي.

(٤) حدث خلاف حول تقسيم السودان أثناء انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة إذ رفض الشمال دمج مديريات الجنوب الثلاث في إقليمٍ واحدٍ.

وبعد اتفاقية أديس أبابا فُتحت الحدود بين أوغندة والسودان في ٢٩ ربيع الأول ١٣٩٢هـ (١١ أيار ١٩٧٢م) بعد أن أُغلقت لمدة ثلاثة أعوامٍ كاملةٍ من قبل أوغندة بحجة أن القوات السودانية كانت تُلاحق مجموعات من المتمردين داخل أراضيها.

وظنّ الناس أن الأزمة قد فرجت ولو نسبياً غير أنه لم تلبث أن ظهرت بوادر أزمةٍ جديدةٍ في مطلع عام ١٤٠٠هـ بين الحكومة المركزية وعددٍ من السياسيين الجنوبيين بشأن اتجاه الحكومة إلى تقسيم الإقليم الجنوبي إلى ثلاثة أقاليم. وقد بعث عدد من السياسيين الجنوبيين مذكرةً إلى الرئيس النميري يُحذّرونه من مغبة هذا العمل. وردّ النميري بإجراء استفتاءٍ في الجنوب لمعرفة الرأي بهذا الشأن، فانقسم الجنوبيون إلى فريقين: أحدهما يُوافق على التقسيم حتى لا تبقى سيطرة قبيلة «الدنكا» أكبر قبائل الجنوب على المنطقة كلها، ومن أصحاب هذا الرأي «جوزيف لاغو»[1] والفريق الآخر يُعارض التقسيم ويرى فيه تجزئة للجنوب أمام الشمال، ويتزعّم هذا الرأي «أبيل ألير»[2] أحد أبناء «الدنكا»، وفي شهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٣هـ قبض الجنوبيون على ثلاثة عشر رجلاً معظمهم من التجار وذبحوهم قرب حدود أوغندة، وهذا ما سبّب

(١) جوزيف لاغو: ولد في قرية جولي من قرى مدينة جوبا في المديرية الاستوائية عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، وينتمي لقبيلة الزاندي، ودرس في مدارس الإرساليات النصرانية، التي تتبع الكنيسة الإنكليزية، والتحق في الخرطوم بالكلية العسكرية في الخرطوم عام ١٣٧٨هـ، وتخرّج منها عام ١٣٨٠هـ، وعندما اختير للتدريب في إنكلترا، ذهب ليودّع أهله غير أنه دخل حدود أوغندة والتحق بحركة جنوبي السودان عام ١٣٨٣هـ، ثم انضمّ إلى حزب سانو عام ١٣٨٤هـ. وعندما تسلم رئاسة الحزب «أكري غادين» خلفاً لجوزيف أودهو تسلّم جوزيف لاغو رئيس الجناح العسكري لمنظمة «الأنيانيا»، وعاد الاتفاق إلى المنقسمين تحت اسم جديدٍ هو «أزانيا» فعاد جوزيف لاغو عام ١٣٨٦هـ إلى رئاسة الأركان من جديدٍ. وعندما أقام «أكري غادين» حكومةً موقتةً عام ١٣٨٨هـ تسلّم جوزيف لاغو رئاسة أركانها. وطلب منه «غوردن مارتان» استلام رئاسة أركان حكومة النيل الموقتة التي أسسها ولكنه رفض ذلك، وبقي يعمل وحده في منظمة «الأنيانيا» حتى مؤتمر «أديس أبابا». ثم عمل رئيساً للمجلس التنفيذي العالي للإقليم الجنوبي، ثم أقاله النميري من منصبه وسلّمه نيابة رئيس الجمهورية.

(٢) أبيل ألير: أحد أبناء قبيلة الدنكا، تسلم رئاسة حكومةٍ موقتةٍ، ونائب لرئيس الجمهورية بعد اتفاقية أديس أبابا.

قلقاً في السودان كله إذ أنه بداية حوادث عنفٍ أو حربٍ أهليةٍ قادمةٍ عليها البلاد.

وعندما بدأت فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، واشترك الإسلاميون في السلطة، وإن لم يكونوا الأساسيين فيها، وإنما مُشاركةً، اهتزّت رؤوس المتمرّدين، وحرّكهم الذين يُساعدونهم ويدعمونهم، وعادت عملية الفوضى والإرهاب إلى الجنوب، وبدأ وضع الحكومة يترنّح، وأحسّ الرئيس النميري بسخونة الوضع وأحبّ أن يركن إلى هوى نفسه، وبدلاً من أن يثبت ويتخذ الإجراءات اللازمة ضد المتمرّدين والمشاغبين ضعُف وجبُن، وأزاح الإسلاميين عن مواضعهم، ولكن لم يجده ذلك نفعاً فلم يلبث أن سقط، كما أن تغيير الوضع لم يُفد السودان شيئاً إذ استمرّ التمرّد في الجنوب.

كان أحد ضباط الجيش السوداني وهو «جون قرنق» وهو من الجنوب قد أعلن انفصاله عن الجيش السوداني مع قطعته، وأخذ يقود حركة المتمرّدين من جديدٍ، وأصبح لهم مطلب جديد هو عدم تطبيق الشريعة الإسلامية ما داموا هم لا يؤمنون بالإسلام هذا بالنسبة إلى الذين يرون استمرار الاتحاد مع الشمال أي المعتدلين، أما الآخرون فلا يرون بُدّاً من الانفصال.

ومن المؤسف أن فئاتٍ من الشمال تُؤيّد المتمرّدين في المطالبة بإلغاء القوانين الإسلامية التي طُبّقت، وعدم التفكير في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية، وتجد هذه الفئات مُبرراً لحركة التمرّد في الجنوب أي أن الجنوب أصبح يجد له مُؤيدين ومُناصرين في الشمال.

ومن المؤسف أيضاً أن المسلمين لم يستفيدوا من تجاربهم في الأمصار الثانية، وينتبهوا إلى أولئك الذين يُؤهّلونهم في الكليات العسكرية إلى أنه لا يركن لغير المسلمين، وإنهم خوفاً من أن يتّهموا بالتعصّب للدين أو العصبية للإقليم يقبلون أبناء أولئك الأعداء، فإذا ما وصلوا إلى مرحلة التأهيل والتدريب والقيادة أذاقوا المسلمين الويلات بغضّ النظر عن انتماءاتهم وتطبيقهم للإسلام فإن كل من ينتمي إلى الإسلام سيناله غضب أولئك وحقدهم ولو كان كافراً بالإسلام.

وأنه من المؤسف أيضاً أنه في الوقت الذي يستعدّ فيه أهل الجنوب للتمرّد والعصيان ويعدّوا العدّة لذلك فإن أهل الشمال يختلفون على الحكم،

ويقوم الصراع بين الأحزاب سواء على أمورٍ فكريةٍ وربما كان لأهل الحق منهم عذرهم أم على كسب الشعب إلى جانبهم لتسلّم السلطة والانفراد بها أم لأخذ الحظ الأوفى منها.

الطرق:

انتشرت الطرق الصوفية في السودان لعدم وجود الجهاد في تلك المرحلة ونتيجة الخمول الذي ينتشر غالباً لدى سكان المناطق الحارة وخاصةً الرطبة منها، فالطرق تُؤمّن الجانب الروحي لأتباعها مع المحافظة على الكسل الذي يميل إليه سكان تلك الجهات باسم التواكل أو الزهد والقناعة بالكفاف. وأول هذه الطرق التي انتشرت في السودان كانت الشاذلية التي تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي(١)، وقد دخلت إلى السودان عن طريق «محمد أبو دنانة» وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري يوم كان الحكم لا يزال بأيدي النصارى إذ كانت مملكة «علوة» هي صاحبة السلطة.

ثم دخلت الطريقة القادرية عام ٩٥٢هـ عن طريق «تاج الدين البهاري» المتوفى عام ٩٦٠هـ أي في بداية عهد الفونج، وتنسب هذه الطريقة إلى عبد القادر الجيلاني(٢).

ثم جاءت الختمية على يد «محمد عثمان الميرغني»(٣) في أواخر عهد الفونج الذي انتهى عام ١٢٣٦هـ، ولقيت في السودان ميداناً رحباً لانتشارها.

---

(١) أبو الحسن الشاذلي: علي بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي المصري الشاذلي، ولد وتوفي بالقاهرة، من فقهاء المالكية، له عدة تصانيف، ينسب إلى بلدة «شاذلة» بتونس، حيث يعود إليها في نسبه، وكانت وفاته عام ٩٣٩هـ.

(٢) عبد القادر الجيلاني: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسين، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، ولد في جيلان وراء طبرستان، انتقل وهو شاب إلى بغداد، وبها توفي عام ٥٦١هـ، وله عدة كتبٍ، وتنتشر الطريقة القادرية في كثيرٍ من الأمصار الإسلامية.

(٣) محمد عثمان الميرغني: ولد بالطائف عام ١٢٠٨هـ، وتعلّم بمكة، وانتقل إلى مصر، واستقرّ بالسودان بـ«الخاتمية» جنوب «كسلا»، وتوفي بالطائف عام ١٢٦٨هـ، وله عدة كتب.

وهناك الطريقة السمّانية التي تنسب إلى «محمد بن عبد الكريم السمّان» وقد دخلت إلى السودان عن طريق أحمد الطيب بن البشير العباسي، وصاحب الطريقة محمد ولد بالمدينة المنورة عام ١١٣٠هـ، وتوفي بها عام ١١٨٩هـ.

وأخيراً جاءت طائفة الأنصار التي وجدت مع الحركة المهدية على يد محمد بن أحمد المهدي الذي ثار على الأوضاع القائمة في البلاد وما فيها من فسادٍ، وتمكّن من السيطرة على المنطقة، وانسحب المصريون من السودان.

ولم يكن هناك صراع حادّ بين هذه الطرق، وإنما يلتفّ عدد من الناس حول شيخهم، ويعملون على نشر طريقتهم بالاتصالات والزيارات، وليس من أهدافٍ حتى تتضارب مع أهداف الطريقة الأخرى. ومع ذلك فقد انصبّ ما يمكن أن نُسمّيه صراعاً في الصراع الحزبي القائم إذ كانت الطريقة الختمية تُؤيّد الحزب الوطني الاتحادي على حين تُؤيّد طائفة الأنصار حزب الأمة، ويتنازع هذان الحزبان على السلطة، ويضمّان أعضاء يلتقون حول واجهاتٍ سياسيةٍ.

صراع المجموعات العرقية:

سبق أن ذكرنا أنه توجد عدة مجموعاتٍ عرقيةٍ في السودان، وإن لم يحدث بينها صراع واضح أو حاد، فإن كل مجموعةٍ قد شكّلت لها حزباً خاصاً بها، فالبجاة انضووا تحت لواء حزب مؤتمر البجاة، وشكّل «النوبا» اتحاد جبال النوبا العام، وكان لأهل الجنوب أحزابهم الخاصة بهم.

وتقوم الأحزاب على أساس قبيلي أو إقليمي أو قومي عندما يضعف الإيمان في النفوس، وتحلّ محلّه أفكار أخرى بعيدة عنه كل البعد، أو عندما يغيب الحكم الإسلامي عن الساحة فلم يعد هناك من يعمل للجهاد، ويشحن النفوس بمزيدٍ من الإيمان، ويُقدّم للشعب حاجاته الأساسية، عندها ينفرط عقد الأمة، وتتمزّق، وتتوزّع إلى تجمّعاتٍ قبيليةٍ وإقليميةٍ وقوميةٍ، ومن باب الفراغ القائم تحاول أن تتجمّع على بعض هذه الأسس الواهية، وقد يكون لها مصالح وأماني تتعارض مع مصالح التجمّعات الأخرى فيقع نوع من الخلاف، ومع ذلك فإنه لا يُعدّ صراعاً كما سبق أن ألمحنا، وإنما ينصبّ في الصراع الكبير القائم بين الشمال والجنوب فأحزاب الشمال على اختلاف جنسياتها وأقاليمها

وأصولها تلتقي بعضها مع بعض لتقف في وجه أحزاب الجنوب التي تلتقي بعضها مع بعضٍ أيضاً رغم تباين قبائلها وخلافاتها فيما بينها.

الصراع الحزبي:

بدأت الحركات الوطنية تبرز في السودان قبيل الحرب العالمية الثانية، ولعلّ أول ما برز كان مؤتمر الخريجين العام الذي ظهر عام ١٣٥٧هـ برئاسة إسماعيل الأزهري، وقامت الحرب وشغل الناس بأحداثها فلما وضعت أوزارها شهد السودان ميلاد الأحزاب السياسية التي كان من أبرزها:

١ ـ حزب «الأشقاء» برئاسة إسماعيل الأزهري ويدعو إلى الاتحاد مع مصر لتكوين جبهةٍ متحدةٍ في وادي النيل يمكنها الوقوف بقوة أمام أعدائها، وكان يُصدر صحيفة باسم «الأشقاء» وقد نشأ هذا الحزب عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) ويُؤيّده شيخ الطريقة الختمية علي الميرغني. وقد انقسم هذا الحزب عام ١٣٧١هـ إلى جناحين: أحدهما برئاسة إسماعيل الأزهري والآخر برئاسة محمد نور الدين، وقد حمل هذا اسم الجبهة الاتحادية.

٢ ـ حزب الاتحاديين، وظهر أيضاً عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) برئاسة عبد الله ميرغني، ويُصدر صحيفةً تحمل اسم «اللواء»، وضمّ مجموعةً من المتعلمين فقط، ويرى الاتحاد مع مصر على نظام اللامركزية «الاتحاد».

٣ ـ حزب الأحرار: ونشأ في العام نفسه الذي نشأت فيه الأحزاب السابقة، ويرى قيام حكومةٍ في السودان مع وجود اتحادٍ مع مصر تحت التاج المصري. وكان يُصدر صحيفة «الأحرار».

٤ ـ حزب وحدة وادي النيل: وتأسّس عام ١٣٦٤هـ برئاسة الدرديري أحمد إسماعيل، وينادي بوحدة وادي النيل، والجلاء عن مصر والسودان، ويُصدر صحيفة «الحقيقة».

وقد عملت الطريقة الختمية على تأسيس جبهةٍ وطنيةٍ من هذه الأحزاب، فظهر الحزب الوطني الاتحادي، مع استمرارية حزب الأشقاء، وحزب وحدة وادي النيل، كما أن مصر لها دورها في دمج هذه الأحزاب بعضها مع بعض.

٥ ـ الحزب الوطني: وظهر عام ١٣٦٣هـ، ويُنادي بتدريب السودانيين وتأهيلهم للحكم الذاتي.

٦ ـ حزب الأمة: وظهر عام ١٣٦٤هـ، وقد رفع شعار «السودان للسودانيين» ويُصدر صحيفة «الأمة». وكان برئاسة الصديق بن عبد الرحمن المهدي، وتسلّم عبد الله خليل الأمانة العامة. وقد عملت جماعة الأنصار على تأسيس الجبهة الاستقلالية من هذين الحزبين بزعامة حزب الأمة، ولقي ذلك تأييد من عبد الرحمن المهدي زعيم الأنصار.

٧ ـ الحزب الجمهوري الاشتراكي: وقد ظهر عام ١٣٧١هـ حيث انفصل زعماء من رجال القبائل، وأسّسوا هذا الحزب. وكان برئاسة يوسف العجب.

٨ ـ حزب الشعب الديمقراطي: وقد نشأ برئاسة علي عبد الرحمن بتأييد علي الميرغني الذي سحب ثقته من إسماعيل الأزهري. ولكن سيعود هذان الحزبان للالتقاء بعد مدةٍ.

٩ ـ الحزب الشيوعي: وقد نشأ عام ١٣٦٥هـ، وبرز في بداية الأمر على شكل مجموعاتٍ بين الطلاب الذين كانوا يدرسون في مصر، حيث كانوا يصدرون هناك مجلة «أم درمان»، وكان من بينهم عبد الخالق محجوب، وقد أسّسوا أيضاً اتحاد الطلبة السودانيين، ورابطة الطلبة السودانيين، وفي الوقت نفسه كان بعضهم يعمل في صفوف حزب الأمة مثل: عبده ذهب حسنين، وعبد الماجد أبو حسبو، وعز الدين علي عامر، ومنهم من يعمل بتحرير جريدتهم «الأمة» أمثال: حمداي، ومحمد أمين حسين. كما تعاون بعضهم الآخر مع إسماعيل الأزهري أمثال: إبراهيم المفتي. والمهم أن يُحقّق لجماعته نصراً عن أي طريقٍ مهما كان يخالفه بالرأي بل مهما كان ملتوياً في نظره.

وكان يتزعم الحركات الشيوعية في مصر «هنري كوربيل» وهو أحد الإنكليز الذين خدموا في مصر. كما كان في السودان وكيل عريف إنكليزي يدعى «ستوري» أسّس حلقةً لدراسة الأفكار الماركسية، وقد اتصل مع أحمد زين العابدين، وحسن محمد الحامد، والطاهر السراج، وجاء المدرس الإنكليزي «دكنسون» فأكمل عمل «ستوري» وكان أول من نظم حلقة لدراسة

الماركسية في السودان ثلاثة من الأرمن قدموا إليها (١٣٣٥ ـ ١٣٣٨هـ) وهم: «أرتين أركيان» و«بادروس ساهوتيان» و«أينس ظهر بيان» وعندما ذهبوا انتهى التنظيم.

لا شك أن الجهل في الفكر الماركسي والحركة الشيوعية هو الذي جعل السودانيين ينخرطون في صفوف تلك الحركة التي تُخالف عقيدتهم وأفكارهم، كما أن الفقر الذي كان يعصر السكان هو الذي جعل الناس يستهوون الكلام الشيوعي المعسول في تقديم الخدمات لهم والآمال العريضة التي يُؤمّلهم بها، إضافةً إلى الدعم غير القليل الذي كانوا يجدونه من الحكومات الشيوعية سواء أكانت موسكو أم بكين أم غيرها والتي تُريد استغلالهم لتمكينهم من السيطرة على المنطقة ثم تقديمها لهم ليحلّوا محلّ المستعمرين السابقين أو على الأقل لتحريكهم لمصلحتها في سبيل الضغط على المستعمرين أو على الحكام الوطنيين فيما بعد لتنفيذ آرائها، أو مخططاتها وسياستها سواء أكانت محليةً أم دوليةً.

وكما حدث في بقية الأحزاب من انشقاقات فقد حدث في الحزب الشيوعي أيضاً إذ فصل عبد الخالق محجوب نصف أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني أثناء غيابهم، كما حدث في الحزب جناح يرتبط بموسكو، ويُؤيّد سياستها، ويسير على نهجها، وآخر يُؤيّد بكين وينحو منحاها في الفكر الماركسي والسياسة العامة.

١٠ ـ الإخوان المسلمون: وقد ظهروا عام ١٣٦٦هـ، انطلاقاً من عقيدة الشعب، وقاموا يدعون إليها، ويحاولون تعليم الناس مبادئ الإسلام، وتوضيح أن الإسلام يشمل مختلف الجوانب الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية ولا يصحّ عزل جانبٍ من هذه الجوانب، فالإسلام دين ودولة، ولا يصحّ أخذ أي منهجٍ يُخالف ذلك، وفي الوقت نفسه لا يصحّ المناداة بمذهب اقتصاديٍ آخر أو تطبيقه سواء أكان شيوعياً أم رأسمالياً و... وبرز من قادتهم رشيد الطاهر الذي تولّى في السبعينات قيادة العمل. ثم ظهر حسن الترابي الذي عمل على تأسيس جبهة الميثاق الإسلامي لتضمّ أيضاً غير المنظمين من الإسلاميين إذ

كانت هذه الجبهة تعمل ضمن دائرتين تشمل الأولى المنظمين في صفوف الإخوان المسلمين على حين تشمل الثانية الآخرين من الإسلاميين، وكانت تصدر لهم جريدة تعمل باسمهم، وتحمل اسم «الميثاق».

١١ ـ الحزب الاشتراكي الإسلامي: وقد أسسته مجموعة رفضت الانضواء تحت لواء الإخوان المسلمين، ومنهم: بابكر كرار النور، وميرغني النصري، وعبد الله زكريا، ومحمد يوسف مضوي.

هذا بالنسبة إلى أحزاب الشمال. ورغم هذا التعدد فإننا نستطيع أن نقول: إنها تُصنّف في أربع فئات.

أ ـ حزب الأمة: ويلقى تأييد جماعة الأنصار، ويتزعّمه آل المهدي، ويحمل عاطفةً دينيةً، وفيه مجموعات قريبة من الصوفية. وتسير معه كل الأحزاب التي كانت ترى الاستقلال عن مصر في بداية الأمر، ثم اندمج أكثرها به.

ب ـ الحزب الوطني الاتحادي، أو الاتحادي الديمقراطي، ويلقى تأييد الطريقة الختمية وهي طريقة صوفية، ويتزعمه مشايخ الطريقة من آل الميرغني، ويُظهر أحياناً عاطفةً دينيةً باردةً، لكن تهمه السلطة قبل كل شيءٍ وقد انضوت فيه بقية الأحزاب التي كانت ترى الوحدة مع مصر وذلك قبل الاستقلال.

جـ ـ الإخوان المسلمون: ويعملون على تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بذلك، ويُنظّمون ضمن جبهة الميثاق، ويتزعمهم حسن الترابي.

د ـ الحزب الشيوعي: ويعمل على تطبيق الفكر الشيوعي عامةً، ويُنادي بتطبيق المنهج الاقتصادي الخاص بالحزب، ويُحاول جذب العمال إليه والفلاحين والفقراء من الناس ويُمنيهم الأماني، ويلقى دعم الحكومات الشيوعية الأجنبية، ويهاجم الأديان عامةً والإسلام خاصة، ويقول عنها: إنها خرافات.

وقد كان الصراع قائماً في البداية وخاصةً في المرحلة التي سبقت الاستقلال والمرحلة التي تلتها مباشرةً بين حزب الأمة والأحزاب الاستقلالية التي تُؤيّده في الاستقلالية وبين الحزب الوطني الاتحادي والأحزاب الاتحادية

التي تُؤيّده في الوحدة مع مصر. ويبدو أن كفة الأحزاب الاستقلالية هي التي نجحت وتمّ الاستقلال. واستمرّ ذلك الصراع حتى تمّ الانقلاب العسكري الأول وحتى نهايته عام ١٣٨٤هـ.

ثم ظهر في المرحلة الثانية الإخوان المسلمون والحزب الشيوعي حيث انضمّا إلى المجموعتين السابقتين، فأصبحت الفئات المتصارعة أربع فئات، وإن أصبح الصراع يحمل الواجهة الفكرية بعد أن كان يحمل الواجهة السياسية والوصول إلى السلطة قبل كل شيءٍ. لقد أصبح الإخوان المسلمون الآن يُنادون بتطبيق الإسلام ويُعارضهم الشيوعيون أشد المعارضة وقد حقّقوا جانباً مما يُنادون به، وأصبح الصراع يقوم على هذا الجانب لمتابعة الخطا فيه أو لمسح ما تمّ، ويتأرجح حزب الأُمّة بين التأييد المطلق وبين ما يُسمّيه «التروّي» في محاولةٍ لتوطيد سلطانه ونفوذه على الدولة. أما الحزب الاتحادي فيترنّح بين صوفيته الباردة ورغبته في بقائه في السلطة والتمكين لأفراده وهو إلى جانبه الثاني أقرب، لذا فهو على غير وفاقٍ مع الإخوان.

ويُنادي الحزب الشيوعي بتطبيق فكره ويُعارضه الإخوان المسلمين أشدّ المعارضة، وقد نجح في القيام بحركةٍ انقلابيةٍ إذ شارك في الحكم، ولكن لم يلبث سلطانه أن انهار، وعاد جعفر النميري إلى السلطة وقُدّمت المجموعة الشيوعية الانقلابية إلى المحكمة فأُعدم بعضها، وسُجن بعضها الآخر، ومع هذا فقد بقي للحزب الشيوعي قوة ونفوذ لا يستطيع أحد إغفال ذلك، وسيبقى ذلك ما وجد الفقر والجهل وما دامت مشكلة الجنوب قائمةً إذ يُؤيّد مُحرّكوها الشيوعيين الذين يُعارضون تطبيق الشريعة الإسلامية والتي يعدّها نصارى الجنوب مشكلتهم الأولى، وتدعم ذلك الإرساليات التنصيرية التي لا تتوانى أبداً في دعم الحزب الشيوعي ما دام يعارض تطبيق الشريعة، ويحارب الإخوان المسلمين، وبذا يلتقي أعداء المسلمين من شيوعيين ورأسماليين في خندقٍ واحدٍ ضدّ الإسلام وهذا أمر طبيعي. أما حزب الأمة فيُعارض الحزب الشيوعي على استحياءٍ حرصاً على مصالحه السياسية. ولا يعرف الحزب الاتحادي أين يضع أقدامه على خجلٍ وإن كان أقرب إلى السكوت منه إلى المعارضة.

إن من يُهاجم الإخوان المسلمين يحمل عليهم مشاركتهم لجعفر النميري في السلطة عندما سايرهم في تطبيق الشريعة الإسلامية، ثم نكص على عقبيه، وقد تمّ الانقلاب عليه فيعدّونهم من أنصار حكم جعفر النميري على حين ألقى بهم في السجون في آخر عهده، ثم يقولون عنهم: إنهم متشددون في دعوتهم، وينظرون إلى غيرهم نظرة خاصةً.

ومن يُهاجم الشيوعيين يحمل عليهم أنهم لا تهمّهم سوى الشيوعية، وقد قاموا بانقلابٍ على حكمٍ هم شركاء فيه، وأنهم غير وطنيين إذ يعملون بوحيٍ من الخارج سواء أكان ذلك من «موسكو» أم من «بكّين»، وأن عقيدتهم تُخالفُ الإسلام فهم مُلحدون عُملاء.

أما حزب مؤتمر البجاة فقد تأسّس بعد المرحلة التي تكوّنت فيها الأحزاب السودانية، وهو حزب محلي صغير، يعمل لمصلحة تلك الجماعة التي تعيش في المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد، وتأثير هذا الحزب ضعيف في سياسة البلاد العامة.

وأحزاب الجنوب وهي وإن كانت محلية بل قبيلية بالدرجة الأولى إلا أنها ذات تأثير حسّاس بسبب مشكلة الجنوب، ومن هذه الأحزاب:

١ ـ حزب الاتحاد الوطني السوداني، ويعرف بـ«سانو» وكان برئاسة «جوزيف أودوهو» وانتخب «وليم دينغ» أميناً عاماً له، و«أغري غادين» أميناً مساعداً. ثم انضمّ إلى الحزب «ساترينو لاهورا» رئيس حزب الأحرار الجنوبي، والذي قتل عام ١٣٨٧هـ على الحدود الأوغندية. وقد حدث انشقاق في الحزب عام ١٣٨٧هـ إذ تزعّم «جوزيف أودوهو» جناحاً، وتزعّم «وليم دينغ» جناحاً آخر، وقد تأسس الحزب عام ١٣٨٤هـ.

٢ ـ حزب اتحاد جبال النوبا العام: وهو حزب محلي يمثّل أبناء هذه المنطقة «جبال النوبا» لذا فإن تأثيره في السياسة العامة ضعيف.

٣ ـ حزب الأحرار الجنوبي: وتأسس عام ١٣٧٣هـ، وحلّ عام ١٣٧٨هـ. وقد برز فيه «سطانسلاوس بياساما» و«بنيامين لولي»، وقد أخذ دوره ثم حل محله حزب «سانو».

٤ ـ جبهة الجنوب: وقامت عام ١٣٨٤هـ بزعامة كليمنت أمبورو، وتتمتع بتأييد واسعٍ في الجنوب.

٥ ـ حزب الوحدة السوداني: وتأسس عام ١٣٨٤هـ برئاسة سانتينو دينغ.

٦ ـ حزب السلام الديمقراطي الوطني.

٧ ـ حزب النيل.

٨ ـ الحزب الديمقراطي الجنوبي.

ولا شك فإن تعدّد هذه الأحزاب الجنوبية مع تعدد القبائل أيضاً وصراعها بعضها مع بعضٍ، وعدم وضوح الأهداف، والخلاف مع الشمال كل هذه تؤدي إلى الصراعات الحزبية في الجنوب أيضاً، والانقسامات داخل الحزب الواحد، والانشقاقات، وقيام منظمات عسكرية بعضها شديد التطرّف وبعضها الآخر أقل تطرّفاً. وقيام حكوماتٍ مختلفةٍ فيما بينها خارج البلاد، قد تلتقي في بعض النقاط، وقد تختلف أحياناً، ويقع بينها صراع. فإن حكومة النيل الموقتة التي أعقبت حكومة جنوبي السودان التي أسسها «أغري غادين» كانت برئاسة «غوردن مارتان»، وقد كانت هذه الحكومة «النيل الموقتة» تُعارض اتفاقية «أديس أبابا» أشد المعارضة، وكذلك قامت حكومة «أناييدي» الموقتة التي تُعارض حكومة «النيل الموقتة»، وقد أسّسها الجنرال «تافن» وذلك بعد أن فشل بانقلابه ضد «غوردن مارتان».

ورغم أن عدد أتباع النصرانية في جنوبي السودان قليل إلا أنهم هم المسيطرون، وهم الذين يُؤسّسون الأحزاب، وهم الذين يقودون الحركات، وذلك بسبب الإمكانات المادية الضخمة التي تقدمها لهم المؤسسات النصرانية والإرساليات التنصيرية، والتحريض الدائم لهم. وأن عدداً كبيراً من السكان يضطر لمسايرتهم عصبيةً للقبيلة، وخوفاً منهم لوجودهم تحت حماهم، إضافةً إلى التخويف القبيلي الدائم من الشمال، إذ أن وسائل إعلام القبيلة إنما هو بيد رؤسائها من أتباع النصرانية.

وقد ظهرت أحزاب جديدة في الشمال وفي الجنوب ومنها:

الحزب القومي السوداني (غبوش).

حزب الشعب السوداني الإفريقي (سابكو).

حزب البعث العربي (العراقي).

حزب البعث العربي (السوري).

حزب العمل.

حزب التجمّع الناصري.

قوى الريف.

التضامن المستقل.

ولكن هذه التكتلات أو الأحزاب أو التجمعات لا تزال صغيرةً تعيش على هامش الأحزاب أو المجموعات الكبرى، وإن كان لبعضها وزن في الحياة العامة بسبب الإمكانات التي تمدّه بها بعض الدول الأخرى سواء أكانت عربيةً أم غير عربيةٍ.

❁ ❁ ❁

المَراجِع

- **الإمبريالية والقومية في السودان**، مدثر عبد الرحيم، دار النهار للنشر - بيروت ١٩٧١م.
- **تاريخ الانتخابات في السودان**، محمد إبراهيم طاهر، بنك المعلومات السوداني ١٩٨٦م.
- **تاريخ الحركة الوطنية في السودان**، محمد عمر بشير، الدار السودانية للكتب - الخرطوم ١٤٠٠هـ.
- **تاريخ السودان الحديث**، ضرار صالح ضرار، دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٨م.
- **تاريخ سودان وادي النيل وعلاقته بمصر**، شوقي عطا الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٠م.
- **جعفر النميري والأحداث الساخنة**، عبد الله أبو إمام، . . .
- **السودان عبر القرون**، مكي شبيكة، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥م.
- **قضية وحدة وادي النيل**، يونان لبيب رزق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٧٥م.
- **وجاء مايو**، عامر العقاد، دار الجيل - بيروت ١٩٧٢م.
- **يقظة السودان**، إبراهيم أحمد العدوي، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

التاريخ الإسلامي

— ١٤ —

التاريخ المعاصر
بلاد المغرب

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

التاريخ الإسلامي

- ١٤ -

التاريخ المعاصر

بلاد المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد بن عبد اللّه ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين ، *أما بعد* :

فإنّ المسلمين بعد أن فتحوا مصرَ عام عشرين للهجرة أطلقوا على كل المناطق التي تقع إلى الغرب منها اسم : « بلادِ المغرب » ، ويقصد بمصر المنطقة العامرة من وادي النيل ، وبذا فإن كل المناطق الواقعة إلى الغرب من وادي النيل تدخل تحت مسمّى : « بلاد المغرب » بما في ذلك الصحراء الغربية المصرية . فلمّا جُزّئت المناطق ، ورُسمت لها حدود سياسية ؛ أصبحت الأجزاء التي تقع غرب حدود مصر هي بلاد المغرب : بدءاً من ليبيا ، وانتهاءً بموريتانيا .

وقد كان يُطلق اسم : « إفريقية » على منطقة تونس اليوم ، غير أنه لم يلبث أن أطلق اسم الجزء على الكلّ ، وأصبح اسم : « إفريقية » يُطلق على القارة كلّها ، ثم أصبح علماً لها . ودخل اصطلاح : « تونس » ضمن مُسمّى : « بلاد المغرب » .

ولما جاء الاستعمار الصليبي الحديث ، وتقاسم الأمصارَ بين دُوَله ، واحتلّت إيطاليا منطقة ليبيا ؛ احتفظت المنطقة بهذا الاسم « ليبيا » على حين

استقلّت تونس ، والجزائر ، ومراكش ، باسم : بلاد المغرب ، بل عُرفت باسم : « بلاد المغرب العربي » وكلها تخضع للاستعمار الصليبي الفرنسي ، ولم ترغب فرنسا يومذاك ، وهي التي تسيطر على موريتانيا أن تُدخلَ هذا الجزءَ من البلاد تحت مُسمّى اصطلاح : « بلاد المغرب العربي » إمعاناً في تجزئة البلاد ، وعدم اعترافٍ منها بأن موريتانيا جزءٌ من المنطقة العربية .

ولّما تجزّأت المنطقة على يد الاستعمار الصليبي ، وبذل جهده في ترسيخ فكرة التجزئة ، وتعميق جذور الانفصالية ، ثم استقلّ كل جزءٍ منفصلاً عن غيره زمنياً وسياسياً ، احتفظ كل مِصْرٍ بالاسم الذي عُرف به إقليمياً : (تونس ـ الجزائر ـ مراكش) وقد عُرف الجزء الغربي باسم عاصمته : (مراكش) منذ أن أُسّست عام ٤٥٠هـ على يد زعيم المرابطين ومُؤسّس دولتهم : « يوسف بن تاشفين » . غير أن حكومة مراكش بعد الاستقلال قد اختارت اسم : « المغرب » على الجزء الغربي من بلاد المغرب ، أو من الأراضي التي تقع تحت سيطرتها .

ومن هذه المقدمة ؛ فإن بلاد المغرب تُطلق على الأراضي التي تقع غرب حدود مصر إلى آخر حدود موريتانيا ، وعلى هذا الاصطلاح ستكون دراستنا ـ إن شاء الله ـ وهي تشمل الأمصار الآتية : ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا .

يسكن بلاد المغرب عناصر من العرب والبربر ، يجمع الإسلام بينهم ، ولا يعيش بينهم بالأصل نصراني واحد ، وكل من فيها من النصارى اليوم إنما يرجعون إلى أصول استعمارية ؛ فإمّا أن يكونوا قد جاءوا مع المستعمرين الصليبيين الأوائل ، فاستوطنوا المنطقة بعد أن منحتهم السلطة الاستعمارية أملاكاً وأرضاً ، أو قَدِموا فيها بعد في ظلّ السيطرة الاستعمارية ، فحصلوا على امتيازاتٍ واسعةٍ ، وأملاكٍ انتزعوها من أيدي أصحابها الأصليين .

وإن كان لا يوجد في بلاد المغرب نصارى أصليون ، إلّا أنه يوجد يهود ، وقد جاء معظمهم من بلاد الأندلس عندما طُرد منها المسلمون ، ولم

تتحمّل النصرانية بضيقها سكناهم ، فاستوعبهم الإسلام بسعته ورحابته ، وفتح أمامهم أبواب بلاده، وصدور أبنائه ، فعاشوا في بلاد المغرب ، بحكم أنها أقرب المناطق إلى الأندلس ، كما انتقل بعضهم إلى أراضي الدولة العثمانية ، ومع هذا الترحيب الإسلامي ، والعيش بين المسلمين بأمنٍ وطمأنينةٍ وحماية ، فإن المسلمين كانوا أول ضحايا غدر اليهود عندما أصبح لليهود أظافر وأنياب ، وكانت بلاد المسلمين أول البلدان التي طمع بها اليهود وأول المناطق التي اغتصبوها. والحقيقة أنّ خروج اليهود من الأندلس مع المسلمين كان خطة وتآمراً مع النصارى ليهدّموا في بلاد الإسلام ويمهدوا لهم، فاليهود دائماً خدماً للقوي ولمصالحهم، وقد أظهر عدد منهم الإسلام، وبدأت مساعيهم للوصول إلى أهدافهم، وقد حققوا بعضها.

كانت الدولة العثمانية آخر من حكم ، من المسلمين ، الأجزاءَ الشرقية (ليبيا - تونس - والجزائر) ،فلما ضعُفت الدولة ، وتكالبت عليها الدول النصرانية الأوربية ؛ اقتطعت فرنسا الجزائر وتونس ، واغتصبت إيطاليا ليبيا ، أمّا المغرب وموريتانيا فلم تصل إليهما أقدام العثمانيين ، ولكنهما كانتا محطّ أنظار المستعمرين من قبل ، منذ أن طُرد المسلمون من الأندلس ، بل قبل ذلك ، وذلك لأنهما أقرب بلاد المسلمين إلى الأندلس ، ولأنهما كانتا مركز انطلاق الجيوش الإسلامية لدعم مسلمي الأندلس ؛ منذ أيام المرابطين ، ومروراً بالموحّدين ، وحتى عهد بني مرين . أمّا بنو وطّاس الذين خَلَفُوا بني مرين في حكم المغرب ، ودام عهدهم من ٨٢٣هـ حتى ٩١٦هـ ؛ فإن البرتغاليين قد احتلّوا في أيامهم شواطىء المغرب ، وهذا ما جعل المسلمين يَنْقِمُون على بني وطّاس ، ويستدعون السعديين الذين حكموا البلاد بعد زوال سلطان بني وطّاس . وقف السعديون في وجه الصليبيين ، ولكن كانت علاقتهم مع العثمانيين بين مدٍّ وجزرٍ ، فإذا ساد الوعي الإسلامي اتفق الطرفان ضدّ الأعداء من النصارى ، وإذا تمكّن الصليبيون من إثارة الفتنة ورمي البلاء وقعت الوقيعة بين الجانبين ، وربما حدث صدامٌ بينهما . وعلى كلٍّ فقد كانت أيام السعديين أيام صراع مع الصليبيين ، وإن كانت هناك أيامٌ يتفق فيها

المصارعان . ولمّا ضعُف أمر السعديين قوي شأن الأسرة العلوية التي تمكنت من دخول فاس عام ١٠٧٧هـ ، ومع الأيام ضعُفت هذه الأسرة أيضاً ، فتقدم الصليبيون ، فأخذت فرنسا منطقة موريتانيا اليوم ، على حين أخذت إسبانيا بالتفاهم مع فرنسا منطقة الصحراء المغربية ، وذلك عام ١٣١٨هـ ، وسبق لإسبانيا أن أخذت عام ١٣١٦هـ منطقة « ايفني » ، وتوسع الفرنسيون أثناء الحرب العالمية الأولى ، فاحتلوا بقية أجزاء المغرب ، وفي الوقت نفسه احتلت إسبانيا منطقة الريف .

وهكذا خضعت بلاد المغرب كلها للاستعمار الصليبي ، وكان لهذا أثره الكبير على السكان من الناحية الاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، والثقافية ، والسياسية ، بل وجميع جوانب الحياة ، ويختلف هذا الأثر بين استعمار وآخر ـ وإن كان لا يوجد في بلاد المغرب سوى الاستعمار الفرنسي ، والإيطالي ، والإسباني ـ كما يختلف بين جزءٍ وآخر .

ونرجو أن نوفق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن أوضاع بلاد المغرب في الوقت المعاصر ، الذي تتضارب فيه الآراء ، وتتكاثر فيه التحليلات السياسية ، وكلٌ منها ينطلق من وجهة النظر التي يحملها صاحبها . ونرجو أن يكون الرأي الذي نُقدمه منطلقاً مما يشدّ السكان بعضهم إلى بعضٍ ، ويجمعهم ضمن إطارٍ واحدٍ ، وهو العقيدة الإسلامية ، التي اصطدم بها المستعمرون منذ وطأت أقدامهم أرض بلاد المغرب ، وكانت الصخرة الصمّاء التي تحطّمت عليها مخططاتهم وآمالهم ، كما كانت في الوقت نفسه الدرع الذي حمى شخصية السكان ، ووجدوا فيه السلاح الكافي للمقاومة وللوقوف في وجه البغاة المستعمرين .

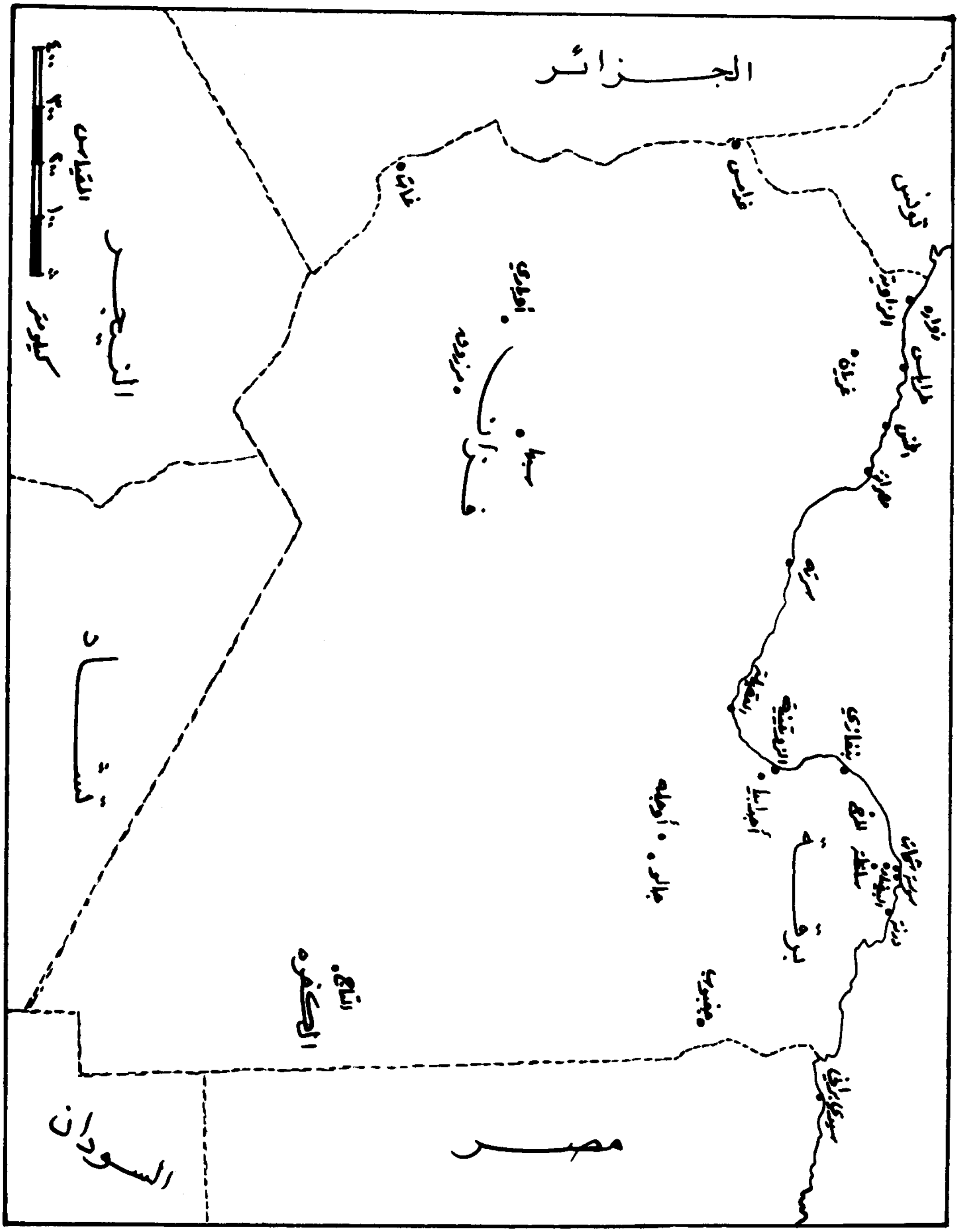
ونرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لله ، لنُؤجر عليه ، ونسأله سبحانه أن يُسَدِّد خطانا في كلِّ مرحلة نقطعها ، وأن يُوفِّقنا إلى ما فيه الخير والصلاح ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

غُرّة المحرّم من عام ١٤١٠هـ

محمود شاكر

الباب الأول

ليبيا


الجزائر
تونس
النيجر
تشاد
فزان
برقة
الكفرة
مصر
السودان
كيلومتر

لمحة عن ليبيا قبل إلغاء الخلافة

ما أن تمكن النصارى الإسبان والبرتغاليون من طرد المسلمين من الأندلس عام ٨٩٨هـ حتى انطلقوا وراءهم ، وكأنهم أُفلتوا من عِقالهم ، يبغون ملاحقتهم والفتك بهم ، واحتلال بلادهم طمعاً وحقداً ، وربما كان هذا قد استقر في خلدهم ، أثناء صراعهم معهم ، وقد انسلوا فعلاً من معاقلهم ، واحتلّوا بعض المواقع : بعضها على شواطىء المحيط الأطلسي ، وبعضها الآخر على سواحل البحر المتوسط . وكانت أوربا النصرانية تدعم نصارى الأندلس ، وترمي بثقلها وراءهم ، وتعدّ نفسها الظهير لهم والسند . وما أن انطلق نصارى الأندلس وراءَ المسلمين ؛ حتى انطلقت دول أوربا الأخرى ؛ تضرب وتحتلّ وتفتك بحقد ، وتنتقم ـ حسب رأيها ـ بوحشية ، وتنتشي نشوة الظفر .

كان الصليبيون يهاجمون بلاد المسلمين ، ويُغيرون عليها لاحتلالها ، وإن لم يتمكنوا بالسيف والقوة ؛ فبالغدر والخديعة . وقد قام الطليان مرة بقيادة « فيليب دوريا » بزيارة ودّيةٍ لمدينة طرابلس المغربية ، وأثناء تلك الزيارة هاجموا المدينة غدراً ، واحتلّوها ، ولم يخرجوا منها حتى افتداها أمير مدينة (قابس) بمبلغٍ كبيرٍ من الذهب يروي جشعهم .

احتل فرسان مالطة (فرسان القِدّيس يُوحنّا الأورشليمي) منطقة برقة عام ٩١٦هـ ، غير أن المماليك لم يلبثوا أن رجعوا إليها ، وفي العام نفسه

احتلت قوة إسبانية مدينة طرابلس بقيادة « بترونافار » ، وقد قتل خمسة آلاف مسلم ، وأسر ستة آلاف ، ومن نجا من سكان المدينة فرّ منها ، ولم يبقَ في طرابلس سوى القوة الإسبانية ، وفي عام ٩٣٦هـ قرّر « شارل الخامس » ملك إسبانيا التنازل عن طرابلس لفرسان مالطة مقابل مُساعدتهم الإسبان في الأعمال البحرية ضد العثمانيين ، وبقي فرسان مالطة في طرابلس حتى عام ٩٥٨هـ حيث جاء العثمانيون .

كان العثمانيون قد نذروا أنفسهم لطرد الصليبيين من الأماكن التي احتلوها من بلاد المسلمين ، ولهذا جاء القائد العثماني « سنان باشا » إلى طرابلس ، واستطاع قائد البحرية « طرغول » دخولها ٩٥٨هـ ، وقد حاولت إسبانيا الرجوع إلى طرابلس دون جدوى . أما منطقة برقة ؛ فقد ذكرنا أنها كانت تتبع المماليك ، فلمّا حل العثمانيون محلهم في مصرَ عام ٩٢٣هـ ؛ تبعتهم برقة ، وهكذا أصبحت منطقة ليبيا تتبع الدولة العثمانية ، وعُيِّن « مراد آغا » أول والٍ عثمانيٍّ على البلاد ، ومن آثاره المسجد الذي لا يزال قائماً حتى الآن في مدينة « تاجوراء » واستمر الولاة العثمانيون يتعاقبون على منطقة ليبيا حتى عام ١١٢٣هـ حيث استقل فيها « أحمد القره مانلي » ، وأسس أسرةً استمرت في حكم المنطقة حتى عام ١٢٥١هـ .

رأت الدولة العثمانية تمرّد محمد علي والي مصر ، واحتلاله بلاد الشام ، وصلته بالصليبيين مُمثلين بفرنسا ، وفي الوقت نفسه احتلال فرنسا لبلاد الجزائر ، وهذا ما جعل الدولة تخشى على منطقة ليبيا من الدول النصرانية ، لذا أسرعت وقضت على الدولة القره مانية ، ورجعت ترسل الولاة من قبلها ، وأخذت تقوم بإثارة العاطفة الإسلامية ، وإعلان الرابطة الدينية التي تربط سكان البلدان الإسلامية بعضهم مع بعض ، وتوضيح أطماع الصليبيين في الأمصار الإسلامية ، وما يعانيه الجزائريون ، وجميع المسلمين الذين وقعوا تحت سيطرة الدول النصرانية . ومن ناحية أخرى ؛ فقد عملت الدولة على تخفيف الضرائب عن السكان في منطقة ليبيا ، ومحاولة تحسين الأوضاع

الاقتصادية .

استقرّ عددٌ من النصارى في منطقة طرابلس عندما خضعت لسيطرة فرسان مالطة ، فلمّا أخرجتهم الدولة العثمانية عام ٩٥٨هـ ؛ بقي من استقر من النصارى في مناطقهم ، فعاشوا بين المسلمين حياة أمن وطمأنينة ، فلمّا قوي نصارى أوربا ، وأخذوا يرمقون ليبيا بأبصارهم ، ويطمعون في احتلالها ؛ مد الصليبيون الذين استقروا فيها يدهم إلى إخوانهم ، ودعوهم للقدوم إليها ، ووضعوا أنفسهم تحت تصرفهم ، وأخذوا يدعون أنهم مضطهدون ، وأنهم مظلمون . وحاولت الدول النصرانية التدخل في شؤون منطقة ليبيا عدة مرات ، بحجة حماية الأقلية النصرانية فيها .

لقد كانت الدولة العثمانية على قناعة بنقطتين رئيسيتين : الأولى : أن الدول الأوربية النصرانية تطمع في احتلال منطقة ليبيا ، وقد احتلت إنكلترا مصرَ والسودان ، واحتلت فرنسا تونس والجزائر ، وبقيت منطقة ليبيا في الوسط ، ولا شك أنّها كانت محطّ أنظار بعض الدول الأوربية ، وأن هذه الدول ستتفاهم فيما بينها ، وتتقاسم أجزاء البلاد ، وسيدعم بعضها بعضاً ضد السكان وضد الدولة التي تمثّلهم ، وهي الدولة العثمانية ، ويبدو أن إيطاليا هي التي كانت تضع ليبيا نصب عينيها ، وتطمع فيها ، ولكنها لا تستطيع القيام بأية عمليات لتنفيذ أطماعها قبل أن تتفق مع إنكلترا وفرنسا المجاورتين لليبيا من الشرق والغرب ، واللتين هما سيدتا المستعمرين في تلك المرحلة .

الثانية : أن الدولة العثمانية لا تستطيع الدفاع عن ليبيا أمام الدول الأوربية النصرانية مجتمعة لضعفها أولاً ، ولاجتماع كلمة الدول الصليبية المعادية لها ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع سكان ليبيا الدفاع عن أنفسهم ، لقلتهم وضعفهم ، وأن الدعم الذي يمكن أن تُقدّمه الدولة العثمانية لا يُعدّ كافياً مهما حرصت عليه أمام قوة الدول الأوربية ، لذا كان لا بُد من اتخاذ بعض الإجراءات ، ومنها : حاولت نقل بعض العائلات الكردية بناءً على

اقـتراح الوالي « أحمـد راسم » الـذي تسلم الـولايـة من عـام ١٢٩٩هـ إلى ١٣١٤هـ ، وقد أسكنت هذه العائلات في منطقة « سرته » ، وقُدّمت لها المساعدات لتقـوم بالـزراعة ، ولكنهـا لم تتعود أن تقـوم من قبل بمثـل هذه الأعـمال ، لذلـك فإن المشروع قـد فشل ، كـما فشلت فكرة إدخـال بعض العناصر منهم في القوات العثمانية المرابطة في المنطقة . ومن هذه الإجراءات : إسكان بعض أهالي جزيرة كريت المسلمين الـذين تعرضـوا لأبشع الأعـمال الوحشية بل والإبادة من قبل السكان النصارى بعد أن فصلت كـريت عن الدولة العثمانية عام ١٣١٦هـ ، إذ كان بعضهم قـد اضطر إلى اللجـوء إلى مصر ، وأقام في الاسكندرية ، كما أقام بعضهم في منطقة برقـة ، وقد بلغ تعداد الذين أقاموا في منطقة برقة أكثر من ألف أسرة ، وانصهروا مع السكان بصفتهم من المسلمين .

ووُجدت محاولة لإسكان اليهود في ليبيا أيضاً ، وكانت الدولة العثمانية قد تساهلت مع اليهود ، وسمحت لهم بالإقامة في المناطق التي تتبعها بعد أن طردهم النصارى من الأندلس يوم أن أخرجوا المسلمين منها ، وقد أساء اليهود للسلطة وللشعب في كل منطقة حلّوا فيها ، وقد ظهر حقدهم بشكل واضح ، وزاد جشعهم في السيطرة على بعض المناطق عندما لم يسمح لهم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بالتوسع في فلسطين، غير أنه قد تساهل معهم في ليبيا بناءً على توصية من واليها « رجب باشا » الذي تسلّم ولايتها من عام ١٣٢٢ هـ إلى ١٣٢٦هـ . كان قد أقام في ليبيا من اليهود بعد طردهم من الأندلس أكثر من ثمانمائة أسرة ، وبدأ مركزهم يزيد نتيجة التجارة ، وقد تساهل معهم الوالي رجب باشا ، وكان يرى إعطاءهم الأراضي خوفاً من التوسّع الإيطالي ، ولهذا حرصت إيطاليا على نقله من ليبيا ليلة الإطاحة بالسلطان عبد الحميد ، وقد عيّنه رجال الانقلاب من جماعة الاتحاد والترقّي وزيراً للحربية ، غير أنه قد توفي يوم تعيينه ، وبذا فقد اليهود نصيراً لهم ، وقد كان من جماعة الاتحاد والترقّي ، ولكنه غير

ظاهر ، إذ كان يعمل سرّاً لهذه الجماعة . وقد كان لليهود دورٌ بارزٌ في هذه المجموعة التي أطاحت بالخليفة العثماني السلطان عبد الحميد ، ثم كان لها دورها أيضاً في إلغاء الخلافة . وكان مشروع الوالي رجب باشا إسكان اليهود في منطقة الجبل الأخضر ، وعلى الرغم من الخلاف بين كل ما يُخَطِط له « رجب باشا » وبين ما يعمل له الطليان ؛ فإن اليهود قد دعموا الاستعمار الإيطالي لليبيا ، وساعدوا على تمكين الطليان من ارتكاب أبشع الجرائم والأعمال الوحشية ، فالأمر يحلو لهم ما دام ينال من المسلمين ، ولا يصل إلى بني جلدتهم منه شيء .

الاحتلال الإيطالي : كانت إيطاليا تعدّ تونس وليبيا مناطق نفوذٍ لها بعد احتلال فرنسا للجزائر ، وقد هاجر عدد من الطليان إلى هاتين المنطقتين ، وأنشأوا هناك شركات تجارية ، وأقرضوا الأموال للسكان ، وأسّسوا المدارس النصرانية لأبناء ديانتهم ، وبنوا المشافي لهم ، وحرصوا على كسب الدعاية لهم من قِبَل السكان .

احتلّت فرنسا تونس ، وساعدتها الظروف السياسية الدولية على ذلك ، فشعرت إيطاليا أنها قد خسرت الجولة ، وفقدت ما كان يجب أن يكون لها، فأرادت أن تعوِّض عن ذلك ، فاتجهت إلى شرقي إفريقية، غير أنها هُزمت أمام الأحباش في معركة « عدوة » عام ١٣١٣هـ .

وجّهت إيطاليا اهتمامها إلى ليبيا ، ولم يبقَ لها في الشمال الإفريقي سواها ، ففتحت فرعاً لمصرف (بنك دي روما) في طرابلس وبرقة ، وأخذ يقدِّم المساعدات للمزارعين ، فإذا ما تعذّر على هؤلاء المزارعين تسديد ديونهم ؛ استولى المصرف على أراضيهم ، وأنشأت مكتباً للبريد في بنغازي ، فكان الإيطاليون يرسلون عن طريقه ما يشاؤون من رسائل وتقارير بغير رقابة ، كما كانت لهم سفينة تنقل البريد العثماني ، وأنشأت إيطاليا بعض المدارس لتعليم اللغة الإيطالية ونشر ثقافتها ، كما بنت بعض المستشفيات ، وأخذت ترسل البعثات المختلفة ، وأهمّها البعثات التنصيرية الكاثوليكية ،

وبعثات الجمعية الإيطالية للكشوف الجغرافية والتجارة بمدينة (ميلانو) ، ومنها بعثة للتفتيش عن الفوسفات ، إضافةً إلى عمليات مسح الأراض التي تمّت ، وقد انضمّ إليها ضبّاط من أركان حرب الطليان ، واستطاع أعضاؤها أن يضعوا المخططات والخرائط العسكرية . وقد حصل الرعايا الطليان على مساحاتٍ ليست قليلةً من الأراضي الليبية الخصبة الصالحة للزراعة ، وهي من الأراضي التيكان يحجزها المصرف ثم يستولي عليها، ويقدِّمها للرعايا الطليان .

وسلكت إيطاليا مسلكاً سياسياً إلى جانب المسلك الاقتصادي والاجتماعي ، فقد اعترفت لفرنسا بالحماية على تونس بعد معارضتها في بداية الأمر ، واتفقت مع إنكلترا عام ١٣٠٥هـ على أن تُطلق يدها في ليبيا ؛ مقابل الاعتراف الإيطالي باحتلال إنكلترا لمصر . ووقفت بجانب فرنسا في المواقف الدولية ، وخاصّة مؤتمر الجزيرة عام ١٣٢٤هـ ، فوافقت فرنسا على إطلاق يد إيطاليا بليبيا مُقابل الاعتراف لها بحقِّها في المغرب . وهكذا أمّنت إيطاليا الوضع السياسي الدولي لها إلى جانب الدعاية لها في ليبيا ، وأخذت تنتظر الفرصة المناسبة لها لتعتدي على ليبيا وتحتلّها .

خافت الدولة العثمانية من هذا النفوذ الذي أصبح لإيطاليا في ليبيا ، وعرفت ما تضمره إيطاليا ، وكاد احتلال إيطاليا لطرابلس أن يتمّ عام ١٣٢٦هـ ؛ لولا أن أرسلت الدولة العثمانية إلى ليبيا جيشاً قويّاً لتقوية حاميتها هناك ، فأجّلت إيطاليا تنفيذ مخططها إلى حين .

وجدت إيطاليا الضعف الذي حلّ بالدولة العثمانية بعد الانقلاب الذي أطاح بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني ؛ فأخذت تنتهز الفرصة الملائمة ، غير أن احتلال فرنسا للمغرب قد عجّل بالأمر ؛ فقررت إيطاليا اقتحام ليبيا ، واتصلت بالدولة النصرانية الاستعمارية الكبرى لتحقيق ما تنوي فعله ، فحصلت على موافقة إنكلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، وألمانيا ، ووافقت النمسا بشرط ألا تتعدى العلميات الحربية منطقة شمالي إفريقية ، وألا تسري إلى ممتلكات الدولة العثمانية في آسيا وأوربا وخاصّة البلقان .

لقد كانت الدول النصرانية الأوربيـة تتعاون فيـما بينها عـلى الظلم ، واستعمار أرض غيرهـا ، وتقسيم تلك الأراضي فيما بينهـا ، وقتل النـاس ، وتتلذّذ حكوماتها بل وشعوبها عنـدما تـرى الأوربيين يفتكـون بالآخـرين ، ويتفنّنون بالقتل جماعاتٍ وأفراداً ، يُردِّد الأوربيون فيما بينهم ، وأين ما كانوا ؛ صور ذلك القتل وتلك المجازر ، وخاصّة فيما إذا كان القتلى من المسلمين . وهم الآن يتحدّثون عن التخلّف وأسبابه ، وهل كان السبب إلا هم بما اقترفته أيديهم ؟! .

ورأت إيطاليا الفرصة مناسبة ؛ فأرسلت في ٤ شوّال ١٣٢٩هـ (٢٧ أيلول ١٩١١م) إنذارها الشهير فجأة إلى الدولة العثمانية ، تشير فيه إلى سوء النظام في طرابلس الغرب وبنغازي ، وإلى مصـالحها العسكـرية ، وتهـديد طرابلس لها لقربها منها ، وتجاهل الدولة إلى رغبات إيـطاليا في طـرابلس ، وإهمالها مصالحها الاقتصادية ، والتحريض على الأوربيين أو الطليان خاصّة واضطهادهم ، وقرار إيطاليـا باحتلال طرابلس وعـلى الدولـة العثمانيـة أن تسهِّل ذلك . وكانت مدّة الإنذار أربعاً وعشرين ساعة .

حاولت الدولة العثمانية أن تُوسِّط الدول الأوربية النصرانية الأخرى بينها وبين إيطاليا ، فبادرت بإرسال برقيّات باسم السلطان إلى تلك الدول يطلب فيها السعي للوساطة على أن تحقن إيطاليا الدماء ، ويكون لها مركز ممتاز في ليبيا ، غير أن تلك الدول قد أظهـرت الحياد ، وأنها لن تتـدخل في شؤون غيرها ، ونسي العثمانيون أنهم بهذا الطلب أو الرجاء كحملٍ خشي من ذئب ، فذهب إلى ذئاب أخرى يرجوها ألّا تسمح لذلك الذئب الكاسر من أن يأكله ، فماذا يكون الجواب ؟! .

وانتهى وقت الإنذار ، وتحرّك الأسطول الإيطالي وبدأ بقصف مدينـة (درنة) يوم السابع من شوّال ١٣٢٩هـ (٣٠ أيلول ١٩١١م) ، وفي اليوم العاشر انتقل يقصف مدينة طرابلس ، ولم ينقض الشهر حتى احتلّ الطليان مدن : طرابلس ، وبنغازي ، ودرنة . وكانت الحملة الإيطالية تتألف من :

ثلاثمائةٍ وأربعين ألف مُقاتلٍ ، وستة آلافٍ وثلاثمائة حصانٍ ، وألفٍ وخمسين عجلة، وثمانيةٍ وأربعين مدفع ميدان، وأربعةٍ وخمسين مدفعاً جبليّاً. وكان طريق البحر مفتوحاً لنقل الاحتياطي والعتاد والسلاح والمؤن عند الحاجة ، إضافةً إلى أن أسواق الدول الأوربية النصرانية الأخرى مفتوحة للسلاح والمؤن ولا تتوانى الأساطيل التجارية عن النقل ؛ إن دعت الضرورة لذلك . أما الحامية العثمانية فتقدّر بخمسة آلاف جندي في طرابلس ، وألفين في برقة ، وكانت إضافةً إلى قلّة العدد هذه ضعيفةً ناقصةَ السلاح والعتاد .

أرسلت الدولة العثمانية جيشاً لمساعدة السكان على المقاومة ، غير أن إيطاليا قد وسّعت نطاق الحرب ؛ كي تجبر الدولة العثمانية على الاعتراف باحتلالها لليبيا ، وتسحب جيوشها منها . احتلت إيطاليا جزيرة « رودوس » والجزر الأخرى القريبة من الأناضول ، وأرسلت أسطولاً ضرب مدينة (بيروت) عام ١٣٣٠هـ ، وهددت مضيقي : (البوسفور) و (الدردنيل) وقامت تحرّض سكان البلقان للقيام بحركاتٍ ضدّ العثمانيين ، وتصرخ : كيف يقبل نصارى بحكم المسلمين لهم ؟! يجب أن يثوروا ويطردوهم .

أرسلت الدولة العثمانية بعض الضبّاط للإشراف على القتال وقيادته ، وكان منهم : أنور باشا ، وعبد العزيز علي المصري ، ومصطفى كمال ، وجعلت القيادة لأنور باشا ، وقسّمت الجبهة إلى ثلاث مناطق : الأولى في بنغازي بقيادة عبد العزيز علي المصري ، والثانية في درنة بقيادة مصطفى كمال الذي لم يلبث أن ترك القيادة وغادر ليبيا متوجّهاً إلى استانبول ، والثالثة في طبرق بقيادة ناظم بك . غير أن المقاومة الحقيقية كانت من المتطوّعين . ومنذ أن وصل أنور باشا إلى ليبيا ؛ أخذ يطوف على القبائل ، ويزور الزوايا السنوسية ، ويدعو الجميع إلى الجهاد . وقد اتصل بأحمد شريف السنوسي[1]

---

(١) أحمد شريف بن محمد بن علي السنوسي الخطابي : ينتمي إلى آل الخطاب من قبيلة =

في واحة الكفرة ، ورجاه أن يوزِّع منشوراً إلى أتباعه يحثّهم فيه على جهاد أعداء الله والإسلام .

استدعت الدولة العثمانية أنور باشا لما أصبح له من مكانة في الحكم الجديد الذي تولّى أمر تركيا ، وقبل أن يرحل أنور باشا من ليبيا زار أحمد شريف السنوسي في واحة « جغبوب » ، وأبلغه أنه ترك القيادة بعده لعبد العزيز علي المصري ، وأبلغة أوامر السلطان ؛ وهي أسناد أمر ليبيا إلى أحمد شريف السنوسي، وأنها أصبحت مستقلّة، ولها الحقّ في أن تدافع عن نفسها ، وهذا ما جعل السنوسية صاحبة الكلمة الأولى في ليبيا فيما بعد ، وبيدها مقاليد الأمر .

كانت الدولة العثمانية قد اضطرّت إلى التفاهم مع إيطاليا بعد أن وسّعت نطاق الحرب معها ، واضطرّت إلى عقد معاهدة « أوشي » قرب لوزان بسويسرا في ٢٢ شوّال ١٣٣٠هـ (٣ تشرين أول ١٩١٢م) ، وقد انسحبت الدولة العثمانية أو بالأحرى تركيا من الحرب ، وخرجت من ليبيا ، وتركت أهلها وحدهم وجهاً لوجهٍ أمام الطليان .

والواقع أن العثمانيين كانوا يَعدّون ليبيا جزءاً من بلادهم ما داموا يحكمون باسم الإسلام ، ويرفعون شعار الجامعة الإسلامية ، فلمّا تسلّمت السلطةَ جمعية الاتحاد والترقّي التي تتخذ من القومية الطوارنية (التركية) فكرة لها ، وتنادي بها ؛ كان من هذا المنطلق أنهم لاعلاقة لهم بليبيا ، وعليه فقد سهُل عليهم التخليّ عن ليبيا ، واستدعوا قادتهم وجنودهم منها، وعقدوا

= « مجاهر » التي تنزل قرب (مستغانم) بالجزائر ، وُلد أحمد شريف في واحة جغبوب ١٢٨٤ هـ ، وأقام بـ (التاج) بواحة الكفرة ، قاد القتال ضد الطليان ، واختلف مع ابن عمه، فرحل إلى تركيا، وأنعم عليه السلطان برتبة الوزارة ، ثم والى الحركة الكمالية ، وأقام بـ (مرسين) ، واتُهم بالاتصال بآل عثمان ، وطُلب منه مغادرة تركيا ، فارتحل إلى دمشق ، وطلب منه الفرنسيون مغادرة الشام ، فسافر إلى المدينة حيث توفي بها عام ١٣٥١ هـ .

معاهدةً مع إيطاليا تنازلوا فيها عن حقِّهم في الدفاع عن ليبيا أو حمايتها . وعندما وصل خبر المعاهدة إلى أحمد شريف السنوسي ؛ أرسل خطاباً إلى أنور باشا ، قال فيه : « نحن والصلح على طرفي نقيض ، ولا نقبل صلحاً بوجه من الوجوه ؛ إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو » .

ركز الطليان جهودهم أول الأمر على منطقة طرابلس ، واضطرّ المجاهدون بعد قتالٍ مريرٍ إلى قبول عرض إيطاليا بإصدار عفوٍ عام عنهم وتوقّف القتال في هذه المنطقة ، غير أن قسماً منهم قد رفض هذا ، وانتقل إلى الجنوب إلى ولاية فزّان يُتابع الجهاد هناك .

أمّا في برقة فقد استمرّ القتال بإمرة عبد العزيز علي المصري ، وإشراف أحمد شريف السنوسي ، ووقعت أعنف المعارك قرب الساحل ، ولعلّ أشهرها معركة يوم الجمعة التي وقعت في تاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ (١٦ أيّار ١٩١٣م) ، وقد اشترك فيها أحمد شريف السنوسي بنفسه ، وهُزم الطليان ، وارتدّوا إلى مدينة « أدرنة » وفشلوا في احتلال الجبل الأخضر حسبما كان مقرّراً لهم .

ضغطت إيطاليا على تركيا لسحب قوّاتها من ليبيا ، كما ضغطت على إنكلترا لسحب القوّات والمتطوعين المصريين أيضاً . وسافر عبد العزيز علي المصري إلى الإسكندرية ، ومنها إلى استانبول آخذاً معه أسلحته مجبراً على ذلك ، وكان أحمد شريف السنوسي قد أرسل عمر المختار لاستلام الأسلحة من عبد العزيز المصري ولو كرهاً .

بقي المجاهدون وحدهم في الميدان ، فالتقوا مع الطليان في عدّة معارك انتهت باحتلال إيطاليا للمنطقة ؛ حيث وصلت في ٦ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ (٣ آذار ١٩١٤م) إلى فزّان ، واحتلت واحة « مرزوق » . وابتدأت بعدها حرب العصابات ؛ حيث استطاع المجاهدون إجبار الإيطاليين على إخلاء فزّان ، وحصرهم ثانيةً في الساحل .

اندلعت الحرب العالمية الأولى ، ودخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، على حين انحازت إيطاليا إلى جانب الحلفاء فعملت تركيا على مساعدة الليبيين ضدّ الطليان والإفادة منهم لقتال الإنكليز في مصر ، والفرنسيين في تونس والجزائر ، وأرسلت إليهم بعض الرجال القادة وكان منهم نوري بك[1] وجعفر العسكري[2] ، وعبد الرحمن عزّام ، وقامت بعض المعارك ، وحصلت القوات الليبية على انتصاراتٍ رائعةٍ ، وخاصّة تلك المعارك التي قادها شقيق « أحمد شريف السنوسي » ، وهو صفي الدين الشريف . وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا وشركائها ، ومن بينهم تركيا ، على حين انتصر الحلفاء الذين من بينهم إيطاليا . وبهزيمة تركيا سحبت مُجبرة ما كانت قد أرسلته إلى ليبيا ، وبقي المجاهدون مرّة ثانية وحدهم في الميدان .

منذ أن بدأت الهزائم تظهر على الجيوش التركية والألمانية بادر عبد الرحمن عزّام إلى جمع زعماء القبائل والأعيان لتوحيد جهودهم في سبيل

---

(١) نوري بك : شقيق أنور باشا رجل الاتحاد والترقي ، ووزير الخارجية والحربية في حكومة الاتحاد والترقي في أواخر أيام الدولة العثمانية حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى .

(٢) جعفر العسكري: ولد ببغداد عام ١٣٠٢هـ، وتخرج من المدرسة الحربية باستنبول، ثم من برلين . حارب مع الأتراك في القصيم من شبه جزيرة العرب عام ١٣٢٣هـ ، واشترك في حرب البلقان ، وأرسل عام ١٣٣٤هـ على غواصة ألمانية إلى ليبيا لحمل السنوسيين على مهاجمة مصر من حدودها الغربية ، والعمل مع نوري باشا في مشاغلة الجيش الإنكليزي ، فترك في بنغازي ، واعتقله الإنكليز جريحاً في (مرسي مطروح) عام ١٣٣٥هـ ، أفرج عنه ، والتحق بجيش فيصل بن الحسين قائد جيش ما عُرف بالثورة العربية ، ولحق به في العقبة ، وجعله فيصل حاكماً على (عمان) ، ثم على (حلب) ، وكان من كبار مرافقيه ، وخرج معه من دمشق ورجع إلى بغداد ، وكان وزيراً للدفاع في أول حكومة وطنية ، ثم تولّى رئاسة الوزراء ، وفي أيامه وُضع الدستور ، وعُقدت المعاهدة الأولى بين العراق وإنكلترا ، ثم عُينّ وزيراً مفوّضاً للعراق في لندن ، وتولّى وزارتي الخارجية والدفاع عام ١٣٤٩هـ في بغداد ، واشترك في عقد معاهدة ثانية مع إنكلترا ، وعُينّ وزيراً للدفاع عام ١٣٥٤هـ ، وثار بكر صدقي ، فقصده جعفر لإخماد نار الفتنة ، فاستقبله بعض ضباط الثورة ، وقتلوه ، وذلك عام ١٣٥٥هـ .

تأليف حكومة من أبناء البلاد ، وقد رشّح أحدُ زعماء القبائل الأمير عثمان فؤاد ابنَ الخليفة العثماني محمد رشاد لاستلام منصب الرئاسة ، غير أنه اعتذر عن قبول هذا المنصب ، وكان قد جاء إلى ليبيا مع عبد الرحمن نافذ للاشتراك في القتال .

انتخب زعماء ليبيا مجلساً جمهورياً مؤلّفاً من خمسة أعضاء ، ومجلساً للشورى يتألف من عشرين عضواً ، واختاروا عبد الرحمن عزّام ليكون مستشاراً لهذه الجمهورية التي استمرّت ما يقرب من خمس سنواتٍ ، وكان مقرّها مدينة (مسلاتة) .

كان الليبيون قد دحروا القوات الإيطالية ، وقاموا بهجوم على الإنكليز بمصر ، غير أنهم لم ينجحوا ، ولمّا فشلت حملتهم تلك على مصر تنازل أحمد شريف عن زعامة الحركة السنوسية لابن عمه محمد إدريس الذي هزم الطليان في عدّة معارك ، واضطروا إلى إبرام إتفاقيةٍ معه اعترفوا له فيها بنفوذه على المناطق ، كما تعهّدوا بإبقاء المحاكم الشرعية والعناية بالقرآن الكريم ، وعدم التعرّض للزوايا السنوسية ، والسماح بالمبادلات التجارية بين المناطق الساحلية والداخلية .

وعُقدَ مؤتمر في مدينة (غريان) ١٣٣٨هـ ضمّ ممثّلين عن جميع أبناء البلاد عدا البربر ، واتفقوا على توحيد الجهاد . وخاف الطليان من نتائج ذلك ، واضطروا إلى الاعتراف بمحمد إدريس السنوسي أميراً على المناطق الداخلية التي كانت تحت سلطته ، كما أصدروا دستوراً للمناطق الساحلية . كل ذلك خوفاً من انطلاق الجهاد بعد أن تعاهد عليه الزعماء ، وحرصاً على الوقت ليتمكنوا فيه من الاستعداد ، وحشد القوات .

وعُرفت نوايا الطليان ؛ فعقد الليبيون مؤتمراً عام ١٣٣٩هـ في مدينة (سرت) حضره ممثّلون عن السنوسيين ، وعن منطقة طرابلس ، وكان قد وقع الخلاف بين زعماء طرابلس وبرقة ، وتمّت فيه البيعة إلى محمد إدريس

السنوسي ، وكان الطليان قد استعدّوا ، وعاد القتال ، ولم يستطع المجاهدون مُقاومة ما حشد الأعداء من جيوش جرارةٍ ، فاحتلّ الإيطاليون منطقة طرابلس في ١٧ صفر ١٣٤٢ هـ (٢٨ أيلول ١٩٢٣م) وقضوا على جمهورية ليبيا الأولى .

أما في برقة فقد أعطى محمد إدريس السنوسي القيادة فيها إلى عمر المختار[١] الذي اتخذ مدينة (شحات) في الجبل الأخضر مقرّاً لقيادته . وأحرز عدّة انتصارات على الأعداء ، الأمر الذي جعلهم يُفكّرون بالاستيلاء على المناطق المحيطة بالجبل الأخضر ، ولكنهم هزموا شرّ هزيمة ، كما هُزموا في محاولتهم احتلال « فزّان » ، وأخيراً استطاع الطليان من السيطرة على المناطق المحيطة بالجبل الأخضر .

---

(١) عمر بن مختار بن عمر المنفي : ينتمي إلى قبيلة « مِنفة » التي تتنقل في بادية برقة ، وُلد عام ١٢٧٥هـ في (البطنان) ببرقة ، وتعلم في زاوية السنوسيين في (جغبوب) وجعله محمد المهدي الإدريسي شيخاً على زاوية « القصور » بالجبل الأخضر قرب (المرج) ، وسافر معه إلى السودان ، وتسلم مشيخة زاوية « كلك » حتى عام ١٣٢١هـ ، حيث رجع إلى برقة ، وإلى مشيخة زاوية « القصور » ، خرج لجهاد الطليان بعد أن احتلوا مدينة بنغازي عام ١٣٢٩هـ ، وصمد للعدو صموداً منقطع النظير .

وبينما هو في سرية من رجاله تقدر بخمسين فارساً بناحية (سلنطة) بالجبل الأخضر ، يستطلع مواقع العدو فوجىء بقوةٍ من الأعداء أحاطت به فقاتلها ، واستشهد أكثر من كان معه ، وأصيب هو بجراح ، وعُقر جواده ، فانقضّ عليه الطليان ، وحملوه أسيراً ، وهم لا يعرفونه ، وحُمل إلى (سوسة) ، ثم عرفوه ، فنقلوه بطرادٍ إلى بنغازي ، وسُجن أربعة أيام ، ثم حققوا معه ، فكان مثال المسلم ، وأجاب بصراحةٍ ووضوحٍ ، ثم أعدم شنقاً في مركز « سلوق » ببنغازي ، وذلك عام ١٣٥٠هـ ، فكان عمره خمسة وسبعين عاماً ، ومع ذلك كان يجاهد على جواده ، ويقوم بنفسه باستطلاع العدو .

الفصل الأول

استعمار ليبيا

ألغيت الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) ، وكانت هي البقية الباقية التي تربط المسلمين بعضهم ببعض ، فلمّا ألغيت زالت الروابط الرسمية ، ولم تبقَ إلاّ المعنوية التي لا توجد في مجتمع ضعيفٍ متخلّفٍ جاهلٍ ، وانقطعت الصلات التي كانت تربط الليبيين بإخوانهم وبقوا وحدهم في الميدان ، ولم تعد تصل إليهم أيّة مساعداتٍ ، فيجب الاعتماد على أنفسهم وإمكاناتهم .

وترسّخت فكرة الإقليمية الضيقة نتيجة التجزئة التي فُرضت على المسلمين من قِبَل أعدائهم الذين سيطروا على بلادهم ، وأصبحت لهم الكلمة الأولى ، وارتبطت مصالح بعضهم بالمستعمرين ، إذ نالوا منهم حظوة ، وسُلِّموا السلطات ، فأصبحوا يُدافعون عنها لتبقى لهم السيادة ؛ فنادوا باسم الوطنية التي فسّروها بالإقليمية التي سُوِّدوا فيها . وبدأت المسابقات لرفع هذه الشعارات ، وإبراز بعض الأعمال لتبرير استلامهم السلطة ، والأعداء يُوجِّهون ويدفعون ، ويُسرّون بما يجري .

وإن المشكلات الكثيرة لكل إقليمٍ قد جعلت أهله ينصرفون إلى حلِّ موضوعاتهم الخاصّة ، وهذا ما جعل جذور الانفصالية تتعمّق ، حيث يلتفت سكان كل إقليمٍ إلى مشكلاتهم ، هذا ؛ إضافةً إلى الجهل ، فلا يَعرف أهلُ منطقةٍ ما يحلّ بإخوانهم في المنطقة الثانية ، ويزيد الأمر سوءاً توجيه المستعمر

إلى ما يثير الأحقاد بين الأقاليم ، ويزرع الشكوك بين أهلها ، وبين الراعي والرعية . وإذا وجدت الروح المعنوية ؛ فهي عند فئةٍ قليلةٍ منهم ، وتحاول الفئات المتسلِّطة قتلها وإماتتها .

السيطرة الإيطالية : استطاع موسوليني أن يتسلّم زعامة إيطاليا ، وأن يسيطر على حكمها تماماً في الثلث الأول من عام ١٣٤١هـ (أواخر عام ١٩٢٢م) ، وأراد أن يُثَبِّت دعائم حكمه بلفت نظر السكان إلى خارج البلاد ، وإشغالهم بانتصارات واسعةٍ ضد شعبٍ قليل العدد ، قليل الإمكانات ، آمن مطمئن ، لا يعرف الحقد ، ولا يرغب في العدوان . وإذا ما اتجه الناس إلى خارج حدود بلادهم ، وانصرف اهتمامهم إلى تلك الجهات ؛ تركوا ما يحدث داخل البلاد من ظلمٍ ، وما يرتكب من مُخالفاتٍ دستوريةٍ وتعدّياتٍ على الآخرين وحقوقهم .

نقض موسوليني الاتفاقات التي قطعتها حكومة إيطاليا السابقة على نفسها ، فنقض الاعتراف بحكومة محمد إدريس السنوسي في داخل ليبيا ، ورفض الاعتراف بالمحاكم الشرعية في المناطق التي يسيطر عليها الطليان ، وباللغة العربية ، وبالعناية بالقرآن الكريم ، وبعدم التعرّض للزوايا السنوسية ، وبالسماح بالتجارة بين الجهات الساحلية التي تخضع للاستعمار الإيطالي والجهات الداخلية التي لا تزال تحت سيطرة الليبيين أنفسهم ، وأبى موسوليني أي شيءٍ سوى الخضوع لإيطاليا والرضوخ له شخصياً ، وعدّ ما هو قائم في ليبيا ضعفاً من حكومة إيطالية السابقة ، ويجب أن تبرز الآن قيمة إيطاليا شامخة .

عيّن « موسوليني » حاكماً جديداً على ليبيا يُدعى « بونجيوفاني » ، وزوّده بصلاحياتٍ واسعةٍ ، ووضع تحت تصرّفه جيشاً ضخماً يقوده اللواء « بادوليو » واللواء « غرازياني » . أحبّ « بادوليو » أن يتعرّف على معنويات عمر المختار وطريقة تفكيره ، فأجرى مُفاوضةً معه ، وسأله : ما هي الشروط التي تضعونها للمصالحة مع حكومة إيطاليا ؟ .

فأجاب عمر المختار : ألّا تتدخل الحكومة الإيطالية في أمور ديننا ، وأن تكون اللغة العربية لغةً رسميةً معترفاً بها في دواوين الدولة ، وأن تُفتح مدارس خاصة ؛ يُدرّس فيها التوحيد والتفسير والفقه وسائر العلوم ، وأن تُفتح مدارس لتعليم اللغة العربية ، وأن يُلغى القانون الذي وضعته إيطاليا ، فهو وضعيّ يُخالف شرع الله ، وهذا لا يصحّ في عقيدتنا . فعرف « بادوليو » أنه أمام عملاق ، ولا بدّ من قوةٍ عظيمةٍ لتحقيق النصر عليه .

حشد «بادليو» قوّةً ضخمةً مشحونةً بالحقد على الإسلام، مليئةً قلوبها بالرعب من أبنائه ، مسحوقةً في بلادها بالاستبداد ، وسُمح لها بعمل كل شيء ، وما أبشع ما يرتكبه الخائف إذا انتصر ، والحاقد إذا غلب ، والذليل إذا عزّ ، والفقير إذا أبطرته النعمة ! وهذا ما كان من جنود الطليان في ليبيا ، كانوا كأنهم بهائم رُبطت منذ مدّة ، ثم تُركت ترتع سائمةً في مرعىً غضٍّ ، فكانت أعمالهم وحشيةً يندى لها جبين الإنسانية لما ارتكبوه من سبي للنساء ، وصلبٍ لهنّ ، وهنّ عاريات ، وذبح بالجملة ، وقتل للرجال صبراً وأمام ذويهم ، وانتهاكِ حُرمات المساجد ، ودوس المصاحف بالأقدام . وكان عدد القتلى من المسلمين في منطقتي برقة وطرابلس خمسمائة وسبعين ألفاً وتسعمائة وثمانين وعشرين (٥٧٠٩٢٨) إنساناً .

كان محمد إدريس السنوسي قد اضطرّ لترك ليبيا والالتجاء إلى مصر، واستمرّ عمر المختار يرفع لواء الجهاد ، ويقوم بحرب العصابات ، وخاصةً في (برقة) في منطقة الجبل الأخضر ، وبقي في جهاده مدة ثمان سنوات (من ١٣٤٢ إلى ١٣٥٠هـ) ، وقد انقطعت عن ليبيا خلال هذه المدة كل الإمدادات والمساعدات التي كانت تصل إليها من الخارج ، أو يحتمل أن تصل من بعض المسلمين ، ومن البلدان العربية المجاورة .

قام المفوض السامي الإيطالي الجديد « بونجيوفاني » بحلّ المعسكرات في منطقة برقة ، واحتلّت القوات الإيطالية مدينة (إجدابيا) العاصمة السنوسية في تاريخ ٦ رمضان ١٣٤١هـ (٢١ نيسان ١٩٢٣م) ، ثم أعلن المفوّض

السامي بعد ثلاثة أيام من احتلال العاصمة السنوسية إلغاء جميع الاتفاقات المعقودة بين إيطاليا والسنوسي ، وأن الطريقة السنوسية لم تعد سوى طريقة دينية . وأبلغ وزير إيطاليا المفوّض في القاهرة هذا القرار إلى محمد إدريس السنوسي ، وبذا فقد زال أيّ نفوذٍ للسنوسيين في المناطق الداخلية من ليبيا حسبما كان سارياً نتيجة الاتفاقات ، كما انتهى مفعول ما قطعته إيطاليا على نفسها من قيودٍ في المناطق الساحلية .

وفي ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ (٢ كانون الأول ١٩٢٥م) تنازلت مصر أو بالأحرى إنكلترا عن واحة « جغبوب » لإيطاليا ، وهي منطقة الدعوة السنوسية ، فدخلتها القوات الإيطالية . وقد كانت إنكلترا تريد مجاملة إيطاليا وعدم إغضابها ما دامت إيطاليا تفتك بالمسلمين بطريقةٍ أكثر سوءاً مما تقوم هي به ، كما أنها لا تريد الصدام معها بعد تسلّط الحكم الفردي الاستبدادي عليها ، وخوفاً من قيام أنظمةٍ شبيهة أخرى ، والتحرّك نحو ألمانيا التي كانت تسير في المنحى ذاته .

وتقدّم الطليان في داخل ليبيا فاحتلوا (العقيلة) و (مرزوق) و (غات) ، وبذا تمّت سيطرتهم على (فزّان) وغربي ليبيا . ثم تحرّكت قواتهم نحو واحات الجزء الشرقي فاحتلوا (أوجلة) و (جالو) ، وأخيراً سقطت واحات الكفرة ، آخر معاقل السنوسيين في ١٥ شعبان ١٣٤٩هـ (٤ كانون الثاني ١٩٣١م) ، وبذلك عُزل الجبل الأخضر من كل ناحية .

كان قد بقي من زعماء الجهاد عمر المختار ومحمد الرضا فبدأ الطليان بمفاوضتهما . أمّا محمد الرضا ؛ فقد استسلم في ١٥ رجب ١٣٤٦هـ (٧ كانون الثاني ١٩٣٨م) ، وأمّا عمر المختار فقد رفض ، واستمرت المفاوضات معه حتى غرّة جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٢٩م) أي ما يقرب من سنتين من استسلام محمد الرضا .

أعلن عمر المختار استئناف الجهاد في غرّة جمادى الآخرة ، وقطع

المفاوضات بعد أن تأخّر « بادوليو » بردّ الجواب عليه ، واستمرّ في جهاده هذه المرة عشرين شهراً . وبينما كان يستطلع مع خمسين من فرسانه قوات العدو في « سلنطة » ؛ فوجىء بقواتٍ ضخمةٍ للعدو ، فاصطدم معها ، واستشهد أكثر فرسانه ، وسقط هو مثخناً بالجراح ، وقد قُتل جواده ، وحمله الأعداء أسيراً ، ولم يعرفوه ، وذلك في تاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٠هـ (١١ أيلول ١٩٣١م) . ولّما عرفوه نقلوه بسرعة إلى « سوسة » ومنها أركب الطراد « أوسيني » وسجن أربعة أيام ، ثم حُوكم محاكمةً صوريةً ، وأجاب غير هيّابٍ ، وأخذ على نفسه مسؤولية كل ما حدث من أعمال الجهاد ، فقررت المحكمة إعدامه على الرغم من أن عمره يزيد على الخامسة والسبعين ، فأعدم في اليوم التالي شنقاً في ٤ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ (١٦ أيلول ١٩٣١م) بمركز « سلوق » في (بنغازي) ، وأجبر الأهالي على مشاهدة إعدامه ، وكان منظراً مؤثراً ورهيباً أثار الناس وحرّك فيهم روح الجهاد ، مما جعل الطغاة يخشون عاقبة ما قاموا به ؛ فدفنوه سرّاً ، وأخفوا معالم القبر .

لقد خاض عمر المختار مائتين وثلاثاً وستين معركةً خلال العشرين شهراً الأخيرة ، وكانت أشهَر هذه المعارك : « الرحيبة » و « عقيرة المطمورة » و « كرسّة » وهي أسماء معارك في الجبل الأخضر في منطقة برقة .

خلت الساحة بعد استشهاد عمر المختار ، فأغلقت الزوايا السنوسية ، وصودرت أملاكها . ولا نستطيع أن نقول : إن حركة المقاومة قد أخمدت تماماً ، وإنما بقي منها أثرٌ يظهر بين الحين والحين .

قُدّر عدد الشهداء من الليبيين في السنوات العشر الأولى من الاحتلال الإيطالي بسبعين ألف شهيدٍ ، ووصل هذا الرقم في النهاية إلى خمسمائةٍ وسبعين ألفاً وتسعمائةٍ وثمانيةٍ وعشرين إنساناً كما سبق أن ذكرنا . واستولى الطليان على مساحاتٍ واسعةٍ من أخصب الأراضي ، ولقد وضعوا أيديهم حتى عام ١٣٥٠هـ على مائةٍ وعشرين فداناً في منطقة برقة فقط ، ولم يدفعوا سوى ثلث ثمنها ، ثم تضاعفت هذه المساحات بعد عامين . وشجّعت إيطاليا هجرة

أبنـائها إلى ليبيـا ، وأمدّتهم بـالأموال ، وأسكنتهم بـالأراضي والأملاك التي اغتصبتها ، وأقامت مزارع فردية ، ومزارع حكومية على شكل مستعمـرات إغراءً للطليان بالهجرة إلى ليبيا . وفي ١٩ ذي القعدة ١٣٥٧هـ (٩ كـانون الثاني ١٩٣٩م) أي قبل اندلاع نار الحرب العالمية الثانية بأقل من تسعة أشهر أعلنت ضمّ طـرابلس وبـرقـة إلى ليبيـا[١] ، وعـدّتهـا جـزءاً من الأراضي الإيـطالية ، ومنحت السكـان الجنسية الإيـطالية ، وأجـبرت القبـائـل عـلى الاستقرار ، وإضافةً إلى هذا الظلم ملأت إيـطاليا البـلاد الليبية بـالمدارس الإيطالية، وألزمت السكان على تعلّم لغتها، وعاملت الأهالي معاملةً سيئةً جداً حيث حرّمت عليهم الكثير ، وهتكت الأعراض ، وألقت الناس من الطائرات وهم أحياء إذا قالوا قولة حقٍّ أو انتقدوا ، وساقت العمال والمجنّدين للخدمة مع الجيش الإيطالي في الحبشة أو في الصحراء الغربية ، وارتكبت أبشع الجرائم والمنكرات .

هذا بالنسبة إلى الأعمال العسكرية وبعض مظالم الطليان في ليبيا ، أمّا بـالنسبـة إلى نشـاط السكـان السيـاسي خـارج البـلاد ، فقـد أسّس بشـير السعداوي[٢] جمعية الدفاع الليبي (الطرابلسي ـ البرقـاوي) في دمشق عام ١٣٤٧هـ ، وإن كان جلّ أعضائها من الليبيين المهاجرين ؛ إلّا أنه قد دخلها بعد الأساتذة من غير الليبيين ، وكانوا يومذاك أكثر أفـراد المجتمع اطّـلاعاً نسبيـاً ، وكان منهم : عبـد الغني الباجقني وهـو من أصل ليبي ، وبكـري قدورة ، وكامل عيّاد ، وكانت أهم مطالب هـذه الجمعية التي أعلنتهـا عام ١٣٤٨هـ هي :

---

(١) ليبيا بالأصل اصطلاح يطلق على الصحراء التي تقع غرب نهر النيل وجنوب برقة وطرابلس .

(٢) بشير السعداوي : من أهالي (طرابلس الغرب) ، رحل عام ١٣٥٥هـ إلى المملكة العربية السعودية ، وعمل مستشاراً عند ملكها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ورجع إلى بلاده عند استقلالها ، ولكن لم يسترح إلى الملك محمد إدريس السنوسي ، فرجع إلى القاهرة ، ومات فيها عام ١٣٧٦هـ ، صنّف رسالةً سمّاها : « فظائع الاستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس وبرقة » .

١ ـ تأسيس حكومةٍ وطنيةٍ ذات سيادةٍ ، على رأسها زعيمٌ مسلمٌ تختارة الأمة .
٢ ـ تشكيل جمعيةٍ تأسيسيةٍ لوضع دستور للبلاد .
٣ ـ انتخاب مجلس للنواب .
٤ ـ جعل اللغة العربية لغةً رسميةً .
٥ ـ المحافظة على شعائر الدين الإسلامي .
٦ ـ العناية بالأوقاف بإدارةٍ إسلاميةٍ .
٧ ـ إصدار عفوٍ عام .
٨ ـ عقد معاهدةٍ مع إيطاليا يقرّها المجلس النيابي .

وقد افتَتحت هذه الجمعية فرعاً لها في تونس عام ١٣٤٩هـ برئاسة محمد عريقب الزليطي .

وتأسست جمعية في مصر برئاسة أحمد السويحلي ، وقامت بنشاطٍ واسعٍ ، وافتَتحت عام ١٣٦٢هـ نادي طرابلس الغرب الثقافي .

وشكّلت الجاليات الليبية التي تقطن مختلف أرجاء العالم الإسلامي لجنةً للدفاع عن حقوق ليبيا ، واتخذت هذه اللجنة ميثاقاً وطنياً لها ، وعندما انعقد المؤتمر الإسلامي في القدس عام ١٣٥٠هـ ؛ أرسلت هذه اللجنة مندوبين عنها لحضور المؤتمر ، وقدّمت له نسخةً من الميثاق الوطني . وقد طالبت اللجنة المسلمين في أقطار الأرض كلها تقديم المساعدة لإخوانهم المنكوبين في ليبيا . وقد جاء في الميثاق ما يلي :

١ ـ تأليف جمعيةٍ تأسيسيةٍ لسنِّ دستور البلاد .
٢ ـ انتخاب الأمة مجلساً حائزاً على الصلاحية التي يخوّله إياها الدستور .
٣ ـ اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم .
٤ ـ المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطر في جميع أرجائه .
٥ ـ العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنةٍ إسلاميةٍ .
٦ ـ العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه .

٧ ـ تحسين العلاقات بين الشعب في طرابلس وبرقة والدولة الإيطالية بمعاهدةٍ يعقدها الطرفان ، ويصدِّقها المجلس النيابي .

٨ ـ تأليف حكومةٍ وطنيةٍ ذات سيادةٍ يرأسها زعيمٌ مسلمٌ تختاره الأمة .

يبدو من البيانات هذه أن الليبيين كانوا يقفون موقف الملاينة مع الطليان لعلّهم يحصلون على شيءٍ من تخفيف الشدّة بعد أن زاد طغيانهم ، فهم يطالبون بعقد معاهدةٍ مع الطليان ينالون فيها شيئاً من الاعتراف بالذات ، ولو كان لإيطاليا شيء من النفوذ .

ويبدو أن فرنسا كانت تُناهض إيطاليا وتختلف في ذلك عن إنكلترا ، فقد قامت الجمعيات الليبية في مناطق نفوذ فرنسا في سوريا وفي تونس ، ولعلّ إيطاليا وفرنسا كانتا على خلافٍ من أجل تونس ، أو أن كلاهما تريد منطقة ليبيا لنفسها ، لذا فإن فرنسا كانت تُعادي إيطاليا ، وتحرّك الليبيين ضدّها .

الحرب العالمية الثانية : اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨هـ (١ أيلول ١٩٣٩م) ، ودخلت فيها إيطاليا إلى جانب ألمانيا واليابان على حين كان في الطرف المقابل : إنكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والأمبراطورية الروسية ، ومعنى ذلك أن أرض ليبيا ستكون ساحة صراع بين الأطراف المتخاصمة ؛ فأرضها محتلة من قبل إيطاليا ، بينما تسيطر إنكلترا على الأراضي التي تحدّها من الشرق ، وهي أرض مصر ، وتستعمر فرنسا المناطق التي تحدّ ليبيا من الغرب والجنوب وهي : تونس ، والجزائر ، والنيجر ، وتشاد . حتى السواحل الليبية ستكون ميداناً لحربٍ بحريةٍ كاسحةٍ ، فالأسطول الإنكليزي له قوته في البحر المتوسط ، ويأتي بعده الأسطول الفرنسي حيث تشرف فرنسا على هذا البحر من ناحية الجنوب ، وتستعمر البلدان التي تشكل شطآنه الجنوبية من ناحية الغرب ، وهي : تونس ، والجزائر ، والمغرب ، كما تستعمر أجزاءً من شطآنه الشرقية وهي :

سوريا ولبنان . أما إيطاليا فإن أراضيها تمتدّ وسط هذا البحر ، وتكاد تجعله جزأين ، إضافةً إلى أنها تعدّ ليبيا جزءاً من مملكتها .

بدأت الحرب بهجومٍ ألماني صاعق اكتسح بولندا من ناحية الشرق ؛ فأعلنت إنكلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا ، فالتفتت ألمانيا إلى ناحية الغرب ؛ فضربت فرنسا ضربةً قويةً ألقت السلاح بعدها ، وعدّت عاصمتها باريس مدينةً مفتوحةً ، فدخلها الألمان . وتشكّلت في فرنسا حكومة « فيشي » برئاسة الجنرال « بيتان » وعقدت معاهدةً مع الألمان ، وعدّتهم حلفاء لها ، وكان لهذه الحكومة النفوذ في المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار ، وبذا فإن الصدام بين فرنسا وإيطاليا لن يكون ، ولن تكون هناك حربٌ على الحدود الليبية من جهة الغرب والجنوب في مراحل الحرب الأولى على الأقل ؛ لأن لفرنسا حكومة أخرى خارج أرضها وهي حكومة فرنسا الحرّة برئاسة الجنرال « ديغول » حيث يقيم في لندن ، ويعمل مع الحلفاء ، ولا بدّ من صدامٍ بين حكومتي فرنسا تبعاً لمجريات أحداث الحرب .

أما منطقة الحدود المصرية ـ الليبية فستكون إحدى مناطق الصراع الرئيسية في العالم خارج القارة الأوربية ، وذلك للتماس المباشر بين طرفي الحرب ، حيث إنكلترا في مصر ، وإيطاليا في ليبيا ، وسيعمل كل طرفٍ لإنزال ضربةٍ قاضيةٍ في خصمه ـ إن استطاع ـ لإخراجه من دائرة القتال ، وسيستعمل لذلك كل الوسائل المتوفرة لديه أو التي يمكن أن يستفيد منها .

إن أهم وسيلةٍ لدى إنكلترا الاتصال بالمجاهدين الليبيين ، ودعمهم ضدّ الطليان وحثهم على القتال ، وكأنهم أصبحوا أصدقاء لهم ، وكانوا بالأمس أعداء ، بل إن إيطاليا لم تتقدّم إلى احتلال ليبيا إلاّ وقد ضمنت عدمَ معارضة إنكلترا ، ولكنهما اليوم كلاهما أعداء لإيطاليا ، وعداوة إنكلترا عداوةٌ مرحليةٌ أو مؤقتةٌ اقتضتها السياسة والنزاع لفرض النفوذ ، وغداً تعودان للقاء وللقتال في خندق واحدٍ ضد المسلمين ، فكلاهما مشحون بالحقد على

الإسلام ، ويعمل لخدمة الصليبية . أمّا عداوة ليبيا فعداوة عقيدةٍ ، وهي باقية حتى يدين الطليان بالإسلام ، أو يُنزع الإسلام من قلوب الليبيين ، بل لن يؤمن الطليان بنزع الإسلام من قلوب الليبيين ؛ حتى يُعادونه ويُحاربونه ، ويُصبحوا نصارى أو يهوداً . وعلى كل فقد ادّعت إنكلترا الصداقة للمجاهدين ، ومدّت لهم يد العون ، وقدّمت إليهم المساعدات ، بل وكانت على صلةٍ مباشرةٍ بكبيرهم محمد إدريس السنوسي ؛ فهو يعيش في مصر ، في منطقة نفوذها ، وتحت سيطرتها ، وفي حمايتها ورعايتها ، وقد وجدت فيه ضالتها ؛ فهو الصلة لها مع المجاهدين ، وهو وسيلتها لحكم بلاده في المستقبل ، وراعي مصالحها فيما إذا خرجت من أرضه ، لذا يجب رعايته بالشكل المطلوب، وعلى قدر ما تنجح في سياستها معه؛ على قدر ما تحقّق نصرها في الوقت الحالي ، ومصالحها في الأيام القادمة والمستقبل القريب .

لم يكن محمد إدريس السنوسي يقوم بأيّ نشاطٍ سياسي في مصر ، على حين يقوم غيره بذلك ، بل لم تكن إنكلترا لتسمح له بذلك ، فإن أي نشاطٍ ؛ يسيءُ للعلاقة بين إنكلترا وإيطاليا ، ولم تكن كلتاهما تريد ذلك للظروف الدولية التي تمرّ بها القارة الأوربية خاصةً ، لذا نلاحظ أنه رغم وقوع مصر بجوار ليبيا ، ورغم وجود محمد إدريس السنوسي في مصر ، بل وعددٍ آخر من الليبيين معه ؛ إلّا أنه لم تكن هناك نشاطات سياسية ضد إيطاليا على حين وُجد مثل هذا النشاط في تونس ودمشق ، رغم البعد بين دمشق وليبيا ، وعدم وجود كثير من الليبيين في دمشق .

لما دخلت إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا؛ نشطت إنكلترا، ودفعت محمد إدريس السنوسي للعمل ، وقد عُقد اجتماعٌ في بيت السنوسي بالاسكندرية في تاريخ ٦ رمضان ١٣٥٨هـ (١٩ تشرين الأول ١٩٣٩م) وحضره عن طرابلس أحمد السويحلي ، وأحمد المريض ، وعون وسوف ، وتوفيق الغرياني ، ومحمد العيساوي ، وعن منطقة برقة : عبد السلام الكدّة ، وعبد الحميد

العباد . وبعد أربعة أيام تم الاتفاق على تجديد البيعة لمحمد إدريس السنوسي بالإمرة على منطقة ليبيا، وتشكيل لجنةٍ برئاسة الأمير وعضوية أحمد السويحلي وأحمد المريض وعبد الحميد العباد و . . . للعمل من جديدٍ ضدّ الطليان .

من السياسة ألّا تقدّم إنكلترا عروضاً كبيرةً لليبيين ، وإنما تترك ذلك للأيام وحسب الظروف ؛ لتبلوهم ، وتختار من تشاء ، وعندها تقدّم له العروض ليصبح في المستقبل خاضعاً لها ؛ فمكانه من بعض فضائلها عليه أو من بعض فضلاتها تُقدّم له ، فكأن بلاده من خيراتها وتهب له منها ، على حين أنها غريبة والبلاد لأهلها . ومن السياسة أن تبدأ بتسخير أهل ليبيا لمصلحتها ، وفي حدود ما ترسم لهم ، ثم تمنح ما تشاء .

عرضت إنكلترا العمل على الليبيين ، وتقديم المساعدة للجهاد ضدّ الأعداء من الطليان ، وكلّفت حمد الباسل[1] للتوسط في ذلك ، وعرضت أجراً زهيداً للذين يتطوّعون للقتال في صفوف الجيوش الإنكليزية ، غير أن الطرابلسيين.رفضوا ذلك العرض ، وعرفوا أن إنكلترا تريد استغلالهم ؛ فبالأمس كانت بجانب إيطاليا وضدّ أهل ليبيا ، واليوم تريد أن تقاتل إيطاليا بأهل ليبيا لمصلحة الإنكليز والإنكليز فقط .

رضي محمد إدريس السنوسي العمل برأي إنكلترا ، وعهد إلى صفي الدين السنوسي بتجنيد المتطوعين ، وفتح مكتباً لتجنيد السنوسيين ومن يقبل العمل معهم ، واستطاع أن يجنّد أربعة عشرَ ألفِ جنديٍ ، ومائةً وعشرين ضابطاً .

شكّل محمد إدريس السنوسي الجمعية الوطنية الليبية التي قرّرت إعلان

---

(١) حمد بن محمود بن محمد الباسل : وُلد في القاهرة عام ١٢٨٨هـ ، وهو من أصل مغربي ، وقد حافظ في لباسه على الزي المغربي ، تعلم الإنكليزية والفرنسية بالممارسة الكلامية ، وسُمّي عمدةً لقبيلة « الرماح » قرب الفيوم ، وكان من أعضاء الجمعية التشريعية ، كان مع سعد زغلول ، ونُفي معه إلى مالطة ، ومات بالقاهرة عام ١٣٥٩هـ .

بيعته وتفويضه دون قيدٍ أو شرطٍ ، وخوض الحرب إلى جانب إنكلترا ، غير أن زعماء منطقة طرابلس قد رفضوا الموافقة على قرارات هذه الجمعية ، وانطلقوا إلى بقية البلدان العربية للعمل للقضية الليبية .

مضى أكثر من عامٍ على نشوب الحرب العالمية الثانية ؛ ولم تتحرك الجبهة بين ليبيا ومصر ، أو بالأحرى بين إيطاليا وإنكلترا في هذه الجبهة ، وذلك لانشغال دول أوربا بالقتال على أرض قارتهم . فلمّا أنهى الألمان وضع فرنسا ، وسيطروا على معظم أوربا ، ولا يستثنى منها إلاّ روسيا وإنكلترا ، وقد فشلوا بالنزول في إنكلترا ؛ عندها فكروا بنقل المعركة إلى البحر المتوسط لضرب مواقع الإنكليز المهمة واحتلالها ، وهي : جبل طارق ، ومالطة ، وقبرص ، والإسكندرية .

التقى هتلر بموسوليني في « برينير » في ٣ رمضان ١٣٥٩هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٠م) ، وأعلمه أنه غيّر فكرته بالنزول إلى إنكلترا ، وأنه يجب نقل المعركة إلى البحر المتوسط ؛ لإجبار إنكلترا على الركوع على ركبتيها بعد احتلال قواعدها في المتوسط .

بدأ الطليان بالهجوم على مصر من ليبيا ، ودخلوا أرضها ، ولم تمضِ إلاّ أيام قليلة تزيد على الشهرين ؛ حتى وصلوا إلى موقع « سيدي براني » وبعد شهرين آخرين قام الإنكليز بهجوم كاسح معاكس بالجيوش الأسترالية ، والنيوزيلاندية ، والهندية ، وألقوا بالإيطاليين حتى بنغازي ، وشكّلوا حكومة عسكريةً في برقة مقرّها في مدينة بنغازي . غير أن الألمان والطليان بقيادة «رومل» قاموا بهجوم كسحوا فيه القوات الإنكليزية ، ووصلوا إلى حدود مصر في جمادى الأولى ١٣٦٠هـ (حزيران ١٩٤١م) ، ثم تابع سيره باتجاه الإسكندرية ، غير أنه توقّف في موقع « العلمين » ، ووصل الألمان والطليان بذلك إلى ذروة تفوقهم .

عُيّن « مونتغمري » قائداً للجيش الإنكليزي الثامن في تاريخ ٣ شعبان

١٣٦١هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٤٢م) .

وأصبح «رومل» بين نارين، واستطاعت القوات الإنكليزية دخول مدينة طرابلس الغرب في تاريخ ١٧ محرم ١٣٦٢هـ (٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣م) ، وانسحب الطليان من ليبيا بعد أسبوعين من احتلال طرابلس .

ثم تمَّ الإنزال في جزيرة صقلية في تاريخ ٨ رجب ١٣٦٢هـ (١٠ تموز ١٩٤٣م) وتخلّى بعدها موسوليني عن السلطة في ٢٨ رجب ١٣٦٢هـ (٣٠ تموز ١٩٤٣م) ، وحدث الإنزال في شبه الجزيرة الإيطالية في ٩ رمضان ١٣٦٢هـ (٨ أيلول ١٩٤٣م) واستمر تراجع دول المحور حتى انتهت الحرب باستسلام ألمانيا في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ (٧ أيار ١٩٤٥م) .

وبينما كانت تتقدّم القوات الإنكليزية من الشرق ، وتنهار المقاومة الألمانية ـ الإيطالية ؛ كانت القوات الفرنسية تتقدّم من الجنوب ، وقد احتلّت منطقة فزّان ، وهكذا أصبحت ليبيا منطقة عدوٍّ محتلّة من قِبل دولتين ؛ إذ أقامت إنكلترا حكماً عسكرياً في كل من برقة وطرابلس ، وأقامت فرنسا حكماً عسكرياً في فزّان ، وحصلت الولايات المتحدة على قواعد جوية .

فصلت إنكلترا بين برقة وطرابلس ، وميّزت بين القسمين في المعاملة فأمّا برقة فقد سمحت بالتعامل فيها بالجنيه المصري ، ورفعت الرقابة عن المطبوعات ، والقيود عن التجارة ، كما سمحت بالسفر لمن أراده ، ولم تمانع في سفر السكان ، ولم تفرض ضرائب مباشرة حتى عام ١٣٦٥هـ . وأمّا طرابلس فقد أبقت الأحكام العسكرية فيها . وقد قدّمت مساعدات لخزينة القسمين .

وأمّا فرنسا فقد قسّمت المناطق التي احتلّتها إلى ثلاثة أقسام وهي :

١ ـ غدامس : وألحقتها بتونس .
٢ ـ غات : وألحقتها إدارياً بالجزائر .
٣ ـ فزان : وألحقتها إدارياً بالجزائر .

وفرضت الفرنك الفرنسي محلّ اللير الإيطالي ، وأعادت منصب

المتصرّف العثماني ، وعيّنت أحمد سيف النصر متصرّفاً على فزّان .

النضال والمناورات السياسية : اختلف النضال بين منطقةٍ وأخرى . فالأصل أن الحكم عسكري ؛ فلا أحزاب ولا هيئات ، ولا صحافة ، ولا أندية سواء أكانت فكرية أم سياسية ، ولا منافسة على تأمين الوضع الأفضل للوصول إلى السلطة ، فالرأي والحكم أولاً وأخيراً للحاكم العسكري .

ففي المنطقة الفرنسية (فزّان) وعد ديغول الذي آل إليه الحكم بعد انتصار فرنسا الحرة بزعامته مع الحلفاء ، وعد سكان فزّان بالطمأنينة والأمن وسيادة النظام في ظلّ فرنسا ، وبما أن المنطقة قد قسّمت ، وعدد السكان قليل ؛ لذا لم يبدُ أي أثر للدعوات أو التنظيمات .

وأمّا في المنطقة الإنكليزية (برقة وطرابلس) ؛ فالتقسيم قائم . ففي برقة يرغب الأهالي بإمرة محمد إدريس السنوسي غير أنه لم يرضَ أن يأتي على أساس غامض ، وإنكلترا لم تعترف بإمرته ، لذلك بقي في مصر . إنكلترا تريد أن يطلب هو بنفسه الإمارة منها ، ويُلحّ في الطلب ، ويسعى إليها ، عندها تقدّمها له ، وتُسلّمه حكم برقة ، فتكون صاحبة الفضل والمنة عليه ؛ فتربطه بها ويسير في فلكها ، وتجعل مصيره بيدها . وهو يُريد أن يُحجم قليلاً حتى يطالب به السكان ، ويتظاهرون من أجل ذلك ، وتضطّر إنكلترا عندها أن تستجيب للأهالي ومطالبهم ، وتدعوه لاستلام الإمرة ، فيكون قد جاء بناءً على اختيار السكان وتلبية لمطالبتهم به ، فالرأي لهم ، ولا يكون لإنكلترا فضل عليه ، ولكن السكان لم يستطيعوا فعل شيء ؛ فالحكم عسكري ، وإنكلترا هي المنتصرة ، ولذلك بقي الوضع هادئاً ، ولم يحدث شيء . ووجد السنوسي أنه إن لم يطلب هو لنفسه الإمرة ويستجيب لمطالب إنكلترا ؛ فإنها ستجد غيره ، وكثيرٌ أولئك الذين يرتمون أمامها ، ويعرضون أنفسهم عرضاً غير مشرّف ، وسينفّذون لها الرأي الذي ترغب . ووجد أنه سيطلب الإمرة في النهاية وإلاّ ضاعت منه إلى النهاية ، وإنكلترا تعرف هذا وتنتظر ، وهو يدرك هذا ويتريّث .

في برقة : استأنف نادي عمر المختار[1] نشاطه في مطلع عام ١٣٦٣هـ (مطلع عام ١٩٤٤م) ، وقد تولّى رئاسته مصطفى عامر بعد وفاة مؤسسه أسعد بن عمران، ولم يمتد نشاطه في البداية ثم توسّع خارج مدينة بنغازي حتى غدت له فروعٌ (درنة) وغيرها . ودعا إلى تأسيس دولةٍ ليبيةٍ متحدةٍ بإمرة محمد إدريس السنوسي، وقد ظهر على أنه نادٍ أدبي ليس إلاّ، ولكنه لم يلبث أن أصدر مجلةً باسم «مجلة عمر المختار»، كما أسس جريدةً عُرفت باسم جريدة « الوطن » ، ومن هذا يبدو أن العمل سياسي ؛ وإن حمل اسم ناد . وحدد النادي أهدافه بتأييد إمارة محمد إدريس السنوسي والانضمام إلى جامعة الدول العربية . ولكن إنكلترا عندما زاد النادي من نشاطه حلّته لتؤكّد أن الأمر بيدها لا بيد أحدٍ غيرها مهما كان وزنه السياسي أو الاجتماعي واسعاً ، وعطّلت صفحة ، واضطهدت أعضاؤه ، ثم ظهر مرةً أخرى ، وبعد مدة باسم « جمعية عمر المختار » ، وأحياناً كان يُطلق عليها اسم « الجمعية الوطنية » .

ونشأت في برقة أيضاً رابطة الشباب الإسلامية ، وكان من أبرز أعضائها صالح مسعود بويصر الذي كان لا يزال يدرس بمصر في الجامع الأزهر ، وتتمّ اللقاءات في بيته . وتأسّس للرابطة فروعٌ في مدينتي : « درنة » و« المرج » وغيرهما .

لم تكن الجمعية ولا الرابطة لتبحث في أمور وحدة الأقاليم التي تكوّنت منها فيما بعد دولة ليبيا (برقة ـ طرابلس ـ فزّان) ، وإنما كانتا تتفقان في المطالبة بإمارة السنوسي ، ثم وصل البحث في الوحدة وكانت الرابطة ترى أنه لا يمكن جمع هذه الأقاليم الثلاثة إلاّ في ظلّ الإمارة السنوسية ، وترى أن تكون الإمارة التي تدعو إلى الاستقلال ، فإذا ما تمّ كانت الدعوة إلى الوحدة .

أمّا الجمعية فأصبحت ترى الدعوة إلى الوحدة فإذا ما تحققت كان العمل

---

(١) تأسس نادي عمر المختار في القاهرة عام ١٣٤١هـ ، ثم توقّف نشاطه عندما تقدّم الألمان ووصل رومل إلى العلمين .

إلى تسليم السنوسي زعامة الدولة المرتقبة ، ولكن فرع الجمعية في « درنة » قد أعلن أنه يمكنه أن يتخلّى عن الوحدة ، غير أنه لا يمكنه أبداً أن يتخلّى عن إمارة السنوسيين .

رأى محمد إدريس السنوسي نفسه مضطراً للتنازل عن فكرته بعدم الطلب من إنكلترا بالسماح له بالعودة إلى برقة والاستقرار فيها ، فإنه إن لم يرضخ للأمر الواقع جيء بغيره ونصّب أميراً ، وبقي هو بعيداً، لذا فقد أقدم وطلب من السلطات الإنكليزية السماح له بالرجوع إلى بلده ومغادرة مصر ، فسمحت له ، ورجع مُكَرماً ، ومُعتَرفاً له بمكانته .

غادر السنوسي برقة فجأة ، وارتحل إلى مصر آيباً إليها في جمادى الأولى ١٣٦٥هـ (نيسان ١٩٤٦م) ، فتجمّع الناس حول بيته ، وحالوا دون التحاق زوجته به ، وطالبوا بعودته ، وظهرت فوضى ، واكفهر الجوّ ، ولم يُزل الغمة إلّا قدوم ضابطٍ أبلغ الشعب أن السيد محمد إدريس السنوسي سيعود إليهم خلال عشرة أيامٍ ، وفعلاً فقد رجع في الأول من رمضان عام ١٣٦٥هـ (٢٩ تموز ١٩٤٦م) . وفي هذه الأثناء تشكلت الجبهة الوطنية من إخوان عمر المختار الذين حملوا معه السلاح ، وجاهدوا ضد الطليان .

وفي ٢٩ محرم ١٣٦٧هـ (١٢ كانون الأول ١٩٤٧م) طلب محمد إدريس السنوسي من الهيئات السياسية في برقة حل نفسها ، وهي : جمعية عمر المختار ، رابطة الشباب الإسلامية ، الجبهة الوطنية البرقاوية ، وتشكيل هيئةٍ واحدةٍ ، وقد وافقت كلها وانصاعت لأمره ، وشكّلت المؤتمر الوطني البرقاوي العام في ٢٨ صفر من عام ١٣٦٧هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٤٨م) ، وعيّن محمد إدريس السنوسي أعضاءه بنفسه ، وكان عددهم سبعةً وستين عضواً ، ثم زادهم حتى غدوا سبعين عضواً ، وقد عيّن محمد الرضا السنوسي رئيساً له[1] . وكانت الدعوة في برقة إلى استقلال إقليم برقة ، وقيام حكومةٍ دستوريةٍ فيها برئاسة محمد إدريس السنوسي وورثته من بعده ، ورفض أي تعاون مع

---

(١) تألّفت اللجنة التنفيذية للمؤتمر من : =

إيطاليا ، أمّا وحدة أقاليم ليبيا فيجب أن تكون ضمن شرطين :

١ ـ ملكية محمد إدريس السنوسي ووراثة أبنائه من بعده .

٢ ـ عدم عودة إيطاليا .

وكان المؤتمر الوطني البرقاوي هو الهيئة السياسية الوحيدة المعترف بها .

إن الحرص الذي أبداه محمد إدريس السنوسي على الإمارة والتنازل الذي أظهره لإنكلترا مع إهمالها له ، وطلب السماح له منها بالرجوع إلى برقة ومغادرة مصر ، والتلويح الدائم لسلطاتها لتسليمه الزعامة ؛ كل هذا جعله ضعيفاً وسيجعله ضعيفاً أمامها في المستقبل ، ومنفّذاً لرغباتها وسيجعلها في الوقت نفسه سيدة الموقف ، والسيدة له ، وسيكون مُداناً لها بإمرته . ولّما كانت إنكلترا ترغب في فصل برقة عن طرابلس لذا فهو يسعى إلى هذا بالتبعية دون البحث في موضوع وحدة الإقليمين ومصلحة الأمة ، ولّما كان أعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي من اختياره وتعيينه لذا فهم ينفّذون رغباته فقط ، وينطلقون من خلالها ، وكان جلّ اهتمامهم تنصيبه ملكاً على إقليمهم أو حيث تريد إنكلترا ، وعدم عودة الإدارة الإيطالية حيث في عودتها إبعادٌ لإنكلترا عن الساحة ، وبالتالي إطاحة لصنيعتها . أما موضوع الوحدة بين برقة وطرابلس وفزّان فلم يعيروه اهتماماً زائداً ، ويعدّونه أمراً ثانوياً تماماً.

في طرابلس : ويختلف الأمر تماماً في إقليم طرابلس عمّا هي الحال في إقليم برقة ؛ إذ كانت الاتجاهات السياسية والأهداف تنطلق من مصلحة الأمة ، والرغبة قائمة في وحدة الأقاليم كلها ، بل في وحدة الأمة الإسلامية كلها ، ولا اهتمام بالشخصيات ؛ فهي تزول ، أما الوحدة فإنها تبقى ، وغايات الأمة دائمة ، وكذلك توجد عدّة هيئاتٍ سياسيةٍ ؛ فقد تأسّس نادي طرابلس عام ١٣٦٢هـ ، وهو أوّل نادٍ سياسي ، وقد قام بنشاطٍ ظاهرٍ ،

= ١ ـ محمد الرضا السنوسي .
٢ ـ الصديق السنوسي .
٣ ـ أبو القاسم السنوسي .
٤ ـ علي الجربي .
٥ ـ خليل القلال .

وفُتحت له فروعٌ في كثيرٍ من نواحي البلاد ، ولما قوي أمره عام ١٣٦٤هـ ؛ قام بمظاهرةٍ كبرى رفع فيها المتظاهرون نداءاتٍ ضدّ الطليان ، وأزالوا كل اللافتات الإيطالية ، وحتى اللوحات المكتوبة باللغة الإيطالية . وخاف على أنفسهم أولئك الذين سبق لهم أن تعاونوا مع الإدارة الإيطالية ؛ فقاموا بردّ فعلٍ وتقدّموا بعرائض دعوا فيها إلى وصايةٍ إنكليزيةٍ ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أمرين اثنين وهما : أن هؤلاء الرجال الذين تقدّموا بالعرائض ؛ إنما هم أصحاب مصالح ، وهم على استعدادٍ للتعاون مع أي استعمارٍ ، وفي الواقع ليست إنكلترا بأفضل من إيطاليا ، وليست إيطاليا خيراً من إنكلترا ، فكلاهما عدوّ صليبي ، مستعمر دخيل ، حاقد بغيض يريد أن ينتقم منا ، وأن يسلبنا خيرات بلادنا ، أما الأمر الثاني فهو أن إنكلترا كانت من وراء تلك المظاهرات تحرّكها ، وتهيّىء نفسها لتحلّ محل إيطاليا ، فقد ضمنت برقة ، ووجدت فيها من يمكنه أن يعمل بتوجيهها ، وربما سعى لمصالح إنكلترا من إنكلترا نفسها ، وتريد الآن أن تؤمّن طرابلس . وإذا كانت فكرة الوحدة واجباً شرعياً ، وغايةً نبيلةً ، وأمراً مطلوباً بحدّ ذاته إلّا أن القصد منها هنا هو ضمّ طرابلس إلى برقة لتكونا تحت جناح إنكلترا وتدورا في فلكها معاً وبمسارٍ واحدٍ .

وتأسّست اللجنة الطرابلسية في القاهرة في شهر شوّال من عام ١٣٦٢هـ (تشرين الأول ١٩٤٣م) ، وكانت تسعى لاستقلال طرابلس دون البحث في موضوع الرجل أو الأسرة التي تسلّم لها مقاليد الأمور ، وهذا السعي إلى الاستقلال يسير جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى وحدة الأقاليم الثلاثة .

وتأسّس الحزب الوطني عام ١٣٦٤هـ برئاسة « علي بن حسين الفقيه » وكان من رجاله البارزين : مصطفى ميرزان ، وعون وسوف ، ومحمد بن حسن ، وعبد السلام المريض ، ومحمد المنصف ، وأعلن الحزب منهجه ، ودعا فيه إلى مقاومة عودة الطليان ، ومنع هجرتهم إلى ليبيا ، وإلغاء القوانين الإيطالية في البلاد كافةً ، وكان هذا الحزب الجواد الثاني للرهان ، وأبدت

إنكلترا عدم الاهتمام به ، أو عدم الاعتراف به ، وذلك كي يستطيع التحرّر والبعد عن كل ارتباطٍ ، فلو اعترفت به مباشرةً ، ودعمته لشكّل ذلك إشارات استفهام حوله ، فلما برز نشاطه اعترفت به وذلك في تاريخ ٧ جمادى الأولى ١٣٦٥هـ (٨ نيسان ١٩٤٦م) ، وبعد شهرٍ وثلاثة أسابيع من الاعتراف الإنكليزي بالحزب ؛ انشقّ على نفسه ، فتشكّلت الكتلة الوطنية الحرة بزعامة علي بن حسن الفقيه رئيس الحزب سابقاً ، أما الفرع الذي بقي يحمل اسم الحزب الوطني فتولّى زعامته مصطفى ميزران ، وكان ذلك في ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ (٣٠ أيار من عام ١٩٤٦م) .

ولزيادة إبعاد شبهة الصلة بالحزب الوطني بفرعيه المنشقين الحزب الوطني ، والكتلة الوطنية الحرة ؛ رأت إنكلترا إيجاد حزب من المتعاونين معها صراحةً ، فإن المنافسة بين الحزب الموالي وبين الأحزاب المخالفة له تجعل العامة يعطون الولاء للأحزاب المخالفة للحزب الموالي والمتعاون مع أي جهةٍ ، أما أصحاب المصالح فيسيرون في ركاب الحزب المتعاون مع السلطة ؛ لأن المنافع تكون أقرب منالاً حسب الظاهر ، أمّا المستعمر ـ وهنا إنكلترا ـ فتعدّ الطرفين ليكونا جوادي الرهان ، فتهدّد الموالين لها جهاراً بالمنافسين لهم والمتعاونين معها خفيةً ، وذلك كي يطيعوا طاعةً تامةً ، وينفّذوا لها كل ما تريد ؛ حرصاً على مصالحهم ، ومحاولةً للبقاء في مراكزهم التي وضعتهم فيها ، وفي الوقت نفسه تُمنّي المعارضين باستلام السلطة إن كانوا أكثر طواعية ، وبناءً على ذاك تشكّلت الجبهة المتحدة برئاسة سالم المنتصف في تاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ (١٠ أيار ١٩٤٦م) ، وكان من أعضائها البارزين محمد أبو الإسعاد العالم الذي سُمّي مفتياً أيام الحكم الإيطالي ، وأكثر أعضاء هذه الجبهة من الذين كانوا يتعاونون مع السلطة الإيطالية ، وقد سبق أن ذكرنا أن أمثال هؤلاء على استعدادٍ للتعاون مع أية سلطةٍ مهما كانت عقيدتها أو جنسيتها أو عداوتها لعقيدتهم ؛ ما دامت تؤمّن لهم مصالحهم ويجدون في ظلّها المنصب والجاه .

وانشقّ عن الكتلة الوطنية الحرة مجموعة برئاسة علي رجب ، وشكّلت الاتحاد المصري ـ الطرابلسي ، وذلك في تاريخ ٢٢ محرم ١٣٦٦هـ (١٦ كانون الأول ١٩٤٦م) ، ودعت هذه المجموعة ـ كما يظهر من اسمها ـ إلى الاتحاد مع مصر حيث تفرض إنكلترا نفوذها هناك ، فالأمر لا يبعد عن منطقة هيمنتها .

ومن الملاحظ ؛ أن أكثر المجموعات السياسية التي نشأت في هذه المرحلة إنما كانت نقطة البدء في تأسّسها في القاهرة حيث النفوذ الإنكليزي ، وكانت تتحرّك تحت سمع ونظر الإنكليز مما يشكّل إشارات استفهام حول تحرّكها السياسي ، وإذا كانت ستتولّى زعامة طرابلس أو سيؤول إليها الحكم ؛ فإن المراقب السياسي يستطيع أن يدرك إلى أية جهةٍ يكون توجّهها .

وفي منتصف شهر شوال من عام ١٣٦٦هـ (الأول من أيلول ١٩٤٧م) تأسّس حزب العمال على نمط حزب العمال البريطاني، ولكن ليس على النهج الاشتراكي.

وفي مطلع شهر جمادى الأولى من عام ١٣٦٧هـ (١١ آذار ١٩٤٨م) تشكّل حزب الأحرار برئاسة صادق بن زارع الذي كان يشغل منصب وكيل الحزب الوطني .

وهكذا أصبحت الأحزاب الطرابلسية تحمل أسماء الأحزاب الإنكليزية : العمال ، والأحرار ، ويشبه الحزب الوطني بجناحيه حزب المحافظين .

كانت الأحزاب في طرابلس ذات اتجاه (وحدوي) بشكل عام ، وتقف في وجه كل من يدعو إلى انفصال برقة عن طرابلس ، وقد عملت على التفاهم مع محمد إدريس السنوسي ليكون أميراً على الجزأين الليبيين. وعندما غادر السنوسي برقة مرتحلاً إلى مصر ؛ أرسلت الجبهة الوطنية الحرّة إليه محمود المنتصر وطاهر المريض لاستطلاع رأيه السياسي في موضوع الإمارة ، وسبب

مغادرته البلاد ، وفي القاهرة تمّ اللقاء ؛ بعد أن انضمّ إلى الوفد بشير السعداوي في تاريخ ٢٧ رجب ١٣٦٥هـ (٢١ حزيران ١٩٤٦م) ، وعرضوا عليه وحدة ليبيا على أن تكون الإمرة محصورة بشخصه ولا تتعداه بعد موته إلى أفراد أسرته ، أي دون أن تكون وراثية ، فأبدى الموافقة .

كان حزب الأحرار وحزب الجبهة الوطنية يريان بحث موضوع الإمارة بعد تحقيق الوحدة ، أما في هذه المرحلة فلا معنى لها ، إذ ما معنى بحث إمرة محمد إدريس السنوسي على طرابلس ، وهو أمير برقة ، ولا توجد وحدةٌ بينهما .

وأما الحزب الوطني والكتلة الوطنية الحرة فقد رفضا موضوع الإمارة أساساً ، ولكن الاتحاد المصري - الطرابلسي قد أهملها تماماً ، ولم يتحدث فيها . وكان حزب العمال يرفضها غير أنه لم يصرح بذلك ليس إهمالاً وإنما متعمّداً ذلك .

وعندما رجع محمد إدريس السنوسي من مصر إلى برقة في الأول من رمضان عام ١٣٦٥هـ (٢٩ تموز ١٩٤٦م) ؛ ذهب وفد من طرابلس إلى بنغازي ضمّ بشير السعداوي ومحمد المنصف ، وعرضا على السنوسي إمرة طرابلس إضافة إلى برقة فأبدى شيئاً من الموافقة فيه تحفّظ ، وكأنّه يشير إلى رغبته في أن يكون الطلب من جميع الزعماء الطرابلسيين ، وأن يكون العمل لتلك الفكرة رسمياً ، فعرضا عليه عقد مؤتمر يضمّ أعضاء من طرابلس وآخرين من برقة لبحث هذا الموضوع ؛ فوافق .

حضر وفدٌ من طرابلس[1] إلى برقة حيث التقى بوفدها[2] ، وكانت

---

(١) ضم وفد طرابلس : محمد أبو الإسعاد العالم رئيساً ، وعضوية كل من : عبد الرحمن القلهود ، وعون وسوف ، وإبراهيم شعبان ، وسالم المريض ، ومحمد الميت ، وعبد المجيد كعبار ، ومحمد المنقاري ، وعن اليهود إسحاق حبيب .

(٢) ضمّ وفد برقة : عمر منصور الكيخيا رئيساً ، وعضوية كل من : عبد الحميد الديباني ، ومنير =

الجلسات في ٢٣ و٢٥ و٢٧ صفر عام ١٣٦٦هـ (١٦ ، ١٨ ، ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٤٧م) ، واتفق الحضور على وحدة البلاد بجزأيها ، واستقلالها ، وإمرة السنوسي عليها ، وضرورة الانضمام إلى جامعة الدول العربية ، غير أنه ظهر أن وفد طرابلس يؤكّد على استقلال ليبيا ووحدتها ، ثم المناداة بإمرة السنوسي ، أما وفد برقة فإنه يؤكّد على إمرة السنوسي ، ثم العمل للاستقلال والوحدة، وأصرّ رئيس وفد برقة ـ رئيس ديوان الأمير محمد إدريس السنوسي : عمر منصور الكيخيا ـ على الاعتراف بإمرة السنوسي دون قيدٍ أو شرطٍ ، وكأنه يصرّ على الإلزام ، فرفض وفد طرابلس ، كما رفض فكرة تجزئة النضال من أجل الاستقلال .

في فزّان : لم يكن في إقليم فزّان آراء سياسية متباينة ؛ لطبيعة الحياة القبلية ، وكانت أسرة « سيف النصر » صاحبة الكلمة الأولى في الإقليم ، وقد ارتبطت مصالح هذه الأسرة مع فرنسا ؛ فلم تكن هناك صراعات .

جامعة الدول العربية : تعدّدت اجتماعات جامعة الدول العربية في هذه المرحلة ، وفي الاجتماع الذي عقد في (أنشاص) بمصر في تاريخ ٢٧ و٢٨ جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ (٢٨ و٢٩ أيار ١٩٤٦م) ؛ أيّدت استقلال ليبيا ووحدة أراضيها ، وأكّدت ذلك في الاجتماع الذي عقد بعد شهر في (بلودان) بسوريا .

وأرسلت إلى مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى المنعقد في شوال ١٣٦٤هـ (أيلول ١٩٤٥م) تطالبه ببحث مصير المستعمرات الإيطالية، وفي الوقت نفسه تطالبه باستقلال ليبيا.

وكان محمد إدريس السنوسي قد طلب من الهيئات السياسية في طرابلس

= بعباع ، وحسين بسيكري ، وعبد الحميد العبار ، وعبد الرزاق شقلوف ، وعلي العبيدي ، وعوض لنقي ، وعن اليهود : ريناتو تشويه .

حلّ نفسها وتشكيل هيئةٍ واحدةٍ ، غير أنها قد رفضت ذلك في شهر ربيع الأول ١٣٦٥هـ (شباط ١٩٤٦م) إذ عدّت ذلك مناورةً منه حتى يستطيع التأثير على تلك الهيئة وتوجيهها حسبما يرى . غير أن الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزّام قد عمل على ذلك فيما بعد ؛ واستطاع ، وحلّت الهيئات كلها نفسها في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ (١٣ آذار ١٩٤٧م) ، وشكّلت ما عرف باسم « هيئة تحرير ليبيا » ، وكان من بين أعضائها البارزين : بشير السعداوي ، ومحمود المنتصر ، وأحمد السويلحي ، وطاهر المريض ، ومنصور قدارو ، وجواد ذكرى ، وبعد مدة انضمّ إليها مفتي طرابلس ، وتغيّر اسمها ، وحملت اسم « المؤتمر الوطني الطرابلسي » ، وأرسل هذا المؤتمر وفداً إلى بنغازي حيث التقى بمحمد إدريس السنوسي ، واتفق معه على قيام دولةٍ اتحاديةٍ من طرابلس وبرقة ؛ تحت رئاسة السيد السنوسي ، وقد أعطى موافقته هذه المرة ؛ لأن الوفد حسب رأيه يمثّل طرابلس فعلاً ، ولم يكن كذلك في المرة السابقة ، وقد درس المؤتمر موضوع استقلال ليبيا ووحدتها ، غير أن زعماء إقليم برقة قد رفضوا الاشتراك في هذه الهيئة لأنها لم تشر إلى إمارة السنوسي صراحةً .

الموقف الدولي : منذ أن اجتمعت هيئة الأمم المتحدة التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية ، ونظرت في قضية ليبيا ؛ اتفقت آراء الدول الكبرى على أن توضع ليبيا تحت وصاية إحدى الدول العظمى ، ولكن عندما بحثوا الموضوع الحسّاس وهو أية دولةً كبرى ستكون هي الوصية على ليبيا ؛ اختلفت الآراء ؛ لاختلاف المصالح والسعي وراء الأطماع .

شرع وزراء خارجية الدول الكبرى ، وهي : الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا ، وإنكلترا ، وفرنسا ؛ بدراسة مستقبل ليبيا في مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٣٦٤هـ . اقترحت روسيا أن تُعطى هي الوصاية على منطقة ليبيا ، وذلك لأنها ترغب في الدخول إلى مياه البحر المتوسط ، وهذه فرصة لها لتحقق هذا الحلم ، غير أن الدول الأخرى لم توافق على هذا الاقتراح . وتقدّمت إيطاليا بطلبٍ إلى المجلس تُبدي رغبتها بالعودة إلى ليبيا ؛ فلم يُنظر

إلى هذا الطلب . واقترحت الولايات المتحدة أن تكون هناك وصاية مشتركة، فاستغلّت روسيا هذا الاقتراح حين أدركت أن إنكلترا لا منازع لها في منطقة ليبيا ، فعدّلت اقتراحها واكتفت بطلب إدارة إقليم طرابلس ، وهكذا لم يتمّ الاتفاق ، وانفضّ المؤتمر .

وعاد وزراء خارجية الدول الكبرى إلى الاجتماع في باريس في تاريخ ٢٤ جمادى الأولى من عام ١٣٦٥هـ (٢٥ نيسان ١٩٤٦م) ، ورجعوا إلى دراسة الوصاية على ليبيا ، فاقترحت الولايات المتحدة ـ حلاً للنزاع ـ أن تعود إيطاليا إلى الوصاية على ليبيا ، رغم أن إيطاليا دولة كانت سبباً في اندلاع الحرب العالمية الثانية فهي مجرمة بذلك ، وقد هُزمت في الحرب ؛ فيجب أن تفرض عليها عقوبات لا أن تقدّم لها مكافآت ، إلّا أنها أكثر الدول خبرةً بشؤون ليبيا ما دامت قد كانت تحت سيطرتها ، وكان هذا الكلام أو هذا الادعاء الأمر الرسمي الظاهر ، أما الحقيقة أو ما تنطوي عليه النفس ؛ فإن الولايات المتحدة تريد أن تقول : إن الدول النصرانية وإن اختلفت فيما بينها إلّا أنه خلاف مؤقت ويجب أن تحصل على مقابل ما بذلت من جهدٍ في خدمة النصرانية ، وإن إيطاليا قد قدّمت جهوداً في قتال المسلمين فيجب أن يُحتفظ لها بحقّها ، وإن كانت قد أثارت حرباً ثم هُزمت فيها . وأيّدت فرنسا عودة إيطاليا إلى ليبيا بشرط أن تعدّل الحدود لصالح إمبراطوريتها . وأما إنكلترا فأظهرت عدم اهتمامٍ بإقليم طرابلس ، وربما كانت تؤيّد ما ذهبت إليه الولايات المتحدة وفرنسا بعودة إيطاليا إلى طرابلس ، ولكنها لم توافق أبداً على عودة إيطاليا إلى منطقة برقة إذ تعدّها لنفسها ، ويبدو هذا للجميع ، وأنها قد هيّأت محمد إدريس السنوسي ليتولّى السلطة نيابةً عنها في إقليم برقة . وبعد هذا عادت روسيا فوافقت على إعطاء إيطاليا إقليم طرابلس ، أي وافقت على حلٍ متوسطٍ ترضى عنه الدول الغربية ، إذ أن إنكلترا تصرّ على برقة ، والولايات المتحدة وفرنسا ترغبان في عودة إيطاليا . وعادت إنكلترا فرأت وحدة ليبيا واستقلالها مع مراعاة مصالح فرنسا في ضمّ أجزاء من هذه الأقاليم

للمستعمرات الفرنسية التي تجاور تلك الأقاليم الليبية ، وبالتالي فإنها كانت تطمع ببسط نفوذها في إقليمي برقة وطرابلس . ورجعت روسيا إلى طلب أن تكون هي وإيطاليا الوصيتين على ليبيا، غير أنها عندما وجدت بقية الدول الكبرى تظهر عدم الحديث لمصالحها ؛ عادت فأيّدت عودة الطليان إلى ليبيا .

وعُقد مؤتمر الصلح في باريس في العام نفسه ، وبحث الموضوع الليبي ، فأيّدت إنكلترا عودة إيطاليا إلى ليبيا ، وبذلك تكون قد عدّلت رأيها ، ولكنها كانت قد هيّأت لها الأوضاع الداخلية في برقة وطرابلس ، غير أنه تقرّر في المؤتمر نزع المستعمرات الإيطالية من إيطاليا ، واتجه البحث إلى موضوع الوصاية . فاقترحت روسيا وصاية إيطاليا ، ورأت إنكلترا والولايات المتحدة إعطاء إنكلترا الوصاية على إقليم برقة ، وتأجيل موضوع طرابلس ، أما فرنسا فرأت تأجيل الموضوع كله إلى ما بعد المؤتمر وعقد الصلح مع الدول ذات العلاقة .

وعُقد الصلح مع إيطاليا في ٢٩ شوال ١٣٦٦هـ (١٥ أيلول ١٩٤٧م) ، ونتيجة الصلح تنازلت إيطاليا فيه عن ممتلكاتها ، ورأت الدول الكبرى أن تدرس وضع ليبيا من خلال رغبات السكان مدة عام ، فإن لم يتوصّل وزراء خارجية الدول الكبرى إلى قرارٍ نهائي تُعاد القضية إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة .

أرسل وزراء خارجية الدول الكبرى لجنةً رباعيةً لدراسة رغبات سكان ليبيا ، ووصلت اللجنة إلى الأقاليم الليبية في أواخر شهر ربيع الثاني من عام ١٣٦٧هـ (آذار ١٩٤٨م) ، وطافت في المناطق المختلفة ، والتقت بالسيد السنوسي ، وأبدى رأيه لها ، وانتهت من أعمالها في تاريخ ١٢ رجب ١٣٦٧هـ (٢٠ أيار ١٩٤٨م) ، وقدّمت تقريرها إلى وزراء خارجية الدول الكبرى ، وقد جاء فيه : إن السكان في برقة يؤيّدون الاستقلال لإقليمهم في ظلّ التاج السنوسي الوراثي . وأن السنوسي يرى استقلال ليبيا وتحالفها مع إنكلترا ويسعى لذلك ، وأظهر عدم رضاه عن زعماء طرابلس إذا لم يقفوا منه الموقف

الذي وقفه أهل برقة ، وربما كان هذا الكلام ليسير الطرابلسيون في طـريق وحـدهم ويسعون لاستقـلال منطقتهم وحـدهـا . ولم يتعـرّضـوا إلى إمـارة السنوسي . غير أن أهل فزّان يرون إقامة حكومـةٍ إسلاميـةٍ ، وهم راضون بالإدارة الفرنسية ، وليس عندهم شعور ضد الطليان .

وبعد وصول نتائج الدراسة إلى مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى بدأ البحث في الموضوع ؛ فاقترحت روسيا إعطاء إيطاليا الوصاية على ليبيا ، على حين رفضت الدول الغربية هذا الاقتراح ، وطال النقاش ، فأحيل الموضوع إلى الهيئة العامـة للأمم المتحـدة في شهر جمـادى الآخرة من عـام ١٣٦٨هـ (نيسان ١٩٤٩م) حيث كان من المقرر بحثه في تلك الدورة غير أنه قد أجّل مدة خمسة أشهر .

وعند البحث أيّدت روسيا استقلال ليبيا ووحدتها بعد أن رأت عـدم استجابةٍ لطلباتهـا بالـوصايـة ؛ فأصبـح من الخير لهـا أن تمنع الآخـرين كما منعوها ، ومن ناحيةٍ أخرى تظهر أمام الشعـوب أنها بجانب الشعـوب ضد الاستعمار ، غير أن ذلك لم يكن إلاّ بعد أن عجـزت عن تحقيق رغباتهـا في الوصاية . ورأت إنكلترا الاستقلال دون الوحدة ؛ مع مراعاة مصالح فرنسا . وأما الولايات المتحدة فقد رأت الاستقلال السريع على أن يتمّ خلال ثلاث سنوات أو أربع على الأكثر ، ولكن فرنسا لم تعترف بوحدة ليبيا ، بل لم تعترف بشيء اسمـه ليبيا . وأثنـاء التصويت عـلى الاستقلال في جلسـة ٣٠ محـرم ١٣٦٩هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٤٩م) وافقت الجمعية العمومية على استقلال ليبيا مع وحدة أراضيها بأغلبية تسعةٍ وأربعين صوتاً ، وامتناع تسعة أعضاء عن التصـويت من بينهم إنكلترا وفرنسـا ، وكان نصّ القـرار ألاّ تزيـد مـرحلة الاستقلال على مطلع عام (١٩٥٢م) أي الرابـع من ربيع الثـاني من عام ١٣٧١هـ ، وتشكّلت لجنة دولية للإشراف على تنفيذ القرار برئاسة « أدريان بلت » .

موقف السنوسي : أرسل محمد إدريس السنوسي وفداً إلى لندن برئاسة

رئيس ديوانه عمر منصور الكيخيا في تاريخ ٢٢ محرم من عام ١٣٦٨هـ (٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٨م) لإجراء مباحثات مع الحكومة البريطانية حول استقلال إقليم برقة وحده ، وتمّ التفاهم ، ورجع الوفد من لندن .

وأخبر المؤتمر البرقاوي الهيئات الطرابلسية أن يعمل كل إقليم لاستقلاله ، ويساعد الإقليم الآخر .

المناورات : ومن ناحيةٍ أخرى عملت إنكلترا على التفاهم مع فرنسا وإيطاليا لحلّ موضوع ليبيا بشكل منفرد ، وقد تمّ الاتفاق بين وزير خارجية إنكلترا « بيغن » ووزير خارجية إيطاليا « سفورزا » على أن :

١ ـ تتولى إيطاليا الوصاية على إقليم طرابلس تحت إشراف مجلس استشاري يضم مصر ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية .

٢ ـ تتولّى إنكلترا أمر إقليم برقة .

٣ ـ تتولّى فرنسا أمر إقليم فزّان .

وأرسل الاتفاق إلى الأمم المتحدة . ولكن المؤتمر البرقاوي رفض إلّا الاستقلال . ولمّا أخذت الهيئة العامة للأمم المتحدة بمناقشة موضوع ليبيا سافر وفد ليبي ؛ لإحباط مشروع الاتفاق الجانبي ، وكان الوفد برئاسة منصور قدارو ، وعضوية علي العنيزي وفؤاد شكري ، وقد اعترضت إنكلترا على هذا الوفد وادّعت أنه لا يمثّل الليبيين . وفي الوقت نفسه كان قد سافر وفد من برقة برئاسة عمر شنيب ، وعضوية خليل القلال وعبد الحميد العبار ، وقد ذهب ليطالب باستقلال ليبيا تحت إمرة السنوسي . وإن وجود أكثر من وفد ليبي في الأمم المتحدة قد دعم حجة إنكلترا بأن الوفد الأول لا يمثّل أهالي ليبيا .

وفي هذه الأثناء حدثت ثورة في طرابلس ، وهاجم السكان فيها الإيطاليين ، وحملوا على الأوربيين عامة حتى إن الحاكم العسكري البريطاني قد حظر على الأمريكيين والإنكليز مغادرة منازلهم ، وسمح للإيطاليين بحمل

السلاح ، كما وقعت أحداث مشابهة في إقليم برقة . وهذا ما كان له أثر في رفض اتفاق (بيغن ـ سفورزا) في تاريخ ١٨ رجب ١٣٦٨هـ (١٥ أيار ١٩٤٩م) .

إعلان استقلال برقة : اجتمع المؤتمر البرقاوي في بنغازي في تاريخ ٥ شعبان ١٣٦٨هـ (الأول من حزيران ١٩٤٩م) ، وألقى محمد إدريس السنوسي كلمة فيه ، وأعلن فيها عن مولد دولة برقة ، وأيّد المؤتمر ذلك بالإجماع ، واعترفت إنكلترا بالدولة الجديدة مباشرةً ، وإذا كان المؤتمر قد وافق على ذلك ؛ فإن الشعب قد أبدى استياءً كبيراً ، فقامت مظاهرة في مدينة بنغازي ضدّ السنوسي ، واتّجهت نحو قصره ، وحاولت اقتحامه ، كما قام أمين سر جميعة عمر المختار بإخبار السنوسي أن إعلان استقلال برقة معناه الموافقة الأكيدة على تجزئة البلاد ، وطالبه بإعلان استقلال البلاد كلها ، وقيام دولةٍ واحدةٍ في البلاد تحت إمرته ، وكما لقي ذلك التصرّف استياءً داخل البلاد ؛ فإنه قد لقي مثله خارج البلاد وفي كل الأوساط الإسلامية الواعية ، وحيث لم تكن وسائل الإعلام آنذاك قد تطوّرت على الصورة التي نعرفها اليوم والتي تصل فيها الأخبار إلى المجتمعات والشعوب كلها ، وأظهر عبد الرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية أسفه لما تمّ .

وأرسلت هيئة تحرير ليبيا إلى محمد إدريس السنوسي تبلغه عدم اعترافها بما حدث ، وذلك في تاريخ ٨ شعبان ١٣٦٨هـ (٤ حزيران ١٩٤٩م) . ثم قدم وفد من طرابلس إلى بنغازي برئاسة محمد أبو الإسعاد العالم ومحمود المنتصر ، وبحث مع السنوسي خطر إقامة دولة في (برقة) ، وطالبه بضرورة العمل لوحدة البلاد ، فاحتجّ السنوسي بأنّ اتحاد برقة مع طرابلس سيعيد الإيطاليين إلى برقة ؛ لأن الأمم المتحدة قررت جعل طرابلس لإيطاليا .

وفي ١٠ رمضان عام ١٣٦٨هـ تشكّلت أوّل حكومة في برقة برئاسة فتحي الكيخيا ، ويمثّل إنكلترا المعتمد البريطاني ، وبيده الخارجية ، والدفاع ، والتجارة ، والإشراف على الملاحة ، وكل ما يتعلّق بالاتصالات .

وسافر محمد إدريس السنوسي إلى لندن ومعه رئيس وزرائه فتحي الكيخيا ، وفي طريقه مرّ على طرابلس فاستقبل استقبالاً حاراً ، وألقى كلمة وعد فيها بالعمل لمصلحة البلاد عامةً ولتطلعات شعبها ، غير أنه لم يتحدّث بعدها إلّا عن برقة ، واستقلالها ، وحكومتها .

وفي لندن بحث مع السلطات الإنكليزية :

١ ـ استبعاد فكرة الوصاية عن برقة ، وطرابلس ، ٢ ـ محاولة الإبقاء على الإدارة البريطانية . ٣ ـ منح برقة وطرابلس استقلالاً ذاتياً . ٤ ـ وصاية فرنسا على إقليم فزّان .

اعترض رئيس وزراء برقة على هذه الموضوعات ؛ فترك اللقاء ، وتخلّى عن أميره ، وغادر لندن ، وسافر إلى باريس ، ومنها أرسل استقالته .

رجع السنوسي من لندن إلى برقة بعد أن تمّ التفاهم بينه وبين الحكومة البريطانية . وفي ١٥ ذي القعدة ١٣٦٨هـ (٧ أيلول ١٩٤٩م) منح رئيس الإدارة البريطانية « دوكاندول » حقّ وضع دستور لبرقة للأمير محمد إدريس السنوسي ، وأعلن الدستور في ٢٦ ذي القعدة ١٣٦٨هـ ، ويتألف من ٦٨ مادة . وأخذت إنكلترا بعدها تنقل السلطات الداخلية في برقة إلى أميرها محمد إدريس السنوسي .

ومع كل ما حدث ، ومع صدور قرار من الأمم المتحدة في تاريخ ٣٠ محرم ١٣٦٩هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٤٩م) بإعلان استقلال ليبيا ؛ إلّا أن الوضع لم يتغير شيئاً بالنسبة إلى السيد السنوسي ، ويبدو أنه لم يتلقّ بعد الضوء الأخضر ليقبل بالاتحاد ، وهذا ما تشير إليه الأحداث ، لقد أصدر بالاتفاق مع إنكلترا قانون الانتخاب البرقاوي في تاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ (٥ نيسان ١٩٥٠م) .

جرت الانتخابات في برقة في ١٩ شعبان ١٣٦٩هـ (٥ حزيران ١٩٥٠م) وتألّفت الجمعية الوطنية من خمسين عضواً منتخباً ، ويضاف لهم

عشرة أعضاء يعيّنهم الأمير .

اجتمعت الجمعية الوطنية ، وتشكّلت الوزارة برئاسة محمد الساقزلي وشغل فيها مصطفى بن حليم ناظراً للأشغال العامة في المجلس التنفيذي لولاية برقة ، ولكن لم تلبث أن استقالت بعد شهرٍ واحدٍ .

تشكّلت وزارة برئاسة عمر منصور الكيخيا ، وصدر قانون الجنسية البرقاوية ، وتأسّس جيش خاص ببرقة بإشراف مدربين من إنكلترا التي مُنحت قواعد عسكرية في البلاد . غير أن الجمعية الوطنية البرقاوية قد عارضت هذه السياسة الانفصالية التي لا يزال يتبعها الأمير على الرغم من اتفاق على الاتحاد مع الطرابلسيين ، ورغم صدور قرار من الأمم المتحدة بالاتحاد بين برقة وطرابلس . كما عارضت الجمعية سياسة التبعية لإنكلترا رغم قرار الاستقلال الذي أقرّته الأمم المتحدة ، وقد أجبرت هذه المعارضة حكومة عمر منصور الكيخيا على الاستقالة ، ولكن الأمير لم يلبث أن حلّ الجمعية الوطنية ؛ إذ لم يقبل توجيه أي انتقادٍ له ، ودعا إلى انتخاباتٍ جديدةٍ ، وتمّت تحت نظره ورضي عن نتائجها ، ولا يوجد في البلاد هيئات أو أحزاب منذ أن أمر بحلّها في مطلع عام ١٣٦٧هـ .

في طرابلس : تعدّدت الوفود في هذه المرحلة ، فقد أرسل المؤتمر الوطني الطرابلسي وفداً برئاسة بشير السعداوي إلى بنغازي لتهنئة سكان برقة بالاستقلال ، وتهنئة محمد إدريس السنوسي بالإمارة ، ودعوته لزيارة طرابلس ، وقد سافر الوفد في تاريخ ١٧ رجب ١٣٦٨هـ (١٤ أيار ١٩٤٩م) ، وقام بالمهمة المكلّف بها .

لبّى السيد محمد إدريس السنوسي الدعوة بزيارة طرابلس وقام فعلاً بتلك الزيارة في ٢٢ رجب ١٣٦٨هـ (١٩ أيار ١٩٤٩م) ، وفي طرابلس ألقيت عليه قنبلة ، ولكن لم يصب بأذى ، ولم تقع خسائر .

وسافر وفد من المؤتمر الوطني الطرابلسي أيضاً برئاسة بشير السعداوي ،

وعضوية مصطفى ميرزان وفؤاد شكري إلى الأمم المتحدة للدفاع عن القضية الطرابلسية ، وإبداء رأي أهالي البلاد .

وسافر وفد آخر من حزب الاستقلال إلى الأمم المتحدة أيضاً للغاية نفسها ، وكان برئاسة مختار المنتصر ، وعضوية كل من عبد الله بن شعبان ، وعبد الله الشريف ، وأحمد راسم كعبار .

كما سافر (أورفال قره منلي) يطالب بعودة الطليان إلى إقليم طرابلس.

وسافر وفد من برقة برئاسة عمر شنيب، وعضوية خليل القلال، وعبد الرزاق شقلوف ؛ لنقل آراء سكان إقليمهم إلى الأمم المتحدة .

قرار الأمم المتحدة : سبق أن قلنا : إن الأمم المتحدة قررت في تاريخ ٣٠ محرم ١٣٦٩هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٤٩م) استقلال ليبيا ، على ألّا يتأخر عن مطلع عام ١٩٥٢م (الرابع من ربيع الثاني ١٣٧١هـ) . كما أرسلت « أدريان بلت » مندوباً لها على رأس لجنةٍ دوليةٍ للإشراف على تنفيذ هذا القرار ، ويساعد مندوبَ الأمم المتحدة مجلسٌ استشاري يتألف من عشرة أعضاء ، يمثّل كلاً من : مصر ، وباكستان ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وإنكلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية : عضو واحد ، ويضاف إلى ذلك ثلاثة أعضاء يمثّلون ليبيا : ويكون من كل إقليم عضو ، وعضو آخر يمثّل الأقليات .

وقد دعا مندوب الأمم المتحدة « أدريان بلت » إلى أن يحتفظ المعتمد البريطاني في برقة ، ورئيس الإدارة البريطانية في طرابلس ، والمعتمد الفرنسي في فزّان؛ بجميع السلطات التنفيذية، والخارجية، والمالية، وقد عارض كل من مندوب مصر[1] وباكستان[2] هذه الدعوة في ٧ شوال ١٣٦٩هـ (٢٢ تموز ١٩٥٠م) وعدّا هذا مخالفاً لما اتخذته الأمم المتحدة من قرار.

---

(١) مندوب مصر هو : محمد كامل سليم .

(٢) مندوب باكستان هو : عبد الرحيم خان .

وتقرّر تشكيل لجنةٍ تتألف من واحدٍ وعشرين عضواً يمثّل كل إقليمٍ سبعةُ أعضاء : يختارهم في إقليم برقة أميرها محمد إدريس السنوسي ، وزعماء طرابلس في إقليم طرابلس ، ورئيس إقليم فزّان في ذلك الإقليم . واقترح مندوب الأمم المتحدة إضافة إيطالي وآخر يهودي ، غير أنه لم يؤخذ بهذا الاقتراح .

وُفِّقت لجنة الأمم المتحدة بإجراء الانتخابات النيابية والإشراف عليها ، وتشكيل الجمعية الوطنية ، التي عُيِّن أعضاؤها بالتساوي بين الأقاليم الثلاثة ، ووضعت دستوراً للبلاد ، وقررت الحكم الاتحادي ، ومبايعة محمد إدريس السنوسي ملكاً على البلاد ، وقد تمّت البيعة في ٢٠ ذي القعدة ١٣٦٩هـ (الثاني من أيلول ١٩٥٠م) . وقد نص الدستور على :

- ليبيا مملكة وراثية اتحادية ديمقراطية دينها الإسلام ، وتحمل اسم « المملكة الليبية المتحدة » .

- يتألف المجلس النيابي الليبي من مجلسين : أحدهما للشيوخ والآخر للنواب .

- يتألف مجلس الشيوخ من أربعة وعشرين عضواً : ثمانية أعضاء لكل ولاية يعيّن الملك نصفهم ويُعيّن الباقون من قبل المجالس التشريعية المحلية . وبهذا يوزّع أعضاء مجلس الشيوخ بالتساوي بين الولايات الثلاث .

- ينتخب النواب على أساس نائب لكل عشرين ألف ناخبٍ ، على ألاّ يقلّ عدد ممثلي الولاية عن خمسة أعضاء . وبذا كان عدد نواب الولايات كما يأتي :

ولاية طرابلس	٣٥	نائباً .
ولاية برقة	١٥	نائباً .
ولاية فزّان	٥	نواب .
	٥٥	نائباً .

تمّ انتخاب اللجنة التمثيلية في إقليم فزّان ، وانتخب أحمد سيف النصر رئيساً للإقليم في تاريخ ٢٤ ربيع الثاني ١٣٦٩هـ (١٢ شباط ١٩٥٠م) . وقد قاطع سكان مدينة « غات » الانتخابات بحجة انتمائهم إلى قبائل الطوارق . كما قاطع سكان « سبها » تلك الانتخابات بحجة أنهم يؤيّدون الانضمام إلى طرابلس ، فلا حاجة إذن للانتخابات ، وكانوا يؤيّدون عبد الرحمن البركولي .

وتشكّلت حكومة اتحادية مؤقتة برئاسة محمود المنتصر[1] في تاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ (٢٩ آذار ١٩٥١م) ، كما قامت حكومات محلية في الولايات الثلاث .

---

(١) تشكّلت حكومة محمود المنتصر المؤقّتة على النحو الآتي :

١ ـ محمود المنتصر : للرئاسة .
٢ ـ علي الجربي : وزيراً للخارجية والصحة .
٣ ـ عمر شنيب : وزيراً للدفاع
٤ ـ منصور قدارو : وزيراً للمالية .
٥ ـ إبراهيم بن شعبان : وزيراً للمواصلات .
٦ ـ محمد بن عثمان : وزيراً للدولة .

الفَصْلُ الثَّاني

الاستِقلال

أعلن عن استقلال ليبيا ، وقيام المملكة الليبية المتحدة ، وتسلّم الملك محمد إدريس السنوسي الحكم فيها في تاريخ ٢٦ ربيع الأول عام ١٣٧١هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٥١م) .

١ - **حكومة محمود المنتصر** : شكّل محمود المنتصر رئيس الحكومة السابقة حكومة اتحادية جديدة[1] ، وقامت حكومة محلية في كل ولاية ، وأطلق عليها المجلس التنفيذي . وقام مجلس للنواب ، وآخر للشيوخ ، ومجلس تشريعي في كل ولاية وعيّن الملك والياً يمثّله في كل ولاية للإشراف على الدستور ، والقوانين الاتحادية . وتحدّد يوم ٢٤ جمادى الأولى ١٣٧١هـ (١٩ شباط ١٩٥٢م) موعداً لإجراء الانتخابات النيابية .

أجريت الانتخابات في موعدها المقرر ، ولم يفز سوى خمسة مرشحين من

---

(١) تشكّلت أول وزارة ليبية بعد الاستقلال برئاسة محمود المنتصر على النحو الآتي :

١ - محمود المنتصر : رئيساً للوزارة ، وزيراً للخارجية .

٢ - فتحي الكيخيا : نائباً للرئيس ، وزيراً للعدل ، وزيراً للمعارف .

٣ - منصور قدارو : وزيراً للمالية والاقتصاد .

٤ - علي الجربي : وزيراً للدفاع الوطني .

٥ - إبراهيم بن شعبان : وزيراً للمواصلات .

٦ - محمد بن عثمان : وزيراً للصحة .

مرشحي حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي الذي يتزعمه بشير السعداوي ، والذي تعد طرابلس مركزه الرئيسي ، فقام أعضاؤه يدافعون عن مراكزهم ، وحملوا السلاح ضدّ الحكومة ، فأصدر رئيس الوزراء محمود المنتصر تعليماته إلى والي طرابلس فاضل بن ذكرى بإبعاد بشير السعداوي ، فألقي عليه القبض في يوم ٢٦ جمادى الأولى عام ١٣٧١هـ ، وأبعد إلى بنغازي ، ولم يكن في المجلس من يمثّل هيئات أو أحزاب سوى هؤلاء الأعضاء الخمسة من أتباع حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي الذين ذكرناهم .

وها قد مرّ على استقلال ليبيا ما يقرب من ثمانية وثلاثين عاماً ، وقد مرّت بمرحلتين : الأولى منهما كان النظام ملكياً ، وقد استمرّ ما يقرب من سبع عشرة سنة ، وكانت معظم الأحداث التي شغلت الحكم داخليةً ، أما الثانية فقد أصبح نظام الحكم جمهورياً نتيجة انقلاب تعرّضت له البلاد ، وكانت معظم الأحداث خارجيةً ولها أصداؤها الواسعة ، وفي كلتا المرحلتين تولّى الأمر حاكم واحد .

أولاً : المَلَكِيَّة

منذ أن استقلّت البلاد ؛ تولّى الحكم فيها محمد إدريس السنوسي ، وقد نصّ الدستور الذي وُضع على أن ليبيا مملكة وراثية اتحادية ديمقراطية . وقد انصرف الحكم إلى معالجة القضايا الداخلية التي نشأت نتيجة الظروف التي مرّت البلاد بها من استعمار ، وحروب ، وحكم عسكري أجنبي ، هذا بالإضافة إلى النظام الاتحادي الذي قام بعد الاستقلال ، والمعاهدات المكبلة للبلاد ، والارتباط الذي يسير عليه المسؤولون والذي أوصلهم إلى السلطة .

١ ـ النظام الاتحادي : كانت كل ولاية تظنّ أن لها الحرية التامة في التصرّف ضمن أراضيها بل إن هذه الولايات قد دخلت في مفاوضات فيما بينها لتحديد الحدود التي تفصل بينها بشكل رسمي ، وكان المنتقل بين ولايةٍ وأخرى يضطّر إلى الوقوف عند حدود الولاية ، ويخضع إلى تفتيش وسؤال ، وكأنه يجتاز حدوداً بين دولتين بينهما خلافات دائمة ، وكان هذا التفتيش للأشخاص والأمتعة ، وتسجيل أسماء المتنقّلين في سجلّات خاصة يشمل النواب والوزراء سواء أكانوا محليين أم اتحاديين .

٢ ـ حكومة محمد الساقزلي : استقالت حكومة محمود المنتصر التي تشكّلت مع الاستقلال ، وعُهد إلى رئيس الديوان الملكي محمد الساقزلي بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1] في ١٥ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (١٨ شباط

---

(١) تشكّلت وزارة محمد الساقزلي على النحو الآتي :

١ ـ محمد الساقزلي : رئيساً للوزارة ، وزيراً للخارجية .

٢ ـ عبد الرحمن القلهود : وزيراً للعدل .

٣ ـ علي العنيزي : وزيراً للمالية .

٤ ـ خليل القلال : وزيراً للدفاع .

=

١٩٥٤م) ، واستمرّ الوضع الاتحادي القائم على ما هو عليه . وأخذوا يشكون من هذا الوضع القائم الذي لا يشعرون معه أنهم في دولةٍ واحدةٍ ، كما أخذ النواب والمسؤولون يحسّون بخطورة الأمر الذي هم فيه فأخذوا يطرحون الموضوع في المجلس النيابي ، ويعرضونه على الوزارة ، واستقالت وزارة محمد الساقزلي في ٨ شعبان ١٣٧٣هـ (١١ نيسان ١٩٥٤م) .

٣ ـ حكومة مصطفى بن حليم : عُهد إلى مصطفى بن حليم بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1] . وبدأت مناقشة الموضوع في مجلس النواب ، وأخذت تظهر معارضة لهذا النظام القائم ، غير أن مجلس النواب لم يستطع أن يضع حدًّا لهذا الخلل الواقع ، وذلك لأن كل ولاية تعدّ لنفسها الحقّ في التصرّف بما تراه مناسباً ، ولو كان يتعارض مع الدستور ، أو يخالف أوامر الحكومة الاتحادية ،

= ٥ ـ إبراهيم بن شعبان : وزيراً للمعارف .
٦ ـ محمد الطاهر العالم : وزيراً للصحة .
٧ ـ مصطفى بن حليم : وزيراً للمواصلات .
٨ ـ إسماعيل بن الأمين : وزيراً للدولة .
٩ ـ خليل ناصوف : وزيراً للدولة .

(١) تشكّلت وزارة مصطفى بن حليم على النحو الآتي :
١ ـ مصطفى بن حليم : رئيساً للوزارة .
٢ ـ عبد المجيد كعبار : نائباً لرئيس الوزارة ، وزيراً للمواصلات .
٣ ـ عبد الرحمن القلهود : وزيراً للعدل .
٤ ـ إبراهيم بن شعبان : وزيراً للمعارف .
٥ ـ محمد بن عثمان : وزيراً للصحة .
٦ ـ نور الدين العنيزي : وزيراً للمالية .
٧ ـ خليل القلال : وزيراً للدفاع .
٨ ـ مصطفى السراج : وزيراً للاقتصاد .
٩ ـ علي الساحلي : وزيراً للدولة .
١٠ ـ سالم القاضي : وزيراً للدولة .
١١ ـ عبد السلام بسيكري : وزيراً للخارجية .

أو يضر بمصلحة الدولة . وهذا بالنسبة إلى الرجال الذين يستطيعون أن يوصلوا أصواتهم إلى أعلى المراجع ، وربما كان بعضهم من هذه المراجع غير أنهم عاجزين عن أن يفعلوا شيئاً . أما الأفراد العاديون وهم السكان جميعاً تقريباً فكانوا يحسّون بمرارةٍ وأسى ، ولا يشعرون أبداً أنهم ضمن دولةٍ واحدةٍ لذا كانوا يتندّرون بما يصل لأسماعهم من حوادث من هذا القبيل ، ويفرحون عندما تقع لبعض النواب والوزراء ، ليس شماتةً بهم ، وإنما لبحث الموضوع على مستوىً عالٍ في المجلس النيابي أو في الوزارة الاتحادية ، ومع علمهم أنهم لا يستطيعون فعل شيء إلّا كثرة الحديث ، وتكرار الوقائع ، فربما يغيّر شيئاً. وكان النواب الذين يطرحون مثل هذه الموضوعات وينتقدونها ؛ يجدون تأييداً من قبل الشعب لأن ذلك يتجاوب مع ما في نفوسهم ، وكانوا يحصلون في الانتخابات على أعلى الأصوات رغم كل ما يقع من تلاعب في الانتخابات . أما الذين يسكتون أو يؤيّدون الوضع القائم فلم يكن لهم من نصيب من النجاح في الانتخابات لولا السيف المصلت ، واللعب في النتائج .

٤ - **حكومة عبد المجيد كعبار** : وانتهى عهد وزارة مصطفى بن حليم في ٢٧ شوال ١٣٧٦هـ (٢٦ أيار ١٩٥٧م) ، وجاءت حكومة عبد المجيد كعبار[١] التي استمرّت حتى ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٦٠م) حيث :

٥ - **حكومة محمد بن عثمان** جاءت حكومة محمد بن عثمان[٢] . وكانت

---

(١) لم تتغيّر حكومة عبد المجيد كعبار عن الحكومات السابقة بأعضائها وتصرّفاتها ، وإنما كان التغيير في توزيع الحقائب الوزارية ؛ ليس أكثر .

(٢) محمد بن عثمان السعيد من ولاية فزان ، وقد تشكّلت حكومته على النحو الآتي :

١ - محمد بن عثمان السعيد : رئيساً للوزراء .
٢ - سليمان الجربي : وزيراً للخارجية .
٣ - وهبي البوري : وزيراً للعدل .
٤ - أحمد الحصيري : وزيراً للمالية .
٥ - محمد بشتي : وزيراً للتعليم .
٦ - يونس عبد النبي بلخير : وزيراً للدفاع .
٧ - عبد القادر البدري : وزيراً للصحة .
٨ - سالم الصادق : وزيراً للاقتصاد .

شركات النفط قد أخذت تعمل داخل البلاد ، فوجدت مصاعب كثيرة في الانتقال داخل البلد الواحد ، وأخذت تشكو من تعدد الجهات التي تدّعي كل منها حقّاً من الحقوق أو اختصاصاً في موضوع،وتسلب الجهة الثانية هذا الاختصاص ، فاقترحت هذه الشركات توحيد أجزاء المملكة ، وفرضت شيئاً من هيمنتها ، ووافقت السلطات المسؤولة ، وأعدّ القصر ما يجب من بياناتٍ ؛ لتقليص نفوذ المجالس التنفيذية (الحكومات المحلية) وزيادة إشراف الحكومة الاتحادية ، وذلك بعيداً عن الوزارة ، ثم قُدِّم إلى رئيس الوزراء ؛ لتنفيذ ما يجب ، ثم ألغيت المجالس التنفيذية (الحكومات المحلية) .

= ٩ ـ حميد عبيدي : وزيراً للزراعة .
١٠ ـ حسن ظافر بركان : وزيراً للإعلام .
١١ ـ عبد المولى لانغي : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
١٢ ـ فؤاد قابازي : وزيراً لشؤون النفط .
١٣ ـ أبو القاسم علاقي : وزيراً للصناعة .
١٤ ـ محمد بحيح : وزيراً للدولة .

حكومة ولاية طرابلس :
١ ـ فضل بن زكري : الوالي .
٢ ـ محمد رفعت : رئيس المجلس .
٣ ـ محمد طبيب : وزيراً للداخلية .
٤ ـ سيفو كربيش : وزيراً للصحة .
٥ ـ محمد بيدورنا : وزيراً للزراعة .
٦ ـ أحمد بريس : وزيراً للمالية .
٧ ـ محمد الشوجيا : وزيراً للعدل .
٨ ـ شمس الدين بهية : وزيراً للعمل الشعبي والاتحاد .

حكومة برقة :
١ ـ حسين مازق : الوالي .
٢ ـ ونيس قذافي : رئيس المجلس .
٣ ـ محمد بوشريدا : وزيراً للداخلية .
٤ ـ حسن العبار : وزيراً للاقتصاد .
٥ ـ عثمان الجربي : وزيراً للزراعة .
٦ ـ محمد يعديم : وزيراً للعمل الشعبي والاتحاد .
٧ ـ حسن غاني : وزيراً للتعليم .
٨ ـ أحمد مختار : وزيراً للعدل .

حكومة فزان :
١ ـ عمر سيف النصر : الوالي .
٢ ـ سيف نصر عبد الجليل : رئيس المجلس .
٣ ـ نصر بن شاهين : وزيراً للمالية .
٤ ـ أنور بن طاهر : وزيراً للعدل .
٥ ـ حسن الزيني : وزيراً للصحة .
٦ ـ المهدي بن أحمد : وزيراً للتعليم .

بقيت وزارة محمد بن عثمان السعيد حتى ٢٤ شوال ١٣٨٢هـ (١٩ آذار ١٩٦٣م) ، وإن كان قد جرى عدة تعديلات ، فدخل الوزارة مثلاً عبد الرحمن القلهود ، وسليمان بو ربيدا ، ونوري بن غرسا، وأحمد عون وسوف، وونيس قذافي ، وإبراهيم بن شعبان ، وأبو بكر نعمان ، وعمر محمود المنتصر ، ومحمد أبو نويرة ، ومحمود فتال ، وعبد السلام بريش ، ومحمد صفات ، وجرى تعديل في الحقائب الوزارية ، كما خرج عدد منها في أوقات متعددة .

٦ ـ حكومة محي الدين فكيني : جاءت حكومة محي الدين فكيني بعد حكومة محمد بن عثمان السعيد ، وكان أول الأعمال التي قامت بها إلغاء ما بقي من النظام الاتحادي ، وقد رحّب الملك بهذه الخطوة ، وأعطى رئيس الوزراء الجديد الضوء الأخضر لتنفيذ ما ارتآه ، واجتمع مجلس الوزراء في مدينة البيضاء في ١٤ ذي القعدة من عام ١٣٨٢هـ (٧ نيسان ١٩٦٣م) ، واقترح تعديل الدستور ، وحدّد المواد التي يجب تعديلها . واجتمع مجلس النواب في ٢١ ذي القعدة ، وأقرّ هذا التعديل . كما اجتمع مجلس الشيوخ في ٢٣ ذي القعدة ، ووافق على هذا التعديل .

وبقي المجلس النيابي ، أما مجلس الشيوخ الذي كان محدّداً على أساس النظام الاتحادي ؛ فقد عُدّل ، وأصبح تعيينه من صلاحيات الملك ، وبقي عدد أعضائه كما كان سابقاً : أربعة وعشرون عضواً ، دون النظر إلى الولايات .

المعاهدات : وقّعت ليبيا معاهداتٍ مع ثلاث دول غربيةٍ ، وهي : إنكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة .

أ ـ مع إنكلترا : انتقل محمد إدريس السنوسي من مصر إلى برقة إثر هزيمة دول المحور في الشمال الإفريقي ، فقد وصل إلى برقة في شهر رجب ١٣٦٣هـ (تموز ١٩٤٤م) ، وقد أعلنت إنكلترا يومذاك أن برقة لن تعود إلى الحكم الإيطالي أبداً .

ألقى محمد إدريس السنوسي خطبةً في بنغازي في شعبان ١٣٦٣هـ (٢٨ تموز عام ١٩٤٤م) دعا فيها إنكلترا إلى الاعتراف باستقلال برقة ، وأنه على استعدادٍ لعقد معاهدةٍ معها . وأرسل كتاباً إلى « إدوارد كريغ » وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط في ٨ رجب ١٣٦٤هـ (١٨ حزيران ١٩٤٥م) يطلب منه فيه اعتراف إنكلترا باستقلال برقة ، وأنه يرحّب بكل مساعدةٍ بريطانية ، وأنه على استعدادٍ أيضاً للاستعانة بمستشارين إنكليز في دوائر الحكومة ، ولا مانع عنده من بقاء قوات بريطانية في برقة على اعتبار أنهما دولتين حليفتين .

وعندما جاءت لجنة التحقيق في مصير المستعمرات الايطالية صرّح لها السنوسي أنه يفضّل الاستقلال والتحالف مع إنكلترا ، وكذا كانت دائماً تصريحاته للمعتمد البريطاني ولجريدة برقة الجديدة .

وعندما أعلن استقلال برقة في ٥ شعبان ١٣٦٨هـ (الأول من حزيران ١٩٤٩م) اعترفت إنكلترا بذلك الاستقلال الذاتي ، وبمحمد إدريس السنوسي أميراً على برقة ، ودعته لزيارتها ؛ فلبّى الدعوة ، وسافر إلى لندن في ٢٠ رمضان ١٣٦٨هـ (١٥ تموز ١٩٤٩م) ، ووقّع هناك اتفاقاً خاصاً مع السلطات البريطانية جاء فيه : تحتفظ إنكلترا والولايات المتحدة بقواعد عسكرية حسب اتفاقات تُعقد بعد الاستقلال ، ويستفيد السنوسي بعدد من المستشارين الإنكليز في أجهزة الدولة ، وبعدد آخر من الضباط الإنكليز في الجيش والشرطة .

تمّ التوقيع على اتفاق ماليٍّ مع إنكلترا في ١٥ ربيع الأول ١٣٧١هـ (١٣ كانون الأول ١٩٥١م) وقّعه عن الجانب الليبي رئيس الحكومة محمود المنتصر ، وعن الجانب البريطاني المعتمد البريطاني في طرابلس « بلاكلي » ، وهو عبارة عن خمس مواد ، ويبقى ساري المفعول حتى ١٦ رجب ١٣٧٢هـ (٣١ آذار ١٩٥٣م) :

١ ـ تتعهد بريطانيا بتقديم مساعدة مالية مقدارها خمسمائة ألف جنيه للمؤسسة الليبية العامة للتنمية والاستقرار والشركة المالية الليبية .

٢ ـ تتعهد بريطانيا بتقديم منحة مالية للحكومات أو الإدارات المحلية في طرابلس الغرب وبرقة .

٣ ـ تغطي أي عجز في ميزانيات الحكومات .

٤ ـ توافق الحكومة الليبية على أن يكون موظف بريطاني في المالية والاقتصاد له حق الاتصال المباشر مع رئيس الوزراء ووزير المالية .

٥ ـ توافق الحكومة الليبية على وجود مدقق بريطاني للحسابات .

وجاء إلى ليبيا مائة وثلاثة وتسعون موظفاً بريطانياً ، وتوزّعوا في مختلف دوائر الحكومة ، وتسلّموا أعلى المناصب .

ثم مُدّ أجل هذه الاتفاقية مدة أربعة أشهر تمهيداً لعقد معاهدةٍ جديدةٍ تتحدّد فيها العلاقات المالية والعسكرية بين الدولتين .

وعند البحث في الاتفاق المالي اقترح وزير المالية منصور قدارو الاستفادة من خبرة بعض الخبراء العرب في موضوع هذه الاتفاقية واستشارتهم ، فعُيِّن سفيراً لبلاده في لندن ، وكان أول سفير لليبيا في لندن ، وبذا سهل توقيع الاتفاق المالي دون إشكالات .

وتمّ توقيع المعاهدة الجديدة في ١٨ ذي القعدة ١٣٦٢هـ (٢٩ تموز ١٩٥٣م) ، وقد وقّعها في بنغازي رئيس الحكومة الليبية محمود المنتصر والسفير البريطاني «كيرك برايد» وتشمل المعاهدة سبع مواد، واتفاقية عسكرية، وأخرى مالية ، وتنصّ على التحالف بين الدولتين ، ونجدة أحدهما للآخر في حالة الحرب ، وتقديم بريطانيا مساعدةً ماليةً لليبيا ، وتتعهد ليبيا مقابل ذلك بأن تقدّم أراضيها في برقة وطرابلس والتي حدّدتها الملاحق العسكرية لاستعمال القوات البريطانية ، كما تسمح بحرية تنقل هذه القوات في كافة أراضي البلاد

وتحليق الطائرات في سماء ليبيا كلها ، وإضافة إلى هذا أنه لا تدفع هذه القوات أية رسومٍ على البضائع التي تستوردها ، وتعدّ خارجة عن دائرة القوانين والتشريعات الليبية في الوقت الذي يحقّ لها التدخل في شؤون قوات الأمن والشرطة . ومدة المعاهدة عشرون عاماً .

ويبقى الاتفاق ساري المفعول حتى تتم مصادقة المجلس النيابي الليبي على هذه المعاهدة . وقد أحيلت هذه المعاهدة إلى لجنة الخارجية والدفاع اللتين حاولتا إبراز عيوبها ، وكذلك الحال في مجلس الشيوخ ، ثم جاء الأمر من الأمير محمد الرضا السنوسي نائب الملك في ٢٣ صفر ١٣٧٣هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٥٣م) بإبرام المعاهدة بعد أن صادق عليها مجلسا الشيوخ والنواب .

وحاول رئيس الحكومة عبد المجيد كعبار الذي جاء إلى الحكم في ٢٧ شوال ١٣٧٦هـ أن يبدأ مفاوضاتٍ جديدةٍ مع إنكلترا بشأن المساعدة التي تقدّمها لليبيا طبقاً لنصوص المعاهدة الخاصة ؛ بإعادة النظر في هذه المعونة كل خمس سنوات . وبدأت المفاوضات في الأول من رجب من عام ١٣٧٧هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٥٨م) في مدينة طرابلس ، واقترح المندوب البريطاني تخفيض المعونة من ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف جنيه إلى مليون جنيه ؛ فرفض رئيس الوزارة الليبية هذا الاقتراح ، وسافر إلى لندن حيث التقى مع وزير الخارجية البريطانية في ١٤ شوال ١٣٧٧هـ (٣ أيار ١٩٥٨م) ، واتفق معه على تخفيض المعونة نصف مليون ، حيث تدفع إنكلترا ثلاثة ملايين ومائتين وخمسين ألف جنيه ، وفي الوقت نفسه تقوم بتدريب الضباط الليبيين ، وتزويد ليبيا بالمعدات العسكرية .

ب ـ مع الولايات المتحدة : منذ أن دُحرت دول المحور في الشمال الإفريقي ، وتقدّم الإنكليز في أرض ليبيا ؛ سمحت إنكلترا للولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء مطار الملاحة (هويلس) ، فلما استقلّت ليبيا طلبت

الحكومة الأمريكية من الحكومة الليبية المؤقتة الدخول في مفاوضات لتنظيم وضع القوات الأمريكية في ليبيا ، وبالمقابل تقديم العون المادي الأمريكي للدولة الناشئة حديثاً ، وبدأت المباحثات فعلاً ، وقد مثّل الجانب الليبي رئيس الحكومة محمود المنتصر ، ومثّل الجانب الأمريكي « أندروغ لنش » القائم بالأعمال في طرابلس . وقد أعدّت الاتفاقية ، وكان الملك محمد إدريس السنوسي على اطلاع عليها ، وقد أمر رئيس وزرائه بالتوقيع عليها يوم الاستقلال المقرر ، وهو ٢٦ ربيع الأول ١٣٧١هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٥١م) .

منحت هذه المعاهدة الولايات المتحدة الأمريكية حقّ البقاء في قاعدة (الملاحة) مدة عشرين عاماً ، وحق السيطرة على السماء الليبية ، والمياه البحرية الإقليمية ، وحرية تنقل القوات الأمريكية في البلاد كلها ، وإعفاء القوات الأمريكية من كل رسوم على البضائع التي تستوردها أو تدخلها إلى الأراضي الليبية ، وتدفع الولايات المتحدة مقابل ذلك مليون دولار سنوياً .

وُقّعت هذه المعاهدة دون عرضها على المجلس النيابي ، أي لم تكتسب الصفة الشرعية ، فلما بدأ النواب يتساءلون ، ويوجّهون الأسئلة إلى الحكومة عند وضع قاعدة (الملاحة) ؛ عملت حكومة محمد الساقزلي الجديدة التي خلفت حكومة محمود المنتصر على إجراء مفاوضاتٍ جديدةٍ مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لإخفاء المعاهدة الجديدة عن النواب ، وتشكّلت لجنة لهذا الغرض ، وبدأت أعمالها في ٥ رجب ١٣٧٣هـ (٩ آذار ١٩٥٤م) ، واستمرّت أيام حكومة مصطفى بن حليم ، وإن كان أعضاؤها قد جرى عليهم التغيير، وفي ٧ رمضان ١٣٧٣هـ (٩ أيار ١٩٥٤م) توصّل الجانبان إلى عقد اتفاقيةٍ جديدةٍ ، وإن اختلفا في الحصانة القضائية للقوات الأمريكية ، ومبلغ المعونة الأمريكية .

سافر رئيس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإنجاز المعاهدة ، والاتفاق على ما كان فيه خلاف بين الطرفين .

وتمّ التفاهم ، ووقّعت المعاهدة ، وبقيت القاعدة للولايات المتحدة ، والتي سُمح لها أيضاً بالحركة الحرة في أراضي ليبيا ، وكذلك سُمح لها الاستيراد دون رسوم ، وبُيّنت القواعد التي تستعملها الولايات المتحدة الأمريكية في ليبيا ، وهي : قاعدة الملاحة التي تعدّ أكبر قاعدة لها خارج الولايات المتحدة ، ومنطقة في كل من مدن مصراطة ، وبنغازي ، ودرنة ، وطبرق ، وأية منطقة أخرى تراها الولايات المتحدة ضرورية للدفاع . ومدة المعاهدة عشرون سنة تدفع خلالها الولايات المتحدة لليبيا أربعين مليون دولار ، بمعدل مليونين كل عام .

وهمّ رئيس الوزراء مصطفى بن حليم عرض الاتفاقية على مجلس النواب والشيوخ ، فعدّل وزارته وأدخل فيها بعض رجال المعارضة[١] ، وأعفى رئيس مجلس الشيوخ من منصبه ؛ عندما أبدى معارضةً للاتفاقية[٢] .

عُرضت الاتفاقية على مجلس النواب ؛ فأحالها إلى لجنة الشؤون الخارجية ، وكان عدد أعضائها سبعة نواب ، فعارضها خمسة منهم[٣] ، وأيّدها اثنان[٤] ، وقدّم كل فريق تقريراً خاصاً برأيه ، فاستبعدت الحكومة تقرير الفريق المعارض ، وطرحت على المجلس النيابي تقرير المؤيّد ، وحصلت على التصديق ، ثم عرضت ذلك على مجلس الشيوخ وطلبت إمرارها بسرعة ؛ فوافق ، وصدّق عليها الديوان الملكي ، وأصبحت سارية المفعول .

وزار « جيمس ريتشاردز » مساعد الرئيس الأمريكي طرابلس يوم ١٦

---

(١) دخل الوزارة عبد الرحمن القلهود ، ومصطفى السراج ، وكانا من المعارضة سابقاً .

(٢) كان رئيس مجلس الشيوخ عمر منصور الكيخيا ، فأعفي من منصبه ، ونُصِّب مكانه « علي العابدية » .

(٣) عارضها كل من : صالح بويصر ، ومصطفى ميرزان ، ورمضان الكيخيا ، ومفتاح عريقب ، وعبد السلام بسيكري .

(٤) أيّدها محمد سيف النصر ، وحسين الفقيه .

شعبان ١٣٧٦هـ (١٧ آذار ١٩٥٧م) واستمرّت الزيارة ثلاثة أيام عرض خلالها مشروع آيزنهاور بالنسبة للشرق الأوسط ، فوافق رئيس الوزارة الليبية مصطفى بن حليم ، وحصلت ليبيا بعدها على مساعدة أمريكية مقدارها سبعة ملايين دولار .

وطلب رئيس وزراء ليبيا مصطفى بن حليم أسلحة أمريكية غير أن حكومته قد سقطت ، وجاء إلى الحكم وزارة جديدة برئاسة عبد المجيد كعبار في تاريخ ٢٧ شوال ١٣٧٦هـ ، فتابع المباحثات ، وتمّ توقيع اتفاقية بهذا الخصوص في تاريخ ٣ ذي الحجة ١٣٧٦هـ (٣٠ حزيران ١٩٥٧م) وقّعها عن الجانب الليبي وزير الخارجية « وهبي البوري » ، وعن الجانب الأمريكي السفير الأمريكي في طرابلس « جون تاين » ، ولكن حُدّد استعمال هذه الأسلحة في الأغراض التي وُقّعت من أجلها الاتفاقية .

ثم طلب رئيس وزراء ليبيا عبد المجيد كعبار زيادة مبلغ المعونة الأمريكية ، وجرت مباحثات بين الطرفين في السفارة الأمريكية في طرابلس تمخّضت عن وضع أربعة ملايين دولار تحت تصرّف الحكومة الليبية .

وعاد الطلب بالزيادة ، وجرت مفاوضات أخرى رفعت بعدها الولايات المتحدة مساعدتها إلى ليبيا إلى عشرة ملايين تُدفع إلى الحكومة الليبية مباشرة .

جـ - مع فرنسا : وقّعت الحكومة الليبية يوم الاستقلال ٢٦ ربيع الأول ١٣٧١هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٥١م) اتفاقية عسكرية مؤقتة مع فرنسا ، سمحت بموجبها للقوات الفرنسية بالبقاء في ولاية فزّان مقابل مساعدة مالية تُقدّمها فرنسا إلى المجلس التنفيذي لتلك الولاية ، ولم تعرض هذه الاتفاقية على مجلس النواب الليبي ، وإنما أبقتها الحكومة سراً ، غير أن ذلك كشفه خطاب العرش الذي ألقاه رئيس الحكومة محمود المنتصر نيابة عن الملك في المجلس النيابي عند اجتماعه يوم ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٧١هـ (٢٥ آذار ١٩٥٢م) .

وعندما عرضت الميزانية الأولى للدولة الليبية على المجلس النيابي عُرفت حقيقة تلك الاتفاقية ، وأن فرنسا تدفع مبلغ مائة وثلاثة وستين ألف جنيه ، وأن هناك موظفاً فرنسياً مكلّفاً بالشؤون المالية والاقتصادية المتعلّقة بولاية فزان ، وقد حملت المعارضة على هذه الاتفاقية ، بل وسخِرت من هذا المبلغ الذي يمكن للولاية أن تقتصده من ميزانيتها لو طلب منها ذلك .

وبعدئذٍ قرر الملك عدم تجديد الاتفاقية مع فرنسا ، إذ أعلن ذلك في خطاب العرش الذي قرأه رئيس الوزارة مصطفى بن حليم نيابةً عنه يوم ١٤ ربيع الثاني ١٣٧٤هـ (٩ كانون الأول من عام ١٩٥٤م) بمناسبة افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الأمة، وأمر بإبلاغ الحكومة الفرنسية ضرورة الجلاء عن فزان .

وجرت مباحثات بين رئيس وزراء ليبيا مصطفى بن حليم في باريس وبين رئيس وزراء فرنسا «بيار منداس فرانس» واتفقا على النقاط الأساسية بين الجانبين على أن تُدرس من قِبَل لجان من الطرفين في طرابلس بعد الاتفاق المبدئي الذي تمّ ، وبدأت المباحثات فعلاً في طرابلس في تاريخ ٢٩ ذي القعدة ١٣٧٤هـ (١٨ تموز ١٩٥٥م) ، وتمخّضت عن توقيع معاهدة في تاريخ ٢٢ ذي الحجة عام ١٣٧٤هـ (١٠ آب ١٩٥٥م) ، وهي معاهدة صداقة ، واتفاقية تعاون اقتصادي ، وتنمية للتبادل التجاري بين الدولتين ، ومقدار مساهمة فرنسا المالية في الميزانية الاتحادية للدولة الليبية ، واتفاقية حسن جوار تنظّم الأمن على الحدود ، وتجارة القوافل ، وانتقال البدو ، واتفاقية ثقافية . ومدة المعاهدة عشرون سنة . وتعهّدت فرنسا بالجلاء عن فزان خلال سنة واحدة بدءاً من وضع المعاهدة موضع التنفيذ ، كما تسلّمها مطارات (سبها) و (غات) و (غدامس) والمباني والمعدات التابعة لها بشرط استخدام فنيين فرنسيين ، وتسهيل المواصلات الجوية الفرنسية . كما تسمح الحكومة الليبية للطائرات الفرنسية بناءً على إشعارٍ سابق الهبوط في مطار (سبها) والإقلاع منه لمدة خمس سنوات ، وفي مطار (غات) و (غدامس) لمدة سنتين . كما سمحت ليبيا للقوات الفرنسية باتخاذ منطقة فزان ممراً لها في ذهابها إلى تشاد أو

إيابها منها إلى الجزائر وتونس . وفوق كل هذا استأجرت فرنسا قطعة أرض ليبية بجوار حدود الجزائر ؛ لاستخدامها كمهبط للطائرات الفرنسية ، وتعادل قيمة هذا الإجار مائة قرش سنوياً ولمدة عشرين سنة[1] .

عُرضت المعاهدة على مجلس النواب ؛ فبدت معارضة ضعيفة كان على رأسها عبد العزيز الزقلعي ، أما صالح مسعود بويصر الذي اعتاد معارضة أي ارتباطٍ فقد اضطّر إلى مغادرة البلاد . ولما كانت المعارضة ضعيفة ؛ نالت المعاهدة على الموافقة ، وكذلك صادق عليها مجلس الشيوخ في ٨ شعبان ١٣٧٥هـ (٢٠ آذار ١٩٥٦م) .

المطالبة بإلغاء المعاهدات : بدأ وعي الشعب في ليبيا نتيجة مطالبة عددٍ من النواب بإنهاء المعاهدة الأجنبية التي تقيّد الحكومة والشعب معاً بأغلال ثقيلةٍ ، كما كان أثر ما تكتبه الصحف العربية في البلدان العربية الأخرى واضحاً ، إضافة إلى الهجوم الذي أخذ يشنّه الرئيس المصري جمال عبد الناصر ، والذي كان على خلافٍ واسع مع الاستعمار الإنكليزي حيث كان يتحرّك بتوجيه أمريكي ؛ فقد وصل إلى السلطة بدعمٍ منه غير أنه يخفي هذا بإعلان الهجوم على أمريكا ليدفن تحته شيئاً آخر ، كما كان يقوم بمغازلة الاستعمار الروسي ، وبهذا ذرّ الغبار في عيون الكثيرين حتى خفيت الحقيقة تحت هذه السياسة .

٧ ـ **حكومة محمود المنتصر** : سقطت حكومة محي الدين فكيني في ٨ رمضان ١٣٨٣هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٦٤م) ، وعُهد إلى محمود المنتصر

---

(١) مثّل ليبيا في هذه المباحثات : مصطفى بن حليم رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وعبد المجيد كعبار نائب رئيس الوزراء ووزير المواصلات ، وسيف النصر عبد الجليل رئيس المجلس التنفيذي لولاية فزان ، وسليمان الجربي وكيل الخارجية ، والرائد السنوسي الأطيوشي ، والنقيب نوري الصديق ، وحسن مخلوف ، وأحمد ابن سعود .
ومثّل الجانب الفرنسي : « موريس دوغان » سفير فرنسا في ليبيا ، و « أوبوافو » الوزير المفوّض في الخارجية الفرنسية ، و « مايار » المدير المساعد في الخارجية .

بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ ؛ فشكّلها في اليوم التالي . ونتيجة الوعي الذي انتشر في الأوساط كافة ونتيجة الظروف المواتية تقدّم عـدد من النواب[1] بمشروع قانونين إلى مجلس النواب : أحدهما يقضي بإلغاء المعاهدات الليبية مع الدول الأجنبية . والثاني يقضي بتصفية القواعد العسكرية من البلاد ، فأحال المجلس النيابي هذين المشروعين إلى لجنة الشؤون الخارجية وذلك في تاريخ ٢٥ شوال ١٣٨٣هـ (٩ آذار ١٩٦٤م) ، وكان رئيس الحكومة محمود المنتصر قد صرّح بعزم الحكومة على عدم تجديد أو تمديد الاتفاقيتين الإنكليزية والأمريكية .

ودرست لجنتا الدفاع والخارجية مشروع القانونين ، ووافقتـا عليهما ، ورفعتا تقريرهما إلى مجلس النواب بالموافقة ، وأوصتا بتأجيل مناقشة الموضوع لإفساح المجال للحكومة للدخول في مفاوضات تستهدف إلغاء المعاهدات ، وتصفية القواعد العسكرية ، وجلاء الأجنبي تماماً عن البلاد .

أثناء ذلك انتقل الملك محمد إدريس السنوسي من البيضاء إلى طـبرق واستدعى رئيس الوزراء ، ورئيس النواب ، ورئيس مجلس الشيوخ ، وأبلغهم عزمه على التنازل عن الملك ، وذلك في تاريخ ٦ ذي القعدة ١٣٨٣هـ (١٩ آذار ١٩٦٤م) ، وحاولوا ثنيه عن عزمه ، غير أنهم فشلوا ، ولما انتشر الخبر قامت مظاهرات في ٨ ذي القعدة تطالب الملك بالعدول عن رأيه ؛ فاستجاب لرأي الشعب .

طلبت الحكومة الليبية من الحكومتين الإنكليزية والأمريكية الدخول في مباحثات حـول جلاء قـواتها عن القـواعد التي تحتلّهـا في الأرض الليبية ؛ فوافقت الحكومتان المعنيتان بالأمر على هذا الطلب .

---

(١) كان من بين هؤلاء النواب : أحمد الرماش ، وأحمد الغرياني ، وأحمد الخرباشي ، وعبد السلام التهـامي ، والسائـح فلفل ، وعـلي مصطفى المصراطي ، وعمـران البصير ، ومحمـد بشير المغيربي ، ومحمد نشنوش ، ومحمود فتح الله ، والفيتوري زميط ، ومحمود صبحي ، ومحمد أبو صاع .

٨ ـ حكومة حسين مازق : وبدأت مباحثات من أجل الجلاء في عهد حكومة محمود المنتصر ، واستمرّت أيام حكومة حسين مازق[١] التي خلفت حكومة محمود المنتصر في يوم ١٨ ذي القعـدة ١٣٨٤هـ (٢٠ آذار من عام ١٩٦٥م) ، وكان من نتائج المباحثات مع الجانب الإنكليزي أن أعلن مقر القوات البريطانية في ليبيا يوم ٨ ذي الحجة ١٣٨٥هـ (٢٩ آذار ١٩٦٦م) أن القوات البريـطانية سـوف تبحر من طـرابلس يوم الخميس ١١ ذي الحجـة ١٣٨٥هـ (الأول من نيسان ١٩٦٦م) أي بعد يومين فقط من الإعـلان ، وذلك باستثناء حامية جوية ، وبعثتين إحداهما بحرية والأخرى برية .

وعندما اعتدى اليهود في فلسطين على الأراضي العربية المجاورة في ٢٧ صفر ١٣٨٧هـ (٥ حزيران ١٩٦٧م) ، وظهر تعاون الإنكليز والأمريكان مع

---

(١) تشكّلت حكومة حسين مازق على النحو الآتي :

١ ـ حسين مازق : رئيساً للوزراء .
٢ ـ سالم لطفي القاضي : وزيراً للمالية .
٣ ـ أحمد بشتي : وزيراً للشؤون الخارجية .
٤ ـ محمد منصوري : وزيراً للدفاع .
٥ ـ ونيس قذافي : وزيراً للتخطيط والتنمية .
٦ ـ طاهر عقبي : وزيـراً للعمـل والشؤون الاجتماعية .
٧ ـ أبو سيف ياسين : وزيراً للصناعة .
٨ ـ فؤاد قابازي : وزيراً لشؤون النفط .
٩ ـ محمد بيديرنا : وزيراً للزراعة .
١٠ ـ السنوسي الأطيوشي : وزيراً للمواصلات .
١١ ـ أحمد عون وسوف: وزيراً للداخلية.
١٢ ـ بوبكر بن عمر : وزيراً للعدل .
١٣ ـ طاهر باكير : وزيراً للتعليم .
١٤ ـ خليفـة طـاليسي : وزيـراً للثقـافـة والإعلام .
١٥ ـ حـامـد عبيـدي : وزيـراً للعمـل الشعبي .
١٦ ـ عمر جودة : وزيراً للصحة .
١٧ ـ أحمـد سويـدي : وزيـراً لـلاقتصـاد والتجارة .
١٨ ـ عبد القادر البدري: وزيراً للإسكان والحكم المحلي .
١٩ ـ عبد الله سكتا : وزير دولة للخـدمة العامة .
٢٠ ـ مهدي بوظو : وزير دولـة للمجلس النيابي .

اليهود تحرّك الشعب في ليبيا ، وقامت مظاهرات ضدّ إنكلترا والولايات المتحدة ، وجرت محاولات لإحراق سفارتيهما في بنغازي ، وطولبت الحكومة الليبية بإنهاء التحالف مع هاتين الدولتين المعتديتين ، وتصفية قواعدهما العسكرية فوراً ، هذا رغم أن الحكومة قد أمرت القطعات العسكرية الليبية أن تتحرّك نحو مصر لتؤدّي واجبها في القتال إلى جانب الأخوة الأشقاء ، كما سمحت للقطعات العسكرية الجزائرية بالمرور من الأرض الليبية لتقوم بالدور نفسه .

وتشكل وفد من طرابلس ، وأعدّ مذكرة ليقدّمها إلى رئيس الوزراء حسين مازق يطالبه فيها بالعمل لإنهاء التحالف مع إنكلترا وأمريكا وتصفية قواعدهما العسكرية في الأرض الليبية تنفيذاً لقرار مجلس الأمة الليبي الذي اتخذ من سنتين[١] . وكذلك فعل أهل برقة ؛ تشكّل وفد منهم للغرض نفسه[٢] . فالتقى الوفدان في بنغازي يوم ٢٨ صفر ، فسارا معاً إلى البيضاء ، وتمّ اللقاء مع رئيس الوزراء في الأول من شهر ربيع الأول[٣] .

وفي ٩ ربيع الأول طلب وزير الخارجية الليبي من أمريكا وإنكلترا الدخول في مباحثات للانسحاب من ليبيا ، وتصفية قواعدهما منها في أقرب وقت . غير أن وزارة الخارجية الأمريكية قد أعلنت في يوم ١٠ ربيع الأول ١٣٨٧هـ (١٧ حزيران ١٩٦٧م) بأن الطلب الليبي يهدّد الوجود العسكري

(١) ضمّ وفد طرابلس : محمد كريكشي ، ومحمود صبحي ، وإبراهيم الغويل ، ومصطفى ميرزان .

(٢) ضمّ وفد برقة : بشير المغيربي ، وعلي زوارة ، ومحمد الصابري ، ومصطفى بن عامر .

(٣) عندما وصل الوفد إلى البيضاء كان مجلس الوزراء في حالة انعقاد ، وهذا ما حال دون اللقاء السريع مع الوفد ولم يستطع رئيس الوزراء مقابلة الوفد حتى سافر إلى طبرق حيث التقى مع الملك هناك ، وأخذ التعليمات منه ، ولما رجع إلى البيضاء التقى بالوفد ، واضطرّ الوفد إلى الانتظار مدة هذين اليومين .

الأمريكي في المنطقة . ثم عادت فأعلنت في يوم ١٥ ربيع الأول أنها قد أبلغت سفيرها في طرابلس بالتعليمات اللازمة ، وأن يضع نفسه في خدمة الحكومة الليبية فيما يتصل بالمباحثات .

٩ ـ **حكومة عبد القادر البدري**: استقالت حكومة حسين مازق في ٢١ ربيع الأول ١٣٨٧هـ ، وخلفتها حكومة جديدة برئاسة عبد القادر البدري[١] الذي كان يشغل منصب وزير الإسكان في الوزارة السابقة . وطلبت الحكومة الجديدة من إنكلترا وأمريكا الدخول في مباحثات من أجل قواعدهما في ليبيا .

بدأت المباحثات مع الجانب البريطاني في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ (الأول من شهر آب ١٩٦٧م) ، وخلال يومين انتهت المباحثات في بنغازي وأذاعت وزارة الخارجية الليبية أن الجلاء عن القواعد البريطانية في ليبيا سيتمّ خلال ستة أشهر ، غير أن الخارجية الإنكليزية قد أعلنت أن اتفاق بنغازي إنما هو اتفاق جزئي لا يشمل كل الأراضي الليبية ، وإنما يشمل منطقة بنغازي فقط ولا يتعدّاها إلى طبرق .

وبدأت المباحثات مع الجانب الأمريكي في تاريخ ٥ جمادى الأولى ١٣٨٧هـ (١٠ آب ١٩٦٧م) ومثّل الجانب الليبي فيها وزير الخارجية أحمد البشتي ، ومثّل الجانب الأمريكي السفير الأمريكي في ليبيا ، وقد توقّفت المباحثات قليلاً ثم استؤنفت في يوم ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٧هـ ، وأذاعت إثرها ليبيا بياناً أعلنت فيه أن الاتفاق قد تمّ على تجميد موضوع الانسحاب من قاعدة الملاحة فيما إذا حدث عدوان على أية دولةٍ من الدول العربية ، وتشكيل لجنة مشتركة تقوم بجرد المعدات والطائرات الموجودة في القاعدة .

١٠ ـ **حكومة عبد الحميد البكوش** : جاءت حكومة عبد الحميد

---

(١) ضمّت وزارة عبد القادر البدري جميع أعضاء وزارة حسين مازق المستقيلة السابقة .

البكوش[1] بعد حكومة عبد القادر البدري في ٢٣ رجب ١٣٨٧هـ (٢٦ تشرين الأول من عام ١٩٦٧م) ، وقد أذاعت بعد ثلاثة أيامٍ من تسلّمها السلطة أن المفاوضات مع الجانبين البريطاني والأمريكي ما زالت مستمرّة ، وأنها قد أحرزت تقدّماً نحو الوصول إلى الهدف . وأذيع في ١٢ رمضان ١٣٨٧هـ (١٣ كانون الأول من عام ١٩٦٧م) بيان رسمي جاء فيه أن الاتفاق مع الجانب البريطاني قد تمّ على سحب جميع وحدات الجيش البريطاني

---

(١) تشكّلت حكومة عبد الحميد البكوش على النحو الآتي :

١ ـ عبد الحميد البكوش : رئيساً للوزراء ، وزيراً للعدل .
٢ ـ عبد الهادي القعود : وزيراً للمالية .
٣ ـ عمر بن عامر : وزيراً للمواصلات .
٤ ـ حامد بوصورويل : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
٥ ـ أحمد نجم : وزيراً للاقتصاد والتجارة .
٦ ـ بشير المنتصر : وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء .
٧ ـ أحمد العون سوف : وزيراً للداخلية .
٨ ـ ونيس القذافي : وزيراً للشؤون الخارجية .
٩ ـ عبد الكريم الياس: وزيراً للزراعة والمصادر الحيوانية .
١٠ ـ أحمد صالحين الهوني : وزيراً للثقافة والإعلام .
١١ ـ مهدي بوظو : وزير دولة لشؤون المجلس النيابي .
١٢ ـ شمس الدين عربي : وزير دولة للشؤون الخارجية .
١٣ ـ طارق باروني : وزيراً للصناعة .
١٤ ـ حامد عبيدي : وزيراً للدفاع .
١٥ ـ علي ميلودي : وزيراً للشؤون البلدية والقروية .
١٦ ـ عمر جودة : وزيراً للصحة .
١٧ ـ علي عتيقة : وزيراً للتنمية والتخطيط .
١٨ ـ أحمد سويدي : وزيراً للشباب والرياضة .
١٩ ـ خليفة موسى : وزيراً لشؤون النفط .
٢٠ ـ مصطفى بايو : وزيراً للتعليم .
٢١ ـ فتحي جودة : وزيراً للعمل الشعبي .
٢٢ ـ حسين غناوي : وزير دولة للخدمة العامة .
٢٣ ـ معتوق آدم : وزيراً للسياحة .
٢٤ ـ أنور سامي : وزيراً للإسكان .

من بنغازي بحلول شهر شباط من عام ١٩٦٨م (٣ ذي القعدة ١٣٨٧هـ) باستثناء البعثة العسكرية البريطانية .

وفي ٣ ذي القعدة ١٣٨٧هـ (١ شباط ١٩٦٨م) تسلّمت السلطات الليبية المعسكر الإنكليزي في بنغازي ، غير أن البريطانيين قد بقوا في (طبرق) والقاعدة الجوية في (العادم) كما بقي لهم وحدات بحرية في طرابلس ، وبعثات عسكرية في بنغازي .

وفي شهر محرم من عام ١٣٨٨هـ (نيسان ١٩٦٨م) أبرمت اتفاقية مع شركة الطيران البريطاني لتوريد نظام دفاع جوي متكامل بمبلغ مائة مليون جنيه ، ويشمل صواريخ قصيرة المدى ، وأحدث أجهزة الرادار .

وقد قام الملك حسين بن طلال ملك الأردن بزيارةٍ إلى ليبيا، وتعهّدت الحكومة الليبية بتقديم أجهزةٍ دفاعيةٍ للأردن ، وكذلك لمصر .

١١ ـ حكومة ونيس القذافي : في ١١ جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ (٤ أيلول ١٩٦٨م) قدّمت حكومة عبد الحميد البكوش استقالتها ، وخلفتها وزارة ونيس القذافي[١] الذي كان يشغل منصب وزير الشؤون الخارجية في

---

(١) تشكّلت وزارة ونيس القذافي على النحو الآتي :

١ ـ ونيس القذافي : رئيساً للوزارة .
٢ ـ حامد العبيدي : وزيراً للدفاع .
٣ ـ أحمد عون سوف : وزيراً للداخلية .
٤ ـ حامد صورويل : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
٥ ـ مهدي بوظو : وزيراً لشؤون المجلس النيابي .
٦ ـ أحمد صالحين الهوني : وزيراً للثقافة والإعلام .
٧ ـ عبد الكريم الياس : وزيراً للزراعة والمصادر الحيوانية .
٨ ـ فتحي جودة : وزيراً للعمل الشعبي .
٩ ـ عمر جودة : وزيراً للصحة .
١٠ ـ طارق الباروني : وزيراً للصناعة .
١١ ـ بشير المنتصر : وزيراً لشؤون مجلس الوزراء .
١٢ ـ أحمد السويدي : وزيراً للشباب والرياضة .

الوزارة السابقة .

وتحسّنت أوضاع ليبيا المادية بعد اكتشاف الكثير من آبار النفط ، وقدّمت معونات للدعم العربي تقدّر باثنين وخمسين مليون دولار ، وزادت عشرين مليوناً في العام التالي للعدوان اليهودي .

وهكذا توالت إحدى عشرة حكومة على الحكم في العهد الملكي وهي حكومات :

١ ـ محمود المنتصر : ١٦ ربيع الأول ١٣٧١ ـ ١٥ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٥١ ـ ١٨ شباط ١٩٥٤)

٢ ـ محمد الساقزلي : ١٥ جمادى الآخرة ١٣٧٣ ـ ٨ شعبان ١٣٧٣هـ (١٨ شباط ١٩٥٤ ـ ١١ نيسان ١٩٥٤م) .

٣ ـ مصطفى بن حليم : ٨ شعبان ١٣٧٣ ـ ٢٧ شوال ١٣٧٦هـ (١١ نيسان ١٩٥٤ ـ ٢٦ أيار ١٩٥٧م) .

٤ ـ عبد المجيد كعبار : ٢٧ شوال ١٣٧٦ ـ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ (٢٦ أيار ١٩٥٧ ـ ١٦ تشرين الأول ١٩٦٠م) .

٥ ـ محمد بن عثمان السعيد : ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٠ ـ ٢٤ شوال ١٣٨٢هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٦٠ ـ ١٩ آذار ١٩٦٣م) .

=

١٣ ـ خليفة موسى : وزيراً لشؤون النفط .

١٤ ـ مصطفى بايو : وزيراً للتعليم .

١٥ ـ عبد الهادي القعود : وزيراً للمالية .

١٦ ـ علي ميلودي : وزيراً للشؤون البلدية .

١٧ ـ حسين الغناوي : وزير دولة للخدمة العامة .

١٨ ـ عمر بن عامر : وزيراً للمواصلات .

١٩ ـ أنور ساسي : وزيراً للإسكان .

٢٠ ـ معتوق آدم : وزيراً للسياحة .

٢١ ـ شمس الدين عربي : وزيراً للشؤون الخارجية .

٢٢ ـ أحمد نجم : وزيراً للاقتصاد والتجارة .

٢٣ ـ علي أحمد عتيقة : وزيراً للتنمية والتخطيط .

٢٤ ـ رجب المجري : وزيراً للعدل .

٦ ـ محيي الدين فكيني : ٢٤ شوال ١٣٨٢ ـ ٨ رمضان ١٣٨٣هـ (١٩ آذار ١٩٦٣ ـ ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٤م) .

٧ ـ محمود المنتصر : ٩ رمضان ١٣٨٣ ـ ١٨ ذي القعدة ١٣٨٤هـ (٢٣ كانون الثاني ١٩٦٤ ـ ٢٠ آذار ١٩٦٥م) .

٨ ـ حسين مازق : ١٨ ذي القعدة ١٣٨٤ ـ ٢١ ربيع الأول ١٣٨٧هـ (٢٠ آذار ١٩٦٥ ـ ٢٨ حزيران ١٩٦٧م) .

٩ ـ عبد القادر البدري : ٢١ ربيع الأول ١٣٨٧ ـ ٢٣ رجب ١٣٨٧هـ (٢٨ حزيران ١٩٦٧ ـ ٢٦ تشرين الأول ١٩٦٧م) .

١٠ ـ عبد الحميد البكوش : ٢٣ رجب ١٣٨٧ ـ ١١ جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٦٧ ـ ٤ أيلول ١٩٦٨م) .

١١ ـ ونيس القذافي : ١١ جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ (٤ أيلول ١٩٦٨ ـ ١ أيلول ١٩٦٩م) .

ثانياً: الجُمْهُوريَّة

بدأ الوضع الاجتماعي والفكري والسياسي يتغيّر في ليبيا نتيجة الظروف التي جدّت على الساحة ، وبسبب الأوضاع التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في العالم كله ، ولا بدّ من أن تتأثّر بها ليبيا ، أو ينالها شيء من أثارها .

الأوضاع المادية الليبية تحسّنت بعد ظهور النفط وزيادة مـردوده، وأخذ الناس يتطلّعون إلى خارج منطقتهم ، ويعرفون ما يجري فيها ، ويحلّلون بعض تلك الأحداث ، وإن لم يستطيعوا بعد ؛ فقد كانوا يتأثّرون بها ، ويعملون على التفكير بواقعهم الذي يعيشون فيه ، بعد أن كانوا منعزلين على أنفسهم يجدّون لتحصيل لقمة العيش .

أعداد السكان تزايدت ؛ بعد أن كان الأهالي قلّة موزّعة في تلك الفيافي الواسعة ، بين الجماعة والأخرى بيداء قاحلة ، وكـلٌ منصرفٌ لعمله يكـابد التعب، ويتحمّل لظى الشمس المحرقة، يغالب البيئة ليأخذ منها ماءه، وما يقتات به .

وانتشر العلم ، وافتتحت الجامعات ، وأصبح بالإمكان تلقّي المعرفة ؛ فـالانتقال ميسـور بسهولـة المواصـلات ، والإنفاق سهـل بتحسّن الأوضاع المادية ، والقلوب عطشى تسعى جاهـدة وراء المناهـل التي أخذت ينـابيعها تتدفّق .

وسائل الإعلام أخذت تبثّ ما تريده ، ووخزات منبّهة أخذت تأتي من المناطق القريبة والتي يرتبط أبناؤها مع سكان ليبيا بروابط العقيدة، فأخذوا يلقون إليهم من تلك الوشائح ما ينبّهمم إلى أوضاعهم ، وما يحرّكهم ليصحوا ويستيقظوا ، ويطالبونهم بالتقاء بعضهم مع بعض ليكونوا قوة .

الأوضاع التي تتعاقب على الساحة الداخلية : مجموعة قليلة تتحكّم في الناس ، تتصرّف كما تشاء ، تدني ، تبعد ، تنفق من مال الشعب وتبذخ ، تحرم الأهل ، وتهب الأعداء ، تعطي من تخضع له ، وترتبط به دون حساب ، يحميها وتبذل له ، سلطها على السكان ، وتسلط عليها حتى غدت يده التي تضرب ، وتأخذ ، وتتجبّر ، ثم ترتمي في أحضانه . يُقتل أحد أفراد هذه المجموعة المتسلّطة ، ويدعى إبراهيم الشلحي ؛ فينعى بالإذاعة ، وتفرض حالة الطوارىء في البلاد كلها ، ويعلن الحداد سبعة أيام في أرجاء ليبيا جميعها ، وهذا كله لأنه على صلةٍ وثيقةٍ برئيس الوزراء مصطفى بن حليم أحد رجالات هذه المجموعة الظالمة لنفسها .

ويأتي أحد أثرياء الطليان الذين كانوا قد استولوا على أراضٍ شاسعةٍ في برقة تعدّ من أخصب البقاع ، واستبدّ بالناس وسخر من السكان واستعبد البلد وأهله أيام استعمار بني جلدته من النصارى لديار المسلمين ، ذلك هو « مرزوتو » الكونت الإيطالي ، فتهتزّ البلاد لتلك الزيارة ، وتُسخّر إمكاناتها لخدمته وخدمة موكبه ، وينتقل من برقة إلى طرابلس فينتقل معه العز والشرف ، وما ذلك الإكرام والتبجيل ، والحفاوة والتعظيم ؛ إلّا لصلته برجل يدعى عبد الله عابد الذي يكون بدوره صديقاً لرئيس الحكومة مصطفى بن حليم ، فيثور الشعب ويغضب ويتحرّك رجال القبائل ، ويسير الناس إلى قصر الملك في مدينة البيضاء على مقربة من تلك الاحتفالات بالضيف العزيز ، ويعلن الجميع استنكارهم لهذه الزيارة ، وما تنطوي عليه من ازدراءٍ للشعب المسلم الذي قاتل ضدّ الطليان من أمثال هذا القادم ، والذي طالما عمل على إذلال الناس .

وكان لقضية فلسطين دورها ، فإنه لما عُقد مؤتمر القمة العربي الأول بالقاهرة في شهر شعبان ١٣٨٣هـ (كانون الثاني ١٩٦٤م) حضرته ليبيا(١) ،

---

(١) اعتذر الملك محمد إدريس السنوسي عن حضور المؤتمر ، وكلّف =

وخرج الطلاب تأييداً للمؤتمر بمظاهرات ، ورأى قائد قوة دفاع برقة ومدير الشرطة في الحكومة الاتحادية [1] فرصةً للضغط على الحكومة وجعلها في وضع حرج نتيجة الخلاف معها ، فأعطى أوامره بمنع الطلاب من الخروج بمظاهرات ، واصطدمت الشرطة معهم ، ووقع ثلاثة طلاب صرعى نتيجة الصدام ، وجرح عدد آخر ، وتأثّر الشعب من هذا التصرّف وهاجم مراكز الشرطة في بعض المناطق ، وتضامن طلاب طرابلس مع إخوانهم في بنغازي وتظاهروا ، وحاول مدير الشرطة أن يعزو هذا التصرّف إلى الحكومة .

وتشكّلت لجنة للتحقيق ، وثبت لديها أن الشرطة هي سبب ما وقع من أحداث ، وأن مدير الشرطة هو المسؤول عنها ، فطلبت الحكومة إقالة المسؤول ، وفصل بعض الضباط ، غير أن طلبها قد رفض ؛ فقدّمت استقالتها ، وتظاهر الشعب مؤيّداً لها ولكن ذلك لم يُجدِ نفعاً ، فأسرّ الناس ذلك في نفوسهم ولم يستطيعوا إبداء شيء .

ويوجد في ليبيا بعض اليهود ، فلما أعلن اليهود عن قيام دولتهم في فلسطين في ٧ رجب من عام ١٣٦٧هـ (١٥ أيار ١٩٤٨م) ؛ ارتبط اليهود في ليبيا بصلاتٍ وثيقةٍ مع ما عُرف باسم دولة إسرائيل في فلسطين ، وكانوا ينتقلون إليها عن طريق إيطاليا ، ولا يخفون ذلك ، بل أحياناً يفاخرون برحيلهم إلى فلسطين ، كما يفخرون بتلك الدولة وقيامها رغم أنوف المسلمين جميعاً ؛ فكان هذا يزعج الشعب في ليبيا غير أنه مغلوب على أمره .

ورست في ميناء طرابلس باخرة يهودية لتنقل من يريد الارتحال من ليبيا

= ولي العهد الحسن الرضا أن يمثّله في هذا المؤتمر ، وكان من أعضاء الوفد رئيس الحكومة محيي الدين فكيني ، ورئيس مجلس النواب عبد الحميد العبار ، ورئيس مجلس الشيوخ مفتاح عريقيب .

(1) يدعى مدير الشرطة « محمود بوقويطين » .

إلى فلسطين مع جميع أمتعته وأملاكه ، فكان لهذا وقعه السيء على نفوس السكان .

وكان في طرابلس نادٍ لليهود يعرف بنادي (المكابي) وكان يرفع علم دولة ما عُرف بإسرائيل ؛ فتأذى الشعب أشدّ الإيذاء ، وسأل النواب الحكومة عن سبب افتتاحِ مثل هذا النادي وفيه تحدٍّ للأمة ، وطالبوا بإغلاقه ، ولكن لم يُجدِ ذلك شيئاً ، إلى أن كثرت التساؤلات، واحمرّت الأعين ؛ حينئذٍ أمر بإغلاقه .

وفي هذه الأثناء انضمّت ليبيا إلى جامعة الدول العربية في ١٣ رجب ١٣٧٢هـ (٢٨ آذار ١٩٥٣م) رغم كل هذه التصرّفات ، وكان النواب الليبيون يطالبون حكومتهم بتطبيق قرارات جامعة الدول العربية ، والتي منها مقاطعة إسرائيل . وإن الموقف الحالي من إسرائيل ليعدّ خارقاً فاضحاً لإجماع الدول العربية ، ولم يطبّق قانون مقاطعة إسرائيل إلاّ بعد هجوم عنيف ومرور عدة سنوات ، وتحت ضغط النواب والشعب اتخذ ذلك القرار في ٢٢ رمضان ١٣٧٥هـ (٢ أيار ١٩٥٦م) ، وأنشىء مكتب لمقاطعة إسرائيل في طرابلس ، وله فرعان : أحدهما في بنغازي ، والآخر في (سبها) .

كل هذا أوجد رغبةً عند السكان في التغيير ، وبدأ التحرّك في هذا الاتجاه ، وتشكّلت بعض المجموعات التي دخلت عليها بعض المؤثرات الخارجية ، وكانت عن طريق أحد الضباط ثم الوزراء الشاميين[١] . وقد قبض على مائة وستة أشخاص ، وقدّموا للمحاكمة ، وحكم عليهم بالسجن مدة تتراوح بين سنتين وست سنوات .

---

(١) ويُدعى هاني الهندي ، وينتمي إلى حركة القوميين العرب الذين يحملون اتجاهاً غربياً بمنطلقات شرقية ، وينادون بالاشتراكية لمصلحة الرأسمالية ، يرفعون بكل حماسة شعارات يسارية وأيديهم مكبّلة بقيود من الغرب ؛ حيث يتلقّون الدعم من هناك ، ويعملون على نسف الجذور الفكرية والسياسية القائمة في البلدان العربية .

عندما يدخل بلد يخضع لنفوذٍ أجنبيٍّ مرحلةً مثل هذه المرحلة التي وصلت إليها ليبيا ؛ تفكّر الدولة صاحبة النفوذ بالتغيير لمصلحتها ، خوفاً من أن يحدث تغيير دون علمها ، فقد تجد صعوبةً حتى تستطيع أن تمسك بيدها كافة الخيوط مرةً أخرى ، وقد تحدث فوضى ، وربما خرج الأمر من يدها ، وأكثر ما تخشاه أن يكون الاتجاه إسلامياً، فهذا ما يقضّ مضجعها؛لأن في ذلك اهتزاز للصليبية العالمية واتحاد كنائسها وإرسالياتها ، كما تخاف أن يكون التوجّه نحو دولةٍ معاديةٍ لها ، أو يكون الدافع له معسكر مضاد لها ، أو خط يقابل الخط الذي تسير فيه .

إن الدولة صاحبة النفوذ الأول في ليبيا كانت يومذاك هي إنكلترا ، فهي التي أبرزت محمد إدريس السنوسي ، وتحالفت معه ، وأوصلته إلى السدّة ، وبالتالي المجموعة التي تدور في فلكه ، وتنتفع من السلطة ، وترى رأيه ؛ إما اقتناعاً ، وإما مصلحةً وانتفاعاً ، ولا شك ؛ فإن إنكلترا كانت قد اصطفت أثناء هذا المسير فئةً منها ، تتخذها جياد رهان ، تمتطي واحداً منها حتى إذا تعب أو أعيته الحيلة في التصرّف ؛ استبدلته بآخر ، وجعلت منهم مجالاً للمنافسة تضرب أحدهما بالآخر،وتمنّي بعضهم بمقامٍ أرفع على حساب بعض ، وتعلّق الأماني في مكانٍ عالٍ لا يطاله إلّا الذي يُبدي طاعةً أكثر .

أما النفوذ الأمريكي فقد دخل إلى ليبيا مع دخول الحلفاء إلى المنطقة في الحرب العالمية الثانية بصفة أن الولايات المتحدة هي إحدى دول الحلفاء ، ولقد سمحت إنكلترا التي دخلت جيوشها ليبيا من مصر بقيادة مونتغمري ، ودحرت قوات المحور بقيادة رومل ؛ سمحت لها ببناء قاعدة الملاحة . وقد كان النفوذ الأمريكي نفوذ قوة وهيمنة ، لا نفوذ علاقة وارتباط ، لذلك يمكن أن نعدّه سطحياً ليس له تأثير عميق في السكان كالنفوذ الإنكليزي .

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية كأقوى قوة عالمية مادياً وعسكرياً ، وتزعّمت الدول الرأسمالية ، ورأت من

مصلحة هذه الدول التي شكّلت حلف شمال الأطلسي ليقف في وجه حلف وارسو الذي تشكّل من الدول الشيوعية ؛ رأت أن تحلّ محلّ إنكلترا وفرنسا في مناطق نفوذهما ليكون هناك رأس واحد في المعسكر الغربي كما يوجد رأس واحد في المعسكر الشرقي وهو الامبراطورية الروسية فيكون موجّه واحد ، وذلك أفضل من وجود عدة رؤوس قد تعطي عدة توجيهات إذ ينطلق كل رأس من خلال نظرته الخاصة التي تنسجم مع مصالحه ، وإن ذلك الرأي الأمريكي لن يضعف المعسكر شيئاً إذ لن تخرجه عن أية إمكانات ، وإنما تبقى ضمن دوله ، وإن كانت تنتقل من دولة إلى أخرى . واستطاعت فعلاً أن تحلّ محلّ حليفتيها في كثير من المناطق ، غير أنها قد رضيت بنفوذها القليل في ليبيا الموجود بجانب النفوذ الإنكليزي . ولكن الظروف سارت على غير ما تشتهي ، إذ أن السكان قد كرهوا النفوذ الإنكليزي ، وكان هناك من يثيرهم باستمرار ، وغالباً ما كانت تأتي تلك الإثارة من ناحية مصر المجاورة لها من ناحية والتي كان رئيسها جمال عبد الناصر في صراع عنيف مع الإنكليز كما سبق أن ذكرنا ، وهذا ما زاد من قوة معارضة الشعب للحكم في ليبيا حتى إنه لم يستطع أن يسير علناً في أي مخطط استعماري ، إذ رفض حلف بغداد (المعاهدة المركزية - فيما بعد -) وغيره من المخططات ، وقد دعم المعارضة الليبية قوة معاداة الحكم المصري الظاهرية للولايات المتحدة رغم أنه يعدّ من أقوى ركائزها في البلدان العربية آنذاك ، وبذا أصبح الحكم المصري أو بالأحرى الناصري له قوته في ليبيا .

رأت الولايات المتحدة أن تحلّ في نفوذها محلّ النفوذ الإنكليزي في ليبيا خوفاً من أن ينتهي وضع الحكم الليبي المؤيّد من قبل إنكلترا على حين غفلة من الدولتين الإنكليزية والأمريكية ، وأن تُنهي هذا الوضع الضعيف الذي لا يستطيع السير في مخطط تقتضيه مصلحة المعسكر الغربي . وفي القضاء على هذا الضعف مصلحة لإنكلترا . ويساعد الولايات المتحدة في مشروعها هذا سكوت مصر عن أية حركة تقوم بها ما دامت تدور في فلكها ، وإن كانت ظاهراً تبدو في خارجه ؛ بل من ألدّ أعدائه .

ومعنى هذا أن وضع ليبيا سيتغير على أيدي رجال يخالفون سياسة إنكلترا ويحاربون نفوذها ، ويمكنهم السير في الفلك الأمريكي واقعاً ، ومحاربته ظاهراً ،ويُدعمون من الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس مصر ، الذي يسير في الخط نفسه بل يعدّ رائداً فيه . ويمكن أن تستفيد أمريكا من هذا التغيير ؛ إذ أن أيام الرئيس المصري قد أصبحت وشيكة الانتهاء ، ويجب استبداله فقد انتهى دوره ، وأخذت الأحداث تقضّ من مضجعه، وتسير به إلى حتفه المحتوم ، وربما بالتغيير الليبي يظهر بديل له ، ويحلّ محلّه ويمشي في الطريق نفسها . لقد فشلت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا ، وحرب اليمن أثارت بعض الكمائن في نفوس أبناء مصر ، والهزيمة أمام اليهود عام ١٣٨٧هـ ، واختلاف الرجال العسكريين المصريين فيما بينهم ، كل هذا جعل الرئيس المصري في حالة نزول دائم ولا بدّ من معايشة الوريث مدة قبل انتهاء الحياة .

وبدأ التخطيط ، وتوحيد الجهود ، وتنسيق العمل بين المعارضة وبين الذين يتلقون الدعم والتأييد من مصر ، وفي الفاتح من أيلول ١٩٦٩م (١٩ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ) تحرّك الجيش بقيادة العقيد معمر القذافي وقضى على الوضع القائم الذي وجده هشّاً ؛ إذ أن نقمة الشعب كانت عارمة عليه ، وتشكّل المجلس الأعلى لقيادة الثورة[1] ، كما تشكّلت حكومة جديدة[2] من

---

(١) تشكّل مجلس قيادة الثورة من الضباط الآتية أسماؤهم :

١ ـ العقيد معمر القذافي

٢ ـ الرائد عبد السلام جلود .

٣ ـ الرائد بشير الصغير هوادي .

٤ ـ النقيب مختار عبد الله جروي .

٥ ـ النقيب عبد المعنم الهوني .

٦ ـ النقيب خوالدي الحميدي .

٧ ـ النقيب محمد نجم .

٨ ـ النقيب علي عوض حمزة .

٩ ـ النقيب أبو بكر يونس جبر .

١٠ ـ النقيب مصطفى الخروبي .

١١ ـ النقيب عمر عبد الله المهدي .

١٢ ـ الملازم الأول محمد أبو بكر الكريف .

(٢) تشكّلت الحكومة على النحو الآتي :

١ ـ العقيد معمر القذافي : رئيس مجلس الوزراء ، وزير الدفاع .

٢ ـ الرائد عبد السلام جلود : نائب رئيس مجلس الوزراء ، وزير الداخلية والحكم المحلي . =

عسكريين ومدنيين . ولا بدّ للوضع الجديد كي يكون مقبولاً لدى السكان من نقطتين : أولاهما اتخاذ موقف سياسي يكون له أثر واضح لدى السكان ، وهذا ما قام به الوضع ، إذ طلب من الولايات المتحدة الدخول في مفاوضات للجلاء عن قاعدة الملاحة ، فاستجابت لذلك الطلب بسرعة ، وبعد مفاوضاتٍ شكليةٍ قصيرة الزمن ؛ سلمت الولايات المتحدة القاعدة ، وتسلّمتها ليبيا ، وأطلق عليها إسم « قاعدة عقبة بن نافع » . كما اتفق الوضع مع إنكلترا لإلغاء المعاهدة المعقودة بين الطرفين ، وانسحبت إنكلترا من ليبيا ، وبذا لقي الوضع تأييداً كبيراً وحماسةً شديدةً من قبل غالبية السكان . أما النقطة الثانية فهي اتخاذ الطابع الإسلامي ، فالشعب في ليبيا مسلم متمسك بإسلامه ، وقد زادت السنوسية من غرس العقيدة في النفوس بغضّ النظر عن الأخطاء التي وقعت فيها ، كما أنه شعب مرتبط بأصالته العربية . لقد أصدرت الثورة قانوناً بمنع تعاطي الخمور في الأرض الليبية ، وعملت على تطبيق فريضة الزكاة ، وأصدرت مجموعة من القوانين لهذا الغرض ، و . . . ، وأعلن القائد توجّهه الإسلامي . وهاتان النقطتان هما اللتان سار عليهما الرئيس المصري جمال عبد الناصر عندما قام بحركته ، فموضوع الجلاء عن قناة السويس ، ثم

= ٣ ـ الرائد بشير الصغير هوادي : وزير التعليم والتوجيه الوطني .
٤ ـ النقيب عمر عبد الله المهدي : وزير الاقتصاد والصناعة .
٥ ـ النقيب محمد الكريف : وزير الإسكان .
٦ ـ صالح مسعود بويصير : وزير الوحدة والشؤون الخارجية .
٧ ـ عمر الهادي : وزير المواصلات والعمل .
٨ ـ محمد علي الجدي : وزير العدل .
٩ ـ مفتاح الاسطا عمر : وزير الصحة .
١٠ ـ جمعة شريها : وزير الزراعة والإصلاح الزراعي .
١١ ـ عز الدين مبروك : وزير شؤون النفط والمعادن .
١٢ ـ عبد العاطي العبيدي : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .
١٣ ـ محمد هلال الرابل : وزير الخزانة .

العدوان الثلاثي على مصر ، وتأييده للحركة الإسلامية في بداية الأمر ؛ هو الذي ثبّت له الوضع وسوّاه له .

ومات الرئيس المصري جمال عبد الناصر في ٢٨ رجب ١٣٩٠هـ (٢٨ أيلول ١٩٧٠م) ، وأبدى قائد الثورة الليبية أنه الوريث له في الزعامة العربية ، وأخذ يتحرّك في مختلف المجالات ، وبما يرضي الأمة الإسلامية عامة والشعب العربي .

أخذ يهاجم الشيوعية ومبادئها وأفكارها ، وعندما انقضّ الشيوعيون على الحكم في السودان ، وقلبوا ظهر المجن للرئيس السوداني محمد جعفر النميري في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٩١هـ (١٩ تموز ١٩٧١م) كان للرئيس الليبي دور في إفشال الحركة الشيوعية وإعادة الرئيس محمد جعفر النميري إلى الحكم .

وعملت الثورة الليبية على إقامة اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة الذي تألّف من مصر وسوريا وليبيا ، وكانت طرابلس مقرّ المباحثات التي دارت لإقامة هذا الاتحاد ، ووُقّع الميثاق في بنغازي في ٢١ صفر ١٣٩١هـ (١٧ نيسان ١٩٧١م) ، ووقّعت بعدها الاتفاق على الوحدة الاندماجية مع مصر .

ودعمت الثورة الإسلامية في تشاد ضدّ الأقلية النصرانية المتسلّطة التي أقامها الاستعمار الفرنسي الذي سلّم السلطة قبل انسحابه إلى هذه الأقلية وأعطى الحكم لفرانسوا تومبلباي ، وهذا ما جعل الخلاف بين ليبيا وفرنسا يستعر .

وأمدّت المسلمين في جنوب الفليبين بالمساعدات ، وكانت عاصمتها طرابلس مقرّ المفاوضات التي دارت بين الحكومة الفليبينية والمسلمين والتي اشتركت فيها أيضاً دول المملكة العربية السعودية والسنغال والصومال وليبيا ، وقد وُقّع اتفاق بمدينة طرابلس في ٢ محرم ١٣٩٧هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٧٦م) يقضي بإعطاء ولايات جنوب الفليبين الاستقلال الذاتي .

وساعدت الثورة الليبية المسلمين في أوغندا ، ودعمت الرئيس عيدي

أمين ، وأيّدت باكستان عندما اعتدت عليها الهند عام ١٣٩١هـ ، وأدّى ذلك إلى فصل إقليم البنغال ، وهو ما كان يُعرف باسم « باكستان الشرقية » عن دولة باكستان ، وتأسيس دولة خاصة حملت اسم بنغلاديش ، مع العلم أن بعض الدول العربية قد وقفت يومذاك إلى جانب الهند تاركةً رابطة العقيدة التي تربطها مع باكستان .

ودعمت الثورة الليبية القضية الفلسطينية دعماً قوياً ، كما ساعدت بعض الدول العربية ؛ فقدّمت لها معونات مادية .

وكل هذه التصرّفات حسنة ، وقد دعمت الحكم ، ورسّخت قواعده ، وعمّقت جذوره ، وأخذ بعدها ينطلق من خلال فكر رجاله ، ومن خلال الدور الذي سيؤدّونه ، وربما ظن المراقب المتتبّع لتاريخ هذه المرحلة في ليبيا أن الرئيس الليبي ليس له تفكير واضح ثابت وإنما مبتذل حسب الظروف ، والحقيقة غير ذلك ، فالرئيس رجل معتدّ بشخصه وفكره لدرجةٍ تصل إلى أن يستهتر بكل ما سواه ، ولا يرى إلاّ رأيه صالحاً حتى ولو وصل الأمر إلى العقيدة ، فما يراه لا يمكن أن يحيد عنه أبداً .

إن رفاقه الذين يؤيّدونه في كل شيء هو معهم ، فإذا أحسّ بخلافٍ من أحدهم في رأي أو فكر مهما كان صغير الشأن تخلّى عنه ، وانتهى أمره ، وهذا ما نلاحظه في تعاقب الوزارات[1] التي شكّلها إذ مجرد أن يختفي اسم رجل من

---

(١) كانت الوزارة الليبية في شهر ذي القعدة عام ١٣٩٠هـ (كانون الثاني ١٩٧١م) كما يأتي :

١ ـ العقيد معمر القذافي : قائد القوات المسلحة ، رئيس الوزراء ، وزير الدفاع .

٢ ـ الرائد عبد السلام جلود : نائب رئيس الوزراء ، وزير الصناعة والاقتصاد والمالية .

٣ ـ الرائد خوالدي حميدي : وزير الداخلية والحكم المحلي .

٤ ـ الرائد بشير هوادي : وزير التعليم والتوجيه الوطني .

٥ ـ الرائد مختار جروي : وزير الوحدة .

٦ ـ النقيب محمد الكريف : وزير الإسكان .

٧ ـ محمد الجدي : وزير العدل . =

٨ ـ مفتاح اسطا عمر : وزير الصحة .
٩ ـ عبد العاطي العبيدي : وزير الشؤون الخارجية ، والعمل والشؤون الاجتماعية .
١٠ ـ عز الدين مبروك : وزير شؤون النفط .
١١ ـ محمد علي تابو : وزير الزراعة .

وكانت الوزارة الليبية في شهر شوال ١٣٩١هـ (كانون الأول ١٩٧١م) على النحو الآتي :

١ ـ العقيد معمر القذافي : رئيس مجلس قيادة الثورة ، قائد القوات المسلحة ، وزير الدفاع .
٢ ـ الرائد عبد السلام جلود : وزير الصناعة ، والاقتصاد والخزانة .
٣ ـ الرائد عبد المنعم الهوني : وزير الداخلية ،
٤ ـ صالح مسعود بويصير : وزير الإعلام .
٥ ـ محمد الجدي : وزير العدل .
٦ ـ مفتاح اسطا عمر : وزير الصحة .
٧ ـ عبد العاطي العبيدي : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .
٨ ـ عز الدين مبروك : وزير الزراعة والإصلاح الزراعي .
٩ ـ محمد علي تابو : وزير الإسكان .
١٠ ـ طه شريف بن عمرو : وزير المواصلات وشؤون الكهرباء .
١١ ـ الرائد خوالدي حميدي : وزير الحكم المحلي .
١٢ ـ محمد مصطفى مازك : وزير التعليم والتوجيه الوطني .

وكانت الوزارة الليبية في شهر ذي القعدة ١٣٩١هـ (كانون الثاني ١٩٧٢م) :

١ ـ عبد السلام جلود : رئيساً للوزارة .
٢ ـ خوالدي حميدي : وزيراً للداخلية .
٣ ـ منصور راشد كيلي : وزيراً للشؤون الخارجية .
٤ ـ أبو بكر شريف : وزيراً للاقتصاد .
٥ ـ عز الدين مبروك : وزيراً لشؤون النفط .
٦ ـ محمد زعروك رجب : وزيراً للمالية .
٧ ـ محمد الجدي : وزيراً للعدل .
٨ ـ عبد الكريم فضولة : وزيراً للتخطيط .
٩ ـ محمد علي تابو : وزيراً للزراعة والإصلاح .
١٠ ـ عبد العاطي عبيدي : وزيراً للعمل .
١١ ـ الشريف بن عمرو : وزيراً للمواصلات والطاقة .

=
١٢ ـ محمد أحمد منقوش : وزيراً للإسكان .
١٣ ـ مصطفى اسطا عمر : وزيراً للصحة .
١٤ ـ جاد الله عزوز الصالحي : وزيراً للصناعة والتعدين .
١٥ ـ صالح مسعود بويصير : وزيراً للثقافة والإعلام .
١٦ ـ محمد أحمد شريف : وزيراً للتعليم .
١٧ ـ عبد الحميد زناتي : وزيراً للشباب والشؤون الاجتماعية .
١٨ ـ محمد أبو بكر يونس : وزيراً للخدمة العامة .
١٩ ـ عبد المجيد جود : وزيراً للتنمية الزراعية .

وكانت الوزارة الليبية في شهر صفر ١٣٩٢هـ (نيسان ١٩٧٢م) على النحو الآتي :
١ ـ معمر القذافي : رئيس مجلس الوزراء ، وزير الدفاع .
٢ ـ عبد السلام جلود : وزير المالية والاقتصاد ، والصناعة والثروة الحيوانية ، ونائب وزير الإنتاج .
٣ ـ محمد مصطفى مازيق : وزير التعليم والتوجيه الوطني .
٤ ـ محمد أحمد منقوش : وزير الإسكان .
٥ ـ . . . . : وزير الوحدة والشؤون الخارجية .
٦ ـ طه شريف بن عمرو : وزير المواصلات والطاقة .
٧ ـ محمد علي الجدي : وزير العدل .
٨ ـ مفتاح اسطا عمر : وزير الصحة .
٩ ـ محمد علي تابو : وزير الزراعة والإصلاح الزراعي .
١٠ ـ عبد العاطي العبيدي : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .
١١ ـ عبد المنعم طاهر الهوني : وزير الداخلية .
١٢ ـ صالح مسعود بويصير : وزير الإعلام .
١٣ ـ مصطفى يعقوبي : وزير الحكم المحلي .

وكانت الوزارة في صفر من عام ١٣٩٣هـ (آذار ١٩٧٣م) على النحو الآتي :
١ ـ معمر القذافي : رئيس الدولة وزير الدفاع .
٢ ـ عبد السلام جلود : رئيساً للوزارة .
٣ ـ محمد أحمد الشريف : للتعليم والتوجيه الوطني .
٤ ـ محمد أحمد منقوش : للإسكان والخدمة العامة .
=

٥ ـ منصور راشد الكيخيا : وزيراً للشؤون الخارجية .

٦ ـ طه شريف بن عمرو : وزيراً للمواصلات والكهرباء .

٧ ـ محمد علي الجدي : وزيراً للعدل .

٨ ـ مفتاح إسطا عمر : وزيراً للصحة .

٩ ـ عبد الحميد الزناتي : للشباب والشؤون الاجتماعية .

١٠ ـ محمد علي تابو : للزراعة والإصلاح الزراعي .

١١ ـ عز الدين مبروك : وزيراً لشؤون النفط .

١٢ ـ عبد العاطي العبيدي : وزيراً للعمل .

١٣ ـ خوالدي حميدي : وزيراً للداخلية .

١٤ ـ أبو بكر الشريف : وزيراً للاقتصاد .

١٥ ـ أبو زيد عمر دوردا : وزيراً للثقافة والإعلام .

١٦ ـ محمد زروق رجب : وزيراً للخزانة .

١٧ ـ جاد الله عزوز الصالحي : للصناعة والتعدين .

١٨ ـ عبد الكريم فضولة : وزيراً للتخطيط .

١٩ ـ عبد المجيد جود : وزير دولة للتنمية الزراعية .

٢٠ ـ محمد أبو بكر بن يونس : وزيراً للخدمة العامة .

وكانت الوزارة الليبية في ربيع الثاني ١٣٩٤هـ (أيار ١٩٧٤م) على النحو الآتي :

١ ـ عبد السلام جلود : رئيساً للوزارة .

٢ ـ . . . . : وزيراً للدفاع ،

٣ ـ محمد أحمد الشريف : وزيراً للتعليم والتوجيه الوطني .

٤ ـ محمد أحمد منقوش : وزيراً للإسكان والخدمة العامة .

٥ ـ طه شريف بن عمرو : وزيراً للمواصلات والكهرباء .

٦ ـ محمد علي الجدي : وزيراً للعدل .

٧ ـ مفتاح إسطا عمر : وزيراً للصحة .

٨ ـ محمد علي تابو : وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي .

٩ ـ عبد العاطي عبيدي : وزيراً للعمل .

١٠ ـ خوالدي حميدي : وزيراً للداخلية .

١١ ـ أبو زيد عمر دوردا : وزيراً للثقافة والإعلام .

١٢ ـ أبو بكر الشريف : وزيراً للاقتصاد .

= ١٣ ـ محمد زروق رجب : وزيراً للخزانة .
١٤ ـ جاد الله عزوز الصالحي : وزيراً للصناعة والمعادن .
١٥ ـ عبد الحميد الزناتي : وزيراً للشباب والشؤون الاجتماعية .
١٦ ـ عبد الكريم بالو : وزيراً للتخطيط .
١٧ ـ محمد أبو بكر يونس : وزيراً للخدمة المدنية .
١٨ ـ عبد المجيد جود : وزيراً للتنمية الزراعية .

وكانت الوزارة الليبية في شهر صفر ١٣٩٦هـ (شباط ١٩٧٦م) على النحو الآتي :

١ ـ عبد السلام جلود : رئيساً للوزارة .
٢ ـ عبد المنعم طاهر الهوني : للشؤون الخارجية .
٣ ـ خوالدي حميدي : وزيراً للداخلية .
٤ ـ عمر عبد الله المهدي : وزيراً للتخطيط .
٥ ـ محمد علي الجدي : وزيراً للعدل .
٦ ـ مفتاح إسطا عمر : وزيراً للصحة .
٧ ـ جاد الله عزوز الصالحي : للصناعة والمعادن .
٨ ـ محمد زروق رجب : وزيراً للخزانة .
٩ ـ محمد أحمد الشريف : وزيراً للتعليم .
١٠ ـ عبد المجيد جود : وزير دولة للتنمية الزراعية .
١١ ـ طه شريف بن عمرو : لشؤون المجلس العسكري .
١٢ ـ عبد العاطي العبيدي : وزيراً للعمل والخدمة العامة .
١٣ ـ عز الدين مبروك : وزيراً لشؤون النفط .
١٤ ـ محمد علي تابو : للزراعة والإصلاح الزراعي .
١٥ ـ محمد أحمد المنقوش : وزيراً للإسكان .
١٦ ـ نوري الفيتوري عمر : وزيراً للمواصلات .
١٧ ـ أبو بكر الشريف : وزيراً للاقتصاد
١٨ ـ عبد السلام الفيتوري : للشؤون الإجتماعية .
١٩ ـ محمد أبو القاسم زاوي : وزير دولة .
٢٠ ـ عمر أحمد الماغسي : للغذاء والمصادر البحرية .
٢١ ـ مفتاح محمد كبة : للشؤون البلدية والقروية .
٢٢ ـ منصور محمد بدر : وزيراً للنقل البحري .
٢٣ ـ جمعة سالم العربش : وزيراً للطاقة الكهربائية . =

. . . .

= وكانت الوزارة الليبية في شهر محرم ١٣٩٧هـ (كانون الثاني ١٩٧٧م) على النحو الآتي :

١ ـ عبد السلام جلود : رئيساً للوزارة .
٢ ـ عبد المنعم طاهر الهوني : للشؤون الخارجية .
٣ ـ خوالدي حميدي : وزيراً للداخلية .
٤ ـ موسى أحمد أبو فروة : وزيراً للتخطيط .
٥ ـ محمد علي الجدي : وزيراً للعدل .
٦ ـ مفتاح إسطا عمر : وزيراً للصحة .
٧ ـ عبد العاطي العبيدي : للعمل والخدمة العامة .
٨ ـ عز الدين مبروك : وزيراً لشؤون النفط .
٩ ـ محمد علي تابو : للزراعة والإصلاح الزراعي .
١٠ ـ عمر محمود حمودة : للسدود والمصادر المائية .
١١ ـ نوري الفيتوري عمر : وزيراً للمواصلات .
١٢ ـ أبو بكر علي الشريف : وزيراً للاقتصاد .
١٣ ـ جاد الله عزوز الصالحي : للصناعة والمعادن الكهربائية .
١٤ ـ محمد زروق رجب : وزيراً للخزانة .
١٥ ـ محمد أحمد المنقوش : وزيراً للإسكان .
١٦ ـ محمد أحمد الشريف : وزيراً للتعليم .
١٧ ـ علي الطريقي : وزير الدولة للشؤون الخارجية .
١٨ ـ عبد المجيد جود : وزير دولة للتنمية الزراعية .
١٩ ـ طه شريف بن عمرو : وزير دولة لشؤون المجلس العسكري .
٢٠ ـ ميلود عبد السلام شاملة : وزير دولة لشؤون الحكومة .
٢١ ـ عبد السلام الفيتوري : للشؤون الاجتماعية .
٢٢ ـ محمد أبو القاسم زاوي : وزير دولة .
٢٣ ـ عمر أحمد الماغسي : للغذاء والمصادر البحرية .
٢٤ ـ أبو زيد عمر دوردا : وزيراً للشؤون البلدية والقروية .
٢٥ ـ منصور محمد بدر : وزيراً للنقل البحري .
٢٦ ـ جمعة سالم العربش : وزيراً للطاقة الكهربائية .
٢٧ ـ مفتاح محمد كبة : وزير للشباب .

وكان تنظيم الدولة في شهر صفر ١٣٩٨هـ (كانون الثاني ١٩٧٨م) على النحو الآتي :

= رئيس الدولة : العقيد معمر القذافي .

= الأمانة العامة لمجلس الشعب :

الأمين العام : العقيد معمر القذافي .

الأعضاء : الرائد عبد السلام جلود .

المقدم أبو بكر يونس جبر .

المقدم مصطفى الخروبي .

الرائد خوالدي حميدي .

١ ـ عبد العاطي عبيدي : رئيس قيادة القاعدة الشعبية .

٢ ـ محمد أبو القاسم زاوي : أمين سر الثقافة والإعلام .

٣ ـ محمد علي الجدي : أمين سر العدل .

٤ ـ عمر أحمد الماغسي : أمين سر الغذاء والمصادر البحرية .

٥ ـ مفتاح إسطا عمر : أمين سر الصحة .

٦ ـ منصور محمد بدر : أمين سر النقل البحري .

٧ ـ عز الدين مبروك : أمين سر شؤون النفط .

٨ ـ جمعة سالم العربش : أمين سر الطاقة الكهربائية .

٩ ـ محمد علي تابو : أمين سر الزراعة والإصلاح الزراعي .

١٠ ـ نوري الفيتوري عمر : أمين سر النقل .

١١ ـ محمد أحمد منقوش : أمين سر الإسكان .

١٢ ـ أبو زيد عمر دوردا : أمين سر الشؤون البلدية والقروية .

١٣ ـ طه الشريف بن عمرو : أمين سر مكتب الارتباط .

١٤ ـ مفتاح محمد كبة : أمين سر الشباب .

١٥ ـ أبو بكر علي الشريف : أمين سر الطرق .

١٦ ـ علي عبد السلام الطريقي : أمين سر الشؤون الخارجية .

١٧ ـ جاد الله عزوز الصالحي : أمين سر الصناعة .

١٨ ـ ميلود عبد السلام شاملة : أمين سر القيادة الشعبيـة والأمانة العامة .

١٩ ـ محمد رزوق رجب : أمين سر الخزانة .

٢٠ ـ موسى أحمد أبو فروة : أمين سر التخطيط .

٢١ ـ محمد أحمد الشريف : أمين سر التعليم .

٢٢ ـ عمر سليمان حمودة : أمين سر المصادر المائية .

٢٣ ـ عبد المجيد الجود : أمين سر الإصلاح الزراعي . =

. . . .

= ٢٤ ـ العقيد يونس أبو القاسم : أمين سر الداخلية .
٢٥ ـ محمد الفيتوري : أمين سر الشؤون الاجتماعية .
٢٦ ـ محمد الطاهر المحجوب : أمين سر العمل والخدمة العامة .
وكان مجلس قيادة الشعب في ربيع الثاني ١٣٩٩هـ (آذار ١٩٧٩م) على النحو الآتي :
رئيس الدولة : معمر القذافي
الأمانة العامة لمجلس الشعب :
الأمين العام : عبد العاطي العبيدي
نائب الأمين العام : محمد أبو القاسم زاوي .
أمين سر المجلس : علي أبو الخير .
أمين سر شؤون قيادة مجلس الشعب : عبد الله زهمول
أمين سر الارتباط : مختار كوربو .
مجلس الشعب :
١ ـ جاد الله عزوز الصالحي : أمين سر مجلس القيادة
٢ ـ عبد المجيد جود : أمين سر مكتب الارتباط
٣ ـ محمد علي الجدي : أمين سر العدل .
٤ ـ مفتاح إسطا عمر : أمين سر الصحة .
٥ ـ عز الدين مبروك : أمين سر شؤون النفط .
٦ ـ محمد أحمد المنقوش : أمين سر الإسكان .
٧ ـ أبو بكر الشريف : أمين سر الاقتصاد .
٨ ـ محمد رزوق رجب : أمين سر الخزانة .
٩ ـ محمد أحمد الشريف : أمين سر التعليم .
١٠ ـ عمر أحمد الماغسي: أمين سر الصناعة الخفيفة .
١١ ـ جمعة سالم العربش : أمين سر الكهرباء .
١٢ ـ أبو زيد عمر دوردا : أمين سر المواصلات والنقل .
١٣ ـ مفتاح محمد كبه : أمين سر الرياضة الجماهيرية .
١٤ ـ علي عبد السلام الطريقي : أمين سر الشؤون الخارجية .
١٥ ـ موسى أبو فروة : أمين سر التخطيط
١٦ ـ عمر مصطفى المنتصر : أمين سر الصناعة الثقيلة .
١٧ ـ بشير جده : أمين سر الإصلاح الزراعي وإحياء الموات .
١٨ ـ محمد سويدي : أمين سر الإعلام . =

= ١٩ ـ محمد عبد الله مبروك : أمين سر الخدمات العامة .

٢٠ ـ إبراهيم حسن : أمين سر الشؤون الاجتماعية .

وكانت الحكومة الليبية في ربيع الثاني عام ١٤٠٠هـ (آذار ١٩٨٠م) على النحو الآتي :

١ ـ أمين سر قيادة الشعب : جاد الله عزوز الصالحي .

٢ ـ أمين سر العدل : محمد علي الجدي

٣ ـ أمين سر شؤون النفط : عبد السلام زكار .

٤ ـ أمين سر الإسكان : محمد أحمد المنقوش .

٥ ـ أمين سر الاقتصاد : أبو زيد عمر دوردا .

٦ ـ أمين سر المالية : محمد زروق رجب .

٧ ـ أمين سر التعليم : عبد الحفيظ زلطاني .

٨ ـ الصناعة الخفيفة : عمر أحمد الماغسي .

٩ ـ الشؤون الإسلامية : محمد أحمد الشريف .

١٠ ـ المواصلات والنقل : سالم البخاري هودا .

١١ ـ أمين سر الرياضة : مفتاح كبة .

١٢ ـ أمين سر الكهرباء : جمعة سالم العربش .

١٣ ـ أمين سر البلدية والقروية : محمد الدويك .

١٤ ـ الشؤون الخارجية : علي عبد السلام الطريقي .

١٥ ـ أمين سر التخطيط : موسى أبو فروة .

١٦ ـ الإصلاح الزراعي وإحياء الموات : بشير جده .

١٧ ـ الصناعة الثقيلة : عمر مصطفى المنتصر .

١٨ ـ أمين سر الإعلام : محمد محمود حجازي .

١٩ ـ أمين سر الخدمات العامة : محمد عبد الله المبروك .

٢٠ ـ أمين سر الشؤون الاجتماعية : إبراهيم حسن

كانت الحكومة الليبية في ربيع الأول ١٤٠١هـ (كانون الثاني ١٩٨١م) على النحو الآتي :

رئيس الدولة : معمر القذافي .

الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي :

الأمين العام : عبد العاطي العبيدي .

نائب الأمين العام : علي أبو الخير .

أمين سر شؤون اللجنة الشعبية : عبد الله زهمول .

أمين سر شؤون الوحدة : مختار كوربو .

اللجنة الشعبية :

١ ـ أمين سر اللجنة الشعبية : جاد الله عزوز الصالح .
٢ ـ أمين اللجنة للشؤون البلدية والقروية : محمد محمود حجازي .
٣ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للعدل : أبو القاسم الزاوي .
٤ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للرياضة : مفتاح محمد كبة .
٥ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للصحة : مراد لانقي .
٦ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للخارجية : علي عبد السلام الطريقي .
٧ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للنفط : عبد السلام زكار .
٨ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للتخطيط : موسى أبو فروة .
٩ ـ أمين سر اللجنة للإسكان : محمد أحمد المنقوش .
١٠ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للإصلاح الزراعي : بشير جده .
١١ ـ أمين سر اللجنة للاقتصاد : أبو زيد عمر درودا .
١٢ ـ أمين سر اللجنة للصناعة الثقيلة : عمر مصطفى المنتصر .
١٣ ـ أمين سر اللجنة للخزانة : محمد قاسم شلالة .
١٤ ـ أمين سر اللجنة للخدمات العامة : محمد عبد الله المبروك .
١٥ ـ أمين سر اللجنة للتعليم : عبد الحفيظ زليطي .
١٦ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للشؤون الاجتماعية : إبراهيم حسن .
١٧ ـ للصناعة الخفيفة : عمر أحمد الماغسي .
١٨ ـ أمين سر اللجنة لشؤون الاتصالات : عبد العاطي العبيدي .
١٩ ـ أمين سر اللجنة للكهرباء : جمعة سالم العربش .
٢٠ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للطاقة الآلية : عبد المجيد الجود .
٢١ ـ للمواصلات والنقل البحري : سالم البخاري هودا .
٢٢ ـ أمين سر اللجنة الشعبية للداخلية : مفتاح إسطا عمر .

وكانت الحكومة في صفر عام ١٤٠٣هـ (كانون الأول ١٩٨٢م) على النحو الآتي :
رئيس الدولة : معمر القذافي .

الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي :

١ ـ الأمين العام : محمد زروق رجب .
٢ ـ نائب الأمين العام : علي أبو الخير .
٣ ـ أمين سر شؤون اللجنة الشعبية : عبد الله زهمول .

٤ ـ أمين سر شؤون المؤتمر الشعبي : محمد علي بواش .
٥ ـ أمين سر الوحدة : مختار كوربو .

اللجنة الشعبية :

١ ـ الأمين العام : جاد الله عزوز الصالحي .
٢ ـ أمين سر اللجنة للتغذية : محمد عبيد شكري .
٣ ـ أمين سر اللجنة للعدل : محمد أبو القاسم زاوي .
٤ ـ أمين سر اللجنة للتخطيط : فوزي شكشوكي .
٥ ـ أمين سر اللجنة للصحة : مراد علي لانقي .
٦ ـ أمين سر اللجنة للإصلاح الزراعي : أبو زيد عمر دوردا .
٧ ـ أمين سر اللجنة للنفط : كمال حسن مبهور .
٨ ـ أمين سر اللجنة للصناعة الثقيلة : عمر مصطفى المنتصر .
٩ ـ أمين سر اللجنة للإسكان : محمد أحمد المنقوش .
١٠ ـ أمين سر اللجنة للخدمات العامة : محمد عبد الله المبروك .
١١ ـ للاقتصاد والصناعة الخفيفة : موسى أبو فروة .
١٢ ـ أمين سر اللجنة للشؤون الاجتماعية : إبراهيم الفقيه .
١٣ ـ أمين سر اللجنة للخزانة : محمد قاسم شلالة .
١٤ ـ أمين سر اللجنة للاتصالات : عبد العاطي العبيدي .
١٥ ـ أمين سر اللجنة للتعليم : عبد الحفيظ زليطي .
١٦ ـ أمين سر اللجنة للقوى الآلية : عبد المجيد الجود .
١٧ ـ أمين سر اللجنة للكهرباء : جمعة سالم العربش .
١٨ ـ أمين سر اللجنة للرياضة : إبراهيم الخويضر .
١٩ ـ أمين سر اللجنة للمواصلات والنقل البحري : سالم البخاري هودا .

وكانت الحكومة الليبية في جمادى الأولى ١٤٠٤هـ (شباط ١٩٨٤م) على النحو الآتي :

رئيس الدولة : معمر القذافي .

الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي :

١ ـ الأمين العام : مفتاح الإسطا عمر .
٢ ـ نائب الأمين العام : علي عثمان أبو الخير .
٣ ـ أمين سر المؤتمر العام : عمر إشكال .
٤ ـ أمين سر اللجنة الشعبية : محمد محمود حجازي .

وزارة فقد انتهى من العمل الوزاري نهائياً ، إلاّ أن يعود راكعاً تائباً وقلّما يحدث هذا .

وإن لباسه الخاص لا يتقيّد به حسب مراسم معيّنة أو يتخذ الصفة الرسمية ، فيغيّر من الأزياء ما يحلو له دون مراعاة مظهر أو مناسبة أو . . .

أصدر كتيباً أسماه « الكتاب الأخضر » وقد وصفه بأنه المنهج السياسي والاجتماعي الذي سيسير عليه ، وقد أطنب في مدحه والثناء عليه ، وأنه لم

= ٥ ـ أمين سر الوحدة : فيتوري دالي .

اللجنة الشعبية :

١ ـ الأمين العام : محمد زروق رجب .
٢ ـ أمين سر اللجنة للتخطيط : فوزي شكشوكي .
٣ ـ أمين سر اللجنة للعدل : مفتاح محمد كبه .
٤ ـ أمين سر اللجنة للصناعة الثقيلة : عمر مصطفى المنتصر .
٥ ـ أمين سر اللجنة للصحة : محمد لانقي .
٦ ـ أمين سر اللجنة للإصلاح الزراعي : أبو زيد عمر دوردا .
٧ ـ أمين سر اللجنة للنفط : كامل حسن مبهور .
٨ ـ أمين سر اللجنة للخدمة العامة : محمد عبد الله المبروك .
٩ ـ أمين سر الاقتصاد والصناعة الخفيفة : موسى أبو فروة .
١٠ ـ أمين سر اللجنة للرياضة : محمد أبو بكر عقيلة .
١١ ـ أمين سر اللجنة للخزانة : محمد قاسم شلالة .
١٢ ـ أمين سر اللجنة للشؤون الاجتماعية : إبراهيم الفقيه حسن .
١٣ ـ أمين سر اللجنة للتعليم : عبد الحفيظ زليطي .
١٤ ـ أمين سر اللجنة للشؤون الخارجية : علي عبد السلام الطريقي .
١٥ ـ أمين سر اللجنة للكهرباء : جمعة سالم العربش .
١٦ ـ أمين سر اللجنة للقوى الآلية : عبد المجيد الجود .
١٧ ـ للمواصلات والنقل البحري : مبارك شامخ .
١٨ ـ أمين سر اللجنة للارتباط : يونس بلقاسم علي .
١٩ ـ أمين سر اللجنة للإسكان : محمد عبيد شكري .
٢٠ ـ أمين سر اللجنة للجامعات : يوسف حامد شاهين .

يسبق إليه ، ولم تأت به الأوائل ولا تستطيعه الأواخر ، ويكاد يصل إلى مستوى الكتب المقدسة .

وتَحْدُثُ أحداثٌ في منطقةٍ ما فيرى طرفاً مظلوماً ؛ فيدعمه بإمكاناته كافة ، تدخّل في أحداث مالطة ، وكان له دور فيها ، ودعم الجيش الثوري في إيرلنده الشمالية ، وأسرف في الدعم ، وربما كان هذا نتيجة الخلاف الأصلي مع إنكلترا على الطريقة نفسها التي كانت بين الرئيس المصري جمال عبد الناصر وإنكلترا .

وأخذ يغازل الاستعمار الروسي ، ويعلن التوجه نحو الشرق كنوع من السياسة الغربية التي تهدف إلى محاربة الاشتراكية باسم الاشتراكية ، وإبعاد التهمة عن التعاون الذي يقوم بينه وبين رجالات بعض البلدان أو المنظّمات ، وهي السياسة التي طُلبت من الرئيس جمال عبد الناصر أن يسلكها ، وقد نجحت إلى حدٍّ كبير ؛ نتيجة عدم المعرفة السياسية الموجودة في بلداننا النائمة (النامية) . ومن خلال هذه السياسة كان هناك صراع ظاهري عنيف بين ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية ؛ وصل إلى الهجوم على ليبيا عسكرياً ، ومقاطعتها ، ووصل من الطرف الثاني إلى الخطب الحماسية ، والطعن الدائم بالسياسة الأمريكية ، وإلقاء اللوم عليها في كل قضية ، واتهامها بأنها وراء كل حادث يقع ، وأظهر الرئيس الليبي جانباً من اعتزازه بلغته ، ومعاملة الدول الأجنبية معاملة الندّ للندّ ، فرفض دخول أي أجنبي إلى ليبيا ما لم يكن يحمل جواز سفره التعريف بصاحبه باللغة العربية ، كما أن تلك الدول ترفض دخول أي عربي إلى أراضيها ما لم يكن جواز سفره يحمل كافة المعلومات عن الشخص باللغة الأجنبية .

ومن ناحية العقيدة فإن الرئيس الليبي شديد الحماسة لها ، غير أن له قناعات غريبة لا يقبل المناقشة فيها لأنها ثابتة عنده ولو خالف بها المسلمين جميعاً ، وهو الحادث فعلاً ، فهو يعلن قبوله للقرآن الكريم بكل ما جاء فيه ، أما موقفه من السنّة فهو يتردد في قبولها ، ويعتقد أنه ما دامت هناك أحاديث

ضعيفة وأخرى موضوعة فإنه لا يُقبل شيء منها ، ومهما قيل له : إنّ السنّة شارحة لكتاب الله ، وإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ وغيرها من الآيات الدالة على أن السنة واجبة الاتباع كالقرآن ؛ إلاّ أنه من باب الاعتزاز بالرأي ليس على استعداد أن يغيّر من رأيه أو أن يستمع من أحد ، وإنما يبقى ويصرّ على رأيه الغريب .

وحتى القرآن الكريم يرى فيه رأياً غريباً ، وهو أن كلمة (قل) الواردة فيه ؛ إنما هي خطاب للرسول ﷺ ، ولا داعي لنا نحن أن نقولها أو نثبتها في المصحف الشريف ، وهذا القول فيه خطر عظيم كما لا يخفى .

وفي التأريخ ؛ وجد الرئيس الليبي أن يكون لدولته تأريخاً خاصاً يغاير ما تعارف عليه المسلمون من أن يبدأ تأريخهم من هجرة رسول الله ﷺ ، وأوّل من بدأ بهذا الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ورأى الرئيس الليبي أن يبدأ التأريخ من وفاة رسول الله ﷺ ، وقد أخذ يؤرّخ بهذا التأريخ وحده من بين المسلمين .

وقد خالف الكثير من الليبيين رئيسهم ، واضطروا إلى مغادرة البلاد ، وقد حاول ملاحقتهم في أي مكان نزلوا فيه ، ولم يكن لديه أي مانع من اتخاذ أي أسلوب في سبيل القبض عليهم أو إعادتهم ، وهذا ما سبّب لليبيا خلافات مع كثير من الدول التي لجأ إليها هؤلاء المعارضون واتهمت هذه الدول الليبيين بالعنف والإرهاب ، وأصبح دخولهم إلى أراضيها صعباً ، وقد عانى الليبيون من هذا الكثير .

وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٧هـ (آذار ١٩٧٧م) جرت انتخابات مجلس الشعب ، وانتخب المجلس العقيد معمر القذافي رئيساً للدولة . ولم يرق له تسمية وزير الاسم الشائع والمتعارف عليه دولياً ورأى أنه قد أصبح مبتذلاً ، فأمر أن يُطلق على الوزارة اسم « اللجنة الشعبية » ، وعلى كل وزير اسم « أمين سر اللجنة الشعبية » .

العلاقة مع تشاد : الصلة وثيقة بين الشعبين ، فكلاهما مسلم ، وخضعا معاً للاستعمار الصليبي ، وانتشرت الطريقة السنوسية في ليبيا ، ومنها امتدّت إلى تشاد فانتشرت في الأجزاء الشمالية منها ، والحدود طويلة بين الدولتين ، وتوجد قبائل واحدة تعيش وتنتقل بين البلدين ، وينشط التجار الليبيون في تشاد ، كما أن أعداداً من رجال قبيلة « التيبو » التشادية يعملون في الجيش الليبي .

ويوجد خلاف على الحدود بين الدولتين . وكانت فرنسا وإيطاليا الدولتان المستعمرتان قد رسمتا الحدود بين مستعمرتيهما عام ١٣٣٧هـ أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم عُدّلت هذه الاتفاقية في عام ١٣٥٣هـ ، ودخلت بموجب هذا التعديل الأقسام الشمالية من جبال تيبستي ضمن الحدود الليبية ، غير أن هذا التعديل لم ينفّذ .

ولما دخلت فرنسا ولاية فزان أثناء الحرب العالمية الثانية وسّعت فرنسا حدود تشاد الشمالية على حساب ليبيا ، وبعد الحرب صُرف النظر نهائياً عن اتفاقية عام ١٣٥٣هـ ، فإيطاليا قد هُزمت وانسحبت من ليبيا ، وكانت فرنسا من الدول المنتصرة ، ودخلت ولاية فزان ، وبهذا بقيت أقسام من ليبيا ضمن تشاد . وتعدّ ليبيا ممر (كوريزو) نقطة حدود بين الدولتين ، بينما يقع الآن ضمن الأراضي التشادية ، ويبعد عن الحدود التي رسمتها فرنسا أكثر من مائة وستين كيلومتراً .

أخذت ليبيا تتدخّل في الصراع الذي يدور في تشاد بين المنظمات الإسلامية بعضها مع بعض ، وبينها وبين الحكومة التشادية التي تمثّل الأقلية النصرانية ، ويرأس الدولة منذ انقلاب عام ١٣٩٥هـ وإزاحة « فرانسوا تومبالباي » عن الحكم ؛ يرأسها فيلكس مالوم . دعمت ليبيا جبهة فرولينا التي يتزعّمها « غوكوني عويدي » ، وأخذت تسعى للتقارب بين هذه الجبهة وبين الحكومة التشادية ، وعُقد مؤتمر (سبها) الذي أسفر عن وقف إطلاق

النار الشامل في ربيع الثاني ١٣٩٨هـ .

ووقع الخلاف بين رئيس الدولة « فيلكس مالوم » ، الذي التجأ إلى (لاغوس) عاصمة نيجيريا . وسار في الوقت نفسه نحو العاصمة « غوكوني عويدي » بقوات جبهة (فرولينا) ووصل إليها بعد ساعات من دخول حسين هبري إليها ، وتشكّلت حكومة تسلّم فيها حسين هبري وزارة الدفاع ، بينما تسلّم « غوكوني عويدي » وزارة الداخلية ، ثم عاد الخلاف فوقع بين وزيري الداخلية والدفاع ، كما اختلف « غوكوني عويدي » مع ليبيا ، ثم عاد الوئام بينهما بعد زيارة علي عبد السلام الطريقي وزير خارجية ليبيا إلى العاصمة التشادية (نجامينا) ، وربما كان الخلاف بين الوزيرين بسبب العلاقة مع ليبيا التي كانت قواتها تسيطر على إقليم (أوزو) كدعم لدولة تشاد وتأييد للمسلمين فيها . فما كان من غوكوني عويدي إلّا أن طرد حسين هبري من الوزارة ، ووقّع معاهدة صداقة مع ليبيا ودفاع مشترك في شهر رجب عام ١٤٠٠هـ (حزيران ١٩٨٠م) ، وانسحب حسين هبري بقواته شرقاً نحو الحدود السودانية ، وأيّدته كل من مصر والسودان بسبب خلافهما آنذاك مع ليبيا ، وأصبح جسر جوي بين القاهرة والجنينة في غرب السودان .

استقرّ الوضع لغوكوني عويدي فطلب من ليبيا أن تسحب قواتها من الأراضي التشادية ؛ فاستجابت للطلب ، وانسحبت من تشاد ، وما أن انسحبت ليبيا حتى تمكّن حسين هبري من العودة بقواته إلى العاصمة التشادية ودخولها ، وانسحب « غوكوني عويدي » من تشاد وتمركز في (سبها) في جنوبي ليبيا، ولم تعترف الحكومة الليبية بحكومة حسين هبري.

استطاع غوكوني عويدي من دخول مدينة (لارغو) (فايا ـ سابقاً ـ) في شمال تشاد في أوائل شهر رمضان من عام ١٤٠٣هـ (١٢ حزيران ١٩٨٣م) .

استمرّ الصراع بين الجانبين ، واشتركت فيه عدة أطراف ، كان من بينها ليبيا التي تدعم غوكوني عويدي ، ومصر وفرنسا اللتان تدعمان حسين هبري

الذي بقيت له السيطرة .

الوحدة : يندفع الرئيس الليبي إلى الوحدة مع أية دولة عربية ، ويُقبل عليها بحماسة من غير دراسة ولا تخطيط ، وربما كانت العاطفة وحدها هي الدافع ، ثم لا تلبث هذه الوحدة أن تنهار دون أن تقوم ، وربما لم يستمر بعضها سوى أربع وعشرين ساعة ، وهي الوحدة التي قامت بين تونس وليبيا ، ومجرد أن يرى أنه لا يستطيع أن يحقق ما كان يرجو من وراء هذه الوحدة يفصم عراها ، وكما يندفع نحو الوحدة يندفع نحو من لا يعجبه منه تصرّف أو يرى في نظامه ما لا يتفق مع مزاجه فهو مع الثورة والحركة مهما كانت .

وقد اتفقت ليبيا مع عدد من الدول العربية على إقامة وحداتٍ سياسية معها ، منها سوريا ومصر وتونس والسودان و . . . وبلاد المغرب ، ولم يكتب لواحدة منها النجاح .

يبدو أن هناك خلافاً ظاهرياً بين ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية يستعر أحياناً لدرجةٍ لا يبقى إلا المواجهة ثم يفتر حتى يظهر أنه لا أثر لذاك الخلاف، وما ندري هل في هذه السياسة رفع للرئيس الليبي ليظهر بمظهر القوي المخلص أمام شعبه أم أن هناك خلافاً مستتراً؟ ويبدو أن الحالة الأولى هي الصحيحة، ويحصل على الدعم والتأييد الخفي.

منذ عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) أكّدت ليبيا أن خليج سرت كله ضمن المياه الإقليمية وليس المسافة المعروفة دولياً التي هي ١٢ ميلاً بحرياً.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٦هـ (كانون أول ١٩٨٥م) رسم الرئيس الليبي خطاً سمّاه «خط الموت» يسار خط العرض الشمالي ٣٢,٣٠° ولا يسمح للسفن الأمريكية والأجنبية تجاوزه نحو الجنوب.

وفي منتصف جمادى الأولى ١٤٠٦هـ (أواخر كانون الثاني ١٩٨٦م)

نشرت القوات الأمريكية أسطولها على طول الساحل الليبي، ولكن لم تتجاوز خط الموت.

وفي رجب ١٤٠٦هـ (آذار ١٩٨٦م) أطلقت القوات الليبية صواريخ باتجاه طائرات أمريكية كانت تحلّق فوق خليج سرت.

هاجمت طائرات أمريكية تجهيزات الرادار، ومواقع الصواريخ الليبية، كما هاجمت أربعة زوارق بحرية.

وفي شعبان ١٤٠٦هـ (نيسان ١٩٨٦م) هاجمت الطائرات الأمريكية مواقع عسكرية ليبية، ومطارات، ومبانٍ حكومية، وضمنها سكن الرئيس الليبي.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٩هـ (كانون الأول ١٩٨٨م) وافق الرئيس الأمريكي «ريغان» على القيام بعملٍ عسكري، ضد مصنع للأسلحة الكيميائية قرب مدينة بنغازي.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ (كانون الثاني ١٩٨٩م) حصل اشتباك بين طائرات ليبية وأمريكية فوق البحر المتوسط، وتم إسقاط طائرتين ليبيتين.

وفي شعبان ١٤١٠هـ ادعت الولايات المتحدة وألمانيا أن ليبيا بدأت بإنتاج غاز الخردل من مصنع «ربطا» قرب بنغازي، وبعد أيام اندلعت النيران في هذا المصنع فاتهمت ليبيا كلاًّ من الولايات المتحدة، وألمانيا، وإسرائيل بالقيام بهذا العمل التخريبي وقد اتهمت ليبيا هذه الدول التورّط بهذا العمل.

أظهر الرئيس الليبي إنهاء خلافاته مع الفصائل الفلسطينية.

وفي شهر المحرم ١٤٠٨هـ (أيلول ١٩٨٧م) أعادت ليبيا توطيد علاقاتها مع العراق. وأبدت تعديل سياستها في دعم إيران، وأظهرت حرصاً لوقف إطلاق النار بين العراق وإيران.

رفض الرئيس معمر القذافي حضور مؤتمر القمة العربي الذي عقد في عمان وبعث مندوباً عنه هو عبد السلام جلود، وحاول إظهار عدم دعم ليبيا لإيران.

وفي شهر صفر ١٤١١هـ (أيلول ١٩٩٠م) ادعت فرنسا أن سوريا وليبيا والجبهة الشعبية الفلسطينية مسؤولون عن التخطيط لتفجير طائرة ركاب فرنسية فوق النيجر قبل عام.

حضر العقيد معمر القذافي الرئيس الليبي مؤتمر القمة العربي الطارئ في القاهرة في ١٩ محرم ١٤١١هـ (١٠ آب ١٩٩٠م) لمناقشة الغزو العراقي للكويت، لكن ليبيا لم تصوت إلى جانب القرار القاضي بإرسال قوات عسكرية مع الولايات المتحدة للوقوف في وجه التقدم العراقي في السعودية فيما إذا حدث. وبعد شهر ادعت وكالات الأنباء العالمية أن طائرات ليبية تنقل الغذاء إلى العراق متحدية قرار الحظر المفروض على العراق.

وفي جمادى الأولى ١٤١٢هـ (تشرين الثاني ١٩٩١م) تدهورت العلاقات ظاهرياً بين ليبيا وكلٍّ من الولايات المتحدة وبريطانيا عندما أعلنت أمريكا وبريطانيا أنهما بصدد البحث عن شخصين ليبيين متهمين بالمسؤولية عن تفجير طائرة «بان ـ أمريكان» فوق لوكربي ـ إسكوتلندا. وأنكرت ليبيا تورّطها في هذه الحادثة، ولكن بقي هذا الموضوع إلى الآن يثار كلما عنّ للغرب قضية.

وفي شعبان ١٤١٢هـ (شباط ١٩٩٢م) تبنّى مجلس الأمن فرض حظرٍ على ليبيا. وبعد شهر تبنّى المجلس قرار رقم (٧٤٨) بفرض حظر اقتصادي على ليبيا إذا لم يتم تسليم الرجلين الليبيين المتهمين بحادثة لوكربي حتى نهاية ١٣ شوال ١٤١٢هـ (١٥ نيسان ١٩٩٢م)، وفي أعقاب ذلك مُنعت العلاقات التجارية، وخُفّض التمثيل السياسي (الديبلوماسي).

هدّد الرئيس الليبي بعدم تصدير النفط، وسحب المصالح كافةً للدول

التي ساندت قرار مجلس الأمن رقم (٧٤٨)، وفي عيد الفطر ١٤١٢هـ (٢ نيسان ١٩٩٢م) قامت مظاهرات في العاصمة الليبية طرابلس وحاصرت سفارات الدول الغربية، وسفارة فنزويلا التي كانت تترأس دورة مجلس الأمن.

وفي ١٣ صفر ١٤١٣هـ (١٢ آب ١٩٩٢م) جدد الحظر على ليبيا مدة أربعة أشهرٍ إضافية.

وفي أوائل رجب ١٤١٣هـ (أوائل كانون الثاني ١٩٩٣م) أغلقت ليبيا حدودها مدة ثلاثة أيام احتجاجاً على قرار مجلس الأمن.

وبعد ثمانية أشهر أعلنت الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا أنها ستطلب من مجلس الأمن تشديد الحصار بالقوة ضدّ ليبيا إذا لم تلتزم حتى نهاية العام بقرارات الأمم المتحدة، غير أن ليبيا رفضت الإنذار.

وفي ربيع الثاني ١٤١٤هـ (تشرين الأول ١٩٩٣م) روت وكالات الأنباء العالمية محاولة قيام انقلاب ضد حكم الرئيس القذافي، ولكن أنكرت هذا، مع أن عبد السلام جلود قد وضع تحت الإقامة الجبرية في منزله.

وفي ٢٧ جمادى الأولى ١٤١٤هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٩٣م) تبنى مجلس الأمن قرار رقم (٨٨٣) الذي يقضي بتشديد الحصار الاقتصادي ضد ليبيا، بحجة أن ليبيا لم تتعاون في تطبيق قرارات الأمم المتحدة (٧٣١) و(٧٤٨)، وشمل هذا الحصار نظرياً إغلاق مكاتب الخطوط الليبية في الخارج، والحظر على مبيع معدات تستخدم في مجال الطيران المدني، وحجز المدخرات الليبية في العالم، وحظر معدات النفط، وإنقاص عدد السياسيين.

وفي رمضان ١٤١٤هـ (شباط ١٩٩٤م) أوصى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بإجراء حظر على مبيعات ليبيا البترولية إذا واصل هذا البلد تحديه للمجتمع الدولي.

وفي أواخر رمضان (أواخر شباط ١٩٩٤م) أشارت ليبيا إلى احتمال انسحابها من جامعة الدول العربية بسبب فشلها في الدفاع عن الحقوق العربية ضد أمريكا وإسرائيل.

وفي ٤ المحرم ١٤١٥هـ (١٢ حزيران) تبنى وزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي قراراً يحث مجلس الأمن على إلغاء الحظر المفروض على ليبيا.

وفي ٥ المحرم ١٤١٥هـ ادّعى عضو في المجلس الثوري لحركة فتح أن المجلس كان المسؤول عن تدمير طائرة بان - أمريكان في لوكربي.

وادعت عدة جهات أن حادثة لوكربي كان وراءها إيران، وسورية، وأعضاء فلسطينيون في منظمة فتح. وأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تعلم مسبقاً بهذا الحادث.

وفي أواخر شوال ١٤١٥هـ (أواخر آذار ١٩٩٥م) جدّد مجلس الأمن الحظر المفروض على ليبيا، وحث الولايات المتحدة على أن تعلن بأنها ستقوم بحظرٍ صارمٍ من جانبٍ واحدٍ على ليبيا. وتستمر الاقتراحات والتوصيات.

الفَصْلُ الثّالِث

الصّراعَات الدّاخِليّة

لم تقم صراعات داخلية في ليبيا كما هو معروف في المناطق الثانيـة ، وذلك لأسباب منها :

١ ـ لا توجد هناك مجموعات بشرية مختلفـة الأصل كبـيرة الحجم يمكنها أن تتحرّك لتنافس غيرها على السلطة ، أو تكون لها مطالب خاصة بـأبناء جنسها ، فالعـرب يشكّلون أكثر من ٨٧٪ من مجمـوع السكان ، ومـا عداهم لا توجد مجموعة بشرية يمكنها أن تتحرّك على الساحة ، وتطالب ببعض الامتيازات لها ولأفرادها .

٢ ـ لا تـوجد أقليـات عقيدية تسعى لتحقيق بعض مطالبهـا ، فالمسلمـون يشكّلون أكثر من ٩٩٪ من مجموع السكان ، وما يوجد من فرق إسلامية فهي قليلة العدد أيضاً .

٣ ـ لا توجد أحزاب سياسية تتنافس على السلطة ، لأن المرحلة التي وجدت فيها الأحزاب والهيئات السياسية إنما هى مرحلة قصيرة جداً لا تتجاوز السبع سنوات من رحيل الطليان عن البلاد حتى نيل الاستقلال، ولم تكن هناك هيئات سيـاسية أيـام الحكم الملكي ، ثم جاء الحكم العسكـري وحكم باسم الجمهورية غير أنه عسكري بكل مضمونه .

٤ ـ لا توجد صراعات على الأرض ؛ فالأرض واسعة والسكان قلّة ، وحالة

البلاد المادية جيدة بعد انبثاق مكامن النفط في أراضيها فلا مجال للصراعات الطبقية .

ليبيا : تبلغ مساحة ليبيا ١,٧٥٩,٥٤٠ كيلومتراً مربعاً ، وتضمّ ثلاث ولايات هي :

١ ـ ولاية طرابلس : وهي أصغر الولايات ، وتبلغ مساحتها ٣٥٣,٠٠٠ كيلومتر مربع ، وتشمل خمس محافظات وهي :
أ ـ محافظة طرابلس .
ب ـ محافظة الزاوية .
جـ ـ محافظة الخمس .
د ـ محافظة مصراطة .
هـ ـ محافظة غريان .

٢ ـ ولاية برقة : وتبلغ مساحتها ٨٥٥,٣٧٠ كيلومتراً مربعاً ، وتشمل ثلاث محافظات وهي :
أ ـ محافظة البيضاء .
ب ـ محافظة درنة .
جـ ـ محافظة بنغازي .

٣ ـ ولاية فزّان : وتبلغ مساحتها ٥٥١,١٧٠ كيلومتراً مربعاً ، وتشمل محافظتين فقط ، وهما :
أ ـ محافظة سبها .
ب ـ محافظة أوباري .

ويقدّر عدد سكان ليبيا حسب تقديرات عام ١٤١٠هـ بثلاث ملايين تقريباً ، يقيم منهم في ولاية طرابلس ما يقرب من ١,٧٥٠,٠٠٠ ساكن ، وتكون الكثافة أكثر من خمسة أشخاص في الكيلومتر المربع الواحد ، ويسكن في ولاية برقة ما يقرب من المليون ، بكثافة تزيد على شخص في كيلومتر

مربع ، وكان لوجود النفط أثر في زيادة سكان برقة أكثر من غيرها ، ويقطن في فزّان ما يقرب من مائتي ألف ، بكثافة تقل عن نصف شخص في الكيلومتر المربع الواحد .

المجموعات البشرية : تعيش في ليبيا عدة مجموعات بشرية ، وتُعدّ قليلة ؛ إذ لا تزيد على سبع مجموعات ، وهي :

أ ـ **العرب** : ويشكّلون غالبية السكان ؛ إذ تزيد نسبتهم على ٨٧٪ من مجموع السكان ، ويقدّر عددهم بمليونين وستمائة ألف ، وتكثر نسبتهم في الشرق ، وتنخفض نسبياً في الغرب والجنوب ، وقد دخل العرب إلى ليبيا مع الفتح الإسلامي ، وأثناء هجرة قبائل بني هلال وبني سُليم نحو الغرب في القرن الخامس الهجري .

ب ـ **البربر** : كانوا سكان البلاد قبل الفتح الإسلامي ، وانصهر أكثرهم مع العرب واستعربوا ، وبقي منهم في ليبيا اليوم ما يقرب من ٣٦٠ ألف ، وأكثر ما يقيمون اليوم في ولاية طرابلس في المدن الغربية منها ، مثل « زوارة » و « يفرن » ويشكّلون ١٢٪ من مجموع سكان ليبيا ، ويتبع معظمهم المذهب « الأباضي » ، ويعيشون مستقرين ، ولا يعرفون التنقل ، ويتكلمون لغة خاصة بهم إضافة إلى اللغة العربية التي يعرفونها جميعاً .

جـ ـ **الطوارق** : وهم « التوارك » الذين تركوا الإسلام وارتدّوا عنه ، ولم يتمكن المسلمون من إقامة حد الردة عليهم ، ثم عادوا إلى الإسلام ، وحسن إسلامهم،ويعرفون أيضاً بالملثمين ؛ لأنهم يضعون اللثام على وجوههم اتقاءً لرمال الصحراء حتى صار ذلك عادةً لا تفارقهم ، ولهم لغة خاصة إضافةً إلى العربية .

د ـ **الزنوج** : وعددهم قليل ، ويكثرون في فزان ، وهم من سلالة العبيد الذين جلبوا من قلب إفريقية .

هـ ـ **التيبو** : وهم مزيج من العرب والزنوج ، ويقيمون في أقصى

الجنوب في مرتفعات « تيبستي » على الحدود مع تشاد .

و ـ عناصر مختلفة : جاءت عدة عناصر واستقرت في ليبيا ، وانصهرت مع السكان لأنها مسلمة ، ولكن لا تزال بعض السمات تدلّ على أصولها مثل : الأتراك ، والشركس ، والكريتيين .

ز ـ الأجانب : يقيم في البلاد عدد من الأجانب أي من غير المسلمين ، ولكن لا يزيد عددهم على المائة ألف ، وينتمون إلى خمس وثلاثين جنسية ؛ يسكن معظمهم في ولاية طرابلس ، ويشكّلون ٩٢٪ من مجموع الأجانب ، و٧٪ منهم في برقة ، و١٪ في فزّان ، ويشكّل الطليان أكبر نسبة من الأجانب ، إذ تصل نسبتهم إلى ٨٠٪ ، ويقطنون مدينة طرابلس ، ويليهم الإنكليز ، فالمالطيون ، فالألمان ، فالفرنسيون ، فاليونانيون ، فالأمريكان ، . . .

ولا علاقة للذين يقيمون بصفة مؤقتة ، يعملون بالنفط أو بغير ذلك ، حيث توجد جاليات عربية من تونس ، ومصر ، والشام .

العقائد : يدين معظم السكان بالإسلام ، ولا قيمة للعقائد الأخرى ؛ إذ لا تصل نسبتها في أي مرحلة من مراحل التاريخ بعد انتشار الإسلام إلى ١٪ من مجموع السكان ، وفيما يلي بيان ذلك :

أ ـ المسلمون : ويشكلون أكثر من ٩٩٪ من مجموع السكان حتى إنهم يشتركون في المذهب ؛ فكلهم على مذهب الإمام مالك رحمه الله .

ونجد بين المسلمين الخوارج الأباضية الذين أكثرهم من البربر ، وأكثر مناطقهم في جبل نفوسه في « يفرن » و« غريان » ثم في ومدينة « زوارة » . ولكن نسبة الأباضية قليلة جداً بين السكان لا تصل إلى أكثر من ٨٪ .

كما نجد بين المسلمين الطرق الصوفية ، والدعوة السنوسية إحدى هذه الطرق ، وإن كانت هذه الدعوة تختلف عن الصوفية ببعض النقاط ومنها

الجهاد ، فلقد كان للسنوسية دور بارز في مقارعة الاستعمار ، بل تعدّ هي حاملة لواء الجهاد ضدّ الطليان ، وكان مشايخها هم قادة المجاهدين ، وتلتقي مع الصوفية في بعض الجوانب الأخرى مثل تقدير المريد للشيخ وإجلاله ورفعه فوق المستوى المطلوب و . . .

تنتسب السنوسية إلى مؤسّسها الأول محمد علي السنوسي الذي قدم من الجزائر إلى مكة حاجّاً عام ١٢٥٢هـ ، وقد تأثر هناك ببعض آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأسّس زاوية في مكة في جبل أبي قبيس ، ثم قام بتأسيس زوايا أخرى ، وعندما رجع وأراد دخول الجزائر عام ١٢٥٥هـ ؛ منعه الفرنسيون ، إذ كان وضعهم العسكري قد أخذ بالتحسن في مواجهة عبد القادر الجزائري ، فأقام السنوسي في ليبيا ، واستقرّ في واحة جغبوب ، وأسّس هناك زاوية كانت المركز الرئيسي للدعوة ، ومنها انتقلت إلى بقية المنطقة ، وخاصة إلى جهة الصحراء حيث أقامت عدة زوايا ، كان أشهرها ما أقيم في واحة الكفرة . وتضم الزاوية عدة أبنية ، منها : المسجد ، والمدرسة ، وبيت الشيخ ، والمضافة ، وحول الزاوية أرض يعمل فيها الأتباع بالزراعة ، وهي بهذا تختلف عن الصوفية التي تدعو إلى التواكل وتثبيط الهمة ، وكذلك تختلف السنوسية عن الصوفية بأنها تحارب البدع والخرافات .

ولم تعمل السنوسية على محاربة الدولة العثمانية ؛ الأمر الذي أتاح لها حرية العمل والانصراف إلى الدعوة ، فأقامت الكثير من الزوايا في الصحراء في ليبيا وتشاد .

ومن الطرق الصوفية العمروسية ـ السلامية التي أسّسها أبو العباس بن عمروس ، وأعاد لها الحركة سيدي عبد السلام الفيتوري الذي له ضريح في « زليطن » غرب « مصراطة » يزوره الأتباع .

ومن المجموعات من يسمّون أنفسهم بالمرابطين ، ويقومون ببعض أعمال الشعوذة ، ويعدّونها من الأسرار التي يملكونها ، ويؤمن بهم وبأفعالهم

بعض البسطاء والسذّج .

ولكن هذه الطرق والمشعوذين قلّة قليلة لا يؤبه لهم .

ب ـ النصارى : لا يوجد أتباع لهذه الديانة في ليبيا أبداً ، وقد انحسرت تماماً من بلاد المغرب كلها ، ثم جاءت مع المستعمرين ، فالنصارى الذين يقيمون اليوم في ليبيا إنما هم من الأجانب ، ولا يوجد نصراني واحد من أصل ليبي .

جـ ـ اليهود : وقد جاءوا إلى ليبيا أيام الرومان ، ويوم طردوا من الأندلس ؛ بعد أن أخرج منها المسلمون ، فسمحت لهم الدولة العثمانية بالإقامة في المناطق التي تحت سلطانها إنسانيةً ورحمةً ، ثم جاء بعضهم في القرن الثالث عشر الهجري ليؤدّوا دورهم في الهدم ، كما فعل يهود الدونمة في مقرّ الدولة العثمانية جزاءً لإحسانها إليهم ، وقد بلغ أكبر عدد لهم في ليبيا ستة وعشرين ألفاً حسب إحصاء عام ١٣٦٦هـ ، ولكن رحل القسم الأكبر منهم إلى فلسطين يوم أن أقيمت لهم دولة فيها ، وطردوا أهلها منها عام ١٣٦٧هـ . ولم يبق اليوم في ليبيا سوى ستة آلاف يقيم معظمهم في طرابلس إضافة إلى عدة مئات يسكنون برقة .

وهكذا نجد أنه لا توجد أية صراعات بين المجموعات البشرية أو بين العقائد ؛ لضآلة وقلّة النعرات العصبية والمذاهب العقدية فيها .

الأحزاب : كذلك لم توجد أحزاب ، ولم تتح الظروف لها ، فلم تؤسس ولم تقم بنشاط إلاّ لمرحلة قصيرة ، فقد تأسّس نادي عمر المختار في برقة عام ١٣٦٢هـ ، غير أن الإدارة العسكرية الإنكليزية لم تلبث أن حلّته عام ١٣٦٦هـ ، ثم ظهر باسم الجمعية الوطنية ، ولكن محمد إدريس السنوسي عندما جاء إلى برقة عام ١٣٦٧هـ حلّها مع بقية الهيئات ، وشكّل المؤتمر الوطني البرقاوي العام فكان حزب الأمير ، ولا منافس له ، إلاّ ما ظهر من معارضة الشعب له وللسنوسي عندما أعلن عن قيام دولة برقة ، والرعية ترغب دولةً

موحّدة ، فهذه ليست منافسة أو صراعاً ، وإنما معارضةً لموقف .

وفي إقليم طرابلس تأسّس « نادي طرابلس » ، ثم تأسّس الحزب الوطني عام ١٣٦٤هـ ، وانشقّ على نفسه ، وتشكّلت الكتلة الوطنية الحرة ، وانشقّ حزب الأحرار عن الكتلة الوطنية الحرة ، كما تأسّس حزب الجبهة المتحدة غير أن هذه الأحزاب وأجنحتها كلها لا تخرج عن دائرة المخطط الإنكليزي ، وكلها تطالب بالوحدة بين إقليمي ليبيا ، وأن تكون الدولة المرتقبة تحت الوصاية الإنكليزية ، وأن تتحالف في المستقبل وبعد الاستقلال مع إنكلترا .

وتأسّست بعدئذٍ هيئة تحرير ليبيا ، ولكنها تدور في الفلك نفسه . وعندما تمّت الوحدة حلّ السنوسي هذه الهيئات كلها ، وانتهى عهدها ، ولم يكن هناك صراع حزبي في ليبيا أبداً .

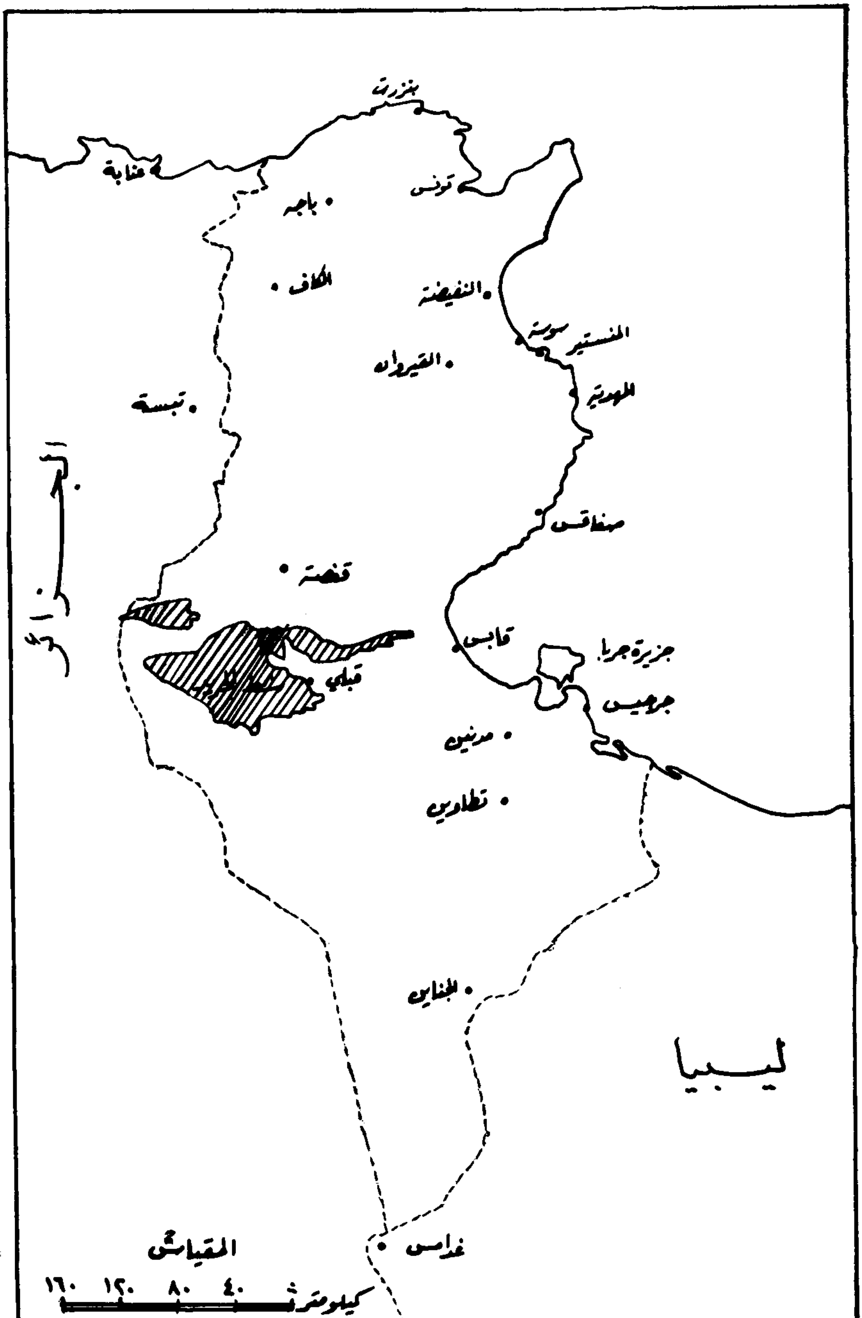
الصراع الإقليمي : لما وضع الدستور وتمّت الوحدة بين أقاليم ليبيا لم يكن أهالي إقليم طرابلس راضين ، فإن إقليمهم يضمّ ثلثي سكان البلاد وهم أكثر نشاطاً ووعياً من غيرهم ، ومع ذلك ؛ فإن نصيبهم في مجلس الشيوخ يعادل نصيب إقليم فزّان الذي يقطنه ما نسبتهم ١ : ٥٠ من سكان إقليم طرابلس ، لذا كانت هناك معارضة إقليمية طرابلسية ، وهذا ما جعل السنوسي يقدم على حلّ الحزب الوطني ، وتشتيت أتباعه ؛ ظناً منه أنه يتولّى قيادة المعارضة، غير أنه لم يلبث أن تبينّ له أن المعارضة إقليمية عامة. وبدا المجلس التشريعي الطرابلسي المحلّي الذي انتخب في ١٢ ذي الحجة ١٣٧١هـ (١ أيلول ١٩٥٢م) معارضاً للحكم ، فأقدم السنوسي على حلّه أيضاً ، وعلى هذا كان هناك صراع إقليمي على مقاعد مجلس الشيوخ وعلى مراكز السلطة ، أما الإقليمان الآخران برقة وفزّان فإن أهلهما على رضى ؛ إذ نالا أكثر مما ينبغي ، ويعدّ أهالي برقة السنوسي منهم ، وقد تسلّم ملك البلاد وحكمها .

وفي العهد الجمهوري يعدّ الحكم عسكرياً ، وليس هناك من أحزاب ،

ولا توجد أية صراعات ، وإنما توجد معارضة ؛ سواء من الذين خرجوا من البلاد ، أم من الذين بقوا داخلها ويكتمون معارضتهم خوفاً من السلطة التي لا تفسح مجالاً لأية معارضة ، أو لوجود أية صراعات ، إذ تعدّ ذلك إهداراً لطاقات الأمة وإمكاناتها ، وفسح المجال للتدخل في شؤون البلاد ، أو لاتجاه جماعاتٍ نحو أيدٍ غريبةٍ في سبيل تحقيق أطماعهم أو الوصول إلى مآربهم .

الباب الثاني

تونس



بنزرت
عنابة
تونس
باجه
الكاف
النفيضة
المنستير
سوسة
القيروان
المهدية
تبسة
الجزائر
صفاقس
قفصة
قابس
جزيرة جربا
قبلي
جرجيس
مدنين
تطاوين
الجنائن
ليبيا
غدامس
المقياس
كيلومتر
٤٠ ٨٠ ١٢٠ ١٦٠

لمحة عن تونس قبل إلغاء الخلافة

دخل العثمانيون تونس عام ٩٨١هـ، وأنهوا حكم الأسرة الحفصية، كما طردوا الأسبان الذين استنجد بهم آخر الحكام الحفصيين . ووضع القائد العثماني سنان باشا نظاماً للحكم في تونس ، يقوم على وال يمثّل السلطان برتبة « باشا » وهو رجل مدني ، يساعده مجلس استشاري ، يتألف من عدة ضباط ، وموظف يشرف على الشؤون المالية يلقّب « الباي » ، وقائد عسكري برتبة رائد يحمل لقب « الآغا » ، ويتبعه ضباط للفرق العسكرية ، كل واحد منهم برتبة نقيب ، ويعرف بـ « الداي » غير أن الدايات قد استأثروا بالحكم دون الوالي ، وتعاقبوا على السلطة حتى عام ١٠٤٧هـ ، حيث برزت سلطة الباي فتغلّب على الداي ، وتسلّم الحكم ، وظهرت أسرتان من البايات ، أولاهما : الأسرة المرادية التي حكمت من ١٠٤٧ إلى ١١١٤هـ ، ثم الأسرة الحسينية ، وتعاقب الحكام منها من ١١١٤ إلى ١٣٧٧هـ .

برز الباي أحمد الذي حكم من سنة ١٢٥٥ إلى ١٢٧٢هـ ، فقد أنشأ مدرسةً حربيةً ، ودعا إليها مدرّبين من الضباط الفرنسيين ، ونظّم جيشاً قوامه خمسة وعشرون ألف مقاتل ، وبنى أسطولاً خاصاً بتونس ، ساعد العثمانيين في حرب القرم ، وكان محباً للعلم ؛ فأكرم أهله ، غير أن الحضارة المادية بهرته ، وأعجب بالعمران الفرنسي ، وحاول أن يقلّد بالعمران قصر فرساي ؛ فبنى قصر « المحمدية » قرب مدينة تونس ، وأدّى هذا إلى تدهور المالية إضافةً إلى

السرقات التي قام بها بعض أعوانه . وخلفه في الحكم أخوه محمد الثاني ، فسار على نهج سلفه ، وأدّى الأمر إلى التدخّل الفرنسي الذي فرض المساواة بين المسلمين وأهل الذمة ، ومنح الأجانب (النصارى) حقّ التملّك وحرية التجارة ، ومعنى هذا فتح أبواب البلاد على مصراعيها أمام الصليبيين ، وفي الوقت نفسه قامت بعض الإصلاحات ، وخاصةً تلك التي قام بها وزير الحربية خير الدين التونسي الذي أصلح ميناء « حلق الوادي » ، وأنشأ مصنعاً لبناء السفن ، وفي عهد هذا الباي دخلت الطباعة إلى تونس ، وسُحبت مياه « عين رغوان » بالأنابيب إلى مدينة تونس . واستمرّ حكم محمد الثاني من ١٢٧٢ إلى ١٢٧٦هـ .

ثم جاء إلى الحكم الأخ الثالث محمد الصادق من سنة ١٢٧٦ إلى ١٣٠٠هـ ، وبقي خير الدين التونسي وزيراً للحربية ، وشكّل الباي مجلساً للشورى يتألّف من ستين عضواً، وجعل خير الدين رئيساً له، وتجاوز المجلس بعض الحدود الشرعية ؛ فعارضه العلماء ، واستقال خير الدين التونسي عام ١٢٧٩هـ ، وعلّق الباي الدستور عام ١٢٨١هـ بعد أن ثارت القبائل .

وتراكمت الديون على الدولة ؛ فكثرت المصاعب أمامها ، وبدأ الضغط الفرنسي والمطالبة بالديون ، وأخيراً تشكّلت عام ١٢٨٦هـ لجنةً دوليةً للإشراف على المالية ، وتضمّ ممثلين عن فرنسا ، وإيطاليا ، ومالطة ، إضافة إلى تونس ، غير أن خير الدين لم يستطع الاستمرار في عمله فاضطرّ للاستقالة عام ١٢٩٤هـ ، وغادر البلاد إلى استانبول حيث سلّمه السلطان عبد الحميد الثاني الصدارة العظمى في ٢٢ محرم ١٢٩٦ هـ .

التدخل الفرنسي : كانت السياسة الفرنسية ترمي إلى هدفين تجاه تونس ، فهي أولاً لا تريد أن تكون لها حدود مع الدولة العثمانية ، ،لذا ترغب أن تبعد العثمانيين عن تونس لتكون فاصلاً بينها وبينهم في طرابلس ، وبالتالي تريد أن تنهي الحكم العثماني الاسمي في تونس كي يفسح المجال لها للتدخّل في هذا الإقليم ، وفي الوقت نفسه لا ترغب أن يكون انفصال تونس عن الدولة

العثمانية قوة لتونس ؛ إذ لا تستطيع عندها التدخّل في شؤونها ، فهي تريد قبل كل شيء إضعاف تونس بإبعاد العثمانيين عنها ، فيتدهور الوضع فيها .

كانت فرنسا ترسل أسطولها إلى مياه تونس لمنع تدخّل العثمانيين ، ولإبراز قوتها أمام التونسيين ، وللإعلان عن بداية التدخّل ، غير أن السلطان قد أعلن عن حقوقه في تونس ، فصرّح أنه يُدعى له فيها على المنابر ، وأن النقود المستعملة فيها مضروبة باسمه ، وتعيين الولاة فيها إنما يصدر بأمر منه ، وأن الولاة يقدّمون له المساعدة في كل حرب يخوضها ، غير أن فرنسا لم تستمع لهذا كله ولم تعترف به ، وإنما أعلنت أن (بايات) تونس مستقلّون عن الدولة العثمانية ، ولا رابط لهم بها ، وأن الدول الأخرى تخاطبهم مباشرة ، ويعقدون المعاهدات باسمهم لا باسم الدولة العثمانية .

وشجّعت ألمانيا فرنسا للتوجّه نحو إفريقية لتبعدها عن التفكير في الانتقام منها بعد هزيمتها أمامها ، وطلبت ألمانيا من إنكلترا ترك فرنسا وشأنها في تونس ، فوافقت إنكلترا على ترك فرنسا تتصرّف في تونس مقابل سكوتها عن احتلال بريطانيا لجزيرة قبرص .

ولكن إيطاليا قاومت النفوذ الفرنسي في تونس ، ورفضت التحذير الفرنسي والإنذار ، وأن تتوجّه إلى احتلال بلاد أخرى ، وعرضت على (الباي) الحماية الإيطالية ؛ فرفض ؛ وطلبت منه التنازل عن ميناء (بنزرت) ؛ فأبى ، وأبدت رغبتها في أن يكون ميناء (بنزرت) ميناءً حرّاً ؛ فلم يوافق ، ولكن الباي قد رفض أيضاً مشروعاً فرنسياً بتشكيل حلفٍ دفاعي . ووقف القنصل الإنكليزي بجانب مطلب القنصل الإيطالي ، فلم توافق السياسة الإنكليزية على تصرّف قنصلها ، فأنهت خدماته من تونس إرضاءً لفرنسا ، وخشيت فرنسا التأخّر بالتدخّل في تونس ، فالإبطاء ليس من صالحها ، وفكرة الجامعة الإسلامية التي طرحها السلطان عبد الحميد تنمو بسرعة ، وأصبحت فرنسا تخشى على وضعها في الجزائر ، لذلك أسرعت وأرسلت قوة عسكرية عام ١٢٩٨ هـ ، ووصلت إلى قرب العاصمة التونسية ،

فاضطرّ الباي إلى توقيع معاهدة (باردو) في ١٣ جمادي الأولى ١٢٩٨ هـ (١٢ أيار ١٨٨١م) التي أعطت فرنسا حقّ الإشراف على الشؤون المالية والخارجية والعسكرية ، وحقّ تعيين مفوّض فرنسيّ في مدينة تونس يكون صلة الوصل بين البلدين . وثارت قبائل في جنوب البلاد ، فأخمدتها القوات الفرنسية بعنف ، وبعدها فرضت على تونس معاهدة (المرسى) في ٣ شعبان عام ١٣٠٠هـ (٨) حزيران ١٨٨٣م) وألزمت الباي فيها بتعديلاتٍ في الإدارة والقضاء والمالية ، وأعطتها اسم الإصلاحات .

احتجّت الدولة العثمانية على اعتداء فرنسا على ولايةٍ من ولاياتها ، ولكن فرنسا لم تهتمّ لذلك ، ولم تستطع الدولة العثمانية عمل شيء لضعفها وكثرة المصائب التي تنزل بها ، إذ كانت إنكلترا في ذلك الوقت تعتدي على مصر، وتركّز حكمها في جزيرة (قبرص) ، غير أنها بقيت تعترف باستمرار السيادة العثمانية الاسمية على مصر وقبرص ، على حين أن فرنسا لم تعترف بأي سلطةٍ للعثمانيين على تونس .

وأما إيطاليا فلم ترض عن الحماية الفرنسية لتونس ، وبقيت تعدّ ذلك اختلاساً لحقّ من حقوقها ، فهي الأولى بتونس لقربها منها ، غير أن فرنسا قد أعطتها بعض الامتيازات فسكتت عن تصرّفها في تونس، وذلك عام ١٣١٤هـ وكانت الامتيازات التي حصلت عليها إيطاليا هي :

١ ـ تحتفظ بالامتيازات التي منحها إياها الباي عام ١٢٨٥ هـ .
٢ ـ يحقّ للإيطاليين الذين يقيمون في تونس الاحتفاظ بالجنسية الإيطالية .
٣ ـ يحصل الإيطاليون على الحقوق نفسها التي يحصل الفرنسيون عليها في تونس ، ومنها ممارسة المهن الحرة ، وافتتاح المدارس ، وتشكيل الجمعيات .
٤ ـ يحقّ للإيطاليين الهجرة إلى تونس بالشروط نفسها التي يحقّ للفرنسيين

الهجرة بها .

الحماية الفرنسية : لم تذكر معاهدة (باردو) فرض الحماية على تونس ، وإنما ذكرت أن الاحتلال العسكري إجراءٌ مؤقتٌ فرضته الظروف ، غير أن الوزير الفرنسي المفوّض المقيم في تونس كان بمثابة وزير خارجية حسبما ورد في المرسوم الذي أصدره الباي محمد الصادق بعد توقيع معاهدة (باردو) عام ١٢٩٨ هـ ، وبذا فقد تخلّى الباي عن صلاحياته في الإشراف على الشؤون الخارجية للوزير المفوّض الفرنسي ، وأبقت فرنسا الباي صورة ، وأخذت تنتزع منه الصلاحيات تدريجياً ، وقد فرضت منصباً جديداً أسمته أمين السر العام (السكرتير العام) وفوّضت إليه الإشراف على الشرطة ، والسجون ، و . . .

صدر مرسوم جمهوري فرنسي في تاريخ ٢٠ ذي الحجة أصبح بموجبه الوزير الفرنسي المفوّض والمقيم في تونس يتمتع بسلطاتٍ تشريعيةٍ وتنفيذيةٍ واسعةٍ ، ولا تعدّ أوامر الباي نافذةً إذا لم يصادق عليها المقيم العام الفرنسي .

كان الباي قد احتفظ اسمياً بالسلطة التشريعية ، كما أنه يصادق على القانون والأوامر الواجب تنفيذها في الولاية ، وهو الذي يتولّى أمر إصدارها بالتوقيع عليها ، وأخذت فرنسا تعمل لتغيير الهياكل الإدارية والقضائية والمالية في البلاد ، وتتخذ الإجراءات التي ترمي إلى تطبيق الإدارة الفرنسية والمنهج المعادي للإسلام لتبديل الشخصية العربية الإسلامية .

المقاومة : وجّه الباي محمد الصادق في ١٦ جمادى الأولى ١٢٩٨هـ (١٥ نيسان ١٨٨١م) الدعوة إلى قوات القبائل في وسط وجنوب البلاد للتعبئة العامة ، فنسيت هذه القبائل الخلافات فيما بينها ، وتركت مشكلاتها الخاصة ، وعملت معاً ضدّ العدو المشترك ، وأخذت تتشاور فيما بينها لمقاومة الدخيل الصليبي . وبرز بين رؤساء هذه القبائل علي بن خليفة شيخ قبائل (نفات) ، فجعل قيادته قرب مدينة صفاقس ، وأخذ يتصل مع القوات العثمانية في

طرابلس ، وانضم رجال القبائل الأخرى إلى هذا الزعيم ، وأخذ أهالي (الجريد) يطاردون الفرنسيين .

وفي ١٨ رجب ١٢٩٨ هـ (١٥ حزيران ١٨٨١ م) أخذت الاجتماعات تعقد في جامع عقبة بن نافع في القيروان برئاسة علي بن خليفة ، وقد ضمّت هذه الاجتماعات ممثلين من مختلف القبائل ، واستمرت خمسة أيام ، وتمخّضت عن قرار يقضي بمقاومة الفرنسيين والاتصال بالعثمانيين في طرابلس ، وبالفعل فقد أوفدوا عدداً من المبعوثين إلى طرابلس .

وهبّ الحاج محمد كمون ومحمد الشريف وبقية أعيان صفاقس ، واتصلوا بعلي بن خليفة للتنسيق ، كما اتصلوا بالعثمانيين للمساعدة والدعم ، وقرروا عدم الاعتراف بـ « حسونة الجلولي » ممثل الباي في صفاقس .

الثورة : وانضمّت مدينة قابس إلى مدينة صفاقس ، وأعطت زمام أمرها إلى علي بن خليفة ، وأخذ رجالها يعتدون على اليهود الذين يقيمون فيها لأنهم اختاروا الحماية الفرنسية بعد أن عاشوا آمنين في كنف المسلمين مدة طويلةً من الزمن . وعندما جاءت البارجة الفرنسية « الكرسيكي » في ٨ جمادى الآخرة ١٢٩٨هـ (٧ أيار ١٨٨١م) إلى ميناء قابس أسرع السكان إلى حمل السلاح ، فأخبر اليهود البارجة فرجعت ولم ترس في الميناء ، وهذا ما أغضب السكان ، فقطعوا أسلاك البرق ، وكسروا أعمدة الهاتف ، واعتدوا على اليهود .

وفي غرة شعبان وصلت إلى ميناء صفاقس بارجة فرنسية ، فالتفّ الناس حول علي بن خليفة الذي أبقى رجال قبائله خارج المدينة خوفاً من الحصار ، وشكّل لجنة للدفاع عن المدينة بقيادة محمد الشريف قائد الحامية ، فحاصر الأعداء المدينة ، فهاجمهم رجال القبائل الذين بقوا خارجها ، وأرسلت فرنسا ست بوارج لقصف المدينة ، وساعدتها إنكلترا وإيطاليا ، فأرسلت إنكلترا بارجتين من بوارجها بحجة مساعدة المالطيين المقيمين في صفاقس بصفتهم من النصارى ، وبعثت إيطاليا بارجة لمساعدة فرنسا وإنكلترا على أنهما من الدول النصرانية ، واشتركت البوارج التسع الفرنسية والبريطانية والإيطالية بقصف

المدينة والميناء ، وكان قائد الأسطول الفرنسي أمير البحر المساعد « غـارنو » وتمكّن الفرنسيون في ١٩ شعبان ١٢٩٨ هـ (١٦ تموز ١٨٨١ م) من النزول بالمدينة بقيادة المقدّم جورج ، ولم تفد مقاومة المجاهـدين رغم ما بـذلوه من جهـود وتضحيات ، وذلـك لتفوّق الفـرنسيين الكبـير في الرجـال والسـلاح والعتـاد ، بينما لم يكن لـدى المجـاهـدين من سـلاح ؛ لمقـاومـة مـا يحـوزه الفرنسيون . وفرض المقدّم جـورج سحب السلاح من السكـان ، وغرامـة حربية قدرها خمسة عشر مليون فرنك ، وبدأ رجاله أعمال السلب والنهب .

أمـا المجاهدون فقد انسحبـوا من صفاقس بقيـادة علي بن خليفـة ، واستقرّوا في وادي (مدران) على بعد خمسين كيلومتراً من المدينة ، واستمرت صلتهم مـع قبائـل (الجلاص) الـذين يدافعـون عن القـيروان ، وقبـائـل (الهمامة) الذين يناوشون الفرنسيين في (قفصة) ، واستقرّ صالح بن خليفة ـ شقيق علي ـ في القبائل .

وكان البـاي قد أرسل مجبراً قوة مؤلّفة من ألف رجل إلى صفاقس ، غير أن هذه القوة قد انضمّت إلى المجاهدين ، وسلّمت أمر قيادتها إلى علي بن خليفة فأبقى رجالها مع رجاله .

وفي بلدة (جارة) حدث تردّد بين السكان خوفاً من الفرنسيين ، فقام مفتي الأعراض الشيخ علي الحبيب بن عيسى وحرّض السكان ، وحثّهـم على الانضمام إلى المجاهدين ، وطلب من قائد الحامية مصطفى الـتركي توزيـع الأسلحة على الرجال الذين يرغبون في الجهاد ؛ فأبى مصطفى ، فقام « زروق ابن علي» والي منطقة الأعراض ووزّع الأسلحة التي انتزعت من السكان ، وانضمّ الأهالي إلى المجاهدين ، واندلعت فيها حركة المقاومة .

وفي مدينة قابس نزل الفرنسيون في ٢٨ شعبان (٢٥ تموز) ، واضطـر المجاهدون للاستسلام ؛ لكثرة من نزل من قوات العدو ، واستشهد مفتي حي المنزل الحاج الجيلاني الذي كان أحد أركان الجهاد في قابس .

وفي القيروان كان رجال قبائـل (الجلاص) بقيـادة الحاج حسـين بن

المسعي يسيطرون على الوضع ، وكان علي بن عمار ينازل القوات الفرنسية في الكاف ويتخذ القيروان مقرّاً له .

ودعا أحمد بن يوسف إلى عقد اجتماع في (سبيطلة)، وضمّ ممثلين عن قبائل الغرب والجنوب الغربي كافة ، ودام الاجتماع ثلاثة أيام من ٢٠ إلى ٢٣ رمضان ١٢٩٨ هـ (١٥ ـ ١٨ آب ١٨٨١ م) ، وقرّر الحضور إعلان الجهاد . وبرزت قبائل (الهمامة) و (أولاد يعقوب) و (الفراشيش) بقيادة « علي بوعلاق » ، ووصل الهجوم إلى ضواحي العاصمة ، وكانت سيطرة الفرنسيين لا تصل نحو الجنوب إلى أكثر من مدينة (الكاف) .

وفي ٢٤ ذي القعدة ١٢٩٨ هـ (١٧ تشرين الأول ١٨٨١ م) تحرّكت ثلاث فرق عسكريةٍ نحو القيروان: من تونس، ومن سوسة، ومن مدينة (تبسة) في الجزائر ، فاضطرّت القيروان إلى الاستسلام .

انتقل كثير من المجاهدين إلى ليبيا ، واستقرّ عدد منهم في مدينة طرابلس ، وأقام عدد منهم في جنوب جبل نفوسة ، وأخذوا ينظّمون صفوفهم على الحدود الليبية التونسية ، ويأملون مساعدة العثمانيين ، ومن بداية شهر صفر من عام ١٢٩٩ هـ أخذوا يتسللون إلى تونس حتى إن بعضهم كان يصل إلى مدينة (قفصة) ولكن يبدو أن فرنسا قد تمكّنت من السيطرة على الحدود .

وتوفي الباي محمد الصادق في ٢٠ ذي القعدة ١٢٩٩ هـ (٢ تشرين الأول ١٨٨٢ م) وخلفه أخوه علي ، وكان ضعيفاً ، كما أن الوزيرين الأولين كانا ضعيفين أيضاً ، وهما : محمد الجلولي ، ومحمد العزيز بوعتور .

وعقدت اتفاقية (المرسى) بين الباي علي وبين بول كمبون ، وذلك في ٣ شعبان ١٣٠٠ هـ (٨ حزيران ١٨٨٣ م) وهي تؤكّد معاهدة الحماية التي عقدت من قبل في باردو (القصر السعيد) .

وتفاوضت فرنسا مع الدول الأوروبية التي لها جاليات في تونس ، فألغت تلك الدول محاكمها القنصلية ، وأصبح مواطنوها يرجعون إلى المحاكم الفرنسية ، وكانت هذه الدول هي : السويد ـ النرويج ـ الدانمارك ـ إنكلترا ـ هولندا ـ النمسا ـ اليونان ـ روسيا ـ إيطاليا .

وكانت المحاكم التونسية تنظر في قضايا رعايا الباي ، وتطبّق فيها القوانين التونسية ، أما المحاكم الفرنسية فتنظر في قضايا الفرنسيين والأوربيين جميعاً ، والقضايا التي تجمع بين الفرنسيين أو الأوربيين من جهة والتونسيين من جهة أخرى .

وتوفي علي بن خليفة في ٣٠ محرم ١٣٠٢هـ (١٨ تشرين الثاني ١٨٨٤م) عن عمر يزيد على الثانية والثمانين سنة ، وبقي كثير من المجاهدين يعيشون خارج تونس .

وقررت فرنسا مصادرة أملاك المقاومين الذين لا يعودون إلى تونس قبل تاريخ ١٥ جمادي الأولى ١٣٠٢هـ (آذار ١٨٨٥م) ، ووجّه الباي علي نداءً بهذا الخصوص في تاريخ ١٣ ربيع الأول ١٣٠٢هـ (٢٩ كانون الأول ١٨٨٤م) ، ولم يستجب لهذا النداء إلّا النزر اليسير ، ولكن جهود يوسف بن أندريه الليفرو قد حقّقت بعض النجاح ، وهو من أصل جنوي إيطالي ، وكان عميلاً مزدوجاً يعمل لصالح فرنسا وصالح تونس في الظاهر ، وقد وصل إلى رتبة أمير الأمراء ، وقد بذل هذا العميل جهداً لإعادة رجال المقاومة إلى البلاد ؛ فأخذوا يعودون تدريجياً .

النشاط السياسي : سمحت وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية في ١١ ربيع الأول ١٣٠٨ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٨٩٠ م) للمقيم العام الفرنسي بعقد ندوات اجتماعية ، ونتج عن هذه الندوات في عام ١٣٢٥ هـ إحداث مجلس استشاري ، يتألّف من ستة عشر عضواً ، يعيّنهم المقيم العام الفرنسي ، ولم يمض على تأسيسه سوى ثلاث سنوات حتى صدرت التعليمات بأن يلتقي الأعضاء التونسيون وحدهم كما يجتمع الفرنسيون وحدهم ، ثم زاد عدد أعضاء هذا المجلس فأصبحوا أربعةً وخمسين عضواً ، منهم ثمانية عشر عضواً من تونس يعيّنهم المقيم العام الفرنسي ، وستة وثلاثون عضواً ينتخبهم الفرنسيون المقيمون في تونس .

وفي ١٩ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (١٣ تموز ١٩٢٢ م) صدرت الأوامر بأن يتشكّل مجلس نيابي ، وقد عُرف بالمجلس الكبير ، حيث ضمّ ثمانية

وتسعين عضواً ، وحلّ محلّ المجلس الاستشاري ، ويضمُّ المجلس الكبير ستة وخمسين من الفرنسيين ، واثنين وأربعين من التونسيين . أما القسم الفرنسي فيؤخذ بالانتخاب ، ويشمل اثنين وعشرين يمثّلون الزراع والتجار ، وأربعة وثلاثين يمثّلون باقي أفراد الجالية الفرنسية في تونس ، وأما القسم التونسي فيؤخذ بالتعيين ، ويشمل أربعة وثلاثين مسلماً ، وأربعة من اليهود ، وأربعة يمثّلون مدينة تونس على أن يكون أحدهم من اليهود ، هذا مع العلم أن عدد الفرنسيين في تونس كان يومذاك أقل من ربع مليون (٣٤٠،٠٠٠) على حين كان عدد سكان تونس ثلاثة ملايين مسلم .

اشتدّت وطأة الفرنسيين على تونس ، وأحسّ بشدتها المسلمون الملتزمون ، لأنه لم يتغيّر عل غير الملتزمين شيء ؛ فالفساد ديدنهم ، وهم والأعداء سواء ، أما المسلمون فيقع عليهم وقع الصاعقة ، لذا فقد تحرّكوا ، وتزعّم هذه الحركة « علي أبو شوشة » الذي يصدر جريدة « الحاضرة » ، فأخذ ينادي بتقوية الروابط مع الأمصار الإسلامية ، ويعمل للجامعة الإسلامية ، وأيّده والتفّ حوله لفيف من الشباب . وشعر بوطأة الفرنسيين أيضاً المزارعون إذ سيطر الأجانب على أفضل الأراضي وأخصبها ، وتملّكوا المساحات الواسعة بالطرق الملتوية والوسائل غير المشروعة ، وقدّمت لهم المساعدات ، وأعطيت لهم القروض . وشعر بوطأة الفرنسيين التجار ؛ لأن الصليبيين احتكروا كثيراً من المواد ، وأعطيت لهم التسهيلات ، ومُنحوا المساعدات ، وأحسّ الفقراء من المسلمين وطأة الفرنسيين ؛ إذ ارتفعت الأسعار ، وقلّت البضائع ، واختفى بعضها من السوق .

حركة الشباب التونسي : أسّس علي باشا حمبة[1] عام ١٣٢٤هـ حزب

---

(١) علي باشا حمبة بن مصطفى بن علي الشريف : يعود إلى أصل تركي ، وُلد في تونس عام ١٢٩٦هـ ، ودرس بجامع الزيتونة ، ودرس الحقوق بباريس ، ورجع إلى تونس ، فعمل محامياً ، وعندما احتلّت إيطاليا طرابلس عام ١٣٣٠هـ ثار أهل تونس على الطليان الذين يعيشون في تونس ، فاعتقلت السلطات الفرنسية علي باشا حمبة ، وأخرجوه من البلاد ، فتوجّه إلى استانبول ، فعُيّن مستشاراً لوزارة الخارجية عام ١٣٣٥هـ ، ثم مستشاراً للصدارة =

المقاومة ، وأيّده الكثير من الشباب ، وفي ٢٤ ذي القعدة ١٣٢٤ هـ (٧ شباط ١٩٠٧ م) أسّس جريدة « التونسي » باللغـة الفرنسيـة ، وانضمّ إليهم عبد العزيز الثعالبي [١] عام ١٣٢٦ هـ حيث عُهد إليه برئاسة تحرير النسخة العربية من جريدة « التونسي » ، وتغيّر اسم « حزب المقاومة » ، وأصبح يحمل اسم حزب « تونس الفتاة » ، وقد جاهد هذا الحزب بتأييد جهاد الطرابلسيين ضدّ الطليان ، وجهاد الجزائريين ضدّ الفرنسيين ، ودعا إلى مقاطعة اليهود الذين يدعمون الفرنسيين ويؤيّدونهم ، ويحرّضونهم على المسلمين .

الانتفاضة : عمل الفرنسيون على مدّ خط حديدي عبر مقبرة « الزلاج » فـوقف المسلمون بـوجههم ؛ إذ أثـار نبش القبـور مشـاعـرهم ، ولمـا أصرّ الفرنسيون عل فتح الطريق ومدّ السكة الحديدية انتفض المسلمون في ١٦ ذي القعدة من عام ١٣٢٩ هـ (٧ تشرين الثاني ١٩١١ م) ، غير أن الفرنسيين قد قمعوا هذه الانتفاضة بعنف ، وألقوا القبض على عبد العزيز الثعالبي ، وعليّ باشا حمبة ، وعلى أخيه محمد ، وعلى بشير الأصفـر ،وحسن قلاتي ، ومحمد نعمان ، وحلّوا حزب « تونس الفتاة » وقد ارتحل محمد باشا حمبة إلى جنيف وأصدر هناك جريدة « المغرب » للدفاع عن بلاد المغرب العربي ، وبقيت هذه الجريدة تصدر مدة سنتين إبان الحرب العالمية الأولى .

الحرب العالمية الأولى: اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وسكت المسلمون على جراحهم ، ففي الداخل يعيشون مقهورين لا يستطيعون فعل شيء ، وفي

= العظمى ، وبقي على صلة بالحركة الإسلامية في تونس ، وتوفي في استانبول عام ١٣٣٦هـ .

(١) عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي : من أصل جزائري ، وُلد بتونس عـام ١٢٩١هـ ، أصدر جريدة « سبيل الرشاد » ، وانتسب إلى حزب « تونس الفتاة » ، وسجنه الفرنسيون عام ١٣٢٩هـ ، ثم أُطلق سراحه ، فسافر إلى باريس ، واستانبـول ، والهند ، وأندونيسيا ، ورجع إلى تونس عـام ١٣٣٢هـ ، وحرر كتـاب « تونس الشهيـدة » ، واتهم بالتآمر ، واعتُقل في فرنسا ، ونُقـل إلى سجن تونس ، وأسس أنصـاره حزب الـدستور ، وجعلوه رئيساً له ، وترأسه بعد إطلاق سراحه ، وأصـدر جريـدةُ « الفجر » ، وزار مصر والشـام والعراق والحجـاز والهند ، ورجـع إلى بلاده ، وتـرك الحياة العـامة ، وتـوفي عـام ١٣٦٣هـ .

الخارج لا يوجد من يسمع أصواتهم لأن الناس منصرفون لسماع أخبار الحرب يلهيهم أزيز الرصاص وأصوات المدافع ، وشارك التونسيون في الحرب العالمية الأولى بثمانين ألف مقاتل وقفوا إلى جانب فرنسا ، قتل منهم عشرة آلاف وسبعمائة وثلاثة وعشرون رجلاً ، وانتقل عشرة آلاف عامل للعمل بالزراعة بدلاً من الذاهبين إلى ساحات القتال .

وما أن انتهت الحرب حتى انطلق وفد تونسي برئاسة عبد العزيز الثعالبي إلى باريس لعرض قضية بلاده على مؤتمر الصلح ، وقدّم مذكرة إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية « ويلسون » وطالب فيها بحقّ تقرير المصير ، ولكن دون جدوى فإن المنتصر لا يسمع أنين الجرحى ، ويشغله عنه نشوة الظفر ، فكيف بالصليبي الحاقد ؟ ورجع الوفد إلى تونس خائباً . وحاول عبد العزيز الثعالبي إعادة حزب تونس الفتاة غير أنه لم يفلح .

وانتقل الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى فرنسا واستقرّ في باريس .

ولما اطّلع التونسيون على كتاب « تونس الشهيدة » الذي حرّره الشيخ عبد العزيز الثعالبي ؛ التقوا جميعاً على فكرة المطالبة بالدستور ، والتقى شيوخ جامع الزيتونة وخريجوه مع خريجي الجامعات الفرنسية ، كما التقوا مع المواطنين كافة ، وعقدوا الاجتماعات ، وكان يعقد أكثرها في بيت « علي كاهية » أحد أعيان العاصمة ، ويقع البيت في « نهج الباشا » ، وقد وضعوا في هذه الاجتماعات منهجاً للعمل ، وكان أول مطلب فيه المطالبة بالدستور ، وقد أرسلت نسخة من المنهج إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي ؛ فأقرّه ، ورأى تقديمه إلى الباي محمد الناصر ، وإلى المقيم العام ، وإلى رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي وإلى مجلس النواب .

ونتيجة تلك الاجتماعات نشأ الحزب الحر الدستوري تلقائياً وكان من أبرز قادته : « علي كاهية » و « محمد نعمان » و « الشاذلي القسطلي » و « الصادق الزولي » و « حسن قلاتي » و « أحمد السقا » و « صالح فرحات » و « الطيب الجميل » و « الشاذلي خازندار » و « أحمد الصافي » و « محي الدين

القليبي » و « حسين الجزيري » وكان ذلـك في ٢٩ رمضان ١٣٣٨هـ (١٥ حزيران ١٩٢٠م) ، وظهرت جريدة « الصـواب » في ذلك اليوم تحمل أكبر عنوان : الدستور في تونس . وكان الشيخ عبـد العزيـز الثعالبي غـائباً عن البلاد ، ومع هذا الغياب فإن قادة الحزب قد أسندوا إليه رئاسة حزبهم ، ولما رجع إلى البلاد تسلّمها فعلاً .

وفي صباح اليوم التالي جرى استقبال في دار المقيم العام بمناسبة قدوم نائب للمقيم العام ، حيث كان المقيم العام في إجازة في فرنسا بسبب المرض ، وفي الوقت نفسه كان ذلك اليوم عيد الفطر السعيد ، وتكلّم في الحفل أحد أساتذة جامع الزيتونة وهو الشيخ « الصادق النيفر » فألقى خطبة باللغة العربية فيها احتجاج صارخ على تدخل فرنسا بالشؤون الدينية لتونس ، ومنها مسألة أراضي الأوقاف وشؤونها العامة ، كما طالب بمنح الدستور ، وظن نائب المقيم العام أن الخطبة ترحيب به ، فلما ترجمت له عرف أن الشعب ساخط على نظام الحماية سخطاً كبيراً .

وفي ثالث أيام عيد الفطر ذهب وفد برئاسة الشيخ الصادق النيفر إلى الباي محمد الناصر ، وهنّأه بالعيد ، وقدّم له نسخة من المطالب الوطنية . ولما كان الوزير الأول الطيب الجلولي غائباً فقد قُدّمت نسخة من المطالب الوطنية إلى محمد المنصف الابن الأكبر للباي محمد الناصر .

وتشكّل وفد من أعيان تونس ، وقابل الوزير الفـرنسي المفوض المقيم العام في تونس ، وكلّمه في مطالب البلاد ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، وقابل الوفد البـاي غير أنه لا يملك من الأمر شيئاً ، وإن كان في الحقيقة إلى جانب المسلمين قلباً وعاطفة .

وتشكّـل وفد سـافر إلى فـرنسا لمقـابلة المسؤولين ، وقـد ضمّ : أحمد الصافي ، وصالح بالعجوزة ، والبشير عكاشة عن المحامين ، وضمّ من أعيان العاصمة : البشير البكري ، ومصطفى الباهي ، وفي بـاريس انضمّ إليهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ولكن رئيس وزراء فرنسا « الكسندر ميلران » قد

رفض المقابلة ، وأمر باعتقال الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ونقل إلى بنزرت مخفوراً حيث أودع هناك السجن في تاريخ ٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (٢٢ تموز ١٩٢٠م) .

وسافر وفد آخر في غرة ربيع الثاني ١٣٣٩هـ (١١ كانون الأول ١٩٢٠م) برئاسة الطاهر بن عامر ويساعده اليهودي « ايلي زيرح » ، وقد ضمّ الوفد في عداده حسونة العياشي ، وعبد الرحمن اللزام ، وحمودة المنستيري ، وانضمّ إليهم في باريس فرحات بن عياد .

الحزب الإصلاحي : رفض حسن القلاتي الانضمام إلى الوفد المسافر إلى فرنسا ، فحدث شبه انشقاق في الحزب الحر الدستوري التونسي ، إذ شكّل أصدقاء حسن القلاتي الحزب الإصلاحي في ٨ شعبان ١٣٣٩هـ (١٦ نيسان ١٩٢١م) وأخذ بالهجوم على الشيخ عبد العزيز الثعالبي رئيس الحزب الحر الدستوري التونسي . وأصدر هذا الحزب جريدة (البرهان) وبعد عدة أشهر صدرت مكانها جريدة (النهضة).

الإفراج عن الثعالبي : أفرج عن الثعالبي في ٢٣ شعبان ١٣٣٩هـ (١ أيار ١٩٢١م) .

مالت حاشية الباي محمد الناصر إلى الحزب الحر الدستوري التونسي ، ومنهم ابنه الأكبر محمد المنصف ، وقرّروا تسيير مظاهـرة يوم وصـول رئيس الجمهورية الفرنسية « الكسندر ميلران » إلى تونس .

وتقدّم الباي محمد الناصر ببعض المطالب ، وقد ضمّنها ثماني عشرة نقطة ، وهدّد بالتنازل عن العرش إن لم تنفّذ كاملة خلال أربعة أيام ، وتعاهد الأمراء على عدم قبول الملك في حالة تنازل الباي .

وفي ٨ شعبان ١٣٤٠هـ (٥ نيسان ١٩٢٢م) نشرت جريدة الصواب خبر تنازل الباي عن منصبه ، فانتشر الخبر بسرعة ، وسارت مظاهرة كبيرة نحو (المرسى) وأضربت العاصمة تلقائياً ، وسارت جموع نحو القصر تطلب من الباي التراجع عن قراره ، وتشكر له شجاعته في تأييده للدستور ، وقد تقدّم

المظاهرة الشيخ الصادق النيفر الأستاذ في جامع الزيتونة ، وقابل وفد من المتظاهرين الملك ، وعند خروجهم أعلنوا أن الباي لم يتنازل حقيقة ، وقد وعدهم بتأييد الدستور ، وكان لهذه الحادثة الأثر الكبير ؛ إذ دلّت على الترابط القوي بين الملك والرعية ، وعلى التأييد المعنوي للملك ، وتأييده بالتالي للعناصر الوطنية .

وقام بعد ظهر ذلك اليوم المقيم العام بزيارة للباي وفيها تهديد واضح إذ سار إليه على رأس كوكبة من الجند انتشروا حول القصر حين دخول المقيم العام إليه ، ويبدو أن الباي قد تراجع عن موقفه ،وذكر للمقيم العام أنه لم يكن ينوي التنازل ، فاقترح المقيم العام فرض عقوبة على الأمراء لأنهم هم الذين كانوا سبباً في تلك الأزمة ، وخرج المقيم العام سريعاً .

وكان نتيجة ذلك أن أوقف الموظفون الذين شاركوا في المظاهرة ، وخاصة شيوخ جامع الزيتونة الذين ينظر إليهم الفرنسيون نظرة الحقد والكراهية من منطلق صليبي ، وصدر أمر بتعطيل جريدة الصواب لإعلانها عن المظاهرة مباشرة لكونها تثير الشغب ، وأعفي الشاذي الخازندار من مهمته في البلاط ، وأثني على الذين رفضوا الاشتراك في المظاهرة ، ورفع كبارهم فقد أصبح الطيب الجلولي وزيراً أول ، وابنه حسين والياً على (جربة) ، وابنه الثاني عبد العزيز والياً على (قابس) ونال خير الله بن مصطفى رتبة أمير الأمراء ، وعُيّن مديراً لجمعية الأوقاف ، وحصل على وسام جوقة الشرف من الصنف الثالث ، وقد قلّده إياه رئيس الجمهورية « ألكسندر ميلران » بنفسه .

وعندما جاء الرئيس الفرنسي إلى تونس لم يقم بزيارة الباي ، وإنما استدعاه إليه في (المرسى) ؛ حيث يقيم . وبدا الحزب الحر الدستوري التونسي غير مرضيٍّ عنه ، وأنه معارض عنيف للحماية الفرنسية .

عاد الهدوء إلى تونس بعد زيارة الرئيس التونسي لها ، وفي ١٥ ذي القعدة من عام ١٣٤٠هـ (١٠ تموز ١٩٢٢م) مات الباي محمد الناصر بعد

مرض ، وترك الملك لابن عمه محمد الحبيب . وفي ١٨ ذي القعدة ألغي المجلس الاستشاري ليحلّ محلّه المجلس الكبير ـ كما سبق أن ذكرنا ـ .

وسافر وفد تونسي إلى فرنسا ، ويضمّ : أحمد الصافي ، والطيب الجميل ، وصالح فرحات ، وأحمد توفيق المدني ، وذلك من أجل توزيع مذكرة تحمل عنوان « المسألة التونسية » على النواب الفرنسيين ، ولكن سدّت كل الطرق في وجههم .

والمشكلة أن التونسيين كانوا يتقدّمون بمطالبهم المتواضعة ظناً منهم أنهم سيحصلون عليها ما دامت بسيطة ، ونسوا أن العرف السائد يدعو إلى طلب الجليل كي يحصل على القليل ، فعندما تقدّموا بالمتواضع لم ينالوا شيئاً بل لم يلتفت إليهم أحد ، ولو طلبوا الاستقلال ، وأعدّوا ما يجب إعداده لينالوا مبتغاهم لحصلوا على أكثر مما طلبوا الآن ، إنهم طلبوا الاستقلال بالمذكرة التي قدّموها إلى الرئيس الأمريكي ويلسون ، ولكن لم يطلبوا من الفرنسيين ذلك ، وإنما طلبوا وألحّوا عليهم بمساواتهم بهم في تونس ، وبمشاركتهم في الحكم ، فكأن ذلك من حقّ الفرنسيين ، وهم يستجدون ذلك منهم استجداءً ، وكانت مطالبهم كما يلي :

١ ـ تشكيل جمعية تشريعية ومختلطة (تونسيون وفرنسيون) لها صلاحيات واسعة وخاصة في القضايا المالية .

٢ ـ تأليف وزارة تكون مسؤولة أمام الجمعية التشريعية .

٣ ـ الفصل بين السلطات .

٤ ـ حقّ إشغال الوظائف حسب كفاءاتهم ، ومساواتهم بالفرنسيين .

٥ ـ المساواة بالرواتب بين التونسيين والفرنسيين .

٦ ـ انتخاب مجالس محلية .

٧ ـ جعل التعليم إجبارياً .

٨ ـ منح التونسيين حقّ شراء أراضي الدولة .

٩ ـ منح التونسيين حقّ تشكيل الأحزاب ، وعقد الاجتماعات .

١٠ ـ ضمان حرية الصحافة .

ولم تهتم فرنسا بهذه المطالب ، وكأنها لم تقدّم إليها . وعندما جاء المقيم العام الجديد « لوسيان » ، وكان سابقه « فلاندان » عنيفاً ذهب أربعون رجلاً من أعيان تونس ، وقابلوا الباي « محمد الحبيب »[1] ، فشجعهم على مقابلة المقيم العام « لوسيان » فقابلوه ؛ فوافق على أكثر المطالب ، وأبدى تحفظاً على الطلبين الأولين ، وألغى حالة الطوارىء القائمة منذ عام ١٣٢٩هـ ، وسمح للشيخ عبد العزيز الثعالبي بالعودة إلى البلاد ، ووافق على فصل السلطات ، وأسّس عام ١٣٤٢هـ وزارة عدل تونسية ، وسمح لأكثر من عشرين صحيفة بالصدور ، وشهر الحزب الحر الدستوري التونسي نفسه برئاسة عبد العزيز الثعالبي وبشير الأصفر ، وذلك بصورةٍ رسمية ، ولكن الحزب لم يستطع أن يحصل على شيء من الفرنسيين لصالح البلاد .

وأعلنت الحكومة الفرنسية عن إحداث تغييرات إدارية في تونس باسم إصلاحات ، وقد ناقش المجلس النيابي الفرنسي هذه التغييرات في تاريخ ١٠ ـ ١١ ذي القعدة ١٣٤٠هـ (٤ ـ ٥ تموز ١٩٢٢م) ، وأبدى النواب الفرنسيون رأيهم بأنه يجب ألّا تتعارض هذه التغييرات مع الاحتفاظ بمركز فرنسا في تونس ، مع استمرار تشجيع الفرنسيين على الاستقرار فيها ، وأصدر المقيم العام في تاريخ ١٩ ذي القعدة ١٣٤٠هـ (١٣ تموز ١٩٢٢م) قراراً بإنشاء المجلس الكبير ليحلّ محلّ المجلس الاستشاري ، إلّا أن التفرقة لا تزال قائمة

---

(١) الباي محمد الحبيب : محمد بن محمد (المأمون) بن حسين بن محمود بن محمد (الرشيد) ابن حسين بن علي باي [مؤسس الدولة الحسينية عام ١١١٧هـ] ، ومحمد الحبيب هو الباي السادس عشر في هذه الأسرة ، وُلد عام ١٢٧٥هـ ، وبعد عامين توفي والده ، فربّاه عمه محمد الصادق ، فتعلّم الفقه والأدب ، وسُمّي ولياً للعهد عام ١٣٢٤هـ ، وتولّى الحكم عام ١٣٤٠هـ بعد وفاة محمد الناصر ، كانت داره موئلاً للمخلصين عندما كان ولياً للعهد ، وجارى فرنسا عندما آل إليه الأمر ، وتوفي في باريس عام ١٣٤٧هـ ، ونُقل إلى تونس .

إذ يلتقي التونسيون وحدهم والفرنسيون كذلك وحدهم ، كما أن عدد الأعضاء الفرنسيين يعادل أضعاف عدد الأعضاء التونسيين ، رغم الفرق الكبير في عدد من يمثّل كل طرف ، إذ يزيد عدد سكان تونس اثني عشرة مرة على عدد المستوطنين الفرنسيين ، كما وُجدت مجالس للمقاطعات والبلديات .

لم يقبل رجال حزب « الدستور الحر » بهذه الإجراءات ، فلجأ الفرنسيون إلى الشدّة ضدّ زعماء البلاد ، فاعتقلوا من استطاعوا اعتقاله ، وفرّ من تمكّن من الفرار ، وعطّلوا الصحف ، ومنعوا الاجتماعات ، وكان عبد العزيز الثعالبي قد فرّ فقاد الحزب أثناء غيابه محي الدين القليبي[1] ، ولجنة تنفيذية منها : الطاهر أحمد الصافي ، والصالح فرحات .

أخذ الفرنسيون يطبّقون قواعد جديدة للجنسية ، فقد صدر في تاريخ ٨ ربيع الأول ١٣٤٠هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٢١م) قانون يجيز سحب الجنسية التونسية فيما إذا كان قد حصل عليها من مدة قريبة ، فيمكن أن تُسحب منه حتى لو كان جده من مواليد تونس ، وهؤلاء الذين تسحب منهم الجنسية التونسية تعطى لهم الجنسية الفرنسية ، وعدّوا الأجانب الذين يعيشون في تونس جميعاً من الرعايا الفرنسيين ، ثم صدر قانون آخر في تاريخ ٣ شعبان ١٣٤١هـ (٢٠ آذار ١٩٢٣م) يمنح الجنسية الفرنسية لكل من يطلبها ، ويكفي أن يظهر عواطف نحو فرنسا ، وهذا كله في سبيل جعل الكثير ممن يقيمون في تونس يحملون الجنسية الفرنسية ، وبعدها يمكن لفرنسا أن تعمل

---

(١) محي الدين القليبي : وُلد عام ١٣٠٠هـ ، ويُنسب إلى إقليبية من بلد تونس ، تعلّم بجامع الزيتونة ، واشتغل بالصحافة ، فتولّى تحرير جرائد : « الإدارة » اليومية ، و « الصواب » الأسبوعية ، و « لسان الشعب » الأسبوعية ، كما ترأس صحيفة « الزهرة » أقدم الصحف التونسية ، وتولّى أعمال الحزب الدستوري بعد غياب رئيسه عبد العزيز الثعالبي ، واعتقلته السلطات الفرنسية عام ١٣٥٣هـ ، ونُفي إلى الصحراء ، وأُطلق سراحه بعد عشرين شهراً . ارتحل إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج عام ١٣٦٧هـ ، وفي طريق عودته استقرّ بمصر يتابع أحداث بلده ، ثم سافر إلى دمشق ، وتوفي بها عام ١٣٧٤هـ ، وله عدة مؤلفات منها : « مأساة عرس » ، « ذكرى الحماية » ، « رسالة عن التعليم بتونس » .

على ضمّ تونس إليها وعدّها جزءاً منها .

لقد أحسّ كثير من المسلمين خطر هذا العمل الذي يقوم به الفرنسيون ، وشعروا أن كيانهم سوف يضيع في المستقبل ، وأن شخصيتهم ستذوب وسط المجتمع الفرنسي ، لذلك يجب عليهم مقاومة هذا التيار والوقوف في وجهه ، إذ أن كثيراً من الذين أصيبوا بالهزيمة النفسية من التونسيين قد طلبوا الجنسية الفرنسية ، كما طلبها أصحاب المصالح الذين يريدون المناصب لتكون لهم الأفضلية لحملهم الجنسية الفرنسية ، وطلبها الذين يرغبون أن ترفع رواتبهم بحملهم تلك الجنسية ، إذ من المعلوم أن المستعمرين الصليبيين كانوا يعطون الذين يحملون جنسية بلدانهم أفضلية في الوظائف، ورواتب أعلى ليشعر المسلمون المواطنون أنهم أدنى بدرجات من المستعمرين فتحلّ بهم الهزيمة النفسية ، ويسعون للحاق بهم تقليداً فيتركون عقيدتهم وسلوكهم ، وفي الوقت نفسه يشعر المستعمرون الصليبيون ومن لحق بهم أنهم أعلى بدرجات فيحسّون بالتفوّق ، وأن من حقّهم أن يتحكّموا في أبناء هذا البلد ، وأن تسلّطهم إنما هو لخدمة سكان البلاد المستعمرة ليرفعوا من شأنهم وليأخذوا بأيديهم نحو الحضارة ، وهذا ما كان يدّعيه كثير من المستعمرين أمام شعوب العالم . هذا إضافة لما في هذا من منافع مادية لأبناء جلدتهم ، وتشجيعاً لهم على الهجرة والاستيطان كي يتمكنوا بهم من ترسيخ أقدامهم في البلدان المغلوب على أمرها ، وتثبيت حكمهم .

قاوم المسلمون هذا التيار اجتماعياً وعقدياً ، فقاطعوا كل مسلم طلب الجنسية الفرنسية ، وعدّوه مخالفاً للإسلام لا يصحّ دفنه في مقابر المسلمين ، وأحسّ المسلمون الذين حملوا الجنسية الفرنسية بخطر ما أقدموا عليه على بلدهم ودينهم ، لذلك دعوا إلى اجتماع ، وأقسموا وتعاهدوا فيما بينهم على العمل لاستعادة الجنسية التونسية التي هي موضع فخرهم ، وقدّموا مذكرة إلى الباي يرجون منه التوسّط لاستعادة جنسيتهم ، غير أن المقيم العام الفرنسي ، والجالية الفرنسية في تونس وصحفها ؛ قد حملوا على هؤلاء حملة عنيفةً

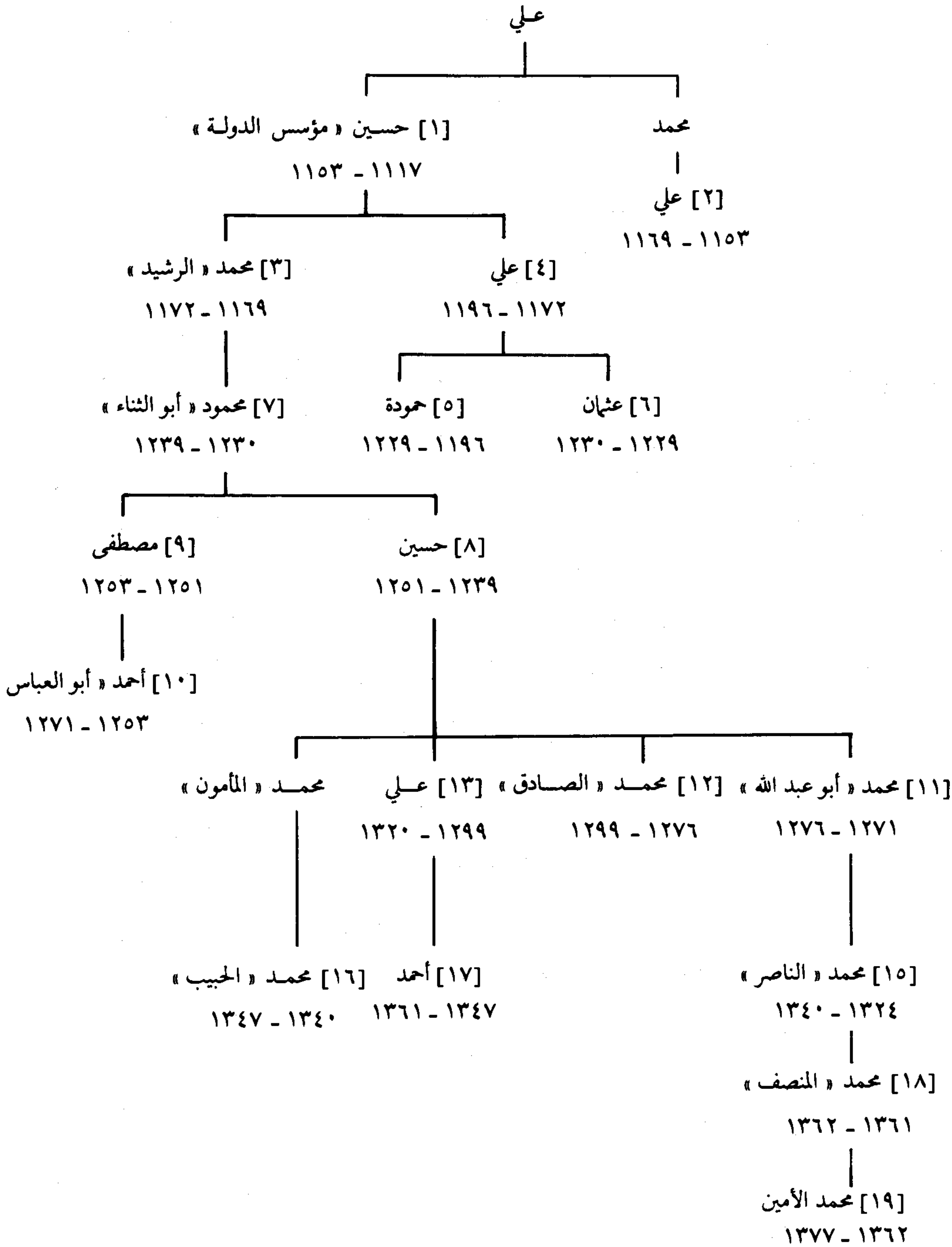
واتهموهم بالجبن ، وأن الفرنسيين يريدون رفع مكانتهم ، وهم يبغون الذلّ ، وأنّ الحقّ إنما يعود على القانون الذي أعطاهم هذه الميزة التي لا يستحقونها . والنتيجة أن هذه الفئة قد أصبحت محتقرة من الطرفين ، من المسلمين من جهة ، ومن الفرنسيين النصارى من جهة أخرى .

كان المسلمون على صفائهم لا يعرفون ألاعيب السياسة بعد ، ولا تقسيماتها ، ولا تنظيماتها النيابية ، فكانوا يلقون من حكام فرنسا الذلّ والشدّة والعنف والضغط ، وكان هناك معارضون في فرنسا ينتقدون الحكم ، ويحملون عليه ، وهم من يسمّون أنفسهم باليساريين ، فكان المسلمون في تونس يظنّون أن هؤلاء اليساريين أقرب إليهم أو أقلّ سوءاً من الذين يستلمون السلطة ما داموا ينتقدونهم ، لذا بدأ المسلمون يتقرّبون من اليساريين ، ويتودّدون إليهم بغفلةٍ وبساطةٍ ، وهم لا يدرون إلى أين يسيرون ؟ أما اليساريون فقد وجدوا صيداً دسماً ، فأبدوا لهم شيئاً من اللين ، وابتسموا في وجوههم ، فأحسّوا بنشوة من الإنسانية ، وأخذ التقارب بين الفريقين ، ولكن فريق مغفّل بسيط ، وفريق ماكر خبيث .

وفي ربيع الثاني ١٣٤١هـ (٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢م) قام المستوطنون بمسيرةٍ احتفالاً بالذكرى المئوية لأحد المطارنة ، وتقدّم المسيرة تمثال يحمل صليباً ، وطلبوا من أعوانهم الذين يتزلّفون ويتقرّبون إليهم المشاركة في المسيرة ففعل بعضهم ، وكان هذا تحدّياً واضحاً لأهل البلاد المسلمين ، فقامت يوم ٩ ربيع الثاني ١٣٤١هـ مظاهرة إسلامية ضخمة سار فيها ألف رجل من أساتذة وطلاب جامع الزيتونة كردّ فعل على مسيرة الفرنسيين وأعوانهم ، كما شارك فيها الحزب الحر الدستوري التونسي ومعظم أهالي العاصمة ، إضافة إلى من جاء من خارجها .

وبعد هذه المظاهرة ترك الحزب الحر الدستوري التظاهر ما يقرب من تسع سنوات ، وقد رأى أنها ليست بالوسيلة الناجعة .

الأسرة الحسينية :



الفصل الأول

الاستعمار بعد إلغاء الخلافة

ألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) ، وانقطعت الشعرة الباقية التي كانت تربط بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وانكمش كل إقليمٍ على نفسه يضمّد جراحه الساخنة ، أو يعمل على قطع النزيف المتدفّق ، في الوقت الذي كان المستعمر الصليبي يعمل على تعميق الجراح بنفسه ، أو يكلّف من يؤدّي عنه هذه المهمة من أهل البلاد اصطنعه لنفسه ، أو وجد نصرانياً ممن كان يعيش بين المسلمين آمناً مطمئناً حتى إذا جاءه المستعمرون مع أبناء دينه انقلب كالوحش على من أحسن إليه وعاش معهم دهوراً ، يدعو إلى الوطنية ليهدم ، وهو يقطّع أوصال الوطنية .

ذكرنا أن المسلمين في تونس قد أخذوا يتصلون بمن يُسمّون أنفسهم باليساريين في فرنسا ظناً منهم أنهم أفضل ممن يتسلّطون على المسلمين من حكام فرنسا الذين كانوا يحكمونها يومذاك ، إذ كان اليساريون ينتقدون الذين يحكمون ، فالتقى المسلمون مع اليساريين في الانتقاد ، فكان ذلك عامل اللقاء أو التقارب ، ولم يدر المسلمون يومذاك أنهم أنفسهم يطلبون حقًّا ، وينتقدون باطلاً ، أما اليساريون فإنهم يطلبون سلطةً ، وينتقدون الحكم ؛ ليتسلّموا مكان رجاله .

تمكّن اليساريون من النجاح ، وشكّل « هريو » وزارة يسارية عام ١٣٤٢هـ ، وسُرّ المسلمون ، وانتعشت آمالهم ، وراودتهم الأحلام ، وأنهم

سيحصلون على شيء ؛ فقد فاز الذين كانت لهم معهم صلة ، وأسرع رجال الحزب الدستوري فأرسلوا وفداً إلى باريس برئاسة الطاهر أحمد الصافي لمفاوضة حكومة « هريو » وعرض مبادىء الحزب التسعة التي كان يرفعها ، وينادي بها ، ويدعو لها . ويا للصدفة ! ويا للمفاجأة ! لقد رفض « هريو » مقابلة الوفد ، وردّه ، فاكتفى الطاهر أحمد الصافي بأن قدّم مذكرة بمطالب البلاد إلى أحد العاملين في مكتب « هريو » ، وعاد خائباً .

أدرك المسلمون أن النصارى الفرنسيين سواء أكانوا حاكمين أم معارضين تغلي فيهم روح الصليبية ، ويعملون على ردّ المسلمين عن دينهم إن استطاعوا أو الفتك بهم ، وأن أيّة صلةٍ يبدونها للمسلمين إنما غايتها السير معهم ، وثنيهم عن عقيدتهم ، كما أدرك المسلمون أن الصلة التي وجدت بين حزب الدستور واليساريين الفرنسيين إنما كانت تهدف إلى ثني المسلمين عن دينهم . وقد رأى اليساريون أن هذه الصلة لا جدوى لها مع زعماء الحزب الذين عركتهم الأيام ؛ فعرفوا حلوها ومرّها ، وخبروا الرجال ، ونشأوا على العيقدة الصافية ، لذا أخذوا يتصلون مع الشباب ، ويحاولون إغراءهم بشتى الوسائل ليسيروا معهم في درب الاشتراكية في سبيل إبعادهم عن دينهم من هذا الطريق ، إذ أن الطريق المباشرة مستحيلة ، وإن كان فيها احتمال بسيط فهو غير مضمون ، وأبدى الفرنسيون أن علاقتهم معهم ، وقبول المفاوضة ؛ إن أرادها التونسيون فلن تكون إلّا عن طريق الاشتراكية ، وهكذا أخذت الاشتراكية تنمو ، وتلقى تشجيعاً من قبل الفرنسيين ، ويهرع إليها أصحاب المصالح ما داموا يرتفعون مباشرة الى الصف الأول ، وأصحاب الشهوات ما داموا يجدون مرعىً ومرتعاً خصباً .

أظهر حكام فرنسا الجدد من الاشتراكيين أنه يمكنهم التفاهم مع الاشتراكيين التونسيين فقط ، وهذا ما كان له الأثر الكبير ، إذ أراد الشباب المتطلعون إلى الظهور والشهرة نفض أيديهم من قدامى حزب الدستور . كما برز الحزب الاشتراكي في تونس ، وتقدّم بمطالب شبيهة بالمطالب التي تقدّم بها

حزب الدستور ، فوعد رئيس الوزراء بدراستها ولم تكن هذه المطالب إلّا دعوة للمساواة بالفرنسيين ، كما تعدّ الفرنسيين وكأنهم أصحاب حقٍّ مشروع في البلاد ، ويمكن ن نلخّص هذه المطالب بما يلي :

١ ـ مساواة التونسيين بالفرنسيين في عدد النواب في المجلس الكبير .

٢ ـ حقّ التونسيين في انتخاب أعضاء المجلس الكبير ، شأنهم في ذلك شأن الفرنسيين .

٣ ـ إعطاء المجلس الكبير حقّ النظر في الميزانية ، ومراقبة المصروفات .

٤ ـ انتخاب أعضاء المجلس بالاقتراع السري .

٥ ـ الفصل بين السلطات الثلاث : التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية .

٦ ـ مشاركة التونسيين في الوظائف العامة في تونس .

٧ ـ مساواة رواتب التونسيين مع رواتب الفرنسيين .

٨ ـ حرية الصحافة .

٩ ـ حرية الاجتماعات ، وتأسيس الأحزاب .

وبعد أن درست الحكومة الفرنسية هذه المطالب أوصت بضرورة إصلاح جهاز الخدمة المدنية ، ودواوين الدولة .

وبدأ الشباب النضال من أجل الشهرة ، وليس لهم من باب سوى الاشتراكية ، وقد فتحته لهم السلطة على مصراعيه ليلج منه من يريد حيث يجد أمامه الجو مهيّئاً : المنصب والشهوة . فتزاحم على الباب أصحاب المنافع وطلاب الشهوة ، وأصدر الشاذلي خير الله جريدة « صوت التونسي » عام ١٣٤٨هـ ، وشارك في تحريرها الحبيب بورقيبة .

وعقد الشباب مؤتمراً للحركة الوطنية في ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٣٠م) ، وانتخبوا هيئة الكفاح ، وكان منها : الشاذلي خير الله ، والحبيب بورقيبة، ومحمود الماطري، والطاهر صفر، و...

أخذت فرنسا من جانبها أيضاً العمل لإبراز هؤلاء الشباب لتتخلّص من الرجال العاملين المخلصين ، وكان عمل فرنسا : دعوة الشباب لمؤتمرات عالمية

للفت النظر إليهم ، والقيام بالهجوم عليهم لإعطائهم صفة الصدق والإخلاص ، وتشجيعهم على المستعمرين عامةً والفرنسيين خاصةً ، فالكلام الفارغ لا يُملىء أحمالاً ، والتظاهر للقيام بعملٍ ثم فشله نتيجة جهود الشباب الاشتراكيين الثائرين .

أخذت الكلمات ذات المدلول الإسلامي تنحسر من المجتمع ، وتحلّ محلّها كلمات وتعبيرات ذات مدلول آخر :

فالجهاد ؛ حلّ محلّه : الكفاح والنضال .
النصرانية : المسيحية .
العمل للإسلام : العمل للوطن .
الأعداء : الأخوة المستوطنين .

كما زالت الدعوة إلى التعليم الإلزامي باللغة العربية ، واستعمال اللغة العربية في الدواوين ، وأن تكون اللغة الرسمية للدولة .

وتظاهرت فرنسا أنها تريد الاحتفال بمرور خمسين عاماً على الاحتلال الفرنسي لتونس ، وطلبت من الشباب أن يقفوا في وجه هذه المحاولة ، إذ أنها تصرّف فردي من المقيم العام . ولا يمكن لفرنسا أو للمقيم العام أن يفكّر في مثل هذا الاحتفال، فما الفائدة التي تجنى منه؟ على حين تأتي منه أضرار وفرنسا في غنًى عنها ، إذ فيه إثارة لمشاعر السكان ، وربما اندلعت نتيجة ذلك ثورة لا تعرف نتائجها. وأبدى الفرنسيون أنهم جادّون في القيام بالاحتفال، وانطلق الشباب يقاومون ذلك ، وفشل الاحتفال ، ونجح الشباب ، وارتفع ذكرهم .

وأخذت فرنسا تفكّر فيمن تصطفي من بين هؤلاء الشباب لتوجّه اهتمامها على من يقع الاختيار عليه ، وقد ركّزت جهدها على أكثرهم تمرّغاً في الرذيلة ، واندفاعاً وراء الشهوة ، وسعياً وراء الشهرة ، ويبدو أن الحبيب بورقيبة كان من أوائل الذين وقع الاختيار عليهم .

انعقد مؤتمر لحقوق الإنسان في مدينة (فيشي) بفرنسا في ذي الحجة

١٣٤٩هـ (أيار ١٩٣١م) ، فحضره الحبيب بورقيبة والطاهر صفر ، وقدّما إليه مذكرة بمطالب التونسيين .

وأعطي الحبيب بورقيبة ترخيصاً عام ١٣٥٠هـ لإصدار جريدة « العمل التونسي » .

دعا حزب الدستور إلى عقد مؤتمر في ١٨ محرم ١٣٥٢هـ (١٢ أيار ١٩٣٣م) فانعقد المؤتمر (قسم الجبل - الشباب) ، ودعا إلى النضال لتحرير الشعب التونسي ، وإقامة مجلس نيابي ، ووزارة مسؤولة أمام المجلس النيابي ، وكانت أهداف المؤتمر :

١ - انتخاب مجلس نيابي انتخاباً حرّاً .
٢ - تأليف وزارة مسؤولة أمام المجلس النيابي .
٣ - فصل السلطات .
٤ - إصدار قانون تونسي يطبّق على المقيمين في تونس كافة .
٥ - إعطاء الحريات العامة .
٦ - إلزامية التعليم .
٧ - حماية الاقتصاد الوطني .

وجد الشباب في حزب الدستور أنهم لا يستطيعون الاستمرار بالعمل في حزب واحد مع زعماء الحزب أو الرعيل الأول فيه ، بل لا يمكنهم العمل تحت قيادتهم فلكل تفكيره ، ومنطلقاته ، ولكل وجهة هو مولّيها ، لذا رأوا الانفصال عنهم ، ولم يفكّروا بطردهم ، وإنما عملوا على تأسيس حزب جديد ، أو باسم قريب من الاسم الأول حتى لا تكون هناك ضجّة وانقسام في الصفوف ، وعقد الشباب مؤتمراً في بلدة (قصر الهلال) التونسية ولم يُدعَ له رجال الحزب الحقيقيين وقادته ، وذلك في مطلع عام ١٣٥٣هـ ، وأعلن المؤتمرون تبني المبادىء التي اتخذها قسم الجبل ، والدعوة إلى الاستقلال على مراحل ، وتأسيس حزب جديد يحمل اسم « حزب الدستور الجديد » برئاسة

محمود الماطري ، وكان الحبيب بورقيبة الأمين العام للجنة السياسية للحزب . وكان أكثر أعضاء الحزب الجديد من الشباب المندفع للظهور ، غير المبالي بعادات المجتمع ، وكان من أبرزهم : صالح بن يوسف ، والطاهر بن صفر ، وعلي البهلوان ، ومنجي السليم ، وجلولي فارس ، ويوسف الرويسي ، وغيرهم كثير ، وكانت صلتهم بالمقيم الفرنسي حسنة ، لذا فقد سمح لهم بإعادة إصدار جريدة « العمل » حسبما رأى المقيم العام من السياسة الفرنسية ، غير أن الحكم الفرنسي لا يريد ذلك ؛ إذ تُكشف اللعبة ولا تنطلي على الشعب ، لذا فقد استدعى المقيم العام السابق ، وجاء مقيم عام جديد أكثر إدراكاً للعبة .

اعتقل المقيم العام الجديد زعماء حزب الدستور الجديد ؛ ولّما يمض على تأسيسه أكثر من خمسة أشهر ، فإن اللعبة أن يبرز هؤلاء الزعماء وأن يرتبط الشعب بهم ، ويصبحوا قادته الحقيقيين ، ويرتفعوا بأعين التونسيين ، وينسى الناس الزعماء السابقين . وحدثت اضطرابات في البلاد نتيجة تلك الاعتقالات ، وبقي الزعماء في المعتقل حتى عام ١٣٥٥هـ أي ما يقرب من عام ونصف ، وعندما أطلق سراحهم ابتهجت البلاد واستقبلهم الناس بحرارة ، وغدوا قادة . وعقدوا مؤتمراً في صيف عام ١٣٥٥هـ ، واتجه بعدها الحبيب بورقيبة إلى باريس للمفاوضة فقد أصبح يتكلّم باسم الشعب،ويعدّ نفسه ممثّلاً له ، فاستجابت الحكومة الفرنسية ، وأرسلت مبعوثاً لها لدراسة أوضاع البلاد ، ورجع المبعوث وفي جعبته اقتراحات للإصلاح ، غير أن الحكومة الفرنسية قد عارضت هذه الاقتراحات ؛ لتلفت النظر نحو زعماء تونس الجدد ، وليقوموا بمطالب جديدة، ويتحرّكوا ويبدوا نشاطاً، ويرتفعوا في نظر الشعب .

وأراد الفرنسيون أن يبدأوا بإثارة الشعب ليتحرّك الشباب الحزبيون فأعلن المقيم العام في ٢٩ محرم ١٣٥٢هـ (٢٣ أيار ١٩٣٣م) أنه قرّر إقامة مقبرة عامة للمسلمين والنصارى ، فهاج الشعب ، وأعلنت الصحف

سخطها ، فعطّل المقيم العام الصحف كلها في ٣ صفر عام ١٣٥٢هـ (٢٧ أيار ١٩٣٣م) ، وتحرّك الحزب ، فأعلن المقيم العام حلّه في ٧ صفر ١٣٥٢هـ (٣١ أيار ١٩٣٣م) ، وما دام الفرنسيون يحاربون الحزب الحر الدستوري فإن الشعب قد أيّده والتفّ حول رجاله ، وانطلق أعضاؤه يتحرّكون وينشطون ، وأخذ المستعمر الصليبي يحقّق لهم بعض مطالبهم ليزدادوا ارتفاعاً في أعين الناس ، وكان من ذلك ما يلي :

في ١١ ربيع الأول ١٣٥٢هـ (٣ تموز ١٩٣٣م) سُمح للتونسيين باستلام الإدارات العامة بالشروط نفسها التي تطلب من الفرنسيين .

وفي ١٤ رجب ١٣٥٢هـ (١ تشرين الثاني ١٩٣٣م) صدرت جريدة : « العمل التونسي » بالتعاون بين كل من محمود الماطري ، والحبيب بورقيبة ، والطاهر صفر ، والبحري قيقة .

قرّر الحزب إلحاق أسرة جريدة « العمل التونسي » باللجنة التنفيذية للحزب ، والتي سبق أن أعيد انتخابها في ١٨ محرم ١٣٥٢هـ .

وفي هذه الأثناء حدثت إضرابات ومظاهرات في مدينة (المنستير) ، إذ رفض السكان دفن أحد النصارى من الذين حصلوا على الجنسية التونسية في مقبرة المدينة ، وقد حاول المقيم العام إجبارهم على ذلك ففشل وقامت الإضرابات في ١٦ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ (٧ آب ١٩٣٣م) .

الانشقاق في الحزب الحرّ الدستوري : وصل إلى تونس المقيم العام الجديد « بيروطون » يوم ١٦ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ ، في الوقت الذي يرفض فيه المسلمون دفن نصراني في مقبرة المدينة ، وحاول إجبارهم فعجز . فترك الأمر وأخذ يدرس أوضاع البلاد ، فعرف ما يرغبه الأهالي ، ورأى شقّ الحزب ، وقد وجد عناصر متباينة في الفكر والمبدأ ، فأظهر أنه يريد القيام ببعض الإصلاحات ، وأخذ يعمل بمكر .

١ ـ شكّل لجنة ، وكلّفها بالإعداد للإصلاحات التي تراها ضرورية .
٢ ـ عيّن لإدارة جامع الزيتونة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

٣ ـ أعاد الشيوخ الذين عزلهم « مانصرون » المقيم العام الأسبق إلى عملهم الأساسي في جامع الزيتونة .
٤ ـ أحدث مقابر خاصة بالنصارى .
٥ ـ زاد عدد أعضاء القسم التونسي في المجلس الكبير .

رأى بعض أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي أن هذه اصلاحات مفيدة ، وربما كان المقيم العام متفهّماً للوضع فلا مانع من الاتصال به، وكان من هؤلاء الأعضاء أحمد الصافي، وصالح فرحات وما أن أعلن هؤلاء عن رأيهم حتى هبّت في وجههم أسرة جريدة « العمل التونسي » واتهمتهم بالتواطؤ وعدم الإخلاص . وأخذ الوضع يتدهور بين الفريقين ، ويظهر على غير حقيقته : بدا أن أسرة جريدة « العمل التونسي » وهي من اللجنة التنفيذية أنها متشدّدة ، والواقع أنها متساهلة ، ومتقبّلة للفكر الغربي ، ومتحرّرة من القيم التي تنبع من العقيدة الإسلامية ، وبدت اللجنة التنفيذية للحزب وهي القديمة أنها تلين مع سلطات الحماية الفرنسية ، وهي في الواقع تناصبهم العداء ، وترفض أفكارهم وسلوكهم ، وانطلق الشباب وراء أمثالهم من الشباب في أسرة الجريدة .

انفصلت أسرة جريدة « العمل التونسي » عن الحزب ، وخرجت من اللجنة التنفيذية ، وشكّلت حزب « عمل الشبيبة الدستورية » في أوائل رمضان من عام ١٣٥٢هـ (أواخر عام ١٩٣٣م) وفي ١٧ ذي القعدة ١٣٥٢هـ (٢ آذار ١٩٣٤م) عقد الحزب مؤتمراً استثنائياً ضمّ مختلف ممثلي الشعب الدستورية في مناطق تونس كافة ، واطلع على ما قدّمه حزب الشبيبة ، وأبدى رأيه في عمل اللجنة التنفيذية ، كما استمع إلى الردّ ، وكانت النتيجة أن حلّ الحزب اللجنة التنفيذية ، وحدّد برنامج العمل ، وأقرّ الميثاق الذي صادق عليه المؤتمر في ١٨ محرم ١٣٥٢هـ .

عاد حزب الشبيبة واحتفظ باسم الحزب الأم ، ولكن أضاف إليه كلمة « الجديد » فأصبح في البلاد حزبان يحملان الاسم نفسه وهو « الحزب الحر

الدستوري التونسي » ويُميز بعضهما عن بعض بالقديم والجديد ، وعيّن الحزب الجديد أعضاء الديوان السياسي الجديد على النحو الآتي :

١ ـ محمود الماطري : رئيساً .
٢ ـ الحبيب بورقيبة : أميناً عاماً .
٣ ـ الطاهر صفر : أمين عام مساعد .
٤ ـ محمد بورقيبة : أمين مال .
٥ ـ البحري قيقة : أمين مال مساعد .

واتجهت الأنظار نحو الحزب الجديد ، إذ ظهر للناس أنه الأكثر تشدّداً ، والأكثر حيوية ونشاطاً ، إضافةً إلى أن الأعداء يعملون على إبرازهم بإظهار العداوة لهم ، وإلقاء القبض عليهم أحياناً ، أو نفيهم وإبعادهم أحياناً أخرى ليكبروا في أعين الشعب ، وليعتقد الناس فيهم الخير والإخلاص ، وفي الوقت نفسه فهم ينادون بأصواتٍ مرتفعةٍ بالعمل على محاربة الدخلاء ومقاطعتهم ، ومع ذلك تُؤمّن مصالحهم ، ويفسح لهم بالتعبير عن آرائهم .

لقد صدرت جريدة العمل باللغة العربية . ودعا الحزب الجديد إلى مقاطعة البضائع الفرنسية ، والامتناع عن دفع الضرائب .

قرّر المقيم العام في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٥٣هـ (٣ أيلول ١٩٣٤م) إلقاء القبض على الحبيب بورقيبة ، ومحمد بورقيبة ، ومحمود الماطري وإبعادهم إلى الجنوب التونسي ، ثم عطّل جريدة العمل ، ومنع الاجتماعات العامة ، فقامت المظاهرات وعمّت البلاد ، فألقي القبض على كثيرين من خصوم الفرنسيين الحقيقيين ، من خريجي جامع الزيتونة ، وأعضاء الحزب الحر الدستوري القديم ، أناس يبرزون كقادة وآخرون يدفعون الثمن للأعداء ، ويحملون من صنعهم الدخلاء قادةً على أكتافهم ، ثم أبعد الطاهر صفر ، والبحري قيقة إلى الجنوب التونسي .

أما الحزب الحر الدستوري القديم فقد انصرف عنه الكثير من الشباب

لوقوعهم في شرك المناورات السياسية ، ولأنه لا يوجد من يدعمهم ولا من يحاول إظهارهم ، لذا بقوا يمثّلون تاريخهم بأشخاصهم ، وبُعد نظرهم ، واحترام الآخرين لهم ، إضافةً إلى عملهم وخبرتهم وتجاربهم ، وبعد مدة سيزول كل أثرٍ لهم ، وسيبقون رجالاً في التاريخ .

وفي ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٤هـ (٢١ آذار ١٩٣٦م) جاء مقيم عام جديد هو « أرمان ڤيون » بعد أن رفضت الحكومة الفرنسية اقتراحات المقيم العام السابق « بيروطون » في تحديد عدد الطلاب المسلمين الذين يتقدّمون إلى الثانوية العامة . عفا المقيم العام عن خريجي جامع الزيتونة الذين كانوا يعتقلون في كل أزمة ، فكانت تتجه نحوهم الأنظار ويعرفون بعدائهم للصليبيين ، وهذا ما لا يريده الفرنسيون ، ولا يخططون له ، إذ يريدون أن يبقى جامع الزيتونة وأساتذته وطلابه على هامش الحياة والأحداث لما يحقدون عليهم ، لذا فلا داعي لاعتقالهم ولفت النظر إليهم ، كما سمح بعودة خمسين شخصاً من المبعدين . وفي ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ (١ آب ١٩٣٦م) أعطى الحرية للصحافة ، وفسح المجال للاجتماعات واللقاءات . وأظهر الحزب نشاطاً واسعاً ، وتفاهم مع المقيم الجديد ، وأعلن صراحةً أنه لا يرى أعمال العنف ولا يلجأ إليها ، كما سعى لفتح باب الحوار بين قادة الحزب والمسؤولين الفرنسيين ، وساعدته جمعية النجمة للكشافة ، والشبيبة الدستورية ، وجمعية قدماء الصادقية .

وفي ١٤ ذي الحجة ١٣٥٥هـ (٢٤ شباط ١٩٣٧م) سافر الحبيب بورقيبة لإجراء الحوار مع المسؤولين الفرنسيين ، وصرّح هناك أن الوحدة التي لا تنفصم بين تونس وفرنسا تمثّل القاعدة الأساسية لمطالب الحزب الدستوري الجديد .

وفي هذه الأثناء رجع الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس ، وظهر الخلاف بين الحزب القديم والجديد ، وبين الدين والعلمانية .

وعاد الحزب إلى سياسة التظاهر ، واضطرّ محمود الماطري إلى تقديم استقالته من رئاسة الحزب في ٢٠ شوال ١٣٥٦هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٣٧م) .

وفي ٨ صفر ١٣٥٧هـ (٨ نيسان ١٩٣٨م) قامت مظاهرات عنيفة كان سببها في البداية اعتقال علي البهلوان الأستاذ بالمعهد الصادقي ، ثم إغلاق المعهد ، وإلقاء القبض على الكثيرين ، ثم كانت الأحداث يجرّ بعضها بعضاً .

الحرب العالمية الثانية : اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨هـ (١ أيلول ١٩٣٩م) ، واتجه الناس يتابعون أحداثها ، وبعد شهرين من اشتعالها ألقي القبض على الباهي الأدغم ، والهادي السعيدي ، والهادي خفشة ، والبشير زرق العيون .

واجتاح الألمان الأرض الفرنسية ، ودخلوا باريس ، وتشكّلت حكومة « فيشي » برئاسة الجنرال « بيتان » ، وعقدت صلحاً مع ألمانيا وإيطاليا ، وغدت تونس وشمالي إفريقية كله يتبع هذه الحكومة ، ولكن الجنرال ديغول انتقل إلى إنكلترا وشكّل حكومة فرنسا الحرّة، واستمرّ يتعاون مع الحلفاء.

وألقي القبض على الطيب سليم ، والحبيب ثامر في ذي الحجة ١٣٥٩هـ (كانون الثاني ١٩٤١م) وتوفي الباي أحمد بن الباي علي في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٦٠هـ (١٩ حزيران ١٩٤١م) ، وارتقى إلى منصب الباي : محمد « المنصف » بن محمد « الناصر » .

أخذ الضعف يظهر على دول المحور بعد أن وصلت قوتهم إلى الأوج في صيف هذا العام ، وأخذ الحلفاء يصمدون ، ويخططون للقيام بالهجوم المعاكس ، وقرّروا إنزال جيوشهم في شمالي إفريقية ، وفي غربي أوربا وفي فرنسا بالذات . استولى الألمان على مطار (العوينة) في ١ ذي القعدة ١٣٦١هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٤٢م) ، كما أنزل الألمان قواتهم البرية والبحرية والجوية بـ (حلق الواد) و (بنزرت) في ٤ ، و٥ ذي القعدة ١٣٦١هـ (١٢ ، و١٣

تشرين الثاني ١٩٤٢م) ، ودخلوا العاصمة دون قتال ، كما استولوا على الموانىء الشرقية .

نزلت الفرقة الإنكليزية ٧٨ بمدينة (عنابة) في الجزائر ، واستولت على مدينة (قفصة) التونسية : القوات الأمريكية والفرنسية .

تمكّن الألمان من إيقاف هجوم الحلفاء في ٢٦ ذي القعدة ١٣٦١هـ (٤ كانون الأول ١٩٤٢م) وقاموا بهجوم معاكس ضدّ الفرنسيين في ١٢ محرم ١٣٦٢هـ (١٨ كان الثاني ١٩٤٣م) ، ودحروهم ، غير أن الأمريكان قد قاموا بمساعدة الفرنسيين .

طُرد الألمان من ليبيا ، فدخلوا تونس في ٢٠ محرم ١٣٦٢هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٤٣م) . وفي ٢٤ محرم ١٣٦٢هـ (٣٠ كانون الثاني ١٩٤٣م) قام روميل بهجوم معاكس ضدّ الفرنسيين فدحرهم ، وطرد الأمريكان من (قفصة) ، وتابع زحفه نحو الغرب ، غير أنه عاد فانسحب من (قفصة) .

عاد الحلفاء في ٢٢ صفر ١٣٦٢هـ (٢٧ شباط ١٩٤٣م) إلى الهجوم ، فاستولوا على (قفصة) في ١٢ ربيع الأول (١٧ آذار)، واحتلّ « مونتغمري » مدينة (قابس) يوم ٢٣ ربيع الأول (٢٩ آذار) ، واحتلّ الإنكليز (صفاقس) و (سوسة) يوم ٧ ربيع الثاني (١٢ نيسان) ، و (تونس) يوم ٣ جمادى الأولى (٧ أيار) .

كان الباي محمد المنصف قد أعلن حياده بين الأطراف المتنازعة ؛ وإن كانت المعارك تدور فوق تراب بلاده ؛ خوفاً من نقمة المنتصر إن لم يكن بجانبه ، وقد تمكّن من الحصول على موافقة المقيم على إطلاق سراح السجناء السياسيين ، وأعفى الوزير الأول الهادي الأخوة من منصبه دون رأي المقيم العام ، وكلّف محمد شنيق الذي اختاره محمود الماطري وزيراً للداخلية ، وصالح فرحات وزيراً للعدل ، ومحمد العزيز الجلولي وزيراً للأوقاف ، كما ألغى الأمر المؤرخ في ٧ ذي القعدة ١٣٥٤هـ (٣٠ كانون الثاني ١٩٣٦م)

الذي يخوّل المستعمرين الحصول على أملاك الأوقاف عن طريق التعويض بالنقد أو الملك . وأخذ الموظفون التونسيون منحة ٢٨٪ التي كان يأخذها أمثالهم من الموظفين الفرنسيين ، وأبدى بعض الشباب حماسة وتعاطفاً مع الألمان ، وظهر ذلك في جريدة « الشباب » ومنذ مطلع عام ١٣٦٢هـ ظهرت جريدة « إفريقية الفتاة » .

وفي ٣ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ (٧ أيار ١٩٤٣م) اقتحم الإنكليز قصر حمام الأنف حيث يوجد الباي محمد المنصف ، فألقوا القبض عليه ، وذهبوا به إلى تونس ، وبجهود الكاتب العام للحكومة « بينوش » استطاع الباي أن ينتقل إلى قصره بـ (المرسى) . وجاء الجنرال جوان إلى الباي يوم ٩ جمادى الأولى وطلب منه التنازل عن منصب الباي ؛ فرفض محمد المنصف ذلك . ووقّع الجنرال « جيرو » القائد العام للقوات الفرنسية في إفريقية أمراً يقضي بعزل الباي الذي أبعد إلى (الأغواط) .

واضطرّ الباي محمد المنصف أن يرسل وثيقة التنازل إلى الجنرال « ماسط »[1] ، وعندها حمل إلى مدينة (تنس) في شمالي الجزائر ، ثم إلى مدينة (پو) في فرنسا ، وبقي حتى توفي في ٢٧ شوال ١٣٦٧هـ (١ أيلول ١٩٤٨م) ، واتهمه الحلفاء بالتعاون مع دول المحور .

وقبل انتهاء الحرب ألغى المقيم العام الجنرال « ماسط » وزارة الأوقاف ، وأحدث وزارة الشؤون الاجتماعية ، فاتحدت جميع الاتجاهات السياسية عدا الشيوعيين ، وأصدرت بيان الجبهة التونسية المؤرخ في ١٠ ربيع الأول ١٣٦٤هـ (٢٢ شباط ١٩٤٥م) ويطالب البيان بمنح الاستقلال الداخلي للبلاد التونسية ، وإقامة نظام ملكي دستوري .

وقامت مظاهرات في البلاد بمناسبات عدة وكانت تساعد الجبهة

---

(١) كتب وثيقة التنازل ، وأرسلها بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ (٦ حزيران ١٩٤٣م) .

التونسية ، فقد خرجت مظاهرات بمناسبة وفاة الرئيس الأمريكي « روزفلت » في ٣ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ (١٥ نيسان ١٩٤٥م) ، وبمناسبة انتصار الحلفاء في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ (٨ أيار ١٩٤٥م) وكلها كانت تُبدي تأييدها للجبهة التونسية .

وفي هذه الأثناء نشأ الاتحاد العام التونسي للشغل برئاسة فرحات حشاد ، ولكن انقسمت الحركة الوطنية ، فكانت الشبيبة الزيتونية برئاسة الفاضل بن عاشور تمثّل جبهة ، وكانت حركة « الفلاقة » ـ وتعني المقاومة ـ تمثّل جبهة ثانيةً برئاسة « بزر مدين » .

بعد الحرب العالمية : عادت الجهود فتوحّدت ، ونشأت جبهة وطنية تونسية ضمّت كلاً من :

١ ـ الشبيبة الزيتونية .
٢ ـ أتباع الباي محمد المنصف .
٣ ـ الحزب الدستوري القديم .
٤ ـ الحزب الدستوري الجديد .

وعقد مؤتمر الاستقلال في مدينة تونس برئاسة « العروسي الحداد » رئيس الدائرة الجنائية ، وذلك في تاريخ ٢٦ رمضان ١٣٦٥هـ (٢٣ آب ١٩٤٦م) ، وتكلّم فيه صالح فرحات الكاتب العام للحزب الدستوري القديم ، واحتجّ على الإدارة المباشرة ، وعلى إبعاد الباي محمد المنصف ، وطالب بالاستقلال التام ، وعندما وقف صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد ، وأراد الكلام اقتحم الأمن العام المبنى ، فصرخ صالح بن يوسف : هل أنتم موافقون على الاستقلال ؟ فردّد الجميع بالإيجاب ، ولكن ألغي المؤتمر ؛ إذ توقّف الكلام ، واعتقل خمسون رجلاً من رجال المؤتمر .

احتجّ الباي محمد الأمين على هذه التصرّفات من قبل الإدارة الفرنسية ،

وألغى الاحتفالات بعيد الفطر خوفاً من وقوع اضطرابات .

وفي ٢٣ صفر ١٣٦٦هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٤٧م) عُيِّن « جان مونص » مقيماً عاماً في تونس ، فأخذ يتصل بالزعماء ، وألغى الرقابة على الصحافة ، وزاد عدد الوزراء من أربعة إلى ستة ، وأعطى صلاحيات واسعة للوزير الأول . وفي ٢٧ شعبان ١٣٦٦هـ (١٦ تموز ١٩٤٧م) عُيِّن « مصطفى الكعاك » وزيراً أول . وفي هذه الأثناء أعلن الاتحاد العام التونسي للشغل الإضراب العام مطالباً بتحسين الأجور .

الحبيب بورقيبة : كان رجلاً يحبّ الشهرة ويسعى إليها ، لا يقف في وجهها عقيدة أو وطنية ، فكل شيءٍ يطرحه جانباً ليصل إلى ما تصبو إليه نفسه ، ومن أجل هذا باع نفسه بيعاً سرياً ، إذ عمل منذ عام ١٣٤٦هـ في مخابرات البحرية الفرنسية ، وكانت المهمة التي ألقيت عليه مراقبة اللاجئين السياسيين الإيطاليين في فرنسا ، وكان الرقم الذي يحمله (١٣١٢٠) .

ولما برزت قوة إيطاليا بعد تسلّم موسوليني السلطة ، وأخذ يضرب يمنةً ويسرةً ، ويُلقي التصريحات الحماسية ظن الحبيب بورقيبة أن بيعه لإيطاليا أقرب منالاً لتحقيق الشهرة ، فارتمى عند أقدام الطليان ، ولاحظ الفرنسيون شيئاً على رَجُلهم فراقبوه ، فقبضوا في شهر محرم ١٣٥٧هـ (آذار ١٩٣٨م) في مدينة (قفصة) على رجل يدعى « علي الشريف »[١] يحمل رسالة من الحبيب بورقيبة إلى الطليان . وبعد مدة قبضت الشرطة على عميل إيطالي يُدعى « لوبالبو » يحمل رسالة من موظف إيطالي يُسمّى « فيليبو أنفوزو » إلى الحبيب

---

(١) علي الشريف : مذيع في إذاعة مدينة (باري) الواقعة جنوبي شبه الجزيرةالإيطالية التي كانت توجّه إلى العرب في المناطق القريبة وهي إذاعة عربية يديرها منير لبابيدي وتحت إشراف الكونت « غاليا نوتشياو » صهر موسوليني .
وكان علي الشريف أيضاً صلة الوصل بين الطليان والحزب الدستوري من الأعضاء الذين يؤيّدون الحبيب بورقيبة .

بورقيبة ، وبذا اكتشفت السلطات الفرنسية دور الحبيب بورقيبة ؛ فأودعته السجن ، ونقلته إلى فرنسا . وأخذت حكومة « ليون بلوم » تراقب أعضاء الحزب الدستوري بعد أن حلّت التنظيم .

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، واجتاحت ألمانيا الأرض الفرنسية ودخلت باريس ، وتشكّلت حكومة « فيشي » الموالية لألمانيا برئاسة الجنرال « بيتان » عمل الألمان على التفاهم مع الحبيب بورقيبة ، وكان عليهم إخراجه من السجن ، وكلّف هتلر في ٢٢ محرم ١٣٦٦هـ (١٦ كانون الأول ١٩٤٢م) «كلاوس باربي» بإخراج الحبيب بورقيبة من السجن بعد محاولة التفاهم معه ، ونُقل الحبيب بورقيبة من سجن قلعة (مونليك) في (ليون) إلى قلعة (فانسيا) في (آن) ، وهناك التقى به « كلاوس باربي » ، وعرف أنه مرتبط مع إيطاليا .

نُقل الحبيب بورقيبة من سجن (فانسيا) إلى (ستالون سور ساون) ؛ حيث التقى مع رجل مخابرات نيازي آخر هو « والتر بورغاو » المختص بالشؤون العربية في جهاز الأمن السري ، وتسلّم رجل المخابرات النيازي من السجن الحبيب بورقيبة في الأول من شهر محرم ١٣٦٢هـ (٧ كانون الثاني ١٩٤٣م) ، ونقله بالقطار إلى (نيس) ، حيث سلّمه هناك إلى القنصل الإيطالي الذي تولّى بدوره نقله إلى روما . عندما قبض على الحبيب بورقيبة بتهمة التجسس لحساب إيطاليا ، وأودع السجون الفرنسية ، وحلّ الحزب الدستوري ؛ ظهرت مقاومة سرية بقيادة « بشير زرق العيون » ، وكانت تعمل على نقل توجيهات الحبيب بورقيبة إلى أنصاره ، وفي الوقت نفسه تؤمّن الاتصالات بين الألمان والطليان من جهة ، وبين أنصارهم من رفاق الحبيب بورقيبة ؛ من جهة ثانية .

وفي اليوم الثاني من وصول الحبيب بورقيبة إلى روما (٣ محرم ١٣٦٢هـ) التقى بالزعيم الإيطالي موسوليني في قصر (ريسبيغي) القريب من مقر عشيقة موسوليني «كلارا بيتاتشي». وقد وُضع في جناح من ذلك

القصر الحبيب بورقيبة وصديقاه: صالح بن يوسف، وسليمان بن سليمان.

ولاحظ الحبيب بورقيبة أن ميزان الحرب قد أخذ يميل لمصلحة الحلفاء ، وقد تراجع الألمان والطليان في شمالي إفريقية ، وأنزل الحلفاء قواتهم في المغرب على حين كان قائدهم الإنكليزي يتقدّم من مصر ، ويدحر أمامه قوات القائد الألماني رومل ، لذا فكّر أن الطريق التي تصل به إلى الشهرة والمجد إنما هي طريق الحلفاء ، فعدّل سيره ، واتجه إلى الولايات المتحدة عظيمة دول الحلفاء . . ، وكان عليه أن يغادر إيطاليا قبل أن يكتشف أمره .

رجع الحبيب بورقيبة إلى تونس ، وأخذ دوره بين رجال المخابرات الأمريكية ، غير أن الحرب بدأت تأخذ طريقها نحو النهاية ، وتشير إلى قرب انتصار الحلفاء ، وأخذت القوات الفرنسية ترجع إلى تونس وتأخذ مكانها ، وإن كانت لا تزال قوات إنكليزية وأخرى أمريكية في البلاد ، إلّا أن كل المؤشرات تشير إلى عودة فرنسا إلى تونس ، والفرنسيون قد عرفوا اتصالاته مع دول المحور ، لذا أصبح يخشى على نفسه ، وصار يتوسط لدى الأمريكان ليكونوا شفعاء له عند الفرنسيين ، فإن الأمور قد وضحت له بعد أن كانت خافية ، وقد حدّد طريقه النهائية ، وأنه بجانب الحلفاء ، غير أن مركزه لدى أعضاء حزب الدستور الجديد معروف ، وأخذ يظهر في الأوساط الشعبية والرسمية ، ولا يمكن أن ينتظره الفرنسيون ، ولكن الأمريكان يخططون لدور يلعبه في المستقبل ولا بدّ من رفع شأنه ، ولا يمكن أن يكون هذا داخل البلاد .

في الوقت الذي رجع فيه الحبيب بورقيبة إلى تونس في شهر جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ (حزيران ١٩٤٣م) كان قد غادرها قبل شهر عدد من زعماء حزب الدستور الجديد ، ومنهم : الحبيب ثامر ، والطيب سليم ، ورشيد إدريس ، ويوسف رويسي ؛ غادروا تونس مع الجيش الألماني المنهزم ، وكان الحبيب بورقيبة بعد ذلك يفتخر بهذه الحادثة مدلّلاً على بعد نظره السياسي ، فيقول : توقّعت انتصار الحلفاء ، واتجهت نحوهم ، فعدت إلى البلاد ؛ على

حين بقي بعضنا مع دول المحور فخرجوا من ديارهم .

التقى الحبيب بورقيبة سراً بالقنصل الأمريكي « هوكر دولتيل » الذي تجاهل ماضي بورقيبة ، وعمل على إقناع الجنرال الفرنسي « ألفونس جوان » بضرورة إبراز بورقيبة ، وتلميع صورته ، وتنظيف سجله من الملاحقات القضائية الفرنسية كلها[1] .

بدأ الحبيب بورقيبة يبرز على الساحة السياسية، وكان قد سافر في ١٢ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ (٢٦ آذار ١٩٤٥م) إلى القاهرة تاركاً الحزب الدستوري الجديد ، وبعد عام لحقه الحبيب ثامر ، والطيب سليم ، والرشيد إدريس ، وبدأوا يكتبون في النشرات التي تصدرها لجنة تحرير المغرب العربي التي تأسّست بالقاهرة عام ١٣٦٦هـ . أما الحزب الدستوري بتونس ؛ فكان يصدر جرائد : « الهلال » و « الكفاح » و « الانفجار » ، وكانت توزّع سراً .

وفي مطلع عام ١٣٦٥هـ (كانون الأول ١٩٤٥م) انتقل الحبيب بورقيبة إلى نيويورك ، وأخذ يتصل بالزعماء الأمريكيين ، ورأى فيهم الدعم الخارجي ، وعندما انتهت المهمة رجع إلى تونس ، وحشدت جموع لاستقباله .

أخذ الحبيب بورقيبة يسير في الخط الذي رُسم له لينال المكافأة التي وعد بها . فنراه يعلن عن رفض الوحدة مع الشيوعيين ؛ دون داعٍ لهذا الإعلان ، كما رفض معارضة الحرب في فيتنام ، ورفض القيام بالدعايةً ضدّ الولايات المتحدة . وحمل فرحات حشّاد على اتحاد النقابات العالمي ذي النزعة الشيوعية ، وعمل على الانخراط في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة ذي النزعة الرأسمالية . وعندما جُرّ سليمان بن سليمان إلى حركة السلام التي نشطت في

(١) انظر مجلة « الوطن العربي » العدد : (١٥٧) تاريخ ١٦ آذار ١٩٩٠م (١٩ شعبان ١٤١٠م) .

تلك الآونة فُصل من الحزب الدستوري الجديد . وفي ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ (١٢ نيسان ١٩٥٠م) سافر الحبيب بورقيبة إلى باريس من نفسه ، وفي ٢٧ من جمادى الآخرة سلّم لوكالة « فرانس برس » مطالب تونس السبعة ، وهي :

١ ـ بعث السلطة التنفيذية التونسية .
٢ ـ تشكيل حكومة تونسية منسجمة يرأسها عاهل البلاد .
٣ ـ إلغاء الكتابة العامة للحكومة الفرنسية .
٤ ـ إلغاء المراقبين المدنيين .
٥ ـ إلغاء الشرطة الفرنسية .
٦ ـ إنشاء بلديات منتخبة مع تمثيل المصالح الفرنسية حيث يوجد جاليات فرنسية .
٧ ـ إحداث مجلس وطنيٍّ تأسيسيٍّ منتخب بالاقتراع العام .

غضب المستوطنون الفرنسيون ، وطالبوا باسم « انطوان كولونا » عدم الاشتراك بين السيادتين التونسية والفرنسية . وفي ٣ شعبان ١٣٦٩هـ (٢٠ أيار ١٩٥٠م) قدّم « أنطوان كولونا » تقريراً عن الوضع في تونس وما يجب اتخاذه في سبيل المحافظة على مصالح المستوطنين الفرنسيين وعلى مصلحة فرنسا ، ورفع التقرير إلى « روبار شومان » وزير الشؤون الخارجية الفرنسية .

وفي ١٤ شعبان ١٣٦٩هـ (٣١ أيار ١٩٥٠م) تمّ تعيين مقيم عام جديد هو « لوي باريلي » .

الباي محمد الأمين : لما ارتقى محمد الأمين إلى منصب الباي بعد اعتقال والده « محمد المنصف » ، ثم تنازله عن منصبه ، بقي محمد الأمين يشعر أنه غير شرعي ، بل ينظر إليه الوطنيون أنه عاق ، وارتقى إلى منصبه بإرادةٍ فرنسيةٍ مستعمرةٍ ، لذا لم يستطع الاتصال بالحركة الوطنية ورجالها ، فلما توفي والده أخذ يتحرّك ، وأظهر التعاطف مع كبار رجال البلاد ، والعمل لمصلحة

القضية التونسية ، ففي ٢ شوال ١٣٦٨هـ (٢٧ تموز ١٩٤٩م) بمناسبة الاحتفال بعيد الفطر طالب المقيم العام الفرنسي بإجراء إصلاحات في البلاد ، وقام بإرسال رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية في تاريخ ٣ جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ (١١ نيسان ١٩٥٠م) تحدّث فيها عن نفاذ الصبر عند التونسيين بسبب مماطلة فرنسا وتسويفها الذي لا ينتهي .

وزارة محمد شنيق : عُيّن محمد شنيق وزيراً أول في ٤ ذي القعدة ١٣٦٩هـ (١٧ آب ١٩٥٠م) فكلّف صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد بوزارة العدل، وكان محمد شنيق الوزير الأول قد اتهم بميوله الواضحة نحو دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كان بالمنصب نفسه . وقد قام المستوطنون الفرنسيون بارتكاب الجرائم ، والاستفزازات ، ورفضوا التعاون مع الوزارة الجديدة .

وإذا كانت فرنسا قد رأت المفاوضة مع الحكومة للسير بتونس نحو طريق الاستقلال الداخلي ، غير أن الجنرال « جوان » قد رفض ذلك وأصرّ على الاستمرار على الوضع الراهن ، وعدّ كل تغيير يحدث يؤدي إلى قلب الأوضاع في البلدان المجاورة وستحصد فرنسا شراً نتيجة ذلك .

وحدث إضراب زراعي في مدينة (النفيضة) في تاريخ ١٠ صفر ١٣٧٠هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٠م) فأرسلت لهم السلطات الفرنسية قوات الشرطة فقتل خمسة من التونسيين ، وجرح عشرة ، وظهرت الغيوم في جو العلاقات التونسية الفرنسية ، وفي هذا الوقت وافق المجلس الوطني للحزب الدستوري الجديد على إجراء مفاوضات مع فرنسا ، وعدّ المفاوضات مرحلية ، ولكن الحزب الدستوري القديم ، والشبيبة الزيتونية قد هاجموا المفاوضات ، وعدّوا ذلك خيانة ، وأيّدهم على ذلك المغاربة والجزائريون ، ومحمد عبد الكريم الخطابي ، والأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام ، وذلك لأن الحبيب بورقيبة كان قد تعهّد وهو في القاهرة ألّا يقوم بأية مفاوضات منفصلة .

وافق الباي محمد الأمين على الإصلاحات ، فهدّده المقيم العام الفرنسي أثناء زيارةٍ له بقصر (قرطاج) ، وطالبه بإبعاد الوزيـر الأول محمد شنيق ، ووزير العدل صالح بن يوسف . ومع أن المقيم كان يتخذ أسلوب المراوغة ؛ إلّا أنه قد أماط اللثام عن وجهه فبدا على حقيقته بعد أن أُلقي خطاب الباي محمد الأمين في ٩ شعبان ١٣٧٠هـ (١٥ أيار ١٩٥١م) بمناسبة ذكرى تسلّمه منصب الباي ، ولم يعرض هذا الخطاب على المقيم العام ـ كما جرت العادة ـ .

المقاومة : سافر الوزير الأول محمد شنيق ، ومعه من الوزراء : محمد بدرة ، وصالح بن يوسف ، ومحمد سعد الله إلـى باريس في تاريخ ١٦ محرم ١٣٧١هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٥١م) وفي يـوم ٣٠ محرم ١٣٧١هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٥١م) سلّم مذكرة إلى وزيـر الشؤون الخارجيـة الفرنسيـة « روبار شومان » ويطالب فيهـا باستقـلال تونس الـداخلي ، وإنشـاء مجلس نيابي ، وإمكانية عقد اتفاقات مع فرنسا تتعلّق بالميدان الثقافي والاقتصـادي رغبةً في إبقاء علاقات وطيدة مع فرنسا ، وضمان حقوق المستوطنين الفرنسيين كاملة .

رفض الفرنسيون المقترحات التونسية في اجتماع مجلس الوزراء في تاريخ ٢١ صفر ١٣٧١هـ (٢٢ تشرين الثـاني ١٩٥١م) ، وهذا ما دعا إلى قيام إضراب عام في تونس في تاريخ ١ ربيع الأول ١٣٧١هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١م) . وفي مذكرة مؤرخـة في ١٧ ربيع الأول ١٣٧١هـ (١٥ كـانون الأول ١٩٥١م) ومحررة بالإدارة الفرعية للمحميات بوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية تؤكّد فيها الحكومة الفرنسية على مبدأ السيادة المزدوجة ، وإصرارها على عدم التخلّي في المستقبل عن القيـام بعملها لفـائدة مجمـوع المستوطنـين الفرنسيين بولاية تونس .

وبعد يومين وجّه الحزب الدستوري الجديد ، والاتحاد العـام التونسي للشغل ، والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة ، واتحاد المزارعين التونسيين برقية إلى « روبار شومان » تؤكّد إصرار التونسيين على عدم قبول تحكّم جالية أجنبية

في الشؤون التونسية . ورجع الحبيب بورقيبة من باريس إلى تونس ، وجعل يدعو إلى الكفاح .

ورفض الباي محمد الأمين والوزير الأول محمد شنيق ما جاء في المذكرة الفرنسية ، وسافر صالح بن يوسف ومحمد بدرة إلى باريس في محاولة لإدراج قضية تونس في جدول أعمال الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة التي كانت منعقدة يومذاك في باريس .

وصل المقيم العام الفرنسي الجديد « جان دي هوتكلوك » إلى تونس في تاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (١٣ كانون الثاني ١٩٥٢م) ، وسلّم الباي محمد الأمين رسالة من وزير الشؤون الخارجية الفرنسية يدعوه فيها لإبعاد الوزراء الحاليين عن مناصبهم .

بدأت التجمعات الوطنية تظهر في كثير من الأماكن ، فقد عقد اجتماع في مدينة بنزرت ، ودعا فيه الحبيب بورقيبة إلى الكفاح والدخول في المعركة الحاسمة ، وعقد مؤتمر في مدينة باجة ، وشاركت المرأة فيه ؛ إشارة إلى الدور الذي يقوم به المترعّمون للمؤتمر في تقليد الغرب ، وعدم التقيّد بالمبادىء الإسلامية ، وأن جهود الحبيب بورقيبة قد أثمرت ، ولم يعد الخوف يراود الصليبيين من المسلمين . وحاول المقيم العام منع عقد مؤتمر للحزب الدستوري الجديد الذي كان مقرراً أن يكون في ٢١ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (١٨ كانون الثاني ١٩٥٢م) وذلك باعتقال الحبيب بورقيبة ومائة وخمسين من زعماء الحزب ، إلّا أن المؤتمر قد عقد برئاسة الهادي شاكر ، وطالب بإلغاء الحماية . ومنذ ذلك اليوم عمّت الاضطرابات البلاد ، وبدأت العمليات الإرهابية في الجنوب القبلي .

خشي المستوطنون الفرنسيون على وضعهم فأخذوا يطالبون باتخاذ أكثر الوسائل صرامةً للحفاظ على الأمن ، والبطش بالوطنيين التونسيين ، وفي ١ رجب ١٣٧١هـ (٢٦ آذار ١٩٥٢م) تمّ اعتقال الوزير الأول محمد شنيق ، ووزرائه : محمود الماطري ، وابن سالم ، ومحمد صالح مزالي ، ونفيهم إلى

الجنوب القبلي ، وهكذا بقيت البلاد دون وزارة ، إذ كان بقية الوزراء وهما : محمد بدرة ، وصالح بن يوسف في باريس ، ولم يبق سوى محمد سعد الله ، ووجد الباي محمد الأمين نفسه وحيداً فأبرق إلى رئيس الجمهورية الفرنسية محتجًا على هذه التصرّفات ، ويدعوه للتدخّل لإعادة الوزراء المعتقلين ، غير أن رئيس الجمهورية أجاب بأنه لا يستطيع أن يخذل ممثّله . وهذا ما شجّع المقيم العام على مزيد من التصرّفات الارتجالية والحمقى التي فيها إظهار القوة وإرضاء غروره فقام في تاريخ ٦ رجب ١٣٧١هـ (٣١ آذار ١٩٥٢م) بفرض عبد الهادي البكوش وزيراً أول ، وقد رفض يومها الهادي نويرة الاشتراك بهذه الوزارة ؛ فأبعد منفياً .

التقى البـاي محمد الأمين في ١١ ذي القعدة ١٣٧١هـ (١ آب ١٩٥٢م) بأربعين شخصاً من زعماء مختلف البلاد ، وطلب منهم إبداء الرأي بالإصلاح ، وانبثقت عن اللقاء لجنة مؤلفة من اثني عشر عضواً لتحرير التقرير اللازم ، والذي رفعه الباي بدوره إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

عرضت القضية التونسية على الهيئة العمومية لمنظمة الأمم المتحدة ، وكانت مناقشتها من ١٧ إلى ٢٥ ربيع الأول ١٣٧٢هـ (٤ إلى ١٢ كانون الأول ١٩٥٢م) ، ولكن لم تكن النتائج حاسمة ، وإنما اتسمت بالمرونة وعدم المبالاة ؛ ما دامت القضية تتعلّق بالمسلمين . وفي هذه الأثناء اغتيل فرحات حشّاد رئيس الاتحاد العام التونسي للشغل ، وهو في طريقه من رودوس إلى تونس ، وخلفه في رئاسة الاتحاد محمود المسعدي الذي اعتقل .

ونظّم المقيم العام الفرنسي « جان دي هوتكلوك » انتخابات للبلديات غير أن الشعب لم يبال بها ، وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تعرف أن سياسة المقيم العام غير ناجحة ؛ فاستدعته ، وعيّنت مقيماً عاماً جديداً هو « فوازار » فأنهى في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ (٢ آذار ١٩٥٤م) مهمة الوزير الأول الهادي البكوش ، وعيّن محمد صالح المزالي وزيراً أول ، وكلّفه بتشكيل حكومة جديدة ، وكانت الأغلبية للتونسيين في هذه الحكومة ، وقرّر كذلك

إحداث مجلس تشريعي يضمّ تسعين عضواً موزّعاً بالتساوي بين التونسيين والفرنسيين .

وقف الباي محمد الأمين بصراحة بجانب القضية التونسية ، وكان مؤيّداً للزعماء المخلصين ، على حين كانت الوزارة متعاطفة مع المقيم العام . وقد اتسع نطاق المقاومة ، ليس في المدن فحسب وبشكل إرهابي وإنما تجاوزت ذلك إلى الريف ، وكانت على شكل حرب عصابات شنتها مجموعات منظّمة عُرفت باسم « الفلاقة » وتعني المقاومة .

وقد سيطرت مجموعة من الفلاقة يقودها « الطاهر الأسود » على منطقة (حامة قابس) ، وسيطرت مجموعة « الأزهر الشرائطي » على منطقة (قفصة) وتعدّدت المجموعات ، وانتشرت في وسط البلاد بقيادة « العجيمي » ، وسيطرت مجموعة « ساسي الأسود » على مدينة (الكاف) ، وكان في بنزرت وتونس مجموعات « محجوب بن علي » و « هلال الفرشيشي » .

ومن الطرف الثاني فقد ظهرت مجموعات إرهابية مضادّة للحركة الوطنية ولمجموعات « الفلاقة » حيث برزت منظمة اليد الحمراء الفرنسية .

أخذت الأمور تسير لمصلحة الحركة الوطنية ، إذ هُزم الجيش الفرنسي في الهند الصينية ، وعجز الجيش والشرطة في القضاء على حركة الإرهاب داخل تونس ، إذ أخذت الضحايا تتساقط تباعاً ، وزاد نشاط « الفلاقة » عندما بلغهم في ٥ رمضان ١٣٧٣هـ (٧ أيار عام ١٩٥٤م) ، خبر هزيمة الفرنسيين في الهند الصينية . وأخيراً حجبت الجمعية الوطنية الفرنسية الثقة عن حكومة « لانيال » ، وعُهد إلى « بيار منداس فرانس » بتشكيل حكومة ، وكلّف بإجراء مفاوضات في الهند الصينية ، وذلك في تاريخ ١٧ شوال ١٣٧٣هـ (١٨ حزيران ١٩٥٤م) ، وفي اليوم التالي سافر إلى تونس رئيس الوزراء الفرنسي « بيار منداس فرانس » وزار الباي محمد الأمين في قصر (قرطاج) ، وألقى كلمة قال فيها : « إن الحكومة الفرنسية تعترف بالاستقلال الداخلي للدولة التونسية دون قصد خفي ، وهي حريصة في الوقت نفسه على تأكيد ذلك من حيث المبدأ ، والعمل على أن توفّر الأسباب لتحقيقه ، وتأمين طرق

النجاح جميعها » .

المفاوضات : تشكّلت حكومة برئاسة الطاهر بن عمار للمفاوضة ، وقد وافق الحزب الدستوري الجديد على هذه الحكومة ، وما دام قد وافق عليها الحزب فقد وافقت عليها تونس ؛ لأن هذا الحزب قد أصبحت الدوائر الاستعمارية تبرزه ، وتظهر رئيسه ؛ إذ تريد أن تسلّمه السلطة ، كما وافقت عليها فرنسا التي تعدّ الطاهر بن عمار معتدلاً ، وقد تسلّمت الوزارة صلاحياتها في ٩ ذي الحجة ١٣٧٣هـ (٨ آب ١٩٥٤م) .

بدأت المفاوضات من الشهر الأول من عام ١٣٧٤هـ (أيلول ١٩٥٤م) ، غير أن **مجموعات المقاومة « الفلاقة »** قد أقلقت الحكومة الفرنسية ، وخاصةً بعد اندلاع الثورة الجزائرية في ٦ ربيع الأول ١٣٧٤هـ (١ تشرين الثاني ١٩٥٤م) . وأمام هذه الأحداث لم يكن أمام تونس إلاّ خياران :

١ ـ رفض الشروط الفرنسية والمفاوضات .

٢ ـ القضاء على المقاومة ، وإعطاء الثقة للحكومة الفرنسية ، والتصديق على كل ما تقوله وما يصدر عنها .

فاختارت الحكومة التونسية الخيار الثاني ، ودعت المقاومة إلى وقف القتال ، ووضع السلاح ، وفي الوقت نفسه تعهّدت فرنسا بإعطاء رجال المقاومة الأمان .

استجابت المقاومة لوقف القتال ، وسلّم ثلاثة آلاف مقاوم أسلحتهم ، ومع ذلك فإن المفاوضات قد تعرقلت بسبب مشكلة مطالب وحقوق الفرنسيين المقيمين في تونس ، إضافةً إلى مشكلة الأمن . وفي الجمعية الوطنية الفرنسية بدأ الهجوم على حكومة « بيار منداس فرانس » حتى سقطت .

عادت المفاوضات بعد تشكيل « ادغار فورفيفري » الحكومة الفرنسية وقد التقى مع الحبيب بورقيبة في باريس في تاريخ ٢٩ شعبان ١٣٧٤هـ (٢١ نيسان ١٩٥٥م) حيث كان بورقيبة يقيم في (شانتي) في فرنسا ، وانتهى اللقاء بالتفاهم . وفي ١٣ شوال ١٣٧٤هـ (٣ حزيران ١٩٥٥م) وقعت

الاتفاقية . وحصلت تونس على صلاحيات السيادة الداخلية ، وإقامة علاقة اقتصادية بين الدولتين ، وضمنت حقوق الفرنسيين المكتسبة أثناء الحماية ، وخاصةً فيما يتعلّق بالوظائف .

رجع الحبيب بورقيبة إلى تونس في ١١ شوال ١٣٧٤هـ ، وأخذ يهيء الأمور لنفسه بصفته رئيس الحزب ، غير أن الأمين العام للحزب صالح بن يوسف قد أخذ يعارض الاتفاقية ويتهم الحبيب بورقيبة بالخيانة ، ويدعو إلى مواصلة الكفاح .

ورجع صالح بن يوسف إلى تونس في ٢٦ محرم ١٣٧٥هـ (١٣ أيلول ١٩٥٥م) ، وأخذ يصرّح بمعارضته ، ويتهمه بعداوته للإسلام وللعرب ؛ فلقد عرف عن قرب ، ويدّعي أنه كان يسكت عن سلوك بورقيبة في سبيل مصلحة الوطن خوفاً من انقسام الحركة أمام العدو . وبدأ التميّز في الحزب الدستوري الجديد . وأعاد الطاهر بن عمار تشكيل حكومته من جديد[1] في تاريخ ٣٠ محرم ١٣٧٥هـ (١٧ أيلول ١٩٥٥م) .

انعقد مؤتمر الحزب في مدينة صفاقس في تاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٣٧٥هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٥٥م) ، ورفض صالح بن يوسف الأمين العام للحزب المساهمة فيه ، وعندما صدرت قرارات المؤتمر رفضها بل وعارضها . وظهرت الغيوم في جوّ البلاد ، إذ استعادت بعض مجموعات

---

(١) شكّل الطاهر بن عمار حكومته الثانية على النحو الآتي :

١ ـ الطاهر بن عمار : وزير أول .
٢ ـ المنجي سليم : وزيراً للداخلية .
٣ ـ موسى الكاظم بن عاشور : للعدل .
٤ ـ جلولي فارس : للتربية الوطنية .
٥ ـ الهادي نويرة : وزيراً للمالية .
٦ ـ عز الدين العباسي : للأشغال العامة .
٧ ـ الصادق المقدم : وزيراً للصحة العمومية .
٨ ـ محمد بدرة : وزيراً للفلاحة .
٩ ـ محمد المصمودي : للاقتصاد الوطني .
١٠ ـ الشاذلي رحيم : للبريد والبرق والهاتف .
١١ ـ فتحي زهير : وزيراً للشغل .
١٢ ـ ألبير بسيس : وزيراً للتعمير .

المقاومة « الفلاقة » نشاطها . ولكن الحكـومة كـانت تعمل بجـانب الحبيب بورقيبة ، ففي ليلة ١٥ جمـادى الآخرة ألقي القبض عـلى أنصار صـالح بن يوسف ، أما هو فقد استطاع أن يفرّ ، وأن يصل إلى ليبيا[١] .

شكّل الوزارة الفـرنسية « غي مـوليه » ، وسـافر الحبيب بـورقيبة إلى باريس في غرة رجب ١٣٧٥هـ (شباط ١٩٥٦م) ، والتقى مع رئيس الوزارة الفـرنسية ، واتفقـا على منـح تونس الاستقـلال من حيث المبدأ ، وجـرت مفاوضات سريعـة انتهت يوم ٨ شعبـان ١٣٧٥هـ (٢٠ آذار ١٩٥٦م) ، وختمت بالتوقيع على وثيقة الاستقلال التي أنهت الحماية الفرنسية على تونس .

---

(١) استطاع الهرب بمعرفة وزير الداخلية المنجي سليم نفسه ، فقد أخبره بضرورة المغادرة ، وأنه مطلوب ، ورسم له الطريق ، وهيّأه له .

الفَصْلُ الثّاني

الاستِقلال

رجع الحبيب بورقيبة منْ فرنسا بعد أن ربط نفسه وبلاده باتفاقات ثقافية واقتصادية مع فرنسا ، وبناءً عليه تمّ توقيع وثيقة الاستقلال بشكلٍ سريعٍ ، وحصل هو على مركزٍ ممتاز ، ودعمٍ لينال مكافأة مقابل ما بذل ، ومن المعروف أن الصليبية الفرنسيةَ تركّز على الجوانب الثقافية أكثر من غيرها حيث ترى أن ترسيخ أفكارٍ معيّنة ومفاهيم خاصة ولو كانت مادية ، وإحلالها محلّ أفكار إسلامية هو الهدف الرئيسي لها ، وهو ما تعمل له النصرانية ، فهو أشبه ما يكون بغسيل المخ ، وهذا ما يتمّ مع الزمن بنشر الأفكار المادية والإلحادية باسم الموضوعية ، وأحياناً باسم العلم افتراءً ، وإذا ما ساد هذا بين المسلمين فإنه أفضل من عمل الجيوش بكثير .

كما كان الحبيب بورقيبة قد حصل على التأييد السياسي من الولايات المتحدة الأمريكية عندما انتقل إليها من القاهرة عام ١٣٦٥هـ ، وفي هذه المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تعمل لتحلّ محلّ إنكلترا وفرنسا في مناطق نفوذهما ، ولذلك دعمت الحبيب بورقيبة ليكون صنيعتها في تقوية النفوذ الأمريكي في تونس ، ومن المعلوم أن الصليبية الأمريكية تعمل على التوجيه من خلال تأثيرها ونفوذها السياسي ، حيث ترى أن المرتبط بها يُنفّذ ما يطلب منه ، ومن هذه الطريق تُدخل ما تريده من أفكار ، وقد تبثّها عن طريق الدعايات وعلى هذا فلا تعارض بين الصليبية

الفرنسية والأمريكية ولا داعي إلى ذلك التعارض والتضارب ، وبذا حصل الحبيب بورقيبة على التأييد من الجانبين ، وآن له أن يحصل على المكافأة ليتمكن من تحقيق الدور المعدّ له .

حصلت البلاد على الاستقلال في ٨ شعبان ١٣٧٥هـ (٢٠ آذار ١٩٥٦م) وكانت وزارة الطاهر بن عمار الثانية هي التي تحكم البلاد . وما دام قد تغيّر الوضع فلا بدّ من أن تقدّم الحكومة استقالتها ، وخاصة أن الطاهر بن عمار لم يكن من أعضاء الحزب الدستوري الجديد الذي تمّ الاستقلال باسمه . قدّم الطاهر بن عمار استقالة حكومته ، ولا بدّ من أن يُعهد إلى زعيم الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة .

عهد الباي محمد الأمين فعلاً حسب القواعد الدستورية والديمقراطية إلى الحبيب بورقيبة بتشكيل حكومةٍ تبدأ بالبناء على أساس أن البلاد قد حصلت على الاستقلال ، ويحتاج الأمر إلى عزمٍ وجدٍّ كي يشعر المواطنون بقيمة الاستقلال ، ولا يرون تراجعاً في مجال من المجالات بأنواعها المختلفة .

وفي ٥ رمضان ١٣٧٥هـ (١٥ نيسان ١٩٥٦م) شكّل الحبيب بورقيبة الوزارة[1] . وكان همّه الأول ترسيخ قواعده ، ولن يكون هذا إلّا بإزاحة

(١) وُلد الحبيب بورقيبة في ١٠ جمادى الأولى ١٣٢١هـ (٣ آب ١٩٠٣م) ، ويعود في أصله إلى ولاية المنستير ، وقد درس الحقوق ، وكانت وزارته على النحو الآتي :

١ ـ الحبيب بورقيبة : وزير أول ، ووزير الخارجية .
٢ ـ الهادي نويرة : وزير المالية .
٣ ـ الباهي الأدغم : وزير الدفاع .
٤ ـ محمد المصمودي : وزير الدولة .
٥ ـ الفرجاني بلحاج عمار : وزير الاقتصاد .
٦ ـ محمود الماطري : وزير الصحة العمومية .
٧ ـ المنجي سليم : وزير دولة .
٨ ـ عز الدين العباسي : وزير الأشغال العمومية .
٩ ـ محمود الخياري : وزير البريد والبرق والهاتف .

خصومه ؛ لذا فقد عمل قبل كل شيءٍ على تصفية أنصار خصمه السياسي صالح بن يوسف ، واستمر هذا ما يقرب من سنة ، فلما انتهى من خصومه السياسيين المباشرين اتجه إلى إزالة من فوقه ، وقد أمّن المعارضة والذين كان يمكنهم الوقوف في وجهه .

وفي ٢٨ ذي الحجة ١٣٧٦هـ (٢٥ تموز ١٩٥٧م) ألغي منصب الباي (النظام الملكي) ، وأعلن الجمهورية ، وتسلّم هو منصب الرئاسة ؛ فليس هناك من ينازعه عليه أو يمكنه المعارضة .

ورغم أن قضية فلسطين كانت شغل العرب الشاغل ومركز اهتمام المسلمين ؛ فإن هذا لا يمنع الحبيب بورقيبة من تعيين أحد اليهود وزيراً ، وهو « أندري باروش » وزير الإسكان ، وإضافةً إلى هذا فإن هذا الوزير كان أحد أعضاء الحزب الدستوري الجديد البارزين ، وإذا كانت الوزارة السابقة - وزارة الطاهر بن عمار - قد ضمّت أحد اليهود « ألبير بسيس » بين أعضائها ، وقد كان موكلاً إليه وزارة التعمير ؛ إلّا أنه ربما كان ذلك بضغطٍ فرنسي ما دامت البلاد لم تستقلّ بعد ، واليهود هم أحد الأركان الذين يعتمد عليهم الاستعمار ، ولكنه في الواقع العلمانية ، فإن الحبيب بورقيبة وحزبه الدستوري الجديد وأنصاره كانوا يرضون عن وزارة الطاهر بن عمار كل الرضا ، وما تسلّم اليهودي الوزارة إلّا برأيهم . وكان الحبيب بورقيبة يحمل منذ نشأته كراهية للإسلام لأن مبادئه تحول دون أهوائه وشهواته . ولم يكن عدد اليهود أيام

=

١٠ ـ الأمين الشابي : وزير التربية الوطنية .
١١ ـ عزوز الرباعي : وزير الرياضة والشباب .
١٢ ـ البشير بن يحمد : وزير الإعلام .
١٣ ـ مصطفى الفيلالي : وزير الفلاحة .
١٤ ـ أندري باروش : وزير الإسكان .
١٥ ـ الطيب المهيري : وزير الداخلية .
١٦ ـ محمد شقرون : وزير الشؤون الاجتماعية .
١٧ ـ أحمد المستيري : وزير العدل .

الاستقلال ليزيد على مائة ألف من أصل ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف ؛ عدد سكان تونس يومذاك ، ومع زوال الاستعمار بدأ العدد يتناقص ، فلا يوجد اليوم في البلاد أكثر من ثلاثة آلاف يهودي .

وما دام قد ارتقى الحبيب بورقيبة إلى منصب رئاسة الجمهورية فإن منصب رئاسة الحكومة قد أصبح شاغراً ؛ فاختار الباهي الأدغم ليملأه ، ويشكّل الحكومة من جديد . وعندها يصبح هو الرأس المهيمن على مقدرات البلاد ، ويمكنه التصرّف كما يريد ، يرسم ويخطّط وفق هواه ومصالحه وإرضاءً لغروره ، وهناك من ينفّذ .

وفي ٢ محرم ١٣٧٧هـ (٢٩ تموز ١٩٥٧م) عُيّن الباهي الأدغم[1] وزيراً

---

(١) الباهي الأدغم : وُلد في تونس في ٢ صفر ١٣٣١هـ (١٠ كانون الثاني ١٩١٣م)، ودرس المرحلة الثانوية فقط ، وتسلّم عدة مهام وزارية ، منها : الدفاع ، والمالية ، والتخطيط ، والتجارة ، ثم عُيّن وزيراً أول ، وكانت وزارته على النحو الآتي :

١ ـ الباهي الأدغم : وزير أول .
٢ ـ الهادي نويرة : وزير الاقتصاد .
٣ ـ محمد المصمودي : وزير السياحة .
٤ ـ الصادق المقدم : وزير الخارجية .
٥ ـ المنجي سليم : وزير العدل .
٦ ـ عز الدين العباسي : للتجارة والصناعة .
٧ ـ الأمين الشابي : وزير التربية الوطنية .
٨ ـ عزوز الرباعي : وزير الشباب والرياضة .
٩ ـ أندري باروش : الأشغال العمومية والإسكان .
١٠ ـ البشير بن يحمد : وزير الإعلام .
١١ ـ أحمد المستيري : وزير المالية .
١٢ ـ عبد السلام الكتاني : وزير التخطيط .
١٣ ـ الطيب المهيري : وزير الداخلية .
١٤ ـ محمو الخياري : وزير الفلاحة .
١٥ ـ محمد شقرون : الشؤون الاجتماعية .
١٦ ـ الرشيد إدريس : البريد والبرق والهاتف .
١٧ ـ أحمد بن صالح : الصحة العمومية .

وجرى على هذه الوزارة التي دامت ثلاث عشرة سنة عدة تغييرات وزارية ، إذ تركها وزراء في أوقات مختلفة ، ودخلها آخرون ، وهذه التعديلات هي :

أ ـ في ٢٥ صفر ١٣٧٧هـ (٢٠ أيلول ١٩٥٧م) ترك الوزارة بشير بن يحمد ، وحلّ مكانه =

. . . .

= مصطفى الفيلالي .

ب - في ٩ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ (٣١ كانون الأول ١٩٥٧م) ترك الوزارة عزوز الرباعي .

جـ - في ٩ شعبان ١٣٧٧هـ (٢٨ شباط ١٩٥٨م) ترك أندري باروش وزارة الأشغال العمومية والإسكان ، وحلّ مكانه أحمد نور الدين .

د - في ١٧ شوال ١٣٧٧هـ (٦ أيار ١٩٥٨م) ترك الأمين الشابي وزارةالتربية الوطنية ، ومحمد شقرون وزارة الشؤون الاجتماعية ، وشغل محمود المسعدي وزارة التربية الوطنية .

هـ - وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٥٨م) ترك مصطفى الفيلالي وزارة الإعلام ، كما ترك محمود الخياري وزارة الفلاحة ، واشترك في الوزارة الهادي خفشة ، وأضيفت وزارة الفلاحة إلى عبد السلام الكناني .

و - وفي ١٦ رجب ١٣٨٠هـ (٣ كانون الثاني ١٩٦١م) دخل الوزارة المنذر بن عمار وأسندت إليه وزارة الصحة العمومية .

ز - وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨١هـ (٧ تشرين الأول ١٩٦١م) تسلّم وزارة الإعلام الشاذلي القليبي .

ح - وفي ٢٨ شوال ١٣٨١هـ (٣ نيسان ١٩٦٢م) جاء عبد المجيد شاكر إلى وزارة الإعلام والفلاحة .

ط - وفي ١٦ ذي القعدة ١٣٨١هـ (٢٠ نيسان ١٩٦٢م) ترك عبد السلام الكناني وزارة التخطيط والفلاحة .

ي - وفي ٩ ربيع الأول ١٣٨٢هـ (٩ آب ١٩٦٢م) ترك الصادق المقدم وزارة الخارجية .

ك - وفي ١٢ شوال ١٣٨٣هـ (٢٥ شباط ١٩٦٤م) ترك الرشيد إدريس وزارة البريد والبرق والهاتف ، وعُيّن لها نجيب البوزيري .

ل - وفي ٨ رجب ١٣٨٤هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٦٤م) جرت التعديلات الآتية :

دخل محمد الجدي الوزارة ، وأسندت إليه وزارة الفلاحة .

وعبد الله فرحات ، وأسندت إليه وزارة البرق والبريد والهاتف .

والحبيب بورقيبة الابن ، وأسندت إليه وزارة الشؤون الخارجية .

وعبد الرزاق الرصاع ، وأسندت إليه وزارة المالية والتنمية .

والبشير الناجي ، وأسندت إليه وزارة الصناعة والتجارة .

وفتحي زهير ، وأسندت إليه وزارة الصحة العمومية .

وفي الوقت نفسه ترك الوزارة :

نجيب البوزيري وزير البريد والبرق والهاتف .

والطيب المهيري وزير الداخلية .

م - وفي ٧ ربيع الأول ١٣٨٥هـ (٥ تموز ١٩٦٥م) اشترك في الوزارة الباجي قائد السبسي ، =

أول بعد أن تسلّم الحبيب بورقيبة رئاسة الدولة ، وقد استمرّت حكومة الباهي الأدغم أكثر من ثلاث عشرة سنة .

بعد أن شكّل الباهي الأدغم الحكومة أخذ الرئيس الحبيب بورقيبة يتفحّص أعضاءها ، ويدرس ارتباطاتهم ، فأخذ يبعد منهم كل من يمتّ بصلةٍ مهما كان نوعها إلى صالح بن يوسف ، فأبعد مثلاً عزوز الرباعي وزير الشباب والرياضة ؛ ولمّا يُمض في الوزارة شهره الخامس .

= وعُهد إليه بوزارة الداخلية .

ن - وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ (٤ تشرين الأول ١٩٦٦م) ترك فتحي زهير وزارة الصحة العمومية .

س - وفي ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ (٢٦ تموز ١٩٦٧م) جرت التعديلات الوزارية الآتية :
ترك البشير الناجي وزارة الصناعة والتجارة ، وأُسندت إلى منصور معلى .
وترك محمد الجدي وزارة الفلاحة ، وأُسندت إلى الأسعد بن عصمان .

ع - وفي ٢٣ رجب ١٣٨٧هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٦٧م) اشترك الطيب السليم في الوزارة كوزير للدولة .

ف - وفي ١٤ محرم ١٣٨٨هـ (١٢ نيسان ١٩٦٨م) تسلّم محمد مزالي وزارة الداخلية .

ص - وفي ٢ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ(١٧ حزيران ١٩٦٩م) تسلّ الطاهر بلخوجة وزارة الفلاحة .

ق - وفي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ (٨ أيلول ١٩٦٩م) جرت التعديلات الآتية :
عُهد إلى محمد السنوسي بوزارة العدل .
وإلى حسان بلخوجة بوزارة الصناعة والتجارة .
وإلى إدريس قيقة بوزارة الصحة العمومية .

ر - وفي ٢٧ شعبان ١٣٨٩هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٦٩م) ترك أحمد بن صالح وزارة الصحة العمومية . واشترك في الوقت نفسه الشاذلي العياري بالوزارة حيث أُسندت إليه وزارة التخطيط ، ومحمد الصياح وعُهد إليه بوزارة الإعلام ، والصادق بن جمعة وأُعطي وزارة الشؤون الإجتماعية ، والتيجاني الشلّي وقُلّد وزارة الأشغال العمومية .

ش - وفي ٨ ربيع الثاني ١٣٩٠هـ (١٢ حزيران ١٩٧٠م) تسلّم الحبيب بولعراس وزارة الشؤون الثقافية ، وحسيب عمار وزارة الدفاع الوطني .

ت - وفي ١٣ ربيع الثاني ١٣٩٠هـ (١٧ حزيران ١٩٧٠م) عُهد إلى :
الحبيب بن الشيخ بوزارة الأشغال العمومية .
وبكار التوزاني بوزارة الاقتصاد .
وعبد العزيز بلطيف بوزارة التربية الوطنية .

النقابات : تشكّلت قبل الاستقلال بعض الاتحادات مثل : الاتحاد العام التونسي للشغل ، ومنظمة الصناعة والتجارة ، والمنظمات الفلاحية والطلابية والنسائية ، فلما نالت البلاد الاستقلال أرادت هذه المنظمات مضاعفة النشاط والانطلاق نحو أهدافها ، غير أنها اصطدمت مع السلطة التنفيذية ، وحدثت أزمة بين الطرفين ، فأراد الحبيب بورقيبة الإفادة بتعيين عدد من قياديي الاتحاد في الحكم ، فدخل الحكومة أحمد بن صالح ، ومصطفى الفيلالي ، ومحمود الخياري ؛ لعلّه يتمكّن من شراء بعضهم ، واحتواء بعضهم الآخر ، وتنتهي المشكلة لمصلحة السلطة التنفيذية . غير أن الأزمة قد تجدّدت مما أدّى إلى إقصاء بعض النقابيين من الحكومة مثل : مصطفى الفيلالي ، والأمين الشابي ، ومحمود الخياري ، وتعيين وزراء آخرين مكانهم مثل محمود المسعدي ، وأحمد نور الدين .

وحتى يكون تصرّف رئيس الجمهورية دستورياً ومبرّراً فقد نصّ الدستور في الفصل ٣٧ تاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٣٧٨هـ (١ حزيران ١٩٥٩م) على أن رئيس الجمهورية هو الذي يمارس السلطة التنفيذية . فكان هو الذي يعيّن الوزراء ، وهو الذي يعفيهم من مناصبهم أو يطردهم . ولما كان الحبيب بورقيبة وحدهِ في الميدان فقد كثر المتزلّفون إليه شخصياً ، والمرتبطون به فردياً .

معركة ساقية سيدي يوسف : كانت الثورة الجزائرية قد قويت ، وامتدّ لهيبها ، وكان بعض المجاهدين إذا اشتدّ عليهم الضغط دخلوا حدود تونس ، وكانت الحكومة التونسية ملزمة أدبياً بقبول ذلك أو السكوت عنه ، وكانت فرنسا تحتجّ دائماً على هذا السكوت التونسي ، وتعدّه مساعدة من تونس إلى الجزائريين ، أو أنه عدوان صريح على فرنسا ، ولم يكن لفرنسا أي وسيلة لإلزام تونس على إغلاق حدودها في وجه المجاهدين الجزائريين ، وأن الاتفاقية الموقّعة بين الطرفين لم تنصّ على شيء من هذا ، وكذلك وثيقة الاستقلال ، وكل ما هنالك أنه توجد اتفاقات ثقافية واقتصادية . أما من الناحية السياسية فإن الارتباط ؛ إنما هو مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وسبق أن ذكرنا أن

الولايات المتحدة تريد إضعاف النفوذ الفرنسي في مراكزه المنتشرة فيها ، والحلول مكانه ، لذا فهي ترغب من تونس إيواء المجاهدين الجزائريين في أراضيها وعدم الرضوخ للضغوط الفرنسية التي تمارسها ، ومن هنا كانت السياسة التونسية ملزمة لمساعدة الجزائريين أدبياً بصفة أن الجزائر دولة مجاورة وأن سكانها من العرب المسلمين ، ومجبرة سياسياً تبعاً للسياسة الأمريكية التي تنتهجها في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وخاصة ما بعد عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) . ولما وجدت فرنسا هذا الأمر كانت ترى أنه لا بدّ من الضغط العسكري لذا قامت في عام ١٣٧٨هـ بالاعتداء على ساقية سيدي يوسف حيث توجد بعض المراكز للمجاهدين الجزائريين حسب الزعم الفرنسي ، وقصف الطيران الفرنسي تلك المراكز والساقية ، ووقع عدد من القتلى ، فاحتجّت تونس رسمياً لمنظمة الأمم المتحدة ، وقامت الدول العربية تساندها وتشجب العدوان ، ثم حلّت القضية سلمياً .

مقتل صالح بن يوسف : وقُتل صالح بن يوسف خارج تونس في ظروف غامضة ، وذلك عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) ، وكان يعدّ من أبرز المعارضين للحكم التونسي ، لذا كانت الاتهامات بالقتل تشير إلى رئيس الحزب الدستوري الجديد ، وكان القتل في ألمانيا ، وعلى يد بشير زرق العيون ، وخفي الأمر يومها .

والسلطة كانت محتكرة بطريقة غير دستورية ؛ خارج الحزب بإخماد المعارضة ، وداخله باحتواء المنظمات كلها ، حيث حلّت كل الجمعيات التي كانت قائمة يوم الاستقلال ، وأصبح أعضاء اللجنة المركزية للحزب يُعيّنون من قبل رئيس الحزب .

محاولة الانقلاب : جرت في عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) محاولة انقلابٍ عسكريٍّ غير أنها فشلت ، ويبدو أن الاتهام كان موجّهاً إلى أعضاء الحزب الشيوعي . ولكن بعد القضاء على المحاولة جرى سكوتٌ مؤقّتٌ مدّةً من

الزمن ، ثم اتخذت التدابير اللازمة لذلك ، وقامت عملية بطش رهيبة كي لا يفكّر عسكري في العمل السياسي .

منع النشاط الحزبي : أعلن عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) عن تعطيل الحزب الشيوعي ، وإيقاف صحف المعارضة ، والإبقاء على الحزب الواحد إذ لم يُسمح لنشاط أي حزبٍ أو اتجاهٍ سياسيٍّ بعدها .

لقد كان رئيس الجمهورية ، رئيس الحزب الحاكم ، الحزب الدستوري يُعيّن الوزير الأول ، ويتقلّد بموجب ذلك الأمانة العامة للحزب على عكس ما يجب أن يكون ، إذ من المعروف أن الأمين العام للحزب يتولّى منصب الوزير الأول ؛ لا العكس .

وكان يُقبل في الحكومة أعضاء يحملون اتجاهاتٍ معارضةً للحزب أو مغايرةً له ، وكل ما هنالك أنهم يعلنون تخلّيهم عن أفكارهم السابقة ، وقبول آراء الحزب الحاكم ، وأنهم سيساهمون في مسيرة الحزب ولمصلحة الحكم ، فـ « محمد الصياح » يميل إلى الحزب الشيوعي ، و « زكريا بن مصطفى » يحمل أفكار حزب البعث ، و « المنجي بن حميدة » يميل إلى اليسار التروتسكي ، ومع ذلك فقد ساهموا جميعاً في الحكومات التونسية تحت مظلّة الحزب الحرّ الدستوري ، يتنكّر الواحد منهم لأفكاره ويتزلّف لرئيس الحزب حتى يصبح في الحكم .

معركة بنزرت : كانت وثيقة الاستقلال ، وما جرى من مفاوضات قبلها بين تونس وفرنسا قد تركت (بنزرت) قاعدةً لفرنسا . وقد حان لتونس أن تطالب بها ، وتسترجعها من أجل مصلحة البلاد ، وما تقتضيه الظروف السياسية في تحجيم النفوذ الفرنسي والإنكليزي في مناطق نفوذهما، وإحلال النفوذ الأمريكي محلّها ، كي تصبح الولايات المتحدة الدولة القوية وتدور دول حلفائها في فلكها لمصلحة حلف شمال الأطلسي ليكون اتخاذ القرار من مصدر واحد ؛ كما هو شأن « حلف وارسو » وليس من عدة مصادر كما هو شأن

« حلف شمالي الأطلسي » عندما يكون فيه عدة دولٍ قويةٍ ، ولن يفقد الحلف أية قوةٍ بإضعاف النفوذ الفرنسي أو الانكليزي لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ، فقوة الحلف هي مجموعة قوى الدول الداخلة فيه . فما ضاع من قوة إنكلترا أو فرنسا ذهب إلى الولايات المتحدة ، وبذا لن يخسر الحلف شيئاً من قوته ، وإنما يستفيد في التركيز على مصدرٍ واحدٍ يتخذ القرارات .

وكانت الحكومة التونسية بحاجةٍ إلى تقوية مركزها في الداخل بعد التفرّد بالسلطة ، وسياسة البطش التي اتبعتها ضدّ العسكريين ، وإلغاء تراخيص الصحف المعارضة ، وحظر الحزب الشيوعي ، ومقتل صالح بن يوسف ، واختفاء كل المنظمات ؛ ما عدا الحزب الحرّ الدستوري ، فلا بدّ من عمل شيءٍ يُعيد للحكومة مكانتها ، وكان موضوع قاعدة (بنزرت) أهم ما يؤدّي هذا الغرض .

طالبت تونس الفرنسيين بترك قاعدة (بنزرت) والانسحاب منها ، ولكن فرنسا رفضت ذلك ، وأصرت على البقاء فيها ؛ لأنها ضرورة بالنسبة لها ، وأخذت المقاومة تغير على القاعدة ، وتضرب أهدافاً فرنسية ، ووقعت أزمة بين الدولتين انتقلت إلى الأوساط الدولية ، وإلى أروقة الأمم المتحدة ، واضطرّت فرنسا إلى الانسحاب من بنزرت عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) بعد عدد من المعارك جرت بين التونسيين والفرنسيين .

التعديل إلى الاشتراكية : بدأ الاقتصاد التونسي يتدهور ، وأخذت تلوح في الجوّ إشارة أزمةٍ حادّةٍ ، فقدّم أحمد التليلي استقالته من الحزب الدستوري ، ورفع مذكرةً إلى رئيس الحزب يُصوّر فيها الأسباب التي أدّت إلى ذلك ، وطريقة الخلاص .

وكانت النتيجة أن اتجهت البلاد نحو الاشتراكية ، وغُيّر اسم الحزب من « الحزب الحرّ الدستوري » إلى « الحزب الاشتراكي الدستوري » ، وذلك عام

١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ، وكان هذا التغيير نتيجة الأسباب التالية :

١ ـ كانت الفكرة الاشتراكية قد عمّت في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري كثيراً من المجتمعات في العالم ، وخاصةً المجتمع العربي ، فكان ذلك مسايرةً للركب .

٢ ـ امتصاص نقمة المنادين بالاشتراكية، والذين خُدعوا بها دون معرفة، وإنما بسبب شيوعها والمناداة بها .

٣ ـ البرهان العملي على أن الاشتراكية تزيد في البؤس ، وتؤدّي إلى التواكل ، وهذا ما يدفع إلى محاربتها بعد تطبيقها والممارسة العملية لها .

٤ ـ التلويح بأن تونس غير مرتبطةٍ بالغرب ، وإنما هي دولة غير منحازة يمكن أن تأخذ بأي نظام تراه مناسباً لها ، أو تتوقّع النفع منه . وقد سبق أن ذكرنا أن الولايات المتحدة لا يهُمّها العناوين والشعارات وإنما تعطي الاهتمام كله إلى التوجّه السياسي ، فإن الشعارات الفارغة لا تملأ فراغاً ، وإنما تدفع إلى ردّ الفعل ، فلو وضعت على وعاءٍ مُلىء سكّراً ورقةً كُتب عليها ملح ؛ فإن ذلك لا يجعل المحتوى ملحاً ، ولا يُصير السكر مالحاً .

إن يوغوسلافيا كانت شيوعيةً في مُسمّاها ، رأسماليةً في منحاها ، أمريكيةً في توجّهها السياسي ، عيناً للرأسمالية في قلب الشيوعية .

لم يتغـيّر شيءُ في تونس بعـد تغيير العنـوان ولبس الشعار الجـديـد ، واستمرّت الأزمة ، واستقال أحمد المستيري ، وإنما الذي تغيّر أن صمت الذين يرغبون في الاشتراكية ، وكُمّت أفواههم .

السياسة العامة : لم تكن هناك أحداث جسام في سياسة تونس الخارجية بعد معركة (بنزرت) ، وإنما كانت أحداث داخلية ، وكان الشعب منصرفاً إلى قضاياه الخاصة مع تحرّقٍ على ما يجري على الساحة التونسية دون إمكانية فعل شيءٍ .

كـان الحبيب بورقيبـة رئيس الجمهوريـة ، رئيس الحزب الاشـتراكي

الدستوري أكثر نظرائه استهتاراً بالقيم وبعقيدة الشعب ، فكان يمارس ما يخالف عقيدة المسلمين ، ويجاهر بذلك ، ويصرّح ، ويصدر القوانين دون مراعاة لأية قيم ، فكان أن استصغر الأمة بعينه بعد أن رفعته ، وازدراها بعد أن سلّمته قيادها .

وكانت عنده من الناحية السياسية جرأة أن يقول ويعلن ما لا يجرؤ أحد من أمثاله أن يفعله ، وذلك لعدوم اهتمامه بالشعب . كانت في تلك المرحلة قد بلغت القضية الفلسطينية مرحلة دقيقة ، فالأمة الإسلامية كلها تكره أن تعترف بدولة اليهود في فلسطين ، والشعب العربي لا يمكن أن يقبل من أحدٍ أن يبحث في هذا الموضوع ، والطريق الدولية مسدودة ، وهناك تفاهم ضمني على الاعتراف ، ولكن يخشى من الأمة ، وثورة الشعب . وفي أواخر عام ١٣٨٤هـ عُقد مؤتمر القمة العربي، وبحث موضوع فلسطين والاعتراف بالوضع الراهن، وصمت الجميع ، وتعهّد الحبيب بورقيبة بإعلان ذلك إذ لا يهاب شعبه على أن لا يُهاجم ولا يُحرّض عليه ، وصمت الجميع موافقةً دون الإعلان ، وذهب وصرّح بذلك ، فانطلقت المظاهرات ضدّه ، واضطرّت وسائل إعلام من أقرّ بالسكوت ؛ على الهجوم عليه والتنديد به ، وكان نتيجة استهتاره بالقيم والعقيدة ، وجرأته السياسية التي تنبع من ازدرائه للشعب الذي يخالف سياسة رئيسه العامة أن أصبح الرئيس بورقيبة غير محبوب من قبل أكثر أبناء الشعب العربي وبقية الشعوب الإسلامية .

وقبض رئيس الحزب على ناصية الأمر بشكل قويٍّ ، فتقرّب منه أصحاب المصالح والأهواء ، وتزلّف إليه الطامعون في المناصب والوظائف ، وكان منهم أصحاب الاتجاهات المتباينة ، وسكت الآخرون من المسلمين الملتزمين الذين وجدوا أنهم لا يستطيعون فعل شيءٍ ، وخاصةً أن أمثالهم ينكّل بهم في كثيرٍ من الأمصار ، كما صمت العامة الذين لا يعرفون شيئاً لجهلهم بالعقيدة وعدم اهتمامهم بشيءٍ إذ ينصرفون إلى أعمالهم وشؤونهم الخاصة ، وهذا جلّ اهتمامهم .

وبقي العامة في جهةٍ ، يمارسون حياتهم اليومية ، عقيدتهم سليمة ، لا يرغبون الانخراط في السياسة لعدم وجود فراغٍ لها عندهم ، ولأن الأمور تضيع عندهم فلا يعرفون الحقّ من غيره ، فوسائل الإعلام تزيّن لهم الأخبار ، وما يعرفونه بطبيعتهم السليمة لا يتفق مع ذلك ، فيقعون في خضم الأحداث المتناقضة في أذهانهم . والمسلمون الملتزمون في جهةٍ ، يعلمون الواقع المرير ، ولا يمكنهم تغييره ، إذ ليس في أيديهم ما يساعدهم على ذلك ، وإذا كانوا يلقون محبةً وعطفاً وتأييداً من العامة غير أنه لا يمكنهم قيادتهم لتمنّع العامة نتيجة عدم معرفتهم الحقيقة ، ولخوفهم من مغبّة الأمر ، حيث يسمعون ما يجري في بقية الجهات .

وأما المجموعات الأخرى فيختلط بعضها مع بعض ، وكلها تسعى وراء مصالحها ، وتعمل لتحقيق أهدافها ، وإذا كان لكل منها وجهةٌ هو مولّيها إلّا أنه يمكنه أن يدخل إلى صفوف التجمعات الثانية ، لأنه لا يختلف أحدها عن الآخر ؛ إلّا في الوجهة التي هو مولّيها ، أما السلوك فهو واحد ينبع من مصدرٍ بعيدٍ عن الإسلام ، والتصرّف واحد ، والنظرة إلى الحياة المادية واحدة ؛ سواء أكانت مادية فردية (رأسمالية) ، أم جماعية (شيوعية) ، والأخلاق واحدة ، لذا فهم جميعاً يُبقون وجهتهم التي يولّون وجوههم نحوها في نفوسهم إلّا على من يعرفون أنهم يتفقون معهم تماماً في الوجهة، ثم يسيرون معاً يُظهرون الاتفاق فيتقاسمون المصالح ، وينهلون من المنهل نفسه .

وفي ٨ رمضان ١٣٩٠هـ (٦ تشرين الثاني ١٩٧٠م) أقصي الباهي الأدغم عن منصبه ، وكان غائباً عن تونس ، إذ كان في عمان في مهمّةٍ للمصالحة بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد كلّف بهذه المهمة من قبل جامعة الدول العربية ، وكانت تونس آنذاك تمرّ بأزمةٍ اقتصاديةٍ وسياسيةٍ حادّةٍ ، وعُيّن الهادي نويرة وزيراً أول[1] .

---

(١) الهادي نويرة : وُلد في ٧ ربيع الثاني ١٣٢٩هـ (٦ نيسان ١٩١١م) ، ويعود إلى ولاية =

= المنستير ، وقد درس الحقوق ، وكانت وزارته على النحو الآتي :

١ ـ الهادي نويرة : وزير أول .

٢ ـ محمد المصمودي : وزير الخارجية .

٣ ـ محمود المسعودي : وزير دولة للشؤون الثقافية .

٤ ـ الهادي خفشة : وزير التجهيز .

٥ ـ الشاذلي القليبي : وزير الإعلام والثقافة .

٦ ـ منصور معلى : وزير البريد والبرق والهاتف .

٧ ـ محمد مزالي : وزير الدفاع الوطني .

٨ ـ عبد الله فرحات : وزير النقل والمواصلات .

٩ ـ الحبيب بورقيبة الابن : وزير العدل .

١٠ ـ أحمد المستيري : وزير الرياضة والشباب .

١١ ـ عبد الرزاق الرصاع : وزير الصناعة والتجارة .

١٢ ـ الأسعد بن عصمان : الأشغال العمومية والإسكان .

١٣ ـ الحبيب بولعراس : وزير الإعلام .

١٤ ـ حسيب بن عمار : وزير الدفاع الوطني .

١٥ ـ الطاهر بلخوجة : وزير الداخلية .

١٦ ـ حسان بلخوجة : وزير الفلاحة .

١٧ ـ إدريس قيقة : وزير الشؤون الاجتماعية .

١٨ ـ الطيب سليم : وزير الدولة وممثل شخصي للرئيس .

١٩ ـ الشاذلي العياري : وزير التخطيط .

٢٠ ـ محمد الصياح : وزير دولة .

٢١ ـ الصادق بن جمعة : وزير دولة .

٢٢ ـ التيجاني الشلّي : وزير المواصلات .

٢٣ ـ الحبيب بن الشيخ : وزير المواصلات .

٢٤ ـ بكار التوزاني : وزير الكتابة العامة للحكومة .

٢٥ ـ فرح الجباسي : وزير التعليم الفني .

٢٦ ـ محمد غديرة : وزير الإنتاج الفلاحي .

٢٧ ـ المكي الزيدي : وزير الاقتصاد .

٢٨ ـ مصطفى الزعنوني : وزير التخطيط .

٢٩ ـ علي الزواوي : مدير البنك المركزي .

وقد جرت عدة تعديلات على هذه الوزارة التي دامت ما يقرب من عشر سنوات ، ومن هذه التعديلات :

أ ـ محمد الفيتوري : تسلّم وزارة العدل في ٨ رمضان ١٣٩٠هـ (٦ تشرين الثاني =

. . . .

= ١٩٧٠م) .

ب ـ أحمد المستيري: ترك وزارة الداخلية في ١٤ رجب ١٣٩١هـ (٤ أيلول ١٩٧١م) .

جـ ـ الحبيب بولعراس : تـرك وزارة الإعلام في ٢٣ ربيـع الثاني ١٣٩١هـ (١٧ حـزيران ١٩٧١م) .

د ـ وفي ١٠ رمضان ١٣٩١هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٧١م) جرى تعديل وزاري واسع ، إذ أن :

عبد الرزاق الرصاع : ترك وزارة الصناعة والتجارة .

وحسيب عمار : ترك وزارة الدفاع الوطني .

والبشير المهذبي : جاء إلى وزارة الدفاع الوطني .

وعبد الرحمن بن مسعود : جاء إلى وزارة الفلاحة .

والضاوي الحنابلية : جاء إلى وزارة الداخلية .

وعبد الحميد ساسي : جاء إلى وزارة التجهيز والإسكان .

وأحمد شطورو : جاء إلى وزارة الشباب والرياضة .

ومحمد بللونة : جاء إلى وزارة العدل .

وحامد الزغل : جاء إلى وزارة التربية القومية .

وفرحات الدشراوي : جاء إلى وزارة الشؤون الاجتماعية .

هـ ـ علي الزواوي : ترك البنك المركزي في ٤ محرم ١٣٩٢هـ (١٨ شباط ١٩٧٢م) . و ـ محمد غنيمة : عُهد إليه بالبنك المركزي في ١٩ محرم ١٣٩٢هـ (٤ آذار ١٩٧٢م) .

ز ـ التيجاني الشلّي : عُهد إليه بوزارة المواصلات في ٧ صفر ١٣٩٢هـ (٢٢ آذار ١٩٧٢م) .

ح ـ وجرى في ٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ (٥ حزيران ١٩٧٣م) التعديلات الآتية :

أحمد شطورو : ترك وزارة الشباب والرياضة .

محمد بللرنة : ترك وزارة العمل .

صلاح الدين بالي : عُهد إليه بوزارة العدل .

ط ـ وجرى في ٢ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ (٢ تموز ١٩٧٣م) التعديل الآتي :

بكار التوزاني : ترك الكتابة العامة للحكومة .

المنصف بلحاج عمر : عُهد إليه بالكتابة العامة للحكومة .

ي ـ صلاح عبد الله : تسلّم وزارة الإعلام في ٧ شعبان ١٣٩٣هـ (٤ أيلول ١٩٧٣م) .

ك ـ عبد العزيز الخمراوي : تسلّم وزارة الشؤون الخارجية في ١٠ شوال ١٣٩٣هـ (٥ تشرين الثاني ١٩٧٣م) . =

. . . .

= ل ـ الطيب سليم : ترك وزارة الدولة وكممثل شخصي للرئيس في ٢٥ شوال ١٣٩٣هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣م) .

م ـ وجرى في ٦ ذي القعدة ١٣٩٣هـ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٣م) التعديل الآتي :

الحبيب بن الشيخ : ترك وزارة المواصلات .

العربي الملاخ : تسكّلم وزارة التجهيز والإسكان .

فؤاد المبزع : تسلّم وزارة الشباب والرياضة .

ن ـ وجرى في ٢١ ذي الحجة ١٣٩٣هـ (١٤ كانون الثانى ١٩٧٤م) التعديل الآتي :

محمد المصمودي : ترك وزارة الشؤون الخارجية .

الحبيب الشطي : تسلّم وزارة الشؤون الخارجية .

فرحات الدشراوي : ترك وزارة الشؤون الاجتماعية .

محمد الناصر : تسلّم وزارة الشؤون الاجتماعية .

أحمد بندور : تسلّم وزارة الدفاع الوطني .

س ـ وجرى في ١٣ صفر ١٣٩٤هـ (٧ آذار ١٩٧٤م) التعديل الآتي :

صلاح الدين عبد الله : ترك وزارة الإعلام .

محمود المعموري : تسلّم وزارة الإعلام .

ع ـ المكي الزيدي : ترك وزارة الاقتصاد في ١٣ ربيع الأول ١٣٩٤هـ (٥ نيسان ١٩٧٤م) .

ف ـ وجرى في ٩ رمضان ١٣٩٤هـ (٢٥ أيلول ١٩٧٤م) التعديل الآتي :

حامد الزعل : ترك وزارة التربية القومية .

عبد العزيز الخمراوي : ترك وزارة الشؤون الخارجية .

محمود المعموري : ترك وزارة الإعلام .

مصطفى المصمودي : استلم وزارة الإعلام .

الهادي الزعل : عُهد إليه بوزارة التربية القومية .

عبد العزيز الأصرم : عُهد إليه بوزارة الاقتصاد .

المنجي الكعكي : عُهد إليـه بوزارة الشؤون الخارجية .

ص ـ عبد الرحمن بن مسعود : ترك وزارة الفلاحة في ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ (٢٦ أيار ١٩٧٥م) .

ق ـ الشاذلي العياري : ترك وزارة التخطيط في ٨ صفر ١٣٩٥هـ (١٩ شباط ١٩٧٥م) .

ر ـ الهادي خفشة : ترك وزارة التجهيز في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٩٦هـ (٢٥ أيار ١٩٧٥م) .

ش ـ إبراهيم التركي : تسلّم وزارة الخارجية في ٢٤ رجب ١٣٩٦هـ (٢١ تموز ١٩٧٦م) . =

ت ـ محمود المسعدي : ترك وزارة الدولة للشؤون الثقافية في ١٧ ذي الحجة ١٣٩٦هـ (٩ كانون الأول ١٩٧٦م) .

غ ـ وفي ١٦ محرم ١٣٩٨هـ (٢٦ كانون الأول ١٩٧٧م) جرى التعديل الآتي :

الحبيب الشطي : ترك وزارة الشؤون الخارجية .

المنجي بن حميدة : عُهد إليه بوزارة الصحة العمومية .

محمد جمعة : عُهد إليه بوزارة الشؤون الاجتماعية .

صلاح الدين مبارك : عُهد إليه بوزارة الصناعة والاقتصاد .

عبد العزيز المطهري : عُهد إليه بوزارة المالية .

رشيد صفر : عُهد إليه بوزارة المناجم والطاقة .

نور الدين الكتاري : عُهد إليه بوزارة الشؤون الاجتماعية ـ التكوين المهني .

عثمان كشريد : عُهد إليه بالكتابة العامة للحكومة في وزارة الداخلية .

ظ ـ المنجي من حميدة ترك وزارة الصحة العمومية .

ض ـ إبراهيم التركي : ترك وزارة الخارجية في ١٠ رمضان ١٣٩٨هـ (١٣ آب ١٩٧٨م) .

ث ـ عبد العزيز بن ضياء : عُهد إليه بوزارة التعليم والبحث العلمي في ١٨ شوال ١٣٩٨هـ .

خ ـ مصطفى المصمودي : ترك وزارة الإعلام في ١٨ شوال ١٣٩٨هـ (٢٠ أيلول ١٩٧٨م) .

ذ ـ محمد اليعلاوي : عُهد إليه بوزارة الشؤون الثقافية في ١٨ شوال ١٣٩٨هـ (٢٠ أيلول ١٩٧٨م) .

ـ الشاذلي القليبي : ترك وزارة الثقافة في ٣ شعبان ١٣٩٩هـ (٢٨ حزيران ١٩٧٩م) .

ـ عبد الله فرحات : ترك وزارة النقل والمواصلات في ٢٠ شوال ١٣٩٩هـ (١٢ أيلول ١٩٧٩م) .

ـ وجرى تعديل وزاري في ١٧ ذي الحجة ١٣٩٩هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٧٩م) حيث أن :

محمد اليعلاوي : ترك وزارة الشؤون الثقافية .

نور الدين الكتاري : ترك وزارة الشؤون الاجتماعية ـ التكوين المهني .

محمد علي السويس : عُهد إليه بوزارة التجهيز .

محمد جمعة : ترك وزارة الشؤون الاجتماعية .

عمر رورو : عُهد إليه بوزارة الصناعة والمناجم والطاقة .

عبد الحميد ساسي : عُهد إليه بوزارة التجهيز والاسكان .

عقد الحزب مؤتمره الثامن عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) فحدثت أزمة في داخله نتيجة إبداء آراء في حرية التعبير عن الرأي ، فأبعد عدد من قادته ، وجرى نتيجة ذلك تعديل في الوزارة .

الوحدة مع ليبيا : جرت اتصالات سريعة بين الحكومتين الليبية والتونسية في أواخر عام ١٣٩٣هـ ، وكان نتيجة الاتصالات إعلان الوحدة بين الدولتين ، ولم يطل أمدها ، إذ لم تلبث أن انفصمت عراها ، وفشلت الوحدة ، وأقيل وزير الشؤون الخارجية التونسي محمد المصمودي في ٢١ ذي الحجة ١٣٩٣هـ (١٤ كانون الثاني ١٩٧٤م) .

الخلاف مع الاتحاد العام التونسي للشغل : حدثت أزمة بين الحكومة وبين الاتحاد العام التونسي للشغل في مطلع عام ١٣٩٨هـ ، وجرى تعديل وزاري ، وقامت إثر ذلك أحداث في ١٧ صفر ١٣٩٨هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٧٨م) ، وجرت إثرها محاكمة القيادة النقابية ، واضطرّت الحكومة لأول مرةٍ إلى أن تلجأ إلى الجيش لإخماد الحركة ، وأخذ الاستعداد خوفاً من المضاعفات ، وعُزل الطاهر بلخوجة ، وقدّم ستة وزراء استقالتهم ، إذ حدث انقسام داخل الحكومة بعد عزل وزير الداخلية .

أحداث قفصة : وقعت أحداث دامية في مدينة قفصة في تاريخ ١٤ صفر ١٤٠٠هـ (٢ كانون الثاني ١٩٨٠م) ، وكانت وسائل الإعلام التونسية تشير إلى ليبيا بأنها وراء الأحداث ، مما أدّى إلى توتّر العلاقات بين الدولتين .

= إبراهيم خواجة : عُهد إليه بوزارة النقل والمواصلات .
العربي الملاخ : ترك وزارة التجهيز والإسكان .
محمد شاكر : عُهد إليه بالوظيفة العمومية والإصلاح الإداري .
المنصف زعفران : عُهد إليه بالكتابة العامة للحكومة .
ـ عثمان كشريد : عُهد إليه بالكتابة العامة للحكومة ـ وزارة الداخلية في ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ (١ آذار ١٩٨٠م) .

واضطّرت الحكومة إلى اللجوء إلى الجيش للمرّة الثانية للتدخّل لإخماد الأحداث التي وقعت في قفصة ، وهذا ما رفع أيضاً من شأن وزير الدفاع الوطني محمد مزالي عند رئيس الجمهورية . وهيّأه لاستلام منصب الوزير الأول .

وأصيب الوزير الأول الهادي نويرة بمرض عقب أحداث قفصة ؛ إذ كان لها أثر بالغ في نفسه .

وفي ١٠ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ (٢٥ نيسان ١٩٨٠م) ، بينما كان الوزير الأول الهادي نويرة مريضاً يلازم بيته منذ أربعة أشهر ، وإثر حوادث قفصة أقصي الوزير الأول عن منصبه ، وكلّف محمد مزالي برئاسة الوزراء[1] ،

---

(١) محمد مزالي : وُلد في المنستير في ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٢٥م)، وقد درس الآداب ـ قسم الفلسفة . وكانت وزارته على النحو الآتي :

١ ـ محمد مزالي : وزير أول .
٢ ـ الحبيب بورقيبة الابن : مستشار رئيس الدولة .
٣ ـ الباجي قائد السبسي : وزير معتمد لدى الوزير الأول .
٤ ـ الأسعد بن عصمان : وزير الفلاحة .
٥ ـ منصور معلى : وزير المالية .
٦ ـ الطاهر بلخوجة وزير الإعلام .
٧ ـ حسان بلخوجة : وزير الخارجية .
٨ ـ إدريس قيقة : وزير الداخلية .
٩ ـ محمد الصياح : وزير إدارة الحزب .
١٣ ـ المنصف بلحاج عمر : الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري .
١٤ ـ فؤاد المبزع : وزير الشؤون الثقافية .
١٥ ـ محمد الناصر : وزير الشؤون الاجتماعية .
١٦ ـ أحمد بنور : وزير الدفاع الوطني .
١٧ ـ المنجي الكعكي : الممثل الشخصي لرئيس الدولة .
١٨ ـ الهادي الزغل : وزير الشباب والرياضة .
١٩ ـ عبد العزيز الأصرم : وزير الإقتصاد .
٢٠ ـ صلاح الدين مبارك : وزير التجارة والصناعة .
٢١ ـ رشيد صفر : وزير الاقتصاد .

=

= ١٠ ـ الصادق بن جمعة : وزير التجهيز .

٢٢ ـ عبد العزيز بن ضياء : إدار الحزب ـ الشؤون الثقافية .

١١ ـ محمد غنيمة : مدير البنك المركزي .

٢٣ ـ إبراهيم خواجة : وزير البريد والبرق والهاتف .

١٢ ـ صلاح الدين بالي : وزير الدفاع .

٢٤ ـ محمد شاكر : الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري في وزارة العدل .

ولكن جرت تعديلات وزارية على النحو الآتي :

ـ محمد غنيمة : ترك إدارة البنك المركزي التونسي في ١٠ رمضان ١٤٠٠هـ (٢٢ تموز ١٩٨٠م) .

ـ الهادي الزغل : ترك وزارة الشباب والرياضة في ٢٤ شوال ١٤٠٠هـ (٤ أيلول ١٩٨٠م) .

ـ فرج الشاذلي : عُهد إليه بوزارة التربية القومية في ١٤ شوال ١٤٠٠هـ (٢٥ آب ١٩٨٠م) .

ـ المنصف بلخوجة : عُهد إليه بإدارة البنك المركزي في ٣٠٠ شعبان ١٤٠٠هـ (١٢ تموز ١٩٨٠م) .

ـ محمد كريم : عُهد إليه بوزارة الشباب والرياضة في ٢٤ شوال ١٤٠٠هـ (٤ أيلول ١٩٨٠م) .

ـ المازري شقير : عُهد إليه بالوظيفة العمومية والإصلاح الإداري في ٢٦ محرم ١٤٠١هـ (٣ كانون الأول ١٩٨٠م) .

ـ البشير بن سلام : عُهد إليه بوزارة الشؤون الثقافية في ٢٦ صفر ١٤١٠هـ (٢ كانون الثاني ١٩٨١م) .

ـ حسان بلخوجة : ترك وزارة التربية الخارجية في ١١ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ (١٥ نيسان ١٩٨١م) .

ـ محمود المستيري : عُهد إليه بوزارة الشؤون الخارجية في ١٠ شوال ١٤٠١هـ (١٠ آب ١٩٨١م) .

ـ زكريا بن مصطفى : عُهد إليه برئاسة بلدية العاصمة في ٢٤ محرم ١٤٠٢هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٨١م) .

ـ أحمد بن عرفة : عهد إليه بوزارة الخارجية في ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ (١٧ آذار ١٩٨٣م) .

ـ منصور معلى : ترك وزارة المالية في ٨ رمضان ١٤٠٣هـ (١٨ حزيران ١٩٨٣م) . =

. . . .

=

ـ الطاهر بلخوجة : ترك وزارة الإعلام في ٨ رمضان ١٤٠٣هـ (١٨ حزيران ١٩٨٣م) .
ـ عبد الرزاق الكافي : عُهد إليه بوزارة الإعلام في ٨ رمضان ١٤٠٣هـ (١٨ حزيران ١٩٨٣م) .
ـ صالح بن مبارك : عُهد إليه بوزارة المالية في ٨ رمضان ١٤٠٣هـ (١٨ حزيران ١٩٨٣م) .
ـ عز الدين شلبي : عُهد إليه بوزارة السياحة في ٨ رمضان ١٤٠٣هـ (١٨ حزيران ١٩٨٣م) .
ـ إسماعيل خليل : عُهد إليه بوزارة التخطيط في ٨ رمضان ١٤٠٣هـ (١٨ حزيران ١٩٨٣م) .
ـ عبد العزيز الأصرم : عُهد إليه بوزارة الاقتصاد في ٨ محرم ١٤٠٤هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٨٣م) .
ـ الحبيب التوهامي : عُهد إليه بوزراة الصحة العمومية في ٨ محرم ١٤٠٤هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٨٣م) .
ـ فتحية مزالي : عُهد إليه بوزارة العائلة والنهوض بالمرأة في ٢٥ محرم ١٤٠٤هـ (١ تشرين الثاني ١٩٨٣م) .
ـ سعاد اليعقوبي الوحشي : عُهد إليها بوزارة الصحة العمومية في ٢٥ محرم ١٤٠٤هـ (١ تشرين الثاني ١٩٨٣م) .
ـ عامر غديرة : عُهد إليه بوزارة الداخلية في ٤ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ (٧ كانون الثاني ١٩٨٤م) .
ـ إدريس قيقة : عُهد إليه بوزارة التربية القومية في ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٨٤م) .
ـ الحبيب التوهامي : ترك وزارة الصحة العمومية في ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ (٢٠ كانون الثاني ١٩٨٤م) .
ـ الهادي البكوش : عُهد إليه بإدارة الحزب والشؤون الاجتماعية في ١١ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ (١٣ آذار ١٩٨٤م) .
ـ الهادي البكوش : عُهد إليه بإدارة الحزب والشؤون الاجتماعية في ١١ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ (١٣ آذار ١٩٨٤م) .
ـ المنصف بلحاج عمر : ترك الوظيفة العمومية في ٢٩ ذي القعدة ١٤٠٤هـ (٢٥ آب ١٩٨٤م) .
ـ الصادق بن جمعة : ترك وزارة التجهيز في ٢٩ ذي القعدة ١٤٠٤هـ (٢٥ آب ١٩٨٤م) . =

. . . .

=

- محمد شاكر : ترك الوظيفة العمومية - العدل في ٤ صفر ١٤٠٥هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م) .
- أحمد بنور : ترك وزارة الدفاع الوطني في ٤ صفر ١٤٠٥هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م) .
- زين العابدين بن علي : عُهد إليه بوزارة الداخلية في ٤ صفر ١٤٠٥هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م) .
- رضا بن علي : عُهد إليه بوزارة العدل في ٤ صفر ١٤٠٥هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م) .
- منصور السخيري : عُهد إليه بإدارة الديوان الرئاسي في ٦ محرم ١٤٠٦هـ (٢٠ أيلول ١٩٨٥م) .
- الهادي أبو ريشة : عُهد إليه بوزارة الشباب والرياضة في ٩ صفر ١٤٠٦هـ (٢٣ تشرين الأول ١٩٨٥م) .
- نور الدين حشاد : عُهد إليه بوزارة الشغل في ٩ صفر ١٤٠٦هـ (٢٣ تشرين الأول ١٩٨٥م) .
- رضا حمزة : عُهد إليه بوزارة الحماية الاجتماعية في ٩ صفر ١٤٠٦هـ (٢٣ تشرين الأول ١٩٨٥م) .
- محمد كريم : ترك وزارة الشباب والرياضة في ٩ صفر ١٤٠٦هـ (٢٣ تشرين الأول ١٩٨٥م) .
- محمد الناصر : ترك وزارة الشؤون الاجتماعية في ٩ صفر ١٤٠٦هـ (٢٣ تشرين الأول ١٩٨٥م) .
- الحبيب بورقيبة الابن : ترك منصب مستشار الرئيس في ٢٦ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ (٧ كانون الثاني ١٩٨٦م) .
- المنجي الكعكي : ترك منصب الممثل الشخصي للرئيس في ١١ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٨٦م) .
- رضا بن علي : ترك وزارة العدل في ٢ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٨٦م) .
- محمد صالح العياري : عُهد إليه بوزارة العدل في ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ (١٢ شباط ١٩٨٦م) .
- المنصف بلخوجة : ترك إدارة البنك المركزي في ٥ رجب ١٤٠٦هـ (١٥ آذار ١٩٨٦م) .
- محمد السخيري : عُهد إليه بإدارة البنك المركزي في ٥ رجب ١٤٠٦هـ (١٥ آذار ١٩٨٦م) .

=

غير أنه لم يدخل في الوزارة من جديد سوى فرج الشاذلي ، ولم ينته العام حتى أبعد من الحكومة الوزراء الذين عُرفوا بصلتهم القوية مع الهادي نويرة ، وأعيد كثير من الوزراء الذين سبق لهم الخدمة في الحكومة ، وذلك بما عُرف بسياسة « الانفتاح » لمسح آثار الأزمة التي حدثت . فمن الوزراء الذي أبعدوا لصلتهم بالهادي نويرة : الوزير الأول السابق محمد الفيتوري ، ومصطفى الزعنوني ، والضاوي حنابلية ، والهادي الزغل ، وعبد العزيز المطهري ، وعثمان كشريد ، وصلاح الدين بن مبارك ، ومحمد علي السويسي ، وعمر رورو ، والمنصف زعفران ، كما ترك محمد غنيمة مركزه كمحافظ للبنك المركزي . وكان من أبرز الذين أعيدوا : الباجي قائد السبسي ، ومنصور معلّى ، والطاهر بلخوجة ، وإدريس قيقة ، والصادق بن جمعة ، والمنصف بلحاج عمر ، وعبد العزيز الأصرم ، والمنجي الكعكي ، وهؤلاء كانت قد حدثت خلافات بينهم وبين الهادي نويرة .

إن السياسة التي سار عليها محمد مزالي رئيس الحكومة والتي أطلق عليها سياسة الانفتاح قد شجّعت أصحاب الاتجاهات على التحرّك والنشاط ، ومن

= ـ المازري شقير : ترك الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري في ٢٨ رجب ١٤٠٦هـ (٧ نيسان ١٩٨٦م) .
ـ الهادي بوريشة : ترك وزارة الشباب والرياضة في ٢٨ رجب ١٤٠٦هـ (٧ نيسان ١٩٨٦م) .
ـ حامد القروي : عُهد إليه بوزارة الشباب والرياضة في ٢٨ رجب ١٤٠٦هـ (٧ نيسان ١٩٨٦م) .
ـ عمر الشاذلي : عُهد إليه بوزارة التربية والتعليم في ٢٦ شعبان ١٤٠٦هـ (٥ أيار ١٩٨٦م) .
ـ عامر غديرة : ترك وزارة الداخلية في ٢٦ شعبان ١٤٠٦هـ (٥ أيار ١٩٨٦م) .
ـ فرج الشاذلي : ترك وزارة التربية القومية في ٢٦ شعبان ١٤٠٦هـ (٥ أيار ١٩٨٦م) .
ـ البشير بن سلامة : ترك وزارة الشؤون الثقافية في ٤ رمضان ١٤٠٦هـ (١٢ أيار ١٩٨٦م) .
ـ محمد علي بوليمان : عُهد إليه برئاسة بلدية العاصمة في ٥ رمضان ١٤٠٦هـ (٢٣ حزيران ١٩٨٦م) .
ـ نور الدين حشاد : ترك وزارة الشغل في ١٦ شوال ١٤٠٦هـ (٢٣ حزيران ١٩٨٦م) .

ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الحزب الحاكم الحزب الاشتراكي الدستوري قد ازدحم عليه مختلف أصحاب المصالح من الاتجاهات كلها، وخاصةً الذين ليست لديهم إمكانات ، وهذا ما دفعهم إلى التوجّه نحو الحزب ؛ لتغطية ضعفهم ، وستر عيوبهم ، وأرادوا تعويض النقص بالإلحاح في طلب المناصب ، فامتلأت الدوائر بالرجال غير الأكفاء حتى المراكز العليا ومنها الوزارات ، لذا كانت الحكومة تضطرّ إلى التغيير الدائم في المراكز الإدارية ، بل ويضطرّ الوزير الأول إلى التعديل الوزاري .

جرت الانتخابات التشريعية عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ، وجرت عمليات تزوير في النتائج باعتراف الوزير نفسه في الرسالة التي وجّهها إلى رئيس الجمهورية فيما بعد ، وكان لهذا التزوير زيادة في فقدان الثقة من قبل الشعب بالسلطة ، بل وتعدّى ذلك إلى داخل الحكومة ذاتها .

عودة الحزبية : وفي العام نفسه (١٤٠١هـ) صدر قرار برفع الحظر عن الحزب الشيوعي ، فأخذ أفراده يتحرّكون ، وكان قد انتهى دور زعماء الحزب الحاكم التاريخيين ، وبرز الذين دخلوا حديثاً في الحزب ؛ سواء أكان دخولهم عن قناعةٍ أم عن مصلحةٍ فقد خفّت حماستهم .

وفي عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) أعطي ترخيص لحزبين هما : حزب حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ، وحزب الوحدة الشعبية .

ووجدت تجمعات وأحزاب دون ترخيص رسمي ، غير أن نشاط أفرادها واضح ، ومنها :

١ ـ تجمع الدراسات والعمل الاشتراكي التونسي .
٢ ـ حزب البعث .
٣ ـ منظمة العمل التونسي .
٤ ـ منظمة الشعلة .
ـ تجمع الاشتراكي التقدمي .

٦ ـ الاتجاه الإسلامي .

ولم يكن لهذه الفئات أي دورٍ في الحكم . ولكن برز الاتجاه الإسلامي بشكلٍ قوي ، وإن كانت بقية الفئات قد سبقته بالظهور لأن كثيراً من أفرادها كانوا ضمن أعضاء الحزب الحاكم ، ويمكن اختلاط الأفراد بعضهم مع بعض بل المزج والانصهار ، وذلك أن أفكارهم إنما تنبع من مصدرٍ واحدٍ ، ويلتقون في هدفٍ واحدٍ ، وكلها تعود إلى أسس ماديةٍ ، إضافةٍ إلى أن التصرّف والسلوك ينطلق من فكرة عدم التقيد بأية قيم أو مبدأ أو عقيدة ، كما أن ذلك لا يناقض الفكر الذي يحملونه والمنهج الذي يسيرون عليه . أما الاتجاه الإسلامي فله فكره الذي ينبثق من العقيدة ، وله منهجه الخاص ، ولأفراده السلوك والتصرّف الذي ينسجم مع ما يؤمنون به ، وهو يختلف تمام الاختلاف عمّا يتصرّفه غيرهم من غير الملتزمين الذين لا ضوابط لسلوكهم.

ومع نشاط الاتجاه الإسلامي اتجهت الأنظار نحوه ولقي تأييداً من الشعب ، وفي الوقت نفسه أخذت الحكومة تضغط عليه ، فبدأت الاعتقالات ، وفتحت السجون أبوابها لأفراده من غير تهمةٍ سوى العمل غير المشروع مع بثّ الشائعات .

الانتفاضة عام ١٤٠٤هـ : أصدرت الحكومة قراراً برفع التعويض عن المواد الغذائية الأساسية ومنها الدقيق ، ومن قبل كانت تدفع تعويضات عنها ، فارتفعت الأسعار مباشرة ، وفُقد الخبز من السوق ، وقام الشعب يوم ٣٠ ربيع الأول ١٤٠٤هـ (٣ كانون الثاني ١٩٨٤م) بانتفاضةٍ ضدّ الحكومة ، يُطالب بالخبز وبالمواد الاستهلاكية التي ارتفعت أسعارها كثيراً ، أو فُقدت تماماً نتيجة عدم دفع التعويضات عنها .

وكان لهذه الانتفاضة الدور الإعلامي الواسع الذي هزّ الحكم ، ودفع السلطة إلى محاكمة إدريس قيقة .

أوضاع الرئيس : أخذت أوضاع الرئيس الحبيب بورقيبة تزداد سوءاً سواء أكانت الجسمية أم النفسية ، لذا نراه يقوم بعزل ابنه الحبيب بورقيبة الابن ، ثم يطلّق زوجته وسيلة بنت عمار ، ثم أخذت تراوده الشكوك في رئيس وزرائه ، فنراه يعزل المقربين إليه في الحكم ، ثم يعزل وزيرة العائلة والنهوض بالمرأة فتحية مزالي[1] زوجة رئيس الوزراء محمد مزالي ، وذلك في تاريخ ١٦ شوال ١٤٠٦هـ (٢٣ حزيران ١٩٨٦م) . وأخذ يتصرّف دون مبالاة بأحد ؛ سواء في الناحية السياسية أم في الناحية الأخلاقية ، وأخذ الناس يسخرون منه ؛ وإن كانوا يخشون بأسه خوفاً من إعطاء الأوامر ضدّهم لسببٍ أو دون سبب .

وفي ٢ ذي القعدة ١٤٠٦هـ (٨ تموز ١٩٨٦م) تمّ إقصاء محمد مزالي عن الحكومة بعد إبعاد الوزراء المقربين إليه واحداً بعد واحدٍ ، وبعد أسابيع صدر أمر بمنعه من السفر خارج البلاد ، ففرّ متخفياً عبر الحدود إلى الجزائر ، وصدر حكم بسجنه غيابياً . وكان قد كلّف رشيد صفر[2] وزير الاقتصاد في

---

(١) نسبت إلى زوجها على القاعدة الأوربية النصرانية في انتساب المرأة إلى زوجها ، وفقدان شخصيتها ، وهذا لا يصحّ في الإسلام ، إذ أن للمرأة شخصيتها وتحافظ عليها سواء أكان ذلك قبل الزواج أم بعده .

(٢) رشيد صفر : من ولاية المهدية ، وُلد في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ (١١ أيلول ١٩٢٣م) ، ودخل في وزارة الهادي نويرة ، كم اشترك في وزارة محمد مزالي ، إذ تسلّم الاقتصاد ، ثم عُهد إليه بالوزارة الأولى ، وكانت وزارته على النحو الآتي :

١ ـ رشيد صفر : الوزير الأول .
٢ ـ الأسعد بن عصمان : وزير النقل والمواصلات .
٣ ـ محمد الصياح : وزير التجهيز .
٤ ـ محمد غديرة : الإنتاج الفلاحي والصناعات الغذائية .
٥ ـ صلاح الدين بالي : وزير الدفاع الوطني .
٦ ـ صلاح الدين بن مبارك : وزير الصناعة .
٧ ـ عبد العزيز بن ضياء : وزير الشؤون الثقافية .
٨ ـ محمد كريم : وزير النقل .

=

٩ ـ إبراهيم خواجة : وزير البريد والبرق والهاتف .
١٠ ـ محمود المستيري : وزير الشؤون الخارجية .
١١ ـ أحمد بن عرفة : وزير الشؤون الخارجية .
١٢ ـ زكريا بن مصطفى : رئيس بلدية العاصمة .
١٣ ـ عبد الرزاق الكافي : وزير الإعلام .
١٤ ـ صالح بن مباركة : وزير الطاقة والمناجم .
١٥ ـ عز الدين الشلبي : وزير السياحة .
١٦ ـ سعاد اليعقوبي الوحشي : الصحة العمومية .
١٧ ـ إسماعيل خليل : وزير المالية .
١٨ ـ الهادي البكوش : وزير الشؤون الاجتماعية .
١٩ ـ زين العابدين بن علي : وزير الداخلية .
٢٠ ـ رضا حمزة : وزير الحماية الاجتماعية .
٢١ ـ منصور السخيري : الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري .
٢٢ ـ محمد صالح العياري : وزير العدل .
٢٣ ـ محمد السخيري : مدير البنك المركزي .
٢٤ ـ حامد القروي : وزير الشباب والرياضة .
٢٥ ـ عمر الشاذلي : وزير التربية القومية .
٢٦ ـ محمد علي بوليمان : رئيس بلدية العاصمة .

وقد جرت تعديلات وزارية على هذه الحكومة :

ـ عز الدين الشلبي : ترك وزارةالسياحة في ١٣ ذي القعدة ١٤٠٦هـ (١ تموز ١٩٨٦م) .
ـ رضا حمزة ترك وزارة الحماية الاجتماعية في ٢٤ ذي القعدة ١٤٦٠هـ (١٩ تموز ١٩٨٦م) .
ـ الهادي المبروك : تسلّم وزارة الشؤون الخارجية في ١١ محرم ١٤٠٧هـ (١٥ أيلول ١٩٨٦م) .
ـ محمود المستيري : ترك وزارة الشؤون الخارجية في ٣ صفر ١٤٠٧هـ (٧ تشرين الأول ١٩٨٦م) .
ـ الطيب السحباني : تسلّم وزارةالشؤون الخارجية في ٣ ربيع الأول ١٤٠٧هـ (٥ تشرين الثاني ١٩٨٦م) .
ـ حسين الشريف : تسلّم منصب الوظيفة العمومية والإصلاح اداري في ١٨ رمضان ١٤٠٧هـ (١٦ أيار ١٩٨٧م) .

الوزارة السابقة بالوزارة الأولى وعُهد إليه بتشكيل الحكومة .

وفي ٩ صفر ١٤٠٨هـ (٢ تشرين الأول ١٩٨٧م) كلّف الرئيس الحبيب بورقيبة زين العابدين بن علي[1] ـ وزير الداخلية في وزارة رشيد صفر

= ـ عبد القادر المهيري : تسلّم وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في ١٨ رمضان ١٤٠٧هـ (١٦ أيار ١٩٨٧م) .
ـ الهادي خليل : تسلّم وزارة التربية والتعليم [الابتدائي والثانوي] في ١٨ رمضان ١٤٠٧هـ (١٦ أيار ١٩٨٧م) .
ـ عبد الرزاق الكافي : ترك وزارة الإعلام في ١٧ محرم ١٤٠٨هـ (١٠ أيلول ١٩٨٧م) .
ـ عبد الوهاب خليل : تسلم وزارة الإعلام في ١٧ محرم ١٤٠٨هـ (١٠ أيلول ١٩٨٧م) .
ـ محمد الغنوشي : تسلّم وزارة التخطيط في ١٧ محرم ١٤٠٨هـ (١٠ أيلول ١٩٨٧م) .
ـ النوري الزرقطاني : تسلّم وزارة المالية في ١٧ محرم ١٤٠٨هـ (١٠ أيلول ١٩٨٧م) .
ـ عبد الملك العريف : تسلّم إدارة الحزب في ٦ صفر ١٤٠٨هـ (٢٩ أيلول ١٩٨٧م) .

(١) زين العابدين بن علي : وُلد في جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ (٣ أيلول ١٩٣٦م) يعود إلى ولاية سوسة ، وهو خريج الكلية العسكرية ، فهو ضابط ، تسلّم وزارة الداخلية في ٤ صفر عام ١٤٠٥هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م) في وزارة محمد مزالي ، ثم في وزارة رشيد صفر .
وكانت وزارة زين العابدين بن علي على النحو الآتي :

١ ـ زين العابدين : وزير أول ، ووزير الداخلية :
٢ ـ عمر الشاذلي : مدير الديوان الرئاسي .
٣ ـ محمد الصالح العياري : وزير دولة .
٤ ـ الهادي المبروك : وزير الشؤون الخارجية .
٥ ـ صلاح الدين بالي : وزير الدفاع الوطني .
٦ ـ حامد القروي : مدير الحزب الدستوري ، ووزير العدل .
٧ ـ حسين الشريف : وزير الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري .
٨ ـ صلاح الدين بن مبارك : الاقتصاد الوطني .
٩ ـ محمد الغنوشي : وزير التخطيط .
١٠ ـ النوري الزرقطاني : وزير المالية .
١١ ـ الأسعد بن عصمان : وزير الفلاحة .
١٢ ـ سعاد اليعقوبي الوحشي : الصحة العمومية .
١٣ ـ الهادي البكوش : وزير الشؤون الاجتماعية .
١٤ ـ منصور السخيري : وزير التجهيز والإسكان والنقل . =

السابقة ـ بالوزارة الأولى ، ولم تدم وزارة رشيد صفر أكثر من سنة وشهرين ، وهي مدة حكمٍ قصيرةٍ بالنسبة إلى مدة الحكومات السابقة .

أخذت الأمراض المزمنة عند الرئيس الحبيب بورقيبة تزداد ، وتقدّمت به السن حتى فقد الرصانة في تسيير الحكم ، كما فقد المنطق ، وأخذ تأثير الحاشية يظهر على القرارات السياسية ، كما كانت محاكمة قيادي حركة الاتجاه الإسلامي ذات مفعول عكسي لدى الشعب . وبشكل عام فقد اهترأ الوضع ، وأصبح يخشى من تغيير مفاجىء دون علم الدوائر السياسية الغربية ، فكان لا بدّ من تبديله على علمٍ منها . وكان زين العابدين بن علي الشخصية المرشحة لذلك ؛ إذ كان وزيراً للداخلية أولاً ، ثم وزيراً أول ، ومرضياً عنه من قبل الحبيب بورقيبة لما اتصف به من تنفيذ أوامره بدقة .

وفي ١٦ ربيع الأول ١٤٠٨هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٨٧م) قام الوزير

= ١٥ ـ إبراهيم خواجة : وزير المواصلات .
١٦ ـ فؤاد المبزّع : وزير الشباب والرياضة .
١٧ ـ عبد الله القلال : كاتب دولة لدى وزير الداخلية .
١٨ ـ أحمد بن عرفة : كاتب دولة للخارجية .
١٩ ـ الطيب السحباني : كاتب دولة للخارجية .
٢٠ ـ المنذر الزنايدي : كاتب دولة للصناعة والتجارة .
٢١ ـ صالح الجبالي : كاتب دولة للمناجم والطاقة .
٢٢ ـ عبد القادر المهيري : كاتب دولة للتعليم العالي والبحث العلمي .
٢٣ ـ محمد غديرة : وزير الإنتاج الفلاحي والصناعات الغذائية .
٢٤ ـ محمد الصياح : وزير التربية والتعليم والبحث العلمي (برتبة وزير دولة) .
٢٥ ـ زكريا بن مصطفى : وزير الشؤون الثقافية .
٢٦ ـ عبد الوهاب عبد الله : وزير الإعلام .
٢٧ ـ الهادي خليل : كاتب دولة للتعليم الابتدائي والثانوي .
٢٨ ـ إسماعيل خليل : محافظ البنك المركزي .
٢٩ ـ محمد علي بوليمان : رئيس بلدية العاصمة .

الأول زين العابدين بن علي بتنحية الرئيس الحبيب بورقيبة ، وتسلّم السلطة ، وعينّ الهادي البكوش[1] وزيراً أول . وأخذ الرئيس الجديد بإزالة آثار العهد

(١) الهادي البكوش : وُلد في ١٥ شعبان ١٣٤٨هـ (١٥ كانون لثاني ١٩٣٠م) ويرجع إلى ولاية سوسة ، وقد درس العلوم السياسية ، وتسلّم إدارة الحزب الدستوري في وزارة محمد مزالي في تاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ (١٣ آذار ١٩٨٤م) ، وتابع العمل في وظيفته في وزارة رشيد صفر ، كما تسلّم وزار الشؤون الاجتماعية في وزارة زين العابدين بن علي . وكـانت وزارته على النحو الآتي :

١ ـ الهادي البكوش : وزير أول .
٢ ـ محمد صالح العياري : وزير دولة .
٣ ـ صلاح الدين بالي : وزير الدفاع .
٤ ـ محمود المستيري : وزير الشؤون الاجتماعية .
٥ ـ الحبيب عمّار : وزير الداخلية .
٦ ـ حامد القروي : وزير معتمد لدى الوزير الأول مدير الحزب الدستوري ، وزير العدل .
٧ ـ محمد الغنوشي : وزير معتمد لدى الوزير الأول مكلف بالتخطيط .
٨ ـ حسين الشريف :وزير معتمد لدى وزير الدولة مكلف بالوظيفة العمومية والإصلاح الإداري .
٩ ـ عبد الوهاب عبد الله : وزير الإعلام .
١٠ ـ صلاح الدين مبارك : وزير الاقتصاد .
١١ ـ النوري الزرقطاني : وزير المالية .
١٢ ـ التيجاني الشلّي : وزير التربية والتعليم والبحث العلمي .
١٣ ـ الصادق بن جمعة : وزير التجهيز والإسكان .
١٤ ـ عبد الرزاق الكافي : وزير النقل والسياحة .
١٥ ـ توفيق شيخ روحة : وزير الشؤون الاجتماعية .
١٦ ـ سعاد اليعقوبي الوحشي : وزيرة الصحة العمومية .
١٧ ـ الأسعد بن عصمان : وزير الفلاحة .
١٨ ـ محمد غديرة : وزير الإنتاج الفلاحي ، والصناعات الغذائية .
١٩ ـ زكريا بن مصطفى : وزير الثقافة .
٢٠ ـ فؤاد المبزّع : وزير الشباب والرياضة .
٢١ ـ إبراهيم خواجة : وزير المواصلات .
٢٢ ـ إسماعيل خليل : محافظ البنك المركزي (برتبة وزير) .

=

الماضي ، وما خلّف من آثارٍ سيئةٍ وسلبيات في نفوس الشعب ، فأزال التماثيل العديدة التي نصبت في أماكن كثيرةٍ للحبيب بورقيبة ، وأزاح عن النفوس ما كانت تحسّ به من قهر ، وأخرج أكثر قادة الاتجاه الإسلامي من المعتقلات ، وفتح باب البلاد لمن شاء أن يؤوب ، كما فسح المجال للحوار والتفاهم ، ويبدو أن استقبال الوضع الجديد كان يتسم بالغبطة ، وقد عبّر عن ذلك قادة التجمعات السياسية في البلاد ، ورحبّت الصحف بذلك ، وبدا أن الوضع قوي ، وأن الشعب متعاون .

وفي ١٧ صفر ١٤١٠هـ (٢٧ أيلول ١٩٨٩م) بينما كان الوزير الأول الهادي البكوش في زيارةٍ لسويسرا صدر مرسوم بإقالته وتعيين وزير العدل حامد القروي[1] رئيساً للحكومة ، ولم يحدث أي تغيير في بقية الحقائب الوزارية ، وكل الذي تمّ هو تعيين مصطفى بوعزيز رئيس ديوان وزير العدل وزيراً للعدل ، وهو رجل قانون ، وقد كان ضابطاً في الجيش الوطني برتبة عميد قبل أن يلتحق بديوان وزارة العدل . ومما يمكن الإشارة إليه أيضاً أنه قد صدر مرسوم آخر فصل بين الوزارة وبين محافظ البنك المركزي التي كان يشغلها إسماعيل خليل ، وبهذا لم يعد محافظ البنك المركزي ضمن قائمة

= ٢٣ ـ عبد الله القلال : كاتب دولة للرئاسة .

٢٤ ـ الطيب السحباني : كاتب دولة لدى وزير الخارجية .

٢٥ ـ أحمد بن عرفة :كاتب دولة لدى وزير الخارجية مكلف بالتعاون الدولي .

٢٦ ـ محمد كربول : كاتب دولة لدى وزير الداخلية .

٢٧ ـ المنذر الزنايدي : كاتب دولة لدى وزير الاقتصاد مكلف بالصناعة والتجارة .

٢٨ ـ صالح الجبالي : كاتب دولة لدى وزير الاقتصاد مكلف بالمناجم والطاقة .

٢٩ ـ عبد الرحيم الزواري : كاتب دولة لدى وزير الإنتاج الفلاحي والصناعات الغذائية .

٣٠ ـ الهادي خليل : كاتب دولة لدى وزير التربية مكلف بالتعليم الابتدائي والثانوي .

٣١ ـ عبد السلام المسدّي : كاتب دولة لدى وزير التربية مكلف بالتعليم العالي ، والبحث العلمي .

(١) حامد القروي : وُلد في ٢١ شوال ١٣٤٣هـ (١٤ أيار ١٩٢٥م) في ولاية المنستير ، وهو طبيب .

الوزارة ، ولم يعد إسماعيل خليل يحضر بعدها الاجتماعات الوزارية ، كما جاء تعيين محمد سعد والي مدينة (الكاف) مديراً لديوان رئيس مجلس الوزراء .

وكان الرئيس زين العابدين بن علي قد زار عدداً من الدول العربية ، وتفاهم مع حكوماتها ، وأبدى استعداده لإصلاح ما فسد .

ولما شعر أن الوضع قد استقرّ ، وتفاءل الناس ، وحصل على التأييد ؛ أحسّ أن مرحلة المسايرة وإظهار غير الواقع قد انتهت فرجع إلى السياسة التي كان عليها بورقيبة فلم يزد دوره على إعطاء دمٍ جديدٍ للسياسة القديمة التي كان هو أحد دعائمها . والواقع أن مثل هذا التمثيل يجعل الرعية تصاب بإحباط ؛ إذ تحسّ بعدم إمكانية الإصلاح ما دام أن التغيير لن يدوم سوى المـدة التي يكسب فيها التأييد واختيار الرجال الذين يسيرون وراءه. وكانت السياسة العامة ضرب التيار الإسلامي لكسب الرضا والتأييد من المحافل الدولية.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

يبلغ عدد سكان تونس ما يقرب من ثمانية ملايين ، وتبلغ مساحتها ما يزيد قليلاً على مائةٍ وخمسةٍ وعشرين ألف كيلومتر مربع (١٢٥,١١٨ كم مربع) ، وبذا تكون الكثافة حوالي ستين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد ، غير أن هذه الكثافة تختلف بين منطقةٍ وأخرى ، فهي كبيرة في مدينة (تونس) وما حولها ، ثم في منطقة الساحل الشمالي ، والقسم الشمالي من الساحل الشرقي ، وتتناقص في الداخل ، وتقلّ في الجنوب .

ويتجانس السكان في تونس ، فالغالبية العظمى من العرب ، إضافةً إلى أعدادٍ من البربر في الغرب على حدود الجزائر ، وفي الجنوب ، وقلّة قليلة من اليهود ، كما استوطن بعض الأوربيين البلاد أثناء التسلّط الاستعماري ، لذا لا نجد صراعات بين مجموعات بشرية كما هي الحال في كثيرٍ من البلدان .

ويتجانس السكان عقدياً ، فالمسلمون يشكّلون أكثر من ٩٧٪ ، وتزداد هذه النسبة باستمرار ، وذلك لأن المسلمين يتزايدون أكثر من أصحاب الديانات الأخرى ؛ أولاً ، ثم إن غير المسلمين ـ اليهود والنصارى ـ يغادرون البلاد مرتحلين إلى بلادٍ أخرى ، ويأخذ أكثر المسلمين بمذهب الإمام مالك ، والقليل ؛ بمذهب الإمام أبي حنيفة ، فهم من أهل السنة والجماعة ، ولا توجد إلّا مجموعة صغيرة من الخوارج الإباضية يعيش معظم أفرادها في جزيرة (جربا) ، ولذا لا نجد في داخل البلاد صراعات عقدية بين مجموعات

متباينة ، كما يحدث ذلك في كثيرٍ من البلدان الأخرى .

أما النصارى فقد قدموا إلى البلاد حديثاً حيث جاءت أعداد منهم منذ أن ضعف المسلمون ، وبدأ الصليبيون يتجهون غزاة حاقدين نحو سواحل بلاد المغرب العربي على البحر المتوسط في أواخر القرن التاسع الهجري وإذا كان قد طرد هؤلاء ؛ إلّا أن بعضهم قد جاء مستأمناً ، وأقام في المناطق الساحلية ، وعاش في كنف المسلمين الذين سمحوا لأهل الكتاب بالعيش بين أظهرهم على الرغم من أنهم كانوا يتعرّضون بين المدة والأخرى لحملاتٍ صليبية ، وقد زاد هذا العدد فيما بعد حيث جاء الاستعمار الصليبي ؛ فأقبلت الجموع من النصارى معه . لقد كان في تونس طليان ، ومالطيون ، وإنكليز ، وإسكندينافيون ، وفرنسيون ، ولكن زاد الفرنسيون مع الحماية الفرنسية ، ثمّ مع الاستعمار ، كما زاد الأوربيون عامة ؛ وإن كانت زيادة الفرنسيين أكثر بكثير . لقد أخذ هؤلاء النصارى الذين استوطنوا في بلاد المغرب ومنها تونس امتيازاتٍ في المناصب الإدارية ، ومراكز الدولة ، وفي الاستيراد والتصدير بل والاحتكار ، وقدّمت لهم أراضي الأوقاف الإسلامية ، وأملاك الدولة ، كما استولوا على أخصب الأراضي الزراعية بطرق ملتويةٍ في أغلب الأحيان ، وقد وقف هؤلاء النصارى مع الدولة المستعمرة ، وبذلوا طاقاتهم لاستمرار سيطرتها ، ووقفوا في وجه الوطنيين وأمام مطالبهم ، كما شكّلوا فرق مقاومةٍ مضادّةٍ لحركة المقاومة الوطنية ، وعندما اضطرّ المستعمرون الصليبيون للخروج من تونس أخذت جماعات من المستوطنين يغادرون البلاد، ويؤوبون إلى بلدانهم ، وبذا تقلّص عدد النصارى . لقد كان بإمكانهم الحركة والمقاومة أيام الاستعمار ؛ لما لهم من نفوذٍ وسلطة ، ولما يملكون من سلاح لا يحوزه غيرهم . أما الآن فليس لهم من دور ، ولا يمكنهم الدخول في صراعات ؛ ما داموا قلّة ، ولا يشكّلون أكثر من ٢,٥٪ من مجموع السكان.

وأما اليهود فلا يزيد عددهم اليوم على ثمانية آلاف ، فليس لهم نسبة إذ لا تزيد على واحدٍ بالألف ، وهذه القلّة لا يمكنها الصراع ، وكل ما تستطيعه

هـو إثارة الفتنـة ، والإغراء ، ونشر الفسـاد الذي هـو من اختصـاصهم ، ويتفوّقون فيه على غيرهم ، أما عدا ذلك فليس لهم أي دور في السياسة ، أو أي أثرٍ في الحياة الاجتماعية . ومعظمهم يقيم في العاصمة مدينة تونس . لقد كان عددهم في الماضي أكبر ، وزاد مع الاستعمار ، ثم أخذوا بالـرحيل إلى فلسطين عندما أقام إخوانهم اليهود دولة لهم هناك على جثث الأبرياء من أبناء البلاد ، ومكان الذين شرّدوهم بتأييد ودعم الصليبية العـالمية ، وبقي منهم عدد في تونس لما يأملونه من الاستعمار الصليبي الفرنسي ، ولما كانوا يحصلون عليه من امتيازات بصفتهم من ركائز التسلّط الفرنسي ، ولما كانوا يحوزون عليه من منافع بوسائلهم وطرقهم المعروفة . ولمّا حصلت البلاد على الاستقلال ؛ كان عددهم (١٠٥) ألف ، وعندما أضاعوا الكثير مما كانوا يحصلون عليه أخذوا يرحلون حتى لم يبق منهم سوى ثمانية آلاف . وفي العهد الاستعماري كان لهم دور ، وكان لهم نفوذ ، وإن لم يستطيعوا الصراع لأنه لا يتفق مع طبيعتهم ؛ إلاّ أنـه يمكنهم التجسس للمستعمرين ، وإثـارة الصليبيين عـلى المسلمين ، ورمي الوقيعة بين أفراد المجتمع ، وقد انتهى دورهـم مع انتهاء الاستعـمار ، وإن كانـوا يحاولـون التحرّك في الخفـاء ولغـير مصلحـة البـلاد بأعدادهم القليلة . وعلى هذا فـلا توجـد في تونس صراعـات على أسـاس العقيدة ؛ لأن الأكثرية الساحقة من أبناء عقيدةٍ واحدةٍ وهي الإسلام .

الصراعـات الحزبيـة : كان المسلمـون في تونس كتلةً واحـدةً في أول الأمر ، ويقفون جميعاً في وجه الاستعمار الفرنسي الصليبي ، فهم يختلفون عنهم في العقيدة ، كما يتمايزون عنهم في اللغة ، وقد دخلوا البلاد ؛ قوةً واقتداراً ، وأظهروا مباشرةً حقدهم الصليبي الدفين على المسلمين ، فكل تصرّفاتهم تظهر فيها الصليبية ، وموجّهة بوضوح ضدّ المسلمين ، وكـل ما كـان المنتمي إلى الإسلام أكثر إيماناً ، وأكثر تمسّكاً بسلوكه ومحافظاً على قيمه ؛ كان أكثر تعرّضاً للأذى الفرنسي .

لقد وقف المسلمون جميعاً في وجه الاحتـلال ، واتحدوا كلهم لمقـاومة

الاستعمار ، والتقت القبائل بعضها مع بعض ونسيت ما كان بينها بالأمس من خلافات ، ولما عجزوا عسكرياً بقوا مترابطين معنوياً ، فقد دعموا على بوشوشة الذي أصدر جريدة « الحاضرة » ، ودعا إلى الجامعة الإسلامية ، وزيادة الصلة مع الأمصار الإسلامية كافة .

وانضمّ الكثير إلى حزب المقاومة الذي أسسه على باش حمبة ، ودعموه ، واستمرّوا كذلك عندما أصبح اسمه حزب « تونس الفتاة » ، وغدت اللقاءات كثيرة ، والاجتماعات متعددة ؛ لدراسة الوضع واتخاذ ما يرونه مناسباً ، ونتج عن هذه اللقاءات تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي الذي ضمّ مختلف الأعيان ، وأسندت الرئاسة فيه إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي رغم غيابه مُبعداً عن البلاد ، ولمّا سمح له بالعودة تسلّم الرئاسة فعلاً . كل هذه المدة والمسلمون كتلة واحدة حتى أوائل شعبان عام ١٣٣٩هـ ؛ حيث أخذت تلعب الأهواء والقضايا الشخصية .

الحزب الإصلاحي : تشكّل الوفد التونسي للسفر إلى فرنسا ، ورفض « حسن قلّاتي » الانضمام إلى الوفد ، وأخذ يهاجم عبد العزيز الثعالبي ، واجتمع حوله المقرّبون إليه ، وأسّسوا الحزب الإصلاحي في ٨ شعبان ١٣٣٩هـ ، فكان هذا هو الانشقاق الأول ولمّا يمض على تأسيس الحزب الحر الدستوري سنة (رمضان ١٣٣٨هـ) ، وصبّت هذه المجموعة جام غضبها على عبد العزيز الثعالبي ، وكانت مقالات حسن قلاتي ، ومحمد نعمان مثيرة ، غير أن الثعالبي وبقية الأعيان لم يردّوا بالمثل ، وكظموا غيظهم ، فهدأت الموجة ، ولم يطل الزمن حتى انتهى الحزب الإصلاحي .

الحزب الدستوري الجديد: عندما تأسّس الحزب الحرّ الدستوري التونسى ضمّ مختلف الأعيان ، كما انتسب إليه الكثير من الأفراد التونسيين من مختلف أصحاب الآراء والسلوك، فكأنه كان تجمّعاً وطنياً لمقاومة الغاصبين والوقوف في وجه الفرنسيين ، ولكن مع الأيام لا بدّ من أن تتجمّع العناصر المتقاربة بعضها مع بعض ، وفعلاً ظهر تياران في الحزب : أحدهما ممن حافظ

على شخصيته العربية الإسلامية أو يرغب في تلك المحافظة ويسعى إليها ولو كان مقصّراً أو يخالف في بعض الجوانب فهو صاحب عاطفةٍ إسلاميةٍ حريص عليها ، وثانيهما : حريص على مصلحة بلاده ولكن يرى أن تسير على النهج المادي الأوربي وفي الطريق العلماني ، وقد تسلّم هذا الجناح جريدة « العمل التونسي » ، ولا شكّ أن القسم الثاني هو الأقرب إلى الفرنسيين ، بل إنهم ليحاربون القسم الأول كل محاربة ، ولا يستطيعون التفاهم معه ، ومن هنا كان همّهم الفصل بين الجناحين ، ثم اصطفاء الأعوان لهم من القسم القريب إليهم ، والذي سيعملون على رفعه وإبرازه ، واختيار عناصر الإدارة منه ، وإذا دعت الحاجة تسليم السلطة إليه . إن مجرد الانقسام في الحزب مصلحة للفرنسيين ؛ حيث تضعف المقاومة في وجههم ، لذا فقد عمل الفرنسيون للانشقاق ، والاختلاف في الفكر بين القسمين يساعد على الانشقاق ، وعلى هذا فقد تمّ بسهولة ، انفصلت أسرة جريدة « العمل التونسي » عن اللجنة التنفيذية في الحزب وهي منها ، فانقسم الحزب تلقائياً ، وأسّس القسم الثاني حزب « شبيبة العمل التونسي » ثم عاد قادة هذا الحزب ، واحتفظوا باسم الحزب ؛ ولكن أضافوا إليه كلمة « جديد » ، فأصبح في البلاد حزبان ، أو أصبح الحزب قسمان : ١ ـ الحزب الحرّ الدستوري القديم . ٢ ـ الحزب الحرّ الدستوري الجديد ، ونتيجة عمل فرنسا المستمرّ لإبراز الحزب الجديد بتقديم بعض المطالب لهم ، واعتقالهم ونفيهم ؛ لتسليط الأضواء عليهم ، والاهتمام بهم بإظهارهم في وسائل الإعلام كلها ، والإشارة إليهم أنهم الناطقون باسم الشعب والمخلصون لقضيتهم ، ثم إعلان العداوة لهم ، كل هذا قد جعل الناس تلتف حولهم وتنسى الحزب القديم ، ويجب ألّا ننسى أيضاً نشاطهم ليصلوا بسرعة إلى المكافأة التي تنتظرهم نتيجة سلوكهم وتفاهمهم . إذن برز الحزب الجديد ، واختفى أو كاد ؛ الحزب القديم .

صالح بن يوسف : كان الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد بعد استقالة محمود الماطري ، وكان بورقيبة يريد السير في طريق

العلمانية بخطا واسعة ، وبشكل صريح ، وكان صالح بن يوسف الأمين العام للحزب أقل ميلاً إلى العلمانية أو لا يخالف نهجها ، وإن كان يساير الحبيب بورقيبة كثيراً في هذا المجال ، والتفاهم بينهما قائم ، والعمل مشترك . ولما بدأت المفاوضات وبرز الحبيب بورقيبة وحده ؛ كأن يوسف بن صالح أصبح في نفسه شيء ، وبدأ يتبرّم من بعض تصرّفات رئيس الحزب .

ولما دعا بورقيبة « الفلاقة » لإلقاء السلاح ، وترك المقاومة عارضه صالح بن يوسف ، ورأى استمرار المقاومة ، وترك التفاهم مع الفرنسيين ، واستمرّ بورقيبة في طريقه ، ولم يبال بآراء صالح بن يوسف الذي أخذ يهاجم بورقيبة ، ويتهمه بالعلمانية ، ومخالفة الإسلام ، ومحاربة العربية ، و . . .

وتمّ الاستقلال ، وألقي القبض على أنصار صالح بن يوسف ، أمّا هو ؛ فقد هرب خارج البلاد ، وجرى تعديل في الوزارة ، وأخرج منها كل من كانت له صلة بصالح بن يوسف ، ثم اغتيل صالح وهو بعيد عن بلده ، وانتهى أمره .

الحزب الشيوعي : وُجد الحزب الشيوعي بشكلٍ سريٍّ بعد الحرب العالمية الأولى ، وبدأ ينمو وينشط بسرعةٍ نتيجة الدعم الذي يلقاه من مقرّ الشيوعية العالمية في موسكو ، وبسبب حربه ومعاداته للاستعمار ، وسكان تونس يئنّون من وطأة الاستعمار مما يجعلهم يُعيرون اهتماماً لنداءاته ، إضافةً إلى أن الجهل يجعلهم لا يعرفون أفكاره ، وآراءه بالإسلام ، كما أن الفقر يجعلهم يميلون إلى شعاراته التي يرفعها ، ويدعو إليها ، ويصدّقون ولو كانت مزيّفة ، فالملقى في اليم يتخيّل القشّة زورق نجاة ، والمحتاج يظنّ كل صاحب كلام بالمساعدة صادقاً .

والحزب الشيوعي يُعادي الاستعمار الغربي لا من وجهة نظرٍ إسلاميةٍ ؛ أو وطنيةٍ على الأقلّ ، وإنما من وجهة نظر الاستعمار الروسي الذي ينافس الاستعمار الغربي ، فهي منافسة لا محاربة ، لذا فالشيوعيون التونسيون هم

منطلقاتهم الخاصة في معادتهم لفرنسا تختلف عن منطلقات بقية الشعب التونسي .

واستطاع الحزب الشيوعي التونسي أن يؤثّر على بعض الاتحادات العُمّاليّة ، وقد أخذت هذه الاتحادات تضغط على الاتحاد العام التونسي للشغل الذي بدأ يختلف مع الحكم ، وبعد الاستقلال جرت محاولة انقلابٍ في عام ١٣٨٢هـ ، وكانت الاتهامات موجّهةً إلى أعضاء في الحزب الشيوعي ، وفي عام ١٣٨٣هـ مُنع الحزب الشيوعي من النشاط ، وعُطّلت صحفه ، ولم يُسمح بالنشاط الحزبي سوى للحزب الحاكم الذي بقي حده في الميدان ، وحمل اسم « الحزب الاشتراكي الدستوري» . أما الشيوعيون الكبار من أصحاب المصالح فقد انخرطوا في الحزب الحاكم ، وأعلنوا تركهم أفكار كل ما سوى أفكار الحزب الاشتراكي الدستوري ، وأما العامة وهم أكثرية أعضاء الحزب فقد اختفوا من الساحة ، وإن بقيت عندهم عواطف نحو الشيوعية ؛ لجهلهم وفقرهم ، كما انخرط عدد منهم في النقابات العُمّالية ، ومن خلالها يتحدّث عن أفكاره الاشتراكية ؛ إن كان قادراً، أو يظن أن العمل العُمّالي واحد، فهو لا يزال على فكره ، ويحلم بالآمال المعسولة ، وهذا شأن العمّال غير القادرين عن الحديث عن الاشتراكية ومبادئها ومفاهيمها .

وفي عام ١٤٠١هـ رُفع الحظر عن الحزب الشيوعي ، وبعد عامين أعطي ترخيص لحزب حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ، وآخر لحزب الوحدة الشعبية ، وهكذا عادت الحياة الحزبية ، ولكن لم يبدأ الصراع فيما بينها بعد ، ويبدو أن المناهج واحدة؛ وإن تعدّدت الأسماء واللافتات . وعندما قام زين العابدين بن علي بحركته أيّد الجميع هذه الحركة ، وأعلن ذلك صراحة « محمد مواعدة » الأمين العام لحزب الديمقراطيين الاشتراكيين ، و « منير الباجي » الأمين العام للحزب الاجتماعي .

التيارات الفكرية : لم تكن هناك أفكار غريبة في تونس قبل فرض الحماية عليها ، كما لم تكن هناك أفكار متباينة ، وإنما كانت الأفكار واحدة ،

وكلها تنبع من العقيدة التي عليها الشعب وهي الإسلام ، وإذا كان هناك تساهل في أداء بعض العبادات ؛ إلّا أن العاطفة الإسلامية قوية ، واحترام أهل العلم ، والوقوف عند الحدود الشرعية موجود .

فلما فُرضت الحماية ، وكثر المستوطنون ، وظهر التفوّق العسكري الفرنسي ، وأصبح الأجانب المعتدون هم أصحاب السيادة وبيدهم الأمر والنهي ؛ كثر المتزلّفون ، وانتشر التقليد في الزي والسلوك ، بل وفي اللغة والمحاكاة . ومع الزمن ؛ ظهر الذين أصيبوا بالهزيمة النفسية ، فأصبحوا يطالبون بالسير على المنهج المادي العلماني ، وبدؤوا بتطبيق ذلك على أنفسهم ، ثم بالدعوة له ، وبذا وُجد تياران فكريان واضحان .

١ ـ **الفكر الإسلامي** : الذي ينبع من العقيدة ، وإن كان مستوى الوعي آنذاك بسيطاً ، وقد حافظ أصحابه على ما اكتسبوه من إيمانهم ، وكانت لهم شخصية متميّزة ، ويرون أخذ العلم التجريبي من الحضارة المادية ، والبعد عن سلوك أصحابها وتصرّفاتهم ، وعقائدهم التي أخذوها من حضارتهم المادية ، حيث يعطي الماديون العقل صفة الوصول إلى الحقائق المطلقة ، فلم يؤمنوا إلّا بما يلمسونه بأيديهم ، أو يتوصّلون إليه بعقولهم وهذا لا يتفق مع الإسلام ، ولا مع العلم الذي يؤمنون به .

ومن أصحاب هذا الفكر علماء وطلاب جامع الزيتونة حتى عُرفوا بالزيتونيين ، وأحياناً أخرى بالشبيبة الزيتونية ، وأساتذة المعهد الصادقي ، ويُعرفون أحياناً بقدماء الصادقية ، ورجالات الحزب الحرّ الدستوري التونسي القدماء أو زعماؤه الحقيقيون ، وقد يُطلق عليهم أحياناً الحزب القديم ، ويضاف إلى ذلك عامة الشعب ، المسلمون بالفطرة ، والذين لا يعرفون إلّا الإسلام فكراً ، وعقيدةً ، وسلوكاً ، ومنهج حياة ، وأخلاقاً ، وقيماً ، ومنه تنبع جميع قضايا حياتهم .

وهؤلاء أنموذج في الوطنية ، إذ يرون أنه لا يمكنهم التعايش مع

الفرنسيين المستعمرين الصليبيين لأنهم يؤمنون تمام الإيمان أنهم يختلفون عنهم تمام الاختلاف ؛ عقيدةً ولغةً ، ولما كانت كل جوانب الحياة تؤخذ أو تنبع من العقيدة لذا فهم لا يلتقون مع الفرنسيين أبداً ، بل هناك ما هو أشدّ من هذا إذ يعتقدون أن الفرنسيين إنما دخلوا تونس وغيرها من الأقطار الإسلامية لإذلال المسلمين ، وفي سبيل القضاء على الإسلام بدافع الحقد الصليبي ، فكيف ينظر المرء إلى آخر جاء لإذلاله ، وقتل أعزّ شيءٍ عنده ، وهو العقيدة ؟! إذن لا يمكن أن يقبل هؤلاء الفرنسيين أبداً ، ولا بدّ من قتالهم لإخراجهم من البلاد . فهم إذن أصحاب عقيدة ، ويلتقون مع المخلصين بالوطنية بل إنهم أشدّ الوطنيين إخلاصاً .

وإذا كان الفكر الإسلامي قبل الحماية غير واضح تماماً لدى الأفراد نتيجة المرحلة التي عاشها المسلمون من التأخر ، وغياب المنهج والجهل ، ثم جاء الاستعمار الصليبي وبذل جهده لإبقاء المسلمين على حالتهم ؛ بل وتركهم نياماً ، وإعطاء المنوّمات لهم بإذلالهم ، وإفقارهم ، وتجهيلهم ، وإبعادهم عن المناصب ، فاشتدّت المصيبة ، إلّا أن المسلمين قد أخذوا يستيقظون من سباتهم ، وينفضون عن عيونهم الغبار الذي تراكم عليهم فيما مضى ، فبدأت الصحوة ، وغدا الفكر الإسلامي واضحاً ، والمنهج بيّناً ، وبرز في تونس ؛ وإن كان متأخراً قليلاً عما ظهر في بقية الأمصار الإسلامية كمصر والشام وباكستان وذلك بسبب تأخر تربع الاستعمار الفرنسي على صدور التونسيين ، وبرز منهم قادة أمثال راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو وغيرهما، وبدأ الاتجاه الإسلامي يقوى حتى احتلّ المكانة الأولى في البلاد .

ولقد خشي أصحاب الفكر المستورد هذا النشاط الإسلامي ؛ فوقفوا في وجهه جميعاً ، وخاصة أن السلطة بيدهم ، وتدعمهم الدول الأخرى التي لها النفوذ العالمي ، والتي تخشى انكماش ذلك النفوذ فيما إذا عادت للإسلام دولته وعاد له مجده . ووُضع القادة في السجون ، وألقى القبض على الكثيرين ، وتحدّثت وسائل الإعلام العالمية عن الرجعية ، والتخلّف ، والتعصّب ،

والتطرّف ، وتحدّث بعض المسلمين عن وعي وعن غير وعي ، وأثيرت الاتهامات ، وكثرت الافتراءات ، ولكن الفكر لا يقاوم بالسيف ، والعقيدة لا تحارب بالضغط .

وعندما قامت حركة زين العابدين بن علي خرج قادة الاتجاه الإسلامي من السجن ، وأخذ الاتجاه دوره بين الحركات ؛ وإن كان يُنظر إليه بعين الحذر من بقية الفئات . ثم كُشف النقاب عن هذه الحركة ، وعاد الضغط على أصحاب الفكر الإسلامي .

٢ ـ الفكر المستورد وقد دخل مع الحماية الفرنسية ، إذ هُزم بعض الرجال فكرياً بعد أن هُزموا عسكرياً ، وفُتن بعض الناس بالعلم التجريبي ، وبُهر بعضهم بالحضارة المادية ، وأعجب بعض السكان بسلوك الفرنسيين المتحرّر من كل قيمة ، وغلبت على بعضهم أهواؤهم وشهواتهم ، فرغبوا أن يعبّوا من دنياهم ما شاء لهم هواهم ، فانطلق هؤلاء وأولئك يقلّدون الفرنسيين ، ويطالبون بالسير على منهجهم بترك مخلّفات الماضي وما فيها من إيجابيات وسلبيات ، وأخذوا يجترّون الكلمة الدخيلة كالديمقراطية ، والاشتراكية، والعلمانية، والشيوعية، والماسونية، و. . . وهذا يدعو لهذا المبدأ ـ حسب زعمه ـ ويجعله عنواناً لتجمعه ، وذاك ينادي بذلك الشعار ويضعه لافتةً لحزبه ، ويتكلّم من يتكلّم ، ويتشدّق من يتشدّق ، و . . . وقد ينتقل بعضهم من خطٍّ إلى آخر ـ كما سنرى ـ إذ لا فرق بين مسارٍ وثانٍ ؛ فكلها تنبع من معينٍ واحدٍ ، وهو المادة ، والتحرّر من كل قيدٍ عقدي أو أخلاقي ، أو ما تعارف عليه المجتمع ، ومن كل القيم . وقد برز الحزب الشيوعي ، والحزب الحرّ الدستوري الجديد ، وتجمعات ثانية ، فلما تسلّم الحزب الحرّ الدستوري السلطة ، ومُنع الحزب الشيوعي ، وبقية الأحزاب والتجمعات من النشاط وحظر عليها ذلك انخرط قادتها كلهم في صفوفه ، إذ الفكر واحد والسلوك واحد ؛ وإن اختلف المدار .

ولما سُمح بعودة النشاط عادت لتظهر من جديد ، إذ كانت تعمل تحت

جناح الحزب الاشتراكي الدستوري ، ومن المصلحة الآن أن يبرز قادتها مستقلين ، وأن ينطوي غيرها تحت جناحها ، وإن كانت تعمل في ظلّ السلطة فيجب أن تعمل الآن لتتسلّم هي السلطة ، ويستظلّ غيرها بظلّها ، فالقضية قضية زعامة ، وقد برز حزب حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ، وحزب الوحدة الشعبية ، وحزب البعث ، ومنظمة العمل التونسي ، ومنظمة الشعلة ، وتجمّع الاشتراكي التقدمي .

وليست هذه الأحزاب والتجمعات كلها ذات موقفٍ واحدٍ من الإسلام ، فبعضها يعلن الحرب عليه كالشيوعية ، وبعضها يُخفي تلك الحرب كالعلمانية ، وبعضها يريد التحطيم تحت غطاء كالماسونية ، وبعضها يسكت غير أن أفراده يسلكون السلوك المخالف للإسلام ، فلا يؤدّون العبادات ، ولا يقومون بأي شعيرةٍ من شعائره ، ويرتكبون المحرّمات ، ونسائهم سافرات متبرِّجات ، وبعضها يعادي الإسلام ما دام يقف أمام شهواته ومصالحه ، ويحارب كل من يريد أن يذكّره أو ينصحه أو يعظه ، وربما كان أفراد من مختلف هذه الجماعات لا يعادون الإسلام ، بل لا يعرفون أن جماعاتهم ضدّ الإسلام ، وإنما يسيرون وراء قادتها ، وقد يتعصّبون لهم ولأحزابهم سيراً وراء مصالحهم وتبعاً لأهوائهم .

وإذا كانوا جميعاً يدّعون الوطنية فإنهم يختلفون في صدقهم ، وفي الفلك الذي يدورون فيه ، فالحزب الشيوعي وحده ينظر إلى الوطنية من خلال الفكر الشيوعي العالمي الذي تمليه موسكو على أتباعها ، وتطرحه من خلال مصالحها الخاصة ، ومنافستها مع الرأسمالية ، ففكره وتصرّفه مفروضٌ عليه ، ولا ينبع من كيانٍ ذاتي ، وهو يدور في الفلك الشيوعي . وأما ما عداه من الأحزاب والتجمعات ذات الفكر المستورد فتدعو إلى الوطنية من خلال مصالحها الخاصة وسيطرتها على السلطة دون أن تكون تابعةً في قراراتها الداخلية لغيرها ، وإن كان أكثرها يدور في فلك الرأسمالية لتأييده ودعمه في الوصول إلى القمة والمحافظة عليه بعد ذلك . وأكثر القواعد والأفراد يرغبون في استقلال بلادهم

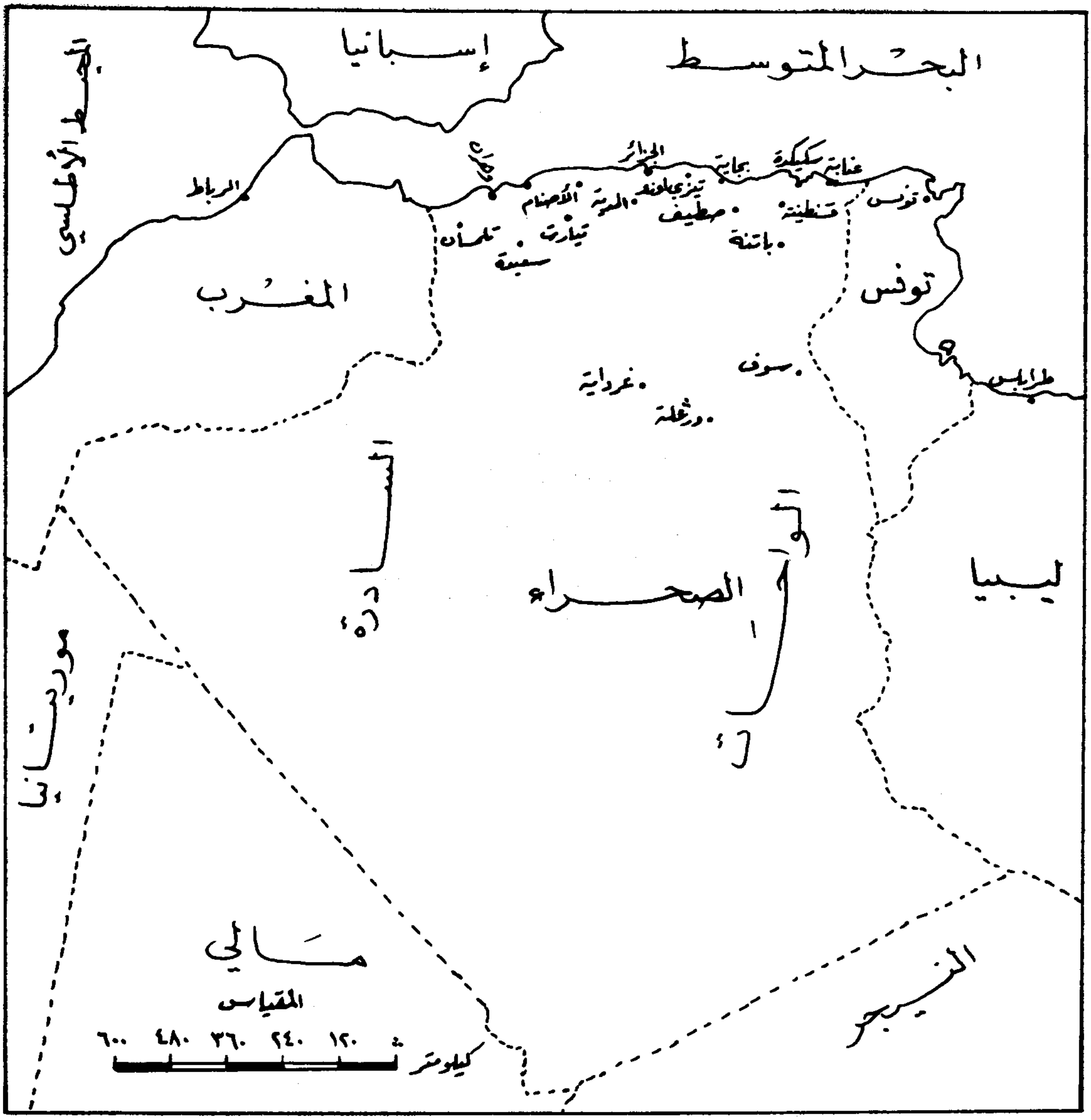
وتميّزها بكيانها الذاتي .

وفي كل تجمّع أفرادٌ يختلفون في آرائهم ، وبينهم من يحمل الأفكار كلها ، وتدرّجها من طرفٍ إلى آخر ، فهو بين هذا وذاك .

ويسعى الاتجاه الإسلامي إلى التعريب والتميّز الكامل بالشخصية العربية الإسلامية ، ولا يبالي غيره بالتعريب ولا يهتمّ بذلك ، وإذا وُجد من دعا إليه من باب التعصّب إلى العربية فهي مجرّدةٌ من مضمونها الإسلامي الذي فيه التصحيح لكل المقوِّمات العربية .

الباب الثالث

الجزائر



البحر المتوسط
إسبانيا
المحيط الأطلسي
الرباط
وهران
الجزائر
بجاية
سكيكدة
عنابة
تيزي وزو
المدية
الأصنام
سطيف
قسنطينة
باتنة
تيارت
تلمسان
سعيدة
تونس
طرابلس
المغرب
تونس
سوف
غرداية
ورقلة
الصحراء
ليبيا
موريتانيا
مالي
النيجر
المقياس
٠ ١٢٠ ٢٤٠ ٣٦٠ ٤٨٠ ٦٠٠
كيلومتر

لمحة عن الجزائر قبل إلغاء الخلافة

طمعت فرنسا بالجزائر رغبةً في احتلال أراضيها ، ونهب خيراتها ، وغنى الجزائر يُطمع فيها ، كما كانت فرنسا تودّ أن تلفت نظر الفرنسيين في الداخل إلى الخارج وإلى انتصاراتٍ وهميةٍ ، فإن ما في الداخل يقضّ مضاجع الحكم فيريد أن يُلهي الناس في التفكير بما يحدث وراء الحدود ، وإن ضعف الجزائر لَيُشجّع فرنسا على الإقدام على هذه المغامرة ، وكانت فرنسا مدينةً للجزائر بأموال كبيرةٍ ثمن قمحٍ اشترته منذ أيام الثورة الفرنسية ، وماطلت في الدفع للظروف التي تمرّ بها ، وأملاً في عدم الدفع باحتلال الجزائر ، ويجب ألّا ننسى الحقد الصليبي الدفين الذي يكمن بين ضلوع نصارى أوربا .

أخذت فرنسا تتحينّ الفرص للقيام بمغامرتها ، وجاءت الفرصة عندما طالب « الداي » في الجزائر القنصل الفرنسي بتسديد الديون ، فأساء القنصل الأدب ، فما كان من الداي إلّا أن صفعه ، وأمره بالخروج من القصر ، فكتب القنصل إلى حكومته بما تمّ ، فعدّت ذلك إهانة ، وأخذت تستعد للغزو ، ولم تُجدِ الوسائل السياسية في إقلاع فرنسا عما صمّمت عليه .

ولما أكملت فرنسا استعدادها أرسلت في أواخر عام ١٢٤٥هـ حملةً مؤلّفةً من ١٠٣ سفينة بحرية ، وأربعمائة سفينة نقل تحمل أربعين ألف مقاتل ، ونزلت هذه القوة على البر ، واحتلّت موقع (سيدي فرج) في تاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٢٤٥هـ (١٤ حزيران ١٨٣٠م) ، وبعد معارك طاحنةٍ بين

الطرفين ، ومقاومةٍ عنيفةٍ أبدتها القوات الجزائرية ، وتضحياتٍ جسيمةٍ قدّمتها ؛ انتصر المعتدون ، ودخلوا مدينة الجزائر في تاريخ ١٤ محرم ١٢٤٦هـ (٥ تموز ١٨٣٠م) ، واضطر الداي إلى الاستسلام ، وترك مدينة الجزائر ، واتجه إلى مصر حيث نزل بالإسكندرية . اتجه الفرنسيون إلى بقية الولايات ، فساروا إلى (وهران) حيث تمكّنوا من دخولها عام ١٢٤٩هـ بعد أن انتصروا على واليها العثماني « حسن بك » ، ودخلوا (قسنطينة) عام ١٢٥٣هـ بعد مقاومة واليها العثماني « أحمد بك » هذه المدة كلها ، وانتهى الفرنسيون من احتلال ولاية الجزائر كلها عام ١٢٥٥هـ ، أي أن احتلال هذه الولاية الضعيفة النائية استمرّ تسع سنوات من قبل القوات الفرنسية المعتدية .

حاولت فرنسا اغتصاب الأراضي الخصبة من أرض الجزائر ، وإعطاءها للفرنسيين إغراءً لهم في سكنى الجزائر ؛ ليكونوا عوناً لها وعيوناً لتثبيت أقدام الفرنسيين فيها ، وليخلصوا لحكومتهم بعد أن قدّمت لهم المنح السخية التي نهبتها من البلاد التي احتلّتها ، وفي الوقت نفسه تكون قد أفقرت أهل الجزائر ، فيضطّرون نتيجة الحاجة إلى الخضوع للمعتدين ، والرضوخ لأوامرهم ، فيصيبهم الذلّ ، وما ذلّ قوم إلاّ وسلّموا قيادهم لغيرهم ، كما عمل الفرنسيون على نشر المفاسد وشيوع الرذيلة وخلع المرأة المسلمة من مجتمعها المسلم ، وجعلها تقلّد المجتمعات الغربية التي لا تعرف حشمةً ولا حياءً ، ولا حرمةً ولا وقاراً ، فقد ترك الفرنسيون حبل الفساد على مداه ، وبذروا الحب لكل راغبٍ أو راغبةٍ ، ومتى انطلق الناس وراء شهواتهم تركوا الآخرين يرتعون في مرعاهم ، ولا يبالون أيهم تسلّم زمام الأمر فيه .

وقفت القبائل في وجه الاستعمار الفرنسي الصليبي ، وقد وجدت في الفرنسيين حقداً شديداً ضدّ المسلمين وخيانةً وغدراً ونقضاً للعهود ، لقد أمر القائد الفرنسي « روفيجو » بتحويل أجمل مسجدٍ في مدينة الجزائر إلى كنيسة ، فقام الجنود الفرنسيون باقتحام المسجد على حين كان في داخله أربعة آلاف مسلم ، وأعملوا فيهم القتل بالحراب ، وهم يؤدّون الصلاة داخل المسجد

الذي لم يلبث أن تحوّل إلى « كاتدرائية الجزائر »[1] .

كما أقدم الفرنسيون على ذبح قبائل مسلمةٍ كاملة، مثل قبيلة العوفية ، وهذا ما أثار سخط المسلمين جميعاً ، وإذا كان الحضر لا يستطيعون الحركة لأن الفرنسيين فوق رؤوسهم ؛ فإن القبائل كانوا على حريةٍ نسبياً ، فنهضوا للجهاد .

بداية المقاومة : قرّر القائد الفرنسي « دوبورمون » الذهاب إلى مدينة (بليدة) يوم ٢٩ صفر ١٢٤٩هـ (٢٥ تموز ١٨٣٠م) على رأس جيشٍ مكوّن من ألف جندي مشاة وبعض مئات من الخيالة ومدفعين ، فكتب إليه « ابن زعمون » رئيس قبيلة « فليسة » يطلب منه عدم التقدّم إلّا بعد توقيع معاهدة مع العرب تنظّم العلاقة مع الفرنسيين ، ولكن « دوبورمون » لم يبال ، وسار إلى (بليدة) ، فاصطدم أثناء عودته مع « ابن زعمون»، ففقد أحد معاونيه والمئات من رجاله . وزادت قوة « ابن زعمون » ، وانضمّت إليه القبائل في سهول (متيجة) ، واقتحم مدينة (بليدة) يوم ٢ رجب ١٢٤٩هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٨٣٠م) ، ودارت معركة عنيفة أبيد فيها الكثير من الحامية الفرنسية التي كانت تعمل تحت قيادة العقيد « رولير » ، وفي اليوم التالي وصل القائد « كلوزول » إلى (بليدة) من حملته الفاشلة على بلدة (المدية) عاصمة إقليم (تيطري) ، فوجد ما حلّ بالحامية الفرنسية في (بليدة) ، فاضطّر إلى سحب القوات إلى مدينة الجزائر . ثم انضمّ « سيدي السعدي » إلى « ابن زعمون » ، كما كان « مصطفى بو مرزاق » يقود المقاومة من جهةٍ ثانيةٍ في سهل (المتيجة) . غير أن قوات فرنسا الضخمة قد تمكّنت من تشتيت قوات « ابن زعمون » ، واضطرّ بعدها للاعتزال ، على حين انضمّ بقية القبائل وزعماؤها إلى حركة عبد القادر الجزائري[2] .

---

(١) جهاد شعب الجزائر ـ المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ص ٨٩ ـ بسام العسلي .

(٢) انظر المرجع السابق .

كان شيوخ قبائل المرابطين ، وهم من خرج من الأندلس ، واستقرّ في الجزائر ؛ قد ضاقوا ذرعاً بأعمال الفرنسيين ووحشيتهم ، فتشاوروا فيما بينهم ، وأشار عليهم أحدهم - وهو محي الدين بن مصطفى الحسني - بالتوجّه إلى سلطان المغرب ، ففعلوا ، ووعدهم عبد الرحمن بن سليمان سلطان المغرب ، وأرسل لهم ابنه علياً بقوةٍ تقدّر بخمسة آلاف مقاتل ، فاجتمع المرابطون ، وبايعوا محي الدين أميراً عليهم لقتال الفرنسيين ، فقادهم مدة سنتين ، ثم تنازل لابنه عبد القادر[1] .

كان في الجزائر ما يقرب من ستة آلاف من العثمانيين قُتل منهم ألف وخمسمائة ، وعمل الباقون مع الجزائريين . أما اليهود فقد كانوا أكبر أعوان الفرنسيين ، وأسوأ أعداء المسلمين ، مع أن الأسباب المباشرة لاحتلال فرنسا للجزائر إنما كانت نتيجة مطالبة الجزائر لفرنسا بديونها وحقوق رعاياها من يهود حيث كانت لهم ديون على الحكومة الفرنسية يومذاك .

أعلن عبد القادر الجزائري الجهاد ، ونظّم حكمه فكان بمثابة رئيس للوزراء ، وله نائب ، ووزراء للخارجية ، والخزانة ، والأوقاف ، والزكاة والأعشار ، والخزانة الخاصة ، وكان للوزراء كتبة ، واختار مجلساً للشورى يتألف من أحد عشر عضواً يمثّلون مختلف مناطق البلاد ، وعلى رأسهم كان

---

(١) عبد القدر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري : وُلد عام ١٢٢٢هـ في (القيطنة) إحدى قرى ولاية وهران ، وتعلّم في وهران ، وحجّ مع أبيه عام ١٢٤١هـ ، فزار المدينة ، ودمشق ، وبغداد ، وبايعه الجزائريون لقتال الفرنسيين ، فقاد الجهاد خمس عشرة سنة ، وضرب نقوداً سماها « المحمدية » ، وأنشأ معامل لصنع الأسلحة والأدوات الحربية ولباس الجند ، ولما انقطع دعم سلطان المغرب ضعف عبد القادر ، فطلب شروطاً للاستسلام رضي بها الفرنسيون ، فاستسلم عام ١٢٦٣هـ ، فنفوه إلى (طولون) ، ثم نقلوه إلى (أنبواز) ، فبقي فيها أكثر من أربع سنوات ، وزاره في سجنه الإمبراطور « نابليون الثالث » ، وأطلق سراحه ، ولكن اشترط عليه ألاّ يعود إلى الجزائر ، فزار باريس ، واستانبول ، ودمشق ، واستقرّ في دمشق عام ١٢٧١هـ وفيها حمى النصارى عندما وقعت أحداث عام ١٢٧٧هـ ، وتوفي في دمشق عام ١٣٠٠هـ .

قاضي القضاة . ونظّم الجيش فكان الرقيب يقود اثني عشر جندياً ، ورئيس الصف يقود عشرين جندياً ، ويقود السياف مائة جندي ، والآغا ألف جندي . وكان في كل منطقةٍ من الجزائر رئيس عليها ومعه عدد من المقاتلين ؛ يتفاوت بين منطقةٍ وأخرى . واتخذ من مدينة (المعسكر) قاعدةً له . واتصل بمن بقي من العثمانيين فأعلنوا السمع والطاعة .

بويع عبد القادر الجزائري أميراً للجهاد في ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٤٨هـ (٢٢ تشرين الثاني ١٨٣٢م) ، ولكن رفض البيعة والطاعة بعض المقاتلين المنافسين ؛ حسداً من عند أنفسهم لتكون لهم الإمرة ، واضطرّ إلى الصدام معهم ، وانتصر عليهم ، ودخل مدينة تلمسان ، وعامل أهلها أحسن معاملة ، وتوفي والده في هذه الأثناء .

استولى القائد الفرنسي « دي ميشيل » على (أرزو) و (مستغانم) ، وقد أسرع عبد القادر وأغار عليهما ، وحاصر مستغانم ، واضطرّ إلى العودة إلى قاعدته في (المعسكر) . وعقد الجنرال « تريزيل » معاهدةً مع « مصطفى ود إسماعيل » رئيس قبائل (الدوائر والزمالة) . ثم جرت معاهدة بين الأمير عبد القادر والجنرال دي ميشيل في تاريخ ١٧ شوال عام ١٢٤٩هـ (٢٦ شباط ١٨٣٤م) ، لوقف القتال ، وإطلاق سراح الأسرى ، وحرية التجارة ، واحترام عادات وديانة المسلمين .

لم ترق المعاهدة السابقة للفرنسيين ؛ فاستدعوا « دي ميشيل » ، وعيّنوا حاكماً للجزائر ؛ هو « ديرلون » ، وأصبح حاكماً عاماً بعد أن كان سلفه قائداً للحملة . فقرّر الحاكم الفرنسي نقض المعاهدة السابقة ، وجاءت الظروف مواتيةً له ، إذ هُزم عبد القادر أمام مصطفى ود إسماعيل ، ثم التقيا ثانية في معركةٍ طاحنةٍ في سهل (محرز) يوم ٧ ربيع الأول ١٢٥٠هـ (١٣ تموز ١٨٣٤م) ، غير أنهما قد تصالحا ، ولكن استطاع عبد القادر من الانتصار على منافسيه الآخرين وهما « سيدي العريبي » ، و « الغماري » رئيس قبائل بني أنجاد . ألغى « ديرلون » المعاهدة ، وسار عبد القادر فقضى على تمرّد قادة

أولاد سيدي العريبي في وادي الشليف ، ثم انطلق بعدها إلى موسى حسن الملقّب بأبي حمار ، وكان قد احتلّ بلدة (المدية) فانتصر عليه . وكان لا بدّ من الصدام مع الفرنسيين ، فالتقى عبد القادر مع الجنرال « تريزيل » على نهر المقطع قرب الساحل ، فانتصر عبد القادر انتصاراً رائعاً ، واضطرّ الفرنسيون على توقيع معاهدة (المقطع) مع عبد القادر في الأول من ربيع الأول ١٢٥١هـ (٢٦ حزيران ١٨٣٥م) .

استدعى الفرنسيون « ديرلون » ، وحلّ الجنرال « دارلانغ » مكان الجنرال « تريزيل » ، وأعيد « كلوزيل » إلى الجزائر في تاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٢٥١هـ (١٠ آب ١٨٣٥م) ، ومنها سار إلى وهران ، فوصل إليها في ١ شعبان ١٢٥١هـ (٢١ تشرين الثاني ١٨٣٥م) ، وبعد ستة أيام انطلق نحو مدينة (المعسكر) قاعدة الأمير عبد القادر باثني عشر ألفاً من المقاتلين ، واستطاع دخولها في ١٦ شعبان ١٢٥١هـ (٦ كانون الأول ١٨٣٥م) .

أعاد الأمير عبد القادر جمع القبائل ، وعاهدوه على الجهاد مرةً ثانيةً ، وخرج بهم للدفاع عن تلمسان ، وخرج قائد مستغانم الجديد « بوشناق » ليشاغل الأمير عن مدينة المعسكر ، غير أن قواته التقت مع جيوش المسلمين عند (البطحة) ، فتمزّق شمل جنده ، وعاد مدحوراً إلى (مستغانم) ، أما الأمير عبد القادر فقد سار لتأديب قبائل الزمالة التي تحالفت مع الفرنسيين ، فقتل قائدها ، وتابع سيره نحو تلمسان ، فالتقى بقواتٍ جديدةٍ للزمالة بقيادة رئيسها مصطفى ود إسماعيل ، فدحرها بعد أن أباد قسماً منها ، ورجع الباقي إلى تلمسان ، ثم التقى بعبد الله غماري قائد قبيلة « أنجاد » الذي جاء دعماً للزمالة ، ولكن أفراد هذه القبيلة فرّوا مباشرةً ، وجُرح رئيسهم .

وأراد « كلوزيل » إخراج نفسه من الحرج الذي وقع فيه بهزيمة القبائل التي تتعاون مع فرنسا ، فسار إلى تلمسان يريد دخولها بثمانية آلاف جندي ، واصطدم مع الأمير عبد القادر بمعركةٍ حاميةٍ على أبواب تلمسان ، وانضمّت بعض القبائل إلى الفرنسيين إلى جانب مصطفى ود إسماعيل ، وتمكّن

الفرنسيون من دخول تلمسان في تاريخ ٢٥ رمضان ١٢٥١هـ (١٣ كانـون الثاني ١٨٣٦م) ، واضطرّ الأمير عبد القادر إلى الانسحاب إلى (وجدة) على الحدود الجزائرية مع المغرب . وفرض « كلوزيل » على أعوانه من العرب مائة ألف فرنك دليلاً على إخلاصهم .

كان هدف « كلوزيل » إبقاء صلةٍ بين الساحل وتلمسان ، ووجد أن منطقة (تافنة) صالحة لتأمين هذا الاتصال ، وإن كانت منطقةً جبليةً تفصل بين الساحل وتلمسان ، وبينما كان في (تافنة) ؛ وجد نفسه أمام جيش يقوده الأمير عبد القادر ، فانهزل « كلوزيل » ، وانسحب إلى تلمسان ، حيث ترك هناك حاميةً بقيادة نائبه « كافينياك » ، وهرب باتجاه وهران ، وإذا بكوكبةٍ من جند الأمير عبد القادر تـلاحقه حتى أبـواب وهران حيث حجبته المدينـة ، وحالت بينه وبين مطارديه ، ولكنه استمرّ يلهث من الخوف ، وأصدر تعليمات بتعيين الجنرال « دارلنـغ » قائـداً على وهـران ، والجنرال « بهـاراغوا » عـلى الجند ، وانسحب هو إلى مدينة الجزائر . وعنـدما شعـر بالأمن وابتعـد عن الخصم أصدر بياناً أعلن فيه أن الحرب قريبة الانتهاء ، وأن الأمير عبد القادر قد أنهكته الهزائم . وفي النهاية أعطى تعليـمات للجنرال « دارلنـغ » بإقـامة حصن في (تافنة) لتأمين الصلة بين وهران وتلمسان .

وأقام الجنرال « دارلنغ » الحصن في (تافنة) ، واصطدم بالمسلمين في عدة معارك ، وكان يحاصر مع جيشه في كل مرة حتى استطاع الوصول إلى وهران خائر القوى بعد أن ترك أكثر أتباعه جثثاً في العراء ، وأخبر حكومته بما حـدث ، وطلب منها الـدعم ، فأرسلت لـه النجـدات ، ووصـل الجنـرال « بيجو » على رأس ثلاث فرق عسكريةٍ إلى (تافنة) يوم ٢١ صفر ١٢٥٢هـ (٦ حزيران ١٨٣٦م) ، وفتح الطريق إلى تلمسان بالقـوة ، واصطدم مـع الأمير عبد القادر في معركةٍ على ضفاف نهير (الزقاق) ، وانتصر فيها بعد أن تخلّت القبائل عن مواقعها في جيش الأمير عبد القادر . وانتفش « بيجو » زهواً بما أحرزه ، وأبلغ حكومته وسافر إلى باريس .

وجد « كلوزيل » بعد أن رجع من فرنسا أن ينهي على الباي أحمد في (قسنطينة) ، فوصل إلى (عنّابة) في شعبان ١٢٥٢هـ (تشرين الثاني ١٨٣٦م) ، ومنها انتقل إلى (قالما) ثم سار إلى قسنطينة ، فاصطدم مع ابن عيسى في معركةٍ حاميةٍ فقد فيها معظم جنده ، ومن بينهم ابنه ، ونجا هو بنفسه بقدرٍ من الله ، فعزلته فرنسا ، وانتقل إلى أسبانيا حيث قضى بقية حياته فيها .

لما هُزم « كلوزيل » أمام أحمد باي قسنطينة هجم الأمير عبد القادر ومن انضمّ إليه على الفرنسيين فلم يبق لهم أي أثرٍ في إقليم وهران ، وأصبح سهل (متيجة) تحت نفوذه ، ثم أصدر أوامره إلى مصطفى التهامي وابن حميدي بالتوجّه إلى مدينة وهران لاحتلالها ، وأصدر أمراً آخر إلى محمد بن علال لاحتلال مدينة الجزائر ، وقد استطاع محمد بن علال دخول الجزائر ، وتوجّه الأمير عبد القادر لدخول تلمسان .

حوصر الفرنسيون حتى أصابهم الجوع ، فعمل أحد اليهود ، واسمه « دوران » في إقناع الأمير عبد القادر لإمداد الفرنسيين بالطعام والحبوب ، وأن يمدّوه بالحديد والرصاص .

ولما وصل الجنرال « بيجو » إلى الجزائر بدأ بالاتصال مع الأمير عبد القادر ، ونتيجة الاتصالات كانت معاهدة (تافنة) . إذ عقد الأمير عبد القادر مؤتمراً قرب (تافنة) دعا إليه زعماء المسلمين الجزائريين ، والقادة العسكريين ، ورؤساء القبائل ، وحدّثهم عن المعاهدة مع الفرنسيين ، وبعد مناقشاتٍ وخلافاتٍ وُقّعت المعاهدة في تاريخ ٢٦ صفر عام ١٢٥٣هـ (٣١ أيار ١٨٣٧م) .

وتنصّ المعاهدة على ما يلي :

١ ـ يعترف الأمير عبد القادر بالسلطة الفرنسية على الجزائر .

٢ ـ تحتفظ فرنسا لنفسها بوطن في بلدان : وهران ، ومستغانم ، ومازغران ،

ونواحيها المحيطة بوهران وأرزو ، ومنطقةٍ أخرى محدودةٍ من الشرق بنهر المقطع والسباخ التي يجري فيها ، ومن الجنوب بخطٍّ يبدأ من السباخ المذكورة مارًّا بالضفة الجنوبية للبحيرة وممتدًّا إلى وادي المالح في اتجاه سيدي سعيد ، ومن هذا النهر إلى البحر يكون تابعاً للفرنسيين .

أما إقليم الجزائر فيعدّ منطقةً فرنسيةً : مدينة الجزائر ، والساحل ، وسهل متيجة محدّداً من الشرق بوادي الخضرة إلى أمام حتى حدّ رأس أول جبل ، حتى وادي (شفة) ، ويدخل في ذلك (البليدة) وسائر نواحيها ، وغرباً من وادي (شفة) إلى المد المقابل لوادي مازغران ، ويمتد من هناك حتى يوازي ساحل البحر ويشمل القليعة ونواحيها كلها .

٣ ـ يحكم الأمير عبد القادر إقليم وهران ، وإقليم (تيطري) ، وما لم يحدّد في المادة الثانية لفرنسا، وليس له الحق في دخول أي جزءٍ آخر من الولاية.

٤ ـ ليس للأمير أية سلطةٍ على المسلمين الذين يرغبون في الإقامة في المنطقة الفرنسية ، ولكن لهؤلاء حرية الانتقال منها ، والإقامة في المنطقة التابعة للأمير عبد القادر ، وفي الوقت نفسه يمكن للسكان المقيمين في المناطق التابعة للأمير أن ينتقلوا منها ، ويقيموا في المناطق الفرنسية .

٥ ـ يتمتع المسلمون الذين يقيمون في المنطقة الفرنسية بحرياتهم الدينية ، ويمكنهم إقامة المساجد ، وممارسة شعائر دينهم في كل خصوصياته تحت سلطة قضاتهم وعلمائهم .

٦ ـ يقدّم الأمير للجيش الفرنسي ثلاثين ألف مكيال من القمح ومثلها من الشعير ، وخمسة آلاف رأس من البقر ، ويتمّ تسليم هذه المواد في وهران على ثلاث دفعات ، تعطى أولاها في منتصف أيلول ، ويقدّم الباقي بعد شهرٍ دفعتين متتاليتين بينهما شهرٌ واحدٌ .

٧ ـ يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا البارود ، والكبريت والأسلحة التي يحتاجها .

٨ ـ يتمتع الكراغلة الذين يرغبون في البقاء في تلمسان أو غيرها بحرية التملك ، ويعاملون كمواطنين . أما إذا رغبوا في الانتقال إلى المنطقة الفرنسية فعليهم أن يبيعوا أملاكهم أو يؤجّروها قبل الانتقال .

٩ ـ تتخلّى فرنسا للأمير عن (راشقون) ، و (تلمسان) وقلعتها ، وعن كل المدافع التي كانت فيها ، ويتعهّد الأمير بنقل الأمتعة كلها إلى وهران إضافةً إلى العتاد الحربي التابع للحامية الفرنسية في تلمسان .

١٠ ـ تبقى المبادلات التجارية حرّةً بين المسلمين والفرنسيين ، ويمكن لكل طرفٍ أن يقيم مبادلةً في منطقة الآخر .

١١ ـ يلقى الفرنسيون موضع الاحترام بين المسلمين ، وكذا المسلمون بين الفرنسيين ، ويضمن المسلمون الأملاك التي اقتناها الفرنسيون في منطقة المسلمين أو التي يمكن أن يقتنوها ، ويتصرّفون بها في حرية ، ويضمن الأمير خسارة ما قد يسبّبه المسلمون فيها .

١٢ ـ يتعهّد الأمير بعدم تسليم أي جزءٍ من الساحل إلى أية دولةٍ أجنبيةٍ مهما كانت دون إذن فرنسا .

١٣ ـ يتمّ تبادل المجرمين بين المنطقتين .

١٤ ـ لا يصحّ إجراء المعاملات التجارية للولاية إلاّ في الموانىء الفرنسية .

١٥ ـ يكون لفرنسا ممثّلون لدى الأمير ، وفي المدن الخاضعة لسلطانه ليعملوا وسطاء لمصلحة الرعايا الفرنسيين ، وللنظر في كل الخصومات التي قد تحدث بينهم وبين المسلمين ، وللأمير الامتياز نفسه في المدن والموانىء الفرنسية[١] .

رشقون ٢٦ صفر ١٢٥٣هـ ، ٣١ أيار ١٨٣٧م .

بعد هذه المعاهدة تفرّغ الأمير عبد القادر لتنظيم شؤون دولته وتصفية

---

(١) انظر المعاهدة في سلسلة جهاد شعب الجزائر ـ الجزء الرابع ـ بسام العسلي . دار النفائس ـ بيروت .

منافسيه ، كما تفرّغ الفرنسيون للقضاء على أحمد باي قسنطينة ، ومع الأسف ؛ يبدو أن المسلمين لم يتعاون بعضهم مع بعض رغم أنهم يقاتلون الفرنسيين ، وربما كان بعضهم ينتظر ليرى مصرع الآخر على يد العدو الصليبي المشترك ، وهذا ما كان ينتظره الأمير عبد القادر لأحمد باي قسنطينة ، فعندما كان الجنرال « كلوزيل » يوجّه جهده لأحمد باي قسنطينة كان الأمير عبد القادر ينتظر نتيجة الصراع ، فلما انتصر الباي تحرّك عبد القادر ضدّ الفرنسيين ، وهذا ما يجعل التفكير يسبح بعيداً ، ويقف عند دراسة كل جزئيةٍ أو قول كل كلمةٍ قد تأتي في موضع الثناء . وكان الأمير عبد القادر صوفياً من مشايخ الطريقة الدرقاوية ، وله منافسات لمشايخ بقية الطرق .

وعُيّن « فالي » حاكماً عاماً جديداً للجزائر في ٣ رمضان ١٢٥٣هـ (٣٠ تشرين الثاني ١٨٣٧م) ، ويحمل معه تعليماتٍ محدّدةٍ للتمسك ببعض المناطق التي تصل بين مدينة الجزائر وقسنطينة إذ أنها ذات أهميةٍ خاصةٍ بالنسبة للفرنسيين من ناحية التموين والانتقال ، وعندما وصل الحاكم العام الفرنسي إلى الجزائر أرسل هذه التعليمات إلى الأمير عبد القادر الجزائري ، وأخذ في مفاوضته في سبيل تنفيذها .

وعرف الأمير عبد القادر من خلال التعليمات ما تنويه الحكومة الفرنسية لذا فقد أسرع واحتلّ هذه المناطق ، وشدّد قبضته عليها ، ونظّم أمور قبائلها ، وعيّن عليها أحمد بن سالم نائباً له .

أرسل الحاكم الفرنسي « فالي » الجنرال « دوسال » إلى (مليانة) في ذي القعدة ١٢٥٤هـ (شباط ١٨٣٩م) حيث يعقد الأمير عبد القادر مؤتمراً لرؤساء القبائل وزعماء المسلمين ، وقد تكلّم الجنرال « دوسال » للحضور ، وحاول أن يبرهن لهم على ضرورة التنازل عن هذه المناطق لمصلحة الفرنسيين ، فكان جواب الجميع أن الحرب خير من التنازل . وحاول الأمير عبد القادر تغطية ما قام به من عملٍ عسكريٍّ بعملٍ سياسيٍّ فاتصل بملك فرنسا « لويس

فيليب » ، وبوزير الخارجية الفرنسية ، ولكن لم يفده ذلك شيئاً إذ أن فرنسا مصممة على العمل العسكري .

جاء دوق دي أورليانز ـ ابن الملك لويس فيليب ـ للإشراف على تحرّك عمليةٍ فرنسيةٍ من قسنطينة إلى مدينة الجزائر عن طريق المنطقة المتنازع عليها ، واجتازوا باب الحديد بحيلةٍ وأوراقٍ مزوّرةٍ ، فاحتجّ الأمير عبد القادر ، وأعلن الحرب على القوات الفرنسية في تاريخ ٢٢ رمضان ١٢٥٥هـ (٢٨ تشرين الثاني ١٨٣٩م) ، وهاجم المناطق الفرنسية ، فاعتصم الفرنسيون في مدينة الجزائر ، ولكن مدافعهم قد أوقفت هجوم الأمير عبد القادر ، وجاء الدعم إلى الماريشال « فالي » ، فأصبح جيشه ثلاثين ألفاً ، وأعلنت فرنسا أن الجزائر منطقةً فرنسيةً ، لا يمكن التنازل عنها ولا التراجع عن هذا أبداً .

كان الأمير عبد القادر يتجنّب الصدام مع الفرنسيين في معركةٍ نظاميةٍ لقلّة جنده أمام القوات الفرنسية ، وإنما كان يعتمد على الإغارة والهجوم على أجنحة القطعات الفرنسية ، وحرب العصابات وخاصةً في الجبال .

تولّى الماريشال « بيجو » حاكماً عاماً فرنسياً جديداً للجزائر في ١ محرم ١٢٥٧هـ (٢٢ شباط ١٨٤١م) ، وبدأ يطارد الأمير عبد القادر ، وتمكّنت القوات الفرنسية من مباغتة الأمير بالقرب من زاوية المرابط سيدي يوسف في ٢٨ شعبان ١٢٥٩هـ (٢٢ أيلول ١٨٤٣م) ، واستطاع أن ينجو ، ثم هُزم في معركةٍ وقعت في ١٨ رمضان ١٢٥٩هـ (١١ تشرين الأول ١٨٤٣م) ، واضطرّ للتوجّه نحو حدود المغرب ، وتمّ نتيجة ذلك اشتباك بين الفرنسيين والمغاربة ، واحتلّ الماريشال « بيجو » مدينة (وجدة) ، ثم قام الأسطول الفرنسي بضرب مدينة (طنجة) المغربية ، ومدينة (موغادر) المغربية أيضاً ، وهذا ما جعل المغرب ترضخ لمطالب فرنسا ، وتتوقف عن دعم الأمير عبد القادر واحتضانه ، وهذا ما أثار شعور المسلمين في المغرب ، فراسلوا الأمير عبد القادر لمساعدتهم لخلع سلطانهم وتسليمه أمرهم ، غير أنه قد رفض ذلك .

وفي ربيع الأول ١٢٦١هـ (آذار ١٨٤٥م) رفع محمد بن عبد الله الملقّب « بومعزة » ـ من مشايخ الطريقة الدرقاوية ـ لواء الجهاد . ورجع الماريشال « بيجو » إلى الجزائر ، ووصل عدد قواته إلى مائةٍ وعشرين ألفاً ، وبدأ حرب إبادةٍ تامةٍ للسكان ، والحيوانات ، والمزارع ، فوقع الذعر في قلوب الناس ، وبدؤوا يتخلّون عن الأمير عبد القادر الذي اضطرّ إلى مراسلة الجنرال « لامور سيير » ، والإعلان له عن رغبته في الاستسلام وذلك في تاريخ ١٤ محرم ١٢٦١هـ (٢١ كانون الأول ١٨٤٧م) فوافق مباشرةً على شروطه ، وفي ١٨ محرم من العام نفسه غادر الأمير عبد القادر الجزائر مع ثمانيةٍ وثمانين من أتباعه إلى حيث لا رجعة ، حيث اعتقل في جنوبي فرنسا في (طولون) و (أنبواز) أكثر من أربع سنوات ، وزالت بعد مدّةٍ ملكية لويس فيليب ، وأعلنت الجمهورية التي انقلبت إلى إمبراطورية ، واعتلى العرش نابليون الثالث ، فزار الأمير عبد القادر في سجنه ، وأطلق سراحه بشرط ألّا يعود إلى الجزائر ، فزار باريس ، واستانبول ، ثم استقرّ في دمشق عام ١٢٧١هـ ، وبقي فيها حتى مات عام ١٣٠٠هـ .

حركات المقاومة : لم تهدأ مقاومة الجزائريين بعد رحيل الأمير عبد القادر أبداً ، فما تندلع ثورةٌ وتهدأ ، وينقطع نزيف الدم ، ويضمّد المجاهدون جراحهم ؛ حتى تقوم حركةٌ عارمةٌ في جهةٍ ثانيةٍ ، وإذاكان يؤخذ على حركات المقاومة هذه أنها لم توحّد جهودها ، ولم تخطّط للقيام في وقتٍ واحدٍ في مختلف المناطق ، وليس لهذا ما يبرّره ، إلّا أننا نحاول أن نجد لها الأعذار في صعوبة الاتصال والمواصلات ، ويجب أن لا نسقط الحاضر على الماضي ، وننظر إلى الحاضر وما فيه من سهولة الاتصال وسرعة المواصلات ، إذ لم يكن هذا متوفرا في تلك الأيام . كما أن كثرة القبائل ، والمنازعات فيما بينها ؛ يلعب دوراً في هذا ، إضافةً إلى عدم الوعي ، وعدم الفهم الصحيح للإسلام ، والطرق الصوفية ، والمنافسة فيما بينها ، ويجب ألّا ننسى حظ النفس ؛ ما دام الوعي الإسلامي قليلاً . وإذا كنا نثني على من بقي في الساحة

مجاهداً فإننا لا نعرف عن الذين مضوا شيئاً ، فقد اتهم بعضهم بالخيانة وأعدم، وهُزم بعضهم في الميدان وقُتل، ولو استمر ربما كان خيراً ممن بقي. ولكن دُوّنت الأحداث لمصلحة من واتته الظروف ، وعاش ، وأضفى عليه المدوّنون كل صفات الرجولة ، وأعطوا من انتهى غير ذلك ، وهكذا إن لم تدون الأحداث إثر وقوعها ، وتُحفظ لتُؤخذ منها العبرة .

لقد قام الكثير من الثورات ، وحركات المقاومة ضدّ الفرنسيين ، ولعلّ من أهمّها :

١ ـ حركة ناصر بن شهرة عام ١٢٦٧هـ ، وكان يتنقل بين (نغزاوة) و (الجريد) .

٢ ـ حركة محمد الأمجد بن عبد الملك المعروف بالشريف « بوبغلة » عام ١٢٦٧هـ ، وقد تمّ القضاء عليها في ربيع الأول ١٢٧١هـ (كانون الأول ١٨٥٤م) ، وإن كانت قد استمرّت قليلاً بعد ذلك بقيادة الحاج عمر ، والإخوان الرحمانيين .

٣ ـ ثورة قبيلة بني « لالا فاطمة » ، واستمرّت حتى ٢٠ ذي القعدة ١٢٧٣هـ (١١ تموز ١٨٥٧م) .

٤ ـ حركة الصادق بن الحاج من أولاد سيدي منصور ١٢٧٣ ـ ١٢٧٥هـ .

٥ ـ حركة محمد بن بوختناش من أولاد سيدي رحاب البراكتية ١٢٧٦هـ .

٦ ـ ثورة أولاد ابن عاشور .

٧ ـ ثورة أولاد سيدي الشيخ في جنوب وهران .

٨ ـ حركة « ابن خدومة » أبو بكر بن قدور بن خدومة ١٢٧٥ ـ ١٢٨٦هـ .

٩ ـ حركة الصبايحية ١٢٨٦هـ .

١٠ ـ حركة أولاد عيدون بـ (الميلية) .

١١ ـ حركة أولاد خليفة بـ (تبسة) .

ثم جاءت حركة محمد المقراني .

ولعلّ الدافع الأول لهذه الثورة وما قبلها الوحشية البالغة التي يرتكبها

الفرنسيون بحقّ الشعب المسلم الجزائري ؛ من نهبٍ للأرض ، وسلبٍ للأملاك ، وهتكٍ للأعراض ، وإبادةٍ للأفراد ، وحرقٍ للزروع ، ثم الجهاد في سبيل الله ضدّ المغتصبين الصليبيين الذين يعيثون في الأرض فساداً ، وأخيراً الدفاع عن البلاد والعباد والحقوق ، ولكن يجب ألّا ننسى الدوافع الأخرى ، فالعثمانيون كانوا يثيرون الناس ضدّ المعتدين ، ويحملون فكرة الجامعة الإسلامية ، والجزائريون جزءٌ من هذه الأمة الإسلامية ، والخلافة التي أسندت للعثمانيين تجمع عناصر الأمة بعضها إلى بعض ، فلا بدّ من أن يعملوا على الإثارة ضدّ الصليبيين ، وإن كانوا لا يستطيعون فعل شيءٍ ، إذ تحدق بهم الأخطار من كل مكان، حتى إن المسلمين قد أخذوا يأتمرون بأوامر الصليبية العالمية ، ويؤدّون دورهم في خدمتها ، ولعلّ والي مصر محمد علي وابنه إبراهيم كانا الصورة المثلى لهذا الائتمار، فقد أنهكا الدولة إضافةً إلى ما تعانيه من إنهاكٍ في قتال الصليبيين الأوربيين : الروس ، والإنكليز ، والفرنسيين ، والنمساويين ، وأمم أوربا وشعوبها كلها .

وهناك انتقال محي الدين بن عبد القادر الجزائري من دمشق إلى الإسكندرية فتونس ، والاختفاء على الحدود بين تونس والجزائر ، والالتقاء برجالات الجزائر ، ومراسلة قبائلها ، والتفاف المهاجرين والفارّين والمشرّدين الجزائريين حوله ، وإشاعة قرب ساعة الخلاص ، وإعداد جيش عثمانيٍّ لاستعادة الجزائر .

وهناك هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) ، فشجّع ذلك الجزائريين على الثورة والثأر .

وهناك الكوارث الطبيعية ؛ من سنواتٍ عجافٍ ، وانتشار مرض الكوليرا ، وغزو الجراد ، وكلها أدّت إلى تدهور الحالة الاقتصادية الميتة من سوء تصرّف المستعمرين ، فانتشرت المجاعة ، وجاء اليهود فاستغلّوا تلك المجاعة أبشع استغلال ، فأخرج الجوع الناس مع ما في نفوسهم من واجب الجهاد ، وواجب الدفاع عن الأرض ، وواجب مقاتلة المغتصبين .

حركة محمد المقراني : انطلق محمد المقراني مجاهدا في سبيل الله ، ثائراً على المغتصبين الصليبيين ، مدافعاً عن حقوق العباد ، وزحف على بلدة (البرج) في تاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٨٧هـ (١٦ آذار ١٨٧١م) ، وفي الوقت نفسه أمر أخاه « بومرزاق » بالتحرّك في منطقة سور الغزلان ، وابن عمه وصهره السعيد بن داود بالتحرّك في منطقة (الحضنة) وبلاد أولاد نائل ، وابن عمه الثاني بوزيد بن عبد الرحمن بالزحف إلى البرج مع خمسة عشر ألف مقاتلٍ لدعم الثورة . غير أنه فشل في دخول بلدة البرج بعد حصارٍ دام عدة أيام .

واستشهد محمد المقراني وهو يصلّي ، إذ باغته الفرنسيون ، ولم يكن قد أخذ حذره بالشكل المفروض ، وذلك في تاريخ ١٥ صفر ١٢٨٨هـ (٥ أيار ١٨٧١م) ، ولما يمض على ثورته أكثر من واحدٍ وخمسين يوماً . ومع ذلك تُعدّ حركة محمد المقراني من أكبر حركات المقاومة الجزائرية ضدّ الفرنسيين ، إذ اشترك فيها أكثر من مائتي ألف مجاهد ، وخاضوا أكثر من ثلاثمائةٍ وأربعين معركة ، وعمل ضدّهم ما يزيد على ثمانمائة ألف مقاتلٍ فرنسيٍّ .

ثورة الشيخ محمد أمزيان الحداد : وينتمي إلى الطريقة الرحمانية[1] التي كان لها دورٌ في مقاومة الاستعمار الصليبي الفرنسي في الجزائر . فقد ساهم في الجهاد مع عبد القادر الجزائري ، وفي ثورة الشريف « بونبلة » عام ١٢٧٢هـ ، وقاد الحاج عمر شيخ الرحمانيين حركةً بنفسه واعتُقل ، ونُفي إلى تونس ، كما قادت زوجته « لالا فاطمة » حركةً بنفسها ، وهي بنت الشيخ علي بن عيسى الخليفة الأول لمؤسس الزاوية الرحمانية ، فلما اعتُقلت قاد الرحمانيين محمد أمزيان بن علي الحداد ، إذ آلت إليه مشيخة زاوية (صدوق) ، وقد دفع

---

(١) تنسب الطريقة الرحمانية إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام ١٢٠٩هـ ، ولد في قرية (آيت إسماعيل) في جبال جرجورة ، ودرس بالأزهر في مصر ، وأسس المدرسة الحفناوية نسبةً إلى أستاذه بالأزهر محمد بن سالم الحفناوي ، وصار له أتباع وتلامذة وأسسوا مدارس وعندما توفي خلفه في مشيخة الطريقة علي بن عيسى والد « لالا فاطمة » .

ولديه « عزيز » و « محمد » للجهاد ؛ لكبر سنه ، واندفع الناس وراءهما للجهاد حتى عمّت الثورة شرقي الجزائر كله .

كان محمد المقراني قد دعا محمد أمزيان للجهاد ، فأبدى استعداده ، وكان بين العائلتين خلاف استطاع محمد المقراني إزالته .

استسلم « عزيز » للفرنسيين في معسكر آيت عاشم يوم ١٢ ربيع الثاني ١٢٨٨هـ (٣٠ حزيران ١٨٧١م) ، واعتُقل أخوه « محمد » بعد يومين ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٨هـ (٢ تموز ١٨٧١م) ، واضطرّ الوالد محمد أمزيان للاستسلام بعد عشرة أيام ٢٤ ربيع الثاني ١٢٨٨هـ (١٢ تموز ١٨٧١م) ، وبعد ذلك ضعفت الثورة .

حركة أحمد بومرزاق : هو شقيق محمد المقراني ، كان أخوه قد وجّهه إلى منطقة سور الغزلان ، فأخذ معه ابن عمه علي بن بورنان ، وتابع الجهاد بعد استشهاد شقيقه ، وتعاون مع أبناء الحداد ، فلما استسلم أحدهما ، واعتُقل الآخر ؛ أصبح بومرزاق ؛ هو القائد الفعلي للثورة، وأخذ ينتقل من مكانٍ إلى مكانٍ يواجه الفرنسيين ، ويغير عليهم حتى ٤ ذي القعدة ١٢٨٨هـ (١٤ كانون الثاني ١٨٧٢م) حيث ضلّ مع ابن عمه مسعود بن عبد الرحمن عن القافلة ، وتعرّضا للجوع والعطش ومدة ستة أيام ، ووجدتهما سرية استطلاعٍ فرنسيةٍ في حالة إغماء ، فحملتهما إلى المعسكر الفرنسي ، وأسعفتهما ، وتعرّفت عليهما ، وكان ذلك في ١٠ ذي القعدة ١٢٨٨هـ (٢٠ كانون الثاني ١٨٧٢م) .

حوكم زعماء الثورة في محكمة الجنايات في قسنطينة في تاريخ ١٩ رجب ١٢٨٩هـ (٢١ أيلول ١٨٧٢م) ، واستمرّت المداولات أكثر من ستة أشهر ، ثم صدرت الأحكام ، فكانت كما يلي :

أحمد بومرزاق : إعدام .

محمد أمزيان بن علي الحداد : السجن المنفرد لمدة خمس سنوات ، فتوفي

بعد خمسة أيام ؛ إذ كان عمره يزيد على الثمانين .

عزيز بن محمد أمزيان الحداد : النفي خارج البلاد .

محمد بن محمد أمزيان الحداد : السجن المنفرد لمدة عشر سنوات .

فلما رُفعت الأحكام إلى رئيس الجمهورية للتصديق ؛ استبدلت جميعها بالنفي إلى كاليدونيا من قارة أوقيانوسيا ، وعددهم مائةٌ وأربعة مجاهدين ، غير أن الفرنسيين قد عادوا فسمحوا لهم بالعودة إلى الوطن بعد عشر سنوات عدا أحمد بومرزاق الذي بقي في منفاه اثنتين وثلاثين سنة ، ثم عاد ولكنه لم يلبث سوى سنة في الجزائر حتى توفي . وفرّ « عزيز بن محمد أمزيان » إلى أستراليا فمكة حيث عاش متنقلاً بين جدة ومكة حتى سُمح له بالعودة ، غير أنه مات مسموماً في مرسيليا ، ومحمد بن محمد أمزيان الذي توفي في كاليدونيا عام ١٣٠٦هـ .

كما صودرت أملاك آل المقراني وآل الحداد كلها .

وبعد إخماد هذه الثورة (١٢٨٨م) ضعفت حركة الجهاد الجزائري ، وخفّت المقاومة ، وقلّت الثورات بسبب الأعمال الوحشية التي قام بها الفرنسيون ، ومنها الإبادة التامة ، وبسبب فقدان العنصر القيادي ؛ إذ استشهد مئات الألوف ، ونُفي الألوف إلى فرنسا ، وتونس ، والشام ـ وخاصةً دمشق ـ ، ومصر ، وليبيا ، وبقية جهات العالم ، وأذل بقية الشعب بالإفقار ، والسجن ، والمراقبة الدائمة ، إضافةً إلى الحرب النفسية ، وانتهاك الحرمات .

وجاءت الحرب العالمية الأولى، وساقت فرنسا أبناء الجزائر إلى ساحات القتال ، فمات منهم الكثير ، وانتظر الجزائريون نهاية الحرب لعلّ الضغط أن يخفّ عليهم ، فما ازداد المستعمرون في النهاية إلّا همجيةً وشراسةً .

الاستِعمار بَعدَ إلغَاء الخِلافَة

ألغيت الخلافة في تـاريخ ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) ، وانقطعت الروابط بين الأمصار وبين الشعوب الإسلامية حتى الواجب الأدبي على الأقل الذي كان على دولة الخلافة تجاه الجزائر ومساعدتها أو غيرها من الأمصار قد زال ، وأصبح كل مصرٍ يتقـوقع عـلى نفسه يصـارع الأعداء ؛ ضعيفاً مستكيناً لا إخوة له يسندونه ، ولا أمة ينتمي إليها تكون ظهيرةً له ، وهو قليل العدد أمام جموع الأعداء ، قليل الإمكانات أمام ضخامتها لـدى الصليبيين المستعمرين ، منهوك القوى أمام جحافل تترى بعضها وراء بعض ، مقطِّع الأوصال أمام ضربات الخصوم ، مفرّق الجماعات أمام تخطيط الأعداء ، وصعوبات المواصلات ، وكمائن المستعمرين .

لقد خمد الشعب العربي المسلم في الجزائر بسبب السياسة الاستعمارية الصليبية التي اتبعتها فرنسا ، لقد دان لحكّامهـا بعد الـذلّ الذي أصـابه ، ورضخ للأمر الواقـع بعد أن وجـد أنه لا قِبـل له أمـام الباغـين ، وخضع لسلطانهم عندما لم يجد له سنداً ، وخنع لقوانينهم الجائرة عندما زال قادتـه وعلماؤه على أيدي الطغاة الدخلاء .

السياسة الاستعـمارية الصليبيـة : لم يكن هدف فـرنسا من قتـالها في الجزائر ، ولاستعمارها لبلادها أو لأي مصر آخر ؛ التخلّص من سداد بعض الديون التي عليها ، أو امتلاك بعض الأراضي الخصبـة ، أو الحصول عـلى

بعض الأماكن ليتوسّع فيها أبناؤها بعد أن ضاقت بهم بلدانهم ، أو التسلّط على بعض منابع الثروات المعدنية ، أو استرقاق السكان ليخدموا أبناءها ، ويكونوا لديها عمّالاً وخدماً ، أو لتكون الجزائر أو غيرها سوقاً لفرنسا أو لغيرها من الدول الصليبية بعد أن تكدّست المصنوعات في مستودعات معاملها ، لم يكن هذا كله غاية الاستعمار الصليبي ، وإنما قد يكون هذا من بعض أهدافها . ويمكن أن ينال هذا بأقلّ مما حدث ، فإن معركةً واحدةً كافيةٌ لإخضاع الشعب وحكمه فقد مُثِّل هذا في كثيرٍ من أجزاء إفريقية ، وبقي المستعمرون هناك مئات السنين ، حتى تركوا البلاد هم من أنفسهم إذ وجدوا أنه من الخير لهم تكليف أحد أبناء البلد بحكمه نيابةً عنهم ، ويرحلون عنه فيوفّرون الكثير ؛ من المصروفات ، ومن الجنود ، ومن إبعاد الناس عن ذويهم ، و . . . ومع هذا تأتيهم خيرات البلاد ، ويبقى سوقاً لمنتجاتهم ، وأكبر من هذا وذاك عدم إبقاء كراهيتهم من قبل الأهالي ، وتوفير الدماء من الطرفين ، أو على الأقل من طرفهم أنفسهم إذ لا يبالون بدماء غيرهم وخاصةً إذا كانت دماءً مسلمةً فهي رخيصة مهدورة في نظرهم ، ومن هذه البلدان : كينيا ، وموزامبيق ، ومدغشقر ، وجنوبي إفريقية ، وأنغولا ، والغابون ، وزائير ، والكونغو ، ورواندا ، وبورندي ، وبنين، والتوغو ، وليبيريا ، و . . . ولكن الأمر في الجزائر يختلف عن هذه البلدان إذ أن سكانها من المسلمين ، والمسلمون تسري في نفوسهم روح الجهاد فمتى أذكاها الإيمان وبثّها وأطلقها كانت على الأعداء سيلاً من الحمم تقذفهم وتلقيهم وراء الحدود ، ومع أنها حمم إلّا أنها لا تجعل في القلب غلاً ولا حقداً ، ولا ترتكب منكراً ، ولا تقتل طفلاً ولا امرأةً ولا شيخاً ، ولا تحرق زرعاً ، ولا تنتقم إلّا من مقاتل جاء إلى قتال المسلمين طواعيةً ورغبةً ، ولا تنظر إلى من جاء مكرهاً كمن أتى راضياً ، لذا كانت غاية المستعمرين الصليبيين جميعاً - من فرنسيين وغيرهم - قتل هذه الروح قبل كل شيء ، والتشفّي من المسلمين ؛ فقلوبهم مليئة بالحقد الصليبي منذ الاحتكاكات الأولى التي دارت بين المسلمين والنصارى ، وقد حاولوا تفريغها في الحروب الصليبية ، ولكنهم لم يستطيعوا ، بل ازدادت

امتلاءً ، ثم شُحنت خلال العصور التي تلت . ومع كل ما ارتكبوه في الاستعمار الصليبي الحديث فإنه لم يفرغ من هذا الحقد إلّا القليل، وكلما تسرّب منه شيء جاء الرهبان ليشحنوه من جديد ، فإن فشلوا في التنصير ؛ نظروا إلى الإسلام على أنه من وراء فشلهم ، فصبّوا جام حقدهم على أهله ، وكذلك إن عجزوا عن تنفيذ مهمة ، أو خسروا في نقاش ، أو عجزوا في جدال ؛ حمّلوا الإسلام وأهله مسؤولية ذلك ، ولم يُرجعوا إلى أنفسهم ذلك العجز وذلك الفشل ، فهم يجادلون بما لا يتفق مع النفس البشرية ، ويناقشون بما صاغوه هم أو أسلافهم لأنفسهم من كتاباتٍ وقالوا : هي من عند الله ، وما هى من عند الله . . .

لقد أراد المستعمرون الصليبيون إذن إماتة روح الجهاد عند المسلمين ، والتشفّي منهم قبل كل شيء ، لذلك أقدموا على ما ارتكبوه من جرائم ، ووحشيةٍ ، وإبادةٍ ، وهتكٍ للأعراض ، وسلبٍ للأموال ، ونهبٍ للأملاك ، وامتلاكٍ للأراضي بالقوة .

إن الوسيلة الوحيدة لإماتة روح الجهاد هي هدم العقيدة ، فإذا ما تمّ للفرنسيين ذلك أمكنهم ترسيخ أقدامهم ، والتحكّم بالمسلمين ، والتشفّي منهم، ثم نهب أراضيهم وأملاكهم، وجعلهم خدماً عند النصارى الفرنسيين .

١ ـ **السيطرة على مراكز الإشعاع** : وضع المستعمرون الصليبيون نصب أعينهم المساجد ؛ فهي مراكز الإشعاع الإسلامي ، حيث يلتقي فيها المسلمون ، ويؤدّون عبادتهم ، ويستمعون إلى خطب الجمعة التي تنير الدرب ، وتزيد الوعي ، وفيها يتعلّم الناشئة القرآن ومبادىء الإسلام ، فهي لذلك عدوّ النصرانية الأول ؛ إذن يجب التخلّص منها والقضاء عليها ، ومنذ أن دخل الفرنسيون الجزائر بدؤوا بهذه الخطة ، ولنأخذ على سبيل المثال مدينة الجزائر نفسها ؛ إذ يصعب الحديث عن كل مدينةٍ وكل قريةٍ ، وقد يسبّب للقارىء أيضاً مللاً ، لقد كان في مدينة الجزائر يوم دخلها الفرنسيون عام ١٢٤٦هـ مائة وستة مساجد ، وبقي فيها يوم خرجوا منها عام ١٣٨٢هـ ثمانية مساجد فقط ، وكانت هذه المساجد تُحوّل إلى كنائس ، وإلى سكناتٍ للجيش

أو الشرطة ، وإلى اصطبلات للخيول ، أو حظائر للأغنام ، وربما كانت تُهدم لتُحوّل أرضها إلى أبنيةٍ وغيرها .

٢ ـ السيطرة على الأوقاف : إن المساجد تعتمد بالدرجة الأولى في تأدية مهمتها ، كنفقات الإمام والخطيب ، والأثاث ، والمشرف ، ونفقات طلاب العلم ؛ على ما تملك من أوقاف ، ويُعرف الجزائريون بكثرة ما يهبون من مالٍ وأملاكٍ إلى المساجد والتكايا ، والزوايا ، فلما جاء الفرنسيون مستعمرين وقّعوا اتفاقيةً مع حاكم الجزائر الداي حسين قبل أن يغادرها ويسلّمهم أمرها ، وتنصّ هذه الاتفاقية على احترام الشريعة الإسلامية ، غير أن أول من نقض هذه الاتفاقية هو الذي وقّعها ؛ الحاكم العام العسكري : « دوبومون » ، إذ أصدر بعد شهرين أمراً في تاريخ ٢٠ ربيع الأول عام ١٢٤٦هـ (٨ أيلول ١٨٣٠م) يقضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية ، وأتبعه بأمرٍ آخر في تاريخ ٢١ جمادي الآخرة ١٢٤٦هـ (٧ كانون الأول ١٨٣٠م) ؛ يقضي بحقّ التصرّف بالأملاك الدينية بالتأجير والكراء . فإذا ما انقطع المورد الأساسي لقيام المسجد انتهى دوره ، ثم انتهى وجوده ، وهذا ما حدث إذ زالت أكثر المساجد ، وما بقي منها قائماً أصبح تعيين الإمام والخطيب والمسؤول عن النظافة بيد الفرنسيين ، وبعبارةٍ أخرى تعيين أئمة المسلمين وخطبائهم يتمّ عن طريق النصارى ، وهذا يعني ألاّ يُعيَّن شخصٌ يصلح لأداء المهمة التي يقوم بها ، وإنما يُعيّن أشخاصٌ جهلةٌ يسيئون إلى الإسلام ويجعلونه سخريةً بالنسبة إلى العامة ، كما أنهم أنفسهم يكونون سخرية ، وهذا ما يُضعف شأن الدين ، ويُقلّل من هيبته ؛ هذا من جهة ، ومن جهةٍ ثانيةٍ فإن هؤلاء الأئمة والخطباء المعيّنون من قبل النصارى الفرنسيين غالباً ما يكونون عيوناً للأعداء ، بل هذا ما يشترطونه عليهم عند تعيينهم ، وغالباً ما يقبلون بهذه الدنيّة وهذا الأمر المخالف للإسلام نتيجة الفقر المدقع الذي يعيشونه ، وهم لا يصلحون لهذا الأمر لجهلهم الذي يعيشون تحت وطأته .

وصدر عام ١٣٢٣هـ قانون فصل الدين عن الدولة ، وطُلب العمل به

في الجـزائـر ، وطُبّق عـلى النصرانيـة واليهـوديـة ، وبقيت السلطة المـدينـة النصرانية ، أو العسكرية الصليبية تتحكّم في أمور المسلمين حتى التعبّدية منها كإمامة الصلاة ، وخطبة الجمعة ، وفي توجيـه الخطبـاء فيما يقـولون ، وبمـا يـوجّهون ، بـل وحتى في أمور القضاء ـ كـما سنرى ـ كـما أن إحدى هـاتـين السلطتين أو كلتاهما تتحكّم في أمور أوقاف المسلمين من وارداتٍ وتصرّف ، وربما تؤجّرها إلى ما هو محرّم ، كحاناتٍ للخمر ، وملاهٍ ، ومراقصَ ، ودورٍ للبغاء ، و . . .

٣ ـ التنصير : منذ أن وضعت فرنسا يدها على الجزائر أخذت ترسل الإرسـاليات التنصـيرية أمـلاً في أن تنصّر هـذا الشعب ، وظنّت أن أهـل الصحراء سيُقبلون على النصرانية بيسر ؛ ما داموا على بسـاطتهم وطبيعتهم الفطرية ، وأنهم بعيدون عن التعمّق بالإسلام وعلومه ، ومعرفتهم به لا تزال معرفةً سطيحةً ، فأغرقت الصحراء بالإرساليات الكاثوليكية وزوّدتهم بكل ما يحتاجونه ، وبالإمكانات الكبيرة ، وانطلقت تلك الإرساليات إلى الصحراء ، كما انطلقت إلى المدن والقرى ، غير أنها فشلت فشلاً ذريعاً ، إذ لم تستطع تنصير فردٍ واحدٍ ، وإذا كان فشلها في كل مواطن سارت إليه إلاّ أنه كان في الصحراء أكثر ، فربما كان في أهل القرى والمدن من يظهر القناعة بما سمع أو يبدي الموافقة على ما يقال له وهو كارهٌ لما يسمع ومنكرٌ له أشدّ الإنكار غير أن البدو كانوا على طبيعتهم يريدون أن يقتنعوا ، ويتساءلوا كي تصل الحقيقة إلى أذهانهم فكان الأولاد في الصحراء يسألـون الراهب المختصّ بـاللاهـوت ، والذي أمضى السنوات الطوال في أعمال التنصير ، وتلقين القسيسـين تعاليم النصرانية ، يسأله الولد : كيف يمكن جمع ثلاثةٍ في واحـدٍ (الأب ـ الابن ـ روح القدس) ؟! هل هم مواد جامدة تسحق وتخلط لتكون عنصراً واحداً ؟! أو هم مواد سائلة تُمزج ليخرج منها سائلٌ واحدٌ ؟! أو هم غازات يتكوّن منها غازٌ له صفـةٌ واحدةٌ ؟! ويسمـع الراهب هـذه التساؤلات ؛ فـلا يستطيـع الإجابة ، فيكـاد يتميّز من الغيظ ، والـولد البـدوي لا يعرف أنـه قد أثـار

معلمّه ، وكل ما هنالك أنه تساءل ، ولا بدّ للتساؤل من إجابة لتوضّح الحقيقة المطلوب تثبيتها في الفكر .

وربما سأل الولد البدوي : كيف يستطيع بشرٌ أن يتغلّب على إلـهٍ ، ويصلبه ؟! هل يقوى مخلوقٌ على خالق ؟! لا . . . لا . هل يأتي يوم يتغلّب اللوح المصنوع فيأتي بالنجار ويقتله ويصنع منه لوحاً ، وينتصب اللوح نجّاراً صانعاً ؟! .

وإذا التقى الراهب ببعض المتعلّمين أو الدارسين لكتـاب الله ، وربما بعض الحافظين شيئـاً من الآيات ، وأخـذ يُلقي عليهم تعليمات النصرانيـة والآلهة الثلاثة التي تجتمع لتكون إلهاً ؛ أجابه بقوله تعالىٰ : ﴿ قل لو كان معه آلهةٌ كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً * سبحانه وتعالىٰ عمّا يقولون علوّاً كبيراً ﴾[1] ، وأجاب آخر بقوله تعالىٰ : ﴿ لـو كان فيهـما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا فسبحـان الله ربّ العرش عـمّا يصفون * لا يُسـأل عمّا يفعـل وهم يُسألون ﴾[2] ، وأجاب ثالثٌ بقوله تعالىٰ : ﴿ ما اتّخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذن لذهب كلّ إلهٍ بما خلق ولعلا بعضهم على بعضٍ سبحان الله عمّا يصفون ﴾[3] ، وما أن ينتهي الثالث من كلامه ، ويريد رابعٌ أن يتكلّم ؛ حتى يـترك الراهب الجلسـة ، ويذهب مغـاضباً يشتم معلمي الكتـاتيب ، وأئمة المساجد ، وربما وصل إلى الإسلام في شتائمه المقذعة ؛ إن كان قريباً من مركزٍ فرنسيٍّ لا يخشى وقتذاك على نفسه من المسلمين .

ويتحادث المجتمعون لتلقّي التعاليم النصرانية بعضهم مـع بعضٍ ، ويتساءلون : هل هذا مجنون ، أو يحسب أننا مجانين ؟ كيف نقبل ثلاثـةً في واحد ؟! كيف نجمعهم ؟! هل من عاقل يقبل ذلك ؟ عاقلٌ يسمع ومجنونٌ

---

(١) سورة الإسراء ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) سورة الأنبياء ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) سورة المؤمنون ٩١ .

يتكلّم ! . . ما هذا الدين الذي يقول به ؟! هل هذا من الإنجيل ؛ والإنجيل كتابٌ من عند الله ؟ لا . . لا . . . ، هل هذا من تعاليم المسيح عليه السلام ؛ والمسيح رسولٌ من الله ؟ لا . . . لا .

إذن فشلت الإرساليات النصرانية فشلاً ذريعاً في مهمتها ؛ سواء أكان ذلك في المدن والقرى ، أم في الصحراء ، وربما كان هذا الفشل أكثر وضوحاً في الصحراء ، وعزت الإرساليات فشلها إلى أئمة المساجد ، وإلى معلمي الكتاتيب ، ورفعت تقاريرها إلى المسؤولين ، وصبّت غضبها في هذه التقارير على المسؤولين عن فشلها في القيام بمهمتها . . . . ، وجاء البلاء ، أعلنت الحرب على معلمي الكتاتيب وأئمة المساجد ؛ حرب الشائعات ، الحرب النفسية ، الأذى البدني ، الإلقاء في السجون ، وذنبهم مضاعف فهم أولاً من المؤمنين ، وهذه جريمة وحدها يستحقّ صاحبها القتل بعد التعذيب والإهانة والإذلال ، وهم ثانياً سبب فشل مهمة الإرساليات التنصيرية ، وهذه جريمة أخرى ، ولا تقلّ عن الأولى في عقوبتها . لقد أغلقت معظم الكتاتيب ، وزُجّ معلموها في غياهب السجون ، وألحق بهم أئمة المساجد الذين خافوا الله ؛ فرفضوا أوامر الطغاة .

٤ ـ **السيطرة على القضاء** : القضاء في الإسلام يعتمد على الشرع ، وهو القانون المعمول به في المحاكم الإسلامية ، ولا قانون سواه ، ولا يقوم به إلّا من تعمّق في الفقه ، ودرس آيات وأحاديث الأحكام ، وبهذا فهو من اختصاص المسلمين ، إضافةً إلى أن الإيمان بهذه القوانين على أنها من عند الله ، ولا يحقّ مخالفتها أبداً ، ومن تعمّد مخالفتها فإن الله به عليم ، وإن له نار جهنم ، لذا فالمسلم يؤمن بها ، ويعمل جاهداً مجتهداً على عدم مخالفتها خوفاً من الله ، على حين لا يبالي غيره ما دام لا يؤمن بها ، ولا يعتقد أنها من عند الله ، وإنّما يظنّ أنها من عند محمّدٍ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، فالنصراني لحقده الذي ورثه وشُحن به مدة حياته يسخر منها . لقد فرضت فرنسا أن تصدر الأحكام باسم ملك فرنسا ، أو امبراطورها ، أو اسم الدولة الفرنسية حسب

الحكم القائم فيها، وهذا لا يصحّ شرعاً. كما أجازت حقّ الاستئناف إلى قضاةٍ يهودٍ أو نصارى ،وكيف يُصدر الحكم من كان جاهلا بالقوانين كليّاً ؟! وكيف يدرس القضية من لا يعرف القواعد الفقهية ؟! . . .

٥ ـ الإفساد : إفسادٌ في الأرض ، وإفساد أخلاق الأمة ، وكلاهما يُبعد عن الإسلام ، ويسير بالأمة نحو الهاوية .

فالإفساد في الأرض قد شجّعت عليه السلطات الفرنسية ، فالمجرم القاتل تتراوح عقوبته عن ستة أشهر إلى خمس سنوات ، وهي عقوبةٌ سهلةٌ لا تتناسب مع فداحة الجريمة التي ارتكبها وهي قتل النفس الإنسانية ، هذا ما يشجّع المجرمين على الإستمرار في جرائمهم ، ويؤدّي هذا إلى الإحن بين القبائل ، والثارات بين الأسر ، والانقسام في المجتمع وربما انصرف كل طرفٍ إلى السلطة ليتقوّى بها على خصمه ، ولتأخذ له بثأره ، هذا بالنسبة لجريمة القتل ؛ وهي من أصعب الجرائم ، فما بالك في الجرائم الأخرى والجنايات والتعدّيات ؟!

وإفساد أخلاق الأمة بافتتاح الحانات ، ومحلات البغاء ، والمراقص ، والملاهي ، التساهل في انتهاك الحرمات ، التشجيع على العري والسفور والاختلاط .

لقد بدأ الفرنسيون يقومون بهذه الأعمال علناً : معاقرةٍ للخمور ، وارتيادٍ للحانات ، والتعرّي في الشوارع وسط مجتمعٍ مسلمٍ لا يعرف هذه الأمور ، ولم تصل إليه بعد ، وكان المسلمون يستنكرون هذا في بداية الأمر ويجدون فيه الغرابة ، فهل يمكن للإنسان أن يتدنّى إلى هذا المستوى من البهيمية وقلّة الغيرة على الشرف ؟! ولكن بعد مدةٍ أصبح شيئاً عادياً لا يجد الجزائريون فيه غرابةً بالنسبة إلى الفرنسيين ، لكن أخذ الأمر يتسع وينتقل إلى الجزائريين الذين يخالطون الفرنسيين ، ويحاولون التقرب منهم ، ثم تقليدهم، وأخيراً فشا الأمر ، وغدا حديث الشباب الجزائريين عن الحانة ، والعاهرة فلانة ، والفنانة فلانة ، و . . . وارتكبت كذا ، وفعلت

كذا ، . . . ، والفرنسيون يسرّون لهذا ، ويشجّعون ، ويجلبون المادة الخام لهـذا كله ، وكم من فرقـةٍ فنيةٍ أتـوا بها إلى الجـزائر بغيـة الإفساد ! وينفق الجزائريون أموالهم ، ويبيعـون ما يملكـون ، وبعدهـا يستجدون ، وأخيـراً يبيعـون أنفسهم لعدوّهم ، وبـذا يفقدون مـا بقي عنـدهم من رصيـدٍ من الإسلام .

٦ ـ **التشفّي من المسلمين** : إن الحقد ليغلي في نفوس الصليبيـين على المسلمين ، فلما تمكّنوا منهم واحتلّوا ديارهم أرادوا أن يُفرغوا هذا الحقد كله دفعةً واحدةً ، ولكنهم لم يستطيعوا على ما يبدو لكثرته وشدّته إضافةً إلى ما يشحنه الرهبان كل ما قلّ ، فمنذ أن وطأت أقدام الفرنسيين الجزائر بدؤوا يُفرغون مما يغلي في قلوبهم على الإسلام وأبنائه ، فإضافـةً إلى الحروب التي شنّـوها عـلى الإسلام وأهله أخـذوا بإبـادةٍ جمـاعيـةٍ لـلأسر ، وللقبـائـل ، وللتجمّعات،و . . . . كان الفرنسيون يعتدون على أسرةٍ من الأسر ، وهي التي يفكّرون بإبادتها لأخذ أملاكها وتشفّياً بقتل أفرادهـا ، يكون الاعتـداء بسلب مالٍ ، أو نهب أرضٍ ، أو تعدٍّ على امرأةٍ ، أو فحش بالقول ، فيثور أحد أفراد الأسرة أو كلها ، فيدّعي الفـرنسيون أنها تمـردّت ، فيعملون على إبـادتها ، ولكن ربمـا يفـرّ بعض أبنـائهـا ، فيـلاحقـونهم إلى الجبـال أو إلى الصحارى ، ويطاردونهم حتى يمـوت الأفراد جميعـاً جوعـاً وظمأً ، أو تعبـاً وعناءً ، أو من شدّة البرد ، وقد تنتفض القبيلة كلها للاعتـداء الذي تمّ ، فيطاردونها ويؤول الأمر إلى فنـائها ، وكـأن الأسرة لم تكن ، ولا فرق عنـد الفرنسيين إن كان عدد الهالكين قليلاً أو كثيراً، بل إن كان كثيراً فهو أحبّ إلى قلوبهم، وأدعى للتشفّي، وأكثر غبطةً لهم وهم ينظرون إلى الأفراد الكثيرين صرعى بصورٍ مختلفة . وقـد يؤدّي ذلك الاعتـداء إلى ثورة القبيلة أو ثـورةٍ عامةٍ ، وتكون المطاردة لكـل من يستطيعـون متابعتـه حتى يصل إلى غـايته المحتومة ، وكم كانوا يسرّون عندما يرون امرأة قد لفّت وليدها بين أضلاعها خوفاً عليه من الموت برداً ، ولكنه كان قد مات لأن جسمه ما زال غضّاً لا

يمكنه تحمّل البرد ، ثم لا تلبث أن تموت أمه وراءه بعد أن زاد البرد ولم تعد الأم تتحمّل أيضاً ، فترى الأم ميتةً ووليدها بين أضلعها حانيةً عليه ، ويضحك الفرنسيون لهذا المنظر المؤلم ، ويتسابقون لرؤية مشهدٍ آخر ، والسعيد من يرى منظراً يلفت الانتباه ، ويدعو زميله ليضحكا معاً ، وقد فَرُغ شيءٌ مما يحملان في قلبيهما من حقد .

وهم أنفسهم الذين رووا هذه الأحاديث ؛ إذ لم يرها غيرهم ، فأفراد القبيلة قد هلكوا ، وبقية المسلمين لا جرأة عند أحدهم ليرى ما حلّ بإخوانه إلّا إذا أراد لنفسه الهلاك ولقبيلته كلها الموت من بعده .

يقول « سانت آرنو » : (إن بلاد بني مناصر رائعة حقّاً ، وهي إحدى المناطق الغنية التي شاهدتها في إفريقية ، فالقرى والمساكن متقاربةٌ جدّاً ، لقد أحرقنا ودمّرنا كل شيء ، إنها الحرب ، وكم من نساءٍ وأولادٍ لاجئين إلى ثلوج الأطلس ؛ قضوا نحبهم من البرد والبؤس) .

وكتب العقيد « دومونتانياك » إلى العميد « لامور سيار » : (طلبت مني في مقطع من رسالتك أن أخبرك عن مصير النساء اللواتي نسبيهنّ ، إننا نحتفظ ببعضهنّ كرهائن ، وبعضهن نستبدلهن بالجياد ، ثم نبيع الباقيات بالمزاد العلني على اعتبارهنّ حيواناتٍ لنقل الأحمال ، ولكي أطرد الأفكار السوداء التي تمتلكني بعض الأحيان ، أقوم بقطع رؤوس ، لا ، ليس رؤوس نبات « الأرضي شوكي » ، بل رؤوس رجال حقيقيين ، ولا بدّ لهؤلاء المساكين الذين يصبحون دون مأوى ، حفاةً عراةً ، أن يلجؤوا إلى الكهوف التي هي آخر ملجأ طبيعي للإنسان ، تقيه الحرّ والقرّ ، وتحميه من غوائل الليل ووحوش القفار)[1] .

وفي هذه الكهوف حدثت أشنع أعمال الإبادة ضدّ قبيلة « أولاد رباح »

---

(١) رسائل جندي ـ دومونتا نياك .

التي جاءها إنذار من العقيد « باليسي » يوم ١١ حزيران عام ١٨٤٥م يأمرها فيه بالاستسلام خلال عشر ساعات ، ولما كان الاستسلام يعني مدّ الرقبة للجزّار فقد اشترطت القبيلة لخروجها انسحاب القوات الفرنسية ، ودون إنذار آخر أوقد « باليسي » النار أمام الكهوف ، وسلّط الدخان على المحتمين فيها طوال الليل حتى قضوا نحبهم خنقاً . ويصف العقيد « دومونتانيك » هذه العملية في كتابه « رسائل جندي » ، فيقول : (أية ريشةٍ تستطيع وصف هذا المنظر ؟! عند منتصف الليل ، وتحت ضوء القمر ، لقد شُغل قسمٌ من القوات الفرنسية في تهيئة النار المستعرة ، إننا نسمع الأنّات المتقطّعة المنبعثة من الرجال والنساء والأطفال والحيوان ، وطقطقة الصخور المحترقة وهي تتساقط ، وطلقات الأسلحة المستمرة ، لقد حدث في هذا اليوم أعنف صراع بين الإنسان والحيوان ، ففي الصباح ، وبينما كنا نخلي مداخل الكهوف فوجئنا بأعنف مشهدٍ يقع عليه البصر ، لقد رأينا في داخل الكهوف جثث الثيران والأغنام والحمير التي اندفعت بغريزتها الفطرية إلى التنفّس من الهواء الطبيعي الذي حُرمت منه في الداخل ، وقد تجمّعت بين هذه الحيوانات وتحتها جثث الرجال والنساء والأطفال ، ورأيت رجلاً ميتاً جاثياً على ركبتيه ، تمسك يمناه بقرن ثور ، وبالقرب منه امرأةٌ تحمل طفلها على ذراعيها ، ومن السهل التعرّف على أحداث هذا المنظر : فالرجل قد اختنق مع امرأته وطفله والثور أيضاً في الوقت الذي كان الرجل فيه يدافع عن عائلته من ثورة هذا الحيوان وهو يصارع الموت . لقد كانت الكهوف واسعة ، حتى إننا أحصينا فيها سبعمائة وستين جثة، ولم ينج ويتمكّن من الخروج سوى ستين إنساناً، ما لبث أن فقد أربعون منهم الحياة ، ونقل رجال الإسعاف عشرةً منهم في حالةٍ خطيرة ، أما الباقون وهم عشرة فقد تركناهم يعودون إلى قومهم يقفون على الأطلال يبكون الخراب ، ويندبون موتاهم)[١] ،

هذه هي الحضارة التي حملها إلينا الاستعمار الصليبي في أية بقعة ، وهي

---

(١) المرجع السابق نفسه .

التي يفخر بها ، ويدّعي أنه قد جاء إلى الشعوب المتخلّفة لينير لها الدرب ، ويُعرّفها على الحضارة ، ولقد عرفنا فعلاً الظلم والبؤس والشقاء والموت والإبادة والذلّ على يديه ، فأي دجلٍ ؟ وأي نفاقٍ ؟ وأي تمويهٍ للحقيقة ؟ وأية مواربةٍ هذه ؟ ولعلّها تكون أكبر عملية تمويهٍ للحقيقة وقعت في التاريخ .

أصرّت فرنسا على أن تحرم شعب الجزائر وسائل الحياة جميعها ، فعليه إما أن يستسلم للموت ، وإما أن يستسلم للإرساليات التنصيرية التي تقدّم له بعض هذه الوسائل من طعامٍ وشرابٍ مقابل أن يتخلّى عن عقيدته ، وكم وقعت من أحداثٍ ، يندى لها الجبين في مراكز هذه الإرساليات ومن رهبانها ، إنهم يرفضون إسعاف إنسان ينازع سكرات الموت من الجوع أو الظمأ قبل أن يرضى بالدخول في النصرانية ، وكم من إنسان استسلم للموت وقضى نحبه قبل أن يخرج من تلك المراكز الحضارية رافضاً النصرانية راضياً بالموت بل ومعتزاً بذلك ، ومعلناً للدنيا من بعده أن لا حضارة من غير إيمان بالله الواحد الأحد .

٧ ـ **إذلال المسلمين** : لم يكن ذلك الحقد الذي في قلوب المستعمرين منصبّاً على المسلمين الذين يقفون في وجه الطغاة أو يثورون عليهم ، لا ليس هذا أبداً ، وإنما كان منصبّاً على المسلمين جميعاً بصفتهم مسلمين لا بصفتهم ثائرين أو متمردّين ، لأنه حتى أولئك الجزائريون الذين تخلّوا عن أوامر دينهم وراحوا يتمسّحون بأعتاب المستعمرين ، ويتزلّفون إليهم ، بل ويتجسّسون لهم على إخوانهم لم يكونوا بعيدين عن الضغط الفرنسي ، وإن لم تلحقهم حرب الإبادة إلّا أنهم لم ينجوا من الحرب النفسية ، ومن الإذلال الذي أصاب الشعب كله .

لقد عدّ الفرنسيون الصليبيون المجتمع في الجزائر قسمين : القسم الأول : ويشمل الأوربيين ؛ النصارى واليهود ، وهم الصنف المفضّل ، الحاكم بأمره ، المتسلّط على غيره . والقسم الثاني : ويشمل الشعب الجزائري المسلم كله ، وهو الخدم للفريق الأول ، فهل بعد هذا إذلال ؟!

لقد عدّت الحكومة الفرنسية الجزائر أرضاً فرنسية ، وهي ليست سوى

مقاطعةٍ فرنسيةٍ لا تختلف أبداً عن مقاطعة بريتاني أو مقاطعة نورماندي ، ومع هذا الاعتبار فقد بقيت الإدارة الاستعمارية قائمةً حتى اشتعال نار الثورة . وبقي للجزائر نظامٌ جمركيٌّ خاصٌ بها ، ونقدٌ جزائريٌّ خاصٌ مع ارتباطه بالفرنك الفرنسي ، وبقيت الانتخابات تتألّف من مجتمعين : المجتمع النصراني - اليهودي ، والمجتمع المسلم ، ولكلٍ دوائره الخاصة ، وصناديقه الانتخابية الخاصة .

لقد كان هناك تمييز واضح بل صارخ ، لقد كانت فروق في الرواتب ، وأفضلية في الوظائف ، وتمييز في المدارس والمستشفيات ، بل وفي حقّ المرور ، و . . . ، ولقد كان هناك فرق كبير كبير في المستوى المادي بين الفرنسيين والجزائريين مع أن الاستعمار يعدّ الجزائر قطعةً من الأرض الفرنسية .

ولو طالب أحد الجزائريين بالمساواة ، وتساءل أليست الجزائر جزءاً من فرنسا؟ لم يأته الجواب، بل لم يجرؤ أحد على إجابته، لأنه لو قيل له : نعم ؛ لوجب إلغاء التمييز ، وإبطال التفضيل ، والعمل على رفع المستوى المادي والاجتماعي في الجزائر حتى يصل إلى المستوى في فرنسا ، ولوجب إلغاء النظام الجمركي ، ونظام النقد ، وتعديل القوانين ، وتغيير الأنظمة ولانقلب الأمر انقلاباً ولزال الحقد الصليبي ، ولكن لا يمكن أن يزول أبداً فهو باق ، لذا لا يمكن أن يكون الجواب : نعم . ولو قيل : لا ؛ لوجب أن تسير الجزائر بخطٍّ متميز، وتدعو إلى الاستقلال ، والمحافظة على الشخصية ، لذا لا يمكن أن يقال : لا . ويبقى الأمر محيّراً ، والجواب الصحيح : أن الجزائر مستعمرة فرنسية ، والشعب الجزائري شعب مسلم ، لذا يجب أن يذلّ ، ويعمل على إبادته .

٨ ـ **محاربة اللغة العربية** : لما كانت اللغة العربية أساس من أسس التعليم الإسلامي ، لذلك بذل الفرنسيون جهدهم في محاربتها والقضاء عليها ، واعتقدوا أن إبعاد الجزائرين عنها سيجعلهم ينسون دينهم مع الزمن ، ويبتعدون عن تعاليمه ، وهذا غاية ما يرجوه المستعمرون الصليبيون ، ومن هذا المنطلق أخذوا يفرضون اللغة الفرنسية لتحلّ محلّ العربية في التعليم وفي

الدواوين ، فكان التعليم إلزامياً بالفرنسية منذ البداية ، ولا يُعلّم بالعربية أبداً ، ولا يُقبل في وظائف الدولة من لا يجيد الفرنسية ، ويحرم الحديث داخل دوائر الدولة إلاّ بلغة الحاكم المستبدّ ، وبهذا أخذت الفرنسية تحلّ محلّ العربية تدريجياً ؛ حتى غدت هي الوحيدة ، والرسمية ، ولغة الشعب ، ولا تسمع الحديث والمحاورة أينما كانت إلاّ بالفرنسية .

لم يلبث أن لاحظ الفرنسيون أن الكتاتيب في الأرياف ، والقرى ، وواحات الصحراء ، وفي مدارس الجوامع ؛ لا تزال تعلّم الناشئة باللغة العربية ، تعلّمهم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومبادىء القراءة ، وبعض السيرة ، فارتاع الفرنسيون ، وأعلنوا حربهم على هذه الكتاتيب وفرضوا الضرائب على المشرفين والقائمين عليها ، وفرضوا العقوبات على أولياء الطلاب ، واتّخذوا كافة الإجراءات للحيلولة دون تأدية الكتاتيب لدورها ، ولكن أراد الله أمراً غير ذلك ولا رادّ لأمره .

والنتيجة : فقد الجزائريون قوام حياتهم بعد مدة من الاستعمار الصليبي الغاشم ، لقد فقدوا أكثر أملاكهم فأصبحوا فقراء مشرّدين ، وأهمل الفرنسيون التعليم والوسائل الصحية إهمالاً مروّعاً فبقي الجزائريون جهلةً مرضى ، وفقدوا لغتهم فغدوا تبعاً لغيرهم بعيدين عن تعاليم دينهم، وعدّهم الفرنسيون خدماً ، ونظروا إليهم نظرة امتهان ، وأعطوهم صورةً مضخّمةً عن النصارى الأوربيين فعاشوا أذلاء .

وهذه حياة المستضعفين في الأرض في بقعةٍ من العالم ، ابتلاها الله بالمستعمرين الصليبيين ، وربما كان هذا الابتلاء بما اقترفته أيدي أبنائها من تهاونٍ في أمر دينهم ، وترك تعاليمه

ردّ الفعل الجزائري: قاوم الجزائريون المستعمرين الصليبيين ، وقاموا بحركاتٍ وثوراتٍ ، غير أنها فشلت جميعها ، وربما كانت هنا أسباب كثيرة لذلك الفشل الذي منُوا به ، ذلك أنهم لم يتحرّكوا معاً وبوثبةٍ واحدةٍ ، وكانت بينهم إحنٌ وثارات ، وكانت فرقةٌ ، وكان منهم من مالأ الكفار ، ولم يأخذوا بأسباب الاستعداد للجهاد بالشكل المفروض عليهم ، هذا إضافةً إلى كثرة

قوات الأعداء ، وضخامة إمكاناتهم ، والفتك وحرب الإبادة التي لجأت إليها القوات الصليبية الغازية . هذا من الجانب المادي ، أما من الجانب المعنوي فإن البعد عن الإسلام كان السبب الرئيسي في الهزيمة التي مُني بها المسلمون .

ومع فشل حركات المقاومة استأسد الصليبيون ، وازدادوا وحشيةً وضراوةً وتضاعف البلاء ، إذ تقطّعت أوصال الأمة وتراخت ، واستسلمت ، ولم تعد تبدي حراكاً ، وكثر الذين يتزلّفون للفرنسيين من أبنائها ، وزاد عدد الذين يرتمون أمام الأعداء وفي أعتابهم ، ووُجد المقلّدون والذين أخذوا يسيرون على النهج النصراني سلوكاً واجتماعاً ، وبرز الذين فُتنوا بالحضارة المادية ، وفي الوقت نفسه قلّ المصلحون .

فكّر المصلحون ورأوا أنه لا قبل لهم بالفرنسيين في الأوضاع الراهنة ، وبعد أن حلّ بالبلاد ما حلّ ، وأن حركات المقاومة لا تجدي ، وخاصةً أن الفشل لا يعقبه إلّا زيادةٌ في الارتماء في أحضان المعتدين ، إذ غالباً ما يتساقط عدد من الرؤوس بعد فشل عملٍ عسكريٍّ يتهاوون أمام الطغاة سواء أكانوا خصومهم المباشرين أم غيرهم ممن يتسلّط على بلدانٍ مجاورةٍ باسم الاستعداد من جديد ، وتلقّي العون ، وباسم التنسيق والتفاهم ، وتحت شعار عدم القدرة على المقاومة بالإمكانات المتاحة لجماعةٍ محدودة .

رأى المصلحون أن العمل يجب أن يقوم على التربية الإسلامية من جديد ، وإعادة البناء من البداية ، وتكوين القاعدة الصلبة التي يمكن أن يقوم عليها الجهاد في المستقبل ، وهذا هو المنطق الذي يجب البدء به ، مع عدم إهمال الصراع السياسي والتنظيمي فكلاهما جزء لا يتجزّأ من العمل الإسلامي .

ورأى آخرون ترك المقاومة ، والتوجّه إلى الجانب السياسي بالمطالب والدعاية للقضية الجزائرية في كل جهةٍ من العالم ، ورفعها إلى الهيئات الدولية ، والنشاط ، وتأسيس المنظمات السياسية .

أولاً : التربية الإسلامية : لم نقل إن الإسلام كان بعيداً عن ساحات حركات المقاومة السابقة ، بل كان العنصر الباعث لها والمحرّك ، غير أن

الجانب العاطفي هو الغالب ، والوعي الصحيح غير متكامل ، فالفرقة أيضاً باسمه ، والتنافس باسمه مع أنهما أمران لا يلتقيان ، فإسلام وخصومة بين الأخوة ، وتسابقٌ على الزعامة ، أو تنافسٌ على عرض من أعراض الدنيا وعدوّ الله في ديار الإسلام أمرٌ لا يكون أبداً ، ولا بدّ من إعادة البناء من جديد وتكوين القاعدة الصلبة التي يتحطّم عليها مكر الأعداء وتخطيطهم ، وتُحطّم الأعداء وقواتهم .

ولعلّ أبرز هؤلاء المصلحين عبد الحميد بن باديس[1] الذي أخذ يلقي دروساً في تفسير القرآن في جامع سيدي الأخضر بقسنطينة ، فالتفّ حوله المخلصون ، وأخذ الوعي الإسلامي ينتشر ، والناس يعودون تدريجياً إلى إيمانهم ، وإلى معرفة واقعهم الذي آلوا إليه ، وجاء إليه علماء من مختلف نواحي المصر ، فاشتدّ ساعده ، واتفقوا على دعوة العلماء على مختلف مناهجهم لتوحيد الكلمة ، ومعالجة المجتمع الإسلامي في الجزائر ، وتمّ دعوة مائةٍ وعشرين عالماً ، فحضر مائةٌ وتسعة علماء ، وتمّ اللقاء في نادي « الترقي » في مطلع عام ١٣٥٠هـ ، واتفق الجميع على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وطلبوا من عبد الحميد باديس أن يتولّى رئاستها فرفض لأنّ أباه وإخوته يعملون موظفين في الإدارة الفرنسية ، غير أنه عاد فقبل عندما أصرّ العلماء عليه ، وأخذت هذه الجمعية تفتح المدارس للناشئة المسلمين ، وتقيم لهم الأندية ، كما أصدرت جريدة « المرصاد » التي كان يتولّى أمرها « محمد عبابسة » .

---

(١) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس : أسس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ، وكان رئيساً لها من يوم نشأتها عام ١٣٥٠هـ ؛ حتى وفاته ١٣٥٩هـ ، وُلد في مدينة (قسنطينة) عام ١٣٠٥هـ ، وأتمّ دراسته بجامع « الزيتونة » بتونس ، وحجّ عام ١٣٣٠هـ ، وزار يومها مصر والشام وعندما عاد أخذ يلقي دروسه في جامع سيدي الأخضر بقسنطينة ، ويفسّر القرآن مدة أربعة عشر عاماً ، وقد جُمع هذا التفسير ، وطُبع بالجزائر باسم « مجالس التذكير » ، وأصدر جريدة « الشهاب » وصدر منها في حياته خمسة عشر مجلداً ، وحمل على الفرنسيين ، فأوذي واضطهد ، وقاومه أبوه وإخوته ؛ إذ كانوا موظفين لديهم ، واستمرّ في جهاده ، وأنشأ كثيراً من المدارس الإسلامية ، وتوفي في حياة أبيه عام ١٣٥٩هـ .

أخذ الشيخ عبد الحميد يحمل على الفرنسيين ، وإدارتهم ، وسوء معاملتهم ، واستعمارهم ، وبغيهم وظلمهم ، وفي الوقت نفسه يردّ على المستشرقين ، والذين يهاجمون الإسلام من المغتصبين الفرنسيين الذين يقيمون في الجزائر ، ويدافع عن الإسلام ، وكان يكتب المقالات باسمه الصريح ، وقد تعرّض في سبيل ذلك للأذى ، والاضطهاد ، ولكن لم يبال ما دام يرجو بذلك الله ، ويعمل في سبيله ، وقد شنّع على التجنّس بالجنسية الفرنسية ، وعدّ ذلك ذوباناً للشخصية الجزائرية الإسلامية في بوتقة « الفرنسية » ، وأخذ يطالب بتعليم اللغة العربية ، والدين الإسلامي ؛ ما دام أن أهل البلاد من العرب المسلمين ، وإضافةً إلى ذلك كان يعمل باستمرار لإبقاء التفاهم بين العلماء ، إذ أن مشاربهم مختلفة ، وقد استطاع أن يقوم بهذا الدور إلى حدٍّ كبير . وقد بذلت فرنسا جهدها للإيقاع بين العلماء ، وقد وصلوا إلى جزءٍ من هدفهم ، وقد ألقى الطيب العقبي مرةً كلمةً حمل فيها على أصحاب الطرق ، وكان بعضهم حضوراً ، فتركوا الاجتماع ، وخرجوا ، وأسّسوا جمعية « علماء أهل السنة » التي أصدرت جريدة « البلاغ الجزائري » ، وحاولت فرنسا توسعة شقة الخلاف بين الجمعيتين ، ولكن عبد الحميد بن باديس كان يعمل على رأب الصدع ، وعدم زيادة الخلاف .

لقد أثمرت الدروس التي كان يلقيها الشيخ عبد الحميد في جامع سيدي الأخضر بقسنطينة ، وبدا أثرها في المجتمع ، وأثمرت المقالات التي كان يكتبها في « الشهاب » ، وفي « المرصاد » ، وبانت نتائجها في المصر الجزائري كله ، وأثمرت المدارس والأندية التي افتتحتها جمعية العلماء ، وعاد الوعي الإسلامي إلى عددٍ كبيرٍ من الشباب ، وأصبح بالإمكان الاعتماد عليهم في المستقبل ، وفي تربية جيلٍ قادمٍ .

وأحسّ الأعداء بخطر عمل العلماء عليهم ، وكم حاولوا القضاء عليه وفشلوا ، ومرّ أحد اليهود عام ١٣٥٣هـ عند جامع سيدي الأخضر ، ووجد النشاط الإسلامي ، وتوادّ المسلمين ، فعظم عليه ذلك ، وأخذ يشتم الإسلام وأهله ورسوله ، ووقعت فتنةٌ كبيرةٌ استمرّت أسبوعاً كاملاً قُتل فيه اثنان

وعشرون يهودياً ، وعجزت السلطات الفرنسية عن إطفاء نـار تلك الفتنة ، وتوقّعت أن المسلمين سيستـأصلون اليهود جميعـاً من مدينـة قسنطينـة ، لذا أسرعت وتوسّلت إلى عبد الحميد بن باديس ، وإلى نائب مدينة قسنطينة ابن حلول بالعمل لإخماد الفتنة ، وقد تمكّنا من إطفائها ، وارتفع شأن ابن باديس كثيراً في الأوساط الجـزائريـة كلها ، وأصبحت الأوسـاط الفرنسيـة تخشاه ، وتخشى من القيام بعمل ضدّه ، لأن ذلك قد يؤدّي إلى ثورةٍ عارمةٍ .

كان النواب الجـزائريـون الذين يمثلون بـلادهم في المجلس النيابي الفـرنسي ممن ترضى عنهم السلطات الفرنسية ، أو على الأقلّ لا تجد فيهم مـا يشكّل خطراً عليها ، وهذا يعني أنهم من الذين أصيبوا بالهزيمة النفسية ، ويتمنّون الجنسية الفرنسية ليتساووا مـع الفرنسيـين في الحقوق والـواجبات ، أويـدعون إلى الفرنسـة ، فلما قامت جمعية العلماء وعلى رأسها عبد الحميد بن باديس وأخذ يهاجم الفرنسـة ، ويدعو إلى الشخصية الجزائرية الإسلاميـة المتميّزة ، وإلى الاعتزاز بها والفخر ، أخذ هؤلاء النواب يتراجعون ، بل ويطالبون بفصـل الإدارات ذات الصبغة الدينية الإسلامية عن الحكومة الفرنسية ، ويدعون إلى إدخال اللغة العربية بصفةٍ إلزاميةٍ ضمن مناهج التعليم ، ولما كـان هذا لا يروق للسلطات الفرنسية لذا فقد أبدت استنكارها من هذه التصرّفات ، فما كان من نواب الجزائر في المجالس البلدية والمالية والنيابية ، وعدهم تسعمائة وخمسـون ممثّلاً إلاّ أن قـدّموا استقـالاتهم من المـراكـز التي يحتلّونها بصـورةٍ إجماعيةٍ . وعلى إثر ذلك جاء وزير الداخلية الفرنسي في زيارةٍ للجزائر في ربيع الثاني ١٣٥٤هـ ، غير أن سلطات الأمن لم تمكّنه من الالتقاء بممثلي الشعب ، فرجع يهدّد ويتوعّد .

وجاءت الانتخابات الفرنسيـة عام ١٣٥٥هـ ، ونجـح تكتّل الشـمال الذي ضمّ : الثوريين ، والشيوعيين ، والاشتراكيين .

وتشكّلت حكـومة الجبهـة الشعبية بـرئاسـة « ليون بلوم » ، واستفـاد المسلمون من هذه التغييرات في الحكومة الفرنسية ، وتداعوا إلى عقد لقاءات انتهت بعقـد مؤتمر عـام في تاريـخ ١٨ ربيع الأول ١٣٥٥هـ (٧ حـزيران

١٩٣٦م) ، وقد حضر العلماء بصفتهم الخاصة خوفاً من صبّ الغضب على جمعية العلماء ، والمجاهدون ، والشيوعيون ، والنواب كافة ، وتبنّى النواب مطالب جمعية العلماء ، ثم تقرّر تشكيل وفدٍ برئاسة عبد الحميد بن باديس ، والذهاب إلى فرنسا ، وتقديم مطالب الشعب الجزائري إلى الحكومة الفرنسية الجديدة ، وكانت المطالب هي :

١ ـ إلغاء كافة القوانين والقرارات الاستثنائية بالجزائر .
٢ ـ إلغاء الحاكم العام للجزائر، وجعلها تابعةً مباشرةً لفرنسا.
٣ ـ أن تكون الهيئة الانتخابية في الجزائر واحدة ، يشترك فيها المسلمون والأوربيون . (فتصبح الأغلبية للمسلمين لكثرتهم العددية) .
٤ ـ أن يكون للمسلمين الجزائريين نوابهم الذين يمثّلونهم في المجلس النيابي الفرنسي بباريس .
٥ ـ أن يكون الجزائريون فرنسيين بصفةٍ تامةٍ . (أي ليس هناك فروق وتمييز بالحقوق والواجبات) ، مع احتفاظ المسلمين بشخصيتهم الإسلامية .
٦ ـ استقلال الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية كبقية الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ، وتنفق على مؤسساته من أموال الأوقاف والتي اغتصبتها فرنسا منذ بداية الاحتلال ، ومن الضرورة الآن إعادتها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال .
٧ ـ تعدّ اللغة العربية لغة الدراسة في المدارس الجزائرية .

وتقرّر إرسال وفدٍ كبيرٍ إلى باريس يضمّ رجال الشعب من علماء ونواب ومفكّرين ، برئاسة عبد الحميد بن باديس ليتدارس مع الحكومة الفرنسية مطالب الشعب الجزائري المذكورة أعلاه .

سافر الوفد ، وطلب من حكومة « دلادييه » تنفيذ مرسوم ٢٧ أيلول ١٩٠٧م القاضي بفصل الدين عن الدولة ، وبقية مطالب الشعب التي يحملها الوفد ، وحاول « دلادييه » إرهاب الشيخ ، فكان ابن باديس أكثر جرأةً وحماسةً ، وتخويفاً من الله ، الذي لا غالب له ، إذ هدّد « دلادييه » بالمدافع

الطويلة المدى ، فهدّده ابن باديس بقدرة الله التي لا تُقهر ، وكـاد أن يقع الصدام حتى تدخّل « ليون بلوم » الذي أصبح رئيساً للجمهورية والذي رفض مطالب المسلمين ، ولكنه اقترح توسعة دائرة الناخبين الجزائريين ضمن الهيئة الانتخابية الفرنسية في الجزائر ، وذلك بإدخال واحدٍ وعشرين ألفاً من الناخبين ضمن الناخبين الفـرنسيين الـذين كان عـدهـم ٢٠٢,٧٥٠ ناخبـاً ، ولكن الفرنسيين رفضوا ذلك ، وأعلنـوا أنهم سيستقيلون جميعاً فيـما إذا نُفِّذ هـذا الاقتراح ، وكذلك احتجّ محافظو المدن ، وهدّدوا بالاستقالة أيضاً ، وكان من كل ما تمّ زيادة عدد نواب المسلمين بمجلس النيابة المالية ، ورفعه من ٢١ إلى ٢٤ نائباً ، وبذا يصبح عددهم نصف عدد النواب الفرنسيين الذي يبلغ ثمانيةً وأربعين نائباً ، وعاد الوفد خائباً .

أخذت فرنسا تساعد رجال الطرق الصوفية ، وتشجّعهم على النشاط ، وتحرّضهم ضدّ جمعية العلماء ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ أخذت تُنصّب مشايخ السوء ، وتطلب منهم معارضة جمعية العلماء، وإرسال البرقيات ضدّها، ولا شك ؛ فإن الشعب لا يستـطيع رؤيـة مثل هـذه التصرّفات ، وقـد تُكلِّف من يقوم بقتـل بعض هؤلاء المشايخ ، وتتهم جمعية العلماء بالقتل ، كما فعلت بالشيخ عمر بن دالي الذي جعلته إماماً للجامع الكبير في قسنطينة ، وطلبت منه الهجوم على الوفد الذي سافر إلى باريس برئاسة عبد الحميد بن باديس ، وإرسال البرقيات بهذا الشـأن ، ثم دفعت من قتله ، واتهمت جمعية العلماء بقتله ، وقبضت عـلى الـطيب العقبي ، وأودعته السجن ، وأخـذت تنشر الشائعـات ضدّ جمعيـة العلماء ، ثمّ وُجد مرتكب الجريمة ، واسمه عكاشة ، وقد اعترف ، وأطلق سراح العقبي ، غير أنه في السجن قد تعب ، وكانت السلطات الفرنسية تريد أن تكسبه إلى جانبها ، وأخذه بعدها للعمل لتهديم جمعية العلماء ، وثنيها عن مواقفها ، ومشروعاتها ، وجهادها .

وتوفي الشيخ عبد الحميد بن بايس في ٨ محرم ١٣٥٨هـ (١٦ شبـاط ١٩٤٠م) ، فخلفـه في رئاسة جمعية العلماء الشيخ محمد بشـير الإبراهيمي

الذي كان معتقلاً عندما توفي سلفه ابن باديس ، فاختاره العلماء ليكون رئيساً للجمعية بمجرد أن يُطلق سراحه ، وعندما خرج من السجن تسلّم رئاسة الجمعية ، فوجد أنها قد قوي مركزها ، وترسّخت مكانتها ، فانصرف إلى نشر العلم ، فاستطاعت الجميعة فتح أكثر من مائةٍ وسبعين مدرسةً ؛ تعلّم الدين ، والتاريخ الإسلامي ، واللغة العربية ، وبقية العلوم ، وتضمّ هذه المدارس أكثر من خمسين ألف طالب . وشكّل رئيس الجمعية لجنةً للتعليم لتشرف على المناهج ، وتتابع التنفيذ، وكان منها : محمد الحفناوي ، ومحمد الصالح رمضان .

وافتتح أول معهدٍ للتعليم الثانوي في مدينة قسنطينة عام ١٣٦٦هـ ، وقد أصبح عدد طلاب القسم الثانوي عام ١٣٧٣هـ ألفاً وخمسمائة طالب كما ارتفع عدد المدارس الابتدائية إلى أربعمائة مدرسة ، وكانت جمعية العلماء ترسل بعض الطلاب إلى جامع الزيتونة بتونس ليُتابعوا تعليمهم هناك .

وكانت جمعية العلماء تُصدر مجلة « عيون البصائر » الأسبوعية ، وتطبع منها في كل أسبوع ثلاثين ألف نسخة ، ثم أغلقت عام ١٣٧٦هـ .

وانتخب الشيخ محمد بشير الإبراهيمي[١] رئيساً للجنة إعانة فلسطين.

وكان عدد من العلماء بجانب عبد الحميد بن باديس ومحمد بشير الإبراهيمي منهم : العربي التبسي ، ومبارك محمد الميلي ، وإبراهيم بن عمر

---

(١) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي : وُلد عام ١٣٠٦هـ في (صطيف) ، رحل إلى المشرق عام ١٣٣٠هـ ، فأقام بالمدينة ست سنوات ، وفي دمشق أربع سنوات ، وعاد إلى الجزائر ، فنُفي إلى صحراء وهران عام ١٣٥٩هـ ، وبقي في معتقل « آفلو » ، وتسلَّم رئاسة جمعية العلماء ، فأنشأ في عامٍ واحدٍ ثلاثاً وسبعين مدرسةً ، ولم يلبث أن سُجن بعد سنتين ، ثم أُفرج عنه ؛ بعد أن عُذّب ، وقام بجولات وبنشاط ، واستقرّ بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ ، وقامت الثورة الجزائرية ، فسافر إلى الهند بقصد دعم الثورة ، وبعد نجاح الثورة عاد إلى الجزائر ، وانزوى حتى توفي عام ١٣٨٥هـ . وكان من أعضاء مجامع اللغة العربية : في دمشق ، وبغداد ، والقاهرة .

بيوض ، والطيب العقبي ، وإبراهيم أبو اليقظان ، وأحمد توفيق المدني ، والأمين العمودي ، ويحيى الحمودي ، ومحمد خير الدين ، والسعيد الزهراوي ، ومحمد سعيد آيت جر ، والجيلاني الفارسي ، وعبد اللطيف سلطاني .

وكان لكلٍ دوره في العلم ، فقد نشط أحمد توفيق المدني - على سبيل المثال - في الأندية والجمعيات ، مثل نادي الترقي الذي اجتمع به العلماء وجمعية الفلاح ، وجمعية الزكاة ، والجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى ، واشتهر الطيب العقبي بسلفيته ونشاطه ، وعُرف العربي التبسي بوعيه وهدوئه ، وتكامل العمل بلقاء بعضهم مع بعض .

ثانياً : النشاط السياسي : أيقن كثير من الناس أنه لا قبل لهم بمواجهة الفرنسيين ؛ لضعفهم أمامهم مادياً ، وقلّة الإمكانات لديهم ، ولا شك أن هؤلاء الناس هم من الماديين الذين يقيسون الأمور بالمفهوم والمستوى المادي ، ويتركون الروح المعنوية جانباً ، ورأى هؤلاء أن أفضل طريق للمقاومة الاستعمارية إنما هو التنظيم السياسي ، ومن الطبيعي ألا يكون هؤلاء جميعاً بأفكارٍ واحدةٍ ، فمنهم الذين يرون أن الغاية من عملهم إنما هو المساواة بالفرنسيين ، ومنهم الذين يرون محاربة الفكر الاستسلامي الذي سيطر على قسم من أفراد المجتمع حيث أصابهم اليأس ، وحلّت بهم الهزيمة النفسية ، ومنهم الذين يحملون العصبية الجزائرية أو الوطنية ؛ من غير أن يكون لهم منهج متميّز أو شخصية خاصة ، هم جزائريون عرب مسلمون ، ولكنهم لا يهمهم سوى ذلك ، فأي منهجٍ أو دستورٍ يطبّقونه لا يبالون بذلك ، ليأخذوا الدستور الفرنسي ، . . . السويسري ، . . . الإنكليزي ؛ كله سواء ، المهمّ عندهم سيطرتهم واستقلالهم بجزائرهم وفقط ، ومنهم الشيوعيون الذين يرون تطبيق المنهج الشيوعي في الاقتصاد ، واستبدادية الطبقة العاملة في الحكم ، وترك الحبل على الغارب في الحياة الاجتماعية .

والمهمّ في النشاط السياسي السرية في العمل والتهيئة للاستقلال ، وقد ظهرت تنظيمات منها اللجنة الوطنية التي شكّلها المحامي أبو دربة والصحفي

صديق دوران، ومصالي الحاج، وذلك عام ١٣٢٨هـ، ودعت إلى الجامعة الإسلامية ، كما التفّت جماعةٌ بعضها حول بعض ، وعُرفوا بالنخبة ، وهم من الذين تثقّفوا ثقافةً فرنسيةً ، ودعوا إلى الاندماج مع فرنسا ، ومن أبرزهم ابن جلول ، والزناتي ، وقد أصدروا جريدة « الأهالي » ، وأهم هذه التنظيمات :

أ ـ **حزب الجزائر الفتاة** : الذي أسّسه خالد الهاشمي الجزائري الذي كان يقيم في دمشق ، فهو حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ، ولا تزال هذه الأسرة تحسّ بأنها ظلمت واضطهدت ، وعاشت مشرّدة عن وطنها ، غريبةً عن بلادها ، قسا عليها الفرنسيون ، ولم يكن لكبيرها من ذنبٍ سوى أنه أحبّ وطنه ، ودافع عنه ضدّ المعتدين ، فكان مصيره وأهله التشريد . وقد كان تأسيس هذا الحزب بعد الحرب العالمية الأولى ، ونظّم مؤسّسه خالد الهاشمي مؤتمراً في باريس عام ١٣٤٢هـ طالب فيه بحقوق أهل الجزائر ، وأصدر جريدة « الإقدام » ، غير أن هذا التنظيم قد حلّ ، ورجع منظّمهُ إلى دمشق ، وتوفي فيها عام ١٣٥٤هـ .

ب ـ **جمعية نجم شمالي إفريقية** : وأسّسها محمد جيفال في باريس في ١٦ صفر ١٣٤٣هـ (١٥ أيلول ١٩٢٤م) ، وكان من أعضائها عبد القادر بن الحاج علي ، ومصالي الحاج ، وعلي الحمامي . ولكن هذه الجمعية لم تشتهر إلاّ عندما تولّى رئاستها مصالي الحاج عام ١٣٤٦هـ ، لقلّة أعضائها في بداية الأمر، ولنشاط مصالي الحاج حيث اقترنت باسمه فيما بعد ، وكانت ذات ميولٍ شيوعية .

ومن الطبيعي أن يبرز الشيوعيون قبل غيرهم ؛ لأنهم لا يختلفون عن النصارى الفرنسيين في السلوك ، أو التصرّف ، أو الأخلاق ، أو الاستهتار بالقيم، فهم يلتقون معهم على موائد الخمر، والقمار، والفحش، ولا يعرفون عنهم شيئاً سوى ذلك ، فما على الشيوعيين إذن إلاّ كتمان الأمر وإخفاء تنظيمهم ، إضافةً إلى أن بين الفرنسيين مجموعات من الشيوعيين فيتعاون بعضهم مع بعض على الرفقة التي تجمع بينهما . وكما أن الفرنسيين يتلقّون دعماً

من باريس ؛ فإن الشيوعيين يتلقّون دعماً من موسكو ، وتزويداً بالمعلومات ، وتوجيهاً تبعاً للمتغيّرات الدولية . ولم أستثن الوطنيين وأفصلهم عن الشيوعيين رغم كثرة أوجه التشابه بينهم ، إلاّ لأنه قد يوجد بينهم بعض الشخصيات المسلمة ، لكنها لا تستطيع التمييز بين الفكر الإسلامي والفكر الوطني ، إذ أن الأمور مختلطة عندها لقلّة الوعي الإسلامي ، أما أصحاب الفكر الإسلامي فيمكن كشف أمرهم مباشرةً حيث أن لهم شخصيةً متميّزةً ، ولا يمكنهم مسايرة أصحاب الاتجاهات الأخرى في السلوك والتصرّف .

يرتبط النشاط الشيوعي بمصالي الحاج الذي وُلد عام ١٣١٦هـ في مدينة (تلمسان) ، ونشأ نشأةً فقيرةً ، إذ كان والده صانع أحذيةٍ ، ولم يلبث أن توفي ، لذا لم يستطع أن يتابع تعليمه ، والفقير الجاهل فريسةٌ للأفكار الشيوعية ، ولعلّ أول ما أدرك مصالي الحاج ؛ رأى إخراج أهل تلمسان إخراجاً جماعياً من مدينتهم بإجبار من الفرنسيين ، فبقي هذا المنظر في نفسه ، وتولّد عنه كرهٌ للفرنسيين . وقاتل في صفوف الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى ، فلما انتهت عاد إلى بلاده فقيراً بئيساً ، وقد انتشرت البطالة في الجزائر بعد الحرب ، على حين أن فرنسا كانت بحاجةٍ إلى عمّالٍ ؛ لإعادة عمران ما خرّبته الحرب، فارتحل إلى فرنسا واشتغل في بعض المصانع ، وعمل بائعاً متجوّلاً ، والفراغ عنده كبير وخاصةً في ليالي الشتاء لذا كان يحضر أحياناً بعض المحاضرات في جامعة بوردو ، كما جرّه الرفاق أمثاله إلى أوكار الشباب الذين لا يجدون عملاً فيتصيّدون اللهو وما يجرّ إليه ، واتصل بالعمّال الفرنسيين ، وانضمّ عن طريقهم إلى الحزب الشيوعي .

أصدرت جمعية نجم شمالي إفريقية مجلّة « الأمة » ، وحاول مصالي الحاج نقل نشاط الجمعية وصحيفة « الأمة » إلى الجزائر ؛ فلم يستطع ، فسافر مع عبد القادر بن الحاج علي إلى الجزائر ، وحاول الاتصال بالزعماء الوطنيين من أهل العلم ، فرفضوا اللقاء به لما يحمله من أفكارٍ إلحاديةٍ وصرّحوا له : بأنه ما لا فرق بين الاستعمار الفرنسي وعملائه من جهة ؛ والاستعمار الروسي وعملائه من

جهة ثانية ؟ وربما كان الروس بإلحادهم وسحقهم للمسلمين أشدّ خطورةً وسوءاً من الفرنسيين ، ولكن أصحاب الهوى لا يدركون بعقولهم ، ولكنهم يجاوبون مع عواطفهم ؛ فلا يسمعون إلاّ ما تمليه العاطفة عليهم .

وفي عام ١٣٤٨هـ صدر قرار بحلّ جمعية « نجم شمالي إفريقية » ، ولكن لم يلبث أن قام مكانها حزب « النجم الثاقب » ، غير أنه صدر قرارٌ بحلّه عام ١٣٤٩هـ بضغطٍ من الجزائريين على الحكومة الفرنسية .

عادت الجمعية إلى الظهور ثانيةً باسم « حزب نجم شمالي إفريقية » ، وعقدت مؤتمراً في باريس ، اعتُقل على أثره مصالي الحاج ، وحكم عليه بالسجن سنتان ، وقد أمضى العقوبة التي فُرضت عليه ، وعندما خرج من سجنه ظهر الحزب باسمٍ جديدٍ هو « الاتحاد الوطني لمسلمي شمالي إفريقية » ، ويبدو أن مصالي الحاج قد أخذ يحسّ أن هناك فرقاً كبيراً بين المسلمين وغيرهم ، وأن المسلمين في شمالي إفريقية يتميّزون عن النصارى الفرنسيين الذين كان قسمٌ منهم ضمن حزبه الأول . واعتُقل مصالي الحاج ثانيةً ، وحكم عليه بالنفي ستة أشهر خارج حدود فرنسا ، وله الحقّ في اختيار المنفى ، فانتقل إلى سويسرا ، وحضر المؤتمر الإسلامي هناك ، والتقى بشكيب أرسلان الذي كان يعيش في سويسرا ، وأعجب شكيب به وبنشاطه ، ورأى فيه شاباً مغرّراً به لجهله بالإسلام، وفقره، ونشاطه الذي لا بدّ من أن يجد مجالاً له يصرفه فيه، فكتب رسائل إلى ابن باديس، وأحمد توفيق المدني، ومبارك الميلي، والطيب العقبي في الجزائر، وإلى غيرهم في تونس والمغرب يوصيهم به، ويطلب منهم الإفادة من نشاطه.

ولما قضى مدة النفي عاد إلى فرنسا ، ثم سافر إلى الجزائر في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ (٨ آب ١٩٣٦م) ، ووجد أرضاً خصبةً لحزبه ، فقام بجولةٍ في البلاد استطاع خلالها أن يفتتح ثلاثةً وثلاثين فرعاً لحزبه ودعا إلى الاستقلال ، فعارضه الشيوعيون المشاركون في حكم فرنسا إذ كانوا ضمن الجبهة الشعبية التي نجحت في الانتخابات الفرنسية ، وشُكّلت حكومة « ليون بلوم » إذ كانت الجبهة بصفتها الحاكمة ترى التمسّك بالتسلّط الفرنسي على

الجزائر ، وهذا ما جعل الذين يفكّرون بعقولهم من الشيوعيين الجـزائريـين يتخلّون عن الشيوعية ، ويرون فيها استعماراً ، وسعياً وراء المصلحة ، وقناعاً من الدعايات تتستّر به ، ومن هؤلاء كان مصالي الحاج نفسه .

وحلّت الجبهة الشعبية الفرنسية التي يشـترك فيها الشيـوعيون حـزب « نجم شمالي إفريقية » في أول شهر ذي القعدة ١٣٥٥هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٣٧م) ، والذي كان يحمل اسم « الاتحاد الوطني لمسلمي شمالي إفريقية » ، فاتصل مصالي الحاج ببعض الشخصيـات ، ومنهم : عماش عـمار ، ونحال محمد رزق ، وراجف بلقاسم ، وموسوي رباح ، وأخذوا في تنـظيم حزب الشعب الجزائري .

جـ ـ حزب الشعب الجزائري : وتألّف من عناصر جزائرية فقط ؛ على حين كان حزب نجم شمالي إفـريقية يضمّ عنـاصر من مناطق المغـرب كلها (تونس ـ الجزائر ـ المغرب) ، وذلك لأن المطالب مختلفة ، إذ كانت فرنسا تعدّ تونس والمغرب محميتين فرنسيتين ، بينما تعدّ الجزائر إقليماً فرنسياً . وكـانت أهداف هذا الحزب : إقامة مجلس نيابيّ خاصاً بالجزائر ، وإقامة حكومةٍ خاصةٍ كذلك ، والعودة إلى التعليم باللغة العربية ، والاعتماد على الدين الإسلامي في التشريع ، وقد أيّد العمّال الجزائريون في فرنسا هذا الحـزب ، ولم يكن هذا التأييد في الواقع نتيجة أفكارٍ أو معرفةٍ وإنما عصبيةً للجزائر ولشخصية رئيس الحزب .

رجع مصالي الحـاج إلى الجزائـر في ربيع الثـاني ١٣٥٦هـ (حزيـران ١٩٣٧م) ، وجرت انتخابات البلدية ، ورشّح الحزب بعض عناصره لخوض هذه الانتخابات ، غير أن رئيس الحزب مصالي الحاج وأعضاء الهيئة الإدارية قد اعتُقلوا جميعاً في يوم ٢٠ جمادي الآخرة ١٣٥٦م (٢٧ آب ١٩٣٧م) ، وفي اليوم ذاته صدر العدد الأول من جريدة « الشهاب » التي أصدرها الحزب ، وكان رئيس تحريرها « مفدّى زكريا » ، وما كانت هذه الاعتقالات إلّا لمصلحة الحزب ، إذ أخذ الشعب يتعاطف معه بعدها ، وكذلك لم يلبث أن اعتُقل رئيس تحرير الجريدة الجديد « غنانيش محمد » ويظهر هذه التعاطف واضحاً في

انتخابات البلدية التكميلية إذ نجحت القائمة التي دعمها الحزب ـ قائمة « أحمد بومنجل » ـ بالأكثرية الساحقة ، وأصدر الحزب جريدةً أسبوعيةً باللغة الفرنسية أسماها « المجلس النيابي الجزائري » .

واندلعت نار الحرب العالمية الثانية ، ولم تلبث أن أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها بحلّ حزب الشعب ، وإغلاق صحيفة « المجلس النيابي الجزائري » ، وذلك في يوم ١٥ شعبان ١٣٥٨هـ (٢٩ أيلول ١٣٣٩م) ، ثم أطلقت سراح الهيئة الإدارية للحزب . . ، ولم تمضِ سوى مدةٍ يسيرةٍ حتى عادت فاعتقلت بعض الأعضاء وعلى رأسهم مصالي الحاج ، وذلك في يوم ٢٠ شعبان ١٣٥٨هـ (٤ تشرين الأول ١٩٣٩م) ، أي أنّ إطلاق السراح لم يزد على ثلاثة أيام ، وربما كان هذا خطة فرنسية للفت النظر إلى الحزب بشكل عام ، وإلى رئيسه بشكل خاص ، إذ كثيراً ما تلجأ السياسات إلى مثل هذا التصرّف ، فيكسب أعوانها شعبيةً كبيرةً إذ يظنّهم الشعب مخلصين ، ويعطف عليهم لما يعانون ، وما يصيبهم من أذى ظاهري ، وهم في الواقع ليسوا سوى أجراء ، وربما كانت فرنسا قد غيّرت من سياستها تجاه مصالي الحاج ، أو جرى بين الطرفين تفاهم سرّي للوقوف معاً في وجه جمعية العلماء التي أخذت تكتسح المجتمع والشارع ، ولا شك أن الفكر الشيوعي أقرب إلى الفكر الرأسمالي بآلاف المرات من الفكر الإسلامي ، فالشيوعية والرأسمالية توأمان ، فكلاهما مادي ، غير أن كل فريق يأخذ جانباً من الحياة الاقتصادية ، إذ تُصرّ الشيوعية على سيطرة الحكومة على الإنتاج على حين تتبنّى الرأسمالية حرية الفرد المطلقة في هذا الجانب ، وكلاهما عدو لدودٌ للإسلام ، ونلاحظ هذا دائماً في السياسة الدولية حيث يلتقي الطرفان دائماً عندما يكون الإسلام على الساحة أو لأتباعه دورٌ في المعركة ، وقد يزيد الأمر عندنا توكيداً عندما ننظر إلى الحكم الذي صدر على مصالي الحاج في تاريخ ١ ربيع الأول ١٣٦٠هـ (٢٨ آذار ١٩٤١م) بعد تقديمه إلى محكمةٍ عسكريةٍ ، لقد صدر الحكم عليه بالأشغال الشاقّة لمدة ستة عشر عاماً ، والنفي عشرين عاماً خارج الأرض الفرنسية والمحميات ،

وغرامة مالية قدرها ثلاثون مليون فرنك ، وهو حكم جائر وعنيف جداً لمن ينظر إليه من بعيد ، وهذا ما يجعل الناس يعطفون عليه ، ولا يلبث أن ينقلب العطف إلى تأييد ودعم ، وفي واقع الأمر أن الحكم لم يكن فيه شيء ، لا سجن ، ولا عزل عن الأعوان ، والغرامة لا يمكنه دفعها أبداً ، وبخاصة في تلك الأيام ، ولو نظرت إلى ميزانية الجزائر يومذاك لوجدتها دون ذلك .

لم يخبُ نشاط الحزب وظلّ على صلةٍ برئيسه ،وإن كانت قد تشكّلت له هيئةٌ إدارية جديدةٌ منها : أحمد مزغنة ، وحسين الأحول ، وأمين دباغين ، ومكري حسين . وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية عاد الحزب للنشاط بصورةٍ رسميةٍ ، وكان قبلها يعمل بصورةٍ غير رسميةٍ ؛ مما يؤكّد ما ذكرناه ، ولم يُلغَ الحكم الصادر في حقّ مصالي الحاج ومع ذلك فقد صدر أمر جديد يقضي بمنعه من دخول المدن الجزائرية ، وتُفرض عليه الإقامة الجبرية في بلدة « بوزريعة » القريبة من مدينة الجزائر العاصمة ليسهل على أتباعه اللقاء به ، ولينصرف هو إلى التنظيم .

د ـ حركة انتصار الحريات الديمقراطية : أخذ مصالي الحاج ورفاقه في تنظيم حركةٍ جديدةٍ أطلق عليها « حركة انتصار الحريات الديمقراطية » ، ولست أدري لماذا هذا التغيير؟ مع العلم أن حزب الشعب قد كسب مؤيّدين ، وانتشرت دعايته ، وأن العمل الجديد لا بدّ له من مدةٍ ليصل إلى المرحلة التي وصل إليها العمل السابق ، لكن يبدو أن بعض إشارات الاستفهام أخذت توضع على سلوك الحزب ، أهمّها التعاون السرّي مع السلطات الفرنسية ، والتنسيق بين الطرفين . ومن أعضاء هذه الحركة البارزين إلى جانب مصالي الحاج : محمد خيضر ، وحسين الأحول ، وأمين دباغين .

أخذت هذه الحركة تدعو إلى الاستقلال ، وجلاء الفرنسيين ، وانتخاب جمعية تأسيسية ، والتعليم في المرحلة الثانوية باللغة العربية ، وإعادة الأراضي المغتصبة إلى ذويها ، وعودة الأوقاف إلى المسلمين وإشرافها على المساجد .

قرّرت الحركة الاشتراك في الانتخابات التي جرت في شهر ذي القعدة ١٣٦٠هـ ورفضت تشكيل « جبهة متحدة » من الجزائريين العاملين في الحقل السياسي حيث تضمّ : العلماء ، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ، والاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان ، والحزب الشيوعي . وقد حصلت الحركة على خمسة مقاعد منهم : أحمد مزغنة ومحمد خيضر عن مدينة الجزائر ، وأمين دباغين عن قسنطينة .

لقد قامت فرنسا يوم ٢٦ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ (٨ أيار ١٩٤٥م) بمذابح رهيبة في الجزائر ، وخاصةً في مدينتي « صطيف » و « قالمة » مما كان له أسوأ الأثر في نفوس الجزائريين ، وزيادةً في بُعد الشقة بين الطرفين ، كما كانت فرنسا مشغولةً في عمران ما خرّبته الحرب ، وفي الحرب في الهند الصينية ، لذا لم تلتفت إلى أوضاع الجزائر ، وتحاول حلّها .

وكانت الحركة قد اشتركت في الانتخابات التي جرت عام ١٣٦٧هـ و١٣٧٠هـ ، وبدأت الخلافات داخل الحركة ، كان أولها بين مصالي الحاج وأمين دباغين حيث فُصل الثاني من الحركة ، ثم بين مصالي الحاج وبعض أعضاء اللجنة التنفيذية حيث أبعد عن اللجنة كلٌ من : حسين الأحول ، ويوسف بن خده ، وعبد الرحمن كيوان ، ثم عاد مصالي الحاج فاختلف مع من كان بجانبه من أعضاء اللجنة ففصلهم ، ومنهم أحمد بن مزغنة ، ومولاي رباح .

وكانت فرنسا قد أبعدت مصالي الحاج نهائياً عن الجزائر ، وأسكنته في فرنسا في (نيورت) ، وأطلقت على سكناه الإقامة الجبرية مع بقائه على رأس العمل الحزبي حيث كان يديره من مسكنه أو من محلّ إقامته . وربما كان هذا النقل بعد أن أنهكه النضال ، وزاد عمره على الخامسة والخمسين فأخذ يتصرّف بشكل يختلف مع أتباعه ، وفي كل هذا ما ليس من مصلحة فرنسا ، خوفاً من إفشاء ما كان مستوراً ، ثم احتراماً للرجل الذي تعب ، ونفيه إشارة إلى وطنيته وبقاء معارضته للفرنسيين .

كان مصالي الحاج يريد السيطرة الشخصية على الحركة، بينما تريد اللجنة التنفيذية القيادة الجماعية ، وكانت العاطفة نحوه تجعل بعض الأعضاء يؤيّدونه ، ثم لا يلبثون أن يختلفوا معه . وقامت الثورة الجزائرية في يوم ٥ ربيع الأول ١٣٧٤هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٥٤م) ، ولم يكن على علمٍ بها . وقد حاول رؤساء جمهورية فرنسا « لاكوست » و « ديغول » طرح مصالي الحاج على الثورة على أنه يمثّل الاعتدال ، ولكن آراءه لم تعد تقبل ، وإن هذا ليُعطي دليلاً آخر على أن مصالي الحاج لم يكن بعيداً عن السياسة الفرنسية ، وتخطيطاتها أو ألاعيبها .

وكانت الحركة قد أصدرت جريدة « الجزائر الحرّة » لتكون الناطقة باسمها ، فلما وقع الخلاف أصدرت اللجنة التنفيذية جريدة « الشعب الجزائري » لتتحدّث إلى الشعب من خلالها .

هـ ـ جمعية العلماء : سبق أن ذكرنا أن جمعية العلماء قامت في مطلع عام ١٣٥٠هـ لتقف في وجه التيار المادي الطاغي الذي أخذ يعصف بالمسلمين لعدم وجود المناعة لديهم بالوعي الإسلامي ، والعلم ، والفكر الصحيح ؛ نتيجة فقرهم ، والأذى الذي ينالهم ، والضغط الذي يسحقهم ، فأحبّ العلماء أن يعلّموا الشعب ويزوّدوه بالإسلام لتكون عنده المناعة فيتحمل العواصف التي تريد أن تطيح به ، وتتكوّن من المسلمين قاعدةٌ صلبةٌ تتحطّم عليها كل المحاولات الاستعمارية ، وتكون أساس حركة الجهاد للتخلّص من نير الاستعمار ، فكان عملهم تربوياً بالدرجة الأولى .

إضافةً إلى العمل التربوي الذي قامت به جمعية العلماء كان هناك عملٌ سياسي ، وإن كنا لا نستطيع أن نفصل جانباً من جوانب الحياة عن الإسلام ، فالإسلام منهج حياةٍ يشمل كافة جوانب النشاط الاجتماعي ، وإذا قلنا هذا فإنما هو لتسهيل الموضوع فقط . لقد لاحظ العلماء قيام الحزب الشيوعي من قبل ثمان سنوات ، وبداية نشاط أفراده ، وتلقّي الدعم من موسكو قاعدة النظام الشيوعي في العصر الحديث والمعاصر . ولم تكن فرنسا لتهتمّ بانتشار الشيوعية في الجزائر على الرغم من أنها تقف في الصف المعادي لها ، وذلك لأن

المستعمرين الصليبيين الغربيين كثيراً ما يستفيدون من الشيوعية كمرحلةٍ من المراحل لإفساد الناس ، وإبعاد المسلمين عن عقيدتهم ، غير أنها عندما وجدت إقبال المسلمين على جمعية العلماء التي تخطّت الحزب الشيوعي بمراحلَ كثيرةٍ منذ بداية قيامها وبإمكاناتها المحلية الضعيفة على الرغم من إمكانات الحزب الشيوعي الضخمة التي تأتيه من الخارج ، والمدة التي تمرّس فيها على العمل ، والمعلومات العالمية التي تأتيه ، والتوجيهات الخاصة التي تصل إلى أفراده ، وعندها فكّرت برفده برافدٍ إضافيٍّ يحمل الأفكار الشيوعية وإن كان لا يعمل بها ليمتصّ من هذا التيار ومن ذاك ، وتتضافر الجهود ضدّ جمعية العلماء ، فكان حزب نجم شمالي إفريقية وما حمل من أسماءَ ثانيةٍ .

إذن كان عمل جمعية العلماء تربوياً ؛ ليقف الجيل الناشىء في وجه الاستعمار ، وسياسياً ؛ ليقف لمقاومة الفرنسيين والشيوعيين ، فهو عملٌ بنّاء ، وفي الوقت نفسه كان دفاعياً وهجومياً .

وهنا يجب توضيح نقطة ، وهي أنه لما كان أهل الجزائر جميعاً من المسلمين تقريباً فإنه قد تتداخل المعاني ، وإن كانت أحياناً لا تستعمل بمعناها الصحيح ، فقد يستعمل الشيوعيون كلمة المسلمين ، ويعنون الجزائريين ، وإن كان استعمالهم هذه اللفظ مقصوداً ؛ للتمويه على العامة ، وتغطية إلحادهم ، وكذا قد يستعمل اللفظ نفسه أتباع السياسة الاندماجية وللغرض نفسه ، وقد يستعمل المسلمون لفظ الجزائريين مكان لفظ المسلمين ، وليس هذا دلالة على الفكر الوطني ، كما قد يستعملون لفظ القومية ، أو العروبة ، ويعنون اللغة العربية كمحافظة على الفكر الإسلامي وتعاليمه . ومع هذه الإشارة البسيطة ؛ إلّا أنني أقول : إن المعاني والأفكار لم تكن واضحةً في تلك المرحلة من الزمن الوضوح التام ولم تكن متميّزة التميّز الصحيح ، وخاصةً عند رجالات الجزائر يومذاك ، ولهذا نلاحظ في كتابات جمعية العلماء وكتابات رؤسائها من المعاني ما نرفضه على الرغم من أنهم كانوا على درجةٍ كبيرةٍ من الوعي ـ رحمهم الله ـ .

كما استعمل غير المسلمين معاني إسلامية ، مثل اصطلاح الجهاد ؛ حتى يفقد معناه الإسلامي ، وكذا اصطلاح الشهيد ؛ حتى لم يعد لها ذلك المعنى الرائع الذي ينبض بالإيمان ، والخلود في الجنّة ، وباب الريان ، و . . . ، وصار النصراني ، وقاطع الطريق ، والفاسق ؛ شهداء وضاعت المعاني الإسلامية الحقيقية .

و ـ الاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان : يُقرن هذا الحزب دائماً مع مؤسسة فرحات عباس . ولد فرحات عباس في بلدة (الطاهر) قرب قسنطينة عام ١٣١٧هـ ، ودرس الصيدلة ، وكان رئيس اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين ، ثم من أنصار خالد الهاشمي مؤسس حزب « الجزائر الفتاة » .

كان فرحات عباس يرى سياسة الاندماج مع فرنسا مع الاحتفاظ بالهوية الجزائرية الإسلامية ، وكان يتفق مع نائب قسنطينة ابن جلول على هذا الرأي ، ثم اختلف معه ، فأسّس ابن جلول « التجمّع الجزائري ـ الفرنسي » ، وأسّس عباس فرحات « اتحاد الشعب الجزائري » .

إن انهيار فرنسا أمام ألمانيا ، واختلاف القادة الفرنسيين قد قلّل من هيبة فرنسا في نظر السياسيين الجزائريين ، ثم جاءت قسوة حكومة « فيشي » بقيادة الجنرال « بيتان » ، فدفع هذا المعتدلين الجزائريين للوقوف إلى جانب الجبهة الإسلامية .

نزلت قوات الحلفاء في بلاد المغرب في ٢٩ شوّال ١٣٦١هـ (٨ تشرين الثاني١٩٤٢م) ، وأعلنوا مبادىء الحرية ، وحقّ تقرير المصير ، وبعض الأمور المعسولة ليقف الجزائريون إلى جانبهم وليستفيدوا منهم ، وقدّم الجزائريون ـ فعلاً ـ تضحياتٍ كثيرةً ، وتقدّم فرحات عباس بسلسلةٍ من المطالب ، حتى قدّم أخيراً البيان النهائي .

بعد نزول الحلفاء في المغرب ، وتأكيدات الرئيس الأمريكي « روزفلت » تداعى زعماء الجزائر لعقد اجتماع يدرسون فيه الشروط مع

الحلفاء ، وقد كلّف الزعماء فرحات عباس بصياغة البيان ، ووافق الجميع عليه ، وقد جاء فيه ما يلي :

ـ إلغاء النظام الاستعماري الذي ليس هو في الحقيقة سوى استغلال شعبٍ آخر ، وهو استعباد جماعي كالرق الفردي في العصور الماضية ، وإضافةً إلى ذلك فهو أحد الأسباب الرئيسية في المنازعات بين الدول الكبرى .

ـ تطبيق حقّ تقرير المصير للبلدان كلها ؛ الصغيرة منها والكبيرة .

ـ إعلان دستور جزائري يضمن :

أ ـ الحرية والمساواة بين السكان جميعاً دون تمييز في العنصر أو الدين .

ب ـ إلغاء الملكية الواسعة ، وتطبيق نظام يشمل الإصلاح الزراعي ، وحقّ الفلاحين بالرفاهية .

جـ ـ الاعتراف باللغة العربية لغةً رسميةً على المستوى نفسه الذي تتمتّع به اللغة الفرنسية .

د ـ حرية الصحافة وحقّ الاجتماع .

هـ ـ التعليم الإلزامي والمجاني للأطفال ذكوراً وإناثاً .

و ـ حرية العبادة بالنسبة للسكان جميعاً ، ويُطبّق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة للدين الإسلامي .

ز ـ مشاركة عرب الجزائر بشكل فعّالٍ وفوريٍّ في حكم بلادهم كالصورة التي أعلنتها الحكومة البريطانية ، والجنرال « كاترو » في سوريا . وإن مثل هذه الحكومة هي وحدها التي يمكنها أن تحقّق المُناخ الذي تسوده الوحدة المعنوية التامة لمساهمة الشعب الجزائري في المعركة المشتركة .

ح ـ إطلاق سراح المعتقلين السياسيين سواء أكان قد صدر حكمٌ بحقّهم أم لم يصدر ، وبغضّ النظر عن الحزب الذي ينتمون إليه .

حمل الوفد الذي ضمّ : فرحات عباس ، وصياح عبد القادر ، وابن

جلول ، وتمزالي ولد رباح ، وشريف بن علي ، والأخضري ، وقابل الحاكم العام « مارسيل بارتان » يوم ١٥ ربيع الأول ١٣٦٢هـ (٢١ آذا ١٩٤٣م) كما سلّم الوفد صورةً عن البيان في اليوم التالي إلى ممثلي الولايات المتحدة ، وإنكلترا، وروسيا، كما أرسلت نسخة منه إلى الجنرال ديغول، وإلى الحكومة المصرية . ووعد الحاكم العام بتشكيل لجنةٍ لوضع مشروع للإصلاحات التي يمكن تنفيذها بشكل فوري .

تشكّلت اللجنة ، ووضعت ما عُرف بملحق البيان ، ويشمل جزأين ، أما الجزء الأول فيترك حتى ينتهي النزاع ، وأما الجزء الثاني فقد جاء فيه :

ـ مشاركة الممثلين العرب بشكل فوري وفعال في حكم الجزائر وإدارتها .

أ ـ تحويل حكومة عموم الجزائر إلى حكومة جزائرية ، وتتألّف من وزراء موزّعين بالتساوي بين الجزائريين والفرنسيين . وتصبح الإدارات الحالية إدارات وزارية ، ويصبح رئيس الوزراء حاكماً عاماً ، والمفوض السامي سفيراً لفرنسا في الجزائر .

ب ـ يتساوى تمثيل الجزائريين والفرنسيين في المجالس المنتخبة والأجهزة الاستشارية (مجلس الحكومة الأعلى ، المفوضيات المالية للمجالس العامة ، مجلس البلديات ، غرف التجارة والزراعة ، مجلس الأطباء ، المصالح ، المجالس ، اللجان ، الهيئات ، والنقابات كلها) يُدعى المنتخبون بالتتابع لتكملة تمثيل العرب في هذه المجالس بدءاً بالمندوبين الماليين حتى ممثلي النقابات العمالية .

جـ ـ يسمح للعرب بتسلّم الوظائف العامة جميعها ، ومن بينها سلطات الحاكم العام ضمن الشروط نفسها والتي هي سارية المفعول في التوظيف والترقية والتقاعد على الموظفين الفرنسيين ، والإقرار بمبدأ التوزيع المتساوي لهذه الوظائف بين العرب والفرنسيين .

د ـ إلغاء القوانين والإجراءات الاستثنائية كلها ، وتطبيق مبدأ الحقّ العام

ضمن التشريع الجزائري .

ــ المساواة أمام ضريبة الدم .

أ ـ إلغاء القيود المفروضة على المواطنين ، والخدمة العسكرية المسماة « تسخير المواطنين » ووضع صيغ موحدة للتعبئة ، والمساواة في الرواتب ، والسلف ، ومعاشات التقاعد ، والمكافآت ، والحقّ بالترفيع إلى الرتب كافة .

ب ـ تسليم الأعلام الجزائرية إلى أفواج من جيش الحملة الإفريقية لأن رفع الأعلام الجزائرية مع الأعلام الفرنسية ترفع من الروح المعنوية لجنودنا .

كان الجنرال ديغول قد جاء إلى قسنطينة من (برازافيل) عاصمة الكونغو ، وذلك في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٢هـ (١٢ كانون الأول ١٩٤٣م) ، واتخذ من الجزائر مقرّاً له ولقيادته . وبعد أقلّ من شهر ، وفي محرم ١٣٦٣هـ (كانون الثاني ١٩٤٤م) تألّفت لجنة الإصلاحات الإسلامية من ثمانية عشر عضواً ، ستة منهم فرنسيون ، وستة آخرون فرنسيون يستوطنون الجزائر ، وستة من المسلمين ، ويمثّل المسلمين : جمعية العلماء ، وحزب الشعب الجزائري ، وحركة أصدقاء البيان والحرية التي تأسّست بعد قليل .

تسلّم السلطة الجنرال ديغول ، وأرسل الجنرال « كاترو » حاكماً عاماً للجزائر ، فرفض مطالب المعتدلين الجزائريين ، وفُرضت الإقامة الجبرية على فرحات عباس .

أسّس فرحات عباس حركة أصدقاء البيان والحرية في تاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٣٦٣هـ (١٤ آذار ١٩٤٤م) ، وأصدر جريدة « المساواة » الأسبوعية في رمضان ١٣٦٣هـ (أيلول ١٩٤٤م) والناطقة باسم الحركة . وكان يدعو إلى قيام جمهورية جزائرية مستقلة ذاتياً ، ومتحدة مع فرنسا. ووقع الخلاف بينه وبين مصالى الحاج .

كانت في البلدان العربية تجري المداولات لتأسيس الجامعة العـربية ، وقد كلّلت الجهود بالنجاح ، وتمّ تأسيس الجامعة العربية في تاريخ ٨ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ (٢٢ آذار ١٩٤٥م) ، وابتهج الجزائريـون لهذا ، وزادهم ذلك نشاطاً للجهاد والحركة ، فحمل الفرنسيون في أنفسهم ما تمّ ، وأثناء احتفالات الحلفاء بانتصارهم في الحرب العالمية الثانية على دول المحور يوم ٢٦ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ (٨ أيار ١٩٤٥م) أقدم الفرنسيون على مذبحةٍ رهيبةٍ للجزائريين ، وخاصةً في (صطيف) و (قالمة) ، واعتُقل فرحات عباس ، ومصالى الحاج ، وعدد كبير آخر من رجالات البلاد .

أسّس فرحات عباس بعد الحرب حزبه « الاتحاد الديمقراطي لأنصـار البيان الجزائري » في مدينة (صطيف) بعد إطلاق سراحه مباشرة ، وخاض معركة الانتخابات للجمعية التأسيسية الثانية ، وقد حصـل على أحـد عشر مقعداً من أصل ثلاثة عشر مقعداً ، وتدخّلت الإدارة الفرنسية في انتخابات البلدية ، وعملت على التزوير بشكل صارخ ، فـاحتجّ فـرحات عبـاس في الجمعية التأسيسية على هذا التزوير ، ولم يسمح له المتسوطنون الفرنسيون من متابعة الكلام ؛ إذ وقفوا في وجهه ، فما كان منه ومن أنصاره إلاّ أن انسحبوا من الجمعية ، وأخيراً كانت النتيجة طردهم منها ، وكان « أحمد بـومنجـل » يومئذٍ من أنصاره ومن أعضاء حزبه .

ز ـ الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريـة واحترامهـا : وتشكّلت عام ١٣٧١ هـ من أحزاب المعارضة كلها لكي يقوى موقفهـا باتحـادها ، وهـذه الأحزاب هي :

١ ـ جمعية العلماء .
٢ ـ الاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان .
٣ ـ حركة انتصار الحريات الديمقراطية .
٤ ـ الحزب الشيوعي .

وقد حدّدت هذه الجبهة أهدافها بما يأتي :

١ ـ إلغاء انتخابات الجمعية التشريعية التي جرت في رمضان عام ١٣٧٠هـ (حزيران ١٩٥١م) .
٢ ـ احترام حرية الاقتراع في انتخابات الدرجتين .
٣ ـ احترام الحريات الأساسية للعقيدة ، والفكر ، والصحافة ، والاجتماع
٤ ـ مقاومة الاضطهاد بأشكاله وصوره كلها .
٥ ـ إطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين جميعهم .
٦ ـ الفصل بين العقيدة الإسلامية والدولة .

غير أن هذه الجبهة لم تلبث أن تفكّكت .

ح ـ الحزب الشيوعي : نشأ عام ١٣٤٢هـ ، فهو أقدم الأحزاب الجزائرية لما سبق أن ذكرنا ، ونضيف هنا أنه كان جزءاً من الحزب الشيوعي الفرنسي ، واستمرّ على ذلك مدّة خمسة عشر عاماً ثم أصبح مستقلاً ، أي خاصّاً بالجزائر ، على أن يتلقّى تعليمات موسكو عبر قناة باريس . لذا كان يتبع بسياسته باريس أو موسكو ، فعندما استلمت الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا أصبح موقفه دعماً للاستعمار ، وعندما اتفق الروس مع الألمان أصبح عدوّاً للاستعمار ومؤيّداً للاستبداد والفردية ، وعندما يلتقي مع أحزاب الجزائر ؛ يتحدّث زعماؤه عن الوطنية ، والإسلام ، والعروبة حسب الموقف ، ويستعملون الاصطلاحات الإسلامية : الجهاد ، والاستشهاد و . . . ، وعندما أقدمت فرنسا على إقامة مذابح في الجزائر في احتفالات انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ٢٦ جمادى الأول ١٣٦٤هـ (٨ أيار ١٩٤٥م) أخذ شيوعيو الجزائر يوجدون المبرّرات للحكم الفرنسي ، ثم اتهموا زعماء الجزائر بأنهم كانوا السبب الرئيسي للمذابح و . . . ، وكان الشيوعيون يعارضون استقلال الجزائر عن فرنسا ، وأخيراً منعوا أتباعهم من الانضمام إلى الثورة الجزائرية .

الضغط يولد الانفجار

بعد مذابح جمادى الأولى ١٣٦٤هـ (٨ أيار ١٩٤٥م) ألغيت الحريات ، وتسلّمت القوات العسكرية أمر الشرطة ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وسُلّح الأوربيون النصارى ، ومُنع المسلمون الجزائريون من مغادرة دورهم إلّا بتصريحاتٍ رسميةٍ .

يوم ٢ جمادى الآخرة ١٣٦٤هـ أخرج ستون رجلاً من سجن (قالمة) ، وأعدموا دون مبرّر إلّا أن السلطات ادّعت أن محكمةً عسكريةً شُكّلت داخل السجن وحكمت عليهم . ودُمّرت إحدى وأربعون قريةً بالطائرات تدميراً كلياً .

وكان قد أعدم يوم ٢٧ جمادى الأولى ثمانمائة إنسان في مدينة الجزائر ، وبدأ تفتيش الدور والنهب يشتدّ يوماً بعد يوم ، وأصبح من حقّ أصغر مستوطن أوربي أن يُصدر حكم الإعدام بأي جزائري ، ويقوم بالتنفيذ بنفسه من غير محاسب ، لذا فإن كثيراً ممن كان يخشى على نفسه ، أو نجا من مجزرةٍ ، أو توقّع أذى ؛ قد غادر داره ، والتجأ إلى الجبال ، واعتصم فيها ، يكتفي بما يحصل عليه من الحقول المجاورة ليسدّ به رمقه خوفاً على نفسه وعلى أهله ، وتكرّرت المذابح ، وتعدّدت المجازر في ذلك العام والأعوام التي تلته حتى أصبحت النفوس تغلي ، وتنتظر شيئاً ليفجّرها ، وأصبح المستوطنون الأوربيون يخشون من كل مطالبةٍ بأي حقٍّ من الحقوق؛ فإن الحصول عليه سينقلب ناراً عليهم من الجزائريين لما فعلوه بهم ، لذا غدوا أكبر أعداءٍ للحرية ، ويخشون على أنفسهم من كل نسمةٍ فيها أثر من حرية أو من حقّ ، كما صاروا يتصوّرون الجزائريين أسوداً في أجمةٍ محصورين فيها ، وكل ما يخشونه تفلّتهم .

الثـــورة

لقد تمادت السلطات الفرنسية في جرائمها ، وزادات من طغيانها حتى فشل معها كل عمل سلميٍّ ، وخُذل السياسيون ، ولم تعد تجدِ تنازلاتهم ، وتمزّقت الأحزاب نتيجة الضغط ، وخاف الناس ، وفي مثل هذه الظروف لا يصلح إلاّ العمل السرّي، ولا بدّ من الحركة لاستنشاق قليل من الحرية، ثم التخلّص من الوضع القائم المليء بالرعب ، والمثقل بالحاجة والفقر .

وكانت الحركة الديمقراطية لأنصار الحرية قد انقسمت على نفسها ، ففريق منها لا يرى عملاً خارج دائرة شخصية مصالي الحاج ، وآخر يرى أن الرجل المنظور إليه لا ينسجم وجوده مع عمل تنظيمي سرّي ، وأن الفرد معرّض للخطأ ، وتعظيم الرجل ، وربط كل عمل فيه ؛ خطر وخطأ ، لذا لا بدّ من قيادةٍ جماعيةٍ تتمثّل في اللجنة المركزية ، وفريقٌ ثالثٌ حار في أمره لا يدري ما يفعل ، والعمل ضرورة وواجبٌ ، والقاعدة للعمل غدت مهيّأة بما بذلته جماعة العلماء من تربية ، وما نشرته من وعي ، والعمل السياسي أصبح مقبولاً لما قام به فرحات عباس ومصالي الحاج وغيرهما ، وإمكانية العمل العسكري متوفّر ، فكثير من الذين نشأوا بين الحربين قد خدموا في الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية ، وتمرّنوا على السلاح ، وتمرّسوا على القتال .

تشكّلت لجنةٌ مؤلّفةٌ من اثنين وعشرين عضواً ، وفوضّت محمد بوضياف لاختيار قيادةٍ لعملٍ منظّمٍ سرّيٍّ . شكّل محمد بوضياف لجنةً من تسعة أعضاء أوكل إليهم مهمة العمل لإشعال الثورة ، وقد عُرفت هذه اللجنة باسم « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » ، وقد ارتحل ثلاثة منهم إلى خارج حدود الجزائر للتنسيق مع أحزاب المغرب وتونس من أجل الثورة في بلاد المغرب العربي كلها، ومن أجل تلقّي الدعم، وإعداد الرجال والمؤتمرات، وهؤلاء هم : محمد خيضر من مدينة الجزائر ، وحسين آيت أحمد من جبال القبائل ،

وأحمد بن بللا من منطقة الحدود مع المغرب ، أما الستة الباقون فقد انتقلوا إلى مناطقهم للإعداد ، وهم :

١ ـ مصطفى بن بولعيد : من جبال أوراس .
٢ ـ محمد العربي بن مهيدي : من منطقة وهران .
٣ ـ رابح بيطاط : من منطقة قسنطينة .
٤ ـ محمد بوضياف : من مسيلا .
٥ ـ مراد ديدوش : من منطقة الجزائر .
٦ ـ كريم بلقاسم : من منطقة القبائل .

لقد قام هؤلاء بتشكيل « جبهة التحرير الوطني الجزائرية » ، وكُلّف محمد بوضياف بمهمة القيام بالتنظيم ، وكانت تُوجّه الأسئلة التالية إلى من يقع عليهم الاختيار للانضمام إلى الجبهة :

١ ـ هل تؤيّدون العمل المباشر ؟
٢ ـ في حالة الإيجاب ـ ماذا تضعون تحت تصرّفه ؟ .
٣ ـ إذا بدأ العمل دون مشاركتكم ، فما هو موقفكم ؟ .

أما جماعة مصالي الحاج فقد رفضوا التأييد ، إذ لا يقبلون أي عملٍ لا يكون على رأسه مصالي الحاج ، ولا يتلقون أمراً إلاّ منه . أما جماعة اللجنة المركزية فقد تحفّظوا من غير معارضة .

أما جماعة الاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان ـ جماعة فرحات عباس ـ فقد وافقوا على الانضمام إلى العمل الجديد مع الجبهة .

اجتمع أعضاء الجبهة يوم ١٣ صفر ١٣٧٤هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٥٤م) لتحديد موعد انطلاقة الثورة ، وأبدى الحركيون استعدادهم ، وأدّى كلٌ دوره ، وقد حدّدت الجبهة ٦ ربيع الأول ١٣٧٤هـ موعداً لبدء الثورة ، ويصادف الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤م ، وهو عيد القديسين عند الفرنسيين . ثم جرى اجتماع آخر في مدينة الجزائر يوم ٢٦ صفر لتحديد يوم

الانطلاقة بشكل نهائي .

وفي ٦ ربيع الأول ١٣٧٤هـ أعلنت جبهة التحرير الوطني الجزائرية بيانها الأول ، وحدّدت فيه أهدافها ووسائلها ، ومما جاء فيه :

الهدف : الاستقلال الوطني عن طريق :

١ ـ إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ، ضمن إطار المبادىء الإسلامية .

٢ ـ احترام الحريات جميعها دون تمييز عرقي أو ديني .

أ ـ الأهداف الداخلية :

١ ـ التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي ، والقضاء على مخلّفات الفساد كلها التي كانت عاملاً مهماً في تخلّفنا الحالي .

٢ ـ تنظيم ولمّ شمل الطبقات السليمة كلها لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري .

ب ـ الأهداف الخارجية :

١ ـ تدويل القضية الجزائرية .

٢ ـ تحقيق وحدة شمالي إفريقية داخل إطارها العربي والإسلامي .

٣ ـ وفي إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكّد عطفنا الفعّال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية .

وسائل الكفاح : انسجاماً مع المبادىء الثورية ، ومراعاةً للأوضاع الداخلية والخارجية فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل التي تحقّق هدفنا .

وحتى تحقّق جبهة التحرير هدفها فإنه يجب عليها إنجاز مهمتين

أساسيتين في وقتٍ واحدٍ ، وهما :

العمل الداخلي : سواء أكان في الميدان السياسي ، أم في ميدان العمل المحض .

العمل الخارجي: جعل القضية الجزائرية حقيقةً واقعةً في العالم كله ، وذلك بمساندة حلفائنا الطبيعيين كلهم ، وهذه مهمةٌ شاقةٌ ، وثقيلة العبء ، وتتطلب كل القوى، وتعبئة الموارد الوطنية كلها . وحقيقةً فإن الكفاح سيكون طويلاً ، ولكن النصر سيكون محقّقاً .

وأخيراً ؛ وتحاشياً للتأويلات الخاطئة ، ودلالةً على رغبتنا الحقيقية في السلم ، وتحديداً للخسائر البشرية وإراقة الدماء ؛ فقد قدّمنا للسلطات الفرنسية وثيقةً مشرِّفةً للمناقشة ؛ إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة لتعترف نهائياً للشعوب التي تستعمرها بحقّها في تقرير مصيرها بنفسها ، وعليها :

الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقةٍ علنيةٍ ورسميةٍ ، ملغيةٍ بذلك لكل التصريحات والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضاً فرنسيةً ، التاريخ ، الجغرافيا ، واللغة ، والدين ، والعادات للشعب الجزائري .

٢ ـ فتح باب المفاوضات مع ممثلي شعب الجزائر على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية على أنها وحدة لا تتجزّأ .

٣ ـ إيجاد جوٍّ من الثقة بإطلاق جميع المعتقلين السياسيين ، ورفع كل الإجراءات الخاصة ، وإيقاف كل مطاردةٍ ضدّ القوات المجاهدة .

وفي المقابل :

١ ـ فإن المصالح الفرنسية سواء أكانت ثقافية أم اقتصادية والتي تمّ الحصول عليها بحقٍّ ونزاهة ستحترم ، وكذلك بالنسبة للأفراد والعائلات .

٢ ـ يكون لجميع الفرنسيين الذين يرغبون بالبقاء في الجزائر حقّ الاختيار بين

جنسيتهم الأصلية ؛ ويعدّون بذلك أجانب أمام القوانين المعمول بها ، وبين الجنسية الجزائرية ؛ ويعدّون في هذه الحالة جزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

٣ ـ تحدّد الروابط بين فرنسا والجزائر ، وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل .

أيها الجزائري : إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة ، ومن واجبك أن تنضمّ إلينا لإنقاذ بلادنا ، والعمل على أن نسترجع لها حريتها . إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك ، وإن انتصارها هو انتصارك ، أما نحن ؛ العازمين على مواصلة الجهاد ، الواثقين من مشاعرك المناهضة للاستعمار ؛ فإننا نقدّم للوطن أغلى وأنفس ما نملك .

وتأسّس في ذلك اليوم جيش التحرير الوطني الجزائري ، وأصدر بياناً كذلك .

وفُتحت مكاتب لجبهة التحرير الوطني الجزائري في عددٍ من المناطق ، وأهمّ هذه المكاتب : مكتب القاهرة ، وكان برئاسة أحمد بن بلّه ، ومكتب دمشق برئاسة محمد الغسيري .

لقد ذُعرت فرنسا لهذه الأنباء ، وأحسّت بالخطر ، فأرسلت نجداتٍ سريعةٍ ، كما سحبت فرقتين كاملتين مجهّزتين بمعدات حلف شمالي الأطلسي ، وقد تمّ هذا السحب بعد مباحثاتٍ سرّيةٍ جرت بين الجنرال الفرنسي « غليوم » والجنرال « غرونتر » قائد قوات حلف شمالي الأطلسي ، وكانت الطائرات والمدرّعات تدعم القوات الفرنسية التي حُشدت في جبال أوراس حيث ترابط أقوى فرق المجاهدين الجزائريين .

الانطلاقة : قُسّمت بلاد الجزائر إلى خمس مناطق للعمل العسكري حسب المقاطعات الإدارية ، فكانت : ١ ـ أوراس . ٢ ـ وهران . ٣ ـ الجزائر . ٤ ـ القبائل . ٥ ـ شمالي قسنطينة . وبقي أمر تنظيم المنطقة السادسة

إلى ما بعد انطلاق الثورة .

وكان عدد القوات الفرنسية في الجزائر يوم بدء الثورة ما يقرب من خمسين ألف جندي ـ ٤٩,٧٧٠) جندي ، ولم تستطع حماية نفسها ؛ فطلبت التعزيزات .

تولّى مصطفى بن بولعيد أمر أوراس ، ويساعده بشير شيحاني ، وتولّى كريم بلقاسم أمر القبائل ، ويعاونه رمضان عبانة ، وتولّى محمد العربي بن مهيدي منطقة وهران ، وتولّى مراد ديدوش شمالي قسنطينة ، وتولّى أمر مدينة الجزائر رابح بيطاط ، بينما كان محمد بومضياف يتولّى أمر الارتباط بالنسبة إلى خارج الجزائر .

قام المجاهدون بأكثر من خمسين هجوماً يوم بدء الثورة ، وخاصة في منطقة أوراس والقبائل، وبعد العمليات عادوا فاعتصموا في الجبال .

كانت شؤون الجزائر مرتبطةً بوزير الداخلية الفرنسي ، وكان يومذاك « فرانسوا ميتران » ، فصرّح يومها بأن الجزائر هي فرنسا ، وألقت السلطات الفرنسية القبض على الزعماء الجزائريين المعروفين ، وحلّت حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، ومنعت صحفها من الصدور .

واستطاع المجاهدون السيطرةعلى منطقة الأوراس ، وتبلغ مساحتها ما يزيد على اثني عشر ألف كيلومتر مربع ، أي ما يقرب من مرةٍ وربع من مساحة لبنان ، ولم تعد القوات الفرنسية تدخل إلى المنطقة إلاّ ضمن المصفّحات ، ومحميّةً بالمدرّعات والطائرات ، كما سيطر المجاهدون على أكثر منطقة القبائل .

وفي يوم ١٧ ربيع الثاني ١٣٧٤هـ (١٢ كانون الأول ١٩٥٤م) قامت القوات الفرنسية بعمليات قمع في الأوراس والقبائل ، وأعلن المستوطنون الأوربيون معارضتهم للحكومة ، إذ اتهموها بالتهاون مع الثائرين المسلمين ، واحتجّ النواب المسلمون على عملية القمع التي تتخذها الحكومة في عملية ملاحقة الثوار ، لكن احتجاجهم لم يؤبه له . وفي المجلس الجزائري جرت

مناقشة الوضع ، فرفض ابن جلول نائب قسنطينة فكرة استقلال الجزائر .

وصل عدد القوات الفرنسية العاملة في الجزائر إلى ثمانين ألفاً في منتصف عام ١٣٧٤هـ أي بزيادة ثلاثين ألفاً عمّا كانت عليه في بداية الثورة ، ومعنى هذا أنه قد دخل هذا الرقم خلال ثلاثة أشهر فقط .

استطاعت القوات الفرنسية من إلقاء القبض على مصطفى بن بولعيد القائد الأول لمنطقة أوراس على الحدود التونسية ـ الليبية ـ الجزائرية ، وأودعته سجن قسنطينة ، غير أنه استطاع أن يفرّ بعد مدةٍ من السجن ، ومع تسعة عشر سجيناً كان قد حُكم عليهم بالإعدام .

أعلنت جبهة التحرير في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٧٥هـ (٣ شباط ١٩٥٦م) استعدادها للمفاوضة من أجل وقف القتال وحلّ المشكلة الجزائرية .

مؤتمر الصومام : وفي ١٤ محرم ١٣٧٦هـ (٢٠ آب ١٩٥٦م) عُقد مؤتمر وادي (الصومام) في منطقة القبائل ، وحضره كبار القادة ؛ ليبرهنوا على أنهم سادة الموقف على حين تدّعي فرنسا أنها تسيطر على المنطقة ، وربما كان قادة القبائل هم الذين أصرّوا على مكان المؤتمر ، ومنهم رمضان عبانة ، وكريم بلقاسم ، ويوسف زيروت الذي يسيطر على قسنطينة . والواقع أن الوصول إلى مكان المؤتمر لم يكن بالأمر السهل ، إذ لم يستطع حضوره أعضاء البعثة الخارجية الذين كانوا ينتظرون في ليبيا وفي إيطاليا ، ولقد تأخر موعد المؤتمر قليلا ، ثم تمّ في ١٤ محرم ، ولذا فقد حضره عدد من كبار القادة فقط[1] ، وتمثّلت فيه جميع الولايات، حتى ولاية الصحراء التي أصبح مسؤولاً عنها علي الملاح . وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات :

---

(١) حضر المؤتمر من القادة الكبار : كريم بلقاسم ، رمضان عبانة ، يوسف زيروت ، محمد العربي بن مهيدي ، الأخضر بن طوبال ، عمر بن بولعيد .

١ ـ يكون كريم بلقاسم قائداً عاماً للجيش ، وقد تبنّى المؤتمر تنظيم الجيش على الأسلوب المتبع في جيش منطقة القبائل .

٢ ـ إقامة المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، ويتألّف من سبعة عشر عضواً[١] ، وسبعة عشر مساعداً[٢]، وبذا يكون مجموع أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية أربعة وثلاثين عضواً ، وكان لهذا المجلس مهمة التوجيه العام للثورة .

٣ ـ انتخاب لجنة التنسيق والتنفيذ للإشراف على الثورة وقيادتها ، وضمّت خمسة أعضاء[٣] ، ولم تذكر أسماؤهم ؛ إذ بقيت من الأسرار .

اختطاف الطائرة : وفي يوم ١٨ ربيع الأول ١٣٧٦هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٥٦م) اختطفت طائرة مغربية كانت في طريقها إلى تونس ، وعلى

---

(١) الأعضاء :

١ ـ حسين آيت أحمد .
٢ ـ فرحات عباس .
٣ ـ رمضان عبانة .
٤ ـ أحمد بن بلّة .
٥ ـ مصطفى بن بولعيد .
٦ ـ يوسف بن خده .
٧ ـ محمد العربي بن مهيدي .
٨ ـ رابح بيطاط .
٩ ـ محمد بومضياف .
١٠ ـ محمد خيضر .
١١ ـ سعد دحلب .
١٢ ـ كريم بلقاسم .
١٣ ـ محمد الأمين بن دباغين .
١٤ ـ أحمد توفيق المدني .
١٥ ـ محمد يزيد .
١٦ ـ يوسف زيروت .
١٧ ـ عبد الحميد العمراني

(٢) المساعدون :

١ ـ عمارة العسكري .
٢ ـ الأخضر بن طوبال .
٣ ـ محمد بن يحي .
٤ ـ هواري بومدين .
٥ ـ محمود شريف .
٦ ـ عبد الحفيظ بوصوف .
٧ ـ سليمان دهيليس .
٨ ـ أحمد فرنسيس .
٩ ـ أحمد محساس .
١٠ ـ عبد الحميد المهري .
١١ ـ علي الملاح .
١٢ ـ الطيب الثعالبي .
١٣ ـ إبراهيم مزهودي .
١٤ ـ العموري .
١٥ ـ ابن عورة .
١٦ ـ عمر بلعيد .
١٧ ـ يوسف زيغوت .

(٣) ١ ـ كريم بلقاسم .
٢ ـ رمضان عبانة .
٣ ـ سعد دحلب .
٤ ـ محمد العربي بن مهيدي .
٥ ـ يوسف بن خده .

متنها أربعة من قادة الثورة ، وهم حسين آيت أحمد ، وأحمد بن بلة ، ومحمد خيضر ، ومحمد بومضياف .

المؤتمر الثاني : عُقد المؤتمر الثاني للمجلس الوطني الجزائري في القاهرة في مطلع عام ١٣٧٧هـ (شهر آب ١٩٥٧م) ، وتقرّر فيه :

١ ـ زيادة عدد أعضاء المجلس إلى أربعة وخمسين عضواً بعد أن كان أربعة وثلاثين ، بحيث يشمل أعضاء المجلس الأول والذين قاموا بدور فعّال في الثورة ، وقد عُهد إلى لجنة التنسيق والتنفيذ اختيار الأعضاء العشرين الذين سيضافون .

٢ ـ زيادة أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ من خمسة إلى أربعة عشر ، على أن تشمل القادة الذين هم في سجن العدو ، سواء أكانوا في باريس ، وهم الخمسة الذين اختطفوا في الطائرة [حسين آيت أحمد ـ أحمد بن بلّة ـ محمد خيضر ـ محمد بومضياف ـ مصطفى الأشرف] ، أم كانوا في الجزائر ، وهو رابح بيطاط الذي وقع في الأسر منذ عام ١٣٧٥هـ[1] .

وقد وزّعت اللجنة المهمات الحكومية على أعضائها على الشكل الآتي :

١ ـ فرحات عباس	: للشؤون الإعلامية .
٢ ـ كريم بلقاسم ٣ ـ عمار عمارنة ٤ ـ عبد الحفيظ بوصوف	: للشؤون العسكرية .
٥ ـ محمد الأمين دباغين	: للشؤون السياسية .
٦ ـ الأخضر بن طوبال	: للشؤون الداخلية .

---

(١) أصبحت لجنة التنسيق والتنفيذ تضمّ إلى جانب السجناء : فرحات عباس ، رمضان عبانة ، كريم بلقاسم ، محمود شريف ، محمد الأمين دباغين ، الأخضر بن طوبال ، عبد الحفيظ بوصوف ، عمار عمارنة ، عبد الحميد المهري . وكان قد استشهد أو اعتُقل من اللجنة السابقة : محمد العربي بن مهيدي ، سعد دحلب .

٧ ـ محمود شريف : للشؤون المالية .
٨ ـ عبد الحميد المهري : للشؤون الاجتماعية .

أخذت اللجنة تنسّق أعمالها مع حكومتي تونس والمغرب .

ومن الناحية الصحفية فقد تولّى أمرها أحمد بومنجل ، وقد توحّدت صحيفتا « المجاهد الحرّ » و « المقاومة الجزائرية » ، وأصبحت تصدر باسم « المجاهد » ، فهي الصوت الناطق باسم المجلس الوطني للثورة الجزائرية .

وقد دعت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى إضرابٍ عام في بلاد الجزائر كلها لتبرهن للأمم المتحدة وللعالم أجمع تأييدها المطلق من الشعب الجزائري كله ، وفعلاً ؛ قد تجاوب الشعب ، وتمّ الإضراب على الصورة التي طلبتها اللجنة .

الأخوة : لقي الجزائريون دعماً قوياً من إخوانهم الذين يجاورونهم ، سواء من ناحية الغرب [المغرب] ، أم من ناحية الشرق [تونس] ، وكانت لهم قواعد ، وقد حرصت السلطات الفرنسية الحرص كله على الفصل بين الجزائريين وإخوانهم ، وعملت على إقامة أسلاك شائكة، وأسلاك مكهربة ، وحقول ألغام ، ولكن من غير جدوى ، فقامت بالاعتداء على « ساقية سيدي يوسف » بالإغارة عليها يوم ١٩ رجب عام ١٣٧٧هـ (٨ شباط ١٩٥٨م) ، فذهب ضحيتها سبعون إنساناً ، وادّعت أنها كانت تستهدف جماعة المجاهدين الجزائريين الذين اتخذوا من هذا الموقع قاعدةً لهم ، غير أنه لم يكن بين الضحايا جزائريٌّ واحدٌ ، ووقعت أزمة بين تونس وفرنسا ، وتوسّطت الولايات المتحدة وإنكلترا في المشكلة ، وأدّى إلى انسحابٍ جزئيٍّ للقوات الفرنسية في تونس على أن تتجمّع في ميناء (بنزرت) ، ولكن الجمعية الوطنية الفرنسية رفضت هذا الاتفاق مما جعل حكومة « غايار » تسقط ، وتنشأ أزمةٌ وزاريةٌ فى فرنسا ، وامتدّت طويلاً .

وأخذ التقارب يظهر بين أمصار بلاد المغرب الثلاثة ، فقد عُقد مؤتمرٌ في مدينة طنجة في ٨ شوال ١٣٧٧هـ (٢٧ نيسان ١٩٥٨م) ، واستمرّ أربعة

أيام ، وضمّ : حزب الاستقلال المغربي ، وحزب جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، وحزب الدستور الجديد التونسي ، وبحث المؤتمر مشكلة الجزائر ، وأيّد استقلال الجزائر ومما صدر عنه :

١ - أن تعمل الأحزاب الثلاثة على حشد كل ما لدى شعوبها وحكوماتها من قوى لدعم الشعب الجزائري المجاهد في سبيل استقلاله .
٢ - يوصي الحضور بتشكيل حكومةٍ جزائريةٍ بعد التشاور مع الحكومتين التونسية والمراكشية .
٣ - يقترح المؤتمر تشكيل مجلسٍ استشاريٍّ مغربيٍّ ، يعقد جلساتٍ منتظمةً ، ويدرس القضايا المتعلّقة بالمصلحة المشتركة ، ويتخذ التوصيات الضرورية بشأنها .
٤ - يوصي المؤتمر بعقد اجتماعاتٍ لزعماء الأمصار الثلاثة لدراسة تنفيذ التوصيات التي يتخذها المجلس الاستشاري .
٥ - توصي الأحزاب حكوماتها أن لا تعالج القضايا المتعلّقة بمصير الشمال الإفريقي في ميدان العلاقات الخارجية بصورةٍ فرديةٍ ، وقبل أن يتمّ وضع الدساتير الاتحادية .
٦ - يقرّر المؤتمر إقامة أمانةٍ عامةٍ دائمةٍ تضمّ ستة أعضاء ، يمثّل كل مصر من الأمصار المشتركة اثنان[١] ، على أن يكون لها مكتبان أحدهما في الرباط ، والآخر في تونس .
٧ - يستنكر المؤتمر وجود القوات الأجنبية في شمال إفريقية ، كما يطالب المؤتمر بأن تتوقّف القوات الفرنسية فوراً عن استخدام الأرض المغربية والتونسية كقواعد للعدوان على الشعب الجزائري .

---

(١) اختارت جبهة التحرير الوطني الجزائرية أحمد أبو منجل وأحمد فرنسيس ممثّلين لها في الأمانة العامة .

٨ ـ يستنكر المؤتمر بلسان الشعب الذي يمثّله موقف الدول التي تدعم فرنسا ، وإن هذه الدول ستخسر صداقة الشعب العربي في شمالي إفريقية ، بل الشعب العربي كله ، ومن ثم الأمة الإسلامية ، ويأمل المؤتمر أن تتخلّى هذه الدول عن دعمها للقوات التي تُنزل الكوارث بالشعوب والأمم . ثم وجّه نداءً سريعاً للدول الاستعمارية بأن توقف كل دعم يؤدّي إلى استمرار الحرب .

اجتمع ممثلو الحكومتين التونسية والمراكشية مع لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية في مدينة المهدية بتونس في تاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٧هـ (١٥ حزيران ١٩٥٨م) لتنفيذ مقرّرات مؤتمر طنجة ، غير أن تأخير تشكيل الحكومة الجزائرية قد أخّر الموضوع .

وتجاه هذه الأحداث فإن الجيش الفرنسي في الجزائر والمستوطنين الأوربيين فيها قد تحدّوا سلطات باريس ، وألّفوا لجنةً للأمن العام في ٢٤ شوّال ١٣٧٧هـ (١٣ أيار ١٩٥٨م) ، وقد طالبت هذه اللجنة ومؤيّدوها الحكومة الفرنسية بالدمج التام بين الجزائر وفرنسا ، وهذا ما هزّ الحكومة الفرنسية ، وجاء الجنرال ديغول إلى رئاسة الوزراء في ١٤ ذي القعدة ١٣٧٧هـ (١ حزيران ١٩٥٨م) .

وتعلّق الجيش الفرنسي بسياسة الدمج ، وأراد نيل شيء من النصر ليخفف من عار الهزائم التي مُني بها في الحرب العالمية الثانية أمام الألمان ، وفي الهند الصينية أمام سكانها ، وفي الاشتراك في العدوان على مصر ، لذا بذل كل جهوده لإحراز نصرٍ في الجزائر ، لكن خاب أمله ، إذ أنهكته حرب العصابات والالتجاء إلى المناطق الوعرة في الجبال ، واتخذ كافة الوسائل من إبادةٍ ، وحرقٍ ، وانتهاك حرمات ، و . . . ، غير أنه فشل .

ونقل الجزائريون الحرب إلى فرنسا نفسها في مطلع عام ١٣٧٨هـ (شهر آب ١٩٥٨م) ، فقاموا بعددٍ من الغارات والهجمات على المؤسّسات

العسكرية ، ومراكز الشرطة ، ومستودعات النفط ، فذُعرت الحكومة ، وأقدمت على اعتقال أعدادٍ من العمّال الجزائريين وتعذيبهم .

وفي ٦ ربيع الأول ١٣٧٨هـ (١٩ أيلول ١٩٥٨م) تشكّلت الحكومة الجزائرية المؤقّتة برئاسة فرحات عباس[1] ، ولم ينقضِ شهر ربيع الأول حتى اعترفت بالحكومة المؤقّتة إحدى عشرة دولةً إسلاميةً ، وثلاث دولٍ شيوعيةٍ آسيويةٍ هي الصين الشعبية ، وفيتنام الديمقراطية ، وكوريا الشمالية ، والاعتراف الشيوعي ضدّاً بالغرب لا تأييداً للحقّ ، أما بقية الدول الشيوعية

---

(١) تشكّلت الوزارة المؤقتة على النحو الآتي :

١ ـ فرحات عباس : رئيس الوزراء .
٢ ـ أحمد بن بلة : النائب الأول لرئيس الوزراء (معتقل) .
٣ ـ كريم بلقاسم : نائب رئيس الوزراء ، وزير الدفاع .
٤ ـ محمد الأمين دباغين : وزير الشؤون الخارجية .
٥ ـ الأخضر بن طوبال : وزير الشؤون الداخلية .
٦ ـ محمود شريف : وزير التسلح والتموين .
٧ ـ عبد الحفيظ بوصوف : وزير المواصلات .
٨ ـ عبد الحميد المهري : وزير شؤون شمالي إفريقية .
٩ ـ أحمد فرنسيس : وزير الاقتصاد والمالية .
١٠ ـ محمد يزيد : وزير الاستعلامات .
١١ ـ يوسف بن خدة : وزير الشؤون الاجتماعية .
١٢ ـ أحمد توفيق المدني : وزير الشؤون الثقافية .
١٣ ـ حسين آيت أحمد : وزير دولة (معتقل) .
١٤ ـ رابح بيطاط : وزير دولة (معتقل) .
١٥ ـ محمد بومضياف : وزير دولة (معتقل) .
١٦ ـ محمد خيضر : وزير دولة (معتقل) .
١٧ ـ الأمين خان : وزير دولة (معتقل) .
١٨ ـ عمر صديق : وزير دولة (معتقل) .
١٩ ـ مصطفى استانبولي : وزير دولة (معتقل) .

فلم تعترف بالجزائر إلاّ بعد الاستقلال التام كبقية الدول الاستعمارية الأوربية .

وكان للحكومة الجزائرية ثلاثة مكاتب : في القاهرة ، وتونس ، والرباط . وتحوّلت الجبهة الوطنية لتحرير الجزائر إلى حزبٍ سياسيٍّ ، وصدر له نظامٌ بيّن علاقة الحزب بالدولة .

أعلنت الحكومة الجزائرية العفو عن أسرى الحرب الفرنسيين ، والمسجونين ، وأطلقت سراحهم .

وفي ١٠ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ أعلن الجنرال ديغول عن قبول فرنسا للمفاوضات ، وإن كان بأسلوبٍ غير مقبول « ليأتي ممثّلو المنظمة الخارجة على القانون والمتمردون إلى فرنسا » ، فما كان من الحكومة الجزائرية أن ردّت على ذلك في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٩م) أنها كلّفت الزعماء الجزائريين الخمسة [أحمد بن بلّة ورفاقه] والمعتقلين في سجون فرنسا، بإجراء المفاوضات حول تقرير المصير ، غير أن الجنرال ديغول قد رفض ذلك ، وقال : إنه يتوجّه من جديد إلى المقاتلين .

وفي ١٦ جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ (١٦ كانون الأول ١٩٥٩م) اجتمع المجلس الوطني الجزائري في طرابلس بليبيا ، واستمرّ في جلساته أكثر من شهر ، واختتم بتعيين العقيد هواري بومدين قائداً عاماً لجيش التحرير ، ويساعده المقدّم سليمان ، والمقدّم عز الدين ، والمقدّم منجلي .

اعتقلت فرنسا عدداً من أعضاء جبهة التحرير الجزائرية في فرنسا ، وأخذت تفجّر القنابل الذرية في الصحراء ، مما زاد من نقمة الشعوب الإفريقية عليها . وزادت من جرائمها في الإبادة ، واستعمال قنابل النابالم ، وانتهاك الحرمات ، وزادت كذلك العمليات العسكرية بين المجاهدين والقوات الفرنسية ، وخاصةً على الحدود التونسية ، واستطاع المجاهدون قطع الخط المكهرب ، واستشهد السيد الزبير قائد مجاهدي منطقة الجزائر .

جرى تمرّدٌ عسكريٌّ في القوات الفرنسية في الجزائر بقيادة بعض الجنرالات ، وقد أعلنوا ذلك عبر إذاعة الجزائر ، وذلك في تاريخ ٧ ذي القعدة ١٣٨٠هـ (٢٢ نيسان ١٩٦١م) ، وفي اليوم التالي مباشرةً انضمّ جنرالان آخران للتمرّد . وفي الحادي عشر من شهر ذي القعدة (٢٦ نيسان) قامت مظاهراتٌ عنيفةٌ في الجزائر ضدّ الاحتلال الفرنسي .

أعلنت الحكومة الجزائرية المؤقّتة والفرنسية في وقتٍ واحدٍ في تاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٣٨٠هـ (١٠ أيار ١٩٦١م) في الشروع في محادثات (إيفيان) ، وقد بدأت المحادثات فعلاً في الخامس من شهر ذي الحجة ، ولكن لم تلبث أن توقّفت بسبب الخلاف في موضوع الصحراء ، وحاولت فرنسا خلال مدة هذا التوقّف الاتصال بالدول المجاورة وإثارتهم للمطالبة ، وعندما يقع الخلاف بين هذه الدول تكون فرنسا هي المستفيد الأول ، فتعالج الموضوع بالشكل الذي تراه ، غير أن حكومة الجزائر قد اتصلت من جانبها أيضاً بوزارات الخارجية للدول المجاورة ، وأوضحت لها وجهة نظرها ، فتمّ الاتفاق ، وخسرت فرنسا الجولة .

استؤنفت المفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية في ٧ صفر ١٣٨١هـ (٢٠ تموز ١٩٦١م) في (لوغران) ، وحاولت فرنسا تأجيل موضوع الصحراء إلى ما بعد انتهاء المفاوضات ، غير أن الجزائريين قد رفضوا ذلك ، وأصرّوا على بحثها ، وأخيراً اضطرّت فرنسا في ٢٦ صفر ١٣٨١هـ (٨ آب ١٩٦١م) إلى الاعتراف بحقّ الجزائر في الصحراء .

عادت المفاوضات إلى التوقّف من جديد في ٢٩ رجب ١٣٨١هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦٢م) ، ولكنها عادت فاستؤنفت من جديد في (إيفيان) في ١ شوّال ١٣٨١هـ (٧ آذار ١٩٦٢م) ، وتمّ الاتفاق على وقف إطلاق النار في ١٢ شوال ، وبدأ تنفيذ وقف إطلاق النار في اليوم التالي ، وتمّ الاتفاق على أن تتولّى شؤون الجزائر هيئةٌ مؤقّتةٌ تتألّف من اثني عشر عضواً .

وفي ٢٩ محرم ١٣٨٢هـ (١ تموز ١٩٦٢م) جرى الاستفتاء على استقلال الجزائر ، فكانت النتيجة ٩٧,٣٠٪ لصالح الاستقلال .

وتشكّلت حكومةٌ انتقالية برئاسة يوسف بن خده . وعُقد مؤتمرٌ في طرابلس ، وجرى اختلاف في الآراء حيث وقف محمد خيضر ، وأحمد بن بلّة ، والقيادة العسكرية ؛ ضدّ الحكومة ، فما كان من الحكومة إلاّ أن تركت طرابلس ، واتجهت إلى تونس قبل انتهاء المؤتمر .

شكّل مؤتمر طرابلس بعد رحيل الحكومة الانتقالية ما عُرف بالمكتب السياسي الذي أعلن أنه السلطة العليا باسم جيش التحرير ، وجبهة التحرير .

الاستقلال

كان النص الكامل لاتفاقات إيفيان كما يلي :

« إن المحادثات التي جرت بإيفيان من ٧ إلى ١٨ آذار ١٩٦٢م بين حكومة الجمهورية الفرنسية والحكومة المؤقّتة للجمهورية الجزائرية انتهت إلى النتيجة التالية :

إبرام اتفاق لوقف القتال ، وسيوضع حدٌّ للعمليات العسكرية والكفاح المسلّح في مجموع التراب الجزائري يوم ١٩ آذار ١٩٦٢م في منتصف النهار .

إن الضمانات الخاصة بتطبيق تقرير المصير وتنظيم السلطات العمومية بالجزائر أثناء المرحلة الانتقالية قد حُدّدت باتفاقٍ مشتركٍ . ونظراً إلى أن تكوين دولةٍ مستقلّةٍ وذات سيادةٍ إثر تقرير المصير يتلائم مع الواقع الجزائري ، ونظراً إلى أن التعاون بين فرنسا والجزائر يتجاوب في هذه الحال مع مصالح القطرين فإن الحكومة الفرنسية تعتبر بالاشتراك مع الحكومة المؤقّتة للجمهورية الجزائرية أن حلّ استقلال الجزائر بالتعاون مع فرنسا هو الحلّ الذي ينسجم مع هذا الوضع .

إن الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقّتة للحكومة الجزائرية اتفقتا تبعاً لذلك على تحديد هذا الحلّ في التصريحات التي ستعرض على موافقة الناخبين أثناء اقتراع تقرير المصير .

تنظيم السلطات العمومية :

أثناء الفترة الانتقالية وضمانات تقرير المصير :

١ ـ ستسمح الاستشارة حول تقرير المصير للناخبين بأن يعلنوا هم أنهم يريدون الجزائر المستقلّة ، وفي هذا الحال ؛ هل يريدون أن تتعاون فرنسا والجزائر في ظروفٍ تضبطها التصريحات الحالية ؟ .

٢ ـ تجري هذه الاستشارة بعموم التراب الجزائري ، أي في المقاطعات الخمس عشرة الآتية: العاصمة الجزائرية باتنة ـ عنابة ـ قسنطينة ـ المدية ـ مستغانم ـ الواحات ـ وهران ـ الأصنام ـ سعيدة ـ سادرة ـ صطيف ـ تيارت ـ تيزو أوزو ـ تلمسان .

٣ ـ تكون حرية الاستشارة وصدقها مضمونين وفقاً للقانون الذي يضبط ظروف استشارة تقرير المصير .

٤ ـ يكون تنظيم السلطات العمومية حتى إنجاز تقرير المصير مقاماً وفقاً للقانون المرفق للتصريح الحالي تحدث سلطة تنفيذية مؤقّتة ، ومحكمة للنظام العمومي ، ويمثل الجمهورية الفرنسية في الجزائر مندوبٌ سامٍ وتقوم هذه المؤسّسات وخاصة السلطة التنفيذية المؤقّتة فور وقف إطلاق النار حيز التنفيذ .

٥ ـ يكون المندوب السامي الممثّل لسلطات الجمهورية الفرنسية لا سيما في ميدان الدفاع والأمن وحفظ النظام بوصفه صاحب الكلمة عند الضرورة القصوى ، أي عندما تطلب منه ذلك الهيئة التنفيذية .

٦ ـ تُكلّف السلطة التنفيذية المؤقتة خاصة :

ـ بالتصرّف في الشؤون العامة التي تهمّ الجزائر ، وتسهر على تسيير إدارة الجزائر ، وترجع لهم مهمة إدخال الجزائريين إلى مختلف هذه الإدارة .

ـ وبحفظ الأمن العام ، وتكون لهذه الغاية مصالح شرطة ، وقوة أمن توضع تحت نفوذها .

ـ وبإعداد تقرير المصير وتنفيذه .

٧ ـ تتألّف محكمة النظام العام من عـددٍ متساوٍ من حكـام أوربيين وحكـام مسلمين .

٨ ـ تعاد في أقرب الآجال ممارسة الحريات الفردية ، والحريات العامة بصفةٍ مطلقةٍ .

٩ ـ تعدّ جبهة التحرير الوطني تشكيلة سياسية ذات طابعٍ شرعيٍّ (قانوني) .

١٠ ـ يُفرج عن المعتقلين سواء في فرنسا أم في الجزائر في أجل أقصاه عشرون يوماً ؛ ابتداءً من وقف إطلاق النار .

١١ ـ يعلن فـوراً عن العفو ، ويُفرج عن الأشخاص المعتلقين .

١٢ ـ الأشخاص اللاجئون في الخارج يمكنهم أن يعودوا إلى الجزائر ، وستتولّى لجانٌ تقوم في المغرب وتونس تسهيل هذه العودة .

ـ الأشخاص الذين وقع جمعهم يمكنهـم أن يعودوا إلى مكان سكناهم الاعتيادي .

ـ السلطة التنفيذية المؤقّتة تتخذ التدابير الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ؛ الرامية إلى ضمان عودة هؤلاء السكان إلى الحياة العادية .

١٣ ـ الاقتراع على تقرير المصير يجري في أجل ؛ أدناه ثلاثة أشهر ، وأقصاه ستة أشهرٍ، وسيضبط التاريخ باقتراحٍ من السلطة التنفيـذية المؤقّتـة في غضون الشهرين اللذين يليان قيامها .

الاستقـلال والتعــاون :

إذا وقع اختيار على الاستقلال والتعاون فإن فحوى التصريحات التالية يكون ملزماً للدولة الجزائرية .

استقلال الجزائــر :

١ ـ الدولة الجزائرية تمارس سيادتها المطلقة والتـامة في الـداخل والخـارج ،

وتمارس هذه السيادة في كل الميادين ، وخاصةً في الدفاع المدني والشؤون الخارجية .

تتخذ الدولة الجزائرية لنفسها مع كامل الحرية مؤسّساتها الخاصة بها ، وتختار النظام السياسي والاجتماعي الذي تراه أكثر ملاءمةً لمصالحها ، وفي الميدان الدولي تختار وتنفّذ مع كامل السيادة السياسية التي تختارها .

تصادق الدولة الجزائرية دون تحفّظٍ على التصريح العالمي لحقوق الإنسان ، وتقيم مؤسّساتها على مبادىء ديمقراطية ، وعلى التساوي في الحقوق السياسية بين كل المواطنين دون ميزة في الجنس أو الأصل أو الدين ، وتطبّق خاصةً الضمانات المعترف بها للمواطنين من ذوي الحالة المدنية الفرنسية .

٢ ـ حقوق الأشخاص وحرياتهم وضماناتها .

ترتيبات مشتركة : لا يمكن أن يستهدف أي شخصٍ لتدابير الشرطة أو العدالة أو عقوبات زجرية أو أي تمييزٍ مهما كان بسبب أفكارٍ عبّر عنها بمناسبة الحوادث التي جرت بالجزائر أو أعمال ارتكبها بمناسبة هذه الحوادث نفسها قبل الإعلان عن وقف القتال .

ولا يمكن لأي جزائريٍّ أن يجبر على مبارحة التراب الجزائري ، أو يمنع من الخروج منه .

أ ـ أحكام تخصّ المواطنين الفرنسيين ذوي النظام المدني من الحق العام :

١ ـ نظم الوضع القانوني للمواطنين الفرنسيين ذوي النظام المدني للحقّ العام في نطاق التشريع الجزائري الخاص بالنسبة للجنسية الجزائرية حسب :

ـ طوال مدة ثلاث سنوات ابتداءً من تاريخ تقرير المصير يستطيع المواطنون الفرنسيون ذوو النظام المدني للحق العام المبادىء التالية :

- إذا كانوا مولودين بالجزائر ومقيمين بها منذ عشر سنوات إقامةً عاديةً منتظمةً حتى يوم تقرير المصير . يستطيع هؤلاء التمتّع بالحقّ الكامل في حقوق المواطنة الجزائرية ، وأن التابعين الفرنسيين الممارسين لحقوق المواطنة الجزائرية لا يمكنهم في الوقت نفسه ممارسة حقوق المواطنة الفرنسية .

وبانتهاء أجل السنوات الثلاث المشار إليها يحصلون على الجنسية الجزائرية بواسطة مطلب تسجيل أو مطلب تأكيد لتسجيلهم في القوائم الانتخابية ، وفي حالة عدم تقديمهم هذا المطلب يقبل تمتعهم باتفاقية الاستيطان .

٢ - حفظاً وضماناً لحماية الأشخاص والأملاك والمشاركة النظامية في حياة الجزائر خلال السنوات الثلاث بالنسبة للتابعين الفرنسيين الممارسين لحقوق المواطنة الجزائرية وبالنسبة للجزائريين ذوي النظام المدني الفرنسي بعد انقضاء هذا الأجل تقرّرت التدابير التالية :

- تتاح لهم مساهمة عادلة وحقيقية في الشؤون العامة ، فيكون تمثيلهم في المجالس مناسباً لقيمتهم الفعلية ، وتضمن لهم مشاركةٌ عادلةٌ في مختلف فروع الوظيفة العمومية ، وتضبط مساهمتهم الحياة البلدية بمدينتي الجزائر ووهران في أحكام خاصة ، وتحترم حقوق ملكيتهم فلا تتخذ أي إجراءات انتزاع ملكية ضدّهم دون تقديم التعويض العادل الذي يتمّ تحديده مسبقاً .

- يتلقّون الضمانات الملائمة لميزانيتهم الثقافية واللغوية والدينية ، ويحافظون على نظام حالتهم الشخصية الذي يحترم وينفذ من قبل المجالس العدلية الجزائرية المشتملة على قضاة منتسبين للنظام نفسه . ويستعملون اللغة الفرنسية داخل المجالس وفي علاقتهم مع السلطات العمومية ، وستساهم جميعة صيانة حقوقهم في حماية هذه الحقوق

المضمونة لهم ، وستقوم محكمة الضمانات وهي مؤسّسة من مشمولات القانون الجزائري الداخلي بالسهر على احترام هذه الحقوق .

ب ـ العلاقات بين فرنسا والجزائر :

تقوم العلاقات بين البلدين على الاحترام المتبادل لاستقلالهما ، وعلى تبادل المصالح والمزايا بين الجانبين ، فالجزائر تضمن مصالح فرنسا ، والحقوق المكتسبة فيها يتعلّق بالشخصيات المادية والمعنوية حسب الشروط المحدّدة في هذه البيانات ، وفي مقابل هذا تمنح فرنسا للجزائر إعانتها الفنية والثقافية ، وتقدّم إعانةً ماليةً ممتازةً لفائدة تطوّرها الاقتصادي والاجتماعي .

١ ـ الإعانة الفرنسية محددة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، وسيحدّد مبلغها حسب ظروف ، وحسب مستوى يماثل مستوى المشروعات الجارية ، وسيحدّد البلدان في نطاق احترام الاستقلال التجاري والجمركي للجزائر مختلف الميادين التي تتمتّع فيها المبادلات التجارية بنظامٍ امتيازي .

وستكون الجزائر داخلة في منطقة الفرنك ، وستكون لهم عملتها الخاصة ، وخزينة العملة الصعبة الخاصة بها ، وستكون بين الجزائر وفرنسا حرية تحويل الأموال حسب شروط تتلاءم مع التطور الاقتصادي والاجتماعي للجزائر .

٢ ـ في مقاطعتي الواحات والسادرة يتمّ استثمار ثروات ما تحت الأرض حسب المبادىء التالية :

أ ـ يتضمن التعاون الفرنسي الجزائري إنشاء جهازٍ فنيٍّ للتعاون الصحراوي يمثّل فيه الجانبان بنسبةٍ متساوية، ودور هذا الجهاز على الأخص هو تطوير الشبكات اللازمة لاستثمار ما تحت الأرض ، وإبداء رأيه في مشروعات القوانين والتنظيمات ذات الصبغة المنجمية ، ودراسة المطالب المتعلّقة بإعطاء رخصة تنقيب ، لكن

الدولة الجزائرية هي التي تمنح رخص التنقيب ، وهي التي تملي وتحدد التشريع المنجمي في نطاق السيادة الكاملة .

ب ـ المصالح الفرنسية تكون مضمونة على الأرض بواسطة :

١ ـ ممارسة الحقوق المتعلّقة بالرخص المنجمية التي منحتها فرنسا حسب قوانين التشريع النفطي الصحراوي كما يوجد حالياً .

٢ ـ في حالة ما إذا كانت العروض متساوية ستعطى الأولوية للشركات الفرنسية فيما يتعلّق بإعطاء الرخص الجديدة حسب الإجراءات التي ينصّ عليها التشريع المنجمي الجزائري .
الدفع يقع بالفرنك الفرنسي فيما يخصّ الوقود الصحراوي المعين لسدّ حاجات الاستهلاك الداخلي الفرنسي والبلدان الأخرى التي تنتمي لمنطقة الفرنك .

٣ ـ تطوّر فرنسا والجزائر علاقاتهما الثقافية: يستطيع كل بلدٍ أن ينشىء فوق تراب الآخر ديواناً جامعياً وثقافياً يكون مفتوحاً للجميع .
وستقدّم فرنسا إعانتها لتكوين الفنيين الجزائريين ، وسيوضع الفرنسيون وخصوصاً المعلّمون والفنيون تحت تصرّف الحكومة الجزائرية بواسطة اتفاق بين البلدين .

تسوية المسائل العسكرية : فيما إذا تمّت المصادقة على حل استقلال الجزائر والتعاون بين الجزائر وفرنسا ستسوّى المسائل العسكرية حسب المبادىء الآتية :

ـ القوات الفرنسية التي سيخفّض عددها تدريجياً ابتداءً من إيقاف القتال ستنسحب من الحدود الجزائرية في وقت ممارسة تقرير المصير ، وسينخفض عددها إلى ثمانين ألف جندي في ظرف اثني عشر شهراً ابتداءً من تقرير المصير ، وعودة هذه القوات إلى وطنها يجب أن يتمّ في ظرف أجل ثانٍ يمتد إلى أربعةٍ وعشرين شهراً ، وسيقع الجلاء عن المنشآت العسكرية بالتدرّج نفسه .

ـ تُسوِّغ الجزائر لفرنسا استعمال قاعدة المرسي الكبير لمدة خمسة عشر عاماً قابلة للتجديد باتفاق البلدين .

ـ كما تُسوِّغ الجزائر لفرنسا استعمال بعض المطارات والميادين والمنشآت العسكرية التي هي ضرورية لها .

تسوية الخلافات : تسوّي الجزائر وفرنسا مختلف الخلافات التي تنجم بينهما بوسائل التسوية السلمية ، وسيلجآن إلى وسائل التسوية السلمية سواء بواسطة التصالح أو التحكيم ، وفيما إذا لم يتمّ الاتفاق على هذه الإجراءات يستطيع كل من الطرفين أن يتوجّه مباشرةً إلى محكمة العدل الدولية .

نتائج تقرير المصير : مجرد الإعلان الرسمي المنصوص عليه في المادة ٢٧ من قانون تقرير المصير يبدأ تنفيذ الأعمال المنصوص عليها .

ـ وفيما إذا تمّت المصادقة على حل الاستقلال والتعاون .

ـ استقلال الجزائر يقع الاعتراف به حيناً من طرف فرنسا .

ـ تحويل الصلاحيات يتمّ في الحين .

ـ تصبح القوانين المنصوص عليها في التصريح العام والتصريحات التي ستلحق بها نافذة المفعول في الوقت نفسه .

ـ تُنظِّم الهيئة التنفيذية المؤقّتة في ظرف ثلاثة أسابيع بعد الاستفتاء انتخابات لتعيين المجلس الوطني الجزائري الذي ستحول له سلطاتها » .

تشكّلت الهيئة التنفيذية[١] التي تخصّ المسلمين في طرابلس ، ثم انتقلت إلى تونس برئاسة يوسف بن خده . ومنذ أيام المؤتمر في طرابلس ظهر الخلاف بين مجموعتين : مجموعة (تيزي أوزو) ويمثّلهم كريم بلقاسم ، وجماعة تلمسان ويمثّلهم محمد خيضر ، وأحمد بن بلّة ، وفرحات عباس ،

---

(١) كان الاتفاق يقضي أن تضمّ الهيئة التنفيذية اثني عشر عضواً : تسعة من المسلمين ، وثلاثة من النصارى الفرنسيين، وأن تدير البلاد إلى جانب المندوب السامي الفرنسي ، وأن تدخل البلاد غداة نتائج الاستفتاء وإعلان الاستقلال .

وهواري بومدين، وقد زاد هذا الخلاف عندما انتقلوا إلى الجزائر .

جرى الاستفتاء في ٢٩ محرم ١٣٨٢هـ (١ تموز ١٩٦٢م) على إعلان استقلال الجزائر ، فجاءت النتيجة ٩٧،٣٠٪ لمصلحة الاستقلال .

دخلت الحكومة إلى أرض الجزائر ، وأخذت تستعد لإجراء الانتخابات، غير أن الخلاف بين مجموعتي الصراع قد استعر أواره، إذ سارت كل مجموعة إلى مراكز نفوذها ، وتدّعي أنها الحكومة ، وتجهّز نفسها لسحق المجموعة الثانية ، غير أن الشعب الجزائري قد أخمد نار هذه الفتنة إذ وقف في الطرقات التي يجب أن تسلكها قوات المتقاتلين في طريق سير كل منهما نحو الطرف الآخر لقتاله .

أعلن استقلال الجزائر في ٣ صفر ١٣٨٢هـ (٥ تموز ١٩٦٢م)[1] ، وقامت الدولة الجزائرية ، ولكن المشكلات كانت تعرقل سيرها ، فالمستوطنون الفرنسيون لم يعترفوا باتفاقية الصلح ، وتشكّلت منظمات سرية فرنسية للإطاحة بما تمّ . وكان الخراب قد أصاب البلاد أثناء الثورة ، وبسبب سياسة التدمير التي سارت عليها القوات الاستعمارية ، وعودة المهاجرين من خارج البلاد بأعدادٍ كبيرة ، والأيتام ، والثكالى ، والأرامل ؛ بحاجةٍ إلى المساعدات الكثيرة ، إذ زاد عدد شهداء الثورة على المليون شهيد ، والإدارة تنوء بالأعباء ؛ إذ تخلّى الكثير عن وظائفهم ، والحاجة إلى التعريب ضرورة ماسة ، وليس هنالك إمكانات للتعريب بالشكل المطلوب من السرعة ، والمشكلات الاقتصادية عقيمة الحل ، ناهيك عن الخلافات على الحدود التي قامت مع الدول المجاورة .

بدأ الجزائريون يتجاوزون الصعاب ، ويتخطون عقبةً إثر عقبةٍ حتى يمكنهم السير ؛ وإن كان لا بدّ من وقفات أحياناً أثناء السير .

---

(١) [٥ تموز] هو اليوم نفسه الذي احتلّت فيه فرنسا مدينة الجزائر عام ١٨٣٠م .

المستوطنون الفرنسيون : رفض المستعمرون الفرنسيون الذين يعيشون في الجزائر اتفاقية (إيفيان) ، وعدوّها ظلماً عظيماً لحق بهم ، حيث أصبحت أملاكهم التي اغتصبوها عرضةً للضياع ، وغدوا هم يتبعون من كانوا بالأمس عبيداً عندهم ، لذا فقد أعلنوا رفضهم للاتفاقية ، وأدانوا الحكومة الفرنسية ، وتشكّلت منظمات سرية إرهابية فرنسية تعمل على الإخلال بالأمن ليشعر الناس أن الجزائريين غير قادرين على إدارة البلاد .

غير أن الحكومة الجزائرية بالتعاون مع الحكومة الفرنسية قد استطاعت القضاء على هذه الفتنة ، وأخذت أعداد من المستوطنين تترك الجزائر وتعود إلى فرنسا، وتخلّصت البلاد من كثيرٍ من الحاقدين؛ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. وهاجر من الجزائر ما يقرب من مليون مستوطن فرنسي.

الخلاف مع تونس: كان يعيش في تونس ربع مليون لاجىء جزائري، فلما أعلن وقف إطلاق النار بين حكومة الجزائر المؤقّتة وبين الحكومة الفرنسية أخذ هؤلاء اللاجئون يعودون إلى ديارهم حسب الاتفاق الذي تمّ بين الطرفين اللذين كانا يتصارعان ، وقد عاد بعض اللاجئين الذين لا يملكون عقاراتٍ وليست لهم أموالٌ في تونس ، أما الذين لديهم أموالٌ أو يملكون عقاراتٍ فلم يتمكّنوا من العودة قبل بيع ما يملكون ، ويجب أن يكون بالعملة الجزائرية ، وكذا تحويل الأموال ، لأن الدينار التونسي لا يمكن تحويله أو صرفه في الجزائر ، وتقدّر هذه الأموال بثلاثة مليارات فرنك فرنسي ، وتونس في ضائقةٍ ماليةٍ لا تستطيع معها أن تحوّل أكثر من نصف مليار فرنك ، فرفعت تونس الموضوع إلى جامعة الدول العربية بغية مساعدتها أو إيجاد حلٍّ للمشكلة . وجرى اجتماعٌ في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية يوم الأحد ٢١ محرم ١٣٨٢هـ (٢٤ حزيران ١٩٦٢م) ، فقامت دولة الكويت بحلِّ المشكلة بتقديم المبلغ المطلوب ، ووضعه في أحد المصارف التونسية لتحويل الدنانير التونسية .

الانضمام إلى جامعة الدول العربية : إن الخلاف الذي جرى بين القادة

الجزائريين قد أخّر الانضمام إلى جامعة الدول العربية ، وأخيراً تقدّم بطلب الانضمام إلى جامعة الدول العربية ، أحمد بن بلّه نيابةً عن المكتب السياسي ، ورفع الطلب أحمد توفيق المدني الذي عُيّن مندوباً دائماً للجزائر لدى جامعة الدول العربية في تاريخ ٢٣ صفر ١٣٨٢هـ (٢٥ تموز ١٩٦٢م) .

جرت الانتخابات في الموعد المقرر ، وقدّمت الحكومة المؤقّتة استقالتها ، وفي ٢٨ جمادى الأول عام ١٣٨٢هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩٦٢م) شكّل أحمد بن بلّة الوزارة الأولى(١) ، وتسلّم فرحات عباس رئاسة الجمهورية .

وُضع الدستور ، وأقرّه المجلس ، وبموجبه انتُخب أحمد بن بلّه

---

(١) كانت وزارة أحمد بن بلّة الأولى على النحو الآتي :

١ ـ أحمد بن بلّة : رئيس مجلس الوزراء .

٢ ـ رابح بيطاط : نائب رئيس مجلس الوزراء .

٣ ـ عمار بن تومي : وزير العدل والقانون .

٤ ـ أحمد مدغاري : وزير الداخلية .

٥ ـ هواري بومدين : وزير الدفاع .

٦ ـ محمد خمستي : وزير الشؤون الخارجية .

٧ ـ أحمد فرانسيس : وزير المالية والرياضة .

٨ ـ عمار أوزغان : وزير الزراعة والفلاحة .

٩ ـ محمد خوبزي : وزير التجارة .

١٠ ـ لاورسي خليفة : وزير الطاقة والصناعة .

١١ ـ عبد الرحمن بن حميدة : وزير التربية الوطنية

١٢ ـ بشير بوماذا : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .

١٣ ـ أحمد بومنجل : وزير النقل والمواصلات .

١٤ ـ محمد صغير نكاش : وزير الصحة .

١٥ ـ موسى حساني : وزير البريد والبرق والهاتف .

١٦ ـ محمد سعيدي : وزير ضحايا الحرب والمجاهدين القدماء .

١٧ ـ عبد العزيز بوتفليقة : وزير الشباب والرياضة .

١٨ ـ أحمد توفيق المدني : وزير الأوقاف .

١٩ ـ محمد حاج حمود : وزير الإعلام .

رئيساً للدولة .

توالى على الجزائر بعد استقلالها حتى الآن ثلاثة رؤساء للجمهورية ، ونستطيع أن نعدّهم من العسكريين أو الثوّار ، هذا بالإضافة إلى فرحات عباس الذي يعدّ سياسياً ، وحكم مدةً قصيرةً .

١ ـ **أحمد بن بلّه** : برز اسمه أثناء الثورة إذ تسلّم مدير مكتب الجزائر في القاهرة ، ثم كان بين القادة الجزائريين الخمسة الذين اختطفتهم السلطات الفرنسية بالطائرة التي كانت تقلّهم من المغرب إلى تونس يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٣٧٦هـ (٢٣ تشرين الأول ١٩٥٦م) ، وبعد الاستقلال انتُخب رئيساً للجمهورية .

أعلن أحمد بن بلّه القوانين الاشتراكية ، واستيلاء الدولة على ما يُسمّى بالأملاك الشاغرة ، وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي .

وجرى خلافٌ مع المغرب على الحدود ، وجرت معارك بين الدولتين في جمادى الأولى عام ١٣٨٣هـ (تشرين الأول ١٩٦٣م) ، ثم حلّت الأمور بالطرق السلمية .

بدأ تذمّر السكان الجزائريين من الحكم القائم ، إذ خاب أملهم ، كانوا يتوقّعون أثناء الثورة أنهم إذا ما استقلّوا أصبحت لهم شخصيتهم المتميّزة المستقلّة، ويعود لعقيدتهم صفاؤها بعد أن عمل المستعمرون الصليبيون على تشويهها ،وتعود للغتهم العربية مكانتها بعد أن حاول الفرنسيون النصارى إزاحتها عنها وفرض لغتهم وإحلالها مكان العربية ، وتصبح الصلة مع إخوانهم المجاورين في المغرب وتونس صلة العقيدة والرحم ، وتعود المحاكم الشرعية لتفصل بينهم فيما قد يقع بين الإخوة ؛ بما يؤمنون به ، ويرضونه عن طيب خاطر . . . ، وتزول مظاهر الفساد التي نشرها أعداؤهم ، غير أنه لم يحدث شيءٌ من هذا أبداً ، فكأن الوضع استمرّ على ما كان عليه أيام الاستعمار ، فلم يختلف سوى الاسم دون أن يتغيّر شيءٌ من المضمون . التعريب لم يسر إلاّ بخطاً وئيدةٍ جداً ؛ بل قد سُطّر على الأوراق ونطقت به

أفواهٌ فقط دون أي شيء محسوس ، لم تقم المحاكم الشـرعية ، وبقي القانون الفرنسي ، مظاهر الفساد لم تتغـيّر ، الخلاف مـع الإخوة اتسـع ؛بل ونشب القتال ، و . . . ، أعلنت القوانين الاشتراكية بتعال فارغ، ولم يُصرِّح أحدٌ من المسؤولين بالإسلام . . . .

ومن الناحية السياسية الدولية بقيت فرنسا صاحبة النفوذ الفعلي رغم الخلاف الأساسي معها ، والثورة إنما قامت ضدّها . بقي النفوذ الفرنسي لأنه لا يمكن أن يزول بخطّ قلمٍ بعد أن جثم على صدر المسلمين الجزائريين ما يزيد على مائةٍ وثلاثين سنة ، ونتيجة الثقافة والمفاهيم أن تلقّاها الجزائريون بما فيهم قادة اليوم ، ونتيجة الاتفاقية التي نالت الجزائر بمـوجبها الاستقـلال ، والتي ربطت الجزائر بالعملة الفرنسية ؛ ولو بدرجةٍ نسبيةٍ . هذا في الوقت الـذي كانت فيه بعض البلدان العربية تحمل أو تنادي بالفكر الاشتراكي ، وتحمل على السياسة الأمريكية ظاهراً على حـين تعمل ضمن مخـطّطها ، وتسـير في فلكها ، ويتزعّم ها الخط الرئيس المصري جمال عبد النـاصر ، أو كان هـو الرجل المعتمد لهذا التيار السياسي ، وكان على صلةٍ وثيقةٍ بالرئيس أحمد بن بلّة الذي قضى مدةً من الزمن في القاهرة يوم كان مديراً لمكتب الثورة الجزائرية هنـاك ، لذا كـانت تبدو الصلة وثيقـةً بين الـدولتين ، حتى أعلن الـرئيس الجزائري القوانين الاشتراكية مسايرةً للتيار السياسي العام ، ولكن هذا كله يبدو في الظاهر ، أما الحقيقة فغير ذلك حيث لا يقبل أصحاب اللعبة الدولية بهذا التحرك الغامض ، لذا أخذ التخطيط يسير في غير هذا المنحنى .

تمّ تشكيل مجلسٍ عسكريٍّ برئاسة العقيد هواري بومدين ، وفي ٢٠ صفـر ١٣٨٥هـ (١٩ حزيـران ١٩٦٥م) قرّر هـذا المجلس عزل الـرئيس أحمد بن بلّه، والقبض عليه بتهمة استخـدام أموال الـدولة في غـير وجهها الشرعي . وتسلّم العقيد هواري بومدين رئاسة الدولة .

وفي ١٢ ربيع الأول ١٣٨٥هـ (١٠ تموز ١٩٦٥م) شكّل رئيس مجلس

الثورة ـ رئيس الدولة هواري بومدين ـ الوزارة(1) .

كانت الأوساط السياسية تتوقّع أن تتردّى الأوضاع بين مصر والجزائر للعلاقات الوثيقة التي كانت تربط البلدين بعضهما مع بعض ، وقد بدا فعلاً بعض الفتور في الأيام الأولى كنوع من احترام ماء الوجه ، وحفظاً لكرامة وجه

---

(1) كانت الوزارة على النحو الآتي :

أ ـ
١ ـ هواري بومدين : رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء .
٢ ـ رابح بيطاط : وزير الدولة .
٣ ـ عبد العزيز بوتفليقة : وزير الشؤون الخارجية
٤ ـ أحمد مدغاري : وزير الداخلية .
٥ ـ أحمد قايد : وزير المالية والتخطيط
٦ ـ أحمد محساس : وزير الزراعة والفلاحة .
٧ ـ بشير بومازا : وزير الإعلام .
٨ ـ محمد بيجاوي : وزير العدل والقانون .
٩ ـ أحمد طالب الإبراهيمي : وزير التعليم الوطني .
١٠ ـ تيجاني هدام : وزير الصحة العامة .
١١ ـ بوعالم بن حمودة : وزير المجاهدين القدماء .
١٢ ـ بلعيد بن عبد السلام : وزير الصناعة والطاقة .
١٣ ـ عبد القادر الزيبق: البريد والاتصالات، الهاتفية .
١٤ ـ عبد النور علي يحيى : وزير الأشغال العامة .
١٥ ـ محمد الهادي حاج إسماعيل : وزير الإسكان والتعمير .
١٦ ـ نور الدين دلّيسي : وزير التجارة .
١٧ ـ عبد العزيز زرداني : وزير الشؤون الاجتماعية والعمل .
١٨ ـ عبد العزيز ماوي : وزير السياحة .
١٩ ـ عبد الكريم بن محمود : وزير الشباب والرياضة .
٢٠ ـ العربي سعدوني : وزير الأوقاف .

ب ـ يكلّف رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء بأعباء وزير الدفاع الوطني .
جـ ـ تمارس الدولة عملها تحت إشراف مجلس الثورة الذي يصدر الأوامر بمراسيم تشريعية .
د ـ الوزراء مسؤولون فردياً أمام رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء ، وجماعياً أمام مجلس الثورة .
هـ ـ تحكم الدولة بتفويض من مجلس الثورة في السلطات الضرورية لسير العمل لأعضاء الدولة وحياة الأمة .

السياسة التي يحملها الرئيس المصري . ولكن لم يلبث أن زال هذا ، وعادت الأمور إلى أفضل ما كانت عليه ، وأصبحت سياسة البلدين تسير في خطٍّ واحدٍ ، وتبيّن أن الرئيس المصري كان له دورٌ في هذا التغيير الذي حدث .

٢ ـ هواري بومدين[١] : أخذ بالسياسة الاشتراكية ، والسير بالتوجّه نحو الغرب، وعمل على دفع حركة التعريب نسبياً ؛ إذ كان أحد ثلاثة في مجلس الوزراء يعرفون العربية فقط ، مع ملاحظة أن السياسة الأمريكية أقلّ اهتماماً في جانب اللغة والثقافة من السياسة الفرنسية ، وربط رجال السلطة بشخصه ، وأدخل بعضهم في الوزارة[٢] .

وفي ٢١٨ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ (٢١ تموز ١٩٧٠م) شكّل الرئيس الجزائري وزارةً جديدةً[٣] .

---

(١) هوارين بومدين : هو الاسم الحركي لـ « محمد بن إبراهيم بوخرّوبة » ، اتخذه اسماً عندما انضمّ إلى الثورة ، وكلمة « بومدين » نسبة إلى صاحب قبر في تلمسان يعرفه العامة هناك بـ «الغوث بومدين » كاصطلاح صوفي .

(٢) صدر مرسوم في ٨ ذي الحجة ١٣٨٧هـ (٧ آذار ١٩٦٨م) عُيِّن بموجبه :
١ ـ شريف بلقاسم : وزيراً للاقتصاد والتخطيط .
٢ ـ محمد الطيبي : وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي .
٣ ـ محمد سعيد مازوزي : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .

(٣) كانت الوزارة الجديدة على النحو الآتي :
١ ـ هواري بومدين : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء ، وزير الدفاع .
٢ ـ شريف بلقاسم : وزير دولة .
٣ ـ رابح بيطاط : وزير دولة للمواصلات .
٤ ـ عبد العزيز بوتفليقة : وزير دولة للخارجية .
٥ ـ أحمد مدغاري : وزير الداخلية .
٦ ـ محمد الطيبي : الزراعة والإصلاح الزراعي .
٧ ـ بوعالم بن حمودة : العدل والقانون (حماية الأمن) .
٨ ـ عبد الكريم بن محمود : التعليم الابتدائي والثانوي .
=

وفي ٢٧ شوّال ١٣٩٥هـ (الأول من تشرين الثاني ١٩٧٥م) شكّل لجنةً لإعداد الميثاق الوطني الذي يريد أن يضمنّه المبادىء التي يسير عليها . ولما انتهى إعداده عُرض على الندوة الوطنية ، فتمّت الموافقة عليه في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ (١٩ حزيران ١٩٧٦م) ، عرض على استفتاءٍ عامٍ في ٢٩ جمادى الآخرة ، فكانت النتائج لصالحه ، كنتيجة كل استفتاءٍ ، الذي هو وسيلة من وسائل اللعب لأخذ الصفة القانونية أو الرسمية . فأصبح نافذ المفعول بدءاً من ٧ رجب ١٣٩٦ هـ الموافق ٥ تموز ١٩٧٦م ، فأصبحت القوانين الاشتركية رسميةً ، والشعب لا يستطيع أن يُبدي حراكاً ؛ فالضغط عليه من كل جانب .

وفي ٥ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ (٢٣ نيسان ١٩٧٧م) شكّل الرئيس

= ٩ ـ عمر بوجلاب : وزير الصحة العامة .

١٠ ـ محمد صديق بن يحيى : التعليم العالي .

١١ ـ عبد القادر الزيبق : الأشغال العامة والعمران .

١٢ ـ أحمد طالب الإبراهيمي : وزير الإعلام والثقافة .

١٣ ـ بلعيد عبد السلام : وزير الطاقة والصناعة .

١٤ ـ مولود قاسم : التعليم الأصلي والشؤون الدينية .

١٥ ـ عبد العزيز ماوي : وزير السياحة .

١٦ ـ محمد سعيد مازوزي : العمل والشؤون الاجتماعية .

١٧ ـ لياشي يعكر : وزير التجارة .

١٨ ـ إسماعيل محروق : وزير المالية .

١٩ ـ محمود كوينز : وزير المجاهدين القدماء .

٢٠ ـ محمد القاضي : وزير البريد والاتصالات .

٢١ ـ عبد الله الفاضل : وزير الشباب والرياضة .

٢٢ ـ كمال عبد الله الخوجة : أمين سر الدولة للتخطيط .

٢٣ ـ عبد الله عرباوي : أمين سر الدولة للطاقة المائية .

الجزائري وزارةً جديدةً[1] .

وقد اشتدّ الخلاف بين المغرب والجزائر أيام الرئيس هواري بومدين على

---

(1) كانت الوزارة الجديدة على النحو الآتي :

أولاً : 1 ـ عبد العزيز بوتفليقة : وزير الشؤون الخارجية .

2 ـ محمد الطيبي : وزير الزراعة والثروة الزراعية .

3 ـ محمد بن أحمد عبد الغني : وزير الداخلية .

4 ـ أحمد بن شريف : وزير الطاقة المائية وحماية البيئة .

5 ـ أحمد درايا : وزير المواصلات .

6 ـ أحمد الطالب الإبراهيمي : مستشار لرئيس الدولة .

7 ـ بوعالم بن حمودة : وزير الأشغال العامة .

8 ـ بلعيد عبد السلام : وزير الصناعات الخفيفة .

9 ـ محمد صديق بن يحيى : وزير المالية .

10 ـ محمد سعيد مازوزي : وزير المجاهدين .

11 ـ مولود قاسم نية بلقاسم : نائب رئيس الدولة مكلف بالشؤون الدينية .

12 ـ سعيد آيت مساء الدين : وزير الصحة العامة .

13 ـ مصطفى الأشرف : وزير التربية .

14 ـ عبد الملك بن هابيل : وزير العدل .

15 ـ عبد اللطيف رحال : التعليم العالي والبحث العلمي .

16 ـ محمد زرقاني : وزير البريد والاتصالات .

17 ـ محمد أمير : وزير العمل والملاك الوظيفي .

18 ـ عبد المجيد أوشيش : وزير الإسكان والعمران .

19 ـ محمد يالا : وزير التجارة .

20 ـ ردحة مالك : وزير الثقافة والأنباء .

21 ـ عبد الغني العقبى : وزير السياحة .

22 ـ جمال هوهو : وزير الشباب والرياضة .

23 ـ محمد الياسين : وزير الصناعات الثقيلة .

24 ـ أحمد غزالي : الطاقة والصناعات البتروكيماوية .

25 ـ كمال عبد الله الخوجة : أمين سر الدولة للتخطيط .

=

الصحراء الغربية ، وقد أوجدت الجزائر منظمةً عُرفت بـ « بوليساريو » كان الهدف منها إزعاج المغاربة بالقيام بأعمالٍ تخريبيةٍ يُستنتج منها أن سكان الصحراء المغربية لا يؤيّدون الانضمام إلى المغرب ، ولا تزال هذه المنظمة قائمةً ؛ وإن كانت آثارها قد خفّت بعد رسوخ قدم المغاربة في الصحراء .

٣ ـ الشاذلي بن جديد : تُوفّي العقيد هواري بومدين (محمد بن إبراهيم بوخروبة) في أواخر عام ١٣٩٨هـ ، واجتمع المجلس العسكري ، وكتم أمر الوفاة حتى اتفق أعضاؤه على تسليم أحدهم الرئاسة ، ووقع الاختيار على الشاذلي بن جديد ، وهو وإن كان قصير النظر ضيّق الأفق ؛ إلّا أنه هادىء في الأحوال العادية ، وعنيف نزق عند الشدّة ، وقد عهد إلى العقيد محمد بن أحمد عبدالغني بتشكيل الوزارة[1] ، وقد كان يشغل منصب وزارة الداخلية في

= **ثانياً** : يتحمل رئيس الدولة أعباء وزير الدفاع الوطني .

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

أولاً : ١ ـ محمد بن أحمد عبد الغني : وزير أول .
٢ ـ عبد العزيز بوتفليقة : وزير مستشار لدى رئيس الدولة .
٣ ـ أحمد طالب الإبراهيمي : وزير مستشار لدى رئيس الدولة .
٤ ـ محمد صديق بن يحيى : وزير الشؤون الخارجية .
٥ ـ سعيد آيت مسعودان : وزير الصناعات الخفيفة .
٦ ـ محمد زركيني : وزير البريد والمواصلات .
٧ ـ عبد المجيد أوشيش : تخطيط المدن الإسكان والتعمير .
٨ ـ محمد حامد يعلى : وزير المالية .
٩ ـ عبد الغني عكبي : وزير التجارة .
١٠ ـ جمال حوحو : وزير الشباب والرياضة .
١١ ـ عبد الحميد مهري : وزير الإعلام والثقافة .
١٢ ـ محمد شريف المسعدية : وزير المجاهدين .
١٣ ـ عبد المجيد الأهوم : وزير السياحة .
١٤ ـ سليم سعدي : الزراعة واستصلاح الأراضي .
١٥ ـ عبد الرزاق بوحارة : وزير الصحة .
١٦ ـ صالح قوجيل . وزير المواصلات .
١٧ ـ لاحسين صوفي : وزير العدل .
١٨ ـ مولود أومزيان : وزير العمل والتكوين المهني .
١٩ ـ بوعلام باقي : وزير الشؤون =

الوزارة السابقة ، وذلك في تاريخ ٨ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ (٨ آذار ١٩٧٩م) .

أخذ الشباب الناشىء يشعر بالضغط ويتعطّش إلى الحرية ، الجيل الذي نشأ أثناء الاستقلال ، والذي لم يكابد الاستعمار الفرنسي ، يسمع بالحرية في البلدان الثانية ؛ فيتلهّف لها ، ولكن الضغط يكبت أحلامه ، ولم يحسّ هذا الشباب بالفرق بين حياة الجزائريين المسلمين وحياة غيرهم من الأوربيين النصارى ؛ فالمفاسد منتشرة ، والخمور معروضة ، و . . . ويزيد المرارة في نفسه عندما يحدّثه الذي يتقدّمون عليه في السنّ أنهم قد أضرموا نار الثورة وروّوا الأرض بدماء أبنائهم الذين استشهدوا كي يكونوا أحراراً ، ولكن عندما نالوا الاستقلال حُرموا الحرية ، وقاتلوا كي ترتفع راية الإسلام فعندما انتصروا ارتفعت شعارات الاشتراكية الجوفاء ، وأنهم يحسّون النار تلتهب في أحشائهم ، ولكن الأفواه قد كمّها البطش ، وأخذت السلطات الجزائرية بما يغلي في النفوس فلجأت إلى تبديل الواجهات وتعديل الوزارات لإشغال الناس .

= الدينية .
٢٠ ـ غزالي أحمد علي : وزير الأشغال العامة .
٢١ ـ الشريف خروبي : وزير التربية .
٢٢ ـ رفيق عبد الحق برارحي : التعليم العالي .
٢٣ ـ محمد الياسين : وزير الصناعات الثقيلة .
٢٤ ـ أحمد الغزالي : وزير الطاقة المائية .
٢٥ ـ إسماعيل حمداني : سكرتير عام الدولة (برتبة وزير) .
٢٦ ـ بلقاسم نابي : وزير الطاقة والصناعة البتروكيماوية .
٢٧ ـ عبد الحميد إبراهيمي : التخطيط وتوزيع الأراضي .
٢٨ ـ أحمد حوحات : سكرتير الدولة للصيد .
٢٩ ـ إبراهيم إبراهيمي : سكرتير الدولة للغابات وإعادة التشجير .

ثانياً :يقوم رئيس الدولة بأعمال وزير الدفاع الوطني .

ثالثاً : يقوم الوزير الأول بأعمال وزير الداخلية .

وفي ١٠ رمضان ١٤٠٠هـ (٢٢ تموز ١٩٨٠م) أعاد محمد بن أحمد عبد الغني تشكيل الوزارة من جديد[١] .

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

أولاً :

١ ـ محمد بن أحمد عبد الغني : وزيراً أول .

٢ ـ أحمد طالب الإبراهيمي : وزيراً لدى رئاسة الدولة .

٣ ـ بوعلام بن حمودة : وزيراً للداخلية .

٤ ـ محمد الصديق بن يحيى : وزيراً للشؤون الخارجية .

٥ ـ سعيد آيت مسعودان : وزيراً للصناعات الخفيفة .

٦ ـ محمد حامد يعلى : وزيراً للمالية .

٧ ـ جمال حوحو : وزيراً للشبيبة والرياضة .

٨ ـ عبد المجيد علاهم : وزيراً للسياحة .

٩ ـ سليم سعدي : للفلاحة والثروة الزراعية .

١٠ ـ صالح قوجيل : للنقل والصيد البحري .

١١ ـ بوعلام باقي : وزيراً للعدل .

١٢ ـ مولود أومزيان : للعمل والتكوين المهني .

١٣ ـ الغزالي أحمد علي : للإسكان والتعمير .

١٤ ـ محمد الياسين : وزيراً للصناعة الثقيلة .

١٥ ـ بلقاسم نابي : للطاقة والصناعات البتروكيماوية .

١٦ ـ إبراهيم إبراهيمي : وزيراً للري .

١٧ ـ عبد الحميد إبراهيمي : وزيراً للتخطيط والتهيئة العمرانية .

١٨ ـ جلول بختي نميش : وزيراً للمجاهدين .

١٩ ـ بوعلام بسايح : وزيراً للإعلام والثقافة .

٢٠ ـ عبد العوزيز خلاف : وزيراً للتجارة .

٢١ ـ عبد النوربكة : وزيراً للبريد والمواصلات .

٢٢ ـ محمد قرطبي : وزيراً للأشغال العمومية .

٢٣ ـ عبد الرحمن شيبان : وزيراً للشؤون الدينية .

٢٤ ـ محمد رويغي : كاتب الدولة للغابات واستصلاح الأراضي .

٢٥ ـ أحمد بن روحة : كاتب الدولة للصيد البحري .

٢٦ ـ محمد العربي ولد خليفة : كاتب الدولة للثقافة والفنون الشعبية .

=

ثم أعيد تكليفه مرّةً ثانيةً بالوزارة ، فعمل على توسيع قاعدتها عسى أن تخفّ النقمة الكامنة في النفوس ، والتي تنتظر الفرصة الملائمة ، فشكّل محمد بن أحمد عبد الغني الوزارة الثالثة[1] في ١٧ ربيع الأول ١٤٠٢هـ (١٢

=

٢٧ ـ الشريف خروبي : للتربية والتعليم الأساسي .

٢٨ ـ رفيق عبد الحي برارحي : للتعليم والبحث العلمي .

٢٩ ـ محمد نابي : كاتب الدولة للتكوين المهني .

٣٠ ـ الشريف الحاج سليمان : كاتب الدولة للتعليم الثانوي والتقني .

٣١ ـ علي أوبوزار : كاتب الدولة للتجارة الخارجية .

ثانياً : يتولّى رئيس الجمهورية مهام وزارة الدفاع الوطني .

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

أولاً :

١ ـ محمد بن أحمد عبد الغني : الوزير الأول .

٢ ـ بوعالم بن حمودة : وزير المالية .

٣ ـ محمد صديق بن يحيى : وزمير الخارجية .

٤ ـ محمد يالا : وزير الداخلية .

٥ ـ بوعالم باكي : وزير العدل .

٦ ـ أحمد طالب الإبراهيمي : وزير لدى رئيس الدولة .

٧ ـ سعيد آيت مساء الدين : وزير الصناعات الخفيفة .

٨ ـ عبد المجيد علاهم : وزير السياحة .

٩ ـ سليم السعدي : الزراعة والثروة الفلاحية .

١٠ ـ صلاح قوجيل : وزير النقل .

١١ ـ عبد الرزاق بوحارة : وزير الصحة .

١٢ ـ مولود أومزيان : وزير العمل .

١٣ ـ غزالي أحمد علي : وزير الإسكان والعمران .

١٤ ـ شريف خروبي : وزير التربيةوالتعليم الأساسي .

١٥ ـ بلقاسم نبي : الطاقة والصناعات البتروكيماوية .

١٦ ـ إبراهيم الإبراهيمي : وزير الطاقة المائية .

١٧ ـ عبد الحميد الإبراهيمي : التخطيط وتوزيع الأراضي .

١٨ ـ جلول بخيت نيميش : وزير المجاهدين .

١٩ ـ بوعالم بسايح : وزير الإعلام .

=

كانون الثاني ١٩٨٢م) .

لم تفد قاعدة الوزارة شيئاً ، وزادت النقمة ، وكانت الأساليب الاشتراكية عاملاً رئيسياً في تردّي الأوضاع ، فقد ضعُف الإنتاج الزراعي .

وفي ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٨٤م) وبعد الانتخابات الرئاسية، والتي لم يرشح فيها سوى الشاذلي بن جديد كلّف عبد الحميد الإبراهيمي بتأليف الوزارة[1]، وقد كان يشغل منصب وزير التخطيط

---

٢٠ ـ عبد العزيز خلّيف : وزير التجارة .
٢١ ـ مرباح قصدي : وزير الصناعات الثقيلة .
٢٢ ـ بشير رويس : وزير البريد والاتصالات .
٢٣ ـ عبد النوربكة : وزير الشباب والرياضة .
٢٤ ـ محمد قرطبي : وزير الأشغال العامة .
٢٥ ـ عبد الرحمن شيبان : وزير الشؤون الدينية .
٢٦ ـ محمد نبي : وزير الملاك الوظيفي .
والثروة الطبيعية .
٢٨ ـ عبد المجيد أومزيان : وزير الثقافة .
٢٩ ـ أحمد بن فرحة : أمين سر الدولة للصيد والنقل البحري .
٣٠ ـ محمد العربي ولد خليفة : للتعليم الثانوي والتقني .
٣١ ـ جلول الخطيب : أمين سر للأعمال الشعبية .
٣٢ ـ علي بوزار : أمين سر للتجارة الخارجية .
٣٣ ـ زهور أونيس : أمين سر للشؤون الاجتماعية .
٢٧ ـ محمد رويشي : أمين سر الدولة للغابات
ثانياً : يكلف رئيس الدولة بأعمال وزير الدفاع الوطني .
ثالثاً : يكلف العقيد عبد الله بلهوشيت نائباً لوزير الدفاع الوطني ومسؤولاً عن الرقابة للجيش الشعبي الوطني .

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :
أولاً : ١ ـ عبد الحميد إبراهيمي : وزيراً أول .
٢ ـ بوعلام بن حمودة : وزيراً للمالية .
٣ ـ أحمد طالب الإبراهيمي : وزيراً للشؤون الخارجية .
٤ ـ محمد يعلى : وزيراً للداخلية والجماعات المحلية .
٥ ـ بوعلام باقي : وزيراً للعدل .
٦ ـ عبد الله خالف : وزيراً للفلاحة

. . . .

= والصيد البحري . (المدعو : مرباح قاصدي) .

٧ - بشير رويس : وزيراً للإعلام .

٨ - سليم سعدي : وزيراً للصناعة الثقيلة .

٩ - صالح قوجيل : وزيراً للنقل .

١٠ - محمد الشريف خروبي : وزيراً للتربية الوطنية .

١١ - رفيق عبد الحي برارحي : وزيراً للتعليم العالي .

١٢ - بلقاسم نابي : للطاقة والصناعات البروكيماوية .

١٣ - جلول بختي نميش : وزيراً للمجاهدين .

١٤ - بوعلام بسايح : وزيراً للبريد والمواصلات .

١٥ - عبد العزيز خلاف : وزيراً للتجارة .

١٦ - عبد الرحمن شيبان : وزيراً للشؤون الدينية .

١٧ - محمد نابي : للتكوين المهني والعمل .

١٨ - عبد المجيد مزيان : للثقافة والسياحة .

١٩ - زهور ونيسي :وزيرة للحماية الاجتماعية .

٢٠ - محمد رويغي : للري والبيئة والغابات .

٢١ - أحمد بن فريحة : وزيراً للأشغال العمومية .

٢٢ - علي أوبوزار : للتخطيط والتهيئة العمرانية .

٢٣ - جمالي الدين حوحو : للصحة العمومية .

٢٤ - زيتوني مسعودي : للصناعات الخفيفة .

٢٥ - كمال بوشامة : للشبيبة والرياضة .

٢٦ - عبد الرحمن بلعياط : للتعمير والبناء والإسكان .

ثانياً : يتولّى رئيس الجمهورية مهام وزارة الدفاع .

ثالثاً : يُعينّ السادة :

١ - مصطفى بن زارة : نائب وزير مكلفاً بالصيد البحري .

٢ - خيرة الطيب : نائبة وزير مكلّفةً بالتعليم الثانوي والتقني بوزارة التربية الوطنية .

٣ - نور الدين حربي : نائب وزير مكلّفاً بالتعاون بوزارة الخارجية .

٤ - محمد أبركان : نائب وزير مكلّفاً بالتجارة الخارجية بوزارة التجارة .

٥ - محمد مازوني : نائب وزير مكلّفاً بالصناعات الميكانيكية والكهربائية والألكترونية بوزارة الصناعة الثقيلة .

٦ - محمد أرزقي ايسلي : نائب وزير مكلّفاً بمواد البناء بوزارة الصناعات الخفيفة .

٧ - عيسى عبد اللاوي : نائب وزير مكلفاً بالبيئة والغابات بوزاري الري والبيئة والغابات .

وتوزيع الأراضي في الوزارة السابقة.

وأخيراً جاءت الفرصة ؛ إذ ارتفعت الأسعار ، فانطلقت المظاهـرات تلقـائياً تعبّر عما يختبىء في نفوس الشعب ، وأخذت تطالب بالحريات ، وكان يوم ٢٤ صفر ١٤٠٩هـ (٥ تشرين الأول ١٩٨٨م) يوماً مشهوداً في الجزائر ، واضطرّت السلطة أن تحني رأسها قليلاً ، وأن تعد بـالحريـة وأخذ الشعب المسلم يستنشق شيئاً من نسمات الحقّ الذي هو طبيعي له ، وأخذت المظاهر الإسلامية تبدو واضحةً في البلاد ، وخاصـةً النساء ، وشهـدت أوربا لهـذه الظاهرة ، وكانت فرنسا أشدّ الدول الأوربية ؛ فقد سُعرت وسائل الإعلام فيها ، وانكمشت الأوساط السياسية على نفسها ، وأخذت جميعها تهاجم ما أطلقوا عليه الرجعية ، والتخلّف ، والتعصّب ، والتطرّف ، وأسماء جديدة اشتقّوها تدلّ كلها على حقدٍ دفينٍ على الإسلام وأهله ، وإن كان هـذا أمرٌ معروفٌ بالنسبة لأوربا ؛ لكنه غريبٌ بالنسبة إلى الذين ينتمون إلى الإسلام ، ويسـايرون العلمانيـين وأتباع الـرأسماليـة ، وأعوان الشيـوعيـة ، وأصحـاب العصبيات العرقية ، فإن هذه المذاهب كلها كافرة ، فمن أيّدها فقد كفر ، أو أعان على الكفر على الأقلّ .

وتحرّكت نساء الفئات المتحرّرة من القيم يردن أن يظهـرن معارضتهن

= ٨ ـ أبو بكر بلقائد : نائب وزير مكلّفاً بالبناء بوزارة التعمير والبناء والإسكان .

٩ ـ مصطفى بن عمرو : نائب وزير مكلّفاً بالميزانية بوزارة المالية .

١٠ ـ محمد صالح منتوري : نائب وزير مكلّفاً بـالرياضة بوزارة الشبيبة والرياضة .

١١ ـ حاوسين الحاج : نائب وزير مكلّفاً بالصناعات الكيماوية والبتروكيماوية بوزارة الطاقـة والصناعات الكيماوية والبتروكيماوية .

١٢ ـ عمرو عزوز : نائب وزير مكلّفاً بالعمل بوزارة التكوين المهني والعمل .

١٣ ـ زين الدين سكفالي : نائب وزير مكلّفاً بالسياحة بوزارة الثقافة والسياحة .

١٤ ـ عبد الملك نوراني : نـائب وزير مكلّفـاً بالتهيئـة العمرانيـة بوزارة التخـطيط والتهيئة العمرانية .

للفكر الإسلامي ، وسلوك المسلمات ، وخرجن بمظاهرةٍ ، ورغم أنهنّ من المجموعات اللواتي يقسن الشوارع ذهاباً وإياباً، وليس هناك من أي مانعٍ لخروجهنّ سافراتٍ مبتذلاتٍ ، إضافةً إلى اللواتي يسايرنهنّ، ويغتنمن الفرصة لعرض أجسامهنّ ، رغم كل هذا لم تستطع هذه المظاهرة أن تضمّ أكثر من بضع مئات . وأراد الاتجاه الإسلامي أن يردّ على هذه الظاهرة بواقع عمليّ يبرهن فيه على أن الجزائر جزءٌ من الأمة الإسلامية، وأن الشعب فيها متمسكٌ بعقيدته ، محافظٌ على إسلامه ، مرتبطٌ بتراثه ، حريصٌ على المحافظة على السلوك الإسلامي ، فأعلن عن خروج مظاهرةٍ ضمّت أكثر من مليون امرأة كلهنّ بلباس الحشمة ، وفي غاية النظام ، ويطالبن باحترام المرأة ، وإعطائها حقّها الكامل في الزوجية ، وتربية النشىء في البيوت ، والبعد عن اتخاذها وسيلةً للدعاية ، والرفاهية ، وترك المتاجرة بأنوثتها وجسدها ، هذا مع العلم أن المسلمات اللواتي لم تسمح لهنّ الظروف بالخروج هنّ عامة نساء الشعب الجزائري ، ومع هذا كلّه فقد كان عدد المتظاهرات مليون امرأة ، وأحسّت الأنظمة العلمانية بفشلها ، وشعرت الصليبية بخيبة الأمل بعد كل الجهود التي بذلتها في الجزائر .

وفي ٨ صفر ١٤١٠هـ (٩ أيلول ١٩٨٩م) كُلِّفَ مولود حمروش بتشكيل الوزارة[١] . وظهر أن الاتجاه الإسلامي هو السائد في الجزائر ، وهو صاحب

---

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ مولود حمورش : وزير أول .

٢ ـ سيد أحمد غزالي : وزير الشؤون الخارجية .

٣ ـ علي بن فليس : وزير العدالة .

٤ ـ سعيد شيبان : وزير الشؤون الدينية .

٥ ـ محمد الصالح محمدي : وزير الداخلية .

٦ ـ هني بن علي : وزير منتدب للمجموعات المحلية .

٧ ـ محمد الميلي إبراهيمي : وزير التربية .

٨ ـ عبد السلام علي راشدي : وزير منتدب للجامعات .

٩ ـ عبد القادر بوجمعة : وزير الشبيبة .

١٠ ـ عبد النور كرامان : وزير منتدب للتكوين =

الكلمة عندما تُعطى الحرية الصحيحة . وبرزت الجبهة الإسلامية للإنقاذ برئاسة عباس مدني ، ومعه علي بلحاج . وجمعية الإرشاد والإصلاح (الإخوان المسلمون) برئاسة محفوظ نحناح ، وقد انشقّ عنهم عبد الله جاب الله مع مجموعة سحنون ، وهي جماعة غير سياسية ورئيسها طيب القلب يمكن استغلاله . والطلائع الإسلامية وهم جماعة لا تزال صغيرة تبرز بوعي أفرادها ، وسعة أفقهم السياسي ، وشخصيتهم المتميّزة . واتحاد العلماء الجزائريين برئاسة الشيخ محمد سعيد وهم مجموعةٌ من المتعلِّمين يدعون إلى تطبيق المنهج الإسلامي .

ودعت الحكومة إلى إجراء الانتخابات في شهر ذي القعدة من عام ١٤١٠هـ ، وسمحت للأحزاب بخوضها على أساس المنهج الذي يسعون إليه ، فتقدّم خمسةٌ وعشرون حزباً لخوض هذه الانتخابات[١] ، وهذا إن دلّ

= المهني .

١١ ـ غازي حيدوسي : وزير الاقتصاد .

١٢ ـ إسماعيل قومزيان : وزير منتدب لتنظيم التجارة .

١٣ ـ محمد غريب : وزير الشؤون الاجتماعية .

١٤ ـ محمد قارة عمار : وزير منتدب للتشغيل .

١٥ ـ عبد القادر بن داود : وزير الفلاحة .

١٦ ـ حسن كحلوش : وزير الصناعة .

١٧ ـ الشريف رحماني : وزير التجهيز .

١٨ ـ الصادق بوسنة : وزير المناجم .

١٩ ـ الهادي خذيري : وزير النقل .

٢٠ ـ حميد سيدي السعيد : وزير البريد والمواصلات .

٢١ ـ اكلي خديس : وزير الصحة .

٢٢ ـ عبد العزيز خلاف : كاتب الدولة للشؤون المغربية .

٢٣ ـ أحمد مجحودة : الأمين العام للحكومة .

(١) من هذه الأحزاب :

١ ـ حزب الطليعة الاشتراكي الشيوعي .

٢ ـ التجمع من أجل الثقافة الديمقراطية .

٣ ـ الحركة الديمقراطية للتجدد الجزائري. =

على شيءٍ فإنّما يدلّ على الرغبة في الحرية ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإنه يدلّ على عدم تبنّي مناهج واضحة الأمر الذي يزيد العدد في الأحزاب ، كما يدلّ هذا على الرغبة في الزعامة وعدم توحيد الجهود بين الأفكار المتقاربة . ويبرز بين هذه الأحزاب إضافةً إلى المجموعات الإسلامية التي ذكرناها حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، وهو الحزب الحاكم منذ الاستقلال، ويُعدّ علماني الاتجاه .

جرت الانتخابات المحلية في ذي القعدة ١٤١٠هـ (حزيران ١٩٩٠م) فحصلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على ٥٥٪ من أصوات الناخبين على حين حصلت جبهة التحرير الوطنية على ٣٥٪ تقريباً.

وبعد شهرٍ من تلك الانتخابات حدث خلاف داخل جبهة التحرير

= ٤ ـ الحزب الاجتماعي الديمقراطي .
٥ ـ الحزب الاشتراكي الديمقراطي .
٦ ـ المنظمة الاشتراكية للعمال .
٧ ـ حزب الله بقيادة جمال الدين الباردي .
٨ ـ حزب جبهة التحرير الجزائري .
٩ ـ جبهة الإنقاذ الإسلامية بقيادة عباس مدني .
وقد أعلن حزبان مقاطعة انتخاب البلدية ، وهما :
١ ـ جبهة القوى الاشتركية بقيادة حسين آيت أحمد ؛ الذي عاد من المنفى بعد مرور ثلاث وعشرين سنة .
٢ ـ الحركة من أجل الديمقراطية برئاسة أحمد بن بلّه الذي لا يزال في المنفى .
وتطالب سبعة أحزاب بتأجيل موعد الانتخابات ريثما تكتمل استعدادتها لخوض المعركة .
ويقضي قانون الانتخابات الي أُقرّ في ١٨ رجب ١٤٠٩هـ (٢٣ شباط ١٩٨٩م) :
أ ـ أن الحزب الذي ينال غالبية الأصوات يحصل على مقاعد تتناسب مع الأصوات التي نالها . بينما كان القانون السابق يقضي بالحصول على المقاعد كلها .
ب ـ إذا لم يفز حزب بغالبية الأصوات فإن الحزب الذي يحصل على أكبر نسبة من الأصوات ينال نصف المقاعد ، ويوزع النصف الآخر بالنسبة التي يحصل عليها كل حزب .
وتطالب جبهة الإنقاذ الإسلامية بحلّ المجلس النيابي الذي تنتهي مدته عام ١٩٩٢م ، وإجراء انتخابات مبكرة . لكن الحكومة تؤكد بالمحافظة على موعد إجراء الانتخابات .

الوطنية «الحزب الحاكم» وذلك بشأن مجال الإصلاح الاقتصادي والسياسي فاستقال رئيس الوزراء، ومعه أربعة وزراء من مكتب الحزب السياسي.

أعيد تشكيل مجلس الوزراء، وفصلت وزارة الدفاع عن رئاسة الوزراء وذلك لأول مرةٍ منذ عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

وفي مطلع عام ١٤١١هـ (تموز ١٩٩٠م) وافق الرئيس الشاذلي بن جديد على طلب الجبهة الإسلامية للإنقاذ بإجراء انتخاباتٍ عامةٍ مبكرةٍ، وأعلن عن إجراء الانتخابات في منتصف عام ١٤١١هـ (مطلع عام ١٩٩١م).

وفي شهر آب ١٩٩٠م صدر عفو عام أُفرج بموجبه عن آلاف السجناء السياسيين، ثم سمح للرئيس الأسبق أحمد بن بلاّ بالعودة من المنفى.

وفي شهر آذار ١٩٩١م قامت نقابة المواصلات الجزائرية بمظاهراتٍ احتجاجاً على ارتفاع الأسعار، هذا رغم ارتباط هذه النقابة بالحزب الحاكم جبهة التحرير الوطنية.

وفي منتصف رمضان ١٤١١هـ (مطلع شهر نيسان ١٩٩١م) أعلن الرئيس الشاذلي بن جديد إجراء أول انتخابات عامة متعددة الأحزاب سوف تجري في ١٥ ذي الحجة ١٤١١هـ (٢٧ حزيران ١٩٩١م)، وطالبت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن تكون الانتخابات الرئاسية متزامنة مع الانتخابات العامة أو بعدها بقليلٍ.

وبعد عيد الفطر (أيار) نظّمت الجبهة الإسلامية للإنقاذ إضراباً عاماً، وقامت بتظاهراتٍ مطالبةً باستقالة الرئيس الشاذلي بن جديد لضمان حرية الانتخابات، كما طالبت بإجراء تغييرات في قانون الانتخابات، ووقعت مواجهات بين الإسلاميين وبين قوات الأمن تمخّضت عن سقوط عددٍ من الضحايا، وإثر ذلك أعلن الرئيس حالة الطوارئ في الدولة، وقبول

استقالة رئيس الوزراء وحكومته. وعين وزير الخارجية السابق أحمد الغوزالي رئيساً جديداً للوزراء.

وبعد أسبوع آخر من الاضطرابات توصّلت جبهة التحرير الوطنية، والجبهةُ الإسلاميةُ للإنقاذ إلى حلٍّ وسط، إذ تخلّت الجبهة الإسلامية عن الإضراب، وتقرّر إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية قبل منتصف عام ١٤١٢هـ (قبل نهاية عام ١٩٩١م).

وفي أواخر عام ١٤١١هـ (منتصف حزيران ١٩٩١م) أعيد تشكيل الوزارة من جديد، وقبل أقل من أسبوعين وقعت أحداث عنفٍ بين الإسلاميين وقوات الأمن، استقال إثرها الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد من منصب رئاسة جبهة التحرير الوطنية، واعتقلت وحدات من الجيش حوالي سبعمائة فردٍ من الجبهة الإسلامية للإنقاذ، كما احتلت مقر قيادة الجبهة، وكان من بين المعتقلين رئيس الجبهة الإسلامية عبّاسي مدني، ونائبه علي بلحاج، وكان عبّاسي مدني قد هدّد بإعلان الجهاد إن لم تُلْغَ حالة الطوارئ. وقد اتهمته السلطات الحكومية بالعمل لقيام حركةٍ مسلحةٍ ضد الدولة.

ألغيت حالة الطوارئ في ربيع الأول ١٤١٢هـ (أواخر أيلول ١٩٩١م). وعُدّل قانون الانتخابات حيث تضمّن زيادة عدد مقاعد الجمعية من ٢٩٥ مقعداً إلى ٤٣٠ مقعداً كما تضمّنت جعل سنّ المرشح ٢٨ عاماً بدلاً من ٣٥ عاماً.

وفي ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ (٢٦ كانون الأول ١٩٩١م) جرت الجولة الأولى من الانتخابات حيث جرى الاقتراع على ٢٣١ مقعداً من أصل ٤٣٠ مقعداً من مقاعد الجمعية الشعبية الوطنية. وكانت النتائج كما يأتي:

حصلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على	١٨٨	مقعداً.
حصلت جبهة القوى الاشتراكية على	٢٥	مقعداً.

حصلت جبهة التحرير الوطنية على	١٥	مقعداً.
فاز المستقلون بـ	٣	مقاعد.
	٢٣١	مقعداً.

اتّهم الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطنية) أن الانتخابات قد تخلّلها إكراه بالتهديد على نطاقٍ واسع، وأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد أساءت التصرف بالانتخابات. وتقرر أن تكون الجولة الثانية في الدوائر الانتخابية الباقية في ١٩٩ دائرة انتخابية في ١٢ رجب ١٤١٢هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٩٢م). ولكن قبل ذلك باثني عشر يوماً تمّ حل الجمعية الشعبية الوطنية بمرسومٍ جمهوري.

٥ رجب ١٤١٢هـ (١١ كانون الثاني ١٩٩٢م) استقال الرئيس الشاذلي بن جديد.

في اليوم التالي ألغى مجلس الأمن الأعلى الذي يضمّ رئيس الوزراء وثلاثة ضباط كبار ووزيرين الجولة الثانية للانتخابات.

١٢ رجب تمّ تعيين المجلس الأعلى للدولة ليقوم بتصريف أعمال الرئاسة حتى تنتهي مدة الشاذلي بن جديد بعد سنة تقريباً (كانون الأول ١٩٩٣م).

ويضمّ المجلس الأعلى للدولة:

١ ـ محمد بوضياف رئيساً، وهو في المنفى منذ عام ١٩٦٤م.

٢ ـ خالد نزار: وزير الدفاع.

٣ ـ علي هارون: وزير حقوق الإنسان.

٤ ـ أحمد غوزالي: رئيس الوزراء.

٥ ـ الشيخ تيجاني هدام: موجه الجامع الكبير في باريس.

٦ ـ علي كافي: رئيس الهيئة الوطنية للمحاربين القدماء.

وقد وقع خلاف من قبل التنظيمات جميعها بما فيها جبهة التحرير الوطنية حول الشرعية الدستورية للمجلس الأعلى للدولة. وطالبت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعودة الشرعية فاحتلت قوات الأمن مكاتب الجبهة الإسلامية للإنقاذ في أواخر رجب ١٤١٢هـ (مطلع شهر شباط ١٩٩٢م)، وأعلن المجلس الأعلى للدولة في ٦ شعبان ١٤١٢هـ (٩ شباط ١٩٩٢م) حالة الطوارئ لمدة سنةٍ كاملةٍ، وفتحت مراكز الاعتقال في الصحارى.

وفي رمضان ١٤١٢هـ (آذار ١٩٩٢م) أعلنت السلطات الحكومية حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

وفي شهر شوال ١٤١٢هـ (نيسان ١٩٩٢م) أعلن محمد بوضياف بصفته رئيساً للمجلس الأعلى للدولة إنشاء مركزٍ وطني للإشراف على حقوق الإنسان ليحلّ محل وزارة حقوق الإنسان. وإنشاء مجلسٍ استشاري وطني يتألف من ستين عضواً يجتمع مرةً في الشهر في مبنى الجمعية المعلقة أعمالها، مع أن هذا المجلس لم يمنح أية صلاحياتٍ تشريعيةٍ.

وفي شهر ذي الحجة ١٤١٢هـ (حزيران ١٩٩٢م) اقترح محمد بوضياف عقد اجتماع وطني لوحدة الصف بتشكيل لجان في كل قريةٍ للإعداد إلى (ديمقراطية) حقيقية متعددة الأحزاب. ووعد بمراجعة الدستور، وحل جبهة التحرير الوطنية، وإجراء انتخاباتٍ رئاسيةٍ، وأمر بالإفراج عن ألفي معتقل من الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

وفي ٢٧ ذي الحجة ١٤١٢هـ (٢٧ حزيران ١٩٩٢م) قُدّما زعيما الجبهة الإسلامية للإنقاذ عبّاسي مدني، وعلي بلحاج إلى محكمةٍ عسكريةٍ في مدينة «بليدة» بتهمة التآمر ضدّ الدولة. ولكن تأجّلت الجلسة بعد انسحاب محامي الدفاع.

وفي ٢٩ ذي الحجة ١٤١٢هـ (٢٩ حزيران ١٩٩٢م) اغتيل محمد بوضياف، وهو يلقي خطاباً في مدينة «عنّابة»، وحلّ علي كافي محل محمد

بوضياف في رئاسة المجلس الأعلى للدولة، كما تمّ تعيين رضا مالك رئيس المجلس الاستشاري الوطني عضواً جديداً في المجلس الأعلى للدولة.

وفي ٨ المحرم ١٤١٣هـ (٨ تموز ١٩٩٢م) قدم رئيس الوزراء أحمد غوزالي استقالة حكومته ليفسح المجال أمام رئيس المجلس الأعلى للدولة علي كافي لاختيار رئيس حكومةٍ جديد.

كلّف علي كافي برئاسة الحكومة بلعيد عبد السلام الذي كان يدير سياسة النفط والغاز مدة عشرين سنةً كاملةً في الجزائر. وفي منتصف الشهر تشكلت الحكومة الجديدة.

وفي نهاية الشهر صدر حكم بالسجن مدة اثني عشر عاماً على زعيمي الجبهة الإسلامية للإنقاذ عبّاسي مدني، وعلي بلحاج، فقامت احتجاجات وتظاهرات في مدينة الجزائر وسرعان ما امتدت إلى بقية المدن.

وفي ١٦ صفر ١٤١٣هـ (١٥ آب ١٩٩٢م) دعا علي كافي إلى حوار تحضره الأحزاب كلها يعقد في الشهر القادم لإنهاء الصراع المدني.

اعتقل مدير أمن الرئاسة المقدّم مجبر عبد الوهاب، وقائد الحرس الرئاسي النقيب سايح صادق لأمورٍ تتعلق باغتيال محمد بوضياف.

وفي شهر شعبان ١٤١٣هـ (شباط ١٩٩٣م) تجدد الحكم العرفي إلى مدةٍ غير محدودةٍ، وتبع ذلك محاولة لاغتيال اللواء خالد نزار.

واقترح بلعيد عبد السلام فتح حوار مع المنظمات شبه العسكرية غير الرسمية.

وفي شهر رمضان ١٤١٣هـ (آذار ١٩٩٣م) التقى علي كافي مع ممثلين عن الهيئة الوطنية للمحاربين القدماء، وجبهة التحرير الوطنية، وصدر بيان رئاسي ينص على:

١ ـ توسعة المجلس الاستشاري الوطني.

٢ ـ تعديل الدستور.

٣ ـ وضع صيغة مقبولة للحكم لمرحلةٍ انتقاليةٍ.

وفي شهر ذي الحجة ١٤١٣هـ (حزيران ١٩٩٣م) أعلن المجلس الأعلى للدولة أنه سيحل نفسه بعد ستة أشهرٍ (نهاية كانون أول ١٩٩٣م).

وفي بداية عام ١٤١٤هـ (تموز ١٩٩٣م) حلّ أمين زروال مكان خالد نزار كوزيرٍ للدفاع، مع بقاء خالد نزار في عضوية المجلس الأعلى للدولة.

وفي شهر ربيع الأول ١٤١٤هـ (آب ١٩٩٣م) كلّف رضا مالك بتشكيل الوزارة مع احتفاظه بعضوية المجلس الأعلى للدولة. وفي اليوم نفسه اغتيل رئيس الوزراء الأسبق قاضي مرباح، وكان يشغل منصب قائد الحركة الجزائرية للعدل والتطوير.

وقبل الموعد الذي ضربه المجلس الأعلى للدولة ليحلّ نفسه أعلن أنه لن يُحلّ قبل انتخاب هيئة رئاسية في مؤتمر الحوار الوطني الذي سيعقد في شهر شعبان ١٤١٤هـ (كانون الثاني ١٩٩٤م)، وقد قاطعت أحزاب المعارضة الرئيسية المؤتمر باستثناء حركة حماس التي يتزعمها محفوظ نحناح. ونتيجة المؤتمر تمّ تعيين وزير الدفاع أمين زروال رئيساً للدولة لمدة ثلاث سنوات وذلك من قبل المجلس الأعلى للدولة. وبناءً على توصية مجلس الأمن الأعلى الذي يضمّ ثمانية أعضاء من كبار ضباط الجيش، وتمّ ذلك في ١٩ شعبان ١٤١٤هـ (٣١ كانون الثاني ١٩٩٤م) وخلال المرحلة الانتقالية ستتم انتخابات رئاسية، وتعيين مجلس انتقال وطني. واحتفظ رئيس الدولة أمين زروال بحقيبة وزارة الدفاع، وبقي مجلس الوزراء كما هو دون أي تغييرٍ.

وفي غرّة ذي القعدة ١٤١٤هـ (١١ نيسان ١٩٩٤م) استقال رضا مالك من رئاسة مجلس الوزراء، وأخذ منصبه مقداد سيفي، وهو وزير

تجهيزات سابق، واحتفظ اثنا عشر وزيراً بحقائبهم الوزارية في الحكومة الجديدة التي أعلن عنها في ٥ ذي القعدة.

عيّن الرئيس أمين زروال المقربين إليه في مناصب حسّاسة ومنهم اللواء أحمد قايد الذي تمّ تعيينه قائداً للقوات البرية. وافتتح الرئيس في الشهر نفسه مجلس الانتقال الوطني، وهو هيئة تشريعية موقتة تضم مائتي عضو لمناقشة القضاية العامة ريثما يتم إجراء الانتخابات التشريعية. وانتخب عبد القادر بن صالح رئيساً للمجلس. وادعت الحكومة أن عدد الأحزاب التي شاركت في المجلس بلغ ٢١ حزباً ولكنها كانت في الواقع غير معروفة سوى «حماس» حيث كانت المقاعد الاثنان والعشرون التي كانت مخصصة للأحزاب الكبرى بقيت خاليةً.

وجرى الحوار عدة مرات غير أن الأحزاب الرئيسية كانت تقاطعه لعدم الجدية، ومحاولة فرض الرأي، والقرارات المسبقة.

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٤١٥هـ (١٥ أيلول ١٩٩٤م) تمّ الإفراج عن عبّاسي مدني، وعلي بلحاج، وثلاثةٍ من رجال التنظيمات الإسلامية شبه العسكرية. ولكن وضع زعيما الجبهة الإسلامية للإنقاذ تحت الإقامة الجبرية. وقدّمت وزيرة الدولة لشؤون التضامن الوطني والأسرة «ليلى السلاوي» استقالتها احتجاجاً على إطلاق سراح هؤلاء السجناء.

ولم تشارك الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الحوار الوطني معلنة أن الحوار لن يتمّ إلاّ بعد إصدار عفوٍ عام، وبعد ردّ الاعتبار للجبهة، وبعد إلغاء حالة الطوارئ. وهددت مجموعة الجيش الإسلامية بالانتقام إذا دخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في حوارٍ مع النظام.

وعملت الحركة البربرية للثقافة والديمقراطية على مقاطعة بدء العام الدراسي، وقامت بإضراب احتجاجاً على استبعاد اللغة البربرية من المنهج. وحاولت الحكومة تشكيل لجنة وطنية لتدريس اللغة البربرية. ولكن الحركة

البربرية أعلنت استمرار مقاطعتها المنشآت التعليمية حتى يُؤكّد للبربر لغة وطنية رسمية.

وفي أواخر جمادى الأولى ١٤١٥ هـ (نهاية تشرين الأول ١٩٩٤م) أعلن الرئيس أمين زروال أن الانتخابات الرئاسية ستجري قبل نهاية عام ١٩٩٥م، وقد رحّب الكثيرون بهذا الإعلان وانتقده آخرون لضيق الوقت، وتساءل فريق ثانٍ عن الغاية من هذه الانتخابات فيما إذا الجبهة الإسلامية للإنقاذ ستستبعد عن العملية السياسية.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (تشرين الثاني ١٩٩٤م) حضر ممثلون عن معظم الأحزاب الجزائرية الكبرى، ومنها الجبهة الإسلامية للإنقاذ مؤتمراً في روما بإيطاليا لمدة يومين نظّمته جالية «سانت إيجيديو» لرعاية المباحثات عن الأزمة الجزائرية، غير أن الحكومة الجزائرية انتقدت ذلك المؤتمر بشدة، وعدّته تدخّلاً في شؤونها الداخلية، وقد صادق المشتركون في المؤتمر جميعاً في اجتماعٍ لاحقٍ في روما جرى في شعبان ١٤١٥هـ (كانون الثاني ١٩٩٥م) على وثيقةٍ رفضت استخدام العنف للوصول إلى السلطة أو الحفاظ عليها، وحثّت النظام مطالبةً إيّاه بإلغاء الطوارئ وبذلك تُمهّد الطريق للمفاوضات بين الأطراف جميعها.

وفي جمادى الأولى ١٤١٥هـ (تشرين الأول ١٩٩٤م) أدانت منظمة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية قوات الأمن الجزائرية لاستخدام وسائل التعذيب على نطاقٍ واسعٍ والقتل المتعمّد للمعارضين من الإسلاميين بدلاً من الاعتقال. ذلك أن محاولة المسؤولين في الحفاظ على السلطة وتمسكهم الشديد بها قد جعل موقفهم متعنّتاً، واستبدادهم بشعاً، واتخاذهم للوسائل وحشياً حتى وصل بهم الأمر إلى تصفية بعض خصومهم، ثم اتهام الجبهة الإسلامية للإنقاذ بتلك العمليات، وتردد وسائل الإعلام العالمية المعادية للإسلام والمسلمين ذلك، في سبيل إلصاق فكرة الإرهاب بالملتزمين بالإسلام.

الصّراعات الدّاخليّة

تبلغ مساحة الجزائر ٢,٣٨١,٧٤١ كيلومتراً مربعاً ، ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٠هـ أربعةً وعشرين مليوناً ، غير أن معظم السكان يقيمون في المناطق الأطلسية والسهول الساحلية والنجود ، والتي لا تزيد مساحتها على ١٠٪ من مساحة البلاد ، أما الصحراء التي تبلغ مساحتها ٩٠٪ من البلاد فلا يسكنها سوى أعداد قليلة لا تزيد كثيراً على ١٪ من السكان، وغالبيتهم يتجمّعون في واحات.

يكاد يتجانس السكان عقدياً لذلك لا نكاد نجد صراعاً يحمل أحد هذين الجانبين ، وإن كان هذا لا يمنع من استغلال الجانب البشري في الصراع أو تحريكه بأيدٍ أجنبيةٍ نتيجة عدم الوعي . وأكثر ما يحدث الصراع في الجزائر نتيجة دوافع شخصيةٍ أو تستغل هذه الناحية .

المجموعات البشرية: يتألّف السكان الأصليون من ثلاث مجموعاتٍ رئيسيةٍ ، وهي : العرب ، والبربر ، والزنوج ، وإن كانت المجموعة الأخيرة لا تشكّل إلاّ نسبةً ضئيلةً لا تصل إلى ١٪ ، أما المجموعتان الأساسيتان فهما العرب والبربر .

ثم جاءت مجموعتان دخيلتان ، وهم الأوربيون واليهود ، وإن كنا نستطيع أن نعدّها مجموعةً واحدةً ، إذ كانت مصالحهما واحدةً خلال

الأزمات ، كما يعدّون أنفسهم فئةً واحدةً ، وهي لا تزيد الآن على ٠,٥٪ بل لا تصل إلى هذه النسبة أبداً .

أولاً : السكان الأصليون : وهم ثلاث مجموعات .

أ ـ العرب : ويمثّلون غالبية سكان الجزائر ، وتبلغ نسبتهم ٧٠٪ ، ويقيمون في المناطق الساحلية والداخلية على حدٍّ سواء ، وقد جاء أكثرهم مع الفتح الإسلامي ، ومع هجرة بني هلال وبني سليم ، إضافةً إلى هجراتٍ متواليةٍ على مراحل التاريخ الإسلامي ، فالانتقال لا موانع له ما دام المنتقل مسلماً، وديار الإسلام داره ، وجنسيته عقيدته ، فأينما سار وجد إخوة ، ووجد الأبواب مفتّحةً له ، لذلك كثيراً ما كان المسلمون ينتقلون من بلاد العرب إلى الجزائر ، حتى غدوا أكثرية سكانها .

ب ـ البربر : ويمثّلون ما يقرب من ٢٩٪ من مجموع السكان ، ويقيم أكثرهم في المناطق الجبلية ، وخاصةً في (أوراس) و (القبائل) ، كما يعيش قسمٌ منهم في (وادي ميزاب) منطقة (غرداية) ، إضافةً إلى الطوارق الذين يتنقّلون في الجنوب .

جـ ـ الزنوج : ويقيمون في المناطق الجنوبية ، وهم أقسام ، ومنهم الزنوج الهجناء الذين ظهروا نتيجة اختلاط البربر بالزنوج .والحرطانيون الذين جيء بهم من وسط إفريقية في عهد الرقيق ، ثم تركّزوا في (سوف) و(ورغلة) و (توات) ، وارتبطوا بالأرض ، وأخذوا يمارسون حرفة الزراعة .

وما دام هؤلاء جميعاً يعتقدون عقيدةً واحدةً وهي الإسلام ، لذلك لا يمكن أن تقوم صراعات بين هذه المجموعات ، وخاصةً أن الزنوج مرتبطون بالأرض ، ويعيشون في مناطق نائيةٍ عن مركز السلطة وتجمّع السكان ، كما أنهم متباعدون بعضهم عن بعض لذلك فهم لا يفكّرون بموضوعات الصراع، كما أن نسبتهم الضئيلة لا تسمح لهم إن فكّروا بذلك . وأما البربر فهم يشكّلون نسبةً يمكن أن تدخل في صراع مع العرب غير أن إخوة الإسلام

تجمعهم ، ومنذ أن دانوا بالإسلام لم يحدث صراعٌ بينهما إلّا في حالاتٍ محدودةٍ ، وتنتهى ، غير أن قسماً منهم قد أخذ برأي الخوارج ، وقاتلوا ، غير أن قتالهم لم يكن كمجموعةٍ بشريةٍ ، وإنما كعقيدة ، وهذا ما سنتطرّق له عند البحث عن الصراعات العقدية .

وإن كان هذا لا يمنع من أن يستغلّ زعيمٌ أو ثائرٌ العصبية القومية لمصلحته ، وربما لقي دعماً من بعض أبناء قومه نتيجة البعد عن الإسلام أو بالأحرى عدم المعرفة الصحيحة للإسلام ، ونتيجة العصبية أو الحمية الجاهلية التي قضى عليها الإسلام ، وهذا ما نلاحظ أثره في بعض الحركات التي قامت بعد الاستقلال مثل حركة حسين آيت أحمد ، وكريم بلقاسم ، وغيرهم ممن قاموا بحركاتٍ شخصيةٍ ، إذا اعتصموا في مناطقهم ، ووجدوا تأييداً من باب الحمية الجاهلية .

ويجب ألا ننسى أن الاستعمار الصليبي كان يحرص حرصاً شديداً على إثارة هذه الحمية الجاهلية بين الفريقين كي يحقّق بعض مصالحه ، وربما كان يصل أحياناً إلى بعض النجاح الجزئي ، لكن لا تلبث أن تثوب العقول إلى رشدها ، وتعود إلى صوابها من الطرفين فترمي بالعصبية الجاهلية ، وتعود إلى الأخوة الإسلامية ، ويلتقي بعضها مع بعض ضدّ العدوّ المشترك وهو الدخيل الصليبي .

ثانياً ـ الدخلاء : وهم مجموعتان : الأوربيون ، واليهود ، وكلاهما يمكن تصنيفه ضمن المجموعات البشرية ، كما يمكن وضعهما ضمن مجموعات العقيدة حيث الأغلبية الساحقة من المجموعة الأولى من النصارى ، والثانية من اليهود .

أ ـ الأوربيون : ويرجعون إلى أكثر من عشر جنسيات ، منهم : الفرنسيون ، والطليان ، والسويسريون ، والألمان ، والمالطيون ، واليونان ، والإسكندنافيون ، والإسبان و . . . . ، وكلهم لا يصل عددهم إلى المائة ألف ، فهم يشكّلون أقل من ٠,٥ ٪ ، وكلهم قد بدؤوا يستقرّون في الجزائر

بعد الاستعمار الفرنسي لها ، وقد أصبح عددهم يوم قيام الثورة :

٨٢٣,٠٠٠	فرنسيون
٦٠,٠٠٠	بقية الأوربيين
٣٨٣,٠٠٠	

وكانوا يشكّلون يوم ذاك أكثر من ١٠٪ من السكان ، إذ كان عدد المسلمين آنذاك ٨,٣٦٤,٦٥٢ مسلم . وكانت فرنسا ترغب في جعل الجزائر مقاطعةً فرنسيةً ، لذا كانت تشجّع الفرنسيين خاصة والأوربيين عامة على الهجرة إلى الجزائر ، وتفرض على كل من يأتي من الأوربيين إلى الجزائر أن يكتسب الجنسية الفرنسية . كما كانت تطلب وتشجّع الجزائريين على التجنس بالجنسية الفرنسية للغاية نفسها ، وقد وافق على ذلك عددٌ من الجزائريين ؛ بغية الحصول على بعض الميزات التي كانت للأوربيين ، والتي لم يكن ليحصل عليها أهل البلاد أبداً بل ولا على جزءٍ منها .

وفي عام ١٢٤٧هـ (١٨٣١م) غادر بعض الألمان والسويسريين بلادهم متجهين نحو أمريكا ، فبذلت السلطات الفرنسية كل ما في وسعها لتوجيههم نحو الجزائر ، وقدّمت لهم الأرض الطيّبة ، والحيوانات ، والبذور .

١ ـ **الفرنسيون** : كان الجنرال « بيجو » يرغم الجنود الذين أنهوا مدة خدمتهم بالجندية في الجزائر على البقاء فيها ، ويمنحهم الأرض . واقترح على حكومته تحويل الجنود إلى فلاحين في الجزائر ، غير أن مشروعه قد رُفض ، وكان هذا من جملة أسباب تقديم استقالته عام ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م) .

وفي عام ١٢٥٧هـ استقدمت الحكومة الفرنسية عائلات من بلادها ، وبنت لهم قرى على الساحل الجزائري ، ومنحتهم الأراضي .

وعندما أثار الحزب الاشتراكي مشكلاتٍ في فرنسا ، ووقع الخلاف بينه وبين الحزب الجمهوري ، وانتصر الجمهوريون ؛ طردوا مائة ألف عامل ممن أثاروا المشكلات ، وحملوهم إلى الجزائر ، ومنحوهم الأراضي، حيث كانت

المساحات الموزّعة بين هكتارين وعشرين هكتاراً ، واشترطت عليهم استغلال هذه الأراضي خلال ثلاث سنوات؛ وإلّا استرجعتها الحكومة منهم، وذلك عام ١٢٦٤هـ ، غير أن الكثير منهم قد رجعوا ، إذ لم يجيدوا الزراعة ، فأكثرهم من مدينة باريس ، ومن الذين اعتادوا على الصناعة ، ثم إن انتشار مرض الكوليرا في تلك المرحلة قد أهلك عدداً منهم ، وخاف عدد ، واكتفى من الغنيمة بالإياب .

كان استيطان الفرنسيين في الجزائر إجبارياً في بداية الاحتلال ، وتوزيع الأراضي على المستوطنين مجاناً ، ثم أعطي الفرنسيون الحرية في الاستيطان مع التشجيع وتقديم الأراضي بأسعار رمزية ، غير أن هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) وفقدها الألزاس واللورين لصالح عدوتها جعلها تعود إلى سياستها الأولى ، إذ حملت بعض سكان الألزاس واللورين مع الذين أتلفت الآفات الزراعية حقول عنبهم ، ونقلتهم إلى الجزائر ، ووزّعت عليهم الأراضي مجاناً شريطة الاستقرار في الجزائر .

وأخذ المستوطنون يزحفون نحو الداخل بعد أن ملؤوا الساحل ، وكان لا يسمح لأي مستوطن أن يبيع أرضه ، أو قسماً منها ، أو داره ؛ إلّا لمستوطن آخر، ويحرم بيعها لمسلم . وهكذا زادت ملكية الأوربيين للأرض ، ويمكن ملاحظة هذا من الجدول الآتي :

عام ١٢٦٦هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	١٥٠,٠٠٠ هكتار.
عام ١٢٨٧هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	٧٦٥,٠٠٠ هكتار.
عام ١٢٩٨هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	١,٢٤٥,٠٠٠ هكتار.
عام ١٣٠٨هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	١,٦٣٥,٠٠٠ هكتار.
عام ١٣١٨هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	١,٩١٢,٠٠٠ هكتار.
عام ١٣٣٨هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	٢,٥٨١,٠٠٠ هكتار.
عام ١٣٥٩هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	٣,٠٤٥,٠٠٠ هكتار.
عام ١٣٧٤هـ	كانت المساحات الممتلكة للمستوطنين الأوروبيين	٣,٠٢٨,٠٠٠ هكتار.

وهذا ما يعادل ١٥٪ من مساحة الأراضي الخصبة في الجزائر ، والتي كانت مساحتها يومذاك ٢٠,٨٣٠,٠٠٠ هكتار ، على حين أن نسبتهم من السكان لا تزيد على ١٠٪ ، وقد حصلوا على هذه الأراضي الطيّبة مجاناً وبمدةٍ قصيرةٍ ، فأصبحوا أثرياء ، ولهم نفوذ ، ومنهم المتعلّمون ، وكل ما في البلاد كأنه مخصّصٌ لهم ، فلتنظر إلى التعليم في العام الذي سبق الثورة الجزائرية :

المستوى	عدد الطلاب المسلمين	عدد الطلاب الأوربيين
الابتدائي	٢٦٩,٠٠٠ [وبقي ١,٩٦٩,٠٠٠ دون تعليم]	١٣٥,٠٠٠ [هذا عدد جميع الطلاب]
الثانوي	٤,١٥٩	٢٤,٠٠٠
جامعة الجزائر	٥٠٧	٥,١٣٢

٢ ـ **الطليان** : بعد أن احتلّت فرنسا الجزائر سمحت للإيطاليين بالهجرة إلى الجزائر كردٍّ فعلٍ للجميل الذي قدّمه الإيطاليون من مساعداتٍ في نقل المعدات والمواد إلى الجيش الفرنسي الباغي المعتدي ، وكان يحدو الطليان إلى الهجرة البطالة ، والفرار بعد الثورات ، وسيلان لعاب الأثرياء في امتلاك المساحات الواسعة من الأرض الجزائرية الخصبة . وكانت أعدادٌ منهم تعمل في مدّ السكك الحديدية، ولقد وفد أكثرهم بعد أن قضت فرنسا على مقاومة محمد المقراني والحداد عام ١٢٩١هـ ، وقد وصل عددهم إلى أربعة وأربعين ألفاً عام ١٣٠٧هـ ، ولكن قلّ بعد ذلك ؛ لأن بعضهم قد رفض الجنسية الفرنسية التي كانت تُعطى إلزامياً لمن يُولد في الجزائر ، لذا فقد رجع قسمٌ منهم ، ومن بقي منهم قبيل الحرب العالمية الأولى يُقدّر بخمسةٍ وثلاثين ألفاً ، وغالباً ما يسكنون السواحل الشرقية .

٣ ـ **الإسبان** : وقد جاء معظمهم من جنوب شرقي إسبانيا ، وأقاموا في منطقة وهران ، ووصل عددهم قبيل الحرب العالمية الأولى إلى مائةٍ وخمسةٍ وخمسين ألفاً .

٤ ـ ثم هناك الألمان ، والسويسريون ، و . . . ، ونلاحظ توزّع

الأوربيين عام ١٣١٩هـ حسب الجنسيات على النحو التالي :

الفرنسيون	٣٩٤,٢٥٧	سويسريون	٣,٢٠٠
الإسبان	١٥٥,٢٦٥	بلجيكيون	١,٣٦٩
الطليان	٣٨,٧٩١	إنكليز	١,١٧١
مالطيون	١٢,٨١٥	نمساويون	٠,٣١٣
ألمان	٣,٣١٩		

وهناك أعدادٌ قليلةٌ من : روسيا ، وهولندا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، والدول الإسكندنافية .

وقد أخذ الأوربيون بالزيادة حتى الثورة الجزائرية ، ثم أخذوا بالتناقص حسب الجدول الآتي :

١٣٢٩هـ	٧٥٠,٠٠٠
١٣٣٩هـ	٧٩٠,٠٠٠
١٣٥٠هـ	٨٨٠,٠٠٠
١٣٧٤هـ	٨٨٣,٠٠٠

ثم أخذوا بالتناقص :

١٣٨٣هـ	١٠٠,٠٠٠
١٣٨٦هـ	٦٠,٠٠٠
١٣٨٧هـ	٥٠,٠٠٠

وهم من الفنيين ، والمدرسين ، الموظفين في منظمة التعاون الفني الجزائري ـ الفرنسي .

ب ـ **اليهود** : ويحسبون دائماً على الاستعمار الفرنسي ، ويعدّون ضمن المجموعة الأوربية ، وهذا لا يعني أنهم يعودون إلى أصولٍ أوربيةٍ ، وينظر إليهم من هذا الجانب ، لا ، فالواقع أن قسماً منهم يرجع إلى أصلٍ بربريٍّ ، واعتنق اليهودية ، فارتبط مع أتباعها ارتباطاً وثيقاً ، غير أن ارتباطهم مع الاستعمار الفرنسي إنما يعود إلى المصلحة قبل كل شيء ، فمن المعروف أن

اليهود أصحاب مصلحة ، ولا يسيرون في دربٍ إلاّ إذا كانت لهم فيه منفعة أو لأبناء عقيدتهم ، وهم قد أفادوا من الاستعمار الفرنسي كثيراً ، وحصلوا على أرباحٍ وفيرةٍ ، وفي الوقت نفسه فقد استفاد منهم الاستعمار . لذا فقد عدّهم ضمن المجموعة الأوربية ، وأخذوا كل الميزات التي كانت للأوربيين .

ويعيش اليهود عادةً في المدن ، وأهمّ مراكز حياتهم في الجزائر إنما هو في العاصمة ، وتلمسان ، وقسنطينة . ولما كان ارتباطهم بالاستعمار الفرنسي ، وإفادتهم منه كثيراً ، لذا فإنهم لم يهاجروا إلى فلسطين عندما قامت لهم دولةٌ ، أو أقيمت على الظلم والبغي ، وإنما بقوا في الجزائر يحقّقون لأنفسهم الأرباح ، ويخدمون دولتهم بتأمين مصالحها من المستعمرين الفرنسيين ، ولقد وصل عددهم في الجزائر قبيل اندلاع الثورة فيها إلى مائةٍ وخمسين ألفاً ، ولما أحسّوا بقوّة الثورة ، وإمكانية انتصارها بعدما أحرزته من نصرٍ عام ١٣٨٠هـ أخذوا ينسحبون من جانب فرنسا تدريجياً ، ويتسللون إلى فلسطين ، فبقي عددهم مائة وسبعة عشر ألفاً ، ومع فرار المستعمرين هرب أكثرهم ، فلم يبقَ الآن أكثر من ألفٍ منهم في البلاد .

ولقد حدث أعنف صراع بين مجموعة الدخلاء [الأوربيون واليهود] الذين استوطنوا في الجزائر وبين سكانها الأصليين ، لقد عمل الدخلاء في اغتصاب الأرض ، ونهب الأموال والأملاك من المواطنين ، ومن أجل ذلك عملوا على إذلال السكان ، وإبادتهم بمختلف الوسائل ، وكان اليهود عيوناً للمستعمرين ، وأداةً لهم يبطشون بها ، وسخروا أموالهم ، وأنفسهم ، وأعوانهم في سبيل ذلك ، وقد حقّق المستعمرون بعض النجاح في بداية الأمر ، فانتصروا على الثورات وحركات المقاومة ، واشتروا بعض الضعفاء والخونة ، ثم فشلوا ، وانتصر الحقّ ، وغادروا البلاد هاربين ، ولم يبقَ إلاّ من رضي عنه السكان الأصليون .

الصراعات العقدية: لا يوجد بين سكان الجزائر الأصليين سوى عقيدةٍ واحدةٍ هي الإسلام ، أما اليهود سواء الذين اعتنقوا اليهودية من البربر ، أم

اليهود الذين خرجوا من الأندلس عندما طُرد المسلمون منها ، واستقبلهم المسلمون ، فأقاموا في شمالي إفريقية ومنها الجزائر ، فهؤلاء اليهود لا يؤبه لهم لقلة عددهم . وما عدا السكان الأصليين فالدخلاء هم من النصارى ، ولهذا كان الصراع بين العقائد هو نفسه الصراع بين المجموعات البشرية ، فالدخلاء نصارى مع قلّةٍ من اليهود ، ولهذا كثيراً ما يُطلق على الأوربيين اسم نصارى ، لأن الاستعمار كان صليبياً ، فهو صراعٌ بين المسلمين والنصارى ، وأما السكان الأصليون فهم من المسلمين مع قلّةٍ قليلةٍ جداً من اليهود ، لذا كثيراً ما نستعمل كلمة المسلمين مرادفةً للجزائريين أو للعرب حتى بالنسبة إلى الذين لا يرون رأينا من المستعمرين أو من أصحاب العصبيات القومية والوطنية .

الصراعات الحزبية : لم تكن لتوجد صراعاتٌ بين الأحزاب في الجزائر ، وذلك لأنه عندما كانت تتعدّد الأحزاب كانت وجهتها واحدةً تقريباً ، وهي محاربة الاستعمار ، والعمل على الاستقلال أو على الأقل العمل على الاحتفاظ بالشخصية الجزائرية ؛ أو الإسلامية ، وكل الجهود كانت منصبّة في هذا الميدان مع شيءٍ من الخلافات المحلية القائمة على التباين في الفكر ؛ وقلّما كانت تظهر لعدم التميّز ، لأن أغلب السكان يومذاك كانوا لا يزالون على الفطرة ، حيث لم تكن الشيوعية قد اتخذت أخاديدها الإلحادية ، ولا بانت الرأسمالية بمجاريها العلمانية ، ولا توضّحت العصبيات بقنواتها المعادية للإسلام ، فالسكان جميعاً ينتمون للإسلام ، ولا يبدون غير ذلك ، والله أعلم بالسرائر . فلما استقلّت البلاد بقي حزبٌ واحدٌ ، هو الحزب الحاكم ، حزب جبهة التحرير الوطني ، ولا يسمح بالمعارضة أو المنافسة ، أو تأسيس حزب آخر .

وسُمح في الآونة الأخيرة بالتعددية الحزبية ، ووصل عدد الأحزاب قبل الانتخابات التي ستجري حسبما هو مخطّط في شهر ذي القعدة من عام ١٤١٠هـ (حزيران ١٩٩٠م) وصل إلى خمسةٍ وعشرين حزباً ، ولا شكّ أنها تضمّ

مختلف الأفكار المعروفة من إسلامية ، وعلمانية ، ومن أصحاب عصبيات ، وشيوعية ، واشتراكية ، ورأسمالية ، ومصلحية ، وتجمعات على أساس الزعامات ، والعصبيات المحلية ، وقد يتداخل بعضها مع بعض لعدم الوضوح الفكري الدقيق باستثناء الإسلاميين منها ، الذين لهم شخصيتهم المتميّزة ، وسلوكهم المتفرّد ، ومنهجهم الخاص بهم . وأكثر هذه التجمعات صغيرة ، ولكن بدا منها اتجاهان واضحان :

أولاً : الإتجاه الإسلامي الذي طغى على الشارع لطبيعة السكان الإسلامية ، ثم لانسجام الإسلام مع الفطرة البشرية ، وأخيراً لإفلاس جميع الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولتركها البشرية على هاوية الحرب دائماً ، وفي حالةٍ من الخواء الفكري ، والصراع المستمرّ ، والاستغلال الذي لا ينتهي ، والخداع الذي لا حدّ له حتى ضاق أصحاب هذه النظم أنفسهم بها ، وما أحداث أوربا الشرقية عنا ببعيد ، إذ ملّ الشيوعيون بأفكارهم التي يحملونها ، فانتفضوا يئدونها ، ويلقونها في الأرض ، ويدوسونها ، شاهدين على أنفسهم بالخطأ والضلال البعيد الذي كانوا يعيشون في ظلّه . فالإسلام عقيدة يؤمن به أتباعه أنه من عند خالق البشر للبشر أنفسهم ، وليس من وضع بقية البشر كبقية الأنظمة خاضع للنقض والمصلحة والتغيّر .

غير أن أصحاب هذا الإتجاه منقسمون على أنفسهم أيضاً ، فهم عدة إتجاهات تدخل فيما بينها في صراعات ، فرابطة الدعوة الإسلامية يغلب على شيخها أحمد سحنون الطيب إذ يمكن استغلاله من أي فئة حتى الرافضة التي أخذت تدخل إلى الجزائر حديثاً تستغلّه ، فليس غريباً أن يخدعه تنظيمٌ آخر بشيءٍ من الكلام المعسول أو الادعاء الباطل ولو مؤقّتاً ، وجمعية الإرشاد والإصلاح (الإخوان المسلمون) ينافسون أصحاب الاتجاه الإسلامي كمنافستهم لبقية الاتجاهات الأخرى ، فالحزبية عندهم أولاً ثم يأتي الاتجاه ثانياً ، لقد غدا التعصّب الحزبي واضحاً في هذه المجموعة ، فالجميع لديهم أحزابٌ بغضّ النظر عن الأفكار التي تحملها ، وربما كانت منافستهم للجماعات

الإسلامية أكبر ؛ لأنها منافسة على كسب أشخاصٍ يحملون أفكاراً إسلامية فالصراع على ربح الأفراد ، وضمّهم إلى صفوفهم قبل غيرهم ، وعلى البقاء ، والتمثيل للاتجاه . وهذا ما أخذ يظهر بتأييد حزب جبهة التحرير الوطني في الانتخابات بدعوى أنها تضمّ بعض عناصرهم ، فهم بزعمهم يؤيِّدون أفراداً لا اتجاهاً ، وهذا تفسيرٌ خاطىءٌ ، إذ أن هؤلاء الأفراد يمثِّلون الاتجاه ولا يمثِّلون أنفسهم فهم أفراد ضمن اتجاهٍ علمانيٍ .

أما بقية التنظيمات فيبدو أنها حتى الآن على شيءٍ من التفاهم ، والتنسيق ، والتأييد بعضها لبعض .

ثانياً : الاتجاه العلماني ، وتمثِّله عدة تجمعات ، والصراعات الحزبية بينها واضحة في سبيل الزعامة والمصلحة ، ونتيجة المسارات المتعددة في الشيوعية ، والرأسمالية ، والاشتراكية ، والعصبية ، والمهنية ، والإقليمية ، غير أن أكبرها على ما يبدو حزب جبهة التحرير الوطني ، إذ ضمّت أثناء حكمها ، وتفرّدها بالسلطة مدة الاستقلال كلها كل أصحاب المصالح والمنافع والأهواء والاتجاهات التي لا ترى مانعاً من ركوب أي تيارٍ لقطع مرحلةٍ من مراحل عملها للوصول لمبتغاها ، ولذا فإن الانقسام أخذ يظهر في هذا الحزب في سبيل القفز إلى القمة ، وأخذ كل فريق يتخذ نقطةً ينادي بها كي يبرز أو حتى يتميّز ، ومن هذه الرؤوس مثلاً عبد العزيز بوتفليقة الذي خبا نجمه منذ مدة ويريد الآن أن يعود للظهور ، فاتخذ نداءً له هو دعوة أحمد بن بلّة للعودة للبلاد ، وبهذا النداء أخذ يظهر على الساحة من جديد ، وكذا كل العناصر التي تريد لنفسها الزعامة ، وما أكثرهم ! ، فالحزب في بدايته تجمّعٌ من عناصر متباينةٍ ، ثم هو صاحب السلطة التي تكون دائماً مهوىً لتجمّع أصحاب المصالح ، بل ولأهل الأفكار المادية الذين يخفون أفكارهم مؤقّتاً ليرتعوا في مغانم السلطة ، وليكسبوا عناصر إلى جانبهم بحكم مركزهم الذي يشغلونه .

ومع الزمن وحتى الانتخابات ستتميّز التجمّعات بعضها عن بعض ، وربما يلتقي أحدها مع الآخر في سبيل منافسة تجمّعٍ ثانٍ قوي ، أو لتقارب

أفكارها والتقائها في جوانب من المنهج .

الصراعات الفردية : عندما تشكّلت جبهة التحرير الوطني الجزائري ضمّت مجموعةً من رجالات البلاد سواء أكانوا يلتقون برابطةٍ حزبيةٍ قديمةٍ أم لا يلتقون ، ثم انضمّت إليها مجموعاتٌ أخرى من تجمّعاتٍ سياسيةٍ مثل جمعية العلماء ، والاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان ، وسواء انضمّ هؤلاء بشكل جماعي أم بشكل فردي ، فإن الجبهة قد غدت مجموعةً متفقةً في الأهداف المرحلية ؛ وهي مقاومة الاستعمار ، ومتفقةً في الغايات المرحلية ؛ وهي الاستقلال ، وتأسيس دولةٍ جزائريةٍ ذات سيادة ، ولها حكومتها الخاصة المسؤولة أمام المجلس النيابي المنتخب ، ولكن لم يكن اتفاقٌ على منهج الحكم ، فهناك جمعية العلماء التي ترى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وهناك الذين يرون تطبيق الحكم الديمقراطي ، كما لم يكن هناك اتفاقٌ على ترتيب الرجالات وتوزيع المناصب فيما بينهم ، لذا فإنه لما تحقّقت الغاية المرحلية ، وآل الأمر إلى القادة وقع الخلاف فيما بينهم حسب الأفكار ، وحسب الرغبة في الزعامة واستلام المراكز ، لقد كان التضامن المرحلي بين أنصار الحكم الديمقراطي ففازوا بالموضوع ، واختفت جمعية العلماء من الساحة ، ثم اختلف الذين كانوا بالأمس متفقين ، فاختلف الزعماء فيما بينهم ، وظهر الصراع الإقليمي أولاً ، فاختلف كريم بلقاسم في جماعة من منطقة تيزي أوزو أو رجال القبائل مع جماعة تلمسان الذين كان يمثّلهم محمد خيضر ، وفرحات عباس ، وأحمد بن بلّة ، وهواري بومدين ، أو نستطيع أن نقول : إن الخلاف كان بين العرب والبربر .

ثم ظهر الخلاف بين رئيس الجمهورية فرحات عباس وبين رئيس الحكومة أحمد بن بلّة ، واضطرّ فرحات عباس إلى ترك السياسة والاعتزال ، وتسلّم أحمد بن بلّة رئاسة الجمهورية .

ثم ظهر الخلاف الشخصي بين رفاق الأمس ، زملاء السجن ، وإخوان الاعتقال والقيادة ، والاختطاف ، ونجح أحمد بن بلّه بالتفرّد بالسلطة ، ما

دام الحكم بيده فقضى على حسين آيت أحمد ، وقام كريم بلقاسم بحركة ، وانتهى بعدها ، وغادر البلاد محمد خيضر ، واغتيل في إسبانيا في ظروفٍ غامضةٍ ، وغاب عن الساحة محمد بوضياف ، ورابح بيطاط ، وبقي أحمد بن بلّة وحده في الميدان ولا منافس له .

ثم وقع الخلاف بين رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء أحمد بن بلّة وبين وزير الدفاع هواري بومدين ، فشكّل وزير الدفاع مجلساً عسكرياً أزاح أحمد بن بلّة الذي عاش تحت الإقامة الجبرية ، واستلم السلطة هواري بومدين .

الصراع الحضاري : نشأت جماعةٌ في الجزائر نتيجة الاستعمار تعلّمت اللغة الفرنسية ، ودرست في فرنسا ، وتوظّفت لدى الحكومة الفرنسية ، فارتبطت فيها نتيجة مصالحها ، وغدت تدافع عنها حمايةً لكيانها ، كما أن فئةً أخرى قد فُتنت بالحضارة المادية فتعلّقت بها ، وأحبّت أن تنسلخ عن أمتها وحضارتها ، ونستطيع أن نقول : إن كلتا الفئتين قد تفرنست ، ورغبت في بقاء اللغة الفرنسية اللغة الرسمية ولغة التعليم ، حفاظاً على ثقافتها ، وحرصاً على بقائها تتكلّم اللغة التي تعلّمتها ، وخوفاً من أن لا تستطيع تعلّم اللغة العربية فتخشى أن لا تبقى في مراكزها التي هي فيها ، وحجتها في ذلك أن اللغة الفرنسية لغة عالمية ، وأنها لغة من لغات العلوم الحديثة ، على حين أن اللغة العربية لا يعرفها أحد خارج حدود أبنائها ، وأنها بعيدة عن لغات العلم والمعرفة .

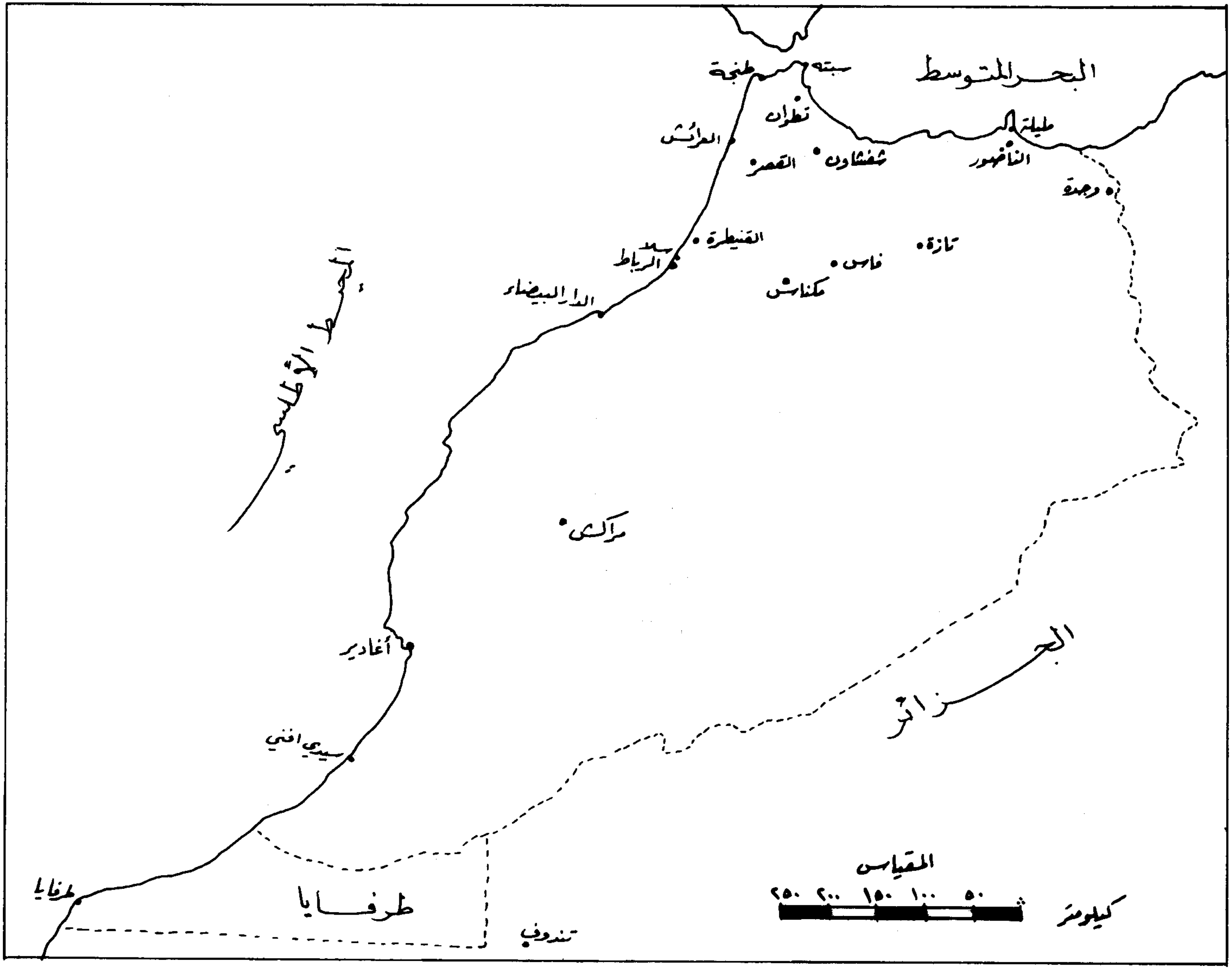
ومن ناحية ثانية هناك مجموعة ترى أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، ولغة التعليم أيضاً ؛ حفاظاً على لغتنا ، وحرصاً على عقيدتنا الإسلامية التي معظم علومها باللغة العربية ، ولضرورة ارتباطنا بتراثنا ، وحضارتنا ، وماضينا ، فالأمة التي تتخلّى عن ماضيها ، وتترك لغتها ؛ لا تلبث أن تفقد شخصيتها وتضيع . وإننا أمةٌ لنا ماضينا ، ولنا حضارتنا ، ويمكن للغتنا أن تواكب العلوم كلها ، وهذا مرتبطٌ بأبنائها ، وباعتزازهم بأمتهم . كما

نختلف عن الفرنسيين في كل شيء ؛ في الحضارة ، وفي الحياة الاجتماعية ، في العقيدة ، وقد قمنا نقاوم الاستعمار الذي أراد أن يُفقدنا شخصيتنا ، وحاربنا الصليبيين الذين أرادوا إذلالنا ، وقدّمنا الضحايا والشهداء حفاظاً على عقيدتنا ، وشخصيتنا ، وكياننا ، فلما تمّ لنا ما نريد نعود مرةً أخرى نرتمي في أحضان الأعداء ، ونستسلم لهم ، ونصبح تبعاً لهم حتى بالفكر .

ويدور صراعٌ عنيفٌ اليوم في الجزائر بين التعريب وأنصاره ويؤيّد التعريب المسلمون الذين يرون أن هذا من العقيدة ، وبعض الذين يتعصّبون عصبيةً جاهليةً لقومهم ولغتهم ؛ وبين الفرنسية ، وترك العربية ، ويدعم هذا المتفرنسون ، والمستهترون ، والذين أصابتهم الهزيمة النفسية ، ومن بين هؤلاء أهل الفن والطبقة الوضيعة في المجتمع ، لذا نلاحظ أنه كلما تقدّم التعريب خطوةً نحو الأمام وُضعت العراقيل في وجهه ، فتباطأت حركته ، ولا شكّ أن النشاط الإسلامي الحديث والوعي الفكري سيكونان عاملاً قوياً في دفع حركة التعريب ، وإن كانت الأحزاب الإلحادية وذات العصبيات الجاهلية تحاول أن تقف في وجهه على الدوام .

الباب الرابع

المغرب


البحر المتوسط
طنجة
سبتة
تطوان
العرائش
القصر
شفشاون
مليلية
الناظور
وجدة
القنيطرة
سلا
الرباط
الدار البيضاء
تازة
فاس
مكناس
المحيط الأطلسي
مراكش
أغادير
الجزائر
سيدي افني
طرفايا
تندوف
المقياس
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كيلومتر

لمحة عن تاريخ المغرب قبل إلغاء الخلافة

سقطت الأندلس بيد الإسبان والبرتغاليين ، ويحكم المغرب بنو وطّاس ، ولم يكتفِ النصارى بما فعلوه بمسلمي الأندلس ، بل أرادوا متابعتهم ، فاحتلّ البرتغاليون شواطىء المغرب ، فكره الناس بني وطّاس ، واتجهوا إلى شيخ السعديين الذين كانوا يقيمون في وادي (درعة) في واحة (تغمدرت) ، وينتسب السعديون إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ومنهم من يجعل نسبهم إلى قبيلة حليمة السعدية ـ مرضعة رسول الله ﷺ ـ .

استطاع السعديون أن يدخلوا مدينة فاس ، وأن يقضوا على دولة بني وطّاس عام ٩٥٥هـ ، وأعلن مؤسّس دولة السعديين أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله الجهاد ، وقاتل النصارى ، وساعده ولداه أحمد الأعرج ، ومحمد المهدي المعروف بالشيخ ، وهما اللذان توليا الأمر بعده . وساعد العثمانيون السعديين ، وأمدّوهم ، وحثّوهم على قتال الصليبيين ، غير أن الصليبيين قد استطاعوا أن يوقعوا بين الأخوة بنقل معلوماتٍ كاذبةٍ تتحدّث عن رغبة العثمانيين في دخول المغرب ، فوقعت الشكوك ، وحثّ النصارى سلطان السعديين أحمد الأعرج ، ودعموه لقتال العثمانيين ، ووقع الخلاف وحدث القتال وشُحن المغاربة بالكراهية ضدّ العثمانيين وسَعِدَ الصليبيون بما تمّ ، فكان يستعين أحد السلاطين بالصليبيين لتوطيد حكمه ، أو لاستعادته من أحد أفراد أسرته فيستعين خصمه بالعثمانيين ، وهكذا ، وتكون الخسائر دائماً من

المسلمين ؛ لأنهم في كلتا الحالتين في الطرفين المتنازعين ، وفي معركة (وادي المخازن) شمال العرائش مثلاً جاءت جيوشٌ من ألمانيا وفرنسا ، وفرسان البابا ، وإسبانيا ، وانضمّت إلى البرتغاليين الذين يدعمون السلطان السعدي محمد المتوكل على الله والذي ينافس ابن أخيه السلطان أحمد المنصور الذي أمدّه العثمانيون ، وانتصر السلطان أحمد المنصور في تلك المعركة التي حدثت عام ٩٨٦هـ ، وقُتل في المعركة ملك البرتغال ، والسلطان السعدي محمد المتوكل على الله الذي كان بجانب البرتغاليين ، والسلطان عبد الملك أخو أحمد المنصور ، حتى سمّيت تلك المعركة بمعركة الملوك الثلاثة .

توطّدت علاقة المنصور بعدها مع الإسبان ، وساءت مع العثمانيين ، واتجه نحو قلب إفريقية ، وحرص على مواجهة البرتغاليين ، وطردهم من الشواطىء المغربية .والإسلامية كافة في غامبيا ، و (أرغين) وغيرها ، غير أن الإسبان قد احتلّوا بلاد البرتغال ، وحلّوا مكانهم في مستعمراتهم . وحاول المنصور أن يتفاهم مع إنكلترا ، ولكن لم يوفّق كثيراً .

وتُوفي المنصور عام ١٠١٢هـ ، واختلف أبناؤه بعضهم مع بعض ، إذ قام المأمون وأبو الفوارس ضدّ أخيهم الكبير زيدان المرشّح لاستلام الحكم ، وتسلّم المأمون السلطة ، وولّى أخاه أبا الفوارس منطقة مراكش ، ثم تنكّر له ، فوقعت بينهما الوقيعة ، وقام زيدان فسيطر على فاس ، وضعُف أمر المأمون ؛ فاتجه إلى الصليبيين الإسبان يطلب مساعدتهم مقابل إعطائهم ميناء (العرائش) ، وفضح لهم أمر الأندلسيين الذين اتفقوا مع الجزائريين للقيام بحركةٍ ضدّ الإسبان وإعادة المسلمين إلى الأندلس ، وهذا ما حمل الإسبان على القضاء على من بقي من المسلمين في الأندلس ، فكره المسلمون المأمون ، وسقطت هيبته من نفوسهم ، فقُتل عام ١٠٢٢هـ في مدينة (تطوان) .

وجاء إلى الحكم عبد الله بن المأمون يحمل وزر أبيه ، لذا كان أمره ضعيفاً ، فلم يجرؤ على المطالبة بالسلطان على السعديين ، ولم يتمكّن زيدان

من بسط نفوذه على الأقاليم كلها ، وأخذ شأن السعديين يضمحل ، وتوالى ثلاثة سلاطين حتى زالت دولتهم ، وهم : عبد الملك الثاني ، ومحمد الثاني الأصغر ، وأحمد العباس ، ولكن ظهر القائد الفذّ محمد العياشي ، وأخذ على عاتقه محاربة البرتغاليين في (أزمور) ، والإسبان في (العرائش) و (المهدية) .

وفي الوقت نفسه ظهرت قوة الأشراف العلويين الذين قوي نفوذهم في مدينة (سجلماسة) ومنطقة (تافيللت) كلها ، وكانوا قد وصلوا إليها في القرن الثامن ، ثم امتدّ نفوذهم إلى منطقة (السوس) و (وادي درعة) عندما ضعف أمر السعديين ، وبرز محمد الشريف بن علي بن يوسف[1] الذي بايعه أهله (سجلماسة) عام ١٠٤١هـ ، ونازعه « بنو الزبير » أصحاب حصن (تابو عصامت) ، فأرسل لهم ابنه محمداً في نحو مائتي فارس ، فباغتهم ، واستولى على الحصن ، وكان الحصن يتبع لسلطان (السوس) أبي حسن السملالي ، فأرسل هذا إلى عامله بـ (سلجماسة) التي كانت تتبع لسلطان (السوس) أيضاً ، فقبض العمل على الشريف ، وبعثه إلى السوس ، فاعتُقل مدة ، وافتكه ولده محمد بمالٍ جزيل عام ١٠٤٧هـ ، وكان ابنه قد قام بالأمر في غيابه ، فنزل له الشريف عن بيعته عام ١٠٥٠هـ ، وانقطع هو للعبادة إلى أن تُوفي في (سجلماسة) عام ١٠٦٩هـ .

قام محمد بن محمد الشريف عندما كان أبوه معتقلاً في السوس ، واستمال إليه هل (سجلماسة) قاعدة منطقة (تافيللت) ، فبايعه أهلها عام ١٠٥٠هـ ، فقاتل بهم أبا حسن السملالي الذي يعتقل والده ، فانتصر عليه ، وتغلّب على (وادي درعة) ، وأغار على مدينة (فاس) فبايعه أهلها ، ثم خرج منها منهزماً ، واتجه نحو الصحراء ، وإلى شرق المغرب ، والتجأ إلى

(١) محمد الشريف بن علي بن يوسف بن علي الشريف بن حسن بن محمد بن حسن بن قاسم الحسني . وُلد في (سجلماسة) عام ٩٩٧هـ ، ونشأ فيها ، وهو جد الملوك من الأسرة العلوية التي تحكم المغرب حتى اليوم .

القبائل، فبايعته عدة قبائل، واستولى على مدينة (وجده)، وجعل مقرّه بها، ويرتحل أحياناً إلى (سجلماسة)، فيقيم بها، ولما مات أبوه جُدّدت له البيعة، ولكن لم يلبث أن خرج عليه أخوه الرشيد ، وقاتله قُرب (وجده) ، فأصابته رصاصة ، وقُتل عام ١٠٧٥هـ ، واستلم أخوه الرشيد[1] السلطة .

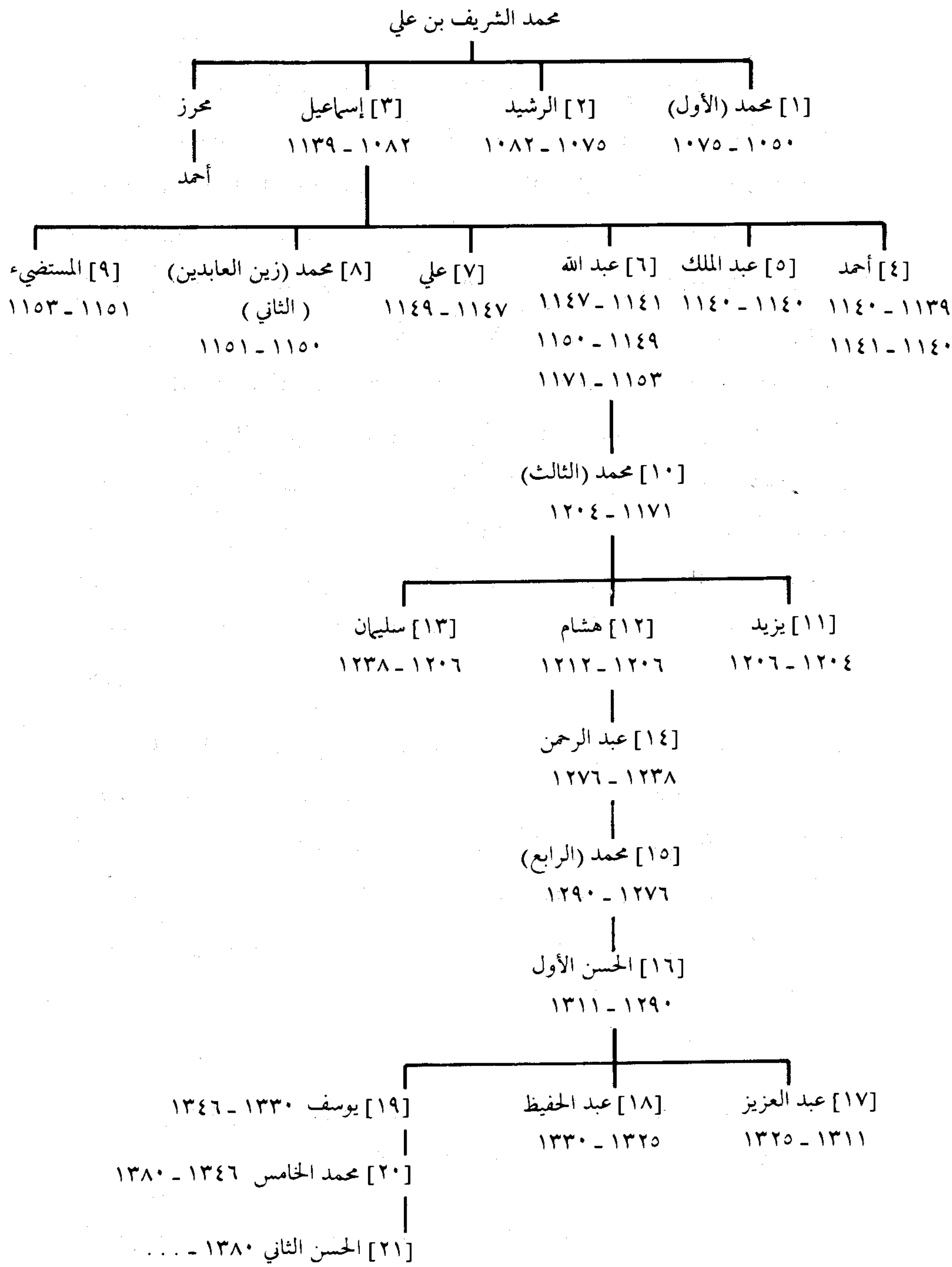
دخل الرشيد مدينة (تازة) ، غير أن (سجلماسة) قد امتنعت عليه ، ورفضت بيعته ، فأخضعها ، وزحف على فاس ، فدخلها عام ١٠٧٦هـ ، ثم دخل مراكش ، وجعلها قاعدةً له ، وأخضع بلاد السوس ، وجهّز جيشاً لدخول طنجة ، وإنقاذها من أيدي الصليبيين ، وتُوفي عام ١٠٨٢هـ .

بعد وفاة الرشيد بويع أخاه إسماعيل[2] الذي كان عاملاً على مكناسة من قِبل أخيه، فبايعه أهلها عند وفاة أخيه، كما بايعه أهل فاس، ودخل مراكش عنوةً عام ١٠٨٣هـ، ففرّ ابن محرز إلى فاس، واستمرّت الوقائع بينهما حتى قُتل ابن محرز عام ١٠٩٦هـ. أخذ يحارب ولاية الجزائر، واتجه إلى مخالفة فرنسا لأنها لم تساعده في مهمته بالقتال في الجزائر، وربما بدأ تفكير فرنسا باحتلال الجزائر من ذلك الوقت ، كما وصلت جيوشه إلى قلب إفريقية ، ولكنه لم يصطدم مع الصليبيين حسب البيعة التي أعطاها المغاربة لمؤسّس الدولة محمد الشريف ، وهذا ما جعل الشعب يستاء جداً من شيوخ هذه

---

(١) الرشيد بن محمد الشريف وُلد في (تافيللت) عام ١٠٤٠هـ ، كان محباً للعلم والعلماء ، نُعت بأمير المؤمنين ، من أثاره في مدينة فاس مدرسة « الشراطين » لطلبة العلم وتشتمل على ٢٣٢ بيتاً ، والخزانة العلمية ، ضرب النقود ، ونقش عليها : (الله ربنا ، محمد رسولنا ، الرشيد إمامنا) ، وعلى الجانب الآخر (لا حول ولا قوة إلّا بالله) ضرب بفاس عام ١٠٨١هـ ، جمح به جواده فأصابه فرع شجرة نارنج ، فهشم رأسه ومات ، ودُفن بقصبة مراكش ، ثم نُقل إلى فاس .

(٢) إسماعيل بن محمد الشريف ، أبو النصر المظفر بالله ، أمير المؤمنين ، وُلد عام ١٠٥٦هـ في (سجلماسة) كانت أيامه أسعد أيام هذه الدولة ، كان في سجونه خمسة وعشرون ألف أسير يعملون في البناء للسلطان ، وبين أيديهم ثلاثون ألفاً من السجناء المجرمين ، وقد بنى ستاً وسبعين قلعة .


محمد الشريف بن علي
[١] محمد (الأول) ١٠٥٠ ـ ١٠٧٥
[٢] الرشيد ١٠٧٥ ـ ١٠٨٢
[٣] إسماعيل ١٠٨٢ ـ ١١٣٩
محرز
أحمد
[٤] أحمد ١١٣٩ ـ ١١٤٠ ١١٤٠ ـ ١١٤١
[٥] عبد الملك ١١٤٠ ـ ١١٤٠
[٦] عبد الله ١١٤١ ـ ١١٤٧ ١١٤٩ ـ ١١٥٠ ١١٥٣ ـ ١١٧١
[٧] علي ١١٤٧ ـ ١١٤٩
[٨] محمد (زين العابدين) (الثاني) ١١٥٠ ـ ١١٥١
[٩] المستضيء ١١٥١ ـ ١١٥٣
[١٠] محمد (الثالث) ١١٧١ ـ ١٢٠٤
[١١] يزيد ١٢٠٤ ـ ١٢٠٦
[١٢] هشام ١٢٠٦ ـ ١٢١٢
[١٣] سليمان ١٢٠٦ ـ ١٢٣٨
[١٤] عبد الرحمن ١٢٣٨ ـ ١٢٧٦
[١٥] محمد (الرابع) ١٢٧٦ ـ ١٢٩٠
[١٦] الحسن الأول ١٢٩٠ ـ ١٣١١
[١٧] عبد العزيز ١٣١١ ـ ١٣٢٥
[١٨] عبد الحفيظ ١٣٢٥ ـ ١٣٣٠
[١٩] يوسف ١٣٣٠ ـ ١٣٤٦
[٢٠] محمد الخامس ١٣٤٦ ـ ١٣٨٠
[٢١] الحسن الثاني ١٣٨٠ ـ . . .

الأسرة من بداية حكمهم ، وجرت عدة محاولات لقتل السلطان إسماعيل ، وحدثت الفوضى في مناطق كثيرة ؛ في (فاس) وفي (تازة) ، وفي الريف (تطوان) ، وجاء الخضر غيلان من الجزائر إلى تطوان عاصمة بلاد الريف ، فالتفّ الناس حوله، وبايعه أهل (أصيلا) و (القصر) ، وأخذ يدعو إلى وحدة المسلمين ، والوقوف في وجه الصليبيين ، غير أن السلطان إسماعيل هاجمه بقواتٍ كثيفةٍ إذ لم يكن معه إلّا القليل من الجند ، وأحسّ إسماعيل بعدها بخطئه ؛ فالتفت إلى منازلة النصارى، واستطاع أن يستردّ (طنجة) من الإنكليز [كان الإنكليز قد أخذوا (طنجة) من البرتغاليين عام ١٠٧٢هـ أيام السعديين مهراً لملكتهم من ملك البرتغال الذي تزوّجها . أما البرتغاليون فكانوا قد احتلّوا (طنجة) عام ٨١٨هـ في عهد بني وطّاس] ، كما استردّ السلطان إسماعيل (المهدية) عام ١٠٩٩هـ ، و (العرائش) عام ١١١١هـ ، و (أصيلا) عام ١١١٣هـ ، وتُوفي إسماعيل عام ١١٣٩هـ بعد أن حكم سبعاً وخمسين سنة .

بعد وفاة إسماعيل اختلف ابناؤه بعضهم مع بعض، فقد بُويع ابنه أحمد[1] ، ولكن لم يلبث أن ثار عليه أهل فاس ، وتبعهم أهل مكناسة ، فقبضوا عليه ، وبايعوا أخاه عبد الملك[2] ، فنفى أخاه أحمد إلى (سجلماسة) ، ثم انتفض العبيد على عبد الملك ، ففرّ إلى (فاس) ، وأعيد أحمد ثانيةً إلى الملك ، وسار إلى (فاس) ، وقبض على أخيه عبد الملك ، ولما أحسّ أحمد بدنّو أجله أمر بخنق أخيه عبد الملك ، فخُنق ، ومات هو بعده

---

(١) أحمد بن إسماعيل ، أبو العباس الذهبي ، بويع بعد وفاة أبيه ، فبسط يده بالعطاء حتى عُرف بالذهبي ، قتل عمال أبيه ، وأركان دولته ، وكان ضعيفاً يستشير عبيده في شؤون الدولة ، فتسلّطوا عليه وعلى الناس ، ومات مسلولاً .

(٢) عبد الملك بن إسماعيل ، أبو مروان ، كان أميراً على السوس من قبل أخيه ، فلما رأى تسلّط العبيد على أخيه وعلى الدولة ، أراد تطهير الحكم منهم فثار العبيد عليه ، واتهموه بالبخل ، ونهبوا مكناسة ، وأرسلوا أخاه أحمد المخلوع فجددوا له البيعة .

بثلاثة أيام عام ١١٤١هـ .

بعد وفاة أحمد تولّى أخوه الثالث عبد الله ، وقد خُلع أربع مرات ، وحكم ست مرات ، وتُوفي عام ١١٧١هـ ، فحكم علي[١]، ومحمد زين العابدين[٢] ، والمستضيء[٣] .

وتولّى أمر الأشراف محمد بن عبد الله بن إسماعيل[٤] ، واتّخذ مدينة (مراكش) عاصمةً له ، وكانت المدن في اضطرابٍ ؛ فأصلح أمرها ، وزارها ، وبنى مدينة (الصويرة) ، وصنع السفن . وغزا الفرنسيون مينائي (سلا) و (العرائش) ؛ فصدّهم ، وغزا البرتغاليون ميناء (الجديدة) فردّهم ، وأنفق أموالاً كثيراً على فكِّ أسرى المسلمين، ولكنه جعل (طنجة) مركزاً للأوربيين .

---

(١) علي بن إسماعيل ، الأعرج ، كان مقره بسجلماسة ، فلما خلع العبيد أخاه عبد الله بايع له أهل فاس ، فجاء إليها ، ولكن خلعه العبيد بعد ما يقرب من عامين وأعادوا أخاه عبد الله المخلوع ، فذهب علي إلى (تازة) ثم سمح له أخوه بالعودة إلى سجلماسة عام ١١٦٩هـ ، فلم يلبث أن توفي عام ١١٧٠هـ .

(٢) محمد بن إسماعيل ، زين العابدين ، ابن عُريبة : بويع له بفاس ، بعد خلع أبيه عبد الله للمرة الثانية عام ١١٥٠هـ ، وسار إلى مكناسة فاحتاج إلى المال فاستولى على محصول المزارع ، وأرسل أخاه الوليد إلى فاس ، وأمره بمصادرة الأموال ، ولحق به فقتل أثرياءها ، وحاز أموالهم ، فثار عليه العبيد وخلعوه ، واستدعوا أخاه المستضيء من (تافيللت) ، وبايعوه ، فلما وصل المستضيء إلى فاس أرسل أخاه محمداً إلى سجلماسة مكبلاً بالحديد ، وأمر بسجنه ، فبقي في السجن حتى مات عام ١١٨٩هـ .

(٣) المستضيء بنور الله بن إسماعيل: حكم بعد خلع أخيه محمد ، فقد استدعوه من (تافيللت) ، فجاء إلى مكناسة فبايعوه ، واستقرّ بفاس ، وصادر الأموال ، وقتل كل من في السجون ، وتآمر عليه العبيد ، فخافهم ، فخرج من مكناسة مع بعض أنصاره إلى طنجة ، ثم سار إلى مراكش ، وبقي حتى عام ١١٥٥هـ ، وقاتل من أجل الملك ، ولكن لم يفلح ، ولم ينقطع القتال بينه وبين أخيه عبد الله ، ثم سار عام ١١٦٤هـ إلى مدينة (آصيلا) ، واشتغل فيها بالتجارة ، وأخيراً إلى سجلماسة ، وتوفي فيها عام ١١٧٣هـ .

(٤) محمد بن عبد الله بن إسماعيل : وُلد عام ١١٣٤ ، وكان أيام أبيه أميراً على مدينة مراكش ، اشتهر بالعلم ، وله بعض المؤلفات في الحديث ، وفك الأسرى ، وتوفي عام ١٢٠٤هـ .

وبعد وفاة محمد عام ١٢٠٤هـ توالى أولاده على الحكم ، فكان يزيد بعده ، إذ ثار على أبيه على حين أنه كان يقدِّمه ، فسار إليه والده ليؤدِّبه ، غير أنه قد لقي حتفه في طريقه إليه، وكان يزيد قريباً من تطوان، فبايعه أهلها، وجاءته وهو في تطوان بيعة أهالي (طنجة) و (العرائش) و (أصيلا) و (فاس) ، وانتقل إلى (مكناسة) ، فجاءته بيعة الأقاليم كلها ، وسار لجهاد الإسبان في (سبتة) ؛ إلاّ أن الجنوب قد ثار عليه ، وبايع أخاه هشاماً ، فسار إليه ، ودخل مدينة (مراكش) ، وعاقب أهلها ، وأصيب أثناء القتال مع هشام برصاصةٍ في خدّه ، فرجع إلى مراكش ، ومات فيها عام ١٢٠٦هـ ، ثم نُقل إلى فاس . وتولّى هشام السلطة في مراكش، ولم يطل أمره ؛ إذ انتشر الوباء، ومات عام ١٢١٢هـ . أما في مكناسة فقد بويع سليمان بن محمد بعد وفاة أخيه يزيد ، غير أن مراكش قد امتنعت عليه ، فسار إليها ودخلها عام ١٢١١هـ ، ولكن لم يطب له فيها المقام ، فرجع إلى مكناسة ، واستقرّ له الملك حتى توفي عام ١٢٣٨هـ .

بويع لعبد الرحمن بن هشام بعد وفاة عمه سليمان الذي كان يقدّمه على أبنائه لما عُرف عنه من صلاح، وكان مقيماً في (تافيللت)، فولاّه عمه ميناء (الصويرة) ، فكان حسن السيرة ، فولاّه بعدها (فاس) ، وعهد له بالخلافة من بعده ، وقد اهتمّ ببناء الأسطول ، ورعاية العلم ، وفي أيامه احتلّت فرنسا الجزائر ، فساعد الأمير عبد القادر الجزائري الذي هبّ يقاوم الاحتلال الصليبي ، فاحتجّت فرنسا على هذه المساعدة ، واحتلّت مدينة وجدة ، فجهّز عبد الرحمن جيشاً ، وسار إلى وجدة ، ولكنه هُزم أمام الفرنسيين ، فاضطرّ أن ينفي الأمير عبد القادر من بلاد المغرب . وعقد عبد الرحمن اتفاقيةً تجارية مع إنكلترا عام ١٢٧٣هـ ، وتوفي بمكناسة عام ١٢٧٦هـ.

بعد وفاة عبد الرحمن تولّى أمر المغرب ابنه محمد (الرابع) ، وكان مقدّماً أيام أبيه ، ومفوّضاً في أمور الدولة ، يقود الجيوش ، ويُعيّن ويعزل ، إذ كان ساعد أبيه الأيمن ، فإذا كان أبوه بمراكش كان هو في الشمال بفاس أو بمكناس،

والعكس ، وقد احتلّ الإسبان مدينة (تطوان) ، فأرسل جيشاً لقتالهم فانتصروا عليه ، فاتفق على صلحٍ معهم بأن يخرجوا من تطوان مقابل عشرين مليون ريال فدفع لهم نصفها ، واتفق معهم على أن يستوفوا النصف الثاني من واردات موانىء المغرب ، فخرجوا من تطوان عام ١٢٧٨هـ . وكان من آثار هزيمة المسلمين في تطوان أن قلّلت من هيبتهم في نظر النصارى الذين استأسدوا بعدها على المسلمين وبلادهم ، وهذا ما جعل السلطان يعمل على تنظيم جيش ، وأرسل بعثةً إلى مصر ، وعمّ الرخاء والأمن في البلاد أيامه ، غير أنه تساهل مع الفرنسيين ، إذ كان صديقاً لملكهم الإمبراطور نابليون الثالث، فمنحهم لذلك امتيازات اتخذوها بعد ذلك ذريعةً للاستعمار والاحتلال. وتوفي بمراكش عام ١٢٩٠هـ.

وبعد وفاة محمد الرابع خلفه ابنه الحسن الأول ، وكان أبوه يعتمد عليه في الملمّات ، وقد سلّمه قيادة الجيش ، وحدثت في أيامه فتنٌ حلّها بنفسه ، وقام بعددٍ من الإصلاحات ، وضرب نقوداً لا تزال تُعرف إلى الآن بالحسنية نسبةً إليه ، وتوفي عام ١٣١١هـ أثناء رحلةٍ له من مراكش إلى مكناس .

وخلف الحسن الأول ابنه عبد العزيز أبو فارس ، وقد أنشأ داراً للآثار بمدينة فاس ، وفي عهده دخل النور الكهربائي إلى البلاد ، وقبض عليه الفرنسيون، ونفوه عام ١٣٣٣هـ ، وذلك أنّه عيّن أخاه عبد الحفيظ(١) نائباً له

---

(١) عبد الحفيظ بن الحسن ، أبو المواهب ، وُلد بفاس عام ١٢٨٠هـ ، ونشأ في قبيلة بني عامر في الجنوب الغربي من البلاد ، كان أديباً فقيهاً ، له (منظومة في مصطلح الحديث) ، و (الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع) ، و (ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام) ، وكلها نظم ، وله (العذب السلسبيل في حل ألفاظ الخليل) ، و (كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع) في الرد على بعض المتصوفة ، و (نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح) ، وعندما تخلّى عن الحكم نُقل بطراد فرنسي إلى مدينة (مرسيليا) ، ومنها إلى (فيشي) ، ثم إلى فرساي وعاد إلى (طنجة) ، وحجّ عام ١٣٣١هـ ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى استقرّ في إسبانيا ثم أخذ يتسلّى بالصيد ، وبقي حتى توفي عام ١٣٥٦هـ ، وحُمل إلى المغرب ، ودُفن في مدينة فاس .

بمراكش، فنادى به أهل تلك الجهات سلطاناً عليهم عام ١٣٢٥هـ، فانقسمت الدولة إلى قسمين: عبد العزيز سلطاناً في فاس، وعبد الحفيظ سلطاناً في مراكش، واتخذ عبد العزيز من ممثلي الألمان أعواناً له، واتخذ عبد الحفيظ من الفرنسيين أولياء، وخُلع عبد العزيز، وانتظم الأمر لعبد الحفيظ، فانتقل إلى العاصمة فاس، وثارت عليه القبائل، وثار عليه أخٌ ثانٍ له يُدعى «زين» في مكناس، واستولى عليها، وألّف حكومة، ودعا إلى نفسه، فطلب عبد العزيز - مع الأسف - دعماً من الفرنسيين، فأجابوه بسرعة، فقضت على الحركتين، وجاءت بأخيه «زين» معتقلاً، فعفا عنه، وعقدت فرنسا معه معاهدةً في ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ (٣٠ آذار ١٩١٢م)، وتولّى مكانه أخوه يوسف.

بعد أن تنازل أو أنزل عبد الحفيظ بويع أخوه يوسف، وهو في رباط الفتح (الرباط)، فنقل إليها مركز الحكم بعد أن كان في مدينة فاس.

ولما كانت أمور هذه الأسرة قد وصلت إلى ما هو عليه من تدخل الفرنسيين، إذ قبضوا على عبد العزيز، ونفوه، وألزموا عبد الحفيظ على التنازل عن الحكم تضايق الناس، وشُحنت نفوسهم، وثار أحمد هبة الله بن الشيخ ماء العينين في الأجزاء الجنوبية، ودعا إلى الجهاد، وإنقاذ البلاد، وحاصر مدينة مراكش، ودخلها عنوة، وبويع فيها سلطاناً للمغرب الأقصى في الخامس من شهر رمضان من عام ١٣٣٠هـ أي بعد أربعة أيامٍ فقط من مبايعة يوسف بن الحسن، فأرسلت الحكومة الفرنسية جيشاً إلى أحمد هبة الله انتصر عليه، وفرّ، وزال سلطانه، وبقي يوسف بن الحسن سلطاناً من غير منافس. وبقي حتى توفي بفاس عام ١٣٤٦هـ.

الاستعمار: إن الضعف الذي أصاب المغرب، واختلاف أبناء الأسرة الحاكمة فيما بينهم، واستعانة بعضهم بالصليبيين ضدّ بعض، ثم هزائمهم أمام النصارى؛ كل هذا قد قلّل من هيبة الحكام أمام الرعية، وهيبة البلاد أمام الأعداء، فطمعوا بها، وأخذت الدول الأوربية تسعى لبسط

نفوذها على العباد والبلاد طمعاً وحقداً : إذ لا تزال تراود طغاتها فكرة ملاحقة المسلمين ، واحتلال بلادهم ، والتحكّم بهم ، وإذلالهم : منذ أن أخرجوهم من الأندلس .

كانت البداية تلك المعاهدة التي عقدها السلطان محمد بن عبد الرحمن عام ١٢٧٩هـ مع إسبانيا ، ولم تكن إسبانيا صاحبة الحظ الأوفى في المغرب أيام هذا السلطان ، وإنما كانت فرنسا أيضاً ، بل ويفوق نفوذها نفوذ إسبانيا .

وفي أيام الحسن الأول عُقدت معاهدة (مدريد) عام ١٢٩٨هـ ، وأصبح لمدينة (طنجة) مجلس صحي يتناوب رئاسته قنصلا فرنسا وإسبانيا واكتسب الأجانب حقّ تأسيس محاكم قنصلية في المغرب ، وحماية مواطنين مراكشيين [وهم اليهود أو النصارى الذين أخذوا يستوطنون في المغرب] . وعندما أعلنت فرنسا الحماية على تونس عام ١٣٠٠هـ أخذت تشرئب بعنقها نحو المغرب ، فخاف السلطان الحسن الأول على بلاده فاتجه نحو إنكلترا التي حمته من الاستعمار الفرنسي مدة ، كما اتجه نحو ألمانيا وعقد معها معاهدة عام ١٣٠٨هـ ، وهكذا أصبح الصراع الاستعماري على المغرب بين فرنسا ، وإسبانيا ، وإنكلترا ، وألمانيا .

كان الحكم في أيام الحسن الأول بيد الوزير «بأحمد»، وهو ابن جاريةٍ سوداءٍ ، وكان يقبض على السلطة بشكلٍ جيّدٍ ، فلما توفي الحسن الأول عام ١٣١١هـ ، أخذ الوزير « بأحمد » البيعة لعبد العزيز بن الحسن الأول ، وأخلص له ، غير أنه لم يلبث أن توفي عام ١٣١٢هـ ، وصادر عبد العزيز ممتلكات وزيره ، وأخذ ينفق من الأموال الكثير ، ويبّذر في المصروفات ، مما ألزمه على الاقتراض من البنوك الأوربية التي أخذت تتدخّل في شؤون المغرب ، وخاصةً بنك فرنسا ، والأراضي المنخفضة (هولندا) ، وأخذت فرنسا تتحينّ الفرص للانقضاض على المغرب ، وكذلك كانت إسبانيا التي تملك أجزاءً ومدناً على السواحل المغربية مثل سبتة ، ومليلة ـ وهي لا تزال حتى الآن تحت حكم الإسبان ـ وإيفني .

وفي عام ١٣١٨هـ قامت حركة في جنوب المغرب برئاسة الشيخ ماء العينين[1] هدفها مقاومة النفوذ الفرنسي ، والمطالبة بحكمٍ دستوري ، غير أنها قد فشلت ، ووجدت فرنسا فرحتها ، فاتفقت مع إسبانيا على اقتسام الصحراء المغربية ، فأخذت فرنسا ما عُرف فيها بعد باسم (موريتانيا) ، وأخذت إسبانيا ما عُرف بالصحراء المغربية ، وأطلقت عليها إسبانيا (ريودو أورو) ، وهي كلمة إسبانية وتعني « ساقية الذهب » ، واضطرّ السلطان إلى القبول بالأمر الواقع عام ١٣١٩هـ .

أخذت فرنسا تتفاهم مع الدول الأوربية التي تخشى منافستها على المغرب ، فاتفقت مع إيطاليا في ١٩ صفر ١٣٣٩هـ (١ تشرين الثاني ١٩٢٠م) على أن تترك إيطاليا لفرنسا حرية العمل في المغرب مقابل أن تطلق فرنسا يد إيطاليا في طرابلس .

واضطرّ السلطان إلى تشكيل مجلس لإدارة مدينة طنجة عام ١٣٢١هـ ، ويتألّف هذا المجلس من ستةٍ وعشرين عضواً ، يعيّن القناصل الأجانب عشرةً منه ، وينتخب الأجانب الذين يقيمون في المدينة اثني عشر منهم ، ويعيّن حاخام اليهود واحداً منهم ، كما يعيّن السلطان واحداً ، والحاكم المحلي يعيّن أيضاً اثنين من المسلمين ، وهذا ما أثار النقمة ضد السلطان ، وقامت الثورة ضدّه ، وأطلق الناس عليه « عبد الأجانب » . وكانت قاعدة الثورة مدينة (تازة) .

كان السلطان قد أقام فعلاً مجلساً للأعيان ، وكان يعتمد عليه في رفض

---

(١) ماء العينين : محمد مصطفى بن محمد بن فاضل بن محمد مأمين الشنقيطي ، أبو الأنوار ، الملقب بماء العينين ، من قبيلة « القلاقمة » من عرب شنقيط ، وُلد في بلدة الحوض عام ١٢٤٦هـ ، وفد على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج ، فلقي عندهم حظوة ، كان عالماً باللغة والحديث ، وله دارية بالسياسة ، واشتغل بالعلم ، وله الكثير من المؤلفات ، وقد كتب اسمه على مؤلفاته : محمد مصطفى الشريف الحسني الإدريسي ، وتوفي في بلدة (تنزيت) عام ١٣٢٨ هـ .

مطالب فرنسا ، ويحتجّ بأن مجلس الأعيان يمثّل الشعب وقد رفض هذه المطالب .

وجدت فرنسا فرصة الثورة للتدخّل في شؤون المغرب ، غير أنها وجدت إنكلترا وألمانيا واقفتين لها بالمرصاد ، فلجأت إلى السياسة ، وإرضاء الدول المعارضة ، فعقدت مع إنكلترا معاهدة « الاتفاق الودّي » في ٢٣ محرم ١٣٢٢هـ (٨ نيسان ١٩٠٤م) التي أعطت فرنسا حرية العمل في المغرب مقابل حرية العمل لإنكلترا في مصر . وقد نصّت هذه الاتفاقية على :

١ ـ لفرنسا حقّ حفظ الأمن في المغرب ، وتقديم المساعدات للقيام بإصلاحات .
٢ ـ تبقى معاهدة إنكلترا القديمة مع مراكش سارية المفعول .
٣ ـ لا تتخذ إجراءات مالية ، ولا تسن قوانين تضرّ بالمصالح البريطانية .
٤ ـ تبقى المنطقة الساحلية الشمالية غير محصّنة باستثناء مليلة وتوضع تحت إشراف إسبانيا .
٦ ـ تصبح الاتفاقية سارية المفعول ولو رفضتها إسبانيا .

غير أن إسبانيا قد وافقت على الاتفاقية فوراً ، وعقدت اتفاقيةً مع فرنسا في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٢٢هـ (١ أيلول ١٩٠٤م) ، ومما جاء فيها إعطاء الأمن في طنجة إلى قوةٍ فرنسيةٍ ـ إسبانيةٍ مشتركةٍ .

أما ألمانيا فقد غضبت ، وجاء الإمبراطور غليوم إلى مدينة طنجة في ٢٢ محرم ١٣٢٣هـ (٢٨ آذار ١٩٠٥م) ، وألقى خطاباً أعلن فيه صداقة ألمانيا لسلطان مراكش ، كما لوّح فيه بالتهديد لمن يعتدي على السلطان وبلاده ، وحاول أن يحبط المؤامرة الفرنسية ـ الإنكليزية ـ الإسبانية .

وحاول السلطان عبد العزيز ومجلس الأعيان أن يُعرَضَ أمر مراكش على مؤتمرٍ دولي؛ إضعافاً للنفوذ الفرنسي، وانعقد مؤتمر «الجزيرة» في المدة الواقعة من ٢٠ ذي القعدة ١٣٢٣هـ حتى ٢٤ ربيع الثاني ١٣٢٤هـ (١٥ كانون الثاني

حتى ١٦ حزيران ١٩٠٦م) ، وحضره ممثّلو خمس عشر دولةً ، ومن أهمّ ما جاء فيه : أنّه تمّ الاتفاق على الاعتراف بسيادة السلطان ، واستقلاله ، ووحدة أراضيه ، ومساواة الدول جميعها في تجارتها مع مراكش ، ومساعدة السلطان على تنفيذ برامج الإصلاح ، وتأسيس مصرفٍ مركزي برأسمالٍ دولي ، وتشكيل قوةٍ من الشرطة لحفظ الأمن الداخلي ، وتكون فرنسية - إسبانية بإمرة سويسري ، وكل منهما في منطقة نفوذها ، وتوضع الجمارك تحت رقابةٍ دوليةٍ ، وتوزّع امتيازات المشروعات الاقتصادية بين شركات مختلف الدول ، وتُكلّف فرنسا بحماية حقوق جميع الدول في مراكش شريطة الاعتراف باستقلال البلاد ، ووجدت ألمانيا وحدها في هذا المؤتمر لا يقف بجانبها سوى النمسا ، أما روسيا ، وإنكلترا ، وإيطاليا ، وإسبانيا ؛ فقد وقفت بجانب فرنسا ، وأما هولندا والبرتغال ، وسويسرا ، وبلجيكا ؛ فكانت قوى سكوت ، وإن كانت إلى فرنسا أقرب ، وكانت مراكش هي الضحية التي يتنازع عليها إذ لم يمضِ عام حتى احتلّت فرنسا الجزء الشرقي من البلاد ، ثم ادّعت أنه وقع اعتداء على الرعايا الأجانب في مدينة الدار البيضاء لذا أسرعت واحتلّت الميناء ، وأسرعت إسبانيا واحتلّت بلاد الريف .

لم يقنع المغاربة بقرارات مؤتمر الجزيرة ، وخاصةً بعد الذي قامت به فرنسا من احتلال ، وإسبانيا من دخول الريف ، لذلك فقد ثاروا على سلطانهم وخلعوه ، وربما كانت فرنسا تريد هذه الثورة ، وقد تكون محرّكةً لها من الخلف ، وتودّ خلع السلطان عبد العزيز لأنها كانت تشعر أنه أقرب إلى الألمان ، بينما ترى في أخيه عبد الحفيظ سلطاناً أفضل لها .

بايع المغاربة عبد الحفيظ سلطاناً عليهم ، واشترط المبايعون أن يعمل السلطان على استرداد الجهات المقتطعة من البلاد ، وأن يبادر إلى طرد المحتلين ، وإلى إلغاء الامتيازات الأجنبية ، كما اشترطوا عليه ألاّ يستشير الأجانب ، وألاّ يعقد معهم معاهدات إلاّ بعد استشارة الأمة .

أخذ السلطان عبد الحفيظ يصانع فرنسا ، فثارت عليه القبائل، وثار

عليه أخوه « زين » في مكناس ، واستولى عليها ، وألّف حكومة فيها ، ودعا لنفسه ، فاستنجد السلطان بفرنسا ، فأسرعت بإرسال النجدة ، واستطاعت القضاء على ثورة أخيه « زين »، وأتت به تحمله إلى أخيه ، فعفى عنه ، وفي الوقت نفسه فإن السلطان عبد الحفيظ قد استطاع أن يقضي على ثورة «أبي حمارة » ، ولكن قد كلّفه ذلك كثيراً ، لذا فقد عقد قروضاً بمبلغ مائة مليون فرنك لتسديد نفقات حملاته العسكرية ، لذا فإن الشعب قد بقي ناقماً على سلطانه .

وعندما جاءت القوات الفرنسية لنجدة السلطان احتلّت فاس في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ (٢١ أيار ١٩١١م) ، ثم احتلّت مكناس والرباط ، فثارت ثائرة إمبراطور ألمانيا ، فأرسل طرّاداً إلى مياه ميناء أغادير في ٥ رجب ١٣٢٩هـ ، غير أن فرنسا أعطته جزءاً من الكاميرون إرضاء له ، فأقرّ بالاحتلال الفرنسي لمراكش في ١٣ ذي القعدة ١٣٢٩هـ (٤ تشرين الثاني ١٩١١م) .

وفرضت فرنسا على السلطان عبد الحفيظ معاهدة الحماية في ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ (٣٠ اذار ١٩١٢م) ، وثار الجيش على الملك لقبوله الحماية ، وقتل الجنود ضباطهم الفرنسيين ، كما استمرّت ثورة الشعب ، وأباد الوطنيون الحامية الفرنسية في مدينة (فاس) في اليومين الأولين من شهر جمادى الأولى ١٣٣٠هـ (١٧ و١٨ نيسان ١٩١٢م) ، وندم عبد الحفيظ على ما فعل من الاستنجاد بالفرنسيين ، فتنازل لأخيه يوسف في ١ رمضان ١٣٣٠هـ (١٣ آب ١٩١٢م) ، وانتقل هو إلى مدينة (طنجة) ، وكان أخوه قد سبقه إليها .

استمرّت ثورة المغاربة ، وتحرّك في الجنوب أحمد هبة الله بن الشيخ ماء العينين ، ودعا إلى الجهاد ، فالتفّ حوله الناس ، وسار بهم إلى مدينة مراكش ، وحاصرها ودخلها عنوةً ، وبويع بالإمامة في ٥ رمضان ١٣٣٠هـ أي بعد بيعة يوسف بن الحسن بأربعة أيام ، وأرسلت فرنسا جيشاً إلى أحمد

هبة الله[1] ؛ فانتصر على القوات الفرنسية ، فأعادت الكرة ؛ فهزمته ، فانهزم من مراكش إلى (تارودانت) و)وتحصّن بها ، وزاد الفرنسيون في مطاردته من موقع إلى آخر ، حتى كان في (تندوف) ، فنصب أنصار هبة الله الكمائن للفرنسيين ، وفتكوا بهم ، فارتفعت معنوياتهم ، وعادت قوتهم ، فجهّز الفرنسيون جيشاً ضخماً من المغرب ، والجزائر ، والسنغال ، ومالي ، بقيادة الجنرال « غورو » ويدعمه الطيران ، والمدفعية ، والمدرّعات ، ووصل الجيش إلى (تنزيت) وعسكر فيها ، وتعددت الوقائع ، وانقسم رجال أحمد هبة الله على أنفسهم ، وقُتل كثير من رجال القبائل ، وتوفي هو بمرض أصابه ، فضعف رجاله من بعده ، حتى تمكّن الفرنسون منهم أثناء الحرب العالمية الأولى .

قامت الحرب العالمية الأولى والمغاربة يقاومون الفرنسيين في الأطلس الأوسط ، والأطلس الكبير ، ومنطقة (تافيللت) ، ولكن لم تنته الحرب إلاّ وكانت القوات الفرنسية قد سيطرت على أجزاء المغرب كلها ، وحملت الكثير من أبنائها على الاشتراك في القتال إلى جانب الحلفاء ، سواء أكان ذلك في أوربا أم في غيرها ، وإن كان الفريق « ليوتي » قد رفض فرض الجندية الإلزامية على السكان في مراكش ، وهو أول مقيمٍ عامٍ فرنسيٍّ ، وهو الذي احتلّ البلاد ، وأخضع مناطقها .

وتسلّم المقيم العام وزارة الخارجية ، ووزارة البحرية ، كما تولّى إدارة الأمور المالية رجالٌ فرنسيون ، وهكذا أصبح السلطان صورةً ، والمقيم العام

---

(١) أحمد هبة الله بن محمد مصطفى ماء العينين ، وُلد ونشأ في واحة الصمارة التي أنشأها أبوه وسط الصحراء ، لازم أباه ، وتعلّم منه ، وخلفه في مدينة (تنزيت) عندما توفي عام ١٣٢٨هـ .
وعندما فرضت الحماية على السلطان عبد الحفيظ سخط علماء منطقة السوس ، وأجمعوا في تنزيت على خلعه ، ومبايعة أحمد هبة الله على أمر الجهاد في شهر رجب ١٣٣٠هـ ، ودعوا القبائل للبيعة ؛ فلم يتخلّف منهم أحد ، وانضمت حامية مدينة مراكش إليه عوضاً من أن تقاومه ، كما تقدّم إليه بالطاعة خليفة السلطان عبد الحفيظ ، وكثرت المعارك ، حتى توفي أحمد هبة الله في (بكردوس) عام ١٣٣٧هـ ، وقد حاول الفرنسيون إغراءه بالمناصب والمال والسلطة ، فأبى عليهم .

هو المتصرف في شؤون البلاد ، وألغيت الخلافة والسلطان يوسف بن الحسن الأول ملك البلاد .

أما منطقة الريف فقد خضعت للاستعمار الإسباني ، وأخذ يمارس فيها السياسة الصليبية ، وحددت فرنسا مع إسبانيا منطقة نفوذ كل منهما مع احترام الوحدة المراكشية [الاحترام الذي لا معنى له] . كما تمّ الاتفاق على تعيين خليفةٍ لسلطان مراكش في منطقة الريف على أن يخضع لرقابة المندوب السامي الإسباني . وكما ثار المراكشيون ضدّ الفرنسيين ثاروا كذلك ضدّ الإسبان ، وكانت أول هذه الثورات ثورة أحمد بن محمد الريسوني[1] الذي عُرف من قبل بالثورة ، فقد قام ضدّ الفرنج عامة ، وضدّ حكومة مراكش ، وبدأ في جبال (بني عرّوس) ، وقد قوي أمره ، فسيطر على المناطق التي حول طنجة من بلاد الريف ، وخُطب باسمه على منابر (تازروت) وما حولها ، ثم صالحه السلطان عبد العزيز ، وعينّه معتمداً له على طنجة ، فكان شبه مستقل فيها ، يحكم باسم السلطان عبد العزيز ، ولا سلطان لعبد العزيز عليه ، وقد ساد الأمن المنطقة في عهده .

بدأت أطماع الدول في طنجة فطلبوا من السلطان عبد العزيز عزله ، فعزله ، فرجع إلى قريته وحاربه السلطان . ولما آل الحكم إلى السلطان عبدالحفيظ ذهب إليه مهنئاً ، وأصبح من رجاله . وعندما احتلّ الإسبان تطوان ، وأخذوا يتجهون نحو المناطق الغربية عام ١٣٣١هـ ثار عليهم

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني ، الحسني ، الإدريسي ، العرّوسي ، أبو العباس ، وُلد في بلدة (زَينات) حوالي عام ١٢٧٠هـ ، في « بني عرُّوس » ، ويسميه الفرنجة « الرسولي » ، خرج ثائراً أيام السلطان الحسن الأول ، ولم تتمكن الحكومة من السيطرة على حركته ، فاستعملت معه الحيلة ، وقبضت عليه ، وسجنته في ميناء الصويرة مدة ثلاث سنوات ، ولما مات السلطان الحسن الأول ، وخلفه ابنه عبد العزيز ، عفا عن الريسوني ، فلما اضطرب أمر الدولة عاد إلى الثورة ثانية ، ونجح حتى غدا سيد المناطق الغربية في الريف ، إضافة إلى طنجة .

أحمد بن محمد الريسوني ، وقاتلهم قرب تطوان ، ودخل مدينة (شفشاون) ، فطلب الإسبان منه الصلح ، فعُقد مؤتمر عام ١٣٣٣هـ ، اتفقوا فيه على أن تكون الجبال والمناطق الداخلية لأحمد بن محمد الريسوني ، والمناطق الساحلية للإسبان ، غير أن الإسبان لم يلبثوا أن نقضوا الصلح ، وتجدّد القتال بعد أن اختلف الريسوني مع الجنرال الإسباني « غوردانا » ، ومات « غوردانا » ، وجاء بعده الجنرال « برنغر » ، فعدّ الريسوني ثائراً ، وأخذ يطارده ، واقترب من معقله ، فقبل الريسوني بشروط الإسبان ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى الثورة بعد أن هُزم الإسبان أمام الخطابي ، وبدأ القتال ، واستمرّ إلى جانب ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، ووقعت الفجوة بين المجاهدين ، إذ بذل الإسبان العهود والوعود كي يقبل أحمد بن محمد الريسوني الصلح ؛ ففعل ، ودعاه محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مساعدته في أمر الجهاد ؛ فامتنع ، ووقع الناس في اللغط ، حتى ساءت العلاقة بين الطرفين ، وقيل : إن الريسوني أخذ يؤلّب القبائل عن مناصرة الخطابي ، ويدعوها إلى الخضوع للإسبان ، فأرسل إليه الخطابي حملةً هاجمته في مدينة (تازروت) ، وبعد معركةٍ دامت يومين أسر الريسوني ، وكان مريضاً فحمل إلى بلدة (تماسنت) ، فتوفي بها عام ١٣٤٣هـ .

وكانت الثورة الثانية حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي[1] ، وكان أبوه

---

(١) محمد بن عبد الكريم الخطابي : وُلد عام ١٢٩٩هـ في بلدة (أغدير) قرب (الحسيمة) من بلاد الريف ، وينتمي إلى قبيلة (ورياغل) أكبر قبائل البربر في بلاد الريف ، حفظ القرآن الكريم ، وهو صغير ، وأرسله أبوه إلى جامع القرويين بمدينة فاس ، وعُيّن قاضياً في مدينة (مليلة) ، بينما درس أخوه الصغير (التعدين) في مدريد ، وقام مجاهداً ضد المستعمرين الإسبان ، وانتصر عليهم ، واضطرّ أخيراً إلى الاستسلام بعد أن تعاون عليه الإسبان والفرنسيون ، فسجن ونفي إلى جزيرة (رينيون) في شرق إفريقية مع أخيه وبعض أقربائه ، وبقي في المنفى حتى عام ١٣٦٦هـ ، وأراد الفرنسيون نقله إلى فرنسا ، فأُركب باخرةً ، فلمّا مرّت بمدينة السويس فرّ منها بتدبير بعض المغاربة ، والتجأ إلى القاهرة فبقي مستقراً فيها حتى توفي بسكتةٍ قلبيةٍ عام ١٣٨٢هـ .

قد أبدى معارضته للاستعمار الإسباني ، ورفض تقديم الولاء الذي طلبه منه المندوب السامي الجنرال « غوردانا » ، فما كان من المندوب السامي إلاّ أن عزل ابنه محمداً من قضاء (مليلة) ، وأودعه السجن ، وفي هذه الأثناء توفي الأمير عبد الكريم ، وخلفه ابنه محمد في مشيخة القبيلة(ورياغل)،فلما أطلق سراحه جمع أنصاره ، وقاتل الإسبان .

زحف الجنرال « سلفستر » قائد قطاع (مليلة) نحو منازل قبيلة (ورياغل) ، واحتلّ مدينة (أنوال) ، ولم يبالِ بتحذيرات الأمير محمد ، وتقدّم اثني عشر كيلومتراً بعد مدينة (أنوال) ، واقترب من بلدة (أغدير) ، فداهمه الأمير محمد بهجومٍ معاكسٍ في ٢٥ شوّال ١٣٣٩هـ (١ تموز ١٩٢١م) ، فارتدّ الإسبان ، وخرجوا من (أنوال) بعد معركةٍ حاميةٍ ، واستمرّ الخطابي يلاحقهم حتى لم يبقَ لهم سوى حصن (مليلة) ، وأبيد جيش « سلفستر » تماماً ، واعترف الأعداء أنهم خسروا خمسة عشر ألف جندي ، وخمسمائة وسبعين أسيراً ، إضافةً إلى كمياتٍ كبيرةٍ من العتاد والذخيرة ، منها : ثلاثون ألف بندقية ، وأربعمائة مدفع رشاش ، ومائة وتسعة وعشرون مدفع ميدان ، ولم ينتبه الخطابي إلى ما أدركه من نصرٍ حاسمٍ ، إذ لو تابع القتال لما وجد أمامه قوة ، ولدخل حصن (مليلة) دون مقاومة ، ولأنهى وضع الإسبان في تلك النواحي ، غير أنه توقّف ظنّاً منه أن الإسبان لا تزال لديهم قوة ، وقد هيّأ لهم هذا التوقّف فرصةً لزجّ ستين ألف جندي في المعركة الجديدة، إذ قاموا بهجومٍ معاكسٍ في ١٠ محرم ١٣٤٠هـ (١٢ أيلول ١٩٢١م) ، فاستعادوا بعض ما فقدوه ، وبلغ مجموع القوات الإسبانية في منطقة الريف في جمادى الأولى من عام ١٣٤٠هـ أكثر من مائةٍ وخمسين ألف مقاتل .

استطاع الجنرال « برنغر » من احتلال معقل الريسوني ، غير أنه قدّم استقالته كمندوبٍ سامٍ بضغطٍ من الحكومة الإسبانية . وجاء بعده الجنرال « برنغت » الذي هادن الريسوني ليتفرغ لقتال الخطابي الذي كان قد بسط نفوذه على القبائل المجاورة ، ونظّم حكومةً عاصمتها (أغدير) ، وأعلن قيام

جمهورية الريف ، وأرسل الوفود إلى أوربا لشرح قضية بلاده ، وتمكّن من إحكام قبضته على المناطق التي يسيطر عليها ، وصدّ هجمات الإسبان عليها ، ولم يمكن الوصول إلى حلٍّ سلميٍّ بينه وبين المستعمرين .

وقع انقلابٌ عسكريٌّ في إسبانيا في اليوم الأول من شهر صفر من عام ١٣٤٢هـ (١٢ أيلول ١٩٢٣م) ، وتسلّم الحكم الجنرال « بريمو دي ريفيرا » ، فأعلن عن سياسةٍ جديدةٍ لإسبانيا في مراكش ، وهي الانسحاب من المناطق الداخلية ، والتمركز في مواقع حصينةٍ على السواحل ، فنشط عمل أهل الريف ، وسيطروا على أكثر بلادهم ، حتى وصلوا إلى قرب تطوان ، وقطعوا طرق المواصلات بينها وبين كلٍّ من (طنجة) و (شفشاون) ، وأشرف الجنرال « بريمو دي ريفيرا » بنفسه على عمليات الانسحاب ، وقد كلّفت هذه العلميات الإسبان خسائر كبيرةً ، إذ فقدوا فيها من القتلى مائةً وعشرة ضبّاط ، وثلاثة آلاف وثمانمائة من الجنود ، ومن الجرحى سبعمائة ضابط ، وأربعة عشر ألف جندي ، كما فُقد ستون ضابطاً ، وألفان وخمسمائة جندي .

أما محمد الخطابي فقد بسط نفوذه على أكثر بلاد الريف ، وأخضع قبائل (جبالا) في غرب الريف ، وتمكّن من تنظيم جيشه، وتجميع القبائل حوله ، وأخذت قوته تزداد يوماً بعد يومٍ ، وحاول الإسبان الإيقاع بينه وبين المجاهد الآخر أحمد بن محمد الريسوني ، وقد نجحوا إلى حدٍّ ما .

أما مدينة طنجة فإنها ذات موقعٍ مهمٍّ ، لذا حرصت الدول أن يكون لها وضعٌ خاصٌّ ، وقد شُغلت الدول بأحداث الحرب العالمية الأولى ، لذا لم تستطع وضع نظام لها، فلما وضعت الحرب أوزارها، وضعت الدول الكبرى لطنجة نظاماً دولياً محايداً يقضي بأن يكون للميناء:

١ ـ حاكم إداري فرنسي ، وله مساعدان ، أحدهما إنكليزي ، والآخر إسباني .

٢ ـ السلطة التنفيذية بيد هيئة المراقبة التي تتألّف من ممثّلي : فرنسا ، وإسبانيا ، وإنكلترا ، ومندوب عن سلطان مراكش .

٣ ـ مجلس تشريعي .

الاستِعمار بَعدَ إلغاء الخِلافَة

ألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) ، فزاد ذلك المسلمين تفرّقاً فوق فرقتهم، واهتمام أهل كل إقليم بإقليمهم، وجهلاً ببقية الأمصار الإسلامية ؛ وذلك نتيجة الجهل ، واختلاف الاستعمار ، وانصرافاً للشؤون الخاصة بالمنطقة التي تغرق السكان فلا تترك لهم أي وقتٍ للتفكير بأوضاع إخوانهم ، وكان أن ترسّخت التجزئة ، وظهرت فكرة الوطنيات الضيّقة ، والعصبيات الجاهلية .

عندما ألغيت الخلافة كان المصر المراكشي مجزّءاً إلى الأقسام الآتية :

١ ـ بلاد الريف : تحت النفوذ الإسباني .
٢ ـ مراكش : تحت النفوذ الفرنسي .
٣ ـ طنجة : لها وضعٌ دولي .
٤ ـ إيفني : تحت النفوذ الإسباني .
٥ ـ الصحراء المغربية : تحت النفوذ الإسباني .
٦ ـ موريتانيا : تحت النفوذ الفرنسي . [أصبحت دولة خاصة] .

أولاً : بلاد الريف : كانت إسبانيا قد انسحبت إلى المناطق الساحلية ، وتحصّنت فيها ، بينما كانت المناطق الداخلية تحت إشراف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ، كما أن أحمد الريسوني لا يزال ذا قوةٍ ونفوذٍ ، وبدأ

الخلاف بين الاثنين ، وتمكّن الخطابي من أسر الريسوني في تاريخ ٣ رجب ١٣٤٣هـ (٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥م) ، وألّف الخطابي حكومةً في الريف ، وأعلن الجمهورية . في هذا الوقت كانت فرنسا لا تزال تتابع احتلالها لبلاد المغرب ، وتتحرّك قواتها في المناطق الجبلية المتاخمة لبلاد الريف ، وتصطدم برجال القبائل ، ومنها القبائل الموالية للأمير محمد الخطابي ، وتجد صعوبةً في تحرّكاتها ، كما تحلّ بها الهزائم أحياناً ، وهذا ما أزعج المقيم العام الفرنسي الجنرال « ليوتي » ، فأخذ ينتقد انسحاب الإسبان من المناطق الريفية الداخلية ، ويعلن أن ذاك الانسحاب مخالف للاتفاقية الفرنسية ـ الإسبانية ، وأخذ يحذّر إسبانيا خاصة والدول الأوربية النصرانية عامة من خطر انتصار الريفيين المسلمين على الإسبان فإن ذلك سيكون له ما بعده من أثرٍ على الشعوب الإسلامية الخاضعة للاستعمار الأوربي النصراني ، فإن ذلك سيجعلها تتحرّك ، ولما لم تبالِ إسبانيا كثيراً في بداية الأمر ؛ اتجه إلى إنكلترا التي تسيطر على كثيرٍ من أراضي المسلمين ، ويخضع لها عددٌ من الشعوب الإسلامية ، فتحرّكت إنكلترا ، وأثارت إسبانيا .

وحاول الأمير محمد الخطابي أن يتفاهم مع فرنسا ، أو يتوصّل إلى اتفاقٍ ، ولكن دون جدوى ، لقد أرسل أخاه موفداً من قبله إلى باريس للاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ولكن لم يجد آذاناً صاغيةً ، وبعث موفداً إلى مدينة فاس للاتصال بالسلطات الفرنسية في مراكش ؛ فلم يجد إلّا ما وجد أخوه في باريس ، لقد وجد كلا الوفدين حقداً صليبياً جامحاً لا يكاد يدرك سوى التشفّي من المسلمين ، ووجدا رغبةً فرنسيةً في اجتياح بلاد الريف لمصلحة إسبانيا كنوعٍ من التعاون الصليبي ، ثم خوفاً من انتشار روح الجهاد في بقية بلاد المغرب ، وانتقالها من الريف إلى مراكش ، أو بشكلٍ أوضح توسّع دائرة الجهاد ، وربما تقدّم المجاهدون الريفيون إلى مراكش .

كان مجموع القوات الفرنسية في مراكش ٦٥,٠٠٠ جندي ، وكانت فرنسا ترى أن هذا العدد غير كافٍ لزجّه في الريف ، لذا فقد أرسلت قواتٍ

أخرى حتى وصل المجموع إلى ١٥٨,٠٠٠ مقاتل ، وهي :

١٣,٠٠٠	فرنسي .
١٢,٠٠٠	أوربي .
١٣٣,٠٠٠	مغربي .
١٥٨,٠٠٠	ويدعم ذلك ١٣٢ طائرة .

أما القوات الإسبانية فكانت كما يأتي :

٧٠,٠٠٠	إسباني .
٣٧,٠٠٠	احتياطي .
١٣,٠٠٠	مغربي .
١٢٠,٠٠٠	

أما قوات جمهورية الريف بقيادة الأمير محمد الخطابي فكانت حوالي ستين ألفاً ، فهي ما يقرب من خمس القوات العدوة ، بل إنها أقل من نصف عدد الجنود المغاربة الموجودين في جيوش الأعداء . وكان يشرف على العلميات العسكرية الجنرال الفرنسي «بيتان» رئيس حكومة فيشي الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية ، والجنرال « ليوتي » المقيم العام الفرنسي في مراكش ، وتمّ الاتفاق على خطةٍ عسكريةٍ واحدةٍ بين فرنسا وإسبانيا ، كما اتفقتا على ألّا تعقد إحداهما مع المسلمين صلحاً منفرداً .

وكان لا بدّ من الجهاد ، وما أن انتهى شهر رمضان حتى استعدّ المسلمون ، ومع نهاية عيد الفطر بدأ الهجوم على الخطوط الفرنسية ، وأمكنهم خرقها في قطاع (تازة) إلى الشرق من فاس ، وأصبح موقف الفرنسيين حرجاً في ذلك القطاع ، فأرسلت الحكومة الفرنسية الجنرال « بيتان » لإنقاذ الموقف ، وعيّنت الجنرال « ستاسلاس فوليه » قائداً للقوات الفرنسية في مراكش .

قام الفرنسيون في ٢٢ صفر ١٣٤٤هـ (١٠ أيلول ١٩٢٥م) بهجومٍ معاكسٍ في قاطعين ، أولهما في جهة (ورغاء) ، حيث بدؤوا بقصفٍ مدفعي مركّزٍ لإشغال الريفيين عن الهجوم في القاطع الآخر الذي كان في جهة (تازة) ، ويهدف إلى الاتصال بالقوات الإسبانية للتعاون ولخرق الريف ، وقسمه إلى جزأين ، والفصل بين القوات المسلمة في الجزأين ، غير أن الأمطار الغزيرة التي انهمرت قد أوقفت العمليات العسكرية ، ولم يتمكّن الفرنسيون من أن يحقّقوا أي نجاح ، أو يحصلوا على أي هدفٍ وضعوه نصب أعينهم . ومن الجانب الإسباني لم تكن المعارك أكثر من مناوشاتٍ أو قتالٍ محلّي .

إن صغر حجم القوات المسلمة كان يجعل تطلعاتها محدودةً ، غير أن ثقتها بالله ثم اعتمادها على الروح المعنوية العالية التي يتمتّع بها أفرادها قد جعلها تفكّر بالنصر ، وكانت تهدف إلى إثارة القبائل في جبال الأطلس المقيمة خلف الخطوط الفرنسية ، والتي يمكن لو تحرّكت تلك القبائل لصرفت جزءاً من القوات الفرنسية نحو معاقلها ، وخفّفت بذلك الضغط عن قبائل الريف ، غير أنه في الوقت نفسه كان الفرنسيون يحاولون إغراء القبائل الموالية للأمير الخطابي بشتّى الوسائل ، وتحذيرها من النتائج الوخيمة التي تنتظرها فيما لو بقيت في مواقعها فإن الخطّابي لا قبل له بما حُشد له ، وقد أدرك الفرنسيون بعض النجاح ، وأخذت بعض القبائل تتخلّى عن مواقعها .

رأى الخطّابي أن القيام بعمَلٍ عسكريٍّ سريعٍ سيجعل القبائل تضطرّ إلى الاشتراك في القتال وتبقى بجانبه ، ويستطيع إن حصل على بعض النصر أن يظفر بشروطٍ أفضل من الفرنسيين أو الإسبان ، فحاول في مطلع شهر رجب أن يقوم بنشاطٍ عسكريٍّ ، غير أنه لم يحقّق ذلك النجاح الذي كان يأمل به ، فبعث بالوفود إلى الدول الأوربية ، ونشر في الصحف عن رغبته في إحلال السلام ، واستعداده للدخول في مفاوضاتٍ للصلح وإنهاء حالة الحرب القائمة . وافق الفرنسيون والإسبان على إجراء مفاوضات للصلح في مدينة (وجدة) في تاريخ ٣ شوال ١٣٤٤هـ (١٥ نيسان ١٩٢٦م) ، وتمّ اللقاء ،

واستمرّت المفاوضات مدة ثلاثة أسابيع ، غير أن الطرفين لم يستطيعا التوصّل إلى اتفاقيةٍ رغم تنازل الأمير محمد بن عبد الكريم الخطّابي عن الكثير من رغباته ، كما وافق على الانسحاب من المعركة ، والانتقال إلى بلدٍ إسلاميٍ آخر .

عدّ الفرنسيون والإسبان أن هذا التنازل من قبل جمهورية الريف ليس سوى بداية الانهيار ، لذا فقد تشدّدوا ، وانقطعت المفاوضات ، وشنّ الأعداء هجوماً قوياً فورياً ليحصلوا على نصرٍ خاطفٍ ، وبعد عشرة أيام من بدء القتال تمّ الاتصال بين القوات الفرنسية والإسبانية ، فطلب الخطابي وقف القتال ، وعرض الاستسلام دون قيدٍ أو شرطٍ ، غير أن الفرنسيين قد طلبوا منه قبل الاستسلام إطلاق سراح الأسرى الذين عنده ، فنفّذ هذا الشرط ، وسلّم نفسه للقوات الفرنسية في تاريخ ١٢ ذي القعدة ١٣٤٤هـ (٢٥ أيار ١٩٢٦م) .

استمرّت المعارك بعد استسلام الخطابي مدة ، فقد أخرج سكان (شفشاون) مندوب الخطابي من بلدهم يوم ٢١ ذي الحجة ١٣٤٤هـ (١ تموز ١٩٢٦م) ، وانتخبت قبائل (جبالا) زعيماً لها ، وتابع الإسبان احتلال بلاد الريف أو المنطقة المتفق عليها بينهم وبين الفرنسيين ، وباتفاق الدولتين أيضاً نُفي محمد الخطابي إلى جزيرة (رينيون) في شرق إفريقية .

ثانياً : **مراكش** : سيطر الفرنسيون على منطقة مراكش سيطرةً كليةً عام ١٣٤٥هـ ، ولم يبقَ للملك سوى الاسم النظري ، ويُدعى بالسلطان ، وليس لقصره الذي يُطلق عليه « المخزن » أي نفوذ ، وربما بدا عليه أحياناً بعض المكانة ، منها أيام الأعياد الإسلامية ، حيث يؤمّه الأعيان ورجالات البلاد للسلام والتهنئة بالعيد ، وكان من مهماته وضع (الطابع الشريف) أي الختم ، والإشراف على الأحكام الشرعية ، وشؤون الأوقاف ، وكان السلطان يومذاك يوسف بن الحسن الأول ، ولكن لم يلبث أن توفي عام ١٣٤٦هـ ،

وتولّى مكانه ابنه محمد الذي لُقّب بالخامس[1] ، ولم يكن أكبر إخوته ، وإنما قدّمه الفرنسيون للملك ، وهم يظنّون أنهم يستطيعون التأثير عليه لصغر سنه ، ولين طبعه ، لذا فقد اعتقدوا أنه سينقاد لهم تماماً ، إذ لم يزد عمره على السابعة عشرة عاماً .

شعر الملك محمد الخامس أنه لا يستطيع فعل أي شيءٍ ، فالفرنسيون بيدهم السلطة ، ويستبدّون بالأمر ، وفشلت القبائل ورجالات البلاد في مقاومة المستعمر الصليبي ، لذا فقد انصرف إلى الدرس على يد العلماء الذين هم في القصر ، وعمل على إصلاح جامع القرويين بفاس ، وأنشأ بعض المدارس ، ورمّم المساجد ، وأسّس كلية ابن يوسف بمراكش ، ولما نضج أخذ يتصل سرّاً بأهل الفكر ، وأصحاب الوعي الذين لمس فيهم الرغبة في العمل للتحرّر .

منذ أن دخلت فرنسا البلاد وضعت نصب عينيها التفرقة بين العرب والبربر ، فإذا تمكّنت ضربت مجموعةً بأخرى ، وكلما رأت مصلحةً لها قوّت فئةً على ثانية ، وخاصة أن البربر يؤلّفون مجموعةً كبيرةً تكاد تصل إلى ٤٥٪ من مجموع السكان ، وهم يكثرون في المناطق الجبلية ، في بلاد الريف ، وجبال الأطلس ، بل ذهبت بأحلامها بعيداً ففكّرت بتنصير البربر ، وإذا نجحت تكون قد حقّقت سياستها الصليبية بجعل مراكش دولةً نصرانيةً ، وعندها تستطيع حكمها بأعوانها الجدد ، وإلاّ تركتها تتصرّف بشؤونها فقد أدّت أهمّ مهمةٍ عندها .

استصدرت السلطات الفرنسية في مراكش مرسوماً (ظهيراً) عُرف بالظهير البربري ، وذلك عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ، أعفت فيه البربر من تطبيق الشريعة الإسلامية ، ومن دراسة اللغة العربية ، وسمحت لهم

---

(١) محمد الخامس بن يوسف بن الحسن الأول : وُلد عام ١٣٢٩هـ بمدينة فاس ، ونشأ وتعلّم بها ، ولما بويع بعد وفاة أبيه انتقل إلى الرباط التي جعلها والده عاصمة البلاد .

بالتقاضي حسب العادات والأعراف السائدة لديهم ، وبالدراسة باللغة البربرية . ثم استصدرت مرسوماً آخر عام ١٣٤٠هـ ، نظّمت فيه انتقال الأراضي وملكيتها في المناطق البربرية ؛ بصورةٍ تتعارض مع الشريعة الإسلامية في الإرث ، ثم استصدرت مرسوماً ثالثاً في تاريخ ١٧ ذي الحجة ١٣٤٨هـ (١٦ أيار ١٩٣٠)، وقد جاء فيه أن يحكم شيوخ القبائل في مناطقهم حسب العرف والعادة المتبعة لديهم ، وأن تشكّل محاكم تحكم حسب عادات القبائل البربرية ، فكان أن ثارت ثائرة المسلمين ، فكانت المظاهرات تنطلق من الجوامع ، وأعنفها ما خرج من جامع القرويين بمدينة (فاس) ، ومن المسجد الأعظم بمدينة (سلا) يوم ٨ صفر ١٣٤٩هـ (٤ تموز ١٩٣٠م) ، ولم يقتصر الأمر على المغرب بل تعدّى ذلك إلى المشرق الإسلامي ، ففي مصر كانت جمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية تتعرضان لما يهدف إليه الظهير البربري ، كما كانت مجلة الفتح تنشر المقالات الكثيرة عنه ، وكانت تصل إليها المقالات من كثيرٍ من المغاربة الذين يقيمون في فرنسا ، وينشرون بأسماء مستعارة ، وتوزّع هذه المجلة في المغرب بأعدادٍ كبيرةٍ ، حتى منعت السلطات الحاكمة دخولها ، وشجب المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس عام ١٣٥٠هـ هذا التصرف الذي قامت به السلطة الفرنسية في المغرب .

ونتيجة المظاهرات والمقابلات مع العميد « ميلي » مدير الاستخبارات ، ومع الصدر الأعظم الحاج مقري الذي عيّنه الفرنسيون ، فوفى لهم ، واللقاءات في المساجد ، وذكر اسم الله اللطيف ؛ ظهرت الحركة الوطنية ، فقد دُعي إلى المجلس البلدي ما يقرب من مائةٍ من الأعيان يوم ٢٨ ربيع الأول ١٣٤٩هـ (٢٢ آب ١٩٣٠م) لانتخاب عشرين عضواً لتحرير عريضة بمطالب الأهالي ، وتمّ اللقاء ، وانتخب الحضور عشرين عضواً هم :

١ ـ محمد بن عبد السلام الحلو .
٢ ـ علال الفاسي .
٣ ـ حمزة الطاهري .

٤ - محمد بن الحسن الوزاني .
٥ - عبد الرحمن القرشي .
٦ - أحمد بن الحاج الطاهر مكوار .
٧ - محمد أشرقي .
٨ - أحمد بوعياد .
٩ - محمد بن المفضل بن جلون .
١٠ - عبد السلام المراكشي .
١١ - عبد العزيز بن إدريس .
١٢ - الحسن بوعياد .
١٣ - إدريس بن محمد الوزاني .
١٤ - عبد الواحد الفاسي .
١٥ - إدريس بن عبد الرحمن برادة .
١٦ - الهاشمي الفيلالي .
١٧ - محمد بن العربي التازي .
١٨ - أحمد الرامي .
١٩ - عبد الهادي بن المواز .
٢٠ - عمر بن عبد الجليل .

ثم اختار هؤلاء عشرةً منهم ، وهم :

١ - عبد الرحمن القرشي .
٢ - إدريس بن محمد الوزاني .
٣ - عبد الواحد الفاسي .
٤ - عبد الهادي بن المواز .
٥ - محمد بن المفضل بن جلون .
٦ - محمد بن الحسن الوزاني .
٧ - علال الفاسي .

٨ ـ عمر بن عبد الجليل .
٩ ـ محمد بن عبد السلام الحلو .
١٠ ـ محمد الديوري .

وفي مساء اليوم التالي تكوّنت الجماعة الأولى للكفاح في دار أحمد بن الحاج الطاهر مكوار ، وأقسمت يمين الإخلاص لله ، ثم للوطن والملك ، وأعطيت أسماء حركية بأسماء العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهي :

١ ـ حمزة الطاهري : [أبو بكر] .
٢ ـ علال الفاسي : [عمر] .
٣ ـ محمد بن الحسن الوزاني : [عثمان] .
٤ ـ العربي بوعياد : [علي] .
٥ ـ أحمد بوعياد : [سعد] .
٦ ـ الحسن بوعياد : [سعيد] .
٧ ـ عبد القادر التازي : [طلحة] .
٨ ـ محمد الديوري : [الزبير] .
٩ ـ إدريس بن عبد الرحمن برادة : [عبد الرحمن بن عوف] .
١٠ ـ أحمد مكوار : [أبو عبيدة] .

وأطلق على هذه الجماعة اسم « الطائفة » ، وعلى الجماعة التي تليها اسم « الزاوية » .

وفي ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ (٢٣ آب ١٩٣٠م) ، أعدّت العريضة التي ستقدّم إلى السلطان ، والتي تشمل مطالب البلاد ، وهي :

١ ـ إلغاء التشريعات المتعلّقة بالظهير البربري .
٢ ـ توحيد التشريع والإدارة بالبلاد .
٣ ـ تركيز جمع السلطات بيد السلطان وحكومته .

وبعد ثلاثة أيام أي في ٢ ربيع الثاني سافر الوفد إلى الرباط ، ويتألّف من :

١ ـ عبد الواحد الفاسي .
٢ ـ عبد الرحمن القرشي .
٣ ـ عبد الهادي المواز .
٤ ـ إدريس بن محمد الوزاني .
٥ ـ محمد بن جلون .
٦ ـ علال الفاسي.
٧ ـ محمد بن الحسن الوزاني.
٨ ـ عمر بن عبد الجليل .
٩ ـ محمد الديوري .

غير أن السلطة قد منعت علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوازني من السفر بحجة أنهما قد سجنا بموضوع الظهير البربري ، كما تضامن معهما عمر بن عبد الجليل ؛ فلم يسافر ، وهكذا بقي الوفد ستة أعضاء[1] ، ورجع الوفد يوم ٦ ربيع الثاني بعد أن قابل الملك ، والتقى بالأعضاء العشرين المنتخبين ، وأبلغهم جواب الملك ، وهو : « حيث قدمتم أصلحكم الله ، سننظر في مطالبكم ونجيبكم ولا يكون إلّا الخير » . وعادت المظاهرات ، وذكر اسم الله اللطيف في المساجد ، فاعتقلت السلطات في اليوم التالي محمد بن عبد السلام الحلو مع بعض الناس ، ثم تتابعت الاعتقالات ، فلما كان موعد الحضور إلى جامع القرويين يوم ٩ ربيع الثاني ١٣٤٩هـ (٢ أيلول ١٩٣٠م) لم يحضر سوى خمسة ، إذ كان الآخرون قد اعتقلوا ، أو نُفوا ، أو فرّوا ، والذين حضروا في ذلك اليوم : أحمد مكوار ، وأخوه المدني مكوار ، والحسن بوعياد ، وأخوه محمد بوعياد وعبد القادر الأزرق ، ثم فرّ الحسن بوعياد إلى طنجة ،

---

(١) ادعت السلطة الفرنسية أن سبب المنع هو رفض الملك مقابلة هذين الرجلين ، وذلك للإيقاع بين الملك وأعيان البلد ، غير أن الزعماء لم يقبلوا هذه الدعوى .

ومنها اتجه إلى مصر حيث أقام هناك .

ابتدأت لجان العمل الوطني ، وخاصةً في مدن (فاس) على أنها العاصمة القديمة ، و(الرباط) بصفتها العاصمة الجديدة ، و (سلا) ، و (تطوان) .

لم تطالب الحركات الوطنية باستقلال البلاد ، وجلاء القوات الأجنبية عنها ، فالاستقلال لا ينال إلّا بالسيف ، والعدو لا يجلو إلّا بالطرد ، ولا يكون الطرد إلّا بالقوة ، وقد فشل المغاربة في مقاومتهم المسلّحة ، وأخفقوا في ثوراتهم ، لذا كانت مطالبهم سهلةً على المعتدين ، وتعطي أملاً في التفاهم ، وإمكانية العيش بسلام في ظلّ الحماية الفرنسية رغم ما فيها من ظلمٍ وتشفٍّ ، وما يعقبه من ذلٍّ .

بدأ العمل ، وتجمّع المسلمون ، وبرزت « كتلة العمل الوطني » فكانت أول تنظيمٍ سياسيٍّ في البلاد ، وأصدرت جريدتين باللغة الفرنسية ، إحداهما في فاس ، وتحمل اسم « الشعب » ، وصدرت الأخرى في بارس باسم « المغرب » ، وكانت الكتلة تضمّ المتعلّمين الأوائل من أصحاب العاطفة الإسلامية ، وقد اتصلوا بإخوانهم من أبناء البلدان العربية والإسلامية ، وخاصةً مصر ، حيث كان اتصالهم بجمعية الشبان المسلمين ، وبجمعية الهداية الإسلامية ، إضافةً إلى صلتهم بالصحف مثل الفتح وغيرها ، وصاحبها محب الدين الخطيب ، كما اتصلوا بجمعية العلماء في الجزائر ، وحزب الدستور في تونس . ثم صدرت جريدة « الحياة » ، ومجلة « السلام » في مدينة (تطوان) ، وصدرتا باللغة العربية .

قدّمت كتلة العمل الوطني مذكّرةً إلى الملك محمد الخامس ، وإلى السلطات الفرنسية ، كما أرسلت نسخاً منها إلى ممثلي الدول الأجنبية ، وتشمل المطالب المغربية ، وأهمّها :

١ ـ إلغاء مظاهر الحكم الفرنسي المباشر ، وتطبيق معاهدة الحماية نصّاً وروحاً ،

وقيام حكمٍ ملكيٍّ دستوريٍّ .

٢ ـ ضرورة إلحاق أهل المغرب بالوظائف ليتمرّسوا على العمل .

٣ ـ تحقيق الوحدة القضائية والإدارية للبلاد جميعها ، والمحافظة على وحدة التراب المراكشي .

٤ ـ الفصل بين السلطات .

٥ ـ تأسيس مجالس : بلدية ، وإقليمية ، ومجلس وطني على أن يكون أعضاء هذه المجالس كلها من المغاربة .

والغريب أن الفرنسيين في المغرب كانوا يطالبون بمجلسٍ نيابيٍّ خاصٍّ بهم على حين لم يكن لأهل البلاد بعد مجلس نيابي ، واحتجّت كتلة العمل الوطني على هذا الطلب ،ولكن المقيم الفرنسي حلّ حـزب كتلة العمل الوطني .

واصلت الكتلة نشاطها على الرغم من صدور قرارٍ بحلّها ، ولكن تحت اسم « الحركة الوطنية لتحقيق المطالب » ، وأخذت تسعى في نشر التعليم ، وحماية الثقافة العربية ، ونشر الوعي بين شباب المغرب ، وقد لقيت الكتلة تأييداً من قبل الشعب الأمر الذي زاد من نشاطها ، وأخذت تتحرّك في مختلف النواحي ، ولكنها ظنّت أن نجاح الجبهة الاشتراكية في فرنسا واستلام الحكم يخفّف الوطأة ، وعقدت مؤتمـراً في مدينة الرباط في تاريخ ١٠ شعبان ١٣٥٥هـ (٢٥ تشرين الأول ١٩٣٦م)، وقد اتخذت قرارات مستعجلة رُفعت إلى المقيم الفرنسي، وكُتبت عرائض من قبل الشعب بتأييد قرارات المؤتمر ومطالب الحركة الوطنية، ثم عُقد اجتماعٌ آخر في مدينة الدار البيضاء ، ولكن المقيم الفرنسي « نوغس » اعتقل ثلاثةً من زعماء الحركة الوطنية ، فأعلن الشعب الإضراب العام ، وانطلقت المظاهرات في المدن ، وحدثت معارك عنيفة بين أفراد الشعب المتظاهرين والقوات الفرنسية فما كان من المقيم العام إلاّ أن تراجع ، وأطلق سراح المعتقلين ، وسمح بإصدار أربع صحف باللغة العربية ، وواحدة باللغة الفرنسية ، وكان في هـذا أن عاد للحركة نشاطها ، فافتتحت لها مكتباً في مدينة فاس ، وانتخب علال الفاسي

رئيساً للكتلة فانسحب منها محمد بن الحسن الوزاني ، ووجدت السلطات الفرنسية مجالاً لها في هذا الاختلاف الشخصي بين زعماء الحركة ، فأصدرت قراراً بحلّ الحركة الوطنية في تاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٣٥٥هـ (٩ آذار ١٩٣٧م) .

النشاط السياسي في بلاد الريف : كان العمل السياسي واحداً في مراكش كلها ، ويعدّ في بلاد الريف تتمةً لما يقوم به المغاربة في المنطقة التي تقع تحت سيطرة النفوذ الفرنسي ، فكتلة العمل الوطني أو الحركة الوطنية في مراكش لها امتداد في الريف ، وقد تولّى زعامتها هناك « عبد الخالق الطريسي » ، غير أن حركة فرانكو في إسبانيا قد جعلت الحركة في الريف تنفصل عن الحركة الوطنية في مراكش ، وقد دعا الطريسي حركته باسم « حزب الإصلاح الوطني » ، والواقع أن هذا الحزب قد بقي على صلةٍ وثيقةٍ مع الحزب الوطني في مراكش والذي يرأسه علال الفاسي ، ثم الذي غدا يحمل اسم حزب الاستقلال ، وأخيراً اندمج في حزب الاستقلال عام ١٣٧٦هـ .

أصدر عبد الخالق الطريسي جريدة « الحياة » باللغة العربية في مدينة تطوان في شهر ذي القعدة عام ١٣٥٢هـ (آذار ١٩٣٤م) ، وأسّس المعهد الحرّ ، وشكّل فرق الفتيان المغاربة ، كما اشترك مع آخرين منهم الشريف الوازني ، والطيب ينون ، ومحمد الفاسي ؛ في تشكيل عصبة الفكر المغربي ، ولكن انشقّ محمد المكي الناصري ، وألّف حزب « الوحدة » ، وأصدر جريدة « الوحدة المغربية » ، وأسّس « المعهد الخليفي » ، كما انشقّ عن عبد الخالق الطريسي الزعيم محمود بودرة ، وشكّل حزب الأحرار ، وأصدر جريدة « الريف » . وهكذا أصبح في بلاد الريف ثلاثة أحزاب ، وتنطق باسمها ثلاث صحف .

استمرار النشاط في مراكش : أعاد رجالات البلاد تنظيمهم ولكن باسمٍ جديدٍ هو « الحزب الوطني » برئاسة علال الفاسي ، وأخذوا في

نشاطهم ، فأحسّ الفرنسيون بالخطر عليهم ، فقاموا باعتقال لجنة الحزب التنفيذية كاملة ، ونفوا أعضاءها .

أما محمد حسن الوازني فقد أسّس اللجنة القومية ، ثم أطلق على تنظيمه « حزب الاستقلال الديمقراطي » ، وأصدر جريدة « الرأي العام » لتنطق باسم الحزب ، وكان برنامجه تثبيت الحكم الدستوري النيابي ، والتدرّج في العلاقات مع فرنسا حيث يطالب ببعض الحقوق فإذا حصل عليها انتقل إلى مطالب أخرى ، فإن المطالب الرئيسية يصعب على فرنسا تحقيقها بل البحث فيها ، وهذا ما يؤدّي إلى توتر العلاقات دون الحصول على شيء .

وبدأت الاضطرابات العامة في البلاد بإضراب العمالِ بتحريضٍ من اتحاد العمل الفرنسي ، فأقدمت السلطات الفرنسية على حلّ التجمعات العمالية ، وأعقبتها حوادث مكناس حيث احتفظ الفرنسيون بمياه الري لأنفسهم وحرموا منها أهل البلاد ، فأدّى إلى قيام انتفاضةٍ ساخطةٍ على الدخلاء الأمر الذي جعل المقيم الفرنسي يشرف على إطفائها بنفسه باتخاذ إجراءات تعسفية ، وتلتها حملات عنيفة في المساجد قادها العلماء ضدّ الفرنسيين ، وخاصةً في مدينتي (الرباط) و (فاس) ، فأصدر الوزير الأول قراراً بمنع استخدام المساجد لأسبابٍ سياسيةٍ ، وهي نغمةٌ معروفةٌ في الأمصار الإسلامية ، فإن أي كلمةٍ لا ترضي الحاكم في المساجد يمنعها بعنف ، ويطلق عليها سياسة ، وأنه يجب إبعاد الدين عن السياسة ، وإبقاءه على نقائه وصفائه على حدّ زعم الطغاة ، مع أن الإسلام يشمل جوانب الحياة كلها ، ولا يمكن فصل جانب عن جانب ، وما السياسة إلاّ أحد هذه الجوانب ، ولا يمكن فصلها عن الإسلام أبداً ، وأن المسجد هو المكان الأساسي للبحث في قضايا الحياة كلها ، ودراسة أوضاع المسلمين في العالم كله ، سواء أكان ذلك في خطب الجمعة أم في غيرها ، بل وفي كل وقت من الأوقات ، والمساجد تبقى مفتّحة الأبواب لهذا الغرض ، وفي عهد رسول الله ﷺ ، وفي أيام الخلفاء الراشدين من بعده ، وعلى مدار التاريخ الإسلامي كلما حزب المسلمين أمرٌ نودي :

الصلاة جامعة ، فيتوافد المسلمون إلى المساجد ، وتُعرض القضية ، ويُعرّف الناس بما يجب عليهم اتخاذه .

ولما جاء المستعمرون الصليبيون كانوا في وادٍ ، والمسلمون في وادٍ آخر ، فهم نصارى دخلاء يريدون التشفّي من المسلمين ، وإرواء حقدهم بما يقومون به من جرائم وانتهاك للحرمات ، والمسلمون أبناء البلاد مغلوبٌ على أمرهم ، فلا مكانِ لهم يجمعهم إلّا المسجد ، ولا موضع يلجؤون إليه إلّا المسجد ، ولا موقع يحتمون به إلّا المسجد ، فيتدارسون أمورهم هناك ، ويرفعون مطالبهم ، ويبدون آراءهم ، وكان الأمر طبيعياً أن يحول الدخلاء دون هذا ، ويدّعون إبعاد الدين عن السياسة ، وخرج المستعمرون ، وعادت البلاد إلى يد أبنائها ، غير أن الأحزاب والتنظيمات غير الإسلامية رأت الحديث في المساجد عن شؤون البلاد ليس في مصلحتها ، وإنما هو عليها ، إذ تستفيد منه الهيئات الإسلامية ، وإن لم تكن معادية لها سياسياً فهي تعمل للإسلام ، والأحزاب العلمانية تعادي الإسلام ، فكل لقاءٍ في المسجد إنما هو ضدّ منهجها ، ولا يتفق مع خطها السياسي على الأقل ، لذا فقد حافظت هذه الأحزاب على السياسة الصليبية الاستعمارية سواء أكانت في السلطة أم في المعارضة ، كما استمرّت في تطبيق السياسة الاستعمارية في شعارات فصل الدين عن الدولة ، وعدّت كل حديثٍ في الشؤون العامة في المساجد إنما هو إقحام الدين في السياسة ، وهذا لا يصحّ أبداً على زعم الصليبيين ومن سار على نهجهم .

الحرب العالمية الثانية : اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨هـ (١ أيلول ١٩٣٩م) ، ولم تلبث أن انهارت فرنسا أمام الألمان ، وقامت فيها حكومة « فيشي » برئاسة الجنرال « بيتان » الذي وقّع الهدنة مع الألمان ، على حين بقي الجنرال ديغول خارج فرنسا يعادي حكومته « فيشي » ، ويقاتل بجانب الحلفاء ، وقد شكّل حكومة « فرنسا الحرّة » .

أسرعت إسبانيا واحتلّت طنجة ، وسمحت للألمان بالتدريب في المنطقة المراكشية الخاضعة لنفوذها ، بل قامت مظاهراتٌ فيها تطالب الحكومة

باحتلال المحمية الفرنسية من مراكش ، وقد كان الجنرال « فرانكـو » حاكم إسبانيا إلى جانب الحكومات الاستبدادية في كلٍّ من ألمـانيا وإيـطاليا ، ومن مؤيّديها ، ما دام أنه أحد الاستبداديين .

أما المغرب فتبعت حكومة « فيشي » الموالية للألمان ، وكـان السلطان محمد الخامس بجانب الحلفاء ، ويبدو أنه على كرهٍ بدول المحور الاستبدادية الحكم ، أو كان يحسّ ضمناً أن نتيجة الحرب ستكون لمصلحة الحلفاء رغم أن السنوات الأولى من القتال كانت لمصلحة دول المحور ، بل إن الألمـان قـد اكتسحوا معظم الأرض الأوربية . وكان محمد الخامس على علاقةٍ وطيدةٍ مع الوطنيين في بلاده .

نزل الحلفاء بالمغرب في ١١ ذي القعـدة ١٣٦٢هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٤٣م) ، وخرج منها أتباع حكومة « فيشي » ، وأخذت الحـركة الـوطنية بنشاطها من جديد ، وفي اليوم الأول من عام ١٣٦٣هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٣م) ، نشأ حزب الاستقلال برئاسة علال الفاسي ، وحلّ محلّ الحزب الـوطني ، وتسلّم أمانـة السرِّ فيه أحمـد بلفريـج ، وأصدر الحـزب جريـدة « العلم » باللغة العربية ، وجريدة « الاستقلال » باللغة الفرنسية ، وقد نال تأييداً كبيـراً في الأوساط الشعبيـة ، بل كـان الملك محمد الخـامس من أول المؤيّدين له ؛ وإن كان بشكل سريٍّ ، وفي ١٦ محرم ١٣٦٣هـ (١١ كانون الثاني ١٩٤٤م) التقت الأحزاب المغربية ، واتخـذت ميثاقـاً تضمن أهداف الشعب المغربي ، ووقّع عليها أربعةٌ وستون زعيماً من رجالات البلاد ، وفوّضوا حزب الاستقلال بتقـديم المطالب إلى الملك ، وإلى المقيم الفـرنسي العام ، ومتابعة مراحل المطالبة بالاستقلال ، وكانت أهمّ بنود هذا الميثاق :

١ ـ المطالبة بالاستقلال التام ، ووحدة الأراضي المغربية .

٢ ـ إقرار الملكية الدستورية كنظامٍ للحكم .

٣ ـ التعاون بين الملك والشعب على تحرير البلاد ، وتحقيق الإصلاح المنشود على أنه أمر داخلي لا علاقة للفرنسيين بالتدخّل فيه .

وقد قرّر الزعماء أن نظام الحماية لا يحقّق شيئاً للبـلاد ، ولا يمكن أن تستفيد منه ، وأن الاستقلال هو السبيل الوحيد لتحقيق الإصلاح .

قدّم الحزب المطالب إلى الملك ، وإلى المقيم العام ، أما الملك فقد أيّد هذه المطالب دون الرجوع إلى السلطات الفرنسية ، وشكّل لجنةً لدراستها ، وعقد مؤتمراً للأعيان ، وعيّن لجنةً لـلاتصال مـع الحزب ، أمـا المقيم العام الفرنسي فقد كان ردّه بالأمر بإلقاء القبض على زعـماء الحزب ، ونفيهم إلى الجنوب ، ووقعت أحداثٌ داميةٌ ، وامتلأت السجون بأبناء البلاد وزعمائهم .

وقدّم المقيم العام « جبريل بيو » كردّ فعل مشروعاً سـمّاه إصلاحيـاً ، ولكن في حدود معاهـدة الحمايـة التي يرفضهـا المغاربـة إذ تتنافى مـع سيادة بلادهم ، وردّ عليه حزب الاستقلال ، وبـيّن أن هذا المشروع اعتـداء على حقوق المغرب إلاّ أن المقيم العام قد أصرّ على المشروع ، وأراد فرضه بالقوة ، غير أنه أخفق في ذلك ، وحاول فرضه بالتمويـه ففشل ، فـاتخذ إجـراءاتٍ تعسفيةٍ شديدةٍ ، وقام باعتقال زعـماء الحزب ونفيهم ، حيث نُفي « عـلال الفـاسي » إلى (الغابـون) و « أحمد بلفـريج » إلى جـزيرة (كـورسيكـا) ، و « محمد اليزيدي » إلى (بنزرت)، و . . . ، وقـامت مظاهـرات في أنحاء متعددة من البلاد تضامناً مع الحزب وزعمائه ، فقمعها الفرنسيـون بعنف ، ونفّذوا حكم الإعدام بعددٍ من الشباب صباح ١٢ ربيع الأول ، ولمـا رأت فرنسا أن الحركة الوطنية عنيفة ، وأن التعسّف قد يجرّ ويلاتٍ عليها ، لذا فقد غيّرت سياستها ، واستدعت المقيم العام « جبريل بيو » ، واستبدلته بآخر .

بعد الحرب : جاء المقيم العام الجديد « أريك لابون » ، فأمر بإعادة الزعماء المنفيين ، وإطلاق سراح المسجونين السيـاسيين ، والسـماح بإصـدار صحفٍ عربيةٍ ، وذلك كنوع من سياسة الإرضاء ، أو محاولة الموافقـة على السياسة الجديدة ، إذ قدّم مشروعاً سمّاه إصلاحياً أيضاً ، ويعتمد على سياسة نظام اللامركزية بالحكم بصورةٍ يستفيد منه المستعمرون بالحكّام . فمن ناحية الحكم اقترح أن تُجرى انتخابات في المدن والقرى لممثلين في المجالس لها ، على

أنهم جزء من الأسرة المغربية ، حيث يقترح المشروع دمجهم مع أبناء المغرب في أسرةٍ واحدةٍ على حدِّ تعبيره، كما يُعدّ السلطان ملكاً للعنصرين ، أما من الناحية الاقتصادية فقد رسم المقيم العام سياسة بقاء استعمار فرنسا اقتصادياً للمغرب حتى بعد الاستقلال الذي يعدّ أنه آتٍ لا محالة ، فقد حاول أن يؤمّم بعض المناجم [بصفته الاشتراكية] لحساب الحكومة الفرنسية الاستعمارية ، وأن يؤسّس شركاتٍ استثماريةٍ فرنسيةٍ ، وبدأ التأسيس فعلاً .

ردّ حزب الاستقلال على مشروع المقيم العام والذي عارضه الملك أيضاً . رفض الحزب والملك اشتراك الفرنسيين في الحكم في المجالس المنتخبة فهم غرباء عن البلاد ، وليس لهم الحقّ في حكمها ، واقترح كبديل إلغاء معاهدة الحماية العمل في مشروع اتفاقيةٍ للاستقلال ، وأما في المقترحات الاقتصادية فقد عدّ الحزب مشروع المقيم العام نوعاً من الإقطاع الفرنسي في أرض المغرب ، وأسّس الحزب لجنةً اقتصاديةً لتوجيه الممولين المغاربة للردّ العملي على المشروعات الفرنسية ، فلما مضى المقيم العام في تأسيس الشركات الفرنسية ، ومنها شركة الطيران ؛ أسّس الوطنيون شركة « النجوم » للنقل المدني الجوي . وأسّس المقيم العام شركةً للإخراج السينمائي ؛ فأسّس الوطنيون شركة « استديو المغرب » .

قام الملك بزيارةٍ لطنجة ، وأتبعها بزيارةٍ لبلاد الريف ؛ كنوعٍ من التظاهر بتأييد سياسة حزب الاستقلال ، وقد ألقى خطباً ، واستُقبل استقبالاً حافلاً في كلتا المنطقتين ، وكان يعلن في كل كلمة يلقيها وحدة المغرب ، وأن كل أقليمٍ منه جزء لا ينفصل عنه ، وأن المغرب لها شخصيتها العربية والإسلامية لا تحيد عنها ، ولا تتزحزح مهما تعرّضت لعوامل ، وقد أقضّت هذه الزيارات مضاجع الفرنسيين ، وكانوا من قبل قد حاولوا ثنيه عن القيام بهذه الزيارات ؛ فلم يفلحوا ، وارتكبوا عدة مذابح وجرائم في الدار البيضاء ليحولوا دون قيامه بالزيارة ؛ فلم ينجحوا .

امتنع الملك عن التصديق على مشروع مرسومٍ خاصٍّ بتأسيس شركةٍ

فرنسية للفحم ، ورفض كذلك التصديق على عددٍ من مشروعات المراسيم التي تهدف إلى تمليك الثروة المغربية للحكومة الفرنسية أو لشركاتٍ فرنسيةٍ ، فزاد الموقف تأزّماً بين الملك والسلطات الفرنسية الحاكمة ، وزاد أكثر عندما قام الملك برحلته إلى طنجة ، وكلامه عن ضرورة التعاون بين المغرب والجامعة العربية .

غيّرت فرنسا المقيم العام ، وأرسلت مقيماً آخر هو الجنرال « جوان » تحدّياً لإرادة الملك الذي كان قد كتب إلى باريس يرجو أن يكون المقيم العام من غير العسكريين . فجاء « جوان » وهو من مواليد الجزائر ، ويرى بشكلٍ صريحٍ أن فرنسا يجب أن تحتفظ بممتلكاتها في شمالي إفريقية بأي ثمن [كنوع من الاشتراكية التي ينتمي إليها ، وتأييداً لسياسة حكومة « رامادييه » الاشتراكية التي تحكم فرنسا يومئذ] ، وهو رجلٌ صلبٌ لا يتزحزح عن موقفه ، ويستحيل ثنيه عن فكرةٍ تخطر في باله أو رسمها في ذهنه مسبقاً .

ما أن وصل « جوان » إلى مراكش حتى أخذ يستعمل التهديد ، والمكر والخداع ، ويحاول الإيقاع بين الزعماء ، وبين الشعب بعضهم على بعض ، فقد حاول إقناع بعض العلماء لإصدار فتوى بمخالفة أعمال الملك للشرع ، وحاول تشويه سمعة حزب الاستقلال متهماً زعماؤه بأنهم جماعة من المتعلّمين الناقمين العاطلين عن العمل ، ولا يمثّلون إلّا أنفسهم . وحاول أن يفسد بين العرب والبربر ، وأن يفسد بين السلفية والصوفية ، فقد حرّض عبد الحي الكتاني شيخ الطرق الصوفية للوقوف ضدّ حزب الاستقلال الذي لا يؤيّد الصوفية ، ويعدّ الملك من الذين يدعمون حزب الاستقلال ، وبذا أصبح الكتاني مناوئاً للملك ، وعمل على إصدار منشورات تنال من الأسرة الحاكمة ، وتحمل توقيع اسم حزب مستعار ، تارةً تحمل اسم حزب الله ، وتارةً حزب الإخوان المؤمنين ، ورغب في استصدار مرسوم يمنع فيه من الهتاف بالحرية والاستقلال فيما إذا رأى الملك أو ولي العهد .

حاول حزب الاستقلال التفاهم مع باريس مباشرةً متخطياً الجنرال

« جوان » نتيجة إجراءاته التعسفية ، وطريقة المكر والخداع التي يتخذهـا ، وأسلوب الإيقاع الـذي يسلكه ، فسافر وفدٌ من الحزب يتألّف من : عمر بن عبـد الجليـل ، وعبـد الكـريم جلون ، وأحمـد الحميـاني ؛ لشرح المـوقف للمسؤولين وللرأي العام الفرنسي ، فلم يظفر الوفد بحاجته . ثم سافر أمين سر الحزب أحمد بلفريج ؛ فلم يصل إلى نتيجة ، ثم ذهب علال الفاسي ، فأخبر أنه لا أمل بالتفاهم مع أحدٍ من المغاربة مهما كان مركزه بعد أن مُنح المقيم العام الجنـرال « جوان » سلطاتٍ واسعـةٍ ، وأعطي صـلاحيات خلع الملك إذا اقتضى الأمر ، فرجع علال الفاسي إلى الرباط ، غير أنه قد رأى أن نشاطه محصور ، ولا بدّ من الانطلاق ، فسافر إلى القاهرة في جمادى الآخرة ١٣٦٦هـ (أيار ١٩٤٧م) ، والتقي هناك بالأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كان قد لجأ إلى مصر ، وأسّسا مكتب المغرب العربي ، واستلم محمد الخطابي رئاسته .

وقف الملك من المقيم العام الجنرال « جوان » موقفاً صلباً ، إذ كـان يرفض توقيع مشروعات القوانين التي تُعرض عليه ، ويحيلها إلى لجانٍ وزاريةٍ لدراستها ، فكانت هذه اللجان تقترح مشروعات تغاير فكرة المقيم العام ، وتوافق رغبات الملك ، فيقرّها . ورفض فكـرة وزارة مشتركـة من المغاربـة والفرنسيين، ومجلس للشورى مشترك، بل رفض مبدأ اشتراك الفرنسيين أساساً في المجلس والوزارة ، وكاد الأمر يصل إلى القطيعة بين الطرفين ، بل إلى الانكسار .

زيارة فرنسا : خشيت فرنسا أن تقع الواقعة بين الملك وبين المقيم العام « جوان » ، وأن يساند الشعب الملك ، وعندها يصعب رتق ما خرق ، لذا رأت أن تجامل الملك بعض المجاملة لتقريب الشقة بينها وبينه ، وربما يؤدّي هذا التصرّف وما تقوم به بعده من محاولة إيجاد هـوةٍ بين الملك وشعبـه إلى إخضـاع الملك وتأديبـه ـ على حسب رأيهـا ـ وكل من يعـاندهـا ويخرج عن إرادتها ، وضرب الشعب بما يستحقّ . دعت فرنسا الملك لـزيارتهـا ، فلبّى

الدعوة ،وسافر في ١٩ ذي الحجة ١٣٦٩هـ (١ تشرين الأول ١٩٥٠م) ، ومعه الوزراء ، والأعيان ، وبعض القادة ، وديوانه الخاص ، وفي اليوم الثاني من أيام وصوله قدّم مذكّرةً لرئيس الجمهورية طالب فيها بإلغاء معاهدة الحماية التي فرضتها فرنسا على بلاده ، ودرست الوزارة الفرنسية مذكرة الملك مع أنها تعرّضت لضغطٍ شديدٍ من السلطات الفرنسية في مراكش ، بل ومن المستوطنين الفرنسيين هناك ، ورأت الوزارة أن على فرنسا أن تتابع الحماية مع إمكانية إجراء بعض الإصلاحات الإدارية التي يمكن أن تدرسها لجنةٌ مغربية ـ فرنسية .

وانتهت زيارة الملك لفرنسا ، وقبل أن يغادر باريس أعطى رئيس الجمهورية الفرنسي مذكرةً ثانيةً أبدى فيها أسفه لإصرار الحكومة الفرنسية على التمسّك بمعاهدة الحماية ، وتفضيلها مصالح المستوطنين الفرنسيين على كل مصلحة ، بل على أهل مراكش جميعاً ، وطالب مرةً أخرى بمذكرته باستقلال مراكش ، ودعا فرنسا لعقد معاهدة على أساس هذا الاستقلال ، ورجع من غير أن يحقّق شيئاً أو يظفر بحاجة .

وعندما عاد الملك أخذ تهامي الجلاوي يعلن تأييده لفرنسا ، وينتقد موقف الملك من مسايرة حزب الاستقلال ودعمه رغم أنه لا يمثّل سوى فئةٍ قليلةٍ من أهل المدن . ولكن أظهر الشعب تأييده للملك ، وظهر هذا خاصةً في الاحتفالات التي أقيمت في البلاد بمناسبة ذكرى جلوس الملك على عرش البلاد ، وإن الأعضاء المنتخبين في مجلس شورى المقيم قد تكلّموا بالثناء على الملك ، وإن العضو « محمد الأغزاوي » قد ألقى كلمةً أعلن فيها فشل نظام الحماية ، وطالب بالاستقلال ، فما كان من المقيم العام إلاّ أن أسكت الخطيب « محمد الأغزاوي » ، ومنعه من متابعة الكلام ، وطرده من القاعة ، فخرج غاضباً محتجّاً ، وخرج معه تضامناً « أحمد اليزيدي » و « محمد العراقي » ، ثم خرج أكثر الأعضاء المنتخبين ، أما المعيّنون فهم من أنصار السلطة الفرنسية ، وما عيّنوا إلاّ لهذه الصفة ، وقد انطلق الذين خرجوا من القاعة إلى

قصر الملك ، فاستقبلهم بحفاوة ، واستمع منهم .

وعاد الفرنسيون إلى التهديد ثانيةً ، وكان المقيم العام الفرنسي في رحلةٍ إلى أمريكا ، فقبل أن يغادر مراكش مرّ على الملك ، كمودعٍ حسب الأعراف السياسية ، إلاّ أنه قدّم له إنذاراً يطلب منه فيه :

١ ـ طرد أعضاء ديوان الملك .
٢ ـ طرد بعض كبار الموظفين .
٣ ـ التخلّي عن حزب الاستقلال ، وعن تأييده ومساعدته .
٤ ـ توقيع مشروعات المراسيم المجمّدة .

وأنذره أنه في حالة رفضه لهذه البنود فما عليه إلاّ أن يتنازل عن العرش ، أو تخلعه فرنسا بالقوة ، وتشهّر به ، وسافر المقيم العام ، وعاد فوجد الملك على حالته لا يتزحزح عنها أبداً ، فجدّد إنذاره ، فلم يتغيّر شيء ، واستمرّ الملك على سياسته الأولى ، غير أن القوات الفرنسية قد قامت بتهديد عملي ، إذ احتلّت المدن الرئيسية ، وحاصرت قصر الملك في تاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٣٧١هـ (٢٤ شباط ١٩٥٢م) ، فاضطرّ الملك إلى عزل أعضاء ديوانه ، وعزل رئيس جامعة القرويين في مدينة فاس ، وتوقيع بعض المراسيم التي سبق أن رفض توقيعها ، كما أصدر بياناً في اليوم التالي أعلن فيه أنه فوق الأحزاب ، وشجب أعمال العنف والانقسامات المخالفة للدين الذي يأمر بعدم الفرقة ، وأكّد صداقته لفرنسا .

كانت جامعة الدول العربية قد بحثت في دورتها العادية أوضاع المغرب ، واستنكرت الأعمال التي تقوم بها فرنسا هناك . وكان مندوب جريدة الأهرام المصرية زائراً لمدينة الرباط في تلك الأيام ، فأعلن له الملك أنه رضخ لتنفيذ ما قام به مكرهاً ، ونشرت الجريدة الخبر ، فكان له أسوأ الأثر في نفوس المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي أجمع .

وقامت بعض ردود الفعل الداخلية ، لكن لم تكن على المستوى

المطلوب ، إذ احتفل حزب الاستقلال في طنجة في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٧١هـ (٢٢ آذار ١٩٥٢م) بمناسبة ذكرى تأسيس الجامعة العربية ، أو ما يُعرف خطأً بعيد جامعة الدول العربية ، فقام بمظاهرةٍ ضخمةٍ بهذه المناسبة ، ورُفعت فيها أعلام الدول الإسلامية المستقلّة ، وبعض الدول الآسيوية والإفريقية الأخرى ؛ إظهاراً لارتباطها بها .

قضية المغرب في الأمم المتحدة : خرجت قضايا المغرب عن إطارها المحلي، وترددت أصداؤها في أكثر الدول الإسلامية ، وعرضت كتلة الدول الآسيوية ـ الإفريقية القضية على هيئة الأمم المتحدة أثناء اجتماعها في باريس ، غير أن الجمعية العمومية قرّرت تأجيل النظر فيها ، إذ أن الكتلة الآسيوية ـ الإفريقية رغم كثرة عدد أصواتها في الهيئة إلّا أن أثرها الحقيقي ضعيف ، والأثر الفعلي للدول الكبرى رغم قلة عدد أصواتها نسبياً . وأن الدول التي تسمّى دول عدم الانحياز ليست في الواقع كذلك ، فإن أكثرها منحاز ، ومضطرٌ للالتزام بما تمليه عليه الدول العظمى المرتبطة بها سياسياً أو اقتصادياً أو مصلحة أو. . . .

أتى الخريف ، وجاءت ذكرى جلوس الملك محمد الخامس على عرش المغرب ، فاحتفل حزب الاستقلال بهذه المناسبة ، وشاركت وفود البلدان العربية ، وتكلّم بعضها . وفي المناسبة نفسها أعلن الملك في الرباط ضرورة إلغاء معاهدة الحماية ، وطالب الشعب بالهدوء ، وذكّرهم أن المطالبة تكون بالهدوء ، وتُنال بالرضا .

وبدّلت فرنسا المقيم العام ، وجاء المقيم الجديد « أغوستين غيوم » في ٢٨ ذي القعدة ١٣٧١هـ (١٨ آب ١٩٥٢م) .

وتجمّعت الأحزاب الوطنية في ١٤ ربيع الثاني ١٣٧١هـ (١١ كانون الثاني ١٩٥٢م) ، وشكّلت جبهةً وطنيةً واحدةً وقدّمت مذكرةً إلى الملك ؛ هي المذكرة نفسها التي قدّمتها قبل ثمان سنوات في اليوم نفسه .

بدأت بعض الأمصار الإسلامية تتجاوب مع الأصداء التي تصل إليها من المغرب ، وتتفاعل معها ، إذ قدّمت الدول العربية احتجاجاً إلى هيئة الأمم المتحدة وإلى فرنسا على الأعمال التي تقوم بها فرنسا في المغرب ، وطالبت حكومة الأردن الولايات المتحدة بالتدخّل في الأمر ، وقامت مظاهرات صاخبة في باكستان ولبنان ضدّ فرنسا وجرائمها في المغرب ، واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٧١هـ (١٣ آذار ١٩٥٢م) ، وقررت الاحتجاج على أعمال فرنسا ، وإثارة القضية في الأمم المتحدة ، ورُفعت مذكرة احتجاج فعلاً من السعودية ، ومصر ، والأردن ، وسوريا ، غير أن الحكومة الفرنسية قد رفضت تلك المذكرة وردّتها .

قوي موقف الملك بعد أن رأى ذلك التأييد في الداخل وفي الخارج ، فبعث في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٧١هـ مذكرةً إلى رئيس الجمهورية الفرنسية أيّد فيها المطالب الوطنية بالاستقلال وإلغاء معاهدة الحماية ، فرفضت الحكومة الفرنسية المذكرة والمطالب الوطنية ، وتقدّمت بعروضٍ جديدةٍ ، غير أن الملك قد رفضها أيضاً ، وأصدر في أوائل رجب من عام ١٣٧١هـ بياناً بيّن فيه أوجه الخلاف بين الملك والشعب المغربي من جهةٍ وبين السلطات الفرنسية من جهةٍ ثانيةٍ .

قدّمت العراق مذكرةً إلى هيئة الأمم المتحدة ، وطلبت فيها عرض قضية المغرب عليها ، وأيّد العراق ثلاث عشرة دولة إسلامية ، وأقرّت اللجنة التوجيهية صفة الاستعجال للقضية ، وناقشت اللجنة السياسية موضوع المغرب ، ورفضت مشروعاً عربياً ، وأقرّت مشروعاً تقدّمت به دول أمريكا اللاتينية مرن المفهوم ، ووافقت عليه اللجنة العمومية بأكثرية خمسةٍ وأربعين صوتاً .

انفراج الأزمة باشتدادها : أعلن حزب الاستقلال واتحاد النقابات في المغرب الإضراب العام تضامناً مع تونس التي أضربت بسبب مقتل « فرحات حشّاد » على أيدي السلطات الفرنسية ، فاستغلّ الفرنسيون هذه الفرصة بالإضرابات ، وقاموا بمذبحةٍ في مدينة الدار البيضاء ذهب ضحيتها أربعة

آلاف مواطن ، كما اعتقلوا زعماء حزب الاستقلال ورؤساء اتحاد نقابات المغرب ، وأعلنوا حلّ حزب الاستقلال ، وعطّلوا الصحف العربية ، وقاموا بإجراءاتٍ تعسفيةٍ كثيرةٍ ، ثم ألزمت الكثير من الوجهاء والقادة على التوقيع على عريضة تطالب بخلع الملك لمعارضته الإصلاحات التي تحتاج إليها أجهزة الدولة والإدارات ، لأن ثقافته عصرية (علمانية) تخالف تعاليم الإسلام السمحة ، ولذا فهو لا يصلح أن يكون مرجعاً في الأمور الدينية ، ويجب خلعه ، وذلك في تاريخ ١٧ رمضان ١٣٧٢هـ (٣٠ أيار ١٩٥٣م) .

وعقد « تهامي الجلاوي » مؤتمراً في ٣ ذي الحجة ١٣٧٢هـ (١٣ آب ١٩٥٣م) الهدف منه معاداة الملك ، وقد أعلن في هذا المؤتمر خلع الملك ، وكانت فرنسا قد قررت التخلّص من الملك بأية صورةٍ من الصور ، وإنما أخذت تمهّد لذلك ، وتقوم بالمقدّمات ، وفي التاسع من شهر ذي الحجة من عام ١٣٧٢هـ أي يوم الوقوف بعرفة قدّم المقيم العام الفرنسي « أغوستين غيوم » وثيقةً للملك تتضمن اختياره بين التنازل عن الملك أو النفي ، غير أن الملك قام بتمزيق الوثيقة ، وألقى بها ، وفي اليوم التالي صبيحة عيد الأضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٧٢هـ (٢٠ آب ١٩٥٣م) جاءت قوةٌ من القوات الفرنسية ، واعتقلت الملك وأفراد عائلته ، ونقلتهم إلى المطار ، حيث أقلّتهم طائرة إلى (أجاكسيو) عاصمة حزيرة كورسيكا، ثم بعدئذٍ حُملوا إلى جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي في شرق إفريقية ، ونُصِّب مكانه أحد أفراد أسرته وهو محمد بن عرفة .

تفاقم الوضع ، ولم يعد هناك من حلٍّ يرضي أحد الطرفين إلاّ بتحقيق مبتغاه ، فإما أن يحصل المغاربة على الاستقلال ، وتتراجع فرنسا عن موقفها ، وتتخلّى عن المغرب وتنسحب ، وإما أن تصرّ على موقفها ، وتتشبّث بالأمر ، وتفتك بأكثرية السكان ، ويبدو من أول الأمر أن الأحداث كانت تجري لمصلحة الموقف الأول ، إذ تضافر الشعب كلّه إلاّ قليلاً منه ، وهبّ لتأييد الملك، وأبدى تمسّكاً به، والعمل على إعادته، وامتاز المنافقون والعملاء؛ عن

الصادقين بالعمل لبلدهم .

وانطلق المخلصون ولم يستمعوا إلى طلب بعض الزعماء بالهدوء خوفاً من موجة النقمة العارمة المرتقبة ، ولم يرعووا إلى أحد، ولم يعد أحدٌ يقبل بفكرة الحلّ السلمي والمفاوضة ، والعمل السياسي . وانقضّ الثائرون على عددٍ كبيرٍ من المتعاونين مع فرنسا ، والموالين لها ، والذين ينادون بالتفاهم معها ؛ ففتكوا بهم .

وتجاوز الأمر منطقة الحماية الفرنسية ، ووصل إلى منطقة الريف حيث الحماية الإسبانية ، إذ اجتمعت القبائل ، وعقدت مؤتمراً في ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ (٢٠ كانون الثاني ١٩٥٤م) حضره المندوب السامي الإسباني الجنرال « غارسيا » ، وقد أعلن الحاضرون تأييد الملك محمد الخامس ، واستنكار ما أقدمت عليه فرنسا من اعتقال ونفي لرمز بلاد المغرب .

وفي منطقة الحماية الفرنسية جرت محاولة لاغتيال محمد بن عرفة المنصّب من قبل الأعداء ، ولعددٍ من البارزين في تعاونهم مع السلطات الفرنسية ، وقاطع السكان البضائع الفرنسية تلقائياً ، وزادت الاضطرابات ، ونتيجةً للأعمال المعادية للفرنسيين كان لا بدّ من تخطيط وتنظيم ، وتدبر للموضوعات والمراقبة ، فنشأ عن ذلك جيش التحرير السري الذي استطاع أن يقوم ببعض الأعمال الناجحة في الإغارة على ثكنات الجيش الفرنسي ، وعلى بعض مؤسساتهم ، ومراكز الشرطة ، وتجاوز الأمر فوصل إلى بعض أفرادهم .

التراجع الفرنسي : أمام السيل الشعبي الجارف ، والتأييد الدولي ، واستنكار الأعمال الفرنسية ، والجرائم التي تمقتها النفوس الكريمة ؛ كان لا بدّ من التراجع .

بدأ التراجع بتغيير المقيم الفرنسي العام ، إذ جاء « فرنسيس لاغوست » ، ولكن ذلك لم يجدِ شيئاً ، رغم كثر التصريحات التي فيها شيءٌ من محاولة إعطاء الاطمئنان للشعب ، وعادت الدول الإسلامية إلى عرض مشكلة

المغرب على الأمم المتحدة ، ولكن حزب الاستقلال أصرّ على رفض أي حلٍّ في ظلّ السلطان المنصّب محمد بن عرفة .

فكّرت فرنسا بالموضوع ، فرأت أن السلطان المنصّب ليس إلّا دمية تحرّكها هي ، ولا يستطيع أن يتصرّف في أي أمرٍ حتى يرجع إليها إذ لا رأي له ، فلا فائدة منه أبداً فمنصبه ودونه سواء ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فهو مكروهٌ من الشعب ، بل يعدّه عدوه ما دام قد قبل المنصب مكان الذي يرغبه الشعب ويؤيّده ، وما دام الملك الشرعي قائماً لا داعي لوجود هذا ، ثم إنه مفروضٌ على الرعية فرضاً ، ومن قبل الأعداء ، وبعد هذا فهو من أسرة الملك الشرعي ، لذا لا يمكن إقناع السكان بابن عرفة أبداً .

الدول غير راضية عن تصرّف فرنسا : الدول الإسلامية تضامناً مع المغرب لرابط العقيدة ، فالمغرب جزء من ديار الإسلام ، ومصر إسلامي له مكانته . دول المعسكر الشرقي منافسةً لدول المعسكر الغربي ، ومتاجرةً بمحاربة الاستعمار ، وأنها مع الدول المستضعفة ، وتمهيداً لمدّ جذورٍ لها هناك وبذر الأفكار الشيوعية . الدول الاستعمارية خوفاً على مواقعها التي تتشبّث بها ، وإحدى هذه الدول فرنسا بالذات حيث تتوقّع انتقال الحركات إلى البلدان الإفريقية الأخرى ، وخاصةً المجاورة لمراكش ، والواقع أن تونس قد تحرّكت المقاومة فيها ، وأرض الجزائر قد التهبت بالثورة ، وتصل إليها المساعدات من الدول الإسلامية ؛ وإن كانت على نطاقٍ ضيّق ، ولا تزال من نوع الأسلحة القديمة المنسّقة من الجيوش إلّا أنها صالحة لرجال الثورة ، وليس غريباً إن عمّ البركان بلاد المغرب كلها أن ترفع راية الجهاد ، وتنطلق من مختلف أرجاء الأمصار الإسلامية . ولكن يجب أن نأخذ دور الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الموضوع بالدرجة الأولى فهي سيدة الدول الغربية ، ومعسكر شمالي الأطلسي ، وأقوى دول العالم ، ولا شكّ فإن لموقفها دوراً حاسماً في القضية .

في هذا الوقت كانت الولايات المتحدة تسعى جاهدةً لتحلّ محلّ إنكلترا وفرنسا وبقية الدول الغربية في مستعمراتها ؛ لتزداد قوّة إلى قوتها ، ولتضعف

الدول الغربية أمامها ، فتبقى زعيمتها ، وتدور الدول في فلكها ، كما تدور الدول الشيوعية في فلك روسيا ، فيصبح الحلف أكثر تماسكاً ما دام الذي يسيّره جهة واحدة ، وليست جهات متعددة ، والرأس فيه واحد ، وليس عدة رؤوس ، وفي الوقت نفسه لا يضيع أي شيءٍ على المعسكر ، فما كان يأتي لهذه الدول متفرّقاً أصبح يأتي مجتمعاً ، وعوضاً من أن يصبّ في عدة مصبّات يصبّ في مكانٍ واحدٍ .

حلّت الولايات المتحدة الأمريكية محلّ حلفائها بعد انقلاباتٍ عسكريةٍ أو تغييراتٍ اقتصاديةٍ ، وكلما كان النفوذ السابق أكثر رسوخاً كانت الصعوبة في التغيير قائمة ، أما هنا فالوضع مختلف إذ لا نفوذ لأي دولةٍ أجنبيةٍ في المغرب ، والدولة ذات السيطرة هي فرنسا ، وبلاد المغرب شعباً وملكاً على خلافٍ كبيرٍ معها ، وقنوات التفاهم مسدودة بين الطرفين ، بل فُصِمت وكسرت ، فالأمر لا يحتاج إذن إلاّ إلى التفاهم مع ملك المغرب لأخذ مكان الصدارة أو حقّ الأفضلية بين الدول الأجنبية في المشروعات الاقتصادية ، والتفاهم السياسي ، وتبادل الخبرات ، وما إلى ذلك من مصطلحات تستعمل في قاموس الاستعمار ، وسيتمّ هذا دون تفاهم مسبق ما دام الخلاف قائماً بين سكان البلد المستضعف وبين الدولة المسيطرة وذات النفوذ الاسمى، وليس على الولايات المتحدة سوى الوقوف بجانب المغرب ، والضغط على فرنسا لتغيّر من سياستها ، وتتخذ الحكمة ، وتنسحب من الميدان ، إذ يستحيل التفاهم ، ولا داعي لإثارة الرأي العام العالمي ضدّ دول الحلف ، ولا لاستغلال الشيوعية هذه الموضوعات لمحاربة معسكر الغرب .

ومارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغطها ، وما كان على فرنسا إلاّ أن تخضع ؛ وقد غلّقت المنافذ أمامها ، فجيش التحرير يغير على المواقع الفرنسية في داخل المغرب ، والمستوطنون الفرنسيون يتعرّضون للخطر ، ويخشون على أنفسهم ، وأعوانها لا يجرؤون على الظهور ، وصنيعتها السلطان لا رأي له ، وليس في الشعب من يرغب به سلطاناً ، والنيران تشتعل في

المناطق المجاورة للمغرب ، وتلتفّ حول الفرنسيين من كل ناحيةٍ تريد حرقهم، والرأي العام يستنكر تصرّفاتها، والشيوعية تفضح مواقف المستعمرين استغلالاً ولمصلحتها ، وفوق كل هذا يأتي الضغط الأمريكي عنيفاً قاسياً .

رضخت فرنسا للأمر ، واتصلت مع الملك محمد الخامس في منفاه ، ووقّعت اتفاقيةً مغربيةً ـ فرنسيةً في (إكس لي بان) في شهر ذي الحجة ١٣٧٤هـ (آب ١٩٥٥م) حددت فيها كيفية عودته إلى بلاده ، ثم صدر تصريح مشترك من الملك ومن فرنسا في تاريخ ٢١ ربيع الأول ١٣٧٥هـ (٦ تشرين الثاني ١٩٥٥م) ، وهو ما عُرف بتصريح « سان كلو » ، واعترفت فيه فرنسا باستقلال مراكش ، وإقامة حكم ملكي دستوري فيها ، وفي غرة ربيع الثاني ١٣٧٥هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٥٥م) حطّت الطائرة في مطار (سلا) شمال الرباط تقلّ الملك محمد الخامس وعائلته ، وقد أعيد إلى عرشه ، وحُمل الصنيعة محمد بن عرفة إلى طنجة .

وبعد مدة سافر محمد الخامس مع وفد وزاري إلى مدريد حيث وقّع مع إسبانيا على تصريح يلغي الحماية الإسبانية على منطقة الريف ، وذلك في تاريخ ٦ شعبان ١٣٧٥هـ (٧ نيسان ١٩٥٦م) ، وبذلك توحّدت الأقسام الرئيسية ، وإن بقيت جيوب إسبانية في بلاد المغرب مثل : طرفايا ، وإفني ، وسبتة ، ومليلة ، و . . . ، إضافةً إلى الصحراء المغربية .

وفي ٢٢ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ (٧ كانون الأول ١٩٥٥م) عُهد إلى مبارك البكاي ـ وهو من المستقلّين ـ بتشكيل وزارة ائتلافية[1] ، ضمّت أربعةً

---

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ مبارك البكاي : رئيساً للحكومة — مستقل

٢ ـ محمد الزغاوي : نائباً لرئيس الحكومة . — مستقل .

٣ ـ الحسن اليوسي : وزيراً للداخلية . — مستقل ، حتى ٢٤ رمضان ١٣٧٥هـ .

٤ ـ عبد الملك فرج : وزيراً للصحة . — مستقل

=

من المستقلّين ، منهم رئيس الحكومة ، ونائبه ، ووزير الداخلية ، ووزير الصحة ، وبعد خمسة أشهر تخلّى وزير الداخلية عن حقيبته ، كما ضمّت تسعة من حزب الاستقلال ، ثم أضيف إليهم أحمد بلفريج وزيراً للخارجية ،

= ٥ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للعدل . من حزب الاستقلال

٦ ـ أحمد بن منصور : وزيراً للزراعة . من حزب الاستقلال .

٧ ـ أحمد اليزيدي : وزيراً للصناعة والتجارة . من حزب الاستقلال .

٨ ـ محمد الدويري : وزيراً للأشغال العمومية . من حزب الاستقلال

٩ ـ محمد الفاسي : وزيراً للتعليم من حزب الاستقلال .

١٠ ـ عبد الله إبراهيم : وزيراً للأنباء والسياحة . من حزب الاستقلال

١١ ـ المختار السوسي : وزيراً للأحباس . من حزب الاستقلال .

١٢ ـ إدريس المحمدي : وزيراً للدولة . من حزب الاستقلال. ثم وزيراً للداخلية بالنيابة في ٢٤ رمضان ١٣٧٥هـ .

١٣ ـ عبد الرحيم بوعبيد : وزيراً للدولة . من حزب الاستقلال . .

١٤ ـ عبد القادر بن جلون : وزيراً للمالية . من حزب الشورى والاستقلال .

١٥ ـ التهامي الوزاني : وزيراً للإنتاج الصناعي والمعادن . من حزب الشورى والاستقلال .

١٦ ـ محمد بن بوشعيب : وزيراً لشؤون التعمير والسكن . من حزب الشورى والاستقلال .

١٧ ـ أحمد بن سودة : وزيراً للشبيبة والرياضة . من حزب الشورى والاستقلال .

١٨ ـ عبد الهادي بوطالب : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية . من حزب الشورى والاستقلال .

١٩ ـ وفي ١٢ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ عُيّن ليون بن زاكين وزيراً للبريد والبرق والهاتف ، وهو يهودي .

وفي ١٦ رمضان ١٣٧٥هـ (٢٦ نيسان ١٩٥٦م) دخل الوزارة :

٢٠ ـ أحمد بلفريج : وزيراً للخارجية ، وهو من حزب الاستقلال .

٢١ ـ أحمد رضا كديرة : وزيراً للدولة ، ثم وزيراً للدفاع في ١٦ رمضان ١٣٧٥هـ .

فأصبحوا عشرة ، وخمسة من حزب الشورى والاستقلال ، وعضواً من حزب الأحرار المستقلّين ، وهو أحمد رضا كديرة ، هذا بالإضافة إلى أحد اليهود ، وهو ليون بن زاكين وزير البرق والبريد والهاتف . وتسلّم الوزراء مناصبهم ، وحلّوا محلّ المديرين الفرنسيين الذين كانوا الوزراء الفعليين في كل عهد الحماية .

واستمرّت المفاوضات بين الطرفين ، وانتهت بصدور بيان « وثيقة الاستقلال »[1] في تاريخ ٢٠ رجب ١٣٧٥هـ (٢ آذار ١٩٥٦م) الذي أعلن فيه إلغاء الحماية ، واستقلال المغرب ، ووحدة أراضيه .

أما في الداخل فإن حزب الاستقلال بدأ يهاجم الحكومة ، وينعت كل حسنة لوزرائه ، ويدعو إلى تشكيل حكومة استقلالية غير أن رئيس الوزراء مبارك البكاي رغم هذا كله لم يقدّم استقالة حكومته حتى وقعت أحداث مكناس احتجاجاً على اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين الخمسة في ١٨ ربيع الأول ١٣٧٦هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٥٦م) ، لأن هؤلاء الجزائريين كانوا ضيوفاً عند الملك ، لذا عدّها اعتداء على عرشه وعلى السيادة المغربية ، كما أن الطائرة الفرنسية المقاتلة قد تصدّت لطائرةٍ تجارية ترفع العلم المغربي .

---

(١) طالبت فرنسا بتمثيل جميع القوى في وفد المفاوضات ، فتشكّل الوفد على النحو الآتي :
محمد المقري (الصدر الأعظم) ، التهامي المقري ، محمد الناصري ، ويمثّلون المخزن (قصر السلطان محمد الخامس) .
الجلاوي باشا المدني بن حبون ، ويمثّلان المخزن (قصر ابن عرفة) .
محمد اليزيدي ، عمر عبد الجليل ، عبد الرحيم بوعبيد ، المهدي بن بركة ، محمد بوشة ، محمد الدويري ، ويمثّلون حزب الاستقلال .
مبارك البكاي ، محمد الزغاري ، الفاطمي بن سليمان ، أحمد بركاش . ويمثّلون المستقلين .
عبد الحميد الكتاني ، جواد الصقلي ، حماد العراقي . ويمثّلون العلماء .
اوكوتورين ، كوس ، لوكير ، ويمثّلون المستوطنين الفرنسيين.
جاك دهان ، ليون بن زاكين . ويمثّلان اليهود .
ونتيجة المفاوضات وُقّعت وثيقة « اكس ليبان » .

أخذ الملك يسعى لإطلاق الزعماء المختطفين ، غير أن الحكومة الفرنسية أصرّت على اعتقالهم ، واضطرّ الملك عندها لسحب سفيره من باريس .

وقدّم مبارك البكاي استقالة حكومته في ٢٢ ربيع الأول (٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦م) .

وكان في هذا العام ١٣٧٥هـ قد انتهت مشكلة الريف ، إذ ألغيت الحماية الإسبانية ، وتوحّد مع مراكش في ٦ شعبان ١٣٧٥هـ (٧ نيسان ١٩٥٦م) ، وكذلك فقد استعادت المغرب في العام نفسه طنجة بعد أن كانت تحت إدارةٍ دوليةٍ منذ عام ١٣٤١هـ.

الفَصْل الثّاني

الاستقلال

حصلت المغرب على الاستقلال رغم محاولة فرنسا التمسّك بنفوذها، غير أن التأييد العالمي، وخاصةً من الولايات المتحدة الأمريكية قد ألزمها بالانسحاب، وجعلها توافق على الاستقلال مُكرهةً، وكان هذا في الوقت الذي تعمل فيه الولايات المتحدة الأمريكية على بسط نفوذها مكان نفوذ حلفائها: فرنسا، وإنكلترا، لتجعلهما تدوران في فلكها مع بقية حلفائها من الدول الغربية، ليكون الحلف الأطلسي أكثر تماسكاً وترابطاً بقيام رأسٍ واحدٍ له، فإن ذلك أفضل من وجود عدة رؤوس قد تختلف فيما بينها، أو تتباين وجهات نظرها، وعندها يبدو شيءٌ من التخلخل نسبياً.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تلجأ لتحقيق هذا الغرض إلى الضغط الاقتصادي أو إلى الانقلابات العسكرية إن تعذّر الضغط الاقتصادي، وقد جاءت هنا مكان فرنسا تلقائياً، واستمرّ التعاون بين الدولتين، والتبادل الاقتصادي، وهذا ما حمى المغرب من قيام انقلاباتٍ عسكريةٍ ليحلّ نفوذٌ محلّ نفوذِ دولةٍ أخرى، كما حدث في كثيرٍ من بلدان ما يُسمّى بالعالم الثالث، والتي كانت السيطرة فيها للنفوذ الإنكليزي أو الفرنسي أو البلجيكي أو الهولندي أو الإيطالي أو غيرها، ولذا عاشت المغرب في شبه استقرارٍ لما سبق أن ذكرنا، واستطاعت أن تقوم ببعض المشروعات الإنمائية، وإذا كانت قد حدثت بعض المحاولات سواء أكانت ذاتيةً محليةً أم ذات مصدر دفعٍ خارجي؛ فإنها لم

تحصل على ما تريد لثبات الوضع واستقراره على دعائمَ قويةً .

كانت المغرب لا تزال بحاجةٍ إلى فرنسا ؛ إذ تتلقّى منها مساعداتٍ لتغطية الميزانية، إضافةً إلى أنها بحاجةٍ إلى بعض البضائع الفرنسية، وفي الوقت نفسه فإن فرنسا سوقٌ لعددٍ من المنتجات الزراعية المغربية، واستمرّ هذا مدّةً ؛ حتى غطّت الولايات المتحدة ذلك ، وحلّت محلّ فرنسا ، ومع ذلك بقيت العلاقات حسنةً بين المغرب وفرنسا ، والتبادل التجاري قائماً ، وتتجه أفواجٌ من العمال المغاربة للعمل في فرنسا . ولا تزال الثقافة الفرنسية واللغة لها مكانتها في المغرب كما لها أنصارها ومؤيّدوها ، ولا تبالي الولايات المتحدة بموضوع اللغة والثقافة ، وإنما يهمّها العامل الاقتصادي ، وتعدّه المفتاح الأساسي للتيار السياسي .

وفي ٢٤ ربيع الأول من عام ١٣٧٦هـ (٢٨ تشرين الأول ١٩٥٦م) عُهد إلى مبارك البكاي بإعادة تأليف الوزارة[١] ، فشكّل وزارةً ائتلافيةً من :

---

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ مبارك البكاي : رئيساً للحكومة .	مستقل .
٢ ـ محمد زغاوي : وزيراً للدفاع .	مستقل .
٣ ـ عبد الملك فرج : وزيراً للصحة .	مستقل .
٤ ـ بيون بن زاكين : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .	يهودي .
٥ ـ أحمد بلفريج : وزيراً للخارجية .	من حزب الاستقلال .
٦ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للعدل .	من حزب الاستقلال .
٧ ـ إدريس المحمدي : وزيراً للداخلية .	من حزب الاستقلال .
٨ ـ عمر عبد الجليل : وزيراً للزراعة .	من حزب الاستقلال .
٩ ـ عبد الرحيم بوعبيد : وزيراً للاقتصاد الوطني .	من حزب الاستقلال .
١٠ ـ محمد الدويري : وزيراً لشؤون التعمير والسكن .	من حزب الاستقلال .
١١ ـ محمد الفاسي : وزيراً للشبيبة والرياضة .	من حزب الاستقلال .
١٢ ـ عبد الله إبراهيم : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .	من حزب الاستقلال .
١٣ ـ أحمد رضا كديرة : وزيراً للأنباء والسياحة .	من حزب الأحرار المستقلين.
١٤ ـ رشيد مولين : وزيراً للوظيفة العمومية .	من حزب الأحرار المستقلين .

حزب الاستقلال ، حيث مُثِّل بثمانية أعضاء ، ومن حزب الأحرار المستقلّين ، وقد مُثِّلوا بعضوين ، وأخذ المستقلّون أربع حقائب منها رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع التي أصرّ السلطان على تسليمها لمستقلّ . ورفض حزب الشورى والاستقلال قبول الائتلاف ، إذ رأى أن الحقائب الوزارية التي أسندت إلى أعضائه لا تتناسب مع حجمه السياسي ، إضافةً إلى الهجوم الذي شُنّ عليه نتيجة آرائه حيث عارض حلّ « كاديما » الصهيونية عندما اقترح في ٢٣ ذي القعدة عام ١٣٧٥هـ (١ تموز ١٩٥٦م) ، ولكن هذا لم يكن لينفرد به حزب الشورى والاستقلال ، فقد كان في الحكومة وزيرٌ يهوديٌّ ، وهو ليون بن زاكين ، وزير البرق والبريد والهاتف ، وقد كان يتعامل مع اليهود في فلسطين كما أن عبد القادر بن جلون أحد وزراء حزب الاستقلال قد طالب بمشاركة اليهود في الحكم .

وفي ١٧ جمادى الآخرة ١٣٧٦هـ (١٨ كانون الثاني ١٩٥٧م) جرى تمرّدٌ قام به عامل (قصر السوق) ، ومدّ يده للقوات الفرنسية ، وكان محمد الخامس في زيارةٍ رسميةٍ لفرنسا ، وقد أناب عنه ولي عهده الحسن ، وكانت فرنسا تساعد هذ التمرّد ؛ على أمل إبقاء قواتها في المغرب ؛ هذا من ناحية ؛ ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإنها تريد تهديد الملك لوقف تأييده للثورة الجزائرية . وعرض الحسن موضوع التمرّد على مجلس الوزراء ، فاختلف المجلس في الوسيلة التي يستخدمونها للقضاء على التمرّد ، وعندها قرر الحسن - نائب الملك - استعمال السلاح ، وأرسل القوة اللازمة ، فاعترضت المدرعات الفرنسية القوة المغربية . وفي الوقت نفسه أرسل وفداً مؤلّفاً من الوزير المستشار بمجلس التاج الحسن اليوسي مع أحد أعضاء المجلس ، وأعلن مرسومٌ بعزل العامل المتمرّد « عدي وبيهي » ، وتعيين ضابطٍ مكانه . ووصلت القوات المغربية إلى مكان التمرّد صباح ٢٣ رجب ١٣٧٦هـ (٢٢ شباط ١٩٥٧م) ، ودخلت دون أي مقاومة ، واعتذر العامل ، ومع ذلك فقد اعتُقل ونُفي .

وفي ١٩ شوّال ١٣٧٧هـ (٨ أيار ١٩٥٨م) أصدر الملك ميثاقاً ، وعد

فيه الشعب بإقامة مؤسسات دستورية ، وأنه سيتخلّى عن إقامة المنظمات التي تمثّل القبائل إذا ظهر عدم صلاحها ، وأنه سيبدأ بانتخاباتٍ للمجالس البلدية والقروية ، ثم سيعمل على تشكيل مجلسٍ وطنيٍّ جديدٍ ، يضمّ بعض أعضاء المجالس البلدية والقروية المنتخبة ، والباقي سيقوم الشعب بانتخابهم .

وفي ٢٣ شوّال ١٣٧٧هـ (١٢ أيار ١٩٥٨م) كلّف الملك أحمد بلفريج الأمين العام لحزب الاستقلال بتشكيل حكومةٍ مسنجمةٍ بعدما قدّم مبارك البكاي استقالة حكومته عندما قدّم عمر عبد الجليل استقاله وزراء حزب الاستقلال من الحكومة في الرسالة التي رفعها إلى الملك ، وفيها أيضاً انتقاد لرئيس الحكومة ، وعدم إمكانية وزراء الحزب العمل معه .

وإذا كانت هذه الوزارة[1] بأكثريتها من حزب الاستقلال ، إذ شملت ثمانيةً من الحزب من أصل عشرة وزراء ، وقد كان الوزيران الآخران من المستقلّين ، واختُلف في وزير الداخلية مسعود الشيكر .

وعندما عيّن الملك المجلس الوطني الاستشاري لم يضمّ هذا المجلس

---

(١) شكّل أحمد بلفريج حكومته على النحو الآتي :

الوزير	الانتماء
١ ـ أحمد بلفريج : رئيساً للحكومة ، ووزيراً للخارجية .	من حزب الاستقلال .
٢ ـ عبد الرحيم بوعبيد : نائباً لرئيس الحكومة ، ووزيراً للاقتصاد الوطني .	من حزب الاستقلال .
٣ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للعدل .	من حزب الاستقلال .
٤ ـ مسعود الشيكر : وزيراً للداخلية .	مستقل .
٥ ـ أحمد اليزيدي : وزيراً للدفاع .	مستقل .
٦ ـ محمد الدويري : وزيراً لشؤون التعمير والسكن .	من حزب الاستقلال .
٧ ـ عمر عبد الجليل : وزيراً للشبيبة والرياضة .	من حزب الاستقلال .
٨ ـ محمد عواد : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .	من حزب الاستقلال .
٩ ـ عبد الملك فرج : وزيراً للصحة .	مستقل .
١٠ ـ البشير بن العباس : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .	مستقل .

سوى عشرة أعضاء من حزب الاستقلال ، وستة من حزب الشورى، والاستقلال من أصل ستةٍ وسبعين عضواً ، حيث كان الآخرون من الهيئات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهذا يدلّ على أن الملك لم يقبل بوجود حزبٍ واحدٍ في البلاد ؛ هو حزب الاستقلال ، وهو ما كان يخطط له هذا الحزب . ولم يطل عهد هذه الوزارة التي أكثريتها من حزب الاستقلال ، إذ قدّمت استقالتها بعد سبعة أشهر ونصف من تشكيلها ، وتشكّلت وزارةٌ جديدةٌ ارتفع فيها عدد المستقلّين إلى ما يقرب من عدد وزراء حزب الاستقلال ، هي وزارة عبد الله بن إبراهيم .

قامت مظاهراتٌ عماليةٌ ، وساهم فيها عمال الحكومة ، فتصدّى رجال الشرطة لهذه المظاهرات في الرباط والدار البيضاء ، وحدثت فوضى ، وتوقّف الإنتاج ، واستاء زعماء العمّال الذين يؤيّدون حزب الاستقلال على تصرّف حكومتهم هذا التصرّف غير الطبيعي في نظرهم ، لذا فقد تركوا مسؤولياتهم في لجان الحزب ، وكان عبد الله إبراهيم الناطق باسم الحركة العمّالية وزيراً للأنباء والسياحة في وزارة مبارك البكاي الأولى ممثّلاً لحزب الاستقلال، وتشكلت حكومة جديدة برئاسة أحمد بلفريج وأخذ المهدي بن بركة عضو حزب الاستقلال البارز، والمسؤول عن صحيفة الحزب يهاجم الأرستقراطية الفكرية، ويقصد رئيس الحكومة أحمد بلفريج الأمين العام لحزب الاستقلال، فما كان من رئيس الحكومة إلاّ أن أوعز إلى بعض رجال الحزب باحتلال مكاتب جريدة الحزب، وإبعاد المهدي بن بركة عن توجيهها، وأخذ الانشقاق في الحزب يظهر، وحدثت صداماتٌ في البادية بين أعضاء الحزب ممن يوالي علال الفاسي ومن يؤيّد عبد الله إبراهيم الذي احتجزته الشرطة، أما المهدي بن بركة فقد ذهب خارج البلاد مسافراً إلى يوغسلافيا والصين.

حاول عبد الرحيم بوعبيد ـ نائب رئيس الحكومة ، وزير الاقتصاد الوطني ـ عضو حزب الاستقلال ـ التوسّط ؛ فلم يفلح ، لذا قدّم استقالته من الحكومة .

وكلّف الملك أن يتوسّط علاّل الفاسي ـ رئيس الحزب ـ بصفته الحيادية والزعامية بين الطرفين ؛ فلم يفلح ، حيث اقتـرح أن يقوم رئيس الحكومة أحمد بلفريج بإدخال تعديل في حكومته حيث يتسلّم :

عبد الله إبراهيم	وزيراً للداخلية .
مهدي بن بركة	وزيراً للتعليم
إدريس المحمدي	وزيراً للعدل .

وكان عبد الرحيم بوعبيد يصرّ على أن يكون إدريس المحمدي وزيراً للداخلية لمعرفته بشؤون القبائل ، وإتقانه للغة البربرية ، غير أن أحمد بلفريج رفض الحلول كلها ، وتمسّك برأيه ، وسكت رئيس الحزب .

وإذا كان الانشقاق لم يحدث رسمياً في صفوف الحزب إلاّ أنـه أصبح واضحاً ، وخرج عبد الله إبراهيم ، وأخذ يلقي المحاضرات ، ويقيم الندوات ضمن إطار حزب الاستقلال .

وكلّف الملك بعدئذٍ عبد الله إبراهيم بتشكيل حكومةٍ جديـدةٍ بصفته الشخصية لا بصفته السياسية على أنه عضوٌ في حزب الاستقلال ، وهذا ما وسّع الخلاف في صفوف الحزب ، لأنه من المفروض أن يرشّح الحزب أحد أعضائه لتولّي مهمة تشكيل الوزارة ، أما أن يختار الملك عضواً من الحزب ، ويكلّفه بتشكيل الحكومة ؛ فهذا يعني أن الوزارة غـير حزبيـة ، ولا علاقـة للحزب بها ، أمـا عبد الله إبـراهيم ومن معه من أعضـاء فقد أصرّوا عـلى تمسّكهم بالصفة السياسية ، وبالصفة الحزبية بانتمائهم لحزب الاستقلال .

استعادة طرفايا : وفي هذه الأثناء قامت حركاتٌ في منطقة طرفايا التي لا تزال تحت السيطرة الإسبانية ، فسارت قطعاتٌ من القوات المغربية لمساعدة الأهالي ، وضمّت المنطقة إلى أرض الوطن الأم .

وفي ١٧ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ (٢٨ كانون الأول ١٩٥٨م) شكّل

عبد الله إبراهيم وزراةً جديدةً[1] تضمّ أحد عشر وزيراً ، ستةٌ منهم من حزب الاستقلال ، وخمسة من المستقلّين .

وفي عهد هذه الحكومة صدر قانون الانتخابات في ٢٨ صفر ١٣٧٩هـ (١ أيلول ١٩٥٩) .

وكان الملك قد أعلن تأليف « مجلس خاص » يستشيره في إصدار القوانين . وبعد تشكيل الحكومة بقليل قامت اضطرابات مسلّحة ظهرت في بلاد الريف ، ثم امتدّت إلى إقليم (تازة) ، ومنه وصلت إلى شمال مدينة (فاس) ، وانتشرت إلى نهر الملوية ، ولكن قُضي عليها .

وأخذ الجيش الفرنسي يتوسّع من الجزائر في حدود المغرب ، وقد احتلّ عدداً من القرى ، وذلك بقصد الصدام مع القوات المغربية ، ومنع المغرب من مساعدة الثورة الجزائرية أولاً ، ثم احتلال الأرض المغربية وفرض الحماية عليها

---

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ عبد الله إبراهيم : رئيساً للحكومة ، ووزيراً للخارجية .	من حزب الاستقلال .
٢ ـ عبد الرحيم بوعبيد : نائباً لرئيس الحكومة ، ووزيراً للاقتصاد الوطني .	من حزب الاستقلال .
٣ ـ التهامي عمار : وزيراً للزراعة .	من حزب الاستقلال .
٤ ـ إدريس المحمدي : وزيراً للداخلية .	مستقل .
٥ ـ محمد عواد : وزيراً للدفاع .	مستقل .
٦ ـ عبد الرحمن بن عبد العلي : وزيراً لشؤون التعمير والسكن .	من حزب الاستقلال .
٧ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للشبيبة والرياضة .	من حزب الاستقلال .
٨ ـ محمد المذبوح : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .	مستقل وهو ضابط عسكري .
٩ ـ يوسف بن عباس : وزيراً للصحة .	مستقل .
١٠ ـ المعطي بوعبيد : وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية .	مستقل .
١١ ـ محمد باحنيني : وزيراً للعدل .	مستقل .

من جديد ، وبذلك تحبط الثورة الجزائرية ـ حسب تقديرهم ـ . ولما كان ولي العهد هو رئيس الأركان العامة ؛ لذا فعليه يقع عبء المسؤولية كنائبٍ للملك ، وعبء المسؤولية كرئيسٍ للأركان ، وكان الملك في سويسرا يتلقّى العلاج ، لذا فقد سافر ولي العهد مع رئيس الوزراء إلى سويسرا لمقابلة الملك وشرح الموضوع له . فكلّف ولي العهد بالتمهيد للقاء بين الملك المغربي والرئيس الفرنسي ديغول . وعاد الملك إلى المغرب ، وفرنسا تعمل على إجراء التجارب النووية في الصحراء ، وقوات من الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وإسبانيا لا تزال فوق الأرض المغربية . ومع هذا فالصراع على أشدّه بين جناحي حزب الاستقلال رغم مسؤوليته في السلطة ، إذ ينفرد بأكثر من نصف أعضاء الوزارة ، ويشنّ حملةً على الجيش أيضاً ، ثم ضربت الزلازل مدينة أغادير في ٣ رمضان ١٣٧٩هـ (٢٩ شباط ١٩٦٠م) ، وفي ٢٤ ذي القعدة ١٣٧٩هـ (١٩ أيار ١٩٦٠م) استدعى الملك رئيس الوزراء، وأبلغه بانتهاء مدته في الوزارة ، وانتهاء مهمة حكومته .

وفي ٢٩ ذي القعدة ١٣٧٩هـ (٢٤ أيار ١٩٦٠م) شكّل الملك محمد الخامس بنفسه الوزارة[1] ؛ فكان رئيس الحكومة ، وكان ابنه ولي العهد

---

(١) كانت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ الملك محمد الخامس : رئيساً للحكومة .

٢ ـ المولى الحسن ولي العهد : نائباً لرئيس الحكومة ، ووزيراً للدفاع .

٣ ـ عبد الخالق الطريس : وزيراً للعدل .	من حزب الاستقلال
٤ ـ مبارك البكاي : وزيراً للداخلية .	مستقل .
٥ ـ إدريس المحمدي : وزيراً للخارجية .	مستقل .
٦ ـ محمد الدويري : وزيراً للصناعة والتجارة .	من حزب الاستقلال .
٧ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للشبيبة والرياضة .	من حزب الاستقلال .
٨ ـ محمد الشرقاوي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .	من حزب الاستقلال .
٩ ـ يوسف بن عباس : وزيراً للصحة .	مستقل .

=

الحسن نائباً له ، وزيراً للدفاع ، وقد بقيت هذه الحكومة حتى توفي الملك في ١١ رمضان ١٣٨٠هـ (٢٦ شباط ١٩٦١م) .

وقد أشرفت هذه الحكومة على انتخاباتٍ للمجالس البلدية والقروية . وعملت على اتفاقٍ مع فرنسا لسحب قواتها من أرض المغرب قبل نهاية عام ١٩٦٣م (منتصف شعبان ١٣٨٣هـ) ، كما توصّلت إلى اتفاقٍ مع إسبانيا لسحب قواتها من أرض المغرب .

وعملت على منع فرنسا من إجراء تجاربها النووية في الصحراء الكبرى . وإيجاد مخرج للحرب في الجزائر ، كما حاولت أن تحتل المغرب مركزاً دولياً بالاتفاقات مع حكومات العالم الثانية ، وتبادل الزيارة .

وفي اليوم الذي كان يرفع العلم المغربي على مقرّ القيادة العامة للجيش الفرنسي سابقاً في الرباط توفي الملك محمد الخامس أثناء إجراء عمليةٍ جراحيةٍ في أنفه . وتولّى مكانه ولد الأكبر ، ولي عهده الحسن الثاني .

= ١٠ ـ عبد الكريم الخطيب : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية . — من حزب الحركة الشعبية .

١١ ـ محمد بوستة : وزيراً للوظيفة العمومية . — من حزب الاستقلال .

١٢ ـ حسن الزموري : وزيراً للزراعة . — مستقل .

١٣ ـ عبد الرحمن بن عبد العلي : وزيراً للتعمير والسكن . — مستقل .

١٤ ـ مولاي أحمد العلوي : وزيراً للأنباء والسياحة . — مستقل .

الحسن الثاني(١)

تسلّم الملك في ١٦ رمضان ١٣٨٠هـ (٣ آذار ١٩٦١م) أي بعد وفاة أبيه بخمسة أيام ، وشكّل الوزارة(٢) برئاسته .

وفي ١٨ ذي الحجة عام ١٣٨٠هـ (٢ حزيران ١٩٦١م) أعاد الملك تشكيل الوزارة(٣) من جديد برئاسته أيضاً ، وكان الملك محمد الخامس قد وعد

---

(١) الحسن الثاني : وُلد في الثاني من صفر عام ١٣٤٨هـ (٩ تموز ١٩٢٩م) . وسمي ولياً للعهد عام ١٣٧٧هـ أي بعد الاستقلال بعام ، وهو أكبر إخوته .

(٢) شكّل الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ الملك الحسن الثاني : رئيساً للحكومة ، ووزيراً للدفاع ، والزراعة .
٢ ـ الحاج محمد باحنيني : أمين سر عام مجلس الوزراء .
٣ ـ مبارك البكاي : وزيراً للداخلية .
٤ ـ عبد الخالق الطريس : وزيراً للعدل .
٥ ـ إدريس المحمدي : وزيراً للخارجية .
٦ ـ محمد الدويري : وزيراً للاقتصاد الوطني ، والمالية .
٧ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للتعليم الوطني .
٨ ـ محمد الشرقاوي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .
٩ ـ يوسف بن عباس : وزيراً للصحة الوطنية .
١٠ ـ عبد الكريم الخطيب : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
١١ ـ محمد بوستة : وزيراً للوظيفة العمومية .
١٢ ـ إدريس السلاوي : للتجارة والصناعة ، والمعادن ، والصناعات اليدوية ، والتجارة الخارجية .
١٣ ـ عبد الرحمن بن عبد العلي : وزيراً للأشغال العامة .
١٤ ـ مولاي أحمد العلوي : وزيراً للإعلام والسياحة .

وأعضاء الوزارة هم أعضاء الوزارة السابقة أنفسهم إذ لم يدخل الوزارة سوى إدريس السلاوي ، ولم يتركها سوى حسن الزموري .

(٣) كان تشكيل الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ الملك الحسن الثاني : رئيساً للحكومة ، وزيراً للخارجية . =

= ٢ ـ فال ولد عمير : وزير دولة مكلف بالشؤون الموريتانية والصحراء المغربية .
٣ ـ علال الفاسي : وزير دولة مكلف بالشؤون الإسلامية .
٤ ـ محمد حسن الوزاني : وزير دولة .
٥ ـ محمد رشيد مولين : وزير دولة مكلف بشؤون التعليم الوطني .
٦ ـ عبد الكريم الخطيب : وزير دولة مكلف بالشؤون الإفريقية .
٧ ـ أحمد رضا كديرة : وزيراً للداخلية ، والزراعة .
٨ ـ محمد بوستة : وزيراً للعدل .
٩ ـ محمد الدويري : وزيراً للتجارة الوطنية والمالية .
١٠ ـ محجوبي أحرضان : وزيراً للدفاع الوطني .
١١ ـ عبد الكريم بن جلون : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
١٢ ـ محمد بن هيمة : وزيراً للأشغال العامة .
١٣ ـ مولاي أحمد العلوي : وزيراً للإعلام ، والسياحة ، والفنون .
١٤ ـ أحمد الجندي : وزيراً للتجارة ، والصناعة ، والمعادن ، والصناعات اليدوية ، والتجارة الخارجية .
١٥ ـ يوسف بن عباس : وزيراً للصحة العمومية .
١٦ ـ محمد بن عبد السلام الفاسي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .

وتُربط وزارة الوظيفة العمومية مباشرة مع رئيس الوزراء ، وتوضع تحت إشراف أمين سر عام الحكومة .

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٨٠هـ عُيّن محمد العربي العلامي أمين سر دولة للشؤون الخارجية .

وفي ١ محرم ١٣٨٠هـ أُضيفت حقيبة وزارة التعليم الوطنية إلى يوسف بن عباس ، وترك محمد رشيد مولين الوزارة .

وفي ٢٢ رجب ١٣٨٠هـ أُنهيت خدمة محمد العربي العلامي من أمانة سر الدولة للشؤون الخارجية .

وفي ١٨ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ (١٨ أيلول ١٩٦٢م) جرى تعديل وزاري حيث :
ترك أحمد الجندي وزارة التجارة ، والصناعة ، والمعادن ، وأُسندت هذه الوزارة إلى محمد بن هيمة الذي ترك وزارة الأشغال العامة حيث عُيّن لها إدريس السلاوي .
وعُيّن أحمد عثمان أمين سر للدولة للتجارة والمعادن.
ومفضل شرقاوي أمين سر للدولة للشؤون الداخلية .

وفي ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ (١٨ تشرين الأول ١٩٦٢م) جرى تعديل وزاري أيضاً ، إذ ترك يوسف بن عباس وزارة الصحة الوطنية ، وأُسندت إليه وزارة التعليم الوطني . وأُسند إلى =

باصدار دستور ، غير أنه توفي قبل انتهاء الموعد الذي ضربه ، فلما تولّى الأمر الملك الحسن الثاني ؛ نفّذ ما كان وعد به والده ، فأصدر دستوراً[1] ، ثم أصدر مرسوماً ملكياً يرخّص لخمسة أحزابٍ بالمشاركة بالاستفتاء ، وهي : الاستقلال ، والاتحاد الوطني للقوى الشعبية ، والأحرار المستقلّون ، والحركة الشعبية ، والدستور الديمقراطي . وقد أرّخ المرسوم في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٨٢ (١٩ تشرين الثاني ١٩٦٢م) ، وجرى الاستفتاء في ١١ رجب ١٣٨٢هـ (٧ كانون الأول ١٩٦٢م) ، وجرت الانتخابات في مطلع عام ١٣٨٣هـ (٢٤ أيار ١٩٦٣م) ، واجتمع المجلس النيابي لأول مرةٍ في ٢ رجب ١٣٨٣هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م) .

كان الاتحاد الوطني للقوى الشعبية قد قاطع الاستفتاء على الدستور ، كما وقف موقف المعارضة من المجلس النيابي ، ونتيجة ذلك فقد حُلّ المجلس النيابي .

استعادة إفني : كانت إسبانيا تستعمر منطقة سيدي إفني منذ مدةٍ طويلةٍ ، وتبلغ مساحة هذا الجيب سبعمائةٍ وأربعين كيلومتراً مربعاً . وفي ٢٣ ربيع الثاني ١٣٧٧هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٥٧م) اندلع قتالٌ بين قبائل آيت باعمران والقوات الإسبانية، فساند جيش التحرير المغربي القبائل بناءً على طلبها ، فهُزم الإسبان ، واقترحوا في جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ (١ كانون الثاني ١٩٥٨) مناقشة قضية سيدي إفني ، فوافقت المغرب ، وبقيت المناقشات أكثر من ثلاث سنوات ونصف . وقد استطاعت المغرب استعادتها بموجب اتفاقيةٍ بين الطرفين في ١٧ صفر ١٣٨١هـ (٣٠ تموز ١٩٦١م) ، وقد أصبحت هذه

= عبد الكريم الخطيب وزارة الصحة الوطنية إضافة إلى وزارة الشؤون الإفريقية .
وفي ٢ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ (١ تشرين الثاني ١٩٦٢م) جرى تعديل وزاري آخر ، إذ عُيّن عبد الهادي بوطالب أمين سر دولة وكلف بوزارة الإعلام التي استقلت عن السياحة .

(١) عُدّ بيان ١٨ ذي الحجة ١٣٨٠هـ (٢ حزيران ١٩٦١م) دستوراً مؤقتاً .

الاتفاقية سارية المفعول في ١٥ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ (٣٠ حزيران ١٩٦٩م) .

جلاء القوات الأجنبية : كانت لكلٍّ من فرنسا وإسبانيا بعض القطاعات العسكرية في أرض المغرب بعد إلغاء الحماية ، وبالمفاوضات السياسية فقد جلت هذه القوات في منتصف عام ١٣٨١هـ (أواخر عام ١٩٦١م) .

وكذلك فقد جلت القوات الأمريكية التي كان لها بعض القواعد البرية والبحرية قبل نهاية عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) . وذلك بناءً على طلب المغرب .

وفي ٧ شعبان ١٣٨٢هـ (٣ كانون الثاني ١٩٦٣م) أعفي أعضاء حزب الاستقلال كلهم من الوزارة ، وأصبح الحزب في صفوف المعارضة .

وفي ٩ شعبان ١٣٨٢هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦٣م) ، قام الملك الحسن الثاني بإعادة تشكيل الوزارة[1] برئاسته .

---

(١) شكّل الحسن الثاني الوزارة برئاسته على النحو الآتي :

١ ـ الحسن الثاني : رئيساً للوزراء .
٢ ـ أحمد بلفريج : الممثل الشخصي للحسن الثاني .
٣ ـ فال ولد عمير : وزير دولة مكلف بالشؤون الموريتانية والصحراء المغربية .
٤ ـ عبد الكريم الخطيب : وزير دولة مكلف بالشؤون الإفريقية ، ووزيراً للصحة الوطنية .
٥ ـ أحمد رضا كديرة : وزيراً للداخلية ، والزراعة .
٦ ـ يوسف بن عباس : وزيراً للتعليم الوطني .
٧ ـ إدريس سلاوي : وزيراً للمالية .
٨ ـ أحمد باحنيني : وزيراً للعدل .
٩ ـ أحمد برغش : وزيراً للأوقاف ، ومكلفاً بالشؤون الإسلامية .
١٠ ـ محجوبي أحرضان : وزيراً للدفاع الوطني .
١١ ـ عبد القادر بن جلون : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
١٢ ـ غصوص بن سالم : وزيراً للأشغال العامة .
١٣ ـ أحمد علوي : وزيراً للسياحة ، والأعمال اليدوية .
=

محاولة انقلاب : في ٢٥ صفر ١٣٨٣هـ (١٧ تموز ١٩٦٣م) اكتشفت السلطة محاولةً لتغيير نظام الحكم ، واتجهت الأنظار إلى حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية ، فجرت اعتقالاتٌ واسعةٌ في صفوف الحزب ، وخاصةً فرع الدار البيضاء ، وحُكم على محمد البصري ، وعمر بن جلون بالإعدام ، وأجِّل التنفيذ ، فنالهم العفو الملكي في ١٢ ذي الحجة ١٣٨٤هـ (١٣ نيسان ١٩٦٥م) . ثم جرت محاولةٌ لاغتيال الملك في مراكش ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٣هـ (٣ تشرين الأول ١٩٦٣م) ، واعتُقل الفقيه البصري في مدريد ، واتُهمت ليبيا أنها وراء العملية .

الخلاف مع الجزائر : أثناء فرض الحماية على بلاد المغرب أرسلت فرنسا قوةً من أرض الجزائر التي تفرض حمايتها عليها منذ مدةٍ طويلةٍ تزيد على الثمانين سنةً إلى موريتانيا لبسط نفوذها عليها ، وقد مرّت هذه القوات عبر منطقة (تندوف) ، وعدّت هذه المنطقة جزءاً من أرض الجزائر ، ولا توجد معالم طبيعية واضحة بين البلدين، وسكان كلا البلدين مسلمون لا يختلف بعضهما عن بعضٍ في شيءٍ ، فالحدود اصطلاحية ، رُسمت حسب اتفاقاتٍ عندما

= ١٤ ـ محمد بن هيمة : وزيراً للتجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .
١٥ ـ عبد الهادي بوطالب : أمين سر الدولة للإعلام ، والشباب والرياضة .
١٦ ـ محمد بن عبد السلام الفاسي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .
ملاحظة : وحولت صلاحيات وزير الاقتصاد الوطني بشكل مؤقت إلى رئيس المجلس . وفي ١٣ محرم ١٣٨٣هـ (٦ حزيران ١٩٦٣م) جرى تعديل وزاري ، إذ أُعفي غصوص بن سالم من حقيبة وزارة الأشغال العامة ، وحولت أمانة سر الدولة للإعلام والشباب والرياضة إلى وزارة .
وتم تعيين :
١ ـ أحمد حياتي : وزيراً للداخلية .
٢ ـ محمد بن هيمة : وزيراً للأشغال العامة .
٣ ـ إدريس دباغ : وزيراً للتجارة والصناعة والموارد المعدنية والتجارة البحرية .
٤ ـ عبد الهادي بوطالب : وزيراً للإعلام والشباب والرياضة .

جُزِّئت الدولة الإسلامية ، ولكن أهل المغرب لم يعترفوا على أخذ هذا الجزء من بلدهم ، وضمّه إلى الجزائر ، ولم يكن مجالٌ لبحثه ما دامت فرنسا تفرض حمايتها على كلا البلدين ، وعندما تشكّلت حكومةٌ للجزائر مؤقّتةٌ برئاسة عباس فرحات أثناء الثورة الجزائرية ؛ بُحث الموضوع ، ولم يكن مجال خلاف ، فلما استقلّت المغرب قام قائد منطقة (تندوف) بالانضمام إلى المغرب من تلقاء نفسه ، فجاءت قوةٌ جزائريةٌ ، وعسكرت في المنطقة ، وأدّى ذلك إلى وقوع خلافٍ بين الطرفين ، ووقعت بعض الأحداث على الحدود .

وفي شهر جمادى الأولى من عام ١٣٨٣هـ (تشرين الأول ١٩٦٣م) تقدّمت قوةٌ جزائريةٌ إلى أرض المغرب ، وأبادت حاميتين مغربيتين في موقعي : حاسي البيضاء ، وحاسي تيمجوك ، وتوتّرت الأوضاع ، وزادها تأزّماً وقوف مصر إلى جانب أحد الطرفين المتنازعين، وأرسلت قواتٍ إلى محلّ النزاع، وجرت بعض المعارك ، وهذا ما أدّى إلى ترحيل المصريين عن المغرب ، على حين كان يمكن الإصلاح بين الدولتين الشقيقتين بالوسائل السياسية والحكمة .

وبعد أن قُبلت موريتانيا عضواً بالأمم المتحدة واعترفت المغرب بها ، وجرى لقاءٌ بين الملك الحسن الثاني ، والرئيس الجزائري هواري بومدين ، والرئيس الموريتاني في (نواذيبو) في موريتانيا في شهر رجب ١٣٩٠هـ (أيلول ١٩٧٠م) ، تمّ توقيع معاهدة صداقة بين الدول الثلاثة ، والعمل على تحرير الصحراء المغربية .

الحالة الاستثنائية : أصدر الملك الحسن الثاني دستوراً للبلاد في ٢ ربيع الأول ١٣٨٥هـ (٣٠ حزيران ١٩٦٥م) ، غير أن المظاهرات قد جعلت الملك يعطّل الدستور ، ويحلّ المجلس النيابي ، ويضع السلطات كلها في يده في ٩ ربيع الأول ١٣٨٥هـ (٧ تموز ١٩٦٥م) .

وفي جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ (تشرين الأول ١٩٦٥م) اختُطف المهدي بن بركة زعيم اتحاد القوى الشعبية في مقهى باريس ، ثم قُتل ،

وادّعت فرنسا أن هذا الاختطاف كان لصالح اللواء محمد أوفقير الذي طلبت تسليمه لتقديمه للمحاكمة ، غير أن المغرب قد رفضت ذلك ، وأنكرت علاقتها بالموضوع ، وتوتّرت العلاقة بين الدولتين ، وقُطعت العلاقات السياسية ، ونتيجة ذلك فقد قطعت فرنسا عن المغرب المعونة التي كانت تقدّمها لها ، وهذا ما جعل ملك المغرب يتجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية . غير أن فرنسا لم تلبث أن أعادت تلك المعونات التي كانت تقدّمها للمغرب ؛ ولمّا تمضِ ثلاث سنوات على الانقطاع .

وفي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٣هـ (١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣م) عُهد إلى أحمد باحنيني بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ[١] .

---

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ أحمد باحنيني : رئيساً للوزارة .
٢ ـ فال ولد عمير : وزير دولة مكلف بالشؤون الموريتانية والصحراء المغربية .
٣ ـ عبد الهادي بوطالب : وزير تحت تصرف رئيس الوزارة .
٤ ـ إدريس سلاوي : وزير الشؤون الاقتصادية والمالية ، والزراعة .
٥ ـ أحمد علوي : وزير الإعلام والسياحة ، والفنون الجميلة ، والأعمال اليدوية .
٦ ـ عبد الرحمن الخطيب : وزير للداخلية .
٧ ـ أحمد رضا كديرة : وزير الشؤون الخارجية .
٨ ـ عبد القادر بن جلون : وزير العدل.
٩ ـ العربي شرايبي : وزير الصحة العامة .
١٠ ـ محجوبي أحرضان : وزير الدفاع الوطني .
١١ ـ تهامي الوزاني : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
١٢ ـ محمد بن هيمة : وزير الأشغال العامة .
١٣ ـ هادي أحمد برغش : وزير الأوقاف ، ومكلف بالشؤون الإسلامية .
١٤ ـ أحمد بن ناني : سكرتير دولة ثان للتجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .
١٥ ـ يوسف بن عباس : وزير التعليم الوطني .
١٦ ـ محمد بن عبد السلام الفاسي : وزير البريد والبرق والهاتف .
١٧ ـ حدو شيكر : سكرتير دولة ثان للداخلية . =

١٨ ـ نور الدين : سكرتير دولة ثان للزراعة .
١٩ ـ مأمون الطاهري : سكرتير دولة ثان للمالية .
٢٠ ـ عبد الرحمن الكوهن : سكرتير دولة ثان للإعلام ، والسياحة ، والفنون الجميلة ، والأعمال اليدوية .

ملاحظة : ترتبط خدمات الشباب والرياضة مع رئيس الوزراء .

ـ وفي ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٤هـ (١٧ آب ١٩٦٤م) أعفي عبد القادر جلون من مهمة وزارة العدل .

ـ وفي ٧ ربيع الثاني ١٣٨٤هـ (١٥ آب ١٩٦٤م) أعفي أحمد رضا كديرة من مهمة وزارة الشؤون الخارجية .

ـ وفي ٩ ربيع الثاني ١٣٨٤هـ (١٧ آب ١٩٦٤م) تمّ تعيين أحمد طيبي بن هيمة وزيراً للشؤون الخارجية .

ـ وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٨٤هـ (٢٠ آب ١٩٦٤م) جرى تعديل وزاري ، وأصبحت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ أحمد باحنيني : رئيساً للوزارة .
٢ ـ اللواء محمد أمزيان زهراوي : وزيراً للدفاع الوطني .
٣ ـ عبد الهادي بوطالب : وزيراً للعدل .
٤ ـ محمد شرقاوي : وزير الشؤون الاقتصادية والمالية .
٥ ـ أحمد علوي : وزير الإعلام والسياحة ، والفنون الجميلة ، والأعمال اليدوية .
٦ ـ اللواء محمد أوفقير : وزيراً للداخلية .
٧ ـ محمد بن هيمة : وزير الأشغال العامة .
٨ ـ عبد الرحمن الخطيب : وزيراً للشباب والرياضة .
٩ ـ العربي شرايبي : وزير الصحة العامة .
١٠ ـ محجوبي أحرضان : وزيراً للزراعة .
١١ ـ تهامي الوزاني : وزيراً للأشغال العامة والشؤون الإدارية .
١٢ ـ عبد الحفيظ بوطالب : سكرتير دولة ثان للداخلية .
١٣ : هادي أحمد برغش : وزير الأوقاف ، ومكلف بالشؤون الإسلامية .
١٤ ـ أحمد بن ناني : سكرتير دولة ثان للتجارة ، والصناعة ، والمعادن .
١٥ ـ يوسف بن عباس : وزير التعليم الوطني .
١٦ ـ حدو شيكر : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .
١٧ ـ محمد طاديلي : سكرتير دولة ثان للتعليم الفني .

قضية الصحراء المغربية: وتُعرف أيضاً باسم الساقية الحمراء، ووادي الذهب ، وهي منطقة واسعة تزيد مساحتها على ٢٦٦,٠٠٠ كيلومتر مربع ، فهي بذلك تزيد على نصف مساحة المغرب ، ويبلغ طول ساحلها على المحيط الأطلسي ١١٢٥ كيلومتر ، وسواحلها غنيةٌ بالثروة السمكية ، كما أن جوف أراضيها غنيٌّ بالفوسفات والثروة المعدنية .

كان أول ظهور للأسبان والبرتغاليين على سواحل الصحراء المغربية في القرن التاسع الهجري قبل خروج المسلمين من الأندلس .

وبدأت الغارات الإسبانية على ذلك الجزء من المغرب عام ١٢٨٢هـ ، وجاءت بعثةٌ إيطاليةٌ استطلاعية عام ١٢٨٦ هـ .

=

١٨ ـ مأمون الطاهري : سكرتير دولة ثان للمالية .

١٩ ـ عبد الرحمن الكوهن : سكرتير دولة ثان للإعلام ، والسياحة ، والفنون الجميلة .

ملاحظة : يكلف رئيس الوزراء بوزارة الشؤون الموريتانية والصحراء المغربية . وفي ٥ رجب ١٣٨٤هـ (٩ تشرين الثاني ١٩٦٤م) تمّ تعيين :

١ ـ محمد بن طيبي : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .

٢ ـ أحمد بن ناني : سكرتير دولة ثان للتجارة والصناعة والمعادن .

وفي ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٤هـ (١٩ أيلول ١٩٦٤م) تمّ تعيين :

١ ـ العربي سعودي : سكرتير دولة ثان للتعليم الابتدائي .

٢ ـ عبد الله شورفي : سكرتير دولة ثان للشؤون الخارجية .

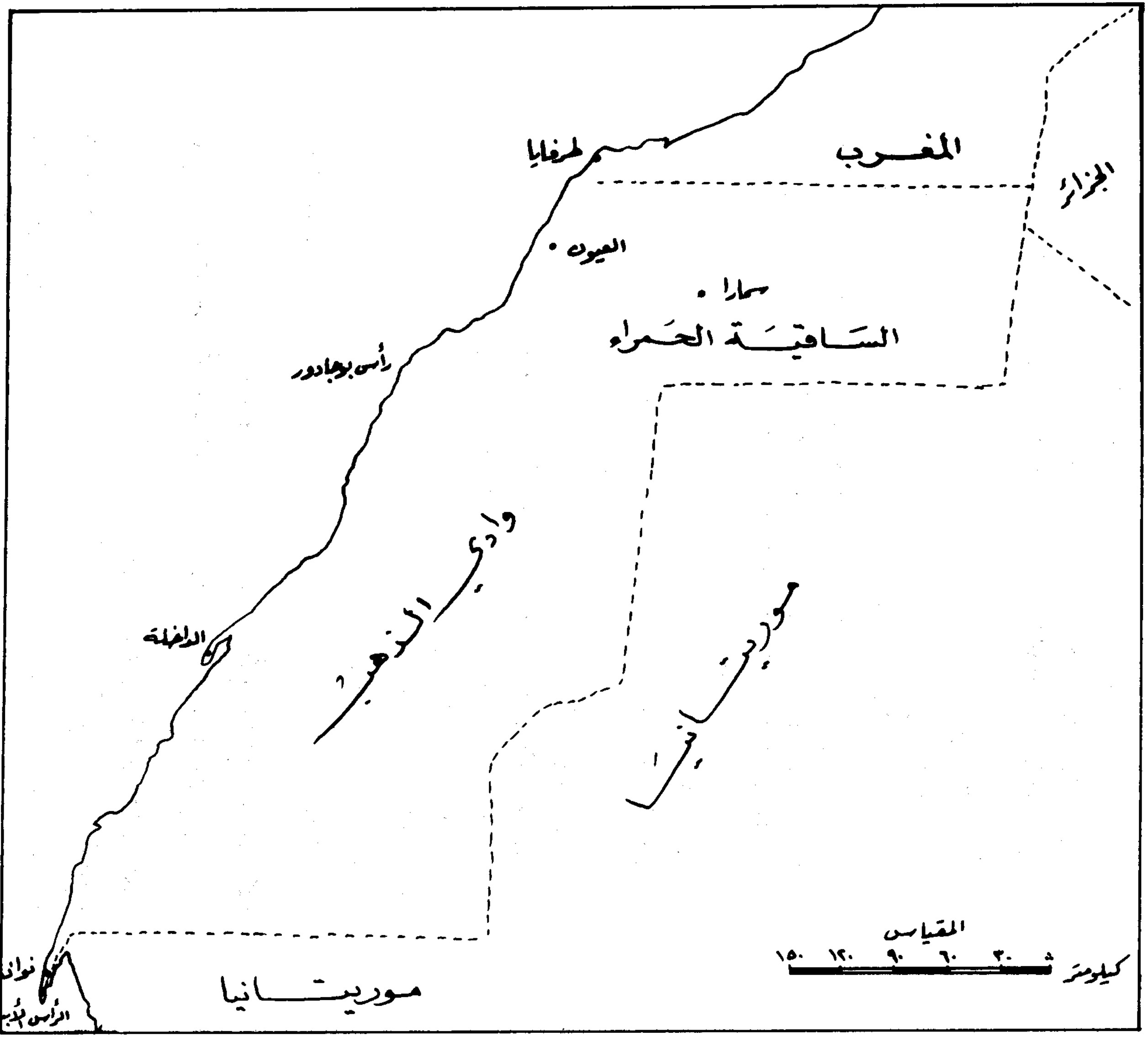
وفي ٩ شعبان ١٣٨٤هـ (١٣ كانون الأول ١٩٦٤م) تمّ تعيين :

١ ـ بدر الدين السنوسي : سكرتير دولة ثان للتجارة والصناعة والمعادن ، بدلاً من أحمد بن ناني الذي أُعفي من الخدمة منذ ٢٠ رجب ١٣٨٤هـ (٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٤م) .

وفي ٢٠ رجب ١٣٨٤هـ (٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٤م) تمّ تعيين عبد السلام بن عيسى سكرتير ثان للدفاع الوطني ، وكلف بشؤون رجال المقاومة وقدماء عناصر جيش التحرير والمحاربين القدماء .

وفي ٥ رمضان ١٣٨٤هـ (٧ كانون الثاني ١٩٦٥م) تمّ تعيين : مولاي حسن بن إدريس العلوي : وزيراً للشؤون الموريتانية والصحراء المغربية .

وفي ٢٨ شوال ١٣٨٤هـ (١ آذار ١٩٦٥م) تمّ تعيين هادي أحمد برغش : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .


المغرب
الجزائر
طرفايا
العيون
سمارا
الساقية الحمراء
رأس بوجادور
وادي الذهب
الداخلة
موريتانيا
موريتانيا
نواذيبو
الرأس الأبيض
المقياس
كيلومتر ٠ ٣٠ ٦٠ ٩٠ ١٢٠ ١٥٠

وجاء رجلٌ إنكليزيٌّ يُدعى « ماكينزي » ، فأقام مركزاً تجارياً جنوب رأس (بوجادور) ، وذلك عام ١٢٩٠هـ .

وفي عام ١٢٩٤هـ أخذت الحكومة الإسبانية تشجّع الشركات الخاصة على احتلال شاطىء وادي الذهب ، وكانت أول هذه الشركات التي اتجهت إلى تلك الناحية شركات الصيد البحري .

وفي عام ١٣٠٢هـ منحت الحكومة الإسبانية امتيازاً لاستغلال شواطىء الصحراء المغربية سياسياً وتجارياً إلى مؤسّسةٍ يرأسها « إيميليو بونيلي » ، وبدأت المؤسسة نشاطها قبل مؤتمر برلين الذي وزّع مناطق النفوذ في إفريقية بين دول أوربا ، ونزل « إيميليو بونيلي » في موقع على الشاطىء عند خط العرض ٢٣ شمالاً ، وأقام ثلاثة مراكزٍ تجاريةٍ بين رأس (بوجادور) والرأس الأبيض ، وأبرم اتفاقاً مع زعماء بعض القبائل هناك متخذاً لمؤسسته اسم « شركة المهتمين بإفريقية » . وقد لقيت هذه المؤسسة دعماً كبيراً من حكومة مدريد .

وحاولت إسبانيا إغراء ألمانيا للعمل معاً في استثمار هذه الشواطىء ، غير أن ألمانيا رفضت ذلك لأن هذه الشواطىء إنما هي ملكٌ للمغرب ، فاتجهت إسبانيا بعدها إلى بلجيكا واقترحت عليها إقامة مركزٍ تجاريٍّ على شواطىء وادي الذهب .

وجدت إسبانيا مقاومةً من السكان ، واحتجاجاً من فرنسا وإنكلترا ، فكان ردّ الفعل أن صدر مرسوم في مدريد يقضي بوضع منطقة وادي الذهب من رأس (بوجادور) إلى الرأس الأبيض وبعمق مائةٍ وخمسين كيلومتراً تحت سلطة الحاكم العسكري الإسباني لجزر الخالدات (كناريا) .

وفي ٣٠ ربيع الأول ١٣١٨هـ (٢٧ تموز ١٩٠٠م) جرى اتفاقٌ بين إسبانيا وفرنسا يحدّد مناطق نفوذ كلٍّ من الدولتين ، كما أدّى ذلك إلى عقد معاهدتين بين الدولتين ، كانت أولاهما في ٢٤ رجب ١٣٢٢هـ (٣ تشرين الأول ١٩٠٤م) ، وثانيتهما في ١٨ ذي الحجة ١٣٣٠هـ (٢٧ تشرين الثاني

١٩١٢م) .

واحتلّ الإسبان رأس جوبي عام ١٣٣٤هـ بمؤازرة الجيش الفرنسي ، كما اقتحموا مدينة (الكويرة) الكائنة في أقصى جنوب وادي الذهب عام ١٣٣٨هـ ، ولكن لم يستطع الإسبان إخضاع القبائل في الصحراء المغربية حتى عام ١٣٥٣هـ .

أخذ جيش التحرير المغربي يقوم بهجماتٍ على المراكز الإسبانية منذ عام ١٣٧٧هـ ، وفي ٢١ جمادى الأولى ١٣٧٧هـ (١٣ كانون الأول ١٩٥٧م) ، وخلال يومين متتاليين وقع هجومٌ على ثلاثة مراكزٍ إسبانيةٍ في وادي الذهب ، ومركزٍ في طرفايا ، وآخر في رأس (بوجادور) ، ومركزٍ أيضاً في الساقية الحمراء ، وزلزل الوضع الإسباني في الصحراء المغربية ، غير أن ظهور مناجم الفوسفات في منطقة (بوكراع) في الساقية الحمراء قد جعل الإسبان يعملون على التشبّث بالصحراء .

وذكرنا أن المغرب دخلت جزءاً في الساقية الحمراء ، وهو إقليم طرفايا في رمضان ١٣٧٧هـ (نيسان ١٩٥٨م) .

بعد أن استرجعت المغرب (طرفايا) و (إفني) أخذت تطالب بالصحراء المغربية ، وقد طُرحت المشكلة على الأمم المتحدة في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٦٤م) ، فأحالت القضية إلى لجنة تصفية الاستعمار التي اتخذت قراراً في ١٠ شعبان ١٣٨٤هـ (١٤ كانون الأول ١٩٦٤م) ، وقد جاء فيه :

١ ـ تبدي اللجنة أسفها لتأخّر الدولة الإسبانية الحاكمة بتطبيق مبدأ تصفية الاستعمار، وكذلك في تحرير هذه الأراضي [الساقية الحمراء ووادي الذهب] من السيطرة الإسبانية .

٢ ـ ترجو اللجنة بإلحاح الحكومة الإسبانبة أن تطبّق تمام التطبيق ، ودون قيدٍ أو شرطٍ مقتضيات التصريح الخاص بمنح الاستقلال للبلدان أو الشعوب المستعمرة .

ولكن إسبانيا لم تبالِ بالموضوع .

عرضت المغرب القضية على الجمعية العمومية لـلأمم المتحدة ، والتي أصدرت قراراً عام ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ) يؤكّد القرار السابق . ثم أعادت المغرب الموضوع إلى لجنة تصفية الاستعمار في العام التالي ، وأخذت موريتانيا تطالب أيضاً بالصحراء ، أما لجنة تصفية الاستعمار فقد قرّرت استفتاء .

رفضت إسبانيا كل اقتراح ؛ لأهمية الصحراء بالنسبة لهـا ، لغناهـا ، ولموقعها بالنسبة إلى جزر كناريـا [الخالـدات] التي تتبع أيضـاً إلى السيطرة الإسبانية .

أراد الملك الحسن الثاني حلّ الموضوع سياسياً ؛ فقام بزيارةٍ إلى مدريد عام ١٣٩٠هـ ، والتقى بالجنرال فرانكو ، وعرض عليه احتفاظ إسبانيا ببعض القواعد لها في الصحراء المغربية ، والمشـاركة المغـربية ـ الإسبـانية في ثـروة الصحراء ، ولكن ذلك لم يفد شيئاً ، حيث أصرّت إسبانيا على موقفها ، إذ قرّرت في ٥ ذي الحجة ١٣٩٠هـ (٣١ كانون الثاني ١٩٧١م) تشكيل مجلسٍ لممثّلي سكان الصحراء بإجراء انتخاباتٍ قبل منتصف عام ١٣٩٥هـ . وتحرّك الجيش المغربي إلى جنوبي المغرب ليكون على مقربةٍ من الحدود مع الصحراء ، وكان تحرّكه بقيادة أحمد الديلمي . وأعلنت موريتانيا أنها على استعدادٍ للتعاون مع المغرب في إيجاد حلٍّ لقضية الصحراء .

كان الخلاف بين المغرب ، والجزائر ، وموريتانيا يشجّع إسبـانيا عـلى التشبّث بموقفها ، واجتمع وزراء خارجيـة كلٍّ من : المغـرب ، والجزائـر ، وموريتانيا في نواكشوط في ربيع الثاني ١٣٩٣هـ (أيار ١٩٧٣م) للـوصول إلى اتفاقٍ حول الصحراء ، وأعلنوا موافقتهم على حقّ تقرير المصير .

طلب الملك الحسن الثاني ملك المغرب عرض القضية على محكمة العدل الدولية ، وأقرّت لجنة تصفية الاستعمار في ٢٧ ذي القعـدة ١٣٩٤هـ (١١ كانون الأول ١٩٧٤م) عرض القضية علـى محكمة العدل الدولية ، وطلبت من إسبانيا إيقاف عملية الاستفتاء المزمع إجراؤها ، حيث كانت إسبانيا قد

أبلغت أمين سر الأمم المتحدة أنها تنوي إجراء استفتاء لتقرير المصير قبل منتصف عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ) ، وطلبت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ١٢ أيلول ١٩٧٤م أخذ رأي محكمة العدل الدولية : هل الصحراء المغربية عندما استعمرتها إسبانيا كانت أرضاً لا مالك لها ، أو كانت أرضاً مملوكة ؟ .

رفضت المغرب هذه الإجراءات، وأعلنت إسبانيا أن استقلال الصحراء المغربية سيجد معارضةً واسعةً.

وعندما علمت المغرب عزم إسبانيا على اتخاذ مبادرةٍ انفراديةٍ بشأن الصحراء بعث الملك الحسن الثاني في ١٥ جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ (٥ تموز ١٩٧٤م) ، رسالةً إلى الجنرال فرانكو يحذِّره مغبّة الأمر الذي تريد أن تُقدم عليه الحكومة الإسبانية .

وفي ١١ شوال ١٣٩٥هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٧٥م) أعلنت محكمة العدل الدولية رأيها بأن الصحراء أرضاً مغربية . وفي ذلك اليوم ألقى الملك الحسن الثاني خطاباً أعلن فيه عزم المغرب على القيام بمسيرةٍ شعبيةٍ إلى الصحراء المغربية لتحريرها ، وأعلن أنه سيشترك في هذه المسيرة ثلاثمائة وخمسون ألفاً من المتطوعين من مختلف مناطق المغرب .

وبعد ضمّ الصحراء المغربية بقيت جيوبٌ من أرض المغرب في الشمال تتبع إسبانيا ، وهي :

١ ـ سبتة : وقد احتلّها الإسبان منذ عام ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) وتقدّر مساحة مينائها بسبعة أميالٍ مربعةٍ ، ويسكنها ما يزيد على المائة ألف .

٢ ـ مليلة : وتقدّر مساحة مينائها بخمسة أميال مربعة ، ويسكنها ما يزيد على المائة وثلاثين ألفاً .

٣ ـ الجزر المغربية في البحر المتوسط الواقعة بين سبتة ومليلة .

ويبدو أن مرحلةً من الصمت تخيّم على المغرب عن هذه الجيوب في هذه المرحلة .

على حين أن الجزائر وموريتانيا قد وافقتا على استقلال الصحراء ، وظهرت جبهة « بوليساريو » التي تدعمها الجزائر ، وتدافع عن استقلال الصحراء .

أجرت إسبانبا محادثاتٍ بين كلٍّ من المغرب وموريتانيا في مدريد ، وأعلنت حكومة « خوان كارلوس » في ٨ ذي الحجة ١٣٩٥هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٧٥م) أنها توافق على اقتسام الصحراء المغربية بين المغرب وموريتانيا . ووافقت الأمم المتحدة على اتفاقية مدريد بين كلٍّ من موريتانيا والمغرب بأغلبية ٤٨ صوتاً ضدّ ٣٢ صوتاً ، وامتناع ٥٢ عن التصويت . وكذلك فإن منظمة الوحدة الإفريقية قد وافقت على إعطاء الصحراء حقّ تقرير المصير .

وتمّت المسيرة ، وضمّت المغرب إليها الصحراء ، وانتهى الخلاف مع موريتانيا، وبقيت الجزائر لا تعترف بهذا الانضمام، وتقوم جبهة البوليساريو ببعض أعمال التخريب داخل الصحراء، ثم تنسحب إلى الجزائر.

أعربت كل من الحكومة المغربية وجبهة البوليساريو عن أملها في إجراء استفتاء شعبي خلال ستة أشهرٍ، غير أن التفكير كان متجهاً إلى حفظ الأمن أثناء عملية التصويت، وضرورة انسحاب القوات المغربية من أرض الصحراء.

وتعهدت الأمم المتحدة في شوال ١٤١١هـ (نيسان ١٩٩١م) بوضع قوة لحفظ الأمن أثناء عملية الاستفتاء الشعبي الذي كان من المقرر أن يجري قبل ثلاث سنوات.

وافقت جبهة البوليساريو على دعم عملية وقف إطلاق النار في ذي الحجة ١٤١١هـ (حزيران ١٩٩١م) وأنه سيكون محكماً في ٢٧ صفر ١٤١٢هـ (٦ أيلول ١٩٩١م).

وقد وصل إلى المنطقة ألفان من قوات الأمم المتحدة، واستلموا

مهماتهم في مطلع عام ١٤١٢هـ (آب ١٩٩١م).

أفادت التقارير أن ثلاثين ألفاً من المغرب قد دخلوا الصحراء في مطلع شهر ربيعِ الأول ١٤١٢هـ (أواخر أيلول ١٩٩١م) بغية تغيير توجّه السكان السياسيِّ، كما أعيد أكثر من مائةٍ وسبعين ألفاً من أهل الصحراء كانوا قد غادروا منطقتهم قبل خمسة عشر عاماً في سبيل المشاركة في عملية الاستفتاء.

في جمادى الأولى ١٤١٢هـ (تشرين الثاني ١٩٩١م) تمّ نشر مائتي جندي فقط لحفظ الأمن، ولم تسحب المغرب أحداً من جنودها، وقد كان من المقرر أن تسحب مائةً وثلاثين ألفاً في ٧ ربيع الأول ١٤١٢هـ (١٥ أيلول ١٩٩١م). وهذا ما جعل الثقة تفقد في حفظ الأمن لإجراء الاستفتاء، كما أن هذه الثقة قد زعزعت أكثر عندما أعلنت الأمم المتحدة ضرورة إجراء تعديل قائمة الذين يحق لهم التصويت، وإضافة أربعين ألفاً آخرين لم يكونوا مسجلين في قائمة التعداد التي وضعت قبل سبعة عشر عاماً. وادعت جبهة البوليساريو أن الأمم المتحدة تعمل لصالح المغرب. وظهر أن الاستفتاء سيؤجّل.

وفي منتصف عام ١٤١٢هـ (أوائل عام ١٩٩٢م) جرى خرق لوقف إطلاق النار في الصحراء المغربية، وكل طرفٍ يتهم الآخر.

جرت محادثات غير مباشرة بين الطرفين في جنيف بسويسرا تحت رعاية الأمم المتحدة في أواخر عام ١٤١٢هـ (حزيران ١٩٩٢م)، ولكن لم تصل إلى نتيجة، وأعقبتها بعد شهرين في نيويورك، وكانت كسابقتها. واستمرّ خرق وقف إطلاق النار، وعادت جبهة البوليساريو إلى التهديد.

حدّد أواخر عام ١٩٩٣م لإجراء الاستفتاء الشعبي، وجرت مفاوضات مباشرة بين الحكومة المغربية وجبهة البوليساريو في مطلع عام ١٤١٤هـ (تموز ١٩٩٣م)، ولكن عملية الاستفتاء تأجّلت عدة مراتٍ، ثمّ أعلن أنه لا يمكن أن يتم قبل أوائل عام ١٩٩٦م.

وكـان الملك الحسن الثاني قد أقال الوزارة القـائمـة ، وشكّـل وزارةً جديدةً[1] برئاسته منذ ٩ صفر ١٣٨٥هـ (٨ حزيران ١٩٦٥م) .

---

(١) شكّل الحسن الثاني الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ الحسن الثاني : رئيساً للوزارة .
٢ ـ محمد زغاري : وزيراً للدولة .
٣ ـ مولاي حسن بن إدريس العلوي : وزيراً للشؤون الموريتانية والصحراء المغربية .
٤ ـ عبد الهادي بوطالب : وزيراً للعدل .
٥ ـ أحمد طيبي بن هيمة : وزيراً للشؤون الخارجية .
٦ ـ محمد شرقاوي : وزيراً للتطوير .
٧ ـ اللواء محمد أمزيان زهراوي : وزيراً للدفاع الوطني .
٨ ـ اللواء محمد أوفقير : وزيراً للشؤون الداخلية .
٩ ـ هادي محمد باحنيني : وزيراً للشؤون الخارجية .
١٠ ـ محمد بن هيمة : وزيراً للتعليم الوطني ، والفنون الجميلة ، والشباب والرياضة .
١١ ـ مأمون الطاهري : وزيراً للمالية .
١٢ ـ محجوبي أحرضان : وزيراً للتطوير الزراعي .
١٣ ـ محمد الغزاوي : وزيراً للصناعة والموارد المعدنية ، والسياحة .
١٤ ـ أحمد الاسكي : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .
١٥ ـ عبد الحميد زاسوري : وزيراً للتجارة .
١٦ ـ العربي شرايبي : وزيراً للصحة العامة .
١٧ ـ هادي أحمد برغش : وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٨ ـ حدو شيكر : وزير البريد والبرق والهاتف .
١٩ ـ عبد الحفيظ بوطالب : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .
٢٠ ـ أحمد مجيد بن جلون وزير الإعلام .
٢١ ـ عبد الله شورفي : سكرتير دولة ثان للشؤون الخارجية .
٢٢ ـ بدر الدين سنوسي : سكرتير دولة ثان للشؤون الإدارية .
٢٣ ـ هادي محمد باحنيني : سكرتير عام للحكومة إضافة إلى وزارة الشؤون الإدارية .
٢٤ ـ محمد الغزاوي : وزيراً للصناعة والموارد المعدنية إضافة إلى مهامه كمدير عام لمكتب الفوسفات .

وفي ١٢ ربيع الأول ١٣٨٥هـ (١٠ تموز ١٩٦٥م) أُنهيت خدمة محمد الغزاوي من وزارة الصناعة والموارد المعدنية ، وتمّ تعيين :

يحيى بن سليمان : وزيراً للصناعة والموارد المعدنية .

=

. . . .

= عبد الحميد زاسوري : وزيراً للتجارة والصناعات اليدوية .
حسين عيابو : وزيراً للسياحة .
عبد السلام بن عيسى : سكرتير دولة مكلف بشؤون رجال المقاومة ، ورجال جيش التحرير والمحاربين القدماء .
وفي ١٠ رمضان ١٣٨٥هـ (١ كانون الثاني ١٩٦٦م) تمّ تعيين :
محمد بن العالم : سكرتير دولة ثان للداخلية .
ناصر الفاسي : سكرتير دولة ثان للتعليم الوطني ، والفنون الجميلة ، والشباب والرياضة .
وفي ٤ ذي القعدة ١٣٨٥هـ (٢٣ شباط ١٩٦٦م) تمّ تعيين :
مهدي بن بوشتة : سكرتير دولة ثان للشباب والرياضة .
وفي الوقت نفسه أُنهيت خدمة محمد طيبي بن هيمة من وزارة الشؤون الخارجية ، وفي اليوم التالي أُعفي يحيى بن سليمان من وزارة الصناعة والموارد المعدنية .
وفي ٥ ذي القعدة ١٣٨٥هـ (٢٤ شباط ١٩٦٦م) أصبح :
محمد زغاري : نائب رئيس مجلس الوزراء ، ومكلف بوزارة التطوير .
محمد الشرقاوي : وزير الشؤون الخارجية .
أحمد العلوي : وزير الصناعة والموارد المعدنية .
وفي ١٢ محرم ١٣٨٦هـ (٢ أيار ١٨٦٦م) تمّ تعيين : محمد برغش : وزيراً للتطوير ، ومكلفاً بالتخطيط .
كما أُعفي في اليوم نفسه محمد زغاري : من وزارة التطوير .
وفي ٥ صفر ١٣٨٦هـ (٢٥ أيار ١٩٦٦م) تمّ تعيين :
١ ـ محمد طاديلي : سكرتير دولة ثان للتنمية الوطنية .
٢ ـ محمد إيماني : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
٣ ـ طيب زعمون : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
وفي ١٩ صفر ١٣٨٦هـ (٨ حزيران ١٩٦٦م) تمّ تعيين :
محجوبي أحرضان : وزير دولة مكلف بالدفاع الوطني .
حدو شيكر : وزيراً للزراعة .
بدر الدين السنوسي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .
وفي ١٩ رجب ١٣٨٦هـ (٢ تشرين الثاني ١٩٦٦م) تمّ تعيين :
أحمد بن ناني : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
وفي ٣٠ ذي القعدة ١٣٨٦هـ (١١ آذار ١٩٦٧م) أُعفي من مناصبه الحكومية جميعها كل من :
محمد زغاري : نائب رئيس مجلس الوزراء . =

= محمد شرقاوي : وزير الشؤون الخارجية .
محمد برغش : وزير التطوير والمكلف بالتنمية الوطنية والتخطيط .
محجوبي أحرضان : وزير الدولة المكلف بالدفاع .
حدوشيكر : وزير الزراعة .
عبد الحميد زاسوري : وزير التجارة والصناعات اليدوية .
طيب زعمون : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
محمد إيماني : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
محمد طاديلي : سكرتير دولة ثان للتنمية الوطنية .
وفي ٣٠ ذي القعدة ١٣٨٦هـ (١١ آذار ١٩٦٧م) تمّ تعيين :
محمد زغاري : وزيراً للزراعة ، ومكلفاً بالشؤون الاقتصادية .
محمد شرقاوي : وزيراً للدفاع الوطني .
أحمد العراقي : وزيراً للشؤون الخارجية .
أحمد علوي : وزيراً للتجارة والصناعة والموارد المعدنية .
محمد إيماني : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
طيب زعمون : سكرتير دولة ثان عند رئيس مجلس الوزراء .
عبد الوهاب العراقي : سكرتير دولة ثان للتجارة .
وفي ٤ محرم ١٣٨٧هـ (١٣ نيسان ١٩٦٧م) تمّ تعيين :
محمد بوستة : سكرتير دولة ثان للشباب والرياضة عند وزير التعليم الوطني عُيّن سكرتير دولة ثان للشباب والرياضة عند رئيس مجلس الوزراء (أي نُقل من وزارة التعليم الوطني إلى رئاسة مجلس الوزراء) ، وفي التاريخ نفسه نُقلت خدمات الشباب والرياضة المرتبطة بوزارة التعليم الوطني إلى رئاسة مجلس الوزراء ، وأصبحت مرتبطة فيها .
وفي ٢ صفر ١٣٨٧هـ (١٢ أيار ١٩٦٧م) أُعفي :
أحمد العراقي : من وزارة الأشغال العامة والمواصلات . وأُعفي في اليوم التالي كذلك :
عبد الهادي بوطالب : من وزارة العدل والإعلام بالوكالة .
محمد بن هيمة : من وزارة التعليم الوطني والفنون الجميلة .
وفي اليوم نفسه تمّ تعيين :
علي بن جلون : وزيراً للعدل .
عبد الهادي بوطالب : وزيراً للتعليم الوطني والفنون الجميلة .
محمد بن هيمة : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .

إلى محمد بن هيمة بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ(١) ، أي في اليوم الثاني من القتال

---

(١) شكّل محمد بن هيمة الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ محمد بن هيمة : رئيساً للوزراء .

٢ ـ عبد الهادي بوطالب : وزير التعليم الوطني والفنون الجميلة .

٣ ـ مولاي حسن بن إدريس : وزير الشؤون الموريتانية ، والصحراء المغربية .

٤ ـ علي بن جلون : وزير العدل .

٥ ـ أحمد العراقي : وزير الشؤون الخارجية .

٦ ـ اللواء محمد أوفقير : وزير الداخلية .

٧ ـ الحاج محمد باحنيني : وزير الشؤون الإدارية ، وسكرتير عام الحكومة .

٨ ـ محمد حدو شيكر : وزير الدفاع الوطني .

٩ ـ مأمون طاهري : وزير المالية .

١٠ ـ أحمد العراقي : وزير التجارة والصناعات اليدوية والموارد المعدنية ،

١١ ـ محمد برغش : وزير الزراعة ، ومكلف بالتنمية الوطنية .

١٢ ـ يحيى شفشاوني : وزير الأشغال العامة والمواصلات .

١٣ ـ العربي شرايبي : وزير الصحة العامة .

١٤ ـ هادي أحمد برغش : وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية .

١٥ ـ بدر الدين السنوسي : وزير البريد والبرق والهاتف .

١٦ ـ عبد الحفيظ بوطالب : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .

١٧ ـ أحمد السنوسي : وزير الإعلام . ١٨ ـ حسن عبابو : وزير السياحة .

١٩ـ عبد السلام بن عيسى : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء لشؤون المحاربين القدماء .

٢٠ ـ أحمد بن ناني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية .

٢١ ـ محمد إيماني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتخطيط .

٢٢ ـ مهدي بوستة : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشباب والرياضة .

٢٣ ـ عبد الله شورفي : سكرتير دولة ثان للشؤون الخارجية .

٢٤ ـ محمد بن العالم : سكرتير دولة ثان للداخلية .

٢٥ ـ طيب زعموني : سكرتير دولة ثان للزراعة .

٢٦ ـ عبد الوهاب العراقي : سكرتير دولة ثان للتجارة .

وفي ٥ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ (١٢ تموز ١٩٦٧م) تمّ تعيين محمد أمزيان زهراوي وزير مكلف بالتنسيق بين قوات المملكة .

وفي ١٨ شوال ١٣٨٧ هـ (١٨ كانون الثاني ١٩٦٨م) أعفي من منصبه كل من : يحيى شفشاوني : وزير الأشغال العامة والمواصلات .

=

= حسن عبابو : وزير السياحة .
عبد الحفيظ بوطالب : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .
عبد السلام بن عيسى : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء لشؤون المحاربين القدماء .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
إدريس سلاوي : وزيراً للعدل .
عبد الحفيظ بوطالب : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .
عبد السلام بن عيسى : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية .
تهامي الوزاني: وزيراً للسياحة .
عبد الوهاب العراقي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء .
أحمد بن قيرافي : سكرتير دولة ثان للتجارة والصناعة والموارد المعدنية .
وفي ١١ صفر ١٣٨٨هـ (٩ أيار ١٩٦٨م) أعفي من منصبه كل من :
عبد الوهاب العراقي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء .
أحمد بن ناني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون الاقتصادية .
محمد إيماني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتخطيط .
مهدي بن بوستة : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشباب والرياضة .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
محمد إيماني : وزير عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون الاقتصادية والتخطيط .
مهدي بن بوشتة : وزير عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشباب والرياضة .
وفي ٢١ ربيع الأول ١٣٨٨هـ (١٧ حزيران ١٩٦٨م) أنهيت خدمة كل من :
عبد الهادي بوطالب : وزير التعليم الوطني والفنون الجميلة .
محمد حدو شيكر : وزير الدفاع الوطني .
محمد أمزيان زهراوي : وزير مكلف بالتنسيق بين قوات المملكة .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
عبد الهادي بوطالب : وزير دولة .
اللواء محمد أمزيان زهراوي : وزير الدفاع الوطني .
محمد حدو شيكر : وزير التعليم الابتدائي .
عبد اللطيف فلالي : وزير التعليم العالي .
قاسم زهيري : وزير التعليم الثانوي والصناعي .
وفي ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٨هـ (٩ تموز ١٩٦٨م) تمّ تعيين :
محمد الفاسي فهري : وزير دولة مكلف بالشؤون الثقافية .
وفي ١٩ جمادى الأولى ١٣٨٨هـ (١٣ آب ١٩٦٨م) أنهيت خدمة كل من :
أحمد علوي : وزير الصناعات اليدوية ، والموارد المعدنية ، والتجارة .
=

=
تهامي الوزاني : وزير السياحة .
أحمد قيرافي : سكرتير دولة ثان للتجارة ، والموارد المعدنية ، والصناعات اليدوية .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
أحمد علوي : وزير دولة مكلف بالسياحة والصناعات اليدوية .
جواد بن إبراهيم : وزير الصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .
وفي ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ (١ أيلول ١٩٦٨م) عُيِّن :
عباس قيسي : سكرتير دولة ثان في وزارة الشؤون الإدارية ، وأمين سر عام الحكومة .
وفي ٢٠ ذي القعدة ١٣٨٨هـ (٧ شباط ١٩٦٩م) أنهيت خدمات :
إدريس سلاوي : وزير العدل .
عبد الحفيظ بوطالب : وزير الأشغال العامة والمواصلات .
محمد إيماني : وزير مكلف بالشؤون الاقتصادية والتخطيط عند رئيس مجلس الوزراء .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
أحمد رضا كديرة : وزير دولة مكلف بالتخطيط . عبد الحفيظ بوطالب : وزير العدل .
محمد إيماني : وزير الأشغال العامة والمواصلات .
وفي ٢٣ محرم ١٣٨٩هـ (١٠ نيسان ١٩٦٩م) أنهيت خدمات :
عبد السلام بن عيسى : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .
مهدي بن بوشتة : وزير الشباب والرياضة .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
مهدي بن بوستة : وزير العمل التوظيفي والتعليم التخصصي .
عمر بوستة : وزير الشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية .
العربي الرميلي : سكرتير دولة ثان للدفاع الوطني .
وفي ٢٤ جمادى الأولى ١٣٨٩هـ (٧ آب ١٩٦٩م) أنهيت خدمات :
أحمد رضا كديرة : وزير دولة مكلف بالتخطيط .
عبد اللطيف فلالي : وزير التعليم الثانوي والصناعي .
وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :
أحمد رضا كديرة : وزير دولة مكلف بالتعليم الثانوي والصناعي والعالي .
مصطفى فارس : سكرتير دولة مكلف بالتخطيط عند رئيس مجلس الوزراء .
وفي ٢٦ رجب ١٣٨٩هـ (٧ تشرين الأول ١٩٦٩م) أنهيت خدمات :
محمد بن هيمة : رئيس الوزراء . عبد الهادي بوطالب : وزير دولة .
أحمد العراقي : وزير الشؤون الخارجية . أحمد برغش : وزير الزراعة والمكلف بالتنمية الوطنية .
وفي الوقت نفسه تم تعيين :
=

الذي دار بين بعض البلدان العربية واليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين ، وبعد هذه الحرب قامت مظاهراتٌ صاخبةٌ في المغرب تطالب بإقصاء اليهود الذين لهم دورٌ مرموقٌ في المغرب عن مواقعهم ـ على الأقل ـ .

بعد الحالة الاستثنائية التي فُرضت على البلاد منذ عام ١٣٨٥هـ ، وكانت السلطات كلها بيد الملك ، دعا حزب الدستور الديمقراطي إلى تكتلٍ وطني، وفي الوقت نفسه فإن الملك قد جمع هيئةً حكوميةً من الرجالات الذين يحملون صفة وزير ليتحمّلوا أعباء الحكم، وكان هذا التشكيل أمراً ملكياً[1]،

= أحمد العراقي : رئيساً للوزراء .

مولاي حسن بن إدريس : وزير دولة .

محمد بن هيمة : وزير دولة مكلف بالزراعة .

عبد الهادي بوطالب : وزير الشؤون الخارجية .

وفي ١٠ شعبان ١٣٨٩هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٦٩م) أُنهيت خدمات :

أحمد علوي : وزير دولة مكلف بالسياحة والصناعات اليدوية .

العربي شرايبي : وزير الصحة العامة .

جواد بن إبراهيم : وزير التجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية . وفي الوقت نفسه تمّ تعيين :

أحمد علوي : وزير دولة مكلف بالتنمية الوطنية ، والصناعات اليدوية .

محمد جعيدي : وزير التجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .

عبد الكريم الأزرق : وزير السياحة .

(١) كان هذا التشكيل على النحو الآتي:

١ ـ إدريس سلاوي: المدير العام للمكتب الملكي .

٢ ـ أحمد بلفريج : ممثل شخصي للملك الحسن الثاني .

٣ ـ محمد معمري زواوي: وزير البيت الملكي.

٤ ـ أحمد العراقي : رئيس الوزراء .

٥ ـ مولاي حسن بن إدريس : وزير دولة .

٦ ـ محمد بن هيمة وزير دولة للزراعة .

٧ ـ محمد الفاسي فهري : وزير دولة للثقافة .

٨ ـ أحمد علوي : وزير دولة للتنمية الوطنية .

٩ ـ عبد الحفيظ بوطالب : وزير العدل . =

١٠ ـ عبد الهادي بوطالب : وزير الشؤون الخارجية .
١١ ـ اللواء محمد أمزيان زهراوي : وزير الدفاع الوطني .
١٢ ـ اللواء محمد أوفقير : وزير الداخلية ، والإسكان ، ومكلف بشؤون المحاربين القدماء.
١٣ ـ محمد باحنيني : وزير الشؤون الإدارية ، وأمين سر عام الحكومة .
١٤ ـ مأمون طاهري : وزير التعليم الثانوي ، والفني ، والعالي .
١٥ ـ أحمد برغش : وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٦ ـ محمد حدو شيكر : وزير التعليم الابتدائي .
١٧ ـ اللواء إدريس بن عمر علامي : وزير البريد والبرق والهاتف .
١٨ ـ بدر الدين سنوسي : وزير الشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية .
١٩ ـ مهدي بوستة : وزير العمل والعمال والتدريب .
٢٠ ـ أحمد سنوسي : وزير الإعلام .
٢١ ـ عبد الحميد كريم : وزير السياحة .
٢٢ ـ عبد المجيد بلساهي : وزير الصحة العامة .
٢٣ ـ محمد عواد : وزير لشؤون الأمراء .
٢٤ ـ أحمد بن سعود : وزير البلاط الملكي .
٢٥ ـ أحمد مجيد بن جلون : وزير المكتب الملكي .
٢٦ ـ مصطفى فارسي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء ومكلف بالتخطيط .
٢٧ ـ العربي رميلي : سكرتير دولة ثان للدفاع الوطني .
٢٨ ـ محمد بلعالم : سكرتير دولة ثان للداخلية .
٢٩ ـ عبيس القيسي : سكرتير دولة ثان للشؤون الإدارية .
٣٠ ـ محمد علي بن شفيق : سكرتير دولة ثان للتعليم الثانوي ، والمهني ، والعالي ، والتدريب .

واستمرت الوزارة في مهمتها ، وإن كانت السلطة كلها بيد الملك ، فكانت التعيينات وإنهاء الخدمات :

في ١٥ ذي الحجة ١٣٨٩هـ (٢١ شباط ١٩٧٠م) أنهيت خدمة أحمد رضا كديرة من منصبه كوزير دولة مكلف بالتعليم الثانوي ، والمهني ، والعالي .

وبعد خمسة أيام (٢٠ ذي الحجة) تمّ تعيين محمد بن علي شفيق : سكرتير دولة للتعليم الثانوي ، والمهني ، والعالي عند رئيس مجلس الوزراء .

وفي ١٨ محرم ١٣٩٠هـ (٢٥ آذار ١٩٧٥م) أُعفي رئيس مجلس الوزراء أحمد العراقي من تكليفه بالتعليم الثانوي والمهني والعالي .

= وفي اليوم نفسه أُنهيت خدمات كل من :
مأمون طاهري : وزير التعليم الثانوي ، والفني ، والعالي .
عبد الكريم الأزرق : وزير المالية .
اللواء إدريس بن عمر علامي : وزير البريد والبرق والهاتف .
بدر الدين سنوسي : وزير الشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية .
عبد الحميد كريم : وزير السياحة .
محمد بن علي شفيق : سكرتير دولة ثان للتعليم الثانوي ، والمهني ، والعالي .
وفي ٥ جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ (٧ آب ١٩٧٠م) أُعفي كل من :
محمد بن هيمة : وزير دولة مكلف بالزراعة .
محمد إيماني : وزير الأشغال العامة والمواصلات .
وفي الوقت نفسه كُلِّف :
أحمد العراقي : رئيس الوزراء بمهمة الإشراف على وزارة الزراعة .
واللواء محمد أوفقير : وزير الداخلية بوزارة الأشغال العامة والمواصلات .
وبعد يومين فقط عاد الملك فأعفى :
أحمد العراقي : رئيس الوزراء من مهمة الإشراف على وزارة الزراعة .
واللواء محمد أوفقير : وزير الداخلية من وزارة الأشغال العامة والمواصلات .
وفي الوقت نفسه عُيِّن :
أحمد لاسكي : وزيراً للزراعة .
حسن الشامي : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .
وفي ١٧ رجب ١٣٩٠هـ (١٧ أيلول ١٩٧٠م) أُعفي من منصبه كل من :
عبد الحفيظ بوطالب : وزير العدل ،
مهدي بن بوشتة : وزير العمل والعمال والتدريب التخصصي .
وتمّ تعيين :
أحمد بوستة : وزيراً للعدل .
عبد الحفيظ بوطالب : وزير العمل والعمال والتدريب التخصصي .
وفي ٣ شعبان ١٣٩٠هـ (٣ تشرين الأول ١٩٧٠م) أُنهيت خدمات :
اللواء محمد أمزيان زهراوي : وزير الدفاع .
محمد باحنيني : وزير الشؤون الإدارية .
وتمّ تعيين :
اللواء محمد أمزيان زهراوي : وزير دولة . =

وطرح على الاستفتاء عام ١٣٩٠هـ مشروع دستوره .

حادثة الصخيرات ومحاولة اغتيال الملك : ١٦ جمادى الأولى ١٣٩١هـ (٩ تموز ١٩٧١م) أقام الملك الحسن الثاني احتفالاً ضخماً بمناسبة بلوغه السن ٤٢ عاماً ، وبينما كان الملك والمدعوون على مائدة الغداء اقتحم القصر جماعةٌ من طلبة الكلية الحربية بقيادة اللواء محمد المذبوحي أكبر العسكريين في القصر ، ومدير الكلية عبابو .

كانت الكلية الحربية قد أعلنت عن إجراء مناورةٍ بالذخيرة الحية ، وأنه سيشترك في هذه المناورة أكثر من ١٤٠٠ عسكري بين ضابطٍ وجندي ، وكانت هذه القوات مضطرّةً للمرور قرب قصر الصخيرات ، وعندما وصل طلبة الكلية إلى قرب القصر ؛ أعلن مدير الكلية عبابو أن الملك في خطر ، وعلينا إنقاذه ما دمنا بالقرب منه ، فاقتحم الطلاب القصر ، وكان الحرس الملكي منزوع السلاح في ذلك اليوم ، ومع ذلك فقد حاولوا المقاومة ، فقُتلوا ، وكذلك فقد قتل اللواء محمد المذبوحي خطأ ، قتله العميد عبابو .

وكان كبار الضباط الذين اشتركوا في هذه الحركة الألوية : مصطفى ، وبوغرين ، وحمو ، والفنيري ، إضافةً إلى كبير عسكريي القصر اللواء محمد المذبوحي ، واللواء عبابو مدير الكلية العسكرية الملكية . وقد قتل أحد الجنود اللواء عبابو .

طوّق اللواء محمد أوفقير القصر بقواته ، فاضطرّ الثائرون إلى

= محمد باحنيني : وزير الدفاع الوطني ، مع بقائه سكرتير عام للحكومة .
أحمد عثمان : وزير الشؤون الإدارية .
وفي ١٢ شعبان ١٣٩٠هـ (١٢ تشرين الأول ١٩٧٠م) أُنهيت خدمة :
عبد الهادي بوطالب : وزير الشؤون الخارجية .
وتعيين :
يوسف بن العباس التعزي : وزيراً للشؤون الخارجية .
وفي ٥ ربيع الأول ١٣٩١هـ (٣٠ نيسان ١٩٧١م) أُنهيت خدمة :
طيب زعمون : سكرتير دولة ثان للزراعة .

الاستسلام ، ولكن بعد أن فشل الانقلابيون قاموا باحتلال القيادة العامة للقوات المسلّحة الملكية ، ولكنهم اضطرّوا إلى الاستسلام أيضاً ، وقد تمّ إعدام أربعين ضابطاً من كبار الضباط في اليوم الثالث للحركة .

وكانت ليبيا قد أسرعت واعترفت بحكومة الانقلابيين وهذا ما أدّى إلى قطع العلاقات السياسية بين الدولتين .

وأخذ الملك بعدها يعتمد على اللواء محمد أوفقير حيث ولّاه قيادة فرقة المدرّعات ، وعلى اللواء إدريس بن عمر حيث عيّنه مساعداً في تسيير القيادة لأركان الجيش الملكي .

وفي ١٤ جمادى الأخرة ١٣٩١هـ (٦ آب ١٩٧١م) كلّف الملك الحسن الثاني وجهاً جديداً لتأليف الحكومة هو محمد كريم العمراني[1] .

---

(١) شكّل محمد العمراني الوزارة على النحو الآتي :
١ ـ محمد كريم العمراني : رئيساً للوزراء .
٢ ـ محمد باحنيني : وزيراً للعدل ، وسكرتيراً عاماً للحكومة .
٣ ـ اللواء محمد أوفقير : وزيراً للدفاع الوطني .
٤ ـ أحمد بن بوشتة : وزيراً للداخلية .
٥ ـ عبد اللطيف فلالي : وزيراً للشؤون الخارجية .
٦ ـ أحمد العصري : وزيراً للثقافة ، والتعليم العالي والثانوي .
٧ ـ أحمد برغش : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
٨ ـ اللواء إدريس بن عمر علامي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .
٩ ـ أحمد ماجد بن جلون : وزيراً للشؤون الإدارية .
١٠ ـ معطي جوريو : وزيراً للزراعة .
١١ ـ محمد برنوسي : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .
١٢ ـ عبد المجيد بلماحي : وزيراً للصحة العامة .
١٣ ـ أرسلان الجديدي : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية ، والشباب والرياضة .
١٤ ـ عبد القادر صحراوي : وزيراً للإعلام .
١٥ ـ محمد بن علي شفيق : سكرتير دولة ثان للثقافة ، والتعليم العالي ، والثانوي ، والتدريب التخصصي .
=

وفي ٦ محرم ١٣٩٢هـ (٢ شباط ١٩٧٢م) أعلن الحسن الثاني دستوراً جديداً ، وطرحه للاستفتاء في ١٨ محرم ١٣٩٢هـ (٣ آذار ١٩٧٢م) ، فحصل على تأييد ٩٨,٧٥٪ ، غير أن الاستفتاء لا يدلّ على حقيقة ، حيث ليس هو إلّا خديعة براقة لكسب الصفة الشرعية ، وقد شجبت المعارضة هذا الدستور ، وكانت تتمثّل المعارضة في حزب الاستقلال ، واتحاد القوى الشعبية ، والحزب الشيوعي .

وفي ٢٨ صفر ١٣٩٢هـ (١٢ نيسان ١٩٧٢م) أعاد محمد كريم العمراني تشكيل الحكومة[1] .

= وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩١هـ (١١ آب ١٩٧١م) تمّ تعيين :

محمد المدغري : سكرتير دولة ثان للمالية .

عبد العزيز بن جلون : سكرتير دولة ثان للتجارة والصناعة ، والموارد المعدنيـة ، والتجارة البحرية .

عبد الكامل رحراحي : سكرتير دولة ثان للسياحة .

وكُلّف رئيس الوزراء بالإشراف على التخطيط ، والشؤون الاقتصادية ، والسياحة .

وكُلّف وزير الداخلية بالإشراف على الإسكان ، والصناعات اليدوية ،

وكُلّف وزير الدفاع الوطني بشؤون المحاربين القدماء .

وكُلّف وزير الزراعة بالتنمية الوطنية .

وفي ١٤ رجب ١٣٩١هـ (٤ أيلول ١٩٧١م) تمّ تعيين :

مصطفى فارس : سكرتير دولة للمالية .

(١) كان تشكيل الحكومة على النحو الآتي :

١ ـ محمد كريم العمراني : رئيساً للوزراء .

٢ ـ محمد باحنيني : نائباً لرئيس الوزراء ، وزيراً للعدل ، سكرتيراً عاماً للحكومة .

٣ ـ اللواء محمد أوفقير : وزيراً للدفاع الوطني ، القائد العام للقوات الحربية الملكية .

٤ ـ محمد بن هيمة : وزيراً للداخلية .

٥ ـ عبد اللطيف فلالي : وزيراً للشؤون الخارجية .

٦ ـ الحبيب الفهري : وزيراً للثقافة ، والتعليم العالي والثانوي .

٧ ـ أحمد برغش : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .

٨ ـ اللواء إدريس بن عمر علامي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف . =

الهجوم على الملك الحسن الثاني : سافر الملك إلى باريس بزيارةٍ رسميةٍ بدعوةٍ من رئيس الجمهورية الفرنسية في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ (٦ آب ١٩٧٢م) ، وكان سفره بحراً من طنجة ، وكان في وداعه اللواء محمد أوفقير ، وانتهت الزيارة ، ورجع إلى وطنه في ٧ رجب عام ١٣٩٢هـ (١٦ آب ١٩٧٢م) ، وفي طريق العودة جوّاً ، وفي سماء (تطوان) ؛ انقضّت على طائرة الملك « البوينغ » طائرت الفانتوم التي انطلقت من قاعدة (القنيطرة) بحجّة حماية الطائرة الملكية ، وأطلقت قذائفها على « البوينغ » ، وأفرغت ما

= ٩ ـ أحمد ماجد بن جلون : وزيراً للشؤون الإدارية .
١٠ ـ مصطفى جوريو : وزيراً للزراعة .
١١ ـ عبد الرحمن الكوهن : وزيراً للسياحة .
١٢ ـ عبد الرحمن تهامي : وزيراً للصحة العامة .
١٣ ـ أرسلان الجديدي : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية ، والشباب والرياضة .
١٤ ـ عبد القادر صحراوي : وزيراً للإعلام .
١٥ ـ محمد حدو شيكر : وزير التعليم الابتدائي .
١٦ ـ مصطفى فارس : وزير المالية .
١٧ ـ عبد العزيز بن جلون : وزير التجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .
١٨ ـ حسن زاسوري : وزير الإسكان والبيئة .
١٩ ـ محمد بن علي شفيق : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء .
٢٠ ـ عبد اللطيف إيماني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالتخطيط وتطوير المناطق .
٢١ ـ عبد الله الفاسي فهري : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون الاقتصادية .
٢٢ ـ عبد الله غرنيط : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالتنمية الوطنية .
٢٣ ـ عبيس قيسي : سكرتير دولة ثان للداخلية .

ويكلف رئيس مجلس الوزراء بالتخطيط ، وتطوير المناطق ، وتهيئة العناصر ، والشؤون الاقتصادية ، والتنمية الوطنية .

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٣٩٢هـ (٢٣ أيار ١٩٧٢م) أُعفي عبد اللطيف فلالي من وزارة الشؤون الخارجية ، وأُسندت إلى أحمد طيبي بن هيمة .

لديها من ذخيرة ، حتى نفدت من طائرة فوزي ، ومن طائرة بوخالدي ، أما اللواء « كويرة »[1] قائد الهجوم فقد اختلّ مدفع طائرته ، واضطرّ أن يلقي نفسه بالمظلّة ، وقُبض عليه ، ورفضت الشرطة التي قبضت عليه أن تسلّمه للواء محمد أوفقير رغم إلحاحه الشديد . أما محمد أمقران فقد انتقل بطائرةٍ عموديةٍ إلى جبل طارق ، وألقت السلطات البريطانية هناك القبض عليه ، وحقّقت معه ، واعترف أن قائد التمرّد هو اللواء محمد أوفقير . واستطاع قائد الطائرة الملكية أن يصل إلى مطار (سلا ـ الرباط) سالماً ، ولما رأى المتمرِّدون أن الملك قد خرج من الطائرة سليماً ، قاموا بالهجوم على المطار لمدة ساعة ، كما هاجموا القصر الملكي ، ولكن فشل تمرّدهم ، وقُبض على قادتهم ، وقد انتحر اللواء محمد أوفقير ، ورفض مقابلة الملك رغم استدعائه عدّة مرات. وسرت الشائعات أن طائرة الملك قد أصيبت إصاباتٍ خطيرةٍ ، وأن الذي أنقذها بعد عناية الله استعمال الملك للمذياع الموجود في الطائرة ، وإعلانه للمطاردين أنه الميكانيكي ، وأخبرهم أن الملك قد جُرح جروحاً خطيرة ، وهو مثخنٌ بها ، وأن ملاحي الطائرة قتلا . والواقع أن الذخيرة قد نفدت ، ومدفع اللواء كويرة قد اختلّ ولم يعد صالحاً للرمي ، وهذا ما أوقف قذف الطائرة الملكية .

وجّه الملك رسالة في ١٥ شعبان ١٣٩٢هـ (٢٣ أيلول ١٩٧٢م) إلى الأحـزاب الآتية : حزب الاستقلال، والاتحاد الوطني للقوى الشعبية ، والدستور الديمقراطي ، والحركة الشعبية الديمقراطية في محـاولاتٍ لتطويق الاتجـاهات اليسارية غير الوطنية .

وفي ١٤ شـوال ١٣٩٢هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٢م) عهـد الملك

---

(١) كان اللواء كويرة قد عُيِّن قائداً لقاعدة القنيطرة الجوية العسكرية قبل سفر الملك بدقائق بناء على إلحاح اللواء محمد أوفقير ، وكان توقيع الملك على أمر التعيين آخر ما وقعه قبل سفره .
وظهر أن التخطيط لهذه العملية كان منذ يوم ٣ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ (١٤ تموز ١٩٧٢م) .

الحسن الثاني إلى أحمد عثمان بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1] .

---

(١) شكّل أحمد عثمان حكومته على النحو الآتي :

١ ـ أحمد عثمان : رئيساً للوزراء .
٢ ـ محمد باحنيني : وزيراً للدولة .
٣ ـ بشير بن عباس تعرجي : وزيراً للعدل .
٤ ـ محمد طيبي بن هيمة : وزيراً للداخلية .
٥ ـ أحمد طيبي بن هيمة : وزيراً للشؤون الخارجية .
٦ ـ غصوص بن سالم : وزيراً للمالية .
٧ ـ محمد حدو شيكر : وزير التعليم الوطني .
٨ ـ اللواء إدريس بن عمر علامي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .
٩ ـ أحمد مجيد بن جلون : وزيراً للإعلام .
١٠ ـ حسن زاسوري : وزيراً للإسكان والبيئة .
١١ ـ محمد أرسلان الجديدي : وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية ، والشباب والرياضة .
١٢ ـ عبد الرحمن تهامي : وزيراً للصحة العامة .
١٣ ـ محمد مكي الناصري : وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ، والثقافة .
١٤ ـ عبد الرحمن الكوهن : وزير السياحة .
١٥ ـ عباس القيسي : وزير الشؤون الإدارية ، وسكرتير عام للحكومة .
١٦ ـ عبد السلام برادة : وزير الزراعة .
١٧ ـ عبد القادر بن سليمان : وزير التجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .
١٨ ـ صلاح مزيلي : وزير الأشغال العامة والمواصلات .
١٩ ـ عبد اللطيف إيماني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتخطيط ، وتطوير المناطق ، وتهيئة الاخصائيين .
٢٠ ـ عبد الله غرنيط : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتنمية الوطنية .
٢١ ـ عبد الكريم حليم : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتعليم العالي .
٢٢ ـ محمد بوعامود : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتعليم الثانوي والابتدائي .
٢٣ ـ منير دوكالي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشباب والرياضة .

وفي ٩ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ (١١ أيار ١٩٧٣م) أنهيت خدمات :
محمد طيبي بن هيمة : وزير الداخلية .
ومحمد حدو شيكر : وزير التعليم الوطني . =

= وفي الوقت نفسه عُيِّن :

محمد حدو شيكر : وزيراً للداخلية .

ولد سيدي بابا : وزيراً للتعليم الوطني .

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ (١٤ أيار ١٩٧٣م) أُنهيت خدمة عباس القيسي : وزير الشؤون الإدارية ، وسكرتير عام الكومة ، وعين مكانه محمد بن يخلف .

وفي ٣ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ (٢٥ نيسان ١٩٧٤م) جرى تعديل وزاري عام ، فكان على النحو الآتي :

١ ـ أحمد عثمان : رئيساً للوزراء .

٢ ـ محمد باحنيني : وزير دولة مكلف بالشؤون الثقافية .

٣ ـ أحمد العراقي : وزير دولة مكلف بالشؤون الخارجية .

٤ ـ محمد طيبي بن هيمة : وزير دولة مكلف بتهيئة الاخصائيين والتنسيق .

٥ ـ أحمد طيبي بن هيمة : وزير دولة مكلف بالإعلام .

٦ ـ عباس القيسي : وزيراً للعدل .

٧ ـ محمد حدو شيكر : وزيراً للداخلية .

٨ ـ اللواء إدريس بن عمر علامي : وزيراً للبريد والبرق والهاتف .

٩ ـ عبد القادر بن سليمان : وزيراً للمالية .

١٠ ـ حسن زاسوري : وزيراً للسياحة والإسكان والبيئة .

١١ ـ أحمد رمزي : وزيراً للصحة العامة .

١٢ ـ ولد سيدي بابا : وزيراً للشؤون الإسلامية والأوقاف .

١٣ ـ محمد بن يخلف : وزير الشؤون الإداري ، وسكرتير عام للحكومة .

١٤ ـ أحمد التازي : وزيراً للأشغال العامة والمواصلات .

١٥ ـ عبد اللطيف غساسي : وزير التجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .

١٦ ـ صلاح مزيلي : وزير الزراعة .

١٧ ـ عبد اللطيف بن جليل : وزيراً للتعليم العالي .

١٨ ـ محمد بوعامود : وزيراً للتعليم الثانوي والابتدائي .

١٩ ـ محمد العربي الخطابي : وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل .

٢٠ ـ عبد الله غرنيط : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالصناعات اليدوية .

٢١ ـ عبد الكامل رحراحي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالمالية .

٢٢ ـ عبد السلام زنيند : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون العامة . =

وقد ساهمت المغرب في الحرب الدائرة في المشرق الإسلامي بين بعض الدول العربية وبين اليهود الذين اغتصبوا فلسطين ، وقد أرسلت المغرب قطعاتٍ من قواته المسلّحة إلى الشام ، ورابطت في الجولان في سوريا ، وقاتلت في الحرب التي اندلعت يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ (٥ تشرين الأول ١٩٧٣م)، وأبدت بطولاتٍ رائعةٍ، وطلبت مصر من المغرب إرسال بعض قطعاتٍ عسكريةٍ من قواتها لدعم الجبهة المصرية ، وقد وافقت المغرب على هذا الطلب غير أن اندلاع الحرب قد أوقف تحرّك تلك القطعات إذ فات الأوان للإفادة منها وقد توقّف إطلاق النار بين الفريقين المتحاربين .

وفي ٢٧ شوال ١٣٩٧هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٧٧م) قدّم أحمد عثمان

= ٢٣ ـ محمد بلخياط : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون الاقتصادية .
٢٤ ـ طيب بن شيخ : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالتخطيط وتنمية المناطق .
٢٥ ـ إدريس بصري : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للداخلية .
٢٦ ـ محمد محجوبي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للإعلام .
٢٧ ـ حسن لوقاش : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشؤون الإسلامية والأوقاف .
٢٨ ـ موسى سعدي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للتجارة ، والصناعة ، والموارد المعدنية ، والتجارة البحرية .

وفي ٦ جمادى الأولى ١٣٩٤هـ (٢٧ أيار ١٩٧٤م) تمّ تعيين :
محمد طاهري جوطي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشباب والرياضة .
وفي ٦ شعبان ١٣٩٤هـ (٢٤ آب ١٩٧٤م) عُيِّن :
أحمد شرقاوي : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشؤون الخارجية .
وفي ٣ ذي الحجة ١٣٩٤هـ (١٧ كانون الأول ١٩٧٤م) أُضيف إلى عبد السلام زنيند الشؤون الصحراوية .
وفي ١ ربيع الأول ١٣٩٥هـ (١٣ آذار ١٩٧٥م) أُنهيت خدمات أحمد رمزي من وزارة الصحة العمومية .

استقالة حكومته إلى الملك الحسن الثاني ، فعهد إليه بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ(١) .

---

(١) شكّل أحمد عثمان حكومته على النحو الآتي :
١ ـ أحمد عثمان : رئيساً للوزراء .
٢ ـ محمد بوستة : وزير دولة مكلف بالشؤون الخارجية والتنسيق .
٣ ـ محجوبي أحرضان : وزير دولة مكلف بالبريد والبرق والهاتف .
٤ ـ محمد باحنيني : وزير دولة مكلف بالشؤون الثقافية .
٥ ـ محمد طيبي بن هيمة : وزير دولة مكلف بالشؤون الداخلية .
٦ ـ معطي بوعبيد : وزيراً للعدل .
٧ ـ محمد الدويري : وزيراً للتنمية الوطنية .
٨ ـ عبد اللطيف غيساسي : وزيراً للمالية .
٩ ـ مصطفى فارس : وزيراً للزراعة والتطوير الزراعي .
١٠ ـ محمد العربي الخطابي : وزيراً للإعلام .
١١ ـ أحمد رمزي : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٢ ـ محمد بوعمود : وزيراً للعمل والتعليم الاختصاصي .
١٣ ـ محمد بن يخلف : وزيراً للشؤون الإدارية .
١٤ ـ محمد حدو شيكر : وزيراً مكلفاً بالعلاقات مع المجلس النيابي .
١٥ ـ عز الدين العراقي : وزيراً للتعليم الوطني وتهيئة الاخصائيين .
١٦ ـ عبد الحفيظ القادري : وزيراً للشباب والرياضة .
١٧ ـ عباس الفاسي : وزيراً للإسكان .
١٨ ـ عبد الله غرنيط : وزيراً للشؤون الاجتماعية .
١٩ ـ مهند العنصر : وزيراً للنقل .
٢٠ ـ عبد الكامل رحراحي : وزيراً للتجارة والصناعة .
٢١ ـ رحّال رحّالي : وزيراً للصحة العامة .
٢٢ ـ موسى سعدي : وزيراً للطاقة والموارد المعدنية .
٢٣ ـ منصوري بن علي : وزيراً للسياحة .
٢٤ ـ طيب بن شيخ : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالتخطيط وتنمية المناطق .
٢٥ ـ إدريس بصري : سكرتير دولة للداخلية .
٢٦ ـ عبد السلام زنيند : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون العامة . =

وفي ٣٠ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ (٢٩ آذار ١٩٧٩م) عهد الملك الحسن الثاني إلى معاطي بوعبيد بتشكل حكومةٍ جديدةٍ[1] .

= ٢٧ ـ عثمان سليماني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالشؤون الاقتصادية .
٢٨ ـ عبد الرحمن باردو : سكرتير دولة للشؤون الخارجية .
٢٩ ـ سيد بلبشير : سكرتير دولة للتعليم العالي والبحث العلمي .
٣٠ ـ عبد الحق تازي : سكرتير دولة لتهيئة الإخصائيين .

(١) تشكّلت الوزارة على النحو الآتي :
١ ـ معاطي بوعبيد : رئيساً للوزراء ، ووزيراً للعدل .
٢ ـ محمد بوستة : وزير دولة مكلف بالشؤون الخارجية والتضامن .
٣ ـ محجوبي أحرضان : وزير دولة مكلف بالبريد والاتصالات .
٤ ـ محمد باحنيني : وزير دولة مكلف بالشؤون الثقافية .
٥ ـ عبد الكامل رحراحي : وزيراً للمالية .
٦ ـ محمد أرسلان الجديدي : وزير التوظيف والتثقيف المهني .
٧ ـ محمد الدويري : وزيراً للتنمية الوطنية .
٨ ـ إدريس البصري : وزيراً للداخلية .
٩ ـ عبد اللطيف غساسي : وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي .
١٠ ـ عبد الواحد بلقزيز : وزيراً للإعلام .
١١ ـ أحمد رمزي : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٢ ـ عبد الله غرنيط : وزيراً للشؤون الاجتماعية والحرفية .
١٣ ـ منصور بن علي : وزيراً للشؤون الإدارية .
١٤ ـ محمد حدو شيكر : وزيراً مكلفاً بالعلاقات مع المجلس النيابي .
١٥ ـ عز الدين العراقي : وزيراً للتعليم الوطني والتثقيف الإداري .
١٦ ـ عبد اللطيف خضيري : وزيراً للشباب والرياضة .
١٧ ـ عباس الفاسي : وزيراً للإسكان وتهيئة الأقاليم .
١٨ ـ محمد ناصور : وزيراً للمواصلات .
١٩ ـ رحّال رحّالي : وزيراً للصحة الوطنية .
٢٠ ـ عز الدين غصوص : وزيراً للتجارة والصناعة .
٢١ ـ عبد السلام زنيند : وزيراً للسياحة .
٢٢ ـ موسى سعدي : وزيراً للطاقة والموارد المعدنية .
٢٣ ـ عبد اللطيف جواهري : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء .
٢٤ ـ طيب بن شيخ : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلف بالتخطيط وتنمية =

وفي ٧ محرم ١٤٠٢هـ (٥ تشرين الثاني ١٩٨١م) عهد الملك الحسن الثاني إلى معاطي بوعبيد بإعادة تشكيل الوزارة[١] .

= الأقاليم .

٢٥ ـ عبد الرحمن بـادو : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء .

٢٦ ـ سيد بلبشير : سكرتير دولة للتعليم العالي والبحث العلمي .

٢٧ ـ خالي حنا ولد الرشيد : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشؤون الصحراوية .

٢٨ ـ عبد الحق تازي : سكرتير دولة للتثقيف الإداري .

وفي ٩ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ (٢٥ شباط ١٩٨٠م) أُنهيت خدمة عبد السلام زنيند وزير السياحة وعُيِّن أحمد علوي مكانه كوزير دولة مكلف بالسياحة .

(١) شكّل معاطي بوعبيد الوزارة الثانية على النحو الآتي :

١ ـ معاطي بوعبيد : رئيساً للوزراء ، ووزيراً للعدل .

٢ ـ محمد بوستة : وزير دولة مكلف بالشؤون الخارجية .

٣ ـ محجوبي أحرضان : وزير دولة مكلف بالتضامن .

٤ ـ محمد باحنيني : وزير دولة .

٥ ـ أحمد علوي : وزير دولة .

٦ ـ محمد أرسلان الجديدي : وزيراً للتنمية الوطنية والتوظيف .

٧ ـ محمد الدويري : وزيراً للتخطيط والتثقيف الإداري والمهني .

٨ ـ إدريس البصري : وزيراً للداخلية .

٩ ـ مصطفى بلعربي علوي : وزيراً للعدل .

١٠ ـ عبد الواحد بلقزيز : وزيراً للإعلام والشباب والرياضة .

١١ ـ هاشم فلالي : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .

١٢ ـ عبد اللطيف سملالي : سكرتير دولة للشباب والرياضة .

١٣ ـ منصور بن علي : وزيراً للنقل .

١٤ ـ عبد الكريم غلّاب : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء .

١٥ ـ عز الدين العراقي : وزيراً للتعليم الوطني.

١٦ ـ عبد اللطيف جواهري : وزيراً للمالية .

١٧ ـ عباس الفاسي : وزيراً للشؤون الاجتماعية والحرفية .

١٨ ـ عثمان ديمناطي : وزيراً للزراعة .

١٩ ـ رحّال رحّالي : وزيراً للصحة العامة .

٢٠ ـ عز الدين غصوص : وزيراً للتجارة والصناعة والسياحة . =

وفي ٢٥ صفر ١٤٠٤هـ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٣م) عهد الملك الحسن الثاني إلى محمد كريم العمراني بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[١] .

---

٢١ ـ محمد قياج : وزيراً للتجهيزات .
٢٢ ـ موسى سعدي : وزيراً للطاقة والموارد المعدنية ،
٢٣ ـ صميلي بن سالم : وزيراً للصيد البحري والتجارة البحرية .
٢٤ ـ سيد بلبشير : وزيراً للشؤون الثقافية .
٢٥ ـ خالي حنا ولد الرشيد : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشؤون الصحراوية .
٢٦ ـ عبد الحق تازي : سكرتير دولة للشؤون الخارجية .
٢٧ ـ المفضل الحلو : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
٢٨ ـ عباس القيسي : سكرتير عام للحكومة .
٢٩ ـ مهند النصير : وزيراً للبريد والاتصالات .
٣٠ ـ أحمد بلحاج : وزيراً مكلفاً بالعلاقات مع المجلس النيابي .
٣١ ـ محمد طوخاني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالشؤون الإدارية .
٣٢ ـ عبد اللطيف حجاجي : سكرتير دولة للإسكان وتطوير الأقاليم .

(١) تشكّلت الحكومة على النحو الآتي :
١ ـ محمد كريم العمراني : رئيساً للوزراء .
٢ ـ معاطي بوعبيد : وزير دولة .
٣ ـ محجوبي أحرضان : وزير دولة .
٤ ـ محمد باحنيني : وزير دولة .
٥ ـ عبد الرحيم بو عبيد : وزير دولة .
٦ ـ محمد أرسلان الجديدي : وزير دولة .
٧ ـ أحمد عثمان : وزير دولة .
٨ ـ مولاي أحمد العلوي : وزير دولة .
٩ ـ محمد الدويري : وزيراً للتخطيط والتثقيف الإداري والمهني .
١٠ ـ إدريس البصري : وزيراً للداخلية .
١١ ـ مولاي مصطفى بلعربي العلوي : وزيراً للعدل .
١٢ ـ عبد الواحد بلقزيز : وزيراً للشؤون الخارجية.
١٣ ـ هاشم فلالي : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٤ ـ عبد اللطيف فلالي : وزيراً للإعلام .
١٥ ـ منصور بن علي : وزيراً للنقل .
=

. . . .

=

١٦ ـ سيد بلبشير : وزيراً للشؤون الثقافية .
١٧ ـ عز الدين العراقي : وزيراً للتعليم الوطني .
١٨ ـ عبد اللطيف جواهري : وزيراً للمالية .
١٩ ـ عباس الفاسي : وزيراً للشؤون الاجتماعية والحرفية .
٢٠ ـ محمد قباج : وزيراً للتجهيزات .
٢١ ـ عبد اللطيف سملالي : وزيراً للشباب والرياضة .
٢٢ ـ عز الدين غصوص : وزيراً للتجارة والصناعة .
٢٣ ـ صميلي بن سالم : وزيراً للصيد البحري والتجارة البحرية .
٢٤ ـ موسى سعدي : وزيراً للطاقة والموارد المعدنية .
٢٥ ـ المفضل الحلو : وزيراً للإسكان وتطوير الأقاليم .
٢٦ ـ طيب بن شيخ : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالشؤون الثقافية .
٢٧ ـ عباس قيسي : سكرتير عام للحكومة .
٢٨ ـ مولاي زين زاهدي : وزيراً للتوظيف والتنمية الوطنية .
٢٩ ـ خالي حنا ولد الرشيد : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء للشؤون الصحراوية .
٣٠ ـ عبد الحق تازي : سكرتير دولة للشؤون الخارجية .
٣١ ـ أحمد بلحاج : وزيراً مكلفاً بالعلاقات مع المجلس النيابي .
٣٢ ـ مهند النصير : وزيراً للبريد والاتصالات .
٣٣ ـ محمد طوخاني : سكرتير دولة عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالشؤون الإدارية .
٣٤ ـ عبد اللطيف حجاجي : سكرتير دولة للإسكان وتطوير المناطق .
٣٥ ـ عبد الواحد راضي : وزيراً مكلفاً بالتضامن .
٣٦ ـ عثمان ديمناطي : وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي .
٣٧ ـ عبد الكريم غلاب : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء .

وفي ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ (٢٣ شباط ١٩٨٤م) تمّ تعيين .
عبد الكبير مدغري : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
وفي ٢٩ رمضان ١٤٠٤هـ (٢٧ حزيران ١٩٨٤م) تمّت تسمية :
محمد قباج : وزيراً للتجهيزات والتثقيف المهني .
عبد الحق تازي : وزيراً للتخطيط .
وإنهاء خدمة : محمد دويري : وزير التخطيط والتثقيف الإداري والمهني .
عبد الحق تازي : سكرتير دولة للشؤون الخارجية .
وفي ٤ صفر ١٤٠٥هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤م) أُنهيت خدمة :

=

وفي ٢١ رجب ١٤٠٥هـ (١١ نيسان ١٩٨٥م) طلب الملك من محمد كريم العمراني إعادة تشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1] .

= أحمد بلحاج : وزير مكلف بالعلاقات مع المجلس النيابي .

عباس القيسي : سكرتير عام للحكومة ، وقد كلّف بتنظيم العلاقات بين الحكومة وغرفة الممثلين .

وفي ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ (١٨ شباط ١٩٨٥م) أُنهيت خدمة :

عبد الواحد بلقزيز : وزير الشؤون الخارجية ، وعُيّن مكانه عبد اللطيف فلالي .

(١) شكّل محمد كريم العمراني وزارته على النحو الآتي :

١ ـ محمد كريم العمراني : رئيساً للوزراء .

٢ ـ محمد باحنيني : وزيراً للدولة .

٣ ـ مولاي أحمد العلوي : وزيراً للدولة .

٤ ـ مولاي مصطفى بلعربي العلوي : وزيراً للعدل .

٥ ـ عبد اللطيف فلالي : وزيراً للشؤون الخارجية ، والتضامن ، والإعلام .

٦ ـ إدريس بصري : وزيراً للداخلية .

٧ ـ عز الدين العراقي : وزيراً للتعليم الوطني .

٨ ـ طيب بن شيخ : وزيراً للصحة العامة .

٩ ـ عبد اللطيف جواهري : وزيراً للمالية .

١٠ ـ عز الدين غصوص : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء ومكلفاً بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية .

١١ ـ موسى سعدي : وزيراً للسياحة .

١٢ ـ صميلي بن سالم : وزيراً للصيد البحري ، والتجارة البحرية .

١٣ ـ محمد قباج : وزيراً للتجهيزات ، والتثقيف الإداري والمهني .

١٤ ـ محمد بوعمود : وزيراً للمواصلات .

١٥ ـ مهند النصير : وزيرا للبريد والاتصالات .

١٦ ـ عثمان دمناطي : وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي .

١٧ ـ عبد اللطيف سملالي : وزيراً للشباب والرياضة .

١٨ ـ مولاي زين زاهدي : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء ومكلفاً بالشؤون الاقتصادية .

١٩ ـ عبد الكبير مدغري علاوي : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .

٢٠ ـ رشيدي الرهزواني : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالتخطيط . =

٢١ ـ خالي حنا ولد الرشيد : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالشؤون الصحراوية .
٢٢ ـ محمد عبيد : وزيراً للشؤون الاجتماعية والحرفية .
٢٣ ـ محمد فتاح : وزيراً للطاقة والموارد المعدنية .
٢٤ ـ طاهر مصمودي : وزيراً للتجارة والصناعة .
٢٥ ـ محمد بن عيسى : وزيراً للشؤون الثقافية .
٢٦ ـ عبد الرحمن بوفتاس : وزيراً للإسكان .
٢٧ ـ حسن عبادي : وزيراً للتوظيف .
٢٨ ـ طاهر عفيفي : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالعلاقات مع المجلس النيابي .
٢٩ ـ عبد الرحيم عبد الجليل : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء ، مكلفاً بالشؤون الإدارية .

وفي ٢٧ محرم ١٤٠٦هـ (١١ تشرين الأول ١٩٨٥م) عُيِّن :
مولاي أحمد الشرقاوي : سكرتير دولة للشؤون الخارجية .

وفي ٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٨٥م) أخذت وزارة الإعلام من عبد اللطيف فلالي ، واحتفظ بوزارة الشؤون الخارجية والتضامن ، وأسندت وزارة الإعلام إلى إدريس بصري إلى جانب حقيبة وزارة الداخلية التي يحملها .

وفي ٢ رجب ١٤٠٦هـ (١٢ آذار ١٩٨٦م) عُيِّن عز الدين العراقي وزير التعليم الوطني نائباً لرئيس الوزراء .

وفي ٢٨ رجب ١٤٠٦هـ (٧ نيسان ١٩٨٦م) أُنهيت خدمة عبد اللطيف جواهري من وزارة المالية ، وأُسندت هذه الوزارة إلى محمد برادي .

وفي ٢٦ محرم ١٤٠٧هـ (٣٠ أيلول ١٩٨٦م) أنهيت خدمة رئيس الوزراء محمد كريم العمراني ، وتسلم رئاسة الوزراء مكانه نائبه عز الدين العراقي الذي ترك وزارة التعليم الوطني إلى محمد هلالي .

وفي الوقت نفسه عُيِّن محمد سقاط سكرتير دولة للشؤون الخارجية ومكلفاً بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية .

وفي ١٦ محرم ١٤٠٨هـ (٩ أيلول ١٩٨٧م) أُنهيت خدمة كل من :
طاهر مصمودي : وزير التجارة والصناعة ، وأُسندت الوزارة إلى عبد الله عزماني .
وطاهر عفيفي : الوزير المفوض عند رئيس مجلس الوزراء للعلاقات مع المجلس النيابي ، وأُسندت هذه الوزارة إلى عبد السلام بركة .

وفي ١٦ شوّال ١٤٠٨هـ (١ حزيران ١٩٨٨م) طلب الملك الحسن الثاني من رئيس الوزراء عز الدين العراقي إدخال تعديل على وزارته ؛ ففعل[1] .

تحسّنت علاقات المغرب مع دول بلاد المغرب الأخرى. ففي شهر

---

(١) أصبحت الوزارة على النحو الآتي :

١ - عز الدين العراقي : رئيساً للوزراء .
٢ - محمد باحنيني : وزيراً للدولة .
٣ - مولاي أحمد العلوي : وزيراً للدولة .
٤ - مولاي مصطفى بلعربي العلوي : وزيراً للعدل .
٥ - عبد اللطيف فلالي : وزيراً للشؤون الخارجية ، والتضامن .
٦ - إدريس بصري : وزيراً للداخلية ، والإعلام .
٧ - محمد هلالي : وزيراً للتعليم الوطني .
٨ - طيب بن شيخ : وزيراً للصحة العامة .
٩ - محمد برادي : وزيراً للمالية .
١٠ - عباس القيسي : سكرتير عام للحكومة .
١١ - موسى سعدي : وزيراً للسياحة .
١٢ - صميلي بن سالم : وزيراً للصيد البحري ، والتجارة البحرية .
١٣ - محمد قباج : وزيراً للتجهيزات ، والتثقيف الإداري والمهني .
١٤ - محمد بوعمود : وزيراً للنقل .
١٥ - مهند النصير : وزيراً للبريد والاتصالات .
١٦ - عثمان دمناطي : وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي .
١٧ - عبد اللطيف سملالي : وزيراً للشباب والرياضة .
١٨ - مولاي زين زاهدي : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء ومكلفاً بالشؤون الاقتصادية .
١٩ - عبد الكبير مدغري علاوي : وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية .
٢٠ - رشيدي الغزواني : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالتخطيط .
٢١ - خالي حنا ولد الرشيد : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالشؤون الصحراوية .
٢٢ - محمد عبيد : وزيراً للشؤون الاجتماعية والحرفية .
٢٣ - محمد فتاح : وزيراً للطاقة والموارد المعدنية .

رمضان ١٤٠٨هـ (أيار ١٩٨٨م) وافقت كل من المغرب والجزائر على إقامة علاقات سياسية بين الدولتين.

استؤنفت العلاقات بين المغرب وموريتانيا في رجب ١٤٠٥هـ (نيسان ١٩٨٥م) وكانت قد قطعت عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

اجتمع رؤساء دول المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) في مراكش في رجب ١٤٠٩هـ (شباط ١٩٨٩م)، ووقعوا معاهدة لإقامة اتحاد المغرب العربي، وتهدف إلى تسهيل التجارة بين هذه الدول.

وبعد عام (١٤١٠هـ) وُقّعت اتفاقيات جانبية فردية للتعاون الاقتصادي بين كل من ليبيا، والجزائر، والمغرب.

كانت هناك خلافات سياسية داخل الاتحاد مثل دعم الجزائر لجبهة البوليساريو، وشجب المغرب لغزو العراق للكويت. لكن العلاقات عادت فتحسنت بين المغرب والجزائر في منتصف عام ١٤١٢هـ (أوائل عام ١٩٩٢م) إثر استلام محمد بوضياف رئاسة المجلس الأعلى للدولة في الجزائر. ومع ذلك كانت العلاقات بين الدولتين بين مدٍّ وجزرٍ.

= ٢٤ - عبد الله عزماني : وزيراً للتجارة والصناعة .
٢٥ - محمد بن عيسى : وزيراً للشؤون الثقافية .
٢٦ - عبد الرحمن بوفطاس : وزيراً للإسكان .
٢٧ - حسن عبادي : وزيراً للتوظيف .
٢٨ - عبد السلام بركة : وزيراً مكلفاً بالعلاقات مع المجلس النيابي .
٢٩ - عبد الرحيم عبد الجليل : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء مكلفاً بالشؤون الإدارية .
٣٠ - محمد سقاط : وزيراً مفوضاً عند رئيس مجلس الوزراء ومكلفاً بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية .

توقّفت لقاءات رؤساء دول اتحاد المغرب العربي، ولم يطبق من بنود المعاهدات الخمس عشرة شيء.

وفي أوائل جمادى الآخرة ١٤١٦هـ (تشرين الأول والثاني ١٩٩٥م) رعى الملك الحسن الثاني ملك المغرب أول قمة شرق أوسطية وشمالي إفريقية في الدار البيضاء شملت موضوعات منها أسلوب تمويل مصرف إقليمي جديد للشرق الأوسط.

بعد غزو العراق للكويت في مطلع عام ١٤١١هـ (آب ١٩٩٠م) شجبت المغرب هذا الغزو، وأعلنت أنها ستقوم بإرسال قوةٍ لمساندة المملكة العربية السعودية ضدّ أي عدوان محتمل. وفي جمادى الأولى ١٤١١هـ (كانون أول ١٩٩٠م) وصل ألف وخمسمائة جندي مغربي إلى المملكة العربية السعودية للعمل ضمن التحالف الدولي المتعدد الجنسيات لإجبار العراق للانسحاب من الكويت.

وقامت مظاهرات مؤيّدة للعراق، وأظهرت الحكومة بشكل غير مباشرٍ دعم ذلك. وفي منتصف رجب ١٤١١هـ (أوائل شباط ١٩٩١م) قامت مظاهرات تدعو إلى انسحاب الكتيبة المغربية من القوة الدولية المتعددة الجنسيات. وتجاهلت الحكومة المغربية ذلك، وأعلنت أن الكتيبة للدفاع عن المملكة العربية السعودية، وليست موجهة للقتال ضد العراق.

وفي ربيع ١٤١٤هـ (أيلول ١٩٩٣م) قام رئيس وزراء الكيان اليهودي بزيارة للرباط إشارةً إلى تحسّن العلاقات بين الدولتين، وعن الدور الذي لعبه الملك الحسن الثاني في عملية السلام في الشرق الأوسط. وبعد عام فتحت مكاتب ارتباط في تل أبيب والرباط، وفي جمادى الآخرة ١٤١٤هـ (تشرين الثاني ١٩٩٣م) افتتح شمعون بيريز رئيس وزراء الكيان اليهودي المكتب في الرباط. ثم أقيمت علاقات سياسية بين الدولتين في شوال ١٤١٥ هـ (آذار ١٩٩٥م).

الفَصْلُ الثّالِث

الصّرَاعَات الدّاخِليّة

يُقدّر عدد سكان المغرب عام ١٤١٠هـ بخمسةٍ وعشرين مليوناً ، وتكون الكثافة حوالي خمسين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد ، لأن المساحة العامة تقرب من ٤٤٦,٠٠٠ كيلومتر مربع عدا الصحراء المغربية التي غدت الآن جزءاً منه ، وبذا تصبح المساحة العامة ٦٧٢,٠٠٠ كيلومتر مربع .

وتعدّ الصراعات الداخلية قليلةً بشكلٍ عامٍّ ، وذلك لقلّة المجموعات البشرية ، وقلّةالمجموعات العقدية ، إضافةً إلى سياسة الملك الخاصة التي يمسك فيها بخيوط التجمّعات السياسية كلها، وله قنوات تصل بينه وبينها؛ يحرّكها ، ويعرف مراميها البعيدة ، ويتحرّك من خلال ذلك بحكمةٍ وحنكةٍ .

المجموعات البشرية : يوجد في البلاد مجموعتان رئيسيتان ، وهما : العرب ، والبربر .

١ ـ **العرب** : ويشكّلون ٥٠ ـ ٥٥٪ ، ويقيمون غالباً في المناطق الساحلية ، وقد دخلوا إلى البلاد إبّان الفتح الإسلامي ، ثم مع بني هلال ، إضافةً إلى مراحل متعددةٍ في التاريخ ، فكلما حدثت هـزّةٌ في المشرق انطلق إثرها أعدادٌ نحو المغرب ؛ بعداً عن الأجواء السياسية التي ألجأتهم للمغادرة ، وهؤلاء مثل: الأدارسة، والأشراف والسعديين، والأشراف الحسنيين (الحكام اليوم) ، كما أن الصراع الطويل الذي قام بين مسلمي الأندلس ونصارى الإسبان والبرتغاليين ومن ورائهم الفرنجة كان يستدعي أفواجاً من بلاد العرب

وغيرها من الأمصار الإسلامية للارتحال نحو بـلاد المغرب للجهـاد في سبيل الله ، وزجَّ أنفسهم في أتـون ذلك الصراع ، وإن الكثـير منهم كان يستقـرّ هناك ، وكذلك عندما طُرد المسلمون من الأندلس عام ٨٩٨هـ التحقوا ببلاد المغرب ، وأقاموا فيها على أمل العودة إلى موطنهم الأنـدلسي ؛ سواء أكـان بجهـودهم أم بجهود المسلمـين الذين لا شـكّ ستتحرّك فيهم الحـماسة إلى الجهاد .

٢ ـ البربر : ويشكّلون من ٤٠ ـ ٤٥٪ من مجموع السكان ، ويقيمون عادةً في المناطق الجبلية ، الريف ـ الأطلس الأعلى ـ الأطلس الأوسط ، وقد وُجدوا أساساً في البلاد ، إذ نستطيع أن نعدّهم سكان البلاد الأصليين ، وقد اعتنقوا الإسلام عند وصولهم إليهم، وأسهموا بالفتوحات إلى جانب إخوانهم المسلمين من بقية الشعـوب الأخرى ، وخـاصةً العـرب ، وكان منهم قـادةٌ بارزون ؛ ومنذ أن حسن إسلامهم بعد حركات الارتداد التي وقعت في بعض أوساطهم أيام الكاهنة ، وهم لم ينـازعوا الأمـر أهله ، وإنما كـانوا دائـماً في صفوف المجاهدين ، وإذا وقعت فتنة ، وأثار النعرة العصبية بعض المغرضين لـلإفادة من تشتّت الصفـوف ، ولا شكّ أنهم سيجـدون آذاناً صاغيةً عند العامّة ، وكانت تقع أحداثٌ تدمي لها القلوب ، ولكن لا يلبث العقلاء أن يعودوا إلى رشدهم ، ويوحّدوا الصف الإسـلامي ، وكانت سيـوف البربـر الأساسية في الوقوف بوجه المدّ الصليبي في الأندلس ، وصدّه ، وإلحاق الهزيمة به أيام المرابطين والموحّدين وفيما بعد ذلك، ولا تزال معركة (الزلاّقة) عام ٤٧٩هـ بقيادة أمير المـرابطين يـوسف ين تاشفـين ، ومعركـة (الأرك) عام ٥٩١هـ بقيـادة المنصور يعقـوب بن يوسف بن عبـد المؤمن أمير المـوحّدين ؛ موضع عزٍّ وفخار ، ومثالاً للجهاد . والبربر شعبٌ مسلمٌ مثل بقية الشعوب الإسلامية التي تتألّف منها الأمة الإسلامية ، ويعيش مع إخوانه العرب حياةً واحدةً، وليس معنى هذا أنه لم تحصل محاولاتٌ للتفرقة بين الأخـوة، نعم؛ حدثت محاولاتٌ ، وخاصةً أيام الاستعمار ، ووجدت من يستمع لها ، ولكن

لمدةٍ وجيزةٍ وحتى ينتبه الطرفان : العرب والبربر ، ويُقضى على تلك المحاولات ، إذ يشعر كل فريقٍ أن العقيدة هي التي تربط بين الطرفين ، ولا ربط سواها .

ولا ينافس البربر العرب على الحكم ، وإنما يعدّونه حقّاً للعرب ؛ ما دامت الأسرة الحاكمة ترجع في نسبها إلى رسول الله ﷺ ، ولهذا أثره في المغرب ، وعند العامة في كل مكان ، ونرى رجال الحكم يحرصون على التركيز على هذا الموضوع .

أما بقية المجموعات البشرية فهي عقدية وعصبية ، ولا تصل نسبتها مهما بالغ أصحابها بذلك إلى ٥٪ ، وهي المجموعة الأوروبية واليهود .

٣ ـ الأوربيون : وهم سلاح الاستعمار ووسيلته ، وقد حصلوا على أفضل الأراضي ، وأحسن التسهيلات بالتملّك ، والصناعة ، والعمل ، والوظائف ، ولكن نقص عددهم عند الاستقلال فجأة ، إذ رحل منهم عن المغرب أكثر من مائة ألف ، ولا يزيد عددهم اليوم على نصف مليون ، وهو ما يعادل ٢٪ من مجموع السكان ، ويقيمون عادةً في المدن الكبرى ، والموانىء : الدار البيضاء ، والرباط ، وطنجة ، وعلى الرغم من أن معظمهم اليوم من مواليد المغرب التي أصبحت وطنهم ، ويحملون جنسيتها إلاّ أن قلوبهم مع أوربا .

يشكّل الفرنسيون ٨٤٪ من مجموع الأوربيين ، ويليهم في العدد الإسبان ، فالألمان . ومع أن نسبة الأوربيين ضئيلة إلاّ أن أثرهم في الحياة العامة ، وفي الصناعة ، والتجارة ، والتعليم ، والمشروعات الزراعية ، وصيد السمك ، والتعدين ، ولكن ينعدم الأثر السياسي لقلّة نسبتهم .

٤ ـ اليهود : وهم مجموعة قليلة ، ويعود بعضهم إلى أصلٍ بربريٍّ اعتنقوا اليهودية قديماً ، ونشأوا في ظلّها ، وتطبّعوا بطباع أهلها ، وجاءت جموعٌ منهم في الأندلس، حيث طُردوا مع المسلمين، فإنه لم يكن لنصارى الإسبان والبرتغاليين ولا غيرهم أن يتحمّلوا تصرّفات اليهود ؛ فأخرجوهم مع

المسلمين الذين صبروا عليهم وعلى أذاهم ، فأقاموا في المغرب في ظلِّ الحياة الإسلامية ، وشعروا بالسعادة ، غير أنهم كانوا يقابلون الأحسان في كل مرّةٍ بالنكران للجميل، فما يأتي مغتصبٌ إلّا ويكونون العون له، وعندما جاء الاستعمار الصليبي كانوا عينه على المسلمين . وقد وصل عددهم عام ١٣٥٥هـ إلى ١٦٢,٠٠٠ يهودي ، ووصل عددهم عام ١٣٧٠هـ إلى ١٩٩,٠٠٠ يهودي رغم مغادرة ٤٠ ألف يهودي إلى فلسطين عام ١٣٦٧هـ ، إذن بقي عددهم كبيراً في المغرب ، حيث كانوا يحلمون بأن يكون أثرهم واضحاً في الحياة السياسية ، وأن تكون المغرب الجسر الذي يعبرون منه إلى بقية الأمصار العربية ، ولما لم يستطيعوا أن يحقّقوا كل ما يريدون اكتفوا بأن يبقى هذا الحلم أملاً يحقّقونه إن سنحت لهم الظروف ؛ سواء أكان ذلك عن طريقهم أم عن طريق غيرهم ، وأخذت جموعٌ منهم تتحرّك نحو فلسطين ، وتركوا حلمهم بأيدٍ ظاهرةٍ على السطح مخفيةٍ من الساحة حتى لم يبقَ منهم في المغرب إلّا ما يقرب من خمسين ألفاً ، ويقيم أكثرهم في الدار البيضاء ، والرباط ، وطنجة ، وفاس ، وأثرهم الاقتصادي محسوسٌ في البلاد .

إذن لا يوجد صراعاتٌ بين المجموعات البشرية .

المجموعات العقدية : والواقع أنه لا توجد سوى مجموعةٍ واحدةٍ هي المسلمون الذين يشكّلون الأكثرية الساحقة من السكان ، وتبلغ نسبتهم من ٩٥٪ ، والواقع ٩٧,٥٪ ، والحقيقة السكان كلهم ، لأن المجموعتين الأخريين وهم النصارى واليهود لا يشعرون أنهم من أهل البلاد رغم أنهم يحملون الجنسية المغربية ، ولا يحسّون أنهم يرتبطون بالبلاد رغم انتمائهم إليها اسمياً ، إذ ترتبط المجموعة الأولى وهي النصرانية بأوربا ، أو الدول التي تعود أصولها إليها ، ويرتبط اليهود حسب مصالحهم أينما وُجدت .

١ ـ المسلمون : وهم سكان البلاد جميعها ، وكلهم من أهل السنة والجماعة ، وعلى مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وقد توجد آثار أفكارٍ

للخوارج في منطقة (تافيللات) ، ولا تكاد تذكر ، بل نستطيع أن نعـدّها مندثرة .

٢ ـ **النصارى** : لا يوجد في المغرب كله أي نصراني من سكان البلاد الأصليين ، وإنما جاؤوا جميعاً مع الاستعمار ، وفي ظلال سيوفه ، وعاشوا في أكنافه، وكانوا عيونه التي يرى فيها ما يتمّ داخل البلاد، وآذانه التي يسمع بها ما يجري ، وهم لسان حالـه ، وصوتـه الناطق ، وكـان تفكير المستعمـرين الصليبيين أن يكون هؤلاء المستوطنون النصـارى في المستقبل الـدعامـة التي يعتمدون عليها في تنفيذ مشروعاتهم ، وتحقيق آمالهم الاستعمارية ، ومصالحهم الاقتصادية . وهؤلاء النصارى أعداء ألداء لكل من يحمل فكراً إسلامياً أو له علاقة باللغة العـربية ، وإن كـانت اللغة العـربية ليست سـوى جانب من الجوانب الإسلامية .

٣ ـ **اليهود** : وقد بقيت نسبتهم ضعيفةً جداً بعد هرب كثيرٍ منهم إلى فلسطين ، ومن بقي منهم فإن علاقته وطيدة مع اليهود الذين اغتصبوا منطقة فلسطين من أرض الشام ، وهم يحقدون على كـل ما يمتّ إلى الإسـلام أو العربية بصلة .

ومن هنا يتبين أنه لا توجد في المغرب صراعاتٌ على أساس عقدي .

الأحزاب السياسية : كان نشوء الأحزاب السياسية في المغرب والتنظيم ردّ فعل لأحداث ، ولعلّ أبرزها :

أ ـ هزيمة محمد عبد الكريم الخطابي في الـريف : فظهـرت إثر ذلـك الرابطة المغربية في ٢٣ محرم ١٣٤٥هـ (٢ آب ١٩٢٦م) حيث تشكّل مكتبٌ يضمّ أحمد بلفريج المكي الناصري ، ومحمد القباج ، ومحمد بنونة . وقد تبينّ لهؤلاء الرجال إثر هزيمة محمد الخطابي أن الحلّ العسكري لم يؤدِّ إلى نتيجة ، لذا لا بدّ من طرح العمل السياسي والتهيئة والتنظيم له ، وفي الوقت نفسـه لم يعترفوا بالتجزئة التي لحقت بالمغرب التي تقاسمها الفرنسيون والإسبان ، وقد ضمّ مكتب الرابطة أعضاء من أقسام المغرب كلها .

ب ـ الظهير البربري : إن إصدار هذا الظهير (المرسوم) قد أحدث اضطراباتٍ أعقبها اعتقالات، وبرزت كتلة العمل الوطني كأول تنظيمٍ سريٍّ في ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ (٢٣ آب ١٩٣٠م) ، وقد ضمّت : علال الفاسي، العربي بوعياد ، الحسن بوعياد ، محمد الدويري ، إدريس برادة ، عبد القادر التازي ، أحمد مكوار ، محمد حسن الوازني ، حمزة الطاهري . وقد قامت على أساس التنظيم الهرمي ، حيث تضمّ الزاوية عشرة أعضاء في البداية ؛ ثم غدت تضمّ عشرين عضواً ، وتليها الطائفة التي تضمّ ستين عضواً ، فلجنة المسافر ، فالمسيرون الذين تتألّف منهم الخلايا ، وقد استعملوا اصطلاح الزاوية حيث هو شائع لدى البربر حرصاً على وحدة الكلمة ، وقد كلّف علال الفاسي ، ومحمد حسن الوازني لوضع القانون الداخلي ، وقد كان همّ الكتلة منصبّاً على كتابة العرائض ، وإصدار الصحف ، ومحاربة الظهير البربري .

جـ ـ قانون إلحاق المغرب بالمستعمرات : عندما سيطرت فرنسا على المغرب فرضت الحماية عليها ، لكن حكومة « دلادير » الفرنسية أصدرت قانوناً في أول ذي القعدة ١٣٥٢هـ (١٤ شباط ١٩٣٤م) ألحقت فيه المغرب بالمستعمرات ، وقد احتجّ السلطان دون أي جدوى ، وهذا ما أدّى إلى زيادة النشاط السياسي والتركيز على التنظيم .

بقيت كتلة العمل الوطني حزباً شبه مغلق لم يقم بأي نشاطات ، وتقوده مجموعة تتألّف من عشرة أعضاء . وعندما وصلت الجبهة الشعبية في فرنسا إلى الحكم عملت على تمزيق كتلة العمل الوطني . وسافر وفدٌ من الكتلة إلى باريس ، يضمّ عمر عبد الجليل ، ومحمد حسن الوازني ، وذلك في شهر ربيع الثاني ١٣٥٥هـ (تموز ١٩٣٦م) وبعدها بدأت الكتلة تنشط في أوساط الشعب منذ شهر رجب ١٣٥٥هـ ، وأخذت التجمعات الشعبية تظهر ، والمظاهرات تتكرّر ، فاعتقلت السلطات الفرنسية علال الفاسي ، ومحمد حسن الوازني ، ومحمد اليزيدي ، ثم أفرج عنهم .

رأت الكتلة أنه لا بدّ من وجود رأس لها عوضاً عن القيادة الجماعية ، العمل الإسلامي لا بدّ له من أمير « إن كنتم ثلاثة فأمّروا عليكم » ، والثلاثة أقلّ الجماعة ، والقيادة الجماعية ليست في الحساب بالنسبة إلى العمل الإسلامي . وعقدت مؤتمرها بمدينة الرباط في ١٠ شعبان ١٣٥٥هـ (٢٥ تشرين الأول ١٩٣٦م) ، وقد حضره ثمانيةٌ من القياديين ، ورجع محمد حسن الوازني من فرنسا بعد أربعة أيام ، فوجد حزباً يقوده علال الفاسي وحده ، فأسرّها في نفسه ، ولم يبدها حتى حين .

واجتمعت اللجنة التنفيذية في ذي القعدة ١٣٥٥هـ ، واختارت هيئتها على النحو الآتي :

علّال الفاسي	:	رئيساً .
محمد حسن الوازني	:	أميناً عاماً .
أحمد مكوار	:	أمين صندوق .
محمد اليزيدي	:	عضواً .
محمد غازي	:	عضواً .
عمر عبد الجليل	:	عضواً .
عبد العزيز إدريس	:	عضواً .

الحركة القومية : انسحب محمد حسن الوازني من كتلة العمل الوطني ، وشكّل الحركة القومية في ١٠ ذي القعدة ١٣٥٥هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٣٧م) ، وأسّس جريدة « عمل الشعب » ، وكذلك أسّس جريدة « الدفاع » باللغة العربية ، غير أن هذه الحركة قد انتهت في ٢٤ شعبان ١٣٥٤هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٣٧م) عندما نُفي محمد حسن الوازني ، غير أن الصراع قد ظهر بين جناحي كتلة العمل الوطني .

الحزب الوطني : بعد انسحاب محمد حسن الوازني من كتلة العمل الوطني اختير أحمد بلفريج أميناً عاماً مكانه ، وحصل محمد اليزيدي على رخصةٍ لإصدار جريدة « الأطلس » ، ولكن لم تلبث أن مُنعت كتلة العمل

الوطني من النشاط في ٦ محرم ١٣٥٦هـ (١٨ آذار ١٩٣٧م) . ولكن عقدت مؤتمراً سرياً في ٢٠ محرم ، واتفقت على ظهورها باسمٍ جديدٍ هو « الحزب الوطني » الذي برز في ١٥ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ (٢٣ تموز ١٩٣٧م) .

تعرّض الحزب الوطني للمضايقة بعد حوادث « بوفكران » في ٢٥ ، ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ (١ ، ٢ أيلول ١٩٣٧م) ، ومُنعت صحفه عن الصدور ، فنظّم المظاهرات ، وعقد الحزب مؤتمره العام بمدينة الرباط ، في ٨ شعبان ١٣٥٦هـ (١٣ تشرين الأول ١٩٣٧م) بدار أحمد الشرقاوي رئيس مكتب فرع الرباط ، ثم لم يلبث أن نُفي علال الفاسي إلى الغابون ، وبقي فيها ما يزيد على تسع سنوات ، وانتقل عمر عبد الجليل إلى منطقة الريف ، ثم تبعه أحمد بلفريج ، وبقيت المسؤولية على كاهل محمد اليزيدي .

وقد تشكّل وفدٌ باسم الحزب في ١٤ رجب ١٣٥٨هـ (٢٩ آب ١٩٣٩م) في سبيل تقديم بعض المطالب . وقد ضمّ هذا الوفد كلاً من : أحمد الشرقاوي ، محمد غازي ، بوبكر القادري ، أحمد بن غبريط .

حزب الإصلاح الوطني : كانت الحركة الوطنية واحدةً في بلاد المغرب بأجزائها ، وقد كان يقودها في منطقة الريف عبد السلام بنونة ، فلما توفي تسلّم الزعامة عبد الخالق طريس ، وقد عُرفت الحركة هناك باسم « الكتلة الوطنية بشمالي المغرب » ، وقد أسّست مجلة « المغرب الجديد » ، وجريدة «الريف»، وأبدى عبد الخالق طريس قوةً بصفته معارضاً للأحزاب اليسارية في أوربا المناوئة لفرانكو طاغية إسبانيا، لذا فقد اعتُقل عبد الخالق طريس. وتحوّل اسم « الكتلة الوطنية بشمالي المغرب » إلى حزب « الإصلاح الوطني في الريف » ، وذلك في ٥ شوّال ١٣٥٥هـ (١٨ كانون الأول ١٩٣٦م) ، وذلك لإظهار الانفصال عن الحركة الوطنية في جنوبي المغرب ، والواقع أن الصلة قد بقيت وثيقةً مع الحزب الوطني .

أصدر حزب الإصلاح الوطني في ١٩ ذي الحجة ١٣٥٥هـ (١ آذار ١٩٣٧م) جريدة « الحرية » في مدينة تطوان بإشراف أحمد غيلان .

والحقيقة أن حركة فرانكو في إسبانيا في تاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٥هـ (١٨ تموز ١٩٣٦م) ضدّ الجمهورية ، والسير بخطٍ وسياسيةٍ نازيةٍ قد فصل الحركة الوطنية في بلاد المغرب ، إذ اضطرّ الزعماء في منطقة الريف إبداء التأييد لسياسة فرانكو ، ومهاجمة السياسة الفرنسية في المغرب ، على حين أظهر الزعماء في جنوبي المغرب تأييدهم للجمهوريين في إسبانيا ، ومهاجمة سياسة فرانكو . ومن هذا المنطلق أصبح حزب الإصلاح الوطني يدرّب شبابه وينظّمهم على الطريقة النازية مستغلاً الفرصة التي تؤيّدها السلطات الإسبانية الاستعمارية للإعداد والتقوية .

حزب الوحدة المغربية : ظهر هذا الحزب برئاسة محمد المكي الناصري كمنافسٍ لحزب الإصلاح الوطني ، وأصدر صحيفة « الوحدة المغربية » في تاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٣٥٥هـ (٣ شباط ١٩٣٧م) .

مكتب الدفاع الوطني : وهو تجمع سياسي قاده « إبراهيم الوازني » ، وقد كان ينتهج سياسة الدفاع عن النازية التي يؤيّدها « فرانكو » ، ويرى هذا التجمّع أن توحيد المغرب لن يتمّ إلاّ عن طريق ألمانيا .

المطالبة بالاستقلال : اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في أوربا ، وضرب الألمان ضربتهم القاسية في بداية الأمر ، ثم أخذ موقفهم بالضعف والتوقّف ، وتمكّن الحلفاء من النزول في بلاد المغرب في ٢٩ شوّال ١٣٦١هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٤٢م) ، ومع رجحان كفّة الحلفاء على دول المحور ؛ أخذ الحلفاء ينادون بحقّ تقرير المصير للشعوب المغلوبة ، وإعطاء الحرية والاستقلال للدول المستعمرة ، وذلك في سبيل كسب الرأي العام العالمي إلى جانبهم ، ووقوف سكان البلدان المستعمرة بإخلاص معهم طمعاً في نيل الحرية ، وهذا ما جعل الدعوة إلى الاستقلال تبرز في المغرب بوضوح .

لقد كانت الحركة الوطنية في المغرب حتى هذا التاريخ تلحّ على الإصلاح الداخلي، ولا تطالب بالاستقلال، فلما لوّحت دول الحلفاء بحق تقرير

المصير أخذت الحركة الوطنية تسير في خطٍّ جديدٍ هو المطالبة بالاستقلال.

ففي منطقة الريف صدر ميثاق وطني في تاريخ ١٠ ذي الحجة ١٣٦١هـ (١٨ كانون الأول ١٩٤٢م) من حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية، وينصّ على:

١ - منح المغرب الحرية والاستقلال.
٢ - إقامة نظام حكمٍ ملكيٍّ إسلاميٍّ وطنيٍّ تحت قيادة الأسرة الحسنية العلوية.
٣ - إقامة وحدة المغرب من خلال إلغاء نظام المناطق.
٤ - الاعتراف بالسياة الداخلية والخارجية للمغرب.

أما في جنوبي المغرب فقد تبنّت فرنسا فكرة إقامة الاتحاد الفرنسي من الدول التي تخضع لنفوذها، سواء أكانت محميةً أم مستعمرةً، غير أن السلطان محمد الخامس قد رفض هذه الفكرة، وشجّع الحركة الوطنية، والدعوة إلى الاستقلال، وقام بزيارةٍ إلى فرنسا في تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٦٩هـ (١١ تشرين الأول ١٩٥٠م)، وقدّم للمسؤولين هناك مذكرةً مؤرّخةً في الثالث من تشرين الأول ١٩٥٠م يبينّ فيها رأيه، ومخالفته لفكرة الاتحاد الفرنسي.

حزب الاستقلال: في اليوم الأول من عام ١٣٦٣هـ أسّس أحمد بلفريج الأمين العام للحزب الوطني حزب الاستقلال من أعضاء حزبه السابق، وفي ١٦ محرم ١٣٦٣هـ (١١ كانون الثاني ١٩٤٤م) صدر بيان حزب الاستقلال الذي دعا فيه إلى الاستقلال والمطالبة به. وقد اعتُقل أحمد بلفريج ومحمد اليزيدي، وستة عشر عضواً بتهمة التعاون مع النازية، وقامت مظاهراتٌ في الشهرين الأولين من عام ١٣٦٣هـ، ونُفي أحمد بلفريج إلى جزيرة كورسيكا.

كانت مهمة إعادة تنظيم الحزب من جديد على عاتق محمد اليزيدي، وقد قام بها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في شهر ذي القعدة من عام

١٣٦٤هـ (تشرين الأول ١٩٤٥م) ، ولم يلبث أن اعتُقل محمد اليزيدي .

انفجرت الأحداث في الدار البيضاء خاصة ؛ احتجاجاً على مقتل النقابي التونسي فرحات حشّاد في ٢١ ربيع الأول ١٣٧٢هـ (٨ كانون الأول ١٩٥٢م) ، فاعتقلت السلطات الفرنسية اللجنة التنفيذية للحزب ، وكثيراً من أعضائه ، كما اعتقلت عدداً من أعضاء الحزب الشيوعي ، إضافةً إلى محمد الشرايبي محرر جريدة « الرأي العام » من حزب الشورى والاستقلال .

حزب الشورى والاستقلال : عندما عاد محمد حسن الوازني من المنفى حوّل الحركة القومية التي سبق أن أسّسها عندما انسحب من كتلة العمل الوطني إلى حزبٍ سمّاه حزب الشورى والاستقلال ، وأصدر جريدة « الرأي العام » . وكان يطالب بإلغاء نظام الحماية ، وإقامة مملكةٍ ديمقراطيةٍ قبل الاستقلال ، ويرى طريقة المفاوضات مع فرنسا كوسيلةٍ للوصول إلى ما يرمي إليه ، وتنتهي المفاوضات بمعاهدة تحالف ، وإقامة حكومةٍ وطنيةٍ مؤقّتةٍ بدلاً من نظام الحماية . على حين كان حزب الاستقلال يرى أن الاستقلال هو الوسيلة إلى الوصول إلى ملكيةٍ دستوريةٍ .

انتقل محمد حسن الوازني إلى منطقة الريف حيث وجد لأفكاره قبولاً أكثر من بقية المناطق المغربية ، أما زعيم حزب الشورى والاستقلال في منطقة الحماية الفرنسية فقد بقي عبد القادر بن جلون بعد انتقال محمد حسن الوازني .

الحزب الشيوعي : كان الحزب الشيوعي محظوراً في المغرب من قبل السلطات الفرنسية ، فلما وصلت الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا في حزيران عام ١٩٣٦م ؛ سمحت بتشكيل الحزب الشيوعي بعد مقابلة عددٍ من زعماء حملة الفكر الشيوعي للمقيم العام الفرنسي « نوجيس » ، ووُجد تجمّعٌ لهم في الدار البيضاء ، وثان في الرباط . غير أنه لم يلبث أن اعتُقل زعماء الشيوعية في المغرب .

أعيد تأسيس الحزب الشيوعي في المغرب في شهر رجب ١٣٦٢هـ (تموز ١٩٤٣م) بزعامة « ليون سلطان » ، وقد أصدر صحيفة « الوطن » التي تناهض الفاشية ، ويتحرّك الحزب ضمن إطار فكرة الاتحاد الفرنسية ، وهذا يعني أن الحزب الشيوعي في المغرب ما هو إلّا فرعٌ من الحزب الشيوعي الفرنسي . فلما مات ليون سلطان في العام نفسه تسلّم زعامة الشيوعيين في المغرب « علي يعتة » ، فغيّر اسم الحزب من « الحزب الشيوعي في المغرب » إلى « الحزب الشيوعي المغربي » ، وانفصل عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، ورفض فكرة الاتحاد الفرنسي ، وأصدر صحيفةً سريّةً باللغة العربية حملت اسم « حياة الشعب » .

بدأ هذا الحزب نشاطه بين العمال حتى اكتسح الموقف ، وأخذت النقابات تُسيّر من قبل الشيوعيين .

كان الصراع قوياً بين حزب الاستقلال وبين حزب الشورى والاستقلال ، أما الحزب الشيوعي فلم يهتمّ به كثيراً ، فلما اكتسح النقابات أخذ حزب الاستقلال يدخل معه في صراع ، وقد سمح حزب الاستقلال لأعضائه بالانتماء إلى النقابات ، فتوسّع نفوذه بسرعة ، وخسر الحزب الشيوعي كثيراً منذ عام ١٣٧٠هـ ، وفي عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) كان المكتب النقابي يتألّف من عشرة أعضاء : أربعة منهم من حزب الاستقلال ، وأربعة من الشيوعيين الفرنسيين ، واثنين من الشيوعيين المغاربة .

أخذ الحزب الشيوعي يطالب بالاستقلال ليدلّل على وطنيته ، وطالب بتشكيل جبهةٍ وطنيةٍ مغربية ، غير أن حزب الاستقلال رفض ذلك ، وشكّ في وطنيته ، وأعلن أن الشيوعية وإن بدت أنها محلية ، وأنها تنطلق حسب أهدافٍ وطنيةٍ ؛ إلّا أنها في الواقع ليست سوى صنائع لموسكو ، وأنها تتحرك حسب التوجيهات الخارجية التي تتلقاها من مراكز الشيوعية العالمية .

وإثر مقتل النقابي التونسي فرحات حشّاد حدثت اضطرابات شارك فيها

الاستقلاليون ، كما شارك الشيوعيون ، فجرت اعتقالات في صفوف الحزبين ، ونُفي زعماؤها ، ومُنعت صحفهما .

وزّع الحزب الشيوعي منشوراً بمناسبة فرض الحماية في ١٥ رجب ١٣٧٢هـ (٣٠ آذار ١٩٥٣م) وطالب بإلغاء نظام الحماية .

وبعد عزل السلطان محمد الخامس أصدر الحزب الشيوعي كتيباً في صفر ١٣٧٣هـ (تشرين الأول ١٩٥٣م) ، ووزّع منشوراً آخر في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٥٤م) طالب فيه بعودة السلطان .

الجبهة الوطنية المغربية : عُقد مؤتمر المغرب العربي في القاهرة في المدة الواقعة بين ٢٤ ربيع الأول ، والأول من ربيع الثاني من عام ١٣٦٦هـ (١٥ - ٢٢ شباط ١٩٤٧م) ، وضمّ ممثّلين عن تونس والجزائر والمغرب ، وقد تمّ بعدها تشكيل جبهةٍ وطنيةٍ مغربيةٍ بإلحاحٍ من مندوب الجامعة العربية صالح أبو الرقيق في ٣ رجب ١٣٧٠هـ (٩ نيسان ١٩٥١م) ، وقد ضمّت هذه الجبهة الأحزاب الآتية : حزب الاستقلال ، حزب الشورى والاستقلال ، حزب الإصلاح الوطني ، حزب الوحدة المغربية .

تمّ التوقيع على الميثاق الآتي :

١ ـ تلتزم كل الأحزاب الموقّعة على الميثاق بالدفاع عن الاستقلال .
٢ ـ عدم قبول الانضواء في الاتحاد الفرنسي .
٣ ـ لا يمكن متابعة الأهداف قبل الحصول على الاستقلال .
٤ ـ لا يصحّ إجراء أية مفاوضات قبل الاستقلال .
٥ ـ لا مفاوضات مع الاستعمار في إطار النظام الحالي .
٦ ـ التنسيق بين المغرب وجامعة الدول العربية .
٧ ـ عدم قبول تأسيس جبهةٍ أو وحدةٍ مع الشيوعيين .
٨ ـ تشكيل لجنةٍ من الأحزاب الموقّعة على الميثاق .

تطورات : أ ـ في منطقة الريف :

حزب الإصلاح الوطني : أصدر حزب الإصلاح الوطني ميثاقاً في شهر ذي القعدة ١٣٦١هـ (كانون الأول ١٩٤٢م) طالب فيه بالاستقلال ، وذلك بعد نزول الحلفاء في المغرب بمدةٍ يسيرةٍ لا تزيد على الشهر ، ولكن الحزب لم يلبث أن تفكّك بعد الحرب العالمية الثانية بهزيمة ألمانيا ، وكانت جريدة الحرية قد توقّفت منذ أن أخذت كفّة الحلفاء ترجح في الحرب على دول المحور .

سمحت السلطات الاستعمارية الإسبانية لـ « عبد الخالق طريس » بإعادة تأسيس الحزب في شهر صفر ١٣٦٥هـ (كانون الثاني ١٩٤٦م) وقد عقد الحزب مؤتمره الأول في ٤ ربيع الأول ١٣٦٥هـ (٥ شباط ١٩٤٦م) ، واختير « الطيب بنونة » أميناً عاماً للحزب ، وفي الوقت نفسه فقد سُمح له بإصدار جريدته « الحرية » المتوقّفة عن الصدرو منذ أربع سنوات . وأصبح حزب الاستقلال الوطني ينسّق مواقفه مع حزب الاستقلال في جنوبي المغرب منذ شهر شوّال ١٣٦٥هـ (أيلول ١٩٤٦م) ، وطالب « المهدي بنونة » إسبانيا بالاعتراف بوحدة أجزاء المغرب ، واستقلال البلاد .

حزب الوحدة المغربية : انتقل المكي الناصري إلى مدينة طنجة بعد الحرب العالمية الثانية بسنة ، ونقل أيضاً نشاط حزبه إليها . وقد نظّم مظاهراتٍ تنديداً بالأحداث التي جرت في الدار البيضاء في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (١٦ نيسان ١٩٤٧م) .

حزب الوحدة الريفية : تأسّس حزب الوحدة الريفية إبّان الحرب العالمية الثانية بجهود المقيم الإسباني « فاريلا » ولكن لم يلبث أن اختفى بعد انتهاء الحرب .

حزب الدفاع الوطني : بعد أن التجأ محمد عبد الكريم الخطابي إلى مصر في رجب ١٣٦٦هـ (حزيران ١٩٤٧م) تأسّس حزب الدفاع الوطني ، وكان يرأسه خالد الريسوني في مدينة العرائش ، والغالي داود في مدينة طنجة ،

وإبراهيم الوازني في مدينة القصر .

لما رأت السلطات الاستعمارية الإسبانية أن الأحزاب التي تتبنّاها لا تلقى نجاحاً ، ولا تلبث أن تزول لذا فقد قرّرت إلغاء الأحزاب الوطنية ، وصدر قرارٌ بحظر الأحزاب الوطنية في ٢١ ربيع الأول ١٣٦٧هـ (١ شباط ١٩٤٨م) ، وبذا فقد مُنع حزب الإصلاح الوطني ، وحزب الوحدة المغربية .

غير أن السلطات الاستعمارية استمرّت في تبنّي قيام أحزابٍ تقبل التوجيه منها .

حزب المغرب الحر : تأسّس في مدينة (الناضور) عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) بعد عودة عبد الخالق طريس إلى تطوان ، وترأس هذا الحزب الجديد « محمد زريوح » .

حزب الهلال : وقد أسّسه خالد الريسوني عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) .

ب ـ في جنوبي المغرب [منطقة الحماية الفرنسية] :

الحزب الديمقراطي المغربي للأحرار : أسّسه في مدينة الدار البيضاء المولى إدريس[1] عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) . وكان المولى إدريس يرافق الجلاوي في كثيرٍ من تحرّكاته . وقد أعلن هذا الحزب عداءه للسلطان محمد الخامس في شهر ربيع الأول ١٣٧٢هـ (كانون الأول ١٩٥٢م) ، وأيّد خلعه في ١٠ ذي الحجة ١٣٧٢هـ (٢٠ آب ١٩٥٣م) ، وأعلن مبايعته للسلطان المأجور محمد بن عرفة .

حزب الشعب المغربي : أسّسه عبد القادر الزمراني عام ١٣٦٧هـ

---

(١) المولى إدريس : أستاذ بمعهد الفنون الجميلة في مدينة الرباط ، وضع كتاباً ، روّج له الفرنسيون كثيراً ، وعملوا على إبراز صاحبه ، وقدموا له المساعدات السخية ، فأسس الزاوية العلية بالصحراء التي مُنعت فيها بعد بأمر سلطاني عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) .

(١٩٤٨م) ، وكان يرى فصل الدين عن الدولة ، ويعمل على النضج قبل الاستقلال ، وتركّز هذا الحزب في مدينة وجدة عام ١٣٧١هـ ، وفي العام التالي أصبحت فاس ومكناس أهمّ مراكزه .

قام الحزب بمظاهرةٍ في ١٥ رجب ١٣٧٢هـ (٣٠ آذار ١٩٥٣م) بمناسبة عقد معاهدة الحماية ، وقد هلّلت المظاهرة بهذه المناسبة على حين أن بقية المظاهرات للأحزاب الأخرى كانت تطالب بالاستقلال وإلغاء الحماية .

وكذلك قام الحزب بمظاهرةٍ في ٢٣ شعبان ١٣٧٢هـ (٧ أيار ١٩٥٣م) لفائدة عبد الحي الكتاني .

الصراع الحزبي بعد الاستقلال

كانت التنظيمات السياسية كلها والأحزاب كلها تتطالب بالإصلاح الداخلي منذ التوقيع على معاهدة الحماية في ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ (٣٠ آذار ١٩١٢م) حتى نزول الحلفاء بالمغرب أثناء الحرب العالمية الثانية في ٢٩ شوال ١٣٦١هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٤٢م) ، فلم يكن هناك صراعٌ واضحٌ بينهما .

أما بعد نزول الحلفاء في المغرب وحتى الاستقلال فقد كانت المطالب الرئيسية هي الاستقلال ، وكان صراع بين الأحزاب كمنافسةٍ بين الزعماء أحياناً ، وعلى السيطرة على الساحة أحياناً أخرى . وبرز في منطقة الريف حزب الإصلاح الوطني ، وحزب الوحدة المغربية ، وبرز في الجنوب في منطقة الحماية الفرنسية حزب الاستقلال ، وحزب الشورى والاستقلال ، إضافةً إلى الحزب الشيوعي المغربي . كما وُجد صراعٌ بين الأحزاب الوطنية وبين السلطات الاستعمارية حيث كان المقيم العام ، سواء في الريف أم في الجنوب ؛ يعمل على منع الأحزاب الوطنية بين المدة والأخرى من النشاط ، وفي الوقت نفسه يسعى لإنشاء أحزابٍ مأجورةٍ يتبنّاها ، وترتبط به ، غير أن وعي الشعب في المغرب ينفّر من الأحزاب العميلة ، ويمقت رجالها ، وينبذها

حتى تبقى دون أتباع فتتهاوى وتموت ، وتعمل السلطات الاستعمارية على إنشاء غيرها بتبديل الواجهات ، أو تغيير الشعارات ، ولكن لا تلبث أن يُكشف أمرها ، ويكون مصيرها شأن سابقيها ، وهكذا .

وجاء الاستقلال ، ولم يعد هناك مقيمٌ عامٌ ، أو سلطاتٌ استعماريةٌ ، أو . . . ليتحرّك الوطنيون ضدّهم ، لذا أخذ الصراع الحزبي يشتدّ للسيطرة على الحكم ، وكسب الأعوان ، وتطبيق المناهج التي يتبنّاها كل حزب ، ويريد تنفيذها .

الصراع بين القصر وحزب الاستقلال : السلطان دون شكٍّ يملك قوة معنويةً هي هيبة الحكم وسلطان الدولة ، وكان حزب الاستقلال أقوى أحزاب المغرب ، وأكثرها أعضاءً ، وأعظمها شعبيةً ، وكان هذا الحزب يرى أن يكون في البلاد حزبٌ واحدٌ ، ولا يقصد إلّا تنظيمه ، وتكون الحكومة له ، وكان يعلن هذا ، ويطالب به ، ورغم أنه قد شارك في حكومتين ائتلافيتين ؛ إلّا أنه يعدّ هذه المشاركة تنازلاً منه ، وتساهلاً لدفع عجلة الاستقلال قليلاً إلى الأمام ريثما تترسّخ دعائم السلطة . أما الملك فكان يرى تعدّد الأحزاب كي لا تنفرد مجموعةٌ بالسلطة ، ويستأثر رجالها بالحكم ، ومن هذا المنطلق يريد أن يخفّف من قوة حزب الاستقلال ، فعمل على إبعاد رجال الحزب عن الجيش وقوات الشرطة .

أما حزب الاستقلال فكان ينظر إلى حزب الأحرار المستقلّين الذي يمثّله أحمد رضا كديرة أنه يمثّل القصر ، لذا فقد رفض مشاركته في الحكومة التي كُلّف أمينه العام أحمد بلفريج بتشكيلها .

الصراع بين الأحزاب : كان حزب الاستقلال أكبر الأحزاب ، وكانت أكبر التنظيمات التي يمكن أن تقف في وجهه إنما هو حزب الشورى والاستقلال الذي يرأسه محمد حسن الوزّاني ، حيث كان كلاهما يريد السيطرة على الساحة ، وإن كان التفوّق دائماً لحزب الاستقلال الأكثر عدداً ، والذي رأى أن

يضمّ إليه بعض التنظيمات الصغيرة فيزداد قوةً ، ويخفّف من المعارضة التي تواجهه ، وبدأ الاندماج مع حزب الإصلاح الوطني الذي كان في منطقة الريف ، ويرأسه عبد الخالق طريس ، فهو أقرب الأحزاب إليه ، وبينهما تنسيقٌ يعود تاريخه إلى أكثر من عشر سنوات . وبالمقابل فقد قام حزب الشورى والاستقلال بضمّ حزب المغرب الحر أيضاً ، ويسعى في ذلك إلى ما يسعى إليه حزب الاستقلال .

وكان حزب الاستقلال يطالب بتأليف وزارةٍ منسجمةٍ ، أي يكون أعضاؤها جميعهم من حزبٍ واحدٍ ، أو مجموعةٍ واحدةٍ منسجمةٍ بعضها مع بعض ، حيث يخطط ليتجه نحوه الشعب ، ولو كانوا من أصحاب المصالح ، ما دامت السلطة بيده ، وقد رفع رسالةً إلى الملك تتضمن هذا الموضوع ، وذلك في تاريخ ٢٦ رمضان ١٣٧٧هـ (١٥ نيسان ١٩٥٨م) .

ولم يعترف حزب الاستقلال بالحزب الشيوعي ، وكان ينظر إليه على أنه مجموعةً من العملاء يرتبطون بموسكو ، ويعيشون على أرض المغرب ، فهم يتلقّون المساعدات والتوجيهات من خارج البلاد ، من مناطق لا تمتّ إلى العرب أو الإسلام بصلة .

وذكرنا أيضاً أنه كان ينظر لحزب الأحرار المستقلّين أنهم من صنائع قصر الملك ينظرون إلى مصلحته دون مصلحة الشعب أو الأمة .

الحركة الشعبية : شكّل الحسن اليوسي حزباً أطلق عليه الحركة الشعبية لمعارضة حزب الاستقلال ، واتخذ الحسن اليوسي من البربر قاعدةً للقوة ، وأثار فيهم العصبية للانضمام إلى حركته ، ولم تلبث أن انتقلت زعامة هذه الحركة إلى « المحجوبي أحرضان » وإلى « عبد الكريم الخطيب » ، ولكن مُنعت بعد مدةٍ بقرار من الحكومة .

أعلن « المحجوبي أحرضان » إعادة تكوين الحركة الشعبية في شعبان ١٣٧٨هـ (شهر شباط ١٩٥٩م) ، وأخذ يتحدّث عن الاشتراكية

الإسلامية ، وأنها هدفٌ من أهداف حركته .

انشقاق حزب الاستقلال : كان الحزب يضمّ عناصر كثيرةً متباينةً بالآراء مختلفةً بالأفكار ، متباعدةً في الوسائل والأهداف ، تجمعها فكرة محاربة الاستعمار التي بدأت بالمطالبة بالاصلاح ، ثم بالدعوة إلى الاستقلال ، فلما تمّ الاستقلال كان لا بدّ من أن تظهر تياراتٌ متعددةً داخل الحزب ، ولا بدّ من أن يبدأ الخلاف الذي سيؤدّي إلى الانشقاق .

بدأ الانشقاق عندما كانت الحكومة برئاسة الأمين العام للحزب أحمد بلفريج ، وكان أكثر أعضائها من رجالات الحزب أيضاً ، وحدث أن قامت مظاهراتٌ ، فتصدّى لها رجال الشرطة بأمر الحكومة ، فتأثّر من ذلك زعماء العمال الذين ينتمون إلى حزب الاستقلال ، فوقع الخلاف ، وبدأ الانشقاق ، وباءت كل محاولات رأب الصدع بالفشل .

الاتحاد الوطني للقوى الشعبية : انشقّ المهدي بن بركة ، وشكّل « الجامعات المتحدة لحزب الاستقلال » في ١٦ رجب ١٣٧٨هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٥٩م) ، ولكن لم يلبث أن انقلب هذا التنظيم في ١٥ ربيع الأول عام ١٣٧٩هـ (١٧ أيلول ١٥٩٥٩م) إلى « الاتحاد الوطني للقوى الشعبية » ، وكان بجانب مهدي بن بركة كل من عبد الله بن إبراهيم ، وعبد الكريم بن جلون ، وعددٌ من رجالات الحزب أمثال محمد عواد ، وإدريس المحمدي ، والتهامي عمار ، وعبد الرحيم بوعبيد ، وغيرهم .

حزب الدستور الديمقراطي : حوّل محمد حسن الوزّاني حزبه « الشورى والاستقلال » إلى حزب « الدستور الديمقراطي » في ١٢ رجب ١٣٧٩هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٦٠م) ، وقد قاطع هذا الحزب الاستفتاء الذي جرى في ١١ رجب ١٣٨٢هـ (٧ كانون الأول ١٩٦٢م) .

جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية ؛ في ٢٥ شوّال ١٣٨٢هـ (٢٠ آذار ١٩٦٣م) أسّس أحمد رضا كديرة الذي كان رئيس حزب الأحرار

المستقلّين جبهةً جديةً أسماها « جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية » ، وقد ضمّت كلاً من الأحزاب الآتية :

١ ـ حزب الأحرار المستقلّين .
٢ ـ الحركة الشعبية .
٣ ـ حزب الدستور الديمقراطي .

وقد حصلت هذه الجبهة في الانتخابات التي جرت في مطلع عام ١٣٨٣هـ (٢٤ أيار ١٩٦٣م) على أكثريةٍ نسبيةٍ ، إذ أحرزت : ٦٩ مقعداً .
على حين حصل حزب الاستقلال على : ٤١ مقعداً .
والاتحاد الوطني للقوى الشعبية على : ٢٨ مقعداً .
والمستقلّون : ٦ مقاعد .

———
١٤٤ مقعداً .

غير أن هذه الجبهة لم تكن متماسكةً تماماً ، لذا لم تلبث أن تفكّكت .

الحزب الاشتراكي الديمقراطي : أسّس أحمد رضا كديرة من جديد الحزب الاشتراكي الديمقراطي في ٢ ذي الحجة ١٣٨٣هـ (١٤ نيسان ١٩٦٤م) ، غير أنه لم يمضِ أكثر من سنةٍ حتى تخلّى عن الحزب أكثر مؤسّسيه ، وانتهى أمره .

انشقاق الحركة الشعبية : شاركت الحركة في انتخابات ٤ ذي الحجة ١٣٧٩هـ (٢٩ أيار ١٩٦٠م) ، وكان يمثّلها سبعة أعضاء في مجلس الدستور ، وكذلك شاركت في حكومة الملك الحسن الثاني في ١ محرم ١٣٨١هـ (١٤ حزيران ١٩٦١م) ، وانتخبت عبد الكريم الخطيب رئيساً للمجلس الوطني ، كما انتُخب محجوبي أحرضان أميناً عاماً .

وعندما تأسّست جبهة الدفاع عن المؤسّسات ا لدستورية رفض عبد الله

الوكوتي المشاركة فيها .

واتفق عبد الكريم الخطيب ومحجوبي أحرضان على أن تشارك الجبهة في حكومة أحمد باحنيني التي عُدّلت في ١٤ ربيع الثاني ١٣٨٤هـ (٢٠ آب ١٩٦٤م) ، وإن يرشّحا عبدالله الوكوتي ، ومحمد الشرادي ، وبوخرطة للمشاركة في هذه الحكومة . غير أن محجوبي أحرضان قد أخلّ بهذا الاتفاق ، وأبعد الذين رُشّحوا للمشاركة ، وشارك هو بنفسه ، وتسلّم وزارة الزراعة ، كما رشّح عبد السلام عيسى الذي عُيّن كاتباً للدولة ، وحدو الشيكر الذي أسندت إليه وزارة البرق والبريد والهاتف .

قرّر الملك تشكيل حكومةٍ برئاسة عبد الكريم الخطيب بعد أحداث ذي القعدة ١٣٨٤هـ (آذار ١٩٦٥م) ، غير أن الخطيب قد وضع شروطاً صعبةً للقبول بتسلّم الوزارة ، وبدأ انشقاق الحركة ، إذا انسحب عبد الكريم الخطيب ، وعبد الله الوكوتي ، ومحمد البكاي ، وبوخرطة .

ومن جهةٍ أخرى أعلن محجوبي أحرضان طرد كلٍّ من عبد الله الوكوتي وبوخرطة ، ولم يتخذ شيئاً مقابل عبد الكريم الخطيب الذي عدّ « محجوبي أحرضان » مخالفاً لقانون الحزب حيث لم يعقد أي اجتماع لمجلس الحزب منذ مدة ، والذي يجب أن يجتمع كل عامين ، لذا فهو ليس أميناً عاماً للحزب . وانتُخب عبد الكريم الخطيب أميناً عاماً ، وعندها أعلن محجوبي أحرضان طرد عبد الكريم الخطيب من الحركة .

الحركة الشعبية الديمقراطية : بعد أن سيطر محجوبي أحرضان على الحركة الشعبية ، وطرد منها مخالفيه ومنهم عبد الكريم الخطيب ، الذي قام في شهر ذي القعدة من عام ١٣٨٦هـ (شباط ١٩٦٧م) بتشكيل الحركة الشعبية الديمقراطية .

الحزب الشيوعي المغربي : حوّل هذا الحزب اسمه إلى حزب « التحرر والاشتراكية » عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في سبيل تخفيف الكراهية عن

أعضائه ، لأن كلمة الشيوعية غير محبّبة لدى الناس ، ولكن هذا التبديل في الاسم لم يغيّر شيئاً ؛ لأن السلوك لم يتغيّر شيئاً ، والارتباط لم يتبدّل . ولم يلبث أن مُنع الحزب في شهر رجب ١٣٨٩هـ (أيلول ١٩٦٩م) .

الكتلة الوطنية : إن الحالة الاستثنائية المفروضة على المغرب منذ ١٣٨٥هـ قد جعلت حزب الدستور الديمقراطي يدعو إلى تكتلٍ وطنيٍّ بتأليف مجلس قمةٍ وطني ، ويتمّ :

١ ـ اجتماع مائدةٍ مستديرةٍ بين قادة الأحزاب .

٢ ـ تحديد خطة العمل للمستقبل .

٣ ـ وضع ميثاق الائتلاف .

٤ ـ تأليف لجنةٍ تنفيذيةٍ مشتركةٍ .

٥ ـ رفع مذكرةٍ للملك لوضع حدٍّ للحالة الاستثنائية .

تأسّست الكتلة الوطنية في ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ (٢٢ تموز ١٩٧٠م) ، وضمّت حزب الاستقلال ، والاتحاد الوطني للقوى الشعبية .

وقاطعت الكتلة الانتخابات التشريعية المزمع إجراؤها في ٢٩ جمادى الآخرة ، و٧ رجب ١٣٩١هـ (٢١ ، ٢٨ آب ١٩٧١م) ، ووقفت موقف المعارض ، وصوّتت ضدّ مشروع دستور ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ، وقررت مقاطعة الاستفتاء .

وقام الملك بمفاوضاتٍ مع الكتلة الوطنية في شوال ١٣٩١هـ (تشرين الثاني ١٩٧١م) ، ودعاها لاشتراك في حكومة « كريم العمراني » في ١٨ ذي الحجة ١٣٩١هـ (٣ شباط ١٩٧٢م) ، فرفضت . ولم يمضِ وقتٌ غير قصير حتى حدث الانشقاق بين جماعاتها ، وذلك في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ (٣٠ تموز ١٩٧٢م) .

ومن المنظمات القائمة اليوم في المغرب :

١ ـ الاتحاد الدستوري .

٢ ـ التجمع الوطني للأحرار .
٣ ـ الحركة الشعبية .
٤ ـ حزب الاستقلال .
٥ ـ الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية .
٦ ـ الحزب الوطني الديمقراطي .
٧ ـ منظمة العمل الديمقراطي .
٨ ـ حزب التقدم والاشتراكية .
٩ ـ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية .

وهناك نقاباتٌ ذات وزنٌ في السياسة المغربية ، مثل : نقابة الاتحاد المغربي للشغل ، والاتحاد العام للشغالين بالمغرب ، واتحاد النقابات الشعبية ، والاتحادية الديمقراطية للشغل . والمنظمة المغربية لحقوق الانسان ، والعصبة المغربية لحقوق الإنسان ، ورابطة القضاة ، وهيئة المحامين ، وهيئة الأطباء ، وهيئة الأساتذة الجامعيين ، و . . . .

وأخذ الوعي الإسلامي ينتشر في المغرب كبقية الأمصار الإسلامية ، واتجه الشباب إلى العلم ، واللقاء بعضهم مع بعض في سبيل العمل الإسلامي ، ومحاولة تطبيق تعاليمه على أنفسهم ودعوة الآخرين للعمل به . وتأسّست جمعيةٌ إسلاميةٌ ، وانطلق أفرادها يدعون ، حتى إذا بدا أثرهم أخذت يد الملاحقة تطاردهم . وقُتل أحد رجال الشيوعيون في المغرب في الظلام ، وهو عمر بن جلون ، فاتُهم بعض أفراد الجمعية بذلك ، فجاء الأمر بحظرها ، وملاحقة أعضائها ، فمنهم من فرّ خارج الحدود ، ومن ألقي القبض عليه منهم أودع السجن . فخمدت جذوة النشاط قليلاً حتى مرّت موجة المتابعة ، ثم أخذت تظهر ثانيةً ، فإن الفكر لا يحارب بالسياط ، وإنما بالحجة والإقناع ، ولا تُنتزع العقيدة بالقوة ، وإنما بالعقل والبرهان . ولكن العمل السياسي يسوق أصحاب العقائد كما يلاحق اللصوص والمجرمين ، وربما يسعى أن يضرب بعضهم ببعض ، فقد قُتل ابن جلون الذي يحمل فكرة

الإلحـاد ، ومخالفـة السلطة والنظام ، فتخلّص منـه المسؤولون ، واتهمـوا به المسلمين الذين يؤيّدون الأمن ، ويحاربون الفوضى ، ولا يدعون إلاّ إلى ما يؤمن به الشعب في المغرب ، فطاردهم النظام ، وتخلّص منهم ، فكان الطرفان على حدٍّ سواء .

عاد النشاط الإسلامي إلى المغرب ، وبرز الشيخ عبد السلام ياسين ، فالتفّ حوله الناس ، إذ غدوا يتوقون إلى النظام كي يخلّصهم مما يعانون ، وينقذهم من الأوضاع المتردية باستمرار ، وقد أفلست الأنظمة الوضعية كلها على اختلاف مشاربها وتباين أساليبها في معالجة قضايا الحياة ، هذا إضافةً إلى إيمان السكان بالإسلام كعقيدة ومنهج شامل لجميع جوانب الحياة ، أنزله خالق الناس الذي هو العليم وحده بما ينفعهم في أمور دنياهم وأخراهم ، فهم وإن سار بعضهم وراء بعض الناعقـين للشرق أو الغرب فهـو سير مؤقت وراء مصالح عابرة أو على غفلةٍ من النفس عندما تضعف أمام مغريات دنيوية ، ولكنها لا تلبث أن تستيقظ وتثوب إلى رشدها ، وترجع إلى عقيدتها ، وتسير في الخط الإسلامي .

وكلما نشط الاتجاه الإسلامي وُضعت أمامه العراقيل ؛ إرضـاءً للخط الدولي العام العامل دائماً ضدّ الإسلام والمسلمين ، وتختلف هذه العراقيل بين وقتٍ وآخر بين الشدة والعنف إلى اللين والمطاردة ، كما تتباين الأساليب في الحنكة والدهاء ، وغالباً ما يتخذ أصحاب الاتجاهات الأخرى على اختلاف مناهجها وسيلةً للحدّ من هذا النشاط ، فأصحاب الاتجاهات جميعهم يقفون في الصف المقابل للاتجاه الإسلامي .

وفي ١٣ شوال ١٤١٠هـ (٨ أيار ١٩٩٠م) أعلن الملك الحسن الثاني عن تشكيل المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان في المغرب ، وأوكل رئاسته إلى محمـد العربي المجبـود رئيس المجلس الأعلى للقضـاء ، وفي هذا تهدئـة للوضع ، وتطييب لخواطر الذين قد ينالهم ظلم . . . ، وقد ضمّ هذا المجلس

بعض الوزراء وممثلين عن الأحزاب والنقـابات[1] . وسيكـون هذا المجلس

(١) تشكّل المجلس الاستشاري على النحو الآتي :

١ ـ محمد العربي المجبود : رئيساً . وهو الرئيس الأول للمجلس الأعلى للقضاء .

٢ ـ مولاي مصطفى بلعربي العلوي : وزير العدل .

٣ ـ عبد اللطيف الفيلالي : وزير الخارجية .

٤ ـ إدريس البصري : وزير الداخلية والإعلام .

٥ ـ عبد الكريم العلوي المدغري : وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية .

٦ ـ أحمد رضا كديرة : مستشار الملك .

٧ ـ أحمد العسكي : ممثل التجمع الوطني للأحرار .

٨ ـ محمد زيان : ممثل الاتحاد الدستوري .

٩ ـ مسعود المنصوري : ممثل الحركة الشعبية .

١٠ ـ فيصل الخطيب : ممثل حزب الاستقلال .

١١ ـ محمد بوزبع : ممثل الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية .

١٢ ـ الحسن كابون : ممثل الحزب الوطني الديمقراطي .

١٣ ـ التهامي الخياري : ممثل حزب التقدم والاشتراكية .

١٤ ـ محمد الشتوكي : ممثل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية .

١٥ ـ المحجوبي أحرضان : ممثل قدماء جيش التحرير .

١٦ ـ عبد السلام الجبلي : ممثل قدماء المقاومة .

١٧ ـ الهاشمي بناني : ممثل نقابة الاتحاد المغربي للشغل .

١٨ ـ عبد الرزاق افيلال : ممثل نقابة الاتحاد العام للشغالين بالمغرب .

١٩ ـ محمد حاتمي : ممثل اتحاد النقابات الشعبية .

٢٠ ـ عبد المجيد بوزبع : ممثل الاتحادية الديمقراطية للشغل .

٢١ ـ أحمد بن عمو : عن العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان .

٢٢ ـ محمد الصديقي : عن المنظمة المغربية لحقوق الإنسان .

٢٣ ـ محمد بوزيان : عن رابطة القضاة .

٢٤ ـ مصطفى الريسوني : عن جمعية هيئة المحامين .

٢٥ ـ محمد جلال السعيد : عن هيئة الأساتذة الجامعيين .

٢٦ ـ عبد الله العروي : عن هيئة الأساتذة الجامعيين .

٢٧ ـ الحبيب المالكي : عن هيئة الأساتذة الجامعيين .

٢٨ ـ علال سي ناصر : عن هيئة الأساتذة الجامعيين .

=

وسيلةً للحلّ الذي ينسجم والاتجاه العلماني المعادي للاتجاه الإسلامي الذي اشتدّ عليه الضغط في الآونة الأخيرة بعد النشاط الذي أظهره ، والتجاوب الذي لقيه من السكان ، وبعد بروز الاتجاه الإسلامي في الجزائر ، ووصوله إلى القمة الذي أخاف أوربا ، وهذا ما بدا على صحفها ، وجميع وسائل الإعلام فيها ، وعلى تصريحات المسؤولين ، وقد خشي أصحاب اللعبة الدولية أن ينتقل هذا الأثر إلى المغرب فجأةً بحكم الجوار والعقيدة الواحدة . وسيكون هذا المجلس أحد صمامات الأمان لهم أو الكوابح . وإن اتجاه أعضاء هذا المجلس ليعطي الخط العام للسير ، إضافةً إلى الجهة التي سيمثّلها .

= ٢٩ ـ عبد الرزاق كنون : عن هيئة الأطباء .

٣٠ ـ ماكسيم أزولاي : رئيس الغرفة الإدارية بالمجلس الأعلى .

٣١ ـ عبد الهادي بوطالب : مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

٣٢ ـ أحمد أفزاز : رئيس المجلس العلمي لإقليم وجدة .

٣٣ ـ عبد الله الكرسيفي : رئيس المجلس العلمي لإقليم أغادير .

٣٤ ـ أحمد الفيزازي : محافظ سابق .

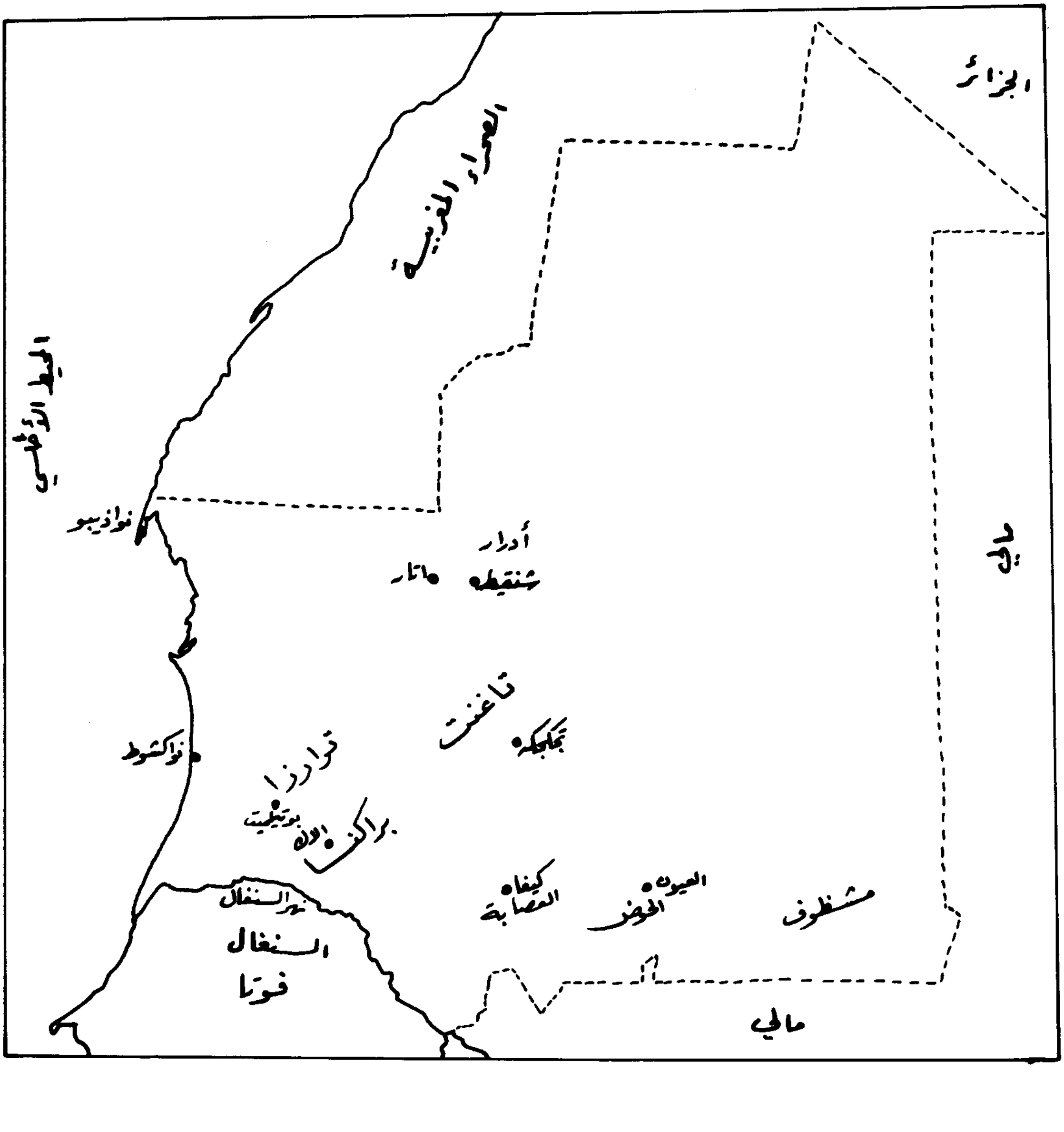
٣٥ ـ خطري ولد سيدي سعيد الجماني : عضو المجلس الاستشاري الخاص بشؤون الصحراء .

٣٦ ـ محمد ميكو : الأمين العام السابق لمنظمة وزراء العدل العرب .

٣٧ ـ ألبير ساسون : عن الجالية اليهودية المغربية بباريس .

الباب الخامس

موريتانيا


الجزائر
الصحراء الغربية
المحيط الأطلسي
نواذيبو
أدرار
شنقيط
اطار
تاغنت
تجكجة
نواكشوط
ترارزا
بوتيلميت
براكنة
نهر السنغال
السنغال
فوتا
كيفة
العصابة
العيون
الحوض
مشظوف
مالي

لمحة عن موريتانيا قبل إلغاء الخلافة

انتشر الإسلام في الأراضي التي تشملها اليوم دولة موريتانيا في وقتٍ مبكّرٍ يعود إلى القرن الأول والثاني الهجريين ، وخاصةً أيام دولة الأدارسة حيث انضمّت ديار الملثّمين من بطون صنهاجة [جدالة ـ لمتونة ـ مسوفة] تحت لوائهم ، وأصبحت جزءاً من أملاكهم ، ونتج عن ذلك تحالفٌ قوي بين بطون صنهاجة المختلفة بزعامة لمتونة ، وأخذ الحلف يتوسّع نحو الجنوب لقوة الأدارسة وحلفائهم من زناتة ومصمودة في الشمال ، واصطدم هذا الحلف مع إمبراطورية غانا التي نشأت في بداية القرن الرابع الهجري .

ويبدو أن أحد الأشراف قد وصل إلى إمبراطورية غانا ، وأسّس مدينة (كومبي صالح) التي أصبحت عاصمة تلك الإمبراطورية ، وتقع جنوب شرقي مدينة (تومبوكتو) وعلى بعد سبعين كيلومتراً منها ، وكانت قد توسّعت هذه الإمبراطورية حتى شملت أراضي موريتانيا اليوم .

وفي ٤٢٧هـ سافر أمير الملثّمين يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وفي طريق عودته مرّ بمدينة القيروان ، والتقى بأبي عمران الفاسي ، وشكا له جهل الملثّمين بالإسلام ، فكتب له رسالةً إلى « وكّاك بن زلو اللمطي » بمدينة « نفيس » بجنوب المغرب ليساعده على تعليم الملثّمين على أمور دينهم ، فانتدب له « وكّاك » عبد الله بن ياسين الجزولي ليرافقه إلى ديار الملثّمين ، فسار معه ، ولكن عبد الله وجد معارضةً شديدةً من الملثّمين أو

صعوبةً في تعليمهم ، فنفوسهم لم تعتد على الطاعة ، كما لم تعتد على اتباع أخلاقٍ معينةٍ ، وانقيادٍ لسلوكٍ معين ، ونتيجة هذه الصعوبة التي وجدها قرر الاعتكاف ، فأوى إلى جزيرةٍ صغيرةٍ عند مصب نهر السنغال ، ولم يفارق يحيى بن إبراهيم الشيخ عبد الله وفاءً للشيخ لما كان قد وعده عندما سار معه وتقديراً له ، كما نزل معهما عددٌ ممن تأثّر بالشيخ ، وبنوا لهم مقرًّا في موقع (تيدرة) شمال (نواكشوط) وعلى بعد ستين كيلومتراً منها إلى جهة الشمال ، وأطلقوا عليه اسم (الرباط) ، وبعد عشر سنوات تكاثر عدد الأتباع ، فخرجوا من رباطهم معلنين الجهاد ، واستشهد يحيى في المعركة التي فُتحت فيها مدينة (أودغشت) فخلفه في زعامة المرابطين يحيى بن عمر اللمتوني ، وجاء بعده أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني ، ولم يمضِ وقتٍ طويل حتى استشهد عبد الله بن ياسين في الحرب التي دارت بينهم وبين قبيلة « برغوطة » .

وفي هذه المرحلة قامت دولةٌ للتكرور ، وكان لأميرها « وارجبي » صلةٌ وثيقةٌ مع أبي بكر بن عمر اللمتوني . وقد حكمت هذه الدولة جزءاً صغيراً من الأراضي التي تُعرف اليوم باسم موريتانيا . وعاون أبا بكرٍ ابن عمه يوسف بن تاشفين ، ثم وقع الخلاف بينهما ، إذ سار يوسف نحو الشمال ، واتخذ أبو بكرٍ طريقه نحو الجنوب ، وأخذ يدعو إلى الإسلام ، ولم يلبث أن تُوفّي عام ٤٨٠هـ . وضعف أمر المرابطين في الجنوب بعده فاستقلّ حكام غانا من قبيلة السوننكي ، وأعلنوا ارتباطهم بالدولة العباسية .

وفي عام ٦٣٨هـ قامت دولة مالي ، وامتدّ نفوذها حتى شمل الأجزاء الشرقية من الأراضي الموريتانية .

وفي هذه الأثناء كان بنو هلال قد توجّهوا إلى بلاد المغرب ، وقد نزح قسمٌ منهم ، وهم بنو معقل ، إلى الجنوب ، ومن بني معقل بنو حسان الذين توزّعوا في تلك المناطق ، واستقرّ قسمٌ منهم عند مصب نهر السنغال وإلى الشمال منه ، ومن هؤلاء : الذين يعرفون اليوم باسم « الترارزة » ، ويدّعي الحسانيون أنهم يعودون في أصولهم إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما .

وأسّس الحسانيون عدة إماراتٍ ، ومن أهمّها : إمارة أولاد رزق بن ودي بن حسان ، وقد حكمت منطقة الترارزة ، وبراكنة ، واستمرّ سلطانهم من القرن التاسع إلى الحادي عشر الهجريين ، ثم تغلّب عليهم بنو عمهم المغافرة ، فأنشأوا عدة إماراتٍ منها :

١ ـ إمارة الترارزة : ومؤسسها أحمد بن دامان ، وهو الذي انتصر على أولاد رزق في معركة « انتيتام » عام ١٠٤٠هـ ، وقد بقيت هذه الإمارة حتى جاء الاستعمار ، وقاعدتها (بوتيليميت) .

٢ ـ إمارة البراكنة : واستمرّت حتى جاء الفرنسيون ، وحاضرتها مدينة (إلاك) .

٣ ـ إمارة أولاد مبارك : التي حكمت منطقة الحوض ، وكانت عاصمتها مدينة (العيون) .

٤ ـ إمارة أهل يحيى بن عثمان : وقد حكمت منطقة أدرار ، وأسسها عثمان بن الفضيل حوالي عام ١١٤٥هـ ، واستمرّت حتى جاء الاستعمار الصليبي ، وعاصمتها مدينة (أطار) ، ومن مدنها الرئيسية (شنقيط) .

٥ ـ إمارة أدوغيش الصنهاجية : وقامت في القرن الحادي عشر الهجري ، وانشقّت منها إمارتان فرعيتان هما :

١ ـ إمارة تاغنت : وقاعدتها مدينة (تجكجكة) .

٢ ـ إمارة العصابة : وقاعدتها مدينة (كيفا) .

٦ ـ إمارة مشطوف في الحوض : وهي إمارةٌ صنهاجيةٌ أيضاً .

٧ ـ إمارة نواذيبو : وقاعدتها (ايتين) .

قامت هذه الأمارات على أيدي القبائل المحاربة ، وفي الوقت نفسه حاول أهل الزوايا [جماعات العلم] إقامة دولةٍ لهم في القرن الحادي عشر بقيادة أوبك (أبو بكر) بن أبُهُم ، الملقّب ناصر الدين ، الذي نهض حوالي عام ١٠٤٥هـ ، وبايعته قبائل الجنوب ، وعمل لنشر الإسلام ، ودخول السودان الغربي ، وتصدّى للمؤسسات الاستعمارية الصليبية التي أخذت

تنتشر ، وخاصةً الفرنسية منها ، وقد ألغى تجارة الرقيق ، وحاول إخضاع القبائل العربية المحاربة صاحبة الإمارت المذكورة ، فحدثت حربٌ أهليةٌ ، قُتل فيها ناصر الدين عام ١٠٨٥هـ ، وفشلت محاولة الزوايا ، وتعزّز موقف الإمارات الحسانية والصنهاجية .

وقامت دولةٌ في حوض نهر السنغال ، وكان من أهمّها دول المامي (الأئمة) ، وظهر منها الحاج عمر في منطقة (فوتا) و (والو) ، وقاوم الفرنسيين ، واستشهد في إحدى معاركه عام ١٢٨٢هـ ، واختلف أبناؤه من بعده ، فسيطرت فرنسا على الضفة اليسرى لنهر السنغال عام ١٣٠٩هـ ، ثم تقدّمت بعد هزيمة أحمد بن الحاج عمر ، والذي توفي عام ١٣١٦هـ . وقد دانت بعض أجزاء موريتانيا لهذه الدولة .

ولما كانت هذه الإمارات صغيرةً ، وغير موحّدةً فيما بينها ، لذا فقد كانت تخضع للدول الكبيرة التي تقوم في المنطقة ، وغالباً ما كانت تخضع للحكم المغربي ، ويعدّها المغاربة جزءاً من أرضهم ، وخاصةً في أيام القوة ، أو نستطيع أن نقول : إن الحكم المغربي عندما يقوى تفقد الإمارات الحسانية والصنهاجية شيئاً من نفوذها، فإذا ما ضعفت المغرب عادت لتلك الإمارات قوتها ونفوذها، ولكن في حالة الضعف أو في حالة القوة فإن هذه الإمارات تخضع للحكم المغربي، ولكن يختلف الأمر بين أن يكون اسمياً وبين أن يكون حقيقياً يفرض هيبته ويصدر أوامره.

ولكن هذه التجزئة وذلك الضعف الذي حلّ بالحكم المغربي قد شجّع الصليبيين المستعمرين للتقدّم من السواحل إلى الداخل ، ولم يجد الاستعمار أمامه ذلك السدّ القوي أو الدولة المتماسكة القوية ، وإنما وجد إماراتٍ ضعيفةٍ لا رباط بينها ، فتقدّم بسهولةٍ ، وتمكّن من إحراز النصر . ولما أحسّت هذه الإمارات بالخطر لم تسرع إلى التوحّد والوقوف صفّاً واحداً في وجه المستعمرين الصليبيين ، وإنما بقيت على وضعها رغم المدة الطويلة التي بقي فيها الأوربيون على السواحل يتحفّزون للتقدم إلى الداخل غير أنهم كانوا خائفين من الصدام

مع المسلمين ، ولكن بعد أن درسوا الوضع ، وعرفوا حقيقة الأمر تقدّموا والتهموا الإمارة تلو الإمارة حتى ابتلعوها جميعاً .

وفي الوقت الذي كان فيه الصراع دائراً على أشدّه بين المسلمين والنصارى في الأندلس أي في القرن التاسع الهجري أخذ نصارى البرتغال يفكّرون بالإبحار جنوباً على سواحل المحيط الأطلسي للوصول إلى مراكز حصينةٍ ، ومنازلة المسلمين منها ، وبذا يُحكمون الضغط عليهم من جهتين : من الشمال من الأندلس ، ومن الجنوب من هذه المراكز ، أو على الأقل يشاغلون مسلمي المغرب ، فيصرفونهم عن التفكير في مساعدة مسلمي الأندلس ، وفي الوقت نفسه ينطلق نصارى الإسبان على سواحل البحر المتوسط للغرض نفسه ، وقد تمكّن الطرفان من تحقيق بعض النجاح ، واحتلال مراكز لهم على السواحل التي انطلقوا نحوها .

وشاء الله أن يُهزم المسلمون في الأندلس ؛ لما أحدثوه ، ولانصرافهم إلى أمور الدنيا ، ولهوهم ، واختلافهم فيما بينهم ، وطُردوا من الأندلس عام ٨٩٨هـ ، وهذا ما دفع النصارى إلى إكمال مخططاتهم التي بدؤوها ، فتابع البرتغاليون سيرهم للهدف نفسه ، وهو تطويق المسلمين للقضاء عليهم ، وإبادتهم نهائياً في العالم كله بعد أن قضوا عليهم وأخرجوهم من الأندلس، ووصل البرتغاليون إلى أقصى جنوبي القارة الإفريقية ، والتفّوا حولها ، ووصلوا إلى أرض العرب ، واحتلّوا عدن ، ونزلوا في الخليج العربي ، ووصلوا إلى الهند ، وماليزيا ، وأندونيسيا . وأما الإسبان فقد ساروا غرباً بالتفاهم مع البرتغاليين ، وعرفوا أمريكا ، وتابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى ما أطلقوا عليه اسم الفيليبين على اسم ملكهم ، وعادوا عن الطريق التى عرفها البرتغاليون لأن المسلمين قد قتلوا طاغيتهم ماجلان ، وكثيراً ممن معه عندما أراد أن يحوّل المسلمين هناك بالقوة إلى نصارى .

أما المراكز البرتغالية التي أُقيمت على شواطىء المحيط الأطلسي في غربي إفريقية فقد أخذت تؤدّي مهمتها في تزويد القوافل البرتغالية المنطلقة على ذلك

الساحل لتتابع أهدافها ، وفي الوقت نفسه تقوم بالتجارة لتغذّي المقيمين فيها، والقادمين إليها، والراحلين منها، والظاعنين فيها، كما تمدّ بما تحصل عليه البرتغال الوطن الأم . وقد أثمر العمل التجاري جيداً لكثرة هذه المراكز ، ومواقعها على أرضٍ بكرٍ، وبساطة أهلها ، وغنى أرضهم ، ووجود خيراتٍ كثيرةٍ لم تعرفها أوربا بعد مع عظيم فائدتها .

أخذت الدول الأوربية الأخرى تحسد البرتغاليين على غناهم ، وترى أنهم قد استأثروا بالخير كله لهم ، مع أن دول أوربا كلها كانت وراءهم تمدّهم وتدعمهم في صراعهم مع المسلمين ، وكان للجشع أثره إذ أصبحت الدول الأوربية تنافس البرتغال ، وتنطلق على سواحل المحيط الأطلسي تتخذ لنفسها مراكز كمحطات البرتغاليين وإلى جانبهم ، ولا بدّ من أن يقع التنافس ، وقد وقع ، ولكن لم يغيّر هذا واقع المنطلق الأساسي لهذا التحرّك ، وهو الدافع الصليبي ، الذي نسيه بعضهم عمداً ، ورأى بعضهم هذا الجانب المادي فقط ؛ جهلاً ، أو لعدم النظر إلى الماضي إبعاداً عن الأثر الديني خطةً ، هذا بالنسبة إلى الصليبيين؛ أما بالنسبة إلى غيرهم فهو عمىً، وأخذاً من النصارى من غير تفكيرٍ وتحليلٍ للواقع .

وصل الإسبان بعد البرتغاليين ، ولحق بهم الهولنديون ، وتبعهم الفرنسيون ، وسار إثرهم الإنكليز ، ووقعت المنافسة ، وزاد الطمع في الحصول على الصمغ العربي ، ثم كانت الاتفاقات على تقاسم مناطق النفوذ وجهات الاستغلال، وأعطيت منطقة السنغال إلى فرنسا إثر الحروب النابليونية باتفاقية باريس عام ١٢٣٠هـ ، وأخذ الفرنسيون بعدها يتحرّكون بحذرٍ نحو الداخل عبر نهر السنغال ، وأخذوا يقيمون مراكز لهم على طول مجرى النهر يختطفون الرقيق ، ويجمعون الصمغ العربي ، وجرت اعتداءات من قبل السكان على هذه المراكز بسبب هذه التصرّفات ، فثارت ثائرة الدخلاء ، كيف تحدث مثل هذه الاعتداءات ؟! وهل يصحّ أن يثور الأهالي لكرامتهم ؟! وهل يتحرّك السكان فيما إذا اختطفت أبناؤهم، أو أهينت كرامتهم، أو اعتدي على

أملاكهم ؟! ورأى هؤلاء المستعمرون أنه من الضرورة استعمار هذه المناطق ، واستعباد أهلها لتأديبهم .

وقامت حركة عام ١٣١٨هـ بقيادة الشيخ ماء العينين ، هدفها مقاومة تغلغل النفوذ الفرنسي ، غير أنها قد فشلت ، إذ استطاع القائد الفرنسي « كافيار كوبولاني » استغلال الخلافات القائمة بين القبائل ، فأثارها ، واتخذ الحيلة والوقيعة ديدنه ، ورجال القبائل بسيطة لا تعرف المكر والخداع ، وطلبت إحدى القبائل الحماية الفرنسية خوفاً من خصومها ، فأسرع « كوبولاني » واحتلّ منطقة (الترارزا) عام ١٣٢١هـ ، ثم منطقة (براكنا) عام ١٣٢٢هـ ، وأتبعها بمنطقة (تاغنت) عام ١٣٢٣هـ ، وهذا كله بعد الاتفاق مع الإسبان ، إذ كان التفاهم على أن تأخذ فرنسا المنطقة التي عُرفت فيما بعد باسم (موريتانيا) ، وأن تأخذ إسبانيا الصحراء المغربية ، والتي أطلقوا عليها اسم ساقية الذهب ، أو حسب الاصطلاح الإسباني (ريو دو أورو) ، واضطرّ السلطان عبد العزيز إلى القبول بالأمر الواقع عام ١٣١٩هـ ، وبذا أصبحت منطقة موريتانيا ضمن دائرة النفوذ الفرنسي ، وأخذت فرنسا تتصرّف فيها ، وتدخل إلى مناطقها ؛ منطقةً بعد أخرى ، بموافقة إسبانيا وعلى تفاهمٍ معها ، وسكوتٍ من الدول الأخرى التي نالت كلٌّ منها نصيبها في جهةٍ أخرى ، والسلطان لا يستطيع أن يفعل شيئاً بعد أن وافق مُكرهاً ، فأصبح أسير توقيعه .

همّ «كوبولاني» بالتحرّك نحو منطقة (أدرار) ، غير أنه قد لَقي حتفه إذ اغتاله الشريف « زين » أخو السلطان عبد العزيز ، ثم استشهد الشريف « زين » في المعركة نفسها ، فتولّى قيادة الفرنسيين إثر ذلك الجنرال « مانغان » ، فزحف نحو (أدرار) ، فوقف في وجهه الشيخ « ماء العينين » الذي أعلن الجهاد المقدّس ، وطلب من سلطان المغرب مساعدته ، فأرسل إليه حملةً بقيادة الأمير إدريس ، ووصلت الحملة إلى (أدرار) ، وأخذت بالاستعداد للمواجهة . وتولّى أمر القيادة في هذه الأثناء الجنرال « غورو »

الصليبي المعروف ، الذي دخل دمشق إثر معركة ميسلون في ٦ ذي القعدة ١٣٣٨هـ .

واستمرّت المعارك بين الطرفين عامين كاملين (١٣٢٦ ـ ١٣٢٨هـ) تمكّن الفرنسيون بعدها من بسط نفوذهم على منطقة (أدرار) بعد وفاة الشيخ ماء العينين .

وكان أمر المغرب قد ضعف ، فنودي بالشريف عبد الحفيظ في مراكش عام ١٣٢٥هـ، وكان نائباً عليها من قِبل أخيه عبد العزيز السلطان في (فاس) ، فانقسمت الدولة إلى قسمين : فاس ؛ ويقيم فيها السلطان عبد العزيز ، ومراكش ؛ ويقيم فيها السلطان عبد الحفيظ ، ثم خُلع عبد العزيز ، واستقرّ الوضع للسلطان عبد الحفيظ الذي ثارت عليه القبائل ، كما ثار عليه أخوه « زين » في (مكناس) وسيطر عليها ، وشكّل حكومةً خاصةً به فيها ، واضطرّ عبد الحفيظ إلى توقيع معاهدة الحماية مع فرنسا في ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ (٣٠ آذار ١٩١٢م) ، وأخيراً أجبر على التخلّي عن الحكم ، وتولّى مكانه أخوه « يوسف » في أول رمضان ١٣٣٠هـ (١٣ آب ١٩١٢م) ، وانتقل إلى مدينة الرباط التي أصبحت قاعدة الحكم ، ونتيجة هذا الضعف لم يبقَ أمام الفرنسيين قوةٌ رسميةٌ تقف في وجههم ، ولا سلطةٌ يمكنها أن تحدّ من نفوذهم ، فلا بدّ من قيام ثورةٍ تتسلّم السلطة في البلاد ، وتتولّى أمر الدفاع عنها .

ثار أحمد هبة الله بن الشيخ ماء العينين في منطقة موريتانيا ، ودعا إلى الجهاد ، وإنقاذ البلاد ؛ فقد خلت من الراعي ، وعمل فيها الذئب ، واتجه إلى مدينة مراكش وحاصرها ، ودخلها عنوةً ، وبويع فيها سلطاناً للمغرب الأقصى في اليوم الخامس من شهر رمضان من عام ١٣٣٠هـ ، أي بعد أربعة أيام من تولّي يوسف بن الحسن الأول السلطنة في فاس . فأرسلت فرنسا جيشاً إلى أحمد هبة الله ، فكان النصر إلى جانب المسلمين ـ بإذن الله ـ فعادت فرنسا إلى بعث حملةٍ ضخمةٍ إلى مراكش ، واتخذت الحيلة والخداع ، وقاتلت أحمد

هبة الله ، فهُزم ، وفرّ من مراكش ، فدخلها الفرنسيون ، أما هو فقد سار إلى (تارودانت) وتحصّن بها . غير أن فرنسا قد خافت النتيجة ، وقيام ثوراتٍ أخرى ، وحركاتٍ للمقاومة ؛ ليس في بلاد المغرب فحسب وإنما في كل مناطق النفوذ الفرنسي والمستعمرات ، وخاصةً أن نار الحرب العالمية الأولى قد اشتعلت ، وهذا ما يشجّع الحركات للوثوب بسبب انشغال فرنسا في أحداث الحرب ومشكلاتها الخاصة ، لذا أسرعت بإرسال حملةٍ أخذت تطارد أحمد هبة الله من موقعٍ إلى آخر حتى كان في (تندوف) ، فثبت رجاله هناك للقوات المعتدية ، وفتكوا بها ، وهذا ما زاد من معنوياتهم فعادت إليهم القوة ، ورجع من كان قد تملّكة الخوف فغادر .

جهّز الفرنسيون قوةً ضخمةً ضمّت جنوداً من المغرب ، والجزائر ، والسنغال ، ومالي ، بقيادة الجنرال « غورو » ، ودعمته بالطيران ، والمدفعية ، ووصل الجيش إلى (تنزيت) ، وهي البلدة التي توفي فيها الشيخ ماء العينين والد أحمد هبة الله ، فعسكر الأعداء ، وتعددت الوقائع بين الطرفين ، وكانت المعارك فيها سجالاً ، وبذل الفرنسيون الكثير ، وأعطوا الأماني المعسولة ، فانقسم رجال أحمد هبة الله على أنفسهم ، وقُتل الكثير من رجال القبائل ، وأصاب المرض القائد أحمد هبة الله ، وتُوفّي في (بكردوس) عام ١٣٣٧هـ ، فضعف رجاله من بعده ، وتمكّن منهم الفرنسيون ، وهكذا انتهت حركة أحمد هبة الله ـ رحمه الله ـ .

بعد الحرب العالمية الأولى وفي عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) شعر الفرنسيون أن الوضع قد استقرّ لهم ، فعدّوا موريتانيا جزءاً من إفريقية الغربية الفرنسية ، ولكن الحركات عادت تظهر من جديد لتقاوم المستعمرين الصليبيين .

وكان من قادة المقاومة الذين يحفظ لهم التاريخ جهادهم إضافةً إلى من ذكرنا :

إبراهيم ديانكو ، وديرويكو فليل في غيدي وماغة ، وأمير البراكنة أحمد بن سيدي أعلي .

وأمير تاغنت بكار بن اسويد أحمد الذي استشهد في موقعة « تنقادوم » عام ١٣٢٣هـ .

وأمير أدرار سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن عيده ، الذي استشهد في وديان الخروب عام ١٣٥٠هـ .

وأحمد بن الديد في منطقة الترارزة .

ومحمد تقي الله بن الشيخ علي .

ومحمد المختار بن الحامد ، والشيخ عابدين بن سيدي محمد الكنتي ، وأحمد حمادي ، وعلي بن مبارة .

الاستعمار بعد إلغاء الخلافة

ألغى مصطفى كمال الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) ، وكانت موريتانيا قد غدت مستعمرةً فرنسيةً ، وجزءاً من إفريقية الغربية الفرنسية التي كانت تشمل : السنغال ، وغينيا ، وساحل العاج ، والداهومي [بنين] ، وموريتانيا ، ومالي ، والنيجر ، وفولتا العليا [بوركينافاسو].

ألغيت الخلافة والمقاومة لم تهدأ في موريتانيا ، إذ استمرّت حتى عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) ، حيث تمكّن الفرنسيون من بسط سيطرتهم العسكرية على البلاد مستفيدين من تفوّقهم العسكري في الرجال والسلاح ، ومن الحصار الذي فرضوه على موريتانيا باحتلال المناطق المجاورة ، ومن التنسيق مع إسبانيا التي تحتلّ الصحراء ، ومن ضعف المسلمين يومذاك فليس من مُغيث ، وألغيت الخلافة فليس هناك من شاحذٍ للهمم ، ولا داعٍ للجهاد . والبلاد واسعة ، والسكان قلّة مبعثرون في أرجائها ، فالإمكانات قليلة في نجاح مقاومةٍ مسلّحةٍ ، لذا فقد أخلد الناس إلى الهدوء ، ورعت فرنسا في البلاد كما شاء لها هواها .

واندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨هـ (١ أيلول ١٩٣٩م) ، فلم تهتمّ فرنسا ، إذ أنها كانت مطمئنةً في مرعاها .

ولكن إذا كان الأمل في السلاح ضعيفاً ، فإن التنظيم والتهيئة للعمل السياسي ممكن ، كما أن المدارس مكان لبثّ روح الوطنية ، وإذكاء مفهوم

الجهاد ، وتحريض على مقاطعة المؤسسات المدرسية والإدارية الفرنسية . ولهذا فرضت فرنسا رقابةً شديدةً على تحرّكات الشيوخ داخل البلاد ، واعتقلت بعضهم ، ونفت بعضهم الآخر مثل الشيخ حماه الله الذي نفته إلى بلاد ساحل العاج . وكان العلماء وشيوخ الزوايا هم القوّة المحرّكة والدافعة للعمل على التنظيم واستقلال البلاد .

ونصّ دستور فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية على إيجاد مجلسٍ عامٍّ في كل اتحاد ، ويُنتخب أعضاؤه من بين الجمعيات الإقليمية في وحدات الاتحاد ، وكانت قوانين الانتخابات معقّدة ، وقد صوّت الموريتانيون لصالح أحمد بن حرمة بابانا ضدّ منافسه الفرنسي « رازاك » ، وقد نجح في الانتخابات ، وكانت له مواقف طيبة في المجلس النيابي الفرنسي ، وقد حصل أحمد بن حرمة على أربعة آلاف صوتٍ على حين لم يحصل « رازاك » إلاّ على ثلاثة آلاف صوتٍ رغم التهديدات ، وإجراءات العنف التي فرضتها السلطات الحاكمة .

وبدأت تظهر بوادر الدعوة إلى الاستقلال ، والعمل على التنظيم ، فظهر حزبان هما :

١ ـ حزب الاتحاد الوطني .
٢ ـ حزب منظمات الشباب .

وانحصرت مطالب الحزبيين بالمطالبة بالاستقلال المباشر ، والحرية العامة ، وبعدئذٍ اندمجت الحركة الوطنية في حزبٍ واحدٍ ١٣٦٧هـ ، هو حزب التفاهم الموريتاني ، ويهدف إلى توحيد جهود الموريتانيين بعد أن فرقتهم السياسة الفرنسية ؛ متخذةً العصبية القبلية وسيلةً للتفرقة ، ولكن لم يمضِ كبير وقتٍ حتى عاد الانقسام ، فظهر :

١ ـ حزب التفاهم الموريتاني ، وزعميه أحمد بن حرمة بن بابانا، ومن أعضائه البارزين المختار الحامد .
٢ ـ حزب الاتحاد التقدمي الموريتاني ، وزعميه المختار أنجاي .

وقد فاز حزب الاتحاد التقدمي في الانتخابات التي جرت عام ١٣٧١هـ ، وأصبح المختار أنجاي نائباً في الجمعية الوطنية الفرنسية بباريس عام ١٣٧٦هـ . أما أحمد بن حرمة فقد غادر موريتانيا وانتقل إلى المغرب حيث كان قد عاد الملك محمد الخامس ملك المغرب من المنفى ، وينتمي إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، كما يقول بالانتماء نفسه أحمد بن حرمة ، وقد جُعل هذا صلة للتقارب بينهما .

وفي عام ١٣٧٦هـ عُدّل الدستور الفرنسي ، وأصبح يقوم بجانب المجلس الوطني الإقليمي مجلسٌ تنفيذيٌّ يمثّل السلطة، ويرأس هذا المجلس التنفيذي حاكم الإقليم الذي يعيّن قسماً من المجلس ، بينما يؤخذ القسم الثاني بالانتخابات .

وفي منتصف عام ١٣٧٧هـ (أوائل عام ١٩٥٨م) تألّفت لجنةٌ ممثّلةٌ للحزبين في موريتانيا : حزب التفاهم ، وحزب الاتحاد التقدمي ، وقد قررت هذه اللجنة دمج الحزبين بعضهما مع بعض ، فنشأ حزبٌ جديدٌ بعد دمج الحزبين أطلق عليه حزب التجمع الموريتاني . وكانت الفكرة الأساسية لكل التجمعات التي حدثت إنما هي الدعوة إلى الاستقلال ، وإنما يحدث الاختلاف والانشقاق لقضايا شخصية ، وإلاّ فالفكرة واحدة ، وقد تمّ هذا الدمج لمواجهة جناح حزب التفاهم الموريتاني القائم في المغرب .

وفي عام ١٣٧٦هـ عُقد مؤتمرٌ في باماكو عاصمة مالي يضمّ ممثّلي أقاليم إفريقية الغربية ، وكان من مقرراته ضرورة إعتراف فرنسا بحق تقرير المصير إذ يخشى من اندلاع حركات المقاومة في هذه الأقاليم على شكل ثورة كما حدث في الجزائر ، وأصدر رئيس وزراء فرنسا « غي موليه » قانون الإصلاح الإداري في ١رمضان ١٣٧٦ه (٣١ اذار ١٩٥٧م) ، والذي ينصّ على إجراء انتخابات في كل آقليمٍ لاختيار جمعيات عامّة تولّى تشكيل الوزارة . وفي ٢١ شوال ١٣٧٦هـ (٢٠ أيار ١٩٥٧م) تشكّلت أول حكومة ذات استقلال ذاتي في موريتانيا .

وأوجدت السلطات الفرنسية نظاماً خاصاً أسمته استقلالاً داخلياً ، حيث عيّنت إلى جانب الحاكم العام شخصاً موريتانياً أسمته نائب رئيس المجلس ، وكانت الحكومة صورية .

وفي شوال من عام ١٣٧٧هـ (أيار ١٩٥٨م) جاء ديغول إلى الحكم في فرنسا ، وفكّر في الحفاظ على مستعمرات فرنسا فيها وراء البحار ، فعرض دستوره الذي يعطي الحرية لكل إقليمٍ في أن يصوّت بـ « نعم » أو « لا » ، وينصّ على أن البلدان التي تصوّت بـ « نعم » أي تقبل الدستور تصبح أعضاء في مجموعة الشعوب الفرنسية ، وتشكّل حكوماتٍ محليةً ،وتتمتّع بالاستقلال الداخلي ، على أن تكون السلطة المركزية لفرنسا في الدفاع ، والاقتصاد ، والشؤون الخارجية . كما يمكن أن يُعقد اتحادٌ مركزيٌّ بين بلدين أو عضوين في مجموعة الشعوب الفرنسية . أما الأقاليم التي تصوّت بـ « لا » أي لا توافق على الدستور فتحصل على الاستقلال التام ، وعندها تقطع فرنسا مباشرةً كل معونةٍ ؛ فنية كانت ، أم مالية ، أم إدراية . وقد صحب هذا العرض كثير من التهديدات ، حتى إن الكثير من السكان قد قاطع الاستفتاء .

وفي ١٥ ربيع الأول من عام ١٣٧٨هـ (٢٨ أيلول ١٩٥٨م) جرى الاستفتاء ، وكان التصويت في موريتانيا بجانب دستور ديغول ، وبذا أصبحت موريتانيا ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية ، وتتمتّع بالاستقلال الداخلي . وأصبح نائب رئيس المجلس الموريتاني وزيراً أول ، ولكن بقيت السلطات بيد الحاكم العام .

وبقي حزب التجمع الموريتاني يعمل ضمن هذا الخط ، وكانت وزارة مختار ولده داده تسير على هذا المنهج .

بعد نتيجة عام ١٣٧٨هـ (آب ١٩٥٨م) نشأ حزبٌ جديدٌ ، هو حزب النهضة ، ويدعو إلى استقلال موريتانيا التام ، ثم ضمّها إلى الوطن الأم المغرب ، وعدّ موريتانيا جزءاً من المغرب لا يتجزّأ ، ويعدّ هذا الحزب ، هو

الحزب المعارض ، وكان من زعمائه :

١ ـ محمد فال ولد عمير ، أمير الترارزة .

٢ ـ محمد المختار ولد أباه ، وزير التربية والتعليم في وزارة المختار ولد داده الأولى .

٣ ـ الشيخ أحمدو ، رئيس الشبيبة الموريتانية .

٤ ـ أحمد بن حرمة ولد بابانا رئيس حزب التفاهم الموريتاني سابقاً .

٥ ـ الدّيّ بن سيدي بابا ، وزير التجارة والصناعة والمعادن في وزارة المختار ولد داده الأولى .

ويعيش هؤلاء القادة لاجئون في المغرب ، ويؤيّدون مطالبة المغرب بموريتانيا ، ويؤيّد هذا أيضاً منظمة الشباب الموريتاني .

وفي مطلع عام ١٣٧٩هـ (تموز ١٩٥٩م) نشأ حزب الاتحاد الوطني الموريتاني الذي يُعدّ فرعاً من حزب الاتحاد الإفريقي ، ويمثّله المختار أنجاي الذي كان رئيس حزب الاتحاد التقدمي سابقاً . ولكن هذا الحزب كان ضعيفاً ، وزاد ضعفه عندما فُصمت عرا الاتحاد بين مالي والسنغال ، ويعود المختار أنجاي في أصله إلى مدينة (سان لويس) السنغالية .

وجرت الانتخابات ، وتشكّلت الجمعية التأسيسية ، وقُدّم الدستور إلى الجمعية الوطنية ، فوافقت عليه في ١٣ رمضان ١٣٧٨هـ (٢٢ آذار ١٩٥٩م) ، وكان مما جاء في الدستور :

المادة الأولى : اسم البلاد : الجمهورية الإسلامية الموريتانية .

المادة الثانية : دين الشعب الموريتاني هو الإسلام .

المادة الثالثة : اللغة الوطنية في موريتانيا هي العربية ، واللغة الرسمية هي الفرنسية .

المادة الرابعة : عاصمة البلاد هي نواكشوط .

المادة الخامسة : الراية الوطنية هي : علم أخضر ، فيه هلال ، ونجمان ذهبيان .

المادة الرابعة والستون : الشريعة المدنية ، الفقه الإسلامي ، تتحرّى الدولة وتحكم حسب الفقه الإسلامي في جميع الدوائر المدنية والتجارية، وتصدر أحكامها باسم الشعب الموريتاني.

أخذت المغرب تطالب بضم موريتانيا إليها على أنها جزءٌ من أراضيها ، وقد عرضت على الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها الرابعة عشرة عام (١٩٥٩م) وتقدّمت الأردن ، وليبيا ، وأندونيسيا بمشروعٍ يدعو إلى إجراء استفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة ، غير أن هذا المشروع سُحب ، وتقدّمت العراق بمشروعٍ يدعو إلى إجراء مفاوضاتٍ بين المغرب وفرنسا على أساس حق تقرير المصير ، ولكن فشل إذ صوّتت تسعاً وثلاثون دولـة ضدّه ، وامتنعت خمسٌ وعشرون دولةً عن التصويت .

وإن محـرّكي الأمم المتحدة لا يـريـدون هـذا الانضـمام بـين المغـرب وموريتانيا ، إذ تصبح دولة المغرب غنيةً وكبيرةً ، وهذا ما لا يريدون ، فربما طالبت دولٌ أخرى بمثل هذا الانضمام ، أو انطلقت منها دعوةٌ لجمع الدول الإسلامية ، وهذا ما يخشاه الصليبيون أصحـاب اللعب الدوليـة . وأخيراً قررت الجمعية السياسية للأمم المتحدة منح موريتانيا الاستقلال في ٧ جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٠م) ، ونالت موريتانيا الاستقلال بعد يومين من هذا التاريخ . واعترفت بالدولة الجديدة أربـع وأربعون دولةً مباشرة. وأقامت موريتانيا الاحتفالات بهذه المناسبة، ولم تشارك الدول العربية بهذه الاحتفالات ، حيث لم تعترف آنذاك بفصل جزءٍ من بلدٍ عربيٍ هو عضوٌ في جامعة الدول العربية ، ولم تشارك في هذه الإحتفالات من الدول العربية سوى تونس . ودخلت موريتانيا الأمم المتحدة ، وقُبلت عضواً فيها . وتأخرت البلدان العربية بالاعتراف بدولة موريتانيا ، ثم ثابت إلى رشدها واعترفت ، إذ

لايصحّ أن تُترك موريتانيا تُخطط لنفسها بعيداً عن أخواتها البلدان العربية ، وأصبحت عضواً في جامعة الدول العربية[1] .

---

(١) كان رئيس الجمعية الوطنية يوم الاستقلال : سيدي المختار ندیا .
وكان نوابه كل من : بونا مختار .
كيب أمادولامين .
سليمان ولد شيخ سيدا .

أما الأحزاب الموريتانية يومذاك فهي :
١ ـ حزب التجمع الموريتاني : وأمينه العام مختار ولد داده .
٢ ـ حزب الاتحاد الوطني الموريتاني : ورئيسه هد رامي ولد خطاري .
٣ ـ الاتحاد الشعبي الإسلامي في موريتانيا : ورئيسه أحمد ولد خير كوب ، ويدعو إلى الاتحاد مع المغرب .

الاستقلال

نالت موريتانيا الاستقلال في ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٠م) ، واختير مختار ولد داده[١] رئيساً للدولة الجديدة ، وألغيت وظيفة الحاكم العام ، وتمّ اعتقال كثيرٍ من قادة الحركة الوطنية مُمثّلين في حزب النهضة . وتشكّلت وزارةٌ جديدةٌ[٢] .

---

(١) مختار ولد داده : عمل مترجماً لدى الإدارة الفرنسية ، وتزوج امرأة فرنسية تدعى : « ماري تيريز » ، وبقيت الثقافة الفرنسية هي السائدة مدة حكمه ، فكانت هذه أكبر خدمة للمستعمرين الفرنسيين .

(٢) كانت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء .

٢ ـ موريس كومباغني : وزير المالية .

٣ ـ باما مادوسامبا : وزير التخطيط ، والإسكان ، والسياحة .

٤ ـ أمادو دياري سامبا ديوم : وزير العمل الشعبي ، والنقل ، والبريد ، والاتصالات .

٥ ـ محمد المختار ديت معروف : وزير الطرق ، والصناعة ، والتعدين .

٦ ـ شيخنا ولد محمد لاغداف : وزير العدل .

٧ ـ سيدي محمد ديت دوين : وزير التعليم ، والشباب ، والإعلام ، والداخلية .

٨ ـ سيدي أحمد لهبيب : وزير الخدمة العامة والعمل .

٩ ـ حمود ولد أحمدو : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .

١٠ ـ أبل كامبورسي : الأمين العام لمجلس الوزراء .

ملاحظة : ١ ـ يلاحظ عدم ملء وزارتي الدفاع والخارجية ، إذ بقيتا بيد فرنسا . =

وفي ٦ ذي الحجة ١٣٨٠هـ (٢٠ أيار ١٩٦١م) تمّت المصادقة على أول دستورٍ للدولة الموريتانية المستقّلة .

وفي ١٥ ربيع الثاني ١٣٨١هـ (٢٥ أيلول ١٩٦١م) قبل حزب النهضة المعارض المشاركة في الحكم ، وحلّ نفسه ، كما حلّت الأحزاب الأخرى نفسها ، وهي : حزب التجمّع الموريتاني الحزب الحاكم ، وحزب الاتحاد الوطني الديمقراطي ، وحزب الاتحاد الاشتراكي للمسلمين والموريتانيين ، وتألّف من هذه الأحزاب كلها حزبٌ واحدٌ ، هو حزب الشعب الجمهوري الموريتاني ، وتشكّلت بعدها وزارةٌ[1] ضمَّت بعض رجالات هذه الأحزاب الذين كانوا في صف المعارضة .

وضرب الرئيس مختار ولد داده عملةً خاصةً بالبلاد ، أسماها « أوقية » ، وأمّم شركة المعادن في سبيل بناء اقتصادٍ مستقلّ ، وكانت قد تشكّلت وزراةٌ

= ٢ ـ إبقاء وزارة المالية بيد نصراني فرنسي وكذلك عُهد لفرنسي آخر منصب الأمين العام لمجلس الوزراء .

(١) كانت الوزارة في شهر ذي القعدة ١٣٨١هـ (نيسان ١٩٦٢م) على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء ، وزير الشؤون الخارجية ، وزير الدفاع الوطني .
٢ ـ باما مادوسامبا بولي : وزير المالية .
٣ ـ محمد المختار معروف : وزير التخطيط .
٤ ـ داده ولد سيدي هيبا : وزير الاقتصاد والتعاون .
٥ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير العمران .
٦ ـ باولدني : وزير التعليم وشؤون الشباب.
٧ ـ بابوكر ألفا : وزير الصحة ، والعمل ، والشؤون الاجتماعية .
٨ ـ سيدي محمد دين : وزير الداخلية .
٩ ـ هاد رامي ولد خطار : وزير العدل .
١٠ ـ دي ولد إبراهيم : وزير الإعلام .
١١ ـ بويا غوي ولد عابدين : وزير النقل ، والبريد ، والاتصالات .

جديدةٌ[1] .

وفي عام ١٣٨٤هـ أقرّت الدولة نظام الحزب الواحد ، ولم تسمح بوجود أي حزبٍ آخر سوى حزبها الحاكم حزب « الشعب الجمهوري الموريتاني » .

وفي ١١ شوال ١٣٨٤هـ (١٢ شباط ١٩٦٥م) عُدّل الدستور لمصلحة السلطة الحاكمة ، ثم عُدِّل مرةً أخرى في ٢٤ ربيع الأول ١٣٨٦هـ (١٢ تموز ١٩٦٦م) لإمكانية إعادة انتخاب مختار ولد داده رئيساً للبلاد ، وتجدّدت رئاسته بعد شهر وبعد إجراء ذلك التعديل ، ثم عادت السلطة فعدّلته مرةً ثالثةً في شهر ذي القعدة ١٣٨٧هـ (شباط ١٩٦٨م) .

وكانت وزارة جديدة في رمضان ١٣٨٨هـ (كانون الأول ١٩٦٨م)[2] .

---

(١) كانت الوزارة في شهر ذي القعدة ١٣٨٢هـ (نيسان ١٩٦٣م) على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع الوطني .
٢ ـ شيخنا ولد محمد لاغداف : وزير الشؤون الخارجية .
٣ ـ باما مادو سامبا بولي : وزير المالية .
٤ ـ محمد المختار معروف : وزير التخطيط .
٥ ـ داده ولد سيدي هيبا : وزيرر الاقتصاد والتعاون .
٦ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير الداخلية .
٧ ـ باولدني : وزير العدل .
٨ ـ بابوكر ألفا : وزير الصحة ، والعمل ، والشؤون الاجتماعية .
٩ ـ سيدي محمد ولد ديت دين : وزير العمران .
١٠ ـ هاد رامي ولد خطار : وزير التعليم وشؤون الشباب .
١١ ـ يحيى ولد مونكوس : وزير الإعلام .
١٢ ـ محمد ولد عبد الرحمن : وزير النقل ، والبريد ، والاتصالات .

(٢) كانت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء .
٢ ـ حمدي ولد مكناس : وزير الشؤون الخارجية .
٣ ـ إبراهيم ولد محمد لاغداف : وزير الدفاع الوطني .

وأعيد انتخاب الرئيس مختار ولد داده للمرة الثالثة في جمادى الآخرة ١٣٩١هـ (آب ١٩٧١م) ، وأخذت البلاد تتعرّض للجفاف الذي هجم على الدول الإفريقية منذ ذلك العام ، وكانت الوزراة في شهر صفر ١٣٩٢هـ (نيسان ١٩٧٢م) على النحو المبين أدناه[1] .

= ٤ ـ ملام ولد إبراهيم : وزير العدل ، وحارس الأختام .
٥ ـ عبد العزيز سال : وزير الداخلية .
٦ ـ مختار ولد هيبا : وزير التخطيط ، والتنمية الريفية .
٧ ـ سيدي محمد دياغانا : وزير المالية .
٨ ـ محمد سالم ولد ختيرات : وزير التشييد والتعدين .
٩ ـ عبد الله ولد سيديا : وزير التجارة ، والنقل ، والسياحة .
١٠ ـ الي ولد علاّف : وزير التجهيزات .
١١ ـ أحمد بن عمار : وزير التعليم .
١٢ ـ مالوم ولد إبراهيم : وزير الشباب ، والثقافة ، والشؤون الإعلامية .
١٣ ـ غادينغا سامبا : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .
١٤ ـ بارو عبدولايه : المندوب السامي للتعليم المهني وتدريب الموظفين .

(١) كانت الوزارة كما يلي :
١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء .
٢ ـ حمدي ولد مكناس : وزير الشؤون الخارجية .
٣ ـ سيدي محمد دياغانا : وزير الدفاع الوطني .
٤ ـ مالوم ولد إبراهيم : وزير العدل ، وحارس الأختام .
٥ ـ أحمد بن عمار : وزير الداخلية .
٦ ـ محمد ولد شيخ سيدي : وزير التخطيط ، والبحث .
٧ ـ صومار ديارامونا : وزير المالية .
٨ ـ أحمد ولد سيدي بابا : وزير الثقافة والإعلام .
٩ ـ مامادو العسّان : وزير التعليم الثانوي ، والشباب والرياضة .
١٠ ـ سيدي ولد شيخ عبد الله : وزير الصناعة والمعادن .
١١ ـ أحمد ولد عبد الله : وزير التجارة ، والنقل ، والسياحة .
١٢ ـ عبد الله ولد داده : وزير التجهيزات .
١٣ ـ عبد الله ولد بوي : وزير التعليم الديني ، والشؤون الدينية . =

وبدأ الخلاف بين المغرب ، وموريتانيا ، والجزائر ؛ على الصحراء المغربية ، ووقفت الجزائر في خندقٍ قريبٍ من خندق موريتانيا وساهمت في إعادة بناء الجيش الموريتاني لإمكانية الوقوف في وجه المغرب . وكانت الوزارة في ربيع الأول ١٣٩٣هـ (نيسان ١٩٧٣م) على النحو المبيّن أدناه[١] .

وبقي رجال حزب الشعب الجمهوري الموريتاني ورئيسه يتحكّمون في البلاد ، ولا يسمحون بقيام أي نشاطٍ حزبيٍّ آخر[٢] ، وبقي الجفاف يزداد ،

= ١٤ ـ عبد الله ولد باه : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .

١٥ ـ محمد باباه : وزير التعليم التقني ، والبحث العلمي ، والتعليم العالي .

١٦ ـ بارو عبدولاية : وزير العمل والخدمة الاجتماعية .

١٧ ـ ديوب مامادو : وزير التنمية الريفية .

(١) كانت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء .

٢ ـ حمدي ولد مكناس : وزير الشؤون الخارجية .

٣ ـ سيدي محمد دياغانا : وزير الدفاع الوطني .

٤ ـ عبد الله ولد بوي : وزير العدل، وحارس الأختام .

٥ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير الداخلية .

٦ ـ سيدي محمد ولد شيخ عبد الله : وزير التخطيط ، والتطور الصناعي .

٧ ـ صومار ديارامونا : وزير المالية والتجارة .

٨ ـ ديوب مامادو أمادو : وزير التنمية .

٩ ـ سيدي ولد شيخ عبد الله : وزير الصناعة والمعادن .

١٠ ـ مالوم ولد إبراهيم : وزير النقل ، والمهن اليدوية ، والسياحة .

١١ ـ عبد الله ولد داده : وزير التجهيزات .

١٢ ـ أحمد ولد سيدي بابا : وزير الثقافة والإعلام .

١٣ ـ محمدين باباه : وزير التعليم المهني ، والبحث العلمي ، والتعليم العالي .

١٤ ـ بامامادو العسّان : وزير التعليم الثانوي ، والشباب والرياضة .

١٥ ـ أحمد بن عمار : وزير التعليم الأولي ، والشؤون الدينية .

١٦ ـ بارو عبدولاية : وزير الخدمة العامة والعمل .

١٧ ـ عبد الله ولد باه : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .

(٢) كان التعديل أو التغيير الوزاري لا يشمل أكثر من تبادل الحقائب الوزارية بين الوزراء أو إدخال =

والخلاف على الصحراء المغربية يتسع ، والحالة الاقتصادية تتأخّر ، وحاول الحزب الحاكم معالجة الأوضاع المتدهورة ، فأصدر عام ١٣٩٥هـ ميثاقاً يتألّف من خمسة مبادىء ، هي :

١ ـ تكفل الدولة القطاعات الرئيسية في الحياة الوطنية .
٢ ـ وجود قطاع مزدوجٍ ، يمكن للدولة أن تشترك فيه مع خصوصيين وطنيين ، أو مع مصالح أجنبية خصوصيةٍ ، أوعموميةٍ .
٣ ـ وجود قطاعٍ خاصٍّ يضمّ المواطنين والأجانب .
٤ ـ القضاء على جميع مخالفات استغلال الإنسان للإنسان .
٥ ـ تطبيق المكافأة والعقوبة بالالتزام .

= بعض أفراد جدد من أعضاء الحزب البارزين مكان آخرين يعطون مناصب أخرى .
وكانت الوزارة في شهر ربيع الأول عام ١٣٨٤هـ (نيسان ١٩٧٤م) على النحو الآتي :
١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء .
٢ ـ حمدي ولد مكناس : وزير الشؤون الخارجية .
٣ ـ سيدي محمد دياغانا : وزير الدفاع الوطني .
٤ ـ عبد الله ولد بوي : وزير العدل ، وحارس الأختام .
٥ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير الداخلية .
٦ ـ سيدي ولد شيخ عبد الله : وزير التطور الصناعي وشؤون التخطيط الاقتصادي .
٧ ـ صومار ديارامونا : وزير المالية .
٨ ـ ديوب مامادو أحمدو : وزير التنمية الريفية .
٩ ـ مالوم ولد إبراهيم : وزير السياحة ، والأعمال اليدوية .
١٠ ـ عبد الله ولد شيخ : وزير النقل والطرق .
١١ ـ عبد الله ولد داده : وزير التجهيزات .
١٢ ـ أحمد ولد سيدي بابا : وزير الثقافة والإعلام .
١٣ ـ محمدين باباه : وزير التعليم الوطني .
١٤ ـ بامامادو العسّان : وزير الشباب والرياضة .
١٥ ـ أحمد بن عمار : وزير التعليم ، والشؤون الدينية .
١٦ ـ بارو عبدولاية : وزير الخدمة والعمل .
١٧ ـ عبد الله ولد باه : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .

وجرت الانتخابات العامة في شهر شوال ١٣٩٥هـ (تشرين الأول ١٩٧٥م) ، وكان عدد أعضاء المجلس النيابي سبعين عضواً ، ورئيس الجمعية الوطنية هو « دا ولد سيدي هيبا » . وتشكّلت وزارةٌ موسّعةٌ[1] في شهر محرم

---

(١) كانت الوزارة الموسعة على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء .
٢ ـ عبد العزيز سال : وزير دولة للتوجيه الوطني .
٣ ـ أحمدو ولد تومبا : وزير الثقافة .
٤ ـ سيدي أحمد ولد دي : وزير الشباب والرياضة .
٥ ـ مصطفى ولد شيخ محمد : وزير الإعلام والاتصالات.
٦ ـ صومار ديارامونا : وزير التطوير .
٧ ـ محمد ولد عمار : وزير المصادر المائية .
٨ ـ عبد الله ولد داده : وزير التنمية .
٩ ـ أحمد ولد سيدي بابا : وزير التشييد .
١٠ ـ عبد الله ولد بابا : وزير دولة للجماعات البشرية والشؤون الاجتماعية .
١١ ـ بامامادو العسّان : وزير التنظيم الحزبي .
١٢ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير دولة للسلطات الداخلية .
١٣ ـ مالوم ولد إبراهيم : وزير العدل .
١٤ ـ شيخ سعد بوه كان : وزير الدفاع الوطني .
١٥ ـ سيدي ولد شيخ عبد الله : وزير دولة للاقتصاد الوطني .
١٦ ـ باإبراهيم : وزير التخطيط .
١٧ ـ مولاي محمد : وزير المالية .
١٨ ـ حسني ولد ديدي : وزير التجارة والنقل .
١٩ ـ إسحاق ولد راجل : وزير الصناعة والتعدين .
٢٠ ـ ديول مامادو أمادو : وزير التعليم الوطني .
٢١ ـ محمد ولد أبا أباه : وزير التعليم الأولي .
٢٢ ـ حمدين ولد تاه : وزير الشؤون الإسلامية .
٢٣ ـ بارو عبدولاية : وزير دولة للتطوير الاجتماعي .
٢٤ ـ مولاي عبد المعين : وزير الصحة .
٢٥ ـ عيساتا كان : حماية الأسرة والشؤون الاجتماعية .
٢٦ ـ عبد الله ولد شيخ : وزير الخدمة العامة والعمل .
=

١٣٩٦هـ (كانون الثاني ١٩٧٦م) .

ولم يمضِ عامٌ حتى جرت انتخابات الجمعية الوطنية في شعبان ١٣٩٦هـ (آب ١٩٧٦م) ، وكان عدد أعضاء الجمعية سبعةً وسبعين عضواً ، أي زاد سبعة أعضاء ، وأصبح رئيس هذه الجمعية « عبد العزيز سال » . وبقيت الوزارة موسّعةً(١) مع إجراء بعض التعديل عليها .

= ٢٧ ـ حمدي ولد مكناس : وزير دولة للشؤون الخارجية .

٢٨ ـ سيدي محمد دياغانا : وزير شؤون الرئاسة .

(١) أصبحت الوزارة في مطلع عام ١٣٩٧هـ (كانون الثاني ١٩٧٧م) على النحو الآتي :

١ ـ مختار ولد داده : رئيس الدولة ، رئيس الوزراء .
٢ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير دولة للتوجيه الوطني ، وزير دولة للسلطات الداخلية .
٣ ـ عثمان سيدي أحمديا : وزير الثقافة .
٤ ـ سيدي أحمد ولد دي : وزير الشباب والرياضة .
٥ ـ بامامادو العسّان : الإعلام والاتصالات ، البشرية والتنظيم الحزبي .
٦ ـ عبد الله ولد داده : وزير دولة للتنمية .
٧ ـ محمد ولد عمار : وزير المصادر المائية .
٨ ـ يواهي ولد مايوف : وزير التشييد .
٩ ـ ديول مامادو أمادو : وزير التعليم الوطني .
١٠ ـ عبد الله ولد بايه : وزير دولة للجماعات
١١ ـ مالوم ولد إبراهيم : وزير العدل .
١٢ ـ عبد الله ولد باه : وزير الدفاع الوطني .
١٣ ـ شيخ سعد بوه كان : وزير الداخلية .
١٤ ـ سيدي ولد شيخ عبد الله : وزير دولة للاقتصاد .
١٥ ـ باه إبراهيم : وزير التخطيط .
١٦ ـ مولاي محمد : وزير المالية .
١٧ ـ حسني ولد ديدي : وزير التجارة والنقل .
١٨ ـ إسحاق ولد راجل : وزير الصناعة والتعدين .
١٩ ـ عبد الله ولد إسماعيل : وزير الثروة السمكية .
٢٠ ـ محمد ولد باباه : وزير التعليم الأولي . =

استمرّت الأوضاع الاقتصادية في التدهور ، حتى اضطرّ الرئيس مختار ولد داده إلى تخفيض النفقات والمصروفات ، وإلى تقليص عدد أعضاء الوزارة[1] .

الانقلاب الأول : تفاقم الوضع الاقتصادي وتضايق الناس ، وأربكت قضية الصحراء المغربية وضع البلاد ، وانتقل التذمر إلى العسكريين ، فقامت

=

٢١ ـ حمدين ولد تاه : وزير الشؤون الإسلامية .

٢٢ ـ بارو عبدولاية : وزير دولة للتطوير الاجتماعي .

٢٣ ـ مولاي عبد المعين : وزير الصحة .

٢٤ ـ عيساتا كان : وزيرر دولة لحماية الأسرة والشؤون الإسلامية .

الاجتماعية .

٢٥ ـ حمدي ولد مكناس : وزير دولة للشؤون الخارجية .

٢٦ ـ سيدي محمد ولد دياغانا : وزير شؤون الرئاسة .

٢٧ ـ شيخ مولانين روبرت : وزير شؤون الرئاسة .

(١) كانت الوزارة في شهر صفر ١٣٩٨هـ (شباط ١٩٧٨م) على النحو الآتي :

١ ـ عبد الله ولد بوي : وزير اللجنة الدائمة والتنظيم الحزبي .
٢ ـ حمدي ولد مكناس : وزير دولة للشؤون الخارجية .
٣ ـ محمد ولد باه وزير الدفاع الوطني .
٤ ـ مجتبى ولد محمد فال : وزير العدل والشؤون الإسلامية .
٥ ـ ساكو مامادو : وزير الداخلية .
٦ ـ بارو عبدولاية : وزير دولة للتخطيط الاقتصادي والتعدين .
٧ ـ با إبراهيم : وزير المالية والتجارة .
٨ ـ عبد الله ولد إسماعيل : وزير الثروة السمكية والسوق البحرية .
٩ ـ أحمد ولد محمد صلاح : وزير التجهيزات والطرق .
١٠ ـ سيدي ولد شيخ عبد الله : وزير التنمية الريفية .
١١ ـ أحمد ولد سيدي بابا : وزير التعليم الوطني .
١٢ ـ ديول مامادو أمادو : وزير الإصلاح الإداري ، والصحة ، والشؤون الاجتماعية .
١٣ ـ سيدي أحمد ولد دوي : وزير الثقافة والإعلام .

حركةٌ هدفها تحقيق السلام بإخراج البلاد من حرب الصحراء ، وتقويم الوضع الاقتصادي ، وإعادة الثقة إلى نفوس الرعية ، وقاد الحركة العسكرية :

١ ـ المقدم محمد خونا ولد هيداله : القائد العسكري لناحية الزويرات .
٢ ـ المقدم أحمد ولد عبد الله : القائد العسكري لناحية نواكشوط .
٣ ـ الرائد مولاي ولد بوخريص : القائد العسكري لناحية أطار .
٤ ـ المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطايع : رئيس غرفة العلميات في الأركان .
٥ ـ المقدم جدو ولد السالك : القائد العسكري لناحية أوسرد .

ثم انضمّ إليهم العقيد مصطفى ولد محمد السالك رئيس الأركان ، وقد اختير رئيساً للجنة العسكرية بصفته رئيساً للأركان ، ولأنهم شعروا فيه شيئاً من الضعف فرغبوا أن يمارسوا السلطة من خلفه ، ويكون هو الواجهة لهم .

تمّت الحركة بنجاحٍ تامٍّ يوم ٥ شعبان ١٣٩٨هـ (١٠ تموز ١٩٧٨م) ، وحلّت اللجنة العسكرية للتصحيح الوطني حزب الشعب الجمهوري الموريتاني ، الحزب الحاكم ، والمجلس النيابي ، والنقابات ، وأصبحت هي السلطة التشريعية والتنفيذية في البلاد ، واختارت العقيد ولد مصطفى ولد محمد السالك رئيساً للجمهورية .

أبعد المقدم جدو ولد السالك عن الجيش ، ونُقل إلى وزارة الداخلية ، ثم أقيل من الحكومة ، ولكن لم يلبث أن مات في حادث سيارةٍ غامض في مدينة نواكشوط ، بعد أن رُوّجت إشاعاتٌ كثيرةٌ ضدّه على أنّه مُتعصّبٌ للعرب ضدّ الزنوج .

وفي ٩ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ (٦ نيسان ١٩٧٩م) عُزل العقيد مصطفى ولد محمد السالك بعملية مراوغةٍ ذكيةٍ أقرب ما تكون إلى الانقلاب ، قام بها المقدم أحمد بوسيف ، حيث أبعد مصطفى ولد محمد السالك فعلياً ، وأبقى عليه رئيس شرف بعدما اتفق على ذلك كبار الضباط بسبب أخطائه

المتكررة معهم جميعاً .

عيّنت اللجنة العسكرية المقدم أحمد بوسيف رئيساً للوزراء(1) ، وكان ذا شخصيةٍ قويةٍ ، ولكن لم يلبث أن مات في حادث طائرة ، وهو في طريقه إلى دكار ، في شهر رجب من عام ١٣٩٩هـ ، أي لم يمضِ على تسلّمه رئاسة الحكومة أكثر من ثلاثة أشهر . وأصبح اسم اللجنة العسكرية للتصحيح الوطني « اللجنة العسكرية للخلاص الوطني » .

الانقلاب الثاني : كان صاحب النفوذ الكبير في موريتانيا بعد موت المقدم أحمد بوسيف في شهر رجب ١٣٩٩هـ المقدم محمد خونا ولد هيداله وزير الدفاع ، فتسلّم رئاسة الحكومة(2) إضافة إلى وزارة الدفاع التي كان يشغلها

---

(1) كانت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ المقدم أحمد ولد سيف : رئيس الوزراء .

٢ ـ المقدم محمد ولد با ولد عبد القادر : الوزير المسؤول عن اللجنة العسكرية للإنقاذ الوطني .

٣ ـ المقدم أحمدو ولد عبد الله : وزير الشؤون الخارجية والتعاون .

٤ ـ المقدم محمد خونا ولد هيداله : وزير الدفاع الوطني .

٥ ـ المقدم محمد محمود ولد أحمد لولي : وزير التشغيل العام .

٦ ـ الرائد صيام الحاج : وزير الداخلية .

٧ ـ الرائد مولاي ولد بوخريص : وزير العدل والشؤون الإسلامية .

٨ ـ محمد المختار ولد زامل : وزير التخطيط والثروة السمكية .

٩ ـ مولاي ولد محمد : وزير المالية والتجارة .

١٠ ـ أحمد ولد زين : وزير الصناعة والتعدين .

١١ ـ باعمر : وزير التنمية الريفية .

١٢ ـ أحمد سالم ولد سيدي : وزير التجهيزات والنقل .

١٣ ـ يوسف دياغانا : وزير العمل ، والصحة ، والشؤون الاجتماعية .

١٤ ـ عبد القادر ولد سيدي : وزير الثقافة ، والإعلام ، والاتصالات .

١٥ ـ محمد ولد محمد محمود : وزير الشباب والرياضة ، والسياحة .

(2) كانت الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ المقدم محمد خونا ولد هيداله : رئيس الوزراء ، وزير الدفاع .

٢ ـ الرائد محمد ولد حسين : مستشار لرئيس الوزراء .

=

من قبل ، واستبدّ بالأمر . وبقي المقدم مصطفى ولد محمد السالك صورةً في رئاسة الجمهورية ، ورئاسة اللجنة العسكرية للخلاص الوطني[1] . وحاول المقدم مصطفى ولد محمد السالك استرداد السلطة ، غير أن المقدم محمد خونا ولد هيداله رئيس الحكومة قد عزله عن رئاسة اللجنة العسكرية للخلاص الوطني ، وعيّن مكانه قائد الدرك المقدم محمد محمود ولد أحمد الوالي دون أن تكون له سلطةٌ فعليةٌ ، كما عزله عن رئاسة الجمهورية وتسلّم مكانه ، ورفع نفسه إلى رتبة لواء ، ثم عاد فأعفى المقدم محمد محمود ولد أحمد الولي قائد الدرك من رئاسة اللجنة العسكرية للخلاص الوطني وأحاله على التقاعد ، وتسلّم مكانه رئاسة اللجنة العسكرية ، وبذا أصبحت بيده رئاسة الجمهورية ، ورئاسة اللجنة العسكرية ، ورئاسة الحكومة ، ووزارة الدفاع . ثم تنازل عن رئاسة الحكومة ، وعهد بها إلى أحمد ولي بني جارا ، فشكّل

= ٣ ـ الرائد ديا أمادو : مستشار لرئيس الوزراء .
٤ ـ الرائد أمادو بابالي : وزير التجهيزات والنقل .
٥ ـ النقيب شيخ سيد أحمد ولد بابامين : وزير الداخلية .
٦ ـ محمد المختار ولد زامل : وزير الشؤون الخارجية والتعاون .
٧ ـ يادولي ولد شيخ : وزير العدل والشؤون الإسلامية .
٨ ـ أحمد ولد زين : وزير الاقتصاد والمالية .
٩ ـ صومار عمر : وزير الثروة السمكية والاقتصاد البحري .

(١) اللجنة العسكرية للخلاص الوطني :

أ ـ الأعضاء الدائمون :
١ ـ المقدم محمد خونا ولد هيداله .
٢ ـ المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطايع .
٣ ـ المقدم أحمدو ولد عبد الله .
٤ ـ المقدم ديا أمادو .
٥ ـ الرائد يل عبدلايه .
٦ ـ الرائد مولاي ولد بوخريص .
٧ ـ الرائد أمادو بابالي .

ب ـ الأعضاء غير الدائمين :
١ ـ الرائد صومار سلمان .
٢ ـ النقيب محمد سيدنا ولد سيدا .
٣ ـ النقيب أحمد ولد منّين .
٤ ـ النقيب شيخ سيد أحمد ولد بابامين .
٥ ـ النقيب ديوب عبدلايه .
٦ ـ النقيب محمد ولد لاخال .
٧ ـ النقيب محمد ولد لمرابت .

حكومةً جديدةً[1] .

زادت الحالة تأزّماً ، إذ تفاقمت الأزمة الاقتصادية ، وزاد نشاط المخابرات على المواطنين ، وكثرت الاعتقالات ، وخرج عددٌ من المواطنين من البلاد ، ولم تكن الحالة الإدارية بأحسن وضعاً ، إذ كان الفساد قد عمّها .

حاول المقدم محمد خونا ولد هيداله إصلاح الوضع الإداري بزيادة عدد أعضاء اللجنة العسكرية للخلاص الوطني[2] ، وحاول أيضاً عن طريق تغيير

---

(١) كانت الوزارة الجديدة في ربيع الأول ١٤٠١هـ (كانون الثاني ١٩٨١م) على النحو الآتي :

١ ـ أحمد ولد بني جارا : الوزير الأول .
٢ ـ الرائد صومار سلمان : أمين الدولة للدفاع الوطني .
٣ ـ باهام ولد محمد لاغاف : وزير الداخلية .
٤ ـ محمد المختار ولد زامل : وزير الشؤون الخارجية والتعاون .
٥ ـ عبد العزيز ولد أحمد : وزير العدل والشؤون الاجتماعية .
٦ ـ أحمد ولد زين : وزير الاقتصاد والمالية .
٧ ـ صومار عمر : وزير الثروة السمكية والاقتصاد البحري .
٨ ـ دفا بكاري : وزير التجهيزات والنقل .
٩ ـ مامادو سيسوكو : وزير الصناعة والتجارة .
١٠ ـ محمد ولد عمار : وزير التنمية الريفية .
١١ ـ أحمد ولد سيدي حنينا : وزير الإعلام والاتصالات .
١٢ ـ يحيى ولد منكوس : وزير التشغيل وتدريب الموظفين .
١٣ ـ حسيني ولد ديدي : وزير التعليم .
١٤ ـ يوسف دياغانا : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .
١٥ ـ بامحمود : وزير الشباب والرياضة والثقافة .
١٦ ـ سيدامو ولد طايع : وزير الطاقة والتعدين .
١٧ ـ لوليد ولد ودّاد : وزير المياه والسكن .

(٢) كانت اللجنة العسكرية للخلاص الوطني في شهر ربيع الأول ١٤٠٢هـ (كانون الثاني ١٩٨٢م) على النحو الآتي :

أ ـ الأعضاء الدائمون :
١ ـ المقدم محمد خونا ولد هيداله .

ب ـ الأعضاء غير الدائمين :
١ ـ الرائد صومار سلمان .

=

الوزارة إذ عهد إلى المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطايع بتشكيل الوزارة[1] ، وهو العضو البارز في اللجنة العسكرية من حيث بعد النظر وسعة الأفق .

= ٢ ـ المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطايع .
٣ ـ المقدم أحمد ولد عبد الله .
٤ ـ المقدم أحمد ولد الحسين .
٥ ـ الرائد يال عبدلايه .
٦ ـ الرائد مولاي ولد بوخريص .
٧ ـ الرائد أنا أمادو بابالي .
٨ ـ النقيب سيد أحمد ولد عيدا .

٢ ـ النقيب محمد سيدنا ولد سيدا .
٣ ـ النقيب أحمد ولد منينة .
٤ ـ النقيب شيخ سيد أحمد ولد بابامين .
٥ ـ النقيب ديوب عبدلايه .
٦ ـ النقيب محمد ولد لاخال .
٧ ـ النقيب بريكا ولد مبارك .
٨ ـ سيدي ولد محمد يحيى .
٩ ـ النقيب محمد لومين ولد زين .
١٠ ـ النقيب سالم ولد ميمن .

(١) كانت الوزارة على النحو الآتي :
١ ـ المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطايع : الوزير الأول ، وزير الدفاع .
٢ ـ الرائد صومار غابرييل : وزير الداخلية .
٣ ـ أحمد ولد منينة : وزير الشؤون الخارجية والتعاون .
٤ ـ عبد العزيز ولد أحمد : وزير العدل والشؤون الاجتماعية .
٥ ـ دينغ باو باو فاربا : وزير الاقتصاد والمالية .
٦ ـ المقدم صومار سلمان : وزير الثروة السمكية والاقتصاد البحري .
٧ ـ المقدم أحمد ولد عبد الله : وزير التجهيزات والنقل .
٨ ـ النقيب محمد محمود ولد ده : وزير الصناعة والتجارة .
٩ ـ محمد ولد عمار : وزير التنمية الريفية .
١٠ ـ يحيى ولد منكوس : وزير التشغيل وتدريب الموظفين .
١١ ـ حسني ولد ديدي : وزير التعليم .
١٢ ـ يوسف دياغانا : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .
١٣ ـ بامحمود : وزير الشباب والرياضة والثقافة .
١٤ ـ محمد المختار ولد زامل : وزير الطاقة والتعدين .
١٥ ـ محجوب ولد بوي : وزير المياه والسكن .
١٦ ـ المقدم أحمد محمود ولد الحسين : وزير الإعلام والاتصالات .
١٧ ـ الرائد أنا أمادو بابالي : مراقب الدولة العام .
١٨ ـ سيدي ولد أحمد ديا : أمين عام الرئاسة .

عاش السكان في ضائقةٍ اقتصاديةٍ ، فتذّمروا من السلطة ، وكانت السلطة في ضائقةٍ نفسيةٍ وسياسيةٍ نتيجة مركزية رئيس الجمهورية ، رئيس اللجنة العسكرية للخلاص الوطني اللواء محمد خونا ولد هيداله الذي عمل على توسعة اللجنة العسكرية[1] ، وعمل على إجراء تعديلاتٍ وزاريةٍ على حكومة المقدم معاوية ولد سيذي أحمد الطايع[2] في سبيل العمل على تحسين

---

(١) كانت اللجنة العسكرية في شهر صفر عام ١٤٠٣هـ (كانون الأول ١٩٨٢م) على النحو الآتي :

١ ـ اللواء محمد خونا ولد هيداله .
٢ ـ المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطابع .
٣ ـ المقدم أحمد محمود ولد حسين .
٤ ـ المقدم أحمد ولد عبد الله .
٥ ـ المقدم يال عبدلاية .
٦ ـ المقدم مولاي ولد بوخريص .
٧ ـ المقدم أنا أمادو بابالي .
٨ ـ المقدم غابرييل سومبر .
٩ ـ الرائد أحمد ولد منينة .
١٠ ـ الرائد ديالو محمد .
١١ ـ سيدي ولد محمد لمين .
١٢ ـ النقيب محمد سيدنا ولد سيدا .
١٣ ـ الرائد عطية حماس .
١٤ ـ الرائد محمد محمود ولد ده .
١٥ ـ الرائد محمد لومين ولد زين .
١٦ ـ الرائد أحمد ولد إدا .
١٧ ـ الرائد سيديا ولد محمد يحيى .
١٨ ـ الرائد مصطفى ديوب .
١٩ ـ النقيب محمد ولد لاخال .
٢٠ ـ النقيب بريكا ولد مبارك .
٢١ ـ النقيب سالم ولد ميمون .
٢٢ ـ النقيب ديوب غبرييل .
٢٣ ـ النقيب ايلي ولد محمد فال .

(٢) أما الوزارة فكانت على النحو الآتي :

١ ـ المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطابع : الوزير الأول ، وزير الدفاع .
٢ ـ المقدم أحمدو ولد عبد الله : وزير الداخلية .
٣ ـ الرائد أحمد ولد منينة : وزير الشؤون الخارجية والتعاون .
٤ ـ عبد العزيز ولد أحمد : وزير العدل والشؤون الاجتماعية .
٥ ـ سيدي ولد أحمد ديا : وزير المالية .
٦ ـ محمد ولد سيدي علي : وزير الثروة السمكية والاقتصاد البحري .
٧ ـ العقيد غابرييل سومبر : وزير التجهيزات والنقل .
٨ ـ الرائد مصطفى ديوب : وزير الصناعة والتجارة .
٩ ـ محمد ولد عمار : وزير التنمية الريفية .

الأوضاع الاقتصادية ، وتشجيع المسؤولين على العمل ، وإيجاد نوعٍ من التفاهم بين أجهزة الدولة ، ولكن دون جدوى ، وهذا ما يجعله يقيل المقدم معاوية ولد سيدي أحمد الطايع من رئاسة الحكومة ويتولّاها بنفسه(١) ، كما

=

١٠ ـ يحيى ولد منكوس : وزير التشغيل وتدريب الموظفين .

١١ ـ حسني ولد ديدي : وزير التعليم .

١٢ ـ الرائد محمد محمود ولد ده : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .

١٣ ـ يوسف دياغانا : وزير الشباب والرياضة والثقافة .

١٤ ـ دينغ باو باو فاربا : وزير الطاقة والتعدين .

١٥ ـ محجوب ولد بوي : وزير المياه والسكن .

١٦ ـ محمد المختار ولد زامل : وزير الإعلام والاتصالات .

١٧ ـ المقدم أنا أمادو بابالي : وزير التخطيط .

١٨ ـ محمود با : الأمين العام للحكومة .

(١) شكّل الوزارة على النحو الآتي :

١ ـ اللواء محمد خونا ولد هيداله : رئيس الجمهورية .

٢ ـ المقدم يال عبدولاية : وزير الداخلية .

٣ ـ المقدم أحمد ولد منينة وزير الشؤون الخارجية والتعاون .

٤ ـ المقدم شيخ ولد بويدا : وزير العدل والشؤون الإسلامية .

٥ ـ سيدي ولد أحمد ديا : وزير المالية والتجارة .

٦ ـ النقيب محمد لومين ولد ديانا : وزير الثروة السمكية والاقتصاد البحري .

٧ ـ المقدم غابرييل سومبر : وزير التجهيزات والنقل .

٨ ـ الوليد ولد ودّاد : وزير التنمية الريفية .

٩ ـ حسني ولد ديدي : وزير التعليم .

١٠ ـ الرائد محمد محمود ولد ده : وزير الصحة والتشغيل .

١١ ـ با محمود : وزير الشباب والرياضة والثقافة .

١٢ ـ ديابيرا معروف : وزير الصناعة والتعدين .

١٣ ـ محمد فادول ولد ده : وزير المياه والطاقة .

١٤ ـ محمد سالم ولد زين : وزير الإعلام والاتصالات .

١٥ ـ أحمد ولد زين : وزير التخطيط وإصلاح الأرض .

١٦ ـ الرائد عطية هامات : وزير التعليم العالي ، والفني ، والخدمات العامة . =

أجرى بعض التعديلات على اللجنة العسكرية[1]. وهذا ما جعل المقدم معاوية يحمل عليه، ويعمل بصمتٍ ضدّه.

الانقلاب الثالث : قام العقيد ولد سيدي أحمد الطايع رئيس الوزراء الأسبق بانقلابٍ عسكريٍّ في ١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ (١٢ كانون الأول ١٩٨٤م) ، فأزاح رئيس الجمهورية اللواء محمد خونا ولد هيداله عن مناصبه كلها ، وتسلّم مكانه ، رئيساً لجمهورية ، رئيساً للجنة العسكرية[2] ، رئيساً

= ١٧ ـ المقدم أحمد محمود ولد الحسين : وزير مجلس الرئاسة .

١٨ ـ محمد ولد عمار : الأمين العام للرئاسة .

(١) أما اللجنة العسكرية فأصبحت على النحو الآتي :

١ ـ اللواء محمد خونا ولد هيداله : رئيساً .

٢ ـ المقدم شيخ سيد أحمد ولد بابامين : أميناً عاماً .

٣ ـ المقدم معاوية ولد سيد أحمد الطايع .

٤ ـ المقدم أحمد ولد عبد الله .

٥ ـ المقدم يال عبدولاية .

٦ ـ المقدم مولاي ولد بوخريص .

٧ ـ المقدم أنا أمادو بابالي .

٨ ـ المقدم غابرييل سومبر .

٩ ـ الرائد أحمد ولد منينة .

١٠ ـ المقدم ديالو محمد .

١١ ـ المقدم سيدي ولد محمد لمين .

١٢ ـ المقدم أحمد محمود ولد حسين .

١٣ ـ المقدم محمد سيدنا ولد سيدنا .

١٤ ـ الرائد محمد محمود ولد ده .

١٥ ـ الرائد محمد لومين ولد زين .

١٦ ـ الرائد أحمد ولد عيده .

١٧ ـ الرائد سينديا ولد محمد يحيى .

١٨ ـ الرائد مصطفى ديوب .

١٩ ـ الرائد عطية هامات .

٢٠ ـ النقيب بريكا ولد مبارك .

٢١ ـ النقيب سالم ولد ميمون .

٢٢ ـ النقيب ديوب غبرييل .

٢٣ ـ النقيب علي ولد محمد فال .

٢٤ ـ النقيب محمد ولد لاخال .

(٢) أصبحت اللجنة العسكرية على النحو الآتي :

١ ـ العقيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع : رئيساً .

٢ ـ العقيد شيخ ولد بوبيدا: أميناً عاماً .

٣ ـ العقيد شيخ سيد أحمد ولد بابامين .

٤ ـ العقيد أحمد ولد عبد الله .

٥ ـ المقدم يال عبدولايه .

٦ ـ المقدم مولاي ولد بوخريص .

٧ ـ المقدم أنا أمادو بابالي .

٨ ـ المقدم غابرييل سومبر .

٩ ـ المقدم أحمد ولد منينة .

للحكومة[1] . وأطلق سراح السجناء السياسيين ، وسمح للهاربين والمنفيين بالعودة إلى البلاد ، وأطلق الحريات ، ومنع التدخّل في شؤون القضاء . لقد

= ١٠ ـ المقدم ديالو محمد .
١١ ـ المقدم سيدي ولد محمد لومين .
١٢ ـ المقدم إبراهيم ولد مواليم نديا .
١٣ ـ المقدم سيدنا عوير .
١٤ ـ الرائد محمد محمود ولد ده .
١٥ ـ الرائد سيدي أحمد ولد بوليل .
١٦ ـ الرائد أحمد ولد عيده .
١٧ ـ الرائد سيديا ولد محمد يحيى .
١٨ ـ الرائد سيديب طوماني .
١٩ ـ الرائد محمد لومين ولد ندايان .
٢٠ ـ النقيب جدو ولد خاكي .
٢١ ـ النقيب نيانغ أرونا .
٢٢ ـ النقيب ديوب جبرييل مامادو .
٢٣ ـ النقيب علي ولد محمد فال .
٢٤ ـ النقيب محمد ولد لاخال .

(١) أما الوزارة فتشكّلت على النحو الآتي :

١ ـ العقيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع : رئيس الجمهورية ، رئيس اللجنة العسكرية رئيس الوزراء ، وزير الدفاع .
٢ ـ العقيد غابرييل سومبر : وزير الداخلية .
٣ ـ المقدم أحمد ولد منية : وزير الشؤون الخارجية والتعاون .
٤ ـ مافوده ولد مورابيت : وزير العدل والشؤون الإسلامية .
٥ ـ المقدم أنا أمادو بابالي :. وزير المالية والتجارة .
٦ ـ إسلامو ولد بابا : وزير الثروة السمكية والاقتصاد البحري .
٧ ـ الرائد محمد لومين ولد ندايان : وزير التجهيزات والنقل .
٨ ـ مصمود ولد بلخير : وزير التنمية الريفية .
٩ ـ حسني ولد ديدي : وزير التعليم .
١٠ ـ جيبو تفسيرو : وزير الصحة والشؤون الاجتماعية .
١١ ـ بامحمود : وزير الشباب والرياضة والثقافة .
١٢ ـ الرائد محمد محمود ولد ده : وزير الصناعة والتعدين .
١٣ ـ محمد فادل ولد داه : وزير المياه والطاقة .
١٤ ـ أحمد ولد غانا هلاّه : وزير الإعلام والاتصالات .
١٥ ـ طرخيت ولد سيدي : وزير التخطيط وإصلاح الأراضي .
١٦ ـ كامارا علي غولاديو : وزير التعليم العالي والخدمات العامة .
١٧ ـ عبد القادر ولد ديده : نائب لوزير الشؤون الخارجية والتعاون .
١٨ ـ نعكام ليروان : نائب لوزير الداخلية .
١٩ ـ سلموه ولد محمد فان : أمين عام الحكومة .

أطلق سراح أحمد بن حرمة بن بابانا مؤسس حزب النهضة وأمينه العام ، وكان قد أوقف ، فحُقق معه ، وأطلق سراحه ، ثم عُيِّن مستشاراً لدى رئاسة الجمهورية ، ورُشّح لمنصب المدير العام لمنظمة اليونسكو . وأُطلق سراح العقيد مولاي ولد بوخريص ، وعُيِّن رئيساً لشركة الطيران الموريتانية ، واعتُقل الذين قاموا بوشايةٍ كاذبةٍ ضدّه .

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٨هـ (تشرين الأول ١٩٨٧م) قام الجناح العسكري لجبهة التحرير الإفريقي لموريتانيا (فلام) بمحاولة انقلاب بحجة أن أراضي موريتانيا أراضٍ زنجيةٌ، وقد اغتصبها البيضان من عربٍ وبربرٍ، وهم يستعبدون من بقي من الزنوج في حوض السنغال ـ حسب زعمهم ـ ويحرّض هؤلاء الزنوج الإرساليات التنصيرية واتحاد الكنائس العالمي ، ويرون في هذا حدّاً لحصر الإسلام في الأقسام الشمالية بحجة أنه للعرب ، وإيجاد تفرقةٍ بين العرب والأفارقة الزنوج ، ولليهود دورٌ غير قليل في هذا الموضوع كما يقف وراء هذه الأفكار أعوان الصليبية ، واليهودية ، وأصحاب المصالح الذين يخشون على مراكزهم ومصالحهم فيما إذا دخل الإسلام .

وقد فشلت هذه المحاولة ، وأعدم ثلاثة ضباط .

وفي ٥ رمضان ١٤٠٩هـ (١٠ نيسان ١٩٨٩م) وقعت أزمة بين موريتانيا والسنغال أو ظهرت حدّتها يومذاك ، إذ أن لها خلفيةً قديمةً ، في ذلك اليوم قُتل اثنان من السنغاليين في قريةٍ على الحدود في الجنوب الشرقي من موريتانيا على يد رعاةٍ موريتانيين من الزنوج ، وقام وزير الداخلية السنغالي بزيارة موريتانيا وقابل رئيسها ، وأعلن أن البلدين سيعملان على تطويق آثار الحادث . وما أن رجع الوزير إلى دكار حتى قام بزيارةٍ إلى مكان الحادث ، وأعلن أن الأمر مبيّت ، ولن تسكت عنه السنغال ، وفي اليوم ٦ رمضان قامت مظاهرة في بلدة (بوكل) السنغالية القريبة من مكان الحادث ، وهاجموا المحلات التي يملكها موريتانيون عرب ، ونهبوا ما فيها ، ثم أشعلوا فيها النيران . وقام وزير الداخلية الموريتاني بزيارةٍ لداكار ، وعمل مع نظيره السنغالي اتفاقاً لتجنّب

حوادث جديدة ، وفي اليوم التالي انفجر الوضع في السنغال ، وأخذ الزنوج ينهبون المحلات التي يمتلكها الموريتانيون ، ويقتلون من يستطيعون قتله ، بل ويمثّلون بـالجثث ، وفرّ من فـرّ ونجا من القتـل إلى المساجـد ، وإلى مراكـز الشرطة ، وإلى السفارة ومبنى القنصلية الذي لم ينجُ من الهجوم ، وتعرّض لهذه الحرب جميع الموريتانيين الـذين يقيمون في السنغـال ، ويُقدّر عـددهم بنصف مليون تقريباً .

وفي ١٩ رمضـان انفجر الـوضع في مـوريتانيـا ، فهاجم السكـان في (نواكشوط) و (أنواذيبو) الرعايا السنغاليين ، وقاموا بالعمل نفسه الذي قام السنغاليون به ، واستمرّ هذا التصرّف يومين ، وفي اليوم الثـالث استدعت الحكومة قواتٍ من الجيش والدرك ، وسيطرت على الـوضع ، وأعلنت منـع التجوّل ، وجُمع السنغـاليون في المسـاجد ، والمعـرض التجاري ، وشُـدّدت عليهم الرقابة لحمايتهم .

وفي ٢٤ رمضان عاد الوضع فانفجر من جديد في السنغال بعد بيان من الدولة موجّهٍ إلى موريتانيا ، فارتفعت شعارات الانتقام ، وأخذ القتل يلحق بالموريتانيين حتى الذين يحملون الجنسية السنغالية ، واضطرّت الحكومـة إلى إعلان حالة الطوارىء، وفرض منع التجوّل ، ولكن ذلك لم يوقف عمليات التنكيل بالموريتانيين .

وأخيراً اتفق على نقل الرعايا من كل بلدٍ إلى البلد الآخر ، فنقل أكثر من مائتي ألف موريتاني من السنغال ، ومائة ألف سنغالي من موريتانيا رغم أن عدد الموريتانيين في السنغال كثيراً ما يرفعونه إلى خمسمائة ألف إنسان .

وإن مما يؤخذ على الحكم في موريتانيا أيام العقيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع تسلّط العسكريين ، وخاصةً وزير الداخلية العقيد «غابرييل سومبر» الذي يرجع إلى أبٍ فرنسيٍّ، وإن كـان الأصـل ليس لـه كبير أهميـة، إلاّ أن هـذا الرجل مرتبط بالثقافة الفرنسية أشدّ ارتباط ، ولهذا يُنظر إليه نظرة حذرٍ من قبل المسلمين ، ويحذّرون منه رئيس الدولة الذي يرى فيه صاحب إمكانات ضخمة

من الضروري الإفادة منها ولو مرحلياً ، وقد غيّر وزير الداخلية هـذا اسمه وأصبح « غابرييل ولد عبدالله » بدلاً من «غابرييل سومبر» ليتماشى مع أسماء أبناء البلد ، ولعلّه تقلّ نظرة الكراهية إليه . وأخيراً أخرج من الوزارة في شهر رجب ١٤١٠هـ (شباط ١٩٩٠م) ، ، وأعطيت وزارة الداخلية إلى العقيـد « محمد سيدنـا ولد سيـدي يا » ثم أخـذ رئيس الدولـة يجري تعـديلات في الوزارة ، ويحلّ في كل مرة عدداً من المدنيين مكان عسكريين[1] .

في شهر صفر ١٤٠٨هـ (تشرين الأول ١٩٨٧م) تمّ اعتقال عدد من السود، بعد اكتشاف محاولة انقلاب، وفي ربيع الثاني ١٤٠٨هـ (كانون الأول ١٩٨٧م)، صدر الحكم بإعدام ثلاثة ضباط من القوات المسلحة السود، ونُفّذ الحكم بهم، كما صدرت الأحكام بالسجن على واحدٍ

---

(١) جرى تعديل وزاري في ٦ شوال ١٤١٠هـ (الأول من أيار ١٩٩٠م) وقد شمل :

أ ـ ترك الوزارة :

١ ـ العقيد محمد سيدنا ولد سيدي يا	وزير الداخلية .
٢ ـ محمد سالم ولد عدود	وزير الثقافة والتوجيه ، وأصبح مستشاراً بديوان رئاسة اللجنة العسكرية للخلاص الوطني .
٣ ـ محمد سالم ولد الأمين	وزير المعادن .
٤ ـ حمدي سامبا ديوب	وزير العدل .

ب ـ عُيّن في الوزارة :

١ ـ حسني ولد عيدي	وزيراً للخارجية والتعاون .
٢ ـ مختار ولد هاي	وزيراً للتربية الوطنية .
٣ ـ عبد الرحمن ولد معين	وزيراً للصحة والشؤون الاجتماعية .
٤ ـ سوداما سامبا	وزيراً للعدل .
٥ ـ عيدي ولد بونعامة	وزيراً للثقافة والتوجيه .

جـ ـ جرى تبديل في توزيع الحقائب الوزارية :

١ ـ الرائد شيخ أحمد سيد ولد بابا أسندت إليه وزارة الداخلية ووزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وكان يشغل من قبل ورارة الخارجية والتعاون .

٢ ـ عبد الله ولد مقيا أسندت إليه وزارة المعادن ، وكان من قبل يشغل وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية .

وأربعين شخصاً. وادعت حركة تحرير موريتانيا الإفريقية المتمركزة في السودان أن المعتقلين يتعرّضون للعذاب. وقامت هذه الحركة بحملة هجمات متفرقة على أهدافٍ رسميةٍ.

في جمادى الأولى ١٤٠٨هـ (كانون الثاني ١٩٨٨م) طرد حوالي خمسمائة من ضباط الصف السود من الجيش، والحرس الوطني، والدرك، بعد الاضطرابات التي تلت تنفيذ أحكام الإعدام.

وفي ذي القعدة ١٤٠٨هـ (تموز ١٩٨٨م) اعتقل حوالي ستمائة شخص بمن فيهم أعضاء من القوات المسلحة، وأكثرهم من مؤيدي حزب البعث الموالي للعراق.

وفي شهر المحرم ١٤٠٩هـ (أيلول ١٩٨٨م) صدرت أحكام سجن بين سنتين وخمس سنوات على ثلاثة عشر شخصاً، وبعد ثلاثة أشهر خُفّفت الأحكام ضد المدانين جميعاً إلى سنةٍ واحدةٍ.

وفي منتصف عام ١٤١١هـ (أواخر عام ١٩٩٠م) قوّضت الآمال بالتقارب بين موريتانيا والسنغال، حيث اتهمت السلطات الموريتانية حكومة السنغال بتدبير مؤامرة للإطاحة بالحكم في موريتانيا، وقد نفت حكومة السنغال صلتها بأي تنظيمٍ أو تدبيرٍ. وبعد ثلاثة أشهر صدر عفو عام عن الذين اعتقلوا نتيجة ذلكَ الاتهام، ولكن يبدو أنه قد غيّب مائتا شخصٍ من أولئك المعتقلين، وقامت مظاهرة نسائية في العاصمة تطالب بمعرفة مصير أقاربهن.

وارتفعت أسعار الخبز فقامت مظاهرات في نواذيبو احتجاجاً على ذلك في أواخر عام ١٤١١هـ (منتصف عام ١٩٩١م) فاعتقلت السلطات عدداً من المتظاهرين.

جرى استفتاء على الدستور، لكن نسبة المنتخبين كانت متدنيةً وأقل من ٨٪، وعدّت اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد. ثم سُمح

بتعدد الأحزاب، وصدر عفو عام عن المعتقلين. وقامت مظاهرة نسائية تطالب بمعرفة أخبار الذين لم يخرجوا من السجن.

وفي ١٣ رجب ١٤١٢هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٩٢م) جرت الانتخابات الرئاسية، واشترك فيها عدّة مرشحين منهم:

معاوية ولد سيدي أحمد الطايع. رئيس الجمهورية.

أحمد ولد داده: الأخ غير الشقيق للرئيس الموريتاني الأول مختار ولد داده.

مصطفى ولد محمد السالك.

وقد انتخب معاوية ولد سيدي أحمد الطايع بنسبة ٦٢,٧٪ من عدد الأصوات مع العلم أن نسبة الذين شاركوا في الانتخابات كانت ٥١,٧٪ من عدد الناخبين المسجلين. وحصل أحمد ولد داده على ٣٢,٨٪ من مجموع الأصوات الذين شاركوا في الانتخابات. واحتج الآخرون، وادعوا وجود تدخل من قبل السلطة.

وفي ٣ ـ ١٠ رمضان ١٤١٢هـ (٦ ـ ١٣ آذار ١٩٩٢م) جرت الانتخابات التشريعية، وكان قد سحب ستة من أحزاب المعارضة مرشحيهم بدعوى انحياز السلطة بشكل غير رسمي إلى الحزب الجمهوري الديمقراطي والاشتراكي، وقد فاز هذا الحزب بسبعة وستين مقعداً من مقاعد الجمعية الوطنية التي يبلغ عددها تسعةً وسبعين مقعداً، وحصل المستقلون على تسعة مقاعد، أم المقاعد الثلاثة الباقية، ففازت بها التنظيمات الأخرى. غير أن نسبة المشتركين في الاقتراع كانت منخفضةً.

وبعد شهرٍ جرت انتخابات مجلس الشيوخ الذي يضمّ ستة وخمسين عضواً، وكانت النتائج كما يأتي:

٣٦	عضواً من الحزب الجمهوري الديمقراطي والاشتراكي.
١٧	عضواً من المستقلين.
٣	أعضاء حجزت للموريتانيين الذين يقيمون في الخارج.
٥٦	عضواً.

وسمّي رئيس وزراء مدني هو سيدي محمد ولد بوبكار، وكان يشغل منصب وزير المالية منذ سنتين. وضمت الوزارة ثلاثةً من السود، ووزيراً واحداً من العسكريين، وآخر يمثّل المعارضة.

جرى تخفيض قيمة العملة الوطنية (الأوقية) في ربيع الثاني ١٤١٣هـ (تشرين الأول ١٩٩٢م) فجرت احتجاجات عنيفة، ونتج عنها آثار اجتماعية صعبة.

وفي شهر ذي القعدة ١٤١٣هـ (أيار ١٩٩٣م) صادقت الجمعية الوطنية على قانون عفو عام يشمل المخالفات جميعها التي جرت قبل الاحتفال بانتخاب الرئيس معاوية بثلاث سنوات، وقد كان الاحتفال في ١٦ شوال ١٤١٢هـ (١٨ نيسان ١٩٩٢م) وقد شمل العفو هذا أفراد الجيش وأفراد قوات الأمن بصورةٍ خاصةٍ.

جرت انتخابات البلديات التي كانت تعددية لأول مرة في شعبان ورمضان ١٤١٤هـ (كانون الثاني وشباط ١٩٩٤م)، وقد فاز الحزب الجمهوري الديمقراطي والاشتراكي بمائة وسبعين محافظة إدارية من أصل مائتين وثمان بلديات، وظفرت وحدة القوى الديمقراطية بسبع عشرة محافظة، وظفر المستقلون بالباقي وهو تسع عشرة محافظة. واحتجّت المعارضة على الانتخابات.

وفي منتصف عام ١٤١٤هـ جرت اعتقالات في صفوف الفئات الدينية.

وارتفعت أسعار الخبز بنسبة ٢٥٪ في شعبان ١٤١٥هـ، ووقعت

حوادث شغب، واعتقل أحمد ولد داده، وحمدي ولد مكناس زعيم حزب الوحدة للديمقراطية والتقدم، وفرض منع التجول في العاصمة.

وما تكاد العلاقات تتحسن مع السنغال حتى تتوتر من جديدٍ، بسبب الانتقال ورعايا الدولتين كل منهما في البلد الآخر. وكذلك العلاقات مع دولة مالي التي لها رعايا في موريتانيا أكثر من ١١٨ ألف كلاجئين.

الفصل الثالث

الصّراعات الداخليّة

أطلق الرومان اسم موريتانيا على المنطقة التي يحتلّونها من بلاد المغرب العربي اليوم ، وكانت ثلاث مقاطعات ، أما اليوم فالتسمية جاءت من الإسبان ، وهي مركّبة من كلمتين : « موروس » وهي كلمة إسبانبة رومانية تعني السمر ، ويقصد بها الإسبان « المسلمين » . و« تانيا » وهي كلمة لاتينية ، وتعني « بلاد » وأصبح المعنى « بلاد المسلمين » وقد أطلق الإسبان هذا الاصطلاح على مسلمي الفيليبين ، ولا يزال شائعاً إلى اليوم ، وكذا أطلق البرتغاليون على المسلمين في جزيرة (سيلان) اسم « المورور » ، وأطلق الفرنسيون على المسلمين في جزيرة (مدغشقر) اسم« المورو » ، بل وعُرف الذين اختُطفوا من قبيلة « الهوفا » مع العرب في الجزيرة نفسها اسم «مورونا » . ولما كانت كلمة « المسلمين » تعني العرب في بلاد المغرب العربي لذا فإن هذا الاصطلاح له معنى « بلاد العرب » ، وكذا فإن العرب والبربر يُطلقِ عليهم الزنوج اسم « البيضان » ، وذلك ليقف السود ضدّهم ، ويعدّونهم مستعمرين ، إذ يُشيعون أن المنطقة أصلها للزنوج ، وقد أخرجهم منها البيضان .

تبلغ مساحة موريتانيا ٧٠٠و ١,٣٠٣ كيلومتر مربع ، ويقترب عدد سكانها من المليونين حسب تقديرات عام ١٤١٠هـ ، وبذا فالكثافة ضعيفة تنقص عن شخصين في الكيومتر المربع الواحد .

وعُرفت هذه المناطق عند المسلمين باسم « بلاد شنقيط » نسبةً إلى مدينة (شنقيط) الواقعة في وسط البلاد إلى الشرق من مدينة (أطار) ، حيث كان يخرج منها عددٌ كبيرٌ من الحجاج ، ويسير معهم حجاج المنطقة ، فينسبون إليهم ، فيقال : « الركب الشنقيطي » وكذلك نسبت المنطقة إلى مدينتهم ، وقد خرج منها جماعةٌ من العلماء على مرّ العصور ، وكانوا يتوزّعون في البلدان ، فينسب كل واحدٍ منهم إلى شنقيط .

العقائد : يدين السكان جميعهم بالإسلام ، ومعظمهم على المذهب المالكي ، غير أنه عند الاستقلال قد اكتسب عددٌ من الفرنسيين الجنسية الموريتانية كإداريين وموظَّفين ، وكذلك اكتسبها بعض الفنيين غير المسلمين من السنغال ، وهذا ما يجعلنا نعطي نسبة المسلمين في موريتانيا ٩٩٪ من مجموع السكان ، أما الواقع فالسكان الأصليون ١٠٠٪ مسلمون .

لذا لا نجد صراعاً في العقائد في موريتانيا ، حيث جميعهم على عقيدةٍ واحدةٍ . وقد انتشرت الطرق الصوفية عندهم ، فقد دخلت القادرية في القرن العاشر الهجري ، والشاذلية في القرن الحادي عشر ، والتيجانية في القرن الثاني عشر ، ولكن يبدو أن الصوفية في المغرب تختلف عنها في المشرق رغم أنها فرعٌ منها ، إذ قارعت الاستعمار على غير ما هو معروفٌ عنها في المشرق من التواكل والكسل ، وعدم مواجهة الأعداء مهما بلغ بغيهم ، ويبدو أنها في موريتانيا أقرب إلى الزهد منها إلى التصوّف ، وهذا حسب ما نسمعه ، وليس من رأى كمن سمع .

المجموعات البشرية : يعود أصل أكثر السكان إلى قبيلة صنهاجة ، سواء أكانت عربية أم بربرية ، حسب اختلاف النسّابين ، ولكن يقولون عن أنفسهم أنهم عرب ، وعلينا أن نأخذ بقولهم ، ثم دخلت قبائل بني حسّان الذين جاءوا إلى إفريقية مع قبائل بني هلال ، واستقرّ بنو حسّان في موريتانيا ، وطبعوا المنطقة بطابعهم حتى تعرف اللغة التي يتكلمها السكان أو بالأصح اللهجة بالحسّانية ، وجاءت قبيلة « بافور » وانصهرت ضمن المجموعة

العربية ، ويشكّل العرب أو العرب والبربر نسبة ٨٥٪ من مجموع السكان ، ويعرفون باسم « البيضان » حتى إن نهر السنغال إنما جاءت تسميته نهر صنهاجة نسبةً إلى هذه القبيلة التي تنتشر على ضفاف نهر السنغال .

وتشكّل القبائل الإفريقية ١٤٪ ، وهي من الولـوف ، والسوننكيـة ، والهالبولار ، ويعرفون باسم « السودان » مقابل « البيضان » .

وهناك « اللحمة » ويسمّونهم « زناكة » أي الأوباش أو أطراف الناس ، ولا يعدّون ظلمهم ظلماً ، وكانت القبائل الحسّانية تبيع رقاب « اللحمة » مع اعترافهم بأنهم أحرار ، ولكن يتمّ البيع بسبب الديون التي عليهم .

وهناك « الحراتون » ، وهم بقايا العبيد الذي أعتقوا .

أما « الزوايا » فهو اصطلاحٌ يطلق على الذين يسيرون في طلب العلم ، وإعمار الأرض بحفر الآبار ، وقرى الضيف ، والإمامة ، والتعليم عنـدهم مجاناً ، وربما التزم الفقيه بنفقة الغريب وكسوته ، أما تعليم القرآن فلا يرون بأساً في أخذ الأجرة على تعليمه . والزوايا من مختلف المجموعات .

وعلى هذا فلا توجد صراعاتٌ بـين المجموعـات البشرية إذ أنها قليلة العدد ، غير أنه توجد صراعاتٌ عرقية بين البيضان والسودان .

المجموعات العرقية : قلنا إن المجموعات الزنجية لا تزيد نسبتها على ١٤٪ من مجموع السكان ، غيـر أنها تلقى دعماً أو تحريضـاً من الخارج من بعض الدول المجاورة ، ومن الدول الأوربية النصرانية وخاصةً فرنسا ، ولا تتوانى الصليبية ولا اليهودية عن هذا الدعم .

أما الحجج التي يقدّمونها للمجموعات الزنجية فهي أن البلاد في الأصل لهم ، وقد جاء البيضان البربر والعرب مستعمرين ، وأن البيضان يستعبدون السـودان ، وحتى في المناطق التي لا يـزال أكـثرهم يقيم فيهـا بحـوض نهر السنغال .

وقد هزّ الأعداء أن يروا موريتانيا تنخرط في المجتمع العربي ، وتقوم فيها الاستثمارات العربية الأمر الذي يجعلها تتطور بسرعة ، وربما تحذو حذوها

دولٌ إفريقيةٌ أخرى ، على حين أنهم يريدون أن يقع الصراع بين العرب والأفارقة ، وأن تقف الدول الإفريقية في وجه انتشار الإسلام ما دامت على خلافٍ مع العرب ، ويمكن للصليبية أن تلعب دوراً أكبر ، كما يمكن لإسرائيل أن تتغلغل في قلب إفريقية .

وقد رأينا كيف تشكّلت جبهة التحرير الإفريقي لموريتانيا من مجموعة العناصر الزنجية ، وكيف قام الجناح العسكري لها بمحاولة انقلابٍ في صفر من عام ١٤٠٨هـ ، ولكنها باءت بالفشل .

الصراع الحزبي : ظهر حزب الاتحاد الوطني في بداية الأمر كما ظهر حزب منظمات الشباب ، ولم يكن من اختلافٍ في الأهداف بينهما ، وإنما يدعو كلاهما إلى الاستقلال ، لذا فقد اندمجا في حزبٍ واحدٍ هو حزب التفاهم الموريتاني .

ثم عاد الانقسام ، وظهر حزب التفاهم الموريتاني ، وحزب الاتحاد التقدّمي ، وبدأ التنافس بينهما ، ولكن كان النجاح حليف حزب الاتحاد التقدّمي ، فانتقل عددٌ من زعماء حزب التفاهم إلى المغرب ، وأخذوا بالدعوة إلى ضمّ موريتانيا إلى المغرب ، وتشكيل جيش تحرير موريتانيا هناك .

أما من بقي من حزب التفاهم في موريتانيا فقد اندمج مع حزب الاتحاد التقدمي ، وشكّلا معاً حزب التجمّع الموريتاني لمواجهة جناح حزب التفاهم الموريتاني في المغرب ، وأصبح حزب التجمّع صاحب السلطة ، وفي عهد سلطانه تمّ الاستقلال .

ونشأ حزب الاتحاد الوطني الموريتاني الذي يعدّ فرعاً من حزب الاتحاد الإفريقي ، ولكنه بقي ضعيفاً . كما أسّس قادة حزب التفاهم سابقاً والذين يعيشون في المغرب حزب النهضة ، ويعدّ هو الحزب المعارض ، ولكن اعتُقل كثيرٌ من أعضائه الذين يعيشون في موريتانيا في بداية عهد الاستقلال . ولكن لم يمضِ عامٌ حتى حلّ هذا الحزب نفسه ، وقبل المشاركة في الحكم ، كما حلّت

بقية الأحزب نفسها ، ومنها حزب التجمع الموريتاني ، الحزب الحاكم ، ونشأ منها جميعاً حزب الشعب الموريتناني . وبعد ثلاث سنوات أقرّ مبدأ الحزب الواحد ، ولم تعد هناك معارضة ، وإنما حزبٌ واحدٌ هو الحزب الحاكم ، واستمرّ ذلك حتى الانقلاب الي جرى في ٥ شعبان ١٣٩٨هـ .

أصبحت اللجنة العسكرية هي السلطة التشريعية ، والتنفيذية ، ولا يسمح بوجود أحزاب ، أو معارضة ، وبذا فليس هناك من صراعاتٍ حيث لا توجد أحزاب .

إذا كان النظام الرسمي لا يسمح بوجود أحزابٍ ، إلّا أنه في الواقع توجد أحزابٌ غير أنه لا يُسمح لها بالنشاط وتعدّ غير شرعيةٍ ، ومنها :

١ ـ **الحركة الديمقراطية الوطنية** : وهي الحزب الشيوعي ، وقد انشقّت في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري عن حركة الكادحين « الماوية » .

٢ ـ **حزب البعث** : ولا يُظهر في موريتايا الاتجاه العلماني الذي يعدّ منهج حزب البعث في المشرق ، مع العلم أنه في موريتانيا ليس سوى فرع للحزب في المشرق، وذلك لأنه لا يوجد نصارى في المغرب، والدعوة إلى العربية في المغرب تعني الإسلام، إذ لا يوجد ذلك التباين ما دام لا تلحق العلمانية بتلك الدعوة العصبية، فالمفهوم في المشرق غيره في المغرب.

٣ ـ **التيار الفرانكفوني** : أو الفرنجة ، وأكثر أعضاء هذا التيار من العناصر الزنجية .

الصراعات الفكرية : لا توجد تياراتٌ عنيفةٌ في موريتانيا ، ويمكن حصرها في ثلاثة وهي :

١ ـ التيار العربي أو الإسلامي : وهما مترادفان ـ كما ذكرنا ـ إذ لا يوجد توجّهٌ علمانيٌّ ، ولا عصبيةٌ قوميةٌ . وإنما يفهمون العرب يعني الإسلام ، ولا

شكّ أن هذا التيار يشكّل الأغلبية وفيه العناصر الواعية المتفتحة للإسلام والمعاصرة ، وفيه البسطاء من العامة ، وفيه رجال الزوايا المنصرفون إلى التعليم دون الالتفاف إلى العلوم التجريبية .

٢ ـ التيار الفرانكفوني : ويرعب هذا الاتجاه بصبغ البلاد بالصبغة الفرنجية كاملةً دون إدخال أي تحويرٍ عليها . ويحاول أفراده الظهور بجلودٍ غير جلودهم .

٣ ـ التيار الشيوعي : وهو إضافةً إلى الفرنجة التي يسير عليها فإنه يعمل للسير بالنهج الشيوعي ، ويقف دائماً موقف المعارض ، ويرغب في انتشار الفوضى كي يجد المناخ المناسب لنشاطه وحركته .

ويلتقي الخطان الشيوعي والفرانكفوني في معاداتهما للتيار الإسلامي ، وكثيراً ما يسيران في خط واحدٍ سلوكاً ، ومادية ، ولكن يتجه أحدهما للشرق والآخر للغرب .

الصراعات مع رعايا الأجانب : يعيش في موريتانيا رعايا لعددٍ من الدول الإفريقية ، وأكثرها من الدول المجاورة ، وخاصةً من السنغال للحدود المشتركة بينهما ، والارتباط الإداري السابق ، وعَمَلِ الكثيرين من السنغاليين في موريتانيا ، واستمرّ عملهم بعد الاستقلال وإلى الآن ، حتى توتّرت العلاقات أخيراً بين الدولتين وتمّت القطيعة ، والهجوم الإعلامي ، والتهديدات ، وذهب ضحيتها الكثيرين من الطرفين . ولا بدّ من النظر في أهمّ ما وقع من صراعاتٍ بين موريتانيا ورعايا الدول المجاورة ، وهو ما حدث في شهر رمضان من عام ١٤٠٩هـ (نيسان ١٩٨٩م) والخلفية لتلك الأحداث .

احتلّت فرنسا موريتانيا منطلقةً من السنغال ، وكان بين جنودها أعدادُ من السنغاليين ، وبقي عملهم في موريتانيا ، كما عمل بعض أبناء السنغال مترجمين لدى الإدارة الفرنسية في موريتانيا ، وقد استقرّ قسمٌ من هؤلاء ، ومن

أولئـك في مكان عملهم في مـوريتانيـا ، فلم يكن في موريتـانيا عنـد مجيء المستعمرين الفرنسيين سوى مدرسة في (روصو) فأخذ السنغاليـون الإدارة والتنظيم ، حتى كان معظم المرشّحين في موريتانيا في بداية عهد الانتخابات من السنغاليين . كما انتقل عددٌ آخر من السنغاليين يوم الاستقلال ؛ حيث انتقلت العاصمة من (سان لويس) السنغالية التي كـانت كمقرٍّ إداريٍّ إلى (نواكشوط) العاصمة الجديدة للدولة الناشئة ، فكان الموظفون والإداريون حتى الوزراء ، ولعلّ هاتين المرتين اللتين كان فيهما الانتقال واسعاً ، أما الأمر الطبيعي أن يحدث الانتقال باستمرارٍ بين دولتين متجاورتين شقيقتين يـدين أهلهما بعقيدةٍ واحدةٍ ، وهما ضمن الدول النامية التي تحتاج إلى عمـالٍ من اختصـاصٍ معينٍ ، ومما يساعـد على هجـرة السنغاليـين وجـود الإداريـين السنغاليين في موريتانيا . وفي المقابـل فقد انتقـل عددٌ من المـوريتانيـين إلى السنغال دعاةً وتجّاراً بصفتهم من العرب الأقرب إلى معرفة كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ، وقد أصبح عدد السنغاليين في موريتانيا ما يزيد على مائـةٍ وعشرين ألفاً ، وإضافةً إلى الإدرايين والموظفين منهم فإنهم أصبحوا يسيطرون على العمل الفني في موريتانيا من حدادةٍ ونجارةٍ وإصلاحٍ للسيارات . وغدا عدد الموريتانيين في السنغال ما يقـرب من خمسمائـة ألف ، وأصبحت تجارة المفرق ، وتجارة التوزيع في السنغال بأيديهم و . . . وعاشت الدولتان على هذه الصورة ، وحسن الجوار قائمٌ في كلتيهما ، ولكن حدثت مستجدات غـيّرت الوضع القائم في حسن الصلة والجوار إلى عداوةٍ وحقدٍ .

عندما يكون حسن الجوار قائماً تُحـلّ الأمور المعقـدة بيسرٍ وسهولـة ، وعندما تسوء العلاقات يمكن لأقلّ الأحداث أن تسبّب مشكلةً عقيمة الحلّ . ففي البداية كانت تحدث دائماً أحداث على الحدود بين السنغال وموريتانيا وتُحلّ ببساطة عن طريق الإدارات المحلية أو بالتفاهم بين الحكومتين ، وعلى سبيل المثـال افتتحت موريتـانيا مـطاراً في (النعمة) ، فـظهر كـأنه منـافس لمطار (داكار) فأغلقته موريتانيا بالتفاهم مع الحكومة السنغالية .

أخذ الأمر يتغيّر بسرعة بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في موريتانيا والتي قادتها العناصر الزنجية ، إذ أخذت تنشط هذه العناصر في السنغال ، وتنشط جبهة التحرير الإفريقي لموريتانيا من العرب . ولعلّ أسباب التوتر بين الدولتين يعود إلى :

١ ـ الجفاف الذي أخذ يصيب البلاد منذ عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) ، ولما كان كثير من السنغاليين يعملون بالزراعة لذا فقد تضرروا من نتائج الجفاف وتأخّرت حالتهم المادية ، وليس لديهم من مهمةٍ أخرى ، فالمصانع والشركات الإنتاجية الكبيرة فرنسية ، وتجارة الجملة بيد الشاميين اللبنانيين ، والتجارة الصغيرة والتوزيع بيد الموريتانيين ، والسنغاليون إما زرّاع ، وإما أجراء ، وساءت أحوال الزرّاع ، فأخذوا وأخذت الحكومة تفكّر في حلٍّ للخلاص من الوضع القائم .

وكان العنصر العربي بعيداً عن ميادين الإدارة ، والزراعة ، والمعادن ، والصيد ، والشرطة ، ولعلّ أكثر اهتمامه وتوجهاته كانت نحو الرعي ، فلما جاء الجفاف وهلك كثير من المواشي وأخذ بعض الموريتانيين ينافسون السنغاليين في الزراعة ، وفي الحرف . . . ، فتأثّر السنغاليون من ذلك .

٢ ـ استصلاح الأراضي : كانت الأرض الموريتانية في حوض السنغال ملكاً للقبائل سواء أكانت عربيةً أم زنجيةً ، موريتانيةً أم سنغاليةً ، وكانت أملاك العرب غالباً ما تؤجّر للزنوج ، ولم تكن هذه الأراضي تستغلّ بشكلٍ جيّدٍ ، فأرادت الدولة استصلاح هذه الأراضي ، ونقلت ملكيتها من القبائل إلى الدولة ، فاحتجّ الأجراء الزنوج، وادّعوا أنهم هم الذين يملكون الأرض . وكذا فقد انتهى عمل الزرّاع السنغاليين ، فضاقوا بهذا الوضع .

٣ ـ التعريب : كانت موريتانيا أيام الاستعمار معزولةً عن واقعها العربي اللغوي والحضاري ، فلما زال الاستعمار بقيت الإدارة بيد السنغاليين ، ويحتاج الأمر إلى ترجمةٍ ويقوم بها السنغاليون ، فلما دخلت موريتانيا جامعة الدول

العربية عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) بدأ التعريب ، ولم يعد الأمر بحاجةٍ إلى ترجمةٍ ، وهذا ما جعل السنغاليين الذين كانوا يعملون في الترجمة لا عمل لهم اليوم ، فانتقلوا إلى السنغال متذمّرين من الوضع الذي آلوا إليه .

وكان الموريتانيون قد وقفوا أمام الثقافة الاستعمارية بما لديهم من خلفياتٍ دينيةٍ ولغويةٍ ، وقد زاد هذا الأمر بعد الاستقلال ، ثم كثر عندما دخلت موريتانيا جامعة الدول العربية ، وأخذت المساعدات العربية تصل إليها ، والمشروعات الاستثمارية تقوم فيها ، وبذا عادت موريتانيا إلى واقعها العربي الإسلامي الأصيل ، وهذا ما أثّر على السنغال ، وأساء إلى فرنسا التي ترغب في بقاء سيطرة ثقافتها ، والوقوف في وجه المدِّ الإسلامي في إفريقية ، وإيجاد خلافٍ بين الدول العربية والأفارقة ، فساهمت في توسعة شقة الخلاف بين موريتانيا والسنغال .

٤ ـ بناء ميناء نواكشوط : كانت موريتانيا تأخذ كثيراً من واردتها من طريق ميناء داكار السنغالي ، فعندما أرادت بناء الدولة ، والاعتماد الذاتي قامت بإنشاءِ ميناءٍ لها في نواكشوط ، وأخذت بعض الدول الإفريقية الداخلية مثل مالي ، وبوركينا فاسو ، والنيجر تستورد وتصدّر البضائع عن طريق نواكشوط الذي أصبح ميناءً منافساً لميناء داكار ، وهذا ما أزعج السلطات في السنغال .

وأخذت السنغال تتحرّك منذ حركة محاولة الانقلاب الفاشلة في موريتانيا عام ١٤٠٨هـ . ولكن فشل الحركة أساء إليها أيضاً ، وهي تعيش ضائقةً اقتصاديةً ، والبطالة تنتشر ، وتعدّ موريتانيا سبباً في هذا سواء بالضائقة الاقتصادية أم بانتشار البطالة .

رأت السنغال أن تغيير الوضع في موريتانيا قد يكون لصالحها فيما إذ كان لها أو للعناصر الزنكجية دور ، إذ تبتعد عن المحيط العربي ، وتعدو بالاتجاه نحو الدول ذات الثقافة الفرنسية في غربي إفريقية ؛ فتحتاج إلى الترجمة مرّةً ثانيةً ،

وسيقوم السنغاليون بهذه المهمة ، وبذا يعودون إلى دورهم ، وربما ينتهي دور ميناء نواكشوط ، ويعود الزرّاع السنغاليون إلى حوض نهر السنغال ، و . . . ، ولكن ما الذي يغيّر الوضع ، وقد رأى المخططون حسب الظاهر :

أن إبعاد الموريتانيين عن السنغال يسبّب بطالةً واسعةً في موريتانيا بعد أن يعودوا إلى بلدهم في الأوساط الشعبية ، ويحرّك الرعية ضدّ السلطة .

وأن ترحيل السنغاليين عن موريتانيا سيجعل ضائقةً إذ لا يوجد من يحلّ محلّهم مباشرةً سواء أكان ذلك في الترجمة أم في الإدارة أم في الأعمال الفنية ، وهذا ما يثير أزمةً في وجه الحكومة الموريتانية إذ تتوقف عجلة العمل .

وأن مصادرة أموال الموريتانيين في السنغال سيخفف من الضائقة الاقتصادية في السنغال ، ويقلل من البطالة إذ يحلّ السنغاليون محلّ الموريتانيين في تجارة المفرّق ، وسيخفف من الأزمة السياسية إذ تتجه الأنظار نحو الخارج ، وتؤيّد السلطة في موقفها من العدو حث تُبرز وسائل الإعلام ذلك .

والمهمّ اهتبال الفرصة المناسبة . وقد جاءت يوم ٤ رمضان ١٤٠٩هـ (٩ نيسان ١٩٨٩م) حيث جرى صدامٌ بين رعاةٍ موريتانيين من قرية (صونكو) على ضفة نهر السنغال اليمنى وهم من قبيلة « بولار » الفولية ، وبين مزارعين سنغاليين من قرية (أدياوارا) من قبيلة « السوننيكه » عل ضفة نهر السنغال اليسرى على أرض جزيرة (دوندو غوريه) وهي جزيرةٌ صغيرةٌ تختفي أثناء فيضان النهر ، وتظهر وقت الجفاف ، فأصيب اثنان من السنغاليين ، وقضوا نحبهم ، واختطف الموريتانيون ثلاثة عشر رجلاً من السوننيكه السنغاليين ، ونقلوهم إلى قريتهم سرّاً ، وأخفوهم ، وعدّوهم أسرى لديهم . فأسرعت الحكومة الموريتانية وسلّمت جثث القتيلين ، واعتقلت المعتدين ، واعتذرت للسنغال ، وأبدت لها أنها شرعت في التحقيق ، ثم وجدت الثلاثة عشر رجلاً الذين عُدّوا مفقودين ، وحققت معهم ، وسلّمتهم إلى السلطات في بلدة (بوكل) السنغالية التي تتبع لها قرية (دياوارا) .

لكن في اليوم التالي ٥ رمضان قامت مظاهرات في (بوكل) ضد العرب ، ونهبت أملاكهم . وفي ١٣ رمضان قامت المظاهرات في مدينة (ماتام) ، ووقعت اصطدامات وحوادث نهب ، وفي ١٥ رمضان أجبر العامة السنغاليون التجار الموريتانيين في دكار بدفع الفدية . وفي ١٧ رمضان بدأت أعمال نهب محلات الموريتانيين ، واستمرّت عدة أيام ، كما هوجمت السفارة الموريتانية في دكار ، وبدأ القتل والتنكيل والتمثيل بالموريتانيين .

وقامت ردّة فعلٍ في موريتانيا في مدينتي (نواكشوط) و (انواذيبو) ، فأعلن حظر التجوّل ، وجاءت قوات الجيش والدرك ، وانتشرت في المدينتين ، وقمعت كل أحداث الشغب .

وفي ٢٢ رمضان وصلت أخبار مدينتي (نواكشوط) و (انواذيبو) إلى دكار ، فبدأت في السنغال أعمال القتل الجماعية ، وجاء يوم ٢٣ رمضان فهاجم السنغاليون الموريتانيين في المساجد وذبحوهم حتى أعلنت الحكومة حالة الطوارىء ، فانتقل الذبح إلى القرى ، والمدن البعيدة ، وخاصةً على ضفاف نهر السنغال ، كما هاجموا الرعاة الموريتانيين ، واستمرّ ذلك حتى ٢٧ رمضان .

ثم جرى تبادل الرعايا بين البلدين ، وكان جسرٌ جويٌّ بين نواكشوط ودكار ، فقد نُقل من السنغال إلى موريتانيا مائتي ألف ، ولما كان عدد الموريتانيين يقدّر بخمسمائة ألف فقد عدّ الموريتانيون ثلاثمائة ألف في حكم المفقودين . ونُقل من موريتانيا إلى السنغال مائة ألف ، وربما وصل العدد إلى مائةٍ وعشرين ألفاً ، ولم تتوقّع السنغال هذا العدد مما زاد في البطالة ، وتأزّم الوضع الاقتصادي .

وقدّر الموريتانيون خسائر رعاياهم في السنغال كما يأتي :

١٠,٠٠٠	قتيل .
٣٠٠,٠٠٠	مفقود .
٢٢٠,٠٠٠	رأس من الضأن

٢٠,٠٠٠	رأس من الماعز
٢٠,٠٠٠	رأس من الإبل .
٥,٠٠٠	رأس بقر .
٢٠٠,٠٠٠	متجر نُهبت بضاعتها .
٣٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	فرنك مصادرة .
٧,٠٠٠	دار نُهب أثاثها .
٥,٠٠٠	سيارة .
	عدة آلاف من قطع الأرض .
	ذهب النساء .

وفي موريتانيا لم تتحرّك العناصر الزنجية ، ولم يقم العرب بعمليات انتقام ، وإنما قاد تلك العمليات جماعة « الحراتين » ، وهم من العرب السود الذين كانوا في الماضي عبيداً ثم نالوا حرياتهم بالإعتاق . ولم تكن عمليات الانتقام ضدّ العناصر الزنجية ، وإنما ضدّ السنغاليين .

وتتهم موريتانيا عمدة دكار الذي دفع للفرد من قطّاع الطرق ٢٥٠٠ فرنك يومياً لقاء المهاجمة والقتل ، وكان الاستئجار لحساب الحزب الاشتراكي الحزب الحاكم . كما تتهم وزير الداخلية السنغالي « أندري صونكو » الذي كانت تصريحاته مثيرةً للشغب ، وفيها الكثير من التحريض ، كما تحمّل رئيس الدولة « عبده ضيوف » مسؤولية تصريحاته المليئة بالإثارة وعدم اتخاذ الإجراءات اللازمة من إعلان حالة الطوارىء منذ بداية الأحداث ، وعدم تطبيق حالة الطوارىء عندما أعلنت بشكلٍ جدّي . وتتهم عامةً الحكومة التي صادرت من النازحين الموريتانيين مائتي مليون فرنك ، إضافةً إلى ذهب النساء ، وتؤكّد اتهامها لأمين عام رئاسة الجمهورية « جان كولان »[1] .

---

(١) جان كولان : أمين عام رئاسة الجمهورية ، ووزير دولة في السنغال ، وهو فرنسي جاء من الكاميرون ، وعُيّن مديراً للإذاعة ، ثم مديراً لديوان رئيس الحكومة ، ثم محافظاً للعاصمة دكار ، فأميناً عاماً للحكومة ، فوزيراً للمالية لمدة سبع سنوات متواصلة ، ثم وزيراً للداخلية ـ

أما السنغال فتتهم وزير الداخلية الموريتاني « غبرييل ولد عبدالله » وتقول : إنه فرنسي ، ومعروفٌ بعدائه للعرب ، وأنه من أنصار التيار الفرانكفوني ، وقد بذل جهده لتصل الأمور إلى ما وصلت إليه من اعتداءاتٍ على العرب ، ووقف الموقف الذي جعل التفاهم يصل بين وزيري داخلية البلدين إلى طريقٍ مسدودةٍ .

وليس غريباً أن تكون الاتهامات على درجةٍ من الصحة ؛ ما دام المسؤولون في وزارة الداخلية من الطرفين من الصليبيين الفرنسيين في دولتين مسملتين . وإن « غبرييل ولد عبدالله » وزير داخلية موريتانيا من أبٍ فرنسي ، غير أن الأوساط الرسمية الموريتانية تدافع عنه .

وربما كانت هذه الأحداث هي أهمّ الصراعات التي تعرّضت لها البلاد منذ استقلالها . وكانت السنغال تتوقّع أن تقف الدول العربية بجانب موريتانيا فتثير السنغال حفيظة أوربا النصرانية ضدّ موريتانيا ؛ إلاّ أن الدول العربية لم تفعل ذلك .

كما كانت تتوقّع موريتانيا أن تقف الدول الإفريقية السوداء إلى جانب السنغال ، غير أنها وقفت كلها بجانب موريتانيا ما عدا الغابون .

وإنا نرجو أن يعود الوئام بين الدولتين المسلمتين الشقيقتين المتجاورتين الإفريقيتين ، وأن تعمل كلتاهما لنسيان ما حدث وتضمّد جراحها .

مدة عشر سنوات متتابعة .

وهو نائب في المجلس النيابي ، وعضو في المكتب السياسي للحزب الحاكم (الحزب الاشتراكي) .

وأصبح في أيام الرئيس عبده ضيوف أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية ، ويتدخّل في شؤون الوزراء كلهم .

فهو نصراني يعمل على طرد كل مسلم من الحكومة ، ويعمل على إثارة كل مشكلة في موريتانيا .

المراجع

العنوان	المؤلف	النشر
• الأحزاب السياسية المغربية	خريف محمد	إفريقية الشرق ١٩٨٨م .
• استقلال ليبيا	سامي الحكيم	مكتبة الأنجلو ـ المصرية ١٩٧٠م .
• تاريخ تونس المعاصر	أحمد القصاب	الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٦م .
• جهاد شعب الجزائر ١/ ١٥	بسام العسلي	دار النفائس ـ بيروت .
• جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	مازن صلاح ـ حامد مطبقاني	دار القلم ـ دارة العلوم ـ بيروت ١٩٨٨م .
• حقيقة ليبيا	سامي الحكيم	مكتبة الأنجلو ـ المصرية ١٩٦٨م .
• حياة كفاح ٣/١	مذكرات أحمد توفيق المدني	المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ١٩٨٨م .
• الظهير البربري	حسن بوعياد	دار الطباعة الحديثة ـ الدار البيضاء ١٩٧٩م .
• مظاهر المقاومة الجزائرية	محمد الطيب العلوي	دار البعث ١٩٨٥م .
• المعجزة المغربية	أحمد عسة	مطبعة دار القلم ـ بيروت ١٩٧٥م .
• الميثاق الوطني	جبهة التحرير الوطني	الجزائر ١٩٧٦م .
• وزراء بورقيبة	منير الشرفي	مطبعة تونس ـ قرطاج .

فهرس الموضوعات

التاريخ الإسلامي

- ١٥ -

التاريخ المعاصر

غربي إفريقية

١٣٤٢ - ١٤١٢ هـ
١٩٢٤ - ١٩٩٢ م

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

التاريخ الإسلامي

-١٥-

التاريخ المعاصر

غربي إفريقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن غربي إفريقية يُعدّ منطقةً إسلاميةً، وإن كانت تنخفض نسبة المسلمين في بعض أجزائها التي تعدّ دولاً الآن إلى ما دون النصف، ولكن إذا عددنا المنطقة جزءاً واحداً فإن نسبة المسلمين ترتفع إلى أكثر من النصف وذلك لانتشار الإسلام على نطاقٍ واسعٍ في أجزاءٍ كثيرة.

يشمل غربي إفريقية المناطق التي تقع جنوب بلاد المغرب، وتُشرف على ساحل المحيط الأطلسي من ناحية الغرب، والمناطق الصحراوية التي تقع جنوب الأجزاء الغربية من بلاد المغرب، والمناطق السودانية التي تُشرف على سواحل خليج غينيا من المحيط الأطلسي. وتضمّ حسب التقسيمات السياسية ثلاث عشرة وحدةً سياسيةً وهي: السنغال، غامبيا، غينيا ـ بيساو، غينيا، سيراليون، وهذه الوحدات تُشرف على سواحل المحيط الأطلسي من ناحية الغرب، وهي خمس وحداتٍ سياسيةٍ. وتضمّ المناطق الصحراوية ثلاث وحداتٍ، وهي: مالي، النيجر، بوركينافاسو. وتضمّ المناطق السوادنية التي تُشرف على سواحل خليج غينيا خمس وحداتٍ هي: ساحل العاج، التوغو، بنين، نيجيريا، الكاميرون.

كان وصول الإسلام إلى هذه المناطق عن طريق الشمال حيث انتشر هناك منذ الفتوحات الإسلامية الأولى التي تمّت في صدر الإسلام سواء ما

كان منها في العهد الراشدي، أم ما كان في العهد الأموي، حيث فُتحت الأجزاء الشرقية في مصر، وليبيا في العهد الراشدي، وفُتحت الأجزاء الغربية في العهد الأموي، إذ استطاع عقبة بن نافع الوصول عام ٦٠ هـ إلى ساحل المحيط الأطلسي وانتصر، على قبيلة مصمودة البربرية[1]، واستمرّ في تقدّمه على ساحل المحيط الأطلسي حتى وصل إلى مدينة نول[2] في أقصى بلاد المغرب حيث كانت بعض قبائل الملثّمين تنزل فيها، واستطاع عقبة أن يُخضعها لسلطان الإسلام، ثم فتح مدينة مسوفة، وبنى فيها مسجداً، وفي هذه الأثناء دخلت قبيلة صنهاجة الإسلام. وبهذا وصل عقبة بن نافع إلى أطراف الصحراء، وفتح الطريق للإسلام كي ينتقل إلى بلاد السودان حيث كانت القبائل تنتقل عبر الصحراء بين السودان وبلاد المغرب. واستشهد عقبة عام ٦٢ هـ أثناء عودته إلى القيروان في كمينٍ نصبه له أعداؤه الذين لم يُسلموا.

وتسلّم قيادة الفتح موسى بن نصير عام ٧٩ هـ، وبلغ الأماكن التي وصل إليها عقبة بن نافع من قبل، وأخضع القبائل التي ارتدّت عن الإسلام، بعد استشهاد عقبة. وقد قرّب إليه البربر في سبيل استمالتهم إليه، وقبولهم الإسلام بصدقٍ، وولّاهم الأعمال، وشاركهم مع العرب في إدارة البلاد، وأخذ يُفقههم بالدين فأقبلوا على الإسلام إقبالاً عظيماً.

وعمل إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر والي إفريقية من قبل عمر بن عبدالعزيز على نشر الإسلام في المغرب الأقصى حتى لم يبق أحد في ولايته غير مسلمٍ.

وقام عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع بحفر

---

(١) قبيلة بربرية، وهي فرع من البرانس الذي يتفرّع منه قبائل: صنهاجة، وكتامة، ولمطة، ومصمودة.

(٢) نول: مدينة على ساحل المحيط الأطلسي في آخر بلاد السوس الأقصى، وتعدّ حاضرة قبيلة لمطة.

سلسلة من الآبار تصل بين واحات إفريقية وبين مدينة أودغشت التي كانت حاضرة قبيلة لمتونة من صنهاجة، وهي الآن غير موجودة، ومكانها في موريتانيا، وكان نتيجة هذه الآبار أن تمكّن الجنود من اجتياز الصحراء والعمل على نشر الإسلام بين القبائل الضاربة في تلك الجهات، كما أصبحت تلك الطرق دروباً للقوافل، وأصبح الإسلام يصل إلى منطقة السودان الغربي عن طريق التجارة.

وأرسل الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك عام ١٠٢ هـ جيشاً إلى داخل إفريقية بغية فتح السودان، واستقرّ عدد من أفراد ذلك الجيش في تلك المنطقة.

ووصل نفوذ دولة الأدارسة التي قامت عام ١٧٢ هـ إلى الصحراء الكبرى التي تفصل بلاد المغرب عن المناطق السودانية، وانضمّت ديار الملثّمين تحت لواء الأدارسة، وأصبحت جزءاً من البلدان التي تخضع لنفوذهم، وأخذ انتشار الإسلام يزداد بين أفراد قبيلة صنهاجة.

واستطاعت قبيلة لمتونة أن تجمع قبائل الملثمين تحت جناحها، وأن تتجه بهم نحو الجنوب بقصد الجهاد والعمل على نشر الإسلام، ومما شجّعها على ذلك أن مملكة غانة القائمة في منطقة السودان قد أصابها الضعف، وكان لهذا التوّجه نحو الجنوب أثره البالغ في تدفّق المسلمين نحو بلاد السودان، وتمكن هذا الحلف أن يستولي على مدينة أودغشت، ويجعلها قاعدةً له للحركة نحو الجنوب.

وتفككت عرا الحلف عام ٣٠٦ هـ الأمر الذي أعاد القوة لمملكة غانة فاستطاعت دخول مدينة أودغشت، وتحكّمت بذلك بالطرق التجارية المعروفة آنذاك بين بلاد السودان، والمغرب، وسجلماسة. ثم عادت قبائل الحلف للتماسك والارتباط من جديد، فاستعادوا مدينة أودغشت عام ٣٥٠ هـ، ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها وتركوها لمملكة غانة. وكان لهذا الاحتكاك بين السودان والمسلمين أن سهّل انتشار الإسلام بين الزنوج.

وكان انتشار الإسلام في غربي إفريقية عن طرقٍ كثيرةٍ، كان عن طريق التجارة، وعن طريق القبائل وانتقالها، وعن طريق الدعوة، وعن طريق الدول التي قامت في المنطقة.

التجارة: تختلف حاصلات المنطقة المتوسطية التي هي في شمالي إفريقية عن الحاصلات في المنطقة السودانية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، وهذا ما يجعل التجار يحملون بضائع الشمال إلى الجنوب، وينقلون البضائع السودانية إلى المنطقة المتوسطية، ويسلكون دروباً خاصةً عبر الصحراء تصل بين الواحات الواقعة وسط تلك الفيافي الواسعة، فلما انتشر الإسلام في الشمال اعتنقه تجار الشمال، وأخذوا ينقلونه في قلوبهم إلى قلوب الآخرين الذين هم في الجنوب، ويكون مع التجارة.

القبائل: من عادة القبائل الانتقال تبعاً للمرعى، ومواطن الكلأ، والانتقال في هذه الجهات بين الشمال والجنوب حسب مواقع الغيث، ومع تلك الحركة ينتقل حملة الإسلام ويعملون على نشره في كل مكانٍ يصلون إليه، سواء أقاموا فيه مدةً أم ظعنوا عنه بعد الرحلة. وللقبائل دور كبير في انتشار الإسلام إذ يُسرع أفرادها لاعتناقه فيما إذا قبله شيخ القبيلة.

الدعوة: إضافةً إلى الدعاة الذين لا يخلو منهم عصر، يجوبون البلاد، ويقطعون الفيافي للعمل للإسلام، نجد بعض الدول التي تبنّت فكرة الدعوة، وقد قامت بهذا الدور عدة دولٍ ظهرت في غربي إفريقية، ولكن أبرزها دولة المرابطين التي أخذت ترسل الدعاة إلى كل مكانٍ، حتى وصل دعاتها إلى الكاميرون، والغابون، وتكاد لا تخلو منطقة في غربي إفريقية من دعاةٍ مرابطين، وحاولت الدول التي قامت بعدها أن تسير على نهجها، ولكن لم تستطع أن تبلغ مبلغها من إرسال الدعاة.

الدول: كان الإسلام ينتشر بهدوء في بعض الدول فإذا ما اعتنق الملك الإسلام أخذ ينتشر بسرعةٍ بين الرعية حتى يسود، وتأخذ الدولة عادةً بالتوسّع على حساب جيرانها، أو تضمّ دولاً إليها، فإذا ما توسّعت توسّع

انتشار الإسلام مع امتدادها، وإذا ما ضمّت دولاً أخرى إليها بدأ الإسلام بالانتشار بسرعةٍ في هذه الأماكن على أنه دين الحكام الجدد ودين الأقوياء الغالبون. وانتشر الإسلام تدريجياً بين أفراد من رعايا امبراطورية غانا، وأسلم ملك التكرور عام ٤٣٢ هـ فزاد انتشار الإسلام، ثم خضعت غانا لدولة المرابطين عام ٤٦٩ هـ، وقبل ملكها (تنكامنين) الدخول في الإسلام، وقبل بعد ذلك الكثير من شعب امبراطورية غانا الدخول في الإسلام.

وكذلك قامت مملكة مالي بالدور نفسه، وبقية الممالك التي نشأت في المنطقة.

ولما كان انتشار الإسلام في غربي إفريقية قد جاء وقت ضعف سلطانه، واختلاف أبنائه، وانقسام بعضهم على بعض، وبُعد تلك المنطقة عن مركز ديار الإسلام، وانعزالها عنه بصحارى واسعةٍ، وفيافي شاسعةٍ، ونأيها عن مراكز الثقافة الإسلامية، ومناطق إشعاعها، ومواطن الحضارة، ومجال انتقال العلماء والدعاة لهذا كله كان ارتباط المسلمين في غربي إفريقية بالفكر قليلاً، واتصالهم بالعلم ضئيلاً، ومعرفتهم بالأحكام خفيفة حتى ليمكننا أن نقول: إن صلتهم كانت بالانتماء، وانتماؤهم كان استعلاءً، ومع هذا كله فقد كانوا أكثر تطوراً من غير المسلمين من أبناء المنطقة بشكلٍ واسعٍ بل لا يمكن المقارنة بين الفريقين أبداً، وهذا ما ساعد أيضاً إلى التوجّه نحو الإسلام من قبل الآخرين باستمرار.

ورغم هذا كله أيضاً فقد كان هناك دعاة على مستوى معرفة أبناء المنطقة، وكانت دعوة، وكان عمل، وكانت حضارة، وكان تنظيم، واتجه بعض حكام مالي عام ٧١٠ ـ ٧١٢ هـ نحو الغرب لمعرفة ما وراء المحيط الأطلسي، ووصلوا إلى الطرف الثاني من المحيط، واستقرّوا في إمريكا الجنوبية، ولكنهم لم يستطيعوا العودة فبقوا هناك، وتركوا آثاراً تدلّ على ذلك، وهذا قبل معرفة الأوروبيين لأمريكا بمائةٍ وخمسةٍ وثمانين عاماً،

وكانت نتيجة خلفهم الإبادة عندما وصل المستعمرون الأوربيون إلى هناك يحملون أحقاداً ضدّ المسلمين تنهدّ منها الجبال.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن انتشار الإسلام في غربي إفريقية بهذه الصورة الهادئة التي لم تجعل لهم أعداءً خارج المنطقة، إذ لم يُقاتلوا نصارى، ولم ينافسوهم على أرضٍ، ولم يختلفوا مع يهود، ولم يناصبوهم عداءً، وكذلك فهم على معرفةٍ بسيطةٍ بتاريخ الإسلام، وعلى علمٍ قليلٍ بأحكامه، ومع هذا فعندما وصل المستعمرون الصليبيون إلى غربي إفريقية، ورسّخوا جذورهم هناك، وشعروا بقوتهم، وأحسّوا بضعف المسلمين قاموا بحربٍ ضدّهم لم تشهدها البشرية من قبل، ولم ترتكب الوحوش أبشع منها حتى الآن، ونخشى أن تتكرر هذه الأيام بعد أن تحكّمت الصليبية بالعالم، وفرضت شراكةً جماعيةً للتسلّط، وعيّنت رعاةً من قبلها على أجزاء العالم، ومن أبدى من المسلمين خاصةً رغبةً في التميّز أو الاستقلال شنّوا حرب الإبادة عليه تحت شعار محاربة الإرهاب، وضرب الحركات المتطرّفة، وقمع الأصولية.

كان النصارى الإسبان والبرتغال في حربٍ مع المسلمين في الأندلس فأرادوا السير في المحيط جنوباً والسير بعدها إلى شواطىء إفريقية الغربية، والنزول بها، ومحاربة المسلمين من الجنوب، أو على الأقل مشاغلة مسلمي إفريقية كي لا يمدّوا يد العون لإخوانهم في الأندلس، وفي الوقت نفسه نزلوا في بعض مواقع على سواحل البحر المتوسط للغرض ذاته الذي هو مشاغلة المسلمين حتى لا يتمكّنوا من مساعدة من يستصرخهم في الأندلس، وهكذا احتلّ الصليبيون مواقع على سواحل إفريقية الغربية غير أن أكثرهم قد انصرف إلى النهب، والسلب، والتملّك، والتجارة حيث وجدوا خيراتٍ كثيرةً، وعرفوا حاصلاتٍ لم يسبق لهم أن عرفوها، ولم يقوموا بمشاغلة المسلمين إذ وجدوا أنفسهم قلةً، ورأوا المسلمين في حالةٍ من الضعف لا تُمكّنهم من تقديم أي دعمٍ لإخوانهم في الأندلس، ورأى الصليبيون أنه ليس من المصلحة إيقاظ النيام بتحرّكهم، والتفكير بدعم

مسلمي الأندلس، لذا استمرّوا بأعمال الاستغلال، وأخذ كل ما تقع أيديهم عليه سرقةً ونهباً.

ومع كل ما سطا عليه الصليبيون، وكل من قتلوهم غيلةً وسرّاً فإنهم لم يُحاولوا اتخاذ الفتك والبطش صراحةً، ولا أسلوب النهب علناً، وإنما عملوا على إظهار اللين واتخاذ أسلوب المكر والخداع، وذلك لأنهم لم يتمكّنوا بعد، ولم يعرفوا نتيجة الصراع مع المسلمين في الأندلس.

وشاءت إرادة الله أن ينتصر النصارى الإسبان والبرتغال على المسلمين في الأندلس لما أحدثوا، وما ابتدعوا من فرقةٍ، وشعر النصارى بنشوة النصر، وانطلقوا يريدون ملاحقة المسلمين في المغرب، وأرادوا حصارهم حسب الخطة السابقة، وانتشروا على سواحل إفريقية، وأخذوا يتصرّفون كالوحوش الكاسرة بل كانوا أكثر وحشيّة، لا يتورّعون عن شيءٍ، ولا يتعرّفون على شيءٍ يُسمّى إنسانيةً، لقد كانوا يصيدون الناس ببنادقهم الآلية الحديثة كما يصيدون الأرانب، ويُغيرون على القرى والمزارع والبيوت في الغابة كما تُهاجم الذئاب قطيع الأغنام، فيقتلون من يشاءون، ويستبقون من أرادوا، ويتصرّفون بمن أبقوا كما يتصرّف المزارع بمزرعته، والراعي بأغنامه إضافةً إلى انتهاك الأعراض أمام الجميع، وتحت نظر الأهل، وتحت سمعهم، وبعضهم أمام بعضٍ، وقد يسملون عيون من يُبدي إنكاراً، أو يقطعون بعض أعضائه، أو كلها عضواً بعد عضوٍ. وقد يتركون بعض الأفراد من نساءٍ ورجالٍ كعبيدٍ عندهم للخدمة، واستغلال الأرض شبه مكبلين، والسياط تكوي جلودهم باستمرار تشفّياً في سبيل إخضاعهم وحقداً، وأما الآخرون فيُساقون إلى النخّاسين ليأخذوا ثمنهم البخس. ويجرّهم النخّاسون إلى الموانىء ليُحملوا بالسفن إلى أمريكا كي يعملوا عبيداً هناك بالمناجم ومزراع القطن، والمغازل والمناسج. وفي الموانىء يُعبّأون في السفن كالحيوانات حيث يُوضع العشرون فرداً في المكان الذي يتسع لعشرةٍ ودون رحمةٍ أو نظرة إنسانيةٍ، إذ يُفرّق بين الرجل وزوجه وبين الواحد منهم وبين أولاده، وربما من شدّة التعذيب تتغير الملامح فلا يعرف الأب ابنه، ولا

الأخ أخاه. ولا يزيد الطعام على كسراتٍ من الخبز يابسةٍ حتى يصلوا إلى المرسى المطلوب، والركاب أو الحمولة في غاية الإرهاق أو في حالة الإعياء، وأثناء الرحلة تجد الجلادين يمرون بين الأفراد المنقولين، ويقضون وطرهم بالشكل الذي يحلو لهم وأمام الجميع بالفتاة التي تعجبهم والمرأة التي تستهويهم، الأب يشهد، والأخ يرى، والأخت تنظر، والأم تتحسّر، والجميع تكاد قلوبهم تتفطّر، والدموع تنسكب مدراراً، وتضاف مع عرق الحرّ، والازدحام، والألم، فتبتل الثياب، وتكون الأمراض، إضافةً إلى أمراض الحسرة، والألم، وقلّة الطعام، والعذاب، وضيق المكان. وبهذه الطريقة نقلت الملايين من المسلمين وغيرهم من سكان غربي إفريقية إلى أمريكا، ومن بقاياهم السود الذين يعيشون إلى الآن في تلك القارة الجديدة، وهذه من حضارة أوربا التي قدّمتها لإفريقية خاصةً وللبشرية عامةً.

لقد كانت الأجزاء الشمالية من غربي إفريقية أقلّ تعرّضاً لأذى الصليبيين نسبياً، وذلك لأنهم كانوا يخشون من المسلمين وإن كان قد حطّ بهم القدر، فالمسلمون ترتفع نسبتهم في تلك الأصقاع أكثر مما ترتفع في الأجزاء الجنوبية، ولهذا لم يتوغّل الصليبيون في الداخل كثيراً في الجهات الشمالية بينما توغلوا أكثر في الجنوبية، ولذا كان صيدهم منها وافر العدد.

وقامت حركات مقاومةٍ وتصدّي للصليبيين في الأجزاء الداخلية الشمالية ولم يحدث مثلها في الجنوب، وحتى في الأجزاء الجنوبية شكل المستعمرون الصليبيون مستعمرات في المناطق الساحلية على حين تشكّلت في المناطق الداخلية محميات.

ظهرت دولة الحاج عمر في بلاد التكرور في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وفي الوقت نفسه ظهر ساموري توري في بلاد الماندينغ عام ١٢٧٧ هـ، وبسط نفوذه على قبائل الماندينغ جميعها، واتخذ لقب إمام، وتصدّى للفرنسيين من عام ١٣٠٠ - ١٣١٦ هـ. ومن قبل نهض

عثمان دونفديو في شمالي نيجيريا وقاد قبائل الفولاني، وسيطر على المنطقة، ودعا إلى تطبيق الإسلام كما فعل السلف.

ولما نُقل الكثير من سكان غربي إفريقية إلى قارة أمريكا، وأُبيد الكثير منهم على أيدي المستعمرين الصليبيين، وأخذ الإفريقيون في إمريكا يعملون في الزراعة وخاصةً القطن، وفي المغازل والمناسج، ثم في المناجم والصناعة، فكانت التكاليف قليلةً لعدم دفع أجور للعمال الإفريقيين الذين يعملون عبيداً وهذا ما جعل البضائع الأمريكية تُنافس المنتجات البريطانية، وتتفوّق عليها لانخفاض أسعارها، ووجدت بريطانيا أن بضائعها ستكسد إذا استمرّت الحال على ما هي عليه، وأن المعامل بالتالي ستتوقّف لذا لا بدّ من إيجاد حلٍّ لها فأخذت في محاربة الرقيق لمعالجة مشكلاتها، ولبست ثياب الإنسانية، وإن كانت مخالبها وأنيابها تقطر دماً من أجسام الإفريقيين، وانقطع الرقيق بعد مدةٍ، وتوقّفت النخاسة، ولكن بدأ استغلال الأرض وسكانها على نطاقٍ واسعٍ.

وتقاسم المستعمرون الصليبيون المنطقة بصراعٍ فيما بينهم أحياناً، وبالتفاهم أحياناً أخرى، وانصرف كل فريقٍ نحو مستعمراته يمتصّ دم أبنائها، ويأخذ خيرات أرضهم، والمستعمرون لغربي إفريقية هم: انكلترا وفرنسا بشكلٍ رئيسيٍ، ثم هناك ألمانيا، وإسبانيا، والبرتغال، وقد حاولوا جميعاً عزل المناطق الداخلية حيث يكثر المسلمون عن المناطق الساحلية التي يقلّون فيها كي لا يتأثر الساحل بالداخل ويمتدّ الإسلام نحو الشواطىء، وإن اختلفت السياسة بين دولةٍ وأخرى إذ لجأت إسبانيا، والبرتغال، وألمانيا، وفرنسا إلى العنف والشدّة، ولجأت إنكلترا إلى المرونة القائمة على المكر والخديعة، والاستغلال الكلي بالخبث المدهون بالكلام المعسول، فأقامت محمياتٍ في الداخل، ومستعمراتٍ على الساحل لعزل المسلمين بالداخل كي لا يصل تأثيرهم إلى غيرهم، وحتى لا يستفيدوا من خيرات الساحل ويبقوا فقراء تستطيع التحكّم بهم والسيطرة عليهم.

وتنتشر الحياة القبلية في غربي إفريقية، وتكون القبائل كبيرةً، وديارها شاسعةً في الشمال والغرب حيث الصحراء، ومناطق الأعشاب الطويلة (السافانا)، وتكون صغيرةً في الجنوب حيث تنتشر الغابة، إذ تعزل الغابات تلك القبائل بعضها عن بعض فتكون مجموعات صغيرةً.

وتكون القبائل في الشمال والغرب مسلمةً على حين تكون الجنوبية أكثرها وثنيةً، وتقلّ نسبة الإسلام بصفةٍ عامةٍ من الشمال إلى الجنوب وقد جاء الإسلام من الشمال ومنذ أن جاء المستعمرون الصليبيون وقفوا في وجه امتداده نحو الجنوب. وجاءت النصرانية مع المستعمرين الصليبيين الذين ثبّتوا أقدامهم على السواحل، وحاولت التقدّم نحو الداخل، وتمكّنت أن تكسب بعض الوثنيين إليها، ولكنه كان كسباً ضئيلاً لعدم اختلافها كثيراً عن الوثنية حيث تقوم على عبادة أحد المخلوقات كباقي الوثنيات، إضافةً إلى فكرة الرهبانية غير المطبقة إلا بصورة نظريةٍ، وتكون تحت مظلّتها الكثير من الفضائح، وكذلك رفض فكرة تعدد الزوجات الذي ترفضه النصرانية وهذا يخالف ما اعتاد عليه سكان تلك المناطق وغيرها، وفوق كل هذا فقد جاءت مع المستعمرين الذين اكتوى السكان بنارهم صيداً، واختطافاً، وإبادةً، وانتهاكاً للأعراض والحرمات، وسلباً للأملاك والأموال، وأخذاً لثروات البلاد وخيراتها، ولا يزال بعضهم يقومون بهذا إلى الآن. وما كان نجاح النصرانية الجزئي بين الوثنيين إلا نتيجة الحاجة إلى الدواء، والغذاء، والعلم أحياناً، وبسبب تحقيق المصالح لدى السلطة، ويتمّ هذا كله عن طريق الإرساليات التنصيرية، وعن طريق الحكومات الاستعمارية.

وأشهر القبائل المسلمة الواسعة الانتشار في الشمال هي:

١ ــ **الولوف** في السنغال.

٢ ــ **الماندينغ** في مالي، والسنغال، وغامبيا، وغينيا ـ بيساو، وغينيا، وسيراليون، وبوركينافاسو، وساحل العاج. أي تنتشر في أكثر دول غربي إفريقية، وخاصةً الغربية منها.

وتحمل هذه القبيلة عدة أسماء، فالعرب يُسمّـون أفرادهـا «مليل»، والبربر يُطلقون عليهم «مليت» والفولاني يعرفونهم باسم «مالي»، والهاوسا يـدعونهم «وانغـارا» ويُلقّبهم التكرور «مـالنكي»، وقبائـل غامبيـا يُسمّونهم «ماندينغ»، وهم يُطلقون على أنفسهم اسم «ماندي».

والقبيلة عدة فروع منها:

أ ــ الماندنكا (المالنكا) وهو الفرع الرئيسي.

ب ــ السوننكي (الساراكولية)، وهو الذي يعمـل بالفـلاحة في المنـاطق الغربية.

جـ ــ الديولا (الجولا)، ويعيش أكثر أفراد هذا الفرع في دولة مالي.

د ــ البوزو، ويقومون بصيد السمك.

وهذه الفروع كلها تعتنق الإسلام.

هـ ــ البامبارا، وهذا الفرع لا يزال أكثر أفراده على الوثنية، ومنهم قبائل «السوموتو» التي تعمل بصيد السمك.

و ــ الكاسونكا.

ز ــ الجالونك.

٣ ــ **التوكلور**: في السنغال، وانتقلت فروع منها إلى مالي.

٤ ــ **الفولاني**: ويطلقون على أنفسهم اسم «الفولبي» كما يعرفـون بـاسم «الفولا»، و«فيللاتـا» و«البهل»، وينتشـرون في السنغال، وغينيـا، ومالي، وسيراليون، والنيجر، ونيجيريا، وبنين، وبوركينافاسو، أي في أكثر أجزاء غربي إفريقية، وخاصةً في الدول الغربية وشمالي الدول التي هي في جنوب شرقي المنطقة.

٥ ــ **الهاوسا**: وتنتشر في النيجر، وشمالي نيجيريا، وشمالي بنين، وشمالي التوغو، وبوركينافاسو.

٦ ــ **الطوارق**: وتنتشر في مالي، والنيجر، وبوركينافاسو.

٧ ـ **الكانوري**: في شمال شرقي نيجيريا، وفي الكاميرون.

٨ ـ **الغرما**: في النيجر، وشمالي التوغو.

وقد دخل الإسلام قبائل اليوروبا في نيجيريا، وبنين، وقبائل البالانت في غينيا ـ بيساو. وهناك قبائل صغيرة مسلمة مثل: البيل في غينيا وغينيا ـ بيساو، والتوغو، وسينوفا في ساحل العاج، والباريباس في بنين، وقبائل الشوا، والكوتوكا، والماسا في الكاميرون.

وأما بقية القبائل الوثنية فهي في الغابات وأشهرها: الموشي في بوركينافاسو، والكرو في ساحل العاج وغيرهما من قبائل الغابات في الجنوب.

وحصلت النصرانية على نجاح في قبائل الإيبو في شرقي نيجيريا، وقبائل الكريول في سيراليون، وعلى نسبةٍ بسيطةٍ بين القبائل الوثنية، وعلى السواحل وخاصةً في الموانىء، والمدن الكبرى، ومن استقر من أتباع هذه الديانة من المستعمرين الصليبيين، ومن أسرع لمحاكاتهم سعياً وراء مصالحهم من مختلف القبائل.

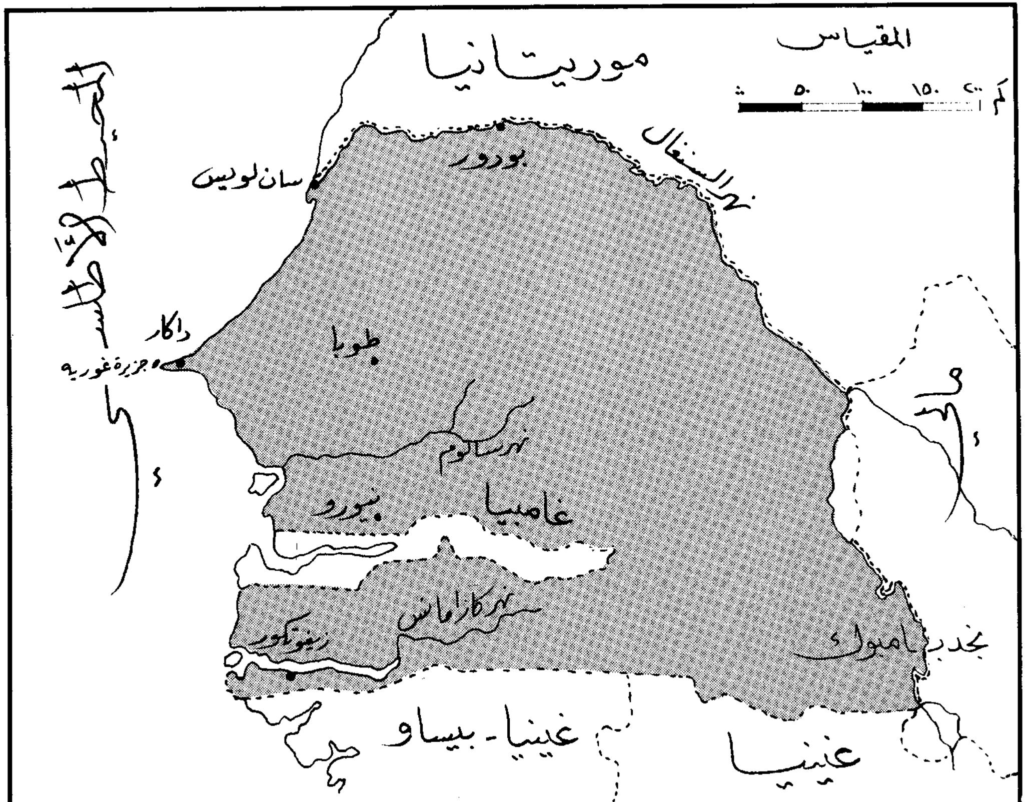
ومع أن دول غربي إفريقية قد أخذت بالاستقلال بدءاً من عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) إلا أنها لا تزال تسير حسب الخط الذي كانت تسير عليه من قبل، كما أنها لا تزال على ارتباطٍ مع الدول التي كانت تستعمرها، فخيراتها لا تزال بأيدي المستعمرين السابقين، ومناهجها لا تزال كما كانت من قبل، ورعاتها إنما هم يحصلون على التأييد والدعم والتمكين بالسلطة، وكل ذلك بما بذره المستعمرون الصليبيون من أفكار، وما بثّوه من تعاليم، وما اختاروا من صنائع لهم من الذين قبلوا اعتناق عقيدتهم، ومن ربطوا أنفسهم بهم. وربما كانت بعض الدول تختلف عن الأخرى بنسبة التقيد فيما يُفرض عليها وما تتلقّى من توجيهٍ إلا أنها جميعها تنطلق من سياسةٍ واحدةٍ، وتأخد منحىً واحداً، وتسير في فلكٍ واحدٍ. إذ لم يخرج المستعمرون الصليبيون من أرضٍ كانوا يستغلّونها حتى سلّموا حكمها لمن

قبل عقيدتهم النصرانية، وإن لم يجدوا، أو اضطروا أعطوها لمن قبل منهجهم، وعمل على محاكاتهم، وسار على طريقهم، ولذا فليس هناك من ثقةٍ بأي إحصاء يُقدّمونه عن المسلمين، وغالباً ما يقللون من نسبتهم لدرجةٍ تجعل من دولهم غير إسلامية كذباً وزوراً ليبقوا حكاماً لها، وليخنقوا صوت المسلمين فيها، وإليها.

ونرجو أن نُوفّق في إعطاء معلوماتٍ صحيحةٍ ودقيقةٍ عن هذه المرحلة التي نُؤرّخ لها لهذه الدول، هذه المرحلة التي غطّتها وسائل الإعلام المحلية والدولية بما يخدم مصالحها، ومصالح حكوماتها، ومصالح المخططات الدولية التي تضعها الدول الكبرى، والتي غدت خططاً صليبيةً محضةً، حتى ضاعت الحقائق عن الناس، وتاه الذين يبغون المعرفة ويطلبون الأخبار الصحيحة. والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الأول

السِّنِغَال


المقياس
موريتانيا
نهر السنغال
سان لويس
المحيط الأطلسي
داكار
جزيرة غوريه
طوبا
نهر سالوم
غامبيا
نهر كازامانس
غينيا - بيساو
غينيا

مصور رقم [١]

لمحة عن السنغال قبل إلغاء الخلافة

أخذ الإسلام ينتشر في منطقة السنغال اليوم منذ أيام عقبة بن نافع وذلك بإسلام بعض أفراد القبائل التي كانت تصل في انتقالها إلى تلك الجهات وخاصةً قبيلة صنهاجة وبطونها، مع العلم أن نهر السنغال إنما هو مأخوذ من كلمة صنهاجة، فالأصل أن اسمه نهر صنهاجة، وحُرّف الاسم قليلاً.

وعندما وصل إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المنطقة بعد أن نجا من معركة «فخ» عام ١٦٩ هـ التفّ حوله البربر من صنهاجة ولمتونة والملثّمون من إقليم شنقيط، وبايعوه، فأقام دولة الأدارسة، وانضوت ديار الملثمين تحت سلطانه، وهذا ما زاد من توجّه صنهاجة نحو الإسلام بشكلٍ واسعٍ في القرن الثالث الهجري. وتشكّل حلف من الملثّمين بزعامة قبيلة لمتونة، واتجه نحو الجنوب يعمل لنشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، واستطاع هذا الحلف من التقّدم نحو الجنوب على حساب مملكة غانا الزنجية التي أصابها الضعف، ونشر الإسلام في منطقة السنغال من المناطق التي قام على نشره فيها.

عمّت الفوضى بلاد المغرب بعد ضعف دولة الأدارسة فكانت تتبع أحياناً الأمويين في الأندلس، ويخضع أحياناً بعض أقسامها للفاطميين.

وجاء عبدالله بن ياسين داعيةً إلى قبيلة صنهاجة بناءً على طلب ودعوة شيخها يحيى بن إبراهيم الجدالي، لكنه وجد عناداً من أفراد هذه القبيلة

فلجأ مع بعض تلامذته إلى جزيرةٍ في نهر السنغال عند مجراه الأخير، وبنوا لهم رباطاً يُعلّمون فيه من يأتيهم، وندمت صنهاجة على ما كان منها بحق الشيخ عبدالله بن ياسين فأظهروا التوبة، وأخذوا يتوافدون إلى رباطه، وخاصةً أفراد قبيلة لمتونة، ولما قوي أمرهم، ووصل عددهم إلى الألف، خرج بهم، وبعث كل فردٍ منهم إلى قبيلته يدعوها إلى الإسلام، ولكنهم لم ينجحوا في هذا حيث لم يجدوا آذاناً صاغيةً، عندئذ قادهم شيخهم عبدالله بن ياسين لقتال القبائل المجاورة وألزم من انتصر عليها على الإسلام، وأعطى جماعته اسم «المرابطون» وقد أحرزوا انتصاراتٍ على من حولهم، وهكذا ازداد انتشار الإسلام في حوض نهر السنغال، كما أنهم أخذوا مدينة (أودغشت) من إمبراطورية غانا، وأثناء المعركة استشهد شيخ قبيلة صنهاجة يحيى بن إبراهيم الجدالي، وخلفه في رئاسة المرابطين ابن عمه أبو بكر بن عمر زعيم قبيلة لمتونة، ثم بعد مدةٍ قصيرةٍ استشهد الشيخ عبدالله بن ياسين أثناء المعارك التي دارت ضد قبيلة «برغواطة».

اختلف أبو بكر بن عمر اللمتوني مع ابن عمه يوسف بن تاشفين، فاتجه يوسف نحو الشمال، وأسّس مدينة مراكش، وارتفع شأن المرابطين، وانتقلوا إلى الأندلس، ودعموا إخوانهم هناك ضدّ الطاغية النصراني. أما أبو بكر فقد اتجه نحو الجنوب يدعو إلى الإسلام، وقد تمكّن المرابطون من إسقاط امبراطورية غانا. وحوالي عام ٤٤٢ هـ اعتنق ملك وأعيان مملكة التكرور الإسلام، وكان مركزها منطقة السنغال. وكذلك تحوّلت أسرة الفولاني إلى الإسلام حوالي عام ٤٦٩ هـ.

وتفككت قبائل صنهاجة وهي لمتونة، ومسوفة، وجدالة، ومسطاطة، بعضها عن بعضٍ بعد موت أبي بكر بن عمر الأمر الذي أضعف المرابطين فسقطت دولتهم، وقامت دولة الموحدين على أنقاضها عام ٥٢٥ هـ، وكان لهم دور في الدعوة وإن كان دون دور المرابطين. ولما دال أمر الموحدين حكم بنو مرين المغرب، وهم من زناتة، ثم بنو وطاس الذين استعانوا

بالصليبيين البرتغاليين، ثم قام السعديون الذين انتصروا على البرتغاليين، والتفتوا نحو غربي إفريقية يُوطّدون حكمهم فيه.

أما ما يخصّ منطقة السنغال، فقد كانت فيها مملكة التكرور، وفي عام ١٥٣ هـ التجأت الأسرة الحاكمة في امبراطورية غانا بعد أن ثار عليها شعب السوننكي، وسيطروا على الحكم. وأصهرت هذه الأسرة اللاجئة إلى شعب التوكلور، واستطاعت السيطرة على الحياة السياسية، وحكمت البلاد حتى حوالي عام ٤٦٩ هـ، حيث ثار شعب التوكلور عليها، وحكم البلاد حتى عام ٦٣٨ هـ، وخلال القرنين السابع والثامن الهجريين كانت منطقة السنغال جزءاً من مملكة مالي الإسلامية. أما الحكم المحلي فقد أصبح بيد الفولانيين، بعد أن هاجرت أسرة منهم من منطقة (كانياغا) حيث كانت تحكم هناك، واستمرّ حكم هذه الأسرة حتى عام ٧٥١ هـ، حيث ثار عليهم شعب الولوف، وتمكن من الحكم حتى القرن العاشر، حيث رجع شعب التوكلور إلى السلطة، وفي عام ١١٩٠ هـ أسس الفولانيون أسرةً حكمت حتى عام ١٣٠٨ هـ. ومن شعب التوكلور ظهر الحاج عمر الذي أسّس مملكةً واسعةً حكمت حتى عام ١٣١٦ هـ، وكان قد استشهد هو عام ١٢٨٢ هـ، وضعفت بعده الدولة التي حكمها أبناؤه من بعده. وهكذا كانت شعوب التوكلور، والولوف، والفولاني تختلف وتتابع أسرها في الحكم، وكلها شعوب مسلمة، وإن كانت في بعض الأحيان تكون جزءاً من مملكةٍ واسعة الأرجاء، ولكن تبقى السلطة المحلية بيد حكوماتٍ ذات استقلالٍ ذاتيٍ من هذه الشعوب.

هذا وضع منطقة السنغال قبل أن ينزل المستعمرون الصليبيون على السواحل، وبعد نزولهم استمرّ كذلك حكم الشعوب الإسلامية في الداخل حتى تمكّن الفرنسيون من إخضاع المنطقة لنفوذهم السياسي، ولمخططاتهم الاستعمارية.

الاستعمـار:

كان الصراع على أشدّه في الأندلس بين المسلمين من جهـةٍ وبين النصارى الإسبان والبرتغاليين من جهةٍ أخرى، وكان المسلمون يستنجدون أحياناً بإخوانهم في المغرب فيمدّونهم فيهـزمون النصـارى ويعود التفـوّق للمسلمين، كما حدث أيام المرابطين والموحدين، غير أن المغـرب وإن كان قد ضعف أمـرها لكن النصـارى كان يتمثّـل أمامهم المـدّد المغربي فيـرهبهم. وظهر التفـوّق النصراني في الأنـدلس على المسلمين، وأخـذ الإسبان يتقدّمون نحو الجنوب، ولكن الخوف من شمالي إفريقية يُرعبهم لـذا فكّـروا بـأن تنـطلق مجمـوعـات منهم إلى جنـوب بـلاد المسلمين ويُشاغلونهم من هناك، ويعملون على حصارهم أيضاً إن تمكّنوا، والسفن عندهم أصبحت جاهزةً، والقوات مُهيّأةً، وإنما كان لا بدّ من الاستطلاع في بداية الأمر، وأوربا النصرانية كلها من ورائهم تدعمهم وتمدّهم.

انـطلقت السفن الاستـطلاعيـة نحـو الجنـوب غيـر أن الخـوف من المسلمين يكاد يقطع قلوبهم، فلم يجرؤ أحد على النزول إلى السواحل، وإن نزل يخشى الاستقرار، وإن استقـرّ لعدم وجـود ما يُهـدّده خاف من التوغّل إلى الداخل، وهكذا بقوا على السواحل مدةً لا يتعدّونها.

عرف بعض البحارة الأوروبيين نهر صنهاجة (السنغال) عام ٧٤٧ هـ، وزاروا الرأس الأخضر، ولكنهم لم يُقيموا فيه. واحتلّ البرتغاليون جـزيرة (أرغين) الصغيرة عام ٨٤٨ هـ. واحتل الهولنديون جزيرة (غورية) الواقعة تجاه مدينة داكار. وظلّ هؤلاء سادة هذه المناطق حتى أوائل القرن العاشر الهجري، حيث كان نصارى الأندلس قد طردوا المسلمين منها.

وكان خوف المستعمرين الصليبيين الأوروبيين من المسلمين يجعلهم كلما نزلوا في مكانٍ خـافوا أن يكـون المسلمون قـد سبقوهم إليـه، لذا يُفكّرون بالرحيل نحو الجنوب أكثر، ظنّاً منهم أن المسلمين لم يصلوا إلى تلك المناطق بعد، وهكذا فقد عرفوا خلال القرن التـاسع الهجـري أكثر

سواحل غربي إفريقية، ولكن لما طرد النصارى في الأندلس المسلمين منها قويت شوكة الصليبيين المستعمرين، وزادت شجاعتهم وغدوا يتسلّلون إلى الداخل، ويبنون المراكز لهم على السواحل، ويبتعدون نحو الجنوب أكثر، تدفعهم الأطماع المادية، وتُداعب أفكارهم الأحلام الصليبية والانتصارات التي سيُحرزونها على المسلمين، وتُخطّط حكوماتهم مُنفردةً للأطماع الاستعمارية، ومُجتمعةً للعمل الصليبي، لذا كانت تحدث منافسات وصراعات على مناطق النفوذ، وتتمّ اتفاقات، ويكون تنسيق لقتال المسلمين واقتسام بلدانهم.

بدأ الفرنسيون يتردّدون على شواطىء السنغال، وينشئون مراكز الإقامة لهم في بعض المواقع. ووصل البرتغاليون إلى الرأس الأخضر، ومنه تسلّلوا إلى نجد (بامبوك) بحثاً عن الذهب، ولكن السكان طردوهم من هناك.

أسّس الفرنسيون عام ١٣٠٦ هـ مستعمرةً لهم عند مصب نهر صنهاجة (السنغال)، وأقاموا حصن... (سان لويس) عام ١٠٧٠ هـ، ثم طردوا البرتغاليين من ممتلكاتهم جنوب الرأس الأخضر. وأصبحت شواطىء منطقة السنغال اليوم كلها بأيدي الفرنسيين. ولكن ظلّ الإنكليز يُنازعونهم السيادة عليها مدة الحروب الطويلة التي نشبت بين الدولتين خلال قرنين متواصلين، فقد احتلّ البريطانيون مستعمرة (سان لويس) عام ١١٧٢ هـ، ثم عادت منطقة السنغال إلى فرنسا بموجب معاهدة ١١٩٨ هـ، ثم عاود البريطانيون الكرة، واحتلوا المنطقة، غير أن معاهدة باريس ١٢٣٣ هـ قد أعادت منطقة السنغال إلى فرنسا، ومنذ ذلك الوقت انتهى كل تدخّلٍ أوربيٍ في أمور المستعمرة عدا فرنسا.

وكان الأوروبيون كل هذه المدة يُنشئون على سواحل غربي إفريقية مراكز تجارية تُعرف باسم «كومبتوار»، وقد انحصر نشاط الأوروبيين في هذه المراكز، واقتصر على تجارة العبيد، وأعمال السلب في بداية الأمر، فلما أُلغي الرق تضاءلت أهمية هذه المراكز، وانعدمت قيمة بعضها.

وعندما تولّى نابليون الثالث حكم فرنسا عام ١٢٦٥ هـ وضع مشروعاً للتوسّع في داخل منطقة السنغال، وعيّن الجنرال «فادهرب» حاكماً على المنطقة فجرّد حملاتٍ كبيرةً لإخضاع الجهات الداخلية، واشتبك مع الأهالي بحروبٍ داميةٍ استمرّت بضع سنواتٍ، وانتهت بتوطيد السيادة الفرنسية على منطقة السنغال. ووضع «فادهرب» حجر الزاوية في إنشاء الإمبراطورية الفرنسية الواسعة في غربي إفريقية حيث استخدمت السنغال كقاعدةٍ للعمليات الحربية الاستعمارية الفرنسية.

وأُعيد تنظيم السنغال كإقليمٍ بواسطة فرنسا عام ١٢٧٧ هـ، وأكمل الحكام الذين جاءوا بعد «فادهرب» عمله، إذ لم ينته القرن الثالث عشر الهجري إلا وقد تمّ إخضاع البلاد، وبدأ فيها العمل الاستثماري كنوعٍ من السياسة الاستعمارية في الاستغلال.

وبقي خلاف بين الإنكليز والفرنسيين على حدود السنغال من جهة غامبيا، فعقد الجانبان معاهدة عام ١٣٢٢ هـ سُوّي بموجبها الخلاف، وتنازل الإنكليز للفرنسيين عن جزيرة «غورية»، وتنازل الفرنسيون للإنكليز عن منطقة واسعة على جانبي نهر غامبيا، وتحدّدت بذلك حدود مستعمرة السنغال نهائياً.

الفصل الأول

السنغال من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، وزالت الهالة التي كان ينظر إليها المسلمون نظرة الاحترام رغم الضعف الذي كان يعتورها، والأتعاب التي كانت تُعانيها، والمصاعب التي كانت تُواجهها من حربٍ صليبيةٍ، وحركاتٍ داخليةٍ لها قنوات مع الأعداء. وبعد الإلغاء شعر المستعمرون الصليبيون بالراحة النفسية، وسرّهم أن مخططاتهم قد تمّ تنفيذها، والتي بدأت من هامش ديار الإسلام حتى وصلت إلى القلب، لذا رأوا أنه يجب رسم مخططاتٍ جديدة لمرحلةٍ قادمةٍ من الآن.

أخذ المستعمرون الصليبيون يُطبّقون سياستهم بكل حريةٍ، وإن كان التطبيق لم يتوقّف في يومٍ من الأيام منذ أن حطّوا أقدامهم في بلاد المسلمين، ولكن أصبح الآن دون التفكير بجهةٍ ما، ومن غير حسابٍ لأحدٍ أو لدولةٍ كانوا يتوقّعون أن يصدر منها شيء، أو تُثير، أو تُحرّك العواطف الإسلامية، وإن اشتداد الضغط، وضبط الحواجز التي وضعوها بين أبناء الأمة، والفقر، إضافةً إلى الجهل، وبثّ المغالطات كل هذا جعل المسلمين لا يستطيع الواحد منهم أن يُفكّر إلا بقضاياه الخاصة التي تُغطّي كل قضيةٍ منها سائر وقته وتزيد، فالعامة وقتهم مشغول بتأمين اللقمة، وتدبير وسائل العيش من دواءٍ، ومأوى، وسترٍ للجسم، والساسة منهم صاحب المصلحة الذي يسير في فلك سيده، ومنهم المخلص الذي يُهمّه ويُشغله الجزء الذي يُقيم فيه، والذي أطلقوا عليه اسم الوطن، فهو ينوء بالأحمال

التي تقضّ ظهره بقضاياه وبالأثقال التي تهدّ وزره بمشكلات أبناء بلده، ولا يدري أيضاً ماذا يجري خارج الحدود التي رسموها لـ (موطنه). وخلا الجو للمستعمرين الصليبيين أن يرتعوا، وأن يُنَفِّذوا ما خطّطوا له.

أصبحت المراكز التجارية الجديدة القائمة باسم التبادل واستيراد الحاجات الضرورية لا باسم الرقيق والعبودية تتدخّل بشؤون الناس بالديون، وتتغلغل إلى الداخل باسم التجارة، ولم تمض سوى مدةٍ وجيزةٍ حتى أُرهق كاهل (كبار الناس) بالديون، التي أصبحت حملاً عليهم ينوءون به، وغدت مقدراتهم بأيدي الشركات التجارية، ومستقبلهم منوطاً بالممولين من السماسرة، ويريد هؤلاء المساكين التملّص فلا يستطيعون، ويبحثون عن طريق الخلاص فلا يجدون فيضحّون بأملاكهم، فإذا بأخصب أراضيهم ملك للدخلاء، وأطيب ما يحوزون عليه ثروة للأجانب، وإذا هم أجراء يعملون لغيرهم، وعمال يشتغلون لحساب سواهم.

ويتدخّل الغرباء في شؤون القبائل ويبحثون بين أفرادها عمن يقتلهم الجاه والمنصب، ويفتنهم المال والشهرة، ويُغريهم الظهور والشهوة فيُقدّمونهم، ثم يجعلونهم زعماء لقبائلهم، وتقع المنافسة بين الرجال، ويحدث الصراع بين بطون العشائر، ويكون التقرّب ممن يملك القوة، والتزلّف لمن يستطيع الدعم، والخدمة لمن بيده التعيين، ويُنقّب زعماء البطون، ورؤساء العشائر بعضهم عن مساوىء بعض، ويبحث بعضهم عن زلّات الآخرين تقرّباً وحيلةً، ويرمي الأجنبي الدسائس، ويُوقع المكائد، ويزيد من نار الخصومات أواراً، ويُشعل بينهم ناراً، فتضعف قواهم، وتخور عزيمتهم، فيصفو له الجو، فيتسلّم السلطة بعد أن يقضي على زعيم برئيس، وعلى الأمير بآخر، ومتى تسلّم زمام الأمر أخذ بتطبيق سياسته المرسومة، وسار الدخلاء الصليبيون ضمن خطةٍ موضوعةٍ.

الناحية الاجتماعية:

اتبع الفرنسيون في السنغال سياسة التفرقة العنصرية فكانوا يُفضّلون الأبيض على الأسود تفضيلاً مُجاهراً به، ولا حدود له، وقد ينظرون إلى الأسود نظرةً لا تختلف كثيراً عن النظرة إلى أحطّ... فلا يستلم ابن البلاد أي عملٍ مؤهلٍ له مهما علت درجة تأهليه، ولا يُوكل إليه أية مهمةٍ مهما بلغت مكانته إلا إذا كان لا يوجد من يسدّ مسدّه آخر من البيض.

كان الفرنسيون يحتقرون السنغاليين، ويُشيعون أنهم شعب خامل، وصدرت كتب تتحدّث عن أثر الحرارة بالخمول، ويدّعي كتابها أن المناطق الحارة لا يمكن أن تقوم فيها الحضارة، وأعطوا أمثلةً عن سكان الغابات الاستوائية، وعن تخلّف سكان البلدان الحارة، وعن حضارة الأقاليم الباردة، وبالغوا بالمغالطات، حتى اقتنع بهذا الرأي الكثير، ومن تلامذة المستشرقين، ومن المستغربين، ومن الذين يُردّدون الكلام دون تفكير كالببغاوات، وامتلأت المناهج والكتب بهذا الكلام في سائر المستعمرات والبلدان التي نهجت في تعليمها على منوال المستعمرين الصليبيين. ونسوا الحوافز التي تُقيم الحضارة كالعقيدة، وأن نشأة الدولة الإسلامية إنما كانت في أقاليم حارة، وقد فاقت حضارتها كل حضارة، وتناسوا الدوافع التي تدفع السكان لامتطاء الصعب، وتركوا ردود الفعل. واقتصروا على مناطق واسعةٍ في ظلمات الغابات الاستوائية لا يسكنها إلا عدد محدود، عزلهم محيطهم فتقوقعوا، ونسوا البرابرة الجرمان، وأوربا في عصورها الماضية، وأمريكا في قبائلها من الهنود الحمر، وأنهم عندما أقاموا حضارةً فيها إنما كانت في المناطق الحارة منها.

وكرّر الفرنسيون للسنغاليين أنه لا يُمكنهم استلام المهمّات، ولا تحمل المسؤوليات، وأن ذكاءهم محدود، وأنه أقل من ذكاء الآخرين من بني البشر، حتى أحسّ سكان البلاد بالصغار، وأُصيبوا بالهزيمة النفسية، فاستكانوا ضعةً، وخنعوا ضعفاً.

وأدخل المستعمرون الصليبيون المسكرات والمخدرات لتفتّ في جسم الشعب كما ينخر السوس داخل الحب. ونشروا المفاسد، وبذلوا جميع الوسائل كي تعمّ، ليلهو الشعب ويعبث، فلا يبالي بما تلعب به صروف الدهر، لعبت به أم لعب بها.

وطبّق الفرنسيون على الأهالي نظام السخرة، مما جعل السنغالي يشعر بالذلّ ويحسّ بعقدة النقص، وعدم تكريمه، وأنه مخلوق دون سواه، وزيادةً بالافتراءات فقد أشاع الفرنسيون في مستعمراتهم خارج إفريقية أن للأسود ذنباً، وكثيراً ما لقيت هذه الشائعات آذاناً صاغيةً نتيجة الجهل، وعدم معرفة خطط المستعمرين الصليبيين الذين يرغبون أن يحتقر البيض ولو كانوا مسلمين السود فلا يقبلونهم إخواناً، ويكون ردّ الفعل، وتكون التفرقة بين المسلمين. وإن المزارع الفرنسية الشاسعة في السنغال والإقطاعات الواسعة وما فيها من ظلالٍ وارفةَ، وأشجارٍ خضراء، وثمارٍ يانعةٍ، ومياهٍ جاريةٍ، إنما هي من عمل السنغاليين، وقد سُقيت تربتها بعرق جبينهم، وأن الجهد الذي بُذل من أجل إظهارها بهذا الشكل كان من جهد السنغاليين، وأن هذا لم يُكلِّف أصحابها قرشاً واحداً، وإنما كان سخرةً وتكليفاً.

وفرّق الفرنسيون بالأجر بين الأبيض والأسود، فأجرة العامل، وراتب الموظف كانا يختلفان اختلافاً كبيراً بين الأبيض والأسود. وأن السنغاليين الذين كانوا يعملون في إقطاعات المستعمرين كانوا يُهانون ويُضربون، ولا يمكنهم ترك مزارعهم وأماكنهم، فهم عبيد، كما هي الحال في أوربا في قرونها الوسطى، وإن كان السنغاليون يلبسون ثياب الأحرار فهم عبيد لدى الفرنسيين.

وميّز الفرنسيون بالقضاء بين البيض والسود فقضايا الإهانة كثيراً ما تقع من كلا الجانبين، فإن كانت من جانب السنغاليين نالوا أشدّ العقاب وأبشعه، وإن كانت من طرف المستعمرين الصليبيين أُهملت، أو سُوّفت

وأُجّلت حتى تنسى، وقد تُعدّ ردّ فعلٍ، ويصبح المدّعي مُدّعىً عليه. ولم تعمد فرنسا إلى القيام بأي مشروع يهدف إلى رفع مستوى الشعب، ويضمن له حياةً أقلّ بؤساً، وعيشاً أقلّ ضنكاً.

ومن ناحية المرض فكان يفتك بالسكان فتكاً ذريعاً نتيجةً للمُناخ، وسوء التغذية، دون أن تقام المستوصفات أو يهتم بالأهالي أحد، بينما نجد للفرنسيين مشافيهم الخاصة وأطباءهم الذين لا يداوون غيرهم، ولم يخطر ببال فرنسا بناء مشفى كبير كالتي توجد في بلادها لتنقذ السكان من تحكّم الأمراض، وتسلّط الحميّات. وقد كان النشاط الصحي عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) أي بعد استعمار أكثر من قرنٍ من الزمن: وجود دارٍ للتوليد في مدينة «داكار» فقط، وعددٍ قليل من المشافي مقامة في المدن الكبيرة، وهناك دائرة صحية متنقلة، وأخرى للتلقيح ضدّ الأوبئة، وأكثر ما تقدّم من خدماتٍ إنما هي للفرنسيين خوفاً عليهم من العدوى. وهذا النشاط الصحي في إفريقية الغربية الفرنسية كلها، والتي كانت تشمل: السنغال، غينيا، ساحل العاج، موريتانيا، النيجر، مالي، فولتا العليا، وتبلغ مساحة هذه المنطقة نصف مساحة أوربا أي عشرة أمثال مساحة فرنسا، ويمكن المقارنة بعد هذا بين أعمال وزارة الصحة في فرنسا، وبين هذا الوضع في إفريقية الغربية.

ومن ناحية التعليم سار الفرنسيون على خطة إبقاء الشعب في جهلٍ تامٍ حتى يبقى قابعاً خانعاً، لا يدري ما حوله، ولا يُفكّر بما يُحيط به، وإن وجدت مدارس فهي على مستوى المرحلة الابتدائية، وقلما تصل إلى المرحلة المتوسطة. وتُلقّن في المدارس العلوم الموجّهة من قبل الصليبيين، حيث يتلقى الطلاب أن الفرنسيين إنما جاءوا إلى السنغال ليأخذوا بأيدي أهلها نحو الحضارة، وليرفعوا مستوى السكان إلى مستوى بقية الشعوب، وليدفعوا عن البلاد غارات بقية المستعمرين، ولو تركوها لأصبحت لقمةً سائغةً بيد الطامعين، وقطعةً ممزّقةً بأنياب الغاصبين، وكانت لغة التعليم هي الفرنسية فقط ولا يُسمح لغيرها، وذلك في سبيل إذابة الشخصية تماماً

وتُحتقر لغة البلاد، وتُعدّ بدائية. أما اللغة العربية التي تُدرّس في الكتاتيب لقراءة القرآن، وفي الزوايا لعلم التفسير، وفي التكايا لبحث الفقه فقد كانت تُلاحق وتُحارب مُحاربةً لا هوادة فيها. وإلى جانب هذا كانت الإرساليات التنصيرية التي تقوم مدارسها بتعليم البيض والذين يقبلون النصرانية ديانةً لهم، وتدعو إلى ترك الإسلام، وتدّعي أنه دين مستعمرٍ جاء من الشمال عن طريق العرب، وأنه دين السادة، وقد فُرض بالقوة والسيف، وأن سكان البلاد كانوا يقومون بردّ فعلٍ ضده تارةً ينتصرون، وأخرى يُقهرون، وهو الغالب، حتى تمكّن أن يستقرّ. وقد صحا الزنوج الآن بفضل هذه الإرساليات التنصيرية التعليمية الموجّهة فيجب دحره وإخراجه من أرض السنغال. وكانت لهذه الإرساليات الصلاحية المطلقة بالتعليم وفرض المناهج التي تراها مناسبةً، وتتلقّى المعونات الضخمة، وتُقدّم لها كل الإمكانات.

وبعد استعمارٍ دام أكثر من قرنٍ أخذت فرنسا تُفكّر بمن يخلفها باستلام السلطة في السنغال بل وفي كل أرضٍ كانت تستعمرها، فلا بدّ من أن تخرج عاجلاً أم آجلاً، مضطرةً مكرهةً أو راغبةً وفق مخططٍ، ورأت كما رأى غيرها من المستعمرين الصليبيين أنه من المصلحة أن يكون الحاكم الذي سيخلفها باستلام السلطة من أهل البلاد، ومن أتباع العقيدة الغالبة، وفي السنغال وكلّ دول إفريقية الغربية العقيدة الغالبة هي الإسلام، ولكن يجب ألا يكون مسلماً ملتزماً، وإنما منحرفاً، أقبل على الحياة الأوروبية المادية بكل جوارحه، وتعاطي المسكرات، واقتنع بالسفور، وعنده فكرة سيئة عن الدين، واختيار أمثال هؤلاء لا بدّ من أن يخضع لرقابةٍ شديدةٍ، أو أن يُربّى تربيةً على أيدي الإرساليات التنصيرية أو في فرنسا بالذات. وأن أمثال هؤلاء أفضل لها لأنها لو اختارت رجلاً نصرانياً من أبنائها أو ممن قبل النصرانية، أو وثنياً، أو من أي مجموعةٍ بعيدةٍ عن الإسلام الذي يُمثّل عقيدة غالبية السكان لوقع الصراع، ولانتصر في النهاية المسلمون ولكان ردّ الفعل الذي يدعوهم إلى الالتزام بالإسلام والتمسّك به.

(كانت الإرساليات التنصرية في السنغال تُوقّع عقوداً مع عددٍ من الأسر السنغالية الفقيرة تقدّم بموجبها تلك البعثات التنصيرية إلى الأسر السنغالية مساعداتٍ عينيةً (ضيئلةً) من أرزٍ مثلاً شهرياً على أن يكون لها حق باختيار طفلٍ من أطفال الأسرة تُربيّه على حسابها. وينصّ العقد على أن الأسرة مجبرة على ردّ ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد كطلب استردادٍ ابنها مثلاً. وتختار البعثة التنصيرية من أطفال تلك الأسرة صبياً دون الخامسة من العمر، ثم تُرسله إلى مدرسةٍ (تنصيرية طبعاً)، وينقطع الصبي عن أهله، وينشأ تنشئةً نصرانيةً، ثم يُرسل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالي. بعدئذٍ يُعاد إلى السنغال يُمنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف. ويعطي كاتب المقال في مجلة «روز اليوسف» على ذلك مثلاً فيقول: أنت تعلم أن كلمة «سانجور» (اسم رئيس جمهورية السنغال الحالي) معناها «سان جورج» وتعني «القديس جورج» فإن رئيس الجمهورية نصراني لكن أبويه وإخوته مسلمون. وفي الصفحة من المجلة المشار إليها مقطع متمم للمأساة الناتجة عن التنصير والاستعمار؛ اتفق أن كان أول رئيس للوزراء في السنغال رجل مسلم اسمه «محمد ضيا»، وكان يرى أن مصلحة بلاده أن تستقلّ عن المجموعة الفرنسية، وتنهج طريق الحياد والاشتراكية ـ حسب تفكيره ـ وسافر محمد ضيا إلى دول الكتلة الاشتراكية، ثم عاد ليجد نفسه متهماً بتدبير مؤامرةٍ لقلب نظام الحكم. وسُجن محمد ضيا، وأصبحت السلطات جميعها في يد «سانجور» رئيس جمهورية السنغال بعد أن أصبح نظام الحكم رئاسياً)[1].

---

(١) التبشير والاستعمار: عمر فروخ، مصطفى الخالدي. الطبعة الثالثة ١٩٦٤ م. الصفحة ١١ ـ ١٢ منشورات المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.
مجلة روز اليوسف السنة ٣٩ العدد ١٨٤٧ الاثنين ٤ تشرين الأول ١٩٦٣ م ص ٢٦ القاهرة.

الناحية الاقتصادية:

إضافةً إلى نظام السخرة الذي اتبعته فرنسا في أرض السنغال كافةً والذي استفاد منه الفرنسيون كثيراً حيث ينجزون أعمالهم دون دفع أي أجرٍ. نجد أنهم اتبعوا نظاماً تجارياً استعمارياً خالصاً فكانوا يشترون المواد المنتجة بأسعارٍ رخيصةٍ نتيجة فقر السكان، ويخزنونها حتى قبيل الموسم الثاني، ويكون المنتج قد استهلك ما لديه، وأصبح بحاجةٍ ماسةٍ إلى هذه المواد، وعندها تنزل المواد المخزونة إلى الأسواق، وتُباع بأسعارٍ تبلغ أضعافاً مضاعفةً لثمن الشراء. أو بالنسبة إلى البضائع المستوردة من الخارج، والتي لم تكن تنتجها البلاد، فكانت تُباع باختلافٍ كبيرٍ وظاهرٍ عن ثمن شرائها.

وليس من المسموح للفلاح بأن يزرع وينتج المحصول الذي هو بحاجةٍ إليه لاستهلاكه، أو الذي يراه مفيداً، ويدرّ عليه أرباحاً، بل كان عليه أن يزرع المحصول الذي يطلبه منه الاستعمار، والذي بحاجةٍ إليه. كل هذا من سخرةٍ، وتفاوتٍ بين ثمن الشراء والمبيع، وفرص إنتاجٍ معينٍ قد جعل السكان في فقرٍ مدقعٍ، وعيشٍ كئيبٍ. ولم تُفكّر فرنسا في زيادة المساحات الزراعية المروية، ولا في إقامة مشروعات على الأنهار رغم كثرتها، وإمكانية إقامتها.

وكذلك عمدت فرنسا إلى أخذ جميع ثروات السنغال إلى فرنسا وصناعتها هناك حتى لا تقوم صناعة في داخل البلاد، ويستفيد السكان سواء بالصناعة أم بالمال أو بامتلاك تلك المعامل فيما إذا خرجت فرنسا من السنغال. وكل هذا قد جعل أهل السكان يخنعون، ويشعرون بالارتباط بفرنسا خوفاً وجزعاً، ويُنفّذون ما يُطلب منهم.

الناحية العسكرية:

وفرّق الفرنسيون في الرتب العسكرية، حيث كان هناك فرق بين ترقية البيض وترقية السنغاليين، وبين الرتب التي يصل إليها المستعمرون

الصليبيون والتي يصل إليها الإفريقيون. وليست المدة ولا الرتبة هما الفرق فقط، وإنما كانت الرتبة ذاتها وما لها من مزايا مادية ومعنوية، وصفات تختلف بين الجندي الفرنسي والسنغالي، ومع هذا فالجندي السنغالي هو الذي يُقدّم كبش الفداء، ويخوض المعامع، ويُدفع إلى الحروب، ويكون في الصفوف الأمامية، ليتقي به الجندي الفرنسي، ويدفع عن نفسه هول الخطر، وليُقيم على ضحايا السنغاليين مجده الحربي، وعزّه العسكري، وليبقى الدم الأوربي النقي حسب اصطلاح المستعمرين الصليبيين - يجري في العروق خوفاً عليه من الضياع.

وكثيراً ما كان الجنود السود عامةً والسنغاليون خاصةً يُكلّفون بالقيام بالأعمال الوحشية، وارتكاب المجازر في المستعمرات الأخرى، والمناطق الثانية، وتُلصق بهم أيضاً كل الأعمال البشعة التي يقوم بها الجنود الفرنسيون، وذلك حتى ينظر إليهم نظرة سوء، ثم يقال عنهم: إنهم مسلمون فينصبّ الكره على الإسلام من قبل غير المسلمين، أما المسلمون فيأبون أن يكون هؤلاء الذين يتصرّفون مثل التصرّف في عدادهم، ويتكلّمون عنهم، ويكون ردّ الفعل، وتكون التفرقة بين المسلمين حسب اللون و... هذا ما يعمل له المستعمرون الصليبيون، وهذا ما كان يحدث في بلاد الشام إذ أن المجازر التي قام بها الفرنسيون في المجلس النيابي في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٦٤ هـ (٢٩ أيار ١٩٤٥ م) إنما أمروا السنغاليين أن يرتكبوها فألصقت بهم كل صفات الوحشية، وهذا ما خطّط له الفرنسيون.

الحكم:

صدر مرسوم عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) نُظّمت بموجبه أوضاع السنغال، حيث تشكّلت من مدينة «داكار» ومن الأراضي المحيطة بها منطقة خاصة، وقُسِّمت البلاد إلى أربع مقاطعات، وكان سكان السنغال يحملون بطاقة الرعاية الفرنسية، ويُؤدّون الخدمة العسكرية الإجبارية، كما ينتخبون نواباً عنهم يُمثّلونهم في المجلس النيابي الفرنسي، وكانوا هم الزنوج

الوحيدين الذين يتمتعون بمثل هذه الحقوق السياسية.

وفي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٥ م) أي بعد الحرب العالمية الثانية صدر مرسوم آخر أعاد منطقة «داكار» إلى السنغال. وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٦ م) جرى انتخاب أول جمعية عامة للبلاد، وبعد عشر سنواتٍ تشكّلت أول حكومةٍ لها صفة الاستقلال الذاتي.

وفي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) صدر قانون ديغول الذي منح فيه الأقاليم الإفريقية حرية الاختيار بين قبول الدستور أو رفضه، ويعني رفضه (أن تمتنع فرنسا عن تقديم أية معونةٍ اقتصادية أو فنيةٍ أو إداريةٍ وذلك بعد الاستقلال) أما الأقاليم التي تقبله فتصبح أعضاء في الجماعة الفرنسية، وهي نوع من الاتحاد، وتغدو إقليماً ذا استقلالٍ داخليٍ، وبعد استفتاء جرى في ١٤ جمادى الأولى ١٣٧٨ هـ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ م) أصبحت السنغال عضواً في الأسرة الفرنسية[1]. بعد استعمار دام أكثر من ثلاثمائة سنةٍ.

وفي شهر شوال من عام ١٣٧٨ هـ (نيسان ١٩٥٩ م) انضمّت السنغال إلى السودان الفرنسي ليُؤلّفا معاً اتحاد «مالي»، وبعد أقلّ من عام أيضاً أي (في مطلع عام ١٩٦٠ م) ٣ رجب ١٣٧٩ هـ أصبح اتحاد مالي مستقلاً ضمن الأسرة الفرنسية. ولكن لم يمض سوى ثلاثة أشهرٍ ٨ شوال ١٣٧٩ هـ (٤ نيسان ١٩٦٠ م) إلا وقد انحلّ الاتحاد، وأصبحت السنغال جمهورية مستقلةً في ٢٧ صفر ١٣٨٠ هـ (٢٠ آب ١٩٦٠ م) وفي ١٤ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٥ أيلول ١٩٦٠ م)، وانتخب «سانجور» رئيساً للجمهورية، واختير «محمد ضيا» رئيساً للوزراء. وكان المجلس التشريعي الذي انتخب عام ١٣٧٩ هـ لمدة خمس سنواتٍ يضمّ ثمانين عضواً. وبقيت علاقات السنغال قويةً مع فرنسا التي بقي لها قواعد في السنغال.

---

(١) ينص دستور ديغول المشار إليه على أن السلطة المركزية تكون لفرنسا وتشمل الدفاع، والاقتصاد، والشؤون الخارجية، ويمكن أن يعقد اتحاد بين عضوين في الأسرة الفرنسية أو أكثر.

الفصل الثاني

الاستقلال

١٤ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ......

٥ أيلول ١٩٦٠ م - ....

استقلّت السنغال عن فرنسا في ١٤ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٥ أيلول ١٩٦٠ م)، وكانت تحت حكم حزب الاتحاد التقدمي السنغالي، ورئيسه هو رئيس الجمهورية «ليوبولد سنجور» وفي ٧ ربيع الثاني عام ١٣٨٠ هـ (٢٨ أيلول ١٩٦٠ م) أصبحت السنغال عضواً في الأمم المتحدة.

الأحداث الداخلية:

في عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) كان رئيس الوزراء «محمد ضيا» في زيارة لبلدان أوربا الشرقية، وعند عودته، ولدى وصوله إلى المطار اعتقل بتهمة محاولة القيام بانقلابٍ لتغيير نظام الحكم، كما اعتقل أربعة آخرون من الوزراء، واعتمد رئيس الجمهورية على رجال الشرطة والدرك، وتولّى مسؤوليات رئاسة الوزراء إضافةً إلى منصبه، وغدا يُمثّل السلطة التنفيذية والتشريعية.

وفي عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) جرت الانتخابات العامة لاختيار الهيئة الوطنية، وقد فاز حزب الاتحاد التقدمي السنغالي فوزاً كاسحاً في تلك الانتخابات، وهذا ما أدّى إلى ذوبان بقية الأحزاب السياسية في كيان هذه الهيئة، وما جاء عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) إلا وليس في البلاد من حزبٍ سياسيٍ إلا الهيئة الوطنية.

وفي عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) أُعيد منصب رئيس الوزراء، وتسلّم

هذا المنصب «عبده ضيوف» وفي عام ١٣٩٣ هـ كان المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية «ليوبولد سنجور»، وفي عام ١٣٩٦ هـ عُيِّن «عبده ضيوف» نائباً لرئيس الجمهورية.

وفىّ رئيس الجمهورية بوعده فسمح بإعادة الحياة الحزبية تدريجياً، وأطلق سراح السجناء السياسيين جميعاً بما فيهم «محمد ضيا» رئيس الوزراء السابق وذلك عام ١٣٩٤ هـ. وسمح عام ١٣٩٦ هـ لثلاثة أحزاب بالاشتراك في الانتخابات العامة.

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٣٩٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٦ م) جرت انتخابات المجالس البلدية على مستوى مقاطعتين من مقاطعات الدولة، كتجربةٍ لتطبيق الفكرة الجديدة التي تقوم على أساس ثلاثة أفكار هي المجتمع الديمقراطي، والديمقراطية الحرة، والماركسية اللينينية، وظهرت النتائج في ذي الحجة ١٣٩٦ هـ (كانون الأول ١٩٧٦ م) حيث فاز:

حزب الاتحاد التقدمي السنغالي بمنصب التجمّع الديمقراطي وحمل هذا الاسم بعد ذلك.

وحزب السنغال الديمقراطي بمنصب الديمقراطية الحرة، وحمل الاسم.

وحزب الاستقلال الإفريقي بمنصب الماركسية اللينينية، وغدا يُمثّل هذه الفكرة.

أما الهيئة الديمقراطية الوطنية فلم يُعترف بها، وأصبح الحكم يحمل فكراً ثلاثياً مُمثّلاً بثلاثة أحزاب. وفي مطلع عام ١٣٩٩ هـ (كانون الأول ١٩٧٨ م) وجدت حركة السنغال الشعبية وتُمثّل جناح اليمين، وقد دعم هذه الحركة أعضاء من حزب التجمع الديمقراطي وبعض المشايخ.

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٨ هـ (شباط ١٩٧٨ م) جرت الانتخابات على مستوى الدولة لنظام الأحزاب الثلاثة فحصل حزب التجمع

الديمقراطي السنغالي على ثلاثة وثمانين مقعداً من أصل مائة مقعد في الهيئة الوطنية، أما بقية المقاعد فقد حصل عليها حزب السنغال الديمقراطي، وفي انتخابات الرئاسة فاز ليوبولد سنجور فوزاً ساحقاً ضدّ عبدالحي ويد رئيس حزب السنغال الديمقراطي.

وتشكلت حكومة جديدة في شهر ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ (آذار ١٩٧٨ م) قوي بها مركز عبده ضيوف.

وفي مطلع عام ١٤٠١ هـ (كانون الأول ١٩٨٠ م) استقال رئيس الجمهورية ليوبولد سنجور من منصبه متنازلاً لرئيس وزرائه عبده ضيوف الذي شغل منصب رئاسة الوزراء أكثر من عشر سنواتٍ متواصلةٍ.

عدّل الرئيس الجديد في الحكومة، وأصدر عفواً عاماً عن السجناء السياسيين، وسمح لأكثر من أربعة أحزاب سياسية بالاشتراك في الانتخابات.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م) جرت الانتخابات العامة، ونال عبده ضيوف على ٨٣,٥ ٪ من مجموع الأصوات، وحصل حزبه «حزب التجمع الديمقراطي السنغالي» على مائة وأحد عشر مقعداً من أصل مائة وعشرين مقعداً في الهيئة الوطنية. أما حزب السنغال الديمقراطي فقد حصل على ثمانية مقاعد، وحصل حزب الهيئة الديمقراطية على مقعدٍ واحدٍ. ونظراً للشك في صحة نتائج الانتخابات فقد قرّرت المعارضة مقاطعة اجتماعات الهيئة الوطنية، وبعد خمسة أشهرٍ من الاحتجاج استجاب معظم المعارضين لحضور اجتماع الهيئة الوطنية الذي تمّ في شوال ١٤٠٣ هـ (تموز ١٩٨٣ م) بعد أن ناشدهم رئيس الجمهورية العمل على إبقاء وحدة البلاد، وعمل بعدها رئيس الجمهورية على زيادة سلطاته وتحمّل مسؤولية أعباء الحكم.

وفي ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (كانون الأول ١٩٨٣ م) تحوّل الرفض المتزايد لحكومة السنغال إلى قيام أعمال العنف في مقاطعة «كازامانس»

حيث اشتبكت قوات الشرطة مع أعضاء من حركة القوات الديمقراطية في ولاية «كازامانس» في مدينة «زيغوينكور» وأدّى ذلك إلى مصرع أكثر من خمسة وعشرين شخصاً، وحكم على ٣٥ شخصاً بالسجن لتحريض الشعب على القيام بأعمال الشغب وذلك في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م)، ثم بُرّىء سبعة عشر منهم.

وفي اجتماعٍ عاجلٍ لحزب التجمّع الديمقراطي السنغالي في ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م) تقرر تقسيم «كازامانس» و«سان سالوم» إلى مناطق إدارية أصغر. وفي شعبان ١٤٠٦ هـ (نيسان ١٩٨٦ م) أطلق سراح عددٍ من المعارضين. ثم أُلقي القبض على ١٥٢ شخصاً في صفر ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول عام ١٩٨٦ م) بعد اجتماع حزبي لحركة الهيئة الديمقراطية، ثم أُفرج عن ٩٢ منهم في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م).

وحدثت إضرابات في الجامعة لأن الخريجين الجامعيين لا يجدون وظائف لهم، وامتنع الطلاب عن حضور المحاضرات، واستمرّ الإضراب ما يزيد على الشهرين، وانتهى في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م) بعد أن وعدت الحكومة بحلّ هذه المشكلة.

وحدثت داخل حزب التجمع الديمقراطي السنغالي تكتلات وفوضى عندما استبدل رئيس الجمهورية بعض الأعضاء البارزين بآخرين ممن يُؤيّدونه، وأدّى الأمر إلى عزل وزير الخارجية مصطفى نيازي. مطلع عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م). غير أن وضع الحزب قد تحسّن بعد انتخابات مجالس البلدية التي جرت في صفر ١٤٠٥ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٤ م) حيث حصل الحزب على ٩٦٪ من مجموع الأصوات، ولكن المعارضة لم تشترك في هذه الانتخابات، واستمرّت مُقاطعةً لها.

تشكل حزب سياسي جديد يحمل اسم «وحدة السنغال الديمقراطية المحددة» برئاسة محمد فول في شوال ١٤٠٤ هـ (تموز ١٩٨٤م)، وهو

عضو سابق في حزب السنغال الديمقراطي، فاعترضت خمسة أحزاب بما فيها حزب السنغال الديمقراطي على تشكيل هذا الحزب، فـأعلن رئيس الجمهورية أن الحزب الجديد غير معترفٍ به رسمياً، وأعقب ذلك توقيف ستة عشر سياسياً بارزاً من أحزاب المعارضة كان من بينهم عبدالحي ويد زعيم حزب السنغال الديمقراطي، وعبدالحي باثيلي زعيم رابطة الحركة الديمقراطية لحزب العمال، واستمرّ حجزهم مدة أسبوعٍ كاملٍ بتهمة إلقاء تصريحاتٍ غير موثقةٍ.

وعانى حزب السنغال الديمقراطي محنةً شديدةً في صفر ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) عندما انسحب من الحزب ثلاثة أعضاء من قادته البارزين، وهم من ممثليه في الهيئة الوطنية مع العلم أن عدد مقاعده في الهيئة هو ثمانية مقاعد، ثم استقال نائب رئيس الحزب «فاران ضيائي» في شهر ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) انسحب من الحزب، واستقال من الهيئة الوطنية، وفي شهر ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (آب عام ١٩٨٧ م) انفصلت مجموعة جديدة من الحزب، وشكلت حزباً سياسياً جديداً.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) أضرب طلاب جامعة «الشيخ أنتا ديوب» لمدة ٣٢ يوماً، فوافقت إثرها الحكومة على خطةٍ ذات ثمانية بنود لرفع مستوى طلاب هذه الجامعة.

وفي شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م) أضربت قوات الشرطة فأدّى الأمر إلى عزل وزير الداخلية، وتوقيف هذه القوات عن العمل مؤقتاً، ثم أعادت إليها المسؤولية بعد إبعاد ستمائة شرطي عن العمل.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) بدأت انتخابات الرئاسة، وأخذت الصراعات تظهر في بعض المناطق بين رجال الأمن وبين رجال الأحزاب المعارضة. وكانت النتائج المبدئية تنبىء بفوزٍ ساحقٍ للرئيس عبده ضيوف وحزبه «حزب التجمع الديمقراطي السنغالي» الحزب الحاكم، مما حدا بحزب السنغال الديمقراطي للطعن في أمانة الانتخابات، وبدأ

الشغب في العاصمة «داكار» ويعتقد أن السبب الرئيسي لأعمال الشغب هو سخط السكـان على الأحوال الاقتصـادية المتـردّية التي يعيشـونها، وعلى سيـاسة التقشف التي تتبعهـا الحكومـة. أُعلنت حالـة الطوارىء، فمُنعت التجمّعات، وأُغلقت المدارس، وفُرض حظر التجوّل ليلاً في العـاصمة، وأُلقي القبض على (عبدالحي ويد) زعيم حزب السنغال الديمقراطي، وعلى (أماث دانسوكو) زعيم حزب الماركسية اللينينية، وأعلنت نتائج الانتخابات في رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) فظهر أن رئيس الجمهورية عبده ضيوف قد حصل على ٧٣,٢ ٪ من الأصوات، وحصل عبدالحي ويد على ٢٥,٨ ٪ من الأصوات، وحصل حـزب التجمع الـديمقراطي السنغـالي على ١٠٣ مقاعد في الهيئة الوطنية، ونال حزب السنغال الديمقراطي باقي المقاعد، وهو ١٧ مقعداً. وقرّرت الهيئة الوطنية أن تستمرّ حالة الطوارىء إلى أجلٍ غير مُسمّى، غير أن المدارس ستفتح أبوابها، وستخفض ساعات حظر التجول، وأخيراً انتهى حظر التجول في شعبان (نيسان)، أما حالة الطوارىء فبقيت حتى رمضان (أيار).

وفي شعبـان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) قُـدّم للمحاكمـة عبدالحي ويد، وأماث دانسوكو وخمسة من المعارضين الآخرين بتهمة التحريض على الشغب، ومهاجمة رجال الأمن، وقضت المحكمة بالسجن مدة عام على عبدالحي ويد مع وقف التنفيذ، وبرئت ساحـة أماث دانسـوكو والمتهمين الآخرين. غير أن محاكمة عبدالحي ويد قد أدّت إلى حدوث اشتباكاتٍ جديدة في داكار، مما جعله يطلب من المتظاهـرين الخلود إلى الهدوء، واستعداده للتباحث مـع رئيس الجمهوريـة، وأظهر من جـانب آخر رئيس الجمهورية عبده ضيوف استعداده للصلح مع المعارضة، وأصدر عفواً عاماً عن كل المعتقلين السياسيين الذين تمّ إلقاء القبض عليهم أثناء الانتخابات، كما أصدر عفواً آخر عن ٣٢٠ شخصاً ممن سبق أن أُلقي عليهم القبض قبل شهر ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) في كازامانس.

التقى رئيس الجمهورية عبده ضيوف مع زعيم المعارضة عبدالحي ويد، وكانت نتيجة اللقاء أن أُلقيت بعض المهمات على أحزاب المعارضة، وقد وافقت تسعة أحزابٍ سياسيةٍ على الاشتراك في المهمة الأولى، وهي الاجتماع لمناقشة المشكلات السياسية في البلاد، وتقرّر أن تبدأ الجلسات في شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م) وشُكّلت لجان متخصصة لمناقشة الوضع الاقتصادي والاجتماعي، ومشكلات الشباب، والبطالة إلا أن شيئاً لم يحدث حيث أُجّلت الجلسات إلى أجلٍ غير مُسمّى بعد أن اتهمت أحزاب المعارضة الحزب الحاكم «حزب التجمع الديمقراطي السنغالي» بوضع المعوقات والعراقيل في وجه مناقشة النظم الانتخابية، كما اتهمت الحكومة بمنع أحزاب المعارضة من استخدام وسائل الإعلام المحلية في الدعاية الانتخابية أُسوةً بالحزب الحاكم.

وفي اجتماعٍ عاجلٍ لحزب التجمع الديمقراطي السنغالي في شهر شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أعلن رئيس الجمهورية عن رغبته بفتح حوار مع أحزاب المعارضة، كما أعلن عن اتباعه سياسة جديدة هي سياسة الانفتاح والتجديد، وشكّل لجنةً تنفيذيةً داخل حزب التجمع الديمقراطي السنغالي نفسه مهمتها تعديل النظم الانتخابية، وكلّف هذه اللجنة أن تأخذ بعين الاعتبار مطالب المعارضة. وفي الشهر نفسه رجع عبدالحي ويد من منفاه الذي فرضه على نفسه في فرنسا ولمدة سبعة شهورٍ، وكان يُعلن فيها أن حزبه هو الذي فاز بانتخابات (شباط ١٩٨٨ م) غير أن اللعب في النتائج هو الذي قلب الحقائق، وقد صرّح عند عودته أن رئيس الجمهورية قد وافق على طلبه تشكيل حكومةٍ انتقاليةٍ للإشراف على إجراء انتخاباتٍ جديدةٍ، ولكن رئيس الجمهورية أنكر على موافقته على شيءٍ مما صرّح به عبدالحي ويد.

وفي رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) أعلن عبده ضيوف عن تعديلات نظام الانتخابات، وأنه يجب أن تكون هناك شروط ومعايير يجب

أن تتوفّر في المرشح ليحقّ له ترشيح نفسه، وأُنقصت كذلك مدة الحملة الانتخابية من ثلاثة أسابيع إلى أُسبوعين فقط، ويسمح خلالها لأحزاب المعارضة استخدام وسائل الإعلام المحلية، وأعلن أن هذه التعديلات ستقضي بتأجيل انتخابات مجالس البلديات مدة عامٍ كاملٍ بعد أن كان مقرراً لها أن تجري في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م). وكان ردّ فعل أحزاب المعارضة أن أعلنت أن هذه التعديلات وإن كان ظاهرها برّاقاً إلا أنها في الحقيقة ليست إلا في مصلحة الحزب الحاكم حيث تزيد من سلطته وتُقلّل من شأن بقية الأحزاب، وقد أدّى هذا الإعلان إلى إلقاء القبض على أكثر من مائة وخمسين شخصاً. وقد وافقت الهيئة الوطنية على هذه التعديلات في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) مع العلم أن أعضاء الهيئة الوطنية جميعهم من أعضاء الحزب الحاكم «حزب التجمع الديمقراطي السنغالي» لأن أعضاء حزب السنغال الديمقراطي الـ (١٧) في الهيئة الوطنية كانوا قد قاطعوا جلسات الهيئة منذ شهر ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (أواسط عام ١٩٨٩ م) احتجاجاً على التغطية الإعلامية المضلّلة لجلسات الهيئة.

وفي الوقت نفسه أُجريت تعديلات على نظام الاستثمار على الرغم من معارضة أعضاء حزب السنغال الديمقراطي المعارض الذين كانوا أعضاء في مؤسسة العمل السنغالية الوطنية.

التعليـــم:

أعلن في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) عزل وزير التربية والتعليم، وأُنشئت وزارتان إحداهما للتعليم الوطني والأخرى للتعليم العالي، وعُيّن فيهما موظفون على مرتبةٍ عاليةٍ، كان ثلاثة عشر منهم وزراء سابقون، وعُدّ العام الدراسي ١٩٨٧/١٩٨٨ غير معتبر جامعياً لأن طلبة المدارس الثانوية والجامعات كانوا في إضرابٍ دائمٍ مدة العام الدراسي كله بدءاً من صفر ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) وحتى انتهاء العام الدراسي.

وفي صفر ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول ١٩٨٨ م) قدّمت الحكومة خطةً لإصلاح التعليم الوطني، وبعد شهرٍ وافقت على رغبات الطلاب بتحسين أوضاعهم الاجتماعية، كما منحت طلاب جامعة الشيخ أنتا ديوب الاستقلال التعليمي فلم تعد تابعةً لنظام التعليم المركزي.

ورغم هذا فلم يخل العام التالي من مُشكلات حيث قام المعلمون بإضرابٍ دام ثلاثة أشهرٍ في أواخر ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (مطلع عام ١٩٨٩ م. وكانوا يطالبون برفع مستوى المعيشة.

الهيئة الوطنية:

وفي ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) قدّم رئيس الهيئة الوطنية «داود ساو» استقالته، وهذا ما يدلّ على وجود خلافات داخل الهيئة الوطنية رغم أن أكثرية أعضائها من حزبٍ واحدٍ، بل إن أعضاء المعارضة من الحزب الآخر مع قلتهم كانوا كثيراً ما يقاطعون جلسات الهيئة.

القوات المسلحة:

أجبر قائد القوات المسلحة الأول على الاستقالة في رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) كما ألزم الجنرال «جوزيف لويس تافاري داسوزا» سفير السنغال في ألمانيا على الاستقالة أيضاً لاكتشاف خطة انقلابٍ كانوا ينوون تنفيذها أثناء الانتخابات التي جرت في جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م).

الصحافة:

حكم على الشيخ «قريشي با» رئيس تحرير صحيفة حزب السنغال الديمقراطي «سوبي» بالسجن لمدة عام واحد مع ثلاثة من الصحفيين بتهمة نشر وإشاعة أخبارٍ كاذبة، وذلك في جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م)، وفي شهر رجب من العام نفسه سُجن رئيس حزب السنغال الديمقراطي عثمان نجوم لنشر مقال في صحيفة الحزب «سوبي»،

وذلك أثناء غياب عبدالحي ويد في فرنسا، فجاء في الشهر نفسه، وخرجت الجموع لاستقباله، وتصدّت لها قوات الأمن لتفريقها، وقد صرّح زعيم حزب السنغال الديمقراطي عبدالحي ويد أن الفائز في انتخابات (شباط ١٩٨٨ م) هو الرئيس عبده ضيوف إلا أنه يُطالب باختيار رئيسٍ آخر نظراً لتدنّي الحالة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، وأعقب ذلك قيام سلسلة من الاحتجاجات والاشتباكات كانت نتائجها حجز عددٍ كبيرٍ من مُؤيّدي أحزاب المعارضة من قبل قوات الأمن، وكانت أشدّ الاشتباكات التي وقعت في شهر رمضان ١٤١٠ هـ (نيسان ١٩٩٠ م) وأعنفها ما كان في ذكرى اليوم الوطني للبلاد.

وفي شعبان ١٤١٠ هـ (آذار ١٩٩٠ م) أعلن الرئيس عبده ضيوف عن تعديلٍ شاملٍ في الحكومة إذ نقص عدد أعضاء الحكومة من ٢٧ وزيراً إلى ٢١ وزيراً، ومن أهم التغييرات التي تمّت عزل أمين السر العام للرئيس الذي هو «جان كولن»، وهو يشغل هذا المنصب منذ أيام الفرنسيين، ومما تجدر الإشارة إليه أن أحزاب المعارضة كانت تعتمد في تأليبها الناس ضدّ الرئيس عبده ضيوف في تأثير «جان كولن» عليه، وعلاقته به، وصلته بفرنسا، وتأثيره الكبير على المجرى السياسي للدولة، وقد عُيّن مكانه «أندريه سونكو» كأمين سر عام للرئيس إضافةً إلى منصبه وزيراً للداخلية، أما منصب وزارة التعليم فقد تسلّمه «جيبوكا»، وتسلّم وزارة الخارجية، «سيدنا عمر ساي» مكان إبراهيم فال. ومن الملاحظ أن وزارة الداخلية بيد النصارى رغم ضعف نسبتهم.

الأحداث الخارجية:

إن الأحداث الخارجية قليلة فالسنغال تسير في فلك دول النظام الحر، وذات علاقة بفرنسا، وإن أكثر الأحداث إنما هو مع الدول المجاورة.

مع غامبيا:

في مطلع عام ١٤٠١ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٠ م) أرسلت السنغال بعض الفرق العسكرية إلى غامبيا لحمايتها من هجوم متوقّعٍ من ليبيا - حسب زعم أصحاب العلاقة - وبعد محاولة انقلابٍ في غامبيا تدخّلت قوات السنغال لحماية الحكومة الغامبية، وكان ذلك في رمضان ١٤٠١ هـ (تموز ١٩٨١ م) وبعد شهرٍ أُعلن عن خطةٍ لاتحادٍ بين السنغال وغامبيا، وإقامة دولةٍ منهما أُطلق عليها سنغامبيا، وظهر الاتحاد في ٧ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ (الأول من شباط ١٩٨٢ م)، وفي ربيع الأول ١٤٠٣ هـ (مطلع عام ١٩٨٣ م) عُقد أول مجلسٍ يضم كلاً من السنغال وغامبيا، ونوقشت فيه سبل التعاون بين البلدين من ناحية السياسة والاقتصاد ووحدة النقد. غير أن السنغال كانت ضد موقف غامبيا المتردّد في تحقيق الوحدة فعلياً.

وفي محرم عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م)، أعلن رئيس السنغال عبده ضيوف عن سحب القوات السنغالية من غامبيا في احتجاج على طلب رئيس غامبيا في أن يُعطى سلطة أكبر في الاتحاد، وفي نهاية الشعر نفسه أعلن الرئيس السنغالي أن كل عمليات الاتحاد ستتوقف نظراً لتخاذل غامبيا عن الاندماج الفعلي مع السنغال سياسياً واقتصادياً، ثم لم يلبث أن حلّ الاتحاد في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) وتبعه إعلان من الرئيس الغامبي داود غاوارا أن السنغال تفرض ضرائب، وتضع قوانين للتنقّل بين البلدين تضرّ بغامبيا، كما تمنع المؤن والبضائع من دخول غامبيا عبر حدودها معها.

وفي جمادى الأولى ١٤١١ هـ (كانون الأول ١٩٩٠ م) اجتمع الرئيسان في داكار لمناقشة الوضع المتأزّم بين البلدين.

مع غينيا - بيساو:

وقع الخلاف بين السنغال وغينيا - بيساو حول منطقةٍ بحريةٍ غنيةٍ بالأسماك، كما دلّت الدراسات على غناها بالنفط أيضاً، وتقع تحت السيادة السنغالية، وتقدّمت غينيا - بيساو بشكوى إلى محكمة العدل الدولية، وصدر

الحكم لصالح السنغال في مطلع عام ١٤١١ هـ (آب ١٩٩٠ م)، والتقى في نهاية الشهر نفسه رئيسا الدولتين، عبده ضيوف وجواو بيرنارد فييرا لمناقشة الموضوع، كما تدخّلت زائير والبرتغال للإصلاح بين الطرفين دون فائدة.

مع موريتانيا:

وقعت أزمة بين السنغال وموريتانيا وظهرت حدّتها في ٥ رمضان ١٤٠٩ هـ (١٠ نيسان ١٩٨٩ م) حيث قتل اثنان من السنغاليين في قريةٍ على الحدود في الجنوب الشرقي من موريتانيا على يد رعاة موريتانيين من الزنوج، وقام وزير الداخلية السنغالي بزيارة موريتانيا وقابل رئيسها، وأعلن أن البلدين سيعملان على تطويق آثار الحادث، وما أن رجع الوزير إلى داكار حتى قام بزيارةٍ إلى مكان الحادث، وأعلن أن الأمر مبيّت، ولن تسكت عنه السنغال، وفي اليوم التالي ٦ رمضان قامت مظاهرة في بلدة «بوكل» السنغالية القريبة من مكان الحادث، وهاجم المتظاهرون المحلات التي يملكها موريتانيون عرب، ونهبوا ما فيها، ثم أشعلوا فيها النيران. قام وزير الداخلية الموريتاني بزيارة للعاصمة السنغالية، وعمل مع نظيره السنغالي اتفاقاً لتجنّب حوادث جديدة. وفي اليوم التالي انفجر الوضع في السنغال، وأخذ السكان ينهبون المحلات التي يملكها الموريتانيون، ويقتلون من يستطيعون قتله، بل ويمثّلون بالجثث، وفرّ من فرّ ونجا من القتل إلى المساجد، وإلى مراكز الشرطة، وإلى مبنى السفارة، ومبنى القنصلية الذي لم ينج من الهجوم، وتعرّض لهذه الحرب جميع الموريتانيين الذين يقيمون في السنغال، ويُقدّر عددهم بنصف مليون تقريباً.

وفي ١٩ رمضان انفجر الوضع في موريتانيا فهاجم السكان في العاصمة «نواكشوط» وفي مدينة «أنواذيبو» الرعايا السنغاليين، وقاموا بالعمل نفسه الذي قام السنغاليون به، واستمرّ هذا التصرّف يومين، وفي اليوم الثالث استدعت الحكومة قواتٍ من الجيش والدرك،

وسيطرت على الوضع، وأعلنت منع التجول، وجُمع السنغاليون في المساجد، والمعرض التجاري، وشُدّدت عليهم الرقابة لحمايتهم.

وفي ٢٤ رمضان عاد الوضع فانفجر من جديدٍ في السنغال بعد بيانٍ مُوجّه من الدولة إلى موريتانيا، فارتفعت شعارات الانتقام، وأخذ القتل يلحق بالموريتانيين حتى الذين يحملون الجنسية السنغالية، واضطرت الحكومة إلى إعلان حالة الطوارىء، وفرض منع التجول، ولكن ذلك لم يوقف عمليات التنكيل بالموريتانيين.

وأخيراً اتفق الطرفان على نقل الرعايا من كل بلدٍ إلى البلد الآخر، فنُقل أكثر من مائتي ألف موريتاني من السنغال، ومائة ألف سنغالي من موريتانيا رغم أن عدد الموريتانيين في السنغال كثيراً ما يرفعونه إلى خمسمائة ألف إنسان.

وعلى الرغم من موافقة البلدين على حلّ مشكلاتهما بالحوار إلا أن إصرار السنغال على حرمة الحدود التي وضعها الفرنسيون، وإصرار موريتانيا على تعويض أبنائها الذين فقدوا ممتلكاتهم في السنغال من قبل حكومة السنغال كانا عقبتين كبيرتين في وجه أي وفاقٍ بين البلدين الأمر الذي أدّى إلى قطع العلاقات السياسية بينهما في مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م)، وفي نهاية عام ١٩٨٩ م تجدّدت أعمال العنف بين الطرفين نتيجةً لعودة الموريتانيين السود الذين كانوا قد نُقلوا إلى السنغال والمطالبة بالتعويض عن ممتلكاتهم في موريتانيا، ويبدو أن القوات العسكرية السنغالية كانت وراء التشجيع على المطالبة. وفي منتصف عام ١٤١٠ هـ (أوائل عام ١٩٩٠ م) لم يعد هناك أي مجالٍ للصلح بين البلدين وباءت محاولات الأمم المتحدة بالفشل بعد أن حدثت اشتباكات عسكرية بين الدولتين في منطقة الحدود المتنازع عليها.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة السنغال ١٩٦,١٩٠ كيلومتراً مربعاً، وتُشرف على المحيط الأطلسي على طول ٥٣١ كيلومتراً، وتحدّها موريتانيا من الشمال بطول ٨١٣ كيلومتراً، ومالي من الشرق بحدود تبلغ ٤١٩ كيلومتراً، وغينيا، وغينيا ـ بيساو من الجنوب بحدودٍ متساويةٍ تقريباً حيث تبلغ الحدود مع غينيا ٣٣٠ كيلومتراً، ومع غينيا ـ بيساو ٣٣٨ كيلومتراً. وتتوسطها بعدئذ غامبيا بحدود ٧٤٠ كيلومتراً.

ويبلغ عدد السكان حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) سبعة ملايين ونصف المليون، وبذا تكون الكثافة أكثر من ٣٨ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة جيدة في تلك المناطق المدارية.

وتنتشر في السنغال عدة قبائل كبيرةٍ منها: الولوف الذين ينتشرون في المناطق الشمالية الغربية، ويُشكّلون ٣٦ ٪ من مجموع السكان. والماندينغ في الجنوب الشرقي على حدود غينيا، وهم فرع «الديولا»، وعلى حدود مالي، وهم فرع «ماندي» وفي الشمال الشرقي على حدود موريتانيا ومالي، وهم فرع «ساراكوليه» ويشكل الماندينغ ٢٠ ٪ من مجموع السكان منهم ٨ ٪ ساراكوليه، ومنهم ٦٪ ديولا، و٦ ٪ ماندي، والفولاني في الشرق والوسط، ويشكلون ١٧ ٪ من مجموع السكان، والتوكلور إلى الغرب من ديار الفولاني ويشكلون ١٨ ٪ من مجموع السكان، والسرير في الجنوب، ويشكلون ١٧ ٪ أيضاً، والباقي، وهو من العرب الشاميين، والأوربيين من

الفرنسيين والبرتغاليين، وتبلغ نسبة مجموعهم ٣ ٪.

٣٦٪ ولوف.
٢٠٪ مانديبنغ.
١٨٪ توكلور.
١٧٪ فولاني.
٨ ٪ سرير.
١ ٪ عرب وأوربيون.
١٠٠٪.

أما من حيث العقيدة فإن قبائل الولوف، والماندينغ، والتوكلور، والفولاني، فإنهم جميعاً من المسلمين، ويُشكّلون ٨٩ ٪ من مجموع السكان، ويضاف إليهم بعض قبائل السرير، وبعض العرب وتكون نسبة المسلمين ٩٢ ٪ من مجموع السكان. أما النصارى فهم الأوروبيون وبعض العرب من الشام، ويشكلون ٢ ٪، وأما الوثنيون، فهم أكثرية قبائل السرير، ويعيشون في الجنوب في الغابة ويُشكلون ٦٪ من مجموع السكان.

٩٢٪ مسلمون.
٢ ٪ نصارى.
٦ ٪ وثنيون.
١٠٠٪

الصراع القبلي:

كان الصراع في الماضي أكثر ما يظهر بين القبائل، وقد مر معنا كيف كان انتقال الحكم من التكرور إلى الفولانيين إلى الولوف وأخيراً كانت حكومة الحاج عمر من شعب التوكلور. أما بعد الاستعمار فقد توجّه الصراع نحو الدخلاء، وأصبحت القبائل متعاونةً فيما بينها ضد الصليبيين الغزاة، غير أن الغزاة استطاعوا أن يجرّوا إليهم مع الزمن أصحاب المصالح بعد أن ألقوا أمامهم المناصب، كما شدّ المستعمرون إلى جانبهم أصحاب الأهواء

بعد أن بذروا أمامهم المفاسد، فأخذ الصراع شكلاً جديداً حمل المعنى العقيدي.

الصراع العقيدي:

لما كان الإسلام عقيدة غالبية السكان ٩٢٪ من مجموع الشعب لذا فإن أصحاب العقائد الأخرى لا وزن لهم، وخاصةً إذا علمنا أن الوثنيين داخل الغابة لا يهتمون بهذا كثيراً، وإن كانوا يشكلون ٦٪ من مجموع السكان، وأما النصارى، وهم ٢٪ لا يُشكلون أي خطرٍ مع العلم أن النصرانية لا يمكنها من منافسة الإسلام والدخول في صراعٍ مع أتباعه بشكلٍ متكافىءٍ وذلك لكثرة الطقوس الوثنية التي دخلت النصرانية منذ فرضت على الدولة الرومانية الوثنية حيث بقيت الممارسات وثنية والاسم للنصرانية غير أن الوضع هنا يختلف فالنصارى الذين يُشكّلون ٢٪ من المستعمرين الذين بيدهم السلطة. لذا كان الصراع بين الدخلاء الصليبيين ومن كسبوهم إلى ديانتهم من الوثنيين، وأتباعهم من أصحاب المصالح والأهواء من جهةٍ والمسلمين من جهةٍ أخرى الذين رفضوا السير على خطا الغزاة، واستعلوا بإيمانهم وإن لم يكونوا جميعاً ملتزمين، ولم يكن هذا الصراع متكافئاً إذ أن الجيش، وقوى الأمن، والسلطة كلها بيد طرفٍ واحدٍ هو الصليبية على أن الطرف الآخر، وهو المسلمون، مجرد من كل سلاحٍ، ومن كل قوةٍ، فقير، ضعيف، يسعى وراء لقمة العيش، ولا يجدها هذا إضافةً إلى جهله، وتفرُّقه لعدم تنظيمه، والخلافات القائمة بين قبائله وأقاليمه، وطرقه.

استعمل المستعمرون الصليبيون كل وسائل تهديم خصومهم المسلمين لتحطيمهم ومحاولة إبادتهم، فسلّطوا عليهم من نصّروهم أثناء الحكم الاستعماري، وخلّفوهم مكانهم بعد خروجهم من البلاد، ومكّنوا لمن قلّدوهم، وقبلوا السير في فلكهم، وعلى أسلوب حياتهم، ووضعوا المناهج التي تنشىء الأجيال على هذا الخط، وأثاروا بين المسلمين

النعرات. فأصبح الصراع بين المسلمين أنفسهم: المسلمون الملتزمون الذين يستعلون بإيمانهم، ويرفضون الدنية من طرفٍ، وبين المسلمين المستغربين من طرفٍ آخر، وهؤلاء لا يعرفون من الإسلام سوى الانتماء إليه. وكان الفوز للمستغربين الذين مكّن لهم المستعمرون الصليبيون، وبقوا يُؤيّدونهم حتى بعد خروجهم، ويمدّونهم بكل عناصر القوة من سلاحٍ، ومعلوماتٍ عن أعدائهم، وتأييدٍ، ووسائل مقاومةٍ، ومخططاتٍ، ولا يأتي هذا الدعم من الدولة المستعمرة سابقاً وهنا فرنسا، وإنما من الصليبية العالمية، والقوى الدولية كلها والتي تحرّكها الدول الكبرى وتُوجّهها.

لذا بقي المسلمون مستضعفين، والمتفرنجون المستغربون أقوياء، وتُكال للمسلمين الضربة بعد الضربة ليبقوا ضعفاء أذلاء، وتُؤخذ منهم الأعداد تلو الأعداد - حسب المخطط الصليبي - حتى ينتهوا من الارتباط بالعقيدة، فإذا ما انتهى هذا الدور جاء دور الإبادة، وبُدىء بتنفيذه من هامش العالم الإسلامي باتجاه القلب باسم الشراكة الدولية الذي أخذ يظهر على الساحة، وتحت شعار محاربة الإرهاب الذي تُنعت به كل حركة إسلاميةٍ قويةٍ سليمة الاتجاه في أول الأمر، ثم المسلمون جميعاً.

الصراع بين الطرق الصوفية:

الأمر الذي يُلفت النظر أن بلدان المسلمين التي كانت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي تنتشر فيها الطرق الصوفية على حين أن البلدان التي كانت تخضع للاستعمار الإنكليزي تبرز فيها القاديانية، والبهائية، والإسماعيلية.

وتوجد في السنغال طريقتان صوفيتان رئيسيتان، وتفرّعت كلاهما إلى فروع، والطريقتان هما: القادرية، والتيجانية. ومن الملاحظ أيضاً أن الطرق في المغرب وغربي إفريقية وإن كانت من أصلٍ مشرقيٍ إلا أنها تختلف عنها بعض الشيء في موضوع التواكل والتكاسل، وترك موضوع الجهاد، والإخلاد إلى الأرض مع إهمال إعمارها. وهذا الأمر يُخالف

الإسلام ويُبعد صاحبه عنه، وهو ما ينتشر بين الطرق الصوفية في المشرق على اختلافها، لكنه لا يظهر في المغرب وغربي إفريقية بشكلٍ واضحٍ حيث شاركت بعض الطرق بالجهاد.

الطريقة القادرية:

تأسّست في بغداد في القرن السادس الهجري، وتنتسب إلى محمد عبدالقادر الجيلاني، ودخلت إفريقية في القرن التاسع الهجري على أيدي مهاجرين من مدينة «توات»، وهي واحة تقع في النصف الغربي من الصحراء الكبرى، واتخذوا من مدينة «ولاته» في موريتانيا أول مركزٍ لطريقتهم، ثم انتشروا في غربي إفريقية كلها، وافتتحوا المدارس، وأرسلوا الطلاب إلى فاس، والقيروان، وطرابلس، والقاهرة. ثم تفرّعت هذه الطريقة إلى عددٍ من الفروع، ومن هذه الفروع في السنغال:

أ ـ البكائية: وظهرت في قبيلة «قنطاس» التي تدّعي أنها من أصلٍ عربيٍ، ومن سلالة عقبة بن نافع الفهري، فاتح بلاد المغرب، وتنتسب إلى سيدي أحمد البكائي الذي عاش في موريتانيا في أواخر القرن التاسع الهجري، وكان فرعها في منطقة «الترارزة» قوياً حيث يعيش حالياً أحفاد الشيخ سيديا، وهم أحفاد الشيخ سيديا الكبير المتوفى عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م)، وكذلك انتشرت في مالي، ويبدو أثر هذه الطريقة واضحاً في شعب الفولاني، إذ ظهر منهم الشيخ أحمدو، وعثمان دانفديو.

وتتأثّر السنغال بالطرق التي تنتشر في موريتانيا، فتنتشر الطريقة البكائية القادرية على نطاقٍ واسعٍ. وهناك الجماعة الدينية المعروفة «أبو قنطة»، وأصلها من «تيفاوان»، وتأسّست عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، ويُدعى رئيسها «أبو أمين» غير أن نفوذها آخذ بالتضاؤل.

وتوجد في السنغال منظمة دينية سوداء، كانت تتبع لأهل الشيخ سيديا، وتُدعى «الكتلة النورية».

ب ـ المريدية: وتنتسب إلى «أحمدو بامبا»، من شعب التوكلور،

وكان أبوه شيخ طريقة، ويدعى (مورعنت صل)، ويقطن بلاد الولوف، وبدأ حركته في بلاد «الباؤل» عام ١٣٠٤ هـ، وأنشأ مركزاً دينياً في مدينة «طوبا» عام ١٣٠٧ هـ، واتفق مع الشيخ سيديا الذي منحه الوِرد القادري بعد أن سافر إلى موريتانيا، والتقى به، ثم بدأ بمقاومة الفرنسيين، فقبض عليه عام ١٣١٣ هـ، ونفي إلى «الغابون» فتوسّط له الشيخ سيديا، فسُمح له بالعودة إلى السنغال عام ١٣٢٠ هـ، فاستقرّ في «جاريم»، غير أنه عاود نشاطه ضدّ فرنسا، فنُقل إلى موريتانيا، ووُضع تحت رقابة الشيخ سيديا بالذات. ثم عاد إلى السنغال عام ١٣٢٥ هـ، وتوفّي عام ١٣٤٥ هـ، وقبره في مدينة «طوبا»، ويزور المريدون هذا القبر، وتبدأ الزيارة في ١٨ صفر من كل عامٍ، وتدوم أربعة أيامٍ.

وخلف الشيخ ولداه «حماد» و«مصطفى»، ثم حصل خلاف بينهما، وفي عام ١٣٦٥ هـ استطاع الشيخ مصطفى «نباكي» تأسيس الديوان المريدي، وأصبح للمريدين لباس موحّد، وتبالغ الروايات في عدد المريدين، فتقول: بلغ عدد المريدين أربعمائة ألفٍ، وأن الذين زاروا قبر «أحمدو بامبا» قد بلغ مائة ألف، وأن الحكومة تضطر إلى زيادة عدد القطارات أثناء موسم الزيارة.

ج ــ **الفاضلية**: نشأت في قبيلة «زناتة»، وتنتسب إلى الشيخ «محمد فاضل» المتوفى عام ١٢٠١ هـ، وتوزّع أتباعه في الصحراء الكبرى كلها، واختاروا أماكن إقامة لهم في نقاط التقاء الطرق التي تمرّ منها القوافل، وأماكن تجمع البدو، ومناطق التبادل بين الزراع والرعاة، وأصبحوا يؤلفون أربع زمر وهي:

١ ــ مجموعة الشيخ سعد: ولها نفوذ في منطقة الترارزة في موريتانيا، وفي السنغال، وغامبيا وغينيا. ولها زاوية فرعية في إقليم «كازامانس» في السنغال، ومعظمها من شعب الديولا.

٢ ــ مجموعة الشيخ ماء العينين الذي قاوم الفرنسيين في موريتانيا والمغرب.

٣ ـ مجموعة الشيخ الحضرمي، ولها أتباعها السود من شعب الماندينغ من «الساراكوليه» و«البمبارا».
٤ ـ مجموعة الشيخ محمد الفاضل ولد عبيدي.

الطريقة التيجانية:

نشأت في الجزائر على يد سيدي أحمد بن محمد التيجاني (١١١٠ - ١٢٣٠ هـ)، ولا يحق للتيجاني أن ينتسبوا إلى طريقةٍ أخرى، وللتيجانية فرعان في الجزائر، وفرع في مدينة فاس في المغرب، وأكثر فروعها في إفريقية الغربية ترتبط بفرع فاس، ووصلت إلى بلاد «الساراكوليه» قرب «نيورو»، وينتمي لهذه الطريقة الحاج عمر الذي نشأ في «بودر» في شعب «التوكلور»، وأسّس دولةً واسعةً في غربي إفريقية، ولقي حتفه في إحدى غزواته عام ١٢٨٣ هـ، واستطاع ابنه أحمدو شيخو ضمّ ولايات أبيه لحكمه. وأخيراً دبّت الخلافات في هذه الدولة بين الأخوة الأمر الذي ساعد المستعمرين الصليبيين على دخول المنطقة جزءاً بعد آخر.

ومن فروع الطريقة التيجانية الطريقة «الحماوية» التي تنتسب إلى «حماه الله بن محمد»، ونشأت في شعب «الساراكوليه» حيث عمّ تأثيرها على كل ديار هذا الشعب، وخاصةً منطقة «جورجول»[1] التي عمت فيها أحداث المقاومة فنُفي عام ١٣٤٨ هـ إلى ساحل العاج، واعتُقل خمسة وعشرون من أتباعه، ثم أُطلق سراحه عام ١٣٥٤ هـ، وعاد إلى «نيورو» حيث عاود نشاطه ضد فرنسا، فأعدم مع اثنين من أتباعه عام ١٣٥٩ هـ.

الصراع الحزبي:

يُعدّ الصراع الحزبي عنيفاً في السنغال، ولكن من غير منافسةٍ، إذ أن الحزب الحاكم هو القوي والمسيطر، والذي يُسكت ويكم أفواه رجال بقية

---

(١) جورجول: إقليم في موريتانيا، يمتد على الضفة اليمنى لنهر السنغال، وشمال مدينة «ماتام» ومركزه مدينة «كيهيدي».

الأحزاب الصغيرة والكثيرة كشأن كل البلدان المتخلفة التي تتعدّد فيها الأحزاب لدرجةٍ كبيرةٍ.

كان حزب الاتحاد التقدّمي السنغالي هو الحاكم يوم حصلت السنغال على استقلالها، وكذلك فاز بانتخابات ١٣٨٣ هـ، وبعد ثلاث سنوات بقي الحزب الوحيد، إذ ذابت بقية الأحزاب في حزب الهيئة الوطنية ذي الأكثرية المطلقة. وأصبح حزب الاتحاد التقدمي السنغالي هو الوحيد ولا يسمح بقيام أحزابٍ أخرى، وأصبح أصحاب المصالح ينضمون إليه بصفته الحزب الحاكم والوحيد.

ووعد رئيس الجمهورية ليوبولد سنجور بالتعددية الحزبية، ووفّى بوعده في انتخابات ١٣٩٤ هـ واشتركت ثلاثة أحزاب وهي: حزب الاتحاد التقدّمي السنغالي الذي أصبح حزب التجمع الديمقراطي، ثم الديمقراطي السنغالي، وحزب الاستقلال الإفريقي.

ثم وجدت عام ١٣٩٩ هـ حركة السنغال الشعبية.

وفي الانتخابات التي جرت في ربيع الأول ١٣٩٨ هـ (شباط ١٩٧٨ م) حصل الحزب الحاكم «حزب التجمع الديمقراطي» على ٨٣ مقعداً، وحصل على باقي المقاعد وهو ١٧ مقعداً الحزب الديمقراطي السنغالي، وأما الأحزاب الباقية فلم تحصل على شيءٍ، وبقي الصراع بين هذين الحزبين إلى الآن عنيفاً، وإن الأحزاب الأخرى وإن كانت تقف في صف المعارضة غير أنها ضعيفة.

وفي انتخابات جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م)، اشترك حزب جديد فيها وهو حزب الهيئة الديمقراطية، وحصل على مقعدٍ واحدٍ في الهيئة الوطنية. وحصل الحزب الديمقراطي السنغالي على ثمانية مقاعد، وهذا كل ما حصلت عليه المعارضة، وأما الحزب الحاكم «حزب التجمع الديمقراطي» فقد حصل على بقية المقاعد، وعددها ١١١ مقعداً من أصل ١٢٠ مقعداً. وأخذ الصراع يشتد حيث كانت المعارضة تتهم الحكومة بعدم

الأمانة في الانتخابات. ووقعت أحداث دامية خاصة في مقاطعة كازامانس حيث برز حزب القوات الديمقراطية في تلك الولاية.

وفي انتخابات رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) حصل حزب التجمع الديمقراطي على ١٠٣ مقاعد في الهيئة الوطنية، ونال الحزب الديمقراطي السنغالي على ١٧ مقعداً. وحدثت اشتباكات، وقُدّم زعماء المعارضة للمحاكمة، وعلى رأسهم عبدالحي ويد، وأماث دانسوكو.

وعلى هذا فالحزب الرئيسي هو الحزب الحاكم «حزب التجمع الديمقراطي» بزعامة رئيس الجمهورية عبده ضيوف، والحزب المعارض الرئيسي، هو الحزب الديمقراطي السنغالي بزعامة عبدالحي ويد، لذا يُعدّ زعيم المعارضة، وبقية الأحزاب صغيرة وتعدّ في صفّ المعارضة.

وتتبدّل أسماء الأحزاب، وإن كان أكثرها يحمل اسم الديمقراطي، وأصبح أيضاً الحزب الحاكم يضيف اسم الاشتراكية حسب المعاصرة الشائعة، وأحزاب السنغال اليوم هي:

١ ـ الحزب الاشتراكي السنغالي، برئاسة عبده ضيوف. الحزب الحاكم. وأمينه العام جيبوكا.

٢ ـ الحزب الديمقراطي السنغالي. برئاسة عبدالحي ويد. الحزب المعارض.

٣ ـ الحركة الديمقراطية الشعبية. برئاسة محمد ضيا.

٤ ـ حزب الاستقلال والعمل. برئاسة أماث دانسوكو.

٥ ـ الحركة الثورية الديمقراطية الجديدة. برئاسة لاندينغ سافان.

٦ ـ حزب العمل الشيوعي. برئاسة دودو دار.

٧ ـ الحزب الديمقراطي ـ حركة العمل. برئاسة عبدالحي باثلي.

٨ ـ حركة الجمهوريين السنغاليين. برئاسة بوبكار جوي.

٩ ـ المنظمة الشيوعية للعاملين. برئاسة مباي باثلي.

١٠ ـ حزب الاستقلال الإفريقي. برئاسة ماجيموث ديوب.

١١ ـ الحزب الإفريقي لاستقلال الشعب. برئاسة علي نايين.

١٢ ـ الحزب الديمقراطي السنغالي الجديد. برئاسة سيرغين ديوب.
١٣ ـ حزب السنغال الشعبي. برئاسة عمر وون.
١٤ ـ حزب تحرير الشعب. برئاسة عبدالحي كان.
١٥ ـ حزب التجمع الوطني الديمقراطي. برئاسة علي مديدو فال.
١٦ ـ الاتحاد الديمقراطي الشعبي. برئاسة حمدين راسين جويسي.
١٧ ـ الاتحاد الديمقراطي السنغالي الجديد. برئاسة محمد فال.
١٨ ـ حركة قوات كازامانس.

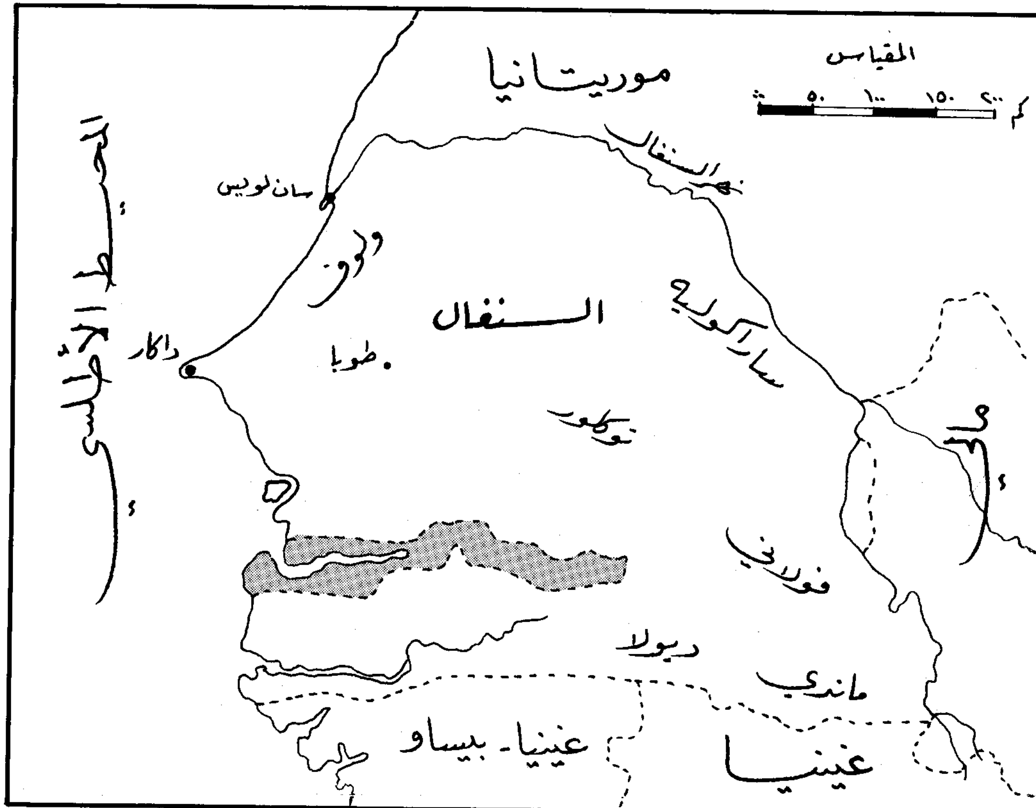
وهذه الأحزاب كما ذكرنا تغير أسماءها حسب التسميات الشائعة، فالحزب الاشتراكي السنغالي، وهو الحزب الحاكم حمل اسم «حزب الاتحاد التقدمي السنغالي» ثم «حزب التجمع الديمقراطي» والآن يحمل اسم «الحزب الاشتراكي السنغالي».

كما أن هذه الأحزاب تنقسم على نفسها، فتنشأ أسماء جديدة تحت زعامة رؤساء قدماء ترتبط أسماؤهم بأحزاب تحمل أسماء أخرى.

وهذه الأحزاب لا تختلف في أهدافها، وإنما في رجالها، وتنشأ كثرتها من الرغبة بالظهور وحب الزعامة، شأن كل الدول المتخلفة، وهذا ما يسبب زيادةً في الفوضى.

الباب الثاني

غامْبيا



المحيط الأطلسي
موريتانيا
المقياس
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ كم
السنغال
سان لويس
ولوف
السنغال
داكار
طوبا
توكلور
فولاني
ديولا
ماندي
مالي
غينيا بيساو
غينيا

مصور رقم [٢]

لمحة عن غامبيا قبل إلغاء الخلافة

ليست غامبيا سوى قطعةٍ صغيرةٍ من أرض السنغال، انتشر فيها الإسلام في الوقت الذي انتشر في السنغال، وكان الصراع في ذلك الجزء من الأرض بين المستعمرين الصليبيين من فرنسيين، وبريطانيين، وبرتغاليين، وكان البرتغاليون على درجةٍ من الضعف فطُردوا من المنطقة، وانتهت مراكزهم فيها، واستمر النزاع بين الدولتين الأخريين فرنسا وانكلترا للسيادة على المنطقة مدة الحروب الطويلة التي نشبت بين الاستعماريين خلال قرنين كاملين، حيث احتّل الإنكليز أجزاء من المنطقة، ثم عادت فرنسا إليها حسب معاهدة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م)، ثم عاد البريطانيون وسيطروا على تلك الجهات، وعُقدت معاهدة (سانت ماري) بين الطرفين عام ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) حيث وضعت بريطانيا يدها على غامبيا، وأعقبها معاهدة عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) إذ عادت منطقة السنغال إلى فرنسا، ولكن بقي الخلاف بين الدولتين على الحدود بين السنغال وبين المراكز البريطانية القائمة عند مصب نهر غامبيا، واستمر الخلاف حتى كانت اتفاقات غربي إفريقية الدولية عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) والتي حددت مصير غامبيا، ولكنها عادت وانفصلت، وأصبحت مستعمرةً بريطانية تتبع سيراليون.

وعقدت معاهدة بين الدولتين الاستعماريتين فرنسا وإنكلترا عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤ م) حيث انتهى النزاع، فتنازل البريطانيون لفرنسا عن جزيرة

(غورية)، وتنازل الفرنسيون للبريطانيين عن منطقةٍ واسعةٍ على جانبي نهر غامبيا، وبذلك وجدت دولة غامبيا، وتحدّدت حدودها نهائياً.

وفي ربيع الثاني ١٣٠٦ هـ (كانون الأول ١٨٨٨م) عادت غامبيا مستعمرةً منفصلةً، وتركت تبعيتها لسيراليون إذ عملت انكلترا على توسعة حدودها لتكون منها دولةً، وتمّ الاتفاق على الحدود الحالية عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م). وأخذت انكلترا تتفق مع شيوخ القبائل، وكان آخر تلك الاتفاقات مع (موسى مللو) شيخ الفولانيين عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م).

وألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وكأنه فُرط عقد الدول الإسلامية، وكانت بريطانيا خلال هذه المدة تُطبّق سياستها الاستعمارية المعروفة.

لم تحدث حركات في غامبيا لصغر رقعة هذه المستعمرة، وقلة عدد سكانها، وضعف الأهالي، والحالة الاجتماعية التي يُعانوها من الفقر والجهل حيث كان همهم تأمين حياتهم المعاشية قبل كل شيء، وكانوا يجدّون ولا يحصلون على جزء منها، هذا إضافةً إلى الخوف إذ كان السيف مصلتاً عليهم، والضغط عليهم يحيق بهم من كل جانب، والرحمة غير معروفة حيث كان الحقد الصليبي يدوس عليها، ويخفيها متكبراً متغطرساً.

الفصل الأول

غامبيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

استمرّت بريطانيا في تطبيق سياستها الاستعمارية في غامبيا بعد إلغاء الخلافة. وفي الحرب العالمية الثانية جنّدت الدولة الاستعمارية سكان غامبيا للقتال مع الحلفاء. وبعد الحرب، وفي عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) وضع دستور لغامبيا، ونصّ على مبدأ الانتخاب.

تأسّست الأحزاب السياسية بعد عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)، ولم يلبث أن وضع دستور جديد في عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م).

استحدث منصب رئيس مجلس الوزراء أواخر عام ١٣٨١ هـ، واقتضى هذا تعديل الدستور، فعُدّل في ذي القعدة ١٣٨١ هـ (نيسان ١٩٦٢ م).

جرت الانتخابات بعد العيد الأضحى عام ١٣٨١ هـ (أيار ١٩٦٢ م)، وفاز حزب الشعب التقدّمي، وتولى رئيسه داود كيرايا غاوارا منصب رئيس الوزراء في مطلع عام ١٣٨٢ هـ (حزيران ١٩٦٢ م).

وحصلت غامبيا على الاستقلال الذاتي في جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ (تشرين الأول ١٩٦٣ م).

وأصبحت غامبيا دولة مستقلة ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في ١٧ شوال ١٣٨٤ هـ (١٨ شباط ١٩٦٥ م) وبقي داود غاوارا رئيساً للوزراء.

وكانت بريطانيا هي التي تقوم بهذه التعديلات أو حسب توجيهها، لضعف الإمكانات، والارتباط الغامبي بها.

الفصل الثاني

الاستقلال

أصبح الحكم في غامبيا جمهورياً في ١٨ محرم ١٣٩٠ هـ (٢٤ نيسان ١٩٧٠ م)، وتولى منصب الرئاسة داود غاوارا، وأعيد انتخابه عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، وبعد خمس سنوات أخرى في ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ (نيسان ١٩٧٧ م) نتيجة فوز حزبه (حزب الشعب التقدمي) في الانتخابات التشريعية التي جرت في ذلك العام، وقد حصل على ٢٩ مقعداً من أصل ٣٥ مقعداً، بينما حصل حزب الميثاق الوطني على خمسة مقاعد، وأما الحزب المتحد فقد حصل على مقعدٍ واحدٍ.

وفي شوال ١٣٩٨ هـ (أيلول ١٩٧٨ م) ترك عضو الحزب المتحد في المجلس الوطني حزبه، وانضم أيضاً إلى حزب الشعب التقدمي الحزب الحاكم.

وفي السادس من ذي الحجة ١٤٠٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨١ م) اضطرت الحكومة أن تطلب من السنغال أن تُرسل إليها قوات لمساعدتها في حفظ الأمن الداخلي. بموجب اتفاقية الدفاع المشترك بينهما.

وفي شعبان ١٤٠١ هـ (حزيران ١٩٨١ م) وأثناء غياب الرئيس داود غاوارا قامت حركة انقلاب، وشكّل الانقلابيون مجلس الثورة الوطني الذي ضمّ اثني عشر رجلاً، وتسلّم رئاسة الدولة (كاكوي سامبا سانيانغ)، ودعمت القوات السنغالية التي اجتازت الحدود الحكومة، وقهرت حركة الانقلاب، وتمّ اعتقال أكثر من عشرة آلاف شخص، وقُدّم المعتقلون إلى المحكمة

التي قضت بالحكم بالإعدام على أكثر من ستين رجلاً، غير أن هذه الأحكام قد استبدلت عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) بالسجن مدى الحياة. وكذلك فإن حالة الطوارىء قد بقيت سارية المفعول ما يقرب من أربع سنوات حيث لم ترفع إلا في جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ (شباط ١٩٨٥ م).

وأُجريت إنتخابات الرئاسة بالتصويت الشعبي المباشر لأول مرةٍ في تاريخ غامبيا في رجب ١٤٠٢ هـ (أيار ١٩٨٢ م) حيث أعيد انتخاب داود غاوارا رئيساً، وقد حصل على ٧٢ ٪ من مجموع الأصوات، وحصل شريف مصطفى ديبا على ٢٨ ٪ من الأصوات مع أنه كان رهن الاعتقال بتهمة التورط في محاولة الانقلاب التي تمت قبل عشرة أشهر. وفي الانتخابات التشريعية التي تمت في وقتٍ واحدٍ مع انتخابات الرئاسة فقد حصل حزب الشعب التقدمي على ٢٧ مقعداً من أصل ٣٥ مقعداً التي عدد مقاعد المجلس الوطني، وبهذا فقد تراجع حزب الشعب التقدمي عما كان عليه قبل خمس سنوات في الانتخابات التشريعية إذ فاز وقتها بتسعة وعشرين مقعداً لذا فكر بعد الانتخابات باستعادة مكانته بين الشعب بإدخال عددٍ من الشباب والمعروفين بالإصلاح بالوزارة، ولكن حدث ما لم يكن يتوقّع إذ قدّم وزير العدل استقالته في شوال ١٤٠٤ هـ (تموز ١٩٨٤ م) بحجة سوء التصّرف والأداء المالي، وأعقبه إقالة وزير الاقتصاد في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) بتهمة سوء استخدام السلطة، وشاعت أخبار كثيرة بعدها عن الفساد، وكانت تقوم الحكومة بتوقيف كبار الموظفين أو فصلهم من مناصبهم في جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م).

وفي الانتخابات التشريعية والرئاسية التي جرت في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) حصل حزب الشعب التقدمي على ٣١ مقعداً من أصل ٣٥ مقعداً بالانتخاب المباشر لمجلس النواب، وحصل حزب الميثاق الوطني على المقاعد الأربعة الباقية. أما حزب الشعب الغامبي، ومنظمة الشعب

الديمقراطية للإستقلال والاشتراكية فلم يفوزا بأي مقعد. أما انتخابات الرئاسة فقد أعيد انتخاب داود غاوارا الذي حصل على ٥٩ ٪ من مجموع الأصوات، على حين حصل شريف مصطفى ديبا على ٢٧ ٪، وكانت قد تمت تبرئته من الاشتراك في محاولة الانقلاب، وأطلق سراحه في شعبان عام ١٤٠٢ هـ (حزيران ١٩٨٢ م)، وحصل رئيس حزب الشعب الغامبي (حسّان موسى) الذي كان نائباً لرئيس الجمهورية في السابق على ١٤ ٪ من مجموع الأصوات.

وفي جمادى الأول ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م) تمّ اعتقال عشرة أشخاص بينهم ستة من السنغال بعد اكتشاف مؤامرة لتدبير انقلاب. وقُدّم كل من: موسى سانح، وأحمدو باجي، وأدريان سامبو، وعثمان سانح، وكان أحمدو باجي وأدريان سامبو عضوين في حركة انفصاليةٍ سنغاليةٍ، وأثناء المحاكمة في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) ادّعى عثمان سانح أن وثائق سفرٍ مزورةٍ قد منحت لمواطنين من غامبيا وآخرين من السنغال لتلقي التدريب العسكري في الخارج. وكشف الشهود عن تورط كل من (كاكوي سامبا سانيانغ) قائد حركة الانقلاب في شعبان ١٤٠١ هـ (حزيران ١٩٨١ م)، والمقيم في ليبيا، و (عبدالله وادي) رئيس المعارضة السنغالية في هذه الحركة. وحكم فيما بعد على (موسى سانح) و (أحمدو باجي)، و (عثمان سانح) بالسجن مع الأشغال الشاقة مدداً تتراوح بين (٩ - ٣٠) سنة، في حين برئت ساحة (أدريان سامبو)، ورفضت المحكمة طلب الاستئناف الذي تقدم به الذين أدانتهم المحكمة في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م).

وفي رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) أُحيل وزير المالية والتجارة (شريف سيدولاسيس) على التقاعد بسبب اعتلال صحته، وهذا ما أدّى إلى إعادة توزيع الحقائب الوزارية فتسلّم وزارة المالية مكانه وزير الزراعة (سيهو سباللي) الذي اتهم سابقاً أنه من عناصر الفساد.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) صدر العفو عن أربعةٍ من الذين أدينوا باشتراكهم في محاولة الانقلاب ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)، كما شمل العفو خمسة آخرين من المجرمين.

الاتحاد مع السنغال:

في شوال ١٤٠١ هـ (آب ١٩٨١ م) أُعلن عن خطة للاتحاد مع السنغال بدولةٍ واحدةٍ تدعى «سنغامبيا»، وقد صادق مجلس النواب الغامبي على هذا الاتحاد في صفر ١٤٠٢ هـ (كانون الأول عام ١٩٨١ م)، وأصبح الاتحاد قائماً في ٧ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ (الأول من شباط ١٩٨٢ م). وتشكّل مجلس الوزراء الاتحادي برئاسة الرئيس السنغالي (عبده ضيوف) ونائبه الرئيس الغامبي في مطلع عام ١٤٠٣ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٢ م) وعقد جلسته الافتتاحية في ربيع الأول ١٤٠٣ هـ (كانون الثاني ١٩٨٣ م).

وتشكّل المجلس النيابي الاتحادي أيضاً، والمؤلف من ستين عضواً، وأدّت الاجتماعات المتلاحقة إلى اتفاق بشأن تنسيق السياسة الخارجية، والدفاع، والأمن، والمواصلات. ولكن السلطات السنغالية كانت تنتقد الرئيس الغامبي داود غاوارا لتباطئه في العمل إلى الاتحاد الجاد بغية تقليل النفقات على غامبيا.

وفي مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م) أعلن الرئيس السنغالي عبده ضيوف أن القوات السنغالية سوف تنسحب من غامبيا. وقد اتخذ الرئيس السنغالي هذا القرار اعتراضاً على طلب الرئيس الغامبي إعطاء غامبيا سلطات أكبر في الاتحاد. وفي الشهر ذاته أعلن الرئيس السنغالي أنه بالنظر إلى رفض غامبيا السير قدماً نحو التكامل السياسي والاقتصادي مع السنغال فإنه يجب تعليق مهمات الاتحاد الاسمي، وأن يسعى البلدان إلى إقامة اتفاقات تعاون بينهما تكون ممكنة التحقيق. وتمّ حل الاتحاد في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م)، وتلا ذلك تدهور العلاقات بين البلدين. وذُكر

أن السلطات السنغالية قد فرضت قيوداً تتعلّق بالرسوم الجمركية والسفر تتعارض مع مصالح غامبيا، كما منعت نقل بعض البضائع السنغالية الضرورية لغامبيا في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م).

ثم عقدت لقاءات في السنغال بين الرئيسين السنغالي والغامبي لتحسين العلاقات بين بلديهما.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة غامبيا ١١,٣٠٠ كيلو متراً مربعاً، تشرف على المحيط الأطلسي، ويبلغ طول ساحلها ثمانين كيلو متراً، وتحيط بها السنغال من الجهات الثلاثة الأخرى بطول للحدود، ويبلغ ٧٤٠ كيلو متراً، فهي أشبه بوتدٍ داخل السنغال على مجرى نهر غامبيا.

ويبلغ عدد سكانها ثمانمائة ألف، فتزيد بذلك الكثافة على سبعين شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد، ويبلغ معدل زيادة السكان سنوياً ٢,٥٪.

واللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية هذا بالإضافة إلى اللغات المحلية، وهي لغة القبائل الكبرى، كالماندينغ، والفولاني، والولوف.

الصراع الإقليمي:

غامبيا منطقة صغيرة، ولا تتباين فيها التضاريس لتتنوع فيها الأقاليم، وإنما هي سهول تمتّد على طرفي نهر غامبيا الذي ينبع من كتلة (فوتاجالون) في غينيا، ويتجه شمالاً، فيدخل أرض السنغال، ويتابع مجراه نحو الشمال والشمال الغربي قليلاً، وتأتيه الروافد، ثم يتجه غرباً حيث تبدأ حدود غامبيا، ويجري مسافة ١٧٥ كيلو متراً، ويصب في خليجٍ واسعٍ يتعمق في أراضي غامبيا مسافة مائةٍ وخمسةٍ وعشرين كيلو متراً، وتقع في نهاية العاصمة (بانغول) (باثورست سابقاً).

الصراع العنصري:

تعيش عدة قبائل في غامبيا، وأكبرها:

الماندينغ: ويشكل أفرادها ٥٢٪ من مجموع السكان، منهم ١٠٪ من قبيلة الديولا التي هي فرع كبير من قبائل الماندينغ.

الفولاني: ويشكل أفرادها ١٨ ٪ من مجموع السكان.
الولوف: ويشكل أفرادها ١٦ ٪ من مجموع السكان.
قبائل أخرى: ويشكل أفرادها ١٣ ٪ من مجموع السكان.
أجانب: ويشكل أفرادها ١٪ من مجموع السكان.
١٠٠ ٪

قبل وصول المستعمرين الصليبيين كان الصراع كبيراً بين تلك القبائل، فلما جاء الدخلاء اتجه الصراع إلى معاداة المستعمرين. فكان السكان في طرفٍ والمستعمرون والذين تأثّروا بهم في طرفٍ آخر، حتى حصلت البلاد على الاستقلال. وانقلب الصراع إلى فكري.

الصراع العقيدي:

لم يكن صراعاً عقيدياً لأن المسلمين هم معظم السكان، ولم يكن يُؤبه بالوثنيين مع أنهم لا يزيدون على ٩ ٪ من مجموع السكان إضافة إلى انعزالهم على أنفسهم، وتقوقعهم، وعدم وجود حضارةٍ لهم، وعدم وجود أهدافٍ مستقبليةٍ لهم، وإنما همهم تأمين حياتهم بالحصول على الرزق والجنس، وهذا ما كان يُسبّب صراعاً فيما بينهم.

فلما جاء المستعمرون الصليبيون ووضعوا نصب أعينهم الضغط على المسلمين، والعمل على الخلاص منهم بالإبادة أو الطرد أو التنصير، كما رسموا لهم سياسة تنصير الوثنيين عندما عجزوا عن تنصير المسلمين، والإفادة ممن ينصرونهم، ومن الوثنيين لمقاومة المسلمين، وقد نجحوا في مهمتهم نسبياً مع الوثنيين عندها بدأ الصراع بين النصارى المستعمرين،

والمتنصّرين الجدد، وبعض الوثنيين، والمتفرنجين من السكـان عامـة في طرفٍ والسكان المسلمين الملتزمين في طرفٍ آخر.

ويُشكّل المسلمون اليوم	٩٠٪	من مجموع السكان.
ويشكل النصارى	٩٪	من مجموع السكان.
ولا يزال من الوثنيين	١٪	من مجموع السكان.
	١٠٠٪	

ولمـا كانت السيـطرة للنصـارى حيث مكّن لهم المستعمـرون قبـل انسحابهم، ولا يزالون يُؤيّدونهم، ويدعمونهم، ويمدّونهم بكل الإمكانات، والنصارى يتّخذون الوسائل كافةً في كسب ضعاف النفوس من المسلمين إليهم بتأمين المصالح، والإغراء بالمنصب، والإغواء بالجنس، والإرساليات التنصيرية ترفدهم بعملها. ويعمل النصارى جهدهم لإذلال المسلمين ببثّ الشائعات ضدهم وتسميتهم بالرجعيين، والإرهابيين، والأصوليين والمتخلفين في سبيل إضعافهم نفسياً، وفي الوقت نفسه يعملون على إفقارهم بإبعادهم عن الوظائف وعدم إقامة المشروعات الحيويـة في سبيل سعيهم وراء من بيدهم المال والسلطة ظاهرياً، ومن وقع وصل، ولذا نجد أصحاب المصالح من هؤلاء لم تتركهم ما داموا متفرنجين، ولم يتركوها ما داموا يسعون وراء مصالحهم وأهوائهم.

الصراع الحزبي:

تتعدد الأحزاب في غامبيا حيث نجد:

١ ـ حزب الشعب التقدمي: وهو الحزب الحاكم، ويرأسه رئيس الدولـة داود غاوارا.

٢ ـ حـزب الميثاق الـوطني: أقوى أحـزاب المعارضـة، ويرأسـه شريف مصطفى ديبا.

٣ ـ حزب الشعب الغامبي: من أحزاب المعارضة ويرأسه حسان موسى.

٤ ـ منظمة الشعب الديمقراطية للاستقلال والاشتراكية: من أحزاب المعارضة.

٥ ـ الحزب المتحد: من أحزاب المعارضة.

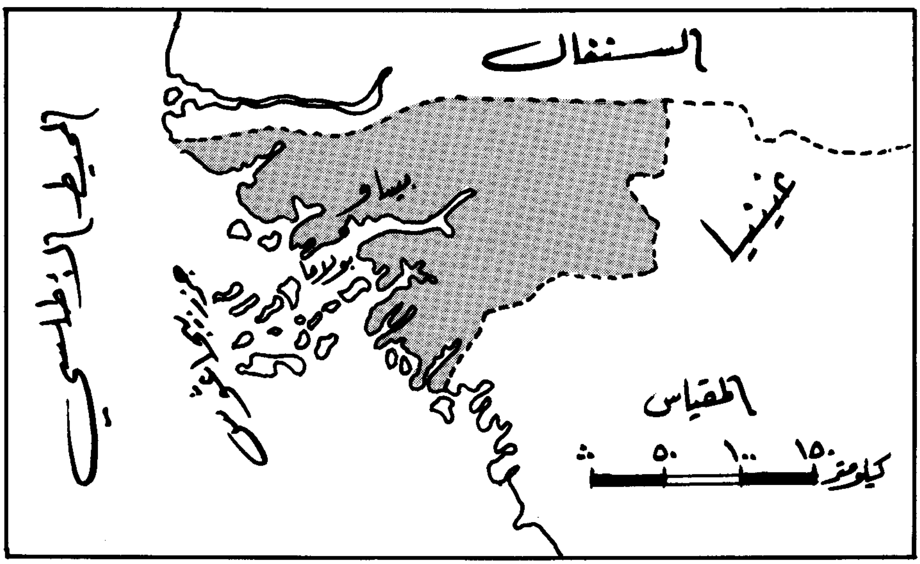
وهذه الأحزاب ذات أهدافٍ واحدةٍ، وهي استلام السلطة والاستئثار بالحكم، لذا فهي ليست ذات منهج أو مبدأ واضحٍ، فهي غير متباينةٍ. وما دام الحزب الحاكم يُؤدّي دوره، ولا يُبدي أي محاولة للخروج عن الفلك الذي يجري فيه فهو مُؤيّد ومدعوم، ويستطيع أن يكسب الشعب إلى صفّه بما يُقدّم لهم من خدماتٍ، وما يُهيء من وظائف لطلاّبها، وسيبقى بالحكم ما دام على هذا، والأحزاب الأخرى ليست سوى مُهدّدةٍ له لئلا يُغيّر من سيره.

والحزب الحاكم لا يزال بالسلطة منذ عام ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م) أي منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وهذا شأن الأحزاب الحاكمة في البلدان المتخلّفة ما دامت تسير في خطٍ يرضى عنه السادة من الدول الكبرى التي اتخذت ما أسمته النظام العالمي أو الشراكة لتكون كشرطي مرورٍ للدول التي تُريد أن تخرج عن رأيها، ولتُطبّق الصليبية التي تعمل لها منذ عهدٍ طويلٍ، وقد تمكّنت الآن فيجب أن تصبّ غضبها على المسلمين كمنظماتٍ وحركاتٍ أولاً، ثم على الذين يخرجون عن رأيها، وتعمل على إبادتهم تماماً، وأخيراً على الذين ينتمون إلى الإسلام ولو انتماءً، ويرفضون التخلّي عن دينهم، وقبول النصرانية عقيدةً. والمخطط سيكون كالمخطط الاستعماري يبدأ من الهامش ليصل إلى القلب.

ولا يظنّ غير الملتزمين أنهم في منأى، بعيدين عن عجلات السحق، فإن الدور آتيهم ما داموا ينتمون إلى الإسلام، وإذا ابتعدت الرحى الآن، فإن المرحلة القادمة ستنالهم إلا أن نُغيّر ما في نفوسنا، ونرجع إلى ديننا، ونستعين بالله.

الباب الثالث

غينيا - بيساو



مصور رقم [٣]

لمحة عن غينيا ـ بيساو قبل إلغاء الخلافة

وصل إلى سواحل غينيا ـ بيساو اليوم البحار البرتغالي (نونو تريستاو) عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) أي قبل سقوط الأندلس بأيدي النصارى الإسبان والبرتغاليين بسبعٍ وأربعين سنة.

ونشأت المراكز البرتغالية على الساحل حيث لم تكن القبائل الإسلامية لتُقيم في تلك الجهات، وإنما كانت ديارها في الداخل، وهذا ما مكّن لهذه المراكز أن تتوسّع، ثم أخذ البرتغاليون يتسلّلون نحو الداخل وخاصةً بعد سقوط الأندلس عام ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) حيث ارتفعت معنوياتهم، وقوي أمرهم، وكانوا يعتمدون في تسلّلهم على السلاح، وإن لم يُفدهم فعلى الخبث والمكر، وسذاجة رجال القبائل. وكلما تقدّموا في بقعةٍ حصّنوا فيها مواقعهم، وعزّزوا قواتهم، حتى توغّلوا قليلاً في الداخل.

وأصبحت أرض غينيا ـ بيساو مستعمرةً برتغاليةً عام ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م). وجرت خلافات بين فرنسا في السنغال وغينيا، وبين البرتغاليين في غينيا ـ بيساو على الحدود في مستعمراتهم، وانتهت بالتسوية في اتفاقية ٩ شعبان ١٣٠٣ هـ (١٢ أيار ١٨٨٦ م)حيث وضعت الحدود التي لا تزال قائمةً بين هذه البلدان إلى الآن.

انتشر الإسلام في أرض غينيا ـ بيساو على نطاقٍ واسعٍ منذ القرن الخامس الهجري، وقد أقام المرابطون أكثر من رباطٍ على أرض هذا الجزء من غربي إفريقية، كما أن قبائل الفولاني والماندينغ قد دانت بالإسلام،

وهي تُشكّل ما يقرب من نصف سكان هذه الرقعة.

ولما جاء المستعمرون الصليبيون وتسلّلوا إلى الداخل، وتمكّنوا في مواقعهم شعرت القبائل المسلمة بخطر هؤلاء الدخلاء، وأحسّت بأنهم جسم غريب في مظاهر حياتهم، وأسلوبهم، وجشعهم بالتوسّع، والحقد الذي يغلي في صدورهم، وإن لم يكن المسلمون يعلمون ما يدور خارج محيطهم، وأيقنت العشائر المسلمة أن هؤلاء الغرباء أشدّ خطراً من الوثنيين المعزولين في مواقعهم، والذين ليس لهم أهدافٍ سوى ما يُؤمّنون به حياتهم وشهواتهم، وفي الوقت نفسه لا يملكون شيئاً خطيراً من المقاومة، وأخذت روح المقاومة تظهر، وبدأ النزاع يبرز، وكان الاحتكاك والقتال بين الطرفين، الدخلاء بأسلحتهم الحديثة يومذاك، وجنودهم من البرتغاليين، والمرتزقة، والوثنيين الأفارقة من جهةٍ، والعشائر المسلمة الضعيفة من جهة أخرى.

وكان البرتغاليون كلما أحسّوا من عشيرةٍ روح المقاومة أُخرجت من أرضها، وحلّ محلّها جماعة أخرى نصرانية أو وثنية جيء بها من المستعمرات المجاورة في سبيل تغيير المجتمع، وإضعاف نسبة المسلمين، وزيادة عدد المؤيّدين، وبدأ البرتغاليون الصليبيون تنفيذ سياستهم هذه منذ القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، واستمرّوا في اتباع هذه السياسة حتى العصر الحديث.

الفصل الأول

غينيا ـ بيساو

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ٢٨ شعبان ١٣٩٤هـ.

٣ آذار ١٩٢٤ ـ ١٠ أيلول ١٩٧٤م.

استمرّت البرتغال في اتباع سياسةٍ استعماريةٍ تعسُّفيةٍ حاقدةٍ ليس في غينيا ـ بيساو بل في كل مستعمراتها وخاصةً بالنسبة إلى المسلمين، وأكثر ما كانت هذه السياسة جائرة في عهد الطاغية سالازار الذي تولّى حكم البرتغال عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م)، وبقي في السلطة حتى هلك عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) بعد أن أقعده المرض مدة عامين، وقد حكم بلاده بالحديد والنار، وإذا كان هذا شأنه في بلاده فكيف هو في مستعمراته، وهو المشحون بالحقد، لقد أراد هذا الطاغية أن يحول بين سكان مستعمراته وبين العالم الخارجي، ويقطع بينهما كل صلةٍ، ويمنع وصول أي خبرٍ إلى أولئك القابعين في سجونهم الواسعة من المستعمرات البرتغالية، فمنع وصول المذياع إلى أيدي أولئك البائسين، وإذا قُبض على مذياعٍ مع أحدٍ من المسلمين في تلك المستعمرات فُرضت عقوبة قاسية في حقّ صاحبه، وصودر الجهاز.

وكان يحكم غينيا ـ بيساو، وكل مستعمرةٍ برتغاليةٍ حاكم عسكري له الصلاحيات كافةً في إجراء ما يراه ضرورياً، واتخاذ ما يشاء من عقوبات، والتصرّف كما يريد بالأهالي والأملاك.

وفي عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)أصبحت مدينة (بيساو) عاصمة هذا الجزء من غربي إفريقية.

وفي ٧ رمضان ١٣٧٠ هـ (١١ حزيران ١٩٥١ م) صدر قانون رقم ٢٠٤٨ تغيّر بموجبه اسم المستعمرات البرتغالية إلى مايُسمّى (الأراضي عبر البحار)، وكل أرض لها حاكم عام، وتتمتع باستقلالٍ ذاتيٍ في الشؤون الإدارية والمالية، وتخضع ميزانيتها لاعتماد وزير الأراضي عبر البحار، ولا يسمح لها بأخذ قروضٍ أجنبيةٍ.

وفي ٢٦ ربيع الأول ١٣٨١ هـ (٦ أيلول ١٩٦١ م) مُنح سكان غينيا ـ بيساو مع سكان المستعمرات البرتغالية كافةً الجنسية البرتغالية كاملةً، ويتمتعون بالمكانة نفسها التي يتمتع به الهنود البرتغاليون وغيرهم. غير أن ذلك بقي نظرياً، وربما في الشؤون الخارجية وبعض الشؤون الورقية أما الواقع فقد بقي السيف مصلتاً فوق سكان غينيا ـ بيساو وغيرهم من سكان المستعمرات البرتغالية الأمر الذي حرّك روح المقاومة في العام التالي (١٣٨٢ هـ) إذ شعر السكان أن هذا القرار لم يكن سوى ذر رمادٍ من أيدي المستعمرين الصليبيين في عيون سكان المستعمرات، وقامت الحركات في وجه المستعمرين، ولكنها قُمعت بشدةٍ من قبل الحاكم العام «سالازار» الذي تولى حكم المنطقة منذ عام ١٣٥٠ هـ حتى توفي عام ١٣٨٩ هـ، وخلفه «سبيبولا».

وفي ١٥ رجب ١٣٨٢ هـ (١١ كانون الأول ١٩٦٢ م) اتخذت لجنة الوصاية الدولية قراراً تُطالب فيه البرتغال بالاعتراف الفوري بحق المستعمرات البرتغالية بالحكم الذاتي.

وفي ١٩ رجب ١٣٨٢ هـ (١٥ كانون الأول ١٩٦٢ م) أصدرت الأمم المتحدة قراراً تلوم فيه سياسة البرتغال التعسُّفية في غينيا ـ بيساو وبقية مستعمراتها.

وفي ١٦ شعبان ١٣٨٣ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٦٤ م) أُلغيت الرسوم الجمركية كافةً بين البرتغال والأراضي عبر البحار، كإعطاء صورةٍ على أن هذه المستعمرات جزء لا يتجزأ من أراضي البرتغال.

وفي ٥ ربيع الأول ١٣٩٢ هـ (١٨ نيسان ١٩٧٢ م) اعترفت لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة بالحزب الإفريقي الذي يطالب باستقلال غينيا ـ بيساو، وجزر الرأس الأخضر عن السيطرة البرتغالية. وتمكّن الحزب في هذا العام من الحصول على ثلثي إدارة الدولة.

وفي عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) جرت الانتخابات لتشكيل مجلس الشعب الوطني، وحصلت غينيا ـ بيساو في ٢٧ شعبان ١٣٩٣ هـ (٢٤ أيلول ١٩٧٣ م) على الاستقلال الذاتي، وتسلم لويس كابرال رئاسة مجلس الدولة.

وقع الصدام بين السكان الوطنيين وبين البرتغاليين الذين بلغ عددهم أربعين ألفاً، وأصيبوا بخسائر فادحةٍ، وهذا ما أجبر الحكومة البرتغالية على الانسحاب من غينيا ـ بيساو، وعدّتها دولةً مستقلةً بدءاً من ٢٣ شعبان ١٣٩٤ هـ (١٠ أيلول ١٩٧٤ م).

الفصل الثاني

الاستقلال

٢٣ شعبان ١٣٩٤ - ....

١٠ أيلول ١٩٧٤ - ....

بعد أن نالت غينيا - بيساو استقلالها، جرت الانتخابات في ذي الحجة ١٣٩٦ هـ ومحرم ١٣٩٧ هـ (كانون الأول ١٩٧٦ م وكانون الثاني ١٩٧٧ م) حيث صوّت الناخبون في مجالس الأقاليم المحلية على مجلس الشعب الوطني الذي سبق له أن انتخب.

وفي عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) توفي الرئيس السابق فرانسيكو منديز الذي كان على رأس الدولة منذ عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م)، وتولّى مكانه مؤقتاً (جوا فييرا) رئيس القوات المسلحة ورئيس مجلس الشعب الوطني.

وحتى عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) كان الحزب الإفريقي لتحرير غينيا وجزر الرأس الأخضر يُشرف على غينيا - بيساو وجزر الرأس الأخضر، غير أنه بعد ذلك قد انفصل إلى فرعين من الناحية الدستورية، ولكنهما بقيا متحدين بشكلٍ ضمنيٍ وشعبيٍ.

وأقرّت الحكومة الدستور الجديد في ٣ محرم ١٤٠١ هـ (١٠ تشرين الثاني ١٩٨٠ م) وانتخب لويس كابرال رئيساً للدولة غير أنه بعد أربعة أيامٍ فقط أطاح الجيش بمجلس رئاسة الدولة ولويس كابرال، وحُلّ مجلس الشعب الوطني، وغدا (جوا فييرا) رئيساً لمجلس الثورة، واعتقل لويس كابرال.

وفي اجتماع للحزب عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) تقرر أن يكون الحزب

الإفريقي لتحرير غينيا هو الحزب الوحيد في البلاد، ولا يُسمح بحزبٍ آخر، وأن يكون جوا فييرا أميناً عاماً للحزب.

وعلى الرغم من انسحاب جزر الرأس الأخضر من الحزب، وانقطاع العلاقات السياسية بين البلدين بعد الحركة الأخيرة، لكن عادت الأمور إلى حالتها الطبيعية بعد إطلاق سراح الرئيس السابق لويس كابرال عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)، وفي الوقت نفسه عُيِّن (فيتور سعود ماريا) نائب رئيس مجلس الثورة ووزير الخارجية سابقاً رئيساً لمجلس الوزراء، وكان هذا المنصب قد أُلغي منذ سنتين، كما أن عدداً من الوزراء الذين يحملون أفكاراً يساريةً قد أُبعدوا عن مناصبهم الوزارية أيضاً.

وفي عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) شكل الرئيس جوا فييرا هيئةً برئاسة وزير العدل لمراجعة الدستور، وقانون الانتخابات.

وفي عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) أقال الرئيس جوافييرا رئيس الوزراء فيتور سعود ماريا من منصبه بسبب تجاوزه لصلاحياته بالعمل على تغيير الدستور، والتي كان من المفروض - حسب رأيه - أن تكون بيد الرئيس فقط، وقد تضامن عدد من كبار أعضاء الحزب مع رئيس الوزراء المعزول وتركوا الحزب، وتخلّوا عن مراكزهم التي كانوا يشغلونها. وتسلّم الرئيس جوا فييرا بنفسه رئاسة مجلس الوزراء، وجرت انتخابات مجالس الأقاليم، وأعيد تشكيل مجلس الشعب الوطني، وتمّ اختيار أعضائه من أعضاء مجالس الأقاليم، وأصبح مجلس الثورة مجلساً للدولة، ويضم خمسة عشر عضواً من أعضاء المجلس الوطني. وتسلّم جوا فييرا رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة.

وفي أواخر عام ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م) عمل الرئيس جوا فييرا حسب دعواه - على إنهاء الفوضى التي استشرت في البلاد فأقال بعض كبار الموظفين من مناصبهم، وألقى القبض على بعضهم، وأودعهم السجن، وهذا ما أدّى إلى قيام حركةٍ في ربيع الأول ١٤٠٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٥ م) بقيادة (كول باول كوريّا) الذي كان يشغل منصب نائب رئيس

مجلس الدولة مع عددٍ من كبار الضباط، غير أن الحركة قد فشلت واعتقل أفرادها، وتعرّضوا لأشد أنواع العذاب، وفي ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) مات ستة منهم في السجن، كما أعدم رئيس الحركة (كول باول كورّيا)، وفي جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) أطلق سراح أربعةٍ منهم بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان، ثم أُفرج في ربيع الثاني من عام ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) عن ثمانيةٍ آخرين، وخُفّف الحكم عمن بقي داخل السجن، وفي منتصف عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م)مُنح الباقون العفو، وعددهم اثنان وعشرون شخصاً.

وفي ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) وسّع الرئيس جوا فييرا مجلس الوزراء، فأصبح يضمّ تسعة عشر وزيراً بعد أن كان خمسة عشر، وأوجد ثلاثة وزراء للأقاليم.

وفي الاجتماع الحزبي الرابع الذي عُقد في ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) أُعيد انتخاب الرئيس جوا فييرا أميناً للحزب لمدة أربع سنواتٍ أخرى، ووافق المجتمعون تبنّي سياسة الاقتصاد الحر.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م)عُيّن فاسكو كابرال وزير العدل أميناً عاماً دائماً للجنة المركزية للحزب في محاولةٍ لضمان حصول دعم وموافقة الحزب على حرية الاقتصاد. وحصل تغيير في أعضاء الحكومة إذ عُيّن وزير جديد للعدل ليحلّ محلّ فاسكو كابرال، كما وجد منصب لأمانة سر وزارة العدل، وآخر للخارجية.

وأشيع في رمضان ١٤٠٧ هـ (أيار ١٩٨٧ م) أن عشرين ضابطاً من كبار ضباط الجيش قد اعتقلوا لمخالفتهم لسياسة الرئيس جوا فييرا لكن حكومة غينيا ـ بيساو قد تجاهلت هذا الخبر تماماً مع أن صحف لشبونه عاصمة البرتغال قد أكّدت ذلك، وبعد شهرٍ نفى الرئيس هذه الإشاعة كلياً أثناء زيارته التي قام بها لفرنسا للعلاج.

وفي عـام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) قُتـل وزيــر التخـطيط في حــادثٍ غـامضٍ، وكان هـذا الوزيـر هو الـذي وضع أُسس التنسيق بين غينيـا ـ بيساو والمصرف الدولي، وشغل منصبه بعـده أمين سر الـدولة للشؤون المـالية والتعاون الدولي.

وفي عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) حدث تغيير جزئي في الوزارة، وفي الشهر نفسه أعلن أن الحزب قد شكّل هيئةً وطنيةً لمراجعة الدستور، وتتألف من ستة أعضاء. كما جرت الانتخـابات المحليـة في العام نفسه، وشارك معظم الذين يحق لهم الانتخاب، ونصفهم تقريباً قد شـارك في انتخاب المجلس الوطني الذي يقوم بدوره بانتخاب مجلس الدولة، وأعيد انتخاب الرئيس جوا فييرا رئيساً لمجلس الدولة.

وفي جمادى الآخرة ١٤١١ هـ (كانون الثاني ١٩٩١ م) أعلن الرئيس جوا فييرا عن تشكيل هيئةٍ لمراجعة برنامج الحزب ونظامه استعداداً لعرضه على اجتماع الحزب الخـامس المقرر عقـده في جمادى الأولى ١٤١٢ هـ (تشرين الثاني ١٩٩١ م).

وكانت العلاقات قد توترت مـع البرتغـال عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) عندما دخل ستة من البرتغاليين المياه الإقليمية لغينيا ـ بيساو، وهم في رحلة صيدٍ بحريٍ، فاحتجزت غينيا قواربهم، وعملت البرتغال على الانتقام من غينيا.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة غينيا ـ بيساو ٣٦,١٢٠كيلو متراً مربعاً، وتشمل مجموعة جزر «بيجاغـوس» وجزيـرة «بولامـا». وتشرف على المحيط الأطلسي من ناحية الغرب، ويبلغ طول سـاحلها ٣٥٠ كيلو متـراً، وتحدّ المستعمـرات الفـرنسية سـابقاً «السنغـال» و «غينيا» ولا تشتـرك مع حـدود دولٍ أخرى سواهما، ويبلغ طول حدودها البرية ٧٢٤ كيلو متراً، منها: ٣٣٨ كيلو متراً مع السنغال، و ٣٨٦ كيلو متراً مع غينيا.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) ما يزيد على ٩٧٥٠٠٠ إنسان، وبذا تكون الكثافة العامـة هي ٢٧ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد.

ويتوغّل البحر في البر فيملأ أودية الأنهـار السفلى فتصبح خلجـاناً تتعمّق نحو الداخل، فتصبّ الأنهار في مصباتٍ واسعةٍ هي خلجان كانت بالأصل أودية لتلك الأنهار، فالخلجان من نوع «الرياس» كما هو معروف بالجغرافية.

الصراع العنصري:

تعيش على أرض غينيا ـ بيساو عده قبائل أهمها:

١ ـ البالانت: وتعيش على السهل الساحلي وقرب الشواطىء وفي الجزر، ويشكل عدد أبنائها ٣٠ ٪ من مجموع السكان وتدين بالوثنية، وبعضها

يعتنق النصرانية، وقد جاء أبناء هذه القبائل إلى هذه المنطقة بجهود البرتغاليين ليقلّلوا من نسبة المسلمين، وليستفيدوا من هذه القبائل في الإدارة والدعم.

٢ ـ الفولاني: ويعيشون في الداخل، ويشكلون ٣٠ ٪ أيضاً من مجموع السكان، وهم من المسلمين.

٣ ـ مانجاكا: ويتمركزون في الداخل، ويشكلون ١٤ ٪ من مجموع السكان، وأكثريتهم من المسلمين.

٤ ـ الماندينغ: ويسكنون في الداخل أيضاً، ويشكّلون ١٨ ٪ من مجموع السكان، وهم من المسلمين.

٥ ـ البيل: ويقيمون في الداخل أيضاً، ويشكّلون ٧ ٪ من مجموع السكان، وهم من المسلمين.

ويعيش في غينيا من الأوربيين، وخاصةً من البرتغاليين أقل من عشرة آلاف إنسان أي حوالي ١ ٪ من مجموع السكان، وهم من النصارى.

كان الصراع بين القبائل قوياً في الماضي، فلما جاء المستعمرون الصليبيون توحّدت جهود القبائل ضدّهم، فما كان من البرتغاليين إلا أن جاءوا بقبائل البالانت الوثنية والتي اعتنق بعض بطونها النصرانية، وجعلوها في مواجهة القبائل الإسلامية، وأمدوها، ووقفوا بجانبها، وأسكنوها أخصب الأرض على الساحل ليكون إمدادها سهلاً، فأخذ الصراع شكلاً قبلياً مرةً ثانيةً وإن كان في الحقيقة عقيدياً واستعمارياً، ثم انضمّ إلى جانب البرتغاليين أيضاً أصحاب المصالح والأهواء من المسلمين مع الزمن فقويت الجبهة الاستعمارية الصليبية وتمكّنت من السكان، وطبّقت عليهم سياستها، وإن جلا البرتغاليون عن البلاد إلا أن هذا الصراع لا يزال قائماً بين جبهتين الأولى: إسلامية ضعيفة وتخسر بعض عناصرها باستمرار مع الزمن والثانية تضمّ الجماعات النصرانية والوثنية والعلمانية وتزداد عدداً مع الأيام، وهي قوية بإمكاناتها، وتسلّمها السلطة.

الصراع العقيدي:

تبلغ نسبة المسلمين في غينيا ـ بيساو ٦٠٪، وتعود قلّة هذه النسبة بالنسبة إلى ما جاورها من بلدان مثل: السنغال، ومالي، وغينيا، وغامبيا إلى السياسة البرتغالية التي استقدمت إلى مستعمرتها هذه الكثير من الجماعات الوثنية والنصرانية لإضعاف شأن المسلمين. وللسبب نفسه ارتفعت نسبة الوثنيين إلى ٣٥٪، ونسبة النصارى إلى ٥٪ من مجموع السكان.

ونتيجة كثرة الوثنيين ودعمهم من قبل الإرساليات النصرانية، ومن قبل المستعمرين الصليبيين البرتغاليين الذين بيدهم السلطة، والقوة، والمال أخذ الصراع العقيدي شكلاً عنيفاً، غير أنه لم يكن متكافئاً، وهذا ما جعل المسلمين يخضعون، وكانوا يخسرون قوتهم مع الزمن.

وإذا كان الصراع لم يُعلن عنه، ولم يظهر تحت هذا العنوان إلا أنه في الواقع موجود، ويلمسه كل من يريد أن يتتبع الأحداث، ولم يُخف إلا لعدم إثارة العامة من المسلمين الذين قد يصدقون ما يُذاع، أو يخفى عليهم الواقع، فلو صُرّح به لاتجهوا نحو الالتزام، وتمسّكوا بإسلامهم، وقاتلوا خصومهم.

الصراع الحزبي:

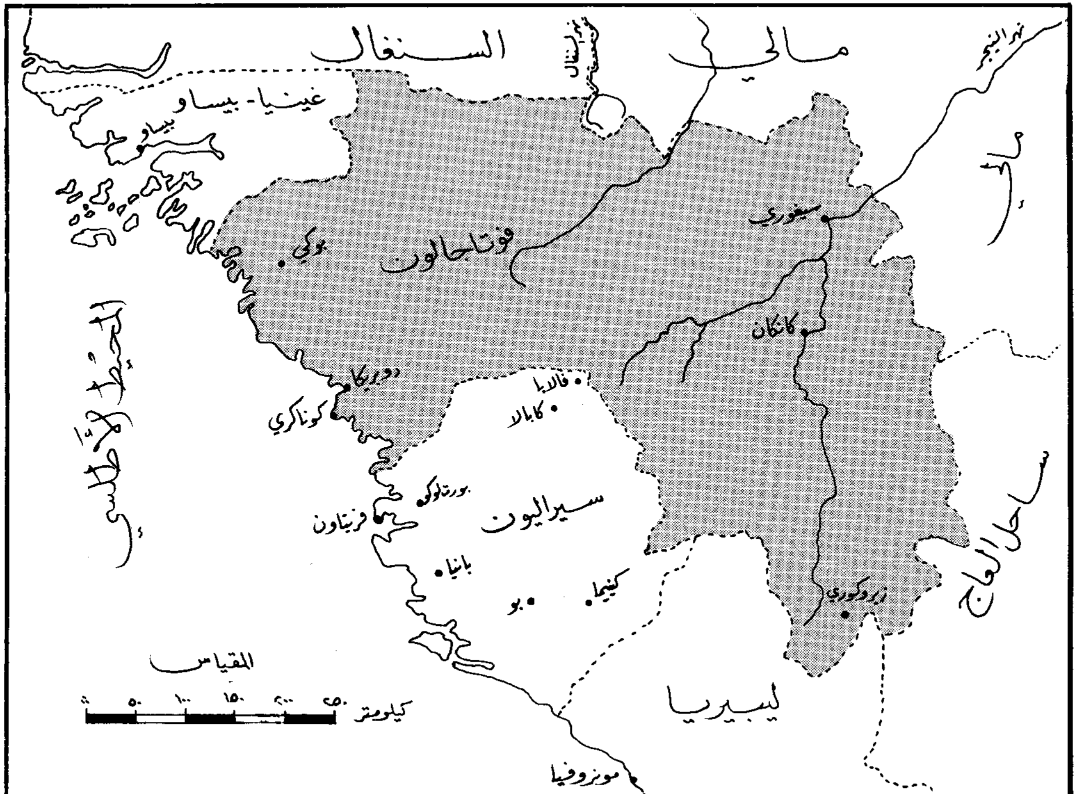
لم تكن البرتغال لتسمح بقيام أي تجمّعٍ سياسي خوفاً من وجود معارضةٍ لسياستها، كما لم تتبنّ قيام أي حزب يجري في فلكها، ويسير في ركابها، ويتلقّى توجيهاتها خوفاً من أن تبرز فيه قيادات تغلب عليها النزعة الوطنية. غير أن هذا لم يحل دون التقاء الناس بعضهم مع بعضٍ وتنظيم أنفسهم سراً، وقد أُطلق على تنظيمهم هذا اسم الحزب الإفريقي لتحرير غينيا وجزر الرأس الأخضر، وما أن عُرف هذا التنظيم حتى انضمّ إليه الكثير من أصحاب الأطماع، وتوقّعوا أن سيكون له دور فيجب أن يكونوا فيه عند قطف الثمار، كما أن البرتغال قد زجّت فيه أعوانها، ولم تمض سوى مدةٍ

وجيزةٍ حتى غدا قادته من المندسّين فيه، ومن رجال السلطة، ومن أهل المصالح، وبرز على الساحة على أنه يعمل لمصلحة البلد، وأنه يسير في اتجاهٍ يتعارض مع اتجاه المستعمرين البرتغاليين، وبذا نال شيئاً من التأييد من العامة.

وفي ٥ ربيع الأول ١٣٩٢ هـ (١٨ نيسان ١٩٧٢ م) اعترفت لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة به، وأصبح الناطق باسم السكان، وآلت إليه السلطة عندما حصلت البلاد على الاستقلال في ٨ رمضان ١٣٩٤ هـ (٢٤ أيلول ١٩٧٣ م)، وبقي هو الحزب الوحيد، واستبدّ، وحال دون وجود تنظيمات سواه منذ عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م)، وإن وُجد بعض الشيوعيين يعملون في الخفاء نتيجة الجريان الكلي في فلك المعسكر الآخر، فكانوا كمعارضةٍ ليحصلوا على التأييد، ويصلوا إلى السلطة.

الباب الرابع

غينيا



السنغال
مالي
نهر السنغال
نهر النيجر
غينيا - بيساو
بيساو
فوتاجالون
بوكي
سيغوري
كانكان
دوبريكا
كوناكري
فالابا
كابالا
بورتلوكو
فريتاون
سيراليون
بانيا
كينيما
بو
زيروكوري
المحيط الأطلسي
ساحل العاج
ليبيريا
مونروفيا
المقياس
كيلومتر

مصور رقم [٤]

لمحة عن غينيا قبل إلغاء الخلافة

بدأ الإسلام ينتشر في منطقة غينيا اليوم منذ أيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري، واستمّر ذلك في عهد الدول التي قامت في بلاد المغرب بعد المرابطين، ومما ساعد على انتشار الإسلام الحياة القبلية فإذا اعتنق زعيم القبيلة الإسلام أخذ أفراد القبيلة في اعتناقه، ويأخذ ذاك الزعيم بغزو القبائل الأخرى والجهاد لنشر الإسلام فإذا ما دخل منطقةً أخذ أبناؤها محاكاته في عقيدته إذ غالباً ما يتأثّر المغلوب بالغالب ويُقلّده في كل شيء، لذا نجد المستشرقين يقولون: كان الدين الإسلامي في إفريقية دين الترفّع والسيادة. وليس اعتناق الإسلام هنا الإلتزام به كلياً بل كثيراً ما كانت تبقى بعض الشوائب عالقةً به عند بعض القبائل.

وشجّع الأفراد على الدخول في الإسلام التخلّص من الزعماء الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، ويُعاملونهم معاملة السوائم، فالإسلام يحرّرهم من التفرقة، ويُبعدهم عن التسلّط، فانطلق الأفراد يبحثون عن حرياتهم، ويُفتّشون عن مصالحهم، واقتنعوا أن الإسلام إنما جاء ليرعى البائسين، ويُنقذ المظلومين، فأقبلوا نحوه، والإسلام دين الفطرة.

وكان للتجارة دورها، وللدعاة أثرهم، وللطرق مجالهم في ذلك الوسط الفطري البسيط. كل ذلك جعل الإسلام يسود منطقة غينيا اللهم إلا إذا استثنينا جهات الغابات حيث بقي سكانها في عزلتهم، وعلى حياتهم الوثنية، يعبدون قوى الطبيعة المختلفة.

وجاء المستعمرون الصليبيون، وأسّسوا لهم مراكز على السـواحل، وفي منتصف القـرن الثالث عشـر الهجري (منتصف القـرن التاسـع عشر الميلادي) أخذ المستعمرون الصليبيون يتوغّلون نحو الداخل عندما أيقنوا بقوتهم، وعرفوا ضعف القبائل في الداخل، وخلافها فيما بينها.

بدأ نفوذ فرنسا في غينيا عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) إذ وجدت حجةً للتوغّل في الداخل، وهي اختلافها مع أحد أمراء القبائل حول تجارة الرقيق فاحتلّت مدينة «بوكي». وفي عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) أرادت أن تحول بين بريطانيا وبين ربط منطقة غامبيا بمنطقة سيراليون باحتلال جهات غينيا لذا أسرعت فرنسا، واحتلّت مدينة «دوبريكا» وما حولها لتقـطع على بريـطانيا الطريق.

وفي عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) عُقد مؤتمر برلين، ونتيجته استقلت فرنسا بأنحاء غينيا، وأخذت تتوسّع بجهـات غينيا كلهـا، واحتلّت جزيـرة «تومبو» التي تقع عليها عاصمة البلاد الحالية «كونـاكري» عـام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م)، وبعد عامين أصبحت غينيا تقريباً بحدودها الحاليـة، وعُرفت باسم «غينيا الفرنسية».

وفي هذه الأثناء ظهر ساموري توري ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)، وأخـذ يعمل على جمـع القبـائل من المـاندينـغ، وخلال عشـرين سنةً ١٢٨٧ - ١٣٠٧ هـ(١٨٧٠ - ١٨٩٠ م) استطاع أن يبسط نفوذه عليهم، وأراد توحيد غربي إفريقية غير أنـه اصطدم بـالفرنسيين الـذين يتوغلون نحـو الداخـل فتصّـدى لهم، وتمكّنـوا من الانتصـار عليـه، واحتلّوا مـدينتي «سيغـو» و «تومبوكتـو» عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م)، فـانتقل إلى أعـالي نهر الفـولتـا، واستمرّ بالمقاومة حتى قبض عليه الفرنسيون عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) في شمال ساحل العاج، ونفوه إلى الغابون، حيث بقي هناك حتى توفي عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م).

أخذت فرنسا تحكم البلاد مباشرةً عن طريق رؤساء القبائل المحليين.

وفي عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) قامت ثورة بزعامة سيكوتوري (غير الرئيس الغيني الذي حكم فيما بعد) ولكن فرنسا استطاعت القضاء عليه وعلى حركته في ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)، وإذا كان قد ذهب زعيم غير أنه توالى زعماء قادوا شعبهم ضدّ المستعمرين الصليبيين.

واندلعت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) فساقت فرنسا أبناء غينيا مع من ساقته من أبناء إفريقية الغربية ومستعمراتها الأخرى إلى الصفوف الأولى على طول جبهات القتال، وقدّموا الكثير من الضحايا في سبيل دولة فرنسا، والحفاظ على دماء أبنائها مكرهين على ذلك بل ومجبرين.

وما أن انتهت الحرب حتى عادت المقاومة إلى غينيا حتى نستطيع أن نقول: إن فرنسا لم تستطع السيطرة على غينيا في يومٍ من الأيام بصورةٍ كاملةٍ. واستمّرت فرنسا تُلاحق المقاومة، وتستعمل أبشع أنواع القمع، وتُطبّق السياسة الاستعمارية بأسوأ الأساليب.

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ١٩ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ.

٣ آذار ١٩٢٤ ـ ٢ تشرين الأول ١٩٥٨ م

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وفرنسا تسوم الشعب في غينيا بل كل إفريقية الغربية سوء العذاب.

اشتعلت الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) واندحرت الجيوش الفرنسية أمام القوى النازية، واحتلّ الألمان الأرض الفرنسية، وتشكّلت حكومة فيشي الموالية للألمان، ولكن الجنرال ديغول قام من بريطانيا يقود ما أسماه حكومة فرنسا الحرة، ويُقاتل بجانب الحلفاء، ويعمل ضدّ ألمانيا وأتباع حكومة فيشي الموالين لها، ويأخذ على نفسه المواعيد أثناء الحرب بمنح الاستقلال للمستعمرات الفرنسية، وإعطاء الحرية الكاملة للشعوب إثر انتهاء القتال. ووضعت الحرب أوزارها، ونقض ديغول عهوده كلها.

عادت فرنسا إلى تنظيم مستعمراتها من جديدٍ، فأعلنت عن تشكيل اتحادٍ فرنسيٍ يضمّ فرنسا ومستعمراتها فيما وراء البحار جميعها، وجعلت (داكار) عاصمة هذا الاتحاد الجديد. وكانت غينيا ـ طبعاً ـ ضمن هذا الاتحاد.

وتعرضت إفريقية الفرنسية إلى عدة تغييرات في الحدود والأقسام السياسية، وظلّت كل مستعمرةٍ خاضعةً لحاكم فرنسي عام يتلقّى أوامره

مباشرةً من وزير المستعمرات الفرنسي، ثم عادت فرنسا فجمعت بعض المستعمرات في وحداتٍ خاصةٍ، ومن هذه الوحدات كانت إفريقية الغربية الفرنسية التي ضمت: موريتانيا - السنغال - غينيا - ساحل العاج - مالي - فولتا العليا - النيجر - الداهومي.

وفي مؤتمر «برازافيل» في الكونغو أعلن ديغول فرض الجنسية الفرنسية على سكان المستعمرات كلها. ولكن أولئك الجنود الذين رجعوا من الحرب عادوا إلى بلادهم متأثّرين بالحركات الوطنية التي قامت في أكثر البلدان تُقاوم المستعمرين، وتُناوئهم، أو قامت على النازية، وهي تتراجع مندحرةً في القتال. ونتيجة للغطرسة الفرنسية، وتأثر الجنود بتلك الحركات تأسس حزب «التجمع الديمقراطي الإفريقي» في ساحل العاج برئاسة «فيلكس هوفويه بوانيه» وكان لهذا الحزب فروع في مختلف المستعمرات الفرنسية، ورئيس الفرع في غينيا هو سيكوتوري، وأخذ الحزب يؤدّي دوره في توعية السكان، والمطالبة بالاستقلال والنضال في سبيل تلك الغاية. وكان سيكوتوري يعمل في الجهاز الإداري الفرنسي، غير أنه استقال، وانصرف إلى تنظيم العمال وقيادتهم. وانتخب عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) ممثلاً في الجمعية الوطنية.

قامت في البلاد مظاهرات عنيفة بلغت ذروتها عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م)، وقادها أحمد سيكوتوري وحزبه. وفي العام التالي أُعيد انتخابه ممثلاً في الجمعية الوطنية، وبعد عامين اختير عمدةً لمنطقة «كوناكري» وبرز أحمد سيكوتوري.

وفي عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) جرت في إفريقية الغربية الفرنسية الانتخابات، وقد فاز فيها حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي، وكان أحمد سيكوتوري من بين الفائزين. وفي العام نفسه عُدّل الدستور، وأصبح يقوم بجانب المجلس الوطني الإقليمي مجلس تنفيذي يُمثّل السلطة، ويرأس هذا المجلس التنفيذي حاكم الإقليم الذي يُعيّن قسماً من المجلس التنفيذي بينما يُؤخذ القسم الثاني عن طريق الانتخاب.

وقدّم رئيس وزراء فرنسا «غي موليه» قانوناً عُرف باسم «القانون الإطاري»، ويقضي بإقامة مجالس نيابيةٍ محليةٍ، وهي تُرسل بدورها ممثلين عنها إلى الجمعية الوطنية الفرنسية. وبهذا حدث انشقاق داخل حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي، إذ انفصل كل فرعٍ عن الأصل، وأصبح حزباً محلياً مستقلاً، وقد عُرف الفرع في غينيا باسم «حزب غينيا الديمقراطي» بل إن «فيلكس هوفويه بوانيه» قد خرج من الحزب لأنه أيدّ هذا المبدأ الذي يعني الاتحاد مع فرنسا.

وجرت الانتخابات المحلية عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م)، إثر مؤتمر «باماكو» الذي ضمّ ممثلي إفريقية الغربية، وكان من مقرراته اعتراف فرنسا بحق تقرير المصير لشعوب هذه المنطقة. وفاز في غينيا حزب «غينيا الديمقراطي» وحصل على ثمانيةٍ وخمسين مقعداً من مقاعد المجلس النيابي المحلي والبالغ عددها ستون مقعداً. وكان على المجلس النيابي المحلي تشكيل حكومةٍ محليةٍ، وشُكّلت هذه الحكومة، وعُيّن أحمد سيكوتوري نائباً لرئيسها.

وجاء ديغول إلى حكم فرنسا، وأصدر قانوناً يمنح فيه الأقاليم حرية الاختيار بين قبول الدستور أو رفضه ويعني رفضه (أن تمتنع فرنسا عن تقديم أي معونةٍ اقتصاديةٍ أو فنيةٍ أو إداريةٍ) وذلك بعد الاستقلال. أما الأقاليم التي تقبل الدستور فتصبح أعضاء في الجماعة الفرنسية، وهي نوع من أنواع الاتحاد، وتصبح ذات استقلالٍ ذاتي. وتبيّن لديغول أن الشعب في غينيا ربما رفض الدستور بتوجيهٍ من أحمد سيكوتوري لذا جاء بنفسه إلى غينيا ليكون له تأثير ضمني على الانتخاب، وإذا به يستقبل الأصوات ترتفع وتعلو في وجهه (عُد إلى بلادك يا ديغول فليس لك مكان بيننا). ويقول أحمد سيكوتوري لديغول: (إننا نُفضّل الحرية مع الجوع على الرفاهية في ظل العبودية). ورجع ديغول إلى فرنسا، وأجرى الاستفتاء، ووجّهت السلطة الشعب إلى رفض الدستور، وكانت النتيجة أن ٩٠ ٪ من الشعب في غينيا قد رفض دستور ديغول. وكان معنى هذا الانفصال عن

فرنسا، والحصول على الاستقلال.

وعُدّ يوم ١٦ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٨ م) يوم المفاصلة بين فرنسا وغينيا، واحتفلت غينيا بيوم استقلالها في ١٩ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٥٨ م) بعد استعمار دام قرناً من الزمن.

الفصل الثاني

الاستقلال

١٩ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ - ....
٢ تشرين الأول ١٩٥٨ - ....

بعد مرور عامٍ على الاستقلال أُعلن عن قيام اتحاد بين غينيا وغانا رغم اختلاف الثقافتين بينهما، ورغم عدم وجود حدودٍ مشتركةٍ بينهما حيث يفصل بين الدولتين أراضي ساحل العاج وتزيد المسافة بين الدولتين على خمسائةٍ وخمسين كيلو متراً. وصدر بيان مشترك عن الدولتين، وجاء فيه ما يأتي: (نحن رئيس وزراء غانا ورئيس حكومة غينيا نُقّرر تشكيل نواة الولايات المتحدة الإفريقية الغربية من دولتينا، وسُيعرض ذلك على مجلسي الدولتين الوطنيين للموافقة عليه. وقد وضعنا نصب أعيننا في عملنا هذا الولايات الأمريكية الثلاث عشرة مستوحين منها اتحادها الذي شكلته بعد نيلها الاستقلال، ذلك الاتحاد الذي أدى إلى قيام الولايات المتحدة الأميركية. إننا مدركون الرغبة في اتحادٍ أوثق بين شعوب قارتنا لذلك نُوجّه نداءنا إلى حكومات الدول المستقلة لتشترك معنا في هذا الاتحاد، وإننا نرى:

١ ـ اتخاذ علم للاتحاد، وتشجيع الاتحاد الوثيق بين حكومتينا للوصول إلى تنسيق سياسة بلدينا في الدفاع، والشؤون الخارجية، والاقتصادية بشكل خاص.

٢ ـ وجوب وضع دستورٍ للاتحاد يكفل له القوة والأمن.

وبعد هذا الاتحاد تمّ تقديم قرضٍ من غانا إلى غينيا مقداره عشرة ملايين جنيه استرليني لسدّ الضائقة التي وقعت فيها غينيا بسبب سحب الخبراء والفنيين الفرنسيين جميعاً، وتركهم الوظائف الإدارية كلها، والامتناع عن استيراد البضائع الغينية. كما أن غينيا أرادت أن تسدّ العجز الذي يمكن أن تقع فيه لأنها كانت تتلقّى قروضاً من فرنسا تُقّدر بأكثر من عشرة ملايين فرنك فرنسي سنوياً، وقد توقّفت. ولم تطل أيام هذا الاتحاد إذ لم يلبث أن انفرط عقده وانتهى أجله.

وفي عام ١٣٨٠ هـ أمر أحمد سيكوتوري بضرب عملةٍ خاصةٍ بغينيا، وعقد قرضاً مع الامبراطورية الروسية قيمته اثنا عشر مليون جنيه استرليني لإنشاء مشروعات لاستغلال الألمنيوم وتوليد الكهرباء.

وأعلن عن محاولاتٍ للإطاحة بنظام الحكم القائم في غينيا، في أعوام ١٣٨١ هـ، و ١٣٨٥ هـ، و ١٣٨٧ هـ، وفي عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) جرى اعتداء من قبل جماعاتٍ برتغاليةٍ على أفراد من غينيا، مبعدين وملاحقين نتيجة اشتباه بهم، وتضخّمت هذه الحادثة دولياً وأدّت إلى قطع العلاقات السياسية بين غينيا والسنغال، ثم مع ألمانيا الاتحادية عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، وبعد عامين مع ساحل العاج أيضاً. ونشرت حكومة غينيا تقارير عن مؤامرةٍ خارجية لإسقاط نظام الحكم في غينيا. وغدت الدولة الغينية في شبه عزلةٍ عما حولها حتى عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) حيث عادت العلاقات السياسية بين غينيا والدول المجاورة لها، بل ومع فرنسا، والدول الغربية مع الحرص الشديد على تقوية العلاقات مع الدول الأخرى، ومنها دول المعسكر الشرقي (الكتلة الشيوعية).

وفي العام نفسه (١٣٩٥ هـ) منحت الحكومة القطاع الخاص حرية التجارة، ولكنها أسندت إدارة الصفقات التجارية إلى مكتب تعاونٍ تُشرف عليه «شرطة الاقتصاد».

وفي رمضان ١٣٩٧ هـ (آب ١٩٧٧ م) تمّ إلغاء السوق التقليدية

فقامت مظاهرات ضدّ إلغاء هذه السوق، وأساءت شرطة الاقتصاد التصّرف الأمر الذي أدّى إلى عقد لقاءٍ نسائيٍ في العاصمة كوناكري، ومن ثمّ قامت مظاهرات تأييدية في المدن الأخرى تمخّضت عن قتل ثلاثةٍ من الولاة المتشدّدين، ونتج عنها حلّ شرطة الاقتصاد، وأخيراً أُعلن عن السماح بالتجارة الخاصة من جديدٍ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

واتبعت حكومة أحمد سيكوتوري سياسة التقشف وكانت قاسيةً في تطبيقها فقامت المعارضة في وجهها فقوبلت بعنفٍ شديدٍ أدّى إلى فرار الكثير من الفنيين إلى الخارج. وعندما قامت احتجاجات على عدم مراعاة حقوق الإنسان أنكرت الحكومة وجود انتهاكات لهذه الحرية.

وفي شهر ذي الحجة ١٣٩٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٨ م) زاد عدد أعضاء حزب غينيا الديمقراطي في المجلس الوطني، وتمّ دمج أعمال الحزب وتنظيمها من جديد، وأُعلن عن اسم الدولة الجديد «جمهورية غينيا الثورية الشعبية».

وفي المحرم ١٣٩٩ هـ (كانون الأول ١٩٧٨ م) قام الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان بأول زيارة لرئيسٍ فرنسي إلى غينيا المستقلة، وعمل للتخطيط من أجل تعاون اقتصادي بين البلدين. ثم أقامت حكومة غينيا علاقات وثيقة مع الدول الأوربية الأخرى، وبدأت تبتعد تدريجياً عن النظام الاشتراكي القاسي. وفي صفر ١٤٠٠ هـ (كانون الثاني ١٩٨٠) جرت الانتخابات التشريعية للجمعية الوطنية فاز فيها حزب غينيا الديمقراطي، وتنافس على المقاعد مائتان وعشرون مرشحاً، وكان أن انتخب أحمد سيكوتوري رئيساً لغينيا لمرحلة سبع سنواتٍ جديدةٍ وذلك في شهر رجب ١٤٠٢ هـ (أيار ١٩٨٢ م)، وحسّن علاقاته مع فرنسا رغم صيحات المعارضة، وقام بالعام نفسه بزيارة لفرنسا.

وفي مطلع عام ١٤٠٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٣ م) أُعيد انتخاب أحمد سيكوتوري أميناً عاماً لحزب غينيا الديمقراطي، بناءً على اللقاء الحزبي الذي تمّ لهذه المهمة.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م) أعلنت الحكومة الغينية عن اكتشاف مؤامرةٍ للإطاحة بنظام الحكم، وذلك بعد إلقاء القبض على مجموعةٍ من المرتزقة عددهم عشرون شخصاً كانوا قد احتجزوا الآلاف من الغينيين في جنوب السنغال، فاتهمتهم بأنهم كانوا يعملون لقلب الحكم في جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (آذار ١٩٨٤ م).

وتوفي أحمد سيكوتوري في غرة رجب ١٤٠٤ هـ (الأول من نيسان ١٩٨٤ م) في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء إجراء عمليةٍ جراحيةٍ له في القلب، وقبل أن يختار حزب غينيا الديمقراطي خليفة له استولت قوات الجيش على الحكم في غينيا بالقوة في ٣ رجب ١٤٠٤ هـ (٣ نيسان ١٩٨٤ م).

عيّنت القوات العسكرية لجنةً تحكم البلاد، واختارت العميد «لانزانا كونتيه» رئيساً للحكومة، وأطلق على هذه اللجنة اسم «اللجنة التصحيحية العسكرية» وأعلنت حل حزب غينيا الديمقراطي، والجمعية الوطنية السابقة، وعطّلت الدستور، وعمدت إلى استرجاع الحرية، ومراعاة حقوق الإنسان، فأطلقت سراح مائتين وخمسين من السجناء السياسيين، وأسندت إلى أحد وزرائها، وهو العميد «ديارا تراوري» القيام بجولةٍ سياسيةٍ يجوب فيها دول إفريقية الغربية لدعم حكومة غينيا الجديدة التي أصبحت تحمل اسم «جمهورية غينيا الجديدة» بدءاً من الأول من شعبان ١٤٠٤ هـ (الأول من أيار ١٩٨٤ م). ثم قام العميد ديارا تراوري بزيارةٍ إلى دول أوروبا الغربية في الشهر الذي تلا زيارته لدول إفريقية الغربية، وبذل جهداً لجذب رؤوس أموال أجنبيةٍ إلى غينيا، ولتقوية العلاقات مع دول غربي أوروبا وخاصةً مع فرنسا، ولتشجيع عودة الفنيين إلى البلاد وفعلاً عاد في شهر شوال ١٤٠٤ هـ (تموز ١٩٨٤ م) ما يقرب من مائتي ألف من الغينيين الذين كانوا يعملون خارج البلاد.

وفي شهر صفر ١٤٠٥ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٤ م) عادت الحكومة لتُحاكم بعض السياسيين، وكان معظمهم من النساء المزارعات اللواتي

اعتقلن أثناء سيطرة الجيش على السلطة.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (كانون الأول ١٩٨٤ م) أوجدت الحكومة مناصب حكوميةً جديدةً، وألغت أخرى بناءً على رغبات رئيس الدولة لانزانا كونتيه، ووزير دفاعه، ومن المناصب الحكومية التي أُلغيت رئاسة الوزارة الذي كان يشغله العميد ديارا تراوري، والذي أسند منصب وزير التربية الوطنية أي أنزلت مكانته من رئيس للحكومة إلى وزير.

وفي شوال ١٤٠٥ هـ (تموز ١٩٨٥ م) بينما كان الرئيس لانزانا كونتيه يُشارك في مؤتمر قمة في (التوغو) قام العميد ديارا تراوري وزير التربية الوطنية بمحاولة انقلابٍ بثّته إذاعة كوناكري وأدّت تلك المحاولة إلى قتل ثمانية عشر فرداً من القوات العسكرية المؤيّدة للرئيس لانزانا كونتيه، واعتقال عددٍ من أفراد أسرته، وأكثر من مائتين من مُؤيّديه وأتباعه. غير أن جماعاتٍ من الوثنيين قد هاجموا أتباع ديارا تراوري وأعوان الرئيس السابق أحمد سيكوتوري تأييداً للرئيس الحالي لانزانا كونتيه، وانتهى الأمر باعتقال قائد الحركة الانقلابية العميد ديارا تراوري ، ثم قتله، وبذا فشلت المحاولة ورجع الرئيس إلى بلاده.

وفي صفر ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) شرع الرئيس لانزانا كونتيه باتباع سياسةٍ اقتصاديةٍ حرةٍ بناءً على طلب البنك الدولي كشرط مسبق لمراجعة البنية الاقتصادية وتنمية وسائلها في غينيا.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) أعلنت الوزارة عن إعادة تنظيم الإدارة حيث يجب أن يُشارك فيه جمهور من المواطنين المدنيين، وقامت اللجنة التصحيحية العسكرية الحاكمة بتشكيل لجنةٍ تنفيذيةٍ لهذا الغرض، ووجدت لأول مرةٍ وزارة الإسكان لإعمار المناطق والمدن الرئيسية فيها.

وفي رمضان ١٤٠٧ هـ (أيار ١٩٨٧ م) أعلنت الإذاعة أنه قد حُكم على خمسةٍ وثمانين رجلاً بالموت بينهم تسعة من الوزراء السابقين، كما

صدر إعلان بعد ذلك عن الحكم على أكثر من مائتي شخصٍ كانوا قد اختفوا بين القبائل، واتُّهم بعضهم بارتكابِ جرائم ارتكبوها أيام حكم الرئيس السابق أحمد سيكوتوري، كما اتُّهم بعضهم الآخر بمشاركتهم بمحاولة الانقلاب التي قادها ديارا تراوري في شوال ١٤٠٥ هـ (تموز ١٩٨٥ م)، غير أن الحكومة قد عادت وخفّفت من هذه الأحكام نتيجة الاستنكارات الخارجية والردّ على الحكومة الغينية بأن هذه الاتهامات قد أُعدّت قبل عامين في أعقاب محاولة الانقلاب الفاشلة، ونُفّذَت الآن.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م) عفا الرئيس لانزانا كونتيه عن السياسيين الذين قتلوا ديارا تراوري بعد اعتقاله، كما أعلن في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م) عن إطلاق سراح عددٍ من السجناء السياسيين من بينهم أرملة الرئيس السابق أحمد سيكوتوري وابنه.

وكان الرئيس قد أجّل في ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م) زيارةً كان ينوي القيام بها إلى فرنسا، وذلك بناءً على تقارير القوات العسكرية.

وارتفعت أسعار السلع ارتفاعاً حاداً في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م) فدبّت الفوضى في العاصمة كوناكري، وزادت أعمال الشغب، فاتخذت الحكومة القوة لتثبيت الأسعار وتجميدها.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) أعاد الرئيس لانزانا كونتيه تشكيل مجلس الوزراء، فحرّك نائبه الرائد (كيرفا لا كامارا) من أمين السر الدائم للجنة العسكرية إلى وزارة السكن في غينيا العليا في (كانكان). وأسند إلى العميد (سوري دومبويا) المنتدب لإعادة تنظيم مناطق غينيا الوسطى منصب وزير الدفاع. كما أعاد الرائد (فاسينيه توريه) وزير الزراعة وتنظيم شؤون الأجانب، [ومن قبل وزير الغابات عام ١٤٠٥ هـ

(١٩٨٥ م)] أعـاده إلى العاصمـة كونـاكـري وزيـراً للنقـل والعمـل السيـاسي.

إن هذه التنقلات في المراكز والتغييرات في المواقع من قبل الرئيس الغيني كان لها تفسيرات واسعة تثبيتاً لمركزه، ومن هذه التصرفات أنه حكم في صفـر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) على أربعـةٍ من أعضـاء الحكـومـة بالسجن.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) وإثر الجفاف والقحط الذي ساد المنـطقة، وإثـر زيادة سمـوم النفايـات طلبت الحكومـة الغينية مساعدةً من النرويج فرأى المجلس الفخري في النرويج تقديم حمولة باخرة من الإمدادات إلى غينيا.

وفي شهـر ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حـزيران ١٩٨٩ م) أعـاد الرئيس الغيني تنظيم مجلس الوزراء نتيجة سياسة الانغلاق التي تبنّاها رفع الرائد (محمد بالديت) من وزارة إقليميةٍ في المناطق إلى منصبٍ وزاريٍ بارزٍ في كوناكري، وأقال الرائد (كيرفا لا كامارا) أمين السر الدائم للجنة العسكرية ومنظم العلاقات غير الحكومية وعيّنه وزيراً لإقليم ساحلي.

وفي ٢١ صفر ١٤٠٩ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٨٨ م) أعلن الـرئيس الغيني بمناسبة ذكرى الاستقلال ومرور ثلاثين سنة عليها، العفو عن تسعةٍ وثلاثين سجيناً سياسياً، وكان من بينهم أولئك الذين شاركـوا في محاولـة الانقلاب على نظام الحكم من قبل. وفي الوقت نفسه اقترح الرئيس الغيني تشكيل لجنةٍ لوضع مسودة وثيقةٍ لنظام حكمٍ جديدٍ.

وفي ربيـع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) أعلن الـرئيس الغيني لانزانا كونتيه على قبوله للوثيقة الموضوعة على أن تُطرح للاستفتاء العام، وتصبح نافذة المفعول فيما إذا وافق عليها الشعب. وقد تمّ ذلك عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) فحلّت اللجنة العسكرية التي بيدهـا السلطة، وجاء هيكل سياسي عالٍ، وباسم وطني جديد هو لجنة «تصحيح الأوضاع».

لقد تشكلت اللجنة الجديدة للحكم (لجنة تصحيح الأوضاع) من عددٍ متساوٍ من المدنيين والعسكريين، تحكم البلاد لمدة خمس سنواتٍ، ويمكن أن تتجدّد مرةً واحدةً فقط. ونصّت هذه الوثيقة الوطنية على إجراء انتخاباتٍ لرئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة في منتصف التسعينات، كما نصّت على أن كل بُنيةٍ لسلطةٍ تشريعيةٍ يجب أن يتمّ اختيارها عن طريق الانتخاب الشامل في البلاد.

كان على الشكل الجديد لنظام الحكم أن يعدّ قانوناً لصلاحيات السلطة التنفيذية الجديدة بشقيها المدني، والعسكري، وأن يُشرّع للنظام القضائي. وبالفعل تمّ إعلان أسلوب نظام الحكم الثنائي (المدني والعسكري). لقد كان الرئيس الغيني لانزانا كونتيه هو الرابح الوحيد في هذا النظام الجديد، إذ خضع الجميع لنظامه سواء أكان مُؤيّداً له بالأصل أم معارضاً، حيث لا يمكن لأحدٍ أن يرفع صوته محتجاً، بينما كان أعضاء اللجنة العسكرية السابقة بإمكانهم أن يجوبوا أنحاء البلاد بموجب منهج يفرضه النظام.

وكانت عقوبة الموت أو حجر الشرطة الدائم مُطبّقين في غينيا منذ ربيع الأول ١٤١٠ هـ (أواخر تشرين الأول ١٩٨٩ م) وتلك عقوبة من يُخالف النظام أو يحرّض على الشغب والفوضى، وقُتل نتيجة ذلك عدد من السكان على حين توسطت قوات أمنية لعدد من المذنبين.

وفي جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) نفت الحكومة الغينية الادّعاءات والاحتجاجات التي صدرت عن المنظمة الدولية لحقوق الإنسان، وأنكرت اعتقال الرجال، وسجن النساء، وعذاب المعارضين بصورةٍ جماعيةٍ.

وأعلنت السلطات الغينية في شهر رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م) عن العفو الشامل الذي شمل السجناء السياسيين والمبعدين عن البلاد.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة غينيا ٢٤٥,٨٦٠ كيلو متراً مربعاً، وتُشرف من ناحية الغرب على المحيط الأطلسي، ويبلغ طول ساحلها ٣٢٠ كيلو متراً، وتجاور عدداً من الدول فمن ناحية الشمال تقع غينيا ـ بيساو ويبلغ طول حدودها معها ٣٨٦ كيلومتراً، والسنغال وطول حدودها معها ٣٣٠ كيلومتراً، ومن جهة الشمال والشرق مالي، ويبلغ طول حدودها معها ٨٥٨ كيلومتراً، ومن جهة الشرق والجنوب ساحل العاج ويبلغ طول الحدود بينهما ٦١٠ كيلو مترات، ومن ناحية الجنوب ليبريا ويبلغ طول الحدود بينهما ٥٦٣ كيلو متراً، ومن ناحية الجنوب والغرب سيراليون ويبلغ طول الحدود معها ٦٥٢ كيلومتراً.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) سبعة ملايين ومائة ألف إنسان، وبذا تكون الكثافة العامة حوالى ٢٩ إنساناً في الكيلو المتر المربع الواحد.

واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، ولكل قبيلةٍ لغتها الخاصة بها.

الصراع العنصري:

يوجد في غينيا ثلاث قبائل رئيسية وهي:

١ ـ السوسو: ويسكن هذا الشعب في السهل الساحلي، ويعمل في زراعة النخيل الزيتي، ويعمل بعض أفراده في اقطاعيات الفرنسيين في مزارع الموز والأناناس.

٢ ـ الفولاني: ويُقيمون في الهضبة الغربية إلى الغرب من كتلة فوتا جالون، ويمتهنون رعي الحيوانات ويُعرفون هنا باسم «البهل» و «الفولا» و «الفولبيه» ويُشكّلون مايزيد على خمس السكان.

٣ ـ الماندينغ: ويسكنون في الداخل، في غينيا العليا، ويُعرفون هنا باسم «المالينكي»، «والديولا» ويعملون بزراعة الموز، والفول السوداني، والسمسم، والذره على طول مجاري الأنهار، وفي الهضاب يعملون بالرعي. ويعدّون تتمة لسكان مالي، فغينيا العليا تتبع مالي بشرياً.

وهناك قبائل أخرى صغيرة. وفي الجنوب الغربي حيث تنتشر الغابة تسكن قبائل وثنية، وأخذت تترك مواطنها، وتنتقل إلى العاصمة خاصةً، بل وتتدخّل بالأمور السياسية.

كان الصراع بين القبائل قوياً في الماضي فلما جاء المستعمرون الصليبيون توحّدت جهود السكان، غير أن الدخلاء بعد أن تمكّنوا من بسط نفوذهم استطاعوا أن يُفرّقوا الصفوف بتقديم الذين كسبوهم إلى جانبهم من الوثنيين، ومن أصحاب الأهواء والمصالح من المسلمين، وبسيطرتهم على الدولة ومؤسّساتها، وبإبراز من استطاعوا تنصيرهم من الوثنيين، وبالقوة التي يملكونها وبدعم رجال الإرساليات التنصيرية واتحاد الكنائس، ووقف هؤلاء جميعاً في وجه المسلمين، وجعل المستعمرون منهم الأداة التنفيذية التي تتحكّم بالبلاد، وسلّطوها على المسلمين، وكان المسلمون يتناقصون باستمرار ممن يخسرونهم من أهل الأهواء، وبمن تغريهم المغريات فينضمّون إلى القوة المعادية التي تزداد على الدوام، وإن كانت القوة لا تُقاس بالأعداد فقط بل بالروح المعنوية ونوعية الرجال وإمكاناتهم وتضحياتهم. وإن السلطة الآن هي بيد الوثنيين، والأوروبيين، وأصحاب المصالح من أهل البلاد.

الصراع العقيدي:

ويُشكّل المسلمون	٩٣,٥ ٪	من مجموع سكان البلاد.
ويُشكل الوثنيون	٥ ٪	من مجموع سكان البلاد.
ويُشكل النصارى	١,٥ ٪	من مجموع سكان البلاد.
	١٠٠ ٪	

ولما كان المسلمون هم الغالبية العظمى لذا لا يمكن أن يكون هناك صراع عقيدي بالمواجهة أو بشكلٍ مباشرٍ لكثرة المسلمين وقلة غيرهم. فلما سيطر الدخلاء شنّوها حرباً صليبيةً، واضطر المسلمون أن يخنعوا أمام القوة، فشكّل الصليبيون جبهةً ضدّ المسلمين ضمّت النصارى والوثنيين، ومن صادوه من المسلمين، ووقع في شراكهم.

وعلى الرغم من أن الرئيس أحمد سيكوتوري أول رئيس لغينيا المستقلة قد غيّر نهجه الذي كان عليه في أول أمره وساير المستعمرين الصليبيين غير أنهم لم يرضوا عنه، فمن تنازل عن عقيدته، وذلّ نفسه لا يمكن أن يقبلوا منه الوقوف عند هذا الحدّ بل لا بدّ من أن يكون أكثر ذلاً وأكثر خنوعاً، يأتمر بأوامرهم، ويُطبّق سياستهم دون سؤال، يقول تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]. ولا شك أن من يسير في هذه الطريق لا خير فيه.

لقد هيّأ المستعمرون الصليبيون حركةً أطاحت بأحمد سيكوتوري شارك فيها كل أعوانهم، فلما أحسّ أحدهم ممن ينتمي إلى الإسلام وهو «ديارا تراوري» العميد السابق، وخطر على باله أن يُفكّر بحريةٍ، ولا يُميّز بين أفراد الشعب أُبعد عن رئاسة الوزارة، وأسند إليه منصب وزارة التربية الوطنية عسى أن يُدرك السياسة تماماً فيبتعد عن مساواة المسلمين بغيرهم

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.

غير أنه لم يشعر في بداية الأمر، فأعطي تحذيراً ونُبّه، فندم على ما أقدم عليه في الماضي، ورغب أن يُنقذ الوضع، وظنّ أن الفرصة قد واتته بغياب الرئيس فقام بمحاولة انقلابٍ فتصدّى لـه الوثنيـون، وأُلقي عليه القبض، وقُتل، ونال أعـوان الرئيس السـابق أحمد سيكـوتوري مـا نالهم، ويكفي انتماؤهم للإسلام ليُقضى عليهم. وقبضت جبهة الصليبيين بيدٍ من حديد على الوضع، ولا تزال هي المتسلّطة.

ويُشكّل المسلمون ـ كما ذكرنا ـ أغلبية السكان لذا فهم يتوزّعون في كل منطقة. أما الوثنيون فيكثرون في الغابة، وكبارهم يأتون إلى العاصمة، لحماية الجبهة الصليبية ودعمها.

وأما النصارى فيكثرون في العاصمـة كونـاكري، وفي بعض مـراكز السلطة في عواصم الأقاليم، ويمتلكون الإقطاعات في السهل الساحلي.

كان الرئيس السابق أحمد سيكوتوري قد أمر أن يكون رجال الدين النصارى في غينيا ممن يحمل الجنسية الغينية فقط، وهذا ما أثار حقدهم عليه.

وتوجد في غينيا طائفة الكنيسة الإنجيلية، وتتبع من الناحية الإدارية مديرية كنائس غربي إفريقية التي يرأسها أسقف ليبيريا. وتشكّلت مطرانية غينيا في آب ١٩٨٥ م، وتضمّ إحدى عشرة أسقفيةٍ، وهي أولى الكنائس التي تتكلم الفرنسية. ويبلغ عدد أتباع هذه الكنيسة ستة آلاف نصراني.

وهناك أيضاً طائفة كنيسة الروم الكاثوليك، ويرأس هذه الطائفة في غينيا أسقف كوناكري، وأكبر الكنائس في مدن كونـاكري، وزيـروكوري، وكانكان، ويبلغ عدد أتباع هذه الكنيسة خمسة وستون ألف نصراني.

ويوجد في غينيا ستة من البروتستانت، أربعة يتبعون بريطانيا، واثنان يرتبطون بالولايات المتحدة الأمريكية.

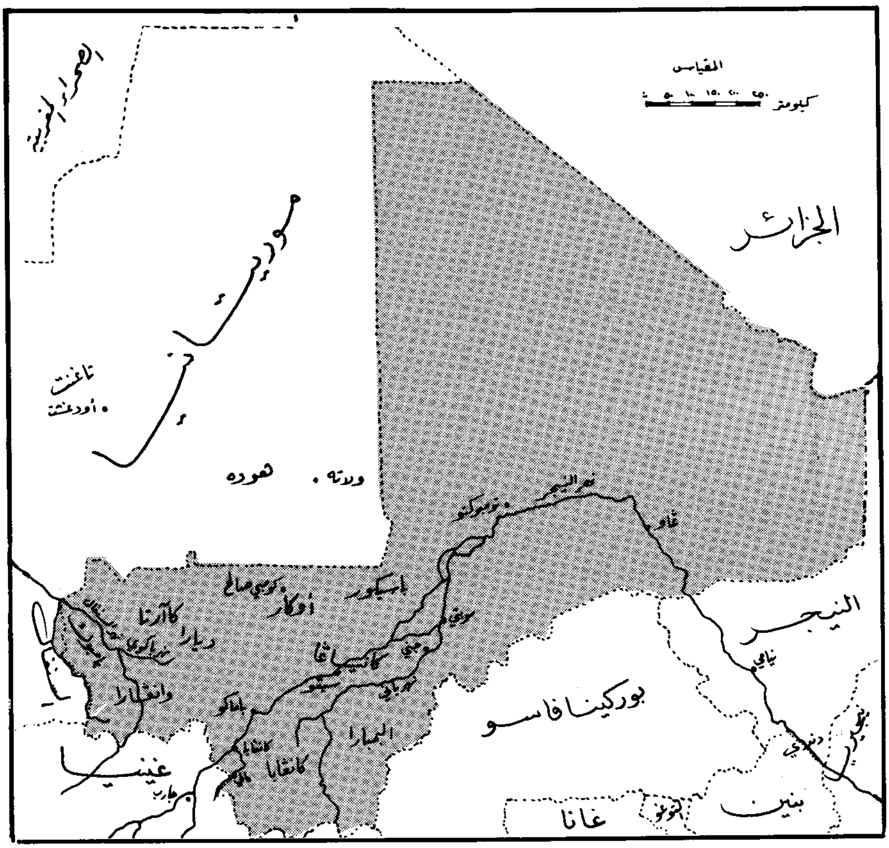
الصراع الحزبي:

كان حزب غينيا الديمقراطي هو الحزب الوحيد والحاكم في غينيا منذ الاستقلال بل ومن قبله حتى عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، حيث حُلّ، ونشأت بعد ذلك اللجنة التصحيحية العسكرية، واستبدّت بالأمر، وتسلّطت على الرعية حتى عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) حيث خلفتها لجنة تصحيح الأوضاع، وحلّت محلّها بالتسلّط، ولا يستطيع فرد أن يتفوّه بكلمةٍ حيث يُحاكم بمخالفة النظام، والتحريض على الفوضى، ويُقضى عليه بالموت أو السجن المؤبّد، وقد يحدث هذا دون محاكمةٍ أو استجواب. وهذا ما يُرضي الدول النصرانية إذ يخنع الشعب، ويُذلّ، ويمكن سوقه في أي طريقٍ يرسمها المخطط.

وهذا الاستبداد والفقر جعل بعض الأفراد يُفكّرون بالشيوعية، ويتعاطفون مع شعاراتها التي تطرحها، وما أركبهم هذا المركب الكريه، وأوصلهم إلى التفكير بهذا الجحيم إلا معاناتهم وقهرهم. فلا حرية، ولا رأي، ولا تجمّع، ولا لقاء، ولا تنظيم.

الباب الخامس

مَالِيّ



المقياس
كيلومتر
الجزائر
النيجر
بوركينا فاسو
غانا
بنين
غينيا
نهر النيجر
تومبكتو
غاو
نيامي
باماكو
كانغابا
البمبارا

مصور رقم [٥]

مقدمة

مالي دولة تحمل اسم قبيلة واسعة الديار في غربي إفريقيـة، كثيرة البطون حتى غدا كل بطنٍ كأنه شعب خاص لكثرة أبنائه، وغالباً ما كان يسيطر شعب على البقية فيطلق على دولته امبـراطوريـة لغلبة شعبٍ على شعوبٍ أخرى. وما يمضي وقت حتى يقوم شعب من هذه القبيلة ويتقوّى على من بيـده السلطة، ويتغلّب عليـه، ويحـلّ محلّه في السيـطرة على الشعوب الأخرى، ويُؤسّس امبراطوريةً جديدةً. ولا يقضي الغالب المنتصر على من زالت دولته، بل يتركه، ويكتفي منه بالاعتراف به، ودفع أتاوةٍ له دلالةً على الخضوع له، وإشارةً على الخنوع. وقد تعود القوة لمن سبق له أن غُلب فيثور على غالبه، وينتصر على هازمه، ويُؤسّس دولةً من جديد، ويُخضع شعوب قبيلتـه جميعاً إليـه، وتكون دولتـه امبراطـوريةً غيـر التي سبقتها، وغير التي أقامها هو من قبل، وبسط نفوذه على البطون كلها.

دانت هذه القبيلة بالإسلام منذ وقتٍ مبكرٍ ودانت معظم بطونها بـه أيضاً. لذا عملت الامبراطوريات التي أقامتها شعوب هذه القبيلة للإسلام، وسـاهمت الممالـك التي أسّستها بـطون تلك القبيلة في نشرها الإسلام، وإدخاله إلى المناطق السودانية الثانية، والقبائل الزنجية الأخرى ومن هنـا كانت أهمية تاريخ هذه الدولة.

إن كلمة «مالي» هـو الاسم الذي تـطلقه قبيلة الفـولاني على هذه القبيلة، وهو الذي سُمّيت به عاصمتهم، ثم عُرفت به الدولة حديثاً، ولكن

العرب يطلقون عليهم «مليل» ويعُرّفهم البربر باسم «مليت»، والتكرور يُسمّونهم «مالنكي». وأما قبيلة «الهاوسا» فتُطلق عليهم «وانغارا»، وأما هم فيُسمّون أنفسهم «المانـدي»، ويُطلقون على الذين يتكلمون لغتهم «الماندينغ»، وإن كان هذا الاسم أصبح نفسه علماً على القبيلة بجميع فروعها. وفي كل منطقة يُطلق على جماعة «الماندينغ» اسم خاص حسب القبائل المجاورة لهم، حتى يظنّ بعضهم أن هذا الاسم علم بقبيلة خاصة.

ولهذه القبيلة فروع كثيرة أشهرها «السوننكي» و«الديولا» و«البمبارا».

وكان لهذه القبيلة وما أسّسته من ممالك، حضارة دفعت بأصحابها إلى أن يركبوا بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ليعرفوا ما وراءه فوصلوا إلى أمريكا الجنوبية، ولم يتمكّنوا من العودة فبقوا هناك، وخلّفوا بعض الآثار وراءهم الأمر الذي يُشير إلى أنهم أقاموا حضارةً، وذلك قبل وصول الأوروبيين إلى تلك الجهات بمائة وخمسٍ وثمانين سنة. ولما وصل المستعمرون الصليبيون من إسبانٍ وبرتغاليين إلى هناك يحملون الحقد ضد المسلمين ويُعلنون الكراهية صراحةً، ومحاكم التفتيش لا تزال قائمةً في الأندلس ديار المسلمين السابقة، كما تعقد تلك المحاكم في العالم الجديد لمحاكمة من أخفى إسلامه، أو كان قد وصل إلى هناك قبلهم، أو أراد الصلة ببعض من كانوا مسلمين، لقد أزال هؤلاء المستعمرون الصليبيون كل المسلمين الذين سبقوهم إلى هناك، ومحوا آثارهم، ومحوا كل معلمٍ لهم، وقالوا: لم يكن هنا أحد، وأخذنا هذا الكلام عنهم وصدّقناهم.

وهذا بعض ما في هذه القبيلة التي حملت دولة مالي اسمها، وتشغل مساحةً واسعةً تزيد على ١,٢٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، وإن كانت لا تضمّ بطون هذه القبيلة وفروعها جميعاً، حيث تعيش جماعات كثيرة منها في الدول المجاورة لها، وتتوزّع أحياناً بين القبائل الثانية.

لمحة عن تاريخ مالي قبل إلغاء الخلافة

قلنا أن قبيلة مالي «الماندينغ» قد أسّست على الأرض التي تشغلها دولة مالي اليوم عدة امبراطورياتٍ أو ممالك أو دول، وقد اشترك في هذا التأسيس عدة بطونٍ من هذه القبيلة، وأشهر هذه الدول هي:

١ ـ امبراطورية غانا:

جاء الفولانيون من الشمال من منطقة برقة، واتجهوا نحو غربي إفريقية، وتقدّموا إلى منطقة «أوكار»، وسيطروا على شعب «السوننكي» أحد فروع قبيلة «مالي»، وأسّسوا دولةً واسعةً وذلك في القرن الأول للميلاد، وجعلوا مدينة «كومبي صالح» قاعدةً لها.

وفي القرن الثاني الهجري استطاع شعب «السوننكي» طرد الفولانيين، واستلام السلطة منهم، وإقامة أسرةٍ تحكم الدولة، التي عرفت باسم «امبراطورية غانا»، أما الفولانيون فقد اتجهوا نحو بلاد التكرور في منطقة السنغال اليوم، وأقاموا لهم دولةً هناك. وبقيت دولة السوننكي حتى عام ٤٦٩ هـ حيث دخل المرابطون البلاد وسيطروا عليها.

وشملت امبراطورية غانا أكثر أجزاء موريتانيا اليوم، وأكثر السنغال، وجنوبي مالي اليوم، ومناطق من غينيا. وكانت تضمّ اثنى عشر مملكةً، وهي:

١ ـ **أوكار**: وهي قاعدة الحكم للامبراطورية، وقاعدتها مدينة «كومبي

صالح»، وتقع بين نهري النيجر والسنغال في أجزائهما الوسطى، وتشمل أجزاء من جنوبي موريتانيا اليوم، وأجزاء من شمالي مالي.

٢ ـ **تاغنت**: وقاعدتها «أودغشت»، وتقوم اليوم مكانها ـ حسب تقديري ـ مدينة تجكجكة ـ وتقع في موريتانيا.

٣ ـ **هودة**: وهي غرب مدينة «ولاتة» وتقع في جنوبي موريتانيا.

٤ ـ **ديارا**: وهي إلى الشرق من نهر السنغال الأوسط، إلى الغرب من أوكار، وتقع في مالي.

٥ ـ **بامبوك**: وتقع إلى الغرب من مملكة ديارا، بين نهر السنغال، وأحد روافده، وتقع في مالي.

٦ ـ **وانغارا**: إلى الجنوب من ديارا، وبامبوك في أعالي نهر السنغال، وتقع في مالي.

٧ ـ **كانياغا**: في وادي نهر النيجر الأوسط، وقاعدتها مدينة «سيغو» إلى الشمال الشرقي من مدينة «باماكو» عاصمة دولة مالي الحديثة، وتقع في مالي، وهي مقرّ قبائل «الصوصو».

٨ ـ **التكارنة**: في مجرى نهر السنغال الأسفل، وتقع في بلاد السنغال.

٩ ـ **كانغابا**: في أعالي نهر النيجر، وهي مركز الماندينغ (مالي).

١٠ ـ **البمبارا**: إلى الشرق من كانغابا.

١١ ـ **باسيكور**: إلى الشرق من أوكار.

١٢ ـ **الممالك البربرية**: في الشمال، وتسيطر عليها غانا بعض الأوقات. وينتقل الحكم فيها إلى ابن الأخت.

وكان على رأس كل مملكةٍ ملك أو حاكم، وينتقل الحكم بالوراثة.

انتشر الإسلام في امبراطورية غانا قادماً من جهة الشمال عن طريق التجار، ويُقال إن أحد ملوكها، وهو (بولاتان) قد اعتنق الإسلام عام ٢٢٣ هـ، وقام بنشر الإسلام فيما جاوره، وأخذ يجاهد الوثنيين. ومما زاد في انتشار الإسلام في هذه الامبراطورية دخول ملك التكارنة في الإسلام عام ٤٣٢ هـ، وكذلك عندما سيطرت امبراطورية غانا على مدينة «أودغشت»

وهي قاعدة قبيلة «لمتونة» إحدى قبائل البربر، وذلك عام ٣٨٠ هـ، وكانت تلك القبيلة تدين بالإسلام فعملت على نشره في أرجاء الامبراطورية كلها، وخاصةً أن مدينة «أودغشت» لها مكانة خاصة إذ أن حاكمها كان من شعب «السوننكي» الحاكم بل تُتخذ أحياناً قاعدةً للامبراطورية مكان مدينة «كومبي صالح».

استطاع المرابطون دخول مدينة «أودغشت» عام ٤٤٦ هـ، ثم دخلوا مدينة «كومبي صالح» عام ٤٦٩ هـ، فعمّ الإسلام شعب السوننكي، وأصبح يقوم بالدعوة، ولما ضعف أمر المرابطين انفصل شعب السوننكي عنهم عام ٤٨٠ هـ، وأعلن الارتباط بالدولة العباسية. وغدت كلمة «سوننكي» مرادفة لكلمة داعية، وأخذت امبراطورية غانا تضعف، ومما زاد في ضعفها تغيّر المناخ، وقوة امبراطورية «الصوصو» التي استطاعت القضاء على امبراطورية غانا، ودخول عاصمتها مدينة «كومبي صالح» عام ٦٠٠ هـ، فضعف شعب «السوننكي» وخضع لدولة خصمه.

٢ ـ مملكة مالي:

عندما قوي أمر «الصوصو» وثبتت أركان دولتهم، ضمّوا إليهم أكثر الممالك التي كانت تتبع امبراطورية غانا، ومنها مملكة «كانغابا» حيث الماندينغ، وقتل ملك «الصوصو» (سومانغارو) ملك «الماندينغ» (ناري فامغان) وأولاده الأحد عشر جميعاً باستثناء الصغير منهم، وهو (سندياتا) أو كما عُرف في التاريخ باسم (ماري جاطه) وذلك رحمةً به لصغره، وضعف جسمه، ومرضه الذي كان يُلمّ به، وذلك عام ٦٢٨ هـ، ولكن لم يمض سوى خمس سنوات حتى استطاع هذا الصغير المريض أن يُؤلّف جيشاً قوياً ويقوده لقتال الصوصو، وتمكّن من إحراز النصر في معركةٍ فاصلةٍ قتل فيها امبراطور الصوصو عام ٦٣٣ هـ، تمزّقت بعدها امبراطورية الصوصو، وانتهى أمرها.

وسار (ماري جاطه) بعد إلى مدينة «كومبي صالح» عاصمة امبراطورية

غانا، ودمّر ما كان قد بقي منها، ولكنه ترك المسلمين الذين كانوا قد فروا منها إثر غزو الصوصو لها، والتجؤوا في مدينة «ولاته». وأسّس ماري جاطة مملكةً واسعةً، حكمتها أسرة «كيتا».

تعود أسرة «كيتا» إلى جدها «موسى ديجيو» الذي يُلقّب بـ (كيتا)، وحكم هذه الأسرة من عام ٥٩٧ ـ ٦١٥ هـ، واتخذ مدينة «جارب» عاصمةً له، وهو أول من دخل الإسلام من ملوك دولة «كانغابا» أو «ماندينغ»، وربما كان هو المشهور في الكتب العربية باسم «بومندانه»، وخلفه بالحكم ابنه «ناري فامغان» من ٦١٥ ـ ٦٢٨ هـ، وبذل جهداً واسعاً في نشر الإسلام بين قبائل البمبارا، ثم قتل هو وأولاده على أيدي الصوصو، ثم قام ابنه (ماري جاطه) الذي بقي وحده على قيد الحياة في أسرته، وأعاد الحكم له بعد أن انتصر على الصوصو عام ٦٣٣ هـ، وضمّ إليه أملاك امبراطورية غانا القديمة، ونقل عاصمته من «جارب» إلى مدينةٍ جديدةٍ أنشأها على نهر (سانكاراني) إلى الشمال الشرقي من العاصمة القديمة «جارب»، وقد سُمّيت «نياني»، واشتهرت باسم (مالي)، وأصبحت فيما بعد علماً لدولة (الماندينغ).

وصلت دولة (ماري جاطه) إلى إمارات الهاوسا في شمالي نيجيريا في الشرق، وإلى سواحل المحيط الأطلسي في الغرب، وإلى قلب الغابات في الجنوب، وتوفي عام ٦٥٣ هـ.

تولى أمر أسرة كيتا أو مملكة مالي ابن (ماري جاطه) وهو منسي علي، ويُعدّ أعظم حكام أسرته وقد عرف بالصلاح، وأدى فريضة الحج عام

---

(١) جارب: مدينة تقع على نهر النيجر الأعلى، جنوب مدينة (سيغوري)، وتقع اليوم في دولة غينيا.

(٢) سانكاراني: نهر من روافد نهر النيجر، يشكل اليوم جزءاً من الحدود بين مالي وغينيا، ويرفد نهر النيجر عند مدينة (كانغابا) في مالي قريباً من الحدود الغينية على بعد ٦٥ كيلو متراً منها.

٦٥٨ هـ، وضمّ إليه مملكتي «وانغارا» و«بامبوك»، وتـوفي عام ٦٦٩ هـ، فتعرضت البلاد بعده لمرحلةٍ من الاضطراب، حكم خلالها مملكة مالي عدد من الحكام، هم:

١ ــ منسي علي سمّي (منسي علي) وشقيقه، وحكم من ٦٦٩ ـ ٦٧٣ هـ.

٢ ــ خليفة شقيق منسي علي الآخر وحكم ٦٧٣ ـ ٦٧٤ هـ.

٣ ــ أبو بكر أحد أسباط ماري جاطه، وحكم ٦٧٤ ـ ٦٨٤ هـ.

٤ ــ ساركوه أحد موالي أبي بكر اغتصب السلطة ٦٨٤ ـ ٧٠٠ هـ. غزا بلاد التكارنة و(انغارا) و(غاو) عاصمة صنغاي، وأدّى فريضة الحج عـام ٧٠٠ هـ، وفي طريق العودة هاجمته جماعة من الدناقل عند سـاحل البحر الأحمر، وقتلته.

٥ ــ منسي قو: وهو ابن ماري جاطه، وحكم من ٧٠٠ ـ ٧٠٥ هـ.

٦ ــ محمد بن (منسي قو)، وحكم ٧٠٥ ـ ٧١٠ هـ.

٧ ــ أبو بكر: وحكم من ٧١٠ ـ ٧١٢ هـ، وهو الذي سافر عبر المحيط الأطلسي ليكتشف ما بعده.

وحدثت بعد أبي بكر فتن واضطرابات وانتقل الحكم إلى أسرة ابن أخت (ماري جاطه) وكان منهم:

١ ــ منسي موسى بن أبي بكر الملك السابق، وكان يجيد العربية، ووصلت الدولة أيامه إلى الأوج، وكانت علاقته جيدة، مع دول المغرب، ومصر، وتوفي ٧٣٨ هـ.

٢ ــ مغان الأول أو منسي مغان بن منسي موسى، وحكم ٧٣٨ ـ ٧٤٢ هـ.

٣ ــ سليمان بن منسي موسى، وحكم ٧٤٢ ـ ٧٦٢ هـ.

٤ ــ قنبتا بن سليمان، وحكم تسعة أشهر ٧٦٢ ـ ٧٦٢ هـ.

٥ ــ ماري جاطه (الثاني) بن مغان الأول، وحكم ٧٦٢ ـ ٧٧٦ هـ، وكان سيء السيرة، مُبذّراً.

٦ ــ موسى (الثاني) بن ماري جاطه الثاني، وحكم ٧٧٦ ـ ٧٨٩ هـ.

٧ ــ مغان (الثاني) بن ماري جاطه الثاني، قُتل ٧٩٠ هـ.

٨ ــ صندكي (زوج أم موسى)، وحكم ٧٩٠ ـ ٧٩٣ هـ، وحدثت فتن.
٩ ــ محمود (منسي مغان).

ثم حدث ضعف استمر طويلاً، واستنجدت دولة مالي بالعثمانيين عام ٨٨٦ هـ لحمايتها من دولة صنغاي، غير أن دولة صنغاي استطاعت ضمّها إليها عام ٨٩٤ هـ، وبعدها طلبت من البرتغاليين دعمها، فأرسلت البرتغال سفارةً لهم برئاسة (بطرس فرناندو) عام ٩٤٠ ـ ٩٤١ هـ حيث قابل (منسي مالي) محمود الثاني، وهذا ما شجّع الماليين على القيام بثورة ضدّ الصنغاي غير أن ثورتهم قمعت بشدةٍ . وبقيت مالي تتبع صنغاي حتى ضعفت مملكة صنغاي نتيجة الحروب التي خاضتها مع مملكة السعديين في مراكش (المغرب).

استغلت دولة مالي ضعف مملكة صنغاي فتحرّك سلطان مالي (محمد الثالث)، كما تحرّك سلطان الفولانيين في (ماسّنا)، واستعاد سلطان بعض أملاكه المفقودة، ولكن السعديين كانوا قد احتلّوا مدينة تومبوكتو عام ١٠٠٠ هـ، وعندما أراد سلطان مالي الاستيلاء على مملكة (جني) غير أن قواته قد أبادتها جيوش السعديين، وأفل نجم دولة مالي عن المسرح السياسي.

حاول ملك مالي (ماما مغان) عام ١٠٨١ هـ أن يتوسّع لكنه هُزم أمام دولة البمبارا. وخلفه (مامبي كيتا) مدة خمسة عشر عاماً، ثم خلفه أبناؤه من بعده فتفرّقوا، واقتسموا أملاكهم فيما بينهم، واستقر آخرهم في مدينة (باماكو).

وتدّعي أسرة (كيتا) أنها تنتمي إلى بلال الحبشي، وليس هناك ما يُؤيّد هذا الادعاء، ولكن لم يكن هذا إلا للارتباط بنسبٍ مع أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣ ــ دولة البمبارا:

البمبارا جماعة من الماندينغ تُقيم في حوض نهر باني أحد روافد نهر النيجر في مجراه الأعلى، وعندما ضعفت دولة مالي، وقامت دولة صنغاي

استطاع البمبارا أن يُؤسّسوا إمارةً في سيغـو، واستطاعت هـذه الإمارة أن تتخلّص من سيادة إمارة (تومبوكتو) عام ١٠٧١ هـ، ثم فرضت عليها الجزية عـام ١٠٨١ هـ، ثم امتدت شمـالاً إلى الصحراء، وجنـوباً إلى الغـابـة، واستطاع ملكها في العام نفسه أن يـطرد سلطان مالي (مـاما مغـان). ثم حدثت فتن انتقل الحكم إثرها إلى أسرة (ديارا) عـام ١١٦٤ هـ، وبقيت الإمارة حتى قضى عليها سلطان التكارنة الحاج عمر عام ١٢٧٨ هـ.

وأقام البمبارا إمارةً أخرى في (كاآرتا)، شمـال نهر (بـاكوي) أحـد روافد نهر السنغال، بل إن مؤسسي الإمارتين كانا أخوين، ووقع الخلاف بين الإمـارتين بانتصـار إمارة سيغـو، وعُرف حكـام إمارة (كـاآرتـا) بقلب (مساسي) الذي يُقابل لقب (منسي) في مملكة مالي. وأشهـر ملوك هذه الدولة (الماسا أبو بكر) الذي قابل عام ١٢١١ هـ المستعمر (منجوبارك)، وكان آخرهم (كانديان) الذي كان مركز حكمه في (نيورو)، وانتهت الإمارة عام ١٢٧٧ هـ على يد سلطان التكارنة الحاج عمر.

٤ ــ دولة ساموري توري:

بعد زوال إمارتي البمبارا بقي الماندينغ منقسمين على أنفسهم، وظهر فيهم ساموري توري عام ١٢٧٧ هـ أي في العـام الذي زالت فيـه إمارة البمبارا في (كاآرتا)، فجمع قبائل الماندينغ مدة عشرين سنة من ١٢٨٧ - ١٣٠٧ هـ، ووحّد صفوفهم إذ كـانوا متفـرقين جنوب دولـة التكارنـة التي يقودها الحاج عمر.

اتخذ ساموري توري لقب إمام، وقاوم الفرنسيين مدة ستة عشر عاماً ١٣٠٠ - ١٣١٦ هـ، وانتصر أخيراً الفرنسيون، ودخلوا «سيغو» و«تومبوكتو» عام ١٣١٠ هـ، فاضطر ساموري توري إلى الالتجاء إلى أعالي نهر الفولتا، واستمرّ في مقاومـة الفرنسيين حتىٰ ألقي القبض عليـه عام ١٣١٦ هـ في شمال ساحل العاج، وحُمل إلى الغابون حيث توفي هناك عام ١٣١٨ هـ.

وإضافة إلى ممالك الماندينـغ التي قـامت على أراضي دولة مـالي

الحديثة قامت ممالك أخرى أسّستها قبائل ثانية، وأشهر هذه الممالك:

١ ـ امبراطورية الصوصو:

هاجرت جماعة من الفولانيين من بلاد التكرور، واتجهت نحو الشرق، واستقرّت في منطقة «كانياغا»، واستطاعت بعد مدة أن تُؤسّس أسرةً حاكمةً، حكمت شعب الصوصو، وعُرفت باسم «امبراطورية الصوصو». لقد استقلت في «كانياغا» عندما دخل المرابطون امبراطورية غانا، ثم طمعت هذه الدولة الناشئة في أملاك امبراطورية غانا، وتمكّنت من ضمّها إليها، كما استطاعت تدمير مدينة «كومبي صالح» التي هرب منها المسلمون والتجار، والتجؤوا إلى مدينة ولاتة (في موريتانيا اليوم)، والتي غدت سوقاً تجارياً تعدّ من أهم مراكز الصحراء.

وهاجمت بعدئذٍ دولة الماندينغ وقضت عليها في «كانغايا» ولكن لم تلبث هذه من أن تعود إلى الظهور بعد خمس سنوات من سقوطها، وأن تقضي على امبراطورية الصوصو التي لم تدم أكثر من ثلث قرن (٦٠٠ - ٦٣٣ هـ).

٢ ـ امبراطورية الصنغاي:

الصنغاي مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش في غرب نهر النيجر الأسفل، في المنطقة الواقعة اليوم شمال بنين، وغربي نيجيريا إلى الغرب من نهر النيجر، ثم أخذت هذه القبائل تنتقل إلى الشمال مع مجرى نهر النيجر حتى استقرّت في القرن الأول الهجري في (غاو) في دولة مالي الحديثة اليوم، وفي وادي النيجر مع مجرى النهر، وحول مدينة أغاديس في الداخل.

وفي الوقت نفسه جاءت من الشمال جماعات من قبيلة لمتونة البربرية إلى تلك الجهات، واستطاعت أن تُقيم حكومةً فرضت سيطرتها على قبائل تلك المناطق من الصنغاي. وقد انتقلت العاصمة مع التنقّل نحو الشمال، فكانت في (دندي) في أول الأمر، ثم في (كوكو)، ثم استقرّت في (غاو).

بسطت مملكة مالي نفوذها على دولة الصنغاي في منتصف القرن السابع الهجري، أيام منسي علي بن ماري جاطه، وأخذت منها عدداً من الرهائن لضمان خضوعها، وكان من هذه الرهائن ولدا ملك الصنغاي (زاياسبي) وهما (علي كولن)، و (سليمان نار)، وهما طفلان صغيران.

وشبّت الرهائن، وتمكّنت من الفرار من مقرّ مملكة مالي، واتجهت نحو (غاو) وأنقذتها من الحامية الماندينغية، وأسّس (علي كولن) وأخوه (سليمان نار) مملكةً جديدةً عام ٧٤٠ هـ، في عهد (مغان الأول)، وحكم علي كولن الممكلة الناشئة، ولم يطل عهده إذ كان كبير السن، فخلفه أخوه سليمان نار، ولكن لم تلبث أن عادت سيادة مملكة مالي على دولة الصنغاي.

رجع الضعف يدبّ في مملكة مالي، وبدأت القبضة الماندينغية تتراخى عن المناطق الشرقية، وفي عهد ملك مالي (موسى الثاني) سار وزيره ماري جاطه إلى المناطق الشرقية، ومع أنه استطاع أن يتجاوز مدينة (غاو) إلا أنه لم يدخلها.

وفي عام ٨٢٣ هـ قام ملك الصنغاي (محمد دوغو) بحملةٍ ضدّ مملكة مالي، فأخضع قبائل البمبارا، وثبّت دعائم حكمه، وتخلّص من سيطرة مملكة مالي التي كانت في مرحلة من الضعف، وتكاد تقتصر على منطقة (كانغابا)، وتوفي محمد دوغو عام ٨٦٩ هـ فخلفه ابنه (مسناعلي) الذي يُعدّ مؤسّس امبراطورية الصنغاي، إذ استطاع الاستيلاء على مدينة (تومبوكتو) عام ٨٧٣ هـ، وطرد الطوارق منها، وحرق أكثر أحيائها، وقتل قسماً من أهلها، ثم أخضع منطقة النيجر، واستولى على مدينة (جني) عام ٨٧٥ هـ، كما سيطر على منطقة (ياتنغا) مقر قبائل الموش غير أنه لم يستطع إخضاع هذه القبائل له تماماً. وتوسّعت مملكته حتى أصبحت امبراطوريةً. وخافت مملكة مالي على نفسها فاستنجدت بالعثمانيين عام ٨٨٦ هـ.

وتوفي مسنا علي عام ٨٩٨ هـ، وخلفه ابنه أبو بكر، ولكن قواد أبيه ثاروا عليه، وتمكن القائد محمد بن أبي بكر الطوري من أن يهزم جند الملك، ولكن الملك أبا بكر قد توفي عام ٨٩٩ هـ، وانتقل الحكم من أسرة (زا) التي كانت هي المالكة إلى القائد محمد الذي تسلّم السلطة باسم (أسكيا محمد) فبلغت الدولة في عهده الأوج، وفي عام ٩٠١ هـ أدّى فريضة الحج، وعندما عاد أعلن الجهاد ضدّ قبائل (الموش) الزنجية الوثنية، وقد طلب منهم الإسلام، فلما أبوا قاتلهم، وانتصر عليهم، وتقدّم نحو الشمال حتى وصل إلى الصحراء، وتوسّع نحو الغرب فضمّ إليه ديار الماندينغ، والفولاني، ووصل إلى سواحل المحيط الأطلسي، وامتدّ نفوذه نحو الشرق حتى وصل إلى بحيرة تشاد بعد أن ضمّ إليه إمارات الهاوسا.

وفي عام ٩٣٥ هـ قام أبناء (اسكيا محمد) وأجبروا أباهم على التخّلي عن الحكم لابنه موسى الذي سبق له أن نُفي إلى جزيرةٍ بعيدةٍ في نهر النيجر، ولكن موسى قُتل عام ٩٣٨ هـ، وتسلّم السلطة بعده أخوه (محمد بنكة)، واستمر حكمه حتى عام ٩٤٤ هـ، حيث عُزل وتولى مكانه أخوه (أسكيا إسماعيل) فحكم عامين، ثم أعاد أباه (أسكيا محمد)، وكان قد كُفّ بصره، ومات عام ٩٤٩ هـ.

ثارت مملكة مالي بعد الاستنجاد بالبرتغاليين غير أن هذه الثورة قد قُمعت بعنفٍ.

تولّى حكم مملكة الصنغاي عام ٩٥٠ هـ (اسكيا إسحاق)، وفي عهده ساءت العلاقة بين ملوك المغرب وملوك الصنغاي، وتولّى عام ٩٥٦ هـ (اسكيا داود)، وفي عهده عادت مملكة مالي إلى الثورة ضدّ الصنغاي، ولكنها هُزمت أمام حملةٍ أُرسلت إليها. وزادت العلاقة سوءاً مع ملوك المغرب، وبقي (اسكيا داود) بالحكم حتى عام ٩٩٠ هـ، وخلفه ابنه (اسكيا حاج محمد الثاني)، ودام بالسلطة مدة خمس سنوات، وبدأت المناوشات في عهده مع المغرب.

وفي عام ٩٩٥ هـ خلع (اسكيا حاج محمد الثاني) إخوته، وتولّى مكانه أخوه محمد الذي حكم ثلاث سنوات، وجاء بعده (اسكيا إسحاق الثاني)، وتردّت العلاقات في هذا العهد مع المغرب، فجاءت حملة مغربية، وانتصرت على الصنغاي في معركة (تندى)، واستولت على عاصمة الصنغاي (غاو).

جرت مفاوضات بين ملك الصنغاي وقائد الحملة المغربية انتهت بوقف القتال، ووضع شروط للصلح، غير أن ملك المغرب منصور السعدي قد رفض هذه الشروط، وتجدّد القتال بين الطرفين، وعادت الكرة بالهزيمة على قوات الصنغاي، فثار الشعب ضدّ حاكمه الذي فرّ من قاعدة ملكه، وقام بتسيير شؤون البلاد رئيس الديوان (محمد كاغ) الذي لم يلبث أن نصّب نفسه امبراطوراً، وتسمّى باسم (اسكيا) إلا أن الشعب لم يقبل به، فعيّنوا ملكاً عليهم هو (اسكيا نوح) عام ١٠٠٢ هـ، وبذا أصبح في البلاد ملكان أحدهما يقرّ بسيادة المغرب، والآخر لا يعترف بذلك، وحاول (اسكيا نوح) أن يبثّ روح المقاومة في أبناء البلاد، فألّف جيشاً قوياً، وبدأ بحرب المقاومة، واستطاع خلال أربع سنوات أن يُحقّق عدة انتصارات على المغاربة، وخاصةً أن الإمدادات قد توقّفت من المغرب إلى قواتها.

أرسل ملك المغرب عدة جيوش إلى الصنغاي الأمر الذي أجبر (اسكيا نوح) إلى الهرب ومغادرة البلاد، وانتهت البلاد بوفاته عام ١٠٠٤ هـ، وتفككت البلاد، وآل الحكم فيها إلى رجال القبائل، وعمّ الظلم، وانتشرت المجاعة، وبهذا انتهت امبراطورية الصنغاي.

إلى جانب هذه الممالك ظهرت على أرض دولة مالي الحديثة عدة إمارات ذات أهمية منها: إمارة لقبائل الفولاني في منطقة (ماسينا) على نهر النيجر جنوب (تومبوكتو)، وقد وجدت جماعة الفولاني في هذه البقعة منذ القرن الثامن الهجري، وظلّوا فيها إلى القرن الثالث عشر يُقرّون لملوك مالي بالسيادة عليهم، ثم خضعوا لباشوات تومبوكتو، وأخيراً لملوك البمبارا

في سيغو، وبدؤوا يدخلون بالإسلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وقاموا بحركةٍ من الجهاد ضدّ أبناء جنسهم من الوثنيين، فاستنجد الوثنيون بملوك البمبارا، غير أن المسلمين قد استطاعوا التغلّب، وهزموا جيش (سيغو) وأسّس الفولانيون مملكةً إسلاميةً في (ماسينا) عام ١٢٢٥ هـ حكمت المنطقة كلها.

وأقام التوكلور إمارة (فوتا جالون) في جنوب الحوض الأدنى لنهر السنغال في القرن التاسع حكمت المنطقة، وشملت أجزاء من أراضي دولة مالي اليوم، وظهر منهم عام ١٢٥٤ هـ الحاج عمر الذي وحّد السودان الغربي تحت سلطانه من (فوتا جالون) إلى (تومبوكتو)، وقام عام ١٢٧١ هـ بغزو بلاد (كاآرتا) فدانت له، وحاول التفاهم مع ملك الفولاني في (ماسينا) لغزو إمارة البمبارا في سيغو غير أن ملك الفولاني رفض ذلك، فاضطر الحاج عمر من التوجّه إلى الغرب ولكنِ الفرنسيين كانوا قد بسطوا نفوذهم على تلك الجهات فحالوا دون تقدّمه فأُجبر إلى التوجّه ثانيةً نحو الشرق، واحتلّ إمارة (سيغو) عام ١٢٧٨ هـ، وإمارة (ماسينا) عام ١٢٧٩ هـ، ثم تومبوكتو عام ١٢٨٠ هـ. ثم قامت هذه المناطق بثورة عليه انتهت بمقتله عام ١٢٨١ هـ.

وتنافس أبناء الحاج عمر فيما بينهم على السلطة، ودخلوا في حروبٍ، فكرههم الناس، وكان آخرهم الأمير أحمد الذي توفي عام ١٣١٦ هـ إثر هزيمة الفرنسيين له أثناء تقدّمهم نحو الشرق حيث وجدوا الطريق مُمهّدة أمامهم لاحتلال البلاد.

الاستعمار:

كانت مراكز المستعمرين الصليبيين على السواحل فلما ضعف أمر المسلمين في الداخل، وأخذت بعض الإمارات تستنجد بأعدائها في الساحل ضدّ بعضها الآخر فتحرّك عندها المستعمرون نحو الداخل باسم

التعرّف والاستطلاع في بداية الأمر، فلما رأوا الظروف مناسبةً لهم تدخّلوا مستعمرين.

كانت أولى الرحلات إلى الداخل موجهةً إلى حوض نهر النيجر عام ١٢١٠ هـ، وقد انطلقت من غامبيا مع مجرى نهر غامبيا، واستطاع رائد هذه الرحلة (منجوبارك) الوصول إلى مدينة (سيغو) على نهر النيجر، ثم توغّل إلى أبعد من ذلك في رحلته الثانية عام ١٢٢٠ هـ، ثم تعدّدت بعد ذلك الرحلات وبخاصةٍ الفرنسية منها إلى مناطق غربي إفريقية، ولم يكن هؤلاء الرحالة إلا رسل بلادهم للتعرّف على ثروات هذه الأرض وإمكانية استغلالها واستثمارها، وهكذا لم تكن هذه البعوث التي حملت الصفة العالمية إلا بداية حركةٍ استعماريةٍ واسعة النطاق للقارة الإفريقية. ولما تمّ لهؤلاء الرحالة التعرّف على البلاد، والكشف عن إمكاناتها وثرواتها بدأت مرحلة جديدة من النشاط في المنطقة، وهي مرحلة الاستيلاء، ثم الاستعمار بأسوأ صوره وأشكاله.

استطاعت فرنسا التوغّل إلى غربي إفريقية عن طريق نهري النيجر والسنغال والقضاء على دولة الحاج عمر عام ١٢٨١ هـ، وحركة ساموري توري عام ١٣١٦ هـ، وبسطت نفوذها على معظم السودان الغربي، وضمّت إلى قواتها العسكرية وحدات من القبائل الوثنية استعملتها لتحقيق أهدافها في القتال والاستعمار.

اضطر السكان إلى قبول الأمر الواقع نتيجة ضعفهم، ولكن مع الزمن لا بدّ من أن تكون هناك حركات مقاومة، ولا بدّ من أن تكون هناك تجمّعات للمطالبة ببعض الأمور كالمساواة والاستقلال. ووجدت التجمّعات السياسية، ولكن من الصعب أن يستطيع أيّ تجمّعٍ إفريقي التمتع بالبقاء في ظلّ القانون الذي وضعته الدولة الاستعمارية دون أن يتعرّض للحلّ أو الإلغاء فيما لو طلب انسحاب فرنسا المباشر من البلاد، لذلك عملت الأحزاب والحركات الوطنية الإفريقية في معظمها من الناحية العملية بين

فكرتين متضادتين:

الأولى: وكانت تُطالب بتصفية الاستعمار.

الثانية: وكانت ترى القبول بالأمر الواقع مع التعديل التدريجي الذي ترضى به الإدارة الفرنسية، ومن الأحزاب التي قامت في البلاد.

١ ـ حزب الاتحاد السوداني.

٢ ـ حزب التجمّع الديمقراطي الإفريقي: وكان في غربي إفريقيـة كله، حيث له فروع في مختلف المستعمرات الفرنسية في غربي إفريقية.

وتعرّضت إفريقية الفرنسيـة إلى عدة تغييـراتٍ في الحدود والأقسـام السياسية، وظلّت كل مستعمرةٍ خاضعةٍ لحاكمٍ فرنسيٍ عامٍ يتلقّى أوامره مباشرةً من وزير المستعمرات الفرنسي، ولكن لم تلبث أن ظهرت مفاسد هذا النظام لذلك فكّرت في جمع بعض المستعمرات في وحداتٍ اتحاديةٍ، ومن هذه الوحدات كانت إفريقية الغربية الفرنسية التي تضمّ: موريتانيـا ـ السنغال ـ غينيا ـ ساحل العاج ـ مالي ـ فولتا العليا ـ النيجر ـ داهومي.

وفي عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) شكلت فرنسا إقليماً في منطقة مالي، وسمي (السنغـال العليا والنيجـر)، ثم استُبدل هـذا الاسم عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) وأصبح (السودان الفرنسي).

الفصل الأول

مالي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ

٣ آذار ١٩٢٤ ـ ٢٠ حزيران ١٩٦٠ م

حملت منطقة مالي اليوم اسم «السودان الفرنسي» منذ عام ١٣٣٩ هـ، وتلك تسمية جغرافية بحتة، فالمناطق التي تقع بين خطي عرض ١٠ ـ ١٨° تعرف بالمناطق السودانية حسب لون سكانها، كما تسمى بمنطقة «السفانا» أي المراعي الطويلة، وذلك حسب نباتاتها، وتمتد بلاد مالي بين خطي عرض ١٠ ـ ٢٥° شمالاً أي أن معظم أرضها يقع ضمن النطاق السوداني، أما الجزء الباقي فيقع ضمن النطاق الصحراوي الذي يكون عادةً بين خطي عرض ١٨ ـ ٢٥°. ولما كان الجزء الشرقي من هذا النطاق يحمل اسم «السودان الإنكليزي» نسبةً إلى المستعمر الذي يُسيطر على هذا الجزء، لذا أُعطي الجزء الغربي اسم «السودان الفرنسي» أيضاً نسبةً إلى المستعمر الذي يتحكّم بهذا الجزء.

ونصّ دستور فرنسا عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) على قيام مجلسٍ عامٍ في كل اتحادٍ، وينتخب أعضاؤه من بين الجمعيات الإقليمية، وفي وحدات الاتحاد، وكانت قوانين الانتخاب معقدةً، وجرت الانتخابات الأولى، ونجح فيها الوطنيون الإفريقيون.

وعُدّل الدستور عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، وأصبح يقوم بجانب المجلس الوطني الإقليمي مجلس تنفيذي يُمثّل السلطة، ويرأس هذا

المجلس التنفيذي حاكم الإقليم الذي يُعيّن قسماً من المجلس بينما يتمّ أخذ القسم الثاني بالانتخاب.

وفي عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) عُقد مؤتمر في باماكو يضمّ أقاليم إفريقية الغربية كلها، وكان من مقرراته ضرورة اعتراف فرنسا بحقّ تقرير هذه الأقاليم لمصيرها، وخشي الفرنسيون من اندلاع الثورات، كما حدث في الجزائر التي كانت ثورتها مشتعلةً، فأصدر رئيس وزراء فرنسا (غي موليه) قانون الإصلاح الإداري، ويقضي بإجراء انتخاباتٍ في كل إقليمٍ لتأليف جميعاتٍ عامةٍ تتولى تشكيل الوزارة.

وجاء ديغول إلى حكم فرنسا عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)، وعمل على الحفاظ على مستعمرات فرنسا فيما وراء البحار، فعرض دستوراً، وأعطى حريةً لكل إقليمٍ أن يُصوّت على الدستور بالقبول أو الرفض، وينصّ هذا الدستور على أن الإقليم الذي يُوافق على الدستور يصبح عضواً في مجموعة الشعوب الفرنسية، ويُشكّل حكومةً محليةً، ويتمتع بالاستقلال الداخلي، على أن تكون السلطة المركزية لفرنسا في الدفاع، والاقتصاد، والشؤون الخارجية. كما يمكن أن يتمّ اتحاد بين إقليمين أو عضوين في المجموعة الفرنسية. أما الأقاليم التي ترفض الدستور الديغولي فتحصل على الاستقلال التام، وعندها تقطع فرنسا عنها مباشرةً كل معونةٍ فنيةً كانت أم ماديةً أم إداريةً، ولكن صحب الاستفتاء على الدستور أنواع من التهديدات والوعود حتى أن القسم الكبير من السكان قد قاطع الاستفتاء، ولهذا كانت النتيجة قبول دستور ديغول في أغلب الأقاليم، ومنها مالي. وتكونت نتيجة ذلك جمهورية مالي ذات الاستقلال الذاتي ضمن المجموعة الفرنسية، وأُلغيت وظيفة الحاكم العام، وتشكلت وزارة «موديبو كيتا».

وفي شهر شوال ١٣٧٨ هـ (نيسان ١٩٥٩ م) تمّ اتحاد بين السودان الفرنسي والسنغال أُطلق عليه اسم مالي رمزاً لمملكة مالي القديمة، وانتخب «موديبو كيتا» رئيساً لهذا الاتحاد، وحصل الاتحاد على الاستقلال

ضمن المجموعة الفرنسية عام ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م).

لم يلبث هذا الاتحاد أن انحلّ بعد ثلاثة أشهرٍ من قيامه بسبب خلافاتٍ في السياسة، فأعلن السودان الغربي نفسه جمهوريةً مستقلةً استقلالاً تاماً في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ (٢٠ حزيران ١٩٦٠ م) مع الاحتفاظ باسم «مالي»، وانتخب «موديبو كيتا» رئيس حزب الاتحاد السوداني رئيساً للجمهورية بالإجماع. وتمّ الإعلان عن جمهورية مالي بدلاً من اتحاد مالي في غرة ربيع الثاني ١٣٨٠ هـ (٢٢ أيلول ١٩٦٠ م). وينتمي «موديبو كيتا» إلى أسرة «كيتا» التي أسّست امبراطورية مالي أيام «ماري جاطه» بعد أن قضى «الصوصو» على مملكة مالي وأسرة «كيتا» بالذات، وكان لهذا الانتماء أثره في نفوس سكان المنطقة، وبدأ حكم امبراطورية مالي عام ٦٣٣ هـ.

الفصل الثاني

الاستقلال

٢٦ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ - ......

٢٠ حزيران ١٩٦٠ م - ......

نهج «موديبو كيتا» سياسةً مركزيةً استبداديةً، وفصل باستقلاله بين بلدان إفريقية الغربية الفرنسية التي كانت من قبل متصلةً بعضها مع بعضٍ.

انسحبت مالي من المنطقة العسكرية الفرنسية في عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ووطّدت علاقاتها مع روسيا ومجموعة الكتلة الشيوعية الأخرى، غير أن التضخم المالي المتزايد، وموضوع التهريب ضمن حدودها الصحراوية الطويلة كانا العاملين الأساسيين في عودة مالي إلى المنطقة التي سبق لها أن تركتها، لقد انخفضت عملتها إلى ٥٠ ٪ من قيمتها الأصلية، واستخدمت عملة إفريقية الغربية منذ عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) غير أنها لم تندمج تماماً ضمن اتحاد النقد الإفريقي الغربي إلا في عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م).

جرت الانتخابات في ٣٠ ذي القعدة ١٣٨٣ هـ (١٢ نيسان ١٩٦٤ م) لأعضاء المجلس الوطني، وأعقب ذلك قيام تطهيرات داخل حزب الاتحاد السوداني الحاكم، وضمن الإدارة العامة، وأُلقي القبض على عدة مسؤولين. وفي ٢٨ شعبان ١٣٨٨ هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٦٨ م) قاد الملازم الأول موسى تراوري انقلاباً عسكرياً ضدّ نظام «موديبو كيتا» الذي كان يقوم بنزهةٍ في مركبٍ شراعي بنهر النيجر، ولدى عودته إلى الشاطىء

أُلقي القبض عليه من قبل الانقلابيين الذين كانوا بانتظاره. وتولّت الحكم لجنة عسكرية تضمّ أربعة عشر ضابطاً، وتولّى النقيب «يوروودياكيتي» رئاسة الـوزراء في غرة شهـر رمضان ١٣٨٨ هـ (٢١ تشـرين الثاني ١٩٦٨ م). وأطلقت اللجنة العسكرية على نفسها اسم «لجنة التحرير الوطني»، ووعدت بالعودة إلى الحياة النيابية، وتسليم السلطة إلى المدنيين عندما تتمكّن من التغلب على المصاعب الاقتصادية.

ونصّب مـوسى تراوري نفسـه رئيسـاً للجمهـوريـة في ١٦ رمضـان ١٣٨٨ هـ (٦ كانون الأول ١٩٦٨ م)، وطالبت بعض الهيئات بالحياة النيابية فكان الردّ قاسياً إذ عُطّل الدستور، وتمّ الحظر على الهيئات السياسية كلها. وفي رجب ١٣٨٩ هـ (أيلول ١٩٦٩ م) تمّت إزاحة «يورودياكيتي» من رئاسة الحكومة، وحـلّ مكانـه على رأس حكومـةٍ جديـدةٍ الرئيس نفسـه موسى تراوري.

وفي ربيع الأول ١٣٩٤ هـ (نيسان ١٩٧٤ م) أصدرت لجنة التحرير الوطني دستوراً جديداً، واقترحت إنشاء حزبٍ واحدٍ للدولة مع إبقاء الحكم العسكري لمرحلةٍ انتقاليةٍ مدتها خمس سنواتٍ، واعتُمد الدستور في جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ (حزيران ١٩٧٤ م).

وفي رمضـان ١٣٩٦ هـ (أيلول ١٩٧٦ م) اقتـرحت لجنـة التحـريـر الوطني أن يكون الحزب المزمع إنشاؤه هـو الاتحاد الـديمقراطي الشعبي المالي، ولكن قامت معارضة نشطة من السياسيين الذين برزوا قبل انقلاب ١٣٨٨ هـ والذين حظر عليهم النشاط، وقام الـطلاب بمظاهـراتٍ عدائيـةٍ للحكم، دعوا إلى التعددية الحزبية، كما قامت مظاهرات بعد موت الرئيس السابق «موديبو كيتا» في السجن عام ١٣٩٧ هـ(١٩٧٧ م).

وكانت هناك مقاومة داخل الجيش لعودة الحكم المدني، وفي ربيع الأول ١٣٩٨ هـ (شباط ١٩٧٨ م). أُلقي القبض على أربعة ضباطٍ أعضاء في لجنة التحرير الوطني كانوا يرون اتخاذ القمع العسكري وسيلةً للقضاء

على المعارضة، كما أُلقي القبض على اثنين وثلاثين آخرين من كبار رجال الشرطة والقوات المسلحة، وقد اتهموا بالعمل على تقويض أمن الدولة، والفساد، وقضت المحكمة بحكم الإعدام على اثنين من المتهمين وذلك في شهر شوال من عام ١٣٩٨ هـ (أيلول ١٩٧٨ م)، وإن كان قد خُفّف الحكم عن أحدهما إلى السجن مدة عشر سنواتٍ مع الأشغال الشاقة، كما أن خمسةً وعشرين من المتهمين قد حكم عليهم بالسجن مدداً مختلفةً.

أُعيد تشكيل الوزارة في جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ (أيار ١٩٧٨ م)، وضمّت الوزارة خمسة عشر وزيراً، بينهم تسعة من المدنيين والباقي من العسكريين.

وظهر تنظيم حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي المالي في ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (آذار ١٩٧٩ م)، وجرت الانتخابات الرئاسية والتشريعية في رجب ١٣٩٩ هـ (حزيران ١٩٧٩ م)، وكان الرئيس موسى تراوري هو المرشح الوحيد، وقد انتُخب لمدة خمس سنواتٍ، وأُشيع أنه حصل على ٩٩٪ من مجموع الأصوات. وكذلك كانت قائمة مرشحي حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي المالي هي الوحيدة، وتضمّ اثنين وثمانين مرشحاً، وهو عدد مقاعد المجلس الوطني، وتمّ الانتخاب بشكلٍ مُشابهٍ لانتخاب الرئيس لمدة أربع سنواتٍ.

وفي صفر من عام ١٤٠٠ هـ (كانون الثاني ١٩٨٠ م) حلّت الحكومة اتحاد الطلاب، ورفضت أن تعدّه فرعاً من فروع حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي، وذلك بعد احتجاجات الطلاب على طريقة الامتحانات، وعلى المنح الدراسية، وشكّلت الحكومة كبديلٍ عن اتحاد الطلاب لجاناً من حركة شباب الحزب في المؤسسات التعليمية، وتمّ احتجاز المئات من الطلبة، وفي جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ (آذار ١٩٨٠ م) توفي رئيس اتحاد الطلاب في السجن، ونتج عن ذلك حوادث شغبٍ واحتجاجات، وأغلقت المؤسّسات التعليمية أبوابها أكثر أيام السنة الدراسية.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠١ هـ (كانـون الأول ١٩٨٠ م)أعلن عن اكتشاف مؤامرةً للإطاحة بالحكومة، وتمّ إلقاء القبض على كثيرٍ من كبـار ضباط الجيش، وأحيلوا إلى المحكمة التي قضت على ثلاثةٍ منهم بحكم الموت.

إن تبنّي الملحق الـدستـوري في ذي القعـدة ١٤٠١ هـ (أيـلول ١٩٨١ م) قد زاد من مدة المكتب الرئاسي إلى ست سنواتٍ، على حين انخفضت مدة المجلس الوطني إلى ثلاث سنواتٍ.

وجرت انتخابـات المجلس الوطني في شعبـان ١٤٠٢ هـ (حزيـران ١٩٨٢ م) وفي رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م)، وفازت قائمة مرشحي حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي دون منازعٍ إذا لم يكن سواها مرشح آخر، وأثناء انعقاد مؤتمر الحزب العادي الثاني في جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م) أُعيد انتخاب الرئيس موسى تـراوري كأمين عـام للحزب بموافقة المؤتمر على الملحق الدستوري، وسمح بذلك لقائد الحزب بإعادة انتخابه للرئاسة أكثر من مرةٍ.

وعند انتخابات الرئاسة في رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) أُعيد انتخاب الرئيس لمرحلةٍ انتخابيةٍ ثانيةٍ، وأُشيع أن حصل على ٩٩,٩٤٪ من مجموع الأصوات.

وفي شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) أعاد الرئيس موسى تراوري إعادة تنظيم الحكومة فسلّم منصب وزارة الدفاع إلى أقرب الناس إليه العقيد سيكولي، وعيّن ممدوح ديمبلي وزير الصحة والشؤون الاجتماعية في مكتب رئيس مجلس الوزراء الذي أُعيد إنشاؤه. ثم عاد فألغى هذا المكتب في ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (حزيران ١٩٨٨ م)، ورجع ممدوح ديمبلي إلى منصبه السـابق كوزيـر للصحة والشؤون الاجتمـاعيـة. وجـرت في الشهـر نفسـه انتخـابات المجلس الـوطني فحصلت قائمـة الحـزب على ٩٨,٥٦٪ من مجموع الأصوات، ودخل المجلس أربعون عضواً جديداً.

وفي شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م) تمّ إنشاء لجنة ضدّ الفساد بناءً على توصيةٍ من مؤتمرٍ الحزب غير العادي، والذي أُذيع باسم «بيان التوجيهات الوطنية»، وقد قضت المحكمة الخاصة لأمن الدولة بالحكم بالإعدام على تسعة أشخاص بعد محاكمة ٤٧٠ رجلاً اتهموا باختلاس الأموال العامة، وكان الحكم في ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م)، وفي حكم آخر صدر في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) حكم على أربعةٍ آخرين بالموت، وتلقّى ثلاثون آخرون أحكاماً بالسجن بعد أن اتهموا اتهاماتٍ مماثلةٍ.

يبدو أن الشعب لم يكن مرتاحاً للإجراءات التي قامت بها الحكومة، وخاصةً بدا هذا واضحاً بين الطلبة، والمدرسين، والعمال المدنيين، وأحسّت الحكومة بما يدور في الأوساط الشعبية، فتدارست الوضع، وقُدّمت اقتراحات لإعادة تنظيم مؤسسات الدولة فأدّت هذه الاقتراحات إلى ظهور انقسامات داخل الحكومة.

وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) أعلن الرئيس موسى تراوري عن إغلاق سجن «تودويني» وتخفيف الأحكام الصادرة بحق السجناء. وفي الذكرى العشرين لتولّي موسى تراوري رئاسة الجمهورية أي في ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (٦ كانون الأول ١٩٨٨ م) أعلن الرئيس عن إطلاق سراح ٧٨ سجيناً، كان من بينهم بعض السياسيين الذين اتهموا بالتورّط في محاولة الانقلاب عام (١٩٨٠ م)، كما صدر عفو آخر عن ٢٣٧ سجيناً. وفي ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) أعلنت لجنة العفو الدولية التابعة لمنظمة حقوق الإنسان أن أربعة أعضاء من اتحاد الطلاب غير الرسمي قد سُجنوا وعُذبوا دون محاكمة.

وأُعيد تشكيل الحكومة من جديد في أواخر عام ١٤٠٩ هـ (أواسط عام ١٩٨٩ م)، فأُبعد عن الوزارة وزير الخارجية والتعاون الدولي «موديبو كيتا» (غير الرئيس السابق)، ووزير الصحة والشؤون الاجتماعية

ممدوح ديمبلي، وخمسة وزراء آخرون، وعيّن مكانهم أربعة وزراء من المقربين إلى الرئيس.

العلاقة مع الدول المجاورة:

كان هناك نزاع إقليمي منذ مدةٍ طويلةٍ بين مالي وبوركينا فاسو على شريطٍ حدوديٍ يمتدّ على طول ١٦٠ كيلومتراً في منطقة «أغاشيه» (Agacher)، ويُشاع أن هذه المنطقة تحوي كمياتٍ كبيرةٍ من المعادن الثمينة. واشتدّ الصراع حول هذه النقطة فأدّى إلى قتالٍ بين الطرفين نشب في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م)، واشتبكت قوات البلدين بعضهما مع بعضٍ، واستمرّ القتال ستة أيامٍ، وذهب ضحيته خمسون رجلاً، ورفع الأمر إلى محكمة العدل الدولية التي طلبت من الطرفين سحب قواتهما من منطقة النزاع. وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) تمّت اجتماعات طارئة وافق إثرها الرئيسان: موسى تراوري، وتوماس سانغارا على المصالحة، وسحب جيشهما من منطقة «أغاشيه» واستُؤنفت العلاقات السياسية بين البلدين في شوال عام ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م)، وقبلا حكم محكمة العدل الدولية النهائي في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م)، والذي قضى بمنح كل طرفٍ نصف المنطقة المتنازع عليها.

وفي رمضان ١٤١١ هـ (آذار ١٩٩١ م) أطاح (أحمدو توماني ثوري) بحكم موسى تراوري، وتسلّم السلطة مكانه.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

مالي إحدى دول إفريقية الكبرى مساحةً حيث تبلغ مساحتها ١,٢٤٠,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، وهي دولة داخلية فلا تشرف على البحر، وتشغل الصحراء جزءاً غير قليلٍ منها، وكانت حدودها طويلة لاتساع المساحة، وشبه مستقيمة فى المناطق الصحراوية أي في المناطق الشمالية.

يبلغ طول حدودها ٧,٢٤٣ كيلومتراً منها: ٢,٢٣٧ كيلومتراً مع موريتانيا، و١,٣٧٦ كيلومتراً مع الجزائر، و ٨٢١ كيلومتراً مع النيجر، و ١,٠٠٠ كيلومتراً مع بوركينا فاسو، و٥٣٢ كيلومتراً مع ساحل العاج، و٨٥٨ كيلومتراً مع غينيا، و ٤١٩ كيلومتراً مع السنغال.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) ثمانية ملايين وتسعمائة ألف إنسان، وبذا تكون الكثافة سبعة أشخاصٍ في الكيلومتر المربع الواحد، فهي من الكثافات القليلة في العالم، وهي تقلّ في الشمال حيث تغطي الصحراء مساحاتٍ واسعةً، وتزداد نسبياً في الجنوب لزيادة الأمطار السودانية في الصيف الأمر الذي تتوفّر فيه الأعشاب الطويلة، والأدغال، وحيث تجري الأنهار التي تكون غزيرةً في الجنوب لزيادة الأمطار، وهذا ما يجعلها تتمكّن من اجتياز الصحراء، وإيجاد واحةٍ طويلةٍ على طول مجاريها، وإقامة حياةٍ مستقرةٍ حضريةٍ.

الصراع العنصري:

يُقيم على أرض مالي عدة مجموعاتٍ بشريةٍ منها:

١ ـ **الماندينغ**: وهم مجموعة الشعوب التي تتكلم لغة الماندي، ومنها الماندي، والسوننكي، والساراكوليه، والديولا، والبوزو، وكلها فروع مسلمةٌ، والبامبارا، والكاسونكا، والجالونك، وأكثرية هذه الفروع وثنية، وإن كانت قلةً قليلةً، وتشكل الفروع كلها ٤٠ ٪ من مجموع سكان مالي، ويعدّون أنموذجاً للزنوج.

٢ ـ **الصنغاي**: وهم زنوج يعيشون عند ثنية نهر النيجر من موبتي، وتومبوكتو، وإلى غاو، وتُقدّر نسبتهم ١٢ ٪ من سكان مالي، ويعمل أكثرهم بصيد السمك، وأكثرهم من المسلمين.

٣ ـ **الفولاني**: وقد جاءوا من الشمال ويشكلون ١٠ ٪ من السكان، وجميعهم من المسلمين.

٤ ـ **البرنو**: وجاءوا من نيجيريا، وهم من المسلمين.

٥ ـ **التوكلور**: وجاءوا من الغرب من منطقة السنغال، وهم من المسلمين.

٦ ـ **الموش**: قبائل في الجنوب، قرب حدود بوركينافاسو حيث تنتشر هذه القبائل، ولا يزال بعضها على الوثنية، وتعمل بالزراعة.

٧ ـ **السينوفو**: وتشكل هذه القبائل ٣,٥ ٪ من مجموع سكان مالي، وتنتشر في أعالي نهر النيجر، وأعالي نهر الفولتا.

٨ ـ **الماركاكا**: وتشكل ٦ ٪ من مجموع السكان.

٩ ـ **الدوجون**: وتشكل ٣,٥ ٪ من مجموع السكان.

١٠ ـ **الطوارق**: ويعرفون بالملثّمين، وديارهم في الصحراء الشمالية الغربية، وهم عدة مجموعات من العشائر، ويُضاف اسم المكان الذي

تعيش فيه المجموعة إلى كلمة (كل) وتعني أهل أو قوم، مثل: (كل انتصار) للذين يعيشون حول مدينة تومبوكتو. والطوارق مجموعتان:

أ ــ المجموعة الشمالية، وتعيش في الصحراء، وتربي الأغنام والإبل.

ب ــ المجموعة الجنوبية، وتعيش في الجنوب في منطقة المراعي، وتربي الأبقار.

١١ ــ العرب: وتعيش مجموعة من العرب حول مدينة تومبوكتو، إضافةً إلى الذين ينتشرون في الصحراء وواحاتها.

كان الصراع بين المجموعات البشرية كبيراً قبل مجيء المستعمرين الصليبيين حتى كان بين بطون المجموعة الواحدة، وهذا ما لاحظناه في تأسيس الامبراطوريات والممالك. فلما جاء الأوروبيون غزاةً توحّدت جهود السكان، ووقفوا صفاً أمام الدخلاء، وكان الصراع عنيفاً حتى تغلّبت الكثرة، والقوة، والسلاح، والنظام، وسيطر المستعمرون الصليبيون، وأخضعوا البلاد لسياستهم الاستعمارية، ونتيجة ما لحق أبناء البلاد من فقرٍ، وجهلٍ، ومرضٍ، وذلٍّ، وضغطٍ تمكّن المستعمرون من ضمّ فئةٍ من السكان إلى جانبهم، وهم من أصحاب المصالح، والأهواء، ومن ضعاف النفوس، حتى لم يستطيعوا كسبها إلى جانبهم إلا بعد أن جرّدوها من عقيدتها، وذلك حسب مخططٍ مرسومٍ، ثم سلّموا السلطة إلى هذه الفئة، وانسحبوا هم من الساحة مصلحةً لهم، وسياسةً لبلادهم.

أخذ الصراع بين هذه الفئة التي تسلّطت على الرعية وبين الرعية نفسها، وحسب المخطط المرسوم فقد كان المتسلّطون يشنّون حرباً خفيةً على الدين الإسلامي، وأهله، ولغته العربية، ولا شك أن العربية والإسلام قد جاءا من الشمال، ولهذا بدأ الحرب على الشماليين الذين يمثّلهم العرب، والطوارق، إذ هم الذين حملوا الإسلام والعربية إلى مالي.

يُقيم أكثر العرب، والطوارق في المنطقة الشمالية الغربية المعروفة

باسم «أزواد»، والتي أشهر مدنها: «ليرا»، و«قاوا» و«منكا» و«الرنب» و«لامبارا».

واشترطت فرنسا الدولة المستعمرة للتخلّي عن منطقة أزواد انضمامها إلى مالي في سبيل إبعادها عن المناطق العربية.

ولما استقلّت الجزائر عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) تشكّلت جبهة تحرير أزواد، وقد شكّلها محمد بن محمود بن الشيخ، وقد ضمّت أعداداً من العرب، ومن الطوارق، لكنها انقسمت فكانت الجبهة العربية الإسلامية لتحرير أزواد، وأكثر أعضائها من العرب، وكانت الجبهة الشعبية لتحرير أزواد، ومعظم أفرادها من الطوارق.

أُلقي القبض على محمد بن محمود بن الشيخ وأُودع السجن، واستمرّ في حبسه حتى أطلق سراحه موسى تراوري عندما تسلّم السلطة في ١٦ رمضان ١٣٨٨ هـ (٦ كانون الأول ١٩٦٨ م)، وذلك لأسبابٍ سياسيةٍ، وكانت الجبهة قد ضعفت، وانكمشت، ثم زالت.

عادت الجبهة إلى الظهور من جديدٍ في بداية شهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٢ هـ (مطلع عام ١٩٨٢ م)، على يد أبي بكر الصديق، الذي أُلقي القبض عليه بعد مدةٍ غير أنه تمكّن من الفرار، وانتقل إلى موريتانيا، وأخذت الجبهة في التدريب العسكري، والاستعداد للقتال، وكانت أول عملياتها ضدّ حكومة مالي في مدينة «ليرا» بتاريخ ١١ صفر ١٤٠٩ هـ (٢٢ أيلول ١٩٨٨ م). والأمين العام للجبهة هو (إياد آغ غالي)، وتعدّدت عمليات الجبهة، وهذا ما دعا إلى إيجاد حلّ لها، يقضي عليها، أو يحدّ من نشاطها.

التقى رؤساء دول مالي، والجزائر، وليبيا: موسى تراوري، والشاذلي بن جديد، ومعمر القذافي في جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م)، وقد دعا معمر القذافي قبائل الطوارق للإقامة في ليبيا.

وتُطالب الجبهة بـ:

١ ـ الحكم الذاتي لمنطقة أزواد.

٢ ـ انسحاب جزئي للقوات المالية من المنطقة.

٣ ـ منصب وزير في الحكومة المركزية في باماكو.

وفي ٢١ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ (٧ كانون الثاني ١٩٩١ م) جرى لقاء بين الرئيس موسى تراوري وممثلي الجبهة تحت إشراف الجزائر وذلك في مدينة «تامانراست» في جنوبي الجزائر، وتمّ التوقيع على اتفاقيةٍ، ولكن بعد شهرين أُطيح بنظام موسى تراوري بانقلابٍ عسكريٍ، وجاء إلى السلطة (أحمدو توماني ثوري) الذي ينتمي إلى قبيلة «الكوروبرو» التي تُعادي العرب والطوارق. ووقعت مذابح في تومبوكتو في ١٩ شوال ١٤١١ هـ (٣ أيار ١٩٩١ م).

وتتهم مالي جارتها موريتانيا في مساعدة جبهة تحرير أزواد، وإيوائهم.

الصراع العقيدي:

يُشكل المسلمون ٩٣٪ من مجموع سكان البلاد، وهم معظم القبائل.

وتصل نسبة الوثنيين إلى ٦٪ من مجموع السكان، وأكثرهم من قبائل الجنوب، وفي الغابات في أعالي نهر النيجر.

أما النصارى فلا تزيد نسبتهم على ١٪ وهم الذين استطاع المستعمرون الصليبيون والإرساليات التنصيرية التأثير عليهم بتحقيق مصالحهم، وأهوائهم، وشهواتهم. ويخضع أكثر النصارى للكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وفي مالي كاتدرائية واحدة وخمسة كنائس. وكان يُقدّر عدد النصارى في ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٨٨ م) ٦٥,٢٦٦ إنسان، وهو ما يعادل ٠,٩٪ من مجموع السكان، حسب تقديرات الإرساليات التنصيرية التي تعتمدها الأمم المتحدة.

وهناك مراكز تنصير أخرى للبروتستانت تسيطر عليها المؤسسات الأمريكية، وتخضع لإدارتين، ويُقدّر عدد البروتستانت بـ (٣٧٠) نصرانياً.

ولما كان المسلمون يُشكّلون الغالبية العظمى من السكان لذا لا يمكن أن يكون هناك صراع عقيدي صريح، ولكن عندما جاء المستعمرون الصليبيون عملوا على بثّ النصرانية بين الوثنيين، وقرّبوهم إليهم، وقدّموهم على المسلمين، ولعبت الإرساليات التنصيرية دوراً كبيراً في هذا، واستطاعت أن تحصل على بعض النجاح، حيث كسبت بعض الجماعات منهم بالإغراءات، وعملت على إبعاد بعض المسلمين عن عقيدتهم، عن طريق المال والجنس، ولم تستطع تنصيرهم، وعمل هؤلاء الأعوان جميعاً، ودعمتهم الكنائس، وأيّدهم المستعمرون وأخذوا يعملون ضدّ الإسلام بصورةٍ خفيةٍ بالإشاعة، واللهو، وبوضع المناهج العلمانية و. . .

وقام رئيس النصارى البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة بلاد مالي، وخطب في باماكو يوم ١٧ رجب ١٤١٠ هـ (١٢ شباط ١٩٩٠ م) ورحّب بالنشاط النصراني الذي دخل البلاد عام ١٩١٥ م.

الصراع الحزبي:

لم يكن هناك صراع حزبي بالمعنى المعروف، إذ أن السائد قيام حزبٍ واحدٍ، هو الحزب الحاكم، ففي أول الأمر كان حزب الاتحاد السوداني الذي تزعّمه موديبو كيتا، وكان فرعاً من حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي الذي أسّسه (فيلكس هوفويه بوانيه) في ساحل العاج. وكان حزب الاتحاد السوداني هو المسيطر على المنظمات والجماعات كافةً في مالي.

ولما وقع الانقلاب الأول بقيادة موسى تراوري في ٢٨ شعبان ١٣٨٨ هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٦٨ م) حُلَّ الحزب، والمنظمات، والمؤسسات كافةً التي تتبع الحزب السابق، وبرزت لجنة التحرير الوطني العسكرية، ثم أنشأت السلطة حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي المالي في ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (آذار ١٩٧٩ م)، وبقي الحزب الوحيد، والمهيمن

على المجلس الوطني الذي يضم مائة عضو، وعلى المكتب التنفيذي الذي يشمل ثمانية عشر عضواً، ويُدار الحزب مباشرة من قبل أمينه العام رئيس الدولة موسى تراوري، وهو وحده صاحب القرار في كل شأن.

كما يوجد الاتحاد النسائي الوطني المالي الذي ترأسه السيدة سوروكياتو، وتشغل منصب الأمين العام فيه مساران كوناتي ديكو.

وهناك اتحاد الشباب الوطني المالي، وهي حركة شباب، ويشغل منصب الأمين العام أحمد داود داديالو. وهذان الاتحادان ليسا سوى بعض منظمات الحزب الحاكم.

والواقع أنه توجد بعض تنظيمات للمعارضة، وكان أهمها عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) هو:

١ ــ لجنة الدفاع والتحرير الديمقراطي المالية، وتعيش أكثر قواعدها في باريس بفرنسا.

٢ ــ الجبهة الديمقراطية الوطنية المالية.

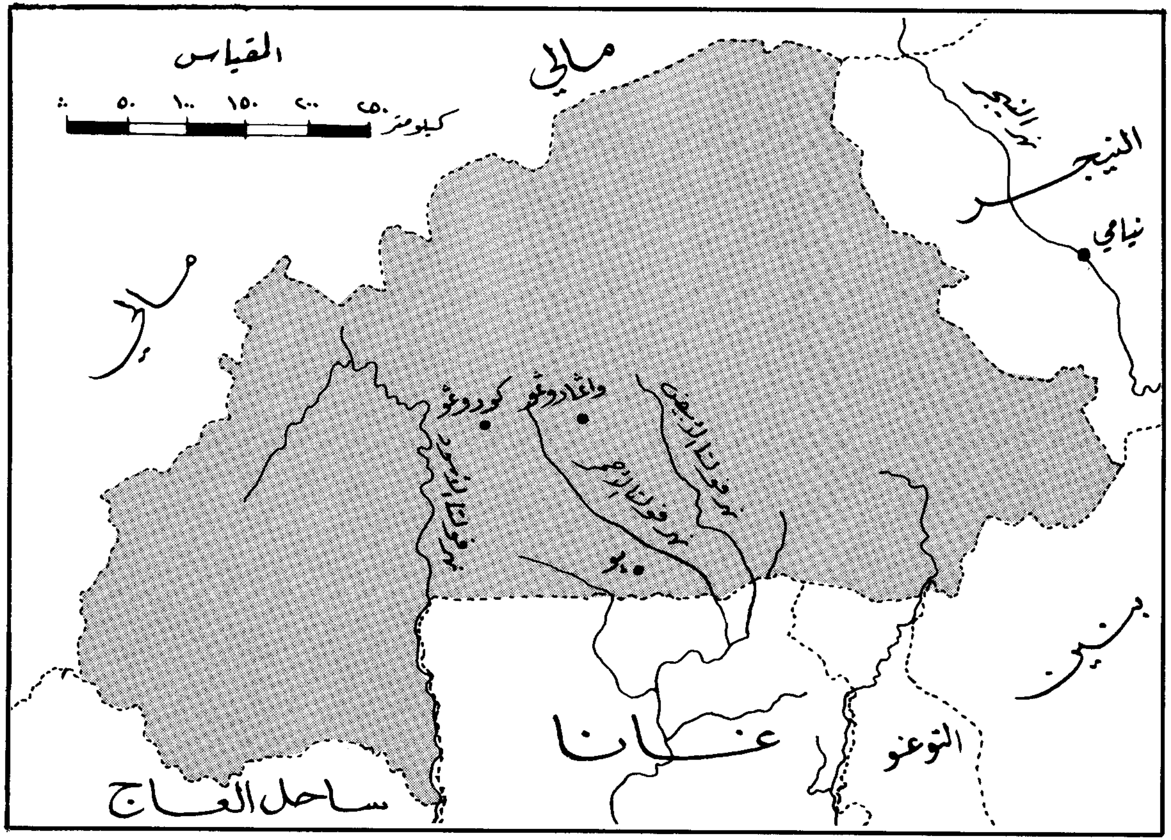
٣ ــ الحزب المالي الديمقراطي الثوري.

٤ ــ جبهة تحرير أزواد. وهي التي تبرز على الساحة الحالية اليوم، وتقوم ببعض العمليات، وتُطالب بالاستقلال الذاتي، وتتعرّض القبائل الممثّلة فيها إلى مذابح رهيبةٍ في منطقة أزواد، وفي مدينة تومبوكتو.

وبعد الانقلاب الأخير حلّ حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي المالي ومنظّماته كافةً. والله أعلم ما سيكون.

الباب السادس

بوركينا فاسو


القياس
كيلومتر ٢٥٠ ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
مالي
مالي
النيجر
نهر النيجر
نيامي
واغادوغو
كودوغو
نهر فولتا الأسود
نهر فولتا الأحمر
نهر فولتا الأبيض
بو
بنين
التوغو
غانا
ساحل العاج

مصور رقم [٦]

لمحة عن بوركينافاسو قبل إلغاء الخلافة

جاءت قبائل من شرقي إفريقية في القرن الرابع الهجري، وأقامت في المنطقة المعروفة اليوم باسم بوركينافاسو، وحملت اسم «الموسي» وكانت على الوثنية، وأقامت عدة ممالك صغيرة في تلك الأراضي، برئاسة زعماء تلك القبائل، وسادة منتجعات المياه، وأطلق على ملوكها اسم «مورونابا»، واستمر ذلك ما يقرب من ثلاثة قرونٍ. وانتشر الإسلام فيما حولها، حتى بقيت هذه القبائل كأنها جزيرة وثنية ضمن بلادٍ تدين أكثرية أهلها بالإسلام. ووقفت أمام انتشار الإسلام، وتصدّت للقبائل المسلمة، وحالت دون التقاء أفراد من تلك القبائل مع أبنائها، وقاتلت الممالك الواسعة التي قامت في تلك الجهات، ومع ذلك خضعت أجزاء من أراضي بوركينافاسو اليوم إلى حكم مملكة مالي القديمة، ثم إلى مملكة صنغاي، ومع ذلك فلم ينتشر الإسلام في ربوع تلك الديار وبين قبائل الموسي إلا قليلاً، وذلك في القرن الثامن الهجري.

وضعفت الدول الإسلامية التي قامت في المنطقة، وأخذ المستعمرون الصليبيون يتسلّلون إلى الداخل، وكان الفرنسيون قد سبقوا غيرهم بالوصول إلى هذه الجهات، ووجدوا مملكةً لتلك القبائل في «واغادوغو» يحكمها ملوك يُطلق عليهم «مورنابا» فوقّعوا معهم اتفاقية حمايةٍ عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)، واتخذت فرنسا من هذه الاتفاقية ذريعةً لجعل المنطقة تحت سيطرتها، وفي عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) ضمّتها مع النيجر وجعلت منهما

مستعمرةً واحدةً اسمتها «فولتا العليا والنيجر».

ثم رجعت فرنسا، وفصلت النيجر عنها، وجعلت منها مستعمرةً خاصةً أطلقت عليها اسم «فولتا العليا» لأن أنهار فولتا الأسود، وفولتا الأحمر، وفولتا الأبيض كلها تنبع منها، وتُعدّ أراضيها المجاري العليا لهذه الأنهار.

وفي هذه الأثناء زاد انتشار الإسلام إذ وقف المسلمون في وجه المستعمرين الصليبيين، وانضمّ إلى جانبهم بعض أبناء البلاد، فاحتكّوا بهم فاعتنقوا الإسلام، على حين عملت فرنسا على عزل الوثنيين، وقرّبتهم لتستفيد منهم ضدّ المسلمين، وخوفاً من اعتناقهم الإسلام.

واتبعت فرنسا سياسةً صليبيةً حاقدةً، واستعماريةً جشعةً إذ فتحت الباب على مصراعيه للإرساليات التنصيرية، وجعلت البلاد مسرحاً لها، وأطلقت يدها، وحمتها، وفي الوقت نفسه حرّضت الوثنيين ضدّ المسلمين ودعمتهم، ووضعت مناهج التعليم بما يتفق وإبعاد المسلمين عن دينهم، وترمي من تنفيذ المخططات الاستعمارية إذلال السكان، وإشعارهم بعقدة النقص، ومحاولة تقليد النصارى الأوروبيين. كما عملت على استغلال ثروات البلاد، وجعل المنطقة سوقاً للبضائع الفرنسية.

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ١٢ صفر ١٣٨٠ هـ.
٣ آذار ١٩٢٤ ـ ٥ آب ١٩٦٠ م.

تحرّك المسلمون نتيجة السياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا، وقاموا بثورةٍ فما كان من المستعمرين إلا أن جزّأوا البلاد، وألحقوها بمستعمراتهم الأخرى، حيث ضمّوا أجزاء إلى مالي، وأخرى إلى النيجر، وثالثةً إلى ساحل العاج وذلك في ٥ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ (٥ أيلول ١٩٣٢ م)، وامّحت بذلك منطقة كانت قائمة، وزال اسم «فولتا العليا» من المصورات. واستمّر ذلك مدة خمسة عشر عاماً، إذ بعد الحرب العالمية الثانية، وفي ١٨ شوال ١٣٦٦ هـ (٤ أيلول ١٩٤٧ م) أُعيدت دولة «فولتا العليا» بالحدود نفسها التي كانت عليها قبل توزيعها، ولم ينته العام حتى جرت انتخابات، واختار السكان لهم جمعيةً وطنيةً، ولكن بقيت تحت إشراف فرنسا بشكلٍ تامٍ مايقرب من عشر سنواتٍ.

وأقيمت أول حكومةٍ للحكم الذاتي في ١٩ شوال ١٣٧٦ هـ (١٨ أيار ١٩٥٧ م)، وجاء بعدها ديغول إلى حكم فرنسا، وطرح دستوره المعروف، ووافقت عليه فولتا العليا فأصبحت في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٧٨ هـ (١١ كانون الأول ١٩٥٨ م) عضواً في الجماعة الفرنسية. ووضع دستور للبلاد في ٢٠ شعبان ١٣٧٨ هـ (٢٨ شباط ١٩٥٩ م) وتمّت الموافقة عليه في اقتراعٍ عام أُجري في ٦ رمضان ١٣٧٨ هـ (١٥ آذار ١٩٥٩ م).

انتخبت الجمعية التشـريعية التي تتـألف من خمسةٍ وسبعين عضـواً، واختار أعضاؤها من بينهم (موريس ياميغو) رئيساً للجمهورية، وتولّى بنفسه رئاسة الوزارة، وأعلن قيام جمهورية فولتا العليا، واستقلالها في ١٢ صفر ١٣٨٠ هـ (٥ آب ١٩٦٠ هـ).

الفصل الثاني

الاستقلال

١٢ صفر ١٣٨٠ هـ - ......

٥ آب ١٩٦٠ م - ....

قُبلت جمهورية فولتا العليا عضواً في الأمم المتحدة في ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٢٠ أيلول ١٩٦٠ م)، ولم تمض سوى مدةٍ وجيزةٍ على الاستقلال حتى قام أول انقلاب عسكري بقيادة رئيس الأركان العقيد «سانغولي لاميزانا» فأطاح بحكومة «موريس ياميغو»، وعلّق العمل بالدستور، ونصّب نفسه رئيساً للدولة، وحلّ المجلس الوطني، وأنشأ المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ومُنعت النشاطات السياسية من غرة جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٦ م) واستمّر ذلك حتى رمضان ١٣٨٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٦٩ م).

حاول الرئيس السابق «موريس ياميغو» استغلال تصرّفات العسكريين، فعمل عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) على استعادة الحكم المدني، وشكّل وزارةً مدنيةً، غير أن محاولته باءت بالفشل، واستردّ الرئيس العسكري العقيد «سانغولي لاميزانا» السلطات كافةً، وقبض على الحكم بيدٍ من حديدٍ، ووضع دستوراً جديداً، وتمت الموافقة عليه بعد استفتاء عام جرى في ٣٠ ربيع الأول ١٣٩٠ هـ (٤ حزيران ١٩٧٠ م) على أساس العودة إلى الحكم المدني بعد مرحلةٍ انتقاليةٍ مدتها أربع سنواتٍ بإدارةٍ عسكريةٍ ومدنيةٍ مشتركةٍ.

وجرت الانتخابات النيابية في ٢٢ شوال ١٣٩٠ هـ (٢٠ كانون الأول ١٩٧٠ م) حصل فيها حزب اتحاد فولتا الديمقراطي على ٣٧ مقعداً من مجموع المقاعد التي يبلغ عددها ٥٧ مقعداً.

وفي ذي القعدة ١٣٩٠ هـ (كانون الثاني ١٩٧١ م) عُيِّن الرئيس «سانغولي لاميزانا» قائد حزب اتحاد فولتا الديمقراطي «جيرارد اودراوغو» رئيساً للوزراء، وتسلّم منصبه بعد شهرٍ، وشكلّ وزارةً مشتركةً من العسكريين والمدنيين.

ووصلت الخلافات بين الحكومة والمجلس الوطني في أواخر عام ١٣٩٣ هـ (نهاية عام ١٩٧٣ م) إلى طريقٍ مسدودٍ، فأعلن الرئيس في مطلع عام ١٣٩٤ هـ (شباط ١٩٧٤ م) أن الجيش قد استولى على السلطة ثانيةً، وأقال رئيس الوزراء، وحلّ المجلس الوطني، وجمّد النشاطات السياسية، وتولّى بنفسه رئاسة الوزراء وحظر النظام العسكري الأحزاب السياسية، واستبدل المجلس الوطني بالمجلس الاستشاري الوطني للإصلاح، الذي تشكلّ في جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ (تموز ١٩٧٤ م) وضمّ خمسةً وستين عضواً سمّاهم الرئيس.

وسمح للأحزاب السياسية بمزاولة نشاطها بدءاً من الأول من شهر ذي القعدة ١٣٩٧ هـ (١٢ تشرين أول ١٩٧٧ م) وجرى بعد شهرٍ استفتاء شعبي على مسودة دستورٍ يقضي بالعودة إلى الحكم المدني الديمقراطي.

اشتركت أربعة أحزاب في الانتخابات التي جرت في جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (نيسان ١٩٧٨ م)، وقد فاز حزب اتحاد فولتا الديمقراطي، بثمانية وعشرين مقعداً على حين حصل حزب الاتحاد الوطني للدفاع عن الديمقراطية على ثلاثة عشر مقعداً، وبعد شهرٍ أي في جمادى الآخرة (أيار) أعيد انتخاب الرئيس «سانغولي لاميزانا» رئيساً للجمهورية. والتقت الأحزاب السبعة في ثلاثة تحالفات، وكان حزب الاتحاد الوطني للدفاع عن الديمقراطية يمثل المعارضة، كما كان حزب اتحاد الفولتا التقدمي في صف

المعارضة. وفي شعبان ١٣٩٨ هـ (تموز ١٩٧٨ م) انتخب المجلس الوطني «جوزيف كونومبو» زعيم حزب اتحاد الفولتا الديمقراطي رئيساً للوزراء.

حاولت حكومة «جوزيف كونومبو» تقريب وجهات نظر المجموعات المختلفة لمعالجة أوضاع الاقتصاد المتدهورة، والتي اعترضت تصرفات العسكريين، واتحاد التجار سبيل تقدّمها. وكذلك كان لبعض أعضاء المجلس الوطني دور في ذلك التدهور، وعانى الناس قلقاً عام ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ (١٩٧٩ - ١٩٨٠ م) من سوء الأوضاع المادية.

وفي مطلع عام ١٤٠١ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٠ م) قام الجيش بحركة انقلابٍ لم ترق فيها دماء بقيادة العقيد «ساي زيربو» قائد منطقة «واغادوغو» عاصمة البلاد، والذي شغل في مرحلة الحكم العسكري السابقة منصب وزير الخارجية. وتشكّلت لجنة عسكرية تضمّ واحداً وثلاثين عسكرياً للنمو الوطني.

وفي صفر ١٤٠١ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٨٠ م) شكلّ النظام الجديد حكومةً وطنيةً تضمّ عسكريين ومدنيين. وعلّق العمل بالدستور، وحلّ المجلس الوطني، وحظر النشاط السياسي، والأحزاب، وفرض منع التجول. وواجه العقيد «ساي زيربو» معارضةً عنيفةً من اتحاد التجار، وهذا ما أدّى إلى تجميد أعمال الاتحاد. ومنع الإضراب من شهر محرم ١٤٠٢ هـ (تشرين الثاني ١٩٨١ م) إلى ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ (شباط ١٩٨٢ م).

وفي شهر محرم ١٤٠٣ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٢ م) جرى انقلاب عسكري بقيادة العقيد «جان بابتيست أودراوغو»، وذهب ضحية ذلك خمسة أشخاصٍ، وحلّ النظام العسكري الجديد اللجنة العسكرية السابقة، وشكل حكومةً يغلب عليها العنصر المدني، وأنشأ مجلس تحية الشعب.

وتمّ اعتقال عدة شخصياتٍ من المعارضة من المدنيين والعسكريين على حد سواء وذلك في جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م) إثر

ادعاء اكتشاف مؤامرةٍ لإعادة حكومة «ساي زيربو»، وأصبح الصراع عنيفاً داخل مجلس تحية الشعب من أجل السلطة.

وفي شعبان ١٤٠٣ هـ (أيار ١٩٨٣ م)أعلنت بعض العناصر من الحزب الراديكالي اليسارية داخل الحكومة بما في ذلك رئيس الوزراء النقيب «توماس سانكارا» والذي تسلّم منصبه مؤخّراً، والعقيد «جان بابتيست أودراوغو» أعلنوا عن تركهم القوات المسلحة، ومجلس تحية الشعب، وانسحابهم من الحياة السياسية نهائياً، وقد احتجز النقيب توماس سانكارا وبعض مؤيديه في «بو» بالقرب من الحدود مع دولة غانا تحت قيادة النقيب «بليزكومباري»، غير أنه أُطلق سراحهم بعد أسبوعين.

وقام توماس سانكارا بانقلابٍ عسكريٍ ذهب ضحيته حوالي خمسة عشر رجلاً، ونتيجة ذلك وصل إلى السلطة، وفرض الإقامة الجبرية على رجال المعارضة، وفرض منع التجول بشكلٍ صارمٍ، وأنشأ حزب المجلس الثوري الوطني، وأصبح النقيب بليزكومباري رجل الدولة الثاني، وتسلّم منصب وزير الدولة لشؤون الرئاسة، وشكّل الحكم «لجان الدفاع عن الثورة» وشجّع المواطنين للانضمام إليها لتكون القواعد الشعبية التي يستند عليها نظام الحكم القائم.

اعتقل الرئيس الأسبق «ساي زيربو» عندما حاول مؤيدوه الإطاحة بالحكومة الجديدة في ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م)، ثمّ أعلنت الوزارة عن إجراءاتٍ إصلاحيةٍ في الإدارة، والقضاء، والجيش، وتمّ تشكيل لجنةٍ شعبيةٍ عسكريةٍ للنظر في قضايا الإخلال بالنظام، وقُدّم عدد من السياسيين السابقين بما فيهم ساي زيربو إلى المحكمة.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (إذار ١٩٨٤ م) قام اتحاد المعلمين بإضرابٍ مدة ٤٨ ساعة احتجاجاً على اعتقال ثلاثةٍ من قادة الاتحاد.

وتمّ إعدام ثلاثة أشخاص في رمضان ١٤٠٤ هـ (حزيران ١٩٨٤ م) اتهموا بالتآمر للإطاحة بنظام الحكم القائم، واتهم الرئيس «توماس سانكارا»

جبهة فولتا التقدمية والتي تتألف من أكثريةٍ كانت سابقاً في اتحاد فولتا التقدمي، وبالاشتراك مع مجموعاتٍ يساريةٍ أخرى على المؤامرة لقلب نظام الحكم، وادّعى أن العملية قد دعمت من فرنسا، ومن قواتٍ أجنبيةٍ أخرى، وأنكرت فرنسا بشكلٍ حازمٍ هذا الادعاء بأن يكون لها أي يدٍ في مثل هذه الحركة، وتعرّضت العلاقة بين البلدين إلى شيء من الفتور.

وفي الذكرى الأولى لوصول «توماس سانكارا» إلى السلطة في ذي القعدة ١٤٠٤ هـ (آب ١٩٨٤ م) أعلن أن اسم البلاد سيصبح منذ الآن «بوركينا فاسو» أي أرض الرجال المصلحين، ووُضع علم جديد للبلاد، ونشيد وطني جديد. وفي نهاية الشهر نفسه، ومع ظهور الانشقاق داخل مجلس تحية الشعب أعاد توماس سانكارا تشكيل الوزارة محاولاً القضاء على نفوذ الجناح الماركسي في المجلس، والذي أصبح يُشكّل معارضةً للرئيس، ولفكره الشعبي، والذي أخذ اسم الائتلاف الوطني للتطور.

وقد واجه نظام «توماس سانكارا» معارضةً من اتحاد التجار، ومن الائتلاف الوطني للتطوّر الذي تمّ اعتقال أمينه العام في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) لأنه اتهم مجلس تحية الشعب باختلاس أموال الشعب، كما احتجزت الدولة بعد شهرٍ عشرين عضواً من الاتحادات لتنظيم ورقة احتجاج ضدّ إجراءات التقشف. وظهر دور «لجان الدفاع عن الثورة» واضحا في فرض هيمنة الحكومة في المناطق الريفية، وفي تنظيم الشؤون المحلية، وفي إبراز قيادة الرئيس توماس سانكارا.

رفعت الحكومة نظام منع التجول في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م) بعد مضي سنتين كاملتين على سريان مفعوله.

وفي عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) جرت محاولات مكثفة للنهوض بالاقتصاد والعمل على تطوير الريف، وهذا ما زاد من توتر العلاقات بين الحكومة وبين اتحاد التجار على الرغم من صدور عفوٍ عام عن السجناء السياسيين جميعاً في شهر صفر ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م).

وفي منتصف عام ١٤٠٧ هـ (كانون الثاني ١٩٨٧ م) أعلن أن الإصلاح سيشمل إجراءات التقشف، ونظام الضرائب، ومؤسسات القطاع العام، كما تمّ استرداد الضرائب وهذا ما أدّى إلى إغلاق بعض المصالح الصغيرة، وأغلقت بعض اتحادات التجار، ومنها التي تمّ رفع الحظر عنها في العفو العام الذي صدر قبل بضعة شهور قد عاد الحجر عليها بتهمة القيام بنشاطاتٍ ثوريةٍ معاكسةٍ. كما اعتقلت سومان توري ثانيةً، وكان العفو السابق قد شملها فخرجت من السجن.

وبمناسبة الذكرى الرابعة لوصول توماس سانكارا إلى السلطة في شهر ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م) وفي الخطاب الذي ألقاه بهذه المناسبة عمل على وحدة القوى السياسية في البلد.

عاد عدم الانسجام يظهر في مجلس تحية الشعب، وبدا ذلك واضحاً في إعادة تشكيل الحكومة حيث فقد عدد من الوزراء مناصبهم، وهم ممن ينضوي تحت لواء الاتحاد الشيوعي الذي أُعيد إنشاؤه.

وفي ٢٢ صفر ١٤٠٨ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٨٧ م) قام النقيب بليز كومباري نائب الرئيس توماس سانكارا بانقلابٍ دمويٍ استولى فيه على السلطة وقتل مباشرة رئيس الجمهورية توماس سانكارا وثلاثة عشر شخصاً من المقرّبين إليه، وحلّ مجلس تحية الشعب، وأغلقت حدود بوركينافاسو وموانئها الجوية لمدة أسبوعين، وفرض منع التجول وبقي ساري المفعول ثلاثة أشهرٍ ونصف، ونعت الرئيس السابق بالإنسان المتسلط، وتعهّد باستمرار النهج الثوري الذي ضاع في العهد السابق، وأعلن أن ثقة الشعب بالثورة ستعود بتحسين السياسة الاقتصادية.

وضمت الوزارة التي شكلت في ٩ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٨٧ م) سبعةً وعشرين وزيراً، منهم سبعة وزراء فقط من الحكومة السابقة، وأربعة عسكرين فقط. وأصبح بليزكومباري رئيساً للدولة، ورئيساً للجبهة الشعبية.

وقام عصيان محدود في منطقة كودوغو غرب العاصمة وعلى بعد ثمانين كيلومتراً منها بتحريضٍ من النقيب بوكاري كابوري، غير أن العصيان قد فشل وفرّ المحرض عليه إلى غانا. وظلّ الحزن بادياً على موت الرئيس السابق توماس سانكارا.

وظهرت حركة مقاومةٍ سريةٍ للنظام الجديد في أواخر ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م). وتم اعتقال الكثير من المقربين إلى الرئيس السابق، ومن أفراد أسرته، ومن الوزراء السابقين، ودون أن يُقدّموا للمحكمة. ورفضت الجبهة الشعبية ما أذاعته منظمة حقوق الإنسان والعفو الدولي بأن بعض المعتقلين قد تعرّضوا للتعذيب الشديد. وبعد الانقلاب تمّ الإفراج عن سومان توري مباشرةً.

أُعلن في رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) ضرورة سحب السلاح من لجان الدفاع عن الثورة، واستبدالها باللجنة الثورية تحت قيادة النقيب «أرسين يو بوغنيسان».

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م) أُعيد تشكيل مجلس الوزراء، وعُيّن عدد من الوزراء المدنيين لمراقبة تنفيذ البرنامج الاقتصادي للجبهة الشعبية، واكتفى بليزكومباري بمنصب رئاسة الدولة. وقاد في الشهر نفسه حملةً ضدّ الكسل وعدم النشاط بين الموظفين.

وفي ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (حزيران ١٩٨٨ م) أطلق سراح معظم أولئك الذين تمّ احتجازهم بعد انقلابه الذي قام به في ٢٢ صفر ١٤٠٨ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٨٧ م).

وفي جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) تمّ إعدام سبعة ضباطٍ اتهموا بمساندة النقيب بوركاري كابوري الذي قام بعصيانٍ في منطقة كودوغو، وثبتت عليهم تهمة قتل الضابط الذي قمع ذلك العصيان. وتوفي خمسة آخرون من أعوان الرئيس السابق توماس سانكارا في السجن في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م).

وفي رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) تمّ إنشاء جماعةٍ سياسيةٍ جديدةٍ يطلق عليها «المنظمة الديمقراطيةالشعبية وحركة العمل» تحت قيادة «كلمنت أمارو أودراغو» القائد السابق لاتحاد المجتمعات البوركانية، والتي نشأت مع انشقاقٍ آخر عن اتحاد المجتمعات عُرف باسم الاتحاد الشيوعي، وقد أعلنوا ولاءهم للمنظمة، وكان من المفروض طرد أعضاء المنظمة من المكتب الوزاري في الشهر نفسه، غير أنه قد عُيّن «كلمنت أمارو أودراغو» مندوباً وزارياً للجنة التنسيق للجبهة الشعبية.

وأعلن العفو العام عن السجناء السياسيين، وفيهم عدد من أعوان الرئيس السابق توماس سانكارا إضافة إلى أن العقوبات قد خُفّفت عن مخالفي الأنظمة والقوانين، وقد صدر العفو في مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م)، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ أذاعت منظمة حقوق الإنسان الدولية أن السجناء السياسيين قد قدّموا لمحاكمةٍ قصيرةٍ ومستعجلةٍ ولا زالوا رهن الاعتقال.

وصدر بلاغ في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) أن القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، وزير الدفاع الشعبي والأمن العميد «جان بابتيست بوكاري لينغاني»، ووزير الاقتصاد النقيب «هنري زونغو» قد نُفّذ فيهما حكم الإعدام، وكلاهما كان عضواً بارزاً في الانقلابيين السابقين، كما نُفّذ حكم الإعدام باثنين آخرين معهما لاكتشاف تورّطهم في محاولة انقلابٍ للإطاحة بنظام الحكم القائم عند عودة الرئيس بليزكومباري من رحلته إلى الشرق الأقصى. وكان هناك اعتقاد واسع بأن الضابطين المذكورين كانا معارضين لسياسة الرئيس تجاه المؤسسات الخاصة. وكان من بين المحتجزين أيضاً سومان توري، وأمين عام الدولة بعد انقلاب بليزكومباري وهو «جان يادتوي» وتولّى الرئيس بليزكومباري بنفسه الدفاع الشعبي والشؤون الأمنية في الوزارة التي تشكلت بعد ذلك.

العلاقات الخارجية:

١ ـ **مع مالي**: كان هناك نزاع على شريطٍ حدوديٍ في منطقة «أغاشيه» بين

بوركينافاسو ومالي، ويبلغ طول هذه الشريط ١٦٠ كيلو متراً، وقيل إن هذا الشريط يحوي على الكثير من المعادن، وزاد التوتر بين الحكومتين في رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م)، وأدّى الأمر إلى صدامٍ بين قوات البلدين في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م)، واستمّر القتال ستة أيامٍ، وذهب ضحيته خمسون رجلًا، وعُرض الأمر على محكمة العدل الدولية، فأصدرت قرارها في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م)، بضرورة سحب قوات الطرفين من المنطقة المتنازع عليها، واستؤنفت العلاقات السياسية بين البلدين في شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م)، وتمّ تطبيق حكم المحكمة الدولية في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م)، وهو اقتسام المنطقة المتنازع عليها بين البلدين بالتساوي، وفرضت بوركينافاسو سيادتها على المنطقة التي تقع شرق (بيلي).

٢ ـ **مع غانا**: أقامت بوركينافاسو اتصالاتٍ مكثفةً مع جارتها غانا، وتمت سلسلة من التعاون والاتفاقيات الأمنية بين البلدين في ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، وجرت اقتراحات مبدئية لإقامة وحدةٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ حقيقية بين الدولتين، وأعلن عن ذلك في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م)، ثم ساءت العلاقات بين الدولتين بعد انقلاب كومباري.

٣ ـ **مع بنين**: كانت العلاقات وثيقةً بين بوركينافاسو وجارتها بنين، وعقدت اجتماعات قمةٍ لقادة دول: بوركينافاسو، بنين، غانا، ليبيا بشكل منتظمٍ لتأكيد الوحدة الثورية.

٤ ـ **مع التوغو**: ساهمت بوركينافاسو وغانا بدعم محاولة انقلاب جرت في التوغو وبقيت العلاقات متوترة عدة شهور بين بوركينافاسو والتوغو، وقد دعمت توغو الانقلاب ضد نظام حكم توماس سانكارا. وعندما تسلّم بليزكومباري السلطة بانقلابٍ دمويٍ، أدانت بعض الدول هذا الانقلاب، ومنها: غانا، والكونغو، والغابون، وقام الرئيس الجديد بليزكومباري ومعه بعض أعضاء

بارزين في الجبهة الشعبية بزيارة الدول المجاورة كمحاولةٍ لتأييد النظام الجديد في بوركينافاسو، وقد زار التوغو، وساحل العاج.

وأعلنت ليبيا أن رغبتها المحافظة على صلاتٍ وطيدةٍ مع الجبهة الشعبية، الحزب الحاكم في بوركينافاسو.

وشهدت العلاقات بعض التوتر بين بوركينافاسو وبين كل من فرنسا وغانا لادعاءات بوركينافاسو أن الدولتين قد ساهمتا في دعم محاولة الانقلاب ضد كومباري التي جرت في صفر عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م)، مع أن فرنسا تُعدّ الدولة الأولى في علاقاتها التجارية مع بوركينافاسو.

وعلى الرغم من تحسّن العلاقات بين بوركينافاسو وغانا نتيجة الاجتماعات بين قادة البلدين في منتصف عام ١٤٠٨ هـ (أوائل عام ١٩٨٨ م)، واستمّر الرئيس بليزكومباري في جولاته في منتصف عام ١٤١١ هـ (أواخر عام ١٩٩٠ م) لكسب التأييد لنظامه إلا أن سمعته الدولية لم تكن حسنةً لطغيانه وبطشه في قمع محاولة الانقلاب عليه في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م).

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة بوركينافاسو ٢٧٤,٢٠٠ كيلو متراً مربعاً، وهي دولة قارية بعيدة عن مياه البحار والمحيطات، تجاور عدداً من الدول، وتبلغ طول حدودها معها ٣,١٩٢ كيلو متراً، منها ألف كيلومتر مع مالي، و٥٨٤ كيلو متراً مع ساحل العاج، و ٥٤٨ كيلو متراً مع غانا، و ١٢٦ كيلو متراً مع التوغو، و ٣٠٦ كيلو مترات مع بنين، و٦٢٨ كيلو متر مع النيجر.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١م) ثمانية ملايين وسبعمائة ألف إنسان، وبذا تكون كثافة السكان فيها حوالي ٣٢ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد.

الصراع العنصري:

تسكن بوركينافاسو قبائل كثيرة قد يزيد عددها على الأربعين جماعةً، ولكن أهمها وأكثرها عدداً قبائل «الموسي» التي تتوزّع في معظم أنحاء البلاد وخاصة في الوسط من الشمال إلى الجنوب، ويشكل أبناؤها ٣٥٪ من مجموع السكان، ولا تصل نسبة غيرها إلى ١٠٪، ومن أكبرها: قيرونسي، وسينيوفو، ولوبي، وبوبو، والفولاني، والماندينغ، والهاوسا، والطوارق.

ولما كان هذا التوزّع لذا لا نجد صراعاً عنصرياً واسعاً إذ أن قبائل الموسي لها السيطرة والنفوذ. ولما كان أكثر هذه القبائل لا يزال على الوثنية

لذا لم يقف الاستعمار الفرنسي منها موقف العداء، بل عمل على دعمها، وإبقاء الهيمنة لها، وإن سعى وحثّ الجماعة الوثنية منها للوقوف في وجه الجماعة التي اعتنقت منها الإسلام.

الصراع العقيدي:

لم تكن نسبة المسلمين لتزيد على ٤٠ ٪ من مجموع السكان عندما جاء المستعمرون الصليبيون، وكانت تتمثّل في قبائل الفولاني، والماندينغ، والهاوسا، والبيل، وبعض بطون من قبائل الموسي. وحارب المسلمون الدخلاء ووقف إلى جانب المسلمين بعض السكان فاعتنقوا الإسلام بالاختلاط والمعرفة الصحيحة فارتفعت نسبة المسلمين ٤٥ ٪، فلما سيطر الغزاة وقف انتشار الإسلام نتيجة السياسة الصليبية التي سار عليها المستعمرون والحرب الضروس التي شنوّها على المسلمين، وأكثر من ذلك على من يعتقد الإسلام.

ولما جلا المستعمرون الصليبيون عن أرض بوركينافاسو عاد الإسلام إلى الانتشار رغم أن السياسة بقيت على ما كانت عليه، واستمرّ تنفيذ المخططات الصليبية، وأصبح أكثر من نصف قبائل الموسي من المسلمين، وغدت نسبة المسلمين ٦٥ ٪ من مجموع السكان.

ولا يزال ٢٥ ٪ من أبناء البلاد على الوثنية، وأكثرهم من قبائل الموسي.

ووصلت نسبة النصارى في بوركينافاسو إلى ١٠ ٪ نتيجة جهود الإرساليات التنصيرية، والسياسة الاستعمارية الصليبية التي منحت الحرية للمنصّرين، وقدّمت من تنصّر، وسلمتهم المراكز الحساسة، وأعطتهم الأرض، وأطلقت يد الإرساليات في فتح المدارس، وإقامة المشافي، ووضع المناهج، هذا إلى جانب نشر المفاسد وإطلاق العنان للشهوات وتيسير الأمور أمام أصحابها. وأكثر النصارى في بوركينافاسو من أتباع كنيسة الروم الكاثوليك نتيجة الاستعمار الفرنسي، ويقدر عددهم بسبعمائة ألف

نصراني، كما يوجد ما يزيد على مائة ألف من أتباع الكنائس البروتستانتية.

وتقف الحكومات التي تعاقبت على السلطة في بوركينافاسو موقف المعاداة من الإسلام وأتباعه، إذ ليست إلا صنائع المستعمرين من نصارى، ووثنيين، وعلمانيي المسلمين، وأصحاب الأهواء والشهوات منهم. كما أن الضغط والحكم العسكري له دوره في كمّ الأفواه والوقوف في وجه الدعوة.

الصراع الحزبي:

لم يكن هناك صراع حزبي عنيف على الساحة في بوركينافاسو، وذلك لتعدد الانقلابات المتعاقبة، وكلما وقع انقلاب تبنّى قادته حزبهم الذي ينتمون إليه أو أنشأوا جماعةً خاصةً بهم لتدعم حكمهم، وقد تكون منظمةً عسكريةً، أو حزباً سياسياً، وربما تجمعاً مسلحاً يضمّ أفراداً مدنيين، يخضعون لتدريبٍ عسكريٍ، ويوزّع عليهم السلاح، يستفيدون من السلطة لتحقيق بعض مصالحهم، ولإرضاء غرورهم في حمل السلاح، وإظهار القوة، وتنفيذ آرائهم وربما متطلباتهم، وفي الوقت نفسه تستفيد منهم السلطة في دعم سلطانها، وإبراز شعبيتها عن طريقهم.

لم يكن الاستعمار الفرنسي الصليبي ليسمح بقيام أي تنظيم سياسي إن لم يكن يسير في فلكه، ويعمل على تنفيذ مخططه، ويتلقّى التوجيه منه، وإن كان ينادي بالوطنية، ويرفع شعار الابتعاد عن التبعية، ومحاربة الاستعمار، ولكن الواقع كان يكذبه إذ كانت هذه التنظيمات تسير على نهج المستعمرين، وتقلّدهم في أسلوب حياتهم، فيفقد أعضاؤها شخصياتهم، ويصبحون مع الزمن جزءاً من المجتمعات النامية لا يفكرون، ولا يُحلّلون ـ مع الأسف ـ وما يكون في السر أكثر خطراً من حيث الارتباط، ومتابعة النظام.

كانت هناك عدة تنظيماتٍ سياسيةٍ عند الاستقلال، ولكن برز حزب اتحاد فولتا الديمقراطي كفرعٍ للتجمع الديمقراطي الإفريقي. وهو الذي تسلّم السلطة، وتسلّم زعيمه «موريس ياميغو» الحكم. وعندما قام الانقلاب

بزعامة «سانغولي لاميزانـا» في غرة جمـادى الآخرة ١٣٨٦ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٦ م) ومنع النشاط الحزبي إلا أنه اضطر أن يُعطي رئاسة الوزارة إلى زعيم حزب اتحاد فولتا الديمقراطي « جيرارد أودراغو» رئاسة الحكومة.

وعاد سانغولي لاميزانا فسمح للأحـزاب بـالنشاط في الأول من ذي القعـدة ١٣٩٧ هـ (١٢ تشرين الأول ١٩٧٧ م) وشـاركت أربعـة أحـزابٍ بالانتخابات، وهي حزب اتحـاد فولتـا الديمقـراطي، وحصل على ثمـانيةٍ وعشرين معقداً، والاتحاد الوطني للدفاع عن الديمقراطية وحصل على ثلاثة عشر مقعداً، وحـزب اتحاد فـولتا التقـدمي، والمجموعـة الشيوعيـة، كما وجدت أحزاب ثلاثة أخرى ذات اتجاهٍ يساريٍ. وشكّل أخيراً زعيم حزب اتحاد فولتا الديمقراطي «جوزيف كونومبو» الحكومة، واتخذ الاتحاد الوطني للدفاع عن الديمقراطية موقف المعارضة.

وفي مطلع عام ١٤٠١ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٠ م) وقع انقلاب جديد بقيادة «ساي زيربو» فمنـع الأحزاب السيـاسية من النشـاط، وشكّل لجنـةً عسكريةً تضمّ واحداً وثلاثين عضواً تُشرف على الحكم.

وفي مطلع عام ١٤٠٣ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٢ م) وقع انقلاب آخر بقيادة العقيد «جان بابتيست اودراغـو» فأنشـأ مجلس تحية الشعب، وبـدأ الصراع داخله عنيفاً.

وفي العام نفسه قام «توماس سانكارا» بانقلاب، وشكّل لجان الدفاع عن الثورة. ولكن بدأ الصراع داخل مجلس تحية الشعب، وانشقّ الجناح اليساري، وشكّل الائتلاف الوطني للتطّور.

وفـي ٢٢ صـفــر ١٤٠٨ هـ (١٥ تـشــريـن الأول ١٩٨٧ م) قــام «بليزكومباري» بانقلابٍ، وسحب السلاح من لجان الدفاع عن الثورة، وأنشأ اللجنة الثورية.

وظهرت «المنظمة الديمقـراطية الشعبيـة حركـة العمل» في رمضـان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) بزعامة «كلمنت أمارو أودراغو» زعيم المجتمعات

في بوركينا السابق التي تجزأت بالانشقاقات فكان منها: «الاتحاد الشيوعي» و «المنظمة الديمقراطية».

وتوجد الآن المنظمات السياسية الآتية:

١ ــ الجبهة التقدمية في الفولتا: وهي تكتل سياسي لحزب اتحاد فولتا التقدمي مع بعض الأحزاب اليسارية الأخرى، وهي محظورة رسمياً، وأمينها العام «جوزيف ـ كي ـ زيربو» ويمارس نشاطه في المنفى.

٢ ــ مجموعة شيوعي بوركينا، وأمينها العام «جان مارك بالم».

٣ ــ الائتلاف الوطني للتطوّر: وهو ذو اتجاهٍ ماركسي، وميل للروس، والأمين العام هو «حميدو كوليبالي».

٤ ــ الحركة الديمقراطية التقدمية: وأمينها العام «هيرمان باميغو».

٥ ــ المنظمة الديمقراطية الشعبية/حركة العمل: ورئيسها «كلمنت أمارو أودراغو» وهي مجموعة تكتلات شيوعية.

٦ ــ حزب الاستقلال الإفريقي: ومقره العاصمة «أوغادوغو».

٧ ــ التجمع الديمقراطي الشعبي: ويضم أتباع الرئيس «توماس سانكارا» وزعيمه الآن «فينسنت أودراغو». وهو حركة مقاومةٍ سريةٍ.

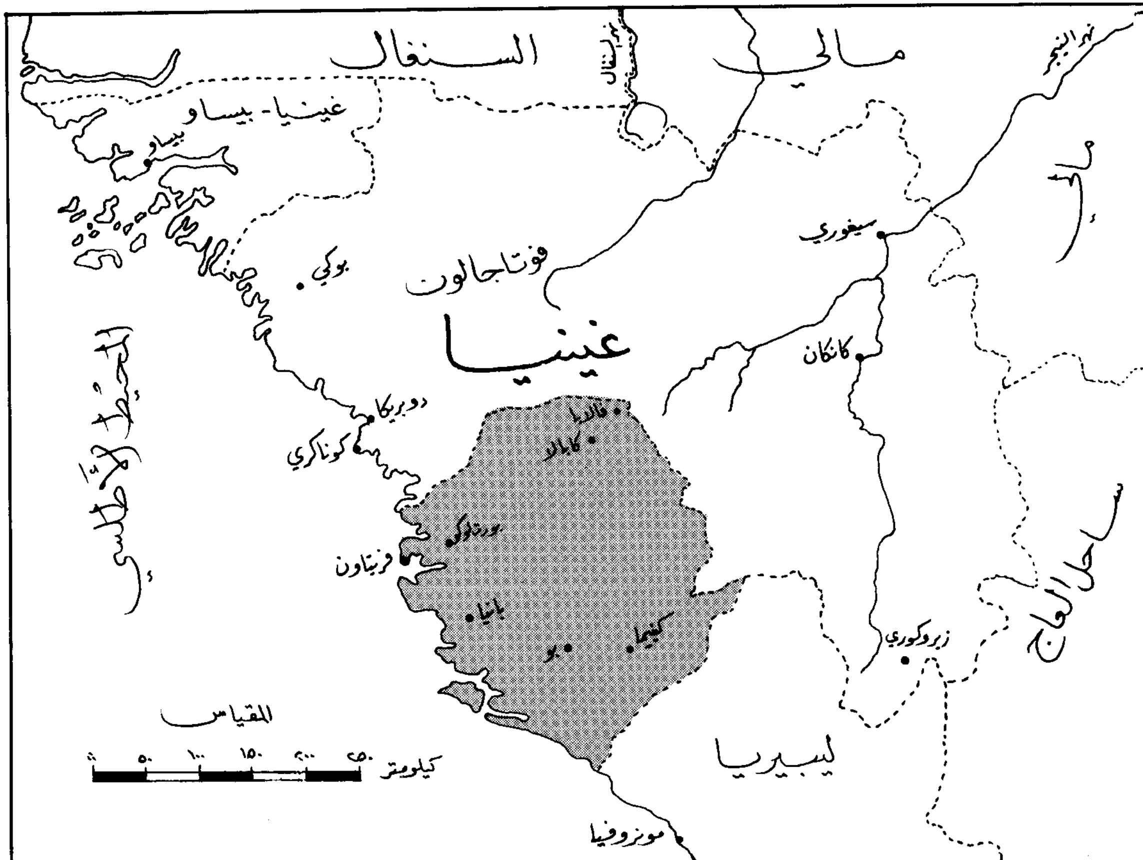
٨ ــ اتحاد فولتا الديمقراطي: شعبة بوركينافاسو للتجمع الديمقراطي الإفريقي، وهو حزب محظور رسمياً، ويتزعمه «مالو تريورو».

٩ ــ اتحاد الائتلافات الشيوعية: ومقره في العاصمة أوغادوغو، ورئيس هذا الاتحاد هو «اليان زوغبا».

١٠ ــ اتحاد إعادة تنظيم الائتلافات الشيوعية: ومقره في العاصمة، ومن قادته «فاليري سومي» و «باسيل غويسو».

الباب السابع

سِيرَاليُون


السنغال
نهر السنغال
مالي
نهر النيجر
غينيا - بيساو
بيساو
بوكي
فوتاجالون
غينيا
سيغوري
كانكان
مالي
المحيط الأطلسي
دوبريكا
كوناكري
فالابا
كابالا
بورتولوكو
فريتاون
كينيما
بو
زيروكوري
ساحل العاج
ليبيريا
المقياس
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كيلومتر

مصور رقم [٧]

لمحة تاريخية حتى إلغاء الخلافة

عُرفت المنطقة الساحلية جنوب غينيا باسم سيراليون عام ٨٦٧ هـ، إذ أطلقه عليها الرحالة البرتغالي (داسنترا) إذ عندما وصل إلى تلك الجهات كثرت الغيوم ووميض البرق، وارتفعت أصوات الرعد التي تشبه زئير الأسد، فأطلق عليها هذا الاسم، ويعني جبال الأسد، حيث ترتفع سواحل شبه جزيرة جنوب (فريتاون) إلى ٦٥٠ متراً.

اعتنقت قبائل الماندينغ والفولاني الإسلام فوصل إلى أفرادها الذين يعيشون في داخل منطقة سيراليون، أما الساحل والغابات فكانت القبائل البدائية تعيش فيهما، وعُرفت المنطقة لدى سكانها القدماء باسم (رومارونغ).

خضعت المنطقة في القرن السابع الهجري لمملكة مالي، ولما كانت هذه المملكة تتركّز في الداخل، لذا لم تهتم بالبحر بل ربما وجدته منطقة أمانٍ لها، حيث لا أرض بعده، ولا سفن تصل إليه، وفي الوقت نفسه ليس لها قوة بحرية أو تجارية لتستفيد منه، وقد جاء الخطر منه، حيث أصبح بحارة المستعمرين الصليبيين يلجؤون إليه لأنهم يعلمون أنه لا توجد قوة تمنعهم من ذلك أو تحول دون اللجوء إليه، وهذا ما جعل تلك السواحل مراكز للملاحين من أية جنسيةٍ كانوا، ومن أي مكانٍ أتوا.

وصل البرتغاليون إلى سواحل تلك المنطقة ـ كما ذكرنا ـ عام ٨٦٧ هـ، وأعطوا ذلك الجزء الاسم الذي يحمله الآن، ولم تمض مدة

يسيرة حتى أصبح للبرتغاليين مراكز يتخذونها منطلقاً للسلب والنهب والاستغلال.

وجاء الإنكليز أيضاً إلى تلك النواحي وامتهنوا تجارة العبيد، وتمكّنوا من أن يكون لهم موطىء قدمٍ، ونقلوا من السكان ما استطاعوا نقله. ثم تغيّرت معهم الحال، وأصبحوا يرغبون في إعادة ما نقلوه بعد الذي حدث لهم بالتجارة، وبعد حرب الاستقلال الأمريكية، وغدوا يحاربون تجارة الرقيق بعد أن كانوا أكبر تجارها. واشتروا في بداية القرن الثالث عشر الهجري قطعة أرض من أحد زعماء القبائل الوثنية في سيراليون لتكون مستعمرةً لهم، ينقلون إليها الزنوج المسرحين من الجيش والبحرية بعد انتهاء حرب الاستقلال الأمريكية، ويحملون إليها كذلك الزنوج الذين التجؤوا إلى لندن، وأقاموا في ضاحيةٍ من ضواحيها، وكانت هذه المستعمرة شبه جزيرةٍ صخريةٍ تقع جنوب مدينة فريتاون الحالية، وكان نواة سكانها أربعمائة زنجي وستين أوربياً معظمهم من النساء السيئات السيرة والسلوك، غير أن هذه المستعمرة قد فشلت فشلاً ذريعاً في وضعها وإنشائها.

وبعد أربع سنوات وفي عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) أُنشئت مستعمرة جديدة من قبل شركة سيراليون ونُقل إليها بعد عامٍ من إنشائها ألف ومائة زنجي للعمل فيها، ولكن لم تمر ثلاثة أعوامٍ حتى نهب الفرنسيون هذه المستعمرة التي عُرفت باسم (فريتاون).

وفي عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) نقلت الشركة حقوقها إلى التاج البريطاني، وفي العام نفسه أُلغيت تجارة العبيد، وعدّها المجلس النيابي البريطاني تجارةً غير مشروعةٍ، وذلك مصلحةً لانكلترا لا إنسانيةً.

كان يقوم نزاع دائم بين سكان فريتاون الغرباء، وبين رجال قبائل المنطقة، لذا عُرفت تلك البقعة باسم «قبر الرجل الأبيض» لما يحدث من قتال بين الفريقين ويذهب ضحيته الكثير من المستعمرين، إضافةً إلى أمراض الملاريا والأوبئة الاستوائية التي تُسبب موت الكثير من الأوروبيين،

ولكن قلّ هذا فيما بعد لارتفاع المستوى الصحي.

وضمّت إنكلترا إلى المستعمرة أراضٍ جديدةً مجاورةً لها عن طريق الشراء الرسمي من زعماء القبائل، تارةً بالإغراء وأخرى بالإكراه والتهديد، فالقبائل متفرقة مفككة، ولا تملك من الأسلحة إلا الرماح، والقسي، والحدائد، على حين يملك المستعمرون السلاح الآلي، كما يُستخدم في تملّك الأرض الخداع والمكر والتخطيط ولا يحفظ المستعمر عهداً، بل تُسيّره مصالحه، ويُوجّهه توسّعه، وكثيراً ما كان الزعماء الإفريقيون لا يعرفون من نصوص المعاهدة أو الاتفاقية شيئاً بل يُوقّعون عليها على أنها نصوص صداقةٍ وتعاونٍ مع الدول الأوروبية، وفي المعاهدة من النصوص الغامضة والعبارات المرنة التي يمكن تفسيرها وتأويلها حسب الرأي الاستعماري، وبالشكل الذي يريده، وهو فرض السيطرة على الأراضي التي جرى عليها الاتفاق أو نصّت عليها المعاهدة.

وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م) بدأ الإنكليز بالتوسّع نحو الشمال الشرقي، واستطاعوا ضمّ منطقة (فالابا) الإسلامية إلى مناطق نفوذهم، بينما خضعت المناطق المجاورة لها للاستعمار الفرنسي.

وخضعت منطقة سيراليون لحكم مملكة فوتاجالون التي أسّسها التوكلور برئاسة الحاج عمر الذي توفي عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) فاختلف أبناؤه من بعده فضعف أمرها.

ودان شرقي سيراليون لحكم ساموري توري الذي جمع قبائل الماندينغ تحت سلطانه، ولكن لم يطل عهده أيضاً إذ قضى الفرنسيون على دولته، وألقوا القبض عليه عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، ونفوه إلى الغابون حيث توفي عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م).

كانت فرنسا تتوسّع في الداخل فيما يسمى اليوم (غينيا) فحصرت النفوذ الإنكليزي من ناحية الشرق، لذا أسرعت بريطانيا ففرضت حمايتها على المناطق الشرقية التي وقّع زعماؤها معها معاهدات عليه، وعلى الأجزاء

التي كانت قد نهبتها بالغارات المتكررة، وأُطلق على مجموع هذه الأراضي اسم سيـراليون، وهي تتـألف من:

١ ـ **المستعمرة**: وتضم شبه جزيرةٍ صغيرةٍ لا تزيد مساحتهـا على ٦٦٤ كيلومتراً مربعاً.

٢ ـ **المحمية**: وتشمل باقي أجزاء سيراليون اليوم، وتبلغ مساحتها ٧٢,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً.

وفي عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) وقّعت إنكلترا وفرنسا معاهدةً بينهما لتقسيم مناطق النفوذ بين الدولتين الاستعماريتين، وبعد عامٍ أعلنت انكلترا فرض حمايتها على المناطق التي سُمّيت سيراليون.

ولمـا كانت مـالية انكلتـرا في عهد (غـلادستون) مثقلةً، ولا يمكن للدولة أن تتحمّل أية زيادةٍ في النفقات وبالتالي لا يمكنها أن تحدث جهازاً إدارياً جديداً يتولّى إدارة شؤون سيراليون، وتدفع النفقات الكبيرة، كما أن الإنكليز يرفضون السفر إلى سيراليون لتولّي الأعمال خـوفاً من الأمـراض المنتشرة حسب الشائعات المبالغ فيها، لذا فقد رأت الحكومة البريطانية أن يستمرّ حكام المنـاطق في تسيير شؤون منـاطقهم تحت إشراف منـدوبين إنكليز، وارتبط هذا النظام في حكم غربي إفريقية الإنكليزية. وهكذا كان البريطانيون هم الذين يتولّون المناصب العليا في محمية سيراليون.

قُسمت البلاد إلى ١٤٤ زعامةً، يُشرف على كل منها زعيم من أبناء البلاد، ويساعده في الإدارة مجلس محلي يتألف من الطاعنين في السنّ من أهل المنطقة وذلك في سبيل إضعاف شؤون البلاد، وعدم وجود وحدةٍ بين أبنائها على طـريقة المستعمـرين في سياسـة تفرقـة المجتمع إلى أقسـامٍ متعددةٍ.

ثم عمّ ذلك النظام على المستعمرة. وتقدّم الطب، وذهب الخوف من السفر إلى سيراليون بسبب الأمراض فـأقبل الشبـاب البريـطانيون إلى العمل هناك، وتقلّص عدد الموظفين المحليين حتى الـذين تولّت الإدارة

الإنكليزية تعليمهم لهذه الغايـة، وأصبحت الإدارة السيراليـونية في بـداية القرن الرابع عشر الهجري بيد الإنكليز.

إذن كانت فريتاون مستعمرةً خاصةً، وسيراليون محميةً، واستمرّ ذلك حتى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م).

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، وسيراليون تحت الحماية البريطانية، ومدينة فريتاون وما حولها مستعمرة بريطانية، وكان النظام الإداري قد تغيّر قبل عامٍ فيهما، حيث أصبحتا تحكمان عن طريق مجالس تشريعية وأخرى تنفيذية موحدة. فكان يمثل (فريتاون) ثلاثة أعضاء عن طريق الانتخاب، ويُمثّل المحمية ثلاثة أعضاء من رؤساء القبائل، وبقي ذلك حتى الحرب العالمية الثانية.

بعد الحرب اقترح مشروع انتخاب عام وإقامة حكومةٍ تُمثّل السكان جميعاً بصورةٍ متساويةٍ ولكن (الكريول) رفضوا هذا المشروع، وذلك لأنهم رأوا في هذه المساواة إضاعةً لسيطرتهم، وكانوا يشعرون بالتفوق على بقية السكان بثقافتهم التي هيأها لهم المستعمرون.

وضع دستور عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)، وجرت الانتخابات النيابية، وفاز فيها حزب الشعب السيراليوني بقيادة «ميلتون مارغاي» والذي أصبح عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) وزيراً أول، ورئيساً للوزراء عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م).

كان المجلس التشريعي يضمّ واحداً وثلاثين عضواً، منهم الحاكم، ونائبه، وعضوان يُمثّلان المصالح التجارية، واثنا عشر عضواً يمثّلون زعماء القبائل، وينتخب باقي الأعضاء انتخاباً، وهم خمسة عشر عضواً.

أما المجلس التنفيذي فيتكون من ثمانية أعضاء، نصفهم يُعيّن تعييناً،

والنصف الآخر ينتخب انتخاباً، واستطاع الكريول أن يحصلوا على أربعة مقاعد في المجلس التنفيذي، وحصل حزب الشعب السيراليوني الذي نشأ حديثاً على مقعدين من المقاعد التي تمّ انتخابها، ونتيجة ذلك انضم الكريول إلى حزب الشعب الأمر الذي جعل الحاكم يمنح مقعدي العضوين الباقيين للحزب نفسه.

وفي عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) سُمّي أعضاء المجلس التنفيذي وزراء، وتخلّى الحاكم الإنكليزي عن السلطات التي كان يتمتع بها، وبدأت الحكومة في أفرقة بعض الإدارات المدنية.

وفي عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) حدثت ثورة الفلاحين التي كانت تُطالب باستقلال البلاد، والحدّ من سلطة زعماء القبائل الأمر الذي أجبر الحكومة على توقيف الزعماء القبليين، وأصبح الاستقلال مطلباً وطنياً.

جرت انتخابات عامة عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م)، وحصل حزب الشعب السيراليوني فيها على ستةٍ وعشرين مقعداً من أصل واحدٍ وثلاثين مقعداً. وفي العام التالي صدر مشروع بالحدّ من سلطة الحاكم البريطاني، وفي الوقت نفسه ظهر على الساحة حزب جديد هو حزب الشعب الوطني الذي بدأ يطالب بالاستقلال. وقد انتشرت هذه الفكرة بسرعةٍ بعد استقلال غينيا الجارة الكبيرة في ذلك العام.

وكثرت الأحزاب السياسية على الساحة السيرالونية حتى بلغ عددها تسعة أحزاب، منها: المجلس الإسلامي، والحزب الاشتراكي، أجمعت كلها على المطالبة بالاستقلال، ثم اندمجت في جبهةٍ واحدةٍ، وطالبت بريطانيا بالجلاء عن البلاد، وشكّلت وفداً يمثّلها، وسافر الوفد إلى لندن عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، وعندما عاد شكّل أعضاؤه حكومةً ائتلافيةً استطاعت أن تظفر بالاستقلال في ١٢ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ (٢٧ نيسان ١٩٦١ م) ضمن رابطة الشعوب البريطانية، وقُبلت في عضوية الأمم المتحدة، وكانت العضو رقم المائة.

السياسة الاستعمارية:

كانت جموع التنصير ترافق جنود الاستعمار، وقد ركّزت الإرساليات التنصيرية جهودها على الجماعات البدائية، وتعهدت مجموعة (الكريـول) المولّدين في جزر الآنتيل (جزر الهند الغربية) إذ عُمّدوا هناك، وانتموا إلى النصرانية انتماءً، ولقد حرصت تلك الإرساليات على تعليم هؤلاء الكريول، وتثقيفهم ثقافةً نصرانيةً خاصةً، ثم اعتمدتهم في كثيرٍ من الوظائف والأعمال الإداريـة حيث غدوا متميـزين على غيرهم من سكـان مستعمرة فـريتـاون ومحمية سيراليون، كما اعتنت بهم صحياً.

والمستعمر بحاجة إلى أعدادٍ كبيرةٍ من البشر يستخدمهم في الأعمال الزراعية، واستغلال الأرض، والتعدين، والمؤسسات الحكومية، وحفظ الأمن وما إلى ذلك من أعمالٍ، ويرى أنه لا يمكن أن يعتمد على أشخاصٍ لا يعتقدون عقيدته، فالعقيدة هي التي تربط بين الجماعات، وتصل بعضهم مع بعضٍ، والدول الاستعمارية كلها تدين بالنصرانية لذا يمكن أن يدعم بعضها بعضاً في هذا المجال بغض النظر عن اختلاف المذاهب والتبايـن بين الفـرق، وعلى الرغم من وجـود المنافسـة الاستعماريـة بينهم، تترك الكنائس والإرساليات النصرانية الصراعات الاستعمارية والنزاعات السياسية وتعمل لتثبيت دعائم النصرانية. كما يرى المستعمرون أن هؤلاء النصارى من أبناء البلدان المتخلفة يمكن في يومٍ من الأيام أن يحلّوا مكانهم في الحكم دون أن يتغيـر شيء، أو دون أن يحـدث اختـلاف واضح في السياسة، إذ أن الديانة تجمع بين الطرفين، ولربما وقفوا أكثر منهم أمام انتشار عقائد وديانات أخرى، بل ويمكن أن يحاربوا بجانبهم إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك حيث تربط العقيدة بين الجانبين، فعدوهم واحد وهو المبـاين لهم في العقيدة، وصـديقهم واحد هـو ابن ديانتهم أينمـا وجد، وهـدفهم واحد، وإذا حـدث ما يعكـر الصفو بين الجـانبين بسبب بعض المصـالح عملت على حلّه الكنيسـة وإرساليـاتها. ونصـارى أبناء البلدان المستعمرة هم عين المستعمرين على سكان البلد، والأذن التي تسترق لهم

السمع، وتنقل ذلك لهم سواء ادعوا ما يُسمّونه بالوطنية ونادوا بها أم جاهروا بالارتباط، وأعلنوا صلتهم بأبناء عقيدتهم.

وعملت الإرساليات التنصيرية على الوقوف في وجه الإسلام فمنعت أبناءه من الانتساب إلى مدارسها، والدخول في مشافيها، والإفادة من خيرات الأرض، إذ حرصت على سلب أملاكهم في سبيل إفقارهم، ولتجعلهم يلتجئون إليها نصارى مستسلمين. ولم تكن المدارس الرسمية التي افتتحتها الحكومة الاستعمارية لتختلف كثيرًا عن مدارس الإرساليات التنصيرية إذ كانت المناهج موجهةً حسب التعاليم النصرانية، وحسب مقتضيات المصالح الاستعمارية، ولم تسمح للمسلمين بالانتساب إليها إلا ضمن شروطٍ وهي أن يُغيّر الطالب اسمه الإسلامي ليصبح اسماً نصرانياً على الأقل، أو ليقبل عقيدة المستعمرين كلياً، وهذا ما جعل المسلمين في حالة من الجهل والتأخر.

ولم تعتن إنكلترا بالصحة المطلوبة، بل تركت السكان عرضةً للأمراض والأوبئة المنتشرة، واقتصرت في بناء بعض المستوصفات في (فريتاون) وما حولها حيث يُقيم المستعمرون والكريول، وأما بقية المناطق فظلّت كما هي، وكذلك أقامت الإرساليات التنصيرية بعض المشافي لأتباعها الذين جاءوا مع الجيش الاستعماري أو ممن كسبتهم من الوثنيين، وإذا ما توجّه إليها أحد المسلمين فلا بد له من أن يمرّ بمرحلةٍ قبل أن يتلقّى العلاج، رغم ما يعاني من الآلام، ومهما كانت شدّتها، وفي هذه المرحلة يتلقّى مبادىء التنصير وعقيدة التثليث، ويجب أن يُسرع في إظهار الموافقة والقناعة حتى يصل إلى مرحلة العلاج، وقد يُسجّل في عداد النصارى، ولذا بقي المسلمون يُعانون من أمراض البيئة ما يُعانون، وينتابهم المرض، وهم صابرون.

وعمل المستعمرون على نشر الفساد، وإشاعة المنكرات، ومعاقرة الخمرة، والتعليم المختلط، والاختلاط في المجتمع على أن ذلك كله من

ضرورات الحياة، وأنه مظهر من مظاهر المدنية الحديثة.

وأشاع المستعمرون أن الإسلام دين خاص بالعرب، جاءوا به من جهة الشمال ليتسلّطوا به على الزنوج وسكان إفريقية السوداء، وأنه لا ينسجم مع طبيعتهم، ولا مع طبيعة هذه البيئة الحارة حيث لا يمكن للمرأة أن تحتجب ولا تلبس لباس الحشمة الذي يصعب مع شدة الحرارة.

وعمل البريطانيون على التفرقة بين القبائل حيث شحنوا أكبر القبائل وهي الماندي، والتمني بالأحقاد بعضهم على بعضٍ، وقدّموا الكريول على غيرهم، وجعلوهم يشعرون بالتفوّق على كل من سواهم من سكان المنطقة، كما أن النظام الإداري قد جعل البلاد ١٤٤ وحدةً حسب القبائل، وأبقوا نقاط خلافٍ بين هذه الوحدات حيث يمكن إثارتها في كل وقتٍ.

وعجزت الإرساليات التنصيرية كما عجز المستعمرون على تنصير المسلمين لذلك عملوا على تهديم عقيدة المسلمين فإضافةً إلى نشر المفاسد، وإشاعة الخرافات، وتبنّي أصحاب الأفكار المنحرفة فسحوا المجال لانتشار القاديانية التي هي من غراس انكلترا، وتقوم على وجوب طاعة الإنكليز بصفتهم الحكام، والاعتقاد بأن غلام أحمد هو المسيح المنتظر، وهو نبي الأمة الجديد، وقد جاء ليُجدّد ما أتى به رسول الله ﷺ، والادعاء بأن الروح الإلهية تحلّ بغلام أحمد هذا، وباختصار فإن من يعتقد بهذا يعدّ كافراً، ومع هذا الكفر والبعد الصريح عن الإسلام يدعي أتباع القاديانية أحياناً الإسلام في سبيل التهديم، وسمحت بريطانيا لمن يعتنق هذه الفكرة أن يُهاجر إلى أي بلدٍ يخضع لنفوذها، وتعهدت لمن يهاجر أن يجد كل حريةٍ ومساعدةٍ، وفتحت للقادمين منهم ميادين العمل والدعوة لفكرتهم الخبيثة، ومدّتهم بكل وسائل الدعم والتأييد، وكان أولهم قدوماً إلى سيراليون نظير أحمد علي الذي جاء إليها من غانا، واستقرّ هناك عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)، وقد فشل بعد أن لقي بعض النجاح في مدينة (باؤماهون) حيث أسّس مدرسةً ابتدائيةً في تلك المدينة، غير أن انتشار

مرض الجدري هناك قد أضعف شأن المدينة فهجرها كثير من الناس، واضطر هو لتركها. وأخيراً وجد النجاح في مدينة (بو) التي أصبحت مركز قيادة العمل القادياني في سيراليون، إذ أقام أتباعها داراً للطباعة، وقاعةً للمطالعة ومدرسةً ابتدائيةً، ومتجراً كبيراً، وبقي نظير أحمد علي حتى مات عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

وقلّ شأن القاديانية بعد الاستقلال في سيراليون، ويقدّر عدد أتباعها اليوم هناك بألفين وخمسمائة إنسان، ولهم عشر مدارس، وثانوية واحدة، وأكثر الموظفين من هذه الجماعة في سيراليون إنما هم من الغرباء، ومن باكستان بصورةٍ خاصةَ إذ استقدمتهم بريطانيا أثناء استعمارها البلاد لنشر هذه الفكرة الزائفة خدمةً لمصالحها هناك.

العمل الإسلامي:

كان المسلمون في منطقة سيراليون لا يزيدون على ٢٥ ٪ في مطلع القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، غير أن نسبتهم بدأت ترتفع بسرعةً فوصلت إلى ٤٠ ٪ في منتصف القرن، ولم ينته حتى وصلت إلى ٧٥ ٪، وهي الآن تزيد على الثمانين، وذلك نتيجة التسابق للإسلام حيث كانوا يعدّون ذلك ارتقاءً في الحضارة لنظرتهم إلى الإسلام وإلى أتباعه، ولأنهم وجدوا في الوثنية تخلّفاً، وفي النصرانية اقتراناً مع الاستعمار والظلم والامتهان، إضافةً إلى ما في النصرانية من طقوس الوثنية، ثم محاولة النصارى للتعاون مع الوثنيين والتقرّب منهم لمحاربة الإسلام.

بدأت القبائل تتسابق للدخول في الإسلام وبناء المساجد، إذ تبني كل قبيلةٍ مساجدها لنفسها، ومسجدها الخاص في المدينة العاصمة، وعلى الرغم من وجود خطأ في هذا العمل حيث فيه تفرقة للمسلمين وإثارة للنعرة العصبية، وهذا ما يرفضه الإسلام ويُحاربه إلا أنه كان إسراعاً لانتشار الإسلام والإقبال عليه. ولكن تطبيق تعاليم الإسلام بشكلٍ سليمٍ أفضل من

انتشاره بصورةٍ غير صحيحةٍ، وبذا كثر عدد المساجد.

وأخذ المسلمون يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب التي افتتحت في أكثر المدن والقرى السيراليونية لتعليم الأحداث قصار السور على طريقة الألواح المشهورة التي تكاد تكون الطريقة الوحيدة للتعليم في أنحاء إفريقية جميعها، حيث يتحلّق الطلاب في أوقاتٍ مُعيّنةٍ من النهار، وفي الليل حول شعلةٍ من نارٍ توقد في باحة دار المعلم لحفظ ما كتبه على ألواحهم وذلك لقاء عملٍ يقوم به الطلاب في حقل المعلم، وفي قشر الأرز، والاحتطاب، وجلب الماء ويبقى الطالب كذلك إلى أن يُتمّ مرحلة تلاوة القرآن بالنظر، وحفظ بعض قصار السور، ويُمنح بعدها لقب (ألفا)، فإن أراد التفرغ للعلم يبدأ مرحلةً تعليميةً ثانيةً، وهي مرحلة تفسير معاني القرآن وترجمتها إلى لغته، مع دراسة بعض الكتب الفقهية المالكية، وعند إتمام هذه المرحلة الدراسية التي تستغرق أحياناً عشر سنواتٍ، يُمنح بعدها لقب (فودي) باحتفالٍ كبيرٍ يحضره أعيان القبيلة وعلماؤها حيث تلفّ على رأسه عمامة (فودي)، ثم يُرفع كرسيه على الأعناق، وهو جالس عليه لُيطاف به في البلدة، ويُؤهّل من مُنح لقب (فودي) لأن يكون إماماً في جماعة[1].

وعلى الرغم ما في هذه الطريقة من بساطةً لفقر المسلمين وعدم مساعدة الدولة لهم بل ومحاربتهم فقد استطاعت أن تلعب دوراً هاماً في نشر الثقافة الإسلامية في تلك الجهات إذ دخلت إلى مجاهل الغابات، وأدخلت سوراً من القرآن الكريم وبعض الأحكام الفقهية، والمفهومات الإسلامية على حين لم تستطع ذلك الثقافة النصرانية ثقافة المستعمر مع أنها تملك إمكاناتٍ ماديةً ضخمةٍ ومغرياتٍ كبيرةٍ.

ومع ما في هذه الطريقة من صعوبةٍ وبدائيةٍ إلا أن المسلمين قد

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية شوال ١٣٩٦ هـ، مقال: المسلمون في سيراليون للشيخ أحمد بن صالح المحايري.

تمسّكوا بها خوفاً على عقيدتهم من مدارس المستعمـرين الصليبيين التي تتمثّل في المدارس الرسمية، ومدارس الإرساليات التنصيرية، وكلها تملك وسائل تعليمٍ حديثةٍ غير أنها موجّهة ضدّ عقيدة المسلمين.

أما المساجد فتعود كثرتها إلى أهميتها في الحياة الاجتماعية الإسلامية في سيراليون، فالمسجد هو المكان الأول الذي يهتم بقضايا المسلمين، لذا فقد بنت كل جماعةٍ إسلاميةٍ مسجدها الخاص، وعيّنت له إمامه ليكون كلامه الفصل في المشكلات التي يتعـرّض لها المجتمـع، ففي المسجد يعقد النكاح، ويكون الطلاق، ويفصل في الخصومـات، ويُجهّز الميت، ويعلن عن الدعوات، وتوزّع الزكاة. وكل جماعةٍ مسؤولة عن تغطية نفقات مسجـدها، وتـأتي الواردات إليـه من الاشتراكـات الشهريـة التي يـدفعهـا الأعضاء، والتبرعات، والرسوم على الزواج، وعلى الطلاق، وعلى تجهيز الموتى، وتشمل مصروفات المسجـد: البناء، والتـرميم، والإنارة، وجلب المياه، وراتب الإمام، وغالباً ما يكون هذا الراتب قليلاً، لذا لا نجد الإمام متفرغاً للدعوة بل يزاول أعمالاً أخرى، وربما يكون منها ـ مـع الأسف ـ كتابة الحجب والتمائم التي تنتشر عـادةً بين الشعوب المتـأخّرة وبخـاصة البدائية منها، والذين دانوا بالإسلام لم يتحرّروا تماماً في تلك الجهات من تلك العادات، بل استمرّت بصورٍ شتى، وتنتشر أيضاً مع الخرافات، وقد يكون الإمام ممن يقبل ذلك بل ويقوم بنشره أيضاً.

لم يكن بالعاصمة فريتاون قبل مائة عامٍ غير مسجدٍ واحدٍ، ويزيد عدد جوامعها الآن على خمسةٍ وعشرين جامعاً.

الفصل الثاني

الاستقلال

١٢ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ - ......
٢٧ نيسان ١٩٦١ م - ....

حصلت سيراليون على الاستقلال في ١٢ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ (٢٧ نيسان ١٩٦١ م)، ولكن لم تلبث الحكومة أن وجدت في وجهها معارضةً شديدةً، تُطالبها بإجراء انتخاباتٍ عامةٍ، وتتهمها بالتفاهم مع الاستعمار البريطاني، ولكن الدستور كان قد تمّ الموافقة عليه. وتمثّلت هذه المعارضة بحزب المؤتمر الشعبي العام الذي تشكّل من أعضاء حزب الشعب الوطني السيراليوني الذين تركوا حزبهم، وانضّموا إلى أعضاء من الحزب التقدمي المتّحد، وأسّسوا حزب المؤتمر الشعبي العام الذي أخذ في معارضة الحكومة.

وكان دستور سيراليون ينصّ على أن المملكة البريطانية تُنيب عنها الحاكم العام الذي تُعيّنه بناءً على توصيةٍ من رئيس الحكومة الوطنية.

وتتألف الوزارة من رئيسٍ يختاره الحاكم العام الذي يُعيّن أيضاً بقية الوزراء بناءً على توصيةٍ من رئيس الوزراء، ويجب أن يكون الوزراء أعضاء في المجلس النيابي، ومن بين الوزراء خمسة مسلمون.

أما المجلس النيابي فيتألف من ستين عضواً، ويشترط في العضو أن يكون قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وأن يجيد اللغة الإنكليزية لغة المجلس النيابي.

جرت الانتخابات في ذي الحجة ١٣٨١ هـ (أيار ١٩٦٢ م)، وفاز فيها أيضاً حزب الشعب السيراليوني، ومات رئيس الوزراء «ميلتون مورغاي» في

ذي الحجة ١٣٨٣ هـ (نيسان ــ ١٩٦٤ م)، وخلفه في رئاسة الوزراء أخوه من أبيه «روبرت مارغاي» والذي كان يشغل منصب وزير المالية.

وجرت الانتخابات العامة في ١٣٨٧ هـ وفاز فيها حزب المؤتمر الشعبي العام، وأصبح رئيسه (سيكا ستيفنز) رئيساً للوزراء.

وفي ١٠ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ (٢١ آذار ١٩٦٧ م) وهو اليوم الذي تسلّم (سيكا ستيفنز) رئاسة الوزارة وقع انقلاب عسكري بقيادة (دافيد لانسانا).

وبعد يومين فقط من الانقلاب الأول أي في ١٢ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ (٢٣ آذار ١٩٦٧ م) وقع انقلاب مضاد قاده زعماء الجيش والشرطة، وبعد نجاح الانقلاب قرر قادته إنشاء (جبهة الإصلاح الوطني) برئاسة العميد (اندروجاكسون سميث).

وبعد عامٍ وفي ٢٠ محرم ١٣٨٨ هـ (١٨ نيسان ١٩٦٨ م) أطاح زعماء الجيش والشرطة بجبهة الإصلاح الوطني، وشكّلوا حركةً ثوريةً ضد الفساد عُرفت باسم «الحركة الثورية العامة».

وسلمت الحكم للمدنيين، وشكّلت حكومة من أعضاء الحزبين الكبيرين، وهما: حزب المؤتمر الشعبي العام، وحزب الشعب الوطني السيراليوني، ورجع (سيكا ستيفنز) رئيساً للوزراء.

وقد اعترف بعد الاستقلال بالإسلام كدينٍ رسميٍ على الرغم من أن المسلمين هم الأكثرية غير أن الأقلية النصرانية هي التي تتحكم بشؤون البلاد، وتعطي إحصائياتٍ خاطئةٍ ليبقى لها نفوذها وسيطرتها، ومع هذا فإن عيد الفطر، وعيد الأضحى، والثاني عشر من شهر ربيع الأول تُعدّ عطلاً رسميةً. ويسمح للمسلمين يوم الجمعة بمغادرة أعمالهم ودوائرهم لتأدية فريضة الجمعة، وتنقل وقائع صلاة الجمعة من إذاعة فريتاون أسبوعياً، ومن مساجدها الكبيرة بالتناوب، ويُوجّه مساء ذلك اليوم برنامج تلفزيوني خاص.

وتُفتتح الاحتفالات الرسمية بالقرآن الكريم مقابل دعاءٍ من قسيس. وتفتتح وزارة المعارف مدارس إسلامية، ويسمح بإقامة جميعاتٍ إسلاميةٍ تمارس النشاط الإسلامي، ولكن لا توجد محاكم شرعية في البلاد، وإنما يمارس أئمة المساجد هذا العمل، وكذلك لا توجد مقابر خاصة بالمسلمين.

وفي صفر ١٣٩١ هـ (نيسان ١٩٧١ م) وضع دستور جديد على أساس الجمهورية وأصبح «سيكا ستيفنز» رئيساً تنفيذياً.

ولم يشترك حزب الشعب السيراليوني في الانتخابات الفرعية التي جرت عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، والانتخابات العامة التي تمت عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م)، وبالتالي لم يتم تمثيل الحزب المعارض في مجلس الشعب، وتمّ بالإجماع انتخاب الرئيس «سيكا ستيفنز» لمدة خمسة أعوامٍ أخرى رئيساً للجمهورية.

وتمخضت الانتخابات التي جرت في جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) والتي شارك فيها حزب الشعب الوطني السيراليوني عن فوز حزب مؤتمر الشعب العام، ولكنها كانت انتخابات مصحوبة بالعنف وادعاءات بالتزوير والتهديد والإكراه.

وجدّد حزب مؤتمر الشعب العام مطالبه بحكومة الحزب الواحد، وأعلن رئيس الهيئة التشريعية في رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) أن حزب الشعب السيراليوني غير قادرٍ على إدارة حكومةٍ للبلاد، وبالتالي لا يحق له أن يكون حزب المعارضة الرسمي.

ووضع دستور جديد في البلاد في جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ (أيار ١٩٧٨ م) اعتمد على حكومة الحزب الواحد وتمت الموافقة عليه باستفتاءٍ عامٍ، ووافق عليه مجلس النواب في رجب ١٣٩٨ هـ (حزيران ١٩٧٨ م) وبهذا أصبح حزب مؤتمر الشعب العام هو الحزب الرسمي الوحيد في سيراليون. وتم تجديد مدة الرئاسة للرئيس «سيكا ستيفنز» لمدة سبع سنواتٍ أخرى وذلك في ١٠ رجب ١٣٩٨ هـ (١٤ حزيران ١٩٧٨ م). وقام الرئيس

بعد ذلك بإطلاق سراح السجناء السياسيين، وأعطى عدة حقائب وزارية لعددٍ من الأعضاء السابقين في حزب الشعب الوطني السيراليوني.

وواجهت الحكومة معارضةً شديدةً عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) إثر فضيحةٍ طالت عدداً من الوزراء وآخرين من كبار الموظفين لسوء التصرف بالأموال العامة واختلاسها. وفي شهر شوال ١٤٠١ هـ (آب ١٩٨١ م) أُعلنت حالة الطوارىء في محاولةٍ لاحتواء إضرابٍ عامٍ تذمّراً من ارتفاع الأسعار ونقص المواد الغذائية. وتسلّم الرئيس «سيكا ستيفنز» بنفسه منصب وزارة المالية في صفر ١٤٠٢ هـ (كانون الأول ١٩٨١ م) وذلك إثر فضيحةٍ ماليةٍ جديدةٍ كان أبطالها بعض كبار موظفي الحكومة.

وجرت الانتخابات التشريعية في رجب ١٤٠٢ هـ (أيار ١٩٨٢ م) وسط حوادث عنفٍ بالغة الخطورة، وأثارت نتائج انتخاباتٍ مختلف عليها أجريت في أول شعبان ١٤٠٣ هـ (أيار ١٩٨٣ م) أحداث عنفٍ بين القبائل، وتمّ إرسال قوات أمن إلى المنطقة في صفر ١٤٠٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٣ م) وذلك لقطع دابر العنف. وانفجرت المظاهرات في العاصمة «فريتاون» في ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م)، وقد أثارها طلاب كلية خليج فوره احتجاجاً على نقص المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، وقُتل في هذه المظاهرات أربعة أشخاصٍ مما أدّى إلى إغلاق الكلية لمدة شهرين. وتلا ذلك إضرابات قام بها موظفو الحكومة في ربيع الأول وربيع الثاني من عام ١٤٠٥ هـ (كانون الأول ١٩٨٤ م وكانون الثاني ١٩٨٥ م) احتجاجاً على عدم استلام رواتبهم. وحدثت مظاهرات أخرى قام بها الطلاب في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) على أثر إجراءاتٍ تأديبيةٍ اتخذت ضد زعماء الطلبة.

أعلن الرئيس «سيكا ستيفنز» في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) أنه ينوي ترشيح نفسه لمدةٍ جديدةٍ، وكانت رئاسته تنتهي في رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م)، وكان عمره قد ناهز الثمانين، غير

أنه عاد فعدل عن رأيه إذ أعلن في رجب ١٤٠٥ هـ (نيسان ١٩٨٥ م) أنه لن يُرشّح نفسه مرةً أخرى. وفي الشهر نفسه وافق مجلس النواب على تعديلٍ دستوريٍ تمتدّ بموجبه ولاية الرئيس «سيكا ستيفنز» مدة ستة أشهرٍ لإعطاء فرصةٍ لتسجيل الناخبين وتسمية المرشحين للرئاسة. ثم عاد المجلس فوافق في رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) على تعديلٍ دستوريٍ آخر يقوم بمقتضاه مجلس رئاسي بدلاً من نائب الرئيس المنصوص عنه في الدستور يحكم البلاد في حالة غياب الرئيس أو استقالته أو وفاته.

وفي مؤتمرٍ للحزب الحاكم «حزب مؤتمر الشعب العام» في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م) كان اللواء «جوزيف مومـوه» الذي كان وزيراً للدولة، وقائداً للجيش هو المرشح الوحيد لزعامة الحزب، ولمنصب رئاسة الجمهورية، وتمت الموافقة على ترشيحه من قبل أعضاء المؤتمر الذين كان عددهم سبعمائة عضو.

وفي الانتخابات الرئاسية التي جرت في شهر صفر ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) حصل «جوزيف مـوموه» على ٩٩٪ من مجمـوع الأصوات، وتم تنصيبه رئيساً في ١٦ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٥ م). وعلى الرغم من احتفاظه بوضعه العسكري إلا أنه شكل وزارة مدنيةً شملت عدداً من أعضاء الوزارة السابقة. وقد قلّص عدد أعضاء مجلس الوزراء من ٢٩ إلى ١٩ عضواً، وقلّص عدد الوزراء من ٥١ إلى ٣٣ وزيراً.

وأجريت الانتخابات النيابية في رمضان ١٤٠٦ هـ (أيار ١٩٨٦ م) ولم يقع خلالها سوى حوادث قليلة من العنف، والتجاوزات الانتخابية، وقد خاض هذه الانتخابات ٣٣٥ مرشحاً جميعهم من أعضاء حزب مؤتمر الشعب العام لملء ١٠٥ مقاعد نيابية، وقد خسر ما يقارب من نصف عدد النواب مقاعدهم، وأغلبهم من السياسيين المحنّكين الذين شغلوا مناصب مهمة في إدارة الرئيس السابق «سيكا ستيفنز» ومن بينهم أربعة أعضاءٍ في مجلس الوزراء.

شكّل الرئيس «جوزيف مومـوه» وزارةً جديـدةً في شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) دخلها خمسة أعضاء جدد، وسبعة وزراء دولة إضافيين. وفي ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م) أطلق الرئيس سراح سبعة وعشرين سجيناً سياسياً منهم اثنا عشر سجيناً كانوا مُدانين بتهمة الخيانة لاشتراكهم في المحاولة الانقلابية التي جرت عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م).

وبسبب فشل إدارة الرئيس «جوزيف مومـوه» في تحسين الوضع الاقتصادي الحرج، وبسبب تأثير الإجراءات التقشفية التي فرضها مجلس النقد الدولي الأمر الذي أدّى إلى ارتفاع الأسعار كل هذا سبّب تناقصاً في شعبية الرئيس التي كان يتمتع بها عند توليه منصب الرئاسة عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٥ م)، وكذلك الاحتفاظ بأعضاء في مجلس الوزراء من حكومة الرئيس السابق «سيكا ستيفنز» قد أثار موجةً من النقد.

وصادرت سلطات الجمارك الفرنسية في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) معداتٍ حربيةٍ من سفينة شحن، ادعت حكومة سيراليون أنها كانت في طريقها إلى سيراليون لاستخدامها في محاولةٍ لقلب نظام الحكم فيها.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) أعلنت الحكومة أنها أجهضت محاولةً انقلابيةً، وتمّ اعتقال ستين شخصاً، وأنها قد وضعت يدها على كمياتٍ كبيرةٍ من الأسلحة والمعدات الحربية ذات الفعالية. وفي أوائل رمضان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م) تمّ اعتقال «فرانسيس ميناه» النائب الأول لرئيس الجمهورية، وأُقيل من منصبه لارتباطه بالمحاولة الانقلابية، وأعقب ذلك تغييرات واسعة في المناصب الحكومية، وعُيّن وزير جديد للمالية، كما استحدثت وزارة مختصة بالتنمية الريفية والخدمات الاجتماعية.

وفي صفر ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) بعد محاكمة دامت

خمسة شهور حُكم على فرانسيس ميناه، وخمسة عشر متهماً آخرين بالإعدام بناءً على اتهامهم بالتخطيط لاغتيال الرئيس ومحاولة قلب نظام الحكم، وحُكم على آخرين بالسجن لمدة أربع سنواتٍ وسبع سنواتٍ لتسترهما على جريمة خيانة قادة الحركة. واستأنف الحكم الذين قضت المحكمة عليهم بالإعدام وذلك في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) ولكن تمّ تأييد الأحكام في ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول ١٩٨٨ م) عدا أربعةٍ منهم، ثم أيّدت المحكمة العليا أحكام الإعدام على المتهمين الاثني عشر في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) إلا أن ستةً من هذه الأحكام قد استبدل بها عقوبة السجن المؤبّد فيما بعد. وتمّ إعدام فرانسيس ميناه والخمسة الذين معه في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) على الرغم من طلبات العفو التي تقدمت بها الدول الأوربية، والحملة التي قامت بها منظمة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية.

بدأ الرئيس «جوزيف مومـوه» في ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) حملةً على الممارسات المالية السيئة في القطاع الحكومي، فاستقال وزير الزراعة والثروات الطبيعية والغابات في ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) بعد اتهامه بالفساد، وقد أمره الرئيس جوزيف موموه بإعادة ستة ملايين من الوحدة النقدية السيراليونية إلى الخزانة العامة.

واتهم أحد النواب فيما بعد وزيرين وعدداً آخر من كبار الموظفين في الحكومة، وفي مصرف سيراليون بالنصب، والاحتيال، وفساد الذمة.

وفي ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) بعد سلسلةٍ من إضراب العاملين في القطاع العام احتجاجاً على قلّة السيولة المالية التي أدّت إلى عجز الحكومة عن دفع الرواتب أعلن الرئيس «جوزيف مومـوه» حالة الطوارىء في قطاع الاقتصاد، وأعلن عن تسعةٍ وخمسين إجراءً تهدف إلى منع احتكار العملة والبضائع الأساسية، كما واصل الحملة ضد التهريب، وطبقاً لهذه الإجراءات عدّ الفساد جنايةً، وأصبح من الممكن

محاكمة أي متهمٍ بأية جريمةٍ حتى في حالة غيابه، ولقد تمّ فرض عقوباتٍ شديدةٍ على اتخاذ الصحف في نشر مقالات التشهير، وأصبح من الممكن تفتيش البريد الخاص، وعيّنت الحكومة رقيباً على النشر.

وفي رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) مُدّد العمل بإجراءات حالة الطوارىء الاقتصادية لعامٍ جديدٍ، ووافق مجلس النواب على ذلك.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) أعلن الرئيس عن تغييراتٍ في الوزارة فقد بمقتضاها نائبا الرئيس منصبيهما الوزاريين، وأصبحت وظيفتاهما شكليتين تماماً، وتمّ فصل أربعة وزراء هم: وزراء الإذاعة والإعلام، والنقل والمواصلات، والتجارة والصناعة، والزراعة. واستحدثت وزارة للصناعة والمشروعات الحكومية.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) انعقد المؤتمر العاشر للنواب الوطنيين (نواب حزب مؤتمر الشعب العام)، وأكّد الرئيس «جوزيف مومو» على ضرورة استفتاء قوى الشعب عامةً لتحقيق التنمية الوطنية وكرر التزامه بإزالة الفساد، ولهذا الغرض تمّ إعلان ميثاق السلوك الشريف للقادة السياسيين، والموظفين الحكوميين، والذي بمقتضاه يُندّد باستغلال النفوذ الرسمي. ولم يكن هذا الكلام إلا للاستهلاك المحلي، والدعاية الرسمية في محاولة لتأييد الشعب للنظام، حيث يظن الحاكم أن الشعب غافل، وليس له أية وزن. وما يجري ويرتكب غير ما يذاع رسمياً وما تتناقله وسائل الإعلام، وما يشيعه أعوان السلطة. وتمت إعادة انتخاب الرئيس «جوزيف مومو» أميناً عاماً للحزب دون معارضة.

وفي مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م) وافق مجلس النواب على تشريعٍ يقضي بضرورة استقالة موظفي الحكومة الذين يريدون ترشيح أنفسهم للانتخابات النيابية المقرر إجراؤها عام ١٤١١ هـ (١٩٩١ م) من مناصبهم قبل ٧ ذي القعدة ١٤١٠ هـ (نهاية أيار ١٩٩٠ م).

وفي جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) تمّ تعيين وزيرٍ

جديدٍ للمالية بعد اتهام وزارة المالية بالتلاعب وسوء التصرف.

وأجريت انتخابات المقاطعات في جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (أوائل عام ١٩٩٠ م) إلا أنها أُلغيت في ثلاث دوائر عقب شكاوى من ممارساتٍ خاطئةٍ. وارتفعت بعدها نسبة التأييد الشعبي لنظام الحكم المتعدد الأحزاب غير أنه في رمضان ١٤١٠ هـ (نيسان ١٩٩٠ م) اتخذ مؤتمر الشعب العام في مقاطعة (بو) الجنوبية قراراً مؤلفاً من خمس نقاطٍ ينتقد فيه التعددية الحزبية.

تقوم السياسة الخارجية لسيراليون رسمياً على مبدأ عدم الانحياز، وهذا شأن أكثر دول العالم الثالث التي تسير في فلك الدول الغربية، وتعلن عدم الانحياز من أجل الاستهلاك المحلي، والتضليل على الشعوب.

اتهم رئيس ليبيريا «صموئيل ديو» في ربيع الأول ١٤٠٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٥ م) حكومة سيراليون بالتورط المباشر بالمحاولة الانقلابية الفاشلة في ليبيريا، وأغلق الحدود بين البلدين، ولكن أُعيد فتحها في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م)، وفي الشهر التالي وقّعت كل من سيراليون، وليبيريا، وغينيا اتفاقية عدم اعتداء وتعاون أمني. وتلا ذلك توقيع سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية مع نيجيريا عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م).

عادت العلاقات مع ليبيريا إلى التدهور عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) إثر طرد مواطنين سيراليونيين من ليبيريا في أوائل ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م)، ثم في صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) عقد رئيسا الدولتين بالاشتراك مع رئيسي نيجيريا والتوغو مؤتمراً للمصالحة، وأصدر الرؤساء الأربعة بياناً يؤكد التزامهم بأهداف السوق الاقتصادية لدول غربي إفريقية.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) تمّ إنشاء لجنةٍ مشتركةٍ من سيراليون ونيجيريا لتحسين التعاون الثقافي بين البلدين، وأدّى الأمر إلى تبادل الموارد بعد توقيع عدة اتفاقيات أخرى تغطي الجوانب العلمية والثقافية والاقتصادية.

وفي رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) تمّ قطع العلاقات السياسية مع الامبراطورية الروسية (سابقاً) وذلك عقب طرد اثنين من الصحفيين الروس، واحتجاز سفينة روسية للأبحاث، غير أن العلاقات عادت إلى حالتها الطبيعية في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) بعد تعيين سفير روسي جديد في سيراليون، وتجددت اتفاقية الصيد بين الدولتين. وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) تحسّنت العلاقات بين سيراليون وليبيريا نتيجة إطلاق ستةٍ من مواطني سيراليون كانوا محتجزين في ليبيريا.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة سيراليون ٧٢,٦٤٤ كيلومتراً مربعاً، وتشرف على المحيط الأطلسي من ناحية الغرب بساحلٍ يبلغ طوله ٤٠٢ كيلومتراً، ويبلغ طول حدودها البرية ٩٥٨ كيلومتراً، فتحدها غينيا من الشمال والشرق، ويبلغ طول حدودها معها ٦٥٢ كيلومتراً، وتحدّها ليبيريا من الجنوب، ويبلغ طول حدودها معها ٣٠٦ كيلومترات.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) أربعة ملايين ومائة ألف إنسان، ويشكل الأفارقة ٩٩ ٪ من مجموع السكان، ولا يزيد الأوروبيون على ١ ٪ من السكان. وتصل الكثافة إلى ٥٨ شخص في الكيلو المتر المربع الواحد. وتكون زيادة السكان السنوية حوالي ٢,٥ ٪.

وتقسم البلاد إدارياً إلى أربع مقاطعات وهي:

١ ـ **فريتاون**: وتضم العاصمة، وشبه الجزيرة التي تقع إلى الجنوب من العاصمة، والتي كانت المستعمرة الأولى، وهي أصغر المقاطعات من حيث المساحة.

٢ ـ **المقاطعة الشمالية**: وهي أوسع المقاطعات مساحة، وأكثر سكانها من أفراد قبيلة (التمني).

٣ ـ **المقاطعة الجنوبية**: وقاعدتها مدينة (بو)، وأكثر سكانها من أفراد قبيلة (الماندي).

٤ ـ المقاطعة الشرقية: وأكثر أراضيها مرتفعة عدا منطقة (كينيما). ومدينة كينيما هي قاعدتها، ويكثر أفراد قبيلة الفولاني في هذه المقاطعة.

الصراع الإقليمي:

يقع صراع دائم بين سكان الغابة وسكان مناطق المراعي التي تحيط بالغابة، وعندما جاء الكريول وأقاموا في شبه جزيرةٍ على الساحل حدث صراع بينهم وبين الداخل، ولكن هذا الصراع يحمل المعنى العنصري أكثر من المعنى الإقليمي.

الصراع العنصري:

يوجد في سيراليون أكثر من ثلاثين مجموعة قبلية، وأهمها:

١ ـ التمني: وينتشر أفراد هذه القبيلة في الشمال، وكانوا يشكلون السكان الرئيسيين لشبه الجزيرة التي كانت نواة الاستعمار الإنكليزي في المنطقة، أو المستعمرة الأولى، عندما تأسّست مدينة فريتاون. وتبلغ نسبة أفراد هذه القبيلة ٢٥ ٪ من مجموع السكان، وللقبيلة عدة جوامع في العاصمة فريتاون، ومنها: جامع الجليل، وجامع التوحيد، وجامع كوتورود، وجامع أوب كون.

٢ ـ الماندي: وهي عدة بطون، ويعيش أكثرها في المناطق الجنوبية، وتشكل مجموعها ما يزيد على ثلث السكان، ويعيش بعض بطونها في الجنوب. وللقبيلة جامع القدوس في العاصمة، وقد بناه تجار القبيلة القادمون من غينيا.

٣ ـ الفولاني: ويطلق عليهم هنا اسم «الفولا»، ويعيش أكثرهم في الأجزاء الشرقية، وتزيد نسبة أفراد هذه الجماعة على ١٠ ٪ من مجموع السكان، وللقبيلة مسجدان في العاصمة، يحمل أحدهما اسمها.

هذه هي القبائل الرئيسية في سيراليون، وهناك قبائل كثيرة أخرى ـ كما ذكرنا ـ ومنها:

٤ ـ **الكريول**: وأُعيدوا من جزر الهند الغربية (الآنتيل) بعـد إلغاء تجارة الرقيق، ويُشكّلون ربع سكان مدينة فريتاون العاصمة، وكان الغرض من إعـادتهم اتخاذهم قـاعدةً لـلانطلاق بـالتنصير بصفتهم نصـارى، وأما المستعمـرون فيرغبـون اتخاذهم قـاعـدةً لإلغـاء تجـارة الـرقيق، ولـلإدارة البريطانية هناك. وقد اشترت لهم الحكومة الإنكليزية أرض شبه الجزيـرة الواقعة جنوب مدينـة فريتـاون من ملك قبيلة التمني آنذاك، وهـو الملك (توم)، وتعهدتهم الكنيسة والحكومة معاً، فاعتنقوا النصرانية، وأخذوا الثقافة الغربية، وتعلّموا، وهذا ما جعل لهم امتيازات واسعة في المستقبل.

٥ ـ **السوسو**: ويسكنون في شمالي السهل الساحلي، ويعملون في زراعة النخيل الزيتي، أو في الإقطاعات الأجنبية. ولهذه الجماعة مسجد في العاصمة فريتاون منذ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، ولما لم يعد يتسـع للمصلين بنت مسجدين آخرين لأن انتشار الإسلام بين أبناء هذه الجماعة قد أخذ يزداد في الآونة الأخيرة، كما أسّست ثلاث مدارس ابتدائية بجانب هذه المساجد.

٦ ـ **الليمبا**: ولهذه القبيلة مسجد في العاصمة يدعى مسجد الأمين، وبـدأت ببنائـه عام ١٣٧٠ هـ، وانتهت منـه عام ١٣٨٥ هـ، وهـو مسجد واسع، وعلى الرغم من اتساعه فقد شيدت هذه القبيلة مسجدين آخرين، كما شيدوا أربع مدارس ابتدائية في العاصمة فقط.

وتعد هذه القبيلة ثالث قبائل سيراليون من حيث العدد، وتبلغ نسبة أبنائها ١٥ ٪ من مجموع سكان البلاد.

٧ ـ **الفاي**:

٨ ـ **الكرو**:

٩ ـ **الجالينا**:

١٠ ـ **الكونو**:

١١ ـ **الكورنكو**:

١٢ ـ **اللوكو**:

١٣ ـ **الشبرو**:

١٤ ـ **الكيسي**:

١٥ ـ **الهاوسا**: وقد جاءوا من نيجيريا، ولهم مسجد وسط المدينة، بناه أحد تجار القبيلة، وهو (أحمد ترولي).

١٦ ـ **اليوروبا**: وجاءت من نيجيريا أيضاً، وتعرف هنا باسم (فوره بي)، ولها مسجد العتيق في العاصمة، ثم أقامت مسجداً آخر.

١٧ ـ **الأوكو**: ولها فرع يدعى (فولاتاون) له جامع في العاصمة يعرف باسم ذلك الفرع، وكان هذا الجامع كنيسةً، اشتراها أفراد هذه القبيلة، وحوّلوها إلى جامعٍ.

ويوجد في البلاد جالية عربية وبخاصة من الشاميين اللبنانيين الذين يزيد عددهم على الخمسين ألفاً.

لقد كان الصراع بين القبائل قوياً فيما مضى، فلما انتشر الإسلام غدا النزاع بين المسلمين والوثنيين، فمثلاً خرّب المسلمون في غينيا وجلّهم من قبيلتي الفولاني والماندينغ طبل الوثنيين في سيراليون فوقع صراع عنيف وعد المسلمون قتالهم جهاداً، وكانوا بإمرة المعلم (صوري) فطاردوا الوثنيين، واحتلوا مدن (كارينا)، و(فالابا)، و(كابالا)، و(بورت لوكو)، واستوطن كثير من المسلمين في هذه المناطق التي احتلوها.

ولما تسلّل المستعمرون الصليبيون إلى الداخل، واحتلّوا تلك الجهات أخذوا يثيرون القبائل بعضها ضدّ بعضٍ من أجل التفرقة بين السكان وإبقاء السيطرة لهم، وفي الوقت نفسه فقد قوّوا الكريول، وجعلوا لهم السيادة على غيرهم بصفتهم أعوان المستعمرين ورجالهم المعتمدين آنذاك.

وبعد الاستقلال وجد الصراع الحزبي، وتأثير المستعمرين فيه أكبر

من الصراع القبلي، حيث أنه صراع فكري، ويهدم غالباً العقيدة ما دام يسير بتوجيه المستعمرين، ومن صنعهم، ومن ضمن مخططهم، على حين أن الصراع العنصري لا يخضع إلا للعصبية العنصرية ويبقى الارتباط بالعقيدة مع المخالفة بالسير بتلك العصبية المنتنة التي يُحاربها الإسلام.

الصراع العقيدي:

يُشكّل المسلمون أكثر من ٨٠ ٪ من سكان سيراليون على الرغم من تقديم إحصاءات غير صحيحةٍ من قبل الحكومة النصرانية التي لا ترتفع عندها تلك النسبة إلى أكثر من ٣٠٪، ويبدو هذا في أن قبائل الماندي، والتمني، والفولاني، والليمبا تُشكّل ٨٣٪ من سكان البلاد وهي قبائل معظمها مسلمة إن لم نقل كلها، وأن بقية القبائل فيها نسب متفاوتة من المسلمين. وبذا تزيد نسبة المسلمين على ٨٠ ٪ من مجموع السكان.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن حكومةً نصرانيةً لا يمكنها أن تُقدّم للمسلمين ما تقدمه حكومة سيراليون إن لم تزد نسبة المسلمين على ٧٥ ٪، فالوزراء المسلمون كثيرون، والبرنامج التلفزيوني، والعطل الرسمية أيام الأعياد الإسلامية، والسماح بمغادرة الأعمال لأداء صلاة الجمعة، لم يكن ليحدث هذا كله لو لم تكن نسبة المسلمين كما ذكرنا.

ويُشكّل الوثنيون ١٠ ٪ من مجموع السكان، وهم غالباً سكان الغابات، ومن القبائل التي تعيش في المناطق الساحلية.

ويُشكّل النصارى ١٠ ٪ من مجموع السكان أيضاً، وهم من الكريول، والمستعمرين الصليبيين، وبعض الشاميين، والذين كسبتهم الإرساليات التنصيرية، ورجال الاستعمار من الوثنيين.

لا يمكن أن يكون صراع عقيدي ظاهر لارتفاع نسبة المسلمين. وإنما يأخذ شكلاً آخر هو التقاء النصارى، والوثنيين، وأصحاب الأهواء والمصالح من المسلمين ضدّ المسلمين الملتزمين، وهذا ما يشكل خطراً كبيراً ما دام

لا يحمل صفة التعصّب النصراني فلا يقاوم، ولا يلتقي المسلمون في صفٍ واحدٍ، بل يكون قسم منهم في صف الأعداء، وهم ينتمون انتماءً إلى الإسلام، وكل منهم يسعى وراء أهوائه ومصالحه، وينهج نهج المستعمرين الصليبيين في حياتهم وسلوكهم. وبهذا يضعف أمر المسلمين وتتحكّم بهم الأقلية النصرانية، وتوجّه وتعطي الإحصاءات التي تريد، وترسيخاً لهذا ظهرت التجمعات الحزبية العلمانية.

الصراع الحزبي:

في الوقت الذي بدأ فيه بعض الزعماء في سيراليون يدعون إلى قيام تنظيمٍ سياسيٍ للمطالبة بالاستقلال، حسب الطريقة الغربية حرصاً على تسلّم المناصب والوظائف العليا مكان الأوروبيين الذين سيجلون عن البلاد، ولبقاء السلطة بأيديهم بصفتهم زعماء التنظيم القائم الذي يستطيع أن يقوم بهذا الدور كانت بريطانيا نفسها حريصةً على وجود مثل هذا التنظيم الذي يضمّ أصحاب مصالح ورجال دنيا لا هدف لهم سوى أهوائهم ولا غاية لهم سوى القبض على زمام السلطة، وفي الوقت نفسه تستطيع بريطانيا معرفتهم وترويضهم واختيار المناسب لها منهم الذي يُوافق على تطبيق المنهج الذي تريده والسير في فلكها، وهذا أصلاً من ضمن سياستها وذلك خوفاً من أن يتسلّم السلطة رجال لا توافق عليهم لأنهم لا يرون رأيها أو يرون السير فيما تقتضيه مصلحة أكثرية سكان سيراليون الذين هم من المسلمين حيث لهم عقيدة ومنهج حياة تفرضه تلك العقيدة عليهم.

وتأسّس حزب الشعب السيراليوني وفاز بأكثرية مقاعد المجلس التشريعي، ونشأ أيضاً حزب الشعب الوطني منافساً للحزب الأول على طريقة ما يُعرف بالسياسة الديمقراطية، كما وجد المجلس الإسلامي، والحزب الاشتراكي، والحزب التقدمي المتحد. وأخذت كل هذه التنظيمات تُطالب بالاستقلال، وبدا أن هدفها جميعها هو انسحاب البريطانيين من سيراليون، وتسلّم أبناء البلاد السلطة. دون أن يكون هناك

أية إشارةٍ إلى منهج الحياة، ولما كان الهدف واحداً لذا لا يمكن أن يكون هناك صراع لذا شكّلت تلك التنظيمات جميعها جبهةً واحدةً تطالب بالاستقلال، وألّفت وفداً واحداً سافر إلى لندن للمفاوضة وعندما عاد الوفد شكل حكومةً ائتلافيةً، ووجدت بريطانيا راحةً في هذا الوفد ورجال الأحزاب إذ أنهم جميعاً ذات تطلعاتٍ إلى السلطة فقط، ويمكنها تنفيذ مخططاتها عن طريقهم.

وكان انسحاب بريطانيا في ١٢ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ (٢٧ نيسان ١٩٦١ م)، وقامت حكومة من أبناء البلاد حسب مفهوم ما يعرف بالوطنية، وحصل حزب الشعب الوطني السيراليوني فيها على نصيب الأسد، ولم تتسلم الأحزاب الحكم حتى بدأ الصراع فيما بينها، وتشكل حزب المؤتمر الشعبي العام من أعضاء تركوا حزب الشعب الوطني مغاضبين له لأنهم لم يحصلوا على ما كانوا يرغبون فيه، أو اقتنعوا أن حقّهم قد هُضم، ظلمهم رفاقهم في الحزب، وانضم إليهم أعضاء كانوا أيضاً في الحزب التقدمي المتحد. وأخذ الحزب الجديد بمعارضة الوزارة واتهامها بالتفاهم التام مع بريطانيا الدولة المستعمرة.

وفاز حزب المؤتمر الشعبي العام بانتخابات ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وتسلّم الحكم ولكن في اليوم نفسه قام الجيش والشرطة بانقلاب أعقبه بعد يومين انقلاب مضاد وتشكل مجلس وطني إصلاحي، ولكن ما مرّ عام أو أكثر بقليلٍ إلا وقام انقلاب ثالث، وشكّل حركةً ثوريةً سلّمت السلطة للمدنيين فكانت حكومة من حزبي المؤتمر الشعبي العام، وحزب الشعب الوطني السيراليوني.

لم يشترك حزب الشعب الوطني السيراليوني بالانتخابات التي جرت عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، ولا بالانتخابات التي جرت بعد عامين، وبقي حزب مؤتمر الشعب العام وحده في الساحة. ثم عاد فشارك حزب الشعب الوطني السيراليوني في انتخابات عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) غير أنه فشل،

وادّعى أن الانتخابات لم تكن نزيهة وإنما رافقتها التهديدات إضافةً إلى ما وقع من عمليات تزوير. ولما بقي حزب مؤتمر الشعب وحده دون معارضة وضع دستوراً يقوم على الحزب الواحد، ويمنع التعددية الحزبية. وهكذا بقيت الحياة السياسية دون منافسة، ولا معارضة، ولا صراع، وانطلق قادة الحزب الوحيد الحاكم يرعون في السلطة كالسوائم فكثرت الفضائح المالية والاقتصادية وعانى الشعب الكثير منها، حيث لم يكن هناك رادع إيماني، ولا وازع ديني.

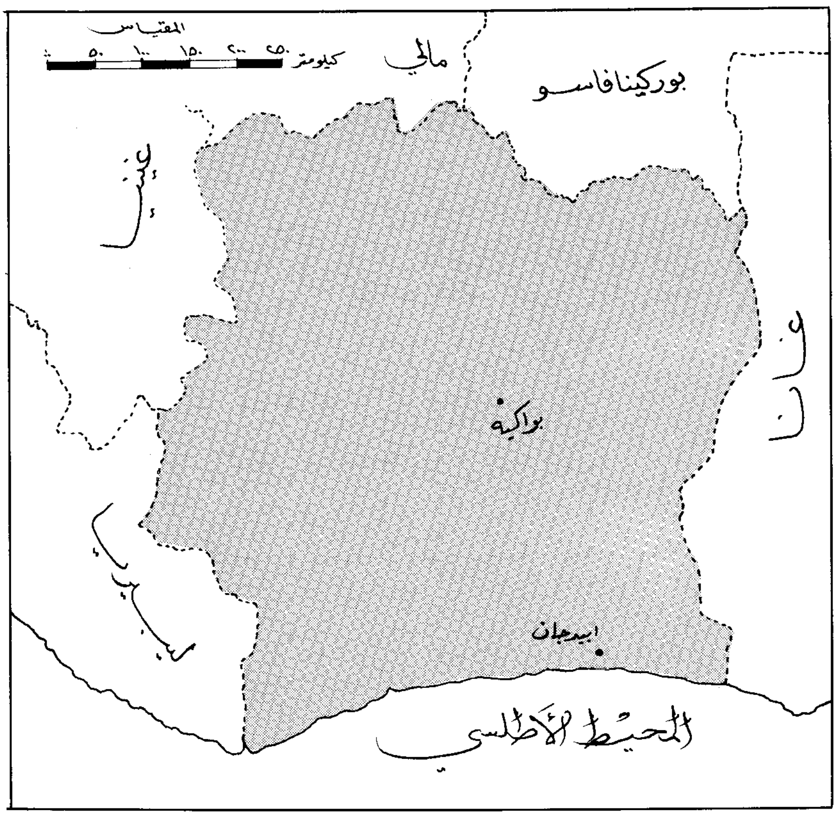
بدأت المطالبة بالتعددية الحزبية، ولكن رفضت هذه المطالبة، وانتقدت بشدة. ولكن إن لم توجد تنظيمات سياسية لها صفة الرسمية والاعتراف بها إلا أنها توجد بالواقع بصفة سريةٍ منها:

١ ـ حركة التجمع السيراليوني: ويمارس نشاطه في لندن.
٢ ـ حزب التجمع الوطني: ويقوده الرئيس السابق «أندرو جاكسون سميث»، ومقره الولايات المتحدة.
٣ ـ الحزب الديمقراطي السيراليوني: ويمارس النشاط من لندن.

وهذه الأحزاب تعارض نظام حكم الحزب الوحيد المعترف به رسمياً، والحاكم في سيراليون «حزب مؤتمر الشعب العام» الذي يقوده الرئيس الحالي «جوزيف سعيدو مومو»، وقد تأسس عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م).

الباب الثامن

سَاحِل العَاجْ


المقياس
كيلومتر
مالي
بوركينافاسو
بواكيه
ابيدجان
المحيط الأطلسي

المصور رقم [٨]

لمحة تاريخية قبل إلغاء الخلافة

انتشر الإسلام في المناطق الداخلية من ساحل العاج أيام كانت جزءاً من الممالك الإسلامية التي قامت في الداخل، وخاصةً مملكة مالي الإسلامية التي قامت في النصف الأول من القرن السابع الهجري، واستمرّ انتشار الإسلام حتى وصل إلى الساحل، وبنى المسلمون مساجد هناك، وكانوا يدعون فيها إلى خليفة المسلمين، وتعود بعض الوثائق إلى أيام السلطنة العثمانية حيث كانوا يدعون إلى السلطان محمد الفاتح العثماني، ويطلبون من الله رعايته وحماية عاصمته، ومن المعلوم أن محمد الفاتح قد دخل القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) وحوّل اسمها إلى استانبول أي مدينة الإسلام، وجعلها عاصمة السلطنة.

ووصل التجار العرب إلى الساحل، وأطلقوا على الشاطىء حيث توجد بعض الصخيرات تشبه بما فيها من تراجع الشفاه الضاحكة «البسّام العظيم».

ووصل المستعمرون الصليبيون إلى سواحل المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وأخذوا يبنون المراكز التجارية لهم على الشاطىء، وكان تجار الداخل الإفريقيون يجمعون عاج الفيل (الأنياب)، وينقلونها إلى الساحل، ويعرضونها للبيع على شكل أكوامٍ، فيأتي المستعمرون الصليبيون، ويشترون منها، لذا أطلقوا على شاطىء المنطقة اسم «ساحل العاج» وعمّ هذا الاسم، وساد حتى صار علماً على تلك المنطقة.

وفي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وصلت قبائل «أشانتي» و«آغنـي» من الشرق، واستقرّت في جنوبي منطقة ساحل العاج، وأسّست ممالك لها هناك. أما القسم الشمالي فقد كان جزءاً من مملكة «الموسي» الوثنية رغم انتشار الإسـلام، التي أسلم حاكمهـا في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (حوالي عام ١٨٥٠ م)، وأطلق على نفسه اسم «أبو بكر»، وأصبح سلطانه ضمن مملكة «فوتاجالون» التي أسّسها «ساموري توري»، ولما هُزم ساموري توري عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) التجأ إلى هذا القسم من ساحل العاج فقبض عليه الفرنسيون، ونفوه إلى الغابون، وبقي هناك حتى توفي عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م)، ودخل المستعمرون الصليبيون من الفرنسيين هذا الجزء لأول مرةٍ.

أما الجزء الجنوبي من ساحل العاج فقد فرضت فرنسا الحماية عليه بموجب اتفاقيةٍ عقدتها مع ملك «آغنـي» عام ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م). ولما سيطرت على القسم الشمالي ضمّته إلى الجزء الجنـوبي عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) وجعلتهمـا مستعمرةً فـرنسيةً، ثم جـزءاً من إفـريقيـة الغـربيـة الفرنسية.

وفي الحرب العالمية الأولى جنّدت فرنسا ما استطاعت تجنيـده من سكان البلاد، وساقتهم إلى ساحات القتال.

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ - ١٤ صفر ١٣٨٠ هـ
٣ آذار ١٩٢٤ - ٧ آب ١٩٦٠ هـ

ضمّت فرنسا جزءاً من فولتا العليا إلى ساحل العاج في ٥ رمضان ١٣٥١ هـ (١ كانون الثاني ١٩٣٣ م) وذلك عندما أرادت إزالة فولتا العليا بعد ثورة المسلمين فيها، ثم عادت فشكّلت فولتا العليا، وانتزعت من ساحل العاج ما سبق أن ضمّته إليه وذلك في ١٩ صفر ١٣٦٧ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٤٨ م).

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت دولة ساحل العاج ضمن الاتحاد الفرنسي، وانتخبت أول جميعةٍ وطنيةٍ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م). وبعد عشر سنواتٍ تشكّلت فيها أول حكومةٍ تتمتع بالاستقلال الذاتي.

وجاء ديغول إلى حكم فرنسا عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) وفكّر بالحفاظ على مستعمرات فرنسا فيما وراء البحار، فعرض دستوره، وأعطى لكل إقليمٍ حرية الموافقة على هذا الدستور أو رفضه، وإن كان الأمر لم يخل من ضغوطٍ، ووعودٍ، وتهديداتٍ، فالإقليم الذي يُصوّت سكانه بالموافقة على هذا الدستور يصبح عضواً في مجموعة الشعوب الفرنسية، ويُشكّل حكومةً محليةً تتمتع بالاستقلال الداخلي، على أن تكون السلطة المركزية لفرنسا في الدفاع، والاقتصاد، والشؤون الخارجية، كما يمكن أن يتمّ اتحاد بين إقليمين أو عضوين في المجموعة الفرنسية، أما الأقاليم التي يرفض

الدستور الديغولي، فتُعطى الاستقلال التام، ولكن تقطع عنها فرنسا مباشرةً كل معونةٍ فنيةٍ، أو ماديةٍ، أو إداريةٍ.

وعندما طُرح دستور ديغول صوّت السكان بساحل العاج، إلى جانبه، ومعنى ذلك أن الإقليم سيحصل على الاستقلال الداخلي، وتمّ هذا في جمادى الآخرة ١٣٧٨ هـ (كانون الأول ١٩٥٨ م). فأعلنت في البلاد الجمهورية ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية، وشكّل «فيلكس هوفويه بوانييه» الحكومة.

كان في إفريقية الغربية الفرنسية حزباً وحيداً هو «حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي»، وكان له فرع في كل إقليمٍ من أقاليم تلك المجموعة، وكان زعيمه من ساحل العاج، وهو فيلكس هوفويه بوانييه، وقد تأسّس هذا الحزب إثر الحرب العالمية الثانية. فلما انفصلت بعض الأقاليم، واستقلت عن المجموعة الفرنسية مثل غينيا. أصبح كل فرعٍ للحزب في الأقاليم المختلفة حزباً خاصاً في إقليمه، وعُرف هذا الحزب في إقليم ساحل العاج باسم «الحزب الديمقراطي لساحل العاج»، ثم تطوّرت البلاد، وحصلت على الاستقلال التام في ١٤ صفر ١٣٨٠ هـ (٧ آب ١٩٦٠ م).

الفصل الثاني

الاستقلال

١٤ صفر ١٣٨٠ هـ - ......

٧ آب ١٩٦٠ م - ......

بعد الاستقلال أصبحت دولة ساحل العاج عضواً في الأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٢٠ أيلول ١٩٦٠ م)، ووضع دستور جديد للبلاد بتاريخ ١١ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٦٠ م)، وجرت انتخابات الجمعية الوطنية التي تألفت من خمسةٍ وثمانين عضواً، وعقدت الجمعية أول جلساتها بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٠ م) وكان أعضاؤها جميعاً من أعضاء حزب التجمع الديمقراطي، وفي التاريخ نفسه انتخب زعيم الحزب «فيلكس هوفويه بوانييه» رئيساً للجمهورية. وغدا حزب التجمع الديمقراطي لساحل العاج هو الحزب الحاكم، والوحيد، فلا معارضة.

ومع أن أكثرية السكان من المسلمين إلا أن الوظائف كانت من اختصاص النصارى الذين تلقّوا تعليمهم في مدارس الإرساليات التنصيرية، تبعاً للسياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا في مستعمراتها كلها، واتبعها المستعمرون الصليبيون جميعاً، ومن هذه السياسة أن فرنسا امتنعت من فتح المدارس في الجزء الشمالي من البلاد الذي يغلب عليه الطابع الإسلامي، فما كان على المسلمين إلا أن يلتحقوا بمدارس الإرساليات التنصيرية أو يبقوا في ظلامة الجهالة، ففضلوا الجهل عن التخلي عن العقيدة. كما أن

مدارس الدولة لم تكن جيدة من حيث البرامج والتوجيه بل سيئة، وعلى كلٍ فهي أقلّ سوءاً من مدارس الإرساليات التنصيرية على اختلاف أنواعها وكنائسها.

ولم يكن يسمح بتعليم اللغة العربية أول الأمر حتى في الكتاتيب الملحقة بالمساجد أو في المساجد نفسها. وتتوقّف نهضة البلاد على إعمار القسم الشمالي من ساحل العاج بعد إهماله كلياً، مع أنه يُشكّل جزءاً مهماً من البلاد.

واحتفظت ساحل العاج بعد استقلالها بروابط وثيقة مع فرنسا، والسياسة الخارجية للبلاد تسير بصورةٍ عامةٍ في فلك المعسكر الغربي.

وأسهم المعدل المرتفع للنمو الاقتصادي في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، وكذلك الدعم القوي من جانب فرنسا من استقرار النظام، وحصلت قلاقل سياسية متفرقة من غير قيادات. وتم اكتشاف مؤامرتين عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) تمثّلان بوضوح اتجاه الشباب الثوري، واستياء الشماليين من سيطرة الجنوبيين على الحكومة، وضعف الجيش لتقليل نسبة الخطر الذي قد يأتي من التدخل العسكري، وقد استجابت الحكومة لبعض الانتقادات وأخذتها بعين الاعتبار فبدأت بتنفيذ سياسة التنمية الإقليمية، وزيادة الإدارة المحلية للمشروعات التجارية.

كان رئيس الجمهورية يشغل إضافةً إلى منصبه رئاسة حزب التجمع الديمقراطي لساحل العاج، ووزارة المالية، والدفاع، والزراعة. وأعيد انتخابه للمرة الثالثة بتاريخ ٦ شوال ١٣٩٠ هـ (٤ كانون الأول ١٩٧٠ م) وسيبقى لمدة خمس سنواتٍ أخرى. ومعروف عنه وعن أمين عام حزبه «فيليب باسي» أنهما من أتباع السياسة الغربية، ومن مؤيدي فكرة الحوار مع كلٍ من حكومة جنوبي إفريقية العنصرية، والحكومة البرتغالية التي كانت تستميت في قتالها ضد الوطنيين الإفريقيين في أنغولا، وموزامبيق، وغينيا ـ بيساو وباقي مستعمراتها.

أعاد الرئيس تشكيل الوزارة عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) فاستبدل وزراء المالية، والاقتصاد، والتخطيط، والشؤون الخارجية، ثم أصدر قانوناً لمحاربة الفساد التجاري من احتكارٍ، وتلاعبٍ بالأسعار.

وفي جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ (أيار ١٩٧٨ م) تساهل في سيطرة الحزب على دوائر الدولة، حيث تقرر أن يتولّى إدارة الدوائر رؤساء بلديات يتم تعيينهم بالانتخاب عدا مدينتي أبيدجان، وبواكيه بعد أن كان الحزب هو الذي يتولّى اختيار رؤساء البلديات.

وفي أوائل عام ١٤٠١ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٠ م) جرت انتخابات الجمعية الوطنية، ولأول مرةٍ سُمح لأكثر من مرشحٍ بالتنافس على مقعدٍ واحدٍ. ومن قبل كان يختار الحزب المرشح ولا يسمح بمنافسٍ له.

وفي شهر صفر ١٤٠١ هـ (كانون الأول ١٩٨٠ م) بدأت سلسلة من المظاهرات شارك فيها الطلاب، والمجموعات المهنية، واستمرت أكثر من سنتين، وأشرف على تنظيمها المدرسون المحتجون على سحب حقوق السكن المجاني، وأيّدها أعضاء في نقابة الأطباء، وانتهى الإضراب بقرارٍ من رئيس الجمهورية دعا فيه بالعودة إلى العمل، وتمّ طرد وزيرين للتربية والتعليم من الحكومة.

وقامت الحكومة عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) باتخاذ تدابير ضدّ الفساد، وسجنت عدة موظفين حكوميين في قطاع إسكان الدولة بعد أن اتهمتهم بسوء الإدارة.

وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) رفع المصرف الوطني للتنمية الزراعية قضيةً إلى المحكمة بشأن ديونٍ بمبلغ ٥٨ مليون دولار أمريكي ضدّ شركة (كوجكسيم)، ورئيسها عمدة العاصمة أبيدجان «عمانويل ديولو»، وهي شركة تختص بتصدير الكاكاو، والبن، وانتشرت الشائعات، فهرب عمانويل ديولو إلى بلجيكا في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م)، ثم

صدر عفواً عنه بعد ستة أشهر، وأخيراً عاد إلى ساحل العاج في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م).

جرى تعديل وزاري في صفر ١٤٠٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٣ م) نقص فيه عدد الوزراء من ٣٥ وزيراً إلى ٢٨ وزيراً في محاولة لخفض النفقات الإدراية. وقد صادق المؤتمر العادي الثامن للحزب الديمقراطي لساحل العاج المنعقد في أبيدجان على تبنّي تعديلٍ دستوريٍ يضغط فيه منصب نائب رئيس الجمهورية، ويسمح لرئيس الجمعية الوطنية التأسيسية بتولّي مهمة رئيس الجمهورية بصورةٍ موقتةٍ عند خلو منصب الرئاسة. وبعد شهرٍ أُعيد انتخاب الرئيس «فيلكس هوفويه بوانييه» للمرة السادسة.

وجرت انتخابات بلدية وتشريعية في ربيع الأول ١٤٠٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٥ م)، وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) أُعيد انتخاب «هنري كونان بيديه» لرئاسة الجمعية الوطنية التأسيسية.

وجرى تعديل وزاري في ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) ارتفع عدد الوزراء إلى أربعين وزيراً استجابةً للارتياح الواضح من انحسار الأزمة الاقتصادية في البلاد.

وعلى الرغم من أن الدستور في ساحل العاج يسمح بتعدد الأحزاب إلا أنه لم يحقق أي تجمعٍ للمعارضة حتى الآن الاعتراف الرسمي، والحكومة مستمرة بالتعامل بحزم مع الانشقاق أو المعارضة الواضحة. ففي مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م)، اعتقل ثلاثة أعضاء من اتحاد المدرسين عقب انقسامٍ في الاتحاد، واختلافٍ على نقل وتوزّع القيادات، وأُلقوا في السجن بعد إدانتهم بجريمة الاختلاس، بينما أرسل أحد عشر عضواً آخرون من الاتحاد إلى معسكرٍ للجيش مدةً «إعادة تربية وتثقيف»، وأخيراً تمّ الإفراج عنهم جميعاً في ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م).

وفي صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) تمّ اكتشاف مؤامرةٍ انقلابيةٍ، فطُرد بصورةٍ مفاجئةٍ وزير الشؤون البحرية «لامين فاديكا» بعد إقصائه من

مكتب رئيس أركان القوات المسلحة، وكذلك طرد أربعة مسؤولين من الحزب الديمقراطي لساحل العاج.

وفي هذه المدة عاد «لورنت غباغبو» زعيم الجبهة الشعبية العاجية، وهي حركة معارضة إلى ساحل العاج بعد ست سنواتٍ قضاها في منفاه في باريس. ولكن بعد مدةٍ اعتقل مع عددٍ من زعماء الجبهة لزمنٍ قصيرٍ.

وفي الوقت نفسه جرى تعديل وزاري نقص فيه عدد أعضاء الحكومة، واستحدثت وزارة مكافحة المخدرات.

دعا الرئيس «فيلكس هوفويه بوانييه» في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) إلى عقد سلسلةٍ من الاجتماعات في مقره، تمت فيها مناقشة مشكلات ساحل العاج السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحضر هذه الاجتماعات التي خصصت للحوار الوطني أعضاء من الحكومة، ومن الحزب الديمقراطي لساحل العاج، والرسميون الحكوميون البارزون، وكبار ضباط القوات المسلحة، ومُمثّلون عن النقابات العمالية، والمنظمات المهنية في البلاد، وفي الشهر التالي تشكّلت هيئة وطنية لفحص واستقصاء التظلّمات والشكاوى الواردة في الاجتماعات.

بقي «فيلكس هوفويه بوانييه» يُؤكّد أن التعددية الحزبية تُعيق العمل الوطني، وفرض إجراءات أمنية قاسية وشديدة حيث أمر بنشر القوات المسلحة على طول حدود البلاد في محاولاتٍ لمنع التهريب، والانتقال غير النظامي، وكذلك أمر نشر هذه القوات في المدن الرئيسية لمساعدة قوى الشرطة في مكافحة الجريمة. وفي الشهر التالي تمّ إنشاء مؤسسة اعتمادٍ ماليٍ أمنيٍ، دعت جميع المقيمين في ساحل العاج إلى المساهمة فيها بهدف تطوير وإعادة تجهيز قوى الأمن بالسلاح.

وجرى إعادة توزيع الحقائب الوزارية في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) اختفى فيها عدد من الوزراء وظهر آخرون، وانخفض العدد إلى تسعةٍ وعشرين وزيراً، وعين «موسى كوموا كوفي» وزيراً

للاقتصاد والمالية، وكان وزيراً للمالية غير أن هذا المنصب قد أُلغي، وحاز هذا الوزير على احترام وتقدير الدائنين الخارجيين لساحل العـاج، وربما كان يهدف الرئيس من هذا التغيير تأمين التمويل من المتبرعين الخارجيين وخاصةً صندوق النقد الدولي، والمصرف الدولي لمساعدة بلاده في جهود التسوية الاقتصادية.

لقد أدّى وجود أعدادٍ كبيرةٍ من الأوروبيين والشرقيين ومواطني الدول المجاورة في ساحل العاج إلى وقوع مصادماتٍ متفرقةٍ بين العاجيين وهؤلاء المقيمين، ففي عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) كان يقيم في ساحل العاج أكثر من مليـون غريب عنهـا. وكذلـك أدّت البطالـة المتـزايـدة بين خـريجي الجامعات (وهذا الأمر من ضمن همـوم ملء الـوظائف بمـواطني ساحـل العـاج) والحاجـة إلى تخفيض الإنفاق العـام لأن تتخذ الحكـومـة قـراراً لتخفيض مستـوى المساعـدة الخـارجيـة في البـلاد. وفي عـام ١٤١٠ هـ (١٩٨٩ م) كان في ساحل العاج حوالي ١٦٠٠ فرنسي متعاون بينما كان عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) أربعة آلاف.

العلاقات الخارجية:

استأنفت دولة ساحل العاج علاقاتها مع دولة اليهود في فلسطين في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) بعد انقطاع دام ثلاث عشرة سنة نتيجة الحرب بين الدول العربية وتلك الدولة المزروعة في فلسطين.

وجدّدت علاقاتها كذلك مع الامبراطورية الروسية وعدة دولٍ شرقيةٍ أخرى.

والتزم الرئيس «فيلكس هوفويه بوانييه» بسياسة الحوار بين الإفريقيين السود وبين البيض الحاكمين في دولة جنوبي إفريقية تلك السيـاسة التي عرّضته لانتقاداتٍ حادةٍ من قبل القادة الإفريقيين الآخرين. وفي ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول ١٩٨٨ م) زار رئيس دولة جنوبي إفريقية «بوتا» دولة

ساحل العاج، وكذلك لقي خلفه «دي كليـرك» حفاوةً بـالغةً من «فيلكس هوفويه» عندما التقى به زائراً لساحل العاج أيضاً.

واستمـرّ الرئيس العـاجي في عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) في جهـوده لتوطيد الحوار بين حكومة أنغولا، وحركة الاتحاد الوطني الإنغولي الإفريقي المعارضة.

وفي عام ١٤١٠ هـ (١٩٨٩ م) ادّعت حكومة ليبيريا أن قوات الثوار التي حاولت الإطاحة بالنظام القائم في بلادها قد دخلت من ساحل العاج، ولكن الرئيس العاجي قد نفى مساعدة المنشقين. وناشد الرئيس الليبيري «صموئيل دو» في منتصف عام ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) السلطات العاجية طالباً منها تأكيداتٍ بضمان سلامة نحو عشرة آلاف لاجىء فرّوا من بلاده إلى ساحل العاج في محاولةٍ للهرب من القتال الـدائر بين القـوات المسلحة الليبيرية والثوار.

وفي شعبان ١٤٠٦ هـ (نيسان ١٩٨٦ م) أعلن الرئيس العاجي رغبة البلاد بأن تُعرف دولياً باسمها الفرنسي «كوت دي فوار» وليس بترجمة ذلك الاسم، وقد قُبل هذا الطلب فيما بعد لدى الأمم المتحدة.

وكان من المتوقّع أن يقوم البابا يوحنا بولس الثاني بزيارةٍ إلى ساحل العـاج خلال عـام ١٤١٠ - ١٤١١ هـ (١٩٩٠ م) لمباركـة كاتـدرائيـة في «ياموسوكرو» تمّ إنشاؤها كما أعلن رسمياً على نفقة فيلكس هوفويه بوانييه شخصياً، بتكلفه أربعة مليارات فرنك.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة دولة ساحل العاج ٣٢٢,٤٦٠ كيلومتراً مربعاً، وتُشرف من ناحية الجنوب على المحيط الأطلسي «خليج غانا»، ويبلغ طول ذلك الساحل ٥١٥ كيلومتراً، وتجاور من ناحية الشرق غانا، ويبلغ طول الحدود بينهما ٦٦٨ كيلومتراً. ومن الشمال بوركينا فاسو وطول الحدود بينهما ٥٨٤ كيلومتراً، ومالي ويبلغ طول الحدود بينهما ٥٣٢ كيلومتراً، ومن ناحية الغرب غينيا وطول الحدود بينهما ٦١٠ كيلومترات، وليبيريا ويبلغ طول الحدود بينهما ٧١٦ كيلومتراً.

ويبلغ عدد سكان ساحل العاج حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) أحد عشر مليوناً وستمائه ألف إنسان، وبذا تكون الكثافة العامة ٣٦ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد.

واللغة الرسمية هي الفرنسية.

الصراع الإقليمي والعنصري:

يعيش على أرض ساحل العاج أكثر من خمسين قبيلةً أهمها: الماندينغ بفروعها المختلفة، الديولا، والبمبارا، والماندي، وتُعدّ لهجة فرع الديولا أكثر اللهجات شيوعاً في ساحل العاج كلها، وتعيش هذه القبائل في منطقة الشمال الغربي.

الفولاني حيث تعيش بعض فروع منها في الشمال.

والسينوفا وتعيش في الشمال أيضاً.

وهذه القبائل مسلمة بمعظمها.

وفي الشرق قرب حدود غانا تعيش قبائل أشانتي، وهي ذات أكثريةٍ مسلمةٍ أيضاً.

وتعيش في الجنوب قبائل أغني، والكرو، والكوا، وهي بأكثريتها لا تزال وثنية.

والصراع بين الشمال والجنوب كناحية إقليمية وبين القبائل كناحيةٍ عنصريةٍ إنما يحمل المعنى العقيدي، حيث كانت تعمل قبائل الشمال للتوسع جنوباً، للتجارة، والإفادة من ثروات الغابة، والدعوة فتقف في وجهها قبائل الجنوب معتصمةً في منازلها داخل الغابة الكثيفة.

وعندما جاء المستعمرون الصليبيون شجّعوا ودعموا الجنوب للوقوف في وجه الشمال، وحين تمت لهم السيطرة قدّموا أهل الجنوب من الوثنيين، وممن كسبوهم إلى ديانتهم نتيجة العمل المستمر، والإغراءات المختلفة، وعندما رحل الفرنسيون سلّموا أتباعهم السلطة، فاستمرت السياسة الإدارية والتعليمية كما كانت من قبل. وإذا اضطرت السلطة لأخذ بعض أبناء الشمال لإبعاد الجانب الإقليمي أو العنصري، فإنما يأخذون أقلّهم التزاماً، وأكثرهم تقليداً للصليبيين سلوكاً ومنهجاً في الحياة.

الصراع العقيدي:

تقدر نسبة المسلمين في دولة ساحل العاج بـ (٦٠٪)، وتشمل أكثرية أفراد قبائل الشمال، وتبلغ نسبة الوثنية (٢٨٪) وتلفّ أكثرية قبائل الجنوب، حيث توجد نسبة قليلة فيها من المسلمين، ومثلها تقريباً من النصارى. ووصلت نسبة النصرانية إلى (١٢٪)، وهي ما ربحته على حساب الوثنية، وتتناقص الوثنية باستمرار لصالح المسلمين بنسبة ٢/٣، ولصالح النصارى بنسبة ١/٣، وإن ما تأخذه النصرانية لن يكون لو لم تكن السلطة بأيديها

أيـام الاستعمار، وبعـده أيضاً. وتعني السلطة القـوة، والمال، والمنصب و. . .

والصراع الواضح في ساحل العاج إنما هو عقيدي، وقد لاحظنا أن الصـراع الإقليمي والعنصري إنمـا يحمل المعنى العقيـدي، ولمـا كـانت النصرانية هي الحاكمة والمسيطرة لذا فإن أكثر الوظائف الحساسة، والمراكز إنما هو بيد أتباعها. وكذلك فإن الإحصاءات التي تقدمها هي إحصاءات مغلوطة تحاول أن تُقلّل من نسبة المسلمين كثيراً، وتزيد من نسبة الوثنية والنصرانية.

الصراع الحزبي:

لا توجد تعددية حزبية ليكون هناك صراع أو منافسة رغم أن الدستور يسمح بذلك، غير أن الحزب الحاكم منذ الاستقلال، بل منذ وجدت دولة ساحل العاج لا يفسح المجال لظهور أحزاب أخرى، بالضغط، والملاحقة، والاتهامات، وبثّ الشائعات.

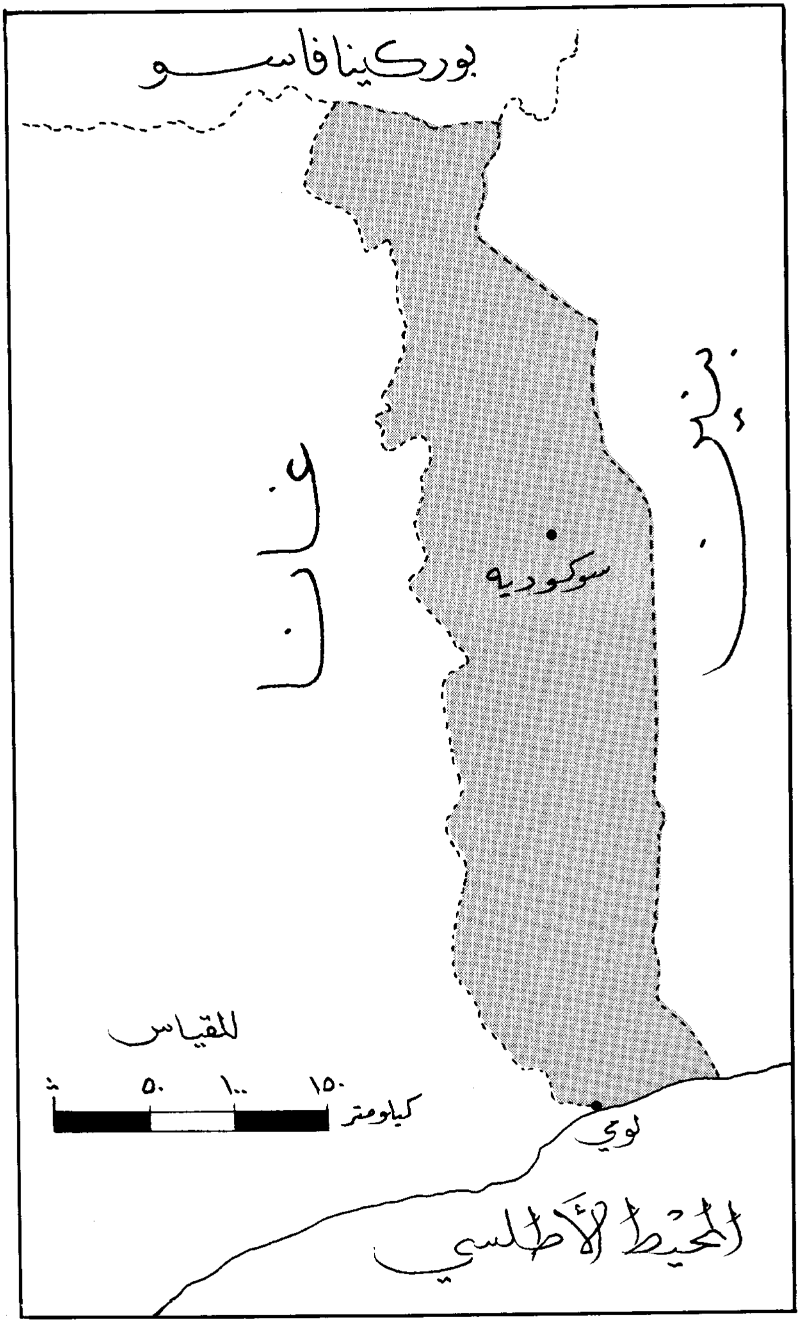
ورئيس الحزب الديمقراطي لساحل العاج وهـو الحزب الحـاكم هو الرئيس فيلكس هوفويه بوانييه، ولا يزال رأس السلطة من انتهاء الحـرب العالمية الثانية إلى الآن.

وهناك الجبهة الشعبية العاجية، وتأسست في فرنسا عـام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)، ورئيسها «لورنت غباغو»، وتعد جبهة المعارضة الرئيسية، غير أنها ضعيفة.

والحزب الجمهوري لساحل العاج، وتأسس في فرنسا عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، ويعارض الحكم، ولكن لا أثر له على الساحة السياسية.

الباب التاسع

التَّوغُّو


بوركينافاسو
غانا
بنين
سوكوديه
المقياس
١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
كيلومتر
لومي
المحيط الأطلسي

مصورة رقم [٩]

لمحة عن التوغو قبل إلغاء الخلافة

انتشرت بعض القبائل في أرض التوغو، ففي الشمال عاشت بطون من قبائل الهاوسا، والبيل، والغرما، وفي الجنوب بين الغابات وقرب الساحل عاشت مجموعات من زنوج العابي، والمينا، والواتاشي، وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تحرّكت قبيلة الإيوي من جهات النيجر، واستقرّت في جنوبي التوغو اليوم.

وانتشر الإسلام بين قبائل الشمال عن طريق التجارة، والدعاة، وبعثات دولة المرابطين، ومن بعدهم دولة الموحدين، وكان للفولانيين دور في نشر الإسلام بين قبائل الهاوسا، وعملت الطرق الصوفية عملها، وعلى طريقتها في الإقبال على الإسلام، وخاصةً الطريقة التيجانية.

وجاء المستعمرون الصليبيون عن طريق البحر حيث وصل البرتغاليون إلى شواطىء التوغو في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ثم جاء الفرنسيون، وأسّسوا مراكز لهم على تلك السواحل في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، وأخيراً جاء الألمان واستطاعوا أن يُوحّدوا بين أجزاء التوغو تحت سيطرتهم عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، واعترفت فرنسا بوضع التوغو تحت النفوذ الألماني عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، ثم اعترفت انكلترا بذلك عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م).

واندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وكان القتال شديداً بين الحلفاء الذين من بينهم الفرنسيون والإنكليز، وبين الألمان، ولم تقتصر دائرة القتال

على الأرض الأوروبية بل تجاوزتها إلى المستعمرات فدخل الإنكليز التوغو من جهة الغرب من مستعمرة غانا (ساحل الذهب سابقاً)، واحتلّوا ما يقرب من ثلث أراضي التوغو، وتقدّم الفرنسيون من جهة الشرق من مستعمرة بنين (الداهومي سابقاً)، واحتلّوا ما يقرب من ثلثي أراضي التوغو، ووضع كل فريقٍ ما احتلّ تحت سيطرته الاستعمارية، وتأكّد هذا التقسيم أو هذا الاستعمار بقرارٍ من عصبة الأمم المتحدة عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م)، ونُسبَ كل قسمٍ للدولة التي استعمرته، فيقال التوغو الإنكليزية، والتوغو الفرنسية. وطُبّقت عليهما السياسة الاستعمارية المعروفة، وحسب نوع الاستعمار القائم في البلد.

الفصل الأول

التوغو من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ٢ ذي القعدة ١٣٧٩ هـ
٣ آذار ١٩٢٤ ـ ٢٧ نيسان ١٩٦٠ م

خضعت التوغو للسياسة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية واستمر ذلك حتى انتهت الحرب العالمية الثانية، حيث وُضع الجزآن تحت الوصاية الدولية. بمعرفة الأمم المتحدة عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، وكُلّفت الدولتان المستعمرتان فرنسا وبريطانيا للقيام بهذه المهمة، إذ أُعطيت كل منهما الوصاية على ما تحت يدها من التوغو.

أجرت بريطانيا انتخابات في الجزء الذي تحت وصايتها عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م)، وتقرر إثر هذه الانتخابات انضمام هذا الجزء من التوغو إلى دولة غانا وغدا قسماً منها وانتهى الأمر. أما الجزء الذي وضع تحت الوصاية الفرنسية فقد بقي يحمل اسم «التوغو»، وصوّت إلى جانب دستور ديغول فحصل على الاستقلال الذاتي ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية.

كان في التوغو قبل الاستقلال حزبان رئيسيان هما: حزب اتحاد التوغو برئاسة «سيلفانوس أوليمبو» وحزب التوغو التقدمي. وعندما أُجريت الانتخابات بعد الحصول على الاستقلال الذاتي فاز بها حزب اتحاد التوغو، وشكل رئيسه «سيلفانوس أوليمبو» الحكومة.

ونالت التوغو استقلالها التام في الثاني من ذي القعدة ١٣٧٩ هـ (٢٧ نيسان ١٩٦٠ م).

الفصل الثاني

الاستقلال

٢ ذي القعدة ١٣٧٩ هـ ـ ......
٢٧ نيسان ١٩٦٠ م ـ ....

بعد أن حصلت التوغو على الاستقلال التام أجريت الانتخابات لتتولى الحكومة المُمثّلة للشعب مهمة إدارة البلاد الحرة، غير أن حكومة حزب اتحاد التوغو القائمة لم تقبل أي مرشحٍ للانتخابات من الأحزاب الأخرى، واكتفت بمرشح حزبها الذي حصل بطبيعة الحال على مقاعد المجلس الوطني كلها، وبالتالي فاز زعيم الحزب «سيلفانوس أوليمبو» بمنصب الرئاسة، وتقلّده عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م).

وفي ١٨ شعبان ١٣٨٢ هـ (١٣ كانون الثاني ١٩٦٣ م) وقع انقلاب عسكري، وقُتل الرئيس «سيلفانوس أوليمبو» وتسلّم رئاسة البلاد مكانه عديله «نيقولا غرو نيتزكي»، الذي كان يُقيم بالمنفى باختياره في الداهومي، وأمر بإجراء الانتخابات العامة، وسمح للأحزاب كلها بالمشاركة فيها على قدم المساواة، وإثر الانتخابات فاز بالرئاسة بشكلٍ قانونيٍ. واتخذ حزب اتحاد التوغو موقف المعارضة.

ومرةً أخرى في الثاني من أيام عيد الفطر ١٣٨٦ هـ (١٣ كانون الثاني ١٩٦٧ م) قامت القوات العسكرية بإمرة العميد «ايتين أياديما» بانقلابٍ لم ترق فيه دماء، وكان قد ساهم في انقلاب ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) فحُلّ المجلس الوطني، وأُلغي الدستور، وتسلّم أمر البلاد قائد الانقلاب فشكّل حكومةً مدنيةً، ثم أعلن نفسه رئيساً للجمهورية في ٥ محرم ١٣٨٧ هـ (١٤

نيسان ١٩٦٧ م) وألغى الأحزاب السياسية، وكان يعتمد في حكمه على اتخاذ القرار الشخصي دون قانونٍ يرجع إليه، ويقيد حكمه، ومن غير استشارةٍ أو مناقشةٍ. وأنشأ حزباً جديداً أسماه «حزب شعب التوغو».

وفي عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) جرت محاولة انقلاب، غير أنها فشلت، وألقي القبض على بعض أعوان الرئيس السابق «سيلفانوس أوليمبو»، وأعضاء سابقين في حزب اتحاد التوغو غير الرسمي.

قرر الرئيس «ايتين غناسينغب أياديما» في ذي القعدة ١٣٩١ هـ (كانون الثاني ١٩٧٢ م) الرجوع إلى الشعب في حكمه، فأبدى الأهالي تأييدهم له، فأبدى رغبته بالعودة إلى الحكم المدني، ولكنه جعل أفضلية الحكم للمجلس التنفيذي لحزبه «حزب تجمع شعب التوغو».

جعل الرئيس «ايتين أياديما» من نفسه الممثل الوحيد للقوات العسكرية في مجلس الوزراء في مطلع عام ١٣٩٧ هـ (كانون الثاني ١٩٧٧ م)، وجرت محاولة انقلاب فاشلة في ذي القعدة ١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م) وبعد ذلك وقعت الدولة في فتنة سياسية عمياء.

وبعد مرور ستة عشر عاماً من حرمان البلاد من هيئةٍ تشريعيةٍ جرت الانتخابات العامة في مطلع عام ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م) جُدّد انتخاب الرئيس لمدة سبع سنوات أخرى، ووُضع دستور جديد بعد اثني عشر عاماً من تعطيل الدستور.

أعلن الرئيس الجمهورية الثالثة (المرة الثالثة لتجديد رئاسته بعد مرور ثلاث عشرة سنة على حكمه) فنظّم مجلس الوزراء من جديد حيث فصل عدداً من كبار الوزراء.

اهتزّ وضع الأمن الداخلي خلال عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) حيث سُجن عدد كبير من المواطنين، وغدا الحكم محط أنظار منظمة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية.

وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) تردّت العلاقات بين التوغو والدول المجاورة لها بعد الهجوم الإرهابي على منزل الرئيس، وعلى محطة الإذاعة الوطنية إذ وجّه الرئيس أصابع الاتهام إلى جارتيه غانا وبوركينا فاسو، وأمر بإغلاق الحدود البرية معهما حتى آخر أيام عيد الفطر ١٤٠٧ هـ (أيار ١٩٨٧ م) بعد أن تردّد في اتهام غانا، وطلب بعض الجنود من فرنسا لحمايته وللدفاع عن حكمه، فلبّت فرنسا الطلب وأرسلت إليه قوةً، ولكن لم تُرابط في التوغو إلا مدةً محدودةً لا تزيد على أيام. وفي شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) طرد وزير العدل وحكم عليه بالسجن مدة سنتين.

وفي جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) أجرى الرئيس تعديلاً في الحكومة ففصل ثلاثة وزراء منها، وفي الشهر نفسه عاد فطرد وزير التجارة والمواصلات، وأمين عام اتحاد التجارة الوطني لاتهامهم باختلاس أموال الدولة.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) أُفرج عن وزير العدل السابق، وفي الشهر نفسه أفرج عن المخالفين للنظام بمناسبة مرور ثلاث وعشرين سنة على استلام الرئيس للسلطة، ثم أعقب ذلك الإفراج عن أربعمائة وأربعين سجيناً، وأعلن بعدها عن مراجعة النظام ومعاملة أعضاء الحزب الحاكم.

وفي رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م) ارتفع عدد أعضاء مجلس الوزراء إلى تسعة عشر عضواً، وفي الشهر التالي جرت انتخابات المجلس الوطني.

ساءت العلاقات السياسية بين التوغو وبين جارتيها غانا وبنين، وأغلقت كلتا الدولتين حدودهما لمكافحة التهريب، والنشاط السياسي الذي يمارسه المنفيون عن وطنهم.

وفي ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (كانـون الأول ١٩٨٤ م) تمت الاتفاقيـة الأمنية بين كل من التوغو، ونيجيريا، وبنين، وغانا. وتحسنت العلاقة مع غانا بعد زيارة الرئيس الغاني اللواء الطيار «جيري راولينغس» إلى التوغو في ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (حزيران ـ ١٩٨٨ م)، وفي منتصف عام ١٤٠٩ هـ (مطلع ١٩٨٩ م) تمّ طرد مائة وثلاثين من مواطني غينيـا الموجـودين في التوغو.

وتحسّنت العلاقة مع بوركينا فاسو بعد طرد الرئيس «توماس سانكارا» عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٧ م).

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة التوغو ٥٦,٧٩٠ كيلومتراً مربعاً، وتشرف على المحيط الأطلسي من ناحية الجنوب بساحل طوله ستة وخمسون كيلومتراً، ويبلغ طول حدودها البرية ١٦٤٧ كيلومتراً منها: ٨٧٧ كيلومتراً مع غانا في الغرب، و٦٤٤ كيلومتراً مع بنين في الشرق، و١٢٦ كيلومتراً مع بوركينا فاسو في الشمال.

ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م).

الصراع العنصري:

يعيش في التوغو عدد كبير من القبائل منها:

أ ـ **في الجنوب**: الإيوي، والواتاشي، والمينا وتتحدث كلها لغة الإيوي أو تتفاهم فيما بينها بهذه اللغة.

ب ـ **في الشمال**: الهاوسا، والغرما، والبيل، وتعدّ لغة الهاوسا الجامعة فيما بينها. هذا بالإضافة إلى بعض جماعات الفولاني و. . .

وفي التوغو ما يزيد على ١ ٪ من مجموع السكان من الأوروبيين والشاميين.

وكان الصراع بين قبائل الشمال والجنوب قديماً فالشماليون يريدون التوسع نحو الجنوب للتجارة، والاستثمار، والدعوة، وقبائل الجنوب تقف

في وجههم، وتصدّهم حفاظاً على ديارها، وعلى البقاء في عزلتها، وكراهيةً للغرباء عنها.

ولما جاء المستعمرون الصليبيون أذكوا نار هـذا الصراع للحدّ من انتشار الإسلام نحو الجنوب.

الصراع العقيدي:

تعـد قبائل الشمال مسلمةً إذ أن أكثر أفرادها يدينون بالإسلام على حين تُعدّ قبائل الجنوب وثنيةً حيث أن أكثر أبنائها لا يزالون على البدائية حياةً وعقيدةً، وقد اعتنق بعضهم النصرانية تحت تأثير المستعمرين الصليبيين مصلحةً، وإغراءً.

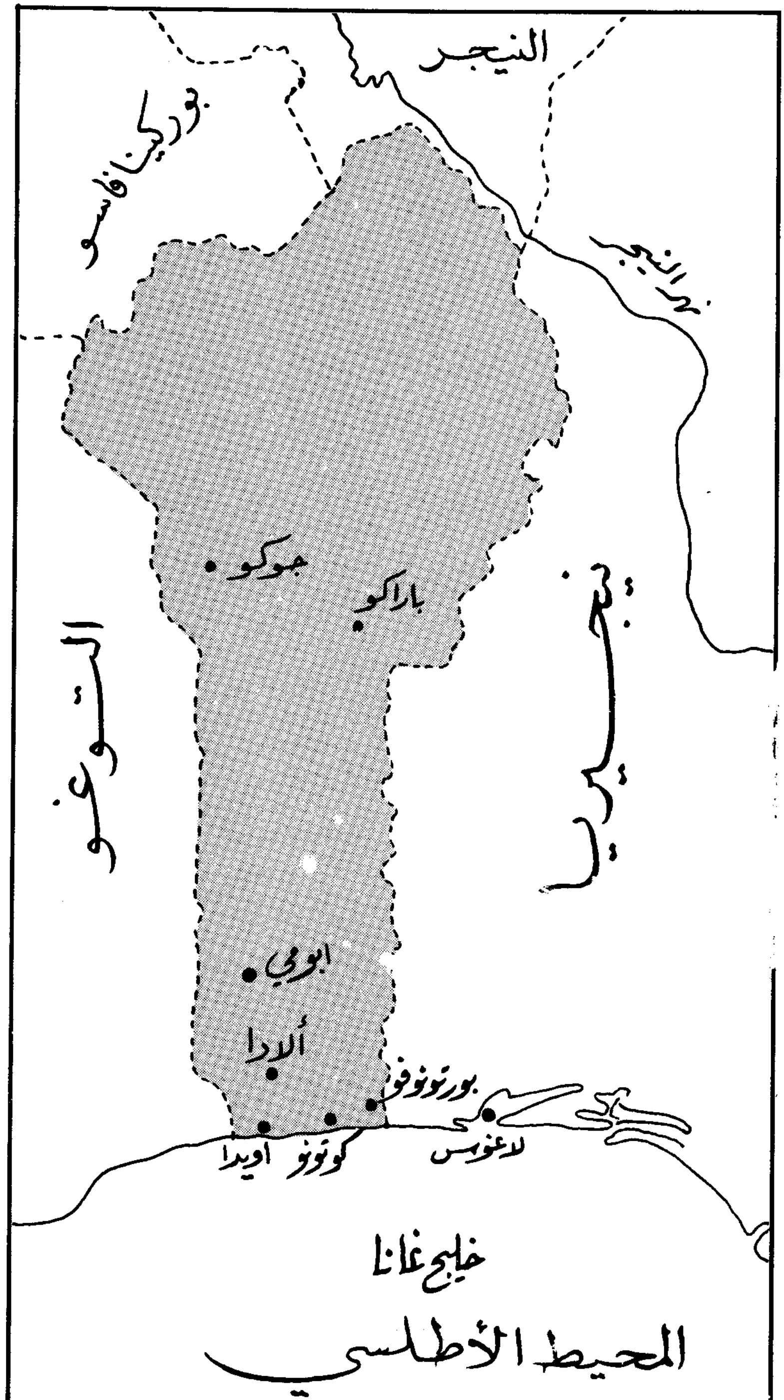
تبلغ نسبة المسلمين ٥٥ ٪ من مجموع السكان، وتزيد هذه النسبة في الشمال وتنقص في الجنوب. ولا يزال ٣٠ ٪ من السكان على الوثنية، والباقي وهو ١٥ ٪ من النصارى الذين اعتنقوا هذه الديانة من أبناء الجنوب، وممن جاء من الأوربيين، وبعض الشاميين.

الصراع الحزبي:

كانت هناك منافسة بين الحزبين الأساسيين القائمين قبل الاستقلال وهما: حزب اتحاد التوغو، وحزب التوغو التقدمي، ثم استأثر حزب اتحاد التوغو بالسلطة وحال دون غيره من المشاركة في الانتخابات حتى قام الانقلاب الأول، وسُمح بعد مدة للأحزاب بالنشاط، ولكن لم يلبث أن قام الانقلاب الثاني عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧ م)، وحظر النشاط السياسي، وتسلّم السلطة «ايتين غناسينغب أياديما»، واستأثر بالحكم، وأنشأ الحكم، ولا يزال الأمر إلى اليوم، لذا فالصراع الحزبي مفقود في التوغو.

الباب العاشر

بِنْين


النيجر
بوركينا فاسو
نهر النيجر
جوكو
باراكو
التوغو
نيجيريا
ابومي
ألادا
بورتونوفو
لاغوس
كوتونو
اويدا
خليج غانا
المحيط الأطلسي

مصور رقم [١٠]

لمحة عن تاريخ بنين قبل إلغاء الخلافة

إن تاريخ منطقة بنين القديم غير معروف، وإن وجدت بعض قطع من البرونز تدل على قيام حضارة في الماضي، والذي يعرف أن الإسلام قد انتشر في شمالي البلاد، كما انتشر في المناطق المجاورة، قادماً من الشمال مع قوافل التجارة التي تجتاز الصحراء من شمالي إفريقية حيث عمّ الإسلام إلى الجنوب حيث المناطق السودانية وسكانها من الزنوج، وكان شمالي بنين جزءاً من مملكة مالي القديمة، وتنقلت في تلك الديار قبائل الفولاني، والهاوسا والتي اعتنق كثير من أفرادها الإسلام، وعملوا على نشره، أما قبائل «بارباس» فقد اعتنقت الإسلام، ولكن لم تهتم بانتشاره. ولكن زاد انتشار الإسلام بعد الاحتلال الفرنسي إذ كان ردّ فعل ضدّ الاستعمار الصليبي، حيث انضمّ السكان إلى المقاومة التي كانت من المسلمين فأسلموا بعد أن قارنوا بين المسلمين وبين ما هم عليه من معتقداتٍ وثنيةٍ، كما قارنوا بين المسلمين وبين عقيدة المستعمرين الصليبيين فوجدوا أنفسهم قد أصبحوا مسلمين. ولم تعرف إمارات أو ممالك قامت في الشمال.

أما في الجنوب فتعيش قبائل وثنية في الغابات، وقد أسّست تلك القبائل أربع ممالك في منطقة ضيقة في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، وهذه الممالك هي: أويدا، آلادا، بورتونوفو، داهومي، وكانت الأخيرة أقواها جميعاً، وتتألف الكلمة من مقطعين هما: (دان) ويعني منزل، و(هومي) وهو اسم قبيلةٍ معروفةٍ هناك، فأصبح الاسم

يعني ديار قبيلة هومي، كما أن ملكاً لتلك القبيلة قد حمل اسم دان.

وكانت قبيلة هومي قبيلة مقاتلة شرسة، وكان بينها فرقة من النساء المدربات على القتال، وقد عرفن بالشراسة والوحشية، وحملت هذه الفرقة اسم «الأمازون»، وبلغ عدد أفرادها ثمانية عشر ألف امرأةٍ. كما أن الملك (دان) ملك القبيلة كان يأكل فريسته من البشر.

واستطاعت مملكة داهومي أن تحتلّ كلاً من مملكتي «أويدا» عام ١٢٣٦ هـ (١٧٢٤ م)، و«ألادا» بعد خمس سنوات، وبلغت هذه المملكة أوج قوتها عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) عندما بدأ حكم الملك «جيزو» والذي استمرّ مدة أربعين سنةً.

وفي عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) وقّعت فرنسا معاهدةً تجاريةً مع الملك «جيزو» الذي توفي عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م)، وخلفه ابنه «جليجل».

وفي عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) استولت فرنسا على «بورتونوفو» بعد أن استولت بريطانيا على «لاغوس» في نيجيريا، كما أن الألمان كانوا قد ثبّتوا أقدامهم في «التوغو» وأخذوا يتسلّلون إلى الداهومي، غير أنهم قبلوا أن يحصروا منطقة نفوذهم فيما عُرف باسم «التوغو» بعد توقيع معاهدة في ذلك العام بين فرنسا وألمانيا. غير أن الألمان فكروا مرةً ثانيةً في التوسّع في الداهومي، ولكن وقّعت معاهدة أخرى عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) وضعت فيها الحدود بين منطقتي النفوذ.

وفي عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) وقّعت فرنسا وبريطانيا معاهدة وضعت فيها الحدود من مستعمرة بريطانيا في الشرق، والتي عُرفت باسم نيجيريا فيما بعد، وبين مستعمرة فرنسا في الغرب في داهومي، غير أن هذه الحدود لم تثبت نهائياً إلا بعد اتفاقية عقدت عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) التي تنازلت بريطانيا بموجبها عن منطقة «كوتونو».

وفي عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) وقع الصراع بين ملك داهومي وبين فرنسا التي رغبت تطبيق سياستها الاستعمارية على بلاد الملك المذكور ما

دامت قد عقدت مع سلفه معاهدةً تجاريةً، وقد استبسل السكان بالدفاع عن أراضيهم، ولعبت فرقة «الأمازون» من النساء دوراً بارزاً في قتال الفرنسيين الذين وقّعوا مع الملك «جليجل» معاهدةً عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) استولت فرنسا بموجبها على «بورتونوفو» و «كوتونو» وخصصت له مقابل ذلك راتباً تقاعدياً شهرياً قدره ثمانمائة جنيه استرليني. ولكن توفي الملك جليجل عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م)، وخلفه ابنه «بيهانزين».

أشعل الملك بيهانزين الحرب على فرنسا مرةً ثانيةً، غير أنه هُزم، فأشعل النار في مقر ملكه، وفرّ إلى الشمال، وأخيراً اضطر إلى تسليم نفسه بعد سنتين ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، فنُفي إلى خارج البلاد.

قسّمت فرنسا ما استولت عليه إلى قسمين: أولهما «أبومي»، ونصّبوا عليه شقيق الملك بيهانزين، ثم عادوا فنفوه عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) إلى «الكونغو»، وثانيهما «ألادا» وجعلوه تحت سيطرتهم المباشرة مع باقي أجزاء المنطقة.

رُسمت الحدود بين نيجيريا وداهومي بشكلٍ دقيقٍ بعد اتفاقيةٍ بين بريطانيا وفرنسا وُقّعت عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، ثم رُسمت الحدود مع التوغو بعد اتفاقيةٍ مع ألمانيا عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م)، وأخذت داهومي شكلها الحالي تقريباً.

منذ أن وطأت أقدام المستعمرين المنطقة عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) ركّزت الإرساليات التنصيرية جهودها على التعليم خاصةً، وذلك أكثر من أية منطقةٍ ثانيةٍ في غربي إفريقية، وكان نتيجة ذلك أن وجد ١٦٣ ألف نصراني كاثوليكي، و ١٨ ألف نصراني بروتستانتي.

ووقفت القبائل الوثنية الشرسة في الجنوب أمام المدّ الإسلامي من الشمال أول الأمر، وبعدها وقف المستعمرين الموقف نفسه، وشجّعوا الوثنيين على وقوفهم في وجه المسلمين، غير أن الدعوة الإسلامية قد تمكّنت من إيجاد جماعات إسلامية في الجنوب، وأخذت تزداد مع الأيام.

أثناء الحرب العالمية الأولى احتلّت فرنسا ثلثي المستعمرة الألمانية (التوغو)، وجعلتها تحت نفوذها، فأصبحت المستعمرات الفرنسية تحيط بالداهومي، من الغرب (التوغو) ومن الشمال (بوركينافاسو) والنيجر، أما من الشرق فتحيط بها المستعمرة البريطانية (نيجيريا).

الفصل الأول

بنين من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ - ٨ صفر ١٣٨٠ هـ

٣ آذار ١٩٢٤ - ١ آب ١٩٦٠ م

استمرّت فرنسا في تطبيق سياستها الاستعمارية على شعب وأرض داهومي، وأثناء الحرب العالمية الثانية ساقت أعداداً من أبنائها إلى ساحات القتال، ودفعتهم إلى الصفوف الأولى في الجبهات، ولكن كانوا يمنون الشعوب التي يستعمرونها بالاستقلال بعد الحرب.

تشكّلت حكومة شبه مستقلةٍ في الداهومي بعد الحرب عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وبعد عشر سنواتٍ وفي شوال ١٣٧٦ هـ (أيار ١٩٥٧ م) حصلت على الاستقلال الذاتي.

وصوتت الداهومي إلى جانب دستور ديغول أي أصبحت ضمن المجموعة الفرنسية وعضواً فيها، في جمادى الآخرة ١٣٧٨ هـ (كانون الأول ١٩٥٨ م). ووضعت دستوراً لنفسها في شعبان ١٣٧٨ هـ (شباط ١٩٥٩ م)، وجرت الانتخابات في شوال ١٣٧٨ هـ (نيسان ١٩٥٩ م) لاختيار مجلس تشريعي لمدة خمس سنوات، ويتألف من سبعين عضواً. وشكّل (هيوبرت ماغا) حكومة اتحادٍ وطنيٍ.

وفي ٨ صفر ١٣٨٠ هـ (الأول من آب ١٩٦٠ م) أعلنت داهومي استقلالها التام، وأصبح (هيوبرت ماغا) رئيساً للدولة.

الفصل الثاني

الاستقلال

٨ صفر ١٣٨٠ هـ - ....

١ آب ١٩٦٠ م - ....

قُبلت داهومي عضواً في الأمم المتحدة في ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٢٠ أيلول ١٩٦٠ م)، وجرت الانتخابات في جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ (كانون الأول ١٩٦٠ م)، وفاز فيها حزب الوحدة الداهومي بقيادة (هيوبرت غاما) الذي انتخب رئيساً للجمهورية في الشهر الذي تلا الانتخابات (رجب) أي في كانون الثاني ١٩٦١ م، وتمتع بالسلطات كاملةً. وخرجت داهومي بعد استقلالها من مجموعة الشعوب الفرنسية غير أنها في الوقت نفسه وقّعت اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والفني والعسكري مع فرنسا.

وقعت اضطرابات قام بها العمال والطلاب في جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ (تشرين الأول ١٩٦٣ م) أدّت إلى قيام انقلابٍ عسكري قاده العقيد (كريستوف سوغلو) رئيس أركان القوات المسلحة، وتسلّم رئاسة الدولة مؤقتاً حتى شعبان ١٣٨٣ هـ (كانون الثاني ١٩٦٤ م) حيث جرت انتخابات فاز بها (سورو ميغان ابيتاي) الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية في عهد الرئيس (هيوبرت غاما)، والرئيس الجديد (سورو ميغان ابيتاي) من الجنوب على حين أن سابقيه من الشمال.

وعُيّن (جوستين أهوماد إغبي) رئيساً للوزراء، وهو من الجنوب أيضاً، لذلك فإن الحكم كان مرفوضاً من الشمال، وقامت اضطرابات عديدة،

وأجبر رئيس القوات المسلحة العميد (كريستوف سوغلو) رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه على الاستقالة من منصبيهما وذلك في رجب ١٣٨٥ هـ (تشرين الثاني ١٩٦٥ م)، وتشكّلت حكومة موقتة، ولكن الجيش تدخّل مرةً أخرى في شعبان ١٣٨٥ هـ (كانون الأول ١٩٦٥ م) أي لم يمض سوى شهرٍ أو أقل على الحكومة الموقتة، وشكّل العميد (كريستوف سوغلو) حكومةً عسكريةً.

أُلغي الحكم العسكري عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) فوقعت اضطرابات في القطاع الصناعي نتيجة نشاطات العمال في رمضان ١٣٨٧ هـ (كانون الأول ١٩٦٧ م) وهذا ما أدّى إلى وقوع انقلاب عسكري قاده ضباط شباب بزعامة الرائد موريس كواندته، وتشكلت حكومة عسكرية موقتة برئاسة اللواء ألفونس آليه رئيس الأركان السابق، وتسلّم الرائد موريس كواندته رئاسة الحكومة.

وفي عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) جرت محاولة لعودة الحكم المدني، ففي ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (آذار ١٩٦٨ م) جرى استفتاء حول وضع دستورٍ جديد للبلاد يرتكز على وجود رئاسةٍ قويةٍ، وفي صفر ١٣٨٨ هـ (أيار ١٩٦٨ م) جرت انتخابات للرئاسة، ومُنع القادة السياسيون من الاشتراك فيها بما فيهم الرؤساء القدامى الذين دعوا أعوانهم لمقاطعة الانتخابات، ونتيجة لذلك فإن نسبة الناخبين لم تزد على ٢٦٪ من مجموع الذين يحق لهم الاقتراع، ولكن نسبة مقاطعة الانتخابات في الشمال كانت كبيرة حيث لم تصل نسبة الناخبين إلى ١٪ فقط، وهذا ما أدّى إلى إلغاء الانتخابات.

وفي ربيع الأول ١٣٨٨ هـ (حزيران ١٩٦٨ م) عيّن النظام العسكري وزير الخارجية (إميل ديرلن زنسو) رئيساً للجمهورية، وبعد شهر أدّى الرئيس اليمين الدستورية.

وفي شوال ١٣٨٩ هـ (كانون الأول ١٩٦٩ م) وقع انقلاب عسكري بقيادة اللواء (موريس كواندته) الذي أصبح رئيساً للأركان، وتشكلت إدارة

عسكرية برئاسة اللواء (بول إميل دي سوزا).

وفي مطلع عام ١٣٩٠ هـ (آذار ١٩٧٠ م) جرت انتخابات للرئاسة لكن وقع أثناءها اضطرابات واسعة فأُلغيت الانتخابات بعدما تبين أن المرشحين الثلاثة (جوستين أهوماد إغبي) و(سور ميغان ابيتاي) و(هيوبرت غاما) قد حصلوا على نسبٍ متساويةٍ.

وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٠ هـ (أيار ١٩٧٠ م) نُقلت السلطة العسكرية إلى مجلس رئاسي مدني تشكل من ثلاثة من السياسيين بعدما تمّ الاتفاق على تناوب هؤلاء الثلاثة على الرئاسة بصورة يتسلّم كل واحدٍ منهم الرئاسة مدة سنتين، وتكون على الشكل التالي:

١ ـ هيوبرت غاما يتولّى الرئاسة من أيار ١٩٨٠ - أيار ١٩٧٢ م.
٢ ـ جوستين أهوماد إغبي يتولى الرئاسة من أيار ١٩٧٢ - أيار ١٩٧٤ م.
٣ ـ سورو ميغان ابيتاي يتولى الرئاسة من أيار ١٩٧٤ - أيار ١٩٧٦ م.

وساد الاعتقاد أنه قد جرى تنازل لصالح الشمال، حيث بدأت الرئاسة بأحد أبناء الشمال.

ووقع انقلاب جديد في رمضان ١٣٩٢ هـ (تشرين الأول ١٩٧٢ م) بقيادة الرائد (ماثيو كيركو) نائب رئيس الأركان بالقيادة المدنية الجماعية، وتشكّل نظام عسكري بإمرة الرائد المذكور، ويرتكز على تمثيل متساوٍ بين المناطق الثلاث: الشمالية، والوسطى، والجنوبية.

وتمّ تشكيل مجلس قيادة الثورة الوطني في شعبان ١٣٩٣ هـ (أيلول ١٩٧٣ م)، ثم أعلن الرائد (ماثيوكيركو) في ذي القعدة ١٣٩٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٤ م) أن البلاد ستتبع نظاماً اشتراكياً علمانياً ينبع من المبادىء الماركسية اللينينية، وغدت الدولة تشرف على النواحي الاقتصادية كافةً بما فيها المصارف وتوزيع المنتجات النفطية ثم جرت إعادة مناقشة اتفاقيات التعاون مع فرنسا.

وفي هذه الأثناء ١٣٩٤ - ١٣٩٨ هـ جرى إعداد إدارات محلية تعتمد

على نظام اللامركزية وهذا ما أدّى إلى إعادة النظر في النظام التعليمي، والقانوني من الأساس.

وفشلت محاولة انقلابية قامت في مطلع عام ١٣٩٥ هـ (كانون الثاني ١٩٧٥ م) فعملت الدولة على دمج قوات الشرطة مع الجيش، وأصبحت تُعرف باسم قوات الدفاع الوطني. وكان الذي قاد تلك العملية الانقلابية وزير الإدارة العامة والعمل بالتعاون مع بعض ضباط الجيش.

ولم تلبث الحكومة أن اكتشفت محاولة انقلابٍ أخرى في شوال ١٣٩٥ هـ (تشرين الأول ١٩٧٥ م) بقيادة الرئيس السابق (إميل ديرلن زنسو). وتشكل إثر ذلك وبعد شهرٍ من هذه المحاولة الانقلابية الفاشلة حزب (بنين الثوري الشعبي) ليكون قاعدةً للسلطة، ويُعدّ أكبر تعبيرٍ سياسيٍ عن الإرادة السياسية في البلاد. وتمّ بعد شهرٍ أيضاً تغيير اسم البلاد من (داهومي) إلى (بنين).

وفي الشهر الثاني من عام ١٣٩٧ هـ (كانون الثاني ١٩٧٧ م) قام العقيد الفرنسي (روبرت دينارد) بالهجوم على مدينة (كوتونو) الساحلية غير أن قوات الدفاع الوطني قد تمكنت من صده.

وفي رمضان ١٣٩٧ هـ (آب ١٩٧٧ م) تمت المصادقة على نظام الحكومة الإداري والذي ينصّ على إقامة سلطة عليا للدولة يُطلق عليها «الجمعية الوطنية الثورية»، وجرى اقتراع في ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٩ م) من قبل أعضاء الجمعية البالغ عددهم ٣٣٦ عضواً على قائمةٍ واحدةٍ فقط. وفي مطلع عام ١٤٠٠ هـ عقدت الجمعية الوطنية الثورية أول اجتماعٍ لها، وتقرر أن يكون (ماثيو كيركو) المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية، وفي ربيع الأول ١٤٠٠ هـ (شباط ١٩٨٠ م) تمّ انتخابه بالإجماع.

وأُطلق سراح أعضاء المجلس الرئاسي الثلاثة الذين كانوا قد وضعوا تحت الإقامة الجبرية إثر انقلاب عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) وذلك في

جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ (نيسان ١٩٨١ م)، وهذا ما أدّى إلى الشعور بانفراج في الحياة السياسية في البلاد.

وأبدت السلطة رغبتها في محاربة الفساد، وإعطاء المناصب لأصحاب الكفاءات وإبعاد غير المؤهلين، وظهر ذلك في التغييرات الوزارية التي تمّت في جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ (نيسان ١٩٨٢ م) وفي صفر ١٤٠٣ هـ (كانون الأول ١٩٨٢ م) حيث شملت هذه التغييرات أعضاء الجناح اليساري المتطرف من السلطة، وبعض العسكريين حيث أصبح أعضاء الحكومة من العسكريين قلّةً ولأول مرةٍ.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ (شباط ١٩٨٤ م) وفي اجتماعٍ غير عاديٍ جرى تعديل الدستور (النظام الأساسي)، فزاد عدد أعضاء الجمعية العمومية، وزادت مدة الرئاسة من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات، وبعد إعادة انتخاب (ماثيو كيركو) أصدر عفواً عاماً شمل عدداً من السجناء السياسيين بما فيهم رئيس الدولة السابق (ألفونس آليه).

وبعد قيام طلاب الجامعات والمدارس بمظاهرات تمّ اعتقال عددٍ كبيرٍ من الطلبة، والمعلمين، والمهندسين، والزعماء السياسيين، ولكن بعد إعادة انتخاب الرئيس للمرة الثانية أعلن أن العفو قد شملهم. غير أن منظمة حقوق الإنسان قد صرحت بأن عدداً كبيراً من السجناء السياسيين ما زالوا حتى عام (١٩٨٨ م) يُعانون ظروفاً صحيةً ونفسيةً بالغة السوء.

أعلن الرئيس (ماثيو كيركو) استقالته من الجيش ليكون رئيساً مدنياً وذلك في جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (كانون الثاني ١٩٨٧ م) وبعد شهر أجرى تغييراً على الوزارة شمل وزارات الخارجية، والمالية، والاقتصاد.

وتعاظم اهتمام ضباط الجيش بانتشار الفساد على نطاقٍ واسعٍ، ويئسوا من الإصلاحات التي تقوم بها حكومة (ماثيو كيركو) المدنية فعملوا في رجب عام ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) على إعداد انقلابٍ ضمّ عدداً من ضباط الحرس الجمهوري الذي جرى اعتقالهم فيما بعد، وعلى الرغم من

ذلك فإن الرئيس (ماثيو كيركو) لم يعترف بتلك المحاولة الفاشلة صراحةً، وذلك لأنه كان في الوقت نفسه مع وفد يُمثّل صندوق النقد الدولي في مدينة (كوتونو) لمناقشة برنامج البلاد الاقتصادي. كما أُشيع وقوع محاولة انقلابٍ فاشلة أخرى في شهر ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (حزيران ١٩٨٨ م) في الوقت الذي كان فيه الرئيس يحضر مؤتمر قمةٍ اقتصادي لمجموعة بلدان غربي إفريقية في التوغو.

وسرى نبأ وفاة (هوتنجي) في السجن، وربما كانت وفاته نتيجة التعذيب الشديد الذي تعرّض له، وكان من محامي الدفاع عن الذين تورطوا في محاولة الانقلاب الفاشلة، وفرّ (فرانسوا كويامي) مع أربعةٍ من السجناء من داخل السجن قبل تقديمهم للمحاكمة.

وطلب الرئيس (ماثيو كيركو) فتح ملفّ التحقيق في حادث معسكر (كوتونو)، وأعلن أن المعتقلين سيحالون إلى سجون مدنية عدا الذين يثبت عليهم القيام باعتداءاتٍ على أمن الدولة فإنهم سيبقون في السجن العسكري، وذلك في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م).

وكانت محكمة أمن الدولة قد حكمت على النقيب عبدالرحمٰن أمادو الضابط السابق في الحرس الجمهوري، وعلى «أحمد قاضي يوبا» وهو مواطن من موريتانيا، وذلك في رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) بالسجن لمدة عشرين سنة بعد أن ثبت لديها تورطهما في محاولة الانقلاب الفاشلة. وحُكم على ضابطين آخرين بالوضع تحت الإقامة الجبرية. وسبق كذلك أن صدر الحكم غيابياً في ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م) على (غباندامسي موداشيرو) بالسجن مدى الحياة، وفي الشهر نفسه تمّ تأجيل محاكمة باقي المتهمين لاستكمال جمع المعلومات.

وفي انتخابات الجمعية الوطنية في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) حصلت قائمة المستقلين على ٨٩,٦٪ من مجموع الأصوات، وزادت المعارضة على قائمة مرشحي الحزب الرسمي نتيجة عدم رضا

الشعب عن السياسة الاقتصادية حيث غدت الضائقة الاقتصادية مزمنة في البلاد. وتمّ إعادة انتخاب الرئيس (ماثيو كيركو) في اليوم الأول من عام ١٤١٠ هـ (٢ آب ١٩٨٩ م)، وكان المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية. وأعاد تشكيل الوزارة، فانتدب إلى وزارة التخطيط والإحصاء (روبرت دوسو)، وكان في الشهر الماضي قد دعا إلى التعددية الحزبية في بنين، وطالب بمرونةٍ أكبر في تطبيق النظام السياسي القائم. كما عُيّن (دانيال تويما) وزيراً للخارجية والتعاون الدولي، وهو أحد المقربين من رئيس الجمهورية، وأُسندت وزارة الصحة العامة إلى (رافياتو كريمو) وهي أول امرأةٍ في بنين تدخل عضواً في الجمعية الوطنية.

وفي غرة صفر ١٤١٠ هـ صدر العفو عن مائة واثنين وتسعين سجيناً ممن تورّطوا في أحداث مطلع عام ١٣٩٥ هـ (كانون الثاني ١٩٧٥ م)، وأحداث شوال ١٣٩٥ هـ (تشرين الأول ١٩٧٥ م)، وأحداث صفر ١٣٩٧ هـ (كانون الثاني ١٩٧٧ م)، بمن فيهم من يُسمّى بأتباع الحزب الشعبي الديمقراطي (الشيوعي الداهومي)، وكذلك معتقلون تورطوا في المحاولات الانقلابية وما تبعها من أحداث.

وأعلن رئيس الجمهورية أن طرح فكرة التعددية الحزبية يعني إعادة موضوع الإقليمية والقبلية وما يتبعها من صراعاتٍ ومحنٍ.

الوضع المالي:

بدأت حكومة بنين في عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) مفاوضات مع صندوق النقد الدولي والمصرف الدولي لتسهيل إعادة جدولة الديون الخارجية للبلاد، ومنح قروضٍ جديدةٍ.

وتمّ عزل خمسة وزراء عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) بتهمة عدم تمكّنهم من تصريف شؤون وزاراتهم، وأصبحت وزارتا المالية والاقتصاد وزارتين منفصلتين، وشملتا شؤون المالية، والصناعة، والطاقة. وأثارت محاولات الحكومة إرضاء الدائنين الخارجيين قلقاً بالغاً في بنين.

وقامت مظاهرات موظفي القطاع العام، والخدمة المدنية، والمعلمين، والمحاضرين في جامعة «كوتونو» في العاصمة «بورتونوفو» وفي مدينة «كوتونو» احتجاجاً على تأخير دفع الرواتب، وفي الوقت نفسه قاطع طلاب المنح والبعثات الدراسية الدراسة للسبب ذاته. وتدخّلت القوات المسلحة بالأحداث، وأعطيت لها الأوامر بفتح النار على المتظاهرين، وذلك في منتصف عام ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م)، ولكن لم ينته الشهر حتى اعتمد دفع الرواتب.

وتجمّعت المستحقات مرةً أخرى، وأثيرت فكرة تخفيضات كبيرة في الأجور في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) كجزءٍ من ميزانية التقشف، فأثار هذا الاقتراح المزيد من المشكلات.

وتمّ الاتفاق مع صندوق التنمية الدولي والمصرف الدولي على إجراء تعديلاتٍ اقتصاديةٍ وذلك في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م)، ورغم ذلك فقد تفاقمت موجة الغضب في الشهر التالي عندما ترك الموظفون في عشر وزارات أعمالهم، وأضرب المدرسون، وأعلن إلغاء العام الدراسي في المعاهد التي فيها إضراب.

وعدت الحكومة في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) بدفع جزء من رواتب المعلمين المتأخّرة، وذلك عقب ضماناتٍ بمساعداتٍ مالية كديون من عدة جهات ممولة.

استؤنفت الدراسة في أواخر ربيع الأول ١٤١٠ هـ (أواخر تشرين الأول ١٩٨٩ م)، وفي الشهر نفسه أعلن اتحاد بنين الوطني للنقابات، وهو الاتحاد الوحيد المعترف به رسمياً، أعلن قطع علاقاته مع حزب بنين الثوري الشعبي، وطالب بدفع الرواتب المستحقة للموظفين المدنيين والبالغ عددهم سبعة وأربعين ألفاً، بالإضافة إلى تعهدٍ من الحكومة بالدفع المنتظم في المستقبل.

انسحب اتحاد أساتذة الجامعات من اتحاد بنين الوطني للنقابات

لعلاقة الاتحاد الأخير الوطيدة بالحزب الحاكم. وعادت الدراسة فتعطّلت مرة أخرى في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م). بسبب فشل الحكومة بالالتزام بتعهداتها السابقة.

وفي الشهر نفسه أعلنت الحكومة أن الماركسية ـ اللينينية لن تكون الفكرة الرسمية للدولة، وأن دستوراً جديداً سيتم وضع مسودةٍ له خلال عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م).

العلاقات الخارجية:

اتهمت بنين في عدة مناسباتٍ قوى أجنبية بوقوفها خلف المعارضة في سبيل زعزعة نظام الحكم القائم، وقد تحسّن وضع بنين الدولي بعد تراخي نظام «ماثيو كيركو» عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م).

تعرّضت العلاقات بين بنين وفرنسا لمنعطفٍ حادٍ عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) بعد أن تعرض ميناء «كوتونو» لهجمة قوات من المرتزقة والمحمولة جواً، رغم أن فرنسا تعدّ صاحبة المكانة الأولى في تجارة بنين، ومقدمة المساعدات الرئيسية لها، ولكن عادت العلاقات إلى حالتها الطبيعية بين الدولتين في عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م)، واستمرت بالتحسّن فقام الرئيس الفرنسي (ميتران) بزيارة إلى بنين عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م).

وتبادلت بنين السفراء مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م). ولكن عادت العلاقات فساءت بين الدولتين عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) عندما اتهمت الولايات المتحدة حكومة بنين بالسماح لعملاء ليبيين باستخدام أراضيها قاعدةً لنشاطات تخريبية. وعلى كل حالٍ فقد أمر رئيس دولة بنين «ماثيو كيركو» رئيس البعثة السياسية الليبية بمغادرة البلاد بحجة تورّطه بنقل المتفجرات، كما أمر بإغلاق مكاتب وكالة استيراد وتصدير مدعومة من ليبيا، وكان لها علاقة بالقضية. وفُرضت قيود جديدة على دخول الليبيين إلى بنين. كما رُفض عرض ليبي بتقديم مساعدات،

الأمر الذي أعطى مؤشراً لرغبة بنين في تقييد علاقاتهامع نظام معمر القذافي في المستقبل.

وثبت من محاكمات المتهمين في محاولة الانقلاب الفاشلة التي تمت في رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) تورط مصالح ليبية في محاولة لزعزعة نظام حكم «ماثيو كيركو».

وتحسّنت العلاقات بين نيجيريا وبنين عقب اجتماع ممثلين عن البلدين عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) لبحث التعاون بين الدولتين فيما يتعلق بالحدود، وتمّ الاتفاق على أن دقة رسم الحدود سيُسهّل ضبط التهريب، والانتقال غير النظامي، كما تمّ بحث تشكيل قوة شرطة لحراسة الحدود.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة جمهورية بنين ١١٢,٦٢٢ كيلو متراً مربعاً، وتشرف من ناحية الجنوب على المحيط الأطلسي (خليج غانا)، ويبلغ طول ساحلها ١٢١ كيلو متراً، أما حدودها البرية فتقع التوغو إلى الغرب منها، ويبلغ طول حدودها معها ٦٤٤ كيلو متراً، وتحدّها من الشمال بوركينافاسو، ويبلغ طول الحدود بينهما ٣٠٦ كيلو مترات، والنيجر وطول حدودها معها ٢٦٦ كيلو متراً، أما نيجيريا فتحدها من ناحية الشرق ويبلغ طول الحدود بينهما ٧٧٣ كيلو متراً، وبذا يكون مجموع طول حدودها البرية ١,٩٨٩ كيلو متراً.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) أربعة ملايين وستمائة ألف إنسان، وبذا تزيد الكثافة على أربعين شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد.

الصراع العنصري:

تمتد بنين بين خطي عرض ٦,٢° - ١٢,٢° تقريباً شمالاً، ونتيجة هذا الموقع يسود في الجنوب المناخ الاستوائي حيث الأمطار الغزيرة، والحرارة الدائمة، والأشجار الباسقة التي تشكل غاباتٍ تتشابك أطراف أشجارها، فتقيم فيها قبائل بدائية تنعزل في أقاليمها، أما الشمال فيسود فيه المناخ السوداني ذو الصيف الماطر والشتاء الجاف، وتقلّ الغابات، وتتبعثر الأشجار، وتنتشر المراعي الطويلة، وتنتقل فيها قبائل على مساحاتٍ واسعةٍ فتتعامل مع غيرها، ويتفاعل سكانها بعضهم مع بعضٍ، ومن هنا وصل

الإسلام إلى الشمال وقبلته قبائل تلك الجهات، على حين وقفت قبائل الجنوب أمامه، وتحصّنت في غاباتها، وتصدّت له بشراستها التي عُرفت بها، وتحضّر الشمال بالتفاعل مع الآخرين، وانعزل الجنوب، وبقي على سذاجته أو بدائيته.

تتنقل في الشمال قبائل الباريباس، والهاوسا، وجاء الفولانيون ودانوا بالإسلام، وتشكل هذه القبائل ما يقرب من نصف سكان البلاد، وتعيش في الجنوب قبائل الفون، واليوروبا، والناغي، ولا يزال أكثرها على الوثنية، وإن كان بعضها قد اعتنق الإسلام، أو سار مع النصرانية، وهي أيضاً تقدر بنصف السكان أيضاً.

بدأ النزاع بين الشمال والجنوب من أجل التوغّل إلى الغابة والإفادة من خيراتها فوقفت قبائل الغابة بعنف وشراسة أمام قبائل الشمال وصدّتها، فكان الصراع إقليمياً بين الشمال والجنوب، وعنصرياً بين قبائل تلك الجهات وقبائل هذه النواحي، ثم أصبح عقيدياً بعد أن انتشر الإسلام ووقف الجنوبيون في وجهه. والواقع أن النزاع اقتصر على الجانب العقيدي لأن القبائل لم تكن لتتمايز بين بعضها بعضاً إلا بالعقيدة حيث لم يعد السكن له ذلك الدور الكبير بعد أن اخترقت الغابة.

ولما جاء المستعمرون الصليبيون حرّضوا أبناء الجنوب بصفتهم وثنيين ضدّ القبائل في الشمال، حيث يمكن التعاون بين المستعمرين والوثنيين ضدّ العدوّ المشترك، وهو المسلمون، فاشتدّ النزاع، ولما سيطر المستعمرون الصليبيون عملوا على إبقاء ذلك الخلاف، بل أشعلوا ناره، وزادوا أواره ليتسنّى لهم البقاء وإمكانية التحكّم، فإذا قرّبوا أحداً من الشمال نقم أبناء الجنوب، وإذا عيّنوا أحداً من الجنوب ثار الشماليون، واستمرّ ذلك إلى ما بعد الاستقلال حتى لعب هذا دوراً أساسياً في الانقلابات العسكرية المتكررة التي وقعت في البلاد.

واللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية، ولكل قبيلةٍ لغتها الخاصة بها.

الصراع العقيدي:

تبلغ نسبة المسلمين ٦٠٪ في بنين، وتزيد هذه النسبة كثيراً في الشمال إذ تشمل معظم قبائل تلك الجهات، الفولاني، والهاوسا، والبارياس، وتقلّ في الجنوب إذ أخذ الإسلام طريقه إلى قبائل الجنوب متأخّراً وبنسبةٍ قليلةٍ، وإن كان نصف قبائل اليوروبا أصبح من المسلمين.

وتبلغ نسبة الوثنيين ٣٠٪، وتزيد هذه النسبة في الجنوب، وخاصةً بين القبائل المنعزلة في الغابات وكلما كانت أكثر انعزالاً ارتفعت بينهم نسبة الوثنية وقلّت نسبة الإسلام، وتنخفض هذه النسبة في الشمال حتى تكاد تنعدم لسيادة الإسلام هناك.

وتبلغ نسبة النصرانية ١٠٪، وتزيد هذه النسبة في الجنوب بين القبائل الوثنية حيث استطاع رجال الإرساليات التنصيرية أن يُحقّقوا بعض النجاح للتقارب بين الفكرين في عبادة المخلوقات إذ قبل بعض الوثنيين تجسيد قوى الطبيعة التي يعبدونها في بشرٍ، كما تمكن رجال السلطة من المستعمرين الصليبيين جذب بعض أفراد الوثنيين إلى عقيدتهم بإغراءات المنصب والمادة، على حين عجز هؤلاء وأولئك مع المسلمين فاكتفوا منهم بالابتعاد عن دينهم، وقدّموهم بناءً على ذلك في الجهاز الإداري كي يظهروا بمظهر الابتعاد عن التعصّب للعقيدة. وأكثر النصارى من أتباع كنيسة الروم الكاثوليكية، وهذا الأمر طبيعي ما دام المستعمرون من الفرنسيين، وأقلّهم من البروتستانت حيث يوجد منهم في بنين ما يقرب من ثلاثمائة نصراني.

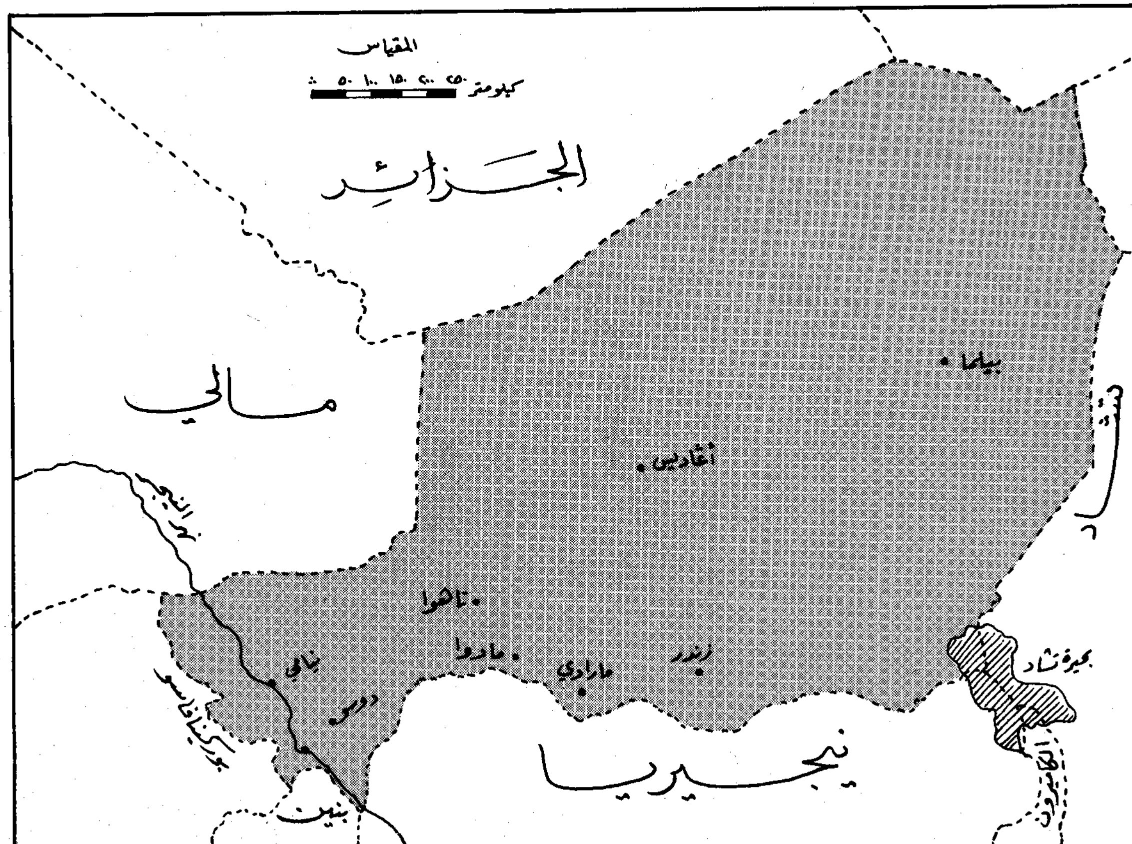
وقلنا: إن الصراع الإقليمي والعنصري قد حمل المعنى العقيدي بالواقع، واستمرّ يُمثّل النصرانية والوثنية متحدتين ضدّ الإسلام، إضافةً إلى ما كسبته السلطة من المسلمين، وإن لم يتخلّوا عن دينهم إذ اكتفى منهم المستعمرون الصليبيون بإهمال العقيدة والسير على منوالهم وحسب أسلوب حياتهم، لتقديمهم، وإعطائهم بعض المراكز حسبما تهوى أنفسهم.

الصراع الحزبي:

كان نتيجة الصراع العقيدي تلك الانقلابات المتكررة الأمر الذي أدّى إلى قيام حكمٍ عسكري يستبّد بالسلطة، ويكم الأفواه، ويحول دون الحرية في أكثر الأوقات، ويفسح هذا الحكم المجال لتمرير المخططات الأجنبية وتنفيذها دون أن يجرؤ أحد على الكلام. وفي ذي القعدة ١٣٩٥ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٥ م) تشكل حزب بنين الثوري الشعبي ليكون قاعدة للحكم ولم يسمح لغيره من التنظيمات لذا بقي الوحيد، حزب الحكام، ويستبدّ المتنفذون فيه بالسلطة كما كان يستبدّ العسكريون، لذا لم يكن صراع حزبي بالمعنى المعروف، وإنما متسلّطون، ومنتقدون بالسرّ لتصرّفات الحزبيين، وتجاوزاتهم تحت مظلة الحزب، وهذا ما يُشكّل نقمة داخلية لا يمكن الإفصاح عنها.

الباب
الحادي عشر

النَّيْجَر



المصور رقم [١١]

لمحة عن النيجر قبل إلغاء الخلافة

تمتد النيجر بين خطي عرض ١٢,٢٤°ـ ٢٣,٣٠° شمالاً، إذ يمرّ مدار السرطان من نقطة التقاء الحدود الليبية ـ الجزائرية ـ النيجرية، وبذا تشمل أرض النيجر على أجزاء من الصحراء في الشمال، وأقسام من المراعي الطويلة في الجنوب، وتعدّ الأخيرة هي المأهولة بالسكان على حين يعيش السكان في الشمال على شكل قبائل تتنقل في فيافيها، وقد توجد فيها بعض الواحات يستقر فيها جمع من الناس.

انتشر الإسلام في المناطق التي تقع شمال الصحراء، وارتحلت القوافل نحو الجنوب، واتجهت خاصةً نحو بحيرة تشاد، فنشأت على طرق تلك القوافل عدد من المراكز التجارية، أو أن أولئك الرحالة قد سلكوا طرقاً على عددٍ من الواحات ليجدوا فيها راحتهم، ويأخذوا منها حاجتهم، ويعرفوا فيها الأمن وسط تلك البيداء الواسعة، وكانت واحة «بيلما» أشهر تلك المراكز، وأهم تلك الواحات، أو أن التجار خصّوها دون غيرها بالتوجه نحوها لأنها كانت أكثر مناطق الملح شهرةً في تلك الأرجاء.

وفي القرن الخامس الهجري أخضعت قبائل الطوارق الأجزاء الشمالية إليها، وهي قبائل مسلمة، وكذلك دخلت قبائل الهاوسا إلى المنطقة، وكان أكثر أفرادها قد اعتنقوا الإسلام، وبقي بعضهم وهو القليل على الوثنية، وتمكنت هذه القبائل أن تسيطر على الأجزاء الجنوبية، ونتيجة ذلك أخذ الإسلام ينتشر على نطاق واسعٍ بين الجماعات المستوطنة هناك، وشكّل

الحكّام عدة سلطناتٍ في تلك الجهات.

وفي عام ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) سار جيش مملكة صنغاي من مدينة (غاو) بقيادة (إسكيا محمد الأول) إلى المنطقة فأخضع السلطنات فيها سواء أكانت إمارات الهاوسا في الجنوب أم إمارات الطوارق في الشمال، وتمكّن هذا الجيش من دخول مدينة «أغاديس»، وبعد مدةٍ انسحب جيش مملكة صنغاي، وعادت الإمارات إليها.

وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) بدأت جماعات الفولاني تتدفّق إلى جنوب المنطقة، وتُسيطر على إمارات الهاوسا، وتعمل على التوسّع نحو الشمال، وهي جماعات مسلمة. وفي الوقت نفسه دخلت قبيلة «غرما» مع قبائل بدويةٍ أخرى من جهة الشمال، وتمكّنوا بزعامة الطوارق أن يُقيموا تكتلاتٍ قويةٍ في هضبة «آير»، وأن يقفوا في وجه الفولانيين. غير أن «عثمان بن فودي» استطاع إخضاع إمارات الهاوسا إلى سلطانه في المدة الواقعة ١٢١٩ - ١٢٢٥ هـ (١٨٠٤ - ١٨١٠ م)، وتمكّن خلفاؤه من بعده بالاحتفاظ بهذه السلطة بصفتهم زعماء دينيين.

وفي عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) وصل إلى المنطقة المقدّم «دنهم» والملازم «كلابرتن» الموفدان من الحكومة البريطانية لمعرفة نهر النيجر، والتقيا بـ (ابن عثمان بن فودي)، ودرسا المنطقة دراسةً جيدةً.

اتفقت إنكلترا وفرنسا عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) على تعيين الحدود، واقتسام مناطق النفوذ بينهما في منطقة وسط إفريقية، وكانت منطقة النيجر من نصيب فرنسا.

أرسلت فرنسا حملةً إلى المنطقة لتسيطر عليها عسكرياً بعد أن اطمأنت إلى عدم المنافسة من بقية المستعمرين الصليبيين بل إلى دعمهم وتأييدهم ما دام التفاهم قد تمّ مع إنكلترا أكثر الدول الاستعمارية منافسةً لها، وتمكّنت الحملة من إخضاع المنطقة الجنوبية، وتابعت طريقها نحو

الشمال فلقيت مقاومةً عنيفةً وسط تلك الصحارى الواسعة والمسالك غير المعروفة لديها. غير أن التعاون الفرنسي ـ الإنكليزي في العمليات العسكرية قد خضد من شوكة المقاومة.

لقد اغتنم الطوارق فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى فأرادوا أن يتخلّصوا من النفوذ الفرنسي، وكان أحمد السنوسي في واحة «الكفرة» في ليبيا قد أعلن الجهاد ضدّ المستعمرين الصليبيين، وكان للسنوسية دور في الصحراء لا ينكر، فاشتعلت الصحراء ناراً. وقام أحد الأعيان في منطقة «العير» شمال «أغاديس» «إيكازكارزان» في «دمروغو» إقليم «طانوت»، وكان قد هاجر إلى «كانم» في تشاد مع «الكيل غرس» وهم لم يخضعوا للاستعمار الفرنسي، فدخل «العير» بجيشٍ كاملٍ مزوّدٍ بخمسمائة بندقية ومدفع، وهذا الزعيم هو (كاوسن آغ محمد)، ووصلت طلائع جيشه إلى أغاديس في صفر ١٣٣٥ هـ (كانون الأول ١٩١٦ م) فحاصرها تسعين يوماً حتى ١٠ جمادى الأولى ١٣٣٥ هـ (٣ آذار ١٩١٧ م)، واضطر بعدها للانسحاب عندما هرعت قوات فرنسية ضخمة لدعم القوات المحاصرة. تراجع نحو (العير) فقاتل هناك، ثم انسحب إلى «دمروغو» وأخيراً تقهقر نحو (كعوار) حيث وقع في فخ نصبه له قطاع الطرق، وأبيدت قوته وقُتل معها في الثالث من ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ (٥ كانون الثاني ١٩١٩ م)، وتمكّنت فرنسا من السيطرة على النيجر كاملةً عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)، وأخذت تُطبق سياستها الاستعمارية حقداً، وصليبيةً، واستعماراً.

عدّت فرنسا النيجر مستعمرةً لها، وجعلت عليها حاكماً عاماً. ثم أخذت في جمع مستعمراتها ضمن وحداتٍ كبيرةٍ ومن هذه الوحدات كانت إفريقية الغربية الفرنسية التي كانت تضم: موريتانيا ـ السنغال ـ مالي ـ غينيا ـ ساحل العاج ـ النيجر ـ التوغو ـ الداهومي ـ فولتا العليا.

الفصل الأول

النيجر من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ١٠ صفر ١٣٨٠ هـ
٣ آذار ١٩٢٤ ـ ٣ آب ١٩٦٠ م

جنّدت فرنسا سكان مستعمراتها، ومنهم أهل النيجر، وساقتهم في الحرب العالمية الثانية إلى ساحات القتال. وكانت تمنّي السكان بالأماني بعد الحرب. وانتهت الحرب ولم يتغيّر شيء إذ استمرت فرنسا في تطبيق سياستها الاستعمارية بصورها كلها، وألاعيبها جميعها.

ونصّ دستور فرنسا بعد الحرب على إيجاد مجلسٍ عامٍ في كلّ إقليم يحكم الإقليم، ويُختار أعضاؤه من بين الجمعيات الإقليمية التي يتم انتخابها. وجرت الانتخابات، ونجح الوطنيون الإفريقيون حسب المفهوم السائد، أو حسب الظاهر الذي يتراءى للعامة الذين لم يعرفوا ألاعيب الساسة، واللعب الدولية. وشكّل هؤلاء الوطنيون حكومةً تدير أمور البلاد بإشراف فرنسا.

وعرض ديغول دستوره، وجرى الاستفتاء عليه في النيجر، وانجلت النتيجة عن تأييد السكان لهذا الدستور، وحصلت النيجر بهذا على الاستقلال الذاتي، وأُعلنت الجمهورية، وشكّل «هاماني ديوري»، حكومةً جديدةً برئاسته، وأيّده الزعماء المسلمون، ورجالات حزبه المسمى «الحزب النيجري التقدمي» وذلك في جمادى الآخرة ١٣٧٨ هـ (كانون الأول ١٩٥٨ م). وكان هذا الاستقلال الذاتي ضمن المجموعة الفرنسية.

وفي ذي القعدة ١٣٧٨ هـ (أيار ١٩٥٩ م) دخلت النيجر حلفاً يضمّ: فولتا العليا، والداهومي، وساحل العاج لتنظيم السياسة الخارجية والاقتصادية لهذه الأقاليم، وكانت رئاسته دورياً، وقد تولّى رئاسته في السنة الأولى «هاماني ديوري».

أخذت النيجر تطالب بالخروج من المجموعة الفرنسية والاستقلال التام، وقد حصلت على ذلك الاستقلال في ١٠ صفر ١٣٨٠ هـ (٣ آب ١٩٦٠ م).

الفصل الثاني

الاستقلال

١٠ صفر ١٣٨٠ هـ - ....

٣ آب ١٩٦٠ م - ....

تولى «هاماني ديوري» زعيم الحزب النيجري التقدمي رئاسة الجمهورية. وانضمّت النيجر إلى الأمم المتحدة في ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٢٠ أيلول ١٩٦٠ م)، وانفصمت عرا الحلف الذي انضمت إليه بعد أن استقلت هذه الأقاليم كلها استقلالاً تاماً عن فرنسا، وانفصلت عن المجموعة الفرنسية.

أخذت السلطة في النيجر تلاحق حزب الاتحاد النيجري الوطني الديمقراطي ذي الميول الاشتراكية والمعروف باسم «سوابا» أيضاً. وبقي الحزب النيجري التقدّمي الوحيد في الساحة السياسية. وأعيد انتخاب هاماني ديوري ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) و ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وقد حافظت الحكومة على صلاتٍ وثيقةٍ مع فرنسا، واتسم الوضع بانطلاق مظاهرات بين الحين والآخر نتيجة العاطفة الوطنية، ولكن رئيس الجمهورية اكتسب مركزاً دولياً بصفته كان المتحدث الرسمي باسم إفريقية التي كانت تحت النفوذ الفرنسي الرسمي.

وقع اضطراب مدني واسع النطاق متهماً الحزب النيجري التقدمي بالفساد وخاصةً بعد ظهور كمياتٍ كبيرةٍ من المواد الغذائية المخزونة في منازل وزراء الحكومة. وأخيراً قامت القوات المسلحة بانقلابٍ

عسكريٍ، واعتقلت الرئيس هاماني ديوري، وتسلّم القائد العام للقوات المسلحة اللواء «سيني كاونتشي» منصب الرئاسة، وتشكلت حكومة عسكرية تحت إشراف المجلس العسكري الأعلى. وقد حلّت المجلس الوطني، واستبدلته بهيئةٍ استشاريةٍ هي المجلس الوطني للإصلاح، وعلّقت الدستور، وحظرت النشاط السياسي، وأعلنت أن هدفها الرئيسي هو القضاء على الفساد، والحصول على مستوى أفضل لمعالجة أحوال المجاعة التي كانت منتشرة آنذاك. ورجع إلى البلاد قائد حزب «سوابا» السابق «ديبو باكاري» والذي كان يعيش في غينيا.

كان التخطيط لاقتصادٍ سليمٍ هو شغل الحكومة الشاغل إذ كان هناك قحط شامل ١٣٨٨ - ١٣٩٤ هـ (١٩٦٨ - ١٩٧٤ م)، وأثّر على اقتصاد النيجر تأثيراً بالغاً، وفي الوقت نفسه فقد حصلت الحكومة الجديدة على انسحاب الجيوش الفرنسية من قواعدها التي كانت تحتفظ بها، كما تقلّص النفوذ الفرنسي في استغلال خامات اليورانيوم، المادة التي عملت فرنسا في التنقيب عنها عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م).

وتطوّرت علاقات النيجر نحو الأفضل مع البلدان الغربية، وفي صفر ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م) وقّعت النيجر وفرنسا على اتفاقيةٍ جديدةٍ للتعاون بينهما، وادّعت حكومة النيجر أن هذه الاتفاقية قد قضت على ذيول المشكلات المعلقة والتي كانت تعيق العلاقات بينهما.

وفي شعبان ١٣٩٥ هـ (آب ١٩٧٥ م) تمّ اعتقال قائد حزب سوابا السابق «ديبو باكاري»، ونائب رئيس المجلس العسكري، ورئيس الشركة الوطنية «غراوندنت» بتهمة التآمر للاستيلاء على السلطة. ثم ألقي القبض على أمين سر الدولة للإعلام في مطلع عام ١٣٩٦ هـ (كانون الثاني ١٩٧٦ م)، كما أُلقي القبض في ربيع الأول ١٣٩٦ هـ (آذار ١٩٧٦ م) على النقيب موسى باير، وكان قد طرد من الحكومة قبل شهرٍ، فقاد انقلاباً فاشلاً، وقد حُكم على تسعةٍ من هؤلاء المتهمين بالإعدام.

وجاء عامان من القحط، وعملت الحكومة على توسعة قاعدة المساعدات المالية. وفي ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ (آذار ١٩٧٨ م) أطلقت سراح عددٍ من السجناء السياسيين بمن فيهم من أعوان الرئيس السابق هاماني ديوري، وفي غرة جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ (نيسان ١٩٨٠ م) أطلق سراح كل من هاماني ديوري، وديبو باكاري مع الاحتفاظ بالإقامة الجبرية لهاماني ديوري.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ (نيسان ١٩٨٢ م) أُلقي القبض على أربعة عشر شخصاً في مدينة «أرليت» في الشمال، ثلاثة عشر منهم من أصحاب الأموال، واتهموا بأنهم كانوا يقومون بأعمالٍ تخريبية، وكانوا على صلة مع عبدالله ديوري قائد الجبهة الشعبية لتحرير النيجر، ولد الرئيس السابق هاماني ديوري، وهذه الجماعة تعمل سراً في معارضة نظام الحكم القائم، ويعيش قادتها في المنفى.

رفعت الإقامة الجبرية عن الرئيس السابق هاماني ديوري في رجب ١٤٠٤ هـ (نيسان ١٩٨٤ م) بموجب عفو صدر في الذكرى العاشرة للانقلاب. ولكن لم يلبث أن أُعيد اعتقاله بعد غارةٍ على المنطقة الشمالية في شعبان ١٤٠٥ هـ (أيار ١٩٨٥ م)، وذُكر أنها من أعمال فدائيي الجبهة الشعبية لتحرير النيجر.

بدأ نصيب الجيش في الحكومة يتناقص بدءاً من مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الأول ١٩٧٧ م)، حتى تسلّم رئاسة الوزارة أحد المدنيين وهو «عمارو مامين» في غرة ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ (كانون الثاني ١٩٨٣ م)، وهذا ما أثار نقمة بعض العسكريين من أصحاب الطموحات، فأخذوا يعملون في الخفاء لبقاء سيطرتهم على الوضع، واستغلّوا غياب الرئيس «سيني كاونتشي» في فرنسا لحضور القمة الإفريقية الفرنسية فقاموا بحركة انقلاب غير أن أعوان الرئيس والوزراء المخلصين له قد تمكّنوا من إحباط هذه الحركة. وفرّ من البلاد ثلاثة من البارزين الرسميين في الدولة والذين كان لهم دور في فشل الحركة بتسرّب المعلومات عن طريقهم وعدم أداء

دورهم بالشكل المطلوب، غير أنه قد تمّ اعتقال وزيرين وبعض الموظفين المدنيين للاشتباه بهم بالتورّط في هذه المؤامرة التي تمّت في صفر ١٤٠٤ هـ (تشرين الأول ١٩٨٣ م).

وفي ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٣ م) أعاد عمارو مامين تشكيل الوزارة، والذي كان منذ شهر (آب) قد عُيّن رئيساً للمجلس العسكري الذي أُعيد تشكيله، وبقي رئيساً له حتى مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) حيث خلفه حامد الغابد في رئاسة الوزراء. وفي غرة جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م) أعلن الرئيس سيني كاونتشي عن إنشاء لجنة خاصة لعمل مسودة يحدد منهج العمل الوطني.

في رمضان ١٤٠٣ هـ (أواسط عام ١٩٨٣ م) قدّمت الحكومة منهجاً أساسياً لإعادة بناء النظام وتهدف به تصحيح مسار الاقتصاد الذي أرهقه القحط الذي عمّ سنتي ١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ - ١٩٨٥ م) وإغلاق الحدود مع نيجيريا في تلك السنوات، وهذا ما أدّى إلى اعتماد النيجر على المساعدات المالية الخارجية بشكلٍ متزايد.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) انتهى وضع مسودة منهج العمل الوطني، واعتمدتها الحكومة في رمضان ١٤٠٧ هـ (أيار ١٩٨٧ م)، وأجري استفتاء شعبي لاعتمادها فصوّت بالموافقة عليها ٩٩,٦٪ من مجموع الذين أدلوا بأصواتهم في شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران ١٩٨٧ م).

قرر الرئيس «سيني كاونتشي» في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م) القيام بسلسلة من الزيارات الرسمية، وكانت أول زيارةٍ رسميةٍ له لفرنسا وعانى فيها من أصابة بشلل المخيخ، ودخل المستشفى العسكري وتوفي فيه في ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م). وقبل وفاته بساعات أصدر المجلس العسكري الأعلى قراراً بتعيين العميد «علي سايبو» قائد الجيش رئيساً مؤقتاً للدولة. وفي ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٨٧ م) أُعلن تسلّم علي سايبو رئيساً رسمياً للدولة، ورئيساً

للمجلس العسكري الأعلى. وبعد ستة أيامٍ فقط أُعيد تشكيل الحكومة، ودخلت عشر شخصيات جديدة بالوزارة بما في ذلك امرأة، وهي أول وزيرة في تاريخ النيجر.

زاد عدد الشخصيات العسكرية في مجلس الوزراء من خمسٍ إلى سبعٍ، وتمّ تشكيل عددٍ من المؤسسات الحكومية، وأطلق سراح الرئيس الأسبق هاماني ديوري من الإقامة الجبرية في منزله، ورُفع تظلم للمنفيين النيجريين الذين يرغبون بالعودة إلى بلدهم، واستقبل الرئيس كلاً من هاماني ديوري، وديبو كاباري قائد حزب سوابا. (توفي هاماني ديوري في مراكش في رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م)).

وأعلن الرئيس علي سايبو عفواً عاماً عن جميع السجناء السياسيين في ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م)، واقترح عقد مجالس محلية للقرى والأقاليم، وإنشاء لجنة للدستور. وتعهد بأن يواصل سياسة الرئيس السابق سيني كاونتشي التي تقوم على الصداقة والتعاون. وأعلن أن الجيش سيبقى مشاركاً في الحكم حتى تتمكن البلاد من تطبيق الدستور، وحتى يُعاد توزيع الحقائب الوزارية من جديد. وأُعيد تسمية عمارو مامين رئيساً للوزراء في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) وزاد عدد الوزراء العسكريين إلى عشرة وزراء، وعُيِّن وزير دولة مدني ليكون مسؤولاً عن المالية.

واجهت الحكومة النيجرية تحديات سياسية عندما قاطع طلاب جامعة نيامي الدروس لمدة اثنين وعشرين يوماً احتجاجاً على تخفيض المنح وتظلمات ثانية، وعاد الطلاب إلى دراستهم بناءً على تعهد الحكومة بدراسة طلباتهم وإنصافهم، وكان عدد هؤلاء الطلاب ثلاثة آلاف طالب.

وأُعطي المجلس العسكري الأعلى مهمة وضع مسودة للدستور في أول ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م) ثم تبنّى وثيقةً دستورية من قبل مجلس الوزراء في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م)

وأجيزت باستفتاء شعبي جرى في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م)، وحصلت على موافقة ٩٩,٢٨٪ من الأصوات الذين استعملوا حقهم في الاستفتاء.

بقي الحظر على النشاط السياسي وعلى المنظمات الحزبية مدة أربع عشرة سنة، ثم أُلغي هذا الحظر في مطلع عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م) عندما أعلن الرئيس تشكيل الحزب الحاكم الجديد وهو «الحركة الوطنية للمجتمع الواحد والتطوير» ولكن في الوقت نفسه وقفت معارضة في وجه الرئيس للعمل بالتعددية الحزبية.

تمت في ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول ١٩٨٨ م) محاكمة المتهمين بالمشاركة في محاولة الانقلاب التي وقعت في صفر ١٤٠٤ هـ (تشرين الأول ١٩٨٣ م)، وحكمت محكمة أمن الدولة على أربعة من المتهمين بالموت غيابياً، وعلى ستة عشر بالسجن، وبرأت ساحة ثمانية من المتهمين، وكان هذا الحكم قد صدر بحق المتهمين سابقاً، غير أن محكمة الاستئناف قد نقضته حتى أكدته محكمة أمن الدولة الآن. وفي خطاب ألقاه الرئيس أثناء الاحتفال بذكرى تسلّم سيني كاونتشي السلطة قبل خمسة عشر عاماً أعلن الرئيس عن عفوٍ خاص لفئاتٍ محددةٍ من السجناء.

انتخبت «الحركة الوطنية للمجتمع الواحد والتطوير» في شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) مجلساً أعلى للإرشاد الوطني ليحل محلّ المجلس العسكري الأعلى، وكان رئيسه علي سايبو المرشح الوحيد لانتخابات الرئاسة التي ستجري في وقت يتزامن مع الانتخابات للمجلس الوطني المقترح.

أجريت الانتخابات في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) وأُعيد انتخاب الرئيس علي سايبو لمدة سبع سنوات جديدة، ونال ٩٩,٦٪ من مجموع أصوات الذين أدلوا بأصواتهم، وفي الوقت نفسه كانت هناك قائمة مفردة للهيئة التشريعية الجديدة، والمرشحون جميعهم وعددهم

٩٣ مرشحاً اعتمدوا من قبل المجلس الأعلى للإرشاد الوطني، وحصلت القائمة على ٩٩,٥٢٪ من مجموع أصوات الذين استعملوا حقهم في الانتخابات. وبعد أسبوع أُعلن أن السجينين السياسيين المتبقيين يجب أن يُطلق سراحهما بمناسبة الاحتفال باستلام الرئيس علي سايبو منصبه كرئيسٍ لما سيُدعى بالجمهورية الثانية.

وأُعيد تشكيل الحكومة من جديد، وأُلغي منصب رئيس الوزراء، وفي الوقت نفسه تخلى الرئيس علي سايبو عن حقيبة وزارة الداخلية التي كان يشغلها هو بنفسه، وأعطيت لأمادو مادوغو، وهو من المدنيين، كما ألغيت وزارتان ودمجتا في بعض الدوائر.

تدخلت قوات الأمن في مظاهرات الطلبة الذين قاطعوا المحاضرات في جامعة نيامي في شهر رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م) احتجاجاً على تغييرات مقترحة لنظام التعليم، ولوضع حدّ لوظائف الخريجين في الخدمات المدنية. وأفادت التقارير أنه قد قتل ثلاثة طلاب، وجرح خمسة وعشرون طالباً نتيجة تصرف الشرطة، وكان الرئيس علي سايبو في زيارةٍ رسميةٍ خارج البلاد أثناء الحادث فأعرب عن أسفه لتدخل قوات الأمن، وأعلن عن إغلاق الجامعة والمدارس إلى أجل غير مسمى، وتعيين لجنة للطلبة.

استؤنفت المحاضرات من جديد في الجامعة، وافتتحت المدارس في وقتٍ لاحقٍ من الشهر في شعبان ١٤١٠ هـ (آذار ١٩٩٠ م)، وتمّ طرد وزير الداخلية، ووزير التعليم العالي والأبحاث التقنية، وعُيّن وزير جديد للتعليم العالي، وهذا يشير إلى أن الرئيس عنده رغبة في استرضاء الطلاب. وعُيّن علوي محاميدو وهو من الشخصيات الصناعية البارزة في منصب رئاسة الوزراء حيث أُعيد هذا المنصب، وزاد عدد ضباط الجيش في الحكومة فأصبح سبعة وزراء من الضباط. وفي الوقت نفسه قدّم العقيد أمادو سيني مايغا أمين السر السياسي للمكتب التنفيذي للحركة الوطنية للمجتمع الواحد والتطوير استقالته. وقد طرد أمادو سيني مايغا، وأمادو مادوغو من المجلس الأعلى للإرشاد الوطني.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تقع دولة النيجر وسط القارة بعيدة عن البحار، فهي دولة قارية، تبلغ مساحتها ١,٢٦٧,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً، ويبلغ طول حدودها ٥,٦٩٧ كيلو متراً، وغالباً ما تكون في الشمال مستقيمة لأنها وسط الصحراء، على حين تتعرّج نسبياً في الجنوب. يبلغ طول حدودها مع الجزائر ٩٥٦ كيلو متراً، ومع ليبيا ٣٥٤ كيلو متراً، ومع تشاد ١,١٧٥ كيلو متراً، ومع نيجيريا ١,٤٩٧ كيلو متراً، ومع بنين ٢٦٦ كيلو متراً، ومع بوركينا فاسو ٦٢٨ كيلو متراً، ومع مالي ٨٢١ كيلو متراً.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) سبعة ملايين ونصف المليون، وبذا تكون الكثافة ستة أشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد، وهي كثافة قليلة لانتشار الصحراء على نطاقٍ واسع فيها.

الصراع العنصري:

يسكن على أرض النيجر مجموعات قبلية كثيرة وأهمها:

١ ـ **الهاوسا**: ويشكل أفراد هذه القبيلة ٥٦٪ من مجموع السكان، ويتجمع أكثرهم في الجنوب على حدود نيجيريا.

٢ ـ **الغرما**: وتصل نسبتهم إلى ٢٢٪ من مجموع السكان.

٣ ـ **الكانوري**: على حدود نيجيريا.

٤ ـ **الصنغاي**: ولهم تجمعات متفرقة في الشرق، ومثلها في الغرب على مجرى نهر النيجر.

٥ ـ **الفولاني**: في الشرق، ويشكلون ٨,٥٪ من مجموع السكان.
٦ ـ **الطوارق**: في الشمال الغربي، ويشكلون ٨٪ من مجموع السكان.
٧ ـ **العرب**: في الغرب، ويشكلون ١,٢٪، ويتجمعون في منطقة الزواغ.

واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، وتسود لغة الهاوسا، والغرما. كما أن التعليم الديني، وأهل العلم إنما يتعلمون العربية من مختلف المجموعات القبلية.

ليس هناك من صراعٍ عنصري لأن الهاوسا أكثرية يصعب الدخول معهم في صراعٍ، هذا من ناحيةٍ ومن ناحية ثانيةٍ فإن أغلب القبائل مسلمة كمجموعات، وغالبية أبنائها مسلمين كأفراد، والعقيدة هي التي تقارب بين الشعوب، وعلى أساسها يتمّ التباين.

وإذا كان يحدث في الماضي البعيد صراع بين القبائل من أجل الاعتداء على الديار أو الاختلاف على مناهل المياه إلا أنه صراع على مستوى محدود. وعندما جاء المستعمرون الصليبيون حاولوا إثارة العصبية القبلية لكنهم لم يفلحوا لأن القبائل جميعها مسلمة، وهم على عقيدةٍ مخالفةٍ للمستعمرين لذا كان مخططهم الرئيسي إبعاد الشعب عن عقيدته كي يتمكنوا من اختراق الحاجز الذي يفصلهم عنهم، وباختراقه يمكنهم التغلغل إلى داخل النفوس والعبث بالأفكار، وبالتالي تحقيق الأهداف، وتنفيذ المخططات.

الصراع العقيدي:

يشكل المسلمون أكثر من ٩٠٪ من مجموع السكان، إذ أن أكثر القبائل مسلمة، ويشكل الوثنيون ٩٪، وهم بعض من بقي من القبائل على بدائيتهم حياةً وعقيدةً، وهناك ١٪ من النصارى، وهم الذين استطاع المستعمرون الصليبيون التأثير عليهم من بعض أفراد القبائل تحت عوامل الإغراءات، وتحقيق المصالح، وتأمين الشهرة المزيفة بالمنصب. فقد نجد بعض أفراد من قبيلة الهاوسا يتبعون النصرانية وكذا من غيرها باستثناء العرب والطوارق.

ولما عجز المستعمرون الصليبيون عن إثارة النزاع القبلي أو العنصري لجؤوا إلى محاولة كسب بعض العناصر والعمل على تجميعهم مع الوثنيين، ثم محاولة إبعاد بعض المسلمين عن عقيدتهم ببث فكرة العلمانيين وتجميع هؤلاء جميعاً لمقاومة المسلمين من جانبٍ، ثم التمكين لهذا الجمع بإعطائهم المراكز الحساسة في الإدارة والجيش وتسليطهم على الشعب.

وهكذا فالصراع العقيدي بين مجموعتين أولاهما الملتزمة بإسلامها، وهي مبعدة عن السلطة، مضطهدة من قبل الحكم تعيش بجهدها، وهذا ما يجعلها فقيرة، ومنصرفة إلى شؤونها، جاهلة بالأوضاع العامة غالباً، وثانيتهما وتضمّ النصارى والوثنيين والمستهترين من المسلمين، وهي صاحبة المسؤولية، وذات المكانة، والمترفة بما تناله، وبما تأخذه لا تبالي جاء بالحلال أم بالحرام، متجهة نحو السياسة لأنها تمسّها قبل كل شيءٍ وهذا ما يجعلها تعرف بعض الأوضاع العامة.

الصراع الحزبي:

إن هذا الصراع قائم في النيجر، ولكن على مستوى ضعيف حيث لم يسمح بالتعددية الحزبية إلا في وقتٍ محدودٍ، ولم تكن الظروف متاحةً بشكلٍ واحدٍ، فإما حزب بالسلطة والتنظيمات الأخرى مضطهدة، أو أنها تعمل من خارج الحدود.

ففي المرحلة الأولى كان على الساحة الحزب النيجري التقدمي، وقد تسلّم السلطة منذ بداية الاستقلال، وحصل على التأييد فأخذ بملاحقة المعارضة التي كانت تتمثَّل بحزب الاتحاد النيجري الوطني الديمقراطي «سوابا» حتى شلّه، وأخرج زعيمه ليعيش في المنفى.

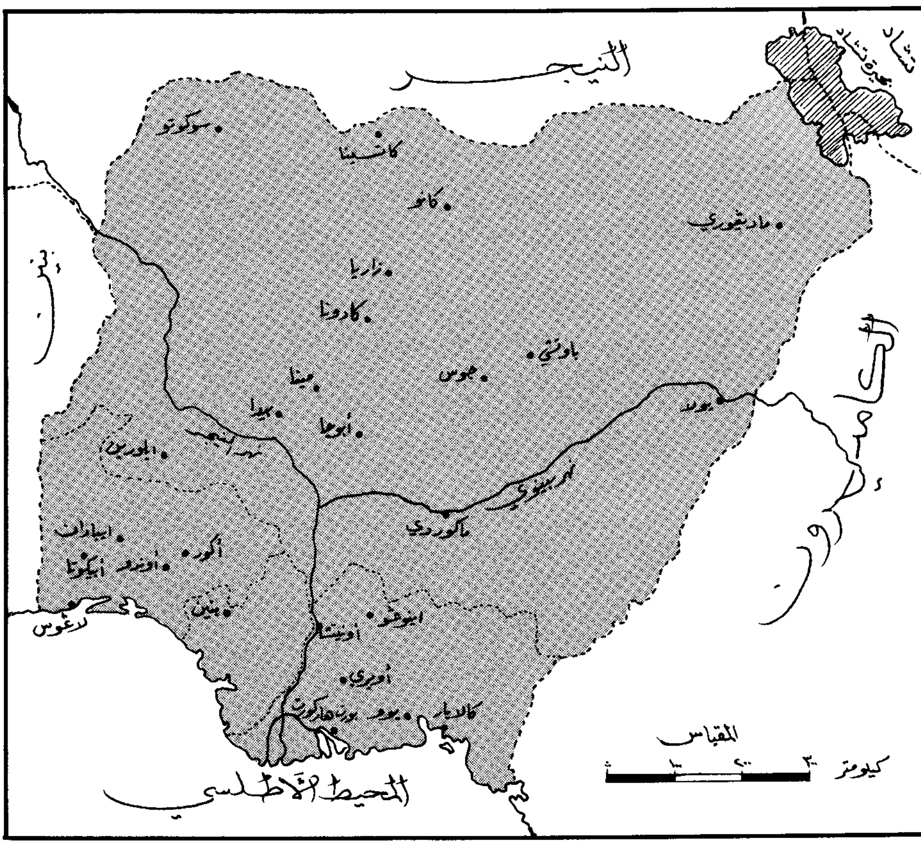
وقام الانقلاب العسكري عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م)، وحظر النشاط السياسي، وحاول حزب سوابا الحركة فكانت السلطة له بالمرصاد، واعتقل زعيمه. غير أن الحزب النيجري التقدّمي كان قوياً فزعيمه رئيس الجمهورية، وكان قادته أصحاب السلطة غير أن الحظر لا يسمح لهم

بالحركة، فالسيف مصلت، والقبضة قوية، لذا اتجه إلى العمل نحو الخارج، وظهر تنظيم جديد هو الجبهة الشعبية لتحرير النيجر لإبعاد النظر عن القادة السابقين للحزب إذ لو حمل التنظيم الجديد الاسم القديم لعرّض الذين في داخل البلد إلى الخطر. وقد قاد هذه الجبهة ابن قائد الحزب الحاكم السابق، ابن رئيس الجمهورية المعزول «عبدالله بن هاماني ديوري»، ويعمل من خارج الحدود، ويتحرّك سراً. فكان يقوم بغاراتٍ من الشمال على البلاد، وإذا وقعت أحداث في المدن والأرياف نُسبت إلى تلك الجبهة. وقد يقوم بعض المغرضين بأعمال شغب وفوضى، وينسبون أعمالهم إلى الجبهة.

واستمر الحظر السياسي مدة أربعة عشر عاماً، وتتحكم في الدولة جبهة عسكرية. وبعدها منع الحظر، وشكل الرئيس علي سايبو حزباً هو «الحركة الوطنية للمجتمع الواحد والتطوير»، ولم يسمح لغير حزبه بالعمل، وإن فكر بالتعددية الحزبية، لكن أعوانه وقفوا في وجهه معارضين له، فبقي حزب وحيد رسمياً، وإن كان الدستور يسمح بالتعددية، لكن الواقع شيء آخر. وهكذا لم يوجد صراع، وإن كان كامناً في النفوس لا يستطيع الظهور.

الباب
الثاني عشر

نيجيريا



المصور رقم [١٢]

لمحة تاريخية قبل إلغاء الخلافة

جاءت قبائل «اليوروبا» من الشرق، وهم ليسوا من أصلٍ زنجيٍ، ولكنهم اختلطوا بالزنوج، واكتسبوا الكثير من صفاتهم، واتجهوا نحو الغرب، وكانوا إذا نزلوا إقليماً تركوا فيه فريقاً منهم، لذلك تدّعي هذه القبائل أن شعوب السودان كلها تنحدر منها، أو تعود لبعض بطونها. ووصل اليوروبا إلى جنوب غربي نيجيريا اليوم، وحطّوا رحالهم هناك، وأقاموا مملكةً يعتقد أنها دامت من سنة ٢٢ قبل الهجرة حتى سنة ٣٩١ هـ، ثم ضعف أمرها، وانفصل عنها إقليم كابا، وإيلورين. وأسّست مملكة «بنين» نسبةً إلى الخليج الذي تُشرف عليه البلاد، أو أنه عُرف باسم تلك المملكة، وقد دامت من القرن السادس الهجري، واستمرت حتى قضى عليها المستعمرون الصليبيون الإنكليز عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م). كانت القبائل في بداية أمرها تقوم على الوثنية، ويُعرف أكبر كاهنٍ بينهم باسم «أوبا»، وحكمه مطلق، ولا يخرج من قصره أبداً مهابةً وإجلالاً كي لا ترمقه عيون شعبه.

وجاءت قبائل الإيبو، واستقرّت في الإقليم الشرقي من نيجيريا اليوم، وتقوم حياتها الاجتماعية على الوثنية حيث تنتظم حياتها على أساسها، ويلعب الكهان دوراً كبيراً في معيشة الإيبو.

وفي القرن الأول الهجري جاءت من الشرق أيضاً قبائل الهاوسا أي بعد مجيء اليوروبا بقليل، وتأثّرت هذه القبائل بالزنوج، واستقرّت في

منطقة شمالي نيجيريا اليوم، وجنوبي النيجر، وهم ليسوا قبيلةً واحدةً وإنما يشمل هذا الاسم الشعوب التي تتكلّم لغة الهاوسا جميعها. وبقوا حتى القرن السابع الهجري على الوثنية. ويبدو أن قبائل الهاوسا مزيج من الساميين والحاميين أي من العرب والأحباش. وفي الوقت الذي أخذ الإسلام يصل إليهم، كانوا قد أسّسوا سبع إمارات تحمل أسماء أبناء ملكهم (باو) الذي قدم من الشرق، وهذه الإمارات هي: ١ ـ غوبير في الشمال. ٢ ـ دورا. ٣ ـ رانو. ٤ ـ زاريا. ٥ ـ كاتسينا. ٦ ـ كانو. ٧ ـ بيرام. وكانت هذه الإمارات تخضع لحكم الممالك التي حولها مثل صنغاي، وبورنو، أو يتوسّع بعضها على حساب بعض فتزول إحداها، وربما ظهرت نتيجة الصراعات الداخلية إمارات جديدة، وبالفعل اشتهر بعض هذه الإمارات الناشئة مثل زامفاريا، وكب، وبرغ، ونوبي، وياوري، وغرم، ويوروب.

واستقرت قبائل بورنو في شمال شرقي نيجيريا، وهم أيضاً مزيج من العرب والحاميين، وانتشروا في مناطق واسعةٍ، وعاشوا حياةً متنقلةً نتيجةً لطبيعة بلادهم الرعوية.

هذه القبائل القادمة التي جاءت إلى المنطقة حديثاً نسبياً، وكانت قد سبقتها جماعات أخرى فارةً من غيرها والتجأت إلى الغابات، أو أنها ولجت إلى الأدغال عندما جاءت هذه القبائل فخافت منها، وتقوقعت على نفسها، وبقيت تعيش حياتها البدائية، وتُمارس طقوسها الوثنية، وتخضع لأقوى أفرادها، أو للكاهن الأكبر الذي يعتمد على قوة الزعيم الجبار، وهو بدوره يمهّد لذاك القوي حكم الأفراد بما يفتريه من أكاذيب وأباطيل، ويحصل مقابل ذلك على رضا الزعيم، وينال من الأفراد الكثير من الهدايا، وربما تصل به المرحلة إلى أن يتصرف بهم.

انتشار الإسلام:

انطلق التجار المسلمون عبر الصحراء، ووصلوا إلى المناطق

السودانية، وأخذوا طريقهم نحو بحيرة تشاد، وانتقل حكام دولة كانم المسلمة إلى منطقة بورنو في شمال شرقي نيجيريا، وخلّصوها من شعب (الصاو) فنشروا الإسلام هناك، وأقاموا حكومةً، ثم استعادوا منطقتهم من شعب (البلالا)، وأصبحت المنطقتان تحت إدارة حكومةٍ مسلمةٍ واحدةٍ فعمّ الإسلام منطقة بورنو، وأخيراً تبعت المنطقة حكومة الفولانيين بعد أن ضعفت دولة كانم.

ووصل الإسلام إلى إمارات الهاوسا عن طريق الشمال، وإن كان يختلف انتشاره بين إمارةٍ وأخرى، وربما تأخّر في دخول بعضها على حين يكون قد عمّ بعضها الآخر، كما أن الوثنية قد بقيت بين أفراد بعض هذه الإمارات حتى قامت دولة الفولانيين. فإمارة غوبير مثلاً وصل إليها الإسلام من الشمال، كما أنها خضعت لنفوذ بورنو المسلمة في الشرق، ودانت لمملكة مالي المسلمة في الغرب، ثم لمملكة صنغاي، وهي مسلمة أيضاً وفي الغرب، وبذا عمّ فيها الإسلام، وإن بقيت قلة فيها على الوثنية.

وبقيت إمارة زاريا على الوثنية، وإن انتشر الإسلام بين بعض أبنائها، وخضعت عام ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) إلى دولة صنغاي، وبعد ضياع مملكة صنغاي في القرن الحادي عشر، أصبحت إمارة زاريا مركزاً لتجارة الرقيق، وفي مطلع القرن الثالث عشر دانت لدولة الفولانيين.

وأسلم ملك إمارة كاتسينا في القرن الثامن الهجري على يد أحد العلماء من مالي، وأصبحت من مراكز العلم، وتبعت لمملكة صنغاي عام ٩٢١ هـ، ثم خضعت لإمارة غوبير.

وكذلك انتشر الإسلام في إمارة كانو في القرن الثامن الهجري على يد علماء من مالي، وتبعت في القرن العاشر لمملكة صنغاي، وفي القرن الثالث عشر لدولة الفولانيين.

بدأ شعب الفولاني يفد إلى المنطقة منذ القرن السابع الهجري، وأخذ عددهم يتزايد مع الزمن، وغدوا يُنافسون شعب الهاوسا، ويُسيطرون

على إماراته، ويدين الفولانيون بالإسلام، وظهر بينهم عثمان بن فودي (وتعني كلمة فودي «الفقيه» واسمه الحقيقي محمد)، ولد عثمان في بلدة (طفل) عام ١١٦٨ هـ على أطراف مملكة غوبير، ولما شبّ درس اللغة العربية والعلوم الدينية، وأسّس حركةً عُرفت باسم الجماعة، وضمت أفراداً من عدة إماراتٍ، ومن شعوب عدةٍ منها الهاوسا، والفولاني، والطوارق، والزنوج، وأخذ يدعو إلى ترك البدعة فخالفه مجتمعه، وحارب ملك غوبير هذه الجماعة، وهدّدها فأعلنت الجهاد، وتمكّنت من الانتصار على إمارة غوبير رغم مساعدة بقية إمارات الهاوسا، وأخيراً تمكّنت الجماعة من بسط نفوذها على إمارات الهاوسا كلها، وعلى مملكة برنو، وعلى إقليم الأداماوا في الكاميرون. واتخذ عثمان بن فودي مدينة سوكوتو قاعدةً له عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م)، وتوفي عام ١٢٣٢ هـ، وخلفه ابنه محمد بيلو، وكان عالماً ومؤلّفاً، واستمر حكمه حتى عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م)، وتمكّنت هذه الدولة من نشر الإسلام بين رعاياها جميعاً، حيث لم يبق من الهاوسا إلا قلّة على الوثنية. وضعفت الدولة بعد محمد بيلو. فكان أمير المؤمنين يُقيم في سوكوتو، ويُدير بقية المناطق الأمراء من الفولاني تحت إشراف أمير المؤمنين مع أن أكثر الرعية من شعب الهاوسا

ثم أخذ الإسلام طريقه بشكلٍ هادىءٍ وبطيء نحو قبائل اليوروبا في الجنوب الغربي من نيجيريا.

الاستعمار:

وصل المستعمرون الصليبيون البرتغاليون عام ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) إلى ساحل بنين الذي أصبح قاعدةً للتجارة بين بلاد اليوروبا وأوربا، وكانت التجارة الرئيسية هي العبيد. ووصل الإنكليز إلى ذلك الساحل عام ٩٦١ هـ (١٥٥٣ م)، وساروا أيضاً حسب المخطط نفسه في تجارة الرقيق، واستمرّوا بذلك أكثر من مائتي سنة، ولكن إنكلترا حسب مصالحها التجارية والصناعية عدّت هذه التجارة غير شرعيةٍ عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)، لذا

أخذت تسعى في تطوير تجارة العاج والنخيل الزيتي. واقتصرت الاتصالات الأوربيـة على المنطقـة الساحليـة فقط. ولكن عندمـا أحسّ المستعمرون بالقوة، وعرفوا ضعف سكان إفريقية عامةً، والمسلمين خاصةً، وهم سادة إفريقية الشمالية، والغربية، والشرقية، والوسطى، ولمّـا تيقّنـوا من ذلـك أخذوا يتسلّلون نحو الداخل، ومن هذه المنطقة كان التسلّل باسم التعرف على نهر النيجر، وإمكانية الإفادة منه، أي أن الموضوع علمي، هذا مع معرفة ضعف المسلمين.

عـرف (مونغـو بارك) مجـرى نهر النيجـر الأعلى، وانـطلق الـرائـد (دينهام)، والعميد (كلابرتون) مع مجرى النهر الأسفل، ووصلا إلى إمارات الهـاوسا، وهمـا أول من دخلاهـا من المستعمـرين الصليبيين، وأعقبهمـا الأخوان (لاندر)، وتمت لـلأوروبيين معرفـة مجرى نهـر النيجر كله عـام ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م)، وأنشأوا طريقاً للتوغّل فيه من سواحل نيجيريا إلى الداخل، وبعد روّاد المستعمرين الصليبيين هؤلاء جاء المنصّرون، وجـاء التجار منهم، وارتبط أوائل المنصّرين بمجتمع التنصير الكنسي. وفي عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) أُقيمت أول كنيسةٍ للتنصير السكوتلانـدي في مدينـة (كالابار) على ساحل المحيط الأطلسي.

وفي عـام ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) ضمّ البـريـطانيـون (لاغــوس) إلى ممتلكاتهم، بعد أن قبل الملك (دوسيمو)، التخلّي عنهـا نتيجة الضغط. فوضعتها بريطانيا تحت إمرة الحاكم الإنكليزي لسيـراليون عـام ١٢٨٤ هـ (١٨٨٦ م) بدعوى تنسيق محاربة الرقيق والمتاجرة به. وفي عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٤ م) انتزعتها من سيراليون، وضمّتهـا إلى ساحـل الذهب (غـانا)، وظلّت جزءاً منها حتى ربيع الثاني ١٣٠٣ هـ (كانون الثاني ١٨٨٦ م) عندما تأسّست مستعمرة (لاغوس)، وتوسّع نشاط التجار المستعمرين والمنصّـرين من لاغوس وعلى ضفاف مجرى نهر النيجر نحو الداخل، وعندما اشتدّت المنافسة بين الشركات الاستعمارية الفرنسية والألمانية، والإنكليزية، دُمجت الشركات التجارية البريطانية في شركةٍ واحدةٍ هي «شركة إفريقية المتحدة»

في ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م)، وفي شوال ١٣٠٣ هـ (تموز ١٨٨٦ م) سميت «شركة النيجر الملكية»، ووسّعت نشاطها، وامتدّت بأعمالها إلى (سوكوتو) في الشمال. ثم منحت الحكومة البريطانية هذه الشركة امتيازاً خاصاً لممارسة القانون والقضاء في المنطقة التي تعمل فيها.

وفي عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) أُنشئت محمية أنهار الزيت الممّتدة من لاغوس حتى الكاميرون، وقامت محمية أخرى شملت تدريجياً بلاد اليوروبا كلها عدا الجزء الذي يحكمه أمير (أيلورين) الفولاني، وقامت حملة منها ضمت (بنين) إليها عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م). وفي العام التالي وقّع البريطانيون معاهدةً مع فرنسا بشأن الحدود الغربية بين منطقتي النفوذين.

وفي عام ١٣١٧ هـ (١٨٨٩ م) تسلّمت الحكومة البريطانية السلطات الإدارية بعد أن ألغت الامتياز المعطى للشركة.

وبعد أن وطّدت بريطانيا نفوذها في المنطقة الجنوبية من نيجيريا اتجهت نحو الشمال، وأخذت تتصل بالأمراء الفولانيين، وتعمل على محاولة إقناعهم بقبول الحماية البريطانية بحجة أن الألمان في الشرق (الكاميرون) والفرنسين في الغرب والشمال (الداهومي والنيجر) يُهددون الدول الفولانية، وأكّدت لهم أنها ستُثبّت الحكام الحاليين في مناصبهم، كما تعهّدت لهم بعدم التدخّل في شؤون الدين الإسلامي والتقاليد المرعية، شريطة أن يعدها الحكام بالولاء، ثم أغرت بعض الأمراء الفولانيين بعقد اتفاقاتٍ معها، فمن حرص على الإمرة وافق، ومن منعه دينه استعلى وأبى.

أعلنت بريطانيا عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) قيام محمية نيجيريا الشمالية، وعيّنت (فريدريك لوغارد) مندوباً سامياً لها على تلك المحمية، وأرسلت الحملات العسكرية ضدّ أولئك الأمراء، الفولانيين الذين رفضوا توقيع اتفاقاتٍ معها فاحتلّت (سوكوتو) و (كانو) عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)، ثم اتجهت إلى (بورنو) واحتلتها عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م). وبقي حكم

محمية الشمال بيد أمراء من الفولاني، ويساعدهم ضباط بريطانيون سياسيون يُسدون لهم المشورة.

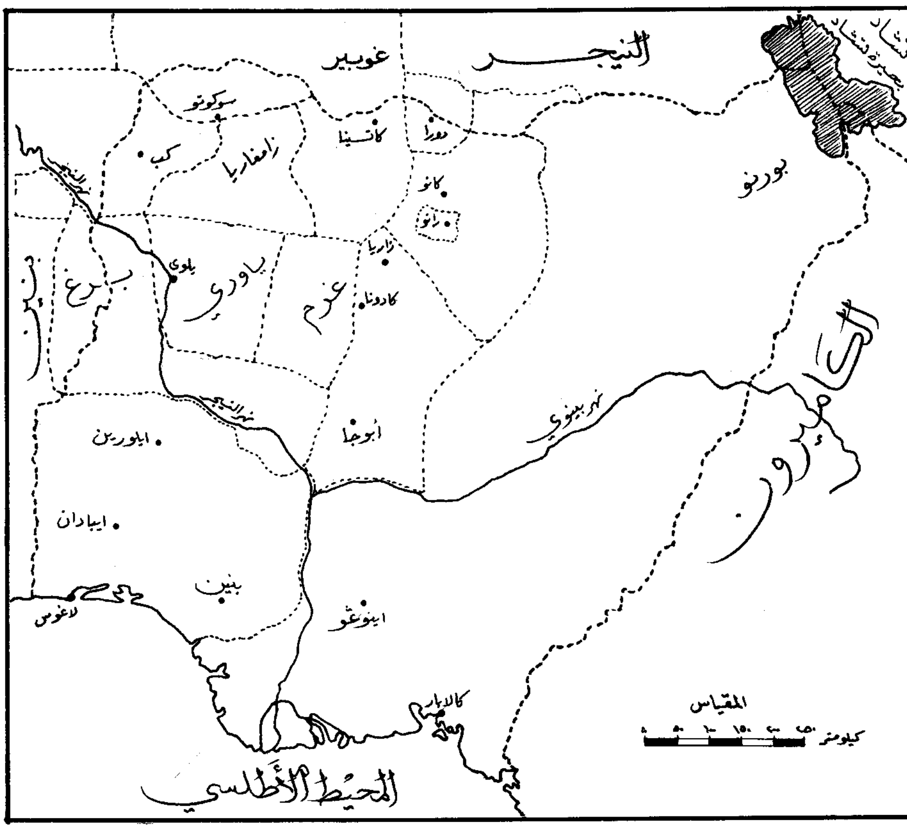
ثم جمعت بريطانيا بين مستعمرة (لاغوس) ومحمية الجنوب، وهكذا أخذت نيجيريا امتدادها الطبيعي كما هو عليه اليوم، باستثناء الحدود الشرقية، حيث توسّعت نحو الشرق بعد الحرب العالمية الأولى بضمّ جزءٍ من الكاميرون التي كانت تحت السيطرة الألمانية.

سارت بريطانيا على سياسة إبقاء الإمارات الإسلامية في الشمال وإيجاد الاختلاف فيما بينها، وخشيت من جمعها في إمارةٍ واحدةٍ خوفاً من قوة الإسلام على حين وحّدت الإمارات الجنوبية لتستطيع أن تقاوم الإمارات الإسلامية، وليبقى في الساحة كفتان تكادان أن تكونا متكافئتين، لأنها إن أبقت الإمارات الكثيرة في الجنوب فلن تستطيع أقواها أن تقف أمام أصغر الإمارات الإسلامية، وبالتالي فإنها تذوب تدريجياً في بوتقتها، ويعتنق سكانها الإسلام، وبهذا التصرف يمكن لبريطانيا أن تأمن على الجنوب من انتشار الإسلام فيه ـ حسب تصورها ـ بينما تتولّى هي التنصير وإرسالياته، وقدّمت العروض المغرية للذين يعتنقون النصرانية من أجل أن يبقى الاستعمار في هذه البلاد تحت اسم الرابطة النصرانية، ويُدافع النصارى عن وجود الاستعمار حمايةً لأنفسهم، ومصلحةً لهم، ودافعاً صليبياً، ويجدون في أنفسهم، أنهم جزء من النصرانية الأوروبية.

وفي عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) جاء الحاكم الإنكليزي (لوغارد) فحكم البلاد حكماً ثنائياً بين نيجيريا الشمالية، ونيجيريا الجنوبية، وجعل من الجنوبية مستعمرةً، ومن الشمالية محميةً، وكانت كل منهما تحت حكم مساعدٍ إداريٍ، أما مستعمرة (لاغوس) فتُدار من قبل متصرّف.

واندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وانطلقت حملة بريطانية من نيجيريا نحو المستعمرة الألمانية (الكاميرون) وأسفرت الحملة عن بسط نفوذ البريطانيين على الأجزاء الغربية من الكاميرون، واتفق الحلفاء بعد الحرب

على تقسيم الكاميرون بين الفرنسيين والإنكليز، وجاءت معاهدة فرساي في ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ (كانون الثاني ١٩١٩ م) مُؤيدةً لذلك. وفي ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (٢٠ تموز ١٩٢٢ م) وطبقاً لنظام الانتداب الموضوع من قبل عصبة الأمم وضع كل قسمٍ من الكاميرون تحت انتداب الدولة المسيطرة عليه باسم الوصاية من عصبة الأمم. وتبلغ مساحة القسم الإنكليزي ١٤٥,٢٦٥ كيلومتراً مربعاً، وقد ضُمّ جزء منه إلى نيجيريا، وهو الجزء الشمالي، ويتألف من قطاعين متجاورين مع الحدود الشرقية لنيجيريا، ويفصل بعضهما عن بعضٍ وادي (بينوي) في منطقة (يولا). وتولّت إنكلترا إدارة هذين القطاعين كجزءٍ من نيجيريا عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م).



المصور رقم [١٣]

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ
٣ آذار ١٩٢٤ ـ الأول من تشرين الأول ١٩٦٣ م

منذ أن سيطرت بريطانيا على نيجيريا، وبسطت نفوذها على أجزائها كلها أخذت تُمارس سياستها الاستعمارية المعهودة، وكان همّها الأول تنصير جماعاتٍ كثيرةٍ من أبناء البلاد ليتسلّموا السلطة أثناء وجودها وسيطرتها وبعد غيابها وجلائها عن البلاد، هذا من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ ثانيةٍ لتبقى السياسة البريطانية هي المطبّقة والمنفّذة من حيث المخططات الاستعمارية بكل جوانبها من استغلالٍ، واستثمارٍ، وصليبيةٍ، وسياسةٍ، ومن ناحيةٍ ثالثةٍ للعمل الدائم للتنصير والوقوف في وجه الإسلام، ومحاربة أتباعه، وكسبهم إلى النصرانية فإن تعذر وهو المتوقّع فلإبعادهم عن عقيدتهم بشتى الوسائل المختلفة سواء أكانت مشروعةً أم غير مشروعةٍ من إغراءات النساء، واللهو، واللعب، والعصبيات، والمخدرات و. . . ومن ناحيةٍ رابعةٍ لتكون هذه المستعمرات تتمةً للحياة الأوربية السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والفكرية ومختلف جوانب الحياة الأخرى.

وكان لا بدّ لبريطانيا من أن تنهج سياسةً مرنةً كي تستطيع تحقيق ما تهدف إليه وتُخطّط له، فالقسوة في الإدارة تنفّر الناس من أصحابها، وتُبعدهم عن أفكارها بل والسير في ركب المعارضين لها، لذا سارت بريطانيا على أسلوب المرونة، وكلّفت من قرّبتهم من أصحاب المصالح من

أهل البلاد ليقوموا بالعمل الذي تريد أن تقوم به هي، وليُؤدّوا الدور الذي كان من الواجب أن يؤدّيه جنودها، ورجال إدارتها، ليكون الهجوم عليهم من مواطنيهم، وتكون هي بعيدةً عن النقد والتجريح، ويكون موظفوها في منأى عن اللوم.

ومن الأساليب التي سارت عليها السماح للسكان بتنظيم أنفسهم كي تتعرّف على أصحاب الإمكانات فتبذل الجهد لكسبهم إلى سياستها، ولتعلم أهل المصالح فتبذر لهم الحبّ لإيقاعهم في شراكها، ولتدرك الذين يمكنهم قبول النصرانية فتبذل لهم العطاء الزائد، وهم غالباً من الوثنيين، ولتعرف الذين يمكنهم التخلّي عن عقيدتهم فتقدّم لهم الإغراءات كي ينصرفوا إلى الهوى بعيدين بأفكارهم عن دينهم مشغولين بهواهم في دنياهم، وفي الوقت نفسه يكون التنظيم وسيلةً للإدارة، وتعليماً للقيادة.

وقامت أول منظمةً سياسيةٍ عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)، وهي الحزب القومي الديمقراطي الذي أسّسه «هاربرت ماكولي»، وكانت منطقة (لاغوس) مركز نشاطه بالدرجة الأولى بل لعلّه اقتصر عليها وحدها، وكانت غايته منحصرةً بالاستفادة من أصوات الناخبين، والحصول عليها بأي شكلٍ، ثم الحصول على رئاسة بلدية (لاغوس)، وأن يكون ممثّلوها من أعوانه. ومن المعلوم أن (لاغوس) كانت منطقةً تغلب عليها الوثنية، وكذلك ظهرت لبريطانيا إمكانات «هاربرت ماكولي» حيث استطاع أن يُؤدّي الدور الذي تريده بريطانيا حتى توفي عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).

ووجدت عدة تنظيماتٍ سياسيةٍ في الجنوب مثل: الاتحاد الشعبي الذي أسسه (راندل)، واتحاد الشباب النيجيري، الذي ألّفه (أوريسا ديب)، ولم يكن لهذه التنظيمات أهداف معيّنة أو مخططات سياسية وإنما كان همّها التكتلات، والحصول على الأصوات، وكانت بريطانيا تعرف من خلال ذلك مواطن القوة، وإمكانات الرجال، والذين يُمكن أن تعدّهم للمستقبل.

ورغبت بريطانيا أن يوجد تنظيم واحد في الجنوب يستطيع أن يقف

أمام الشمال، ويصدّ المدّ الإسلامي، فظهرت حركة شباب نيجيريا عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) فكان الاعتماد على القبيلة، ثم يلتقي بعضها مع بعضٍ ليشمل قبائل الجنوب جميعها، وكان من المفروض حسب المخطط أن تقف كلها ضدّ الشمال، غير أن التنظيم لم يكن على ما يظهر على المستوى المطلوب، إذ بقيت القبيلة هي محور العمل فجرى الاختلاف وحدث الانشقاق على الأساس القبلي.

عدلت بريطانيا عن خطتها، ورغبت في إيجاد حركة تشمل نيجيريا كلها شمالها وجنوبها على أن تتسلّم القيادة الفئة المتنصّرة، وتمثّل تقريباً صورة الحكم في المستقبل حيث تتوحّد أجزاء نيجيريا تحت مظلّة الطبقة النصرانية المثقّفة، والتي وإن كانت تمثّل الأقليّة من حيث العقيدة إلا أنها تتحّكم باسم الفئة الواعية المتنوّرة، فظهر (ناندي ازيكوي) فوضع ميثاقاً للشباب ليشمل البناء الجديد للدولة، ولم يكن يعتمد في حركته على القبيلة، ولا على الدين، وإنما على أساس ما أسماه بالوطن النيجيري، أو هكذا رُسم له، ونستطيع أن نقول: إنه قد نجح للدعم الذي لقيه من قبل المستعمرين، ولتأييد قبيلته (الإيبو) له، ولتشجيع النصرانية له من إرسالياتٍ واتحاد كنائس، وأفراد قبيلة الإيبو الذين تكثر بينهم النصرانية. وفي انتخابات مجالس البلدية والمجلس التشريعي اكتسح ناندي أزيكوي هذه الانتخابات، وأخذت وسائل الإعلام الاستعمارية والصليبية تبرزه، فغدا زعيماً. إذن أخذت معالم الدولة تظهر كما تريدها بريطانيا، الدولة المستعمرة، فأعطت الضوء الأخضر لناندي أزيكوي كي يتحرّك في اتجاه المطالبة بالاستقلال ليكون زعيم البلاد وسيدها بعد أن تنسحب إنكلترا منها.

قدّم (ناندي ازيكوي) أثناء الحرب العالمية الثانية مذكرةً للحكومة الاستعمارية يُطالبها بالوحدة بين أجزاء نيجيريا كلها، وإنهاء الاستعمار في البلاد، وتأسيس إدارةٍ وطنيةٍ لمدة عشر سنواتٍ كمرحلة انتقالية لتدريب للمواطنين على الإدارة، تخلفها حكومة وطنية كتجربةٍ للمارسة في الحكم،

وتحصل نيجيريا في نهايتها على الاستقلال التام، وبذا ارتبط اسم ناندي ازيكوي بالاستقلال لدى السكان نفسياً، وغدا الناطق باسم الأهالي، وينظر إليه نظرة المخلص، وهذا ما تريده بريطانيا، وقد عملت له، ونجحت في تحقيق هدفها، وتنفيذ مخططها. ونتيجة ذلك تلاشت التنظيمات السياسية كلها، والجمعيات جميعها، وتأسّس حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون برئاسة ناندي إزيكوي، وكان مقرّ الحزب الرئيسي مدينة لاغوس، وانتشر الحزب بصورةٍ واسعةٍ بين أفراد قبيلة الإيبو التي يكثر فيها النصارى، والتي يعتمد عليها ناندي إزيكوي. وكان هذا الحزب يدعو إلى الانتخاب المباشر لكل بالغٍ في نيجيريا، ويُطالب بتعيين وزراء نيجيريين ليُديروا شؤون البلاد، كما يُطالب بالحكم الذاتي والوحدة بين أجزاء نيجيريا. وهذه مطالب مقبولة نظرياً من مختلف أبناء البلاد، ولكن ما الأهداف من ورائها؟ ومن يقف خلفها؟ وما المنهج الذي ستطبّقه الدولة الناشئة؟ ومدى ارتباطها بالدولة الاستعمارية بريطانيا؟ وهذه هي النقاط الجوهرية في حياة الدولة السياسية والفكرية.

وانتهت الحرب العالمية الثانية ووجدت القبائل الأخرى أن قبيلة الإيبو قد سبقتها في الميدان السياسي، وتفوّقت عليها في كل جوانب الحياة فتحرّكت عندها العصبية القبلية، وخرج زعماء قبيلة اليوروبا من الميثاق الوطني وبالتالي من الحزب الوطني لنيجيريا والكاميرون، أي حدث انشقاق في داخل صفوفه، وإن لم يرضَ عن ذلك من يُسمّون أنفسهم بالمثقفين. وكانت إنكلترا من وراء هذا أيضاً إذ كانت تريد أن تبقى القبلية سلاحاً بيدها تستعمله في الوقت الذي تشاء، غير أنها في الوقت نفسه قد رأت انتشار الإسلام بين قبائل اليوروبا فأرادت أن تشغلهم عن ذلك، وعن الارتباط بالشمال لوحدة العقيدة بالعصبية، فظهر عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) حزب جماعة العمل برئاسة (أوباكيمي أواولو)، وهو نصراني متعصّب مع أن أكثر أفراد حزبه من المسلمين، وذلك لجهلهم وعدم معرفتهم بالمخططات، وعصبيتهم القبلية، وحسب التعليمات المعطاة لهذا الزعيم أخذ يظهر

اهتمامه بأفراد قبيلته من المسلمين فيُطالب بتعليمهم الإسلام بلغة اليوروبا، والهدف من هذا الإساءة وليس الإحسان كما يفهم الجهلة، لأن في هذا زيادة للتعصّب القبلي، وبقاء البعد بين المسلمين من اليوروبا والمسلمين من بقية القبائل وخاصةً الهاوسا والفولاني، ولعدم أية صلةٍ لهم مع العرب، ولبقاء الجهل قائماً عندهم بوجود هوةٍ سحيقةٍ بين مسلمي اليوروبا ولغة القرآن والسنة والفقه. وربما يسير على هذا من التقليد والتعصّب المسلمون من بقية القبائل، وفي الوقت نفسه كانت الدعاية تنطلق من أفواه أفراد القبيلة على أنه رجل يحترم أبناء قبيلته ولا يهتم بالخلافات الدينية فنراه يهتم بالمسلمين ويعطف عليهم رغم أنه نصراني، ويرعى شؤون تعليمهم ويُطالب به، ويعمل على إفهامهم دينهم بلغة قومهم، يقول هذا النصارى اليوروبا خديعةً ومكراً، ويقوله المسلمون جهلاً وغفلةً. ويدّعي هذا الحزب تهيئة الأعمال لأفراد الشعب، ويُعلن نظرياً، وللاستهلاك المحلي محاربة الاستعمار، وهذا أسلوب معروف لدى الدول المتخلّفة إذ يُنادي الزعماء بغير ما يعملون له ويؤمنون به، وينطلي ذلك على الشعب الجاهل لأن وسائل الإعلام تُردّد وتُكرّر ما يريده الرؤساء ولا وسيلة للرعية للتمييز، ولا معرفة لهم بالتحليل. ويُحدّد هذا الحزب تاريخاً للحكم الذاتي بعام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، وبذلك يكون هذا الحزب أسبق الأحزاب والجماعات في موعد الحكم الذاتي، ووصل رئيسه إلى رئاسة وزراء نيجيريا الغربية. وكان يُعارض هذا الحزب من قبائل اليوروبا أحد الذين ينتمون إلى الإسلام، ويدعى (ايدالابو)، ويظهر العاطفة الإسلامية، وتسلّم منصب الوزارة، وهو من أنصار نانـدي ازيكوي زعيم الإيبو وممثّل النصارى، ومن باب كسب تأييد المسلمين عمل على إيجاد مدرسةٍ لتعليم اللغة العربية، ونادى بقطع يد السارق كإقامة حدٍّ من حدود الله، وأدّى فريضة الحج، ثم قتل بحادث سيارة عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).

وانتشر حزب الشعب في الساحل، ويعتمد على الأفراد الذين لا ينتمون إلى قبيلة الإيبو، ولذا فهو حزب صغير، وقاعدته نيجيريا الشرقية.

وهناك حزب شعب الوسط الذي ينتشر في الغرب والشمال ويعتمد على القبائل غير المسلمة الموجودة في هاتين المنطقتين، وكذلك على الأفراد غير الملتزمين من القبائل المسلمة في هذين الإقليمين.

أما الشمال حيث يعيش المسلمون من قبائل الهاوسا والفولاني فقد تأخّر فيه التنظيم لتبقى الفوضى، وكي لا يبرز أحد على الساحة السياسية، ولا يعرف أحد خارج دائرة منطقته، حتى قام زعيم الشمال أحمدو بيللو وهو من الفولانيين، ويعدّ أمير المؤمنين، ونظّم حزب هيئة الشمال، ويعرف بلغة الهاوسا باسم (السلاما) ولما كان الشمال مسلماً لذا فلا بدّ لرئيسه أن يتحلّى ببعض الصفات ولو أمام رعيته لذا كان يرفض الانحناء أمام الأميرة ألكسندرا مندوبة الملكة إليزابيت ملكة بريطانيا كمظهر من مظاهر إسلامه الذي يأبى أن يكون الانحناء والخضوع لغير الله. وكذلك وجد حزب آخر هو حزب «اتحاد العناصر الشمالية»، ويُعرف بلغة الهاوسا باسم (الصوابا)، ويعد امتداداً لحزب المجلس الوطني، ويقوم على القبلية لذا لم يستطع التوسع بين المسلمين، لأنه يهمل الدين، وقد أسّسه المعلم أمين الذي اختلف مع أمير كانو الفولاني فذهب وأسّس هذا الحزب. وهكذا عمّ التنظيم مختلف جهات نيجيريا.

بعد الحرب العالمية الثانية جرى تطور سريع في الحياة الدستورية ففي عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) صدر دستور جديد قسم الجنوب إلى مقاطعتين شرقية وغربية، وأقام مجالس نيابية للمقاطعات الثلاث (الشمالية - الغربية - الشرقية)، ويُشرف عليها مجلس تشريعي مركزي بأكثريةٍ غير رسميةٍ.

وفي عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) طلبت المقاومة الشمالية بإصرار أن يكون تمثيل الشمال في أي مجلسٍ تشريعي مركزي مساوياً لتمثيل الشرق والغرب مجتمعين على أساس أن سكان الشمال يفوقون مرتين عدد سكان الغرب والشرق مجتمعين، وقد تمّ الاتفاق على هذا الأمر. وفي العام نفسه

صدر قانون يدعو إلى قيام حكومةٍ اتحاديةٍ شبه مسؤولةٍ تتمتع بقدرٍ أكبر من الاستقلال الإقليمي.

وجرت الانتخابات عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م)، وظهر حزب هيئة مؤتمر الشمال مسيطراً على الشمال بزعامة أحمدو بيللو، وحزب جماعة العمل في الإقليم الغربي بزعامة أوباكيمي أواولو، وحزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون في الإقليم الشرقي بزعامة نـاندي إزيكـوي. واتفق حزبا «هيئة مؤتمر الشمال» و«جماعة العمل» على تسلّم زمام الحكم مطالبين بإنشاء حكوماتٍ إقليميةٍ قويـةٍ، ومُنَدّدين بحزب المجلس الوطني. ولكن انفصل الحزبان بعضهما عن بعضٍ عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م)، وأُلغي الدستور بغية تأمين استقلال إقليمي أكبر. وأصبح مبدأ الانتخاب للتمثيل المركزي مباشرةً عوضاً عن قيام المجالس الإقلمية باختيار أعضائها الذين يُمثّلونها في المجلس التشريعي المركزي.

وفي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) جرت الانتخابات، وفاز حزب هيئة مؤتمر الشمال بأكثرية المقاعد رغم فوز حزب اتحاد العناصر الشمالية بعددٍ من المقاعد، وهذا الحزب الأخير يتفق مع حزب المجلس الوطني. وأخفق حزب جماعة العمل في الغرب، وفاز حزب المجلس الوطني في الغرب والشرق. وتشكّلت وزارة اتحادية ائتلافية من هيئة مؤتمر الشمال وحزب المجلس الوطني.

وفي شوال ١٣٧٦ هـ (أيار ١٩٥٧ م) قرّر المجلس النيابي الاتحادي بالإجماع المطالبة باستقلال نيجيريا بعد عامين، واختير أبو بكر تفاوة رئيساً للوزراء، وكان من قبل يشغل وزير المواصلات، وضمت وزارته عضوين من حزب جماعة العمل.

استقلّ الإقليم الشمالي في ٦ رمضان ١٣٧٨ هـ (١٥ آذار ١٩٥٩ م) أما بشأن الاستقلال للاتحاد كله فقد قالت الحكومة البريطانية إنها تُوافق على قرارٍ يطلب منح الاستقلال على أن يصدر ذلك القرار من مجلسٍ

نيابي يتمّ انتخابه من جديدٍ.

جرت الانتخابات النيابية عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) مباشرةٍ وبالاقتراع السري، وتخلّى كل من (أوباكيمي أواولو) و(ناندي إزيكوي) عن منصبيهما كرئيسين إقليميين سعياً وراء الفوز بالانتخابات النيابية الاتحادية بينما استمرّ (أحمدو بيللو) في تسيير دفة الإقليم الشمالي، وبنتيجة الانتخابات حصلت الأحزاب على المقاعد الآتية:

هيئة مؤتمر الشمال	١٤٣	مقعداً
المجلس الوطني	٨٩	مقعداً
جماعة العمل	٧٣	مقعداً
الأحرار	٨	مقاعد

وتألّفت الحكومة من حزبي هيئة مؤتمر الشمـال، والمجلس الوطني برئاسة أبو بكر تفاوة، وضمت عشرة أعضاء من هيئة مؤتمر الشمال، وسبعة أعضاء من المجلس الوطني، وعضوين من الأحرار.

وفي رجب ١٣٧٩ هـ (كـانون الثـاني ١٩٦٠ م) أثار رئيس الـوزراء قضية قرار الاستقلال، مُطالباً منح الاستقلال لنيجيريا في ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٠ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٦٠ م)، وقد اتخذ القرار بالإجماع، وهكذا أصبح الاتحاد دولةً مستقلةً ضمن رابطة الشعوب البريطانية. وبقيت الدولة تحت رئاسة بريطانيا، وعُيّن ناندي ازيكوي حاكماً عاماً للبلاد، وبقي أبو بكر تفـاوة في منصبه رئيسـاً للحكومـة الاتحاديـة، وجرت احتفـالات الاستقلال، واشتركت فيها أكثر الدول الآسيوية والإفريقية.

وفي ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول ١٩٦٣ م) وافق المجلس النيابي النيجيري على دستورٍ جمهوري، يُعلن قيام جمهوريةٍ اتحاديةٍ ضمن رابطة الشعوب البريطانية بدءاً من ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٦٣ م). وبموجب هذا الدستور تنازلت ملكة بريطانيا عن رئاسة دولة نيجيريا. وتقرّر أن يتمّ انتخاب الرئيس من قبل أعضاء مجلسي الشيوخ

والنواب جميعهم، وأن تكون مدة رئاسته خمس سنوات. وبقيت أحكام الدستور السابق كافةً سارية المفعول باستثناء الحكم المتضمن أن رئيس الوزراء لا يجوز عزله من قبل رئيس الدولة، إلا في حالة حجب الثقة عنه في مجلس النواب، وفي الشهر نفسه انتخب ناندي ازيكوي رئيساً للجمهورية، وبقي أبو بكر تفاوه بيلوه رئيساً للوزراء.

قضية الكاميرون:

سبق أن ذكرنا أن الكاميرون كان محميةً ألمانيةً، وقد دخلته القوات الفرنسية والإنكليزية، أثناء الحرب العالمية الأولى، واحتلّت فرنسا منه ما مساحته ٤٣٢,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، ووضع تحت انتدابها وصايةً عليه من قبل عصبة الأمم المتحدة، وأن إنكلترا قد احتلّت من الغرب ما مساحته ١٤٥,٢٦٥ كيلو متراً مربعاً، ووضع أيضاً تحت انتدابها، وتولّت إدارته بهذه الصفة.

ويشمل القسم الذي وضع تحت الانتداب الإنكليزي جزأين شمالي وجنوبي. وشكّل الجنوبي اتحاداً مع نيجيريا عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م)، وضمّ الشمالي إلى نيجيريا قبل أن تنال استقلالها، وأجرت الأمم المتحدة استفتاءً في هذين الإقليمين في شعبان ١٣٨٠ هـ (شباط ١٩٦١ م)، وأيّد سكان الإقليم الشمالي الانضمام إلى نيجيريا بأغلبية ٢٦٥ ١٤٥ صوتاً ضدّ ٦٥٤ ٩٧ صوتاً، وقرّر سكان الإقليم الجنوبي في الاستفتاء ذاته الانضمام إلى جمهورية الكاميرون بأغلبية ٨٣٠ ١٣٥ صوتاً ضدّ ٠٠٠ ٣٠ صوت، وقد تمّ ضمّه في ٢١ ربيع الثاني عام ١٣٨١ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٦١ م)، وبذا يكون قد انسحب من الاتحاد مع نيجيريا.

يضم الجزء الجنوبي من الكاميرون الغربي المنطقة الساحلية، ومرتفعات الكاميرون، وإقليم بامندا. أما الجزء الشمالي الذي ضُمّ إلى نيجيريا فيشمل قطاعين يفصل بينهما وادي بينوي عند (يولا)، ويؤلّف القطاع الجنوبي إقليم (أداماوا)، وأما الشمالي فهو قطاع (ديكوا)، ويُعرفان بإقليم (ساردونا).

الفصل الثاني

الاستقلال

١٣ جمادى الأولى ١٣٨٣هـ ـ ......

الأول من تشرين الأول ١٩٦٣ م ـ ......

استقلت نيجيريا تحت اسم «جمهورية نيجيريا الاتحادية»، وتشمل الأقاليم الآتية:

١ ـ نيجيريا الشمالية. وعاصمتها «كادونا».
٢ ـ نيجيريا الغربية، وعاصمتها مدينة «ايبادان».
٣ ـ نيجيريا الشرقية. وتضمّ محمية أنهار الزيت مع جزء من الكاميرون الإنكليزي، وعاصمتها مدينة «اينوغو».
٤ ـ لاغوس. وتضمّ مدينة لاغوس مع بعض المناطق المحيطة بها.
٥ ـ الإقليم الغربي الأوسط الذي وُجد بتقسيم نيجيريا الغربية في ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (آب ١٩٦٣ م)، وعاصمته مدينة «بنين» ويشمل الدلتا، وإقليم بنين.

انتخب المجلس النيابي الاتحادي (ناندي ازيكوي) رئيساً للجمهورية، ويُعدّ منصبه شرفياً، وانتخب كل إقليمٍ مجلسه النيابي الخاص به، وحكومته الإقليمية أي أن رؤساء الوزارات الإقليمية كانوا من الإقليم المعني ذاته. أما الحكومة الاتحادية فقد كان رئيسها أبو بكر تفاوه بيلوه الذي كان نائباً لـ (أحمدو بيللو) في رئاسة هيئة مؤتمر الشمال، وكان في العام السابق قد توفي وزير الدفاع الأسبق (محمود ريباردو) الذي كان في

المرتبة الثانية بعد (أحمدو بيللو).

أما الجيش فكان قائده إنكليزياً في السنوات الأولى للاستقلال، ثم استُبدل بقائدٍ نيجيريٍ نصرانيٍ هو (جونسون أغوي إيرونسي) وعلاوةً على ذلك كان هناك عشرة ضباطٍ إنكليز يعملون مستشارين لأن البلاد لم يمض على استقلالها سوى مدةٍ وجيزةٍ. وفكّر (أحمدو بيللو) باستبدال (جونسون إيرونسي) بقائدٍ مسلمٍ غير أنه اصطدم بموضوع الرتبة إذ كان أعلى الضباط المسلمين رتبةً كان بينه وبين المنصب اثنان من الضباط غير المسلمين أحدهما (جونسون أيرونسي)، ويبدو أن (أحمدو بيللو) وجد حرجاً في إحالتهم على الاستيداع فتسامح كي لا تُثار القضية الإقليمية، والعصبية القبلية، وموضوع الدين.

وعمل الإنكليز جهدهم أثناء انتخابات عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) لإقامة تحالفٍ بين الشرق والغرب للوقوف في وجه الشمال، فقد رأى (صاموئيل اكينتولا) أن يتعاون مع الشمال بعد أن كان حليفاً مع الشرق، وكذا حاول وزير المالية الاتحادي (فستوس أوكوتي أيبو) وهو من الإقليم الشرقي أن يقنع رئيس الجمهورية (ناندي ازيكوي) بأن من الحكمة الاعتراف بوزن الشمال، وأن يتعاون معه على هذا الأساس، فأصبح هذا الوزير هدفاً لحقد المتعصبين من النصارى والوثنيين، حيث أطلقوا عليه لقب (الحاج) من قبل السخرية والتشنيع، بمعنى أنه أصبح عميلاً للمسلمين الذين يعدّونهم أعداءً لهم. وقد اغتيل هذان الرجلان غداة الانقلاب (صاموئيل اكينتولا، وفستوس أوكوتي أيبو) على أنهما حلفاء للمسلمين. أما (أوباكيمي أواولو) فقد كان في السجن منذ أكثر من عام، وأصبح يُعادي الشمال.

بدأت الإشاعات تظهر ضدّ الحكومة الاتحادية، فأُشيع أنها عبثت بالإحصاء لكي يُؤكّد سيطرة الشمال على المجلس النيابي الاتحادي، وأنها المسؤولة عن سجن زعيم المعارضة في نيجيريا الغربية (أوباكيمي أواولو)،

وأنها تعيث الفساد، وتعتمد على القبلية.

وجرت الانتخابات في شعبان ١٣٨٤ هـ (كانون الأول ١٩٦٤ م) لاختيار مجلسٍ نيابيٍ اتحاديٍ جديدٍ، وقبل الانتخابات مباشرةً حدث انفراط في عقد الائتلاف الذي كان قائماً بين هيئة مؤتمر الشمال وبين حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون، والذي أصبح اسمه حزب المؤتمر الوطني لنيجيريا. وجرى إعادة تنظيمٍ جديدٍ للأحزاب. وتمخّضت الانتخابات عن الفوز بأغلبيةٍ كبيرةٍ للتحالف النيجيري الوطني المؤلف من سبعة أحزاب أكبرها هيئة مؤتمر الشمال، والحزب الديمقراطي الوطني النيجيري، وهو مجموعة تنظيمات تشكلت حديثاً وأمسكت بزمام السلطة بالإقليم الغربي. وأُشيع أن الحكومة الاتحادية قد تلاعبت لدرجةٍ أن حزب جماعة العمل بالإقليم الغربي قد قاطع الانتخابات، وأن حزب المؤتمر الوطني لنيجيريا قد هدّد بالانفصال بالإقليم الشرقي، وأن التحالف التقدّمي الذي يضمّ أربعة أحزاب أكبرها المؤتمر الوطني لنيجيريا، وحزب جماعة العمل قد دعوْا إلى مقاطعة الانتخابات التي كانت شاملةً في الإقليم الشرقي، وواسعةً في منطقة لاغوس.

وجرت الانتخابات التكميلية في الإقليم الشرقي في ذي القعدة ١٣٨٤ هـ (آذار ١٩٦٥ م) حيث فاز التحالف التقدّمي بالمقاعد جميعها، وجرت الانتخابات التكميلية في الإقليم الغربي في جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (تشرين الأول ١٩٦٥ م) ففاز حزب شعب الوسط الذي يرأسه (صاموئيل اكينتولا) الذي يرى التعاون مع الشمال، فامتلأت قلوب جماعة العمل حقداً، وحزب المؤتمر الوطني لنيجيريا غيظاً بل إن كل أعوان التحالف التقدّمي، وأخذوا يُنظّمون أعمال الفوضى والقتل على نطاقٍ واسعٍ في الإقليم الغربي، وغادر رئيسا حزبي جماعة العمل، والمؤتمر الوطني لنيجيريا إلى لندن بحجة الاستشفاء.

الانقلاب الأول:

منذ مطلع شهر شعبان ١٣٨٥ هـ (كانون الأول ١٩٦٥ م) بدأ (تشوكوما نزوغو) الضابط الذي يعمل مدرساً في الكلية الحربية في الشمال يقوم بمناوراتٍ ليليةٍ على أنها تدريبات، ويجري فيها إطلاق النار بالذخيرة الحية، وتقوم القطعات العسكرية بالتحرك من مكانٍ إلى آخر، حتى غدت التحركات العسكرية، وأصوات الطلقات النارية، ودوّي القصف والانفجارات أمراً مألوفاً لدى سكان الشمال.

وفي فجر يوم ٢٤ رمضان ١٣٨٥ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م) تحرّك (تشوكوما نزوغو) بمجموعةٍ من العسكريين نحو منزل (أحمدو بيللو) رئيس هيئة مؤتمر الشمال، وألقوا قنابلهم على الحرّاس القليلين، وانتزعوا (أحمدو بيللو) وزوجته من فراشهما، وأطلقوا عليهما الرصاص مباشرةً، ولم يشف غليل حقدهم إلا بعد أن قطّعوا الجثتين إرباً إرباً، ومثّلوا فيهما، وبعد أن تركوا المنزل طعمةً للنيران. وفي الإقليم الغربي قامت حركة مُماثلة حيث قتل المتآمرون رئيس وزراء الإقليم (صاموئيل اكينتولا) المتهم بممالأة المسلمين. وفي العاصمة لاغوس اختطف رئيس وزراء الحكومة الاتحادية (أبو بكر تفاوه بيلوه) ووزير المالية الاتحادي (فستوس أوكوتي) المتهم بممالأة المسلمين أيضاً، ونقلوهما إلى مكانٍ بعيدٍ عن العاصمة وقتلوهما بعد بضعة أيامٍ. وكان هذا الفصل الأول من المؤامرة. وكان الهدف الأول المسلمين عامةً، وأحمدو بيللو خاصةً مع أبو بكر تفاوه بيلوه، ثم الذين يظهرون الرغبة بالتعاون مع المسلمين من غيرهم. كان أحمدو بيللو رمزاً لقوة المسلمين في الشمال فقد ذكرنا أنه رفض الانحناء بصفته مسلماً أمام الأميرة إلكسندرا مندوبة الملكة إليزابيت ملكة بريطانيا في حفل استقلال نيجيريا. ورفض رفضاً قطعياً أي معونةٍ اقتصاديةٍ أو ثقافيةٍ أو فنيةٍ من دولة اليهود في فلسطين. وتوسّط الإنكليز لديه لزيارة (غولد مايرا) وزيرة خارجية اليهود لبلاده فأبى وردّهم، كما رفض أي وساطةٍ أو زيارةٍ بقصد الوساطة أو أي زيارةٍ لأي يهوديٍ قائلاً: إن بلده بلد إسلامي، ولا يسمح شعبه المسلم

لمن دنّس حرمة فلسطين ومناطقها المقدّسة أن يدخل بلاده. وكان (أحمدو بيللو) رئيس وزراء نيجيريا الشمالية قد زار مصر والشام أثناء الوحدة في صفر ١٣٨١ هـ (تموز ١٩٦١ م) وكان من تصريحاته يومذاك أن قال «إن التغلغل الصهيوني في بعض الدول الإفريقية سيكون له الأثر الخطير بين أفراد هذه الشعوب فإننا نعلم أن سياسة مصّ دماء الشعوب الإفريقية المتحرّرة والتي تريد أن تبني اقتصاداً ذاتياً وتحاول التقدّم سريعاً متخطيةً ظلام استعمارٍ عاش سنواتٍ طويلةٍ في القارة الإفريقية. وسياسة مصّ الدماء هي سياسة صهيونية، وقد استطاعت الدول الاستعمارية أن تُثبّت أقدام دولة اليهود في بعض البلدان الإفريقية، وبعد مدةٍ غير قصيرةٍ سنجد أن الدول التي أغلقت الأبواب أمام سياسة مصّ الدماء قد تقدّمت، أما الدول التي تركت اقتصادها في يد بعثات النصب الصهيونية فهي دول لا شك ستتأخر كثيراً لأن خيرات البلاد ستصبح في أيدي هذه البعثات... وهناك كثير من البلدان الإفريقية وخاصةً التي نالت استقلالها حديثاً تشعر تماماً بالخطر الصهيوني فلا تُفكّر بالارتباط أو بالوقوع في الفخ، فعندنا في الإقليم الشمالي من نيجيريا حاولت بريطانيا أن تبثّ بعض النفوذ الصهيوني، ولكننا منعنا تثبيت أقدام العصابة في بلادنا، وأعلنا أننا غير ملزمين بأي ارتباطٍ سواء أكان على شكل اتفاقيةٍ أم على أي شكلٍ آخر مع دولة اليهود تعقدها الحكومة الاتحادية أو بقية الحكومات الإقليمية، كان هذا قبل الاستقلال عندما كانت الأمور بيد بريطانيا. ثم حاولت دولة اليهود بعد استقلالنا أن تُرسل إحدى بعثات النصب، ولكننا منعنا هذه البعثات من دخول أراضينا، وحاولت مرةً أخرى أن تعقد اتفاقياتٍ فرديةً مع التجار لتكون السوق مليئةً بالبضائع اليهودية، ولكننا أغلقنا كل متجرٍ فيه بضاعة يهودية.

إن الشعب عندنا يكره دولة اليهود لعلمه تماماً بعدم شرعية قيامها كدولةٍ، وعدم تكامل شروط الدولة في مجموعة الناس الذين يعيشون في رقعة أرضٍ سرقوها أصلاً من أصحابها المسلمين، والشعب يعرف الدور الخطير الذي لعبته دولة اليهود في العدوان الثلاثي على إقليمكم الجنوبي

عام ١٣٧٦ هـ(١٩٥٦ م) والذي وضعت فيه دولة اليهود العالم على حافة هاويةٍ لحربٍ عالميةٍ ثالثةٍ، ضاربةً عرض الحائط بأصوات السلام التي انبعثت من كل مكانٍ من العالم.

والشعب النيجيري يكره دولة اليهود لأنه يعلم موقفها من التمييز العنصري في اتحاد جنوبي إفريقية، ومن رغبة الشعب الجزائري في الحرية، ومن قضايا الاستقلال في الكونغو، وأنغولا.

وكان (أحمدو بيللو) رغم هذا كله يمتاز بالبساطة، والفهم السطحي للإسلام، وقد تغيّر هذا التفكير في آخر عمرة أدّاها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) حيث تكلم في حديثٍ تلفزيونيٍ عن هذا التغيير، فقال عندما سئل عن منهجه الجديد: إنه ينوي إنشاء مدارس إسلاميةٍ جديدةٍ تُدرّس الإسلام الصحيح حتى تُخرّج جيلاً جديداً يحمل بين جوانحه عقيدة الإسلام. حتى اعتقد الذين سمعوا حديثه أن الاستعمار الصليبي، وإرساليات التنصير، واليهودية ستتحرّك كلها للقضاء عليه. وقد تمّ فعلاً - بأمر الله - ما توقّعوه.

وكان قد أسّس قبل مقتله جريدة نيجيريا الجديدة، كما شيّد مدرسةً سمّاها «نصر الإسلام» واختلف التوجيه في هاتين المؤسّستين قبل وفاته بقليل عما كان عليه من قبل.

ولا شكّ أن هذا كان السبب الأساسي في الحقد على هذا الرجل الكبير، رئيس وزراء نيجيريا الشمالية وزعيم حزب هيئة مؤتمر الشمال. ونتيجة هذا الحقد كان مصرع هذا الرجل بهذه التمثيلية.

الانقلاب الثاني:

كان هذا هو الفصل الأول من التمثيلية، أما الفصل الثاني فكان ادعاء قائد الجيش (جونسون أغوي إيرونسي) بأنه قام بانقلابٍ مضادٍّ لحركة التمرّد، موالٍ للحكومة الشرعية بعد أن قُتل أهم وزرائها، بيد المتمردين،

غير أن سير الأحداث قد فضح المؤامرة، ولم يدع مجالاً للشك في أن العمليتين كانت فصلين من روايةٍ واحدةٍ يكمل أحدهما الآخر، ذلك أن قائد الجيش الذي زعم أنه موالٍ للحكومة، وسحق التمرد لم يفعل شيئاً يُؤيّد ما ذهب إليه، بل عمل على تعطيل أهم مواد الدستور، وأقال الحكومة الاتحادية، والحكومات الإقليمية، وعيّن حاكماً عسكرياً لكل إقليمٍ وجعله مسؤولاً أمامه، وجعل الشرطة الإقليمية تخضع للمفتش العام للشرطة في العاصمة الاتحادية بدلاً من خضوعها للسلطات الإقليمية، ثم وجه الصحافة في العاصمة إلى مهاجمة الحكام السابقين أي المسلمين والذين يرون التعاون معهم، ولم يكن ذلك إلا لمصالحهم، لأن المسلمين هم الأكثرية، والغريب أن هذا القائد وأمثاله من الإقليم الشرقي كانوا ينادون بزيادة الاستقلال الإقليمي، ويُهدّدون بالانفصال، وعندما استلموا السلطة بدأوا يُمهّدون لإلغاء الحكم الإقليمي، ويدعون إلى اتحادٍ قويٍ ليذلّوا المسلمين ويستبدّوا بمصالحهم. أما المتمرّدون الذين زعم قائد الجيش أنه سيسحقهم فقد قال: إنه وجدهم غير راغبين بالقتال لذا أوقف زحف قواته عليهم، ثم أذاع أن قائد التمرّد قد سلّمه سيفه، واستسلم هو وقواته، وأضاف أنه طلب من قائد التمرّد أن يُقدّم له تفسيراً لاغتيال أحمدو بيللو وزوجته، وإحراق بيته على أن يُقدّم هذا التفسير في مؤتمرٍ صحفيٍ، مع العلم أنه قد اغتيل ستون من الزعماء المدنيين، وخمسون ضابطاً، معظمهم من المسلمين، ومن كان من غيرهم اتُّهم بممالأتهم.

عقد (تشوكوما نزوغو) مؤتمراً صحفياً، هاجم فيه ما أسماه حكم الفساد، والاستبداد، والقبلية، وصرّح أنه استسلم هو وقواته بعد أن اشترط على قائد الجيش (جونسون إيرونسي) خمسة شروطٍ قبلها كلها منها: سلامة الأشخاص الذين اشتركوا بالمؤامرة، وعدم تعرّضهم لأي أذىً، وطرد رجال الحكم السابقين من مناصبهم، والقضاء على الحكم القبلي.

وفي اليوم الثاني للانقلاب الأول ٢٥ رمضان ١٣٨٥ هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٦٦ م) قام من تبقّى من الوزراء الاتحاديين بتسليم السلطة إلى

قائد الجيش (جونسون إيرونسي) الذي شكّل بدوره مجلساً عسكرياً أعلى، ثم قام فوراً بتعليق صلاحيات رئيس الجمهورية (ناندي إزيكوي) الذي كان خارج البلاد وقت وقوع الانقلاب، ورئيس الوزراء الاتحادي (أبو بكر تفاوه) الذي كان قد اختطف.

أعلنت السلطة العسكرية مقترحات في شوال ١٣٨٥ هـ (شباط ١٩٦٦ م) لإلغاء الدولة الاتحادية، وإقامة دولةٍ وحدويةٍ، وتبعاً لذلك وقعت موجة من أحداث العنف المتبادل قُتل فيها الكثير ممن ينتمون إلى قبائل الإيبو الذين يعيشون خارج إقليمهم، أو أُجبروا على الرحيل، وأدّت هذه الأحداث إلى زعزعة استقرار البلاد، وانهيار السلطة المركزية.

خلا الجو أمام دولة اليهود للتسلّل إلى الإقليم الشمالي بعد أن كان مُغلقاً أمامها أيام (أحمدو بيللو)، وخلا الجو لقبائل الإيبو للسيطرة على نيجيريا كلها بعد القضاء على (أحمدو بيللو) الرجل القوي الذي كان يقف في وجهها، ومن المعلوم أن الضباط الخمسة الذين تمرّدوا في الشمال، وقائد الجيش المتفق معهم (جونسون إيرونسي) ورئيس الجمهورية المتمارض والموجود خارج البلاد كانوا كلهم من قبائل الإيبو، وهم وراء الانقلاب الأول، وتمثيل دور الانقلاب الثاني لخداع الشعب والرأي العام العالمي.

وأظهرت الصحافة الأجنبية والدوائر الاستعمارية والإرساليات التنصيرية سرورها بما حصل في نيجيريا. واستقبل النصارى والوثنيون الأخبار بالابتهاج والفرح والرقص في الشوارع. وأما المنطقة العربية فقد سادها الصمت عدا مظاهرةٍ إسلاميةٍ ضخمةٍ في السودان نظّمتها التنظيمات الإسلامية، وشارك فيها كبار المسؤولين.

وغيّرت السلطة العسكرية اسم البلاد فأصبحت «جمهورية نيجيريا الاتحادية» بعد أن كانت «اتحاد نيجيريا» وذلك يوم ٤ صفر ١٣٨٦ هـ (٢٤ أيار ١٩٦٦ م)، وجمّدت الأحزاب اسمياً، وكان حزب المؤتمر الوطني لنيجيريا هو اليد المحركة للانقلاب، وبقي حزب جماعة العمل في الإقليم

الغربي، وحزب اتحاد العناصر الشمالية (الصوابا) في الإقليم الشمالي يعملان بتكليفٍ من الحكومة.

أما الأقاليم، فإن أهل الإقليم الشمالي قد عدّوا الانقلاب مُوجّهاً ضدّهم، وأخذوا يتحينون لحظة الانتقام، وكانت العاطفة عندهم قويةً، وحدثت اضطرابات راح ضحيتها آلاف من أبناء الإقليم الشرقي الذين ينتمون لقبائل الإيبو، وشُرّد بعضهم، وطُرد بعضهم الآخر من وظائفهم. وأما الإقليم الغربي فإن قسماً منه كان مُؤيّداً للانقلاب، وهم حزب جماعة العمل، وقسماً آخر كان ناقماً عليه، وقد أصابه بعض شرره لأنه عُدّ موالياً للمسلمين وهو حزب شعب الوسط، وقد قُتل زعيمه (صاموئيل اكينتولا). وأما الإقليم الشرقي فقد كان صاحب الانقلاب، ومُؤيّداً له، ومسروراً جداً، ولم يُصب الشرر سوى وزير المالية الإتحادي (فستوس أوكوتي أيبو) لأنه عُدّ من ممالئي المسلمين، ولكن عامة الإقليم كانوا بجانب (جونسون ايرونسي) وقد تحدّوا الإسلام وأذاعوا أنهم قتلوا اليوم الصنم في نيجيريا، وغداً سيُحطّمون الصنم في مكة، وتنتهي خرافة الإسلام، وعبادة الأشخاص، وبدت عليهم سمات الغطرسة وإحراز النصر.

الانقلاب الثالث:

كان الإقليم الشمالي يتميّز غيظاً على قبائل الإيبو، وإمكاناته العددية ضخمة، وخوفاً من أن يتحرك أهله فجأةً، وينقضّوا على الإيبو، وتذهب أعداد من النصارى قتلاً، فإن التعليمات والتخطيط قد جاءت لحركة النصارى على قلّتهم من الشمال، فتعود للشماليين سيطرتهم، ويشفى حقدهم، ولكن تحت قيادةٍ نصرانيةٍ، وبذلك تضمن حماية النصارى في الإقليم الشرقي حيث يُشكّلون الأكثرية هناك، ففي ١١ ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ (٢٩ تموز ١٩٦٦ م) تحرّك العميد (يعقوب غاوون)، وهو نصراني من قبائل الهاوسا سكان الإقليم الشمالي فنصّب نفسه قائداً أعلى للقوات المسلّحة، وأعلن النظام الاتحادي، وقيام حكوماتٍ محليةٍ في

الأقاليم الأربعة، وعيّن حاكماً عسكرياً على كل إقليمٍ، وفي الشهرين التاليين وقعت مجازر ضدّ عدة آلاف من عناصر قبيلة الإيبو الذين بقوا في الشمال على أيدي قواتٍ من قبيلة الهاوسا. واستغلّ هذا المستعمرون الصليبيون، فعدّوا القضية إسلاميةً، وأرادوا إثارة النقمة على المسلمين مع أن الذين قاموا بالانقلاب جلّهم من النصارى الشماليين، ولا يزيد عددهم على ثلاثمائة جنديٍ، ولكن أخذتهم العصبية القبلية، وهم الذين اختطفوا قائد الجيش السابق (جنسون ايرونسي) ثم انتقلوا إلى المعسكرات واحداً بعد الآخر يقتلون الضباط الذين ينتمون لقبائل الإيبو، وهم أكثر الضباط في كل مكان، ولكن أكثر الجنود كان من الهاوسا، ولذا أصبح الجنود يقتلون ضباطهم في كل معسكر، عندئذٍ أمرت القيادة بجمع هؤلاء الجنود، ووزّعتهم في مدن الشمال، حيث تكون كل فئةٍ، وعددها ٣٣ عنصراً في مدينة، والفئة التي أُرسلت إلى مدينة (كانو) هي التي لعبت دوراً كبيراً في هذه الأحداث.

وفي شوال ١٣٨٦ هـ (بداية عام ١٩٦٧ م) تدهورت العلاقات بين الحكومة الاتحادية والحاكم العسكري للإقليم الشرقي المقدم (تشوكوميكا أودميغو أوجوكو) عندما تمّ اكتشاف النفط بكمياتٍ كبيرةٍ في الإقليم الشرقي إذ نشب النزاع حول توزيع عائدات النفط. وبلغ النزاع أوجه عندما أعلن (يعقوب غاوون) في ١٨ صفر ١٣٨٧ هـ (٢٧ أيار ١٩٦٧ م) عن إلغاء نظام الأقاليم، وتقسيم البلاد إلى اثنتي عشرة ولاية.

طلب المقدم (تشوكوميكا أوجوكو) من جميع قبائل الإيبو في كل مكانٍ وجُدوا فيه أن يعودوا إلى الإقليم الشرقي، وأعطى مهلةً لذلك مدة شهرٍ، ثم مددّها أسبوعاً آخر، فكان أن انتقل أكثر الناس من الإيبو الذين في خارج إقليمهم إليه عدا المسؤولين الكبار، وموظفي المصارف فلم يلبوا الطلب حيث بقوا في مراكزهم، وفضلوا البقاء ما داموا قد أعطوا الأمان، وبقوا في وظائفهم أحراراً.

أمر الحاكم العسكري للإقليم الشرقي المقدم (تشوكوميكا أوجوكو) جمع المسلمين وأبناء قبيلة الهاوسا جميعاً الذين هم في الإقليم الشرقي في مدينة (أونيتشا) والقضاء عليهم جميعاً، وتمّت المذبحة، ولم ينج إلا أفراد فرّوا بمساعدة أبناء قبيلة (الكالابار) التي تقطن في الإقليم الشرقي.

انتقل الخبر إلى الشمال، وعندها قامت الفئة التي تكلمنا عنها في مدينة (كانو)، وطلبت من رئيسها النقيب (هارون موسى)، وهو ضابط مسلم، أن يُعطيهم السلاح، ولكنه رفض، فطلب منه أحدهم أن يصلي ركعتين فإن الموت آتيه ـ بإذن الله ـ لا محالة، فأخبرهم أن القيادة لا تقبل ذلك ، وقد أُعطي الأوامر بعدم تسليم السلاح إليهم، فأطلقوا عليه النار، فقُتل حالاً، وأخذوا مفتاح المستودع، واستلموا السلاح، وأقبلوا على الموظفين من الإقليم الشرقي المجتمعين في المطار، وهم من كبار الموظفين فقتلوهم جميعاً، وانتقل هذا التصرّف إلى كل من مدن (زاريا) و (كادونا) حيث قتل أفراد قبائل الإيبو المجتمعين في محطة القطار لعودتهم إلى الإقليم الشرقي، واستثنى الجنود أفراد قبيلة (الكالابار) من ذلك لموقفهم من مذبحة (أونيتشا). وعندها طوّقت القيادة هؤلاء الجنود، وعلموا أنهم مقتولون لا محالة، جمعوا حولهم عدداً من الأشرار وأقبلوا على المدن يعيثون الفساد يقتلون ويسلبون.

وأما في بلاد (برنو) في شمال شرقي نيجيريا، فعندما وصل إليهم نبأ مذبحة (أونيتشا)، وأنه كان لأبناء شعبهم نصيب من القتل، وأن قبيلة الإيبو لم تفرق بين القبائل، وإنما كان الذبح للمسلمين جميعاً من أي قبيلةٍ كانوا، قام سلطان البرنو، ولبس الثوب الأحمر دليل إعلان الحرب، وقتلوا أفراد قبيلة الإيبو الذين هم في منطقتهم جميعاً واستثنوا النساء والأطفال إذ سلّموهم إلى الشرطة التي قامت بدورها، وتولّت نقلهم إلى إقليمهم، كما استثنوا من أبناء الإقليم الشرقي أفراد قبيلة (الكالابار).

لم يتوقف الصراع عند هذا الحدّ بل تطورت انقلابات الدم إلى حربٍ أهليةٍ، وقد مهد المقدم (تشوكوميكا أوجوكو) الحاكم العسكري

للإقليم الشرقي في نيجيريا لأحداث الانفصال بإعلانه بأنه سيمضي بمخططه المتعلّق بجعل الحكم لا مركزياً في نيجيريا، وقال: إن تصميم الإقليم الشمالي في نيجيريا على حكم الاتحاد هو السبب الرئيسي في متاعب البلاد، وإن النيجيريين لا يريدون الوحدة، بل مجرد الترابط، وإن علاقات الإقليم الشرقي بالحكومة الاتحادية قد بلغت مرحلة غير العودة.

حكومة بيافرا:

وفي ٢١ صفر ١٣٨٧ هـ (٣٠ أيار ١٩٦٧ م) أعلن العقيد (تشوكوميكا أوجوكو) انفصال الإقليم الشرقي، وأعلن الجمهورية فيه، وأطلق على الدولة اسم «جمهورية بيافرا»، ولكن الحكومة الاتحادية عدّت هذا الانفصال غير مشروع، وأصدرت الأوامر إلى القوات العسكرية بالتوجّه إلى «اينوغو» عاصمة الإقليم الشرقي لإنهاء الحكم الانفصالي بعد أن اتّهمت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بتقديم التسهيلات لتجار السلاح الغربيين لتزويد حكومة بيافرا الانفصالية بالمعدات الحربية والأسلحة.

بدأت الحرب بين الفريقين في ٢٣ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ (٣٠ حزيران ١٩٦٧ م)، وأحرزت في بداية القتال القوات الانفصالية بعض التقدّم في الإقليم الغربي، والغرب الأوسط، ولكن القوات الاتحادية تغلّبت في النهاية، وانهارت المقاومة الانفصالية في رجب ١٣٨٩ هـ (أيلول ١٩٦٩ م)، وأخذت قوات بيافرا تتراجع، ودخل الاتحاديون مدينة اينوغو، وغادر (تشوكوميكا أوجوكو) البلاد يوم السبت ٣ ذي القعدة ١٣٨٩ هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٧٠ م) بعد أن ترك (أوفينغ) قائداً لقوات الإقليم الشرقي مكانه، وبعد يومين من فرار (أوجوكو) أي يوم الاثنين ٥ ذي القعدة ١٣٨٩ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٠ م) أصدر (أوفينغ) أوامره لقوات الإقليم الشرقي بالاستسلام وإلقاء السلاح، وظهر (أوجوكو) بعد أسبوع في ساحل العاج، وهي إحدى الدول الإفريقية التي اعترفت بدولة بيافرا الانفصالية إضافةً إلى زامبيا، وتانزانيا، كما أن فرنسا كانت تعطف على الحركة

الانفصالية وتسعى لدعمها. وقطعت نيجيريا علاقاتها مع هذه الدول، ثم استؤنفت في رمضان ١٣٩١ هـ (تشرين الأول ١٩٧١ م).

بدأت المؤسسات الاستعمارية والتنصيرية تتحدّث عن المذابح الجماعية، وعن المجاعات في الإقليم الشرقي، وأذاعت أنه قد مات بالحرب والمجاعة ما بين ٥٠٠,٠٠٠ إلى مليوني شخص جلّهم من قبائل الإيبو وبدأت ترسل المساعدات إلى الإقليم الشرقي، وأخيراً أعلن (يعقوب غاوون) أن نيجيريا ترفض هذه المساعدات وأنها ستتكفّل بالأمر، وأن كل ما تتحدّث به الدوائر الأجنبية إنما هو عارٍ عن الصحة، وليس هناك من مجاعةٍ بالشكل الواسع الذي تُصوّره الدعايات والإذاعات، وأن عفواً عاماً سيصدر عن الذين غُرّر بهم، واشتركوا بحركة الانفصال. كما أعلن في شعبان ١٣٩٠ هـ (تشرين الأول ١٩٧٠ م) أن الحكم العسكري سيستمر ستة أعوام أخرى، غير أنه عاد فأعلن في رمضان ١٣٩٤ هـ (تشرين الأول ١٩٧٤ م) أن عودة الحكم المدني ستتأخر إلى أجلٍ غير محدودٍ.

الانقلاب الرابع:

وفي ٢١ رجب ١٣٩٥ هـ (٢٩ تموز ١٩٧٥ م) وفي احتفالات الذكرى التاسعة للانقلاب الذي جاء بـ (يعقوب غاوون) إلى السلطة، وبينما كان الرئيس النيجيري يحضر مؤتمر قمة منظمة الوحدة الإفريقية المنعقد آنذاك في أوغندا اختار القادة العسكريون النيجيريون الجدد العميد (والذي أصبح لواءً) مرتضى الله رحمة محمد المفوض الاتحادي السابق للاتصالات كي يتولّى منصب رئيس الدولة.

شنّ النظام الجديد حملاتٍ نشطة ضدّ الإهمال والفساد، وتلقّى تأييداً شعبياً واسعاً لأنه مسلم من الشمال، وأعلن في شوال ١٣٩٥ هـ (تشرين الأول ١٩٧٥ م) جدولاً زمنياً تفصيلياً للانتقال من الحكم العسكري إلى الحكم المدني، واقترح تشكيل حكومةٍ مدنيةٍ في ١٠ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (في الأول من تشرين الأول ١٩٧٩ م)، ومهما يكن من أمرٍ فقد اغتيل اللواء

مرتضى الله رحمة محمد في صفر ١٣٩٦ هـ (شباط ١٩٧٦ م) في محاولةٍ انقلابيةٍ تورّط فيه سلفه (يعقوب غاوون).

تولّى الفريق (أولسيغن أوباسنجو) رئيس أركان القوات المسلّحة مقاليد السلطة فوراً، فوعد على اعتبار أنه الرئيس الجديد للبلاد بتنفيذ برنامج سلفه لتسليم الحكم للمدنيين في الموعد المقرّر له. وجعل عدد الولايات ١٩ ولايةً بعد أن كانت ١٢ ولايةً، واتخذ عاصمةً جديدةً قرب «أبوجا» وسط البلاد، وتم انتخاب مجالس الحكومات المحلية بنهاية عام ١٣٩٦ هـ (كانون الأول ١٩٧٦ م)، وتمّ افتتاح جمعيةٍ عموميةٍ تأسيسيةٍ (انتخبتها هذه المجالس بصورةٍ رئيسيةٍ) في ذي القعدة ١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م) لمناقشة الدستور الجديد المقترح.

وفي شوال ١٣٩٨ هـ (أيلول ١٩٧٨ م) صدر الدستور الجديد، وتمّ إلغاء حالة الطوارىء التي بقيت سارية المفعول مدة اثنتي عشرة سنة، وفي الوقت نفسه أُلغي الحظر على النشاط السياسي المفروض كذلك المدة نفسها، وسجّلت الهيئة الانتخابية الاتحادية خمس مجموعاتٍ على أنها أحزاب سياسية في شهر صفر ١٣٩٩ هـ (كانون الثاني ١٩٧٩ م).

جرت الانتخابات في شهر شعبان ١٣٩٨ هـ (تموز ١٩٧٨ م) لأعضاء مجلسي الجمعية الوطنية التأسيسية الجديدة (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) وكذلك للجمعيات العمومية بالولايات وحكام الولايات، واتضح من هذه الانتخابات الأربعة أن الحزب الذي حقق أوسع تأييد شعبي هو الحزب الوطني النيجيري الذي كان يضم أعضاء بارزين كثيرين من حزب هيئة مؤتمر الشمال وممثلين من الأحزاب الرئيسية الأخرى جميعها والتي كانت قبل انقلاب يعقوب غاوون ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م)، وكان الحاج شيخو شاغاري هو المرشح الرئاسي للحزب الوطني النيجيري حيث سبق له العمل وزيراً لحزب هيئة مؤتمر الشمال قبل عام ١٣٨٦ هـ، كما عمل مفوضاً اتحادياً في ظل الحكم العسكري بين عامي ١٣٩٠ - ١٣٩٥ هـ (١٩٧٠ - ١٩٧٥ م).

حصل شيخو شاغاري على أعلى نسبةٍ من الأصوات في انتخابات الرئاسة في رمضان ١٣٩٨ هـ (آب ١٩٧٨ م)، وتولّى مهام منصبه على أنه أول رئيس جمهورية تنفيذي لنيجيريا في ١٠ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (١ تشرين الأول ١٩٧٩ م) عندما نقل النظام العسكري السلطة إلى السلطات المدنية المنتخبة حديثاً، وتمّ تطبيق الدستور.

استفادت الحكومة الجديدة من دخل النفط غير أن انخفاض أسعاره قد أدّى إلى أزمةٍ اقتصاديةٍ في ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ (١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ م) ونجم عنها صعوبات متزايدة لغالبية السكان وإلى انتشارٍ واسعٍ للفساد. وبدءاً من عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) كان على الرئيس شيخو شاغاري أن يدخل في منافسة مع حزب الشعب النيجيري لانهيار التحالف في المجلس النيابي مع الحزب الوطني النيجيري، حيث شكّل حزب الشعب النيجيري ائتلافاً انتخابياً هو «تحالف الأحزاب التقدمية» الذي كان يضمّ «حزب الوحدة النيجيري»، وأجنحةً من حزب «التحرير الشعبي»، والحزب الشعبي لنيجيريا الكبرى استعداداً لانتخابات عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ذات المراحل الست التي يتمّ فيها انتخاب رئيس الجمهورية، وحكام الولايات، وأعضاء مجلس الشيوخ، ومجلس النواب، والجمعيات الوطنية للولايات، والحكومات المحلية. وعندما بدأت أعمال الحملات الانتخابية جديةً وجد «تحالف الأحزاب التقدمية» نفسه منقسماً على نفسه بشأن قضية اختيار المرشح الرئاسي فقد عاد (تشوكوميكا أوجوكو) من المنفى في رجب ١٤٠٢ هـ (أيار ١٩٨٢ م) وانضمّ مؤخراً إلى الحزب الوطني النيجيري.

جرت الانتخابات في شهر ذي القعدة وذي الحجة ١٤٠٣ هـ (آب وأيلول ١٩٨٣ م)، وتنافست فيها ستة أحزاب، وفاز في الاقتراع الرئاسي (شيخو شاغاري) لمدة رئاسيةٍ ثانيةٍ، وفاز لاحقاً الحزب الوطني النيجيري بثلاثة عشر منصباً لحكام الولايات من الولايات التسع عشرة، وحقّق أغلبيةً ساحقةً في مجلسي الشيوخ والنواب، بينما سار التصويت بالنسبة لاختيار

الجمعيات الوطنية بالولايات والحكومات المحلية حسب طريقة الانتخابات الحاكمية على نطاقٍ واسعٍ حيث يُفضّل المقترعون الحزب الذي تمّ اختيار مرشحه حاكماً. وبعد الانتخابات سرت شائعات واسعة الانتشار عن التلاعب بالبطاقات الانتخابية من قبل الحزب الوطني النيجيري والهيئة الانتخابية الاتحادية، وكان مصدر هذه الشائعات أحزاب المعارضة التي نجحت في تحقيق أمورٍ مثيرةٍ للجدل والنزاع.

أقسم الرئيس شيخو شاغاري اليمين الدستورية لمدةٍ رئاسيةٍ ثانيةٍ في ٢٤ ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (١ تشرين الأول ١٩٨٣ م)، فأجرى تعديلا وزارياً سريعاً تمّ فيه استبدال أغلبية الوزراء السابقين.

الانقلاب الخامس:

وفي ٢٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٨٣ م) قام انقلاب عسكري بقيادة اللواء محمد بخاري الذي كان مفوضاً اتحادياً للنفط، وتشكلت إدارة عسكرية جعلته رئيساً للدولة، وحلّت الجمعية الوطنية التأسيسية وفرض الحظر على الأحزاب السياسية جميعها، واعتقلت المئات من السياسيين ورجال الأعمال ومن بينهم الرئيس السابق شيخو شاغاري، ونائبه اليكس ايكويم بتهم الفساد، وأُدين عدد من السياسيين من بينهم حكام ولايات سابقون بسوء التصرّف في الشؤون المالية، ومن ثم سُجنوا.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (شباط ١٩٨٤ م) أصدر المجلس العسكري الأعلى الجديد مرسوماً علّق فيه الدستور، وأعطى الحكومة السلطة لاستصدار قوانين لا يمكن الاعتراض عليها أمام المحاكم، وقيّد مرسوم آخر حرية الصحافة، وسمح بإغلاق الصحف، ومحطات الإذاعة، وسجن الصحفيين لمجرد نشر أخبار غير صحيحة. ثم حظرت الحكومة في شوال ١٤٠٥ هـ (تموز ١٩٨٥ م) كل نقاشٍ حول المستقبل السياسي لنيجيريا بحجة مصلحة أمن الدولة، وصرّح محمد بخاري أنه ليس هناك تاريخ مُحدّد لاستعادة الحكم المدني.

الانقلاب السادس:

وفي ثاني أيام العيد الأضحى ١٤٠٥ هـ (٢٧ آب ١٩٨٥ م) جرى انقلاب جديد بقيادة اللواء (إبراهيم بابا نغيدا) كبير أركان الجيش، وأحد أعضاء المجلس العسكري الأعلى، أطاح بنظام الحكم السابق، وتشكّلت إدارة عسكرية جديدة جعلت اللواء (إبراهيم بابا نغيدا) رئيساً للجمهورية، وحلّت المجلس الحاكم للقوات المسلّحة محلّ المجلس العسكري الأعلى (رغم أن معظم أعضائه كانوا أعضاءً في المجلس العسكري الأعلى السابق) هذا بينما بقيت مؤسسات أخرى على حالتها السابقة نسبياً دون تغيير كالحكومة مثلاً إذ بقيت كما هي. ثم أصدر الرئيس الجديد مرسوماً ألغى فيه مرسوم مراقبة المطبوعات، وأطلق سراح ما يزيد على مائة معتقلٍ سبق لهم أن سجنوا دون محاكمةٍ في العهد السابق. غير أن الضيق والتبرم بالسياسات الاقتصادية الصارمة للنظام الجديد والاصلاحات الثورية كان قائماً، وهذا ما أدّى إلى قيام عددٍ من الضباط في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) بمحاولة انقلابٍ فاشلةٍ، وألقي القبض على المشتركين بالحركة، وفي الشهر التالي أعلن الرئيس إبراهيم بابا نغيدا أن النظام سينقل السلطة إلى حكومةٍ مدنيةٍ يتمّ اختيارها بحريةٍ في ١٢ ربيع الأول ١٤١١ هـ (١ تشرين الأول ١٩٩٠ م). ولكن سمعة النظام قد تدهورت في رجب ١٤٠٦ هـ (آذار ١٩٨٦ م) عندما قام بإعدام عشرةٍ من كبار الضباط من الثلاثة والعشرين ضابطاً الذين اتهموا بالتورّط بمحاولة الانقلاب والتآمر على النظام.

وشكّل النظام في رجب ١٤٠٦ هـ (آذار ١٩٨٦ م) مكتباً سياسياً للنظر في التوصيات المقترحة من مختلف المجموعات الوطنية حول شكل الحكومة المدنية المقترحة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) أصبحت نيجيريا عضواً كامل العضوية في منظمة المؤتمر الإسلامي، وكان هناك احتجاج

عنيف من الأقلية غير المسلمة. وانطلقت مظاهرات في جامعة (أحمدو بيللو) في مدينة زاريا ووقعت صدامات بين المتظاهرين ورجال الشرطة فقتل خلالها خمسة عشر طالباً، فوضعت الحكومة قوات عسكرية كحرس في الجامعات الأخرى للحيلولة دون انتشار الاضطرابات، وفرضت حظراً على المظاهرات.

وفي شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) صادقت الحكومة على إنشاء ثلاثة أجهزةٍ للقيام بمهمة «مؤسسة الأمن الوطني» وهي عبارة عن قوة شرطةٍ شبه عسكريةٍ. وفي الشهر نفسه أصدر الرئيس قراراً يمنع المسؤوليين الرسميين الذين أدينوا بتهمة الفساد من تولّي أي منصب في الدولة مدة عشر سنواتٍ، وكذلك سحب جوازات سفرهم لمدة خمس سنوات، وتجميد أو مصادرة أملاكهم، وقد أثار هذا القرار كثيراً من الجدل.

وكانت قد بُرئت ساحة الرئيس السابق (شيخو شاغاري) ونائبه (اليكس ايكويم) من تهم الفساد، ثم أطلق سراحهما في ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) بعد بقائهما رهن الاعتقال مدة ثلاثين شهراً، ولكن بقي الحظر عليهما من ممارسة النشاط السياسي. وكذلك أطلق سراح ١٧ آخرين من المسؤولين السابقين في حكومة شيخو شاغاري.

وفي شهر ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م) جرت إعادة توزيعٍ شاملةٍ لحكام الولايات، فتمّ تعيين ثمانية حكامٍ جددٍ، بينما تبادل المناصب خمسة حكام آخرون. وفي شهر صفر ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م) طُرد رئيس الأركان العامة من المجلس الحاكم للقوات المسلحة، وفي الوقت نفسه تمّ تعيين أربعة أعضاء جدد فيه. وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) اتُّهم رئيسا جهازين من أجهزة أمن الدولة بارتكاب جرائم بعد أن قُتل محرر إحدى المجلات ذات النفوذ بطردٍ متفجرٍ (غير أن هذه التهم قد سُحبت بعد كثيرٍ من الجدل بعد مرور سنةٍ وثلاثة أشهرٍ).

وفي رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) فرضت الحكومة حظر التجول على ولاية كادونا، وأمرت بإغلاق المدارس والجامعات في الولايات الشمالية بعد وقوع مصادماتٍ بين المسلمين والنصارى أسفرت عن قتل ما لا يقلّ عن خمسةٍ وعشرين شخصاً واحتجاز خمسمائة فردٍ.

وفي شهر شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران ١٩٨٧ م) أنشأت الحكومة مجلساً استشارياً وطنياً للشؤون الدينية يضم أعضاء مسلمين وآخرين من النصارى للبحث في وسائل تحقيق التسامح الديني في نيجيريا، ومع ذلك استمرّت المظاهرات الغاضبة لدى الطلاب بقية العام، والعام الذي تلاه. ووقعت أعمال فوضى في المدن والجامعات قُتل خلالها ستة أشخاصٍ، وكانت احتجاجاً على زيادة الأسعار، وأجور المنازل، والوقود فأمرت الحكومة بإغلاق عدة جامعاتٍ، ولم تفتتح ثانيةً إلا ما بعد ما يقرب من الشهرين.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) كان اختيار (إبراهيم دسوقي) لمنصب سلطان سوكوتو الجديد سبباً لوقوع شغبٍ بين أعوانه وبين أعوان ابن السلطان السابق.

وفي ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) وعلى أثر تلقي توصيات من المكتب السياسي في شهر رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) أعلن الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) تفاصيل منهجٍ لنقل السلطة إلى حكومةٍ مدنيةٍ في ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) أي بتأخير سنتين عما كان مقرراً أصلاً، رغم أنه كان من المفروض أن تتم على أساسٍ غير حزبيٍ حيث أن الحظر على الأحزاب السياسية كان لا يزال ساري المفعول.

وفي عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) كان ينبغي الحظر على المصادقة على تشكيل حزبين سياسيين فقط، ومن ثم يتنافس هذان الحزبان في انتخابات الولايات عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م)، والانتخابات المحلية عام ١٤١١ هـ، وكان من المقرر إجراء تعدادٍ سكانيٍ قبل انتخابات الهيئة التشريعية

الاتحادية ذات المجلسين، ورئيس الجمهورية المدني المقرر إجراؤها عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م).

وفي شهر ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م) شكّلت الحكومة هيئةً انتخابيةً وطنيةً لإجراء انتخاباتٍ حـرةٍ ونزيهـةٍ. وفي مطلع عـام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) تمّ إنشاء لجنة مراجعة الدستور لبحث مقترحات وضـع دستور جديد، وأعلن الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) في الشهر نفسه حرمان أي عضوٍ في أي دائرةٍ من خوض الانتخابات إذا ثبتت إدانته بالفساد منذ ثلاثين سنةً، وكذلك حرمـان الذين تـولّوا منـاصب رفيعة أثنـاء الحكم المدني، وكذلك حظر على منسوبي القوات المسلحة الذين يتولّون حالياً أو سبق لهم تولّي مناصب سياسيةٍ رفيعةٍ من خوض الانتخابات أثناء مرحلة الانتقال إلى الحكم المدني، كما استحدث ولايتين جديدتين هما: ولاية كاتسينا التي تمّ استحداثها من أحد أجزاء ولاية كادونا، وولاية أكوا إيبوم التي شُكّلت من ولاية نهر كروس.

وفي ٢١ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (١٢ كانون الأول ١٩٨٧ م) جـرت انتخابات الحكومات المحليـة التي تنافس فيهـا حوالي خمسـة عشر ألف مرشحٍ غير حزبيٍ على المقاعد في (٣٠١) منطقة انتخابية. وقد نجم عن عدم اتخاذ الهيئة الوطنية الاستعدادات الكافية للانتخابـات ادعاءات تفيـد بحدوث سوء تصرّفٍ في الانتخابات فأدّى إلى إلغاء ٣١٢ دائرة حكـومية محلية، وتم إجراء انتخاباتٍ جديدةٍ في رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م)، وأعلن الرئيس بعدهـا أنه سيُعلن دستـوراً جديـداً للجمهوريـة الثالثـة عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م)، ويقضي إلى العـودة إلى الحكم المدني في عـام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م).

افتتحت جمعية عمومية تأسيسية في شوال ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) لمناقشة الشروط الموصى بها من قبل لجنة مراجعة الدستور بشأن مسودة الدستور المقرّر صياغته على غرار دستـور (١٩٧٩ م)، وتشكّلت الجمعية التأسيسية من أربعمائةٍ وخمسين عضواً بواقـع عضوٍ واحـدٍ عن كل دائـرةٍ

انتخابيةٍ اتحاديةٍ ينتخبهم أعضاء المجالس الحكومية المحلية إضافةً إلى ١١٧ عضواً تعينهم الحكومة. واختيرت مدينة «أبوجا» العاصمة الاتحادية المستقبلية مقراً للجمعية التأسيسية.

وفي ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (حزيران ١٩٨٨ م) أعلنت الجمعية التأسيسية أن مسودة الدستور ستحول دون وقوع انقلاباتٍ، وأن التغييرات جميعها ستتم بوسائل (ديمقراطية)، وطالب المسلمون بتطبيق الشريعة الإسلامية إلا أن الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) حظر في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) أي نقاشٍ آخر حول هذا الموضوع حيث أن سير عمل الجمعية التأسيسية تكتنفه عوائق كثيرةً.

وأقرت الجمعية التأسيسية في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) قراراً بموجب الدستور الجديد يقضي بانتخاب رئيس جمهوريةٍ مدني لمدة ست سنواتٍ.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) أطلق سراح رئيس الدولة السابق محمد بخاري بناءً لاعتباراتٍ إنسانيةٍ كما قيل حينذاك بعد اعتقال دام ثلاث سنواتٍ.

وفي رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) تمّ حلّ المجلس الحاكم للقوات المسلّحة، وأعاد الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) تشكيله من جديدٍ، وأنقص عدد أعضائه من تسعةٍ وعشرين عضواً إلى تسعة عشر عضواً مع بقاء الهدف المعلن، وهو تقليص سلطة القوات المسلحة أثناء المرحلة الانتقالية المؤدية إلى الحكم المدني. وأُعيد توزيع أعضاء مجلس الوزراء في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) مع تشكيل هيئةٍ انتخابيةٍ وطنيةٍ جديدةٍ بشكل يتيح للمجلس الحاكم للقوات المسلحة تحديد أي المجموعات السياسية الموصى بها من قبل الهيئة التشريعية الوطنية يحقّ لها التسجيل حيث كان هناك حزبان سياسيان رسميان حين رفع الحظر عن النشاط السياسي فيما بعد في تلك السنة. وفي شهر رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) قدّمت

الجمعية الوطنية التأسيسية تقريرها مع مسودة الدستور إلى الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) رافضةً تضمين شروط عن المرحلة الانتقالية حيث سيجيز ذلك الحكم العسكري إلى درجة ما.

وفي شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) أعلن الرئيس نهاية الحظر على الأحزاب السياسية، وتمّ الإعلان عن الدستور الذي كان مقرراً سريان مفعوله في ٤ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٩٢ م) وعليه فقد أعلن عن تشكيل حوالي خمسة وثلاثين حزباً سياسياً، رغم تمكّن ثلاثة عشر حزباً فقط من إكمال مسوغات التسجيل حسب الزمن المنصوص عليه وهو ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م).

وقبل مطلع عام ١٤١٠ هـ (تموز ١٩٨٩ م) تمّ حلّ مجلس الحكومات المحلية، ووضعت تحت إدارةٍ واحدةٍ إلى ما بعد انتخابات الحكومات المحلية المقرر إجراؤها في وقتٍ لاحقٍ من تلك السنة. وأوصت الهيئة التشريعية الوطنية في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) بقائمةٍ تضمنت ست هيئاتٍ سياسيةٍ رفعتها إلى المجلس الحاكم للقوات المسلحة، ومهما يكن من أمرٍ فقد أعلن الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) قرار المجلس الحاكم للقوات المسلحة بحلّ الهيئات السياسية جميعها التي تشكّلت مؤخراً على أساس أنها بعد كل الجهود قد أخفقت في تلبية متطلبات التسجيل، وأنها كانت متحالفةً مع أحزابٍ سابقةٍ سيئة السمعة، فتشكّل محلّها حزبان جديدان هما: الحزب الديمقراطي الاجتماعي، وحزب المؤتمر الجمهوري الوطني. وقد نُشرت مسودات الدستور والبيانات الرسمية للحزبين التي أعدتها الهيئة الانتخابية الوطنية في شهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م)، وفي الشهر ذاته أُعلن عن إعادة توزيع الحقائب الوزارية، حقق فيها الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) الذي تسلّم حقيبة وزارة الدفاع السيطرة الكاملة على قوات الأمن، وتأجّلت انتخابات الحكومات المحلية التي كان مقرراً إجراؤها في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) إلى مدة سنةٍ كاملةٍ.

وفي شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) ورد في التقارير أن هناك ما يزيد على مائة قتيلٍ أثناء مظاهرات الطلاب احتجاجاً على الإجراءات الاقتصادية الصارمة للحكومة، وأنه تمّ إلقاء القبض على ستٍ وعشرين طالباً أثناء المظاهرات إلّا أنه قد أُطلق سراحهم في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م). وفي شهر ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) أعلنت لجنة وطنية برئاسة الرئيس (إبراهيم بابا نغيدا) عن «برنامج إنعاش» تضمن اقتراحاً بإيجاد اثنتين وستين ألف وظيفةٍ جديدةٍ.

وجرى تعديل للتشريع الذي يسمح باعتقال المجرمين المشتبه بهم لمدة تصل إلى ستة أشهرٍ دون توجيه تهمةٍ، وتشكلت هيئة مستشارين لمراجعة واستقصاء الحالات الفردية، وذلك في شعبان ١٤١٠ هـ (آذار ١٩٩٠ م).

وقام صغار ضباط الجيش بمحاولةٍ للإطاحة بالحكومة في ٢٧ رمضان ١٤١٠ هـ هـ٢٢ نيسان ١٩٩٠ م) فاستولوا على محطة الإذاعة الاتحادية، وهاجموا مقر إقامة رئيس الجمهورية، ووقعت إصابات كثيرة، وأعلن الانقلابيون في رسالةٍ إذاعيةٍ اتهامهم الحكومة بالفساد، وزعموا أنهم يتصرّفون نيابةً عن النيجيريين في وسط البلاد، وجنوبها الذين ادعوا أنهم لا يُمثّلون تمثيلاً عادلاً في الحكومة ولا في القوات المسلحة، وأعلنوا أيضاً أن الولايات الإسلامية الشمالية الخمس قد استبعدت من الاتحاد النيجيري، وتمّ قمع المحاولة الانقلابية في اليوم نفسه، وذُكر أن عشرة ضباطٍ، وما يزيد على مائة وخمسين فرداً آخرين من القوات المسلحة قد اعتقلوا.

العلاقات الدولية:

لعبت نيجيريا دوراً قيادياً في الشؤون الإفريقية، وهي عضو بارز في منظمة الوحدة الإفريقية. وأدانت الحكومات النيجيرية المتعاقبة التدخّل العسكري في شؤون القارة سواء أكان هذا التدخل من القوى الغربية أم الشرقية، وكانت توجّه انتقادات حادة لنظام الأقلية البيضاء الذي يقوم على

التمييز العنصري في جنوبي إفريقية.

وتحسّنت علاقات نيجيريا مع غانا، تلك العلاقات التي توتّرت في السابق نتيجة الطرد الجماعي للمهاجرين الغانيين غير الشرعيين في أعوام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٥ هـ (١٩٨٣ ـ ١٩٨٥ م)، وتحسّنت هذه العلاقات إثر الزيارة التي قام بها الزعيم الغاني الملازم الطيار (جيري راولنغز) إلى نيجيريا في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) وتمت أثناءها مناقشة تعاونٍ اقتصاديٍ وعسكريٍ أكبر بين البلدين. وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٨٨٩ م) قام الرئيس النيجيري (إبراهيم بابا نغيدا) بزيارة غانا ردّاً لزيارة الزعيم الغاني، وهذه أول زيارةٍ يقوم بها رئيس دولة نيجيريا منذ عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

وأُغلقت حدود نيجيريا البرية عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) لمنع التهريب، ثم أُعيد فتحها في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) عدا الحدود مع تشاد، التي أُعيد فتحها في ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م)، وتمّ توقيع اتفاقية تعاونٍ مع تشاد في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م).

وبدأ العمل برسم الحدود بين نيجيريا وبنين في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) وكان من المتوقّع الانتهاء من تخطيطها عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م).

وتأثّرت العلاقات بين نيجيريا وبريطانيا في شوال ١٤٠٤ هـ (تموز ١٩٨٤ م) نتيجة اختطاف (عمارو ديكو) في لندن، وهو وزير مواصلاتٍ سابق في إدارة (شيخو شاغاري)، وكان قد فرّ إلى لندن، حيث كان مطلوباً للمحاكمة في نيجيريا بتهمة الفساد. ونجم عن الإدعاء تورّط سياسيين نيجيريين في محاولة الاختطاف، فأدّى إلى قطع العلاقات السياسية بين البلدين، وسحب كلتا الدولتين لكبار ممثليها في الدولة الأخرى. وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) وافق وزير الخارجية

النيجيري على محاكمة (عمارو ديكو) المطلوب للعدالة أمام المحاكم البريطانية، ثم أعلن في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) أن نيجيريا وبريطانيا ستستأنفان علاقتهما السياسية الكاملة. وبعد اجتماعٍ تمّ بين الرئيس النيجيري (إبراهيم بابا نغيدا) وبين رئيسة وزراء بريطانيا (مارغريت تاتشر) استؤنفت العلاقات في رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م). وانتهت التحريات التي أجرتها الحكومة البريطانية إلى أن طلب (عمارو ديكو) حق اللجوء السياسي لا أساس له، فطلبت منه مغادرة البلاد في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م).

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣,٧٦٨ كيلو متراً مربعاً، وتُشرف على المحيط الأطلسي بساحلٍ طوله ٨٥٣ كيلو متراً، ويبلغ طول حدودها البرية ٣٩٦٠ كيلو متراً مع العلم أن الدول التي تشترك معها بالحدود هي ثلاث دولٍ فقط، وهي: بنين، ويبلغ طول حدودها معها ٧٧٣ كيلو متراً، والنيجر، ويبلغ طول حدودها معها ١٤٩٧ كيلو متراً، والكاميرون، ويبلغ طول حدودها معها ١٦٩٠ كيلو متراً. أما تشاد فإن الحدود بينهما مائية داخل بحيرة تشاد، وطولها ٨٧ كيلو متراً. كما أن جزءاً من حدودها مع النيجر ومع الكاميرون هي حدود مائية داخل بحيرة تشاد أيضاً.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) مائةً وخمسة عشر مليوناً وثلاثمائة ألف إنسانٍ، فهي بذلك أكبر دول القارة الإفريقية سكاناً، بل يعدّ سكانها أكثر من ضعف سكان الدولة الثانية التي تليها مباشرة، وهي مصر، والتي بلغ عدد السكان في العام نفسه أربعةً وخمسين مليوناً وثمانمائة ألف شخص.

وتكون كثافة السكان ١٢٥ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد.

الصراع الإقليمي والعنصري:

تعيش في نيجيريا عدة قبائل، ولكن خمساً منها كبيرة وهي التي يحدث بينها الصراع، وهي:

١ ـ **الهاوسا**: وتعيش في الشمال، وتُشكّل ٤٠٪ من مجموع السكان، وأغلبية أبنائها ينتمون إلى الإسلام.

٢ ـ **الفولاني**: وتعيش في الشمال أيضاً، وتشكل ١٠٪ من مجموع السكان، وهي قبائل مسلمة، ومنها حكام الإقليم الشمالي وأمراؤه.

٣ ـ **الكانوري**: وتتنقل في الشمال الشرقي، وتشكل ١٠٪ من مجموع السكان، وهي قبائل مسلمة.

وهذه القبائل الثلاث شمالية مسلمة، وتعدّ في طرفٍ واحدٍ، إذ أن الصراع بجوانبه كلها يُعدّ صراعاً عقيدياً، وهذا الذي يجعل هذه القبائل تلتقي معاً، وهي بمجموعها تشكل أكثر من ٥٢,٨٪ من مجموع السكان، وفي الوقت نفسه تعدل مساحة الأرض التي تعيش عليها ٧٩,٦٪ من مساحة نيجيريا، وهي ما يُسمّى بالإقليم الشمالي.

٤ ـ **الإيبو**: وتعيش في الإقليم الشرقي، وتشكل ٢٤,٥٪ من مجموع السكان، وتقرب مساحة إقليمها من ٨,٣٪ من مساحة نيجيريا. وأكثر أفرادها ينتمون إلى النصرانية، وتحوّلوا إليها تحت تأثير الاستعمار الصليبي، وإرسالياته التنصيرية، وقد أخذ الإسلام بالانتشار بينهم على نطاقٍ ضيق.

٥ ـ **اليوروبا**: وتعيش في الإقليم الغربي، وتشكل ١٨,٧٪ من مجموع السكان، وسكانها من المسلمين وقد تجاوزوا النصف، ومن الوثنين، وقلة من النصارى، وتبلغ مساحة إقليمها ٨,٣٪ من أرض نيجيريا.

وهناك مجموعات صغيرة مثل الكالابار، والأكوجا، وأكثرها في الجنوب ضمن أراضي الإقليم الشرقي، وقد عملت الإرساليات التنصيرية بينهم، وتمكّنت من كسب بعضهم.

كان الصراع في الماضي بين الفولاني الذين حكموا بلاد الهاوسا والكانوري، في الشمال، وهو من الخلاف بين الحاكم إذا كان من شعبٍ وبين المحكوم إن كان من شعبٍ آخر ويُشكّل الأكثرية. كما كان هناك

صراع في الجنوب بين القبائل على المنازل والديار، فلما جاء المستعمرون الصليبيون عملوا على جمع الجنوب كله بإقليميه الغربي والشرقي وما يتبعهما للوقوف في وجه الشمال. غير أن العصبية القبلية كانت أقوى، مما حال دون نجاح المخطط الاستعماري بالشكل المرسوم له، ومع ذلك وجد صراع بين الشمال والجنوب وإن كان قد حمل المعنى العقيدي أكثر من حمله المعنى العنصري أو الإقليمي، سواء قبل مجيء الاستعمار الصليبي حيث كان الصراع بين الإسلام الذي يريد أتباعه أن يمتدّوا به نحو الجنوب وبين القبائل الوثنية التي تريد التمسّك ببدائيتها والمحافظة على مواطنها، ولكن بعد مجيء الاستعمار أصبح بين الإسلام الذي يريد أتباعه الاحتفاظ بقوتهم والتمسّك بمبادئهم، والدفاع عن أرضهم، والجهاد ضد أعدائهم وبين غير المسلمين في الجنوب. وظهر الصراع بين الأقاليم وبين القبائل غير أنه صراع عقيدي واضح، اتفقت فيه النصرانية والوثنية بجهودٍ استعماريةٍ ضدّ الإسلام.

ومما عملته بريطانيا وسارت عليه إبقاء الإمارات الإسلامية في الشمال، وإيجاد الخلاف بينها، والعمل على اقتتال بعضها مع بعضٍ إذ خشيت من وحدتها في إمارةٍ واحدةٍ، بينما وحّدت الإمارات الجنوبية لتستطيع أن تقاوم الشمال، وليبقى في الميدان كفتان تكادان تكونان متكافئتين، لأنها لو بقيت متفرقةً في الجنوب فلن تستطيع أقواها أن تقف أمام أصغر إمارةٍ في الشمال، وبالتالي تذوب تدريجياً في بوتقتها، وتعتنق الإسلام. وبهذا تكون قد عملت سرّاً ـ حسب رأيها ـ ضدّ الإسلام. وكذلك بقيت السيطرة للشمال عندها قُسّمت نيجيريا إلى ولايات، وهي الآن واحدة وعشرون ولايةً إضافةً إلى العاصمة الاتحادية، كل ذلك نتيجة كثرة عدد المسلمين، والولايات، هي حسب إحصاء ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م):

الرقم	الإقليم	الولاية	المساحة	السكان	العاصمة	ملاحظات
١	الشمالي	سوكوتو	١٠٢,٥٣٥.	٨,٤٨٨,٠٠٠	سوكوتو	
٢	الشمالي	النيجر	٦٥,٠٣٧	٢,٠١٩,٠٠٠	مينّا	
٣	الشمالي	كادونا	٧٠,٢٤٥	٧,٦٦٤,٠٠٠	كادونا	
٤	الشمالي	كوارا	٦٦,٨٦٩	٣,١٩١,٠٠٠	إيلورين	
٥	الشمالي	كانو	٤٣,٢٨٥	١٠,٨٠٠,٠٠٠	كانو	
٦	الشمالي	باوتشي	٦٤,٦٠٥	٤,٥٤٧,٠٠٠	باوتشي	
٧	الشمالي	بينوي	٤٥,١٧٤	٤,٥٣٩,٠٠٠	ماكوردي	
٨	الشمالي	بورنو	١١٦,٤٠٠	٥,٦٠٦,٠٠٠	ميدوغري	
٩	الشمالي	بلاتو	٥٨,٠٣٠	٣,٧٦٦,٠٠٠	جوس	
١٠	الشمالي	كونغولا	٩١,٣٩٠	٤,٨٧٢,٠٠٠	يالا	
١١	الشمالي	كاتسينا	———	٤,٧٣٨,٠٠٠	كاتسينا	أخذت المساحة من كادونا
١٢	الشمالي	العاصمة الاتحادية	٧,٣١٥	٢٥٤,٠٠٠	أبوجا	
			٧٣٠,٨٨٥	٦٠,٤٨٤,٠٠٠		
١٣	الغربي	أيو	٣٧,٧٠٥	٩,٧٤١,٠٠٠	إيبادان	
١٤	الغربي	أوندو	٢٠,٩٥٩	٥,١٠٥,٠٠٠	أكور	
١٥	الغربي	أوغون	١٦,٧٦٢	٢,٩٠١,٠٠٠	أبيكوتا	

الرقم	الإقليم	الولاية	المساحة	السكان	العاصمة	ملاحظات
١٦	الغربي	لاغوس	٣,٣٤٥	٣,٧٧٤,٠٠٠	لاغوس	
			٧٨,٧٧١	٢١,٥٢١,٠٠٠		
١٧	الغربي الأوسط	بندول	٣٥,٥٠٠	٤,٦٠٢,٠٠٠	بنين .	
			٣٥,٥٠٠	٤,٦٠٢,٠٠٠		
١٨	الشرقي	أنامبرا	١٧,٦٧٥	٦,٧٢٦,٠٠٠	إينوغو	
١٩	الشرقي	ريفرز	٢١,٨٥٠	٣,٢١٧,٠٠٠	بورت هاركورت	
٢٠	الشرقي	كروس ريفر	٢٧,٢٣٧	٦,٥٠٥,٠٠٠	كالابار	
٢١	الشرقي	أكواأبوم	———	٤,٧٣٨,٠٠٠	يوو	أخذت المساحة من كروس ريفر
٢٢	الشرقي	إمو	١١,٨٥٠	٦,٨٦٨,٠٠٠	أويري	
			٧٨,٦١٢	٢٨,٠٦٤,٠٠٠		
	الشمالي		٧٣٠,٨٨٥	٦٠,٤٨٤,٠٠٠		
	الغربي		٧٨,٧٧١	٢١,٥٢١,٠٠٠		
	الغربي الأوسط		٣٥,٥٠٠	٤,٦٠٢,٠٠٠		
	الشرقي		٧٨,٦١٢	٢٨,٠٦٤,٠٠٠		
			٩٢٣,٧٦٨	١١٤,٦٧١,٠٠٠		إحصاء ١٤٠٧هـ(١٩٨٧م)

الإقليم	المساحة	النسبة	السكان	النسبة
الشمالي	٧٣٠,٨٨٥	٧٩,٦٪	٦٠,٤٨٤,٠٠٠	٥٢,٨٪
الغربي	٧٨,٧٧١	٨,٣٪	٢١,٥٢١,٠٠٠	١٨,٧٪
الشرقي	٧٨,٦١٢	٨,٣٪	٢٨,٠٦٤,٠٠٠	٢٤,٥٪
الغربي الأوسط	٣٥,٥٠٠	٣,٨٪	٤,٦٠٢,٠٠٠	٤,٠٪
	٩٢٣,٧٦٨	١٠٠٪	١١٤,٦٧١,٠٠٠	١٠٠٪

كما يوجد بعض الأوربيين وخاصةً من البريطانيين في العاصمة ومدن الجنوب الكبرى، وفي كادونا العاصمة الإدارية للشمال. ويوجد كذلك بعض الجاليات العربية، وخاصةً من الشاميين في كانو في الشمال، وفي لاغوس في الجنوب.

واللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية، ولكل قبيلةٍ لغتها، وإن كانت تنتشر لغة الهاوسا في الشمال، ولغة الإيبو في الشرق، والغربي الأوسط، ولغة اليوروبا في الغرب. غير أنه في الشمال تُعرف اللغة العربية في الأوساط الدينية، وبعض المدارس والجامعات. إذ نجد مدرسة القضاء الشرعي الإسلامي التي افتتحت في مدينة (كانو) عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م)، واللغة العربية هي لغة التعليم فيها للمواد كلها، كما تُعلّم لغة الهاوسا. وهناك جامعة أحمدو بيللو في مدينة (زاريا)، وتتبعها كلية عبدالله بايرو في (كانو)، وهناك مدارس كثيرة على المستوى الابتدائي، ومدارس جمعية أنصار الدين. ومن المعلوم أن لغات الشمال (الهاوسا، والفولاني، والكانوري، والطوارق) تكتب كلها بالحرف العربي، بل إن بعض الكلمات وهي كثيرة في هذه اللغات من أصلٍ عربيٍ، ولكن بريطانيا عملت على تغيير الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني. والمحاكم الوطنية في بلاد الهاوسا كلها يتمّ فيها التقاضي باللغة العربية. كما يوجد المعهد الديني في

(أكيكه) في بلاد اليوروبا، والتعليم فيه باللغة العربية أيضاً.

وقد عملت بريطانيا أثناء استعمارها نيجيريا على إضعاف لغات الشمال لما لها من صلةٍ باللغة العربية، وعلى إبعاد سكان تلك الجهات عن العرب، على حين عملت على إحياء لغات الجنوب الزنجية التي ليست لها كتابةً، وليس فيها أدب، وحاولت جعل الحرف اللاتيني هو الحرف الذي تُكتب به تلك اللغات الزنجية، ليتمّ لها نشر لغتها بسهولةٍ، وقامت مدارس الإرساليات التنصيرية بهذا العمل، وكان نصيب إحدى هذه البعثات التنصيرية أن ذُبحت عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) في مدينة (بينان) فثارت بريطانيا لهذه المذبحة فقتلت من السكان ما شاء لها هواها أن تقتل.

الصراع العقيدي:

تبلغ نسبة المسلمين في نيجيريا ٧٥٪، وتشمل قبائل الشمال كلها سوى نذرٍ يسيرٍ تأثّر بالإرساليات التنصيرية وما قدّمته، وبالاستعمار الصليبي ومغرياته، وعلى كلٍ فلا تقلّ نسبة المسلمين بين تلك القبائل عن ٩٨٪، كما يشمل المسلمون أكثر من نصف قبائل اليوروبا، وقلّة من قبائل الإيبو، ومثلها في الجنوب على السواحل، وفي العاصمة السابقة لاغوس.

وتبلغ نسبة النصارى ١٥٪، وترتفع هذه النسبة بين قبائل الإيبو إذ وجّهت بريطانيا لهذه القبائل عنايةً خاصةً لما وجدت من تجاوبٍ عندها، وتوجد قلّة بين قبائل الجنوب، وأقل من ذلك بين اليوروبا، وأفراد بين قبائل الهاوسا، والمجموعات الثانية، والأوربيين، وبين الشاميين أيضاً.

وتبلغ نسبة الوثنية ١٠٪، وترتفع هذه النسبة بين قبائل الجنوب التي تعيش على الساحل، وفي الغابات، وقلّة في قبائل اليوروبا، والإيبو، وقلّة أخرى تعيش في نجد باوتشي في الشمال.

كانت القبائل في نيجيريا تعيش على الوثنية حتى جاء الإسلام من الشمال، واندفع أبناؤه نحو الجنوب، فأخذ الإسلام ينتشر بين القبائل، وإن

كانت بعض الوثنيات قد فرّت أمام المسلمين، واعتصمت في نجد باوتشي، ولا تزال بقاياها إلى الآن. وأخذ الفولانيون المسلمون يفدون إلى المنطقة منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، حتى استطاعوا التأثير على قبائل الهاوسا، وحكموا المنطقة، فعمّ الإسلام الشمال، إذ كان قد انتشر في الشمال الشرقي قبل ذلك، وأراد المسلمون متابعة زحفهم نحو الجنوب غير أن قبائل تلك الجهات قد وقفت في وجههم رغم أن الإسلام قد تسرّب إلى أفراد وجماعات بين قبائل الجنوب بشكل هادئ وبطيء.

وجاء المستعمرون الصليبيون من الجنوب، وأرادوا الوقوف أمام المدّ الإسلامي، ونشر النصرانية بين قبائل الجنوب لكسبهم إلى عقيدتهم، والإفادة منهم في المستقبل، وللوقوف بجديةٍ أمام المسلمين. فدعموا الوثنية وقدّموا لها الإمكانات كافةً، وأغروا أبناءها لكسبهم إلى النصرانية، ولمحاربة الإسلام. وتمكّنوا من تحقيق بعض النجاح، فكسبوا إليهم بعض الجماعات، ووجدوا تجاوباً أكبر لدى قبائل الإيبو فركّزوا جهودهم عليها، أو أعطوا أفرادها عنايةً أكثر. وأطلقوا العنان للإرساليات التنصيرية أن تُؤدّي دورها، ومدّوها بالوسائل جميعها، فتكوّنت لديهم فئة نصرانية أخذت تتلقّى التوجيهات منهم، وتعمل على تنفيذ مخططاتهم.

عمل المستعمرون الصليبيون البريطانيون على تشكيل جبهةٍ من النصارى والوثنيين للوقوف في وجه المدّ الإسلامي أو لوقوف الجنوب في وجه الشمال، وبذلوا جهدهم، بل عملوا على غزو الشمال بوسائلهم المختلفة من فسادٍ وإغراءٍ، بعد أن عجزوا عن كسب جماعاتٍ من المسلمين إلى نصرانيتهم، أو ردّهم عن دينهم، فكانوا مما لجؤوا إليه أنهم كانوا يُقيمون مخيماتٍ على مقربةٍ من المدن الإسلامية ويملُؤونها بالمغريات وعناصر الفساد من نساءٍ، وخمرٍ، ولهوٍ، ولعبٍ، ورقصٍ و... ويبثّون الدعايات لها في داخل المدن الإسلامية بين الشباب المراهقين والطائشين، فكان يتسلّل بعضهم إلى تلك المخيمات، وينال منها ما ينال بالمجان إغراءً

وتشجيعاً، ثم يعودون في آخر الليل إلى منازلهم بالمدن، ومع هذه الأساليب الشيطانية فلم يُفلحوا بكسب جماعاتٍ كبيرةٍ إليهم بل عناصر معدودة، ولكن في الوقت نفسه كانوا قد أفسدوا هؤلاء الشباب، وأبعدوهم عن دينهم، وغدوا أقرب إلى العلمانية.

ومع كل جهود المستعمرين الصليبيين والإرساليات التنصيرية بالوقوف أمام انتشار الإسلام بين قبائل الجنوب إلا أنه قد تجاوز العقبات التي وُضعت، وتخطّى الحواجز التي نُصبت، ويكفي أن نعلم أن قبائل اليوروبا قد زاد عدد المسلمين بين أبنائها على النصف، واخترق كل الحدود، ولنذكر حادثةً واحدةً بين قبائل الإيبو التي عُدّت ركيزةً للنصرانية، وكثر فيها المنصّرون الكبار، وكان أحدهم ويُدعى (نواغواي) وأحبّ أن يطّلع على الإسلام ليُجادل أهله، وليعرف نقاط الضعف ـ حسب ظنّه ـ فيدخل منها، فإذا به يعرف الحقيقة فيعتنق الإسلام بعد أن سافر إلى السنغال والتقى بأحد العلماء، والكنيسة عادةً تُحرّم على أتباعها عامةً وعلى المنصّرين منهم خاصةً الإطلاع على الإسلام، والإلتقاء بأهل العلم من المسلمين كي لا يعرفوا عن الإسلام إلا ما يُعطى لهم من قبل قساوستها والبطارقة فيها. ولما أسلم (نواغواي) إذ بستة آلافٍ من أهل البلدة التي يعيش فيها يعتنقون الإسلام، فيقوم بهدم الكنيسة التي كان قد أنشأها، ويشعل فيها النار، ويقيم مكانها مسجداً، ولا يرضى أن يُقام المسجد على أعمدةٍ شُيّدت عليها كنيسة. وتُقام عليه الدعوى، ويقف أمام المحكمة ليقول: إنه هو الذي بناها، وجمع لها التبرعات من سكان البلدة، وها هم أهل البلدة، ويمكن أن يُسألوا عن رأيهم؟ فإذا هم يُجيبون أنهم هم الذين بنوها، ودفعوا التكاليف، وهم الذي هدّموها بأيديهم، وأحرقوها. ولو طلب منهم (نواغواي) بناءها مرةً أخرى وهدمها ثانيةً لفعلوا، وهم على رأيه، يفعلون ما يأمرهم به الإسلام. وقد قضت المحكمة عليه بدفع غرامة الهدم لأنه خرّبها دون إذن البلدية، وغرامة بناء المسجد كذلك وأخذ (نواغواي) يدعو إلى الإسلام بحماسةٍ في بلاد الإيبو، فأسلم على يده في قريةٍ مجاورةٍ ما يقرب

من ألف وخمسمائة شخصٍ. وطلب من أمراء الشمال المساعدة، فوعدوا وأخلفوا، وقبلوا ثم رفضوا، ولم يفتّ هذا من عضده بل زاد من نشاطه، ويُطالبه السكان بزيادة المعرفة غير أنه لا يملكها، وليس هناك من جهةٍ تلبّي طلبه، واستمر يعمل حسب إمكاناته وطاقاته.

بقي البريطانيون يُقاومون الدعوة الإسلامية، ويعملون بروحٍ صليبيةٍ، ويسعون لنشر النصرانية، فلم يكتب لهم ما يرون، فكان الإسلام ينتشر رغماً عنهم أضعاف ما يدخل في النصرانية. وانسحب المستعمرون الصليبيون من نيجيريا بعد أن خلّفوا وراءهم من يُؤدّي دورهم، ويعمل على تنفيذ مخططاتهم ممن ربّوهم على أيديهم، وتحت سمعهم وبصرهم، فإن لم يستطع أحدهم أن يقوم بما عُهد له، استُبدل بآخر أكثر سمعاً لهم، وأكثر حيويةً ونشاطاً، وإذا تهاون مسؤول تسلّم غيره مكانه، لذا كثرت الانقلابات وتعدّدت، والدعوة إلى الإسلام يتيمة، والنشاط النصراني ربيب لكثيرٍ من الجهات كاتحاد الكنائس العالمي، والإرساليات التنصيرية المختلفة، والدول الصليبية الكبرى التي توجه السياسة العالمية، والأمم المتحدة، والشرعية الدولية و. . .

الصراع الحزبي:

لقد حمل الصراع الحزبي في نيجيريا منذ نشأته المعنى العقيدي حيث رغبت إنكلترا بصفتها دولةً استعماريةً أن تتولّى تنظيماتٍ سياسيةٍ في الجنوب لتمرّسها على القيادة فتُساعدها بالإدارة أثناء وجودها، وتخلفها بعد رحيلها، تخلفها في تطبيق السياسة الاستعمارية الصليبية. ولتستطيع هذه التنظيمات حسب الخطة الموضوعة الوقوف في وجه الشمال، والسيطرة عليه، والعمل دون انتشار الإسلام نحو الجنوب، بل ومحاربة الإسلام، والعمل على تهديمه بإفساد أبنائه وإبعادهم عن عقيدتهم، ثم محاولة كسبهم إلى النصرانية. وتستطيع بريطانيا من خلال قيام هذه التنظيمات من اصطفاء العناصر القادرة على الإدارة، المؤثّرة على الشعب، المتمكّنة من جمع

الناس حولها، والمؤهّلة لتنفيذ السياسة الاستعمارية الصليبيـة، وعلى هذا المخطط بدأت التنظيمات الحزبية تقوم في نيجيريا.

أسّس (هاربرت ماكولي) الحزب القومي الديمقراطي عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)، وكان نشاطه مركزاً في مدينة لاغوس، وما حولها، وكان زعيمه صاحب إمكاناتٍ استطاع من خلالها أن يستقطب حوله الكثير من الزعماء، غير أنه بقي في منطقته، ولم يتمكّن نشاطه من تجاوزها إلا بحدودٍ ضيقةٍ، وعندما مات الزعيم بعد الحرب، حدثت الانشقاقات، فكل رغب بالزعامة، وكان من قبل تحت جناح الزعيم الهالك.

ووُجد أيضاً الاتحاد الشعبي الذي أسّسه «راندل».

وتأسّس اتحاد الشباب النيجيري برئاسة «أوريساديب»، وكانت الرغبة بالزعامة، والغرور باللقب العلمي هو الحافز لقيام هذه التنظيمات لذا لم تجد بريطانيا ضالتها بهم، رغم إظهار العطف والتأييد.

ورأت بريطانيا الدولة المستعمرة ضرورة قيام تنظيمٍ واحدٍ في الجنوب لتنشأ عند الأعضاء فكرة وحدة الجنوب، فتأسّست عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) حركة شباب نيجيريا، واعتمدت على وحدة القبيلة، وقيام قيادةٍ تُنظّم القبائل في عقدٍ واحدٍ، غير أن وحدة القبيلة كانت أقوى من هذا التنظيم الذي ليس له هدف واضح، وكان الهدف فعلاً غير ظاهـرٍ إذ هو الـوقوف في وجـه الإسلام كعقيدةٍ، وفي وجه الشمال كإقليمٍ حيث يضمّ ثقل المسلمين، لذا حدث الانشقاق على أساسٍ قبليٍ.

فكرت الدولة المستعمرة بريطانيا بقيام تنظيمٍ يشمل نيجيـريا كلهـا تحت شعار الوطنية على أن تكون الزعامة للنصارى، وهذا أمر ممكن ما دامت نسبة النصارى كبيرةً نسبياً، ويعتمـدون على دعم قبليٍ كبيرٍ نسبيـاً أيضاً، وأخيراً يتفوّقون على غيرهم من حيث التعليم نتيجة الاهتمام الزائد بهم من قبل المستعمرين الصليبيين، ومن قبل الإرساليات التنصيرية و. . . وأُعطي الضوء الأخضر لأحد أولئك الذين يحملون لقباً علمياً، كي يقبله

زعيماً ذلكم الذين يعيشون عقدة نقصٍ في هذا الموضوع، فيرون فيه قائداً عظيماً للإدارة، ولو كان ذلك اللقب في البيطرة فهم من الذين يتردّدون عليه. وانطلق الدكتور (ناندي إزيكوي) عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ووضع ميثاق الشباب، ولما برزت إمكاناته، ونجحت الفكرة، أخذ يُنادي بالاستقلال، وتأسّس حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون، ومقرّه في العاصمة لاغوس، وذابت في كيانه بقية التنظيمات التي تتلقّى التوجيه من بريطانيا، وكثر أتباعه لدى قبيلة الإيبو، قبيلة الزعيم، والقبيلة التي يكثر فيها النصارى أتباع عقيدة الدولة المستعمرة، وزاد النشاط أثناء الحرب العالمية الثانية.

وبعد الحرب وجد رجال قبيلة اليوروبا أن قبيلة الإيبو قد ذهبت بالقيادة، وتدعمها القواعد التي هي أيضاً من أبناء القبيلة نفسها، فتحركت العصبية، وأسّس «أباكيمي أواولو» حزب «جماعة العمل» عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، ولكن بقي أتباع في قبيلة اليوروبا لحزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون، وقاموا يُعارضون حزب جماعة العمل، ويتزعم هذه المعارضة «ايدالابو»، وهو ممن ينتمي إلى الإسلام، ولكنه يعدّ من أعوان «ناندي إزيكوي».

ووجد حزب الشعب، وهو حزب صغير في الجنوب، ويقوم على أبناء القبائل من غير الإيبو.

وقام حزب شعب الوسط في الغرب والشمال معتمداً على المجموعات غير المسلمة التي تعيش في كلتا المنطقتين، ويتزعّم هذا الحزب «صاموئيل اكينتولا» من الإقليم الغربي، ويحصل هذا الحزب على تأييد حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون.

وهكذا فقد عمّ التنظيم أقاليم الجنوب على اختلافها، وتُعادي هذه التنظيمات الشمال كإقليمٍ لأن أهله ممن ينتمون إلى الإسلام، وتُعادي المسلمين أيضاً كعقيدةٍ، وبرز زعماء هذه التنظيمات في الأوساط السياسية،

وعُرفوا في المجتمعات، أما الشمال فلا تنظيم فيه، ولكلٍ رأيه يتعصّب له. عند ذلك رأى أمير الشمال «أحمدو بيللو» إيجاد تنظيمٍ، وحدةً للرأي، وتنظيماً للجهود، ووقوفاً واحداً أمام بقية التنظيمات التي تستهدف الشمال والإسلام، فتأسّس حزب «هيئة مؤتمر الشمال» الذي عُرف باسم «السلاما» برئاسة الأمير نفسه «أحمدو بيللو»، وهم من سلالة الملوك الفولاني، ورئيس وزراء الإقليم الشمالي، وله نفوذ بين المسلمين. غير أنه لم يلبث أن تأسّس حزب آخر هو اتحاد العناصر الشمالية (الصوابا) برئاسة المعلم أمين، وهو ذو اتجاهٍ علماني، ويُعدّ امتداداً لحزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون.

ولما ابتدأت الانتخابات أخذت تظهر القوة العددية، وقد مرّ معنا أن سكان الإقليم الشمالي يُشكّلون ٥٢,٨٪ من مجموع السكان، وبالتالي فإن مُمثّلي هذا الإقليم سيتفوقون على بقية ممثلي الأقاليم جميعها عددياً، أي أن كلمتهم هي المسموعة، ورأيهم هو المعمول به، وهذا ما تقف ضده بريطانيا لذا لم يلبث أن فرط عقد الائتلاف بين هيئة مؤتمر الشمال وجماعة العمل الذي قام لاستلام السلطة، ولم يمض على قيامه سنةً واحدةً وخاصةً أن هذا الائتلاف قد فضح أهداف المعارضة المتمثّلة في حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون.

وأُعيدت الانتخابات كلعبةٍ من ألاعيب الاستعمار فنجح حزب هيئة مؤتمر الشمال، ولكن حصل منافسه حزب اتحاد العناصر الشمالية على بعض المقاعد، وفشل حزب جماعة العمل في الإقليم الغربي، وفاز حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون في الإقليم الشرقي، كما نجح أعوانه في الإقليم الغربي، وبذا اقتضى قيام ائتلافٍ بين حزب هيئة مؤتمر الشمال وحزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون، وارتاحت الدولة الاستعمارية لهذا إذا أخذ يتغلغل أعوانها في الدولة كلها باسم حزب المجلس الوطني لنيجيريا حسب اللعبة الديمقراطية. ومرت المرحلة الانتخابية أي خمس سنواتٍ بشكلٍ هادئٍ.

وجاءت الانتخابات الجديدة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، وعاد الائتلاف كما كان، وتشكّلت الحكومة من هيئة مؤتمر الشمال، والمجلس الوطني، وعضوين من الأحرار. وفي عهد هذا الائتلاف تمّ الاستقلال.

وجاءت الانتخابات الأولى بعد الاستقلال، وجرى تنظيم جديد للتكتلات الحزبية، إذ انتهى التحالف السابق بين هيئة مؤتمر الشمال والمجلس الوطني، وتشكّل التحالف الوطني النيجيري الذي يضمّ سبعة أحزابٍ أكبرها هيئة مؤتمر الشمال، والديمقراطي الوطني النيجيري الذي يضمّ مجموعة تنظيماتٍ وُجدت حديثاً، ونجح هذا التحالف في الشمال والغرب، وتسلّم السلطة في الإقليمين. كما تشكّل التحالف التقدّمي الذي يضمّ أربعة أحزابٍ أكبرها حزب المؤتمر الوطني لنيجيريا (حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون سابقاً) ومعلوم أن الكاميرون قد ترك الاتحاد مع نيجيريا وانضمّ إلى الكاميرون الفرنسي سابقاً، ومن أحزاب التحالف التقدّمي حزب جماعة العمل في الإقليم الغربي. ولما ظهر رجحان كفّة التحالف الوطني النيجيري أخذ حزب المؤتمر الوطني لنيجيريا، وحزب جماعة العمل يدعوان لمقاطعة الانتخابات، وكذلك بقية أحزاب التحالف التقدّمي، وبدأت الدعايات ضدّ الحكومة، والإشاعات عن عدم نزاهة الانتخابات، وكانت المقاطعة شاملةً في الإقليم الشرقي، وواسعةً في منطقة لاغوس، وهذا ما دعا إلى إجراء انتخابات تكميليةٍ في الإقليم الشرقي، ومنطقة لاغوس، وبعض الدوائر في الإقليم الغربي، أما الشمال فقد أسفرت الانتخابات فيه عن فوز حزب هيئة مؤتمر الشمال بلا نزاعٍ.

وعندما أُجريت الانتخابات التكميلية تمخّضت عن فوز مرشحي التحالف التقدّمي بالمقاعد كلها في الإقليم الشرقي، أما الإقليم الغربي فقد فاز حزب شعب الوسط بزعامة أكينتولا، وهو من التحالف الوطني النيجيري، وفشل حزب جماعة العمل وهذا ما جعل الحقد يملأ قلوب قادة التحالف التقدمي وأتباعهم.

ولما كانت الأكثرية بجانب الإقليم الشمالي نتيجة العدد فإن الذين يرغبون بالزعامة لا بدّ من أن يطلبوا التعاون مع حزب هيئة مؤتمر الشمال، كما أن الذين يريدون للبلاد الاستقرار، والعمل على وحدة الصف، وجمع الكلمة، لا بدّ من أن يطلبوا الطلب نفسه، وكذلك فإن الذين لا يعرفون ألاعيب الاستعمار وأساليبه، ولم يرتبطوا به، أو بأتباعه لا شكّ أنهم يطلبون التعاون مع المسلمين، وأخيراً فإن الذين اقتنعوا بالحياة السياسية الديمقراطية، من حكم الأكثرية، والائتلاف، والمنافسة الحزبية هؤلاء أيضاً لا يرون بدّاً من التعاون مع الشمال، وأخذ بعض هؤلاء يقترح ويُقدّم المطالب صراحةً فحمل الاستعمار الحقد عليهم، وامتلأت قلوب النصارى وحتى الوثنيين غيظاً منهم، ومن هؤلاء (صاموئيل اكينتولا) زعيم حزب شعب الوسط في الإقليم الغربي، و(فستوس أوكوتي إيبو) أحد زعماء الإقليم الشرقي، ووزير المالية الاتحادي، وعُدّوا عملاء للمسلمين، وستقع عليهم العقوبة التي تقع على المسلمين.

رأت الدوائر الاستعمارية الصليبية، ومن سار إلى جانبها من يهودٍ وغيرهم أن الحبل طويل، وأن المسلمين سيكون لهم دور كبير ما داموا هم الأكثرية، وما دامت اللعبة الديمقراطية هي المتبعة، لذا لا بدّ من حلٍّ، ولو أن الكثير من المسلمين غير ملتزمين بل إن بعضهم علمانيون، ويسيرون في فلك أوربا، ويُقلّدون أسلوب حياة أبنائها كلياً ويتبعونهم، ولكنهم مع ذلك لا يوثق بهم، فقد يتبدّل الواحد منهم فجأةً، ويعود إلى عقيدته، وربما يكون أبناؤهم وأحفادهم من الملتزمين بأمور دينهم لذلك لا يركن إليهم، ولا يصحّ الاعتماد عليهم، ما دام هناك نصارى، وما دام يوجد غير مسلمين من وثنيين... فالحاجة إليهم غير ضرورية، والحلّ الوحيد إقامة حكمٍ عسكريٍ يذلّ المسلمين، ويخنعهم، ويقضي على رؤوسهم، وعلى من كان يرى التعاون معهم ليكون عبرةً فيخيف الآخرين من اعتناق الإسلام، أو يُحاول السير مع أهله أو مساعدتهم.

وتحرّك الانقلابيون وقتلوا بعض رؤوس المسلمين ورموزهم أحمدو

بيللو، وأبو بكر تفاوه بيلوه، وعشرات آخرين، وقتلوا أيضاً من أبدى ضرورة التعاون معهم من النصارى أمثال: صاموئيل اكينتولا، وفستوس أوكوتي إيبو في فجر ٢٤ رمضان ١٣٨٥ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م)، وإخفاءً لحقيقة الانقلاب تحرّك قائد الجيش ضد الانقلابيين، ولكن استسلموا له فلم يعاقبهم، فكانت اللعبة مفضوحةً، وصبيانيةً. وأُلغيت التنظيمات السياسية كلها باستثناء حزب المؤتمر الوطني لنيجيريا في الإقليم الشرقي، وحزب جماعة العمل في الإقليم الغربي، وكُلّف بإدارة الإقليم، وحزب اتحاد العناصر الشمالية (الصوابا) وكُلّف أيضاً رغم قلّة أتباعه وضعفه على إدارة ذلك الإقليم، وهذان الحزبان يُؤيّدان إدارة الإقليم الشرقي وحزب المؤتمر الوطني لنيجيريا.

ولما اشتدّت النقمة على عناصر الإيبو النصارى، وتعرّضوا للقتل في عدة جهاتٍ، قام نصارى الشمال من الهاوسا باستلام السلطة منهم لحمايتهم، وبذا انتقلت الرئاسة من أيدٍ نصرانيةٍ إلى نصرانيةٍ أخرى ولكنها في الشمال، وللتمويه ادعت الدوائر الاستعمارية أن الحركة مسلمة ما دامت شماليةً، فالرأي العام العالمي لا يعرف الشمال إلا مسلماً، ولا يعرف أن هناك نصارى، أما المسلمون في بقية الأمصار فلا يعرفون شيئاً، لا شرق ولا غرب، ولا شمال ولا جنوب.

وقامت قبائل الإيبو في الإقليم الشرقي بذبح المسلمين الذين يعملون في ذلك الإقليم، وقامت ردّة فعلٍ في الإقليم الشمالي ضدّ رجال قبائل الإيبو الذين انفصلوا بإقليمهم باسم حكومة (بيافرا).

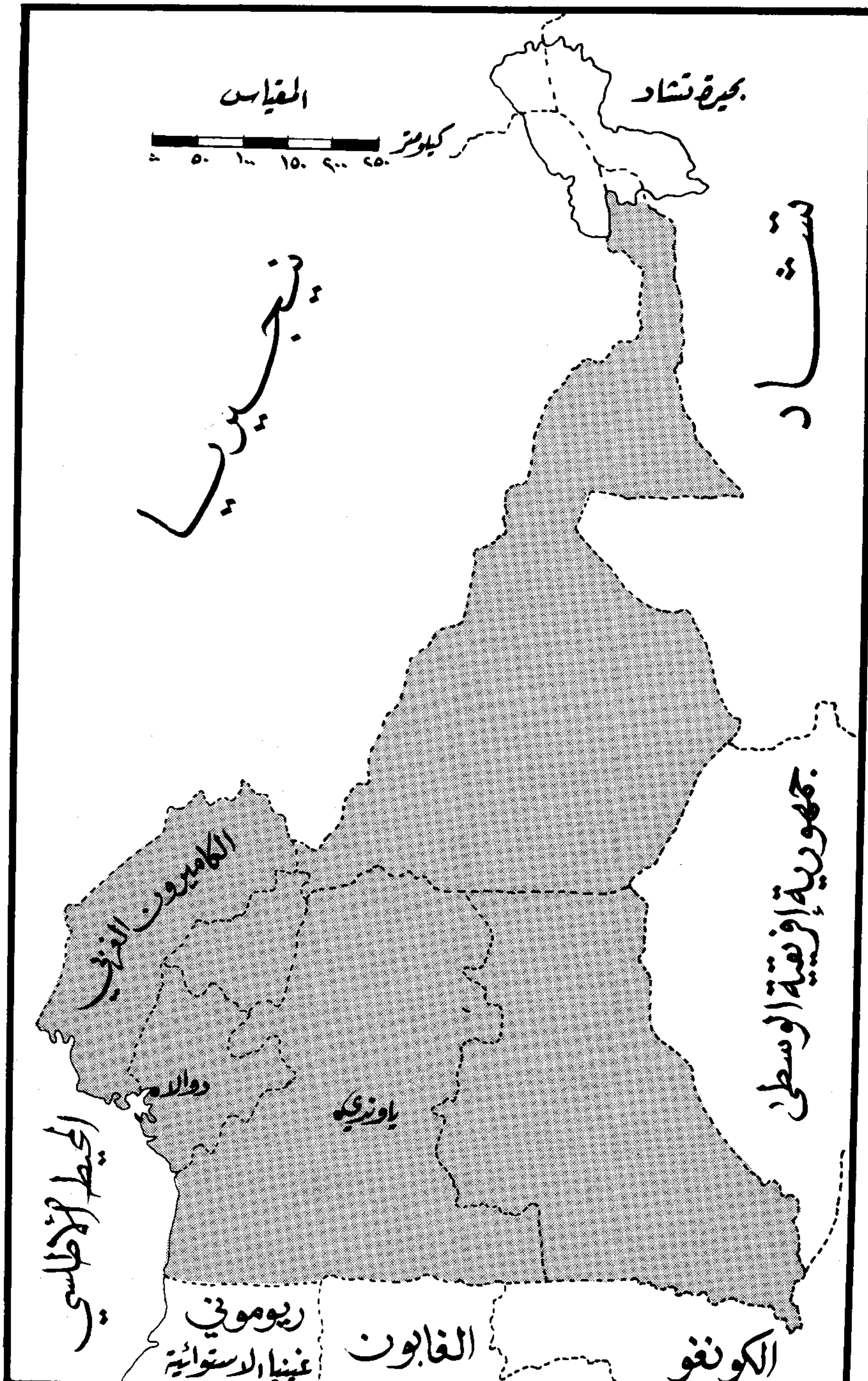
غير أن الخوف على قبائل الإيبو كان قد انتهى موقّتاً، ولذلك وحتى لا تتكرر المشكلات رأت الدوائر الاستعمارية أنه من الأفضل قيام حكمٍ عسكريٍ أو مدنيٍ يتزعّمه قادة علمانيون، وتبقى دولة نيجيريا موحدةً، وحدث انقلاب، ورفع الحظر عن النشاط السياسي، ووجدت خمسة أحزابٍ تُمثّل كافة أقاليم نيجيريا غير أنها بعيدة عن التمثيل الإقليمي أو

العقيدي، ووُجد في مقدمتها الحزب الوطني النيجيري بزعامة شيخو شاغاري الذي نجح في منصب رئاسة الجمهورية، وحزب الشعب النيجيري، وجرى ائتلاف بين هذين الحزبين، وتسلّم السلطة، غير أن الائتلاف قد فُصمت عُراه، وشكّل حزب الشعب النيجيري ائتلافاً جديداً باسم (ائتلاف الأحزاب التقدّمية)، ويضمّ حزب الوحدة النيجيري، وحزب التحرير الشعبي، والحزب الشعبي لنيجيريا الكبرى، ووقف هذا الائتلاف موقف المعارضة.

وعاد (تشوكوميكا أوجوكو) من المنفى، وانضم للحزب الوطني النيجيري إشارةً إلى أن الأحزاب لم تقم على أساسٍ إقليميٍ أو عقيديٍ، وجرت الانتخابات، وتنافست فيها ستة أحزابٍ، ولكن لم يلبث أن وقع انقلاب محمد بخاري، ففرض الحظر على النشاط السياسي، وبقي الخطر، وجاء انقلاب (إبراهيم بابا نغيدا) الذي لا يزال في السلطة، واستمرّ الحظر على الأحزاب السياسية. ثم سمح بإنشاء حزبين سياسيين فقط ولكن كان هذا نظرياً، وكانا تحت جناحه. ولما أعلن رفع الحظر عن النشاط السياسي تشكّل مباشرةً خمسة وثلاثون حزباً، غير أن ثلاثة عشر منها فقط هي التي استكملت إجراءات التسجيل، ثم رجع الرئيس فألغى التنظيمات السياسية التي تأسّست جميعها، وكان يوجد الحزب الديمقراطي الاجتماعي، وحزب المؤتمر الجمهوري الوطني، وحُلّت الأحزاب كلها، ولا يزال الحظر قائماً.

الباب
الثالث عشر

الكَامِيرُون



المصور رقم [١٤]

لمحة عن تاريخ الكاميرون قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى الكاميرون عن طريق الشمال إذ أن التجار المسلمين في شمالي إفريقية قد اجتازوا الصحراء الكبرى بقوافلهم، ووصلوا إلى المناطق السودانية، وعن طريقهم انتشر الإسلام في هذه الجهات، وتمتدّ الكاميرون نحو الشمال حتى خط العرض ١٣° شمالاً فتضمّ مناطق سودانيةً واسعةً شمال خط الاستواء، بل إن بعض القبائل التي تتنقل في جهات الكاميرون الشمالية تدّعي أنها من أصلٍ عربي، ومن بين هذه القبائل قبائل «الشوا» المعروفة.

ووصل الإسلام إلى الكاميرون أيضاً من جهة الغرب عن طريق الدعاة الذين كانت تُرسلهم دولة المرابطين، كما أن الموحدين الذين خلفوا المرابطين في حكم شمال غربي إفريقية قد ساروا على نهج أسلافهم في إرسال الدعاة، وكثرت المناطق الإسلامية، ونشأت سلطنات إسلامية في مناطق شمالي الكاميرون ومنها: سلطنة «غاروا» وسلطنة «لاميدو» المعروفة بـ «ذي بوبا».

وبقيت المناطق الشمالية إسلاميةً عدة قرونٍ، على حين بقي سكان الغابات وثنيين حتى جاء المستعمرون الصليبيون.

وصل البرتغاليون في مطلع القرن العاشر الهجري (أواخر القرن الخامس عشر الميلادي) إلى دلتا الكاميرون، وقد سُمّيت المنطقة باسم «كاميرون» نسبةً إلى بعض أنواع سمك الجمبري «القريدس» التي وُجدت

هناك، ومن الساحل عمّ الاسم على المناطق الداخلية التي تبعتها.

عرف الرحالة البريطاني «كلابرتون» منطقة الكاميرون الأصلية عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) قادماً من الشمال بعد أن عرف بحيرة تشاد عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤ م)، وفي الوقت نفسه كان الرحالة الألماني «بارت» يتقدّم من الجنوب عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م)، وقد وصل إلى المناطق الداخلية عام ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) وأسّس الألمان محميةً لهم من المناطق التي عرفوها، وبسطوا نفوذهم عليها، وذلك عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) وأخذوا في استثمارها.

ونتيجة المنافسة الاستعمارية والصراع بين دول أوربا على الغنائم كانت الأزمة المراكشية عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وقد أرادت ألمانيا أن تحول دون عزم فرنسا على توطيد نفوذها في مراكش (المغرب)، غير أن ألمانيا لم تنل من هذه الأزمة سوى نجاحٍ جزئيٍ لأن مؤتمر الجزيرة الذي انتهى في شهر صفر من عام ١٣٢٤ هـ (نيسان ١٩٠٦ م) أعاق عمل فرنسا بحلّ القضية المراكشية تحت ضمانٍ دوليٍ ، ولكنه خوّل فرنسا وكذلك إسبانيا حق تنظيم الضابطة (الشرطة المراكشية).

وظهرت أزمة أغادير عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) إذ أرسلت ألمانيا طراداً إلى أغادير كنوعٍ من التهديد، وكمحاولة لإثبات المكانة والعمل على حصول نصيبٍ من الغنيمة، فهي تعلم حقاً أنها لا تستطيع الآن أن تحول دون توطيد نفوذ فرنسا في مراكش، ولكنها تريد أن تجبر فرنسا على دفع شيءٍ لرضا ألمانيا، أي لتحصل على جزءٍ من الأراضي أينما كان، وكما يقول الألمان أنفسهم على تعويضات. والواقع أن فرنسا قد أرضت ألمانيا بإعطائها القسم الداخلي من الكونغو الخاص بها (الكونغو الفرنسي)، وهكذا توسّعت أراضي المحمية الألمانيّة، وحملت كلها اسم الكاميرون.

وفي الحرب العالمية الأولى دخل البريطانيون والفرنسيون عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) المحمية الألمانية واتفق الحلفاء بعد الحرب فيما

بينهم على تقسيم الكاميرون الألمـانية بين الفـرنسيين والإنكليز، وجـاءت معاهدة فرساي في ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ (كانون الثـاني ١٩١٩ م) مؤيدةً ذلك.

وفي ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (٢٠ تموز ١٩٢٢ م) أصبـح القسم الأكبر من الكاميرون بموجب نظام الانتداب الموضوع من قبل عصبة الأمم تحت الانتداب الفرنسي (٤٣٢,٠٠٠ كيلومتر مربع) بينما وضع نطاق ضيق صغير في الغرب تحت الانتداب الإنكليزي (١٤٥,٢٦٥ كيلومتر مربـع)، وضُمّ الجزء الشمالي منه إلى نيجيريا زيادة، وتولّت إدارته بهذه الصفة عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م).

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة إلى الاستقلال

اتبعت الدولتان الصليبيتان انكلترا وفرنسا سياسةً استعماريةً في الأجزاء الكاميرونية التي وضعت تحت انتدابهما من استغلالٍ وتفرقةٍ بين القبائل والسكان، وتنصيرٍ، ومحاربةٍ للإسلام، واستمرّ ذلك ما يقرب من ربع قرنٍ، عاش الأهالي خلال هذه المدة في ضيقٍ نفسيٍ مما يُعانون من الفقر، والذلّ، والجهل، وجرّ أبنائهم نحو الكفر والفساد بما يُهيّأ لهم من أسباب ذلك كله.

وبعد الحرب العالمية الثانية وُضعت الكاميرون بموجب قرارٍ من هيئة الأمم المتحدة تحت نظام الوصاية الدولية بموجب اتفاقية الوصاية المؤرّخة بـ(١٣ كانون الأول ١٩٤٦ م) ١٩ محرم ١٣٦٦ هـ، وبدأت فرنسا تحكم المناطق التي تحت يدها باسم الوصاية الدولية، ولكنها جابهت حركة مقاومةٍ قويةٍ من قبل السكان، تُطالب بالحكم الذاتي، ثم الاستقلال، وحاولت تهدئة الأوضاع بتأليف حكومة برئاسة النصراني الكاثوليكي «أندريه ماري أمبيوا» الموالي للحزب النصراني الكاثوليكي الفرنسي، وذلك عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م) غير أن حركات المطالبة بالاستقلال لم تهدأ.

وفي ١١ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٥٨ م) أعلن مجلس الكاميرون التشريعي رسمياً بتصميم شعب الكاميرون على وصول دولته إلى الاستقلال في بداية عام (١٩٦٠ م) ٣ رجب ١٣٧٩ هـ.

وفي ٢٢ ربيع الثاني ١٣٧٩ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٥٩ م) أخبرت

فرنسا الأمم المتحدة عن نيتها في منح الكاميرون الاستقلال في مطلع العام القادم (١٩٦٠ م) ٣ رجب ١٣٧٩ هـ. وفي اليوم المحدد فعلاً احتفلت الكاميرون باستقلالها برئاسة «أحمدو أهيدجو» الذي تسلّم رئاسة الوزارة منذ عامين، وهو زعيم حزب اتحاد الكاميرون.

وجرت انتخابات المجلس الوطني في ٥ شوال ١٣٧٩ هـ (الأول من نيسان ١٩٦٠ م) فاز فيها حزب اتحاد الكاميرون الذي تدعمه قبائل الشمال المسلمة، وقد ألّف «أحمدو أهيدجو» اتحاداً بين حزبه «حزب اتحاد الكاميرون» وبقية الأحزاب التي كان أقواها «حزب الكاميرون التقدّمي» برئاسة شارل عسّال.

وفي ذي القعدة ١٣٧٩ هـ (أيار ١٩٦٠ م) انتخب المجلس الوطني الجديد «أحمدو أهيدجو» أول رئيسٍ للبلد، وعُيّن شارل عسّال رئيساً للوزراء. واندمج الحزبان بعضهما مع بعض، كما التحقت بهما أحزاب أخرى، وكان للتجمع الحاكم ٧٤ مقعداً في المجلس الوطني، من أصل مائة مقعدٍ، وهو عدد مقاعد المجلس الوطني التشريعي الكاميروني يومذاك.

أما الكاميرون الذي تحت الانتداب الإنكليزي ثم تحت نظام الوصاية الدولية فيتألف من إقليمين شمالي، وجنوبي، وقد ضُمّ الشمالي إلى نيجيريا قبل أن تنال نيجيريا استقلالها الذي تمّ في شهر ربيع الثاني ١٣٨٠ هـ (تشرين الأول ١٩٦٠ م). وقد أجرت الأمم المتحدة استفتاءً في هذين الإقليمين في شعبان ١٣٨٠ هـ (شباط ١٩٦١ م)، وأيّد سكان الإقليم الشمالي الانضمام إلى نيجيريا بأغلبية ١٤٥,٢٦٥ صوتاً ضدّ ٩٧,٦٥٤ صوتاً. وقرّر سكان الإقليم الجنوبي في الاستفتاء ذاته الانضمام إلى جمهورية الكاميرون بأغلبية ١٣٥,٨٣٠ صوتاً ضدّ ٣٠,٠٠٠ صوت.

وفي ٢١ ربيع الثاني ١٣٨١ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٦١ م) تمّ ضمّ إقليم الكاميرون الجنوبي الإنكليزي إلى جمهورية الكاميرون ضمن اتحادٍ حملت الدولة بعده اسم «جمهورية الكاميرون الاتحادية»، وأصبح

«جون نيجو فونشا» رئيس وزراء الكاميرون الغربية، وزعيم حزب الكاميرون الديمقراطي نائباً لرئيس الجمهورية «أحمدو أهيدجو».

وأصبحت اللغتان الفرنسية والإنكليزية رسميتين في البلاد، أما الدستور فقد أخذ من دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة. وللبلاد مجلس نيابي موحد. وغدا الكاميرون الإنكليزي يُعرف بالكاميرون الغربي، والكاميرون الفرنسي بالكاميرون الشرقي.

الفصل الثاني

الاستقلال

٣ رجب ١٣٧٩ هـ ....
١ كانون الثاني ١٩٦٠ م ....

حصل الكاميرون الشرقي على الاستقلال في ٣ رجب ١٣٧٩ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٦٠ م)، وحمل اسم جمهورية الكاميرون، وتمّ ضم الكاميرون الغربي إلى جمهورية الكاميرون في ٢١ ربيع الثاني ١٣٨١ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٦١ م)، وأصبح اسم الدولة «جمهورية الكاميرون الاتحادية».

أُعيد انتخاب أحمدو أهيدجو رئيساً في شهر المحرم ١٣٨٥ هـ (أيار ١٩٦٥ م)، وفي جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ (أيلول ١٩٦٦ م) اتبعت سياسة الحزب الواحد عندما اتحد الحزبان الرئيسيان «حزب اتحاد الكاميرون» و «حزب الكاميرون الديمقراطي» مع المعارضة، وتشكّل من الجميع حزب «الاتحاد الوطني الكاميروني»، وتوسّع هذا الحزب أيضاً ليضمّ منظمات البلد السياسية كلها من ثقافيةٍ، واجتماعيةٍ، وحرفيةٍ. وكان الحزب الوحيد المعارض هو حزب «اتحاد شعب الكاميرون» وعُدّ حزباً يسارياً متطرفاً، وشيوعياً موالياً للصين لذا فقد صدر مرسوم بحلّه، وسُحق نهائياً عام ١٣٩١ هـ، غير أن قادته قد تابعوا نشاطهم في المنفى، ويُقيم أكثرهم في باريس.

وأُعيد انتخاب «أحمدو أهيدجو» رئيساً للبلاد من جديدٍ في شهر المحرم ١٣٩٠ هـ (آذار ١٩٧٠ م) وأصبح «سولومون مونا» نائباً للرئيس،

وكان قد جاء رئيساً لوزراء الكاميرون الغربي منذ عامين بـدلاً من «جون نيجو فونشا».

وفي جمـادى الأولى ١٣٩٢ هـ (حـزيـران ١٩٧٢ م) انتهى نـظام الجمهورية الاتحادي، وأصبحت البلاد جمهورية متحدة بعد مـوافقةٍ تمّت باستفتاءٍ شعبيٍ لوضع دستورٍ جديدٍ ينصّ على ذلك، وأُلغي مكتب نائب الرئيس الذي كان يشغله رئيس وزراء الكاميـرون الغربي، وتمّت صيـاغة نظامٍ سياسيٍ وإداريٍ متكاملٍ بشكلٍ سريعٍ.

وفي ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ (أيار ١٩٧٣ م) جرت انتخابات المجلس الوطني لمدة خمس سنـواتٍ، وأُعيد انتخـاب أحمدو أهيـدجو رئيسـاً في جمادى الأولى ١٣٩٥ هـ (نيسان ١٩٧٥ م) تمّ تعديل الدستور، واختير (بول بيا) من الكاميرون الغربي رئيسـاً للوزراء، رغم قيام معـارضةٍ تـدعو إلى العودة إلى النظام الاتحادي لإبعاد أصحاب الثقافة الإنكليزية عن السلطة التنفيـذية، وكـان ذلك في رجب ١٣٩٥ هـ (حـزيـران ١٩٧٥ م). وأُعيـد انتخاب أحمدو أهيدجو رئيساً بالإجماع في جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ (نيسان عام ١٩٨٠ م) ولمدة خمس سنوات.

وفي مـطلع عـام ١٤٠٣ هـ (تشـرين الثـاني ١٩٨٢ م) أعلن رئيس الجمهورية أحمدو أهيدجو تقديم استقالته وعيّن رئيس الوزراء «بول بيـا» خلفـاً له، ولم يُعط أيـة أسبابٍ رسميـةً لتقديم تلك الاستقـالـة. واختيـر «بيلوبوبا ميجاري» من شمالي الكاميرون رئيسـاً للوزراء. واحتفظ الرئيس السابق «أحمدو أهيدجو» لنفسه بمنصب رئاسـة حزب الكـاميرون الـوطني الاتحادي، وأخذ يُتابع عمله السياسي.

وفي رمضان عام ١٤٠٣ هـ (حزيران ١٩٨٣ م) اختار الرئيس «بـول بيا» وزارةً فنيةً، وأخذ يعمل على إبعاد الرجال المؤيّدين للرئيس السابق. وفي ١٤ ذي القعدة ١٤٠٣ هـ (٢٢ آب ١٩٨٣ م) أعلن الرئيس «بول بيا» عن اكتشافه لمؤامرةٍ تهدف الإطاحة بحكومته، وقام بطرد رئيس الوزراء،

ووزير الدفاع، وكلاهما مسلمان من شمالي الكاميرون.

وفي ١٩ ذي القعدة ١٤٠٣ هـ (٢٧ آب ١٩٨٣ م) أعلن الرئيس السابق «أحمدو أهيدجو» استقالته من رئاسة حزب الكاميرون الوطني الاتحادي، وأخذ ينتقد بشدةٍ نظام الحكم القائم ورئاسة «بول بيا».

وفي ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) انتخب الرئيس «بول بيا» رئيساً لحزب الكاميرون الوطني الاتحادي خلفاً أيضاً للرئيس السابق «أحمدو أهيدجو».

وفي ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (كانون الأول ١٩٨٤ م) أُعيد انتخاب «بول بيا» رئيساً، وأُذيع أنه حصل على ٩٩,٩٨٪ من مجموع أصوات الناخبين، وعندما أعاد تشكيل الوزارة ألغى منصب رئاسة الوزراء، وأصبح الحكم رئاسياً، وأعاد اسم «جمهورية الكاميرون» وألغى التسمية السابقة «جمهورية الكاميرون المتحدة».

وكان الرئيس السابق «أحمدو أهيدجو» واثنان من مستشاريه العسكريين قد قُدّموا للمحاكمة لاشتراكهم في محاولة الانقلاب المزعومة عام ١٤٠٣ هـ، وحُكم عليهم بالإعدام، ولكن بعد أسبوعين من صدور الحكم خُفّف، واستُبدل بالسجن مدى الحياة، وكان الرئيس السابق «أحمدو أهيدجو» يعيش في المنفى في باريس، وداكار، وصدر الحكم عليه بالإعدام غيابياً، وبقي في منفاه حتى توفي في ربيع الثاني من عام ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م).

وفي ٦ رجب ١٤٠٤ هـ (٦ نيسان ١٩٨٤ م) حدث تمرّد في عناصر الحرس الجمهوري بقيادة العقيد صالح إبراهيم، وهو مسلم من الشمال، وقد حاول استلام السلطة، وطرد حكومة «بول بيا»، وبعد قتالٍ شرسٍ دام ثلاثة أيامٍ ذهب ضحيتها المئات من القتلى حسبما أُذيع وقتذاك، سُحق التمرّد من قبل قواتٍ مواليةٍ للرئيس «بول بيا»، وتشكّلت محاكم عسكرية

حسب رأي الرئيس، وقُدّم الذين اشتركوا في محاولة الانقلاب للمحاكمة في شعبـان ١٤٠٤ هـ وصفر ١٤٠٥ هـ (أيـار وتشرين الثـاني ١٩٨٤ م)، وصدر الحكم بإعدام واحدٍ وخمسين متهماً، ونُفّذ فيهم الحكم. ثم أُذيع فيما بعد أن ستةً وأربعين متهماً آخرين قد نُفّذ فيهم حكم الإعدام بعـد ساعاتٍ من صدور الحكم بحقهم.

وتبع تلك الأحداث تغييرات واسعة في الهيئـة العسكريـة، واللجنة المركزية لحزب الكاميرون الوطني الاتحادي، وفي مؤسسات الدولة، وأُبعد الكثير من المسلمين تحت اسم مُؤيّدي الرئيس السابق، ومناصري حركة الانقلاب، وشفى أعداء الإسلام شيئاً من حقدهم تحت شعار الإصلاح، وفي الوقت نفسه وُضعت رقابة شديدة على الصحافة ووسائل الإعلام كلها. وأعاد الرئيس «بول بيا» تشكيـل حكومتـه من جديـدٍ في شوال ١٤٠٤ هـ (تموز ١٩٨٤ م).

وفي اجتماعٍ خاصٍ لحزب الكاميرون الوطني الاتحـادي، الحزب الحاكم في جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار عام ١٩٨٥ م) أعطي الحزب اسماً جديداً هو «حركة الكاميرون الديمقراطية الشعبية» وفي شهر ذي القعدة من العام نفسه أُبعد عشرة وزراء كجـزءٍ من التغييرات المكثّفـة التي قام الرئيس بها.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) ادّعى أعضاء حزب الكاميرون الوطني الاتحـادي في المنفى أنه قـد تمّ اعتقال ٢٠٠ - ٣٠٠ رجل من معارضي الحكم في الأشهر القليلة الماضيـة، وأن بعض هؤلاء قد تعرّض لأنواع من الضرب والإهانة والعذاب الشديد، وإن كان قد أُفرج عن قليلٍ منهم.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (مطلع عام ١٩٨٦ م) جرت انتخابات امتدت ثلاثة أشهرٍ، ونتج عنها تغيرات شاملة في البنية الداخليـة لحركـة الكاميرون الديمقراطية الشعبية، الحزب الحاكم، حيث استبـدل أكثر من

نصف رؤساء الحزب البالغ عددهم تسعة وأربعون قائداً. وتمّت المنافسة على عددٍ من المراكز الإدارية الرئيسية بين أكثر من مرشحٍ واحدٍ من القادة الحزبيين.

وأُعيد أيضاً في ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) تنظيم مكتب الرئيس، وعُيِّن أربعة وزراء جددٍ في إعادة تشكيل الحكومة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (مطلع عام ١٩٨٧ م) طُرد وزير الخارجية «وليم اتكي مبوماوا» من منصبه طرداً بعنفٍ وتشهيرٍ لأنه وقّع على اتفاقيةٍ مع المجر لإعادة العلاقات السياسية بينهما دون معرفة الرئيس الكاميروني. كما اعتقل عدد من الصحفيين لنشرهم بعض الأسرار أو الموضوعات ذات الحساسية الخاصة، وفيهم عدد من الصحفيين الرسميين لجريدة الحكومة اليومية، وفي الوقت نفسه شهدت مؤسسات النشر التي تملكها الدولة تغيرات واسعة.

وفي ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) وضع المجلس الوطني علامةً سريةً جديدةً تمّ تأمينها للترشيح المتعدد في الانتخابات العامة، وفي شهر صفر ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) أعطى أكثر من ٤٠٪ من عامة الشعب أصواتهم لمرشحي حركة الكاميرون الديمقراطية الشعبية المعتمدين من قبل الحكومة للمقاعد المائة والستة والتسعين كأعضاء للمجلس البلدي.

فرضت الحكومة في شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران ١٩٨٧ م) سياسة تقشفٍ على الشعب، وفي ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م) وقعت أحداث شغبٍ في جامعة ياوندي إذ خرج الطلاب محتجين على تأخير دفع المنح الجامعية، فاعتقل ثلاثمائة طالبٍ. وفي الوقت نفسه أُشيع أنه جرت محاولة انقلابٍ بقيادة رئيس أركان القوات الجوية العقيد (نانسو).

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (مطلع عام ١٩٨٩ م) قُدِّمت انتخابات الرئاسة لتتزامن مع الانتخابات العامة للمجلس الوطني في رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) بحجة التقنين في النفقات. وإن التعديلات

الدستورية هي التي أعطت الصلاحيات للرئيس بإمكانات تقديم الانتخابات، كما مكّنته من زيادة عدد أعضاء المجلس الوطني من ١٥٠ عضواً إلى ١٨٠ عضواً، وقد اعتُمدت هذه التعديلات في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) من قبل المجلس الوطني. وفي انتخابات الرئاسة أُعيد انتخاب «بول بيا» رئيساً دون منازعٍ، وحصل على ٩٨,٧٥٪ من مجموع الأصوات، وكان للناخبين في انتخابات المجلس الوطني ولأول مرةٍ الخيار بانتخاب مرشحين من قبل حزب «حركة الكاميرون الديمقراطية الشعبية» الحزب الحاكم، لذا كان مائة وثلاثة وخمسون ممثلاً جديداً في المجلس الوطني.

وأعاد الرئيس «بول بيا» تشكيل الحكومة في شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م)، كما أعاد تنظيم البناء الإداري، فدمجت بعض الوزارات بعضها مع بعض، واقتضى ذلك إلى إعفاء بعض الوزراء من مناصبهم، ودمج منصب أمين سر الحكومة مع مدير الحكومة الرئاسية وأصبح يحمل اسم الأمين العام للرئاسة. وقامت حملة ضدّ الفساد أدّت إلى اعتقال أكثر من مائة ضابطٍ، ومنفّذي الصناعات التي تملكها الدولة، واتهم الجميع بسوء التصرف بالأموال العامة.

وتشكّلت وحدة شرطةٍ خاصة في رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) لمحاربة الإرهاب والجريمة، وتمّ تعيين ثلاثة ضباطٍ كبارٍ في وظائف أمنيةٍ بارزةٍ.

وفي مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م) أعربت لجنة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية عن قلقهما على أوضاع السجون السياسية في «ياوندي» العاصمة، وفي مدينة «دوالا»، وذكرت عن وجود ما لا يقل عن أربعين سجيناً سياسياً، وأن عدداً منهم قد احتجزوا دون محاكمةٍ بعد حادثة التمرّد التي وقعت في رجب ١٤٠٤ هـ (نيسان ١٩٨٤ م).

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (مطلع عام ١٩٨٩ م) قام المحامون

بإضرابٍ عام احتجاجاً على التجاوزات الدستورية التي يقوم بها الحكم وأعوانه.

السياسة الخارجية:

كانت العلاقات وطيدةً بين الكاميرون وفرنسا، وكانت الكاميرون عضواً في منظمة الدول التي تتكلم اللغة الفرنسية، والتي كانت عاصمة الكاميرون «ياوندي» إحدى قواعدها الرئيسية. وفي جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ (تموز ١٩٧٣ م) أعلن الرئيس «أحمدو أهيدجو» أن بلاده ستنسحب وشيكاً من هذه المنظمة. وفي عام ١٣٩٤ هـ قامت حكومة الكاميرون بإجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لإعادة النظر في اتفاقيات التعاون بينهما، حسب النهج السياسي الذي تبنّاه الرئيس الكاميروني، وهو اتباع سياسةٍ خارجيةٍ مستقلةٍ.

وفي ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م) اضطرت الكاميرون إلى طلب مساعدة الطوارىء الدولية عقب انفجار الغازات البركانية من قاع بحيرة «نايوس» في شمال غربي البلاد، والذي أدّى إلى مقتل أكثر من ١٧٠٠ إنسانٍ، وسبّب فزعاً نفسياً واسعاً.

بعد حرب رمضان ١٣٩٣ هـ (تشرين الأول ١٩٧٣ م) بين البلدان العربية ودولة اليهود في فلسطين انقطعت العلاقات السياسية بين الكاميرون ودولة اليهود، واستمرّت منقطعةً مدة ثلاث عشرة سنةً، ثم عادت إلى حالتها الطبيعية بعد زيارةٍ قام بها رئيس وزراء دولة اليهود «شمعون بيريز» إلى الكاميرون في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م)، وقد تزامنت هذه الزيارة مع الثوران البركاني في الكاميرون.

وكانت العلاقات معلقةً مع فرنسا على الرغم من أن الكاميرون تحرص ألا تكون معتمدةً عليها من الناحية الاقتصادية على الأقلّ مع أن فرنسا كان بيدها أكثر من ثلث العمليات التجارية الخارجية للكاميرون.

وتوطّدت العلاقة بين الكاميرون وفرنسا بعد زيارة الرئيس «بول بيا» لفرنسا عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) حيث كانت زيارةً رسميةً طُرحت فيها أوجه التعاون الاقتصادي.

وكـانت آمال الكـاميرون متجهـةً في السنوات الأخيـرة نحـو زيـادة الاستثمـارات الأجنبيـة فيهـا، وخـاصـةً الاستثمـارات الألمـانيـة حيث زار المستشار الألماني «هلموت كول» الكاميرون عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م).

وكـانت تقوم نـزاعات على الحـدود بين الكاميـرون ونيجيريـا، ثم تحسّنت الأوضاع بعد زيارة الرئيس النيجيري رسمياً للكاميرون، وأعلن أن ضوابط حدودية مشتركة سيتم إنشاؤها قريباً.

وجرت مفاوضات بين الرئيس «بول بيا» وبين رؤساء كلٍ من الكونغو والغـابون عـام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م)، وصدر بيـان عن الرؤسـاء الثـلاثـة يستعطفون فيه الدائنين من الخارج وضع برنامج لسداد الديون.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة جمهورية الكاميرون ٤٧٥,٤٤٠ كيلومتراً مربعاً. وتُشرف من ناحية الغرب على المحيط الأطلسي، ويبلغ طول سواحلها ٤٠٢ كيلومتراً، ويصل طول حدودها البرية إلى ٤,٥٩١ كيلومتراً، منها ١٦٩٠ كيلومتراً مع نيجيريا، و١٠٩٤ كيلومتراً مع تشاد، و٧٩٧ كيلومتراً مع جمهورية إفريقية الوسطى، و٥٥٣ كيلومتراً مع الكونغو، و٢٩٨ كيلومتراً مع الغابون، و١٨٩ كيلومتراً مع غينيا الاستوائية (إقليم ريوموني).

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) أحد عشر مليوناً، وبذا تكون الكثافة ٢٣ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد. وإن كانت هذه الكثافة تختلف بين منطقةٍ وأخرى.

وتمتدّ بين خطي عرض ٢° شمالاً و١٣° شمالاً فتشمل بذلك منطقتين مناخيتين أولاهما استوائية بين ٢ - ٨° غير أن الارتفاع يجعل المناخ الاستوائي لا يظهر إلا في بعض المناطق الساحلية. وثانيتهما سودانية (السافانا) بين ٨ - ١٣° حيث تنتشر المراعي الطويلة. وتشمل الغابات ٥٤٪ من المساحة العامة، و١٨٪ مراعي، و١٣٪ مساحات زراعية، و١٥٪ مرتفعات ومستنقعات و. . .

الصراع الإقليمي:

تألّفت الكاميرون سياسياً من إقليمين كان أحدهما، وهو الشرقي

والأكبر تحت الانتداب الفرنسي، وكان ثانيهما، وهو الغربي تحت الانتداب الإنكليزي، فنشأ في كلٍ منهما ثقافة تختلف عن ثقافة الآخر، وترتبط بثقافة الدولة المستعمرة لذلك الإقليم، فلما ضُمّ بعضهما إلى بعضٍ في ٢١ ربيع الثاني ١٣٨١ هـ (الأول من تشرين الأول ١٩٦١ م) بقي هذا التباين، وقضى الاتحاد بينهما أن يكون زعيم الإقليم الشرقي رئيساً للدولة، وزعيم الإقليم الغربي نائباً للرئيس. واستمرّ ذلك حتى مطلع عام ١٤٠٣ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٢ م) أي ما يزيد على العشرين سنة حيث تسلّم زعيم الإقليم الغربي رئاسة الدولة ولا يزال إلى الآن وذلك بعد تعيينه من قبل سلفه الرئيس الأول للكاميرون. وكان لكل طرفٍ جماعته الخاصة به، ورجاله المخلصون له رغم اندماج الحزبين بعضهما مع بعضٍ وتأسيس حزبٍ واحدٍ منهما، ولا يزال الوضع إلى الآن حتى ليعدّ نفسياً، وتُطلق كل مجموعةٍ على الأخرى صفة انتمائها للدولة التي كانت تستعمرها، فيقول الشرقيون مثلاً الإنكليز وأعوانهم ويقصدون زعماء الإقليم الغربي، وكذلك ينعت الغربيون الشرقيين بالفرنسيين والكراهية قائمة بين الجانبين ولو شعورياً، وإن كانت تخفّ مع الزمن. وإن هذا الصراع ليحمل في خفاياه الصراع العقيدي، لأن نسبة النصارى في الإقليم الغربي هي أكبر من نسبتهم في الإقليم الشرقي، وكذلك فإن نسبة المسلمين في الإقليم الشرقي هي أكبر من نسبتهم في الإقليم الغربي، فالمسلمون غالبيتهم في الأجزاء الشمالية التي هي ضمن الإقليم الشرقي بل إن زعامة الإقليم الشرقي كانت منهم، وأصبح رئيس الوزراء منهم عندما سيطر زعيم الإقليم الغربي على السلطة، واستمرّ ذلك مدةً حتى أصبحت تُشاع أخبار محاولات الانقلاب والتمرّد، وتُلصق بالشماليين، ويُقصد بهم المسلمين، فيُبعدون، ويُطردون، أو يلقون حتفهم حسب خطةٍ مرسومةٍ.

الصراع العنصري:

تعيش في البلاد أكثر من مائتي قبيلةٍ تعود لأصولٍ مختلفةٍ، وأهمها:

(الشـوا) وتدّعي أنهـا من أصولٍ عـربيةٍ، و(التـوبوري) وهي من قبـائـل الكـانوري التي هي في تشـاد، ونيجيريـا، و(الكـوتـوكـا)، و(الفـولاني) و(الماسا) وكلها تدين بالإسلام، وتُشكّل ما يزيد على ثلث سكان البلاد.

وتعيش في الهضـاب الغربيـة قبائـل زنجية أشهـرهـا: (البـامليكـة) و(البامون) وهي مزيج من قبائل البانتو المتعددة، والإسلام فيها قليل.

وتسكن السهول الجنوبية قبائل (الفانج). ونجد الأقزام في الغابات.

واللغة الرسميـة هي الفرنسيـة في الإقليم الشرقي، والإنكليـزية في الإقليم الغربي، أي أن للبلاد لغتين رسميتين، وتنتشر العربية بين قبائـل الشمال لتعليم الدين الإسلامي، وفي المساجد، وتوجد لغة البانتو بين قبائل أهلها، كما توجد السواحيلية، ولكل قبيلةٍ لغتها.

كانت الغلبة في البداية لقبائل الشمال إذ كانت لها سلطنات مُنظّمة على حين تعيش قبـائل الجنـوب في فوضى دون تنـظيمٍ، وتعتنق قبائـل الشمـال الإسلام فهي ذات حضـارةٍ، وتطوّرٍ، ونـظرةٍ معينةٍ إلى الحيـاة، وتطلّعٍ إلى المستقبل، ووعيٍ لمهمتهم في هذه الدنيا؛ بينما كانت قبائل الجنوب بدائيةً في تفكيرها، وثنيةً في عقيدتها ذات وعيٍ محدودٍ، وتفكيرٍ قاصرٍ، وكانت قبائل الشمال تتجـه نحو قبـائل الجنـوب بقلوبها تـريد أن تُرشدها إلى طريق الخير، وتسير بها نحو النور، وفي الوقت نفسـه تنظر قبائل الجنوب للشمال نظرة احترامٍ وتقديرٍ، وتعترف بتفوّقها عليها وتطوّرها وحضارتها وتتمنّى أن تصل إلى مستواها.

فلما جاء المستعمرون الصليبيون مدّوا أيديهم إلى الـوثنيين وعملوا على تنصيرهم صليبيةً، وللإفادة منهم ضدّ المسلمين، كما عملوا على رفع وضعهم ليتغلّبـوا على المسلمين، وفي الوقت نفسـه عملوا على إضعاف المسلمين والحطّ من شـأنهم بـالإذلال، والإفقـار، وإبعـادهم عن التعليم بمحاربة الكتاتيب ومراكز العلم للناشئة، واستغلّ الـوثنيون هـذه الفرصـة للنهوض ووقف النصارى والمتنصّرون إلى جانبهم وأخذ الصراع بين قبائل

الشمـال وقبائـل الجنوب، ولكن كـان صراعـاً يحمل بين طيـاته الصـراع العقيدي حيث يُقصد المسلمون عندما تذكـر قبائـل الشمال أو الشمـال. وكـانت الغلبة للنصـارى والـوثنيين لا بكثـرة العـدد، ولا بـالقـوة، ولكن بالتخطيط، والعمل على إفساد المسلمين، وبثّ الأفكار الغريبة حتى نشأت أجيال من الشمال قبلت مفاهيم المستعمرين التي طرحوها للتعاون بين فئات المجتمع جميعها تحت شعار ما أسموه لهم بـ (الوطن)، فلمـا عملوا معاً تحت هذا العنوان من الوطنية، فقد المسلمون شخصيتهم، وساروا ضمن الجمـاعات التي تمكـر بهم، فتغلبت عليهم، وأخـذت تُنفّـذ مخـططاتهـا عليهم، وكان المسلمون، والنصارى، والوثنيون معاً، واختلطوا معاً ضمن منظماتٍ واحدةٍ وعندما اشتدّ عود النصارى بما كسبوه إلى عقيدتهم من أبناء الجنـوب انبروا يُقـاتلون المسلمين تحت مظلة القيـام بتمرّد، ومحـاولات الانقلاب حتى بعُد المسلمون عن الساحة وانفرد بهـا النصارى، فـأخذوا يُخططون كما يريدون، ويُعطون الإحصاءات حسب هواهم، ويُوزّعونها في العالم، وتتبنّاها الأمم المتحدة، وتعمّ، وتقدّم إحصاءات غير صحيحةٍ عن أعداد المسلمين في الكاميرون. وربما يسكت الجنوب عمن يسايرهم من الشمال تحت عناوين مختلفة من الوطنية، والحزبية، والقومية، والاشتراكية وغيرها من المصطلحات العالمية، وكل ذلك مرحلياً، فإذا ما سنحت لهم الفرصة، وجاء الدور الصليبي العالمي عملوا بهم إبادة تحت مظلّة النظام الدولي.

الصـراع الحزبـي:

نشأ حزب اتحاد الكاميرون في أول الأمر برئاسة «أحمدو أهيدجو»، وكانت أكثر عناصره من الشمال على أساس أنهم أكثـر وعياً، كمـا وجد حزب الكاميـرون التقدمي بـرئاسـة شارل عسـال وأكثر عنـاصره من غيـر المسلمين ونال الإقليم الشرقي الاستقلال نتيجة مطالبة هذا الحزب بالحكم الذاتي، وقيادة البلاد نحو الحرية، وأما الإقليم الغربي فقد برز فيه حزب

الكاميرون الديمقراطي الذي كان يقود إقليمه وكانت أكثر عناصره نصرانية، ولما تمّ الاتحاد بين الإقليمين اندمج الحزبان بعضهما مع بعضٍ تحت اسم حزب «الكاميرون الوطني الاتحادي» بزعامة أحمدو أهيدجو، كما ضمّ هذا الحزب جميع أحزاب المعارضة والمنظمات الاجتماعية والثقافية عدا حزب «اتحاد شعب الكاميرون» الشيوعي الذي طرد أتباعه، ولوحقوا حتى خرج أكثر زعمائه من البلاد.

كان «أحمدو أهيدجو» يظنّ أن انضمام معظم العناصر على اختلاف عقائدها في الحزب الحاكم يُهيىء للجميع الفرصة للعمل والنشاط، وإبراز الكفاءات بصورةٍ متساوية داخل ما عُرف باسم «الوطن». ثم بعد مدةٍ قصيرة تبين خطأ تقديره إذ وجد النصارى في الحزب وخارجه، ومن كسبوهم إلى صفهم باسم الوطنية بعد أن أفسدوهم، وحصلوا على دعمٍ من الاستعمار الصليبي، وأخذ الصراع خطاً عقيدياً. وأخذ «بول بيا» السلطة ممثلاً النصرانية.

غيّر «بول بيا» اسم حزب «الكاميرون الوطني الاتحادي» إلى «حركة الكاميرون الديمقراطية الشعبية» ليقطع صلة أعضاء الحركة بالماضي الحزبي كله. وبقيت هذه الحركة هي المسيطرة على السلطة حتى اليوم، وإن بقي الرئيس السابق أحمدو أهيدجو يدّعي زعامة حزب الكاميرون الوطني الاتحادي حتى توفي، وهو في منفاه، وكذا لا تزال بعض العناصر القديمة تقول هذا، وهي في المنفى.

إضافة إلى حزب اتحاد شعب الكاميرون الذي يُعدّ غير شرعي أيضاً، ويقيم بعض أعضائه في المنفى، والحزب الوحيد الحاكم هو «حركة الكاميرون الديمقراطية الشعبية».

الصراع العقيدي:

تبلغ نسبة المسلمين في الكاميرون ٦٠٪ من مجموع السكان، ويكثر المسلمون في الشمال بل إن قبائل الشمال تعدّ مسلمة كلها، ويقلّون في

الجنوب، ومن هذه الكثرة كانوا يحكمون البلاد، ورضي الفرنسيون مكرهين أن يكون الحكم بيد المسلمين، ولما اتحدّ الإقليمان، وكانت نسبة النصارى في الإقليم الغربي أكبر منها في الإقليم الشرقي، وكان بعضهم مهيأً للإدارة، أخذت المخططات تلعب دورها حتى تسلّم النصارى السلطة، وأخذوا بملاحقة المسلمين تارةً باسم محاولة انقلاب، وأخرى باسم قيام تمرّد، وثالثةً باسم تأييد الرئيس السابق، ورابعةً باسم الانتماء لتنظيمٍ غير مشروعٍ، وخامسةً باسم الإرهاب، وكذلك أخذوا بإذلالهم باسم الرجعية، والأصوليّة، وأسماء تشيعها الشراكة الدولية و. . . .

ومما اتبعه الحكم النصراني في الكاميرون إعطاء نسبٍ غير صحيحةٍ عن أصحاب الديانات، ومما يُقدّمونه من هذه النسب، أن الوثنيين يشكلون ٥١٪، والنصارى ٣٣٪، والمسلمون ١٦٪ وهذا غير صحيح أبداً. ولو كان قريباً من الحقيقة لما سمح الفرنسيون وغيرهم من المستعمرين أن يتسلّم أحمدو أهيدجو الرئاسة الأولى، ولا فيما بعد عندما سيطر النصارى أن يتسلم رئاسة الوزارة مسلم أبداً، وسياسة المستعمرين معروفةٍ في كل بلدٍ دخلوه، والنسب الصحيحة هي:

المسلمون	٦٠٪.
الوثنيون	٢٤٪.
النصارى	١٦٪.
	١٠٠٪

والسلطة الآن بيد النصارى، ويقومون بحربٍ ضدّ المسلمين في مختلف جوانب الحياة، حتى يتمكّنوا منهم تماماً، وبعدها ليس أمام المسلمين إلا الردّة أو الإبادة، فليحذر المسلمون ما يُدبّر لهم.

وقد لاحظنا أن الصراع الإقليمي، والعنصري، والحزبي كلها تسير في خطٍ عقيديٍ، والنصارى يملكون الإمكانات كلها، والمسلمون مغلوب على أمرهم.

الخاتمة

لقد كانت دول غربي إفريقية الثلاث عشرة ذات الأكثرية المسلمة أكثرها من نصيب الاستعمار الفرنسي، إذ أن تسعاً منها كان يخضع لفرنسا، ويمكن أن نضيف إليها تشاد، وجمهورية إفريقية الوسطى، ونضيف إليها من دول الأقليات الغابون، وبذا يكون عدد الدول الإفريقية التي تبعت الاستعمار الفرنسي في غربي إفريقية هو اثنتا عشرة دولةً، على حين خضع لإنكلترا ثلاث دولٍ فقط هي: غامبيا، وسيراليون، ونيجيريا، ودولة من دول الأقليات هي غانا، وهذا يدلّ على أن إنكلترا لم تكن تهتم كثيراً بغربي إفريقية، وإنما كان اهتمامها بالدرجة الأولى في شرقي إفريقية حيث الطريق إلى الهند، عن طريق قناة السويس، وهذا ما فسح المجال لفرنسا كي تسيطر على أجزاء واسعةٍ في غربي إفريقية، على حين لم نجد لها ذلك النشاط في شرقي القارة.

أما البرتغال فكانت تستعمر دولةً واحدةً هي غينيا ـ بيساو وفي الوقت نفسه تُسيطر على دولةٍ أخرى من دول الأقليات هي أنغولا، وتلك الدولتان من بقايا الاستعمار الأول حيث كانت البرتغال أولى الدول الأوربية التي سارت مع سواحل إفريقية الغربية كخطةٍ صليبيةٍ في محاولةٍ لها لتطويق مسلمي الأندلس في المرحلة الأولى، فلما سقطت الأندلس بيد النصارى الإسبان والبرتغال زاد من نشاط الصليبيين فانطلقت إسبانيا نحو الغرب للوصول إلى شرقي ديار المسلمين، واتجهت البرتغال بمزيدٍ من الشجاعة ونشوة النصر على سواحل إفريقية الغربية لمداهمة جنوبي ديار المسلمين

وكلتا الدولتين إسبانيا والبرتغال سارتا حسب خطةٍ مرسومةٍ ومتفقٍ عليها، وكانت دول أوربا النصرانية تمدّهما بالملّاحين، والبحّارة، والسفن، والرجال، والمال، وكانت حركة ما عُرف بالكشوف الجغرافية. ولم تكن البرتغال تلك الدولة القوية، ولا الكثيرة السكان لتستطيع المحافظة على مستعمراتها، الواسعة فتنازلت عن كثيرٍ منها لمصلحة الدول الأوربية المنافسة لها، وخاصةً إنكلترا، وفرنسا، وهولندا، ولكن أبقوا لها بعض هذه المستعمرات، ومنها غينيا ـ بيساو، وأنغولا، ولم تُنافسها عليها تقديراً لمواقفها الأولى، وإرضاءً للكنيسة إشعاراً لوحدة أوربا النصرانية تجاه العالم الإسلامي.

ويلاحظ أن فرنسا هي الدولة الاستعمارية الأوربية التي تسيطر على أجزاء واسعةٍ من داخل إفريقية وخاصةً في الشمال حيث تشغل الصحراء مساحاتٍ واسعةً منها، حيث نلاحظ هنا في دول غربي إفريقية هذه مالي، وبوركينا فاسو والنيجر هذا إضافةً إلى تشاد وجمهورية إفريقية الوسطى، وهذا يُعطي مُؤشّراً إلى أن إنكلترا الدولة الأوربية المنافسة الأولى لفرنسا بالاستعمار لم تكن لتُعير المناطق الداخلية الاهتمام نفسه الذي تُعيره للمناطق الساحلية، فهي دولة بحرية ذات أساطيل أكثر منها ذات جيوشٍ، وقواتٍ بريةٍ، وهذا ما فسح المجال لفرنسا لكي تتوسّع في الداخل دون منافسةٍ شديدةٍ من قبل إنكلترا الدولة التي هي وفرنسا في سباقٍ دائمٍ لمدّ النفوذ، ومنافسةٍ مستمرةٍ لاستعمار الأراضي. وربما كان هذا سبباً في سير إنكلترا بسياسةٍ استعماريةٍ أكثر مرونةً من السياسة الفرنسية التي تعتمد على استغلال السكان وخيرات البلاد دون الاقتصار على الأرباح التجارية. وكان الاستغلال الإنكليزي بشكلٍ أقل نسبياً من الاستغلال الفرنسي، وإن كانتا في الصليبية كل منهما تتفوّق على الأخرى. وقد يكون التوغّل إلى الداخل هو سبب البطش الزائد إذ في الولوج والخروج صعوبة تُسبّب الخوف من الوقوع في المأزق فيزيد المسؤول اضطراباً بينما يكون المجال مفتوحاً على السواحل، فالمستعمر يبقى مذعوراً، ولو كان متحكماً.

ومما يُلاحظ على دول غربي إفريقية من خلال دراستنا لها كثرة الانقلابات العسكرية التي كانت تقع فيها بعد الاستقلال، فهل هي ظاهرة من مظاهر التخلّف التي تعيشها دول القارة الإفريقية وكثير من الدول النامية الأخرى أم هي خاصة بهذه الدول أكثر من سواها؟ الواقع أن التخلّف سبب رئيسي، إذ أن حبّ الزعامة يدفع بالكثيرين إلى ركوب المخاطر والمغامرة، وعدم الرضا بالدنية والاستعداد للارتماء بأحضان الآخرين، وطلب المساعدة ولو من الشيطان في سبيل الوصول إلى ما يرمي إليه، وعدم الاهتمام بمصلحة البلد، وتفضيل المصلحة الذاتية على كل ما سواها، والرغبة بالسير حسب منهجٍ غربيٍ مستقىً من الدول الكبرى ليحمل لقب العلمانية، وتقليد الحياة الغربية بكل ما فيها ليحصل على مظهر التقدّمية حسب منطقه الساذج، وتفكيره المستورد، وعقدة النقص التي عنده، والتي تجعله يضع نفسه وأمته في المرتبة الدنيا، ويضع غيره وبقية الأمم في مكانة الصدارة، والمنزلة العليا. هذا كله صحيح، ومن مظاهر التخلّف، غير أنه توجد دول كثيرة من دول العالم الثالث، وفقيرة أكثر من الدول الإفريقية هذه، ولكن لا تحدث فيها مثل هذه الانقلابات، فما السبب؟. إن الدول النامية التي يرسّخ فيها النفوذ الاستعماري وخاصةً الإنكليزي والأمريكي بشكلٍ ثابتٍ، أو تقوم فيها سلطة قوية تقبل التوجيه، وترضى بالارتباط فإن الحكم يثبت فيها دون انقلاباتٍ، ويستقرّ دون قلاقل. وكذلك الدول التي يكون فيها المسلمون أقليةً لا وزن لهم فتكون الحرب الصليبية أخفّ ولا يُبالى كثيراً بشؤونها فقد تنجو هذه الدول من كثرة التغييرات.

أما دول غربي إفريقية هذه فإن المسلمين أكثرية، ويجب مراقبتهم دائماً كي لا يصلوا إلى السلطة، كي لا يعملوا على نشر الإسلام، كي يكونوا ضعفاء أذلاء فقراء ينظرون إلى النصارى نظرة القوة، والغنى، والعلم، فإن لم يعمل المسؤول بهذه التعليمات وجب تغييره، ومعناه وقوع انقلاب. وإذا بدا من آخر ضعف في التنفيذ أو توانٍ بالخطة وجب تبديله، وحدوث انقلاب، ويجب ألا يكون عنده رحمة على المسلمين، ولا عطف

على شعبه إن كان ممن ينتمي إلى الإسلام فإن وجد عنده ذلك يجب عزله. كما يجب ألا يعطي إحصاءات صحيحةٍ عن تعداد المسلمين ونسبتهم، ولا يُصرّح تصريحات فيها معانٍ إسلاميةٍ ذات مدلولٍ ووعيٍ، وإنما عليه تقويم أقوال فيها سطحية، وتدلّ على نفاقٍ، ولا يُطبّق منها شيئاً، بل يُخالفها باستمرارٍ وصراحةٍ، ويُقبل على الزنا، والخمر، والسفور، والاختلاط، وعليه أن يسخر من تعاليم الدين، وإن لم يفعل يُبدّل. وهذا ما يقع في دول غربي إفريقية دائماً لذا تكثر فيها التغييرات.

وربما يكون للدولة ذات النفوذ السابق دور في وصول زعماءٍ للسلطة، ويتغيّرون باستمرار، وهذا ما يتعلّق بفرنسا التي تمتاز مستعمراتها السابقة بكثرة الانقلابات، إذ لم تُحسن اختيار من يخلفها في تطبيق السياسة الاستعمارية الصليبية مكانها، وربما يتساءل المرء فيقول: هذه هي نيجيريا كانت تحت الاستعمار البريطاني وقد وقعت فيها انقلابات كثيرة غير أن هذا ربما يعود إلى كثرة أعداد المسلمين وتجمّعهم في إقليمٍ واحدٍ الأمر الذي يجعل لهم قوة وسيطرة على بقية الأقاليم وهذا ما تُحاربه الدول الاستعمارية كلها من باب الصليبية، وهذا بالتالي يُؤدّي إلى كثرة التغييرات بالإضافة إلى كثرة النصارى بالنسبة إلى بقية الدول الإفريقية، وهم المعتمدون من قبل بريطانيا الدولة المستعمرة، ويكثرون أيضاً في إقليمٍ واحدٍ غير أنهم يستطيعون مضاهاة المسلمين بالعدد، وهذا ما يؤدّي إلى التغييرات، كما أن غنى نيجيريا بالنفط وبقية الثروات الزراعية، وكثرة السكان، وحرص الدوائر الاستعمارية على هذه الدولة العملاقة، وهذا يُؤدّي بدوره إلى زيادة التغييرات، ولكن بشكلٍ عامٍ فالانقلابات في المستعمرات الفرنسية تزيد عدداً عنها في المستعمرات البريطانية.

وقد يكون لطبيعة شعب الدولة الاستعمارية، وأسلوب استعمارها، وطريقة تصرّفها مع مستعمراتها دور في كثرة الحركات، إن محاولة فرنسا في القبض على جوانب الحياة كلها من إداريةٍ، واقتصاديةٍ، وعسكريةٍ، وسياسية بيدٍ من حديدٍ، وشدّتها في قمع الحركات والبطش بأصحابها، وعدم وجود

أية مرونةٍ في التفاهم، أو ليونةٍ في التفاوض، والمركزية القوية في الأسلوب الاستعماري كل هذا جعل عند شعوب مستعمراتها استمراريةً لهذه التصرّفات فالشدّة تُولّد الأحقاد، والإذلال يُورث عدم الإمكانية ويُنشيء عقدة النقص، والضغط يُؤدّي إلى الكسر، وكثرة التحمّل تدعو إلى طلب النصح والمساعدة، وهذا كله يستدعي التغييرات.

وينتج عن السياسة الفرنسية جفاء بين الدولة الاستعمارية ومستعمراتها فيُؤدّي بعد الاستقلال إلى توجّه نحو جهةٍ أخرى، وكي يحلّ نفوذ مكان آخر يحدث انقلاب، وإذا كان النفوذ الاستعماري السابق على شيءٍ من القوة تتكرّر الانقلابات، وهذا ما حدث في الدولة التي استقلّت بعد الحرب العالمية الثانية إذ دخل الاستعمار الأمريكي الساحة ليحلّ محلّ النفوذ السابق سواء أكان فرنسياً أم بريطانياً أم غيره فوقعت الانقلابات وتكرّرت حسب قوة النفوذ السابق.

وأخيراً نرجو من الله أن يستيقظ المسلمون من غفلتهم، ويأخذوا العبرة مما يجري على أرضهم، وما يُعانونه من حقد الصليبية الذي برز في الآونة بشكلٍ مخيفٍ وعنيفٍ وواضح تحت شعار الشرعية الدولية.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف

التاريخ الإسلامي

١ ـ قبل البعثة.
٢ ـ السيرة.
٣ ـ الخلفاء الراشدون.
٤ ـ العهد الأموي.
٥ ـ الدولة العباسية (١).
٦ ـ الدولة العباسية (٢).
٧ ـ العهد المملوكي.
٨ ـ العهد العثماني.
٩ ـ مفاهيم حول الحكم الإسلامي.

* * *

التاريخ الإسلامي المعاصر:

١٠ ـ بلاد الشام.
١١ ـ بلاد العراق.
١٢ ـ جزيرة العرب.
١٣ ـ وادي النيل.
١٤ ـ بلاد المغرب.
١٥ ـ غربي إفريقية.
١٦ ـ وسط وشرقي إفريقية.
١٧ ـ تركيا.
١٨ ـ إيران وأفغانستان.
١٩ ـ بلاد الهند.
٢٠ ـ جنوب شرقي آسيا.
٢١ ـ المسلمون في الإمبراطورية الروسية.
٢٢ ـ الأقليات المسلمة في العالم.

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية

(في آسيا)

١ ـ تركستان الغربية.
٢ ـ تركستان الشرقية.
٣ ـ قفقاسيا.
٤ ـ باكستان.
٥ ـ أندونيسيا.
٦ ـ اتحاد ماليزيا.
٧ ـ فطاني.
٨ ـ المسلمون في قبرص.
٩ ـ المسلمون في الفيليبين ودولة مورو.
١٠ ـ جزر المالديف.
١١ ـ أفغانستان.
١٢ ـ تركية.
١٣ ـ إيران.
١٤ ـ شبه جزيرة العرب.
- عسير.
- نجد.
- الحجاز.
- البحرين والإحساء والكويت وقطر.
١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية.
١٦ ـ خراسان.

(في إفريقية)

١ ـ غينيا.
٢ ـ نيجيريا.
٣ ـ الصومال.
٤ ـ موريتانيا.
٥ ـ أريترية والحبشة.
٦ ـ تشاد.
٧ ـ تانزانيا.
٨ ـ السنغال.
٩ ـ أوغندة.
١٠ ـ ليبيا.
١١ ـ السودان.
١٢ ـ جزائر القُمُر.
١٣ ـ المسلمون في بورندي.
١٤ ـ مالي.
١٥ ـ سيراليون.

* * *

بناة دولة الإسلام ١ ـ ٧

المجموعة الخامسة: (٤١ ـ ٥٠)

٤١ ـ عمرو بن العاص.
٤٢ ـ عكرمة بن عمرو بن هشام.
٤٣ ـ شرحبيل بن حسنة.
٤٤ ـ أبو موسى الأشعري.
٤٥ ـ عياض بن غنم.
٤٦ ـ جرير بن عبد الله البجلي.
٤٧ ـ المثنى بن حارثة الشيباني.
٤٨ ـ خالد بن الوليد المخزومي.
٤٩ ـ عدي بن حاتم الطائي.
٥٠ ـ ثمامة بن أثال.

المجموعة السادسة: (٥١ ـ ٦٠)

٥١ ـ خباب بن الأرت.
٥٢ ـ صهيب بن سنان.
٥٣ ـ بلال بن رباح.
٥٤ ـ عمار بن ياسر.
٥٥ ـ عامر بن فهيرة.
٥٦ ـ مرثد ابن أبي مرثد.
٥٧ ـ سلمان الفارسي.
٥٨ ـ أبو ذر الغفاري.
٥٩ ـ عبد الله بن مسعود.
٦٠ ـ عبد الرحمن بن عوف.

المجموعة السابعة: (٦١ ـ ٧٠)

٦١ ـ أنس بن مالك.
٦٢ ـ البراء بن مالك.
٦٣ ـ جابر بن عبد الله.
٦٤ ـ الطفيل بن عمرو الدوسي.
٦٥ ـ أبو هريرة.
٦٦ ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة.
٦٧ ـ عتبة بن غزوان.
٦٨ ـ معاذ بن جبل.
٦٩ ـ زيد بن ثابت.
٧٠ ـ أبي بن كعب.

سلسلة الخلفاء:

١ ـ الصديق وأسرته رضي الله عنهم.
٢ ـ الفاروق وأسرته رضي الله عنهم.
٣ ـ الأمين ذو النورين وأسرته رضي الله عنهم.
٤ ـ رابع الراشدين علي ابن أبي طالب وأسرته رضي الله عنهم.

التاريخ الإسلامي

-١٦-

التاريخ المعاصر

شرقي إفريقية

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

التاريخ الإسلامي

-١٦-

التاريخ المعاصر

شرقي إفريقية

بسم الله الرحمن الرحيم

شرقي إفريقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الصلات بين جزيرة العرب وشرقي إفريقية كانت قويةً قبل الإسلام غير أنها لم تكن راسخة الجذور حيث كانت تقوم على المادة إذ التجارة هي وسيلة الصلة، وما يقوم على المادة تنفصم عراه منذ أول خلافٍ يقع أو أي تعارضٍ بالمصالح يحدث. وقد كان سكان شرقي إفريقية ينظرون إلى العرب نظرتهم إلى التجار لا يقدمون إلى بلادهم إلا لمصلحتهم، وأنهم ينتزعون منهم ما هو لهم، ويثرون على حسابهم، فكانت نظرتهم إليهم نظرة الشك والريب، وهذه النظرة لا يمكن أن تبقى طويلاً، فأقلّ حادثٍ يمكن أن يمحو كل أثرٍ. وإذا احتفظت اللغات الإفريقية بعددٍ غير قليلٍ من الكلمات العربية فمردّ ذلك إلى أن لغة الأقوى تسيطر، ولهجة التاجر تعمّ. وإذا كان هذا الاحتفاظ قد استمر بل زاد كثيراً فيما بعد فذاك يعود إلى انتشار الإسلام في شرقي إفريقية.

لم يمض وقت طويل حتى داهم الأحباش جنوبي الجزيرة العربية واحتلّوه رغم العلاقات القوية بين المنطقتين، ورغم الصلات المادية المتينة بين الطرفين. ولقد كان هذا الهجوم والاحتلال بدافعٍ وتحريضٍ من الروم الذين يرتبطون مع الأحباش برابطة الدين، وهكذا فقد زال كل أثرٍ للمادة عندما وجدت رابطة العقيدة، وقد فكّر قائد الأحباش إبرهة في غزو مكة وأعدّ العدّة اللازمة وسار إلى وجهته التي قرّر أن يولّيها لكن الله تعالى ردّه

خائباً، وأهلكه وجنده. ولو كان عدد سكان شرقي إفريقية كبيراً يسمح لهم بالحروب والانسياح لانطلقوا نحو الجزيرة العربية يحاولون اقتحامها كما اقتحمها الأحباش. وعلى هذا فقد تغيّرت هذه النظرة بعد الإسلام إذ تغيّرت نفسية التجار العرب بعد أن دانوا بالإسلام، كما تبدّلت نفسية سكان شرقي إفريقية بعد أن رأوا سلوك التجار المسلمين واختلافهم عما كانوا عليه سابقاً، وكما تبدّلت الطبيعة العربية بعد إسلامها تبدلوا هم كذلك بعد إسلامهم إذ صقل هذا الدين الجديد نفسية أبنائه من أي جنسٍ كانوا، ومن أي لون، ومهما كانت الصفات التي يحملونها حيث غدت كلها إنسانيةً.

كان انتشار الإسلام مرافقاً للفتح الذي اتجه نحو الشمال حيث وُجدت التحدّيات، وحيث وقفت في وجهه أقوى دول تلك الأيام وهما: دولة الروم ودولة الفرس، ولذا كان المدّ الإسلامي الأول في الأقاليم التي تتبع تلك الدولتين فعمّ الإسلام الشام، والعراق، وإيران، ومصر، وامتدّ في الشمال الإفريقي، وأجزاء من تركيا، وأواسط آسيا في بلاد ما وراء النهر، وفي السند.

وشاء الله أن تتوقّف الفتوحات لأسبابٍ داخلية أهمها: انصراف الناس إلى الدنيا، وتنافسهم عليها، وترك الجهاد بعد أن سكن من كان أمامهم، وزالت التحدّيات التي كانت سابقاً في وجههم، فأخلدوا إلى الأرض، وانطلق كل في مسعاه منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة.

تابع الذين يريدون الآخرة جهدهم في نشر الإسلام، وكانت التجارة وسيلةً لهم، فانطلقوا مع القوافل دعاةً، أو امتهنوا التجارة وعدّوها طريقة للاتصال بالآخرين، وكانت معاملتهم، وكانت أمانتهم، وكان سلوكهم وسيلةً محببةً لسكان المناطق التي تصل إليها القوافل للتوجّه نحو الإسلام. وكان أسلوبهم في الدعوة، وكانت طبيعة الإسلام التي تنسجم مع الفطرة البشرية، كان كل هذا سبباً لاعتناق الناس الإسلام.

اتجهت قوافل التجار، وسار معها الدعاة نحو جنوب شرقي آسيا، إذ

كانت هذه المنطقة المفتوحة أمامهم إذ أن شمالي آسيا مناطق باردة، مليئة بالغابات، وتكاد تكون خالية من السكان فلا فائدة كبيرة من التجارة فيها، وليس هناك من مجالٍ واسع للدعوة والعمل لنشر الإسلام، كما أن المسلمين في بلاد ما وراء النهر قد غطوا تلك الجهة فانطلقوا يتاجرون بالفراء ويقومون بواجب الدعوة، وفي الغرب أوربا، في الشمال حيث تقف النصرانية مغلقةً أبوابها أمام المسلمين خائفةً من صلة أبنائها بالمسلمين، فقد كانت الكنيسة على يقينٍ من أن الأوربيين إذا اتصلوا بالمسلمين وهم في تفوّقهم القتالي، وسبقهم الحضاري، وتقدّمهم العلمي، ونضجهم في المعرفة والوعي لا بدّ من أن يعتنقوا الإسلام لذا فقد سدّت في وجههم كل طرق الاتصال، ومنها التجارة، والرحلة، وحبست أبناءها عنهم. وأما في الجنوب فقد وصل المسلمون إلى سواحل المحيط الأطلسي، ولم يعلموا بعد ما وراء المياه، وأما باقي إفريقية فصحارى وغابات لا تحتاج إلى قوافل تجارية كبيرة ولا إلى قوافل من الدعاة، وقد غطّى تجّار شمالي إفريقية المسلمون هذه الجهة، وعبروا الصحراء، ووصلوا إلى إفريقية السوداء، وأدّوا دورهم بالدعوة ونشر الإسلام.

لم يبق أمام الدعاة والتجار المسلمين من بلاد العرب ومناطق فارس المشرفة على الخليج العربي سوى التوجّه إلى شواطىء المحيط الهندي فانطلقت السفن الإسلامية من سواحل بلاد العرب الجنوبية، ومن سواحل الخليج العربي الشرقية والغربية نحو جنوب شرقي آسيا، وتركت وراءها سواحل شرقي إفريقية، ولم يكن ذلك التمييز بين شواطىء المحيط الهندي الشرقية والغربية إلا لغنى المناطق الشرقية، وكثرة سكانها، ولفقر الغربية منها وقلّة أهلها، لذا كان التوجّه الواسع نحو جنوب شرقي آسيا على حين عاشت مناطق شرقي إفريقية في الظلّ نسبياً.

انطلق بعض التجار نحو شرقي إفريقية، كما سار بعض الدعاة، واتجه كذلك بعض الفارّين من وجه الدولة لأسبابٍ كثيرةٍ، وكان عملهم ناجحاً غير أنه كان محدوداً بمناطق ضيقةٍ، ومحصورةً على السواحل تقريباً،

والجزر الصغيرة القريبة من الشواطىء، وذلك لقلة السكان، وصعوبة التوغّل إلى الداخل بسبب الغابات في الجنوب أو الجبال في الشمال، أو فقر المناطق في الوسط، ومع ذلك فقد عمّ الإسلام الجهات التي وصل إليها التجار في أي جزء من تلك الأجزاء.

تمتدّ هذه المناطق التي نتحدّث عنها في شرقي إفريقية من خط العرض ١٨° شمالاً عند الحدود السودانية ـ الحبشية على ساحل البحر الأحمر على أساس أن السواحل التي تقع شمال هذا الخط هي سواحل السودان ومصر، وتقع ضمن الأجزاء التي تحدّثنا عنها في الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب، وتمتد على بقية سواحل البحر الأحمر الجنوبية، ثم على شواطىء خليج عدن، فسواحل المحيط الهندي حتى خط العرض ٢٠° جنوباً حيث أقيم ميناء (سُفالة) آخر موقع وصل إليه المسلمون جنوباً على تلك السواحل، ويزيد طول هذه المناطق من الشمال إلى الجنوب على أربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر.

ليست هذه المناطق واحدةً في انتشار الإسلام، وإقامة الإمارات، ونسبة المسلمين اليوم، لكنها تختلف بين منطقةٍ وأخرى حسب طبيعة أرضها، وظروف مناخها، ونوع نباتاتها، وعقيدة سكانها، إذ تمتدّ الجبال خلف الساحل في الشمال، وتنتشر الصحارى حتى الشاطىء في الأجزاء الشمالية، ويدين السكان بالنصرانية فيها، على حين تنخفض الأرض بعد السواحل في الجنوب، وتنتشر النباتات والأشجار الاستوائية ولا يعرف السكان سوى الوثنية، ويقلّ القاطنون في هذه الجهات كلها تقريباً عدا الجهات الجبلَية الشمالية حيث يزيدون قليلاً وترتفع كثافتهم نسبياً. وعندما دخل الإسلام إلى هذه المناطق انتشر على الجهات الساحلية في الشمال، وتوقّف عند أقدام الجبال حيث تحصّنت النصرانية، وأمدّتها أوربا بالدعم، وتوغّل المسلمون إلى الداخل في النواحي الصومالية حتى عمّت عقيدتهم الأهالي جميعهم. أما المناطق التي تقع جنوب خط الاستواء فقد ساد الإسلام الجهات الساحلية والجزر القريبة منها، ولم يتعمّق نحو الداخل

لكثافة الغابة، وصعوبة المواصلات، وقلّة السكان، وبدائيتهم، وتقوقعهم على أنفسهم، وطبيعتهم في امتلاء نفوسهم بالشك والريبة من كل غريب، وهذا ما حال دون الاحتكاك بهم، وصعوبة الاتصال بهم، حيث حصروا أنفسهم بالغابة، وعلى هذا يمكننا ملاحظة ثلاث مناطق متباينة في هذه الأجزاء من شرقي إفريقية.

١ ـ القسم الشمالي: ويشمل الحبشة، ويمتدّ من خط عرض ١٣° شمالاً تقريباً عند انتهاء البلاد الصومالية وحتى خط العرض ١٨° شمالاً حيث تبدأ البلاد السودانية.

انتشر الإسلام في الأجزاء الساحلية من هذا القسم نتيجة الدعوة إذ انتقل عدد من الدعاة في صدر الإسلام إلى هذه المنطقة غير أن كنيسة الحبشة قد أثارت أتباعها، وحرّضتهم على الوقوف في وجه المسلمين، فاجتمع قطاع الطرق واللصوص، وانقضوا على العلماء المسلمين فقتلوهم، ومثّلوا بهم، وبقي الصراع في مدينة (مصوع)، ولما رأت الكنيسة تغلّب أتباعها، وانصراف المسلمين إلى الجهاد في الجهات الشمالية، وانشغالهم ببعض مشكلاتهم الداخلية قرّرت الهجوم، وفتح جبهةٍ جديدةٍ على المسلمين لضربهم في القلب نتيجة قربها من مكة والمدينة قواعد الإسلام الأولى، ومركز انطلاقه، ومهوى أفئدة أهله، فشجّعت بعض القراصنة فسطوا على مدينة (جدة)، ودمّروا السفن الراسية هناك، ونهبوا أموالاً كثيرة، وكان الهدف من ذلك أن يدبّ الذعر في صفوف المسلمين، ويبعثوا بجزءٍ من جيوش الجهاد إلى ناحية (جدة) فيخف الضغط عن الجبهة الرومية، إلا أن ردّ الفعل كان قوياً إذ استولى المسلمون على جزر (دهلك)، فكانت قاعدةً لهم للانطلاق إلى السواحل الإفريقية فانتشر الإسلام، وعمّ، وبنى التجار العرب مدينة (هرر)، ولم تستطع الكنيسة ورجالها من القيام بأي ردّ فعلٍ بسبب الهلع الذي وقع في قلوب أتباعها من المسلمين، ثم انتقلت أعداد من المسلمين من أرض العرب إلى العدوة الإفريقية، وكان لهم دورهم في الدعوة، وعمّ الإسلام المنطقة الساحلية المعروفة باسم أريتريا، وانفصل

هـذا الجزء عن الحبشـة عقيديـاً واجتماعيـاً، كما امتـدّ الإسلام جنـوباً، وتأسست إمارات إسلامية، وكان الصراع عنيفـاً بين الإسلام والنصـرانية، وخضعت المنـطقة الإسـلامية في الحبشـة إلى الخلافـة العبـاسيـة، وإلى المماليك، ثم إلى الخلافة العثمانية، وإن أصبح هذا الخضوع فيما بعد شعورياً.

وضعف أمر المسلمين عامةً، ومنه أمر السلطنات الإسلامية في شرقي الحبشـة وجنوبهـا، وتمكنت المملكة النصـرانية الحبشيـة في الجبـال من السيطرة على بعض هذه السلطنات، فلفّتهم تحت جناحها، وفرضت عليهم أحكـامها، رغم كثـرة المسلمين، ولمـا أصبـح الاحتكـاك بين المسلمين والنصارى بصفتهم أتباع مملكةٍ واحدةٍ أخذ بعض الأحباش يعتنقون الإسلام على أنه دين الفطرة، وخشي ملوك الحبشة من هذه الظاهرة إذ كثر عدد الذين أسلموا من الأحباش حديثاً فاتخذوا وسيلة الضغط على المسلمين كي يخنعوا، والعقوبات الصارمة على الذين يعتنقون الإسلام، فأخلد الناس إلى الأرض وخاصةً أنهم الفقراء إذ أن إريتريا وإن كانت في شرقي القارة إلا أن البحر الأحمر لا أثر له حتى لُتعدّ القارة كأنها متصلة بآسيا وهذا ما يجعل أريتريا أقرب إلى الصحراء.

وزاد أمر المسلمين ضعفاً وتوالت عليهم المصائب في المشرق، وفي المغرب، وفي الأندلس، وقوي أمر الصليبيـة الأوربية، وفكـرت المملكة النصـرانية الحبشيـة بغزو الممـاليـك في مصـر من جهتهـا لتؤدّي دورهـا الصليبي، غير أن مشروعها قد فشل. وطرد النصارى الإسبان والبرتغاليون المسلمين من الأندلس، وانطلقوا يلاحقونهم، ووصل البرتغاليون إلى أقصى الجنوب الإفريقي، والتفّوا حول القارة، واتجهوا نحو الشمال مع السواحل الإفـريقيـة الشـرقيـة، وكـانت صيحـات المنـاداة للصليبيين، والتـرحيب بالبرتغاليين، وطلب الدعم من القادمين، وكانت المساعدات بين الأحباش النصارى وبين البرتغاليين الصليبيين.

وقوي نفوذ الاستعمار الصليبي في الشرق، واحتضن دولة الحبشة النصرانية، ولم يدخل أراضيها، وإنما ساعدها على إذلال المسلمين الخاضعين لها، ورسم لها المخططات، وكان التعاون بين مختلف الدول الاستعمارية وبين مملكة الحبشة حتى أعطوها نصيبها من الصومال عندما اقتسموها فيما بينهم، ونتيجة ضغط النصارى الأحباش على رعاياهم المسلمين، والحديث عنهم أنهم أقلية دار في خلد الكثير من الناس أن أكثرية سكان الحبشة من النصارى، بل كانوا على يقينٍ من ذلك بناء على إحصاءات الأمم المتحدة التي تقدّمها لها الدولة صاحبة العلاقة، أي إحصاءات الحبشة أو ما تزعمه هي وغيرها من الدول التي تحكمها أقلية نصرانية وتتبنّاه الأمم المتحدة التي تسير حسب مخطط الدول النصرانية الكبرى، أي تُؤيّد هذا، وتعدّه صحيحاً، ويأخذه العالم عنها، ويعتبره ثقة.

وتُعدّ دولة الحبشة الوحيدة ذات الأكثرية المسلمة في هذا القسم.

٢ ـ القسم الأوسط: ويشمل الصومال، ويمتدّ من جنوب خط الاستواء بقليلٍ من خط عرض ١° جنوباً إلى خط عرض ١٣° شمالاً، حيث تبدأ المناطق الأريترية. ويعدّ هذا القسم فقيراً إذ هو أقرب إلى الصحراء لأن الرياح الموسمية الصيفية تُغيّر اتجاهها عندما تجتاز خط الاستواء فيصبح اتجاهها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي أي مسايرةً لخط الساحل الصومالي بعد أن كان اتجاهها من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي قبل أن تجتاز خط الاستواء. وإن مسايرة هذه الرياح لاتجاه الساحل تجعله لا يستفيد منها أي شيءٍ إذ لا يتلقّى غيثاً ولا يُصيبه شيء من حمولتها ببخار الماء فتنتشر لذلك الصحراء حتى خط الساحل، وهذا ما يجعل المنطقة فقيرة على حين أن المناطق الواقعة في مثل هذه العروض في شرقي القارات تكون ذات أمطارٍ صيفيةٍ موسميةٍ غزيرةٍ، وإن كانت تزداد غنىً نسبياً في الجهات الداخلية إذ تتلقّى شيئاً من الأمطار نتيجة الارتفاع. وهذا الفقر جعلها مفتوحةً فأمكن للدعاة المسلمين الولوج إلى الداخل والاحتكاك

بالسكان، والتأثير عليهم، ونقلهم من الوثنية إلى الإسلام. وقامت بعض الإمارات الإسلامية على الساحل أيضاً، كما أن أعداداً من أبناء الصومال قد انتقلوا إلى ديار الإسلام للعمل هناك، وخاصةً في جنوبي بلاد العراق، ونتيجة هذا كله عمّ الإسلام جهات الصومال كلها، بل تكاد تخلو من أي عقيدةٍ سوى الإسلام.

ولما جاء المستعمرون الصليبيون كان حقدهم على أهل الصومال كبيراً لأنهم جميعاً من المسلمين، فقسموه فيما بينهم، فكان لإنكلترا جزء، ولفرنسا جزء، ولإيطاليا آخر، وأعطوا قسماً للحبشة بصفتها دولةً نصرانيةً، وآخر لكينيا حيث يقلّ المسلمون فيها نسبياً، وهذه الأقسام التي أُعطيت للحبشة ولكينيا ستبقى تحت سيطرتهما فيما لو خرج المستعمرون من أرض الصومال، وبذلك يبقى مقسماً، وفي الوقت نفسه تبقى دولة الصومال ضعيفة، ومن ناحيةٍ ثانية تظلّ مناطق نزاع بين دول المنطقة يستغلّه المستعمرون الصليبيون في الوقت الذي يشاءون، ويثيرونه في الزمن المناسب لهم حينما يريدون.

وفي منطقة الصومال اليوم دولتان إسلاميتان هما: الصومال وجيبوتي.

٣ ـ القسم الجنوبي: ويشمل سواحل طويلةً تمتدّ من جنوب خط الاستواء من خط عرض ١° جنوباً تقريباً حتى خط العرض ٢٠° جنوباً حيث توقّف ارتياد المسلمين إلى جنوب ذلك الخط لعدم وجود السكان هناك في تلك الأيام، واقتصر نزول المسلمين على مساحاتٍ ضيقة من السهل الساحلي، وعلى الجزر القريبة من الشاطىء حيث لم يلج المسلمون إلى الداخل حيث تتوقّف مهمتهم إذ لا تجارة، ولا دعوة فليس هناك من مواصلات، وليس هناك من سكان يتبادلون معهم، فالمواصلات معدومة ولا يمكن شقّها لانتشار الغابة، والسكان يخافون من الغريب، فيختفون داخل غابتهم، لا يريدون صلة، ولا يحتاجون إلى شيء لتكون تجارة أو مقايضة.

وإن تركّز المسلمين في مناطق ضيقة من السهل الساحلي والجزر

القريبة منه جعل أعدادهم قليلةً رغم أن الإسلام قد عمّ، وغالباً ما يكون السكان جميعهم من المسلمين. لكن هذا من ناحيةٍ ثانيةٍ قد جعل إماراتهم ضعيفةً لقلّة عدد سكانها، وبالتالي فإن قواتها ضعيفة لا تستطيع ردّ الأقوياء عنها. فلما طلع عليهم المستعمرون الصليبيون البرتغاليون لم يستطيعوا الثبات أمامهم، فاحتلّوا شرقي إفريقية، ودمّروا ما شُيّد منها، وخرّبوا ما عمر، وأفسدوا، وجاروا، غير أنهم لم يتعمّقوا إلى الداخل أيضاً فبقيت جذورهم ظاهرةً على السطح مما سهّل اقتلاعهم وإلقاءهم بعيداً عندما تعاون العثمانيون والعُمانيون ضدّهم ودعمتهم إنكلترا لتحلّ محلّ البرتغاليين.

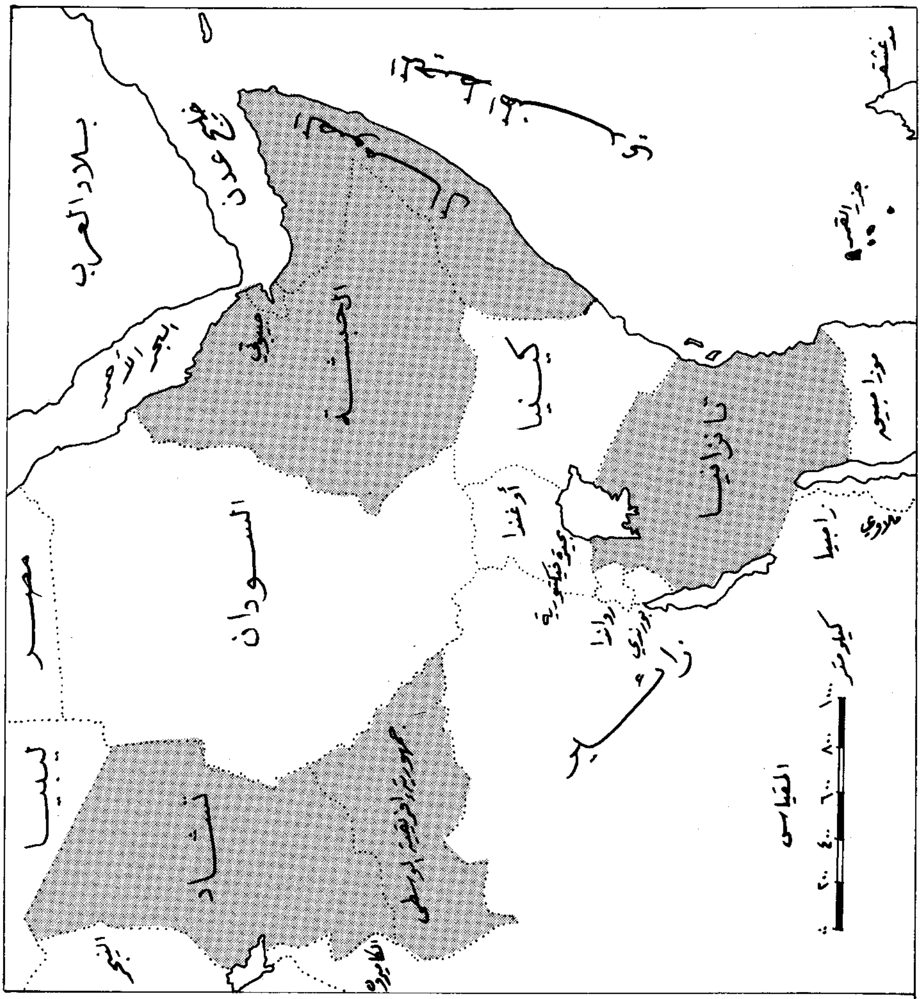
وجاء العُمانيون إلى شرقي إفريقية، ولاحظوا الخطأ السابق الذي وقع فيه المسلمون السابقون لهم فعملوا على الولوج إلى داخل إفريقية فانتشر الإسلام على طول الطرق التي سلكوها إلى الداخل، وفي الجهات التي حطّ التجار رحالهم فيها، وهذا ما جعل الإسلام محدوداً بالمناطق الساحلية والجزر القريبة منها، وبعض جهات الداخل.

وتوجد في هذا القسم اليوم دولتان إسلاميتان هما: تانزانيا، وجزر القُمُر، وما بقي فأقليات.

٤ ـ ويمكن إضافة دولٍ أخرى إلى شرقي إفريقية ومنها: تشاد، وجمهورية إفريقية الوسطى رغم أنهما من دول وسط إفريقية، وهما إلى غربي إفريقية أقرب منهما إلى شرقيها، وخاصةً أنهما كانتا تتبعان الاستعمار الفرنسي الذي له النفوذ الكبير في غربي القارة، ويحاول جرّ هاتين المنطقتين إلى جهات غربي القارة وربطهما هناك، هذا من وجهة النظر السياسية وبالمقابل فإن هناك صلات مع شرقي القارة لا يمكن إغفالها، وفي محاولة لتوازن الأجزاء وجدنا وضعهما في شرقي القارة، وكذلك فإن العنوان كان يحمل اسم «شرقي إفريقية ووسطها».

نرجو من الله التوفيق، والهداية، وسداد الخطا، وإعطاءنا الرشاد لإمكانية تقديم صورة صحيحة تفيد المسلمين وتخدمهم في معرفة مواطنهم، وتاريخهم، وتعينهم على رسم المخططات اللازمة للنهوض، والصحوة، والوقوف في وجه الأعداء، ثم الانطلاق نحو تحقيق أهدافهم، وتنفيذ مهماتهم في قيادة العالم، وإخراج الناس من الظلمات التي وقعوا فيها إلى النور، والله نعم المولى، ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

غرة ربيع الأول ١٤١٣ هـ.
الموافق ٢٩ آب ١٩٩٢ م.

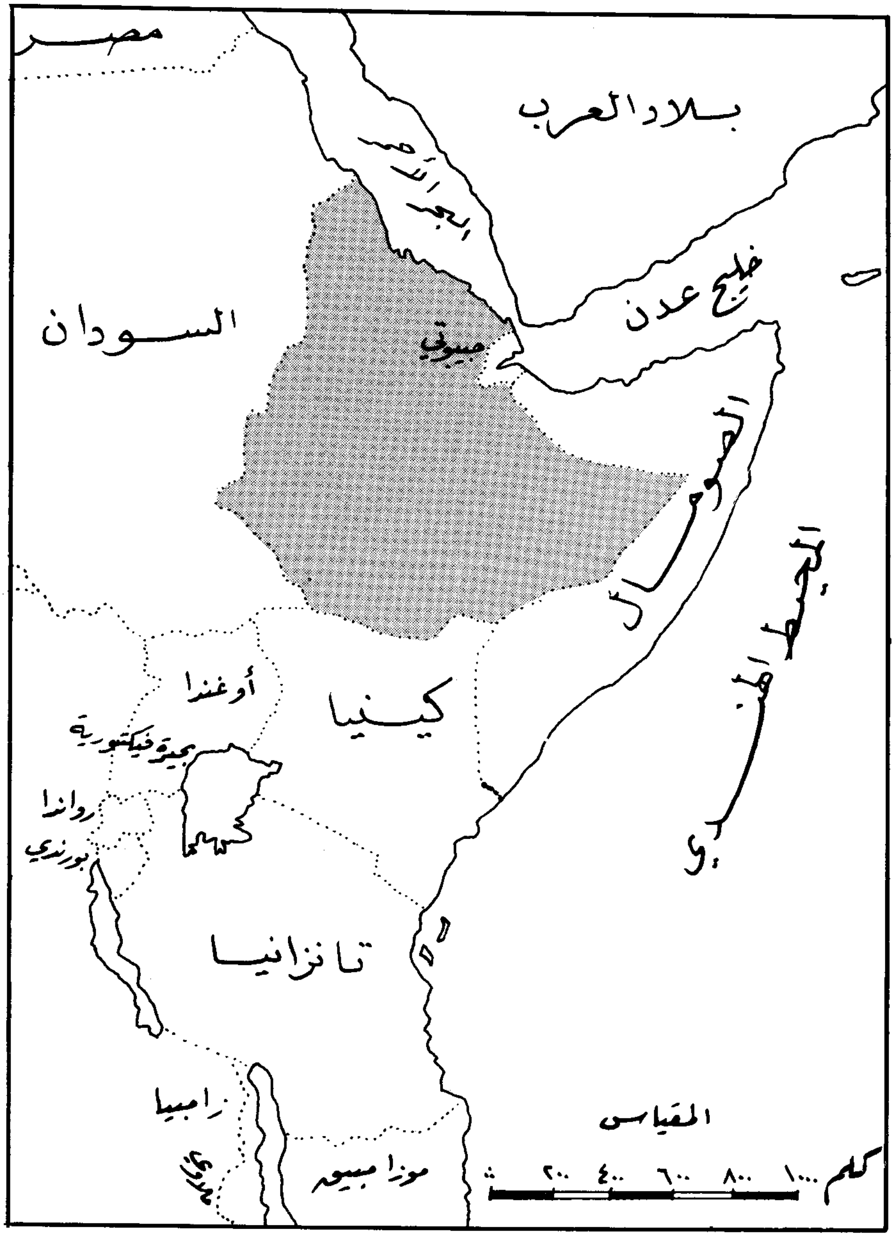


بلاد العرب
خليج عدن
البحر الأحمر
الحبشة
السودان
مصر
ليبيا
تشاد
كينيا
تنزانيا
أوغندا
جمهورية أفريقيا الوسطى
جزر القمر
كيلومتر

مصور رقم [١]

القسم الأوّل

الحَبَشَة


مصر
بلاد العرب
البحر الأحمر
خليج عدن
السودان
جيبوتي
الصومال
المحيط الهندي
أوغندا
كينيا
بحيرة فيكتورية
رواندا
بورندي
تانزانيا
زامبيا
موزامبيق
المقياس
كلم ١٠٠٠ ٨٠٠ ٦٠٠ ٤٠٠ ٢٠٠ ٠

المصور رقم [٢]

لمحة عن الحبشة قبل إلغاء الخلافة

الحبشة هو الاسم التاريخي، واليوم يُطلق عليها اسم «أثيوبيا»، وهو ما تُعرف به دولياً، ولكن تاريخنا لا يعرفها إلّا باسم «الحبشة» لذا أُفضّل المحافظة عليه كي يقترن الاسم بالأرض، وكي يبقى محفوظاً بذهن النشء.

والحبشة هي المركز الثاني في الأرض الذي وصلت إليه دعوة خاتم النبيين محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث هاجر إليها عدد من الصحابة، رضوان الله عليهم، في شهر رجب من العام الثامن قبل الهجرة، وهبطوا في مدينة (مصوع)، وأحسن النجاشي استقبالهم، واستمع إليهم، وصدّقهم، وردّ وفد قريش الذي جاء يطلب تسليمهم له، وإعادتهم إلى مكة، وقد أسلم النجاشي يومذاك، واختلف مع بطارقته الذين حقدوا على المسلمين حسداً من عندهم أنفسهم، واستمرّ حقد الكنيسة بعدها يزداد، وتشحنه الأحداث التي تشهدها ساحات القتال بين المسلمين والروم النصارى، إذ يغيظ رجال الكنيسة نصر المسلمين، وهزيمة أبناء عقيدتهم النصارى.

ولما تقدّم المسلمون في أرض الروم، ولم يعد بإمكان الروم الثبات في ميادين الحرب أمام المسلمين قاموا يُحرّضون الأحباش على التحرّك من جانبهم عسى أن يخفّ الضغط عليهم، ووجد الأحباش الفرصة مناسبةً للأحداث التي وقعت في المجتمع الإسلامي من فرقةٍ في الكلمة، وخلافٍ في الرأي فقاموا يريدون إثارة الفزع لدى المسلمين الآمنين البعيدين عن

المعارك، فشجّعوا بعض القراصنة الأحباش على الإغارة على جدة، فقاموا بالسطو عليها، وتدمير السفن الراسية هناك، وقتلوا من استطاعوا قتله، ونهبوا أموالاً كثيرةً، ولاذوا بالفرار تحت جنح الظلام، وذلك عام ٨٣ هـ أيام عبد الملك بن مروان الذي أرسل حملةً استولت على جزر (دهلك)، وجعلتها قاعدةً لها، إذ أقامت فيها حاميةً لردّ أي عدوانٍ، فدبّ الرعب في نفوس الأحباش، ولم يُحرّكوا ساكناً، ولم يقفوا أمام التجار المسلمين الذين استطاعوا نقل الإسلام بما قاموا من دعوةٍ له في العدوة الإفريقية، فانتشر الإسلام في أريتريا وشرقي الحبشة، وامتدّ جنوباً، ولم ينته القرن الهجري الأول حتى كان التجار المسلمون قد بنوا مدينة (هرر) التي غدت مركزاً إسلامياً، ولم تخضع في تاريخها لسلطان الدولة الأمهرية حتى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) عندما احتلّها (منليك الثاني) بالقوة التي بعثها إليها بقيادة ابن عمه (رأس مكتن) والد (هيلا سيلاسي).

وفي بداية عهد الدولة العباسية انتقلت أعداد من المسلمين إلى إقليم أريتريا، وقاموا بدورهم بالدعوة فارتفعت نسبة المسلمين في ذلك الإقليم وغدوا أكثريةً، وانفصل أهله شعورياً عن سكان باقي الحبشة، وتأسّست السلطنة المخزومية عام ٢٨٣ هـ في شرق مقاطعة (شوا)، وقامت تعمل على نشر الإسلام في (شوا) و(عروسي) و(سيدامو). وخضع إقليم أريتريا للدولة العباسية، وعُرف بإقليم (باضع)، وهو اسم مدينةٍ قديمةٍ تقع جنوب (مصوع)، ثم تبع دولة المماليك في مصر، فالخلافة العثمانية، وأصبح يرتبط بمكة المكرمة، ثم غدا ولايةً مستقلةً، يُعرف باسم ولاية (حبش) وتتبعها مدينة جدة. أما مملكة الحبشة فكانت منعزلةً في الداخل، تحكمها الأسرة السليمانية، إذ تدّعي الانتساب إلى سيدنا سليمان بن داود، عليهما السلام، واستمرّ حكم هذه الأسرة حتى عام ٥٣٠ هـ، حيث نازعتها أسرة (زاجوي) على السلطة، وتمكنت من تسلّمها، وادعت الانتساب إلى سيدنا موسى بن عمران عليه السلام، وجهدت هذه الأسرة الجديدة في نشر النصرانية، فأقامت الكنائس، وشيّدت الأديرة، ولكن حكمها لم يدم طويلاً،

إذ تمكّنت الأسرة السليمانية أن تستعيد الحكم عام ٦٦٨ هـ.

كانت المملكة النصرانية في الحبشة تسيم رعاياها من المسلمين خسفاً، وتتخذ الوسائل كلها لإذلالهم وقهرهم، ولا تتوانى في قتلهم، ولم يكن أمام المسلمين هناك من وسيلةٍ سوى الاستنجاد بإخوانهم المسلمين في ديار الإسلام، إن استطاعوا أن يوصلوا صوتهم إليهم. ففي القرن الثالث الهجري استنجد مسلمو الحبشة بسلطان مصر ابن طولون، وطلب بطريرك مصر من بطريرك الحبشة كفّ الأذى عن المسلمين، غير أن ملك الحبشة ازداد إصراراً على أذاهم وإمعاناً بقتلهم، كما هدّد بقطع مياه نهر النيل.

وفي القرن الرابع الهجري انقسمت مملكة الحبشة النصرانية المعروفة باسم مملكة (أكسوم) إلى قسمين ساحلي يحكمه المسلمون، وداخلي يحكمه النصارى، وفيه الإمارة (الأمهرية) التي ضمّت مناطق: تجرة، بيجمدر، غوجام، وجزءاً من والاغا، وآخر من شوا، ويسكن هذا الجزء الأخير الأمهريون، والجالا. وفي هذه المدة كان الإسلام ينتشر في الأجزاء الشرقية والجنوبية من الحبشة حتى عمّ جزر دهلك، والدناقل، والصومال، وهرر، وسيدامو. ونشأت سلطنة (إيفات) الإسلامية في شرق (شوا)، وأخذت على عاتقها نشر الإسلام، وانحصر نفوذ الأسرة الأمهرية النصرانية في الهضبة.

وفي القرن الخامس نشأت عدة إمارات إسلامية في شرقي الحبشة وجنوبيها، ووقع النزاع بينها، فاستغلّ النصارى هذا النزاع، فأخضعوا بعضها، ومنها إمارة (هادية) التي أُجبرت على دفع أتاوةٍ للمملكة النصرانية مع فتاةٍ يرتضيها الملك لنفسه كل عامٍ. ومن هذه الإمارات إيفات، عدل، عروسي، هادية، عربابني، شارخة، بالي، شوا، داوارو. وكانت سلطنة (إيفات) أقوى الإمارات الإسلامية، لكن أخذ الضعف يدبّ فيها منذ عام ٧١٧ هـ حيث جرى خلاف على الحكم، واستمرّ ذلك حتى القرن التاسع، وشعر الأحباش النصارى بتفوّقهم، حتى قرّروا القيام بحربٍ صليبيةٍ لإزالة

سلطنة المماليك في مصر حيث كانت تُمثّل دولة الخلافة آنذاك، غير أنهم فشلوا في مسعاهم لعدم إمكاناتهم تنفيذ ذلك.

وفي القرن العاشر وصل المستعمرون الصليبيون البرتغاليون إلى المنطقة بعد أن التفّوا حول القارة الإفريقية، وانتصروا على المماليك أصحاب النفوذ البحري في تلك الجهات. واستطاع البرتغاليون الاستيلاء على مدينة (زيلع) وحرقها، وشعرت ملكة الحبشة (إليني) بنشوة النصر الصليبي، فتحرّكت، وأرسلت رسالةً إلى ملك البرتغال عمانوئيل تقول فيها: «بسم الله، والسلام على عمانوئيل سيد البحر، وقاهر المسلمين القساة الكفرة، تحياتي إليكم، ودعواتي لكم، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جهّز جيشاً ضخماً ليضرب قواتكم، ويثأر من الهزائم التي ألحقها به قوادكم في الهند، ونحن على استعدادٍ لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عددٍ من جنودنا في البحر الأحمر، وإلى مكة، أو جزيرة باب المندب، وإذا أردتم نسيّرها إلى جدة أو الطور، وذلك لنقضي قضاءً تاماً على جرثومة الكفر، ولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملكٍ نصرانيٍ يستطيع في وقتٍ قصيرٍ أن يبيد الأمم الإسلامية المتبربرة. ولما كانت ممتلكاتنا متوغّلةً في الداخل، وبعيدةً عن البحر الذي ليس لنا فيه قوة أو سلطان فإن الاتفاق معكم ضروري إذ أنكم أهل بأسٍ شديدٍ في الحرب البحرية»(١).

وهذا التحالف النصراني بين الأحباش والبرتغاليين قد شجّع الأحباش للقيام بهجومٍ واسعٍ على السلطنات الإسلامية في شرق الحبشة، كما أنه شجّع البرتغاليين لتوسعة دائرة نفوذهم في المشرق، ومحاربة المسلمين ما داموا قد وجدوا لهم أعواناً من النصارى من أهل المشرق.

احتلّت الحبشة أيام ملكها (دنجل) عام ٩٢٧ هـ سلطنة عدل الإسلامية بعد مقتل حاكم زيلع الأمير محفوظ قائد جيوش السلطنة، ونقلت

---

(١) علاقة الدولة المملوكية بالدول الإفريقية ـ حامد عمار.

السلطنة العاصمة من زيلع إلى هرر. وفي العام نفسه أرسلت البرتغال بعثةً إلى أديس ابابا، وأخذ المنصّرون الكاثوليك يفدون إلى الحبشة، وبقي البرتغاليون في الحبشة مدة ست سنواتٍ، ثم غادروها عام ٩٣٤ هـ، وبذا أخذت الحبشة تخرج من عزلتها التي كانت عليها.

كانت الخلافة الإسلامية قد آلت إلى الدولة العثمانية بعد دخولها مصر عام ٩٢٣ هـ، فسيطرت على البحر الأحمر، وأسّست أسطولاً فيه، جعلت قاعدته مدينة زيلع فقوّى ذلك عزيمة المسلمين، وقاموا يُهاجمون الأحباش النصارى، واستعادت سلطنة عدل مجدها، فضمّت إليها الصومال، والدناقل، وأسلم أهالي بالي، وشارخه، وإيفات، فطلبت الحبشة من أوربا عامةً، ومن البرتغال خاصةً المساعدة، وعرضت أن تكون كنيسة الحبشة تابعةً للكنيسة الكاثوليكية في روما مع الاحتفاظ بالمذهب الأرتوذكسي وذلك عام ٩٤٢ هـ. وبناءً على ذلك جاء جيش أوربي برتغالي، ونزل في مصوع عام ٩٤٩ هـ بقيادة (كريستوفر دي غاما) ابن (فاسكودي غاما) الملاّح المعروف الذي التفّ حول إفريقية، والصليبي المشهور، غير أن هذا الجيش قد هُزم أمام جيش سلطنة عدل، وقُتل قائده. ولم ينج من الجيش البرتغالي إلا من تمكن من الفرار، فالتحقت فلول هذا الجيش بقوات الحبشة.

وكانت اليمن قد مدّت سلطنة (عدل) بقوةٍ عندما دعمت البرتغال الحبشة فاستطاع الإمام أحمد بن إبراهيم سلطان (عدل) فتح مقاطعة تجرة عام ٩٤٥ - ٩٤٧ هـ، واستقبلته قبائل (ويلو).

وجاءت قوة برتغالية إلى الحبشة، ودعمت اليمن (عدل) عام ٩٥٠ هـ، وجرت معركة رهيبة بين الطرفين عام ٩٥٢ هـ، وسط بلاد مملكة الحبشة النصرانية قرب بحيرة (تانا)، استشهد فيها الإمام أحمد بن إبراهيم، وهُزم جيشه، وضعف أمر المسلمين.

وهاجمت (هرر) الأحباش النصارى عام ٩٦٧ هـ، فقُتل ملك الحبشة، ولكن تراجع المسلمون حتى أخلوا المناطق الجبلية كلها. وكذلك

ضعف شأن النصارى، وجاء شعب الجالا من الجنوب، وكان بدائياً فدمّر المناطق التي مرّ عليها، ثم استقرّ في جنوب (شوا)، فاحتكّ بالمسلمين، وأخذ أبناؤه يدخلون في دين الله.

وأغار الوثنيون من (جالا) على مدينة هرر، فعقد الأمير عثمان معهم معاهدةً بحجة أنهم أخذوا يدخلون في الإسلام، وأن المعاهدة معهم قد جعلهم يعتنقون الإسلام بعد الاحتكاك بأهله، ووجود السلم معهم، غير أن بعض الناس لم يقبلوا هذا الكلام، ووقع الخلاف، ولما اشتدّ ضغط شعب (الجالا) نقلت العاصمة من هرر إلى (العوصا)، ومع ذلك استمرّ الجهاد ضدّ الأمهريين النصارى حكام الحبشة. ووقع الخلاف بين الإمارات الإسلامية.

وكذلك وقع الخلاف في بلاد الأمهرة إذ اختلف الأحباش الأرتوذكس مع البرتغاليين والمنصّرين الكاثوليك، فطرد الأحباش البرتغاليين. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الخلاف بين الأقاليم كان قد وقع، وحصل النزاع، والذي ينتصر من الأمراء يأخذ لنفسه لقب (نجاشي)، وكثيراً ما كان يوجد في البلاد أكثر من نجاشي، ففي عام **١٢٢٩** هـ وجد ستة ملوك يحكمون الحبشة، واستمرّت الفوضى حتى وحّد إمارات الحبشة الإمبراطور تيودور الثاني **١٢٧٢ - ١٢٨٥** هـ. وكانت الحبشة في هذه المدة كلها والتي زادت على ثلاثة قرون في معزلٍ عن العالم، وتعيش في مرحلةٍ من الضعف والتأخّر، وتسيطر على شرقي إفريقية، وهذا ما جعل أمراء المسلمين في تلك المنطقة في حالةٍ من الخلاف والنزاع فيما بينهم، وليس باستطاعتهم أيضاً أن يقوموا بالهجوم على أرض مملكة الحبشة النصرانية، وإن كانت قد وقعت بعض مظاهر الخلاف والصراع أو التفاهم وعدم النزاع.

أحيا الأمير داود بن علي إمارة هرر عام **١٠٥٧** هـ، واشتدّ الخلاف بين الأحباش والبرتغاليين حول تحويل الكنيسة الحبشية إلى الكاثوليكية. وهذا ما جعل الامبراطور الحبشي (فاسيلدس) يعقد معاهدةً مع أمراء

المسلمين في (سواكن) و(مصوع) و(زيلع) وذلك بعد طرد البرتغاليين من الحبشة. وبسبب وقف القتال بين المسلمين والنصارى فقد أخذ الإسلام ينتشر بين الأمهريين النصارى، وبين الجالا الوثنيين، فعمل الإمبراطور (يوحنا بن فاسيلدس) عام ١٠٧٨ هـ على الحدّ من انتشار الإسلام بإيجاد صلةٍ قويةٍ، عن طريق المصاهرة بين النصارى والوثنيين، فزوّج (أياسو الأول) أمير الأمهرة من (برزاية) بنت أحد أمراء الجالا، لكن هذا لم يفده شيئاً إذ بقي الإسلام ينتشر بين أفراد الفريقين.

وفي منتصف القرن الثاني عشر الهجري بدأت قبائل (الجالا) تزحف نحو الشمال تحت ضغط القبائل الصومالية وتستقرّ في الهضبة في بلاد الأمهرة، وكان بعض أبنائها يعتنق الإسلام، وتزعّم حركتها نحو الشمال أحدهم، وهو الأمير علي، فكانت هذه الحركة تقدّماً إسلامياً في منطقة النصارى أكثر من أن تكون تنقّلاً من أجل الرعي. ووقف أمير الأمهرة (كاسا) الذي تلقّب باسم (تيودور) (١١٩٠ - ١٢٧٢ هـ) الزحف، وتمكن من أسر أمير (الجالا) المسلم الأمير علي، وعرض عليه النصرانية أو الموت، ففضّل الموت، وعندما عرض على السيف كرّروا عليه العرض، فأبى أن يعود في الكفر ثانيةً بعد أن أنجاه الله منه، وأصرّ على الشهادة حسب كلماته الأخيرة التي ألقاها قبل أن يحزّ السيف رأسه. ومع ذلك فقد حكم المسلمون منطقة (بيجمدر)، وكان حاكمها (علي بن عمر) الذي تلقّب بالإمام، وذلك عام ١١٨٩ هـ، وكان آخر الأمراء عليها (علي بن الولا). وفي عام ١٢٧٢ هـ استولى على أمر الإمارة الأمهرية أحد قطاع الطرق، وقد تسمّى باسم (تيودور الثاني)، واستطاع أن يُوحّد مناطق النصارى تحت سلطانه، واستمرّ حكمه حتى عام ١٢٨٥ هـ - كما سبق أن ذكرنا -.

وفي عام ١٢٨٣ هـ تنازلت الدولة العثمانية عن أريتريا والصومال إلى واليها على مصر إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، وكان يحبّ التوسّع فأخذ يرسل الحملات من مصر إلى سواحل البحر الأحمر والصومال، وهذا ما أدخل الخوف إلى نفوس الأحباش النصارى مرةً ثانيةً بسبب وصول تلك

الحملات إلى تلك الجهات إذ توقّعوا عودة انتشار الإسلام، ولكن النفوذ المصري لم يدم طويلاً في هذه المنطقة حيث احتلّت بريطانيا مصر بعد حركة أحد عرابي، وامتدّ نفوذها إلى السودان فشعر النصارى الأحباش بالراحة إذ اطمأنوا على وجود البريطانيين في السودان، واعتقدوا أن ظهرهم أصبح محمياً، وسيجدون الدعم من الإنكليز ما داموا نصارى غير أن الحركة المهدية تمكّنت من إحراز النصر، وسيطرت على السودان عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) بل فكّرت بمتابعة سيرها إلى مصر، وإنقاذها من البريطانيين، وهاجر إلى السودان بعض المسلمين المضطهدين الذين احتلّت الحبشة ديارهم، وكان على رأسهم الإمام المجاهد طلحة، وعملوا تحت لواء المهدي، وهذا ما أقلق الأحباش النصارى حتى فكّر الإمبراطور بغزو السودان، وزحف بجيوشه نحوها، غير أن فشل، وقُتل عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

سحبت بريطانيا القوات المصرية من السودان وشرقي إفريقية لتُدافع بها عن أرضها ـ كما زعمت ـ والواقع أنها تركت فراغاً سياسياً في شرقي إفريقية، فتقاسمت المنطقة الدول الكبرى، وأعطت الحبشة جزءاً من القسمة بصفتها دولة نصرانية، فكانت منطقة (الأوغادين) من الصومال هو نصيب الحبشة لتقوى، ولتُحكم قبضتها على المنطقة، ولتتمكّن من السيطرة على المسلمين. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ أعادت بريطانيا احتلال السودان من جديدٍ، وأحسّت مملكة الحبشة النصرانية بالسعادة حيث قوي النفوذ الصليبي تماماً في المنطقة، فالسودان من الغرب تسيطر عليه إنكلترا، والصومال من الشرق قُسّم بين الدول الأوربية النصرانية، وحُصر المسلمون بين الأحباش النصارى في الغرب، والمستعمرين الصليبيين في الشرق والجنوب.

ولم يقترب المستعمرون الصليبيون من أرض الحبشة بصفتها دولة نصرانية غير أن إيطاليا قد دخلت الساحة عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، واحتلّت أريتريا، وبقيت فيها حتى عام ١٣٦٠ هـ عندما هزمت في الحرب العالمية الثانية مع ألمانيا، ودخل الحلفاء أريتريا.

دخلت إيطاليا الساحة متأخّرةً بعد أن وحّدت بلادها، وكانت الدول الأوروبية في هذه الأثناء تتقاسم أرض إفريقية، فرغبت أن تحصل على نصيبها. فاشترت شركة إيطالية ميناء (عصب) من أحد الأمراء المحليين عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٨ م)، ثم تنازلت عنه للحكومة الإيطالية عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) فاحتلّته احتلالاً عسكرياً بعد ثلاث سنواتٍ بتشجيع من انكلترا التي ترغب في منافسة فرنسا التي استقرت في (تاجورة)، ثم توسّعت إيطاليا في أريتريا، وبقيت فيها حتى الحرب العالمية الثانية. ولم ترغب انكلترا هي نفسها أن تحتلّ أريتريا كي لا تُثير فرنسا عليها الكنيسة لذا شجّعت إيطاليا التي أعلنت أنها ما قامت باحتلال إلا مناطق للمسلمين، وأملاً من حصر المسلمين في شرقي الحبشة، بينها وبين مملكة الحبشة حتى يهجروا أرضهم أو يقبلوا الديانة النصرانية عقيدةً لهم.

أخذت إيطاليا تُشجّع المتنافسين على الحكم، وتُثير النزاع بينهم، وتمكّن (منليك الثاني) من الوصول إلى حكم الحبشة، وأعلن نفسه إمبراطوراً عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م)، فعقدت إيطاليا معه معاهدةً، ثم اختلفت معه، وشجّعت المنافسين له في إقليم (تجرة)، وفكّرت باحتلال الحبشة دون النظر إلى الكنيسة ورأيها، غير أنها هُزمت هزيمةً منكرةً في معركة (عدوه) عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)، ولكنها بقيت في إقليم أريتريا.

أخضعت إيطاليا منطقة (الأوغادين) من الصومال عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، وثارت ثائرة الكنيسة ضدّ دول أوربا الاستعمارية لتعدّياتها على أرضٍ نصرانيةٍ، وطلبت منها الكفّ عن هذه التعدّيات، والتفاهم فيما بينها، ومع الحبشة للعمل معاً على محاربة المسلمين.

اتفقت الدول الاستعمارية الثلاث الكبرى، وهي: بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا على استقلال الحبشة، وإقامة إمبراطوريةٍ فيها تحت تاج (منليك الثاني) تضمّ مملكة الحبشة والإمارات الإسلامية كافةً، وذلك خوفاً من

انتشار الإسلام، وطُلب من الإمبراطور شنّ حربٍ ضدّ المسلمين، ووُعد بتقديم الدعم اللازم له، والعمل على حمايته.

قام منليك الثاني باحتلال هرر، ثم جرّد حملةً على باقي الإمارات الإسلامية فأخضعها بمساعدة الدول الأوربية، وفكّر بصهر المسلمين في إمبراطوريته داخل المجتمع النصراني فزوّج ابنته (أرجاس) من أمير منطقة (ويلو) محمد علي، فأنجبا (ليج أياسو).

اتفقت الدول الاستعمارية الصليبية الكبرى فيما بينها بمعاهدةٍ عقدتها عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) لتقسيم مناطق النفوذ فيما بينها، وفيما إذا انهارت الحبشة.

هلك (منليك الثاني) عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)، وخلفه حفيده (ليج أياسو) الذي أظهر ميلاً للإسلام، واعتنقه، بل هو بالأصل مسلم إذ أن والده الأمير محمد علي، وإن تسمّى اسماً نصرانياً، ونشأ في رعاية جده (منليك الثاني) والد أمه (أرجاس).

لبس (ليج أياسو) العمامة، وأخذ يتردّد على مساجد هرر، وقرّر نقل العاصمة إلى مدينة هرر، وشيّد المساجد في مدن هرر، ودير داوا، وجكجكا، واتخذ علماً جديداً لدولته، وجعل الهلال في وسطه بعد أن كان الصليب، وأرسل هذا العلم إلى قنصل الدولة العثمانية في (أديس أبابا)، واتصل مع محمد عبدالله حسن الزعيم المسلم الذي ثار في الصومال ضدّ المستعمرين الصليبيين. وحاول (ليج أياسو) توحيد كلمة المسلمين، وأراد إقامة حلفٍ إسلاميٍ ضدّ الحلفاء، وادعى الانتساب إلى آل البيت.

أصدرت الكنيسة قراراً بحرمان (ليج أياسو) من التاج الحبشي، وحرّضت النصارى ضدّه، ففرّ إلى بلاد الدناقل، وبقي هناك حتى قُبض عليه عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م)، فلما انتصر (رأس تفاري)، وهو (هيلا سيلاسي) ذبحه عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م). وأعطت الكنيسة الملك إلى خالته (زاويتو) ابنة منليك الثاني، وعيّنت (رأس تفاري) وصياً، ووريثاً.

الفصل الأول

الحبشة من إلغاء الخلافة
إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية

بعد أن خلعت الكنيسة (ليج أياسو) عيّنت (زاويتو) ابنة منليك الثاني الأخرى إمبراطورةً على الحبشة، وعيّنت (رأس تفاري) وصياً ووريثاً، لكن لم يلبث أن وقع الخلاف بينهما، فأخذ (رأس تفاري) لقب نجاشي بالقوة، وألزم (زاويتو) على التنازل عن الحكم، والاعتراف به إمبراطوراً على الحبشة، فتولّى الحكم باسم (هيلا سيلاسي)، ولم تلبث هي أن هلكت عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م).

أصدر هيلا سيلاسي دستوراً عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) لكنه كان دستوراً شكلياً. وأخذ يحكم البلاد حكماً استبدادياً، ويضطهد المسلمين اضطهاداً قاسياً، ويعمل على إذلالهم وتقتيلهم يدفعه إلى ذلك الحقد الصليبي، وتحريض كنيسة الحبشة في الداخل، والدول الاستعمارية النصرانية في الخارج.

لم تنس إيطاليا معركة (عدوه) عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)، فعندما قامت الحركة الفاشية في إيطاليا، وتسلّم الحكم (موسوليني)، وأراد التوسّع، ودفع الطليان إلى التطلّع نحو الخارج، وجاءت مرحلة التسابق الدولي إلى التسلّح في أوربا، وقيام التكتل والمحاور، ثم دعم المتنافسين على الحكم والأمراء المحليين، وأخيراً المنافسة الاستعمارية فقامت إيطاليا بمهاجمة الحبشة، واحتلّتها، معارضةً الكنيسة، بل كان (موسوليني) قد

ألغى دولة الفاتيكان. احتلّت إيطاليا الحبشة عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) رغم معارضة عصبة الأمم، وفرض العقوبات الاقتصادية، ولكن ذلك لم يجد نفعاً، إذ دخلت مدينة (أديس ابابا) في الأيام الأولى من عام ١٣٥٥ هـ (آذار ١٩٣٦ م)، ومن المعلوم أن عصبة الأمم ومن بعدها هيئة الأمم المتحدة تسير حسب رأي وتوجيه الدول الكبرى، وهي دول نصرانية تُخفي صليبيتها تحت صفة الشرعية الدولية. وأعلن (موسوليني) تشكيل إفريقية الشرقية الإيطالية التي شملت أريتريا، الحبشة، القسم الحنوبي من الصومال (الإيطالي سابقاً)، منطقة الأوغادين، هرر. وصادرت إيطاليا أملاك الكنيسة وكثيراً من أملاك كبار الحكام.

واندلعت الحرب العالمية الثانية، ووقفت إيطاليا بجانب ألمانيا، وشكلت ما عُرف باسم (دول المحور)، وقامت الثورات في الحبشة ضدّ الطليان بتحريضٍ من البريطانيين وباقي الحلفاء، وزحفت القوات البريطانية من السودان نحو الحبشة، وخرج الطليان من البلاد، ودخل الإنكليز مدينة (أديس ابابا) في شهر ربيع الأول من عام ١٣٦٠ هـ (نيسان ١٩٤١ م)، وعاد الامبراطور (هيلا سيلاسي) إليها في شهر ربيع الثاني من العام نفسه (أيار ١٩٤١ م)، واستسلمت آخر الحاميات الإيطالية في (غوندار) عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وبعدها أعلنت الحبشة الحرب على دول المحور، ووقفت بجانب الحلفاء.

وانتهت الحرب العالمية الثانية، وفصلت الأمم المتحدة التي تشكّلت بعد الحرب بين الحبشة وأريتريا، إذ عدّت أريتريا والصومال الجنوبي، والغربي مستعمراتٍ إيطاليةٍ، أما الحبشة فهي دولة مستقلة غزتها إيطاليا، ثم تحرّرت، وعادت لها الصفة الاستقلالية، وهكذا لم تخضع الحبشة للاستعمار إلا لمدة سبع سنواتٍ من عام ١٣٥٤ - ١٣٦١ هـ (١٩٣٦ - ١٩٤١ م)، ولم تكد تخرج إيطاليا منها إلا عُدّت دولةً مستقلةً على خلاف ما حدث لبقية الدول الإفريقية، وما ذلك إلا لنصرانيتها.

الفصل الثاني

الاستقلال

عُدّت الحبشة دولةً مستقلةً منذ أن عاد الإمبراطور إلى عاصمته (أديس أبابا) في شهر ربيع الثاني ١٣٦٠ هـ (أيار ١٩٤١ م)، وفرض الإمبراطور سلطته المطلقة، رغم السلطات التي تنازل عنها، والحقوق التي اعترف بها الدستور للمواطنين، ورغم الأجهزة التشريعية والتنفيذية التي قامت، والقوانين الحديثة التي صدرت، رغم هذا كله فالامبراطور هو صاحب السلطة العليا مع وجود دستورٍ رمزيٍ مكتوبٍ. ويُعطي الدستور صفة القداسة لرئيس الدولة «بحكم الدم الإمبراطوري الذي يجري في عروقه، فشخص الإمبراطور مُقدّس، ومنزلته السامية لا يجوز انتهاكها، وسلطاته لا تقبل الجدل». ومع أن الكنيسة لها سلطة واسعة إلا أن رئيس الأساقفة لا بدّ من أن يُوافق الإمبراطور بالذات على تعيينه.

أخذت الأمم المتحدة تبحث قضية المستعمرات الإيطالية السابقة، وكان الخط العام يتجه إلى مسايرة الحبشة والأخذ برأيها، ما دامت دولةً نصرانيةً، وتعرف أوضاع المسلمين في منطقتها، ويمكن أن تكفي أوربا وضعهم في قهرهم، والعمل على تنصيرهم، وكانت الحبشة ترى ضمّ المستعمرات الإيطالية السابقة (أريتريا ـ هرر ـ الأوغادين ـ القسم الصومالي) إليها في سبيل الوصول إلى القوة اللازمة لتتمكّن من القيام بالدور المُلقى على عاتقها، إذ بهذا الضمّ تستطيع أن:

١ ـ تُقوي الحكومة المركزية التي تقوم على النصرانية.

٢ ــ تُضعف شأن الحكام والأمراء المحليين، وأكثرهم من المسلمين.
٣ ــ تصل إلى البحر، ويكون لها موانىء عليه، وتتصل بالعالم الخارجي بعد أن بقيت مدةً طويلةً منعزلةً في الداخل.

وقد بيّن الإمبراطور هيلا سيلاسي طلباته هذه في عدة خطاباتٍ ألقاها، وذكر فيها صراحةً أنه يريد أن يقضي على الإسلام، وكان يستعرض في كلماته العداوة التقليدية مع المسلمين، والحروب التي عرفتها المنطقة بين المسلمين والنصارى خلال التاريخ.

وترى بريطانيا غير هذا الرأي، وكانت لا تزال صاحبة الكلمة الأولى المسموعة في الأمم المتحدة حيث تنظر إلى الموضوع من زاويةٍ استعماريةٍ خاصةٍ بها، وهي أن الحبشة إذا قويت إلى هذه الدرجة يمكن أن تنافسها على طريق الهند، وعلى منطقة النفط في الخليج العربي (بلاد العرب، والعراق، وإيران) والمنافسة الاستعمارية بين الدول النصرانية معروفة، وهذا يعني تهديد المصالح البريطانية الاستعمارية. وترى بريطانيا من جانبٍ آخر أن الحبشة إذا ضمّت إليها المستعمرات الإيطالية السابقة، وهي مناطق مسلمة، غدا النصارى في الحبشة قلّةً قليلةً، وإذا كانوا الآن يتحكّمون بالمسلمين، ويخضعونهم قهراً لسلطتهم، إلا أنهم قد يتحرّكون في المستقبل عندما يرون أنفسهم الغالبية الغالبة، ويقوّضون سلطان النصارى في الحبشة، ويتسلّمون زمام الأمر، ويصبح الوضع معكوساً، بل ربما نشط المسلمون، واستطاعوا التأثير على النصارى، فأخذ النصارى يدخلون في الإسلام، بينما الهدف الذي تعمل له الدول النصرانية من خلال الأمم المتحدة هو تنصير المسلمين، لهذا كله لم ترَ بريطانيا إعطاء الحبشة المستعمرات الإيطالية السابقة.

ولكن بريطانيا عادت مرةً ثانيةً فغيّرت رأيها، وعادت تتبنّى قضايا الحبشة بعد أن وجدت مكانتها قد هبطت في الحبشة، فخشيت أن تحتلّ مكانتها إحدى الدول الاستعمارية الصليبية التي تُؤيّد موقف الحبشة،

وخاصةً فرنسا التي تحتلّ جيبوتي، وتُنافس بريطانيا في المنطقة، لذا رغبت بريطانيا أن تعود إلى منزلتها الأولى، وأن يكون نصارى الحبشة قواعد لها في الشرق، وتكون حكومة الحبشة ركيزةً لبريطانيا في تحقيق مشروعاتها، وتنفيذ مخططاتهـا، لذا أخـذت بريـطانيا تلوّح لـلإمبراطـور هيلا سيـلاسي برعايتها التي شملته بها أيام تشرّده، وعملها لإعادته إلى سلطانه، ورجعت بعدها بريطانيا إلى منزلتها الأولى عند الإمبراطور، وعند النصارى الأحباش.

القضيـة الأريتريـة:

طال بحث قضية أريتريا في أروقة الأمم المتحدة، وأخيراً صدر قرارها في **٢٢** صفر **١٣٧٠** هـ (٢ كانون الأول **١٩٥٠** م) بإقامة اتحادٍ سياسيٍ بين أريتريا والحبشة، كحلٍّ يُرضي بريطانيا حيث لم تتخل عن الحبشة كلياً، فتُعطى أريتريا استقلالها، ولم تُرض الحبشة كلياً بدمج أريتريا بها.

وفي الوقت الذي كانت فيه الأمم المتحـدة تُناقش قضيـة أريتريـا، وتُشكّل لجان استقصاء الحقائق، وتُجري الاستفتاء كـانت الحبشة تعمـل الوسائل كلها لابتلاع أريتريا، رضيت الأمم المتحدة أم كرهت. وكيف تكره وهي نصرانية؟

أرسلت الحبشة كبير أساقفتها إلى أريتريا فجال في أنحائهـا كلها، ودعا النصارى إلى المناداة بدمج وطنهم مع الحبشة، ووعد الكنيسة القبطية بإعادة أراضيها لها التي سبق للحكومة الإيطالية أن أمّمتها، وكانت تصرّفات الإدارة البريطانية في أريتريا تدلّ على تعاونها مع الحبشة لابتلاع أريتريا. ونتيجة ذلك تشكّل حزب (محبر فقري هجر) أي (حزب حبّ الوطن)، ثم لم يلبث أن تشكّـل داخله حـزب آخـر يضمّ الإرهـابيين، ويحمـل اسم (محبر اندنت) أي حزب الانضمام إلى الحبشة، وأخذ يقوم بالاغتيالات، والسطو على الأموال، وأصدر هذا الحزب جريدة (أثيوبيا)، وقد وجّه فيها رئيس الأساقفة إنذاراً نشر في هذه الجريدة إلى النصارى جميعاً يحرم فيه من الحقوق الدينية كل من يُـطالب باستقـلال أريتريـا، وقد انصـاع أكثر

النصارى لهذا النداء، إذ لرجال الدين أثر كبير في هـذه المنطقـة، وكان يرأس هذا الحزب (تدلي بايرو) خريج المدارس التنصيرية. ونتيجة لهذا التعصّب الأعمى نشأت عدة تنظيماتٍ سياسيةٍ منها:

١ ـ حزب الرابطة الإسلامية برئاسة عبد القادر محمد صالح كبيري، وأُسندت الأمانة العامة إلى إبراهيم سلطان علي، ويدعو هذا الحزب إلى استقلال أريتريا.

٢ ـ الحزب التقدّمي الحر: ويدعو إلى استقلال أريتريا أيضاً.

٣ ـ الرابطة الإيطالية الأريترية: وتدعو إلى وضع أريتريا تحت الوصاية الإيطالية.

٤ ـ حزب الشعب: ويُعرف بالحزب الموالي لإيطاليا، ويرى الوصاية الإيطالية.

٥ ـ الحزب الوطني: ويُؤيّد قيام إدارةٍ بريطانيةٍ في أريتريا.

وكثرت الاعتراضات وتعقّدت القضية، فيزعم أعوان الانضمام إلى الحبشة أنهم يُنادون بالواقعية، إذ لو استقلّت أريتريا ـ حسب رأي الرابطة الإسلامية والحزب التقدميّ الحرّ لعاشت البلاد في فقرٍ نتيجة وضعها الاقتصادي البئيس، ولكانت حياتها في فوضى وتخبّطٍ لأن الحبشة ستُثير القلاقل معتمدةً على النصارى، ومُتذرّعةً بضرورة وجود موانىء لها على البحر الأحمر. وفي الوقت نفسه فإن أريتريا ستستفيد من غنى الحبشة فتتحسّن أوضاعها الاقتصادية. ويدّعون كذلك أن الدول الاستعمارية تُؤيّد هذا الانضمام بروحٍ صليبيةٍ، أما المسلمون فلا دعائم لهم، وليست هناك من دولةٍ ذات كلمةٍ مسموعةٍ تنصرهم بل تُدافع عنهم. ويعترض على هذا الكلام أصحاب دعوة الاستقلال، بأننا عشنا في الظلم والظلام، ورأينا الأحباش والطليان، ونُفضّل الفقر على الغنى الممزوج بالظلم، ونقبل الموت مسلمين، والشهادة في سبيل الله على التنصير وحياة الكفر، والعبودية للصليبيين.

ويردّ بعض الناس بأننا لو عشنا مع الأحباش لكانت نسبتنا أكبر بكثير، ويمكننا الدعوة، ولكن لو تمّ الاستقلال وحدث الانفصال لبقي الصراع، وبقيت النفوس مشحونةً بالكراهية، والعصبية قائمةً بنتنها، ولتعطّلت الدعوة، ولم نُؤدّ مهمتنا في الحياة، ولبقيت الحبشة على نصرانيتها إلى الأبد.

أما الذين يطلبون الوصاية الإيطالية أو الإدارة البريطانية فنسبتهم ضعيفة لا يُؤبه لها، ولا تُؤخذ بعين الاعتبار، وإن كانت وراءها منظمات غير أنها ضعيفة، لا تزيد على المنتفعين منها.

هذا ما كان يحدث على الساحة الأريترية، أما في أروقة الأمم المتحدة فنرى اقتراحات الدول الكبرى متباينةً أشدّ التباين، وكل دولةٍ أيضاً تنظر إلى مصالحها، وتبني عليها اقتراحاتها.

اقترحت إنكلترا نوعاً من تقسيم أريتريا، تُمنح الحبشة بموجبه الهضبة حيث ترتفع نسبة النصارى، غير أن هذا التقسيم سيزيد في ضعف الاقتصاد الأريتري، فاقترحت بناءً على ذلك ضمّ المقاطعة الغربية إلى السودان، وتبقى الدناقل وبقية المناطق الفقيرة لتكون في حالٍ لا تستطيع معها الحياة فتضطر إلى الالتحاق بالأحباش أو طلب المساعدات من الدول الكبرى النصرانية فتأتي لاستعمارها. هذا اقتراح بريطانيا، ويظهر فيه الحقد، وتخرج منه رائحة الكراهية والنتن، فالمنطقة الصغيرة الفقيرة تُقسّم، وتُؤخذ منها أحسن مناطقها، ما دامت مسلمةً، وتمنح الدولة الغنية الواسعة بصفتها النصرانية بعض أعضاء المنطقة الصغيرة، لتزداد غنىً واتساعاً، ولتستطيع تحقيق أهدافها في التنصير، وقتل المسلمين. وهذا هو العدل الاستعماري، والحقّ لدى الدولة التي كانت تُوجّه الأمم المتحدة، أو النظام الدولي.

واقترحت فرنسا فرض وصايةٍ دوليةٍ على أريتريا، على أن تُعطى الحبشة منفذاً لها على البحر الأحمر عن طريق ميناء عصب، إرضاءً للدولة النصرانية ـ طبعاً.

واقترحت الولايات المتحدة فكرة الوصاية الجماعية، فتمنح السلطة

التنفيذية إلى محايدٍ يتولى الإدارة، ويكون مسؤولاً أمام مجلس الوصاية، على أن تعاونه لجنة استشارية تضمّ ممثلين لها من الدول الأربع الكبرى (إنكلترا - فرنسا - الولايات المتحدة الأمريكية - الاتحاد السوفيتي)، وإيطاليا، واثنين من المقيمين في الإقليم، كذلك وافقت على إعطاء الحبشة منفذاً لها على البحر الأحمر عن طريق ميناء عصب، وبعد عشر سنواتٍ يحصل الإقليم على الاستقلال، ثم عادت الولايات المتحدة ووافقت على الوصاية العادية، ووافق الاتحاد السوفيتي على المقترحات الأمريكية والفرنسية.

وأمام هذا التضارب في الاقتراحات قرّرت الدول الأربع الكبرى إرسال لجنةٍ إلى أريتريا للاستقصاء، ووصلت اللجنة إلى البلاد في ٢٧ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٤٧ م)، وبقيت فيها حتى ١٥ صفر ١٣٦٧هـ (٢٨ كانون الأول ١٩٤٧ م) أي سبعةً وأربعين يوماً، وكانت النتائج للاستقصاء أن:

الحزب الاتحادي	قد حصل على	٤٤,٨ ٪	من المؤيدين.
والرابطة الإسلامية	قد حصل على	٤٦,٥٪	من المؤيدين.
والتقدّمي الحرّ	قد حصل على	٤,٤ ٪	من المؤيدين.
بقية الأحزاب	قد حصل على	٤,٣ ٪	من المؤيدين.
		١٠٠٪	

أما بالنسبة إلى الانضمام للحبشة فكانت النتائج كما يأتي:

١" - في الهضبة حيث يكثر النصارى.

٧١,٧٪ يُؤيّدون الانضمام للحبشة.

١٤,٩٪ يُعارضون الانضمام.

٢" - في غير الهضبة.

٧١,٦٪ يعارضون الانضمام.

١٢,٩٪ يُؤيّدون الانضمام.

أي أن النسبة واحدة تقريباً بين المعارضين للانضمام، والمؤيدين، وإن كانت نسبة المعارضة تزيد قليلاً.

٨٦,٥٪ يعارضون الانضمام.

٨٤,٦٪ يُؤيّدون الانضمام.

ولكن هذه النسبة بعيدة عن الواقع إذ أن المؤيدين للانضمام إلى الحبشة لا يُمثّلون في الواقع أكثر من ٢٥٪، ولكن هذه النتائج بسبب الضغط الذي مارسه الحزب الاتحادي الإرهابي على السكان، وقد عُرف بجرائمه، وكان يتخذ سلاح التهديد باستمرار أثناء وجود لجنة الاستقصاء، وكذلك كان تدخّل الحبشة والدول الأجنبية واضحاً، هذا بالإضافة إلى أن القبائل كان التصويت بحكم المعدوم فيها، وأغلبها من المسلمين الذين يُعارضون الانضمام، ومعروف أنهم من القديم يُحاربون الأحباش، فلا يمكن أبداً أن يُؤيّدوا الانضمام، وقد قاطعوا الاستفتاء لأنهم لم يوافقوا عليه، ورأوا التهديدات وعرفوا أن الاستفتاء دائماً ليس سوى نوعٍ من أنواع اللعب على الشعب لأخذ الصفة الشرعية والوسيلة فيه التزوير والتهديد.

وعندما عُرضت نتائج الاستفتاء على مؤتمر وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى، وهي نصرانية، عاد الاختلاف في الآراء مرةً أخرى لاختلاف المصالح، واختلاف وجهات النظر في تقدير مصلحة النصارى.

اقترحت انكلترا وضع أريتريا تحت الإدارة الحبشية لمدة عشر سنواتٍ، على أن يُشكّل مجلس استشاري يضمّ ممثلين لإيطاليا، وإحدى الدول الإسلامية، ودولاً أخرى غير استعمارية.

واقترحت الولايات المتحدة الأمريكية التنازل فوراً عن الدناقل والهضبة إلى الحبشة. الهضبة لأن نسبة النصارى ترتفع فيها، وإقليم الدناقل من أجل ميناء عصب مع أنه السكان فيه ١٠٠٪ مسلمون، ويجب قهرهم وتنصيرهم إن أمكن مستغلّين فقرهم.

واقترحت فرنسا فرض وصايةٍ دوليةٍ تتولّاها إيطاليـا، وتأخـذ الحبشة ممراً لها عن طريق ميناء عصب.

واقترح السوفييت فكرة الوصاية الدولية الجماعية.

ونتيجة ذلك أُحيل الموضوع إلى هيئة الأمم المتحدة. فعُرض ضمّ أريتريا إلى الحبشة عدا المقاطعة الغربية فتضمّ إلى السودان، ولكن رُفض هذا العرض.

وغيّرت إيطاليا موقفها، وأصبحت تُطالب باستقلال أريتريا التام، وتظنّ أنها ستكون الدولة ذات النفـوذ في أريتريـا عند استقـلالها، اعتـرافاً لهـا بالجميل، وبتأثير الرابطة الأريترية ـ الإيطالية، والحزب الموالي لإيـطاليا، ونتيجة المساعدات الاقتصادية التي ستقدّمها لها. ومن المعلوم أن الرابطة الأريترية ـ الإيطالية تتألف بأكثريتها من المستوطنين الإيطاليين المولّدين.

وبعد مناقشة هيئة الأمم المتحدة لقضية أريتريا وعدم الوصـول إلى نتيجة برفض العروض التي اقترحت اجتمعت في نيويورك وفود: الرابـطة الإسلامية، والرابطة الأريترية ـ الإيطالية، والحزب الموالي لإيطاليا، وطالبت باستقلال أريتريا فوراً، كما أن قادة هذه التنظيمات داخل أريتريـا أخذت تتقرّب من الحزب التقدّمي الحرّ للعمل معاً، ثم اتفقت هذه التنظيمـات جميعها على تشكيل جبهةٍ واحدةٍ، فكان حزب «الكتلة الاستقلالية».

وفي ذي القعدة ١٣٦٨ هـ في الدورة الرابعة للجمعية العمومية (أيلول ١٩٤٩ م) تقـرّر إرسـال لجنـةٍ للتحقيق، وتشكلت اللجنـة، وذهبت إلى أريتريا، ووقع خلاف بين أعضاء اللجنة، وأخيراً في ٢٢ صفر ١٣٧٠ هـ (٢ كانون الأول ١٩٥٠ م) وافقت الجمعية العمومية على أن تكون أرتيريا وحدة ذات استقلالٍ ذاتيٍ، وترتبط مع الحبشة باتحادٍ لامركزي، حسب اقتراح الولايات المتحدة الأمريكيـة، ومعنى هذا تشكيـل حكومـةٍ أريتريـةٍ تتمتع بسلطاتٍ تشريعيةٍ، وتنفيذيةٍ، وقضائيةٍ في الشؤون الداخلية، ومتحـدةٍ مع الحبشة لامركزياً بالشؤون الخارجية، والمالية، والدفاع. وقد تقرّر أن يتمّ

تنظيم حكومة أريتريا، وإعداد دستورٍ لها، وتطبيقه بإشراف مندوبٍ من الأمم المتحدة، في مدةٍ لا تصل إلى السنتين.

تمّ تشكيل هيئةٍ تشريعيةٍ من ثمانيةٍ وستين عضواً، نصفهم من المسلمين، ونصفهم الآخر من النصارى، وقد احتجّ المسلمون على هذا التعيين، إذ أُخذ من المسلمين ما يتفق وآراء رجال الأمم المتحدة النصارى، وذلك حسب ما تقترحه الحبشة، ولكن لم يكن لهذا الاحتجاج أي مستمعٍ، ولم تكن له أية جدوى.

وصدر الدستور، ووافقت عليه الأمم المتحدة، ونصّ أن تكون اللغة العربية والتجرينية اللغتين الرسميتين، وتقرّر أن يكون لأريتريا علم خاص، وقضاء خاص.

لم ترحّب الحبشة بفكرة الاتحاد اللامركزي بينها وبين أريتريا، لأن السلطة فيها مركّزة بيد الامبراطور، ولا يستطيع أن يرى بجانبه سلطةً أخرى، ويعمل ليزيد في تقوية سلطته لا ليضعفها، وهذا ما يجعل تطاول الأمراء والحكام المحليين في بقية المقاطعات الحبشية، لذا أمر الامبراطور الجيش الحبشي عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) باحتلال أريتريا فنفّذ الأمر، واستولى على الثكنات التي كان يحتلّها الجيش الإنكليزي، كما أن البريطانيين قد سلّموا زمام الأمر علناً للأحباش. وعيّن الامبراطور هيلا سيلاسي صهره (أند لكاتشو ماساي) مُمثّلاً له في أريتريا، كما عيّن زعيم الحزب الاتحادي رئيساً للسلطة التنفيذية، وابتدأ بتطبيق السياسة المرسومة.

١″ ـ استلمت الحكومة الحبشية بالتواطؤ مع الإدارة البريطانية الممتلكات الإيطالية السابقة جميعها، والتي تخصّ الحكومة الأريترية قانوناً، كما استولت على المرافق الحيوية كلها، كالسكك الحديدية، والجمارك، والبريد، والبرق، وسائر المواصلات، والمطارات، والموانىء، ومصانع الملح.

٢" ـ أنشأت الحكومة الحبشية في أريتريا محاكم خاصة غير دستوريةٍ أسمتها المحاكم الاتحادية، أذاقت بها الشعب في أريتريا الويلات، وملأت بأبنائه السجون نتيجة الأحكام الجائرة.

٣" ـ حّلت الأحزاب الأريترية كلها عدا الحزب الاتحادي الذي يسير برأيها ورهن إشارتها، فأرسل قادة الأحزاب برقياتٍ إلى أمين عام الأمم المتحدة يرجونه التدخّل بالأمر، وذلك يوم الأول من صفر ١٣٧٣ هـ (٩ تشرين الأول ١٩٥٣ م)، ولكنه لم يُبال بالأمر.

٤" ـ عطّلت جريدة «صوت أريتريا» لسان حال حزب «الكتلة الاستقلالية»، وحكمت على المحررين فيها بسنواتٍ من السجن مختلفة.

٥" ـ فرضت الانتخابات، وجعلتها تحت إشراف ممثلين من الحكومة الحبشية المعتدية.

٦" ـ حرّمت تدريس اللغة العربية، ومنعت دخول الكتب العربية، والمدرسين الذين يفدون من البلدان العربية.

٧" ـ أنزلت العلم الأريتري، ونصبت مكانه العلم الحبشي الذي يُمثّل أسداً يحمل صليباً يريد الضرب به.

٨" ـ عزلت رئيس المجلس النيابي الأريتري إدريس محمد آدم، فانتقل إلى مصر، وعاش لاجئاً سياسياً هناك.

٩" ـ وطّدت علاقتها مع دولة اليهود في فلسطين، حيث أوفدت بعثاتٍ عسكريةً للتدريب على فنّ المخابرات والتجسّس، كما فتحت الباب على مصراعيه للنفوذ اليهودي، بعد أن اعترفت رسمياً بذلك الكيان.

١٠" ـ أعادت تشكيل الحزب الاتحادي من جديدٍ، وجعلت أحد القساوسة، وهو (ديمتروس جبران ميكائيل) رئيساً له.

١١" ـ عمل الامبراطور على إسكان النصارى في المناطق الإسلامية، فأمر بتسليم الأراضي الزراعية الخصبة في وادي (زولا) المنطقة

الإسلامية المحضة إلى نصارى من الهضبة، وبنى لهم كنيسةً هناك، ثم شيّد خزّاناً في الوادي المذكور لريّ الأراضي التي امتلكها النصارى منذ عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م).

وأخذ النصارى يتزايدون في المناطق الحيوية بسرعةٍ، وخاصةً في مينائي (عصب) و(مصوع)، فقد كان عدد النصارى في ميناء عصب عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) حسب إحصاءٍ بريطاني أربعمائة إنسانٍ، فإذا به يصبح عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) أكثر من خمسة عشر ألفاً، ويمثّلهم نائب في الجمعية التشريعية. وضيّقت الحكومة الحبشية على المسلمين في هذه المناطق مما اضطرهم إلى الهجرة إلى سواحل الجزيرة العربية. وليس هذا الوضع في هذه المناطق فقط بل في المناطق الإسلامية كلها، ففي (أغوردات) و(تسني) و(كيرن) عمليات إسكان للنصارى أيضاً، وقد تفوق عمليات الإسكان في الموانىء.

ونتيجة هذه التصرّفات، ضاق المسلمون ذرعاً بتعسف الأحباش فقامت المظاهرات في أرجاء البلاد كافةً، وكانت تُقمع بمنتهى الوحشية، وبقيت الثورات المتكررة، ويفرّ الزعماء من البلاد، وتشكّلت إثر ذلك (جبهة التحرير الأريترية)، وتعمل على الاتصال بالخارج، وتقوم بإصدار النشرات وتوزيعها، وتُطالب بالاستقلال، وأسّست مكتباً لها في مدينة (مقديشيو) عاصمة الصومال، وأصدرت مجلة باسم (الثورة)، وهناك جمعية الصداقة الأريترية ـ الصومالية، وتقوم بمساعدة بعض الثوار الذين يلجأون إلى الصومال. وتطالب جبهة تحرير أريتريا باستقلال بلادها بحدودها الحالية، وبعثت وفداً برئاسة إدريس محمد آدم لزيارة البلدان العربية لتعريف الشعب العربي بقضيتها.

وفي ١٧ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٦٢ م) أصدرت الحكومة الحبشية قراراً يقضي باحتلال أريتريا عسكرياً، وضمها إلى أملاكها رسمياً.

انعقد المؤتمر الإسلامي في مدينة (مقديشيو) عاصمة الصومال لمدة أسبوعٍ إذ استمر من ٢٢ شعبان ١٣٨٤ هـ لغاية ٢٩ منه (٢٦ كانون الأول ١٩٦٤ ـ ٢ كانون الثاني ١٩٦٥ م)، وقد جاء في البند السادس عشر من قرارات المؤتمر ما يأتي: «درس المؤتمر التقارير المختلفة التي قُدّمت إليه بشأن قضية أريتريا، وقرّر ما يأتي:

أ ـ اعتبار قرار الحكومة الحبشية القاضي باحتلال أريتريا عسكرياً، وضمّها إلى أملاكها الصادر في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٦٢ م) عملاً مناقضاً لحقوق الإنسان، ومناقضاً لقرار الأمم المتحدة بشأن إقامة اتحادٍ لامركزيٍ بين الحبشة وأريتريا الصادر في ٢٢ صفر ١٣٧٠ هـ (٢ كانونِ الأول ١٩٥٠ م). ويرى المؤتمر أن استيلاء الحبشة على أريتريا عسكرياً إنما يُشكل عدواناً فاضحاً على شعبٍ إفريقيٍ مُسالمٍ.

ب ـ يستنكر المؤتمر بشدّةٍ الأعمال الوحشية التي يرتكبها الأحباش ضدّ الشعب الأريتري المكافح في سبيل حقه المشروع في الحرية والاستقلال من تقتيلٍ، وتحريقٍ، وتشريدٍ، وانتهاكٍ للأعراض والمقدّسات، ويُناشد المؤتمر الضمير العالمي، ومنظمة الأمم المتحدة، والهيئات الإنسانية الدولية التدخّل فوراً لوقف هذه المجازر البشرية البشعة التي تشين وجه الإنسانية في عصر الأمم المتحدة، وحقوق الإنسان.

جـ ـ يُناشد المؤتمر الدول الإسلامية والمحبة للسلام، وخاصةً الإفريقية المستقلة مناصرة الشعب الأريتري في نضاله المشروع، وتبنّي عرض قضيته على منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الإفريقية، أو غيرها من المجالات حتى يتحقّق جلاء القوات الحبشية، وقيام الجمهورية الأريترية المستقلة، ويرى المؤتمر أن استمرار العدوان الحبشي، وسكوت الدول الإفريقية عليه يلحق أعظم الضرر بالحركات التحررية في إفريقية، ويُعطي المستعمر الأجنبي الحجة للبقاء، ويُسوّغ له الاستمرار في عُدوانه، حين يرى العالم أن دولاً إفريقيةً تعتدي على شقيقاتها وجيرانها، وتحرم

أهلها من الحقوق الإنسانية المشروعة، كحق تقرير المصير التي تدّعي الغيرة عليه، وتُطالب به للمستعمرات الإفريقية الأخرى.

د ــ يوصي المؤتمر الدول الإسلامية، والدول الصديقة أن تُخصّص في وسائل الإعلام والتوجيه في بلادها برامج لشرح قضية الشعب الأريتري المناضل، وتبيان انتهاك الحكومة الحبشية لقرارات الأمم المتحدة التي كفلت لهذا الشعب حكماً ذاتياً، وإيضاح الفظائع التي يرتكبها الجيش الحبشي ضدّ هذا الشعب الإفريقي الباسل.

وجاء في قرارات المؤتمر الإسلامي العام في دورته الثانية المنعقد بمقرّ رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بدءاً من ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤ هـ (١٧ نيسان ١٩٦٥ م) ما يأتي:

القضية الأريترية:

١ ــ يُقرّر المؤتمر أن الأمر الصادر في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٦٢ م) من قبل حكومة الحبشة باحتلال أريتريا عسكرياً، وإلحاقها بممتلكاتها يتعارض مع قرارات الاتحاد اللامركزي بينهما والذي وافقت عليه الأمم المتحدة في ٢٢ صفر ١٣٧٠ هـ (٢ كانون الأول ١٩٥٠ م)، وأن الاحتلال العسكري لأريتريا هو اعتداء صارخ على شعبٍ إفريقيٍ مسلمٍ مسالمٍ.

٢ ــ يستنكر المؤتمر بشدّة المظالم التي ترتكبها حكومة الحبشة ضدّ الشعب الأريتري المسلم الذي يُطالب بحريته واستقلاله، ويُناشد الضمير العالمي للتدخّل السريع، ووقف المجازر، وانتهاك حرمة الأماكن الدينية، وحرق المنازل والمزارع، وتشريد الأهالي من بيوتهم، وهو أمر يُنافي الإنسانية، ويُناقض ميثاق الأمم المتحدة، ومبادىء حقوق الإنسان.

٣ ــ يحثّ المؤتمر الدول الإسلامية، والمحبة للسلام، وخاصةً الدول الإفريقية المستقلة بتأييد الشعب الأريتري في نضاله المشروع، وتبنّي قضيته

لدى الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الإفريقية للعمل على جلاء القوات الحبشية، وتمكين الشعب الأريتري من ممارسة حقه في تقرير مصيره، ويلفت المؤتمر النظر إلى أن استمرار الاعتداء، وسكوت الدول الإفريقية عليه يعطي الاستعمار حجةً في الاستمرار ما دامت بعض الدول الإفريقية تستعمر أشقاءها من الشعوب الإفريقية المجاورة، وتنكر عليها حقها في تقرير المصير، بينما تدّعي في الوقت نفسه مطالبتها بحق تقرير المصير للشعوب التي لم تتحرّر بعد في إفريقية.

٤ ـ يوصي المؤتمر جميع الدول الإسلامية والدول الصديقة المناصرة لحرية الشعوب بأن تُجنّد وسائل النشر والإعلام التي لديها جميعها من أجل تنوير شعوبهم، وشعوب العالم، وإفهامهم حقيقة النضال الأريتري.

ورغم هذه المؤتمرات المتعددة، وهذه القرارات الواضحة فإن القضية لم تتحركْ من مكانها، ولم يستمع أحد لها وذلك لأن:

أولاً: الدول غير جادة في تنفيذ هذه القرارات، فلا تستعمل لغة التهديد، ولا تُعلن استعدادها للمواجهة بل على العكس يكون تصرّف فردي دائم لاسترضاء دولة الحبشة، وحكومتها، وخاصةً الامبراطور، ولطالما كانت علاقات الامبراطور حسنةً بالرئيس المصري جمال عبد الناصر صديق أعداء الإسلام، بل هم أصدقاؤه الوحيدون، (مكاريوس، نهرو، تيتو، نكروما، لومومبا، نيريري، هيلا سيلاسي)، وتمنع هذه الدول طباعة كل ما يتعلّق بالقضية الأريترية. وهذا ما يدعو حكومة الحبشة لعدم إلقاء أي اهتمام بهذه المؤتمرات وقرارتها، ولا تُعيرها بالاً، ولا تعدّها أكثر من كلامٍ يلقى في الهواء، ولا يفيد شيئاً.

ثانياً: الأمم المتحدة لا يمكنها أن تقف ضدّ مصالح دولةٍ نصرانيةٍ تُعلن صراحةً نصرانيتها، وخاصةً إن كانت مصالحها تُواجه قضيةٍ إسلاميةً، كما هي الحال هنا، فالبابوية والكنائس تبدي رأيها، ولو خالفته الدول الكبرى لكانت مشكلةً كبيرةً بين شعوب وحكومات تلك الدول، ومن ناحية

ثانيةٍ فهيئة الأمم تسير بتوجيهِ الدول الكبرى التي هي دول نصرانية متعصّبة، ولكن تُؤدّى دورها تحت مظلّة هيئة الأمم، والنظام الدولي و. . . . وحتى الآن لم يدرك المسلمون هذا ـ مع الأسف ـ وإن عرفوه فالمسؤولون عنهم لا يريدون أن يقرّوا بهذا حرصاً على مواقعهم القائمة على دعم الدول الكبرى، ووقف الدعم زوال الموقع والمجيء بحارسٍ جديدٍ يُغطّي هذه المواقف، ويُعلن براءة المتهمين صراحةً، وكأننا لم نسمع كلام الله حيث يقول: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليٍّ ولا نصير﴾[1]. تقرير جازم بعدم رضاهم عنا إلا بولايتهم واتباعهم.

القضية الصومالية:

خرجت الحامية المصرية من هرر في مطلع عام ١٣٠٢ هـ (تشرين الأول ١٨٨٤ م)، وعادت السيطرة إلى الأمراء المحليين، أو بالأحرى حدث فراغ سياسي، واستطاعت الحبشة أن تدخل إمارة هرر بتحريضٍ من بريطانيا التي عملت على إيجاد ذلك الفراغ مقابل أن تشترك الحبشة بالقضاء على دولة المهدي في السودان. وقد عيّن الامبراطور (منليك الثاني) أول حاكمٍ حبشي على إمارة هرر، وهو (ماكوين)، وبدأ يتوسّع بمساعدة الدول الأوربية النصرانية حتى ضمّ منطقة (الأوغادين) إليه، وذلك مكافأةً للامبراطور (منليك الثاني) على موقفه من الحركة المهدية.

عقد إمبراطور الحبشة عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) معاهدةً مع فرنسا في أديس أبابا لرسم الحدود بين جيبوتي (الصومال الفرنسي) وبين منطقة الأوغادين، ثم عقد معاهدةً أخرى مع إيطاليا عام ١٣٢٦ هـ (هـ (١٩٠٨ م) لتخطيط الحدود بين الصومال الإيطالي وبين منطقة الأوغادين، واتفقا أن

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

يكون خط الحدود موازياً لساحل المحيط الهندي، ويبعد عنه مسافة ١٨٠ ميلاً. وكانت الحبشة قد دخلت المنطقة بالتآمر مع بريطانيا دون موافقة الأهالي، وكان يرعى فيها ما يقرب من مائتي ألف من الرعاة الصوماليين، وصاحب هذه العملية حركة تنصيرية واسعة قوبلت من الشعب الصومالي بثورةٍ عارمةٍ حمل راية الجهاد فيها محمد بن عبدالله حسن الذي أُطلق عليه «أسد الصحراء»، وقاوم الاستعمار النصراني، واستمرّت حركته مدة اثنتين وعشرين سنةً، ظهرت فيها بطولات رائعة، وتضحيات لا زالت مضرب الأمثال.

وعندما احتلت إيطاليا الحبشة عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) أعلن موسوليني إعادة إقليم الأوغادين إلى الصومال الإيطالي بعد ضم الحبشة إلى إيطاليا. ولما انتصر الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ودخلت إنكلترا الصومال الإيطالي عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) عن طريق (كسمايو) أقرت بريطانيا هذا التدبير، وعقدت اتفاقاً مع الحبشة نصّ على اعتبار إقليم الأوغادين منفصلاً عن الحبشة، وتتولّى بريطانيا إدارته، ثم جُدّد هذا الاتفاق عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م). وعندما بعثت دول الحلفاء المنتصرة مندوبيها إلى (مقديشيو) عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٦ م) لمعرفة رغبات الشعب الصومالي أجمع الأهالي على أن تتولى الدول الكبرى إدارته تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة عشر سنواتٍ تنتهي بالاستقلال التام، وعمدت بريطانيا إلى مؤامرةٍ شبيهةٍ بما فعلته في فلسطين، إذ سحبت قواتها من الإقليم الموضوع تحت وصايتها، ومهّدت لدخول قوات الحكومة الحبشية إليه بعد اتفاقيةٍ سريةٍ عقدتها مع حكومة الحبشة عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م). وهكذا تمّ فعلاً ضم هذا الإقليم الصومالي إلى الحبشة تحت سمع هيئة الأمم المتحدة التي تسير بتوجيهٍ نصرانيٍ، وتحت بصرها.

لقد قررت الحبشة أن تخضع هذا الإقليم بالحديد والنار حتى يخنع أهله، وينضووا تحت حكمها قهراً وغصباً، وارتكبت في سبيل ذلك أبشع الجرائم، واستخدمت الوسائل الممكنة كلها لمقاومة رغبات الصوماليين في

التحرر من الحكم النصراني، والانضمام إلى الوطن الأم، فأغلقت مكاتب حفظ القرآن الكريم، وعدّت تعليم اللغة العربية جريمةً يُعاقب عليها القانون، وقامت بأعمال الاعتقال والنفي، ورفضت أية مفاوضةٍ على مبدأ تقرير المصير، وفي هذه الظروف الرهيبة قامت حركة مسلحة بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٨٣ هـ (١٤ تموز ١٩٦٣ م) بقيادة الشيخ مختل طاهر، وتشكّلت حكومة موقتة، ومجلس أعلى لقيادة الثورة. وتمكنت هذه الحركة أن تُلحق هزائم كبيرةً بالجيش الحبشي، وأن تحتلّ عدداً من القرى والمناطق المحيطة بمدينة هرر، واستطاعت تعطيل الخط الحديدي الذي يصل بين مدينتي «ديرداوا» و«عواش»، ووقف اليهود والنصارى ممثلين بدولهم وبإشراف الأمم المتحدة إلى جانب الحبشة في محاولتها إفناء هذا الشعب المسلم. وقد اشترك الضباط اليهود في المعارك التي دارت بين القوات المسلمة وبين الجيش الحبشي الذي يخضع لتدريب الضباط اليهود، ويسير حسب الخطط التي يضعونها له، وقد أعارت دولة اليهود في فلسطين ثلاثة آلاف خبيرٍ عسكريٍ يعملون بمختلف القطاعات، هذا بالإضافة إلى المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تتلقّاها الحبشة من دولة اليهود، ومن الدول الاستعمارية النصرانية، والمسلمون ينظرون إلى هيئة الأمم المتحدة لتساعدهم ضدّ أبناء عقيدتها فماذا يتوقّعون؟.

ولم تكتف الحبشة بإقليم الأوغادين بل كانت تطمع بضمّ الصومال كاملاً إليها لتنتقم من المسلمين الذين كانوا في يومٍ من الأيام يُحاربون الأحباش النصارى. وفي الوقت نفسه فهي تخشى من قيام دولةٍ مسلمةٍ على حدودها الشرقية تستطيع دعم الأكثرية المسلمة المستضعفة التي تعيش في الحبشة. وعندما كانت المفاوضات قائمةً بين الصوماليين والإنكليز من أجل الاستقلال، وتوقّفت هذه المفاوضات لأسبابٍ سياسيةٍ تعود إلى اختلاف وجهات النظر، هدّدت الحبشة بالتدخّل بالقوة فيما إذا استقلّت الصومال، وحشدت جيوشها على الحدود الصومالية. وعندما عُقد مؤتمر القمة للدول الإفريقية في أديس ابابا طرحت الصومال المنازعات الإقليمية مع الحبشة

غير أن المؤتمر لم يناقش الأسباب الجوهرية لتلك المنازعات بل اهتم بالشؤون التي تهمّ المؤتمر عامةً.

وقد بحثت قضية منطقة الصومال في المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في مقديشيو ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) والذي أشرنا إليه سابقاً، وقد جاء في البند الخامس عشر من القرارات المتعلقة بالشؤون السياسية ما يأتي: «إن بلاد الصومال وحدة جغرافية متكاملة اقتصادياً وسياسياً، ومواطن لشعبٍ واحدٍ يدين بدينٍ واحدٍ، وله تاريخ واحد، ولغة واحدة، وتقاليد وعادات واحدة، لكن حدود الصومال الحاضرة ليست حدوده الطبيعية الحقيقية، بل هي حدود مصطنعة أقامها الاستعمار في ظلّ حكمه الغاشم عندما شعر بأن بقاءه في إفريقية وشيك الزوال، ولذا ألحق الإنكليز أجزاء من الصومال بالحبشة، وأخرى بكينيا، واحتفظت فرنسا بالجزء الشمالي من الصومال، وهو المسمّى بالصومال الفرنسي [استقل بعدئذٍ باسم جيبوتي] رغم تخليها عن مستعمراتها الإفريقية.

ومع أن الإنكليز أجروا استفتاءً فيما يسمّى بالصومال الكيني [الذي ألحقوه بكينيا] حينما كانت هي نفسها تحت الاستعمار الإنكليزي، وكانت النتيجة هي الإجماع على الالتحاق بالوطن الصومالي الأم، لم يعمل الإنكليز بمقتضى هذا الاستفتاء، وأصرّوا على بقاء هذا الجزء ملحقاً بكينيا كي يبقوا للجمهورية الصومالية مشكلة حدودٍ دائمةٍ مع جيرانها الإفريقية، وهذا أسلوب معروف للاستعمار في وضع المشكلات الدائمة للشعوب المستعمرة، كما فعل الإنكليز في ضمّ جزءٍ من غربي الصومال إلى الحبشة مما يُسمّم علاقات التعايش السلمي بين الدول الإفريقية نفسها. [القضية أبعد من ذلك بكثيرٍ إنها حرب صليبية صريحة لمن يدرك].

ومن ذلك تبيّن أن تمسّك الحبشة وكينيا بالحدود الصومالية المصطنعة التي أقامها الاستعمار موقف عدواني وغير شرعي يحرم الشعب الصومالي من حقوقه الطبيعية في الوحدة الوطنية، ويجعل أجزاء منه تتعرّض للاضطهاد والإبادة في ظلّ حكمٍ أجنبيٍ غاشمٍ.

ومن جهة أخرى ثبت للمؤتمر مما سمعه من بيانات الوفود الإفريقية من مختلف الجهات ومن عدة مصادر موثوقةٍ أن الحبشة وكينيا تقومان بأعمال إبادةٍ جماعية لمسلمي الحبشة، والصومال المحتلّ، وأريتريا تتسم بطابع التعصّب وأبشع صور الاضطهاد الديني مما يعدّ من الجرائم الدولية، ويتنافى مع أوضح وأبسط المبادىء الإنسانية، والأديان السماوية، ومع العقيدة النصرانية، وذلك تنفيذاً للبرنامج التوسعي الاستعماري على حساب الجيران الأفارقة أنفسهم لذلك يقرر المؤتمر ما يلي:

١ ـ يُؤيّد مؤتمر العالم الإسلامي تأييداً كاملاً الحقوق المشروعة للصومال في تحقيق الوحدة الكاملة للأراضي الصومالية، ويُطالب كلاً من فرنسا، والحبشة، وكينيا بإعطاء الصوماليين في المناطق التي تحتلها كل من هذه الدول حق تقرير المصير، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، وميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، وميثاق حقوق الإنسان، ويُناشد المؤتمر الدول الإسلامية، والدول المحبة للسلام، والضمير الإنساني الحرّ مساندة الصومال بكل الوسائل لتحقيق هذه الغاية الإنسانية.

٢ ـ يستنكر المؤتمر بشدةٍ حملات الإبادة الجماعية، والأعمال الوحشية التي ترتكبها القوات الحبشية والكينية ضدّ الآمنين العزّل من المسلمين، من تقتيلٍ وتحريقٍ للآدميين، والمواشي، وإتلافٍ للممتلكات، ويُناشد الهيئات الإنسانية، والدولية كهيئة الأمم، ومنظمة الصليب الأحمر، والهلال الأحمر، وغيرها التحقيق في الأمر، وإسعاف المنكوبين، كما يُحذّر الحكومتين الحبشية والكينية من نتائج الاستمرار هذه الحملات.

٣ ـ مطالبة الحكومات الثلاث (الحبشية، والكينية، والفرنسية) بالإفراج عن المعتقلين حالاً.

٤ ـ يستنكر المؤتمر حكم الضغط والإرهاب الاستعماري وقمع حركات التحرر الوطنية بالقتل والسجن والنفي مما تمارسه فرنسا فيما يسمى «الصومال الفرنسي»، ويُناشد المؤتمر فرنسا أن تحقق سياستها الجديدة التي

أعلنت أنها ترمي إلى تصفية الاستعمار، وإقامة علاقاتٍ حسنةٍ مع الدول الناشئة، وأن تعطي الشعب الصومالي فيما يسمى (الصومال الفرنسي) حق تقرير مصيره بالاستقلال أو الانضمام إلى الوطن الأم».

وجاء في البند السابع عشر من القرارات المتعلقة بالشؤون السياسية ما يلي: «استمع المؤتمر بمزيدٍ من الألم إلى بيانات أعضائه بشأن سوء معاملة السلطات الحبشية للمسلمين الوطنيين فيها، وما يلقونه من اضطهادٍ بالغٍ، وإهمال وحرمان من حقوقهم المدنية، والسياسية، والاجتماعية، كمنعهم من المشاركة في الوظائف العامة، والجيش، أو تأليف الجمعيات الدينية والثقافية وغير ذلك، وإغلاق المدارس الإسلامية القرآنية، والضغط عليهم بوسائل شتّى من قتلٍ، وتعذيبٍ، ومصادرة أموالٍ لإكراههم على ترك دينهم، وتهديد من يبوح من المواطنين بما يلقونه من أذى ومظالم بالقتل طمساً لمعالم هذه الأعمال وآثارها إذا أريد التحقيق فيها، وغير ذلك مما يدهش السامع لوقوعه في هذا العصر في ظلّ الأمم المتحدة، ومقر منظمة الوحدة الإفريقية، ودولة تدين بالنصرانية، وهيئة تأمر تعاليمها بالسلام والمحبة الإنسانية حتى للأعداء.

والمؤتمر يأسف بالغ الأسف أن تتنكّر السلطات الحبشية لصلات الودّ والصداقة التي قامت بين الحبشة والمسلمين منذ نشأة الإسلام الأولى، حيث كانت لهم موئلاً وملجأً ضدّ البغي والاضطهاد الوثني، وأن تعمد هذه السلطات إلى أن تتبنّى بدلاً من المستعمرين سياسة التمييز العنصري الديني في القارة الإفريقية التي عانت الأهوال الجسام من هذا التمييز، وما زالت دولها، ومعها العالم الحر أجمع تتنادى إلى استئصاله والقضاء عليه.

والغريب جداً أن تتمادى السلطات الحبشية في هذه الأعمال المنافية للإنسانية والأديان تجاه المسلمين المواطنين الذين يبلغون أكثر من ٦٠٪ من سكانها، بينما تلقى حكومة الحبشة ورئيسها مزيد التقدير والتعظيم من الدول الإسلامية عامة والعربية خاصةً، ويتمتع النصارى في البلاد الإسلامية

والعربية بالحرية الكاملة والمساواة والتسامح وفقاً لتعاليم الإسلام. لذلك كله يقرر المؤتمر:

١ ـ استنكار هذه الأعمال التي تقوم بها السلطات الحبشية ضد المسلمين المواطنين فيها.

٢ ـ تحذير السلطات الحبشية من الاستمرار في هذه السياسة غير الإنسانية، التي تُؤدّي إلى العداء المستحكم بينها وبين الدول الإسلامية والعربية والدول المحبة للحق والعدالة والحرية في العالم.

٣ ـ تحقيق المساواة بين المسلمين وغيرهم من المواطنين الحبشيين في الحقوق والواجبات.

٤ ـ الطلب من هيئة الأمم المتحدة، عملاً بميثاقها، وبشرعة حقوق الإنسان أن ترسل لجنة تحقيق برئاسة الأمين العام للأمم المتحدة مع ممثلين من الدول الإسلامية، والفاتيكان، والكنيسة الأرثوذكسية في الشرق، ومن ينتدبه هذا المؤتمر من أعضائه.

٥ ـ دعوة الدول الإسلامية والعربية في العالم إلى الاتصال بالسلطات الحاكمة في الحبشة لإقناعها بالعدول عن سياستها العدوانية لمسلمي الحبشة، ومطالبتها بضمان حقوق المسلمين الدينية، والمدنية، والسياسية، والاجتماعية، ومعاملتهم على قدم المساواة مع سائر المواطنين.

٦ ـ تفويض مكتب المؤتمر الدائم بمتابعة هذه القضية على الصعيد الدولي، واتخاذ كل إجراءٍ ممكنٍ في هذا الموضوع.

وكذلك فإن المؤتمر الإسلامي العام قد بحث قضية المسلمين في الحبشة، وجاء في قرارات دورته الثانية المنعقدة بمقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بدءاً من ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤ هـ ـ ٢٢ ذي الحجة الموافق (١٧ نيسان ١٩٦٥ م ـ ٢٤ نيسان من العام نفسه) ما يأتي:

إن المصادر المتعددة شهدت لدى المؤتمر، وأكّدت ما يلقاه

المسلمون في الحبشة من اضطهادٍ بالغٍ وإهمالٍ وحرمان أكثرهم من حقوقهم المدنية، والسياسية والاجتماعية، ومن الوظائف العامة ذات الأهمية من مدنيةٍ وعسكريةٍ، والتمثيل النيابي، والحدّ من حريتهم في تأليف الجمعيات الدينية، والثقافية، والتعليم المدني، والضغط عليهم بوسائل شتّى من الإرهاب لإكراههم على ترك دينهم، أو إبقائهم في حالة الجهل، والضعف، والتخلّف، وتهديد من يبوح من المواطنين بما يلقونه من أذى ومظالم طمساً لمعالم هذه الأعمال وآثارها إذا أُريد التحقيق، وغير ذلك مما يُدهش السامع لوقوعه في هذا العصر، في ظل هيئة الأمم المتحدة، ومقرّ منظمة الوحدة الإفريقية، ودولة تدين بالنصرانية التي تأمر تعاليمها بالسلام والمحبة الإنسانية حتى للأعداء.

والمؤتمر يأسف بالغ الأسف لما بلغه من أن السلطات الأثيوبية تتبنّى سياسة التمييز العنصري الديني في القارة الإفريقية التي عانت الأهوال الجسام من هذا التمييز، وما زالت دولها ومعها العالم الحرّ أجمع تنادي وتدعو إلى استئصال هذا الداء الوبيل والقضاء عليه.

«المؤتمر يستغرب هذه الأعمال المنافية للإنسانية والأديان تجاه المسلمين الذين هم أكثرية سكانها بينما تلقى الحكومة الأثيوبية ورئيسها مزيد التقدير والتعظيم من الدول الإسلامية عامةً والعربية خاصةً لهذا كله يُقرّر المؤتمر:

١ ـ استنكار هذه الأعمال التي تقوم بها السلطات الأثيوبية ضد المسلمين المواطنين فيها خلافاً لما تقتضيه سوابق الصلات التاريخية القديمة الكريمة التي قامت بين المسلمين وحكام الحبشة في الماضي.

٢ ـ تنبيه وتحذير السلطات الأثوبية إلى أن الاستمرار في هذه السياسة غير الإنسانية سيُؤدّي إلى استحكام العداوة بينها وبين الدول الإسلامية والدول المحبة للحق والعدالة والحرية في العالم.

٣ ـ مناشدة الحكومة الأثيوبية تحقيق المساواة بين المسلمين وغيرهم من المواطنين في الحقوق والواجبات.

٤ ـ الطلب إلى جميع الدول الإسلامية والصديقة المحبة للسلام أن تُثير هذه القضية في الأمم المتحدة، وتطلب إليها التدخّل لوضع حدٍّ لهذا الاضطهاد الديني بصورة تضمن لمسلمي أثيوبيا حقوق المواطن الكاملة.

٥ ـ دعوة الحكومات الإسلامية والعربية في العالم إلى إعادة النظر في علاقاتها مع الحكومة الأثيوبية بحسب معاملتها مع دولة اليهود في فلسطين، وبحسب سياستها الاضطهادية للمسلمين فيها.

٦ ـ إبلاغ هذا القرار إلى حكومة أثيوبيا، ومطالبتها باسم المؤتمر بالعدول عن سياستها العدوانية للمسلمين لضمان حقوقهم الدينية، والمدنية، والسياسية، والاجتماعية، ومعاملتهم على قدم المساواة مع سائر المواطنين.

قضية الصومال:

اطلع المؤتمر على التقارير الواردة إليه من مصادر معتمدة من أجزاء الصومال الثلاثة التي تحتلها الحبشة، وكينيا، وفرنسا، وعلم ما تضمّنت هذه التقارير الهامة عن كيفية تقسيمها العدواني بمؤامراتٍ استعماريةٍ، وحرص الاستعمار على تمزيق وحدة الشعب الصومالي المسلم تنفيذاً لأغراضه الاستعمارية والصليبية الحاقدة، وأخذ المؤتمر علماً بالفظائع المنافية لأوليات المبادىء الإنسانية في سبيل تنفيذ هذا المخطط العدواني على الصومال، وإبقاء السيطرة الاستعمارية عليه، فقرر المؤتمر ما يلي:

أولاً: يُؤيّد المؤتمر الإسلامي العام تأييداً كاملاً الحقوق المشروعة للصومال في تحقيق الوحدة الكاملة للأراضي الصومالية، ويُطالب كلاً من: فرنسا، وأثيوبيا، وكينيا بإعطاء الصوماليين في المناطق التي تحتلها كل من هذه الدول حق تقرير المصير، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة

الإفريقية، وحقوق الإنسان. ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية، والدول المحبة للسلام، والضمير الإنساني الحر مساندة الصومال لتحقيق هذه الغاية الإنسانية، والحصول على حقوقه المشروعة.

ثانياً: يستنكر المؤتمر بشدّة حملات الإبادة الجماعية، والأعمال غير الإنسانية التي ترتكبها القوات الأثيوبية والكينية ضد المسلمين الصوماليين العزّل من تقتيلٍ، وتحريق للآدميين، والمواشي، وإتلاف الممتلكات، ويناشد الهيئات الإنسانية الدولية، كهيئة الأمم المتحدة، وهيئة الهلال الأحمر، ومنظمة الصليب الأحمر، وغيرها التحقّق في الأمر، وإسعاف المنكوبين، وهم يحذّرون الحكومتين الحبشية والكينية من نتائج استمرار هذه الحملات.

ثالثاً: يطالب المؤتمر الحكومات الثلاث أثيوبيا، كينيا، فرنسا بالإفراج عن المعتقلين المسلمين من سياسيين ومدنيين حالاً.

رابعاً: يستنكر المؤتمر حكم الضغط والإرهاب الاستعماري لقمع حركات التحرر الوطني بالقتل، والسجن، والنفي مما تمارسه فرنسا فيما يُسمّى بالصومال الفرنسي، كما يناشد المؤتمر فرنسا أن تحقق سياستها الجديدة التي أعلنت أنها ترمي إلى تصفية الاستعمار، وإقامة علاقات حسنة مع الدول الناشئة، وأن تعطي الشعب الصومالي فيما يُسمّى بالصومال الفرنسي حق تقرير المصير.

خامساً: يكلف المؤتمر رابطة العالم الإسلامي بالتحقيق فيما يجري في المناطق الصومالية المحتلّة بالوسائل المستطاعة كلها للوقوف على ما يُعانيه المسلمون هناك، وما يتعرّضون له من إرهابٍ، وحملات إبادةٍ لكي يعلن ذلك على الرأي العام الإسلامي ليكون على بيّنةٍ من الفظائع غير الإنسانية التي ترتكبها الدول الاستعمارية في المناطق الصومالية التي تحتلّها، وليسهم في إنقاذ الشعب الصومالي المسلم من الاضطهاد الذي يُعانيه.

ولكن هذه المؤتمرات لم تُؤدّ أي دورٍ، ولم يكن لها أي أثر لأن:

١" ـ هذه الدول المحتلّة إنما تعتمد على هيئة الأمم التي تسير بتوجيهٍ نصرانيٍ حسب ما تراه الدول الكبرى الاستعمارية النصرانية. لذا لم تبال، ولم تهتم بأية قراراتٍ، أو أي كلامٍ، أو أي استنكارٍ ومناشدةٍ فكله كلام يذهب في الهواء.

٢" ـ هذه الدول المشاركة في المؤتمرات والتي تصدر القرارات، وتستنكر، وتناشد، و. . . تتعاون مع الدول التي تستنكر أعمالها أشدّ تعاون فلو كانت صادقةً لقطعت العلاقات معها، ولاتخذت إجراءاتٍ ضروريةً، وحاسمةً تجبر المعتدي على الوقوف عند حدّه.

٣" ـ هذه الدول المشاركة في المؤتمرات مرتبطة بالدول الكبرى الاستعمارية التي وراء هذه الأعمال، ومشاركة في هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الإفريقية، ولم تقاطعها احتجاجاً. . . . فكيف يسمع كلامها؟.

السلطة المركزية:

منذ خروج الطليان من الحبشة عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) والسلطة تبذل جهوداً كبيرةً من أجل إقامة حكومةٍ مركزيةٍ تبسط سلطانها على الأقاليم كافةً، غير أنها تجد أمامها أمراً يكاد يكون مستحيلاً لأسبابٍ كثيرةٍ منها:

١ ـ إن هذه الجهود هدفها الأساسي فرض سلطان الأسرة المالكة، وهذا ما يجعلها تصطدم بالمقاومة في بقية الأقاليم، وخاصةً في (تجره) و (جوجام) و (أوغادين).

٢ ـ ضعف النظام الاتحادي مع أريتريا، ورغبة الحبشة في الاندماج الكلي، وهذا ما قامت به فعلاً، وأخذت تفرض أشدّ أنواع الضغط على المعارضين، على حين أن أريتريا تهدف إلى الاستقلال، والتخلّص من الظلم، والاستعباد، والاستعمار الحبشي.

٣ ـ سوء الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، وسيطرة الإقطاع، وانتشار الفقر، والجوع، والجهل بشكلٍ مخيفٍ، مما يجعل بعض المتنورين يفكرون في تغيير الوضع القائم.

٤ ـ التحكّم بالمسلمين رغم أنهم الأكثرية، ويشهد الأحباش بذلك رغم أنهم يحاولون الإقلال من شأن المسلمين وأعدادهم. فقد وزّعت الحكومة الحبشية منشوراً بمناسبة المعرض الدولي الذي أُقيم في مدينة (أديس أبابا) عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) ـ للدعاية لنفسها ـ تحت عنوان «الكنائس والمؤسسات الخيرية» جاء فيه: «ولو أن أثيوبيا معروفة كأمةٍ نصرانيةٍ إلا أن تسامحها الديني جدير بالاعتبار، فالمسلمون هنا لا يقلون عدداً عن النصارى، ويتمتعون بحرية العبادة دون تمييز»، والواقع أن المسلمين يومذاك كانوا لا يقلّون عن اثني عشر مليوناً بينما لا يزيد النصارى على ستة ملايين، وما بقي من سكان الحبشة، وهو قرابة المليونين فهم من الوثنيين واليهود.

واعترف كذلك بهذه الحقيقة كل من الكاتب الأمريكي (جون جنتر) في كتابه «داخل إفريقية» والمؤرّخ الإنكليزي (ترمنغهام) في كتابه «الإسلام في الحبشة» إذ يقولان عن المسلمين «وعلى ذلك فهم يُبعدون عن الوظائف، فلم يحدث في تاريخ الحبشة الحديث أن وُظّف وزير مسلم، أو نائب وزير، أو مدير، أو أمين سر، أو حتى بوّاب مسلم في وزارة من وزارات الحبشة الخمس عشرة. وفي الجيش الحبشي كله لا يوجد من المسلمين ما يعادل واحد بالألف، وإن وجدت هذه النسبة الضئيلة فرضاً فلا بدّ أن يكونوا قد ألحقوا لاعتباراتٍ خاصةٍ حيث يُكلّفون بأحقر المهمات. أما في صفوف الضباط فمن المستحيل أن تجد ضابطاً مسلماً واحداً في الجيش الحبشي كله، أو في الشرطة جميعها. وسياسة التنصير قائمة في الحبشة، وتتجلّى في إغلاق المعاهد الدينية جميعها، والمدارس الإسلامية، وسجن العلماء والمدرسين المسلمين، ومنع الكتب الدينية الإسلامية، وكذلك جميع المطبوعات العربية، وإرهاق المسلمين بالضرائب الفادحة، وانتزاع

أراضيهم، ومنعهم من الوظائف، ويقصد من هذا كله إجبار المسلمين للجوء إلى الديانة النصرانية، ثم هناك إجبار الأئمة المسلمين للدعاء للامبراطور على المنابر، وقد سجن الحاج عمر إمام جامع «دير داوا» عندما رفض الدعاء في شهر رمضان عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م). ويعدّ النصارى أنفسهم محور الوطنية الحبشية، وأن المسلمين غرباء، ولا يمكن أن يكونوا ضمن الوطنية الحبشية إلا إذا اعتنقوا النصرانية. وإن المدارس الحكومية تشنّ حرباً صليبيةً على المسلمين، وتكتب عن رسول الإسلام ما يخجل عن ذكره السوقة، لذا فالطلاب المسلمون قد أعرضوا عن هذه المدارس. كما أن الأحباش يُضيّقون على المسلمين، ويسدّون في وجوههم كل السبل التي تُؤدّي بهم إلى الثقافة، وقد فرض هيلا سيلاسي دخول المنصّرين إلى المقاطعات الإسلامية جميعها، وفُتحت مراكز التنصير في كل مدينةٍ وقريةٍ إسلاميةٍ، كما بُنيت الكنائس بشكل لا يتصوره عقل، وعند مدخل كل مدينةٍ إسلاميةٍ يجب بناء كنيسةٍ.

ونتيجةً للظلم الواسع، والاضطهاد الشامل، ولهذه التعسّفات الوحشية كان لا بدّ من وجود بعض ردود الأفعال التي تُؤدّي في النهاية إلى أسوأ العواقب، وأوخم النتائج، والتي يندى لها جبين الإنسانية، ومن هذه النماذج.

مذبحة في مقاطعة القراقي:

بعد عامٍ من عودة هيلا سيلاسي إلى الحكم أي في عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وبعد أن أتمّ استئناف برامجه لتنصير المسلمين جاءت الهيئات التنصيرية السويدية بإيعاز منه إلى منطقة (القراقي) الإسلامية، والتي لا يوجد فيها نصراني واحد، أو يهودي، أو وثني، إذ لا يوجد فيها إلا مسلمون، فهبّ شيخ المقاطعة عبد السلام يطالب عن طريق القانون منع دخول المنصّرين إلى هذه المقاطعة الإسلامية تجنّباً لما قد يحدث من أضرار لأولئك المنصّرين لعدم وجود الوعي الكافي عند السكان، فاتهمته

السلطات الحبشية بأنه يُبيّت العدوان على المنصّرين، وزجّت به في السجن، وعند ذلك احتشد المسلمون في تلك المقاطعة أمام بيت الحاكم الأمهري، وطلبوا منه الإفراج عن الشيخ، فأغلظ لهم في القول، وهدّدهم بإطلاق النار عليهم إذا لم يعودوا إلى منازلهم، ولكنهم رفضوا العودة، وطلبوا منه التفاهم، فدخل إلى قصره بعد أن أمر جنوده بأن يتصرّفوا تصرّفاً حازماً، وأخذ الجنود يضربون المسلمين العزّل بأعقاب البنادق تلاه إطلاق النار، وما هي إلا لحظات حتى تفرّق المجتمعون مخلّفين وراءهم عشرات القتلى والجرحى، وقُضي على الشيخ في السجن بطريقةٍ غامضةٍ، فانتقم الأهالي بإحراق مراكز التنصير، فانتقم منهم الإمبراطور هيلا سيلاسي بمنح أراضيهم الزراعية للمنصّرين، وتشرّد من نجا من الرصاص بعد أن انتزعت أراضيهم التي هي مصدر حياتهم، وأصبحت تلك القرية نصرانيةً بعد أن كانت مسلمةً خالصةً.

تدمير قرية يجو:

في شهر صفر من عام ١٣٦٧ هـ (كانون الأول ١٩٤٧ م) رفض المسلمون في قرية (يجو) أعمال السخرة في مزارع الإقطاعيين الأحباش، كما رفضوا دفع ضريبة الكنيسة المتزايدة، من أجل بناء الكنائس ومراكز التنصير لمحاربة الإسلام، فأُبيدت قرية (يجو) أسوأ إبادة، بعد أن أُحرقت مساجدها، وزُجّ بعلمائها في سجن (ألم بقا) ومعناه نهاية الحياة.

مأساة هرر:

في عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) هبّت هرر تُطالب بحقوقها العادلة، فجهّزت له الحكومة ثلاثة ألويةٍ من الجيش، اقتحمت المدينة، وعملت فيها السلب والنهب، فصودرت المتاجر، والمزارع، والمدارس، واعتقل الآلاف، فامتلأت السجون، وأُقيمت محاكم التطهير، وأُخذت أوقاف المساجد، وأُبعد الزعماء، وتعرّض الناس لأشدّ أنواع العذاب، وكان التعذيب وحشياً لم يقتصر على إطفاء السجاير في الأجساد أو تعرّض الناس

للشمس اللافحة في حالةٍ من الجوع والظمأ الشديدين، وقد وُضعت على مقربةٍ منهم براميل من الماء والطعام، أو هتك الأعراض على مرأى من الأزواج والآباء، أو العبث في ظهورهم بالسياط بل تعدّاه إلى دقّ خصيات الرجل بأعقاب البنادق، وإلى قذفهم بين أسلاكٍ شائكةٍ تمزّق أجسادهم، والجنود يتلذذون بذلك المنظر الوحشي. واستُخدمت وسائل التعذيب كلها في الاستجواب. واستمرّت هذه الأعمال البشعة سبعة أشهرٍ كاملةٍ، قُتل فيها من قُتل، هلك من هلك بسبب الجوع، والبرد، والتعذيب.

ثم هناك المآسي الكثيرة منها سبي النساء، وتنصيرهن، والإعدام بالمئات. وعندما تقوم حركة تُعطي الحكومة العفو والأمان، فإذا وضعت السلاح إذ يُعدم كل من اشترك فيها، وتنزع مزارع المشتركين كافةً، وتسبى النساء عامةً من كل قريةٍ اشترك أحد أبنائها ولو كان واحداً فقط. وإذا كانت القرية مسلمةً خالصةً فينسب إليها اشتراك أحد أبنائها بحركةٍ، أو المناداة بالانضمام إلى الصومال، وعندها تطبّق عليها العقوبات المعروفة.

قد تتعرّض بعض الصحف الأجنبية إلى هذه المآسي ببعض عبارات لها، وقد ترد على لسان الكتاب بعض الفقرات عنها، أما الصحافة الإسلامية فهي غلف القلوب، صمّ الآذان، عمي الأبصار لم تسمع بها، إذ تخشى أن تُتهم بتأييد المسلمين، وتُصنّف مع الصحف الرجعية، أو أن تُصيبها غضبة المستعمرين النصارى وحراسهم في هذه البلدان.

السياسة الخارجية:

كانت الحبشة تطمع في جنوبي السودان، وتعمل على فصله عن الشمال، وتُؤيّدها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وتبثّ الدعاية لذلك بعض الإرساليات التنصيرية، وكانت الأسلحة والإمدادات تصل إلى الانفصاليين في جنوبي السودان عبر الأراضي الحبشية.

وتظنّ الحبشة أن الحركات ضدّها في (الأوغادين) و(أريتريا) إنما هي نتيجة دفع وتغذية المسلمين في الصومال والسودان، لذلك ترى أن لا بدّ

من القيام بحركةٍ تجعل السودان يضطر لترك مساعدة الأريتريين. وكذلك منعت تدريس اللغة العربية في المدارس الأريترية جميعها ابتداءً من ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول ١٩٦٣ م)، كما أمرت إدارة البلديات بإزالة اللافتات المكتوبة بالعربية، واستبدالها بالأمهرية، وأبطلت استخدام العربية في المحاكم الشرعية التي لا يجيد قضاتها لغة أخرى غير العربية، وتهدف الحبشة من كل هذا تنفيذ مخططاتها العدوانية الموضوعة بقصد تمهير الأريتريين ليبتعدوا عن دينهم الإسلامي بجهلهم اللغة، غير أن الشعب الأريتري يقاوم بعنفٍ وإصرارٍ سياسة الأحباش، فقد أضرب المدرسون في مدارس أريتريا كلها، وعددهم (١٣٠٩) مدرساً ومدرسةً، في أواخر عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م)، وتضامن معهم الطلاب جميعاً، وفشل المدرسون الأحباش الذين استقدمتهم الحكومة الحبشية من أديس ابابا بسبب تصدّي الطلاب جميعاً لهم في مدارس أريتريا كلها.

تسير الحبشة في فلك المعسكر الغربي عامةً، وانطلقت في خط السياسة الأمريكية بعد أن كانت مرتبطةً ببريطانيا. وللولايات المتحدة قاعدة عسكرية في مدينة (أسمرة)، وقد ألقى (روبرت ماكنمارا) وزير الدفاع الأمريكي تقريراً خطيراً أمام لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكي جاء فيه: «إن مصالح أمتنا في القارة الإفريقية مركزه الحبشة، وبعض البلدان الإفريقية الأخرى. ومن هنا كانت الصلة وثيقةً بين جمال عبد الناصر وهيلا سيلاسي.

وكانت أمريكا تعمل دائماً لإبراز أهمية الحبشة في القارة الإفريقية كي تستطيع تنفيذ سياستها الاستعمارية من وراء ذلك، وقد سعت كثيراً، وأنفقت أموالاً ضخمةً حتى تكون (أديس أبابا) مركز منظمة الوحدة الإفريقية.

وتتعاون الحبشة مع الكيان اليهودي في فلسطين تعاوناً وثيقاً، بل إنها لتعدّ نفسها دولة اليهود في إفريقية، فقد كانت الأسرة الحاكمة في الحبشة تعدّ نفسها من سلالة بني إسرائيل. وتخرّج ثلاثمائة فدائي من الأحباش في

قاعدة (دقى محاري) التي يديرها خبراء عسكريون من دولة الكيان اليهودي، بعد أن تدرّبوا على حرب العصابات، وتهدف الحبشة إلى الاستعانة بهؤلاء ضد الحركة الأريترية التي عجزت جيوشها النظامية في القضاء عليها. وبلغ عدد الخبراء اليهود في أريتريا سبعين خبيراً، واستقدمت دولة الحبشة عدداً ليس بالقليل من دولة اليهود من خبراء عمليات تركيب الصواريخ التي يصل مداها إلى سبعين كيلومتراً، وتحرق مساحة ثمانية كيلومترات مربعة، وأقام هؤلاء الخبراء مركزاً عاماً لهم في مقر رئاسة الحكومة الأريترية سابقاً في مدينة أسمرة، كما أقاموا معسكراً لهم في مطار مدينة (أغوردات).

التطور السياسي:

قضت الحبشة ما يقرب من ستين عاماً تحت هيمنة الامبراطور هيلا سيلاسي ١٣٣٤ - ١٣٩٤ هـ (١٩١٦ - ١٩٧٤ م)، حيث أصبح وصياً على العرش عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م)، ثم ملكاً عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ثم إمبراطوراً عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) وحكم البلاد طيلة هذه المدة باستثناء زمن الاحتلال الإيطالي ١٣٥٥ - ١٣٦٠ هـ (١٩٣٧ - ١٩٤١ م) إلى أن أُقصي عن الحكم إثر حركة انقلابٍ قامت بها القوات المسلحة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) في أعقاب حدوث مجاعةٍ، وموجةٍ من التضخم، والبطالة، وبعد تنامي المطالب الداعية إلى إجراء إصلاحاتٍ (ديمقراطية).

كان حكم الامبراطور هيلا سيلاسي حكماً استبدادياً فردياً، غير أنه عزّز فكرة توسعة الأرض الحبشية التي كان قد بدأها الامبراطور منليك الثاني ١٢٨٢ - ١٣٣١ هـ (١٨٦٥ - ١٩١٣ م). ثم ضمّ أريتريا المستعمرة الإيطالية السابقة إلى الحبشة ضمن ترتيباتٍ اتحاديةٍ في ذي الحجة ١٣٧١ هـ (أيلول ١٩٥٢ م)، ثم عُدّت إقليماً من الحبشة في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٦٢ م). وقضى هيلا سيلاسي نحبه سجيناً لدى السلطة العسكرية الحاكمة في شعبان ١٣٩٥ هـ (آب ١٩٧٥ م).

كانت حركة شعبان ١٣٩٤ هـ (أيلول ١٩٧٤ م) قد تم التخطيط لها من قبل لجنة تنسيق من القوات المسلحة. كانت تُعرف على المستوى الشعبي باسم (درغيو) أي الظلّ، وقد أمسكت اللجنة العسكرية بزمام السلطة المطلقة، وأقامت حكومةً عسكريةً موقتةً بقيادة اللواء (أمان أندوم).

وفي ذي القعدة ١٣٩٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٤ م) أُبعد أمان أندوم عن السلطة، ثم أُعدم، واستبدلت الحكومة العسكرية الموقتة بمجلسٍ إداريٍ عسكريٍ موقتٍ بقيادة اللواء (تيفري بنتي)، وفي الشهر التالي أُعلنت الحبشة دولةً اشتراكيةً.

وفي ربيع الأول ١٣٩٥ هـ (آذار ١٩٧٥ م) أعلن إلغاء النظام الملكي، وتمّ تنفيذ برنامج وطني باسم «أثيوبيا تكدم» أي (أثيوبيا أولاً)، وأعقبه تأميم شركات التأمين، والمصارف، والمؤسسات المالية، والشركات الصناعية الكبرى، والأراضي الريفية، والمدارس، وأُنشئت جمعيات تعاونية للفلاحين، ومجالس صناعية للعمال.

استمرّت اضطرابات واسعة خلال عامين ١٣٩٥ و١٣٩٦ هـ (١٩٧٥ - ١٩٧٦ م) رغم الإجراءات التي اتخذتها (درغيو) لتخفيف حدة التوتر بإطلاق سراح بعض المعتقلين، وإطلاق الوعود بالعودة إلى الحكم المدني دون تحديد موعدٍ لذلك. ونتج وقوع خلافاتٍ داخل (درغيو)، فأُعيد تنظيمها في ذي الحجة ١٣٩٦ هـ (كانون الأول ١٩٧٦ م). إلا أنه في صفر ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م) قام المقدم (منجستو هيلاي مريام) بإعدام اللواء (تيفري بنتي) ورفاقه المقربين، وحلّ محلّه كرئيسٍ للمجلس الإداري العسكري الموقّت، ورئيس للدولة.

بقيت هناك معارضة للحكومة من جانب مجموعاتٍ سياسيةٍ ومسلحة شيوعيةٍ وغير شيوعية، وذهب ضحية ذلك الآلاف من معارضي الحكم، وألقي الكثيرون في السجن خلال عامي ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٧ - ١٩٧٨ م) في برنامج تصفيةٍ أو إصلاحٍ على حدّ تعبيرهم.

وحتى شهر رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) كانت (درغيو) تتلقى المساعدة من الحركة الاشتراكية لكل أثيوبيا الماركسية، غير أنها فيما بعد شكلت حزبها الخاص بها (أبقوت سيدد) أي اللهب الثوري، والذي حاول الحصول على تأييد المدنيين واستقطاب بعض الزعماء إليه. غير أن التجمّعات السياسية جميعها قد استبعدت في مطلع عام ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م) عندما شُكّلت لجنة لتنظيم حزب الشعب العامل لأثيوبيا.

عقدت اللجنة المركزية لحزب الشعب العامل والتي كان يُهيمن عليها العسكريون أول مؤتمرٍ لها في شعبان ١٤٠٠ هـ (حزيران ١٩٨٠ م)، وعقد المؤتمر الثالث للحزب في ذي الحجة ١٤٠٤ هـ (أيلول ١٩٨٤ م) حينما تمّ رسمياً تشكيل حزب عمال أثيوبيا الذي حلّ محلّ لجنة تنظيم حزب الشعب العامل ليوافق الذكرى العاشرة للثورة على الإمبراطور هيلا سيلاسي.

انتخب المقدم (منجستو مريام) بالإجماع الأمين العام للحزب، والذي شكل على نهج الحزب الشيوعي السوفيتي، وانتخب المؤتمر أيضاً مكتباً سياسياً للحزب يضمّ أحد عشر عضواً، ولجنةً مركزيةً تتألف من مائةٍ وستة وثلاثين عضواً.

وفي شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) بدأ الإعداد لنقل السلطة بصورةٍ نهائيةٍ من المجلس الإداري العسكري الموقّت إلى حكومةٍ مدنيةٍ، أعلنت مسودة الدستور، وبعد مناقشاتٍ طويلةٍ تمّ إعدادها بصيغتها النهائية، وجرى في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) استفتاء شعبي عليها، وحصلت على تأييد ٨١٪ من مجموع الأصوات، وبذا تمّ إقرارها رسمياً.

أُجريت انتخابات هيئة تشريعية تتألف من ثمانمائة وخمسة وعشرين عضواً في شهر شوال من عام ١٤٠٧ هـ (حزيران ١٩٨٧ م)، وقد شارك في هذه الانتخابات ٨٥٪ من الناخبين الأحباش المسجلين (١٥,٧٠٠,٠٠٠) ناخب. وسُمّي مجلس النواب (شنغو)، وعُدّ المقدم (منجستو مريام) وأعضاء المكتب السياسي لحزب عمال أثيوبيا جميعاً نواباً في المجلس دون

خوض المعركة الانتخابية. وفي جلسة افتتاح مجلس النواب الـوطني في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) تمّ إلغاء المجلس الإداري العسكري الموقت، وأعلنت الجمهورية الديمقراطية الشعبية الأثيوبية، وانتخب مجلس النواب بالإجمـاع (منجستو مـريام) رئيسـاً للجمهوريـة، وانتخب (فيسيحا ديستا) الذي كان حتى ذلك التاريخ نائب الأمين العام للمجلس الإداري العسكري الموقت نائباً للرئيس، وانتخب مجلس دولة يضمّ أربعةً وعشرين عضواً، ويكون هؤلاء أعضاء دائمين في مجلس النواب (شيغو).

وانطلقت الحركات التحررية في وجه حكومة الحبشة في:

الأوغـاديــن:

أحرز الصوماليون عام ١٣٩٧ هـ انتصاراتٍ رئيسيةً، وكانت تدعمهم قوات جبهة تحرير الصومال، ولكنهم أُجبروا على التقهقر في نهـاية عـام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)، وسيطرت قوات الدفاع الأثيوبية على إقليم الأوغادين كاملاً، وأُعلن أنه جزء لا يتجزأ من الحبشة، وإن كانت قد استمرّت بعض الاشتباكات العسكرية.

أريتـريــا:

نشـأت جبهة تحـرير أريتـريا في مصـر عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)، وبدأت أعمالها عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) إثر إعلان الحبشة ضمّ أريتريـا رسمياً إليها، ودمجها معها.

كانت حكومة الحبشة قد أعلنت في شعبان ١٣٨١ هـ (كانون الثاني ١٩٦٢ م) عملية النجم الأحمر بغيـة إيجاد تـطورٍ سياسيٍ، واجتمـاعيٍ، واقتصادي في أريتريا على نهج ما يجري في بقية أجزاء البلاد، غير أن الحملة العسكرية التي شُنّت لتنفيذ هذه المشروعات قد فشلت في نهايـة شهر ذي القعدة ١٣٨١ هـ (أيار ١٩٦٢ م).

وانقسمت جبهة تحرير أريتريا إلى عدة فصائل، واستغلّت الحكومة

هذا الانقسام فقامت بشنّ هجوم واسعٍ في شهر رمضان ١٤٠٣ هـ (أواخر حزيران ١٩٨٣ م) على جبهة تحرير شعب أريتريا، خارج معقلها الحصين في (نكفا)، وكذلك قامت بهجومٍ مماثلٍ ضدّ جبهة تحرير تجره في إقليم تجره الغربي.

وقامت جبهة تحرير شعب أريتريا بهجومٍ كردّ فعلٍ في ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م)، وعانت قوات الحكومة من الخسائر الفادحة التي لحقتها إثر معارك شرسةٍ، وتمكّنت الجبهة من دخول مدينة (تيسيني) قرب الحدود السودانية، وهي عقدة مواصلاتٍ مهمة. وألحقت قوات الجبهة الهزيمة بجيش الحكومة على ثلاث جبهاتٍ في المرتفعات الأريترية.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) اتفقت ثلاث فصائل أريترية على تشكيل المجلس الوطني الموحد، بجهود أحد الضباط الشاميين الذين يعملون على الساحة الأريترية، وهو عبد الحق شحادة، وبدعم بعض الدول العربية. غير أن جبهة تحرير شعب أريتريا قد رفضت التعاون مع هذه المجموعة، ومن الانضمام معها في جبهةٍ واحدةٍ، وقد تبيّن فيما بعد أن جبهة تحرير شعب أريتريا قد أجرت منذ عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) محادثاتٍ سريةً على فتراتٍ مع حكومة الحبشة بهدف الاتفاق على حكمٍ ذاتيٍ للإقليم، ولكن لم تُثمر تلك المحادثات.

شنّت الحكومة هجوماً واسع النطاق في جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م) في إقليم تجره، وأريتريا، وبعد خمسة أشهرٍ كانت قد أحرزت انتصاراتٍ مهمةً منها استعادة مدينتي (بارنتو) و(وتسيني)، ولكن القوات الحكومية اضطرت للتخلّي عن الساحل الشمالي الشرقي في شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م)، وواصلت جبهة تحرير شعب أريتريا مهاجمة المنشآت الحيوية.

وأُشيع في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) أن محادثاتٍ سرية

أجريت مؤخراً بين حكومة الحبشة وبين جبهة تحرير شعب أريتريا. وفي هذه الأثناء لم يثبت المجلس الوطني الأريتري الموحد جدارةً في قوته وعملياته بل عانى تراجعاً واضحاً. وبقيت الفصائل الأريترية منقسمةً على نفسها.

وفي مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أعلن المجلس النيابي الوطني الحبشي المنتخب حديثاً أن خمس مناطق بما فيها (أريتريا) و(تجره) ستصبح مناطق تتمتع بالحكم الذاتي بموجب الدستور الجديد، والذي أعطى إقليم أريتريا أعلى درجة من الحكومة الذاتية غير أن كلًا من جبهة تحرير شعب أريتريا، وجبهة تحرير شعب تجره قد رفضت هذه التنظيمات الجديدة. وحتى منتصف عام ١٤١٠ هـ كانت لا تزال تلك التنظيمات غير مطبقة على الرغم من أن انتخابات المجالس النيابية الإقليمية لإحدى عشرة منطقةً إداريةً، ومناطق الحكم الذاتي في (ديرداوا) و(عصب) و(الأوغادين) قد أُجريت في شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م).

أعلنت جبهة تحرير شعب أريتريا في ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م) بداية هجومٍ يهدف إلى طرد قوات حكومة الحبشة من أريتريا، وبعد ثلاثة أشهرٍ استولت الجبهة على مدينة (أفابيت)، وادّعت أنها قتلت ثلث القوات الحكومية في أريتريا كلها. وانتهزت جبهة تحرير (تجره) الاستيلاء على (أفابيت) وتحرّك قوات الحكومة من (تجره) إلى أريتريا فاستولت على ثكنات القوات الحبشية الواقعة في شمالي إقليم تجره. وفي الشهر التالي أعادت كَل من جبهة تحرير شعب أريتريا وجبهة تحرير شعب تجره الاتصال بعضهما مع بعض لتنسيق العمليات العسكرية فيما بينهما على حين بقيتا متباعدتين من الناحية العقيدية. ولقد كان طرد مسؤولي الإغاثة الأجنبية من أريتريا وتجره، ثم إعلان حالة الطوارىء هناك بمثابة تأكيدٍ على مدى النجاح العسكري الذي أحرزته قوات الثوار. وفي ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (حزيران ١٩٨٨ م) استعادت القوات الحكومية السيطرة على بعض حاميات المدن التي سبق لها أن تخلّت عنها، ولكن تكبّدت

خسائر فادحة في تلك العمليات، غير أن الحكومة في منتصف عام ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) وبعد سلسلةٍ من الهزائم التي مُنيت بها تخلّت فعلاً عن إقليم (تجره) كله لصالح جبهة تحرير تجره.

وباءت محاولات قوات الحكومة بالفشل للقيام بشنّ هجوم مضادٍ في أريتريا وتجره بسبب الخسائر الفادحة التي تكبّدتها، وضعف الروح المعنوية لدى عساكرها.

وتحرّكت قوات الحكومة في شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) نحو أديس أبابا لإجهاض انقلابٍ عسكريٍ أعدّ له عدد كبير من كبار ضباط الجيش بمن فيهم رئيس الأركان العامة، وقائد القوات الجوية، وقائد الجيش في أريتريا، وتمكّنت من إحباط عملية الانقلاب، وجرى بعدها إعادة تشكيل القيادة العسكرية من الأساس، وهذا ما أبقى مزيداً من الشكوك على كفاءة الجيش وقدرته على القيام بحملةٍ فعّالةٍ في الشمال، بينما واصلت قوات الجبهتين حملاتهما العسكرية بقية العام. ثم دخلت كل منهما في حوارٍ مع الحكومة لتمهيد الطريق أمام الحلول السياسية. وقد بدأ الحوار في منتصف عام ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) أي في الوقت الذي كان يدور فيه الصراع على أشدّه في سبيل الضغط على الحكومة. وقد أقرّ المجلس النيابي الحبشي اقتراحاً تقدّم به أحد قادة جبهة تحرير شعب أريتريا، ويقضي بتقسيم أريتريا إلى منطقتي حكمٍ ذاتيٍ، إحداهما في المنطقة المنخفضة ذات الأغلبية المسلمة، والثانية في المنطقة المرتفعة ذات الأكثرية النصرانية، إلا أن هذا الاقتراح قد شجب من جبهة تحرير شعب أريتريا.

وفي ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) وفي جلسةٍ طارئةٍ لمجلس النواب الحبشي وافق المجلس بالإجماع على اقتراح لبدء مفاوضات سلامٍ مع الحركات التحررية، ومن المفروض أن تعقد هذه المفاوضات دون شروطٍ مسبقةٍ بحضور مراقبين دوليين، غير أن الاقتراح لم

يأتِ على ذكر جبهة تحرير شعب تجره (التي تسعى لإقامة حكومةٍ على أسسٍ ديمقراطيةٍ حقيقيةٍ، ولا تدعو للانفصال عن الحبشة).

وأعلن (منسجتو ماريام) فيما بعد إلى أن الحكومة غير مستعدةٍ للتفاوض على استقلال أريتريا، لذلك وجّهت جبهة تحرير شعب أريتريا انتقادات حادةً إلى مبادرة الحكومة، غير أنه في نهاية الشهر وافقت كل من جبهتي «تحرير شعب أريتريا» و«تحرير شعب تجره» على المفاوضة مع الحكومة بحضور مراقبين دوليين.

بدأت المفاوضات بين الحكومة الحبشية وبين جبهة تحرير شعب أريتريا في مدينة «أتلانتا» في الولايات المتحدة الأمريكية تحت إشراف الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر في مطلع شهر صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م)، وفي نهاية اللقاء قرر الوفدان عقد مزيدٍ من المفاوضات في مدينة «نيروبي» عاصمة كينيا في شهر ربيع الثاني (تشرين الثاني) من العام نفسه.

وفي منتصف صفر ١٤١٠ هـ (١٥ أيلول ١٩٨٩ م) تحالفت جبهة تحرير شعب تجره مع الحركة الديمقراطية الشعبية الأثيوبية فيما عُرف بالحركة الديمقراطية الثورية الشعبية الأثيوبية، واحتلت المدينة الوحيدة التي بقيت بأيدي قوات الحكومة في إقليم تجره، وهي مدينة (ميشيو)، هذا بالإضافة إلى الجزء الشمالي الغربي كله من إقليم (ويلو) المجاور. وفي الناحية الجنوبية هدّد تقدّم قوات جبهة تحرير شعب تجره في شهر ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) مدينة (ديسي) التي تسيطر عليها قوات الحكومة، والتي تبعد ٣٧٠ كيلومتراً عن مدينة أديس أبابا من جهة الشمال. وفي أواخر ربيع الأول ١٤١٠ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٨٩ م) استولت على مدينة (ميكان سيلام) على بعد مائتي كيلومتر من العاصمة.

واجتمع ممثلون عن جبهة تحرير شعب تجره في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) مع وفد الحكومة الحبشية في روما

بحضور مراقبين إيطاليين لإجراء محادثاتٍ تمهيديةٍ لوضع جدول أعمال لمفاوضات السلام، وعلى خلاف المحادثات التي جرت مع جبهة تحرير شعب أريتريا، فقد تزامنت المفاوضات بين الحكومة وجبهة تحرير شعب تجره مع زيادة العمليات العسكرية للجبهة، وانتهت المحادثات بتشكيل لجنةٍ من كل جانبٍ لاستئناف المحادثات في ١٧ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٥ كانون الأول ١٩٨٩ م). ومع أن المحادثات قد استؤنفت في الوقت المحدد إلا أنها لم تسفر على اتفاقٍ.

وعقدت جلسة أخرى للمفاوضات بين الحكومة وبين جبهة تحرير شعب تجره في شهر ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) تحت رعاية الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر، وقد انتهت الإجراءات الأولية في الجلسة الأولى، واتفق على استئناف المفاوضات في الأمور الجوهرية في جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) تحت رئاسةٍ مشتركةٍ للرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر، ورئيس تانزانيا السابق جوليوس نيريري.

المجاعة:

أدّى القتال المتواصل في الشمال خلال عامي (١٩٨٤ - ١٩٨٥ م) إلى تفاقم المشكلات في الأقاليم الأثيوبية التي تأثّرت بشكلٍ عنيفٍ فيما سبق بالمجاعة. وفي عام (١٩٨٤ م) منع القطر من السماء للعام الثالث على التوالي. وقدّرت هيئة الإغاثة وإعادة التأهيل في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م) بأن سبعة ملايين إنسان يمكن أن يُواجهوا خطر المجاعة، وتلقّت الحبشة المساعدات الغذائية من عدة دولٍ غربيةٍ، غير أن توزيع المساعدات واجه مشكلةً كبرى هي أن الموانىء ليست مجهزةً بالشكل الذي يسمح بمجيء عدة سفنٍ فكان الازدحام فيها عائقاً للحركة، لذا تمّ نقل بعض هذه المساعدات عن طريق الجو إلى المناطق الأكثر تأثّراً، على حين أرسلت بعض هيئات الأغذية المساعدات إلى أريتريا عن طريق

السودان. وأدّى هطول بعض الغيث إلى تخفيف حدة الجفاف في الأقاليم الشمالية إلا أن الحبشة بقيت تعتمد على المساعدات الخارجية.

أصاب الأقاليم الشمالية قحط شديد فذهبت المحصولات جميعها في أريتريا، وتجره، وويلو، وشمالي شوا، وذلك في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) فطلبت الحبشة حوالي مليون طن من المساعدات الغذائية تبرعاً من الدول الغربية لما يقرب من خمسة ملايين إنسان يُواجهون خطر المجاعة. وقد واجهت حملة الإغاثة التي قام بها المجتمع الدولي مصاعب جمّةً بسبب عدم ملاءمة البنية الحبشية لذلك، وعدم كفاءتها، مما أدّى إلى تفاقم المشكلات المتعلقة بتوزيع الطعام في المناطق التي يصعب الوصول إليها في الشمال. وكانت الادعاءات أن جبهة تحرير شعب أريتريا كانت تهاجم قوافل الأمم المتحدة التي كانت تحمل مساعداتٍ غذائية حيوية للمناطق التي ضربها الجفاف، على حين أن الجبهة كانت تدعي أن هذه القوافل كانت تنقل مساعدات عسكريةً لصالح القوات الحكومية. ورفضت الأمم المتحدة فتح حوارٍ مع حركات الثوار. وفي شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) أمرت الحكومة الحبشية بطرد موظفي الإغاثة جميعهم من أريتريا وتجره بحجة أنها تستعد لشنّ هجوم مضادٍ ضدّ الثائرين غير أن هذا الزعم كان مرفوضاً حيث كانت الحكومة راغبةً أن يتعرّض الناس في أريتريا خاصةً إلى مجاعةٍ واسعةٍ عسى أن يستسلموا لقوات الحكومة أو تحرز عليهم انتصاراً بيّناً. وادّعت الحكومة أنها ستقوم بنفسها بمسؤولية توزيع الأغذية غير أن الجميع يعلم أنها غير مُؤهّلةٍ للقيام بهذه المهمة، ولكنها تهدف إلى إحداث المجاعة وليست إلى التخفيف منها. وقام الثوار بتوزيع الأغذية، وظهر أنهم كانوا على إمكانيةٍ للوصول إلى أعدادٍ كبيرةٍ من الناس الجياع حيث كانت لهم القدرة على الحركة والانتقال، وتدفعهم الحماسة للاتصال بالسكان.

ومُنحت هيئة الهلال الأحمر، ومنظمة الصليب الأحمر أذناً للقيام بعملية إغاثةٍ كبيرةٍ لمواجهة المجاعة في المناطق الإدارية الشمالية، إذ دعت

الحاجة إلى حملة إغاثةٍ رئيسيةٍ أخرى وقعت بعد المجاعة السابقة بوقتٍ قريبٍ.

وكانت انتقادات شديدة لإصرار حكومة الحبشة على انتهاج سياسة المزارع الجماعية، والقرى الجماعية في جمادى الأولى من عام ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) حيث ظهر التواكل وبدا الكسل في الوقت الذي تدعو فيه الحاجة إلى وجود الحوافز الفردية.

وفي ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) وتبعاً لموجة قحطٍ شديدةٍ، وتلف المحصولات جميعها في أريتريا وتجره قدرت الأمم المتحدة أن ما يقرب من أربعة ملايين إنسان في تلك المناطق سيحتاجون إلى مساعداتٍ غذائيةٍ بعد شهرين، كما حدث في سنوات المجاعة السابقة. وكان من الواضح أن الناس الأكثر تضرراً والأمس حاجةً إلى الطعام كانوا في مناطق بعيدةٍ عن المراكز الرئيسية لتوزيع الأغذية، وأنه يتعذّر الوصول إليهم إلا عن طريق الجو، أو في عمليات إغاثة عبر الحدود السودانية، على حين ادّعت منظمات الإغاثة المحلية مثل هيئة الإغاثة الأريترية، وجمعية إغاثة تجره أنه باستطاعتها تذليل مشكلات الإمداد والتموين في عمليات توزيع الأغذية، ولكن مشاركة هذه المنظمات في عمليات الإغاثة كان مثار جدلٍ سياسي بسبب ارتباطها بالحركات المقاتلة، وهي جبهة تحرير شعب أريتريا، وجبهة تحرير شعب تجره.

السياسة الخارجية:

بعد الانقلاب الذي قام به المقدم منجستو ماريام في صفر ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م) حلّ الاتحاد السوفيتي حسب الظاهر محل الولايات المتحدة كمصدرٍ رئيسيٍ للسلاح في الحبشة، وفي العام التالي وُقّعت معاهدة صداقة بين الحبشة والاتحاد السوفيتي، إلا أن هذه العلاقة قد فترت بعد خروج السوفييت من أفغانستان، وأنغولا، وبعد ميل السوفييت إلى دعم الحلول السياسية لا العسكرية في صراعات الحبشة الإقليمية.

تحسّنت العلاقات مع الولايات المتحدة قليلاً في ربيع الأول ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) عندما وافقت الحكومة على دفع تعويضات في دعاوى يعود تاريخها إلى قبل عشر سنوات لشركات أمريكية بسبب التأميم. وفي رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) سعت الحبشة لتطوير علاقاتها السياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية عندما تلقت استجابةً أوليةً حذرةً. وفي صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) هيئت الولايات المتحدة الأمريكية مكاناً لعقد مفاوضاتٍ مباشرة بين الحكومة الحبشة وجبهة تحرير شعب أريتريا، وذلك بعد الجهود التي بذلها الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر.

حسّنت الحبشة روابطها السياسية مع جيرانها كينيا وجيبوتي اللتين حاولتا إجراء مصالحةٍ بين الصومال والحبشة، والتقى الرئيس الصومالي محمد زياد بري بالرئيس الحبشي منجستو مريام بوساطة الرئيس الجيبوتي في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م)، وذلك للمرة الأولى منذ تسع سنواتٍ. وجرت مباحثات بين وزيري الخارجية الصومالي والحبشي في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م) نوقشت فيها قضية إقليم (الأوغادين)، إلا أن العلاقات بين الدولتين لم تلبث أن تدهورت بسبب اشتباكٍ عسكريٍ على الحدود في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) تكبّد فيه الطرفان خسائر فادحة. وعقد اجتماع آخر في جيبوتي في شهر شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) بين الرئيسين الصومالي والحبشي، وتم الاتفاق بينهما على إعادة العلاقات السياسية بين دولتيهما، وعلى سحب القوات من الحدود المشتركة بينهما، وعلى تبادل أسرى الحرب، وكانت الحبشة تصرّ على تسوية الحدود بينهما قبل مناقشة القضايا الأخرى، إلا أنها كانت بحاجةٍ إلى تحسين علاقاتها مع الصومال نظراً لحاجتها السريعة إلى سحب ما تنشره من قوات في الإقليم الأوغادين من قوات يتراوح عددها بين خمسين ألف إلى سبعين ألف جندي لدعم وجودها العسكري في المناطق الإدارية الشمالية في تجره، وأريتريا. وفي ٩ رمضان

١٤٠٨ هـ (٢٥ نيسان ١٩٨٨ م) جرى أول انسحاب للقوات من الحدود المشتركة، وتبعه في مطلع عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م) تبادل أسرى الحرب الذين كانوا رهن الاحتجاز منذ حرب الأوغادين عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

وعادت العلاقات السياسية بشكلٍ كاملٍ بين السودان والحبشة بعد الانقلاب العسكري الذي وقع في السودان وأطاح بحكم الرئيس جعفر النميري في ١٦ رجب ١٤٠٥ هـ (٦ نيسان ١٩٨٥ م).

وقام الرئيس الحبشي منجستو ماريام في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م) بزيارة مصر لمدة أربعة أيامٍ لإجراء محادثاتٍ مع الرئيس المصري محمد حسني مبارك.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م) التقى الرئيس الحبشي منجستو ماريام في أوغندا برئيس الوزراء السوداني صادق المهدي، ومنذ ذلك اللقاء أخذت السودان تشجع فصائل الثورة الأريترية على إجراء محادثاتٍ مع الحكومة الحبشية، في الوقت الذي دعمت في الحبشة الحركة الانفصالية في جنوبي السودان، أو ما يعرف باسم جيش تحرير شعب السودان برئاسة (جون قرنق)، وأسهمت في دعم اجتماعاتٍ عقدت بين رجال هذه الحركة الانفصالية وبين ساسة سودانيين، وبعد ذلك توتّرت العلاقات بين الحبشة والسودان بسبب تدفّقِ اللاجئين السودانيين إلى الحبشة بعد ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ هرباً من المجاعة والحرب الأهلية في جنوبي السودان، حيث قُدّر عدد أولئك اللاجئين في رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) بأكثر من ثلاثمائة ألف لاجىء. كما زعمت حكومة الحبشة بأن عدد اللاجئين إليها من الصومال في ذلك التاريخ ما يقرب من أربعمائة ألف لاجىءٍ صوماليٍ فرّوا إليها من شمالي الصومال نتيجة الحرب، وإن كلا المجموعتين كانتا بحاجةٍ إلى كمياتٍ كبيرةٍ من المساعدة الغذائية.

استطاعت جبهة تحرير شعب تجره أن تُسيطر على إقليم تجره في منتصف عـام ١٤١٠ هـ (أواخر عـام ١٩٨٩ م)، وسيطرت في ٤ شعبـان ١٤١٠ هـ (أول آذار ١٩٩٠ م) على إقليمي (بيجمدر) و (غوجام)، وانتقلت بعدها نحو إقليم (شوا) الذي تقع فيه العاصمة (أديس أبابا)، وهو قاعدة (الأمهـرة) الـذين يُسيـطرون على حكم الحبشـة، ويتسلّطون عليــه أيـام (هيلا سيلاسي) و (منغستو ماريام) وفي الوقت نفسه تمكّنت الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا من السيطرة على ميناء (مصـوع) في ٢٠ رجب ١٤١٠ هـ (١٥ شباط ١٩٩٠ م)، وكأن هناك تنسيقاً بين الجبهتين للعمل بشكلٍ متوازٍ إذ كان انتصار إحدى الجبهتين يُجبر الحكومة أن تحرّك قواتها نحو الساحة التي اندحرت فيها فتستغلّ الجبهة الثانيـة الوقت وتقـوم بالهجـوم بضراوةٍ وتحرز النصر.

وجرت محادثات في صنعاء بين الحكومة الحبشيـة وقد مثّلهـا وزير الخارجية (تسفاي دينكا) وبعض فصائل الثورة الأريترية وحضر ممثلون عن: جبهة التحرير الأريترية، التنظيم الموحّد، اللجنة الثورية، المجلس الثوري وذلك في ٩ رمضان ١٤١٠ هـ (٤ نيســان ١٩٩٠ م)، ولم يُؤدّ ذلك إلى نتيجةٍ حاسمةٍ.

وكانت الفاتيكان قد بذلت جهداً لدى حكومة الحبشة والجبهة الشعبية لتحرير أريتريا لعدم انفصام الوحدة النصرانية، ولكن تعنّت الرئيس الحبشي (منغستو ماريام) قد ذرّ كل تفاهمٍ. وتبعه لقاء بين وزير خارجية الحبشية (تسفاي دينكا) وبين (أساياس أفورقي) رئيس الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا في ١٥ ربيع الثاني ١٤١١ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٩٠ م) بإشراف (هيرمان كوهين) مساعد وزير الخارجية الأمريكية.

وكـذلك التقى في (واشنـطن) في ٧شعبـان ١٤١١ هـ (٢١ شبـاط ١٩٩١ م) الوفد الحكومي الحبشي برئاسة (أشـاغري يغليتـو) نائب رئيس الوزراء ووفد الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا برئاسة أمينها العـام (أسايـاس

أفورقي)، وشارك في هذه المفاوضات (هيرمان كوهين) مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون الإفريقية للبحث في إمكانية الوصول إلى المخرج السياسي الأمثل لإنهاء النزاع الأريتري - الحبشي دون الإخلال بمصلحة طرفٍ لفائدة طرفٍ آخر، وقدّم كل جانبٍ ورقته الخاصة.

الرأي الأمريكي:

عبّر عنه هيرمان كوهين، ويتألف من خمس نقاطٍ:

١" ـ وقف إطلاق النار تحت إشرافٍ دولي.

٢" ـ اعتماد الحبشة دستوراً اتحادياً.

٣" ـ تتمتع أريتريا بحكومةٍ ذاتيةٍ في إطار الدولة الاتحادية.

٤" ـ اتفاق الأطراف المعنية على الصلاحيات التي يتمتع بها المجلس النيابي الاتحادي.

٥" ـ تنظيم استفتاءٍ بشأن استمرار الحبشة وأريتريا في إطار نظامٍ اتحاديٍ، أو قيام دولةٍ أريتريةٍ مستقلةٍ، وذلك بعد مرور سنواتٍ على قيام الدولة الاتحادية.

رأي الأحباش:

١" ـ تتبنّى الحبشة النظام الاتحادي.

٢" ـ يتمتع إقليم أريتريا بحكمٍ ذاتيٍ، ويعدّ عضواً في الدولة الاتحادية.

٣" ـ يكون للدولة الاتحادية مجلس نيابي يمثّل السلطة العليا في البلاد.

٤" ـ يكون لأريتريا مجلس نيابي خاص لمعالجة شؤونه الداخلية مثل: سنّ القوانين المدنية، ووضع السياسة التعليمية، وتنظيم إدارة الشرطة لحفظ الأمن الإقليمي، وتحديد موازنة الإقليم، والضرائب.

٥" ـ اعتماد اللغة الأمهرية لغة عملٍ في الدولة الاتحادية، على أن يكون للشعب الأريتري حق في استخدام اللغة أو اللغات التي يختارها في ضوء قرار المجلس النيابي الإقليمي في هذا الشأن.

الـرأي الأريتـري:

١" ـ يجب على الأمم المتحدة الشروع في إعداد استفتاءٍ حرٍ يُقرّر الشعب الأريتري بموجبه مستقبله بغية حلّ المسألة الأريترية.

٢" ـ تتولّى الأمم المتحدة مهمـة إرسال قـوات حفظ الأمن والسلام في أريتريا، وتنشأ إدارة انتقالية لتسيير شؤون البلاد إلى أن يختار الشعب الأريتري مستقبله السياسي.

٣" ـ إنهاء الاستعمار الحبشي مُمثّلًا بالجيش، والمؤسسـات العسكريـة، والأجهزة الأمنية، والقمعيـة مباشـرةً قبل وصـول قوات حفظ الأمن والسلام الدولية وقبل إجراء الاستفتاء.

٤" ـ بعد انتهاء المفاوضات التمهيدية (وتعدّها الجبهة الشعبية منتهيةً) تبدأ المفاوضات المقبلة تحت مظلّة الأمم المتحدة.

الساحة السياسية الحبشية:

التقت خمسة تنظيماتٍ سياسيةٍ حبشيةٍ معارضةٍ، وشكّلت جبهةً واحداً هي «الجبهـة الديمقـراطية الثـورية لتحـرير شعـوب أثيوبيـا»، وأهم هـذه التنظيمات:

١ ـ جبهة تحرير شعب تجره.
٢ ـ المنظمة الديمقراطية الشعبية الأرومية.
٣ ـ الحركة الديمقراطية الشعبية الأثيوبية.
٤ ـ حركة الضباط الديمقراطية الأثيوبية.

وتمّ الاتفاق على:

١" ـ العمل على إسقاط النظام القائم برئاسة (منسغتو ماريام).

٢" ـ إقامة حكومةٍ موقّتةٍ لمدة سنتين، وتُشارك فيها المنظمات الخمس، وفي نهايتها تجري انتخابات عامة لتشكيل مجلسٍ تأسيسيٍ يُحدّد النظام الجديد، وينصّ على التعددية الحزبية.

٣'' ـ إجراء استفتاءٍ في أريتريا حول تقرير المصير.

وجرت مفاوضات في لندن بين الحكومة الحبشية وبين الثوار في الدولة، ومثّل الحكومة رئيسها (تسفاي دينكا). ومثّل الجبهة الديمقراطية الثورية لتحرير شعوب أثيوبيا (ملس زيناوي) رئيس الجبهة، ورئيس جبهة تحرير شعب تجره.

ومثّل الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا أمينها العام (أساياس أفورقي).

ومثّل المنظمة الديمقراطية الشعبية الأرومية رئيسها (يوهانس لاتا).

وحضر الوسيط الأمريكي (هيرمان كوهين) مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون الإفريقية. وأثناء المفاوضات كان القتال على الساحة الحبشية على أشدّه. فمدينة (أسمره) محاصرة منذ ثلاثة شهور، وجبهة تحرير شعب تجره تتقدّم بسرعةٍ نحو العاصمة أديس أبابا، والفوضى تعمّ البلاد، والجيش لم يعد لأحدٍ سلطان عليه.

وفي ٩ ذي القعدة ١٤١١ هـ (٢٢ أيار ١٩٩١ م) قدّم (منغستو ماريام) استقالته، ورحل إلى نيروبي عاصمة كينيا، ومنها انتقل إلى زيمبابوي حيث مُنح حق اللجوء السياسي، وخلّف مكانه زميله في السلاح (تسفاي قبره كدان)، ودخلت قوات جبهة تحرير شعب تجره العاصمة (أديس أبابا)، ودخلت قوات الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا (أسمره) في ١١ ذي القعدة ١٤١١ هـ (٢٤ أيار ١٩٩١ م)، وانتهت المفاوضات في لندن، ورجع المفاوضون إلى بلدانهم.

تسلّم ملس زيناوي رئاسة الدولة بصورةٍ موقّتةٍ، وتسلّم رئاسة الوزارة (ثمرات لايني) وقد ضمّت الوزارة أعضاء من المنظمات التي تتألّف منها الجبهة الديمقراطية الثورية لتحرير شعوب أثيوبيا. وفي الوقت نفسه فقد شكّل الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير أريتريا (أساياس أفورقي) حكومةً موقّتةً في أريتريا.

طرد الحكم الجديد من أديس أبابا جماعة (جورج قرنق) الجيش الشعبي المتمرّد على الحكم السوداني. وانهار حزب عمال أثيوبيا الذي أنشأه (منسغتو ماريام) عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، وزال تماماً في ١٦ ذي القعدة ١٤١١ هـ (٢٩ أيار ١٩٩١ م).

وفي أريتريا أخذت جبهة التحرير الأريترية ـ التنظيم الموحد تُعارض الحكومة الموقتة، وتعلن أن النضال كان مشتركاً، وليس لمن يسبق بالدخول على العاصمة الحق بالاستئثار بالسلطة.

وفي أديس أبابا انسحبت المنظمة الديمقراطية الشعبية الأرومية من الحكومة، وأعلنت نقمتها على استئثار جبهة تحرير شعب تجره بالسلطة إذ تسلّمت رئاسة الدولة، ووزارة الدفاع، ووزارة الخارجية. وتُطالب هذه المنظمة (المنظمة الديمقراطية الشعبية الأرومية) بالاستقلال الذاتي لشعب أرومو الذي يسود المناطق الواقعة جنوب أقاليم (ويلو) و(غوجام) أي الحبشة كلها باستثناء (أريتريا) و(تجره) و(بيجمدر) و(غوجام) وشمالي (شوا). ويَعدّ إقليم (سيدامو) معقل هذه المنظمة التي يرأسها (يوهانس لاتا) ونائبه (لينتشوليتا)، وإن أكثر سكان منطقة أرومو من المسلمين على اختلاف شعوبها.

ولكن «الاتحاد الوطني الأثيوبي» وهو التنظيم السياسي الوحيد في البلاد الذي يضمّ عناصر من معظم شعوب الحبشة دعا الحكومة الانتقالية في الحبشة لإجراء استفتاءٍ شعبيٍ على الميثاق الوطني الذي وُقّع عليه، وهدّد بالدعوة لإضراب عامٍ إذا لم تستجب الحكومة لهذا المطلب.

ثم دعا الاتحاد الوطني إلى مظاهراتٍ اشترك فيها أكثر من عشرة آلاف إنسان في العاصمة أديس أبابا طالبوا خلالها بوحدة الحبشة، ورفض انفصال أريتريا.

يهود الحبشة:

وصل إلى السودان عام ١٩٨٤ م مجموعة من يهود الفلاشا يقدر

عددها بثلاثة عشر ألف يهودي، وسافر هؤلاء من السودان سرّاً بطريق الجو إلى فلسطين المحتلّة.

كانت العلاقات السياسية قد قطعت بين الحبشة ودولة اليهود في فلسطين عام ١٩٧٣ م، ولكن عادت فاستؤنفت من جديد عام ١٩٨٩ م. ورفعت حكومة الحبشة الحظر عن سفر الفلاشا، وسمحت لهم بمغادرة البلاد. كما أن دولة اليهود أخذت بتزويد الحبشة بالأسلحة، ووفّرت لها التدريب ضد حرب العصابات.

وفي شهر ذي القعدة ١٤١١ هـ (أيار ١٩٩١ م) قامت حكومة اليهود بترحيل أربعة عشر ألف يهودي من أديس أبابا.

قام رئيس وزراء الحبشة ثمرات لايني بزيارة لدولة اليهود في شهر ذي القعدة عام ١٤١٣ هـ (أيار ١٩٩٣ م)، وقد تمّ أثناء هذه الزيارة توقيع معاهدة تعاون بين الدولتين لمدة خمس سنوات.

مع أريتريا:

تمكنت الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا برئاسة أساياس أفورقي من التحكم بشؤون أريتريا، وعدّت نفسها مستقلة في أيار ١٩٩١ م، ووقعت مع الحبشة معاهدة تعاون أثناء زيارة الرئيس الأريتري لأديس أبابا في شهر المحرم ١٤١٤ هـ (تموز ١٩٩٣ م) وتضمنت المعاهدة بنوداً للانتفاع المشترك بالموارد، والتعاون في قطاعات الطاقة، والمواصلات، والدفاع والتعليم.

وأبرمت اتفاقية أخرى في العام التالي بشأن حرية نقل البضائع بين البلدين دون فرض رسوم جمركية عليها.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة الحبشة مع أريتريا ١,٢٥١,٢٧١ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) تسعةً وأربعين مليوناً وسبعمائة ألف إنسان.

يبلغ طول حدودها مع السودان ٢,٢٢١ كيلومتراً، ومع جيبوتي ٤٥٩ كيلومتراً، ومع الصومال ١,٦٠٠ كيلومتر، ومع كينيا ٨٦١ كيلومتراً. أما طول الساحل الأريتري، ولا ساحل سواه فهو ١,٠٩٤ كيلومتراً. وتُقدّر الكثافة العامة بـ (٤١) شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد، وهي كثافة معتدلة أو مرتفعة نسبياً في مثل هذه العروض، ويعود ذلك إلى اعتدال المُناخ بسبب الارتفاع، وغزارة الأمطار للسبب نفسه. وتعدّ مصدراً رئيسياً لنهر النيل.

الصراع الإقليمي:

يوجد صراع إقليمي واضح في الحبشة، وإن كان أكثره يحمل المعنى العقيدي أكثر منه المعنى الإقليمي، فجبهة تحرير أريتريا، لم تنطلق بالثورة على أساسٍ إقليميٍ بل على أساسٍ عقيدي، والصراع في هذه المنطقة بين المسلمين والنصارى قديم، وإصرار الحكم في أديس أبابا على محاربة المسلمين والعمل على إبادتهم هو الذي حرّكهم سواء في أيام الحكم الإمبراطوري السابق، أم في العهد الجمهوري اللاحق.

والحركة في الأوغادين (الصومال الغربي) لم تقم على أساسٍ إقليميٍ، ولا على أساسٍ عنصريٍ بل على أساسٍ عقيديٍ واضحٍ.

أما جبهة تحرير شعب تجره فلم تنطلق بحركتها على أساسٍ إقليمي بل على أساس الحرية فسيطرة الأمهريين وتسلّطهم على الحكم هو الذي دفع شعب تجره إلى الحركة ضدّ السلطة.

الصـراع العنصـري:

يوجد في الحبشة عدة مجموعات بشرية، وهي:

١ ـ **الأمهرة**: وهم من سلالة السكان الأصليين الذين خضعوا للثقافة السامية، وعلى الرغم من قلّة عددهم فقد سيطروا على البلاد، واعتنقوا النصرانية منذ القرن الثالث قبل الهجرة، وجعلوها ديانة البلاد الرسمية. وأصبحت لغتهم لغة الحكومة الرسمية، وتقطن هذه المجموعة في مقاطعة شوا، وجوجام، وبيجمدر، أي في المرتفعات حول بحيرة تانا.

٢ ـ **تجره**: وتسكن هذه الجماعة أيضاً في المرتفعات الشمالية، وتمتدّ إلى أريتريا حيث امتداد المرتفعات، وعلى الرغم من جوار الشعبين بعضهما من بعض فإن خلافاً دائماً بينهما، ويعتنق أكثر أبناء هذه المجموعة النصرانية.

٣ ـ **جالا**: ويُمثّل هذا الشعب نصف السكان في الحبشة، ويقطنون المرتفعات الجنوبية، كان أبناؤه رعاةً، وتحرّكوا نحو الشمال تحت ضغط القبائل الصومالية، فاستقرّوا في مناطقهم هذه، وامتهنوا الزراعة بعد أن تركوا الرعي، واعتنق أكثرهم الإسلام، ودان الذين سكنوا المرتفعات الوسطى بالنصرانية، وبقي قسم منهم على الوثنية، وإن كان هذا القسم قليل العدد، ويسكنون في مقاطعات عروسي، وشوا، وبالي، وسيدامو.

٤ ـ **الجوارغ**: ويُقيم هذا الشعب في الجنوب الغربي من العاصمة، ويعمل بالرعي، ويدين أكثر أبنائه بالإسلام.

٥ ـ **البوران**: ويقطن هذا الشعب في مقاطعة سيدامو في الجنوب على حدود كينيا، واعتنق أكثره الإسلام، وبقي قسم منه على الوثنية،

وأخضع هذا الشعب لسلطانه الإمبراطور منليك الثاني، وضاقت ديارهم بعد غزو قبائل الجالا لجزءٍ من بلادهم.

٦ ــ **الزنوج**: في الجنوب الغربي من الحبشة.

ويمكن أن نضيف الدناقل والصوماليين في الجزء الشرقي، وتعدّ أرضهم محتلّة من قبل الأحباش، وهم جميعاً من المسلمين.

ولا يوجد صراع عنصري بين هذه المجموعات البشرية سوى ما كان في الماضي من صراعات قبلية حول الديار، كانتقال الجالا نحو الشمال. غير أنه الآن يوجد صراع بين الأمهرة والتجره، وهو صراع حول طريقة الحكم قبل أن يكون عنصرياً. ثم هناك صراع الصوماليين والدناقل مع الأحباش، وهو صراع عقيدي لا عنصري فالحبشة تحتلّ أراضي هاتين المجموعتين بالقوة.

وأما في **أريتريا** فتوجد عدة مجموعات بشرية وهي:

١ ــ **تجره**: وهم فرع من الأحباش الذين يقيمون في إقليم تجره، ويقطنون في الهضبة، وأكثرهم من النصارى، وأقلّهم من المسلمين، وعصبيتهم للنصرانية كبيرة، حتى يعدّون غير النصراني منهم منبوذاً.

٢ ــ قبائل تماثل البجاة في الشمال، ويسكنون شمال وغربي المرتفعات، وفي وادي بركة، ويتكلمون لغة تجره، ومنهم بنو عامر، وأكثرهم من المسلمين، وقليل منهم لا يزال على النصرانية.

٣ ــ **الدناقل**: ويعيشون في السهل الساحلي الجنوبي، والصحراء التي حوله، ويتكلمون لغةً حاميةً هي لغة (عفر) وجميعهم من المسلمين.

٤ ــ **ساهو**: ويعيشون في السهل الساحلي الأوسط بين البجاة والدناقل، وجميعهم من المسلمين.

٥ ــ **بلان**: ويقيمون في إقليم (بوجس) الذي مركزه مدينة (كيرين)، ويدين أكثرهم بالإسلام، وأقلهم بالنصرانية.

٦ ـ **باريا**: وتعيش هذه المجموعة في منخفضات نهر (القاش)، وأغلبيتها من المسلمين، وفيها قليل من النصارى، كما أنه لا تزال تسود في بعض فروعها الوثنية، ولا يزيد عدد أفرادها على عشرات الآلاف.

٧ ـ **كوناما**: وتقيم في منخفضات نهر (ستيت)، وأغلبيتها أيضاً من المسلمين، وفيها قلة من النصارى، وبعض الوثنيين.

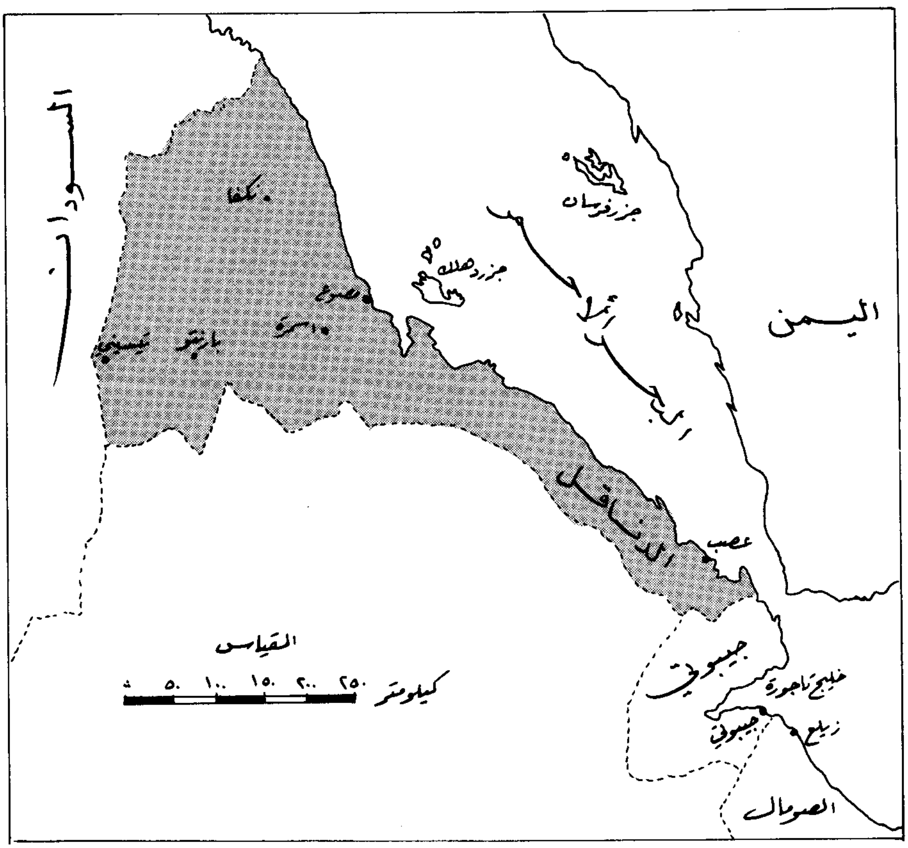
ولا يوجد صراع عنصري بين هذه المجموعات، وإنما يوجد نزاع ديني، وهو بين تجره حيث تكثر فيها النصرانية وبين غيرها حيث يغلب الإسلام، وقد اقترح أحد قادة المطالبين باستقلال أريتريا بجعلها قسمين أولاهما الهضبة حيث يكثر النصارى، وثانيهما المناطق المنخفضة حيث يغلب المسلمون. ويلاحظ أن المناطق السهلية والساحلية حيث يسهل الاختلاط والاحتكاك قد انتشر الإسلام منذ الجولة الأولى مع الأديان التي كانت سائدةً في المنطقة لأنه دين الفطرة، بينما المناطق المرتفعة لم ينتشر فيها الإسلام لصعوبة الاتصال نتيجة الوعورة فبقيت فيها النصرانية.

واللغة الرسمية هي الأمهرية وهي فرع من اللغة الحبشية القديمة التي تُسمّى لغة (جيز) التي نشأت من اللغة الحامية والسامية، ونمت هذه اللغة وازدهرت أيام مملكة أكسوم، فلما ضعفت المملكة ضعفت اللغة معها، وبقيت لغة الدراسات الأدبية والكنيسة فقط، ومن هذه اللغة نشأت اللغة الأمهرية لغة الملوك والبلاط.

وهناك اللغة (التجرينية) التي تنتشر في أريتريا، وتجره. وإضافةً إلى ذلك توجد لهجات محلية في (شوا) و(جوجام). وتوجد كذلك لغات محلية عند الزنوج.

أما اللغة (الهررية) فقد تأثّرت بالعربية إلى حدٍّ بعيدٍ، وتكتب أحياناً بالحرف العربي. كما توجد لغة (عفر) بين الدناقل. وكانت اللغة العربية تنتشر في المناطق الشرقية بين المسلمين وخاصةً في هرر، والأوغادين، وأريتريا، ولكنها أخذت تضعف تدريجياً بسبب الحروب التي تشنّها

الحكومة الحبشية والكنيسة على التعليم العربية حتى أصبح هذا التدريس جريمةً يُعاقب عليها المرء.



مصور رقم [٣]

الصـراع العقيـدي:

تُقدّر نسبة المسلمين في الحبشة بـ ٦٦٪، ولا تزيد نسبة النصـارى على ٣٠٪، وأما الباقي وهو ٤٪ فهم لا يزالون على الوثنية، غير أن حكم الأقليّة ومحاولة إعطاء المشروعية لحكمها، والتعصب الشديد للنصرانيـة، والأثر الكبير للكنيسة هو الذي يحمل الفئة الحاكمة لتقديم إحصاءات غير صحيحةٍ، وإن استمرارية حكم هذه الأقلية منذ مدةٍ طويلةٍ، واستمرار إعطاء إحصاءات مغلوطة قد جعل الناس يقبلون فكرة نصرانية الأكثرية، وتُسهم الأمم المتحدة في المغالطات إذ تتبنّى هذه الإحصاءات، وتُقدّمها للمجتمع الدولي ضمن المعلومات التي تُقدّمها على أنها معلومات موثقة وصحيحة، وهي مغلوطة مكذوبة. وليست الأمم المتحدة بريئة من هذا التزوير، ولا بعيدة عنه، بل مشاركة فيه، إذ هي على علم بـه، ومثله كثير في بلدانٍ إفريقيةٍ غير الحبشة، وفي غير إفريقية.

إن كل ما في هذه المنطقـة من صراعـاتٍ سواء أكـانت إقليميةً أم عنصريةً أم أسريةً إنما تحمل المعنى العقيـدي، ونستطيـع أن نقول: إن الصراع بين الإسلام والنصرانية في هذه المنطقة منذ أن وصل المسلمون المهاجرون الأوائل إلى المنطقة، ونصرهم وأيّـدهم النجاشي «أصحمـة»، وأسلم، وخالفه البطارقة وأرادوا تسليم المهاجرين إلى وفد قريش. ولمـا اتجه المجاهدون المسلمون نحو الشمال، وأخذوا في منازلة الروم، وحلّوا محلّهم في الشام، وشمالي إفريقية، وأجزاء من تركيا، وجزراً في البحر المتوسط، وتألّق نجم المسلمين، ثم حـدثت أحداث في ديـار الإسلام، ووقعت خلافات، وظهر أن نجم المسلمين قد أفل قليلاً أحب النصارى في الحبشـة الحـركـة للنيـل من المسلمين، وللتخفيف عن الـروم، غيـر أن المسلمين كانوا على حذرٍ، فردّوا على الاعتداء بقوةٍ، واتخذوا لهم قواعد استقرارٍ، ومنها انتشرت الدعوة، فشملت مناطق واسعةً، ونشأت إمـارات بذلت جهدها في رفع راية الجهاد، ونشر الإسلام، فقامت بواجبٍ، ونسيت

واجب الوحدة فاستطاعت النصرانية أن تخترق الصفوف، وأن توقف المدّ الإسلامي، وشحنت أبناءها بحقدٍ عظيمٍ، وعصبيةٍ كبيرةٍ، واستعملت أبشع أنواع الظلم ضدّ من أسلم، وأقسى أصناف الاضطهاد، واتخذت الوحشية وسيلةً لها لتحول دون اعتناق أتباعها الإسلام، ومدّت يدها إلى المستعمرين الصليبيين عندما طلعوا على المنطقة، ثم اتخذتهم سنداً لها، ومستشارين لمصالحها، وقاسموها أجزاء من بلاد المسلمين حيث قدّموا لها الصومال الغربي، وساعدوها على ضمّ أريتريا صليبيةً وأخوةً في العقيدة. واقتنعت حكومة الحبشة أنها لو لم تفعل ذلك لغزاها المسلمون، ولاعتنق أبناؤها جميعاً الإسلام، فما اتخذته حسب قناعتها لم يكن سوى حمايةٍ لعقيدتها.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن هذا التعصّب الأعمى، وهذه التصرّفات الوحشية، وهذا التمييز الواضح من قبل الحكومة هو الذي جعل المسلمين في أريتريا، وحملهم في الأوغادين على القيام بحركاتٍ للاستقلال عن الحبشة، والبعد عنها، وهم يعلمون أن هذا الانفصال سيجعلهم يتخلّون عن الدعوة، وستكون عداوةً بينهم وبين جيرانهم، ولكن قد أجبرتهم حكومة الحبشة النصرانية على الدعوة إلى الاستقلال جبراً، وحملتهم عليه كرهاً، بتعصّبها ضدّ المسلمين، وحقدها عليهم، ومعاملتهم معاملةً لا يقبلها امرؤ حرّ.

إن المسلمين في المناطق الشرقية يعلمون أنهم أمة واحدة دون الأحباش النصارى، وأنهم يرتبطون مع بقية مسلمي العالم ليصوغوا أمة الإسلام، وأن هناك مفاصلةً شعوريةً بينهم وبين المجتمع الذي يعيشون ضمنه مكرهين، ومع هذا فإنهم لم يطلبوا الاستقلال لو كانت تصرفات حكومة الحبشة سليمةً لأن عليهم واجب الدعوة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وإن حكومة الحبشة النصرانية على يقينٍ تامٍ أنها لو سلكت سبيل الحرية، واتبعت طريق المساواة لأسلم الأحباش، وانتشرت العربية، وفقدت

الكنيسة سيطرتها، وأضاعت نفوذها بل ربما بطارقتها، وهو المتوقّع، ولكن أنّى لها أن تسلك هذا المنهج، وهي تعرف النتيجـة، وكيف للكنيسة أن تسكت؟ وكيف يمكنها أن تتخلّى عن هيمنتها، وهي المستفيدة؟

ومن هناك نلاحظ الصراعات الإقليمية والعنصرية تحمل كلها المعنى العقيدة اللهم إلا ما كان من (تجره) فإن حركتها كانت للمطالبة بالحرية، والتخلّي عن الاستبداد، وعدم استئثار الأمهرة بالسلطة.

وإن الأسر الأمهرية التي تنازعت على السلطة قد اتخذت الجـانب العقيدي وسيلةً لفرض سلطانها. فالأسرة السليمانية التي كانت هي الحاكمة تتمسّك بالأساطير ليبقى الحكم بيدها، ومن هذه الأساطير أن بلقيس ملكة سبأ في اليمن هي عندهم أميرة حبشية، وأن نبي الله سليمان عليه السلام حينما شرع في إقامة المعبد في أرض القدس أوفد إلى أركان الدنيا الأربعة رسلاً يأتونه بما يلزم لبناء صرحه، وسمع بهذا الخبر تاجـر حبشي يُدعى (تاماران) من تجار قصر الأميـرة بلقيس، فسافـر هذا التـاجر إلى نبي الله الملك سليمان حاملاً إليه أحجاراً زرقاء، وخشباً من الأبنوس الصلب، ولما وصل إلى أرض الملك سليمان راعة عظمة الملك وأبهته، وبهرته حكمة الملك، فرفع خبر ذلك إلى الأميرة بلقيس، فقررت زيارة الملك سليمان، فاستقبلت استقبالاً رائعاً، واستمعت إلى أقوال الملك، وقررت ترك عبادة الشمس والقمر، واعتنقت اليهودية، وبقيت هناك ستـة أشهرٍ كـاملةٍ، وأن الملك سليمان راودته نفسه في بلقيس من أجل أن يأتيهما غلام يكون له عرش الحبشة ليس غير، فتنتشر هناك اليهودية، ويقضى على الوثنية، وعبادة الشمس والقمر.

وتروي الأسطورة حكاية مراودة سليمان لبلقيس بأنه قبل سفرها قد أمر بإعداد وليمةٍ فاخرةٍ لها، وفيها الأطعمة التي تحـوي على التوابـل، وبعد انتهاء الوليمة دعاها إلى قصره، فتردّدت في أول الأمر، ثم وافقت على ألا يحاول معها أمراً تأباه، وألا تمسّ هي شيئاً في قصره دون إذنه. ولما انتهت

السهرة، وحان وقت النوم أُعد في القصر فراشان للملك وضيفه. فأخذ كل فراشه، وتظاهر سليمان بالنوم العميق، وشعرت بلقيس بالظمأ الشديد نتيجة أكل التوابل، فقامت إلى الماء، فنهض الملك سليمان، وقال لها بأنك قد خالفت العهد، ومسست ما في القصر دون إذني، وإني أصبحت في حلٍّ من عهدي، ونال منها مأربه. وعندما عادت بلقيس إلى الحبشة ولدت ولداً اسمه (منليك)، وقد صدر قانون يقضي بأن يظلّ عرش الحبشة وقفاً على سلالة (منليك) من الذكور دون الإناث.

وتجعل هذه الأسرة هذه الأسطورة الخرافية صكاً لبقائها في السلطة متخذةً الجانب الديني ذريعةً لها رغم أنها تعبث بالدين إذ تجعل من أحد أنبياء الله زانياً، وصاحب حيلٍ وخديعةٍ. ومن المعلوم أن هذه الخرافة تخالف ما ورد في كتاب الله «القرآن الكريم»، فبلقيس ملكة سبأ، وليست أميرةً حبشيةً.

وبقيت هذه الأسرة تحكم حتى عام ٥٣٠ هـ حيث قامت أسرة أخرى هي أسرة (زاجوي)، وانتحلت هذه الأسرة لنفسها نسباً آخر، فادعت أن أصلها يرجع إلى نبي الله موسى، عليه السلام، وذلك حتى تستطيع أن تُضاهي الأسرة السابقة، فزعمت أنها أعرق في أسلافها منها، مستندةً في ذلك إلى ما يُسمّونه كتاب التوراة، وما هو بالتوراة، إن هو إن كتاب لعبت فيه الأيدي، والأهواء، وقد ورد في هذا الكتاب بأن نبي الله موسى، عليه السلام، قد اتخذ لنفسه حليلةً حبشيةً.

ثم استعادت الأسرة السليمانية السلطة عام ٦٦٨ هـ، وبقيت حتى عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م)، حيث وقع انقلاب قبض على الإمبراطور هيلا سيلاسي، وأودعه السجن، وقضى على حكم الأسرة. فالمهم أن الأسر كانت تُحاول أن تثبّت حكمها بدعاوي عقيدية.

والكنيسة الحبشية تتبع الأرثوذكسية، وهي واحدة من الكنائس الشرقية الخمس، وتعرف باسم (تيواحيدو)، وتأسّست عام ٣٢٨ هـ، والهيئة العليا

فيها هي المجمع الكنسي، والمجلس الوطني برئاسة البطريرك. وللكنيسة أثر كبير بين نصارى الأحباش، وتشرف على ١١٣٩ مدرسةً، و١٢ مركزاً للإغاثة.

وبجانب الكنيسة الرئيسية توجد الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية. والكنيسة الأرمنية للقديس جورج، وتأسست ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م). والكنيسة التنصيرية الأثيوبية، وكلها في العاصمة أديس أبابا.

ويوجد في الحبشة أيضاً عدد قليل من اليهود. كما توجد بعض المؤسسات التابعة للديانة الهندوكية، وأخرى للسيخ.

الصراع الحزبي:

لم تكن هناك حرية حتى تكون أحزاب وتحدث منافسة فيما بينها، وذلك منذ قيام الأسرة السليمانية باستلام السلطة، حيث كانت أيامها أيام استبدادٍ وظلمٍ. ونتيجة ذلك نشأت جبهة تحرير الصومال، وتدعو إلى الانفصال عن الحبشة والانضمام إلى الصومال الوطن الأم، وترى أن الاختلاف بين الصومال والحبشة يقوم على أساس العقيدة.

أما في أريتريا فقد ظهرت الأحزاب حيث رغبت المجموعات ذات الأهداف الواحدة من تنظيم نفسها كي يكون عملها منظماً، وتستطيع العمل لتبيان وجهة نظرها، وإبراز رأيها الذي تدعو له، وحتى يمكنها منافسة غيرها من التنظيمات ومقارعة الحجة بمثلها. فظهر الحزب الاتحادي الذي يدعو إلى الانضمام إلى الحبشة، ويعتمد على تأييد النصارى له. وبرزت الرابطة الإسلامية التي تدعو إلى استقلال أريتريا، وتعتمد على دعم المسلمين لها، وتعلن أن دعوتها إنما هي نتيجة ما يلاقيه المسلمون من عنت حكامهم النصارى، وما ينالهم من ظلمٍ إلا بسبب العقيدة التي يؤمنون بها.

وهناك الحزب التقدمي الحرّ الذي يدعو إلى الاستقلال لما يلحق المسلمين من أذى، ولكن لا يشترط الالتزام بالإسلام، وإنما يكفي

الانتماء. فالظلم للمسلمين جميعاً سواء أكانوا ملتزمين أم ينتمون انتماءً فقط.

وظهرت الرابطة الأريترية ـ الإيطالية، وحزب الشعب الموالي لإيطاليا وأتباعهما قلّة، وهم من المستفيدين من الطليان، والتنظيم يقوم أساساً على هذه الفائدة، ويدعوان إلى استقلال أريتريا.

وهناك الحزب الوطني الذي يرى قيام إدارةٍ بريطانيةٍ، وهو يرى قوة النفوذ البريطاني، ويريد الإفادة منه، وأعوانه قلّة من المنتفعين من بريطانيا والمرتبطين بها.

واتخذ الحزب الاتحادي أسلوب العنف، وطريقة الاغتيال، وكانت الحبشة من ورائه تدعمه، وتمده بالسلاح، والمال، ووسائل الاغتيال. واغتيل رئيس الرابطة الإسلامية عبد القادر محمد صالح كبيري عندما كان يتأهّب للسفر إلى نيويورك ضمن وفد حزبه. وتشكلت الكتلة الاستقلالية من التنظيمات التي تدعو إلى استقلال أريتريا كلها.

وقد أُلغيت هذه الأحزاب كلها عندما صدر قرار ضم أريتريا إلى الحبشة عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) أو بالأحرى بعد احتلال الحبشة لأريتريا، ولم يبق منها سوى الحزب الاتحادي لأنه مُؤيّد من حكومة الحبشة المحتلّة عسكرياً لأريتريا.

ولما طرد رئيس المجلس النيابي الأريتري إدريس محمد آدم انتقل إلى مصر، وشكّل هناك جبهة تحرير أريتريا. وتدعو إلى انفصال أريتريا عن الحبشة، واستقلالها عنها، ما دامت تختلف عنها عقيدياً، والعقيدة أساس كل شيءٍ، وما دامت الحبشة تتخذ العقيدة أساساً للتمييز، والاختلاف في المعاملة، وتلحق بالمسلمين الأذى والظلم، وتحرمهم من حقوقهم المشروعة كلها. وترى جبهة أريتريا اتخاذ السلاح وسيلةً لتحقيق أهدافها، وكرد فعلٍ على عمل الحبشة التي قامت باحتلال أريتريا عسكرياً أي متخذةً القوة والسلاح.

ولكن بعد مدةٍ انقسمت جبهة تحرير أريتريا إلى عدة فصائل مقاتلةٍ، ويختلف بعضها عن بعضٍ بالعقيدة، فهناك فصائل تقوم على أساسٍ إسلاميٍ، وبعضها على أساسٍ وطنيٍ، وبعضها على أساسٍ اشتراكيٍ. وأكبرها كان جبهة تحرير شعب أريتريا، وتعتمد الفكر الاشتراكي أساساً لحركتها، وتعدّ أكبر التنظيمات.

وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) نشأ المجلس الوطني الموحّد للفصائل الإسلامية والوطنية، وكانت هناك منافسة بين هذا المجلس وبين جبهة تحرير شعب أريتريا. وبرزت جبهة تحرير شعب أريتريا على الساحة بشكلٍ قويٍ بينما كان المجلس الوطني يتراجع، وذلك لأن حكومة الحبشة وجبهة تحرير شعب أريتريا تقومان على الاشتراكية، وإن كانتا تختلفان على الوضع في أريتريا.

وأما في الحبشة فقد وجدت جبهة تحرير شعب تجره وذلك للمنافسة بين شعبي (تجره) و(أمهرة) الحاكم في الحبشة إضافةً إلى الفكر الحرّ والمساواة اللذين تنادي بهما جبهة تحرير شعب تجره - وربما للمتاجرة -، ولا يزال هذا الصراع قائماً بين الفريقين.

ونشأت كذلك في الحبشة إثر انقلاب شعبان ١٣٩٤ هـ (أيلول ١٩٧٤ م) حركة عرفت باسم «الحركة الاشتراكية لكل أثيوبيا»، وهي حركة ماركسية أوجدها العسكريون الانقلابيون لدعم سلطانهم، وبقيت كذلك حتى رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) حيث أوجدت السلطة حزباً خاصاً بها عُرف باسم (أبقوت سيدد) أي اللهب الثوري وذلك لدعم حكمها.

وفي مطلع عام ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م) استبعدت التنظيمات كافةً، وشكّلت السلطة الحاكمة «حزب الشعب العامل لأثيوبيا»، والذي حمل بعد ثمانية أشهرٍ اسم «حزب عمال أثيوبيا»، وغدا حزب الحكومة الرسمي، وانتخب رئيس الدولة منجستو ماريام أميناً عاماً له بالإجماع.

ومع أن الحركات الثائرة في أريتريا وتجره حركات اشتراكية، وأن الحزب الحاكم في الحبشة اشتراكي إلا أن الخلاف بينهما على مفهوم الاشتراكية، ومفهوم الديمقراطية، ومفهوم الاستقلالية مع العلم أن هذه الحركات كلها اشتراكية غربية، وإن كانت تدعى الماركسية ظاهراً، فالمناداة شيء والتطبيق شيء آخر، وهناك مفاوضات وحوار دائم بين هذه الحركات. وفي ١٥ صفر ١٤١٠ هـ (١٥ أيلول ١٩٨٩ م) شكّلت جبهة تحرير شعب تجره والحركة الديمقراطية الشعبية الأثيوبية حركةً واحدةً حملت اسم «الحركة الديمقراطية الثورية الشعبية».

تقسم الحبشة عدا أريتريا إلى ثلاث عشرة مقاطعة، إضافةً إلى العاصمة أديس أبابا، وكان عدد سكان هذه المقاطعات حسب تقديرات ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) كما يأتي:

المقاطعة	المساحة	السكان	الكثافة

الحبشة :

المقاطعة	المساحة	السكان	الكثافة
عروسي	٢٣,٦٧٤	١,٦٦٢,٢٣٢	٧٠,٢
بالي	١٢٧,٠٥٢	١,٠٠٦,٤٩٠	٧,٩
غامو ـ كافا	٤٠,٣٧٤	١,٢٤٨,٠٣٣	٣٠,٩
غوجام	٦١,٢٢٤	٣,٢٢٤,٨٨١	٥٢,٧
هرر	٢٧٢,٦٣٦	٤,١٨١,١٦٧	١٥,٣
أيلو بابور	٤٦,٣٦٧	٩٦٣,٥٥٤	٢٠,٨
كافا	٥٦,٦٣٦	٢,٤٥٠,٤٦٨	٤٣,٣
شوا	٨٥,٣١٥	٩,٥٠٣,١٤٠	١١١,٤
سيدامو	١١٩,٧٦٠	٣,٧٩٠,٥٧٧	٣١,٧
تجره	٦٤,٩٢١	٢,٤٠٩,٥٩٩	٣٧,١
والاغا	٧٠,٤٨١	٢,٤٧٧,٢٧٦	٣٥,١
ويلو	٨٢,١٤٣	٣,٦٤٢,٠١٣	٤٤,٣
غوندار (بيجمدر)	٧٩,٥٧٩	٢,٩٢١,١٢٤	٣٦,٧
المجموع	١,١٣٠,١٦٢	٣٩,٤٨٠,٥٥٤	

أريتريا :

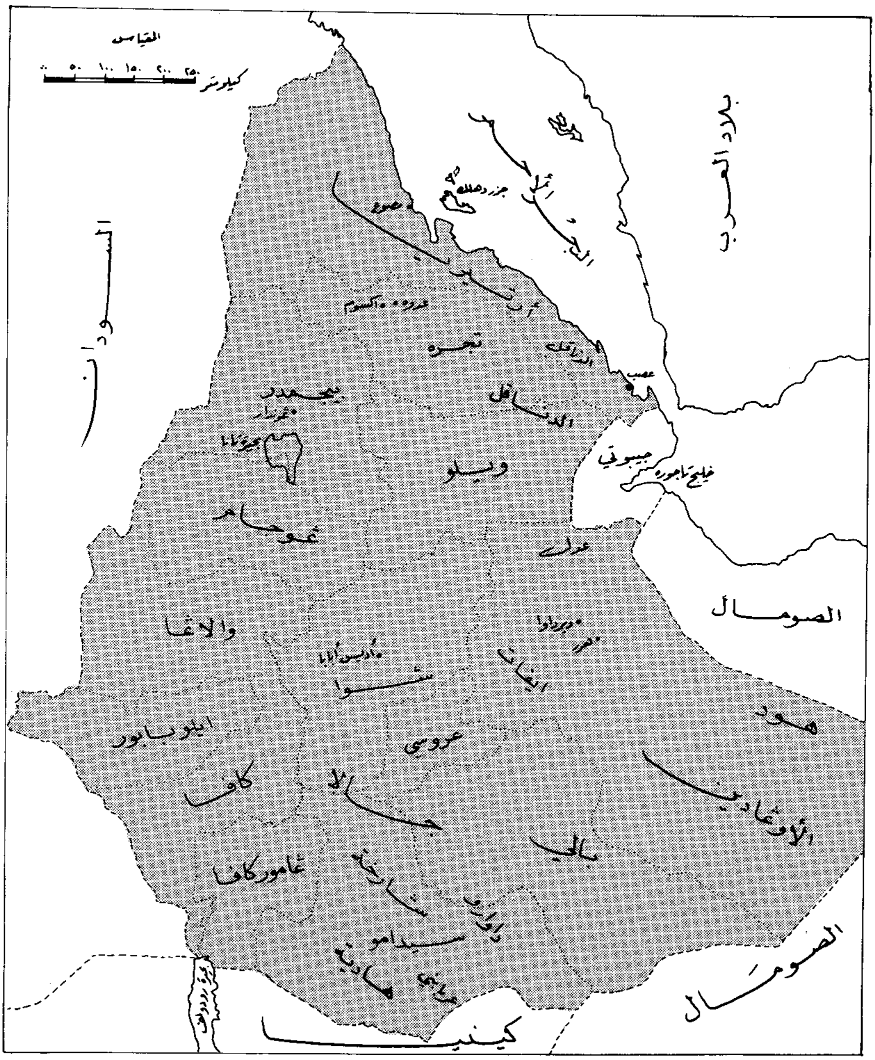
المقاطعة	المساحة	السكان	الكثافة
أريتريا	٩٣,٦٧٩	٢,٦١٤,٦٩٩	٢٧,٩
إدارة عصب	٢٧,٤٦٤	٨٩,٠٩٩	٣,٣
المجموع العام	١,٢٥١,٣٠٥	٤٢,١٨٤,٣٥٢	٤٠,٠

ومن المعلوم أن العاصمة أديس أبابا قد أصبحت مقاطعةً إداريةً وحدها، وهي في إقليم شوا، وكانت في هذا الجدول ضمن إقليمها.

ويلاحظ أن مقاطعة هرر أكبر المقاطعات مساحةً، وأكثرها جزء من

الصومال، أي أنها منطقة مغتصبة، إضافةً إلى مناطق شرق الحبشة كلها.

وتكون زيادة السكان السنوية ٣,١٪، حسب تقديرات ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م).



مصور رقم [٤]

القسم الثّاني

الأوسَط

الصّومَال وَجيبُوتي

يمتدّ هذا القسم الثاني من خط العرض ١٣° شمالاً تقريباً عندما تقترب السواحل الإفريقية من شواطىء جزيرة العرب حتى لا يكون بينهما سوى ستة عشر ميلاً فقط حيث يتشكّل مضيق باب المندب بل إن جزيرة بريم تُقرِّب المسافة بين سواحل القارتين الآسيوية والإفريقية، ويكون طول هذا المضيق أربعين ميلاً، وتعيش في المنطقة الإفريقية قبائل (عيسى) و (عفر).

وتتابع السواحل الإفريقية نحو الجنوب مُشكّلة خليج (تاجورا)، ثم نحو الجنوب الشرقي حتى خط العرض ١٠,٣٠° شمالاً تقريباً، ثم تتجه نحو الشرق وإلى الشمال قليلاً موازية سواحل الجزيرة العربية مشكلةً في البحر خليج عدن الذي يصل عرضه إلى ١٧٠ ميلاً تقريباً، وتبقى في ذلك الاتجاه حتى خط الطول ٥٠,٤٠° شرقاً أي بطول ٤٧٥ ميلاً، ثم تتجه نحو الجنوب الغربي حتى خط العرض ١° جنوباً، وإلى خط الطول ٤١° شرقاً، مشكّلةً بذلك القرن الإفريقي، وتعيش القبائل الصومالية.

تُعدّ هذه المنطقة فقيرةً لقلّة الأمطار فيها حتى ليغلب عليها المناخ الصحراوي، إذ لا تصل إليها الرياح الغربية حيث تحجزها عنها هضبة الحبشة وهضبة البحيرات، ومع أن المناطق التي تقع في شرقي القارات وعلى العروض نفسها التي تمتدّ عليها هذه المنطقة تكون ذات أمطارٍ موسميةٍ صيفيةٍ غزيرةٍ، لكنها هنا تُشرف في الشمال على البحر الأحمر الذي يُعدّ مغلقاً وضيّقاً لذا لا أثر له، وتكون المنطقة كأنها ملتصقة بجزيرة العرب، وهي كأنها في وسط القارات فتنتشر فيها الصحراء. وأما المناطق

الجنوبية فتصل إليها الرياح الموسمية الصيفية، وهي رياح رطبة محمّلة ببخار الماء، ويزيد في رطوبتها أنها تأتي من محيطٍ حارٍ، غير أن فائدتها تكون قليلةً بالنسبة إلى هذه البلاد حيث تسير من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي أي مسايرةً للساحل مما يجعلها قليلة الأهمية بالنسبة فيما لو كانت متعامدةً مع النسواحل. فالمحيط الهندي يكون مركزاً لضغطٍ مرتفعٍ نسبياً في فصل الصيف على حين تكون قارة آسيا مركزاً للضغط المنخفض، فتتجه الرياح من المحيط الهندي نحو أواسط قارة آسيا، وتنحرف هذه الرياح نحو الشمال الشرقي بسبب دوران الأرض، وتُسبّب هذه الرياح انقطاع الرياح التجارية التي تأخذ بالأصل اتجاهاً مغايراً، ويكون اتجاهها من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي. أما الرياح التجارية في نصف الكرة الجنوبي فإنها في هذا الفصل تجتاز خط الاستواء، وترفد الرياح الموسمية، وتزيد من قوتها، ويكون اتجاهها قبل أن تجتاز خط الاستواء من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، ولكنها بعد ذلك الاجتياز تُغيّر اتجاهها بسبب دوران الأرض فيصبح من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي.

وكذلك فإن للارتفاع دوره، والأراضي هنا منخفضة أي حارة، والوقت صيف أي زمن الحرارة لذا لم يسقط شيء من الغيث، إذ أن الرياح الرطبة تنعقد غيثاً عندما تصل إلى منطقةٍ باردةٍ أي أكثر برداً من المنطقة القادمة منها، ولكن هذه الرياح القادمة من المحيط الهندي الدافىء عندما تصل إلى الصومال تمرّ فوق أراضي أكثر حرارةً بسبب انخفاضها وبسبب الحرّ، فترتفع الغيوم بعد أن يتبخّر قسم من بخارها، غير أنها عندما تتوغّل نحو الداخل الأكثر ارتفاعاً تهطل بعض الأمطار، ولكن عندما تصل إلى الحبشة ذات الارتفاع تنهمر أمطار غزيرة، وعلى هذا فالأمطار تزداد بالاتجاه نحو الغرب، وبسبب انخفاض المناطق الساحلية تحدث أحياناً فيضانات تنشأ عن الأمطار التي تتجمّع في نهر شبلّي.

فالمياه في بلاد الصومال قليلة نتيجة قلّة الأمطار، وأكثر المجاري

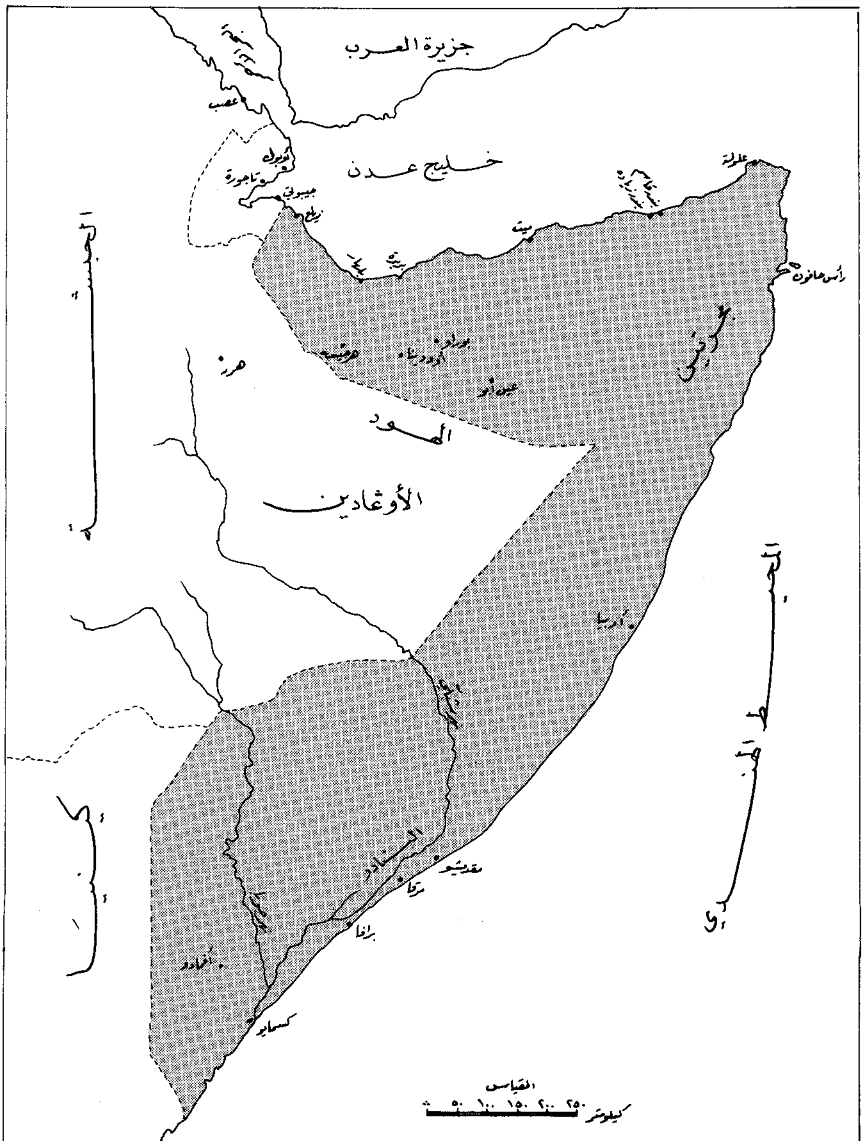
المائية أودية أو سيول تجري أثناء هطول الأمطار في فصل الصيف، وتجفّ بقية أيام العام، وهذه المجاري كلها تجري من الهضبة باتجاه الساحل، والذي يمكن أن نطلق عليه نهراً هو نهر شبلّي الذي يبدأ من هضبة هرر، ويتجه نحو الجنوب الشرقي، وقبل أن يصل إلى (مقديشيو)، ويكاد يصبّ في البحر يتجه نحو الجنوب الغربي مسايراً لخط الساحل تماماً، حيث يلتقي مع نهر جوبا القادم من هضبة جالا، ثم يتجهان ليصبا في البحر عند مرفأ (كسمايو) حيث تأتيه أيضاً المياه المنحدرة من هضبة كينيا.

ولما كانت هذه المنطقة قليلة المياه لذا كانت قليلة الأشجار بل أقرب إلى الصحراوية أي مفتوحة يمكن الولوج فيها إلى الداخل دون أية عوائق تحول دون الدخول، وهذا ما جعل المسلمين يُمكنهم التوغّل إلى الداخل، ولما كانت البلاد فقيرةً فإن أهلها بحاجةٍ إلى الكثير من السلع، وهذا ما مكّن التجار المسلمين من حملها إليهم، وأخذ ما يزيد عنهم من بعض البضائع كالأغنام، والصمغ، والعسل. ونتيجة وصول المسلمين إلى جهات الصومال كلها استطاعوا التأثير على أهلها، وإدخالهم جميعاً بالإسلام. وهذا ما جعل أيضاً الحقد الصليبي عليهم كبيراً عندما قويت الدول النصرانية، ووصلت إلى المنطقة، فصبّت غضبها عليهم، واقتسمت أرضهم، وعملت على إذلالهم، وإبقاء أغنى مناطقهم بيد نصارى المنطقة من أحباشٍ أو كينيين.

وإن هذا القسم من شرقي إفريقية وهو الصومال تسكنه قبائل صومالية، ويُشكّل إقليماً واحداً، وإن كان في الشمال في منطقةٍ صغيرةٍ نسبياً تُقيم قبائل (عفر) حيث تمتد منازلها على جزءٍ من أرض الصومال، فلما جاء المستعمرون الصليبيون، وجزّأوا هذا الإقليم جعلوا منه دولتين هما: الصومال وجيبوتي إضافةً إلى أقسامٍ أعطوها للحبشة وكينيا ليبقى الإقليم ضعيفاً فقيراً، لا يمكنه الدفاع عن نفسه دون حمايةٍ، ولا الحياة الكريمة من غير مساعداتٍ.

البابُ الأوّل

الصّومَال


جزيرة العرب
خليج عدن
الهود
الأوغادين
المقياس
كيلومتر
مقديشو
كسمايو

مصور رقم [٥]

لمحة عن تاريخ الصومال قبل إلغاء الخلافة

اعتنق أهل الصومال الإسلام في وقتٍ مبكرٍ نتيجة الصلة الوثيقة بين جزيرة العرب والصومال، وارتبط هذا الإقليم بالدولة الإسلامية بمراحلها كافةً، وانتقل عدد من سكان هذا الإقليم في أيام الدولة العباسية الأولى إلى جنوبي العراق، وقد عُرفوا بالزنج.

وفي القرن الثالث الهجري هاجرت جماعات من أرض العرب إلى إقليم الصومال، واستقرّت هناك، واختلطت بقبائل البانتو، ونتج عن هذا الاختلاط وجود جماعةٍ جنسيةٍ هي القبائل الصومالية التي تحمل بعض الميزات التي تتصف بها المجموعة العربية.

وعندما ضعف أمر الدولة الإسلامية خفّ سلطانها عن الأقاليم البعيدة فنشأت إمارات محلية يحكمها شيوخ القبائل، وزعماء لا يتجاوز سلطانهم المدن الكبرى وما يجاورها.

ووقع صراع بين الإمارات الإسلامية وبين دولة الحبشة النصرانية، ولم تعمل تلك الإمارات على وحدتها، ولا وحدة جهودها لمقاومة التسلّط النصراني على بعض الإمارات التي احتلّها، وعلى المسلمين الذين يعيشون في أرض الحبشة، مما جعل الصراع يطول أمده.

ووصل المستعمرون الصليبيون من البرتغاليين إلى أقصى جنوبي القارة الإفريقية، والتفّوا حولها عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م)، وساروا مع سواحل إفريقية الشرقية باتجاه الشمال، وسيطروا على الإمارات والمدن الإسلامية

هناك، وأسرع ملك الحبشة يعرض على البرتغاليين التحالف معهم لقتال المسلمين.

وجاء العثمانيون إلى المنطقة ليقفوا في وجه المدّ الصليبي، وحلّوا محلّ المماليك بعد دخول القاهرة عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م)، ودانت لهم بلاد الصومال وشرقي إفريقية، وأسّسوا أسطولاً في البحر الأحمر، وجعلوا قاعدته مدينة (زيلع)، وتبيّن لهم خطر الاتفاق بين البرتغاليين والأحباش، فاتفقوا مع سلطان إمارة (عدل) الإسلامية أحمد بن إبراهيم، وقدّموا له المساعدات العسكرية فقام بالهجوم على الأحباش، غير أنه هُزم، وقُتل قائده (محفوظ) حاكم زيلع، فانطلق السلطان بنفسه أمام الجيش، وأعاد الهجوم، وانتصر بإذن الله، واسترجع كل ما فقده في جولته الأولى، واحتلّ عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٩ م) قسماً من الحبشة.

استنجد إمبراطور الحبشة (دنجل) بأوربا، وعرض أن تكون الكنيسة الحبشية مرتبطة بروما مع الاحتفاظ بالمذهب الأرتوذكسي.

نزل البرتغاليون فجأةً في مدينة (مصوع) عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) غير أنهم هُزموا شرّ هزيمةٍ، وأُبيد معظمهم، والتحقت فلول الفارين من المعركة بالأحباش الذين كانوا يُقاتلون سلطان إمارة عدل في أعالي بلاد الحبشة قرب بحيرة (تانا)، وقد انتصروا هناك، وقُتل السلطان أحمد بن إبراهيم.

وقامت سلطنة (هرر) في الجنوب تحمل على عاتقها نشر الإسلام ومحاربة نصارى الأحباش، ولكنها لم تستطع توحيد السلطنات الإسلامية في دولةٍ واحدةٍ.

أخذ نفوذ البرتغاليين يقوى في الحبشة فخاف المتسلّطون على أنفسهم، وخشي البطارقة على كنيستهم، فألّبوا العامة على البرتغاليين، واستطاعوا طردهم عام ١٠٦٨ هـ (١٦٦٧ م).

أخذت الدولة العثمانية بالضعف، وأصبح واليها على مصر (محمد

علي) صاحب النفوذ مكانها في بلاد الصومال، وأخذت مصر تحكم تلك الأجزاء باسم الدولة العثمانية.

بدأ الصراع الاستعماري يدخل المنطقة، واحتلّت بريطانيا (عدن) عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)، ودخلت فرنسا باب المنافسة، وأرسلت عدة حملاتٍ استطلاعيةٍ لسواحل البحر الأحمر، إذ الحكم المصري ضعيف، والدولة العثمانية أضعف، وعملت فرنسا على احتلال (زيلع) و(مصوع) ولكنها فشلت في محاولتها، فطلب قائد الحملة الفرنسية من حكومته أن تطلب من محمد علي الوالي على مصر أن يتنازل عن مصوع، وكان يعتقد أنه بالإمكان الحصول على الطلب لأن خزانة مصر لم يكن يصل إليها من هذا الميناء سوى خمسين ألف فرنك، ويمكن لفرنسا أن تُعوّض لها عن هذا المبلغ.

وكانت نتيجة الحملات الاستطلاعية التي أرسلتها فرنسا إلى المنطقة أنها رأت أن أكثر المناطق الصومالية صلاحيةً لفرنسا، ويمكنها الخضوع لها هي (تاجورا) لأن فيها عدداً من النصارى الكاثوليك، ويرغبون في التبعية لفرنسا، كما أن أحد المتنفذين هناك، وهو إبراهيم أبو بكر، يكره بريطانيا ويخشى من سيطرتها على المنطقة، ويمكنه طلب مساعدة أي فريقٍ ينافس بريطانيا مهما كانت هويته، وخاصةً بعد أن حجزت له بريطانيا إحدى البواخر، وادّعت أنها كانت تنقل الرقيق، ولم تعوّض عليه شيئاً.

وضعف الحكم المصري بعد موت (محمد علي) بقليلٍ، وضعفت سيطرته على المناطق الصومالية، وعقدت فرنسا عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) معاهدةً مع أحمد أبي بكر (ابن عم إبراهيم أبي بكر) ممثلاً لمشايخ القبائل في تلك المنطقة، واشترت فرنسا حسب نص المعاهدة ميناء (أوبوك) فأثار هذا غضب الدولة العثمانية التي تعدّ هذه الأراضي جزءاً من دولتها، كما أثار غضب بريطانيا منافسة فرنسا الأولى. ومع ذلك فلم تهتم فرنسا بأراضي (أوبوك) خوفاً من إثارة بريطانيا بل بقيت تنتظر اعتراف الخديوي بحقوقها

في (أوبوك) مقابل إعطائه الأرض التي تشغلها السفارة الفرنسية في القاهرة.

وفي هذه الأثناء وسّعت مصر أملاكها في بلاد الصومال حتى رأس (حافون)، واعترفت بريطانيا بهذا التوسّع. وكان سبب عدم اهتمام فرنسا بـ (أوبوك) أن وزارة البحرية الفرنسية هي التي كانت تُعارض بهذا الاهتمام إذ ترى أن المناخ غير ملائم لقيام نزاعٍ فإن قوة البحرية الفرنسية ضعيفة في المحيط الهندي، ولا يمكن الاعتماد عليها، وأذاعت بياناً للفرنسيين أن من يريد منهم بناء مؤسساتٍ في منطقة (أوبوك) فإنما هو على مسؤوليته الخاصة. وأخيراً رأت فرنسا أن تعطي ملك (شوا) جزءاً من أراضي (أوبوك) لكسب تأييده. وفي عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) أرسلت فرنسا باخرةً لتحديد أراضيها في (أوبوك) غير أن مصر كانت قد سبقتها، ورفعت العلم المصري في (أوبوك)، فعدّت فرنسا هذا العمل تعدّياً على حقوقها، ولكن الدولة العثمانية، ومصر، والأهالي جميعاً قد تجاهلوا هذا الحق الذي تدّعيه فرنسا، وكذلك فإن بريطانيا قد وقفت في الطرف المقابل لفرنسا.

كانت مصر تخشى من وقوف إيطاليا في (عصب) في أرتيريا بجانب فرنسا، وكذلك فإن مصر لم تكن تستند على مساندة بريطانيا، وخاصةً أن الحركة العرابية في مصر كانت قد بدأت، لذلك رأت أن تعطي فرنسا ما تريد، وتنازلت لها عن (أوبوك). ووجد الفرنسيون الفرصة مناسبةً لإرسال قوةٍ لحماية الفرنسيين هناك بعد أن قتل الصوماليون المستعمر الفرنسي (أرنو) عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م).

كان الحاكم المصري لبلاد الصومال يُقيم في (هرر) التي تُعدّ مركز الإقليم، ويتبعها ثلاث محافظات هي: (تاجورا) و(زيلع) و(بربره). ولكن أصبح لفرنسا جزء من محافظة (تاجورا)، وهي أراضي (أوبوك)، وعقدت فرنسا معاهدةً مع سلطان (تاجورا) أحمد بن محمد في ذي القعدة ١٣٠١ هـ (أيلول ١٨٨٤ م) رغم أن القوات المصرية لم تزل فيها، ولم تخلها بعد، وعلى هذا فقد أصبح نفوذ فرنسا يشمل محافظة (تاجورا) كافةً. وخشيت

بريطانيا على طريق الهند بعد أن رأت أطماع فرنسا في سواحل غرب البحر الأحمر، فأرادت أن تسيطر على منطقة باب المندب سيطرةً تامةً فعقدت معاهدةً مع سلطان (سوقطرى) عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ هـ م).

واحتلّت بريطانيا مصر إثر الحركة العرابية، فأرادت أن تحلّ القوات البريطانية محلّ القوات المصرية في شرقي إفريقية، وانتهزت قيام الحركة المهدية في السودان ففصلت سواحل البحر الأحمر وبلاد الصومال عن مصر، فعادت التجزئة إلى تلك المنطقة ثانيةً، وأخذ نفوذ السلاطين المحليين يظهر وخاصةً في المناطق الساحلية مثل (زولا) و(تاجورا).

أرسلت بريطانيا العميد (هنتر) للعمل في الساحل الواقع بين (زيلع) و(رأس حافون)، وكان عليه أن يعقد المعاهدات مع الزعماء المحليين وخاصةً في (بُلهار) و(ميت) و(بندر قاسم)، كما كان عليه أن يُسهّل عملية انسحاب الإدارة المصرية، ويمنع تدخّل الدولة العثمانية في العمل لعرقلة الانسحاب والمعاهدات، فالجانب الإسلامي يجب أن يكون بعيداً عن الساحة ولو كان لمصلحة فرنسا إذ تلتقي معها بالصليبية ومحاربة الإسلام.

كان رئيس الوزارة المصرية آنذاك الأرمني (نوبار) فأصدر الأوامر بإخلاء (هرر) وموانىء الصومال، غير أن حاكم (هرر) علي باشا قد أخبره بأن عملية الإخلاء صعبة جداً بسبب اندماج الجنود والموظفين المصريين مع أهالي الإقليم، وخاصةً عن طريق الزواج، وأن الفوضى ستعم البلاد بعد عملية الإخلاء، لذلك فإن التجار والموظفين والجنود سيرفضون ذلك، غير أن (نوبار) أصرّ على الإخلاء، وليحدث ما يكون فالبلاد ليست لنا ـ بصفته نصراني ـ ولكن هذا الإقليم جزء من ديار المسلمين، وأرسل ذلك أيضاً إلى حاكم (زيلع) أبو بكر باشا ليقوم بعملية الإخلاء، وأصدر أمراً بعزل علي باشا عن (هرر)، وعيّن مكانه رضوان باشا، وكان حاكماً لها في السابق، وجعله تحت صرف العميد البريطاني (هنتر)، وفي الوقت نفسه فوّض (هنتر) بوقف صرف مرتب أي موظفٍ أو ضابطٍ يتأخّر في عملية

الإخلاء. وكان الخديوي توفيق مُتردّداً في إقرار هذا التصرّف، ثم وافق أخيراً، وادّعى أن الدولة العثمانية لم تقبل باستلام هذه المناطق، وهو غير قادرٍ على حمايتها.

لم تكن بريطانيا ترغب آنذاك في مواجهة فرنسا ولا إيطاليا، وإنما أرادت أن تترك يد فرنسا في (تاجورا) ويد إيطاليا في (عصب) لتقف هاتان الدولتان على الحياد عندما تحلّ هي محل الإدارة والقوات المصرية في (هرر) و(زيلع) وبقية المناطق التي كانت فيها، بل ربما تساعدانها وتقفان إلى جانبها ضدّ الدولة العثمانية صاحبة السلطة الاسمية على هذه المناطق.

وأخيراً قرر العميد البريطاني (هنتر) إخلاء الحاميات المصرية من زيلع في ١٠ محرم ١٣٠٢ هـ (٢٩ تشرين الأول ١٨٨٤ م)، واستلمت السلطات البريطانية الجمارك بعد ثلاثة أيام، وسافرت أول سفينةٍ تحمل الجنود المصريين من (زيلع) نحو السويس في ٢٦ محرم ١٣٠٢ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٨٨٤ م). وقرر البريطانيون أن تكون إدارة ساحل بلاد الصومال الممتد من (زيلع) حتى (رأس حافون) تابعةً مباشرةً لحكومة الهند.

واتفقت بريطانيا وفرنسا عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) على إنهاء الخلافات الناشئة بينهما في هذه المناطق على أن يفصل بين منطقتي نفوذهما خط يمتدّ من جنوب (جيبوتي) نحو (هرر)، وأن تضمن كل منهما للأخرى حق التجارة مع إقليم هرر الذي لا يحق لأيٍ منهما الاستيلاء عليه بعد خروج المصريين منه، وأبلغ وزير الخارجية البريطانية سفراء بلاده بأن بريطانيا قد أصبح لها الساحل الممتد من جنوب (جيبوتي) حتى (بندر زيادة). وقد رفض الجنود المصريون إخلاء (هرر) وشكّلوا مع الأهالي كتلةً وطنيةً لمجابهة الأجانب. وهكذا فإن إنكلترا احتلّت مينائي (زيلع) و(بربره)، واتخذتهما مركزاً لمراقبة السفن القادمة من الهند والمسافرة إليها، وبدأت تتوسّع حتى شملت الإقليم الذي عُرف فيما بعد باسم (الصومال الإنكليزي).

لم يستقر وضع الإنكليز في هذا الجزء من الصومال إلا في عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) حيث قضوا على حركة التعريب التي قادها (محمد بن عبدالله بن حسن) عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م)، وادّعى أنه من أصلٍ هاشميٍ، وأنه المهدي، ولُقّب بـ (مهدي الصومال)، واستطاع أن يقاوم المستعمر مدة عشرين عاماً، وبعدما لحق البلاد من فقرٍ، وأصاب القبائل من أذىً لم تستطع بعدها المقاومة، فابتعدت عن (محمد بن عبدالله بن حسن)، فاستتب الأمر لبريطانيا في هذا الجزء من الصومال، وتوفي (محمد بن عبدالله بن حسن) عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م).

وأما جنوبي الصومال وهو ما كان جنوب رأس (حافون) فكان يتبع سلطان زنجبار واستأجر الطليان من سلطان زنجبار عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) موانىء على ساحل الصومال المشرف على المحيط الهندي لمدة خمسين عاماً، وقامت على إدارة هذه الموانىء شركتان إيطاليتان. وعندما ضعف سلطان زنجبار تنازل عن هذه الموانىء للإيطاليين مقابل مبلغ قدره مائة وأربعة وأربعون ألف جنيه. وفي الوقت نفسه قوي إمبراطور الحبشة (منليك الثاني)، واستولى على إقليم (هرر)، وجاء باستعمارٍ نصرانيٍ جديدٍ أكثر همجيةً ووحشيةً من الاستعمار الغربي، كما استطاع أن يحتلّ منطقة (الأوغادين)، ومنح الإيطاليين المناطق الداخلية للموانىء الصومالية.

وفي العام نفسه ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) اتفقت بريطانيا وفرنسا على إنهاء الخلاف بينهما في هذه المناطق، واقتسام النفوذ في سلطنة زنجبار ومنطقة شمالي الصومال، وشاركتهما في الاقتسام كل من ألمانيا وإيطاليا.

أخذت بريطانيا القسم الأوسط من شرقي إفريقية (ساحل كينيا)، وساحل الصومال على خليج عدن (الصومال الإنكليزي).

وأخذت ألمانيا الساحل الجنوبي من شرقي إفريقية (تانجانيقيا).

وأخذت إيطاليا الساحل الشمالي من شرقي إفريقية (الصومال الإيطالي) واعترفت الدول الأخرى لها باحتلالها منطقة أريتريا.

وأخذت فرنسا منطقة جيبوتي على خليج تاجورا (الصومال الفرنسي).

وأعطيت الحبشة القسم الغربي من الصومال (الأوغادين).

وهكذا قُسِّم الإقليم الصومالي أبشع تقسيمٍ عقوبةً لأهله لأنهم جميعهم من المسلمين.

وبقيت سلطنة زنجبار محصورةً في جزيرتي (زنجبار) و(بمبا)، ووضعت تحت الحماية البريطانية.

وفي عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) أخذت الحبشة منطقة (الهود) الصومالية من بريطانيا، دون موافقة الأهالي، ويرعى فيها مائتا ألف من الصوماليين. وظهر في منطقة الأوغادين محمد بن عبدالله بن حسن الذي أطلق عليه أسد الصحراء، وقاوم الاستعمار النصراني الحبشي.

كانت إيطاليا قد عقدت معاهدةً مع الحبشة، ثم اختلفت معها، وشجّعت المنافسين للإمبراطور منليك الثاني في إقليم تجره، وفكّرت باحتلال الحبشة، وبدأت بإخضاع الأوغادين عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، ثم اتفقت الدول الاستعمارية الثلاث (بريطانيا ـ فرنسا ـ إيطاليا) على استقلال الحبشة، وإقامة إمبراطورية فيها تحت تاج (منليك الثاني) تضمّ مملكة الحبشة، والإمارات الإسلامية في المنطقة كافةً، وذلك خوفاً من انتشار الإسلام، وطلب من الإمبراطور شنّ حربٍ على المسلمين، ووُعد بتقديم الدعم له، وهكذا عادت (الأوغادين) للحبشة.

الفصل الأول

الصومال من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ٦ محرم ١٣٨٠ هـ

٣ آذار ١٩٢٤ ـ ١ تموز ١٩٦٠ م

شعرت بريطانيا بنشوةٍ بإلغاء الخلافة، وخاصةً أنه كان لها اليد الطولى بذلك، وغدا يسيطر على مقرّ الخلافة سابقاً أحد أعوانها، كما شعرت أنه أصبحت لها حرية التصرّف بشؤون المسلمين وبلدانهم على نطاقٍ أكثر شموليةً دون رقابةٍ ومن غير احتجاج هذا إضافةً إلى نفوذها الواسع في عصبة الأمم، والتي تخضع أساساً لتوجيه الدول النصرانية التي هي الدول الكبرى.

تنازلت بريطانيا إثر إلغاء الخلافة عن منطقة جوبا السفلى (أقصى جنوبي الصومال) لإيطاليا، وكانت من قبل تتبع كينيا، وأُعطيت كينيا مقابل ذلك الأراضي الصومالية الواقعة شرق بحيرة «رودولف».

وقامت القوات الإيطالية في أريتريا والصومال بغزو الحبشة عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) رغم معارضة عصبة الأمم، وتمكّنت من دخول العاصمة (أديس أبابا) في الأيام الأولى من عام ١٣٥٥ هـ (آذار ١٩٣٦ م). وفي الحرب العالمية الثانية هُزمت القوات البريطانية في الصومال في بداية الأمر أمام القوات الإيطالية في الصومال الإيطالي، غير أن البريطانيين قد قاموا بهجومٍ معاكسٍ، ودخلت قواتهم عن طريق (كسمايو)، وأرغموا الطليان على الانسحاب من أريتريا، والحبشة، والصومال. وتشكّلت إدارة

عسكرية بريطانية في الصومال الإنكليزي والإيطالي على حدٍّ سواء عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م).

وهُزمت إيطاليا في الحرب مع دول المحور التي كانت هي واحدةً منها، ووُقّعت معها معاهدة السلام في ربيع الأول ١٣٦٦ هـ (شباط ١٩٤٧ م)، وطالبت إيطاليا فيها بحقوقها في الصومال الإيطالي، وأعلنت عن تلك الحقوق التي تدّعيها، وبعد سنتين وضعت الأمم المتحدة المستعمرة الإيطالية السابقة (الصومال الإيطالي) تحت الإدارة الإيطالية لمدة عشر سنواتٍ، وبعدها تحصل على الاستقلال، وتسلّمت إيطاليا الإدارة من بريطانيا في ربيع الأول ١٣٧٠ هـ (كانون الأول ١٩٥٠ م).

كان الصوماليون يهدفون إلى توحيد أجزاء الصومال، وإعلان الاستقلال، ومنذ أن رجعت بريطانيا إلى الصومال بعد انتصارها على إيطاليا، وكانت قد هُزمت أمامها، وخرجت، عادت وأخذت تتقرّب من أبناء الشعب لتجد لها الأعوان، وفي العام نفسه التي رجعت فيه ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) سمحت لثلاثة عشر شاباً بتأسيس نادٍ لهم يجتمعون فيه. ولما انتهت الحرب العالمية الثانية، ورُفعت الأحكام العرفية التي فرضت لظروف الحرب، وكثر الجدل في أروقة الأمم المتحدة حول الوصاية على الصومال، وعندها سمحت بريطانيا لهذا النادي أن يتحوّل إلى حزبٍ سياسيٍ في شهر صفر ١٣٦٥ هـ (كانون الثاني ١٩٤٦ م)، وظنّت أن هذا الحزب سيكون لها عوناً لتفوز بالوصاية على الصومال. وكانت أهداف هذا الحزب وحدة أجزاء الصومال، والعمل على رفع مستوى الشعب الثقافي والاجتماعي.

أرسلت الأمم المتحدة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) وفداً إلى الصومال يُمثّل الدول الأربع الكبرى (بريطانيا، الولايات المتحدة، فرنسا، إيطاليا)، وحدث اختلاف كبير. وكانت الحبشة تعمل على ضمّ الصومال وتُبدي شدة تمسّكها بالنصرانية ومحاربة الإسلام عسى أن تظفر بذلك. وتعدّدت الآراء والأهواء في البلاد، ووقعت حوادث كثيرة سالت فيها الدماء، وكثرت القتلى.

وفازت إيطاليا بالوصاية على الجزء الجنوبي من الصومال والذي كان ضمن مستعمراتها، فأخذت تضطهد حزب وحدة الشباب الصومالي، وأغلقت بعض فروعه، غير أنها عادت فغيّرت خطتها بعد أن فشلت سياستها الأولى، وبدأت تتقرّب من بعض قيادات الحزب، وحصل بعض التعاون، وافتتحت له الفروع في أجزاء الصومال كلها.

جرت الانتخابات الأولى عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، وحصل حزب وحدة الشباب الصومالي على الأكثرية، وشكّل عبدالله عيسى الوزارة، وانتخب آدم عبدالله عثمان رئيساً للجمعية التشريعية.

وحدثت أزمة كبيرة في الحزب عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) إذ كان من بين المرشحين لرئاسته محمد حسين حامود، وكان له رأي يخالف آراء بعض شخصيات الحزب التي ظهرت في البلاد حيث كان يرى ضرورة التعاون مع البلدان العربية، ويعمل لذلك، فوجدت هذه السياسة انتقاداتٍ واسعةً في صحيفة الصومال، وقد هاجم أحد شباب الحزب هذه السياسة، ففصل من الحزب فما كان منه إلا أن اعتدى على محمد حسين حامود، فأُعطي هذا الشاب منحةً دراسيةً في الولايات المتحدة. وكان الحزب يصدر صحيفة أسبوعية باسم «الوحدة».

فصل محمد حسين حامود من الحزب، فشكّل حزباً خاصاً جديداً، عُرف باسم حزب «صوماليا الكبرى» وذلك في مطلع عام ١٣٧٨ هـ (منتصف عام ١٩٥٨ م).

وتأسّست عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) جمعية الشباب الصومالي في مدينة مقديشيو.

وشكّلت قبيلتا «ديجل» و«مرفلة» الحزب الدستوري المستقل عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، ويرى هذا الحزب أن يكون الحكم في الصومال «اتحادياً» حتى لا يسيطر قسم من البلاد على آخر، ولا يطغى حزب وحيد على الشعب باسم «الوطنية»، ولكن تعرّض هذا الحزب لأزمة بعد عشرة

سنواتٍ من قيامه، وفصل قسم من أعضائه القياديين. وضعف الحزب.

ولما فشلت الحبشة في مسعاها في ضمّ الصومال إليها كما ضمّت أريتريا عملت على تشكيل حزب من بعض أعوانها، وأمدتهم بالأموال، فشكّلوا حزباً عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) عُرف باسم «الشباب الأحرار الصومالي». غير أن هذا الحزب بقي ضعيفا، وقوطع من السكان كافةً لمعرفتهم بنوايا الحبشة، وسياستها النصرانية، وتعصّبها، ومحاربتها للإسلام وأهله خلال التاريخ، وسكان الصومال جميعهم من المسلمين.

وتأسّس في منطقة البنادر حزب محلي بعد عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) عُرف باسم «الاتحاد القومي» غير أنه حزب ضعيف. وقد أُطلق عليه في البداية «شباب البنادر».

وأسّس محمود عبد الرحمن حزب الرابطة الإسلامية، وكان من قبل في حزب وحدة الشباب الصومالي.

وجرت أول انتخابات عامة حيث شملت البالغين جميعاً وذلك في رمضان ١٣٧٨ هـ (آذار ١٩٥٩ م) واستطاع حزب وحدة الشباب الصومالي أن يفوز بثلاثة وثمانين مقعداً من مقاعد المجلس النيابي البالغ عددها تسعين مقعداً، فاستمرّ بالحكم، وبقي عبدالله عيسى رئيساً للوزراء.

كانت الوصاية على الصومال الإيطالي قد حُدّدت بمدة عشرة سنوات وتنتهي في جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ (كانون الأول ١٩٥٩ م)، وكثر الحديث عن الانتخابات الماضية فتجدّدت في مطلع عام ١٣٧٩ هـ (تموز ١٩٥٩ م) ففاز حزب وحدة الشباب الصومالي بواحدٍ وستين مقعداً من أصل تسعين مقعداً أي فقد الكثير مما أحرزه قبل أربعة أشهرٍ، وإن بقي بالحكم، وتقدّم عبدالله عيسى رئيس الوزراء بمشروع للمجلس التشريعي يطالب بوحدة الصوماليين جميعاً ويتلخّص المشروع بـ:

١" ــ يحصل الصومال الإيطالي سابقاً على استقلاله إثر انتهاء مدة الوصاية.

٢" ـ إنشاء جيش وطني لأن المستعمرين الصليبيين قد حلّوا الجيش الصومالي.

٣" ـ وحدة أجزاء الصومال في دولةٍ واحدةٍ، لها علم واحد.

الصومال الإنكليزي:

حكمت بريطانيا هذا الجزء حكماً عسكرياً منذ أن رجعت إليه عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) أثناء الحرب العالمية الثانية بعد أن هزمت إيطاليا التي أخرجتها منه في بداية الحرب، واستمرّ يخضع للحكم العسكري حتى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) حيث عادت الإدارة المدنية.

تأسس في الصومال الإنكليزي حزب «الرابطة الصومالية»، وكانت أهداف هذا الحزب الاستقلال التام، ووحدة أجزاء الصومال، ويصدر صحيفة «قرن إفريقية»، ووقفت الإدارة البريطانية من هذا الحزب موقفاً معادياً، واضطهدت أعضاءه، وأُصيبت البلاد بقحطٍ شديدٍ عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، فكانت السلطة البريطانية تمنع وصول الماء إلى المتهمين بالانتماء إلى هذا الحزب حتى يعلنوا تخلّيهم عن الحزب وعن مبادئه. وقد قاطع الحزب الانتخابات التي جرت في رمضان ١٣٧٨ هـ (آذار ١٩٥٩ م) لأنه كان يريد مجلساً نيابياً صومالياً، على حين كان الدستور الذي وضعته بريطانيا يقضي بأن يضمّ المجلس ٣٢ عضواً منهم ٢٠ عضواً بريطانياً، و١٢ عضواً صومالياً.

كانت بريطانيا ترغب بضمّ الصومال الإنكليزي إلى الصومال الإيطالي لتبقى سيطرتها على القرن الإفريقي ذي الموقع المهم، وقد صرح وزير المستعمرات البريطاني في مدينة «هرجيسا» قاعدة الصومال الإنكليزي في شعبان ١٣٧٨ هـ (شباط ١٩٥٩ م) بأن حكومته رأت منح الصومال الإنكليزي حق الاختيار بين الحكم الذاتي أو الاتحاد مع الصومال الإيطالي. بينما ترفض بريطانيا مشروع اتحاد أجزاء الصومال كلها، كما تنادي الأحزاب الصومالية.

الاستقلال:

انتهت مدة الوصاية الإيطالية على الصومال الجنوبي (الإيطالي)، وطالب الشعب بالاستقلال عن طريق المؤسسات والتنظيمات السياسية، ومنح ذلك في المدة المحددة ٣ رجب ١٣٧٩ هـ (١ كانون الثاني ١٩٦٠ م).

وجرت انتخابات جديدة في شعبان ١٣٧٩ هـ (شباط ١٩٦٠ م) في الصومال الإنكليزي، وشاركت فيها الأحزاب التي تدعو إلى الاستقلال وإلى وحدة الصومال.

واجتمع ممثلون عن المنطقتين في شوال ١٣٧٩ هـ (نيسان ١٩٦٠ م)، واتفقوا على دمج جزأي الصومال في جمهوريةٍ مستقلةٍ واحدةٍ.

منح الصومال الإنكليزي الاستقلال في مطلع عام ١٣٨٠ هـ (٢٦ حزيران ١٩٦٠ م)، وتلقّت خطة الاتحاد موافقة المجلس التشريعي في اليوم التالي. وأعلن عن قيام جمهورية الصومال المستقلة في ٦ محرم ١٣٨٠ هـ (١ تموز ١٩٦٠ م). وفي اليوم نفسه اجتمع المجلس التشريعي المنتخب من الجزأين وانتخب آدم عبدالله عثمان رئيس المجلس التشريعي في الصومال الإيطالي ليكون أول رئيسٍ للجمهورية الجديدة.

ويضمّ المجلس التشريعي ١٢١ عضواً، ٩٠ عضواً من الصومال الإيطالي و ٣١ عضواً من الصومال الإنكليزي. وقدّم رئيس الوزراء عبدالله عيسى استقالته، وتشكّلت وزارة ائتلافية شملت حزب وحدة الشباب الصومالي من الصومال الإيطالي، والحزبين الرئيسيين في الصومال الإنكليزي، وتولّى رئاسة الوزارة عبد الرشيد علي شير مارك رئيس حزب وحدة الشباب الصومالي.

وأصبح اسم الدولة الجديدة «جمهورية صوماليا».

الفصل الثاني

الاستقلال

٦ محرم ١٣٦٠ هـ (١ تموز ١٩٦٠ م)

بقي حزب وحدة الشباب الصومالي هو المسيطر على السياسة الصومالية، وتابع مطالب الصومال الإقليمية في الأجزاء التي تخضع للحبشة، وكينيا، وسار في اتجاه الإفادة من أية جهةٍ بغض النظر عن الارتباط بالمعسكر الغربي، إذ تلقّت الصومال في تلك الآونة مساعداتٍ من الإمبراطورية الروسية، ومن بعض الدول الشيوعية الأخرى. ووقعت نزاعات على الحدود مع الحبشة ومع كينيا.

استقال عبد الرشيد علي شير مارك من رئاسة الوزراء في صفر ١٣٨٤ هـ (حزيران ١٩٦٤ م)، وحلّ مكانه عبد الرزاق حاج حسين الذي كان يشغل سابقاً منصب وزير الأعمال فشكّل وزارته من أعضاء حزب وحدة الشباب فقط في ربيع الأول ١٣٨٧ هـ (حزيران ١٩٦٧ م)، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فقد انتخب المجلس الوطني عبد الرشيد علي شير مارك رئيساً للجمهورية مكان آدم عبدالله عثمان. وكلّف رئيس الجمهورية لتشكيل الوزارة من جديد محمد حاج إبراهيم إيغال الذي كان رئيس وزراء الصومال الإنكليزي سابقاً.

الحدود مع الحبشة:

دخلت جيوش الحبشة إمارة هرر في ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م)، وعُيّن (ماكوين) أول حاكمٍ حبشيٍ عليها، وأخذ يتوسّع بمساعدة الدول الأوربية النصرانية التي اتفقت فيما بينها أخيراً على تجزئة الصومال، فاستطاع (ماكوين) إخضاع منطقة (الأوغادين).

بدأت المحادثات بين إيطاليا التي دخلت منطقة الصومال الجنوبية، والتي عُرفت فيما بعد باسم (الصومال الإيطالي) وبين الحبشة لتسوية الحدود، واقترح (منليك الثاني) إمبراطور الحبشة أن يكون خط الحدود موازياً لساحل المحيط الهندي ويبعد عنه مسافة ١٨٠ ميلاً، وعُقدت معاهدة بين الطرفين على هذا الأساس عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

وبقي الوضع على هذه الحال حتى الحرب العالمية الثانية حيث استطاعت بريطانيا احتلالِ الصومال الإيطالي، وأخذت تتحكّم فيه حتى ربيع الأول ١٣٧٠ هـ (كانون الأول ١٩٥٠ م)، حيث وضعته الأمم المتحدة النصرانية تحت الوصاية الإيطالية فعادت إيطاليا إلى حكمه عدا منطقة (الهود) التي بقيت بيد بريطانيا. وفي ٤ ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٤ م) عقدت معاهدة في لندن بين بريطانيا والحبشة تنازلت بريطانيا بموجبها عن منطقة (الهود) إلى الحبشة فدخلتها في جمادى الأولى ١٣٧٤ هـ (كانون الثاني ١٩٥٥ م)، وهكذا استطاعت الحبشة الظفر بإمارة هرر ومنطقتي الأوغادين والهود، ولكن الأوضاع لم تكن لتهدأ، إذ انفجرت ثورات، واهتزّت المناطق، وازدادت الحركات بعد أن استقلّت الصومال إذ أخذت تُطالب بإرجاع هذه الأجزاء إلى الوطن الأم. وكانت الحبشة تُهدّد بقطع العلاقات السياسية فيما إذا استقلّت الصومال. وبقيت العلاقات متوترةً مع الدولتين حتى وقع قتال عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م)، وتدعم جمهورية الصومال جبهة تحرير الصومال الغربي التي تقوم بحرب عصابات في إقليم (الأوغادين).

الحدود مع كينيا:

بعد أن احتلّت إيطاليا القسم الجنوبي من الصومال (الصومال الإيطالي) تنازلت إلى بريطانيا التي تحتلّ كينيا عن قسمٍ من الأراضي الصومالية، والتي عُرفت فيما بعد باسم (الصومال الكيني) عن طريق المساومات والاتفاقات الاستعمارية الصليبية حسب المصالح وتوزيع مناطق النفوذ. فلما استقلّت الصومال كان لا بدّ من أن تُطالب باستعادة ما سُلب منها. وحاولت بريطانيا إثارة هذه القضية لتُؤخّر استقلال كينيا، وطالبت الصومال بإجراء استفتاءٍ لسكان المنطقة وإرسال لجنةٍ لتقصي الحقائق. وشكّلت بريطانيا لجنةً غير أنها لم تفعل شيئاً. وبقيت المشكلة قائمةً، والعلاقات بين الصومال وكينيا مُتوتّرةً.

كانت كينيا ترفض إجراء أي استفتاءٍ، وتُعلن أنها لن تُفرّط بشبرٍ واحدٍ من منطقة الحدود الشمالية وعندما أُجريت الانتخابات في كينيا وقعت صدامات خطيرة بين رجال الأمن وبين سكان المناطق الشمالية الذين قاطعوا الانتخابات، وطالبوا بالانضمام إلى الصومال. فقد وقعت صدامات في بلدة (أسيولو) ذهب ضحيتها أربعة من الصوماليين، وجرح تسعة آخرون، حيث تجمّع السكان أمام مراكز الاقتراع للاحتجاج على إجراء الانتخابات في منطقتهم، فأطلقت قوات الأمن عليهم النار، والقنابل المسيلة للدموع، وكانت الطائرات تُحلّق فوق المنطقة تُراقب تجمّعات السكان، واعتقلت السلطات الكينية عدداً من أعيان الصومالي الكيني.

وأخيراً استؤنفت العلاقات السياسية مع بريطانيا وكينيا عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م).

الانقلاب الأول:

اغتال أحد الشرطة رئيس الجمهورية عبد الرشيد علي شير مارك في ٤ شعبان ١٣٨٩ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م) وبعد ستة أيامٍ سيطر الجيش وبانقلابٍ عسكريٍ على الحكم عشية اليوم الذي كان مقرراً فيه إجراء

انتخابٍ رئاسي، واستولى على السلطة قائد الجيش والقوات المسلحة محمد زياد بري، فعلق دستور (١٩٦٠ م)، وحلّ المجلس الوطني، وألغى الأحزاب السياسية، وشكّل حكومةً جديدةً من قبل المجلس الثوري الأعلى الذي يرأسه، وأعلن جمهورية الصومال الديمقراطية، وشكّل (المليشيات) الشعبية لتدعم النظام، وتألّفت من الشباب المسلح الذين هم دون سن العشرين، وأُطلق عليها اسم «جول ديال».

وفي شهر شعبان ١٣٩٠ هـ (تشرين الأول ١٩٧٠ م) أعلن محمد زياد بري دولة الصومال الاشتراكية، وتوالت البعثات من الإمبراطورية الروسية، وتعهدت ألمانيا الشرقية بتدريب رجال الأمن والشرطة. وبدأ برنامج ثوري للوحدة الوطنية، والإصلاح الاجتماعي والاقتصادي.

وبدأت أعمال الإعدام في جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (حزيران ١٩٧٢ م)، وتوجّهت نحو أهل العلم، والتنظيمات الإسلامية فتلقّت الصومال مقابل ذلك أموالاً سخيةً باسم المساعدة الأخوية نتيجة السنوات العجاف التي تجتاح الصومال، وكانت هذه الأموال عن طريق الجامعة العربية من الدول (الإسلامية) الغنية، وقد احتجّ العلماء على إرسالها نتيجة ما يجري في الصومال فدُفعت عن طريق الجامعة العربية.

وفي ٧ رجب ١٣٩٢ هـ (١٦ آب ١٩٧٢ م) أذاع الرئيس محمد زياد بري بدء تطبيق الاشتراكية العلمية في الصومال والتي أسّسها كارل ماركس، وطبّقها لينين (العظيم) ـ حسب رأي البيان ـ.

وفي ١٤ رمضان ١٣٩٢ هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٧٢ م) يوم الذكرى الثالثة للثورة أعلن الصومال إلغاء اللغة العربية، واستخدام الحروف اللاتينية لعدة اعتباراتٍ، ولظروفٍ خاصةٍ ـ حسب رأي أصحاب البيان ـ (وذلك عقب قبول الصومال عضواً في جامعة الدول العربية).

حلّ المجلس الثوري الأعلى نفسه بنفسه، وحُوّلت السلطة إلى الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي الجديد، وأصبح أعضاء المجلس

الثوري الأعلى جميعاً أعضاء في الحزب الحاكم، وتولّى محمد زياد بري الأمانة العامة للحزب.

جرت محاولة انقلاب فاشلة عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) قام بها بعض رجال القوات المسلحة، قتل فيها مئات الأشخاص، وألقي القبض على ١٧ ضابطاً، وحكم عليهم بالخيانة العظمى، وتم تنفيذ حكم الإعدام فيهم، وفرّ ضباط آخرون إلى الحبشة، وشكلوا هناك جبهة العمل الديمقراطي الصومالي، ومنهم عبدالله يوسف.

ووُضع دستور جديد للبلاد، وعُدّ ساري المفعول في شوال ١٣٩٩ هـ (أيلول ١٩٧٩ م)، وأجريت الانتخابات العامة لمجلس الشعب الجديد في محرم ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م)، وعقد جلسته الأولى في شهر صفر ١٤٠٠ هـ (كانون الثاني ١٩٨٠ م)، وانتخب محمد زياد بري رئيساً للجمهورية.

أعلن الرئيس الصومالي حالة الأحكام العرفية في ذي الحجة ١٤٠٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٠ م) بسبب زيادة عدد اللاجئين، وأعاد تشكيل المجلس الثوري الأعلى، ومنحه سلطاتٍ مُكثّفةً. ولكن في جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (آذار ١٩٨٢ م) تحسّن الموقف بشكلٍ كافٍ للاستغناء عن المجلس. وأُعيد تشكيل الحكومة بصورةٍ تنسجم مع إلغاء المجلس. ولكن مما تجدر ملاحظته أن نفوذ قبيلة (مارهان) التي ينتمي إليها محمد زياد بري قد طغى على نفوذ قبيلة (ميجرتين) وقبائل (إسحاق) التي تُشكّل مجموعة المعارضة الرئيسية.

وجرت اعتقالات واسعة بين صفوف السياسيين البارزين في المنطقة الشمالية في شعبان ١٤٠٢ هـ (حزيران ١٩٨٢ م)، فتقلص نتيجة ذلك نفوذ قبائل شمالي الصومال، غير أن الحكم قد واجه معارضةً شديدةً في تلك الجهات في العام التالي ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)، وحدث عصيان في جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م)، واستمرت أعمال الفوضى طيلة العام.

وجرى اختطاف الطائرات المدنية في صفر ١٤٠٥ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٤ م) في سبيل لفت انتباه العالم إلى ما يجري في الصومال. ومع ذلك فإن الانتخابات العامة التي جرت في ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (كانون الأول ١٩٨٤ م) قد حصل فيها مرشحو الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي على ٩٩,٩٪ من مجموع أصوات الناخبين، وإن كان هذا يعطي مُؤشّراً إلى الخوف القائم في النفوس من غطرسة الحزب الحاكم.

وأعلن الرئيس الصومالي عن تشكيل حكومةٍ جديدة في جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ (شباط ١٩٨٥ م)، وأعلن أنها ستولي أهميةً خاصةً للدفاع والاقتصاد. وتمّ إحداث وزارة للمالية في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م) طبقاً لسياسة الإصلاحات الاقتصادية.

وتشكلت في بريطانيا جبهة معارضة عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) حملت اسم حركة الصومال الوطنية، ثم انتقلت قيادتها إلى الحبشة عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

في رمضان ١٤٠٦ هـ (أيار ١٩٨٦ م) تعرّض الرئيس الصومالي لحادث سيارةٍ أجبره على الغياب عن بلاده مدة خمسة أسابيع للمعالجة الطبية في المملكة العربية السعودية، وتولّى تسيير أمور الدولة في غيابه نائب الرئيس الأول، وزير الدفاع اللواء محمد علي سماتر، بعد فرض حالة الطوارىء الموقّتة.

وأُجريت الانتخابات الرئاسية في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م) وكان محمد زياد بري هو المرشح الوحيد فحصل على ٩٩,٩٣٪ من أصوات الناخبين، وهذه نتيجة كل استفتاءٍ عسكري، وبذا تجددت الرئاسة الثانية لمدة سبع سنوات أخرى.

وأُعيد تشكيل الحكومة من جديدٍ في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) وتسلّم اللواء محمد علي سماتر رئاسة الوزارة، وهو منصب

جديد، وكان يقوم به الرئيس نفسه، ولكن بقي يخضع للرئيس بتصرفاته كلها.

وعُيّن العقيد عبد القادر حاج محمد مساعداً للأمين العام للحزب الاشتراكي الثوري الصومالي، الحزب الحاكم، في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م).

وأُعيد تشكيل الحكومة في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م)، وعُيّن أخ الرئيس لأمه (عبد الرحمن جاما بري) وزيراً للمالية، وكان من قبل يشغل منصب وزارة الخارجية.

وقّعت الصومال والحبشة معاهدة سلام بينهما في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م)، وعُدّت أنها كانت سبباً في زيادة شعبية الرئيس محمد زياد بري على الرغم من أن الصومال قد حصلت على السلام دون التصريح بمطالبتها بمنطقة الأوغادين.

علاقات الصومال مع الدول المجاورة:

كانت الصومال تطالب دائماً بحق تقرير الصوماليين جميعاً وخاصة أولئك الذين يعيشون في منطقة الأوغادين التي تُسيطر عليها الحبشة، ومنطقة الصومال التي تسيطر عليها كينيا، والتي تُشكّل المنطقة الشمالية من كينيا.

أ ـ مع الحبشة:

شنّت جبهة تحرير الصومال الغربية في رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) هجوماً في قلب الأوغادين وبدعمٍ من حكومة الصومال، وهذا ما أدّى إلى إغلاق القنوات العسكرية، والسياسية، والاقتصادية بين الصومال والإمبراطورية الروسية، والتي كانت قائمةً منذ عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) عندما قام الانقلاب الأول في الصومال، وتمّ طرد ستة آلاف إداري روسي من أراضي الصومال في ذي الحجة ١٣٩٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٧ م). وقامت الحبشة بشنّ هجومين معاكسين في أواخر محرم ١٣٩٨ هـ (كانون الثاني ١٩٧٨ م) وبدعمٍ روسيٍ، وكوبيٍ، واضطرت الصومال إلى

الانسحاب في ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ (آذار ١٩٧٨ م)، وبقيت العلاقات بين الصومال والحبشة في دائرةٍ مغلقةٍ، وكان الرئيس الصومالي يرفض أي حوارٍ مع الحبشة، ما دامت الجيوش الحبشية تحتلّ المناطق الحدودية للصومال.

اجتمع الرئيس الصومالي محمد زياد بري مع الرئيس الحبشي منجستو ماريام في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م)، وهو أول لقاءٍ بين قادة البلدين منذ عشر سنوات، وكان اللقاء يهدف إلى وضع حدٍّ للعداوة، وإنشاء لجنةٍ صوماليةٍ - حبشيةٍ مشتركةٍ لحلّ موضوع الأوغادين، وتمّ لقاء هذه اللجنة عدّة مراتٍ كل بضعة شهورٍ، ولمدة سنةٍ ونيف لم تقع أية حوادث على الحدود بين الطرفين، وحتى اتهمت الصومال الحبشة في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) بالتدخّل المسلّح في منطقة (توغدير) التي تقع شمال مقديشيو وعلى بعد ٧٠٠ كيلومتر منها، وإن أنكرت الحبشة هذا التدخّل وهذا الادّعاء إلا أن التوتّر تصاعد لأن كلا الجانبين واصل الحملات الإعلامية وادّعاء حشد جيوش الطرف الآخر على الحدود.

ثم عادت المفاوضات وتمّ اللقاء ثانيةً بين رئيسي البلدين في مقديشيو في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) وتمّ توقيع اتفاقية السلام بنجاحٍ، وتشمل أن تعود العلاقات السياسية بين الدولتين، وأن تُسحب جيوش الطرفين من الحدود، وأن يتمّ تبادل الأسرى من الجانبين، وأن يمتنع كل طرفٍ من اتخاذ التهديد بالقوة ضد الفريق الآخر، والتوقّف عن مساعدة منظمات المعارضة للدولة الثانية. ودعوة الأقاليم للاستقلال السياسي، وكذلك تقرّر أن تعالج قضية الأوغادين من قبل لجنةٍ مشتركةٍ فيما بعد، ولم ينقض الشهر حتى سُحبت الجيوش من الحدود، وفي صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) تمّ إعادة ٣٧٤٥ أسير من الجانبين إلى الوطن كانوا قد أُسروا خلال حرب الأوغادين ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٧ - ١٩٧٨ م). وعقد الاجتماع الأول للجنة الوزارية الصومالية - الحبشية المشتركة في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) لتنفيذ اتفاقية السلام التي وُقّعت في مقديشيو في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م).

ب ـ مع كينيا:

وتحسّنت العلاقات بين الصومال وكينيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) نتيجة توقيع عدة اتفاقاتٍ بين الدولتين تشمل الموضوعات الأخرى غير السياسية كالتجارة، والتعاون الفني، والاتصالات. وفي ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) وقّع وزراء من كلا البلدين على التعاون المشترك، وتعهد الجانبان بتوطيد العلاقات الوثيقة القائمة. غير أن الحكومة الكينية اتهمت القوات الصومالية في شهر صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) بانتهاك حرمة الحدود أثناء مطاردة أعضاء حزب الحركة الوطنية الصومالية.

إن القتال المتقطع باستمرار في منطقة الأوغادين منذ عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م)، والقحط الطويل منذ ذلك العام أيضاً، ولغاية عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) حيث انهمرت أمطار غزيرة، ومشكلة اللاجئين المعقّدة كلّ هذه أدّى إلى عودة أعدادٍ من اللاجئين الأحباش إلى أراضيهم الزراعية في مواطنهم. غير أن عودة سنوات القحط عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) كان الاحتمال كبيراً لتدفق اللاجئين من جديدٍ من الحبشة، وقدّرت وكالات الأمم المتحدة بأن السكان الذين تمّ تأمين مساكن لهم في مخيمات اللاجئين بالصومال حوالي سبعمائة ألف في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م)، ولكن استمرار تدفّق اللاجئين خلال ذلك العام قد زاد من سكان مخيمات اللاجئين إلى ثمانمائةٍ وأربعين ألفاً في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م). وأدّى هذا إلى تدهورٍ في الاقتصاد الصومالي، وضرورة طلب مساعداتٍ دوليةٍ. وقدّرت وكالات الأمم المتحدة بأن حوالي ٤٤٥,٠٠٠ لاجىءٍ حبشيٍ قد بقوا في الصومال الجنوبي في شعبان ١٤١٠ هـ (آذار ١٩٩٠ م)، وخُطّط لبرنامج مساعداتٍ غذائيةٍ وماليةٍ في جمادى الأولى ١٤١١ هـ (كانون الأول ١٩٩٠ م) تقدّم إلى ٧٠٪ من اللاجئين الذين فضّلوا البقاء في الصومال، وأما ٣٠٪ فقد قرّروا الإياب إلى الحبشة.

ونتيجة انحباس المطر ولسنتين متواليتين قرّرت الحكومة في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) إعلان حالة الطوارىء، وأذاعت أن ثلاثة ملايين إنسانٍ مُهدّدين بخطر المجاعة، وهذا ما نشّط عمل وكالات المساعدة الدولية بالإغاثة.

وقام بعض أعضاء جبهة الخلاص الوطني الصومالية في عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) بمحاولة انقلابٍ فاشلةٍ، وشاركتهم مجموعات معارضة أخرى، وشكّلوا الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال، ثم انضمّت إليهم مجموعة أخرى أسّست عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) الحركة الوطنية الصومالية وبدعمٍ من الحبشة غزت وحدات من هذه الجبهة منطقة الحدود في رمضان ١٤٠٢ هـ (تموز ١٩٨٢ م) وعلى الرغم من المساعدة العسكرية التي جاءت من إيطاليا ومن الولايات المتحدة فإنه لم يكن بالإمكان زحزحة القوات الغازية عن مواقعها. وأعلنت الحكومة الصومالية العفو العام فاستسلم مائتا مقاتلٍ بناءً على ذلك العفو في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م). وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) أعلنت الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال مسؤوليتها عن أعمال الهجوم التي وقعت في الشمال والغرب. غير أن الحكومة الصومالية قد وضعت اللوم، وعزت القيام بالهجوم إلى الحبشة كعادتها. وقد قلّ حجم مساعدات الحبشة للمعارضة الصومالية بعد اللقاء الذي تمّ بين رئيسي الحبشة والصومال في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) وخاصةً الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال، والتي نُقل أن عدداً من قادتها قد وضعوا تحت الإقامة الجبرية في جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (كانون الثاني ١٩٨٧ م)، وفي الشهر نفسه استطاعت الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال أن تحاصر مدينة «هرجيسة» وأن تعزلها عن بقية المنطقة، وأن تقطع الطريق المؤدّي إلى جيبوتي، وأذاعت الجبهة في الشهر التالي جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) أن مقاتليها قد اشتركوا مع قوات الحبشة في الهجوم الحدودي على منطقة «توغدير»، وبعد ثلاثة أشهر أعادت الجبهة سيطرتها على مدينة «هرجيسة» ومدينة «بوارو»

ومِيناء «بربرة» على خليج عدن. وأنكرت الحكومة هذا الادعاء، وظهر بعد شهرين أي في ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) أن بعض هذه المناطق قد أُعيدت السيطرة عليها.

وجرى قتال عنيف في أشهر الصيف، وانتهى بإعادة سيطرة قوات الحكومة على «بوراو» في أول ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (١٥ تموز ١٩٨٨ م)، وعلى «هرجيسة» في مطلع عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م)، وكان الأجانب قد أخلوا «هرجيسة» في منتصف شوال ١٤٠٨ هـ (١ حزيران ١٩٨٨ م)، ولم تستطع الحكومة بعدها تجاهل مطالب المعارضة الصومالية وحركة الصومال الوطنية.

وصرحت حركة الصومال الوطنية في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) بأنها لا تزال تسيطر على ٩٥٪ من المنطقة، وفي الشهر نفسه، وبتوصية من اللجنة التي كُلّفت للتحقيق بمشكلات الشمال أعلنت الحكومة برنامج إصلاحاتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ للمنطقة. وفي شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) شكلت الحكومة لجنةً وطنية لإدارة المناطق الشمالية الشرقية، ومناطق «توغدير» من البلاد.

وفي هجومٍ مُتجددٍ وقع في رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) أذاعت حركة الصومال الوطنية أنها استولت على مدينة «أودوينا»، وقتلت خمسمائة جنديٍ من جيش الحكومة، وأنها هاجمت مدينة «عين أبو»، وهي مدينة تبعد عن «بوراو» مائةً وعشرين كليومتراً، وتقع إلى الجنوب الشرقي منها. وفي الشهر نفسه عُيّن حسين عبد الرحمن متّان وزيراً للدفاع، وهو أول وزير للدفاع مدني منذ عشرين سنةً مرّت على الصومال، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على رغبة الحكومة بإيجاد حلٍّ سلميٍ للحرب الدائرة في المناطق الشمالية عوضاً عن الحلّ العسكري الذي لم ينتج عنه إلا الخراب.

وفي شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) قام جنود من إقليم الأوغادين، وهم يُشكلّون جزءاً كبيراً من الجيش الصومالي، واحتلّوا مدينة «أفمادو» في

الجنوب، في منطقة «جوبا السفلى»، وذكروا أن هذا إنما كـان لطرد ثم اعتقال وزير الدفاع السابق العماد عدنان عبدالله نور، وهو مثلهم من إقليم الأوغادين. وهدأ العصيـان بعد مفـاوضاتٍ جـرت مع بعض الضبـاط من أصحاب الرتب العالية، وأُعيد تشكيل مجلس الوزراء من جديدٍ في رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م).

وفي المؤتمر الثالث للحزب الاشتراكي الثـوري الصومـالي في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) جرى نقاش حـول التعدديـة الحزبيـة، ولكن صدر القرار الأخير أن الصومال غير مستعـدةٍ في هذا الـوقت لهذا التغيير، وكان من المفروض أن تجري الانتخابات العامة لمجلس الشعب في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) غير أنها تأجلت لمدة سنةٍ.

تفجّـر الشغب في مقديشيـو بعد عيـد الأضحى من عـام ١٤٠٩ هـ (منتصف تموز ١٩٨٩ م)، وأدّى ذلك إلى اعتقال عددٍ من العلماء في أوائل العام الجديد ١٤١٠ هـ، وأُشيع أن عدداً من أعضاء مجموعة اتحاد صوماليا قد شاركوا في هذه الأعمال، وكذلك أعضاء من جبهة الصومال المتحدة الوطنية، وقد قمع الجيش والشرطة المظاهرات التي كان نتيجتها أربعمائة قتيلٍ وألف جريح، وأعلنت منظمة حقوق الإنسان بأن ستـةً وأربعين من الذين قُتلوا قد أُعدموا إعداماً بعد المظاهرات.

وإن قبيلة «مارهان» التي ينتمي إليها الرئيس محمد زياد بري، والتي تُعدّ هي الحاكمة قد فقدت الدعم الذي كانت تحظى به من أفراد قبائل الأوغادين الذين يقيمون في الصومال والذين يعمل كثير منهم في الجيش. وعرض الرئيس أن يتخلّى عن السلطة، كمـا أعلن أن أحزاب المعـارضة سيسمح لها بالمنافسة في انتخابات مجلس الشعب المزمـع إجراؤهـا في جمادى الأولى ١٤١١ هـ (كانون الأول ١٩٠ م).

وأُشيع أن صدامات وقعت بين قوات الحكومة وبين العسكريين الذين

ينتمون إلى قبائل الأوغادين في الصومال الجنوبي، كما أُشيع أن الحكومة قد فقدت سيطرتها على أكثر أجزاء البلاد، ولم يبق تحت هيمنتها سوى مقديشيو، وبربره، وجزء من هرجيسة. وإن العسكريين من الأوغادين الذين أُبعدوا عن الجيش قد شكّلوا مجموعة معارضةٍ جديدةٍ إضافةً إلى الحركة الوطنية الصومالية في الصومال الجنوبي، والجيش الوطني الصومالي في وسط البلاد.

وأعادت الحكومة الصومالية سيطرتها على مدينة «أفمادو» في الصومال الجنوبي من يد الحركة الوطنية الصومالية في أوائل ربيع الأول ١٤١٠ هـ (أوائل تشرين الأول ١٩٨٩ م).

وعيّن الرئيس محمد زياد بري لجنةً لإعادة النظر في الدستور مع فكرة تشكيل أحزابٍ سياسيةٍ معارضةٍ للمشاركة في الانتخابات المقرر إجراؤها. وفي جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) أقال الرئيس الوزارة لفشلها في حلّ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية حسبما أذاعه، ودعا اللواء محمد علي سماتر رئيس الوزراء الأسبق وكلّفه بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ، فتمّ تشكيلها في رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م).

إن الصدامات بين قوات الحكومة والمعارضة قد زاد من خروج الكثيرين من الصومال، ولجوئهم إلى الحبشة وكينيا، وقُدّر عدد هؤلاء اللاجئين في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) بأربعمائة ألف صومالي كانوا يعيشون في مخيماتٍ في الحبشة.

العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية:

كانت الولايات المتحدة بطيئةً في تنفيذ برنامج المساعدة العسكرية والفنية للصومال الأمر الذي أدّى إلى فتور العلاقات بينهما، وأعلن الرئيس محمد زياد بري في صفر ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م) بأن العلاقات السياسية مع الامبراطورية الروسية يجب أن تعود. فقامت بعثة عسكرية أمريكية بزيارة للصومال في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م)، وبعد

مناقشاتٍ مع الحكومة الصومالية، وافقت اللجنة على زيادة المساعدات العسكرية للصومال، ولم تُحدّد هذه المساعدة بأموال لشراء أسلحةٍ أمريكيةٍ دفاعيةٍ، والتي كان عليها قيود من قبل، وبلغت المساعدة العسكرية الأمريكية للصومال عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) تسعة ملايين دولار تقريباً.

واشتركت القوات الأمريكية في تدريباتٍ عسكريةٍ مع القوات الصومالية في الصومال في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م)، وصرّحت الحكومة الصومالية في ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول ١٩٨٨ م) عن نيتها في تقوية أواصر الصداقة مع الولايات المتحدة في مجال الدفاع. وادّعت الولايات المتحدة في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) أن هناك مقتاً واسعاً من لجنة حقوق الإنسان على الحكومة الصومالية وخاصةً الجيش الصومالي لما يقوم به ضدّ المعارضة من أعمالٍ وحشيةٍ لذا ـ وحسب المزاعم الأمريكية فقد علّقت الحكومة الأمريكية مبلغ مليونين ونصف دولار من المساعدة العسكرية، وواحدٍ وعشرين مليوناً من المساعدة الاقتصادية للصومال.

الأحداث الأخيرة:

أسّس الرئيس الصومالي محمد زياد بري في مقديشيو مكتباً للمنظمة الديمقراطية الشعبية الأورومية المعارضة في الحبشة لنظام (منغستو ماريام) فما كان من الحكومة الحبشية إلا أن ضاعفت من دعم المعارضة الصومالية.

واشتدّ القتال بين قوات الحكومة الصومالية، وبين قوات فصائل المعارضة التي زاد ضغطها، وظهر تفوّقها، واضطر الرئيس الصومالي أن يفر من البلاد في ١٣ رجب ١٤١١ هـ (٢٨ كانون الثاني ١٩٩١ م). وتمكّنت القوات المسلّحة المعارضة التي تتألف أكثريتها من أفراد قبيلة «الهوية» أن تدخل مقديشيو بقيادة العقيد (محمد فارح عيديد)، وتسلّم علي مهدي محمد رئاسة الدولة موقتاً لمدة شهرٍ ريثما يتمّ تنظيم الدولة، وكان رئيس

الحكومة الصومالية التي كانت على رأس السلطة يوم قام بالانقلاب محمد زياد بري في ١٠ شعبان ١٣٨٩ هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٦٩ م). كما عُهد إلى (عمر عرتة) برئاسة حكومةٍ موقتةٍ، وهو من قبيلة الهوية نفسها، ومن التنظيم نفسه (المؤتمر الصومالي الموحد)، وقد تجاهلوا باقي التنظيمات السياسية المعارضة وقواتها المسلحة التي ساهمت في قتال قوات محمد زياد بري، وهذا ما أثارها عليها وخاصةً قبيلة «المجرتين» وتنظيمها «الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال» بقيادة (عبدالله يوسف)، وقبائل «الإسحاق» وتنظيمها «الحركة الوطنية الصومالية» برئاسة (عبد الرحمن أحمد علي تور)، وكذلك الحركة الديمقراطية الصومالية وجماعات إقليم الأوغادين برئاسة (عمر جيس). وقد اشتدّ الخلاف عندما قام (عمر عرتة) بتسريح الجيش الصومالي وسحب الأسلحة منه حيث حُصرت الأسلحة بيد أفراد قبيلة الهوية. بل زاد التجاهل للآخرين حتى وصل إلى الجناح العسكري لقبيلة «الهوية» الذي يتزعّمه العقيد (محمد فارح عيديد). فوقع الخلاف بين بطون قبيلة الهوية نفسها فعشيرة «الأبغال» تُؤيّد علي مهدي محمد الذي ينتمي إليها، والذي يتزعّم الجناح السياسي، كما يؤيّده الزعيم (أحمد جيلو)، وعشيرة «الهبرجدر» تُؤيّد محمد فارح عيديد الذي ينتمي إليها، والذي يتزعّم الجناح العسكري، ويعدّ (عثمان أحمد حسن آتو) مستشاره السياسي.

وبقيت قبائل الداروط تدعم الرئيس السابق محمد زياد بري الذي بقي له كيان صغير في الجنوب على حدود كينيا، ويتزعّم ما يسمى بالحزب الاشتراكي الثوري، وكان محمد زياد بري قد انتقل إلى كينيا بعد فراره من الصومال، ومنها انتقل إلى نيجيريا. وكانت كينيا قد منحت القوات التي تُقاتل مع محمد زياد بري تسهيلاتٍ عسكريةً في المناطق الحدودية داخل كينيا، فتضرب وتعود إلى كينيا، كما أن عبد العزيز بري قد أقام معسكراً للتدريب قرب مدينة (لامو) الكينية، الساحلية، ويُقيم هناك كذلك (محمد سعيد حرسي) صهر محمد زياد بري، والملقّب باسم (مورغان).

واشتدّ الصراع بين الفصائل الصومالية واستقلّ الشماليون، وشكّلوا «جمهورية أرض الصومال» برئاسة عبد الرحمن أحمد علي تور زعيم قبائل الإسحاق. ويُسيطر على العاصمة مقديشيو المؤتمر الصومالي الموحّد الجناح السياسي بقيادة رئيس الدولة الموقّت علي مهدي محمد، ورئيس الوزارة عمر عرتة، ورئيس الأركان أحمد جيلو. ويُنافسهم الجناح العسكري برئاسة العقيد محمد فارح عيديد الذي تعرف جماعته بالجبهة الوطنية الصومالية.

وفي أقصى الجنوب كيان الحزب الاشتراكي الثوري الذي يُؤيّد محمد زياد بري، وتدعمه قبائل الداروط.

وأضرمت نار القتال بين الأطراف الصومالية، وتشرّد الناس نتيجة الحرب، وانتشرت المجاعة، وأخذ السكان يتساقطون صرعى فمن نجا من القتل أهلكته المجاعة...

مؤتمر المصالحة الأول:

وجّه الرئيس الجيبوتي (حسن جوليد ابتدون) نداءً في ٢٣ شوال ١٤١١ هـ (٧ أيار ١٩٩١ م) للمصالحة، ولبّت النداء أربع جبهات هي:

١" ــ الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال.

٢" ــ المؤتمر الصومالي الموحّد.

٣" ــ الحركة الديمقراطية الصومالية.

٤" ــ الحركة الوطنية الصومالية.

وعُقد المؤتمر لمدة سبعة أيامٍ ٢٣ - ٢٩ ذي القعدة ١٤١١ هـ (٥ - ١١ حزيران ١٩٩١ م) وتقرّر فيه:

أ ــ تصفية النظام السابق.

ب ــ وقف إطلاق النار بين الفصائل.

جـ ــ عقد مؤتمر للمصالحة في الشهر القادم تشارك فيه الفصائل جميعها.

ووُضع جدول أعمال للمؤتمر المقبل، وفيه:

١ ــ إعداد دستورٍ موقتٍ لجمهورية الصومال.

٢ ــ اختيار أعضاء مجلسٍ نيابيٍ موقتٍ.

٣ ــ اختيار رئيس جمهوريةٍ موقتٍ.

٤ ــ تشكيل حكومة وطنية.

تمّ انعقاد المؤتمر في ٤ ـ ١٠ محرم ١٤١٢ هـ (١٥ ـ ٢١ تموز ١٩٩١ م) برئاسة آدم عبدالله عثمان الرئيس الأسبق لجمهورية الصومال، وبرعاية الرئيس الجيبوتي حسن جوليد ابتدون.

وشاركت فيه الفصائل الصومالية المقاتلة الآتية:

١ ــ الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال.

٢ ــ المؤتمر الصومالي الموحّد.

٣ ــ الحركة الديمقراطية الصومالية.

٤ ــ الحركة القومية الصومالية.

٥ ــ التحالف الديمقراطي الصومالي.

٦ ــ الجبهة الصومالية الموحّدة.

ولم تُشارك فيه الحركة الوطنية الصومالية التي تسيطر على شمالي البلاد.

وشاركت كذلك بعض البلدان العربية بصفة مراقب، وهي: السعودية، اليمن، عُمان، ليبيا، مصر، السودان.

وكذلك شاركت بعض الدول الإفريقية بصفة مراقب أيضاً، وهي: أوغندا، الحبشة، نيجيريا. وبعض البلدان الأجنبية، وهي: إيطاليا، فرنسا، ألمانيا، الصين، الإمبراطورية الروسية، والولايات المتحدة الأمريكية.

والمنظّمات الدولية وهي: جامعة الدولة العربية، منظمة الوحدة

الإفـريقية، الأمم المتحـدة، المؤتمـر الإسـلامي، الجمـاعـة الاقتصـاديـة الأوربية، منظمة مكافحة التصحّر من أجل التنمية.

ولكن لم يُؤدّ الأمر إلى نتيجةٍ واستمرّ الصراع، واشتدّ القتال، وزاد التشرّد، وتفاقمت المجاعة، وكثـر عدد القتـال حتى أصبحت الأرض تئنّ لكثرة من يُدفن فيها، ورثى التراب حالة من يعيش عليه.

وأخيــراً:

كانت تصل إلى الصومال بعض مواد الإغاثة الدوليـة فتعمل قـوات الفصائل المتحاربة على كسبها لمصلحة أفـرادها، وهكـذا لا تصل مـواد الإغاثة إلى السكان الجياع.

وجدت الولايات المتحدة في تصرّف الفصائل المتقاتلة في الصومال حجةً لدخول الصومال وتحقيق بعض أهدافها في تهديد السودان، فأرسلت قـوات إلى الصومـال، وقد أعلن الـرئيس إرسالهـا فقـال: قـررت بـاسم الـرب. . . إرسال خمسـة وعشرين ألف جنـدي إلى الصومـال. وكذلـك سـاهمت دول كثيـرة في هـذه القـوات المتعـددة الجنسيـات. وليس في الصومال من ثروات، فالحرب اليوم ليست من أجل ثروات إذ أن الصليبيين يضعون أيديهم عليها بالأصل في معظم أمصـار العالم الإسـلامي، وإنما الهدف هو الحرب الصليبية وإبادة المسلمين إبادة. . . فهذه هي المرحلة الأخيرة التي وصلت إليها الحرب الصليبية.

وفي إعلان الرئيس الأمريكي بإرسال القوات ما يُؤيّد ذلك.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة الصومال الحالية ٦٣٧,٦٦٠ كيلومتراً مربعاً، وتُشرف من الشمال على خليج عدن، ومن الشرق على المحيط الهندي، ويبلغ طول ساحلها ٣٠٢٥ كيلومتراً، ويبلغ طول حدودها البرية ٢٣٤٠ كيلومتراً حيث تجاور جيبوتي من الشمال، ويبلغ طول حدودها معها ٥٨ كيلومتراً، والحبشة من الغرب، وطول حدودها معها ١٦٠٠ كيلومتر، وكينيا من الجنوب، وحدودها ٦٨٢ كيلومتراً.

هذه هي مساحة الصومال المستقلة، ولكن هناك أجزاءً صوماليةً تحت سيطرة الحبشة وكينيا، وتُعادل هذه المساحة أيضاً.

ويبلغ عدد سكان الصومال المستقلة ثمانية ملايين وربع حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م)، وبذا تكون الكثافة حوالي ١٣ شخص في الكيلو المتر المربع الواحد. ولكن هناك ما يزيد على ضعف هذا العدد السكاني يقيم في الأجزاء التي تخضع لسيطرة الحبشة وكينيا.

ويبلغ معدل زيادة السكان ٣,٢٪ حسب تقديرات عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م).

الصراع العنصري والقبيلي:

يعود السكان في أصولهم إلى العنصر الصومالي الذي يُشكّل ٨٥٪ من مجموع السكان، وهو من أصل حامي اختلط بالساميين فنشأ عنه العنصر

الصومالي، وهناك قبائل البانتو ولا تشكل أكثر ١٣٪ من مجموع السكان، وهناك جاليات عربية، وأخرى أوربية وخاصةً الإيطالية في الجنوب، والإنكليزية في الشمال، وثالثة أمريكية وتعمل في شركات النفط وأعمال النقطة الرابعة، وأخذت تفد على البلاد بعد عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) ورابعة هندية وباكستانية. وهناك قلّة من اليهود تعيش في المدن الكبرى وتعمل الصياغة والتجارة والاحتكار.

واللغة الصومالية هي الرسمية، وهي فرع من السواحيلية، وكانت تكتب بالحرف العربي حتى وقع الانقلاب العسكري الأول، وانضمّت الصومال إلى جامعة الدول العربية، فألغت الحرف العربي، واستعملت الحرف اللاتيني لكتابة لغتها، وهناك اللغة الإيطالية، والإنكليزية، ولكن اللغة العربية منتشرة في الأوساط المتدينة. لذا لا نجد صراعاً عنصرياً في الصومال.

ولا تزال الحياة القبلية هي المسيطرة في بلاد الصومال، ولكل قبيلةٍ نفوذ على جزءٍ من الأرض، ولها رئيسها، كما لها صندوق مالي خاص يُساهم فيه كل فردٍ من أبناء القبيلة حسب دخله، وينفق منه لمصلحة القبيلة. وهناك عدّة قبائل رئيسية:

١ ـ الداروط، وأصلها الطارود، وهم من أصلٍ عربي طردوا من بلادهم.

٢ ـ الهوية.

٣ ـ أزاك.

٤ ـ دير.

٥ ـ ديجل ومرفلة: قبيلتان في الجنوب.

٦ ـ مجرتين: قبائل في الشمال الشرقي.

٧ ـ وهناك قبائل الأوغادين، ولما كانوا قد تركوا ديارهم، ولجؤوا إلى الصومال لذلك فهم يُشكّلون مجموعةً خاصةً، ويعمل أكثر رجالها بالجيش،

وغالباً ما يُؤيّدون السلطة، إذ تطالب بديارهم الأصلية وانتزاعها من أيدي الأحباش، ثم وقفت هذه المجموعة ضدّ السلطة عندما عُزل وزير الدفاع الذي هو أحد أفرادها.

ولكل قبيلةٍ بطون وفروع ومنها عشيرة «مارهان» التي ينتمي إليها محمد زياد بري، وتعدّ الحاكمة، ولما تسلّطت، وزادت غطرستها تحركت القبائل ضدّها حتى طرد الرئيس محمد زياد بري من السلطة.

الصراع الإقليمي:

نتيجة الاستعمار حدث بعض الاختلاف الثقافي والاجتماعي بين الجزء الجنوبي حيث كان السيطرة للطليان وبين الجزء الشمالي حيث كان النفوذ للإنكليز، وإن مدة الاستقلال القصيرة التي لم تزد على التسع سنواتٍ لم تستطع إحداث موازنة بين الإقليمين، وجاء الانقلاب الأول فأعاد الفرقة حيث أعطى إقليم الجنوب وقبائله هيمنةً على الشمال بل أعطى قبيلة الرئيس محمد زياد بري «مارهان» نفوذاً وتحكّماً على البلاد كلها، وهذا ما جعل شيئاً بين التمييز بين الإقليم الشمالي، والإقليم الجنوبي، وكان سكان الشمال يُصنّفون ضمن المعارضة، بل ونشأت رغبة عند بعضهم في فصل الإقليمين بعضهما عن بعضٍ، أو ميل لتحكّم الشمال كردّ فعلٍ عند أصحاب النظرة الضيقة والمحدودة والذين لا يقدّرون الأمور حق قدرها فتطغى عليهم السياسة المحلية أو النزوات الفردية.

الصراع العقيدي:

يُشكّل المسلمون في الصومال أكثر من ٩٩,٥٪، أي أنهم السكان جميعاً حيث لا يُؤبه للنصارى الأوربيين والأمريكان حيث لا يزيد عددهم على بضعة آلاف، ولا إلى اليهود الذين هم دون ذلك، ولا إلى الهندوس والبوذيين الذين هم لا يتعدّون المئات.

ولما كان السكان جميعهم من المسلمين تقريباً، وعلى المذهب

الشافعي لا نجد صراعاً عقيدياً، وفشلت الإرساليات التنصيرية في مهمتها بالتنصير فاكتفت والمستعمرون على إفساد السكان والعمل على إبعادهم عن العقيدة فنشأت مجموعات علمانية لا تهمها سوى مصالحها، فارتبطت مع المسيطرين على مقدرات البلاد من الأجانب، وكانت في صراعٍ مع المسلمين الملتزمين، وتدّعي الواقعية والتقدمية، وترفع شعار الحضارة، وتخفي شهواتها وأهواءها، وقد حصلت ـ بما لقيته من دعمٍ على المكانة فتحكّمت وفرضت مناهج غريبةً عن عقيدة الشعب.

الصراع الحزبي:

ظهرت التنظيمات الحزبية في وقتٍ مبكر نسبياً في الصومال، وإن كان حزب وحدة الشباب الصومالي في القسم الجنوبي هو الذي بدا قوياً، وكانت له الغلبة على باقي الأحزاب، وتسلّم السلطة في الصومال الإيطالي قبيل الاستقلال، وفي جمهورية صوماليا كلها بعد الاستقلال، وبقيت السلطة بيده حتى قيام الانقلاب الأول وإلغاء الأحزاب.

وكان إلى جانبه حزب صوماليا الكبرى، وجمعية الشباب الصومالي، والحزب الدستوري المستقل، والاتحاد القومي، والرابطة الإسلامية، وهذه التنظيمات كلها في القسم الجنوبي، أما في القسم الشمالي فقد كان حزب الرابطة الصومالية أقوى الأحزاب.

وكانت هذه الأحزاب كلها تدعو إلى جمع الصوماليين في دولةٍ واحدةٍ المستقلّ منها والذي لا يزال تحت السيطرة الأجنبية سواء، وإن كان الحزب الدستوري المستقل يدعو إلى قيام اتحاد بين أجزاء الصومال كي لا يطغى جزء على آخر ـ على رأي قادة الحزب الذي يضم زعماء قبيلتي «ديجل» و «مرفلة». وإضافةً إلى هذه التنظيمات كان هناك حزب الشباب الأحرار الصومالي، وتدعمه الحبشة، غير أنه كان ضعيفاً، ولم يلبث أن اختفى للصراع القائم والدائم مع الحبشة.

وعندما قام الانقلاب الأول في ١٠ شعبان ١٣٨٩ هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٦٩ م) ألغى الأحزاب كلها، وبعد ثلاث سنوات أسس العسكريون قادة الانقلاب الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي، وبقي هو الحاكم، حتى انتهى حكم زعيم ذلك الانقلاب الرئيس محمد زياد بري. لذا لم تبق هناك منافسات حزبية، ولكن وجدت معارضة حملت الصفة العسكرية. فالحكم عسكري والمعارضة أخذت تقاومه عسكرياً.

وجدت جبهة العمل الديمقراطي الصومالي، وشكلها الضباط الذين فروا من الصومال إلى الحبشة إثر محاولة انقلابٍ فاشلةٍ جرت عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

وتشكلت حركة الصومال الوطنية في بريطانيا عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)، وانتقلت قيادتها بعد عام إلى الحبشة، وشكلت مع سابقتها قوةً مقاتلةً في الحبشة، وحصلت على دعمٍ من قبل الحكومة الحبشية، وأعطتها محطة إذاعة، وشارك تلك القوة المقاتلة أفراد من الجيش الحبشي بالهجوم على الصومال الشمالي واحتلال أجزاء منه. وجرت اعتقالات واسعة في المناطق الشمالية بين صفوف السياسيين البارزين عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)، وتلا ذلك عصيان في الشمال عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م).

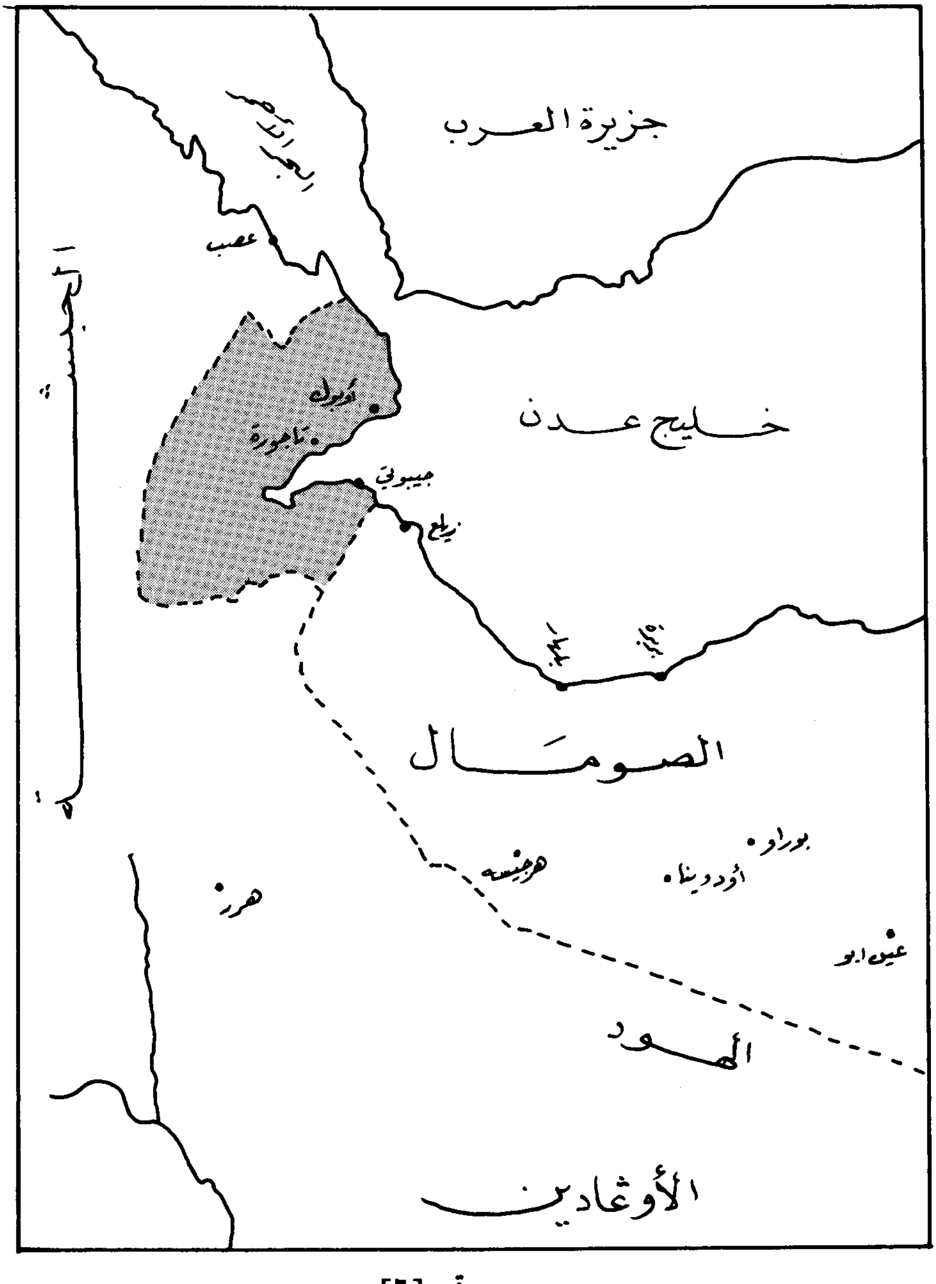
وانضمّت جبهات معارضة إلى جبهة الخلاص الوطني الصومالي، وشكلت الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال، ثم انضمت إليها مجموعات أخرى، ونشأ عنها حركة الصومال الوطنية.

ولما رأى الحكم قوة المعارضة العسكرية، وأحسّ بسخونة الموقف رأى بعض قادة الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي، وهو الحزب الحاكم الدعوة إلى التعددية الحزبية حتى يكون عمل المعارضة مكشوفاً لدى السلطة، وسياسياً أفضل من أن يكون عسكرياً، غير أن الحكم قد رفض أخيراً ذلك، وصدر قرار عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) أعلن رفض التعددية الحزبية، وادعى أن الصومال في الوقت الحاضر غير مستعدة للتغيير.

ووجدت جبهات عسكرية معارضة أخرى منها: اتحاد صوماليا، وجبهة الصومال المتحدة الوطنية، والجيش الوطني الصومالي، ومجموعة الأوغاديين الذين أبعدوا عن الجيش.

الباب الثاني

جيبوتي


جزيرة العرب
خليج عدن
أوبوك
تاجورة
جيبوتي
زيلع
عصب
الصومال
هرجيسه
بوراو
أوددينا
هرر
الهود
الأوغادين

مصور رقم [٦]

لمحة عن جيبوتي قبل إلغاء الخلافة

اشترت فرنسا ميناء (أوبوك) عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م)، ولكن لم تهتم به خوفاً من المستعمرين الصليبيين الآخرين، ولم تكن يومذاك على استعداد للمواجهة، وعندما قررت العمل فيها عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) أسرعت مصر صاحبة النفوذ وممثّلةً عن الدولة العثمانية، ووضعت حاميةً فيها. ووقفت بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ومصر في مواجهة فرنسا، لكن مصر لم تلبث أن تنازلت عن (أوبوك) لمصلحة فرنسا خوفاً من مساندة إيطاليا لفرنسا، ولاختلاف مصر مع بريطانيا أثناء الحركة العرابية التي تلاها احتلال بريطانيا لمصر.

وضعت فرنسا قوة حمايةٍ لها في (أوبوك) عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) بعد مقتل الفرنسي (أرنو)، وكانت (أوبوك) جزءاً من محافظة (تاجورا) التي تتبع إقليم (هرر)، وعقدت فرنسا معاهدةً عام ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) مع سلطان (تاجورا) أحمد بن محمد مع أن القوات المصرية لا تزال في (أوبوك) لم تنسحب منها بعد.

وعندما احتلّت بريطانيا مصر أواخر عام ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م) فصلت سواحل البحر الأحمر وهرر عن مصر، حتى يحدث فراغ سياسي في تلك المناطق وتملؤه الدول الاستعمارية. وأعطى (نوبار) النصراني الأرمني رئيس الوزارة المصرية أوامره إلى قادة القوات في هرر وسواحل البحر الأحمر بالانسحاب والعودة إلى مصر، فتلكأ قائد حامية هرر، وتعاطف معه الأهالي، وجنوده كافةً فجاءت الأوامر بعزله وتولية آخر مكانه، وانسحب

المصريون، وحدث الفراغ السياسي، وعهد (نوبار) إلى القائد البريطاني في منطقة الصومال (هنتر) للإشراف على تلك الجهات، ومعاقبة من لم يمتثل إلى أوامر الوزارة المصرية.

كانت فرنسا قد توسّعت حتى شملت محافظة (تاجورا) كلها. ثم جاء اتفاق الدول الصليبية الاستعمارية على تقسيم المنطقة فيما بينهم عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) حيث لم ترغب بريطانيا أن تكون في مواجهة إخوتها في العقيدة النصرانية والفكر الصليبي، فالمخطط يقتضي التفاهم، وحتى لا تعرّض طريق الهند للخطر، وتوسّعها هناك للمنافسة، حيث بسطت نفوذها على شمالي الصومال، وارتبطت مع سلطان (سوقطرى) بمعاهدة. وكان من نتائج التقسيم اعتراف الدول الصليبية بإعطاء فرنسا محافظة تاجورا، وحقها بالتصرف بما تحت يدها. وعُرفت تلك المحافظة منذ ذلك الوقت باسم (الصومال الفرنسي).

عدّت فرنسا المنطقة ملكاً لها، وأخذت تتصرّف مع السكان كأنهم عبيد لها، فسامتهم سوء العذاب، واضطهدتهم بأقسى أنواع الاضطهاد، وكبتت الحريات، فإذا ما شمّت رائحة حركة تدعو إلى التحرّر أو المطالبة بالحقوق ساقت حملات الإرهاب، وأذاقت الشعب الويل، واستمرّت تلك الحالة حتى أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م).

الفصل الأول

جيبوتي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ - ١١ رجب ١٣٩٧ هـ.

٣ آذار ١٩٢٤ - ٢٧ حزيران ١٩٧٧م.

استمرّت فرنسا في سياستها التعسفية في (الصومال الفرنسي) بل وفي كل منطقةٍ تخضع لاستعمارها حتى الحرب العالمية الثانية، حيث زاد الإرهاب تحت عنوان الأحكام العرفية وظروف الحرب. فلما وضعت الحرب أوزارها شكلت فرنسا في (الصومال الفرنسي) مجلساً تنفيذياً يضمّ خمسةً وعشرين عضواً منتخباً، وهو بمثابة مجلسٍ استشاريٍ، أما السلطة التشريعية والتنفيذية فهما مُركّزتان بيد الحاكم العام الفرنسي.

وعندما جرى التصويت على قانون ديغول عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) تدخّلت فرنسا بالاستفتاء بشكلٍ علنيٍ، وكانت النتيجة لمصلحة فرنسا، وهي البقاء ضمن المجموعة الفرنسية. وفي منتصف عام ١٣٧٨ هـ (كانون الثاني ١٩٥٩ م) قامت المظاهرات في ميناء جيبوتي تطالب بالاستقلال، وتندد بالاستفتاء الذي جرى، والذي لم يكن حرّاً، بل كان مُزيّفاً، وقد أجرته فرنسا لمصلحتها.

وأعلن العمال الإضراب العام والذي استمرّ أسبوعين متواصلين، ولم يقتصر على فئةٍ معينةٍ أو على العمال وحدهم، بل كان إضراباً عاماً اشتركت فيه الهيئات كافة والأفراد جميعهم وشمل المجلس التنفيذي إلى أقل الأفراد شأناً، وبعد انتهاء الإضراب قامت حملة الإرهاب، وطُرد رئيس المجلس

التنفيذي، ووزير العمل من منصبيهما، وغصّت السجون بنزلائها، وأخرج الكثيرون من البلاد.

ولكن وإن مرّت السنون إلا أن الحوادث كانت تتكرر، ويأبى سكان المنطقة إلا أن يخرج الفرنسيون من البلاد، وأن تنضمّ إلى باقي أجزاء الصومال. وكان يلجأ أكثر الفارين من الحكم الفرنسي إلى دولة الصومال، ويُقيم أكثرهم في العاصمة (مقديشيو)، ومنذ عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) أخذ يتوالى اللجوء، وأخيراً شكلت هذه العناصر جبهةً عُرفت باسم «جبهة تحرير الساحل الصومالي»، وتضمّ أعضاء الأحزاب السياسية، والنقابات العمالية، والجمعيات الإقلمية في الصومال الفرنسي.

وبعد العيد الأضحى من عام ١٣٨٢ هـ (٧ أيار ١٩٦٣ م) اعتقلت السلطات الفرنسية سبعةً من زعماء النقابات بتهمة الاحتفال بيوم العمال العالمي، وقامت بعد شهرٍ باعتقال رئيس حزب الحركة الشعبية وبعض زملائه بتهمة توزيع منشوراتٍ معاديةٍ للسلطات الفرنسية. وقد أصدرت جبهة تحرير الساحل الصومالي بياناً نددت فيه بالأعمال الوحشية والإرهابية التي تقوم بها السلطات الفرنسية في جيبوتي بقصد السيطرة الاستعمارية على الميناء الصومالي. وبعثت الجبهة بنصّ البيان إلى (أوثانت) الأمين العام للأمم المتحدة، وإلى (ظفر الله خان) رئيس الدورة للأمم المتحدة في ذلك الوقت، وشرحت فيه معارضة هذه الأعمال لحقوق الإنسان، وميثاق الأمم المتحدة، وطالبت فيه الأمين العام للأمم المتحدة بالعمل على وقف هذه الأعمال، وتشكيل لجنةٍ دوليةٍ لدراسة الموقف، وإعادة الحريات، وجلاء المستعمر. وكانت الجبهة على درجة من الغفلة حيث ظنّت أن الأمم المتحدة ستفعل شيئاً، وجهلت أنها تسير حسب رأي الدول الكبرى النصرانية والتي تعمل حسب مخطط صليبي لمحو الإسلام.

كانت جيبوتي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية تعرف باسم الصومال الفرنسي، ثم أعلنت أنها منطقة دولية، ولكن في عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)

أعادت نسبتها إليها فأطلقت عليها «المنطقة الفرنسية عفر وعيسى»، وكان لهاتين القبيلتين (عفر وعيسى) علاقات قوية مع الحبشة والصومال. ولم يكن المجتمع في المنطقة لينقسم حسب هاتين القبيلتين حتى منتصف عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، ثم أخذ الانفصام يظهر بعد ذلك، إذ كان العيساويون يسيطرون على السياسات المحلية نتيجة أعدادهم الكبيرة في الميناء، وبدت المصالح المتضاربة، وعملت فرنسا على التظاهر بدعم المجتمع العفري ذي الأقلية لرمي الخلافات وإمكانية إبقاء سيطرتها على المنطقة فحدثت توترات وخاصةً في الميناء جيبوتي، ونمت فكرة المطالبة بالاستقلال، وبرز العنف الذي كان على شكلٍ متقطعٍ منذ عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م).

وفقد علي عارف برهان نائب رئيس مجلس الوزراء نجاح ثلاثة عشر نائباً من الذين يُؤيّدونه في الانتخابات التي جرت عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، واضطر إلى الاستقالة في رجب ١٣٩٦ هـ (تموز ١٩٧٦ م).

وتمّ الاتفاق أخيراً على أن يجري استفتاء شعبي على الاستقلال، وفي الوقت نفسه تجري انتخابات لمجموعةٍ من النواب في جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م)، وأن الاستقلال يجب أن يتبع ذلك، وبعد شهرٍ واحدٍ. واتفقت الأحزاب جميعها على أن يضمّها حزب واحدٍ يحمل اسم «التجمّع الشعبي من أجل الاستقلال» والذي أصبح بعد سنتين يسمى «التجمّع الشعبي التقدّمي».

وجرى الاستفتاء الشعبي، وأعطى تأييداً تاماً للاستقلال، أما انتخابات مجموعة النواب والتي رافقت الاستفتاء فقد حصلت القائمة الوحيدة للمرشحين التي يُؤيّدها الحزب على ٧٧٪ من مجموع الأصوات، وانتخب حسن جوليد أبتدون رئيساً للجمهورية، وأصبحت جيبوتي مستقلة بدءاً من ١١ رجب ١٣٩٧ هـ (٢٧ حزيران ١٩٧٧ م).

الفصل الثاني

الاستقلال

لعلّ الخلاف القبيلي الذي برز إثر الاستقلال بين قبيلتي عيسى وعفر كان أحد العوامل المهمّة التي واجهتها الدولة، وقد حاولت الإدارة الموازنة بين الجماعتين في المصالح كلّها، ولكن سرعان ما اشتكت (عفر) من التمييز بينها وبين أشقائها، وهاجمت سياسة الحكومة المؤيّدة للصومال التي يقلّ فيها العفاريون، وذلك إثر اعتقال مائتي شخص من أفرادها في مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الأول ١٩٧٧ م)، واستقال رئيس الوزراء (أحمد ديني) وأربعة وزراء آخرين ينتمون إلى (عفر). ثم وافق الرئيس الجيبوتي على أن يكون تمثيل (العفاريين) أكبر في الخدمات المدنية، وفي القوات المسلّحة، كما وافق على إطلاق سراح المحتجزين من أبناء هذه القبيلة.

وتم تشكيل وزارةٍ جديدةٍ في ربيع الأول ١٣٩٨ هـ (شباط ١٩٧٨ م) على أساس موازنةٍ قبيليةٍ مدروسةٍ بعناية. وفي شوال من العام نفسه (أيلول ١٩٧٨ م) أصبح (غوارد حمادو) وزير الصحة السابق رئيساً للوزراء. وأعلن عن سياسة «الابتعاد عن القبيلية السريعة».

وصدر قانون في ربيع الثاني ١٤٠١ هـ (شباط ١٩٨١ م) يقضي بانتخاب الرئيس من قبل الشعب مباشرةً عن طريق الانتخاب العام، وكان الرئيس (حسن جوليد ابتدون) هو المرشّح الوحيد، وقد أُعيد انتخابه في شعبان ١٤٠١ هـ (حزيران ١٩٨١ م).

وتبع ذلك صدور قانونٍ آخر في آخـر عام ١٤٠١ هـ (تشرين الأول ١٩٨١ م) ويقضي بإنشاء دولةٍ واحدةٍ أي الابتعاد عن القبيلية التي جعلت الـدولة كـأنها اتحـاد بين قبيلتين، وجرت الانتخـابـات العـامـة في رجب ١٤٠٢ هـ (أيار ١٩٨٢ م)، وفازت القائمة الوحيدة المعتمدة من قبل حزب التجمّـع الشعبي التقدّمي، وحصلت على ٩١٪ من مجمـوع الأصـوات. وتشكّلت حكومة جديدة في شعبان ١٤٠٢ هـ (حزيران ١٩٨٢ م) اختلفت قليلاً عن سابقتها من التقسيم القبيلي. وأعاد الرئيس تشكيل الحكومة من جديدٍ في آخر عام ١٤٠٢ هـ (تشرين الأول ١٩٨٢ م) وقد دخـل الوزارة ثلاثة أعضاءٍ جددٍ.

تجدد التوتّر من جديدٍ في جيبوتي في المدة التي سبقت الانتخابات الرئاسية والنيابية، وبدءاً من شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م). وسبق أن انفجرت في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) قنبلة في مقهى يرتاده الجنود في ميناء جيبوتي، وقتل نتيجة ذلـك أحد عشـر شخصاً منهم ثمـانية من الأوربيين، وقيل يومها أن ذاك كان احتجاجاً على الوجود العسكري الفرنسي في البلاد.

وجرت الانتخابات الرئاسية، وكان الرئيس (حسن جوليد ابتدون) هو المرشّح الوحيد وحصل على ٩٠٪ من مجموع الناخبين المسجّلين، كما فازت في الانتخابات النيابية القائمة المعتمدة من قبل حزب التجمّع الشعبي التقـدّمي وحصلت على ٨٧٪ من مجموع النـاخبين المسجلين، وتشمـل القائمة ٦٥ مرشحاً، وهو عدد أعضاء المجلس النيابي.

وحلّ الرئيس الجيبوتي الحكومة في ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشـرين الثاني ١٩٨٧ م)، وتمّ توسعة مجلس الوزراء حتى غـدا يضمّ ستة عشـر عضواً.

تمّت جولة استطلاعية للانتخابات الرئاسية في المنـاطق النائيـة أي خـارج العاصمـة جيبوتي في جمـادى الآخرة من عـام ١٤٠٨ هـ (شبـاط

١٩٨٨ م) أبرزت الوحدة الوطنية، ولكن هجوم حركة التحرير الشعبية على مدينة (بالهو) الحدودية قد أعطى مُؤشّراً إلى بدء عمليات تؤدي إلى خلافاتٍ قبليةٍ واسعة.

وأعاد الرئيس الجيبوتي في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) تنظيم حزب التجمّع الشعبي التقدمي فشمل ثلاثة أعضاء من بين أعضاء قيادته الخمسة عشر.

السياسة الخارجية:

تمّ توقيع معاهدات صداقةٍ وتعاونٍ منفصلةٍ عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) مع كلٍ من الحبشة، والصومال، وكينيا، والسودان كمحاولةٍ للبدء بعملية السلام في شرقي إفريقية. وفي ذي القعدة ١٤٠٤ هـ (آب ١٩٨٤ م) أعاد وزير الخارجية تأكيد سياسة جيبوتي بالحفاظ على الموقف الحيادي في الصراع الحاصل بين جيرانها في القرن الإفريقي، وأعرب عن رغبة حكومته بالعمل كوسيطٍ، وتمّ تشكيل لجنةٍ وزاريةٍ مشتركةٍ بين جيبوتي والحبشة لتقوية العلاقات القائمة والتعاون بين البلدين، وفي جولة المباحثات الأولى والتي عقدت في شوال ١٤٠٥ هـ (تموز ١٩٨٥ م) اتفق على تحسين التعاون الفني والعلمي في القطاع الزراعي. ولكن فسدت العلاقات بين الدولتين بعد أن قام (آدن روبليه أوالله) وزير التجارة، والمواصلات، والسياحة السابق بحملة تشهير ضد حزب التجمّع الشعبي التقدّمي، وفرّ بعدها إلى الحبشة، ومنح حق اللجوء السياسي، وشكّل هناك مجموعة معارضةٍ جديدةٍ عُرفت باسم «الحركة الوطنية الجيبوتية من أجل الديمقراطية».

علّقت جيبوتي اتصالاتها الجوية والبحرية مع جمهورية جنوبي اليمن الشعبية الديمقراطية في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م) بعد حادث اعتراض طائرةٍ عسكريةٍ يمنيةٍ طائرةً عسكريةً جيبوتية وأرغمتها على الهبوط في مطار عدن. ولعبت جيبوتي دوراً في إخلاء الجاليات الأجنبية من عدن

أثناء القتال الذي دار هناك في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م)، ولكن عادت العلاقات السياسية بين البلدين في ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م).

وضعت خطة جديدة في رجب ١٤٠٤ هـ (نيسان ١٩٨٤ م) لتوطين اللاجئين الأحباش الذين قُدّر عددهم بخمسة وثلاثين ألفاً. وقُدّر عدد اللاجئين الذين عادوا إلى الحبشة في ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (كانون الأول ١٩٨٤ م) بستة عشر ألفاً، وكان الوضع السياسي ورجوع سنوات القحط ثانيةً سبباً في عودة اللاجئين، وقُدّر عددهم رسمياً في شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران عام ١٩٨٧ م) بسبعة عشر ألفاً ومائتي لاجىء، وبعد شهرين تمّ الإعلان عن برنامج إعادة توطينٍ جديدٍ من قبل الحكومة الجيبوتية بالتشاور مع حكومة الحبشة. ووفقاً لمصادر جيبوتيةٍ بلغ عدد الذين أُعيد توطينهم طوعاً حسب هذا البرنامج ألفا لاجىء في نهاية رجب ١٤٠٧ هـ (نهاية آذار ١٩٨٧ م).

وشكّل هؤلاء اللاجئون عبئاً على الاقتصاد، وخاصةً قدوم لاجئين آخرين بصورةٍ غير نظاميةٍ من الصومال والحبشة، وهذا ما جعل وضع رقابةٍ شديدةٍ على الحركة عبر الحدود، وإعاقة دخول الغرباء، ووضع ضوابط لها.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) وقعت مواجهات عنيفة بين قوات الأمن وبين سكان بلدة (بالبالا) القريبة من العاصمة جيبوتي والمكتظة بالسكان، وذهب ضحية تلك المواجهة أربعة من القتلى، ومائة جريحٍ، وادّعت السلطات الجيبوتية أن للغرباء دور واضح في تلك المواجهة.

وزار الرئيس الفرنسي (ميتران) جيبوتي في ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م)، وهي الزيارة الأولى لرئيسٍ فرنسيٍ منذ الاستقلال، وقام الرئيس الجيبوتي حسن جوليد بزيارةٍ رسميةٍ لفرنسا في ذي القعدة

١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م)، وقد وصف خلال هذه الزيارة العلاقات مع فرنسا بأنها «نوعية مُميّزة»، وأثنى على النفوذ الهادىء للوجود الفرنسي العسكري في جيبوتي. إذ من المعلوم أن هناك قوات فرنسية ترابط في جيبوتي.

ونتيجة الجفاف الذي عمّ المنطقة وجدت منظمة «تطوير التعاون الإقليمي» في جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ (شباط ١٩٨٥ م) وشملت ست دولٍ، وكانت جيبوتي المقر الدائم لأمانة المنظمة الجديدة، وأصبح الرئيس حسن جوليد ابتدون الرئيس الأول لهذه الأمانة. وفي الدورة الثانية التي عقدت في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) اجتمع رؤساء دول المنظمة في جيبوتي، والتقى رئيسا الصومال والحبشة لأول مرةٍ منذ عشر سنوات خلت، وفي اجتماعٍ آخر في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) التقى ذلكما الرئيسان أيضاً واتفقا على إعادة العلاقات السياسية بين الدولتين، وعلى سحب جيشي البلدين من الحدود، وعلى تبادل أسرى الحرب.

وتضمّ هذه المنظمة كلاً من: الصومال، كينيا، أوغندا، جيبوتي، السودان، الحبشة، ويُطلق عليها الهيئة الحكومية الدولية للتنمية ومكافحة الجفاف، وهدفها التعاون لإيجاد موازنة تقلل من خطر الجفاف، ووافقت الدول المتبرعة والتي التقت رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) على دعم الهيئة بالتكنولوجيا والمادة لثلاثة وستين مشروعاً تقام في المنطقة نفسها.

وتجمّعت المعارضة المسلحة في جبهة إعادة الوحدة والديمقراطية، ويمثّلها (أحمد ديني) أول رئيس وزراء في جيبوتي بعد الاستقلال.

إن موقف جيبوتي في حرب الخليج التي دارت رحاها في جمادى الآخرة ورجب ١٤١١ هـ (كانون الثاني وشباط ١٩٩١ م) قد عزّز علاقتها مع فرنسا حيث قامت الدولتان في رجب ١٤١١ هـ بتوقيع معاهداتٍ

دفاعيةٍ موسّعةٍ للعمليات العسكرية. مع أن فرنسا قد رفضت التدخل العسكري في النزاع القائم بين جيبوتي والمنظمات العفرية.

وإن تأييد جيبوتي لقرارات الأمم المتحدة الصادرة ضد العراق قد عرّض علاقاتها المستقبلية للخطر مع العراق والتي كانت تقوم بدورٍ فعّال بالدعم العسكري والاقتصادي لجيبوتي.

وقد عزّز الرئيس حسن جوليد بإصرار علاقاته الودّية مع فرنسا، وشجّع على بقاء القوات العسكرية الفرنسية في جيبوتي، وقد كان هذا مثاراً للجدل بعد الغزو العراقي للكويت، وبعد نشوء أزمة الخليج إذ أصبحت جيبوتي قاعدة العمليات العسكرية المرتبطة لاشتراك فرنسا في القوة الدولية المنتشرة في منطقة الخليج.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ (كانون الأول ١٩٩٢ م) أصبحت جيبوتي مركز عمليات للجنود الفرنسيين المشتركين في القوة العسكرية للأمم المتحدة العاملة في الصومال.

وفي شهر ربيع الثاني ١٤١٤ هـ (تشرين الأول ١٩٩٣ م) تقدّمت المعارضة باقتراحاتٍ مشتركةٍ لوقف إطلاق النار، تعقبها مفاوضات تهدف إلى إنشاء حكومة وحدةٍ وطنيةٍ انتقاليةٍ للإشراف على الإصلاحات الديمقراطية، وقد حددت هذه الأهداف من قبل تنظيمين جديدين تأسّسا في الشهر نفسه، وهما: منظمة كتلة عفار، والحزب المركزي للإصلاحات الديمقراطية.

وفي شهر جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ (كانون الأول ١٩٩٣ م) قام الحزبان الجديدان بحملةٍ لإقناع الحكومة بالموافقة على إجراء انتخاباتٍ تشريعية تحت رقابة لجنةٍ مستقلةٍ.

وفي شهر رجب ١٤١٤ هـ (مطلع عام ١٩٩٤ م) وافقت الحكومة بضغطٍ اقتصاديٍ من فرنسا على تخفيض المصروفات العسكرية، مع أن العمليات العسكرية ضد حزب الدفاع عن الديمقراطية لم تنته.

وفي شهر شوال ١٤١٤ هـ (آذار ١٩٩٤ م) حصل تمزّق خطير في

حزب الدفاع عن الديمقراطية وقد حلّ المكتب السياسي للحزب بزعامة أحمد ديني، وأسس عدد من أعضاء القيادة السابقين مجلساً تنفيذياً جديداً مؤلّفاً من ثلاثة عشر عضواً بزعامة أوغوري كفلة.

وفي شهر ربيع الثاني ١٤١٥ هـ (أيلول ١٩٩٤ م) بدأت الأمم المتحدة برنامجاً لمدة شهرين لإعادة اثني عشر ألف لاجئٍ حبشي إلى مواطنهم.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة جيبوتي ٠٠٠" ـ ٢٢ كيلومتر مربع، ويبلغ طول حدودها البرية ٥١٧ كيلومتراً منها ٤٥٩ كيلومتراً مع الحبشة، و٥٨ كيلومتراً مع الصومال. ويبلغ طول ساحلها ٣١٤ كيلومتراً، ويتعمق خليج تاجورا إلى الداخل الأمر الذي يزيد في طول الساحل، ويجعل لميناء جيبوتي أهميةً.

ويبلغ عدد السكان حسب تقديرات عام ١٣١٢ هـ (١٩٩١ م) ثلاثمائةٍ وتسعةً وعشرين ألفاً، وبذا تكون الكثافة ١٥ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد.

الصراع العنصري:

يتألف السكان من مجموعتين رئيسيتين هما: قبائل (عيسى) وتُشكّل ٦٠٪ من مجموع السكان، وهي عناصر صومالية، وقبائل (عفر) وتُشكّل ٣٥٪ من مجموع السكان، إضافة إلى أعدادٍ قليلةٍ من العرب ثم من الأحباش والفرنسيين والطليان.

واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، وتعدّ اللغة العربية شبه رسميةٍ، ولغة (عفر) واسعة الانتشار.

أخذ الصراع بين المجموعتين الرئيسيتين منذ أن نالت البلاد استقلالها، وكان لا بدّ للإدارة من مراعاة الانتماء القبيلي عند تعيين كل موظف خوفاً من اشتعال نار الفتنة بين القبيلتين بحجة طغيان إحداهما على

الأخرى بتعيين موظف. وحتى السياسة الخارجية كانت تتأثّر بهذا الجانب، إذ أن قبيلة (عيسى) من أصلٍ صومالي، وهي صاحبة الأكثرية، وإن كل توجّه نحو الصومال يجعل القبيلة الأخرى (عفر) تعدّ هذا تعصّباً قبلياً، على حين أن البلاد لا يجاورها سوى دولتين إحداهما الصومال، وجيبوتي أساساً جزء منها، وتحاربهما الحبشة معاً على أساسٍ عقيديٍ، وليس لدولة جيبوتي إلا أن تتجه نحو الصومال عقيدةً وجواراً، وسياسةً ومصلحةً وآخر ما يكون هو الانتماء.

وعندما صدر قانون يقضي بانتخاب الرئيس مباشرةً من قبل الشعب في ربيع الثاني ١٤٠١ هـ (شباط ١٩٨١ م) عدّ العفاريون هذا عصبيةً إذ ما دامت قبيلة (عيسى) هي الأكثرية فلن يكون الرئيس إلا منها، فلم يرقَ لهم القانون، واحتجّوا على ذلك.

وإذا كان حزب التجمّع الشعبي التقدّمي هو حزب الحكومة، وهو الحزب الوحيد الرسمي، وينضوي فيه العيساويون والعفاريون إلا أن الصراع العنصري قائم في داخله، وكل فريقٍ يراقب الآخر، ويلتقي الطرفان فيه، لا يستأثر أحدهما بالسلطة، ولا يطغى جانب على آخر. وتوضع قوائم المرشّحين للانتخابات بالتفاهم بين الجماعتين، ولا يسمح بنزول سوى هذه القائمة.

ووجدت حركة التحرير الشعبية خارج جيبوتي، وتدعو إلى تحرير البلاد من التسلّط القبلي وضياع حقوق العفاريين، وأخذت تقوم ببعض العمليات.

وعقد العفاريون مؤتمراً لهم بالقرب من مدينة عصب الأريترية، واتخذوا فيه قراراً يعدّ الأول من نوعه، ودعا المؤتمر إلى وحدة العفاريين في كل من جيبوتي، وأريتريا، والصومال، والحبشة، وادّعى المؤتمرون أن عدد جماعتهم يناهز العشرة ملايين موزّعين بين هذه الأمصار، ويجب العمل على جمعهم في مصرٍ واحدٍ ضمن إطارٍ واحدٍ يحكمون فيه أنفسهم. وأعلن

المؤتمر عن تشكيل لجنتين أولاهما للعمل على وحدة أبناء القبيلة وثانيتهما للعمل على ممارسة الحكم الذاتي في مناطق عفر داخل أريتريا. فاستنجد الرئيس الجيبوتي حسن جوليد، وهو من أبناء قبيلة عيسى، بالقوات الفرنسية، وأعلن أن بلاده تتعرض لغزو أجنبيٍ من الخارج في الوقت الذي أعلن فيه العفاريون أن قواتهم الضاربة في أرجاء القرن الإفريقي تحاول إسقاط نظام الحكم في جيبوتي، وإقامة حكومة عفر الكبرى.

الصراع العقيدي:

لا يوجد صراع عقيدي في جيبوتي لأن السكان جميعهم من المسلمين، ويعيش بينهم عدد من النصارى الكاثوليك لا يزيد عددهم على ٨٥٨٥ فرداً أي لا تصل نسبتهم إلى ٠,٢٥٪ إضافة إلى أفراد محدودين من أتباع الكنيسة الأنكليكانية يتبعون للأسقفية في مصر.

ويعمل النصارى بهدوء مستغلين فقر السكان لنشر النصرانية بينهم ولكن دون جدوى، ولم تفلح جهودهم، لذا فإن عملهم الرئيسي ينصبّ لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم بالإفساد، وللعمل لدى السلطة للحيلولة دون نشر التوعية الإسلامية، ودون قيام حركاتٍ إسلاميةٍ خوفاً من الصحوة الإسلامية كي يبقى الأهالي على حالةٍ من الجهل يمكن العبث بهم.

الصراع الحزبي:

وُجدت قبل الاستقلال عدة تجمّعاتٍ سياسيةٍ سمحت السلطات الاستعمارية الصليبية لها بالعمل كي يبقى الخلاف بين السكان، وكي تصطفي لنفسها عناصر تتعرف عليها عن قرب باضطرارها الالتجاء إليها لتحقيق مصالحها، ولدعمها ضدّ خصومها السياسيين.

غير أن هذه التجمعات قد التقت بعضها مع بعض قبيل الاستقلال، وشكّلت ما عرف باسم «التجمّع الشعبي من أجل الاستقلال» والذي حمل منذ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) اسم «حزب التجمّع الشعبي التقدمي» ويضمّ

فئات من مختلف الشعب غير أن الصـراع القبيلي يحدث داخله. وهـذا الحزب هو الوحيد والحاكم في البلاد، وإن كانت الأهواء متباينة بين أفراد القبيلتين.

وقامت «الحركة الوطنية الجيبوتية من أجل الديمقراطية» برئاسة (آدن روبليه أوالله) الذي فرّ إلى الحبشة، وأسّس هناك حركته، وكان من قبل يشغل منصب وزارة التجارة، والمواصلات، والسياحة في جيبوتي، وهو من العفاريين. ثم قامت حركة التحرير الشعبية خارج جيبوتي، وتضمّ عناصر عفارية، وتعمل على بثّ الرعب لإضعاف النظام. فـالصراع قبيلي، وإن حمل أحياناً العنوان الحزبي.

القسم الثالث

الجنوبي

تانزانيا وجزر القمر

يشمل القسم الثالث من شرقي إفريقية الساحل الجنوبي الواقع جنوب خط الاستواء الممتدّ من خط عرض ١° جنوباً، وإلى آخر ما وصل إليه المسلمون على ذلك الساحل عند خط العرض ٢٠° جنوباً. وقد انتشر الإسلام في هذه الأجزاء على السواحل، وفي الجزر القريبة منها، ولم يتوغّل المسلمون إلى الداخل في البر الإفريقي لوجود الغابات، وقلّة السكان، وطبيعتهم البدائية، ونفورهم من الغريب، وتقوقعهم على أنفسهم، فلم يلتقوا بغيرهم لتجارةٍ، ولم يستمعوا لدعوة، وكانت هاتان المهمتان وسيلتي المسلمين للاتصال.

شكّل المسلمون في هذه الأجزاء إماراتٍ كانت موزعةً على الساحل، فكانت تشمل الواحدة منها مدينةً وما حولها، وربما تتسع قليلاً، أو تنضمّ إمارة إلى أخرى مثل: (كيلوا) و (سفالة) و (تانجا) و (لامو) و (ماليندي) و (براوة) وغيرها، كما تأسّست إمارات في تلك الجزر الصغيرة والقريبة من السواحل مثل: (بمبا) و (زنجبار) و (مافيا) و (جزر القُمر)، وهذه هي المناطق التي عمّها الإسلام.

كان هناك تعاون بين هذه الإمارات على أنها أجزاء من دار الإسلام، ولكنها لم تكن ذوات جيوشٍ وإمكاناتٍ قتاليةٍ، فهي صغيرة لا صراع بينها، وقد خفّ الجهاد في ديار الإسلام أو توقّف إلا في مناطق محدودةٍ لما حلّ بالمسلمين من ضعفٍ لبعدهم عن تعاليم دينهم وعدم تطبيق المفاهيم الإسلامية في واقع حياتهم، ولما نزل بهم من خلافاتٍ فيما بينهم. كما أن تلك الإمارات لم تكن تتوقّع غزواً خارجياً لها فالجنوب يمّ لا يأتي من جهته

أحد، والشرق بحر لا يصل من جهته غزاة، والشمال ديار الإسلام حيث المسلمون مشغولون بأنفسهم، لا يبيح لهم الدين غـزو هذه الإمـارات، وليس فيها ما يطمعهم بها، ولا هي تتحرّش بهم كي تُثيرهم عليها، ومن جهة الغرب تعيش أقوام بدائية لا هي تخرج لقتال بل لا تقبل الاختلاط، بل تهرب للعزلة في الغابة بين الأشجار الكثيفة، لذا كانت حياة أهالي هذه الإمارات في أمنٍ لا تحتاج إلى جنودٍ للدفاع، ولا إلى قواتٍ لردّ المعتدين أو صدّ الجوار.

ولمـا تعرّضت إمـارات شرقي إفـريقية للغـزو من قبل المستعمـرين الصليبيين البرتغاليين لم تستطع الصمود، وليس عنـدها مـا تردّ بـه الكيد فاستسلمت من غير مواجهةٍ، ودخلها البرتغاليون دون مقاومةٍ بـل استغرب السكان خروج هؤلاء الأعداء حيث لم يكونوا يتوقّعون ذلك بل لم يخطر على بالهم ذلك إذ كل مدى علمهم أن الجنوب مياه لا يسكن بعده إنس ولا جان.

واستقرّ البرتغاليون في مراكزهم التي لم تزد على مواقع المسلمين من قبل لذا لم يستطيعوا الدفاع عنها أيضاً، ولم يتمكّنوا من المواجهة فانسحبوا منها خائبين، وتركوا ما كانوا قد دخلوه، وحـلّ مكانهم العُمـانيون الـذين قدموا إلى المنطقة لقتال البرتغاليين الصليبيين، ففرض العُمانيون سلطانهم على تلك الأجزاء فكانت سلطنة زنجبار التي شملت تلك النواحي كلها، وكانت ترتبط بعُمان، وفي عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) نقل السلطان سعيد البوسعيدي عاصمته مـن مسقط إلى زنجبار، فغدت مدينة زنجبار قاعدة تلك السلطنة الواسعة. وعندما مات عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) قسمت السلطنة بين ولديه، فأخذ ثويني عُمان وما يتبعها، وأخذ ماجد زنجبار ومـا يلحق بها. وغدت زنجبار سلطنةً خاصةً يتبعها أكثر شرقي إفريقية.

وانتبـه ماجـد إلى الخطأ السـابق الذي فيـه وقع رؤسـاء الإمـارات الإسلامية السابقين، وهو الذي سار عليه البرتغاليون فلم يستطع أحد من

كلا الطرفين مواجهة الخصوم والدفاع عما تحت يده. لذا غيّر ما سار عليه من سبقه فنقل عاصمته من مدينة زنجبار في جزيرتها إلى دار السلام على ساحل البر الإفريقي، وفسح المجال للتجّار والدعاة بالولوج إلى داخل إفريقية وحماهم، ومهّد لهم الطرق فانتشر الإسلام في تلك الجهات حتى صار عقيدة أكثرية السكان، وكانت منطقة تانجانيقيا (التي حملت هذا الاسم فيما بعد) منطقةً إسلاميةً.

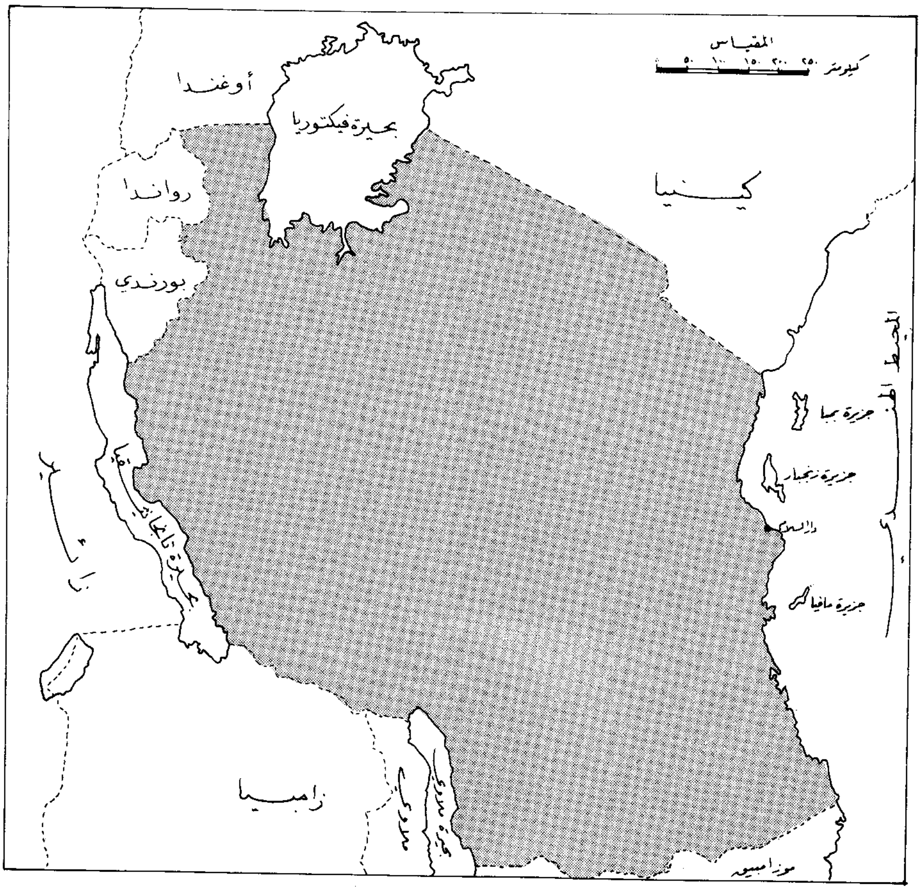
وقوي أمر المستعمرين الصليبيين فتقاسموا فيما بينهم أراضي سلطنة زنجبار. وكان الجزء الجنوبي مستعمرةً ألمانيةً، ثم تبعت لوصاية بريطانيا باسم عصبة الأمم، واستمر الانتداب فالاستعمار البريطاني حتى استقلت في ٢ رجب ١٣٨١ هـ (٩ كانون الأول ١٩٦١ م) فكانت منطقةً ذات أكثريةٍ مسلمةٍ، أما قاعدة سلطنة زنجبار فهي المدينة والجزيرة التي هي فيها فأصبحت هي وجزيرة (بمبا) القريبة منها بعد تقسيم السلطنة محميةً بريطانيةً عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) حتى استقلّت في ٣ شعبان ١٣٨٣ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٦٣ م)، ثم وقع فيها انقلاب، وضُمّت بالقوة إلى تانجانيقيا وشكّلت دولة (تانزانيا) ذات الأكثرية المسلمة.

وأما جزر القُمر فهي قريبة من الساحل بينه وبين جزيرة مدغشقر، لذا كانت مقرّاً تجارياً، ومركزاً لمرور السفن، لذا فقد عمّ فيها الإسلام، وخضعت للحماية الفرنسية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) حتى استقلّت عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م).

ففي هذا القسم من شرقي إفريقية إذن دولتان إسلاميتان هما: تانزانيا، وجزر القُمر. أما بقية الأجزاء فينتشر الإسلام في المناطق الساحلية منها، ويقلّ في الجهات الداخلية، ويُعدّ أتباعه أقلياتٍ في الدول التي يعيشون فيها.

الباب الأول

تانزانيا


المقياس
كيلومتر ٢٥٠ ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
أوغندا
بحيرة فيكتوريا
رواندا
بورندي
كينيا
جزيرة بمبا
جزيرة زنجبار
جزيرة مافيا
زامبيا
موزامبيق

مصور رقم [٧]

لمحة عن تانزانيا قبل إلغاء الخلافة

انتشر الإسلام في شرقي إفريقية، وعاش أهله والمجتمع من حولهم برخاءٍ، حتى طلع عليهم المستعمرون الصليبيون البرتغاليون من الجنوب، وكان رحّالتهم (فاسكودي ڤاما) قد وصل إلى رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤ هـ (١٤٩٧ م)، ثم سارعت سفنه مع تيار موزامبيق شمالاً، فاحتلّ جزيرة زنجبار عام ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م)، واستولى على مدينة (كيلوا) عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م).

الاستعمار البرتغالي:

أقام البرتغاليون مراكز لهم على سواحل إفريقية الشرقية، واتجهوا شمالاً، وجرت حروب بينهم وبين المماليك، فكان النصر فيها إلى جانب المماليك مرتين. ثم دخل البرتغاليون عدن عام ٩١٩ هـ (١٥١٣ م)، وتمركزوا في الخليج العربي عام ٩٢١ هـ (١٥١٥ م)، وأظهر الصليبيون حقدهم الدفين فقتلوا، وحرّقوا، وخرّبوا، وقاموا بأعمال يندى لها الجبين. وخاف العثمانيون على الأماكن المقدّسة، وعلى ديار الإسلام، وعلى هزيمة أهله فأسرعوا لملاقاة الصليبيين البرتغاليين، فاحتلّوا بلاد الشام، ومصر، وتسلّموا خلافة المسلمين، ورفعوا راية الجهاد. كما تحرّك أهل عُمان ضدّ البرتغاليين، وأجلوهم عن مسقط. وانتفض سكان شرقي إفريقية ضدّ المستعمرين للمعاملة الوحشية التي استعملها الغزاة فلم يتحمّل السكان ذلك، هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فقد أخذ البريطانيون يُنافسون البرتغاليين على مستعمراتهم، كما أن إسبانيا قد احتلّت أراضي دولة

البرتغال، لهذا كله، ولأن عدد البرتغاليين قليل، ولأن مراكزهم محصورة على الساحل، وليس لهم قواعد يستندون عليها في الداخل، لذا اضطروا أن يتخلّوا عن أكثر مراكزهم.

النفوذ العُماني:

ومع زوال النفوذ البرتغالي أخذت المدن الإسلامية في شرقي إفريقية تستعيد مجدها. وكان لسلطان عُمان دور في شرقي إفريقية، وخاصةً سيف بن سلطان المعروف بـ «قيد البحر» حيث قضى على نفوذ البرتغاليين من (ممباسا) شمالاً حتى شمالي موزامبيق جنوباً، وغدت السلطة في شرقي إفريقية مرتبطةً بعُمان، وانتقل معها المذهب الإباضي الخارجي، وأصبح مذهب الأسرة المالكة في جزيرة زنجبار. ثم أخذ نفوذ عُمان يضعف في المدن الإسلامية القائمة في شرقي إفريقية حتى عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م).

نقل سلطان عمان (سيد سعيد) الخامس من الأسرة الحاكمة في عُمان عاصمته من (مسقط) في جزيرة العرب إلى مدينة (زنجبار) في جزيرة زنجبار في شرقي إفريقية عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) فأخذ النفوذ العُماني يستعيد مكانته في تلك الجهات.

توفي السلطان سيد سعيد عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م)، واختلف أولاده من بعده على السلطة، ثم اتفقا فأخذ (ثويني) حكم عُمان، وأخذ (ماجد) حكم شرقي إفريقية.

نقل ماجد عاصمته من جزيرة زنجبار إلى مدينة دار السلام على ساحل البر الإفريقي ليتوغّل الدعاة والتجار المسلمون إلى الداخل، وتكون لهم قواعد يرتكزون عليها، ويستطيعون حماية السواحل من غزوٍ بحري، حيث لم يكن الغزو يأتي آنذاك إلا من البحر. وفعلاً وصل المسلمون تجاراً ودعاةً إلى سواحل بحيرة تانجانيكا، واجتازوها إلى الكونغو حيث بقوا هناك حتى جاء البلجيك، وجرت الحرب بينهم وبين المسلمين ١٣١٠ -

١٣١٢ هـ (١٨٩٢ - ١٨٩٤ م) حيث هُـزم المسلمـون، وخـرجت منـاطق الكونغو من تبعيتها لسلطان السواحل الذين هم من عرب عُمان. وانتشـر الإسلام مع دخول الدعاة والتجار لذا أصبحت تانزانيا دولةً إسلاميةً. وكان يُطلق على كل تلك الأجزاء اسم «سلطنة زنجبار».

توفي السلطان ماجد عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م)، وخلفه أخوه الأصغر (برغش).

تقسيـم المنطقـة:

اتفقت إنكلترا وفرنسا عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) على إنهاء الخلاف بينهمـا، واقتسام منـاطق النفـوذ في سلطنـة زنجبـار والـدولـة العثمـانيـة، وشاركتهما في الاقتسام كل من ألمانيا وإيـطاليا، فـأخذت إنكلتـرا القَسم الأوسط من شرقي إفريقية (ساحل كينيا) وساحل الصومال على خليج عدن (الصومال الإنكليزي).

وأخذت فرنسا منطقة جيبوتي على خليج تاجورا (الصومال الفرنسي).

وأخـذت إيطاليـا الساحـل الشمالي من شـرقي إفريقيـة (الصـومـال الإيطالي)، كما اعتُرف باحتلالها لأريتريا.

وأخذت ألمانيا الساحل الجنوبي من شرقي إفريقية (تانجانيكا).

كما أُعطِيت الحبشة بصفتها دولة نصرانية القسم الغربي من الصومال (الأوغادين) ولا يزال تحت سيطرتها.

أما سلطنة زنجبار فكانت ضعيفةً فلم تستطع الوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية الصليبية، بل خضعت مع جزيرتي (مافيـا) و(بمبا) للحمـاية البريطانية.

وفي العام نفسه توفي السلطان برغش ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) بعد أن شهد تقسيم بلاده، وخلفه عبدالله خليفة.

الاستعمار الألماني:

وعُرفت المنطقة التي خضعت للنفوذ الألماني باسم «إفريقية الشرقية الألمانية»، ولم يكد يتمّ التقسيم حتى انتفض المسلمون في القسم الألماني بقيادة (بشير بن سالم)، ولكن تفوّق الألمان بالسلاح، والإمكانات، والكثرة، والجنود المرتزقة قد هيّأ لهم النصر، وهُزم المسلمون فخضعوا وذلك عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م).

تأسّست الشركة الألمانية لشرقي إفريقية، وحمتها الحكومة الألمانية، ثم تسلّمتها عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م)، وعُيّن (بيترس) مندوباً سامياً للإمبراطور، وكان فظّاً، غليظ القلب، سفّاكاً للدماء، فاضطرت الحكومة الألمانية إلى تغييره عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م).

حاولت ألمانيا أن تحكم المنطقة حكماً غير مباشرٍ، فلم يزد عدد الألمان في البلاد على مائة رجلٍ، ولكنها استولت على كثيرٍ من الأراضي، وفرضت ضرائب باهظةً فانتفض السكان ثانيةً، وعُرفت حركتهم باسم (ماجي ماجي)، واستبسل الأهالي بالدفاع عن أنفسهم، وأملاكهم، ولكن ألمانيا قمعت الحركة بوحشيةٍ فائقةٍ ولجأت إلى حرق المنازل حتى استسلم الناس بعد أن قُتل ما يقرب عن عشرين ألفاً من أبناء البلاد. وعملت ألمانيا على تغطية هذه الجريمة فقامت ببعض المشروعات الإصلاحية.

النفوذ الإنكليزي:

قامت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م)، وكانت ألمانيا وإنكلترا في طرفين متضادين، وتمكّنت إنكلترا من انتزاع «تانجيقيا» من ألمانيا، ووضعت مستعمرة شرقي إفريقية الألمانية تحت وصاية عصبة الأمم، وعُرفت باسم «تانجانيقيا». واشتق الاسم من «تانجا»، وهي مدينة ساحلية في الشمال، كانت مركز إمارة، تتبعها مساحة واسعة من الأرض، و«نيقيا»، وهو اسم يُطلق على الهضبة الوسطى. وانتدبت عصبة الأمم

بريطانيا لتكون هي الوصية عليها بعد انتهاء الحرب مباشرةً، وصدقت عصبة الأمم هذا القرار عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م)، وبذا تحقّقت رغبة بريطانيا في السيطرة على إفريقية الشرقية من الكاب جنوباً حتى القاهرة شمالاً، والسيطرة على طرق المواصلات بينهما. وبقيت (تانجانيقيا) تحت انتداب بريطانيا وصايةً عن عصبة الأمم حتى الحرب العالمية الثانية.

أما زنجبار فمنذ أن قُسّمت سلطنتها عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) بين المستعمرين الصليبيين الفرنسيين، والبريطانيين، والألمان، والطليان بقيت ضعيفةً إذ ذهبت منها كل أراضيها ولم يبق منها يتبع السلطان سوى جزيرتي (زنجبار) و(بمبا)، ولا تزيد مساحتهما على ٤٩٦٤ كيلومتراً مربعاً. ثم وضعت سلطنة زنجبار عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) تحت الحماية البريطانية بالقوة. فكان يوجد إلى جانب السلطان مقيم بريطاني تُعيّنه حكومة صاحبة الجلالة. والتشريع في هذه المحمية منظّم بموجب مراسيم يُصدرها السلطان، ويُوافق عليها المقيم البريطاني.

وأما تانجانيقيا فاتبعت بريطانيا فيها نظام الانتداب، حيث يُدير البلاد حاكم تُعيّنه صاحبة الجلالة، ويُساعده مجلس تشريعي منتخب، ويتألّف من ثلاثة عشر عضواً إفريقياً، وعشرة أعضاء غير إفريقيين، وفي البلاد جيش وطني تحت إمرة ضباط بريطانيين.

الفصل الأول

تنزانيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) فتميّع مفهوم الرابطة الإسلامية، وانصرف كل مستعمرٍ ينهش من فريسته كما يشاء، ويصوغ لها أسلوب الحياة كما يريد، واتجه كل مصرٍ إلى قضاياه الخاصة يُحاول الترميم من غير فائدةٍ حيث كان الهدم أسرع من الإصلاح، إذ وُضِع حراس من قالبٍ معينٍ فرضعوا من الحليب الأوروبي، وشبّوا على نمط حياة أبناء تلك القارة.

تانجانيقيا:

استمرّت شؤون تانجانيقيا تحت شروط عصبة الأمم حتى بعد الحرب العالمية الثانية حتى حُوّلت إلى نظام وصايةٍ بموجب إعلان الأمم المتحدة باتفاقية الوصاية في ١٩ محرم ١٣٦٦ هـ (١٣ كانون الأول ١٩٤٦ م) فكان يحكم البلاد حاكم عام، يُساعده مجلس تنفيذي، وآخر تشريعي يقوم على أساس نظام الجماعات البشرية التي يتألف منها السكان، وتُمثّل فيه الأجناس بنسبةٍ واحدةٍ. وفي هذه الأثناء كانت بريطانيا تعمل على اختيار وتربية الرجال الذين ستُوكل إليهم مُهمّة حكم البلاد، وتعهدت يوليوس نيريري[١].

(١) ولد يوليوس نيريري في بلدة تقع على الساحل الشرقي لبحيرة فيكتوريا، وكان أبوه أحد رؤساء قبيلة (الزنكي) التي تعمل في رعاية الأغنام. حصل على دبلوم في =

عمل يوليوس نيريري على تأسيس حزب «الاتحاد الوطني الإفريقي»، ويقوم على معارضة نظام الجماعات العنصرية الذي يقوم عليه المجلس التشريعي، ويُنادي كذلك بإلغاء قيود الملكية الزراعية بالنسبة إلى الإفريقيين.

وعملت إنكلترا على إبرازه فأرسلته عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) كمبعوثٍ للاتحاد الوطني الإفريقي في تانجانيقيا، يعرض قضية بلاده على الأمم المتحدة، ثم أظهرت بريطانيا أنها تعمل ضدّه فطلب الحاكم البريطاني في تانجانيقيا من الأمم المتحدة رفض تقرير يوليوس نيريري، فبدا في بلاده وطنياً مخلصاً.

أعلنت إنكلترا في عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) أنها ستمنح تانجانيقيا حكومةً ذات استقلالٍ داخليٍ، وجرت أول انتخاباتٍ عامةٍ في ربيع الأول ١٣٧٨ هـ (أيلول ١٩٥٨ م) وفي شعبان ١٣٧٨ هـ (شباط ١٩٥٩ م). وتشكّلت حكومة جديدة في المحرم ١٣٧٩ هـ (تموز ١٩٥٩ م)، وضمّت ولأول مرّةٍ بين أعضائها وزراء إفريقيين.

وجرت الانتخابات العامة في ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (أيلول ١٩٦٠ م) فاز حزب الاتحاد الوطني الإفريقي، وحصل على سبعين مقعداً من مقاعد المجلس النيابي البالغ عددها واحداً وسبعين مقعداً، وأصبح زعيم الحزب رئيساً للوزراء وشكّل أول حكومةٍ في ذي القعدة ١٣٨٠ هـ (أيار ١٩٦١ م).

اتخذت الأمم المتحدة في ٦ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ (٢١ نيسان ١٩٦١ م) قراراً يقضي بإنهاء اتفاقية الوصاية. وبعدها أصبحت تانجانيقيا مستقلةً ضمن رابطة الشعوب البريطانية في ٢ رجب ١٣٨١ هـ (٩ كانون الأول ١٩٦١ م).

= التعليم عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وأرسل إلى لندن لإكمال دراسته وتربيته، وحصل على الدكتوراه عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م)، عُيّن بعد عودته مدرساً خارج العاصمة، ثم اشتغل بالسياسة، وترك التدريس.

زنجبار:

كانت سلطنة زنجبار محمية بريطانيةً منذ عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م)، وسلطانها هو عبدالله خليفة، وبجانبه مقيم بريطاني ويُعدّ السيد الفعلي، والحاكم الرسمي.

وأنشأت بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية مجلساً تشريعياً، وآخر تنفيذياً، أما المجلس التنفيذي فيرأسه السلطان، وأما المجلس التشريعي فيرأسه المقيم البريطاني، وبذلك انتقلت صلاحيات التشريع من السلطان إلى المقيم البريطاني، وضمنت طاعة السلطان، وتنفيذه لما يصدر من تشريعاتٍ لا توافق إلا مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبية. ويتألّف كل مجلسٍ من ثلاثة أعضاء زنجباريين، وخمسة أعضاء بريطانيين، وستة أعضاء مُمثّلين عن الجاليات التي يتألّف منها السكان. ومدينة زنجبار في الجزيرة التي تحمل اسمها هي العاصمة ومركز الحكم.

أما العدالة فينظّمها القضاء البريطاني الأعلى، ولكن الأهالي يتقاضون في محاكم خاصة تخضع للسلطان.

والأسرة الحاكمة من عُمان، ومذهب الأسرة هو الأباضي.

توفي السلطان عبدالله خليفة عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، وخلفه ابنه (جلمشيد) بن عبدالله، وأصبحت هذه المحمية سلطنةً مستقلةً في ٣ شعبان ١٣٨٣ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٦٣ م).

لم يلبث أن وقع انقلاب في زنجبار بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٨٣ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٦٤ م)، وأُزيح السلطان (جلمشيد) وأُعلنت الجمهورية، وأصبح (عبيد كرومي) رئيساً للجمهورية، وقد قاد هذا الانقلاب الحزب الأفرو- شيرازي، وقُتل في هذا الانقلاب ستة عشر ألف عربي لأن الانقلابيين عدّوا الأسرة العربية الحاكمة أسرةً مستعمرةً للمنطقة، وكذلك فإن العرب جميعاً هم من المستعمرين. وكذلك لقي أربعة وخمسون ألفاً

من المسلمين حتفهم، ولقي من بقي أنواع العذاب والاضطهاد. وكـانت طرق الإبادة غريبة حيث أُغرق ستة آلافٍ دفعةً واحدةً بعد أن أُبعدوا عن الساحل مسافةً طويلةً.

وفي ١١ ذي الحجة ١٣٨٣ هـ (٢٣ نيسان ١٩٦٤ م) وقعت الحكومة مرسوماً مع تانجانيقيا للاتحاد في دولةٍ واحدةٍ، حيث نشأت من الاتحاد دولة تانزانيا.

الفصل الثاني

الاستقلال

حصلت تانجانيقيا على استقلالها في ٢ رجب ١٣٨١ هـ (٩ كانون الأول ١٩٦١ م). ولكن يوليوس نيريري قدّم استقالته ليكرّس نفسه لتوجيه الحزب ـ حسب زعمه ـ وذلك في شعبان ١٣٨١ هـ (كانون الثاني ١٩٦٢ م)، ولكن يبدو أنه قد غيّر مركبه بعد أن رأى المركب الأمريكي أكثر سرعةً وأكثر سلامةً من المركب البريطاني، وخلفه في رئاسة الوزارة (رشيدي كواوا) الذي كان وزيراً دون حقيبةٍ وزاريةٍ في حكومة يوليوس نيريري السابقة. وبعد ستة أشهرٍ صرّح رشيدي كواوا بأن تانجانيقيا يجب أن تصبح جمهوريةً ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

انتخب يوليوس نيريري في ١٣ رجب ١٣٨٢ هـ (٩ كانون الأول ١٩٦٢ م) رئيساً للجمهورية، وحسب الدستور الجديد القائم على النظام الرئاسي لا يوجد رئيس للوزراء، ويتمتّع نائب رئيس الجمهورية بصلاحياتٍ واسعةٍ، وأصبح رشيدي كواوا نائباً للرئيس، وأصبحت تانجانيقيا جمهوريةً ضمن رابطة الشعوب البريطانية.

وفي ١١ ذي الحجة ١٣٨٣ هـ (٢٣ نيسان ١٩٦٤ م) انضمّت زنجبار إلى تانجانيقيا، وأصبحتا دولةً واحدةً، وأصبح يوليوس نيريري رئيساً للجمهورية الجديدة، وعُيّن عبيد كرومي نائباً أولاً للرئيس، وأثناء هذا الاتحاد عادت النكبات تنصبّ على المسلمين، فقُتل منهم عدد كبير، وشُرّد آخرون. ومع أن الانقلاب في زنجبار والانضمام إلى تانجانيقيا كان موجّهاً

صراحةً ضد العرب فإن بعض الدول العربية كانت أول دول العالم اعترافاً بما حدث، ومُقدّرةً لهذه الصنائع الجميلة، وقام الرئيس المصري جمال عبد الناصر بزيارة تانجانيقيا لتقديم الشكر على ما وقع حيث كانا في مركبٍ واحدٍ، إذ جاء يوليوس نيريري إلى المركب الذي فيه الرئيس المصري.

سُمّي الاتحاد الجديد بين تانجانيقيا وزنجبار بـ (تانزانيا) في جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ (تشرين الأول ١٩٦٤ م)، ومدينة دار السلام هي عاصمة الجمهورية الاتحادية.

والحزب الحاكم في تانجانيقيا هو الاتحاد الوطني الإفريقي الذي يرأسه رئيس الجمهورية يوليوس نيريري، أما الحزب الحاكم في زنجبار فهو الحزب الأفرو- شيرازي الذي يرأسه نائب رئيس الجمهورية الأول عبيد كرومي.

اغتيل عبيد كرومي رئيس المجلس الثوري الحاكم في زنجبار في ربيع الأول ١٣٩٤ هـ (نيسان ١٩٧٤ م)، وخلفه في الحكم (عبود جومبي) فأعاد تنظيم حكومة الجزيرة في رجب ١٣٩٤ هـ (آب ١٩٧٤ م)، وأعطى الحزب الحاكم الأفرو- شيرازي سلطاتٍ واسعةً على الرغم من اندماج الجزيرة مع تانجانيقيا.

وأُعيد انتخاب يوليوس نيريري رئيساً لجمهورية تانزانيا عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) و ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) و ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) و ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م).

وفي صفر ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م) تمّ دمج الحزبين (الاتحاد الوطني الإفريقي) في تانجانيقيا و (الأفرو- شيرازي) في زنجبار بعضهما مع بعضٍ، وشكّلا حزباً واحداً يُعرف بـ (شاما شاما بندوزي) وهو الحزب الثوري لتانزانيا.

وفي ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ (نيسان ١٩٧٧ م) وافق مجلس الشعب على دستورٍ دائمٍ لتانزانيا.

أُجريت الانتخابات العامة لأول مرةٍ في زنجبار في صفر ١٤٠٠ هـ (كانون الثاني ١٩٨٠ م) لانتخاب مجلس نوابٍ يتألف من أربعين عضواً.

وجرت محاولة انقلابٍ فاشلةٍ في زنجبار ضدّ حكومة عبود جومبي في شعبان ١٤٠٠ هـ (حزيران ١٩٨٠ م) وأصبح عدم الرضا عن الاتحاد مع تانجانيقيا واضحاً بين سكان زنجبار.

وجرت الانتخابات العامة للرئاسة في ذي الحجة ١٤٠٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٠ م) وأُعيد انتخاب يوليوس نيريري للمرة الرابعة رئيساً للجمهورية، وعبود جومبي نائباً للرئيس بأغلبيةٍ ساحقةٍ. إلا أن ما يقرب من نصف الأعضاء المنتخبين في المجلس النيابي قد أخفقوا بالاحتفاظ بمقاعدهم، وعُدّ ذلك احتجاجاً على نقص المواد الغذائية في الأسواق، وعلى تعقيد الأعمال الحكومية.

في ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ (كانون الثاني ١٩٨٣ م) تمّ اعتقال عدد من المدنيين والعسكريين بتهمة التخطيط للقيام بانقلابٍ عسكريٍ.

في هذه المدة ظهر عدم رضا الزنجباريين من الانضمام إلى تانجانيقيا، وهذا ما جعل عبود جومبي يُقدّم استقالته مع ثلاثةٍ من الوزراء. وفي شهر رجب ١٤٠٣ هـ (نيسان ١٩٨٣ م) انتخب علي حسن مويناي رئيساً لزنجبار بعد أن حصل على ٨٧,٥٪ من مجموع أصوات الناخبين، وهو وزير زنجباري سابق للسياحة، ومصادر الثروة الطبيعية.

وخلال عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) شُنّت عملية واسعة النطاق ضدّ من سُمّوا بالمخربين الاقتصاديين، وقد اتّهموا بالتهريب، وأدّت العملية إلى اعتقال مئات الأشخاص. وعُرض قانون جديد ضدّ الجرائم الاقتصادية.

أقرّ المجلس النيابي في مطلع عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) إجراء تغييراتٍ أساسيةٍ في الدستور، وتهدف هذه التغييرات إلى الحدّ من سلطات الرئيس، وزيادة سلطات المجلس النيابي. وفرض دستور جديد في

زنجبار في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) يسمح بزيادةٍ كبيرةٍ في عدد النواب، ويشمل نظاماً قانونياً جديداً يسمح بوجود محامي الدفاع، والحق في الاستئناف.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (آذار ١٩٨٤ م) أعاد الرئيس يوليوس نيريري التأكيد على نيته ترك الرئاسة في نهاية مدته، وإحالة نفسه على التقاعد، وكان من المتوقّع أن يكون خلفه رئيس الوزراء (إدوارد سوكومين) لكنه مات في شهر رجب ١٤٠٤ هـ (نيسان ١٩٨٤ م)، فحلّ مكانه في منصب رئاسة الوزراء (سالم أحمد سالم)، وقد كان يشغل من قبل منصب وزير الخارجية.

تبنّى الحزب الثوري التانزاني (علي حسن مويناي) رئيس زنجبار ونائب رئيس تانزانيا منذ شهر رجب ١٤٠٤ هـ (نيسان ١٩٨٤ م) كمرشحٍ وحيدٍ للرئاسة وذلك في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م)، وانتخب في مطلع شهر صفر ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م)، وقد حصل على ٩٦٪ من مجموع أصوات الناخبين.

أُجريت الانتخابات العامة للمجلس النيابي في اليوم نفسه الذي تسلّم فيه علي حسن مويناي السلطة.

وعيّن الرئيس علي حسن مويناي (جوزيف ڤاريوبا) رئيساً للوزراء، ونائباً للرئيس، وكان يشغل من قبل منصب وزير العدل، وعيّن سالم أحمد سالم نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، وجرت بعض التغييرات الوزارية.

وأُجريت الانتخابات الرئاسية والتشريعية في زنجبار في صفر ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م)، وانتخب إدريس عبد الوكيل رئيساً لزنجبار خلفاً لعلي حسن مويناي، وكان من قبل يشغل منصب المتحدّث الرسمي للمجلس النيابي في زنجبار، وعلى الرغم من أنه كان المرشح الوحيد إلا أنه لم يحصل إلا على ٦١٪ من الأصوات، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على ضعف التأييد له.

وبقي يوليوس نيريري رئيساً للحزب الثوري التانزاني.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) تبنّت اللجنة الوزارية للحزب منهجاً لمدة سنتين يهدف إلى تنشيط الحزب. وفي هذه الأثناء تبيّن للقضاء أن تسعةً من المتهمين قد ثبتت عليهم التهمة، وحُكم عليهم بالسجن مدى الحياة.

شنّ الرئيس التانزاني علي حسن مويناي هجوماً على الفساد، وسوء الإدارة في الحزب الثوري التانزاني وتبع ذلك في الأشهر التالية طرد عددٍ من المسؤولين الإقليميين للحزب، ومديري الهيئات والمؤسسات من وظائفهم، أو نزلت مراتبهم، وفي بعض الحالات كانوا يُطردون من الحزب.

وأُدين (باسل مرامبا) وزير الصناعة والتجارة باستخدامه طرقاً غير مشروعةٍ في انتخابات صفر ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) ففقد نتيجة ذلك مقعده النيابي، وبالتالي منصبه الحكومي (حسب الدستور).

وفي ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م) بدا أن هناك انقساماً واضحاً بين الاشتراكيين المحافظين الذين يريدون السير على النهج الاشتراكي التقليدي للحزب الثوري التانزاني وبين أصحاب الاتجاه العملي الواقعي (البراغمانيون) الذين يرون السير على نهج أكثر تحرراً للحكومة (كما يرغب الرئيس علي حسن مويناي).

ساد الظن بأن الرئيس السابق يوليوس نيريري سيوافق على إعادة ترشيحه لرئاسة الحزب الثوري التانزاني على الرغم من التصريحات السابقة كلها بأنه سيترك المنصب عام (١٩٨٧ م) عكس رغبته في مواجهة نجاح البراغمانيين في توجيه سياسة الحكومة والذي تمثّل في عقد اتفاقيةٍ مع صندوق النقد الدولي في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م).

أُعيد انتخاب يولويس نيريري رئيساً للحزب الثوري التانزاني بأغلبيةٍ

كبيـرةٍ في مجلس الحزب في صفـر ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م)، وجرت انتخابـات اللجنة الـوطنية التنفيـذية للحـزب الثوري التـانزاني في مجلس الحـزب. وفي الانتخابـات التي تلتهـا، والتي جـرت في اللجنـة التنفيذية لاختيار اللجنة المركزية للحزب فقد عضوان بـارزان براغمـانيان مقعدهما، وهمـا: (كليوبـا مسوايـا) وزير المـالية، والتخـطيط، والشؤون الاقتصادية، و (سيف شريف حمد) رئيس وزراء زنجبار. ولكن الرئيس علي حسن مـويناي طـرد من حكومتـه في تعديـلٍ أجراه عليهـا ثـلاثـةً وزراء اشتراكيين محافظين لأنهم عارضوا سياسته في التحرّر الاقتصادي.

وفي زنجبار أخذ التوتّر يزداد في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كـانون الثاني ١٩٨٨ م)، ويعكس المنافسـة بين الجزيـرتين اللتين يتكوّن منهمـا الإقليم (زنجبـار) و (بمبا)، وبين العـرب والأفارقـة، وبين الذين يُؤيّـدون الوحدة مع تنجانيقيا والذين يُعارضونها.

علّق الرئيس الزنجباري إدريس عبد الوكيل المجلس الثوري الأعلى، وتولى السيطرة على القـوات المسلحة بنفسـه من مكتب منافسـه الرئيسي رئيس الوزراء (سيف شريف حمد) بعد أن ادّعى الرئيس إدريس عبد الوكيل بأن مجموعـةً من المنشقّين، وفيهم أعضاء في المجلس كـانوا يخـططون للإطاحة بحكومته. ثم عيّن الرئيس مجلساً جديداً في الشهر نفسه استبعد منه خمسة وزراء، كان من بينهم رئيس الوزراء سيف شريف حمد، الذي ينتمي إلى جزيرة (بمبا)، والذي يُفضّل السياسة الاقتصادية المحافظة.

عيّن الرئيس إدريس عبد الـوكيل (عمـر علي جمعة) رئيسـاً جديـداً للوزراء، وهو مسؤول حكومي كبير. ثم طُرد (سيف شريف حمد) وستـة آخرون من المسؤولين الحزبيين في رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) من المجلس الثوري التانزاني بحجة معارضتهم لأهداف الحـزب، وتعريضهم وحدة تانزانيا للخطر.

وفي الشهر نفسه قام حوالي أربعة آلاف مسلم بمظاهرةٍ في زنجبار.

وبعدها بقليل شكل الرئيس لجنةً خاصةً لتقصّي أسباب الاضطرابات، وفُرضت عدة قيود على الصحافة الزنجبارية في شهر صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م).

أرسل أربعة آلاف جنديٍ من تانجانيقيا إلى زنجبار كإجراء وقائي في جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) بناءً على تقارير ذكرت أن انقلاباً يجري الإعداد له ضد حكومة الرئيس إدريس عبد الوكيل، وأن الانقلاب يتزامن مع الاحتفالات التي تقام في (كانون الثاني ١٩٨٩ م) في الذكرى الخامسة والعشرين لاستقلال زنجبار، ومرّ الاحتفال دون وقوع أي اضطراب.

وأُعيد تنظيم مجلس الوزراء التانزاني من جديدٍ في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م).

وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) أُعلن أن نائب مجلس الوزراء التانزاني، وزير الدفاع سالم أحمد سالم سيترك منصبه في الحكومة ليتولى أمانة سرّ منظمة الوحدة الإفريقية، وتانزانيا عضو بارز فيها.

وأعاد الرئيس التانزاني علي حسن موينياي تعديل مجلس الوزراء من جديدٍ في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) وثبّت مركزه باستلام المراكز التي كان يتولّاها سالم أحمد سالم. وأعلن في الشهر التالي أن رئيس وزراء زنجبار عمر علي جمعة قد انتخب ليكون عضواً في اللجنة المركزية للحزب الثوري التانزاني.

شنّ الحزب الثوري التانزاني حملةً ضدّ الفساد بين موظفي الحكومة في رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م)، وفي الشهر التالي أُعيد تعديل مجلس الوزراء، فأُبعد منه سبعة وزراء بحجة معارضتهم خطط الإصلاح الاقتصادي.

وأعلن يوليوس نيريري رئيس الحزب الثوري التانزاني أنه سيتقاعد ويترك عمله في مطلع عام ١٤١١ هـ (آب ١٩٩٠ م).

في شهر جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ (كانون الأول ١٩٩٣ م) اعتقل (متيكيلا) مع أربعةٍ من أنصار الحزب الديمقراطي، ووجّهت إليهم تهمة التحريض على العصيان. كما حدثت مظاهرة للمعارضة في جزيرة (بمبا) قتلت قوات الأمن رجلاً من المعارضة وجرحت آخر.

وفي شهر ذي القعدة ١٤١٤ هـ (نيسان ١٩٩٤ م) وقعت أعمال عنفٍ بين المسلمين الملتزمين وبين قوات الأمن، واعتقل على أثرها أربعون مسلماً، واتهموا بالقيام بتظاهراتٍ غير قانونيةٍ، واتهم الشيخ يحيى حسين زعيم الحركة الإسلامية (بالوكتا) بالتآمر ضد الحكومة، وعُدّت هذه الحركة منظمة مجرمة خارجة على القانون مع أن التهم التي وُجّهت إلى زعيم الحركة الشيخ يحيى حسين قد سحبت في مطلع عام ١٤١٥ هـ (حزيران ١٩٩٤ م).

وفي شهر ربيع الثاني ١٤١٥ هـ (أيلول ١٩٩٤ م) اعتقل (متيكيلا) مرتين بتهمة التحريض على العصيان، كما اعتقل مرةً ثالثةً في الشهر التالي لذلك مع قادة ثلاثة أحزاب معارضة واتهم هؤلاء بعقد اجتمعاتٍ محظورةٍ، وبإثارة الرعب والخوف، وإهانة الرئيس والحكومة.

وافقت الجمعية الوطنية في صفر ١٤١٤ هـ (آب ١٩٩٣ م) على اقتراح بإنشاء حكومة وهيئة تشريعية منفصلتين بعضهما عن بعض في تنجانيقا وزنجبار، وقد حذر الرئس السابق يوليوس نيريري من هذا الإجراء. واقترحت سلطات زنجبار أنه إذا تمّ هذا فسيكون الحق لكل جزء بإنشاء قوات مسلحة خاصة.

وقد فاز مرشحو الحزب الثوري التانزاني الحاكم على مرشحي المعارضة في الاقتراع المحلي الذي جرى (١٩٩٣ ـ ١٩٩٤ م)، وأعطت النتائج مؤشرات إلى أن الانقسامات داخل الأحزاب التي حصلت حديثاً على حق العمل السياسي والتنظيمي قد يعيق إقامة تحدٍّ متلاحم ضد الحزب الحاكم في الانتخابات الرئاسية والتشريعية التي ستخوضها لأول مرةٍ في تلك الانتخابات التي من المقرر أن تجري في شهر جمادى الأولى ١٤١٦ هـ (تشرين الأول ١٩٩٥ م). ولكن الأحزاب المعارضة ادعت أنها لم تلق الحرية الكافية التي تدعيها الحكومة.

وفي شهر جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ (تشرين الثاني ١٩٩٤ م) هددت بعض الجهات الدولية المانحة بقطع المعونة عن تانزانيا ما لم تنظم الأمور المالية بشكل دقيق. وفي الشهر التالي أجرى الرئيس علي حسن مويناي تعديلاً وزارياً حيث أزيح عن رئاسة الوزارة (ماليسيلا) كما أزيح (كليوبا أمسويا) وزير الصناعة والتجارة، وكان من قبل يشغل منصب نائب الرئيس، وعيّن (جاكايا ككويتي) وزيراً للمالية، وكان من قبل يشغل منصب وزير الطاقة والثروة المعدنية والمياه.

السياسة الخارجية:

تانزانيا إحدى دول عدم الانحياز التي يسير أكثرها في فلك السياسة الرأسمالية ويدّعي عدم الانحياز، وتنادي تانزانيا بالاشتراكية وتأخذ مركب السياسة الأمريكية، أو تُحارب الاشتراكية بالاشتراكية حيث ينفر الناس من الاشتراكية عند معرفتها على ساحة التطبيق بإفقار المجتمع وإذلاله، وتسلّط الأشرار الحاقدين على علية القوم الكرام.

قدّمت تانزانيا مساعدات لموزامبيق، وساندت جبهة تحرير موزامبيق (فريليمو) في قتالها من أجل الاستقلال. وتعاون البلدان بشكلٍ وثيقٍ على أساس الخلفية الفكرية الاشتراكية التي تجمع بينهما.

وتعهدت تانزانيا بتوفير الدعم العسكري لحكومة موزامبيق في قتالها ضدّ قوات المعارضة بعد موت الرئيس الموزامبيقي في شهر صفر عام ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م).

ووصل إلى موزامبيق في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) ألف ومائة جندي من تانزانيا. ولكن بعد سبعة أشهرٍ تمّ سحب القوات التانزانية المتمركزة في موزامبيق، والتي قيل إن عددها يتراوح بين الألفين والثلاثة آلاف، وأُشيع أن الانسحاب قد تمّ لأن الحكومة التانزانية غير قادرةٍ على دفع التكاليف الباهظة التي تحتاجها تلك العملية.

وفي الشهر الذي تمّ فيه سحب القوات التانزانية من موزامبيق ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) عبر الحدود التانزانية ستة آلاف لاجئٍ من موزامبيق نتيجةً لاضطراب الوضع. وبلغ عدد اللاجئين في رجب ١٤٠٩ هـ (شباط ١٩٨٩ م) اثنين وسبعين ألف لاجئ.

تعزّزت العلاقات مع الجارة زامبيا بعد توجيه جزءٍ كبيرٍ من تجارة زامبيا عبر أراضي تانزانيا بعد أن أقفلت زيمبابوي حدودها مع زامبيا، وزادت العلاقات قوةً بعد تسيير الخط الحديدي الذي أنشأته الصين بين زامبيا وتانزانيا، والمعروف باسم (تازارا) عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م). وقام الرئيس التانزاني علي حسن مويناي بزيارةٍ إلى زامبيا في ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م)، وافقت الدولتان على توطيد التعاون الاقتصادي، والتقني، والثقافي بينهما.

وكانت العلاقات بين تانزانيا وبين كلٍّ من كينيا وأوغندا متوتّرةً وخاصةً بعد حلّ تجمّع الشرق الإفريقي عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م). وفي جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (نيسان ١٩٧٩ م) ساندت القوات التانزانية الجبهة الوطنية الأوغندية بالإطاحة بحكم الرئيس الأوغندي عيدي أمين من باب التعاون الصليبي ضدّ المسلمين. وأُعيد فتح الحدود بين الدولتين عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)، وكانت قد أُغلقت قبل ست سنواتٍ، وذلك بعد التوصّل إلى اتفاقيةٍ لتوزيع موجودات ومسؤوليات تجمّع الشرق الإفريقي. وفي عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) وافق البلدان من حيث المبدأ على استخدام العملات المحلية في التجارة بين البلدين، كما استأنفت خطوطهما الجوية رحلاتها داخل البلدين، وُوقّعت اتفاقيات للسفر بين البلدين بالطرق البرية.

وقام الرئيس التانزاني علي حسن مويناي بزيارةٍ رسميةٍ إلى كينيا في شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) وتوصل إلى توقيع اتفاقيةٍ تجاريةٍ، وإلى اتفاقٍ لتأسيس لجنة تعاونٍ مشتركٍ بين البلدين.

ودعمت تانزانيا في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) نظام موسيفيني الذي استولى على السلطة في أوغندا، وبدءاً من ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) أخذت تانزانيا بإرسال مدرّبين عسكريين إلى أوغندا لتنظيم وتدريب القوات الحكومية الأوغندية.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة تانزانيا تسعمائةٍ وخمسةً وأربعين ألف كيلومتر مربع، وتُشرف من ناحية الشرق على المحيط الهندي حيث يبلغ طول ساحلها عليه ألفاً وأربعمائةٍ وأربعةً وعشرين كيلومتراً. وتجاور سبعة دولٍ إفريقيةٍ، ويبلغ طول حدودها معها جميعها ثلاثة آلافٍ وأربعمائةٍ واثنين من الكيلومترات.

حيث يبلغ طول حدودها مع موزامبيق سبعمائةٍ وستةً وخمسين كيلومتراً. (٧٥٦كم).

ويبلغ طول حدودها مع دولة ملاوي أربعمائةٍ وخمسةً وسبعين كيلومتراً. (٤٧٥كم).

ويبلغ طول حدودها مع دولة زامبيا ثلاثمائةٍ وثمانيةً وثلاثين كيلومتراً. (٣٣٨كم).

ويبلغ طول حدودها مع دولة بورندي أربعمائةٍ وواحداً وخمسين كيلومتراً. (٤٥١كم).

ويبلغ طول حدودها مع دولة رواندا مائتين وسبعة عشر كيلومتراً. (٢١٧كم).

ويبلغ طول حدودها مع دولة أوغندا ثلاثمائةٍ وستةً وتسعين كيلومتراً. (٣٩٦كم).

ويبلغ طول حدودها مع دولة كينيا سبعمائة وتسعةً وستين كيلومتراً. (٧٦٩كم).

ومن المعلوم أن جزءاً من حدود تانزانيا مع ملاوي إنما هو مائي حيث يكون خط الحدود على الساحل الشمالي الشرقي من بحيرة (ملاوي). كما أن هناك حدوداً مائيةً مع زائير إذ يكون خط الحدود بين الدولتين في منتصف بحيرة (تانجانيقيا)، وتزيد تلك الحدود على خمسمائةٍ وخمسين كيلومتراً. وكذلك فإن جزءاً من الحدود مع أوغندا إنما يكون في منتصف بحيرة فيكتوريا. وكذا مع كينيا.

ويبلغ عدد سكان تانزانيا حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) خمسة وعشرين مليوناً ومائتا ألف إنسانٍ. وبذا تكون الكثافة سبعةً وعشرين إنساناً في الكيلوالمتر المربع الواحد.

الصراع الإقليمي:

تتألف تانزانيا من اتحاد (تانجانيقيا) و(زنجبار)، ومع مرور أكثر من ثمانٍ وعشرين سنةً على قيام ذلك الاتحاد إلا أن قسماً من سكان زنجبار لا يزالون غير راضين عن ذلك الاتحاد، ويُطالبون بانفصاله وما ذلك إلا لأسبابٍ عقيديةٍ إذ أن أهل زنجبار جميعاً من المسلمين على حين يكثر الوثنيون في تانجانيقيا.

وهناك صراع آخر بين سكان الساحل حيث يعمّ الإسلام وبين سكان الداخل حيث تنخفض نسبة المسلمين فالأسباب عقيدية، ومن المعلوم أن الحياة الاجتماعية، ونمط المعيشة، وأسلوب التفكير، والثقافة كل ذلك ينبع من العقيدة، ويتباين مع اختلافها، ومن هنا ينشأ الصراع.

ونشأ حديثاً صراع أيضاً في زنجبار نفسها بين أهل الجزيرتين اللتين تتألف منهما الدولة (زنجبار) و(بمبا) وذلك على اقتسام السلطة، والسعي وراء المناصب والمصالح.

الصـراع العنصـري:

يشكـل الأفارقـة غالبيـة السكان في تـانجانيقيـا، وهـم مجموعـات، ومنهم:

١ ــ **الزنوج**: ويعيشون في مناطق السافانا.

٢ ــ **البانتو**: وهم عدّة جماعاتٍ وقد أُطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يتكلّمون لغاتٍ تحمل هذا الاسم، وتعود لأصولٍ حاميةٍ.

٣" ــ **الهوتانتو**: وهم جماعة قليلة، تعيش في المرتفعات، وتُفضّل رعي الأبقار.

وهناك جماعات من غير الأفارقة، ومنهم:

١" ــ **العرب**: وقد جاءوا تجاراً منـذ أيام الجاهلية، واستقـرّوا في المنطقة، ولم يعد لهم أثر، وإنما الذين بقي أثرهم هم الذين جاءوا بعد الإسلام تجاراً ودعاةً.

٢" ــ **الهنود**: ووصل الهنود تجاراً، واستـطاعوا أن يُسيـطروا على التجارة حتى أطلق عليهم العرب وسكان البلاد اسم (بانياني)، وهي مشتقة من الكلمة الهندوسية (بونيا) وتعني تاجر.

ثم ركدت تجارة العرب والهنود أثنـاء مجيء المستعمرين الصليبيين البرتغاليين، ثم عادت الحركة التجارية إلى سابق عهدها بعد زوال النفوذ البرتغالي، وجاءت موجات من الهنود، وشجّعهم الحكم العُمـاني، ووثق بهم، فوفدت أعداد وفيرة منهم إلى شرقي إفريقية.

وزاد إقبال الهنود بعد عقد اتفاقيةٍ تجاريةٍ بين سلطان عمـان سعيد وبين بريطانيا عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) وذلـك لأن المعاهـدة نصّت على امتيـازاتٍ كثيرةٍ للرعـايا البـريطانيين، وكـان الهنود يـومـذاك من الـرعـايـا البريطانيين.

عندما تولّى أمر سلطنة زنجبار (برغش) عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) حدّ من نشاط الهنود بناءً على ملاحظاتٍ له عليهم، غير أن القنصل البريطاني قد تدخّل بالأمر، وثناه عن عزمه، وسُحبت الأوامر الصادرة بحقهم.

وجاء الهنود عسكريين أيضاً، وجنوداً مرتزقةً إضافةً إلى التجارة. وعندما وُضعت تانجانيقيا تحت الاستعمار الألماني، وجد الهنود كل تشجيعٍ من قبل الألمان لأنهم كانوا بحاجةٍ إليهم، وعرفوا أهميتهم الاقتصادية، وخاصةً أن الهنود كانت لهم معرفة بالمناطق الداخلية في إفريقية، ولا يمكن للألمان أن يحلّوا محلّهم، وقد وصل عددهم إلى تسعة آلاف هنديٍ عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م).

وفي الحرب العالمية الأولى دخلت تانجانيقيا قوة مؤلّفة من ثمانية آلاف جنديٍ مُهمّتها المساعدة على إخراج الألمان من المنطقة، ولكن هذه القوة قد سُحبت بعد الحرب لأسباب صحيةٍ.

وبعد انتهاء الحرب وضعت مستعمرة شرقي إفريقية الألمانية تحت الوصاية، وانتدبت عصبة الأمم بريطانيا لتكون هي الوصية، فزادت هجرة الهنود إلى تانجانيقيا بتشجيعٍ من بريطانيا، فوصل عددهم عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) إلى ٢٣,٤٢٢ هندياً. وعندما بيعت ممتلكات الرعايا الألمان السابقين بالمستعمرة بالمزاد العلني، حيث صودرت اشتراها الهنود.

وبعد عشر سنواتٍ من وضع تانجانيقيا تحت الوصاية البريطانية سيطر الهنود على معظم تجارة المفرّق، وتجارة الجملة كلها تقريباً، كما امتلكوا ٩٠٪ من الأملاك الخاصة في مدينة دار السلام، فالفنادق، والمحال التجارية كلها كانت بحوزتهم، ووصل عددهم في تانجانيقيا عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) إلى أربعةٍ وتسعين ألفاً، على حين كان عددهم يومذاك في زنجبار خمسة عشر ألفاً، ومعظم هذا العدد كان يعيش في المدن الكبرى (دار السلام) و(زنجبار)، وإن بدؤوا يتوغّلون نحو الداخل مع بدء الاستعمار الأوربي.

والهنـود من سكـان شبـه القـارة الهنـديـة قبـل تقسيمهـا، وهم من المسلمين، والهندوس، والشيعة، والبوهرا، والإسماعيلية، والقاديانية.

٣" ـ **الأوربيون**: أقام الأوربيون مراكز لهم في المناطق المـرتفعة حيث صعبت عليهم الحياة في المناطق المنخفضة لارتفاع الحرارة وزيادة الرطوبة، ومعظمهم من الإنكليز، لأن البرتغاليين انسحبوا من مراكزهم بعد أن طُردوا من البلاد فخرج من استقر منهم مع السلطة، وكذا خرج الألمان بل صودرت أملاكهم وبيعت.

ويتوزّع سكان تانجانقيا كما يأتي:

الإفريقيون	٢٣,٨٤٠,٠٠٠
الهنود	٣٢٠,٠٠٠
العرب	١٥٦,٠٠٠
الأوربيون	٠٤٠,٠٠٠
المجموع	٢٤,٣٥٦,٠٠٠

أما زنجبار فيتألف سكانها مما يأتي:

شيرازيون	٤٦٥,٠٠٠
عرب	١٦٠,٠٠٠
إفريقيون	١٦٣,٠٠٠
هنود	٥٥,٠٠٠
أوربيون	١,٠٠٠
المجموع	٨٤٤,٠٠٠

فيكون سكان تانزانيا:

تانجانيقيا	٢٤,٣٥٦,٠٠٠
زنجبار	٨٤٤,٠٠٠
المجموع	٢٥,٢٠٠,٠٠٠

ولما كان العرب أقليةً في زنجبار، وهم الذين يحكمونها، فالسلطان منهم لـذا تشكّـل حـزب يضمّ المجمـوعتين الأخـريين الكبيـرتين وهمـا: الشيرازيون والإفريقيون، وعُرف هذا الحزب بدمـج في مسمى واحدٍ هـو الحزب (الأفرو- شيرازي)، وما أن استقلت الجزيرة حتى قام هذا الحزب بانقلابٍ وقام على العرب، وأباد قسماً منهم بوسائل مختلفةٍ، ولقي تأييداً من بعض الدول العربية - مع الأسف - وما كان ذلك إلا للركوب في مركبٍ تعود ملكيته إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي تزعّمت الدول النصرانية، وغدت صاحبة الكلمة المسموعة في هيئة الأمم المتحدة الصليبية.

أما تانجانيقيا فإن الإفريقيين هم الغالبية، والمجموعات الأخرى قلّة قليلة بالنسبة إلى الإفريقيين لذلك لا نجد صراعاً عنصرياً واضحاً. وكذلك فإن القبائل الإفريقية في تانجانيقيا لدرجةٍ تكاد تصل إلى المائة، فلا نجد فيها صراعاً واضحاً على السلطة، أما الصراعات المحلية فهي أمر طبيعي ولكن أثرها خارج ديارها لا شأن له.

الصـراع العقيـدي:

تبلغ نسبـة المسلمين في تانـزانيا ٦٢٪، ويشكّـل النصـارى ٢٧٪، والـوثنيون ١١٪، وإن كـانت هـذه النسبـة تختلف في زنجبـار عنهـا في تانجانيقيا.

أولاً: زنجبار:

المسلمون	٩٠٪
النصارى	٤٪
الوثنيون	٤٪
الهندوس	٢٪

١" ـ المسلمون:

الشيرازيون	١٠٠٪	٤٦٥,٠٠٠
العرب	١٠٠٪	١٦٠,٠٠٠
الإفريقيون	٤٢٪	٦٨,٤٦٠
الهنود	٦٢٪	٣٦,١٤٠
المجموع	٩٠٪	٧٢٩,٦٠٠

٢" ـ النصارى:

الإفريقيون	٣٠٪	٤٨,٩٠٠
الأوربيون	١٠٠٪	١,٠٠٠
المجموع	٤٪	٤٩,٩٠٠

٣" ـ الوثنيون:

الإفريقيون	٢٨٪	٤٤,٠٠٠
المجموع	٤٪	٤٤,٠٠٠

٤" ـ الهندوس:

هنود	٣٨٪	٢٠,٠٠٠
المجموع	٢٪	٢٠,٨٠٠

ولما كانت غالبية السكان مسلمين لذا فالصراع العقيدي ضعيف، وقد حلّ مكانه الصراع العنصري الذي تمثّل أيضاً في الصراع الحزبي. أما المذاهب في زنجبار فهي كما يلي:

١ ـ سنة شافعيون ويُشكّلون ٨٩٪ وهم من مختلف الجماعات البشرية (شيرازيون، عرب، إفريقيون، هنود).

٢ ـ أباضيون ويُشكّلون ١٠٪ وهم من العرب والشيرازيين.

٣ ـ شيعة ويُشكّلون ١٪ وهم من العرب والهنود.

ثانياً: تانجانيقيا: يُشكّل:

المسلمون	٦٠٪	١٤,٦١٣,٦٠٠
النصارى	٢٧٪	٦,٥٧٦,١٢٠
وثنيون	١٣٪	٣,١٦٦,٢٨٠
المجموع	١٠٠٪	٢٤,٣٥٦,٠٠٠

أما حسب الأجناس:

١ ـ المسلمون: من الإفريقيين، ومن الهنود، والعرب جميعاً.
٢ ـ النصارى: من الإفريقيين، والأوربيون جميعاً.
٣ ـ الوثنيون: من الإفريقيين فقط.
٤ ـ الهندوس: من الهنود فقط.

المسلمون:

العرب	١٠٠٪	١٥٦,٠٠٠
الإفريقيون	٦٠,٨٠٪	١٤,٣٢١,١١٢
الهنود	٤٨,٥٩٪	١٣٦,٤٨٨
المجموع	٦٠٪	١٤,٦١٣,٦٠٠

النصارى:

الأوربيون	١٠٠٪	٤٠,٠٠٠
الإفريقيون	٢٨٪	٦,٥٣٦,١٢٠
المجموع	٢٧٪	٦,٥٧٦,١٢٠

الوثنيون:

الإفريقيون	١٢,٧٪	٣,٠٢٧,٦٨٠

الهندوس :

الهنود	٥١,٤١٪	١٣٨,٦٠٠

أولاً : تانجانيقيا :

	الإفريقيون	الهنود	العرب	الأوربيون
المسلمون	٦٠٪	٤٣,٥٩٪	١٠٠٪	—
النصارى	٢٨٪	—	—	١٠٠٪
الوثنيون	١٢٪	—	—	—
الهندوس	—	٥٦,٤١٪	—	—
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

ثانياً : زنجبار :

	الإفريقيون	الهنود	العرب	الأوربيون	الشيرازيون
المسلمون	٤٢٪	٦٢٪	١٠٠٪	—	١٠٠٪
النصارى	٣٠٪	—	—	١٠٠٪	—
الوثنيون	٢٨٪	—	—	—	—
الهندوس	—	٣٨٪	—	—	—
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

فالصراع العقيدي موجود على نطاقٍ واسعٍ غير أنه مكبوت، فالمسلمون فقراء، وعلى مستوىً من الجهل كبيرٍ، وقد شغلتهم السلطة بأمور حياتهم، وبالحزب الثوري الذي يعمل على إبعاد الناس عن دينهم بإفسادهم، فهذا دور هذا الصراع. ففي الوقت الذي لا يسمح للمسلمين بأي تنظيمٍ في سبيل نشر الوعي والتنبيه إلى أمور الدين، ولكن يُدعون للانضمام إلى صفوف الحزب في سبيل تأمين حياتهم نجد الإرساليات التنصيرية تمرح كما تشاء في البلاد، والباب مفتوح أمامها على مصراعيه،

ولديها الإمكانات الضخمة، وتظهر للناس بالوجه الحسن بما تُقدّمه من خدماتٍ تعليميةٍ وصحيةٍ، واجتماعيةٍ، ومساعداتٍ أحياناً، حتى تستطيع التأثير، حتى إذا شعرت باقتراب الناس منها عملت على سحبهم إلى النصرانية، فإن لم تنجح وهو الغالب تكون قد أبعدتهم عن دينهم، وهو هدف بحدّ ذاته. ولكن قد يحدث صراع في المنطقة الساحلية حيث تكون الغالبية للمسلمين فيتألّمون مما يحدث أمامهم، وقد تقع ردود فعلٍ غير أن الضغط يُسكتهم فإن لم يُجد فالسيف يُخرسهم، ويلعب الحزب الثوري دوره في كبح الحركة وكتم الصوت.

ويتبع النصارى عدة كنائس منها الأنكليكانية، واللوثرية، والإغريق الأرتوذكس، والروم الكاثوليك، والمورافيانية.

كما توجد فئة من البهائيين، ويشرف عليها المجلس الرومي الوطني في العاصمة دار السلام.

الصراع الحزبي:

لا يوجد صراع حزبي في تانزانيا إذ لا توجد تعددية حزبية وإنما حزب واحد، بيده السلطة، ولا يسمح بمنافسٍ له. فقد وجد في تانجانيقيا حزب الاتحاد الوطني الإفريقي الذي أسّسه يوليوس نيريري، وتسلّم الحكم من البداية، وهدفه جمع المؤيّدين ليستطيع البقاء في السلطة، وقد هُرع إليه المنتفعون.

وفي زنجبار وجد الحزب الأفرو- شيرازي الذي يضم أفراداً من المجموعتين الكبريين الإفريقية والشيرازية، واللتان حمل اسمهما، وكان يهدف إلى السيطرة على الحكم، ولا يمكنه تحقيق ذلك إلا بإبعاد الأسرة الحاكمة التي هي من العنصر العربي، لذا عمل على معاداة العرب، ولم تكن بريطانيا الدولة المستعمرة أن تقبل بإزاحة الأسرة العُمانية الحاكمة ما دامت الاتفاقات كلها قد تمّت معها، وفي الوقت نفسه لم تكن ترغب أن تُتهم بالتخلّي عن الأصدقاء، لذا أعطت الجزيرة الاستقلال لتفسح المجال

أمام أعوانها الأقوياء للتخلص من أصدقائها الضعفاء قليلي الأتباع، غير المنظمين. وسيطر الحزب، وتغطرس قادته، فليس هناك من يقف أمامهم.

وتوحّد الإقليمان (تانجانيقيا) و(زنجبار)، وكل حزبٍ سيد في إقليمه، لا فئة تُنافسه، ولا جماعة تستطيع أن تُناوئه. ولا يوجد خلاف بينهما فكل يعمل في ساحة نفوذه. ثم اندمج الحزبان في صفر ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م) أي بعد ما يقرب من ثلاثة عشر عاماً على انضمام الجزأين بعضهما إلى بعضٍ. وكان من اندمجهما الحزب الثوري الذي بيده مقاليد الدولة، رئيسه رئيس جمهورية تانزانيا، ونائبه رئيس زنجبار، حتى إذا تقاعد رئيسه يوليوس نيريري من رئاسة جمهورية تانزانيا تولّى رئاسة الجمهورية رئيس زنجبار علي حسن موينايي، وبقي يوليوس نيريري رئيس الحزب.

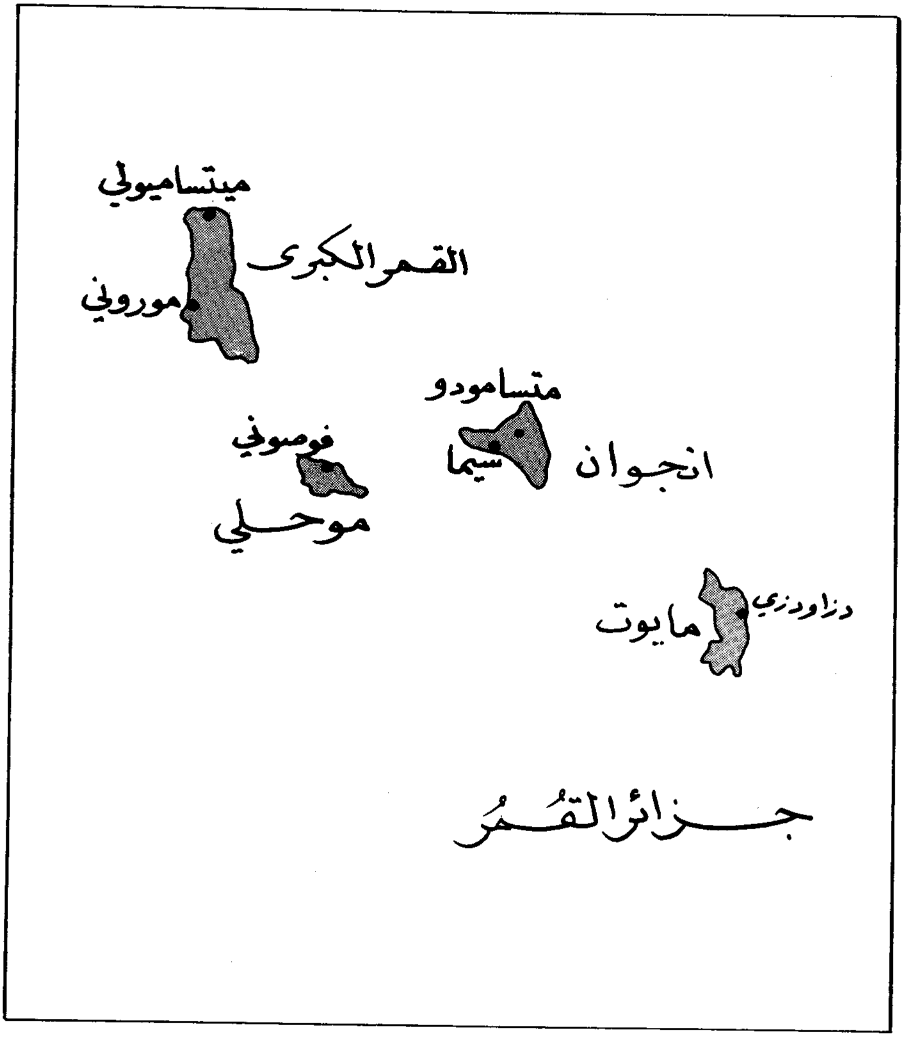
وظهر في الحزب جناحان أحدهما يتمسك بالفكر الاشتراكي ويريد الالتزام بالتطبيق، وآخر يرغب في التحرر الاقتصادي، وظهر بين الجناحين شيء من الصراع غير أن الجناح المتحرّر بزعامة رئيس الجمهورية علي حسن موينايي بقي المهيمن على الوضع، وكلما رفع أحد معارضيه رأسه أُخفض بالقوة، وأُبعد عن منصبه، وإذا دعا الأمر طُرد من الحزب.

وعندما رأى رئيس زنجبار إدريس عبد الوكيل معارضةً له في المجلس الثوري الأعلى علّق صلاحياته، وتولّى بنفسه السيطرة على القوات المسلحة.

إذن وجد صراع داخل الحزب، ولكن بقي أحد الأجنحة هو المسيطر دون إمكانية المعارضة من الجناح الآخر، فكأنّ ذاك الجناح هو الحزب المتحكّم.

الباب الثاني

جزائر القمر


ميتساميولي
القمر الكبرى
موروني
متسامودو
فومبوني
سيما
انجوان
موحلي
دزاودزي
مايوت
جزائر القمر

مصور رقم [٨]

لمحة عن جزائر القُمر قبل إلغاء الخلافة

سكن جزائر القُمر أول من سكنها جماعة من العنصر الماليزي، ثم وصلت إليها جماعة من الآدوميين في القرن العاشر قبل الميلاد أيام نبي الله سليمان عليه السلام، ووفد عليها جماعات من بلاد العرب، وجاء زنوج من مدغشقر، وزنجبار، والبر الإفريقي. وممن نزل فيها فريق من الأزد الأباضيين إذ حلّوا في قنبالو (أنجوان)، كما رحل إليها أعداد من الفرس، ومن هؤلاء جميعاً نشأ المجتمع في جزر القُمُر.

احتلّ البرتغاليون جزائر القُمر عام ٩٠٨ هـ، ولم يجدوا فيها قوةً لافتراق الكلمة، وضعف السكان، وقلّة العدد، وكثرة السلطنات فمرّوا عليها كأنهم عابرو سبيل. ووجدوا فيها المسلمين فأطلقوا عليها اسم «المورو» وهو الاسم الذي أطلقوه عليهم في كل أرضٍ وجدوهم فيها حتى اقترن هذا الاسم بهم. وقام البرتغاليون بأعمالٍ وحشيةٍ في كل منطقةٍ دخلوها، ووجدوا فيها مسلمين، ومنها جزر القُمُر.

طُرد البرتغاليون من أكثر مناطق شرقي إفريقية حيث وقف ضدهم العثمانيون، وأهل عُمان، وبريطانيا، وثار أهالي جزائر القُمُر على البرتغاليين فأخلوها. ونزلت في ذلك الوقت جماعة من شيراز في جزيرة القُمُر الكبرى عام ٩١٢ هـ بإمرة محمد بن عيسى فاحتلّوا الجزيرة، وأرسل محمد بن عيسى ابنه حسناً إلى جزيرة (أنجوان) فحكمها، وأسّس سلطنةً فيها، حيث تزوج بابنة (فاني علي) زعيم مدينة (موتسامودو) كبرى مدن الجزيرة، وتلقب حسن بلقب سلطان، وبعد موته خلفه ابنه محمد الذي تزوّج بابنة زعيم جزيرة (مايوت) وألحق الجزيرة بسلطنته، ثم أضاف إليه جزيرة (موحلي)،

وأخيراً أطاعه سلاطين جزيرة القُمُر الكبرى، وهكـذا جُمعت الجزر كلهـا ضمن سلطنة محمد بن حسن بن محمد بن عيسى.

توفي محمد وخلفه ابنه عيسى، ولكن ضعف أمره، وقلّ نفوذه، وغدا سلطانه على جزيرة القُمر الكبرى اسمياً، وبعد وفاته تولت زوجته (موللانة) مكـانه، وهـذا ما أثـار غضب الزعمـاء على الحكم، فـانتفضت جـزيـرة (مايوت)، واستأثر بأمر (أنجوان) زعيم مدينة (موتسا مودو)، ففرّت الملكة (مولّلانة) إلى مدينة (دوموني). وفي الوقت نفسه مات زعيم (موتسا مودو) فخلفته زوجته (فاتنة)، فأصبح في الجزيرة ملكتان، إحداهما (فاتنـة) في (موتسا مودو)، والثانية (مولّلانة) في مدينة (دوموني)، وبقي الخلاف قائماً في الجزيرة حتى أيام الملكة (عالمة) التي بنت الجامع الكبير في مدينة (موتسا مودو) عام ١٠٨١ هـ.

هاجم حكام جزيرة مدغشقر جزيرة (أنجوان)، وتمكّنوا من احتلالها، واستباحوا أرضها، وفتكوا بأهلها.

استطاع الأمير أحمـد حفيد الملكـة (عالمـة) أن يجمع البـلاد عام ١١٨٤ هـ (١٧٦٩ م)، وأن يُعيد إليها الوحدة، ولكن أغارت على الجزائر قبائل (السكالافا) المدغشقريـة، فاضـطرب حبل الأمن، واستقلت جـزيرة (مايوت) عن (أنجوان)، وتوفي الأمير أحمد فخلفه الشيخ سالم الذي حكم حتى عام ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م)، وتولّى بعده ابنه (أحمـد)، وكان صغيـر السن، فقام ينافسه عمه (علوي) غير أنه فشل ففرّ إلى زنجبار. ثم رجع بعد عامين بعد أن هيّأ الأوضاع، وأخذ بالأسباب، فاستطاع خلع ابن أخيه (أحمـد)، وتسلّم الحكم مكانـه، وبقي في السلطة حتى عـام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م).

تولّى بعد (علوي) ابنه عبدالله الأول الذي قاتل أهل جزيرة مدغشقر، وجاءه أحد المتنازعين على الحكم فيها فاراً، فأكرمه، وقـدّمه، حتى إذا قويت شوكته ثار عليه، واحتل جزيرة (مايوت).

توفي عبدالله فخلفه ابنه (علوي) الذي نافسه عمه (سالم)، وإثر فتنةٍ عارمةٍ هرب (علوي) إلى موزامبيق حيث أسره الإنكليز، ونفوه إلى (كلكتا)، ثم إلى (موريشيوس) حيث توفي عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤٢ م)، وانفرد سالم بالسلطة.

أما جزيرة (مايوت) فقد استقلّت عن (أنجوان) اسمياً على يد صالح بن محمد بن بشير من أهل عمان، إذ كان يُقيم في (أنجوان)، ويُعدّ من أهل الوجاهة فيها، وقد تزوج بابنة سلطان جزيرة (مايوت) عام ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م)، فلما مات سلطانها خلفه صهره هذا (صالح بن محمد)، وبقيت تتبع (أنجوان) اسمياً حتى احتلتها فرنسا عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤٢ م). وهكذا عزلت (مايوت) عن باقي الجزر التي استمرت تحت حكم (سالم)، وعندما توفي خلفه ابنه (عبدالله) الملقب بالكبير، وكان على صلةٍ وثيقةٍ مع البريطانيين.

ثار على (عبدالله) أخوه (محمد)، غير أنه انتصر عليه، وكانت الحرب قد هدّت قواه فطلب حماية فرنسا عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) إلا أن السكان قد قاموا بحربٍ ضدّ الفرنسيين، وقُتل عبدالله مسموماً، وتولى مكانه أخوه الثاني (عثمان)، ولكن أهالي مدينة (موتسا مودو) بايعوا ابن أخيه (سالم بن عبدالله) ووقع القتال بين الطرفين، فانتصر عثمان، والتجأ سالم إلى الفرنسيين، وطلب المساعدة منهم، واعترف بحمايتهم، ولكن عثمان بقي يقاومهم، وأخيراً اضطر إلى الاستسلام، فنُفي إلى كاليدونيا الجديدة.

جيء بأحد أمراء (أنجوان) وهو (عمر) ونُصّب سلطاناً عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م)، وأمضى معاهدةً مع الفرنسيين اعترف فيها بالحماية الفرنسية على جزائر القُمُر عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م)، ولم يعش بعدها طويلاً إذ مات بالسنة نفسها.

بعد وفاة عمر تولى مكانه ابنه (محمد) سلطاناً على جزيرة (أنجوان) وملحقاتها، على حين كان ابنه الآخر (علي) يتولّى أمر جزيرة القمر الكبرى

التي كانت عند مجيء فرنسا مقسمةً إلى اثنتي عشرة مقاطعةً، لكلٍ منها سلطان، ويُعرف أكبرهم باسم سلطان (تيبة)، ويخضع الجميع له، وكان صاحب هذه المنصب السلطان (أحمد) عم سلطان (أنجوان) (محمد بن عمر)، فلما مات السلطان أحمد خلفه ابن أخيه (علي بن عمر) حسب وصية عمه السلطان أحمد المتوفّى. كان (علي بن عمر) صغير السن، وقد درس وتعلم اللغة الفرنسية في جزيرة (مايوت)، فلما جاء ليتولّى أمر جزيرة (القمر الكبرى) حسب وصية السلطان السابق رفض بقية السلاطين الخضوع له، وثاروا عليه بإمرة الأمير (موسى فومو) الذي أراد أن يكون مكانه، فوقعت الحرب بين الطرفين، وخرج (علي) من الحرب منتصراً لمعاونة أهالي جزيرتي (موحلي) و(أنجوان) له، إضافةً إلى سلاطين بعض المقاطعات في جزيرة (القُمُر الكبرى) نفسها، كما أن إنكلترا قد عرضت حمايته فرفض، إلا أنه طلب من قائد قوات جزيرة (مايوت) الفرنسي، الحماية والمساعدة. ولما عرضت إنكلترا عرضها على الأمير (موسى فومو) وافق. وهكذا أصبح الطرفان المتنازعان في جزائر القُمُر في حماية الدولتين المتنافستين النصرانيتين فرنسا وإنكلترا.

جاء العالم الطبيعي الفرنسي (هامبولت) إلى المنطقة، واقترح على حكومته مساعدة السلطان علي فوافقت، وعقدت معه معاهدةً عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) إلا أن الثورة قد اشتعلت في جزائر القُمر، وعدّت السلطان (علي) خائناً لتصرّفاته هذه، وخضوعه لفرنسا، وذلك عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) إلا أن القوات الفرنسية قد قمعت الثورة، وأقرّت السلطان (علي) سلطاناً على جزيرة (القُمر الكبرى) في الوقت الذي كان أبوه (عمر) قد وقع معاهدةً مع فرنسا اعترف فيها بحمايتها لجزائر القمر. ولما مات (عمر) خلفه ابنه (محمد) ـ كما ذكرنا ـ.

جرت محاولة لاغتيال (هامبلوت) أو هكذا ادّعت فرنسا، واتهمت القوات الفرنسية المحتلّة للجزر أن السلطان (علي) وراء هذه المحاولة

فـأُلقي القبض عليه، ونُفي إلى (ديـاغو)، ثم إلى (بـوربون)، وأصبحت السلطة كلها بيد المقيم الفرنسي، وهو صاحب الأمر والنهي.

كانت جزيرة (مايوت) حتى عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) هي المستعمرة الفرنسية الوحيدة بين جزائر القُمر، ولكنه في العام نفسه صدر قرار أصبحت بموجبه بقية الجزر أيضاً مستعمرةً فرنسيةً.

وفي عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) أُلحقت جزائر القُمر بجزيرة مدغشقر المحتلّة من قبل فرنسا أيضاً، وبقيت عامين كاملين تتبعها، وبعدها رجعت مستعمرةً فرنسيةً وحدها لا ترتبط بغيرها، واستمر هذا الوضع حتى الحرب العالمية الثانية.

الفصل الأول

جزائر القُمر من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، وإن لم يكن لهذه الخلافة أثر قبل الإلغاء إلا أنها كانت تعدّ رمزاً للمسلمين ورابطةً معنويةً لهم. وقد ضاع ذاك الرمز، وزالت تلك الرابطة بذلك الإلغاء ولذا كان الأعداء حريصين جداً على تنفيذه.

فرضت إنكلترا سيطرتها على جزر القُمُر أثناء الحرب العالمية الثانية كإجراءٍ عسكريٍ بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا وقيام حكومة فيشي برئاسة الجنرال (بيتان) التي كانت توالي الألمان. واتخذت بريطانيا هذه الجزر قاعدةً لسفنها الحربية في المحيط الهندي.

عادت هذه الجزر بعد الحرب لفرنسا، وكانت تحكمها جمعية منتخبة مؤلفة من ثلاثين عضواً، وتعدّ هذه الجزر إقليماً خاصاً ضمن الأقاليم الفرنسية فيما وراء البحار.

وفي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) فتحت فرنسا المجال أمام مستعمراتها في حرية الاختيار بين الاستقلال أو البقاء ضمن المجموعة الفرنسية، وذلك عندما جاء ديغول إلى حكم فرنسا، وفكّر في طريقةٍ للحفاظ على مستعمرات فرنسية فيما وراء البحار، بعد اشتعال الثورة في الجزائر. فعرض دستوره، وأعطى لكل إقليمٍ الحرية في التصويت عليه، ففي حالة الموافقة عليه من قبل إقليمٍ ما، يصبح هذا الإقليم عضواً في مجموعة الشعوب الفرنسية، ويُشكّل حكومةً محليةً، ويتمتع بالاستقلال الداخلي على أن

تكون السلطة المركزية لفرنسا في الدفاع، والاقتصاد، والشؤون الخارجية، كما يمكن أن يُعقد اتحاد بين إقليمين عضوين في المجموعة الفرنسية، أما الأقاليم التي لا تُوافق على الدستور فتحصل على الاستقلال التام، وعندها تقطع فرنسا عنها مباشرةً كل معونةٍ فنيةٍ، أو ماديةٍ، أو إداريةٍ، ولكن رافق هذا الاستفتاء أنواع من التهديدات والوعيد، حتى إن القسم الكبير من السكان قد قاطع الاستفتاء لذا كانت النتيجة قبول دستور ديغول في أغلب الأقاليم.

جرى الاستفتاء في جزائر القمر، فكان رأي السكان أن تبقى بلادهم ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية. فأعطت فرنسا الجزر الحكم الذاتي، غير أن المطالبة بالاستقلال التام والانفصال عن فرنسا لم تلبث أن ظهرت وقويت، وبرز (عبده بكاري) أحد زعماء هذه الحركة، وحصل على تأييدٍ واسعٍ من الشعب.

كان يُدير شؤون جزائر القمر آنذاك مجلس حكومي يتألف من ٦ ـ ٨ وزراء، ويرأس هذا المجلس رئيس يعدّ بمثابة رئيس وزراء، وكان (سيد محمد الشيخ) هو الرئيس في تلك المرحلة.

أما المجلس النيابي فيتألف من ثمانيةٍ وثلاثين عضواً، وتتمثّل جزائر القمر في الجمعية الوطنية الفرنسية في باريس. ثم تسلّم (أحمد عبدالله) رئاسة الحكومة بعد (سيد محمد الشيخ).

جرت الانتخابات النيابية عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)، وفاز حزب (استقلال ووحدة جزر القُمر) وتسلّم زعيم هذا الحزب (أحمد عبدالله) رئاسة الوزراء. وأصبح لفرنسا مندوب سامٍ في البلاد.

وفي عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) قرّر المجلس النيابي إصدار بيانٍ يُطالب فيه بالاستقلال التام، والانفصال عن فرنسا وأعقب ذلك مباحثات بين الحكومة الفرنسية وبين بعض السياسيين في جزر القُمر لوضع مشروع للاستقلال. وانفجرت المطالبة، وجعلت التنظيمات السياسية كلها

الاستقلال هدفاً لها، وأخذت ترفعه وتُنادي به، ومن هذه التنظيمات: الحركة الوطنية لتحرير جزر القُمر، حزب استقلال ووحدة جزر القُمر، الحزب الاشتراكي.

قامت فرنسا بإجراء استفتاءٍ في ٨ ذي الحجة ١٣٩٤ هـ (٢٢ كانون أول ١٩٧٤ م)، وكانت نتيجته تأييد ٩٥,٦٥٪ من الناخبين الذين بلغ عددهم ١٧٥ ألفاً الاستقلال التام والانفصال عن فرنسا في الجزر جميعها، أما الباقي وهو ٤,٣٥٪ فقد أيّدوا البقاء ضمن المجموعة الفرنسية، ومعظم هذه النسبة كانت من جزيرة (مايوت)، حيث كانت نسبة تأييد الاستقلال ٣٦٪، ونسبة تأييد البقاء ضمن المجموعة الفرنسية ٦٤٪، وذلك لأن عدداً من الفرنسيين يُقيمون في هذه الجزيرة، ويُؤلّفون مجموعةً صغيرةً، ولهم حزب خاص يُدعى (الماهور) يتزعمه (مارسيل هنري)، إضافةً إلى الوعود التي مُنّي بها المواطنون، والتهديدات التي اتخذت، لأن فرنسا كانت تعمل للبقاء في جزيرة (مايوت).

عُقد مؤتمر في العاصمة (موروني) ضمّ زعماء الأحزاب في البلاد لوضع صيغة الدستور الذي ستسير عليه البلاد عند الاستقلال. ولكن فرنسا بدأت تعرقل مشروع الاستقلال وهذا ما أجبر رئيس المجلس النيابي على الاستقالة.

كانت فرنسا تتخذ الوسائل جميعها في محاولتها البقاء في جزيرة (مايوت) ولكن معارضةً شديدةً وقفت في وجهها، شملت رئيس المجلس النيابي المستقيل، ورئيس الوزراء، ووصل الخلاف إلى النواب فيما بينهم، حيث انتخب (أحمد دهللاني) رئيساً جديداً للمجلس النيابي، فكان النواب بين مؤيّدٍ ومعارضٍ، وهذا ما أوقع البلاد في دوامةٍ من الفوضى السياسية، ووقوع بعض الحزازات، ووجود التجمعات المتنافرة.

أعلنت الجمعية الوطنية الفرنسية في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ (٢٦ حزيران ١٩٧٥ م) وثيقة استقلال جزر القمر على أن يجري فيها

استفتاء، على أن يكون في كل جزيرةٍ وحدهـا، وذلك كي تبقى جـزيرة (مايوت) خارج الدولة الجديدة المزمع إنشاؤهـا، وفي الوقت نفسـه تبقى فرنسا في تلك الجزيرة.

أعلن المجلس النيابي في جزر القُمر بعد أربعة أيامٍ فقط مشروعاً يُطالب فيه بعدم إجراء الاستفتاء قبل الاستقلال الذي يشمل الجزر كلها، بما فيها جـزيرة (مـايوت)، ثم أعلن الاستقـلال في الأسبوع التـالي ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ (٦ تموز ١٩٧٥ م)، غير أن نواب جزيرة (مايوت) لم يحضروا هذه الجلسة الأمر الذي أوجد حجةً للحكومة الفرنسية، فأعلن مندوبها حالة الطوارىء، واستقدم قواتٍ احتياطيةً من جزيرة (رينيون) لدعم القوات الفرنسية في جزر القُمـر، ولكن المجلس النيابي في جـزر القُمر أعلن في اليوم نفسه عن اختيار (أحمد عبدالله) رئيساً للدولـة الجديـدة، وشكل لجنةً لصياغة دستور البلاد.

أبلغ رئيس الـدولة (أحمـد عبدالله) المنـدوب السامي الفـرنسي أن منصب المندوب السامي قد انتهى، وأنه قد أصبح سفيراً لفرنسا في جزر القُمر، كما أبلغ الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الإفريقية، وجامعة الدول العربية للاعتراف بدولة جـزر القُمر، فـاعترفت بـذلك عـدة دولٍ أكثرهـا إفريقية.

وافقت فرنسا على استقلال جزر القُمر عدا جزيرة (مايوت)، وعدّتها أنها ستبقى ضمن إطار المجموعة الفرنسية.

الفصل الثاني

الاستقلال

أُعلن عن استقلال جزر القُمر في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ (٦ تموز ١٩٧٥ م)، واختير (أحمد عبدالله) رئيساً للدولة الجديدة.

تشكّلت معارضة في جزر القُمر برئاسة الأمير (سعيد محمد جعفر) ضدّ سياسة الرئيس القماري (أحمد عبدالله) التي تدعو حسب زعم المعارضة إلى قيام دولةٍ اتحاديةٍ، وهذا يعني احتفاظ كل جزيرةٍ باستقلالها الذاتي، وبذا تبقى جزيرة (مايوت) مرتبطةً بفرنسا. وقوي أمر المعارضة بسرعة، ولم ينته بعد الشهر الأول على الاستقلال حتى وقع انقلاب بقيادة (علي صويلح) في ٢٦ رجب ١٣٩٥ هـ (٣ آب ١٩٧٥ م)، فخلع الرئيس (أحمد عبدالله)، وأُلغي المجلس الوطني، وتمّ إنشاء مجلسٍ تنفيذيٍ وطنيٍ برئاسة (سعيد محمد جعفر) ومن بين أعضائه قائد الانقلاب (علي صويلح)، وبعد يومين من الانقلاب اختير (سعيد محمد جعفر) رئيساً للدولة، وطالب النظام الجديد بوحدة جزر القُمر كلها بما فيها جزيرة (مايوت)، وبعد أسبوعٍ تشكّل المجلس الوطني الجديد، ويُمثّل جزر القُمر جميعها.

لم تعترف فرنسا باستقلال جزيرة (مايوت)، وبقيت تعدّها إقليماً فرنسياً، وأجرت فيها استفتاءً أعلنت أن نتائجه جاءت لصالح البقاء ضمن المجموعة الفرنسية، ولكن أعلنت حكومة جزر القُمر أن فرنسا قد تلاعبت بالاستفتاء، ومارست ضغطاً شديداً على السكان للموافقة على مخططها، وذلك في صفر ١٣٩٦ هـ (شباط ١٩٧٦ م).

تمّ قبول دولة جزر القُمر بالأمم المتحدة في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩٦ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٧٦ م)، ورضخت فرنسا للأمر الواقع، واعترفت باستقلال الجزر.

وبعد ستة أشهرٍ من الانقلاب الأول أزاح (علي صويلح) قائد الانقلاب (سعيد محمد جعفر) رئيس الدولة، وتسلّم السلطة مكانه في مطلع عام ١٣٩٦ هـ (كانون الثاني ١٩٧٦ م)، وأعطاه الدستور الجديد صلاحياتٍ واسعةً.

قطعت فرنسا مساعداتها جميعها عن جزر القُمر، وتمّ سحب المساعدات الفنية.

وفي ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ (١٣ أيار ١٩٧٨ م) وقع انقلاب جديد قام به مجموعة من المرتزقة الأوربيين يُقدّر عددهم بخمسين شخصاً، يقودهم رجل فرنسي يُدعى (بوب دينارد) بالنيابة عن الرئيس الأسبق (أحمد عبدالله) وقُتل الرئيس (علي صويلح)، وتولّى الأمر (سعيد أتوماني) أحد وزراء الحكومة التي أطاح بها (علي صويلح)، وحملت الدولة اسماً جديداً هو «جمهورية جزر القُمر الاتحادية الإسلامية»، وتسلم رئاستها (أحمد عبدالله عبد الرحمن).

وطُردت حكومة جزر القُمر من منظمة الوحدة الإفريقية في شعبان ١٣٩٨ هـ (تموز ١٩٧٨ م) بسبب الوجود الدائم للمرتزقة الأوربيين في البلاد.

تمّ استفتاء شعبي في ذي القعدة ١٣٩٨ هـ (تشرين الأول ١٩٧٨ م) للموافقة على الدستور الجديد، وأُجري هذا الاستفتاء في ثلاث جزرٍ أي باستثناء جزيرة (مايوت)، وتمّت الموافقة عليه بنسبة ٩٩,٣١٪، كنتيجة أي استفتاء تقوم به حكومة لها علاقة بالموضوع. وتمّ انتخاب (أحمد عبدالله) رئيساً في الشهر نفسه.

وأُجريت الانتخابات في مطلع عام ١٣٩٩ هـ (كانون الأول ١٩٧٨ م)

لتشكيل المجلس الاتحادي، وبعد شهرٍ اعتمد المجلس تشكيل الدولة ذات الحزب الواحد. ولكن وجدت معارضة قوية، وإن لم تكن لها الصفة الرسمية.

وأُشيع خبر محاولة القيام بانقلاب، وإن نفت الحكومة ذلك رسمياً، ولكن تمّ اعتقال مائةٍ وخمسين شخصاً في شهر ربيع الثاني ١٤٠١ هـ (شباط ١٩٨١ م).

واختير وزير الخارجية (علي مراودجي) ليكون رئيساً للوزراء في ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ (شباط ١٩٨٢ م)، وأشرفت الحكومة الجديدة على الانتخابات التي تمت بعد شهرٍ من تسلّمها السلطة. ثم جرت تعديلات دستورية في ذي الحجة ١٤٠٢ هـ (تشرين الأول ١٩٨٢ م) أعطت سلطات واسعةً لرئيس الدولة على حين ضعفت سلطات حكام الجزر.

وفي أوائل شعبان ١٤٠٣ هـ (أيار ١٩٨٣ م) أصدر الرئيس (أحمد عبدالله) مرسوماً بالعفو عن السجناء جميعاً الذين أُدينوا بسجن تقلّ مدته عن عشر سنواتٍ.

واكتشفت محاولة انقلابٍ في ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (كانون الأول ١٩٨٣ م) كادت تطيح بالحكم، وقوامها مجموعة من المرتزقين البريطانيين كانت تُخطّط لاستلام السلطة لمصلحة الأمير (سعيد علي كمال)، وهو سياسي سابق من جزر القُمر، غير أن المؤامرة فشلت باعتقال قائد المرتزقة في أستراليا.

وجرت انتخابات الرئاسة في ذي الحجة ١٤٠٤ هـ (أيلول ١٩٨٣ م)، وكان الرئيس (أحمد عبدالله) هو المرشح الوحيد، ورغم نداءات المعارضة في مقاطعة الانتخابات إلا أنه قد شارك فيها ٩٨٪ من الناخبين المسجلين، وحصل على التأييد بنسبة ٩٩,٤٤٪ من الذين شاركوا بالانتخابات، وبذا فاز بالرئاسة لمدة ست سنواتٍ جديدةٍ.

وأُلغي منصب رئيس الوزراء في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) حسب نصٍ دستوريٍ صدر، وتقلّد الرئيس أحمد عبدالله منصب رئاسة الحكومة أيضاً.

وجرت محاولة من الحرس الرئاسي للإطاحة بالرئيس أحمد عبدالله عندما كان غائباً عن البلاد في زيارةٍ رسميةٍ لفرنسا في جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م)، غير أن أمرها قد اكتشف، وأُحبطت. وفي ربيع الأول ١٤٠٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٥ م) صدرت الأحكام ضد المتهمين بالمشاركة في محاولة الانقلاب، وصدر الحكم ضدّ سبعة عشر شخصاً بالأشغال الشاقة المؤبّدة، ومن بينهم (مصطفى سيد شيخ) الأمين العام للجبهة الديمقراطية، المعارضة للحكم، والمحظورةُ رسمياً، وألقي القبض على خمسين آخرين، وأودعوا السجن. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الرئيس (أحمد عبدالله) قد أصدر مرسوماً في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) يقضي بالعفو عن ثلاثين شخصاً من السجناء السياسيين، كان عدد منهم أعضاء في الجبهة الديمقراطية. وفي رمضان ١٤٠٦ هـ (أيار ١٩٨٦ م) صدر حكم جديد باحتجاز خمسة عشر سياسياً تمّت إدانتهم، ثم صدر عفو عنهم.

وعاد الرئيس أحمد عبدالله فمنح عفواً آخر في جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (كانون الثاني ١٩٨٧ م) للسجناء السياسيين. ثم أعلن بعد شهرٍ أن الانتخابات للمجلس الاتحادي ستجري في ٢٢ رجب ١٤٠٧ هـ (٢٢ آذار ١٩٨٧ م)، وأن باب الترشيح سيكون مفتوحاً أمام المعارضة، وأن غير مرشحي الحكومة يمكنهم المنافسة على عشرين مقعداً في جزيرة (القُمر الكبرى). وجرت هذه الانتخابات بالموعد المحدد لها، وحصل مرشحو الحكومة على ٤٢ مقعداً في المجلس الاتحادي، وهذا يُمثّل عدد المقاعد كلها، أما المرشحون من غير المؤيّدين من الحكومة فقد حصلوا على ٣٥٪ من مجموع الأصوات. ولكن لم يشارك في هذه الانتخابات سوى ٦٥٪ من

الناخبين المسجلين. ولكن أُثيرت شائعات حول عمليات الغش والتزوير في تلك الانتخابات.

ويوجد في جزيرة (رينيون) ما يقرب من أربعمائة شخصٍ يرجعون في أصولهم إلى جزر القُمر، وتمّ اعتقال أكثر من نصفهم بتهمٍ مختلفةٍ حيث كانوا قد قدموا إلى موطنهم الأصلي في جزر القُمر، وشاركوا في عمليات الانتخابات.

وافقت ثلاث حركاتٍ معارضةٍ تتمركز في فرنسا على الاندماج في منظمةٍ واحدةٍ، وتمّ هذا في مؤتمرٍ شعبيٍ حضره حوالي ألف شخصٍ من جزر القُمر، عُقد في مدينة (مرسيليا) في فرنسا في شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران عام ١٩٨٧ م).

وأعاد الرئيس أحمد عبدالله الموظفين المدنيين جميعاً والذين كانوا قد طُردوا من وظائفهم، أو جُمّدوا عن العمل بعد محاولة الانقلاب الفاشلة التي وقعت في جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م).

أسّست الحكومة شركة وطنية لتوزيع الأغذية في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م)، وهذا ما يخفّف من سيطرة المرتزقة الأوربيين على سوق التوزيع، والتحكّم بالأسعار.

وفي شهر صفر ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) وبعد أن غادر الرئيس أحمد عبدالله جزر القُمر إلى فرنسا لحضور مؤتمرٍ هناك وبمدةٍ قصيرةٍ جرت محاولة انقلابٍ أخرى قادتها مجموعة يسارية اشترك فيها أربعة عشر عضواً سابقاً في الحرس الرئاسي، وأعضاء في القوات المسلحة في جزر القُمر، وقد تمّ اكتشافها من قبل السلطات الحكومية بمساعدة فريق من المرتزقة الفرنسيين، ومستشارين عسكريين من جنوبي إفريقية، وقد قُتل ثلاثة من المتمردين أثناء القيام بالهجوم على الثكنات العسكرية، وقُتل عدد من المدنيين أيضاً.

وُزّعت كتيبات ضدّ الحكومة داخل البلاد من مجموعة مركزها جزيرة

(مايوت)، أسّسها أحد الهاربين من (موحلي)، وهدف هذه الجماعة لفت نظر منظمة حقوق الإنسان لوضع (موحلي) البئيس إذ اعتقل منها عدة أفرادٍ، وأن أموال العامة تُبعثر دون وعيٍ، في الوقت الذي لم تدفع للموظفين المدنيين أجورهم منذ تسعة أشهرٍ، ووزعت هذه الكتيبات في رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م).

أنشأ نجل الرئيس أحمد عبدالله المدعو (نصّوف عبدالله) حزباً أسماه «الاتحاد الإقليمي» للدفاع عن سياسة الرئيس أحمد عبدالله، وهو حزب مساند للحكومة، ومركزه جزيرة (أنجوان).

كان الرئيس أحمد عبدالله منذ شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران ١٩٨٧ م) يفتش عن مخرجٍ قانونيٍ للحصول على مدة رئاسيةٍ جديدةٍ عند انتهاء مدته الثانية عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م)، فلم يجد بدّاً من تعديلٍ دستوريٍ ليحصل على ذلك، وقد جرى هذا التعديل في أوائل ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م)، وأصبح بإمكانه ترشيح نفسه لمدةٍ رئاسيةٍ ثالثةٍ. وجرى استفتاء شعبي على الرئاسة وحصل الرئيس على ٩٢,٥٪ من مجموع الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم. أما عن نتائج ذلك الاستفتاء فقد حدث عليها مناقشات واعتراضات، واحتجّت عليها المعارضة، وتبع ذلك مظاهرات عنيفة، وتمّ احتجاز قادة المعارضة، وادعى السفير القُماري في باريس أن تقارير العنف التي نشرت كان مبالغ فيها.

وقُتل الرئيس أحمد عبدالله يوم ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٠ هـ ليلة الثامن والعشرين (٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٩ م) أثناء حادث عنفٍ وقع في قصر الرئاسة، واختلفت التقارير في الحادث، فذكر بعضها أن مجموعةً من المتمردين بقيادة قائد القوات المسلحة السابق قد هاجمت القصر وقتلت الرئيس. وذكر بعضها الآخر أن الرئيس قد اغتيل من قبل أعضاء حرس الرئاسة الخاص، والمؤلّف من ستمائةٍ وخمسين حارساً (بما فيهم المستشارون الأوربيون) بقيادة الفرنسي (بوب دينارد)، وأُذيع أنه قد قُتل سبعة وعشرون شرطياً أثناء عملية الهجوم على القصر.

ينصّ الدستور على تولّي منصب الرئاسة في حالة غياب الرئيس لسببٍ من الأسباب رئيس المحكمة العليا كرئيسٍ موقّتٍ، وقد علّق رئيس المحكمة انتخاب الرئاسة، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فقد تسلّم السلطة الفرنسي (بوب دينارد)، وأنكر بشدةٍ مسؤوليته عن مقتل الرئيس أحمد عبدالله.

تمّ تعيين (سعيد محمد جوهر) رئيساً موقّتاً للبلاد. وقام (بوب دينارد) بتجريد الجيش النظامي من أسلحته. وقد أثار تصرّف المرتزقة الأوربيين السخط الدولي، فعلّقت كل من فرنسا وجنوبي إفريقية مساعدتها للجزر.

وانطلقت المظاهرات في أوائل جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م)، وشارك فيها مئات الطلاب، وكانت تُطالب بخلع (بوب دينارد) وأعوانه، وتمّ تفريق المظاهرات من قبل الحرس الرئاسي، وإرسال قوةٍ بحريةٍ فرنسيةٍ إلى المنطقة بحجة نقل المواطنين من الجزيرة، والواقع لاستلام السلطة فيها، غير أن (بوب دينارد) قد رفض التخلّي عن السلطة في بداية الأمر، ولكنه في منتصف شهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٣ كانون أول ١٩٨٩ م) تخلّى عن السلطة بطريقةٍ سلمية، وبدأ الجنود المرتزقة ينسحبون من الساحة مع وصول الأرتال الفرنسية إلى العاصمة (موروني)، وفرّ (بوب دينارد) مع خمسةٍ وعشرين من المرتزقة من البلاد على متن طائرةٍ عسكريةٍ تابعة لدولة جنوبي إفريقية. وأعلن الرئيس الموقت (سعيد محمد جوهر) بأن القوات الفرنسية الحكومية ستبقى في جزر القُمر مدة سنتين لتقوم بتدريب قوات الأمن المحلية.

وفي مطلع شهر جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (أواخر كانون الأول ١٩٨٩ م) اتفقت التنظيمات السياسية الرئيسية في البلاد على تشكيل حكومة وحدةٍ وطنيةٍ، وتمّ إعلان العفو عن السجناء السياسيين جميعاً، وتمّ التحقيق في مقتل الرئيس أحمد عبدالله، وإجراء انتخاباتٍ رئاسيةٍ في بداية شهر رجب ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م)، وبهذا انتهى نظام حكم الحزب الواحد.

تضمّنت قائمة المرشحين للرئاسة كلاً من: محمد تقي عبد الكريم الذي كان رئيساً للمجلس الاتحادي، والأمير سعيد علي كمال زعيم حزب الحركة الوطنية لتحرير جزر القُمر، وحزب الوحدة، ومصطفى سيد شيخ زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي، إضافةً إلى الرئيس الموقت سعيد محمد جوهر.

وأجّل الرئيس الموقّت انتخابات الرئاسة إلى ٢٣ رجب ١٤١٠ هـ (١٨ شباط ١٩٩٠ م) فقامت مظاهرات عنيفة في العاصمة (موروني) احتجاجاً على ذلك التأجيل.

وجرت الانتخابات، وأعلنت الحكومة فوز سعيد محمد جوهر الرئيس الموقّت، ولكن طُعن في النتائج، وأُشيع أنها تغيّرت رأساً على عقب، وأن الفائز هو محمد تقي عبد الكريم الذي غادر البلاد لاجئاً إلى فرنسا مرةً أخرى. وبعد مدةٍ قضاها هناك تزيد على السنة رجع إلى وطنه، وجرت مصالحة بينه وبين الرئيس سعيد محمد جوهر، وتلا ذلك مصالحة وطنية بين الأحزاب السياسية جميعها، وتمّ التوقيع على معاهدة بينهم تشمل من بين نقاطها: احترام المبادىء والقيم الإسلامية ـ حظر الانقلابات العسكرية ـ حظر تزوير الانتخابات. ووقع عليها رئيس الجمهورية، واستقالت الحكومة الائتلافية، وتشكّلت حكومة وحدةٍ وطنيةٍ تشمل الأحزاب جميعها.

العلاقات الخارجية:

استؤنفت العلاقات السياسية مع فرنسا في شعبان ١٣٩٨ هـ (تموز ١٩٧٨ م)، ووقّع البلدان اتفاقيات على التعاون الاقتصادي والعسكري في ذي الحجة ١٣٩٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٨ م) وأجّل الطرفان أي قرارٍ بالنسبة إلى مستقبل جزيرة (مايوت) أعادت منظمة الوحدة الإفريقية الاعتراف بجزر القُمر.

وفي الهيئة العمومية للأمم المتحدة جرى التصويت في ربيع الأول

١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) حول قضية جزيرة (مايوت) فأكّد ١٢٨ صوتاً لصالح جزر القُمر، وامتنع ٢٢ عضواً عن التصويت، وصوّتت فرنسا فقط ضد القرار.

انضمت جـزر القُمـر في ربيـع الثـاني ١٤٠٥ هـ (كـانـون الثـاني ١٩٨٥ م) إلى هيئة المحيط الهندي التي تشمل مدغشقر، وموريشيـوس، وسيشـل، وجزر القُمـر للتعاون الإقليمي والاقتصـادي، وعقـد الاجتمـاع الوزاري الرابع للهيئة في (موروني) عاصمة جزر القُمر في جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م)، ثم تمّت إقامة علاقاتٍ سياسيةٍ وتبادل السفراء بين جزر القُمر، وسيشل.

وتوجد بعض المشكلات بين دولة جزر القُمر وتانزانيا، وقام الرئيس أحمد عبدالله بزيارة لتانزانيا في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م)، ولكن صرّح بعد عودته أن المشكلة بقيت دون حلٍّ.

وقـام رئيس جزر القُمـر أحمد عبـدالله في ربيـع الثـاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) مع بعثةٍ وزاريةٍ لزيارة جمهوريـة الصين الشعبية لمدة أسبوعٍ واحدٍ.

وجزر القُمر لها علاقات وثيقة مع فرنسا أقرب إلى الارتباط اقتصادياً، وعسكرياً، وسياسياً.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة جزر القُمر ٢١٧٠ كيلومتراً مربعاً. وهي أربع جزر رئيسية:

جزيرة القُمر الكبرى (نجزيجة)	ومساحتها ١١٤٨كم٢	وسكانها ٣٠٠,٠٠٠ إنسان
جزيرة أنجوان	ومساحتها ٣٧٨ كم٢	وسكانها ٧٥,٠٠٠ إنسان
جزيرة مايوت	ومساحتها ٣٦٦ كم٢	وسكانها ٤٥,٠٠٠ إنسان
جزيرة موحلي	ومساحتها ٢٧٨ كم٢	وسكانها ٣٠,٠٠٠ إنسان
	٢١٧٠كم٢	٤٥٠,٠٠٠

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) ما يزيد على ٤٥٠,٠٠٠ إنسان، وبذا تكون الكثافة ٢٠٥ أشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد، وهي كثافة مرتفعة نسبياً نتيجة المناخ البحري، والموقع التجاري.

الصراع الإقليمي:

تشكل كل جزيرةٍ إقليماً خاصاً، ولما كانت جزيرة القُمر الكبرى أكبر الجزر مساحةً حيث تزيد مساحتها على مساحة بقية الجزر مجتمعةً، كما أنها أكثرها سكاناً حيث يبلغ عدد سكانها ثلثي عدد سكان البلاد، أو ضعف عدد سكان بقية الجزر، لذلك كانت لها الهيمنة، وفيها كانت السلطة، وتليها جزيرة (أنجوان) مساحةً وسكاناً أيضاً، إلا أن تركيز الفرنسيين على

جزيرة (مايوت) في السكن، ومحاولتهم إبقاءها بعيدةً عن بقية الجزر، واهتمامهم بها بالإرساليات التنصيرية، كل هذا جعل لهذه الجزيرة أهميةً رغم قلّة سكانها. كما أن نفوذ الفرنسيين في الدولة عامةً يجعل السكان والسلطة يُحاولون استرضاء أهلها ليكونوا ضمن الدولة، وليصوتوا إلى جانب الاتحاد، وبالتالي يشعر سكان (مايوت) بالتفوّق وخاصةً أن الثقافة الفرنسية تنتشر فيها أكثر من غيرها، ويحسّ أهلها أنهم ينافسون بقية السكان ويتفوقون عليهم.

الصراع العنصري:

توجد عدة قبائل، أو عدد من الأصول العرقية سواء هم من الماليزيين، أم من مدغشقر، أم من البر الإفريقي، أم كانوا عرباً، أم فرساً، فإنه لا يوجد أي تنافسٍ أو صراعٍ بين هذه المجموعات.

واللغة الرسمية هي الفرنسية، وتوجد لغة البلاد التي هي فرع من السواحيلية، وهي لغة التجارة، ومتأثرة بالعربية كثيراً، إضافةً إلى اللهجة الملاغاشية. وهناك لغة (الماكوا)، وهي لغة الزنوج وتأخذ طريقها نحو الاندثار.

أما اللغة الأنجوانية فهي مزيج من العربية والسواحيلية، والبرتغالية، والفرنسية، والإنكليزية، ولغة الماكوا، ويتكلمها تقريباً كل من في جزيرة (أنجوان).

واللغة العربية لغة الدين، وكانت الرسمية حتى مجيء الفرنسيين. وعملت الحكومة على استعادة اللغة العربية لمكانتها، ولكن لم تستطع بسبب كثرة المتفرنجين، وتقدّمت الدولة بطلبٍ إلى جامعة الدول العربية للانضمام إليها. ولكن وقفت عوائق دون ذلك، ولعل أهم تلك العوائق الجهل والتخلّف.

الصراع العقيدي:

سكان جزر القُمر جميعهم من المسلمين، ولكن مع مجيء الاستعمار

الصليبي أخذ بعضهم يسكن هناك وخاصةً من الفرنسيين لأسباب استعماريةٍ أو صليبية أو كلاهما معاً إذ لا يفترق أحدهما عن الآخر. وغدا يُشكّل النصارى ٤٪ من مجموع السكان، وغالبيتهم من الكاثوليك.

ولما كان التفوّق للفرنسيين علمياً، واقتصادياً، ولهم دورهم في السلطة، وتوجد حامية منهم، لذا فقد استطاعوا أن يُفسدوا في البلاد، وينشروا الخمر، وعاداتهم الاجتماعية الخاصة بهم. وأخذ يظهر صراع بينهم ومعهم من استطاعوا إيقاعه في شراكهم وبين المسلمين الملتزمين، وإن كانت المعركة غير متكافئة فالهزيمة النفسية، والحاجة إلى الفرنسيين، وموقف السلطة، وتزلّف أصحاب المصالح، هذا كله يجعل المسلمين في الموقف الأضعف.

الصراع الحزبي:

وجدت عدة أحزابٍ بعد الحرب العالمية الثانية، وكان من أبرزها حزب استقلال ووحدة جزر القُمر الذي يرأسه أحمد عبدالله، والحركة الوطنية لتحرير جزر القُمر، والحزب الاشتراكي، ولعل السلطات الاستعمارية كانت وراء قيام عددٍ من الأحزاب لإشغال السكان بعضهم ببعض، ومنافستهم فيما بينهم، وهذا ما يحدث دائماً، وخاصةً عندما لا تقوم هذه الأحزاب على مبادىء، وإنما همها الوصول إلى السلطة، والتغلّب على خصومها.

وعندما جرت الانتخابات تمكّن حزب الاستقلال ووحدة جزر القُمر من الفوز وتسلّم السلطة. ولكن اشتدت المعارضة في وجهه برئاسة الأمير سعيد محمد جعفر، ووقع الانقلاب ولم يمض على الاستقلال أكثر من سنةٍ وشهرٍ، وتسلّم سدة الرئاسة سعيد محمد جعفر في ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (٥ آب ١٩٧٥ م)، ولم تنقص سوى عدة أشهر حتى أزاح قائد الانقلاب علي صويلح الرئيس من أمامه وتسلّم الرئاسة في مطلع عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

بعد سنةٍ ونصفٍ وفي ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ (١٣ أيار ١٩٧٨ م)

قام الفرنسي (بوب دينارد) بانقلابٍ لمصلحة (أحمد عبدالله) فقُتل الرئيس السابق علي صويلح، وتسلّم أحمد عبدالله منصب الرئاسة. وبعد سبعة أشهرٍ ألغى الرئيس الأحزاب المعارضة كلها، واعتمد على الحزب الواحد الذي يترأسه، وهو حزب استقلال ووحدة جزر القُمر.

لكن بقيت معارضة غير رسميةٍ ولعلّ أقواها الجبهة الديمقراطية التي يتزعّمها مصطفى سيد شيخ، غير أن الرئيس أحمد عبدالله قد جعل انتخابات المجلس الاتحادي مفتوحةً أمام المعارضة لدخول المنافسة على عشرين مقعداً فقط وذلك في ٢٢ رجب ١٤٠٧ هـ (٢٢ آذار ١٩٨٧ م).

وأخذت المعارضة تظهر بعد ذلك، وإن كان أكثرها يعيش في المنفى، وفي شوال ١٤٠٧ هـ (حزيران ١٩٨٧ م) وافقت ثلاثة تنظيمات للمعارضة في تنظيمٍ واحدٍ في مؤتمر شعبي عقد في مرسيليا بفرنسا.

أسّس نصّوف عبدالله ابن الرئيس أحمد عبدالله حزب «الاتحاد الإقليمي» ومركزه في جزيرة (أنجوان) للدفاع عن سياسة أبيه.

قُتل الرئيس أحمد عبدالله في ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٩ م)، فرجعت الحزبية، وظهرت التنظيمات السياسية، واختفت فكرة الحزب الواحد. وبرز قادة تلك التنظيمات، فدخل انتخابات الرئاسة كل من: محمد تقي عبد الكريم. والأمير سعيد علي كمال زعيم الحركة الوطنية لتحرير جزر القُمر، وحزب الوحدة، ومصطفى سيد شيخ زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي.

فاز بانتخابات الرئاسة التي جرت في ٢٣ رجب ١٤١٠ هـ (١٨ شباط ١٩٩٠ م) الرئيس الموقت سعيد محمد جوهر، ولكن عارضه بعنفٍ محمد تقي عبد الكريم، وادّعى أن انتخابات الرئاسة كانت مزورةً، وغادر البلاد، وارتحل إلى فرنسا، ثم رجع، وجرت مصالحة وطنية، وتشكّلت حكومة وحدة وطنية، وعقدت التنظيمات السياسية كلها معاهدة فيما بينها تعاهدت للسير عليها لمصلحة البلاد.

بلغ عدد التنظيمات السياسية على الساحة القُمارية أربعة وعشرين تنظيماً، ومن هذه التنظيمات: جبهة العدالة الوطنية، وهي تنظيم إسلامي، يرأسه صادق أمبانانزا، والقادة أكثرهم من السلفيين، وحزب الإنقاذ الوطني، ويرأسه سيد أحمد محيي الدين، وإسماعيل محمد، وسيد علي محمد ويؤيده مشايخ الطرق الصوفية.

وحزب الاتحاد الديمقراطي، ويرأسه مصطفى سيد شيخ.
الحركة الوطنية لتحرير جزر القُمر، ويرأسه سعيد علي كمال.
حزب استقلال ووحدة جزر القُمر، وكان يرأسه أحمد عبدالله.
حزب الاتحاد الإقليمي ويرأسه نصّوف عبدالله، في جزيرة أنجوان.
حزب الماهور، وهو حزب فرنسي، في جزيرة (مايوت) ويرأسه (مارسيل هنري).

ويدرك كل إنسانٍ مدى الصراعات الحزبية والخلافات المحلية في ساحةٍ صغيرةٍ كجزر القُمر يوجد فيها أربعة وعشرون تنظيماً سياسياً، هذا إضافةً إلى الطرق الصوفية إذ من المعلوم أن فرنسا تُشجّع في مناطق نفوذها الطرق الصوفية وتفسح لها المجال للحركة كي تنتشر فكرة التكاسل، وتضعف فكرة الجهاد، ويميل الناس إلى الهدوء وقبول الأمر الواقع، وهو الحياة في ظل الاستعمار الصليبي، على حين أن بريطانيا تحتضن الإسماعيلية لتعمل بتوجيهها، وتتبنى القاديانية التي نشأت في أحضانها لتسير حسب أوامرها، وتُفسد عقيدة المسلمين، وتُشتّت أفكارهم.

القسمُ الرّابعْ

تشاد وَجمهُوريّة إفريقية الوسْطى

يشمل القسم الرابع من هذا الكتاب دولتي «تشاد» و«جمهورية إفريقية الوسطى»، وهما من دول وسط إفريقية، ويصعب وضعهما في جزءٍ مستقلٍ، لذا فضّلت ضمّها إلى دول غربي إفريقية أو إلى دول شرقيها. وهي إلى الغربي أقرب منها إلى الشرقي، حيث كانتا تتبعان الاستعمار الفرنسي الذي يطغى على الأجزاء الغربية على حين يطغى الاستعمار البريطاني على الأقسام الشرقية، والمستعمرات الفرنسية في غربي القارة متصلة على حين تتبعثر المستعمرات البريطانية، والعكس في الشرق تماماً إذ تتصل المستعمرات البريطانية بعضها مع بعضٍ، وتتناثر المستعمرات الفرنسية غير أنني لاحظت.

١ ـ أن فرنسا ضمّت مستعمراتها في غربي القارة في شبه اتحادٍ، ولم يشمل هذا «تشاد» أو «جمهورية إفريقية الوسطى»، وإنما شكّلت وحدة «إفريقية الاستوائية الفرنسية» التي شملت كلاً من تشاد، أو بانغي ـ شاري (جمهورية إفريقية الوسطى)، الكونغو، الغابون.

٢ ـ أن الاستعمار طارىء لا يمكن التقيّد بتقسيمه بل النظر إليه، لأن ما اتخذه لم يكن إلا في مصالحه الاستعمارية الصليبية.

٣ ـ أن القبائل لا يمكن أخذها مقياساً فقبائل تشاد في الغرب ذات صلةٍ مع قبائل النيجر، وفي الشمال مع ليبيا، وفي الشرق مع السودان، وفي الجنوب مع سكان جمهورية إفريقية الوسطى. فإذا أردنا أن ننظر إلى السكان يُمكننا ضمّ المنطقة إلى أية جهةٍ أردنا. إذن هناك صلة مع شرقي إفريقية، كما أن هناك صلة مع غربي القارة.

٤ ـ أن اللغة السواحيلية المنتشرة في شرقي إفريقية قد وصلت إلى بعض جهات جمهورية إفريقية الوسطى.

٥ ـ أن هناك صلاتٍ مع شرقي إفريقية أكثر منها مع غربي القارة.

٦ ـ أن المسافة إلى سواحل إفريقية الشرقية أقلّ منها بكثيرٍ إلى سواحل إفريقية الغربية.

لهذا كله رأيت ضمّ هذا القسم إلى شرقي إفريقية ما دام يتعذّر إفراد كتابٍ خاصٍ بوسط إفريقية. ولكن مع هذا فإن هـذا الجزء يبقى قسماً خاصاً يُعرف بوسط إفـريقية، يتبـاين مع غـربي إفريقيـة، كما يتبـاين مع شرقيها. وله مزاياه الخاصة به.

إن الجزء الشمالي من هذا القسم وهو تشاد تشغل الصحراء مساحاتٍ واسعةً منها، وإن كان الجزء الجنوبي يقع ضمن النطاق المداري، وهـو جنوب خط عرض ١٢° شمالاً الذي يمرّ جنوب العاصمـة نجامينـا، فتكثر الأمطار في فصل الصيـف، ويبقى الشتاء جافاً، لذا تنتشر الزراعة، كما تكثر المراعي الطويلة، ولكن تبقى الحياة قبلية.

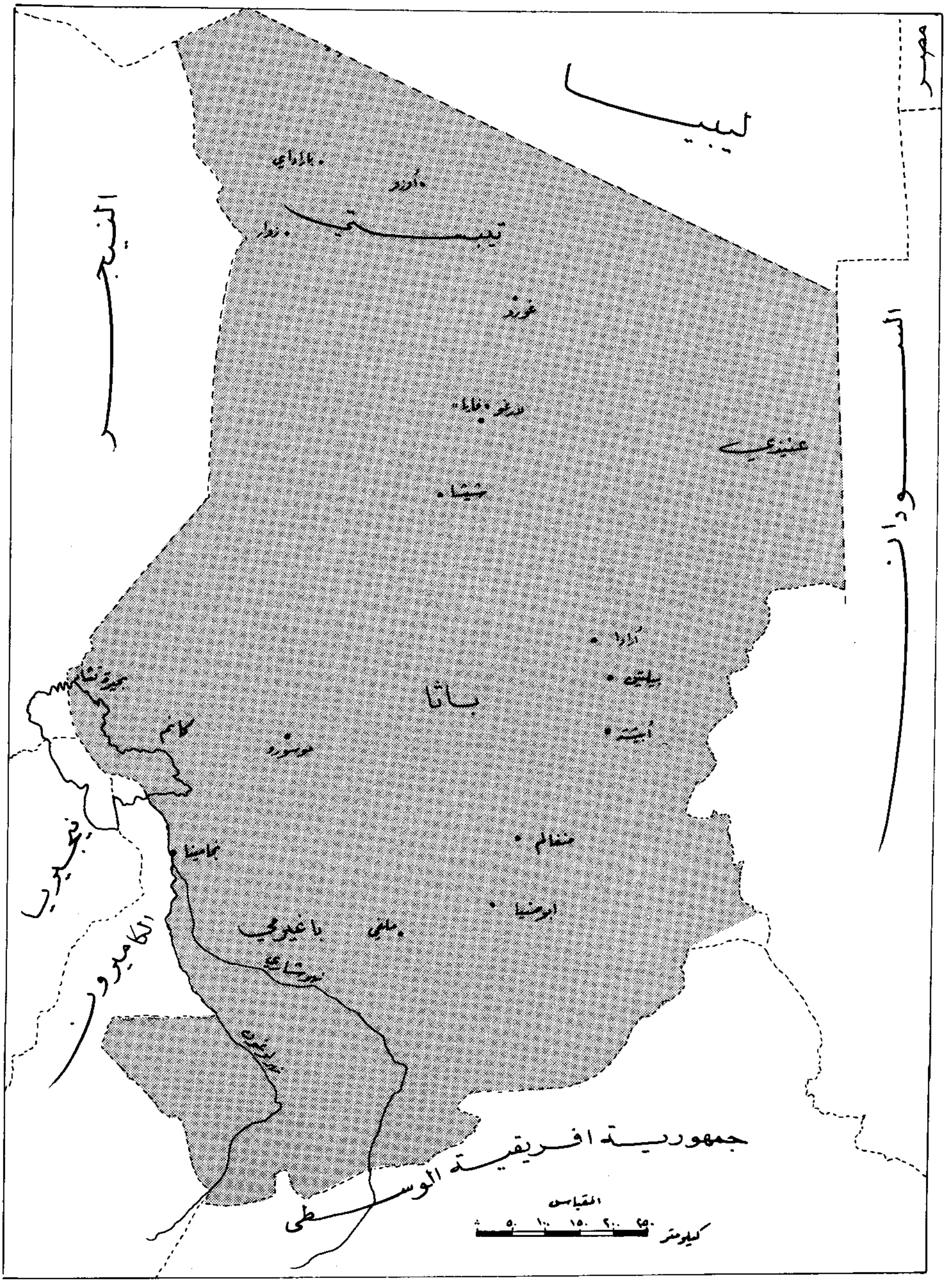
وأما الجزء الجنوبي، وهو جمهورية إفريقية الـوسطى فـإن المناطق الشمالية فيها التي تقع شمال خط العرض ٨° شمـالاً فهي مداريـة، وإن كانت قليلةً، فتنتشر فيها المراعي، وتكون مفتوحةً، وأما المناطق التي تقع بين خطي عرض ٥° ـ ٨° شمالاً فهي شبه استوائيةٍ، وهي أغلب أجـزاء البلاد، وتكثر فيها الأمطار. وتصبح المناطق استوائيةً جنوب خط العرض ٥° شمالاً، وتكون الأمطار دائمةً، وتتجمّع في أنهارٍ، تلتقي في نهر «أوبانغي» الذي يُشكّل الحدود بين جمهوريـة إفريقيـة الوسـطى وزائير، وتقـع عليه عاصمة البلاد «بانغي»، وأخيراً ينتهي في نهر الكونغو.

وإذا كانت تشاد تعدّ وسط العالم الإسلامي، وتزيد نسبة المسلمين فيها على ٨٥٪ من مجموع السكان، وصلتها وثيقة مع السودان، وليبيا،

ومصر، والجزائر، وتونس، والنيجر، وشمالي نيجيريا، وشمالي الكاميرون لذا فهي موضع اهتمام من أهالي هذا الأمصار، وبالتالي تصل أخبارها إلى الأمصار الإسلامية كافةً فإن جمهورية إفريقية الوسطى تقع على هامش العالم الإسلامي، وتسود المناطق التي تُحيط بها - حتى وإن كانت بلدان إسلامية - أجزاء غير مسلمة مثل جنوبي السودان، وجنوبي تشاد، وأقسام من الكاميرون، وكذلك فإن المسلمين فيها مسحوقون، وبعيدون عن مجال الاهتمام، وعن العلم، لذا لم يسمع بهم المسلمون، ولم يعرفوا عنهم شيئاً، بل لم يعرفوا أن جمهورية إفريقية الوسطى بلد إسلامي، ويصدّقون ما يُشاع، وما تُذيعه حكوماتهم من أن نسبة المسلمين فيها ٥٪ فقط، وهذا ما تتبنّاه الأمم المتحدة، والمنظّمات التابعة لها، فتضيع الحقيقة بين الدعايات، والادّعاءات، والافتراءات، ووسائل الإعلام، وفي الوقت نفسه فقد عاش المسلمون في تلك الجمهورية البائسة بعيدين عن معرفة دينهم، حيث لم يعرفوا إلا قليلاً منها، زيادة على معرفة الانتماء إلى الإسلام، وهذا ما زاد في جهلهم، والجهل بهم، حيث لم يشاركوا إخوانهم في الأحداث الكبرى التي تنتابهم.

البابُ الأوّل

تيثار


مصر
ليبيا
النيجر
تيبستي
السودان
تشاد
نيجيريا
الكاميرون
جمهورية افريقية الوسطى
المقياس
كيلومتر

المصور رقم [٩]

لمحة عن تشاد قبل إلغاء الخلافة

نشأت عدة ممالك على الأرض التشادية، ووصل إليها الإسلام من الشمال على مراحل مُتباينةٍ. لقد قامت مملكة كانم شمال شرقي بحيرة تشاد، وقد دخل إليها الإسلام في أواخر القرن الخامس الهجري، وامتدّ سلطانها على مناطق واسعةٍ.

وظهرت مملكة «وادّاي» في الشرق، وبقيت على الوثنية حتى القرن العاشر الهجري، حيث انتشر الإسلام وعمّ، وحدث نزاع داخلي حتى جاء الفرنسيون، وانحازوا إلى طرفٍ، ونصروه على خصمه، ومدّوا بعدها نفوذهم، وأعملوا مخالبهم، وسيطروا على هذا الجزء.

وبرزت مملكة «باغيرمي» في الجنوب، وتأخّر وصول الإسلام إليها لبعدها عن الشمال الذي جاء منه الإسلام، فبقيت على الوثنية حتى القرن العاشر الهجري، ثم دخل الإسلام.

وفي شمال بحيرة تشاد ظهرت مملكة «مانغا»، ووصل إليها الإسلام حوالي القرن السادس الهجري، وعمّ بعدها جهات المملكة كلها.

وإذا كان الإسلام قد ساد مناطق الشمال والوسط إلا أن الجنوب قد بقيت فيه جذور للوثنية، وعندما جاء الاستعمار تمكّن بسلطانه وإرسالياته التنصيرية أن يُحوّل بعض الوثنيين في الجنوب إلى النصرانية، وهكذا أصبحت الأجزاء الجنوبية تشمل الإسلام، والنصرانية، والبدائيين من الوثنيين.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) وصل

إلى تشاد الأمير رابح أحد قادة أمير إقليم دارفور في السودان «سليمان بن الزبير» الذي قتله المستعمرون الصليبيون بعد أن استسلم لهم بناءً على نصيحة أبيه الزبير الذي كان بين أيدي أولئك المستعمرين الصليبيين الإنكليز في مصر. هرب الأمير رابح مع ألف فارسٍ من أتباعه بعد مقتل الأمير سليمان، واستطاع أن يدخل منطقة «وادّاي» ويُسيطر عليها، وأن يصل إلى جنوب بحيرة تشاد، وأن يُقيم في مدينة «ديكوا»[1] حكومةً إسلاميةً. ثم ضمّ إليه مملكة «باغيرمي» عام ١٣١٠ هـ، ومملكة كانم، وبورنو في شمال شرقي نيجيريا.

راسلت الحركة المهدية في السودان الأمير (رابح)، وطلبت منه التعاون، فلم يتجاوب مع قادتها، إذ كان سيء الظنّ بأوضاع السودان، وإنما اكتفى بتأييد الحركة، ورفع شعارها.

وصعب على المستعمرين الصليبيين أن يروا دولةً إسلاميةً تقوم إلى جانب مناطق نفوذهم، وخاصةً أنها ترفع شعار الإسلام، وتعمل على تطبيق أحكامه، وتجد تأييداً واسعاً من الرعية، وتجاوباً من الشعوب المسلمة المجاورة لها، بل والبعيدة عنها التي تصل إليها أخبارها.

أرسل الفرنسيون الحملة تلو الأخرى إلى تشاد للقضاء على دولة الأمير رابح غير أنها كلها كانت تبوء بالفشل، وتُهزم، وتعود خائبةً، فلما رأوا قوة رابح جهّزوا قوةً ضخمةً كانت على ثلاث حملاتٍ، وجعلوها تحت قيادة «لامي» فتمكّنت من التوغّل في دولة الأمير رابح، وجرت معارك حامية بين الطرفين، قُتل في إحداها القائد الفرنسي «لامي»، وكانت على أبواب مدينة «قصيري»، كما أن الأمير رابح قد جُرح في تلك المعركة، ثم فارق الحياة ـ رحمه الله ـ متأثّراً بجراحه في ٣ رمضان ١٣٠٧ هـ (٢٢ نيسان ١٨٩٠ م) ودخل الفرنسيون قاعدة حكمه ديكوا في ١٢ رمضان ١٣٠٧ هـ

---

(١) مدينة «ديكوا» تقع اليوم شمال شرقي نيجيريا، وعلى بعد مائتي كيلومتر من عاصمة تشاد.

(الأول من أيار ١٨٩٠ م)، وتسلّم الراية من بعده ابنه «فضل الله».

قاتل فضل الله بن رابح الفرنسيين، وانتصر عليهم في بعض المعارك، واستعاد «ديكوا»، غير أن الفرنسيين قد تمكّنوا من دخولها ثانية، واستشهد فضل الله ـ رحمه الله ـ في ميدان القتال حيث كانت قوات الفرنسيين كبيرةً، ومُجهّزةً بأسلحةٍ لا يملكها المسلمون يومذاك، وأعدادهم ضخمةً فلم يكن لسكان تلك المنطقة قبل بها، فتمكّن الفرنسيون من دخول البلاد عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)، غير أن المقاومة استمرّت، ولكنها كانت متفرّقة القيادة، متوزّعةً بين المناطق، قليلة السلاح، تنطلق في أوقاتٍ متباعدةٍ حتى استطاعت فرنسا الانتصار عليها بعد معركة «عين جالا» التي جرت عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م). وما أن شعر الفرنسيون بالغلبة، واطمأنوا إلى أن البلاد أصبحت في قبضتهم، وصاروا أصحاب الكلمة، ولم تعد هناك مقاومة أمامهم حتى جمعوا العلماء من أنحاء البلاد، وساقوهم إلى مدينة «أبيشة»، فكان عددهم أربعمائة عالمٍ، وهناك قتلوهم بالساطور في مذبحةٍ رهيبةٍ، عُرفت باسم «مذبحة كبكب»، فروّوا شيئاً من حقدهم الصليبي، وأطفأوا قليلاً من غيظهم على المسلمين، وأشعروا أنفسهم أنهم الأقوياء، وكان ذلك عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م). غير أن المناطق الشمالية لم يستطيعوا السيطرة عليها إلا عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، واتخذت هناك فرنسا ثكنات عسكرية في «زوار» و«فور» و«أوزو». وأخذت بعدها تتبع أئمة المساجد، ومعلمي القرآن الكريم حتى أخرجتهم من البلاد خوفاً منهم، ومن أثرهم على الشعب، وإرواءً لبعض غلّها.

وجعل الفرنسيون المدينة التي قتل قائدهم «لامي» على أبوابها، وهي مدينة «قصيري» قاعدةً لهم، وعاصمةً لهذه المستعمرة الجديدة، وأطلقوا عليها اسم ذلك القائد الخائب، فغدا اسمها «فورت لامي» وتعني قلعة لامي تخليداً لقتيلهم، ومسحاً للاسم الإسلامي، وفصلاً للحاضر الاستعماري عن الماضي الإسلامي.

وبموجب معاهدتي ٧ جمادى الأولى ١٣١١ هـ (١٥ تشـرين الثاني ١٨٩٣ م) و ٩ رمضان ١٣١١ هـ (١٥ آذار ١٨٩٤ م) اقتسم الفرنسيـون، والإنكليز، والألمان المناطق المحيطة ببحيرة تشاد. ثم ضمّ الفرنسيون إقليم «بوركو» عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م).

الفصل الأول

تشاد من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

٢٧ رجب ١٣٤٢ ـ ١٨ صفر ١٣٨٠ هـ

٣ آذار ١٩٢٤ ـ ١١ آب ١٩٦٠ م

أُلغيت الخلافة، وانقطعت كل صلةٍ كانت تربط المسلمين بعضهم مع بعضٍ ، ولو كانت واهيةً، وتوزّع المسلمون في أقاليم منفصلةٍ بعضها عن بعضٍ ، ومُقسّمةٍ بين دول المستعمرين الصليبيين التي تفرض نفوذها، وتتحكّم في شؤون مستعمراتها، وتحول دون التقاء بعضهم مع بعضٍ ، ودون نجدة بعضهم لبعضٍ ، وتضغط عليهم، وتُطبّق عليهم المناهج التي تُريد، والنظام الذي تبغي، وتُحاول أن تشفي بعض غليلها منهم ذلك الغليل الذي أورثتها إياه الحروب الصليبية، وشحنتها به الكنيسة وبطارقتها، والمسلمون ضعاف يخضعون، أو أذلاء يخنعون، ويتسلّط عليهم قادة المستعمرين أو أجراؤهم.

سارت فرنسا بسياستها الاستعمارية الصليبية المعروفة حيث أبقت السكان على حالةٍ كبيرةٍ من الفقر، والجهل، ينتابهم المرض، وتعتريهم جاهلية العصبيات، وعملت على نشر المفاسد وكل ما يدعو إليها من موبيقات من خلاعةٍ وفجورٍ. كما منعت التشاديين من عمل التنظيمات الاجتماعية والسياسية خوفاً من انتشار الوعي بلقاء بعضهم مع بعضٍ ، وتذكير بعضهم بعضاً.

كانت منطقة تشاد جزءاً من إفريقية الاستوائية الفرنسية. وفي عام

١٣٥٣ هـ (١٩٣٢ م) عُدّلت الحدود بين تشاد وليبيا، فضمّت ليبيا بموجب تلك المعاهدة الأجزاء الشمالية من جبال تيبستي، غير أن بنود هذه المعاهدة لم تُنفّذ، بل لم يُصادق عليها.

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية ويحكم تشاد (غوادا لوب)، ولم يلبث الألمان أن اجتاحوا فرنسا، وتشكّلت حكومة برئاسة الجنرال (بيتان) مقرها مدينة (فيشي) تُوالي ألمانيا، غير أن بعض الفرنسيين لم يقبلوا بالاستسلام، ولم يعترفوا بحكومة بيتان، وفرّ بعض القادة إلى بريطانيا، ومنهم ديغول الذي شكّل هناك حكومة فرنسا الحرة، واستمرّت في حربها لدول المحور، وبقائها بجانب الحلفاء، وأعلن حكام تشاد الفرنسيون تأييدهم لديغول، وهذا عكس بقية المستعمرات الفرنسية التي وقفت بجانب حكومة بيتان، وهكذا توقّف مدّ دول المحور في قلب إفريقية. وكانت تشاد خلال الحرب العالمية الثانية قاعدةً لتموين قوات الحلفاء في شمالي إفريقية. وعُدّت تشاد عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) جزءاً من جمهورية فرنسا فيما وراء البحار. وشارك سكان تشاد في الحرب العالمية الثانية، وسيقوا إلى الجبهات، ومنّاهم ديغول بالأماني المعسولة، ومن تشاد انطلقت القوات التي دخلت ولاية فزّان في ليبيا، والقطعات القتالية التي سارت نحو طرابلس الغرب، وكذلك التي اتجهت نحو تونس.

وطُبّق في تشاد عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) نظام بلاد جمهورية فرنسا لما وراء البحار، ووافقت فرنسا على تأسيس الأحزاب السياسية في تشاد على أن تكون فروعاً للأحزاب الفرنسية، لتُوجّه من باريس، ما دامت تشاد جزءاً من فرنسا، وكان من هذه الأحزاب:

الحزب الراديكالي: ويتولّى رئاسته في تشاد (غبرييل ليزبيت) ومن أعضائه البارزين (فرانسوا تمبالباي).

الحزب الاشتراكي: وهو امتداد للحزب الاشتراكي الفرنسي الذي يتزعّمه (غي موليه)، وفقد هذا الحزب أهميته في تشاد، حيث لم يعد له

موالين أبداً بعد عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) إلا الأجانب المؤيّدين لسياسة فرنسا.

حزب أوديت: ويترأسه في تشاد (ربتليس).

الحزب التشادي التقدمي: ونشأ من ائتلاف الحزب الراديكالي وحزب أوديت، ورئيسه في تشاد (غبرييل ليزبيت)، وهو من مواليد جزر الهند الغربية، وجاء إلى تشاد موظفاً إدارياً، ثم عمل بالسياسة.

الحزب الوطني التشادي: ويرأسه (أحمد أبا).

وجرت الانتخابات الأولى في تشاد لاختيار مجلسٍ نيابيٍ في عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وبعد عشر سنواتٍ تألّفت أول حكومةٍ برئاسة (غبرييل ليزبيت) زعيم الحزب التشادي التقدّمي.

وعرض ديغول دستوره عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)، وطلب من المستعمرات الفرنسية التصويت عليه، فالتي تُوافق عليه تصبح ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية، وتحصل على الحكم الذاتي مباشرةً، ويتساوى سكانها مع الفرنسيين في المجلس والقوانين، أما المستعمرات التي ترفض دستور ديغول، فتنفصل عن فرنسا، وتخرج منها القوات الفرنسية، وتضطر الحكومة الفرنسية أن تقطع عنها المساعدات المالية، والاقتصادية، والفنية جميعها، وأُجري الاستفتاء على الدستور في جمادى الأولى ١٣٧٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٥٨ م)، وكانت النتيجة لصالح فرنسا، وأصبحت تشاد حسب الدستور الديغولي دولةً ذات استقلالٍ ذاتيٍ عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م)، وحُلّ اتحاد إفريقية الاستوائية الفرنسية، الذي كان يضمّ كلاً من: تشاد، إفريقية الوسطى، الكونغو، الغابون.

أجريت الانتخابات في رمضان ١٣٧٨ هـ (آذار ١٩٥٩ م)، وفاز فيها الحزب الراديكالي، وحزب أوديت، وائتلف الحزبان فيما بينهما، وشكّلا حزباً واحداً، هو الحزب التشادي التقدّمي، وتسلّم رئاسته (غبرييل ليزبيت)

زعيم الحزب الراديكالي سابقاً، وحصل هذا الائتلاف على مقاعد الجمعية التأسيسية كلها، وعددها ٥٨ مقعداً. وتنازل (غبرييل ليزبيت) عن رئاسة الوزراة لـ (فرنسوا تمبالباي)، واحتفظ هو برئاسة الحزب إضافةً إلى نيابة رئاسة الوزراء، وذلك بناء على توجيهٍ من فرنسا. لأن (فرنسوا تمبالباي) من أبناء البلاد، وينتمي إلى إحدى القبائل الرئيسية، وهي قبيلة (سارا) فيكون أقوى، ويحصل على دعمٍ أكبر.

وضع دستور للبلاد، وفي ١٨ صفر ١٣٨٠ هـ (١١ آب ١٩٦٠ م) حصلت البلاد على الاستقلال التام، وأصبح (فرانسوا تمبالباي) رئيساً للجمهورية في اليوم التالي للاستقلال، واحتفظ أيضاً بمنصب رئاسة الوزراء.

الفصل الثاني

الاستقلال

قبلت تشاد عضواً في هيئة الأمم المتحدة في ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (٢٠ أيلول ١٩٦٠ م)، وبعد شهرين عُدّل الدستور، وأصبحت بموجبه اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، وغدت السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية، وينتخب من قبل الجمعية العمومية، وأُعفي (غبرييل ليزبيت) من المناصب كلها التي كان يشغلها من قبل، وبقي (فرانسوا تمبالباي) رئيساً للجمهورية، رئيساً للوزارة، رئيساً للحزب الحاكم (الحزب التشادي التقدمي). وأُعيد تشكيل الوزارة من جديدٍ فضمّت ستة عشر وزيراً نصفهم من المسلمين والنصف الباقي من النصارى والوثنيين، وهذا إجحاف كبير بحق المسلمين الذين تبلغ نسبتهم ٨٥٪ من مجموع السكان، وهذا على الأقلّ، ولكن هذا التصرف لم يكن غريباً ما دام من الدخلاء فالمستعمرون الصليبيون هم الذين سلّموا هذه الحكومة السلطة، وهم الذين يُوجّهونها، ويشرفون على التنفيذ، ولكن سيكون لهذا في المستقبل الأثر السيء الكبير وذلك لتسلّط أقليةٍ على أكثريةٍ، وتوجيه السياسة والثقافة كلها في هذا الاتجاه. ومن الوزراء المسلمين الذين شغلوا مناصب وزارية:

أبا نسرو: وزيراً للداخلية. جبريل خير الله: وزيراً للخارجية.
محمد عبد الكريم: وزيراً للدفاع. أحمد كتكو: وزيراً للتربية والتعليم.
علي كوسو: للعدل. جانباتيز: للمواصلات.

وعُيّن هواي الشيخ ابن إبراهيم قاضياً للقضاة، وحصل تعارض بين الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي، وخاصةً لجهل الناس بأحكام الشريعة

فاستحضر قاضي القضاة عدداً من النسخ من كتاب «الرسالة» على مذهب الإمام مالك مترجماً بالفرنسية من الجزائر، وكتباً إسلامية أخرى مترجمةً أيضاً إلى الفرنسية، ووزّعها على المحاكم والمدارس ليُرجع إليها.

سارت الأمور في البداية سيراً حسناً حيث كان رئيس الجمهورية يُبدي المجاملة، وقبول النصيحة والتوجيه حتى يتمكّن، ويجذب إليه بعض المسلمين الذي يُشكّلون أكثرية السكان، حتى إذا تمكّن، وشعر أن الوضع مستتب له قلب ظهر المجن، فألغى الأحزاب كلها بحجة أنها كانت قبل الاستقلال، واستثنى حزبه «الحزب التشادي التقدّمي» فأصبحت تشاد دولةً ذات حزبٍ واحدٍ، وحاول إبعاد التكتل الإسلامي، وذلك في شعبان ١٣٨١ هـ (كانون الثاني ١٩٦٢ م)، وأمر بإلقاء القبض على ثلاثةٍ من زعماء المسلمين بتهمة تهديد أمن الدولة، ثم حلّ المجلس النيابي.

وقام بتعديل الدستور في ذي القعدة ١٣٨١ هـ (نيسان ١٩٦٢ م)، وينص الدستور الجديد على أن دولة تشاد جمهورية، لها رئيس، ومجلس نيابي واحد، يُنتخب أعضاؤه لمدة خمس سنواتٍ، بينما ينتخب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنواتٍ، ويتمّ انتخاب رئيس الجمهورية من قبل المجلس النيابي، ورؤساء البلديات، وزعماء القبائل، والوحدات الإدارية، ولا يمكن إقالته إلا بالأكثرية المطلقة لأعضاء المجلس النيابي.

جرت انتخابات نيابية جديدة عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) إثر صدور الدستور الجديد، وقبل مرور أقلّ من عامٍ أُجريت انتخابات جديدة بديلة، وضمّ المجلس النيابي خمسةً وسبعين عضواً.

ويوجد حزب واحد في البلاد بشكلٍ رسميٍ، هو الحزب الحاكم، الحزب التشادي التقدّمي، وانضمّ إليه حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي، وغير الرسمي، والذي يضمّ عدداً من رؤساء الوحدات الإدارية، وزعماء قبائل الشمال، وكان أبرزهم عمدة منطقة (برداي) الذي يدعى (سوغومي)،

وهو من قبائل التيبو، وجرت محاولة لضمّ ملك تيبستي إلى الحزب، ولكن فشلت المحاولة. وبذا قوي الحزب التشادي التقدمي.

وتجمّع كثير من المسلمين تحت لواء الحزب الوطني الإفريقي الذي تشكّل عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، ولكنه حظر مع بقية الأحزاب، وبقي بشكلٍ غير رسمي، وحصل على ٢٨ مقعداً في المجلس النيابي بالانتخابات الأخيرة، غير أن الحزب الحاكم قد استطاع من التفاهم مع أعضاء هذا الحزب، وعُقد اتفاق بين الحزبين، وقامت منهما ما عُرف باسم «كتلة الحزب التشادي التقدمي».

بدء الأحداث:

وصل سفير دولة اليهود في فلسطين إلى تشاد في أواخر عام ١٣٨١ هـ (نيسان ١٩٦٢ م) فأثار غضب المسلمين هناك، فاتصل قاضي القضاة بوزير الخارجية، ووزير العدل، وقابل أمين الحزب الحاكم (بابا حسن) بصفتهم من المسلمين، وتكلّم معهم بأنه لا يصحّ أن تقبل الحكومة سفيراً لليهود فإن هذا يتنافى مع علاقات وروابط مسلمي تشاد بإخوانهم من المسلمين في الأمصار الإسلامية الأخرى، لأن الكيان اليهودي دولة مُعتدية، وتاريخها، وتاريخ اليهود معروف بالنسبة للمسلمين منذ فجر الإسلام إلى اليوم، وإن قضية فلسطين إنما تخص كل مسلمٍ ومسلمةٍ في أنحاء العالم جميعها، وأنه زار القدس بنفسه أثناء اجتماع المؤتمر الإسلامي، ورأى الظلم الذي لحق المسلمين من اليهود. فوعد هؤلاء المسؤولون قاضي القضاة أن ينقلوا هذا لرئيس الجمهورية، وأن يُعلنوا عدم رضاهم عن موضوع هذا السفير اليهودي.

وفي اليوم التالي قابل السفير اليهودي وزير الخارجية، فكانت مقابلة الوزير مقابلةً جافةً وليس فيها أية مجاملةٍ أو لباقةٍ سياسيةٍ، فقام السفير بمقابلة رئيس الجمهورية، ونقل له ما جرى من وزير الخارجية فأبدى الرئيس تأثّراً بالغاً، وطمأنه أنّ كلّ شيءٍ سيسير نحو الأحسن.

جرى تعديل وزاري بعد أيامٍ قليلةٍ من مقابلة السفير اليهودي لرئيس الجمهورية التشادي خرج نتيجته الوزراء المسلمون جميعاً من مناصبهم، وعُيّن مكانهم وزراء غير مسلمين فقد نُقل:

أبا نسرو من منصب وزير الداخلية إلى وزير للدولة، ومحمد عبد الكريم وزير الدفاع نقل ليشغل منصب رئيس الجمعية الوطنية، أما بقية الوزراء المسلمين فقد تركوا مناصبهم دون أن يشغلوا أي منصبٍ آخر. ونُفي وزير التربية والتعليم خارج البلاد.

وفي اليوم نفسه أمر رئيس الجمهورية باعتقال وزير الدولة (أبا نسرو) ورئيس الجمعية الوطنية (محمد عبد الكريم) ووزير العدل السابق (علي كوسو)، وأمين سر الدولة (الحاج عيسى)، وعضو مجلس النواب (برما مهدي)، وبعد خمسةٍ وثلاثين يوماً أُحضروا للاستجواب، وصدر القرار بإخراج قاضي القضاة من البلاد لأنه ليس من سكان تشاد الأصليين، وذلك بعد مصادرة أمواله جميعها، فعاد إلى موطنه في (مالي)، وبقي الآخرون رهن الاعتقال.

أخذ الزعماء المسلمون يُفكّرون بإجراء تغييرٍ في نظام الحكم، وعملوا على الاتصال بضباط الجيش، لكن عيون رئيس الجمهورية استطاعت من كشف الحركة، وفي جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (تشرين الثاني ١٩٦٢ م) أرسلت الحكومة كوكبة من ضباط الشرطة لاعتقال ثلاثة من زعماء الحركة، وهم:

١" ــ جانباتيز: وهو ابن رجلٍ فرنسيٍ، وأمٍ تشاديةٍ، مسلم، كان يشغل منصب وزير المواصلات في الحكومة السابقة.

٢" ــ جبريل خير الله: وزير الخارجية السابق.

٣" ــ أحمد غلام: رئيس الوزراء قبل الاستقلال.

غير أن هؤلاء الزعماء قد رفضوا الانصياع للأمر، وأبوا الاستسلام، وقتلوا رجال الشرطة المكلّفين بالاعتقال، فأرسلت الحكومة لهم قوةً من

الجيش مسلحةً سلاحاً كاملاً، وجرى تبادل إطلاق النار بين الزعماء الثلاثة والقوة العسكرية، وكان الشعب مهيأً نفسياً للحركة فاشتعلت الثورة، وكان نتيجتها أن اعتقل عدد كبير من المسلمين، وقتل حوالي خمسمائة مسلمٍ، وجُرح الآلاف، توفي منهم خمسمائةٍ متأثّرين بجراحهم.

جرت محاكمة صورية لزعماء الحركة والوزراء المعتقلين سابقاً، وصدرت بحقهم الأحكام التالية:

١ ــ أبا نسرو: وزير الدولة، السجن المؤبد.

٢ ــ محمد عبد الكريم: وزير الدفاع السابق، السجن المؤبد.

٣ ــ علي كوسو: وزير العدل السابق، السجن ٢٠ عاماً.

٤ ــ الحاج عيسى: أمين سر الدولة، السجن ٢٠ عاماً.

٥ ــ بابا حسن: أمين سرّ الحزب الحاكم، السجن ٢٠ عاماً.

٦ ــ برما مهدي: عضو مجلس النواب، السجن ١٥ عاماً.

ويُمثّل المعارضة حزب الاستقلال الوطني، والاتحاد الوطني التشادي، وكلاهما غير رسمي، حيث لا يوجد حزب رسمي سوى الحزب الحاكم الذي هو الحزب التشادي التقدّمي.

تألفت حكومة جديدة من اثني عشر وزيراً، بينهم ثلاثة وزراء فقط من المسلمين الذين يمثّلون ٨٥٪ من السكان على الأقل. وكانت الحركة السابقة في العاصمة على الأقل غير أن الثورة قد انتشرت على نطاقٍ واسعٍ عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

الثورة:

قام رئيس الجمهورية التشادية باعتقال ثلاثةٍ من وزرائه بتهمة محاولة اعتقاله، وأذاع أن هناك قائمةً من الشخصيات المشتركة بالمؤامرة لم تكتمل بعد، وأن المعتقلين أعضاء في حزب الاستقلال الوطني. وفرّ بعض الرجال، وزار وفد منهم يُمثّل حزب الاتحاد الوطني التشادي برئاسة

(إبراهيم أنيشا) الأمين العام المساعد للحزب المذكور، و(أبو بكر عثمان) زار الخرطوم، والقاهرة، ودمشق، وبعض البلدان العربية الأخرى ليُوضّح للمسؤولين فيها حقيقة الوضع في تشاد.

بدأت حكومة تشاد باضطهاد المسلمين، وفرض الضرائب، فانتفض السكان، غير أن هذه الانتفاضة لم تكن منظمةً فقُضي عليها بسرعةٍ، ولكن يمكن اعتبارها بدءاً للثورة العامة التي كان مركزها الشمال حيث بقيت تلك المنطقة حتى ذلك العام تحت السيطرة العسكرية الفرنسية لتثبيت الوضع للحكم القائم.

تشكّلت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد في السودان عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م)، واختير (أبو صديق) أميناً عاماً لها، وهو من مؤسسي الحزب التشادي التقدمي، الحزب الحاكم، مع (غبرييل ليزبيت) و(فرنسوا تومبالباي) عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، وبقي من قادة الحزب حتى عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) حيث تفرد (فرانسوا تومبالباي) بالأمر، ومع ذلك بقيا صديقين حتى عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م).

ولما انتشر خبر الثورة قام رئيس الجمهورية بالاعتقالات التي ذكرناها، والتي شملت الوزراء الثلاثة، وهم: (محمد بارود) الوزير المكلّف بشؤون العدل، و(محمد غوني) وزير شؤون رئاسة مجلس الوزراء، ووزير الدولة، هذا إضافةً إلى اعتقال رئيس الجمعية الوطنية (جلال)، ونائب مدينة بانغور (بول جبرين)، ووقعت صدامات دموية في مدينة (مانغالم)، وأسفرت عن وقوع ثمانية قتلى.

ثم عادت الثورة فاندلعت من جديد عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) بقيادة الجبهة الوطنية لتحرير تشاد، وشملت أكثر المناطق الإسلامية، وخاصةً تيبستي، وبلاد التيبو، وسيطر الثوار على المناطق الشمالية، فاستنجد رئيس جمهورية تشاد بفرنسا فأمدّته بثمانمائة مظلّي عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) غير أن هذه النجدة لم تستطع دخول مدينة (أوزو)، فأرسلت له نجدةً ثانيةً،

تُقدّر بمائتين وستين جندياً من الفرقة الأجنبية، ومشاة البحرية، ووصل هذا الدعم في مطلع عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، ومع هذا فلم تستطع حكومة تشاد من السيطرة على الوضع إلا بعد ثمانية أشهرٍ. وكان يدير الجبهة الوطنية لتحرير تشاد، والحركة (أبو صديق) من ليبيا.

تمكّنت حكومة تشاد من تهدئة الوضع بعد أن اتخذ رئيس الجمهورية (فرانسوا تمبالباي) سياسة المهادنة حيث طلب سحب القوات الفرنسية من المناطق الشمالية، فقبلت ليبيا هذا التصرّف، ولكن الجبهة الوطنية لتحرير تشاد التي أصبحت في الجزائر لم تقنع بهذا التصرّف، وكذلك لم يرضَ عنه زعيم قبائل التيبو الذي يعيش في منفاه في ليبيا، حيث كانت حكومة تشاد تُظهر في كل مرةٍ تضعف فيها الرغبة بالتعاون مع المسلمين، فإذا شعرت بالقوة أخذت باضطهادهم، وأعلنت عن محاولتهم تهديد أمن الدولة أو محاولتهم القيام بانقلابٍ، وتدّعي هذا لتضربهم ضربةً قاصمةً، وتتخذ ذلك حجةً لها، دون أن يقوموا بأية حركةٍ.

أعلن محمد الباقلاني الأمين العام للجبهة الوطنية لتحرير تشاد في مقابلةٍ له مع جريدة (فتح) أهداف الجبهة، وكان مما قاله: «إن عدد سكان تشاد ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، منهم ٨٥٪ من المسلمين، و ١٠٪ من الوثنيين، و ٥٪ من النصارى، وإن تشاد كانت مستعمرةً فرنسيةً، وقد مُنحت بتاريخ ١١/٨/١٩٦٠ م استقلالاً شكلياً على أثر جهادٍ طويلٍ ونضالٍ مريرٍ خاضه شعب تشاد ضدّ الاستعمار الفرنسي»، واستدلّ محمد الباقلاني على شكلية الاستقلال بالأمور الآتية:

١ ـ تزوير الانتخابات.

٢ ـ تسليم السلطة لعملاء الاستعمار برئاسة (فرانسوا تمبالباي) وفرض وجوده بالحديد والنار.

٣ ـ فتح الباب أمام التغلغل الصهيوني، إذ أصبحت الشركات (الإسرائيلية) تُسيطر على كل المرافق الموجودة في الدولة: المجالات

العسكرية والإعلامية والمدرسية ـ وخاصةً إدارة اللغة العربية ـ كما قام الصهاينة بإقامة معسكراتٍ للشباب والإشراف عليها، وإرسال القياديين من هؤلاء الشباب إلى فلسطين المحتلة لتدريبهم وإعدادهم كعملاء للصهاينة في المنطقة، كما قاموا بإنشاء ما يُسمّى بالمستعمرات الزراعية، واحتكار الصيد البري والبحري، وافتتاح المراكز الثقافية، وتوزيع الكتب باللغة العربية، والفرنسية، والإنكليزية لتثبيت دعاية الصهاينة، وباختصارٍ فإن (إسرائيل) أصبحت المخطط والموجه لسياسة فرانسوا تمبالباي، مع العلم أنه لا يوجد يهودي واحد من أصل تشادي.

٤ ـ وجود القوات الفرنسية.

٥ ـ حلّ الأحزاب السياسية باستثناء الحزب التشادي التقدمي، الحاكم العميل، فقد كان هناك حزب الاستقلال الوطني الإفريقي، والاتحاد الوطني التشادي، وكانا يشكلان المعارضة في البلاد، ويمثّلان الأغلبية، فما كان من العميل (تمبالباي) إلا أن حلّ هذين الحزبين، وحلّ (البرلمان)، وعيّن بعض العملاء تعييناً تعسّفياً، وقابل كل معارضيه، بقوة السلاح.

هذه الأوضاع جعلت الشعب يستنكر هذه اللعبة الاستعمارية المسماة بالاستقلال، وابتدأت المعارضة بشكل تظاهراتٍ، وبدأ الاستعمار باستعمال وسائل القمع (البوليسية) الإرهابية، واعتقل كل الوزراء المسلمين المشتركين في حكومة تمبالباي، وذلك على ضوء خطة تمزيق البلد بالطائفية، ومسخ نضال الشعب بحيث يبدو وكأنه نضال أغلبية ضدّ أقليةٍ مما يبعده عن الارتباط الصحيح بحركة التحرر العالمي.

هذه الأوضاع الشاذة هي التي جعلت الشعب يلجأ إلى حمل السلاح دفاعاً عن نفسه، وحمايةً عن كرامته وشعوره (القومي). وقد نشأ تنظيم سري تكتل فيه كل الزعماء المعارضين الذين بقوا خارج السجن، وخرج بعضهم إلى الدول الإفريقية والعربية لنقل القضية إلى المحيط الدولي، وبعد الإعداد والتكوين انطلقت الشرارة الأولى للثورة في خريف عام

(١٩٦٥ م) بقيادة الاتحاد الوطني التشادي، وبعد أن توسّعت الحركة الثورية عقد مؤتمر شعبي في صيف (١٩٦٦ م) ونتج عنه تكوين الجبهة الوطنية لتحرير تشاد ومن ذلك الحين أصبحت الجبهة هي المنظمة الوحيدة التي تقود الحركة الثورية في تشاد، وأهداف الجبهة هي:

١ ــ القضاء على النظام (الدكتاتوري).

٢ ــ إجلاء القوات الفرنسية.

٣ ــ تكيوين حكم (ديمقراطي) عادل، يكفل الحقوق لكل المواطنين.

٤ ــ مساندة حركات التحرّر في البلدان الإفريقية والعربية وخاصةً الثورة الفلسطينية.

٥ ــ تصفية النفوذ الصهيوني.

٦ ــ بناء اقتصادٍ وطنيٍ مستقلٍ.

٧ ــ إقامة علاقاتٍ (دبلوماسية) مع الجميع باستثناء إسرائيل وجنوبي إفريقية.

٨ ــ جعل اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية.

والجبهة الوطنية لتحرير تشاد لها نشاط سياسي وعسكري، إلا أنها تُولي النشاط العسكري الأهمية الأولى في هذه المرحلة، وقد تمكّنت من السيطرة على ثلثي البلاد، وكادت تسقط حكومة العميل (تمبالباي) لولا أنه استعان بالقوات الفرنسية التي تستعمل الطيران في محاولةٍ منها لإبادة ثوارنا مما أعاق النصر القريب قليلاً، ولكن على الرغم من الصعوبات كلها فإن الثورة تتقدّم والحكم العميل يخسر.

ويجدر بنا أن نقول: إن الثورة تعتمد على إمكاناتها الذاتية، وعلى بذل الشعب، واستعداده للشهادة، ونحن نأمل أن يتحرك الشعب الفرنسي للضغط على حكومته لإيقاف الاعتداء على شعبنا المناضل.

لقد استطاعت الجبهة أن تصفى المطارات العسكرية الإسرائيلية التي

أُقيمت في تشاد على الحدود المشتركة بيننا وبين السودان من جهةٍ، وبيننا وبين ليبيا من جهةٍ أخرى. كما أنها صفّت كل المستعمرات الزراعية التي أقامها الصهاينة في تشاد ـ المناطق المحررة ـ وكذلك أماكن الصيد التي تبلغ مساحتها مائتي كيلومتر مربع، كما صفّت مراكز تدريب الشباب في منطقة (كوكو نقراتا) وكل هذا على سبيل المثال لا أكثر.

ونريد بهذه المناسبة أن نتجه إلى رجال الثورة الفلسطينية لنؤيّدهم برفض المشروعات التصفوية مثل مشروع مجلس الأمن الصادر في (٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ م) ومشروع روجرز الأخير لأن أية ثورةٍ لا تكتسب ثوريتها إلا من رفضها للتخاذل وأنصاف الحلول، فليس مجلس الأمن هو الذي يضمن حق شعب فلسطين.

واعتقد أن الصحيح والأمثل هو ما رفعته فتح (ثورة حتى النصر). وبهذه المناسبة فنحن نتجه إلى الدول العربية لتعتبر كفاحنا ضد الصهيونية والاستعمار امتداداً لكفاحها، وكم كان شعبنا يشعر بمرارةٍ عندما لم يجد من يستنكر العدوان الفرنسي علينا، ونحن نسأل الإعلام العربي لماذا يستنكر العدوان على فيتنام ويتجاهل العدوان الفرنسي على تشاد وغيرها[1].

وفي عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) أُعلن عن قيام محاولة انقلاب بقيادة أحمد عبدالله الذي انتحر عندما فشلت المحاولة، وقيل في انتحاره أنه يريد إخفاء تفاصيل العملية والذين اشتركوا معه فيها، وتوتّرت العلاقة من جديدٍ بين ليبيا وتشاد، حيث ادّعت حكومة تشاد أن ليبيا من وراء العملية، فقُطعت العلاقات السياسية بينهما، وصرّح رئيس جمهورية تشاد في مؤتمرٍ صحفيٍ له عقده بعد عشرة أيامٍ مضت على محاولة الانقلاب بأنه على استعدادٍ للتعاون مع أي ليبيٍ يرغب في استخدام أرض تشاد منطلقاً لمحاربة الرئيس الليبي معمر القذافي. وقامت حكومة تشاد بإرسال بعثاتٍ

---

(١) جريدة فتح بتاريخ ٢/٨/١٩٧٠ م.

رسميةٍ إلى الدول العربية والإفريقية لشـرح تفاصيـل المحاولـة الانقلابيـة الفاشلة.

وفي عـام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) تمّ سجن عـددٍ من قـادة الحكم التشادي، ومنهم رئيس الأركان (فيلكس مالوم) إثر اتهامات بالتآمر أُلقيت. وحُلّ الحزب التشادي التقدّمي، وتأسّس مكانه حزب سياسي جديد عُرف باسم «الحركة الوطنية للثورة الثقافية والاجتماعية».

التغـييـــر:

لما رأت الأوساط السياسية الغـربية ضعف الحكم في تشـاد، وقوة المعارضة الإسـلامية خشيت على الـوضع فعملت على تغييـره واستبدالـه بوضعٍ يكون أقوى منه خوفاً من خروج الأمر من يدها، إذ أضعفت الحكم الثورات وأنهكته المعارضة.

في عـام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) استولى الجيش على السلطة بقيـادة نائب رئيس الأركان (عبد القادر كاموغا)، وهو نصراني من الجنوب أيضاً، فأطلق سراح رئيس الأركان (فيلكس مالوم) وعيّنه رئيساً للجمهورية، ورأساً للمجلس العسكري الأعلى. وقامت الحكومة الموقتة بحلّ الحركة الوطنية للثورة الثقافية والاجتماعية، وأطلقت نداءاتها بالمصالحة الوطنية، وهذا ما شجّع بعض قادة المعارضة على التحالف مع النظام الجديد.

والواقع أن الوضع لم يتغير فيه شيء، فـالرئيس السـابق، والرئيس الذي وصل إلى السلطة حديثاً، ورئيس الأركان كلهم من الجنوب، ومن النصارى، ومن القبيلة نفسها، وهي قبيلة (سارا)، وقد شكّل (فيلكس مالوم) حكـومةً أكثـرها من الجنـوب النصراني. وقُتـل الرئيس السـابق (فرانسـوا تومبالباي) أثناء حركة الانقلاب.

انقسـام المسلميـن:

عمل الأعداء على تجزئة المعارضة المسلمة، وقد تمكّنوا من ذلك،

إذ انقسمت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد التي كانت تضمّ في صفوفها القوات المسلمة، ورجال القبائل، والزعماء السياسيين، وظهر عدد من التجمّعات ومنها:

١ ــ قوات الشمال ويقودها (حسين حبري).

٢ ــ الحركة الشعبية لتحرير تشاد ويرأسها (أبو بكر عبد الرحمن).

٣ ــ الجبهة الوطنية لتحرير تشاد برئاسة (غوكوني عويدي)، وتعرف كما كانت باسم (فرولينا).

ومع أن هذه التجمّعات كلها تُصنّف ضمن المعارضة، إلا أن الجبهة الوطنية لتحرير تشاد، وهي الأم، بقيت على صلتها مع ليبيا، وتتلقّى مساندتها بشكلٍ سريٍ، وكانت ليبيا قد احتلّت منذ عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) شريط (أوزو) في شمالي تشاد، وتبلغ مساحة ١١٤,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويعتقد أنه يحتوي على كمياتٍ من اليورانيوام، وتبني ليبيا حجّتها على الاتفاقية التي جرت بين فرنسا وإيطاليا عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) والتي لم تُصدّق كما أسلفنا.

المصالحة والاختلاف:

عُقد مؤتمر في الخرطوم للمصالحة، وشاركت فيه الحكومة التشادية، وممثلو الجبهات الثلاث، ومندوبون عن الدول المحيطة بتشاد، وهي: ليبيا، النيجر، نيجيريا، الكاميرون، السودان، ولم يتوصل المؤتمر إلى اتفاقٍ، ولكنه أسفر عن تقاربٍ بين الحكومة التشادية وجبهة قوات الشمال التي يرأسها حسين حبري. وواصلت الحكومة السودانية رعاية هذا التقارب فتمّ الاتفاق بين الطرفين بعد خمسة أشهرٍ من بدء انعقاد المؤتمر، ونصّ الاتفاق على:

١" ــ إعلان العفو العام عن السجناء والمعتقلين السياسيين جميعاً بدءاً من ٢٣ صفر ١٣٩٨ هـ (الأول من شباط ١٩٧٨ م).

٢" ــ إعلان وقف إطلاق النار.

٣" ـ إقامة حكومة مصالحةٍ في مدةٍ أقصاها شهران.

واعترف برئاسة (فيلكس مالوم) للجمهورية، وأصبح (حسين حبري) رئيساً للوزراء، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بينهما، واقتسما السلطة.

وفي مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الثاني ١٩٧٨ م) قامت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد (فرولينا) بتوحيد قيادتها في مجلسٍ موقتٍ تحت قيادة (غوكوني عويدي)، واستولت على مساحةٍ واسعةٍ من المنطقة أخذتها من القوات الحكومية قبل أن تصل النجدات الفرنسية.

وفي الوقت نفسه خرج (أحمد الأصيل) من الجبهة الوطنية لتحرير تشاد (فرولينا) فزاد ذلك في انقسامها وأصبح أحمد الأصيل يُقاوم قوات (غوكوني عويدي) الذي بدأ بدوره يتقرّب من ليبيا التي سعت للتقارب بين (غوكوني عويدي) والحكومة التشادية حيث عقد الطرفان مؤتمراً في مدينة (سبها) في ليبيا أسفر عنه وقف إطلاق النار الشامل في ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ (آذار ١٩٧٨ م).

وفي مطلع عام ١٣٩٩ هـ (كانون الأول ١٩٧٨ م) انهارت السلطة المركزية تماماً في تشاد نتيجة الخلاف بين رئيس الجمهورية (فيلكس مالوم) ورئيس الوزراء (حسين حبري)، وتقدّمت قوات الشمال التابعة لرئيس الوزراء نحو العاصمة (نجامينا)، وبعد معارك بين الطرفين دخل حسين حبري العاصمة، واضطر فيلكس مالوم على الاستقالة والفرار من البلاد متجهاً إلى نيجيريا تاركاً المسؤولية لقائد الدرك المقدم (وادال عبد القادر كاموغا).

وسار (غوكوني عويدي) بقواته أيضاً نحو العاصمة نجامينا، ودخلها أيضاً بعد ساعات من دخول حسين حبري إليها، وعقد مؤتمر للمصالحة في نيجيريا في مدينة «كانو» غير أنه فشل، وتشكل مجلس وطني حكم البلاد حوالي ثلاثة أشهر، ثم تشكّلت حكومة موقتة ضمّت أعضاء من الجبهة الوطنية لتحرير تشاد (فرولينا)، وقوات الشمال، والحركة الشعبية لتحرير

تشـاد والمعروفـة أيضاً بـأنها «الجيش الثـالث»، وقـوات جيش الحكـومـة التشادية، وعُيِّن الملازم الأول (محمد شوا) رئيساً للجمهـورية، وهـو من أعضاء الحركة الشعبية لتحرير تشاد، وأما غوكوني عويدي فقد تسلّم منصب وزارة الداخلية على حين تسلّم حسين حبري منصب وزارة الدفاع. وأُبعد عن الوزارة أحزاب وعصابات الجنوب التي كان يقودها المقدم عبد القادر كـاموغـا، ولكن هذه الحكـومة كـانت موضـع استنكار الـدول الإفـريقيـة النصرانية.

استمرت حروب متقـطعة، وكـان هناك شقـاق داخل الحكـومة بين (حسين حبري) و(غوكوني عويدي) ولم يطل عمر الحكومة أكثر من ثلاثة أشهر أيضاً. وعقد مؤتمر في (لاغوس) عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وتم فيه الوصول إلى اتفاقية بين إحدى عشرة جماعةً وحزباً، وتشكلت حكومة في ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٩ م) تُمثّل الأحزاب الأحد عشر، ولكن لم يمض على هذه الاتفاقية أكثر من ثلاثة أشهر حتى نُقضت، وتسلم (غوكوني عويدي) رئاسة الجمهورية.

اختلف (غوكوني عويدي) مع ليبيا ثم رجع الوئام بينهما بعد زيارة وزيـر الخـارجيـة الليبيـة (علي التـريكي) إلى نجـامينـا عـام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)، ثم اشتدّ الخلاف بين (حسين حبري) و(غوكـوني عويـدي) بسبب احتلال ليبيا لإقليم أوزو. وضعفت سلطة (غوكوني عويدي) نتيجة الاختلافات المستمرة، وفي ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ (آذار ١٩٨٠ م) أصبحت الاتفاقية الهشة غير معمول بها، وبدأ القتال مرةً ثانية في العاصمة نجامينا ورغم المحاولات المتعددة لإيجاد تسويةٍ وحلٍ، واتفاقٍ لوقف إطلاق النار، ولكن دون نتيجةٍ.

استمرت الصراعات، وانسحبت القوات الفرنسية جميعها من تشاد في جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ (أيار ١٩٨٠ م) لتفسح المجال أمام المتنـازعين للقتال، وليسحق بعضهم بعضاً ما داموا قد أصبحوا كلهم من المسلمين.

وعقدت معاهدة صداقة ودفاع مشترك في رجب ١٤٠٠ هـ (حزيران ١٩٨٠ م) بين الرئيس الليبي معمر القذافي وبين ممثل حكومة (غوكوني عويدي) دون أن تكون هناك موافقة مسبقة من حكومة الوحدة الوطنية للمرحلة الانتقالية. وفي ذي الحجة ١٤٠٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٠ م) تدخلت القوات الليبية مباشرةً في الصراعات الدائرة في العاصمة التشادية نجامينا، وكانت النتيجة هزيمة حسين حبري، وتقهقر قواته المسلحة (قوات الشمال) وانسحابه مع قواته شرقاً نحو الحدود مع السودان، وأيّدته يومذاك كل من مصر والسودان لخلاف تلك الدولتين يومذاك مع ليبيا، وأصبح جسر جوي بين (القاهرة) و(الجنينة) في غربي السودان لدعم الموقف. واستقرّت قوة ليبية في تشاد قوامها خمسة عشر ألف مقاتلٍ. وانحاز (أحمد الأصيل) إلى جانب (حسين حبري) في هذا الصراع، وانضمّ (مصطفى ماتيشي) إلى جانب (غوكوني عويدي).

وهاجمت كل من السنغال، وغامبيا، والنيجر، ونيجيريا وجود القوات الليبية في تشاد.

وقُدّمت اقتراحات لقيام وحدة بين ليبيا وتشاد، غير أن القوات الليبية في تشاد لم يكن مرغوب فيها، وذلك خلال شهر ربيع الأول ١٤٠١ هـ (كانون الثاني ١٩٨١ م)، واستمرت حرب العصابات، وصدر حكم غيابي على حسين حبري وعلى قادةٍ آخرين من قوات الشمال، ويقضي الحكم بالموت عليهم وذلك في شعبان ١٤٠١ هـ (حزيران ١٩٨١ م). وأخيراً وفي ذي القعدة ١٤٠١ هـ (أيلول ١٩٨١ م) عدل غوكوني عويدي عن فكرة الاندماج مع ليبيا. ثم طلب سحب القوات الليبية من تشاد إذ أنّ وجودها غير مرغوب فيه فاستجابت ليبيا لهذا الطلب وسحبت قواتها في مطلع عام ١٤٠٢ هـ (تشرين الثاني ١٩٨١ م)، ووضعت قوة حفظ سلام مكانها من دولٍ إفريقية تحت إشراف منظمة الوحدة الإفريقية التي اقترحت وقف إطلاق النار، والإشراف على إجراء انتخابات نيابية، فأبدت الحكومة التشادية موافقتها على هذين الاقتراحين، ثم تخلّت عنهما بعد أن رفض

(غوكوني عويدي) فكرة المفاوضة مع حسين حبري في ربيع الأول ١٤٠٢ هـ (كانون الثاني ١٩٨٢ م).

حاول (غوكوني عويدي) تقوية حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية التي أنهكتها الصراعات فقام بتشكيل مجلس رئاسي، وتعيين رئيس للوزراء، وأجرى تعديلاً وزارياً في رجب ١٤٠٢ هـ (أيار ١٩٨٢ م).

بعد أن انسحبت القوات الليبية من تشاد، تحرّك حسين حبري بقواته من الشرق نحو العاصمة التشادية نجامينا، واستطاع أن يدخلها في ١٥ شعبان ١٤٠٢ هـ (٧ حزيران ١٩٨٢ م)، وتمّ اختيار مجلس رئاسة جديد برئاسة حسين حبري في ٢٧ شعبان ١٤٠٢ هـ (١٩ حزيران ١٩٨٢ م)، وفي نهاية الأسبوع الأول من رمضان (أواخر حزيران) انسحبت قوات منظمة الوحدة الإفريقية من تشاد. وفي ذي القعدة ١٤٠٢ هـ (أيلول ١٩٨٢ م) أعلن دستور مُوقّت، وفي الشهر التالي أقسم حسين حبري اليمين كرئيسٍ للجمهورية، وشكّل حكومةً جديدةً. أما (غوكوني عويدي) فقد فرّ إلى الكاميرون، ومنها انتقل إلى الجزائر، ثم استقر في ليبيا في مدينة (سبها) ليكون على مقربةٍ من الحدود مع تشاد، وبدعمٍ من ليبيا تمكّن من السيطرة على أجزاء من شمالي تشاد، وفي ٥ رمضان ١٤٠٣ هـ (١٥ حزيران ١٩٨٣ م) تمكّن من احتلال مدينة (لارغو) وهي مدينة (فايا) سابقاً.

وشكّل أعوان حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية حكومة «خلاص وطنية» منافسةً في (بارداي). ونجح نظام حسين حبري بالحصول على اعترافٍ دوليٍ بعد أن حصل على مساندة معظم الدول الإفريقية، وليبيا ـ طبعاً ـ لم تعترف بنظام الحكم الجديد في نجامينا.

في أوائل ربيع الثاني عام ١٤٠٣ هـ (كانون الثاني ١٩٨٣ م) التحق بعض أعضاء القوات المسلحة التشادية التابعة للعقيد عبد القادر كاموغا بالقوات المسلحة التابعة للقوات الشمالية لتشكل معاً جيشاً وطنياً جديداً هو القوات المسلحة التشادية الشمالية.

حصل نظام حسين حبري على عشرة ملايين دولار كمساعداتٍ عسكريةٍ من الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى فرقة مظليين من زائير، وعلى مساعدةٍ من فرنسا. وقامت قوات الحكومة بهجومٍ على مدينة (لارغو) لطرد قوات (غوكوني عويدي) منها، وتمكّنت فعلاً من احتلالها في منتصف شوال ١٤٠٣ هـ (أواخر تموز ١٩٨٣ م)، غير أن قوات (غوكوني عويدي) قد تمكّنت من استعادة المدينة في الشهر التالي بعد مساعدات سلاح الجو الليبي الذي قصف المدينة وقوات الحكومة.

وتدخّلت فرنسا في الخلافات القائمة بناءً على طلبٍ من حسين حبري، وأرسلت إليه قوةً تضمّ ثلاثة آلاف جندي، واقترح الرئيس الفرنسي ميتران إقامة اتحادٍ في تشاد، ويبقى كل زعيم رئيساً على منطقة نفوذه، وذلك كحلٍّ للنزاع، غير أن المتكلم الرسمي باسم (غوكوني عويدي) قد رفض هذا الاقتراح.

وتمّ عمل خط من قبل فرنسا يفصل بين الأحزاب والقوات المتصارعة، ويسير هذا الخط مع درجة العرض ١٥° شمالاً، وأعلن في ٨ ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (١٥ أيلول ١٩٨٣ م) أن الحرب قد توقّفت.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م) عقد اجتماع بين ممثلي الأحزاب جميعها في (أديس أبابا) تحت رعاية منظمة الوحدة الإفريقية، غير أن المحادثات قد أخفقت نتيجة الاختلاف في طريقة أصول التمثيل والحضور. وتجددت الحرب، وسقطت طائرة فرنسية وقُتل قائدها، وبعدها قرّرت فرنسا زيادة دفع الخط الفاصل بين الفئات المتصارعة ١١٠ كيلومترات نحو الشمال أي ليُصبح مسايراً لخط العرض ١٦° شمالاً بعد أن كان مسايراً لخط العرض ١٥° شمالاً.

ومن المعلوم أن المناطق الشرقية وهي: إقليم (وادّاي) وإقليم (بيلتن) والقسم الشرقي من إقليم (باثا) تعدّ هذه المناطق مراكز لحسين حبري وتُعرف قواته بـ(قوات الشمال). وتعدّ المناطق التي تُشرف على بحيرة

تشاد، وهي (كانم) و(البحيرة) وكذلك مناطق الشمال مراكز دعم لغوكوني عويدي، وتعرف قواته بالقوات الشعبية. ويهيمن عبد القادر كاموغا على الجنوب النصراني، وتسمّى قواته بالقوات التشادية المسلحة.

وفي محاولةٍ لتقوية السلطة السياسية قام حسين حبري بحلّ حزبه «حزب جبهة التحرير الوطني لتشاد» في رمضان ١٤٠٤ هـ (حزيران ١٩٨٤ م) وأنشأ حزباً رسمياً جديداً باسم «الاتحاد الوطني للاستقلال والثورة» وتبع ذلك تعديل وزاري بعد شهر من ذلك.

وحدث انشقاق في القوات المناهضة لحسين حبري إذ تشكّلت مجموعات منشقّة جديدة، وحركة مناهضة لغوكوني عويدي عن طريق حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية.

اقترح الرئيس الليبي معمر القذافي انسحاباً متزامناً لعناصر المساندة الليبية والجنود الفرنسيين، وتمّ في أواخر عام ١٤٠٤ هـ (أيلول ١٩٨٤ م) اتفاق بين ليبيا وفرنسا لانسحاب القوات العسكرية لكلا البلدين من تشاد، وأعلن في ٢١ صفر ١٤٠٥ هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٨٤ م) أن جيوش كلا البلدين قد تمّ جلاؤها تماماً عن أرض تشاد، غير أن المخابرات الأمريكية والتشادية قد زعمت أن هناك ثلاثة آلاف جنديٍ ليبيٍ لا يزالون على الأرض التشادية، وهذا ما يتعارض ويتنافى مع الاتفاقية.

وأعلن الرئيس الفرنسي ميتران في مؤتمر القمة الفرنسية الإفريقية الذي عُقد في ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) أن فرنسا لن تستعمل القوة لطرد الليبيين من شمالي تشاد، ولكنها ستتدخّل فيما إذا تحركت القوات الليبية جنوب خط العرض ١٦° شمالاً.

زادت الحرب المدنية في الجزء الجنوبي من تشاد بين قوات الشمال التابعة لحسين حبري وبين الفئات المشاركة في حرب العصابات، وبلغت الأوج في الشهرين الأوليين من عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول وتشرين الثاني من ١٩٨٤ م)، وقدّر عدد الذين غادروا ديارهم متجهين إلى السودان،

وإفريقية الوسطى، والكاميرون بخمسين ألف لاجىء. وفي محاولةٍ لتخفيف الأزمة قام حسين حبري برحلاتٍ في المنطقة في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م)، وتمكّن بالإغراءات أن يكسب إلى صف حكومته ألف ومائتين من المتمردين الذين كانوا يشنّون الغارات على قواته.

عقد اجتماع قمّةٍ في (بنين) في شهر ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م) شكّلت فيه الأحزاب الموالية إلى (غوكوني عويدي) مجلساً أعلى للثورة يشتمل على أعضاء من سبع تجمعاتٍ مناهضةٍ لحكومة حسين حبري، وفي الوقت نفسه أعلنت عدة تجمّعاتٍ كانت معارضةً للحكومة تأييدها لها، ومن هذه التجمّعات الجبهة الديمقراطية التشادية، ومجموعة من أربعة أحزابٍ معاديةٍ لكل من حسين حبري، وغوكوني عويدي، وكانت قد ظهرت في جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م) تحت قيادة العميد (جبريل ينجوجوجو)، ولجنة العمل والتخطيط التي انشقّت عن المجلس الديمقراطي الثوري المناهض لغوكوني عويدي في ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م)، واستجابةً لهذا أعلن حسين حبري الإفراج عن ١٢٢ سجيناً سياسياً في جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م).

استؤنفت الصدامات بدعمٍ من ليبيا في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م)، وتُساندها حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية، وأخذت الهجمات تتكرر على المواقع الحكومية جنوب خط العرض ١٦° شمالاً، فاستنجد حسين حبري بالحكومة الفرنسية طالباً زيادة المساعدات العسكرية، فانطلقت طائرة فرنسية من جمهورية إفريقية الوسطى وقذفت مهبط طائراتٍ أنشأته ليبيا عند (وادي دوم) شمال شرقي مدينة (لارغو)، وقامت القوات المعادية بضربةٍ ثأريةٍ على مطار (نجامينا) العاصمة التشادية.

وضعت فرنسا قوةً جويةً دفاعيةً في نجامينا للتدخّل في الوقت المناسب، غير أن القوات الحكومية استطاعت وحدها أن تصدّ غارات عند خط العرض ١٦° شمالاً في رجب ١٤٠٦ هـ (آذار ١٩٨٦ م). وأمّنت

الولايات المتحدة للحكومة الليبية عشرة ملايين دولار في تلك المدة.

توقّفت الاعتداءات في ٥ رجب ١٤٠٦ هـ (١٥ آذار ١٩٨٦ م) بعد الدمار الذي أحلّته القوات الحكومية في قاعدةٍ للثوار في (شيشا) شمال خط العرض ١٦° شمالاً.

دعت منظمة الوحدة الإفريقية الأطراف المتنازعة في تشاد لحضور محادثاتٍ تعقد في الكونغو في مدينة (لوبومو)، وخُطّط لها أن تبدأ في رجب ١٤٠٦ هـ (آذار ١٩٨٦ م)، ولكنها فشلت حيث رفض غوكوني عويدي الحضور.

أجرى حسين حبري تعديلاً وزارياً في حكومته، وأدخل عدداً من خصومه السياسيين في الوزارة الجديدة. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن رفض غوكوني عويدي لحضور مؤتمر المصالحة الذي كان مقرّراً أن يتمّ في (لوبومو) قد أثار نائب رئيس حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية عبد القادر كاموغا ضدّ غوكوني عويدي فتقدّم باستقالته من منصبه الاسمي (نائب الرئيس) في شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) بل انحاز إلى حسين حبري، وأسرع لنجدته في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م)، والتحق بالحكومة في أواخر عام ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م).

وفي ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م) سحب الشيخ ابن عمر من المجلس الديمقراطي الثوري مساندته لغوكوني عويدي. ودارت مناوشات مُسلّحة في إقليم (تيبستي) في شهر صفر ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م) بين المجلس الديمقراطي الثوري بدعمٍ ليبيٍ وقواته المسلحة الشعبية، وأعلن غوكوني عويدي أنه راغب شخصياً بالبحث عن طريق للوصول إلى المصالحة مع حسين حبري.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) تشكّلت حكومة وحدةٍ وطنيةٍ انتقاليةٍ جديدةٍ برئاسة غوكوني عويدي شملت سبعة أعضاء من أحد عشر حزباً يدعمون هذه الحكومة إثر اجتماع عقد في

(بنين) في مـدينة (كـوتونـو) بتأييـدٍ من ليبيا، وبجهـود الشيخ ابن عمـر.

وبـدأت مناوشـات في إقليم (تيبستي) بين الجنود الليبيين والقـوات العسكرية الشعبية وبين القوات المـوالية لحسين حبري وذلك في ربيع الثاني ١٤٠٧هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م)، فتحركت القوات المسلحة الشمالية في شمالي تشاد، غير أنها حوصرت هناك. وعملت فرنسا والـولايات المتحـدة على مساندة القوات الحكومية المحاصرة، وإنزال المؤن لها عن طريق الجو. وفي جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (كانـون الثاني ١٩٨٧ م) استـطاعت قوات حسين حبري أن تستولي على عددٍ من الأهداف المهمة في شمالي تشاد، وأغارت الطائرات الليبية على مراكز قوات حكومة تشاد في شمالي البلاد، وقامت فرنسا بدورها بهجومٍ جويٍ على (وادي دوم)، وصرّحت فرنسا أنها قد وضعت عدداً من جنودها جنوب خط العرض ١٦° شمالاً.

تمكّنت قوات الحكومة التشاديـة من السيطرة على (وادي دوم) في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) والقاعدة الجوية فيه، وتراجعت القـوات الليبية، وأخلت (لارغو)، وفي رمضان سلّمت مواقعها على شريط (أوزو) إلى قوات (غوكوني عويدي)، وانسحبت من الميدان، وتوسّع دعم فرنسا حتى شمل شمالي تشاد، بينما احتفظت بقوةٍ لها في الجنوب.

وفي أشهر الصيف قام حسين حبري بزيارة كل من فرنسا والولايات المتحدة وتعهد كلا البلدين بمساعدةٍ ماليةٍ وعسكريةٍ إضافيةٍ، وتسلّمت تشاد من الولايات المتحدة أسلحةً ضدّ الدروع. وطلبت فرنسا من تشاد ألا تجرّ إلى صراعٍ مع ليبيا حول منـطقة (أوزو)، وأن الأمـر يجب أن يحلّ عن طريق التحكيم الدولي.

وفي أواخر عام ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م) احتلّت تشاد مدينة (أوزو) المـركز الإداري لـلإقليم المتنازع عليـه، ولكن استطاعت القـوات الليبية استعادتها بعد عشرين يوماً، وانتقلت القوات التشادية منها إلى مراكز أخرى في إقليم (تيبستي).

وفي مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) قامت القوات التشادية بمحاولةٍ لتطويق مدينة (أوزو) عن طريق هجومٍ داخل ليبيا بضرب القاعدة الجوية في (ماتنس سارّة) والتي يعتقد أنها كانت مراكز انطلاق الطيران الليبي للإغارة على المواقع التشادية. وبالمقابل فقد أغارت طائرة ليبية على العاصمة التشادية نجامينا، ولكن الدفاع الجوي الفرنسي قد أسقط تلك الطائرة، فقذف سلاح الجو الليبي المواقع الفرنسية في مدينة (أبيشة)، فاحتجّت فرنسا على هذا الاعتداء، وأوقفت مدّ تشاد بالأسلحة حتى رجع الرئيس الفرنسي ميتران إلى مساندته للحكومة التشادية برئاسة حسين حبري في ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (كانون الأول ١٩٨٧ م).

أدّت جهود وساطة للتسوية قامت بها منظمة الوحدة الإفريقية أيام تصاعد الصراع إلى وقف إطلاق النار في ١٨ محرم ١٤٠٨ هـ (١١ أيلول ١٩٨٧ م)، ولكن لم تلبث تشاد أن أعلنت في ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) أن قوات الحكومة قد اصطدمت مع أفراد من الجيش الليبي بالقرب من الحدود السودانية، وإن وجود عددٍ من الجنود الليبيين في منطقة دارفور السودانية أدّى إلى تدهور العلاقات خلال عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٧ و١٩٨٨ م)، وأعلنت أيضاً أن السلاح الجوي الليبي كان ينتهك المجال الجوي التشادي، وحدثت عدة اشتباكاتٍ بالقرب من (جوزة البيضاء) في ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) وفي شرق منطقة (عنيدي) في رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م).

رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) مناقشة مسألة السيادة على إقليم (أوزو) بحجة أن هذا النزاع إنما هو من مسؤولية منظمة الوحدة الإفريقية. وتمّ تحديد اجتماعٍ بين رئيسي البلدين في ٨ شوال ١٤٠٨ هـ (٢٤ أيار ١٩٨٨ م) عن طريق منظمة الوحدة الإفريقية بعد أن تأجّل عدة مرات، وعشية ليلة اللقاء أُعلن أن الرئيس الليبي لن يحضر احتجاجاً على المعاملة التشادية للأسرى الليبيين، ورغم هذا وفي خطابٍ أُلقي في طرابلس يوم ٩ شوال ١٤٠٨ هـ

(٢٥ أيار ١٩٨٨ م) أي في اليوم التالي للموعد الذي كان مقرراً، وبمناسبة الاحتفال بذكرى تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية الخامسة والعشرين أعلن الرئيس الليبي رغبته بالاعتراف بنظام الحكم القائم في تشاد.

وقام الرئيس الليبي بدعوة كلٍ من (حسين حبري) و(غوكوني عويدي) لعقد محادثات مصالحةٍ في ليبيا، وعرض تقديم مساعدةٍ ماليةٍ لإعادة إعمار المدن التشادية التي أصابتها القنابل في شمالي تشاد، وكان في ردّ حسين حبري شيء من الحذر ولكنه أعلن أن تشاد مستعدة لإعادة العلاقات السياسية مع ليبيا، والتي كانت قد انقطعت منذ عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

تمّت مفاوضات بين وزراء خارجية البلدين في الغابون في الأول من ذي الحجة سنة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م) وتمّ التوصل إلى اتفاقيةٍ نصّت على إعادة العلاقات السياسية، ولكن لم يتوصّل إلى الاتفاق على مسألة السيادة على إقليم (أوزو)، ومسائل مصير أسرى الحرب الليبيين في تشاد، ومستقبل أمن الحدود العامة.

وفي صفر ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول ١٩٨٨ م) أصدر البلدان بلاغاً مشتركاً عبّرا فيه عن رغبتهما بالوصول إلى حلٍّ سلميٍ للنزاع الإقليمي القائم، وللتعاون مع لجنة منظمة الوحدة الإفريقية المعينة لذلك الهدف.

تأكّدت اتفاقية وقف إطلاق النار التي تمّ الاتفاق عليها في ١٨ محرم ١٤٠٨ هـ (١١ أيلول ١٩٨٧ م)، وتمّ استئناف العلاقات السياسية، وتمّ تبادل السفراء في ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م)، ومع هذا بقيت تشاد تتهم ليبيا بين الآونة والأخرى بانتهاك اتفاقية وقف إطلاق النار، وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) أسقطت القوات التشادية طائرةً ليبيةً، وزعمت أن الطائرة كانت قد دخلت المجال الجوي التشادي. وفي ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) أُذيع عن

وقوع اشتباكاتٍ بين القوات التشادية، وبين القوات الموالية لليبيا قرب الحدود مع السودان.

وفي ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) أُعلن عن فشل محادثات المصالحة بين الحكومة التشادية وبين غوكوني عويدي، وكان حزب حسين حبري (الاتحاد الوطني للاستقلال والثورة) قد طالب في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م) باعترافٍ عالميٍ بحكومة حسين حبري الشرعية. وكانت بالفعل قد ضعفت حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) نتيجة نزاعٍ حدث بين الشيخ ابن عمر وبين غوكوني عويدي على قيادة الحركة، كما أن عدة تجمّعاتٍ كانت في السابق في صف المعارضة قد أعلنت مساندتها للحكم القائم في تشاد وتركها معارضته.

أُعيد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية تحت قيادة غوكوني عويدي. وفي ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) عقد الشيخ ابن عمر معاهدة سلام مع الاتحاد الوطني للاستقلال والثورة، ورجع مع أعوانه إلى تشاد.

عادت العلاقات فتدهورت من جديد بين ليبيا وتشاد في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) عندما اتهمت الحكومة التشادية ليبيا أنها تعمل مع السودان للاعتداء على تشاد، وقد نشرت بعض قواتها في (بيلتين) شرقي تشاد، وادّعت أن قوات ليبية وسودانية قد حُشدت في إقليم (دارفور) في السودان لشنّ هجومٍ على تشاد. وتوقّفت جلسة لجنة «آدهوك» من منظمة الوحدة الإفريقية المكلّفة بالعمل على حسم النزاع بين ليبيا وتشاد لأن ممثّلي البلدين لم يتفقوا على جدول أعمال اللجنة.

وتقابل الرئيسان الليبي (معمر القذافي) والتشادي (حسين حبري) لأول مرةٍ في العاصمة المالية (باماكو) في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م)، وعلى الرغم من أن اللقاء كان وديّاً إلّا أن الاتفاق بينهما لم يكن حاسماً وذلك لأن الرئيس التشادي رفض اقتراح الرئيس الجزائري

(الشاذلي بن جديد) والذي يقضي بانسحاب القوة العسكرية الفرنسية المرابطة في تشاد. ورغم هذا فقد التقى في الجزائر ٢٩ محرم ١٤١٠ هـ (٣١ آب ١٩٨٩ م) وزير الخارجية التشادي الشيخ ابن عمر الذي كان قد تسلّم هذا المنصب في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) مع نظيره مع وزير الخارجية الليبي جاد الله عزوز الطالي حيث قاما بتوقيع خطوطٍ أساسيةٍ لاتفاقية سلامٍ، ورأيا أن النزاع إذا لم يحلّ خلال عامٍ فإنه من الضروري إحالته لمحكمة العدل الدولية للتحكيم، وانطلاقاً من حسن النوايا لحلّ النزاع فإنه يجب سحب القوات جميعها من منطقة (أوزو) تحت إشراف مراقبين إفريقيين حياديين، وإطلاق سراح أسرى الحرب جميعاً، وأعاد البلدان التأكيد على التزامهما بمبادىء اتفاقية وقف إطلاق النار الموقّعة في ١٨ محرم ١٤٠٨ هـ (١١ أيلول ١٩٨٧ م)، وتمّ إعلان سياسة عدم التدخّل المتبادل في الشؤون الداخلية لكلٍ منهما، وتشكيل لجنة لترعى تنفيذ هذه الاتفاقية.

أطلقت الحكومة التشادية سراح عددٍ غير مُحدّدٍ من الأسرى الليبيين، ولكن رغم توقيع اتفاقية ٢٩ محرم ١٤١٠ هـ (٣١ آب ١٩٨٩ م) فقد تمّ الإبلاغ عن اشتباكاتٍ عسكريةٍ بين القوات المسلحة التشادية الشمالية وبين القوات المؤيّدة لليبيا في شهري ربيعين من العام نفسه (تشرين الأول والثاني من عام ١٩٨٩ م) ومع ذلك عُقدت جلسة اللجنة المشتركة في (نجامينا) في أول جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٩ م) وتوصلت إلى توقيع اتفاقية صداقة.

كان الشيخ ابن عمر قد رجع وأعوانه إلى تشاد، وتسلّم منصب وزارة الخارجية في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م)، وهذا ما أبدى وحدةً وطنيةً سياسيةً داخل تشاد، غير أنه لم يلبث أن أُعلن في ٢٥ شعبان ١٤٠٩ هـ (الأول من نيسان ١٩٨٩ م) أنه قد تمّ القبض على وزير الداخلية والإدارة المحلية (محمد إنتو) وذلك عقب محاولة عمل انقلابٍ، وهو من أبرز الذين

عادوا مع الشيخ ابن عمر إلى تشاد، وفي الوقت نفسه هرب إلى السودان قائد القوات المسلحة (حسن جاموس)، والقائد السابق (إدريس ديبي) وكلاهما كان مشاركاً في تلك المحاولة، ولكن أعلن بعد ذلك عن مقتل حسن جاموس متأثّراً بجراحه التي أُصيب بها أثناء الصراع مع القوات التشادية الحكومية المؤيّدة للرئيس حسين حبري.

شكّل إدريس ديبي حركة معارضةٍ جديدةٍ في السودان في ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) تحت إمرته، وعُرفت باسم «عملية الأول من نيسان»، وقد شاركت قوات هذه الحركة في المعارك التي دارت في شمالي تشاد في شهري ربيع الأول والثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الأول والثاني ١٩٨٩ م). وكان بعض الأعضاء المنفيين قد أعلنوا انسحابهم من حزب «الاتحاد الوطني للاستقلال والثورة» على حين أعرب بعض تجمعات المعارضة عن ولائها لذاك الحزب الحاكم في تشاد، وأيّدت الحكم القائم.

أُعيد تشكيل مجلس الوزراء من جديد في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) بعد موت وزير التخطيط والتعاون (صومائيلا ماهمات) في الشهر السابق، وكان قد قُتل في حادث انفجار طائرةٍ فرنسيةٍ فوق دولة النيجر مع ١٧١ راكباً كانوا على متنها بعد مغادرتها العاصمة التشادية (نجامينا) بمدةٍ وجيزةٍ.

وتشكّلت لجنة لوضع دستورٍ جديدٍ للبلاد في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م)، وجرى استفتاء عام شعبي في ١٢ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٠ كانون الأول ١٩٨٩ م) على تجديد انتخاب الرئيس حسين حبري لمدة سبع سنواتٍ أخرى، وقد حصل على التأييد المطلوب، كما مُنح سلطاتٍ واسعةً. وبالتالي أعلن العفو العام عن ١٢٢ رجلاً متهماً بمخالفة القانون العام.

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) تمّ الإعلان عن سحب جهاز الرادار الفرنسي في (موسّورو) في شمال شرقي العاصمة

نجامينا، وعلى بعـد ٢٥٠ كيلومتراً منهـا. وأن يتمّ تخفيض عدد الجنـود الفرنسيين على دفعاتٍ تشمل كل دفعةٍ من ٢٠٠ ـ ١٥٠٠ جندي. وفي صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) تمّ الإعلان عن تخفيضٍ آخر، ومع ذلك فقد كرّرت الحكومة الفرنسية مساندتها لجهود تشاد في العمل على محافظتها على وحدة أرضها.

وفي ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (٣٠ حزيران ١٩٨٩ م) رحّبت حكومة الرئيس حسين حبري بالإطاحـة بحكومـة الصادق المهـدي في السودان، واعترفت بحكم عمر البشير الجديد.

كان رئيس أركان الجيش التشادي (إدريس ديبي) وفي الوقت نفسه كان مستشار الرئيس حسين حبري للشؤون العسكرية والأمنية. ولما كـان الخلاف مستحكماً بين ليبيا والنظام في تشاد، فقد عمل على كسب الأسرى الليبيين في تشاد إلى صفّ المعارضة الليبية، فجمعهم، وخاطبهم، ومنّاهم في ٥ شعبان ١٤٠٨ هـ (٢٣ آذار ١٩٨٨ م) بأنهم سيعاملون معاملة طيبةً جداً، وعلى أنهم ليسوا أسرى فيما إذا انضمّوا إلى صفوف المعارضة الليبية وبالتحديد الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا التي يرأسها (محمد المقريف).

وانشقّ (إدريس ديبي) عن حسين حبري في رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) بعد أن اتّهم بتدبير محاولة انقلابٍ، وفـرّ إلى السودان، ومنهـا انتقل إلى العاصمة الليبية، والتقى بالرئيس الليبي الذي لم ينسَ الماضي، ولكن أسرّه في نفسه، وعمل على دعمه ما دام يلتقي معه على محـاربة النظام القائم في تشاد.

وأخذ الخلاف يظهر بين الرئيس التشادي حسين حبري وفرنسا، بعد أن طلب الرئيس التشادي في ذي القعدة ١٤١٠ هـ (حزيران ١٩٩٠ م) إبعاد قائد القوات الفرنسية المرابطة في تشاد نتيجة اختلافه معه، كما رأت فرنسا

أن تشاد أصبحت تتقرّب من الولايات المتحدة الأمريكية لتُعادل بين القوتين، وتخلّت فرنسا عن الرئيس حسين حبري.

اشتدّ الصراع بين الحكومة التشادية وبين الحركة الوطنية للإنقاذ برئاسة (إدريس ديبي)، ووقع القتال في المناطق الشرقية، ولما احتدم توجه الرئيس حسين حبري في ٥ جمادى الأولى ١٤١١ هـ (٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٠ م) ليكون بنفسه على رأسه الجيش للقضاء على المتمرّدين، ولما وصل إلى الساحة أعطى تعليماته باللاسلكي بضرورة تحرك فرقةٍ من الجيش إلى قرب الحدود السودانية كي لا تفسح المجال للمتمرّدين بالفرار، غير أن (إدريس ديبي) التقط الإشارة، وتمكّن من حلّ رموزها، واتخذ إجراءاتٍ مضادةً إلى ضرب الفرقة الحكومية المتجهة شرقاً، ثم عاد إلى الجيش الذي يقوده حسين حبري بنفسه، والذي كاد أن يقع بالأسر، ولكنه أُفلت وهرب بطائرةٍ إلى نجامينا، ثم غادرها هارباً إلى الكاميرون، ومنها انتقل إلى السنغال.

ودخل إدريس ديبي على رأس قواته العاصمة التشادية نجامينا في ١٤ جمادى الأولى ١٤١١ هـ (الأول من كانون الأول ١٩٩٠ م)، وسيطر على الوضع. وطالب السنغال بتسليم حسين حبري.

أيّد غوكوني عويدي نظام الحكم الجديد برئاسة إدريس ديبي الذي شكّل حكومةً جديدةً ضمّت خمسة وزراء سابقين في وزارة حسين حبري التي كانت بالسلطة يوم دخول إدريس ديبي العاصمة نجامينا.

وأُطلق سراح الأسرى الليبيين بعد سقوط نظام حسين حبري، فغادر نجامينا أربعمائة وخمسون أسيراً.

ونُقل عدد من الأسرى الليبيين إلى بلدان إفريقية أخرى أو إلى أماكن مجهولةٍ بناءٍ على رغبتهم ـ على حدّ ادّعاء النظام ـ، وكانت الولايات المتحدة وراء هذا الإجراء، واحتجّت ليبيا رسمياً.

ولم تطل الأيام بالنظام الجديد حتى ظهرت المعارضة، وبدأت

العقبات تظهر من جديدٍ، وكانت الادّعاءات أن قبيلة زغاوة في الشمال التي ينتمي إليها الرئيس إدريس ديبي قد غدت صاحبة النفوذ والمتسلّطة.

ووجد ما يقرب من تسعة عشر حزباً معارضاً. وكان من أكبرها اتحاد القوى الديمقراطية بزعامة (جالي جاتا نجوثي)، والحزب الجمهوري، وقوى العمل من أجل الجمهورية والديمقراطية والعدالة برئاسة (نجارليجي يورو نجار)، وحركة الديمقراطية والتنمية التي تتبع حسين حبري.

جرت محاولة انقلاب قام بها وزير الداخلية السابق (مالدوم باداعباس) في ربيع الثاني ١٤١٢ هـ (تشرين الأول ١٩٩١ م).

وجرت محاولة انقلابٍ أخرى قام بها وزير الأشغال العامة السابق (عباس كوتي يعقوب) في ذي الحجة ١٤١٢ هـ (حزيران ١٩٩٢ م)، وهو من أعضاء الحزب الحاكم (الحركة الوطنية للإنقاذ) البارزين، غير أنه اعترض على قبول فكرة التعددية الحزبية، وعلى اشتراك غير حزبيين في الوزارة، فانفصل عن إدريس ديبي، وأخذ يعارض نظامه، ويعمل على تقويضه.

كما أن سكان الجنوب لم يكونوا راضين على الحكم، ويدعون أن الجيش متسلّط عليهم، وأكثر القبائل هناك معارضة قبيلة (هجيري).

كما أن بعض القبائل الشمالية كانت ضمن المعارضة، وأبرزها قبيلة (جورانز) التي ينتمي إليها حسين حبري، والتي تعيش حول مدينة فايا (لارغو) مسقط رأس حسين حبري.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة تشاد ١,٢٨٤,٠٠٠ كيلومتر مربع، وهي دولة قارية، ويبلغ طول حدودها ٥,٩٦٨ كيلومتراً، منها ١,٠٥٥ كيلومتراً مع ليبيا، و ١,٣٦٠ كيلومتراً مع السودان، و١,١٩٧ كيلومتراً مع إفريقية الوسطى، و ١,٠٩٤ كيلومتراً مع الكاميرون، جزء منها وسط بحيرة تشاد، و٨٧ كيلومتراً مع نيجيريا وهي حدود مائية وسط بحيرة تشاد، و١,١٧٥ كيلومتراً مع النيجر، وجزء منها مائي داخل بحيرة تشاد، ولا تزيد على ٨٥ كيلومتراً.

وبحيرة تشاد التي تبلغ مساحتها ١٥,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً في حالة الفيضان، وتنقص عن ذلك في الأحوال العادية، ونجد أنه في صيف عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) لم تكن مساحة البحيرة لتزيد على عشرة آلاف كيلومتر مربع، بينما اتسعت فوصلت مساحتها عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) إلى ١٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، وأكثر الضفاف تعرّجاً هي الضفة الشمالية الشرقية أي سواحل منطقة (كانم). وكثيراً ما تختفي البحيرة عن الأنظار بسبب النبات الذي ينتشر على أطرافها، وخاصةً الذي يصل ارتفاعه إلى سبعة أمتارٍ، وتُغطّي هذه النباتات ٤/١٠ من مساحة البحيرة، والتي هي عرضة للانطمار والتقطّع بسبب كثرة اللحقيات التي تحملها إليها الأنهار أثناء فيضانها، وبسبب مهاجمة الرمال التي تحملها الرياح الشمالية الشرقية، والتي كانت فيما مضى سبباً في تقطع البحيرة، كما أن هناك عاملاً مهماً آخر، وهو ذهاب مياه نهر (لوغون) نحو نيجيريا عن طريق نهر (بينوي)،

وأكثر مناطق البحيرة عمقاً لا يزيد على أربعة أمتار ونصف، والغالب هو المتران.

ويبلغ عدد سكان تشاد حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) ٤,٩٥٠,٠٠٠، ويبلغ معدل زيادة السكان السنوية ٢,٣٪، وتكون الكثافة للسكان حوالي أربعة أشخاصٍ في الكيلو المتر المربع الواحد، وإن كانت تختلف بين منطقةٍ وثانيةٍ.

الصراع العنصري:

كانت منطقة تشاد ملتقى للأجناس من العرب، والبربر، والزنوج. فمن الشمال جاء العرب والبربر يحملون رسالة الإسلام، واللغة العربية، ومن الجنوب جاء الزنوج ينتشرون نحو الشمال، وهكذا فالشعب التشادي مزيج من الساميين والحاميين، وخليط من البيض والسود. كما التقى على هذه البقعة المسلمون بالوثنيين، ثم جاء المستعمرون النصارى، وساهمت التجارة في زيادة الاحتكاك حيث كانت تشاد مركزاً لالتقاء القوافل، والطرق التجارية من الشمال والجنوب، ومن الشرق والغرب.

تزداد نسبة العرب والبربر في الشمال، وتقلّ في الجنوب حيث يكثر الزنوج جنوب خط العرض ١٢° شمالاً، ولا تزال الحياة القبلية تلعب دورها، وأشهر القبائل التي قد يصل عددها إلى مائتي قبيلة هي:

١ ــ بيلي: وتعيش في الشمال الشرقي في إقليم «عنيدي».

٢ ــ تيدا: ومنازلها في الشمال في بلاد «تيبستي».

٣ ــ التيبو: وديارهم في الشمال، وهم رعاة إبل، ويصلون في ترحالهم إلى ليبيا.

٤ ــ البودوما: وتعيش في الجهات الشمالية والشرقية من البحيرة.

٥ ــ شوا: وتعيش وسط تشاد، وجنوب شرقي البحيرة، ويعمل أفرادها في رعي الأغنام والأبقار.

٦ ـ كوتوكو: وهم مزيج من الزنوج والعرب، وإن كانت تغلب عليهم الصفة الزنجية، وهي الظاهرة في ملامحهم، ويعملون في صيد السمك وتجارته، ويصنعون السفن لذلك، وتعمل نساؤهم في تجفيف السمك على ضفاف الأنهار، وإضافةً إلى ذلك يعملون في الزراعة، ويعيشون في الجنوب على ضفاف نهري «شاري» و«لوغون» وروافدهما.

٧ ـ الكانوري: وهم من الزنوج، اختلطوا بالعرب، ويعملون بالزراعة في منطقة «باغيرمي»، كما يعملون بالتجارة التي هي بأيديهم، وأيدي الهاوسا، ويعيشون في الجنوب إلى الجنوب الشرقي من منازل قبائل «الكوتوكو».

٨ ـ الهاوسا: وينتشرون في وسط البلاد، وتعدّ التجارة مهنتهم الرئيسية، ولغتهم هي السائدة في التجارة.

٩ ـ الفولاني أو البهل: ويعيشون في الوسط، ويدعون أنهم من أصلٍ عربي، ويعملون في الرعي.

١٠ ـ السارا: ويعيشون في الجنوب، وينتشرون في جمهورية إفريقية الوسطى، وهم خليط من الساميين والحاميين، ويتصفون بطول القامة، ويعملون في الزراعة.

١١ ـ الزنوج: لم يختلط بعضهم مع غيرهم، فاحتفظوا بصفتهم الزنجية نتيجة العزلة التي فرضوها على أنفسهم، في جبال «ملفي» و«أبو ضيا» في الجنوب.

ثم هناك القبائل القديمة مثل «البولالا» و«الأرنجا» و«الموسجو» و«القرعان» وغيرهم كثير.

ولم يكن هناك صراع قبيلي خاص، وإنما كان ضمن الصراع الواسع العقيدي، والإقليمي، والحزبي، حيث كانت بعض القبائل تُؤيّد فرداً أو تجمعاً أو حزباً لانتمائه إليها، أو لعقيدتها، أو تعصّباً إلى أحد الجوانب

العقيدية، أو القبيلية أو الإقليمية مثل قبيلة «سارا» التي كان منها الرئيس التشادي الأسبق (فرانسوا تمبالباي)، وخلفه (فيلكس مالوم)، وكذا (عبد القادر كاموغا) فقد كانت دائماً بجانب هؤلاء الزعماء على أنهم ينتمون إليها، ويدينون بالنصرانية ديانة أكثر أبنائها، وهم من أبناء الجنوب.

الصراع الإقليمي:

كان الصراع الإقليمي واضحاً، وإن كان مرتبطاً بالعقيدة والحزبية أيضاً، فالجنوب تكثر فيه الوثنية، والنصرانية، والزنوج، على حين يكثر العرب، والبربر في الشمال، كما ينتشر الإسلام، ومن هناك كان الصراع بين الشمال والجنوب، وكان للشمال أحزابه وتجمعاته، وللجنوب أحزابه وفئاته، ومن هنا كان الصراع عقيدياً، إقليمياً، حزبياً، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فقد كان لحسين حبري وحزبه قوة في المناطق الشرقية، ولغوكوني عويدي وحزبه قوة في المنطقة الغربية الوسطى، ولكلاهما تأييد في الشمال، ولعبد القادر كاموغا قوة في الجنوب.

الصراع العقيدي:

يُشكّل المسلمون ٨٥٪ من مجموع سكان تشاد، وإن قبائل بيلي، وتيدا، والتيبو، والبودوما، والكوتوكو، وشوا هي قبائل مسلمة، وإن أغلبية قبائل الهاوسا، والفولاني هي مسلمة، وإن قسماً من قبائل الكانوري، والسارا قد اعتنق الإسلام. وهناك قبائل صغيرة مسلمة كلها أو بعضها.

ويُشكّل الوثنيون ١٠٪، وهم من الزنوج ونسبة ضئيلة من الفولاني.

أما النصارى فلا يزيدون على ٥٪، وهم الذين تنصّروا تحت تأثير المستعمرين الصليبيين والإرساليات التنصيرية بالإغراء بالمنصب، والمال، والجنس، والدعم في النفوذ.

٤٢٠٨,٠٠٠	المسلمون	ويشكلون	٨٥٪
٤٩٥,٠٠٠	الوثنيون	ويشكلون	١٠٪
٢٤٧,٠٠٠	النصارى	ويشكلون	٥٪
٤٩٥٠,٠٠٠			١٠٠٪

ولم يكن هناك صراع عقيدي واسع قبل مجيء المستعمرين الصليبيين لأن الغالبية العظمى من المسلمين، وإن كان يوجد صراع على نطاقٍ ضيق ومحليٍ بين القبائل التي أسلم قسم منها وبقي القسم الآخر على وثنيته. فلما جاء المستعمرون الصليبيون، ووجدت النصرانية، وأصبح لها دور بحكم أن أصحاب السلطة والنفوذ من أتباعها أخذ الصراع يظهر بين المسلمين والنصارى، وخاصةً داخل القبائل التي تنصّر بعض أفرادها، ثم توسّع حتى غدا بين الشمال والجنوب فكان إقليمياً وقبلياً.

ولما ارتحل المستعمرون الصليبيون وسلّموا السلطة لأتباع عقيدتهم أحسّ المسلمون بالخطر، وأخذوا في تنظيم أنفسهم، ولما اتخذ الحكام الجدد الضغط على المسلمين، وبدأت الروح الصليبية تظهر، بدأ الاحتكاك، وتجلّى الصراع العقيدي بأجلى صوره. ويظهر هذا الصراع بين أتباع عقيدتين في قبيلةٍ واحدةٍ، فقبيلة السارا التي كانت هي الحاكمة، وينتمي إليها رئيس الجمهورية (فرانسوا تومبالباي)، ومن جاء بعده مباشرةً من النصارى، كان بعض أبنائها يعتنقون الإسلام، ويتبع بعضهم الآخر النصرانية، وظهر التمييز واضحاً بين المسلمين والنصارى منها فمثلاً كان حاكم منطقة (زوار) وهو (اللافي) من مسلمي قبيلة السارا لم يُرقّ إلى رتبةٍ أعلى من رتبة ملازم أول، بينما كان حاكم منطقة (برداي) من نصارى القبيلة نفسها قد وصل إلى رتبة رائد، وما ذلك إلّا لكونه من النصارى.

ولم يكن يسمح للمسلمين بحمل السلاح أبداً على حين كان يسمح لغيرهم، وكل من يسمح له من المسلمين بحمل السلاح هو ملك

(تيبستي). كما أن بعض السجون كانت خاصةً بالمسلمين، فسجن (برداي) وهو في الشمال لم يعرف سجيناً من غير المسلمين.

ولما قوي المسلمون، وتسلّموا السلطة، غدا الصراع حزبياً، ووقع الخلاف فيما بينهم على حين بقي النصارى خارج حلبة الصراع، يدعمون القوي ليستفيدوا، ويُثيرون جماعةً من المسلمين على أخرى، وكذا تعمل فرنسا، ودول أوربا النصرانية، وبعض دول المنطقة.

الصـراع الحزبـي:

سمحت فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية بتشكيل الأحزاب السياسية على أن تكون فروعاً للأحزاب الفرنسية، وكانت فرنسا تهدف إلى معرفة النشاط وتمسك بخيوطها، وتتعرّف على الزعماء الذين يقبلون التوجيه، ولا يُمانعون في السير على النهج الأوربي، وبالتالي يقبلون السياسة الفرنسية، وتعليماتها سواء أكانت تحكم تشاد وتستعمرها أم بعد جلائها واستقلال البلاد.

وقد وجد الحزب الراديكالي، والاشتراكي، والوطني التشادي، وحزب أوديت، وظهر من الانتخابات ونتيجة الدعم الفرنسي تقدّم الحزب الراديكالي وحزب أوديت على غيرهما، فائتلفا وشكّلا حزباً واحداً هو الحزب التشادي التقدّمي، وتسلّم الحكم، وحصلت البلاد على الاستقلال، وتسلم زعيمه (فرانسوا تمبالباي) رئاسة الجمهورية، فألغى الأحزاب جميعها عدا حزبه التشادي التقدمي.

ورأى المسلمون التعصب العقيدي المتمثّل في الإقليم والحزب، فتجمع بعضهم فيما عُرف بالتجمع الديمقراطي الإفريقي الذي لم تكن له الصفة الرسمية حيث أن الأحزاب كلها محظورة، غير أن رجال الحكم قد تمكنوا بالمناورة من ضمّ أكثر رجالات هذا التجمّع إليهم، وبقي الحزب الحاكم متفرّداً بالسلطة، متفرّداً بالتنظيم السياسي.

بزغت قرون العصبية الصليبية، فرجع المسلمون ينظمون أنفسهم كي يمكنهم الوقوف بوجه التيار النصراني الواضح والذي لا يخفي نفسه،

وعُرف تنظيمهم باسم الوطني الإفريقي، ولكنه أيضاً لا يحمل الصفة الرسمية، وبمناورةٍ من الحاكم أيضاً فقد جرّت السلطة هذا التنظيم إلى اتفاقيةٍ للعمل معاً فزاب التنظيم، واستمرّت الصليبية تتابع مخططها.

وعندما أخذ اليهود يخططون لتسلّل إلى تشاد، وجاء السفير اليهودي إلى البلاد، وتصريح الرئيس التشادي له بما يثير حفيظة المسلمين شعر بالخطر من لم يشعر من قبل من المسلمين، فنشأ حزب الاستقلال الوطني الإفريقي، وحزب الاتحاد الوطني التشادي، وإن لم يحمل هذان التنظيمان الصفة الرسمية إلا أنهما كانا يُمثّلان المعارضة، وقد قاد حزب الاتحاد الوطني التشادي الثورة التي توسّعت عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، وكان إبراهيم أنيشا وأبو بكر عثمان من جملة المسؤولين عن تلك الحركة.

فشلت الثورة، وتمكّنت الحكومة من القضاء عليها، فتشكّلت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد في السودان عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) برئاسة أبي صدّيق أحد السياسيين القدماء، واندلعت الثورة من جديد عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، واستولت على الشمال حتى اضطر الرئيس التشادي (فرانسوا تمبالباي) إلى الاستنجاد بفرنسا.

حلّ رئيس الجمهورية حزبه، الحزب الحاكم، الحزب التشادي التقدّمي، وحلّ مكانه «الحركة الوطنية للثورة الثقافية والاجتماعية» عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) غير أنها أُلغيت بعد حركة الانقلاب الذي تمّ عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، وجرت المصالحة مع المعارضة.

انقسمت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد (فرولينا) إلى أجنحةٍ وأحزاب، وبرزت منها:

١ ــ قوات الشمال برئاسة حسين حبري.

٢ ــ الجبهة الشعبية لتحرير تشاد برئاسة أبي بكر عبد الرحمن.

٣ ــ واحتفظ غوكوني عويدي برئاسة القسم الذي احتفظ بالاسم الأصلي «الجبهة الوطنية لتحرير تشاد» (فرولينا).

وجرى مؤتمر في الخرطوم وأمكن لرئيس قوات الشمال أن يتفاهم مع الحكومة، وشارك في السلطة، وتسلم رئاسة الوزارة. كما أن أبا بكر عبد الرحمن قد تفاهم مع الحكومة بوساطة ليبيا في ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ (آذار ١٩٧٨ م)، وهكذا بقي غوكوني عويدي يُمثّل المعارضة.

عاد الخلاف فوقع بين رئيس الجمهورية (فيلكس مالوم) وبين رئيس الوزراء (حسين حبري)، واشتدّ الصراع بينهما، وحدث الصدام، وفرّ فيلكس مالوم، وسيطر على العاصمة حسين حبري، ثم لم يلبث غوكوني عويدي أن دخلها أيضاً.

جرى مؤتمر للمصالحة في (كانو) في نيجيريا، وتسلّم إثره محمد الشوا رئاسة الجمهورية، وهو من الجبهة الشعبية، وتسلّم غوكوني عويدي وزارة الداخلية، وحسين حبري وزارة الدفاع، وأُبعد الجنوبيون أحزاباً وجماعات عن السلطة، فاشتدّت معارضتهم.

عُقد مؤتمر في (لاغوس) عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ومُثّل فيه أحد عشر حزباً، وانفضّ عن استلام غوكوني عويدي رئاسة الجمهورية.

وقع الخلاف بين غوكوني عويدي وحسين حبري، بسبب احتلال ليبيا لإقليم (أوزو) ودعمت ليبيا غوكوني عويدي فانتصر، واضطر حسين حبري أن يتقهقر، وانسحب بقواته إلى المناطق الشرقية. ولما انسحبت القوات الليبية التي دعمت غوكوني عويدي تقدم حسين حبري ودخل نجامينا في ١٥ شعبان ١٤٠٢ هـ (٧ حزيران ١٩٨٢ م)، وتسلم رئاسة الجمهورية، وانسحب غوكوني عويدي من الساحة نحو الشمال، واتخذ صفة المقاومة، وتمثيل الحكومة الوطنية الانتقالية التي انبثقت عن مؤتمر لاغوس.

تقرّب الجنوبيون من حسين حبري، ما دام قد أصبح سيد الموقف.

وكان للأحزاب كلها قوات مسلحة، لكن الرئيسية منها هي القوية، والتي يمكنها التغيير والمقاومة، فقد كانت قوات حزب جبهة التحرير الوطني

لتشاد الذي يرأسه حسين حبري تُعرف باسم «قوات الشمال». وكانت القوات التابعة لغوكوني عويدي، أو لحزبه الجبهة الوطنية لتحرير تشاد «فرولينا» تعرف باسم القوات الشعبية. وكانت قوات الجنوب التي يرأسها عبد القادر كاموغا تعرف باسم «القوات التشادية المسلحة».

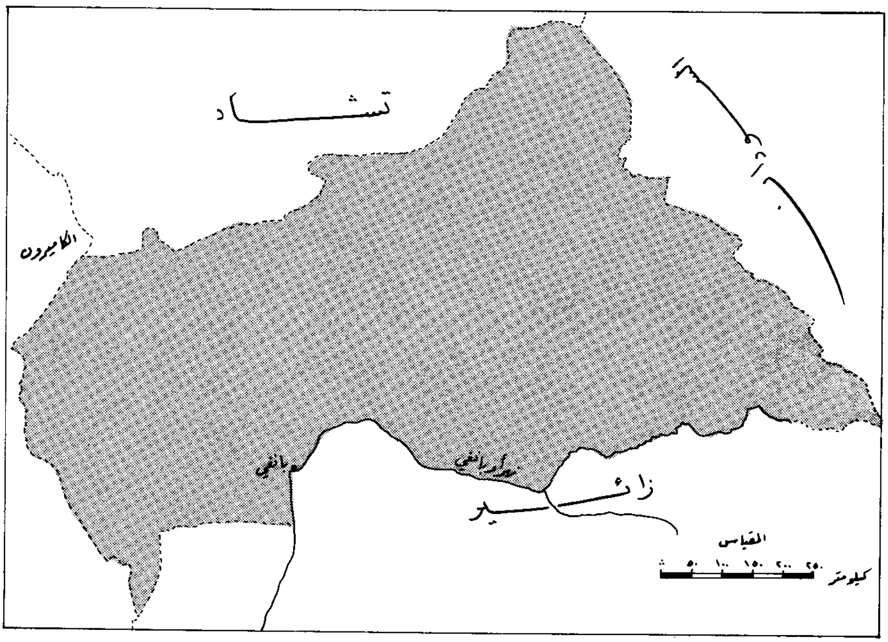
وكانت هناك الجبهة الديمقراطية التشادية، والمجلس الديمقراطي الثوري برئاسة الشيخ ابن عمر.

وفي رمضان ١٤٠٤ هـ (حزيران ١٩٨٤ م) حلّ حسين حبري حزبه، وأنشأ حزباً رسمياً جديداً أعطاه اسم «الاتحاد الوطني للاستقلال والثورة».

كانت مصر وفرنسا تدعمان حسين حبري، وكذا الولايات المتحدة الأمريكية، على حين تدعم ليبيا غوكوني عويدي، ويتلقّى عبد القادر كاموغا مساعدات من نصارى الدول الإفريقية المجاورة، والحكومات النصرانية أيضاً.

الباب الثّاني

جمهوريّة إفريقية الوسطى


تشاد
الكاميرون
أوبانغي
زائير
المقياس
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كيلومتر

مصور رقم [١٠]

لمحة عن جمهورية إفريقية الوسطى قبل إلغاء الخلافة

سكن شعب البانتو منطقة جمهورية إفريقية الوسطى، وعاش على شكل قبائل بطرقٍ بدائيةٍ، وكانت لها عقائدها الوثنية المختلفة.

تأخّر وصول الإسلام إلى هذه المنطقة نتيجة الموقع البعيد عن المؤثّرات الإسلامية، ولضعف المسلمين بعد مراحلهم الأولى، وضعف الدول الإسلامية الذي أدّى إلى توقّف الجهاد، وتوقّف الدعوة.

بدأ الإسلام يصل إلى سكان جمهورية إفريقية الوسطى في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) عندما بدأ الدعاة يفدون إلى المنطقة، ومن أشهرهم محمد عبد الكريم المغيلي الذي جاء من شمالي إفريقية، ولم يكن هناك من يقف في وجه الدعوة، وإن كان تقوقع الزنوج، وانعزالهم، وهربهم من الآخرين، والخوف منهم أو سوء الظنّ بهم، وطبيعة الأرض، والغابات، وسوء المواصلات كل هذا كان عقبات في وجه انتشار الإسلام.

وخضعت الأجزاء الشمالية، والشمالية الشرقية للممالك الإسلامية التي قامت في تشاد، وفي غربي السودان، ولكن تلك الممالك كانت صغيرةً، وذات إمكاناتٍ قليلةٍ، ولا تحمل الدعوة، وفكرة الجهاد على عاتقها بالشكل المطلوب لذا كان أثرها ضعيفاً مع ذلك فقد زاد انتشار الإسلام.

وأرسل السنوسيون بعض دعاتهم إلى تلك الجهات، كما بعثت الحركة المهدية بعض أتباعها، وأوفد الزبير بعض رسله، وذلك كلّه في نهاية

القرن الثالث عشر الهجري، وبداية الرابع عشر (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي).

ومع تسلّل الاستعمار الصليبي إلى وسط القارة الإفريقية، وتغلغل الإرساليات التنصيرية مع الاستعمار وقعت منطقة إفريقية الوسطى فريسةً بين مخالب وأنياب القادمين فوقفوا في وجه انتشار الإسلام، وحالوا دون قدوم مسلمين من الخارج، وعملوا على القضاء على من أسلم، فمنعوا عنهم ما استطاعوا منعه من وسائل الحياة.

وفي الوقت الذي كان فيه الإنكليز يتقدّمون في السودان للقضاء على الحركة المهدية، كان الفرنسيون يتقدّمون في أراضي جمهورية إفريقية الوسطى، ووصلت طلائعهم إلى العاصمة (بانغي) عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، ولم يلبثوا أن حوّلوا المنطقة التي كانت تعرف آنذاك (أو بانغي ـ شاري) إلى إقليمٍ خاصٍ تحت سلطانهم.

ضُمّ هذا الإقليم (أو بانغي ـ شاري) إلى تشاد عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ليُشكّل معها وحدةً إداريةً تحت الاستعمار الفرنسي وبعد أربع سنوات تشكلت إفريقية الاستوائية الفرنسية من (تشاد، أو بانغي ـ شاري، الكونغو، الغابون)، واستمر الوضع حتى الحرب العالمية الثانية.

الفصل الأول

من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، وخلا الجو للمستعمرين الصليبيين فلم يعد من يمثّل المسلمين، ولا من يعترض على التسلّط على أراضيهم، ولا من ينتقد السطو على أملاكهم، ولا من يدافع عن إبادتهم، ولم تعد هناك قوة يحسب لها حساب، وإن كان هذا رمزاً قبل ذلك، ولكن رمز له معناه.

وشُغل المسلمون بقضاياهم، حيث عمل المستعمرون الصليبيون على إضعافهم، والضغط عليهم، وإذلالهم، بل وسحقهم، فأصبحوا أشتاتاً، وتفرّقت كلمتهم، وطاب المغنم للدخلاء، وأخذوا يصطفون من السكان أصحاب الإمكانات ممن يقبلون التبعية والعيش على نهج الحياة الأوربية، والبعد عن العقيدة، ويسلّمونهم السلطة.

وفي الحرب العالمية الثانية كان سكان (أوبانغي ـ شاري) من وقود تلك الحرب إذ ساقتهم فرنسا إلى الجبهات كباقي سكان المستعمرات الأخرى، ولم يكن هناك من يستطع أن يرفع رأسه، فالمسلمون قد سحقهم المستعمرون الصليبيون، والنصارى أوجدهم الدخلاء فهم تبع لهم، والوثنيون بدائيون.

واختارت فرنسا أعوانها خلال المرحلة التي قضتها في هذه المنطقة، فظهر (برثلومي بوغندا) كزعيمٍ سياسيٍ في البلاد بعد الحرب العالمية

الثانية، أو هكذا أظهرته فرنسا، وأخذ يُعلن أنه يرغب بالاستقلال، وتولّى رئاسة أول سلطةٍ تنفيذيةٍ في البلاد عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).

وصوّت السكان عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) لصالح مشروع ديغول، وبذا حصلت البلاد على الاستقلال الذاتي في جمادى الآخرة ١٣٧٨ هـ (كانون الأول ١٩٥٨ م)، وعُيّن (برثلومي بوغندا) زعيم حركة (التطور الاجتماعي لإفريقية) والمعروفة باسم (ميسان) كأول رئيس للوزراء، وبدا صاحب الدور الرئيس في النضال من أجل الاستقلال، وأبرزته فرنسا بشكلٍ جيدٍ، ولمع اسمه، غير أنه قُتل في حادث طائرةٍ في رمضان ١٣٧٨ هـ (آذار ١٩٥٩ م).

خلف (برثلومي بوغندا) في رئاسة الوزراء ابن أخيه (دافيد داكو)، ولعب الدور نفسه الذي لعبه عمه من قبل، ودعمته فرنسا، وجعلت حوله بطانةً تعمل لصالحها، ثم منحت البلاد الاستقلال في ١٩ محرم ١٣٨٠ هـ (١٣ تموز ١٩٦٠ م).

الفصل الثاني

الاستقلال

أسّس الرئيس دافيد داكو حزباً للدولة عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، وكان هو الحزب الوحيد، فلا منافسة، ولا معارضة، ولكن هذا الحزب كان ضمن حركة التطور الاجتماعي لإفريقية.

الانقلاب الأول:

وقع انقلاب عسكري في ٩ رمضان ١٣٨٥ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٦٥ م) بقيادة رئيس الأركان العامة (جان بيدال بوكاسا) وأسّس حكومةً جديدةً، وأزاح الرئيس السابق دافيد داكو، وعلّق الدستور، وحلّ المجلس الوطني.

وقد وقعت عدة محاولاتٍ انقلابيةٍ صحيحةٍ ومزعومةٍ، فاتخذت إجراءات قمعية ضدّ خصوم الرئيس، واتُّهم في حادثتين بعض المقربين من الرئيس. ففي مطلع عام ١٣٨٩ هـ (نيسان ١٩٦٩ م) تمّ سجن ثم إعدام وزير الصحة العامة (ألكسندر بونزا) بتهمة محاولة تدبير انقلاب.

وفي مطلع عام ١٣٩٢ هـ (آذار ١٩٧٢ م) تمّ انتخاب المارشال بوكاسا رئيساً للجمهورية مدى الحياة. وفي مطلع عام ١٣٩٣ هـ (نيسان ١٩٧٣ م) اتهم وزير الدولة للإسكان والمواصلات (أوغست. م - بونغو) بمحاولة القيام بانقلابٍ، وتأييده للمحاولة السابقة.

وأُعيد تشكيل مجلس الوزراء من جديدٍ في مطلع عام ١٣٩٥ هـ (كانون الثاني ١٩٧٥ م) وكُلّفت برئاسة الوزراء (اليزابيت دوميتان) وهي نائبة

رئيس حركة (ميسان)، وكانت أول امرأةٍ في الدول الإفريقية تشغل هذا المنصب، لكن تمّ عزلها في ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ (نيسان ١٩٧٦ م) وتسلّم الرئيس بوكاسا نفسه رئاسة الوزراء.

وحلّ مجلس الوزراء وأُلغيت هذه السلطة التنفيذية، وحلّ مكانها المجلس المركزي الثوري الإفريقي في رمضان ١٣٩٦ هـ (أيلول ١٩٧٦ م) وعين الرئيس السابق (دافيد داكو) مستشاراً شخصياً للرئيس بوكاسا. ثم في ذي الحجة ١٣٩٦ هـ (كانون الأول ١٩٧٦ م) تمّ تغيير اسم «جمهورية إفريقية الوسطى» وأصبح اسم البلاد «إمبراطورية إفريقية الوسطى»، ووضع دستور جديد، ونصّب بوكاسا نفسه إمبراطوراً، واتخذ من (دافيد داكو) مستشاراً خاصاً له. وقد أعطى الدستور الإمبراطور صلاحية تعيين مجلسٍ نيابيٍ دون الرجوع إلى رأي الشعب، وإجراء انتخاباتٍ خاصةٍ بذلك. وتمّ تتويج بوكاسا إمبراطوراً في مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الأول ١٩٧٧ م)، وأعدّ لذلك الحفل إعداداً كبيراً حتى قيل إنه كلّف ربع ميزانية الدولة.

وفي جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ (أيار ١٩٧٨ م) أُعيد ترتيب قيادات الجيش لدعم سلطة الإمبراطور، وفي شعبان ١٣٩٨ هـ (تموز ١٩٧٨ م) أُقيلت الوزارة، وعيّن (هنري ميدو) رئيساً للوزارة الجديدة، وكان من قبل يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء.

واندلعت مظاهرات الطلاب في شهر صفر ١٣٩٩ هـ (كانون الثاني ١٩٧٩ م)، وتمّ إخمادها بمساعدة قواتٍ زائيريةٍ. وقامت مظاهرات لأطفال المدارس في جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (نيسان ١٩٧٩ م) احتجاجاً على إجبار الطلاب على لبس زيٍّ معينٍ تصنعه شركة تملكها عائلة بوكاسا، فأُلقي القبض على عددٍ كبيرٍ من الأطفال، وقُتل عدد منهم، وأُشيع أن الأطفال قد قُتل منهم مائة طفلٍ ، وأن الإمبراطور بوكاسا نفسه قد ساهم في هذه الجريمة بل أُشيع أنه قد أكل عدداً من هؤلاء الأطفال الذين فُقدوا.

الانقلاب الثاني:

استقال السفير الإمبراطوري في باريس (سلفستر بانغوي) في جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (أيار ١٩٧٩ م)، ووقف في وجه الحكم، وأصبح في شهر شوال ١٣٩٩ هـ (أيلول ١٩٧٩ م) زعيماً لحكومة المنفى، والتي تألّفت مع أربع جماعاتٍ معارضةٍ. وقام مستشار الإمبراطور الشخصي (دافيد داكو) بانقلاب أبيض على سيده عندما كان الإمبراطور في زيارةٍ لليبيا في ٢٨ شوال ١٣٩٩ هـ (أيلول ١٩٧٩ م). وتولّى (دافيد داكو) منصب الرئاسة، وعيّن (هنري ميدو) نائباً له. وعادت البلاد إلى الحكم الجمهوري ثانية. وكان (هنري ميدو)، رئيساً للوزراء من قبل، وتعاون مع دافيد داكو في القيام بالحركة الانقلابية.

لم يقبل الشعب وخاصةً الطلاب في بقاء رجال العهد السابق بالسلطة، فقام الرئيس (دافيد داكو) بإقالة نائب الرئيس (هنري ميدو)، ورئيس الوزراء (برناردو كريستيان آياندو) في شوال ١٤٠٠ هـ (آب ١٩٨٠ م)، وشكّل وزارةً جديدةً برئاسة (جان بيير لوبودر) وزير التخطيط السابق.

وأما بوكاسا فكان قد فرّ إلى ساحل العاج، ثم انتقل إلى باريس، وقُدّم في بلده للمحكمة، وتمّ الحكم عليه بالإعدام غيابياً في صفر ١٤٠١ هـ (كانون الأول ١٩٨٠ م).

وفي ربيع الثاني ١٤٠١ هـ (شباط ١٩٨١ م) وُضع دستور جديد للبلاد، وتضمن حرية تعدد الأحزاب، وعُرض على الشعب لإبداء الرأي، وأُقرّ من قبل الرئيس (دافيد داكو)، الذي فاز بانتخابات الرئاسة التي تمت في جمادى الأولى ١٤٠١ هـ (آذار ١٩٨١ م)، وأقسم اليمين الدستورية في جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ (نيسان ١٩٨١ م) لمدة ست سنواتٍ رئاسيةٍ.

اتهمت المعارضة الرئيس بتزوير الانتخابات، وانفجرت قنبلة في إحدى دور الصور المتحركة في العاصمة (بانغي) وذهب ضحية ذلك ثلاثة

قتلى، وادعت الحركة الوطنية لإفريقية الوسطى من أجل الحرية بمسؤولياتها عن الحادث، وهذا ما أدّى إلى حظرها، وتمّ إعلان حالة الطوارىء، واستعانت الحكومة بالجيش لإقرار النظام.

الانقلاب الثالث:

قام الجنرال (أندريه كولنغبا) بانقلاب أبيض نحّى فيه الرئيس (دافيد داكو) عن منصبه بحجة الاعتداء الكبير على (الديمقراطية)، وذلك في ٣ ذي القعدة ١٤٠١ هـ (الأول من أيلول ١٩٨١ م)، واستولى الجيش على السلطة، ووضعت السلطة بيد ثلاثةٍ وعشرين عضواً من اللجنة العسكرية للخلاص الوطنية، ومنع النشاط السياسي، وتمّ تشكيل حكومةٍ عسكريةٍ. وعاد إلى العاصمة (بانغي) رئيس حركة تحرير شعب إفريقية الوسطى (أنجي باتاس) في جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (آذار ١٩٨٢ م). وكان (أنجي باتاس) رئيس الوزراء في عهد (بوكاسا) لمدة سنتين تقريباً (١٩٧٦ - ١٩٧٨ م)، واشترك في انتخابات جمادى الأولى ١٤٠١ هـ (آذار ١٩٨١ م)، وفشل، واضطر إلى طلب اللجوء السياسي في السفارة الفرنسية في (بانغي) حيث لجأ إليها، وتمّ ترحيله من السفارة ليقيم في المنفى في الكونغو، وأدّت المساعدة الفرنسية له إلى توتّر العلاقة بين فرنسا وبين حكومة جمهورية إفريقية الوسطى العسكرية، ولكن زيارة الرئيس الفرنسي (ميتران) لجمهورية إفريقية الوسطى قد أزالت سوء التفاهم، وعادت العلاقات السياسية بين الدولتين إلى حالتها الطبيعية، وكانت تلك الزيارة في ذي الحجة ١٤٠٢ هـ (تشرين الأول ١٩٨٢ م). وأُشيع أن (أنجي باتاس) كان وراء محاولة الانقلاب الفاشلة.

وأُذيع في ذي القعدة ١٤٠٤ هـ (آب ١٩٨٤ م) عن اكتشاف تنظيم محاولة انقلابٍ، واتهم بعض الوزراء السابقين بالإعداد لذلك ومنهم (كاستون أودان) و(جيروم آلان)، وحكم كل منهم بالسجن لمدة عشر سنوات، واستمرت المعارضة لنظام (آندريه كولنغبا) رغم منع الأحزاب

والنشاطات السياسية، وشكّلت أحزاب المعارضة الثلاثة الرئيسية ائتلافاً فيما بينها في شوال ١٤٠٣ هـ (آب ١٩٨٣ م).

أعلن الرئيس (آندريه كولنغبا) العفو عن زعماء أحزاب المعارضة الذين كانوا يعيشون تحت الإقامة الجبرية، وخفّف مدة حكم السجن عن الوزراء السابقين الذين اتهموا بتنظيم محاولة انقلابٍ، ثم قام الرئيس الفرنسي (ميتران) بزيارةٍ أخرى لجمهورية إفريقية الوسطى عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م) فنجم عنها إطلاق سراح ٨٩ سجيناً سياسياً في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م).

وتحطمت طائرة فرنسية عسكرية فقتل ٣٥ شخصاً بينهم عدد من الطلاب، فقامت مظاهرات طلابية ضدّ الفرنسيين في رجب ١٤٠٦ هـ (آذار ١٩٨٦ م)، ثم انفجرت قنبلة في طريق مطار (بانغي) فتم طرد عددٍ من السياسيين الليبيين حيث اتهموا بمسؤوليتهم عن حادث انفجار القنبلة، غير أنه في مطلع عام ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) تمّ إطلاق سراح الطلاب، وعددٍ من السجناء السياسيين بما فيهم الوزيران (كاستون أودان) و(جيروم آلان).

كان الحكم العسكري يخفّ ضغطه ويتجه نحو الحياة المدنية تدريجياً فمنذ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ (كانون الثاني ١٩٨٤ م) عُيّن عدد من المدنيين في وظائف ملحقةٍ بمجلس الوزراء إثر تعديلٍ وزاريٍ حدث، وحُلّت لجنة (المجلس الثوري العسكري) في مطلع عام ١٤٠٦ هـ (أيلول ١٩٨٥ م)، وضمّ مجلس الوزراء أعضاء مدنيين لأول مرةٍ منذ أن تولّى (آندريه كولنغبا) السلطة في ذي القعدة ١٤٠١ هـ (أيلول ١٩٨١ م) أي قبل أربع سنوات.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) أعلن عن مسودةٍ للدستور، وتضمّن إنشاء حزبٍ سياسيٍ وحيد للدولة، وهو «التجمّع الديمقراطي لإفريقية الوسطى»، وأعطى الدستور سلطةً كبيرةً للرئيس حيث

لم يكن للسلطة التشريعية من دورٍ إلّا الاستشارة فقط، وطُرح الدستور للاستفتاء، وتمّ إقراره بنسبة ٩١,١٧٪ بالاستفتاء الذي جرى في ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م)، كما تمّ انتخاب (آندريه كولنغبا) رئيساً لمدة ست سنواتٍ أخرى. وجرى تعديل على مجلس الوزراء فأصبح أغلب أعضائه من المدنيين، وتسلّم الرئيس (آندريه كولنغبا) وزارة الدفاع إضافةً إلى سدّة الرئاسة.

وظهر الحزب «التجمع الديمقراطي لإفريقية الوسطى» بشكلٍ رسميٍ في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) وعُيّن الرئيس (آندريه كولنغبا) رئيساً له، وجرت انتخابات المجلس الوطني في شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م)، وتنافس على مقاعده (٥٨) مائة واثنان وأربعون مرشحاً، ولم يشارك الشعب في هذه الانتخابات بشكلٍ جيدٍ حيث لم تتعدّ نسبة الاقتراع ٥٠٪ من مجموع الناخبين، وعقد المجلس أولى جلساته في صفر ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م). وتلا ذلك اضطرابات طلابية في ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م)، فجرى تعديل وزاري، أُبعد فيه وزيرا التعليم الوطني، والتعليم العالي والبحث العلمي، ودمجت الوزارتان في وزارةٍ واحدةٍ.

عاد الإمبراطور السابق (بوكاسا) بصورةٍ مفاجئةٍ إلى البلاد في ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) فأُلقي عليه القبض مباشرةً، وأودع السجن، وأُعيدت محاكمته، ووُجّهت إليه أربع عشرة تهمةً، واستمرّت محاكمته ثمانية أشهرٍ، وأُدين، وصدر الحكم عليه بالموت للجرائم التي اقترفها، والاحتجاز غير القانوني، فاستأنف بوكاسا الحكم، ولكن رُفض طلبه من قبل المحكمة العليا في ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م)، ولكن الرئيس (آندريه كولنغبا) قد أصدر أمراً بتخفيف الحكم إلى السجن المؤبّد مع الأشغال الشاقة (ومن المعروف أن الأشغال الشاقة غير قائمةٍ في سجون جمهورية إفريقية الوسطى)، وكان تصرّف الرئيس هذا

رغبةً منه في ظهوره أنه رجلٌ إنساني، ولكن في الوقت نفسه كان يخشى من احتجاجاتٍ يقوم بها أعوان بوكاسا.

وقام الرئيس (آندريه كولنغبا) عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) بتعيين الرئيس السابق (دافيد داكو) ورئيس الوزراء السابق (أنجي باتاس) في مناصب عليا، وكذلك تعيين رئيس الوزراء السابق (هنري ميدو) رئيساً للاتحاد المصرفي لإفريقية الوسطى، وهذه محاولة من الرئيس لدعم الوحدة الوطنية. كما جرى تعديل وزاري في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) فدخل الوزارة الجديدة عدد من رجالات العهد السابق، غير أنه لم يلبث أن تمّ احتجاز اثني عشر معارضاً للنظام القائم بما فيهم الجنرال (فرانسوا بوزيه) الذي كان يعيش في المنفى فاستدعاه الرئيس (آندريه كولنغبا) عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) في محاولةٍ لإعادته للوطن، وأُعلن في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) أنه قد تمّ إلقاء القبض على المعارضين بعد عودتهم من دولة (بنين).

وانتخب (ميشيل داكو) رئيساً للمجلس الوطني في رمضان ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) بعد استقالة سلفه (موريس ميثوت) الذي يُشتبه أنه كان متورّطاً باستيراد وتخزين نفايات خطرةٍ منذ بضع سنواتٍ، ولكن ثبت أنه لا توجد في جمهورية إفريقية الوسطى أية نفاياتٍ من هذا النوع.

ومنذ أن تولّى (آندريه كولنغبا) السلطة في ٣ ذي القعدة ١٤٠١ هـ (الأول من أيلول ١٩٨٩١ م) كان حريصاً على تأمين دعمٍ دوليٍ لنظامه، وخاصةً فرنسا التي بقيت المصدر الرئيسي للميزانية والمساعدات.

وإن القوات الفرنسية المرابطة في جمهورية إفريقية الوسطى كانت تُستخدم لدعم العمليات لحكومة تشاد، والدول التي تكون بينها وبين ليبيا صراعات.

وقام (آندريه كولنغبا) بزيارة لفرنسا ولألمانيا الاتحادية عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م)، وأعلن في العام نفسه عن إقامة علاقاتٍ سياسيةٍ مع

الإمبراطورية الروسية، والتي كانت قد قُطعت سابقاً، كما أُقيمت علاقات سياسية مع أنغولا، وتمّ تبادل السفراء بين الدولتين لأول مرةٍ.

وبعد أن أعلنت حكومة اتحاد جنوبي إفريقية اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م)، وأُقيمت دولة فلسطينية، استأنفت حكومة جمهورية إفريقية الوسطى علاقاتها مع دولة اليهود، وكانت قد قطعت عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م).

وقطعت جمهورية إفريقية الوسطى علاقاتها مع السودان في شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م)، وتمّ إغلاق الحدود بينهما بموجب المقاطعة العربية لدولة اليهود، حيث رفضت السودان السماح لطائرة الرئيس (آندريه كولنغبا) بالمرور فوق أراضي السودان في طريقه لزيارةٍ رسميةٍ لدولة اليهود يقوم بها، مما اضطر إلى تأجيل الزيارة حتى ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) حيث سافر إلى دولة اليهود عن طريق زائير فأوربا. ثم عادت العلاقات مع السودان إلى حالتها الطبيعية في صفر ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م).

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة جمهورية إفريقية الوسطى ٦٢٢,٩٨٤ كيلومتراً مربعاً، وهي دولة قارية، تُحيط بها كبرى دول القارة الإفريقية مساحةً، ويبلغ مجموع طول حدودها ٥,٢٠٣ كيلومتراً، منها ١,١٦٥ كيلومتراً مع السودان، و١,١٩٧ كيلومتراً مع تشاد، و٧٩٧ كيلومتراً مع الكاميرون، و٤٦٧ كيلومتراً مع الكونغو، و١,٥٧٧ كيلومتراً مع زائير.

إنها تحدّ ثلاث دولٍ إسلاميةٍ وهي: السودان، وتشاد، والكاميرون، وهذا يعني أنها تقع على هامش العالم الإسلامي.

ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) مليونين وثمانمائة ألف إنسان، وبذا تكون الكثافة حوالي ٤,٥ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد، وهي كثافة قليلة جداً نتيجة تغطية الغابات لجزءٍ واسعٍ من أراضيها.

الصراع العنصري:

ينتمي أكثر السكان إلى شعب البانتو، وأهم قبائل هذا الشعب: (الباندا) ويُشكّلون ثلث السكان، و(البايا) في الغرب، وهم ثلث السكان أيضاً، و(المانغا) في الوسط، و(اللندا) في الشرق، و(الزاندي) في الجنوب الشرقي، وتوجد في الشمال قبائل (السارا) وتصل إلى جنوب تشاد. كما تعيش قبائل (البيل) و(البورورو) في المرتفعات الغربية، وهناك

قبائل (امبوم) و(امباكا)، ولا تزال ترتع في غاباتها بعض مجموعات الأقزام التي تحيا حياةً بدائيةً.

ويعيش في جمهورية إفريقية الوسطى ما يقرب من سبعة آلاف أوربي أكثر من نصفهم من الفرنسيين.

واللغة الفرنسية هي الرسمية، وهناك لغات شائعة مثل لغة (سانغوا) و(هونسا) و(السواحيلية) و(العربية) لدى الأوساط الإسلامية، كما أن لكل قبيلةٍ لغتها الخاصة بها.

لم يكن هناك صراع عنصري على مستوىً واسعٍ، وإنما صراعات قبلية محلية على الديار، كما وجدت صراعات إقليمية بين الشمال المداري ذي المناطق المفتوحة والأعشاب الطويلة وبين الجنوب الاستوائي ذي الغابات الكثيفة والمناطق المعزولة، والقبائل البدائية، والصراعات فيها على سلب المنتجات وأخذ الحاجات.

الصراع العقيدي:

تبلغ نسبة المسلمين ٥٥٪ من مجموع السكان، وأكثرهم يعيش في المناطق الشمالية، ويعملون بالرعي، وتبلغ نسبة الوثنيين ٢٠٪، وأكثرهم يعيش في الجنوب حياة بدائيةً إضافةً إلى الذين يحيون في الشمال بشكلٍ مبعثرٍ، وتبلغ نسبة النصارى ٢٥٪ نصفهم من الكاثوليك ونصفهم الآخر من البروتستانت، وأكثرهم يعيش في المدن ممن اصطفاهم المستعمرون الصليبيون، ومن جاء بعدهم على السلطة الذين اختاروهم لها.

لم يكن هناك صراع عقيدي في السابق حتى جاء القرن العاشر حيث دخل الإسلام، ولم يحدث صراع بين المسلمين الوافدين وبين السكان الأصليين، وإنما يقبل بعض الأهالي على الإسلام بهدوءٍ دون خلافٍ مع ذويهم ومن غير نقمةٍ عليهم من قبائلهم، ولذا انتشر الإسلام، ووجد فيه السكان حضارةً وتطوّراً، ورأوا فيه نظرةً شاملةً للحياة، ومفهوماً صحيحاً

لواقع الإنسـان، ولم يُجبر المسلمـون الآخرين على اعتنـاق دينهم، ولم يُفرّقوا في النظرة الإنسانية بين البشر.

ولمـا جاء المستعمـرون الصليبيون وقفـوا قبل كـل شيءٍ في وجـه المسلمين، وعملوا على إذابتهم، وقرّبوا من يقبـل النصرانيـة عقيدةً لـه، فوجدت لها طريقاً بين الوثنيين، وأخذت الضربات تتوالى على المسلمين، ولا بواكي لهم، وليس هناك من يعرفهم، فإخوانهم في غفلةٍ لاهون، أو في مصيبةٍ مشغولـون، أو أنهم جاهلون، وليس هنـاك من يُنبّههم أو يُوقظهم، فالمستعمرون الصليبيون أو من وضعوهم فوق رؤوس المسلمين متيقظون أو في لهوهم عمون، لذا أخذت المفـاهيم الإسلاميـة تضعف لدى أتبـاعها هناك، والعلماء ندرة، حتى لم يبق من معرفة الإسلام سوى الانتماء إليه مع الفخر، إلا من رحم ربك. وأخذ المستعمرون الصليبيـون، والحكومـات الـوطنيـة التي جـاءت على أثـرهم، ونهجت نهجهم تعـطي نسبـةً ضئيلةً للمسلمين في بياناتها فتدّعي أنهم يُشكّلون ٥٪، وربما رفعها بعضهم إلى ١٤٪ من مجموع السكان مخالفةً للواقع.

وعندما جاء بوكاسا إلى السلطة، ورأى نسبـة المسلمين تزيـد على النصف، ويريد الدعم، ووجد في الإسلام كذلك ما ينسجم مـع الفطرة اعتنقه، وثارت ثائرة الـدنيا عليـه، ولحق به الغضب، ووجهت إليـه كل التهم، وغدا يأكل أطفال خصومه، ويقتات بتلامذة المدارس، وحملت ذلك وسائل الإعلام، وانتفض الناس عليه خارج بلاده، وليس هناك من أحـدٍ يعرف الحقيقة. وانتفض خصومه عليه حتى أزاحوه، وفرّ من البلاد، وشعر بعد مدةٍ أنه غير مذنبٍ، فلماذا لا يعود؟ وظنّ بالقضاء العدالة فرجع فأُلقي القبض عليـه، وسُجن، وحُكم عليه بـالإعدام، ورفضت المحكمـة العليا طلب استئنافه الحكم. ولكن الرئيس القائم (آندريه كـولنغبا) خفّف عنـه حكم الإعدام إلى السجن المؤبّد خوفاً من أعوانه ـ وكيف يكون له أعوان أصحاب قوةٍ وهو يأكل الأطفال ـ، وكي يبقى عنواناً ظاهراً لكل من يريد أن يعتنق الإسلام من أصحاب السلطة، وهو لا يزال قابعاً في السجن.

الصـراع الحزبـي:

لم تكن هنـاك تنظيمـات سياسيـة قويـة بـل إن المفهـوم التنـظيمي ضعيف، ولم تكن منافسة حزبية نشطة، ولا معارضة عنيفة، وليس هناك من أفكار متباينـة تقوم عليهـا التنظيمـات إذ ليست الأحزاب السيـاسية سـوى تجمّعات تسعى للمصلحة، أو تُؤسّسها السلطة لدعم مركزها. وأكثر من هذا فإن فرنسا تُشرف وتُوجّه التنظيمات الحاكمة والمعارضة على حدٍّ سواء. ولا تتخلّى فرنسا عن أعوانها بالأمس إذا ما أُقصوا وأُبعدوا، حيث تتوسّط لهم بالعودة، فيرجعون، ويتسلّمون مناصب عليا. وكأن المعارضة ليست سوى تهديدٍ للسلطة الحاكمة كي لا تخرج عن التوجيه الفرنسي، ولا عن الإرادة، وكي لا يأخذ أحدهم الغرور فيسير برأيه كما يهوى، أو كما يقوده تفكيره، أو يدخل في الإسـلام، وإن في (بوكـاسا) عبـرةً، وإن صاحب المنصب يخشى على منصبه إن لم يكن له فكر واضح، وإن ذا المصلحة ليخاف على مصلحته إن لم يكن له مبدأ.

لقد وجدت أول الأمر «حركة التطور الاجتماعي لإفريقية» كمنظمـةٍ سياسيةٍ، واصطفى الفرنسيون منها (برثلومي بوغندا) فقاد المنظمة، وتسلّم السلطة، ولكن لم يلبث أن قُتل بحادث طائرة.

وخلف القائد السابق ابن أخيه (دافيد داكو) فسار على نهج سلفه، وأسّس حزباً ضمن الحركة ليعتمد عليه في دعم حكمه. وأخذه شيء من الغـرور فأُبعـد بانقـلابٍ عسكـريٍ قـاده رئيس أركـان القـوات المسلحـة (بوكاسا).

أسّس (بوكاسا) المجلس المركزي الثوري ليعتمد عليه في الحكم. وأعاد سلفه (دافيد داكو) فعيّنه مستشاراً برأي فرنسا، وتفتحت عيناه للنور فاعتنق الإسلام، فوجهت إليه الاتهامات الغريبة، وتناقلتها وكالات الأنباء، وغدت شغلها الشاغل، ورجع (دافيد داكو) إلى السلطة ثانيـةً، ولكنه لم يأخذ الدرس الأول بوعي كاملٍ فأزيح عن السلطة.

وجاء (آندريه كولنغبا) فاعتمد على الجيش، ومنع النشاط السياسي، وحلّ المجلس الوطني، وبدأ يعود تدريجياً إلى الحكم المدني، وأنشأ حزب «التجمّع الديمقراطي لإفريقية الوسطى» ليدعم حكمه. ووقفت المعارضة في وجهه، وهي تنظيمات ضعيفة مثل: «الحركة الوطنية لإفريقية الوسطى» و«حركة تحرير شعب إفريقية الوسطى» برئاسة (أنجي باتاس)، وائتلفت التنظيمات الرئيسية الثلاثة لتشكّل قوة معارضةٍ واحدةٍ، ولكن لم يكن لها أثرها. وقرّب الرئيس (آندريه كولنغبا) الرئيس الأسبق (دافيد داكو)، ورؤوس رجالات العهود السابقة كلها، حيث تقف فرنسا وراءهم جميعاً. وفرنسا لها قوة عسكرية في البلاد، وهي تُوجّه، وتولّي السلطة، وتُبعد عنها، وتُعيد، وتقرّب.

وليس للمسلمين تنظيم خاص بهم إذ يُعدّ هذا من الجرائم، وليس لهم كذلك أثر في التنظيمات القائمة حيث لا يصح تقدّمهم، بل يجب أن يبقوا في آخر الركب، ويسحقوا، ومن يبغي الرفعة فعليه الارتداد عن دينه وقبول النصرانية، وبعدها يحصل على ما يريد. ومن أراد العبرة فـ (بوكاسا) أمامه. وليس للمسلمين من بواكي يتقصّون أخبارهم، يُعزّونهم، ويواسونهم إذ انقطعت الأواصر فالرعاة أجراء عند غيرهم، وهم أعداء لأغنامهم.

جرى حوار وطني كبير حول الديمقراطية، وفي نهاية شهر صفر ١٤١٣ هـ (نهاية آب ١٩٩٢ م) وافقت الجمعية الوطنية على سنّ قوانين طبقاً للقرارات التي اتخذتها لجنة الحوار، وتمّ إدخال تعديلات دستورية بشأن الفصل التام بين السلطات التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، كما منح الرئيس (كولنغبا) صلاحيات مؤقتة للحكم بمرسوم ريثما يتم انتخاب هيئة تشريعية متعددة الأحزاب.

وفي مطلع شهر ربيع الأول ١٤١٣ هـ (مطلع شهر أيلول ١٩٩٣م) أعلن الرئيس عن إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية متزامنة في الشهر القادم، وبدأت الانتخابات ولكن لم تلبث أن عُلّقت بمرسومٍ من

الرئيس، ثم ألغيت بقرار من المحكمة العليا بحجة تخريب مزعوم للعملية الانتخابية.

وفي مطلع جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ (مطلع كانون الأول ١٩٩٣ م) استقال رئيس الوزراء (فرانك)، وعين الجنرال (تيموثي ماليندوما) زعيم البرنامج المدني. والذي انسحب من التجمع الديمقراطي لإفريقية الوسطى في مطلع عام ١٤١٣ هـ (منتصف عام ١٩٩٣ م) للاشتراك في الحوار الوطني.

وفي شهر شعبان ١٤١٣ هـ (شباط ١٩٩٣ م) طُرد (تيموثي مالیندوما) من رئاسة الوزارة، وحلّ مكانه (أنوتش لاكو) زعيم الحزب الديمقراطي الاجتماعي.

أعلن الرئيس (كولنغبا) في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٣ هـ (١٥ حزيران ١٩٩٣ م) تحت ضغط المعارضة، والضغط الفرنسي للسير نحو الديمقراطية عن إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية متزامنتين بين أواخر شهر آب ومنتصف أيلول. وجرت الانتخابات فعلاً، وحصلت المعارضة على ٣٤ مقعداً من ٨٥ مقعداً على حين حصل الحزب الديمقراطي الاجتماعي على ١٣ مقعداً، وجاء في المركز الثاني. وفاز (أنجي فيلكس باتاس) زعيم الحركة الوطنية لإفريقية الوسطى، ورئيس الوزراء السابق، وقد حصل على ٥٢,٤٧٪ من أصوات الناخبين في الجولة الثانية، وبذلك أصبح (أنجي فيلكس باتاس) رئيساً للجمهورية، وكان المرشحون سبعة رجال منهم: (أندريه كولنغبا)، و(دافيد داكو) و(أبل غاومبا).

وحاول الرئيس السابق (أندريه كولنغبا) تأخير إعلان نتائج الانتخابات بإعلان مرسومين لتعديل قانون الانتخابات، كما عدّل تشكيل المحكمة العليا. ولكن تدخلت الحكومة الفرنسية فوراً وهددت بوقف كل تعاون مع جمهورية إفريقية الوسطى احتجاجاً على الإجراءات التي قام بها الرئيس (كولنغبا)، فتم إلغاء المرسومين.

في منتصف شهر ربيع الأول ١٤١٤ هـ (مطلع أيلول ١٩٩٣ م)

أفرج عن الأمبراطور السابق (بوكاسا) وأخرج من السجن بموجب عفو عام عن المحكومين للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية عشرة لتسلّم الرئيس الراحل (أندريه كولنغبا) السلطة، ولكن الامبراطور السابق قد حرم من الاشتراك في الانتخابات مدى الحياة، وخُفّضت رتبته العسكرية التي كان يحملها، وهي مارشال.

تولّى (أنجي فيلكس باتاس) رئاسة الجمهورية في تشرين الأول ١٩٩٣ م، واختار (جون لوك ماندابا) رئيساً للوزراء فشكّل حكومةً ائتلافيةً، وكان للائتلاف ٥٣ مقعداً في الجمعية الوطنية. وبعد شهرين من استلام السلطة شكّلت الحكومة لجنة تحقيق في إدارة الرئيس السابق (أندريه كولنغبا) والتي دامت اثني عشر عاماً، وقد شمل التحقيق التدقيق في مالية الدولة. وألقي القبض على اثنين من الأعضاء البارزين في حزب التجمع الديمقراطي لإفريقية الوسطى، وجُرّد (أندريه كولنغبا) من رتبته العسكرية.

وفي شهر ربيع الأول ١٤١٥ هـ (آب ١٩٩٤ م) بدأت الحكومة بإعداد دستور جديد يستلزم تضمين مواد تتعلّق باللامركزية، وتخصيص أقاليم من خلال إنشاء الجمعيات المحلية. ورغم معارضة مجموعات من الائتلاف الحاكم هذه، أبدت هذه المجموعات قلقها من الصلاحيات الواسعة التي منحت للرئيس إذا سمح له بإعادة انتخابه ثلاث دورات، وأعطي صلاحيات تعيين كبار العسكريين، والمسؤولين المدنيين، وموظفي القضاء، ورغم هذه المعارضة فإن المشتركين في الاستفتاء قد صوّت ٨٠٪ منهم لصالح هذا المشروع، وقد جرى الاستفتاء في ٢٧ رجب ١٤١٥ هـ (٢٩ كانون أول ١٩٩٤ م). وقد تمّ إقرار الدستور في ١٥ رجب ١٤١٦ هـ (٧ كانون أول ١٩٩٥ م).

تبقى فرنسا الدولة المستعمرة سابقاً المصدر الرئيس لشؤون الميزانية. والقوات الفرنسية المتمركزة في جمهورية إفريقية الوسطى استخدمت في دعم العمليات العسكرية لحكومة تشاد أثناء نزاعها مع ليبيا.

أعاد الرئيس كولنغبا العلاقات السياسية مع جنوبي إفريقية قبل مغادرته السلطة في تشرين الأول ١٩٩٣ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني
جيبـوتي

القسم الثالث (الجنوبي)
تانزانيا وجزر القُمُر
الباب الأول
تانزانيا

الباب الثاني
جزر القُمُر

القسم الرابع
تشاد وجمهورية إفريقية الوسطى
الباب الأول
تشـاد

الباب الثاني
جمهورية إفريقية الوسطى

التاريخ الإسلامي

— ١٧ —

التاريخ المعاصر

تركيا

١٣٤٢ - ١٤٠٩ هـ
١٩٢٤ - ١٩٨٩ م

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

التاريخ الإسلامي

-١٧-

التاريخ المعاصر

تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى إخوانه وآله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فإن الدولة العثمانية قد قامت في أواخر القرن السابع الهجري، وامتدت فتوحاتها، وتوسّعت رقعتها حتى شملت أكثر أجزاء العالم الإسلامي، وقدّمت خدماتٍ جُلّى للمسلمين إذ احتضنت الخلافة فجمعت شتات المسلمين بعد أن كادت الرياح تعصف بهم، وفتحت عاصمة الدولة البيزنطية « القسطنطينية »، وجعلتها قاعدةً لها فأصبحت دار الإسلام « استانبول »، وتصدّت للصليبيين الأوربيين الذين تجمّعوا على حربها حقداً وصليبيةً فاندفعت في بلادهم حتى وصلت إلى « ڤيينا » عاصمة النمسا وحاصرتها أكثر من مرةٍ، كما نازلت الصليبيين المتجهين إلى شرق ديار المسلمين لقتالهم وحصارهم بين جيوش أوربا الصليبية في الغرب وبين الصليبيين الذين وصلوا إلى الشرق والذين تسلّلوا بحراً عن طريق جنوب إفريقية وقد سمّوا أنفسهم بالمكتشفين خديعةً وفخراً وقد شاعت هذه التسمية بين المسلمين فأخذوها لضعفهم وجهلهم على أنها حقيقة، فوقفت الدولة العثمانية في وجه البرتغاليين ولاحقتهم حتى سواحل الهند، وطردتهم من أرض العرب من المواقع التي نزلوها، واحتلّوها في عدن، وعُمان،

وسواحل الخليج، كما عملت على طردهم من شرقي إفريقية وساعدت في ذلك مساعدةً فعّالةً، وقاتلت الصفويين الذين اتكأ عليهم البرتغاليون وانتصرت عليهم، وجاست خيولها في ديارهم، كما حاربت المماليك الذين رغبوا في الوقوف على الحياد وحالوا دون وصول العثمانيين إلى أهدافهم في قتال الصليبيين، ودخلت البلاد التي كانوا يسيطرون عليها وضمّتها إلى حوزتها، وربما كان المماليك قد خافوا على أنفسهم من العثمانيين فوقعوا بما خافوا منه. وبذا فقد حمت الدولة العثمانية ديار الإسلام من أخطار الصليبيين وأحقادهم مدةً من الزمن ليست قصيرةً وهي تزيد على أربعة قرونٍ.

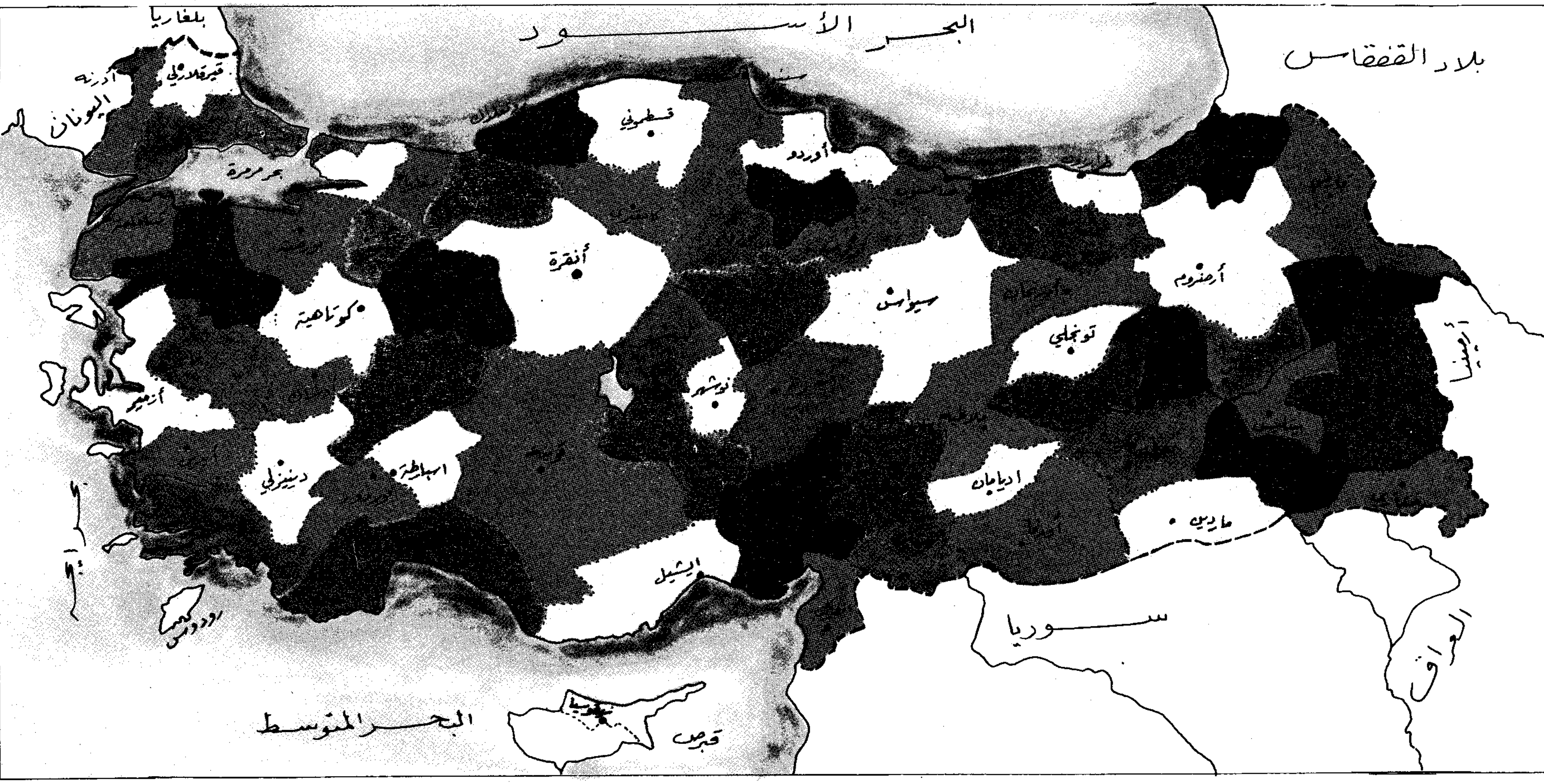
وفي آخر المطاف بدأ الضعف يدبّ في جسم الدولة العثمانية إذ أنهكتها كثرة الحروب التي خاضتها ضدّ الصليبيين في الخارج، ونخر اليهود من الداخل وهم الذين ألجأتهم إلى أراضيها إنسانيةً بعد أن شرّدهم نصارى الأندلس من الإسبان والبرتغال، وتحرّك النصارى في الداخل أيضاً، وهم إخوان الصليبيين، ومع أنهم قد عاشوا بين المسلمين منذ أن وُجد الإسلام آمنين مطمئنين على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم غير أن الأوربيين قد حرّكوهم باسم الأخوة والصليب، فتحرّكوا بالسوء يعملون على بثّ الشائعات، وإثارة الفتن، ونشر الأفكار الغريبة، وعمل الفساد، وتهديم الأخلاق، ولم تتوان الفرق الضالة في التهديم والقيام بالحركات، والدولة مشغولة عن هذا كله بالحروب، وما يُحيكه اليهود والنصارى من مُؤامرات. ونتيجة الحروب وانشغال الدولة والرعية بها انتشر الفقر فنمت الصوفية ربيبة الرفض تحت شعار الزهد فزاد النخر في داخل جسم الدولة. كل هذا قد هدّ من كيان الخلافة فأصبحت تتقي أعداءها بإبرام المعاهدات وعقد الاتفاقات والمهادنات فقوّى ذلك من أعداء الداخل وكان عاملٍ مُنشّط لهم اليهود والنصارى على حدٍّ سواء بل بدا التعاون واضحاً بينهم، وكانت المخططات مشتركةً. حيث أظهر بعض اليهود الإسلام للنخر

من داخل الكيان، وهم الذين عرفوا بـ «الدونمة»، ودعمهم الصليبيون الذين دعموا في الوقت نفسه النصارى لطرح أفكار الهدم في المجتمع الإسلامي كالعصبيات: الوطنية، والقومية، وإثارة الفتن دون المواجهة، وقدّموا لهم المساعدات المادية بسخاءٍ وكل عوامل النجاح. كما تعرّضت الدولة لضربةٍ أخرى من المسلمين بالذات فبدلاً من أن يعمل المصلحون من المسلمين على النصح، والتنبيه، وإصلاح الضعف والوقوف في وجه الخصوم قاموا يُحاربون الدولة المريضة، وينتقدون أسلوب الصوفية المميت للعزيمة، المهدّم للعمل، البعيد عن الإسلام، ويُقاتلون السلطة التي تدعم هذا الاتجاه عن جهلٍ، فكان عملهم معول هدمٍ إلى جانب معاول الهدم الأخرى، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ونتيجة الدعم الصليبي، والتحرّك اليهودي، والضعف من الحروب الخارجية والحركات الداخلية استطاع دعاة العصبية القومية من السيطرة على الحكم وهم مزيج من أجناس مُتعددةٍ وأديانٍ متنوعةٍ، ومنهم الدونمة، يجمعهم الفساد، وكره الإسلام، والتوجيه من الخارج، والعمل المشترك على هدم الخلافة، وتجزئة أوصال الدولة، وبعثرة المسلمين، وفكّ عرا وحدتهم، وبدؤوا بفرض أفكارهم فهبّت العصبيات المتنافرة كل منها يعمل عمله ويجمع أبناءه لقمع الآخرين، ومنهم من يعمل عاطفةً، ومنهم من يعمل حقداً، ومنهم من يعمل مدفوعاً بدافعٍ خارجي يبث أفكار السوء وينشر الفساد، ويضع السمّ، وينثر الشوك، ويبذر الفتن، ولا تنسى المُساق جهلاً وغفلةً، كما عمل المتنفّذون الجدد من دعاة العصبية على التلاعب بالسلطان، الذي لم تبق له قوة، لإضعاف هيبته وهيبة الخلافة في نفوس المسلمين، وللتقليل من قيمة الارتباط بفكرة الخلافة، وكان أن ألقت الدولة عصاها وأخذت تنتظر على أي جنبٍ تتكيء لتنام، واستمرّ الوضع حتى جاءت الحرب العالمية الأولى، ولكن الأعداء لا يقبلون إلاّ التجزئة، وهدم الخلافة، وبعدها هدم العقيدة الإسلامية، وقد تمّ لهم بعض ما أرادوا

عن طريق رجالٍ اختاروهم من أبناء البلاد ومن أصحاب عقيدتهم كي لا يكون ردّ فعلٍ من السكان فيما إذا كان غريباً عنهم ومن غير ملّتهم، وكي يكونوا بعيدين حسب الظاهر عن الساحة، ويكتفون بالتوجيه والتخطيط والدعم والإمداد بكل ما يُسهّل مُهمّة الذين أوكلوا لهم التسلّط على البلاد والعباد.

نرجو من الله أن نُوفّق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن وضع تركيا بعد أن أُلغيت الخلافة، وتحكّم دعاة القومية، وما طرأ من تغيّراتٍ على الساحة الخارجية والداخلية معاً، والله وليّ التّوفيق، وهو نعم المولى ونعم النّصير، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.



البحر الأسود
بلاد القفقاس
بلغاريا
أدرنة
اليونان
قيرقلارلي
بحر مرمرة
قسطموني
أوردو
أنقرة
كوتاهية
سيواش
أرضروم
توبجلي
نوشهر
أزمير
دينيزلي
اسبارطة
اديامان
ماردين
ايشيل
سوريا
العراق
أرمينيا
البحر المتوسط
قبرص
رودوس

لمحة عن تركيا بعد الحرب العالمية الأولى حتى إلغاء الخلافة

كانت الأرض التركية مقرّ الخلافة الإسلامية لعدّة قرون خلت، وكان الخلفاء يعودون إلى أصلٍ تركيٍ، وقد حكموا أجزاء واسعةً من العالم الإسلامي باسم الإسلام، ثم نمت فكرة العصبية التركية تحت تأثيراتٍ دخيلةٍ غريبةٍ بعيدةٍ عن الإسلام، ورُوّجت الدعاية لها لتفتيت الخلافة، وتهديم الفكرة التي تقوم عليها، حيث تتحرّك العصبيات التي يلتقي بعضها مع بعضٍ باسم الإسلام، وتتنافر باسم القوميات، وتمكّن أصحابها بدعمٍ خارجي من السيطرة على الخلافة وبدؤوا العمل حسب المخطط المرسوم.

ودخلت الدولة الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا والنمسا، فكانت إذن طرفاً في القتال، ولكن أي طرفٍ انتصر فلن يكون مصير دولة الخلافة بأفضل مما لو انتصر الطرف الآخر، فالعدو واحد وهو الصليبية، ولها تأثيرها على كلا الطرفين المتنازعين، وأي فريقٍ فاز على خصمه فالمخطط سيُنفّذ على الدولة العثمانية، وإن كانت هناك خلافات بسيطة في التنفيذ وفي الأسلوب، غير أن النتيجة واحدة.

انتصر الحلفاء، وانهزم الطرف الذي دخلت دولة الخلافة إلى جانبه، ونُفّذت المرحلة الأولى من المخطط وهي تجزئة الخلافة إلى دويلاتٍ: تارةً حسب العصبيات القومية وأخرى حسب التقسيمات الإقليمية، وثالثةً حسب المصلحة الأجنبية. وبذا انفصلت الأرض التي تسمى اليوم «تركيا» عن

بقية أجزاء دولة الخلافة باسم العصبية القومية، وسار كل جزءٍ حسب الفكرة التي قام عليها، وحملها وحده منفصلاً عن بقية الأجزاء، بل كان يُدير ظهره إليها في أغلب الأحيان، وإن لم تقع صدامات بين هذه الأقسام فحرب كلامية، لأن العصبيات القومية متنافرة لا يلتقي بعضها مع بعضٍ حيث طبيعة العصبية هكذا، وإضافةً إلى ذلك فإن الذين بيدهم تنفيذ المخططات قد تركوا أموراً مُعلّقةً بين الأجزاء المتجاورة كي يمكن إثارة هذه القضايا في الوقت الذي يريدون والذي تدعو إليه الحاجة بالنسبة لهم.

واحتلّ الحلفاء أجزاء من الأرض التركية، فقد كانت منطقة كيليكيا في الجنوب على الحدود السورية بيد فرنسا التي أُعطيت شمالي بلاد الشام. واحتلّ الطليان منطقة انضاليا في الجنوب أيضاً على ساحل البحر المتوسط، واحتلّت اليونان الأقسام الغربية، وسيطر الحلفاء على استانبول، والمضائق، ولم تستطع روسيا التقدّم في شرقي البلاد لأن الثورة الشيوعية قد اندلعت فيها أثناء الحرب، واضطرت إلى الانسحاب من الحرب وترك الساحة.

بعد أن اندحرت القوات العثمانية في مختلف ميادين القتال كان على الوزارة العثمانية القائمة أن تستقيل، وهي وزارة الاتحاد والترقي، والتي كان يرأسها طلعت باشا، وتألّفت وزارة جديدة برئاسة عزة الأرناؤوط، وقد أرسلت هذه الوزارة وفداً وزارياً برئاسة وزير البحرية رؤوف بك إلى مدينة «مودروس» في جزيرة «ليمنوس» إحدى جزر بحر إيجه لمفاوضة الإنكليز على شروط الهدنة، والواقع أنه قد وقعت هدنة «مودروس» بتاريخ ٢٥ محرم عام ١٣٣٧ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ م).

وغادر بعد يومين البلاد كبار رجالات الدولة من زعماء حزب الاتحاد والترقي وهم: طلعت باشا رئيس الوزراء، وأنور باشا وزير الحربية، وأحمد جمال باشا وزير البحرية، وعزمي بك والي بيروت، وبدري بك مدير شرطة استانبول، وناظم بك، وبهاء بك شاكر من كبار رجال الحزب،

وتخلّف أمين سر الحزب مدحت باشا إذ رجع بعد أن خرج معهم، وقد انطلقوا من استانبول إلى شبه جزيرة القرم على سفينةٍ ألمانيةٍ، ومن هناك سافروا إلى برلين بواسطة القطار، ووصلوا إلى برلين إلا أنور باشا فإنه قد هرب، وانطلق إلى بلاد القفقاس حيث يوجد أخوه نوري الذي يعمل على محاربة الروس هناك، وانتقل بعدها إلى موسكو وحاول التفاهم مع الروس، ولحقه أحمد جمال باشا، وبدري بك غير أنهما لم يلبثا أن رجعا إلى برلين. وزار هو برلين مرتين وحاول إقناع زملائه في مخططه غير أنه فشل في ذلك، ورجع إلى موسكو إلاّ أنه عرف خداع الروس، ومحاولة الاحتفاظ به للوقت المناسب، ففرّ إلى تركستان، وقاتل الروس مع التركستانيين الثائرين، واستشهد هناك قرب مدينة بخارى في ٩ ذي الحجة ١٣٤٠ هـ ليلة عيد الأضحى (٤ آب ١٩٢٢ م). وسافر أحمد جمال باشا إلى أفغانستان لتنظيم جيشها، وجاء إلى موسكو فاحتجزه الروس، ثم خدعهم بأنه يريد التسلل إلى تركيا لإثارة الشعب ضد الحكم القائم الذي يسير في فلك انكلترا، فوافق الروس على سفره، وانطلق خلال بلاد القفقاس، واغتاله أحد الأرمن في مدينة « تفليس » عاصمة جورجيا، كما اغتال الأرمن طلعت باشا في برلين.

كان السلطان محمد رشاد بن عبد المجيد الذي تولّى الخلافة بعد أخيه عبد الحميد الثاني قد تُوفّي قبل استسلام الدولة العثمانية بعدة شهورٍ، وتولّى مكانه أخوه محمد وحيد الدين إذ غدا ولياً للعهد بعد وفاة الأمير يوسف عز الدين ابن السلطان عبد العزيز وذلك لأن الخلافة تنتقل إلى أكبر أفراد الأسرة الحاكمة، وكانت الشائعات أن يوسف عز الدين قد مات مسموماً على يد الاتحاديين الذين كانوا على خلافٍ كبيرٍ معه.

قادة الاتحاد والترقي:

لم تكن الصليبية ولا اليهودية لترضى عن قادة الاتحاد والترقي كل الرضا، لا من الناحية العقيدية، ولا من الناحية السلوكية بل ولا من الناحية السياسية، إذ كانت عند بعضهم بعض رواسب من العواطف الإسلامية التي تبرز في بعض الجوانب أحياناً، وتختفي في خضم الأحداث السياسية، كما تطفح أحياناً جوانب الوطنية فيزيلون أمامهم بعض العقبات مهما كانت انتماءاتها بل ولو كانت صليبيةً وهذا لا يمكن أن ترضى عنه تلك النفوس التي ورثت الحقد الصليبي وتشبّعته، وربما نستطيع أن نلمس هذه الجوانب خاصّةً عند أنور باشا، وأحمد جمال باشا فقد عمل الأول كل جهده لقتال الطليان في ليبيا، وبذل إمكاناته كافةً للانتصار في حروب البلقان، ووقف الثاني مواقف عنيدةً وصلبةً ضدّ الأرمن، إضافةً إلى جهود الاثنين لقتال الروس، وهذه العناصر العدوة التي عملا لقتالها إنما هي عناصر صليبية. ولم تكن عند عددٍ من قادة الاتحاد والترقي الأوائل فكرة عن معاداة الإسلام صراحة وإلغاء الخلافة إلا إذا استثنينا ما كان منهم من الدونمة، ومن الناحية السياسية لم تكن لهم روابط وثيقة بانكلترا، ولا فرنسا، ولا النمسا، ولا روسيا وإنما كانت روابط مصلحةٍ وكرهٍ للحكام بصفتهم أصحاب سلطةٍ وهذه الدول هي التي كانت يومذاك تحمل لواء الصليبية بصفتها الدول الكبرى وليس معنى ذلك أن الدول النصرانية الأخرى لم تكن تحمل الحقد نفسه، بلى غير أن وضعها لم يكن يمكّنها من تلك الصدارة، كما أن هذه الدول هي التي تعّد نفسها حامية المذاهب النصرانية على اختلافها من كاثوليكيةٍ وأرثوذكسيةٍ وإنجيليةٍ أي أن فرنسا والنمسا كانتا تدافعان عن الكاثوليكية وتعدان نفسيهما حاميتين لجميع الكاثوليك في العالم ولا شك فإن شأن ايطاليا وإسبانيا والبرتغال كان دون ذلك، وهذه الدول هي سيدة الكاثوليكية كانت ولا تزال، وروسيا كانت ولا تزال من غير منازعٍ سيدة الأرثوذكسية والمُتبنية لها وسواء أكانت

قيصريةً رأسمالية أم شيوعيةً حمراء، وسواء أعلنت ذلك أم لم تُعلن، وسواء أبدت أنها على دينٍ أم أنها إلحادية تُحارب الأديان إذ لم تجرّد حربها الصريح الا على الاسلام والمسلمين. وتدافع انكلترا عن الكنيسة الإنجيلية خاصةً وهذا في الماضي والحاضر وإن كانت قد بـرزت في العصر الحاضر إلى جانب هذه الدول الولايات المتحدة وتضمّ مختلف المذاهب النصرانية في أراضيها لذا فهي حامية النصرانية أو هكذا تكلّف نفسها، وتعمل على ذلك وللدقة يمكن أن نقول: إن كل دولةٍ نصرانيةٍ هي صليبية قبل كل شيءٍ وخادمة للنصرانية عامةً، ثم للمذهب الذي ينتمي أبناؤها إليه. وكان رجالات حزب الاتحاد والترقي الأوائل أميل إلى الألمان وهم الذين حملوا الدولة العثمانية على دخول الحرب إلى جانب ألمانيا، بل كانت بعثاتهم العسكرية تتجه إلى ألمانيا قبل غيرها، ويُشرف على تدريب العسكر ضباط ألمان، وانفتحت بعض الأبواب الاقتصادية أمام الألمان قبل الحرب العالمية الأولى في أراضي الدولة العثمانية. ولم يكن من رأي الخليفة محمد رشاد زجّ الخلافة في الحرب الأوربية، فهي دول عدوة غير أن أنور باشا قد حمله على ذلك. ومن الناحية السلوكية لم يكن رجالات حزب الاتحاد والترقي الأوائل على تلك الدرجة من الاستهتار بالقيم وانعدام الرجولة والشهامة فقد كانت لا تزال عند بعضهم صور منها، هذا رغـم مـا ارتكبـوه بحقّ الأمّة، ورغم ما فعلوه من أخطاء، وما حملوا من أوزارٍ نتيجة تصرّفاتهم، ونتيجة هذا السلوك أو ما بقي عندهم من آثار القيم لم تكن الدول النصرانية لترضى عنهم كل الرضا ولكن تجمعهم معهم كراهية أولي الأمر ولكلٍ غاية من هذه الكراهية، ولذا كانت نتيجتهم التي آلت إليهم في النهاية، وكانوا قد اختيروا لمصلحة يصلحون لها، إذ لا يصلح رجال مستهترون لقيادة مجتمع لا تزال فيه بعض عناصر الخير، ولا يمكنهم أن يعزلوا خليفةً وينصّبوا آخر، وفي وقتٍ كانت الأمة على شيءٍ من القوة. أما وقد تجزّأت الأمة، وضعفت الدولة، وانهارت السلطة، وذلّ الشعب، وانتهت المرحلة الأولى، فيجب البدء بالمرحلة الثانية وهي إبعاد الدولة

الجديدة ذات العصبية القومية عن كل ارتباطٍ بأي جزءٍ من أجزاء العالم الإسلامي وسيكون هذا بإلغاء الخلافة، ويمكن أن يقوْم بهذا الدور جماعة من المستهترين بكل القيم، وهؤلاء موجودون في رجالات الاتحاد والترقي في الطبقة الثانية، بل مُهيّئون لذلك، وقد ربّوا ونُشّئوا على ذلك فهم البدائل في قيادة الحزب ولقيادة الدولة، والجياد المُسرجة المُعدّة لتلك المُهمّة.

عندما خطّطت الدول النصرانية، وانكلترا خاصةً لحزب الاتحاد والترقي وهيّأت رجاله وقادته لمرحلةٍ معينةٍ وهي السيطرة على البلاد وبتحقيقها ينتهي دورهم، وقد تمّ ذلك، وفي الوقت نفسه كانت تبحث عن رجالٍ أو عن الرجل الأول الذي تُناط به مهمة إلغاء الخلافة أو تنفيذ المرحلة الثانية، ويجب أن يتصف ببعض الصفات، ولعل أهمها: الحقد على المجتمع، والاستهتار، والعداوة للإسلام، وفي دراستها لأعضاء حزب الاتحاد والترقي من رجالات الدرجة الثانية ليكون البديل، أو الجواد المعدّ للقيام بالدور المطلوب وجدت ضالتها في مصطفى كمال، فهو حاقد على المجتمع، مستهتر لا يُبالي بأيّة قيمةٍ، وعدوّ بيّن للإسلام، وربما كان للبيئة التي نشأ فيها أثر في ذلك.

مصطفى كمال:

ولد مصطفى كمال عام ١٢٩٦ هـ من أمٍّ تُدعى «زبيدة» ونسب في بداية الأمر إلى زوج أمه علي رضا الذي لم يلبث أن توفّي، ولم يتجاوز ربيبه مصطفى الثامنة من العمر، وكانت زبيدة مُستهترةً، وتمكّنت من تأمين زوجٍ، فغضب ولدها مصطفى منها، وترك البيت وذهب إلى بيت أخت علي رضا زوج أمّه، أو عمّته، حسب الظاهر، ودرس في المدارس الحربية في «سالونيك» و«مناستر» ثم التحق بالكلية الحربية في استانبول، وتخرّج منها، وتخرّج من كلية الأركان برتبة رائد عام ١٣٢٢ هـ، وألفّ جمعية «الوطن والحرية» في الشام مع بعض المنفيين إليها. وكان يتدرّب في

لواء الفرسان، وعندما تمّ تدريبه عُيّن في يافا غير أنه هـرب إلى مصر، ومنها انتقل بحراً إلى سالونيك، واستطاع أن يجد وسيلةً لتعيينه هناك عن طريق الارتباطات التي أصبحت له. وعمل لجمعيته التي لم تلبث أن انضمّت إلى جميعة الاتحاد والترقي، ولم يستطع البروز والظهور لأن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي لم يحترموه لاستهتاره بالقيم وانقطاعه إلى الأماكن الموبوءة من حاناتٍ، ومحلاتٍ للفجور، لذا فقد حقد عليهم أيضاً.

ويبدو أنه كان على صلةٍ بجهةٍ لها إمكاناتها ولها نفوذها، تُوجّهه وتحميه، وترسم له وتُمنّيه، وتعده بأعلى منصبٍ، وهو يقتل نفسه في سبيل الشهرة والارتفاع، وكانت تظهر من فلتاتٍ على لسانه في جلسات السكر وهو مخمور، فيُوزّع المناصب، ويُصدر الأحكام، وفي إحدى المرّات على مائدة العشاء التفت إلى رفيقه «نوري جونكر» وقد أعجبه كلامه فقال له: أما أنت فسأُعيّنك رئيساً للوزارة، فضحك نوري، وقال له: إذا كنت تستطيع تعييني رئيساً للوزراء يا أخي فماذا ستكون أنت؟ فأجاب: سأكون الرجل الذي يستطيع تعين رئيس الوزراء.

أُعلن الدستور في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٢٦ هـ (٢٤ تموز ١٩٠٨ م) وتسلّم حزب الاتحاد والترقي أكثر المناصب الحسّاسة، وكان رجاله يكرهون مصطفى كمال، وخاصةً أنور باشا، فأُبعد مصطفى كمال إلى طرابلس الغرب (ليبيا) بحجة القضاء على ثورةٍ قائمةٍ، ولكن لم يمكث هناك أكثر من شهرين إذ ترك مكانه ورجع إلى سالونيك من نفسه دون إعلام قيادةٍ أو إخبار مسؤولٍ. وسار مصطفى كمال مع جيش سالونيك يوم حادثة ١٠ ربيع الأول عام ١٣٢٧ هـ (٣١ آذار ١٩٠٩ م)، وقد تمّ عزل السلطان عبد الحميد، وتولية أخيه محمد رشاد، ورجع مصطفى كمال بعدها إلى سالونيك. وذهب مع من ذهب إلى ليبيا لقتال الطليان في سبيل الشهرة، ولكن هرب، كما هرب في حرب البلقان.

ويُرسل ملحقاً عسكرياً إلى بلغاريا فيقضي أيامه على الخمور، وفي المجون. وعندما تندلع نار الحرب العالمية الأولى يشترك فيها بناءً على إلحاحه، ويكون تحت إمرة أحد القادة الألمان للدفاع عن (شنقلعة) في شبه جزيرة غاليبولي على مضيق الدردنيل، ويبدأ الهجوم البحري على المنطقة من قبل جيوش الحلفاء في ٣ جمادى الأولى ١٣٣٣ هـ (١٨ آذار ١٩١٥ م) ويصمد الجنود الأتراك، ويبدأ الإنزال البري للعدو في شبه الجزيرة في ١١ جمادى الآخرة ١٣٣٣ هـ (٢٥ نيسان عام ١٩١٥ م).

رُقّي مصطفى كمال إلى رتبة عميد في ١٩ رجب ١٣٣٣ هـ (١ حزيران ١٩١٥ م). وانسحب الأعداء من شبه جزيرة غاليبولي، وأُرسل مصطفى كمال قائداً للفرقة السادسة عشرة في ديار بكر لمواجهة الروس، فانصرف إلى حياة اللهو والمجون، وانسحب الروس من القتال في هذه الجبهة. ورُقّي إلى رتبة لواء (باشا) في ٢٥ صفر ١٣٣٤ هـ (١ كانون الثاني ١٩١٦ م). وبعد أقلّ من عامين يُصبح نائباً لقائد الجيش الثاني المرابط في شرقي البلاد، والذي تتبعه الفرقة السادسة عشرة التي يقودها مصطفى كمال نفسه، ويتراجع هذا الجيش.

ويُرسل إلى جزيرة العرب قائداً للقوة الجوّالة في الحجاز لحماية المدينة المنورة من الإنكليز، وتتبع هذه الفرقة الجيش الرابع الذي مقره في دمشق والذي يتبع قيادة وزير البحرية جمال باشا، أما رئيس أركان هذا الجيش فكان علي فؤاد باشا، وجاء وزير الحربية أنور باشا إلى دمشق لدراسة وضع الدفاع عن المدينة. كان رأي الخليفة محمد رشاد، ورأي طلعت باشا رئيس الوزراء المحافظة على المدينة وإبقاء الجيش العثماني في الحجاز بل إن الخليفة قد هدّد بترك الخلافة فيما إذ سُحب الجيش من الحجاز، وكان رأي أنور باشا الانسحاب ثم غيّر رأيه، وأما جمال باشا فكان رأيه الانسحاب وكذلك مصطفى كمال، أما رأي علي فؤاد باشا فكان يعتقد أن إرسال رجل غير مرتبط بالمشاعر الدينية كي لا يخضع للتأثيرات

العقيدية بالقتال، ويرى وجوب الدفاع عن المدينة المنوّرة والروضة المشرّفة أمراً أساسياً، ويرى أن تُناط المهمة بمصطفى كمال الذي يرفض القيام بهذا الأمر، ويترك موضوع الحجاز.

ويُعيّن مصطفى كمال قائداً للجيش السابع المكلّف بالدفاع عن بلاد الشام، فينسحب أمام التقدّم الإنكليزي، أما قائد الجيش فقد أعفى نفسه ورجع إلى استانبول، وأنهى وظيفته وعيّن وكيله علي رضا باشا الذي كان من قواد إحدى الفرق مكانه، حسب قوله في مذكراته.

وطلب من الخليفة الجديد محمد وحيد الدين القائد العام للقوات المسلحة العودة إلى تسلّم قيادة الجيش السابع، فذهب وأعطى أوامره لجميع القوات الموجودة في دمشق بقيادة عصمت اينونو، والقوات الموجودة في « رياق » بقيادة علي فؤاد باشا بالتحرّك نحو الشمال منسحبةً باتجاه تركيا، وسافر هو بالقطار إلى حمص حيث مقرّ القائد الألماني « ليمان فون ساندرز » فالتقى به وأخبره بالأوامر، وكان قد أرسل إليه نسخةً منها. فوافق كغريب عن الوطن ـ حسب زعمه ـ وطلب من مصطفى كمال إقناع رئيس أركانه « كاظم باشا دياربكرلي » فذهبا معاً إليه وكان مريضاً فوافق، وتمّ الانسحاب، وغادر القائد الألماني البلد بعد أن رأى العجب والخيانة. وهذا كله بعد الاتفاق السري بينه وبين القائد الانكليزي الجنرال « اللنبي » وكانت النتيجة أن وقع في الأسر مائة ألف جندي عثماني إضافةً إلى آلاف القتلى برصاص الدروز والأرمن، ووصل من أُفلت من الأسر إلى دمشق. وكان هذا الانسحاب في ١٤ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ (٢٠ ايلول ١٩١٨ م) من المناطق التي تقع جنوب دمشق، ثم وصل الإنكليز إلى دمشق ٢٥ ذي الحجة وإلى حلب في ١٤ محرّم ١٣٣٧ هـ، وأُعلنت الهدنة (هدنة مودروس) في ٢٥ محرم ١٣٣٧ هـ، ووصل الجنرال « اللنبي » القائد الإنكليزي بعدها إلى استانبول، وطلب من الحكومة التركية تعيين مصطفى كمال قائداً للجيش السادس بالقرب من الموصل حيث تهمّ تلك المنطقة

انكلترا، وهذا ما يذكره مصطفى كمال نفسه في مذكراته (صفحة ٨٩ - ٩٠).

ولما كان مصطفى كمال في حلب منسحباً قبل إعلان الهدنة اقترح تشكيل وزارةٍ جديدةٍ برئاسة عزة باشا الأرناؤوط لتخلف وزارة الاتحاديين برئاسة طلعت باشا والتي من المفروض تركها الحكم بسبب الهزيمة في الحرب وانهيار المقاومة، واقترح أن يتسلّم هو (مصطفى كمال) وزارة الحربية، كما رشّح عدداً من الأشخاص لتسلّم المناصب الوزارية، ولم يكن له أية صفةٍ ليُقدّم لهذه الاقتراحات والترشيحات، وتشكلّت الوزارة برئاسة عزت باشا الأرناؤوط فعلاً وضمّت عدداً من الوزراء الذين ذكرهم مصطفى كمال، أما هو فلم يُوافق عليه الخليفة.

وفي (أضنه) تسلّم قيادة مجموعةٍ من بقايا فرق الصاعقة المشتّتة، ولم يكن هذا المنصب إلا نظرياً ومؤقتاً، وقبل أن تستقيل وزارة عزت باشا أرسل له رئيسها ضرورة قدومه إلى استانبول.

وصل مصطفى كمال إلى استانبول، وكانت وزارة توفيق باشا قد خلفت الحكومة السابقة التي كانت برئاسة عزت باشا، ولم تحصل على الثقة بعد، فكان يتصل بنواب المجلس ويُحرّضهم على عدم منح الحكومة الثقة لعلّ عزت باشا يعود إلى رئاسة الوزارة، ويتسلّم هو منصب وزارة الحربية، غير أن جلسة الثقة في مجلس النواب قد أعطت توفيق باشا الثقة.

أخذ مصطفى كمال يتقرّب من حزب أنصار الحرية والائتلاف الذي كان يتعاون مع سلطات الاحتلال، وقد نشأ بعد تشتّت حزب الاتحاد والترقي، غير أن الحزب الجديد لم يبال بمصطفى كمال، ولم يهتمّ به لمعرفته به وبسلوكه.

وطلب خطوبة (صبيحة) بنت الخليفة محمد وحيد الدين غير أن طلبه قد رُفض مُباشرةً.

وكان الحلفاء المحتلّون [انكلترا ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ اليونان) يقبضون على كل خصمٍ لهم في استانبول من العائدين من الجبهات، وينفونه إلى مالطة، أو أيةَ جهةٍ أخرى، كما فعلوا بعلي إحسان باشا قائد الجيش السادس الذي كان في العراق. أما مصطفى كمال فقد تركوه وشأنه.

الثورة:

كان الخليفة محمد وحيد الدين، والقصر، ورئيس الوزارة الجديدة فريد باشا يُحسنون الظنّ بمصطفى كمال، رغم كل ما ظهر منه، ويحسبون أن ما قام به لم يكن إلا في سبيل الشهرة وحبّ المناصب العليا فقط، ليس غير.

وكان الخليفة يعرف مصطفى كمال من قبل يوم كان مُرافقاً له، عندما ذهب، وهو ولي للعهد إلى ألمانيا، ليقدّم للامبراطور سيفاً هديةً من الخليفة محمد رشاد. وقد دعاه الآن ليكون مُرافقاً له في البداية، وفي نيّته أن يُكلّفه بمُهمّةٍ خاصةٍ.

كان الخليفة يعتقد أن البلاد منهارة وإذا بقيت بهذه الحالة فإن شروط الصلح ستفرض عليها فرضاً وستكون ثقيلةً عليها وقاسيةً، وستجعلها خانعةً تحت الضغط قابعةً تحت الذلّ تنهش منها أنياب المحتلّين، وتُمزّقها مخالبهم، وسترسّخ فيها أقدامهم وتتمكّن، والحلّ الوحيد للخلاص من هذا الوضع السيء قيام ثورةٍ في شرقي البلاد والمناطق الداخلية والتي لم تصل إليها بعد أقدام المحتلّين، ولن يستطيع أن يقوم هو بنفسه بهذا العمل لأنه يُمثّل أعلى سلطةٍ في البلاد وقد وافق على شروط الهدنة فلا بدّ من أن يقوم به غيره فإذا حدث هذا فإنهم سينتزعون من الحلفاء أفضل شروط الصلح معهم، ووقع اختياره على مصطفى كمال ما دامت الإمكانات عنده، ويقتل نفسه في حبّ الشهرة وإذا لم يُوفّق في المعارك السابقة فذلك لأنه لم يحصد منها شيئاً لنفسه أما الآن فالحصاد كله لشخصه. فاستدعاه وأوكل إليه هذه المُهمّة فسرّ بها سروراً عظيماً، وللتغطية على هذا المخطط عن

أعين الحلفاء عامةً والإنكليز خاصةً الذين يبثّون أعوانهم في كل مكانٍ فقد أصدر أمراً بتعيين مصطفى كمال مُفتشاً عاماً للجيوش، وزوّده بصلاحياتٍ واسعةٍ، ومنحه عشرين ألف ليرةٍ ذهبيةٍ وهو مبلغ ضخم جداً في تلك الظروف القاسية التي تمرّ بها الدولة حتى إن خزينتها لتنوء به، إضافةً إلى هذا فقد وعده بمساعداتٍ أخرى إذا اقتضى الأمر، ولم يقصر رئيس الوزراء صهر السلطان فريد باشا بالأمر فقد طلب من مصطفى كمال أن يكتب له مباشرةً وسيرى أن طلباته ستُحقّق كلها.

وفي ١٤ شعبان ١٣٣٧ هـ (١٤ أيار ١٩١٩ م) أُبلغت الحكومة العثمانية من قبل لجنة الحلفاء العليا المقيمة في باريس والمؤلفة من رؤساء وزارات كل من انكلترا، وفرنسا، وايطاليا، واليونان قراراً يقضي بنزول الجيوش اليونانية في أزمير، ويُحذّرونها من المقاومة التي يعدّونها مُقاومةً للحلفاء جميعاً ونقضاً للهدنة، وفي ١٥ شعبان نزل اليونانيون في أزمير.

وفي ١٧ شعبان من العام نفسه أي بعد يومين فقط من نزول اليونانيين في أزمير، غادر مصطفى كمال استانبول مُتوجّهاً إلى «صامسون» فوصل إليها بعد يومين لتنفيذ المهمة التي كلّفه بها الخليفة، وما أن وصل إلى «صامسون» حتى أعلن استقلال نفسه وعدم ارتباطه بأية حكومةٍ أو سلطةٍ أو خليفةٍ، بل شقّ عصا الطاعة، وأخذ يحرّض الناس على رفع راية العصيان ضدّ الحكومة العثمانية، وضدّ الخليفة فيقول في خطبه: (يجب دفع الأمة بكاملها ودفع الجيش إلى رفع راية العصيان ضدّ الحكومة العثمانية، والسلطان العثماني، وخليفة المسلمين)[1] .مع اعترافه الكامل بأن الأمة مرتبطة بالخليفة الذي يُمثّل المسلمين، وبالحكم الذي يُمثّله فيقول: (إن الأمة والجيش كانت تهتم بسلامة مقام الخلافة العالي والسلطنة أكثر من اهتمامها بسلامتها، ولم تكن تستطع أن تتصوّر الخلاص والسلامة من دون السلطنة والخلافة، أما من يُبدي فكراً مُعارضاً ومُخالفاً لهذا فالويل له إذ كان

---

(١) الخطابة ص ١٠.

يعتبر في الحال خائناً وكافراً ومُرتدّاً).[1]

كانت في الأناضول الفرقة الثالثةَ ومقرّها « سيواس » بقيادة رفعت بك، والفرقة الخامسة عشرة في « أرضروم » بقيادة كاظم قره بكر باشا، وكلا الفرقتين غير متكاملة العدد، غير كاملة التجهيزات والأسلحة، وألوية هذه الفرق مُوزّعة في « صامسون » و« أماسيا » و« طرابزون ». وكانت أنقره مقرّ الفرقة العشرين بقيادة علي فؤاد باشا، ويكتب له تقارير عن المنطقة الغربية حسب أوامره، وكانت هذه الوحدات تتبع مصطفى كمال مباشرة بصفته العسكرية غير أنه يملك إعطاء التعليمات للعسكريين والمدنيين على حدٍّ سواء للأمر الذي يحمله من الخليفة.

بدأت تصرّفات مصطفى كمال تزعج الحكومة، وقد أرسل وزير الداخلية علي كمال قراراً إلى جميع الولايات يدعوهم فيه إلى الوقوف ضدّ أعمال مصطفى كمال، غير أنه لم يعلم الاتفاق الذي تمّ بين الخليفة ومصطفى كمال، وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة في أشدّ الضيق مما يجري في الأناضول كان الخليفة مسروراً فرحاً ولكنه يُخفي ذلك ولا يُبديه لأحدٍ إذ عُرف بكتمانه الشديد للسر.

احتجّ الحلفاء إلى الوزارة القائمة في استانبول من الأعمال التي يقوم بها مصطفى كمال في الأناضول احتجاج تبرئةٍ لساحته، وإعطائه صفة الوطنية والإخلاص لأمته، وإظهاراً له وإبرازاً، وطالب الحلفاء الوزارة باستقدام الرجل إلى استانبول ووضعه تحت مراقبتهم، وفي الوقت نفسه كثرت شكايات الولايات ضدّه، نتيجة تصرّفاته بسبب الصلاحيات الواسعة التي يتمتّع بها، فدُعي من قبل وزير الحربية فلم يُجب، وتكرّرت احتجاجات الحلفاء، وتكرّرت شكايات الولاة، وتعدّدت طلبات استقدامه دون إجابةٍ ومن غير فائدةٍ، فهدّد الحلفاء بإعادة الحرب، واضطرت الحكومة إلى

---

(١) المرجع نفسه ص ٨.

إقالته، وكانت برئاسة فريد باشا الذي كان غائباً في أوربا لحضور مؤتمر الصلح، ويقوم مكانه شيخ الإسلام صبري أفندي.

عرض رئيس الوزارة بالوكالة قرار إقالة مصطفى كمال على الخليفة فلم يُوافق، واكتفى بالتوجيه بدعوته إلى استانبول، وقامت الوزارة بما أوصى به الخليفة ولكن دون فائدة. وفي ١٠ شوال ١٣٣٧ هـ (٨ تموز ١٩١٩ م) قررت الوزارة حلّ موضوع مصطفى كمال وذهب رئيس الوزارة بالوكالة إلى الخليفة لهذا الأمر، وأرسل له الخليفة برقيةً عن طريق رئيس الديوان، فلم يُجب فاضطر الخليفة بعد منتصف الليلِ توقيع قرار الإقالة مُكرهاً.

أما مصطفى كمال فقد قابل قرار الإقالة بتقديم الاستقالة من الجيش، والتقى في أرضروم بالإنكليزي العقيد «راولنسون» ابن أخ وزير الخارجية الإنكليزية «كيرزون» لقاءً خاصاً سرّياً. ثم دعا إلى عقد مؤتمرٍ في أرضروم بتاريخ ٢٥ شوال ١٣٣٧ هـ (٢٣ تموز ١٩١٩ م) ودام هذا المؤتمر أربعة عشر يوماً، وقد انتخب مصطفى كمال رئيساً للمؤتمر، وانتهى المؤتمر بالقرارات الآتية:

١ - إن البلاد ضمن حدودها القومية وحدة لا تتجزأ.

٢ - في حالة سقوط الحكومة العثمانية فإن الشعب سيُدافع عن نفسه ضدّ أي نوعٍ من أنواع الاحتلال الأجنبي.

٣ - إذا لم تستطع الحكومة الدفاع عن الوطن واستقلاله أو لم تهتمّ به فيجب تشكيل حكومةٍ مُؤقّتةٍ تُنتخب في مؤتمرٍ قوميٍ عام، وإذا لم تكن هذه الحكومة في حالة اجتماعٍ فإن على الهيئة التمثيلية أن تقوم بهذه المهمة.

٤ يجب بناء القوة الوطنية، كما يجب جعل إرادة الأمة هي المهيمنة على كل شيء.

٥ ـ لا يمكن قبول الوصاية أو الحماية الأجنبية.

٦ ـ يجب ضمان تشكيل واجتماع مجلس الأمة، ويجب وضع الأمة تحت رقابته.

ثم كانت الدعوة إلى مؤتمرٍ أوسع يشمل تركيا كلها، وإن كان هناك من يُعارض فكرة التوسّع ومنهم كاظم باشا قره بكر، إذ يرون الاكتفاء بمؤتمر أرضروم ومُحاولة فرض شروط أفضل للصلح غير أن مصطفى كمال دعا إلى مؤتمر «سيواس» في ١٣ ذي الحجة عامة ١٣٣٧ هـ (٧ أيلول ١٩١٩ م). وانعقد المؤتمر، وكانت حكومة استانبول ترى إلغاء هذا المؤتمر، واعتقال أعضائه، وتتظاهر القوات المحتلّة بتأييد ذلك. وانتخب مصطفى كمال رئيساً للمؤتمر، وقد غيّر المؤتمر اسم الجمعية التي نشأت عقب مؤتمر أرضروم من «جمعية الدفاع عن حقوق شرقي الأناضول» إلى «جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملي». وبالتالي فإن الهيئة التمثيلية أصبحت تُمثّل الهيئة العامة للوطن بعد أن كانت تُمثّل شرقي الأناضول فقط. وانتخب المؤتمر هيئةً تمثيليةً. وبقي الأعضاء في «سيواس».

أبلغ مصطفى كمال الدوائر العسكرية والمدنية كلها أن ارتباطهم غدا بالهيئة التمثيلية في «سيواس» ولا علاقة لهم باستانبول حتى تسقط الحكومة القائمة الخائنة التي وقفت سدّاً بين السلطان والأمة.

غادر مصطفى كمال «سيواس» إلى «أنقرة» في ٢٦ ربيع الأول ١٣٣٨هـ (١٨ كانون الأول ١٩١٩ م) للقاء بالنواب الجدد الذي سيُسافرون إلى استانبول ومحاولة التأثير عليهم، وفي الوقت نفسه فقد انتقل مقرّ الهيئة التمثيلية من «سيواس» إلى أنقرة، كما حاول منع اجتماع النواب في استانبول، وحرص على لقائهم في أنقرة، ولكنه لم يُفلح.

اجتمع المجلس النيابي في استانبول في ٢١ ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ (١٢

كانون الثاني ١٩٢٠ م)، وقد ظهر في هذا المجلس جناح يُدعى « فلاح الوطن » وقد خالف هذا الجناح رأي مصطفى كمال في إنشاء جناح باسم « جمعية الدفاع عن الحقوق » لذا فقد نعتهم بصفاتٍ كثيرةٍ، ومعروف أن معظمهم كان من الأناضول، كما ظهر في المجلس « الميثاق الملي ».

أقال الخليفة من رئاسة مجلس الوزراء الداماد فريد باشا، وكلّف علي رضا بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ. وكان مصطفى كمال في هذه الآونة يرى أنه لا يوجد مجال للمقاومة المسلحة ضد شروط الصلح الفاسدة إلا التقدّم في جهة القفقاس، إذ تضعف مقاومة المسلمين في القفقاس، أما الروس بعد هجوم الأتراك على بلادهم، فيتقدّمون ويحتلّون ثانيةً القفقاس إذ كان المسلمون في بلادِ القفقاس قد انتفضوا ضدّ الروس عندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا، واستقلوا في بلادهم، وأخذوا في مقاومة الروس والوقوف في وجههم ومنعهم من العودة إلى بلاد القفقاس. فإذا ما احتلّ الروس بلاد القفقاس بعد ضعف مقاومة سكانها بسبب الهجوم التركي عليهم يضطر الحلفاء لتقديم شروط صلحٍ أفضا لبقاء دولةٍ تركيةٍ قويةٍ تستطيع البقاء أمام الروس هذا ما كان يراه مصطفى كمال يومذاك.

وفي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٣٨ هـ (١٦ آذار ١٩٢٠ م) تمّ احتلال الحلفاء لاستانبول بشكلٍ كاملٍ، وبدأ تفتيش المنازل، والاعتقالات فانتشر الذعر الأمر الذي جعل النواب يُغادرون استانبول ويعودون إلى مناطقهم.

احتلّت انكلترا استانبول دون فرنسا وإيطاليا، وإن كان الاحتلال باسمهم، وشكّل صالح باشا حكومة جديدةً ألقت القبض على عددٍ من النواب المؤيدين لمصطفى كمال، وعلى رئيس الوزراء الأسبق سعيد حليم، وألقوا في السجن يوماً واحداً، ثم نقل بعضهم إلى مالطة وغيرها وذلك لإظهار الخلاف بين الإنكليز ومصطفى كمال. وفرضت الحكومة الرقابة على الصحف ووسائل الإعلام كلها وعلى البريد والبرق والهاتف، وراقبت

انكلترا الوزارة وطلبت طاعة أوامر الخليفة لإظهار تأييدها له حتى يكرهه الشعب وينفر منه، ويثبت لدى الأمة أن مصطفى كمال ضدّ الإنكليز وما يتحرّك ضدّ الخليفة إلا لأنه مُؤيّد من قبل المحتلّين، وهذا ما يجعل الشعب يرتبط بمصطفى كمال، ويُؤيدّه ويسير وراءه، وترتبط تركيا بانكلترا، وتتمّ اللعبة الدولية.

وفي ٢٧ رجب ١٣٣٨ هـ (١٥ نيسان ١٩٢٠ م) حُلّ المجلس النيابي، واستقالت حكومة صالح باشا، وشكّل الوزارة الجديدة الداماد فريد باشا من جديد بناءً على طلب الإنكليز وضغطهم ليظهر للناس أن الخليفة وحكومته المتمثلة في صهره يسيران برأي الأعداء المحتلّين فينفر الشعب منهم، ويتجه نحو مصطفى كمال الذي يبدو أنه على خلافٍ مع المحتلّين، وأنه عدوّهم الأول، وعدوّ كل من يسير برأي هؤلاء الدخلاء المعتدين المسيطرين على العاصمة. كما استبّد فريد باشا رئيس الحكومة في حكمه وجار فتضايق السكان وأحبوا الخلاص منه، وليس لهم من طريقٍ سوى التوجّه نحو مصطفى كمال.

جرت الانتخابات ونجح مصطفى غيابياً عن أنقرة، ولكنه لم يُسافر إلى استانبول، وإنما جمع نواب أنقره وعقد منهم مؤتمراً، ونصّب نفسه رئيساً للمجلس وللهيئة التنفيذية التي شكّلها والتي ضمّت ستة أعضاء إضافة إلى شخصه[1]، ولكنها لم تدم سوى تسعة أيامٍ من ٧ ـ ١٦ شعبان حيث

---

(١) ضمت الهيئة التنفيذية:

١ ـ مصطفى كمال : رئيساً عن أنقرة.

٢ ـ عارف جلال الدين: عضواً. عن أرضروم.

٣ ـ جامي بيكوت: عضواً. عن ايدن.

٤ ـ سامي بكر: عضواً. عن أماسيا.

٥ ـ صبحي حمد الله: عضواً. عن انطاليا.

٦ ـ بهيج حقي: عضواً. عن دينزلي.

٧ ـ عصمت إينونو: عضواً. عن أدرنة.

وجد من الأفضل أن تتكوّن وزارة تشمل وزارات الدولة كلها، وإن بقيت تحمل اسم «هيئة تنفيذية»، واجتمع مجلس مصطفى كمال في أنقرة بتاريخ ٥ شعبان ١٣٣٨ هـ (٢٣ نيسان ١٩٢٠ م).

أظهر مصطفى كمال التديّن، ولبس شعاره، فأعلن أن افتتاح المجلس الخاص به في أنقره سيكون يوم الجمعة، اليوم المبارك، وسيلتقي النواب في صلاة الجمعة في جامع (حاجي بيرام) وسيتمّ بعد صلاة الجمعة ختم القرآن الكريم، وقراءة صحيح البخاري و... وعندما ألقى الخطبة الأولى يوم الافتتاح كانت كلها مديحاً للخلافة، وأنه لا يصحّ الفصل بين السلطة والخلافة، وأنه لم ينتقل إلى الأناضول إلا بمعرفة الخليفة، وان كل ما قام به لم يكن سوى تنفيذ لأوامر السلطان، وقد فضح ذلك السر لمصلحته ولكسب رضا الشعب عنه.

أما في استانبول فقد أصدر شيخ الإسلام فتوى ضدّ مصطفى كمال فضعف مركزه، وسيّر الخليفة حملةً إلى كردستان فانضمّت مقاطعاتها كلها إلى جانب الخلافة، وتبعتها كل أجزاء الأناضول باستثناء أنقره. وبعث الخليفة حملةً إلى أنقره فأخذت أوراق مصطفى كمال بالاصفرار، وكادت تتساقط لولا تداركه سادته بإذاعة بنود معاهدة سيڤر.

شكّل مصطفى كمال في أنقرة الهيئة التنفيذية الأولى[1] بتاريخ ١٥

---

(١) تشكلت الهيئة التنفيذية الأولى في أنقرة على النحو الآتي:

١ - مصطفى كمال: رئيساً.

٢ - مصطفى فهمي: وزير الشؤون الدينية.

٣ - جامي بيكوت: وزير الداخلية.

٤ - بهيج حقي: وزير الداخلية في ٢ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ.

٥ - ناظم رزمور: وزير الداخلية في ٢١ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ.

٧ - عارف جلال الدين: وزير العدل.

٨ - فاضل إسماعيل: وزير الأشغال.

٩ - سامي بكر: وزير الخارجية.

=

شعبان ١٣٣٨ هـ (٣ أيار ١٩٢٠ م)، وهكذا وجدت سلطتان تنفيذيتان في البلاد إحداهما في استانبول والثانية في أنقرة. وكانت قد تشكلت في البلاد عدة عصاباتٍ تُقاتل المحتلّين، وإن كانت تظلم السكان الذين لا ينقادون لرأيها، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على ضعف الحكومة وعدم سيطرتها على الوضع، وقد عُرفت هذه العصابات بأسماء الرجال الذين قادوها مثل « جركس أدهم » و« يوروك علي » و« توبال عثمان » و« دميرجي أفه » وقد استطاعت هذه العصابات أن تحارب الفرنسيين والأرمن في مدن « مرعش » و« أضنه » و« أورفه » و« عينتاب » وقد استطاع مصطفى كمال أن يستفيد من هذه العصابات وأن يُسخّرها في تنفيذ مخططه فهو مُزوّد بصلاحياتٍ واسعةٍ من السلطان، وبمبالغ كبيرةٍ من الأموال، ويمكنه أن يتخلّص من الذي لا يسير معه، ويقضي على من يُخالفه، وربما إذا برز رجل وخاف منه قتله بآخر، كما تمكّن بما لديه أن يقوم بدورٍ مُهمٍّ في الحركة وجمع الأعوان فالحكومة ضعيفة ولا تصل يدها إلى أكثر الجهات. كما كان ينضمّ إليه أصحاب المصالح لتحقيق مآربهم فقد انضمّ إليه مثلاً « عصمت إينونو » و« فوزي جقماق » ثم تركاه ناقمين منتقدين، وذهبا إلى استانبول، فلمّا أشرفت حركته على النجاح عادا وانضمّا إليها.

وفي الوقت نفسه قامت معارضة في الأناضول ضدّ مصطفى كمال،

= ١٠ - عدنان اديڤار: وزير الصحة.
١١ - يوسف كمال: وزير الاقتصاد.
١٢ - فوزي جقماق: وزير الدفاع.
١٣ - رضا نور: وزير المعارف.
١٤ - أحمد فريد: وزير المالية ٢ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ.
١٥ - عمر لطفي: ١٦ ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ.
١٦ - صبحي حمد الله ٥ ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ.
وعيّن عصمت إينونو رئيساً للأركان وجرت عدة تعديلات على هذه الهيئة في العام نفسه.

فمثلاً وقف في وجهه علي شكري الضابط البحار سابقاً والنائب عن مدينة «طرابزون» فاغتاله مصطفى كمال على يد توبال عثمان رئيس الحرس الشعبي، ثم اغتيل توبال عثمان على يد رجال حرس مصطفى كمال، كما عارض مصطفى كمال الشاعر محمد عاكف، ونواب أرضروم. كذلك وجدت عدة تجمّعات منها: جماعة الجمهورية التقدمية، ومنها الجماعة الحرة.

لما بايعت مقاطعات الأناضول وانضمت إلى دار الخلافة، ولم يبق سوى أنقرة، وأرسل إليها السلطان حملةً لإخضاعها شعر الإنكليز بالخطر يُحدق بصنيعتهم مصطفى كمال فأسرعوا لإنقاذه، وتمّ عقد معاهدة (سيڤر) في ٢٦ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ (١٠ آب ١٩٢٠ م) وكان قد مضى على هدنة (مودروس) ما يقرب من عامين ٢٥ محرم ١٣٣٧ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ م)، وقد وافق السلطان على معاهدة (سيڤر) مُكرهاً ووقّعها الداماد فريد باشا، وكانت هذه المعاهدة مُجحفةً بحقّ العثمانيين إذ تعني تقسيم البلاد بين الأوربيين، إذ تُسلخ بلاد العرب من الدولة، وتُصبح استانبول دولةً وحدها، ويلحق الجزء الأوربي وجزر بحر إيجه بإدارة اليونان، وتصبح أرمينيا دولةً مستقلةً، وتُعطى كردستان حكماً ذاتياً، وتُوضع المضائق (البوسفور والدردنيل) تحت إشراف هيئةٍ دوليةٍ، ويُحدّد عدد الجيش، ويخضع لتوجيه الحلفاء الذين أعطوا في الوقت نفسه حقّ السيطرة على المالية، واحتفظوا بالامتيازات التي كانت ممنوحةً لهم قديماً، كما أُعطيت الأقليات النصرانية امتيازاتٍ إضافيةٍ أخرى. أذيعت نصوص معاهدة (سيڤر) بأسلوبٍ إعلاميٍ مُثير فهاج الشعب، ونقم على الخليفة، وحقد على الداماد فريد باشا وعلى حكومته، وانقلب الرأي العام ضدّ الخليفة بعد أن كان بجانبه وإلى جانب مصطفى كمال بعد أن كان ضدّه. وبعد أن كان رجال الحملة التي أرسلها السلطان إلى أنقرة على درجةٍ من الحماسة ضدّ مصطفى كمال انقلبت هذه الحماسة وأصبحت له، فهُزمت الحملة وتراجعت، وأصبح سيد أنقره يُفكّر في الهجوم على العاصمة استانبول.

وقبل أن يتابع الإنسان في سرد الأحداث لا بدّ من أن يتساءل ويقف عند كثير من الوقائع، لما كان الخليفة بجانب الإنكليز حسب الدعاية فلماذا يُهاجم الإنكليز استانبول مقرّ الخليفة، ولم يقوموا بأي شيءٍ ضدّ مصطفى كمال الذي يُناصبهم العداء؟ إن الأمر واضح، الخليفة معهم ظاهراً وعدوّهم واقعاً، ومصطفى كمال يُهاجمهم في الظاهر وعلى اتفاقٍ معهم في الحقيقة. ولماذا تُهاجم قوات مصطفى كمال الطليان والفرنسيينَ وتتجنّب الإنكليز مع أن الآخرين (الانكليز) هم الذي احتلّوا استانبول، وهم الذين يتحرّكون على الساحة الدولية، ويُحرّكون الأحجار في اللعبة الدولية؟ إن الهجوم والغارات على القوات الفرنسية والإيطالية يرفع من شأن مصطفى كمال عند أبناء بلده ويُعطيه الصفة الوطنية والإخلاص في العمل، فتستفيد انكلترا بارتفاع صنيعتها على حساب حلفائها ولا تخسر هي شيئاً.

وجاءت معاهدة (سيڤر) في الوقت المناسب، فانتصر على حملة الخليفة، وعلت مكانته، وأرادت انكلترا أن تقطف ثمار تخطيطها فقد غدا صنيعتها في موقفٍ يُؤهلّه لاستلام المنصب الأول.

دعت انكلترا لعقد مؤتمر في لندن لحلّ المسألة الشرقية التي مرّت عليها قرون، وهي صعبة الحلّ مستعصية فكّ الرموز، أما الآن وقد أصبحت انكلترا صاحبة الكلمة الأولى في المنطقة، ولأعوانها من أبناء المنطقة مثل ذلك الموقف، فهي قادرة إذن على الحلّ، وعلى توزيع الغنائم، وتقسيم المناصب بين الأعوان، وكذلك دعت لإعادة النظر في بنود معاهدة (سيڤر) التي لم يجفّ حبرها بعد، والتي كلها في مصلحتها، فلماذا تدعو؟ ألتتنازل عن بعض مصالحها التي تحرص عليها أما ماذا؟ الواقع أنها تريد إعطاء مكافأة للصنيعة التي خدمتها، والتي لم يمكن أن تخدمها أكثر إلا عندما تنال المكافأة التي تسعى إليها.

دعت انكلترا إلى مؤتمر لندن حكومة أنقرة، كما دعت حكومة

استانبول أي أنها اعترفت بحكومة أنقرة ضمناً وساوت بينها وبين الحكومة الشرعية، والغريب كل الغرابة أن يُدعى وفدان إلى مؤتمرٍ يُمثّلان جهةً واحدةً، وإذا كان من الطبيعي أن ترفض حكومة استانبول دعوة طرفٍ ناشزٍ عنها لكنها لم تفعل، غير أن حكومة أنقرة الناشزة هي التي رفضت دعوة حكومة استانبول، واستغربت ذلك، وادّعت انها الحكومة الشرعية الوحيدة وهي الممثلة الوحيدة للأمة مع العلم أن حكومة استانبول هي التي خاضت الحرب، وهي التي هُزمت، وهي المسؤولة عن توقيع الاتفاقات موضوع الصلح. ودعا رئيس الوزراء في استانبول توفيق باشا تشكيل وفدٍ واحدٍ من الطرفين ليتكلم بصوتٍ واحدٍ أمام الأعداء، ولتوحيد الكلمة أمام الخصوم غير أن مصطفى كمال رفض ذلك.

ذهب وفدان تركيان إلى مؤتمر لندن وفد يُمثّل دار الخلافة برئاسة رئيس الوزراء توفيق باشا، والآخر يُمثّل حكومة أنقرة برئاسة وزير خارجيتها سامي بكر. وعُقد المؤتمر في جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (شباط ١٩٢١ م) وقد حضره ممثلون عن انكلترا، وفرنسا، وإيطاليا والدولة العثمانية بجناحيها، وحرصاً على وحدة الصف والحصول على نتائج أفضل فقد سكت وفد الخلافة وأعطى حقه لوفد أنقرة. اقترح وفد أنقرة باسم الأمة جميعها جعل ولاية إزمير ولاية ذات استقلالٍ ذاتي يحكمها نصراني، فرفض الحلفاء إلا أن تكون تحت السيطرة اليونانية، وفشل المؤتمر، وإن كانت قد وقعت اتفاقات خاصة وجانبية مع الفرنسيين، وقد رفض مصطفى كمال تلك الاتفاقات واضطر وزير خارجيته رئيس الوفد سامي بكر أن يستقيل من منصبه، وأُلغيت تلك القرارات وانتهى الأمر.

اتصل مصطفى كمال بفرنسا واعترف لها بحقها في بلاد الشام الشمالية (سوريا ولبنان) أو تنازل لها عنها، واتفق معها على تعيين الحدود بين سوريا وتركيا، ومقابل ذلك التنازل فقد انسحبت من منطقة كيليكيا التي كانت تحتلّها. وحسب المفهوم القومي لم يتنازل مصطفى كمال عن شيء

فإن سوريا خارجة عن نطاق القومية التركية أما بالمفهوم الإسلامي فقد أحدث شرخاً عظيماً في الأمة، فرضيت فرنسا عن مصطفى كمال واعترفت به ممثلاً لدولة تركيا الحديثة.

واتصل مصطفى كمال مع دولة روسيا الشيوعية وعقد معها معاهدة في ٧ رجب ١٣٣٩ هـ (١٦ آذار ١٩٢١ م) وتنازل لها عن منطقة آجاريا التي عاصمتها باطوم، فرضيت روسيا عن مصطفى كمال، واعترفت بحكومة أنقرة على أنها تُمثّل الدولة الحديثة للأتراك.

واتصل مصطفى كمال مع إيطاليا فاعترفت بحكومته، وتنازلت عن منطقة أضاليا التي دخلتها أثناء الحرب، وبذلك فقد قوي مركز مصطفى كمال، واتجهت الأنظار نحوه، وأُغلقت القنوات مع حكومة الخليفة الشرعية والتي يريد النصارى اجتثاثها من جذورها وإزالة كل أثرٍ من آثار الإسلام.

القتال مع اليونان:

لم يتم التفاهم مع اليونانيين كما تم مع الفرنسيين والطليان والروس وربما كان ذلك لإخراج التمثيلية بشكلٍ أفضل أو هكذا اقتضت اللعبة الدولية.

كانت الأسلحة الروسية تتدفّق على مصطفى كمال وتأمل أن يكون تعاون بينها وبينه إذ كانت ترغب في أن يكون لها نقطة ارتكازٍ في تركيا، وإذا كانت تعرف أنه صنيعة للإنكليز غير أنها تأمل في اجتذابه إليها أو ربما تقع جفوة بينه وبين الإنكليز فيكون الروس البديل بالنسبة إلى مصطفى كمال لذا كانت تمدّه بالأسلحة. ولما كانت تعلم ارتباطه بانكلترا لذا فقد احتفظت عندها بأنور باشا لتضربه في الوقت المناسب به، وبقي هذا الوضع حتى تمكن أنور باشا من الانفلات من قبضة الروس بحيلةٍ ونجا، ثم ظهر موقف مصطفى كمال تماماً بالنسبة لها.

كانت الأسلحة الروسية تصل إلى الأناضول عن طريق خطوط الإنكليز

عبر المضائق، وتسكت انكلترا عن هذا بل تُشجّع لأن هذه الأسلحة تكفيها المؤونة إذ تذهب إلى صنيعتها والأفضل لها أن يُمدّ بالأسلحة، ويكفيها غيرها هذا العبء.

بعد أن انسحب الفرنسيون من كيليكيا تحرّكت القوات التركية إلى الجهة الغربية، وشكّل مصطفى كمال الجيش النظامي للمجلس الوطني، وأعطى أوامره بإنهاء القوات غير النظامية أو رجال العصابات التي كانت تُقاتل المحتلّين، ومن رفض هذه الأوامر قُوتل، وقد رفض الانصياع أدهم جركس فطارده الجيش في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ.

لاحظ اليونانيون تجمّع القوات التركية، وعرفوا أنه الصدام فشنّوا هجومهم على الأتراك في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٢١ م)، وكانوا يتوقّعون دعم الحلفاء لهم بصفتهم حلفاء لهم، ثم إنهم تجمعهم معهم رابطة العقيدة التي قاتلوا تحت رايتها عدة قرون فانطلقت الجيوش الصليبية تحت راية الصليب، ثم جاء الاستعمار الصليبي تحت شعار الاقتصاد، وحمل في هذه المنطقة اسم «المسألة الشرقية» غير أن الصليبية اليوم هي ما تريد كل دولةٍ فيها تحقيق مصالحها قبل غيرها، وإن كانت لا تتنازل أبداً عن مهمتها الرئيسية في ضرب الإسلام. وانكلترا هي صاحبة الكلمة الأولى بين الحلفاء في هذه المنطقة، ومصطفى كمال صنيعتها، وهي لا تريد دعم اليونان ضدّ مصطفى كمال أو بالأحرى ضدّ نفسها، كما لا تريد أيضاً دعم مصطفى كمال ضدّ اليونان وهذا ما يثير الكنيسة عليها، ويُهيّج الرأي العام النصراني ضدّها حيث لا يعرفون خفايا اللعبة، ولكنها على يقينٍ في أن مصطفى كمال سيهدّم في الإسلام أكثر مما تُهدّمه جحافل الصليبيين قاطبةً كرهاً منه في الإسلام وتمشّياً مع مصلحته، وما دام من الذين ينتمون إلى الإسلام فإن كثيرين يسيرون معه وراء مصالحهم، ولا يجتمع رأي المسلمين ضدّه على حين أن أية دولةٍ نصرانيةٍ سيطرت على المنطقة فإنها لا تستطيع أن تفعل فعله في التأثير على الإسلام،

وهذا ما حدث فعلاً. لذا فقد أعلنت انكلترا باسم الحلفاء أنهم على الحياد بالنسبة إلى هذا القتال الدائر بين الأتراك واليونانيين، وربما يتساءل قائل فيقول: أي حيادٍ وأن انتصار مصطفى كمال سيكون له الأثر الكبير على الإنكليز الذين يحتلّون استانبول؟ غير أننا لاحظنا أن انكلترا مطمئنة كل الاطمئنان من هذه الناحية، فمصطفى كمال يتحرّك بإشارتها، ولن يصيبها أي تأثيرٍ بانتصاره بل تتحقق خطتها، وأن الإسلام سيناله أكبر ضربةٍ على يد هذه الصنيعة، واللعبة الدولية هي التي تنجح وستُحقّق الأهداف المرسومة.

شنّ اليونان هجومهم في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٢١ م)، وأحرزوا انتصاراً على الأتراك في المعركة التي عُرفت باسم (معركة عصمت إينونو الأولى)، وكان ذلك قبل عقد مؤتمر لندن، وكان الهدف من هذا الهجوم الضغط على المفاوضين الأتراك للحصول على نتائج أفضل في المفاوضات حسب ظاهر التمثيلية غير أن المؤتمر قد فشل، وتوقّفت المفاوضات، لذا كان على اليونانيين الحصول على مغانم بالسيف لم يحصلوا عليها بالمفاوضات سلماً.

زحف اليونانيون في ١٣ رجب ١٣٣٩ هـ (٢٢ آذار ١٩٢١)، وكان المؤتمر لا يزال منعقداً ولكن لم يؤُثر هذا التقدّم على سير المفاوضات، وكان التقدّم باتجاه (أسكي شهر) و(أفيون قره حصار) حيث التقاء السكك الحديدية إذ تُعدّ هاتان المدينتان من عقد المواصلات المهمة في غربي الأناضول، ولكنهم هُزموا وارتدوا إلى (بروسة)، فصمّموا الهجوم على استانبول غير أن القوات البريطانية قد وقفت في وجههم فانكفؤوا نحو الشرق، والتقوا مع القوات التركية التي كانت بقيادة عصمت إينونو، ووصلوا إلى «كوتاهية» واستولوا على (أفيون قره حصار) في الجنوب، وتحرّكوا نحو الشمال، وفي هذا الوقت وصل مصطفى كمال إلى جبهة القتال، وأعطى أوامره للقوات التركية بوقف القتال والتراجع نحو الشرق

رغم ما تتكبّد القوات من خسائر كبيرة أثناء تراجعها، وصدرت الأوامر بالتوقف قرب (سقاريا). وتمّ الانسحاب والتجمع شرق نهر سقاريا. وفي هذه الأثناء جاء وفد من استانبول برئاسة عزت باشا وصالح باشا للتنسيق من أجل القتال ولما وصل الوفد إلى أنقرة منع من العودة حتى أخذ مصطفى كمال تعهداً خطياً من عزت باشا وصالح باشا بالانسحاب من حكومة استانبول.

رجع مصطفى كمال من (أسكي شهر) على جبهة القتال الأولى إلى أنقرة عن طريق السكة الحديدية، وفي أنقرة تجرّأ أعضاء المجلس الوطني على مصطفى كمال فاضطر إلى الرجوع إلى الجبهة الجديدة، وأثار حماسة الضباط، وأعلن أن الجيش لا يزال مُتماسكاً قوياً.

تجمّع الأتراك إلى شرق نهر سقاريا ووصل اليونانيون إلى غربه فتجمّعوا هناك، وبدأ الهجوم اليوناني في شوال ١٣٣٩ هـ (حزيران ١٩٢١ م) وتراجع الأتراك بصورةٍ فوضويةٍ واندحروا أمام اليونان، ولم يستطع أن ينسحب سوى ثلاثين ألفاً من أصل سبعين ألفاً وكان رأي (فوزي جقماق) إخلاء مدينة أنقرة، ونقل العاصمة الى مدينة (قيصرية)، وفعلاً بدأ الناس ينتقلون وكان أولهم وزير المعارف صبحي حمد الله وبعض النواب. وكان انسحاب القوات عشوائياً وحدثت ثغرة صعب سدّها إلا بالفدائيين الذين هاجموا الأعداء بالسكاكين إذ لم يكن لديهم حراب، وفي الوقت الذي همّ مصطفى كمال فيه بإعطاء أوامر الانسحاب والتراجع كان اليونانيون ينسحبون حيث لم يجدوا جدوى من هذا الهجوم الذي دام عشرة أيام حيث توقّف هجومهم فجأةً في الساعة الثانية صباحاً، ثم بدأ الانسحاب في ٥ محرم ١٣٤٠ هـ (٧ ايلول ١٩٢١ م)، وانتبه إلى هذا (فوزي جقماق) فطلب من مصطفى كمال أن يسحب أوامر التراجع، ولكن لم يكن قد أعطاها بعد، وكان اليونانيون يحرقون القرى، ويردمون الآبار، ويسوقون المواشي أثناء تراجعهم، ويقتلون الأهالي، ووصلوا إلى

(أزمير) فتركوها وراءهم في ٧ محرم ١٣٤٠ هـ، وتابعوا سيرهم إلى جهة الغرب، ودخل الأتراك المدينة دون أن يُطلقوا أية رصاصةٍ، وتسلّم محمد نور الدين باشا المدينة، وعقدت الهدنة مع اليونان التي انسحبت من تراقيا أيضاً، وبعد خمسة أيام من الهدنة أُقيلت حكومة السلطان بضغط من القوات الإنكليزية، وكان قد تنازل السلطان فأُبعد عن البلاد مع ابنه، ولم يسمح لهما إلا بأخذ حقيبة ملابس صغيرة ورجل يحملها، وأبحرت بهما الباخرة إلى جزيرة مالطة ونودي بالأمير عبد المجيد بن عبد العزيز خليفة بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٣٤٠ هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٢١ م).

وبعد دخول (أزمير) بأقل من شهرين اجتمع المجلس بتاريخ ١ ربيع الأول ١٣٤٠ هـ (١ تشرين الثاني ١٩٢١ م) وبحث موضوع إلغاء السلطنة أي فصل الدين عن الدولة، وبعد أسبوعٍ خرج بقرارِ إلغاء السلطنة دون تحديد لنظام الحكم في المستقبل. وقد سرّ الحلفاء لهذا سروراً بالغاً فما أن مضى عشرون يوماً حتى دعيت حكومة أنقرة إلى لوزان لإعادة النظر في بنود معاهدة (سيفر) في ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٠ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٢١ م).

كانت الحكومات تتبدل تبعاً لرغبة مصطفى كمال وبالشكل الذي يريده ففي ١٥ جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ (٢٤ كانون الثاني ١٩٢١ م) سمّى مصطفى كمال أسماء حكومة جديدة[1] ولم تدم أكثر من خمسة أشهر.

---

(١) كانت الحكومة على النحو الآتي:
١ - فوزي جقماق: رئيساً، ووزيراً للدفاع.
٢ - مصطفى فهمي: للأمور الشرعية.
٣ - رفعت أتابك: وزيراً للداخلية.
٤ - عارف جلال الدين: وزيراً للعدل.
٥ - يوسف كمال: ٢٩ وزيراً للعدل في ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ.
٦ - عمر لطفي: وزيراً للأشغال.
٧ - سامي بكر: وزيراً للخارجية. =

ثم عدّل مصطفى كمال أعضاء الوزارة[1] بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٣٩ هـ (١٩ أيار ١٩٢١ م)، ولم يكن لهذه الوزارات بيانات أو برامج وإنما كان

= ٨ - عدنان أديفار: وزيراً للصحة.
٩ - يوسف كمال: وزيراً للاقتصاد.
١٠ - محمود جلال بايار: وزيراً للاقتصاد.
١١ - أحمد فريد: وزيراً للمالية.
١٢ - صبحي حمد الله: وزيراً للمعارف.
١٣ - عصمت إينونو: رئيساً للأركان العامة.

(١) تسلّم مصطفى كمال رئاسة الأمة التركية. أما الهيئة التنفيذية فتشكلت على النحو الآتي:
١ - فوزي جقماق: رئيساً، ووزيراً للدفاع.
٢ - مصطفى فهمي: المسؤول الشرعي.
٣ - عبد الله عزمي: ١٥ رمضان ١٣٤٠ هـ.
٤ - رفعت بيلي: وزيراً للدفاع ١ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ.
٥ - كاظم قره بكرلي: وزيراً للدفاع ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ.
٦ - رفيق شوكت: وزيراً للعدل.
٧ - حسن سقا: وزيراً للمالية.
٨ - حسن فهمي: وزيراً للمالية ٢٧ شعبان ١٣٤٠ هـ.
٩ - عطا النكدي: وزيراً للداخلية.
١٠ - رفعت بيلي: وزيراً للداخلية ٢٤ شوال ١٣٣٩ هـ.
١١ - علي فتحي أوقيار: وزيراً للداخلية ٨ صفر ١٣٤٠ هـ.
١٢ - صبحي حمد الله: وزيراً للمعارف.
١٣ - وهبي بولاك: وزيراً للمعارف ١٩ ربيع الأول ١٣٤٠ هـ.
١٤ - عمر لطفي: وزيراً للأشغال العامة.
١٥ - حسين رؤوف أورباي: وزيراً للأشغال ١٧ ربيع الأول ١٣٤٠ هـ.
١٦ - فوزي برنجي زاده: ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ.
١٧ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.
١٨ - رضا نور: وزيراً للصحة ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٠ هـ.
١٩ - يوسف كمال: وزيراً للخارجية.
٢٠ - محمود جلال: وزيراً للاقتصاد.
٢١ - سري بلليوغلو: وزيراً للاقتصاد ٢١ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ.
٢٢ - حسن السقا: وزيراً للاقتصاد ١٥ رمضان ١٣٤٠ هـ.

مصطفى كمال هو الذي يأمر فتُنفّذ الأوامر، وهذه هي البرامج، أو هي آراء ارتجالية يُقرّر تنفيذها في وقتها. كما أنه كان يعزل الوزراء ويُعيّن مكانهم كما يحلو له، وفي الوقت الذي يرغب وحسب مزاجه الخاص، وحسبما يُقدّم له من خدمات.

تشكّل الوفد إلى مؤتمر الصلح في لوزان من وزير الخارجية عصمت إينونو، ووزير الصحة رضا نور، وخبير مالي هو حسن السقا، وجاء الحلفاء وهم: انكلترا، فرنسا، ايطاليا، اليونان، اليابان، الولايات المتحدة الأمريكية. وكان الرأي كله بيد انكلترا، وكانت الجولة الأولى حامية، وحدثت منازعات حادة، وكانت تلوّح انكلترا بالحرب، وكان مُمثّلها يومذاك في لوزان وزير الخارجية اللورد كيرزون. وكان مستشار ايطاليا أحد يهود الدولة العثمانية وهو (ماتر سالم) إضافةً الى اليهودي (قره صو).

كانت انكلترا تحرص على إلغاء السلطنة بإعلان العلمانية، وإلغاء الخلافة بل وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، ومصادرة أملاكه، والإبقاء على بطركية الروم في استانبول، والإبقاء على الموصل بعيدةً عن تركيا وضمن الأراضي التي تخضع للسيطرة الإنكليزية. وكانت هذه الشروط لإعطاء تركيا الاستقلال. ولكن لم يتمّ الاتفاق بين المفاوضين، غير أن رضا نور عضو الوفد التركي قد صرّح في آخر اجتماعات الجولة الأولى. «إن تركيا أصبحت علمانيةً، وقد انفصل الدين عن الدولة، وإذا ما تمّ الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية» وكان لهذا التصريح أثره الكبير.

رجعت الوفود إلى بلدانها إذ لم يتم التفاهم والاتفاق، وجاء من استانبول إلى أنقرة (حاييم ناعوم) كبير حاخامات اليهود في الدولة العثمانية والتقى مع الوفد التركي إلى لوزان، وجاء أيضاً (ماتر سالم) مستشار الطليان في المؤتمر وهو يحمل الجنسية العثمانية والإيطالية، ويُشرف على البنك العثماني في (سالونيك)، وأدّى دوره والتقى بالوفد أيضاً.

دعيت الوفود الى لوزان مرةً أخرى للبحث من جديدٍ في بنود معاهدة (سيڤر) أو للجولة الثانية بعد انقضاء مدة ليست قصيرةً، وكانت جولةً سهلةً حتى لم يجد وزير الخارجية اللورد كيرزون ضرورةً لحضوره إذ طُبخت الطبخة أو تمت اللعبة الدولية، وإنما اكتفى بإرسال (رومبولد)، وكان إلغاء الخلافة، وترك الموصل شرطان أساسيان لاستقلال تركيا.

اجتمع المجلس النيابي في أنقرة بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٢٣م)، وقرّر إلغاء السلطنة، وإعلان الجمهورية، وانتخب مصطفى كمال بالإجماع رئيساً للجمهورية من قبل مائة وثمانية وخمسين نائباً اشتركوا في التصويت، ومُباشرةً وبعد يومين وُقع الصلح في لوزان ٢٢ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (١ تشرين الثاني ١٩٢٣ م)، وأطلقت المدافع مائة طلقةٍ وطلقةً في أنقرة ابتهاجاً بهذا التوقيع.

وفي ١٨ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (١٢ تموز ١٩٢٢ م) كانت قد تشكلّت وزارةً جديدة[1] استمرت ما يزيد على السنة وقد جرت في عهدها

---

(١) كانت الوزارة الجديدة على النحو الآتي:
١ ـ حسين رؤوف أورباي: رئيساً.
٢ ـ عبد الله عزمي: المسؤول الشرعي.
محمد وهبي: ١٧ ربيع الأول ١٣٤١ هـ.
٣ ـ فوزي جقماق: رئيساً للأركان.
٤ ـ كاظم قره بكرلي: وزيراً للدفاع.
٥ ـ يوسف كمال: وزيراً للخارجية.
عصمت إينونو: وزيراً للخارجية في ٦ ربيع الأول ١٣٤١ هـ.
٦ ـ حسن فهمي آتش: وزيراً للمالية.
٧ ـ وهبي بولاك: وزيراً للمعارف.
إسماعيل صفا: ١٧ ربيع الأول ١٣٤١ هـ.
٨ ـ عارف جلال الدين: وزيراً للعدل.
رفعت كارزي: وزيراً للعدل في ٢٣ ذي الحجة ١٣٤٠ هـ.
٩ ـ محمود أسعد بوزكورت: وزيراً للاقتصاد. =

المفاوضات من أجل اتفاق لوزان، وقبل أن يتمّ التوقيع بأكثر من شهرين جاءت حكومة جديدة[1]، استمرت إلى ما قبل إعلان الجمهورية بثلاثة أيام.

أعلنت الجمهورية على غير رضا من الشعب في وقت كانت فيه الأمة منهوكة القوى مسلوبة الحرية، تتحكّم فيها الدول النصرانية، ويستبدّ بها صنيعة تلك الدول، والجهل منتشر، والفقر طاغٍ، ولا يعرف الناس ألاعيب السياسة، ومكر الصليبية، وخداع الصنائع.

وقد كان المستفيدون من أصحاب المصالح، ورجال الأهواء، ومحبي

= ١٠ ـ فوزي برنجي زاده: وزيراً للأشغال.
رشاد كيالي: وزيراً للأشغال.
١١ ـ فؤاد بولو: وزيراً للصحة.
رضا نور: وزيراً للصحة في ٤ صفر ١٣٤١ هـ.
١٢ ـ إسماعيل صفا: وزيراً للداخلية.
علي فتحي أوقيار ٢٩ محرم ١٣٤١ هـ. ١٤ صفر ١٣٤١ هـ.

(١) تشكلت الحكومة على النحو الآتي:
١ ـ علي فتحي أوقيار: رئيساً، ووزيراً للداخلية.
٢ ـ موسى كاظم: المسؤول الشرعي.
مصطفى فوزي: المسؤول الشرعي في ٢٠ محرم ١٣٤١ هـ.
٣ ـ عصمت إينونو: وزيراً للخارجية.
٤ ـ كاظم باشا: وزيراً للدفاع.
٥ ـ إسماعيل صفا: وزيراً للمعارف.
٦ ـ محمود أسعد بوزكورت: وزيراً للاقتصاد.
حسن السقا: ١٣ صفر ١٣٤٢ هـ.
٧ ـ رضا نور: وزيراً للصحة.
٨ ـ حسن فتحي أتش: وزيراً للمالية.
٩ ـ فوزي برنجي زاده: وزيراً للأشغال.
١٠ ـ فوزي جقماق: رئيساً للأركان الحربية.
١١ ـ مصطفى نجاتي أوغرال: وزيراً للعمران والإسكان.

المناصب، والساعين وراء الجاه هم الذين يتحرّكون على الساحة، ورغم قلّتهم يظهرون كثرةً بسبب الحركة الدائبة، والصياح المستمر، يُبدون التأييد، والموافقة على ما تمّ، والمطالبة بالمزيد، وربما كانت مصالحهم هي التي أعمتهم عن رؤية الوقائع على حقيقتها، وقد يكونون فعلاً مقتنعين بما يفعل سيدهم صنيعة الدول الأجنبية وذلك نتيجة افتتانهم بالحضارة المادية، وهزيمتهم النفسية أمام العدو الماكر، ولواقع أمتهم التي تغط في نومها لما لحق بها من ضعفٍ، وذلٍّ وإهانةٍ، بالابتعاد عن العقيدة، وضغط الاستعمار الصليبي.

الفصل الأول

الجمهورية الاستبدادية
أو
حكم الحزب الواحد

يلاحظ أن الأحداث كانت تتابع في أنقرة، والأنظار تتجه إليها، ووسائل الإعلام العالمية تُسلّط الأضواء على مصطفى كمال وتحاول إبرازه يوماً بعد يوم، وتُعطيه الصورة التي تتألّق، فهو ينتقل من نصرٍ إلى نصرٍ حتى خُدع به كثيرون في العالم الإسلامي إذ كان يظهر التديّن أحياناً، وأن ارتباطه بالإسلام أمر طبيعي حسب ادّعائه، فمدحه شعراء، ودعا أدباء مواطنيهم وقادتهم للاقتداء به، والسير على نهجه، فقد حرّر أمته، وانتزع لها النصر انتزاعاً، ووضعها في مصاف الدول المرموقة، أو هكذا خُيّل إليهم بسبب الدعاية الأجنبية وخاصةً الإنكليزية منها، لذا فإن أكثر البلاد التي انتشرت له الدعاية فيها هي التي كان للإنكليز فيها نفوذ أو تخضع لسيطرتهم، وفي هذا الوقت بالذات كانت استانبول تعيش على هامش الأحداث رغم أنها العاصمة، ويُقيم الخليفة فيها، وتوجد بجانبه الحكومة الشرعية، وتحرص وسائل الإعلام الأجنبية التعتيم عليها كلياً، بل تريد أن تُطفىء ما فيها من نورٍ نهائياً، لتظهر أنقرة وحدها، وكأنها هي سيدة الموقف من غير منازعٍ. إن استانبول كانت مركز الخلافة ومركز التوجّه للإسلام، وهذا ما لا يريده الأعداء بل هو ما يرغبون في إزالته والقضاء عليه.

وإذا كان مصطفى كمال قد أعلن الجمهورية، وانتخب رئيساً، لكنه لا

يزال يشعر بأن هناك من هو أعلى منه، هناك الخليفة الذي ينظر إليه المسلمون نظرة احترامٍ لمركزه لا لشخصه فإنه محطّ أنظارهم، ومكان التقائهم مهما وقعت من أحداثٍ بينهم، والخليفة هو سيد مصطفى كمال، هو الذي أرسله للقيام بالحركة، ووجّهه كي ينتزع شروطاً أفضل للصلح، وأغدق عليه المال حتى يستطيع العمل، ولولا الخليفة لم يستطع أن يقوم مصطفى كمال بأي عملٍ، لذا كان يجب أن يحسّ بوخز الضمير ـ إن كان لديه ضمير ـ بما يتصرّف به من أعمال تُخالف السلطان، بل لم تكن مُوجّهة إلا ضدّه وضدّ الأمة كلها، ولكن لا يُبالي بل عليه أن ينتهي منه حتى ينفرد بالأمر، ويُرضي الذين وضعوه بهذا المكان، ورفعوه ليُؤدّي هذا الأمر وهو إلغاء الخلافة، ثم ليُحقّق ما في نفسه من طموحٍ ومن حقدٍ على الإسلام.

إلغاء الخلافة:

كان على مصطفى كمال ـ حسب مخططه ـ أن يزيل قبل شيء الخلافة لدوافع كثيرة منها شخصية ككرهه للإسلام، وحقده على نظمه، وتحقيقاً لطموحاته بإزالة كل الذين يُخالفونه ويقفون في وجهه، وأمام تصرّفاته، وانفعالاته، وشهواته، وأهوائه، ومنها خارجية إرضاءً لإصدقائه الحلفاء وتنفيذاً لوعوده لهم إلغاء السلطنة والخلافة وأخذ القوانين الأجنبية ولا يقدم على هذا العمل حتى تكون الوزارة كلها من أنصاره، والمجلس النيابي من أتباعه لذا فقد شكّل وزارةً جديدةً[1] قبل يومٍ واحدٍ من إعلان

---

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ عصمت إينونو: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية.

٢ ـ مصطفى فوزي: وزيراً للأمور الشرعية.

٣ ـ فوزي جقماق: للأركان الحربية.

٤ ـ أحمد فريد تيك: وزيراً للداخلية.

٥ ـ حسن فهمي أتش: وزيراً للمالية. =

الجمهورية وانتخابه رئيساً، وكانت برئاسة عصمت إينونو الذي أصبح ظلاً له، وعبداً يُنفّذ أوامره ما دامت تتحقّق مصالحه.

أما النواب في المجلس فكان معظمهم من العسكريين، ومن رجال مصطفى كمال المسلحين، لذا طلب منهم الاستقالة والعودة إلى قطعاتهم حتى يأتي بمجلس جديدٍ من أنصاره فقط من غير معارضةٍ فاستقال كاظم قره بكرلي، وعلي فؤاد، ورفعت باشا غير أن جعفر الطيار رفض الاستقالة وأصرّ أن يبقى نائباً، واستقال الآخرون، وبقوا على رأس قطعاتهم بناءً على أوامر الغازي مصطفى كمال.

بعد أربعة أشهرٍ من إعلان الجمهورية يذهب رئيس الجمهورية مصطفى كمال، ورئيس الوزراء عصمت إينونو، ووزير الدفاع كاظم قره بكرلي، ورئيس الأركان فوزي جقماق إلى أزمير، ويأمر الغازي بإلغاء الخلافة، ووزارة الأمور الشرعية، ووزارة الأوقاف، وإلحاق المدارس الدينية بوزارة المعارف، وإخراج الخليفة وأفراد أسرته جميعاً من البلاد وذلك في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م). وتمّ ذلك، وطرد الخليفة عبد المجيد بن عبد العزيز، ونُقل إلى مدينة (نيس) بجنوبي فرنسا على ساحل البحر المتوسط ليعيش هناك.

وأصبح مصطفى كمال سيد البلاد بلا مُنازع، واتجه نحوه أصحاب

= مصطفى عبد الخالق: وزيراً للمالية ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٢ هـ.

٦ - كاظم قره بكرلي: وزيراً للدفاع.

٧ - حسن السقا: وزيراً للاقتصاد.

٨ - سيد بك: وزيراً للعدل.

٩ - إسماعيل صفا: وزيراً للمعارف.

١٠ - مختار جلبي: وزيراً للأشغال.

١١ - سليمان سري: وزيراً للأشغال في ١٢ جمادى الآخرة ١٣٤٢ هـ.

١٢ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.

١٣ - مصطفى نجاتي: وزيراً للعمران والإسكان.

المصالح والأطماع، وبعد ثلاثة أيامٍ من إلغاء الخلافة أي في ١ شعبان ١٣٤٢ هـ (٦ آذار ١٩٢٤ م) كلّف عصمت إينونو بتشكيل الوزارة من جديدٍ[١].

وقد جرت في هذه الأثناء محاولة لقتل مصطفى كمال في أزمير غير أنه نجا منها، فإن الله سبحانه وتعالى لم يكتب له نهاية الحياة بعد.

الحياة النيابية:

ظنّ عدد من رجالات البلاد سواء الذين ساروا مع مصطفى كمال أم الذين لم يسيروا أنه ستكون حياة نيابية، وحرية دستورية، وتشكيل أحزاب على غرار الحياة الأوربية التي يُفتن بها مصطفى كمال سيد البلاد، لذا عملوا على تشكيل الأحزاب.

لقد عمل رؤوف أورباي على تشكيل الحزب الجمهوري التقدمي،

---

(١) شكل عصمت إينونو وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - عصمت إينونو: رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية.
٢ - كاظم قره بكرلي: وزيراً للدفاع.
٣ - أحمد فريدتيك: وزيراً للداخلية.
٤ - مصطفى عبد الخالق: وزيراً للمالية.
٥ - رجب بكر: وزيراً للمالية ١٧ شوال ١٣٤٢ هـ.
٦ - حسن السقا: وزيراً للتجارة.
٧ - زكائي أبايدين: وزيراً للزراعة.
٨ - شكري قايا منتشا: وزيراً للزراعة ٢٠ محرم ١٣٤٣ هـ.
٩ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.
١٠ - مصطفى نجاتي: وزيراً للعدل.
١١ - حسين واصف: وزيراً للمعارف.
١٢ - سليمان سري: وزيراً للأشغال.
١٣ - محمود جلال: وزيراً للعمران والإسكان.
١٤ - رفعت جانيتز: وزيراً للعمران والإسكان ٥ ذي الحجة ١٣٤٢ هـ.

وكان معه جعفر الطيار قائد الفرقة السابعة، والنائب في المجلس النيابي، وجمال المرسيني، ورفعت باشا، وكاظم باشا، وعلي فؤاد باشا، وقد حصل هذا الحزب على الأكثرية غير أن مصطفى كمال لا يمكن أن يقبل هذا، فحلّ المجلس، وأتى بمجلسٍ جديدٍ، وتخلّص ممن تصوّرهم مُعارضين له، كلٌّ بطريقة من الطرق، بعضها الإبعاد، وبعضها الشراء و..

وكانت هناك بقايا من حزب الاتحاد والترقي تتمثّل في جاويد، وشكري، ورشدي، وعابدين وغيرهم غير أن دور الاتحاد والترقي قد انتهى كما انتهى دور الرجال الذين أصرّوا على استمرارية حزبهم.

وأسّس عبد القادر كمالي حزب الأهالي، ولكنه لم يعش طويلاً، وكيف يعيش، ولا يأتمر بأمر الغازي مصطفى كمال؟

أما مصطفى كمال نفسه فقد أسّس حزب الشعب الجمهوري، وأمر أعوانه بالانضمام إليه، كما أسرع نحوه أصحاب المصالح حتّى لفّ الكثيرين، وكان هو الحزب الوحيد، وبيد رئيسه مقاليد الأمور كلها، وتُصرف شؤون البلاد بإشارته وحسب رغباته وأهوائه فهي الأمر التي تُكلّف السلطة التنفيذية باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذها. وكان شعار الحزب ستة أسهم يرمز كل سهمٍ الى معنىً من المعاني الآتية: جمهوري - قومي - شعبي - علماني - تقدمي - ثوري.

وخطر على بال مصطفى كمال أن يُحقّق الحياة النيابية بإيجاد معارضةٍ، وحزبٍ لها، فأوعز إلى علي فتحي أوقيار السفير في فرنسا، ورئيس الوزراء الأسبق بتشكيل حزبٍ للمعارضة فصدع بالأمر، وألف «الحزب الحرّ» وقد انضمّ إليه بعض أعوان مصطفى كمال حسب إشارته وتعليماته إذ كان هو الذي يُوزّع الأدوار والأعضاء لرجالاته، فهذا مُعارض وهذا مُؤيّد، وهذا واجب فلان، وهذا دور ذاك، وقد أعطى مصطفى كمال الحزب الحرّ الأعضاء الذين يكرههم أو لا يحبّ وجودهم بجانبه.

وظنّ بعض الناس أن الحياة النيابية بمعناها الغربي قد سادت وأن المعارضة وجُدت، فسرّوا لذلك تخلّصاً من الاستبداد، ولعلّ الفرج يأتي بالقضاء على مصطفى كمال، وكبرت شخصية علي فتحي أوقيار في نفوسهم، وقام علي فتحي أوقيار بجولةٍ حزبيةٍ فاتجه إلى أزمير فاستقبل استقبالاً فخماً، ومُزّقت صور الغازي، وعلت الهتافات لعلي أوقيار ولم يُذكر مصطفى كمال، وهذا ما جعل الرئيس يُغيّر رأيه ويعود إلى فكرة الحزب الواحد، وينتهي من فكرة المعارضة، وبذا انتهى الحزب الحرّ وقضي عليه.

أما معارضة سعيد النورسي فلم تكن بذي بالٍ عند السياسيين إذ أغلق الغازي الزوايا والتكايا، والمدارس الدينية، والصحف، وحدّ من حركة النورسي، كما أودعه السجن بعض الوقت، لذا فقد ضعف أثره، وقلّ تلامذته خوفاً وبعداً.

وقدّم عصمت إينونو استقالة حكومته الثانية، فعهد الغازي إلى علي فتحي أوقيار بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[١] فألّفها بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ (٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤ م).

---

(١) تشكلت وزارة علي فتحي أوقيار الثانية على النحو الآتي:

١ - علي فتحي أوقيار: رئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع.
٢ - محمود أسعد بوزكورد: وزيراً للعدل.
٣ - رجب بكر: وزيراً للعمران والإسكان.
٤ - جميل يوبادين: وزيراً للعمران في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٤٣ هـ.
٥ - شكري قايا: وزيراً للخارجية.
٦ - مصطفى عبد الخالق: وزيراً للمالية.
٧ - سراج أوغلو شكري: وزيراً للمعارف.
٨ - حسن فهمي أتش: وزيراً للزراعة.
٩ - علي جناني: وزيراً للتجارة.
١٠ - فوزي برنجي زاده: وزيراً للأشغال.

=

الهدم:

إن افتتان مصطفى كمال بالحضارة المادية الأوربية بكل ما فيها من إيجابياتٍ وسلبياتٍ حتى بما فيها من فحشٍ وفسادٍ جعله يرتمي في أحضانها، ويحسب نفسه أنه يسير على منوالها، ويكون خادماً لسدنتها، ويظنّ أنه يخدم القيم التي تقوم عليها، ويُنصّب نفسه قيّماً على مخططاتها لانبهاره فيها، وما هو بالواقع إلا عبداً لأهوائه وشهواته. وإن رؤيته لأمته ضعيفةً تتهجّم عليها الدول الأوربية، وتفرض آراءها عليها، وتُجبرها على فعل الذي تريد جعله يزدري أمته ويكرهها، فعوضاً من أين يعمل على النهوض بها فإنه عمل على إذلالها بتبعيته لأعدائها، ولو أنه سعى لتقليد أوربا حسب رأيه الذي لا يُوافقه عليه أحد في سبيل خدمة أمته لقيل: إنه عمل حسب قناعته وما هو مؤمن به، غير أنه بذل جهده كاملاً للحطّ من شأنها إذ كان يحتقر كل ما عندها من قيمٍ بل وعاداتٍ وتقاليد، إنه لم يُحارب الإسلام فقط ولو فعل لقيل: إنه كافر عدوّ للإسلام، غير أنه قاد أمته للهاوية، إنه لم يسر بها لينتزع ما لديها من عاداتٍ يمقتها أو لا يحبها، وإنما مشى بها مُزيلاً كل ما تعتّز ليُحطّمها، ويتركها صريعةً، سار عبداً للأعداء لتتبعه ذليلةً لأولئك الذين عادوها قروناً وعملوا على سحقها دهراً، داس عليها أعداؤها أكثر من أربعين سنةً ولا تزال مُحمّلةً ببعض آثار ذلك وتريد الآن ترك ما تحمل، وتنهض من كبوتها غير أن تلامذة مصطفى كمال وبتوجيهٍ من الأعداء الذين يُريدون إبقاء الأمة تحت ذلك الركام الثقيل بما يرفعونه من شأن قائدهم، والمطالبة بالسير على خطاه، والأمة مصممة على ترك آثار تلك الصنيعة الأجنبية. لقد أذلّ مصطفى كمال الأمة بما اتخذ من إجراءاتٍ وألزم الشعب على التقيد بها.

= ١١ - مظهر جرمن: وزيراً للبحرية.

١٢ - إحسان ارفيوز: وزيراً للبحرية ٤ جمادى الآخرة ١٣٤٣ هـ.

غطاء الرأس:

أصدر الغازي مصطفى كمال أمراً بترك الطربوش، واتخاذ القبعة غطاءً للرأس بدلاً منه، والطربوش ليس شعاراً إسلامياً، ولا لباساً خاصاً بالمسلمين، بل هو تصميم أجنبي، إنه من النمسا، لكنه أصبح شعاراً عثمانياً مع الزمن، وانتشر في كل البلدان التي تعيش في ظل الخلافة، في الأناضول، في الشام، في العراق، في وادي النيل، في الغرب، في.. لذا أصبح شعاراً وطنياً بالاصطلاح الحديث، ولا علاقة له بالإسلام، إذ لا يحرّم لبسه ولا يحثّ عليه..

جاء مصطفى كمال يظهر تقزّزه منه واشمئزازه، فهو ليس جانباً إسلامياً ليُقال كراهةً بالإسلام، وإنما قضية خاصة وكراهيته كراهية لزيّ أمته وبالتالي ازدراءً لها. وأمر بارتداء القبعة تقليداً للأعداء فهي ليست أفضل من الطربوش، والإسلام لا يمنعها إن كانت فيها وقاية للرأس ولا يحثّ عليها أيضاً، فهي ليست أكثر من لباسٍ، وإنما يُحرّمها إن كانت مجرد تقليدٍ للأعداء، وهذا ما حرص عليه الغازي مصطفى كمال، ومن هنا جاء ردّ فعل المسلمين، ولكن لم يجرؤ أحد على معارضته لأنه كان مسعوراً في حبه للأوربيين وكرهه لأمته العثمانية، ويكفي للدلالة على ذلك ما فعله من أعمالٍ صبيانيةٍ عندما كان يرى امرأً يلبس طربوشاً حتى ولو كان من غير الأتراك فكثيراً ما أحرج الهيئة السياسية المصرية أمام الخلق.

وقد صدر أمر رسمي بتحريم ارتداء الطربوش في ٢٧ محرم ١٣٤٣ هـ (٢٧ آب ١٩٢٤ م).

الحجاب:

الحجاب واجب شرعي في الإسلام يُحرّم تركه، وهو فرض على كل أنثى بالغةٍ عاقلةٍ، والسفور استهتار بالشرع ومخالفة لأوامر الله، يُعرّض فاعلته لارتكاب إثمٍ كبيرٍ يُؤدّي إلى عقابٍ أليمٍ. والمرأة التركية مسلمة،

إذ أن الإسلام يُشكّل الغالبية العظمى بالنسبة إلى السكان ٩٩٪ من مجموع السكان، لذا فحجاب الفتاة التركية أمر طبيعي، وقد حافظت عليه منذ أربعمائة عامٍ يوم اعتنق أهلها الإسلام، كما أن المرأة التركية مزارعة، وعملها يقتضي الحجاب والحشمة، وإن إلغاء الحجاب الذي فرضه مصطفى كمال إنما هو استهتار بالإسلام، وازدراء بالأمة وشعائرها، ولم يقدم عليه إلا من أجل هذا مع تقليد للأوربيين النصارى سادته والذين قد فُتن بهم، وهام عشقاً بهم.

العطلة الأسبوعية:

وجدت العطلة الأسبوعية للراحة واستعادة النشاط، وتجعل كل أمةٍ هذه العطلة الأسبوعية في اليوم الذي تُؤدّي فيه عبادتها، فالمسلمون يجعلون عطلتهم يوم الجمعة، واليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وقد درجوا على هذا، ولا يحرّم المسلمون العمل يوم الجمعة بشرط أن تُؤدّى الفريضة، فإذا ما انقضت الفريضة انصرف الناس إلى أعمالهم ولا حرج في ذلك ﴿يا أيهاالذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيركم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا في فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾، فإذا ما اتخذت الأمة المسلمة يوم عطلةٍ فهو يوم الجمعة بشكلٍ طبيعيٍ حتى يتسنّى للناس العبادة دون أن يكون هناك حرج فيها فيما إذا كانت العطلة في يومٍ آخر. وهذا ما جرت عليه العادة في بلاد المسلمين جميعاً، ومن بينها الدولة العثمانية فلما جاء مصطفى كمال وفي نفسه ازدراء هذه الأمة التي نشأ فيها ـ اتخذ يوم الأحد عطلةً رسميةً أسبوعيةً وفرضه على الشعب تقليداً للأمم النصرانية المغرم في حبها، فشعر المسلمون بذلٍّ من هذا التصرف ولكنه مغلوب على أمرهم، وأحسّوا أن سيدهم المفروض عليهم ليس منهم لمخالفته لهم في العقيدة وكل ما ينبع منها من عاداتٍ وسلوكٍ.

الأبجدية:

لم يكن للغة التركية قديماً أبجدية، أي لم تكن لتكتب، وإنما كانت لغة منطوقة فقط، فلما دان أهلها الأتراك بالإسلام اتخذوا الحرف العربي أبجديةً للغتهم، تدويناً لها لتتعلمها الأجيال، وتسهيلاً لدراسة الإسلام قرآناً وحديثاً المُنزَل والمُدوَّن بالعربية، وظهرت الكتابة التركية، ودُوِّنت آدابها وتاريخها بالحرف العربي، بل إن كثيراً من شعوب الأمة المسلمة قد ساروا على النهج نفسه، بل إن حبّ اللغة العربية على أنها لغة كتاب الله، ولغة رسوله، ولغة أولئك النفر الأفذاذ الذين أوصلوا الإسلام إلى تلك الشعوب هو الذي جعلهم يُقدمون على ذلك.

ولما جاء مصطفى كمال أراد أن يفصل شعبه عن مصادر عقيدته كرهاً بالإسلام، وازدراءً لأمته، كما أحبّ أن يفصل ماضي أهله عن حاضرهم. واتخذ أبجديةً جديدةً وهي الأحرف اللاتينية التي تتخذها الأمم النصرانية حباً بهم، وتقليداً لهم، وسيراً على خطواتهم، وتنفيذاً لرغباتهم لأنه يريد ما يريدون من إذلال الشعوب الإسلامية، وقتل العقيدة، وبهذه الطريقة انقطع الماضي عن الحاضر، وأصبح يصعب على الفرد أن يتعرّف على تاريخه، وأحسّت الرعية بالذلّ، وشعرت بالظلم الذي يضغط على أبنائها.

العبادة:

وطمع أن تؤدّى عبادة المسلمين الأتراك بلغتهم وما ذلك إلا جهلاً بالإسلام، وشعر المسلمون في تركيا أن البلاء لا يريد أن يتزحزح عنهم، وأن الظلم يلاحقهم، فقد أصدر الغازي أوامره بأن يتم الأذان باللغة التركية.

الدستور:

الإسلام منهج حياة يشمل جوانب الحياة كلها من اقتصاديةٍ واجتماعية وسياسيةٍ وتربوية و.. وكان المسلمون يُطبّقون هذا النظام على حياتهم، ويعيشون في أمنٍ وراحةٍ وسعادةٍ، وكانت مجلة الأحكام الشرعية في الدولة تستقي قوانينها من الشرع، ويُدوّن فيها ما يتخذ القضاة من أحكامٍ لتكون نبراساً لهم، ودليلاً إلى القواعد الفقهية التي استندوا عليها، وكان المسلمون في الدولة العثمانية يشعرون بأن حياتهم منسجمة مع عقيدتهم، ولهم شخصيتهم المتميزة وإن كان بعض الولاة والمسؤولين كثيراً ما يتجاوزون هذا ويجوورون على الرعية وأحياناً باسم الإسلام بسبب ضعف إيمانهم، وجهلاً بحقيقته، وتحقيقاً لمصالحهم، وظلماً وإبرازاً للشخصية واتباع الهوى.

وجاء مصطفى ليلغي هذا كله ابتعاداً عن عقيدة الأمة وتحقيقاً لرغبات سدنة النصرانية في أوربا مسؤولين في السلطة وفي الكنيسة، وقد عهد إلى محمود أسعد بترجمة القانون السويسري، وعندما تمت الترجمة طُبّق في المحاكم التركية، وقد مرّ معنا أن تطبيق العلمانية كان أحد الشروط الأساسية للاعتراف باستقلال تركيا.

وهكذا وُجد شعب تركي جديد منفصل عن ماضيه، ويُراد له أن يسير في اتجاه يُخالف ما تسير عليه الأمة المسلمة كلها في العقيدة والتشريع، وأن ينسلخ مما تعارف عليه المجتمع.

العصبية القومية:

كان مصطفى كمال يُنادي بالقومية التركية، ويُظهر التعصّب لها، والفخر بها أحياناً وإن كان هذا كله خارج نطاق دائرة تفكيره التي كانت مُنحصرةً في الشهوة والشهرة ولا يُبالي بما سواهما أبداً، وإنما كان الغرض من التعصّب القومي ألاّ تكون هناك نقطة التقاء بين تركيا وجيرانها إذ

كان المخططون يخشون أن تتقارب دول المنطقة بعضها من بعضٍ ولن تكون نقاط اللقاء سوى الإسلام الذي يجمع بين شعوب المنطقة كلها، وإن لم تكن دعوة لذلك يومذاك إلا أنها قد تتولّد مع الزمن بسبب العقيدة التي تجمع بينهم والعاطفة الموجودة حتى بين الأفراد العاديين وهذا ما يرهبه الأعداء، لذا كان التعصّب القومي هو خير مُنفّرٍ بين هذه المجموعات التي كانت حتى عهدٍ قريب شعوباً من أمةٍ واحدةٍ، وكانت تجتمع في دولةٍ واحدةٍ لها مكانتها بين دول العالم، أما الآن فقد أضحت أشتاتاً لا وزن لها سواءً أكانت مُتفرقةً أم مُجتمعةً، بل لن تجتمع ما دامت العصبيات القومية هي التي تتحكّم في النفوس. إذن كانت العصبية إضعافاً للأمة وإذلالاً لها، وهذه هي مهمة مصطفى كمال.

ولعل من الأمور الأخرى التي أذلّ بها الأمة أعمال الفحش التي كان يقوم بها، فلقد أذلّ الكثير من العائلات ممن انتهك أعراضها، وخاصةً تلك الأسر التي درست بناتها في دار المعلمات، فما وقعت عينه على فتاةٍ وأعجبته ثم استطاعت أن تفلت منه إذ كان حوله لفيف ممن يسعون لتأمين شهواته من أولئك اللاتي يشير إليهن. فهذا هو حامي الأمة!!

الحركة الكردية:

لما ألغى مصطفى كمال الخلافة، وقطع أوصال الأمة، وشتّت شملها، وأقام دولةً على أساس العصبية التركية، وفي الوقت نفسه فقد قامت حول منطقة الأكراد دول حديثة أيضاً على أساس العصبيات سواء أخضعت لنفوذ الدول الاستعمارية أم لم تخضع ففي الشام والعراق قامت مثل هذه الدول، وانطلقت منها روائح نتن العصبيات، إذ كان يُنادى بها بمناسبةٍ وغير مناسبةٍ بتوجيه الدول الاستعمارية صاحبة السيادة والتي تريد وأد الفكرة الإسلامية، وأقامت مصطفى كمال لتنفيذ هذا عنها واشترطت عليه هذه الشروط في معاهدة لوزان بل ما كانت تلك المعاهدة لتُوقّع لو لم

يُوافق على ذلك، والواقع أنه بالأساس يُريد هذا، ويسعى إليه انطلاقاً ذاتياً من نفسه وعداوةً للإسلام.

شعر الأكراد أن كل من حولهم أخذ بالدعوة العصبية باستثنائهم، وما دامت الفكرة الإسلامية قد وُئدت بالتآمر بين المستعمرين النصارى وعملائهم في الولايات الإسلامية أمثال مصطفى كمال، فلماذا يبقون هم مُوزّعين في عددٍ من الدول، مُشتّتين في هذه الأقسام التي نشأت حديثاً؟ يتطاول عليهم أصحاب العصبيات وتزدريهم حتى الأقليات وهم الكثرة، لذا فقد تحرّكوا يُريدون الاستقلال بمواطنهم، والفخر بما يفخر به جيرانهم، ومجاراتهم بالدعوة إلى العصبية، وقاموا بحركةٍ ولكن قُضي عليها بعنفٍ، وذلك لأن المستعمرين لا يُريدون إقامة دولةٍ للأكراد وذلك حتى يبقوا أقلياتٍ في الدول المجاورة، يُحرّكون ضدّ أية مجموعةٍ تخرج عن رأي المستعمرين، والأكراد جماعة أشداء أهل للقيام بمثل هذه الأعمال، وهكذا بقي الأكراد مُوزّعين تتلاعب بهم أيدي الدول ذات الشأن انكلترا، وروسيا، ودخلت الولايات المتحدة الأمريكية الميدان حديثاً وحلبة الصراع، وإضافةً إلى أعوان هذه الدول في إيران، والعراق، وسوريا، وتركيا، والمناطق التي تخضع للسيطرة الروسية، ولا تزال تراودهم أفكار التجمّع لذا فقد غلبت عليهم فكرة العصبيات حتى المسلمين منهم لم يستطيعوا الانخلاع منها بشكلٍ تامٍ، ويدّعون أن ما يحلّ بهم هو الذي جعلهم يسيرون في هذه الطريق.

ولعله مما يُثير حفيظة الأكراد أن يروا أعداءهم التقليديين الأرمن يُقيمون دولةً خاصةً بهم تحت النفوذ الروسي، وربما كان هذا من الأسباب التي جعلت بعض الأكراد يتجهون نحو روسيا ويتفقون معها بالدعاية لمذهبها الشيوعي شريطة أن تُؤسّس لهم دولةً كرديةً، وكذا الولايات المتحدة الأمريكية، وانكلترا ولكن كل هذا لم يخرج عن دائرة إعطاء الأمل والتسويف السياسي إذ لا يرغب جميعهم بتحقيق شيءٍ من هذا حتى

يبقى الأكراد حجراً مُتحرّكاً في اللعبة الدولية، وتُنفّذ المخططات ويُساهمون في الإخراج دون الحصول على أي غنمٍ، وبعد تنفيذ كل مخططٍ يزداد إعطاء الوعود، ويزداد الارتباط من غير فائدةٍ تُرتجى.

ومع ظهور بوادر الحركة الكردية قدّم علي فتحي أوقيار استقالة حكومته فعهد الغازي مصطفى كمال إلى عصمت إينونو لتشكيل حكومةٍ جديدةٍ تخلفها، وقد ألّف عصمت إينونو حكومته[1] بتاريخ ٨ شعبان ١٣٤٣ هـ (٣ آذار ١٩٢٥ م).

قضية الموصل:

انسحب العثمانيون أثناء الحرب العالمية الأولى من جنوبي العراق، وكانوا يتراجعون نحو الشمال، فلما أُبرمت معاهدة مودروس في ٢٥ محرم ١٣٣٧هـ

---

(١) شكل عصمت إينونو وزارته الثالثة على النحو الآتي:

١ - عصمت إينونو: رئيساً للوزراء.
٢ - جميل يوبادين: وزيراً للداخلية.
٣ - توفيق رشدي: وزيراً للخارجية.
٤ - رجب بكر: وزيراً للدفاع.
٥ - محمود أسعد: وزيراً للعدل.
٦ - سليمان سري: وزيراً للأشغال.
بهيج أركين: وزيراً للأشغال ١ رجب ١٣٤٤ هـ.
٧ - حسن السقا: وزيراً للمالية.
مصطفى عبد الخالق: وزيراً للمالية في ٣ محرم ١٣٤٥ هـ.
٨ - علي جناني: وزيراً للتجارة.
مصطفى رحمة: ٦ ذي القعدة ١٣٤٤ هـ.
٩ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.
١٠ - إحسان أرفيوز: وزيراً للبحرية.
١١ - صبحي حمد الله: وزيراً للمعارف.
مصطفى نجاتي: وزيراً جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ.
١٢ - صبري توراك: وزيراً للزراعة.

(٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ م)، كان تراجعهم قد وصل بهم إلى الموصل، فلما وُقّعت هدنة (سيڤر) في ٢٦ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ (١٠ آب ١٩٢٠ م) تنازل الأتراك فيها عن العراق بما فيها الموصل، غير أنهم بعد ذلك، طالبوا بالموصل وقالوا: إننا لم نتخلّ عنها في الحرب، وإنما انسحبنا من الموصل بعد الهدنة وإن سكانها ليسوا من العرب، ولذا يجب أن تكون ضمن الأرض التركية وخاصةً أن المعاهدة التي تخلينا فيها عن الموصل معاهدة (سيڤر) قد أصبحت لاغيةً ولا يعترف عليها الأتراك، وفي الوقت نفسه لا يرغب فيها الحلفاء، ولكن الإنكليز خاصةً والحلفاء عامةً لا يُريدون بل يُمانعون كل الممانعة في أن تكون الموصل ضمن الأرض التركية، وذلك لأنهم يعملون على إضعاف هذه الدولة الناشئة ولا يرغبون في قوتها، ويسعون في أن تضمّ أصغر رقعةٍ مساحةً من الأرض لأنهم يخشون التفاف المسلمين حولها فيما إذا ظهرت عليها القوة وخاصةً أنها كانت محطّ أنظارهم فهي مركز الخلافة الإسلامية قبل أعوامٍ قليلةٍ، ومنطقة الموصل رقعة غنية بالنفط حسبما دلّت عليه تقارير مسح الأرض، لذا فإن انكلترا لا يمكن أن تتنازل عليها، وهي التي وضعت بلاد العراق تحت نفوذها، بل كان تخلّي تركيا عن الموصل شرطاً أساسياً من شروط الاعتراف باستقلال تركيا في معاهدة لوزان، كما ذكرنا أن مصطفى كمال كان صنيعة الإنكليز ولا يمكن أن يتصرّف إلا بما يريدون، حتى لا يرغب في ضمّ منطقة الموصل إلى تركيا في سبيل تقويتها لأنه إضافةً إلى سياسته الخاضعة لانكلترا فإن من مهمته إذلال الأمة المسلمة بل والشعب التركي أيضاً، إذن فكيف يُطالب بالموصل وغيرها ويُنادي بتحرير الأرض، وإخراج المحتلّين، ويُقاتل في سبيل ذلك، ونقول: إن إخراج التمثيلية بشكل جيدٍ ومُرضي للنظارة، وضرورة إظهار اللعبة الدولية بصورةٍ مقبولةٍ يقتضي ذلك، إذ لو تنازل عن كل شيءٍ للإنكليز، وخنع للمحتلّين، وأبدى التفريط في البلاد لظهرت خيانته، وتخلّى عنه الناس ولما تبعه أحد بل لقُتل، وبالتالي فشلت السياسة الإنكليزية، ولم يُحقّق الأعداء

أي نصرٍ، ولم يُنفذّ لهم أي مُخطّطٍ، وبقيت بلاد المسلمين في قوةٍ، وظلّ الإسلام منيعاً وهم لا يريدون هذا، إن من حسن الإخراج أن تظهر الصنيعة وطنيةً، وأن تكون عنيفةً في المطالبة بمصالح البلاد ومُتابعة الخدمة فيرضى عنها الشعب ويسير وراءها وتُنفّذ المخططات من خلفها.

وجاء الوفد التركي إلى معاهدة لوزان لإعادة النظر في بنود معاهدة (سيڤر) وطالب بمنطقة الموصل، وهو يعلم أنه مُتخلٍ عنها، وإلا لم يعترف أحد من الحلفاء باستقلال تركيا بل كانت انكلترا تُلوّح بالحرب وتتظاهر بجديتها في هذا حتى يتوقّع المراقب أن الأمر صحيح، وما هو كذلك إن هو إلا تمثيل لإتقان الإخراج، واتفق المؤتمرون أن يترك موضوع الموصل حالياً، ويبحث في مفاوضاتٍ مباشرةٍ بين انكلترا وتركيا ما دام الأمر يخصّ الدولتين فقط وذلك خلال تسعة أشهرٍ بعد التصديق على معاهدة لوزان، فإن لم يتوصل الطرفان إلى حلٍّ مُرضٍ يُحال الأمر إلى عصبة الأمم.

وُقّعت معاهدة لوزان من قبل الحلفاء والأتراك ثم جاء التصديق عليها من قبل المجالس النيابية، وبدأت المفاوضات بين انكلترا وتركيا بشأن الموصل، ويجب ألا يتوصّلوا إلى حلٍّ، وهكذا تقتضي التمثيلية والإخراج، وأُحيل الموضوع إلى عصبة الأمم، وفي شهر جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ (كانون الأول ١٩٢٤ م) أرسلت عصبة الأمم لجنةً إلى الموصل لـدراسـة الموضوع على الطبيعة، ثم إصدار التوصية بشأن الموصل، وجاءت اللجنة وقامت بمسحٍ سكاني، ووجدت أن نسبة الأتراك ضئيلةٌ في هذه المنطقة، ورفعت تقريرها، وأوصت بأن تكون الموصل ضمن أرض العراق، وبناءً على ذلك قرّر مجلس عصبة الأمم إبقاء الموصل للعراق.

ولو ضمّت منطقة الموصل إلى تركيا لزادت نسبة الأكراد في تركيا، وأصبحت مخيفةً، ولاضطر الأتراك إلى مشاركتهم في الحكم، وعندها

يمكن للحكم في تركيا أن يتدخّل في شؤون البلدان المجاورة متخذاً وجود الأكراد فيها ذريعةً لذلك التدخّل، وربما جاء يوم سعى لضمّهم إليه وتعود تركيا مرةً أخرى إلى القوة والاتساع وهذا ما لا تريده الدول الصليبية، ومن ناحيةٍ أخرى فإن سلخ الموصل من العراق يُفقدها أقليةً كبيرةً من الأكراد الذين يضعف شأنهم هناك، ولم يعد لهم أثر يمكنه أن يتحرّك في الوقت الذي يُراد له أن يتحرك، ويصبح شبه انسجامٍ سكانيٍ في دولة العراق وهذا ما لا تريده الدول الصليبية، إذ كان من مصلحة تلك الدول إبقاء الموصل ضمن الأرض العراقية لإبقاء تركيا ضعيفةً ولإبقاء شعبين مُتصارعين في العراق تُثار النزعة بينهما في كل وقت يحتاج فيه النصارى لتلك الإثارة، هذا إضافةً إلى اهتمام انكلترا الشديد بالنفط المخزون في طبقات أرض منطقة الموصل، وهي صاحبة الكلمة بين الحلفاء وفي عصبة الأمم.

أصبح عصمت إينونو أكثر الناس طوعاً لمصطفى كمال بعد أن كان متردداً في تأييده في مواقفه، وموافقته على أعماله فلما رأى نجاح مصطفى كمال وتألّقه بما يحظى من دعمٍ خارجيٍ وخاصةً انكلترا انصاع له وخضع لكل أوامره وتصرّفاته، بل غدا رهن إشارته، وبهذا الارتماء أمامه حرصاً على مصالحه أصبح الرجل الثاني في البلاد، والشخص الذي تُناط به المهمات، ويُكلّف بالملمات، ولم يكن عصمت إينونو الشخص الوحيد الذي يخضع لسيد البلاد وإنما كان كثيرون أمثاله من أصحاب المصالح، وطلاّب المناصب، ورجال الجاه، والساعين وراء الشهوات، غير أن عصمت إينونو كان أكثرهم خضوعاً وامتثالاً للأوامر فلم يكن ليردّ أمراً، أو يتلكأ في تنفيذ رغبةٍ، أو يناقش في موضوع مهما كان، فكأنه العبد المطيع ولذا استمّر في منصبه كرئيس للوزراء، ما تقتضي المصلحة في الانتهاء من وزارةٍ إلاّ ويُعهد إليه بتشكيل وزارةٍ تقوم مكان سابقتها.

وفي ٧ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ (١ تشرين الثاني ١٩٢٧ م) أعاد

عصمت إينونو تشكيل وزارته من جديد[1]، وقد أصبحت تركيا دولةً ضعيفةً، ولم تعد موضع اهتمام أية جهةٍ بعد أن كانت محطّ أنظار الساسة، ومحور السياسة، ولم تهتمّ الدول الأوربية بها أبداً، وإنما كل ما تريدها منها أن تُدير ظهرها إلى الدول الآسيوية حيث تمتّد رقعة العالم الإسلامي لتنفصل نهائياً عن عقيدتها، وتنقطع تماماً عن ماضيها، وترغب منها أن تتجه إلى أوربا لا لتتقدّم مادياً وتتطوّر صناعياً، وإنما لترتبط بها وتبتعد عن الإسلام، كما تحرص أن يبقى المسؤولون فيها يُحاربون الإسلام وأهله، ويسيرون على نهج مصطفى كمال رئيس الجمهورية، ثم عصمت إينونو رئيس الوزارء، ولما كانت الدول الإسلامية التي تجاورها تخضع في هذه المرحلة للاستعمار لذا لم يحدث أي احتكاكٍ كما لم يحدث أي التقاء، وإنما كان يُعاني كلا الفريقين أزمةً سياسيةً ومحنةً اجتماعيةً، مع أن كل فريقٍ يُدير ظهره للفريق الآخر لأن كلاهما يتبنّى العصبية القومية، ولا يمكنٌ للقوميات أن تتعايش فالتعصّب أمر بغيض وكلاهما يتعصب لجنسه

---

(١) شكل عصمت اينونو وزارته الرابعة على النحو الآتي:

١ - عصمت إينونو: رئيساً للوزراء. وتسلم وزارة المعارف في ٦ رجب ١٣٤٧ هـ.

٢ - محمود أسعد: وزيراً للعدل.

٣ - مصطفى عبد الخالق: وزيراً للدفاع.

٤ - شكري قايا: وزيراً للبحرية.

٥ - توفيق رشدي: وزيراً للداخلية.

٦ - شكري سراج أوغلو: وزيراً للخارجية.

٧ - مصطفى نجاتي: وزيراً للمالية.

٨ - حسين واصف: وزيراً للمعارف في ٢١ رمضان ١٣٤٧ هـ.
كمال حصني: وزيراً للمعارف في ٤ ذي القعدة ١٣٤٧ هـ.

٩ - بهيج أركين: وزيراً للأشغال.
رجب بكر: وزيراً للأشغال ١ جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ.

١٠ - مصطفى رحمة: وزيراً للزراعة ووزيراً للاقتصاد في ٢٩ رجب ١٣٤٦ هـ.

١١ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.

١٢ - شاكر كسبير: وزيراً للاقتصاد في ٢٠ ذي الحجة ١٣٤٧ هـ.

ويفتخر بقومه، والعرب يعدّون الأتراك أنهم كانوا مستعمرين لهم، وهم سبب تخلّفهم، على حين ينظر الأتراك إلى العرب أنهم قد خذلوهم في الحرب العالمية الأولى بل خانوهم، وهذا ما أدّى إلى ضعف الطرفين بل إلى تجزئة بلاد العرب واستعمار بلادهم جزاء ما اقترفت أيدهم، ونتيجة ما فعله زعماؤهم من انضمامهم إلى الأعداء، والوقوف إلى جانبهم في الحرب.

وفي الخامس من جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ (٢٧ ايلول ١٩٣٠ م) أعاد عصمت إينونو تشكيل وزارته من جديد[١].

لقد لاحظ مصطفى كمال أن عصمت إينونو قد أخذ يرتفع شأنه فقد تولّى رئاسة الوزارة سنوات عدة وأصبح سلطةً تنفيذيةً رئيسيةً، وإن كان لا يخرج عن رأي الرئيس التركي بأي صورةٍ، وقد فكّر مصطفى كمال الذي ينزع إلى الفردية، ولا يحب أن يرى إنساناً آخر قريباً من نفوذه ولو كان من أقرب المقربين إليه حتى ولو كان يظهر العبودية له، لذا فقد فكر بإزاحة عصمت إينونو من وجهه، ثم وجد الأزمة الاقتصادية مستحكمة

---

(١) شكل عصمت إينونو وزارته الخامسة على النحو الآتي:

١ - عصمت إينونو: رئيساً للوزراء.
٢ - يوسف كمال: وزيراً للعدل.
٣ - مصطفى عبد الخالق: وزيراً للدفاع.
زكي عابدين: وزيراً للدفاع في ٩ شعبان ١٣٤٩ هـ.
٤ - شكري قايا: وزيراً للداخلية.
٥ - توفيق رشدي: وزيراً للخارجية.
٦ - شكري سراج أوغلو: وزيراً للمالية.
مصطفى عبد الخالق: وزيراً للمالية في ٥ شعبان ١٣٤٩ هـ.
٧ - أسعد ساغاي: وزيراً للمعارف.
٨ - زكي عابدين: وزيراً للأشغال.
حلمي يوران: وزيراً للأشغال في ٩ شعبان ١٣٤٩ هـ.
٩ - مصطفى شريف أوزكان: وزيراً للاقتصاد.
١٠ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.

ومن الأفضل تأجيل هذا الموضوع مرحلياً، وربما توقّع إن هذه الأزمة هي التي ستقضي على عصمت، وعندها سيختار آخر ليحلّ محلّه، ويبقى هو بعيداً عن جو التنافس السياسي بين أتباعه، إضافةً إلى أن ذلك سيكون أفضل حتى لا يقال: إنه يرفع الرجال ثم يحسدهم فيلقي بهم بعيداً بعد أن قدّموا له الخدمات.

وفي ١٧ ذي الحجة عام ١٣٤٩ هـ (٤ أيار ١٩٣١ م) أعاد عصمت إينونو تشكيل الوزارة من جديدٍ[١] وفي عهد هذه الوزارة وصلت آثار الأزمة الاقتصادية العالمية إلى تركيا، وتأثرت البلاد إذ نقصت المواد الأولية، وارتفعت الأسعار، وعاش الناس في أزمةٍ حادةٍ. وقامت الحكومة

(١) شكل عصمت إينونو وزارته السادسة على النحو الآتي:

١ ـ عصمت إينونو: رئيساً للوزارة.

٢ ـ يوسف كمال: وزيراً للعدل.

شكري سراج أوغلو: وزيراً للعدل ١ صفر ١٣٥٢ هـ.

زكي عابدين: وزيراً للدفاع.

٣ ـ شكري قايا: وزيراً للداخلية.

٤ ـ توفيق رشدي: وزيراً للخارجية.

٥ ـ مصطفى عبد الخالق: وزيراً للمالية.

فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية ١٩ شوال ١٣٥٢ هـ.

٦ ـ أسعد ساغاي: وزيراً للمعارف.

رشدي غالب: وزيراً للمعارف ١٢ رجب ١٣٥١ هـ.

يوسف حكمت: وزيراً للمعارف ٩ رجب ١٣٥٢ هـ.

زين العابدين أوزمن: وزيراً للمعارف ١ رجب ١٣٥٣ هـ.

٧ ـ حلمي أوران: وزيراً للأشغال.

٨ ـ علي شيتنقايا: وزيراً للأشغال ٣ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ.

٩ ـ مصطفى شريف أوزكان: وزيراً للاقتصاد.

محمود جلال بايار: وزيراً للاقتصاد في ١٢ رجب ١٣٥١ هـ.

١٠ ـ رفيق سيدام: وزيراً للصحة.

١١ ـ مخلص اركمان: وزيراً للزراعة في ٢١ شعبان ١٣٥٠ هـ.

١٢ ـ علي رانا ترهان: وزيراً للتجارة في ٢١ شعبان ١٣٥٠ هـ.

باتخاذ بعض الإجراءات الاقتصادية لتخفيف آثار تلك الأزمة، وأعلنت للناس أن هذا لم يكن خاصاً بتركيا، وإنما هو أمر عالمي تئنّ منه أكثر الدول، وصبر السكان، وبدأت الآثار تنحسر تدريجياً، ثم مرت بسلامٍ.

وأخذت تركيا تلقى شيئاً من الرعاية أكثر من ذي قبل من انكلترا وذلك لأن النزعة الفردية قد أخذت تظهر في ألمانيا، كما ظهرت من قبل في ايطاليا، وأخذ موسوليني يتوسّع وخاصةً في إفريقية إذ بدأ يرسل الجند إلى ليبيا وإلى اريتريا وإلى الحبشة وهذا ما يصطدم مع السياسة الإنكليزية لذا لا بدّ من ضمان الحلفاء لانكلترا وخاصةً الدول العسكرية الكبرى أمثال فرنسا، وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية إضافةً إلى الدول ذات المواقع الحساسة مثل تركيا.

وتعلم انكلترا أن الحكومة التركية مرتبطة بها كلياً غير أن الشعب يميل نفسياً إلى ألمانيا لذا يجب العناية بالوضع في تركيا بشكلٍ خاص حرصاً على مصالحها وعلى أعوانها.

وفي ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ (١ آذار ١٩٣٥ م) أعاد عصمت إينونو تشكيل وزارته، فشكل الوزارة السابعة والأخيرة من جديد[١].

---

(١) شكل عصمت إينونو وزارته السابعة والأخيرة على النحو الآتي:

١ - عصمت إينونو: رئيساً للوزراء.
٢ - شكري سراج أوغلو: وزيراً للعدل.
٣ - كاظم أوزالب: وزيراً للدفاع.
٤ - شكري قايا: وزيراً للداخلية.
٥ - توفيق رشدي: وزيراً للخارجية.
٦ - فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.
٧ - زين العابدين أوزمن: وزيراً للمعارف.
صافد اريكان: وزيراً للمعارف في ١٥ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ.
٨ - علي شيتنقايا: وزيراً للأشغال.
٩ - محمود جلال بايار: وزيراً للاقتصاد. =

طلبت تركيا من انكلترا عقد مؤتمرٍ دوليٍ لإعادة النظر في أمر المضائق (البوسفور والدردنيل) التي جعلتها معاهدة (لوزان) ممراتٍ دولية لا يصحّ تحصينها، وقد كان هذا الطلب فيه مصلحة وطنية لتركيا كما أن الحكومة تريد أن ترفع شيئاً من أسهمها التي انخفضت بسبب الأزمة الاقتصادية التي أصابت دول العالم عامةً تقريباً، وقد وافقت انكلترا على هذا الطلب لرفع مركز أعوانها في بلادهم أولاً، ثم تريد الإفادة هي من ذلك أيضاً إذ أن شبح الحرب قد أصبح يقترب تدريجياً من أوربا بعد ظهور الأنظمة الاستبدادية الفردية في كل من إيطاليا وألمانيا والبدء في إلقاء الضربات ولا بد من أن تصطدم مع السياسة الإنكليزية. عقد المؤتمر في (مونترو) بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ (٢٠ تموز ١٩٣٦ م)، وخرج المؤتمرون بنتيجة تعود فيها منطقة المضائق منطقةً عسكريةً أي يسمح لتركيا بإقامة تحصيناتٍ فيها، كما يمكنها أن تمنع مرور السفن في هذه المضائق في حالة قيام حربٍ لم تكن تركيا مشتركةً فيها، وفي الوقت نفسه يمكن للأسطول الروسي اجتيازها والوصول إلى البحر المتوسط في حالة الحرب، وهذا ما تريده انكلترا إذ وجدت نفسها ستكون وروسيا على وفاقٍ في وجه ايطاليا في البحر المتوسط وهذا ما تمّ فعلاً في الحرب العالمية الثانية، وبذا حققت انكلترا فائدة لها، وحققت الحكومة التركية نصراً أمام شعبها.

ومرّت الأزمة الاقتصادية ولم تُطح بعصمت إينونو، وجاء مؤتمر (مونترو) فأعاد في رفع شأن رئيس الحكومة، وعندها رأى مصطفى كمال أنه لا بدّ من إزاحته، وتكليف آخر برئاسة الحكومة، وذلك ليقع التنافس

= ١٠ - رفيق سيدام: وزيراً للصحة.

١١ - علي رانا ترهان: وزيراً للتجارة.

١٢ - مخلص أركمن: وزيراً للزراعة.

شاكر كسبير: وزيراً للزراعة في ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ.

بين الرجلين، ويقف هو الموقف الحكم، وكل منهما يُحاول التقرّب إليه، ويحكم هو بالتفاضل فقد يُقرّب هو الأدنى ليحطّ من شأن الأعلى، حتى يبقى بعيد المنال عنه، وربما أتى بثالثٍ لتبقى المسافة نائيةً عنه، وعلى كلٍ فقد تخلّى عن عصمت إينونو وطلب منه الاستقالة ففعل.

وفي ٢٧ شعبان ١٣٥٦ هـ (١ تشرين الثاني ١٩٣٨ م) سقطت حكومة عصمت إينونو، وعهد إلى وزير الاقتصاد محمود جلال بايار بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ.[١]

قضية اسكندرون:

كانت اسكندرون إضافةً إلى كيليكيا ضمن المنطقة الزرقاء التي تشمل سواحل بلاد الشام الشمالية، والتي أعطتها معاهدة سايكس ـ بيكو إلى فرنسا، وكانت هذه المنطقة تشمل أقلياتٍ نصرانية في لبنان الجزء الجنوبي من المنطقة، ونصيرية في الجبال المعروفة باسمهم وفي اسكندرون وكيليكيا الجزء الشمالي من المنطقة مع مسلمين يُقيمون عادةً في السهل الساحلي وسهل

---

(١) شكل محمود جلال بايار حكومته الأولى على النحو الآتي:

١ ـ محمود جلال بايار: رئيساً للوزراء.
٢ ـ شكري سراج أوغلو: وزيراً للعدل.
٣ ـ كاظم اوزلاب: وزيراً للدفاع.
٤ ـ شكري قايا: وزيراً للداخلية.
٥ ـ توفيق رشدي: وزيراً للخارجية.
٦ ـ فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.
٧ ـ صافد أريكان: وزيراً للمعارف.
٨ ـ علي شيتنقايا: وزيراً للأشغال.
٩ ـ شاكر كسبير: وزيراً للاقتصاد، ووزيراً للزراعة بالوكالة.
١٠ ـ خلوصي التاش: وزيراً للصحة.
١١ ـ علي رانا ترهان: وزيراً للتجارة.
١٢ ـ فائق كرد أوغلو: وزيراً للزراعة في ١٣ صفر ١٣٥٧ هـ.

عكار كما تسكن كيليكيا جماعات من الأرمن، أما الجبال فهي موطن تلك الأقليات التي ذكرناها، وكانت فرنسا تركّز على الأقلية النصرانية التي في لبنان لارتباطها بها، ولأن فيها جماعات مُقاتلةً لعبت دوراً مُهمّاً في المنطقة، أما الفئات النصيرية فلم يكن لها شأن إذ كانت فقيرةً ذليلةً مُستضعفةً تسكن البقاع المرتفعة المنيعة ولا تملك أية إمكاناتٍ، وكانت انكلترا تعتمد على الفئات الدرزية التي تسكن المتن والشوف من جبال لبنان، وتتخذها حربةً في وجه فرنسا فيما إذا وقع التنافس والخلاف بين الدولتين المستعمرتين أو إذا أرادت أن تُثير في وجهها المشكلات.

سيطرت فرنسا على هذه الرقعة من الأرض والتي عُرفت بالمنطقة الزرقاء في اتفاقية (سايكس ـ بيكو) حسب اللون الذي لُوّنت به الخريطة التي تقاسمها الإنكليز والفرنسيون المنطقة. سيطرت عليها فرنسا وأدخلت إليها جيوشها برضا إنكلترا وبتفاهمٍ معها.

اعتمدت انكلترا في تنفيذ سياستها على مصطفى كمال الذي اصطنعته لنفسها غير أن بقية دول الحلفاء وخاصةً فرنسا فلم تقطع الأمل في إيجاد قناةٍ تتصل معه بوساطتها، وقد أجرت معه مفاوضات وانسحبت إثرها من كيليكيا، ورسمت الحدود بين سوريا وتركيا حيث كان لواء اسكندرون في الأرض الشامية.

رغب مصطفى كمال في إظهار العمل لأمته والإخلاص، لقضيتها فأوعزت حكومته إلى مندوبها في جنيف برفع طلبٍ إلى عصبة الأمم لحلّ النزاع القائم بين سوريا مُمثّلةً بفرنسا وبين تركيا، وذلك أن فرنسا تحتلّ أرضاً تركيةً فلواء اسكندرون أكثرية سكانه من الأتراك، واستجابت عصبة الأمم إلى هذا الطلب إذ أن فرنسا لم تكن لتهتمّ بالأمر كثيراً فاسكندرون ليست من بلادها، وتُريد إيجاد صلةٍ مع مصطفى كمال وهذه فرصة مناسبة، وانكلترا تُريد إحراج فرنسا، وكلتا الدولتين الاستعماريتين تريدان إبقاء تركيا إلى جانبها بعيدة عن ألمانيا التي أخذت تقوى، وتُوجّه

ضرباتها في وسط أوربا نحو اليمين ونحو اليسار، وتستفزّ الدول الكبرى ولا بدّ من أن يأتي اليوم الذي تصطدم فيه السياسة الإنكليزية والفرنسية مع التوسع الألماني، وتقف وجهاً لوجهٍ أمامه، وليس ذلك اليوم ببعيدٍ وتعرف انكلترا كما تعرف فرنسا أن مصطفى كمال مضمون الجانب ويسير بسياسته وفق السياسة البريطانية بل تبعاً لها غير أن الشعب في تركيا يكره مصطفى كمال إذ أحلّ به الذلّ وأنزل به الهوان، ولما كان يكرهه فهو يكره الدول التي تُؤيّده وهي انكلترا ثم الحلفاء ويُحبّ من يُعاديها، ويتمنّى لها الهزيمة أمام خصومها لذا فقد يندفع إلى جانب ألمانيا التي لا تزال تجد عطفاً لها داخل تركيا منذ أيام الحرب العالمية الأولى وما قبلها، ولما كان من المحتمل وقوع حربٍ بين انكلترا وفرنسا من جهةٍ وألمانيا من جهةٍ أخرى لذا من الخير لهاتين الدولتين المحافظة على إبقاء الشعب التركي هادئاً أثناء الحرب لا ينحاز إلى جانب ألمانيا ولا يثور ضد طاغيته مصطفى كمال، ويُلزمه إلى التحرك إلى جانب ألمانيا أو الإطاحة به وبالسياسة الإنكليزية في المنطقة، وضرب مصالح الحلفاء كلها ودعم الألمان، وهذه السياسة تقتضي إرضاء الأتراك.

أرسلت عصبة الأمم المتحدة لجنةً إلى اسكندرون، وأجرت استفتاءً، واتصلت بالسكان، وتعرّفت على رغباتهم، ومع أن نتيجة الاستفتاء قد أظهرت أن نسبة السكان الأتراك في لواء اسكندرون لا تزيد على ٣٥٪ من مجموع السكان في اللواء، إلا أنها قد أوصت بضمّه إلى تركيا. تنازلت فرنسا عن اللواء إلى تركيا رغم أن أهم بندٍ من بنود صكّ الانتداب هو المحافظة على أرض الدولة التي انتُدبت عليها، وفرنسا منتدبة على سوريا.

أعطت فرنسا اللواء استقلالاً ذاتياً، وجعلته تحت النفوذ التركي في ٧ شوال ١٣٥٧ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ م)، وقد أسمى الاتراك اللواء محافظة « هاتاي » ثم ضُمّ نهائياً إلى تركيا، ولم يعترف الشاميون على ذلك.

إن تقطيع أوصال الدولة العثمانية وفصل الشام عن تركيا قد راعى

وحدة فرقة النصيرية التي تسكن هذه البقعة الوحيدة من العالم فأبقاها ضمن الشام غير أن انسحاب فرنسا من كيليكيا وتسليمها إلى تركيا قد قسّم هذه الفرقة إلى جزأين متساويين تقريباً قسم يُقيم في تركيا في منطقة كيليكيا والقسم الآخر يسكن الشام في منطقة اسكندرون، وفي اللاذقية في الجبال المعروفة باسمهم، ولكن لما سُلخ اسكندرون من الشام وضُمّ إلى تركيا أصبح القسم الأكبر من أتباع فرقة النصيرية في تركيا غير أن نسبتهم بقيت ضيئلةً لضخامة عدد سكان تركيا النسبي وفي الوقت نفسه فقد انخفضت هذه النسبة في سوريا لذا بقي أتباع هذه الفرقة في الشام من أكبر المعارضين لضمّ اسكندرون إلى تركيا، ورغم قلّتهم في سوريا إلا أن نسبتهم تعدّ كبيرةً نسبياً لقلّة سكان سوريا فهي تصل إلى ١٤٪ وربما ارتفعت في الآونة الأخيرة، بينما هذه النسبة لا تزيد في تركيا كثيراً على ٣٪ لارتفاع عدد السكان، غير أن هذه الفرقة لم يكن لها يومذاك أي أثرٍ أو وزنٍ سياسيٍ في المنطقة، فلما استطاعت السيطرة على الحكم في سوريا صارت نفوس أتباعها في تركيا تهفو إلى سوريا، وتنتقل أعداد منهم إليها، ويلقون ترحيباً ويُعطون المناصب والمراكز، وكما يلقى الذين يعيشون في اسكندرون وكيليكيا عطفاً ودعماً من الحكم السوري، ويجد المرء تقارباً بين الحكمين عندما يتوصل إلى السلطة زعيم حزب الشعب الجمهوري بولاند أجاويد إذ أن أصله يعود الى مدينة أضنه قاعدة كيليكيا رغم أنه هو من مواليد مدينة (استانبول) ونائب عن مدينة (زونغلداك) على البحر الأسود.

وفي ١٩ رمضان ١٣٥٧ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٣٨ م) أعاد محمود جلال بايار تشكيل حكومته من جديد[1] أي في اليوم التالي لهلاك مصطفى كمال.

---

(١) شكل محمود جلال بايار وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ ـ محمود جلال بايار: رئيساً للوزراء. =

هلاك مصطفى كمال:

مات مصطفى كمال في ١٨ رمضان ١٣٥٧ هـ (١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ م)، ودُفن بعد تسعة أيامٍ من وفاته في ٢٧ رمضان، وذلك بعد أن تسلّم رئاسة جمهورية تركيا أكثر من خمس عشرة سنةً قضاها بالاستبداد والطغيان فكان أمره لا يُردّ وإشارته أمراً، ومن يجرؤ ويُخالفه يُقضى عليه بصورةٍ من الصور، وارتكب خلال هذه المدة أسوأ أعمال الفحش وأقذرها وحطّم شخصية الأمة وأذلّها.

وكانت وسائل الإعلام كلها مُسخرةً للدعاية له ولخدمته حتى نشأ الجيل الجديد لا يعرف شخصيةً في تركيا إلا مصطفى كمال، وحتى رسخت في نفوس أبناء الجيل فكرة إخلاص أتاتورك ووطنيته، وأنه الزعيم الأوحد، والرجل الملهم، وكان فكر هذا الجيل يتناقض أشدّ التناقض مع فكر الجيل الذي سبقه، كما يتناقض في نظرته إلى شخصية مصطفى كمال، فإذا كان الجيل الذي عاصر مصطفى كمال وعرفه تمام المعرفة ينظر نظرة فيها الكره والازدراء كان الجيل الجديد يرى فيه المثالية والكمال لما لُقّن في

= ٢ - حلمي أوران: وزيراً للعدل.
توفيق فكرت: وزيراً للعدل في ١٣ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ.
٣ - كاظم أوزلاب: وزيراً للدفاع.
٤ - ناجي تيناز: وزيراً للدفاع في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ.
٥ - رفيق سيدام: وزيراً للداخلية.
٦ - شكري سراج أوغلو: وزيراً للخارجية.
٧ - فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.
٨ - صافد أريكان: وزيراً للمعارف.
حسن علي يوجل: وزيراً للمعارف في ٧ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ.
٩ - علي شيتنقايا: وزيراً للأشغال.
١٠ - شاكر كسبير: وزيراً للاقتصاد.
حسني جاكير: وزيراً للاقتصاد في ٧ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ.
١١ - خلوصي ألتاش: وزيراً للصحة.

المدارس، وأشبع من الدعاية ووسائل الإعلام، حتى أصبح من يتكلم عن مصطفى كمال بأقلّ إشارة سوءٍ يقتل، على حين يمكن أن يتكلم عن رسول الله ﷺ، دون أن يتعرض له أحد بكلمةٍ واحدةٍ.

وبعد موت مصطفى كمال بتسعة عشر يوماً وضع لواء اسكندرون تحت إشراف الإدارة التركية، وكذلك جرت الانتخابات، وانتخب عصمت إينونو رئيساً للجمهورية فهو الرئيس الثاني للجمهورية التركية، وليس هذا غريباً فهو رئيس الوزراء أكثر أيام مصطفى كمال إن لم نقل كلها تقريباً لذا كان الشخص الثاني بعد رئيس الجمهورية، وإن كان مصطفى كمال يحرص كل الحرص ألا يكون هناك شخص ثانٍ بعده، وحاول إبعاده عندما رآه يتقدّم إلا أن الموت قد عاجله وقضى على أحلامه التي كانت واسعةً، ولم يتوقّع الموت بهذه المفاجأة غير أن الخمرة والفحش قد هدّت جسمه، وانتهى عمره في الوقت المحدد له بأمر الله.

وفي ١٧ رجب ١٣٥٨ هـ (١ أيلول ١٩٣٩ م) اندلعت نار الحرب العالمية الثانية، واتجهت أنظار الناس إلى جبهات القتال، ولم تهتم الأوساط السياسية بالدول التي لم تدخل أو التي لم تشهد أراضيها معارك للقتال، وكانت تركيا في منأى عن الحرب وساحاتها، وبذا كانت بعيدةً عن اهتمام الساسة الذين يتجهون إلى الدول التي تريد أن تُقرّر مصير العالم ـ حسب زعمها ـ يومذاك، أو بالأحرى كما كانت عليه سابقاً، فهي من بعد الحرب العالمية الأولى وهي تعيش في منأى عن أحداث العالم الكبرى، ولم فيها سوى أحداث صغيرة وقليلة تلفت الانتباه.

عصْمَت إيـنونـو

بعد أن تسلّم عصمت إينونو إثر الانتخابات رئاسة الجمهورية كان من الطبيعي أن تستقيل الحكومة القائمة، وقد قدّم محمود جلال بايار استقالة حكومته في ٥ ذي الحجة ١٣٥٧ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٣٩ م) فعهد رئيس الجمهورية إلى رفيق سيدام بتشكيل الحكومة[١].

سار عصمت إينونو على نهج سيّده في رئاسة حزب الشعب الجمهوري،

---

(١) شكل رفيق سيدام وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ - رفيق سيدام: رئيساً للوزراء.
٢ - توفيق فكرت سلاي: وزيراً للعدل.
٣ - ناجي تناز: وزيراً للدفاع.
٤ - فائق أوزتراك: وزيراً للداخلية.
٥ - شكري سراج أوغلو: وزيراً للخارجية.
٦ - فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.
٧ - علي شيتنقايا: وزيراً للأشغال.
٨ - حسن علي يوجل: وزيراً للمعارف.
٩ - حسني شاكر: وزيراً للاقتصاد.
١٠ - خلوصي ألتاش: وزيراً للصحة.
١١ - علي رانا ترهان: وزيراً للتجارة.
١٢ - خلوصي أركمن: وزيراً للزراعة.

وفي معاداته للإسلام، ومحاولة إذلال الأمة، وإبراز العصبية القومية، وإن كان بالواقع لا يؤمن بها، وفي التبعية للسياسة الرأسمالية عامةً، والإنكليزية منها خاصةً، وكذلك بالعمل على عدم إبراز شخصيةٍ أخرى في البلاد غيره، ولهذا نراه أبعد محمود جلال بايار عن السلطة، وجرى خلاف بينهما وتعمّقت جذوره، وإن كان هذا ما أراده مصطفى كمال بإيجاد تنافسٍ بينهما، ولم يعهد إليه برئاسة أية حكومةٍ، وللغرض نفسه فإنه لم يعهد إلى أي رجلٍ من أعوانه في الحزب بتشكيل الوزارة أكثر من مرتين، ليبقى الآخرون أدنى منه بقليل، وهو بهذا فاق سيده الذي لم ينتبه إلى هذه الناحية إلا في أواخر حياته، أما عصمت فقد أحسّ بها من البداية، ولسنا ندري فلعله استفاد من سلفه بالذي أراد أن يُطبّقه في أواخر عهده، فطبّقه هو من أول أيامه، وربما كان هذا هو الصحيح، وبقي لذلك رؤساء الوزراء الذين تولّوا هذا المنصب في عهد عصمت إينونو شبه مغمورين على حين برز عصمت إينونو أيام مصطفى كمال، وعدنان مندريس في عهد محمود جلال بايار فيما بعد.

أعاد رفيق سيدام تشكيل حكومته من جديد[1] ولم يمض على حكومته

---

(١) شكل رفيق سيدام وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - رفيق سيدام: رئيساً للوزراء.

٢ - توفيق فكرت سلاي: وزيراً للعدل.

علي فتحي أوقيار: وزيراً للعدل في ٧ ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ.

علي منمنجي أوغلو: وزيراً للعدل في ١٤ صفر ١٣٦٠ هـ.

٣ - ناجي تناز: وزيراً للدفاع.

صافد أريكان: وزيراً للدفاع في ٢٧ صفر ١٣٥٩ هـ.

علي رضا أرتونكال: وزيراً للدفاع في ٢٣ شوال ١٣٦٠ هـ.

٤ - فائق أوزتراك: وزيراً للداخلية.

علي فكرت توزر: وزيراً للداخلية في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ.

٥ - شكري سراج أوغلو: وزيراً للخارجية.

٦ - فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.

=

الأولى أكثر من شهرين وأسبوعٍ واحدٍ. غير أن هذه الوزارة الثانية قد دام حكمها أكثر من ثلاث سنوات.

وفي عهد هذه الوزارة كان التفوق الألماني في الحرب، وكان هتلر يُوجّه الضربات ذات اليمين وذات الشمال، وقد تمكّن من احتلال شبه جزيرة القرم، وتقدّم في بلاد القفقاس ومع ذلك فلم يتوجّه نحو تركيا رغم أنها تملك موقعاً حسّاساً، وأماكن ذات أهميةٍ خاصةٍ ومع هذا فلم يتحرّك نحوها على الرغم من أن حركة رشيد عالي الكيلاني قد قامت في العراق ضدّ النفوذ الإنكليزي وأعوانه، ومدّت يدها نحو ألمانيا، كما كان في بلاد الشام من يُؤيد هذا التوجه، وربما كان من أبرزهم مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني، كما أن الشعب كان أقرب عاطفةً إلى الألمان منها إلى الإنكليز الذين ساهموا مساهمةً فعّالة في تقسيم بلاد الشام، ووعدوا اليهود بجنوبي الشام (فلسطين)، وعملوا على تجزئة دولة الخلافة، وكانوا من وراء إلغاء الخلافة ونشر العلمانية، بل ويمكن أن نُضيف أن السلطة الفرنسية التي تسيطر على

= ٧ - جزمي إرجين: وزيراً للتجارة.

٨ - حسن علي يوجل: وزيراً للمعارف.

٩ - علي فؤاد جبسوي: وزيراً للأشغال.
نظمي توبيجو أوغلو: وزيراً للتجارة في ١٩ رمضان ١٣٥٨ هـ.

١٠ - حسني شاكر: وزيراً للاقتصاد.
سري داي: وزيراً للاقتصاد في ٨ رجب ١٣٦٠ هـ.

١١ - خلوصي التاش: وزيراً للشؤون التعاونية.
ممتاز أوكمن: وزيراً للتجارة في ٢٧ شوال ١٣٥٩ هـ.

١٢ - علي رانا ترهان: وزيراً للجمارك.
رائف قره دينز: وزيراً للجمارك في ٧ ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ.

١٣ - مخلص أركمن: وزيراً للزراعة.

١٤ - علي شيتنقايا: وزيراً للمخابرات العامة.
جودت كريم انجه داي: وزيراً للمخابرات العامة في ٢٠ شوال ١٣٥٩ هـ.
فخري إنجين: وزيراً للمخابرات العامة في ٢٣ شوال ١٣٦٠ هـ.

سوريا أصبحت تتبع حكومة فيشي التي يرأسها الجنرال بيتان الذي وقع الهدنة مع كلٍ من ألمانيا وايطاليا، فهي سلطة إذن تتبع النفوذ الألماني ومع هذا كله لم يُفكرّ الساسة الألمان بالتحرّك في تركيا، وربما كانوا يتوقّعون أن يتحرّك الشعب من تلقاء ذاته ضدّ المسؤولين فيه والمُؤيّدين من انكلترا، وكانوا يخشون أن ينقلب الأتراك بعواطفهم ضدّ الألمان فيما لو قامت القوات الألمانية بضربةٍ في تركيا أو شنّوا غارات على أراضيها وهم على مقربةٍ منها من جهاتٍ متعددة، هذا ما يمكن أن يتوقعه الإنسان تجاه هذا التصرّف الألماني، وهو يعرف الضربات الخاطفة التي وجّهها الألمان لأعدائهم والهجوم الكاسح الذي اعتادوا أن يشنّوه على خصومهم بشكلٍ ارتجالي في كثير من الأحيان.

وفي ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٦١ هـ (٩ تموز ١٩٤٢ م) عهد إلى شكري سراج أوغلو[1] بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ، وهو وزير الخارجية في

---

(١) شكل شكري سراج أوغلو وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ ـ شكري سراج أوغلو: رئيساً للوزراء، ووزيراً للخارجية.
٢ ـ حسن منمنجي أوغلو: وزيراً للعدل.
٣ ـ علي رضا ارتونكال: وزيراً للدفاع.
٤ ـ علي فكري توزر: وزيراً للداخلية.
رجب بكر: وزيراً للداخلية في ٥ شعبان ١٣٦١ هـ.
٥ ـ نومان منمنجي أوغلو: وزيراً للخارجية في ٢ شعبان ١٣٦١ هـ.
٦ ـ فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.
٧ ـ علي فؤاد جبسوي: وزيراً للأشغال.
٨ ـ حسن علي يوجل: وزيراً للمعارف.
٩ ـ سري داي: وزيراً للاقتصاد.
١٠ ـ خلوصي ألتاش: وزيراً للصحة.
١١ ـ رائف قره دنيز: وزيراً للجمارك.
١٢ ـ شوكت راشد خطيب أوغلو: وزيراً للزراعة.
١٣ ـ فخري أنجين: وزيراً للمواصلات.
١٤ ـ بهجت أوز: وزيراً للتجارة.

عدة حكوماتٍ سبقت، فكان على اطلاعٍ تامٍ على السياسة الخارجية التي تنتهجها حكومته تجاه الحلفاء الذين ترتبط بهم سياسياً دون أن تدخل الحرب إلى جانبهم، وتجاه دول المحور الذين يتعاطف معهم الشعب دون أن يستطيع أن يُبدي أي تحرّكٍ في ناحية عواطفه فإن الفقر الذي يعيش فيه يحول دون الحركة كما أن الذلّ والسحق الذي مارسه عليهم مصطفى كمال وخلفاؤه من بعده لا يزالون يئنون من وطأته هذا إضافةً إلى ظروف الحرب التي تحول دون إمكانية الحركة وإن لم تدخل تركيا الحرب، وإن لم تعلن الأحكام العرفية صراحةً وبقانونٍ إلا أنها بحكم المعلنة، إذ كانت الصحف تخضع للرقابة، وتُمنع التجمّعات، ويُحال دون قيام مُعارضةٍ، وتُقنّن المواد الغذائية لتُنقل إلى الجبهات بشكلٍ سرّيٍ وعن طريق التجار حسب الظاهر، وقد قاس الشعب الكثير من وراء هذه السياسة، وإن كان مُكبّلاً ولا يملك إلا أن يكون قوى سكوت.

وفي ٣ ربيع الأول ١٣٦٢ هـ (٩ آذار ١٩٤٣ م) شكّل شكري سراج أوغلو وزارةً جديدةً[1]، واستمّرت هذه الوزارة ما يزيد على الثلاث

---

(١) شكل شكري سراج أوغلو وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - شكري سراج أوغلو: رئيساً للوزراء.

٢ - علي رضا تورل: وزيراً للعدل.

ممتاز أوكمن: وزيراً للعدل في ٥ جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ.

٣ - علي رضا ارتونكال: وزيراً للدفاع.

٤ - رجب بكر: وزيراً للداخلية.

حلمي أوران: وزيراً للداخلية في ١٦ جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ.

٥ - نومان منمنجي أوغلو: وزيراً للخارجية.

حسن السقا: وزيراً للخارجية في ٢٦ رمضان ١٣٦٣ هـ.

٦ - فؤاد أغرالي: وزيراً للمالية.

نور الله أسعد سومر: وزيراً للمالية في ٢٦ رمضان ١٣٦٣ هـ.

٧ - حسن علي يوجل: وزيراً للمعارف.

٨ - سري داي: وزيراً للأشغال. =

سنوات ونصف معظمها كان خلال الحرب العالمية الثانية التي وقفت فيها تركيا على الحياد، إذ كان الحلفاء يعملون على إرضائها كما قلنا، كما كانت الحكومة تسير على نهج مصطفى كمال في تأييدها للحلفاء ما دام الإنكليز أحدهم، غير أن الشعب كان يحمل كراهيةً للحلفاء الذين عملوا على تقطيع أوصال الأمة، وتجزئة دولة الخلافة، وكراهيةً بصنيعتهم مصطفى كمال ومُنفّذ مخططاتهم فقد كانت عواطفه مع دول المحور، وكان الحلفاء يخشون دائماً ثورةً مُفاجئةً يقوم بها الشعب نتيجة ما يُعاني من ضغط وبسبب ما يحمل من حقدٍ على دول الحلفاء وركائزهم في تركيا، وفي هذه الآونة أخذ الميزان العسكري يتحرّك لصالح الحلفاء، وتتوالى تراجعات دول المحور، وهذا ما أخاف الأتراك ومنعهم من أن يقوموا بأية حركةٍ ربما كان يتوقّعها بعض المراقبين السياسيين، فازداد السكون، وأخلد الناس إلى الخوف.

وفي ١٠ رمضان ١٣٦٥ هـ (٧ آب ١٩٤٦ م) شكّل رجب بكر حكومةً جديدةً[1]، وقد أجرى على وزارته هذه تعديلين أحدهما في ٢٣

= ٩ - فؤاد سرمن: وزيراً للاقتصاد.
١٠ - خلوصي ألتاش: وزيراً للصحة.
١١ - سعدي كونوك: وزيراً للصحة في ٥ صفر ١٣٦٤ هـ.
١٢ - سعاد خيري أركوبلو: وزيراً للجمارك.
١٣ - تحسين خوسكان: وزيراً للجمارك في ١٨ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ.
١٤ - شوكت راشد خطيب أوغلو: وزيراً للزراعة.
١٥ - علي فؤاد جبسوي: وزيراً للمواصلات.
١٦ - جلال سعيد سيرن: وزيراً للتجارة.
١٧ - رائف قره دنيز: وزيراً للتجارة في ١٩ جادى لآخرة ١٣٦٤ هـ.
١٨ - سعدي ايرماك: وزيراً للعمل في ٢٦ جمادى الآخره ١٣٦٤ هـ.

(١) شكل رجب بكر حكومته على النحو الآتي:
١ - رجب بكر: رئيساً للوزراء.
٢ - ممتاز أوكمن: وزيراً للعدل، ونائباً لرئيس الوزراء في ٢٣ شوال ١٣٦٥ هـ.
٣ - مصطفى عبد الخالق رندا: وزيراً للدولة في ٢٣ شوال ١٣٦٥ هـ. =

شوال ١٣٦٥ هـ والثاني في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ، ولكنها لم تستمر بعد التعديل الوراري الثاني سوى خمسة أيام.

وما أن انتهت الحرب العالمية الثاني حتى تنفّس الناس الصعداء، وتحرّكت المنافسة التي وجدت من قبل بين عصمت إينونو ومحمود جلال بايار، فشكّل الثاني منهما الحزب الديمقراطي ليكون جبهة المعارضة، وانضوى الكثير تحت لوائه ليُعبّروا عن رأيهم، غير أن النجاح الذي لقيه هذا الحزب الحديث النشأة ليُعطي دليلاً على كراهية الناس لحزب الشعب الجمهوري الذي أسّسه مصطفى كمال وترأسه وخلفه عصمت إينونو في زعامته، وليست هذه الكراهية لأشخاصٍ بأعينهم وإنما للأفعال التي قاموا بها وارتكبوها بحقّ الأمة، وليست هذه الكراهية، أيضاً للأفعال فقط،

= ٤ - شناسي دورن: وزيراً للعدل في ٢٣ شوال ١٣٦٥ هـ.
٥ - جميل جاهد تيمور: وزيراً للدفاع.
منير بورسل: وزيراً للدفاع في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ.
٦ - شكري سكمنور: وزيراً للداخلية.
٧ - منير خسروغول: وزيراً للداخلية في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ.
٨ - حسن السقا: وزيراً للخارجية.
٩ - خالد نظمي كشمير: وزيراً للمالية.
١٠ - رشاد شمس الدين سرور: وزيراً للمعارف.
١١ - جودت كريم انجداي: وزيراً للنافعة.
١٢ - تحسين بكر بالتا: وزيراً للاقتصاد، ووزيراً للعمل في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ.
١٣ - جاويد إكين: وزيراً للاقتصاد في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ.
١٤ - بهجت أوز: وزيراً للصحة.
١٥ - تحسين جوشكان: وزيراً للجمارك.
١٦ - فائق كرد أوغلو: وزيراً للزراعة.
١٧ - شوكت عدلان: وزيراً للزراعة في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ.
١٨ - شكري كوجاك: وزيراً للمواصلات.
١٩ - عاطف عنان: وزيراً للتجارة.
٢٠ - سعدي ايرماك: وزيراً للعمل.

وإنما للأفكار التي يُنادون، ويُطبّقونها على السكان رغم أنوفهم، وعليهم أن يتقبلوها أذلاء، وإن كان محمود جلال بايار أحد عناصر هذه الفئة غير أنه الآن يتزّعم المعارضة وينتقد ذلك الحزب حزب الشعب الجمهوري الذي هو الأثر الباقي لمصطفى كمال.

وفي ٢٤ شوال ١٣٦٦ هـ (١٠ ايلول ١٩٤٧ م) شكل وزير الخارجية في الحكومة السابقة حسن السقا حكومة جديدة[1].

وكانت هذه الحكومة قد صوتت إلى جانب الاعتراف بدولة اليهود في جنوبي الشام (فلسطين) التي أعلنت نفسها في ٧ رجب ١٣٦٧ هـ (١٥ أيار ١٩٤٨ م) بعد أن اغتصبت جزءاً من الأرض، وشرّدت السكان، وارتكبت أبشع

---

(١) شكل حسن السقا حكومته الأولى على النحو الآتي:

١ - حسن السقا: رئيساً لمجلس الوزراء.

٢ - فائق أحمد بارتجي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.

٣ - مصطفى عبد الخالق رندا: وزيراً للدولة.

٤ - شيناسي دورين: وزيراً للعدل.

٥ - منير بورسل: وزيراً للدفاع.

٦ - منير خسرو غول: وزيراً للداخلية.

٧ - نجم الدين صادق: وزيراً للخارجية.

٨ - خالد نظمي كشمير: وزيراً للمالية.
شوكت عدلان: وزيراً للمالية في ١٧ جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ.

٩ - رشاد شمس الدين سرور: وزيراً للمعارف.

١٠ - قاسم كولك: وزيراً للنافعة.

١١ - جاويد إكين: وزيراً للاقتصاد.

١٢ - بهجت أوز: وزيراً للصحة.

١٣ - شوكت عدلان: وزيراً للجمارك.

١٤ - تحسين جوشكان: وزيراً للزراعة.

١٥ - شكري كوجاك: وزيراً للمواصلات.

١٦ - محمود نديم كوندز ألب: وزيراً للتجارة.

١٧ - تحسين بكر بالتا: وزيراً للعمل.

المجازر، وكان هذا الاعتراف قد رجّح التصويت إلى جانب اليهود إذ كان الفرق صوتاً واحداً بين المؤيدين والرافضين، ومع أنه من المفروض أن تكون من أول الذين يرفضون الاعتراف بدولة اليهود بصفة تركيا دولةً إسلاميةً، ويشكل المسلمون فيها نسبة ٩٩٪ من السكان، ولأن اليهود ظالمين أقاموا دولتهم على الاغتصاب والجرائم أمام سمع العالم وبصره، غير أن الحقد الذي توجده القومية التي تقوم عليه الدولة التركية والتي يدعو لها أكثر حكام العرب يومذاك هي التي جعلت تركيا تقف هذا الموقف الشائن، كما يجب ألا ننسى محاولة البعد عن الإسلام، وهو المبدأ الذي عمل له مصطفى كمال وسار عليه حزبه والحكومات التي توالت أيامه ومن بعده.

في ٣ شعبان ١٣٦٧ هـ (١٠ حزيران ١٩٤٨ م) أعاد حسن السقا تشكيل الحكومة من جديد[١]، واستمّر الوضع في نأيه عن البلدان

---

(١) شكل حسن السقا وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ ـ حسن السقا: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ فائق أحمد بارتجي: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.
٣ ـ فؤاد سرمن: وزيراً للعدل.
٤ ـ علي رضا أرتن: وزيراً للعدل في ١٤ ربيع الأول ١٣٦٨ هـ.
٥ ـ حسني شاكر: وزيراً للدفاع.
٦ ـ منير خسروغول: وزيراً للداخلية.
٧ ـ نجم الدين صادق: وزيراً للخارجية.
٨ ـ شوكت عدلان: وزيراً للمالية.
٩ ـ تحسين بانكو أوغلو: وزيراً للمعارف.
١٠ ـ نهاد اريم: وزيراً للنافعة.
١١ ـ جاويد إكين: وزيراً للاقتصاد.
١٢ ـ كمالي بيازيد: وزيراً للصحة.
١٣ ـ أمين إرشكيل: وزيراً للجمارك.
١٤ ـ جاويد أورال: وزيراً للزراعة.
١٥ ـ قاسم كولك: وزيراً للمواصلات. =

الإسلامية والتصاقه بالدول الغربية، وبعده عن جيرانه في الجنوب حيث يحرّك كل طرفٍ التعصّب القومي الذي يشكل طرفان مُتنافران.

وكان الحزب الديمقراطي المعارض يقوى باستمرار، وأراد رئيس الحكومة الحدّ من هذا النشاط بالضغط، وإذا دعا الأمر فبالحلّ غير أن رئيس الجمهورية قد رفض ذلك، ولم يلبث أن وصل الحزب الديمقراطي إلى درجة يكاد يتساوى فيها مع الحزب الحاكم إن لم نقل أنه قد عادله أو تفوّق عليه لكن هذا لم يظهر على الساحة بوضوح لأن الذي بيده السلطة يتقرّب له الأفراد ويُمالئونه حتى ليبدو أنه القوي أو الوحيد في الساحة، وهذا ما غرّر الذين بيدهم السلطة فاطمأنوا إلى قوتهم الظاهرية.

واقترب موعد الانتخابات فدعت المعارضة إلى تشكيل حكومة مُحايدةٍ تتولّى أمر الانتخابات والإشراف عليها إن كانت السلطة تُريد العدل، وتبغي المساواة وهما ما تدعو لها، وهذا الأصل في الحياة النيابية، واشتّدت المعارضة، واستقالت حكومة حسن السقا الثانية، وشكّل شمس الدين غونالتاي حكومةً[1] في ١٧ ربيع الأول ١٣٦٨ هـ (١٦ كانون الثاني

= ١٦ ـ جميل سعيد برلاس: وزيراً للتجارة.
١٧ ـ تحسين بكر بالتا: وزيراً للعمل.

(١) شكل شمس الدين غونالتاي حكومته على النحو الآتي:
١ ـ شمس الدين غونالتاي: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ ـ نهاد أريم: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.
٣ ـ نور الدين أسعد سومر: وزيراً للدولة.
٤ ـ جميل سعيد برلاس: وزيراً للتجارة في ١١ شعبان ١٣٦٨ هـ.
٥ ـ فؤاد سرمن: وزيراً للعدل.
٦ ـ حسني شاكر: وزيراً للدفاع.
٧ ـ أمين أريشكيل: وزيراً للداخلية.
٨ ـ نجم الدين صادق: وزيراً للخارجية.
٩ ـ إسماعيل رشدي اكسال: وزيراً للمالية.
١٠ ـ تحسين بانكو أوغلو: وزيراً للمعارف. =

١٩٤٩ م) وكان من مهمتها الإشراف على الانتخابات، وجرت الانتخابات وفاز الحزب الديمقراطي، وانتهى بذلك حكم الحزب الواحد، وأصبحت الجمهورية نيابيةً حسب الاصطلاح الأوربي، أي يضمّ المجلس النيابي عدة أحزاب تتنافس على الحكم وعلى خدمة الأمة حسب منهجٍ واضحٍ لكلٍ منها أو هكذا المفروض، لذا نلاحظ في هذه الحكومة أسماء جديدةً تشترك فيها يرضى عن أصحابها الحزب المعارض «الديمقراطي» أو أنها عرفت بالحياد على الأقل.

لم تكن مفاجأة نجاح الحزب الديمقراطي في الانتخابات لدى المراقبين السياسيين الذين يُقدّرون تماماً الممالأة والتزلّف للسلطة، ولكن الحكومة كانت النتائج مُفاجئةً لها إذ ترى الشارع يتحرّك حسب رأيها ويُبدي (الرجال) لها غير ما حدث. فسقطت الحكومة، وسقط الحزب الحاكم، وبدأت مرحلة جديدة.

حكم حزب الشعب الجمهوري الذي شكلّه مصطفى كمال منفرداً مدة تزيد على سبعٍ وعشرين سنة منذ أن أُعلنت الجمهورية في ١١ محرم ١٣٤٢ هـ حتى فشله في الانتخابات وفوز الحزب الديمقراطي في ٥ شعبان ١٣٦٩ هـ، وقد شكّل خلالها تسع عشرة وزارةً ترأسها ثمانية رؤساء وزارات وهم:

علي فتحي أوقياو شكل وزارتين ٢

= ١١ ـ شوكت عدلان: وزيراً للنافعة.
١٢ ـ كمالي بيازيد: وزيراً للصحة.
١٣ ـ فاضل شرف الدين بورغو: وزيراً للجمارك.
١٤ ـ جاويد أورال: وزيراً للزراعة.
١٥ ـ كمال ساتير: وزيراً للمواصلات.
١٦ ـ رشاد شمس الدين سرور: وزيراً للعمل.
١٧ ـ منير بورسل: وزيراً للأشغال في ١١ شعبان ١٣٦٨ هـ.

عصمت إينونو	شكل سبع وزاراتٍ	٧
محمود جلال بايار	شكل وزارتين	٢
رفيق سيدام	شكل وزارتين	٢
شكري سراج أوغلو	شكل وزارتين	٢
رجب بكر	شكل وزارةً واحدةً	١
حسن السقا	شكل وزارتين	٢
شمس‌الدين غونالتاي	شكل وزارةً واحدةً	١
		١٩ وزارة

١ - علي فتحي أوقيار الأولى ١ محرم ١٣٤ - ١٧ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ
(٢٣ آب ١٩٢٣ - ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٣ م).

٢ - عصمت إينونو الأولى ١٩ ربيع الأول ١٣٤٢ - ١ شعبان ١٣٤٢ هـ
(٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣ - ٦ آذار ١٩٢٤ م).

٣ - عصمت إينونو الثانية ١ شعبان ١٣٤٢ - ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ
(٦ آذار ١٩٢٤ - ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤ م).

٤ - علي فتحي أوقيار الثانية ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٣ - ٨ شعبان ١٣٤٣ هـ
(٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤ - ٣ آذار ١٩٢٥ م).

٥ - عصمت إينونو الثالثة ٨ شعبان ١٣٤٣ - ٧ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ
(٣ آذار ١٩٢٥ - ١ تشرين الثاني ١٩٢٧ م).

٦ - عصمت إينونو الرابعة ٧ جمادى الأولى ١٣٤٦ - ٥ جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ
(١ تشرين الثاني ١٩٢٧ - ٢٧ ايلول ١٩٣٠ م).

٧ - عصمت إينونو الخامسة ٥ جمادى الأولى ١٣٤٩ - ١٧ ذي الحجة ١٣٤٩ هـ
(٢٧ ايلول ١٩٣٠ - ٤ أيار ١٩٣١ م).

٨ - عصمت إينونو السادسة ١٧ ذي الحجة ١٣٤٩ - ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ
(٤ أيار ١٩٣١ -ٓ آذار ١٩٣٥ م).

٩ - عصمت إينونو السابعة ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٣ - ٢٧ شعبان ١٣٥٦ هـ
(١ آذار ١٩٣٥ - ١ تشرين الثاني ١٩٣٧ م).

١٠ - محمود جلال بايار الأولى ٢٧ شعبان ١٣٥٦ - ٩ رمضان ١٣٥٧ هـ
(١ تشرين الثاني ١٩٣٨ - ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٩ م).

هلاك مصطفى كمال

١٢ ـ رفيق سيدام الأولى	٥ ذي الحجة ١٣٥٧ ـ ١٣ صفر ١٣٥٨ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٣٩ ـ ٣ نيسان ١٩٣٩ م).
١٣ ـ رفيق سيدام الثانية	١٣ صفر ١٣٥٨ ـ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٦١ هـ (٣ نيسان ١٩٣٩ ـ ٩ تموز ١٩٤٢ م).
١٤ ـ شكري سراج أوغلو الأولى	٢٥ جمادى الآخرة ١٣٦١ ـ ٣ ربيع أول ١٣٦٢ هـ (٩ تموز ١٩٤٢ ـ ٩ آذار ١٩٤٣ م).
١٥ ـ شكري سراج أوغلو الثانية	٣ ربيع أول ١٣٦٢ ـ ١٠ رمضان ١٣٦٥ هـ (٩ آذار ١٩٤٣ ـ ٧ آب ١٩٤٦ م).
١٦ ـ رجب بكر	١٠ رمضان ١٣٦٥ ـ ٢٤ شوال ١٣٦٦ هـ (٧ آب ١٩٤٦ ـ ١٠ ايلول ١٩٤٧ م).
١٧ ـ حسن السقا الأولى	٢٤ شوال ١٣٦٦ ـ ٣ شعبان ١٣٦٧ هـ (١٠ ايلول ١٩٤٧ ـ ١٠ حزيران ١٩٤٨ م).
١٨ ـ حسن السقا الثانية	٣ شعبان ١٣٦٧ ـ ١٧ ربيع الأول ١٣٦٨ هـ (١٠ حزيران ١٩٤٨ ـ ١٦ كانون الثاني ١٩٤٩ م).
١٩ ـ شمس الدين غونالتاي	١٧ ربيع الأول ١٣٦٨ ـ ٥ شعبان ١٣٦٩ هـ ١٦ كانون الثاني ١٩٤٩ ـ ٢٢ أيار ١٩٥٠ م).

الفصل الثاني

الجمهوريّة النّيابيّة

محمود جلال بايار

عانى السكان كثيراً أثناء الحرب العالمية الثانية من ظروف الحرب، وإن لم تشترك فيها تركيا، إلا أن العالم كله قد قاسى من ويلات الحرب، كما عانى السكان من ضغط الحزب الحاكم واستبداده، وسيره على نهج مصطفى كمال، ومحاولة المتاجرة باسمه والرفع من شأنه من جديد، ومن الصعوبة على الإنسان بمكان أن يسمع الثناء على الرجل السيء. فلما انتهت الحرب أعطى الحزب السكان شيئاً من الحرية، ووقع خلاف بين رئيس الجمهورية عصمت إينونو وبين محمود جلال بايار أدّى إلى انشقاقٍ في داخل الحزب وكانت النهاية أن شكّل محمود جلال بايار الحزب الديمقراطي.

رغم أن الحزبين ينبعان من مشكاةٍ واحدةٍ ويسيران على نهج مصطفى كمال إلا أن الناس قد كرهوا كلمة حزب الشعب الجمهوري لأنه يحمل ذكرى مؤسسه مصطفى كمال لذا فقد أيدّوا الحزب الديمقراطي لا حباً به ولا بمبادئه وإنما كرهاً بحزب الشعب الجمهوري، وهذا ما جعل الديمقراطيين يحصلون على سبعين مقعداً في المجلس النيابي إثر الانتخابات التي جرت بعد الحرب العالمية الثانية وذلك من أصل أربعمائة وستة عشر مقعداً، وإذا كانت هذه النسبة قليلةً إلا أنها تعد جيدةً حسب عمر الحزب إضافةً إلى تدخل الحكومة لمصلحة مرشحيها.

أخذت الحكومة تضطهد أعضاء الحزب فتدخّل رئيس الجمهورية

عصمت إينونو وأراد إظهار الحرية ما دام لا يخشى على شيء فالحزبان من أصلٍ واحدٍ كما ذكرنا، وهذا ما دعا رجب بكر رئيس الوزراء إلى تقديم استقالة حكومته، وشكل حسن السقا وزارتين متتابعتين وكان يميل إلى إعطاء الحرية أكثر من سلفه وهذا ما ساعد على زيادة شعبية الديمقراطيين، كما كانت هذه الحرية مجالاً لظهور حزب آخر جديد هو الحزب القومي. ولما عهد إلى شمس الدين غونالتاي بتشكيل الوزارة وأعطى مزيداً من الحرية، وجرت الانتخابات النيابية فاز الحزب الديمقراطي، وحصل على الأغلبية في المجلس، وجرت انتخابات رئاسة الجمهورية فنجح بها محمود جلال بايار[1] فكان ثالث رئيس جمهوريةٍ في تركيا، وعهد إلى عدنان مندريس بتشكيل الوزارة.

شكّل عدنان مندريس وزارته الأولى[2] في ٥ شعبان ١٣٦٩هـ (٢٢ أيار

---

(١) ولد محمود جلال بايار عام ١٣٠٤ هـ في إحدى ضواحي مدينة (بورصة)، ودرس المالية والاقتصاد في مدرسة يهودية فرنسية، وعمل في مصرف الشرق الألماني، وخدم جمعية الاتحاد والترقي، وأصبح أمين عام فرع أزمير لتلك الجمعية، وبعد الحرب العالمية الأولى انضم الى حركة مصطفى كمال، وانتخب عضواً في المجلس النيابي التركي نائباً عن مدينة ازمير عام ١٣٣٩ هـ، واشترك في عدة وزارات، ثم شكل الوزارة مرتين عام ١٣٥٦ هـ، وتوفي مصطفى كمال، ومحمود جلال بايار رئيساً للوزارة، وبعدها اختلف مع عصمت إينونو، وشكل بعد الحرب العالمية الثانية الحزب الديمقراطي الذي نجح في الانتخابات الثانية التي خاضها، وأوصل محمود جلال بايار إلى رئاسة الدولة.

(٢) شكل عدنان مندريس وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ - عدنان مندريس: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ - صامد آغا أوغلو: نائباً لرئيس الوزراء في ١٩ شعبان ١٣٦٩ هـ.
٣ - فوزي لطفي قره عثمان أوغلو: وزيراً للدولة في ٢٦ رمضان ١٣٦٩ هـ.
٤ - خليل أوزويورك: وزيراً للعدل.
٥ - رفيق شوكت إنجه: وزيراً للدفاع.
٦ - ركن الدين نصوح أوغلو: وزيراً للداخلية.
٧ - فؤاد كوبرولي: وزيراً للخارجية.
٨ - خليل عيان: وزيراً للمالية.

=

١٩٥٠ م)، وكانت تتألف من شخصياتٍ جديدةٍ ما دام قد تسلّم الحزب السلطة لأول مرةٍ، غير أن صلاحيات الوزارة كانت واسعةً أذ أن شخصية رئيسها فذّة، ولم يتدخّل رئيس الجمهورية في شؤون الحكم والسياسة الخارجية عامةً وإنما كان رئيس الحكومة هو الذي يتصرّف بهذا كله. ولم يتغيّر شيء بالنسبة الى سياسة الدولة الخارجية ما دام هذا الحزب لا يختلف عن سابقه إذ هما من أصلٍ واحدٍ، فالتوجّه نحو الغرب محور هذه السياسة غير أنه قد زاد النفوذ الأمريكي أو بالأحرى بدأت الولايات المتحدة تدخل إلى الساحة التركية عن طريق الدعم الاقتصادي، وكانت من قبل مقتصرةً على النفوذ الإنكليزي الذي اصطنع مصطفى كمال من قبل. وبالواقع فإن هذه المرحلة كانت هناك سياسة امريكية قائمة هدفها أن يحلّ النفوذ الأمريكي محلّ نفوذ أصدقائه الإنكليز والفرنسيين ليجعلهم يدورون في فلكه هم وبقية أعضاء دول حلف شمالي الأطلسي حتى يكون فيه رأس واحد تنبع منه السياسة العامة ويستطيع توجيه الحلف إلى الجهة التي يريد،

= ٩ - حسن بولادكان: وزيراً للمالية في ٥ ربيع الأول ١٣٧٠ هـ.
١٠ - عوني باشمان: وزيراً للمعارف.
١١ - توفيق إليري: وزيراً للمعارف في ٢٧ شوال ١٣٦٩ هـ.
١٢ - فخري بلين: وزيراً للمنافع.
١٣ - كمال زيتين أوغلو: وزيراً للمنافع في ١٣ ربيع الأول ١٣٧٠ هـ.
١٤ - زهدي وليبش: وزيراً للتجارة.
١٥ - نهاد رشاد بلجر: وزيراً للصحة.
١٦ - أكرم خيري استنداغ: وزيراً للصحة في ٧ ذي الحجة ١٣٦٩ هـ.
١٧ - نوري أوزسان: وزيراً للجمارك.
١٨ - نهاد ايريبوز: وزيراً للزراعة.
١٩ - توفيق ايلري: وزيراً للمواصلات.
٢٠ - سيفي كورتبيك: وزيراً للمواصلات في ٢٧ شوال ١٣٦٩ هـ.
٢١ - حسن بولادكان: وزيراً للعمل.
٢٢ - خلوصي كومن: وزيراً للعمل في ٥ ربيع الأول ١٣٧٠ هـ.
٢٣ - مخلص اتي: وزيراً للتشغيل.

كما هي الحال في حلف (وارسو) الذي تنبع سياسته من روسيا، ولا يعرف موجهاً له إلا هي.

وفي الأول من جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ (٩ آذار ١٩٥١ م) أعاد عدنان مندريس تشكيل حكومته[1]. وأعلنت الحكومة انحيازها إلى الغرب

---

(١) أعاد عدنان مندريس تشكيل حكومته على النحو الآتي:

١ - عدنان مندريس: رئيساً لمجلس الوزراء.
٢ - صامد آغا أوغلو: نائباً لرئيس مجلس الوزراء.
٣ - فتحي جلكباش: نائباً لرئيس مجلس الوزراء في ٢٤ رجب ١٣٧٢ هـ.
٤ - رفيق شوكت انجه: وزيراً للدولة.
٥ - فوزي لطفي قره عثمان أوغلو: وزيراً للدولة في ١٤ رمضان ١٣٧٠ هـ.
٦ - معمر علاء كنت: وزيراً للدولة في ١٣ صفر ١٣٧٢ هـ.
٧ - جلال يرديمجي: وزيراً للدولة في ٢٤ رجب ١٣٧٢ هـ.
٨ - ركن الدين نصوح أوغلو: وزيراً للعدل.
عثمان شوقي ججك داغ: وزيراً للعدل في ٢٢ صفر ١٣٧٢ هـ.
٩ - خلوصي كومن: وزيراً للدفاع.
سيفي كورتبيك: وزيراً للدفاع في ٢٢ صفر ١٣٧٢ هـ.
كنعان يلماز: وزيراً للدفاع في ٢٤ صفر ١٣٧٣ هـ.
١٠ - خليل أوزويورك: وزيراً للداخلية.
فوزي لطفي قره عثمان أوغلو: وزيراً للداخلية في ٤ ربيع الأول ١٣٧١ هـ.
عتم مندريس: وزيراً للداخلية في ١١ ذي القعدة ١٣٧١ هـ.
١١ - فؤاد كوبرولي: وزيراً للخارجية.
١٢ - حسن بولادكان: وزيراً للمالية.
١٣ - توفيق ايلري: وزيراً للمعارف.
رفقي سالم برجاق: وزيراً للمعارف في ٢٤ رجب ١٣٧٢ هـ.
١٤ - كمال زيتين أوغلو: وزيراً للمنافع.
١٥ - مخلص آتي: وزيراً للاقتصاد.
أنور قورلي: وزيراً للاقتصاد في ١٣ صفر ١٣٧٢ هـ.
فتحي جلكباش: وزيراً للاقتصاد في ١٥ رمضان ١٣٧٢ هـ.
١٦ - أكرم خيري استنداغ: وزيراً للصحة.
١٧ - رفقي سالم برجاق: وزيراً للجمارك. =

إذ انضمّت إلى حلف شمالي الأطلسي عام ١٣٧١ هـ، ثم عقدت معاهدة صداقةٍ مع اليونان ثم مع يوغوسلافيا[1] عام ١٣٧٣ هـ، ثم لم تلبث هذه المعاهدات أن أدّت إلى ظهور حلف عام ١٣٧٤ هـ عُرف باسم «حلف البلقان» إذ كانت السياسة الغربية تعمل آنذاك على إحاطة دولة الإمبراطورية الروسية بمجموعةٍ من الأحلاف كي تحصرها في المناطق التي تُسيطر عليها فقط. وفي الوقت الذي أخذت فيه الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الحزب الديمقراطي كان النفوذ الإنكليزي لا يزال موجوداً ويتمثّل في حزب الشعب الجمهوري، وفي الوقت الذي تتفق فيه السياسة الغربية كلها في حمل تركيا على اتباع سياسةٍ غربيةٍ واضحةٍ تماماً وقد تمثّل هذا في انضمامها إلى حلف شمالي الأطلسي، إلا أنه كان هناك تنافس بين دولٍ غربيةٍ في حمل تركيا للسير في فلكها وقد تمثل في المناقشة بين الحزبين الرئيسيين الحزب الديمقراطي، وحزب الشعب الجمهوري. وفي هذه الأثناء وقعت اتفاقية الجلاء بين مصر وانكلترا وكان من بنودها أنه إذا جرى اعتداء على البلدان العربية أو تركيا فإن لانكلترا الحقّ في العودة

=
نوري أوز سان: وزيراً للجمارك في ٢٦ محرم ١٣٧١ هـ.
صدقي يرجالي: وزيراً للجمارك في ٤ ربيع أول ١٣٧١ هـ.
أمين كالافات: وزيراً للجمارك في ٢٤ رجب ١٣٧٢ هـ.

١٨ - نديم أوكمن: وزيراً للزراعة.

١٩ - سيفي كورتيبك: وزيراً للمواصلات.
يمنو أورسين: وزيراً للمواصلات في ٢٢ صفر ١٣٧٢ هـ.

٢٠ - نوري أوزسان: وزيراً للعمل.
صامد آغا أوغلو: نائب وزير العمل في ٢٢ صفر ١٣٧٢ هـ.
خير الدين أركمن: وزيراً للعمل في ٢٤ رجب ١٣٧٢ هـ.

٢١ - حقي غديق: وزيراً للتشغيل.
صدقي يرجالي: وزيراً للتشغيل في ٢٩ ذي الحجة ١٣٧١ هـ.

(١) يوغوسلافيا: دولة شيوعية من حيث النظام، غربية من حيث السياسة أو بالأحرى اشتراكية أمريكية.

إلى قناة السويس وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الارتباط الوثيق بين الحكم التركي والدول الغربية وعلى رأسها انكلترا ثم الولايات المتحدة الأمريكية[1].

وفي منتصف شهر رمضان ١٣٧٣ هـ (١٧ أيار ١٩٥٤ م) أعاد عدنان مندريس تشكيل الحكومة من جديد[2]. وكانت تركيا في هذه

---

(١) يرجع إلى الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب (وادي النيل).

(٢) شكل عدنان مندريس حكومته الثالثة على النحو الآتي:

١ - عدنان مندريس: رئيساً للوزراء.
٢ - فاتح رشدي زورلو: نائباً لرئيس الوزراء.
فؤاد كوبرولي: نائباً لرئيس الوزراء في ١٠ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ.
٣ - مكرم سارول: وزيراً للدولة.
٤ - عتم مندريس: وزيراً للدولة في ٢٨ محرم ١٣٧٥ هـ.
٥ - فخر الدين أولاش: وزيراً للدولة في ١٣ صفر ١٣٧٥ هـ.
٦ - عثمان كاباني: وزيراً للدولة.
٧ - عثمان شوقي جحك داغ: وزيراً للعدل.
٨ - عتم مندريس: وزيراً للدفاع.
٩ - نامق غاديق: وزيراً للداخلية.
١٠ - عتم مندريس: وزيراً للداخلية في ١٣ صفر ١٣٧٥ هـ.
١١ - فؤاد كوبرولي: وزيراً للخارجية.
١٢ - حسن بولادكان: وزيراً للمالية.
١٣ - جلال يرديمجي: وزيراً للمعارف.
١٤ - كمال زيتين أوغلو: وزيراً للنافعة.
١٥ - صدقي يرجالي: وزيراً للتجارة.
١٦ - بهجت أوزو: وزيراً للصحة.
١٧ - أمين كالافات: وزيراً للجمارك.
١٨ - نديم أوكمن: وزيراً للزراعة.
١٩ - معمر جاويش أوغلو: وزيراً للمواصلات.
٢٠ - خير الدين أركمن: وزيراً للعمل.
٢١ - فتحي جاليك باش: وزيراً للتشغيل.
٢١ - فتحي جاليك باش: وزيراً للتشغيل.
صامد آغا أوغلو: وزيراً للتشغيل في ١١ ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ.

المرحلة ضمن أعضاء حلف بغداد الذي ضمّ تركيا، وإيران، والعراق، وباكستان لاحاطة الامبراطورية الروسية من الجنوب، ويبدو أن أفغانستان قد تركت منذ ذلك الوقت لتبتلعها روسيا إذ لم تُدع للانضمام إلى ذلك الحلف، وكان رئيس الوزراء محمد داود يُظهر تعاطفاً مع الشيوعية، وكانت روسيا والصين لا تزلان ضمن خطٍ واحدٍ، ولم يكن الخلاف قد وقع بينهما بعد، وتتلقى أفغانستان مساعداتٍ روسية ضخمة وقد وصلت إلى ٦٥٪ من مجموع المساعدات على حين أن المساعدات الأمريكية لم تزد يومذاك على ٢٣٪ من مجموع المساعدات التي تتلقّاها أفغانستان من الخارج، كما اتفقت روسيا والصين على شقّ الطرق داخل الأراضي الأفغانية. ولما انسحبت العراق من حلف بغداد بعد إلغاء النظام الملكي وإعلان الجمهورية بحركةٍ من الجيش في ٢٧ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ (١٤ تموز ١٩٥٨ م) أصبح الحلف يسمى بالحلف المركزي.

وفي ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ (٩ كانون الأول ١٩٥٥م) أعاد عدنان مندريس تشكيل الوزارة من جديد[1] وقد أُثيرت في عهد هذه الوزارة

---

(١) شكل عدنان مندريس وزارته الرابعة على النحو الآتي:
١ - عدنان مندريس: رئيساً لوزراء، ووزيراً للدفاع.
٢ - محمد جيل بنكو: وزيراً للدولة.
٣ - شامي أركين: وزيراً للدولة.
٤ - فاتن رشدي زرلو: وزيراً للدولة.
٥ - أمين كالافات وزيراً للدولة.
٦ - جلال يرديمجي: وزيراً للدولة.
٧ - حسين عوني كوكتورك: وزيراً للعدل.
٨ - شامي أركين: وزيراً للدفاع في ١ محرم ١٣٧٧ هـ.
٩ - عتم مندريس: وزيراً للداخلية.
نامق غاديق: وزيراً للداخلية في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٧٦ هـ.
١٠ - فؤاد كوبرولي: وزيراً للخارجية.
١١ - نديم أكمن: وزيراً للمالية.
=

النعرات العصبية بين تركيا وسوريا، إذ لم تقبل الحكومة السورية في هذه الآونة الانضمام إلى حلف بغداد تحت ضغط الشعب فأُثيرت تلك النعرات وكادت تقع الحرب بين الطرفين، وجرت الاستعدادات وحفرت الخنادق، وشُحن الناس، ولكن الله سلّم ولم تحدث تلك الاصطدامات التي كانت مُتوقّعةً.

وأما من جهة السياسة الداخلية فلم تختلف هذه المرحلة عن سابقتها في السير في طريق العلمانية، والعصبية القومية، ومُعاداة الإسلام، وقد سبق أن ذكرنا أن أساس الحزبين واحدٍ، ويلتقيان عند مصطفى كمال، ويزاود كلاهما الآخر بالسير على نهج باعث تركيا الحديثة على حدّ تعبيرهم، فهما ينبعان من أصلٍ واحدٍ، ويسيران على نهجٍ واحد، ويتبعان السياسة الغربية، وإن افترقا بالدوران في أفلاكها، إذ خضع أحدهما للضغط الأمريكي بينما لا يزال الآخر يخضع للنفوذ الإنكليزي.

= ١٢ ـ حسن بولادكان: وزيراً للمالية في ١ جمادى الأولى ١٣٧٦ هـ.
١٣ ـ أحمد أوزال: وزيراً للمعارف.
١٤ ـ توفيق إيلري: وزيراً للمعارف في ١٣ رمضان ١٣٧٦ هـ.
١٥ ـ معمر جاويش أوغلو: وزيراً للنافعة.
١٦ ـ عتم مندريس: وزيراً للنافعة في ٨ ربيع الأول ١٣٧٦ هـ.
١٧ ـ فخر الدين ألاش: وزيراً للتجارة.
١٨ ـ زيات منداليبنجي: وزيراً للتجارة في ٢٧ رمضان ١٣٧٥ هـ.
عبد الله عكر: وزيراً للتجارة في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٦ هـ.
١٩ ـ نايف كورز: وزيراً للصحة.
٢٠ ـ هادي حسمان: وزيراً للجمارك.
٢١ ـ أسد بوداك أوغلو: وزيراً للزراعة.
٢٢ ـ عارف دميرار: وزيراً للمواصلات.
٢٣ ـ ممتاز ترهان: وزيراً للعمل.
٢٤ ـ صامد آغا أوغلو: وزيراً للتشغيل.
صامد آغا أوغلو: وزيراً للصناعة في ٧ صفر ١٣٧٧ هـ.

وفي الثالث من جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٧ م) شكّل عدنان مندريس وزارته الخامسة والأخيرة[1].

---

(١) شكل عدنان مندريس وزارته الأخيرة على النحو الآتي:

١ - عدنان مندريس: رئيساً للوزراء.

٢ - توفيق إيلري: نائباً لرئيس الوزراء.

٣ - مدني برك: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة في ١١ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ.

٤ - صامد آغا أوغلو: وزيراً للدولة في ٢٠ صفر ١٣٧٨ هـ.

٦ - أمين كالافات: وزيراً للدولة.

٧ - عبدالله عكر: وزيراً للدولة في ٢٠ صفر ١٣٧٨ هـ.

٨ - مظفر قربان أوغلو: وزيراً للدولة.

٩ - عزت أكجل: وزيراً للدولة في ١ جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ.

١٠ - أسد بوداك أوغلو: وزيراً للعدل.

١١ - جلال يرديمجي: وزيراً للعدل في ٧ شوال ١٣٧٩ هـ.

١٢ - شامي أركين: وزيراً للدفاع.

١٣ - عتم مندريس: وزيراً للدفاع في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٧٧ هـ.

١٤ - نامق غاديق: وزيراً للداخلية.

١٥ - فاتن رشدي زرلو: وزيراً للخارجية.

١٦ - حسن بولادكان: وزيراً للمالية.

١٧ - جلال يرديمجي: وزيراً للمعارف.

١٨ - عاطف بندرلي أوغلو: وزيراً للمعارف في ٩ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ.

١٩ - عتم مندريس: وزيراً للنافعة.

٢٠ - توفيق ايلري: وزيراً للنافعة في ٢٨ جمادى الآخره ١٣٧٧ هـ.

٢١ - عبدالله عكر: وزيراً للتجارة.

٢٢ - خير الدين إركمن: وزيراً للتجارة في ٢٠ صفر ١٣٧٨ هـ.

٢٣ - لطفي كردار: وزيراً للصحة.

٢٤ - هادي حسهان: وزيراً للجمارك.

٢٥ - نديم أكمن: وزيراً للزراعة.

٢٦ - فوزي أجانار: وزيراً للمواصلات.

٢٧ - مظفر قربان أوغلو: وزيراً للمواصلات في ١ جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ.

٢٨ - شامي اركين: وزيراً للمواصلات في ٩ جمادى الآخره ١٣٧٩ هـ. =

تأخرت الأوضاع الاقتصادية في البلاد، وتلقّت الحكومة مساعداتٍ كبيرة من الولايات المتحدة الأمريكية دعماً للحزب الديمقراطي الذي يسير في خطٍ موازٍ لسياستها ودعماً لنفوذها في تركيا، ومع هذه المساعدات فإن التدهور الاقتصادي أصبح واضحاً فتضايق السكان وهذا ما قوّى المعارضة المُتمثّلة في حزب الشعب الجمهوري، فقامت الحكومة بإلغاء هذا الحزب المعارض، واعتقلت أعضاءه البارزين، وصادرت أملاكه ومؤسساته، وعملت على كسب ثقة المسلمين الملتزمين الناقمين على السياسة الكمالية وحزب الشعب الجمهوري فأخذت تتقرّب منهم ولكن ذلك لم يفدها شيئاً كثيراً إذ أخذت شعبيتها تتراجع باستمرار.

تأسس حزب الحرية عام ١٣٧٥ هـ، كما تأسّس الحزب القومي الجمهوري غير أن المراقب يُلاحظ أن هذا الحزب ليس هو إلا حزب الشعب الجمهوري الملغى، ويبدو هذا من أعضائه البارزين، وقد اندمج هذان الحزبان مع حزب الفلاحين الجمهوري الذي نشأ حديثاً أيضاً، وشكّل الأحزاب الثلاثة حزباً واحداً بل جبهة واحدةً للمعارضة واتخذت الوسائل المختلفة لمواجهة الحكومة ومنها المظاهرات غير أن الحكومة قد تصدّت لذلك، وقامت بكل وسائل القمع، وهذا ما جعلها تخسر كثيراً في

---

٢٩ ـ خير الدين إركمن: وزيراً للعمل.
٣٠ ـ خلوق شامان: وزيراً للعمل في ٦ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ.
٣١ ـ صامد آغا أوغلو: وزيراً للصناعة.
٣٢ ـ صدقي يرجالي: وزيراً للصناعة في ٢٣ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ.
٣٣ ـ ثابت عثمان: وزيراً للصناعة في ١٤ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ.
٣٤ ـ صدقي يرجالي: وزيراً للاعلام.
٣٥ ـ ثروت سومان أوغلو: وزيراً للإسكان في ٢٣ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ.
٣٦ ـ مدني برك: وزيراً للإسكان.
٣٧ ـ خير الدين اركمن: وزيراً للإسكان في ١١ جمادى الآخره ١٣٧٩ هـ.
٣٨ ـ ثابت عثمان: وزيراً للتخطيط في ٢٣ ذي الحجة ١٣٧٧.
٣٩ ـ عبد الله عكر: وزيراً للتخطيط في ١٤ جمادى الآخرة ١٣٧٩.

انتخابات عام ١٣٧٧ هـ غير أنه قد بقي الحزب الديمقراطي صاحب الأكثرية وله الحقّ في استلام السلطة حسب قواعد النظام النيابي المعروف بـ (الديمقراطي).

تأثّرت الحكومة من المعارضة فادّعت عام ١٣٧٩ هـ أن هناك مؤامرةً من تسعةٍ من الضباط للإطاحة بنظام الحكم، وزجّت بأعدادٍ من الناس في السجون في سبيل تخفيف وطأة المعارضة. واضطر الحزب إلى التراجع عن عدائه للإسلام، فسمح بقراءة القرآن الكريم بالإذاعة وكان محرّماً قبل ذلك، وقام بافتتاح بعض المدارس الشرعية، كما أحدث الكلية الإسلامية في مدينة أنقرة. وظنّت السلطة أن هذه الإجراءات التي قامت بها كافية للحصول على تأييد شعبيٍ واسعٍ لذا فقد دعت إلى الانتخابات عام ١٣٧٩ هـ، غير أنه أثناء الاستعدادات والدعاية الانتخابية تبيّن أنه ربما حصلت المعارضة على نتائج أفضل وربما لم يحصل الحزب الديمقراطي على الأغلبية النيابية المطلوبة أو التي كان يحلم بها لذا فقد اتخذت الحكومة بعض الإجراءات التي تعرقل نشاط المعارضة، وكان منها منع عصمت إينونو من دعايته الانتخابية غير أنه لم تمض سوى عدة أسابيع حتى قام الجيش بالتدخل في الأمر وقلب الوضع برئاسة رئيس الأركان اللواء جمال غورسيل في ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ (٢٧ أيار ١٩٦٠ م).

ويلاحظ أن المدة التي حكم فيها الحزب الديمقراطي وهي مدة تزيد على عشر سنوات من ٥ شعبان ١٣٦٩ هـ إلى ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ لم يتسلّم فيها رئاسة الوزارة إلا عدنان مندريس وقد شكّل خلالها خمس وزارات متتابعة، كما أن رئيس الجمهورية كان محمود جلال بايار مدة هذه المرحلة كلها.

الانقلاب العسكريّ الأوّل
جمال غورسيل

أرادت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية أن تتزعّم الدول الغربية وتجعلها تدور في فلكها كي تكون كروسيا بالنسبة إلى المعسكر الشرقي، ولكنها لن تستطيع ذلك حتى تُضعف تلك الدول، ولن تستطيع إضعافها إلا إذا جرّدتها من مستعمراتها ومناطق نفوذها، ولن تتمكّن هي أن تتزعّم تلك الدول إلا إذا قويت لدرجةٍ تجعلها بحاجةٍ إليها عسكرياً واقتصادياً وأفضل طريقةٍ لها أن تحلّ محلّ حلفائها في مستعمراتها ومناطق نفوذها، وبذلك لم تُفقد حلف شمالي الأطلسي شيئاً وإنما ينتقل النفوذ والسيطرة من يد دولةٍ في ذلك الحلف إليها وهي أيضاً من أعضائه بل على رأس تلك الأعضاء.

وقد اتّبعت الولايات المتحدة عدة طرقٍ لتحلّ محلّ حلفائها في المستعمرات ومناطق النفوذ، ومنها دعم جماعةٍ سياسيةٍ أو حزبٍ من الأحزاب والعمل على تسلّمه السلطة ثم السير حسب توجيهها أو التنسيق معها قبل القيام بأي عملٍ، ومنها السيطرة الاقتصادية وجعل تلك الدولة مرتبطةً بها اقتصادياً ثم سياسياً، وأخيراً هناك الانقلابات العسكرية إن لم تُجد الوسائل السابقة أو لم يكن من سبيل إليها.

لقد دعمت الولايات المتحدة الحزب الديمقراطي في تركيا وسار أشواطاً حسب رغباتها، وأمدّت الدولة بمساعداتٍ اقتصاديةٍ، ونُفّذ المخطط غير أنه

لم ينجح تماماً نتيجة المزاج الخاص برئيس الحكومة عدنان مندريس وكبار رجالات حزبه إذ كانوا ينزعون إلى الاستقلالية في الرأي والتوجيه وإلى حبّ التحكّم وعدم قبول المعارضة، وهذا ما أدّى إلى الاستبداد والضغط على المعارضة ومقاومة الانتقاد حتى أُلغي حزب الشعب الجمهوري المعارض وصودرت أملاكه ومؤسساته، واعتقل أعضاؤه، ومُنع زعيم المعارضة عصمت إينونو من الدعاية الانتخابية لنفسه وهذا ما لم يتحمّله الشعب فتحرّكت المظاهرات، فقُمعت بعنفٍ.

خشيت الولايات المتحدة هزيمة الحزب الديمقراطي والعودة إلى ما كانت عليه الحالة قبل الحرب العالمية الثانية من استئثار انكلترا بالنفوذ، وكانت المؤشرات تدلّ على ذلك إذ بدأت تتراجع أصوات الحزب الديمقراطي في الانتخابات، ويتقدّم حزب الشعب الجمهوري، ويفقد الحكم شعبيته التي كانت له، وتقوم المظاهرات ضدّه.

وخشيت الولايات المتحدة الأمريكية من نشاط الحركة الشيوعية التي تترعرع في الوسط الفوضوي وهذا ما تسير نحوه تركيا، وتنمو الفكرة الاشتراكية في البيئة الفقيرة وتُعاني تركيا كثيراً من البؤس، ويمكن أن تبرز الشيوعية أو يُساعدها على الحركة انعدام العقيدة وخاصةً الإسلام، وقد عملت النصرانية في أوربا خاصةً وأعداء الإسلام عامةً على نزع الإسلام من نفوس الشعب التركي مدة أكثر من خمسين سنةً، من اليوم الذي استطاعوا فيه بسط نفوذهم على الدولة العثمانية وإحلال العصبية القومية محل الفكرة الإسلامية عن طريق جمعية الاتحاد والترقي، ثم إلغاء الخلافة، وتقطيع أوصالها، وعزل تركيا عن العالم الإسلامي، وتسليط مصطفى كمال الذي شُحن حقداً على عقيدة الأمة، ومحاربة الإسلام بالوسائل جميعها، وتقليد أوربا النصرانية بالعادات والتقاليد وقد أحسّ زعماء الحزب الديمقراطي في نهاية أمرهم بهذا الجانب فأوقفوا أو خفّفوا هجومهم على الإسلام.

وخشيت الولايات المتحدة الأمريكية من عودة الفكرة الإسلامية إلى سابق عهدها بعد وقف الحملات ضدّ الإسلام، وربما كان هذا أكثر ما تخشاه النصرانية أو الصليبية العالمية ومن بينها دولة الولايات المتحدة الأمريكية، وإن محاربة الإسلام والضغط على أتباعه من المهمات الرئيسية للدول النصرانية وربما كانت المهمة الأساسية التي تنطلق منها السياسة الخارجية، وتقوم عليها المخططات، وتتحرّك اللعبة الدولية لتحقيقها.

وجدت الولايات المتحدة أن الحلّ المفروض عليها والذي لا تجد منه بدّاً القيام بانقلابٍ عسكريٍ توطّد به نفوذها، وتقضي به على نفوذ غيرها، وتتابع مهمتها في عداوتها للإسلام، وتحتوي الأحزاب المعارضة لنفوذها أو تبدّل قيادتها بعناصر جديدة ترضخ للأمر الواقع وكان الانقلاب في ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ بقيادة رئيس الأركان جمال غورسيل[1]. أما أعوان الولايات المتحدة السابقين فقد تخلّت عنها، فماذا يربطها بهم إلا العمالة؟ ومتى كان النعل لا يُلقى بعد اهترائه؟ وهل كانوا إلا نعالاً في أرجلها؟ ويجب أن يعلم هذا أعوان الأعداء إذ يُسخّرون لأداء مهمةٍ معينةٍ وتنفيذ دورٍ محدّدٍ ثم يُلقى بهم على الدمن، ويجب أن يعتبروا من الأحداث التي تكرّرت فيكونوا أمناء لأمتهم أعداءً لخصومها. قُبض على عدنان مندريس وأُعدم مع اثنين من وزرائه: وزير الخارجية فاتن رشدي زرلو، ووزير المالية حسن بولادكان، أما رئيس الجمهورية محمود جلال بايار فقد خُفّف عنه حكم الإعدام لكبر سنه واستبدل بالسجن المؤبّد حيث قضى نحبه عام ١٣٩١ هـ، وأُسدل الستار على حكام تركيا في السنين العشرة الماضية.

---

(١) جمال غورسيل: من ضباط مصطفى كمال القدماء، كان معه في غاليبولي، وبقي على نهجه، وأيد الحزب الديمقراطي، وتسلّم أثناء حكمه رئاسة الأركان، فكان ضمن الخط الذي يسير عليه ذلك الحزب، فأمكن الاتصال به، والتخطيط معه للقيام بانقلابٍ عسكريٍ، شكّل وزارتين، ثم تسلم رئاسة الجمهورية عام ١٣٨١ هـ وتوفي عام ١٣٩١ هـ.

شكّل جمال غورسيل لجنة الاتحاد الوطني لتُشرف على الحكم، وبعد ثلاثة أيام من الانقلاب عهدت هذه اللجنة إلى جمال غورسيل لتشكيل الوزارة(١).

(١) شكل جمال غورسيل وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ - جمال غورسيل: رئيساً للوزارة، ووزير دولة، ووزيراً للدفاع الوطني.
٢ - فخري أوزديلك: نائباً لرئيس الوزارة ووزيراً للدولة.
٣ - عامل أرطس: وزيراً للدولة.
٤ - شفيق عنان: وزيراً للدولة.
٥ - خيري موجي أوغلو: وزيراً للدولة.
٦ - ناصرزيتين أوغلو: وزيراً للدولة.
٧ - عبد الله كوزوبيوك: وزيراً للعدل.
عامل أرطس: وزيراً للعدل في ٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.
٨ - محرم إحسان قزيل أوغلو: وزيراً للداخلية.
٩ - سليم ساربر: وزيراً للخارجية.
١٠ - أكرم علي جان: وزيراً للمالية.
كمال كورداش: وزيراً للمالية في ٨ رجب ١٣٨٠ هـ.
١١ - فهمي ياووز: وزيراً للمعارف.
بدر الدين تونجل: وزيراً للمعارف في ١٩ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.
١٢ - فخري أوزديلك: وزيراً للدفاع الوطني في ١٥ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ.
حسني عثمان: وزيراً للدفاع في ٢ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ.
١٣ - دانيش كوپر: وزيراً للنافعة.
مقبل كوكدوغان: وزيراً للنافعة في ٢١ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.
١٤ - جهاد إرن: وزيراً للتجارة.
محمد بايدور: وزيراً للتجارة في ١٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.
١٥ - نصرت قره صو: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
راغب أونر: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ١٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.
١٦ - فتحي إشقين: وزيراً للجمارك.
١٧ - فريدون استون: وزيراً للزراعة.
عثمان طوسون: وزيراً للزراعة في ٧ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.
١٨ - صدقي أولاي: وزيراً للمواصلات.
١٩ - جاهد طلس: وزيراً للعمل. =

وأعلن الانقلابيون أنهم لن يستمروا بالحكم وإنما سيسلّمونه إلى المدنيين عندما تعود الأمور إلى حالتها الطبيعية، وأنهم سيضعون دستوراً للبلاد، وستجري بموجبه الانتخابات النيابية، وأن الذين سيفوزون بالانتخابات هم الذين يتولّون حكم البلاد.

وقد صدق الانقلابيون بوعودهم فلم يقفوا بوجه العمل السياسي المدني إذ رخّصوا بإنشاء حزبٍ جديدٍ هو «حزب العدالة» بزعامة العميد المتقاعد (راغب جوموسبالا) وهذا دليل على أنهم لا يرغبون بالاستئثار بالحكم، ولم يفرضوا حكماً عسكرياً، وذلك خوفاً من الضغط الذي ربما يُولّد انفجاراً أو يُؤدّي إلى نشوء تجمّعات سياسيةٍ مُعارضةٍ لا يعرفها الحكم، ولا يمسك من وراءه بخيوطها فإن هذا ما تخشاه عادةً الدول الكبرى ذات النفوذ في المناطق التي تدور في فلكها. ولما تقرّر ذلك، فلا بدّ من تشكيل حكومةٍ جديدةٍ للإشراف على انتخاباتٍ قادمةٍ بعد وضع الدستور الذي وعد به العسكريون.

عهدت لجنة الاتحاد الوطني إلى جمال غورسيل رئيسها بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1] بتاريخ ١٨ رجب ١٣٨٠ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦١ م).

= راشد بشرلر: وزيراً للعمل في ١٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.

٢٠ ـ مختار أولوأر: وزيراً للصناعة.

٢١ ـ شهاب قوجاتوبجو: وزيراً للصناعة في ١٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.

٢٢ ـ زهدي طرخان: وزيراً للإعلام والسياحة.

٢٣ ـ أورهان كوبات: وزيراً للإعمار والإسكان.

فهمي ياووز: وزيراً للإعمار والإسكان في ٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.

(١) شكل جمال غورسيل حكومته الثانية على النحو الآتي:

١ ـ جمال غورسيل: رئيساً للوزراء.

٢ ـ محرم إحسان قيزيل أوغلو: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة في ٢١ شعبان ١٣٨٠ هـ.

٣ ـ فخري أوزديلك (عضو لجنة الاتحاد الوطني): نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة في ١٥ رمضان ١٣٨٠ هـ. =

اختير مجلس ممثلين كهيئةٍ تأسيسيةٍ، وكلّف خمسة أعضاء منه لوضع مسودةٍ للدستور التركي، وانتهوا من العمل منه، وقدّموه إلى الهيئة التأسيسية فوافقت عليه في مطلع عام ١٣٨١ هـ، وقد نصّ هذا الدستور

= ٤ - خيري موبجي أوغلو: وزيراً للدولة.

٥ - عدنان أرزي: وزيراً للدولة في ١٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.

٦ - ناصر زيتين أوغلو: وزيراً للدولة.

٧ - صدقي أولاي (عضو لجنة الاتحاد الوطني): وزيراً للدولة.

٨ - أكرم توزمان: وزيراً للعدل.

كمال تركوغلو: وزيراً للعدل في ٦ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ.

مظفر الأنقوش: وزيراً للعدل.

٩ - محرم إحسان قيزيل أوغلو: وزيراً للداخلية.

ناصر زيتين أوغلو: وزيراً للداخلية في شعبان ١٣٨٠ هـ.

١٠ - سليم ساربر: وزيراً للخارجية.

١١ - كمال كورداش: وزيراً للمالية.

١٢ - تورهان فيضي أوغلو: وزيراً للتربية الوطنية.

أحمد تختا قليج: وزيراً للتربية في ١٥ رمضان ١٣٨٠ هـ.

١٣ - مقبل كوكدوغان: وزيراً للأشغال العامة.

١٤ - محمد بايدور: وزيراً للتجارة.

١٥ - راغب أونر: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.

١٦ - فتحي إشقين: وزيراً للجمارك.

١٧ - عثمان طوسون: وزيراً للزراعة والغابات والحيوانات.

١٨ - أورهان مرسينلي: وزيراً للمواصلات.

١٨ - أحمد تختاقليج: وزيراً للعمل.

جاهد طلس: وزيراً للعمل في ١٥ رمضان ١٣٨٠ هـ.

١٩ - شهاب قوجاتوبجو: وزيراً للصناعة.

إحسان صوياك: وزيراً للصناعة في ١٤ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ.

٢٠ - جهاد بابان: وزيراً للصحافة والإعلام والسياحة.

ساهر قورتلو أوغلو: وزيراً للصحافة والإعلام والسياحة في ٢٤ ربيع الأول ١٣٨١ هـ.

٢١ - فهمي ياووز: وزيراً للإعمار والإسكان.

رشدي أوزال: وزيراً للإعمار والإسكان في ٢٢ شعبان ١٣٨٠ هـ.

على أن تركيا جمهورية وطنية علمانية اشتراكية تقوم على مراعاة حقوق الإنسان وحكم القانون. وتتكوّن الجمعية الوطنية الكبرى من مجلسين: أحدهما للنواب والآخر للشيوخ.

أما مجلس النواب فيضم أربعمائه وخمسين نائباً، ينتخبون لمدة أربع سنوات. وأما مجلس الشيوخ فيضمّ مائة وأربعةً وثمانين عضواً، يُؤخذ مائة وخمسون عضواً منهم عن طريق الانتخاب على أن ينتخب ثلثهم (خمسين عضواً) كل سنتين، أي أن مدة العضوية ست سنواتٍ، ويُعيّن رئيس الجمهورية خسمة عشر عضواً منهم، أما الباقي وهو تسعة عشر عضواً فهم أعضاء لجنة الاتحاد الوطني.

وينتخب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنواتٍ في جلسةٍ مشتركةٍ للجمعية الوطنية الكبرى (مجلسا النواب والشيوخ)، ويجب أن يكون في عداد أعضاء مجلس الشيوخ، ويشترط أن يستقيل من الحزب الذي ينتمي إليه فور انتخابه، وينصّ الدستور على فوز المرشح لرئاسة الجمهورية بالحصول على ثلثي الأصوات في دورتي الانتخاب الأولى والثانية، وبالأكثرية المطلقة في الدورات التالية (النصف + ١) أي ٣١٨ صوتاً.

وتقسم تركيا إلى سبعٍ وستين ولايةً، يحكم كلاً منها والٍ، يُعيّن من قبل الحكومة، ويعدّ مسؤولاً أمام وزير الداخلية، ولكل ولايةٍ مجلس ينتخبه سكانها انتخاباً مباشراً، ويختلف عدد أعضائه حسب عدد سكان الولاية، وتنقسم كل ولايةٍ إلى عددٍ من المراكز يختلف حسب مساحتها.

جرت الانتخابات النيابية عام ١٣٨١ هـ، وحصل حزب الشعب الجمهوري الذي عاد إلى الساحة مرةً ثانيةً على ١٧٣ مقعداً، على حين حصل حزب العدالة على ١٥٨ مقعداً، وافتتح المجلس النيابي، وانتخب جمال غورسيل رئيساً للجمهورية، وكان المرشح الوحيد، إذ قلما أن تكون هناك منافسة لمرشحٍ عسكريٍ على رئاسة الجمهورية فإن حدثت غالباً ما

تكون العاقبة وخيمةً، وكلّف عصمت إينونو زعيم حزب الشعب الجمهوري بتشكيل الوزارة، وهكذا انتقلت السلطة من أيدي العسكريين إلى أيدي المدنيين.

ويبدو أن الحكم العسكري الذي جاء ليُوطّد من جديدٍ آراء مصطفى كمال قد أعاد شيئاً من الثقة بحزب الشعب الجمهوري الذي يُقرن اسمه بمصطفى كمال، أو أن الناس قد رأوا الأمن والاستقرار مع انتشار السوء خيراً من الفوضى والاضطراب مع سوء أقل نسبياً ولذا فقد رجعوا يُعطون أصواتهم لحزب الشعب الجمهوري، وربما كان أهل الشرّ أكثر حركةً ونشاطاً فاستطاعوا أن ينتزعوا أصواتاً من الناخبين بحركتهم ونشاطهم وهذا ما يجري عادةً على الساحة السياسية، وقد تكون الأمور كلها مجتمعة، وعلى كلٍ فإن حزب العدالة يُعلن ولا زال أنه قد قام على أنقاض الحزب الديمقراطي فهو وريثه، وكما سبق أن قلنا وكرّرنا أنه وحزب الشعب الجمهوري يرجعان إلى أصلٍ واحدٍ ويشربان من نبعٍ واحد.

شكّل عصمت إينونو وزارةً ائتلافيةً[1] في ١٢ جمادى الآخرة ١٣٨١هـ

---

(١) شكل عصمت إينونو وزارته الائتلافية على النحو الآتي:

١ - عصمت إينونو: رئيساً لمجلس الوزراء.

٢ - عاطف إبي دوغان: (عضو مجلس الشيوخ) نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.

٣ - تورهان فيضي أوغلو: وزيراً للدولة.

٤ - عوني دوغان: وزيراً للدولة.

٥ - حفظي أوغوزبكاتا (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للدولة في ١٩ ذي الحجة ١٣٨١ هـ.

٦ - نجمي أوكتن: وزيراً للدولة.

٧ - نهاد سو: وزيراً للدولة.

٨ - ساهر قوروتلو أغلو (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للعدل.

٩ - إلهامي سانجار: وزيراً للدفاع الوطني.

١٠ - أحمد طوبال أوغلو: وزيراً للداخلية.

١١ - سليم ساربر: وزيراً للخارجية.

=

(٢٠ تشرين الثاني ١٩٦١ م) وكانت هذه الوزارة الثامنة بالنسبة إلى عصمت إينونو إلا أنها الوزارة الأولى بالنسبة إلى هذا العهد.

يبدو أن عصمت إينونو قد وجد النفوذ الأمريكي تمكّن في كثيرٍ من المناطق التي كان فيها النفوذ لانكلترا، ورأى أن الولايات المتحدة قد غدت صاحبة الكلمة الأولى في حلف شمالي الأطلسي، وأنه قد غدا من الأولى له أن يسير في هذا الركب، وأن يترك الذي كان يجري فيه فقد انقضت أيامه، وأن هذا الوقت يختلف عما كان عليه قبل عشر سنوات، إذ أصبحت الولايات المتحدة هي أقوى دولةٍ في العالم وصاحبة أكبر نفوذٍ، لذا فإن التيار الجديد قد لفّه، وهذا شأن الذين ينطلقون وراء مصالحهم ولا يُؤمنون بالله، يتحرّكون حسبما تتجه بهم الريح. وربما بقي على ما كان عليه إلا أن أثره في الحزب قد أصبح ضعيفاً فإن الزعامات الجديدة فيه ترى غير ما كانت القيادات قبل عشر سنوات. وعلى كلا الحالين فإن حزب الشعب الجمهوري قد مشى ضمن دائرة النفوذ الأمريكي، وإن قياداته القديمة قد أصبحت هرمة، وتجاوزت سن عصمت

= ١٢ - فريدون جمال أركين: وزيراً للخارجية في ٢٠ شوال ١٣٨١ هـ.
١٣ - شفيق عنان: وزيراً وزيراً للمالية.
١٤ - حلمي أنجه سولو: وزيراً للتربيّي الوطنية.
١٥ - أمين باقسوت: وزيراً للنافعة.
١٦ - إحسان كورسان: وزيراً للتجارة.
١٧ - سعاد سران (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٨ - شوكت بولات أوغلو: وزيراً للجمارك.
١٩ - جاويد أورال: وزيراً للزراعة والغابات والحيوانات.
٢٠ - جاهد أقيار (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للمواصلات.
٢١ - بولاند أجاويد: وزيراً للعمل.
٢٢ - فتحي جلكباش: وزيراً للصناعة.
٢٣ - كاموران أولياء أوغلو: وزيراً للصحافة والسياحة والإعلام.
٢٤ - محيي الدين كووان: وزيراً للإعمار والإسكان.

إينونو الثمانين، وهكذا رجعت القيادات الحزبية التركية الرئيسية ضمن دائرةٍ واحدةٍ، سواء أكانت حاكمةً أم مُعارضةً، ولم تعد الولايات المتحدة تخشى كثيراً على نفوذها في تركيا أما الفئات التي تُعّد خارجةً عن هذه الدائرة فهي ضعيفة مضطهدة سواء أكانت إسلاميةً أم شيوعيةً.

وشكّل عصمت إينونو وزارةً ائتلافيةً ثانية[1] في ٢٣ محرم ١٣٨٢ هـ

---

(١) شكل عصمت إينونو وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - عصمت اينونو: رئيساً للوزراء.
٢ - أكرم علي جان: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - حسان دينجر: وزيراً للدولة.
٤ - تورهان فيضي أوغلو: وزيراً للدولة.
٥ - حفظي أوغوزبكاتا (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للدولة.
٦ - علي شاكر آغان أوغلو: وزيراً للدولة في ٤ جمادى الآخره ١٣٨٢ هـ.
٧ - وفيق برنجي أوغلو: وزيراً للدولة في ٢٦ محرم ١٣٨٣ هـ.
٨ - رائف آيبار: وزيراً للدولة.
٩ - نجمي اوكتن: وزيراً للدولة في ٢٢ رمضان ١٣٨٢ هـ.
١٠ - عبد الحق كمال يوروك: وزيراً للعدل.
١١ - إلهام سانجار: وزيراً للدفاع الوطني.
١٢ - ساهر قوروتلو أوغلو (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للداخلية.
١٣ - حفظي أوغوز بكاتا: وزيراً للداخلية في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ.
١٤ - إلياس سجكين: وزيراً للداخلية في ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ.
١٥ - فريدون جمال أركين: وزيراً للخارجية.
١٦ - فريد ملان: وزيراً للمالية.
١٧ - شوكت راشد خطيب أوغلو: وزيراً للتربية الوطنية.
١٨ - إبراهيم أوكتم: وزيراً للتربية الوطنية في ٢٠ محرم ١٣٨٣ هـ.
١٩ - إلياس سجكين: وزيراً للنافعة.
٢٠ - عارف حكمت أونات: وزيراً للنافعة في ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ.
٢١ - مخلص اته: وزيراً للتجارة.
٢٢ - أحمد أوغوز: وزيراً للتجارة في ٢٦ محرم ١٣٨٣ هـ.
٢٣ - يوسف عزيز أوغلو: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي. =

(٢٥ حزيران ١٩٦٢ م). وجرت انتخابات تكميلية عام ١٣٨٣ هـ، فاز فيها حزب العدالة بعددٍ إضافي من المقاعد النيابية، فانفضّ الائتلاف الحكومي، ورأى حزب العدالة أنه أحقّ باستلام رئاسة الحكومة، وصعُب التفاهم بين قادة الحزبين، وعهد رئيس الجمهورية جمال غورسيل إلى عصمت إينونو برئاسة الحكومة فشكّل وزارة أقليةٍ[1] من حزبه في ٩

= ٢٤ - فخر الدين كريم كوكاي: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ١١ رجب ١٣٨٣ هـ.
٢٥ - أوهان أوزتراك: وزيراً للجمارك.
٢٦ - محمد ازمن (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للزراعة والحيوانات.
٢٧ - رفعت أوجتن: وزيراً للمواصلات.
٢٨ - إحسان شرف دورا: وزيراً للمواصلات في ٢١ محرم ١٣٨٣ هـ.
٢٩ - بولاند أجاويد: وزيراً للعمل.
٣٠ - فتحي جلكباش: وزيراً للصناعة.
٣١ - جلال قره صابان: وزيراً للصحافة والإعلام والسياحة.
٣٢ - نور الدين أرديج أوغلو: وزيراً للصحافة والإعلام والسياحة في ٢٦ محرم ١٣٨٣ هـ.
٣٣ - فخر الدين كريم كوكاي: وزيراً للإعمار والإسكان.
٣٤ - خيري موجي أوغلو: وزيراً للإعمار والإسكان في ١١ رجب ١٣٨٣ هـ.

(١) شكل عصمت إينونو وزارته الأخيرة على النحو الآتي:
١ - عصمت إينونو: رئيساً للوزراء.
٢ - كمال ساتر: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - مالك يولاج: وزيراً للدولة.
٤ - إبراهيم صفوت أوماي (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للدولة.
٥ - وفيق برنجي أوغلو: وزيراً للدولة.
٦ - نوويد يتكين: وزيراً للدولة في ٢٤ ذي القعدة ١٣٨٣ هـ.
٧ - سادات جومرالي: وزيراً للدولة.
٨ - سرّي أطالاي (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للدولة في ٨ شعبان ١٣٨٤ هـ.
٩ - إلهامي سانجار: وزيراً للدفاع الوطني.
١٠ - أورهان أوزتراك: وزيراً للداخلية.
١١ - فريدون جمال اركين: وزيراً للخارجية. =

شعبان ١٣٨٣ هـ (٢٥ كانون الأول ١٩٦٣ م)، وهذا ما شجّع حـزب العدالة المعارض إلى تشديد الهجوم على الحكومة، وتوقّع أنه سيحصل على أغلبيةٍ في الانتخابات فيما إذا جرت، وفي الوقت نفسه فقد أضعف الحكومة إلا أنها توقّعت أن تحصل على أكثريةٍ في الانتخابات القادمة وعندها ستكون أقوى أمام المعارضة التي ستضعف قوتها.

وما دام الحزبان الحاكم والمعارض من أصلٍ واحدٍ وفكرٍ واحدٍ فإن المنافسة لم تكن على مشكلاتٍ فكريةٍ أو سياسيةٍ أو منهجيةٍ وإنما منافسة على السلطة فقط، وبالتالي فإن الأحزاب ليست سوى تجمّعات سياسيةٍ تسعى وراء مصالحها، وإذا ما استلمت السلطة ملأت المراكز الإدارية بالمُؤيّدين والأتباع، كي تفي بما قطعته على نفسها أثناء الانتخابات وفي الدعاية لها، وهذا شأن معظم الدول المتخلّفة أو التي تُدعى بالنامية.

= ١٢ - إبراهيم أوكتم: وزيراً للتربية الوطنية.

١٣ - فريد ألب اسكندر (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للمواصلات.

١٤ - محمود وورال: وزيراً للمواصلات في ٨ شعبان ١٣٨٤ هـ.

١٥ - محمد يوجدار: وزيراً للجمارك.

١٦ - معمر أرطن: وزيراً للصناعة.

١٧ - طوران شاهين: وزيراً للزراعة والحيوانات.

١٨ - فني اسلميه لي: وزيراً للتجارة.

١٩ - علي إحسان كوغوش: وزيراً للإعلام والسياحة.

٢٠ - جلال الدين أوزر: وزيراً للإعمار والإسكان.

٢١ - صادق كوتلاي: وزيراً للإعمار والإسكان في ٨ شعبان ١٣٨٤ هـ.

٢٢ - فريد ملان: وزيراً للمالية.

٢٣ - لبيد يورد أوغلو: وزيراً للشؤون القروية.

٢٤ - عارف حكمت أونات: وزيراً للنافعة.

٢٥ - بولاندا جاويد: وزيراً للعمل.

٢٦ - كمال دمير: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.

٢٧ - هداي أورال: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.

واقترب موعد الانتخابات العامة، ولا بدّ من أن تستقيل الحكومة الحزبية لتقوم حكومة مستقلة تُشرف على الانتخابات وتُعطي الفرصة للأحزاب جميعاً حرية العمل والمساواة لتكون النتائج الانتخابية أقرب ما تكون إلى الصحة، وقدّم عصمت إينونو استقالة حكومته في ١٩ شوال ١٣٨٤ هـ (٢٠ شباط ١٩٦٥ م)، وعهد رئيس الجمهورية جمال غورسيل إلى سعاد خيري أوركوبلو (عضو مجلس الشيوخ) ليُشكّل حكومةً وطنيةً تضمّ مختلف الأحزاب[١].

---

(١) شكل سعاد خيري أوركوبلو وزارته الائتلافية على النحو الآتي:

١ ـ سعاد خيري أوركوبلو (عضو مجلس الشيوخ): رئيساً للوزراء.
٢ ـ سليمان ديميرل: نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ ـ حسين أتامان: وزيراً للدولة.
٤ ـ محمد الطونسوي: وزيراً للدولة.
٥ ـ شكيب اينال: وزيراً للدولة.
٦ ـ عرفان باران: وزيراً للدولة.
٧ ـ إحسان كوكنيل: وزيراً للدولة في ٣ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ.
٨ ـ حسن دينجر: وزيراً للدفاع الوطني.
٩ ـ حازم دوغلي وزيراً للدفاع الوطني في ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ.
١٠ ـ إسماعيل حقي أقدوغان: وزيراً للداخلية.
١١ ـ عزت كونر: وزيراً للداخلية في ٣ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ.
١٢ ـ حسن أسعد إشيق: وزيراً للخارجية.
١٣ ـ إحسان كورسان: وزيراً للمالية.
١٤ ـ جهاد بلكه خان: وزيراً للتربية الوطنية.
١٥ ـ أورهان ألب: وزيراً للنافعة.
١٦ ـ ماجد زران: وزيراً للتجارة.
١٧ ـ فاروق سوكان: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٨ ـ أحمد طوبال أوغلو: وزيراً للجمارك.
١٩ ـ تورهان قابانلي (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للزراعة والحيوانات.
٢٠ ـ مدحت سان: وزيراً للمواصلات.
٢١ ـ كاظم يرداقل: وزيراً للمواصلات في ٣ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ.
٢٢ ـ إحسان صبري: وزيراً للعمل. =

لم يكن لهذه الحكومة من مهمةٍ سوى الإشراف على الانتخابات، والعمل أمام الحزبين المتنافسين بنزاهةٍ كي لا ينال أحد أعضائها حقداً عليه من أي من الطرفين، وربما تستدعي الظروف أياً منهما لتسلّم السلطة وهو أمر متوقّع، لذا كان بذل الجهد والإعداد كبيراً لهذه الانتخابات.

جرت الانتخابات، وأعطت النتيجة لصالح حزب العدالة، وانتهت مهمة الحكومة السابقة وزارة سعاد خيري أوركوبلو، فقدّم استقالة حكومته، وعهد رئيس الجمهورية جمال غورسيل إلى زعيم حزب العدالة سليمان ديميريل[1] بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ حسب الأعراف النيابية، فشكّل

=
٢٣ - علي نائلي أردم: وزيراً للصناعة.
٢٤ - محمد توغورت: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٥ - عمر زكي دورمان: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٦ - إسماعيل حقي أقدوغان: وزيراً للإعلام والسياحة في ٢ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ.
٢٧ - رجائي اسكندر أوغلو: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٨ - سيفي أوزترك: وزيراً للقرى.
٢٩ - مصطفى كبير: وزيراً للقرى في ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ.

(١) سليمان ديميريل: سامي سليمان ديميريل: ابن يحيى، ولد في اسبارته في ٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ (١ تشرين الثاني ١٩٢٤ م)، درس الهندسة وتخرج مهندساً من جامعة استانبول التقنية عام ١٣٦٨ هـ، واشتغل لمدة سنتين إثرها باحثاً في شؤون الري والكهرباء في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان موظفاً في شؤون الكهرباء في إدارة التخطيط (١٣٦٨ - ١٣٧٥ هـ).
مدير مكتب مشروع نهر سيحان ١٣٧٢ - ١٣٧٤ هـ.
ورئيس دائرة السدود ١٣٧٤ - ١٣٧٥ هـ.
مدير عام شؤون المياه الدولية ١٣٧٥ - ١٣٨٠ هـ.
وعمل مقاولاً مهندساً استشارياً ١٣٨٢ - ١٣٨٤ هـ.
وهو عضو في هيئة التدريس في كلية الهندسة في جامعة الشرق الأوسط في أنقرة.
أسس حزب العدالة عام ١٣٨٥ هـ. ونائباً عن ولاية اسبارته.
تسلّم رئاسة الوزراء ١٣٨٥ - ١٣٩١ هـ. ومن ١٣٩٥ - ١٣٩٧ هـ. ومن ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ ومن ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ.
=

الحكومة[1] في ٣ رجب ١٣٨٥ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٦٥ م).

= وكان زعيم المعارضة: ١٣٩٣ - ١٣٩٤ هـ. ومن ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ.
وأسّس حزب الطريق الصحيح عام ١٤٠٧ هـ.

(١) شكل سليمان ديميريل وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ - سليمان ديميريل: رئيساً للوزراء.
٢ - جهاد بلكه خان: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - رأفت سزكين: وزيراً للدولة.
٤ - حسام الدين أتابيلي: وزيراً للدولة في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.
٥ - كامل أوجاق: وزيراً للدولة.
٦ - علي فؤاد عليشان: وزيراً للدولة.
٧ - صادق تكين مفتي أوغلو: وزيراً للدولة في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.
٨ - سيفي أوزتورك: وزيراً للدولة.
٩ - حسن دينجر: وزيراً للعدل.
١٠ - هدايت اديمير (عضو مجلس الشيوخ): وزيراً للعدل في ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ.
١١ - أحمد طوبال أوغلو: وزيراً للدفاع الوطني.
١٢ - فاروق سوكان: وزيراً للداخلية.
١٣ - راغب أونر: وزيراً للداخلية في ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ.
١٤ - إحسان صبري جاغلايانيكل: وزيراً للخارجية.
١٥ - إحسان كورسان: وزيراً للمالية.
١٦ - جهاد بلكه خان: وزيراً للمالية في ١ شعبان ١٣٨٦ هـ.
١٧ - أورهان دينكر: وزيراً للتربية الوطنية.
١٨ - إلهامي أرتم: وزيراً للتربية الوطنية في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.
١٩ - أدهم أردنج: وزيراً للنافعة.
٢٠ - أورهان ألب: وزيراً للنافعة في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.
٢١ - ماجد زران: وزيراً للتجارة.
٢٢ - صادق تكين مفتي أوغلو: وزيراً للتجارة في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ.
٢٣ - أحمد توركل: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.
٢٤ - أديب صومون أوغلو: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
٢٥ - وداد علي أوزكان: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ. =

ساءت أوضاع رئيس الجمهورية جمال غورسيل الصحية مما دعاه إلى الاعتزال قبل انتهاء مدة رئاسته بما يقرب من السنتين، وجرى انتخاب رئيس مكانه، فنجح جودت صوناي بالرئاسة.

توطّدت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وثبتت دعائم نفوذها، ولم تعد تخشى على السياسة التركية من الخروج عن دائرة فلكها، ولا العودة إلى النظام الإسلامي الذي هجره أصحاب السلطة فيها بل وأهلوها من مدةٍ ليست بالقصيرة حسب تقدير الساسة الأمريكيين، وفي الوقت نفسه فإن جيرانها من جهة الجنوب قد ساروا في الفلك الذي تسير فيه وهجروا ما هجرت، وأصبح التفكير في العودة إلى الخلافة أمراً مستبعداً، ولا يُفكّر به إلا بعض الرجعيين، وهم محدودو العدد، ضعيفو

= ٢٦ ـ إبراهيم تكين: وزيراً للجمارك.

٢٧ ـ ناهد منتشه: وزيراً للجمارك في ٢٢ رمضان ١٣٨٨ هـ.

٢٨ ـ بجري دكداش: وزيراً للزراعة والحيوانات.

٢٩ ـ مسعود أرز: وزيراً للزراعة والحيوانات في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ.

٣٠ ـ سيفي أوزترك: وزيراً للمواصلات.

٣١ ـ سعد الدين بيلكج: وزيراً للمواصلات في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.

٣٢ ـ محمد إزمن: وزيراً للمواصلات في ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ.

٣٣ ـ علي نائلي أردم: وزيراً للعمل.

٣٤ ـ ترغوت توكر: وزيراً للعمل في ٢٩ رمضان ١٣٨٨ هـ.

٣٥ ـ محمد تورغوت: وزيراً للصناعة.

٣٦ ـ إبراهيم دريتر: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.

٣٧ ـ رأفت سزكين: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.

٣٨ ـ نهاد كورشاد: وزيراً للإعلام والسياحة.

٣٩ ـ خلدون منتشه أوغلو: وزيراً للإعمار والإسكان.

٤٠ ـ ثابت عثمان أوجي: وزيراً للغابات.

٤١ ـ تورغوت توكر: وزيراً للقرى في ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ.

٤٢ ـ صلاح الدين قليج: وزيراً للقرى في ٢٩ رمضان ١٣٨٨ هـ.

٤٣ ـ ثابت عثمان أوجي: وزيراً للقرى في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ.

التأثير، بعيدون عن السلطة، محاربون من كل جهةٍ، وقد كثر خصومهم بأسماء مختلفة، وأحزابٍ متفرقةٍ، وواجهاتٍ مُتباينةٍ، وشعاراتٍ مُتضاربةٍ، وخيوط تحرّكاتهم تلتقي كلها بأيدي سدنة النظام الأمريكي وتُوجّه من هناك، ولذا فإن تركيا يمكنها أن تتصرّف ببعض الحرية كي تتحرّك في مسار الجوار ويكون لها بعض الفعالية التي يمكن أن يُحتاج إليها في ظروفٍ مُعينةٍ، لذا نلاحظ أن تركيا قد أخذت تتحدّث عن عدم الانحياز، وتسير في هذا الدرب الذي فيه التباين الواضح ورغم أن أكثر ما في هذا الخط منحاز إلى اليمين إلا أنه يدّعي عدم الانحياز وقد يقبل المُتفرّجون هذا الكلام ويُصدّقونه لأن فيه بعض أهل الشمال، ويجب أن تكون تركيا في هذا المضمار وتأخذ دورها في اللعبة الدولية ولكل دوره فيها، وقد سعى الساسة الأتراك لتحسين علاقاتهم مع الروس، كما وسّعوا علاقاتهم ورفعوا مستواها السياسي مع بقية الدول الشيوعية، وأبدوا الوقوف إلى جانب البلدان العربية عام ١٣٨٧ هـ إثر العدوان اليهودي على مصر والشام وأغلقوا المكتب السياحي الإسرائيلي في تركيا عام ١٣٨٨ هـ، كما ألغوا الاتفاقية التجارية التي كانت قد عقدت بين تركيا وإسرائيل في تركيا عام ١٣٨٠ هـ. وبسبب هذه الحرية تحرّك الشيوعيون سرّاً وبدؤوا بأعمال الفوضى فأحرق رجال حزب الشباب الإصلاحي الشيوعي السفارة الأمريكية في أنقرة مرتين، وقاد المظاهرات ضد الأسطول الأمريكي عام ١٣٨٨ هـ.

جَودَت صُونَاي

جرت الانتخابات النيابية عام ١٣٨٩ هـ، وفاز حزب العدالة فيها بالأكثرية فعهد رئيس الجمهورية جودت صوناي إلى زعيم حزب العدالة سليمان ديميريل بإعادة تشكيل الوزارة، فألّف حكومةً جديدةً[١] في ٢٣

---

(١) شكل سليمان ديميريل وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ ـ سليمان ديميريل: رئيس الوزراء.
٢ ـ رأفت سزكين: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ ـ حسام الدين أتابيلي: وزيراً للدولة.
٤ ـ كورهان تيترك: وزيراً للدولة.
٥ ـ تورهان بلكين: وزيراً للدولة.
٦ ـ يوسف ضياء أوندر: وزيراً للعدل.
٧ ـ أحمد طوبال أوغلو: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ ـ خلدون منتشه أوغلو: وزيراً للداخلية.
٩ ـ إحسان صبري جاغلايانيكل: وزيراً للخارجية.
١٠ ـ مسعود أرز: وزيراً للمالية.
١١ ـ أورهان أوغوز: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ ـ تورغوت كولز: وزيراً للنافعة.
١٣ ـ أحمد دالّي: وزيراً للتجارة.
١٤ ـ كورهان تيترك: وزيراً للتجارة في ١٧ ذي القعدة ١٣٨٩ هـ.
١٥ ـ وداد علي أوزكان: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٦ ـ أحمد إحسان برنجي أوغلو: وزيراً للجمارك. =

شعبان ١٣٨٩ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ م)، وتابعت السياسة التركية خطها في إظهار عدم الانحياز، والموقف المعتدل بين التيارات العالمية والاختلافات بين الدول العظمى، ويبدو أن الجيش التركي كان هو الرقيب على حركة السياسيين، ومهيأ تهيئةً خاصةً للقيام بمهمته، ويضع الضوابط لتحرّك رجال الحكم حتى لا يخطوا خُطوةً أوسع مما هو مسموح لهم فيها، إذ لهم حدود لا يصحّ أن يتجاوزها أحد أبداً، ويبدو أن حزب العدالة أو بالأحرى زعيمه قد تجاوز أحياناً هذه الحدود على حين غفلةٍ من الرقيب أو أبدى أنه لا يزال ضمن الخطّ على حين أنه قد تخطّاه، لذا فقد أُنذر للرجوع إلى الدائرة المرسومة له والبقاء ضمن الخط المرسوم له، ولكن يبدو أنه لم يبال بهذا الإنذار ولم يكترث به، فهدّد الجيش بتعديل قانون الانتخابات، وحصر حقّ التصويت بالمتعلمين فقط، وهذا التهديد مُوجّه إلى رجالات حزب العدالة بالدرجة الأولى إذ أن أكثرية مُؤيّديهم من الفلاحين الأتراك الذي يُقيمون في الأناضول وشرقي البلاد حيث ترتفع نسبة الأمية وتقلّ نسبة التعليم، ولو تمّ هذا لفقد حزب العدالة الكثير من أصواته الانتخابية ومقاعده في المجلس النيابي.

وقدّم سليمان ديميريل استقالة حكومته في ٢٨ الحجة ١٣٨٩ هـ (٦

= ١٧ - إلهامي إرتم: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٨ - ناهد منتشه: وزيراً للمواصلات.
١٩ - سيفي أوزترك: وزيراً للعمل.
٢٠ - صلاح الدين قليج: وزيراً للصناعة.
٢١ - ثابت عثمان أوجي: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٢ - نجم الدين جوهري: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٣ - خير الدين نقيب أوغلو: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٤ - تورهان قايانلي: وزيراً للقرى.
٢٥ - حسين أوزالب: وزيراً للغابات.
٢٦ - عصمت سزكين: وزيراً للرياضة والشباب.

آذار ١٩٧٠ م) غير أن رئيس الجمهورية جودت صوناي قد كلّفه بإعادة تشكيلها فألّف وزارةً جديدةً[1].

وكان سليمان ديميريل قد ضعف قليلاً بعد وزارته الأولى إذ انشقّ حزبه

---

(١) شكل سليمان ديميريل وزارته الثالثة على النحو الآتي:
١ - سليمان ديميريل: رئيساً للوزارة.
٢ - رأفت سزكين: نائباً لرئيس الوزارة، ووزيراً للدولة.
٣ - حسن دينجر: وزيراً للدولة في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ.
٤ - حسام الدين أتابيلي: وزيراً للدولة.
٥ - تورهان بلكين: وزيراً للدولة.
٦ - يوسف ضياء أوندر: وزيراً للعدل.
٧ - أحمد طوبال أوغلو: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ - خلدون منتشه أوغلو: وزيراً للداخلية.
٩ - إحسان صبري جاغلايانيكل: وزيراً للخارجية.
١٠ - مسعود أرز: وزيراً للمالية.
١١ - أورهان أوغوز: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ - تورغوت كولز: وزيراً للنافعة.
١٣ - كورهان تيترك: وزيراً للتجارة.
١٤ - وداد علي أوزكان: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٥ - أحمد إحسان برنجي أوغلو: وزيراً للجمارك.
١٦ - إلهامي إرتم: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٧ - ناهد منتشه: وزيراً للمواصلات.
١٨ - أورهان طغرل: وزيراً للمواصلات في ٧ ذي القعدة ١٣٩٠ هـ.
١٩ - سيفي أوزترك: وزيراً للعمل.
٢٠ - صلاح الدين قليج: وزيراً للصناعة.
٢١ - ثابت عثمان أوجي: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٢ - نجم الدين جوهري: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٣ - خير الدين نقيب أوغلو: وزيراً للإعمار والاسكان.
٢٤ - تورهان قايانلي: وزيراً للقرى.
٢٥ - حسين أوزالب: وزيراً للغابات.
٢٦ - عصمت سزكين: وزيراً للرياضة والشباب.

حيث انفصل عنه عدد من النواب بعد أن اخرج بعضهم من وزارته مثل (فاروق سوكان) وزير الداخلية، و(محمد تـوغـورت) وزيـر الصنـاعـة، (وسعد الدين بيلكج) وزير المواصلات، وانضمّ إليهم رئيس المجلس النيابي (فروح بوزبايلي) الذي كانت له طموحات واسعة، وأعادوا تشكيل الحزب الديمقراطي مُغاضبين رئيس حزبهم سليمان ديميريل، كما انضمّ إليهم (يوكسيت مندريس نجل عدنان مندريس) و(نوليفر غورسوي بايار) ابنة محمود جلال بايار. وكان هذا قد قوّى المعارضة، وقلّل عدد نواب حزب العدالة، وأوجد حزباً له ماضٍ ، وسبق له أن حكم البلاد مدة عشر سنوات فله أنصاره ومُؤيّدوه.

ومع هذا الضعف الذي حلّ بحزب العدالة فقد بقي سليمان ديميريل يتجاوز الحدّ المرسوم له، ويتخطّى أحياناً الجيش الرقيب عليه الذي كره رئيس الوزراء وضاق به ذرعاً، وهذا ما جعله يتدخّل في السياسة من جديد ويُقيل وزارة سليمان ديميريل وذلك في ١٥ محرم ١٣٩١ هـ (١٢ آذار ١٩٧١ م)، وبقيت البلاد دون وزارة حتى ٢٩ محرم أي مدة أربعة عشرة يوماً حيث تمّ الاتفاق بين قادة الأحزاب والجيش على تشكيل وزارةٍ ائتلافيةٍ[١] من أحزاب العدالة، والديمقراطي، والشعب الجمهوري برئاسة نهاد إيريم.

---

(١) شكل نهاد إيريم وزارته الأولى على النحو الآتي:
١ ـ نهاد ايريم: رئيساً للوزراء.
٢ ـ سعدي قوجاش: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ ـ اتيلاقره عثمان أوغلو: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٤ ـ مسعود أرز: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة في ١٥ شوال ١٣٩١ هـ.
٥ ـ محمد ازكونش: وزيراً للدولة.
٦ ـ دوغان كتابلي: وزيراً للدولة.
٧ ـ إسماعيل أرار: وزيراً للعدل.
٨ ـ فريد ملان: وزيراً للدفاع الوطني.
=

وغالباً ما تكون الوزارات الائتلافية مترنحة، ويضطر رؤساؤها إلى مسايرة هذا الحزب وذاك، ويخشى من الموافقة على آراء جانب من الجوانب لئلا يُتّهم أنه يُمالئه ولا يوافق الجانب الآخر، وأخيراً لا بدّ من أن يخرج حزب من الائتلاف فتسقط الوزارة، ونلاحظ هنا أن حزب العدالة يملك الأكثرية النيابية غير أن الجيش غير راضٍ عنه لذا فهو على حذرٍ من كل تصرّف، فهو يتكلّم بأكثريته ويلمح بالتهديد بها ولكنه لا

= ٩ - حمدي عمر أوغلو: وزيراً للداخلية.
١٠ - عثمان أولجاي: وزيراً للخارجية.
١١ - سعيد ناجي اركين: وزيراً للمالية.
١٢ - شناسي أورال: وزيراً للتربية الوطنية.
١٣ - جاهد قره قاش: وزيراً للنافعة.
١٤ - مقدر أوزتكين: وزيراً للنافعة في ٢٢ رمضان ١٣٩١ هـ.
١٥ - أوز دربيل: وزيراً للعلاقات الخارجية الاقتصادية.
١٦ - تركان أقيول: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٧ - حيدر أوزالب: وزيراً للجمارك.
١٨ - أورهان دكمان: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٩ - خلوق أربق: وزيراً للمواصلات.
٢٠ - صلاح الدين بابور أوغلو: وزيراً للمواصلات في ٢٥ شعبان ١٣٩١ هـ.
٢١ - جاهد قره قاش: وزيراً للمواصلات في ٢٢ رمضان ١٣٩١ هـ.
٢٢ - اتيلا صاو: وزيراً للعمل.
٢٣ - ايتلا صاو: وزيراً للطاقة في ١٤ رمضان ١٣٩١ هـ.
٢٤ - إحسان طوبال أوغلو: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٥ - نزيه دورس: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية في ٢٢ رمضان ١٣٩١ هـ.
٢٦ - ايهان جلنكر اوغلو: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.
٢٧ - أرول يلماز: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٨ - صلاح الدين بابر أوغلو: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٩ - جودت ايكان: وزيراً للقرى.
٣٠ - صلاح الدين انال: وزيراً للغابات.
٣١ - سزائي اركون: وزيراً للرياضة والشباب.
٣٢ - طلعت حلمان: وزيراً للثقافة في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩١ هـ.

يلبث أن يخضع بسبب عدم الرضا فلما مرّت مدة تقرب من التسعة شهور ولم يحدث شيء أخذ يُهدّد بالانسحاب من الائتلاف عسى أن يعود إلى الانفراد بالحكم، ويتسلّم زعيمه رئاسة الحكومة، وهذا ما قام به أخيراً.

سحب حزب العدالة وزراءه من الحكومة فسقطت، فاضطر نهاد إيريم إلى إعادة تشكيل الوزارة من جديد[1] دون اشتراك حزب العدالة فيها

---

(١) شكل نهاد ايريم وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - نهاد ايريم: رئيساً للوزراء.
٢ - علي إحسان كوغوش: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - دوغان كتابلي وزيراً للدولة.
٤ - الهان أوزتراك: وزيراً للدولة.
٥ - الياس قره أوز: وزيراً للدولة.
٦ - سعاد بلكه: وزيراً للعدل.
٧ - فريد ملان: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ - فريد كوبات: وزيراً للداخلية.
٩ - خلوق بايولكان: وزيراً للخارجية.
١٠ - سعيد ناجي أركين: وزيراً للمالية.
١١ - إسماعيل أرار: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ - مقدر أوزتكين: وزيراً للنافعة.
١٣ - نعيم طالو: وزيراً للتجارة.
١٤ - مسعود أرز: وزيراً للصناعة.
١٥ - جودت ايكان: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٦ - حيدر أوزالب: وزيراً للجمارك.
١٧ - أورهان دكمان: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٨ - رفقي دانشمان: وزيراً للمواصلات.
١٩ - علي رضا أوزونر: وزيراً للعمل.
٢٠ - نزيه دورس: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢١ - أورول يلماز اقجال: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٢ - سربولند بنكول: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٣ - نجمي سونماز: وزيراً للقرى. =

وذلك بتكليف من رئيس الجمهورية جودت صوناي بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٩١ هـ (١١ كانون الأول ١٩٧١ م)، وبذا لم ينل حزب العدالة ما كان يحلم به من استلام السلطة فيما إذا سقطت حكومة الائتلاف، وهذا مُؤشّر إلى عدم رضا الجيش عنه لا يزال قائماً فعليه إذن لزوم الصمت، وحتى المعارضة يجب أن تكون هادئةً لا تُثير للحكومة إشكالات أمام الشعب، ولكن هذا الأمر لم يدم أكثر من ستة أشهرٍ حيث أخذت الأمور ترجع إلى حالتها الطبيعية نتيجة الصمت الذي لزمه حزب العدالة، وإن كان اسمياً.

وفي ٩ ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ (٢٢ أيار ١٩٧٢ م) شكّل فريد ملان[١] وزارةً جديدةً[٢]. وفي هذه الرحلة نشأ حزب جديد هو حزب

= ٢٤ ـ صلاح الدين انال: وزيراً للغابات.

٢٥ ـ عدنان قره جوك: وزيراً للرياضة والشباب.

(١) فريد ملان: ابن محمد مدحت، ولد عام ١٣٢٤ هـ في مدينة (وان) وتخرج من كلية العلوم السياسية بأنقرة، وشغل منصب المدير العام للموارد. ونجح نائباً عن ولاية وان، وعيّن عضواً في مجلس الشيوخ، كما تسلّم وزارة المالية في عام ١٣٨٣ ـ ١٣٨٤ هـ في وزارة عصمت إينونو، كما تسلّم وزارة الدفاع الوطني في وزارتي نهاد إيريم السابقتين، ثم عُهد إليه برئاسة الحكومة، وانضم إلى حزب الثقة الجمهوري الذي ألّفه تورهان فيضي أوغلو بعد أن انشقّ عن حزب الشعب الجمهوري.

(٢) شكل فريد ملان وزارته على النحو الآتي:

١ ـ فريد ملان: رئيساً للوزراء.

٢ ـ دوغان كتابلي: نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.

٣ ـ إسماعيل أرار: وزيراً للدولة.

٤ ـ زياد بايقارا: وزيراً للدولة.

٥ ـ إلهان أوزتراك: وزيراً للدولة.

٦ ـ فهمي ألب أصلان: وزيراً للعدل.

٧ ـ محمد إزمان: وزيراً للدفاع الوطني.

٨ ـ فريد كوبات: وزيراً للداخلية.

٩ ـ خلوق بايولكان: وزيراً للخارجية. =

السلامة الوطني الذي يحمل اتجاهاً إسلامياً، وهذه للمرة الأولى ينشأ مثل هذا الحزب في ظلّ تركيا الكمالية أو العهد الذي يتبنّى أفكار مصطفى كمال العلمانية المُعادية للإسلام صراحةً.

وحدث انشقاق في حزب الشعب الجمهوري، إذ ألّف تورهان فيضي أوغلو حزب الثقة الجمهوري مُنفصلاً عن بولاند أجاويد الذي غدا زعيم حزب الشعب الجمهوري، وقد خلف عصمت إينونو في هذه الزعامة أو اغتصبها سائراً في الفلك الجديد كما سبق أن ألمحنا.

وانتهت مدة الرئيس جودت صوناي في الحكم، وحدثت أزمة في انتخاب رئيسٍ جديدٍ، إذ رشّح الجيش فخري كورتورك رئيس الأركان التركي، فاستقال من رئاسة الأركان، كما استقال في الوقت نفسه وزير الدفاع الوطني محمد أزمان من منصبه الوزاري، ومن عضويته في مجلس

= ١٠ ـ ضياء مؤذن أوغلو: وزيراً للمالية.
١١ ـ صباح الدين أوزبك: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ ـ مقدر أوزتكين: وزيراً للنافعة.
١٣ ـ نعيم طالو: وزيراً للتجارة.
١٤ ـ مسعود أرز: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.
١٥ ـ كمال دمير: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٦ ـ حيدر أوزالب: وزيراً للجمارك.
١٧ ـ إلياس قره أوز: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٨ ـ رفقي دانشمان: وزيراً للمواصلات.
١٩ ـ علي رضا أوزونر: وزيراً للعمل.
٢٠ ـ نوري قودامان أوغلو: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢١ ـ أرول يلماز أقجال: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٢ ـ تورغوت توكر: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٣ ـ نجمي سونماز: وزيراً للقرى.
٢٤ ـ صلاح الدين انال: وزيراً للغابات.
٢٥ ـ عدنان قره جوك: وزيراً للرياضة والشباب.

الشيوخ ليفسح المجال لرئيس الجمهورية لتعيين فخري كورتورك عضواً في مجلس الشيوخ مكانه لأن القانون التركي ينصّ على وجوب انتخاب رئيس الجمهورية من بين أعضاء مجلس الشيوخ، ولم يكن رئيس الأركان فخري كورتورك من بينهم. أما حزب العدالة فقد رشّح تاكين أريبون الذي كان قائد سلاح الطيران عندما وقع الانقلاب العسكري الأول بقيادة جمال غورسيل، ولكنه لم يشترك في هذا الانقلاب، ولم يُؤيّده، لذا فقد حوكم بعد نجاح الانقلاب، وحُكم عليه بالسجن مدة ستة أشهرٍ، كما جُرّد من رتبته العسكرية. كما حُكم على زوجته بالسجن مدة سنتين ونصف إذ كانت عضواً في المجلس النيابي يومذاك، وهي حفيدة الصدر الأعظم أيام السلطان عبد الحميد، وقد قضت المدة في السجن، وحُرمت من حقوقها المدنية. وكان تاكين أريبون رئيس مجلس الشيوخ، وسيتولّى منصب الرئاسة بحكم القانون إن لم يتوصّل المجلسان إلى انتخاب رئيسٍ جديدٍ.

وخشي المراقبون من وقوع صدامٍ مع العسكريين لأن حزب العدالة كان يرى التمسّك برأيه والتعنت فيه لأن ذلك يجعلهم يحصلون على الرياسة بحكم القانون فيما إذا فشل الانتخاب، لذا فقد بحث الساسة موضوع تمديد مدة الرئيس جودت صوناي عامين آخرين. ولكن الانتخاب قد تمّ وأعطى الرئاسة إلى فخري كورتورك، وهو عديل جودت صوناي إذ أن زوجتيهما شقيقتان.

وقد كان لصمت حزب العدالة في هذا الوقت خير كثير إذ أن العسكريين لا يُواجهون بالتحدّي، وإنما بإبداء اللين، وإظهار الانصياع، وبعدها يمكن السير بهم إلى الجهة التي يريدها من يريد تحريكهم، ولو أعلنوا الإصرار على موقفهم لنالهم أذى، ولوقعت البلاد في أزمةٍ، والبلاد في غنى عنها.

وانتهت رئاسة جودت صوناي، وتسلّم بعده أمرها مرشح العسكريين فخري ثابت كورتورك.

فخري ثابت كورتورك

تسلّم فخري كورتورك رئاسة الجمهورية، واقترب موعد الانتخابات النيابية، وأخذت الأحزاب تستعدّ للصراع، وكان رئيس الوزراء فريد ملان قد انضمّ إلى تورهان فايز أوغلو في تأسيس حزب الثقة الجمهوري الذي انشقّ عن حزب الشعب الجمهوري وزعيمه بولاند أجاويد، وكان لا بدّ من تشكيل وزارةٍ مُحايدةٍ تقوم بالإشراف على الانتخابات، فاستقالت حكومة فريد ملان في ١٣ ربيع الأول ١٣٩٣هـ (١٥ نيسان ١٩٧٣م)، وعهد رئيس الجمهورية إلى نعيم طالو[١] بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[٢]، وهو

(١) نعيم طالو: محمد نعيم بن محمد نظام الدين طالو، ولد في استانبول في ٢٤ شوال ١٣٣٧ هـ (٢٢ تموز ١٩١٩ م)، تخرّج من كلية الاقتصاد جامعة استانبول. وشغل عدة مناصب منها: نائب رئيس مجلس إدارة البنك، ومدير عام البنك المركزي، ثم رئيس مجلس إدارة البنك المركزي، وممثل دولي، ووزيراً للتجارة في وزارة نهاد ايريم الثانية، وفي وزارة فريد ملان، ثم عهد إليه برئاسة الحكومة، وبعدها أصبح نائب رئيس مجلس الشيوخ.

(٢) شكل نعيم طالو وزارته على النحو الآتي:
١ ـ نعيم طالو: رئيساً للوزراء.
٢ ـ نجم الدين أركمن: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ ـ كمال ساترنائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٤ ـ إسماعيل حقي تكنل: وزيراً للدولة.
٥ ـ إلهان أوزتراك: وزيراً للدولة.

وزير التجارة في الحكومة، ومديراً لأحد المصارف من قبل.

وقد جرت الانتخابات، وتقدّم حزب الشعب الجمهوري على بقية الأحزاب في عدد المقاعد، وتلاه حزب العدالة، وكانت النتائج الانتخابية كالآتي:

حزب الشعب الجمهوري	وحصل على	١٨٩ مقعداً.
حزب العدالة	وحصل على	١٤١ مقعداً.
حزب السلامة الوطني	وحصل على	٤٩ مقعداً.
الحزب الديمقراطي	وحصل على	٤٠ مقعداً.

=

٦ - خيري موجي أوغلو: وزيراً للعدل.
٧ - إلهامي سانجار: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ - مقدر أوزتكين: وزيراً للداخلية.
٩ - خلوق بايولكان: وزيراً للخارجية.
١٠ - صادق تكين مفتي أوغلو: وزيراً للمالية.
١١ - أورهان دنكيز: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ - نور الدين أوق: وزيراً للنافعة.
١٣ - أحمد تركل: وزيراً للتجارة.
١٤ - وفاء طانير: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٥ - فتحي جلكباش: وزيرة للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٦ - أحمد نصرت طونا: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٧ - صباح الدين أوزبك: وزيراً للمواصلات.
١٨ - علي نائلي أردم: وزيراً للعمل.
١٩ - نوري بايار: وزيراً للصناعة.
٢٠ - كمال دمير: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢١ - أحمد إحسان قرملي: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٢ - محمد نبيل أوقتاي: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٣ - أورهان كورموغلو: وزيراً للشؤون القروية.
٢٤ - عيسى بنكول: وزيراً للغابات.
٢٥ - جلال الدين جوشقون: وزيراً للرياضة والشباب.

حزب الحركة الملية	وحصل على	١٣ مقعداً
حزب الثقة الجمهوري	وحصل على	١٢ مقعداً
المستقلون	وحصل على	٦ مقاعد
		٤٥٠ مقعداً، وهو عدد مقاعد المجلس النيابي التركي.

وصعب الاتفاق على تشكيل وزارةٍ حزبيةٍ، كما صعب قيام ائتلاف بين الحزبين الرئيسين حزب الشعب الجمهوري، وحزب العدالة، لذا بقيت البلاد دون وزارةٍ مائة يومٍ، وكُلّفت الوزارة السابقة حكومة (نعيم طالو) بتسيير شؤون الدولة ريثما يتمّ الاتفاق على تأليف حكومةٍ جديدةٍ، وأخيراً تمّ ائتلاف بين حزب الشعب الجمهوري، وحزب السلامة الوطني على تأليف حكومةٍ ائتلافيةٍ، وتشمل هذه الحكومة تأييد مائتين وثمانية وثلاثين نائباً.

حزب الشعب الجمهوري	وحصل على	١٨٩ مقعداً
حزب السلامة الوطني	وحصل على	٤٩ مقعداً
		٢٣٨ مقعداً

على حين وقف حزب العدالة والحزب الديمقراطي وبقية الفئات في المجلس النيابي في صف المعارضة.

كانت الحكومة برئاسة زعيم حزب الشعب الجمهوري بولاند أجاويد[١]، أما نجم الدين أربكان[٢] زعيم حزب السلامة الوطني فقد تسلّم

---

(١) بولاند بن فخري أجاويد: ولد في استانبول في ٦ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ (٢٨ أيار ١٩٢٥ م). تخرج من كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا والأدب الإنكليزي عام ١٣٦٣ هـ، ووُظّف في المديرية العامة للطباعة والنشر، وأصبح موظفاً في ملحق الصحيفة بلندن، وعمل صحفياً ومترجماً، ثم باحثاً في تاريخ الشرق الأوسط في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٧٧ هـ، وانتخب نائباً عن انقرة عن حزب الشعب الجمهوري، وكان عضو المجلس التأسيسي عام ١٣٨١ هـ، ثم نائباً عن زونغلداك، وتسلّم وزارة العمل في حكومة عصمت إينونو، ثم أصبح الأمين العام =

منصب نائب رئيس الوزراء، وأُعطي حزبه سبع حقائب وزارية من بينها وزارتا العدل والداخلية. شكّل بولاند أجاويد وزارته[1] في ٣ محرم

= للحزب، وعهد إليه برئاسة الوزارة.

(٢) نجم الدين أربكان: ولد في سينوب عام ١٣٤٤ هـ، تخرّج من جامعة استانبول التقنية، وعمل رئيساً للغرفة التجارية في فترتين مختلفتين، وحصل على الدكتوراه من جامعات ألمانيا، ورجع إلى البلاد ليعمل أستاذاً في جامعته نفسها، ونجح نائباً عن قونية من ١٣٨٩ - ١٤٠٠ هـ، وأسّس حزب السلامة، وأوكلت إليه مهمة نائب رئيس مجلس الوزراء في ثلاث حكوماتٍ: أولاها حكومة بولاند أجاويد هذه، ثم في حكومتي الجبهة الوطنية الأولى والثانية واللتين رأسها سليمان ديميريل عام ١٣٩٥، و١٣٩٧ هـ.
أسس حزب الرفاه عام ١٤٠٧ هـ بعد إلغاء الأحزاب السابقة كلها إثر الانقلاب العسكري الثاني.

(١) شكل بولاند اجاويد وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ - بولاند أجاويد: رئيساً للوزراء.
٢ - نجم الدين أربكان: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - أورهان أيوب أوغلو: وزيراً للدولة.
٤ - إسماعيل حقي برلار: وزيراً للدولة.
٥ - سليمان عارف عمرو: وزيراً للدولة.
٦ - شوكت قازان: وزيراً للعدل.
٧ - حسن أسعد إشق: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ - أوغوزخان أصيل ترك: وزيراً للداخلية.
٩ - توران كونشي: وزيراً للخارجية.
١٠ - دنيز بيكال: وزيراً للمالية.
١١ - مصطفى اوستونداغ: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ - أرول جوكجة: وزيراً للنافعة.
١٣ - فهيم أداق: وزيراً للتجارة.
١٤ - صباح الدين جزرلي أوغلو: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٥ - محمود تركمان أوغلو: وزيراً للجمارك.
١٦ - قورقوت أوزال: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٧ - فردا كولي: وزيراً للمواصلات.
١٨ - أوندر ساو: وزيراً للعمل.
١٩ - عبد الكريم دوغرو: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا. =

١٣٩٤ هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٧٤ م).

ورغم أن هذه الوزارة غير مُتجانسةٍ إذ تضمّ عناصر علمانية في حزب الشعب الجمهوري إلى جانب عناصر إسلاميةٍ في حزب السلامة الوطني، رغم هذا كله فقد قدّمت خدمات إسلامية في المجالات الدينية والاقتصادية والسياسية ففي الجانب الديني اتفقت أطراف الوزارة كلها على العناية بالثقافة الإسلامية في المدارس، والسماح للجمعيات الإسلامية بممارسة نشاطها ودعم الحكومة لها، وتوثيق الصلات مع البلدان العربية والعالم الإسلامي كله، وإذا كان هذا يُناقض الفكر العلماني الذي يحمله الحزبان الشعب والثقة الجمهوريان إلا أنهما قد رضخا لرأي حزب السلامة الوطني في هذا الجانب حرصاً على استلام السلطة. أما في المجال الاقتصادي فقد أقامت هذه الحكومة عدداً من المصانع أربكت أصحاب رؤوس الأموال، وأنصار الغرب. أما في المجال السياسي فكان أعظم الإنجازات وهو الإنزال التركي في جزيرة قبرص، واحتلال أكثر من ثلث الجزيرة، وكان الدافع لهذا التحرّك إيقاف أعمال الإجرام التي تحدث في الجزيرة ضدّ المسلمين، والمذابح التي يتعرّضون بين المدة والأخرى، وإيقاف القبارصة اليونانيين النصارى عند حدّهم، وقد نالت الحكومة بعد عملية الإنزال هذه تأييداً شعبياً واسعاً، وارتفعت أسهمها في الأوساط الرسمية، ورغب كلا الطرفين الأساسيين في الحكم وهما حزب الشعب الجمهوري وحزب السلامة الوطني كسب هذا التأييد وادعاء شرف هذا العمل، فأعلن رئيس الحكومة بولاند

= ٢٠ - جاهد قايرا: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.

٢١ - أورهان بركيت: وزيراً للإعلام والسياحة.

٢٢ - علي طوبوز: وزيراً للإعمار والإسكان.

٢٣ - مصطفى أوق: وزيراً للشؤون القروية.

٢٤ - أحمد شنر: وزيراً للغابات.

٢٥ - مصلح الدين يلمازمته: وزيراً للرياضة والشباب.

أجاويد أن حزب السلامة الوطني شريكه في الحكم كان يُعارض هذا الإنزال التركي في جزيرة قبرص، وذلك بغية الاحتفاظ لنفسه فقط بشرف القيام بهذا العمل وخاصةً بعد أن لاحظ ارتفاع أسهم حزب السلامة الوطني وعلو شأن زعيمه نجم الدين أربكان فنُعت له الفضل بظهور قوة تركيا.
وردّ حزب السلامة الوطني على دعوى بولاند أجاويد بأن حزب الشعب الجمهوري كان شريكاً في الحكم يوم حدثت مذابح للمسلمين في قبرص عام ١٣٨٣ هـ، ولم يفعل شيئاً سواء أكان داخل الحكومة أم خارجها في الأوساط الشعبية، كما أن حزب العدالة كان يحكم تركيا يوم وقعت المذابح مرةً أخرى في قبرص عام ١٣٨٧ هـ، ولم تحدث مساعدات للمسلمين في الجزيرة، ولم تدع المعارضة التي كانت مُتمثّلةً في حزب الشعب الجمهوري إلى تلك المساعدات أو إلى دعمٍ وإنزالٍ وإنما بقيت معارضةً صامتةً كأن الأمر لا يُهمّها، ولكن الإنزال الذي رفع رأس تركيا قد حدث يوم شارك حزب السلامة الوطني في الحكم الأمر الذي يدلّ أنه كان من ورائه، وكان عامل الضغط الأساسي للتحرّك باتجاه قبرص وإنهاء مذابح المسلمين التي تقع بين مدةٍ وأخرى. وكان حزب السلامة الوطني يرى يومذاك ضمّ الجزء التركي من قبرص إلى تركيا بينما يرى حزب الشعب الجمهوري الحكم الاتحادي في الجزيرة.

ولما ارتفعت شعبية حزب السلامة الوطني وزعيمه نجم الدين أربكان ندم قادة حزب الشعب الجمهوري على الائتلاف الذي أقاموه مع حزب السلامة الوطني، وجعلوه مُشاركاً لهم في الحكم وهذا ما أدّى إلى زيادة نفوذه، ولذا أخذ الحزب يعمل على فكّ الائتلاف وإنهاء المشاركة في السلطة، وربما كان بولاند أجاويد يُفكّر في أن بعض وزراء حزب السلامة الوطني تدفعهم الرغبة الى البقاء في الحكم إلى ترك نجم الدين أربكان فيما إذا أقدم على تقديم استقالته، وطلب من إخوانه وزراء حزبه تقديم استقالاتهم أيضاً. وجاءت الفرصة المناسبة إلى بولاند أجاويد ـ حسب زعمه ـ عندما غادر

البلاد في زيارةٍ إلى البلاد الاسكندينافية، فاختار أحد وزراء الدولة لينوب عنه في رئاسة الوزراء أثناء غيابه، وتجاوز نائب رئيس مجلس الوزراء الوحيد نجم الدين أربكان لإحراجه إما بقبول الإهانة بمخالفة الأعراف السياسية التي تقضي أن يتسلّم نائب الرئيس مكان الرئيس أثناء غيابه، أو يتقدّم بالاستقالة ويتخلّى عن السلطة وهذا ما يريده بولاند أجاويد وحزبه. وفعلاً عدّ نجم الدين أربكان هذا التصرّف إهانةً له ولحزبه فقدّم استقالته وقدّم وزراء الحزب استقالاتهم وسقطت الوزارة.

والواقع أن حزب الشعب الجمهوري بقيادة بولاند أجاويد لم يكن ليُمانع في هذه الآونة بالإنزال التركي في جزيرة قبرص، ولو كان يمانع لما تمّ، وتعود عدم الممانعة الآن في أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تُؤيّد ذلك ولم تكن قبل هذا الوقت تُؤيّد، إذ أصبحت من سياستها الآن مُنافسة انكلترا صاحبة النفوذ الأول في الجزيرة وتملك قاعدتين جويتين فيها، وقد أعطت الولايات المتحدة الضوء الأخضر لبولاند أجاويد لهذا الإنزال ولكن لم تكن تتوقّع أن يحصل حزب السلامة الوطني على تلك الشعبية كما حدث.

ولا شك أن نجاح نجم الدين أربكان بالمشاركة في الحكم كان له إيجابيات في تقدّم الحزب وشعور الجماعة الإسلامية بنشوة الظفر إلا أنه في الوقت نفسه كانت له سلبيات إذ أخافت الدوائر الغربية من هذا النجاح وبدأ التفكير بالتخطيط لضرب الحزب أو تغيير الواجهات السياسية كلها، وهذا ما يحدث بعد قليلٍ.

وكان من الصعب تشكيل حكومة ائتلافية للمنافسة بين الحزبين الرئيسيين حزب الشعب الجمهوري وحزب العدالة وعدم تفاهمها، وكذا فقد أصبح الحزب الثالث وهو حزب السلامة الوطني على خلافٍ بل على نفورٍ مع حزب الشعب الجمهوري، ولذا اضطر رئيس الجمهورية إلى تكليف أحد المستقلين برئاسة حكومةٍ جديدةٍ.

عهد رئيس الجمهورية إلى سعدي ايرماق بتشكيل حكومة جديدة[1] بعد سقوط وزارة بولاند أجاويد بانسحاب وزراء حزب السلامة الوطني منها في ٣ ذي القعدة ١٣٩٤ هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ م). ولكن هذه

(١) شكل سعدي إيرماق وزارته على النحو الآتي:

١ - سعدي ايرماق: رئيساً للوزراء.
٢ - زياد بايقار: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - محمد أزكونش: وزيراً للدولة.
٤ - مصلح فر: وزيراً للدولة.
٥ - صالح يلدز: وزيراً للدولة.
٦ - خيري موجي أوغلو: وزيراً للعدل.
٧ - إلهامي سانجار: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ - مقدر أوزتكين: وزيراً للداخلية.
٩ - مليح اسنبل: وزيراً للخارجية.
١٠ - بدري كورسوي: وزيراً للمالية.
١١ - صفا رئيس أوغلو: وزيراً للتربية الوطنية.
١٢ - وفاء طانر: وزيراً للنافعة.
١٣ - خلوق جللو: وزيراً للتجارة.
١٤ - كمال دمير: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٥ - باران تونجر: وزيراً للجمارك.
١٦ - رشاد أقتان: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٧ - صباح الدين أوزبك: وزيراً للمواصلات.
١٨ - تورهان اسنر: وزيراً للعمل.
١٩ - محمد كوطان: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.
٢٠ - أرهان اشيل: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢١ - إلهان أوليا أوغلو: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٢ - صلاح الدين بابر أوغلو: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٣ - إسماعيل حقي آيدنوغلو: وزيراً للشؤون القروية.
٢٤ - فكرت سعاتجي أوغلو: وزيراً للغابات.
٢٥ - زكائي بال أوغلو: وزيراً للرياضة والشباب.
٢٦ - نرمين نفطجي أوغلو: وزيراً للثقافة.
٢٧ - صادق شده: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.

الحكومة لم تزد أيام حكمها على أربعة أشهر ونصف إذ لم يلبث أن قدّم سعدي إيرماق استقالة حكومته في ١٩ ربيـع الأول ١٣٩٥ هـ (٣١ آذار ١٩٧٥ م)، أي بعد أربعة أشهر ونصف فقط من تشكيلها، وكان بولاند أجاويد زعيم حزب الشعب الجمهوري في زيارةٍ لألمانيا فقطع تلك الزيارة وعاد إلى البلاد، غير أنه قد رفض التكليف بتشكيل حكومة بصفته صاحب الأكثرية في المجلس النيابي وذلك بغية إيجاد أزمةٍ وزاريةٍ يضطر إثرها رئيس الجمهورية إلى حلّ المجلس النيابي، ويُقدّر أن حزبه سيحصل على الأكثرية في المجلس النيابي الجديد، فيتحكّم هو في حلفائه الذين يختارهم للحكم معاً، ولا يخضع لهم في سبيل الحصول على الثقة بالمجلس النيابي، غير أن رئيس الجمهورية فخري ثابت كورتورك بحكم التقاليد الدستورية يمكنه أن يكلف زعيم الحزب الثاني بتشكيل الحكومة، وقد عمل بالفعل بهذا حيث عهد إلى سليمان ديميريل زعيم حزب العدالة بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[1] غير أنه لا يمكنه أن يُؤلّف وزارةً من حزبه إذ لا

---

(١) شكل سليمان ديميريل وزارته الائتلافية على النحو الآتي:

١ - سليمان ديميريل: رئيساً للوزراء.

٢ - نجم الدين أربكان: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.

٣ - تورهان فيضي أوغلونائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.

٤ - ألب أرسلان توركيش: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.

٥ - سيفي أوزترك: وزيراً للدولة.

٦ - مصطفى كمال أرقوان: وزيراً للدولة.

٧ - عثمان ألبايراق: وزيراً للدولة في ١٥ جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ.

٨ - حسن أقصاي: وزيراً للدولة.

٩ - إسماعيل مفتي أوغلو: وزيراً للعدل.

١٠ - زياد بايقارا: وزيراً للعدل في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ.

١١ - فريد ملان: وزيراً للدفاع الوطني.

١٢ - أوغوزخان أصيل ترك: وزيراً للداخلية.

١٣ - صباح الدين أوزبك: وزيراً للداخلية في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ.

١٤ - إحسان صبري جاغلايانيكل: وزيراً للخارجية. =

يستطيع أن ينال الثقة من المجلس النيابي لذا فقد تحالف مع الأحزاب الصغيرة كي يحرز ولو أغلبية ضئيلة، فقد تحالف مع حزب السلامة الوطني، وحزب الحركة الملية، وحزب الثقة الجمهوري وبذا حصل على مائتين وخمسة عشر صوتاً في المجلس النيابي إضافةً إلى بعض أصوات النواب المستقلين.

= ١٥ - يلماز أركانكون: وزيراً للمالية.
١٦ - علي نائلي أردم: وزيراً للتربية الوطنية.
١٧ - فهيم أداق: وزيراً للنافعة.
١٨ - خليل باشول: وزيراً للتجارة.
١٩ - كمال دمير: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
٢٠ - وفاء طانر: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ٣٠ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ.
٢١ - أورهان أوزتراك: وزيراً للجمارك.
٢٢ - قورقوت أوزال: وزيراً للزراعة والحيوانات.
٢٣ - ناهد منتشه: وزيراً للمواصلات.
٢٤ - إبراهيم أقصوي: وزيراً للمواصلات في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ.
٢٥ - أحمد توفيق باكسو: وزيراً للعمل.
٢٦ - شوكت قازان: وزيراً للعمل في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩٦ هـ.
٢٧ - عبد الكريم دوغرو: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.
٢٨ - صلاح الدين قليج: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٩ - لطفي طوق أوغلو: وزيراً للإعلام والسياحة.
٣٠ - ناهد منتشه: وزيراً للإعلام والسياحة في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ.
٣١ - نور الدين أوق: وزيراً للإعمار والإسكان.
٣٢ - وفاء طانر: وزيراً للشؤون القروية.
٣٣ - تورهان قابانلي: وزيراً للغابات.
٣٤ - علي شوقي أرك: وزيراً للرياضة والشباب.
٣٥ - رفقي دانشمان: وزيراً للثقافة.
٣٦ - أحمد ماهر أبلوم: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.

حزب العدالة	١٤١
حزب السلامة الوطني	٤٩
حزب الحركة الملية[(١)]	١٣
حزب الثقة الجمهوري	١٢
	ـــ
	٢١٥

وتسلّم زعماء الأحزاب الثلاثة المؤتلفة في الحكم مع حزب العدالة نواباً لرئيس الوزراء، أما المعارضة فقد تمثلت في حزب الشعب الجمهوري ١٨٩ نائباً، والحزب الديمقراطي ٤٠ نائباً، وبذا فإن الثقة التي حصلت عليها الوزارة كانت ضعيفةً.

وفي هذه المرحلة انشقّ الحزب الديمقراطي، وأصبح جناحين: الأول يُعرف بالهلالي، ويفخر بالخلافة العثمانية، وقد انضم هذا الفريق، وهو القليل، إلى حزب السلامة الوطني، ويُعرف ثانيهما بالذئبي وذلك لأنه يتخذ الذئب شعاراً له إشارة إلى الذئب معبود الأتراك قبل دخولهم في الإسلام، ويشمل هذا الفريق أكثرية الحزب، وقد انضمّ إلى حزب الشعب الجمهوري، وبذا فقد انتهى الحزب الديمقراطي نهائياً، ولكن سليمان ديميريل زعيم حزب العدالة يدّعي أن حزبه إنما هو تتمة الحزب الديمقراطي.

وقد تمكّنت هذه الوزارة بجهود نجم الدين أربكان أن تدفع بالصناعة

---

(١) حزب الحركة الملية (الوطنية) ويتزعمه ألب أرسلان توركيش: وقلما يلفظ الأتراك الراء، فيقولون ألبسلان. وهو عقيد ركن متقاعد، ولد في قبرص في مدينة نيقوسيا في حي لفكوشة، وذلك عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م)، وكان عام ١٣٨٠ عضو الوحدة الوطنية، وأصبح مستشاراً في رئاسة الوزراء، أسّس حزب الحركة الملية، له عدد من المؤلفات منها: قضية القومية، وتسعة أضواء، والوجهات الأساسية، وسياستنا الخارجية وقبرص.

خُطوةً نحو الأمام وأن تُقيم بعض المعامل والمؤسسات.

كان كل من حزب الشعب الجمهوري وحزب العدالة يحرص على الإسراع في إجراء الانتخابات ويتوقّع كلاهما أن يحصل فيها على الأكثرية، ثم تقدّم كلاهما بطلبٍ إلى رئيس الجمهورية لتقديم الانتخابات العامة وفعلاً فقد تمّ تقديمها ثلاثة أشهر من خريف عام ١٣٩٨ هـ إلى صيفه.

قدّم سليمان ديميريل استقالة حكومته في ٥ رجب ١٣٩٧ هـ (٢١ حزيران ١٩٧٧ م) وعهد رئيس الجمهورية فخري ثابت كورتورك إلى زعيم حزب الشعب الجمهوري بتشكيل حكومةٍ جديدة، فألّف وزارةً[1] لم

---

(١) شكل بولاند أجاويد وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - بولاند أجاويد: رئيساً للوزراء.
٢ - أورهان أيوب أوغلو: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - تورهان كونش: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٤ - لطفي دوغان: وزيراً للدولة.
٥ - كنعان بولوط أوغلو: وزيراً للدولة.
٦ - سلجوق الوردي: وزيراً للعدل.
٧ - حسن أسعد إشيق: وزيراً للدفاع الوطني.
٨ - نجدت أوغور: وزيراً للداخلية.
٩ - كوندوز أوكجون: وزيراً للخارجية.
١٠ - بسيم اوستونال: وزيراً للمالية.
١١ - مصطفى اوستونداغ: وزيراً للترابية الوطنية.
١٢ - عبد الكريم زيلان: وزيراً للنافعة.
١٣ - ضياء مؤذن أوغلو: وزيراً للتجارة.
١٤ - جلال أورتوغ: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٥ - محمد جان: وزيراً للجمارك.
١٦ - فكرت كوندوغان: وزيراً للزراعة والحيوانات.
١٧ - أرول جوكجه: وزيراً للمواصلات.
١٨ - باهر ارسوي: وزيراً للعمل.
١٩ - تورهان أردم: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.

=

تدم سوى شهرٍ واحدٍ من ٥ رجب إلى ٥ شعبان من العام نفسه، وذلك لأن الحكومة لا تملك أكثريةً نيابيةً تدعمها، ومجرد طرح الثقة على المجلس النيابي تحجب عنها الثقة فتضطر إلى الاستقالة، وهذه إحدى عيوب الحياة النيابية، إذ تُعطى الثقة أو تُحجب بناءً على الانتماء الحزبي، وليس على أساس الحقّ والباطل، أو الموافقة على منهجٍ أو رفضه لأسبابٍ شرعيةٍ أو على الأقلّ عقليةٍ، ومع هذه السلبيات فإن أنصار هذا النظام يُدافعون عنه دفاعاً عجيباً، ويعتقدون أنه لا صلاح دونه، حتى إن بعض الذين ينتمون إلى الإسلام يظنّون أنه من أساس التشريع، أو أقرب ما يكون إلى الإسلام، ولا يبنون كلامهم هذا على علمٍ ومعرفةٍ، وإنما عن جهلٍ بالإسلام، وافتتانٍ بالأنظمة الغربية التي صدّرت لنا هذا النظام، وما دام قد جاء منها فهو ـ حسب زعمهم ـ النظام الأمثل، ويجب العمل به، والتمّسك به، وكل ما عداه باطل، ولا يأتي بخير.

وفي ٥ شعبان ١٣٩٧ هـ (٢١ تموز ١٩٧٧ م) شكّل سليمان ديميريل زعيم حزب العدالة وزارةً جديدةً[1] بالتحالف مع حـزب السلامـة الوطني

= ٢٠ ـ نشأت أقماندور: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢١ ـ ألطان أويمان: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٢ ـ أرول تونجر: وزيراً للإعمار والاسكان.
٢٣ ـ علي طوبوز: وزيراً للشؤون القروية.
٢٤ ـ وجدي إلهان: وزيراً للغابات.
٢٥ ـ يوكسل جاقمور: وزيراً للرياضة والشباب.
٢٦ ـ خير الدين أويصال: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.

(١) شكل سليمان ديميريل وزارته الجديدة وهي خامس وزارة يشكلها على النحو الآتي:
١ ـ سليمان ديميريل: رئيساً للوزراء.
٢ ـ نجم الدين أربكان: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ ـ ألب أرسلان توركيش: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٤ ـ سيفي أوزترك: وزيراً للدولة.
٥ ـ سليمان عارف عمرو: وزيراً للدولة.

وحزب الحركة الملية، وقد شعر بالظفر فقد انهارت حكومة خصمه السياسي بولاند أجاويد بسرعةٍ، ومعنى هذا أن وزارته ستطول مدتها إذ هي قوية وخاصةً أنه جرّب السلطة مع حلفائه ووجد في زعمائهم نجم الدين أربكان، وألب أرسلان توركيش دعامةً للحكم وسنداً، ودائماً تتداعى إلى

= ٦ - سعدي صومونجي أوغلو: وزيراً للدولة.
٧ - علي شوقي أرك: وزيراً للدولة.
٨ - نجم الدين جوهري: وزيراً للعدل.
٩ - سعد الدين بلكيج: وزيراً للدفاع الوطني.
١٠ - تورهان قابانلي: وزيراً للدفاع الوطني في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ.
١١ - قورقوت أوزال: وزيراً للداخلية.
١٢ - إحسان صبري جاغلايانيكل: وزيراً للخارجية.
١٣ - جهاد بلكه خان: وزيراً للمالية.
١٤ - ناهد منتشه: وزيراً للتربية الوطنية.
١٥ - صلاح الدين قليج: وزيراً للنافعة.
١٦ - أكاه اوقتاي كونر: وزيراً للتجارة.
١٧ - جنكيز كوكجك: وزيراً للصحة.
١٨ - كون سازاك: وزيراً للجمارك.
١٩ - فهيم أداق: وزيراً للزراعة والحيوانات.
٢٠ - يلماز أركنكون: وزيراً للمواصلات.
٢١ - إسماعيل فهمي جعلي أوغلو: وزيراً للعمل.
٢٢ - أغوزخان أصيل ترك: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.
٢٣ - كامران إنان: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٤ - اسكندر جنات أكه: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٥ - محمد رجائي قوتان: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٦ - تورغوت يوجل: وزيراً للشؤون القروية.
٢٧ - صلاح الدين ساوجي: وزيراً للغابات.
٢٨ - أونول شاقار: وزيراً للرياضة والشباب.
٢٩ - علي شوقي أرك: وزيراً للرياضة والشباب في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ.
٣٠ - عوني أقيول: وزيراً للثقافة.
٣١ - تورهان قابانلي: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.

فكر الإنسان الأمور التي هي في صالحه، وينسى الجوانب الثانية التي قد تنغّص عليه ما هو فيه أو ما حصل عليه من ظفر، فقد نسي سليمان ديميريل أن سقوط حكومة خصمه سيجعله يبذل جهداً كبيراً لإسقاط الحكومة القائمة أيضاً، وأن العسكريين، ورئيس الجمهورية منهم، لا يسمحون لغيرهم أن يتبّوأ مقعداً دائماً في السلطة إذ يرون في ذلك تقليلاً من شخصيتهم ومنافسةً لهم على مركزهم، ولذا إن عجزت المعارضة عن إسقاط الحكومة فإن رئيس الجمهورية سيقيلها بعد مدةٍ، ويكون قد وقف موقف المعارضة، وهذا ليس له فقط وإنما لخصمه أيضاً عندما تؤول إليه السلطة، غير أن سليمان ديميريل لم يُفكّر في هذا الموضوع.

وفي ٢٦ محرم ١٣٩٨ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٧٨ م) قدّم سليمان ديميريل استقالة حكومته فعهد رئيس الجمهورية إلى بولاند أجاويد بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ[١]، ولم تصل مدة حكم سلفه إلى ستة أشهرٍ، حيث سقطت

---

(١) شكل بولاند أجاويد وزارته الثالثة على النحو الآتي:

١ - بولاند أجاويد: رئيساً للوزراء.
٢ - أورهان أيوب أوغلو: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - تورهان فيضي: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٤ - فاروق سوكان: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٥ - حكمت جيتين: وزيراً للدولة.
٦ - أنور أقووا: وزيراً للدولة.
٧ - لطفي دوغان: وزيراً للدولة.
٨ - صالح يلدز: وزيراً للدولة.
٩ - مصطفى قليج: وزيراً للدولة.
١٠ - حسن قورقوت: وزيراً للدولة في ١٠ رجب ١٣٩٩ هـ.
١١ - علي رضا سبتي أوغلو: وزيراً للدولة في ١ شعبان ١٣٩٩ هـ.
١٢ - أحمد شنر: وزيراً للدولة.
١٣ - محمد جان: وزيراً للعدل.
١٤ - حسن أسعد اشيق: وزيراً للدفاع الوطني.
١٥ - نشأت أقماندور: وزيراً للدفاع الوطني في ١٧ صفر ١٣٩٩ هـ. =

وجاءت حكومة حزب الشعب الجمهوري، وما انشقّ عنه من رجالات حزب الثقة الجمهوري مثل تورهان فيضي أوغلو، ومن بعض من كانوا يُؤلّفون الحزب الديمقراطي الذين انشقوا عن حزب العدالة أمثال فاروق سوكان، ولم تكن حال هذه الحكومة بأفضل من سابقتها بكثيرٍ، إذ لم يزد

= ١٦ - عرفان أوز آيدنلي: وزيراً للداخلية.

١٧ - حسن فهمي كونش: وزيراً للداخلية في ١٧ صفر ١٣٩٩ هـ.

١٨ - وجدي الهان: وزيراً للداخلية في ١٩ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ.

١٩ - كوندوز اكجون: وزيراً للخارجية.

٢٠ - ضياء مؤذن أوغلو: وزيراً للمالية.

٢١ - نجدت أوغور: وزيراً للتربية الوطنية.

٢٢ - شرف الدين الجي: وزيراً للنافعة.

٢٣ - تأومان كوبرولولار: وزيراً للتجارة.

٢٤ - مته طان: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.

٢٥ - تونجاي مطرجي: وزيراً للجمارك.

٢٦ - كونش أونكوت: وزيراً للمواصلات.

٢٧ - محمد يوجلار: وزيراً للزراعة والحيوانات.

٢٨ - باهر ارصوي: وزيراً للعمل.

٢٩ - أورهان ألب: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.

٣٠ - كنعان بولوط أوغلو: وزيراً للمؤسسات.

٣١ - دينز بايقال: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.

٣٢ - آلاوجوشقون: وزيراً للإعلام والسياحة.

٣٣ - أحمد قره أصلان: وزيراً للإعمار والإسكان.

٣٤ - محمد يوجلار: وزيراً للإعمار والإسكان في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ.

٣٥ - علي طوبوز: وزيراً للشؤون القروية.

٣٦ - وجدي إلهان: وزيراً للغابات.

٣٧ - أحمد شنر: وزيراً للغابات في ٣ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ.

٣٨ - يوكسل جاقمور: وزيراً للرياضة والشباب.

٣٩ - حلمي ايشكوزار: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.

٤٠ - صالح يلدز: وزيراً للتأمينات الاجتماعية في ٢٨ رجب ١٣٩٩ هـ.

٤١ - أحمد طانر قشلالي: وزيراً للثقافة.

٤٢ - محمود أوزدمير: وزيراً للإدارات المحلية.

حكمها كثيراً على الأحد عشر شهراً.

ويبدو أن قصر مدة أيام الحكومات لم يكن بسبب المعارضة فقط، ولا بسبب طبيعة رئيس الجمهورية العسكرية فحسب، وإنما بسبب الحرية التي زادت قليلاً عن الحدّ المرسوم لها، حيث كثر النقد، وتوسّع النشاط الإسلامي ووجد المجال له في المساجد والمدارس الشرعية التي وجدت وهذا ما لا تجده بقية الأحزاب، وتنشّط حزب الحركة الملية أيضاً، وكلما زاد النشاط الإسلامي فهو مؤشر إلى اقتراب موعد التغيير حيث لا يمكن لأصحاب النفوذ ان يسمحوا بذلك أو يسمعوا فيه. وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٧٩ م) قدّم بولاند أجاويد استقالة حكومته وعهد رئيس الجمهورية فخري ثابت كورتورك إلى سليمان ديميريل بتشكيل وزارةٍ جديدةٍ[1]، واستمّرت هذه الوزارة حتى الانقلاب العسكري

---

(١) شكل سليمان ديميريل وزارته السادسة على النحو الآتي:

١ ـ سليمان ديميريل: رئيساً للوزراء.
٢ ـ أورهان أرن: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ ـ أكرم جيهون: وزيراً للدولة.
٤ ـ محمد كلّجي: وزيراً للدولة.
٥ ـ أحمد قره خان: وزيراً للدولة.
٦ ـ متين موسى أوغلو: وزيراً للدولة.
٧ ـ كوكسال طوبتان: وزيراً للدولة.
٨ ـ عمر أوجوزال: وزيراً للعدل.
٩ ـ أحمد إحسان برنجي أوغلو: وزيراً للدفاع الوطني.
١٠ ـ مصطفى كولجكيل: وزيراً للداخلية.
١١ ـ أورهان أرن: وزيراً للداخلية في ٢٤ رمضان ١٤٠٠ هـ.
١٢ ـ خير الدين أركمن: وزيراً للخارجية.
١٣ ـ عصمت سزكين: وزيراً للمالية.
١٤ ـ أورهان جمال فرسوي: وزيراً للتربية الوطنية.
١٥ ـ صلاح الدين قليج: وزيراً للنافعة.
١٦ ـ خليل باشول: وزيراً للتجارة.
=

الثاني في ٣ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (١٢ ايلول ١٩٨٠ م) بقيادة كنعان إيفيرين.

فسح المجال سليمان ديميريل بالحرية أكثر من الحكومة السابقة فكان على موعدٍ مع الانقلاب.

= ١٧ - منيف إسلام أوغلو: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
١٨ - أحمد جاقماق: وزيراً للجمارك.
١٩ - حسين أوزالب: وزيراً للمواصلات.
٢٠ - جمال كولاحلي: وزيراً للزراعة والحيوانات.
٢١ - جاويد أردمير: وزيراً للعمل.
٢٢ - نوري بايار: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.
٢٣ - أسعد قيراكلي أوغلو: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٤ - بارلاس كونتاي: وزيراً للإعلام والسياحة.
٢٥ - تورغوت توكر: وزيراً للإعمار والإسكان.
٢٦ - أحمد قره يغيت: وزيراً للشؤون القروية.
٢٧ - حسن أكيجي: وزيراً للغابات.
٢٨ - طلعت آصال: وزيراً للرياضة والشباب.
٢٩ - سومار أورال: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.
٣٠ - توفيق قورالتان: وزيراً للثقافة.

الانقلابُ العَسْكريّ الثاني
كنعَان إيفْرينْ

كانت الدوائر الاستعمارية من شرقيةٍ وغربيةٍ وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة النفوذ الأول في تركيا تُراقب الحركات السياسية والنشاطات الفكرية ـ كعادتها ـ وتُتابع التحرّكات، وتقوم بالدراسات، فأخافها النشاط الإسلامي الذي برز من جديدٍ، ويُريد أن يقضي على الآراء الإلحادية والعنصرية التي بذرها مصطفى كمال بتوجيهٍ من النصرانية، وتعهّدتها الدول الغربية، ورعتها اليهودية، والإرساليات التنصيرية، واتحاد الكنائس العالمي.

ومع وجود ثغرةٍ في النشاط الإسلامي وهي عدم الوعي السياسي التام الناتج عن عدم التقدير الكامل لإمكانات الأعداء، وطريقة تصرّفهم، ومُتابعة الدراسة الكاملة للمجتمع، وعن عدم معرفة الواقع الذي يعيش فيه، والوسط الذي يتعامل معه، وربما كان هذا ناشئاً عن الإيمان العميق لرجال الدعوة الإسلامية وتصميمهم على حقهم، وإيمانهم بنصر الله فيما لو استقاموا على الطريق، وعدم مُبالاتهم بالأعداء، ولا شك فإن في هذا قوة وهي التي جعلتهم يحصلون على بعض النتائج الطيبة والنجاح، وفيه سلبيات جعلتهم يُخفقون أحياناً في متابعة سيرهم ويجدون الصعاب أثناء تقدّمهم، غير أن النجاح عندهم قد غطّى هذه السلبيات فلم يروها.

لقد أخاف هذا النشاط الإسلامي الذي ظهر من حزب السلامة الوطني

الدوائر الاستعمارية فكان لا بدّ لها من أن تعمل على الحدّ منه وتقليم أظافره على حدّ زعمها قبل أن يشتدّ عوده، وتعجز بعدها عن إخماده بصورةٍ سهلةٍ، وإن أكثر ما تخافه تلك الدوائر هو الإسلام، وهو أكثر ما تحقد عليه، وتبذل جهدها لضربه، وتعدّ أن مهمتها في الحياة إنما هي القضاء عليه لذا لا بدّ لها من أن تتحرّك وقد رأت النشاط له قد أخذ يحبو.

كما أخاف تلك الدوائر الاستعمارية النشاط العنصري الذي لا يُعادي الإسلام، بل يسكت عنه، وربما يُسايره أحياناً، وهو يتمثّل في حزب الحركة الملية الذي يتزعّمه ألب أرسلان توركيش، والذي أصبح يملك قوّةً ليست سياسيةً فحسب وإنما شبه عسكريةٍ، إذ كانت له مجموعات من الشباب عندها القدرة على القتال، وربما كانت مُدرّبةً عليه، وقد قامت ببعض الصدامات مع خصوم حزبها ووقعت مظاهرات وإضرابات، وكان النجاح غالباً بجانب هذا الحزب، وإذا كان أقواها قد حدث في أضنة ومرعش مكان نفوذ ألب أرسلان توركيش إلا أن نشاطه قد تجاوز هذا، وامتدّ إلى أكثر جهات البلاد، وتخشى تلك الدوائر الاستعمارية أن ينفلت ذلك النشاط من عقاله ويتحرّك في جهةٍ لا تُريدها هي، وربما سار نحو الإسلام فليس من حائلٍ يحول دون ذلك سوى الفكرة العنصرية التي يحملها، والتي ربما كانت واجهةً يتستّر تحتها، أو عنواناً يتخذه مظلّةً يتقي بها. وإن كانت العنصرية لا تُشكّل خطراً أبداً على أعداء الإسلام بل يتخذونها عادةً وسيلةً لضرب الإسلام وأبنائه، ولكنها هنا تخيّل إليهم أنها ليست عنصريةً بمفهوم التعصّب القومي وإنما في إطارٍ يضمّ الإسلام ويشمله ومن هنا جاء الخوف من هذه الحركة وإن كان أقلّ بكثيرٍ من الخوف من الإسلام بل لا يمكن مقارنته معه.

ويخشى ساسة الغرب من انتشار الشيوعية التي تسلك طريق السرية في بداية أمرها، وتترعرع في مجتمعات الجهل والفقر حيث يمكن جرّ الأفراد

نحوها بالأماني ودعايات الإنقاذ، وهذا ما يتوفّر في تركيا، كما تجد الشيوعية طريقاً لها تحت غطاء الفوضى والصراعات الداخلية فتقوم بأعمال الإجرام فيضطر المجرمون إلى الارتباط بها بغية الخلاص وتحتضنهم في سبيل زيادة حوادث الفوضى والفساد، ويزداد هذا وذاك، وتبدأ الشيوعية بالتغلغل في صفوف البائسين الجهلة ويستفيد من وراء ذلك، أو يركب التيار ويقوده المستغلّون ليصلوا إلى ما يريدون من تحقيق مصالح وربما إلى تسلّم السلطة ليرضوا شهواتهم في التحكّم والاستبداد، وأخذت الأحداث تُشير إلى وجود مُنظّماتٍ شيوعيةٍ تعمل في الخفاء وتُسعر نار الفوضى. والشيوعية أقلّ خطراً على الغرب ونظامه حسب تصوّر ساسته وسدنته من الإسلام بكثيرٍ بل لا يمكن المقارنة بينهما إذ أن الشيوعية والرأسمالية نظامان ماديان يلتقيان ويفترقان على أمورٍ ماديةٍ منها استغلال الشعوب، وبسط النفوذ، والسيطرة على المناطق، كما يتفقان على محاربة الإسلام إضافةً إلى ذلك فإن المحرّك لهما واحد، أو له الأثر الكبير عليهما وهو اليهودية وإمكاناتها المادية، ولقد اتفق الفريقان في كثيرٍ من الأحيان على تقسيم مناطق النفوذ، وإشعال نار الحرب، وإن كان هذا قد يُغطّى بأدوارٍ تمثيليةٍ، حيث يأخذ كل طرفٍ دوراً في اللعبة الدولية.

ولهذا فقد رأت الولايات المتحدة صاحبة النفوذ في تركيا أن تُوقف من النشاط الإسلامي، وتحدّ من الفوضى التي يتستّر بها الأخطبوط الشيوعي، وتضرب الحركات المسلمة، وتُلغي ولو مؤقتاً شعار الحرية الذي يتحرّك هذا كله تحته، وهذا يقتضي تحرّك الجيش المُهيأ لمثل هذا الأمر والمتربّص لحماية النظام القائم بأفكاره واتجاهه لا برجاله وأشخاصه.

وفي ٣ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (١٢ ايلول ١٩٨٠ م) تحرّك الجيش بقيادة رئيس الأركان، وتسلّم الأمر، وبعد تسعة أيام من وقوع الانقلاب عهد رئيسه كنعان إيفيرين الذي تسلّم رئاسة الدولة إضافةً إلى رئاسة الأركان العامة ورئاسة المجلس العسكري الوطني المعتمد عهد إلى بولاند

أولصو[1] بتشكيل الحكومة[2].

---

(١) صائم بولاند أولصو: ابن محمد صالح، ولد في أوسكدار في استانبول في ٢٢ رمضان ١٣٤١ هـ (٧ أيار ١٩٢٣ م) تخرج من الأكاديمية الحربية البحرية عام ١٣٦٠ هـ، وترقى في الرتب العسكرية حتى تسلّم رئاسة الأركان في القوات البحرية، ثم مستشاراً لوزير الدفاع. ورشح نفسه للانتخابات عام ١٤٠٣ هـ، ونجح نائباً عن مدينة استانبول.

(٢) شكل بولاند اولصو وزارته على النحو الآتي:

١ - بولاند أولصو: رئيساً للوزراء.
٢ - زيّاد بياقره: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - تورغوت أوزال: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٤ - سرمد رفيق باشن: وزيراً للدولة في ٢٣ رمضان ١٤٠٢ هـ.
٥ - ايلهان أوزتراك: وزيراً للدولة.
٦ - محمد أوزكونش وزيراً للدولة.
٧ - نعمت أوزداش: وزيراً للدولة.
٨ - جاويد منتش: وزيراً للعدل.
٩ - رفعت بيازيد: وزيراً للعدل في ٤ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ.
١٠ - كاظم اكدوغان: وزيراً للعدل في ٩ شعبان ١٤٠٣ هـ.
١١ - خلوق بابيتكان: وزيراً للدفاع الوطني.
١٢ - صلاح الدين جيتنر: وزيراً للداخلية.
١٣ - ايلتر توركمان: وزيراً للخارجية.
١٤ - كايا إردم: وزيراً للمالية.
١٥ - عدنان بشير كافاوغلو: وزيراً للمالية في ٢٣ رمضان ١٤٠٢ هـ.
١٦ - حسن سكلام: وزيراً للتربية الوطنية.
١٧ - تحسين أونالب: وزيراً للنافعة.
١٨ - كمال كنتورك: وزيراً للتجارة.
١٩ - نجمي أيانوغلو: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
٢٠ - كايا كيليشتورغي: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ٢٦ صفر ١٤٠٢ هـ.
٢١ - رجائي باتورالب: وزيراً للجمارك.
٢٢ - علي بوزر: وزيراً للجمارك في ٢٦ صفر ١٤٠٢ هـ.
٢٣ - ظفر طيارساديكلر: وزيراً للجمارك في ١١ شعبان ١٤٠٣ هـ.
٢٤ - نجمي أوزغور: وزيراً للمواصلات. =

بقيت الأحكام العرفية مدةً ليست قصيرةً، ثم بدأت الحياة المدنية تعود تدريجياً، وأخذت الأحزاب تنشأ من جديدٍ، فقد أسّس تورغوت أوزال[1] حزب الوطن الأم، وأسّس اللواء المتقاعد تـورغـوت صـونـالـب الحزب الديمقراطي، وشكّل نجدت جالب الحزب الشعبي حيث كان يُنادي بالعدالة الاجتماعية، واستمرّت هذه الأحزاب وحدها، وهي التي خاضت انتخابات

= ٢٥ - مصطفى عيسان: وزيراً للمواصلات في ٨ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ.

٢٦ - صباح الدين أوزبك: وزيراً للزراعة والغابات.

٢٧ - تورهان ازنار: وزيراً للعمل.

٢٨ - شهاب كوجاتبوغو: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا.

٢٩ - محمد تورغوت: وزيراً للصناعة والتكنولوجيا في ٢٦ صفر ١٤٠٢ هـ.

٣٠ - شاربولنت بينغول: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.

٣١ - فهر إيلكل: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية في ٢٦ صفر ١٤٠٢ هـ.

٣٢ - إليهان أوليا أوغلو: وزيراً للإعلام والسياحة.

٣٣ - شريف توتان: وزيراً للإعمار والإسكان.

٣٤ - أحمد شمشورلو: وزيراً للإعمار والإسكان في ٢٣ رمضان ١٤٠٢ هـ.

٣٥ - منير رئيف غوناي: وزيراً للشؤون القروية.

٣٦ - وجدي أوزغول: وزيراً للرياضة والشباب.

٣٧ - صادق شيدا: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.

٣٨ - جهاد بابان: وزيراً للثقافة في ١٨ صفر ١٤٠٢ هـ.

٣٩ - إيلهان أوليا أوغلو: وزيراً للثقافة والاعلام.

(١) تورغوت أوزال: ابن محمد صديق، ولد في ملاطية عام ١٣٤٦ هـ، وتخرج من جامعة استانبول التقنية عام ١٣٧٠ هـ مهندساً كهربائياً. شغل منصب وكيل شؤون إدارة الكهرباء، وأصبح بعدها مستشاراً خاصاً لرئاسة الوزراء للشؤون التقنية، وهو عضو هيئة التدريس بجامعة الشرق الأوسط عام ١٣٨٦ هـ، ومستشار التخطيط لشؤون الدولة ١٣٩١ - ١٣٩٣، ومدير بنك الدنيا (أمريكا) ١٣٩٧ هـ.
كان مرشحاً لحزب السلامة في ولاية أزمير، وشغل منصب نائب رئيس الوزراء في حكومة صائم بولاند أولصو التي قامت بعد الانقلاب العسكري الثاني، والمسؤول عن الشؤون المالية فيها، والمستشار للتخطيط. أسس حزب الوطن الأم، ورشح نفسه عن استانبول ونجح، وفاز حزبه بالانتخابات وشكل الوزارة كما نجح في الانتخابات التالية وعاد لرئاسة الوزراء أيضاً.

عام ١٤٠٣ هـ، ولما كان تورغوت أوزال نائب رئيس الوزراء ووزيراً للدولة فقد قدّم استقالته من منصبه هذا في الحكومة ليستطيع خوض المعركة الانتخابية، وقد استقال بتاريخ ٢٣ رمضان ١٤٠٢ هـ (١٤ تموز ١٩٨٢ م)، وعدلّت الحكومة قانون الانتخابات حيث أصبح الحزب الذي لا يحصل على ١٠٪ من الأصوات يفقد أصواته، وتُعطى للحزب الذي ينال أكثر الأصوات، ولهذا فقد حصل حزب الوطن الأم على أكثر الأصوات إذ نال ٣٦٪ من مجموع الأصوات، وذلك لأنه لم يجد مُنافساً قوياً أمامه، فالناس لا يميلون إلى العسكريين، كما أن الحزب الشعبي لا يزال يعدّ ضعيفاً، ويعدّه بعضهم اشتراكياً، وبذا فقد اتجه الناخبون إلى تأييد حزب الوطن الأم.

عهد كنعان ايفيرين الذي أصبح رئيساً للجمهورية بتأليف حكومةٍ جديدةٍ بعد انتهاء الانتخابات وحسب نتائجها إلى تورغوت أوزال زعيم حزب الوطن الأم، فشكّل الوزارة[1] في ٩ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (١٣ كانون الأول ١٩٨٣ م).

---

(١) شكل تورغوت أوزال وزارته الأولى على النحو الآتي:

١ - تورغوت أوزال: رئيساً للوزراء.

٢ - كايا إردم: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.

٣ - إسماعيل أوز داغلر: وزيراً للدولة في ١٤٠٥/٤/١٣ هـ.

كمال بويوكباس: وزيراً للدولة في ١٤٠٥/١٢/٢٨ هـ.

٥ - كورتكب ألبتمشن: وزيراً للدولة.

٦ - أحمد قره ولي: وزيراً للدولة.

٧ - سعود طغرل: وزيراً للدولة.

٨ - تيناز طتز: وزيراً للدولة في ١٤٠٥/٤/١٣ هـ.

٩ - مسعود يلماز: وزيراً للدولة.

١٠ - حسن جلال غوزال: وزيراً للدولة ١٤٠٧/٢/١٣ هـ.

١١ - عبد الله تنكجي: وزيراً للدولة.

١٢ - كاظم أوكساي: وزيراً للدولة.

=

واستمرت هذه الحكومة مدة المرحلة الانتخابية كلها، ولما جرت الانتخابات في ٨ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٧ م) بقي الحزب الوطن الأم يتصدّر مقاعد المجلس النيابي، وإن كانت قد انخفضت نسبته إلى ٣١٪ من الأصوات بعد أن كانت ٣٦٪ في الانتخابات

= ١٣ - علي بوزر: وزيراً للدولة ١٤٠٧/٢/١٣ هـ.
١٤ - نشأت إلدم: وزيراً للعدل.
١٥ - محمود أولتان سونغورلو: وزيراً للعدل في ١٤٠٧/٢/١٣ هـ.
١٦ - خليل إرطم: وزيراً للعدل في ١٤٠٨/١/٢٣ هـ.
١٧ - زكي ياوزتورك: وزيراً للدفاع الوطني.
١٨ - علي تانريلر: وزيراً للداخلية.
١٩ - يلديرم أكبلوت: وزيراً للداخلية في ١ صفر ١٤٠٥ هـ.
١٩ - أحمد سلجوق: وزيراً للداخلية في ٢٣ محرم ١٤٠٨ هـ.
٢٠ - وحيد خلف أوغلو: وزيراً للخارجية.
٢١ - ورال أريكان: وزيراً للمالية.
٢٢ - كورتكب ألبتمشن: وزيراً للمالية في ١ صفر ١٤٠٥ هـ.
٢٣ - وهبي دينجرلر: وزيراً للتربية الوطنية.
٢٤ - متين أمير أوغلو: وزيراً للتربية الوطنية في ١٤٠٥/٩/١٣ هـ.
٢٥ - صفا غيراي: وزيراً للنافعة.
٢٦ - محمد آيدين: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
٢٧ - مصطفى كالاملي: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي في ١٤٠٧/٢/١٣ هـ.
٢٨ - يوزال عطاسوي: وزيراً للمواصلات.
٢٩ - إحسان باكل: وزيراً للمواصلات في ٢٣ محرم ١٤٠٨ هـ.
٣٠ - حسنو دوغان: وزيراً للغابات.
٣١ - مصطفى كالاملي: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.
٣٢ - مكرم تاشجيوغلو: وزيراً للتأمينات الاجتماعية في ١٣ صفر ١٤٠٧ هـ.
٣٣ - جاهد أرال: وزيراً للصناعة والتجارة.
٣٤ - كمال بويوكباس: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٣٥ - سعود طغرل: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية في ١٤٠٥/٤/١٣ هـ.
٣٦ - مكرم تاشجيوغلو: وزيراً للثقافة والإعلام.
٣٧ - مسعود يلماز: وزيراً للثقافة في ١٤٠٧/٢/١٣ هـ.

الماضية، وقد تمّ له هذا النجاح رغم عودة الأحزاب السابقة التي كانت قبل الانقلاب العسكري إلى الساحة ودخولها المعركة الانتخابية، وكان تحقيق هذا الفوز بسبب قانون الانتخابات الذي ذكرناه والذي يُعطي أصوات الأحزاب التي لم تحصل ١٠٪ من الأصوات إلى الحزب الذي يحصل على أعلى نسبة، وبذا فقد عاد حزب الوطن الأم الى الحكم، وعهد رئيس الجمهورية كنعان إيفيرين إلى تورغوت أوزال بتشكيل حكومةٍ جديـدةٍ[1]،

---

(١) شكل تورغوت أوزال وزارته الثانية على النحو الآتي:

١ - تورغوت أوزال: رئيساً للوزراء.
٢ - كايا إردم: نائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للدولة.
٣ - كاظم أوكساي: وزيراً للدولة.
٤ - عبد الله تنكجي: وزيراً للدولة.
٥ - يوزال عطاسوي: وزيراً للدولة.
٦ - علي بوزر: وزيراً للدولة.
٧ - يوسف أوزال: وزيراً للدولة.
٨ - عدنان قهوجي: وزيراً للدولة.
٩ - أحمد يازار: وزيراً للدولة.
١٠ - جميل جيجك: وزيراً للدولة.
١١ - نهاد كتبجي: وزيراً للدولة.
١٢ - محمود أولتان سونغورلو: وزيراً للعدل.
١٣ - أركان يورلهان: وزيراً للدفاع الوطني.
١٤ - مصطفى كالاملي: وزيراً للداخلية.
١٥ - مسعود يلماز: وزيراً للخارجية.
١٦ - كورتكب ألبتمشن: وزيراً للمالية.
١٧ - حسن جلال كوزال: وزيراً للتربية الوطنية.
١٨ - صفا غيراي: وزيراً للنافعة.
١٩ - بولاند أقاركالي: وزيراً للصحة والتعاون الاجتماعي.
٢٠ - أكرم باكديميرلي: وزيراً للمواصلات.
٢١ - حسنو دوغان: وزيراً للغابات.
٢٢ - عمران ايكوت: وزيراً للتأمينات الاجتماعية.
٢٣ - شكرو يورور: وزيراً للصناعة والتجارة.

=

فقدّم استقالة حكومته السابقة وألّف وزارة جديدة بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (٢١ كانون الأول ١٩٨٧ م).

وقد عادت تركيا للتقرب من دول العالم الإسلامي فهي إحدى دول مؤتمر العالم الإسلامي، وتحسنت علاقاتها مع أكثر الأمصار ومنها المملكة العربية السعودية التي قام رئيس الوزراء تورغوت أوزال بزيارتها، كما تطوّرت العلاقات الاقتصادية بين هاتين الدولتين وغدت اللحوم وبعض البضائع التركية تجد لها سوقاً في المملكة، إضافةً إلى الذين يذهبون إلى تركيا من أرض العرب ليقضوا الصيف في ربوعها.

جرت الانتخابات المحلية في شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م). واستطاع حزب الوطن الأم من الاحتفاظ بالتفوّق.

وخلف تورغوت أوزال في رئاسة الجمهورية كنعان إيفيرين في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م)، وكلّف يلديرم أكبولوت برئاسة الوزارة، واستمرت هذه الوزارة حتى ٥ ذي الحجة ١٤١١ هـ (١٧ حزيران ١٩٩١ م) حيث طلب من رئيسها الاستقالة، وكلّف مسعود يلماز بتشكيل وزارةٍ جديدة.

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ (٢٠ تشرين الأول ١٩٩١ م) جرت الانتخابات العامة وحصلت الأحزاب الرئيسية على النسب التالية:

حزب الطريق القويم	٢٧,٣٪ من الأصوات، ويُمثّله ١٧٨ نائباً
حزب الوطن الأم	٢٣,٩٪ من الأصوات، ويُمثّله ١١٥ نائباً
حزب الشعب الديمقراطي الاجتماعي	٢٠,٦٪ من الأصوات، ويُمثّله ٨٨ نائباً
حزب الرفاه	١٨,٠٠٪ من الأصوات، ويُمثّله ٦٢ نائباً
الحزب الديمقراطي اليساري	١٠,٢ ٪ من الأصوات، ويُمثّله ٧ نواب

= ٢٤ ـ فخر الدين كورت: وزيراً للطاقة والمصادر الطبيعية.
٢٥ ـ محمد تيناز ططز: وزيراً للثقافة والإعلام.

ومن المعلوم أن الأحزاب التي تحصل على أقل من ١٠٪ من الأصوات تفقد ما حصلت عليه، ولا تُمثّل في المجلس النيابي.

شكّل سليمان ديميريل وزارةً ائتلافيةً من حزبه (الطريق القويم)، وقد مثّل بعشرين وزيراً، ومن حزب (الشعب الديمقراطي الاجتماعي) وقد مُثّل باثني عشر وزيراً وتسلم أردال أينونو زعيم هذا الحزب نيابة رئاسة مجلس الوزراء.

مات رئيس الجمهورية تورغوت أوزال في شوال ١٤١٣ هـ (نيسان ١٩٩٣ م) إثر أزمةٍ قلبية، ونجح سليمان ديميريل في تسلّم منصب رئاسة الجمهورية في ٢٥ ذي القعدة عام ١٤١٣ هـ (١٦ أيار ١٩٩٣ م)، وتسلّمت (تانسو تشيلر)[1] رئاسة حزب الطريق القويم، وشكلت وزارةً ائتلافية من حزبها وحزب الشعب الديمقراطي الاجتماعي، في ٦ المحرم ١٤١٤ هـ (٢٥ حزيران ١٩٩٣ م).

وجرت الانتخابات البلدية في ١٥ شوال ١٤١٤ هـ (٢٧ آذار ١٩٩٤ م) وحصل حزب الرفاه على ١٨٪ من مجموع الأصوات، وفاز ببلدية إستانبول وأنقرة وعشرين بلدية أخرى.

توالت على تركيا في هذه المرحلة الجمهورية النيابية اثنتان وثلاثون حكومة من ٥ شعبان ١٣٦٩ هـ إلى آخر عام ١٤١٥ هـ.

منها:

٥ وزارات متتابعة شكّلها عدنان مندريس في عهد رئاسة محمود جلال بايار وهي مدة حكم الحزب الديمقراطي. (١٣٦٩ - ١٣٧٩ هـ).

و ٢ وزارة شكّلها جمال غورسيل أيام الانقلاب العسكري الأول الذي قام به. (١٣٧٩ - ١٣٨٠ هـ).

---

(١) تانسو تشيلر، ولدت في إستانبول عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، وحملت شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من الولايات المتحدة الأمريكية. وانتخبت عضواً في المجلس النيابي عام ١٤١١ هـ (١٩٩١ م)، وتسلّمت منصب وزيرة دولة للشؤون الاقتصادية. ثمّ شكّلت الوزارة.

و ٥ وزارات في عهد رئاسة جمال غورسيل (١٣٨٠ - ١٣٨٧ هـ).
شكّل عصمت إينونو ثلاثاً متتابعة، وسعاد خيري أوركوبلو ووزارة سليمان ديميريل المشتركة مع أيام رئاسة جودت صوناي.

و ٥ وزارات في عهد رئاسة جودت صوناي (١٣٨٧ - ١٣٩٣ هـ)
شكّل سليمان ديميريل وزارتين متتابعتين، ونهاد إيريم وزارتين أخريين، وفريد ملان آخر وزارة ولم تنته مدة حكم جودت صوناي ولكن المرض أنهاها.

محمود جلال بايار

١ - عدنان مندريس: ٥ شعبان ١٣٦٩ - ١ جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ (٢٢ أيار ١٩٥٠ - ٩ آذار ١٩٥١ م).

٢ - عدنان مندريس: ١ جمادى الآخرة ١٣٧٠ - ١٥ رمضان ١٣٧٣ هـ (٩ آذار ١٩٥١ - ١٧ أيار ١٩٥٤ م).

٣ - عدنان مندريس: ١٥ رمضان ١٣٧٣ - ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٥ هـ (١٧ أيار ١٩٥٤ - ٩ كانون الأول ١٩٥٥ م).

٤ - عدنان مندريس: ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٥ - ٣ جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ (٩ كانون الأول ١٩٥٥ - ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٧ م).

٥ - عدنان مندريس: ٣ جمادى الأولى ١٣٧٧ - ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٧ - ٢٧ أيار ١٩٦٠ م).

الحكم العسكري الأول

٦ - جمال غورسيل: ٦ ذي الحجة ١٣٧٩ - ١٨ رجب ١٣٨٠ هـ (٣١ أيار ١٩٦٠ - ٥ كانون الثاني ١٩٦١ م).

٧ - جمال غورسيل ١٨ رجب ١٣٨٠ - ١٢ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦١ - ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦١ م).

جمال غورسيل

٨ - عصمت إينونو: ١٢ جمادى الآخرة ١٣٨١ - ٢٣ محرم ١٣٨٢ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٦١ - ٢٥ حزيران ١٩٦٢ م).

٩ - عصمت إينونو: ٢٣ محرم ١٣٨٢ - ٩ شعبان ١٣٨٣ هـ (٢٥ حزيران ١٩٦٢ - ٢٥ كانون الأول ١٩٦٣ م).

١٠ - عصمت إينونو: ٩ شعبان ١٣٨٣ - ١٩ شوال ١٣٨٤ هـ (٢٥ كانون الأول ١٩٦٣ - ٢٠ شباط ١٩٦٥ م).

١١ - سعاد خيري أوركوبلو: ١٩ شوال ١٣٨٤ - ٣ رجب ١٣٨٥ هـ (٢٠ شباط ١٩٦٥ - ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٥ م).

و ٨ وزارات في عهد الرئيس فخري كورتورك (١٣٩٣ - ١٤٠٠ هـ)
شكّل محمد نعيم طالو وزارةً واحدةً، وبولاند أجاويد ثلاث وزارات متفرقة، ومثلها سليمان ديميريل، وسعدي إيرماق وزارةً واحدةً.

الرئيس	الرقم	رئيس الوزارة	المدة
جودت صوناي	١٢	سليمان ديميريل:	٣ رجب ١٣٨٥ - ٢٣ شعبان ١٣٨٩ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٦٥ - ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ م).
	١٣	سليمان ديميريل:	٢٣ شعبان ١٣٨٩ - ٢٨ ذي الحجة ١٣٨٩ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ - ٦ آذار ١٩٧٠ م).
	١٤	سليمان ديميريل:	٢٨ ذي الحجة ١٣٨٩ - ١٥ محرم ١٣٩١ هـ (٦ آذار ١٩٧٠ - ١٢ آذار ١٩٧١ م).
	١٥	نهاد إيريم:	٢٩ محرم ١٣٩١ - ٢٣ شوال ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ - ١١ كانون الأول ١٩٧١ م).
	١٦	نهاد إيريم:	٢٣ شوال ١٣٩١ - ٩ ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ (١١ كانون الأول ١٩٧١ - ٢٢ أيار ١٩٧٢ م).
	١٧	فريد ملان:	٩ ربيع الثاني ١٣٩٢ - ١٣ ربيع أول ١٣٩٣ هـ (٢٢ أيار ١٩٧٢ - ١٥ نيسان ١٩٧٣ م).
فخري كوروتورك	١٨	محمد نعيم طالو:	١٣ ربيع الأول ١٣٩٣ - ٣ محرم ١٣٩٤ هـ (١٥ نيسان ١٩٧٣ - ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٤ م).
	١٩	بولاند أجاويد:	٣ محرم ١٣٩٤ - ٣ ذي القعدة ١٣٩٤ هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٧٤ - ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ م).
	٢٠	سعدي إيرماق:	٣ ذي القعدة ١٣٩٤ - ١٩ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ (١٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ - ٣١ آذار ١٩٧٥ م).
	٢١	سليمان ديميريل:	١٩ ربيع الأول ١٣٩٥ - ٥ رجب ١٣٩٧ هـ (٣١ آذار ١٩٧٥ - ٢١ حزيران ١٩٧٧ م).
	٢٢	بولاند أجاويد:	٥ رجب ١٣٩٧ - ٥ شعبان ١٣٩٧ هـ (٢١ حزيران ١٩٧٧ - ٢١ تموز ١٩٧٧م).
	٢٣	سليمان ديميريل:	٥ شعبان ١٣٩٧ - ٢٦ محرم ١٣٩٨ هـ (٢١ تموز ١٩٧٧ - ٥ كانون الثاني ١٩٧٨ م).
	٢٤	بولاند أجاويد:	٢٦ محرم ١٣٩٨ - ٢٢ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٧٩ - ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٩ م).
	٢٥	سليمان ديميريل:	٢٢ ذي الحجة ١٣٩٩ - ٣ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٧٩ - ١٢ ايلول ١٩٨٠ م).

و ٣ وزارات أيام الرئيس كنعان ايفيرين (١٤٠٠ ـ ١٤٠٩ هـ) شكّل منها وزارةً واحدةً بولاند أولصو، ووزارتين تورغوت أوزال.

و ٣ وزارات أيام الرئيس تورغوت أوزال (١٤١٠ ـ ١٤١٣ هـ) شكل يلديرم أكبولوت وزارة، وأخرى مسعود يلماز، وثالثة سليمان ديميريل.

و ١ وزارة واحدة أيام الرئيس سليمان ديميريل شكلتها تانسو تشيلر.

الانقلاب العسكري الثاني:

الرئيس	رئيس الوزارة	المدة
كنعان إيفيرين	٢٦ ـ بولاند أولصو:	١٢ ذي القعدة ١٤٠٠ ـ ٩ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (٢١ ايلول ١٩٨٠ ـ ١٣ كانون الأول ١٩٨٣ م).
	٢٧ ـ تورغوت أوزال:	٩ ربيع أول ١٤٠٤ ـ ١ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ١٣ كانون الأول ١٩٨٣ ـ ٢١ كانون الأول ١٩٨٧ م).
	٢٨ ـ تورغوت أوزال:	١ جمادى الأولى ١٤٠٨ ـ شعبان ١٤٠٩ هـ. (٢١ كانون الأول ١٩٨٧ ـ آذار ١٩٨٩ م).
تورغوت أوزال	٢٩ ـ يلديرم أكبولوت:	ربيع الثاني ١٤١٠ ـ ٥ ذي الحجة ١٤١١ هـ. (تشرين الثاني ١٩٨٩ ـ ١٧ حزيران ١٩٩١ م).
	٣٠ ـ مسعود يلماز:	٥ ذي الحجة ١٤١١ ـ ١٥ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ. (١٧ حزيران ١٩٩١ ـ ٢٣ تشرين الأول ١٩٩١ م).
	٣١ ـ سليمان ديميريل:	١٥ ربيع الثاني ١٤١٢ ـ شوال ١٤١٣ هـ. (٢٣ تشرين الأول ١٩٩١ ـ نيسان ١٩٩٣ م).
سليمان ديميريل	٣٢ ـ تانسو تشيلر:	شوال ١٤١٣ هـ ـ . . . . (نيسان ١٩٩٣ م ـ . . . .).

الفصل الثالث

الصّراعات الداخليّة

يبلغ عدد سكان تركيا حسب تقديرات عام ١٤٠٨ هـ حوالي خمسين مليوناً، وتزيد مساحة البلاد على ٧٨٠ ألف كم٢ أي ما يزيد على مساحة بلاد الشام والعراق، وتكون الكثافة ٦٥ شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد. والزيادة كبيرة إذ تصل إلى ٢,٥٪ أي أن السكان يزيدون في كل عامٍ ما ينوف على المليون وربع، وتعود هذه الزيادة إلى ارتفاع نسبة المواليد، وهي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله.

ويُقيم أكثر السكان في الريف إذ تزيد نسبتهم فيه على ٧٠٪ بينما يُقيم في المدن ٣٠٪ فقط. ولا تهتّم الحكومات بالمشروعات الإنمائية كثيراً، أو هكذا يُطلب منها، لذا فالفقر ينتشر، ويُعاني السكان أزماتٍ، ويضطرون إلى الانتقال خارج الحدود، فنلاحظ أعداداً منهم في أوربا الغربية وخاصةً في ألمانيا الاتحادية إلا أن الضغوط أصبحت تصل إليهم، وتُطالب الحكومات من قبل رعاياها بإخراج الأجانب من بلادها على الرغم من أن الأتراك يقومون بالأعمال الشاقة والوضيعة، ويعيشون حياةً قاسيةً غير أنهم يرونها أفضل مما هي في بلادهم نتيجة التقصير في خدمة البلاد.

وفي الآونة الأخيرة أصبحت جموع تفد إلى دول الخليج وخاصةً المملكة العربية السعودية ويُؤدّي معظمهم أعمالاً يدويةً وخاصةً أن العلاقات حسنة بين البلدين، كما تطوّرت المبادلات التجارية بينهما.

هذا مع العلم أن تركيا غنية زراعياً وغنية في ثرواتها المعدنية، ومع ذلك فالصناعة لا تزال متأخرةً فيها، وتستورد الكثير مما تحتاج إليه، والنشاط الزراعي ضعيف، وهو بحاجةٍ إلى دفع عجلة التطوّر فيه، وإقامة المشروعات الكثيرة لتقدُّمه، من سدودٍ وغيرها، كما أن الفلاحين بحاجة إلى المساعدات والتوجيه.

الصراع بين المجموعات البشرية:

لا نجد صراعاً بالمعنى الصحيح بين المجموعات المتعددة التي تعيش في تركيا وذلك لأن هذه المجموعات قليلة نسبياً، وأعدادها تجعلها تعيش بهدوءٍ، إذ نجد أنه يعيش في تركيا المجموعات الآتية:

١ - الترك:

وهم المجموعة الرئيسية في البلاد، ويُشكّلون ٩٠٪ من مجموع السكان، إذ يبلغ عددهم خمسةً وأربعين مليوناً، وينتمون إلى العرق الأصفر، ويسودون في البلاد كافةً.

٢ - الأكراد:

وهم المجموعة الثانية، ويقرب عددهم من أربعة ملايين، أي أنهم يُشكّلون ٨٪ من مجموع السكان، وينتشرون في المنطقة الجبلية في جنوب شرقي البلاد، وعلى مقربةٍ من الحدود السورية، وهم فقراء لطبيعة بلادهم وإهمال أرضهم.

٣ - العرب:

ويقدّر عددهم بثلاثة أرباع المليون، فتكون نسبتهم ١,٥٪ من مجموع السكان، ويعيشون في اسكندرون، وأضنة، وشمال الأرض الشامية.

٤ ـ الشركس:

ويعيش أكثرهم في الشمال الشرقي من تركيا، ويتناثر بعضهم في مناطق مختلفة إذ جاءوا مهاجرين فارين بدينهم خوفاً من الروس، ولا يزيد عددهم على مائتي ألف.

٥ ـ اليونانيون:

وأكثرهم يُقيم في المناطق الغربية على حدود اليونان، وفي مدينة إزمير، ويُقدّر عددهم بمائة وثلاثين ألفاً.

٦ ـ الكرج:

ويُساوي عددهم عدد اليونانيين، ويعيشون في الشمال الشرقي، ويرجعون في أصولهم إلى جورجيا التي عاصمتها تفليس، والتي تخضع الآن لسيطرة الروس.

٧ ـ الأرمن:

ولا يصل عددهم إلى المائة الألف، ويُقيم أكثرهم في شرقي البلاد، وفي منطقة كيليكيا، كما تعيش جالية منهم في مدينة استانبول.

٨ ـ البلغار:

ويُقيمون في الغرب، ويُقدّر عددهم بسبعين ألفاً.

٩ ـ اليهود:

ويبلغ عددهم أربعين ألفاً، ويسكنون في مدينتي استانبول وإزمير.

ويلاحظ أن أعداد الجماعات البشرية قليلة، وهذا ما لا يسمح لها بالصراع مع المجموعة الرئيسية التي هي التركية، كما أن معظمها يعيش في

مناطق الحدود، وهي غالباً ما تكون خاضعةً للرقابة الشديدة، كما أنها متناثرة على الحدود فهي غير متداخلةٍ بعضها مع بعض ليقوم بينها صراع أو تقع خلافات عصبية، إذ أن كل مجموعةٍ تعيش متباعدةً عن الأخرى إلا إذ استثنينا الأكراد والأرمن الذين تتقارب مناطقهم بعضها من بعض، وقد تتداخل لذا فإنه يقع بين الجانبين صراع، وربما أصبح صراعاً تاريخياً متوارثاً.

وربما كان **الأكراد** وحدهم من بين الجماعات البشرية التي تعيش في تركيا، وتسمح لهم أعدادهم للصراع مع المجموعة التركية الرئيسية مع أن نسبتهم لا تزيد على ٨٪ من مجموع السكان غير أنه يساعدهم على ذلك طبيعة بلادهم الجبلية، وشدة بأسهم التي ورثوها، والتي أثّرت فيها بيئتهم أيضاً، وقربهم من الحدود، وحياة أبناء جنسهم وراء الحدود على مناطق طويلة في سوريا والعراق، إضافةً إلى ظهيرٍ وراء ذلك في إيران، وأذربيجان الخاضعة لسيطرة الروس، وكلها تعيش في مناطق جبليةٍ وعرةٍ تساعد على الاعتصام فيها، وربما عاشت أيضاً مناهضةً للحكم الذي تعيش في ظلّه، وتُعدّ من بين رعاياه.

دخل الأكراد في الإسلام بعد أن وصلت الفتوحات الإسلامية إلى بلادهم واجتازتها، وعاش الأكراد في ظلّ الدولة الإسلامية يشعرون أنهم جزء منها، وشعب من شعوبها، وأن عليهم واجب الجهاد فانخرطوا في صفوف المجاهدين، وواجب السمع والطاعة، وواجب النصح، وقد قاموا بما عليهم، وربما قامت بعض الحركات أو الأحداث الفردية إذ لم تكن لتعمّ الأكراد جميعها شأنها في ذلك شأن أي شعبٍ من الشعوب، إذ ما منها إلا وحدثت فيه مخالفات أو قام بعض أبنائه بحركات سواء أكانوا على حقٍ دعوا له أم ادّعوه أم على باطلٍ تزيلوا به، كما أن ليس من إقليم الا وقامت فيه أحداث تُنغّص على ساكنيه معيشتهم. واستمرّ شأن الأكراد كذلك حتى الحرب العالمية الأولى.

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وقامت حركات تدعو إلى العصبية القومية والأكراد ينظرون، وإثر تلك الحرب أُلغيت الخلافة، وكانت قد قُسّمت دولتها، ونشأت مكانها دول حديثة على أساس العصبية القومية، لقد قامت إيران تدعو إلى العصبية الفارسية، وبرزت العراق، وقُسّمت الشام إلى دولٍ، وتأخذ كلها بفكرة العصبية للقومية العربية وتقوقعت تركيا على نفسها تأخذ الفكرة الطورانية وتتبنّاها وتدعو لها، حتى الروس الذين تمكّنوا من السيطرة على بلاد القفقاس وما وراءها قد أقاموا فيها جمهورياتٍ شيوعية على أساسٍ قوميٍ - حسب زعمهم - ومنها جمهوريتا أذربيجان وأرمينيا على تخوم مواطن الأكراد. وزعم الروس عارٍ عن الصحة إذ نلاحظ أن الشركس جعلوهم في ست جمهورياتٍ ومقاطعاتٍ ذات استقلالٍ ذاتيٍ وترتبط كلها بموسكو مباشرةً باستثناء جمهورية أوستينا الجنوبية، وأبخازيا اللتين ترتبطان بجمهورية جورجيا الاتحادية النصرانية، وتقسيم الشعب الواحد إلى هذه المجموعات المتعددة إنما جاء هكذا لأنه مسلم، وكانت كل جمهوريةٍ ذات رقعةٍ صغيرةٍ محدودةٍ، وعددٍ من السكان قليلٍ، وما ذلك إلا لتفتيت هذا الشعب الذي كان مُتمسّكاً بعقيدته، مُدافعاً عنها، ويملك قسطاً كبيراً من الشجاعة وفنّ القتال، والتضحية.

وجد الأكراد أنفسهم بعد الحرب العالمية الأولى إذن في وضعٍ غريبٍ فكل من حولهم قام على أساس العصبية القومية إلاّ هم فقد جُزّئت مواطنهم بين عددٍ من الدول ايران - العراق - سوريا - تركيا - أذربيجان، فعاشوا كأقلياتٍ بين عدّة شعوبٍ، وهذا ما جعلهم يقومون بحركاتٍ في كل دولةٍ يعيشون فيها وتسمح لهم بذلك أعدادهم وهذا ما كان في تركيا، والعراق، وإيران، كما نمى ذلك عندهم دعوة العصبية القومية بل إن أكثرهم قد اتخذها شعاراً له، ولم يكن للمسلمين بينهم إمكانية مُقاومة تلك الدعوة للجهل المنتشر، ولما تمّ من التقسيم لهم على حين تجمّع غيرهم، وللضغط والملاحقة المستمرة بسبب عدم الخضوع والاستسلام

المطلق لمن وُضعوا بينهم وخاصةً أنهم لم يقوموا على أساسٍ إسلامي يُسكتهم، وحتى ليس على أساس المساواة لتُخَفّف شيئاً من غلوائهم وتمردهم. ولعله تبدو هنا أخطار العصبية القومية المُفرّقة للأمة المُجزّئة لأبناء الدولة ومن هنا كانت حركات الأكراد في تركيا، هذا إضافةً إلى صراعهم مع جيرانهم الأرمن الذين يختلفون معهم بالعقيدة كما يختلفون معهم بالجنس.

وأصبح الأكراد نتيجة خلافاتهم مع دولهم ورقةً رابحةً بيد الدول الكبرى تضغط بهم على تلك الدول حين تريد، وتُمنّيهم بأماني ليكونوا إلى جانبها تُنفّذ عن طريقهم بعض ما تهدف إليه. فالروس يُلوّحون لهم بتجميعهم ضمن جمهوريةٍ سوفيتيةٍ واحدةٍ، وقد وافق بعضهم على هذا العرض، وبدأ يعمل له مُتذرّعاً بأن المرّ الذي يتجرّعه الأكراد هو الذي دفعه للالتجاء إلى الارتماء في هذا الوحل.

والأمريكيون يدّعون أنهم يعملون إلى لمّ شتاتهم في دولةٍ واحدةٍ تقف في وجه الأطماع الروسية، بشرط البعد عن الإسلام وعالميته، وعن الشيوعية وتهديمها، وإلحادها، ووافق فريق من الأكراد على العمل ضمن هذا المخطط ما دام يحفظ للأكراد عصبيتهم، ويُؤمّن رغبتهم بالتجمع في إطارٍ واحدٍ، وهذا يضمن لهم كرامتهم، ويدفعهم للعطاء والإنتاج - حسب تقدير هذا الفريق وزعمه -

والواقع أن كلا الفريقين كاذب في عرضه إذ لا يرغب في جمع الأكراد في دولةٍ واحدةٍ حيث يخشى بأسهم، ويخاف من مناطقهم الوعرة التي تُعدّ حصوناً طبيعية تحميهم من مداهمة العدو، وتقيهم شرّه، ويفضل بالواقع كلا الفريقين أن يبقى الأكراد مُشتّتين يتلاعب بهم ضدّ حكوماتهم فالامريكيون لتنفيذ مخططاتهم، والروس لنشر إلحادهم وشيوعيتهم، وهكذا تبقى مشكلة الأكراد قائمةً، وبين المدة والأخرى يتحرّك الأكراد في شرقي تركيا يدعون إلى استقلالهم الذاتي أو إلى تحسين أوضاعهم المتردية.

ويجب ألا ننسى دور انكلترا التي تخاف على نفط المنطقة فيما إذا تجمّع الأكراد، وقامت لهم دولة، لذا تُفضّل بقاءهم متفرّقين، وتنعم هي بخيرات المنطقة وتُدلي بدلوها بالضغط أحياناً على حكومات المنطقة لتنفيذ سياستها وذلك عن طريق الأعوان لها الذين تمكّنت بالاتصال بهم من الأكراد.

وما أظنّ دولة كبرى إلا ولها يد في الموضوع وإن دورها أقلّ من أدوار الذين تكلمنا عنهم، لذا يبقى بروزهم في سياسة المنطقة ضعيفاً.

وأخيراً فإن مما يُساعد الأكراد على القيام بحركاتٍ أنهم على عقيدةٍ واحدةٍ فجميعهم من المسلمين ولا يشذّ عنهم سوى قلّةٍ قليلة جداً من أتباع عبدة الشيطان (اليزديين).

أما **العرب** وهم المجموعة الثالثة فإن عددهم قليل، وقد لاحظنا أن نسبتهم لا تزيد على ١,٥٪ من مجموع السكان، وهم مُوزّعون في مناطق واسعةٍ على طول الحدود، ويُقدّر ذلك الطول بحوالي ألف كيلو متر إضافةً إلى الدخول في عمق البلاد حتى دياربكر، وماردين، وفي مدن (كلس) و(عينتاب)، وفي مناطق كيليكيا واسكندرون، ويُضاف إلى هذا التوزّع والتبعثّر أنهم ليسوا على عقيدةٍ واحدةٍ إذ أن بعضهم من المسلمين، وبعضهم الآخر من فرقة النصيرية التي يعيش أفرادها في اسكندرون وكيليكيا. ويجب أن نعلم أن أوضاع العرب في الدول المجاورة لتركيا ليس بأفضل حالاً من وضع العرب في تركيا بل أكثر سوءاً فما الذي يدفعهم للحركة أهو العمل من أجل الانتقال إلى مناطق لا يجدون فيها عملاً ولا يعرفون الحرية ولا يذوقون طعم الحياة أم للانضمام إلى بلد يكتوون فيها بنار الظلم وينالون مرّ العذاب؟ كما أن البلد العربي الذي يجاورهم لا يتصل بهم ولا يهتّم بل لا يسعى لمساعدتهم فيما اذا نزل بهم بأس كما تفعل الدول التي تحترم نفسها بالنسبة إلى أقلياتها التي تعيش خارج حدودها. ثم إن تركيا التي قامت على أساسٍ قوميٍ، وعملت على محاربة الإسلام في بلادها، وأدارت ظهرها للعرب كلياً، كما أداروا هم ظهورهم أيضاً عندما تبنّوا

فكرة العصبية القومية لذا فإن الحكم يُراقبهم ويرصد حركاتهم، وخاصةً أنهم يعيشون في مناطق الحدود المعرّضة عادةً للمراقبة.

أما **الشركس** فقد رحل الفوج الأول منهم عن بلادهم بعد هزيمة الشيخ محمد شامل أمام الروس ووقوعه أسيراً بأيديهم عام ١٢٨١ هـ حيث انطلقت مجموعات منهم، ومن الشاشان، والداغستان نحو الدولة العثمانية، فأقاموا في بلادهم، وقد وضعت الدولة جزءاً منهم في جبهة القتال في أوربا لما عُرف عنهم من شجاعةٍ، وقد أبدوا هناك الكثير من فنون البطولة حتى كان مؤتمر برلين في رجب ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) بعد هزيمة الدولة أمام الروس، واشترطت الدول النصرانية على العثمانيين نقل الشركس من جبهة القتال، وكان هذا أحد بنود المؤتمر، فاضطرت الدولة على الموافقة، ونقلتهم من أوربا حيث وزّعتهم في أراضي الدولة العثمانية فمنهم من أقام في العراق، ومنهم من سكن الشام، وقد وضعوا على أطراف البادية لردّ غارات البدو عن المراكز الحضارية، ومنهم من عاش في الأراضي التركية مُتفرّقين في المدن المختلفة. ثم جاءت موجات أخرى نتيجة الضغط الروسي، وكان أشهرها هجرة عام ١٢٩٦ هـ. ثم ما كان بعد الحرب العالمية الأولى، وقيام الثورة الشيوعية، وخضوع بلاد الشركس للروس البيض ثم انتصار الشيوعيين ودخول بلاد الشركس حيث فرّ عدد آخر منهم، وأكثر من رحل في هذه الموجات الأخيرة أقام في شمال شرقي البلاد.

ويجب أن ننتبه إلى أن كلمة «شركس» تشمل الشركس وغيرهم من الشاشان، والداغستان، وحتى الآجار، إذ أصبح هذا هو المتعارف عليه، وإن لم يكن هو الحقيقة إذ أن كل مجموعةٍ تشكل شعباً وحده.

عاش الشركس في بداية أمرهم في البلدان التي هاجروا إليها، ولم يشعروا بفارقٍ كبيرٍ إذ انتقلوا إلى ديار إخوانهم، وتقوم الدولة على أساس الإسلام وهم من أتباعه، فهم جزء من الدولة، غير أنهم قد أحسّوا

بالاختلاف عندما حلّت العصبية القومية محلّ الفكرة الإسلامية، فشعروا أنهم غرباء، فأخذت تنمو عندهم العصبية القومية، ولكن لم يكن لهذه العصبية أي أثرٍ ما دام أتباعها قلّةً إذ ذكرنا أن عددهم لا يزيد على المائتي ألف، إلّا أن السير في تيار العصبية القومية معناه الابتعاد عن الاسلام، وهم الذين خرجوا في سبيل التمسّك به والدفاع عنه. ثمّ حدث أمر أشدّ خطورةً وهو الوقوع في براثن الشيوعية ذلك أنه عندما انحرفوا عن طريق الإسلام وساروا في طريق العصبية القومية سهل عليهم التحرّك في أي فلكٍ من أفلاك الضلال، حيث بدأ الروس يتصلون بهم، وينشرون في أوساطهم الدعايات، ويُذكّرونهم ببلادهم ومغانيها، وأهليهم، ومواطنهم فحنّت قلوب بعضهم وتأثّروا بالدعاية الشيوعية فجروا في تيارها، وغدوا ضمن الصراع بين الحكم والأفكار الاشتراكية.

وأما **اليونانيون** فإنه رغم قلّتهم يُعدّون ذا أثرٍ حيث يعيشون في المناطق القريبة من بلاد اليونان، على الحدود تقريباً، وفي جزر بحر ايجه التركية، وفي مدينة إزمير، وهم يلقون الدعم والمساعدات من دولة اليونان، ولما كانت هناك نقاط خلافٍ بين دولتي تركيا واليونان، في تراقيا، في الجزر الإيجية، في قبرص فإن اليونان تتخذ من المساعدات التي تُقدّمها لهم مجالاً للاتصال بهم واستغلالهم ليكونوا عيوناً لها، وهم كذلك فكل ما يجري في تركيا ويهمّ اليونان تصل أنباؤه مباشرةً إلى أثينا. ويشعر الأتراك بهذا ويُعانون منه الكثير. ومعظم اليونانيين يتبعون عقيدةً واحدةً هي النصرانية الأرثوذكسية، ويلتقون مع دولة اليونان بهذه العقيدة فيرتبطون معها لهذا، ولما كانت الدولة التركية تُنادي بالعلمانية فإنه يصعب عليها الوقوف ضدّ اليونانيين الذين من عقيدةٍ تُخالف عقيدتها إذ تخشى أن تُتهم بالتعصّب الديني ومُعاداة أصحاب الديانات الأخرى لذا تعمل دائماً على إرضائهم ومداراتهم، وتتودّد إليهم وهم لا يُبالون اتُّهموا بالتعصّب أم لم يُتَّهموا، وُصفوا بالعمالة للأعداء أم لم يُوصفوا ما دامت العقيدة تجمع

بينهم وبين دولة اليونان.

وأما **الكرج** فغالبيتهم من النصارى، وهم يميلون إلى جورجيا إحدى جمهوريات الإمبراطورية الروسية، فالشيوعية تنتشر بين أفرادهم عصبيةً لأبناء جنسهم سواء أكانوا مُقتنعين بالنظام الشيوعي أم غير مُقتنعين، ويحرص الروس أن يُلّوحوا بالدعوة للانضمام إلى جورجيا التي ستضمّ في دولتها الكرج جميعاً، ويخضعون غالباً لرقابة الحكم التركي خوفاً من القيام بأعمال التخريب التي يقوم بها عادةً الشيوعيون، وإن وجد أفراد مسلمون بين الكرج وهم قلّة فالمشكلة أنهم جهلة بمبادىء دينهم كما أنهم جهلة بالشيوعية لذا يمكن - مع الأسف - جذبهم إلى الشيوعية من باب العصبية القومية، وربما يدفعهم إلى هذا أيضاً عدم تطبيق الإسلام في تركيا، والدعوة القومية، والتعصّب لها، فلم يجد هؤلاء الكرج مجالاً للتنظيم أو التحرّك إلا ضمن أبناء جنسهم ومن هنا يكون الانزلاق.

وأما **الأرمن** فهم أشدّ المجموعات تعصّباً لجنسهم، لذا كانوا أكثر انغلاقاً أو تقوقعاً على أنفسهم، ويُحافظون على لغتهم، والذين يُقيمون منهم في شرقي البلاد يعملون على بقاء صلتهم مع إخوانهم في جمهورية إرمينيا التي تخضع للسيطرة الروسية، والتي تقع وراء الحدود التركية مباشرةً، وإن كانت الشيوعية بينهم قليلة الانتشار إلا أن العصبية القومية هي التي تجعل نفوسهم تهفو إلى سكان تلك الجمهورية الشيوعية، ويتأثّرون من باب التضامن، أو يقعون تحت تأثير الدعاية الشيوعية بسبب الارتباط بالعصبية. والذين يعيشون في منطقة كيليكيا يحلمون بإقامة دولةٍ أرمنيةٍ أو إحياء الدولة التي سبق لها أن قامت في تلك الجهات بل يُطلقون على المنطقة اسم «أرمينيا الصغرى» هذا رغم قلّة عددهم، غير أنهم يعتمدون على وجود النصيرية هناك والذين لا وزن لهم، وهذا ما يجعل مقاومة فكرة الدولة الأرمنية ضعيفةً، بل ربما وافق النصيريون الأرمن في إقامة دولتهم حيث يصبحون فيها ذا عددٍ يُحسب له حساب، ولكن لم يكن لهم شأن في

الماضي ليُقدّموا دعماً، أو يعتمد عليهم في المساعدة. والأرمن الذين يعيشون في استانبول يتقوقعون على أنفسهم ويدعمون كأقليةٍ إقامة دولةٍ أرمنيةٍ في منطقة كيليكيا، وإقامة أخرى في شرقي تركيا أو انضمام الأرمن إلى جمهورية أرمينيا الشيوعية أو على الأقلّ هم ضدّ الأتراك في كل حينٍ، وعلى استعداد للعمل مع كل ناعقٍ ضدّ الأتراك سواء أكانوا مدفوعين من الشيوعيين أم من الرأسماليين، والأرمن بينهم من يتبع كلا النظامين ارتباطاً، وبحرارةٍ واحدةٍ.

وأما **البلغار** فهم قلّة أيضاً ويعيشون في الجزء التركي الأوربي على مقربةٍ من حدود بلغاريا، ومعظمهم ضدّ الأتراك، وذلك لأن أكثريتهم من أتباع الديانة النصرانية ثم للخلاف القائم بين تركيا وبلغاريا عقيدةً، ونظاماً، وسياسةً إضافةً إلى ظلم حكام بلغاريا الشيوعيين الدائم للمسلمين فيها ومُحاولة إذابتهم ضمن المجتمع النصراني الأرثوذكسي الشيوعي البلغاري، والعمل المستمر لطرد الأتراك من بلغاريا إذ يعدّونهم من بقايا الحكم العثماني ورمزاً لذلك الحكم على بلغاريا إضافةً إلى الحقد الصليبي الممزوج بالإلحاد ضد الإسلام.

وأما **اليهود** فهم مجموعة عقيدية رغم ادّعاءاتهم أنهم مجموعة تعود لأصلٍ واحدٍ هو إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق، عليهما السلام، وهو ادّعاء كاذب لا صحة له أبداً إذ اعتنق اليهودية عدد من الشعوب كان من أبرزهم الخزر، لذا نعّد صراعهم مع الصراعات العقيدية في تركيا، ونهمل وضعهم ضمن المجموعات البشرية.

الصراع بين العقائد:

إذا كانت الأقلّيات من حيث المجموعات البشرية لا تشكل سوى ١٠٪ من مجموع السكان فإن الأقلّيات العقيدية تقلّ عن ذلك كثيراً، ولا تزيد على ١٪ من مجموع السكان، أي أن نسبة المسلمين تُعادل ٩٩٪

وذلك لأن الأتراك كلهم من المسلمين والأقلّيات من أكرادٍ، وعربٍ، وشركسٍ وهي المجموعات الرئيسية وغالبيتها من المسلمين إن لم نقل جميعها، أما الأقلّيات المحدودة وهي اليونـانيـون، والكـرج، والأرمـن، والبلغار فغالبيتهم من أتباع الديانة النصرانية الأرثوذكسية، وجميعهم دون نصف مليون، وهؤلاء مع الأسف لا يُقيمون أي وزنٍ للدولة التي يعيشون في ظلّها، رعايا لها، ويُعادون دائماً الحكم فيها، ويتصلّون بالدول الأوربية والولايات المتحدة ويعدّون أنفسهم أتباعاً لها. ولم يستطع المسلمون - مع الأسف أيضاً - أن يحتووهم ويكسبوهم إلى صفّ الإسلام رغم المدة الطويلة التي عاشوا فيها بينهم، وربما كان يعود ذلك إلى الحروب المستمرة بين الدولة العثمانية وأتباع الديانة النصرانية التي تنتمي إليها هذه الأقلّيـات فقد كانوا هم دائماً بجانب أبناء عقيدتهم غير أنهم لم يستطيعوا فعل شيءٍ يومذاك لأن النظام العثماني الذي يستمّد تشريعاته من الإسلام لم يكن ليسمح لأهل الكتاب أو لغيرهم من الانخراط في صفوف جيش الدولة. ثم جاءت مرحلة ضعف العثمانيين وقوة الدول النصرانية فحصل أتباع ديانات الدول الأوربية النصرانية على امتيازاتٍ واسعةٍ تفوق ما يحصل عليه المسلمون فكان هذا مشجّعاً لبقائهم على عقيدتهم رغم فسادها مُعتمدين على دعم تلك الدول النصرانية لهم، وعلى تلك الامتيازات التي تعطيهم فوائد جمة.

ثم جاءت دولة تركيا الحديثة تتبنّى القومية، وتعمل على الانسلاخ من الإسلام، فما كان لهؤلاء أن يُؤمنوا وأهل الإسلام يعملون على تركه تحت تأثير الدعوة الى العصبية، والتوجّه نحو الحضارة المادية التي فُتن بها الناس، وتشجيع الدول النصرانية وكنائسها المستمر على السير في ركاب العلمانية للمسلمين ليتخلّوا عن دينهم على حين تدعو أتباعها للتمسّك بعقيدتهم هذا إضافةً إلى الشائعات التي تروّجها بين المسلمين أن أوربا لم تتقدّم علمياً وتتطوّر مادياً إلا عندما تخلّت عن دينها، وقد قبل هذه الفكرة بعض

ضعفاء المسلمين، واقتنعوا بها، وعملوا لها فأيّدتهم الدول الأوربية التي غدت صاحبة النفوذ، ودعمهم نصارى البلاد، ومنهم مصطفى كمال و... هذا إضافةً إلى ما يصاب به كثير من المسلمين من هزيمة نفسية، وملاحقة المسلمين الملتزمين، ونشر الشائعات ضدهم.

فالنصارى ضدّ أي عملٍ لمصلحة البلاد، ومع كل عدوٍّ لها، ويعملون في التخطيط لهذا، وينتمون إلى مختلف الأحزاب غير الإسلامية طبعاً، ويعملون من داخلها لبقاء أفكار مصطفى كمال المعادية للإسلام ومنها العلمانية، والقومية، وتقليد الأعداء والسير على نهجهم.

أما **اليهود** فدورهم الاقتصادي كبير، وإمكاناتهم التخطيطية ضخمة، وقدرتهم على بذر الفتن عظيمة، وهم يُعادون الإسلام خاصةً، والأديان الأخرى عامةً ويُسخّرون طاقاتهم كافةً لضرب الإسلام وأهله، ويستخدمون أصحاب الديانات الثانية في سبيل الحصول على هذا الهدف، وقد دعموا النصارى ومشوا وراءهم لهدم الخلافة وتمكّنوا، وأخذوا وعداً منهم بتقديم جزءٍ من جنوبي الشام (فلسطين) لهم بعد انتصار الحلفاء، وتقطيع أوصال الدولة الخلافة، وتقسيم أجزائها فيما بينهم، وقد حدث هذا، ثم دعم تركيا لليهود في فلسطين والاعتراف بدولتهم، وقد تمّ ذلك، ثم التعاون بين الدولتين، وهم يعملون على إبقاء أفكار مصطفى كمال المعادية للإسلام، ومنها العلمانية، والقومية، وتقليد أعداء الإسلام والسير على نهجهم.

واليهود دورهم المالي في استانبول وازمير واضح، ويعملون على تسخير الناس لتنفيذ مخططاتهم ويتخذون الوسائل كلها في سبيل هذه الغاية وأبرزها المال والجنس ثم الوسائل التي تسير عن هذه الطريق مثل وسائل الإعلام كلها، والسلطة والعمل على ظهور الرجال.

الصراعات الحزبية:

يمكن أن نُقسّم الصراعات الحزبية في تركيا إلى ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: منذ إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ حتى ٥ شعبان ١٣٦٩ هـ، أي ما يزيد على سبعةٍ وعشرين عاماً.

المرحلة الثانية: وتمتد من ٥ شعبان ١٣٦٩ هـ حتى الانقلاب العسكري الأول في ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ، أي ما يزيد على عشر سنوات.

المرحلة الثالثة: وتمتدّ من ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ إلى يومنا هذا..

المرحلة الأولى: أُلغيت السلطنة، وأُعلنت الجمهورية في ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٢٣م)، ثم أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، ولم يكن في البلاد سوى حزبٍ واحدٍ هو حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه مصطفى كمال، وعندما عمل رؤوف أورباي، وعلي فؤاد، وجعفر الطيار، وجمال المرسيني، ورفعت باشا، وكاظم باشا على تشكيل الحزب الجمهوري الديمقراطي، تخلّص منهم مصطفى كمال بطريقةٍ من الطرق، كما تخلّص من الحزب بحلّ المجلس، وتعيين مجلسٍ جديدٍ استبعد منه مؤيديهم كافةً أو من كل من لم يكن مؤيداً له مائة بالمائة.

ولما أسّس عبد القادر كمالي حزب الأهالي وُجّهت عليه السهام فزال الحزب ومؤسسه.

كما زالت بقايا جماعة الاتحاد والترقي عندما فكّر بعضهم بإحياء حزبهم من جديدٍ مثل جاويد، وشكري، ورشدي، وعابدين.

إذن لم تكن هناك مُعارضة، ولم تكن صراعات حزبية في هذه المرحلة،

ولذا فكّر مصطفى كمال بإيجاد معارضةٍ فأوعز إلى رفيقه علي فتحي أوقيار بتشكيل «الحزب الحرّ»، وما أن نشأ هذا الحزب حتى لقي نجاحاً مُخالفةً لرئيس الجمهورية زعيم حزب الشعب الجمهوري، وارتفعت أسهم علي فتحي أوقيار فخاف مصطفى كمال مغبة الأمر فقضى على الحزب، ورجع عن فكرة المعارضة، وأصرّ على فكرة الحزب الواحد واكتفى بذلك.

إذن لم يجد حزب الشعب الجمهوري أمامه حزباً يُنافسه، ويقف في صف المعارضة، ويقع الصراع بين الحزبين، وإنما كان الصراع كله منصباً على الإسلام والمسلمين والعادات الأصلية التي تنبع من العقيدة، بل وكل ما يمتّ إليها بصلةٍ من لغةٍ وتاريخٍ وتقاليد فنراه يُلغي الخلافة، ويُجزّىء دولتها، ويقطع أواصر الصلة، ويُنهي الكتابة التركية بالحرف العربي، ويجعل العطلة يوم الأحد مقلداً بذلك النصارى، وأبطل عطلة يوم الجمعة يوم عبادة المسلمين، وفرض لبس القبعة، وأبطل مجلة الأحكام الشرعية، وطبق القانون السويسري، وسخر من العلماء و. . . وهذه اهتمامات رئيس الحزب وخلفائه في مدة تزيد على سبعٍ وعشرين سنةً.

وجاءت **المرحلة الثانية** حيث تأسّس الحزب الديمقراطي في نهاية المرحلة الأولى ولقي تأييداً شعبياً كبيراً كرهاً بحزب الشعب الجمهوري، ومؤسسه، وسياسته، وقفز فجأةً إلى الصدارة وتسلّم السلطة، وبدأ الصراع بين الحزبين على أشدّه، واتخذ الحزب الحاكم السلطة وسيلةً فألغى الحزب المعارض، واعتقل زعماءه، وصادر أملاكه، ولكنه لم يلبث أن ظهر من جديدٍ باسمٍ جديدٍ هو الحزب القومي الجمهوري، كما ظهر حزب الحرية، وحزب الفلاحين الجمهوري واندمج الأحزاب الثلاثة في جبهةٍ واحدةٍ للمعارضة، واشتدّ الصراع بين الفريقين، وأخرجت المعارضة المظاهرات ضدّ السلطة فقمعتها الحكومة بعنفٍ واتخذت ضدها الإجراءات التعسّفية مما جعل الحزب الديمقراطي الذي بيده زمام الأمر يخسر كثيراً، ويفقد من شعبيته، وخاصةً أنه والمعارضة ينبعان من أصلٍ واحدٍ، ولم يحصل على

التأييد إلا لكره الناس بحزب الشعب الجمهوري ومؤسسه مصطفى كمال، غير أنه سار على الدرب نفسه لذا استحق الكراهية نفسها التي استحقها الأول.

لجأت السلطة كما يلجأ غيرها عادةً عندما يرى نفسه ضعيفاً ولم يستطع الصمود في وجه المعارضة إلى الادّعاء بوجود مؤامرةٍ بين الضباط، لتغيير نظام الحكم فادّعت السلطة ذلك، وقامت بالضغط، واعتقلت الناس، وأعدمت بعض الذين ادّعت أنهم يُخطّطون لاستلام السلطة، غير أن هذا لم يفدها شيئاً إلا التأخير اليسير لترك المسؤولية.

لجأت الحكومة إلى أسلوبٍ آخر للوقوف في وجه المعارضة وهو استجداء تأييد المسلمين رغم أنها والمعارضة سواء في العلمانية والوقوف في وجه الإسلام غير أن ضعفها أمام المعارضة قد ألزمها هذا، وأقدمت على افتتاح بعض المشروعات الإسلامية فحصلت فعلاً على بعض ما ترمي إليه، ولكنها لم تدر أنها قد حفرت قبرها لنفسها إذ خشيت الدوائر الغربية التي تدعمها من هذا التوجّه البسيط نحو الإسلام من أن يكون مقدمةً لإعادة تركيا إلى الخط الإسلامي لذا أسرعت تلك الدوائر وقضت على الحكومة بانقلابٍ عسكريٍ بقيادة رئيس الأركان جمال غورسيل في ٢ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ، وانتهت بذلك هذه المرحلة التي دامت ما يزيد على عشر سنوات وكانت صراعاً بين حزب الشعب الجمهوري أو بين رجاله عندما اضطروا إلى تغيير اسم حزبهم الأول عندما ألغته الحكومة وبين الحزب الديمقراطي مُتمثّلاً بالسلطة، وبالواقع فإن هذه المرحلة كانت صراعاً بين نفوذين: النفوذ الإنكليزي الذي يُريد أن يتشبّث بمواقعه والنفوذ الأمريكي الذي يُريد أن يحلّ محله وكلاهما ضمن إطارٍ عامٍ هو حلف شمالي الأطلسي حيث يحرص كلا النفوذين أن تبقى تركيا تجري في فلكه.

وجاء الحكم العسكري كمرحلةٍ انتقاليةٍ لم تدم طويلاً إذ لم تزد مدتها كثيراً على السنة، توطّد خلالها النفوذ الأمريكي بشكلٍ قويٍ، وتبدّلت

المراكز القيادية في حزب الشعب الجمهوري مع بقاء عنوانه في شخصية رئيسه عصمت إينونو الذي اضطر إلى مسايرة الوضع الراهن للاحتفاظ بمركزه، وإذا كان العسكريون قد أنهوا الحزب الديمقراطي مع أن النفوذ الجديد قد أسّس دعائمه عليه إلا أنه قد تخلّى عنه، فما هو إلا بضاعة استهلكت وليس من مصلحةٍ في إبقائها بل من الضرورة إلقاؤها فقُذف بجثث قادته، وزال الحزب من الوجود للتعمية وتغطية اللعبة الدولية عن أنظار المراقبين والمتفرجين إلا أنه قد نشأ مكانه حزب العدالة يحمل العنوان نفسه والسياسة ذاتها، وما دامت قد توطّدت دعائم النفوذ الأمريكي فلا مانع من إعادة الحياة النيابية والصراع الحزبي من جديدٍ فهو رمز النظام الرأسمالي، وتكون قد بدأت مرحلة جديدة من الصراعات الحزبية.

بدأت المرحلة الثالثة بظهور قوة حزب الشعب الجمهوري من جديدٍ، وقد تصدّر بأعداد نوابه مقاعد المجلس النيابي، وتلاه حزب العدالة الذي تأسّس حديثاً على أنقاض الحزب الديمقراطي، ولم يعد هناك من تنافرٍ بين الحزبين حيث سارا في مسارٍ واحدٍ، وتسلّما السلطة معاً في حكومةٍ ائتلافيةٍ برئاسة زعيم حزب الشعب الجمهوري عصمت إينونو بلونه الجديد وثوبه الحديث، واستمّر التعاون بين الحزبين في حكومتين، غير أن الانتخابات التكميلية أعطت الفوز لحزب العدالة فتغيّرت النفسيات، وصعب التفاهم بين الحزبين فشكّل عصمت إينونو وزارة أقليةٍ من حزبه.

وفي الانتخابات النيابية العامة فاز حزب العدالة، وبدأ الصراع على السلطة بين الحزبين الكبيرين، غير أن حزب العدالة حظي بتشكيل حكومتين لتفوّقه في أعداد نواب حزبه غير أن الجيش قد كره الحرية الزائدة التي ادّعى حزب العدالة أنه قد منحها للمواطنين، والتي أدّت إلى تحرّكاتٍ سياسيةٍ مُضادةٍ فأُقيل سليمان ديميريل من الحكم عن طريق الجيش، غير أن قوة حزبه قد حفظت له مركزه، ولم يكن لبقية الأحزاب أو لرئيس الجمهورية أن يتجاهل هذا الحزب فتشكّلت حكومة ائتلافية ضمّت حزب

العدالة، والشعب الجمهوري، والديمقراطي برئاسة رجلٍ مستقلٍ هو نهاد إيريم، وأراد حزب العدالة أن يُبيّن للشعب مكانته فانسحب من الحكم فسقطت الوزارة، واضطرّ نهاد إيريم إلى إعادة تشكيل الوزارة دون دخول حزب العدالة فيها.

وضعف حزب الشعب الجمهوري بالانشقاق الذي حدث فيه إذ انشقّ تورهان فيضي أوغلو عنه، وألّف حزب الثقة الجمهوري، وانضم إليه فريد ملان الذي تسلّم منصب رئاسة الوزراء، أما حزب العدالة خصمه فقد شعر بقوته، وأراد منافسة الجيش في رئاسة الجمهورية غير أنه قد فشل ونجح فخري ثابت كورتورك مرشح الجيش.

كانت المنافسة سياسيةً والصراع حزبياً دون خلافٍ فكري فالجميع تجمعهم العلمانية، ويدّعون أنهم يسيرون على نهج مصطفى كمال، والجيش حامي هذا الخط وحائل دون الحيدان عنه، غير أنه في هذه الأثناء وجد حزب السلامة الوطني الذي يدعو إلى نهجٍ إسلاميٍ فأصبح هو المنافس الفكري للأحزاب الأخرى التي وقفت في وجهه وعملت على القضاء عليه، ولكنها في الوقت نفسه لم تستطع التخلّي عن الصراع على السلطة فيما بينها فكانت تضطر للتعاون معه في سبيل الحصول على الثقة النيابية للحكومة التي يُشكّلها أحد الحزبين الكبيرين إذ كان حزب السلامة الوطني الحزب الثالث من حيث عدد المقاعد النيابية. لقد اشترك مع حزب الشعب الجمهوري في حكومة ائتلافيةٍ رأسها بولاند أجاويد زعيم حزب الشعب، وفي عهد هذه الوزارة حدث الإنزال التركي في قبرص فكان تأييد الشارع لها كبيراً، وحصل حزب السلامة الوطني وزعيمه نجم الدين أربكان على تأييدٍ شعبيٍ كبيرٍ نتيجة ذلك الإنزال وعلى دعايةٍ واسعةٍ لأنه كان المحرّك الأساسي لدعم المسلمين في قبرص، وقد نافسه على ذلك شريكه في الحكم، حتى حدث صراع بين الطرفين وكل يدّعي أنه هو السبب في ذلك العمل المشرّف، وأن لاحظ الشارع أن نجم الدين أربكان هو صاحب الفضل بعد

الله في تلك العملية. وانفصمت عرا الائتلاف الوزاري بعمليةٍ مقصودةٍ من زعيم حزب الشعب الجمهوري، تخلّصاً من شريكه ومُنافسه.

كما اشترك حزب العدالة مع حزب السلامة الوطني في حكومةٍ ائتلافيةٍ وإن كان نجم الدين أربكان أضعف مما كان عليه في حكومة بولاند أجاويد حيث لم يحصل في الانتخابات على ما حصل عليه من قبل، وإن كان قد بذل جهداً في الحكم مرةً ثانيةً بدا في الجانب الاقتصادي. وكرّر الحزبان الائتلاف في حكومةٍ ثانيةٍ.

وانشق الحزب الديمقراطي على نفسه ففريق قليل من انضمّ إلى حزب السلامة الوطني وهو الذي عند أفراده عاطفة دينية، وأكثره انضمّ إلى حزب الشعب الجمهوري، وبذا خرج هذا الحزب من الميدان، وزال نهائياً وانتهى الصراع معه.

ونشأ حزب الحركة الملية[1] الذي يرأسه ألب أرسلان توركيش، وكان ذا نشاطٍ ودخل في صراعٍ مع بقية الأحزاب وخاصةً الشيوعية منها والتي كان له معها جولات، وقد كثرت الفئات الشيوعية وتعدّدت تجمّعاتها، وكانت تعمل في السرّ، ولم يكن مرخصاً إلا لواحدٍ منها وهو الحزب الاشتراكي العمالي الذي ظهر حديثاً، أما الأخرى فكان منها حزب العمل التركي الذي يدعو إلى الإصلاح الزراعي، وانسحاب تركيا من الأحلاف السياسية والعسكرية، وإعطاء الأكراد، والأرمن استقلالهم الذاتي، وعلى رأس هذا الحزب بهيجة بوران، وقد قوي هذا الحزب حتى استطاع الحصول على خمسة عشر مقعداً في المجلس النيابي. ومنها حزب الشباب الإصلاحي الذي له جناح عسكري يُعرف باسم جيش التحرير الشعبي التركي، وقد قام بمظاهرات ضدّ الأسطول الأمريكي عام ١٣٨٨ هـ، وقد أحرق المتظاهرون من رجاله السفارة الأمريكية في أنقرة مرتين، وكان

---

(١) تعني الملية: الوطنية.

من هذه التجمّعات الحزب الشيوعي الذي له خلايا سرّية، ومركز في تراقيا أي في الجزء الأوربي من تركيا، ويعمل هذا الحزب بصورةٍ سريةٍ منذ عام ١٣٤٤ هـ. وعلى الرغم من أن حزب الحركة الملية كان يعمل بالدرجة الأولى ضدّ التنظيمات الشيوعية التي تُعارض الأنظمة الرأسمالية وتُعادي الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلا أنه لم يكن في هذا رضا عن هذا الحزب من قبل الدوائر الاستعمارية وذلك لأنه لا يدور في فلكها، ولا يعمل بتوجيهها، ويملك تنظيماً شبه عسكريٍ فهو حسب نظرها إن كان يعمل الآن بما يتّفق وخطّها إلا أنه لا يوجد ما يمنع من أن يأتي يوم يعمل فيه ضدّها وهذا أمر طبيعي لذا كانت النظرة إليه نظرة العداوة والرغبة في إزالته من الساحة السياسية.

ويوم قام الانقلاب العسكري الثاني في ٣ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (١٢ ايلول ١٩٨٠ م) كانت الأحزاب المُتصارعة في تركيا هي:

١ ـ حزب الشعب الجمهوري:

وشعاره ستة أسهم، ويعني كل سهمٍ فكرةً مما يلي: (وطنيون ـ علمانيون ـ جمهوريون ـ ثوريون ـ تقدميون ـ شعبيون)، ويرأسه آنذاك بولاند أجاويد، ويعدّ مصطفى كمال المؤسّس الأول له، ثم خلفه في رئاسة الحزب عصمت إينونو، وقد ألغي هذا الحزب مدةً في أواخر حكم الحزب الديمقراطي، وتُوفّي عصمت إينونو عام ١٣٩٣ هـ، وأصبح زعيم الحزب بولاند أجاويد وإن وقع خلاف بينه وبين عصمت إينونو من قبل. ويعدّ هذا الحزب أكثر الأحزاب التي آل إليها حكم البلاد.

٢ ـ حزب العدالة:

ويرأسه سليمان ديميريل، وشعاره الحصان الأبيض، وقد تأسّس هذا الحزب عقب الانقلاب العسكري الأول عام ١٣٧٩ هـ، وقام على أنقاض

الحزب الديمقراطي، ومن أعضاء هذا الحزب تاكين أريبون الذي رشّحه الحزب لرئاسة الجمهورية بعد انتهاء رئاسة جودت صوناي.

٣ ـ الحزب الديمقراطي:

وقد انتهى قبل مدةٍ، وزال عن المسرح السياسي، وقد أسّسه محمود جلال بايار، وحكم تركيا عشر سنوات ١٣٦٩ ـ ١٣٧٩ هـ، وشعاره كفّ ممدودة، وتعني حسب اصطلاح أعضائه أن الكلام كله للشعب. وقد قضى عليه جمال غورسيل قائد الانقلاب العسكري الأول، وأُعيد تأسيسه بعد انشقاقٍ في حزب العدالة، إذ تولّى المنشقون هذا التأسيس لأن حزب العدالة إنما قام بالأساس على بقايا الحزب الديمقراطي، وكانت رئاسة الحزب الديمقراطي قبل انحلاله تتألف من:

أ ـ فروح بوزبابلي: كان من حزب العدالة، وتسلّم رئاسة المجلس النيابي.

ب ـ يوكسيت مندريس: نجل عدنان مندريس.

جـ ـ نوليفر غورسوي: ابنة محمود جلال بايار.

د ـ فاروق سوكان: كان من حزب العدالة، وتسلم وزارة الداخلية.

هـ ـ سعد الدين بيلجق: كان من حزب العدالة، وتسلم وزارة المواصلات.

و ـ محمد تورغوت: كان من حزب العدالة، وتسلم وزارة الصناعة.

ثم انسحب هؤلاء الذين كانوا في حزب العدالة، وبقي فروح بوزبابلي زعيم الحزب الديمقراطي. وكان هذا الحزب يعد الحزب الرابع قبل زواله.

٤ - حزب السلامة الوطني:

ويرأسه نجم الدين أربكان، وتأسّس عام ١٣٩٢ هـ، وشعاره سبابة متجهة إلى الأعلى، وتعني عندهم (الله واحد)، وقد شارك في الحكم في ثلاث وزاراتٍ ائتلافيةٍ إحداها مع حزب الشعب الجمهوري، واثنتان مع حزب العدالة إضافةً إلى حزب الحركة الملّية، وحزب الثقة الجمهوري، ويعدّ حزب السلامة الوطني الحزب الثالث في تركيا يومذاك.

٥ - حزب الحركة الملية:

ويرأسه ألب أرسلان توركيش، وشعاره ثلاثة أهلّة.

٦ - حزب الثقة الجمهوري:

ويرأسه تورهان فيضي أوغلو، وقد انشقّ عن حزب الشعب الجمهوري.

٧ - حزب الوحدة الوطنية:

ويرأسه مصطفى تميسي، وشعاره الأسد محاطاً بنجوم، ويكثر النصيريون بين أعضائه، وهو ذو ميولٍ شيوعيةٍ.

٨ - الحزب الاشتراكي العمالي:

ورئيسه أويابيدر، ومن عنوانه تعرف ميوله.

هذه هي الأحزاب التي كانت تعمل على الساحة التركية يوم وقع الانقلاب، ومرخص لها، ولكن كانت هناك تجمّعات شيوعية وأحزاب تعمل في الظلام دون أن يكون لها رخصة بالعمل. ومنها:

أ - حزب العمل التركي:

وترأسه إمرأة هي بهيجة بوران، وللحزب ممثلون في المجلس النيابي، وقد وصل عددهم إلى خمسة عشر عضواً.

ب - حزب الشباب الإصلاحي:

وهو ذو ميولٍ شيوعيةٍ أيضاً، وله جناح عسكري يُعرف باسم جيش التحرير الشعبي التركي.

جـ - الحزب الشيوعي:

ومنطقة نفوذه القسم الأوربي التركي، وهو قديم برز منذ قيام الجمهورية وإلغاء الخلافة.

لما وقع الانقلاب العسكري الثاني تشتت أمر الأحزاب فزال الصراع فيما بينها ولكنه من ناحيةٍ ثانيةٍ انتقل إلى صراع مع العسكريين الذين ألغوا الأحزاب، وعلّقوا الدستور، وفرضوا الأحكام العرفية، وألقوا برؤساء الأحزاب في السجون، وإن كان يبدو أن الانقلاب يقصد أحزاباً دون أخرى، أو كان يشتدّ على حزبٍ أكثر من ثانٍ. وربما كان المقصود بالدرجة الأولى حزب السلامة الوطني وزعيمه نجمَ الدين أربكان، ويليه حزب الحركة الملّية وزعيمه ألب أرسلان توركيش، وأخيراً الفئات الشيوعية لأن هذه الأحزاب لا تسير على العلمانية ومنهج مصطفى كمال. ولكن كانت الشدّة على التجمّعات الشيوعية ذات التأييد الشعبي الضعيف الذي لا يخشى بأسه، ولمعرفة أن النظام قائم على محاربة الشيوعية ولا يُخفي زعماء الانقلاب ذلك بل يُبدونه علناً. أما الإسلام فلا يُعلن أي نظامٍ الحرب عليه في الأمصار الإسلامية مهما كان يُعاديه أو يحقد عليه، وأقلّ من ذلك الفخر بالأصول والاعتزاز بالأمجاد، ويمكن أن نُؤكّد هذا أن أحد رؤساء البلديات أعلن عندما نجح في انتخاب البلديات في شعبان عام

١٤٠٩ هـ أنه غير علماني ولا يقبل هذا الفكر، فقد أعلنت السلطة فوراً رفضه وأنه غير مؤهل ليكون رئيساً للبلدية. ونستبق الأحداث قليلاً لنبرهن على أن محاربة الإسلام هي المقصودة بالدرجة الأولى، لقد بدأ لباس الحشمة ينتشر في الجامعة فاحتجّ بعض الأعداء باستنكار هذه الظاهرة التي تدلّ حسب مفهومهم على الرجعية والتخلّف، ورفعت الجامعات الأمر الى الوزارة فأبدى تورغوت أوزال رئيس الحكومة عدم ممانعته فلكل امرىء الحرية التامة في ارتداء ما يراه مناسباً غير أن رئيس الجمهورية كنعان ايفيرين قد رفض ذلك وعدّه مخالفاً للعلمانية ولتعاليم مصطفى كمال.

قبض الانقلابيون على زعماء الأحزاب وأودعوهم السجن، وحلّوا أحزابهم، ومن بينها حزب العمل التركي ذو الميول الشيوعية حيث سحب ترخيص الحزب، وصودرت أملاكه وممتلكاته، وقُدّم أعضاء المكتب السياسي للحزب إلى محكمةٍ عسكريةٍ خاصةٍ، فسجن جميع أعضاء المكتب والرئيسة بهيجة بوران. وجرت محاكمة بقية زعماء الأحزاب: بولاند أجاويد، وسليمان ديميريل، ونجم الدين أربكان، وألب أرسلان توركيش، ويبدو أن الأخيرين استمرّا أكثر من غيرهما، وأخيراً أفرج عن الجميع.

وانتهت المرحلة الانتقالية التي حكم فيها العسكريون، وعادت الأحزاب، فظهرت أحزاب جديدة، ورُخّص للقديم بأسماء جديدة.

لقد ظهر حزب الوطن الأم لأول مرةٍ برئاسة تورغوت أوزال، ولم يلبث أن ارتقى إلى الطليعة وحصل في الانتخابات الأولى التي جرت بعد الانقلاب العسكري على أكثرية المقاعد في المجلس النيابي، وتسلّم السلطة إذ لم يكن ليُنافسه سوى حزبين ضعيفين أولهما: حزب الشعب الديمقراطي الذي أسّسه حديثاً اللواء المتقاعد تورغوت صونالب ولم يكن له أعوان كثيرون نتيجة طبيعته العسكرية، ولحداثة عهده، وقد كان يُنادي بتبنّي أفكار مصطفى كمال كلياً والسير على منهجه، ولم يلبث هذا الحزب أن

اندثر وانتهى أمره، أما الحزب الثاني فهو حزب الشعب الاشتراكي الذي أسّسه نجدت جالب، وكان كلا الحزبين قد نشأ حديثاً، غير أن حزب الوطن الأم قد استطاع من كسب المؤيدين لإمكانية زعيمه السياسية، ولسابق صلته بحزب السلامة، ولم يلبث حزب الشعب الاشتراكي أن انقسم على نفسه إلى جناحين، أحدهما كان برئاسة آيدن كون كوركان، وقد عرف باسم الحزب الشعبي الديمقراطي الاشتراكي، ثم برز فيه أردال إينونو[١] بن عصمت إينونو الذي أصبح زعيم الحزب، أما الجناح الثاني فقد عُرف باسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي ورئيسه بولاند أجاويد واستمّر هذا الحزبان، ويُعدّان من الأحزاب الرئيسية في تركيا اليوم.

وبعد إجراء الانتخابات عادت الأحزاب الأولى، وإن رجعت بأسماء جديدة، فقد عاد حزب العدالة باسم حزب «الطريق الصحيح» وزعيمه هو نفسه سليمان ديميريل، وقد حافظ أعضاؤه على التماسك فيما بينهم فحافظ على مكانته بين الأحزاب الرئيسية في البلاد.

وأصبح حزب السلامة يُعرف باسم «حزب الرفاهية» ورئيسه نجم الدين أربكان، الرئيس السابق نفسه.

وكذلك فقد رجع حزب الحركة الوطنية، وأصبح يُعرف باسم «حزب العمل الملّي» وتعني كلمة الملّي «الوطني» وزعيمه ألب أرسلان توركيش.

وبدأت الصراعات الحزبية ترجع إلى سابق عهدها، وخاصةً بين هذه الأحزاب الرئيسية التي ذكرناها، وكانت المنافسة على رئاسة البلديات في

---

(١) أردال بن عصمت إينونو: ولد في أنقرة عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م)، وتخرج من كلية العلوم في جامعة أنقرة عام ١٣٦٦ هـ وعُيّن فيها معيداً في قسم الفيزياء. ثم حصل على الدكتوراه، وعين أستاذاً في الجامعة نفسها رئيساً لقسم الفيزياء ١٣٨٥ - ١٣٨٨ هـ، ثم عميداً لكلية العلوم، فمديراً لجامعة الشرق الأوسط التقنية بأنقرة. وأخيراً ترأس الحزب الاشتراكي الشعبي، وهو نائب عن ولاية إزمير.

الانتخابات التي جرت في شعبان عام ١٤٠٩ هـ. فقد أحرز حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكي الذي يـرأسـه أردال إينـونـو ٣٣٪ مـن رئـاسـة البلديات. ونال حزب الطريق الصحيح الذي يرأسه سليمان ديميريل على ٢٦٪ من رئاسة البلديات. أما حزب الوطن الأم، وهو الذي تسلّم السلطة الآن، ويرأسه تورغوت أوزال، فلم يحصل إلا على ٢١٪ من رئاسة البلديات. ونال حزب الرفاهية برئاسة نجم الدين أربكان ٩٪ من رئاسة البلديات. وحصل الحزب الاشتراكي الديمقراطي برئاسة بولاند أجاويد على ٨٪ من رئاسة البلديات.

غير أن الصراعات الحزبية هذه لا تعدّ عنيفةً إذ أن معظم الأحزاب وباستثناء حزب الرفاهية منها تُنادي بعدم ترك أفكار مصطفى كمال العلمانية وذات العصبية القومية، والاستهتار بمبادىء الأخلاق والقيم كلها، ومعاداة الإسلام بشكلٍ ظاهرٍ ومبطّنٍ، بل إن بعض هذه التجمعات التي تدّعي العمل للإسلام تُعلن محافظتها على الفكر الكمالي مثل ما يسمى بحزب الإصلاح الديمقراطي الذي يتزعمه (آيقوت أديب عالي) والذي له أيضاً اجتهادات خاصة بالأمور الدينية لا تتفق أحياناً مع تعاليم الإسلام، وبذا نجد خوفاً من الإسلام، ورقابةً من السلطة خوفاً من التوجّه نحوه لا من الناحية الحزبية وإنما من قبل الشعب، ويُعدّ الجيش رقيباً ثانياً على هذا الموضوع فإذا ما جرى شيء من الانعطاف نحوه أسرع لتغيير الموضوع، ويُراقب الجيشَ أيضاً من بعيدٍ الدولُ الكبرى ذات النفوذ الواسع في البلاد، وهذا ما لاحظناه في كل حركةٍ عسكريةٍ، بل بدا ذلك في الآونة الأخيرة عندما ظهر لباس الحشمة في الجامعة كيف تفتحت الأنظار، وتحرّك العلمانيون، وبُحث الأمر في الوزارة، وتدخّل رئيس الدولة، وعدّوا ذلك مُخالفةً للعلمانية، ولكن لو تفشّت الخلاعة وظهر العريّ المنافي لكل مفاهيم الأخلاق، وللطبيعة البشرية لم يتكلّم أحد وعدّوا ذلك حريةً، وهم من دعاة الحرية وأنصار العلمانية، ولا شك أن في هذا منتهى الغرابة،

والخوف من الإسلام، ومن الرقابة عليه.

ورأينا ذلك أيضاً عندما قال أحد الذين نجحوا في رئاسة البلديات من حزب الرفاهية: إنه يُعادي العلمانية كيف أزيح في منصبه دون أن يجرؤ أحد أن يتكلّم في أمره أو يدافع عنه، وقد اعتذر آخر عما بدر منه من مثل هذه التصريحات فسُكت عنه إذ لم يكن من مصلحة السلطة أيضاً المعاداة الصارخة للإسلام، وإنما تكتفي بالوخزة لتُبقي عندها رصيداً لردٍّ هو أقوى فيما إذا دعت الحاجة.

وأخيراً فإن مع كل ما سبق فإن الشعب التركي متمسّك بإسلامه، ومهما حاول الأعداء وصنائعهم إبعاده عن عقيدته فإنهم سيفشلون ـ بإذن الله ـ وإنهم وإن ظنّوا أنهم قد نجحوا في مرحلةٍ مضت فإن الشعب كان فيها على جهلٍ، وقد صحا، وأخذ يتجه نحو إخوانه المسلمين، ويُطالب المسؤولين عنه بالتعاون مع أمصار العالم الإسلامي، كما أن المثقفين منهم الذين يدركون واقعهم نراهم ينضوون في صفوف الحركات الإسلامية الواعية التي يزداد أثرها يوماً بعد يوم.

المراجـــع

١ ـ أعلام الأتراك المعاصرين. الشركة التجاريـة الصنـاعيـة العـالميـة ـ استانبول ١٩٨٩ م.

٢ ـ البيانات الوزارية ٣/١. جمع نـوران دغلي وبلها أكتـورك ـ أنقـرة ١٩٨٨ م.

٣ ـ الرجل الصنم «كمال أتاتورك». ترجمة عبد الله عبد الرحمن. مؤسسـة الرسالة.

فهرس الموضوعات

التاريخ الإسلامي

- ١٨ -

التاريخ المعاصر
إيران وأفغانستان

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقيا : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَــدِّمة

الحمـد لله رب العالمين، والصـلاة والسلام على سيـد المـرسلين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فإن منطقة إيران وأفغـانستان ذات أهميـةٍ خاصـةٍ سواء أكـان ذلك بالنسبة إلى العالم الإسلامي أم بالنسبة إلى دول العالم الكبرى.

فإيران على الخليج العربي ذي المكانة الخـاصة دوليـاً حيث تضمّ المناطق المشرفة عليه كمياتٍ هائلةً من النفط الذي يُعدّ اليوم عماد الحياة الاقتصادية إذ تتحرّك وسائل المواصلات كلها على بعض مشتقاته، وتدور آلات المعامل جميعها على بعض أصنافه، وتُضاء المدن مما يُقـدّمه من طاقةٍ، وتعمل وسائل التكييف على الكهرباء التي تُولّد من المولدات التي تتخذ النفط مصدراً لحـركتها. وتعـدّ إيران إحـدى هذه البلدان الكبـرى المنتجة للنفط، وهذا ما يعطيها تلك الأهمية التي تكلمنا عنها.

وتعيش في إيـران أكثريـة شيعية بـل هي البلد الوحيـد في العـالم الإسلامي الذي تقطنه أكثرية شيعية، بل وأصبحت الدولة تقوم على أساس هذه العقيدة وخاصةً بعد أن قامت فيها حركة عرفت بالثورة الإسلامية فغـدت الحكومة الإيرانية تعمل على مدّ يدها إلى الأقليات الشيعية التي تعيش في البلدان المجاورة لإيران بل، وتُحرّضهم على الحكومات التي يعيشون في ظلّها تحت اسم تصدير الثورة، بل راحت تدعو لعقيدتها في إفريقية التي لم يكن فيها أي تجمعٍ شيعيٍ وذلك عن طريق تقديم المنح الدراسية في

ربوع بلادها، وفي أي مكانٍ آخر يريده الطالب، وبذا انطلقت الشيعة من جديدٍ، وأصبح الاحتكاك بين إيران وبين البلدان ذات الأقليات الشيعية سواء القديمة منها في الأمصار الآسيوية أم الحديثة منها في الأمصار الإفريقية، وهذا الاحتكاك قد يكون إيجابياً نتيجة المساعدات، وقد يكون سلبياً بسبب الحركات التي تعمل كمعارضةٍ للنظام، وهذا ما وجّه الأنظار نحو إيران وأعطاها صفة المرجع سواء أكان ذلك للحصول على المساعدات والمنح الدراسية أم للضغط على مُؤيّديها من أجل الخلود إلى النظام والتزام الطاعة.

ويقع هذا الإقليم (إيران وأفغانستان) على تماس مناطق النفوذ الغربي والروسي لذا فإن كلا الاستعمارين يُعير هذا الإقليم اهتماماً كبيراً، فالروس يرغبون بالوصول إلى المياه الحرّة أو الدافئة حسب اصطلاحهم للانطلاق خارج الأجزاء المحجوزين فيها، والغرب يبذل جهده للحيلولة دون ذلك، ولذا فقد وقع الصراع بين النفوذين على أرض هذا الإقليم بل وبين أعوانهما من أهل البلاد أيضاً، ومن هنا كان الاهتمام بهذه المنطقة وتسليط الأضواء عليها، وإذا كان النفوذ الغربي قد استطاع أن يُوطّد نفوذه في إيران حتى قيام الثورة الإسلامية، ولكنه لم يبذل جهده في منطقة أفغانستان كما بذله في إيران، ولعلّ ذلك يرجع إلى التفاهم بين سدنة النظامين على تقسيم مناطق النفوذ بينهما، فترك الغرب أفغانستان لتقع فريسةً بين براثن الروس، فهي بعيدة عن البحار إذ أنها منطقة داخلية، وفي الوقت نفسه ليس فيها ثروات نفطية يخشى عليها، كما هي الحال في منطقة إيران، والغرب في هذا التفاهم يضمن سكوت الروس عن تحرّكاته الصليبية الاستعمارية في كثيرٍ من مناطق العالم الأخرى وخاصةً في الأمصار الإسلامية حيث يكون التفاهم تاماً بين سدنة النظامين ما دام ضدّ الإسلام، ويكون التحرّك في اتجاهٍ واحدٍ بدافعٍ صليبيٍ وإن كان الإلحاد عنوان أحدهما والعلمانية عنوان الآخر غير أنهما يحملان حقداً كبيراً ضدّ الإسلام، ويغلي في نفوس سدنتهما حتى لا يستطيعون أن يروا تقدّماً لأبناء

الإسلام مهما كان قليلاً، بل حتى ولو كانوا مُسجّلين مُسلمين تسجيلاً أو ينتمون إليه انتماءً دون أن يكون لهم أيّ رصيدٍ من الإيمان، أما إن كانوا أصحاب عقيدةٍ، أو عاطفةٍ على الأقلّ فإن أركان الصليبية تهتزّ، وتثور ثائرة السدنة، ويمور عندهم كل شيءٍ حتى يقضوا على ما يريدون القضاء عليه، وكان لهذا ردّ فعلٍ لدى المسلمين في المنطقة بالذات فقامت حركات إسلامية في كلا المنطقتين، وإن كانت حسب عقيدة الأكثرية. وكان لهذه الحركات الإسلامية أثر كبير في المنطقة الإسلامية إذ أن بعض الأمصار قد اتخذ من هذه الحركات موقفاً إيجابياً كما اتخذ بعضها الآخر موقفاً سلبياً وذلك حسب النظام القائم في ذلك المصر، أو حسب التوجّه السياسي الدولي أو المحلي الذي يتخذه كل مصر، أما الدول الصليبية فكان موقفها واحداً وهو العداء الصريح والصارخ، وإن تجلّى بمواقف مُتباينةٍ، ولكنها كلها تتسم بالمكر والخديعة، والمراوغة والخبث، وتُبدي المرونة والتأنّي، وتُخفي الصليبية والحقد. وهذا ما سلّط الأضواء على هذا الإقليم أيضاً، وأعطاه الأهمية.

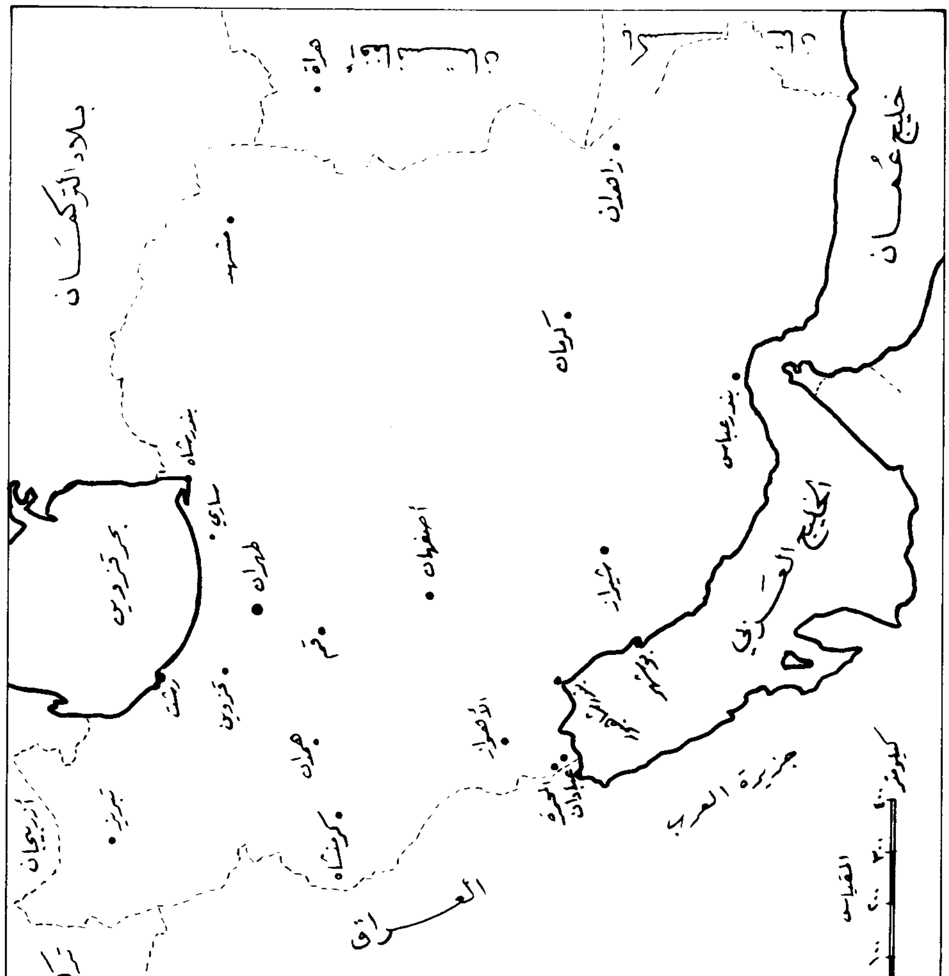
ولهذا الإقليم أهمية بالنسبة إلى المسلمين وذلك أنه يجاور إخوانهم الذين يقعون تحت سيطرة الروس، إذ يجاور أربع جمهوريات إسلامية وهي أذربيجان، وبلاد التركمان، وبلاد الأوزبك، وبلاد الطاجيك، وتزيد الحدود مع هذه الجمهوريات على ألفين وخمسمائة كيلومتر، ولما كان الروس يحرصون على إذابة الشخصية الإسلامية في البلدان التي يسيطرون عليها، ويعملون على نشر الإلحاد، وإلغاء كل ما يمتّ إلى الإسلام بصلةٍ لذا فإن للمسلمين في إيران وأفغانستان دوراً كبيراً وفعّالاً في إقامة الصلة مع المسلمين وراء الستار الحديدي الذي يقيمه الروس، وخاصةً في هذه المرحلة الراهنة التي سقطت فيها الشيوعية، وأخذت أشعة من الحرية تصل إلى تلك الجهات التي كان الناس فيها يعيشون داخل سجنٍ كبيرٍ، وإن كان قد بدا هذا واضحاً عندما غزا الروس أفغانستان في سبيل قمع الحركة الإسلامية ودعم الحكم الشيوعي القائم فيها، إذ امتنع المسلمون الذين

أجبروا على السير مع هذا الغزو من قتال إخوانهم المسلمين في بلاد الأفغان، وربما كان من دوافع هذا الغزو تلك الصلات التي وجدت بين السكان على طرفي الحدود حيث خشي الروس أن تدبّ الصحوة الإسلامية في نفوس تلك الشعوب التي تُسيطر عليها بالقوة، وتُخضعها بالسيف، وتفرض عليها الإلحاد، وتجبرها على ترك العقيدة، فلو قُدّر للمجاهدين الأفغان النصر، وإقامة حكمٍ إسلاميٍ، والصدق والإخلاص لأمكن التحرّك داخل المناطق الإسلامية التي يُسيطر عليها الروس، وخاصةً بعد أن أفلست الشيوعية، وشُغل الروس بأنفسهم، ومن هنا تأتي أهمية بلاد إيران وأفغانستان. ولو قدّر الإله النجاح لهذا التحرّك لرُفد العالم الإسلامي بإمكاناتٍ بشريةٍ وطاقاتٍ هائلةٍ، وموارد ضخمةٍ من البلدان التي تخضع حالياً للسيطرة الروسية.

والله نسأل التوفيق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن تاريخ هذا الإقليم، وعمّا يُشجّع أهله للسير في خطٍ سليمٍ، والقارىء لأخذ الدروس والعبر، والفكر الصحيح. والله من وراء القصد، فهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الأول

إيران


بلاد التركمان
خليج عمان
الخليج العربي
جزيرة العرب
العراق
تركيا
بحر قزوين
طهران
اصفهان
شيراز
بندرعباس
كرمان
زاهدان
مشهد
هراة
قم
همدان
كرمنشاه
تبريز
قزوين
رشت
ساري
بندرشاه
الأهواز
عبادان
المحمرة
بوشهر
القياس
كيلومتر

لمحة عن فارس قبل إلغاء الخلافة

سقطت الدولة العباسية بيد المغول عام ٦٥٦ هـ، ودخل هولاكو عاصمتها بغداد، وارتكب أبشع الجرائم، وأسّس الدولة الإيلخانية التي حكمت المنطقة، والتي كانت تعرف باسم «فارس» ما يزيد على نصف قرن (٦٥٦ - ٧١٣ هـ) وتوالى على الحكم سبعة حكامٍ وهم:

١ ـ **هولاكو: ٦٥٦ - ٦٦٤ هـ**: الطاغية المعروف، الحاقد على الإسلام، وزاد من حقده تحريض الصليبيين له.

٢ ـ **أبا قاخان: ٦٦٤ - ٦٨٠ هـ**: ابن هولاكو، تزوّج ابنة إمبراطور القسطنطينية بتخطيطٍ صليبيٍ، فزاد حقده على الإسلام، ودفعته زوجه للسير في ضرب المسلمين وإبادتهم.

٣ ـ **تكودار: ٦٨٠ - ٦٨٣ هـ**: ابن هولاكو، اعتنق الإسلام، وسمّى نفسه «أحمد»، وأعطى المسلمين بعض المناصب، تمرّد عليه ابن أخيه، وقتله، وتسلّم الأمر.

٤ ـ **أرغون: ٦٨٣ - ٦٩١ هـ**: ابن أبا قاخان، اضطهد المسلمين، وتحالف مع الأرمن بل مع كل صليبيٍ ضدّ المسلمين، وضدّ أبناء عمومته المغول من القبيلة الذهبية التي استقرّت في بلاد الروس، وعرفت باسم مغول الشمال، واعتنقت الإسلام، وتحالفت مع المماليك ضدّ الدولة الإيلخانية المغولية.

٥ ـ **كيخاتو: ٦٩١ - ٦٩٥ هـ**: ابن أبا قاخان.

٦ ــ **غازان: ٦٩٥ ـ ٧٠٤ هـ**: ابن أرغون، شبّ على البوذية، ثم اعتنق الإسلام، وسمّى نفسه «محمود»، ومع إسلامه إلا أنه بقي يقاتل المماليك المسلمين، وهو الذي التقى مع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وفاوضه.

٧ ــ **أولجاتيو: ٧٠٤ ـ ٧١٣ هـ**: ابن أرغون، شبّ على النصرانية، ثم اعتنق الإسلام، واتبع مذهب الرفض، لذا فقد عمل على نشر هذا المذهب في الأجزاء التي كانت تخضع له، وعُرف باسم محمد خدابنده، وإن كان قد أطلق عليه بعضهم «محمد خرابنده».

لم تكن منطقة فارس قبل هذا الوقت لتكثر فيها الشيعة، وإن وجدت بعض تجمّعات أخذت هذا المذهب لا إيماناً بما جاء فيه من أفكار، وإنما في سبيل ضرب الإسلام حقداً على أبنائه، وتعصّباً للفرس، فبذروا بذور الرفض، وألقوا فكرة التصوّف والتواكل تحت اسم الزهد، ليتوانى الناس عن العمل، ويسود الكسل، وتضعف الدولة، ويتمكّن أعداؤها من إخضاعها والسيطرة عليها، والتحكّم في أهلها، ونشر ما يريدون نشره بينهم من أفكارٍ تهدّم العقيدة، ويسيرون بعدها بالناس حسبما يرغبون، وجاء الحاكم محمد خرابنده وعمل على ترسيخ هذه الأفكار، وأصبح بعدها مبدأ التشيع هو مذهب حكام الدولة الإيلخانية، والتي لم تلبث أن تجزّأت بعد وفاة محمد خرابنده عام ٧١٣ هـ، وحكمت المنطقة عدة أسرٍ حتى اجتاحها تيمورلنك عام ٧٨٤ هـ، ودانت لحكمه حتى عام ٨٠٧ هـ. ثم توزّعت بين أبنائه وأحفاده، ووقع الصراع بينهم وبين التركمان على المنطقة، واستمرّ هذا النزاع حتى ظهر الصفويون على المسرح في مطلع القرن العاشر الهجري.

نشأ تيمورلنك على المذهب الشيعي، واتبعه أبناؤه وأحفاده على ذلك، وهذا ما رسّخ جذور هذا المذهب في المنطقة، وقد اعتاد السكان على دراسة التاريخ من خلال النظرة الرافضة المقررة والمفروضة على

السكان، وخاصةً أن هذه المرحلة كانت مرحلة تأخّرٍ وضعفٍ، وأُميّةٍ، فلا يعرف الناس إلا ما يسمعون وما يُقرّر عليهم.

الصفـويـون:

استطاع إسماعيل بن حيدر أن يجمع حوله الأتباع، وأن ينتصر على أسرة (الآق قيلوني) عام ٩٠٧ هـ، في أذربيجان وفي العراق، ثم انتقل إلى (تبريز) وجعلها قاعدةً له، وأخضع الولاة التيموريين، واتخذ المذهب الشيعي عقيدةً له، واستفاد من حماسة الأقلية الشيعية في قتاله ضد خصومه في ميادين القتال الكثيرة، والتي امتدت على أرجاء واسعةٍ من المنطقة.

وهكذا مرّ على المنطقة ما يقرب من مائتي سنة والحكام من الشيعة، وكان الناس من أصحاب المصالح يتقربون إليهم، ومن جهةٍ ثانيةٍ يُحاولون نشر هذه الأفكار بين الشعب، وهذا ما جعل الجذور الشيعية تتعمّق في أرض المنطقة. وأحسّ الحكام وأتباعهم من الشيعة أنهم يختلفون مع الوسط الذي يعيشون فيه، وهذا ما جرّهم إلى حربٍ مع الدول الثانية، وربما أحبّ الحكام هذا الصراع ليُنمّي العاطفة الشيعية، وليُعمّق جذورها أكثر فأكثر.

لقد حارب الصفويون الدولة العثمانية، غير أنهم هزموا أمامها في معركة «جالديران» عام ٩٢٠ هـ، كما قاتلوا الأوزبك في الشرق، واستمر هذا الصراع طويلاً، بل إن الصفويين قد دعموا كل عدوٍّ للمسلمين إذ اتفقوا مع البرتغاليين طلائع المستعمرين الصليبيين، وعاونوهم على الدخول إلى الخليج العربي ما داموا ضد العثمانيين، ثم تعاونوا مع الإنكليز عندما وجدوا ضعف البرتغاليين. بقي حكم الصفويين ما يزيد على مائتين وأربعين سنة (٩٠٧ ـ ١١٤٨ هـ)، وتوالى على الحكم أحد عشر حاكماً، ويحمل كل واحدٍ اسم «شاه».

١ ـ إسماعيل بن حيدر ٩٠٧ ـ ٩٣٠ هـ: أسّس الدولة، اتفق مع

البرتغاليين الصليبيين، وحارب العثمانيين، وهُزم أمامهم، وحارب الأوزبك، وانتصر عليهم في بداية الأمر، وكانوا يدعونه للعودة إلى الإسلام، وتفاهم مع ظهير الدين محمد بابر حاكم الهند، غير أن تعصّبه الشيعي قد جعل ظهير الدين يترك ذلك التفاهم.

٢" ـ **طهماسب بن إسماعيل ٩٣٠ ـ ٩٨٤ هـ**: تولى الأمر صغيراً، وهو في العاشرة من عمره، فتولّى الوصاية عليه زعماء الشيعة، حتى بلغ سن الرشد. انتصر على الأوزبك، ولكنه لم يلبث أن هُزم، ودخل بغداد حتى جاءت جيوش العثمانيين فطردت الصفويين منها.

٣" ـ **إسماعيل (الثاني) بن طهماسب ٩٨٤ ـ ٩٨٥ هـ**، واختلف مع إخوته، وقُتل.

٤" ـ **محمد خدانبك بن طهماسب ٩٨٥ ـ ٩٩٥ هـ**.

٥" ـ **عباس بن طهماسب ٩٩٥ ـ ١٠٣٧ هـ**، عقد معاهدةً مع العثمانيين عام ٩٩٨ هـ بعد أن تنازل لهم عن بعض الأجزاء من أملاكه، ومنها لورستان، وبلاد الكرج، وتبريز، وبلاد داغستان، وشروان، واتجه بعد ذلك إلى الأوزبك فانتصر عليهم، وانتزع جزءاً من بلادهم. والتفت بعدها إلى العثمانيين فهاجمهم بعد أن هدأت الجبهة معهم مدة خمس عشرة سنةً، وكان الصراع على العراق. واتفق عباس مع الإنكليز ضدّ البرتغاليين، واتفق معهم على تدريب جيوشه، وجعل عاصمته أصفهان.

٦" ـ **صفي بن صفي مرزا بن عباس ١٠٣٧ ـ ١٠٥٢ هـ**، هُزم أمام العثمانيين الذين أخذوا العراق وعقدت معاهدة بين الطرفين عام ١٠٤٩ هـ.

٧" ـ **عباس الثاني بن صفي ١٠٥٢ ـ ١٠٧٧ هـ**، ولم يلتفت إلى شؤون الدولة.

٨″ ـ **صفي الثاني بن عباس الثاني ١٠٧٧ ـ ١١٠٥ هـ**، وعُرف كذلك باسم سليمان الأول، وفي عهده، استولى الهولنديون على جزيرة «قشم» في مضيق هرمز، وأخذ الأوزبك خراسان. وأغار اليعاربة حكام عُمان على ميناء «بندر عباس».

٩″ ـ **حسين الأول بن عباس الثاني ١١٠٥ ـ ١١٣٥ هـ**: بدأ في عهده الصراع مع الأفغان.

١٠″ ـ **طهماسب الثاني بن صفي الثاني ١١٣٥ ـ ١١٤٤ هـ**: استمر الصراع مع الأفغان، وأيّده نادر خان، وخرج الأفغان.

١١″ ـ **عبّاس الثالث بن طهماسب الثاني ١١٤٤ ـ ١١٤٨ هـ**.

الأفشار:

وقد أسّس دولتهم نارد خان بن إمام قلي، ودامت دولتهم اثنتين وخمسين سنة (١١٤٨ ـ ١٢١٠ هـ)، وتوالى على الحكم أربعة حكام وهم:

١″ ـ **نادر خان ١١٤٨ ـ ١١٦٠ هـ**، وكان أول أمره من قُطّاع الطرق، ومن أصحاب الطموح، برز اسمه في مرحلة الفوضى، فجمع رجاله، ورأى من مصلحته العمل باسم الشاه الصفوي طهماسب الثاني، وسيطر على (هراة) و(مشهد)، وانتصر على جند الأفغان عام ١١٤١ هـ، ولاحقهم فاعتصم سلطانهم في مدينة (أصفهان) فحاصره نادر خان، واستطاع سلطان الأفغان (أشرف) أن ينسحب نحو (شيراز)، ولكنه قُتل قبل أن ينسحب الشاه الصفوي حسين الذي كان بيده أسيراً. ودخل طهماسب الثاني (أصفهان)، وتابع نادر خان الأفغان حتى أخرجهم من منطقة فارس اليوم عام ١١٤٢ هـ بعد أن بقوا فيها سبع سنوات (١١٣٥ ـ ١١٤٢ هـ). وانتصر نادر خان على العثمانيين، ولكن طهماسب هزم أمامهم، واضطر أن يعقد معهم معاهدةً تنازل فيها عن جزءٍ من أملاكه. وانتقد نادر خان هذه المعاهدة، وقبض على الشاه طهماسب الثاني، ونصّب مكانه ابنه عباس

الثالث الطفل، وجعل نفسه وصياً عليه عام ١١٤٥ هـ، وانتصر على العثمانيين، وعقد معاهدةً مع والي بغداد العثماني استرجع بموجبها ما أخذه العثمانيون في معاهدة عام ١١٤٤ هـ. ولم يرض الخليفة العثماني على ما أبرمه واليه على بغداد، وكان نادر خان قد ثبت وضعه في فارس، فسار إلى العثمانيين وانتصر عليهم، واضطر الخليفة أن يقرّ ما جرى بين واليه على بغداد ونادر خان.

واستردّ نادر خان ما تنازل عنه إلى الروس في معاهدة (رشت) عام ١١٤٥ هـ، وهدّد الروس بالتحالف مع العثمانيين.

وتوفّي الشاه عباس الثالث الطفل، فأصبح نادر خان سيد البلاد، وحارب الأفغان، واستولى على (قُندهار) و(بلخ)، وقاتل الأوزبك، وانتصر عليهم، ثم دخل (كابل) و(بيشاور)، و(دهلي) عام ١١٥١ هـ، وكذلك اجتاح عُمان.

ثم احتلّ (بخارى) عام ١١٥٢ هـ واتبعها بخوارزم. وأخذ العثمانيون يُغيرون على فارس، ولكن نادر خان انتصر عليهم عام ١١٥٩ هـ.

ثار على نادر خان عمه في (سيستان) وأعلن نفسه شاهاً، وثار الأكراد، فسار إليهم ولكنه قُتل عام ١١٦٠ هـ.

أراد نادر خان أن يُؤسّس أسطولاً فلم ينجح، وحاول أن يُعيد مذهب السنة إلى فارس فأخفق، فعمل على جعل مذهب الإمام جعفر الصادق مذهباً خامساً فوافق الشيعة على كراهية.

٢″ ـ **علي بن إبراهيم ١١٦٠ ـ ١١٦١ هـ**: وهو ابن أخي نادر خان، وعرف باسم (عادل شاه) وقضى على أسرة عمه كلها سوى حفيده (شاه رخ). واختلف قادة نادر خان بعضهم مع بعض، وبرز بينهم أحمد خان الدوراني الذي كان يقود الأفغان والأوزبك في جيش نادر خان، وقد تقاتل أحمد خان مع بقية القادة وهُزم، فانسحب إلى (قُندهار) وأسّس فيها مملكةً واحتلّ

(هراة) و (ومشهد)، وكشمير، وغزا الهند ودخل (دهلي) مدةً قصيرةً.

٣″ ـ إبراهيم بن إبراهيم ١١٦١ ـ ١١٦١ هـ: ثار على أخيه علي وخلعه، ولكنه لم يلبث أن قُتل، كما قُتل أخوه عليّ.

٤″ ـ شاه رخ بن رضا قلي بن نادر بن خان ١١٦١ هـ ١٢١٠ هـ، وأمه بنت الشاه الصفوي حسين. ثار عليه مرزا سيد محمد، وأعلن أن شاه رخ شيعي، وقاتله، وتمكّن منه، وقبض عليه، ونصّب نفسه شاهاً باسم الشاه سليمان. وتحرّك يوسف عليّ قائد جيش (شاه رخ)، فقبض على الشاه سليمان وقتله وأولاده، وأعاد (شاه رخ) إلى الحكم، وعيّن نفسه وصياً عليه بصفته كفيف وصغير.

وقام قائدان آخران وهما: علم خان الذي يقود فرقةً عربيةً، وجعفر خان الذي يقود فرقةً كرديةً، وقد قبضا على (يوسف عليّ) وقتلاه، وأعادا شاه رخ إلى السجن. ثم وقع الخلاف بين هذين القائدين، واقتتلا فانتصر علم خان.

وحارب أحمد خان الدوراني ملك الأفغان علم خان وانتصر عليه، وقتله. وبقي شاه رخ في السجن، وانتهى حكم الأفشار.

الزنديون:

وبرز على الساحة في هذه الأثناء من أواخر عهد الأفشار كريم خان الزندي الكردي الذي كان في جيش نادر خان، وتحالف مع زعيم البختيار علي مردان ثم اختلف معه وقتله.

انتصر كريم خان على القاجار.

وهاجم كريم خان أسد خان الأفغاني الذي اعتصم في قزوين، ولكنه هُزم أمامه، وتراجع إلى (بوشهر)، ولكنه عاد إلى القوة، ورجع إلى (شيراز)، وحكم المنطقة ما يقرب من ثلاثين سنة، استقرّت فيها الأوضاع، وعمّ الرخاء إذ نشطت التجارة.

تعاون مع الإنكليز، واستفاد من أسطولهم في إخضاع (مير مهنا) المتمركز في منطقة (بندر رق) ودخل البصرة، وولّى عليها أخاه صادقاً عام ١١٨٩ هـ، وبقي فيها حتى توفي كريم خان.

انقض على الحكم بعد وفاة كريم خان أخوه من أمه (زكي خان)، ولكن وقف في وجهه ابن أخيه (أبو الفتح بن كريم خان)، وأعلن نفسه شاهاً في شيراز. ولكن لجأ (زكي خان) إلى الحيلة، وأعلن أنه من أتباع أبي الفتح، فلما تمكّن أخذ يحصد في خصومه، وساعده في شيراز ابن أخته (مراد خان).

قام في وجه (زكي خان) (صادق خان) أخو (كريم خان) الذي أوصاه أخوه كريم خان بالوصاية على أبنائه من بعده، ولكن زكي خان هدّد بإبادة أسرة كل من يتعاون مع صادق خان فخاف الناس، وانفضّوا عن صادق خان.

وقام في وجه زكي خان القاجار بقيادة آغا محمد، فبعث إليهم جيشاً إلى أصفهان بقيادة علي مراد خان الذي لم يلبث أن انقلب ضدّه، واغتيل زكي خان عام ١١٩٥ هـ. وبذا خلا الجو لأبي الفتح بن كريم خان فقبض على أكبر خان بن زكي خان وسجنه، وسجن أخاه محمد علي خان زوج ابنة زكي خان، غير أن عمّه صادق خان قد ظهر وفرض نفسه عليه، ثم أقصاه، وانفرد بالسلطة، ولكن تمرّد عليه علي مراد خان، واستولى على أصفهان عام ١١٩٦ هـ، ثم استولى على شيراز حيث يُرابط صادق خان الذي استسلم له، فقتله وأسرته جميعها باستثناء جعفر خان.

اتجه علي مراد خان نحو مازندران حيث يُرابط القاجار، وما أن سار حتى ثار عليه جعفر خان في (زنجان)، فعاد مسرعاً علي مراد خان ليخمد الثورة فمات بالطريق.

انطلق القاجار بقيادة زعيمهم آغا محمد، وانتصروا على جعفر خان،

ودخلوا أصفهان، غير أنهم هُزموا أمام البختيار، فأسرع جعفر خان، ودخل أصفهان، وظهرت قوته، ولكن ثار عليه ابن عمه إسماعيل خان في (همدان)، ومات جعفر خان مسموماً عام ١٢٠٣ هـ، وقام ابنه لطف الله خان من بعده لكنه هُزم أمام القاجار، وأخذ يفرّ من مكانٍ إلى آخر، وحاول التفاهم مع تيمور شاه الدوراني في قندهار، غير أنه لم يسعد، إذ توفي تيمور شاه، فما كان من لطف الله خان إلا أن استسلم للقاجار، فقتلوه عام ١٢٠٩ هـ، وأبادوا أسرة الزندي. وهكذا انتهى الزنديون مع انتهاء الأفشار. وتفرّد القاجار.

القاجار:

ودام حكمهم مائةً وخمساً وثلاثين سنة (١٢٠٩ - ١٣٤٤ هـ)، وتوالى على البلاد سبعة حكامٍ منهم، وهم:

١" ـ آغا محمد قاجار ١٢٠٩ - ١٢١١ هـ:

من مواليد ١١٥٥ هـ، وقع بيد الشاه علي الأفشاري (عادل شاه)، وخُصي عام ١١٦٠ هـ، وتزوّج كريم خان الزندي أخته فأكرمه. فلما توفي كريم خان عام ١١٩٣ هـ انسحب آغا محمد إلى الشمال، وأعلن نفسه شاهاً، واتخذ من طهران قاعدةً لحكمه.

وقف في وجه زكي خان الزندي، وانتصر على جعفر خان، واستسلم له لطف الله خان عام ١٢٠٩ هـ، فقضى على أسرة الزندي جميعها.

سار إلى جورجيا، واحتلّ عاصمتها (تفليس) عام ١٢١٠ هـ، كما احتل (أريفان) عاصمة أرمينيا، وهرب أخوه (مرتضى) إلى روسيا مغاضباً له.

تقدّم جيش روسي نحو الجنوب، واحتل دربنت (باب الأبواب)، و (باكو)، ثم انسحب بعد أن هلكت القيصرة الروسية كاترين الثانية، وخلفها القيصر (بول) الذي كان مسالماً.

عاد آغا محمد عام ١٢١١ هـ لغزو جورجيا، غير أنه قُتل.

٢" ـ فتح علي شاه ١٢١١ ـ ١٢٥٠ هـ:

وهو ابن أخي آغا محمد، وثار في وجهه صادق خان، غير أنه هُزم، وثار محمد خان بن زكي خان الزندي، واحتلّ (أصفهان)، ولكنه هُزم أخيراً أمام القاجاريين.

اختلف فتح علي شاه مع أخيه حسين قولي خان، فاستغلّ هذا الخلاف سليمان خان قاجار فأعلن العصيان، وعندما اتفق الأخوان، فرّ سليمان خان، ولكن الشاه عفا عنه، وعيّنه حاكماً على أذربيجان.

وجاء من الأفغان نادر مرزا، واستولى على مشهد، فسار إليه الشاه، فاستسلم له، فعفا عنه.

وفي أيّام حكم فتح علي شاه، جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت عام ١٢١٣ هـ، فخشيت إنكلترا من منافستها الاستعمارية فرنسا على طريق الهند، فأشاعت الشائعات وزعمت أن نابليون بونابرت يريد أن يُقيم دولة في المشرق تأتمر بأمر فرنسا، ويريد أن يعطي حكمها لأخيه، وأرادت التفاهم مع الشاه حفظاً على مصالحها في الهند وفي الخليج العربي، وأخذت البعثات الإنكليزية تتوالى على طهران.

وكان الشاه يطمع في ضمّ بلاد الأفغان إليه، وقد عقد معاهدةً مع إنكلترا عام ١٢١٦ هـ، لمقاومة أي غزوٍ أفغانيٍ للهند، وتعهدت إنكلترا أن تمدّ الشاه بالسلاح فيما إذا تعرّضت بلاده لغزوٍ فرنسيٍ، أو أفغانيٍ، ولكن إنكلترا لم تُوقّع على هذه المعاهدة خوفاً من أن تُؤدّي إلى تقاربٍ بين روسيا وفرنسا، إذ كانت روسيا تطمع بأرضٍ من أملاك الشاه.

ولما تمنّعت إنكلترا عن توقيع المعاهدة، وقّع الشاه اتفاقيةً مع فرنسا عام ١٢٢٢ هـ، وبعد شهرين من توقيع هذه الاتفاقية، وُقّعت معاهدة (تليست) بين فرنسا وروسيا، وتركت فرنسا بموجب هذه المعاهدة لروسيا حق التوسّع في الدولة الفارسية، وفي الدولة العثمانية.

تنازل الشاه للفرنسيين عن جزيرة (خرج) في الخليج العربي، ولكن هجوم روسيا على (أريفان) عاصمة أرمينيا التابعة للدولة الفارسية قد نبّه الشاه إلى السياسة الصليبية فنفض يده من فرنسا، وعاد فاتجه إلى إنكلترا، وعقد معها معاهدةً عام ١٢٢٣ هـ مُوجّهةً ضدّ فرنسا، غير أن إنكلترا كانت قبل قليلٍ قد عقدت معاهدةً مع الأفغان ضدّ أي غزوٍ فرنسيٍ أو فارسيٍ، وتعهّدت فيها بمدّ أمير الأفغان شجاع شاه بالأسلحة.

كان حاكم جورجيا (غورغين) قد فتح بلاده عام ١٢١٥ هـ أمام الروس الذين تقدّموا في أرض الدولة الفارسية، واضطر الشاه إلى توقيع معاهدة (كلستان) عام ١٢٢٨ هـ مع روسيا تنازل فيها عن (دربنت) و(باكو) و(شروان) و(جورجيا) و(داغستان) و(قره باخ) وجزءٍ من (تاليش)، كما وافق على ألا يكون له أسطول في بحر قزوين. وأسرعت إنكلترا وعقدت معاهدةً مع الشاه لتحصل على بعض المغانم، كما حصلت روسيا.

وشنّ الشاه حرباً على الدولة العثمانية عام ١٢٣٥ هـ، واستمرّت الحرب عدة سنوات، وكان القصد منها السيطرة على العراق، وقد استعاد الشاه في هذه الحرب بعض ما سبق له أن فقده من أملاكه، ووُقّعت بين الطرفين معاهدة (أرضروم) عام ١٢٣٨ هـ.

شنّ الروس حرباً على الدولة الفارسية عام ١٢٤١ هـ، واحتلّوا مدينة تبريز، وعقدوا معها معاهدة (تركمان جاي) عام ١٢٤٣ هـ، واعتذرت إنكلترا عن دعم الشاه بحجة أنه هو الذي بدأ بالحرب، ولكنها في الواقع الحرب الصليبية.

٣" ـ محمد شاه بن عباس مرزا بن فتح الله شاه (١٢٥٠ ـ ١٢٦٤ هـ):

وهو حفيد الشاه السابق، وثار عليه عمّه، حاكم إقليم فارس، ووقف في وجهه بعض الأمراء القاجاريين، ولكن الشاه انتصر عليهم جميعاً، وثار

أيضاً آغا خان بجماعته من الإسماعيليين في (كرمان) و (لورستان) وعندما أخفق فرّ إلى الهند، ومن هناك استمرّت غارات الإسماعيليين على الدولة الفارسية في محاولة الانتقام منها، وكانوا يتلقّون الدعم من الإنكليز سرّاً.

وبدأت الحركة البابية في عهد هذا الشاه بدعمٍ وتخطيطٍ من روسيا التي تريد أن توجد لها أتباعاً تستطيع عن طريقهم التدخّل في شؤون الدولة، وتكون في الوقت نفسه قد عملت على تهديم الإسلام بنشر مبادىء فاسدةٍ، وإيجاد صراعاتٍ في داخل الدولة، وبين صفوف المسلمين ـ حسب قناعتها ـ.

وتوغّل أمير الأفغان (دوست محمد) في إقليم (سيستان). واحتلّ الإنكليز جزيرة (خرج)، وأخذوا يُهدّدون ميناء (بوشهر) وذلك عام ١٢٥٨ هـ.

٤″ ـ ناصر الدين شاه (١٢٦٤ ـ ١٣١٣ هـ):

وقامت في عهده ثورة البابيين عام ١٢٦٤ هـ، وفشلت، وأُعدم الباب ميرزا علي محمد رضا الشيرازي، وقرة العين فاطمة بنت صالح القزويني، ونُفي حسين بن علي المازندراني (بهاء الله) الذي أصبح رأس الفرقة الضالة الجديدة البهائية، والتي ارتبطت بالإنكليز، بعد أن كان سيدها في أول عهده من صنائع الروس، كما نفي أخوه يحيى بن علي المازندراني (صبح الأزل).

وساعدت إنكلترا عام ١٢٧٢ هـ أمير الأفغان (دوست محمد)، وفتحت بذلك جبهةً جديدةً على الدولة الفارسية من جهة الجنوب الشرقي، وفي العام التالي (١٢٧٣ هـ) احتلّت إنكلترا ميناء (بوشهر) على الخليج العربي، وميناء (المحمرة) على شط العرب، ففتحت بذلك جبهةً أخرى على الشاه من ناحية الغرب.

اضطر الشاه أن ينسحب من مدينة (هراة)، ومن كل الأراضي التي

عرفت فيما بعد باسم (أفغانستان) بعد معاهدة باريس عام ١٢٧٤ هـ التي عقدت بين إنكلترا والأفغان.

حصلت روسيا على امتيازاتٍ واسعةٍ في شمالي الدولة الفارسية، وجاء الضباط الروس، وعلى رأسهم الجنرال (دومونتوفتش) وشكّلوا ثلاث فرقٍ من القوزاق، وتتألّف كل فرقةٍ من ستمائة جندي. أما إنكلترا فقد حصلت على امتيازاتٍ في أجزاء الدولة الجنوبية، ومن هذه الامتيازات مدّ السكك الحديدية، وخطوط البرق.

وقامت حركة ضدّ استبداد الشاه والتدخّل الإنكليزي، وكانت حركةً سلميةً قادها أحد علماء الشيعة الذي يعرف بالشيرازي الكبير، واضطر الشاه أن يرضخ لمطالب الحركة، وأن يُلغي اتفاقية (التبغ) التي سبق أن عقدها مع الإنكليز عام ١٣١٠ هـ، فرضي العلماء عن الشاه بعد ذلك، إذ حقّق لهم رغباتهم بإلغاء اتفاقية (التبغ) مع شركة (تالبوت) البريطانية.

٥" ـ مظفر الدين شاه (١٣١٣ ـ ١٣٢٤ هـ):

وفي عهده وجد المجلس التشريعي حيث نُظّم أول قانونٍ انتخابي في فارس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٢٤ هـ (١٤ آب ١٩٠٦ م). وكان هذا المجلس يضمّ نصف الأعضاء من طهران، وعشرةً يُمثّلون التجار، وعشرةً يُمثّلون الملاك، وأربعةً من العلماء، وأربعةً من الأسرة القاجارية الحاكمة. وقامت في وجهه عدة حركاتٍ، فاعتصم عشرة آلاف من المواطنين في دار السفارة البريطانية، واعتصمت أعداد كثيرة في المساجد، وخاصةً في مسجد عبدالعظيم في (الري)، وتُوفّي الشاه في شهر ذي الحجة من عام ١٣٢٤ هـ (كانون الثاني ١٩٠٧ م).

٦" ـ محمد علي شاه (١٣٢٤ ـ ١٣٢٧ هـ):

وفي عهده زاد الترف والبذخ، واستدانت الحكومة الكثير من الأموال على شكل قروض، واتفقت إنكلترا وروسيا على اقتسام مناطق النفوذ في إيران بينهما ـ كما سنرى ـ وحاول الشاه استعادة السلطة، ودعمه الروس،

وقام العميد الروسي (لياخوف) بضرب مبنى المجلس النيابي في تاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ (٢٣ حزيران ١٩٠٨ م)، وفرض نفسه حاكماً عسكرياً، وشكّل حكومةً عسكريةً، وألقى القبض على عددٍ من الزعماء، وأعدم بعضهم، وحلّ الشاه المجلس النيابي، وحدثت ثورة في البلاد عام ١٣٢٥ هـ ضدّ التدخّل الأجنبي، واستولى الثوار على مدينة (تبريز) فهاجمها الروس، وسار خمسة آلاف متظاهر من (بختيار) نحو طهران، وهزموا فرقةً من فرق القوزاق، ودخلوا طهران في جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (تموز ١٩٠٩ م)، وكان الاستياء العام من الترف، واضطر الشاه إثر ذلك إلى الرضوخ، ومنح البلاد دستوراً، واجتمع المجلس النيابي في السنة نفسها، ومع ذلك فقد استمرّت الحركات، وكان يقودها (الأخوند محمد كاظم الخراساني) أحد علماء الشيعة، وأُجبر الشاه أن يترك مقرّه في طهران، وأن يلتجىء إلى السفارة الروسية، ثم انتقل إلى مدينة قزوين في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (١٦ تموز ١٩٠٩ م) ومنها هناك فرّ إلى روسيا. واجتمع المجلس النيابي الفارسي، وقرر خلع الشاه محمد علي، وعيّن ابنه الصغير مكانه، واختار عضد الملك وصياً عليه، فلما مات اختار أبا القاسم خان ناصر الملك وصيّاً، وكان مستبدّاً.

٧" ــ أحمد شاه بن محمد علي شاه (١٣٢٧ ـ ١٣٤٤ هـ):

كان صغيراً، وضع تحت الوصاية عندما آل الأمر إليه، وترك أمر البلاد لغيره من المقربين إليه، وانصرف إلى حياة اللهو، ولم يختلف الوضع عندما تسلّم السلطة بنفسه حيث لم يكن سوى شرطيٍ عند البريطانيين إذ كان يستشيرهم قبل تكليف أي سياسيٍ بتشكيل الوزارة.

كانت إنكلترا قد اتفقت مع روسيا منذ عام ١٣٢٦ هـ على تقسيم فارس إلى ثلاث مناطق:

أ ــ منطقة نفوذ لبريطانيا في الجنوب.

ب ــ منطقة نفوذ لروسيا في الشمال.

جـ ـ منطقة محايدة في الوسط على امتداد خط عرض طهران.

وتعهدت كل من روسيا وإنكلترا على ألا تنافس إحداهما الأخرى لا في الميدان السياسي ولا في الميدان التجاري، ومع ذلك فقد اعترفت كلاهما باستقلال فارس.

نقم الرأي العام الفارسي على روسيا، وكانت إنكلترا تهادن الروس على حساب مصلحة فارس خوفاً من خطر حربٍ تشنّها ألمانيا، فتريد بريطانيا أن يكون لها حلفاء أقوياء في أوروبا ضدّ الألمان. واستمرّ الضغط الروسي يتزايد في فارس حتى قامت الحرب العالمية الأولى.

وفي ٢٧ شعبان ١٣٣٢ هـ بلغ الشاه أحمد سنّ الرشد، وتُوّج ملكاً على البلاد، وغادر الوصي السابق ناصر الملك فارس، وتوجّه إلى فرنسا في ١٨ رمضان ١٣٣٢ هـ.

وفي الحرب العالمية الأولى كانت فارس ميداناً للصراع بين الألمان والعثمانيين من جهةٍ وبين الإنكليز والروس من جهةٍ ثانيةٍ، فلما انتهت الحرب كانت البلاد في حالة انهيارٍ عسكريٍ وسياسيٍ.

انتهى النفوذ الروسي في فارس بعد قيام الثورة الشيوعية وتسلّمها مقاليد الحكم في روسيا في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩١٧ م)، واضطر الروس أن يتنازلوا عن ديونهم، وأن يُحسّنوا علاقتهم مع فارس كي لا يجد الروس البيض، والمعارضين للثورة الشيوعية، والذين سيطروا على أجزاء من روسيا، ومناطق من البلدان التي تقع تحت سيطرة الروس أي دعمٍ من البلدان المجاورة لهم، ومنها فارس.

أرادت إنكلترا أن تحلّ محلّ روسيا فلم تتمكّن، فأرادت أن تجعل من فارس سدّاً منيعاً في وجه التوسّع الشيوعي لذا أسرعت وعقدت مع فارس اتفاقية (المساعدة البريطانية من أجل تقدّم فارس ورفاهيتها) في ١٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ (٩ آب ١٩١٩ م. وإذا كانت هذه الاتفاقية قد اعترفت

باستقلال فارس ظاهراً إلّا أنها قيّدتها بقيودٍ جعلتها فيها تحت الحماية البريطانية، ومما جاء في هذه الاتفاقية:

١ ـ تستخدم فارس المستشارين البريطانيين في كل مؤسسات الدولة بما في ذلك الجيش.

٢ ـ لا يُزوّد الجيش الفارسي إلا بالأسلحة البريطانية.

٣ ـ تُشرف بريطانيا على جهاز الحكم الفارسي.

٤ ـ تقوم إنكلترا بإنشاء السكك الحديدية وطرق المواصلات في فارس.

٥ ـ تعمل إنكلترا على تصحيح الحدود الفارسية في النقاط ذات الأهمية الخاصة.

٦ ـ تقدم بريطانيا قرضاً لفارس بمبلغ مليوني جنيه بفائدةٍ قدرها ٧٪.

ووقّع هذه الاتفاقية كل من رئيس وزراء فارس وثوق الدولة، والسفير البريطاني بيرسي كوكس، واستمرّت المفاوضات بين الجانبين عاماً كاملاً.

رضي الشاه أحمد بهذه الاتفاقية، ولم يبق سوى موافقة المجلس النيابي عليها. ولكن الشعب ثار على هذه الاتفاقية، حتى الموالين للسياسة البريطانية من الفرس الذين أرادوا إلغاءها لإنقاذ وضعهم الذي عُرفوا به، وآرائهم التي يُدافعون عنها، وقد أصبحت فارس حسب الرأي العام المحلي والدولي محميةً بريطانيةً.

وانتقدت الولايات المتحدة هذه الاتفاقية بل رفضت تقديم أية مساعدةٍ لفارس احتجاجاً على الاتفاقية، وكذلك انتقدتها فرنسا، وإن كان البريطانيون قد عدّوا هذا النقد من باب المنافسة دون النظر للمصالح الفارسية.

وبعد الحرب العالمية الأولى أخذت الأفكار الشيوعية تنشط في فارس، كما أخذت أجنحة متعددة من الأحزاب تتوجّه نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وتعتمد عليها في دعمها.

وبعد توقيع الاتفاقية حدثت انتفاضات في عددٍ من المناطق، وأسّست المعارضة حكومات محلية في تلك المناطق، فأسّس الشيخ محمد خياباني الحكومة الوطنية في أذربيجان في رمضان من عام ١٣٣٨ هـ (حزيران ١٩٢٠ م) وأطلق على أذربيجان بلاد الحرية (أزاديستان). وفي الوقت نفسه أسّس (مرزا كوجك خان) حكومةً محلية في إقليم جيلان، وأرسل من مدينة (رشت) برقيات إلى الحكومة المركزية في طهران، وإلى السفارات الأجنبية ينتقد فيها السياسة الإنكليزية، وكذلك تزعّم محمد تقي خان الانتفاضة في خراسان، هذا بالإضافة إلى الحركة الواسعة التي قامت في كردستان وقادها (سمكو) وكادت تقضي على الحكم القاجاري.

حكومة مشير الدولة:

قدّم وثوق الدولة استقالة حكومته في ٧ شوال ١٣٣٨ هـ (٢٣ حزيران ١٩٢٠ م) وعُهد إلى مشير الدولة بعد إذنٍ من السفير البريطاني بتشكيل الوزارة، فاجتمع بالسفير وتشاور معه في أعضاء الوزارة والذين كان من بينهم، مؤتمن الملك، ومستوفى الممالك، ومصدق السلطنة (محمد مصدق)، ومخبر السلطنة صاحب النفوذ في أذربيجان.

استأذن رئيس الوزراء السفير الإنكليزي بإرسال وفدٍ إلى موسكو لإقناع روسيا بالانسحاب من فارس، ووقف الدعاية الشيوعية. كما استأذنه بالإعلان عن إيقاف تنفيذ كل ما يتعلق بالاتفاقية موقتاً. وبإجراء انتخاباتٍ جديدةٍ. وفي هذه الآونة تحسنت العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخيراً قدّم مشير الدولة استقالة حكومته في ٦ جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٢١ م).

حكومة سباهدار أعظم:

بعد استقالة حكومة مشير الدولة كانت الأنظار تتجه إلى أحد الرجلين لتشكيل الحكومة الجديدة إما مستوفى الممالك وإما سباهدار أعظم،

واستشار الشاه السفير البريطاني لكنه رفض التدخّل بحجة أن هذا أمر خاص بالشاه وقضية داخلية.

كلّف الشاه بالوزارة سباهدار أعظم فشكّل حكومةً جديدةً شملت أعضاء الحكومة السابقة تقريباً، وأُضيف إليهم محتشم السلطنة الذي أُسندت إليه حقيبة وزارة الخارجية، ووحيد الملك، واقترحت الحكومة على بريطانيا عقد اتفاقيةٍ جديدةٍ تحلّ محلّ الاتفاقية السابقة التي لا يرضى عنها أحد في الداخل، كما تجد نقداً لاذعاً في المحافل الدولية.

تشكلت الحكومة الجديدة في ٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (١٦ شباط ١٩٢١ م)، ولكنها لم تبق في الحكم سوى عدة أيام إذ وقع انقلاب، وهو الذي عرف بانقلاب «حوت» حسب التقويم الفارسي الخاص بهم، وهو في ١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢١ شباط ١٩٢١ م).

انقلاب حوت:

وهو انقلاب سلمي، لم يمس الشاه، وإنما تغيير في مواقع القوة إذ غدا تاريخ فارس في المرحلة القادمة مرتبطاً بشخصية رضا بهلوي[1] ومن

---

(١) رضا بهلوي: ولد في بلدة (سوادكوه) في إقليم مازندران عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م)، يُدعى أبوه عباس قلي خان، وقد توفي في ٢ ذي الحجة ١٢٩٥ هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٨٧٨ م)، ولا يزال ابنه رضيعاً، فانتقلت به والدته إلى طهران. وأما أمه فتعود إلى أصلٍ قفقاسيٍ حيث انتقل بها أهلها إلى إيران بعد سيطرة الروس على بلاد القفقاس عام ١٢٨٢ هـ. رعى الولد خاله بعد أن تزوجت أمه، وتركت غلامها لأخواله. ثم أودعه خاله لدى أسرة الجنرال (تومان كاظم خان) صديق عائلته.
يعود رضا بهلوي إلى أسرةٍ امتهنت الجندية، وكان أبوه عباس قلي خان قد وصل إلى رتبة عقيد، وكان جده كذلك ضابطاً، وقتل في الحملة على (هراة).
منذ أن وصل رضا بهلوي إلى سنّ الخامسة عشرة التحق بالجندية، فأُتبع بفرق القوزاق، وتزوّج، وأنجبت له زوجته ابنةً ولكنها اختفت معها في ظروف غامضة عام ١٣٣٣ هـ. =

يتعاون معهم، وكان أولهم ضياء الدين الطباطبائي[1].

= تزوّج ثانيةً ابنة القائد العسكري (تيمور خان ميربنج)، وأنجبت له ولي العهد عام ١٣٣٧ هـ.

اشترك عام ١٣٢١ هـ في قتالٍ ضدّ حركاتٍ معاديةٍ للسلطة المركزية، فأبدى شجاعةً، وكان رئيس عرفاء فرقّي إلى رتبة ملازم.

اشترك عام ١٣٢٩ هـ في القتال ضدّ سالار الدولة شقيق الشاه المخلوع محمد علي الذي ثار على ابن أخيه، فأظهر رضا جرأةً، ومنح رتبة ملازم [illegible]ل.

واشترك في القتال مع فرق القوزاق ضدّ [illegible]رسان، وكردستان، ولورستان، وأظهر قوةً ونشاطاً حتى صار يُعرف باسم رضا خان مكسيم نسبة إلى مكسيم المدفع الذي كان يعمل عليه.

وصل في الحرب العالمية الأولى إلى رتبة مقدم، وبعد عام أصبح عقيداً، خدم في مدينة (كرمنشاه) وبعدها انتقل إلى (همدان) وأخيراً انتقل إلى طهران.

بعد الثورة الشيوعية أخذ يتعاون مع الروس البيض المناهضين للبلاشفة، ومنح رتبة عميد وأعطي قيادة فرقة من القوزاق، فعمل بعض الإصلاحات فلفت نظر الضباط الصغار.

منذ عام ١٣٣٢ هـ أخذ يُواظب على قراءة جريدة (رعد) التي كان يُصدرها ضياء الدين الطباطبائي. وتأثّر بسياستها. وكان يميل إلى النزعة الفردية، وحب الاستبداد.

عهدت إليه الحكومة حماية البعثة الأمريكية، ثم السفارة الإنكليزية، ثم المصارف الروسية والبريطانية.

أُعجب بالألمان، وأصبح حسّاساً ضدّ الإنكليز، غير أنه لا يُظهر شيئاً، إذ عُرف بالكتمان والتأنّي.

(١) ضياء الدين الطباطبائي: ولد في مدينة (يزد) عام ١٣٠٦ هـ، ودرس في باريس عام ١٣٢٩ هـ لمدة سنتين، كان مولعاً بالأدب، وعمل بالصحافة، وأصدر بعد الحرب العالمية الأولى جريدة (رعد)، واعياً لواقعه السياسي والقضايا الدولية، مُتأثّراً وميّالاً للسياسة الإنكليزية، عنده حب المغامرة. أيّد الاتفاقية مع بريطانيا في الوقت الذي رفضتها مختلف أوساط الشعب. وأيّد حكومة الثورة الروسية المانشفية المؤقتة، ووقف ضد ثورة البلاشفة في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩١٧ م). وأيّد حكومة وثوق الدولة.

عُيّن سفيراً فوق العادة لدى حكومات ما وراء القفقاس أرمينيا، وجورجيا، وأذربيجان، وذلك عام ١٣٣٨ هـ.

=

كان رضا خان يرى العمل لاتحاد الضباط الفرس في فرق القوزاق في طهران وقزوين، والعمل لطرد الأجانب وسحق عملائهم، غير أنه كان شديد الكتمان لما يسمع، وما يُخطّط له، متأنّياً فيما يتحدّث به. وشعر الإنكليز أنه يُعادي الحرية السياسية، ويميل إلى الاستبداد، وحاز على إعجابهم، وتوقّعوا أنه الرجل المناسب للتغيير في فارس، فركّزوا عليه. وبعث السفير الإنكليزي في طهران (هرمن نورمن) برسالة إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد كرزن بتاريخ ٤ رجب ١٣٣٩ هـ (١٣ آذار ١٩٢١ م) بهذا المعنى.

كان رضا خان مُستاءً من الفوضى والاضطرابات في البلاد وكذلك كل ضباط القوزاق، ويرون ضرورة العمل لوجود حكومةٍ مركزيةٍ قويةٍ تستطيع الوقوف في وجه التخلّف والانتفاضات والحركات الثورية. وعندهم حماسة لاستقلال البلاد.

رأى الضباط الفرس في فرق القوزاق في ضياء الدين الطباطبائي ومؤيديه عناصر سياسية يمكن العمل معهم والتفاهم، كما رأى ضياء الدين في هؤلاء الضباط قوةً يمكن الاعتماد عليهم، وجرت اتصالات بين الطرفين.

وفي ٥ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (١٣ شباط ١٩٢١ م) جرى لقاء في مدينة قزوين بين ضياء الدين الطباطبائي ورضا خان، وتمّ التفاهم بين الجانبين على العمل معاً، وتسلّم السلطة، بل تفاهما على اقتسام المراكز حيث يتسلّم ضياء الدين رئاسة الحكومة على حين يصبح رضا خان قائداً لفرق القوزاق، ويبدو أن رضا خان كان يفُكّر بأبعد من ذلك بكثيرٍ، واقتنع بنفسه أن القوة هي وسيلته الوحيدة للوصول إلى ما يطمح عليه، وأن هذه المرحلة تكفيه بما يُحقّقه من الحصول على بداية القوة، وهي أول الطريق.

= وعشيّة انقلاب (حوت) غيّر ثوبه، وظهر بمظهر الإخلاص، ووسّع صلته بالعناصر الوطنية، وإن كان المعدن لا يتغيّر حيث بقيت صلته السرية بالبريطانيين.

قررت الحكومة تغيير قطعات القوزاق الموجودة في العاصمة واستبدالها بالقطعات المرابطة في مدينة قزوين، فرأى رضا خان الفرصة مناسبةً جداً لتنفيذ الخطة ما دام سيتحرّك مع تلك القطعات تلقائياً إلى طهران، وأخبر ضياء الدين الطباطبائي بذلك فوافقه على البدء.

بدأت قطعات القوزاق في قزوين تتحرك من قزوين نحو طهران في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (١٨ شباط ١٩٢١ م)، وتقدر بـ ٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ جندي، ومعها ستة وعشرون مدفعاً، وقبل الوصول إلى طهران أسرع ضياء الدين وخرج لاستقبالهم، فالتقى قرب مطار (مهر أباد) بهم، واجتمع هناك برضا خان ومعه العقيد كاظم خان سياح، والنقيب مسعود خان كيهان، وأمير أحمدي، وأقسم ضياء الدين الطباطبائي على كتاب الله بأن يخدم الشعب والبلاد، وأن يقف في وجه الشيوعية، وأن يكون في خدمة الشاه، وكذلك أقسم الضباط.

اجتمع مجلس الوزراء بصورةٍ متواصلةٍ يومي ١١ و١٢ جمادى الآخرة، ثم أرسل وفداً يُمثّل الشاه، والحكومة، والسفارة البريطانية ليُقنع العسكريين بعدم دخول طهران.

رفض العسكريون مطالب الحكومة، وطالبوا بتشكيل حكومةٍ قويةٍ والوقوف في وجه الشيوعية.

وفي ١٣ جمادى الآخرة طلب السفير البريطاني من الشاه الموافقة على طلب العسكريين، وطمأنه على حياته. أما رئيس الوزراء فأعطى أوامره بعدم المقاومة التي لم تكن ممكنةً بالأصل. وأذاع الشاه بياناً كأنه يُؤيّد هذه الحركة بل كأنه كان من ورائها.

دخل العسكريون العاصمة، وسيطروا على المرافق الحيوية جميعها، وأطلقوا سراح المعتقلين، وكانت إنكلترا راضيةً عما حدث ومقتنعةً به كأسلوبٍ لإنقاذ إيران من الحركة الثورية. وكلّف الشاه ضياء الدين

الطباطبائي برئاسة الحكومة، فأعلنها، وتسلّم رضا خان قيادة فرق القوزاق، وكان يُشـارك في اجتماعات الحكومة وإن لم يكن عضواً فيها.

اجتمع رئيس الوزراء الجديد بالسفير الإنكليزي وأعلمه أن الحكومة لا يمكنها أن تُباشر أعمالها دون إلغاء الاتفاقية الإنكلو- إيرانية. وكان ذلك الاجتماع في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٥ شباط عام ١٩٢١ م)، وهو أول اجتماعٍ تمّ بين السفير ورئيس الحكومة الجديد.

كتب السفير البريطاني لوزير خارجية حكومته في اليوم نفسه يشرح له ما دار في اللقاء فيقول: «أخبرني سيد ضياء الدين طباطبائي - ل.م.) سراً بما يلي عن سياسته: يجب إلغاء الاتفاقية الإنكلو- إيرانية، فمن دون ذلك لا يمكن للحكومة الجديدة أن تباشر أعمالها... تتخذ الخطوات مباشرةً لاستخـدام عـددٍ من الضبـاط والمستشـارين البـريـطانيين في المؤسسـات العسكرية والمالية بموجب عقودٍ فرديةٍ دون إظهار أي نوع من الاتفاق بين الحكومتين، كما يجب عدم جلب الأنظار إلى نشاط هؤلاء قدر المستطاع، بينما يعلن للملأ أن الحكومة الفارسية تنوي جلب المستشارين من مختلف الدول الأوربية، فيُدعى الفرنسيون والأمريكان وربما الروس أيضاً فيما بعد لإشغال مراكز في وزاراتٍ أقل أهمية. وتهدف الفكرة إلى إرضاء الـدول الأجنبية الأخرى قدر الإمكان وإلى ذر الرماد في عيون البلاشفة والمتذمّرين المحليين في وقتٍ توضع فيه إدارتان أساسيتان بيد البريطانيين، يُؤلّف جيش ويحـلّ محلّ قـواتنا في الجبهـة البلشفية... صـدرت التعليمات لـرئيس الشرطة السويدي لرفع كفاءة قواته وإضافة خمسمائـة رجل إليهـا لحمايـة السفارات شكلياً ولكن في الواقع لمراقبة الممثّل السوفيتي حـال وصولـه ولمراقبة النشاط البلشفي عموماً... إنه أشار إلى أن كلاً من مستقبل فارس ومستقبل بريطانيا العظمى في فارس يعتمد على فرصـة عدة أشهـر تُمنح للحكومة الجديدة لتتخذ الإجراءات الدفاعيـة الضروريـة (لصد الحـركات الوطنية - ك.م.) والتي كان إهمالها جرماً ارتكبه من سبقه.... ومن أجل

التخلص من معاداة حكومة روسيا السوفيتية. من المهم جداً إخفاء ميل الإدارة الحالية نحو بريطانيا إلى أقصى حدٍّ ممكن في الوقت الحاضر. وفي الختام قال: إذا كانت بريطانيا العظمى ترغب في إنقاذ موقعها هنا فعليها أن تُضحّي بالظلّ من أجل الجوهر، وتبقى في الخلف تساعد فارس بنشاطٍ ولكن بعيداً عن الأنظار. إنه متأكد من أن سياسةً كهذه ستُحقّق في النهاية لبريطانيا العظمى فوائد أكبر من تلك التي تتوقّعها من اتفاقيةٍ يتعذّر تطبيقها»[1].

ظهر رئيس الحكومة ضياء الدين الطباطبائي على حقيقته، وعجز عن حلّ كثيرٍ من المشكلات، وبرزت الحركة الوطنية، ووقعت الحكومة في ضائقةٍ ماليةٍ نتيجة الإنفاق بسخاءٍ على فرق القوزاق لإرضائهم، ولم يستطع الحصول على قرضٍ من بريطانيا لمعالجة الضائقة المالية، وكذلك فشل في كسب الرأي العام إليه، ورأى الإنكليز أنه لا بدّ من رجلٍ أقوى لهم.

كان رضا خان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء كلها رغم أنه لم يكن وزيراً، وكان يتدخّل في كل قضيةٍ، ويُبدي رأيه، ويُصرّ عليه، ويُؤكّد على تنفيذه. وألحّ على ربط الشرطة بوزارة الحربية، وحُقّق ذلك، على حين كان رئيس الحكومة يرى ربطها بوزارة الداخلية، ولم يستطع تنفيذ رأيه. ووقع الخلاف بين الطرفين أو بين قطبي الانقلاب.

حاول رئيس الحكومة عن طريق البريطانيين إقناع رضا خان بعدم تخطيه حدوده فلم يفلح، وعمل على إبعاده عن قيادة القوزاق فلم ينجح، حيث أنه لا يستطيع أن يتخذ أي قرارٍ بحقه ما دام على رأس العسكريين القوزاق، ومن أجل هذا سلّمه منصب وزير الحربية فتسلّمه دون أن يترك قيادة القوزاق.

استطاع رضا خان أن يقنع الشاه بإزاحة ضياء الدين الطباطبائي عن

(١) دراسات في تاريخ إيران ـ كمال مظهر أحمد ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

رئاسة الحكومة فأصدر الشاه مرسوماً في ١٨ رمضان ١٣٣٩ هـ (٢٥ أيار ١٩٢١ م) بإقالة حكومة ضياء الدين الطباطبائي الذي قرّر الفرار من البلاد، فعرضت عليه الولايات المتحدة اللجوء السياسي إليها، وكذلك عرضت عليه روسيا غير أنه رفض كلا العرضين. واتجه إلى العراق، ومنها سافر إلى أوربا فعاش في سويسرا وألمانيا، ثم رجع واستقرّ في الشام في منطقة فلسطين حتى وافته المنية عام ١٣٨٩ هـ.

كان رضا خان ينوي اعتقال خصمه صديق الأمس غير أن البريطانيين قد حالوا دون ذلك، كما أن السفير الروسي قد نصحه بعدم الإقدام على الاعتقال.

حكومة أحمد قوام السلطنة:

كان البريطانيون يرغبون في استلام رضا خان للحكومة غير أن الشاه اعترض على ذلك، ورشح مشير الدولة لكنه اعتذر، وعهد إلى مستوفى الممالك فاعتذر أيضاً، فوقع الاختيار بعدئذٍ على أحمد قوام السلطنة شقيق وثوق الدولة، فعهد إليه الشاه بتشكيل الوزارة فامتثل وقام بالمهمة، وألّف الحكومة في ٢٨ رمضان ١٣٣٩ هـ (٤ حزيران ١٩٢١ م). وبقي رضا خان في وزارة الحربية، وقد ضمّت هذه الحكومة كثيراً من الذين تعاونوا مع الألمان في الحرب العالمية الأولى(١).

كانت مهمة الحكومة الأساسية القضاء على حركتي (خراسان) و (جيلان)، وحاولت التقرّب من الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على قروضٍ، ولمنح الشركات الأمريكية حق امتياز التنقيب عن النفط.

---

(١) كان من أعضاء هذه الحكومة:

١ ـ محتشم السلطنة: وزيراً للمعارف.
٢ ـ رضا بهلوي: وزيراً للحربية.
٣ ـ مشاور السلطنة: وزيراً للبرق والبريد.
٤ ـ عميد السلطنة: وزيراً للعدل.
٥ ـ أديب السلطنة: للفوائد العامة والتجارة والفلاحة.
٦ ـ حكيم الدولة: وزيراً للصحة.
٧ ـ مستشار الدولة: وزيراً مشاوراً.

وكانت السياسة البريطانية في فارس تعمل على مقاومة الشيوعية، وحماية العراق والهند منها، والعمل على القضاء على الحركات الوطنية. وتغيّرت سياسة اللين التي كانت تحرص عليها بريطانيا، وبدأت سياسة الضغط، والمطالبة بالديون، وتشجيع الحركات الانفصالية، وظهر حزب النجمة البختيارية في منطقة بختيار. كذلك تغيّر السفير البريطاني إذ ارتحل (هرمن نورمن) وجاء (بيرسي لورين).

عزل وزير الحربية حكام بعض المناطق مثل: محمد مصدق حاكم أذربيجان، واقتدار الدولة حاكم مازندران، وعيّن مكانهم حكاماً عسكريين، وكأنه هو المتصرّف الوحيد بالدولة. بل كان ما يقرب من نصف ميزانية الدولة (٤٩٪) يتصرّف به وزير الحربية باسم الإنفاق على القوات المسلحة وذلك لكسب الجيش إلى جانبه، فكان للضباط ميزات خاصة، على حين لم يكن نصيب التعليم من الميزانية ليزيد على ١٪ فقط. وهذا ما أربك الميزانية وأوقعها في عجزٍ.

عُيّن محمد مُصدّق وزيراً للمالية في سبيل إنقاذ المالية، ولكنه لم يستطع فعل شيء أمام غطرسة رضا خان، وسيطرته على أجهزة الدولة.

وفي النصف الأول من عام ١٣٤٠ هـ تشكلت الكتلة الوطنية من الحزب الاشتراكي الديمقراطي بزعامة سليمان مرزا إسكندري، والاشتراكيين المستقلين، ووقفت الكتلة ضدّ حكومة أحمد قوام السلطنة.

وزاد الخلاف بين رئيس الحكومة وبين وزير حربيته رضا خان حتى اضطر رئيس الحكومة إلى تقديم استقالة وزارته في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ (٢٠ كانون الثاني ١٩٢٢ م).

حكومة مشير الدولة:

شكّل الحكومة في ٢٤ جمادى الأولى، واتبعت حكومته سياسة

التقارب من الولايات المتحدة الأمـريكية التي طلبت ضمـاناً لمصـالحها. ولجأت إنكلترا إلى إثارة القبائل كردّ فعلٍ على سياسة الحكومة.

أخذ وزير الحربية رضا خان يتقرّب من الكتلة الوطنية ليكون له دعم سياسي إضافةً إلى الدعم العسكري وذلك قبل الخلاف مع رئيس حكومته إذ كان يعمل على إفشال رؤساء الحكومات المتعاقبين ليبقى وحده في الساحة وليُجبر الشاه على تكليفه بالحكومة بعد فشل الآخرين.

بدأ الخلاف بين رئيس الحكـومة ووزيـر حربيتـه الذي ركّـز وضعه واستعدّ للمنازلة والخلاف. فاعتقل وزير الحربية رضا خان من نفسه عدداً من الصحفيين، وأغلق عدداً من الجرائد ومنها: (نجمة فارس) و (نجمـة الشرق) و (خلاص فارس)، ثم طلب من رئيس الوزراء وكأنه موظف عنده أن يُغلق جريدة (الحقيقة) فرفض رئيس الحكومة لأن الطلب جاءه كأمرٍ، ولو فعل لتسلّط عليه وزير حربيته ثم بسط نفوذه على البلاد. ولما رفض هدّده الوزير بالاعتقال فما كان من رئيس الوزراء إلا أن قدّم استقالة حكومته في أواخر رمضان من عام ١٣٤٠ هـ.

حكومة أحمد قوام السلطنة للمرة الثانية:

شكّل حكومتـه الثانيـة في الأسبوع الثـاني من عيد الفـطر ٨ شوال ١٣٤٠ هـ (٣ حزيران ١٩٢٢ م)، وعملت في هذه الأثناء لندن على التفاهم مـع واشنطون، واتفقت شـركة سـتـاندر أويـل الأمريكيـة مع شـركة النفط الإنكلو ـ فارسية على استثمـار نفط الشمال، وهـذا ما يُخـالف المعاهـدة الفارسية ـ الروسية التي عقدت في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٢١ م) والتي تعطي حق التنقيب عن النفط في الشمال للروس، ولهذا فقد شنّت روسيا حملةً عنيفةً على الحكومة الفارسيـة، كما أن الصحـافة الفـارسية قـد هاجمت العمـالة لأمـريكا، واقتسـام الشـركـات الإنكليـزيـة والأمريكية للثروة الفارسية. فقامت الحكومة في مطلع عام ١٣٤١ هـ (٢٢ آب ١٩٢٢ م) وأغلقت الصحف كلهـا. فأضـرب عمال المـطابع في ١٧

محرم ١٣٤١ هـ (٨ أيلول ١٩٢٢ م) إذ توقّفوا عن العمل، وانقطع مورد رزقهم، وتبع ذلك إضراب المعلمين، وشدّدت الكتلة الوطنية من معارضتها، واضطرت الحكومة إلى تقديم استقالتها في ٨ جمادى الآخرة ١٣٤١ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٢٣ م).

حكومة مستوفى الممالك:

شكل الوزارة في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤١ هـ (١٤ شباط ١٩٢٣ م) وهو من قادة الكتلة الوطنية، وسمح للصحف بالصدور، فعاد عمال المطابع إلى عملهم تلقائياً. وتحسّنت العلاقة مع موسكو، فخشيت إنكلترا من زيادة التقارب بين فارس وروسيا فأنزلت ثمانمائة جندي بريطاني في موانىء الجنوب في الثالث من شعبان ١٣٤١ هـ (٢٠ آذار ١٩٢٣ م).

بدأت تقع اغتيالات في قادة الكتلة الوطنية، وربما كان رضا خان خلفها لتثور حمية رئيس الحكومة على أنه من قادة الكتلة، ويستنجد بوزير الحربية لردع المجرمين، وليفسح المجال لنفسه بالتدخّل على أنه مسؤول كوزير للحربية وتتبع له قوى الأمن الداخلية، ولصلته أيضاً بقادة الكتلة الذين يتوقّعون منه كل مساعدةٍ، وهذا ما يُهيّىء له الظهور والبروز.

اضطرت الحكومة إلى تقديم استقالتها في ٢ ذي القعدة ١٣٤١ هـ (١٥ حزيران ١٩٢٣ م).

حكومة مشير الدولة:

شكّل مشير الدولة حكومته في اليوم التالي لاستقالة سلفه، ولم تستطع تقديم شيءٍ فقامت المظاهرات، واضطر رئيس الوزارة إلى تقديم الاستقالة في ١٢ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٢٣ م)، ولم يجد الشاه بُدّاً من أن يعهد إلى رضا خان برئاسة الحكومة.

حكومة رضا خان:

شكّل الحكومة في ١٩ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣ م)، واحتفظ لنفسه بوزارة الحربية، كما سلّم وزارة الداخلية، ووزارة البرق والبريد إلى عسكريين. وكان من كبار وزرائه سليمان مرزا الذي أسندت إليه وزارة المعارف، ومحمد مصدق، وذكاء الملك، وصور إسرافيل.

فارس بعد إلغاء الخلافة

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) ولا تزال السلطة الاسمية بيد القاجاريين، وكان الشاه هو أحمد، ولكن السلطة الفعلية كانت بيد رضا بهلوي.

أُلغيت الخلافة وكان الناس في هذه الأقاليم قد ملّوا من الصراعات التي لا تنقطع بين القبائل، والحروب التي لا تنفكّ بين الأسر، بل إن أفراد الأسرة الواحدة ليثور بعضهم على بعضٍ، ويُقاتل بعضهم بعضاً، وقد رأينا كيف كان الأخ يتمرّد على أخيه، والعمّ على ابن أخيه، والقائد على رئيسه، وكثيراً ما تدفع الأطماع أصحابها فيتحرك حاكم إقليمٍ ليضمّ إقليماً آخر إلى سلطانه، وقد أُبيدت أُسر كاملة غُلب على أمرها بيد أسرٍ علا شأنها. وربما استعان أهل إقليمٍ بعدوٍّ مشتركٍ ضدّ أهل إقليمٍ ثانٍ، إذ كانت إنكلترا، وكانت روسيا، وفرنسا مدةً تحت طلب المتخاصمين تدعم هذا ضدّ ذلك، وتمدّ بالسلاح إقليماً ضدّ آخر، وأُسرةً ضدّ ثانيةٍ وقصدها أن يُفني بعضهم بعضاً بدافعٍ صليبيٍ أولاً، ولتحصل على بعض النفوذ ثانياً. وكانت النتيجة أن كره الناس القتال لما وقع في بلادهم، وتمنّوا الخلاص من الحروب على أيّة صورةٍ، وفي الوقت نفسه كرهوا حكامهم لما جرّوه عليهم، وفقدوا الثقة بهم لما حملوهم عليه، ولعدم اهتمامهم بهم.

وعندما يستعين شاه بعدوٍّ يُزيّن لشعبه صفات ذلك العدوّ، وأنه لا أطماع له، وإنما يُريد من وراء دعمه معاداة خصمه المستعمر المُنافس له، وهذا ما خفّف من كراهية الصليبيين عند المسلمين وقلّل من الحماسة

لقتالهم، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن المسلمين أصبحوا يرون الدول الصليبية متفاهمةً شعوبها غير مختلفةٍ فيما بينها على عكس ما يحدث بين المسلمين، ومنصرفةً كلها إلى العمل لمصالحها خارج حدودها، وإن كنا نُسمّي ذلك استعماراً إلا أنه في صالح شعوبها، ولم يكن المسلمون يومذاك - مع الأسف - ليلتفتوا إلى الحقد الصليبي الذي كان يُحرّك تلك الدول النصرانية، وإنما يعدّونه استعماراً من أجل الاقتصاد واستغلال ثروات الشعوب الثانية. كما أن المسلمين لم يكونوا لينتبهوا إلى أن ما يُصيب المسلمين من ظلمٍ وحرب إبادةٍ من قبل المستعمرين يزيد أضعافاً مُضاعفةً على ما يُصيب بقية الشعوب فالحرب إنما مُوجّهة ضدّ المسلمين بالدرجة الأولى وهي صليبية اقتصادية بالنسبة لهم، واقتصادية فقط بالنسبة لغيرهم، ولكن تعليم النشء ومناهج التعليم في بلدان المسلمين كلها - مع الأسف - لا يعير الجانب الصليبي اهتماماً.

وكان سكان هذا الإقليم يرون ما يُصيبهم من إخوانهم المسلمين في بقية الأمصار يفوق ما ينالهم من أعدائهم الصليبيين فالحروب ما تنقطع بين الدولتين العثمانية والفارسية، والقتال بين الأفغانيين وجيرانهم لا ينتهي على حين لم تقع حروب بشدتها مع الفرنسيين، وكانت الحروب مع الإنكليز أخفّ شدّة وأقلّ هولاً، أما الحروب مع الروس وإن كانت طاحنةً إلا أنها تنطلق من المناطق الإسلامية التي سيطروا عليها واستعمروها، والتي أخذ المسلمون - مع الأسف - بنسيانها، كما لم ينتبه المسلمون إلى ما يُثيره المستعمرون الصليبيون من إحنٍ بين الأقاليم الإسلامية بعضها ضدّ بعضٍ، وربما لم تقع حروب بين المسلمين إلا وكان خلفها النصارى.

وعلى الرغم من أن قادة هذه الأقاليم قد شعروا بالأثر الصليبي، ولعبة الدول النصرانية إلّا أن أطماعهم كانت تُنسيهم هذا سريعاً، ويُخطّطون للاستعانة بهذه الدولة الكبرى أو بتلك. في سبيل تحقيق بعض ما في نفوسهم، غير أن هذه الاستعانة كثيراً ما كانت تُعطي فكرةً طيبةً عن

المساعدين بصفتهم أعوان للمقاتلين، ويُحاربون عدوّاً واحداً على حين أن الأمر يقتضي أن يبقى المسلمون حذرين من أعدائهم إذ لا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمّةً ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾[1].

وكانت الوفود النصرانية التي تأتي إلى الأمصار الإسلامية والبعثات التي تصل إلى العواصم الإسلامية تقوم بعمل الدعاية لدولها، والمراحل العلمية التي قطعها العالم النصراني، وتُشكّك في إمكانات المسلمين، وقبولهم للحضارة، وحُكّامهم ووقوفهم في وجه التطوّر، وكذلك يُكلّفون إخوانهم بالعقيدة الذين يعيشون في ظلّ الحكومات الإسلامية بمتابعة مُهمّة الدعاية نفسها، فأدّوها تأديةً كاملةً بل وأضافوا إليها حقداً لم يُطفئه ما وجدوه من عناية المسلمين بهم طيلة العهد الإسلامي، ولم يُخفّف منه شيئاً الجوار والمعاملات التي استمرّت قروناً والتي يسمّونها الوطنية. وسرت هذه الشائعات في المجتمع الإسلامي لجهل المسلمين الذين أخذ يُخيّم عليهم، وللسذاجة التي أخذت تنتشر في بيئتهم.

وأخذت المستجدات العلمية تظهر فبهرت أنظار بعض المسلمين، وغدوا يرحلون إلى البلدان النصرانية، فيرون الجوانب الإيجابية، وتعمى عيونهم عن السلبيات إما لاهتمامهم بما ذهبوا إليه وإما لتمرّغهم مع أهل تلك البلاد في السلبيات التي راقت لهم فلوّثوا أنفسهم بها، واستمرؤوا تلك الحياة ورغبوا فيها وعندما رجعوا أصبحوا يميلون إلى نشر تلك السلبيات في

---

(١) سورة التوبة: الآيات ٧ ـ ١٠.

مجتمعهم وباسم التقدمية، والارتقاء، والحضارة والأسماء التي استعاروها من هنا وهناك.

ومن كل ما سبق قلّت كراهية أعداء الله من نفوس المسلمين، ولم تعدّ غريبة في أوساط المستغربين فكرة التقارب، والتعاون، والاستنجاد بهم، ولو ضدّ مسلمين آخرين، وهكذا اهتزّ الكيان الإسلامي بل لم يعد غريباً أن يكون في بعض الجيوش الإسلامية جنوداً ليسوا بمسلمين.

الفصل الأول

نهاية القاجاريين

ذكرنا أنه قد أُلغيت الخلافة ولا تزال الحكومة الاسمية بيد الأسرة القاجارية وأحمد شاه هو الحاكم الرمزي للبلاد.

وكانت قد تغيّرت السياسة الصليبية الاستعمارية حيث رأت الدول النصرانية أنها قد تمكّنت، وفرضت سيطرتها على كثيرٍ من أجزاء العالم، ولم تعد دولة قادرةً على الوقوف في وجه الصليبية العالمية، والعالم الإسلامي الذي كان يُخشى جانبه قد جُزّىء، وجثم على صدر كثيرٍ من أقاليمه الصليبيون، وإذا كانت هناك أمصار لم يدخلها الجنود النصارى إلا أنها غالباً ما تأتمر بأمر الدول الكبرى ذات النفوذ الواسع، لذا لم تعد الدول الصليبية الاستعمارية لتقبل مُساندة حاكمٍ له مكانته وموقعه تُساعده من باب الندّ للندّ، وإنما ترغب في دعم من يُسير في فلكها من غير مُناقشةٍ، ويتلقّى أوامرها من غير تردّدٍ، وفي الحالة التي لا يقبل فيها حاكم هذا التصرّف يُزاح من مكانه، ويُؤتى بآخر تتوفّر فيه هذه المواصفات، وطيّعاً ومُروّضاً مُعدّاً للركوب، سهل الانقياد.

كما أن بعض الدول الكبرى وخاصةً إنكلترا لم تعد ترى من الجدوى حكم مستعمراتها أو مناطق نفوذها بجنودٍ إنكليزٍ، فهذا إضافةً إلى التكاليف الباهظة، وإن كانت غالباً ما تُؤخذ هذه المصروفات من المستعمرات إلا أنها تدفع الكثير، وإن أولياء أمور الجنود وذويهم كثيراً ما يضجوّن لبعد أبنائهم عنهم حيث أنهم لا يعرفون عنهم شيئاً، ولم تكن المواصلات والاتصالات بالصورة التي نراها اليوم رغم تقدّمها وتطوّرها النسبي في تلك

الأيّـام . ومن ناحيـةٍ ثانيـةٍ فإن وجـود قواتٍ أجنبيـةٍ على أرض بلدٍ ما يجعـل أهلها يلتفّون حول هـدفٍ واحدٍ هـو إخراج هـذه القوات، ويلتقي بعضهم مـع بعضٍ، وينسون ما بينهم من خلافاتٍ، لذا رأت الدول الصليبية المستعمرة أنه من الأفضل إليهم الخروج من مستعمراتهم عسكرياً بعد تهيئة من يقوم مقامهم من أبناء البلاد، وتوجيههم التوجيه الخاص، وتكليفهم بما يريدون فعله هم، ويُمنّونهم ويعدونهم، ويعتمدون أكثر من جهةٍ ويجعلون المنافسة بينهم، فمن كان أكثر طواعيةً لهم، وأقدر على تسيير الأمور أُخذ، وإذا ما تعثّر واحد استُبدل بمنافسـه، وإذا ما ذلّ تبـدّلت الوجـوه، ويدعمـون من يعتمدون، ثم يثيرون الأضغان والأحقاد بين الفئات، وبين الطوائف، وبين الطبقات، وبين. . . ورأوا أنه من المصلحة أن يكون الحاكم مُستبدّاً طاغيةً لا يستطيع أحد أن ينتقد، أو يرفع رأسه، فإذا ما رفعه أُطيح فليس هناك من يُنبّه الشعب إلى الطريق التي يجب أن يسلكوها، ولا يُبيّن لهم الدرب التي يأخذهم بهـا المسؤول، وإنما يوجـد من يُضلّهم، ويُـوجّههم إلى أهداف المستعمر من حيث لا يدرون، يُزيّن لهم النظرة المادية، والتحلّل من قيود الشريعة، والانفتاح نحو الحياة البهيمية وإيجـابيات ذلـك، ويُزخـرف لهم الانطلاق نحو المتعة، وفي حالة الابتعاد عن ذلك تكون الحياة الرجعية وما فيها من كبتٍ، وعقدٍ تلازم الإنسانية. وعندما لا يتوفّـر المستبدّ صـاحب الإمكانات لا يوجد أفضل من الحكم العسكري، الذي امتازت به الدول المتخلّفة أو التي أُطلق عليها اسم النامية تقديراً لمشـاعر أهلهـا ـ حسب زعمهم ـ.

لم تكن الأمصار الإسلامية بحدودها اليوم قائمةً كما هي، وإنما كانت هناك أقاليم معروفةً، وعلى كل إقليمٍ أمير يتبع مركز الخلافة ويرتبط به، يتلقّى منه التوجيهات، ويُنفّذ الأوامر. وعندما ضعفت الخلافـة، ونشـأت الولايات والإمارات المنفصلة أصبح الحاكم يُسيـطر على ما يستـطيع من أرضٍ، ويعدّها ضمن ولايته، وغالباً ما تُعرف تلك الدويلات باسم مُؤسّسها الأول أو أسرته، فيقال: الدولة الطاهرية، والصفّارية، والسامانية، والغزنوية

و. . . . ربما في أحيانٍ قليلةٍ كانت تأخذ اسم المنطقة فيقال: دولة خُوارزم، وخيوة، وغزنة و. . . .

وجاءت مرحلة الصراع بين المتنفّذين، إذ يضمّ كل مُتنفّذٍ ما يستطيع أن يضمّه إليه، فتجد هذا الإقليم تارةً بيد الأفغان، وأخرى بيد الأوزبك، وثالثة بيد الفرس، وهكذا حتى ظهرت الدول الحديثة في المرحلة الأخيرة، وثبتت حدودها حسب الأقاليم التي كانت تُسيطر عليها. فشملت إيران الأقاليم المعروفة بأسماء: فارس، والأهواز، وهمدان، وجزءاً من كردستان، وأذربيجان، وجزءاً من موقان، وجيلان، وبلاد الجبل، وطبرستان، وقومس، وجزءاً من جرجان، وجزءاً من خراسان، وقوهستان، والمفازة الكبرى، وكرمان، وجزءاً من مكران، وليس سكان هذه الأقاليم كلهم من الفرس بل هناك العرب، والكرد، والترك، والبالوخ، وكذلك فهي لا تشمل الفرس جميعاً إذ أن هناك أعداداً منهم في بلاد الأفغان، وبلاد الطاجيك، وأقليات صغيرة متناثرة في البلدان المجاورة، ومع ذلك فقد كانت هذه الأقاليم تنضوي تحت فارس حتى سيطر رضا خان وأعطاها اسم (إيران).

كان أحمد شاه من الأسرة القاجارية ملك البلاد عندما أُلغيت الخلافة، وكان منصرفاً إلى اللهو، أما المتصرّف بشؤون البلاد فهو رئيس الوزراء رضا بهلوي، ويتلاعب بالكتل النيابية كما سنرى في فصل الصراع الحزبي، ويبقى هو المهيمن على الوضع، واستمرّ ذلك حتى شهر ربيع الأول من عام ١٣٤٤ هـ (تشرين الأول ١٩٢٥ م)، حيث اختارته الجمعية التأسيسية ملكاً على البلاد، وأزاحت أحمد شاه، وتمّ تتويج رضا بهلوي ملكاً على البلاد في ١٣ شوال ١٣٤٤ هـ (٢٥ نيسان ١٩٢٦ م)، وبذا زال القاجاريون، ودالت دولتهم، وجاءت الأسرة البهلوية.

حكومة رضا خان:

سبق أن ذكرنا أن الشاه لم يجد بدّاً من أن يعهد برئاسة الحكومة إلى

رضا خان فشكّل وزارته في ١٩ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣ م)، وأخذ يبسِط نفوذه على البلاد تدريجياً، ويستبدّ بشؤونها، فلا يترك صوتاً يُسمع سوى صوته.

أصدر بياناً في ٣ ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ م) حذّر فيه من الاتصال بالأجانب. ثم أجبر الشاه على السفر إلى أوربا، وأخذ من ولي العهد تعهداً بعدم التدخّل بشؤون الدولة فخلا له الجو، وأخذ بتنفيذ كل ما يُخطّط ويحلو له.

في ٢٧ شعبان ١٣٤٢ هـ (٢ نيسان ١٩٢٤ م) بدأت الانتخابات للمجلس النيابي الخامس، وباشرت الحكومة الضغط والتزوير حتى فاز أعوان رضا خان، وبدأ الإنفاق بسخاءٍ على الصحافة في طهران لترفع من شأن المستبدّ الجديد، وتجعل مكانه فوق مكان أي مخلوقٍ، فهو القائد الملهم، والرجل الوحيد في البلاد.

انشقت الكتلة الوطنية إلى قسمين فكان جناح اليمين بزعامة محمد تدين، وقد عُرف بحزب التجديد. وكان جناح اليسار برئاسة سليمان مرزا، وعُرف بحزب الاشتراكيين، ويمثّل المدرس جناحاً خاصاً. أما حزب التجديد فقد أصبح حزب رضا خان، وفاز بثلاثة وأربعين مقعداً في الانتخابات، على حين فاز الاشتراكيون بأربعة عشر مقعداً، وحصلت جماعة المدرس على عشرين مقعداً.

أخذت الصحافة تُهاجم الشاه ونظامه، وتفضح استهتاره، ولهوه، وخلاعته، ومجونه، وتقليده للأوربيين، وتُوجّه الأنظار نحو النظام الجمهوري وإيجابياته، ونظام الشاه وسلبياته.

بدأ الصراع الحزبي داخل المجلس النيابي حسب المخطط الذي رسمه رئيس الحكومة رضا خان، فكان حزب التجديد يُعدّ حزب الحكومة على حين يقف في صف المعارضة الاشتراكيون وجماعة المدرس.

وقف علماء الشيعة ضد النظام الجمهوري، وسيّروا مظاهراتٍ أبدت سخطها على النظام الجمهوري، وهتفت ضدّ رضا خان. وأحسّ رئيس الحكومة بضعف حزبه (التجديد) أمام قوة علماء الشيعة لذا رأى أنه لا بدّ من مسايرتهم ومساومتهم، وإظهار عطفه عليهم، وتوجّهه نحو الدين، فأنزل عقوبةً بإحدى الصحف التي تعرّضت لأحد العلماء، وأعلن أن العقوبة ليست سوى جزاءٍ أوليٍ، وتنبيه للآخرين ممن يُفكّرون بالتعرض لرجال الأمة الذين هم علماؤها فقط. كما فرض عقوبةً أخرى على صحيفةٍ دعت المرأة إلى السفور، والتحرّر من تلك العادات الرجعية والتي يُسمّيها بعضهم قيماً. وانتقل هو إلى مدينة (قم)، والتقى بالعلماء هناك، وأبدى احترامه لهم، وصار بعدها يتحدّث بالإسلام، وراحت الصحف حسب توجيهاته تهاجم النظام الجمهوري إرضاءً للعلماء.

أبدى رئيس الحكومة عزوفه عن الحكم، وأنه يرغب في تركه، والحياة بقية عمره في (النجف) أو (كربلاء)، ولكن أعوانه أقنعوه بالعدول عن هذه الفكرة، وعدم الخروج من البلاد فإنّها بأشدّ الحاجة إليه، ومن واجبه خدمتها بعد أن قدّم الكثير من أجلها، وضحّى بالكثير في سبيلها، وأن عمله هذا لا يقلّ عن الجهاد.

أظهر رئيس الحكومة أنه امتثل لرأي المخلصين، وأنه لن يغادر إيران لحاجتها لخدماته، ولكنه سيستقر في قريةٍ على مقربةٍ من طهران.

عقد المجلس النيابي اجتماعاً فوصلت إليه برقية من الشاه أحمد يعلمه أنه قد سحب ثقته من رئيس الحكومة رضا خان، فردّ المجلس عليه ببرقيةٍ تشعره أن ثقة المجلس التامة يمنحها لرئيس الحكومة وبصورة مطلقةٍ، وهذا ما جعل الشقاق يتسع بين الطرفين فالشاه يريد أن يتخلّص من رضا خان بأية وسيلةٍ، ورضا خان يعمل بخُطاً سريعةٍ لإنهاء الحكم القاجاري.

تشكّل وفد من المجلس النيابي لمقابلة رئيس الحكومة وإقناعه

بضرورة العودة إلى مقر عمله، فأعلم رضا خان الوفد أنه يعلم ضرورة وجوده للبلاد، وأنها بأمسّ الحاجة إلى خدماته وخاصةً في هذه المرحلة التي تمرّ بها، وفي النهاية رجع إلى مقر رئاسة الحكومة، وأعاد تشكيل الوزارة من جديدٍ.

حكومة رضا خان الثانية:

أدخل في هذه الوزارة عناصر جديدة مثل: مشاور الدولة، ومستشار الدولة، ومحمد علي فروغي، ومعتضد السلطنة، وأبعد عنها محمد مصدق، وسليمان مرزا.

أبعد رضا خان عن الشرطة والقضاء العناصر غير الموالية له.

كان قد عقد اتفاقيةً مع شركة (سنكلر) الأمريكية، ومنح هذه الشركة بموجب هذه الاتفاقية حقّ استغلال نفط الشمال، وأبدى رغبته بالتخلص من السيطرة الاقتصادية الروسية والبريطانية وذلك عن طريق التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومنح عدة شركاتٍ أمريكيةٍ عدداً من الامتيازات مثل مدّ السكك الحديدية، وطرق السيارات.

وقفت شركة الإنكلو- إيرانية وستاندرد أويل الأمريكية في وجه هذه الاتفاقية، وعدتها غير قانونية لأنهما كانتا قد أخذتا حق استغلال نفط الشمال.

ثارت قبائل الغرب والجنوب ضدّ الحكومة.

قُتل وكيل السفير الأمريكي في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٢ هـ (١٨ حزيران ١٩٢٤ م)، فاتهم رئيس الوزارة القاجاريين بأنهم وراء هذه الجريمة، كما اتهم البريطانيين.

وفتح الباب أمام المصالح الألمانية، فاستطاعت ألمانيا بسرعة أن تحتل مواقعها التي كانت تحتلّها قبل الحرب العالمية الأولى.

وزارة رضا خان الثالثة:

عاد رئيس الحكومة ليرتمي مرةً ثانيةً في أحضان بريطانيا فأجرى تعديلاً وزارياً على حكومته، حيث أدخل في الوزارة نصرت الدولة أحد رجال المعارضة والذي سبق له أن تسلّم وزارة الخارجية في عهد وزارة وثوق الدولة عام ١٣٣٧ هـ. وأسند حقيبة وزارة الداخلية إلى أحمد قوام الدولة وكلا الرجلين من مُؤيّدي السياسة البريطانية، وكان هذا التعديل في مطلع عام ١٣٤٤ هـ (آب ١٩٢٥ م).

وسّع رئيس الحكومة أعمال الشركة الأنكلو- إيرانية في الجنوب. ومنح شركة طيران الإمبراطورية البريطانية حق استخدام الأجواء الإيرانية فكانت الرحلات تتخذ طريق لندن ـ القاهرة ـ طهران ـ كراتشي. وأخذت العلاقة تفتر مع روسيا التي أعلنت أنها لا ترغب التدخّل في الشؤون الإيرانية. أما بريطانيا فإنها تخلّت مقابل ذلك عن حليفها الشيخ خزعل المستقل في منطقة عربستان (الأهواز) وهذا ما جعل رضا خان يتمكن من الانتصار على الشيخ خزعل ويدخل منطقته، كما انتصر على الحركة في كردستان التي يتزعمها (سمكو).

قام رئيس الوزارة بزيارة للنجف وكربلاء وعندما عاد أعلن أمام المجلس النيابي بتاريخ ١٥ رجب ١٣٤٣ هـ (٨ شباط ١٩٢٥ م) عن عدم إمكانية استمراره في العمل مع القاجاريين، وأعطى المجلس النيابي مهلة أربعة أيام للنظر في الموضوع، وربما اضطر بعدها إلى ترك الأمر للشعب ليحكم، وليُعطي رأيه في هذا الموضوع. وقبيل انتهاء المدة أي في ١٩ رجب أصدر المجلس النيابي قراراً يتألف من مادةٍ واحدةٍ، وهي: حصر القيادة العليا لجميع قوى الدفاع بيد رضا خان ومنحه الصلاحيات الكاملة لإنجاز واجباته في حدود الدستور وقوانين الدولة المرعية، ولا يجوز سحب هذه الصلاحيات منه دون موافقة المجلس. وذلك لأن رضا خان كان قد قرّر

في نفسه إنهاء الحكم القاجاري، وأخذ يُذلّل الصعاب أمامه للسير في هذا الدرب.

وفي ٢٤ رجب أمر بتأليف لجنةٍ من المجلس النيابي تضمّ اثني عشر عضواً لمساعدته في شؤون الحكم.

وفي ١٠ شوال ١٣٤٣ هـ (٣ أيار ١٩٢٥ م) أمر جميع مؤسسات الدولة بمخاطبته في المراسلات الرسمية باللقب الجديد الذي اختاره لنفسه وهو «بهلوي» أي صاحب الجلالة.

وقام في ١٧ ذي القعدة ١٣٤٣ م (٨ حزيران ١٩٢٥ م) بزيارة أذربيجان لضمان تأييده ومعرفة وضع السكان عن قرب.

ولما رأى الوضع لصالحه أخذ يُهاجم الأسرة القاجارية وخاصةً الشاه، وولي عهده، ولكن لم يلبث أن تلقّى في ٢٨ صفر ١٣٤٤ هـ (١٦ أيلول ١٩٢٥ م) برقيةً من الشاه تفيد بقرب عودته إلى بلده العزيز. فأجابه بشيءٍ فيه الترحيب ويتضمن الكثير من السخرية، وأنه بانتظاره في الميناء الحدودي الذي يُحدّده ليُرحّب به.

وجاءت سنة عجفاء فكان الموسم رديئاً فنقص إنتاج القمح، ولم يتوفّر الخبز في الأسواق، وأخذ الناس يموتون جوعاً، فاستغلّ خصومه من القاجاريين ومؤيديهم هذا الوضع، وسيّروا المظاهرات التي كانت تهتف الشاه والخبز. ووجدها رضا بهلوي فرصةً سانحةً له للتخلص من مُعارضيه، فأمر باعتقال كبار قادة المظاهرات فتمّ اعتقال ثمانمائة شخصٍ، وأعاد منصب الحاكم العسكري وكان قد ألغاه منذ مدةٍ وجيزةٍ. وأوعز لأعوانه بالمناداة به قائداً للبلاد، وخلع الشاه، واستلامه مكانه، وانضمّ إلى هؤلاء المؤيدين الزرداشت، والأرمن، واليهود.

خشي رضا بهلوي أن تكون بريطانيا وراء الشاه، وهي التي تُحرّضه للعودة إلى البلاد، وأن تدعمه ليتخلص من خصمه رضا بهلوي، وفي

الـوقت تتخلّص هي من تلك الألاعيب التي يمـارسهـا رئيس الـوزارة، فاستدعى وزير الخارجية الإيراني مرزا حسن مشاور السفير البريطاني وفاتحه بـالموضـوع، وطلب منه الاستفسـار من حكومتـه، وأن يعلمهـا أن رئيس الحكومة المتسلّم للسلطة في إيران لا يمكنه أن يخرج عن رأي حكومـة صاحبة الجلالة فإن رأت تركه للحكومة، تركها فوراً سعيداً، وأقـام حيث تريد. وجاء الجواب بأن بريطانيا لا ترغب بالتدخـل في شـؤون الـدول الصديقة، فاطمأن رضا بهلوي على نفسه، وتابع سيره في دربه.

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٤٤ م (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٥ م) قدّم نائب رئيس المجلس النيابي محمد تدين زعيم حزب التجديد نداءً مُوقّعاً من ستةٍ وسبعين نائباً جاء فيه: نظراً لاستياء الشعب من الأسرة القاجارية فإنه يعلن باسم الشعب خلع تلك الأسرة، ويعهد بإدارة البلاد إلى رضا خان بهلوي في إطار الدستور والقوانين المرعية.

وفي ١٤ ربيـع الثاني ١٣٤٤ م (٣١ تشرين الأول ١٩٢٥ م) جـرى التصويت على هذا الاقتراح فحصل على ٨٠ صوتاً مقابل خمسة أصوات، وقد ترك المدرس القاعة، وطالب تقي الـدين زادة بتأليف لجنـةٍ لدراسـة الاقتراح، أما محمد مصدق فقد عارض الاقتراح بجرأةٍ.

وقرر المجلس إجراء انتخاباتٍ جديدةٍ كردٍّ على الاقتراح، واستفتاء لرأي الشعب، وفي الوقت نفسه أُلزم ولي العهد مع عددٍ من أفراد الأسرة القاجارية على السفر، ونُقلوا إلى الحدود العراقية، وأعلن رئيس الحكومة عن عطلة الدولة لمدة ثلاثة أيامٍ، وأمر بتخفيض سعر الخبـز، ومنع بيـع المسكرات لإرضاء أهل العلم، وجعلهم يقفون بجانبه ضدّ الشاه.

حكومة محمد علي فروغي الأولى:

كلّف رضا خان بهلوي وزير ماليته محمد علي فروغي في ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٤ م (٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ م) بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ للإشراف

على الانتخابات، وأصبح هو فوق رئاسة الوزارة أو في طريقه لاستلام الدولة رسمياً.

وفي ٢١ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ افتتح رضا خان بهلوي المجلس النيابي الجديد.

وفي ٢٧ جمادى الأولى قرّر المجلس إنهاء حكم الأسرة القاجارية، وانتخاب رضا خان بهلوي شاهاً جديداً، وجرت عملية التصويت ففاز القرار بمائتين وسبعةٍ وخمسين صوتاً مقابل ثلاثة أصوات من الاشتراكيين.

وفي ٣٠ جمادى الأولى أقسم رضا خان بهلوي اليمين الدستورية كشاهٍ للبلاد، وفي اليوم التالي دخل قصر «كلستان» كملك.

ودالت دولة القاجاريين بعد حكمٍ دام مائةً وأربعةً وثلاثين عاماً، وأربعة أشهرٍ وعدةَ أيامٍ.

الفصل الثاني

الأسرة البهلويّة

١ - رضا بهلوي

(١٣٤٤ - ١٣٦٠ هـ) (١٩٢٥ - ١٩٤١ م)

لم يحكم من الأسرة البهلوية سوى اثنين: رضا بهلوي وابنه محمد رضا، ودام عهدهما ما يقرب من ستةٍ وخمسين عاماً ١٣٤٤ - ١٣٩٩ هـ.

انتخب رضا بهلوي شاهاً من قبل مجلسه النيابي في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ، وبعد ثلاثة أيامٍ أقسم اليمين الدستورية، ودخل قصر «كلستان» في اليوم التالي. ولبس التاج في ١٣ شوال ١٣٤٤ هـ (٢٥ نيسان ١٩٢٦ م).

اعترفت بريطانيا مباشرةً بالعهد الجديد، وفي اليوم الثاني اعترفت روسيا، ورفعت التمثيل بينهما إلى درجة سفارة، وكانت إيران قد اشترت كمياتٍ من القمح الروسي في الموسم المنصرف نتيجة الموسم السيىء الذي تعرّضت له إيران، وبعد يومٍ واحدٍ من اعتراف روسيا بنظام رضا بهلوي اعترفت به كل من: الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، وإيطاليا، وبلجيكا، والدولة الوحيدة التي تأخّر اعترافها نسبياً هي فرنسا.

لم يجر رضا بهلوي تغييراتٍ واسعةً في نظام حكمه، فمعظم القاجاريين بقوا في الداخل، واستمروا في خدمة البلاد في ظلّ العهد الجديد، وربما ارتفعت مكانة بعضهم، وإن بقيت مكانة الكثيرين منهم كما هي.

كانت الأضواء تُسلّط على رضا بهلوي أنه مُحرّر من كل القيم، فلا تُقيّده رواسب وخلفيات من الماضي كتلك التي يعتقد بها الرجعيون، وأنه علماني، مرتبط بسلك مع الحضارة العالمية الغربية، ولم يقتصر هذا على الصحافة الإيرانية المضطرة أحياناً إلى ذلك بل تعدّى هـذا إلى الصحافة الأجنبية صاحبة العلاقة وإلى الصحافة العربية والإسلامية حيث كان سادة كثيرٍ من تلك البلدان يسير في الفلك نفسه، وعلى المنهج ذاته.

حكومة محمد علي فروغي:

كلّف الشاه الجديد وزيره محمد فروغي في ١٤ جمادى الآخرة ١٣٤٤ م (١٩ كانون الأول ١٩٢٥ م) بتشكيل أول حكومةٍ في عهد الأسرة البهلوية.

ولكن بقي رضا خان هو المسيطر على الوضع، المستبد بالبلاد، ويربط جميع الأمور بيده مباشرةً، وليس هناك من يسأله، ولا يمكن لأي فرد في المجلس أن يُعارض الأمور التي يبدي رضا خان رأيه فيها، أو القضايا الجوهرية، وإنما يمكنه مناقشة الأمور الثانوية التي ليست بذات أهمية وهذه هي الحدود المرسومة عُرفاً للمجلس النيابي.

كان طاغيةً لا يبالي بأحدٍ، يذهب إلى الوزارة فيرتعد الوزير أمامه، ويأمر فتُنفّذ أوامره مباشرةً، وينهي فلا يخالف، وغالباً ما يستعمل يده بالضرب فيما إذا شعر بتوانٍ في تنفيذ طلباته أو أي تلكؤٍ.

أمر الشاه رضا بهلوي بالتخلّي عن اللباس الإيراني التقليدي وارتداء الزي الإفرنجي، وأبدى التحلّل من الدين، وظهرت نساؤه الثلاث سافراتٍ عام ١٣٤٦ هـ، بل أمر الشرطة بنزع الحجاب عن وجوه النساء، كإظهارٍ لفكره ومنهجه إرضاءً للدول الأجنبية صاحبة السيادة، وتحقيقاً لما تصبو إليه نفسه أيضاً. واضطر علماء الشيعة الإذعان إلا والد الخميني الذي كان يُقيم في مدينة (قم) فذهب إليه الشاه الجديد بنفسه، وضربه حتى أسكته.

تنازل سرّاً كل من رئيس الوزراء (موزوجي) ورئيس مجلس النواب (اصفندياري) عن منصبيهما، كما أعلن الشاه التنازل عن ملكه، وكانوا حتى هذا اليوم يصرّون على مناصبهم، ويعدّون رضا خان معتدياً لا بدّ من ردعه عن غيّه، وإعادته إلى رشده، ورجوع كل صاحب منصبٍ إلى منصبه.

أعمال رضا خان:

اعتمد رضا خان على الجيش لذلك أولاه اهتمامه الخاص، وقام بـ:

١″ ـ طبق التجنيد الإلزامي.

٢″ ـ أسّس كلية الأركان.

٣″ ـ أرسل الضباط إلى فرنسا للتخصص.

٤″ ـ خصّص الأموال الكثيرة لشراء الأسلحة والعتاد.

واتبع سياسة الإرهاب فاستطاع أن يقضي على المعارضة كلها.

مهّد الطرق، وفتح الشوارع، ومدّ الخط الحديدي من (بندر شاه) على بحر قزوين إلى (بندر شابور) على الخليج العربي بطول ١٤٠٠ كيلومتر.

افتتح جامعة طهران عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م).

دعا إلى إلغاء الحجاب.

اعتمد على القانون الفرنسي.

عمل على الحدّ من نفوذ رجال العلم.

اهتم بالجانب الاقتصادي، فزاد عدد الشركات الصناعية فغدا في عام ١٣٥١ هـ عدد الشركات تسعمائة وثلاثين شركةً، ووصل عام ١٣٦١ هـ إلى ألف وتسعمائة واثنتين شركة، وفي الوقت نفسه زاد رأسمال الشركات العاملة في القطاع الاقتصادي.

وأسّس المصرف الوطني عام ١٣٤٧ هـ، وجعل له فرعاً زراعياً عام ١٣٤٩ هـ، ثم أنشأ المصرف الزراعي الحكومي عام ١٣٥٠ هـ.

وبدأ إنتاج النسيج يتزايد وخاصةً في أصفهان، وشيـراز، والأهواز، ومشهد، وكاشان، ويزد، وطهران.

وأسّس ثمانية معامل للسكر.

واهتمّ بالتعليم، ولكن لم يكن ذلك الاهتمام بالمستوى المطلوب. كما بذل جهداً على تحضير البـدو. وأعطى البـريطانيين امتيـازاتٍ واسعةً للتنقيب عن النفط في البلاد.

ومع كل هذا بقي الفقر، والجهل، والاضطهاد سمة عهد رضا خان.

السياسة الخارجية:

وقعت أحداث دولية مهمـة أثرت على سيـاسة إيران الخارجية بعد الحرب العالمية الأولى ومنها:

١" ـ سقوط نظام الحكم الروسي القيصري إبان الحرب العالمية الأولى، وقد كانت لذاك النظام امتيازات واسعة في إيران، وقام مكانه نظام يُخالف نظام الحكم في إيران اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، كما زاد الخلاف العقيدي القائم من قبل، وقد زاد توتراً بدخـول عنصر الإلحاد الذي يفوق العنصر الصليبي إن لم يكن حاقداً.

٢" ـ اختفاء الدولة العثمانية فزالت الأطماع بالامتداد والتوسّع نحو الشرق وخاصةً في منطقة عربستان في الجنوب، وفي منطقة أذربيجان في الشمال.

٣" ـ هزيمة الألمان الذين أخذ نفوذهم يـدخل إلى إيـران قبل الحـرب العالمية الأولى.

٤" ـ ظهور الولايات المتحدة كدولةٍ قويةٍ، يمكنها دخول الساحة السياسية والاقتصـادية ومنـافسة الـدولة الأوربيـة ذات النفوذ في إيـران وهي بريطانيا.

كان رضا خان ينظر إلى السياسة الدولية ويحاول السير في ظلال الدولة الصاعدة من غير أن يترك الدولة التي كان على وئامٍ معها أو ذات النفوذ السابق.

أولاً: مع بريطانيا:

عقدت إيران معاهدةً مع بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى وذلك في ١٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ (٩ آب ١٩١٩ م)، وقد حققت هذه المعاهدة لبريطانيا حق الهيمنة الفعلية على أهم مرافق الحياة في إيران، ومن أهمها المؤسسات المالية والعسكرية. وقد نقم السكان على الشاه من أجل هذه المعاهدة، وكانت انتقادات واسعة لها، وحركات وطنية كان لها دور في دخول رضا خان دائرة الساحة السياسية. كما اعترضت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على هذه المعاهدة.

فلما جاء رضا خان إلى السلطة كان متأثراً بـ:

١ً ـ أثر بريطانيا في وصوله إلى السلطة.
٢ً ـ نفوذ بريطانيا في البلدان المجاورة.
٣ً ـ صلة بريطانيا برجال القبائل الإيرانية.

ولذا كان يعمل دائماً على إرضائها، مع العلم أنه كان هناك تيار معادٍ للبريطانيين، لذا كان على رضا خان أن يخفي قدر إمكاناته توجهه السياسي الصحيح إضافةً إلى الضغوط التي يُمارسها ضدّ المعارضين للنفوذ البريطاني.

اتخذ رضا خان قراراً عام ١٣٤٧ هـ يقضي بإلغاء الامتيازات الأجنبية، ولكن بقيت مصالح بريطانيا النفطية في مأمنٍ. وعاد فعقد في العام التالي اتفاقيةً جديدةً مع بريطانيا سوّت الخلافات القائمة بين الدولتين، ومنحت البريطانيين ضماناتٍ لحقوقهم وتعويضاً عن امتيازاتهم السابقة.

وأعقب ذلك أيضاً اتفاق جديد منح طائرات الخطوط البريطانية حق

الهبوط على الشواطىء الشرقية للخليج العربي، ومع هذه التنازلات الإيرانية إلا أنه بقيت نقطتا خلافٍ بين الطرفين وهما:

١" ـ البحرين التي كانت إيران تُطالب بها بريطانيا، وتـدّعي أنها جزء منها، وتريد أن تسلخها من أصلها العربي، وتزعم أنها الإقليم الإيراني الرابع عشر. وقد رفضت بريطانيا مسايرتها حرصاً على مصالحها مع البلدان العربية.

٢" ـ امتيازات النفط: أخذت انكلترا تناور لتقليص عائدات إيران من النفط حتى بقيت عـام ١٣٥٠ هـ (٣٠٧,٠٠٠ جنيـه فقط) على حين كانت عام ١٣٤٩ هـ أي قبل عام واحد فقط (١,٢٢٠,٠٠٠ جنيه) لذا فقد أعلن رضا خان في شهر رجب ١٣٥١ هـ (تشرين الثـاني ١٩٣٢ م) فسخ امتياز شركة النفط الإنكلو- إيرانية فاضطرت الشركة إلى التراجع، والدخول في مفاوضاتٍ مباشرةٍ مع الحكومة الإيرانية، ولكن تعثّرت هذه المفاوضات، فعرض رضا خان الموضوع على عصبة الأمم، ثم توصّل الطرفان إلى اتفاقٍ جديدٍ بتاريخ الخامس من محرم ١٣٥٢ هـ (٢٩ نيسان ١٩٣٣ م)، ورغم الضجة التي أثارها الحكم الإيراني على الشركة فإن الاتفاق الجديد قد جاء لمصلحة شركة النفط، إذ كان امتيازها قديماً ينتهي (عام ١٩٦١ م) فأصبح انتهـاؤه عام ١٩٩٣ م) حسب الاتفـاق الجديـد، كما كـان للشركـة الحق بالإشراف على إذاعةٍ خاصةٍ، وتأسيس المدارس الخاصة بموظفيهـا، وفي إنشاء جهاز شرطةٍ خاص بها، وهذه حقوق احتفظت بها من السابق، ولكن استفادت بهذا الاتفاق إعفاءها من ضريبة الدخل الحكومية. وحصلت إيران مقابل ذلك على زيادةٍ جزئيةٍ من دخل مواردها النفطية.

جـرى بعض النقد لهـذا الاتفاق الجـديد، وتم تـوضيـح المستفيـد الحقيقي منه فكانت النتيجة أن أُلقي القبض على (تيمور تاش) وزير البلاط السابق، وعلى (أسد البختياري) وزير الحربية الأسبق، ولقيا حتفهما في السجن، ولم يجرؤ أحد غيرهما على النقد.

وأعلن رضا خان في المجلس النيابي أن العلاقات مع بريطانيا في تحسّنٍ دائمٍ.

وفي ٢٥ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ (٤ تموز ١٩٣٧ م) جرى اتفاق مع العراق تنازل فيه العراق عن جزءٍ من شط العرب قرب عبادان، وتقدر هذه المسافة بـ ٧٧٥٠ متراً.

وفي ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ (٨ تموز ١٩٣٧ م) وقع اتفاق (سعد أباد) لمدة خمس سنوات بين كلٍ من: تركيا، والعراق، وإيران، وأفغانستان، وشمل هذا الاتفاق عشرة بنودٍ، تُؤكّد على المحافظة على الصداقة بين هذه الدول، وأهم بنود هذا الميثاق:

المادة الأولى: الامتناع المطلق عن أي تدخّلٍ في الشؤون الداخلية بين الفرقاء المتعاقدين.

المادة الثانية: مراعاة حرمة الحدود المشتركة.

المادة الثالثة: ضرورة التشاور فيما يخص كل الاختلافات التي لها صبغة دولية، ولها علاقة بمصالحهم المشتركة.

المادة الرابعة: عدم اللجوء إلى أي تعدٍّ موجّه إلى أحدٍ منهم.

المادة الخامسة: الاستعانة بمجلس عصبة الأمم لحلّ مشكلاتهم المستعصية.

المادة السابعة: التعاون لضرب الحركات المعادية في المناطق الحدودية.

ووقّعت الدول الأعضاء في الميثاق على اتفاقٍ ينصّ على تأليف مجلسٍ مشتركٍ يضمّ وزراء خارجية الدول المؤتلفة، على أن يجتمع مرةً واحدةً على الأقل في السنة. وقد اجتمع المجلس للمرة الأولى والأخيرة أيام عقد الميثاق.

ثانياً: مع روسيا:

بعد أن قامت الثورة الشيوعية في روسيا في الأول من المحرم عام ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول عام ١٩١٧ م) تنازل العهد الجديد عن كل الامتيازات التي كانت لروسيا خلال العهد القيصري الذي زال، وكان هذا التنازل كي لا تقف إيران إلى جانب الحركات المضادة التي قامت ضدّ الشيوعية والتي سيطرت على مناطق واسعةٍ من روسيا والمناطق الخاضعة لها، والتي كان منها ما يجاور الحدود الإيرانية.

عادت العلاقات إلى التوتر بين إيران وروسيا بعد توقيع المعاهدة بين إيران وبريطانيا في ١٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ (٩ آب ١٩١٩ م)، وذلك أن روسيا قد شعرت أن إيران تنازلت كثيراً لبريطانيا، وأن روسيا قد غدت بعيدةً عن كل أثرٍ في الدولة المجاورة للمناطق التابعة لها من جهة الجنوب، على حين تقدّم النفوذ البريطاني نحو الشمال باتجاه روسيا.

ثم وقّعت معاهدة صداقةٍ بين الطرفين في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٢١ م) تنازلت فيها روسيا لإيران عن جميع امتيازاتها بما في ذلك القروض، والمواصلات، كما تعهدت بعدم التدخل في شؤون إيران الداخلية، والتزمت كذلك بسحب القوات الروسية المتبقية كلها في إيران، وأنها ستعود إلى مواقعها فيما إذا تعرّضت إيران لغزوٍ خارجي ولم تستطع صدّه.

ولكن لم تلبث أن عادت العلاقات للتوتر مرةً ثانيةً، وذلك لأن إيران منحت شركة (ستاندرد أويل) الأمريكية حق استغلال النفط في المناطق الشمالية، وهي (أذربيجان ـ مازندران ـ جيلان ـ استراباد ـ خراسان) احتجّت روسيا على هذا الامتياز، وقالت إن البند الثالث عشر من معاهدة الصداقة الإيرانية ـ الروسية يحول دون هذا المنح، واضطرت إيران إلى سحب ذلك الامتياز الذي منحته لشركة النفط المذكورة.

وفشلت الجهود من أجل عقد اتفاقيةٍ تجاريةٍ عام ١٣٤٢ هـ. (١٩٢٤ م) بين إيران وروسيا. ولكن عُقدت معاهدة جديدة عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) تشبه إلى حدٍ كبيرٍ معاهدة الصداقة التي عقدت بين الجانبين في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٢١ م)، وأخذت التجارة تنمو بين الدولتين. غير أن مدّ الخط الحديدي بين (بندر شاه) على بحر قزوين وبين (بندر شابور) على الخليج العربي قد جعل روسيا تسيء الظنّ بالسياسة الإيرانية إذ عدّت أن مهمة هذا الخط تسهيل صادرات الشمال عن طريق الخليج العربي بدلاً من تصديرها إلى روسيا والمناطق الخاضعة لها، وفي الوقت نفسه يُسهّل نقل الإمدادات العسكرية الغربية إلى حدودها.

وفي ٢٨ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ (٢٧ آب ١٩٣٥ م) وقعت إيران معاهدةً تجاريةً مع روسيا لمدة ثلاث سنواتٍ، وأصبحت العلاقات وديةً بين الجانبين في هذه المرحلة. ولما انتهت مدة المعاهدة رفض رضا خان تجديدها، فعُدّت مُلغاةً.

وفي نهاية عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) أغلقت روسيا قنصلياتها في إيران، ولم يبق لها سوى قنصليةٍ واحدةٍ في (بهلوي)، وفي الوقت نفسه طلبت من إيران إغلاق قنصلياتها في المدن الروسية.

وفي مطلع عام ١٣٥٨ هـ (شهر آذار ١٩٣٩ م) منحت إيران شركة (شل) الهولندية ـ البريطانية امتيازاً لاستغلال النفط في أقاليم الشمال، واندلعت نار الحرب العالمية الثانية والعلاقات غير طبيعةٍ بين إيران وروسيا.

ثالثا: مع ألمانيا:

تغلغل النفوذ الألماني في إيران بسرعةٍ قبل الحرب العالمية الأولى، وأصبح لشركة (ونكهاوس) الألمانية فروعاً في (بندر عباس) (وبوشهر). ولما وقّعت ألمانيا وروسيا بينهما معاهدة (بوتسدام) في (بطرسبرغ) في ٢٤ شعبان ١٣٢٩ هـ (١٩ آب ١٩١١ م) اعترفت ألمانيا فيها بمنطقة نفوذ روسيا

في إيران، واعترفت روسيا بحقوق مصرف (الرايخ) في امتياز مشروع سكة حديد بغداد.

وازداد النفوذ الألماني خلال الحرب العالمية الأولى، ولكن هزيمتها في تلك الحرب قد أوقف النشاط الاقتصادي الألماني في كل مكان، ومن بينها إيران.

وفي عام ١٣٣٨ هـ استأنفت شركة (ونكهاوس) الألمانية نشاطها في إيران. كما دخلت المسرح شركة (اندوتج) الألمانية أيضاً.

وفي عام ١٣٤٠ هـ أخذت الصلات الثقافية دورها، وفي العام التالي جاء الدور العسكري حيث استعانت إيران بعددٍ من الضباط الألمان للإشراف على محلات الإصلاح الآلي في كل من (طهران و(بوشهر).

وفي عام ١٣٤٢ هـ اشترت إيران من ألمانيا باخرةً حربيةً مع معداتها، وهي التي أُطلق عليها فيما بعد اسم (بهلوي). وتعهدت ألمانيا في العام التالي بتلبية تزويد إيران بكل ما تطلبه من خبراء واختصاصيين.

وانتهت عام ١٣٤٥ هـ مهمة الخبير المالي الأمريكي (أرثر مليسبو)، فسافر، وعُيّن مكانه خبير ألماني. ومُنحت في العام نفسه شركة الطيران الألمانية (يونكر) حق استخدام الأجواء والمطارات الإيرانية.

وفي عام ١٣٤٧ هـ عُقدت معاهدة تجارية بين إيران وألمانيا، فتحت إيران بموجبها أبوابها أمام البضائع الألمانية.

وفي ٣ شعبان ١٣٥٤ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٣٥ م) تمّ التوقيع على اتفاقيةٍ تجاريةٍ بين طهران وبرلين، ونتيجة العلاقات التجارية المتزايدة بين البلدين أصبحت حصة ألمانيا من التجارة الخارجية الإيرانية تعادل ٢١٪ من مجموع التجارة الإيرانية على حين لم تزد نسبة بريطانيا على ٨٪ من مجموع التجارة.

وفي عام ١٣٥٦ هـ كان عـدد الشركـات الأجنبية في إيـران حسب الجنسيات كما يأتي:

٣٥١ شركة ألمانية.	١٧٧ شركة أمريكية.
٢٨٥ شركة بريطانية.	١٤٣ شركة روسية.
١١٨ شركة فرنسية.	

وفي ١٤ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ (٤ كانون الثاني ١٩٣٩ م) حصلت شركة الطيران الألمانية (لوفتهانزا) على فتح طـريق جوي بـرلين ـ بغداد ـ طهران ـ كابول. وحقّ استخدام الأجواء الإيرانية في رحلاتها إلى (بانكوك).

وفي الوقت نفسه أخذت الدولتان تتبادلان زيـارات الوفـود العلمية، والمالية، والسياسية.

وهكذا كان النفوذ الألماني يتزايد في إيران مع بروز قوة ألمانيا في أوربا خاصةً، وتلك هي السياسـة التي كان يسير عليها رضا خان.

الحرب العالمية الثانية:

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨ هـ (الأول من أيلول ١٩٣٩ م)، وقد أعلن الشاه رضا خان سياسة الحيـاد التام، ورفض تنسيق الجهود مع أعضاء ميثاق سعد أباد، بـل ورفـض اقتـراحـاً أفغانيـاً يقضي بدعوة الأعضاء للاجتماع للتباحث في إقرار سياسةٍ واحدةٍ فيما إذا داهمهم خطر.

وفي ١٤ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٣٩ م) جمع الشاه المجلس النيابي، وأعلن أمامه أن علاقة إيران عـلاقة مـودةٍ واحترامٍ مـع الدول كافةً وخاصةً الدول المجاورة. وقد احترمت الحكومات كلها هـذا الحياد، وكانت الصحـافة المحليـة تنشر البـلاغات الحـربية الصـادرة من

جبهات القتال عن كلا الجانبين دون إظهار أي ميلٍ لأحد الطرفين المتخاصمين.

ولكن الانتصارات الألمانية السريعة والخاطفة التي تمت في أوربا قد أطمعت الشاه فأخذت كفة التوجّه نحو ألمانيا ترجح، إذ اعتقد أن النصر سيكون لصالح ألمانيا لذا فقد انحاز إليها، وأراد الإفادة من الصراع الدولي لصالحه، بالضغط على النفوذ البريطاني في إيران، ومحاولة أخذ منطقة القفقاس من روسيا دون أن ينظر إلى معاهدة عدم الاعتداء القائمة بين إيران وروسيا.

كان الألمان يعدّون منطقة الشرق الأوسط مجالهم الحيوي، ومنها التوسّع في بلاد القفقاس وإيران لأنها ستكون بقعةً مهمةً في حالة نشوب حرب مع الروس. وقد زاد عدد العاملين الألمان في إيران، وخاصةً رجال المخابرات الذين زاد عددهم على ثلاثة آلاف رجلٍ، منهم ثلاثمائةٍ يعملون في دوائر الدولة المختلفة، وقد ركّزوا جهودهم في العاصمة طهران، وفي المناطق الشمالية على حدود المناطق الخاضعة للسيطرة الروسية، وفي المناطق القريبة من الخليج العربي.

وفي **٢٤** شعبان **١٣٥٨** هـ (٨ تشرين الأول **١٩٣٩** م) أي بعد اندلاع الحرب بأقل من أربعين يوماً جرى اتفاق سري بين إيران وألمانيا، تعهدت فيه إيران بتصدير اثنين وعشرين ألف طنٍ من القطن، وستة آلاف طنٍ من الصوف، وعشرين ألف طن من القمح، وعشرة آلاف طن من الشعير، وعشرين ألف طن من الرز إلى ألمانيا. وكانت إيران المصدر الوحيد للمواد الخام إلى ألمانيا. وكذلك فإن الألمان كان يحصلون على المطاط، والقصدير من منتجات جنوب شرقي آسيا عن طريق تجارٍ من إيران، وأصبحت نسبة ألمانيا من التجارة الخارجية الإيرانية تُشكّل **٤٢,٩**٪ على حين لم تكن عشية الحرب لتزيد على **٢٥** و **٢٠**٪. ولما كان الأسطول البريطاني يحاصر الشواطىء الألمانية لذا لم يكن هناك من طريقٍ للتجارة

بين ألمانيا وإيران سوى الأراضي الروسية والبلدان التي تخضع لسيطرة الروس. وقد استفاد الروس من هذه التجارة كثيراً، وخاصةً أن الحرب لم تكن قد اشتعلت بعد بين الألمان والروس، وقد ساعدهم على ذلك تلك المعاهدات التجارية التي وُقّعت في تلك المرحلة، إذ وقّعت ألمانيا معاهدةً مع روسيا في ٣ محرم ١٣٥٩ هـ (١١ شباط ١٩٤٠ م)، ووقّعت روسيا معاهدةً مع إيران في ١٦ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٤٠ م) وبذا ارتبطت وتكاملت العلاقات التجارية.

وإضافةً إلى الأمور التجارية كانت الصلات الثقافية بين إيران وألمانيا تتوسّع، حتى أن ألمانيا أصبحت تطبع الدعايات الألمانية باللغة الفارسية لتوزّعها في إيران. وكانت هناك أعداد من الألمان يعملون في التدريس، وفي الجامعات، وخاصةً في الزراعة، والطب البيطري. واتخذ الشاه رضا بهلوي قراراً في شهر جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ (آب ١٩٣٩ م) يقضي بإغلاق المدارس الأجنبية، وإبعاد المشرفين على شؤون التعليم والكليات الجامعية، ولكن لم يُطبّق على الألمان، ولم ينلهم.

وكان للخبراء العسكريين الألمان دور في إيران، والتي وصلت إليهم أسلحة ألمانية وعتاد، وعندما قطع العراق علاقاته السياسية مع ألمانيا كانت إيران تُمثّل المصالح الألمانية في العراق.

وفي بداية الحرب ضلّت ثمان سفنٍ ألمانيةٍ وإيطاليةٍ طريقها في منطقة الخليج فلجأت إلى ميناء (بندر شابور)، وكانت تحمل مواداً متفجرةً، وعملت بريطانيا مع إيران كثيراً لإبعاد هذه السفن عن الميناء، أو محاولة تعطيل محركاتها كي لا تستطيع القيام بشيءٍ يُهدّد المصالح البريطانية، فلم توافق إيران.

وعملت بريطانيا على بثّ دعايةٍ مُضادّةٍ للألمان، وربما استندت هذه الدعاية على التقارب الألماني الروسي، وللروس أطماع ومصالح في إيران فكيف يمكن التقارب مع أصدقائهم الذين يعملون بالواقع لمصلحة الروس؟

كما أن بريطانيا قد قدّمت احتجاجاتٍ كثيرةً لدى إيران لكثرة الألمان العاملين على الأرض الإيرانية، وهم يعملون دائبين ضدّ انكلترا ومصالحها.

إن زيادة العلاقات التجارية بين إيران وألمانيا لن تكون إلا على حساب بريطانيا والدول الكبرى الثانية التي كانت لها مع إيران علاقات تجارية قوية. كما أن روسيا قد استفادت من تطور العلاقات الإيرانية الألمانية لأن أراضيها كانت طريق المرور لتلك البضائع كلها الصادرة والواردة. ولم تكن تلك المعاهدة التجارية التي ألمحنا عنها بين إيران وروسيا في ١٦ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٤٠ م) إلا من أجل مرور البضائع الإيرانية ضمن الأراضي الروسية، وهذا ما رفع حصة روسيا من تجارة إيران الخارجية إلى ١١٪ عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ هـ) بعد أن كانت أقل من ١٪ قبل عامٍ واحدٍ فقط. وقد أثار هذا كله غضب بريطانيا وقد خشيت أن تسير الدول المجاورة لإيران في الطريق نفسها التي مشت فيها إيران.

وكانت إيران من ناحيةٍ أخرى تسعى إلى تطوير علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وترغب بالحصول على قرض منها. وقد ظهرت على المسرح النفطي شركة (ستاندرد أويل أوف نيوجرسي) الأمريكية.

كان الفرقاء المتخاصمون غير راضين عن الوضع في إيران، فالحلفاء يرون الألمان يمرحون على أرض إيران، ويرون الميل واضحاً إلى ألمانيا، ولا يريدون لهذا برهاناً، ولا يمكنهم أن يصدقوا غير ذلك، مهما ادعى الشاه من وقوفٍ على الحياد، إذ يرون الحقيقة رأي العين لذا يودّون تغيير الحكم في إيران، وفي الوقت نفسه فإن الألمان لم يعجبهم الموقف الإيراني رغم هذا كله، وإنما يريدون الانحياز إليهم صراحةً، فإن التردّد الذي يسير عليه الشاه يجعله جباناً في بعض المواقف بل يتصرّف ضدّهم نتيجة الخوف، وربما جاء وقت كان فيه التصرّف قاتلاً لهم لذا كانوا يعملون على تغيير الوضع أيضاً إذا رأوا:

١ ـ موقف الشاه من حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق، حيث أخبره بعدم تأييده لخطواته التي خطاها، ويجدها سابقةً لأوانها، وقد تُؤدّي إلى هزّةٍ عنيفةٍ في المنطقة.

٢ ـ رفضت إيران عودة السفير الألماني (غروبا) إلى بغداد عن طريق أراضيها، وكان قد أُبعد عن العراق في بداية الحرب عندما قطعت العراق علاقتها السياسية مع ألمانيا.

٣ ـ رفضت إيران تزويد الطائرات التي أرسلتها ألمانيا إلى العراق بالوقود.

٤ ـ رفضت إيران مرور الأسلحة الألمانية إلى العراق عبر أراضيها.

٥ ـ أكدّت إيران على سفاراتها في الخارج ضرورة التزام الحياد التام.

لذا فإن ألمانيا نقمت على الشاه وأخذت تذيع بيانات ضدّه. وقد تحمّل الشاه هذا، وحاول إيجاد توازنٍ بين الأطراف. فهو يميل إلى الألمان، ويرغب بالتعاون مع الأمريكان، ويريد إبقاء الصلة مع البريطانيين. وبقي متأرجحاً فهو يخشى من الارتماء في أحضان الحلفاء، ولم يجد ضالته في الأمريكان، ويخشى إعادة تجربة العراق، فيحلّ به ما حلّ برشيد عالي الكيلاني.

والواقع أن غروره، وسيطرته الظاهرة القوية على الوضع الداخلي، واعتماده على الجيش، وظنّه بطاعة الجميع له، كل هذا عزله عن القوى الوطنية في الداخل، وعاش في غفلةٍ قاتلةٍ أنسته الوضع الداخلي، كما أن الإنفاق الكثير على الشرطة السرية، والجيش قد زاد في غروره، وظنّه الخاطىء، كما أن ذلك قد أفقر البلاد، وارتفعت أعداد العاطلين إلى درجةٍ مخيفةٍ، وأخذ النقد الخفي، والحقد على الحكم يلعبان دورهما.

ولم يكن وضع الشاه لِيُرضي الحلفاء، ولا ليقبله الألمان، وقد حسم الموقف الهجوم الألماني المفاجىء على روسيا في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٦٠ هـ (٢٢ حزيران ١٩٤١ م)، وغدت إيران أساسيةً بالنسبة إلى

الحلفاء، فإمداد روسيا لا يكون إلا عبر أراضيها، وليس لهم طريق سواها، كما خشي الروس من فتح جبهةٍ جديدةٍ عليهم من الجنوب فيما إذا انحازت إيران إلى دول المحور، وفي الوقت نفسه تخاف روسيا من أن تمتد أيدي الألمان إلى مكامن النفط في (باكو) في جمهورية (أذربيجان). والإنكليز أصبحوا يخافون أيضاً على مصالحهم النفطية في الجنوب على مشارف الخليج العربي. وكذلك أصبحت إيران بالنسبة إلى الألمان أكثر أهميةً من ذي قبل، إذ تحتاج إلى المواد الخام منها، وقد انقطع تصديرها بعد الهجوم على روسيا، ومن إيران يمكن ضرب روسيا من الجنوب حتى تركع على ركبتيها، وبعدها يتفرّغون إلى بقية الحلفاء، وفي إيران الثروة النفطية الضرورية لهم، وحرمان البريطانيين منها ضربة لهم في الصميم، وكذلك يمكن بضرب آبار نفط باكو الإسراع في إخضاع روسيا.

وفي ٢ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ (٢٦ حزيران ١٩٤١ م) أي بعد أربعة أيام فقط من الهجوم الألماني على روسيا أكّد الشاه حياد بلاده، وأصرّ على موقفه، ولكن نشاط الألمان في إيران واضح للحلفاء، لذا فقد قدّم سفيرا بريطانيا وروسيا في طهران مذكرةً مشتركةً إلى الحكومة الإيرانية في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ (١٩ تموز ١٩٤١ م) يُبيّنان خطر وجود الألمان في إيران، ويطلبان ترحيل كل من لا تدعو الحاجة الملحة إلى بقائه، غير أن إيران رفضت وعدّت ذلك خرقاً لسياسة الحياد التي تنتهجها. وهذا ما سرّ الساسة الألمان. أما بالنسبة إلى الحلفاء فقد عدّوا هذا التصرّف انحيازاً لجانب الألمان، وخاصةً أن الشاه قد رفض تسليم رجال حركة رشيد عالي الكيلاني الذين فرّوا من بغداد إلى طهران إثر فشل تلك الحركة إلى البريطانيين، وكانوا في طهران على صلةٍ بالسفارة الألمانية رغم تشديد الحراسة عليها، وكذلك فإن نشاط رجال المخابرات الألمانية قد زاد في الآونة الأخيرة على حدود إيران الشمالية وعلى مقربة من المناطق التي تقع تحت السيطرة الروسية. وكذلك فإنه وصل إلى طهران (كناريس) أحد كبار

رجال المخابرات الألمانية، ومعه أحد ضباط (الغستابو)، **ويبدو أن هذا القدوم** كان يخفي وراءه تدبير انقلابٍ في إيران، وقد نبّه الروس الحكومة الإيرانية إلى ذلك، ولكن الشاه لم يُصدّق، على حين كان يصدق كل ما كان يشاع عن الحلفاء وخاصةً الإنكليز الذين بلغه عنهم أنهم يريدون التدخل في شؤون إيران الداخلية.

وفي ٢٤ رجب ١٣٦٠ هـ (١٦ آب ١٩٤١ م) قدّمت الحكومتان البريطانية والروسية مذكرتين أخريين تطالبان فيهما إبعاد الألمان عن إيران، وتحتجّان على موقف الشاه السلبي دائماً على مذكراتهما، ولكن الحكومة الإيرانية لم تُعر هاتين المذكرتين أي اهتمام.

أصدر الشاه أمره للجيش ليكون على أهبة الاستعداد، وعزّز القوات على الحدود الشمالية، وأمر بإلغاء إجازات العسكريين، ودعا الاحتياطي، وطلب سوق الشباب للخدمة الإلزامية لخمس سنواتٍ متواليةٍ.

هدّد الألمان إيران بقطع العلاقات السياسية فيما إذا استجابت لمطالب الحلفاء، وشجّعوها على الثبات على الموقف والجرأة على الانحياز لجانبهم، وأنهم سيحتلّون بلاد القفقاس خلال عدة أسابيع فقط، وسيدخلون إلى إيران من الشمال. وهذا ما قوّى من عزيمة الشاه فأكّد أن الصداقة الإيرانية ـ الألمانية ثابتة لا تتزعزع.

فشل الهجوم الألماني على روسيا في تحقيق أهدافه العسكرية، وهذا ما أربك الشاه وأحرج موقفه، وأخذ يتراجع أمام الحلفاء، ويُبدي موافقته على تنفيذ مطالبهم، لقد وافق على إبعاد الألمان في إيران عن البلاد، ولكن على مراحل، غير أن الحلفاء أصرّوا على السرعة، وتعنتوا في مطالبهم، ورأوا ضعف الشاه، وتبدّل موقفه، وتوقّف الهجوم الألماني، فأرادوا تغيير الوضع في إيران.

وجّه الحلفاء إنذاراً للشاه في ٣ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢٥ آب

١٩٤١ م)، وتقدّم الروس من الشمال، وتوغّلوا في أزربيجان، واحتلّوا تبريز، واقتحم عشرة آلاف جندي من القوات البريطانية والهندية الحدود من الغرب قادمين من (خانقين) في العراق باتجاه (كرمنشاه)، وتقدّمت القوات البحرية البريطانية من الجنوب باتجاه المحمرة (خرمشهر) وأُغرقت السفن الراسية في الميناء، ولم تصمد القوات الإيرانية، ولم يبد الجيش الإيراني حماسةً في القتال، ولم يظهر الشعب تجاوباً للدفاع.

وفي ٥ شعبان قدّم رئيس الوزراء الإيراني علي منصور استقالة حكومته، فكلّف الشاه في اليوم نفسه محمد علي فروغي لتشكيل حكومةٍ جديدةٍ، وأعطى رئيس الحكومة الجديد أوامره للجيش بوقف إطلاق النار على الجبهات الثلاث، وتم تعيين أحمد أمير أحمدي حاكماً عسكرياً لطهران، ثم أُعلنت الأحكام العرفية.

طلب الحلفاء من الحكومة الإيرانية:

١" ـ انسحاب القوات الإيرانية إلى خارج المناطق التي ترابط فيها القوات الروسية في الشمال.

٢" ـ إبعاد الألمان عن إيران خلال أسبوع.

٣" ـ فتح الطرق البرية والجوية الإيرانية أمام الحلفاء.

٤" ـ حياد إيران التام.

وتعهد الحلفاء للحكومة الإيرانية بـ:

١" ـ وقف الزحف نحو طهران.

٢" ـ دفع مساعداتٍ اقتصاديةٍ لإيران.

٣" ـ استمرار شركة النفط الأنكلو- إيرانية بدفع عائدات النفط للحكومة الإيرانية.

ثم غيّرت إنكلترا رأيها وطالبت إيران بتسليم الألمان الموجودين في إيران لها باستثناء أعضاء البعثة السياسية المعتمدين.

أما إيران فقط طالبت الحلفاء بما يأتي:

١" ـ انسحاب قوات الحلفاء من بعض المناطق في الشمال، وفي الجنوب.

٢" ـ تعويضها عما فقدته أثناء القتال، وتقدّم القوات الروسية والبريطانية.

٣" ـ عدم اتصال الجنود والضباط الحلفاء بالسكان الإيرانيين.

٤" ـ إجراء مفاوضاتٍ ثنائيةٍ بينها وبين روسيا، منها الاتفاق على نفط الشمال.

وفي ١٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (٦ أيلول ١٩٤١ م) عاد الحلفاء فطالبوا إيران بطرد البعثات السياسية لدول المحور. وبعد يومين وقّعت إيران أو أُلزمت على التوقيع على اتفاقيةٍ وافقت بموجبها على بقاء القوات الروسية والبريطانية على أراضيها، وطرد البعثات السياسية لدول المحور، وحجز الرعايا الألمان. ولكن ألمانيا هدّدت إيران فيما إذا انقادت لأوامر الحلفاء وأخذت بتنفيذ بنود هذه الاتفاقية، ولكن الإيرانيين انصاعوا للحلفاء، ولم يستمعوا إلى التهديد الألماني، وقاموا بتسليم مائتين وخمسين ألمانياً إلى انكلترا فوضعوا في معسكرات الاعتقال، كما سلموا خمسين ألمانياً إلى روسيا فنقلتهم إلى مدينة قزوين حيث احتجزتهم هناك.

وفي ٢٣ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٤ أيلول ١٩٤١ م) طلبت بريطانيا وروسيا من الشاه رضا بهلوي التنازل عن العرش لولي عهده محمد رضا، وإعلان الحرب على ألمانيا وبقية دول المحور، فرفض فأجبره الحلفاء. وفي ٢٥ شعبان تنازل الشاه لابنه، وقرأ محمد علي فروغي رئيس الوزراء وثيقة التنازل للمجلس، وترك الشاه طهران إلى أصفهان حيث مكث فيها شهراً، ومنها انتقل إلى بندر عباس، ومن هناك نقلته باخرة الشحن الإنكليزية (باندرا) إلى (بومباي) في الهند، ورفضت السلطات البريطانية إنزاله لوجود قلاقل في بومباي، ولم يُسمح له بالانتقال إلى اليابان، وحُمل إلى جزيرة (موريشيوس) حيث فُرضت عليه الإقامة الجبرية هناك، ثم نُقل

إلى مدينة (جوهانسبرغ) في اتحاد جنوبي إفريقية، وبقي هناك حتى توفي في ٥ رجب ١٣٦٣ هـ (٢٥ حزيران ١٩٤٤ م) وبعد عدة سنواتٍ نقل رفاته إلى طهران في ١٦ رجب ١٣٦٩ هـ (٣ أيار ١٩٥٠ م).

أما في إيران فقد نصب ولي عهده ابنه محمد رضا شاهاً على البلاد.

٢ ـ محمد رضا بهلوي[1]

(١٣٦٠ ـ ١٣٩٩ هـ) (١٩٤١ ـ ١٩٧٩ م)

تُوِّج شاهاً على إيران يوم أُعلن تنازل والده عن الحكم في ٢٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٦ أيلول ١٩٤١ م)، وتأخّر سفيرا بريطانيا وروسيا عن حفل التتويج، كما تأخّر اعتراف دولتيهما بالوضع الجديد مدة ثلاثة أيامٍ. وأدّى اليمين الدستورية أمام المجلس، وتعهّد أمامه أن يحفظ سيادة إيران، ويصون حقوق الشعب، ويحترم الدين الإسلامي الحنيف، ويراعي الدستور والقوانين المرعية في البلاد. كما أنه أكّد ضرورة تعاون حكومته مع دولتي بريطانيا وروسيا. وعهد إلى رئيس الوزراء محمد علي فروغي (ذكاء الملك) بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ.

أُعلن تشكيل الوزارة في ٣٠ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢١ أيلول ١٩٤١ م)،

---

(١) ولد محمد رضا في طهران في ٢ صفر ١٣٣٨ هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩١٩ م)، من زوجة والده الثانية (تاج الملوك) وأنهى تعليمه الثانوي في سويسرا (١٣٥٠ ـ ١٣٥٥ هـ) مع أخيه الأصغر علي، في مدرسةٍ داخليةٍ.
عاد إلى إيران عام ١٣٥٥ هـ، والتحق بالكلية العسكرية، وتخصّص بسلاح المدفعية.
تخرّج بعد سنتين بمرتبة ملازم، وعُيّن مفتشاً بالجيش. وكان مغرماً بالنساء، والخيل، وسباق السيارات.
تزوج من فوزية بنت ملك مصر فؤاد الأول بعد ترددٍ من والدها، وفي ١٣ محرم ١٣٥٧ هـ (١٤ آذار ١٩٣٨ م) هبطت طائرتان في مطار طهران على متن إحداها فوزية ووصيفاتها، وعلى متن الأخرى الأثاث، وكان عمره يومذاك تسع عشرة سنة بينما كان عمر فوزية سبع عشرة سنة، وفي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وضعت فوزية ابنتها (شاهيناز).

وأُطلق سراح السجناء السياسيين، ويبلغ عددهم ما يقرب من ألف ومائتين وخمسين رجلاً، وسُمح للمنفيين والذين خرجوا من البلاد فراراً بالعـودة، ومعظم هؤلاء وأولئك من خصوم الشاه السابق، وأعداء الألمـان، وأعوان الحلفاء، وهذا ما عمل له البريطانيون والروس، وشعروا بالسرور بما تمّ. وكان الشاه قد تعوّد على حياة اللهو والترف التي كان يحياها، وأحاط نفسه بالشرطة السرية التي وصل عددها في آخر عهده إلى خمسين ألفاً.

وعُقدت معاهدة ثلاثية بين إيران وبـريطانيـة وروسيا في ١٢ محـرم ١٣٦١ هـ (٢٩ كانون الثاني ١٩٤٢ م)، اعترفت بريطانيا وروسيا فيها بوحدة الأراضي الإيرانية، واستقلالها، وسيادتها، وتعهدت الدولتـان بالـدفاع عن إيران ضد أي اعتداءٍ، كما احتفظتا بما تراه ضرورياً من قوات بريةٍ وبحريةٍ وجويةٍ على أرض إيران، وتعهدتا بسحب قواتهما خلال ستـة أشهرٍ بعـد انتهاء الحرب مع ألمانيا. وفي الواقع فإن هذه المعاهـدة قد أطلقت يـد الدولتين في شؤون إيران.

عاد نشاط المخابرات الألمانية سرّاً، وكان قد اختفى عدد من رجالهم أثناء سيطرة الحلفاء على إيران، وقاموا الآن يُحرّضون ضدّ الحلفاء، وجرت بعض القلاقل في (أرومية)، وحاول الألمان إيجاد تنظيم بين أعوانهم أطلق عليـه (حركـة قوميي إيـران)، غير أن هـزيمـة الألمـان في (ستـالينغـراد) و(العلمين) قد جعل بعضهم يُغيّر موقفه حيث خاب أملهم بقدوم الألمان ووصولهم إلى إيران، بل إن بعضهم أسرع إلى الحلفاء، وسلّمهم أسماء أعوان الألمان الذين يعرفهم، ومـا لديه من وثائق سريةٍ. وسلّمت القبائل القشقـائية جميـع أعوان ألمـانيا الـذين كانـوا تحت حمايتهـا، ومن بينهم (شولتز).

أعلنت حكومة الشاه في ١٠ رمضان ١٣٦٢ هـ (٩ أيلول ١٩٤٣ م) الحرب على دول المحور، وكان ذلك شكلياً، وإن كان الشاه يرغب أن يكون ذلك فعلياً، وأن يرسل قواتٍ للاشتراك في القتال.

أعطت الحكومة الإيرانية الحرية السياسية فتشكّل خمسة عشر حزباً، من بينها حزب (توده) الشيوعي، والذي أصبح له عدة فروع في مختلف المدن، ووصل عدد أعضائه إلى مائتي ألف، وتمكن من السيطرة على الشارع.

وكان من الذين رجعوا إلى البلاد ضياء الدين طباطبائي، وقد عاد في رمضان ١٣٦٢ هـ (أيلول ١٩٤٣ م) فأسّس تجمعاً أطلق عليه اسم الوطن، ودُعم من أجل الوقوف في وجه حزب (توده).

وفي أواخر عام ١٩٤٤ م أُلغيت الحريات، وضُربت الحركات (الديمقراطية)، وأُعلنت الأحكام العرفية في بعض المدن.

بريطانيا: رجع النشاط السياسي البريطاني إلى سابق عهده.

الولايات المتحدة: دخل النفوذ الأمريكي إلى إيران أثناء الحرب العالمية الثانية، واستخدم الأمريكيون أرض إيران ممراً لنقل الإمدادات إلى روسيا. وعندما أعلنت الولايات المتحدة رسمياً الحرب على ألمانيا نقلت فرقةً من قواتها، عدد أفرادها ثلاثون ألفاً إلى إيران، وتبع ذلك البعثات العسكرية.

وكان هناك تنسيق بين الولايات المتحدة وبريطانيا عندما أعلنت الولايات المتحدة وقوفها رسمياً إلى جانب بريطانيا في شوال ١٣٦١ هـ (تشرين الأول ١٩٤٢ م). كما جرى اتفاق بين الدولتين في ٢٦ ذي القعدة ١٣٦١ هـ (٤ كانون الأول ١٩٤٢ م) لسدّ عجز إيران من القمح. ولم تعترض إنكلترا على سيطرة الولايات المتحدة على مينائي (بندر شابور) و(المحمرة) وعلى القاطع الجنوبي من الخط الحديدي الواصل بين مدينة قزوين في الشمال على بحر قزوين وبين منطقة الخليج العربي بحجة الإشراف على الإمدادات المتجهة إلى روسيا.

وجرى تعاون نفطي بين شركة (رويال دوتش شل) البريطانية وبين

الشركتين الأمريكيتين (ستاندرد أويل) و(سنكلر) للتنقيب **عن النفط في منطقة** (بالوخستان).

وأخذت أفواج الخبراء الأمريكيين تتوالى على إيران، وكان رئيس الحكومة الإيرانية قوام السلطنة يميل إلى إحلال الخبراء الأمريكيين محلّ الخبراء الألمان، وقد هيمنوا على وزارات الدفاع، والداخلية، والصحة، ومختلف المؤسسات الاقتصادية، بل عاد الخبير المالي الأمريكي (أرثر مليسبو) إلى إيران، بعد غياب سنوات، وقد رجع في محرم ١٣٦٢ هـ (كانون الثاني ١٩٤٣ م). ودامت حكومة قوام السلطنة من ٢٧ رجب عام ١٣٦١ هـ (٩ آب ١٩٤٢ م) إلى ٨ صفر ١٣٦٢ م (١٣ شباط ١٩٤٣ م).

وفي ٣ ربيع الثاني ١٣٦٢ هـ (٨ نيسان ١٩٤٣ م) عقدت إيران معاهدةً تجاريةً مع الولايات المتحدة، فتحت إيران بعدها أبوابها أمام البضائع الأمريكية.

روسيا: دعم الروس إيران بالدقيق في العام الثالث للحرب بعد أزمة الخبز التي أنهكت الشعب الإيراني. ثم فترت العلاقات بين الدولتين لما أُشيع في أواخِر عام ١٣٦٢ هـ (أواخر عام ١٩٤٣ م) عن منح إيران امتياز نفط الشمال لشركات بريطانية وأمريكية. ثم زار وفد روسي طهران والتقى برئيس الوزراء محمد سعيد، والشاه نفسه وذلك في رمضان ١٣٦٣ هـ (أيلول ١٩٤٤ م) من أجل مَنع إعطاء امتياز نفط الشمال لطرفٍ ثالثٍ دون موافقة روسيا، ولكن الحكومة الإيرانية قد أعلنت بتحريضٍ من البريطانيين والأمريكان بأنها ترفض البحث في أي امتيازٍ نفطيٍ جديدٍ قبل انتهاء الحرب. وقد قام حزب (توده) بمظاهراتٍ واسعةٍ.

وفي ١ ذي الحجة ١٣٦٢ هـ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ م) عقد مؤتمر طهران لمدة ثلاثة أيامٍ، وحضره كل من الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل، والرئيس الروسي ستالين، وأعلنوا فيه **وقوفهم إلى** جانب إيران، وأخذ الشاه تأكيداتٍ من روزفلت لضمان **استقلال**

إيران، كما أخذ من ستالين تأكيداتٍ بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية.

كان الروس ينقلون الحاصلات الزراعية من شمالي إيران إلى بلادهم، ويحتج الشاه إلى لندن، ويحتج إلى موسكو، ولكن لا أحد يسمع منه، ولم يردّ عليه أحد. وتثير روسيا الاضطرابات في منطقة نفوذها ليكون لها مجال للتدخّل في شؤون إيران.

وأشاع الروس والبريطانيون أنهم يعملون لإعادة الحكم إلى القاجاريين حتى يرتمي الشاه في أحضانهم بشكلٍ أكبر، وعملوا على دعوة وريث الملك القاجاري إلى حفلةٍ رسميةٍ في السفارة البريطانية، وعُزف له النشيد الوطني الإيراني، فانخلع لذلك قلب الشاه الشاب، فما كان منه إلا أن اتجه إلى الولايات المتحدة ليحمي نفسه، فأصدر الرئيس الأمريكي «روزفلت» قراراً جاء فيه أنه لن يسمح أبداً بتقيسم إيران، وأن ذلك ضرورة للوقوف أمام أطماع الروس، وأمام تراجع الإمبراطورية البريطانية، وعمل الشاه على توازنٍ بين النفوذين الروسي والبريطاني.

الحركات الداخلية أثناء الحرب:

كانت الشعوب غير الفارسية ناقمةً على حكامها للضغط عليها، ولإهمالها بشكل يلفت النظر بالنسبة إلى الشعب الفارسي، وإن تغيير اسم البلاد الذي أقدم عليه الشاه رضا خان من الدولة الفارسية إلى دولة إيران لإبعاد فكرة السيطرة الفارسية والعصبية إلى العرق لم يفد شيئاً لأنه تغيير للاسم دون أي تبديلٍ في المضمون، إذ بقيت السيطرة الفارسية قائمةً، والضغط موجوداً، والإهمال مستمراً، وإن الإسلام الذي يجمع بين هذه الشعوب كلها، ويُؤلّف بين السكان جميعاً لا يلتفت إليه أبداً إلا في المناسبات أو في الأوقات التي يحتاج الحكام إلى استرضاء أهله، وإذا غاب الإسلام عن الساحة فليس هناك من رابطٍ يُوحّد المسلمين ويشّد بعضهم إلى بعض، ومن هنا تحرّكت الشعوب غير الفارسية عندما وجدت

الحكومة المركزية في أزمةٍ، تتخبط على جنباتها، ولا تعـرف على أي جنب تستقر، وعلى أي قوةٍ أجنبيةٍ ـ مع الأسف ـ تستند.

وكانت في الوقت نفسه الدول الأجنبية صاحبة العلاقة وهي إنكلترا وروسيا خاصةً تُثير هذه الشعوب غير الفارسية، وتُثير جانب العصبية، كي تتدخّل في شؤون البلاد، وتبقى صاحبة الكلمة والنفوذ، ولتبعد رابط العقيدة بينها، وتحلّ محله رابط العصبية الذي يمكن إثارته في كل وقتٍ تشاء هذه الدول الأجنبية، ولأن العصبية لا تشريـع فيها، ولا مفـاهيم ولا قيم تنبع منها، وهذا ما يجعلها تلجأ إلى القوانين والأفكار والمفاهيم الأجنبية فتلتقي بذلك مع أهل تلك القوانين والأفكار والمفاهيم، وتكون تابعةً لهم، وتنأى عن الإسلام الذي تخشاه تلك الدول، تخافه على مصالحها، وتخشاه على أفكارها، إذ يقوم على تشريع، وتنبع فيه مفاهيم وقيم، ولأتباعه الأفكـار الخاصة بهم والشخصية التي تميزهم عن غيرهم.

ثارت قبيلة كعب (الدبيس) منذ بداية الحرب بقيادة زعيمها حيدر، وانتصرت على القوات الحكومية في أول الأمر، ودامت حركتها ما يـزيد على أربعة أشهرٍ، ثم هُزمت أمام العدد والأسلحة الحديثة، وعندما أخمدت الحركة أُلقي القبض على حيدر وأعدم مع كبار أعوانه.

وثـار جاسب بن خـزعل بن جـابر، وسبّبت حـركته مصـاعب كثيـرةً للحكومة في طهران، وعرفت ثورته باسم الثورة الفجرية نسبةً إلى الحي الذي اندلعت منه نار الثورة.

وثار بنو طرف في منطقة (الحويزة) فهجّرت الحكومة منهم ما يزيد على ألف وأربعمائة رجلٍ إلى مناطق نائيةٍ عن موطنهم سيراً على الأقدام، حفاةً مع منتهى الإذلال، والعذاب، والإهانة.

وقرب نهايـة الحرب عقـد مشايـخ القبائـل العربيـة لقاءً في مـدينة (المحمرة)، ووضعوا ميثاقاً مؤلفاً من تسعة بنودٍ، غير أنهم لم يستـطيعوا تحقيق شيءٍ منها.

وفي بـداية الحـرب تحرّكت قبيلة (قشقـائي) التركمانية ضـدّ النفوذ الإنكليزي، والتصرف الفارسي، وعندما سيطر الحلفاء على إيران، حمى رجال هذه القبيلة كثيراً من الألمان، حتى إذا يئسوا من انتصار الألمان، واقتنعوا بعودة البريطانيين عندها سلّموا رجال الألمـان الذين كـانوا تحت حمايتهم.

ولـم تكن أوضاع أذربيجان وكـردستان بـأفضل حالٍ ممـا هي عليه أوضاع عربستان.

بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد انتهاء الحرب انقسم العالم إلى معسكرين: المعسكر الرأسمالي وتتزعمه الولايات المتحدة التي ترى أنه من الضروري أن يحلّ نفوذها محل الإمبراطوريات الاستعمارية السابقة من حليفاتها وهي بالدرجة الأولى إنكلترا وفرنسا وفي ذلك زيادة في قوة المعسكر الرأسمالي الذي يخضع لموجّـهٍ واحدٍ، والمعسكر الشيوعي وتتزعمه روسيا من غيـر منازعٍ بـل إن الدول الأخرى الحليفة لها ليست سوى توابع تدور في فلكها. وكانت إيران بعد الحرب مجالاً للتنافس بين المعسكرين، فبريطانيا تريد أن تستعيد نفوذها، وتزيح روسيا تدريجياً عن الساحة، والولايات المتحدة تخطط للوقوف في وجه روسيا وتدعم بريطانيا في هذا الجانب إلا أنها في الوقت نفسه تدبر الأمور لتهيمن على إيران، ويكون لها النفوذ مكان النفوذ البريطاني.

وأما روسيا فتريد لنفسها ما تعمل له إنكلترا لمصلحتها، وقد أخذت تضغط على الحكومة الإيرانية للحصول على امتياز التنقيب عن النفط في المناطق الشمالية، ولكن الوضع الداخلي لم يكن ليسـاعدهـا، إذ وقفت الحركات السياسية في وجه هذه المطالبات، وربما كان لتحريض الولايات المتحدة وبريطانيا دوره في هذا التصدّي الذي قاده محمد مصدق. وأمـا مجال روسيا الثاني للتدخّل في شؤون إيران ومدّ نفوذها فقد كان عن طريق حكومة أزربيجان المحلية الاشتراكية برئاسة جعفر بيشوري. كانت حكومة

طهران المركزية تريد أن تُنهي وضع أزربيجان، وتعيدها تحت جناحها. وقد أرسل الشاه أخته (أشرف) إلى موسكو للتفاهم حول هذه القضية، وكان إرسال شقيقته إيذاناً بعلمانيته وعدم عداوته للاشتراكية التي تتبنّاها روسيا، وفي الوقت نفسه إعلاماً لبريطانيا التي من ورائه وللولايات المتحدة التي تدعم ذلك أنه متحرّر وغير معادٍ للأفكار التي تحملها الدول الغربية، ولم يكن هذا الأسلوب مألوف لدى المسلمين، غير أنه لم يبال فعلاً بالمجتمع الذي هو مسؤول عنه، ولا بآراء أهل الدين، ولم تُجد المفاوضات التي أجرتها أخته (أشرف) في موسكو. لكن الولايات المتحدة أرسلت إنذاراً إلى روسيا فتراجعت عن دعم حكومة أزربيجان الاشتراكية، وأرسلت الحكومة الإيرانية قواتها إلى المنطقة بحجة الإشراف على الانتخابات، وسقطت حكومة جعفر بيشوري الذي فرّ إلى الجزء الآخر من أزربيجان والذي يخضع للسيطرة الروسية.

قضية فلسطين:

عملت إنكلترا على تثبيت دعائم اليهود في فلسطين، وكانت قد وعدتهم بذلك، ودعمتها سائر الدول الصليبية شرقيها وغربيها، واتخذت هذه الدول الأمم المتحدة مسرحاً لتنفيذ لعبتها ووسيلةً للوصول إلى أهدافها، وإن لم يكن ذلك إلا لإعطائها الصفة الرسمية أو الشرعية - حسب اصطلاحهم - مع أنه بالإمكان تنفيذ هذا كله بالقوة ودون الرجوع إلى الأمم المتحدة أو غيرها، وللظهور أمام الشعوب أن الوسيلة شريفة، ولا شك أنهم يخشون إثارة العاطفة الإسلامية وقيام المسلمين تحت راية الجهاد ضد الحملة الصليبية السافرة.

اقترحت الأمم المتحدة التي تخضع لتأثير الدول الكبرى، وهي دول صليبية، تقسيم فلسطين بين المسلمين (العرب) واليهود، وجرى التصويت على ذلك، وصوتت الدول الكبرى - طبعاً - إلى جانب القرار، ووقفت الدول الإسلامية ضدّه باستثناء إيران وتركيا إرضاء لبريطانيا أولاً صاحبة

الفكرة، والملاحقة لها بكل طاقاتها وإمكاناتها، وهاتان الدولتان **(إيران وتركيا)** كانتا ضمن دائرة النفوذ البريطاني، ثم كان هذا الموقف إرضاء للدول الصليبية الكبرى الأخرى وإظهاراً إلى أنها لا ارتباط لها بالإسلام، وإنما تدور في فلك التحرّر والعلمانية، وكان ذلك في ١٦ محرم ١٣٦٧ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ م).

وأعلن اليهود قيام دولة لهم في فلسطين في ٧ رجب ١٣٦٧ هـ (١٥ أيار ١٩٤٨ م)، واعترفت بها مباشرةً إنكلترا، وروسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا والدول الصليبية كلها، كما اعترفت بذلك كل من إيران وتركيا للأسباب نفسها، وبقي ذلك قائماً من جانب التمثيل السياسي، والمبادلات التجارية، والعلاقات العامة.

الزواج والطلاق:

شغلت إيران بأحداث طلاق امرأة الشاه فوزية التي طلبت طلاقها من الشاه في ١٨ محرم ١٣٦٨ هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ م) بتهمة خيانة الشاه الزوجية، وادّعى هو أنه يرغب في الزواج وترك امرأته التي لم تنجب له غلاماً ولياً للعهد، وقد مضى على زواجهما أكثر من عشر سنوات. وتمّ الطلاق، ورجع الشاه يُمارس هواياته في معاشرة النساء والتنقل بينهن، وفي سباق الخيل.

ومع انصراف الشاه إلى حياة اللهو والمجون فقد عنّ على باله الزواج مرةً أخرى، وكان يولع بكل فتاةٍ يراها مماثلةً له في مجونه، وكان يبحث عن الجمال عند هذا الصنف من الفتيات، ولم يخطر على باله البحث عن المطلوب في بيوت العفة والستر. وفي إحدى زياراته لأمريكا تعرّف على فتاةٍ تدعى (روث ستيفنس) فأولع بها، وهام، وأرادها لنفسه، ولقي عندها القبول، وأصرّ عليها، وحاولت أخته (أشرف) ردّه عنها، فلم يستمع، وحاول آخرون فلم يردّ على كلامهم، وأخيراً استطاع أخوه غلام رضا أن

يثنيه عن عزمه، وأن يحول دون عودته إلى إيران معها، حيث كانا قد اتفقا على العودة معاً.

وأعجبته ثريا بنت أصفنديارى، وكان أبوها رئيساً لمجلس النواب في أول عهد أبيه، فعارضه، وقدّم استقالته من منصبه، فنفاه رضا بهلوي إلى برلين، فتزوج (أصفنـدياري) هنـاك من خادمـةٍ تعمـل في مقهى، تدعى (إيڤـاكارل)، فأنجبت له ثريا هذه، ووافقت (أشرف) أخت الشاه على هذه الفتاة.

وصلت ثريا مع والدها إلى طهران في ٢٤ ذي الحجة ١٣٦٩ هـ (٦ تشرين الأول ١٩٥٠ م)، وعمرها ثماني عشـرة سنة وتـأجّل الـزفاف لإصـابتها بـالحمى، وأخيـراً تمّ في ١٥ جمـادى الأولى ١٣٧٠ هـ (٢١ شبـاط ١٩٥١ م).

وعاد الشاه فطلق امرأته (ثريا) بحجة أنها لم تنجب له من يخلفه، وقد ضاقت هي من طرفها منه ذرعاً لمجونه ولهوه، وتزوّج للمرة الثالثة من (فرح ديبا) في ١٩ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢١ أيلول ١٩٥٩ م).

محاولة اغتيال الشاه:

جرى احتفال في طهران يوم الجمعة ٦ ربيع الثـاني ١٣٦٨ هـ (٤ شباط ١٩٤٩ م) بمناسبة تأسيس الجامعة الإيرانية قبل أربعة عشـر عاماً، فأُطلق أثناء الاحتفال على الشاه ست طلقاتٍ ناريةٍ من قبل رجـلٍ يدعى (فخري آراي) أحد أعضاء حزب (تودة)، فجاءت ثلاث منها في قبعته، وأصابت الرابعة كتفه، وجرحت الخامسة شفته، وذهبت السادسة طائشةً في الهواء، وقتل المعتدي مباشرةً، مع أن الشاه طلبه من حرسه حيّاً لتُعرف دوافعه الحقيقية بـالتحقيق معه، ولينـال عقوبتـه أمام النـاس ليكون عبـرةً للآخرين.

واستغلت الحكومة هذه الحادثة فقامت باعتقالاتٍ واسعةٍ في صفوف

المعارضة، واعتقل (آية الله كاشاني) أحد علماء الشيعة البارزين، وعدد آخر من رجال العلم، وصدر أمر بحلّ حزب (تودة) وملاحقة أعضائه.

مقتل رازمارا:

طلب الشاه من رئيس وزرائه (رازمارا) أن ينوب عنه بحضور صلاة الجمعة، في مسجد (سلطاني) في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ (٦ آذار ١٩٥٠ م)، وحاول (رازمارا) الاعتذار، غير أن إصرار الشاه ألزمه الحضور، فاغتيل قبل دخول المسجد، وتنفّس الشعب الصعداء، وشعر بالراحة بذهاب الوطأة عنه، وهتف الناس أثناء تشييع الجنازة بسقوط الشاه، والاستعمار البريطاني، وعودة النفط للشعب، وتسليم محمد مصدق الحكومة، وحدثت اضطرابات، وعمّت الفوضى، واضطر الشاه إلى تكليف محمد مصدق رئيس الجبهة الشعبية بتشكيل الوزارة في ١٣ رجب ١٣٧٠ هـ (١٩ نيسان ١٩٥١ م).

محمد مصدق[1] وتأميم النفط:

بقي محمد مصدق في الحكم سبعةً وعشرين شهراً عمل خلالها على تأميم النفط، والعمل على تطبيق الاشتراكية، والوقوف في وجه النفوذ

---

(١) ولد محمد مصدق في طهران عام ١٢٩٨ هـ، ودرس الثانوية في مدينته طهران، والتحق بعدها بجامعة (لوزان) بسويسرا حيث درس الحقوق ونال درجة الدكتوراه فيها، ورجع بعدها إلى بلاده.
عُيّن حاكماً لمقاطعة فارس مدة خمس سنواتٍ ١٣٣٣ - ١٣٣٨ هـ. وشغل منصب وزير المالية، ثم وزير الخارجية. وانتخب نائباً في مجلس النواب عام ١٣٤١ هـ.
وعندما انتهى عهد الأسرة القاجارية، وجاء رضا خان إلى السلطة وأصبحت مقاليد الحكم كلها بيده، دعا محمد مصدق إلى الحكم الجمهوري، ولكن علماء الشيعة رفضوا هذا النظام، واختير رضا خان شاهاً للبلاد، انسحب محمد مصدق عندها من الحياة السياسية مدة تسع عشرة سنة ١٣٤٢ - ١٣٦٣ هـ. ثم عاد يمارس السياسة، وانتخب عضواً في مجلس النواب عام ١٣٦٣ هـ.
أخذت روسيا بعد الحرب العالمية الثانية تضغط على إيران للحصول على حق =

الأجنبي، وأيّده علماء الشيعة في محاربة النفوذ الأجنبي، ودعمه الشعب في ذلك، وأيّده الشيوعيون في خطواته ضد الاستعمار.

وأعلن مصادرة أملاك البريطانيين، وأخذ امتيازات النفط منهم، وطلب أثناء المفاوضات معهم دفع مائة وأربعين مليون دولار كتعويضٍ لإيران فانسحب المفاوضون البريطانيون، ورفضوا الطلب، فترك المهندسون والفنيون أماكن التنقيب، وفرضت بريطانيا حظراً على النفط الإيراني، فوقعت البلاد في عجزٍ ماليٍ. وأيّد محمد مصدق في خطواته التي سار عليها العالم الشيعي آية الله كاشاني، أما الشاه فمنصرف إلى لهوه، ومجونه، وحفلاته.

وفي ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م) وصل إلى منزل محمد مصدق ضابط من الحرس الإمبراطوري هو العقيد نصيري الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجهاز السافاك، وسلّم رئيس الحكومة أمراً يقضي بإقالة وزارته. رفض محمد مصدق الأمر، وأعطى الجواب بأن الحكم للشارع.

عقد آية الله كاشاني مؤتمراً صحفياً في (البازار) وألقى كلمةً فيه فقامت المظاهرات تُطالب بإسقاط الشاه وإعلان النظام الجمهوري، واصطدم الجيش مع المتظاهرين، وأعلن محمد مصدق نفسه رئيساً

= امتياز التنقيب عن النفط في المناطق الشمالية، فقاد الحملة ضد ذلك محمد مصدق فلمع وبرز شعبياً. وكذلك أخذ يدعو إلى تأميم شركة النفط الأنكلو-إيرانية. وأقر المجلس النيابي قانوناً في جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ (آذار ١٩٥١ م) يقضي بتأميم الشركة المذكورة.

عُيّن رئيساً للحكومة في ١٣ رجب ١٣٧٠ هـ، واستمر بالحكم حتى أُقيل في ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م).

اعتقل، وقدّم للمحاكمة، وحكم عليه بثلاث سنوات سجناً، وبعد أن قضاها، فرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي في ٢٤ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٥ آذار ١٩٦٧ م).

للوزراء، ووزيراً للحربية، وعيّن آية الله كاشاني رئيساً لمجلس الشعب، وأبعد كبار الضباط الذين عيّنهم الشاه عن الجيش، ونفى أقرباء الشاه، وفرض رقابةً على مكالمات القصر الهاتفية.

أما رئيس الوزراء الذي عيّنه الشاه وهو (جافام سلطاني) فلم يكن له أي نفوذ، ولم يلتفت إليه أحد، وأما الشاه فقد سبقته زوجته (ثريا) إلى أوربا، ومن إيطاليا طلبت من زوجها اللحاق بها، فسافر إلى روما، وبعد ثلاثة أيامٍ عاد بتمثيليةٍ.

كثرت الفوضى، ومحمد مصدق لم يتصرّف بشيءٍ تجاه الشاه فبقي له نفوذه، وكان المفروض أن يُغيّر النظام، ويعلن سقوط الشاه وتنحيته عن السلطة ليفقد مكانته، وهذا خطأ ارتكبه محمد مصدق، وتخلّى الشيوعيون عن رئيس الحكومة لأنه لم يسر في ركابهم، ولم يدر بالفلك الروسي. وتخلّى عنه أيضاً علماء الشيعة لأنه نادى بالاشتراكية، ولم يقف في وجه الفساد، فبقيت جبهته (الجبهة الوطنية) ضعيفةً.

وخشي الأمريكان من سيطرة علماء الدين على البلاد الإيرانية وكانوا دعامةً لمحمد مصدق. أو سيطرة الروس حيث وقفت الفئات الشيوعية والاشتراكية إلى جانبه. فوصل إلى طهران (كيرميت روزفلت) ابن الرئيس الأمريكي السابق روزفلت، واستقبله في مطار طهران (أردشير زاهيدي) نجل اللواء فضل الله زاهيدي وزير داخلية محمد مصدق في الوزارة المُقالة، وأخذه إلى أبيه، وأمّن له وقوف خمسين من الضباط إلى جانبه، ووزّع مبلغ مليون دولار، وقام اللواء فضل الله زاهيدي بحركةٍ مضادةٍ، ونجح في السيطرة على الموقف، ورجع الشاه من روما.

أُلقي القبض على محمد مصدق، وقدّم للمحاكمة، وأثناء الجلسة وصف الشاه بالحمار، وصدر الحكم عليه بالإعدام بعد ثلاثةٍ وأربعين يوماً من سجنه، ولكن الشاه عفى عنه، على حين صدّق الأحكام على الذين تعاونوا مع محمد مصدق، ومنها أحكام الإعدام، ونُفّذ فيهم، واكتفي

بالحكم على محمد مصدق بالسجن ثلاث سنوات.

وفي شهر المحرم ١٣٧٤ هـ (أيلول ١٩٥٤ م) عقد الشاه معاهدةً مع إنكلترا حصلت فيها إيران على ٤٠٪ من النفط باسم الشركة الإيرانية - الإنكليزية للنفط، وعلى كل منشآت التنقيب والامتيازات.

وعمل الشاه بعدها على حصر نشاطات أهل العلم الديني، واستولت وزارة التعليم على جميع المدارس التي يشرف عليها أهل الدين، كما استولت الدولة على الأوقاف.

وأخذ النفوذ الأمريكي يسيطر، ويقوى على النفوذ البريطاني حتى حلّ محلّه مع الزمن. ولكن انضمت إيران إلى حلف بغداد في ١٨ ربيع الأول ١٣٧٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٥٥ م).

وبدأت المعارضة إلى الظهور مرةً ثانيةً، ففي ٢٧ محرم ١٣٨٠ هـ (٢١ تموز ١٩٦٠ م) دعا (حسن نزيه) أحد أعضاء الجبهة الشعبية إلى اجتماع في دار (فيروزأبادي)، وطالب المجتمعون بـ:

١ ـ حلّ جهاز الأمن السري (السافاك).
٢ ـ إطلاق الحريات العامة.
٣ ـ إعادة الدستور.
٤ ـ عدم تدخل الشاه في شؤون الحكم.

أخذ الأمريكان يفدون إلى إيران، يشرفون على الجيش، وعلى المشروعات الحيوية، وعلى تسيير دفة الحكم، وأرادت أمريكا أن تجعل من الجيش الإيراني أقوى جيشٍ في المنطقة لتستخدمه في الجهة التي تريد، فالسلطة في إيران ضدّ الشيوعية، فيجب أن تكون قوتها كبيرةً لدرجةٍ تستطيع الثبات أمام الروس. وهي ثانياً ضد المحيط الذي تقع فيه، إذ أن غالبية سكانها من الشيعة، ويختلفون كلياً عمن حولهم من المسلمين، بل يحقدون عليهم، ويمكن استخدام القوات الإيرانية المسلحة إلى جانب

المسلمين إن احتـاجت إليها في ذلـك، وإن احتاجت إليهـا ضدّهم فهي ضدّهم، وهي من ناحيةٍ ثالثةٍ لا تعادي دولة اليهود في فلسطين (إسرائيل) ابنة الولايات المتحدة الصغيـرة، فلا يخشى أن يكـون هذا الجيش ضـدّ اليهود، ومن هنا كانت عناية أمريكا الفائقة بالجيش الإيراني، إضافةً إلى أنها كانت ترغب أن تستخدمه في ضرب مراكز النفوذ البريـطاني التي لا تزال أمامها وخاصةً العراق.

تقـدّم رئيس الوزراء حسن علي منصـور[1] باقتـراح يقضي بـإعـطاء الأمريكان في إيران الحصانة التامة غير أن رئيس الحكومة قد لقي مصرعه في ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٦٥ م) بسبب اقتراحه هذا فالشعب لا يرتاح إلى الأمريكان ولا إلى غيرهم من الصليبيين الذين لا همّ لهم سوى ضرب الإسلام وامتصاص دم أبنائه.

وقام الشاه بحركة أطلق عليهـا اسم (الثورة البيضـاء)، وتهدف إلى إخضاع رجال العلم الشرعي إليه، وأخذ جزءٍ مما يملكونه، ورفض فكرة تعدد الزوجات، فعارض الخميني هذه المقترحات المستنكرة، وأعلن عن مخالفتها للدين، فألقت الحكومة القبض عليه وهو يخطب.

عاد النفوذ الإنكليزي إلى العراق مع عودة حزب البعث إلى الحكم في ٦ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ (٣١ تموز ١٩٦٨ م) وأخذ الصراع البارد والخفي بين إيران والعراق أو بالأحرى بين النفوذين الأمريكي والبريطاني، وتجلى الخلاف بين الدولتين الجارتين على شط العرب، وعلى الحـدود البرية، وأخذت إيران تحرّك الأكراد المتمردين على العراق وتحرضهم على الثـورة، وتمدهم، وتفتـح لهم حدودهـا إن اضطروا إلى الفـرار من وجه القوات العراقية.

(١) حسن علي منصور: رئيس وزراء إيران من ٣ شوال ١٣٨٣ - ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ (٧ آذار ١٩٦٤ - ٢١ كانون الثاني ١٩٦٥ م).

وعُقد مؤتمر الـدول المصدرة للنفط (أوبـك) في الجزائـر، **وحضره** نـائب الـرئيس العـراقي صـدام حسين التكـريتي، وبمبـادرةٍ من الـرئيس الجزائري هواري بومدين وُقِّعت اتفاقية بين العراق والجزائر في **٢٣ صفر ١٣٩٥ هـ** (٦ آذار **١٩٧٥** م) تم فيهـا التفـاهم بين الـدولتين حـول شط العـرب، وقد وقـع الاتفاقيـة كل من وزيـري خارجيـة البلدين: سعـدون حمـادي، وعباس علي خلعتبـري، وبالتفـاهم بين الجارتين انهـار التمرّد الكـردي الذي كـانت تدعمـه إيـران، وانتقـل مصـطفى البـرازاني، زعيم المتمردين إلى طهران، وبعد توقيع الاتفاقية بأسبوع توقّف إطلاق النار، وتوالى صدور قرارات العفو عن الذين فرّوا من الأكراد إلى إيران، **ولكن هذا لم يستمر طويلاً**.

الفصل الثالث

الثّـورَة

كانت كل الأوضاع في إيران تدعو إلى النقمة: الأوضاع الاقتصادية متدهورة رغم الإمكانات الكبيرة التي تملكها البلاد، ومنها الثروة النفطية الضخمة، والأوضاع الاجتماعية مُفككة فالحذر من كل الناس، والخوف من كل كلامٍ، إذ العيون مبثوثة في كل مكانٍ، وأي خبرٍ يكفي لاحتجاب صاحبه في السجون أو غيابه في القبور، والأوضاع السياسية سيئة، فالاستبداد قائم، والظلم مستحكم، والمتزلّفون كثر، وأعضاء حزب الشاه والمقرّبون يتحكّمون بالناس، ويحتكرون البضائع والمنتجات، ويقودون الرذيلة، ويُقدّمون الشباب إليها.

مقدمات الثورة:

وتكثر الأخبار عن هذا، وتزداد الشائعات، ويتحرّق الناس غضباً، ويكادون يتميزون من الغيظ، غير أنهم يضطرون للسكوت، فأنفاسهم مكتومة ومكتوبة، والسيف مُصلت، إنهم ينتظرون الفرصة كي يثوروا، ويتحيّنون الوقت ليُعبّروا عمّا في نفوسهم.

أخذت تشيع أخبار الفساد، والاستهتار بالدين والقيم، والتبذير الذي لا يكاد يُصدّقه العقل، وأخذ الناس يُردّدون هذه الأنباء بصمتٍ وخوفٍ، وأخذت الألسنَ تتناقل هذه الروايات، وربما تزيد فيها حتى عمّت وانتشرت، ولم يبق إلا من تكون عنده الجرأة، ويقتحم الموج لتتبعه الرعية، وتُمزّق حجاب الخوف.

١ ـ الفســاد:

شاع بين الناس جميعاً أن الشاه مولع بالنساء شغوف بالمرأة، **محبّ**

للهو، مغرم بالشرب، ودؤوب على القمار، مفتتن بالجنس، وأنه متزوّج سراً من فتاةٍ إيرانيةٍ تُدعى «جليدا» طويلة شقراء، تُرافقه في المناسبات، وتحضر معه كثيراً من الاحتفالات.

وأن الشاه عندما يعود من رحلاته الكثيرة من خارج البلاد يعود وروائح الرذيلة تنطلق من جسمه وشخصه، وآثار الجريمة تُلاحقه، وما أن يصل حتى تبدأ الأخبار المشينة بالوصول تباعاً، وغالباً ما تنتشر من بطانة السوء التي تُرافقه وتحلّ معه حيث حلّ.

وتشيع أخبار جزيرة «كيش» التي أعدّها، وبذل الكثير من أجل أن تكون مقرّاً للهو، ومكاناً للخلاعة، ويعدّ الأول من نوعه في العالم تجهيزاً وبضاعةً. وأصبح يطلق عليها «مونت كارلو الشرق» في حين أن «مونت كارلو» لا تعدّ جناحاً منها. وشاركه في الإعداد زوجه المصون الإمبراطورة «فرح ديبا» التي كانت أحياناً تُشرف بنفسها على بعض الجوانب، وتقترح ما تحلم به.

وتروج أنباء ما يجري داخل القصور الأميرة أشرف توأم الشاه، وما تقترفه من آثام، ونتائج تلك الأحداث، ومصير من اختارته ليشاركها في تلك الجرائم.

وينتشر الفساد في المجتمع كتقليد لما يجري في القصور، وتطبيقٍ لما يدور، وتنفيذٍ لما يُسمع، وما يُتحدّث عنه في مختلف الأوساط، ولا شك أن ما يُسمّى عند الشيعة بزواج المتعة يُؤدّي دوره في انتشار الفساد، وهو مخالف لتعاليم الإسلام، وقد حُرّم في خيبر بعد فتحها، وأُكّد تحريمه بعد فتح مكة. ومما ساعد على انتشار الفساد تلك الزيارات التي تنطلق إلى مدينة مشهد حيث يقوم هناك ضريح علي الرضا بن موسى الكاظم إمام الشيعة الثامن المتوفى عام (٢٠٣ هـ)، ويسود الاعتقاد لدى النساء أن العاقر منهن تنجب بعد تلك الزيارة، وأن من لم يأتها زوج، يُقدّر لها الزواج بعدها، وهناك تحدث حوادث ليست طيبةً نتيجة الاختلاط، والمقاصد التي تتمّ من أجلها الزيارة، وكل ذلك أباطيل وخرافات. وما أشدّ ما يحدث الفساد مع الجهل وشيوع الخرافة.

كانت الأميرة أشرف تلهو وتختار من يعجبها ثم تقضي الليالي معه والأيام رغم أن لها زوجاً وأولاداً.

٢ ـ الإسراف:

وتنتشر أخبار التبذير والإسراف الذي لا يكاد يقبله عقل لكثرته. فالاحتفالات التي تُقام في القصور وما يتخلّلها، وحفل تتويج «فرح ديبا» إمبراطورةً على إيران، وما أنفق في ذلك الحفل، على الثياب، والهدايا، والدعوات، والحفل يكاد يعدّ من الأساطير.

وما أنفق على إعداد وتجهيز جزيرة «كيش» لتكون مقراً للهو والفجور لا يكاد يُصدّق، وما يدفع للواتي يُجلبن من كل جهات العالم يعجز المرء عن وصفه.

وما تكلّف رحلات الشاه إلى الخارج مع إمبراطورته يُرهق ميزانية الدولة، طائرة تنقل الجياد، وأخرى تحمل السيارات الخاصة، وثالثة عليها ثياب الإمبراطورة، ورابعة مخصصة لسلاح رجال «السافاك»، وخامسة لأفرادهم، وتأتي الأخيرة وعلى متنها الشاه والإمبراطورة ويظهران بعد أن تقف الطائرة بلباس الرياضة، أو بثياب الزفاف، وربما بالزي العسكري.

وما أنفق على احتفال إيران بمرور ألفين وخمسمائة عام على إنشاء الدولة الفارسية التي بناها (داريوس) عام خمسمائة وثلاثين قبل الميلاد، وذلك عام ١٩٧١ م.

وفوق كل هذا فعائلة الشاه تتصرّف بالخزينة كما يحلو لها، بل وبالرواتب أحياناً، فقد أوقفت ثريا مرةً رواتب الموظفين والضباط، وكانت تتدخّل في كل شيءٍ. وتحتكر الأسرة زراعة المادة التي تريدها، وصناعة البضاعة التي تراها، وتجارة السلع التي ترغبها. فقد كان الأمير محمود رضا يحتكر زراعة الخشخاش الذي تُصنّع منه المخدرات.

٣ ـ المروق:

يشيع بين الناس أن الشاه لم يذهب مرةً واحدةً إلى الصلاة. وأنه أقرب إلى الديانة الزرادشتية منه إلى الإسلام، وتُروّج أخبار أحياناً أنه ينتمي إلى فرقة البهائية الكافرة، وتنتشر أنباء أنه أراد تحويل الحج من مكة المكرمة إلى مدينة مشهد، وقد بنى تمثالاً للفردوسي هناك.

ولا شك أن الفجور، واللهو، والإسراف من علامات البعد عن الدين، وكان يستهتر بالقيم، ويزدري رجال العلم حيث لم يقدر قوتهم وتأثيرهم على الرعية رغم انتشار الجهل والفساد في مختلف الأوساط الشعبية، لأن بطانة السوء التي تلتفّ حوله مشغولة عن معرفة الواقع بما هو مشغول به سيّدها إذ همّها همّه، وتزيد عليه بمحاولة إتقان التزلّف، وإظهار التبعية، وتقمّص شخصية الموالين، وتمثيل دور المحبّين للشاه المضحّين بأنفسهم في سبيل العرش والنظام القائم.

شكّل هذا التصرّف من قبل الشاه وأسرته وبطانته، ونقد الرعية له قاعدةً عريضةً تكره الاستبداد وتعمل بالخفاء ضدّ المتسلطين والنظام، وهذا ما أخاف الشاه على نفسه، وأخاف الأسرة جميعاً على أنفسهم، وأراد اتقاء ذلك فجعل حوله سوراً من الجند والأحراس.

٤ ـ الظلم:

أوجد الشاه نظاماً خاصاً سرياً لحماية نفسه أُطلق عليه اسم «السافاك»، ويُقال أن عدد أفراده بلغ خمسين ألفاً، وأعطاهم صلاحياتٍ واسعةً، كما منحهم امتيازاتٍ خاصة، ولما كانوا يعلمون مُهمّتهم وأنها التضحية والإلقاء بالنفس، ويرون أن من حقهم أن يأخذوا مقابل ذلك، وأنه باستطاعتهم التصرّف والأخذ من ذاتهم، ووظيفتهم تخولهم ذلك، لذا كانوا يشتطّون في الأخذ، ويُغالون في السلب، ومن اعترض سبيلهم ألقوا به في السجن، أو قضوا عليه، وحاكوا له تُهمةً تُبرّر لهم عملهم، ولا يمكن لأحدٍ الوقوف في وجههم، وبذا فقد انتشر الظلم، وطغيان بعض الناس على بعضٍ، وخمسون ألفاً مُوزّعون في أنحاء

البلاد يُسيئون كثيراً إضافةً إلى من يدعمونهم قرابةً، أو معرفةً، أو لمصلحةٍ من مصالحهم.

وشعر أفراد أسرة الشاه أنهم محميّون، وأن أخبار ما يجري داخل البلاد يصل إليهم تماماً، وأن ما يحدث في السرّ لا يخفى عليهم لأن عيونهم مبثوثة في كل مكانٍ لـذا فقد تمادوا في ظلمهم، وساروا في غيّهم دون مُبالاةٍ، لا يهمّهم سوى لهوهم، وتأمين شهواتهم، وتحقيق مصالحهم، وهم يمشون في ذاك، والأيام تُسرع في هلاكهم.

ورأى الشاه أن يكون له خلف ذلك جيش يحميه وأسرته خوفاً من تعدي الجوار، وأطماع الطامعين في ثروة البلاد وغناها، فأخذ في بناء جيش وإعداده ليكون أكبر جيشٍ في المنطقة، ولم يكن هذا الجيش للدفاع عن البلاد بمقدار ما هو للدفاع عن النظام، وشخصيـة الشاه.

٥ ـــ الارتبـاط:

إن الجهاز الخاص يحتاج إلى سلاحٍ، والجيش يحتاج إلى سلاحٍ، والسلاح الحديث الفعّال، لا يُعطى إلا بثمنٍ، ولا تُزوّد به بلاد إلّا باتفاقاتٍ غالباً ما تكون مُجحفةً بحقّ البلاد المستوردة، ولا يُقدّم إلّا بأسعارٍ باهظةٍ ما دام الذي يشتريه بحاجةٍ ماسةٍ إليه، وهو لا ينتج صناعته، ولا يعرفُ فنّه، ولا يتقن سر إنتاجه، وربما لا يُفكّر في هذا، فهو بلد متخلّف ويستطيع تأمين السلاح بالتنازل عن حقّه في أرضه، وعن شيءٍ من سلطانه، وعن تأمين تنفيذ مخططات خصمه، فهو حسب ظنّه لا يخسر شيئاً ما دام يحمي نفسه، وهذا كلّ مُهمّته في الحياة، ومن هنا يكون الارتباط.

وورث الشاه الحكم وبلاده محتلّة من الروس والإنكليز أو من الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ولا يمكنه إخراجهم إلا باتفاقٍ أو تنازلٍ أو ارتباطٍ، وهذا ما كان فاستقلّت البلاد ظاهراً، وارتبطت حقيقةً. وإن لم يكن ارتباط بتلقيّ كل أمرٍ، فهو لحاجة كل شيءٍ، وللهزيمة النفسية، والشعور بالنقص.

ووجدت الأحلاف، وانقسم العالم إلى معسكرين، وليحمي نفسه من معسكرٍ لا بدّ له من إلقاء نفسه في المعسكر الآخر أو أمامه. ولما كانت أرضه على تخوم المعسكر الشرقي، ويخشى من توسعه الذي ليس له حدود، وأطماعه التي لا تنتهي، لذا فخوفه من هذا الجانب، كما أن الجانب الآخر يزيد من تخوّفه، ويُلقي في نفسه الروع لينضمّ إليه، أو ليأتيه صاغراً، فهذا ما كان، إذا غدا بجانب المعسكر الغربي، ومن بين أعضائه، فيتصرف الشاه بتوجيهات سدنة ذلك النظام، وحسب مصلحة ذلك الحلف، وفي فلكه، ووفق مخططاته ولو كانت ضدّ بلاده، وضدّ أمته، وضدّ عقيدته. ولعلّنا سنذكر ـ إن شاء الله ـ جوابه لأحد أعوانه عندما اقترح عليه أن يستعمل سلاح الجو ضدّ الثورة لحماية نفسه أجابه أن الفكرة رائعة ولكن سلاح الجو لا يتلقّى التعليمات مني وإنما يتلقّاها من واشنطون.

وكل هذه الأخبار تشيع بين الناس، وتعمل عملها، فتثير الغيظ، وتملأ النفوس حقداً، وتجعلهم يتحرّقون للعمل، ويتحرّكون للانتهاء من الشاه ونظامه.

بداية الانقسام:

كان المتدينون أكثر الناس حقداً على نظام الشاه لمروقه من الدين، وإشاعته الفساد، وانسلاخه من القيم والأخلاق، وارتباطه بالأعداء من اليهود والصليبيين، واستبداده، وظلمه، وتبذيره وسفهه، وتبديد أموال الأمة، وهذه كلها مخالفة للدين، وتوجب الخروج عليه، وبرز من بين العلماء الشيعة آية الله الخميني الذي أسّس الاتحاد الإسلامي في بداية العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجري فكان يرفض كل ما يأمر به الشاه، كما يرفض كل ما يسنّه المجلس النيابي من قوانين أو ما يُصادق عليه لأنه يصدر عن هيئةٍ غير مخولةٍ، ولا تنطبق عليها الصفة الشرعية.

وسخط الخميني على الشاه عندما أعطى الحصانة السياسية للخبراء والمستشارين الأمريكيين، وقام يهاجمه، وينتقد الوضع، وكان نتيجة ذلك

أن اغتيل رئيس الوزراء حسن علي منصور في ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٦٥ م) لأنه صاحب مشروع تلك الحصانة.

وعمل الشاه على ما أطلق عليه اسم «الثورة البيضاء» التي تهدف إخضاع رجال الدين، وأخذ جزءٍ مما يملكونه، ورفض تعدد الزوجات، فعارض الخميني هذه المقترحات المستنكرة، وأعلن مُخالفتها للدين، فأُلقي القبض عليه، وهو يخطب، فقامت المظاهرات التي تستنكر اعتقال الخميني، ووقعت مصادمات ذهب ضحيتها آلاف القتلى، واضطر الشاه إلى الأمر بإطلاق سراح الخميني خوفاً من استمرار المظاهرات، وذهاب المزيد من الضحايا. ولكن ما أن هدأت الأحوال حتى جاء الأمر باعتقال الخميني ثانيةً، وذلك بعد عدة أسابيع من الاعتقال الأول، وهي المدة التي انقضت لهدوء الأوضاع. ثم أمر بنفيه خارج البلاد، فانتقل إلى تركيا، وعاش فيها ما يقرب من أحد عشر شهراً، وبعدها سافر إلى العراق، وعاش في مدينة «النجف»، وأخذ بإلقاء الخطب، ويتحدّث عن الأحوال في إيران، وكانت خطبه مُؤثّرةً يتداولها الناس، وتدخل إلى إيران، ويتناقلها أتباعه ومريدوه، ومنهم تنتقل إلى أوساط الشعب حيث تجد تجاوباً في النفوس. ولما كان هناك خلاف بين العراق وإيران فإن العراق كانت تسكت عما يقوم به الخميني وربما كانت تُشجّعه، فلما تمّ التفاهم بينهما بعد اتفاقية الجزائر الموقّعة في ٢٣ صفر ١٣٩٥ هـ (٦ آذار ١٩٧٥ م)، وأعطت العراق حقّ المرور في شط العرب لإيران التي تعهدت في الوقت نفسه عدم دعم الأكراد المُتمرِّدين في العراق. وعندها طلبت العراق من الخميني السكوت إن أراد البقاء في النجف، وإلا فما عليه إلّا الرحيل، وسكت الخميني.

وفي نهاية عام ١٣٩٧ هـ مات في النجف مصطفى الخميني ابن عم آية الله الخميني، وعمره تسع وأربعون سنةً، وعدّ أعداء الشاه أن مصطفى الخميني قد ذهب اغتيالاً بأيدي النظام السري الإيراني (السافاك)، وقامت المظاهرات، وحدثت مصادمات، وذهب ضحيتها سبعون قتيلاً. وأُجبر

آية الله الخميني على مُغادرة العراق، ورفضت الكويت استقباله فسافر إلى فرنسا.

وبرز الخميني بعد هذه الأحداث، وأخذت المعارضة تُلقي قيادها له، فقد صرح مهدي بازركان أحد قادة الجبهة الوطنية (جبهت ملي) أن أغلبية الشعب في إيران قد اختارت الخميني ليكون قائداً لها.

بدأ الخميني نشاطه السياسي في فرنسا، وكانت كلماته تُسجّل وتُرسل إلى إيران فتعمل عملها في المجتمع، وتُحرّكه ضدّ نظام الشاه في الوقت الذي كان فيه الشاه سادراً في غيّه، لم يُعط المعارضة قدرها، وبطانته لم تُبلغه وزن الحركة الصحيح لأنهم نيام مشغولون بمصالحهم، ويظنّون أن الأمر سهل، ويمكن القضاء على المقاومة بيُسرٍ لقوة الجيش، وقدرة النظام السري الخاص «السافاك».

بدأت أعمال العنف في مدينة «قُم» في نهاية الشهر الأول من عام ١٣٩٨ هـ (٨ كانون الثاني ١٩٧٨ م)، وبعد أربعين يوماً انتقلت إلى مدينة «تبريز»، ثم اجتاحت المدن الأخرى.

وجاء شهر رمضان، وقامت المظاهرات في المدن تُطالب بإغلاق المطاعم، ودور الصور المتحركة، والمصارف الربوية خلال شهر رمضان، وحذّرت المخالفين من أعمال العنف التي ستتخذ ضدّهم. فأعلنت نقابة دار الصور المتحركة (السينما) أنها ستُنفّذ ما طلب منها ما لم تتخذ إجراءات أمنٍ لحمايتهم، وصرّح رئيس الوزراء جعفر شريف إمامي أنه على صلةٍ بالقيادات الدينية، وأن الحريات السياسية الموجودة قد استغلّت ضدّ الشعب.

وفي يوم الجمعة ٦ شوال ١٣٩٨ هـ (٨ أيلول ١٩٧٨ م) قامت المظاهرات، ووقعت الصدامات بين الشرطة والمتظاهرين سقط فيها أكثر من أربعة آلاف قتيلٍ، حتى سُمّي ذلك اليوم يوم الجمعة الدامي.

ومع الأحزان التي عمّت البلاد ذلك اليوم فإن القصر قد ازدان، وعمر بالأفراح والحفلات، فبدأ النقد، غير أن الشاه قد شعر بما أقدم عليه فقام مع الإمبراطورة بزيارة إلى مدينة «مشهد» كردّ فعل بإظهار التمسّك ببعض مظاهر الأخذ بالعادات الشيعية.

أعلن رئيس الوزراء الأحكام العرفية في ٩ شوال ١٣٩٨ هـ (١١ أيلول ١٩٧٨ م)، فقامت المظاهرات في مدينة «قُم» في ١٥ شوال مُتحدّيةً حظر التجوّل، وحصلت صدامات ذهب ضحيتها ألفان وأربعمائة وخمسون قتيلاً. وأعلن الشاه أنه لا يعتزم التنازل عن العرش ردّاً على الشائعات التي انطلقت تتحدّث عن رغبة الشاه في ترك الحكم، أما علماء الشيعة فقد أعلنوا الحداد على ما حدث وامتنعوا عن إلقاء الخطب. وفي هذا الجو المشحون أقام الشاه حفلةً غالى فيها بتبديد أموال الدولة، وبالغ في إظهار المفاسد والمجاهرة بالمنكرات. وفي هذه الحفلة صفع الشاه رئيس الوزراء الذي ترك الاحتفال، وفي اليوم التالي غادر البلاد، فكان أول المغادرين.

وأُشيع أن الشاه مصاب بسرطان الدم، ويأتي كل أسبوعٍ طبيب إسرائيلي، ويقوم بتغييرٍ شاملٍ له للدم، كإعطاء بارقة أملٍ للخلاص من هذا الطاغية وكنقدٍ وتجريح على أنه يتعامل مع إسرائيل، وأنه على صلةٍ وثيقة بأبنائها، وعلى ثقةٍ بهم، وهم الذين اغتصبوا فلسطين من ديار الشام، وشرّدوا أهلها، وانتهكوا حرمة المسجد الأقصى.

وفي ٩ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٧٨ م) أعلن الخميني من مقرّ إقامته في ضاحية باريس أن الحكومة الإيرانية قد دعته ليكفّ عن نشاطه السياسي، كإعلام أن الحكومة في أشد الأوضاع حرجاً، وأنها وشيكة الانهيار.

وفي ١٠ ذي القعدة امتد لهيب المظاهرات إلى أربعين مدينة من بينها كبريات المدن الإيرانية كطهران، وتبريز، وأصفهان، وشيراز، ومشهد، والأهواز. وقاطع الطلاب ابتداء العام الدراسي. واستقالت حكومة جعفر

شريف إمامي[1]، وكُلِّف رئيس الأركان غلام رضا أزهري[2] بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ في ٧ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٧٨ م).

دعا الشاه علماء الشيعة للتعاون معه في سبيل إعادة النظام فلم يجد إذناً صاغيةً من كبارهم، وإن وعد بعضهم فذلك في سبيل التهرّب، وعدم إدانة نفسه. ومن أبدى منهم استعداداً فإن الشاه لا يريدهم لأنهم ليسوا على المستوى المطلوب، ومن يعرض شخصه يهن نفسه.

أعلن الحاكم العسكري لمدينة طهران الجنرال غلام علي أوفيسي الأحكام العرفية، وصرّح أنها ستُطبّق بمنتهى الصرامة، وأمر بإغلاق المدارس مدة أسبوعٍ. واحتلّ الجيش مباني الصحف، والإذاعة، والتلفزيون، وأُلقي القبضُ على عشرين من السياسيين والصحفيين.

واقترح حاكم طهران العسكري الجنرال غلام أوفيسي على الشاه

---

(١) جعفر شريف إمامي: ولد في طهران عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م)، ودرس في طهران، وتابع دراسته في ألمانيا فتخرج مهندساً، وانتقل إلى السويد، وأكمل دراسته الفنية، ورجع إلى إيران، وترقى في المناصب، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ ١٣٧٥ هـ، ثم تسلّم منصب وزير الصناعة والمعادن في وزارة منوچهر إقبال عام ١٣٧٧ هـ، حتى استقالت الوزارة، فعهد إليه بتشكيل الحكومة الجديدة واستقالت حكومته ١٣٨١ هـ، فعمل بعدها رئيساً لمجلس الشيوخ مدة خمسة عشر عاماً. وعهد إليه ثانية بتشكيل الحكومة في ٢٥ رمضان ١٣٩٨ هـ (٢٨ آب ١٩٧٨ م) حتى ٥ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ أي أقل من شهرين ونصف، وفرّ بعدها إلى أوربا.

(٢) غلام رضا أزهري: ولد في شيراز ١٣٣٥ هـ، وتلقى علومه العسكرية في إيران والولايات المتحدة، وهو من البهائيين، وعندما رجع ترقى في الرتب العسكرية، وأصبح مديراً للكلية العسكرية ١٣٨٠ هـ، وقائد القوات البرية ١٣٨٣ هـ، وممثل إيران العسكري في منظمة المعاهدة المركزية (حلف بغداد)، ثم رئيساً للأركان ١٣٩١ هـ، وقائداً للحرس الإمبراطوري حتى ٢٤ شعبان ١٣٩٨ هـ، ثم رئيساً لهيئة الأركان العامة المشتركة، وأخيراً عهد إليه بتأليف الحكومة في ٦ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ، ثم استقال في ٦ صفر ١٣٩٩ هـ، وفرّ إلى أوربا.

تدمير مدينة «قُم» فسأله الشاه عن تقديره لعدد الضحايا، فأجاب مليون قتيل، فلم يُوافق الشاه، فطلب الجنرال من الشاه السماح له بمغادرة البلاد، فسمح له، فسافر إلى باريس، وهناك كانت نهايته إذ وجد مذبوحاً بعد خمس سنوات.

أما الخميني فقد اجتمع في باريس مع قادة المعارضة في سبيل التنسيق للحركة. وزادت المظاهرات نشاطاً، وكانت كلها تهتف ضدّ الأسرة البهلوية، وضدّ الشاه بالذات.

وفي الثالث من أيام العيد الأضحى ١٣٩٨ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٧٨ م) أُلقي القبض على كريم سنجابي زعيم الجبهة الوطنية. وأخذت رجال «السافاك» تتفنّن في أعمال التعذيب للسجناء السياسيين.

وبدأ تهريب الأموال فقد خرج من البلاد في هذه الآونة ألفان وأربعمائة مليون دولار، هُرِّبت لأقرباء الشاه، ومنهم الإمبراطورة فرح ديبا، وأبناء الأميرة أشرف أخت الشاه.

الثورة:

جاء يوم عاشوراء بدء حداد الرافضة، وسير المواكب الشيعية التي تتخللها حوادث اللطم، والندب، والضرب، وتلك الخرافات، فأصدرت الحكومة أمراً بحظر المواكب الشيعية، ولكن زعماء المعارضة طالبوا الحكومة بسحب القوات العسكرية من الشوارع من أجل تلك المواكب حيث قرروا السير فيها.

وفي اليوم التالي لعاشوراء تدفّق مليونا متظاهر يهتفون «الله أكبر» ويلبسون ثياب الحداد التي اعتاد الرافضة أن يلبسوها في مثل هذه الأيام، وقد نظموا أنفسهم في ثمانية مواكب، وكان على رأس إحداها آية الله ثلجاني أحد مساعدي الخميني.

كان الجيش على استعدادٍ، والطائرات العامودية تحلّق في الجو،

وتُراقب الموقف فوق المتظاهرين، وجاءت الطائرات الأمريكية لتنقل رعايا الولايات المتحدة من البلاد، أو لتُؤدّي دوراً مُكلّفةً به. وقامت مظاهرات أخرى في «قم» و «مشهد» و «تبريز» و «أصفهان»، ووقعت صدامات بين الجيش والمتظاهرين إذ رشق الذين يسيرون في المواكب الجيش بالحجارة، وقاموا بإحراق السيارات. وهدّد رئيس الوزراء بوقف رواتب الموظفين المؤيدين للمعارضة. وتكتل أنصار الحكم.

دعا آية الله الخميني الشعب إلى الجهاد... واشتعلت نار الثورة بعد أن كانت مُظاهرات تُبدي المعارضة، أو تعمل مُتحدّيةً للسلطة فإذا بها الآن تُطالب بإسقاط النظام واستلام السلطة.

وفي ٢٦ محرم ١٣٩٩ هـ (٢٦ كانون الأول ١٩٧٨ م) حاول المتظاهرون اقتحام السفارة الأمريكية في طهران، فقذفهم رجال المشاة البحرية الأمريكية بالقنابل المسيلة للدموع، فقام المتظاهرون بقذف السفارة والقوات المدافعة عنها بالحجارة.

لقد قويت الثورة، وأصبح الشاه والسلطة يُحاولان استرضاء علماء الشيعة، ويطلبان رضا الشعب، وقام الشاه ببعض الأعمال مُحاولاً كسب الشعب إلى صفّه، وامتصاص النقمة وربح الوقت. لقد أمر باعتقال أمير عباس هويدا رئيس الوزراء الأسبق المفضل لديه، والذي بقي في السلطة ما يقرب من اثنتي عشرة سنة ونصف مُتهماً إياه بالاستغلال والفساد. واستدعى كذلك سفيره في باكستان الجنرال نصيري، وكان من قبل رئيساً لنظام السافاك، ولما وصل إلى طهران أمر باعتقاله أيضاً مع أمير عباس هويدا متهماً إياه بالتهمة نفسها، ومسؤولية خراب البلاد ودمارها.

وفي الأول من شهر صفر عام ١٣٩٩ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٧٨ م) أقال ثلاثمائة وأربعين رجلاً من قيادة الشرطة السرية (السافاك) إرضاءً للمعارضة.

وتحدّث إلى الشعب في التلفزيون فخاطبهم (لقد سمعت نداءكم

وها أنذا مُعتذراً إليكم، سأفعل ما تأمرون، وها أنا أمدّ يدي إلى رجال الدين العظام ليساعدوني في حلّ مشكلات البلاد). لقد كان هذا الخطاب انتحاراً للشاه وإيذاناً بنهاية نظامه إذ بدا بمظهر الضعيف المسكين الذي يستدر عطف الشعب إليه، ويستجدي الرضا من خصومه علماء الشيعة الذين وصفهم في خطابٍ عامٍ بالكلاب النابحة التي لا ترى ضوء القمر، وذلك قبل ثلاثة أشهرٍ فقط من الآن.

وطلب من شابور بختيار أحد قادة الجبهة الوطنية تشكيل حكومةٍ جديدةٍ بعد أن أقال رئيس الوزراء الجنرال غلام رضا أزهري. وكان شابور بختيار قد قضى عدة سنواتٍ في سجن الشاه، كما أن الشاه رضا بهلوي والد الشاه محمد رضا بهلوي قد قتل والد شابور بختيار في السجن خشية نفوذه وسلطانه. وقبل شابور بختيار التكليف فطردته الجبهة الوطنية من عضويتها. وافق شابور بختيار على تشكيل الوزارة بشرطين: الأول: حلّ جهاز السافاك. الثاني: مُغادرة الشاه لإيران لمدةٍ طويلةٍ يحلّ محلّه أثناءها مجلس الوصاية ليكون حراً في اتخاذ القرارات. لكن الجبهة رفضت من أحد قادتها هذه الموافقة لتشكيل الوزارة ومُحاولة إنقاذ الوضع المنهار على يديها، وهي التي عملت طويلاً لإسقاطه، وأصرّت على طرده من عضويتها.

شكّل شابور بختيار الوزارة في ٧ صفر ١٣٩٩ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٩ م)، وهي حكومة مدنية ويبدو عليها الضعف، وصرّح رئيس الوزراء أن الشاه سيُغادر طهران قبل يوم الخميس في إجازةٍ، وأنه سيزور إحدى دول الشرق الأدنى، أو دولةً أوروبيةً قبل التوّجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أما أحد رجال القصر فقد صرّح أن الشاه لن يُغادر البلاد قبل حصول حكومة شابور بختيار على الثقة. وصرّح الشاه للعسكريين أنه يُفضّل مغادرة البلاد على أن يقوموا بانقلابٍ عسكريٍ عند غيابه. وشكّل الشاه **مجلس وصايةٍ دليل عزمه على الرحيل**.

أعلن الخميني أن مجلس الوصاية غير شرعيٍ، وأنه يتوقّع إقامة حكومةٍ إسلاميةٍ.

وفي ٨ صفر ١٣٩٩ هـ (٧ كانون الثاني ١٩٧٩ م) صرّح آية الله حسين منتظري، وقد عاد من مقابلة الخميني، رفض أية حكومةٍ طالما بقي الشاه، ولن تقبل سوى سقوط الشاه لإقامة جمهوريةٍ إسلاميةٍ.

أعلنت الولايات المتحدة عن سفر الشاه في ١٢ صفر على حين أنه كان لا يزال في طهران، ولم يُحدد بعد يوم سفره وهذا يدلّ على رغبتها في التخلّص منه إذ انتهى دوره معها، وتفتش عن بديلٍ لها يخلفه، وبعد خمسة أيامٍ غادرت العائلة المالكة البلاد، وأعلن (كارترٍ) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٨ صفر أن الشاه الآن في القاهرة، وهو في طريقه إلينا.

وفي ٢٠ صفر ١٢٩٩ هـ (١٩ كانون الثاني ١٩٧٩ م) أخذت المظاهرات بالازدياد، وفي اليوم التالي أعلن الخميني أنه لن يتولّى رئاسة البلاد، ولن يقبل هذا المنصب، وأن إيران ستقطع علاقاتها مع إسرائيل الدولة التي لوّثت أرض فلسطين من الشام، وقامت على الاغتصاب.

وفي ٢٥ صفر ١٣٩٩ هـ أصدر رئيس الوزراء الإيراني شابور بختيار أوامره بإغلاق المطار، وأصرّ على إنهاء المهندسين والفنيين بالمطار إضرابهم المستمرّ من أسبوع. وذلك خوفاً من إرسال طائرةٍ إيرانيةٍ لإحضار الخميني. وكان الجيش يُحاصر المطارات.

وحدث صراع قرب السفارة الأمريكية بين أنصار الخميني وأعوان الشاه.

وأعلن الخميني أنه سيصل إلى طهران قبل يوم الجمعة، وصرّح محمد يزدي أن الخميني سيأتي ولن يستطيع رئيس الحكومة أن يحول دون هبوط طائرته في مطار طهران. وكان يُرافق الخميني كل من: أبو الحسن بني صدر الذي تولّى الرئيس الأول للجمهورية، وصادق قطب زاده الذي تسلّم منصب وزارة الخارجية، وإبراهيم يزدي الذي درس في أمريكا، وعمل طبيباً

هناك، وتزّوج من أمريكيةٍ، وحصل على الجنسية الأمريكية.

اقتحم المتظاهرون قصر الأميرة أشرف أخت الشاه، ووجدوا فيه ما يذهل من وسائل الفساد، ومظاهر الترف، وتبديد الأموال. وأخذت فضائح القصر تنتشر، وتُعرف يوماً بعد يومٍ، وتشيع بسرعةٍ، ويتناقلها الناس، وربما سرت أخبار مبالغ فيها لما يضمرونه من كرهٍ للشاه وأهله.

وصل الخميني إلى طهران ٤ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (الأول من شباط ١٩٧٩ م)، وكان الوقت ظهراً واتجه إلى الصلاة، وأعلن أن رحيل الشاه نهاية المطاف، فالأهم من ذلك إنهاء التسلّط الأجنبي. ونقل التلفزيون الإيراني وقائع استقبال الشعب للخميني.

وحاول رئيس الوزراء شابور بختيار القيام بحركةٍ ولكن لم يجد تجاوباً من الضباط، وكان الخميني قد صرّح بأنه لن يتحدّث مع شابور بختيار إلا إذا قدّم استقالة حكومته.

وهكذا استمرت الثورة سنةً كاملةً ذهب ضحيتها ٧٦,٣١١ قتيلاً، وعشرات الآلاف من الجرحى والمشوّهين، وحدثت اشتباكات بين القوات الجوية والحرس الجمهوري، كما جرى انقسام الجيش على نفسه بين ١٢ - ١٥ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٩ - ١٢ شباط ١٩٧٩ م) وأدّى إلى سقوط حكومة شابور بختيار.

منذ أن وصل الخميني إلى طهران كان في استقباله في مطار (مهرأباد) الدولي ما يقرب من ستة ملايين إنسان، وأعلن الخميني عدم شرعية حكومة شابور بختيار، وعيّن مهدي بازركان رئيساً للوزراء[1]، وكانت

---

(١) شكل مهدي بازركان حكومته على النحو الآتي:

١ ـ مهدي بازركان: رئيساً للوزراء.

٢ ـ كريم سنجابي: وزيراً للخارجية.

٣ ـ صدر حاج سيد جوادي: وزيراً للداخلية.

٤ ـ علي أردلان: وزيراً للمالية والاقتصاد.

٥ ـ اللواء طاقي رياحي: وزيراً للدفاع.

٦ ـ علي شريعتمداري: وزيراً للثقافة

حالة الفوضى، إذا وُجدت وزارتان، ولا بدّ من أن تطغى إحداهما **على الأخرى**.

أعلنت حكومة شابور بختيار الحكم العسكري في ١٧ ربيع **الأول،** وفرضت منع التجوّل، وأعلن الخميني العصيان، وانطلقت ملايين الناس إلى الشوارع، واتجهت نحو الثكنات العسكرية، وإلى مقرّ السلاح الجوي، وإلى مركز جهاز السافاك، وإلى قيادة قوات الصاعقة التي يقودها قائد حرس الشاه، وحصلت بعض الصدامات، ووقع بعض القتلى، واستولى الناس على كمياتٍ من الأسلحة.

جاء القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال قرباغي إلى الخميني، وأعلن استسلامه، وحياد الجيش في المواجهة التي تحدث في المدن بين مؤيدي النظامين. وعادت القطعات العسكرية إلى مواقعها بناءً على أوامر الجنرال قرباغي، وأعلن الخميني قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ألقى المتظاهرون القبض على شابور بختيار رئيس حكومة الشاه ونقلوه إلى مقر رئيس الوزراء الجمهوري مهدي بازركان، الذي هيّأ له وسيلة الهرب وفاءً للزمالة، وفرّ إلى فرنسا.

= والتعليم العالي.

٧ ـ غلام حسين شوكوهي: وزيراً للتعليم.

٨ ـ حسان إسلامي: وزيراً للاتصالات.

٩ ـ مصطفى كاتيرائي: وزيراً للإسكان والتنمية.

١٠ ـ يوسف طاهري غزواني: وزيراً للطرق والتجارة.

١١ ـ داريوش فوروهار: وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

١٢ ـ محمود أحمد زادة: وزيراً للصناعة والمعادن.

١٣ ـ علي أكبر موانيفار: وزير دولة.

١٤ ـ يد الله سحابي: وزير دولة للموضوعات الحركية.

١٥ ـ عباس تاج: وزيراً للطاقة.

١٦ ـ علي محمد إيزادي: وزيراً للزراعة.

١٧ ـ ريزا صدر: وزيراً للتجارة.

١٨ ـ ناصر ميناشي: وزيراً للدعاية والإعلام.

١٩ ـ هاشم صباغيان: نائباً لرئيس الوزراء.

٢٠ ـ أمير انتظام: نائباً لرئيس الوزراء للعلاقات السياسة.

٢١ ـ إبراهيم يزدي: نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الحركية.

٢٢ ـ كاظم سامي: نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للصحة.

كانت (روزالين) امرأة الرئيس الأمريكي (كارتر) تطمئن الإمبراطورة الإيرانية (فرح ديبا)، وينتظر الشاه من الولايات المتحدة أن تُطفىء النار في إيران، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح ضمن دائرة اللعبة الدولية.

واقتُرح على الشاه أن يُقلع سلاح الطيران الإيراني من قواعده، ويهبط في بلدٍ صديقٍ لعلّ الشاه يستخدمه مرةً أخرى فيما إذا واتته الظروف، فأجاب الشاه: الفكرة رائعة ولكن يصعب تنفيذها لأنه لا يستطيع إصدار أمرٍ واحدٍ إلى سلاح الطيران إذ يتلقّى أوامره من (واشنطون).

وكان قد جاء الجنرال الإمريكي (هويزر) إلى طهران قبل عدة أيامٍ من خروج الشاه من إيران، ويعدّ هذا الجنرال الرجل الثاني في سلاح طيران حلف شمالي الأطلسي، وقد قابل مع السفير الأمريكي الشاه، وهو الذي دفعه إلى الخروج من إيران.

كان الأمريكيون يرون أن الشاه لم يعد موضع ثقتهم بعد أن زلزلت الأرض تحت أقدامه، وظنّوا أنه بالإمكان إقامة حكومةٍ مدنيةٍ تستطيع الوقوف في وجه الثورة فيما إذا دعمتها الولايات المتحدة بشكلٍ كافٍ، واعتقدوا أن أعوان محمد مصدق هم الذين يمكنهم القيام بهذه المهمة، ويكونوا في الوقت نفسه قد جزّأوا أعوان الثورة فيما إذا تمكنوا من سحب أعوان مصدّق إلى جانبهم، ومن هذا المنطلق اختير شابور بختيار رئيساً للوزارة فلم يُؤدّ الغرض المناط به.

ورأى الأمريكيون أن يبلغوا الشاه أنه يمكنهم الاحتفاظ بقوةٍ كبيرةٍ من القوات الأمريكية على مقربةٍ من السواحل الإيرانية لردع أي تدخّلٍ أجنبيٍ ليكون للشاه الاختيار في الدفاع عن نفسه أو الهرب من البلاد، وهذا كل ما بإمكانية الولايات المتحدة أن تفعله لمصلحته، ولكن السفير الأمريكي (سوليفان) لا يمكنه أن يبلغ ذلك للشاه عن طريق الهاتف، لذا فقد أرسل الرئيس الأمريكي (كارتر) مبعوثاً خاصاً، هو (روبرت بيرد) زعيم الأغلبية في

مجلس الشيوخ الأمريكي، وهو زوج ابنة أحد الإيرانيين[1]. ثم أردفه بالجنرال (هويزر).

أمر (هويزر) كبار الضباط الإيرانيين أن يكونوا وراء (شابور بختيار)، لكن العلاقات لم تكن حسنةً بين الطرفين، لذا فقد قدّموا له تقارير غير صحيحةٍ عن الوضع على الساحة الإيرانية، ومن هؤلاء الضباط: رئيس جهاز السافاك (جهاز الأمن السري)، وقائد قوات المظليين (خسروداد)، وقائد القوات البرية (أوفيسي).

وعندما وصل الجنرال الأمريكي (هويزر) إلى طهران في ٤ صفر ١٣٩٩ هـ (٣ كانون الثاني ١٩٧٩ م) استاء السفير الأمريكي (سوليفان) الذي كان يرى أنه من الضرورة إبقاء العسكريين بعيدين عن المسرح السياسي.

كان مهدي بازركان، وآية الله سانجاني قد قادا الحركة ضدّ الحكومة، فأُلقي القبض عليهما، ثم توسّط لهما رئيس جهاز السافاك فأُفرج عنهما.

وفي ١٧ صفر ١٣٩٩ هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٧٩ م) غادر الشاه إيران[2]، وقد اعترف بخطئه وهو أنه جعل إيران الدولة الفارسية الآسيوية أوربيةً غربيةً، كما اعترف بأنه كان مخطئاً عندما اعتمد على الأمريكان حيث تخلّوا عنه عندما سقطت أسهمه في بلده، وتركوه يُصارع وحده أمواج التيارات على ضعفه[3].

---

(١) هكذا وصلت المهانة بالمسلمين لمخالفتهم شرع الله فيزوّجوا بناتهم للنصارى، وهو محرّم عليهم ذلك، وهذه التجاوزات والابتعاد عن الدين قد أوصلهم إلى ما هم عليه الآن. فيجب عليهم الانتباه.

(٢) رفضت الولايات المتحدة استضافة الشاه. ولم تقبل ذلك سوى الأردن ومصر لكنه لم يرغب ذلك، وسافر إلى جزر (الباهاما)، ثم دُعي إلى المكسيك فانتقل إليها في شهر رجب ١٣٩٩ هـ (حزيران ١٩٧٩ م)، ثم رجع إلى مصر حيث مات في ١٥ رمضان ١٤٠٠ هـ (٢٧ تموز ١٩٨٠ م).

(٣) هذه هي السياسة الاستعمارية، وهل يتوقّع منها غير ذلك؟ كما هل يتوقّع للذي باع نفسه ووضعها في يد عدوه الكافر غير ذلك؟.

رفعت الثورة الإسلامية في إيران الشعارات التي يمكن أن يسير الشعب وراءها، وأن يقبلها دون مناقشةٍ ليس في إيران فحسب بل في الأمصار الإسلامية كلها، ويبدو أن هذه الشعارات لم تكن إلا لكسب التأييد والحصول على الدعم ريثما تمسك بزمام الأمور، لقد طرحت:

١ ـ العمل بالإسلام دون إعلان الانتساب الشيعي المرفوض في العالم الإسلامي بل حتى من أعدادٍ ممن ينتمي إلى هذا المذهب. . .

إذ يحملون على فكرة زواج المتعة التي تساهم في نشر الفساد، وعلى الطعن بالصحابة الذي يُسبّب الطعن بالإسلام فهؤلاء هم أبناء الدعوة، والجيل القدوة، وعلى تفضيل الأئمة على الأنبياء الذي يخالف المبدأ الإسلامي، ولكن يقبلون تفضيل آل البيت كنوع من التكريم والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

طرحت الثورة الإسلام ومن أجل التأكيد على أنه ليس الفكر الشيعي وإنما الإسلام فقد أبرزوا بعض القادة المسلمين أمثال سيد قطب ـ رحمه الله ـ وأثنوا على فكره، ودعوا إلى منهجه.

صدّق المسلمون هذه الادعاءات، وهم الظامئون إلى الإسلام، وهم المضطهدون لحملهم الفكر الإسلامي، وهم المعذّبون، والمشردون، والذين يئنون من وطأة ما ينالهم نفسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، ودولياً، بل زاد الأمر على ذلك حتى رأى بعضهم أن فكرة أخذ العلماء لخمس الأموال كما يفعل العلماء الشيعة، أو كما يقوم عليه الفكر الشيعي لهو الأمر الصحيح كي لا يكون العلماء تحت رحمة السلطة، أو ينظروا إلى ما في أيدي الآخرين، كما هي حال وضع بعض الذين تضعف نفوسهم، ولكن بقي هذا الموضوع مدةً بسيطة، وإذا بقادة الثورة الإسلامية يُغيّرون ما كانوا يُبدون، وتضطر الفئات الإسلامية والشعب المسلم أن ينفضّوا عنهم.

٢ ـ معاداة الصليبية: وهي نوع من العمل بالإسلام. فالصليبيون يحقدون على الإسلام حقداً عظيماً، ومن هذا الحقد ما ظهر أيام الحروب

الصليبية الأولى، ومنه ما بدا في الحروب الصليبية الحالية التي حملت اسم الاستعمار، وقد ذاق المسلمون من جراء سيطرة الصليبيين عليهم وعلى بلادهم منتهى أنواع الذلّ والإهانة وتعرّضوا لحروب الإبادة، وتحكّم فيهم أراذلهم، ومن لا يرعى فيهم عهداً ولا ذمّة، ولا شك أن سكان كل مصرٍ قد ذاقوا ممن سيطر عليهم فكان كرههم منصباً عليه بالدرجة الأولى. وإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي كانت مسيطرةً على إيران فالشعب هناك يحمل الكره لمن يسيطر عليه. ومن هنا فإن الثورة طرحت عداوتها لأمريكا بالدرجة الأولى، وحصلت على تأييد الرعية ولكن لم يلبث أن بدا غير ذلك.

٣ ـ **تأييد القضية الفلسطينية**: كان الحكم الإيراني السابق ممن أيّد تقسيم فلسطين واعترف بدولة اليهود، وجرى تمثيل سياسي معها، والرعية لا ترضى عن هذا ففلسطين جزء من بلاد الشام التي هي مصر إسلامي، ومنطقة مباركة، وتشدّ الرحال إلى المسجد الأقصى فيها، والاعتداء عليها اعتداء على المسلمين كافةً. فكان تأييد الحكم السابق للمغتصبين اليهود المعتدين القادمين من خارج المنطقة إن هو إلا اعتداء على المسلمين ووقوف في الخندق المقابل لهم، وبعد عن الإسلام.

ومن هنا فقد أعلنت الثورة الإسلامية أنها ستعمل على تخليص أرض الشام ممن دنّسها، وصرّح الخميني في ٢١ صفر ١٣٩٩ هـ (٢٠ كانون الثاني ١٩٧٩ م) أن إيران ستقطع علاقاتها مع إسرائيل التي لوّثت أرض فلسطين من بلاد الشام، وقامت على الاغتصاب.

وعندما حققت الثورة مبتغاها، وتسلّمت مقاليد الحكم ظهر غير ذلك.

ويمكن أن نعدّ معاداة الصليبية وتأييد القضية الفلسطينية موضوعاً واحداً. فالصليبيون هم الذين أتوا باليهود إلى فلسطين، وهم الذين دعموهم ووعدوهم بإقامة دولةٍ لهم. وكانت إنكلترا في بداية الأمر هي التي تتحرّك على الساحة بصفتها صاحبة النفوذ وأيدها الصليبيون كافة، ثم خلفها النفوذ

الأمريكي فكانت الولايات المتحدة تتحرك على الساحة بصفتها صاحبة النفوذ الحالي، وغدت إسرائيل ابنةً مدللةً للولايات المتحدة.

بقي على الدولتين (إيران والولايات المتحدة) إخفاء الواقع، وإظهار صحة دعوى رجال الثورة، بتمثيليات تعرض على الساحة الإسلامية. أبدت أمريكا معاداتها لما يجري على الساحة الإيرانية، وأعلنت إيران عداوتها للولايات المتحدة، وحدث هجوم إيراني على السفارة الأمريكية في ٢٥ رمضان ١٣٩٩ هـ (١٨ آب ١٩٧٩ م) إيذاناً بحدوث هجومات متتالية، واحتلال السفارة لإخفاء السياسة الحقيقية للنظام الجديد. وفي ١٤ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (٤ تشرين الثاني ١٩٧٩ م) احتلت قوات حراس الثورة السفارة الأمريكية، وأخذت عدداً من العاملين فيها، ووضعوا كرهائن، وعددهم اثنان وخمسون. وجاء الأمين العام للأمم المتحدة (كورت فالدهايم) للتوسط للإفراج عن الرهائن، ولكن دون جدوى لأن اللعبة يجب أن تتكامل أدوارها.

جمّد الرئيس الأمريكي (كارتر) الأرصدة الإيرانية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعادل ثمانية مليارات دولار، وهذا غير أموال الشاه الخاصة.

واشترط الخميني لإطلاق سراح الرهائن عدم التدخّل في شؤون إيران، وتحرير الأرصدة الإيرانية في الولايات المتحدة، ورفع الحظر عن أموال الشاه، وأصرّ على ضرورة إعادة الشاه إلى طهران لتقديمه إلى المحاكمة. غير أن الشاه لم يكن في الولايات المتحدة، ولا تحت قبضتها، بل لم تقبل أساساً استضافته لهذا الأمر. وهكذا بدا الخلاف شديداً بين إيران وبين الولايات المتحدة، غير أن الواقع ينفي ذلك.

اللعبة:

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تخضع العراق لنفوذها، وتحلّ محلّ بريطانيا، وتسيطر على العالم الإسلامي نهائياً سيطرة لا أمل في

نهوضه بعدها، وتخطط للقضاء على الإسلام بعدها ـ حسب تقدير أساطين ساستها ـ ورسمت لذلك طريقاً بأن ينطلق الشيعة ويتوسّعون في كل جهة، ويكون البدء من ناحية العراق حيث تخضع للنفوذ الأمريكي بلعبة، ثم نحو بلاد الشام، وكذلك نحو المشرق باتجاه بلاد الأفغان وباكستان، فيتوزّع العالم الإسلامي ويدور الصراع بين المسلمين (السنة) والشيعة، وتشعل الحرب بينهما الصليبية، وكلما خمدت زادوها سعيراً. ولا بد لهذا من تأييد للشيعة من بعض أهل السنة، وهذا يقتضي عدم إعلان السير بالمنهج والأفكار الشيعية التي تنفّر منها.

وانطلق السير بالمخطط وزال الشاه وحكمه الذي لم يستطع أن يؤدي هذا الدور لما عُرف من بُعدٍ عن الإسلام، ومحاربة لأهله، وجاء من عُرف عنه أنه حامل للواء الشيعة، ومظهر الإسلام، وسارت المرحلة الأولى، وحصلت الثورة على التأييد الإسلامي. غير أن هوى الخميني قد قاده إلى إعلان العقيدة الشيعية فخفّ التأييد، ثم انعدم، وعُرفت النوايا فانحصرت الثورة وتقوقعت داخل إطارها إلا ما كانت تنفثه من بعض المنافذ خارج دائرة ساحة عمل المخطط الذي تعثّر وتوقّف.

وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على تغيير المخطط بعد فشله بمدّ نفوذها إلى العراق مكان النفوذ البريطاني وفشل هذا المخطط أيضاً الذي بدا بالحرب العراقية ـ الإيرانية، فرُسم مخطط آخر، وكانت فتنة صدام حسين التي بدأت بخلافٍ شديدٍ بين العراق وأمريكا وانتهت بالارتماء في أحضانها بعد أن خشي صدام على مركزه فانتشلته أمريكا من سقطته فتبعها، وكانت قد جعلت بريطانيا تحرّضه على احتلال الكويت، وأعطتهما الضوء الأخضر من قبلها، فلما تمّ الاحتلال تصدّت له، وجعلته يخضع على ركبتيه، وهكذا كان دخول النفوذ الأمريكي إلى العراق.

ومن المعلوم أن أمريكا التي أخرجت الشاه من بلده ـ كما مر معنا ـ فلما خرج رفضت استضافته بل لم تعد تعترف عليه، وكان من قبل العبد

المطيع، فلما انتهى دوره واقتضت مصلحتها ألقته على الدمن من غير مبالاةٍ أو تقديرٍ لماضٍ. وجاءت بما ادعت عداوتهم لتنفذ بهم مخططها بعلمهم أو من غير علمهم نتيجة جهلهم وغفلتهم رغم ذكاء الواجهة.

الحرب العراقية - الإيرانية:

عملت الولايات المتحدة الأمريكية على الوقيعة بين العراق وإيران وإثارة نار الفتنة بين الطرفين، وإشعال الحرب وذلك في سبيل طلب العراق للتدخّل الأمريكي وبذا يمتد نفوذ الولايات المتحدة إلى العراق الذي يأخذ تدريجياً بالدوران في فلكها، وفي الوقت نفسه تزداد إيران ارتماءً أمام المطالب الأمريكية، وتكثر طلباتها للنجدة والدعم. والعراق التي تقوم على أساسٍ قومي لا يمكنها أن تقبل قيام دولةٍ إلى جانبها على أساسٍ فكري قد يؤثر عليها، وعلى هذا يمكن دفعها وإثارتها للتحرك.

عادت الصدامات على الحدود العراقية - الإيرانية. وأخذت العراق تطالب إيران باسترجاع شط العرب، والتخلّي عن جزيرتي (أبي موسى) و (طنب) اللتين احتلتهما في ٣٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ، وهما في الخليج العربي، بين دولة الإمارات العربية وإيران، وحتى لا يمكن التسوية أخذت تطالب بمنطقة (عربستان) التي هي المنطقة النفطية الرئيسية في إيران، وتعدّها العراق جزءاً منها من الناحية الجغرافية والسكانية.

بدأت الحرب بين الدولتين في ١٣ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (٢٢ أيلول ١٩٨٠ م) باندفاع القوات العراقية داخل الحدود الإيرانية، وكانت المعارك سجالاً بين الطرفين بادىء ذي بدء. وقامت إيران بهجومٍ معاكسٍ في جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (آذار ١٩٨٢ م)، وأخذت العراق بالهجوم على ناقلات النفط في شوال ١٤٠٢ هـ (آب ١٩٨٢ م)، وأعلنت الدولتان الكبريان (الولايات المتحدة وروسيا) الحياد، ويبدو أنهما تدخلتا في مساعدة كلا الطرفين لإنهاكهما لمصلحة اليهود.

أعلنت روسيا أنه بإمكانها أن تزّج ثلاثاً وعشرين فرقةً حربيةً آليةً.

فهددت أمريكا روسيا باستخدام الأسلحة الذرية فيما إذا تدخّلت في الحرب لصالح العراق. كما هدّدت بالدخول بالحرب فيما إذا احتلّ العراق منطقة (عربستان)، كما صرحت أنها لا ترى فائدةً أو دليلاً لإغلاق إيران مضيق هرمز، هذه التصريحات في الوقت الذي كان الخلاف ـ حسب الظاهر ـ على أشدّه بين الولايات المتحدة وإيران، وكل منهما يكيل الاتهامات للآخر في خطةٍ لإخفاء الواقع فتتهم إيران الولايات المتحدة بتزويد العراق بالأسلحة، على حين تُعلن الولايات المتحدة أن العراق دولة غازية وعليها الانسحاب من الأراضي الإيرانية.

أصدر الرئيس الأمريكي كارتر عام ١٣٩٩ هـ مرسوماً بحظر الأسلحة عن إيران، ووافق على هذا المرسوم خليفته الرئيس ريغان، ولكنه سمح ببيع الأسلحة بشكلٍ سري، وعندما شاع خبر تهريب الأسلحة أنكر ذلك بحديثٍ تلفزيوني لـه بتاريـخ ١٢ ربيع الأول عـام ١٤٠٧ هـ (١٤ تشرين الثـاني ١٩٨٦ م) غير أنه عاد واعترف في مؤتمرٍ صحفي عقده في ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٨٦)، ونقض ما سبق أن أذاعه، وقال: إن الأسلحة التي بيعت باثنين وأربعين مليون دولار لم تكن قيمتها الفعلية سوى اثني عشر مليوناً من الدولارات، والفرق إنما كان لصالح ثوار (الكونترا) في نيكاراغوا. وقد أنكر دور إسرائيل في الموضوع، لكنه عاد فـاعترف بعـد تصريح مستشار الأمن القومي (روبرت مكيفارلن) بوجود وسيطٍ في بيع هذه الأسلحة.

وكذلك جرى تعاون بين الـولايات المتحـدة وإيران عـام ١٤٠٣ هـ عندما أعطت المخابرات الأمريكية نظيرتها الإيرانية أسمـاء الشيوعيين في حزب (توده) وأعوانهم، وقد تم إعدام مائتي شيوعي إيراني يومذاك.

تشعر أمريكا بالأسى من تراجع الإيرانيين، وتركهم الأسلحة الأمريكية دون تدمير، فيأخذها العراقيون، ويعرفون أسرارها، وكانت أمريكا قد زوّدت الشاه بكميات كبيـرةٍ منها. والـولايات المتحـدة لا تريـد أن ترى هـزيمة

أسلحتها في إيران أمام العراقيين، ولا في فلسطين المحتلة أمام العرب. ولكنها تريد أن تقول أمام هزيمة إيران: إن الثورة الإيرانية هي سبب الفوضى، وعدم معرفة رجالها لاستخدام السلاح، ولو كان هذا السلاح بيد غيرهم لأحرز النصر، فهي تقصد أن رجال الإسلام ليسوا أهلاً لأي عمل، أي تريد أن توجّه بذلك الضربة إلى الإسلام.

قامت إيران بهجومٍ على الجبهة الشمالية، واحتلت ما يقرب من سبعمائة كيلو متر مربع. وزادت العراق من الهجمات الصاروخية والغارات الجوية ضد المدن والمنشآت النفطية في جزيرة (خرج)، حتى صعُب تصدير النفط الإيراني، وهددّت إيران بإغلاق مضيق (هرمز).

عملت العراق على التفاهم مع الأكراد لتتفرغ لقتال إيران، وجرت مباحثات مع جلال الطالباني في ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (كانون الأول ١٩٨٣ م)، وتنازلت العراق للأكراد عن كثير من مطالبهم، إذ وعدتهم أن تضم منطقة الحكم الذاتي للأكراد منطقة (كركوك)، وأن يُعطى الأكراد نسبةً ثابتةً من عائدات النفط تتراوح ٢٠ ـ ٣٠ ٪.

جرت مناقشات في مجلس الأمن في رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) حول الصراع الدائر بين العراق وإيران، وبحث موضوع وقف إطلاق النار، وصدر القرار رقم ٥٩٨ القاضي بوقف إطلاق النار بين الفريقين المتخاصمين، وكانت إيران تشترط لموافقتها على هذا القرار اعتراف العراق أنها هي التي بدأت بالقتال أما العراق فقد كان يرفض القرار.

أعلن وزير خارجية إيران في ١٢ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ أن إيران مستعدة لمراعاة وقف إطلاق النار فيما إذا نص قرار مجلس الأمن أن العراق هي البادئة بالعدوان.

أخذت إيران تتراجع في ساحات القتال لصالح العراق منذ بداية عام **١٤٠٨ هـ، وما** انتصف العام حتى كانت العراق قد **استعادت ما سبق لها**

أن فقدته، وزاد موقفها تحسناً أن جيش التحرير الوطني، وهو الجناح العسكري للمقاومة الإيرانية من مجاهدي خلق، والذي تدعمه العراق قد بدأ أعماله في رجب من عام ١٤٠٨ هـ.

دخلت العراق وإيران في مفاوضات لإنهاء الحرب في أواخر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (آب ١٩٨٨ م)، وقد توقف إطلاق النار في ٨ محرم ١٤٠٩ هـ (٢٠ آب ١٩٨٨ م)، ووضع ثلاثمائة وخمسون ضابطاً من الأمم المتحدة على الحدود بين البلدين للإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار.

وفي ٢٨ محرم ١٤٠٩ هـ (٩ أيلول ١٩٨٨ م) أقر مجلس الشيوخ الأمريكي فرض عقوباتٍ اقتصاديةٍ على العراق، وامتنعت أمريكا عن استيراد النفط العراقي.

وفي ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) وافقت الدولتان على تبادل الأسرى بينهما.

وهكذا استمرت الحرب بين العراق وإيران ما يقرب من ثمان سنوات، ولم تستطع الولايات المتحدة فرض نفوذها على العراق، ولم تتمكن من إخراجها من دائرة النفوذ البريطاني لتدور في فلكها، وفي النهاية فرضت أمريكا على العراق عقوبات اقتصادية، وامتنعت عن استيراد النفط.

وأثناء هذه الحرب تبيّن أن أمريكا كانت تدعم إيران بالأسلحة، وظهرت الفضيحة التي عرفت باسم بوابة إيران، كما دعمتها دولة اليهود (إسرائيل)، وحلفاء أمريكا في المنطقة، وليس غريباً أن تكون بعض دول المنطقة تمدّ العراق بالمال، وتهرب إلى إيران الأسلحة بمعرفة أمريكا ودفعها، وبقيت الرهائن وسيلةً لتغطية الموقف، أمريكا تطالب بهم، وتعدّهم سبباً في تأزّم الخلاف بين الدولتين، وإيران تُسوّف بالأمر، وتضع الشروط، ويبدو الصراع للمشاهد على أشدّه، والممثلون وراء الستر يرسمون الأدوار، والرهائن وذويهم كبش الفداء. بل إن الرهائن قد غدوا وسيلةً للدعاية السياسية في الانتخابات الأمريكية زيادةً في التعمية. كما أن مبعوثي الثورة

الإيـرانية إلى مـوسم الحج ارتكبـوا جرائم في غـاية البشـاعة في الأرض الطاهرة في البلد الحرام، في الشهر الحرام في سبيلِ شحن الشيعة حقداً على المسلمين وإفراغ بعض هذه الشحنـات وإظهاراً أنـه ليس هناك من تفاهم.

وهكـذا سقطت الشعـارات التي طرحتهـا الثورة فـالتنسيق قائم مـع الولايات المتحدة الأمريكية، والتعاون موجود مع دولة اليهود (إسرائيـل)، والحقد الشيعي على المسلمين على أوجه.

الأوضاع الداخلية:

كانت الثورة الإيرانية تضمّ مختلف العناصر الناقمة على الحكم على اختلاف مشاربها، وتباين آرائها، وتباعد مناهجها في الحياة.

كان هناك المسلمون الملتزمون سواء أكانوا من المسلمين (من أهل السنة) أم من الشيعة، ويقودهم علماء الفـريقين، ويحملون على الحكم ارتبـاطه بـدائـرة الصليبيين، وسيـره في فلكهم، وتقليـدهم في منـاهجهم وأسلوب حياتهم، ويأخذون عليه انتشار الفساد بمختلف أنواعه. وسير كبار القوم على طريق الفساد، وتقليد العامة والصغار لهم، كما أخـذ العلماء على الحكم شيـوع المجون، واللهـو، والرشـوة، والفوضى، والبعـد عن شرع الله.

وكان هناك الشيـوعيون وأعـوانهم من الاشتراكيين ومختلف عنـاصر الإلحاد، ويعارضون الحكم في سياسته المرتبطة بالغرب، ويطالبونه بالتوجّه نحو الإمبراطورية الروسية الجارة الكبرى التي يمكن الاعتماد عليها بالدفاع لقوتها وجوارها، كما يطالبون النظام بتطبيق المنهج الاشتراكي الذي فيـه العدل والمساواة ـ حسب زعمهم ـ وبالاختصار يـريدون من الحكم تغييـر مواقعه من استعمارٍ إلى استعمارٍ ومن كفرٍ إلى إلحادٍ.

وكان هناك من يُسمّون بالـوطنيين أي الذين يـريدون اتبـاع سياسـةٍ

مستقلة لا ارتباط لها بالغرب أو الشرق، والعمل على رفع مستوى البلاد على مختلف الأصعدة بغض النظر عن القيم والمبادىء والإسلام، والحلّ والحرمة.

ثم هناك المتحررون من كل القيود، والذين يرون التخلّص من كل القيم وأولها الإسلامية منها، وذلك بالقضاء على العلماء والملتزمين وإبادتهم، أو الموافقة على السير في التيار العلماني المتحرر من القيم، وأن يشاركوا في ذلك الركب، ويُوافق هؤلاء كل الفئات السابقة، وإن كان بعض هؤلاء وأولئك من رجال السلطة الذين ينتفعون من الحكومة، ولكنهم يعارضونها بالواقع، كمن يأكل من مائدة السلطان ويدعو عليه بالهلاك وعلى ملكه بالزوال، وهؤلاء من المنتفعين وأصحاب المصالح.

وأخيراً هناك الذين يرغبون بالتغيير محبةً به، أو أملاً بالحصول على بعض المنافع والمراكز، لذا فهم يحاولون تصدّر المعارضة في الوقت المناسب.

هؤلاء جميعاً أعطوا قيادهم لآية الله الخميني على أنه أقوى المعارضة لما يملكه من رصيدٍ شعبيٍ بصفته رجل علمٍ، وأثر الدين بيّن في الشعوب، وأكثر ما يكون وضوحاً عند المسلمين، ولكن لكل تجمعٍ أمله، ولكل فئةٍ حلمها في إمكانية الوثوب إلى السلطة عندما يتغير الوضع، ويزول أثر كابوس جهاز الأمن السري (السافاك)، وهيبة الشاه، وقوة رجال الأمن.

فلما نجحت الثورة، وتركزت القوة بيد علماء الشيعة أخذت ملامح السلطة تصبغ بصبغة الدين فبدأت المنظمات ذات الصبغة الاشتراكية تنفصل عن التجمع بعد أن كانت قد أيدت الثورة من قبل بحماسةٍ. وكذلك أخذ أصحاب المصالح كعادتهم في كل مكان يبدون عواطف متزايدة نحو الثورة لينالوا بعض مآربهم، أو يتخلّون عن مواقفهم ومواقعهم السابقة، وقد رأينا كيف تخلّى (شابور بختيار)[1] عن موقعه في الجبهة الوطنية، وعن كل

---

(١) شابور بختيار: تكونت الجبهة الوطنية الثالثة برئاسة كريم سنجابي، وضمت مختلف =

مواقفه السابقة عندما ظنّ أن رئاسة الحكومة مغنماً كبيراً له أو صيداً ثميناً، ولم يدر أنه كان هو تلك الفريسة التي رماها الشاه بسهامه فصادها، فابتعد عن أصحابه، وفصلوه عن تنظيماتهم، ولم يلبث أن وجد نفسه صريعاً، وأُلقي به خارج الحدود.

وأبدى الشيعة تعصّبهم لمذهبهم، وأعلنوا أن المسلمين السنة ليسوا سوى أقليةٍ يسري عليهم ما يسري على بقية الأقليات من اليهود والنصارى والزرادشتيين، وبدأ الضغط على المسلمين في سبيل إذابتهم في المجتمع الشيعي أو هجرتهم أو إبادتهم، ووضعت خطة للقضاء عليهم خلال خمسين سنةً، وهذا ما جعل المسلمين (السنة) يتخلّون عن الثورة وتأييدها، ويقفون في الصف المعارض لها، وإن كانت معارضةً خاصةً متميزةً عن بقية الجماعات المعارضة.

وفي ٥ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (٢ آيار ١٩٧٩ م) اغتيل آية الله مطهري رئيس مجلس الثورة الإسلامي السري.

اختار الإمام الخميني (أبو الحسن بني صدر)[١] رئيساً لجمهورية إيران

= الأحزاب سوى الشيوعيين، في ١٣٩٨ هـ، وكان شابور بختيار أحد أعضاء الهيئة التنفيذية، وفي الوقت نفسه كان الأمين العام لحزب إيران، ولكنه طرد من الجبهة الوطنية حين عهد إليه الشاه بتشكيل حكومة مدنية في ٧ صفر ١٣٩٩ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٩ م) ولم تستمر سوى خمسة وعشرين يوماً، وفرّ بعدها، وتضاربت الأقوال عن مكان وجوده ثم ظهر في فرنسا في ١٠ رمضان ١٣٩٩ هـ. وقد فرّ من إيران بمعرفة بهشتي والخميني، ويعمل الآن في المعارضة من الخارج، وهو مواليد ١٣٣٤ هـ. [قُتل في منزله في فرنسا بتاريخ ٨/ ٨/ ١٩٩١ م].

(١) أبو الحسن بني صدر: ولد في مدينة همدان في ١٦ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ (٢٣ آذار ١٩٣٢ م) حصل من جامعة طهران على الإجازة في العلوم الاجتماعية ثم في الحقوق والاقتصاد، ثم انتقل إلى فرنسا وتابع دراسته عام ١٣٨٢ هـ وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد والعلوم السياسية.
كان رئيس اتحاد الطلاب في جامعة طهران، وعضواً مؤسساً للاتحاد العالمي للطلاب الإيرانيين. وأصدر في فرنسا صحيفة باللغة الفارسية تسمى (إيران أزاد) =

الإسلامية، فرشح نفسه يوم ٨ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ فحصل على نسبةٍ عاليةٍ من الأصوات فكان أول رئيس جمهورية في إيران. وبقي هو المشرف على شؤون الدولة والموّجه لإدارتها وللرعية، وكلمته هي المسموعة، ورأيه هو النافذ، ولا سلطة لأحدً عليه، وبيده القوة الحقيقية إذ الجميع يأتمرون بأمره. وكذلك أعطى الخميني رئيس جمهوريته (أبو الحسن بني صدر) منصب القائد العام للقوات المسلحة.

كان أبو الحسن بني صدر يعتمد في قوته على مجاهدي خلق، وعلى جريدته التي تنطق باسمه «الثورة الإسلامية» وعلى بعض ضباط الجيش.

استقالت حكومة مهدي بازركان[1] في ٢٥ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ م)، فعهد إلى محمد علي رجائي بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ بإشارةٍ من الخميني.

أخذ أبو الحسن بني صدر ينتقد حكومة محمد علي رجائي بأنها قد نزعت منه كافة صلاحياته، فأُقصي عن منصب القائد العام للقوات المسلحة، وعُيّن مكانه رئيس الأركان اللواء ولي الله فلاحي. وفي ٥ شعبان

= أي إيران الحرة، وكان ينتقد فيها حكم الشاه. نزل الخميني في بيته عندما وصل إلى فرنسا في (٦ تشرين الأول ١٩٧٨ م). وأصبح المستشار الاقتصادي لمجلس الثورة الإيراني، ثم مديراً للإذاعة والتلفزيون.
نجح نائباً عن طهران في انتخابات ١٠ رمضان ١٣٩٩ هـ، وتولّى منصب وزارة الخارجية في ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ إلى جانب إشرافه على وزارتي المالية والاقتصاد.

(١) مهدي بازركان: ولد عام ١٣٢٣ هـ، ودرس العلوم الهندسية، وتولى عام ١٣٧٢ هـ في عهد حكومة محمد مصدق رئاسة اللجنة التنفيذية لتأميم النفط. انضم بعد الانقلاب على محمد مصدق إلى حركة المقاومة الوطنية السرية التي أسسها جماعة من أعضاء الجبهة الوطنية بزعامة آية الله حاج سيد رضا زنجاني. وشكل عام ١٣٨٠ هـ حزب حركة تحرير إيران، وسجن عام ١٣٨٣ هـ، وشكل أول حكومة في عهد الجمهورية، ثم استقال، وأخذ في المعارضة، فاتهموه بالخيانة، فخرج من البلاد.

١٤٠١ هـ (٧ حزيران ١٩٨١ م) أصدرت محكمة الثورة قراراً بإغلاق صحيفة «الثورة الإسلامية» صحيفة رئيس الجمهورية (أبو الحسن بني صدر)، وصحيفة «الميزان» الناطقة باسم «مهدي بازركان». وقامت مظاهرات ضد بني صدر، ولافتات عليها (الموت لمن يعادي بهشتي)، وآية الله بهشتي وهو زعيم حزب الجمهورية الإسلامية. ولم تكن الهتافات باسم رئيس الجمهورية صراحةً، وإنما معروف أنه هو المقصود. وانتقد أبو الحسن بني صدر قرار تعطيل صحيفته، ووقعت مصادمات بين مؤديه ومعارضيه، وكان قد اختفى عن العيون منذ أن أُقصي عن منصب القائد العام للقوات المسلحة.

ظهر أبو الحسن بني صدر في ١٢ شعبان ١٤٠١ هـ (١٤ حزيران ١٩٨١ م) في المجلس النيابي، وألقى بياناً أمام المجلس دعا فيه إلى مقاومة الطغيان، وتوارى بعدها، وعاد إلى الاختفاء. فدعاه الخميني بوسائل الإعلام للذهاب إلى الإذاعة والتلفزيون وإعلان توبته لتعود الأمور إلى حالتها الطبيعية والقصد من وراء ذلك الخروج لإلقاء القبض عليه، ولكن (أبو الحسن بني صدر) أصبح يعرف أساليب الخميني فلم يستجب.

صدر أمر بمنع رئيس الجمهورية بالخروج من البلاد، وأصبحت تلصق به كل التهم التي يُدّعى أنها كانت سبب ما حدث في البلاد من مشكلات، وما وقع من حوادث، وخاصة عدم استعداد الجيش الكافي وهذا ما جعله يعجز عن مقاومة العراق والانتصار عليها.

وفي ١٩ شعبان ١٤٠١ هـ (٢١ حزيران ١٩٨١ م) قرر المجلس النيابي بموافقة ١٧٧ صوتاً ضد صوتٍ واحد، وامتناع ١٢ صوتاً عن التصويت عدم صلاحية (أبو الحسن بني صدر) لرئاسة الدولة، وفي اليوم التالي صادق الخميني على قرار المجلس بعزل بني صدر، وتشكّل مجلس رئاسي مؤقت من ثلاثة أعضاء هم: رئيس المجلس النيابي هاشم رافسنجاني، ورئيس الحكومة محمد علي رجائي، ووزير العدل آية الله

بهشتي[1]. ولكن تفجّر مقر حزب الجمهورية الإسلامية، **الحزب الحاكم، في** ٢٦ شعبان ١٤٠١ هـ فقُتل ثلاثة وسبعون عضواً من بينهم رئيس الحزب آية الله بهشتي.

وفي ٣ رمضان ١٤٠١ هـ (٤ تموز ١٩٨١ م) جرت الانتخابات الرئاسية، وفاز بالرئاسة محمد علي رجائي[2] رئيس الحكومة. وعُهد إلى محمد جواد باهونار[3] برئاسة الحكومة الإيرانية.

وتمكّن أبو الحسن بني صدر، ومسعود رجوي[4] من الهرب من البلاد

---

(١) آية الله بهشتي: محمد حسين بهشتي: ولد في أصفهان عام ١٣٤٧ هـ، درس في فرنسا، ونال درجة الدكتوراه في العلوم الدينية ودرس الفقه في جامعة طهران. ثم افتتح مدرسة للفقه في مدينة (قم). تزعم الجمعيات الإسلامية المؤتلفة التي دبرت اغتيال رئيس الوزراء حسن علي منصور في ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ لاتجاهه الأمريكي الصارخ. وانتقل إلى ألمانيا ومثل الشيعة في مدينة هامبورغ عام ١٣٨٤ هـ وبقي فيها حتى عام ١٣٨٩ هـ. ووضع قواعد حزب الجمهورية الإسلامية، وكان أحد قادة المجلس الثوري، ورئيساً للمحكمة العليا. يجيد الألمانية والإنكليزية والفرنسية إضافةً إلى الفارسية.

(٢) محمد علي رجائي: ولد في مدينة قزوين عام ١٣٥١ هـ، وعمل بالتدريس في المدارس الثانوية، وانضمّ عام ١٣٨٣ هـ إلى حركة تحرير إيران التي تزعمها مهدي بازركان، وانضم عام ١٣٩٨ هـ إلى حركة المعلمين المسلمين. وتسلم وزارة المعارف في أول حكومةٍ في عهد الجمهورية.

(٣) محمد جواد باهونار: ولد عام ١٣٥٢ هـ، وهو من أبناء إقليم كرمان، درس أصول الدين في كرمان، وفي معهد العلوم الدينية في مدينة (قم)، ونال درجة الدكتوراه في أصول الدين من جامعة طهران. وأخذ في إلقاء المواعظ، شارك في المظاهرات، وعيّنه الخميني عضواً في مجلس الثورة، وتسلّم منصب وزير التعليم، ومقرراً للجنة المركزية لحزب الجمهورية الإسلامية.

(٤) مسعود رجوي: زعيم منظمة مجاهدي الشعب الإيراني (سازمان مجاهدين خلق إيران) التي تعدّ آية الله محمود طالقاني زعيمها وحاولت ترشيحه في عام ١٤٠١ هـ لرئاسة الجمهورية، غير أنه رفض ذلك. وقف مسعود رجوي موقف المعارضة من الحكم، ثم فرّ سراً إلى فرنسا، ويتخذ موقف المعارضة في المنفى.

على متن طائرةٍ عسكريةٍ إيرانية، ووصلا إلى باريس **في ٢٨ رمضان** ١٤٠١ هـ (٢٩ تموز ١٩٨١ م)، وأخذا هناك بمعارضة الحكم الإيراني القائم وسُمّي أبو الحسن بني صدر رئيساً موقتاً للدولة، كما سُمّي مسعود رجوي رئيساً للحكومة في المنفى، وهو رئيس منظمة (مجاهدي خلق).

وفي الأول من ذي القعدة ١٤٠١ هـ (٣٠ آب ١٩٨١ م) قُتل رئيس الجمهورية محمد علي رجائي، ورئيس الحكومة محمد جواد باهونار بحادث انفجار قنبلة.

بعد خلو رئاسة الجمهورية بمصرع محمد علي رجائي جرت الانتخابات لملء المنصب في ٤ ذي الحجة ١٤٠١ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٨١ م) ففاز بها علي خامنئي[1]. وأقسم اليمين الدستورية بعد عطلة العيد الأضحى مباشرةً في ١٥ ذي الحجة ١٤٠١ هـ. واستمرّ في منصبه حتى انتهت مدته في ١٥ ذي الحجة ١٤٠٩ هـ.

كان الخميني قد عيّن في البداية خليفةً له آية الله منتظري، ثم عاد فعدل عن ذلك قبل وفاته بمدةٍ وجيزة، فلما مات في ٢٩ شوال ١٤٠٩ هـ (٣ حزيران ١٩٨٩ م) اجتمع العلماء في اليوم التالي مباشرةً وانتخبوا **علي خامنئي** حاكماً مدة شهرين ريثما يتمّ إدخال تعديلات على الدستور، وتنتهي المآتم التي تحدث في عاشوراء أي أن مدة علي خامنئي قد أضيف إليها شهر.

جرت الانتخابات الرئاسية، وفاز بها علي أكبر هاشمي رافسنجاني[2]

---

(١) علي خامنئي: أحد المقربين من الخميني، ومن مؤسسي حزب الجمهورية الإسلامية. تولّى إمام الجمعة في طهران بعد حسين علي منتظري. وعين معاوناً لوزير الدفاع مصطفى جمران في وزارة مهدي بازركان. وكان عضواً في مجلس الدفاع الأعلى الإيراني في بداية الحرب العراقية ـ الإيرانية. وأصبح أمين عام حزب الجمهورية الإسلامية بعد مصرع بهشتي. وتعرّض للاغتيال قبل اغتيال بهشتي بيومين أي في ٢٤ شعبان ١٤٠١ هـ (٢٧ حزيران ١٩٨١ م).

(٢) **علي أكبر هاشمي** رافسنجاني: ولد في قرية (نوج) من قرى **إقليم كرمان عام** =

الذي أقسم اليمين الدستورية في ١٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٩ م).

لم يكن في حياة الخميني ليبرز أي رجل في الدولة حتى رئيس الجمهورية، لذا لم يُعرف عن حياة الرؤوساء الإيرانيين إذ كانوا يعيشون في ظله، وحسب توجيهاته، ولا يستطيع أحد منهم أن يرفع رأسه فلما مات أخذ دور علي أكبر هاشمي رافسنجاني يظهر نسبياً، وقد برز نسبياً أيام حرب الخليج.

وفي حرب الخليج التي قامت بسبب احتلال صدام حسين حاكم العراق للكويت، حاولت إيران أن تقف على الحياد، وقد هبطت على مطاراتها وفي أرضها طائرات عراقية فأعلنت أنها لن تعيد أية طائرةٍ تهبط على أرضها مهما كانت هويتها ولأحد الطرفين المتنازعين حتى تضع الحرب أوزارها، ولذا فلم تسمح بعودة الطائرات العراقية التي سقطت على أرضها أو هبطت في مطاراتها. وربما فعلت العراق ذلك لحماية طائراتها من الهجمات العنيفة التي شنّتها القوات المتحالفة عليها، ولا قدرة لها لمقاومتها.

وإذا كانت الثورة الإيرانية قد نجحت واستقرت إلا أنه لا تزال هناك معارضة سواء في الداخل، ولكنها صامتة، أم في الخارج، وهي تتحرّك ببطءٍ، وتتمثّل هذه المعارضة في عدة فئات:

١ " ـ **معارضة المسلمين (السنة)**، لما ينالهم من أذى، ولما يُخطط

= ١٣٥٢ هـ، وسافر إلى مدينة (قم) عام ١٣٦٧ هـ وألقي القبض عليه عام ١٣٨٣ هـ.

انضمّ عام ١٣٨٥ هـ إلى منظمة مجاهدي الشعب (مجاهدين خلق)، وكان أحد مؤسسي حزب الجمهورية الإسلامية، واعتقل عدة مرات عام ١٣٩٨ هـ، ثم أفرج عنه بأمر من الشاه، تعرض للاغتيال قبل يومٍ واحدٍ من تعرّض علي خامنئي للقتل أي في ٢٣ شعبان ١٤٠١ هـ، إذا اقتحم اثنانِ عليه المنزل، وأطلقا عليه النار، فجرح وعافاه الله. تولى رئاسة مجلس الشورى، وعين عضواً في مجلس الدفاع الأعلى، وعضو مجلس الرئاسة، والقائد العام للقوات المسلحة بالنيابة.

لهم من صهرٍ في المجتمع الشيعي، أو التهجير، أو الإبادة، ولما تحويه مناهج التعليم، ولما تبثّه وسائل الإعلام من إثارةٍ، ومن مخالفات للإسلام، وطعن في صحابة رسول الله ﷺ وهم الرعيل الأول الذين تربوا على أيدي رسول الله ﷺ والطعن بهم طعن بمن ربّاهم، وتأكيد بأنه ليس أهلاً للتربية، ثم تقديس لما يُسمّونهم بالأئمة، ونشر للفساد بإباحة زواج المتعة. وقد وجدت منظمة الفرقان التي تضمّ المسلمين الذين يعارضون الحكم.

٢" ـ **جماعة الحكم البائد**: وتتمثّل في الامبراطورة فرح ديبا[١]، وما تدفع من مال، وابنها رضا بن محمد رضا بهلوي[٢]، والأميرة أزهادة ابنة

---

(١) فرح ديبا: ابنة سهراب ديبا الذي كان ضابطاً في الجيش الإيراني بعد تخرجه من فرنسا في الدراسات الحربية.
ولدت في ٢٠ شعبان ١٣٥٧ هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٣٨ م)، توفي والدها وهي في الثامنة من عمرها. تعلمت دراستها الابتدائية في مدرسة (جان دارك) بطهران، والمرحلة الثانوية في مدرسة (الرازي) بطهران أيضاً، وبعدها سافرت إلى فرنسا لمتابعة دراستها في الهندسة المعمارية في كلية (كول) بباريس، وأمضت سنتين، ثم تزوجت بالشاه محمد رضا في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٥٩ م)، وقد أنجبت أربعة أطفال هم:
رضا عام ١٣٨٠ هـ، وفرحناز ١٣٨٣ هـ، وعلي رضا ١٣٨٦ هـ، وليلى ١٣٩٠ هـ.
وتوجت أمبراطورة على إيران ١٣٨٧ هـ، وعمرها تسع وعشرون سنة أما زوجها فكان في الثامنة والأربعين.
خرجت مع زوجها وأولادها إلى مصر واستقروا هناك، فلما مات زوجها بقوا في رعاية السادات فلما صرع انتقلوا إلى الولايات المتحدة.

(٢) رضا بن محمد رضا بهلوي: ولد في ١١ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٦٠ م)، وبعد شهر صدر مرسوم بتعيينه وليا للعهد، وبعد سنتين عينت أمه وصية عليه في حالة وفاة أبيه، وصدر مرسوم بذلك.
ارتحل مع أمه وإخوته إلى الولايات المتحدة بعد هلاك أنور السادات في مصر، وكان قد درس هناك قيادة الطائرات من قبل في قاعدة (لوبوك) بولاية تكساس.
أعلن نفسه أمبراطوراً على إيران في ٢٢ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٨٠) وتسمى باسم «الإمبراطور رضا شاه الثاني».

أخت الأميرة أشرف(١)، وكان زوج أزهادة قد قتل في طهران في ١٨ محرم عام ١٤٠٠ هـ (٧ كانـون الأول ١٩٧٩ م)، وتشجع الأميـرة أزهادة عـدداً من الضباط، وتقوم بنشاطٍ في أوروبا، وتُصـدر مجلة (إيران الحـرة)، وتطلق على مجموعة الضباط الذين تمدهم بالمال اسم (الضباط الأحرار). وكان من بين المعارضة الجنرال (أوفيسي) قائـد القوات البـرية الـذي قتل في باريس عام ١٤٠٤ هـ.

٣" ـ **التجار**: بعد تأميم الثورة للتجارة الخارجية.

٤" ـ **فدائـيو الشعب (فدائيي خلق)**.

٥" ـ **مجاهدو الشعب (مجاهدي خلق)**، ويرأس هذا الحزب مسعود رجوي.

٦" ـ حزب (توده) الشيوعي.

٧" ـ حجـة الإسـلام حسّـاني زعيم الحـزب الإســلامي (آيـة الله شريعتمداري)(٢)

---

(١) أشرف بهلوي بنت رضا بهلوي: توأم الشاه محمد رضا، ولدت وإياه يوم ٢ صفر ١٣٣٨ هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩١٩ م).
وأمهما تاج الملوك. تزوجت أشرف من (علي قوام) وأنجبت له ابنها (شهرام)، ثم طلقت بعدست سنوات من الزواج. ثم تزوجت من أحمد شفيق من مصر، وأنجبت له ابنها شهريار الذي اغتيل في باريس في شهر محـرم ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م). وتزوجت للمرة الثالثة من المحامي الإيراني مهـدي بوشهـري الذي التقت به في فرنسا.
كـانت الأميرة أشـرف مغرمـة بالمـلاهي الليلية ونـوادي القمار. ولهـا مجال في السياسة، فقد اتصلت بالمخابرات الإنكليزية التي شاركت المخابرات الأمريكيـة بالتخطيط للقضـاء على حركة محمد مصدق. وزارت روسيا واستقبلهـا ستالين، وتولّت منصب مندوب إيران في الأمم المتحدة، ولها علاقات كثيرة مع السياسيين الأمريكان والأوربيين.
غادرت إيران عام ١٣٩٨ هـ إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تعيش مع أمها تاج الملوك.

(٢) آية شريعتمداري: من أصل أذربيجاني، يعدّ من كبار علماء الشيعة، تولّى رئاسة =

٨" ـ المجموعات غير الفارسية: نتيجة التعصب الإيراني للفرس، وهذا ما أثار نزعة العصبية القومية لدى تلك المجموعات، ومن أبرزهم الأكراد.

وربما تقلّ أهمية المعارضة بعد وفاة الخميني[1] للاعتدال، **وقد تشتدّ حيث تزداد آمالها، وتتوقّع النجاح بعد ذهاب تلك الداهية.**

= الحوزة العلمية في مدينة (قم)، شكل حزب جمهورية مسلمي إيران الإسلامية (جمهوري إسلامي خلق مسلمان إيران) الذي أعلن عن تأسيسه في ٢٧ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٢٤ شباط ١٩٧٩ م)، ومن أهدافه إقامة جمهورية اتحادية.
تعرّض لضغطٍ شديدٍ، واتهم أنه يريد تجزئة إيران، فأذاع بياناً في ٢٧ صفر ١٤٠٠ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٨٠ م) تنصّل فيه من الحزب، وانزوى هو معتزلاً السياسية، ويُقيم في مدينة (قم)، ثم قام الحزب بحلّ نفسه.

(١) آية الله الخميني: ولد في بلدة (خمين) في ٢٩ جمادى الآخرة عام ١٣٢٠ هـ، وعندما بلغ التاسعة عشرة من العمر، عام (١٣٣٩ هـ)، سافر إلى بلدة (عرق) ودرس على يد عبدالكريم حيارى، ثم أتم دراسته في مدينة (قم)، وانتقد رضا شاه، وبعد وفاة الشاه كتب الخميني كتابه (كشف الأسرار)، وتوفي الخميني عام ١٤٠٩ هـ، وبذا يكون قد عاش تسعةً وثمانين سنةً.

الفصل الرابع

الصّراعات الدّاخليّة

تبلغ مساحة إيران مليوناً وستمائة وخمسين ألف كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٤١١ هـ بما يزيد على خمسةٍ وأربعين مليوناً.

وتُقسم إيران إلى أربعة عشر إقليماً، يُعرف بالفارسية باسم «أوستان»، ويضمّ الإقليم عدداً من المحافظات، وتُعرف باسم «شهرستان»، وتشمل المحافظة عدداً من الأجزاء الإدارية التي هي أصغر منها، والأقاليم هي:

١ ـ الإقليم المركزي، ومركزه طهران.
٢ ـ إقليم جيلان، ومركزه رشت.
٣ ـ إقليم مازندران، ومركزه ساري.
٤ ـ إقليم أذربيجان الشرقية، ومركزه تبريز.
٥ ـ إقليم أذربيجان الغربية، ومركزه رضاية (أرومية).
٦ ـ إقليم كردستان، سنندج.
٧ ـ إقليم همدان، ومركزه كرمنشاه، ويشمل إقليم كرمنشاه أيضاً.
٨ ـ إقليم خوزستان، ومركزه الأهواز.
٩ ـ إقليم أصفهان، ومركزه أصفهان ويشمل يزد.
١٠ ـ إقليم فارس، ومركزه شيراز.
١١ ـ إقليم خراسان، ومركزه مشهد.
١٢ ـ إقليم كرمان، ومركزه كرمان.
١٣ ـ إقليم وجزر الخليج العربي، ومركزه بوشهر.
١٤ ـ إقليم وجزر خليج عمان، ومركزه بندر عباس.

وهناك أقاليم صغرى تتبع غيرها، وهي:

١ ـ إقليم كرمنشاه الذي يتبع همدان، ومقره كرمنشاه.

٢ ـ إقليم بلوخستان وسيستان ومركزه زهيدان.

٣ ـ إقليم سيمنان ويقع شرق الإقليم المركزي.

٤ ـ لارستان جنوب همدان وشمال خوزستان.

٥ ـ إقليم عيلام بين الحدود العراقية ولارستان.

٦ ـ إقليم بختياري شرق خوزستان.

٧ ـ إقليم أحميدي شرق خوزستان.

وتختلف الأقاليم بعضها عن بعض بعدد سكانها:

١" ـ الإقليم المركزي، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٩,٢٢٤,٧٠٠	إنساناً.
٢" ـ إقليم جيلان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٣,٠٢٦,٤٠٠	إنساناً.
٣" ـ إقليم مازندران، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٣,٣٦٩,٧٨٠	إنساناً.
٤" ـ إقليم أذربيجان الشرقية، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢,٧٧٣,٨١٢	إنساناً.
٥" ـ إقليم أذربيجان الغربية، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢,٠٨٧,٠٥٢	إنساناً.
٦" ـ إقليم كردستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢,٩٥٦,٥٦٠	إنساناً.
٧" ـ إقليم همدان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١,٤٥٥,٠٠٠	إنساناً.
٨" ـ إقليم خوزستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢,٩٥٦,٥٦٠	إنساناً.
٩" ـ إقليم أصفهان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢,٨٤٠,٢٦٠	إنساناً.
١٠" ـ إقليم فارس، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢,٦٤٢,٢٨٠	إنساناً.
١١" ـ إقليم خراسان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٤,٥٥٧,٠٦٠	إنساناً.
١٢" ـ إقليم كرمان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١,٣١٨,٨١٢	إنساناً.
١٣" ـ الأقاليم الجنوبية، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١,٣٢٨,١٢٤	إنساناً.
	٤٠,٤٣٦,٤٠٠	إنساناً.


مقاطعات إيران
أذربيجان
تبريز
أذربيجان الشرقية
أرومية
بحر الخزر
رشت
جيلان
ساري
مازندران
بلاد التركمان
مشهد
خراسان
سمنان
طهران
المقاطعة المركزية
كردستان
سنندج
همدان
كرمنشاه
لارستان
أصفهان
يزد
خوزستان
بختياري
الأهواز
العراق
شيراز
فارس
بوشهر
الخليج العربي
كرمان
زاهيدان
بلوخستان
و
سيستان
أفغانستان
بندرعباس
خليج عمان

أما الأقاليم الصغرى:

١٤" ــ إقليم كرمنشاه، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١,٥٧١,٤٠٠	إنساناً.
١٥" ــ إقليم بلوخستان وسيستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٨٦٤,٨٥٢	إنساناً.
١٦" ــ إقليم سيمنان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٣٣٧,٥٦٠	إنساناً.
١٧" ــ إقليم عيلام، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٣٣٧,٥٦٠	إنساناً.
١٨" ــ إقليم لارستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١,١٦٤,٠٠٠	إنساناً.
١٩" ــ إقليم بختياري، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٥١٢,١٦٠	إنساناً.
٢٠" ــ إقليم أحميدي، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢٧٩,٣٦٠	إنساناً.
	٤٥,٥٠٣,١٧٢	إنساناً.

ويختلف السكان حسب الشعوب، إذ تضمّ إيران عدداً من الشعوب، ويسيطر الفرس عليها جميعاً، ولذلك يسمون دولتهم «امبراطورية» التي تعني سيطرة شعبٍ على شعوبٍ أخرى. ويكثر الفرس في المناطق الوسطى من الشمال إلى الجنوب، أما الشعوب الأخرى فتقيم على الأطراف.

ويُقيم الأتراك في الشمال الغربي في أذربيجان وفي الشمال الشرقي في خراسان.

ويُقيم الأكراد في المناطق الغربية في كردستان ولارستان، وهناك مجموعات مُتبعثرة في أنحاء من البلاد، في طهران، وكرمان، وجيلان، وهمدان.

ويُقيم العرب في إقليم خوزستان، وكان يعرف بالأهواز، ويُسمّيه العرب اليوم «عربستان» كما يُقيمون في الأجزاء الجنوبية الغربية.

ويُقيم البالوخ في الجنوب الشرقي على حدود باكستان.

وهناك المغول والتركمان في المناطق الغربية أيضاً.

وتختلف نسبة أعداد هذه الشعوب بعضها عن بعضٍ بالنسبة إلى الإيرانيين، إذ يُشكّل:

الإيرانيون: ٦١٪ بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٢٧,٨٠٠,٠٠٠
ويُشكّل الأتراك: ٢٠٪ بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٩,١٠٠,٠٠٠
ويُشكّل العرب: ٧٪ بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٣,١٨٣,٠٠٠
ويُشكّل الأكراد: ٨٪ بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٣,٦٢٠,٠٠٠
ويُشكّل البالوخ: ٢٪ بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٩٠٠,٠٠٠
ويُشكّل مجموعات أخرى: ٢٪ بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٩٠٠,٠٠٠

٤٥,٥٠٣,٠٠٠

أما من حيث العقيدة فإن غالبية السكان يدينون بالشيعة، وهم فرقة منحرفة عن الإسلام، وإن كانوا يدّعونه، ويضاف إلى ذلك ما يزيد على ثلث السكان من المسلمين (السنة) أما ما بقي من السكان وهم قلة لا يزيدون على ٢٪ فهم من النصارى الأرمن والنساطرة، ومن اليهود والبهائيين، والزرادشتيين.

وينشأ عن هذه الاختلافات صراعات سواء أكانت عنصريةً أم عقيديةً، مع ما يحدث من الصراعات الحزبية.

١″ ـ الصراع العنصري

لما كان الشعب الفارسي يُسيطر على عدّة شعوبٍ أخرى، فلا بـدّ لهذه الشعوب من أن تتحرّك ضدّ الشعب المسيطر باستمرارٍ، ويدفعها إلى ذلك:

١ ـ أن الشعب الفارسي لا يحكم هذه الشعوب باسم العقيدة التي تجمع بين هذه الشعوب، وإنما يتخذ لنفسه ميزاتٍ على هذه الشعوب، إذ لا يهتمّ بها كاهتمامه ببني جلدته، حيث نجد الفقر، والجهل، والمرض ينتابها على حين أن أبناء الشعب الفارسي أحسن حالاً، ولو كان نسبياً. كما أنه يفرض لغته عليها، ولا ميزة لهذه اللغة، فلو فرض على الجميع العربية لقبل بها الآخرون على أنها لغة الإسلام، وهم من أتباع هذا الدين.

٢ ـ أن غالبية الشعب الفارسي تتخذ من الرفض عقيدةً لها، على حينٍ أن بقية الشعوب تدين بالإسلام (السنة)، ولو أن أكثر أفكار أهل السنة قد أُشربت بأفكار الشيعة نتيجة المناهج المدرسية، والتوجيه الدائم، والبيئة الشيعية المحيطة، ولا يمكننا أن نتجاهل أثر ذلك أبداً، غير أن العاطفـة يبقى لها دورها، كما يبقى للانتماء أثره، وللتعصّب مفعوله، وكل ذلك يُثير الناس أو يكون دافعاً من دوافع التحرّك ضدّ الشعب المسيطر.

٣ ـ يتحرّك الشعب ضدّ الآخر المسيطر عليه فتقع صدامات، وتُورث أحقاداً، أو يُخضع المسيطرون الثائرين بقسوةٍ، ويقع الظلم، فتتولّد الرغبة في ردّ الفعل والانتقام والثأر، ويستمرّ الصراع بين الطرفين.

٤ ـ لما كان الحاكم هو الذي يملك القوة الأكبر، والسلاح الفعّال ذا

الإمكانات الكبيرة، وهذا لا تملكه الحركات، ولذا فإن الغلبة عادةً للسلطة المـركزيـة الأمر الـذي يجعل رجـال الحركـات يفرّون إلى بـلادٍ أخرى، ويطلبون منها المساعدة أو يستنجدون بها من الأساس، وهم لا يزالون على أرضهم التي يتحرّكون عليها، ومما يُسـاعد على ذلـك وجود أرض هـذه الشعوب على أطراف الدولة الإيرانية.

يقوم الفرس بإشاعـة أن رجال الحـركات هم على صلةٍ بـالأعداء، وخصوم البلاد هم الذين يدفعونهم للحركة، ويمدّونهم بالسلاح في سبيل مصالحهم، ومن أجل تهديم العقيدة، وذلك حتى لا يلقوا تأييداً من أفراد الشعب العاديين، ولا يتعاطف معهم بقية أبناء الأمة.

وربما يحدث نتيجة الدعم الخارجي والمساعدة المستمرة قبول لأفكار المساعدين مع الزمن، أو أن هذه المساعدات ما كانت لتتم لولا الرغبة في نشر تلك الأفكار، إذ أن النفس البشرية تحاول دائماً الدفاع عن أفكار من يحسن إليهـا، وتجد المبـررات لتصرفـه، وبالتـالي يتمّ مع الـزمن، ومع الـدفاع، ومـع المحبة نتيجـة المساعـدة يتولّـد قبـول لأفكـار وآراء من أحسن إلى شعبنا وأبنائنا. ومن هنا نرى انتشار الأفكار الاشتراكية في المناطق الشمالية المجاورة لتلك البلدان التي تحمل هذه الأفكار على حين تزداد نسبة الأفكار الرأسمالية في الجهات الجنوبية القريبة من مناطق انتشار تلك الأفكار.

ومع اختلاف الأفكار تزداد أسباب الصراع.

أمـا رجال الحـركات الـذين يفرّون فيتهمـون المسيطرين بـالـظلم، والتعصّب، والاستبداد، وهذا ما أجبر المخلصين على التحرّك، وأثار فيهم العزة والكرامة ورفض الذلّ. وربما قبض المسيطرون على أعدادٍ من أبناء الشعوب الثائرة وألقوا بهم في السجون، وهذا ما يحرّك ذويهم في سبيل إنقاذهم، فتبقى حالة التوتر بين الطرفين، وتستمر الضغائن وخاصةً إن وجد من يحركها باستمرار.

٥ ـ أن الأعداء يجدون في الاختلاف العنصري أو التباين اللغوي، والتباعد العقيدي أو المذهبي مجالاً لإثارة الصراع كي تضعف الأمة ويتسنّى لهم السيطرة وفرض النفوذ، بل ونشر الأفكار وتنفيذ المخططات. وهذا ما يحدث ـ مع الأسف ـ على الساحة الإيرانية وفي مختلف الأمصار الإسلامية.

١ ـ الصراع الإيراني ـ التركي:

سبق أن قلنا أن الأتراك ترتفع نسبتهم في الجهة الشمالية الغربية في إقليم أذربيجان، وفي الجهة الشمالية الشرقية في إقليم خراسان، ولكن هذا الصراع يختلف بين الإقليمين:

أ ـ الصراع في أذربيجان:

تبلغ مساحة إقليم أذربيجان ١٨٦,٠٠٠ كيلومتر مربع، وهو الآن قسمان، قسم تحت السيطرة الروسية، وتبلغ مساحته ٨٦,٦٠٠ كيلومتر مربع، ويُشكّل جمهوريةً اتحاديةً من جمهوريات الإمبراطورية الروسية البالغ عددها أربع عشرة جمهوريةً اتحادية، ولا شك فإن نظام الحكم السائد فيها هو النظام الشيوعي، أما القسم الآخر فهو يتبع إيران، وتبلغ مساحته ٩٩,٤٠٠ كيلومتر مربع، وهو إقليمان: أذربيجان الغربية ومركزها أرومية (رضاية)، وأذربيجان الشرقية ومركزها تبريز.

كانت تعيش عدّة مجموعاتٍ في إقليم أذربيجان، وتتكلّم عدة لغاتٍ إذ كان لكل مجموعةٍ لغتها الخاصة بها، وإن كانت متأثرةً باللغة العربية إلى حدٍّ كبير لأنها تدين بالإسلام، ومنذ القرن الخامس الهجري أخذت تفد إلى المنطقة كثير من القبائل التركية حيث سيطر السلاجقة على الدولة العباسية، ثم أخذوا يتوسّعون في الأناضول على حساب دولة الروم، واستقرّ الأتراك في ذلك الإقليم، وتفاعلت لغتهم مع اللغات المحلية فنشأت اللغة المعروفة الآن بالأذرية، والسائدة في إقليم أذربيجان.

قامت الدولة الصفوية الرافضية على أرض أذربيجان، واتخذت من مدينة تبريز عاصمةً لها. وفي عام ١٠٠٧ هـ نقل الشاه الصفوي عباس الأول عاصمته من تبريز إلى أصفهان، وفرض اللغة الفارسية على كل المناطق التي تخضع له، وبذلك حلّت اللغة الفارسية محل اللغة الأذرية رسمياً، ولكن الشعب بقي يتكلم لغته الخاصة به.

وكما فرض الصفويون اللغة الفارسية على أذربيجان، فقد فرضوا المذهب الرافضي، وقاموا بالتوجيه إليه، وغرس مبادئه في نفوس الناشئة حتى قبلت به نسبة من السكان، وهذا ما خفّف من عنف الحركة الأذربيجانية ضدّ التعصّب الفارسي، والتعصّب الرافضي.

قام الأذربيجانيون بحركات ضدّ الصفويين عام ١٠٧٩ هـ، وسيطروا على تبريز لمدة عامين، ثم هُزموا أمام الصفويين، وعادوا يتبعونهم.

ونتيجة الظلم الإيراني فإن أذربيجان عادت إليها الفوضى، وسادت الاضطرابات، وقامت حركات التمرّد، وخوفاً من الانتقام فإن قادة الحركة قد طلبوا من روسيا حمايتهم عام ١٢١١ - ١٢١٣ هـ.

وفي ١٥ صفر ١٢٢٠ هـ (١٤ أيار ١٨٠٥ م) خضعت منطقة (قره باخ) للحماية الروسية، وبدأت الحروب بين الروس والإيرانيين (١٢١٩ - ١٢٢٨ هـ)، وهدأت مدةً، ثم اندلعت من جديد (١٢٤١ - ١٢٤٣ هـ) ونتيجة تلك الحروب سيطر الروس على شمالي أذربيجان، فانقسم الإقليم الواحد إلى إقليمين، خضع أحدهما وهو الشمالي للروس، وباقي أذربيجان وهو الجزء الجنوبي بقي مع إيران. وأخذت مجموعات تفرّ من الجزء الجنوبي الإيراني إلى الجزء الشمالي الخاضع للروس، ليس حباً بالروس وإنما خوفاً من بطش الفرس.

ونشأ الحزب الاجتماعي الشعبي (اجتماعيون عاميون) في أذربيجان بتأثيرِ الاشتراكيين الروس، وأخذ على عاتقه تنظيم الشعب للمقاومة.

وشارك الأذربيجانيون في إضراب عام ١٣٠٩ هـ الذي قام ضدّ اتفاقية التبغ، وكان ولي العهد هو حاكم أذربيجان، ولم يستطع ممثلو شركة «تالبوت» البريطانية من الوصول إلى مدينة تبريز.

وشاركت أذربيجان أيضاً في الثورة الدستورية (١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ)، وظهرت على الساحة الجمعيات السرية الأذربيجانية التي عُرف أعضاؤها باسم «المجاهدين» ولجؤوا إلى وسيلة الاغتيال، وإن لم تكن وسيلةً سليمةً إلا أنهم قد اضطروا إليها تحت ظروف الضغط والبطش، وقُتل يومها رئيس الوزراء أتابك أعظم في ٢٣ رجب ١٣٢٥ هـ (٣١ آب ١٩٠٧ م)، وحاولوا قتل الشاه محمد علي في مطلع عام ١٣٢٦ هـ (شباط ١٩٠٨ م) بإلقاء قنبلةٍ على عربته.

وتأسّس المجلس الشعبي في تبريز، وظهر من قادة الحركة (ستار خان) و (باقر خان)، وتمكّن الثوار من الاستيلاء على مخازن الأسلحة في تبريز في رمضان ١٣٢٦ هـ (تشرين الأول ١٩٠٨ م)، ولم ينته العام حتى سيطروا على الأجهزة الإدارية في المدينة كافةً.

استطاع الإيرانيون بمساعدة الإنكليز والروس من إخضاع الحركة الأذربيجانية في ربيع الأول ١٣٢٧ هـ (نيسان ١٩٠٩ م)، ولكن الروس احتلّوا المنطقة، فثار السكان ضدّهم، وألزموهم على الخروج من تبريز، ولكن جاءت قوات روسية ضخمة، وتمكّنت من دخول تبريز مرةً ثانيةً في ١٥ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٠٩ م). وأخذ الثوار الأذربيجانيون يُهاجمون الروس ويُغيرون على مواقعهم التي تحصّنوا فيها، ذلك أن الروس كانوا يخططون للسيطرة على الجزء الإيراني من أذربيجان، ويُشجّعون على شراء الأراضي، وبقي الوضع كذلك حتى اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وكانت أذربيجان يومها شبه محميةٍ روسيةٍ.

أثناء الحرب العالمية الأولى كانت أذربيجان مجالاً للصراع بين العثمانيين والألمان من جهةٍ وبين الروس من جهةٍ ثانيةٍ، وكان شجاع الدولة

حاكم الإقليم يميل إلى الروس، ويُشجّعهم. ونشأ حزب مجاهدي أذربيجان، فدعا إلى التعاون مع العثمانيين ضدّ الروس الصليبيين. وعندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين أول ١٩١٧ م) اضطرت روسيا إلى ترك أذربيجان الإيرانية، وكذلك فإن الجزء الشمالي الذي كان تحت سيطرة الروس قد ثار على الروس وشكّل حكومةً محليّةً مناهضةً للشيوعية دعت إلى انضمام جزأي أذربيجان بعضهما إلى بعض، وجعل مدينة تبريز عاصمةً للدولة الجديدة.

نجح الشيوعيون في شهر جمادى الأولى من عام ١٣٣٦ هـ من السيطرة على (باكو) بمساعدة الاشتراكيين، والأرمن، وحزب همة، وقامت حكومة (باكو) الشيوعية التي قتلت من المسلمين ثمانية عشر ألفاً، وفرّ قادة حزب المساواة إلى مدينة (غاندكا) وشكّلوا حكومةً معارضةً باسم مجلس أذربيجان الوطني. ثم اختلف الرفاق بعضهم مع بعض، وجاءت القوات العثمانية كدعمٍ للمسلمين، وقضي على الحكومة الشيوعية في ٧ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ (١٥ أيلول ١٩١٨ م). اضطر نوري باشا قائد العثمانيين (شقيق أنور باشا) أن ينسحب من (باكو) للهجوم الإنكليزي القادم من إيران، ولأن الدولة العثمانية خسرت الحرب، واضطرت إلى الانسحاب منها، ومن المواقع التي دخلتها بل من كل المناطق الخارجة عن المنطقة المعروفة باسم تركيا، ولكن بقيت حكومة مجلس أذربيجان الوطني قائمةً في باكو، وهي التي دعت إلى الوحدة بين جزأي أذربيجان، ولكن الشيوعيين استطاعوا القضاء على حكومة مجلس أذربيجان الوطني في ١٠ شعبان ١٣٣٨ هـ (٢٧ نيسان ١٩٢٠ م)، وتمكّنوا من فرض سيطرتهم على إقليم أذربيجان الشمالي، وأسّسوا جمهورية أذربيجان السوفيتية.

كما تشكّلت في أذربيجان الجنوبية الإيرانية جمعية نشر المعارف أثناء الحرب، واختلفت آراء قادتها حول الوقوف على الحياد أم بجانب العثمانيين أم إعلان الثورة على الحكومة الإيرانية والنفوذ الأجنبي فيها

الإنكليزي والروسي، وبرز من القادة (محمد علي خان) و (مرزا رضا خان) و (محمد غني زاده)، وسافروا إلى برلين، والتقوا هناك مع حسن تقي زاده.

كما تأسّست جمعية عُرفت باسم (كاوه)، وأصدرت جريدةً بالاسم نفسه، ولكنها اختفت مع انتهاء الحرب، حيث برزت نتيجة الظروف.

وظهر على الساحة الأذربيجانية بشكلٍ بارز الشيخ محمد بن الحاج عبدالحميد الذي اشتهر باسم الشيخ (محمد خياباني)، وهو من مواليد عام ١٢٩٨ هـ في بلدة خامنئي قرب تبريز، يجيد العربية، والتركية، والأذرية، والفارسية والفرنسية. اشترك في انتفاضة تبريز، وفي الثورة الدستورية (١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ)، وانتخب عضواً في المجلس النيابي عام ١٣٢٧ هـ. ووقف ضدّ الإنذار الروسي عام ١٣٢٩ هـ، وعندما نجح الروس في تهديداتهم خاف ففرّ سراً إلى بلاد داغستان، وعندما اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى رجع إلى منطقته، ولما احتلّ العثمانيون مدينة تبريز عام ١٣٣٥ هـ قبضوا عليه ونقلوه إلى مدينة (قارص) شرقي الأناضول، ثم أفرجوا عنه فرجع إلى إقليمه وأسّس جريدة (تجدد) في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٥ هـ) (٩ نيسان ١٩١٧ م)، ثم أسّس الحزب الديمقراطي في ١٠ ذي القعدة ١٣٣٥ هـ (أواخر آب ١٩١٧ م).

انسحب الروس من أذربيجان نتيجة الثورة الشيوعية في بلادهم، فأخذ محمد خياباني الجانب الاشتراكي ورجع العثمانيون إلى تبريز، فألقوا القبض عليه ثانيةً، ونقلوه إلى (أرومية) مع عددٍ من أعوانه، ولكن لم تلبث الدولة العثمانية أن هُزمت في الحرب العالمية الأولى، وانسحبت من الحرب، وخرجت من تبريز فعاد إليها محمد خياباني.

وقامت انتفاضة عنيفة في أذربيجان بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك أن وزارة وثوق الدولة أخذت تتعاون مع بريطانيا لدرجةٍ كبيرةٍ، ووقّعت معها معاهدةً أصبحت إيران نتيجتها أشبه بمحميةٍ بريطانيةٍ، كما تردّت الأوضاع الاقتصادية لدرجةٍ لم يعد بالإمكان السكوت عنها، فأعلن

محمد خياباني في ٢١ رجب ١٣٣٨ هـ (٩ نيسان ١٩٢٠ م) عن استقلاله في أذربيجان، وقطع صلاته مع الحكومة المركزية في طهران، وسمّى بلاده بلاد الحرية (أزادستان) وركّز هجومه على الاتفاقية الأنكلو- إيرانية. وعملت بريطانيا جهدها على القضاء على هذه الحركة، وأخذت تُشجّع الحكومة المركزية على سحق حركة أذربيجان.

عيّنت الحكومة المركزية (مخبر السلطنة هدايت) حاكماً على أذربيجان، ودعمته بقواتٍ من القوزاق، وأخذ المبادرة بإجراء مفاوضاتٍ، وبينما كانت حكومة أذربيجان منصرفةً إلى المفاوضات ومطمئنةً إلى ما يجري، فُوجئت بهجومٍ قويٍ من فرق القوزاق وذلك في ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ (١٢ أيلول ١٩٢٠ م)، واستولى المهاجمون على مراكز الدولة، وقُتل محمد خياباني في اليوم الأول من عام ١٣٣٩ هـ (١٤ أيلول ١٩٢٠ م)، وسكنت أذربيجان بعدها.

وفي عام ١٣٤٤ هـ حدث تمرّد في ديلمان (شاهبور)، وفي معمل (الشخّاط) في مدينة تبريز.

وفي الحرب العالمية الثانية تدخّل الروس في أذربيجان، ولما أبعد الشاه رضا بهلوي في ٢٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٦ أيلول ١٩٤١ م)، وتسلّم ولي العهد الأمر فقدت طهران سيطرتها تماماً على أذربيجان التي أصبحت خاضعةً للروس. ولكن عادوا فانسحبوا منها بعد انتهاء الحرب بضغطٍ من الغرب.

وفي الانتخابات التي جرت عام ١٣٦٢ هـ حصل على أكثر الأصوات في أذربيجان جعفر بيشوري الذي أسّس الحزب الديمقراطي الأذربيجاني عام ١٣٦٤ هـ، وقد افتتح المجلس الشعبي الذي يضمّ ٧٤٤ عضواً في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٤ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ م)، ورفع شعار الحكم الذاتي في أذربيجان، وشكّل لجنةً مؤلّفةً من ٣٩ عضواً لإدارة البلاد، وفي ٨ المحرم ١٣٦٥ هـ (١٢ كانون الأول ١٩٤٥ م) جرى انتخاب المجلس

الوطني الذي ضمّ ١٠١ عضواً، وتسلّم جعفر بيشوري رئاسة الحكومة الأذربيجانية، وقد اعترفت بالحكومة المركزية.

وفي ٢٧ ذي الحجة ١٣٦٥ هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ م) أرسلت حكومة طهران التي كانت برئاسة أحمد قوام السلطنة قواتٍ إلى أذربيجان تحت اسم الإشراف على الانتخابات ولضمان حريتها، ولكن حكومة أذربيجان رفضت ذلك فدخلت قوات طهران بالقوة، وفرّ جعفر بيشوري إلى جمهورية أذربيجان السوفيتية التي تحت سيطرة الروس، وهرب معه الكثيرون، وهدأت بعدها أحوال أذربيجان نسبياً.

ب ـ الصراع في خراسان:

خراسان منطقة واسعة، قسم منها يقع في إيران، وآخر في أفغانستان، والثالث تحت نير الاستعمار الروسي. والجزء الإيراني حاضرته مشهد، وأكثرية سكانه من الترك الذين يُعرفون هناك بالتركمان، وهو الاسم الذي أطلق في بداية الأمر على الترك الذين اعتنقوا الإسلام، وهم امتداد لسكان جمهورية تركمانستان الشيوعية الخاضعة للاستعمار الروسي.

ومما يلاحظ أن الحركات في خراسان قليلة جداً إذا قارناها مع منطقة أذربيجان، ويعود ذلك إلى قلّة الذين يُشجّعونها أو يدعمونها. فالتركمان الذين يعيشون في الأراضي التي يُسيطر عليها الروس لا توجد صلة بينهم وبين الحكومة الإيرانية لأنهم يدينون بالإسلام (السنة) على حين تأخذ إيران بالمذهب الشيعي وتتعصّب له، لذا لا يتوقّعون أي مساعدةٍ منها أو دعمٍ، بل كأنه لا رابط بينهما، وبالتالي فهي لا تهتمّ بهم، ولا تُعيرهم أي بالٍ، ومع أن إخوانهم من التركمان الذين يعيشون في خراسان الإيرانية يدينون بالإسلام مثلهم إلا أنهم لا يملكون من الأمر شيئاً فالأمر للحكومة التي بيدها الإمكانات وتستطيع التصرّف على حين أن سكان القسم الأذربيجاني الذي يخضع للروس يجد سكانه كل عطفٍ من إيران لأن أكثريتهم من الشيعة، وهذا ما يُشجّعهم على الحركة، وهم بالتالي على

صلةٍ بأبناء جلدتهم وعقيدتهم في إيران فإن ثار إخوانهم وفشلوا انتقلوا إليهم، ووجدوا المأوى والأمان. ومع ذلك فقد انتفض التركمان على الروس في انتفاضة تركستان العامة في المرة الأولى ١٣٣٥ - ١٣٤٠ هـ، وفي المرة الثانية ١٣٤٠ - ١٣٥٠ هـ.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الروس لم يهتموا بمنطقة خراسان الإيرانية لأن توسّعهم نحو الهند والمحيط الهندي إنما يكون عن طريق أفغانستان، ومن البلدان الإسلامية التي يسيطرون عليها أساساً وهي: تركمانستان، وأوزبكستان، وطادجكستان. كما أن الروس يتحاشون سكان خراسان حتى لا تكون هناك صلة بينهم وبين إخوانهم الذين يخضعون للسيطرة الشيوعية، وهم على عقيدتهم ومن أبناء جلدتهم، على حين أن الروس يهتمّون بموضوع أذربيجان لأنه المجال الطبيعي لهم للتوسّع نحو الخليج العربي.

٢ ـ الصراع الإيراني - الكردي:

تبلغ مساحة منطقة كردستان في إيران ما يزيد على ١٢٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويقيم فيها ما يزيد أيضاً على ثلاثة ملايين إنسان، غير أن عدد الأكراد في دولة إيران كلها يقرب من أربعة ملايين إنسان، حيث يُقيم عدد منهم في طهران، وجيلان، وأذربيجان، وكرمان، وهمدان، وشمالي خراسان، وفارس. ومن أشهر مدنهم: كرمنشاه، وسنندج، ومهاباد.

في العهد الصفوي حلّت المصائب بالأكراد، ونزلت بهم الفواجع نتيجة الحقد المذهبي الذي يحمله الصفويون، وهذا ما جعل الأكراد يميلون إلى الدولة العثمانية. فهجّر الصفويون خمسة عشر ألف أسرةٍ كرديةٍ إلى خراسان، وبرز من زعماء الأكراد هولوخان زعيم الأردلان، وخان أحمد خان.

وفي عهد الأفشار فعل نادر خان الأعاجيب بالأكراد، ومع أنه كان من أهل السنة، وأراد إعادة الإسلام إلى الحكم - حسب مفهومه - إلا أنه كان يميل إلى القسوة.

أما الزنديون **فكانوا من الأكراد**، ورغم أن كريَم خان كان متسامحاً، ويُعدّ عهده أكثر العهود حريةً وتسامحاً ولكنه لم ينج من تعصّب الآخرين، ورغبتهم في الانتقام.

وفي أيام القاجاريين بدأ مُؤسّس دولتهم آغا محمد خان بضرب الزنديين والبطش بهم، كما قسا على شيوخ القبائل الكردية ووجهائها، حتى الذين أيّدوه إذ خشي منهم، وهذا ما دعا الشيخ عبيدالله بن طه الشمزيني إلى الانتفاض على القاجاريين في عام ١٢٩٨ هـ، وسيطر على أجزاء واسعةٍ من كردستان، واقترب من تبريز مقرّ ولي العهد حاكم أذربيجان، فخاف الشاه ناصرالدين من هذه الحركة، واستنجد بالبريطانيين والروس، وأسرعت القوات الروسية إلى الحدود الإيرانية غير أن العثمانيين قد أمروا جيوشهم بالاستعداد والمرابطة على الحدود، ومنع الروس من دخول الأرض الإيرانية، فلم يُحرّك الروس ساكناً، وأخيراً جنّد الإيرانيون عشرين ألفاً، وساقوهم إلى كردستان بدعمٍ من الأجانب، وتمكّنوا من هزيمة الكرد، وفرّ الشيخ عبيدالله إلى أراضي الدولة العثمانية، لكن الإيرانيين اتخذوا طريقة إرهاب السكان من قتلٍ، وسجنٍ، ونهبٍ، واعتداءاتٍ مختلفةٍ. ونقل الشيخ عبيدالله إلى إستانبول في شهر شعبان ١٢٩٨ هـ (تموز ١٨٨١ م) بضغطٍ من الدول النصرانية، غير أنه فرّ بحيلةٍ في يوم عيد الفطر ١٢٩٩ هـ (١٥ آب ١٨٨٢ م) بحجة أنه معتكف في العشر الأخير في رمضان، وانتقل إلى ميناء (بوتي) على الساحل الشرقي للبحر الأسود، ومن هناك انتقل إلى كردستان، ولكن أُلقي عليه القبض ثانيةً، وبناءً على طلب الشاه ناصرالدين أمر السلطان عبدالحميد بنقله إلى مكة المكرمة، وهناك وافته منيته في شهر ذي الحجة من عام ١٣٠٠ هـ (تشرين الأول ١٨٨٣ م).

وثارت عشيرة (دشت) الكردية على سوء تصرّف حاكم (أرومية) الأمير جيهان سوز مرزا، وكانت بقيادة ولدي الشيخ حسن الذي مات في السجن، **وهما**: حسو، وبدر، وامتدّ لهيب الثورة إلى مدينة (مهاباد)، واستمرت

الثورة حتى عام ١٣٠٥ هـ، واضطرت حكومة طهران إلى الاستجابة إلى بعض مطالب الكرد، حيث عزلت الأمير جيهان سوز مرزا عن أرومية وعيّنت مكانه أحد أبناء المنطقة من الأكراد، وأبعدت عزة الله خان حاكم سردشت، وعينت مكانه أحمد المكري.

وقام الأكراد بحركةٍ أثناء الثورة الدستورية ١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ.

ووقف قسم من الأكراد بجانب الأمير (سالار) عندما ثار ضدّ ابن أخيه شاه إيران محمد علي، وكان وقوفهم هذا بسبب حقدهم على أعمال الحكومة، ومنها فرض ضريبة الملح، ومن هذا يتبيّن أنهم كانوا هم المقصودون من هذه الضريبة لا سواهم.

وفي الحرب العالمية الأولى حاولت كل الأطراف المتقاتلة استغلالهم، الإنكليز، والروس، والألمان، ولكنهم وقفوا بجانب العثمانيين حلفاء الألمان بدافعٍ ديني، وضدّ التعصّب المذهبي الإيراني، وانتفض آل قاضي في مهاباد. كما ثار (باب الغوث أبادي) وحاول الاتصال بالروس.

وشارك الأكراد بعد الحرب العالمية الأولى في حركة (جيلان) التي قادها (مرزا كوجك خان) والتي عرفت باسم حركة (الجنكليين) حيث انضمّ إليها متطوّعون من أذربيجان، وكردستان، وطهران. وشكّلت لجنة (اتحاد إسلام)، وقاتلت المحتلّين من الروس والإنكليز. وجاء إلى الأكراد دعم من الدولة العثمانية بقيادة المقدّم حسين التبريزي، إذ أن العثمانيين قد دعموا هذه الحركة وأيّدوها. وقامت الجمهورية في (جيلان) عام ١٣٣٨ هـ، فأرسلت إليها حكومة طهران قوةً من فرق القوزاق، لكن هذه القوة قد هُزمت، واقترب خطر حكومة جيلان من طهران، ولكن القوات البريطانية المتمركزة في قزوين حالت دون تقدّم (الجنكليين) نحو طهران، وتحرّكت لقتالهم، وتمكّنت من القضاء على حركتهم في شهر صفر من عام ١٣٤٠ هـ (تشرين الأول ١٩٢١ م) وقُتل (مرزا كوجك خان).

وساهم الأكراد بالوقوف في وجه حكومة (وثوق الدولة) التي تشكّلت في شهر شوال من عام ١٣٣٤ هـ (آب ١٩١٦ م) لما عُرفت من موالاةٍ للبريطانيين، وكان الهدف من تلك الحركة إجبار الحكومة على إجراء انتخابات، وتشكيل المجلس النيابي.

وعاد الأمير (سالار الدولة) للقيام بثورة ضدّ ولد ابن أخيه شاه إيران أحمد، ولكن الأكراد لم يدعموه بقوةٍ، وإن كان بعضهم قد وقف معه، فهُزم، وفرّ إلى العراق، وبعدها انتقل إلى حيفا في الشام.

وثار (سردار رشيد) في منطقة أردلان، وأقام صلات مع الأمير (سالار الدولة)، وعمل على الاتصال مع الروس، وامتدّ نفوذه إلى بقية جهات كردستان وخاصةً مدن كرمنشاه، وسنندج، ولكن الحكومة المركزية في طهران قد تمكّنت من إلقاء القبض عليه في جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ (شباط ١٩٢٠ م) بحيلةٍ دبّرها حاكم (سنندج) شريف الدولة.

وثار إسماعيل شكّاك الذي عُرف باسم (سمكو)، وكان أخوه الأكبر جعفر قد قُتل عام ١٣٢٣ هـ لصلته مع الثوار الأكراد. بدأ (سمكو) ثورته في مدينة أرومية (رضاية) مع انتهاء عيد الفطر من عام ١٣٣٩ هـ، ودخل مدينة (مهاباد) في ٥ صفر ١٣٤٠ هـ (٧ تشرين الأول ١٩٢١ م)، كما دخل عدداً من المدن الأخرى، وأصدر جريدة أسماها (نهار الكرد ليل العجم). ولجأ رضا خان بهلوي إلى السياسة فاتصل بعددٍ من المتنفّذين الأكراد، ومنّاهم، وأرسل قوةً استطاعت دخول مدينة (مهاباد) غير أن (سمكو) لم يلبث أن استعادها، لكن قوته أخذت تضعف، وأخيرا هُزم أمام الإيرانيين، واحتلّوا مقرّه في (جهريق) في شهر ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (تموز ١٩٢٢ م) فانتقل إلى تركيا، ومنها إلى العراق، واتصل بالإنكليز، فمنّوه، وأسكتوه، وهدّدوه حيث لا يمكنهم التخلّي عن أصدقائهم ما داموا يسيرون كما يُريدون، ويُنفّذون مخططاتهم، ولا يقومون بأي عملٍ دون أوامرٍ من السادة. وتمكّن (سمكو) من العودة إلى كردستان عام ١٣٤٢ هـ، وبعد أشهرٍ اضطر للفرار

مرةً أخرى. وبعد مرور سنواتٍ رجع إلى موطنه، وثار الأكراد في مطلع شهر رجب من عام ١٣٤٨ هـ لأن إيران أرادت أن تُجبر الأكراد على ارتداء اللباس الفرنجي، وابتدأت ثورتهم قرب مدينة (مهاباد)، فأرسل لهم الشاه رضا بهلوي قوةً كبيرةً أخضعتهم، واضطر قادتهم إلى الهروب، ودخلوا العراق، ودُبّرت مؤامرة في مدينة (أشنو) في ١٩ صفر ١٣٤٩ هـ (١٥ تموز ١٩٣٠ م)، وقُتل فيها (سمكو).

وخفّت بعد ذلك الحركات إذ عانى الأكراد الكثير من ثوراتهم، ومن ظلم الإيرانيين، ومن تأخّر الأوضاع الاقتصادية في منطقتهم بسبب ظروف التمرّد المستمر، والقتال الدائم.

قام جعفر سلطان بحركةٍ، وفشل، واضطر إلى الالتجاء إلى العراق في ٧ رمضان ١٣٥٠ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٣٢ م).

سنّ الشاه رضا بهلوي سياسةً أسماها (تخته قابو) أي سياسة استقرار القبائل حيث كان يريد القضاء على حياة الانتقال لما لها من أثرٍ على الفوضى والتمرّد، وصعوبة ضبط الأمور، غير أن هذه السياسة قد أثارت القبائل وخاصةً الكردية منها فقامت بعدة حركاتٍ من ١٣٥٥ - ١٣٥٨ هـ.

ولا شكّ فإن سياسة الاستبداد التي سارت عليها حكومات إيران المتعاقبة تجاه الأكراد هي التي كانت تُولّد عندهم روح التمرّد والانتفاضات هذا إضافةً إلى طبيعة بلادهم الجبلية التي تُساعد على ذلك، وحياتهم القبلية التي تُسهّل عليهم الانتقال، ونفوسهم التي تكره الاستبداد، وتأنف الذلّ، ويمكن أن نقول أيضاً: إن إهمال بلادهم من قبل الإيرانيين كان له دور فعّال في ذلك. فالحالة الصحية في كردستان كانت سيئةً للغاية تفوق بكثير سوء ما كانت عليه في بقية المناطق، لقد مرّت ستون سنةً، ولم تتغيّر فيها الحالة الصحية بل لم تكن توجد وزارة صحة في إيران، وإنما كانت مديريةً مُلحقةً بوزارة الداخلية.

ودأب الشاه رضا بهلوي على تهجير القبائل الكردية من مواطنها إلى مناطق أخرى بعيدةً عن منازلها الأصلية، ونائيةٍ عن بلاد الكرد، لقد هجّر قبائل (جلالي) و(بيران) و(كلباغي) إلى (سلطان أباد) و(شيراز) و(كرمان).

وعملت الحكومات الإيرانية المتعاقبة على منع استخدام اللغة الكردية كوسيلةٍ للتخاطب، وعلى تغيير الزي الكردي، ومحاولة إجبار الأكراد على ارتداء اللباس الفرنجي. وعملت كذلك على تغيير أسماء المدن الكردية إلى فارسية، فكان هذا كله عاملاً لانتفاض الأكراد والدفاع عن كرامتهم وحقوقهم.

وتشكّل حزب كردي صغير في بداية الحرب العالمية الثانية، وهو حزب التحرّر الكردي بزعامة (عزيز زندي) في منطقة (مهاباد)، وفي ٣ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢٥ آب ١٩٤١ م) دخلت القوات الروسية من الشمال، والقوات البريطانية من الجنوب والغرب، فاستقالت حكومة علي منصور الموالية لألمانيا الهتلرية في ٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢٧ آب ١٩٤١ م)، واضطر بعدها الشاه محمد رضا بهلوي للتنازل عن العرش لابنه في ٢٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٦ أيلول ١٩٤١ م).

وتأسّست جمعية (بعث الكرد)، وزاولت نشاطها في جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ (أيار ١٩٤٣ م)، وانضمّ إليها قاضي محمد، وكان ذا مواهب وإمكاناتٍ فزاد نشاطها. وفي ٨ رمضان ١٣٦٤ هـ (١٦ آب ١٩٤٥ م) رفع بياناً، وفيه توقيع ستةٍ وسبعين رجلاً من شيوخ وأعيان الأكراد، يُعلن عن تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران. وعقد الحزب أول اجتماعٍ له في مدينة (مهاباد) بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٣٦٤ هـ (٢٥ تشرين الأول ١٩٤٥ م)، ودام الاجتماع مدة ثلاثة أيامٍ، وأصدر هذا الحزب جريدته التي تحمل اسم (كردستان) في ٨ صفر ١٣٦٥ هـ (١١ كانون الثاني ١٩٤٦ م)، وكان جعفر بيشوري قد أعلن في تبريز، وقبل شهر أي في ٨

محرم ١٣٦٥ هـ (١٢ كانون الأول ١٩٤٥ م) عن تأسيس جمهورية أذربيجان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي. وأعلن قاضي محمد في ١٩ صفر ١٣٦٥ هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ م) في مهاباد عن تأسيس جمهورية كردستان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي، وأبان أنه لا ينوي الانفصال عن طهران، ولكن يُطالب حكامها بوضع حدٍّ للمظالم الإيرانية، وعرفت هذه الجمهورية باسم «جمهورية مهاباد».

وفي ٢٢ جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ (٢٣ نيسان ١٩٤٦ م) حدث تفاهم بين جمهوريتي أذربيجان وكردستان الديمقراطيتين، ووُقّعت اتفاقية تعاونٍ بينهما، ولكن حاولت حكومة أحمد قوام السلطنة في طهران بذر الشقاق بينهما.

أرسلت حكومة طهران قواتٍ لاقتحام أذربيجان وكردستان بحجة أن هذه القوات إنما أُرسلت بمهمة الإشراف على الانتخابات المزمع إجراؤها، فعقد القاضي محمد اجتماعاً في مطلع عام ١٣٦٦ هـ (أوائل كانون الأول ١٩٤٦ م)، واحتجّ على إرسال هذه القوات، وأعلن الاستعداد للمقاومة. أما في تبريز فقد أُذيع بيان سُمح فيه لقوات طهران بدخول أراضي أذربيجان، وفي اليوم التالي احتجّ قاضي محمد على هذا البيان وشجبه.

تقدّمت قوات طهران نحو كردستان من أربع جهاتٍ، وتمكّنت من اجتياحها بعد أن قُتل ما يزيد على خمسة عشر ألف كردي، وأُلقي القبض على قاضي محمد وبعض الأفراد الذين كانوا دعامةً له، وقُدّموا للمحاكمة التي قضت بإعدامهم، وفي ٨ جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٣٠ آذار ١٩٤٧ م) ونُفّذ حكم الإعدام بقاضي محمد، وأخيه صدر، وابن عمه سيف.

وعلى الرغم من أن إيران أصبحت دولةً غنيةً بعد تدفّق النفط في أراضيها إلا أن منطقة كردستان بقيت تُعاني من الفقر حيث لم يطرأ عليها تغيّر يُذكر.

وفي ٦ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ (٤ شباط ١٩٤٩ م) جرت محاولة

لاغتيال الشاه محمد رضا بهلوي في جامعة طهران، وقد استغلّت السلطات الإيرانية هذه الحادثة، ومع موجة الاعتقالات التي تمّت في البلاد وجّهت ضربةً عنيفةً إلى كردستان واعتقلت الكثير من أبنائها.

وفي انتخابات ١٣٧٢ هـ حصل مرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني على فوزٍ ساحقٍ في مدينة (مهاباد)، غير أن حكومة طهران قد ألغت تلك الانتخابات وعيّنت شخصاً من لدنها.

وفي العام نفسه انتفض فلاحو منطقة (مهاباد) فبطشت بهم الحكومة الإيرانية.

وساند الأكراد حكومة محمد مصدق.

وعندما جرى استفتاء حول تحديد صلاحيات الشاه في ٢٣ ذي القعدة ١٣٧٢ هـ (٣ آب من عام ١٩٥٣ م) وقف الأكراد بجانب القرار الذي يُحدّد صلاحيات الشاه.

وثارت كردستان ضدّ حلف بغداد، وطالبت بانسحاب إيران منه، وتكلم زعماؤها عن أهداف هذا الحلف الحقيقية، وأهداف من يقف خلفه من الدول النصرانية.

جرى هجوم إيراني كاسح على منطقة كردستان في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٧٥ هـ (٤ شباط ١٩٥٦ م).

ولما قامت حركة في العراق، وقضت على النظام الملكي، وأعلنت النظام الجمهوري في ٢٧ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ (١٤ تموز ١٩٥٨ م) خُصّصَت محطة في إذاعة القاهرة مُوجّهة إلى الأكراد في إيران، وبدأت تبثّ أخبارهم، وما يُعانون من قسوةٍ في ظلّ حكم الشاه.

وانفجرت ثورة في منطقة كردستان عام ١٣٨٧ هـ، ولم تستطع طهران من القضاء عليها إلا بعد مرور ثمانية عشر شهراً من اندلاعها.

٣ ـ الصراع العربي ـ الإيراني:

يعيش العرب في إيران في عربستان (الأهواز) وعلى سواحل الخليج العربي، وخليج عُمان، وإن كان تجمعهم الرئيسي في عربستان.

وعربستان هي المنطقة الواقعة إلى الشرق من شطّ العرب، وتُعدّ تتمةً لمنطقة السواد في العراق، وتصل إلى سفوح جبال زاغروس والتي تحيط بها من الشمال والشرق، وتعيش في شمالها قبائل (بختيار) و(اللور)، والتي تنتقل بين المرتفعات صيفاً، والسفوح والتلال شتاء بل تصل إلى سهل عربستان، يروي المنطقة نهرا (قارون) و(الكرخة) وروافدهما، وتبلغ مساحة المنطقة ما يزيد على ١٨٥ ألف كيلومتر مربع، ويسكنها ما يزيد على ثلاثة ملايين إنسان.

كانت قبيلة (كعب) العربية هي المهيمنة على المنطقة منذ القرن الثاني عشر الهجري، وحتى بداية القرن الثالث عشر، وفي منتصف هذا القرن أخذت تضعف، وتتفرق بطونها بعضها عن بعضٍ، ونمت من بين هذه البطون عشيرة (المحيسن) التي فرضت سيطرتها على البطون كلها، وكانت لها الهيمنة بزعامة رئيسها الشيخ جابر والذي توفي عام ١٢٩٩ هـ. وكان قد طلب من بريطانيا معاهدةً لحمايته من الفرس الذين يُشرفون على المنطقة أو هم في صراعٍ دائمٍ مع العثمانيين عليها. وتعمل إنكلترا جاهدةً على الاحتفاظ بنفوذها في منطقة الخليج وما يجاورها من نقاطٍ هامةٍ باسم حماية الهند، غير أن الحرب الفارسية ـ البريطانية ١٢٧٣ هـ قد عرقلت هذه الجهود، ولكن بريطانيا بعدها قد استطاعت تشديد قبضتها على جنوبي فارس، ورغبت أن تبقى علاقتها حسنةً مع الشاه، لذا رفضت توقيع معاهدة مع الشيخ جابر يستطيع بموجبها أن يحمي نفسه من الشاه، وإن كانت قد شكرت للشيخ جابر حسن ظنّه ببريطانيا وصداقته لها.

تولّى مشيخة المنطقة بعد جابر ولده (مزعل)، وقد جعل المنطقة **تحت إشراف** بريطانيا، التي تعرفت على مجرى نهر (قارون) بشكلٍ تامٍ،

وكان صديق (مزعل) الوكيل السياسي البريطاني في البصرة (روبرتسون)، وتأسّست قنصلية بريطانية في (المحمرة) التي غدت قاعدة المنطقة بعد أن كانت (الفلاحية)، وبدأت المنافسة التجارية في نهر (قارون) بين بريطانيا والشيخ (مزعل) الذي يملك سفينةً تجاريةً تعمل في ذلك النهر، وهذا ما أضعف الصلة بين الطرفين، واغتيل الشيخ (مزعل) في الثاني من محرم عام ١٣١٥ هـ (٢ حزيران ١٨٩٧ م) وكانت إشارات الاتهام تتجه إلى أخيه الشيخ (خزعل) بدعمٍ من بريطانيا.

تسلّم مشيخة المنطقة الشيخ (خزعل) بعد اغتيال أخيه الشيخ (مزعل)، وكان يميل إلى بريطانيا ويرغب في تقوية الصلة معها، والحصول على حمايتها خوفاً من هجومٍ عثمانيٍ، مرتقبٍ أو أي هجومٍ من خصمٍ وربما كان الفرس أشدّ هؤلاء الخصوم، إذ لهم الإشراف الاسمي على أملاك الشيخ (خزعل)، ولهم حاكم يُقيم في (المحمرة)، وتخضع له المنطقة اسمياً. وطلب الشيخ (خزعل) من بريطانيا دعمه للقيام باحتلال البصرة، وسلخها من العثمانيين، وضمّها إلى أملاكها، وأن يكون هو موظفاً بريطانياً في (عربستان) ليتخلّص من حكم الفرس.

أخذت روسيا تهتمّ بالمنطقة وبالشيخ (خزعل)، وهذا ما جعل بريطانيا تسرع في تنفيذ طلبات (خزعل) ليبقى في يدها، وتحت نفوذها، ولكن شُغلت روسيا في الحرب مع اليابان عام ١٣٢٢ هـ، فعملت بريطانيا أثناء ذلك على تثبيت مركزها في (عربستان).

أخذت آثار السياسة الدولية تطرق أبواب المنطقة إذ حدث تقارب بين بريطانيا، وفرنسا، واتجهت بريطانيا إلى تحسين علاقاتها مع روسيا التي كانت قد عقدت معاهدةً مع فرنسا، وترغب بريطانيا في التفاهم مع تلكما الدولتين خوفاً من توسّع السياسة العثمانية في منطقة الخليج وتوجّه الألمان إليها أيضاً عن طريق العثمانيين، إضافةً إلى خوف بريطانيا من نمو القوة

الألمانية المتزايدة في القارة الأوروبية. كما أرادت بريطانيا أيضاً العمل على التفاهم مع (خزعل) و(البختياريين).

اندلعت الثورة في فارس ضدّ الشاه من أجل وضع دستورٍ للبلاد، وذلك في شوال ١٣٢٣ هـ (كانون الأول ١٩٠٥ م). وفي ٧ ذي الحجة ١٣٢٦ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٠٨ م) افتتح أول مجلسٍ نيابي، ولكن مات الشاه مظفر الدين في ٢٤ ذي القعدة ١٣٢٤ هـ (٨ كانون الثاني ١٩٠٧ م)، وخلفه ابنه محمد علي، وكان يُماطل بفكرة الانتخابات، والمجلس النيابي. وكانت الثورة أو ما عُرف باسم (الحركة الدستورية) ضدّ روسيا صاحبة النفوذ في شمالي إيران، على حين كانت عداوتهم للغرب أقلّ بكثيرٍ.

أخذت حكومة حزب الأحرار البريطانية تتقرّب من روسيا، والحركة الدستورية في إيران تُعادي روسيا، لذا فقد حدث تفاهم بين روسيا وبريطانيا ونتج عنه توقيع الاتفاقية بينهما بشأن إيران وذلك في رجب ١٣٢٥ هـ (آب ١٩٠٧ م)، وقُسّمت إيران بموجب تلك الاتفاقية إلى:

١″ ـ منطقة نفوذٍ بريطانية في الجنوب وتقع جنوب خط يبدأ من حدود بلاد الأفغان إلى كرمان ـ بندر عباس إلى رأس الخليج العربي. وبذا تخرج منطقة عربستان عن دائرة النفوذ البريطاني.

٢″ ـ منطقة نفوذٍ روسية في الشمال، وتقع شمال خط يبدأ من (قصر شيرين) على الحدود العراقية ـ أصفهان ـ يزد ـ الحدود الفارسية ـ الأفغانية ـ التركمانية.

٣″ ـ منطقة محايدة بين المنطقتين السابقتين، ومن ضمنها عربستان.

عدّ قادة الحركة الدستورية أن بريطانيا قد خانتهم فتفاهمت مع روسيا. ويبدو من هذه الاتفاقية أن إنكلترا قد تخلّت عن نفوذها في (عربستان)، ولكن هذا لم يحدث بل أخذت تزيد من قوة نفوذها هناك، وتمدّه إلى منطقة البختياريين، وكأن الاتفاق مع روسيا لم يتمّ.

كان الشيخ خزعل يرغب في تنفيذ بريطانيا لمشروع ريّ على نهر (قارون) ليحصل على تأييدٍ سياسيٍ بريطانيٍ ليكون أكثر استقلاليةً عن إيران، غير أن بريطانيا كانت تتمنع وتُناور في سبيل ارتماءٍ أكثر من قبل الشيخ خزعل بين يديها، فكانت النتيجة أن سقط المشروع وضاع، ولكن بريطانيا كانت إذا شمّت رائحة مشروع روسي أو ألماني أحيت الفكرة وأبدت إمكانية العمل في المشروع، ولكن لا تلبث أن تتخلّى عنه.

وتخوّفت إنكلترا من المشروع الألماني (سكة حديد بغداد) الذي كان من المفروض أن ينتهي بأحد الموانىء على الخليج العربي كالكويت مثلاً، لكن الكويت كانت مغلقةً تماماً في وجه هذا المشروع بعد اتفاقية بريطانيا مع أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح عام ١٣١٦ هـ، ولذا كان يمكن أن ينتهي هذا الخط في خور موسى في عربستان أي يتبع الأمر للشيخ خزعل، ويقع بذلك في المنطقة المحايدة حسب الاتفاقية البريطانية - الروسية أي يمكن لأية دولةٍ أن تقوم بمثل هذا المشروع، ومن هنا زاد اهتمام ألمانيا بالمنطقة وشيخها، وهذا ما جعل إنكلترا تتخوّف من الأمر.

ورأت إنكلترا مدّ خطٍ حديديٍ من (خرم أباد) في منطقة لورستان إلى المحمرة، ولكن خشي الشيخ خزعل من هذا المشروع حيث رأى فيه زيادةً لتقوية التدخّل الفارسي في منطقته عن طريق هذا الخط. ولكن إنكلترا كانت تخشى النفوذ الألماني، والنفوذ الروسي.

حصل المقاول البريطاني (وليم نوكس دارسي) على امتياز التنقيب عن النفط، واستثماره، وتصديره في الشهر الأول من عام ١٣١٩ هـ (أيار ١٩٠١ م)، ووُفّق في اكتشافه في شهر شوال ١٣٢١ هـ (كانون الثاني ١٩٠٤ م).

وتدفّق النفط من البئر الأولى في عربستان في (مسجد سليمان) في تاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٦ هـ (٢٦ أيار ١٩٠٨ م)، وبدأت المفاوضات بين الشيخ خزعل والحكومة البريطانية في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ (١٨

أيار ١٩٠٩ م)، وقد وضع الشيخ خزعل شروطاً لمصلحته، ووقّعت الاتفاقية بين الطرفين في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (١٦ تموز ١٩٠٩ م)، غير أن التكاليف قد ارتفعت بسبب الأنابيب، والتكرير، واضطرت الشركة إلى ممولٍ جديدٍ فأخذت الحكومة البريطانية ٥٠٪ من أسهم الشركة.

الحرب العالمية الأولى:

وصلت الحملة البريطانية إلى الخليج في ذي الحجة ١٣٣٢ هـ (تشرين الثاني ١٩١٤ م)، وكان العثمانيون يفكرون بالإفادة من خزعل بن جابر، كما كان البريطانيون يعتقدون ذلك، والواقع أنه كان إلى جانب الإنكليز بكل ثقله، وكامل تفكيره، إذ كانت هيبتهم في المنطقة أكبر من هيبة خصومهم العثمانيين كجانب من جوانب النقص التي تملأ ذهن الضعيف، إضافةً إلى الخبث الذي عُرف به الصليبيون، ولعبهم الدائم على الحبال، كما أن إيران التي يتبعها خزعل بن جابر مرتبطة منذ مدةٍ ببريطانيا وروسيا، وأن قوة بريطانيا البحرية في الخليج العربي كان لها دورها الكبير على ساحة الأحداث وعلى الناحية النفسية للسكان.

انضمّ خزعل بن جابر إلى بريطانيا أو أعلن ذلك صراحةً، فهو بجانبهم من قبل، واتخذ هذا القرار منذ تسلّم السلطة، وكان على صلةٍ بأمير الكويت، وسلطان نجد، وطالب النقيب أحد أعيان البصرة.

ولما كان مركز تكرير النفط في مدينة عبادان إحدى مدن عربستان، وتتبع إمارة خزعل بن جابر فلا بدّ من أن يتجه العثمانيون بتفكيرهم إلى مهاجمة ذلك المركز ذي الأهمية الحيوية، وبالتالي لا بدّ القيام بحملةٍ واسعةٍ على عربستان لتحقيق ذلك الهدف ولضرب المصالح البريطانية على تلك الجبهة. وسواء أحصلوا على مساعدة الفرس، أم خزعل، أم العراقيين أم لم يحصلوا، وهذا يقضي حرب خزعل بن جابر، وإصدار قرارٍ بعزله عن تلك الإمارة إذ تدعي الدولة العثمانية أنها صاحبة السيادة عليه وعلى أملاكه.

وكانت إنكلترا حريصةً على المحافظة على مكانتها في الخليج، وعلى حماية مصادر النفط لذا لا بُدّ لها من أن تُفكّر في أن يكون أمراء تلك المنطقة إلى جانبها، وقد كانوا، إلا طالب النقيب الذي طالب أن يكون أميراً على البصرة تحت الحماية البريطانية، فلم يُوافق على طلبه حيث ادّعت بريطانيا أن طلبه غير معقولٍ إذ ليس له ما يهيىء له هذا من وجهاء البصرة وشيوخ القبائل المجاورة للبصرة.

عندما بدأت الحرب طلب العثمانيون من خزعل السماح لجنودهم بارتقاء سطوح المنازل في مدينة عبادان، والمطلة على الميناء لضرب السفينة الإنكليزية الراسية هناك، والتي سبق للعثمانيين أن طلبوا منها مغادرة شطّ العرب غير أن الطلب قد رفض يومذاك. ولم يكتف خزعل بردّ طلب العثمانيين بإعلان الحياد، بل قام بإبلاغ البريطانيين ذلك.

وطلبت بريطانيا من خزعل، ومبارك الصباح، وطالب النقيب وبقية أمراء المنطقة القيام باحتلال مدينة البصرة وطرد العثمانيين منها قبل وصول الحملة الإنكليزية، وقدّمت لخزعل بن جابر ثلاثة آلاف بندقية ومليون طلقة.

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ (١٠ تشرين الثاني ١٩١٤ م) سرى نبأ عزم العثمانيين على القيام بهجومٍ، فما كان من خزعل بن جابر إلا أن أخبر البريطانيين بذلك، تأكيداً لمناصرته لهم وانضمامه إليهم.

دعا العلماء في عربستان وغيرها الشعب للانضمام إلى حركة الجهاد ضدّ الحلفاء، ومؤازرة القوات العثمانية التي كانت بقيادة محمد فاضل الداغستاني، ولكن خزعل بن جابر أظهر الحياد، كما أعلنت إيران ذلك، وفي الواقع فإن خزعل قد ساعد البريطانيين في احتلال البصرة.

ثار الشيخ غضبان من بني لام على خزعل في منطقة (الحويزة)، وانضمّ إليهم بنو طرف، وعملوا معاً لصالح العثمانيين، وكذلك قامت أعمال العصيان في الأهواز، كما رفض البختياريون دعم خزعل.

حدث خلاف بين العرب والأتراك إذ انساق الطرفان في طريق العصبية ففرّقتهما، وتركوا سبيل الإسلام فضعف أمرهما، فانتصر الصليبيون على الترك، ولعبوا على العرب، وجزّأوا بلادهم، وتقاسموها، وجعلوهم تبعاً لهم، أو إن ترك العرب سبيل الإسلام قد جعلوا من أنفسهم مطيةً لأعدائهم، وهُزم الترك، وانسحبوا، ولم يُفكّروا بعدها بالهجوم على عربستان.

وفي الوقت نفسه تفككت القبائل المعارضة لخزعل بن جابر، فصفح عنهم، وتراجع بنو طرف بعد أن دمّر البريطانيون بلدتهم الرئيسية (الخفاجية)، وانتهت الحركات ضد خزعل. ولكن إذا كان الوضع قد هدأ في عربستان غير أنه انفجر في بقية أجزاء إيران، حيث قامت حركات ضدّ بريطانيا، وطُرد معتمدوها في كلٍ من: شيراز، ويزد، وكرمان، وحوصرت الحامية البريطانية في (بو شهر). وظهر أن القوة السويدية المرابطة في إيران تُؤيّد الألمان الذين أصبحوا يلقون استحساناً لدى الفرس، وتوقّعت بريطانيا صراعاً مع إيران لذا عادت تسترضي خزعل، وتتوقّع أن تقدّمها نحو بغداد سيُمكّن لها الوضع في إيران وفي منطقة الخليج كافةً، ولكنها اندحرت فكان لتلك الهزيمة وقعها السيء في نفوس أعوانها وقادتها.

كان خزعل بن جابر يطمع بملك العراق أو على الأقل إمرة البصرة على أن يكون مستقلاً فيها، ولكن لم تنظر إنكلترا إلى طموحاته، واكتفت بتزويده بالأسلحة لمواجهة القبائل التابعة له والمسلحة بشكلٍ جيدٍ. وأخيراً اضطرت إنكلترا إلى أن تسحب قواتها من إيران كي تسحب روسيا بالمقابل جيوشها من أراضي الدولة الفارسية، ثم رشّحت إنكلترا فيصل بن الحسين بن علي لملك العراق بعد أن طُرد من الشام، وجاء إلى العراق، وتسلّم منصبه كملك للعراق، وهذا ما خيّب آمال خزعل.

كان لحادثة استسلام حامية (الكوت) البريطانية أثر سيء لدى البريطانيين وأعوانهم في ربيع عام ١٣٣٤ هـ حيث استسلم ثلاثة عشر ألف

جنديٍ بريطانيٍ للقوات العثمانية، وهذا ما أضعف حكومة الهند، فأُلغيت، وسُلّمت العراق لوزارة المستعمرات البريطانية. وكذلك فقدت ألمانيا بعد الحرب مكانتها ولم يعد لها دور كمخيفٍ في منطقة الخليج، بل لم تعد إنكلترا لتهتم بها، وكذلك لم تعد إنكلترا بحاجةً إلى التفاهم مع روسيا التي أصبحت خصماً لها إذ سلكت طريق الشيوعية على حين تنهج بريطانيا سبيل الرأسمالية، ومن هذا كله فقد أظهر البريطانيون أنهم لم يعودوا بحاجةٍ إلى خزعل بن جابر.

عقدت بريطانيا معاهدةً مع إيران في جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (شباط ١٩٢١ م)، ولما كانت ترى ضرورة تنفيذ بنود المعاهدة، كما تريد بقاء صلتها مع إيران بشكلٍ طيبٍ، لذا لم تر بقاء المحافظة على استقلال خزعل بن جابر في عربستان، وخاصةً أنها لم تعد بحاجةٍ إليه.

رغبت إيران في السير في سياسةٍ استقلاليةٍ، وهذا ما يجعلها تبتعد عن بريطانيا خوفاً من روسيا التي ستتدخل في شؤونها إن رأت نفوذ بريطانيا لا يزال قائماً، وحتى تجد بديلاً عن إنكلترا اتجهت نحو الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل الحصول على مساعداتٍ ماليةٍ، وهذا ما جعل بريطانيا تتجه ثانيةً إلى دعم خزعل بن جابر كي يبقى على استقلاله الذاتي لعل إيران تعود إلى رشدها ـ حسب رأي بريطانيا.

قررت حكومة إيران (قوام السلطنة) في جمادى الآخرة ١٣٤٠ هـ (شباط ١٩٢٢ م) استعادة نفوذها في عربستان، ورأت إرسال قوةٍ لتنفيذ ما قررته، فلجأ خزعل بن جابر إلى بريطانيا، غير أنها رأت ليس من مصلحتها التدخّل في الأمر، فما كان من خزعل إلا أن أذعن لمطالب الحكومة المركزية، وأخذ يدفع ما عليه من إيرادات إلى طهران، ولكنه في الوقت نفسه عمل على الحصول على السلاح، والتفاهم مع البختياريين، والاتفاق مع جمعيةٍ إسلاميةٍ في مدينة (النجف) تدعو إلى الوحدة الإسلامية لكسب التأييد وعطف الرعية عليه.

وفي ٢٤ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (١٨ تموز ١٩٢٢ م) أعلنت حكومة طهران عن تسيير خمسمائة جنديٍ مع المدفعية المرافقة إلى عربستان. حاولت بريطانيا التدخّل من بعيدٍ أو الوساطة فطلبت وقف تحرّك القطعات المتجهة إلى عربستان غير أن وزير الحرب الإيراني رضا خان رفض ذلك إلا بأمرٍ من رئيس الوزراء الذي وافق على وقف الحركة موقّتاً ولمدة شهرين فقط.

وفي ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ أي في الوقت نفسه الذي وافق رئيس الوزراء على تأجيل الحركة سيّر مائتي جندي للإقامة في (شوشتر)، بحجة أنهم لن يدخلوا الأراضي التي تقع تحت نفوذ خزعل بن جابر. وعندها رأت إنكلترا أن حكومة طهران تُخاتل، وهذا ما جعلها تتدخّل من بعيدٍ فاستدعت اثنين من البختياريين، وأبانت لهم الخطر الذي يكمن وراء إرسال قوةٍ من طهران إلى المنطقة، وأن مصالح بريطانيا، وخزعل، وبختيار تسير في خطوطٍ متوازيةٍ ولا تقاطع فيها. غير أنها لم تلبث أن فوجئت بنصب كمينٍ والهجوم على قوةٍ من الفرس مؤلفةٍ من أربعمائة جندي في أصفهان، وتجريدهم من السلاح وقتل أربعين رجلاً منهم، واتجهت أصابع الاتهام من الحكومة المركزية إلى اللوريين، ثم اتجهت إلى أحد زعماء البختياريين وهو الأمير مجاهد صديق خزعل بن جابر.

وفي ١٠ صفر ١٣٤٢ هـ (٢١ أيلول ١٩٢٣ م) غادر أصفهان مائتا جنديٍ إيرانيٍ متوجّهين إلى عربستان في سبيل تنفيذ خطة وضع ألف جنديٍ في (بهبهان) بحجة حماية حقول النفط من هجوم القبائل، وكان وزير الحرب الإيراني رضا خان قد نصّب نفسه رئيساً للوزارة مع الاحتفاظ بحقيبة وزارة الحرب لنفسه. وعمل الإنكليز على إقناع خزعل بن جابر على الرضا بمرابطة جنود إيرانيين على حدود إمارته.

وفي الثاني من ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٢٣ م) جاء وفد من طهران إلى عربستان للمفاوضات بشأن إيرادات عربستان،

واستحقاقات الحكومة المركزية، وطريقة تسديدها، ولما وصلت المفاوضات إلى طريقٍ مسدودٍ لجأ خزعل إلى بريطانيا، وهدّد الوفد الإيراني باحتلال عربستان، وأسرع الإنكليز إلى المستشار المالي الأمريكي الذي حاول التسوية، وأعلن عن اتفاقية بين الطرفين في ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ م)، وتقضي هذه الاتفاقية بأن يدفع أمير عربستان مبلغ خمسمائة ألف تومان، وأن يكون إلى جانبه معتمد مالي من قبل الحكومة المركزية.

ضعف مركز خزعل بن جابر، وأصبحت طهران تُشرف على البريد والبرق في المحمرة، وعمل رئيس الوزارة الإيرانية على الوقيعة بين القبائل البختيارية، واللورية، وأمير عربستان، وأخذت إنكلترا تميل إلى الحكومة المركزية الإيرانية التي يرأسها رضا خان كي تستطيع هذه الحكومة أن تقف في وجه الأطماع الروسية، ولذا عملت على استسلام خزعل إلى طهران بعد أن نجحت في إبعاد خانات البختياريين الكبار عنه، ولكن الصغار منهم بقوا إلى جانبه. وأعلنت إنكلترا أنها لا تُؤيّد انسحاب الجند الإيرانيين من عربستان وعن حدودها، كما لا تُؤيّد موقف خزعل من الإيرادات وعدم تسديد حكومة طهران نصيبها منها، وتطلب منه الذهاب إلى طهران والاجتماع برئيس الوزراء رضا خان والتفاهم معه، وبالمقابل فإنها ستحصل له على عفوٍ من رضا خان له ولحلفائه وأعوانه.

اقتنع خزعل أن بريطانيا قد تخلّت عنه، وصرّح بأنه لن يذهب إلى طهران لأنه ربما يُقتل هناك، وعلى إنكلترا أن تحول دون تحرّك الجنود الإيرانيين في عربستان، وإلا فإن عربه سيهاجمون قوات الحكومة المركزية في (بهبهان).

عادت إنكلترا فأعلنت أنها لن تُؤيّد موقف خزعل، وأنه لن يجد منها أي تعاونٍ أو دعمٍ. أما روسيا فقد كانت تُثير دائماً حكومة طهران على أمير المحمرة، وتذكر مخالفاته، وتعدّه من صنائع الإنكليز مهما كانت الصورة الظاهرية.

شكّل خزعل حزب السعادة، وهو حزب الأحرار من أجل إطلاق الحرية السياسية في إيران كلها، وهدّد بالانسحاب من عربستان والتوجّه إلى العراق، وهو يعلم أن هذا لا يمكن أن تُوافق عليه بريطانيا لأن هذا يعني أنها تتخلّى دائماً عن أصدقائها، وخاصةً بعد أن تخلّت عن الشريف حسين بن علي الذي نصرها في أشدّ الأوقات عليها فلما أن تمّ لها ما أرادت رمته، ويُهدّد خزعل بالإشارة بأنه إذا ما ترك مقرّ إمارته فإن رجال قبائله سيُغيرون باستمرارٍ على منابع النفط، وسيهاجمون المصالح البريطانية هناك، وإذا ما التجأ إلى العراق فإن الشعب هناك سيلتفّون حوله، ويمكنه وقتذاك إثارة السكان على بريطانيا ثأراً لتخلّيها عنه.

اقترحت بريطانيا على رئيس الوزارة الإيرانية رضا خان الموافقة على الاجتماع بأمير عربستان خزعل في (أصفهان) أو (بوشهر) فيما إذا وافق على طرد المتآمرين معه، وإذا سرّح رجاله من العربان. وقد وافق رضا خان على اللقاء بخزعل فيما إذا أظهر الطاعة، واعتذر عما بدر منه.

وافق خزعل على الاجتماع برئيس الحكومة المركزية رضا خان، وقام بتسريح رجاله، غير أن ذلك لم يفده شيئاً، إذا لم تهدأ الحركات ضدّه بل زادت فقد تمرّد بنو طرف، وأصدر علماء الشيعة في النجف وكربلاء بياناً بالتخلّي عن خزعل والوقوف ضده.

وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ (٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٤ م) أرسل خزعل برقية خضوعٍ إلى رئيس الحكومة المركزية رضا خان، وأتبعها بثانيةٍ، وفي ١٠ جمادى أولى ١٣٤٣ هـ (٦ كانون الأول ١٩٢٤ م) التقى به في مدينة الأهواز، وجاءت بعدها في الشهر التالي قوات الحكومة المركزية، وعسكرت في مراكز القبائل العربية، وبذا فقد أمير عربستان سلطته على القبائل، وشُلّت حركتها وإمكانية قيامها بعملٍ، كما فقد خزعل إمكانية جمع الإيرادات.

نصّب رئيس الحكومة المركزية في طهران أميراً على الفلاحية من

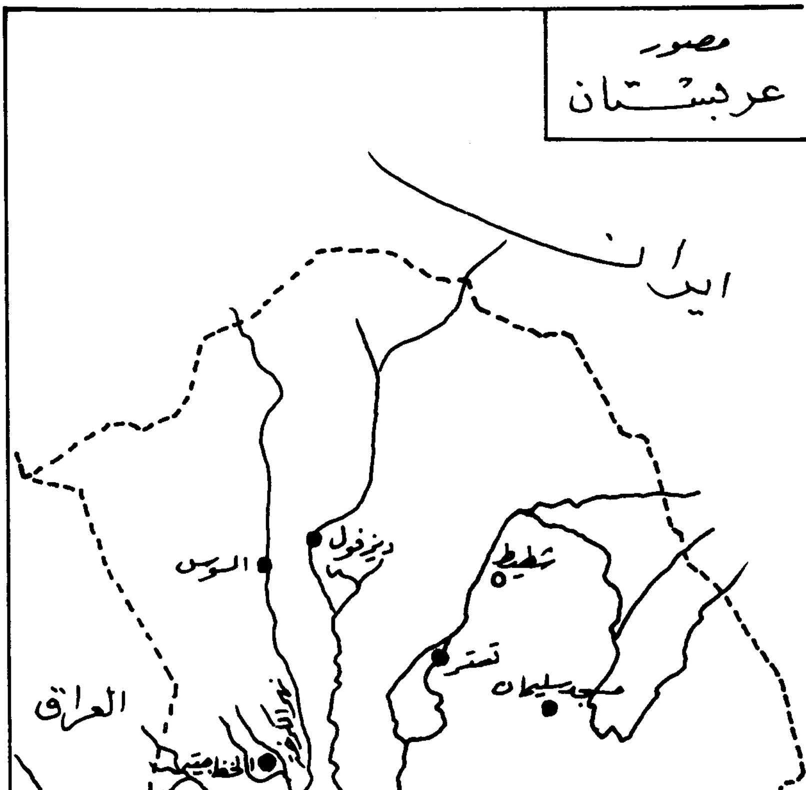
قبله، وهو المنافس العربي لخزعل، وطلب من أمير عربستان السابق خزعل بن جابر زيارة طهران فخاف مغبة هذه الزيارة، فأرسل عائلته إلى البصرة، وفي ٢٦ رمضان ١٣٤٣ هـ (١٩ نيسان ١٩٢٥ م) نزل جنود يتبعون الحكومة المركزية من زورقٍ وألقوا القبض على خزعل، ونقل وابنه عبدالحميد إلى طهران، وهناك استقبله رضا خان بحرارةٍ، ووعده بحلّ مشكلاته كلها، وجاء ممثل بريطاني ليزور خزعل فمُنع من ذلك. وأصبحت أملاك خزعل تتبع الشاه، وبقي خزعل في طهران حتى توفي في ١١ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ (٣٠ حزيران ١٩٣٦ م).

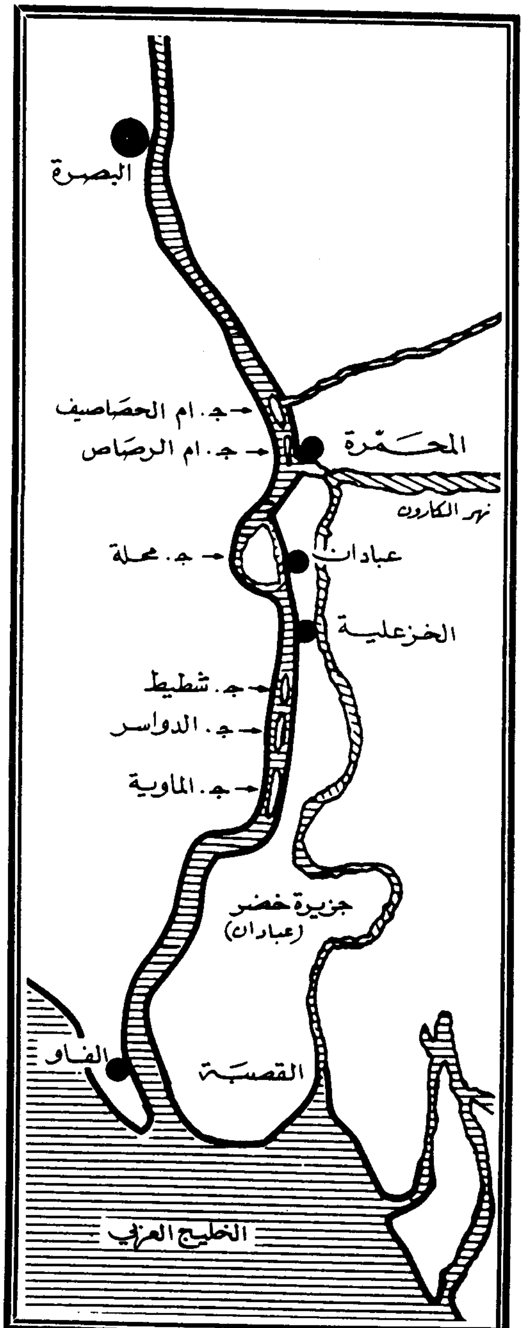
وهكذا انتهى الصراع بين الحكم الإيراني وخزعل، ولم يكن يحمل الصبغة العصبية القومية، وإنما كان يحمل الأطماع الشخصية والمصلحة الفردية، ومن ذلك نرى ارتماءه في أحضان البريطانيين ورغبته الدائمة في ذلك بل يُطالبهم بأكثر من الواقع الذي هو فيه، غير أن خزعل بن جابر قد استغل أفراد قبيلته ذات الأصل العربي، ولذا فقد صنفنا حركته ضمن الصراع التعصبي.

وهدأت أحوال عربستان بعد خزعل، ولم تحرص إنكلترا على إثارة هذا النزاع بين الدولتين المتجاورتين لأن نفوذها قائم في كليهما، وللسبب نفسه لم يحرّك الجانب العراقي العرب في ذلك الإقليم، ولكن إذا حدث خلاف بين الدولتين فإنما هو على مجرى شط العرب فقط، وينظر فيه إلى الاتفاقات والمعاهدات السابقة والأحداث الجارية في المنطقة، وهذا الذي وقع، واندلعت الحرب بين الجارتين.

وقامت عدة حركات في منطقة عربستان أثناء الحرب العالمية الثانية، وألمحنا إليها في حينها.

ولكن وإن لم تُطالب العراق بتسوية الحدود على أساس العصبية رغم حملها لهذه الفكرة ومناداتها بها إلا أن السكان هناك قد قاموا بتنظيم


مصور
عربستان
ايران
العراق
السوس
ديزفول
شطيط
تستر
مسجد سليمان
الحميدية
الحويزة
الاهواز
نهر الكارون
القرنة
شط العرب
السليمانية
المحمرة
عبادان
الخزعلية
خور عبدالله
الفاو
العراق
ايران
الخليج العربي


البصرة
ج. ام الحصاصيف
ج. ام الرصاص
المحمّرة
نهر الكارون
عبادان
ج. محلة
الخزعلية
ج. شطيط
ج. الدواسر
ج. الماوية
جزيرة خضر
(عبادان)
الفاو
القصبة
الخليج العربي

شط العرب

الأحزاب والتجمعات السياسية بهذا القصد، وهذا ما سنجده ـ إن شاء الله ـ في موضوع الصراع الحزبي.

ونتيجة مرور الزمن ودراسة التاريخ من وجهة النظر الشيعية، والتوجيه الدائم من خلال وسائل الإعلام كلها، فقد تأثّر بعض السكان بهذا وأصبحوا شيعةً على حين بقي آخرون على مذهب أهل السنة والجماعة مع بعض التأثير، وهذا ما خفّف الصراع، وخاصةً أننا نعلم أن نسبةً كبيرةً من الشيعة تقطن جنوبي العراق، وتقوم هناك أماكن مقدسة لدى الشيعة جميعاً في (النجف) و(كربلاء)، وهذا ما يُقلّل الصراع، ويخشى من نتائجه فيما إذا اندلع.

٤ ـ الصراع ـ البالوخي ـ الإيراني:

يسكن البالوخ جنوبي شرقي إيران على حدود باكستان، وتمتدّ منازلهم داخل الأراضي الباكستانية، ولا نستطيع أن نقول: إن هناك صراعاً واضحاً بين البالوخ والحكم الإيراني وذلك لقلة عدد السكان الذين يعودون إلى أصلٍ بالوخي في إيران حيث لا يصل عددهم إلى نصف مليون هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن البالوخ في باكستان هم أنفسهم أقلية صغيرة، وليس لهم شأن، وكذا الحال في أفغانستان. ولكن هناك أيد غريبة تلعب في الخفاء، وتحرّك البالوخ لإقامةٍ دولةٍ مستقلةٍ لهم تضمّ كل العناصر ذات الأصل الواحد. وذلك في سبيل زيادة تقسيم بلاد المسلمين وإضعاف شأنهم، وإفادة أعدائهم من ذلك، وكان للشيوعية دور كبير في ذلك، وأخذت العصبية بعضهم فقاموا يُطالبون بذلك، وأنستهم الغفلة واقعهم وحقيقة الأعداء.

٥ ـ الصراع المغولي ـ الإيراني:

لا يزال يعيش في إيران بعض بقايا من المغول، ويسكن أكثرهم في أصفهان ومنطقة (بختياري)، ولا تزال لهم مكانة، ويحمل كبارهم اسم (خان)، ولما كانت أعدادهم قليلةً لذا فإنهم لا يمكنهم الصراع أو دخول ساحته وحدهم، ولكن ينزلون إليه مع غيرهم حسب مصالحهم، ولما كانت منطقتهم منطقة الأقليات لذا نراهم تارةً مع هذه الأقلية، وتارةً مع تلك، ومرةً ثالثةً مع الحكومة المركزية. وقد رأينا دعم كبارهم في بعض الأحيان لخزعل بن جابر، كما كان لهم شأن في الحكومة المركزية إثر الحركة الدستورية. وما داموا تجمّعاً على أساسٍ تعصبيٍ فإن تحرّكهم نعدّه صراعاً، وإن كانوا أحياناً إلى جانب الحكم، إذ يتحرّكون حسب مصالحهم.

٦ ـ الصراع التركماني ـ الإيراني:

ويمكن أن نضيف تحرك قبيلة (قشقائي) التركمانية الدائم ضد الحكومة المركزية، ووقوفها إلى جانب المعارضين لطهران.

٢" ـ الصراع العقيدي

تبلغ نسبة المسلمين في إيران ٩٨٪، ومع هذه النسبة المرتفعة، وانخفاض نسبة المجموعات العقيدية الثانية أو الأقليات حتى لتعدّ بحكم المعدومة نرى أن الصراع العقيدي على أشدّه إذ ليس هو بين أصحاب الديانات المختلفة، ذلك لأن الديانات الأخرى لا تسمح لها أعدادها الضئيلة بالدخول في صراعاتٍ مع المسلمين، وإنما الصراع هو بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة التي هي الأكثرية في إيران، بل إن إيران هي المصر الوحيد في العالم الإسلامي الذي تزيد فيه نسبة الشيعة، وإنهم يُشكّلون أكثرية شيعة العالم.

قلنا أن عدد سكان إيران يزيد اليوم على خمسة وأربعين مليوناً، ويشكّل المسلمون بينهم ٩٨٪، أما الباقي وهو ٢٪ فيتوزّع بين عدد من أصحاب الديانات الأخرى.

المسلمون:		٩٨٪		٤٤,١٠٠,٠٠٠	
	الشيعة السنة		٦٣٪ ٣٥٪		٢٨,٣٥٠,٠٠٠ ١٥,٧٥٠,٠٠٠
النصارى:		١٪		٤١٠,٠٠٠	
	الأرمن النساطرة				٣٢٨,٠٠٠ ٨٢,٠٠٠

اليهود:				٧٣,٠٠٠	٧٣,٠٠٠
الزرادشت:				٢٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
البهائيون:		٪١		٣٩٧,٠٠٠	٣٩٧,٠٠٠
		٪١٠٠		٤٥,٠٠٠,٠٠٠	٤٥,٠٠٠,٠٠٠

وإذا كانت الأقليات العقيدية في إيران صغيرة الحجم، قليلة العدد لا يمكنها الدخول في صراعاتٍ مع المسلمين إلا أنها تقف دائماً في الصف المعادي للإسلام فهي مع الإلحاد، ومع الفساد، ومع كل ما يُهدّم في الإسلام، أو يُبعد عنه، وهي مع الشيوعية، ومع الرأسمالية، ومع الفوضى الاقتصادية المهمّ ضدّ النظام الإسلامي أو كل من يدعو إليه أو يُنادي به. الشيوعيون في إيران وفي كل مكانٍ أقرب إلى الرأسمالية، ويمكنهم التعاون معها، ويستطيعون مهادنتها بل يتفاهمون معها ضدّ الإسلام. والرأسماليون في إيران وفي كل مكانٍ على استعدادٍ للتعاون مع الشيوعية، ولا يجدون فيها خطراً عليهم، ولكن الخطر كل الخطر إنما هو في الإسلام، ويمكنهم التعاون معها لضرب الإسلام. وقد علمتنا الأحداث أنه ما من مرةٍ يلتقي سدنة الشيوعية مع سدنة الرأسمالية إلا ويتمّ التفاهم بينهما على ضرب الإسلام، أو يكون هو الموضوع الرئيسي والأساسي في ذلك اللقاء. بل إن الاجتماع لم يكن ليتمّ لولا داعٍ له وغالباً ما يكون تقدماً إسلامياً أو انتصاراً أحرزه المسلمون، أو أن هناك مشكلةً يُخشى أن يستفيد منها المسلمون.

وتتخذ هذه الأقليات كل الوسائل من جنسٍ، واقتصادٍ، ومؤسساتٍ ربويةٍ، ومراكز إفسادٍ و... لإبعاد المسلمين عن دينهم ولا شك أن اليهود لهم موقعهم المالي، وإن قلّ عددهم، ولهم إشراف على كثيرٍ من مراكز الدعارة، ولا يقلّ الأرمن عنهم في تعصّبهم، ويعادل البهائيون اليهود في موضوع الجنس. والنساطرة والزرادشت لهم دورهم في كل هذا.

أما الصراع العنيف فهو ما يحدث بين المسلمين (السنة) وبين الشيعة إذ أن الشيعة يتصوّرون كل مسلمٍ قد تخلّى عن عليٍّ، رضي الله عنه، وأيّد معاوية، رضي الله عنه، وشارك في قتل الحسين، رضي الله عنه، والآن عليهم أن يثأروا من خصوم عليّ، رضي الله عنه، وقتلة الحسين، رضي الله عنه، لذا فهم يتعصّبون ضدّ المسلمين السنة، ويتحزّبون للشيعة. أما أهل السنة فلا يحقدون أبداً على الشيعة ويعدّونهم إخواناً لهم، ولكن يسخرون من بعض أقوالهم وأفعالهم.

إنهم يسخرون من زواج المتعة، ولا يقبلونه أبداً، ويعتقدون بحرمته، وحتى الجاهل منهم الذي لا يعرف أن رسول الله ﷺ، قد نهى عنه، وحرّمه يوم خيبر، ثم أكّد ذلك يوم الفتح، هذا الجاهل لا يقبل عقلاً زواج المتعة، وينفر منه، ويعدّه والزنا شيئاً واحداً.

إنهم يسخرون من صلاتهم على القرص، وادعائهم أن هذا من تربة كربلاء التي تخضبت بدم الحسين، رضي الله عنه، ورغم أن السادة منهم ينكرون هذا، ويدّعون أن السجود على تراب هو الأصل، وهو واجب لأن السجاد لا يطهر بالدباغة ـ حسب فقههم ـ، ولكن رأي السادة هذا لا ينظر إليه أحد، والعامة من الشيعة كلهم يدّعون أن القرص من تربة كربلاء، وهذا ما يقوله لهم أيضاً أولئك الذين يبيعون هذه الأقراص.

إنهم يعجبون جداً من رفضهم الاقتداء بالمسلمين في الصلاة رغم ادعائهم الإسلام، وعدم صلاتهم الجمعة ما دام الإمام غائباً، وبقي ذلك حتى ظهر نائب الإمام حسب دعواهم، وهو الخميني.

إنهم يسخرون من أقوالهم إن الإمام محمد المهدي مكبل في السرداب، مُقيّد في سجنه، لن يخرج حتى يكثر الفساد فإذا خرج أعاد الحق إلى نصابه وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويعلم المسلمون أنه لا يوجد رجل يدعى محمد المهدي فليس هو سوى أسطورةٍ أضلهم بها محمد بن نصير حاجب الحسن العسكري.

إنهم يتأثرون جداً من تفضيلهم الأئمة على الأنبياء، ويعدّون هذا خروجاً عن الدين، وبُعداً عن الفهم الإسلامي الصحيح.

إن المسلمين يتأثّرون كثيراً من طعن الشيعة بالصحابة، وإذا كانت الشيعة قد استطاعت نتيجة التوجيه الدائم، وتدوين التاريخ الإسلامي حسب أفكارها وآرائها أن تجعل المسلمين - مع الأسف - يقبلون الطعن ببعض الصحابة أمثال عثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبي سفيان رضي الله عنهم جميعاً، إلا أنها لم تستطع أبداً أن تجعلهم يقبلون الطعن بالصحابة الآخرين أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، رضي الله عنهم جميعاً. وهذا ما يجعل المسلمين ينظرون بعين الكراهية لمن يتبنّى هذا، ويقوم بترديده ونشره. ومن هذا كله نشأت كراهية المسلمين لأولئك الشيعة الذين جعلوا ديدنهم الشتم والطعن بالصحابة، ولكن هذه الكراهية أبداً لم تصل إلى المرحلة التي وصل إليها الشيعة من التعصّب، وفكرة الثأر، واستئصال شأفة المسلمين - إن استطاعوا -. ولهذا وقف المسلمون (السنة) دائماً بجانب الشيعة في مقارعة الظلم والاستبداد، ومقاومة الاستعمار، ومحاولة الإصلاح.

وهذا الذي ذكرناه هو ما يلاحظه العامة من أهل السنة دون الخوض في موضوع العقيدة، من عقيدتهم بعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وبالوحي، وتمام القرآن الكريم. وهذا ما يختص به العلماء عادةً، ولكن العامة ينظرون إلى ما يرونه أمامهم، ويُفكّرون فيما يسمعون دون الخوض بأبعد من ذلك، ولو جالوا في ذاك الميدان لابتعدت الشقة، ولأخرج طرف الآخر من الملّة.

لقد أيّد المسلمون الثورة الإسلامية في بداية الأمر على أنها تقوم على الإسلام، وساروا مع قادتها، فلما رأوا التعصّب الشيعي، وطرح الأفكار الشيعية المخالفة للعقيدة من تقديم الأئمة على الأنبياء، وطرح فكرة

الإمام المنتظر، والدعوة له بالخروج والتخلّص من قيوده، وكانت هذه الطروحات من الآيات وليست من العامة، لما رأوا ذلك انزووا، وبدأ الخلاف يبدو واضحاً.

لقد سارت إيران حديثاً على أنها حامية للشيعة في كل مكانٍ، وأخذت تمدّ لهم يد العون، وتقدّم لهم التوجيه وكل وسائله بل أخذت تغري الآخرين بالمنح الدراسية، وبعدها بالكتب الموجّهة فأقبلوا نحوها، وهم المحرومون، واندفعوا إليها وهم الفقراء، ولم يسبق لأحدٍ قبل ذلك أن مدّ لهم يد العون، ودخلت الشيعة إلى إفريقية، ولم يكن قبل ذلك أحد في تلك القارة ينتمي إلى هذه الفئة، وبذا ستزداد نسبة الشيعة في العالم بعد أن كانت لا تزيد على ٦,٤٪ من مجموع المسلمين، أو سيحدث، كما حدث في إيران نفسها، فقبل المغول ـ كما سبق أن ذكرنا ـ لم يكن فيها من هذه الفئة سوى تجمعاتٍ صغيرةٍ، فلما جاء المغول، وفرض آخر حكام الدولة الإيلخانية هذا المذهب وصلت نسبة الشيعة إلى ١٠٪ وهي النسبة التي كانت عليها إيران عندما جاء الصفويون، ونتيجة الضغط، والإغراء والتوجيه، ومع الزمن وصلت النسبة إلى ما هي عليه الآن وهو ٦٣٪، وستزداد مع الزمن نتيجة تسلّم السلطة، وامتلاك الوسائل، إضافةً إلى المظهر الذي يسير عليه اليوم حُكّام إيران من لباسٍ، ولحىً للرجال، واحتشامٍ وتسترٍ للنساء، وهو أمر واجب وطيب، ومن نشر للمذهب باتخاذ كل الوسائل، وتسخير أجهزة الدولة لذلك، وهو عمل ضروري ومطلوب. . . . لكن العقيدة مع الأسف ـ فاسدة ـ وكم نتمنّى لو صُحّحت. وأما المسلمون في إيران من أهل السنة فليس لهم من راعٍ، ولا مهتم فيهم، ويُضيّق عليهم ولا مسعف.

هذا مع العلم أن أهل السنة في إيران إنما يُقيمون على أطراف البلاد، في كردستان، وعربستان، وبالوخستان، وخراسان، وفي أجزاء من أذربيجان، وهذه المناطق كلها على الأطراف فيمكن الاتصال بهم، ودعمهم

والتحرّك نحوهم، كما أن هناك بعض التجمّعات لهم في المدن الكبرى، وبعض الجهات، وربما لو كان أهل السنة في الداخل لاحتجّ بعض الناس بصعوبة الاتصال بهم.

كان أول ما وقع الانفصام بين المسلمين (السنة) وبين الشيعة بعد الثورة عندما دُوّن الدستور فقد نصت المادة (١٢) منه على: «إن الدين الرسمي هو الإسلام، والمذهب الجعفري هو الاثنا عشري، وهذه المادة غير قابلة إلى التغيير إلى الأبد».

وظهر التعصّب الفارسي في الدستور أيضاً عندما نص على أن رئيس الدولة يجب أن يكون فارسياً. أي لا يكفي أن يكون شيعياً، وسمحت الدولة للزرادشت بإحياء أعيادهم، وعاداتهم، فشعر المسلمون ارتباط ذلك بالفرس ولا علاقة لذلك بالإسلام فانزووا وأدركوا أنهم خُدعوا وأصبحوا يتخلّون عن الثورة بعد أن كانوا من الدعاة لها بل ومن أشدّ المتحمسين لها. وقد وجدوا أنفسهم أنهم أقلية كالنصارى واليهود، إذ نصت المادة (١٣) على «إن الأقليات المذهبية (غير الشيعية) لهم حرية في إجراء مراسمهم المذهبية فقط تحت نظام الحكومة».

أسّس أحمد مفتي زاده من كردستان (مجلس الشورى المركزي لأهل السنة) ودعا علماء المسلمين إليه، فالتقوا فكانت النتيجة قتل من قُتل وسجن من سُجن، وتبعثر العلماء وأخذت التهديدات تظهر على لسان زعماء الثورة، وهوجمت قرى السنة وأُبيد الكثير من أهلها. ومن تصريحات المسؤولين الخاصة والسرية أنهم يعملون للقضاء على المسلمين في إيران خلال خمسين سنة تشيّعاً وتهجيراً وإبادةً.

وكان للمسلمين (السنة) عدة منظمات خاصة بهم فانتهت على أيدي ما يُسمّى بالثورة بعد تلفيق اتهامات للقائمين عليها، وافتراءات يحبكها (حرس الثورة)، ومن هذه المنظمات:

١ " ـ منظمة شباب أهل السنة في مدينة (سروان) ويـرأسها إمـام مسجد النور، وتصدر مجلةً شهريةً هي (نهضة جوانان).

٢ " ـ منظمة (سازمان محمدي) في مدينـة زهدان، ويـرأسها عبـدالملك زادة، ولها جريدة شهرية (انتشارات سازمان محمدي).

٣ " ـ جمعية (وحدة إسلامي بلوشستان) في مدينة (إيران شهر)، ويرأسها (محمد إبراهيم وامتي).

٤ " ـ منظمة (إسلامي دانش آموزان ومصلحين بلوج) في مـدينة (إيـران شهر) أيضاً.

وأصبحت هذه المنظمات في خبر كان.

ومـا حدث للمنـظمات والجمعيـات حـدث للمـدارس الإسـلاميـة، كالمدرسة الإسلامية في (بندر لكنه، والمدرسة العربية في (بندر خير).

وهذا ما تم لبعض المسـاجد الكبيـرة التي هدّمت لأسبـابٍ ملفقةٍ، ولحق بها أئمتها، وخطباؤها، وعلماء البلدة، إن كانوا من البـارزين، أو عرفوا بعلمهم وقوة حجتهم.

ووقعت صدامات عنيفة بين الطرفين بعد أحداث مفتعلة، وإثـارات مصطنعة في أكثر المناطق التي يكثر فيها المسلمون (السنة).

٣" ـ الصراع الحزبي

أيام القاجاريين:

لم تُعرف الحياة الحزبية في الدولة الفارسية قبل عام ١٣٢٤ هـ إثر إعلان الدستور في جمادى الآخرة ١٣٢٤ هـ (آب ١٩٠٦ م) حيث نشأ حزبان هما:

١" ـ الحزب الدستوري (مشروطه خواه).
٢" ـ حزب الحكم المطلق (مستبد).

ولم تكن الحياة الحزبية ذات مفهومٍ واضحٍ حيث لم تقم على أفكارٍ ومبادىء، وإنما كانت تجمّعات تُراعي المصلحة، وتعتمد على تحقيق المنفعة، لذا لم يلبث الحزبان أن انتهيا بتغير الوضع.

وعندما تشكّل المجلس النيابي الثاني في رجب ١٣٢٧ هـ، وتمّ افتتاح الدورة الثانية في الثاني من شهر ذي القعدة ١٣٢٧ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٠٩ م) وُجد حزبان جديدان هما:

١" ـ الحزب الثوري (انقلابي).
٢" ـ الحزب المعتدل (اعتدالي).

ولكن عندما مارسا نشاطهما والتأمت دورة المجلس النيابي برزا باسمين جديدين هما:

١" ـ **حزب العموم الديمقراطي**: (ديمكرات عاميون)، ويُمثّل الأقلية في المجلس النيابي حيث كان يتبعه ثمانية وعشرون نائباً، وكان برئاسة سيد

تقي حسن زادة، ومن أشهر رجاله: حسين قلي خان نواب، وسليمان مرزا، وسيد محمد رضا مساوات، ووحيد الملك. وكان من أهدافه التي يُنادي بها:

أ ــ فصل الدين عن الدولة وعن السياسة.
ب ــ فرض الجندية الإلزامية.
جـ ــ توزيع الأرض على الفلاحين.
د ــ منع الاحتكار.
هـ ــ التعليم الإلزامي.
و ــ إنشاء مصرف زراعي لمساعدة الفلاحين.
ز ــ إلغاء مجلس الأعيان.
ح ــ زيادة الضرائب غير المباشرة.
ط ــ زيادة العلاقات السياسية مع دول العالم كافةً.

وقد أصدر عدة صحف وهي:

أ ــ إيران نور: في طهران، وشفق في تبريز، ونوبار في خراسان.

٢" ــ حزب اجتماعيون اعتداليون (الاجتماعي المعتدل)، ويُمثّل الأكثرية في المجلس النيابي حيث كان يتبعه ستة وثلاثون نائباً إضافةً إلى تأييد سبعةٍ من المستقلين، وأربعةٍ من حزب الاتفاق والترقي، ومن زعمائه: ميرزا محمد صادق طباطبائي، وميرزا علي أكبر خان دهخدا، وميرزا علي محمد دولت أبادي، وآغا بـرزك شيرازي، وشكر الله خان قوام الدولة.

ويُعدّ هذا الحزب محافظاً، وأكثر أعضائه من الأثرياء، وكبار رجال الدولة. وبلغ الصـراع أشدّه بين هـذين الحزبين الكبيـرين، فكان حـزب العموم الديمقراطي يتهم خصمه بالرجعية، والسعي وراء المصلحة، على حين كان حزب اجتماعيون اعتداليون يتهم منافسه بـالمروق من الـدين، والزندقة. وربما كان كلاهما متهماً بالصلة مع دولةٍ أجنبيةٍ حيث كان حزب العموم الديمقراطي على صلةٍ مع بـريطانيـا بينما كـان حزب اجتمـاعيون اعتـداليـون على صلةٍ مـع روسيـا. وقُتـل سيـد عبـدالله بهبـائي، واتُّهم الديمقراطيون بقتله، واضطر زعيمهم سيد تقي حسن زادة أن يفرّ خـارج البلاد، ولم يستطع العودة حتى تغيّر الوضع.

وجرت الانتخابات النيابية عندما تسلّم أحمد شاه السلطة بعد أن بلغ سنّ الرشد، فنجح حزب العموم الديمقراطي وفاز بواحد وثلاثين مقعداً، بينما فاز حزب (اجتماعيون اعتداليون) بتسعة وعشرين مقعداً، وفازت الهيئة العامة بأربعة عشر مقعداً، وحصل المستقلون على عشرين مقعداً.

وجرى ائتلاف بين حزب العموم الديمقراطي والمستقلين، وعاد الحكم الدستوري إلى البلاد، وزاد النشاط الصحفي، ومن أهم الصحف التي ظهرت يومذاك.

صحيفة نوبهار: وتتبع حزب العموم الديمقراطي.
ستارة إيران: وتتبع حزب العموم الديمقراطي.
صحيفة شورى: وتتبع حزب (اجتماعيون اعتداليون).
صحيفة رعد: مستقلة، ولكنها تُؤيّد الحلفاء.
مجلة عصر جديد: أسبوعية، وتُؤيّد الحلفاء.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى مال حزب العموم الديمقراطي إلى الألمان، وشكّل لجنة الدفاع الوطني (كميتة دفاع ملي)، وقدم إلى إيران أحد الألمان وهو (شونمان)، وعمل على تنظيم الدفاع عن البلاد ضد الغزاة الروس، الذين تقدّموا من ناحية القفقاس، غير أن الإيرانيين بقيادة سليمان ميرزا قد هُزموا عند خانقين، وبعد الهزيمة عقد زعماء الحزبين اجتماعاً، وقرّروا حلّ حزبيهما. وبعد زوال آثار الحرب، عادت الحياة الحزبية من جديدٍ، فظهر على الساحة:

١" ـ الحزب الاشتراكي (سوسياليست): وأسّسته جماعة من قادة الحزبين السابقين، وكان يميل إلى الحزب الشيوعي الروسي الذي تسلّم السلطة في روسيا بعد الثورة الشيوعية التي اندلعت أثناء الحرب العالمية الأولى في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩١٧ م)، ويُمثّل الأقليّة في المجلس النيابي الرابع. ورشّح هذا الحزب لرئاسة الوزارة ميرزا حسن مستوفي الممالك.

٢" ـ حزب إصلاح طالبان (المطالبون بالإصلاح): وتشكّل أيضاً من قادة الحزبين السابقين، ورشّح هذا الحزب لرئاسة الوزارة أحمد قوام السلطنة، وحسن بيرنيا (مشير الدولة)، ويُمثّل الأكثرية في المجلس النيابي.

ولا نستطيع أن نقول: إن هناك صراعات إذ كثيراً ما يترك عدد من النواب هذا الحزب لينضموا إلى ذاك فيصبح أكثريةً بعد أن كان أقليةً، وتسقط الحكومة السابقة وتخلفها وزارة جديدة، ثم يرجع من ترك حزبه إليه مرةً أخرى فيعود أكثريةً، ويعود إلى السلطة، وهكذا، ويُثير الخلاف ويُحرّك اللعبة رضا بهلوي.

٣" ـ حزب مؤتمر المستبدين (انجمان مستبدين): ويُعارض الدستور، ويرى الحكم المطلق، وقد أنشأه أعوان الأسرة القاجارية أمثال: مفاخر الملك، شيخ فضل الله، هاشم أجود أنباشي، صنيع حضرت. وكان الشاه محمد علي يدعم هذا الحزب بالمال، ويُؤيده، ويُقرّب زعماءه، ويسمع منهم، فلما سقط، وفرّ إلى روسيا قُبض على زعماء الحزب، وأُعدموا جميعاً.

٤" ـ حزب داشناكسوتيون (الاتحاد الثوري)، وهو حزب خاص بالأرمن، ويُمثّله في المجلس النيابي النواب الأرمن الذين يُمثّلون طائفتهم. وانتهى الحزب بسقوط الشاه محمد علي، وفراره إلى روسيا، وقُدّم قادة الحزب إلى المحاكمة، فحُكم عليهم بالإعدام، ونُفّذ بهم الحكم.

أيام الأسرة البهلوية:

عرفنا أنه تعاقب على حكم إيران اثنان فقط من هذه الأسرة، وهما رضا بهلوي، وابنه محمد رضا الذي أطاحت به (الثورة الإسلامية)، وأُعلنت الجمهورية.

أ ـ عهد رضا بهلوي:

لم يظهر في عهده أي تنظيمٍ سياسيٍ سواء أكان حزباً أم جميعةً،

ولكن وجدت فعلاً تنظيمات سياسيةٍ سرية، اتخذت السرية وسيلةً لها لكتمان أمرها، بل بالغت في الكتمان، حتى أطلقت على نفسها رمزاً معيناً، من غير أن تُطلق على تنظيمها اسماً واضحاً، وما ذلك إلا بسبب الخوف من الحكومة التي سارت على النهج الاستبدادي. ومن هذه التنظيمات:

١ " ـ حزب أو (هو): ولم يعرف مؤسسه، ولا يُعلم أحد من قادته، وإنما كانت إشاعات تُطلق عن مُؤسّسه، أو يُتّهم أحد بالانتماء إليه انتماءً من غير بيّنةٍ، وأُشيع أن علي دشتي هو مُؤسس هذا الحزب، غير أنه أنكر ذلك، كما أُشيع أن (سپهر) مؤرخ الدولة هو الذي أسسه، لكنه كذّب ذلك وتبرّأ من هذا الاتهام.

٢ " ـ **كروه پولاد (جماعة الفولاذ)**: ويبدو أن مُؤسسي هذه الجماعة فئة من الجيش، وذكروا منهم: محمود خان پولادين، وأحمد خان پولادين، ونصر الله خان، وروح الله خان. كما أنضمّ إليهم، ممثل اليهود في المجلس النيابي «حاييم»، وأعداد من موظفي الدولة والتجار. وقد انكشف أمر هذه الجماعة، فأمر رئيسها محمود خان پولادين بإتلاف الوثائق، وهذا ما جعل أخبارها وأعلامها مجهولةً، وألقي القبض على من عُرف من أعضائها وقُدّموا لمحاكمةٍ سريةٍ، فأُعدم خمسة من زعمائها، وأُلقي الآخرون في السجن في ١١ شعبان ١٣٤٥ هـ (١٣ شباط ١٩٢٧ م).

٣ " ـ حزب ض ـ أ: والاسم ليس سوى رمز، وبقي الحزب سرّياً، وكل ما عُرف عنه أنه ظهر في أواخر عهد رضا بهلوي. وأُشيع أن مُؤسّسه هو أحد الوزراء، واتجهت الأنظار إلى وزير المالية ميرزا علي أكبر خان الذي كان يدعو إلى الوقوف في وجه الأجانب، وضرورة العمل المشترك لهذا الهدف.

ب ـ عهد محمد رضا بهلوي:

حدث افتتان بالغرب والطريقة السياسية التي يسير عليها، وهذا ما

جعل الشاه الجديد يفسح المجال لقيام أحزاب وتجمّعات سياسيةٍ، غير أن النزعة الفردية القائمة، وعدم المفهوم الحزبي الصحيح، واختلاف طبيعة المجتمع كل هذا قد جعل الأحزاب تزداد لدرجةٍ يختلّ معها الوضع السياسي، وتعمّ الفوضى. ولعلّ أهم الأحزاب التي وجدت على الساحة الإيرانية، والتي كان لها دور في الحياة السياسية.

١ ـ حزب توده: وقد أُعلن عن قيامه في الثلاثين من رمضان ١٣٦٠ هـ (٢٠ تشرين الأول ١٩٤١ م)، وكان من أبرز مؤسسيه خليل ملكي، إحسان طبري، وتقي أراني. فعندما ترك رضا بهلوي البلاد، ودخل الحلفاء إيران استغلّ الحزب الشيوعي وجود القوات الروسية في شمالي البلاد لحمايته، واستفاد من النقمة التي كانت قائمة على النظام الاستبدادي الذي كان مسيطراً على البلاد، ومن الأزمة التي فرضتها ظروف الحرب، وأعلن عن تشكيل لجنةٍ مُؤقتةٍ مُؤلفةٍ من خمسة عشر عضواً برئاسة سليمان ميرزا اسكندري. وقد انبثق هذا الحزب من:

أ ـ الحزب الشيوعي: الذي نشأ أصلاً من جماعة عدالة والتي تكوّنت ١٣٣٦ هـ بعد نجاح الشيوعيين بالسيطرة على الحكم في روسيا في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ، وعقد هذا الحزب أول اجتماعٍ له في ميناء (أنزلي) الذي عُرف فيما بعد باسم (بندر بهلوي) على بحر الخزر وذلك بتاريخ السادس من شهر شوال ١٣٣٨! هـ (٢٢ حزيران ١٩٢٠ م).

ب ـ جماعة تقي أراني: الذي كان في ألمانيا، وتأثّر بالأفكار الاشتراكية، والتقى بأعدادٍ من الإيرانيين هناك وعاد إلى طهران عام ١٣٥١ هـ ليشغل منصب رئيس جامعة طهران، فشكّل مجموعةً نُسبت إليه، وأصدرت مجلة (دنيا).

ومن اندماج هاتين المجموعتين نشأ حزب توده.

شارك في حكومة أحمد قوام الدولة بعد الحرب العالمية الثانية، وتسلّم ثلاث حقائب وزارية هي: التربية الوطنية، والصحة، والصناعة.

وأيّد إقامة حكومةٍ شيوعيةٍ في أذربيجان بعد أن سيطر عليها (جعفر بيشه وري) بمساعدة القوات الروسية. وكان (جعفر بيشه وري) قد أسسّ الحزب الديمقراطي الأذربيجاني في ٢٦ رمضان ١٣٦٤ هـ (٣ أيلول عام ١٩٤٥ م)، واندمج معه فرع حزب (توده) في أذربيجان، ورغب بالحصول على الاستقلال الذاتي، ولكن طهران رفضت ذلك، فأعلن الاستقلال بمساعدة القوات الروسية. فأحيل الموضوع إلى الأمم المتحدة، ووقفت بجانب إيران، واضطرت روسيا إلى سحب قواتها، ففرّ (جعفر بيشه وري) إلى روسيا

وعندما جرت محاولة اغتيال الشاه يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ (٤ شباط ١٩٤٩ م)، حُلّ الحزب، وطورد أعضاؤه.

وعاد إلى النشاط أيام حكم محمد مصدق وأيّده، ثم اختلف معه، وكان له جناح عسكري، فعندما تمّ الانقلاب على محمد مصدق في ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م) أُلغي الحزب، وأُبيد عدد من أعضائه، واعتقل خمسمائة ضابطٍ من جناحه العسكري، وأُعدم سبعة وعشرون منهم.

ورجع الأمين السر الأول لحزب توده إلى طهران (نور الدين كيانوري) في ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (١٣ نيسان ١٩٧٩ م)، واقترح تشكيل جبهةٍ شعبيةٍ متحدة (جبهة متحدة خلق)، وجعل من أهدافها.

١ ـ تأييد الخميني.

٢ ـ التخلص من التسلّط الاستعماري الاقتصادي (الإمبريالي).

٣ ـ تأميم المؤسسات الصناعية والزراعية.

٤ ـ تأميم المصارف.

وقد انبثقت من حزب توده جماعة خوفاً من البطش بها، وحظر الحزب، وقد عُرفت هذه الجماعة باسم منظمة المتطوعين الفدائية الشعبية. ولكنها عادت إلى أصلها الحزبي فاندمجت في حزب توده عندما رجع إلى النشاط.

٢ ـ **حزب القوة الثالثة (نيروي سوم)**: انشق ثلاثة وخمسون عضواً

برئاسة خليل ملكي عن حزب توده، وانضمّوا إلى حزب (كادحي الأمة الإيرانية). ثم وقع الخلاف بين الزعماء، فأسّس خليل ملكي بمجموعته حزباً جديداً أطلق عليه اسم حزب القوة الثالثة، غير أنه قد انتهى بانتهاء حكومة محمد مصدق التي أيّدها. أما مظفر بقائي كرماني الذي كان زعيم حراس الحرية فقد تزعّم حزب العمال، وعارض محمد مصدق.

٣ ـ التجمّع الاشتراكي: فقد أسّسه مظفر بقائي كرماني، وضمّ حراس الحرية، التجمعات الطلابية الاشتراكيين في جامعة طهران، والاشتراكيين المستقلين.

٤ ـ الجبهة الوطنية (جبهت ملي): برئاسة محمد مصدق، وقد برزت على الساحة السياسية منذ نهاية عام ١٣٦٨ هـ، وكانت تدعو إلى تأميم النفط، وعدم تدخّل الحكومة في الانتخابات النيابية. وهذا ما دعا محمد مصدق للسير إلى القصر في ٢٢ ذي الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٤٩ م) على رأس وفدٍ يضمّ مائةً وثمانين عضواً من السياسيين وأساتذة الجامعة والصحفيين، ولكنهم لم يستطيعوا مقابلة الشاه، فاختاروا تسعة عشر منهم بقوا معتصمين بالقصر حتى تستجاب مطالبهم، وكان من أبرزهم: محمد مصدق، حسين فاطمي، كريم سنجابي، مظفر بقائي كرماني، وحُدّدت المطالب بالانتخابات:

١ ـ إلغاء الانتخابات التي تمّت.

٢ ـ تشكيل حكومةٍ محايدةٍ للإشراف على انتخاباتٍ جديدةٍ.

ولكن الشاه رفض هذه المطالب.

وفي ١٣ محرم ١٣٦٩ هـ (٤ تشرين الثاني ١٩٤٩ م) قُتل وزير البلاط عبدالحسين هجير بيد أحد رجال فدائيان إسلام لتدخّل الوزير بالانتخابات، وأحسّت الحكومة بسخونة الوضع، وأصدر المجلس الأعلى قراراً بعدم شرعية الانتخابات، وبذا أصبحت مُلغاةً، ويجب إجراء انتخاباتٍ جديدةٍ، وهذا ما تُطالب به الجبهة الوطنية.

جرت الانتخابات الجديدة في ٢ صفر ١٣٧٠ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٥٠ م)، وفازت فيها الجبهة الوطنية، وعُهد إلى محمد مصدق بتشكيل الحكومة في ١٣ رجب ١٣٧٠ هـ (١٩ نيسان ١٩٥١ م)، وبقي في الحكم مدة سبعةٍ وعشرين شهراً حيث جرى انقلاب عليه قاده الجنرال زاهدي في ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م) وحُلّت الجبهة، وشُرِّد أعضاؤها، وأُلقي بعضهم في السجن، وأُعدم بعضهم الآخر.

عادت الجبهة إلى الظهور ثانية بعد احتجاب سبع سنوات، حيث دعا حسن نزيه إلى اجتماعٍ في دار فيروز أبادي بتاريخ ٢٧ المحرم ١٣٨٠ هـ (٢١ تموز ١٩٦٠ م)، وشملت التنظيمات السياسية كافةً باستثناء الشيوعيين، وأخذت تُطالب بـ:

١" ـ حل جهاز الأمن السري (السافاك).
٢" ـ إطلاق الحريات العامة.
٣" ـ إعادة الدستور.
٤" ـ عدم تدخّل الشاه في شؤون الحكم.

ولكن لم تلبث أن انقسمت إلى فئتين: أولاهما ترى استعمال القوة لإسقاط النظام على حين ترى الأخرى عدم استعمال السلاح، وإنما اتباع السياسة والإعلام لإسقاط الحكم القائم، وتسلّم السلطة. وهذا ما جعلها تتفكّك، ويتجه بعض قادتها لتشكيل أحزابٍ جديدةٍ.

ولكنها عادت إلى الظهور ثانية عام ١٣٩٨ هـ، وشملت أيضاً التنظيمات السياسية كلها باستثناء الشيوعيين الذي ترتبط مصالحهم بمصالح الشيوعية العالمية، ولا يتحرّكون إلا حسب توجيهاتها. وكان من قادتها: كريم سنجابي، شابور بختيار، مهدي بازركان، داريوش فروهر، حسن نزيه، وإبراهيم يزدي، وكاظم حسيبي.

وشكّل مهدي بازركان أول حكومةٍ في ظلّ الثورة، والتي ضمت بعض رجال الجبهة، ومنهم كريم سنجابي الذي تسلّم وزراة الخارجية

وذلك في ١٦ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (١٣ شباط ١٩٧٩ م)، وبعد شهرين قدم وزير الخارجية كريم سنجابي استقالته، ولم يمض أكثر من تسعة أشهرٍ حتى استقالت حكومة مهدي بازركان في ٢٥ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ م)، وضمّت الجبهة:

أ ـ حزب الأمة الإيراني (ملّت إيراني).

ب ـ حزب إيران.

ج ـ جماعة إيران المعاصرة السياسية (كروه سياسي إيران أمروز).

د ـ حركة تحرير إيران (نهضت أزادي إيران).

هـ ـ حركة مسلمي إيران الثورية (جنبش انقلابي مردم مسلمان إيران)، وتختصر بكلمة «جاما».

ولهذه الأحزاب شخصيتها الاعتبارية لأنها ذات ماضٍ حزبيٍ وتاريخٍ في النشاط.

٥ ـ **حزب الأمة الإيراني** (حزب ملّت إيران): ويرأسه داريوش فروهر، وأيّد حكم محمد مصدق.

٦ ـ **حزب إيران**: وظهر أثناء الحرب العالمية الثانية برئاسة (الله يار صالح)، وقد شارك في حكومة أحمد قوام الدولة إثر الحرب، تلك الحكومة التي شارك فيها حزب توده، وكذلك شارك في حكومة محمد مصدق، ومن أعضائه شابور بختيار، وكاظم حسيبي، ورحيم شريفي، وأبو الفضل قاسمي، وعبدالحسين ثنائي، وعبدالحسين دانشبور.

٧ ـ **حركة تحرير إيران** (نهضت أزادي إيران): وتشكّل هذا الحزب إثر سقوط حكومة محمد مصدق، حيث مالت الجماعات الوطنية إلى العمل السري. وقام الفريق المتدين بزعامة آية الله زنجابي (حاج سيد رضا) وشكّل حزب حركة المقاومة الوطنية (نهضت مقاومت ملّي)، ثم انضمّ إليهم مهدي بازركان في ١١ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (٢١ آب ١٩٥٣ م)، ولكنه لم يلبث أن أُلقي القبض على آية الله زنجابي، وأُبعد عن منطقة

نشـأته، وأُعـدم حسين فاطمي، وقد كشف أوراق منظمـة توده العسكـريـة فأُعدموا.

وعاد الحزب فظهر من جديدٍ عام ١٣٨٠ هـ، وكان مؤسّسوه آية الله سيد محمود الطالقاني، ومهدي بازركان، وحسن نزيه، ومنصور عطائي، يدالله سحابي، ورحيم عطائي، وعباس سميعي. فأُلقي القبض على مهدي بازركان في ١٣ المحرم ١٣٨٣ هـ (٥ حزيران ١٩٦٣ م)، ثم أعقبه القبض على آية الله الطالقاني. وعطف العلماء والتجار على هذا الحزب.

٨ ــ **جماعة إيران المعاصرة السياسية** (كروه سياسي إيران أمروز)، وكان يرأسه سعيد فاطمي.

٩ ــ **حـركة مسلمي إيـران الثوريـة** (جنبش انقلابي مـردم مسلمان إيران)، ويرأسها آية الله شريعتمداري.

١٠ ــ **الحزب القومي الإيراني** (حزب ناسيونال ليست إيران): نشأ بعد الانقلاب على محمد مصدق، وتكوّن من عدة جماعات منشقة من عدة أحزاب.

١١ ــ **فـدائيان إسـلام**: وأسسه مجتبى نـواب صفوي إثـر الحـرب العالمية الثانية، وقد عمل على قتل الذين يقفـون في وجه الإسلام بأيـة صورة من الصور. فقـام حسين إمامي وقتل علي كسروي، ثم قتـل وزير البلاط عبدالحسين هجير بتهمة التدخّل في الانتخابات وذلك في ١٣ محرم ١٣٦٩ هـ (٤ تشرين الثاني من عام ١٩٤٩ م). وقتل خليل طهماسبي رئيس الوزراء (علي رازمارا) بتهمة عمالته لأمريكا. وأطلق عبد خدائي النار على وزير الخارجية حسين فاطمي عندما وقع الخلاف بين الحزب وبين حكومة محمد مصدق.

وأطلق ذو القدر النار على رئيس الـوزراء حسين علائي. وضـاقت الحكومة ذرعاً بالحزب فألقت القبض على زعيمه مجتبى نواب صفـوي، وأعدمته مع مساعديه، وانتهى أمره.

عاد الحزب إلى النشاط في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (٢٥ أيار ١٩٧٩ م)، وسمّى أتباعه أنفسهم حراس الثورة، ووضعوا أنفسهم تحت تصرّف آية الله الخميني، واختاروا صادق خلخالي رئيس المحاكم الثورية الإيرانية رئيساً لهم.

١٢ ـ حزب ملّيون (حزب الوطنيين): حدث فراغ سياسي في إيران بعد سقوط محمد مصدق واختفاء الجبهة الوطنية فوجد الشاه أن تقوم أحزاب مُؤيّدة لنظام حكمه، وأخرى معارضة له ظاهرياً تحت سمعه وبصره وتوجيهه، وباختياره نفسه لقادة تلك الأحزاب المؤيدة والمعارضة على حدٍّ سواء. وكان يهدف من ذلك ملء الفراغ السياسي الذي وُجد بعد سقوط نظام محمد مصدق، وتمزّق الجبهة الوطنية، هذا بالإضافة إلى السيطرة التامة على الشعب ودفع الشيوعيين والوطنيين إلى الخلف، وإنزال أتباعه مكانهم. ولم يكن لهذه الأحزاب من آراء تنادي بها أو أفكارٍ تطرحها، وإنما كانت أعواناً للشاه تأتمر بأمره، وتتلقّى التوجيهات منه.

كلّف الشاه أحد أعوانه وهو منوچهر إقبال بتأليف حزب الوطنيين (ملّيون) كحزبٍ مُؤيّد، فقام بالعمل، وأوكل مهمة الأمين العام فيه إلى نصرت الله الكاظمي، وذلك عام ١٣٧٦ هـ، ودعم الحزب بمساعدات ماليةٍ كافيةٍ، فأصدر صحيفة تحمل اسم الحزب (ملّيون)، ثم عهد إلى زعيم الحزب منوچهر إقبال بتشكيل الوزارة في ٥ رمضان ١٣٧٦ هـ (٤ نيسان ١٩٥٧ م).

ولم يطل عمر هذا الحزب حيث وُجّهت انتقادات واسعة لزعيمه حتى من مُؤسّسيه، وبدأوا يتخلّون عنه، وترك رئيسه الحكم فتفكّك الحزب، وانتهى.

١٣ ـ حزب مردم (حزب الشعب): وقد كلّف الشاه أحد أصدقائه، وهو أسد الله علم، ليؤلف حزباً يأخذ موقف المعارضة، فشكّل حزب الشعب، وكانت الحكومة مسؤولة عن نفقاته، وقد أصدر الحزب صحيفةً تحمل اسم «طريق الشعب» (راه مردم)، ومجلةً أسبوعيةً تحمل اسم «مهر

إيران» (شمس إيران). ونشأ الحزب مع سابقه في وقتٍ واحدٍ، وانتهى بعد باندماجه في حزب بعث الأمة الإيرانية (رستا خيز ملت إيران) عام ١٣٩٥ هـ. ونادى هذا الحزب بالإصلاح الزراعي، وتحديد الملكية كنوعٍ من أنواع التضليل.

١٤ ــ حزب إيران نوين (حزب إيران الحديثة): وتأسس عام ١٣٨٤ هـ، وهدفه حماية ما أطلق عليه الشاه اسم الثورة البيضاء، وكان أمينه العام حسن علي منصور، الذي عُهد إليه باستلام السلطة، وقد اغتيل على باب المجلس النيابي، حيث عُدّ المسؤول عن منح الضباط الأمريكيين والمستشارين الحصانة القانونية، وعُهد بالحكم من بعده لوزير ماليته أمير عبّاس هويدا، والذي حكم البلاد أكثر من اثنتي عشرة سنةً ونصف.

١٥ ــ حزب بان ـ إيرانيست: ونشأ بعد الحرب العالمية الثانية تحت اسم (معركة إيران)، وضمّ العناصر المعادية للإنكليز والتي زاد عددها بعد احتلال الحلفاء لإيران، وأصبحت تميل للألمان نتيجة عدائها للروس والإنكليز الذين احتلّوا البلاد. وبرزت فكرة الصلة بين العرقين الآري والجرماني. لم يلبث أن وقع الخلاف بين قادة الحزب حول شخصية الشاه، والجيش فاتجهوا فريقين:

أ ــ فريق بزعامة محسن پزشكپور، وأعلن إخلاصه غير المشروط للشاه، بل تعاون مع المخابرات الخاصة. وأسّس حزب بان إيرانيست، وهو ذو نزعة عنصرية استبدادية. وقد انضمّ عام ١٣٩٥ هـ إلى حزب بعث الأمة الإيرانية (رستا خيز ملّت إيران)، فلما بدأ الانشقاق في هذا الحزب أعلن محسن پزشكپور إعادة تشكيل حزبه بان ـ إيرانيست من جديد. ويعدّ هذا الحزب مُعادياً للعرب، ويعتبر البحرين جزءاً من إيران، ويدعو إلى التوسّع.

ب ــ فريق بزعامة داريوش فروهر الذي اتخذ موقفاً شبه معارض للقصر، وأيّد محمد مصدق. وأسّس حزب الأمة الإيرانية.

١٦ ـ حزب إيرانيان (الإيرانيين): انفصل فضل الله صدر عن حزب بان إيرانيست، وشكل حزباً خاصاً به أطلق عليه حزب إيرانيان، ولا يختلف في أفكاره عن أصله، ثم انضمّ إلى حزب بعث الأمة الإيرانية (رستا خيز ملّت إيران) عام ١٣٩٥ هـ، فلما أخذ بالانشقاق، رجع حزب إيرانيان من جديدٍ يقوم بنشاطه في ظل حكومة الثورة.

١٧ ـ حزب رستا خيز ملّت إيران (حزب بعث الأمة الإيرانية): أنشأه الشاه في ١٩ صفر ١٣٩٥ هـ (٢ آذار عام ١٩٧٥ م)، وأعلن أنه سيكون حزب إيران الوحيد، لذا فقد أعلنت الأحزاب التي تُؤيد الشاه انضمامها إلى هذا الحزب بعد أن أعلنت حلّها، وضمّت أموالها وممتلكاتها إلى مالية الحزب، وهذه الأحزاب هي: حزب مردم (الشعب)، وحزب إيران نوين (إيران الحديثة)، وحزب بان إيرانيست، وحزب إيرانيان (الإيرانيين)، وتعهدت الدولة أن تخصص جزءاً من ميزانيتها للحزب كي يستطيع النمو والانتشار بين أفراد الشعب. أما الأحزاب التي رفضت الاندماج في هذا الحزب فقد مُنعت من ممارسة نشاطها.

وكلّف الشاه رئيس الوزراء أمير عباس هويدا ليتولّى منصب الأمين العام لهذا الحزب. ولكن أخذ الحزب بالتفكك مع بداية الأحداث، ورجع كل حزبٍ ليشكل نفسه من جديدٍ وليقوم بنشاطه الخاص، واستمرّ ذلك بعد قيام الثورة.

١٨ ـ الأحزاب في منطقة عربستان (الأهواز): وقامت أحزاب محلية أهدافها حلّ مُشكلة إقليمٍ من الأقاليم أو انفصالها عن الامبراطورية والتحاقها بالشعب الذي تنتمي إليه، أو استقلالها، ولعل إقليم عربستان (الأهواز) كان أهم الأقاليم التي تعدّدت فيه تلك الأحزاب المحلية، وكانت تعمل على الانفصال عن إيران والالتحاق بالمنطقة العربية التي تجاور إيران على أساس أن سكان إقليم عربستان أكثرهم من العرب.

ولكن تعدد هذه الأحزاب، وعدم شمولية الحزب الواحد للإقليم كله، واقتصارها على مدينةٍ واحدةٍ، الأمر الذي جعل الأثـر محدوداً، والضعف عاماً، فلا تلبث أن تنتهي تلقائيـاً أو تتمكن السلطة الإيرانيـة من القضاء عليها، ثم تبرز بعد مدةٍ من جديدٍ، ولكن لا تلبث أن تزول وهكذا، ولعلّ أشهر هذه الأحزاب:

أ ـ حزب السعادة الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، وتعاونت السلطة الإيرانية مع القوات الإنكليزية للقضاء عليه، وقامت الفتنة بين هذا الحزب، وفرع حزب توده في مدينة عبادان حتى قضي عليه.

ب ـ جمعية الدفاع عن عربستان، وأعطى المؤسسون أنفسهم أسماء حركية حملت أسماء الصحابة والقادة في صدر الإسلام.

ج ـ جبهة تحرير عربستـان: وظهرت بعـد سقوط محمـد مصدق، واستمرّت أكثر من سبع سنوات، وكان لها جناح مدني، وآخر عسكري، وأخيراً تسللّت المخابرات الإيرانية بين صفوفها، وعرفت أسرارها، وكشفت اجتماعات القادة في عبادان، فألقت القبض عليهم في ٩ رجب ١٣٨٣ هـ (٢٥ تشـرين الثاني ١٩٦٣ م)، وقُـدِّموا إلى المحكمـة بتـاريـخ ٣ صفـر ١٣٨٤ هـ (١٣ حزيران ١٩٦٤ م) وحُكم على بعضهم بالإعدام.

د ـ الجبهة الوطنية لتحرير عربستان، وتُعدّ امتداداً للجبهة السابقة، وكان التنظيم في مدينة المحمرة، واغتيل قائد الجبهة بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٨٨ هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٦٩ م).

هـ ـ الجبهـة القوميـة لتحريـر عربستـان: وبدأ التنـظيم في منطقـة الخفاجية عام ١٣٨٠ هـ، ثم وصل إلى مدن عبادان، والمحمرة، والأهواز، وطلبت الدعم من العراق، فلم تحصـل عليه، فـأُصيب قادتهـا بالهـزيمة النفسية، وغيّروا اسم جبهتهم إلى الجيش الشعبي العربستاني.

و ـ الجبهة القومية لتحرير عربستان: ونشأت ١٣٨٧ هـ بعد اختفاء

سابقتها، وحملت اسمها، وقامت في منطة المحمرة، ولكنها بدّلت اسمها بعد عامين إلى جبهة تحرير الأهواز.

ز ـ الحركة الثورية لتحرير عربستان: بدأت عام ١٣٨٨ هـ، وأصدرت نشرة تحمل اسم «أصداء الثورة» ولكن لم يطل عمرها.

ح ـ الجبهة الشعبية لتحرير الأهواز: ونشأت عام ١٣٨٨ هـ، وعدّت العمل المسلح هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق أهدافها، وأصدرت صحيفةً لها، تحمل اسم «الأهواز» وقامت بعددٍ من العمليات التخريبية، ومنها ضرب مراكز النفط، وإحراق ميناء المحمرة، ونسف محطة البثّ التلفزيوني، ومراكز الشرطة، والإغارة على المراكز العسكرية التابعة للسلطة الإيرانية. وأخيراً انتهت عام ١٣٩٥ هـ.

وفي المرحلة الأخيرة من حكم الشاه محمد رضا بهلوي، وخاصةً بعد تأزّم الوضع، وضعف الحكم زادت الأحزاب زيادةً واضحةً، وهذا يدلّ على وجود النزعة الفردية لدى القادة، ووجود أهداف غير ظاهرة تختفي تحت أسماء أحزاب وجمعيات تبدو ضعيفة، وربما هدفها معارضة الحكم والعمل على زيادة إرباكه.

بعد تفكّك حزب رستا خيز ملت إيران (بعث الأمة الإيرانية) عادت الأحزاب التي تألف منها إلى الظهور وهي:

١ ـ حزب الشعب (مردم).
٢ ـ حزب الإيرانيين (إيرانيان).
٣ ـ حزب إيران الحديثة (إيران نوين).
٤ ـ حزب بان إيرانيست.

وانقلبت لجنتان أسسهما الحزب إلى حزبين وهي:

٥ ـ الحزب القومي الإيراني (ناسيوناليست إيران) برئاسة علاء الدين زرين بور، ونشأ هذا الحزب من لجنة البحث في المشكلات الداخلية والقومية (كروه بروسي مسائل داخلي وملي).

٦ ـ حزب الوطني الإيراني: ونشأ من لجنة البحث في المشكلات الإيرانية برئاسة وزير التعليم العالي هوشنك نهاوندي، ووزير التربية والتعليم فروغي، ووزير العمل والشؤون الاجتماعية كاظم وديعي.

ووجد كذلك من الأحزاب والجمعيات الآتية:

٧ ـ الجبهة الوطنية (جبهت ملي) برئاسة كريم سنجابي.

٨ ـ النهضة الوطنية (نهضت ملي) برئاسة رحمه الله مقدم مراغة آي.

٩ ـ حركة التحرير (نهضت أزادي) برئاسة مهدي بازركان.

١٠ ـ كادحو الأمة الإيرانية (زحمتكشان ملّت إيران) برئاسة مظفر بقائي كرماني.

١١ ـ مجتمع المعلمين (جامعت معلمين) برئاسة محمد درخيش.

١٢ ـ الحزب الليبرالي الإسلامي (ليبرال إسلاميك) برئاسة سيف الدين نبوي.

١٣ ـ الحزب الاشتراكي الديمقراطي (سوسيال دموكرات) بزعامة أحمد بني أحمد.

١٤ ـ الحركة (جنبش) برئاسة علي أصغر حاج سيدي جوادي.

١٥ ـ المسلم الحر (مسلم أزاد) برئاسة مصطفى رهنما روحاني.

١٦ ـ الحزب الديمقراطي الإيراني (دموكرات إيران) برئاسة علامير دللور.

١٧ ـ الحزب الاشتراكي الآري (سوسياليست آريا) برئاسة هادي سپهر.

١٨ ـ جمعية حراس الدستور (جمعيت باسدران قانون أساسي) برئاسة سيد مهدي بيراسته.

١٩ ـ اللجنة الإيرانية للدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان وتطبيقها في إيران حسن نزيه.

٢٠ ـ جمعية المحامين الإيرانيين برئاسة حسن نزيه أيضاً.

٢١ ـ جمعية الحقوقيين الإيرانيين، والأمين العام لها عبدالكريم لاهجي.

٢٢ ـ جمعية الدفاع عن حقوق السجناء السياسيين.

ولا شك أن كثرة الأحزاب والجمعيات سيزيد من الآراء، والأفكار،

ووجهات النظر، وسيساعد على صعوبة التفاهم، وبالتالي عموم الفوضى.

ونستطيع أن نلخص الصراع الحزبي أيام الشاه محمد رضا بهلوي، بما يأتي:

أ ـ بدأ النشاط الحزبي بعد الحرب العالمية الثانية بظهور حزب توده والأفكار الاشتراكية، وكانت تجد دعماً من دولة روسيا والشيوعية العالمية، وتعمل لنشر أفكارها، وضدّ الدول الغربية لمصلحة الروس، وضدّ السلطة الحاكمة لارتباطها بالغرب، وتستغل الفقر، والجهل، واستبداد الحكم، وترف وتبذير الشاه.

ب ـ ظهور الجبهة الوطنية برئاسة محمد مُصدّق، والصراع من أجل تأميم النفط، والتدخل الأجنبي، والاستبداد، وتصرّف الأسرة المتسلطة.

ج ـ ظهور أحزاب مُؤيدة للشاه، تعمل بتوجيهه، ونفقاتها من الحكومة، واختفاء الأحزاب المعارضة. فكان الصراع تحت الرماد.

د ـ كثرة الأحزاب واختلاط الأمر في المعارضة والتأييد.

أيام الثورة:

أخذت تظهر الأحزاب الإسلامية مع بقاء عددٍ من الأحزاب التي كانت قائمةً قبل الثورة على اختلاف اتجاهاتها سواء أكانت وطنيةً حسب ما اصطلح تسميتها أم اشتراكيةً ورأسماليةً، وإن كانت كلها تخالف الاتجاه الإسلامي وتأخذ بمفهوم العلمانية.

ومن الغريب الإبقاء على نشاط هذه الأحزاب مع العلم أنه لا توجد أحزاب وتجمّعات في ظل الدولة الإسلامية، لأن الأمة تكون كلها ذات أهدافٍ واحدةٍ، وتنطلق كلها وراء تحقيق تلك الأهداف، والدولة هي التي تُهيء المُناخ المُلائم، وتقود الرعية لتسعى وراء أهدافها، وتحول دون تشتيت الآراء، وتفتيت القوى، وبعثرة الجهود، وبلبلة الأفكار، وإثارة قضايا

ومنازعات. أما عندما لا توجد دولة تحكم بالإسلام فلا بدّ من تنظيم المسلمين لأنفسهم حتى يقيموا تلك الدولة.

ولسنا ندري فيما إذا كان القصد من وراء الإبقاء على تلك الأحزاب هو إظهار عُوار أفكارها ومبادئها بعد تطبيق الإسلام أم تركها لتذوب تلقائياً بعد أن فقدت فائدة وجودها بتحقيق ما كانت تتشدّق به، أم هو المحافظة على فكرة الحرية التي يتسابق الناس لإظهارها والمطالبة بها، فيكون رغبةً في إسكات المتاجرة، أم هو الخطأ السياسي لعدم الوضوح في الرؤية، أم هي هذه الأمور مجتمعة كلها لست أدري!!! وربما كانت السلطة تدفع بعض مؤيديها لتشكيل أحزاب ومنظمات تظهر المعارضة لتشجع الآخرين المخالفين فعلاً وحقيقةً لتأسيس الأحزاب فتصيدهم السلطة ولا يمكن أن تصيدهم بغير هذا التصرّف ـ والله أعلم ـ.

١ ـ **حزب الجمهورية الإسلامية** (جمهوري إسلامي): ويعدّ حزب السلطة الحاكمة، وقد أُسس بتوجيهٍ من الخميني، وأُعلن عن إنشائه في **٢١** ربيع الأول **١٣٩٩** هـ (**١٨** شباط **١٩٧٩** م)، وذلك بعد سقوط قصر نافران الملكي بأسبوعٍ واحدٍ، ووقّع البيان الأول له كل من:

١ ـ محمد جواد باهنر. ٢ ـ سيد محمد بهشتي.
٣ ـ سيد علي خامنئي. ٤ ـ سيد عبدالكريم موسوي.
٥ ـ أكبر هاشم رفسنجاني.

واحتوى حزب (فدائيان إسلام).

٢ ـ **حزب جمهورية مسلمي إيران الإسلامية** (جمهوري إسلامي خلق مسلمان إيران). وأُعلن عن إنشائه في **٢٧** ربيع الأول **١٣٩٩** هـ (**٢٤** شباط **١٩٧٩** م) أي بعد ستة أيامٍ من تشكيل حزب الخميني. وأصدر صحيفة «خلق مسلمان» أي الشعب المسلم. ووقعت صدامات بينه وبين حزب السلطة، وأعنفها ما وقع بتاريخ **٢١** محرم **١٤٠٠** هـ (**١٠** كانون الأول **١٩٧٩** م) حيث قتل اثنا عشر رجلاً، وجرح أكثر من مائة، واعتقل أكثر من

عشرين من ضباط القوة الجوية، وأعدم أربعة منهم رمياً بالرصاص بتهمة تزويد حزب جمهورية مسلمي إيران بالأسلحة.

ويدين هذا الحزب بالولاء لآية الله كاظم شريعتمداري الذي خضع لضغطٍ فوجّه نقداً بالإذاعة لتصرّفات حزبه.

٣ ـ **حركة المعلمين المسلمين** (جنبش معلمين مسلمان): وتأسست في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٢٠ نيسان عام ١٩٧٩ م)، وترى تعديل مناهج التعليم على أساس إيماني، وتصفية العناصر غير الصالحة من المعلمين.

٤ ـ **منظمة المعلمين المسلمين** (سازمان معلمان مسلمان): وأنشئت في ٤ جمادى الأول ١٣٩٩ هـ (١ نيسان عام ١٩٧٩ م).

٥ ـ **منظمة الموحدين** (سازمان موحدين): وهي منظمة سرية عسكرية، مستقلة أو تتبع أحد الأحزاب، وقامت ببعض حوادث الاغتيالات، ثم تمكّنت منها الحكومة، وقضت عليها.

٦ ـ **حزب الاتحاد من أجل الحرية** (اتحاد براي أزادي): ونشأ في ١٨ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (١٥ نيسان ١٩٧٩ م) برئاسة أحمد بني أحمد الذي يُعدّ الأمين العام للحزب. وكان بالأصل جمعيةً تحمل الاسم نفسه، وجدت كتجمعٍ سياسيٍ في مجلس النواب عندما أخذ حزب بعث الأمة الإيرانية يتفكّك، ووقف كتجمّعٍ مُعارضٍ لحكومات شريف إمامي، وغلام أزهري. وأصدر هذا الحزب صحيفةً أسبوعيةً تحمل اسم «العصر الجديد» (عصر نوين).

٧ ـ **حزب جمهورية اتحاد شعوب إيران** (جمهوري فدارتيو خلقهاي إيران): وأعلن عن قيامه في ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ (١٩ آذار ١٩٧٩ م)، ويرى إقامة جمهوريةٍ اتحاديةٍ، وتحديد الملكية، وتأميم المصارف.

٨ ـ **الحزب القومي الديمقراطي الإيراني (ناسيونال دموكرات إيران)**: وأعلن عن قيامه في ١٢ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (١١ آذار ١٩٧٩ م)، ويرى الفكر القومي أساساً للمنطلق الإيراني، وتوزيع الثروة واحترام الأقليات، وضرورة وجود جيشٍ شعبيٍ.

٩ ـ **جماعة بشارة السياسية** (كروه سياسي بشارت): وبرزت في ٥ شعبان ١٣٩٩ هـ (٣٠ حزيران عام ١٩٧٩ م)، وظهر من أعضائها محيي الدين نبوي، ومنوچهر فرهنك، وتُنادي بمقاومة الإلحاد والفساد.

١٠ ـ **حزب الرسالة الإنسانية لشعب إيران** (رسالت إنساني مردم إيران)، واختصاراً (راما)، وهو الاسم الذي اشتهر به، ونشأ في ٢٥ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٢٢ شباط ١٩٧٩ م).

١١ ـ **حزب الوطنيين الإيراني (ميهن دوستان إيراني)**:

١٢ ـ **الحزب الديمقراطي الوطني** (دموكرات ملي): ونشأ في الثاني من ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٢٨ شباط عام ١٩٧٩ م).

١٣ ـ **حزب الجمهوريين** (جمهور يخواه): وأسّسه عبدالحسين بقائي كرماني، وأصدر صحيفة تحمل اسمه.

١٤ ـ **منظمة متطوعي إيران القومية** (سازمان چريك هاي ناسيوناليست إيران): وأعلنت المنظمة عن قيامها بتاريخ ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ (١٢ حزيران ١٩٧٩ م).

١٥ ـ **المنظمة الثورية** (سازمان انقلابي): وتنادي بانسحاب إيران من حلف شمالي الأطلسي، وإلغاء المعاهدات المعقودة بين إيران وبين الدول الكبرى الغربية وروسيا، كما ترى تأميم المصارف.

١٦ ـ **الجمعية الوطنية للثورة الإيرانية** (جمعيت ملي انقلاب إيران).

١٧ ـ **حزب العمال الاشتراكي** (كاركران سوسياليست): وكان أمينه العام

الأول هرمز رحيميان، ثم انتخب مكانه بابك زهرائي، وممن برز من رجاله جواد صديق، وهوشنك سپهري، وعرف من نسائه پروين نجفي.

١٨ ـ **الحزب الشيوعي الإيراني**: (كمونيست إيران): ونشأ في مطلع ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٧٩ م).

١٩ ـ **حزب الأحرار** (حزب أزادكان): وأعلن عن قيامه في ١٤ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (١١ آذار ١٩٧٩ م).

٢٠ ـ **حزب المساواة الإسلامي**: (حزب مساوات إسلامي) برئاسة أحمد مفتي زاده، وهو من الأكراد. ويدعو إلى المساواة بين السنة والشيعة في الحقوق. وإعطاء حق تقرير المصير لكردستان، وتقسيم دخل النفط على الأقاليم حسب عدد السكان.

٢١ ـ **الحزب الديمقراطي الكردستاني** (دموكرات كردستان)، وهو خاص بالمنطقة الكردية، ويتزعمه عبدالرحمن قاسملو الذي يتوّلى منصب الأمين العام، وللحزب جناح عسكري يقوده مسعود بن الملا مصطفى البارزاني، ومع أن الحزب قائم منذ السنوات الأولى التي تلت الحرب العالمية الثانية، إلا أنه برز بعد الثورة وأعلن (صارم الدين صادق وزيري) في طهران في يوم الخميس ١١ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٨ آذار ١٩٧٩ م) مبادىء الحزب التي تتلخص في:

أ ـ إقامة جمهوريةٍ ديمقراطيةٍ في إيران.

ب ـ إعطاء حق تقرير المصير للشعب الكردي في كردستان، وللشعوب الإيرانية الأخرى.

ج ـ وجوب مشاركة نواب عن الشعوب الإيرانية في الجمعية التأسيسية التي ستضع الدستور الجديد.

وجرى قتال بين قوات الحكومة وقوات الحزب التي تُسمّى (تيشه ماركة)، وأعلن الخميني في شهر شوال من عام ١٣٩٩ هـ حلّ هذا الحزب.

٢٢ ـ المنظمة السياسية للشعب العربي المسلم: (سازمان سياسي خلق عرب مسلمان): وتتداخل آراء هذه المنظمة بين العروبة والإسلام والإيرانية والمطالبة بالحكم الذاتي لعربستان.

٢٣ ـ منظمة مجاهدي الشعب العربي (سازمان مجاهدي خلق عرب) ومقرها في المحمرة، وهي منظمة عسكرية، تسعى لتحرير عربستان من النفوذ الفارسي، وتعمل بسريةٍ تامةٍ، والمعروف منها: شاكر شكوري.

٢٤ ـ المنظمة السياسية للشعب العربي الخوزستاني (سازمان سياسي خلق عرب خوزستان): وكانت قائمةً قبل الثورة، ومغضوباً عليها، ثم أعلنت عن نفسها بعد الثورة.

٢٥ ـ الجبهة العربية لتحرير الأهواز: ومن أعضائها البارزين فاخر مجيد الزرقاني نائب الأمين العام، ومحمود حسين مشاري أمين السر، وعقد قادتها مؤتمراً صحفياً في ٧ ذي الحجة عام ١٤٠١ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٨١ م) أبانوا فيه آراءهم، وأنهم يتبنّون فكرة القومية العربية، والكفاح المسلح، والتعاون بين الشعوب الإيرانية، والسعي لدى البلدان العربية لتدريس إقليم الأهواز.

٢٦ ـ مجتمع البختياريين (جامعت بختياريها): وقد شارك في أحداث مقدمة الثورة، ويهدف إلى الدفاع عن حقوق البختياريين.

هذه الأحزاب والتجمّعات السياسية التي برزت بعد نجاح الثورة على حين كانت أخرى قبل نجاح الثورة، واستمرت بعدها تُمارس نشاطها، ومنها:

٢٧ ـ جمعية معلمي إيران (جامعت معلمان إيران)، وقد ظهرت مع نهاية الحرب العالمية الثانية برئاسة محمد درخشش، وقد أصدرت صحيفة (مهركان) السياسية والثقافية، ومجلةٍ أخرى تحمل الاسم نفسه غير أنها طلابية، وأنشأت نادياً يحمل الاسم نفسه أيضاً، وأيّدت حكومة محمد

مصدّق. وقامت بإضراب أجبرت حكومة جعفر شريف إمامي على الاستقالة، وعيّنت الحكومة الجديدة رئيس الجمعية محمد درخشش في منصب وزير التربية والتعليم.

وشاركت الجمعية بالإطاحة بنظام الشاه، وبعد نجاح الثورة عُطّلت صحيفة الجمعية، وأُغلق ناديها، وتقوم الآن بدور المعارضة للنظام القائم.

٢٨ ـ منظمة مجاهدي الشعب الإيراني (سازمان مجاهدي خلق إيران): وتأسست عام ١٣٨٥ هـ برئاسة مسعود رجوي، وهي منظمة عسكرية سرية، وكانت تعدّ محمود الطالقاني زعيمها السياسي والديني، وبعد نجاح الثورة دعت أعضاءها للتدريب على استعمال السلاح، وأصدرت صحيفة باسم «رسالة الشعب» وأنشأت لها فروعاً منها: منظمة الشباب المجاهد (سازمان جوانان مجاهد)، ومنها الجناح السياسي الذي يعرف بالحركة الوطنية لمجاهدي شعب إيران (جنبش ملي مجاهدي خلق إيران)، وقد أعلن عن قيام تضامن بين منظمة مجاهدي خلق والحركة الثورية لشعب إيران المسلم (جاما)، وإعلان التضامن أيضاً بين مجاهدي خلق والجبهة الديمقراطية الوطنية الإيرانية (جبهت دموكراتيك ملي إيران).

وتأخذ هذه المنظمة موقف المعارضة، وقد أُلقي القبض على أحد زعمائها وهو محمد رضا سعادتي وفر رئيس المنظمة مسعود رجوي إلى فرنسا مع (أبو الحسن بني صدر) يوم ١٢ شعبان ١٤٠١ هـ (١٤ حزيران عام ١٩٨١ م)، وعدّ نفسه رئيس حكومة في المنفى، كما عدّ (أبو الحسن بني صدر) رئيس الدولة الموقت. وتعد حكومة المنفى الأكراد بالاستقلال الذاتي، وكذا بقية الأقليات، والقيام بالإصلاح الزراعي، وتصفية النظام القائم.

٢٩ ـ جماعة إيران المعاصرة السياسية (كروه سياسي إيران أمروز): برئاسة سعيد فاطمي، ومن أعضائه البارزين جواد صادقي الضابط الذي دافع عن

منزل محمد مصدق حتى اللحظة الأخيرة، وعلي زندي، وعلي زرين، وعلي رضا شهبازي، ومحمد روحي.

ومع هذه الجماعة يوجد «التجمع السياسي للشرق المعاصر» (كروه سياسي باختر أمروز) الذي يرأسه أيضاً سعيد فاطمي.

٣٠ ــ **حركة المقاومة الوطنية الإيرانية**: (نهضت مقاومت ملي إيران): ويُمثلها شابور بختيار الذي كان رئيس الحكومة الأخيرة للشاه، والتي سقطت بنجاح الثورة، وفر شابور بختيار إلى فرنسا، وأخذ في معارضة الحكم القائم في إيران.

٣١ ــ **منظمة المتطوعين الفدائية الشعبية الإيرانية** (سازمان چريكهاي فدائي خلق إيران): ساهمت في القضاء على نظام الشاه، ويبدو أنها تعمل بسريةٍ تامةٍ، وقادتها غير معروفين، وهناك تعاون بينها وبين حزب توده، بل انشقّ منها فريق، سمّى نفسه «المتطوعون المنشقون» (چريكهاي منشعب) وانضمّ إلى حزب توده. ولهاجناح عمالي يصدر صحيفة تُسمّى «العمل» (كار).

٣٢ ــ **جماعة الوطنيين** (كروه ميهن پرستان): وكانت تعمل على تطبيق الدستور، وهذا ما ألزمها للوقوف بجانب نظام الشاه، مما أدّى إلى افتراق أعضائها.

٣٣ ــ **منظمة الأحرار** (سازمان أزادكان) بزعامة الجنرال بهرام آريانا رئيس أركان الجيش الإيراني في عهد الشاه، وتعمل ضد نظام الحكم الجمهوري القائم، وانضمت أخيراً إلى حركة المقاومة الوطنية التي يتزعمها شابور بختيار.

٣٤ ــ **الحركة الثورية الديمقراطية لتحرير عربستان (جنبش انقلابي دموكراتيك براي آزادي عربستان)**: ونشأت عام ١٣٩٣ هـ، وتُصدر مجلة في ليبيا تُسمّى «قارون»، وتجعل مساحة عربستان مائتين وخمسين ألف كيلو متر مربع، حيث تمتد لتشمل سواحل الخليج العربي.

٣٥ ـ الحركة الوطنية لمجاهدي قزوين (جنبش ملي مجاهدي قزوين).

كما لا تزال تنظيمات وأحزاب كانت تعمل من قديم مثل:

٣٦ ـ حزب توده:

٣٧ ـ الاتحاد الثوري الأرمني (حزب داشناكسوتيون):

٣٨ ـ جميعة الزرادشتيين في إيران (كميته) زرتشتيان إيران): وتصدر صحيفة باسم «علم الحرية».

٣٩ ـ جمعية المثقفين اليهودية الإيرانية (جامعت روشنفكران يهودي إيران): وقد أعلنت تأييدها للجمهورية، وتدّعي أنها تناضل ضدّ الصهيونية. وتُطالب بإيجاد منظمات للمجتمع اليهودي في إيران.

وهناك جمعيات يبدو عليها الطابع المهني أو الاجتماعي غير أنها في الواقع ذات أهدافٍ سياسيةٍ ومنها:

٤٠ ـ الجمعية الثقافية للشعب العربي المسلم في إيران.

٤١ ـ جمعية معلمي الأهواز المستقلة.

٤٢ ـ مؤتمر الطلاب المسلمين بجامعة طهران.

٤٣ ـ المنتدى الإسلامي للثقافة والفن.

٤٤ ـ الجمعية الإيرانية للتعاون مع فلسطين.

٤٥ ـ جمعية تحرير المرأة.

وتصل أعداد هذه الأحزاب والتجمعات السياسية إلى أكثر من خمسين منظمةٍ وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على كثرة انتشار النزعة الفردية في المجتمع، وعلى تباين الآراء، والذي يُؤدّي بدوره إلى زيادة الاختلاف والبلبلة في الأفكار، وبالتالي الفوضى، وبعثرة الصفوف، وإيجاد منافذ وقنوات يمكن اختراقها والتسلّل عبرها إلى الداخل والعبث والتهديم.

المَرَاجِع

١ ـ الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران، محمد وصفي أبـو مغلي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

٢ ـ إيران في سنوات الحرب العالمية الثانية، عبد الهادي كريم سلمان، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨٦.

٣ ـ التاج الإيراني، أسيمة جانو، مكتبة مدبولي.

٤ ـ الثورة البائسة، موسى الموسوي.

٥ ـ حكم الشيخ خزعل واحتلال إمارة عربستـان، وليم تيودور سترنك، ترجمة عبدالجبار ناجي، منشورات مـركز دراسـات الخليج، جـامعة البصرة ١٩٨٣ م.

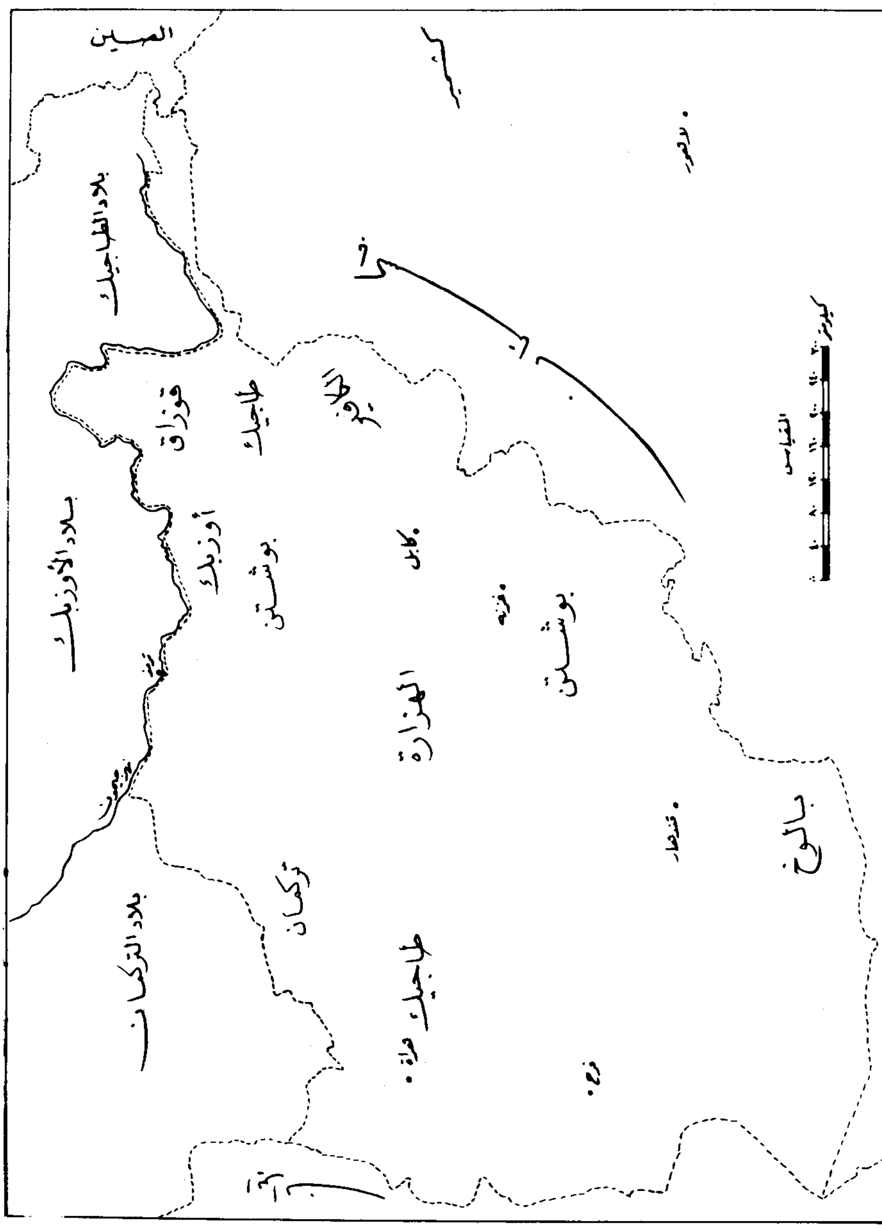
٦ ـ دراسات في تاريخ إيران، كمال مظهر أحمد، بغداد ـ ١٩٨٥ م.

٧ ـ دليـل الشخصيات الإيـرانية المعـاصـرة، محمـد وصفي أبـو مغلي، منشورات مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة ١٩٨٣ م.

٨ ـ ماذا يجري لأهل السنة في إيران؟ سلسلة منشورات مجلس علمـاء باكستان. ١٤٠٦ هـ.

البَاب الثَاني

أفغانِسْتَان


الصين
بلاد الطاجيك
بلاد الأوزبك
بلاد التركمان
طاجيك
أوزبك
كابل
غزنة
الهزارة
تركمان
هراة
قندهار
القياس
كيلومتر

لمحة عن الأفغان قبل إلغاء الخلافة

لم تكن بلاد الأفغان بمفهومها الآن قائمةً كإقليمٍ خاصٍ قبل نهاية القرن الثالث عشر الهجري، وإنما كانت أجزاء منها ما تخضع للفرس، وأخرى للهند، وإذا ما قوي طرف طغى وامتد سلطانه على أقسامٍ أُخرى، وإذا ما ضعف تراجع وانسحب مما توسّع فيه بل وربما مما كان يستولي عليه من قبل، وقد يكون أكثر من ذلك، من أجزاء نعدّها اليوم من بلاده، وكانت تدخل أحياناً قبائل الأوزبك على أراض مما نعرفه اليوم من بلاد الأفغان.

خضعت بلاد الأفغان لحكم التيموريين في نهاية القرن الثامن الهجري، فلما انقسمت دولتهم، وضعف أمرها بعد وفاة مؤسّسها انقسمت إلى إمارات فكانت (هراة) تتبع خراسان التي يسيطر عليها حسين ببغرا التيموري، على حين تمكّن محمد بابر شاه ظهير الدين أن يُخضع (كابل) و (غزنة) إلى سلطانه، وبقي في (كابل) حتى عام ٩٣٢ هـ، ثم انتقل إلى الهند عندما استدعاه أمراء اللوديين الذين اختلفوا مع ملكهم، وبقيت كابل، وغزنة تتبعانه، وتوفي عام ٩٣٧ هـ.

خلفه ابنه نصر الدين همايون شاه، فتمّرد عليه (شيرشاه) وهزمه، وفرّ همايون شاه إلى دولة الصفويين حيث أقام ضيفاً على الشاه طهماسب حتى عام ٩٤٧ هـ، ثم عاد إلى الهند، ودخل كابل وقُنْدُهار عام ٩٥٢ هـ.

استولى الصفويون على قُنْدُهار، وخلفهم عليها الأوزبك، فالمغول في الهند عام ١٠٢١ هـ، وهم الذين سلّموها إلى الصفويين عام

١٠٣٨ هـ، وقد شمل سلطانهم بعد ذلك أكثر الأجزاء التي تُعرف اليوم باسم أفغانستان.

قُنْدُهــار:

قام مير أويس عام ١١٢٠ هـ في قندهار ضد الحاكم الجورجي الذي عيّنه عليها الصفويون، وانتصر عليه، وطرده من البلاد، وتسلّم السلطة، وتوفي مير أويس عام ١١٢٧ هـ، وأصبحت قُنْدُهار إمارةً خاصةً، حكمها محمود بن مير أويس، وكان صغيراً، فخرج عليه عمه عبدالله مستعيناً بالفرس، وعندما شبّ محمود تمرّد على عمّه وقتله، وأخذ الحكم.

هــراة:

إن ما حدث في قندهار قد شجّع قبائل الدورانية (العبدلية) في هراة على التحرّك، فقام أسد الله ضدّ الفرس متفاهماً مع الأوزبك، وأسّس أسرةً حاكمةً في هراة متفاهمةً مع إمارة قندهار، وكلاهما ضدّ الفرس.

انتصر مير محمود على الصفويين، ودخل عاصمتهم أصفهان عام ١١٣٥ هـ، ولم تبق للصفويين سوى رقعةٍ صغيرةٍ من الأرض في الشمال فاستنجدوا بالروس فأمدوهم، فتراجع مير محمود، وهدّد العثمانيون الروس، ثم اتفقوا معهم على اقتسام الدولة الفارسية. وضعف مير محمود عقلياً فأقام الأفغان ابن عمّه أشرف بن عبدالعزيز الذي حارب العثمانيين لأنهم اتفقوا مع النصارى الروس ضدّ المسلمين. وأخيراً قامت حركات تمرّد ضدّ أشرف في كثيرٍ من الجهات.

قام نادرخان يدعم الصفويين، وانتصر على الأفغان، وطردهم من (مشهد) و (هراة)، ثم دخل أصفهان، وخرج منها أشرف بن عبدالعزيز أمير الأفغان، واتجه نحو (قُنْدُهار) ولكنه قُتل في الطريق عام ١١٤٢ هـ، وتابع نادرخان زحفه فدخل قُنْدُهار، ثم احتلّ (غزنة) و (كابل) وأخذهما من ملوك

الهند، وفي الوقت نفسه تسلّم جيشه مدينة (بلْخ)، وهكذا أصبحت بلاد الأفغان تحت حكم نادرخان.

قُتل نادرخان عام ١١٦٠ هـ، في بلاد (شروان)، وعندما رجعت الفرقة الأفغانية التي كانت معه إلى بلادها، واستقرّت في (قندهار)، ونادت بقائدها أحمد شاه العبدلي، وهو من الأسرة الدورانية، وعُرفت إمارته باسم الدولة الأفغانية.

الأسرة الدورانية:

توسّع أحمد شاه فضمّ إليه (الملتان) و(لاهور) و(كشمير)، وقاتل السيخ، وعاد إلى قاعدة ملكه حيث توفي عام ١١٨٧ هـ، تولّى بعد أحمد شاه ابنه تيمور شاه الذي كان يوم وفاة والده في (هراة)، فنافسه أخوه سليمان في (قندهار)، فتمكّن من احتلال العاصمة (قندهار)، وقتل أخيه، ونقل عاصمته إلى (كابل). دخل السيخ (الملتان) فاستردّها منهم عام ١١٩٦ هـ، وقام أمراء السند بحركات لمدة أربع سنوات، فاستقلوا ذاتياً، وانتصر على أمير بخارى (معصوم) الذي دخل (مرو)، وأخمد حركةً قامت في كشمير، وتوفي عام ١٢٠٧ هـ، بعد أن شجّع الإنكليز السيخ في الهند على حربه، والقاجاريين في فارس على قتاله.

خلف تيمور شاه ابنه زمان شاه الذي حكم حتى عام ١٢١٥ هـ ثم تغلّب عليه أخوه محمود، فوضعه في السجن، وحكم مكانه، ولكن أخاهما الثالث شجاع الملك قد نافس محموداً، وأعلن نفسه ملكاً في (بيشاور) ثم اتجه إلى كابل، وخلع أخاه محموداً، وأخرج أخاه زمان شاه من السجن كفيفاً.

بقيت قُنْدُهار بيد قمران بن محمود ويُؤيده عمّه فتح خان. تصالح الأخوان، ثم عادا فاختلفا. كان شجاع الملك يُقاتل في بلاد الهند، وفتح خان يخطط. وأخيراً هُزم شجاع الملك وفرّ إلى الهند عام ١٢٢٤ هـ ورجع محمود إلى السلطة ثانيةً.

اعتمد محمود على أخيه فتح خـان، واعتمد فتـح خان على أخيـه الرابع دوست محمد الذي برز، واشتهر، وقوي أمره فقاتل أخاه محموداً، وهزمه عام ١٢٣٥ هـ. وكان محمود قد قتل أخاه فتح خان، وقام دوست محمد يثأر لأخيه فتح خان، فدخل كابل، وسمّى نفسه أمير كابل. وأخذ الفرس مدينة (هراة) من قمران بن محمود عـام ١٢٥٨ هـ، وأخذ السيـخ المقاطعات الهندية. وقامت أسرة محمد زائي تنافس الأسرة الدورانية، وهي فرع منها، وتمكّن محمد زائي من السيطرة على الوضع عام ١٢٥٠ هـ.

استنجد شجاع الملك بالإنكليز، فأرسلوا له جيشاً دخل (كابل) عام ١٢٥٥ هـ، ونصّب شجاع الملك حاكماً عليها، وفرّ (دوست محمد) إلى بخارى، وأراد مهاجمة الأفغان، غير أنه فشل في غاراته، وجاء إلى كابل، وسلّم نفسه للإنكليز، فنقلوه إلى البنغال.

انسحب الجيش الإنكليزي من كابل عام ١٢٥٧ هـ، وأثناء انسحابه هاجمه محمد زائي ومعه أكبـر خان بن دوست محمـد وكاد يُبيـده، وقُتل شجاع الملك أثناء القتال بين الطرفين، وكان إلى جانب حلفائه الإنكليز، ومُنيت إنكلترا بخسائر كبيرةٍ، واضطرت أن تُعيد (دوست محمد) إلى بلاد الأفغان، وأن تعترف بحكمه.

عقد (دوست محمد) معاهدة صداقةٍ مع إنكلترا، وصـالح روسيـا، وأعاد إخوته وأبناءه إلى الإمارات، ولكن الخلاف بينهم لم ينتـه. وقامت الثورة في بلاد الهند ضدّ الإنكليز ولم يُساعد أمير الأفغان الإنكليز، وهذا ما أغضبهم، فأخذوا يرّوجون الشائعات ضدّه بأنه يعمل لصالح روسيا، حيث كانت المنافسة قائمةً بين إنكلترا وروسيا، وزحف الجيش الإنكليزي نحو بلاد الأفغان، غير أنه لم يستطع التقدم إذ فشل أمام المقاومة العنيفة التي أبداها الأفغان وهذا ما اضطره أن يتراجع، واضطرت إنكلترا إلى الاعتراف بالحكم الأفغاني، وتوفي دوست محمد عام ١٢٨٠ هـ.

قام بعد دوست محمد ابنه (شير علي)، وعادت إنكلترا إلى التدخل

في شؤون الأفغان، تارةً بحجة ردّ غارات القبائل الأفغانية عن بلاد الهند، وأخرى بحجة الوقوف في وجه النفوذ الروسي الذي ابتلع بلاد المسلمين في وسط آسيا، ويريد التقدّم نحو الجنوب، وتعمل إنكلترا للدفاع عن الهند. ولكثرة التدخّل الإنكليزي في شؤون الأفغان اضطر شير علي للاستعانة بالروس ضدّ إنكلترا، ورحّب بالبعثة الروسية، ورفض قبول الوفد الإنكليزي، فأسرعت إنكلترا، واحتّلت بلاد الأفغان عام ١٢٩٥ هـ، وإن كانت قد خسرت خسائر جسيمةً في هذا الاحتلال، وتوفي شير علي عام ١٢٩٦ هـ، وخلفه ابنه يعقوب الذي اضطر بعد ثلاث سنوات أن يعفي نفسه من الإمارة بعد أن هاجم رجاله الوزير الإنكليزي المقيم في مدينة كابول، وقطّعوه. وكان قد رفض الأفغانيون حكم يعقوب بن شير علي لأن ميوله كانت إلى جانب إنكلترا، وبدأت الحركات تقوم في وجه المحتلين حتى اضطرت إنكلترا للانسحاب من بلاد الأفغان، وعُقدت معاهدة بين الطرفين اعترفت فيها إنكلترا باستقلال بلاد الأفغان، ولكن بقيت السياسة الخارجية الأفغانية بيد إنكلترا.

تسلّم حكم بلاد الأفغان عبدالرحمن بن أفضل بن دوست محمد. وهاجمت روسيا مدينة (هراة) عام ١٣٠٢ هـ، وأسرعت إنكلترا للدفاع عنها حرصاً على مصالحها، وعُقدت معاهدة بين إنكلترا وروسيا عام ١٣٠٥ هـ في بطرسبرغ (لينغراد)، واكتفى الروس فيها بما أخذوه من خراسان. ولكن عادت روسيا مرةً أخرى للتحرش في بلاد الأفغان من جهة الشمال الشرقي، وغدت منطقة (باداخشان) مثاراً للنزاع بين الطرفين، وعُقدت معاهدة أخرى عام ١٣١٣ هـ اعترفت فيها روسيا أن منطقة (باداخشان) جزء من بلاد الأفغان، ورُسمت الحدود بين بلاد الأفغان وبين المناطق الإسلامية التي يُسيطر عليها الروس في وسط آسيا، وكان أيوب ابن عم شير علي قد هرب إلى إيران وجمع رجاله، ودخل قندهار عنوةً فخرج إليه عبدالرحمن وألزمه على الرجوع إلى إيران وبقي فيها حتى مات عام ١٣٠٦ هـ.

وكذلك ثار عليه ابن عمه إسحاق خان الذي كان والياً على المناطق الشمالية، واقترب من كابول فخرج إليه عبدالرحمن وهزمه، ففر إلى سمرقند، وأقام برعاية الروس حتى وفاته.

وتوفي عبدالرحمن عام ١٣١٩ هـ، وخلفه ابنه الكبير حبيب الله خان.

ازداد النفوذ الإنكليزي في عهد حبيب الله خان، وعُقدت معاهدة بين إنكلترا وروسيا عام ١٣٢٥ هـ اعترفت فيها كلا الدولتين باستقلال بلاد الأفغان. وحاول العثمانيون جرّ حبيب الله خان إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى، وإعلان الجهاد ضدّ الإنكليز، ولكنهم فشلوا لإصراره على تأييد الإنكليز، وهذا ما أزعج الأفغانيين فاغتالوا أميرهم عام ١٣٣٨ هـ.

تسلّم السلطة بعد حبيب الله خان ابنه الثالث أمان الله خان، وتسمّى باسم ملك، وحاول التخلّص من النفوذ الإنكليزي، فساءت العلاقات بين الطرفين، وجرى القتال، وتمكّن الأفغان بقيادة محمد نادر شاه من الانتصار على الإنكليز في عددٍ من المعارك المتتابعة، كما استردّ المناطق التي يسيطر عليها الإنكليز، وأجبر إنكلترا على الاعتراف باستقلال بلاد الأفغان التام. وحسّن الملك أمان الله خان صلاته مع كل من: إيران، وتركيا، وروسيا. وانصرف بعدها إلى حياة اللهو والترف، والرحلة الدائمة إلى أوروبا في وقتٍ كانت تئن فيه خزينة الدولة من العجز. ثم أبعد القائد محمد نادر شاه عن البلاد.

الأسرة الدورانية:

١١٦٣ - ١٣٤٨ هـ.

- [١] أحمد شاه ١١٦٣ - ١١٨٧ هـ.
  - [٢] تيمور شاه ١١٨٧ - ١٢٠٧ هـ.
    - [٣] زمان شاه ١٢٠٧ - ١٢١٥ هـ.
    - [٤] محمود
      ١ – ١٢١٥ - ١٢٢٠ هـ.
      ٢ – ١٢٢٤ - ١٢٣٥ هـ.
      - قمران
    - [٦] شجاع الملك ١٢٥٥ - ١٢٥٧ هـ.
    - فتح خان.
    - [٥] دوست محمد
      ١ – ١٢٣٥ - ١٢٥٠ هـ.
      ٢ – ١٢٥٨ - ١٢٨٠ هـ.
      - أفضل
        - عبدالرحمن [٩]١٢٩٩ - ١٣١٩ هـ.
          - [١٠] حبيب الله خان ١٣١٩ - ١٣٣٨ هـ.
            - [١١] أمان الله خان ١٣٣٨ - ١٣٤٨ هـ.
            - [١٢] عناية الله ١٣٤٨ - ١٣٤٨ هـ.
      - [٧] شير علي ١٢٨٠ - ١٢٩٦ هـ.
        - [٨] يعقوب ١٢٩٦ - ١٢٩٩ هـ.
  - سليمان ثار على أخيه وقُتل.

محمد زائي: ١٢٥٠ - ١٢٥٥ هـ.

وهو من عشيرة الباركزائي إحدى عشائر الأسرة الدورانية.

الفصل الأول

الأسرة الدورانيّة

ألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) والأسرة الدورانية تحكم بلاد الأفغان، والملك هو أمان الله خان الذي تسلّم السلطة عام ١٣٣٨ هـ إثر اغتيال والده.

أمان الله خـان:

اتخذ لنفسه لقب «ملك»، وفي عهده انتصرت أفغانستان بقيادة محمد نادر خان على إنكلترا التي اضطرت على الاعتراف باستقلال أفغانستان. وغرّ الملك أمان الله أبهة السلطان، فترك الحكم، ولم يعد هناك أمامه من يهدده ما دامت إنكلترا قد هُزمت، كما لم يُنازعه أحد في الداخل، وانصرف إلى الصيد، وركوب الخيل. وكذلك بهرته الحضارة المادية الأوربية فأراد أن يسير بنفسه على خطاها، وتعالى على رعيته، وازدرى شعبه، فهو من أسرةٍ حاكمةٍ ورثت المجد كابراً عن كابر ـ حسب زعمه ـ على حين أن أفراد شعبه بسطاء فقراء لا يرتفعون إلى مستواه، ولا يدنون منه. ورأى في أوربا ضالته المنشودة التي انسجمت حياتها مع ما في نفسه فأخذ يُقلّد مجونها وأعجبه الاختلاط والسفور، أو وجد هوى في نفسه، فسار فيه، وألزم أهله متابعته، وارتاح إلى الزي الغربي فقلّده، وكان ينظر إلى زي الأفغانيين نظرة ازدراء، وأصبحت هوة سحيقة بينه وبين رعيته. وعمل على تنفيذ ما أراده لكن هذا يتطلب مالاً كثيراً ففرض الضرائب، فأثقل كاهل شعبه، فزادت الهوة اتساعاً بينه وبين السكان.

رغب في تحقيق ما أرتأه فقرّر القيام برحلةٍ طويلةٍ إلى أوربا ليُمارس

ما أعجبه، وقد أمن الداخل، ولكن خشي أمراً واحداً، هو القائد محمد نادر خان الذي كان له جهد في الانتصار على البريطانيين، وهو من أسرته أيضاً، إذ كان هذا القائد موضع تقدير الرعية لشجاعته واتزانه، وتقديره للأهالي، وهذا ما وطّد الصلة بينه وبين الشعب، فخاف الملك منه، وأراد أن يتخلص منه، فعيّنه سفيراً له في باريس في سبيل إبعاده عن البلاد.

سافر الملك أمان الله إلى أوربا عام ١٣٤٧ هـ، وخرجت نساؤه سافرات بالزي الأوربي، وكذا ظهرت نساء حاشيته، وكانت زوجته «ثريا» تتقدّم موكب النساء سافرةً متبذّلةً، وشاع الخبر في أفغانستان، وعملت إنكلترا على ذيوعه لتُحقّق ما تُخطّط له، فزادت نقمة الأفغانيين على ملكهم إذ شعروا أنه غريب عنهم، ما دام يحمل فكراً غير فكرهم. أما القائد محمد نادر خان السفير في باريس فقد ساءه ما سار عليه مليكه فقدّم استقالته من منصبه، ورجع إلى بلده.

عاد الملك إلى موطنه، وشعر بالنقد الذي وجه إليه، وعرفه من الاستقبال الفاتر الذي استقبله الشعب به، بل سمعه بأذنه، فأغضبه ذلك، وأخذته العزة بالإثم، وصمم على متابعة خطّه، وإلزام الشعب على السير معه، فأصدر أمراً بترك اللباس الأفغاني، واتخاذ اللباس الأوربي زيّاً عاماً، كما شجّع على السفور، وأرسل عدداً من البنات دون محرمٍ للدراسة في استانبول من باب تحدّي الرعية. وهذا ما جعل النقمة تصل إلى القمة وانتفض الشعب ضدّ هذه المخالفات الشرعية، وضدّ الملك الذي يجب أن يكون أميناً على عقيدة الأمة محافظاً على عاداتها وتقاليدها النابعة من دينها، وشُده الملك من هذه الحركة حيث كان يظنّ أن الشعب فقير لا يمكنه الحركة، بائساً يسعى وراء لقمة العيش، ولم يدرك أن العقيدة إن انتهكت دبّت الحياة في الرعية، وانتفضت لتُدافع عن عقيدتها، وتذبّ عن دينها. وعمّت الفوضى البلاد.

استغلّ هذه الفوضى التي أربكت أوضاع أفغانستان أحد الرجالات

الطامعين فجمع حوله بعض الرجال من ذوي المصالح، وقطاع الطرق، وسيطر على كابول، ذلك هو باجي السقا (ابن السقا)، واضطر الملك أمان الله إلى الفرار إلى مدينة «قُنْدُهار»، وهناك تنازل لأخيه الأكبر منه «عناية الله». أما هو فقد انتقل إلى بريطانيا ليعيش هناك حسبما يهوى، وحسب المفاهيم التي تبنّاها.

عنايـة الله:

لم يستطع عناية الله مقاومة ابن السقا الذي أعلن نفسه ملكاً باسم حبيب الله غازي، وبقي تسعة أشهرٍ يعيث في أفغانستان فساداً حيث يريد تعويض نقصه بما يفرضه من أوامر على الشعب، وتعمل عصابته على إرواء نهمها بما كانت تُعاني من جوعٍ، وخوفٍ نتيجة ما يقوم به من تصرّفٍ. وتدخّل في الأمر القائد السابق محمد نادر خان، وخاصةً أنه من أفراد الأسرة الحاكمة، وله ماضٍ في الدفاع عن البلاد وتحقيق النصر ـ بإذن الله ـ ضد الصليبيين من الإنكليز، والتفّ حوله الذين ضاقوا ذرعاً بتصرفات ابن السقا، وتمكّن محمد نادر خان من فرض سيطرته على البلاد في نهاية عام ١٣٤٨ هـ.

محمد نادر خان:

ألقى القبض على ابن السقا، وأعدمه شنقاً. وتسلّم أعباء الحكم، وقدّم خدماتٍ واسعةً للبلاد، وسار بالناس سيرةً حميدةً فقضى على الرشوة والفساد، إذ صرف من الخدمة في الدوائر عدداً من الذين عُرفوا بسوء الإدارة وممارسة الرشوة، فاغتيل محمد نادر خان عام **١٣٥٢** هـ على يد أحد أبناء الذين شملهم الإعفاء من المناصب انتقاماً لأبيه، وحقداً على من قضى على أخذ الأموال بصورةٍ غير شرعيةٍ. وتسلّم الحكم بعد محمد نادر خان ولده محمد ظاهر شاه.

محمد ظاهر شاه:

كان شاباً لا يزيد عمره على التاسعة عشرة عندما آل إليه الأمر، ولا يزال في طيش الشباب، تسلّم السلطة من غير كدٍ، وتربّى على الدلال في بيت العزّ فلم يحسّ بشيء من المسؤولية، ولكن أحاط به رجال أبيه فرعوه، وكان يشعر بالحاجة إليهم، فسارت البلاد بشكلٍ جيدٍ مدة خمسة عشر عاماً، وأحسّ بعدها محمد ظاهر شاه أنه ليس بحاجةٍ إلى أحدٍ، ولا إلى استشارة رجلٍ، فترك من كان حوله وسار وحده، وقد غرّته السلطة فسار في طريق الانحراف الذي أخذ انفراج زاويته يزداد مع الزمن.

كانت السياسة الخارجية تسير في فلك السياسة البريطانية، وقد تمّ توقيع ميثاق سعد أباد الذي شمل تركيا، والعراق، وإيران، وتدور هذه كلها يومذاك في اتجاهٍ واحدٍ، وكان الميثاق يهدف إلى الوقوف في وجه السياسة الروسية أو في وجه الأطماع السوفيتية حسب الاصطلاح الغربي. وتنحصر معرفة هذه السياسة بالرجال القائمين على الحكم أو بعضهم، وقد تمّ توقيع هذا الميثاق عام ١٣٥٦ هـ. أما جلّ الرعية فكانت بسيطةً لا تعرف شيئاً عن السياسة الخارجية، غير أنها تمقت الأجانب (الأوربيين) وتكتفي بحياتها البسيطة التي تعيش عليها.

وجاءت الحرب العالمية الثانية وكانت إنكلترا وروسيا ضمن دول الحلفاء، وهذا ما جعل التنافس بين هاتين الدولتين يزول في هذه الأثناء. وعاد التنافس بين المعسكرين بعد الحرب. ولكن لم يحدث شيء من هذا في أفغانستان ويبدو أنه قد تم التفاهم بين أقطاب المعسكرين على توزيع مناطق النفوذ بينهما، وكانت أفغانستان من نصيب روسيا، ويمكن ملاحظة ذلك من:

١ ــ عندما قام حلف بغداد في ٣ رجب ١٣٧٤ هـ (٢٤ شباط ١٩٥٥ م) لم تعمل الدول الغربية على ضمّ أفغانستان إليه على الرغم من

أنها كانت لا تزال تدور في فلك السياسة الغربية، ولإنكلترا نفوذ كبير في الحكم الأفغاني.

٢ ـ كانت المساعدات الروسية تحتلّ المرتبة الأولى بين المساعدات الخارجية لأفغانستان، لقد كانت تشكل ٦٥ ٪ من مجموع تلك المساعدات على حين لم تكن المساعدات الأمريكية لتزيد على ٢٣ ٪ من مجموع المساعدات، وكل ذلك تحت سمع ونظر الغرب، وبرضا دوله. وكذلك احتلت الصين الميدان، واتفقت مع روسيا على شقّ الطرق داخل أفغانستان، ولم يحرّك الغرب ساكناً. وربما كانت تلك الطرق لتسهيل عملية الاجتياح المرتقب، ولجعل البلاد سهلة الاتصال بعضها مع بعضٍ، وعدم إبقاء مواقع منيعة يمكن أن يتحصّن بها المجاهدون.

٣ ـ وقف الغربيون موقف المتفرّج عندما أخذت الجيوش الروسية تتدفّق إلى داخل أفغانستان وكأنه لا توجد هناك صراعات دولية، ولا تنافس بين المعسكرين، ولا خلاف بين الأنظمة الشيوعية والرأسمالية.

وكان كذلك تفاهم بين سدنة المعسكرين على العمل معاً لنشر الفساد في أفغانستان في سبيل إبعاد الأفغانيين عن دينهم، وهذا ما يُسهّل احتلال بلادهم، ويجعلهم يقبلون الأفكار العلمانية، ويميت عندهم روح الجهاد وفكرة مقاومة الأعداء باسم قتال الصليبيين، وهذا يفيد سدنة كلا المعسكرين سواء أكان للاحتلال أم لمدّ النفوذ.

وبدأت الشعارات العلمانية تُطرح عن طريق المتنفذين من العلمانيين أو من السلطة مباشرة والذين رضوا بهذه السبيل من قبل. فكان يُقال: العمل على إخراج أفغانستان من عزلتها. وسلوك سبيل العلم للنهوض بالبلاد، وأخذ طريق الحضارة، والتقليد لأوربا في سبيل النهضة وما إلى ذلك من طروحات سمتها العلم وحقيقتها البعد عن العقيدة وتعاليم الدين.

صدر منشور ملكي عام ١٣٧٩ هـ سمح للنساء بالخروج سافراتٍ،

ولم يُفرض ذلك عليهن فرضاً. وأسرعت نساء الرجال الذين اندفعوا وراء المادية الأوربية فألقين الحجاب عنهن، فظهر السفور، وتباهت المتحرّرات من القيود بما فعلن فقلّدهن الضعيفات من نساء المخنّثين... وانفتحت أفغانستان أمام الدول النصرانية الكبرى، وكان الملك راعي هذا الانفتاح ويسير في مقدمته.

سمح الغرب للروس بمدّ نفوذه إلى أفغانستان، فسلّحت روسيا القوات الأفغانية، ودعمت مشروعات الريّ بالمساعدات الفنية والمادية، وأخذ الروس يتغلغلون إلى الأوساط الأفغانية. أما الملك والسلطة الحاكمة فلا يفتؤون يتحدّثون عن سياسة الحياد وعدم الانحياز، وتُردّد معهم ذلك الأوساط العالمية لتغطية اللعبة ولو بغطاءٍ شفّاف.

مع امتداد النفوذ الشيوعي امتدت إليه أيدي الطامعين الذين يريدون الارتقاء بأي مصعدٍ، ويتسلّقون على أية حبالٍ، فأصبح للنفوذ أعوان، ووجد الأعوان مُتزلّفين لهم، ولا شكّ سيكون من بين هؤلاء بعض أفراد الأسرة الحاكمين الذين يريدون لأنفسهم، ولا مانع من ارتقائهم ولو كان ذلك على جثث أقربائهم، وعلى حساب سادة نعمهم، وكان من هؤلاء السردار محمد داود[1]

كان محمد داود يميل إلى الروس ويتعاطف معهم لينال عطفهم، ويحصل على تأييدهم في تحقيق أطماعه باستلام السلطة، وتنفيذ مشروعه

(١) السردار محمد داود: ابن عم الملك محمد ظاهر شاه، وزوج شقيقته، ضابط في الجيش الأفغاني، درس في مدينة كابول، وأتمّ دراسته العسكرية في فرنسا. عُيّن عام ١٣٥٠ هـ أيام محمد نادر خان حاكماً على مقاطعة قُنْدُهار، وبعد خمس سنواتٍ عُيّن قائداً لقوات المنطقة الوسطى، ومديراً للكلية الحربية، وعُهد إليه برئاسة الوزارة عام ١٣٧٣ هـ فاحتفظ لنفسه بحقيبتي وزارتي الداخلية والدفاع إضافةً إلى رئاسة الحكومة، فحكم البلاد مدة عشر سنواتٍ، ولما عُرف بميوله تجاه الروس وأطماعه بالحكم نُحّي عن رئاسة الحكومة عام ١٣٨٣ هـ، ثم قاد الانقلاب عام ١٣٩٣ هـ.

في أخذ الأمر لنفسه، وفعلاً عهد إليه ابن عمه الملك محمد ظاهر شاه برئاسة الحكومة عام ١٣٧٣ هـ، وحصل على التأييد التام من قبل الروس الذين أظهروا رضاهم عن حكمه. وفي الوقت نفسه وصل إلى الحكم في الإمبراطورية الروسية «خروتشوف»، وأخذ يعمل على مد النفوذ الشيوعي في البلدان المجاورة وكل جهات العالم، ووجد متكأً له في أفغانستان هو رئيس الحكومة محمد داود، ووجد مدخلاً لنفوذ الشيوعية الحكومة نفسها التي يرأسها محمد داود، فبدأ النفوذ الشيوعي يتسلّل إلى تلك البلاد التي لا تعرف إلا الإسلام عقيدةً، وتكره الفجور والفسق والعصيان، وتمقت الإلحاد والكفر.

وتعاونت روسيا مع الصين للعمل معاً في سبيل مدّ النفوذ الشيوعي إلى أفغانستان حيث كان التفاهم لا يزال قائماً بين تلكما الدولتين، ولا تزال الفكرة الشيوعية واحدةً، ولم تنقسم بعد بين روسيا وسياستها والصين وفكرتها بالعمل. فقدّمت الدولتان الشيوعيتان المساعدات لتمهيد الطرق، وتسوية الدروب، ومدّ المواصلات للمصلحة العسكرية. وأنشأ الروس مطار كابول، وسلّحوا القوات الأفغانية وخاصةً القوات الجوية منها.

وأحسّ الملك الأفغاني محمد ظاهر شاه باتجاه ابن عمه فنحّاه عن الحكم عام ١٣٨٣ هـ، وعيّن محمد يوسف رئيساً للوزراء، وهو أول رئيس للوزارة من خارج نطاق الأسرة المالكة، فوقع الجفاء بينهما، وكان هذا دافعاً ومُبرراً لمحمد داود للعمل ضدّ ابن عمه في الخفاء في سبيل تحقيق أطماعه والوصول إلى أهدافه، وكانت روسيا من ورائه تدعمه لتحقيق مصالحها عن طريقه، ولضرب ابن عمه الملك محمد ظاهر شاه الذي لا يزال على وضعه السابق يسير في فلك الغرب، ويُعدّ من بقايا مخلّفات الاستعمار الصليبي.

ولكن إن أُبعد محمد داود عن الساحة السياسية غير أن أثره لا يزال قائماً فالاتفاقيات التي وقّعها مع الروس لا يزال معمول بها، والحكومة التي ورثت وزارته ملزمة بتنفيذ تلك الاتفاقات. ففي الخطة الخمسية ١٩٦٢/ ١٩٦٧ م تلقّت أفغانستان من روسيا ٦٣٢ مليون دولاراً، وهو ما يُشكّل

٦٥٪ من مجموع المساعدات التي تدفّقت على البلاد، على حين شكّلت المعونة الأمريكية ٢٣٪ فقط تلك المساعدات.

وقّعت أفغانستان معاهدةً مع الصين عام ١٣٨٥ هـ لمدة عشر سنواتٍ. كما أنها ترتبط مع كلٍ من إنكلترا والهند بمعاهدة صداقة.

وعملت الولايات المتحدة الأمريكية لمدّ نفوذها إلى أفغانستان من باب العمل لإفساد طبيعة الشعب الأفغاني المسلم، وهذا لإثبات وجودها، ولإمكانية العمل إن دعت الضرورة لذلك، أو اقتضت ظروف اللعبة ذلك، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن كل اهتزازٍ يُصيب المسلمين أو يُلحق بعقيدتهم أذىً إنما هو نجاح للصليبيين وفوز لدولهم سواء أكانت غربيةً أم شرقيةً، حاولت أمريكا مدّ نفوذها عن طريق الإرساليات التنصيرية غير أنها فشلت فشلاً ذريعاً إذ رفضها المسلمون الذين يُشكّلون ٩٩٪ من سكان أفغانستان وفي الوقت نفسه عندهم تمسّك بالإسلام، وكره لأعدائه، وتُعدّ الصليبية في رأس قائمة الأعداء، ولما فشلت الإرساليات التنصيرية في دخول البلاد وتأدية دورها، مدّت أمريكا أصابعها باسم مؤسسةٍ إنسانيةٍ لرعاية المكفوفين، وابتدأ العمل التعليمي فيها، ولكن لم يلبث أن أُقيم بجانب معهد الرعاية بناء جديد ظهر أنه كنيسة، فثار الشعب وانتفض، وطالب الحكومة بهدمها، واضطرت تحت الضغط إلى طلب إزالتها، وتمّ ذلك، وبعدها توقّفت المساعدات التي كانت قد وعدت بها الولايات المتحدة أفغانستان تقديمها لشؤون الصحة والتعليم، وكان لهذا دوره في تفاقم الدعاية الشيوعية.

ونتيجة الفقر والجهل في أفغانستان وعدم وجود التوجيه لم يكن من يتحرّك على الساحة السياسية سوى الشيوعيين الذين يعملون تحت جناح الحزب الديمقراطي الذي تأسس منذ أيام محمد نادر خان إذ كانت روسيا تمدّ أعوانها بالمال وتبعث إليهم بالنشرات السرية والتوجيهات السياسية والفكرية التي تنطلق من مبادئها الإلحادية فيستطيعون بذلك جذب وشراء أعوانٍ جددٍ لهم، وبذا كانوا يتزايدون باستمرار، على حين لا يتوفّر هذا

لغيرهم، ومع هذا فقد كانوا يعملون في الظلام، إذ لم تكن الحكومة لتسمح لهم بالظهور والانطلاق، وقد رأت كيف ابتلع الروس المناطق الإسلامية المجاورة لها.

ولما تسلّم محمد داود السلطة عام **١٣٧٣** هـ أعطى الحرية السياسة، وفي الواقع لم يستفد من هذه الحرية سوى الشيوعيين الذين كانوا منظّمين، ويتحرّكون بتوجيهٍ دقيقٍ من روسيا، فأفادوا من هذه الحرية، وأصبحوا قوةً يخشى بأسها.

بدأ يظهر الوعي الإسلامي وربما كان للأعداء الدور الإيجابي في هذا الوعي، وذلك أن المسلمين كان يرون تصرف الأجانب في أفغانستان فيصعب عليهم الأمر فكان يدفعهم للتحرّك، ومحاولة تنبيه الأهالي، وخاصةً الخبراء الروس الذين يعملون في مشروعات الري، ويعملون على تهريب الأسلحة عبر الحدود، وتسليمها لأعوانهم، ويُحاولون نشر الفساد من خمرٍ ونساء واصطياد الشباب الأفغانيين عن طريق هذه القنوات... كل هذا دفع المسلمين للعمل والتداول في أمر البلاد، وشؤون المسلمين، وتعاون بعضهم مع بعضٍ، وتشكّلت أول نواةٍ حركيةٍ إسلاميةٍ عام ١٣٨٧ هـ، ومع ازدياد تصرّف الأجانب المسموم والهادف يزداد ردّ الفعل والنشاط والوعي. وتعاون المسلمون مع مدير مجلة (الفجر) الأسبوعية (منهاج الدين جاهز) والتي كانت تصدر في كابول، فكان ينشر لهم بعض المقالات، وتُحذّر المجلة من المخططات الاستعمارية، وتعمل على تنبيه السكان من الأجانب... فكان يزداد الوعي. ولكن هذا الوعي الإسلامي، والتفاف الناس حول قادته أثار غيظ الأعداء فأرادوا الوقوف في وجهه، وخططوا لجرّ هذه المجموعة الناشئة إلى معركةٍ غير متكافئةٍ تُخرج الموّجهين المسلمين خارج دائرة العمل، وتُلقي الرعب في نفوس الآخرين. وكان الصدام بين الفريقين: مجموعة ناشئة صغيرة لا سند لها إلا الله ثم دعم إخوانهم المسلمين العاديين من سكان أفغانستان البسطاء، وفئة كبيرة ذات إمكاناتٍ

كبيرةٍ تدعمها الدولة، وتسندها الشيوعية العالمية، ومعسكر حلف (وارسو)، وتردف ذلك الإرساليات التنصرية العالمية، وحلف شمالي الأطلسي إذ أن همّ الجميع القضاء على الإسلام ودفن أهله. ومع هذا التباين الكبير فقد نصر الله المسلمين على أعدائهم الذين كادوا أن يتميزوا من الغيظ، فتأهّبوا لمعركةٍ ثانيةٍ، فجمعوا كيدهم، وتسلّحوا، وأتوا صفاً واحداً، وأعلموا قادتهم والمسؤولين ليكونوا ردءاً لهم ليتدخلوا لدى السلطة فيما إذا كانوا مهزومين، وجاءوا يوم ٢٦ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ (٣٠ حزيران ١٩٧٠ م) ليباغتوا هذه الفئة المؤمنة ويقضوا عليها، غير أن الشعب الأفغاني تعاطف مع أبنائه فنزلت الهزيمة بالملحدين ـ بإذن الله ـ ووقع منهم مائة وسبعون جريحاً، وفرّوا من المعركة التي خطّطوا لها، واختاروا مكانها وزمانها.

وهُرع الشيوعيون الصينيون لدعم رفاقهم رغم خلافهم معهم، ولكن الإلحاد الذي يجمع بينهم يدفعهم لنصرتهم، ولكنهم لقوا المصير نفسه بل أشدّ نكراً، لأنهم أقلّ عدداً، وأضعف جنداً، ولا كفاءة لديهم ولا خبرة، وجاءوا مسرعين دون استعدادٍ، أغراهم عددهم، وعلمهم بأن الأفغانيين ضعفاء ليس لديهم قدرة على المقاومة فخاب الظنّ، ووقعوا صرعى.

وأسرعت وسائل الغرب تُؤيّد خصومها الظاهريين، وأعوانها في محاربة الإسلام، فوُصفت الفئة المؤمنة بالرجعية، والهمجية، واستعمالها وسائل القوة، وادّعت أن الأصوليين يُعادون الحضارة ويعملون على تهديمها بالمعاول.

وتلت تلك حادثة طارت بصواب أعداء الإسلام جميعاً من شيوعيين ورأسماليين ومتفرنجين يدّعون التقدمية تلك هي انتخابات مجلس طلبة جامعة كابول إذ حصل المسلمون على أربعةٍ وأربعين مقعداً من أصل أربعةٍ وخمسين مقعداً. وكان لهذا أثره من ناحيتين:

١ ـ تجمّع المسلمون ضمن تنظيمات كان منها: تجمع الشباب المسلم في جامعة كابول، وجمعية العلماء المحمدية، وجمعية خدام

الفرقان. وأخذت هذه التجمعات تعمل على توعية أعضائها، وتستعدّ بالأخذ بالأسباب للوصول إلى أهدافها.

٢ ــ أخذ المتفرنجون التقدّميون يُحمّلون الحكومة الأفغانية وزر ما يحدث على الساحة السياسية، رغم أنهم هم السبب، ورغم أن الحكومة الأفغانية كانت تقف إلى جانبهم دائماً، تُشدّد الرقابة على المسلمين، وتحمي مظاهرات التقدّميين المتفرنجين، وتمنع الاعتداءات عليهم، والمظاهرات ضدّهم، على حين تسكت عن جرائمهم التي يرتكبونها وما أكثرها وأبشعها. لقد اغتيل (منهاج الدين جاهز) مدير تحرير جريدة (الفجر) وابنه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره يوم ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ (٨ آب ١٩٧٢ م)، وكان وراء الجريمة السفير الروسي في أفغانستان والملحق العسكري، وقد غادرا البلاد فجأةً مساء الحادث، وقد طوت الحكومة الأفغانية الملف، وكأنه لم تقع جريمة قذرة على أرضها.

رأى الشيوعيون المخططون أن الحكومة المدنية لا تُناسبهم فالقضايا تحتاج إلى تحقيقٍ، وتطبيق قانون، وتساؤلاتٍ و. . . وهذا ما يكشف مخططهم، ويحول دون تنفيذ جرائمهم حيث تنفضح وينجلي الأمر، أما الحكم العسكري فيسكت عما يرتكبون، ويغضّ عينه عما يتصّرفون، ويُخرس كل من يريد أن يتفوّه بغير ما يريده الحكم. ومن هنا كانت ضرورة تغيير الحكم المدني بعسكري في أفغانستان.

وإن التفاهم بين موسكو وواشنطون على مناطق النفوذ قد جعل الساحة في أفغانستان خاليةً للروس حيث يمكنهم العمل بحريةٍ دون تخوّف من منافسةٍ أو تهديدات أو إعاقة تحرّكٍ. كما أن ذاك التفاهم قد ألقى تبعة القضاء على الحركة الإسلامية في أفغانستان على عاتق الروس، كل هذا أعطاهم فرصة التخطيط والتصرّف بما تهوى أنفسهم.

فتش الشيوعيون عن المرشح لزعامة التغيير فوجدوا مبتغاهم دون كبير عناءٍ إنه محمد داود فهو من الأسرة الحاكمة، وابن عم الملك، وزوج

شقيقتـه، وناقم عليـه بعد تنحيتـه عن الحكـومـة، ورئيس وزراءٍ سـابق، ومتعاطف مع الروس، وله تاريخه بالعمل معهم، وفوق ذلك فهـو طامـع بالأمر، ويسعى له، ولديه الإمكانات الكافية، والمؤهلات الضرورية، ويُعدّ خصماً للعمل الإسلامي.

محمـد داود:

أُعطي الشيوعيون الأفغان تعليمات موسكو بتقوية الصلات مع محمد داود، والتعاون معه، وتنفيذ رغباته، وأُعطي هو الضوء الأخضـر للعمل، وأُبلغ أنه سيحصل على الدعم المطلوب، فأخذ محمد داود يستعدّ ويقوم بنشاطٍ واسعٍ، وإن اتسم بالسرية، حتى تكاملت الاستعدادات.

وفي صباح الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة **١٣٩٣** هـ (**١٧** تموز **١٩٧٣** م) وقع الانقلاب، ونجح، وإن كان قد لقي مقاومةً عنيفةً من أعوان النظام عند حصار القصر الملكي، بينما كان الملك ظاهر شاه في إيطاليا وقد أعلن قائد الانقلاب محمد داود عن سياسته الخارجية في بيانه الأول الذي أذاعه، فقال: «إن أفغانستان تقف موقف عدم الانحياز، ولن تدخل أي حلفٍ عسكري، وإنها تحرص كل الحرص على العلاقات الطيبة التي تربطها مع دول العالم، أما فيما يتعلق بباكستان فإن نزاعاً سياسياً يقوم بيننا وبين ذلك البلد، وهو البلد الوحيد الذي لم ننجح في حلّ مشكلةٍ معه»[1]. وأعلن زعيم الانقلاب أن الذي دفعه

---

(١) يبدو أن اللعبة الدولية كانت تقضي بأن تجزأ باكستان مرة أخرى، وكانت هنـاك مظاهرات في ذلك الوقت في منطقة «بلوخستان» في باكستان، تدعو إلى الانفصال والاستقلال عن باكستان، ويوجد كما نعلم عدد من البالوخ يقيمون في أفغانستان، يريدون الانضمام إلى إخوانهم، وهذا ما يوجد مشكلةً بين الجارتين، كما توجد مشكلة أخرى، وهي وجود قبائل البشتو في تلكما الدولتين، والحدود التي تقيم على جانبيها تلك القبائل طويلة، وتعرف هذه القبائل في باكستان باسم «الباتان»، هذه هي اللعبة الدولية غير أن الأطماع الاستعمارية متباينة فالأمريكان لا يريـدون أبداً التفاهم بين باكستان وأفغانستان حتى لا يمتدّ النفوذ الشيوعي وبالتالي الروسي نحو ميـاه المحيط الهندي، على حين يبغي الـروس هذا التفـاهم مرحلياً، ولكن لا يظهرونه حتى لا تُغيّر أمريكا موقفها تجاه حرية عمل الروس في أفغانستان.

للقيام بحركته إنما هو كثرة الفساد في الإدارة، وسوء استخدام السلطة، وتفشّي الرشوة، وقُدِّم رئيس الوزراء الأفغاني السابق موسى شفيق إلى المحاكمة بتهمة قبض مبالغ طائلة من إيران. وألغى قائد الانقلاب النظام الملكي، وأعلن النظام الجمهوري، ونصّب نفسه رئيساً للجمهورية.

لقد كانت أول محطةٍ نقلت نبأ الانقلاب هي إذاعة الهند، واعترفت بالوضع الجديد مباشرةً، إذ يُحقّق لها بعض مصالحها ضدّ باكستان، وقد تكون على معرفةٍ ببعض خيوط اللعبة الدولية، وتلا ذلك إذاعة الخبر من روسيا وذلك بعد أربع ساعات فقط من وقوع الانقلاب، ورحّبت به، وأعلنت اعترافها بالوضع الجديد، مع العلم أن روسيا عادةً تتمهل بمثل هذه الحالة بالاعتراف حتى تتأكّد من الهوية السياسية للحكم المنتظر، ولكن الآن تعرف ما يجري على الساحة، وقد نسجت بعض خيوط الحركة بيدها، وعملت على إخراجها ودفعها. وكانت السياسة الروسية يومذاك تسير وسياسة الهند بخط متوازٍ، وتقف الولايات المتحدة مشرفةً على التنسيق والإخراج، فالهند يُهمّها بالدرجة الأولى تفتيت باكستان وقوتها، ويمكنها تحقيق هذا الهدف عن طريق أفغانستان التي يمكنها أن تضمّ إليها منطقة (بلوخستان) ومنطقة الحدود الشمالية الغربية حيث تُقيم قبائل «الباتان»، وبذا يضعف شأن باكستان، ولكن ذلك يقضي تفاهم الدولتين الكبريين الولايات المتحدة وروسيا أولاً، ثم إثارة قبائل منطقة النزاع ودعمها، وإشغال باكستان بالتحرّك على حدودها الشرقية والجنوبية، وبإمكان الهند أن تتولّى هذه المهمة.

كان هدف محمد داود الوصول إلى السلطة، وقد تمّ له ذلك، ومن سياسته للمحافظة على السلطة، التقرّب من روسيا، وطلب المساعدة منها، وخنق الحركة الإسلامية. أما هدف روسيا فكان يختلف عن ذلك إذ ترى أن حكم محمد داود لم يكن سوى مرحلة لتضع الشيوعية يدها على أفغانستان. فالحاكم الجديد محمد داود رفيق مرحلي ما دام ليس شيوعياً، ويمكن رميه كجثةٍ قذرةٍ بعد تحقيق أغراضها منه ومن هذه الأغراض، خنق

الحركة الإسلامية على يديه، والتمكين للشيوعيين بالسلطة ما دام لا يوجد غيرهم دعامةً له. فبداية العمل متفق عليها الطرفان، وقد أخذ التنفيذ مجراه.

بدأ محمد داود بتنفيذ مخططه الذي هو المخطط المرحلي للروس، فأخذ بالضغط على الحركة الإسلامية، وملاحقة قادتها، واتخذ وسائل الإعلام كلها وسيلةً له، ودوائر الدولة مطيةً لهدفه، واستفاد من الوظائف وإيجاد العمل للضغط على الإسلاميين، ومجالاً لكسب الشباب إليه وإلى رفاقه الشيوعيين. وسُرّ الروس من هذا السير إذ قوي أعوانهم، وضعف خصومهم، وسارت وسائل الإعلام والمناهج حسب هواهم.

أحسّ محمد داود أن كفة الشيوعيين قد رجحت، وأنه أصبح تابعاً لهم، وسيكون بعد مدةٍ، إن استمرّ في سياسته، خاضعاً لموسكو بل خاضعاً لعملائها الأفغان، فقرّر تغيير خطّه، فهو ليس شيوعياً، ويرفض التبعية التامة، حيث كان يظنّ أن روسيا تقبل التعاون فقط، والبعد عن السياسة الاستعمارية الغربية، ولكنه رأى نفسه أنه كان مخطئاً، وظنّه كان خائباً، لذا لجأ إلى العودة إلى الوراء ومحاولة إيجاد توازنٍ بين القوى المتصارعة.

قام محمد داود بزيارة بعض الدول الإسلامية في سبيل إظهار حسن النية للمسلمين في بلاده وفي خارجها، فزار باكستان، والمملكة العربية السعودية، وليبيا، ورجع وفي نيته السير في خطٍ جديدٍ. وشعر الشيوعيون بما يُفكّر فيه، فخافوا على وضعهم، وخشوا أن تحلّ بهم نكبة كما يحدث دائماً في كثيرٍ من البلدان عندما تُعرف حقيقتهم، لذا أرادوا التخلّص منه، كما أراد التخلّص منهم فانعدمت الثقة بين الطرفين، وكل منهما أراد السبق بالوصول إلى هدفه وضرب خصمه قبل أن يُؤكل من قبله.

انعقدت الـ (لويا جيرغاه وهي جمعية وطنية قبلية عليا تضمّ كبار الوجهاء القبليين المسنّين الذين عيّنهم حكام الأقاليم، وقد أقرّت في شهر محرم ١٣٩٧ هـ (كانون الثاني ١٩٧٧ م) دستوراً جديداً يتيح تشكيل حكومةٍ

رئاسية، وإقامة دولة الحزب الواحد، وتمّ تجديد رئاسة الرئيس محمد داود لمدة ست سنواتٍ، ثمّ حلّت هذه الجمعيّة.

وفي ربيع الأول ١٣٩٧ هـ (آذار ١٩٧٧ م) شكّل الرئيس محمد داود حكومةً مدنيةً أعلنت نهاية الحكم العسكري، غير أن هذا لم يكن سوى إعلان، وليس له أي رصيدٍ من التنفيذ.

أخذ السخط يتزايد على الرئيس محمد داود وخاصةً بين أفراد القوات المسلحة.

الفصل الثاني

الحكم الشّيوعي

قلنا إن الثقة قد زُعزعت بين رئيس الجمهورية محمد داود وبين الشيوعيين الذين كان يدعمهم، وكانوا يُؤيّدونه، ثم انعدمت تماماً، وأصبحت الاتهامات ضمنيةً وواضحةً بين الطرفين، ويسعى كل فريقٍ للانقضاض على خصمه، ويهتبل كل فرصةٍ لينال من الآخر.

وفي ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (٢٦ نيسان ١٩٧٨ م) اغتيل أحد زعماء حزب برشام (الراية) الشيوعي، وهو (مير أكبر خيبر)، وربما كان منافسوه الشيوعيون[١] من حزب خلق (الشعب) هم الذين قضوا عليه

(١) بدأ تجمع أصحاب الفكر الشيوعي والاشتراكي في أفغانستان منذ عام ١٣٦٦ هـ تحت اسم (ويش ذلميان) أي حركة يقظة الشباب، وكان من أعضائها نور محمد تراقي، وبابرك كارمل... وكانت جريدة (أنجاد البرلمان) تنشر آراءهم، وتُهاجم الإسلام، ثم أُلغيت عام ١٣٩٣ هـ.
ونما هذا التجمّع في عهد وزارة محمد داود التي استمرت عشر سنوات ١٣٧٣ - ١٣٨٣ هـ. ثم أصدر نور محمد تراقي جريدة خلق، وقد نشرت في ٢٨ شعبان ١٣٨٤ هـ (الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٥ م) ميلاد جزب (ديمقراتيك خلقي أفغانستان) أي حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وعقد أول اجتماع له في بيت نور محمد تراقي، وحضره سبعة وعشرون عضواً، ويُمثّلون سبعةً وسبعين مُؤيّداً، وانتخب في ذلك اللقاء نور محمد تراقي رئيساً للجنة المركزية التي ضمّت تسعة أعضاء، واختير بابرك كارمل نائباً له، وكان من أعضاء اللجنة حفيظ الله أمين، وشاه ولي كريم، وطاهر بدخشي، ومير أكبر خيبر.
دخل الحزب الانتخابات عام ١٣٨٥ هـ، وفاز بثلاثة مقاعد، اثنين عن كابل، =

لتحقيق مُخططٍ لهم، ولإثارة الشيوعيين ضدّ الحكم بحجة أنه قُتل أحد زعمائهم، وأن السلطة تنوي الفتك بهم، فإذا ما قاموا ضدّها، وانقلبوا عليها، وتسلّموا السلطة منها فإنما يدافعون عن أنفسهم، وفي الوقت نفسه اغتيل وزير المشروعات أمام باب وزارته، وأعقبه قتل أحد الضباط الطيارين الأفغان الذين لم يُسايروا الشيوعيين في نشاطهم والعمل على تنفيذ مخططاتهم.

تبين أن عمليات القتل هذه كانت مؤامرةً شيوعيةً هدفها:

١″ ـ لفت النظر إلى البلاد بأنها تعيش بحالة فوضى، وأن الحكم لا يستطيع السيطرة على الشؤون الداخلية، وبذلك تنخفض أسهم رئيس الجمهورية داخل أفغانستان، وفي البلدان الإسلامية الأخرى، وخاصةً التي زارها مؤخّراً، فإذا ما حدث تغيير في مراكز السلطة فإنما هو متوقّع.

٢″ ـ إثارة الشيوعيين كافةً للنهوض ومقاومة الحكم فإذا لم يُسرعوا فلينتظروا الإبادة.

= ومثّلهما بابرك كارمل، وأناهيتا راتب زادة التي كانت وسيلة الرفاهية والإغراء للشيوعيين، والمقعد الثالث عن قندهار واحتّله نور أحمد نور.
أخذت صحيفة (خلق) الشيوعية، تدعو صراحةً لمبادئها الإلحادية، وتنطق باسمها، فتعالت الصيحات ضدّها، فأُغلقت بعد ستة أسابيع من صدورها بتهمة العمل ضدّ الإسلام، والهجوم عليه.
وفي عام ١٣٨٧ هـ حدث انشقاق في الحزب على أساسٍ قبيلي إذ كان نور محمد تراقي من قبيلة (البشتو)، فقرّب إليه شيوعيي هذه القبيلة أمثال حفيظ الله أمين، وعبدالرشيد آرين، وصالح محمد وزيري، ومحمد أسلم وطنجار، أما بابرك كارمل فهو من قبيلة (الطاجيك) وقرّب إليه شيوعيي هذه القبيلة أيضاً مثل محمد بريالي، وهو صهره، ونجم الدين أفكر، وكارایاني، وسلطان علي كشتمند، ونعمة الله بزوال، ومحمد رفيع... وظهر هذا الانقسام على الواقع بعد أن أثنى بابرك كارمل في المجلس النيابي على الملك محمد ظاهر شاه فهاجمه الشيوعيون هجوماً مرّاً، فانشقّ مع جماعته، وأسّس حزب برشام (الراية)، وأصدر صحيفة تحمل الاسم نفسه، وأنشأ نور محمد تراقي حزب خلق (الشعب) مع أعوانه، وشجّعت روسيا هذا الانقسام لإذكاء روح التنافس بينهما.

٣" ـ سيطرة حزب خلق على مقاليد الحكم في حالة حدوث انقلاب، وإبعاد حزب برشام (الراية) عن أية سلطةٍ، وذلك بإضعافه والتخلّص من زعمائه البارزين.

٤" ـ لفت نظر روسيا للتأهب لدعم رفاقها، ولإعطائها حق التدخّل في شؤون أفغانستان الداخلية للقضاء على الفوضى المستعرة وحماية أرواح أعوانها.

ولما أحسّ رئيس الجمهورية محمد داود أن المؤامرة شيوعية علم أنهم قد بدؤوا في تنفيذ مخططاتهم، فلا بدّ له إذن من السرعة وتفادي الخطر الداهم نحوه، لذا فقد أسرع وألقى القبض على زعماء الشيوعية في أفغانستان، ومنهم: نور محمد تراقي، وحفيظ الله أمين، وبابرك كارمل، وأودعهم السجن. ولكن قبل أن يُتابع ضرباته حدث الانقلاب ضدّه.

وفي ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ (٢٩ نيسان ١٩٧٨ م) قام محمد غلاب زي أحد قادة جناح (خلق) والعميد الشيوعي عبدالقادر[1] بحركته ضدّ حكم الرئيس محمد داود، وألقى القبض عليه، وسلّم السلطة إلى زعيم حزب خلق نور محمد تراقي[2] الذي كان سجيناً. وقد عرفت هذه الحركة في أفغانستان باسم «ثورة ساور» أي ثورة نيسان.

---

(١) العميد عبدالقادر: هو الذي قاد الانقلاب ضد الملك محمد ظاهر شاه، وسلّم السلطة إلى محمد داود، ثم قاد الانقلاب ضد الرئيس محمد داود، وسلّم الحكم إلى نور محمد تراقي.

(٢) نور محمد تراقي: ولد عام ١٣٣٥ هـ في قرية (ميدو) في ولاية غزنة، وسافر إلى الهند عام ١٣٥٣ هـ، وبقي في بومباي أربع سنواتٍ، وهناك اعتنق الفكر الشيوعي. وعندما رجع إلى بلاده عمل في مؤسسة السكر التجارية بوزارة المالية، والتحق أيضاً بجامعة كابل.
ابتعث عام ١٣٧٣ هـ إلى أمريكا كملحقٍ ثقافي، وبقي هناك مدة أربع سنواتٍ، ثم عاد إلى أفغانستان، وأسّس عام ١٣٨٥ هـ أول نواة للحزب الشيوعي الأفغاني، وكان اللقاء الأول في بيته، وانتخب أميناً عاماً للحزب بالإجماع، وفشل في الانتخابات العامة التي جرت. وتسلم الحكم نتيجة انقلابٍ على الرئيس محمد =

١ ــ نور محمد تراقي:

تسلّم رئاسة الجمهورية يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (٣٠ نيسان ١٩٧٨ م)، واحتفظ لنفسه برئاسة الحكومة أيضاً، واشتدّت في عهده أعمال العنف في البلاد، وجرت الدماء، وساد الإرهاب، وخاف الناس، وصدّقوا ما كانوا يسمعون عن جرائم الشيوعيين، ولم يكونوا مصدقين ذلك من قبل، ولم تقبل عقولهم أن ما يسمعونه يمكن أن يقوم به بشر فيه قلب، وقد وقع خمسة عشر ألف قتيل خلال أربع وعشرين ساعة في اليوم الأول من الانقلاب. أمر نور محمد تراقي بإخراج محمد داود من السجن، وقتل أبنائه التسعة والعشرين أمامه، الواحد بعد الآخر أمام عينيه، ثم قتله وباقي أفراد أسرته، ورئيس الجمهورية الجديد نور محمد تراقي ينظر، ويشعر بنشوة الظفر على خصمه، ويتلذّذ بمنظر الدماء، وامتعاض محمد داود من منظر قتل أبنائه، وعرف ساعتئذٍ أن هذا جزاء من يتعاون مع الشيوعيين، ولكن ساعة لا ينفع الندم إذ ذاق كأس الموت وأبناؤه وأسرته على أيدي رفاقه. وكان يُقدّر عدد الخبراء الروس في أفغانستان بثلاثمائة وخمسين خبيراً.

وقتل نور محمد تراقي أيضاً المئات من قادة المسلمين، وعشرات الآلاف من عامتهم، وأودع الآلاف منهم في السجون، وشرّد أمثالهم. وعيّن حفيظ الله أمين وزيراً للخارجية، والعميد عبدالقادر وزيراً للدفاع، وسلطان علي كشتمند وزيراً للتخطيط.

وأخلد المسلمون إلى بيوتهم خوفاً، وقد أذهلهم ما رأوا، وقطّع

= داود، وقُتل بيد صديقه ورفيقه حفيظ الله أمين إثر عودته من (هافانا) عاصمة كوبا في ٢٢ شوال ١٣٩٩ هـ، وأعلن عن مقتله في ١٨ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (٩ تشرين الأول ١٩٧٩ م). يتقن لغة الأوردو، واللغة الإنكليزية إضافةً إلى لغته (البشتو)، ألف عدداً من الكتب منها: (البقرة الصفراء) و (تعالوا لنبدأ العمل) و (اللحم المجفف)، وكلها استهزاء بالإسلام. وينتمي هو إلى قبيلة البشتو. وقتل في عهده أكثر من خمسين ألف مسلم.

قلوبهم، فظن نور محمد تراقي أن الأمر قد استقر له، وأن العدو الأول، وهم المسلمون قد خرجوا من الدائرة السياسية، ولن تقوم لهم قائمة بعدما أوقع بهم وبقادتهم، لذا عليه أن يلتفت إلى رفاقه الشيوعيين المناوئين له من حزب (برشام) فأصدر أمراً بتعيين زعمائهم سفراء لبلادهم في الدول الأجنبية، ومنهم نائبه بابرك كارمل الذي عيّنه سفيراً في تشيكوسلوفاكيا، ولكن بعد ثلاثة أشهرٍ عاد فغيّر رأيه إذ رأى أن وجودهم في الخارج يجعلهم يتحرّكون أحراراً، ووجودهم في الدول الشرقية يجعلهم يتصلون بمن شاءوا من الشيوعيين، ويُعطونهم صورةً عن أفغانستان من وجهة نظرهم الخاصة، بل سيحرّضون الروس خاصةً والشيوعيين عامةً على الحكم، حيث كان نور محمد تراقي يعمل للشيوعية ضمن الدائرة المحلية، وكذا يعمل حزبه حزب خلق، على حين يرى منافسة حزب (برشام) الارتباط بموسكو، والمناداة بالشيوعية العالمية، والمركزية الشيوعية، ومن هنا قرّر رئيس جمهورية أفغانستان الشيوعي نور محمد تراقي عزل السفراء الذين سبق له أن عيّنهم، واستدعاءهم إلى كابل ليكونوا تحت رقابته، غير أنهم رفضوا العودة وبقوا في أوربا الشرقية، على صلةٍ بالروس الذين يُوجّهونهم.

حاول نور محمد تراقي التوفيق بين أعوانه الذين يرون تطبيق الشيوعية في بلادهم مع عدم الارتباط بموسكو وبين معارضيه الذين لا يرون حلاً ولا وسيلةً سوى الانصهار في بوتقة الشيوعية العالمية، والالتحاق بالإمبراطورية الروسية. ولم يقبل المعارضون التوفيق، وتمسّكوا بموقفهم، ولم يتزحزحوا عنه، وأرادوا إحراج رئيس الجمهورية للرجوع إلى موسكو لحّل الخلاف القائم بين الفريقين.

وقامت حركة مقاومة في شرقي البلاد في مقاطعة (نورستان)، واضطر نور محمد تراقي للسفر إلى روسيا في ٥ محرم ١٣٩٩ هـ (٥ كانون الأول ١٩٧٨ م) ليحصل على دعمٍ ماديٍ، ولعله يستطيع العمل على أن يضغط سدنة النظام الشيوعي على رفاقهم الأفغان ليتوقّفوا عن معارضة الحكم

القائم خوفاً من أن يُطاح بهم جميعاً، وذلك فيما إذا قدّم بعض التنازلات لروسيا، وهناك عقد معاهدةً مع موسكو، فتح بموجبها أبواب أفغانستان أمام الجيوش الروسية ليحمي نظامه بها ضدّ المعارضة، والمقاومة في الداخل، ووصل عدد الخبراء الروس إلى ألف خبير في أفغانستان.

أصبح النظام الشيوعي القائم في أفغانستان مشلول الحركة، عاجزاً عن القيام بشيءٍ، فالمقاومة الإسلامية الداخلية تُهدّده، والروس يتسلّطون عليه، وغدا رئيس الجمهورية نور محمد تراقي الذي هو في الوقت نفسه رئيساً للوزارة لا يعرف التصرّف، وهذا ما ألزم حزب خلق على فصل رئاسة الدولة عن رئاسة الوزارة، فبقي نور محمد تراقي رئيساً للدولة، وعهد إلى حفيظ الله أمين برئاسة الوزارة التي ضمّت ثمانية عشر وزيراً، وتشكّلت في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٢٨ آذار ١٩٧٩ م)، ولكن اشتدّت المقاومة الإسلامية، وبرز على الساحة السياسية الحزب الإسلامي برئاسة قلب الدين حكمتيار، وأحزاب أخرى، وفي ٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (١٩ آذار ١٩٧٩ م) وقعت انتفاضة في معسكرات (هراة)، كما حدث تمرّد عسكري في الجيش، فأرسل الروس في شعبان أول وحدةٍ هجوميةٍ إلى أفغانستان، وهي عبارة عن كتيبةٍ محمولةٍ جواً قوامها أربعمائة رجل، واستقرت في موقع (بغرام) على بُعد ثلاثين كيلومتراً من العاصمة كابل، فقامت نتيجة ذلك ثورة في العاصمة نفسها في ١٢ رمضان ١٣٩٩ هـ (٥ آب ١٩٧٩ م) وقامت الحكومة بعمليات قمعٍ بشعةٍ، وجرائم قذرةٍ كثيرة. ووقع الخلاف بين رئيس الجمهورية نور محمد تراقي وبين رئيس وزرائه حفيظ الله أمين حول الحكم، وفي أوائل أيلول ١٩٧٩ م، انعقد مؤتمر عدم الانحياز في (هافانا) عاصمة كوبا ومرّ محمد نور تراقي بموسكو، فطلب منه بريجينيف أن يأخذ بابرك كارمل معه، فاعتذر تراقي بأن حفيظ الله أمين لا يقبله. فطلب الروس قتل حفيظ الله أمين، ودبّروا مؤامرةً لذلك، فأخبره أحد الضباط المرافقين لتراقي وهو (داود تارون).

وكـانت المؤامرة تقضي بـأن يقتل حفيظ الله أمين في المـطار عنـد خروجه لاستقبال تراقي أثناء عودته.

أوكـل حفيظ الله أمين لمدير الأمن العام (علي شـاه بيمـان) ضبط المطار أثناء الاستقبال، وجاء تراقي، ونجا أمين.

اجتمع السفير الروسي مع محمد نور تراقي في كابـل وأرسلا وراء حفيظ الله أمين ليقتلوه، وأطلق كـل منهما النـار على الآخر، ولكن نجـا كلاهما من سهم الثاني. وفي **٢٢** شوال **١٣٩٩ هـ** (**١٤** أيلول **١٩٧٩ م**) اعتقـل نور محمـد تراقي، وتسلّم رئيس الحكـومة حفيظ الله أمين رئـاسة الجمهورية إضافةً إلى رئاسة الوزارة، وقد حمّل سلفه مسؤولية الأخطاء التي وقعت بها حكومة حزب خلق. ولكن لم يُعلن عن وفاة نور محمد تراقي إلا بعـد ما يقـرب من شهر في ١٨ ذي القعـدة **١٣٩٩ هـ** (**٩ تشرين الأول ١٩٧٩ م**).

٢ ــ حفيظ الله أمين[1]:

بعد أن استلم الدولة أراد أن يظهر بمظهر المحايد فأعلن العفو عن جميع الذين غادروا البلاد، وعمل على تحسين علاقته مع الدول المجاورة وخـاصةً إيـران وباكستـان، وعمل على إصـلاح المسـاجـد التي هـدّمهـا الشيوعيون.

---

(١) حفيظ الله أمين: ولـد في مديـرية بغمـان عام **١٣٤٦ هـ**، ودرس هنـاك المرحلة الابتدائية، وأتم المرحلة الثانوية في كابل في مدرسة ابن سينا، وأكمل المرحلة الجامعية في جامعة كابل. وعمل بعدهـا في التعليم فدرّس في المعهـد العالي للمعلمين، ثم عُيّن مديراً لثانوية ابن سينا، وابتعث إلى جامعة كولومبيا في نيويورك فنال درجة الماجستير في الفيـزياء، تـرأس اتحاد الـطلاب اليساريين. وفـاز في انتخابات **١٣٨٧ هـ** الأولى والثانية عن مديرية بغمان، بقي في الحكم ثلاثة أشهر، يتقن اللغتين الروسية والإنكليزية إضافةً إلى لغته.

أخذ الشيوعيون يُوجّهون النقد الدائم لحزب خلق، وهذا ما أضعفه، وجعل أنظار كافة الشيوعيين ورفاقهم تتجه نحو حزب (برشام) الحزب الشيوعي الآخر، وفي الوقت نفسه زادت المقاومة الداخلية التي تشمل الأحزاب والفئات والعناصر الإسلامية، وبدأ الصراع.

كان أسد الله أمين ابن أخي رئيس الجمهورية رئيساً لمكتب المخابرات فجرى هجوم عنيف عليه في الأول من شهر صفر ١٤٠٠ هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٧٩ م)، وقد أُصيب بجروحٍ بليغةٍ، وفي اليوم نفسه جرى هجوم على القصر الجمهوري، ووقع عدد من الضحايا، ولكن رئيس الجمهورية لم يُصب بأذىً. ونتيجة هذه الأحداث تسلّم الروس إدارة العاصمة وتسيير الشؤون فيها، غير أن الأمر قد صعب على الضباط الأفغانيين فحاولوا مقاومة ذلك، ووقعت صدامات بينهم وبين الروس في الخامس من صفر عام ١٤٠٠ هـ.

كان الروس غير راضين عن سياسة حزب خلق رغم شيوعيته إذ لا يرغبون بشيوعية تخرج عن دائرة فلكهم قيد أنملةٍ، ولكن يجب أن تكون رهن إشارتهم، وطوع أمرهم، ولم يكن نور محمد تراقي ولا حفيظ الله أمين سوى رجالٍ من هذا، وإن كانوا أقلّ بقليل، لذا لم يكن على روسيا ـ حسب سياستها ـ سوى الإطاحة بهم، وإعطاء السلطة لآخرين يدورون في فلكها، ويعدّون أنفسهم من أتباع موسكو كليةً، وكان حزب (برشام) الحزب الشيوعي الآخر من هذا النوع تقريباً، وكان زعيمه (بابرك كارمل)[1] لا يزال

---

(١) بابرك كارمل: ابن الجنرال محمد حسن أحد المقربين إلى الملك محمد ظاهر شاه، ولد في مديرية (بغرامي) من ولاية كابل عام ١٣٤٧ هـ، من أسرةٍ غنيةٍ كانت على صلةٍ بالأسرة الحاكمة، درس في المدرسة الأمانية، وحصل منها على الشهادة الثانوية عام ١٣٦٧ هـ، وسجن ثلاث سنواتٍ لنشاطاته المعادية لقانون الصحافة، وتخرّج من كلية الآداب في جامعة كابل عام ١٣٨٠ هـ، وعمل مترجماً للغة الألمانية بوزارة التربية، كما درس الحقوق، وعمل في وزارة التخطيط من ١٣٧٧ ـ ١٣٨٥هـ. =

يعيش في (براغ) عاصمة تشيكوسلوفاكيا كلاجئٍ سياسيٍ، أي تحت يد الروس. وقد هُيء هذا الحزب لاستلام السلطة في أفغانستان بعد ضعف حزب (خلق)، وعدم إعطاء الثقة التامة له من موسكو.

وفي يوم ٦ صفر ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ م) حدث هجوم على القصر الجمهوري، برئاسة وزير الدفاع محمد أسلم وطنجار، واعتقل رئيس الجمهورية حفيظ الله أمين، وفي اليوم التالي لقي حتفه، وعيّن (بابرك كارمل) رئيساً للجمهورية، وهو لا يزال في العاصمة التشيكية (براغ)، حيث تحرّك منها نحو كابل عن طريق موسكو، وألقى بياناً وهو في العاصمة الروسية[1] بصفته رئيساً لجمهورية أفغانستان، وأذيع البيان من موسكو على

= انتخب نائباً لحزب الشعب الديمقراطي عن ولاية كابل عام ١٣٨٥ هـ.
وأسّس حزب (برشام) التقدّمي الشيوعي، عندما انشق حزب الشعب الديمقراطي، ويعلن الانتماء لموسكو والارتباط بها، وذلك عام ١٣٨٧ هـ، وفي الوقت نفسه أسّس نور محمد تراقي حزب خلق، كما انشقّت يومها مجموعة أخرى، وأصدرت صحيفة أسبوعية تحمل اسم شعلة جاويد أي الشعلة الأبدية وتسير على النهج الصيني وكانت برئاسة طاهر بدخشي، وعرفت باسم (ستم مللي)، وكان انشقاقها عام ١٣٨٨ هـ، أيّد حزب برشام الإطاحة بالملك الأفغاني محمد ظاهر شاه عام ١٣٩٣ هـ، وألغيت الأحزاب عام ١٣٩٧ هـ، واندمج بعدها الحزبان الشيوعيان (برشام) و (خلق). ثم اعتقل قادة الأحزاب الشيوعية عام ١٣٩٨ هـ، ولكن لم يلبث أن قام الانقلاب الشيوعي، وعُيّن بابرك كارمل نائباً لرئيس مجلس الثورة، ورئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة نور محمد تراقي. وفي عام ١٣٩٩ هـ عاد الانشقاق بين جناحي الحزب الشيوعي، وأُبعد بابراك عن بلاده، وعين سفيراً لبلاده في تشيكوسلوفاكيا، وبعد ثلاثة أشهر استدعي، واعتقل، وحوكم بتهمة خيانة ثورة نيسان، وأخرجه الروس، وحصل على حق اللجوء السياسي في براغ نتيجة التدخّل الروسي. وعندما نصّب نجيب الله نفسه رئيساً للدولة في رمضان ١٤٠٦ هـ، فرّ إلى السفارة الصينية، ومنها إلى السفارة الروسية، ثم انتقل إلى طاشقند، ويعيش الآن في موسكو.

(١) وقيل إن البيان ألقي من مدينة (ترمذ) على نهر جيحون عند الحدود الأفغانية، والمهم أنه ألقي من داخل الأمبراطورية الروسية.

أنه من كابل، وأعلن أن سلفه حفيظ الله أمين كان عميلاً أمريكياً، هذا مع العلم أن روسيا قد ادّعت قبل يومين أن حفيظ الله أمين رئيس جمهورية أفغانستان قد طلب تدخّل الجيش الروسي لمساعدته بالقضاء على الثورة في داخل بلاده. ولما دخل الجيش الروسي أفغانستان ادّعت روسيا أن جيشها لم يدخل أفغانستان إلا بناءً على طلب رئيس الجمهورية الأفغانية، ومع هذا فقد ادّعى صنيعتها الجديد أن سلفه كان عميلاً أمريكياً.

٣ ـ بابرك كارمل:

وصل إلى كابل فوجد الروس قد سبقوه إليها، إذ عندما كان يذيع البيان كانت جيوشهم التي تزيد على ثمانين ألفاً تجتاز نهر جيحون، وأخذوا يُمارسون الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وهذا ما أثار السكان ضدّ الروس، وضدّ أعوانهم الذين يتسلّمون السلطة في البلاد.

دخل بابرك كارمل في دبابةٍ روسيةٍ أنموذج تي ٧٢.

بدأ النقل الجوي العسكري الضخم، وكانت تستعمل أكثر من ثلاثمائة طائرة نقلٍ ضخمةٍ لنقل الجنود والمعدات، والمؤن إلى كابل، وهاجمت القوات الروسية المحمولة جواً قصر الأمان، ومحطة الإذاعة، كما جرّدت هذه القوات وحدات الجيش الأفغاني من سلاحها.

وتلا ذلك إرسال أربعين ألف جندي روسي، توزّعوا على العواصم الإقليمية. وبحث موضوع التدخّل الروسي في أفغانستان في الأمم المتحدة، واتخذ قرار يدعو إلى الانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الأجنبية، من أفغانستان، وكان التصويت ١٠٤ مقابل ١٨، ولكن هذا القرار غير جدي لذلك لم يكن شيء من نتائجه، وكذلك قرر وزراء خارجية الدول الإسلامية المجتمعين في إسلام أباد في باكستان: إن الغزو الروسي لأفغانستان يُشكّلُ مخالفةً صارخةً للقانون الدولي، غير أن هذا الكلام لم يسمعه سوى الذين صاغوه، لأنهم لا يملكون قوةً، ولو ملكوها ما استطاعوا استخدامها.

وكذلك تبنّت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة اقتراحاً قدّمته باكستان يستنكر التدخل الروسي في أفغانستان، ولكن ليس هناك من مجيبٍ فالقضية تتعلق بالمسلمين، والأمم المتحدة تقع تحت وطأة الصليبية، فالقضايا تُسمع ويستجاب لها إن كانت ضدّ المسلمين وضدّ مصالحهم، وتُنفّذ ولو اضطر الأمر إلى استخدام القوة، وربما اجتمعت قوة العالم على ذلك، وقد تكون بينها قوات إسلامية نتيجة الارتباطات والمحاور والدوران بالأفلاك.

وتزايدت القوات الروسية في أفغانستان فوصل عددها إلى خمسة وسبعين ألفاً، وأخذت تستعمل الغازات السامة ضدّ المجاهدين، وضدّ السكان الآمنين أيضاً، وأعلنت الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها استنكارها كلامياً، ولكن لم تحرّك ساكناً، ولم يكن بإمكان السكان إلا الهرب من الجحيم الذي يعيشون فيه، هذا إن تمكّنوا من الفرار. فبلغ عدد اللاجئين الأفغان في باكستان في شوال ١٤٠٠ هـ (آب ١٩٨٠ م) أكثر من مليون، ونقص عدد القوات الأفغانية إلى النصف خلال سنةٍ واحدةٍ فبعد أن كان ثمانين ألفاً عام ١٣٩٩ هـ نقص إلى أربعين ألفاً عام ١٤٠٠ هـ.

الناس يفرّون من بلدهم خوفاً من الظلم وكرهاً من استبداد المعتدين الدخلاء، موظفو السلك السياسي في السفارات الأفغانية يطلبون اللجوء السياسي، موظفو شركة الطيران الأفغانية (أريانا) يهربون، ولاعبو كرة القدم يفرّون عندما يخرجون لمباراةٍ دوليةٍ خارج حدود بلادهم، الوفود السياسية تأبى العودة و. . .

وعاد الموضوع إلى الأمم المتحدة مع بداية عام ١٤٠١ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٠ م)، وصدر قرار يدعو إلى انسحاب القوى الأجنبية الشامل من أفغانستان (بأكثرية ١١١ صوتاً مقابل ٢٢ صوتاً وامتناع ١٢ صوتاً) ولكن كلام في كلام. وكان الانتقاد الإعلامي للمخالفات الروسية في استعمال المتفجرات المفخخة، والقصف العشوائي، ولكن من غير جدوى. وعاد

الموضوع بعد عامٍ للأمم المتحدة، ولكن كالسابق من غير فائدةٍ سوى التصويت.

فوج من الجيش الأفغاني يفرّ من المعركة بصورةٍ جماعيةٍ أمام المجاهدين في (شاريكار) شمال كابل، وتتمرّد قطعات من الجيش في موقع (نضرشاه ـ كوت) في مقاطعة (باكتيا الجنوبية الشرقية) ثم تفرّ إلى باكستان. وهرب مئات من الجنود الأفغانيين من الفرقة الخامسة والعشرين إلى باكستان بعد أن تمرّدوا على قادتهم وقتلوا ضباطاً روساً وأفغانيين، وانضمام أعداد من الجنود الأفغان إلى المجاهدين.

وما جاء عام ١٤٠٠ هـ إلا وقد قتل مليون مسلمٍ على يد القوات الروسية، وقوات عملائها، وبلغ عدد القوات الروسية في أفغانستان عام ١٤٠٢ هـ ما يزيد على مائة وخمسة آلاف جندي.

وفي ٧ رمضان ١٤٠٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٨٢ م) تمّ عقد اتفاقية بين موسكو وكابل لمدة خمس سنوات تعهدت فيها موسكو تأمين الخبراء والمعدات والتدريب لكابل، وبعد شهر قدمت موسكو هديةً للأفغان ١٥٠٠ دبابة ومستشفى يضمّ مائتي سرير.

وكان الروس يتهمون باكستان بإثارة المجاهدين الأفغان على نظام كابل العميل للروس، وبدأت المحادثات تجري في جنيف بين باكستان وبين النظام الأفغاني الخاضع للروس، وقد بدأت هذه المحادثات في ٢٨ رمضان ١٤٠٢ هـ (١٩ تموز ١٩٨٢ م) واستمرت حتى وقعت الاتفاقية بين الطرفين في ٢٧ شعبان عام ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م).

٤ ـ نجيب الله محمد[1]:

كان رئيس الاستخبارات الأفغانية ـ خاد ـ في عهد بابرك كارمل فمكّن

---

(١) نجيب الله محمد: ولد في (مراد خانة) إحدى ضواحي العاصمة وذلك عام ١٣٦٦ هـ، وأصله من ولاية (بكتيا). =

لنفسه، وهو صاحب أطماع، ويجيد المناورة، والظهور بمظهر المسالمة، ومحبة الوصول إلى نتيجة مع المحاور كلها.

وفي رجب ١٤٠٥ هـ (نيسان ١٩٨٥ م) دعت الحكومة إلى انعقاد الجمعية الوطنية (لويا جيرغاه) التي صادقت على دستورٍ جديدٍ لأفغانستان، وعُيّن عضو من خارج حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني رئيساً لجبهة (وطن الأجداد الوطنية)، وجرت الانتخابات لاختيار أعضاء الحكومات المحلية الجدد (وزعمت الحكومة أن ٦٠٪ ممن تم انتخابهم لم يكونوا حزبيين)، كما عُيّن عدة أعضاء غير حزبيين في مناصب حكومية رفيعة، وذلك في محاولةٍ لتوسعة قاعدة الحكم.

وأصبح نجيب الله محمد أميناً عاماً لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، واحتفظ بابرك كارمل برئاسة المجلس الثوري، وإن كان منصباً أدنى من منصب نجيب الله محمد.

أعلن نجيب الله محمد عن تشكيل قيادةٍ جماعية تضمّ كلاًّ: نجيب الله محمد، وبابرك كارمل، وسلطان علي كشتمند.

أُعفي بابرك كارمل من مناصبه الحزبية والحكومية كلها، وأصبح محمد تشامكاني نائب رئيس المجلس الثوري، وهو من خارج حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وكان ذلك المنصب محدداً بإعلان دستورٍ جديدٍ، وتشكيل هيئةٍ تشريعيةٍ دائمةٍ.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م) صادقت اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني في جلستها المكتملة على اتباع سياسة مصالحةٍ وطنيةٍ تضمّنت إجراء مفاوضات مع جماعات المعارضة، وتشكيل حكومة وحدةٍ وطنيةٍ ائتلافيةٍ.

وفي أوائل جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (أوائل كانون الثاني ١٩٨٧ م)

تشكلت هيئة استثنائية عليا للمصالحة الوطنية برئاسة عبد الرشيد هاتف، وهو رئيس اللجنة الوطنية لجبهة وطن الأجداد الوطنية، لإجراء المفاوضات. وأُعيدت تسمية جبهة وطن الأجداد الوطنية فأصبحت «الجبهة الوطنية»، وغدت تنظيماً مستقلاً عن حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وأحرزت سياسة المصالحة الجديدة بعض الدعم من خصوم سابقين كانوا ضمن المعارضة، ولكن تحالف أحزاب المجاهدين السبعة المعروف باسم «الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان» رفض التقيد بوقف إطلاق النار، والمشاركة في المفاوضات في الوقت الذي استمر فيه بالمطالبة بانسحاب الروس الكامل وغير المشروط.

وأعلن في ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) عن إجراء تطورات مهمة وذلك كنوعٍ من الدعاية وكسب التأييد، والحرب الإعلامية إذ أُذيع أنه جزء من عملية المصالحة الوطنية، فأعلن عن السماح بتشكيل أحزاب سياسية أخرى لكن ضمن شروط معينة. كما أعلن الرئيس نجيب الله محمد عن استعداد حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني لاقتسام السلطة مع ممثلي جماعات المعارضة في حالة تشكيل حكومة وحدة وطنيةٍ ائتلافيةٍ.

وتمت المصادقة على مسودة دستورٍ جديدٍ من قبل اللجنة التنفيذية الدائمة للمجلس الثوري. ومن بين الأفكار الرئيسية الحديثة التي تضمّنتها مسودة الدستور: تشكيل نظام سياسي متعدد الأحزاب برعاية الجبهة الوطنية، وتشكيل هيئة تشريعية تتألف من مجلسين تشريعيين، وتسمى ملي شورى (مجلس الشورى) أي أن الجمعية الوطنية تتألف من مجلسي الشيوخ والنواب. ومنح حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني وضعا دستورياً دائماً، ومنح رئيس الجمهورية الذي تستمر مدة رئاسته سبع سنوات سلطات لا حدود لها، وتعديل اسم الدولة من جمهورية أفغانستان الديمقراطية إلى جمهورية أفغانستان، وأقرّت الجمعية الوطنية الدستور الجديد في ربيع الأول عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م).

جرت انتخابات محلية في أنحاء البلاد في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (آب ١٩٨٧ م)، وانتخب عدد ليسوا أتباعاً لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني.

وفي ١٠ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٨٧ م) تمّ انتخاب نجيب الله محمد بالإجماع رئيساً للمجلس الثوري، كما انتخب محمد تشامكاني نائباً للرئيس. وحتى يتمكن الرئيس من تقوية مركزه أقصى جميع مؤيدي الرئيس السابق بابراك كارمل الباقيين في اللجنة المركزية والمكتب السياسي (اللجنة التنفيذية) لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني. وبعد شهر انتخبت الجمعية الوطنية بالإجماع نجيب الله محمد رئيساً للجمهورية.

وفي شعبان عام ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) جرت انتخابات جمعية وطنية جديدة بمجلسي الشيوخ والنواب، وحلّت محلّ المجلس الثوري غير أن المجاهدين قد قاطعوا هذه الانتخابات لعلمهم أنها ليست سوى محاولة لتضليل الأمة. وقد تركت الحكومة خمسين مقعداً شاغراً في مجلس النواب من أصل ٢٣٤ مقعداً، كما أبقت عدداً قليلاً من مقاعد مجلس الشيوخ أملاً في أن يتخلّى المجاهدون عن موقفهم. وقد حصل حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني على ٤٦ مقعداً فقط في مجلس النواب، وحصلت الجبهة الوطنية على خمسة وأربعين مقعداً، وهي تؤيد حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني. كما حصلت أحزاب يسارية مؤيدة على ٢٤ مقعداً.

وفي رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) أصبح محمد حسن شرق رئيساً للوزراء محل سلطان علي كشتمند، ومحمد حسن شرق ليس من أعضاء حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني ومع ذلك فقد كان يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء منذ عشرة أشهر. وبعد شهرين أي في ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م) عُيّنت وزارة جديدة.

وفي ١٣ رجب ١٤٠٩ هـ (١٨ شباط ١٩٨٩ م) أي بعد انسحاب الروس من أفغانستان بثلاثة أيام أجرى الرئيس نجيب الله محمد تعديلاً وزارياً على الحكومة استبدل فيه الوزراء غير الشيوعيين بوزراء موالين من حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وفي اليوم نفسه استقال رئيس الوزراء محمد حسن شرق الذي يعدّ أحد دعائم فكرة المصالحة الوطنية، وحلّ مكانه سلطان علي كشتمند رئيس الوزراء السابق.

وبعد إعلان الرئيس عن حالة الطوارئ ادعى أن ذلك كان بسبب الانتهاكات المتكررة لاتفاقية جنيف بين باكستان والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ١٤ رجب ١٤٠٩ هـ (١٩ شباط ١٩٨٩ م) أعلن تشكيل مجلس أعلى للدفاع عن أرض الوطن، ويتألف من عشرين عضواً، ويهيمن عليه حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وبرئاسة الرئيس نجيب الله محمد، ويضمّ الوزراء، وأعضاء المكتب السياسي (اللجنة التنفيذية)، والشخصيات العسكرية الرفيعة، وأنيطت بهذا المجلس المسؤولية الكاملة عن سياسة البلاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية (رغم استمرار مجلس الوزراء بعمله).

وفي ٢٥ شعبان ١٤٠٦ هـ (٤ أيار ١٩٨٦ م) نصّب نجيب الله محمد نفسه رئيساً للدولة بمساعدة رئيس الوزارة سلطان علي كشتمند على حين فرّ سلفه بابرك كارمل إلى السفارة الصينية، ومنها إلى السفارة الروسية، وخرج بتدبير من الروس إلى (طاشقند)، ثم انتقل إلى موسكو حيث عاش في بيت فخمٍ.

وفي عهد الرئيس نجيب الله محمد ـ كما ذكرنا ـ تمّ التوقيع على اتفاقية جنيف، وقد جاءت كما يلي:

اتفاق ثنائي

بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية حول مبادىء العلاقات لاسيما بشأن عدم التدخل أو المداخلة. إن جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية، المشار إليهما أدناه بأنهما الطرفان السّاميان. رغبةً منهما في تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار والتعاون، وكذلك دعم السلم والأمن العالميين في المنطقة، وإذ تريان أن التقيد التام بمبدأ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية والخارجية للدول يتسم بأكبر الأهمية في صيانة السلم والأمن الدوليين وفي أعمال مقاصد ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة، وإذا تُؤكّدان الحقوق غير القابلة للتصرّف للدول في الاختيار الحرّ لنظمها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفقاً لما ترغب فيه شعوبها، دون تدخّلٍ خارجيٍ أو تخريبٍ أو قسرٍ أو تهديدٍ بأي شكل من الأشكال، وإذ تضعان في اعتبارهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة وكذلك القرارات التي اعتمدتها الأمم المتحدة بشأن مبدأ عدم التدخّل ولا سيما إعلان مبادىء القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون فيما بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة المؤرخ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٠ وكذلك إعلان عدم قبول التدخّل في الشؤون الداخلية للدول المؤرخ في كانون الأول ١٩٨١ اتفقنا على ما يلي:

= درس المرحلة الثانوية في مدرسة (حبيبة)، والتحق بكلية الطب في جامعة كابل عام ١٣٨٤ هـ، وتخرج منها عام ١٣٩٥ هـ، وقد رسب ثلاث سنواتٍ، وتعلّم بعض مراحل دراسته في باكستان عندما كان أبوه ملحقاً تجارياً في القنصلية الأفغانية في مدينة (بيشاور).

انضم إلى الحزب الشعبي الديمقراطي منذ بداية تأسيسه عام ١٣٨٥ هـ، وعُيّن سفيراً لبلاده في طهران، وسُحبت منه الجنسية الأفغانية فلجأ إلى تشيكوسلوفاكيا بجواز سفرٍ مُزوّرٍ، ومنها انتقل إلى موسكو، ومن هناك نقل إلى كابل على متن طائرةٍ روسيةٍ ليلة تدخّل الروس في أفغانستان في ٨ صفر عام ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون أول ١٩٧٩ م)، وعُيّن رئيساً لجهاز الاستخبارات ـ خاد ـ أيام بابرك كارمل. وهو من قبائل البشتو.

المادة الأولى

تنشأ العلاقات بين الطرفين المتعاقدين السّاميين في كنف التقيد التام بمبادىء عدم تدخّل الدول في شؤون غيرها من الدول الأخرى.

المادة الثانية

تنفيذاً لمبدأ عدم التدخّل يتعهد كل طرفٍ سامٍ بالتقيد بالالتزامات التالية:

١" ــ احترام السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية والوحدة الوطنية للطرف السامي المتعاقد الآخر وأمنه وعدم انحيازه، وكذلك الهوية الوطنية لشعبه وثقافته وتراثه.

٢" ــ احترام الحق السيادي وغير القابل للتصرف للطرف المتعاقد السامي الآخر في أن يختار بحريةٍ نظمه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفي تنمية علاقاته الدولية وممارسته السيادة الدائمة على موارده الوطنية وفقاً لرغبة شعبه ودون تدخّل خارجيٍ ولا تخريبٍ أو إكراه أو تهديد بأي شكلٍ من الأشكال.

٣" ــ الامتناع عن استخدام أو التهديد باستخدام القوة بأي شكلٍ من الأشكال حتى لا يخترق أي منهما حدود الآخر أو يُعطّل النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي للطرف المتعاقد السامي الآخر، ولا يقلب أو يُغيّر النظام السياسي للطرف المتعاقد السامي الآخر ولا حكومته ولكي لا يتسبّب في توتر بين الطرفين المتعاقدين الساميين.

٤" ــ ضمان كون إقليمه لا يستخدم بأي طريقة من الطرق من شأنها انتهاك سيادة الطرف المتعاقد السامي الآخر أو استقلاله السياسي أو سلامته

الإقليمية أو وحدته الوطنية أو يعطل استقراره السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

٥" ـ الامتناع عن التدّخل المسلح والتخريب والاحتلال العسكري أو أي شيءٍ من أشكال التدخل المكشوف أو المقنع الذي يستهدف الطرف المتعاقد السامي الآخر، أو أي من أعمال التدخل العسكري أو السياسي أو الاقتصادي في الشؤون الداخلية للطرف المتعاقد السامي الآخر، بما في ذلك أعمال رد الفعل التي تنطوي على استخدام القوة.

٦" ـ الامتناع عن أي عملٍ أو محاولةٍ بأي شكلٍ من الأشكال أو بأي عذرٍ من الأعذار ترمي إلى زعزعة أو تقويض استقرار الطرف المتعاقد السامي الآخر أو أي من مؤسساته.

٧" ـ الامتناع عن تشجيع أو تأييد أنشطة التمرّد أو الانفصال المباشرة أو غير المباشرة الموجهة ضد الطرف المتعاقد السامي الآخر بأي عذرٍ من الأعذار أو أي عملٍ آخر يرمي إلى تفتيت الوحدة أو تقويض أو هدم النظام السياسي للطرف السامي المتعاقد الآخر.

٨" ـ الامتناع عن القيام في حدوده الإقليمية بتدريب أو تجهيز أو تمويل أو استئجار مرتزقة أياً كان منشؤهم لغرض القيام بأنشطةٍ عدائيةٍ ضدّ الطرف المتعاقد السامي الآخر أو إرسال أولئك المرتزقة إلى إقليم الطرف المتعاقد السامي الآخر والإحجام تبعاً لذلك عن منح تسهيلات بما فيها التسهيلات المالية والتدريبية والتجهيزية وتسهيلات العبور لأولئك المرتزقة.

٩" ـ الامتناع عن إبرام أية اتفاقات أو ترتيبات مع دولٍ أخرى تستهدف التدخل في الشؤون الداخلية أو الخارجية للطرف المتعاقد السامي الآخر.

١٠" ـ الإحجام عن القيام بحملات سلبٍ وطعنٍ أو دعايةٍ مغرضةٍ لغرض التدخّل في الشؤون الداخلية للطرف المتعاقد السامي الآخر.

١١" ـ منع أي مساعدة إلى المجموعات الإرهابية أو المخربين أو العناصر الهدامة ضد الطرف المتعاقد السامي الآخر وعدم استخدام هؤلاء وعدم السكوت عنهم.

١٢" ـ عدم قيام الطرف المتعاقد السامي بأن يمنح في إقليمه حضور وإيواء أي أفرادٍ أو مجموعاتٍ سياسيةٍ أو غيرها من مخيمات أو قواعد والامتناع عن تنظيم وتدريب وتمويل وتجهيز وتسليح هؤلاء الأفراد والمجموعات لغرض إحداث الاضطراب والفوضى في إقليم الطرف المتعاقد السامي الآخر والقيام تبعاً لذلك بمنع استخدام الإعلام الجماهيري وعن نقل الأسلحة والذخائر والأجهزة من قبل هؤلاء الأفراد والمجموعات.

١٣" ـ عدم اللجوء إلى أي إجراء من شأنه أن يعتبر تدخلاً وعدم السماح به.

المادة الثالثة

يبدأ نفاذ هذا الاتفاق في ١٥ أيار ١٩٨٨ م.

المادة الرابعة

إن أية خطوات قد تلزم بغية تمكين الأطراف المتعاقدة السامية من التقيد بأحكام المادة ٢ من هذا الاتفاق يجب استكمالها في التاريخ الذي يبدأ فيه نفاذ هذا الاتفاق.

المادة الخامسة

وضع هذا الاتفاق باللغات الإنكليزية والباشتو والأوردو وجميع النصوص متساوية في الحجية.

وفي حالة حدوث اختلاف في التفسير يسود النص الإنكليزي.

حُرّر من ٥ نسخ في جنيف في الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م.

(التوقيع أفغانستان وباكستان).

إعلان بشأن الضمانات الدولية

إن حكومتي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والولايات المتحدة الأمريكية إذ تُعبّران عن تأييدهما لقيام جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية بإبرام تسويةٍ سياسيةٍ متفاوض عليها تستهدف تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار بين البلدين وحرصاً منهما على دعم السلم والأمن العالميين في المنطقة. ورغبةً منهما في المساهمة في تحقيق الأهداف التي رسمتها جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية وبغية تأمين احترام سيادتهما واستقلالهما وسلامتهما الإقليمية وعدم انحيازهما.

تتعهدان بالامتناع الصارم عن التدخّل بأي شكلٍ من الأشكال في الشؤون الداخلية لجمهورية أفغانستان ولجمهورية باكستان الإسلامية وباحترام الالتزامات التي يتضمّنها الاتفاق الثنائي المبرم بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية المتعلّق بمبادىء العلاقات الثنائية ولاسيما بشأن عدم التدخّل.

تحثان كافة الدول على أن تحذو حذوهما.

يبدأ نفاذ هذا الإعلان في ١٥ أيار ١٩٨٨ م.

حُرّر في جنيف، في اليوم الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م من خمس نسخٍ باللغتين الإنكليزية والروسية وكلا النصين يتساويان في الحجية.

(اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والولايات المتحدة الأمريكية).

اتفاق ثنائي

بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية بشأن العودة الطوعية للاجئين.

إن جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان المشار إليهما أدناه على أنهما الطرفان المتعاقدان الساميان رغبةً منهما في تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار والتعاون وكذلك تقوية السلم والأمن الدوليين في المنطقة، واقتناعاً منهما بأن العودة الطوعية إلى الوطن والتي لا يقف في طريقها حاجز تُشكّل أهم حلٍ لمشكلة اللاجئين الأفغانيين المتواجدين في جمهورية باكستان الإسلامية وقد تأكّدتا من أن الترتيبات المتعلقة بعودة اللاجئين الأفغان مرضية بالنسبة لهما.

اتفقتا على ما يلي:

المادة الأولى

تتاح لكافة اللاجئين الأفغان المتواجدين مؤقتاً في إقليم جمهورية باكستان الإسلامية فرصةً للعودة الطوعية إلى ديارهم وفقاً للترتيبات والشروط المنصوص عليها في هذا الاتفاق.

المادة الثانية

تقوم حكومة جمهورية أفغانستان باتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لتأمين الظروف التالية للعودة الطوعية للاجئين الأفغان إلى ديارهم:

أ ــ يسمح لكافة اللاجئين بالعودة بحرية إلى ديارهم.

ب ــ يتمتع جميع العائدين بالاختيار الحر لمكان إقامتهم وبحرية الحركة داخل جمهورية أفغانستان.

ج ــ يتمتع جميع العائدين بحق العمل وبظروف معيشةٍ ملائمةٍ وبنصيبٍ من رعاية الدولة.

د ـ يتمتع جميع العائدين بحق المشاركة على قدم المساواة في الشؤون المدنية لجمهورية أفغانستان. وتؤمن لهم مزايا متساوية نتيجة لحل المسألة المتعلّقة بالأراضي بالاستناد إلى إصلاح الأراضي والمياه.

هـ ـ يتمتع جميع العائدين بنفس الحقوق والامتيازات بما في ذلك حرية الدين وعليهم نفس الالتزامات والواجبات التي على أي مواطنٍ آخر في جمهورية أفغانستان دون تمييزٍ.

تتعهد حكومة جمهورية أفغانستان بتنفيذ هذه التدابير وبتوفير كافة شروط المساعدة في عملية إعادة التوطين وذلك في حدود إمكاناتها.

المادة الثالثة

تقوم حكومة جمهورية باكستان الإسلامية بتسهيل العودة الطوعية والمنظمة وفي كنف السلم لجميع اللاجئين الأفغان الباقين في إقليمها وتتعهد بتوفير المساعدة اللازمة لعملية التوطين وذلك في حدود إمكاناتها.

المادة الرابعة

لغرض تنظيم وتنسيق ورصد العمليات التي ستيسر العودة الطوعية والمنظمة وفي كنف السلم للاجئين الأفغان ستنشأ لجان مختلطة وفقاً للممارسة الدولية المعمول بها.

يكون أعضاء هذه اللجان والموظفون المكونون لها متمتعين، في أدائهم لوظائفهم، بالتسهيلات اللازمة وتيسر لهم سبل الوصول إلى المناطق المعنية داخل إقليمي الطرفين المتعاقدين الساميين.

المادة الخامسة

بغية تيسير الحركة المنظمة للعائدين تقوم اللجان بتحديد نقاط عبور حدودية وبإنشاء مراكز العبور اللازمة. كما تقوم بإنشاء كافة الطرائق الأخرى

اللازمة للعودة التدريجية للاجئين بما في ذلك تسجيل أسماء اللاجئين الذين أعربوا عن الرغبة في العودة وإبلاغ تلك الأسماء إلى بلد العودة.

المادة السادسة

بناء على طلب الحكومتين المعنيتين يقوم مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين بتوفير التعاون والمساعدة في عملية العودة الطوعية للاجئين وفقاً لهذا الاتفاق ويمكن أن تبرم اتفاقات خاصة لهذا الغرض بين مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين والطرفين المتعاقدين الساميين.

المادة السابعة

يبدأ نفاذ هذا الاتفاق في ١٥ أيار ١٩٨٨ م. وفي تلك الأثناء تنشأ اللجان المختلطة المنصوص عليها في المادة الرابعة وتبدأ العمليات الرامية إلى العودة الطوعية للاجئين بموجب هذا الاتفاق.

تبقى الترتيبات المنصوص عليها في المادتين الرابعة والخامسة أعلاه نافذة لمدة ثمانية عشر شهراً. وبعد تلك الفترة يقوم الطرفان المتعاقدان الساميان باستعراض نتائج إعادة التوطين وينظران، عند اللزوم، في أية ترتيباتٍ إضافيةٍ قد يلزم اتخاذها.

المادة الثامنة

وضع هذا الاتفاق باللغات الإنكليزية، والباشتو، والأوردو وجميع النصوص متساوية في الحجية. وفي حالة اختلاف في التفسير يسود النص الإنكليزي.

حُرّر في خمس نسخٍ أصلية في جنيف في اليوم الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م.

(توقيع أفغانستان وباكستان)

اتفاق بشأن
نواحي الترابط لتسوية الحالة المتصلة بأفغانستان

١ ـ إن المساعي الدبلوماسية التي اضطلع بها الأمين العام للأمم المتحدة بتأييد من جميع الحكومات المعنية والتي هدفها تحقيق تسوية سياسية من خلال المفاوضات للحالة المتصلة بأفغانستان قد كللت بالنجاح.

٢ ـ وحيث قبلنا العمل من أجل تسوية شاملة تستهدف حل مختلف القضايا المعنية ووضع إطار يكفل حسن الجوار والتعاون فإن حكومة جمهورية أفغانستان وحكومة جمهورية باكستان الإسلامية شرعتا في مفاوضات من خلال وساطة الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة في جنيف في الفترة من ١٦ إلى ٢٤ حزيران ١٩٨٢ م. وفي أعقاب المشاورات التي أجراها الممثل الشخصي في استنبول وكابول وطهران في الفترة من ٢١ كانون الثاني إلى ٧ شباط ١٩٨٣ م تواصلت المفاوضات في جنيف من ١١ إلى ٢٢ نيسان ومن ١٢ إلى ٢٤ حزيران ١٩٨٣ م. وزار الممثل الشخصي المنطقة لإجراء مناقشات عالية المستوى من ٣ إلى ١٥ نيسان ١٩٨٤ م. وقد تمّ الاتفاق وقتئذٍ على تغيير إطار المفاوضات وعملاً بذلك جرت مفاوضات غير مباشرة من خلال الممثل الشخصي في جنيف في الفترة من ٢٤ إلى ٣٠ آب ١٩٨٤ م. وقام الممثل الشخصي بزيارةٍ أخرى للمنطقة في الفترة من ٢٥ إلى ٣١ أيار ١٩٨٥ م سبقتها جولات إضافية من المحادثات غير المباشرة المعقودة في جنيف في الفترة من ٢٠ إلى ٢٥ حزيران ومن ٢٧ إلى ٣٠ آب ومن ١٦ إلى ١٩ كانون الثاني ١٩٨٦ م لإجراء مشاورات. وبدأت جولة نهائية من المفاوضات بوصفها محادثات غير مباشرة في جنيف في ٥ أيار ١٩٨٦ م، وعلقت في ٢٣ أيار ١٩٨٦ م، ثم استؤنفت في الفترة من ٣١ تموز إلى ٨ آب ١٩٨٦ م. وزار الممثل الشخصي المنطقة في الفترة من ٢٠ تشرين الثاني إلى ٣ كانون الأول ١٩٨٦ م لإجراء مفاوضات إضافية

واستؤنفت المحادثات في جنيف من جديد في الفترة من ٢٥ شباط إلى ٩ آذار ١٩٨٧ م ومن ٧ إلى ١١ أيلول ١٩٨٧ م وزار الممثل الشخصي المنطقة من جديد في الفترة من ٢ آذار إلى ٨ نيسان ١٩٨٨ م.

وتم تغيير إطار المفاوضات من جديد في ١٤ نيسان ١٩٨٨ م حينما وضعت الصكوك المنطوية على التسوية في شكلها النهائي وتبعاً لذلك جرت محادثات مباشرة في تلك المرحلة.

وقد أبقت حكومة جمهورية باكستان الإسلامية حكومة إيران على علمٍ بتقدم المفاوضات خلال المساعي الدبلوماسية.

– واشتركت حكومة جمهورية أفغانستان وحكومة جمهورية باكستان الإسلامية في المفاوضات بناءً على الاقتناع الصريح بأنهما تعملان وفقاً لحقوقهما والتزاماتهما بموجب ميثاق الأمم المتحدة واتفقتا على وجوب أن تستند التسوية السلمية إلى مبادىء القانون الدولي التالية:

المبدأ القائل بوجوب امتناع الدول في علاقاتها الدولية عن استخدام أو التهديد باستخدام القوة ضد السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي لأي دولةٍ أو بأي شكلٍ من الأشكال التي تنافي مقاصد الأمم المتحدة.

المبدأ القائل بوجوب أن تقوم الدول، في علاقاتها الدولية، بتسوية النزاعات بالوسائل السلمية بطريقة لا تعرض السلم والأمن الدوليين والعدالة للخطر.

واجب عدم التدخل في المسائل الداخلة في الولاية المحلية لأية دولة وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

واجب الدول أن تتعاون بعضها مع بعض وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق السيادية وتقرير المصير.

مبدأ مساواة الدول في السيادة.

مبدأ قيام الدول بأن تُنفِّذ عن حسن نية الالتزامات المأخوذة على عاتقها وفقاً لميثاق الأمم المتحدة. وأكدت الحكومتان كذلك حق اللاجئين الأفغان في العودة إلى ديارهم بطريقةٍ اختياريةٍ دون مواجهة أي عراقيل.

٤ ــ وأبرمت الصكوك التالية في هذا التاريخ بوصفها مقومات للتسوية السياسية:

ــ اتفاق ثنائي بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية حول مبادىء العلاقات المتبادلة ولاسيما بشأن عدم التدخل.

إعلان بشأن الضمانات الدولية من جانب الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية.

ــ اتفاق ثنائي بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية حول العودة الطوعية للاجئين.

هذا الاتفاق المتعلق بنواحي الترابط فيما يتعلق بتسوية الحالة المتصلة بأفغانستان.

٥ ــ يبدأ نفاذ الاتفاق النهائي حول مبادىء العلاقات المتبادلة لاسيما بشأن عدم التدخل، والإعلان المتعلق بالضمانات الدولية، والاتفاق الثنائي بشأن العودة الطوعية للاجئين وهذا الاتفاق المتعلق بنواحي الترابط من أجل تسوية الحالة المتصلة بأفغانستان، في ١٥ أيار ١٩٨٨ م.

وطبقاً للجدول الزمني المتفق عليه بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وجمهورية أفغانستان سيكون هناك انسحاب مرحلي للقوات الأجنبية يبدأ في تاريخ بدء النفاذ المشار إليه أعلاه. تسحب نصف القوات بحلول ١٥ آب ١٩٨٨ م وتسحب بقية القوات بالكامل في غضون تسعة أشهر.

٦ ــ إن نواحي الترابط الواردة في الفقرة ٥ أعلاه تم الاتفاق عليها بغية التحقيق الفعّال لغرض التسوية السياسية المتمثل في أنه اعتباراً من ١ أيار ١٩٨٨ م لن يكون هناك تدخل بأي شكل من الأشكال في شؤون الطرفين. وستنفذ الضمانات الدولية وستبدأ العودة الطوعية للاجئين إلى ديارهم وتنتهي في غضون الجدول الزمني المحدد في الاتفاق بشأن العودة الطوعية للاجئين ويبدأ الانسحاب المرحلي للقوات الأجنبية وينتهي في غضون الجدول الزمني المتوخّى في الفقرة ٥. ولذلك فإن من الأساسي أن تستوفى كافة الالتزامات المتولدة عن الصكوك المبرمة بوصفها مقومات التسوية وأن تتخذ كافة الخطوات اللازمة لتأمين التقيد الكامل بجميع أحكام الصكوك عن حسن نية.

٧ ــ وللنظر في الانتهاكات المزعومة وإيجاد الحلول العاجلة والمقبولة للطرفين للمسائل التي قد تنشأ نتيجةً لتنفيذ الصكوك التي تتألف منها التسوية، يعقد ممثلو جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية اجتماعات في أي وقتٍ يلزم.

ويقوم ممثل للأمين العام للأمم المتحدة ببذل مساعيه الحميدة لدى الطرفين ويساعد في هذا السياق، على عقد اجتماعات ويشارك فيها. ويجوز له أن يقدم للطرفين اقتراحات وتوصيات للنظر فيها والموافقة عليها وذلك من أجل التقيد السريع والأمين والكامل بأحكام الصكوك المذكورة. ولمساعدة ممثل الأمين العام على أداء مهامه، يعين ما يراه مناسباً من الموظفين لمعاونته ويخضعون لسلطته. ويقوم هؤلاء الموظفون، بناءً على مبادرة من الممثل أو طلب من أي طرفٍ، بتقصي أي انتهاكات يمكن أن تكون قد حدثت لأيٍ من أحكام الصكوك ويُعدّون تقريراًعن ذلك. ولهذا الغرض، يقدم التعاون اللازم للممثل ولموظفيه من الطرفين، بما في ذلك حرية التنقل داخل إقليم كل منهما لغرض التقصي الفعال. وأي تقرير يقدم

من الممثل إلى كلتا الحكومتين يجري النظر فيه في اجتماعٍ يعقده الطرفان في أجلٍ لا يتجاوز ثمان وأربعين ساعة من تقديم التقرير.

وتوضع طرائق عمل الممثل والموظفين التابعين له والترتيبات اللوجستية لذلك على النحو المتفق عليه مع الطرفين في مذكرة التفاهم المرفقة بهذا الاتفاق والتي هي جزء منه.

٨ ـ يسجل هذا الصك لدى الأمين العام للأمم المتحدة وقد تم فحصه من قبل ممثلي الطرفين في الاتفاقات الثنائية وممثلي الدولتين الضامنتين الذين أبدوا موافقتهم على أحكامه. وقد قام ممثلو الطرفين المخولون حسب الأصول من قبل حكومتيهما، بالتوقيع أدناه. وقد كان الأمين العام للأمم المتحدة حاضراً.

حررت، في جنيف، في الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م من خمس نسخٍ باللغة الإنكليزية والباشتو والفارسية وجميع اللغات متساوية في الحجية. وفي حالة الاختلاف في التفسير يسود النص الإنكليزي.

(التوقيع من أفغانستان وباكستان).

وإثباتاً لذلك، قام ممثلا الدولتين الضامنين بالتوقيع أدناه.

(التوقيع من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة).

مرفق
مذكرة تفاهم

أولاً: متطلبات أساسية:

أ ـ يقوم الطرفان بتقديم التأييد الكامل والتعاون لممثل الأمين العام ولكافة الموظفين المكلفين بمساعدته.

ب ـ يمنح ممثل الأمين العام والموظفون التابعون له التسهيلات اللازمة والمساعدة السريعة والفعالة بما في ذلك حرية التنقل والاتصالات

والنقل والمواصلات وغير ذلك من التسجيلات التي قد تكون لازمة الوفاء بمهامهم. وتتعهد كل من أفغانستان وباكستان بمنح هذا الممثل والموظفين التابعين له كافة الامتيازات والحصانات التي تنص عليها الاتفاقية المتعلقة بامتيازات وحصانات الأمم المتحدة.

ج ــ تكون أفغانستان وباكستـان مسؤولتين عن أمن ممثل الأمين العام والموظفين التابعين له عند قيامهم بمهامهم في كلٍ من البلدين.

د ــ يتصرف ممثل الأمين العام والموظفـون التابعـون له في أدائهم لوظائفهم، بتجرد كامل. ويجب على ممثل الأمين العام والموظفين التابعين له عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من أفغانستان وباكستان وفي هذا السياق لا يمكن الاستعانة بهم لتحقيق امتيازات بالنسبة لأي من الطرفين المعنيين.

ثانياً: الولاية:

إن الولاية المتعلقة بترتيبات التنفيذ ـ المساعدة ـ المتوخاة في الفقرة ٧، مستقاة من الصكوك التي تتألف منها التسوية. وجميع الموظفين المكلفين بمعاونة ممثل الأمين العام سيحاطون، تبعاً لذلـك، علماً بـالأحكام ذات الصلة التي تتضمنها هذه الصكوك وبالإجراءات التي تستخدم للتأكد من أي انتهاك تتعرض له.

ثالثاً: طريقة التنفيذ وتنظيم الموظفين:

يقوم الأمين العام بتعيين موظف عسكري عالي الرتبة بوصفـه وكيلاً لممثله يعين في المنطقة بوصفه رئيساً لوحدتين صغيرتين تؤلفان في المقر إحداهما في كابول والأخرىٰ في إسلام أباد تتألف كل وحدة منهما من خمسة ضبـاط عسكريين ينتـدبون من الضبـاط العاملين حـالياً تحت رايـة الأمم المتحدة إلى جانب مجموعة ثانوية من الموظفين المدنيين.

يتصرف وكيل ممثل الأمين العام بوصفه نائباً للممثل، ويكون على اتصال بالأطراف من خلال ضابط اتصال يُعيّنه كل طرفٍ لهذا الغرض.

يتم تنظيم وحدتي المقر باعتبارهما فريقي تفتيش للتأكد على عين المكان من أي انتهاك للوثائق التي تتألف منها التسوية. ويتم، في أي وقتٍ يرى فيه ممثل الأمين العام أو وكيله أن من الضرورة بمكان تعيين ما يصل إلى ٤٠ ضابطاً عسكرياً إضافياً (حوالي ١٠ مجموعات تفتيش إضافية) وينتدبون من الضباط العاملين حالياً تحت راية الأمم المتحدة في أقصر وقتٍ ممكن (لا يتجاوز عادة ٤٨ ساعة).

تحدّد جنسيات الضباط بالتشاور مع الطرفين.

كما يقوم ممثل الأمين العام الذي سيقوم بصفة دورية بزيارة المنطقة بالتشاور مع الطرفين ولاستعراض عمل الموظفين التابعين له، وعندما يرى ضرورة ذلك، بتعيين الموظفين التابعين لمكتبه وغيرهم من الموظفين المدنيين من أمانة الأمم المتحدة إلى العمل في المنطقة حسب ما تدعو إليه الضرورة. ويقوم وكيله بالتنقل بين وحدتي المقر ويبقى كامل الوقت على اتصال وثيق به.

رابعاً: الإجراءات:

أ ـ التفتيشات التي تجري بناء على طلب الطرفين:

١ ـ الشكوى المتعلقة بانتهاك وثائق التسوية والمقدمة من أي من الطرفين ينبغي أن تقدم كتابياً باللغة الإنكليزية إلى وحدتي المقر المعنيتين، وينبغي أن تتضمن كافة المعلومات والتفاصيل ذات الصلة.

٢ ـ يقوم وكيل ممثل الأمين العام، عند تسلّمه الشكوى، بإبلاغ الطرف الآخر فوراً بالشكوى ويضطلع بالتحقيق بإجراء تفتيشات موقعية للحصول على شهادات ويستخدم أي إجراء آخر يراه ضرورياً لإجراء التحقيق في الانتهاك المزعوم.

ويجري مثل هذا التحقيق باستخدام الموظفين التابعين للمقر كما هو مشار إليه أعلاه ما لم يرى وكيل ممثل الأمين العام أن مجموعات إضافية تلزم لهذا الغرض وفي هذه الحالة يقوم الأطراف بموجب مبدأ حرية التنقل العام بالسماح للموظفين الإضافيين بالوصول الفوري إلى الأقاليم المعنية.

٣ ـ يتم إعداد التقارير المتعلقة بالتحقيقات باللغة الإنكليزية وتقدم من جانب وكيل ممثل الأمين العام إلى الحكومتين في كنف السرية. (وتقدم نسخة ثالثة من التقرير في نفس الوقت على أساس سري إلى مقر الأمم المتحدة في نيويورك وذلك لإطلاع الأمين العام وممثله لا غير) وطبقاً للفقرة ٧ ينبغي أن ينظر في التقرير المتعلق بالتحقيق في اجتماع يعقده الطرفان في أجلٍ لا يتأخر عن ٤٨ ساعة من تقديمه. ويقوم وكيل ممثل الأمين العام، في غياب الممثل، ببذل مساعيه الحميدة لدى الأطراف وفي هذا السياق يساعد في تنظيم الاجتماعات ويشترك فيها.

وفي سياق تلك الاجتماعات يجوز لوكيل ممثل الأمين العام أن يقدم إلى الطرفين اقتراحات وتوصيات لينظر فيها ويوافق عليها بسرعةٍ وأمانةٍ وفي كنف التقيد التام بأحكام الصكوك (ويجب بطبيعة الحال أن يجيز ممثل الأمين العام مثل الاقتراحات والتوصيات التي يجري إعدادها بالتشاور معه).

ب ـ التفتيشات التي تجري بناءً على مبادرة وكيل ممثل الأمين العام:

بالإضافة إلى التفتيشات التي يطلب الأطراف إجراءها يجوز لوكيل ممثل الأمين العام أن يضطلع، بناءً على مبادرة منه وبالتشاور مع الممثل، بتفتيشات يرى وجوب إجرائها لغرض تنفيذ الفقرة ٧. وإذا رئي أن الاستنتاجات التي تم التوصل إليها أثناء التحقيق تبرر إعداد تقرير إلى الطرفين يستخدم نفس الإجراء المتبع في تقديم التقارير فيما يتصل بالتفتيشات التي تجري بناءً على طلب الطرفين.

مستوى المشاركة في الاجتماعات:

يقوم وكيل ممثل الأمين العام، كما هو مبين أعلاه، بالاشتراك في الاجتماعات التي يعقدها الطرفان لغرض النظر في التقارير المتعلقة بالانتهاكات، وإذا ما قرر الأطراف الاجتماع للغرض المبين في الفقرة ٧، على مستوى سياسي عال يحضر ممثل الأمين العام مثل هذه الاجتماعات.

خامساً: المدة:

يتم تعيين وكيل ممثل الأمين العام والموظفين الآخرين التابعين له في المنطقة في أجلٍ لا يتجاوز ٢٠ يوماً قبل بدء نفاذ هذه الصكوك. وتنتهي الترتيبات في غضون شهرين تاليين لاستكمال كافة الأطر المتوخاة لتنفيذ الصكوك.

سادساً: التمويل:

تتحمل الحكومتان المعنيتان تكلفة كافة التسهيلات والخدمات الواجب تقديمها من الطرفين. أما مرتبات وتكاليف سفر الموظفين من المنطقة وإليها وكذلك تكاليف الموظفين المحليين الذين كلفوا بمهام في وحدات المقر فستتحملها الأمم المتحدة.

ولكن المجاهدين رفضوا هذه الاتفاقية إذ لم يحضروها رغم أنهم العنصر الأساسي فيها، بل لم يفكّروا بها، ولم تُكرّس الأمم المتحدة لها هذا الوقت، ولم تشغل بال الدولتين الكبريين يومذاك لولا وجودهم. وكانت روسيا قد وضعت لانسحاب قواتها مدة خمسةٍ وأربعين شهراً. ثم تراجعت أولاً وثانياً حتى بقيت المدة تسعة أشهرٍ تنتهي في ١٠ رجب ١٤٠٩ هـ (١٥ شباط ١٩٨٩ م) وعندها ينتهي انسحاب القوات الروسية من أفغانستان. وبدأ الانسحاب فعلاً في ٢٩ رمضان ١٤٠٨ هـ (١٥ أيار ١٩٨٨ م) وأول الانسحاب كان من مدينة (جلال أباد).

سياسة الحكم الشيوعي:

عمل الشيوعيون في أفغانستان على نقل مجموعاتٍ من السكان من الشمال وخاصةً من ولاية (بغمان) إلى وادي (هلمند) في الجنوب، بدعوى أنهم قد منحوهم أرضاً هناك، والواقع لمنع حركتهم واتصالهم بالمجاهدين.

وكان عملاء المخابرات الأفغانية الخاصة ـ خاد ـ ينتقلون إلى مخيمات اللاجئين، ويدّعون أنهم من التجار، أو أهل الدين، أو المجاهدين، ويعملون على إثارة الخلافات بين اللاجئين في باكستان، أو بينهم وبين الباكستانيين، ويلجؤون أحياناً إلى تقديم الرشوة لشراء المخدرات، والخمور، والأحجار الكريمة وتهريبها إلى داخل باكستان لإثارة الشبهة، وحمل الباكستانيين على كرههم، وعدم التعاون معهم، وحمل الحكومة على طردهم وعدم مساعدتهم.

وألغى الشيوعيون التعليم الديني في أفغانستان، ووضعوا مناهج تتفق ومبادئهم من إلحادٍ، وأخوةٍ مع الروس، وفرضوا تعليم اللغة الروسية، وحالوا دون تعليم العربية، وكانوا يرسلون الناشئة إلى روسيا للتدريب الحزبي، ولإفسادهم، وتغيير أفكارهم، وتنشئتهم على الإلحاد وحب الروس والشيوعية.

وكان نجيب الله محمد الرئيس الأفغاني يدعو إلى السلام في سبيل تخفيف الضغط عن نظامه، فتارةً يُطالب بتشكيل جبهةً ائتلافيةً تضمّ مختلف الفئات السياسية، وتارةً أخرى يُنادي بعودة الملك السابق محمد ظاهر شاه لمشاركته في وزارةٍ انتقاليةٍ، وهو يعرف أن بعض الجبهات الجهادية، والمجموعات الشيعية تُؤيّد ذلك فيريد استغلال هذه الدعوة وبخاصةٍ أن الروس والأمريكان يفضّلون عودة الملك السابق. وفي كل مرةٍ يشعر أن العمل مع حزبه «حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني» غير مرغوب فيه، إذ أن الشعب يمقت هذا الحزب الأمر الذي جعله يلجأ إلى تغيير هذا الاسم،

فشكّل حزباً جديداً أطلق عليه «حزب الوطن» ولكن بعناصر شيوعيةٍ من حزبه السابق نفسه «الشعب الديمقراطي» بجناحيه (خلق) و (برشام)، وبالحقيقة غيّر اسم الحزب في سبيل امتصاص نقمة الشعب على الحزب، ومن العناصر التي وضعها واجهة لهذا الحزب:

من جناح (برشام) الجناح الذي ينتمي إليه الرئيس الأفغاني نفسه، وإضافةً إليه، نائبه (فريد أحمد مزدك)، و (نجم الدين كاوياني)، و (سليمان لائق)، و (سلطان علي كشتمند) رئيس الوزراء، و (عبدالوكيل) وزير الخارجية، و (محمود بريالي) شقيق الرئيس الأفغاني السابق بابرك كارمل، والجنرال (محمد رفيع)، والجنرال (غلام فاروق يعقوبي) و (سيد إكرام باي كير) و (فضل حق خالقيار) رئيس الوزراء الجديد، و (سرور منجل) نائب رئيس الوزراء.

ومن جناح خلق: (نظر محمد) و (راز محمد باكتين) والجنرال (محمد أسلم وطنجار)، و (عبدالقدوس غوربندي) و (عبدالقيوم نورزي) نائب رئيس الوزراء.

كذلك دعا الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد إلى تشكيل جبهة السلام، وهذا كله في سبيل فكّ العزلة عن حزبه وحكمه، وكانت هذه الألاعيب معروفةً للجميع لذا لم تجد أذناً صاغيةً ولا اهتماماً لدى السياسيين.

وأصدر نجيب الله محمد عام ١٤٠٧ هـ دستوراً للبلاد بقصد المصالحة الوطنية، وعمل على تشكيل جبهةٍ وطنيةٍ لجمهورية أفغانستان تكون هيئةً سياسيةً واجتماعيةً عليا للأحزاب السياسية، ولكن رفضت الجماعات والأحزاب في داخل أفغانستان من خارج الحزب الشيوعي الانضمام إليها.

ورغم انسحاب الروس فقد بقي النظام القائم في أفغانستان يتلقّى

الدعم الروسي، المادي، والعسكري، ويُوفّر له الروس الخبراء والمعدات والحماية، إذ كثيراً ما قصف الطيران الروسي مواقع المجاهـدين لصالـح الحكم الشيوعي، إضافةً إلى تبادل المعلومات الدائمة بين الطرفين.

وفي ٥ رمضان ١٤١٠ هـ (٣١ آذار ١٩٩٠ م) أصدر الرئيس الأفغاني مرسوماً بإعادة جميع الممتلكات التي استولت عليهـا الحكومـة فيما سبق لأصحابها كتشجيعٍ لعودة اللاجئين ليكونـوا تحت سلطانه لا تحت قيـادة المجاهدين، ولكن لم يضحّ أحد بالعودة إذ لا يأمن الناس للشيوعيين ولا يثقون بكلامهم.

ورغم كـل ما فعله الـرئيس الأفغاني من دعـوة للمصالحـة وتقـديم التنازلات ـ حسب زعمه ـ لكن لم يُرض أحداً بل إن الجناح الثـاني من حزبه، وهو جناح خلق قد عمل على الإطاحة به ثلاث مراتٍ خلال تسعة أشهر.

١" ـ جرت محاولة انقلاب في ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (١ تموز ١٩٨٩ م).

٢" ـ جرت محاولة انقلاب في ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٨ كانون أول ١٩٨٩ م).

٣" ـ جـرت محـاولـة انقـلاب في ٩ شعبـان ١٤١٠ هـ (٦ آذار ١٩٩٠ م). بقيادة الجنرال (شاه نواز تاناي)[1] الذي تسلّم وزارة الدفاع بعد

---

(١) الجنرال شاه نواز تاناي: ولد في مديرية تانـاي في ولاية بكتيـا عام ١٣٧٠ هـ، ودرس في بلده المرحلة الابتدائية، والتحق بعد إنهـاء الدراسـة الثانـوية بـالكلية العسكرية في العاصمة كابل، وأصبح عام ١٣٩٨ هـ يحمل رتبة مقدم، ولعب دوراً في الانقلاب الشيوعي على الرئيس محمد داود، وابتعث بعدها إلى أكاديمية لينغراد العسكرية، وعندما عاد عُيّن قائداً للفيلق المركزي في العاصمة كابل، وترقّى إلى رتبة جنرال عندما كان (نظر محمد) وزيراً للدفاع أيام حكم بابرك كارمل، وأصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٤٠٥ هـ، ترأس جناح (خلق) =

الانسحاب الروسي، وشاركه أيضاً الجنرال (عبدالقادر)[1]، وهو الذي قاد عملية الهجوم على القصر الجمهوري في العاصمة كابل. وكان مع الانقلابيين أيضاً الجنرال (شاه ولي) قائد الدفاع الجوي، والجنرال (نجيب أحمد) أحد قادة الحرس الخاص بمنطقة القصر الجمهوري، والجنرال (شيرباز) رئيس قسم الشيفرة بوزارة أمن الدولة، وكلهم من جناح (خلق).

وأعلن الحاكم الأفغاني بأن المؤامرة ضدّه قد دُبّرت بالاتفاق بين الجنرال (شاه نواز تاناي) وبين قلب الدين حكمتيار أمير الحزب الإسلامي، وفي الوقت نفسه عقد قلب الدين حكمتيار مؤتمراً صحفياً في العاصمة الباكستانية إسلام أباد أيّد فيه الانقلابيين وناشد المجاهدين التعاون معهم. وصدر قرار جمهوري يقضي بتعيين الجنرال (محمد أسلم وطنجار)[2] وزيراً

= بعد إقصاء محمد غلاب زوي الذي كان منافساً لنجيب الله محمد. رفض المحاولات السلمية. دبّر مجزرة (هراة) التي ذهب ضحيتها ثمانية وعشرون ألف مسلم في يومٍ واحد، وقاد معركة (خوست) ضد المجاهدين.

(١) الجنرال عبدالقادر: ولد في ولاية (غور) ١٣٦١ هـ، وهو من الطاجيك، وتسلّم قيادة القوات الجوية أيام حكم الرئيس محمد داود، وهو الذي أوصله إلى سدّة الرئاسة، ثم عمل على تنحيته وقتله بعد سجنه للشيوعيين. وتسلّم ثلاثة أشهر وزارة الدفاع، وأرسل سفيراً لبلاده في بولندا، ورجع وتسلّم وزارة الدفاع مدة ثلاث سنوات، وكان عضواً في المجلس الثوري، واللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وعضواً احتياطياً في المكتب السياسي.

(٢) الجنرال محمد أسلم وطنجار: ولد في ولاية بكتيا عام ١٣٦٥ هـ، وحصل على الإجازة في العلوم العسكرية عام ١٣٨٨ هـ، وسافر عام ١٣٩٠ هـ إلى روسيا. وهو من قبائل البشتو من عشيرة (زرمتي)، يرتبط ولاؤه بموسكو رغم ما يُشاع أنه من جناح خلق، شارك في انقلاب ١٣٩٣ هـ، وانقلاب عام ١٣٩٨ هـ، وحاصر القصر الجمهوري بالدبابات، تسلّم منصب وزارة المواصلات عام ١٣٩٨ هـ، ووزارة الداخلية في العام نفسه، ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٣٩٩ هـ، ووزارة الدفاع في العام نفسه، ووزارة المواصلات عام ١٤٠٠ هـ، وهو عضو في المجلس العسكري، وفي اللجنة المركزية للحزب، وفي المكتب السياسي.

للدفاع و (زار محمد بكتين) وزيراً للداخلية، وفرض منع التجول في كابل. وتمكّنت الحكومة من السيطرة على قاعدة (بغرام) مقرّ قيادة الانقلاب بمساعدة الطيران الروسي، وأعلنت إثرها أنها تمكّنت من القضاء على الحركة الانقلابية.

وأعلن قلب الدين حكمتيار في مؤتمرٍ صحفيٍ قصيرٍ في مدينة بيشاور في اليوم الثاني للحركة أن الانقلابيين إذا نجحوا في استلام السلطة فسيشكلون مجلساً ثورياً بالاشتراك مع القادة الميدانيين حول كابل لإجراء انتخابات بالحكومة الموّقتة.

أما حكومة المجاهدين الموقتة فقد أعلن رئيسها عبد الرب الرسول سياف باسمها أنها ترفض التعاون مع قائد الانقلاب الجنرال (شاه نواز تاناي)، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على عدم تفاهم المجاهدين على سياسةٍ واحدةٍ.

ويبدو أن هذا الانقلاب كان نتيجة خوف الجنرال (تاناي) على نفسه بعد أن اشترك في محاولة الانقلاب التي حدثت في ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (١ تموز ١٩٨٩ م)، وسُجن ورُوقب، ثم فرار عددٍ من أعضاء جناح (خلق) إثر المحاولة التي جرت في ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٨ كانون الأول ١٩٨٩ م) ووصولهم إلى باكستان وانضمامهم إلى الحزب الإسلامي بصفتهم من البشتو، وهذا كله دفع الجنرال (تاناي) إلى اللقاء مع قلب الدين حكمتيار عندما كان داخل أفغانستان والتخطيط للحركة، كما يبدو أن باكستان كانت تُشجع ذلك إما للخلاص من الحكم الشيوعي في أفغانستان فقط وإما رغبةً أيضاً في السعي لانضمام أفغانستان إلى باكستان حيث أن البشتو لهم إخوة في باكستان هم قبائل (الباتان) في الشمال الغربي من البلاد.

وفرّ السفير الأفغاني في (أولان باتور) عاصمة منغوليا أسد الله سروري إلى الهند بعد اتصاله بأحد قادة الحركة الانقلابية (قل باتشاوفدار).

وفي اليوم التالي لمحاولة الانقلاب أي في ١٠ شعبان ١٤١٠ هـ شكل الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد محكمةً خاصةً لمحاكمة الانقلابيين، وقضت عليهم الحكم بالإعدام مع وقف التنفيذ، وقد زاد عدد المعتقلين على مائة ضابطٍ.

وفي ١٩ شعبان ١٤١٠ هـ اعتقل ستة عشر ضابطاً بينهم اثنان من مساعدي الجنرال (تاناي)، وفصل من الخدمة ثلاثمائة ضابطٍ آخرين، كما تمّ ترقية أربعةٍ وعشرين عضواً من اللجنة المركزية.

وفي ٢١ شعبان طُرد أربعة وعشرون عضواً منهم الجنرال تاناي، ومحمد غلاب زي، ودوست محمد، وصالح زيري، وكروال، ونياز مهمند، ونزار محمد. . . وفي الوقت نفسه تمّ تعيين أربعة نواب جدد لوزير الدفاع محمد أسلم وطنجار هم: الفريق محمد طاهر شولامال، ومحمد أكرم، وعلاء الدين، وجل محمد وجميعهم من جناح (برشام) وذلك من أجل إمكانية السيطرة التامة على الجيش وضبط الأمور.

وقام الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد بفصل سبعة أعضاء من المكتب السياسي للحزب الشيوعي.

وفي ١١ شوال ١٤١٠ هـ قرر الرئيس الأفغاني تعيين سلطان علي كشتمند نائباً أول لرئيس الجمهورية على أن يحلّ محله في رئاسة الوزارة (حسن شرق) غير أنه في اليوم التالي قد غيّر رأيه وعهد إلى (فضل حق خالقيار) برئاسة الوزارة فشكلها من ستةٍ وثلاثين وزيراً، بينهم ستة وعشرون وزيراً ليسوا من الحزب الشيوعي في سبيل إبداء عدم التسلّط الحزبي لعلّ في ذلك تقريب للشعب من الحكم، غير أن هؤلاء الوزراء الجدد يُؤيدون الحزب وسياسته، وغالباً ما يكونون أكثر تطرّفاً في سبيل المزاودة لاستمرارية الحصول على المنفعة والبقاء في السلطة.

ولعلّ من أسباب فشل هذا الانقلاب:

١ ـ انتشار خبر اللقاء الذي تمّ بين قلب الدين حكمتيار والجنرال شاه نواز تاناي، فأخذت السلطة حذرها، وخاصةً أنه جرت قبل ذلك محاولتان للانقلاب، وتُشيران إلى تورّط الجنرال تاناي فيهما، ثم هناك تصريحات حكمتيار التي يُشمّ منها الرائحة.

٢ ـ قوة حرس الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد والتي تزيد على عشرين ألف جندي.

٣ ـ تعيين الجنرال محمد نبي عظيمي قائداً لحامية كابل إضافةً إلى منصبه كنائب أول لوزير الدفاع الجنرال (تاناي).

٤ ـ إضافة عناصر إلى المجلس الأعلى للدفاع والقطاعات الميدانية من الموالين للرئيس الأفغاني نجيب الله محمد من أمثال الجنرال (علومي) والجنرال آصف (ديلاوار) لتطويق وزير الدفاع الجنرال (تاناي).

٥ ـ محاولة محمد غلاب زي رئيس جناح خلق السابق بعد حفيظ الله أمين التسلّل من روسيا إلى داخل أفغانستان.

٦ ـ مشاركة أسد الله سروري في محاولة الانقلاب، وهو رجل مكروه من الشعب، ويُطلق الناس عليه لقب جزّار كابل إذ قتل اثني عشر ألف إنسانٍ في يومٍ واحدٍ في عهد نور محمد تراقي.

٧ ـ هرب قائد الانقلاب الجنرال تاناي إلى باكستان في اليوم الثاني للحركة ولا يزال القتال مُستعراً بين قوات الفريقين حول كابل وخوست.

٨ ـ إعادة الرئيس الأفغاني لعددٍ من جناح خلق إلى الخدمة، وتعيين الجنرال محمد أسلم وطنجار وزيراً للدفاع، وزار محمد بكتين وزيراً للداخلية وهما من جناح خلق وبذا استطاع الحكم من تفتيت هذا الجناح من الحزب الشيوعي، وهو الجناح القائم بالحركة.

٩ ـ ضعف تقدير قائد الحركة لقوة الحرس الخاص.

١٠ ـ عدم استجابة قوات الأمن الداخلي (السراندوي) وحاميات المدن لنداءات رجال الحركة كما كان يتوقّع الانقلابيون، وقد خطّطوا بناءً على ذلك.

١١ ـ عدم استفادة المجاهدين من الحركة وتأييدها والعمل على الإجهاز على حكم نجيب الله محمد.

١٢ ـ الدعم الروسي الواسع وخاصةً الطيران.

١٣ ـ الحرب الدعائية الواسعة التي بثّها جهاز الحكم، وكانت ناجحةً.

١٤ ـ فشل الضربة الجوية الأولى للقصر الجمهوري، وهذا ما جعل الحكم يقوم بهجومٍ معاكس على مقّر الحركة الانقلابية في وزارة الدفاع، فاضطر الانقلابيون إلى أن ينقلوا مقرهم إلى قاعدة (بغرام) شمال كابل بثلاثين كيلومتراً، والتي هاجمها الطيران الأفغاني الموالي للسلطة فانقطعت الاتصالات بين قادة الحركة والقطعات الموالية لها.

وبعد هزيمة الانقلابيين قام الرئيس نجيب الله محمد بعملية تصفية في حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وقادة الجيش. وقرر العودة بسرعة إلى شكلٍ ما من أشكال الحكومة المدنية الدستورية.

وفي ٢٥ شوال ١٤١٠ هـ (٢٠ أيار ١٩٩٠ م) رُفعت حالة الطوارئ، وحُلّ المجلس الأعلى للدفاع عن أرض الوطن. وبنهاية الشهر انعقدت الجمعية الوطنية (لويا جيرغاه) في كابول حيث أقرّت تعديلاتٍ دستوريةً في امتصاص بعض النقمة على الحكم، حيث قلّلت هذه التعديلات من توجُّه أفغانستان نحو الاشتراكية، وأنهت احتكار حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني والجبهة الوطنية للسلطة التنفيذية، ومهّدت الطريق لإجراء انتخابات يقبلها ـ حسب زعم الحكومة ـ الأفغانيون جميعاً، وأدخلت مزيداً من الحرية السياسية والصحفية، وشجّعت تنمية القطاع الخاص، والاستثمارات

الأجنبية، وقلصت دور الدولة، وأتاحت فرصةً لظهور الإسلاميين. وعلى كل حالٍ فقد بقي الاحتفاظ بالسلطات الواسعة لرئاسة الجمهورية.

وغُيّر اسم حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني إلى «حزب الوطن» في أواخر ذي القعدة من عام ١٤١٠ هـ (أواخر حزيران ١٩٩٠ م)، وحلّ المكتب السياسي (اللجنة التنفيذية) واللجنة المركزية، وحلّ محلهما المجلس المركزي والهيئة التنفيذية.

وتبنّى حزب الوطن خطاً جديداً أبرز سماته معاداة العقيدة. واختير الرئيس نجيب الله محمد بالإجماع رئيساً لحزب الوطن.

وقرر الرئيس الاستمرار بعملية المصالحة الوطنية وتوسعتها، وذلك لأن مشكلات الإمبراطورية الروسية الداخلية قد جعلت الإدارة الروسية غير راغبةٍ في عبء ودعم تصدير الأسلحة والبضائع مدةً أطول وهو ما ساعد على بقاء نظام الحكم الشيوعي في كابول.

وفي ربيع الأول ١٤١١ هـ (تشرين الأول ١٩٩٠ م) انتهى التحالف غير الرسمي بين مختلف الأحزاب اليسارية في البلاد، ووافق حزب الوطن في الشهر التالي على التعاون مع حزب الله الأفغاني الإسلامي. وفي الوقت نفسه اندمجت الجبهة الوطنية مع جبهة السلام الأفغانية التي تشكلت حديثاً. أما التنظيمات الاشتراكية اليسارية التي كانت منضمةً إلى الجبهة الوطنية فقد أعادت تشكيل نفسها هي الأخرى، وتخلّت عن توجُّهها الفكري.

وفي ٤ صفر ١٤١١ هـ (٢٨ من شهر آب ١٩٩٠ م م) تمّ إطلاق صواريخ على وزارة الدفاع في كابل، وكان وراء العملية (محمود بريا لاي) شقيق بابرك كارمل الأصغر الذي أُبعد إلى تشيكلوسلوفاكيا مع الجنرال (عارف).

وفي ٢١ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ (٧ كانون الثاني ١٩٩١ م) عيّن الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد نائباً له عبدالواحد سرابي[١].

---

(١) عبد الواحد سرابي: من قبائل الهزارة، لا ينتمي إلى الحزب الشيوعي، ولد عام =

وعيّن الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد نائباً لرئيس الوزراء محمد بريالي صهر بابرك كارمل، وأناهيتا راتب زادة مستشارة في رئاسة الوزارة، بغية توحيد جهود جناح (برشام) على الأقلّ.

= ١٣٤٨ هـ، وتخرج من مدرسة «نجات» الثانوية بكابل عام ١٣٦٧ هـ، وعيّن مدرساً في العام التالي في المدرسة التجارية، ثم ذهب إلى النمسا لإتمام الدراسة فتخرج عام ١٣٧٤ هـ، وبعد عامين نال شهادة الدكتوراة في الاقتصاد، ورجع إلى بلاده ، وعُيّن أستاذاً للاقتصاد بجامعة كابل، ثم عميداً للكلية، ثم نائباً لمدير الجامعة، فعميداً لكلية التجارة، ثم تسلّم وزارة التخطيط عام ١٣٨٧ هـ، فوزارة الدراسات العليا، فوزيراً للري، فنائباً لرئيس الجمعية الوطنية، فمستشاراً في أواخر عهد بابرك كارمل.

الفصل الثالث

الثّورَة

عاش السكان الأفغان حياةً هادئةً لا يعرفون الحزبية، وصلاتهم الاجتماعية بسيطة تقوم على الجوانب الإسلامية حسب مفهوماتهم، ويُحاول رجال العلم الذين درسوا الإسلام سواء أكان ذلك داخل البلاد أم خرجوا إلى أمصارٍ أخرى يتلقّون مزيداً من العلم كالأزهر يُحاولون الأخذ بيد الشعب في سبيل السير على منهجٍ إسلاميٍ واضحٍ ولكن كان تأثيرهم قليلاً لبساطة الأهالي، ولشغلهم في حياتهم المعاشية، ولم تكن هناك دوافع تحرّكهم، غير أن التدخّل الأجنبي في بلادهم كان يُثيرهم فينتفضون ضدّ الغزاة وغالباً ما ينالون من المعتدين لما نشأوا عليه من قسوةٍ نتيجة طبيعة بلادهم الجبلية، وحياتهم الشاقة، ولإيمانهم وكراهيتهم للكفّار.

ولكن بدأوا يتحرّكون عندما بدأ ملكهم أمان الله يُحاكي الأجانب،وتخرج نساؤه سافرات، فكان ذلك محرّضاً لهم للقيام بالثورة ضدّه، وهدأوا بعدها قليلاً حتى أتى عهد محمد ظاهر شاه فأثارهم تصرّفه، ولكن لم يروا ضرورةً للتنظيم، وإنما كان النصح هو الغالب، والحديث عنه كنوعٍ من التأليب عليه.

وتأثر الذين خرجوا من أفغانستان بالعمل الإسلامي، وعرفوا التنظيم، وانضمّ بعضهم إليه، ومن هذه المنظمات التي تأثروا بها: الجماعة الإسلامية في باكستان نتيجة القرب والارتحال، والإخوان المسلمون في مصر والشام عندما كانوا حركةً فعّالة مُؤثّرة، فلما رجع الذين ذهبوا للدراسة، وعادوا مدرسين في الثانويات أو أساتذةً في الجامعات أخذوا بالتوجيه والحركة، ولكن لم يبدأ التنظيم وإنما كان النشاط علنياً والدعوة صراحةً فهم يدعون إلى الإسلام،

والسكان جميعهم من المسلمين فلا داعي للسرية ولا حاجة للتنظيم الدقيق وإنما دعوة واضحة.

ولما تسلّم رئاسة الوزراة محمد داود مدة عشر سنوات ١٣٧٣ - ١٣٨٣ هـ، وأخذ الشيوعيون ينشطون واندفع يُشجّعهم ليستفيد منهم حسب مخططه الذي يرسمه لنفسه، وبدأ الروس يمدّون أتباعهم ويُوجّهونهم عندها وجد الأساتذة الملتزمون أنه لا بدّ من التنظيم فالعمل العشوائي لا يثمر، والتنظيم لا بدّ له ما يقابله، لذا اتجهوا نحو التهيئة غير أن حكومة محمد داود كانت ضدّ الإسلام، وتُراقب تحرّك دعاته، وهذا ما جعل العاملين ينصرفون إلى العمل السري، وبرز على الساحة منذ عام ١٣٨٠ هـ غلام محمد نيازي.

وأُزيح محمد داود عن رئاسة الحكومة، وظهر النشاط الحزبي، وبرز الحزب الشيوعي «حزب الشعب الديمقراطي» في ٢٨ شعبان ١٣٨٤ هـ (١ كانون الثاني ١٩٦٥ م)، وأخذ المسلمون يلتفّون حول بعض العلماء والدعاة البارزين الذين كان منهم يومذاك محمد يونس خالص، وعبدالرزاق باريس، والملابن وزير، وخدايا نورا، وتشكلت أول نواةٍ حركيةٍ عام ١٣٨٧ هـ، وظهر التنظيم علناً، وبدأ الصدام بين الإسلاميين والشيوعيين وحدثت عدة لقاءاتٍ قتاليةٍ عام ١٣٩٠ هـ، وغالباً ما يكون النصر إلى جانب المسلمين وهذا ما يُشجّعهم، ويرون الشعب يدعمهم فيزدادون اندفاعاً، إذ كان الناس يُقارنون بين الفئتين، فلا يجدون مقارنةً: فئة مستقيمة ملتزمة، وأخرى منحرفة مستهترة. وظهرت جريدة الفجر تدعم المسلمين وتُؤيّدهم، ويعمل صاحبها (منهاج الدين جاهز) إلى جانبهم حتى قضى نحبه بأيدي الفئة المجرمة.

وتصدّر العمل الإسلامي الجامعة في كابل، واكتسح حملته الانتخابات التي جرت عام ١٣٩٣ هـ لاختيار مجلس الطلبة، فكان للشباب الجامعي تجمّعهم إضافةً إلى الجمعيات الإسلامية الأخرى كجمعية العلماء المحمدية، وجمعية خدام الفرقان.

وفي ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ (١٧ تموز ١٩٧٣ م) قام محمد داود

بالانقلاب، وأخذ الضغط على الحركة الإسلامية، فانحلّت الجماعة، وأُعدم مؤسسها غلام محمد نيازي، وسُجن الكثير من رجالها مثل عبد رب الرسول سيّاف، وانقسمت الحركة إلى مجموعتين أولاهما عرف باسم الجمعية الإسلامية ويقودها برهان الدين رباني، والثانية برئاسة قاضي محمد أمين وقاد ويساعده قلب الدين حكمتيار، وذلك عام ١٣٩٤ هـ. ثم شكل قاضي محمد أمين وقاد حزب «داعية الاتحاد الإسلامي»، وأصبح قلب الدين حكمتيار يعاون برهان الدين رباني في رئاسة الجمعية وذلك عام ١٣٩٥ هـ.

وبعد محاولات توفيقٍ ومصالحاتٍ اتفق رجال الحركة الإسلامية على أن يكون فائز مسؤولاً عنهم، ولكن لم يلبثوا أن اختلفوا بعد ثلاثة أشهر من بداية اتفاقهم عام ١٣٩٨ هـ. ثم وجدوا الشيخ محمد نبي محمدي فالتفوا حوله، وكان معروفاً، إذ كان نائباً أيام الملك محمد ظاهر شاه، وإماماً في أحد مساجد مدينة «كويتا»، فأصبح أميراً للحركة الإسلامية.

لم يقبل محمد يونس خالص بهذا الاتحاد، وبقي مع جماعةٍ حملت اسم، الحزب الإسلامي، وسار معه قلب الدين حكمتيار.

وجاء صبغة الله مجددي من الدانمارك، ومرّ على مكة المكرمة، والتقى هناك ببعض الدعاة العاملين، فأسّسوا الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، ولكن لم يمض أكثر من ستة أشهرٍ حتى ذهب كل في طريقه، وتفرّق الجمع.

الثورة:

كان النصح واجباً، وإعلان الحق فرضاً، ومحاربة الظلم والباطل محتمةً في العودة إلى الطريق الصحيحة، فلما قام الانقلاب الشيوعي، وظهر الكفر بُواحاً أصبح الخروج على السلطة واجباً فالشيوعيون يُجاهرون بالإلحاد، ويُصرّحون بالكفر، ويُعلنون ارتباطهم بالأعداء، ويقطعون كل آصرةٍ لهم مع المسلمين، ومن هذا المنطلق اشتعلت الثورة، وأصبح واجب كل مسلمٍ الانضمام إليها، فالتحق بها الواعون المدركون لحقيقة الأمر،

والعارفون واقع الإسلام، والفقه، وفكرة الجهاد، وأيّدهم الشعب الذي يثق بعلمائه، ويتجاوب مع الدعوة إلى الجهاد، ورفع راية الإسلام، فتحرّك الناس في كل مكانٍ.

وفي أواسط عام ١٣٩٩ هـ التقت خمسة أحزابٍ إسلاميةٍ، ووضعت فيما بينها ميثاق الاتحاد الإسلامي لأفغانستان، ولكن ـ مع الأسف ـ لم يطل عمره أكثر من سنةٍ ونصف، إذ تمزّق الشمل مرةً أخرى في نهاية عام ١٤٠٠ هـ، وكان عبد رب الرسول سياف قد خرج من السجن، وانضمّ إلى الاتحاد، واختير رئيساً له، وشارك في هذا الاتحاد كل المنظمات باستثناء الحزب الإسلامي. فلما انفرط عقد الاتحاد عام ١٤٠٢ هـ بقي عبد رب الرسول سياف رئيساً لمن بقي معه، وبقي تنظيمهم يحمل اسم «الاتحاد الإسلامي». وجرت محاولة تفاهمٍ لمدة خمس سنوات ريثما يمكن القضاء على الشيوعيين وعلى الغزاة الشيوعيين ولكن دون جدوى.

وبعد الاحتلال الروسي لأفغانستان في ٨ صفر ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون أول ١٩٧٩ م) برزت منظمة تحرير شعب أفغانستان (ساما) بقيادة ماجد كلاكاني. كما ظهرت جبهة التحرير الوطنية بقيادة صبغة الله مجددي، والجبهة الإسلامية الوطنية برئاسة أحمد الجيلاني.

وفي ١٠ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون الثاني ١٩٨٠ م) تشكلت جبهة المقاومة الجديدة من ست مجموعاتٍ وهي:

١ ـ الاتحاد الإسلامي

٢ ـ الجبهة الإسلامية الوطنية

٣ ـ الجمعية الإسلامية

٤ ـ الحزب الإسلامي «خالص»

٥ ـ جبهة التحرير الوطنية.

٦ ـ حركة الانقلاب الإسلامي.

وقد قاطع الحزب الإسلامي برئاسة قلب الدين حكمتيار هذه الإجراءات.

واستمرّ الخلاف والاتفاق بين مدٍّ وجزرٍ، وذلك لأن المنظمات الشيعية

متعددة وتتركز في طهران، وتأخذ منحى يختلف عن المنحى الذي تسير عليه منظمات الجهاد، وتسير حسب سياسة الحكومة الإيرانية. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن ثلاث منظمات رئيسية وهي: الجبهة الإسلامية الوطنية، وجبهة التحرير الوطنية، وحركة الانقلاب الإسلامي تسير في خطٍ أقرب إلى الوطنية منه إلى الإسلام إذ ترى التفاهم مع الملك السابق محمد ظاهر شاه رغم أنه سبب المشكلة بتساهله وانحرافه وتفلّته من الإسلام والقيم، وهذه المنظمات وإن كانت رئيسية إلا أنها ليست القوية كما أنها ليست بذات الشعبية الواسعة، وترى الانتخابات على أسسٍ عامة لا فرق بين المسلم والكافر، والمخلص والعميل. أما باقي المنظمات الكبرى وهي: الحزب الإسلامي «حكمتيار»، والحزب الإسلامي «خالص» والاتحاد الإسلامي، والجمعية الإسلامية فهي: ذات قوةٍ، وتأييدٍ شعبيٍ كبيرٍ، وخطٍ إسلاميٍ أقرب إلى السلامة ـ والله أعلم ـ ومع ذلك فإن خلافاً واسعاً بين الحزب الإسلامي «حكمتيار» والجمعية الإسلامية لا يكاد ينتهي ويُغطّي على كل الخلافات والانقسامات، وما يكاد ينتهي حتى يبدأ من جديد، ويقع القتال بين الطرفين، ويذهب ضحيته المئات إن لم نقل الآلاف من المسلمين المجاهدين، وقد أعيت الحيلة المصلحين، ولا نستطيع اتهام أحدهما إذ نظن بهما خيراً، ولكن في هذا ضعف إيمانٍ وبُعداً عن الإسلام، وتقويةً للأعداء، وإضعافاً للمجاهدين، وإبعاداً عن تحقيق النصر، ويعود هذا الخلاف في جذوره إلى قضايا شخصيةٍ بين الزعيمين قلب الدين حكمتيار، وبرهان الدين ربّاني، وإلى أصولٍ عصبيةٍ بين البشتو والطاجيك، وإلى موضوعات تتعلق بالرجال حول الشخصين، وإلى الرغبة في إظهار القوة، وتحقيق النصر على الطرف الآخر، وتولي الزعامة، وكسب الموقف وهذا كله بُعد عن الإسلام وخرق لتعاليمه ـ مع الأسف ـ. أما باقي المنظمات فهي أقلّ قوةً، ويدخل بعضها في صراعات مع بعض أيضاً ومع الآخرين ربما كان بسبب بعض الاجتهادات.

هذه الخلافات والصراعات القاتلة، وقوة الحكم الأفغاني بما يناله من دعمٍ ومساعداتٍ وتأييد روسيٍ وقت الحاجة، وخاصةً من ناحية السلاح والذخائر والمعدات، ثم الاحتلال الروسي للبلاد مدةً تزيد على الثمان سنوات، وتواني المسلمين في بقية الأمصار عن هذه المعركة المصيرية وعن الواجب الإسلامي، بل وموقف بعض الأمصار موقف العداء من حركة الجهاد الأفغاني، كل هذه الموضوعات كانت سبباً في تأخير النصر من عند الله وخاصةً وهو أولها عدم تقيّد المجاهدين التام بتعاليم الإسلام. ويجب ألا نغفل عن الموقف الدولي المعادي للمجاهدين، والذي تحرّكه الصليبية العالمية بحقدها الظاهر والدفين، ويرفدها دول الإلحاد، وما يسير في فلك الطرفين من دول العالم، وربما كان من بينها بعض الأمصار الإسلامية - مع الأسف -. وتحظر هذه الدول عن المجاهدين السلاح والمساعدات الحيوية، أي أنها تقف إلى جانب الروس الغزاة وعملائهم، وإن كانت تدّعي أحياناً غير ذلك، فتزعم أنها تقف علىٰ الحياد، ويشيع عملاؤها أن الولايات المتحدة تقف إلى جانب المجاهدين، وتدعمهم معاداة للروس، وانتقاماً من حرب فيتنام التي دعم فيها الروس الثوار الفيتناميين ضد أمريكا، وهذه افتراءات لا أساس لها من الصحة، فالغرب والشرق على اتفاقٍ ضدّ الإسلام وإن كانا على صراعٍ على مناطق النفوذ في العالم، وفي الحرب الباردة.

أما المجاهدون فيما عدا ذلك فالروح المعنوية عندهم عالية، ويُقاتلون بصدقٍ، ولكن منهم من يريد الحياة الدنيا في قتالهم، ومنهم من يريد الآخرة. والشعب يُؤيّدهم بغالبيته وإن كان بعضهم لا يجرؤ إبداء ذلك أبداً خوفاً من السلطة التي نكّلت بالرعية من غير هوادةٍ، وارتكبت أبشع الجرائم من غير خشيةٍ، وأقدمت على حرب الإبادة الجماعية دون حذرٍ، حتى أرهبت الناس الذين في قلوبهم مرض فخنعوا وسايروهم حتى في استقدام الكافرين لضرب إخوانهم في العقيدة، ورضوا بالذلّ والهوان.

وطبيعة الأرض الأفغانية جبلية مناسبة للقتال والثورات، وأهلها أدرى بها من غُزاتها، وهذا ما سهّل للمجاهدين أن يُكبّدوا المعتدين خسائر كبيرةً، وأن يعزلوا السلطات الحاكمة في مناطق محصورةٍ، وكانوا يعتمدون في قتالهم على ما يربحونه من أسلحةٍ في قتالهم مع خصومهم، وعلى ما يغنمونه من ذخائر، غير أن هذا محدود لا يتناسب مع المعركة الضارية والجبهات الواسعة وأمام سيل الأسلحة الذي يمدّ المعتدين وأعوانهم من الحكام الشيوعيين والآتي ليس من روسيا ومعاملها فحسب، وإنما من دول حلف (وارسو) أيضاً، وكان يصل إلى المجاهدين بعض إخوانهم من الأمصار الإسلامية الأخرى، ولكن من غير تدريبٍ ولا سلاحٍ، وهذا لا يتناسب أبداً مع القوات الروسية الغازية والتي زاد عددها على المائة ألف والمدرّبة أحسن تدريبٍ، والتي كثيراً ما كان أفرادها يُقاتلون من وراء الدروع، ومن داخل المصفحات، وخلف الآليات، ويدعمهم الطيران الروسي بأحدث مقاتلاته، مع استعمال الغازات السامة، وأسلحة الدمار الشاملة.

لم تستطع روسيا أن تُحقّق ما كانت تأمله إذ كانت تتوقّع كما تتوقّع الدنيا المادية أن تسحق روسيا المجاهدين سحقاً في أيام معدوداتٍ إذ أن قوتها عاتية، وأسلحتها فتّاكة، ووسائلها مُتطوّرة ولا غرابة في ذلك فهي إحدى الدولتين الكبريين، والمجاهدون قوة صغيرة ضعيفة أسلحتها معطوبة أو معدومة، ووسائلها أيديها وأقدامها، ولكن نسيت روسيا كما نسيت الدنيا المادية كلها أنها تُقاتل مسلمين فلو صدقوا فلم يختلفوا، وأخذوا بالأسباب ولم يعتمدوا على غيرالله لانتصروا ولتمكّنوا من موسكو أيضاً فإن في المعادلتين قوة الله التي لا تقهر، وهي سبب النصر، والمانح له.

فشلت روسيا في تحقيق أهدافها بل خسرت خسائر فادحةً لقد فقدت خمسين ألف جندي منهم ثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة قتيلٍ، وخمسة وثلاثين ألف جريح إضافة إلى المليارات من الدولارات. حيث كان المجاهدون ينصبون الكمائن للقوات الروسية أثناء تحرّكها، ويُغيرون على معسكراتها،

ويُنازلونها أحياناً، فيقتلون، ويأسرون، ويغنمون، ويأتي الطيران الروسي لملاحقتهم فيختفوا في الكهوف ومنعطفات الأودية، فإنهم لو دخلوا المدن والقرى لقصفت فكان المجاهدون يتجنّبون ذلك حرصاً على السكان الآمنين، غير أن الروس كثيراً ما كانوا يعملون على إبادة القرى كاملةً فيما إذا خرج منها المجاهدون أو رجعوا إليها أو كانت قريبةً من مناطق تجمّعاتهم، وتكون الإبادة بالغازات السامة أو الأسلحة الفتّاكة. وربما اندحر الروس وحدهم أو مع أعوانهم حكام كابل أمام المجاهدين فشعروا بالخزي والعار، وقد يطلبون عقد هدنةٍ من المجاهدين الذين يأبون أو يُوافقون حسب مخططاتهم القتالية أو مصالحهم الدفاعية لا حسب رأي الروس، وحسب تخطيطهم بصفتهم أصحاب القوة العملاقة.

رفض أحمد مسعود شاه أحد قادة الجمعية الإسلامية في وادي (بانجشير) في شمال شرقي أفغانستان التفاوض مع نظام الحكم الشيوعي القائم في كابل غير أنه اتفق مع الغزاة الروس على وقف إطلاق النار في صيف عام ١٤٠٣ هـ إذ اقتضت مصلحة السكان أن يُعيد تموين الوادي، فأعاد التموين، وانتهت مدة وقف إطلاق النار فطلب الروس تجديدها فأبى ذلك في جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (آذار ١٩٨٤ م) فحشد الروس إمكاناتهم كلها لاحتلال الوادي، وتمكّنوا من ذلك بعد معارك رهيبة دامت ثلاثة أسابيع، وقد وجّه كل من قلب الدين حكمتيار وعبد رب الرسول سياف قواتٍ من فصائلهما للقتال إلى جانب مجاهدي الوادي، وأخيراً اضطر الروس إلى الانسحاب من الوادي صاغرين.

شعرت روسيا بالندم بإقحام نفسها في موضوع أفغانستان فهي عاجزة عن تحقيق النصر على المجاهدين بل تقدِّم خسائر كبيرة، ويبدو عليها التراجع رغم استخدام وسائل الحرب المحرّمة دولياً، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الانسحاب إذ تفقد مكانتها الدولية، وتبدو ضعيفةً أمام دول الغرب، وهذا ما جعلها تلجأ إلى حرب الشائعات فتدّعي أن أمريكا تُساعد

المجاهدين ليُقال إنها تُقاتل الولايات المتحدة لا تُحارب المجاهدين ولكنها في الوقت نفسه تعمل جاهدةً لتوقيع معاهدة السلام في جنيف بين دولتي أفغانستان وباكستان كي تنسحب بشرفٍ ـ حسب زعمها ـ نتيجة اتفاقٍ دوليٍ. ومع التساهل الدولي الذي تُبديه تجاه المجاهدين حيث وافقت على حضور وفدٍ منهم إلى الأمم المتحدة[1] كانت تقوم بضغطٍ عسكريٍ رهيب لإجبار المجاهدين على الخضوع وتنفيذ المطالب الروسية كي تنسحب مع الاحتفاظ بماء الوجه، غير أن المجاهدين بقوا صامدين في خنادقهم صامدين على آرائهم متمسكين بمواقفهم ولذا فقد طالت موضوعات المفاوضات وتعثّرت حتى تمّ التوقيع عليها في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م). وبدأ الانسحاب الروسي في ٢٩ رمضان ١٤٠٨ هـ (١٥ أيار ١٩٨٨ م) وانتهى في ١٠ رجب ١٤٠٩ هـ (١٥ شباط ١٩٨٩ م).

الخطة الروسية:

سحبت روسيا جيوشها من أفغانستان رسمياً وظهرت أمام العالم جادةً فعلاً في الدعوة إلى السلام، وفي الوقت نفسه أنقذت جندها من القتل، وأمنت عدم انتقال الثورة إلى الأجزاء الإسلامية التي تخضع لسيطرتها في أواسط آسيا، وضمنت عدم انضمام المسلمين في جندها إلى المجاهدين

---

(١) سافر الوفد بتاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (٢٢ كانون الأول ١٩٨٥ م) برئاسة قلب الدين حكمتيار أمير الحزب الإسلامي، ويضمّ إضافةً إلى ذلك ستة أعضاء يُمثلون باقي المنظمات الأساسية، وهؤلاء الأعضاء هم:
١ ـ مهندس عبدالرحيم: ويمثل الجمعية الإسلامية.
٢ ـ عزيز الله لودين: ويمثل حركة الانقلاب الإسلامي.
٣ ـ محمد ياسر: ويمثل الاتحاد الإسلامي.
٤ ـ دين محمد: ويمثل الحزب الإسلامي «خالص».
٥ ـ محمد صديق سلجوقي: ويمثل الجبهة الإسلامية الوطنية.
٦ ـ ذبيح الله: ويمثل جبهة التحرير الوطنية الأفغانية.

وقطعت عن المسلمين الأفغان مورداً مهماً للسلاح كانوا يحصلون عليه من الغنائم ومن انضمام بعض الجنود الروس إليهم سواء أكانوا من المسلمين المضطهدين الناقمين على الروس أم من غير المسلمين الحاقدين على الشيوعيين المتسلّطين عليهم، وبقي مورد وحيد للمجاهدين من السلاح وهو ما يغنمونه من أتباع موسكو الذين يحكمون الأفغان.

ولكن إن انسحبت القوات الروسية من أرض أفغانستان وحقّقت لها دعايةً دوليةً وفائدةً عسكريةً إلا أنها بقيت تُراقب الأحداث من أراضيها وتتدخّل في الوقت المناسب لتدعم أعوانها ضدّ المجاهدين وخاصةً بالقوات الجوية التي طالما قصفت مواقع المسلمين، وأمدّت أعداءهم، وطالما كذلك دعمت القوات الروسية البرية الشيوعيين الأفغان في المناطق الحدودية هذا بالإضافة إلى المعاهدات والاتفاقات المستمرة بين موسكو وكابل وتقديم المساعدات الحربية نتيجة تلك الاتفاقات وأحياناً على شكل هدايا، وعندما جرت محاولة الانقلاب ضد الحكم الشيوعي الأفغاني في ٩ شعبان ١٤١٠ هـ (٦ آذار ١٩٩٠ م) تدخّل الروس مباشرةً وعمل سلاح الطيران بشكلٍ مكثفٍ في ضرب قواعد المتمرّدين وأماكن تجمّعهم، ومواقع قياداتهم، والقوات التابعة لهم، حتى انهارت وفشل الانقلاب. ولم تكن اتفاقية جنيف التي عُقدت ٢٧ شعبان عام ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م) بين حكومتي أفغانستان وباكستان لتنصّ على عدم دعم الروس للحكم الشيوعي.

فالانسحاب كان خطةً مدروسةً لصالح الروس إذ حموا أنفسهم من الخروج القسري والهزيمة على أيدي جماعةٍ قليلةٍ ضعيفةٍ، وكسبوا دعايةً، وفي الوقت نفسه استمرّوا في دعمهم لعملائهم، والعمل على تثبيتهم في مراكز السلطة.

الـهجـــرة:

هجر قسم كبير من سكـان أفغانستـان ديارهم، ويـزيد عـدد هؤلاء المهاجرين على نصف السكان عامةً، وذلك نتيجة وحشية الغزو الروسي، وجـرائم الحكم الأفغاني الشيـوعي، وهذا مـا أجبـر النـاس على مغـادرة مناطقهم بسبب الخوف على الأنفس والأعراض، كما أن الحكومة الشيوعية في كابل قد أجبرت سكـان بعض الأقاليم على تـرك أقاليمهم خـوفاً من انضمـامهم إلى المجاهـدين أو دعمهم، وألزمتهم على الهجـرة إلى أقاليم أخرى تُعدّ هادئةً تحت شعـار منحهم أراضي هناك في سبيـل إعمارهـا، والنهوض بالبلاد اقتصادياً، كما أن بعض الأهالي قد وجدوا من المصلحة الارتحال من المناطق الساخنة نتيجة القتال إلى بقاعٍ هادئةٍ نسبياً، وبذا فإن هناك هجرةً داخليةً، وأخرى خارجية.

الهجرة الداخلية:

وهي الانتقال داخل الأرض الأفغانية ويكاد يبلغ عدد الذين هجروا مناطقهم إلى مناطق داخلية أخرى نصف المهاجرين، وهو خمسة ملايين، ومعظمهم انتقل من الأجـزاء الأفغانيـة الشماليـة المجاورة لـلأراضي التي يُسيطر عليها الروس، واتجهوا نحو الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية حيث البعد عن مناطق الغزو الوحشية.

الهجرة الخارجية:

ويُقـدّر عدد الـذين تركـوا بلادهم بمـا يزيـد على خسمة مـلايين، وأكثرهم من الولايات الشرقية وقد هـاجروا إلى بـاكستان، ومن الـولايات الغربية حيث انتقلوا إلى إيران، كما أن أكثر الذين هاجروا من قبائل الهزّارة قد رحلوا إلى إيران بصفتهم من الشيعة، وهناك الكثير الذي هـاجر إلى الغرب، وإلى جزيرة العرب، وإلى تركيا للعمل، ويتوزّع هؤلاء على النحو الآتي:

٣٥٠٠٠٠٠	إلى باكستان، وقسم كبير منهم من أسر المجاهدين.
٢٠٠٠٠٠٠	إلى إيران
١٥٠٠٠٠	إلى الغرب
٥٠٠٠٠	إلى جزيرة العرب
١٠٠٠٠	إلى تركيا.

وزارة المجاهدين الموقتة الأولى:

بعد أن انسحبت الجيوش الروسية من أفغانستان شكّل المجاهدون وزارةً موقتةً برئاسة أحمد شاه أحمد زي. وقد ضمّت وزيراً من الشيعة تسلّم حقيبة وزارة الصحة غير أن حكومة إيران لم ترض عن ذلك، لذا لم يحضر هذا الوزير أي لقاءٍ حكوميٍ، وسافر سرّاً إلى أستراليا كي لا يقوم بأي نشاطٍ وزاريٍ، أو يُتابع شؤون ما حمل أمانته، ووزارة الصحة ذات أهميةٍ خاصة في وقت يستعر فيه الجهاد أو لا يكاد يتوقّف.

وقد ضمّت الوزارة خمسة عشر عضواً، وتشكلت على النحو الآتي:

١" ـ أحمد شاه أحمد زي[١]: رئيساً للوزارة.

٢" ـ ذبيح الله صبغة الله مجددي[٢]: نائباً أول للرئيس.

٣" ـ محمد شاه فضلي[٣]: نائباً ثانياً للرئيس.

٤" ـ قاضي نجي الله[٤]: وزيراً للخارجية.

---

(١) أحمد شاه أحمد زي: ولد عام ١٣٦٣ هـ، يحمل ماجستير في الهندسة المدنية. من تنظيم الاتحاد الإسلامي.

(٢) ذبيح الله صبغة الله مجددي: من كابل يحمل دكتوراه في الهندسة المدنية. وينتمي إلى جبهة التحرير الوطنية الأفغانية.

(٣) محمد شاه فضلي: من ولاية بكتيا، ولد ١٣٥٥ هـ، من علماء أفغانستان. ينتمي إلى حركة الانقلاب الإسلامي.

(٤) قاضي نجي الله: من ولاية غزنة، يحمل إجازةً في الشريعة من جامعة كابل. ينتمي للحزب الإسلامي «حكمتيار».

٥ " ـ حاجي دين محمد[١]: وزيراً للدفاع.

٦ " ـ سيد نور الله عماد[٢]: وزيراً للداخلية.

٧ " ـ محمد ياسر[٣]: وزيراً للثقافة والإعلام.

٨ " ـ محمد إسماعيل صديقي[٤]: وزيراً للمالية.

٩ " ـ مير حمزة[٥]: وزيراً للتربية.

١٠ " ـ مطيع الله مطيع[٦]: وزيراً للزراعة والثروة الحيوانية.

١١ " ـ فاروق أعظم[٧]: وزيراً للإسكان والتعمير.

١٢ " ـ علي أنصاري[٨]: وزيراً للعدل.

١٣ " ـ واثق واعظ زادة[٩]: وزيراً للصحة.

---

(١) حاجي دين محمد: من ولاية ننجرهار، يحمل إجازةً في الآداب من جامعة كابل، ينتمي للحزب الإسلامي «خالص».

(٢) سيد نور الله عماد: من ولاية هراة، يحمل شهادةً من كلية المعلمين في كابل. ينتمي إلى الجمعية الإسلامية.

(٣) محمد ياسر: من ولاية وردك، مواليد ١٣٦٢ هـ، يحمل إجازةً في الشريعة من المدينة المنورة، وينتمي إلى الاتحاد الإسلامي.

(٤) محمد إسماعيل صديقي: من ولاية زابل، مواليد ١٣٤٣ هـ، يحمل إجازةً في الاقتصاد، ينتمي إلى حركة الانقلاب الإسلامي.

(٥) مير حمزة: من ولاية بروان، مواليد ١٣٦٩ هـ، يجمل إجازة في الشريعة من كابل، ينتمي إلى الجمعية الإسلامية.

(٦) مطيع الله مطيع: من ولاية بكتيا، يحمل شهادة من المعهد العلمي العالي في بكتيا، ينتمي إلى الحزب الإسلامي «خالص».

(٧) فاروق أعظم: من ولاية قندهار، يحمل دكتوراه في الاقتصاد، ينتمي إلى الجبهة الإسلامية الوطنية.

(٨) علي أنصاري: من ولاية لوغار ومن مواليد ١٣٦٧ هـ، يحمل إجازة في الحقوق من جامعة كابل، وينتمي إلى الحزب الإسلامي حكمتيار.

(٩) واثق واعظ زادة: شيعي.

١٤" ـ دين محمد جران[١] : وزيراً للبحث العلمي.

١٥" ـ عبدالعزيز فيروغ[٢]: وزيراً للتخطيط.

وزارة المجاهدين الموقتة الثانية:

بعد مرور عامٍ على تشكيل الـوزارة الموقتـة الأولى انعقد مجلس الشـورى الأفغاني في مدينة «روالبندي» البـاكستانيـة في مدينـة الحجاج في المـدة الواقعة بين ٥ رجب ١٤٠٩ هـ و ١٨ منه من العام نفسه (١٠ - ٢٣ شباط ١٩٨٩ م)، وقد ضمّ المجلس ٣٩٩ عضواً من مختلف الولايات.

وقد مثّل الجمعية الإسلامية	٦٠ عضواً.
وقد مثّل الحزب الإسلامي «حكمتيار»	٦٠ عضواً.
وقد مثّل جبهة التحرير الوطنية الأفغانية	٥٩ عضواً.
وقد مثّل الحزب الإسلامي «خالص».	٥٨ عضواً.
وقد مثل الاتحاد الإسلامي	٥٦ عضواً.
وقد مثل الجبهة الإسلامية الأفغانية	٥٥ عضواً.
وقد مثّل حركة الانقلاب الإسلامي	٥١ عضواً.
	٣٩٩ عضواً.

وجرت الانتخابات، وأسفرت عن حصول زعماء هذه المنظمات على الأصوات الآتية:

١٧٤	صبغة الله مجددي	رئيس جبهة التحرير الوطنية الأفغانية
١٧٣	عبد رب الرسول سيّاف	رئيس منظمة الاتحاد الإسلامي.
١٣٩	محمد نبي محمدي	رئيس حركة الانقلاب الإسلامي.

(١) دين محمد جران: من ولاية بكتيا يحمل ماجستير في الشريعة من الأزهر. وينتمي إلى جبهة التحرير الوطنية الأفغانية.

(٢) عبدالعزيز فروغ: من ولاية قندهار، يحمل ماجستير في الاقتصاد. وينتمي إلى الجبهة الإسلامية الوطنية.

١٢٦	قلب الدين حكمتيار	رئيس الحزب الإسلامي «حكمتيار».
١٠٢	محمد يونس خالص	رئيس الحزب الإسلامي «خالص».
٩٩	برهان الدين رباني	رئيس الجمعية الإسلامية الأفغانية
٨٦	أحمد جيلاني	رئيس الجبهة الإسلامية الوطنية.

فأسندت رئاسة الدولة إلى صبغة الله مجددي، ورئاسة الحكومة إلى عبد رب الرسول سياف، وتوزّعت الحقائب الوزارية كالآتي:

١ ـ عبد رب الرسول سيّاف: رئيساً للحكومة.
٢ ـ محمد نبي محمدي: وزيراً للدفاع.
٣ ـ قلب الدين حكمتيار: وزيراً للخارجية.
٤ ـ محمد يونس خالص: وزيراً للداخلية.
٥ ـ برهان الدين رباني: وزيراً للإعمار.
٦ ـ أحمد جيلاني: رئيساً للقضاة.
٧ ـ نجيب الله الفرائي: وزيراً للإعلام والدعوة والإرشاد
٨ ـ أحمد شاه أحمد زي: وزيراً للاتصالات.
٩ ـ فاروق أعظم: وزيراً للتربية والتعليم.
١٠ ـ حاجي دين محمد: وزيراً للأمن الوطني.
١١ ـ محمد إسلام: وزيراً للزراعة.
١٢ ـ سيد محمد نادر: وزيراً للصحة.
١٣ ـ محمد شاه فضلي: وزيراً للبحث العلمي.
١٤ ـ هداية الله أمين أرسلان(١): وزيراً للمالية.
١٥ ـ قاضي نجي الله: وزيراً للعدل.

---

(١) هداية الله أمين أرسلان: ولد عام ١٣٦٠ هـ، في ولاية كابل، يحمل دكتوراه في الاقتصاد، وينتمي إلى الاتحاد الإسلامي.

١٦ ـ شيخ عبدالرزاق[١]: وزيراً للحج والأقاف.

١٧ ـ إيشان جان عريف[٢]: وزيراً للمعادن والصناعة.

وتختلف الوزارة الثانية للمجاهدين عن الأولى في أنها تضم قادة المنظمات السبعة على حين لا تضم الأولى أي قائد، كما شملت إلى جانب القائد وزيراً أو وزيرين[٣].

وحجزت أربع وزارات للشيعة الذين رفضوا الاشتراك بالوزارة إذ كانوا يطالبون بخمس حقائب وزارية وهي ما يمثل ثلث الوزارة على حين أن نسبتهم العددية لا تزيد على ٥ ٪ من مجموع السكان.

وبعد مدة اقترح قلب الدين حكمتيار إجراء انتخابات عامة في البلاد، وهو شاب مؤمن، عنده حماسة الشباب، متأثر بكثرة أفراد حزبه، وزيادة أبناء قبيلته، ثم هدّد بترك الوزارة إن لم تجر الانتخابات خلال ستة أشهر،

---

(١) شيخ عبدالرزاق: من ولاية قندهار، أحد العلماء البارزين، وينتمي إلى الحزب الإسلامي «خالص».

(٢) إيشان جان عريف: يحمل ماجستير في الهندسة، وينتمي إلى الجمعية الإسلامية.

(٣) كان الاتفاق من البداية أن يكون توزيع الوزارات حسب نتائج الانتخابات حيث يكون من نصيب:

الأولى: رئاسة الدولة + وزارة الصحة.

الثانية: رئاسة الوزراة + وزارة الاتصالات.

الثالثة: وزارة الدفاع + وزارة البحث العلمي + وزارة الزراعة.

الرابعة: وزارة الخارجية + وزارة الحدود + وزارة العدل.

الخامسة: وزارة الداخلية + الحج والأوقاف + وزارة أمن الدولة.

السادسة: وزارة التعمير + وزارة الدعوة + المناجم والصناعة.

السابعة: وزارة القضاء + وزراة المالية + وزارة التربية.

وعُيّن محمد ياسر مستشاراً سياسياً لرئاسة الوزراة، وهو من التنظيم نفسه الذي ينتمي إليه رئيس الوزارة عبدرب الرسول سيّاف، وهو الاتحاد الإسلامي.

وعُيّن سيدنور الله عماد نائباً لوزير الاتصالات أحمد شاه أحمد زي وهما من تنظيم واحدٍ، وهو الاتحاد الإسلامي أيضاً.

ولكن من الصعب أن تتمّ في مثل هذه الظروف، كما أن بقية القادة لا يوافقونه على رأيه. وهذا ما جعله يترك الوزارة أو يُعلّق عضويته فيها.

جهود الثورة:

استطاع المجاهدون الأفغان تحرير ست ولايات وهي: طخار، وباميان، وبادغيس، ونورستان، وكونار، وبكتيكا.

ولا يزال الوضع السياسي والعسكري كما هو، فالحكم في كابل شيوعي، ومحاصر في العاصمة، وفي المعسكرات، وعواصم الولايات غير المحررة، وانتقال القوات من مكانٍ إلى آخر يحسب له مائة حساب، ويجب أن يُحمى بالطيران والمدرعات، وهذان السلاحان يفتقدهما المجاهدون.

ويحاصر المجاهدون قوات النظام، والعاصمة، وبعض المعسكرات ويقصفها بالصواريخ والمدافع من غير جدوى، ويرجع ذلك إلى الدعم الروسي للنظام الشيوعي الأفغاني، ومع أن الشيوعية قد انهارت، وقد يتوقّف هذا الدعم، ولكن لن يكون لذلك الأثر الكبير نتيجة الخلافات القائمة بين المنظمات الإسلامية الأساسية، ثم توقّف الإمداد بالأسلحة بعد حرب الخليج التي أثارها الحاكم العراقي صدام حسين إثر احتلال الكويت، والسيطرة الأمريكية على العالم بعد انهيار الشيوعية العالمية، وبداية تفكك الإمبراطورية الروسية، حيث لم تعد الولايات المتحدة الأمريكية تخشى من منافسة الروس، ولا تُبالي بالنظام الأفغاني أياً كان نوعه إذ هي تحارب الإسلام ولا يُهمّها أبداً انتصار المجاهدين، فهي تتركهم ليدّب اليأس وتنكمش المنظمات الإسلامية تلقائياً، كما تترك النظام الشيوعي لينتهي تدريجياً... ومع الزمن سيملّ الناس هذا الموقف الجامد فيتحّركون ويقوم نظام ترضى عنه الولايات المتحدة، ويتوقّف نشاط المجاهدين مع الحركات الإسلامية الأخرى في بقية الأمصار نتيجة الحرب الصليبية وما يرفدها من صهاينة وأتباع، وهذا ما تسعى إليه الولايات المتحدة وتخطط له.

كما أن نشاط المجاهدين قد خفّ بعد حرب الخليج بسبب توقّف الدعم الصحي، والدعم المالي الذي كان يأتي من بعض دول الخليج وخاصةً من السعودية والكويت، حيث توقّف هذا نتيجة احتلال حاكم العراق للكويت، فالركود هو السمة العامة الآن للثورة الإسلامية في أفغانستان، ويحتاج الأمر إلى تفاهم جهود المجاهدين ووحدتهم قبل ضياع الفرصة.

استمر القتال رغم اتفاقية جنيف وذلك لأن الأسلحة استمرت تتدفق إلى الحكومة الأفغانية الشيوعية وأعوانها. وقد ظهرت قوة المجاهدين بانسحاب القوات الروسية، وفي شهر ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (نهاية تشرين الثاني ١٩٨٨ م) جرت محادثات جانبية في محاولةٍ لتفرقة صفوف المجاهدين فقد أجرى روس رسميون محادثات مباشرة مع ممثلي بعض منظمات المجاهدين في بيشاور بباكستان، وعقدت مباحثات عالية المستوى بالمملكة العربية السعودية في جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (أواخر كانون الأول ١٩٨٨ م) بين برهان رباني رئيس الجمعية الإسلامية ويولي ڤورنتشوف الذي كان قد عُيّن مؤخراً سفيراً للإمبراطورية الروسية في أفغانستان (في الوقت الذي احتفظ به بمنصبه وكيلاً أول للخارجية الروسية. ولكن انهارت هذه المباحثات على كل حال عندما كرر قادة المجاهدين مطالبتهم بعدم مشاركة أي عضوٍ من نظام الرئيس نجيب الله محمد في أية حكومةٍ أفغانيةٍ مقبلةٍ على حين أصرّ الروس على وجود دورٍ بارزٍ لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني في الحكومة.

ورغم عنف القتال فإن الروس قد سحبوا قواتهم جميعها من أفغانستان في ١٠ رجب ١٤٠٩ هـ (١٥ شباط ١٩٨٩ م) تحت الضغط، ولمصلحة روسيا الداخلية، وحسب اتفاقية جنيف.

زاد المجاهدون من نشاطاتهم العسكرية، وحاصروا عدة مدن، دون أن يتمكّنوا من دخول واحدةٍ منها، وبقيت سيطرتهم مقتصرةً على المناطق

الريفية وعدة عواصم إقليميةٍ صغيرةٍ. كما فشلت المحادثات بين الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان وبين حزب الوحدة الإسلامية الذي يتخذ من إيران قاعدةً له، وهو تحالف بين ثماني مجموعات شيعية أفغانية وكانت ترمي تلك المحادثات إلى الاتفاق حول تشكيل حكومةٍ انتقاليةٍ موسّعةٍ.

واجتمع مجلس الشورى الأفغاني في رجب ١٤٠٩ في روالبندي في باكستان وتمّ اختيار حكومة انتقالية في المنفى، عُرفت باسم الحكومة الأفغانية الانتقالية، ولكن لم تعترف بها سوى أربع حكومات فقط، إلا أنها منحت عضوية منظمة المؤتمر الإسلامي، وبالإضافة إلى ذلك فقد عيّنت الحكومة الأمريكية مبعوثاً خاصاً لدى المجاهدين بمرتبة سفير شخصي.

وفي شهر ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) أخذت قوة المجاهدين تضعف نتيجة الصراع والقتال بين المنظمات الإسلامية.

وفي مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م) علّق الحزب الإسلامي (حكمتيار) عضويته في الحكومة الأفغانية الانتقالية.

بدأ دعم المجاهدين يقلّ بناءً على مرئيات الولايات المتحدة، فانخفض ما يصل إليهم من باكستان وجزيرة العرب، بحجة التقليل من حدة الصراعات بينهم.

وفي أوائل جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (مطلع عام ١٩٩٠ م) جرت محاولات من جانب الحكومة الأفغانية الانتقالية لتشكيل مجلس شورى بهدف تأليف حكومةٍ جديدةٍ وموسّعة تكون بديلاً لنظام الحكم في كابول الغارق في الخصومات الطائفية.

وفي ذي القعدة ١٤١١ هـ (أيار ١٩٩١ م) بعد مفاوضات مستفيضة مع القوى الإقليمية ذات العلاقة بالأزمة أصدر الأمين العام للأمم المتحدة إعلاناً يتألف من خمسة مبادئ لإجراء تسوية، ومن أهم النقاط التي تضمنها الإعلان:

١ ــ الاعتراف بالسيادة الوطنية لأفغانستان.
٢ ــ حق الشعب الأفغاني في اختيار حكومته والنظام السياسي الذي يريد ممارسته.
٣ ــ إنشاء جهاز للإشراف على انتخاباتٍ حرةٍ ونزيهةٍ لتشكيل حكومةٍ موسعة.
٤ ــ وقف إطلاق النار بإشراف الأمم المتحدة.
٥ ــ الدعم المالي الكافي لعودة اللاجئين، وإعادة الإعمار.

وقد وافقت حكومتا باكستان وأفغانستان على الإعلان غير أن حكومة الأفغان الانتقالية قد رفضته.

واستمرّت حكومة كابول في طرح فكرة المصالحة الوطنية، وجرت لقاءات مع بعض منظمات المجاهدين وقد طرحت فكرة إعادة الملك السابق محمد ظاهر شاه الذي أعادت له حكومة كابول الجنسية الأفغانية في ربيع الأول ١٤١٢ هـ (أيلول ١٩٩١ م)، ويبدو أن بعض المنظمات قد وافقت على هذه الفكرة.

انخفض الدعم للمجاهدين في محاولةٍ للتأثير عليهم، ولكنهم تمكّنوا من الاستيلاء على مدينة «خوست» في رمضان عام ١٤١١ هـ (نهاية آذار ١٩٩١ م)، وقاموا بهجمات على عدة مدن كبرى مثل: جلال أباد، وغزنة، وقندهار، وهراة، وغارديز، وتعطلت المواصلات.

وفي ربيع الأول ١٤١٢ هـ (منتصف أيلول ١٩٩١ م) أعلنت الولايات المتحدة والإمبراطورية الروسية وقف إمدادات السلاح إلى الأطراف المتحاربة، وطُلب كذلك من باكستان وإيران والسعودية، أن تقوم بالعمل نفسه في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٩٢ م) وقد تمت الموافقة على ذلك.

ورغم الترحيب بوقف إطلاق النار من الأطراف كافةً غير أنه لم يحدث

بل زاد القتال ضراوةً وخاصةً حول العاصمة كابول. وحثّت باكستان المجاهدين على قبول إعلان الأمم المتحدة.

زادت الانقسامات القبيلية في القوات الحكومية، وتمرّدت القوات غير النظامية من جماعة الأوزبك بقيادة رشيد دوستم، فاستولى المجاهدون على مدينة نزار شريف في أواخر رمضان ١٤١٢ هـ (آذار ١٩٩٢ م).

استولى المجاهدون من أتباع الجمعية الإسلامية بقيادة أحمد شاه مسعود على قاعدة «بغرام» ذات الموقع الحسّاس، وعلى المدينة المجاورة لها «تشاريكار» فأصبح موقف نظام كابول في حرج فضغط حزب الوطن على رئيسه نجيب الله محمد فقدّم استقالته في ١٤ شوال ١٤١٢ هـ (١٦ نيسان ١٩٩٢ م)، وأصبح يعيش متخفياً على العاصمة تحت حماية الأمم المتحدة، وقام بالأمر مكانه أحد مساعدي نواب الرئيس وهو عبد الرحيم هاتف فشغل منصب رئيس الجمهورية بالنيابة.

وخلال أيام من سقوط الرئيس نجيب الله محمد أصبحت مدن أفغانستان الرئيسية تحت سيطرة مختلف تحالف جماعات المجاهدين. وصدرت أوامر أحمد شاه مسعود في بيشار للاستيلاء على كابول بالتعاون مع قادة المجاهدين الآخرين.

وفي ٢٣ شوال ١٤١٢ هـ (٢٥ نيسان ١٩٩٢ م) دخلت قوات أحمد مسعود، وقوات قلب الدين حكمتيار التي كانت محتشدة جنوب العاصمة كابول، وسلّم الجيش مواقعه الرئيسية. كما سلّم المجلس العسكري ـ الذي حلّ منذ بضعة أيام محلّ الحكومة ـ السلطة للمجاهدين بعد أن نبذ قادة المجاهدين في بيشاور اقتراح الأمم المتحدة بتشكيل هيئة محايدة، وعملوا على إنشاء مجلس جهاد إسلامي موقت يضمّ واحداً وخمسين عضواً، وكان من المقرر أن يتسلّم صبغة الله مجددي قائد جبهة التحرير الوطنية الأفغانية مدة شهرين، ويتشكل بعد تلك المدة مجلس مؤلف من عشرة أعضاء من قادة

المجاهدين وبرئاسة أمير الجمعية الإسلامية برهان الدين رباني لمدة أربعة أشهر، وأثناء الشهور الستة كان من المقرر أن يجتمع مجلس خاص لتعيين إدارة انتقالية تتولى السلطة لمدة سنة ريثما يتم إجراء انتخابات.

وصل صبغة الله مجددي إلى كابول ٢٦ شوال ١٤١٢ هـ (٢٨ نيسان ١٩٩٢ م) بصفته رئيس الإدارة الانتقالية الجديدة. ولكن لم يجتمع مجلس الجهاد الإسلامي لمعارضة قلب الدين حكمتيار، ولم تمض سوى بضعة أيام حتى فقدت قوات حكمتيار سيطرتها على معاقلها التي كانت ترابط فيها وسط العاصمة.

وخلال أسابيع قليلة حصلت حكومة دولة أفغانستان الإسلامية المعلنة حديثاً على اعتراف سياسي عالمي تقريباً.

وفي أوائل ذي القعدة ١٤١٢ هـ (أوائل أيار١٩٩٢ م) اجتمع نصف أعضاء مجلس الجهاد الإسلامي، وتشكل مجلس وزراء بالنيابة، وأعطي فيه أحمد شاه مسعود حقيبة وزارة الدفاع، وترك منصب رئاسة الوزراء إلى عبد الصبور فريد من الحزب الإسلامي (حكمتيار) إلا أنه من قبائل الطاجيك، وقد رفض قلب الدين حكمتيار هذا المصنب.

وأخذت تظهر السمات الإسلامية الأساسية إذ منعت الخمور والمخدرات، وظهرت النساء المحجبات. ولكن الصراع استمرّ بين فصائل المجاهدين، وكان حكمتيار ينتقد بشدّةٍ وجود قوات الأوزبك غير النظامية بقيادة رشيد دوستم في العاصمة لذا أخذ بقصف كابول بالمدفعية.

وقبل موسم الحج وقّع قلب الدين حكمتيار وأحمد شاه مسعود اتفاقية سلام بينهما، ولكن لم تكن تلك إلا لمرحلةٍ بسيطة، إذ عاد القتال وساهمت فيه قوات الرافضة التي تدعمها إيران.

وفي ٢٨ ذي الحجة ١٤١٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٩٢ م) سلّم صبغة الله مجددي السلطة إلى مجلس القيادة الذي قدّم منصب رئاسة الدولة فورا إلى

برهان الدين رباني مع المسؤولية المقترنة بمجلس وزراء انتقالي لمدة أربعة أشهر حسب اتفاقية بيشاور، وفي أول يومٍ من عام ١٤١٣ هـ (الأول من تموز ١٩٩٢ م) تسلّم عبد الصبور فريد وهو صديق حميم لقلب الدين حكمتيار منصب رئاسة الوزراء.

أعلن برهان الدين رباني عند توليه رئاسة البلاد تبنّي علم جديد للبلاد، وإنشاء مجلسٍ اقتصادي لمعالجة مشكلات البلاد الاقتصادية الحادة، وتعيين لجنة لصياغةٍ دستور جديد.

وفي أوائل صفر ١٤١٣ هـ (أوائل آب ١٩٩٢ م) انسحب أعضاء جماعة الحزب الإسلامي (خالص) من مجلس القيادة فحدثت تصدّعات خطيرة داخل الحكومة. كما استمرّ العنف بين المجاهدين في العاصمة، وقامت قوات حكمتيار بهجوم عنيف على كابول، وأغلقت المطار، فما كان من الرئيس برهان الدين رباني إلا أن أعلن فصل قلب الدين حكمتيار من مجلس القيادة وطرد عبد الصبور فريد من منصب رئاسة الوزراء. وطالب حكمتيار إخراج خمسة وسبعون ألفاً قوات الأوزبك غير النظامية وقائدها رشيد دوستم من العاصمة لصلته بالنظام الشيوعي البائد، وعدّ حكمتيار هذا الطلب شرطاً مسبقاً للمحادثات والاتفاق على وقف إطلاق النار.

وفي نهاية شهر صفر ١٤١٣ هـ تمّ الاتفاق بين رباني وحكمتيار على وقف إطلاق النار، وبعد بضعة أيام تمّ فتح مطار كابول. واستمرّ القتال بين جماعة حكمتيار وجماعة الأوزبك في العاصمة وبعض الأقاليم.

وفي أوائل ربيع الأول ١٤١٣ هـ (أوائل أيلول ١٩٩٢ م) عملت وزارة الدفاع على إخلاء العاصمة من العناصر المسلحة.

وفي أواخر ربيع الثاني ١٤١٣ هـ (نهاية تشرين الأول ١٩٩٢ م) وافق مجلس القيادة على تجديد مدة رئاسة برهان الدين رباني شهرين آخرين.

وفي ٦ رجب ١٤١٣ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٩٢ م) تشكل مجلس

استشاري خاص عُرف باسم «مجلس أهل الحل والعقد» ويضم ١٣٣٥ عضواً من مشايخ القبائل، وقد عقد في كابول، واختار المجلس برهان الدين رباني المرشح الوحيد رئيساً للدولة لمدة سنتين أخريين، وبعد بضعة أيام تمّ اختيار مائتي عضو للمجلس الاستشاري الذي سيكون بمثابة هيئة تشريعية للبلاد.

أثار تأسيس المجلس الاستشاري، وإعادة انتخاب الرئيس برهان الدين رباني مزيداً من القتال في كابول وأقاليم أخرى في أوائل شهر رجب ١٤١٣ هـ (مطلع عام ١٩٩٣ م) لأن قلب الدين حكمتيار لم يكن راضياً عن هذا كله. وبسبب العنف الذي ازداد سوءاً غادرت البعثات السياسية الغربية كابول في نهاية شهر رجب ١٤١٣ هـ (أواخر كانون الثاني ١٩٩٣ م).

في أوائل شهر رمضان ١٤١٣ هـ (أوائل آذار ١٩٩٣ م) عقد الرئيس برهان الدين رباني، وقلب الدين حكمتيار، وصبغة الله مجددي وقادة جماعات المجاهدين الرئيسية الأخرى في مفاوضات في العاصمة الباكستانية إسلام أباد انتهت بتوقيع اتفاقية سلام. وبموجب بنود الاتفاقية تتألف حكومة انتقالية تتسلّم السلطة مدة ثمانية عشر شهراً، ويبقى برهان الدين رباني في منصب رئاسة الدولة، ويتولّى قلب الدين حكمتيار أو من يختاره رئاسة الوزراء الانتقالية ويسرى وقف إطلاق النار فوراً، وتجرى انتخابات تشريعية خلال ستة أشهر، وتُشكل لجنة للدفاع تضم ستة عشر عضواً تكون مسؤولةً عن إنشاء جيش وطني، وجمع الأسلحة من الفئات المتصارعة كلها في سبيل استعادة النظام والأمن، وتمّت المصادقة رسمياً على اتفاقية السلام، ووقعت عليها حكومات باكستان، والمملكة العربية السعودية، وإيران.

وفي مواجهة المهمة الصعبة المتمثّلة في تلبية مطالب مجموعات المجاهدين كلها لم يتمكّن قلب الدين حكمتيار من تقديم مجلس وزراء جديد حتى أوائل ذي الحجة ١٤١٣ هـ (أواخر أيار ١٩٩٣ م)[1]، وقد منح

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:
١ ـ قلب الدين حكمتيار: رئيس الوزراء. =

كل تنظيم من تنظيمات المجاهدين منصبين وزاريين، وتُركت حقائب أخرى شاغرة لممثلين آخرين، ومنح لممثلي مجموعة رشيد دوستم حقيبتين في محرم ١٤١٤ هـ (تموز ١٩٩٣ م). ومما يمكن ملاحظته أن حكمتيار قد أبعد أقوى خصومه وهو أحمد شاه مسعود عن وزارة الدفاع. وقد وعد رئيس الوزراء الجديد إجراء انتخابات في ربيع الثاني ١٤١٤ هـ (تشرين الأول)،

= ٢ ـ قطب الدين هلال: نائب أول لرئيس الوزراء.
٣ ـ محمد أرسالا رحماني: نائب رئيس الوزراء، ووزير التوجيه الديني والأوقاف.
٤ ـ هداية أمين أرسالا: وزير الخارجية.
٥ ـ سيد عمر منيب: وزير التعليم العالي والمهني.
٦ ـ أحمد شاه أحمد زاي: وزير الإسكان وإعمار المدن.
٧ ـ محمد أيوب: وزير المياه والطاقة.
٨ ـ محمد أيوب فاطمي: وزير الصحة العامة.
٩ ـ محمد علي جاويد: وزير التخطيط.
١٠ ـ قاضي محمد أمين وقّاد: وزير الاتصالات.
١١ ـ جليل الله مولوي زاده: وزير التربية والتعليم.
١٢ ـ محمد فاروق عزام: وزير إعادة توطين اللاجئين.
١٣ ـ سيد محمد: وزير الإنشاء والإعمار.
١٤ ـ حياة الله بلاغي: وزير التجارة.
١٥ ـ سيد حسين أنوري: وزير العمل والشؤون الاجتماعية.
١٦ ـ عبد الكريم خليلي: وزير المالية.
١٧ ـ نور الله عماد: وزير الزراعة.
١٨ ـ محمد خليل زُهاد: وزير النقل.
١٩ ـ والجان واثق: وزير الإعلام والثقافة.
٢٠ ـ إسحاق جوهري: وزير التنمية الريفية.
٢١ ـ سليمان جيلاني: وزير الشؤون الحدودية.
٢٢ ـ حميد الله طرزي: وزير مستشار الشؤون الاقتصادية.
٢٣ ـ ملاوي عبد الرحيم: وكيل وزارة العدل.
وبالإضافة إلى ذلك أنشئت هيئتان خاصتان كلّفتا بمسؤوليات وزارتي الدفاع والداخلية.

وكان مقر الحكومة الموقتة في «تشاراسياب» وهي قاعدة حكمتيار العسكرية، وتقع على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً جنوب كابول.

وعلى الرغم من توقيع اتفاقية السلام في إسلام أباد في شهر رمضان ١٤١٣ هـ (آذار ١٩٩٣ م) إلا أن الصراع بين مختلف مجموعات المجاهدين لم يتوقّف. وذُكر أنه تمّ إعداد مسودة دستورٍ جديدٍ، عُرف باسم «القانون الأساسي»، وأن لجنةً قد صادقت عليها استعداداً لإجراء الانتخابات العامة.

عاد الخلاف يظهر من جديد بين رئيس الدولة برهان الدين رباني ورئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار، بل لم يختف إلا موقتاً، ولا يزول إذ يعتمد على العصبية القبيلية، وتحرّكه الدوافع الشخصية، ويزيد من أواره ماضي الخلافات. واشتد الصراع، ولم تستطع النزعات الإيمانية عند الطرفين أن تكبحه، فاستغلّ رشيد دوستم هذا الصراع، وانضمّ إلى أحد الفريقين في سبيل إضعاف الطرفين ثم ضربهما معاً، وقطف الثمرة لنفسه فانحاز إلى الرئيس برهان الدين رباني، فوجد حكمتيار ذلك فرصة للهجوم على خصمه باتهامه بالتعاون مع الشيوعيين في سبيل مصلحته، وحبّه للمنصب، إضافةً إلى اتهامه بالارتباط مع الدوائر الاستعمارية، وشدّد في اتهاماته وفي هجومه على خصمه. وفرض الحصار على كابول.

ووجد رشيد دوستم فرصةً أخرى لضرب الطرفين حيث ترك برهان الدين رباني وانحاز إلى خصمه حكمتيار في سبيل إظهار بطلان كلام حكمتيار، وكشف القناع عن حقيقته بأنه صاحب مصلحة إذ رضي بالتعاون مع من كان يعدّه سبب الفساد، وموطن السوء، وبؤرة العفن والإلحاد بشيوعيته، والموافقة على التعاون معه معناه أن الغاية عند حكمتيار تبرر الوسيلة التي تتخذ للوصول إلى الغاية. كما أن دوستم قد شعر أن الوقوف بجانب حكمتيار قد يكون أقرب له للوصول إلى هدفه إذ أن حكمتيار أكثر قوة، وأعزّ نفراً.

أدار دوستم ظهر المجن إلى رباني، وانقلب عليه، وحاصر كابول إلى

جانب حكمتيار، وأخذ في قصف العاصمة. ولما بدأ اللوم يُوجّه إلى حكمتيار بتعاونه مع دوستم والسير في طريقٍ كان ينتقدها أشدّ النقد، أخذ يدّعي أنه لا يتعاون مع دوستم، فكل منهما يحاصر كابول من جهةٍ، ولا يشترك معه في قصف العاصمة، بل كل منهما يقوم بالهجوم الذي يراه دون أي تنسيق بينهما، ولم يكن هذا الكلام سوى محاولة لتبرير موقفه، وهو مرفوض إسلامياً، وعسكرياً. ونتيجة هذه الصراعات أصبح دوستم هو الأقوى، وكل يرغب بالتنسيق معه لضرب خصمه.

ضاق سكان كابول ذرعاً بهذا الوضع الذي يدعي قادته أنهم يجاهدون، وأنهم يعملون في سبيل الله، ويرمون إلى تطبيق الإسلام، غير أن الأهالي لم يروا من هذا سوى البؤس، والدمار، وقتل الأبرياء فهذا الوضع والحكم الشيوعي سواء. ولم يرعو أحد الطرفين، ولم يفكر بالإسلام، ولم يمنعه إيمانه من هذا السلوك، وكذا كانت نظرة المسلمين في كل بقعة من العالم نظرة طيبة إلى هذين الفريقين، بل إن أعداء الإسلام قد اتخذوا من هذا التصرّف وسيلة للهجوم على الإسلام، وفكرة الجهاد التي يحملها هؤلاء المتنازعون على السلطة. وطال الأمر على أهل أفغانستان، واشتدّ الكرب.

كانت الدوائر الصليبية ومن يأتمر بأمرها تُثير نار الفتنة سراً بين الطرفين، وتُحرّك الشرّ بين الفريقين، وتمدّ بالخفاء الجانبين بالسلاح في سبيل زيادة القتل من الخصمين ما داموا من المسلمين كسياسةٍ صليبيةٍ عامة وفي الوقت نفسه لإظهار أن المسلمين ليسوا أهلاً للحكم، وأن الإسلام ليس بمنهجٍ للحياة بصفة أن هؤلاء المتنازعين من المسلمين الملتزمين بل من المتشددين، وقد نهضوا مجاهدين ونادوا بذلك.

أصبح المسلمون عامةً والأفغان خاصةً يتمنَّون الخلاص مما هم عليه لما يعانون، ويحرصون على الحلّ بأي شكلٍ، وتظهر فجأةً في رمضان ١٤١٥ هـ (شباط ١٩٩٥ م) حركة تُطلق على نفسها اسم «طالبان»، وتبدأ بالاستيلاء على جزءٍ بعد آخر بسرعةٍ وتأييد، ولم تُعرف هويتها بعد، غير أن

سوء الوضع قد جعلها تلقى التأييد، ولم ندر بعد ما النتيجة؟ غير أن الزعماء خارج دائرة الخصمين العنيفين أخذوا بتأييد حركة «طالبان».

القضية الطاجيكية:

توترت العلاقات بين أفغانستان وطاجيكستان بسبب العجز الواضح وعدم الرغبة من جانب الحكومة الأفغانية في منع مقاتلي المجاهدين الأفغان وإرسال الأسلحة عبر الحدود إلى طاجيكستان.

وفي مطلع عام ١٤١٣ هـ (تموز ١٩٩٢ م) قام رئيس الجمعية التشريعية الطاجيكية «اكبارشو إسكندروف» بزيارة أفغانستان، طالباً من الحكومة الأفغانية منع وصول مزيد من الأسلحة إلى قوات المعارضة «التحالف الديمقراطي الإسلامي»، وكان الظنّ أن الحزب الإسلامي (حكمتيار) هو المصدر الرئيسي للأسلحة، وأنه قد أقام معسكرات تدريبية داخل أفغانستان لمقاتلي الطاجيك الإسلاميين. وقد نفى مسؤولو الحزب الإسلامي هذه الادعاءات.

وزادت العلاقات سوءاً بين الحكومتين انتخاب حكومة طاجيكية جديدة مؤيدة للشيوعية في منتصف عام ١٤١٣ هـ (أواخر عام ١٩٩٢ م). وفي شهر شوال ١٤١٣ هـ (نيسان ١٩٩٣ م) احتجت الحكومة الطاجيكية لدى السلطات الأفغانية لقيام غارات عبر الحدود في سبيل مساعدة ثوار التحالف الديمقراطي الإسلامي. وبالمقابل فقد أعلنت الحكومة الأفغانية أن القوات الروسية في طاجيكستان قد هاجمت بعض القرى الأفغانية في أقاليم «باداخشان» و «طخار» و «قندوز» وقتلت عدداً من السكان. وأكّدت الحكومة الأفغانية ثانية أنها لم تتورط بأي شكلٍ في الصراع الطاجيكي الداخلي، وطالبت بسحب القوات الروسية من المنطقة الحدودية.

وفي شهر صفر ١٤١٤ هـ (آب ١٩٩٣ م) قام وزير الخارجية الأفغاني هداية أمين أرسالا بزيارة العاصمة الطاجيكية (دوشنبي) لعقد محادثات مع

الحكومة الطاجيكية، ونتيجةً لهذه المحادثات أعلن الوزير الأفغاني أنه يرغب بالقيام بدور الوسيط بين السلطات الطاجيكية والثوار المسلمين الذين كانوا يهاجمون قوات الحكومة الطاجيكية من قواعد لهم في شمالي أفغانستان.

وقُدّر عدد اللاجئين الطاجيك في أفغانستان في مطلع عام ١٤١٤ هـ (تموز ١٩٩٣ م) بتسعين ألف لاجئ.

الفصل الرابع

الصّراعات الداخليّة

تبلغ مساحة أفغانستان ستمائة وخمسون ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد السكان ما يقرب من عشرين مليون، وهو عدد قليل بالنسبة إلى المساحة حيث لا تزيد الكثافة على ٣٠ شخص في الكيلومتر المربع الواحد بسبب كثرة المرتفعات التي تشغل ٨٠٪ من المساحة العامة للبلاد، إضافةً إلى المناطق الأخرى شبه الصحراوية التي تُشكّل مساحاتٍ واسعةً أيضاً، وهذا ما يجعل ٤٠٪ من السكان يمتهنون الرعي. ويرجع السكان في أصولهم إلى عدة مجموعاتٍ جنسيةٍ وهي:

١ ـ **البشتو**: ويشكلون ٥٠٪ من سكان البلاد، ويعيشون شمال جبال هندكوش، وإلى الجنوب منها، وهم مزيج من العناصر التركية والفارسية، ويعرف الفرع الجنوبي من هذه القبائل باسم (الغلزة) وتنتشر هذه القبائل أيضاً في شمال غربي باكستان في مناطق الحدود، ويعرفون هناك باسم (الباتان).

٢ ـ **الطاجيك**: ويشكلون ٣٠٪ من مجموع السكان، وهم عناصر فارسية يعيشون في الأودية العليا من إقليم (باداخشان)، ويمتّدون حتى الغرب.

٣ ـ **الأتراك**: ويُقيمون في الشمال تتمةً للسكان الذين يعيشون في المناطق التي يُسيطر عليها الروس، في بلاد الأوزبك، وبلاد التركمان،

ويشكل الأوزبك ٥ ٪ من مجموع السكان، بينما لا تزيد نسبة التركمان على ٢ ٪ من مجموع السكان، وبذا فالأتراك يشكلون ٧ ٪ من مجموع السكان.

٤ ـ **البالوخ**: ويشكلون ٢ ٪ من مجموع السكان، ويُقيمون في الجنوب في مناطق الحدود الجنوبية مع باكستان، وتمتدّ هذه القبائل داخل باكستان حيث تعيش أكثريتها هناك.

٥ ـ **الكافير**: مجموعة قليلة العدد تعيش في الشمال الشرقي، ويعرفون باسم (النوريون) بعد أن تحوّلوا إلى الإسلام في بداية القرن الماضي، وكانوا من قبل يتبعون البوذية.

٦ ـ **الهزّارة**: ويعودون إلى أصولٍ مغوليةٍ، ولا يصل عددهم إلى المليون، ويتبعون المذهب الشيعي على حين أن المجموعات السابقة كلها من المسلمين (السنة). ويُقيم الهزّارة في المرتفعات الوسطى.

وهناك مجموعات قليلة من العرب، والهنود، والصينيين ولا شك أن العرب مسلمون بينما الهنود والصينيون بعضهم من المسلمين وبعضهم الآخر من غير المسلمين.

العقيدة:

يدين ٩٩ ٪ من سكان أفغانستان بالإسلام، إن لم نقل جميعهم لأن هناك قلّةً من الهندوس، والبوذيين من الهنود والصينيين، ولا تصل نسبتهم أبداً إلى ١ ٪، ويشكل المسلمون (السنة) ٨٨ ٪ من مجموع السكان، والباقي وهو ١٠ ٪ فقط من الشيعة، وهم الهزّارة، وبعض الفرس الذين يُقيمون على مقربةٍ من حدود إيران، وخاصةً في مدينة (هراة) وما حولها.

الصراع العنصري:

لم تحدث صراعات في أفغانستان على أساسٍ عنصريٍ لأنه لا توجد عصبيات عرقية، إذ أن معظم السكان يعودون إلى أصولٍ فارسيةٍ أو

تركيةٍ أو مزيجٍ من هذين الأصلين، والمجموعات الأخرى من بالوخ وغيرها ليست بالحساب لتُصارع غيرها، وإذا حدثت اختلافات أو وقعت غارات فإنما هي بين القبائل أو على المدن، وسكان الوديان في سبيل النهب.

الصراع العقيدي:

لما كان السكان جميعهم تقريباً أصحاب عقيدةٍ واحدةٍ لذا لم تقع خلافات تعود إلى أصلٍ عقيدي. حتى الشيعة كانوا يعدون من المسلمين ما داموا يقولون ذلك، ويُؤدّون العبادات شأنهم في ذلك شأن الآخرين من السكان المسلمين، فالناس معظمهم من العامة لا يبحثون بالعقائد، بل ليست في ساحة تفكيرهم وإنما يكتفون بالظاهر وحسبهم ذلك، فلما قامت في إيران ما عُرف بالثورة الإسلامية، وأخذت تتحرّك باسم الرافضة، وتحاول أن تمدّ يدها تحت هذه المظلّة إلى أفغانستان، بدأت التفرّقة، وأخذ الدعم يصل إلى الشيعة فقط، وصار الحديث باسمهم، وغدت إيران الناطق الرسمي باسمهم، فتفتّحت العيون، وظهر الانقسام، ولكن قلّة الشيعة لا تسمح لهم بدخول الصراع غير أن الدعم والتحريض قد جعل لهم شأناً من الجانب السياسي والإعلامي فقط، وربما حدث صراع في المستقبل إن استمرت الأمور تمشي في هذه الطريق، وأصبح الدعم يُشكّل من القلّة قوةً يمكنها دخول ميدان الصراع مع الكثرة الساحقة التي لا بواكي لها.

وهذا الانتماء إلى عقيدةٍ واحدةٍ قد جعل السكان يهبّون جميعاً في وجه المستعمرين الصليبيين ويُحرزون النصر عليهم رغم التباين في القوة المادية. لقد انتصر المسلمون في أفغانستان على الإنكليز في الحرب (١٢٥٥ - ١٢٥٨ هـ) وفي الحرب (١٢٩٥ - ١٢٩٦ هـ)، وأُبيد الجيش الإنكليزي في أولى هاتين الحربين، كما انتصر المسلمون الأفغان على الغزاة الروس الذين دنّسوا البلاد عندما دخلوها عام ١٤٠٠ هـ، ثم أُجبروا على الانسحاب. لقد عدّ الأفغان هذه الحروب حروباً عقيديةً فاندفعوا

يذودون عن دينهم. وليس في البلاد من ينتمي إلى عقيدة الصليبيين ليُساعدوهم وليقفوا إلى جانبهم، ولينقلوا إليهم أخبار المسلمين، كما حدث في أمصار إسلاميةٍ أخرى. غير أنه وجد ـ مع الأسف ـ في هذه الآونة الأخيرة من أبناء البلاد من يرتبط مع الغزاة الروس برابط الإلحاد والحزبية، ومع المستعمرين الصليبيين الغربيين برابط العلمانية والفكر المادي، وهذا ما جعل صفوفنا مخترقةً وحصوننا مهددةً من داخلها بأعوان الصليبيين.

الصراع الحزبي:

لم تكن هناك أحزاب في بلاد الأفغان، ولم يكن الناس ليهتمّوا بأمور السياسة والمشكلات الدولية، وموضوع الحكم، وإنما كانوا منصرفين إلى تأمين حياتهم المعاشية، وجلّ ما يعرفون أن الصليبيين يدخلون في صراعاتٍ فيما بينهم للسيطرة على بلاد غيرهم في سبيل استغلال الأرض واستعباد العباد، وأنهم يُعادون المسلمين، وهمّهم إبادة المسلمين أو إخراجهم من دينهم لذا فهم على استعدادٍ للجهاد في سبيل الله ضدّهم فيما إذ اقتربوا منهم، وهم يعلمون علم اليقين أن مجيء الصليبيين إن جاءوا لم يكن إلا للنيل من الإسلام.

ورأى الأفغان الصراع بين الدول النصرانية فظنّوا من باب الغفلة أو الجهل أن ذاك الخلاف في سبيل السيطرة، والسباق على امتلاك مصادر الثروة، ومدّ النفوذ، ولكنهم لم يلبثوا أن توصّلوا إلى حقيقة وهي أن الصراع بين الدول الصليبية وأحلافها ومعسكراتها لم يكن إلا خلافاً ظاهرياً وسياسياً بالدرجة الأولى فإذا ظهرت انطلاقة إسلامية، أو وُجدت صحوة، أو حصل المسلمون على نصرٍ، أو أصابهم خير إذا بالصليبيين يُسرعون إلى اللقاء ويزول كل خلافٍ بين المعسكرات، وينتهي كل صراع بين الأحلاف، ويقف الجميع في وجه المسلمين ليردعوهم، ثم تحدث تصفية الحساب وتوزيع الغنائم، وتعود بعدها الحرب الباردة التي كانت من قبل

وكان الأفغان ينظرون إلى صلة حكومتهم مع هذا الخصم الصليبي أو ذاك على أنها نوع من التعاون الدولي، وتسيير المصالح، وتبادل المنافع الاقتصادية من التجارة والسلاح وغير ذلك، ويُفسّرها بعضهم على أنها السياسة، ولا يعرفون للسياسة غير هذا المعنى لذا فهم يكرهونها... ويصبّون عليهم كلمات البغض والكراهية.

وبعد الحرب العالمية الثانية عادت الحرب الباردة بين الرأسماليين والشيوعيين، وبدأت محاولات التسلّل ومدّ النفوذ إلى البلدان المجاورة، والمناطق الغنية، والبقاع ذات الأهمية الخاصة. وكان الروس قد وطّدوا أمرهم في مستعمراتهم في بلاد القفقاس وآسيا الوسطى تلك المناطق القريبة لبلاد الأفغان والتي تجاور بعضها بعضاً، بعد أن أصابها ما أصابها أثناء الحرب العالمية الثانية إذ اهتزّت الأرض تحت أقدام الروس في بعض الأجزاء، كما زلزلت في أجزاء أخرى مثل جمهوريات الشاشان، والقبرطاي، والقرم، فلما استقرّ وضع الروس أخذوا بالتحرّك نحو الجنوب.

منذ أن آل الأمر إلى (خروتشوف) في الإمبراطورية الروسية بدأ نوع من التعاون الودّي بين روسيا وأفغانستان كمقدمةٍ لمدّ النفوذ الشيوعي، ووسيلةٍ للتغلغل الروسي، فإضافة إلى غنى أفغانستان هي طريق للوصول إلى جنوب شرقي آسيا حيث نباتات البلاد الحارة وخاصةً المطاط، وهو ما تسعى روسيا إليه بكل جهودها، وترسم المخططات في سبيل ذلك، وكذا فإن أفغانستان على حدود شبه القارة الهندية ذات الإمكانات الضخمة، وذات القصة الأسطورية بالنسبة إلى انكلترا التي تحرص دائماً على المحافظة عليها، وتضع كل إمكاناتها في سبيل ذلك، وتعمل على تمهيد الطريق للوصول إليها وتُزيل كل عقبةٍ يمكن أن تعترض دربها، وتُذلّل كل عثرةٍ قد تُنغّص عليها سيرها، وتُعلن ذلك صراحةً وأمام دول العالم جميعها، وترسم سياستها على هذا الأساس، وتعمل المخططات لتنفيذ هذه السياسة.

فأفغانستان ذات أهميةٍ بالنسبة إلى المُخطّطات التي ترسمها روسيا، وبالنسبة إلى الأحلام التي تحلم بها، وتعمل على تحقيقها، وبالنسبة إلى السياسة التي يضعها الروس نصب أعينهم، ويطمعون بالوصول إليها.

أخذت الأموال الروسية تتدفّق إلى أفغانستان باسم مُساعداتٍ، وأخذت الدعاية تُرافقها، بإعلان تلك المساعدات، وحسن الجوار، وحبّ التعاون، والرغبة في السلام، وتلك الكلمات البرّاقة التي تُخفي تحتها الأطماع. وجاءت معونات من الصين الشيوعية كذلك من باب التفاهم بين الدولتين الشيوعيتين الكبريين. وإن كانت الدولة الأفغانية تحرص بالوقوف على الحياد، وتعمل على أخذ المساعدات من كل الأطراف، غير أن المساعدات الروسية فاقت غيرها كثيراً ووصلت إلى ما يعادل ثلثي مجموع المساعدات التي حصلت عليها أفغانستان كما أن رئيس الوزراء الأفغاني آنذاك وهو محمد داود كان يظهر تعاطفاً نحو الروس: مُدَّت المواصلات في بلاد الأفغان ومهدت الطرق وأنشىء مطار كابول وسُلحت القوات الأفغانية وخاصة الجوية منها بالمساعدات الروسية، وغدت كلمة (روس) محببةً لدى الناس بعد أن كانت ممقوتةً ممجوجة تظهر منها رائحة الكراهية والبغض. وجاءت المساعدات الفنية لمشروعات الريّ، فكان الفنيون الروس خبراء بالدعاية الشيوعية، وعلى معرفةٍ كبيرةٍ بالفكر الشيوعي والنظريات المادية، وأخذوا بالاتصال بالأفراد والرجال الذين عندهم استعداد للفتنة، والتبعية، والعبودية للهوى فقدّم لهم الخبراء الجنس، والمال، وعملوا على إبرازهم فوقعوا في الشراك، وانطلقوا وراء الروس أو وراء الهوى، وكانت بداية التنظيم الشيوعي في أفغانستان.

وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على منافسة روسيا، ورغبت أن تدخل عن طريق المؤسسات والإرساليات التنصيرية غير أنه لم يسمح لها بدخول أفغانستان التي جميع سكانها مسلمون، فلجأت إلى طريق التحايل، واستظلت بظلّ مؤسسةٍ أمريكيةٍ لرعاية المكفوفين، وأقيمت الأبنية اللازمة،

وبدأ التعليم، وأخذ طريق الرعاية مجراه، ولكن تبيّن أن أحد الأبنية كان كنيسةً فثار الشعب، واضطرت الحكومة أن تطلب من المؤسسة صاحبة العلاقة هدم الكنيسة، واضطرت المؤسسة إلى الرضوخ إلى الأمر وهدم الكنيسة خوفاً من إحراج الحكومة أمام الشعب الذي لا يمكن أن يهدأ إلا إذا رأى الهدم يتمّ أمام عينه، وفشلت الولايات المتحدة في منافستها لروسيا، ووجدت الولايات المتحدة أن السبيل الوحيدة التي يمكن أن تلجأ إليها وهي قطع المساعدات الأمريكية لأفغانستان، مع العلم أنها كانت قد وعدت بتقديم المساعدات لتطوير الشؤون الصحية والتعليمية، فسحبت وعدها، وتخلّت عن تقديم أية مساعدةٍ، ولكن الولايات المتحدة كانت قد كسبت إلى جانبها بعض العناصر الأفغانية، وتمكّنت من إغراء بعض العناصر الثانية، وسار هؤلاء وأولئك تحت مظلّةٍ واحدةٍ بشكلٍ هادىءٍ ريثما تسمح لهم الفرص، للحركة والعمل للدعوة إلى المناهج والأفكار التي حملوها رغبة في تحقيق مصالحهم وتأمين شهواتهم.

وهكذا وُجدت فئتان من الأفغان المرتبطين إحداهما بروسيا وهي الأقوى دعايةً والأكثر عدداً، وثانيهما بالولايات المتحدة دون أن تكون واضحة التنظيم، وكان الصراع بين هاتين الفئتين، وكانت المنافسة، وهذا ما حرّك المسلمين ونبّههم، فالخلاف يقع على أرضهم لصالح غيرهم، ويحدث بين أبنائهم بدافعٍ خارجيٍ، وهم لا يدرون، ويأخذ الأعداء منهم أفرادهم على غير علمٍ منهم، ويُبعدونهم عن عقيدتهم ليصبحوا حرباً عليهم يا للمصيبة!!!!

لا يمكن أن يكون التحرّك إلا حسب اتجاهٍ إسلاميٍ ما دام السكان قد اقتنعوا أن مناورات الاستعمار كلها لم تكن إلا صليبيةً، ولم يكن هدفها إلا ضرب الإسلام، وما دام لا يوجد بين السكان إلا مسلمون فالشكل الطبيعي أن يكون التحرّك إسلامياً، وليس القصد الانتماء الإسلامي فالشعب كله ينتمي إلى الإسلام، حتى أولئك الذين ارتبطوا مع الأعداء إنما ينتمون إلى الإسلام، غير أنهم لا يلتزمون به، ولا يأخذون بتعاليمه، ولا يُبالون

به، لا تُهمّهم عقيدة، ولا يُفكّرون إلا بمصلحة، ولو التزموا به لما تصّرفوا تصرّفهم الذي سلكوه، وإنما القصد بالاتجاه الإسلامي الالتزام به سلوكاً وعبادةً ومنهجاً، وليس عاطفةً وادعاءً.

وما دام الموضوع موضوع التزامٍ واتباعٍ فلا بدّ من أن يكون العلماء هم المحرّكون للرعية، وهم قادة الأمة أصلاً يُوجّهونها إلى المنهج وإلى ما يجب أن يسلكوه، وهذا أمر واجب اتباعه، وذاك أمر محرّم لا يصحّ اقترابه، في معاملة الأعداء، والسلوك مع الأصدقاء، والتعاون مع الدول، وفي سياسة الرعية، وممارسة الاقتصاد، وعلاقة الأفراد بعضهم مع بعضٍ، وإذا كانت هذه الصورة قد اختفت من الواقع فذلك يعود للجهل بالإسلام لدى الرعية، وعجز العلماء أمام الطغاة، وضغط المتحكّمين، وظلم المستبدين، ومُحاربة العالم للإسلام، وتنشئة الأجيال على غير هذه الصورة بل على صورةٍ مُقابلةٍ لها تماماً وتسخير وسائل الإعلام كلها لأفكارهم وصحة معتقداتهم، وحشو المناهج التعليمية بما يريدون، ورسم المخططات لتحقيق ما يعملون له، وغدا المسلمون ضعفاء لا ناصر لهم إلا الله، ولن ينصرهم إذا تخلّوا عنه، حسب ما وعدهم، وأبان لهم فيما أنزل إليهم، وعلى لسان من أرسل إليهم.

والتحرّك لا يكون إلا بالتنظيم، فالفوضى تُربك ولاتُثمر، بل لا تكون بها إلا بعثرة الجهود، ووأد العمل، والهزيمة أمام الخصم. والعمل الفردي لا يُؤديّ إلى نتيجة، ويُسحق تحت أقدام الركب، ويلحق به كل من اتبع رأيه، وسار على قوله، فكم من حقٍّ ضاع في غياهب الباطل لأنه لم يأخذ بالأسباب، وكم من عدلٍ صُرع لأنه لم يسلك طريق الاستعداد. ومن الأخذ بالأسباب وسلوك طريق تنظيم الجهود، ورسم المخططات، وتهيئة الظروف، ومعرفة العوامل وإلا لما وجدت القيادات، ولا رُتّبت الجيوش، ولا أُسّست الهيئات، ولا قامت الحكومات.

ووجد المسلمون الشيوعيين يُنظّمون أنفسهم ضمن حزب الشعب

الديمقراطي الذي وجد منذ أيام محمد نادر خان، فهل يُقابلون التنظيم بالفوضى؟ إذن لا بدّ لهم من أن يُنظّموا أنفسهم، ومن هنا بدأ العمل.

أخذ الشباب المسلم يتعاون بعضه مع بعضٍ، ويلتقي بالعلماء، وتشكّلت النواة الإسلامية الأولى، وكان أفرادها على صلة بالعلماء أمثال: محمد يونس خالص، وعبدالرزاق باريس، والملا بن وزير، وخدايانورا، وكان الهدف في البداية جعل الإسلام أساساً للتربية والتعليم، ثم الوقوف في وجه العملاء سواء أكانوا أعواناً للروس أم أتباعاً للإنكليز والأمريكان.

كان أفراد الشباب المسلم ينقلون آراءهم إلى الشعب ويبثّون أفكارهم إلى أترابهم عن طريق الكتابة باليد وكذلك نسخ صورٍ عن الأصل إذ أن إمكاناتهم ضعيفةً، فقوي أمرهم، وخاف الشيوعيون من نشاطهم فعملوا على جرّهم إلى معركةٍ في سبيل القضاء عليهم، وإخافة الآخرين كي لا يسلك سلوكهم أحد، ولا يُفكّر إنسان بالوقوف في وجه الشيوعيين. ولكن المعركة كانت خاسرةً بالنسبة إلى الشيوعيين، وانتصر الشباب الإسلامي نصراً مُبيناً ـ بإذن الله ـ، وهذا ما شجّعهم وقوّى من عزيمتهم، فخاف الشيوعيون حقّاً فجمعوا كيدهم، وتسلّحوا، وأتوا صفاً واحداً يوم ٢٦ ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ (٣٠ حزيران ١٩٧٠ م)، فتعاطف الشعب مع الشباب المسلمين لمعرفتهم بإلحاد خصومهم، وإخلاص هؤلاء الشباب وصدقهم، وأخلاقهم، وكانت معركة بين الطرفين هُزم فيها الشيوعيون، وفرّوا من الساحة بعد أن تركوا على أرضهم مائةً وسبعين جريحاً.

وتقدّم إلى الساحة الشيوعيون من أتباع الصين نجدةً لرفاقهم وإسعافاً، وإظهاراً للقوة، ومحاولةً للقضاء على الحركة الإسلامية قبل أن يشتدّ ساعدها فلقوا ما لقي رفاقهم، وهذا ما زاد من نشاط الإسلاميين ودفعهم للعمل، وبرز نشاطهم في جامعة كابول، ودخلوا انتخابات مجلس الطلاب في الجامعة فحصلوا على أربعة وأربعين مقعداً من أصل أربعة وخمسين وهذا ما أخاف خصومهم أعداء الدين من شيوعيين ورأسماليين فوحّدوا

صفوفهم، فأخذت تتميز في الجامعة وفي المجالات الأخرى فئتان أولاهما ملتزمة بـالإسلام والأخـرى متفلتة من القيم والأخـلاق وكل مـا يمتّ إلى العقيدة بصلةٍ.

تجمّع الشباب المسلمون الملتزمون في جمعيات كان منها:

١ ـ تجمّع الشباب المسلم في جامعة كابول.

٢ ـ جمعية العلماء المحمدية.

٣ ـ جمعية خدام الفرقان.

وأخذ الدعم من قبل الشعب يرفد المسلمين الملتزمين، كمـا أخذ الصحفيون الملتزمون ـ إن وجدوا وأصحاب العاطفة الإسلامية يتعاطفون مع الحركة الإسلامية، وينحازون إليها، وهذا ما جعلها تبرز في الأوساط كلها. ولم يجد الشيوعيون وسيلةً لإخضاع خصومهم سوى الإبادة، وهي طريقتهم العادية، وخاصةً إن كانت السلطة بأيديهم، وإن لم تكن بأيديهم أقدمـوا على الطريقة نفسها بالسرّ وتحت الظلام، وقد رأينا فيما سبق كيف اغتالوا صاحب جريدة الفجر (منهاج الدين جاهز) وابنـه الصغير في ٢٨ جمـادى الآخـرة ١٣٩٢ هـ (٨ آب ١٩٧٢ م)، وعنـدمـا تصبـح السلطة بـأيـديهم يُجاهرون بجرائمهم، ويتباهون بالأعمال المنكرة التي يفعلونها، وقد تسلّموا السلطة أخيراً في أفغانستان، فلا بدّ من المواجهة، وهذا ما حدث، ولا بدّ من مقابلة التنظيم بالتنظيم، والاستعداد بالاستعداد.

غير أن المفهوم التنظيمي غير واضحٍ ـ مع الأسف ـ لدى الأفغانيين سواء عند المسلمين الملتزمين أم عند غيرهم من العلمانيين والملحدين، لذا نرى الانقسامات الحزبية دائمةً في صفوف الجماعة الواحدة. ولعلّ أهم التجمّعات على أرض أفغانستان:

١ ـ حزب الشعب الديمقراطي:

وهو شيوعي، ووجد كتجمعٍ منذ أيام محمد نادر خان، نتيجة الدعاية

الشيوعية، والإغراءات المادية، وإعطاء الأماني والأحلام العريضة بالمناصب والمراكز، وتلبية الشهوات، وتحقيق الأهواء، أو بالأحرى نتيجة البعد عن الإسلام والقيم الأخلاقية. وقد انقسم عام ١٣٨٧ هـ إلى فرعين رئيسيين.

أ ـ حزب خلق: ويرى العمل إلى الشيوعية المحلية، وليس من الضروري الارتباط موسكو، فزعماؤه أكثر طموحاً من الآخرين، إذ لا يرغبون بتلقّي التوجيه من مراكز أعلى، أو لا يريدون أن يكونوا تبعاً لغيرهم يدورون في أفلاك سواهم، ومن زعماء هذا الحزب: محمد تراقي، وحفيظ الله أمين.

ب ـ حزب برشام: ويرى العمل ضمن فلك الشيوعية العالمية، وضرورة تلقي التوجيهات من مصدرٍ واحد، وهو موسكو، ومن زعمائه هذا الجناح بابراك كارمل.

جـ ـ الحزب الشيوعي الصيني: وقد انفصل عن حزب الشيوعي الرئيسي (حزب الشعب الديمقراطي) عام ١٣٨٨ هـ برئاسة طاهر بدخشي.

٢ ـ الحركة الإسلامية:

تأسّست بتوجيهٍ من غلام محمد نيازي، وكان من اعضائها البارزين برهان الدين ربّاني، وعبد رب الرسول سيّاف، قلب الدين حكمتيار، وعبد الرحيم نيازي، وحبيب الرحمن، ثم تفككت، وتشكّلت عدة أحزابٍ وجمعيات إسلامية، بعضها انفصل عنها، وبعضها تأسس من البداية مستقلاً وحده، ودون أن يكون له ارتباط سابق مع غيره، ومن هذه الأحزاب:

أ ـ **الحزب الإسلامي**: وتأسّس عام ١٣٩٨ هـ، وأوسع مجالات عمله في ولايات: ننغرهار، وباكتيا، وقُندهار، ويرأسه محمد يونس

خالص[1]. وقد انفصل بجماعته عن جماعة قلب الدين حكمتيار، وإن بقيت كل جماعةٍ تحمل اسم الحزب نفسه «الحزب الإسلامي».

ب ـ **الحزب الإسلامي**: ورئيسه قلب الدين حكمتيار[2]، وهو من قبيلة البشتو، وانشق الحزب عن سابقه، وبقي كلاهما يحمل الاسم نفسه.

جـ ـ **الجمعية الإسلامية**: ورئيسها برهان الدين ربّاني[3]، ومعظم أعضاء الجمعية من المناطق الشمالية، من العناصر الفارسية (الطاجيك) والعناصر التركية (الأوزبك) و (التركمان). تأسّست الجمعية عام ١٣٩٥ هـ.

د ـ **الاتحاد الإسلامي**: ورئيسه عبد رب الرسول سياف[4]، وتأسس عام ١٤٠١ هـ، ويعدّ أكثر الجمعيات والأحزاب الأفغانية صلةً بالحركة الإسلامية في البلدان العربية.

---

(١) محمد يونس خالص: من مواليد ١٣٣٨ هـ، وأسرته أهل علم، ودرس على والده، وخاله، وأصبح عام ١٣٧٠ هـ مدرساً وخطيباً، ثم عمل في وزارة الإعلام فكانت له برامج في تفسير القرآن الكريم في إذاعة كابول.

(٢) قلب الدين حكمتيار: من ولاية قندوز، ولد عام ١٣٦٨ هـ، ودرس الهندسة في جامعة كابول، وشغل منصب وزير الخارجية في حكومة المجاهدين الانتقالية الثانية، ثم علّق عضويته في الحكومة الموّقته في شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م)، واشترط العودة إلى الوزارة الشروع في الانتخابات العامة. استشهد أبوه، وأخواه، وأعمامه الثلاثة، ويعيش في بيشاور مع أمه وأولاده الأربعة.

(٣) برهان الدين رباني: ولد عام ١٣٦٠ هـ، ودرس الشريعة في جامعة كابل. وتابع دراسته العليا في مصر، ونال الدكتوراه، ورجع للتدريس في جامعة كابول في كلية الشريعة، وساهم مع غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة في تأسيس حركة الشباب المسلم في الجامعة. ويشغل الآن منصب وزير الإعمار في حكومة المجاهدين الموّقتة الثانية.

(٤) عبد رب الرسول سياف: ولد عام ١٣٦٥ هـ، درس في جامعة كابول، وأكمل دراسته العليا في القاهرة، ورجع ليدرس في جامعة كابول، وسجن ست سنوات في عهد محمد داود، ومحمد تراقي، ثم هرب من السجن، والتحق بصفوف المجاهدين، وترأس اتحاد المجاهدين مرتين، ثم أسّس الاتحاد الإسلامي عام ١٤٠١ هـ. وهو الآن يشغل منصب رئيس حكومة المجاهدين الموقتة الثانية.

وتعدّ هذه الأحزاب الأربعة ذات فكرٍ متقاربٍ، وتوجّهٍ أقرب إلى الإسلام. ومع ذلك فإن أعنف الخلافات تقع بين هذه الجماعات.

ثم هناك ثلاثة أحزابٍ أخرى تُشكّل مع سابقتها مجلس الائتلاف السباعي، وهذه الأحزاب الثلاثة تظهر عليها ملامح الفكر القومي، وهي:

هـ ـ الجبهة الإسلامية الوطنية: ويرأسها أحمد الجيلاني، الذي هو من مواليد ١٣٥١ هـ، وكان أبوه صوفياً، ودرس أحمد الجيلاني في كلية الشريعة في القاهرة، وتخرّج منها. ويُؤيّد عودة الملك السابق محمد ظاهر شاه. وتضمّ الجبهة كثيراً من الرجال من ذوي الاتجاه غير الإسلامي. وتُعرف هذه الجبهة محلياً باسم «جبهة محاز محلي».

و ـ جبهة التحرير الوطنية الأفغانية: وتعرف محلياً باسم «جبهة نجاة ملي»، ويرأس الجبهة صبغة الله المجددي[1]، وقد تأسست عام ١٣٩٨ هـ، وساحة نشاطها في المناطق الشرقية.

ز ـ حركة الانقلاب الإسلامي: وتأسست عام ١٣٩٨ هـ، ويرأسها محمد نبي المحمدي[2].

وتشكل هذه الأحزاب والجمعيات السابقة مجلس الائتلاف السباعي

---

(١) صبغة الله المجددي: ولد عام ١٣٤٣ هـ، وينتمي إلى أسرة تتسلّم مشيخة الطريقة النقشبندية الصوفية، تعلّم بالأزهر في مصر. وغدا عالماً معروفاً في أفغانستان، وسجن عدة مراتٍ في العهد الملكي، ومع ذلك فليس عنده من مانعٍ في عودة الملك السابق محمد ظاهر شاه. له صلة بالمؤسسات الغربية العاملة في نشاط الإغاثة، وخاصةً السويدية منها، ويتسلّم رئاسة الدولة باسم المجاهدين.

(٢) محمد نبي المحمدي: ولد عام ١٣٤٤ هـ، درس الشريعة والفلسفة وتخرج عام ١٣٦٦ هـ، عيّنه علماء (لوغر) وكيلاً لمجلس الشعب عام ١٣٩٠ هـ، عمل إماماً لمسجدٍ في (كويتا)، ويُؤيّد عودة الملك السابق، وهو من أتباع الطريقة الصوفية النقشبندية.

للمجاهدين الأفغان، غير أنه توجد مجموعات أخرى على الساحة خارج الائتلاف، وتُعدّ جماعات من الدرجة الثانية وهي:

أ ـ مجموعة جميل الرحمن: ويدعو أميرها إلى تطبيق القرآن والسنة، ويقول بالدعوة السلفية، وتعدّ منطقة «كونار» أوسع ساحات عمل هذه الجماعة.

ب ـ مجموعة نصر الله منصور.

جـ ـ مجموعة قاضي محمد أمين: وكان قائد هذه المجموعة من قادة الحزب الإسلامي، ثم انفصل بجماعته عنه، وله صلة مع المنظمات الشيعية.

المنظمات الشيعية:

توجد ثمان منظمات شيعية في بلاد الأفغان رغم أن نسبة الشيعة لا تزيد على ١٠ ٪ ـ كما مر معنا ـ وتعود كثرة عدد هذه المنظمات لإيهام الناس بارتفاع نسبة الشيعة في أفغانستان، ولمشاركتهم في السلطة فيما إذا وفق الله المجاهدين، وتسلّموا الأمر وانتصروا على أعداء الأمة. وهذه المنظمات صغيرة، وليس لها دور في الجهاد، وهي:

١ ـ حركة باسدران جهاد: ويُمثّلها آية الله عقفي إحساني.

٢ ـ جبهة متحدة: ويُمثّلها آية الله عالمي.

٣ ـ حزب حركة إسلامي: ويمثله محمد آصف محسني.

٤ ـ نيروري إسلامي أفغانستان: ويمثلها سيد آغاي هاشم.

٥ ـ حزب سازمان نصر: ويمثله عبدالكريم خليلي.

٦ ـ دعوة اتحاد إسلامي: ويمثّلها آية الله محمد حسين غزنوي.

٧ ـ حزب النهضة: ويمثله آية الله افتخاري أخلاقي دكي.

٨ ـ حزب الله: ويمثله قاري أحمد.

وأفراد هذه المنظمات من قبائل الهزارة، وقليل منها من الطاجيك

والبشتو. وتتخذ سبع منظمات طهران مقراً لها، أما الثامنة وهي: حزب حركة إسلامي، وأكثر أعضائه من قبيلة البشتو من الشيعة فيتخذ من مدينة بيشاور في باكستان مقراً له. وقد اندمجت هذه الأحزاب الشيعية بعضها مع بعض عام ١٤١٠ هـ في حزبٍ واحدٍ هو حزب «الوحدة الإسلامية».

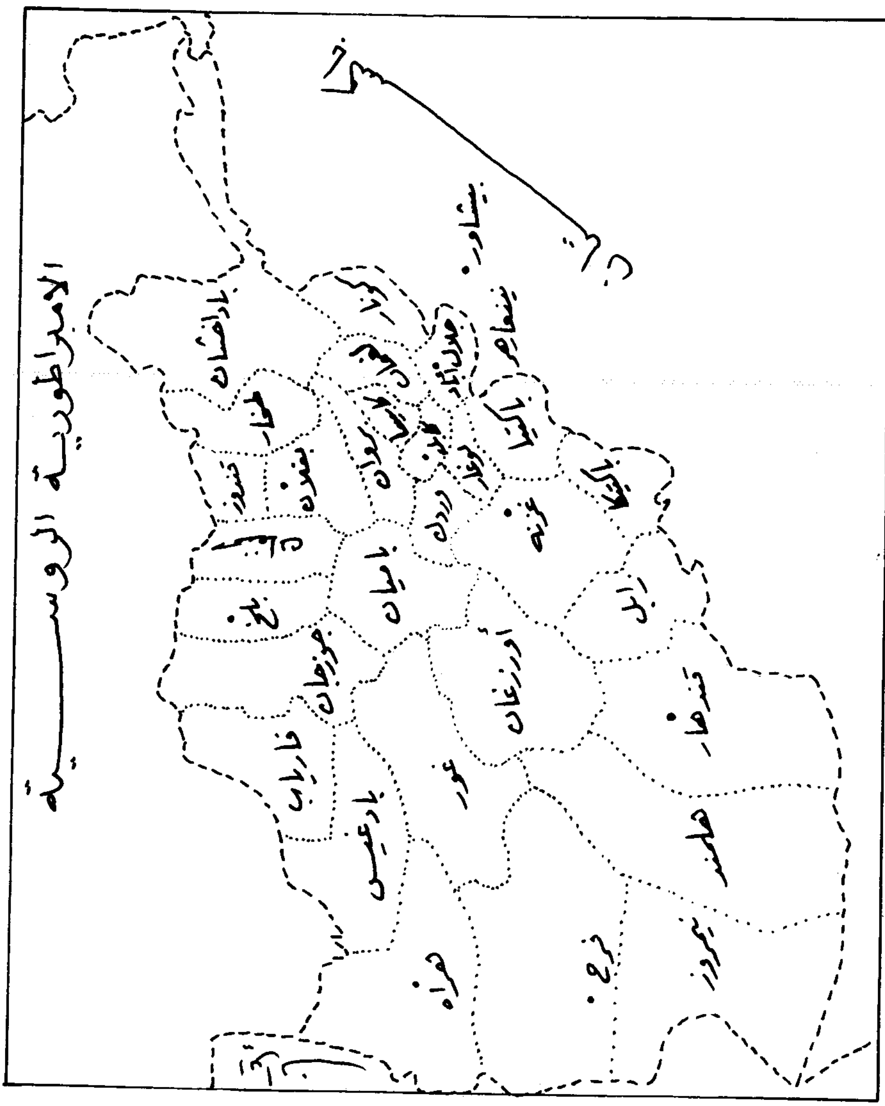
يقوم صراع بين المسلمين الملتزمين وبين غيرهم من أهل الزيغ والهوى الذين ساروا وراء النصارى من الروس والإنكليز والأمريكان وغيرهم، وقد دعم الروس أعوانهم فغزوا البلاد ودخلوها، وقاموا بقتل خصومهم، والعمل على إبادتهم واستعملوا وسائل القتل الجماعي المحرّمة دولياً، كما ارتكبوا مختلف الجرائم من سلبٍ ونهبٍ واغتصابٍ وهتكٍ للأعراض، ووقف الآخرون ساكتين يتفرّجون ما يحلّ بالمسلمين، وقد وجد أعوان الغرب وأتباع الشرق راحةً لما يجري مع أنه يجري قتل أبناء وطنهم بل وأبناء قبائلهم، وجيرانهم وأقربائهم فالصراع عقيدي بين الإيمان والكفر على مختلف عناوينه.

ويقوم صراع بين المسلمين (السنة) مع الشيعة فالمسلمون يُجاهدون، والشيعة لا يُشاركون مشاركةً فعّالةً غير أنهم يدّعون ذلك، ويعملون على المشاركة بالغنم إن تمّ ـ بإذن الله ـ وهؤلاء يُقيمون في بشاور في باكستان وأولئك يُقيمون في طهران في إيران، فالصراع عقيدي وسياسي.

ويجري صراع بين المسلمين الملتزمين تماماً وبين المسلمين أصحاب العاطفة الإسلامية الذين عندهم مرونة في التطبيق وسياسة الحكم، فمحمد ظاهر شاه لا يُقبل إسلامياً لاستلام الأمر وله ماضٍ غير سليم ولم يُعلن توبته وتبرؤه مما سبق له أن فعل، وهذا ما يحدث بين أطراف ائتلاف المجاهدين السباعي إذ تُؤيّد فئة محمد ظاهر شاه وعودته إلى سدة الرئاسة وترفض فئة أخرى، وهي على حقّ، فالصراع عقيدي فكري.

ويدور صراع بين المسلمين الملتزمين أنفسهم على السيادة

والمصلحة، وتقع معارك بين الطرفين - مع الأسف - ولم يحصلوا على النصر بعد. ولكن السلاح بأيديهم، ولا شك أن هناك أيد خفية تعمل في الظلام، ولكن هذا لا يبرر ما يجري على الساحة من قتالٍ. فنرجو من الله أن يلهمهم الصبر والاستعانة بالله، والرجوع إلى الحق، والإخلاص، والنظر إلى مصلحة الأمة.


الامبراطورية الروسية
باداخشان
قندوز
بلخ
فارياب
جوزجان
بادغيس
باميان
كونار
لغمان
وردك
لوغار
جلال آباد
بيشاور
باكتيا
غزنه
أورزغان
غور
فرح
زابل
قندهار
هلمند
نيمروز
باكستان

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

أفغانستان

الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف

التاريخ الإسلامي

١ ـ قبل البعثة.
٢ ـ السيرة.
٣ ـ الخلفاء الراشدون.
٤ ـ العهد الأموي.
٥ ـ الدولة العباسية (١).
٦ ـ الدولة العباسية (٢).
٧ ـ العهد المملوكي.
٨ ـ العهد العثماني.
٩ ـ مفاهيم حول الحكم الإسلامي.

* * *

التاريخ الإسلامي المعاصر:

١٠ ـ بلاد الشام.
١١ ـ بلاد العراق.
١٢ ـ جزيرة العرب.
١٣ ـ وادي النيل.
١٤ ـ بلاد المغرب.
١٥ ـ غربي إفريقية.
١٦ ـ وسط وشرقي إفريقية.
١٧ ـ تركيا.
١٨ ـ إيران وأفغانستان.
١٩ ـ بلاد الهند.
٢٠ ـ جنوب شرقي آسيا.
٢١ ـ المسلمون في الإمبراطورية الروسية.
٢٢ ـ الأقليات المسلمة في العالم.

* * *

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية

(في آسيا)

١ ـ تركستان الغربية.
٢ ـ تركستان الشرقية.
٣ ـ قفقاسيا.
٤ ـ باكستان.
٥ ـ أندونيسيا.
٦ ـ اتحاد ماليزيا.
٧ ـ فطاني.
٨ ـ المسلمون في قبرص.
٩ ـ المسلمون في الفيليبين ودولة مورو.
١٠ ـ جزر المالديف.
١١ ـ أفغانستان.
١٢ ـ تركية.
١٣ ـ إيران.
١٤ ـ شبه جزيرة العرب.
- عسير.
- نجد.
- الحجاز.
- البحرين والإحساء والكويت وقطر.

١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية.
١٦ ـ خراسان.

(في إفريقية)

١ ـ غينيا.
٢ ـ نيجيريا.
٣ ـ الصومال.
٤ ـ موريتانيا.
٥ ـ أريترية والحبشة.
٦ ـ تشاد.
٧ ـ تانزانيا.
٨ ـ السنغال.
٩ ـ أوغندة.
١٠ ـ ليبيا.
١١ ـ السودان.
١٢ ـ جزائر القُمُر.
١٣ ـ المسلمون في بورندي.
١٤ ـ مالي.
١٥ ـ سيراليون.

بُناة دولة الإسلام ١ ـ ٦ :

المجموعة الأولى: (١ ـ ١٠)

١ ـ أبو سُبرة ابن أبي رُهْم.
٢ ـ أبو سلمة عبد الله المخزومي.
٣ ـ عبد الله بن جحش.
٤ ـ الزبير بن العوام.
٥ ـ زهير ابن أبي أمية.
٦ ـ سهيل بن عمرو.
٧ ـ سعد بن معاذ.
٨ ـ عباد بن بشر.
٩ ـ محمد بن مسلمة.
١٠ ـ أسيد بن الحضير.

المجموعة الثانية: (١١ ـ ٢٠)

١١ ـ الفضل بن العباس.
١٢ ـ جعفر ابن أبي طالب.
١٣ ـ عبد الله بن الزبير.
١٤ ـ عبد الله بن حذافة.
١٥ ـ المقداد بن عمرو.
١٦ ـ عقيل ابن أبي طالب.
١٧ ـ صخر بن حرب.
١٨ ـ زيد بن حارثة.
١٩ ـ أبو العاص ابن ربيع.
٢٠ ـ ثابت بن قيس.

المجموعة الثالثة: (٢١ ـ ٣٠)

٢١ ـ العباس بن عبد المطلب.
٢٢ ـ سعد بن الربيع.
٢٣ ـ عبادة بن الصامت.
٢٤ ـ عبد الله بن رواحة.
٢٥ ـ أبو حذيفة ابن عتبة.
٢٦ ـ سالم مولى أبي حذيفة.
٢٧ ـ أبو عبيدة ابن الجراح.
٢٨ ـ سعيد بن زيد.
٢٩ ـ سعد بن عبادة.
٣٠ ـ قيس بن سعد.

المجموعة الرابعة: (٣١ ـ ٤٠)

٣١ ـ مصعب بن عمير.
٣٢ ـ كعب بن مالك.
٣٣ ـ أبو أيوب الأنصاري.
٣٤ ـ سعد ابن أبي وقاص.
٣٥ ـ حمزة بن عبد المطلب.
٣٦ ـ عاصم بن ثابت.
٣٧ ـ عبد الله بن عبد الله.
٣٨ ـ طلحة بن عبيد الله.
٣٩ ـ أبو طلحة زيد بن سهل.
٤٠ ـ أبو دجانة سماك بن خرشة.

المجموعة الخامسة: (٤١ ـ ٥٠)

٤١ ـ عمرو بن العاص.
٤٢ ـ عكرمة بن عمرو بن هشام.
٤٣ ـ شرحبيل بن حسنة.
٤٤ ـ أبو موسى الأشعري.
٤٥ ـ عياض بن غنم.
٤٦ ـ جرير بن عبد الله البجلي.
٤٧ ـ المثنى بن حارثة الشيباني.
٤٨ ـ خالد بن الوليد المخزومي.
٤٩ ـ عدي بن حاتم الطائي.
٥٠ ـ ثمامة بن أثال.

المجموعة السادسة: (٥١ ـ ٦٠)

٥١ ـ خبّاب بن الأرتّ.
٥٢ ـ صُهيب بن سنان.
٥٣ ـ بلال بن رباح.
٥٤ ـ عمار بن ياسر.
٥٥ ـ عامر بن فُهيرة.
٥٦ ـ مرثد ابن أبي مرثد.
٥٧ ـ سلمان الفارسي.
٥٨ ـ أبو ذر الغفاري.
٥٩ ـ عبد الله بن مسعود.
٦٠ ـ عبد الرحمن بن عوف.

* * *

المجموعة السابعة: (٦١ ـ ٧٠)

٦١ ـ أنس بن مالك.
٦٢ ـ البراء بن مالك.
٦٣ ـ جابر بن عبد الله.
٦٤ ـ الطُّفيل بن عمرو الدّوسي.
٦٥ ـ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر.
٦٦ ـ أبو أُمامة أسعد بن زُرارة.
٦٧ ـ عُتبة بن غزوان.
٦٨ ـ معاذ بن جبل.
٦٩ ـ زيد بن ثابت.
٧٠ ـ أُبي بن كعب.

التاريخ الإسلامي

- ١٩ -

التاريخ المعاصر

القارة الهندية

١٣٤٢ - ١٤١١ هـ

١٩٢٤ - ١٩٩١ م

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص. ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص. ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص. ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٥٦٦٠٥

التاريخ الإسلامي

-١٩-

التاريخ المعاصر

القارة الهندية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين محمد بن عبدالله، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين أما بعد:

فإن أرض الهند تلك الأرض الواسعة المحصورة بين خليج البنغال في الشرق، وبحر العرب في الغرب، والمحيط الهندي في الجنوب، وجبال هيمالايا في الشمال، والمرتفعات الجبلية في الشمال الشرقي، وجبال سليمان وامتداداتها في الشمال الغربي. هذا إضافةً إلى ما يتبعها من جزر، وهي: جزر لكاديف، والمالديف في الغرب، واندمان، ونيكوبار في الشرق، وجزيرة سرنديب «سيلان» في الجنوب.

ولاتساع هذه البلاد فإنه يُطلق عليها اسم «شبه القارة الهندية» إذ تزيد مساحتها على أربعة ملايين وثلاثمائةٍ وستين ألف كيلومتر مربع. وهي شبه جزيرة، إذ يلفّها اليمّ من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية. هذه هي الهند بالاصطلاح الجغرافي، وبالمفهوم العلمي، وبالمعنى الذي عرفه المسلمون عندما كانوا يتحدّثون عنها، وعندما انطلقوا لفتحها. وهذا هو الاسم الشائع حتى قبل تقسيمها ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٥ آب ١٩٤٧ م). أما بعد هذا التاريخ فإن كلمة «الهند» أصبحت تدلّ على دولةٍ سياسيةٍ بقيت تحمل الاسم الذي كان يُطلق على البلاد كلها قبل التقسيم.

ورغم أن التقسيم قد تمّ، وانفصلت المناطق ذات الأكثرية المسلمة، وشكّلت دولة باكستان، ثم تجزأت باكستان إلى بنغالديش وباكستان، كما استقلت جزر المالديف وسكانها جميعاً من المسلمين، ومع هذا فقد أبقينا «الهند» عنواناً لهذا الكتاب وذلك لـ:

١" ـ إذا كانت الدول الإسلامية قد انفصلت عن الهند سياسياً إلا أنها بقيت جغرافياً ضمن هذا الاسم. فالتقسيم السياسي لم يخرج هذه الدول عن الدائرة الجغرافية والموقع الفلكي.

٢" ـ أن الدول الإسلامية الواقعة ضمن هذه التسمية لم ينفصل بعضها عن بعض إلا بعد مرور أكثر من ثلاثٍ وعشرين سنة من المرحلة التي نُورّخ لها. . . أي بقيت تحت اسم الهند من ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ حتى ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ حتى ١٥ آب ١٩٤٧ م).

٣" ـ أن كثيراً من العلماء لم يرضوا عن هذا التقسيم، ورأوا فيه ضرراً كبيراً على المسلمين وعلى مستقبل الدعوة.

٤" ـ أن عدداً كبيراً من المسلمين قد بقي ضمن الجزء الذي حمل اسم «الهند» وتصل نسبتهم إلى ١٢٪ من مجموع السكان، فيزيدون في هذا اليوم على الثمانين مليوناً. وسندرس الأقليات التي بقيت خارج حدود الدول الإسلامية التي نشأت عن تجزئة شبه القارة الهندية في الجزء الثاني والعشرين من هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ.

إن عنوان هذا الكتاب إذن عنوان جغرافي مدة ثلاثٍ وعشرين سنةً من هذه المرحلة، وعنوان سياسي باقي المدة التي تشمل الزمن الذي استمرّ من التقسيم حتى ساعة تدوين هذا الكتاب.

لم تكن بعد التقسيم سوى دولة إسلاميةٍ واحدة هي باكستان، إذ لم تكن سيلان ترتبط بالهند سياسياً رغم أنها ضمن الإطار الهندي الجغرافي الذي تحدّثنا عنه، وكانت جزر المالديف ترتبط سياسياً مع سيلان، ولم يجر

تقسيم الهند حتى تبعه استقلال جزر المالديف عن سيلان فغدت دولتان إسلاميتان مستقلتان ضمن إطار جغرافية الهند.

وبعد مؤامرةٍ دوليةٍ كانت دولة الهند رأس الحربة فيه تجزأت باكستان فانفصل القسم الشرقي فيها عن القسم الغربي، وحمل اسم «بنغالديش» على حين بقي القسم الغربي يحمل اسم «باكستان»، وهكذا أصبحت دول ثلاث مسلمة ضمن إطار جغرافية الهند، وهي: باكستان، وبنغالديش، وجزر المالديف. وعلى هذا ستكون دراستنا على النحو الآتي:

الباب الأول: الهند: ١٣٤٢ - ١٣٦٦ هـ (١٩٢٤ - ١٩٤٧ م).

الباب الثاني: ولاية كشمير.

الباب الثالث: باكستان الكبرى: ١٣٦٦ - ١٣٩١ هـ (١٩٤٧ - ١٩٧٢ م).

الباب الرابع: باكستان: ١٣٩١ - ١٤١٢ هـ (١٩٧٢ - ١٩٩٢ م).

الباب الخامس: بنغالديش: ١٣٩١ - ١٤١٢ هـ (١٩٧٢ - ١٩٩٢ م).

الباب السادس: جزر المالديف: ١٣٤٢ - ١٤١٢ - (١٩٢٤ - ١٩٩٢ م).

فنرجو من الله أن نُوفّق في إعطاء صورةٍ صحيحةٍ عن تاريخ هذه المنطقة من خلال مفهومٍ إسلاميٍ سليمٍ، بعيدين كل البعد عن التفسيرات المغرضة التي تروّجها وسائل الإعلام الأجنبية لإنجاح مخططاتها التي منها قتل الروح المعنوية الإسلامية، وإبعاد الناس عن عقيدتهم، وعن مفهوم الأخوة بين أبناء الأمة الواحدة. والله نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

لمحة عن الهند
قبل إلغاء الخلافة

كان العرب في الجاهلية على صلةٍ مع الهنود، وكانت العلاقة بينهما علاقةً تجاريةً بحتةً لا تتعداها، ومع معرفة العرب للنظام الاجتماعي في الهند[1]، وما فيه من فروقٍ واضحةٍ وتباينٍ غريبٍ إلا أن هذا لم يكن ليهمّهم، أو ليُبالون به، إذ هم على جاهليةٍ، ولكلٍ شأنه في هذه الحياة.

فلما أكرم الله العرب بالإسلام، ووصل إلى الجهات التي كانوا يتعاملون فيها مع الهند، رأوا من واجبهم التوجّه إليهم لإنقاذهم مما هم عليه من الظلم والظلمات فهذه مُهمّة المسلمين في الحياة، وهكذا فرض عليهم الإسلام، فكّروا بهذا ولم تنته بعد الحروب مع فارس والروم، ولم

(١) يقول أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»: أما نظام الطبقات فلم يُعرف في تاريخ أمةٍ من الأمم نظام طبقي أشدّ قسوةً وأعظم فصلاً بين طبقةٍ وطبقةٍ وأشدّ استهانةً بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وخضعت له آلافاً من السنين ولا تزال، وقد بدت طلائع التفاوت الطبقي في آخر العهد الويدي بتأثير الحرف والصنائع وتوارثها، وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الآرية المحتلّة ونجابتها، وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرونٍ ازدهرت في الهند الحضارة البرهمية، ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وأُلّف فيه قانون مدني وسياسي اتفقت عليه البلاد، وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها، وهو المعروف الآن بـ «منوشاستر».

يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقاتٍ ممتازةٍ وهي: (١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين. (٢) شتري: رجال الحرب. (٣) ويش: رجال الزراعة =

= والتجارة. (٤) شودر: رجال الخدمة. ويقول (منو) مؤلف هذا القانون: (إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم، البراهمة من فمه، وشتري من سواعده، وويش من أفخاذه، والشودر من أرجله، ووزّع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم. فعلى البراهمة تعليم (ويد)، أو تقديم النذور للآلهة، وتعاطي الصدقات، وعلى الشتري حراسة الناس، والتصدّق، وتقديم النذور، ودراسة (ويد) والعزوف عن الشهوات، وعلى ويش رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة (ويد) والتجارة والزراعة، وليس لشودر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث.

امتيازات طبقة البراهمة: وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة فقد قال: إن البراهمة هم صفوة الله، وهم ملوك الخلق، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر ـ من غير جريرةٍ ـ ما شاءوا، لأن العبد لا يملك شيئاً وكل ماله لسيده. وإن البرهمي الذي يحفظ رك ويد (الكتاب المقدس) هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاث بذنوبه وأعماله، ولا يجوز للملك حتى في أشدّ ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبي من البراهمة جبايةً أو يأخذ منهم إتاوةً، ولا يصحّ لبرهمي في بلاده أن يموت جوعاً، وإن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل.

أما الشتري فإن كانوا فوق الطبقتين «ويش وشودر» ولكنهم دون البراهمة بكثير، فيقول «منو»: إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشتري الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده.

المنبوذون الأشقياء: أما شودر «المنبوذون» فكانوا في المجتمع الهندي ـ بنص هذا القانون المدني الديني ـ أحطّ من البهائم وأذلّ من الكلاب، فيُصرّح القانون بأن «من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك» وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدّخروا كنزاً فإن ذلك يُؤذي البراهمة، وإذا مدّ أحد من المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده، وإذا رفسه في غضب فُدعت رجله، وإذا همّ أحد من المنبوذين أن يُجالس برهمياً فعلى الملك أن يكوي إسته وينفيه من البلاد، وأما إذا مسّه بيدٍ أو سبّه فيقتلع لسانه، وإذا ادّعى أنه يعلمه سُقي زيتاً فائراً، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء.

مركز المرأة في المجتمع الهندي: وقد نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواجٍ فإذا مات زوجها صارت كالموؤودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، =

= وكانت أمة بيت زوجها المتوفّى وخادم الأحماء، وقد تحرّق نفسها على إثر وفاة زوجها تفادياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا - وكان ذلك تقليداً محترماً فاشياً في الطبقات الشريفة، والمجتمعات الأرستقراطية يعرف بـ «ستي» وكان دليلاً على وفاء الزوجة للزوج وشرفها، وقد قلّ عدد المنتحرات بتأثير الحكومات الإسلامية، وتدخّل الحكام المسلمين، كما صرّح بذلك الرحالة الفرنسي الدكتور «برنير»، حتى ألغاه الإنكليز في العهد الأخير إلغاءً تاماً.

ويقول أبو الحسن علي الحسني الندوي في رسالته «منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء»: إذا سافرتم في القطار ترون صديقين من غير المسلمين يتحدّثان ويتلاطفان، فإذا حضر الطعام صرف هذا وجهه إلى الغرب، وهذا وجهه إلى الشرق، بدأ يأكل هذا، وبدأ يأكل ذلك، كأنه لا لقاء بينهما.

ويقول أيضاً أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» عن شذوذ ديانة الهند القديمة تحت عنوان «الشهوة الجنسية الجامحة»: وأما الشهوة فقد امتازت بها ديانة الهند ومجتمعها منذ العهد القديم، فلعلّ المواد الجنسية والمهيّجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة بلادٍ مثل ما دخلت في صميم الديانة في البلاد الهندية، وقد تناقلت الكتب الهندية، وتحدّثت الأوساط الدينية عن ظهور صفات الإله، وعن وقوع الحوادث العظيمة، وعن تعليل الأكوان روايات وأقاصيص عن اختلاط الجنسين من الآلهة، وغارة بعضها على البيوتات الشريفة تستكّ منها المسامع ويتندّى لها الجبين حياءً، وتأثير هذه الحكايات في عقول المتدينين المخلصين المردّدين لهذه الحكايات في إيمانٍ وحماسةٍ دينيةٍ وفعلها في عواطفهم وأعصابهم واضح، زد إلى ذلك عبادتهم لآلة التناسل لإلههم الأكبر «مهاديو»، وتصويرها في صورةٍ بشعةٍ، واجتماع أهل البلاد عليها من رجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ وبناتٍ، زد إليه كذلك ما يُحدّث به بعض المؤرخين من أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة، وكان كهنة المعابد الخونة والفسّاق كانوا يرزؤون الراهبات والزائرات في أعزّ ما عندهن، وقد أصبح كثير من المعابد مواخير يترصّد فيها الفاسق لطلبته، وينال فيها الفاجر بغيته، وإذا كان هذا شأن البيوت التي رفعت للعبادة والدين فما ظن القارىء ببلاط الملوك وقصور الأغنياء؟ فقد تنافس فيها رجالها في إتيان كل منكرٍ وركوب كل فاحشةٍ، وكان فيها مجالس مختلطة من سادةٍ وسيدات، فإذا لعبت الخمر برؤوسهم خلعوا جلباب الحياء والشرف وطرحوا الحشمة، فتوارى الأدب وتبرقع الحياة...

هكذا أخذت البلاد موجة من الشهوات الجنسية والخلاعة، وأسفّت أخلاق الجنسين إسفافاً كبيراً.

تسّاقط هاتان الدولتان، ويأتي الخوف على المسلمين منهما، إذ أنهما أقوى دولتين في العالم يومذاك، ولطالما عملتا ضدّ المسلمين فحرضتا المرتدّين، وجهّزتا الجيوش لمواجهة المجاهدين إذ كانت تخشى زوال سلطانيهما، وذهاب استعباد حكامهما وسدنة معابد ديانتيها للعباد، وخشيةً على الحدّ من إرواء غرائز المتسلّطين عليهما.

وإذا كان الخليفة ورجال الشورى وقادة الفتح منصرفين بكل طاقاتهم وإمكاناتهم لحرب الظلم والاستبداد في الدولتين الكبريين فارس والروم، والعمل على تسهيل نشر الدعوة ومنع الوقوف في وجه الدعاة فإن ولاة المناطق التي كانت تتعامل مع الهند لم يمنعهم مانع من العمل على نشر الإسلام في الهند ورفع الظلم عن أهلها. وكانوا يتوقّعون أن هذا لا يُكلّفهم كثيراً، ولا يُشكّل على الدولة عبئاً يُعرقل عليها القيام بمُهمّتها في نشر الدعوة، ومحاربة المستبدّين الذين يحولون دون ذلك، وكانوا يتصوّرون أنه ما أن تصل إلى مسامع الهنود أنباء الدين الجديد، وما فيه من خيرٍ للبشر، ومن مُساواة حتى يُهرعٍ إليه أبناء الطبقات كلها دون البراهمة الذين قد يقاومون الإسلام حرصاً على نفوذهم ومصالحهم.

أيام الراشدين:

تولّى عثمان بن أبي العاص الثقفي عام ١٥ للهجرة أيام الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمر البحرين وعُمان، فوجّه أخاه الحكم إلى البحرين، وسار هو إلى عُمان، ولم يلبث أن وجّه أخاه الحكم في جيشٍ إلى(تانه) شمال مدينة بومباي.

وأعاد عثمان بن أبي العاص الثقفي أخاه الحكم مرةً ثانية بجيش إلى (بروص) في مقاطعة (كوجرات) شمال (سورت)، فلقي الحكم العدو، وانتصر عليه. و(بروص) ميناء قديم فقد أهميته مع الزمن.

ووجّه عثمان بن أبي العاص الثقفي أخاه الآخر (المغيرة) إلى (الديبل) على مقربةٍ من مدينة كراتشي اليوم.

وسار كذلك الحكم بن عمرو التغلبي بجيشٍ إلى (مكران) من بلاد فارس ففتحها، وفرّ أهلها حتى وصل بعضهم إلى وادي نهر السند، وكان في هذا الجيش عبدالله بن عبدالله بن عتبان الأنصاري، وسهيل بن عدي بن مالك الأنصاري، وشهاب بن المخارق. وبعث الحكم بن أبي العاص الثقفي بشارة الفتح إلى الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبعث إليه بالأخماس مع صحارٍ العبدي.

وفي عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعث والي العراق عبدالله بن عامر بن كريز إلى الهند حكيم بن جبلة العبدي فظفر، وكانت دولة فارس قد انهارت وانتهت، ودولة الروم قد هُزمت، وقبعت تترقّب. فلما رجع حكيم بن جبلة العبدي من الغزو أرسله والي العراق عبد الله بن عامر بن كريز إلى الخليفة، فلما وصل إليه طلب منه أن يصف له الهند، فقال: ماؤها وشل[1]، وثمارها دقل[2]، ولصّها بطل، إن قلّ فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا و. . . فطلب الخليفة من ولاته على المشرق عدم غزو الهند بعدها.

وأرسل الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى بلاد السند (تاغر بن دعر) عام ٣٨ هـ، فوصل إلى بلاد القيقان، وبعث، رضي الله عنه، في إثره الحارث بن مرة العبدي فظفر وأصاب مغنماً، وذلك في أواخر عام ٣٨ هـ وأوائل العام الذي تلاه، ولكنه قُتل فيما بعد وأكثر من معه عام ٤٢ هـ أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

أيام الدولة الأموية:

استعمل والي العراق عبدالله بن عامر أيام معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، على ثغر الهند عبدالله بن سوار العبدي ففتح بلاد

---

(١) وشل: قليل.

(٢) دقل: رديء.

القيقان، وعاد بعد أن استخلف على الثغر كراز بن أبي كرز العبدي.

وتولّى أمر الثغر راشد بن عمرو فاستشهد عام ٤٢ هـ، فعاد إلى الولاية عبد الله بن سوار العبدي فاستشهد عام ٤٧ هـ، فبعث والي العراق زياد بن أبيه مكانه سنان بن سلمة الهذلي للمرة الثانية ثم تولّى الثغر المنذر بن الجارود العبدي.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ وصل إلى الهند عبّاد بن زياد بن أبيه والي سجستان، وأحرز نصراً. وكذلك أرسل والي خراسان الحكم بن عمرو الغفاري إلى الهند عام ٤٤ هـ المهلب بن أبي صفرة فنال شيئاً من النجاح، وبشكل عام فإن هذه الغزوات كانت على نطاق ضيقٍ نتيجة الظروف التي كانت تعيشها الخلافة الإسلامية في دمشق.

واستقرّت أوضاع الدولة في الشام وتولّى الخلافة عبدالملك بن مروان، فأرسل والي العراق الحجّاج بن يوسف الثقفي الحملة تلو الحملة إلى الهند غير أنها فشلت في بداية الأمر، ثم تكلّلت أخيراً بالنجاح. لقد بعث في البداية سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً له على ثغر السند، غير أنه قُتل، وفرّ قاتلاه وهما: معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي بعد أن غلبا على المنطقة والتجآ إلى ملك السند داهر. ثم أرسل مجاعة بن سُعر التميمي فغلب على الثغر، وفتح بعض المناطق، ووافاه الأجل قبل مرور عام، وخلفه محمد بن هارون بن ذراع النمري، وفي هذه الأثناء اختطف القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجاج بن يوسف من ملك السند داهر تسليم هذه النساء، فأجاب: أن يده لا تصل إلى القراصنة، فأرسل الحجاج بعض المقاتلين وعلى رأسهم عبيد الله بن نبهان فقُتل، فأرسل آخر، وهو: بُديل بن طهفة البجلي، ولكن الموت وافاه، فرغب الحجاج والي العراق إرسال جيش بإمرة أبي الأسود، فألحّ محمد بن القاسم الثقفي علي الحجاج أن يتولّى هو هذه القيادة، فوافق الحجاج، وعقد له، فسار على رأس ستة آلافٍ، ففتح الديبل (على مقربة من

كراتشي اليوم) عام ٨٩ هـ بعد أن وصل الأسطول الإسلامي وشارك في حصار المدينة، وحطّم محمد بن القاسم الأصنام التي كانت قائمةً ليُدرك أهلها أنها لا تضرّ ولا تنفع، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها، ثم توجّه إلى بيرون (حيدر أباد السند اليوم)، فدخلها، وسار إلى (الملتان) عاصمة الإقليم، ففتحها وقتل الملك داهر عام ٩٦ هـ. ولكن (صيتا) ابنة الملك داهر أرادت الثأر لأبيها، فادّعت أن محمد بن القاسم قد اغتصبها، فعُزل حتى يجري التحقيق معه، وتولّى أمر السند يزيد بن أبي كبشة، ولكنه لم يلبث في الإمرة سوى ثمانية عشر يوماً. ونقل محمد بن القاسم إلى واسط، حيث سُجن هناك، وقُتل على يد أحد أعداء الحجاج وهو صالح بن عبدالرحمن الذي اتصل بـ (صيتا) حيث كانت في دمشق في دار الشيخ صفوان منذ أن أرسلها محمد بن القاسم أسيرةً. وأخيراً أنّب (صيتا) ضميرها فاعترفت للخليفة سليمان بن عبدالملك أنها افترت على محمد بن القاسم، وأن ما سبق أن ادعته لم يكن إلّا كذباً، فأمر بقتلها لأنها كانت سبب قتل القائد محمد بن القاسم.

اضطرب حبل الأمن في السند منذ أن تركها محمد بن القاسم، وتوفّي يزيد بن أبي كبشة، واستعاد أبناء الملك داهر بعض المدن من أيدي المسلمين.

وفي أيام الخليفة عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، تولّى أمر السند عمرو بن مسلم الباهلي، أخو قتيبة فاتح بلاد ما وراء النهر، فقوي أمر المسلمين، ودعا الخليفة أمراء الهند إلى الإسلام، ووعدهم بأن يبقوا في مراكزهم، فأسلموا، ومنهم أبناء الملك داهر.

كان ملوك الهند وحكام المقاطعات يخافون على مراكزهم، وكان البراهمة يخشون على امتيازاتهم لذا كان هؤلاء وأولئك يدفعون الطبقات الأخرى القائمة في مجتمعهم، والموجودة حسب قوانينهم وتعاليمهم الدينية لقتال المسلمين مُطلقين الشائعات ضدّ المجاهدين والدعاة، وفي الوقت

نفسه كانوا يحولون دون إطلاع أفـراد الشعب من مختلف الطبقـات على الإسلام وتعاليمه خوفاً من التوجّه نحوه، والدخول فيه، وخاصةً إذا عرفوا المساواة والحرية والتعاون والأخوة التي هي من تعاليم الإسلام ومبادئـه. وهذا ما أخّر انتشار الإسلام، هذا بالإضافة إلى الظروف التي كانت تمرّ بها الدولة الإسلامية.

أيام الدولة العباسية:

انتشرت في السند بعض الأفكار الهدّامة أيام الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، حتى كان الوالي عمرو بن حفص أحمد حملة هـذه الأفكار، لذا فقد عُزل ووُلّيّ مكانه هشام بن عمرو التغلبي، ففتح الملتان وكشمير.

وفي أيام المهدي انتشرت العصبية القبلية أو انتقلت إلى السند من مركز الدولة فـاختلفت القبائـل العربيـة بعضها مـع بعضٍ، فضعف شأن المسلمين هنـاك، واستغلّ الهنـود هـذا الضعف فـاحتلّوا بعض الأجـزاء، وتفككت الولاية، وظهرت الإمارات المستقلّة، شأنها في ذلك شأن الخلافة التي تجـزأت إلى دويلات، وكـان من هذه الإمـارات في السنـد: إمـارة المنصورة، وإمارة الملتان. ثم قامت إمارة (إسماعيلية)، وبقيت حتى قضى عليها محمود الغزنوي وطارد حاكمها أبا الفتـح داود القرمـطي في القرن الخامس الهجري. وحكمت عدة دولٍ إسلاميةٍ في الهند، وهي:

الدولة الغزنويـة:

قلنا أن الدولـة العباسيـة قد تجـزّأت، وقامت عـدة دولٍ رغم بقاء الخلافة في بغداد، وكانت هذه الدول أو الإمارات تعدّ نفسها تابعةً اسمياً للدولة العباسية، ومن هذه الدول: الدولـة السامـانية التي ورثتهـا الدولـة الغزنوية في غزنة التي أعطت الدولة اسمها.

أسّس الدولة الغزنوية سبكتكين، وخلفه ابنه الأصغر إسماعيل، غير أن ابنه الأكبر محمود قد انتزع الحكم من أخيه عام ٣٨٨ هـ، ونذر نفسه

للجهاد في سبيل الله. فدخل الهند عن طريق ممرّ خيبر، وفتح (قنوج) و (كوجرات)، وهدم معبد (سومنات) بعد فتحها، وكان الهنود يعدّون هذا المعبد مكان تناسخ الأرواح، وأن مدّ البحر وجزره صلاةً له. ويعود الفضل في انتشار الإسلام في تلك الأصقاع بعد الله إلى محمود الغزنوي.

خلف محموداً ابنه مسعود ففتح مدينة (بنارس) على نهر الغانج، وبعده ساد الاختلاف، واستمرّ حكم الغزنويين حتى عام ٥٥٥ هـ.

الدولة الغورية:

خلفت الغزنوية، ووصلت إلى البنغال، ولم يحكم من ملوكها سوى شهاب الدين محمد الغوري، ودخل مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلي، وجعلها مقرّ حكمه، وعيّن نائباً له على ما وراء نهر الغانج محمد بن بختيار الخلجي فأخذ بيهار، واتخذ مدينة «رانغبور» قاعدة له، ثم استولى على البنغال.

أعتق شهاب الدين محمد الغوري مملوكه قطب الدين أيبك. ومات الغوري عام ٦٠٢ هـ، فورثه قطب الدين أيبك إذ لم يكن للغوري وريث.

دولة قطب الدين أيبك:

اتخذ أيبك مدينة «لاهور» قاعدةً لمملكته، ولم يلبث أن توفي عام ٦٠٧ هـ فخلفه ابنه «آرام شاه»، غير أن ولاته قد استقلّوا بما تحت أيديهم.

دولة إيلتمش:

كان شمس الدين إيلتمش مملوكاً لقطب الدين أيبك، فلما تولّى حكم «لاهور» آرام بن قطب الدين أيبك استقل إيلتمش في مدينة دهلي، وأسّس أسرةً حاكمةً استمرّت في حكمها في مدينة دهلي حتى عام ٦٦٤ هـ، وكان الخلجيون قد استقلّوا في البنغال، ولكن إيلتمش انتزعها منهم.

في العهد المملوكي:

سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ بيد هولاكو قائد المغول، وفرّ أحد أبناء العباسيين إلى مصر حيث التجأ إلى المماليك الذين نصّبوه خليفة اسماً، وحكموا من خلفه بأسماء سلاطين. وقد عُرف ذلك العصر بالعهد المملوكي، وقد استمرّ حتى عام ٩٢٣ هـ عندما دخل العثمانيون مصر، وأخذوا الخلافة لأنفسهم من الخليفة العباسي الذي لم يكن له سوى الاسم.

لقد قامت في الهند في هذا العهد دول ضعيفة، وممالك متعددة في أرجاء الهند ومنها:

١" ـ في دهلي حكمت:

أ ـ أسرة بلبن (٦٦٤ ـ ٦٨٩ هـ): قامت بعد أسرة إيلتمش التي استمرّت مدة سبعٍ وخمسين سنةً، وكان آخرها ناصر الدين محمود إيلتمش (٦٤٤ ـ ٦٦٤ هـ)، وبعد وفاته خلفه نائبه غياث الدين بلبن، ودام حكمه اثنتين وعشرين سنةً، ولكن لم يحكم حفيده أكثر من سنتين حيث خلع طاعته نائبه جلال الدين فيروز الخلجي.

ب ـ الخلجيون (٦٨٩ ـ ٧٢٠ هـ): وحكموا مدة إحدى وثلاثين سنة، وبدأ ملكهم بجلال الدين فيروز الذي قتله ابن أخيه وزوج ابنته علاء الدين محمد شاه، وتولّى السلطة، وكانت له وقائع مع المغول، ودخل كوجرات، والدكن، وكيرالا في أقصى جنوبي الهند.

وبعد وفاة علاء الدين تولّى دهلي ولده شهاب الدين، وكان صغيراً فاستأثر بالسلطة نائب أبيه على دهلي الذي سجن أولاد سيده أبا بكر، وشادياً وسمل عيونهما، كما سجن أخوهما الثالث مباركاً ثم لم يلبث أن قُتل النائب، وتسلّم الحكم مبارك باسم قطب الدين مبارك شاه الخلجي، وسجن أخاه شهاب الدين الملك السابق مع بقية إخوته، وأرسل جيوشه إلى غربي الدكن عام ٧١٨ هـ، وإلى كيرالا، وضواحي الهند. واتفق الأمراء

على خلع قطب الدين وتولية ابن أخيه خضر، وكان غلاماً لم يتجاوز العاشرة من عمره، فأسرع قطب الدين وقتل الغلام، كما قتل إخوته ومنهم أبو الغلام.

خاف كبير أمراء قطب الدين وهو ناصرالدين خسروخان على نفسه فأسرع وقتل سيده قطب الدين، وتسلّم السلطة، ولكن المسلمين كرهوه لأنه كان يميل إلى الهندوك، وتمنّوا الخلاص منه. ولما بايعه القادة، رفض غياث الدين تغلق في السند الطاعة، وسار إلى دهلي ودخلها مع أمير الملتان، واستلم الحكم، وهرب ناصر الدين خسروخان

ج ـ **آل تغلق: (٧٢٠ ـ ٨١٥ هـ)**: وحكموا خمسةً وتسعين عاماً، وتوالى على السلطة منهم ثمانية ملوكٍ بدءاً بغياث الدين، وابنه محمد الذي عُرف بأبي مُجاهد، وكان يقتل تارك الصلاة، وقد فتح كيرالا، وأرسل قوةً إلى بلاد الصين فهلك أفرادها في جبال هيمالايا.

وجاء بعده ابن عمه فيروز شاه الذي كان من خيار السلاطين، فبنى المساجد، والمدارس، والحصون، وخلفه حفيده تغلق شاه ولقب نفسه غياث الدين.

اختلفت الأسرة بعدئذ على الحكم، وتباينت أهواء القادة حتى دخل تيمورلنك دهلي عام ٨٠١ هـ، وبقي خمسة عشر يوماً فيها ثم رجع إليها آخر ملوك آل تغلق حتى توفي عام ٨١٥ هـ.

د ـ **آل خضر (٨١٥ ـ ٨٥٥ هـ)**: كان خضر من رجال تيمورلنك في دهلي أثناء مدة وجوده فيها، وهي خمسة عشر يوماً، وقويت شوكته في العاصمة حتى بعد خروج تيمورلنك، وأراد محمود شاه آخر ملوك آل تغلق أن يقضي عليه فلم يستطع لضعفه، فلما مات محمود شاه تربّع خضر على سدّة الحكم، وبقي حتى عام ٨٢٤ هـ.

وخلفه ابنه مبارك شاه، وكان صالحاً، وقُتل بيد أحد الكفرة عام ٨٣٧ هـ، فتسلّم السلطة بعده ابن أخيه محمد شاه بن فريد الذي توفي عام

٨٤٧ هـ، وخلفه ابنه علاء الدين الذي خرج عليه أحد كبار القادة، وهو حاكم (ديبالبور) بهلول اللودي، فلما استعدَّ علاء الدين، وخرج من دهلي إلى (بدايون) لملاقاته دخل بهلول اللودي دهلي، وتسلّم السلطة، وبقي علاء الدين في بدايون حتى توفي عام ٨٥٥ هـ.

هـ ـ اللوديون (٨٥٥ ـ ٩٣٢ هـ): وحكم منهم ثلاثة ملوك أولهم بهلول اللودي، وكان صالحاً محباً للخير، حكم ثمان وثلاثين سنةً، وخلفه ابنه نظام خان، وكان كأبيه خيّراً، وتوفي عام ٩٢٣ هـ، وخلفه ابنه إبراهيم وتغيّرت نفسيته بعد أن آل إليه الأمر، فاتصل القادة والأمراء ببابر شاه التيموري فدخل البلاد، وتسلّم زمام الأمر عام ٩٣٢ هـ، وكان العهد المملوكي قد انتهى في ٩٢٣ هـ.

٢″ ـ في كشمير:

أسس شمس الدين شاه مرزا أسرةً حكمت كشمير مدة قرنين وربع ٧٤٤ ـ ٩٧٠ هـ، وأصله من خراسان، جاء وخدم ملك كشمير الوثني، وأصبح وزير ابن الملك عندما آل إليه الحكم، وزوج امرأة الملك الذي تُوفّي، وأرادت المرأة أن تغدر به فسجنها واستلم السلطة.

٣″ ـ في السند:

تبع الولاة في السند مركز الخلافة الإسلامية في دمشق، ثم في بغداد حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ثم تمكّنت أسرة (سومرة) من السيطرة على السند مدة قرنٍ من الزمن، ثم جاءت بعدها أسرة (سمّة) التي كان حكامها يخضعون لملوك دهلي، وقد يستقلّون عنهم أحياناً.

ثم حكمت السند أسرة (ستمكان) التي بقيت في الملك حتى عام ٩٢٧ هـ، وجاءت بعدها أسرة (شاه بيك القندهاري حتى عام ٩٩٥ هـ).

٤″ ـ في الملتان:

كانت البنجاب تتبع ملوك دهلي، فلما ضعف الحكم في دهلي بعد فيروز شاه من آل تغلق، بدأت حملات التتار على البنجاب، فولّى السكان

عليهم الشيخ يوسف عام ٨٤٧ هـ، غير أن كبير الجند رفض هذا، وقبض على الشيخ يوسف وسجنه، واستلم الأمر، ولقّب نفسه (قطب الدين لنكاه) وحكم أبناؤه من بعده حتى دخل بابر شاه التيموري الهند فضمّ الملتان إلى بلاد السند.

٥'' ـ في كوجرات:

كانت كوجرات تتبع ملوك دهلي، ثم استقلّ حكامها في أواخر حكم آل تغلق عام ٨١٠ هـ. وكان أول حكامها المستقلين ظفر خان بن وجيه الدهلوي، وخلفه ابنه أحمد الذي أسّس مدينة أحمد أباد كبرى مدن كوجرات اليوم، وتوارث الأبناء الملك، واصطدموا مع المستعمرين البرتغاليين، وقتل أحدهم عام ٩٤٣ هـ، واستمرت السلطة بأيديهم حتى عام ٩٩٥ هـ.

٦'' ـ في جانبور:

كانت جانبور تتبع دهلي، ثم استقلّ فيها خواجه جهان سرور عام ٧٩٦ هـ في أيام محمود شاه آخر ملوك آل تغلق، وكان استقلاله ذاتياً، وتوفي عام ٨٠٢ هـ، وخلفه مولاه (قرنفل) بناءً على عهدٍ من خواجه جهان سرور، ولقّب قرنفل نفسه مبارك شاه، وقطع الخطبة عن آل تغلق، وتوفي ٨٠٤ هـ، وخلفه أخوه إبراهيم، وكان صاحب دينٍ وخلقٍ، واصطدم مع حكام دهلي، وتوفي عام ٨٤٤ هـ، وورثه أبناؤه، وانتهى حكم الأسرة عام ٨٨١ هـ.

٧'' ـ في البنغال:

فتحت البنغال عام ٥٩٩ هـ، وحكمها الخلجيون، واستقلّوا فيها، ولكن وقع الخلاف بينهم وبين ملوك دهلي، فعادت تتبع دهلي عام ٦٢٤ هـ.

وجاء التتار إلى البنغال عن طريق التبت عام ٦٤٦ هـ، فأخرجهم منها حكام دهلي. وعادت البنغال في تبعيتها إلى دهلي حتى عام ٦٦٤ هـ حيث

خلع حاكمها طغرل طاعة ملك دهلي غياث الدين بلبن، وتوالى عليها الحكام، وأخيراً تجزّأت، وحكمها حسين بن أشرف الحسيني وأبناؤه من بعده حتى عام ٩٤٥ هـ، ثم شيرشاه السوري.

وعادت إلى الوحدة على يد الحاج إلياس الذي تلقّب باسم شمس الدين، واصطدم مع ملوك دهلي، وورثه أبناؤه من بعده حتى عام ٧٨٥ هـ، إذ كان آخرهم شمس الدين أيضاً ضعيفاً فغلب عليه أحد أمرائه من الوثنيين مدة سنتين، وتولى بعده ابنه الذي أعلن إسلامه وتسمى باسم جلال الدين. وتعدّد الملوك على البنغال، وكل من أصلٍ يختلف عن أصل سابقه وعن أسرته.

٨" ـ في الدكن:

الدكن هضبة وسط الهند تشغل أكثره، وولّى الأمراء الذين وصلوا إلى المنطقة عليهم إسماعيل الفتح الأفغاني، وجرت حروب بينهم وبين محمد شاه تغلق، فانتصروا عليه، وقادهم في تلك الحرب علاء الدين البهمني الذي كان قد أقطعه محمد شاه تغلق بعض القرى في الدكن.

استولى علاء الدين على كل ما فتحه المسلمون في الدكن، وقاتل كيرالا، ويعدّ أول من استعمل الوثنيين في الأمور المالية، وتوارث أبناؤه الحكم من بعده حتى ٩٣٤ هـ. وكان في الدكن عدة ممالك، ومنها:

أ ـ ملوك خانديس: استقل أحمد بن محمد العمري عن دهلي، وكان قد حصل على بعض الإقطاعات من فيروز شاه من آل تغلق ملك دهلي وذلك عام ٧٨٤ هـ، وأسّس أسرةً حكمت المنطقة حتى عام ١٠٠٩ هـ.

ب ـ ملوك مالوه: كان إقليم (مالوه) يتبع دهلي حتى عام ٧٩٦ هـ، أيّام محمد شاه بن فيروز آل تغلق، حيث أعطي هذا الإقليم إلى حسين الغوري، ولقبه دولارخان، فلما ضعف الحكم في دهلي استقلّ دولارخان

في إقليم (مالوه)، وأسّس أسرةً حكمت الإقليم مدة خمسٍ وثلاثين سنة من ٨٠٤ ـ ٨٣٩ هـ، وتوالى عليها ثلاثة ملوكٍ.

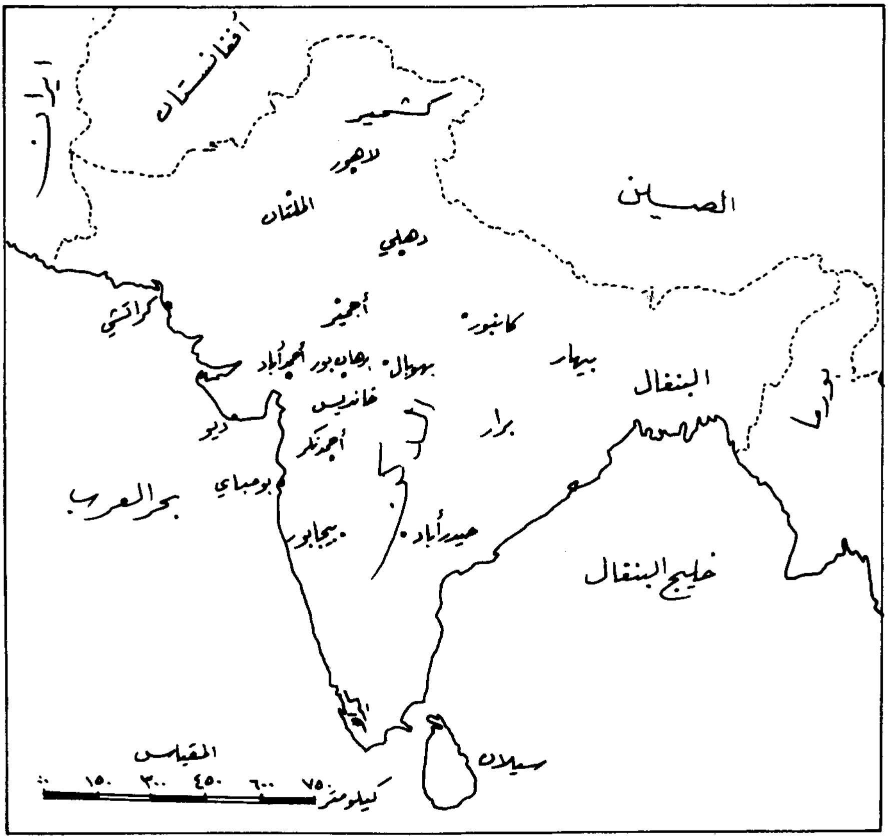
وكان آخر ملوك أسرة حسين الغوري هو محمد شاه، وقد جعل الأمر لمحمود بن المغيث الخلجي، وانصرف هو إلى اللهو، فقُتل الغوري، وتسلّم الأمر الخلجي، وتوارث أبناؤه الحكم حتى تبع الإقليم إلى كوجرات عام ٩٢١ هـ.

ج ـ **ملوك بيجابور**: استقلّ عادل شاه عن الدكن عام ٨٩٥ هـ، ويقال إنه من بني عثمان الذين يحكمون الأناضول ونشر المذهب الشيعي، وبقيت أسرته تحكم الإقليم حتى عام ١٠٩٧ هـ، ولكن أحد ملوكها وهو إبراهيم بن إسماعيل، قد ترك الشيعة ورجع إلى الإسلام.

د ـ **ملوك أحمد نكر**: أسلم أحد البراهميين، وحسن إسلامه، فأطلق عليه الملك اسم نظام الملك، وأقطع ابنه أحمد الإقطاعات، وقُتل نظام الملك، واستقل ابنه أحمد بما تحت يده، وأسّس مدينة نكر، وجعلها قاعدة حكمه عام ٩٠٠ هـ، واعتنق ابنه برهان الشيعة، واستمرّت هذه المملكة حتى عام ١٠٤٢ هـ.

هـ ـ **ملوك كلكندة وحيدر أباد**: ولّى ملك الدكن محمد شاه البهمني (٧٥٩ ـ ٧٧٦ هـ) أحد غلمانه التركي الأصل منطقة (تلنكانه)، ولقبه قطب الدين، فقاتل البراهميين، وفتح المناطق، وأحسن صنعاً، ثم استقلّ بما تحت يده، وجعل (كلكنده) مقرّ حكمه عام ٩١٨ هـ، وأسّس حفيده حيدرأباد، ونقل مقرّه إليها عام ٩٨٩ هـ، وبقيت هذه الأسرة حتى عام ١٠٩٦ هـ.

و ـ **ملوك برار**: استقلّ في برار (عمادالملك) عام ٨٩٢ هـ، وتوالى أبناؤها في حكمها حتى نهاية القرن العاشر.



إيران
أفغانستان
كشمير
لاهور
الملتان
دهلي
الصين
كراتشي
أجمير
كانبور
بهار
البنغال
أحمدأباد
برهانبور
بهوبال
خانديس
برار
ديو
أحمدنكر
بومباي
بحر العرب
بيجابور
حيدرأباد
خليج البنغال
سيلان
المقياس
٠ ١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠ ٦٠٠ ٧٥٠ كيلومتر

في العهد العثماني:

عُـرف التاريـخ الإسلامي بـالعهـد العثمـاني منـذ أن فتـح السلطان العثماني مصر، وتنازل له الخليفة العباسي فيها عن الخلافة عام ٩٢٣ هـ، وحتى إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٣٤٢ هـ. وفي هذا العهد أربـع نقاطٍ بارزة في تاريخ الهند، وهي: ١″ ـ دخـول الأسرة التيمـورية واستـلامها الأمـر. ٢″ ـ الاستعمار. ٣″ ـ الثـورة الإسلاميـة. ٤″ ـ الصـراع بين المسلمين والهنادك.

١″ ـ الأسرة التيمورية:

كان أحد أحفاد تيمورلنك وهو محمد بابر شاه يحكم غزنة في بلاد الأفغان، بينما كانت الأسرة اللودية تحكم دهلي، وكان أفراد منها بعضهم على خـلافٍ مـع بعض، وتمكّن أحـدهم وهـو إبـراهيم أن ينتصـر على منافسيه، فأظهروا له الطاعة، واتصلوا مع محمد بابر شاه (ظهير الدين)، وطلبوا منه السير إلى الهند، فلبّى الطلب، ودخل لاهور عام ٩٣٠ هـ، واشتبك مع قوات إبراهيم اللودي التي يقودها بنفسه في معركةٍ طاحنةٍ قُتل إبراهيم فيها، وتقدّم ظهيرالدين، وجعل مقرّ حكمه مدينة (أغره) وذلك عام ٩٣٢ هـ.

وقف في وجه ظهيرالـدين محمد بـابر شـاه الراجبـوت وأمراء اللوديين، وأعلن محمـود خـان أخـو إبـراهيم نفسـه سلطانـاً، وشكّلوا حلفـاً ضـدّ ظهيرالدين، فأعلن الجهاد ضد الكفرة من براهميين وغيرهم ومن يتعـاون معهم، وبدأ بنفسه فأعلن التوبة من المعاصي، فأطاعـه الناس، وحـارب خصومه وانتصر عليهم، وبعدها أعلن التسامح الديني كي يتمكّن من فرض السيطرة، وتوالى أبناؤه في الحكم من بعده، وأخذ حفيده محمود جلال الدين (أكبر شاه) السلطة وحاول أن يوجد ديناً جديداً مزيجاً من الإسلام والبراهمية والبوذية والزرداشتية ليتمكّن من حكم الهند، ورأى أن يكون الدين كاللغة التي انتشرت أيام المغول، وهي لغة الأردو، التي هي مزيج من التركية، والفارسية، والعربية، وبعض الكلمات الأجنبية، وذلك عام ٩٨٦ هـ، بل

وظنّ البرتغاليون النصارى أنه بإمكانهم تحويله إلى الديانة النصرانية، غير أنهم لم يستطيعوا ذلك، وكان قد وضع معلماً منهم لولده سليم. وقد أمر بمنع ذبح الأبقار، والسماح بالزواج من البراهميات وزواج البراهميين من المسلمات. ولما تولّى السلطة (محيي الدين محمد أورنكزيب عالمكير) عام ١٠٦٩ هـ عمل على تدوين الفقه، وأبطل ما ابتدعه (أكبر شاه)، ووسّع ملكه، وكان صالحاً، غير أن ابنه من بعده (قطب الدين محمد معظم بهادورشاه) قد اتخذ الشيعة مذهباً له، وعظمت قوة السيخ والهندوك في عهده، وأخذت الدولة تميل نحو الضعف، ثم أخذت تستقلّ المقاطعات، إذ استقلّت الدكن، وسيطر السيخ على البنجاب، وغلب المهراتا على كوجرات، واستقلّت (أوده) بين بيهار وقنوج، وانفصلت البنغال.

وكان آخر ملوك الأسرة التيمورية (بهادور شاه) ويُكنّى أبا ظفر، وفي أيامه حدثت الثورة عام ١٢٧٣ هـ.

٢″ ـ الاستعمار:

في الوقت الذي كانت الدولة التيمورية تُسيطر على الهند كان المستعمرون الصليبيون يصلون إلى السواحل الهندية. لقد وصل البرتغاليون إلى سواحل الهند الغربية، وأقاموا بعض المراكز فيها، وانتصروا على الأمراء المسلمين وعلى حلفائهم من المماليك الذين استنجدوا بهم، ولكن أمراء المسلمين عادوا فاستنجدوا بالعثمانيين الذين حلّوا محلّ المماليك في حكم مصر، وسواحل البحر الأحمر، وانتصر العثمانيون على البرتغاليين غير أن أمراء المسلمين في الهند كانوا على خلافٍ بعضهم مع بعضٍ، فاستعان جانب منهم بالبرتغاليين ضدّ الجانب الآخر، كما ظنّ بعض أولئك الأمراء سوءاً بالعثمانيين، ومنعوا عنهم المؤن فاضطروا إلى المغادرة. وسيطر البرتغاليون على بعض المراكز، ثم فرضوا سيطرتهم على المحيط كله، وأصبحت التجارة بأيديهم.

وجاء الهولنديون أيضاً إلى المنطقة ورفعوا أسعار التوابل، وتبعهم

الإنكليز منافسين لهم، وأسّسوا شركةً تجاريةً تتعامل مع الهند مباشرةً، وحملت أسماء متعددةً في البداية، ثم عُرفت باسم «شركة الهند الشرقية»، وتغلّب الإنكليز على منافسيهم البرتغاليين والهولنديين الذين كانوا يمنعونهم من الولوج إلى الداخل، فلما انتصروا نزلوا في مدينة (مدراس) وتوغّلوا إلى داخل الهند.

وجاء بعدئذٍ الفرنسيون، وساروا على منوال من سبقهم من الصليبيين، وأسّسوا شركةً تجاريةً فرنسيةً، وعملت الشركات الاستعمارية كلها على شراء الأراضي وبناء الحصون إذ كانت المنافسة بينها قويةً، وأخيراً تمكّن الإنكليز من الغلبة والسيطرة على الهند، ولكن بقي للهنادك مملكتان مستقلّتان في الشمال، في سفوح جبال هيمالايا، هما: نيبال، وبوتان.

وبقيت ثلاثة مراكز للبرتغاليين على الساحل الغربي هي: داما‌ن شمال بومباي، وجزيرة ديو، وغوا، ومساحتها كلها ١٨٠٠ كيلومتر مربع.

وبقيت للفرنسيين أربعة مراكز، وهي: بونديشيري، و(غندرنكر) قرب كلكتا، ونياوان، وكاريكال قرب الرأس الجنوبي.

أما المسلمون فلهم السلطة الاسمية حيث يوجد لهم عدد من الممالك والإمارات، وأبرزها المملكة المغولية في دهلي، وممالك كوجرات، والدكن، والبنغال.

٣" ـ السياسة الاستعمارية:

أخذت شركة الهند الشرقية تنقل البضائع من الهند إلى أوروبا، فلما تمّ الانقلاب الصناعي، في أوربا صارت تنقل الصناعات من أوربا إلى الهند، وهذا ما دعاها إلى فتح أسواقٍ جديدةٍ لها في الداخل، وفي الوقت نفسه كانت تفرض سيطرتها على السواحل وتتقاضى على سفن غيرها ضرائب معيّنةً، وانقلبت التجارة إلى استعمار. وتبدّلت ملكية الشركة من أفراد إلى الدولة البريطانية، وتبعت الهند إلى الحكومة مباشرةً.

وجدت إنكلترا أن المسلمين هم حكام الهند ولممالكهم قوة، ولإماراتهم جيوش وحتى يمكنها السيطرة التامة على الهند فلا بدّ من محاربة الحكام، أو لا بدّ لهم من محاربتها إذا أخذت تتصرّف دون الاهتمام بهم، لذا أخذت تتعامل مع البراهميين وتُقرّبهم إليها وتتقرّب منهم، وتدعمهم، وتمدّهم، وترفع من الروح المعنوية لديهم، وخاصةً أن هناك عامل لقاء بين الإنكليز والبراهميين فكلاهما يحقد على المسلمين، الإنكليز يحقدون حقداً صليبياً، ويريدون انتزاع حكم الهند منهم، والبراهميون يحقدون حقداً دينياً ويريدون أخذ السلطة منهم.

أخذ الإنكليز بما لديهم من قوةٍ عسكريةٍ، ومن قوةٍ ماديةٍ يضغطون على المسلمين، وشعر المسلمون بالخطر وأرادوا الوقوف في وجه هذه السياسة، وحصل القتال بين الطرفين في جهاتٍ كثيرةٍ، وجنّد الإنكليز الهنادك ضمن قواتهم. وقع قتال بين حاكم البنغال سراج الدولة وبين القوات الإنكليزية، فانتصر في بداية الأمر سراج الدولة، ودعمه الفرنسيون منافسةً للإنكليز الذين لجأوا إلى الحيلة وشراء النفوس فانتصروا أخيراً مع أن ملك دهلي قد سند سراج الدولة، وتمّت سيطرة الإنكليز على البنغال، وأوريسا، وبيهار.

وجرى قتال بين السلطان «تيبو» ملك (ميسور)، وبين القوات الإنكليزية، فهُزم «تيبو» وخسر كثيراً من أملاكه، وأعادا الكرة فانتصر، ولجأ الإنكليز إلى الحيلة فانتصروا. وهناك ثورة أحمد عرفان الشهيد في البنجاب عام ١٢٤٢ هـ واستمرت حتى استشهد عام ١٢٤٦ هـ.

وأخذ الإنكليز السواحل الشرقية (كروماندل) بالدهاء والشراء، وسيطروا على الهند جزءاً بعد آخر بوسيلةٍ من الوسائل. ولما تمّت سيطرتهم أخذوا يتبعون سياسةً خاصةً إذا استولوا على أوقاف المسلمين التي كانت المصدر الوحيد لتمويل الكتاتيب، فتعطّلت الكتاتيب، فانتشر الجهل، وفي الوقت نفسه سعى الإنكليز في تعليم الهندوس ليسدّوا بهم بعض المراكز

الإداريــة، وليتقـووا بهم على المسلمين، أو ليضــربـوا المسلمين بهم، واستولوا على أحسن أراضي المسلمين بشتى الـوسائـل فانتشـر الفقر بين المسلمين بعدها. وعمّت الإرساليات التنصيرية في سبيل تعليم الهندوس، وتنصيرهم، ليكون النصارى الجدد وسيلة حكم المستعمرين، والأداة لتنفيذ المخططات الصليبية.

ونتيجة انتشار الجهـل والفقر فقـد انخرط أعـداد من المسلمين في صفـوف القوات الإنكليـزية، وكـانوا ضبـاطهم من البريـطانيين يهينونهم، ويُذلّونهم، ويسخرون منهم.

وأحسّ المسلمون بما يُـدبّـر لهم فقـامـوا بـالثـورة عــام **١٢٧٣ هـ** (١٨٥٧ م).

٤″ ــ الثـورة:

رفض بعض الجنود تنفيذ أوامر الضباط باستخدام الشحم المأخوذ من الخنزير لصيانة البنـادق حيث أشاع الإنكليـز أن هذا من بـاب التحدّي، فأُخذوا إلى السجن فتألم إخوانهم، وعملوا على فكـاكهم، وهجموا على الضبـاط الإنكليز، وقتلوا أحـدهم، وفـرّوا بـاتجـاه دهلي إلى دار الملك المغولي سراج الدين أبي ظفر بهادورشاه ، وكان قد تجـاوز التسعين من العمر، وعدّوه ملك البلاد الحقيقي، وانتقلت أخبار هذه الحادثة إلى البلاد كلهـا، فاشتعلت الثـورة، وأشعلها في شمـال دهلي (إمداد الله)، فـطلب الإنكليز النجدات فجاءتهم، وسارت الجيوش إلى دهلي، وحاصرتها عدة أشهـرٍ ثم دخلتها، وقبضت على آخر ملكٍ مغوليٍ، وهو سراج الدين أبو ظفر بها دورشاه، وعلى أسرته، وقتلت أبناءه أمـامه، وعملت لـه وجبات طعام من لحومهم إعلاناً عن التشفّي والحقد الصليبي، وحملته إلى عاصمة بورما (رانغون) حيث بقي هناك حتى توفي عام ١٢٧٨ هـ، **وأُلغيت الدولة المغولية**.

انتهت الثـورة عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م)، وأعلنت إنكلتـرا انتهـاء

حكم شركة الهند الشرقية، وعدّت بلاد الهند من أملاك التاج البريطاني، يتصرّف بها كيف يشاء. وعد الإنكليز المسلمين سبب الثورة والمخططين لها لذا فقد صبّوا غضبهم عليهم، فصادروا أملاكهم، وهدّموا مساجدهم، أو جعلوها ثكنات للجيش، وشرّدوا الناس، ورحّب الهندوس بهذه الجرائم بل شاركوا فيها، وعدّوها ثأراً من المسلمين، وتسلّموا الوظائف، واشتروا الأراضي، وحصلوا على الثروة، وكان السياسة البريطانية بالأصل تعمل على تقريب الهندوس وإبعاد المسلمين، وقد جاء الآن صراحةً بعد أن كان ضمناً

بعـد الثـورة:

أصبحت الهند كلها تحت السيطرة الإنكليزية ومع ذلـك فقد بقيت بعض الإمارات تحت سلطان المسلمين أو الهندوس، ولم يكن الأمير سوى مفوّضٍ بتسيير الشؤون الداخلية، أما شؤون الدفاع، والماليـة، والشؤون العامة، ومناهج التعليم، والقضايا الخارجية فكلها بيد السلطات الإنكليزية. وبقي بعض هـذه الإمـارات على هـذه الصـورة حتى تمّ التقسيم عـام ١٣٦٦ هـ. ومن هذه الإمارات «حيـدر أباد» في الـدكن، و«بهوبـال» في الدكن أيضاً، و«جوناكدا» في كوجرات.

وقام بعض المسلمين يريدون سدّ الثغرة التي حصلت وأدّت إلى تأخرّ المسلمين فدعوا إلى التعليم، وحـاول بعضهم تقليد الغـرب والتقّرب من الإنكليز لينالوا عندهم الحظوة مثل أحمد خان الذي أنشأ جامعة (عليكره) وأسّس جريدة (تهذيب الأخلاق)، وعمل آخرون بمقتضى الإسلام، دون تأثّرٍ بالظروف التي يحيونها، وقد تأسّست ندوة العلماء، ودار العلوم التابعة لها عام ١٣١١ هـ في مدينة (لكنو).

وقامت بعض الحركـات التي رفعت لواء الإسـلام مثل ثـورة جعفر ويحيى عام ١٢٨٠ هـ، وثورة شيخ الهند محمود الحسن عام ١٣٣٨ هـ، وقد دعا إلى مقاطعة جامعة عليكره، ومقاطعة الإنكليز. وقد عمل الإنكليز لتهديم الإسلام في اتجاهين:

الأول: نشـر الفكرة القـومية المخـالفة لـلإسلام وذلـك كي يضيـع المسلمون بين الهنود. وقد حمل هذه الفكرة متقـاعد إنكليـزي مُقيم في الهند يدعى (آلن هيوم) حيث دعا إلى إنشاء جمعيةٍ وطنيةٍ يحمل أبناؤها مطالب الهند إلى الحكومة البريطانية لبحثها، وتبنّى هذا الموضـوع نائب الملك في الهند اللورد (دوفرين)، وعمـل على إخراجهـا لتكون في يـد الحكومة وذلك أفضل من أن تنبثق من خلال الشعب، وبدأت أول اجتماعٍ لها في مدينة بومباي عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، وحرص الإنكليز أن يكونَ فيها بعض قادة المسلمين. وتأسّس حزب المؤتمر الوطني الهندي، ودخله الهنود، كما دخله المسلمون بل إن بعض الهيئات الإسلامية قد اندمجت فيه مثل جمعية العلماء، ومؤتمر المؤمنين الهنود، ومؤتمر الشيعة، وأبدى الحزب في أول الأمر احترام شعور المسلمين، ولكنه أظهر فيما بعد عكس ذلك حيث أخذ يُنادي بإخراج الغرباء من الهند، ويعـدّ المسلمين غربـاء كالإنكليز. ولم تكن المناداة بإخراج الإنكليز إلا لإظهار الوطنية كي يلقى التأييد الشعبي، وإبراز التحرّر من الوصاية الإنكليزيّة.

ولما رأى الهندوس أن المسلمين ضعفاء بسبب السياسة الإنكليزية بدأ التطرّف عندهم حتى أخذ غُلاتهم يدعون إلى قتل كل من يظهر ميلاً نحو المسلمين أو يُحاول مُسايـرتهم من الهندوس. وهـذا ما جعـل المسلمين ينكمشون عن الهندوس ويلتفّ بعضهم حول بعضٍ، وظهر تجمع خاص لهم، أو هكذا رأت إنكلترا أن يكون تنظيمان في البلاد يتنافسان، وتستفيد هي من كلا التيارين، إذ ينقسم المسلمون فيما بينهم فبعضهم يبقى داخل حزب المؤتمر الهندي، وآخر يُخالفه وينتقده أشدّ الانتقاد، وترى الـدولة المستعمرة من ناحيةٍ أن المسلمين لا بدّ من أن يتجمّعوا فالأفضل أن يلتقوا تحت قيـادةٍ غير ملتـزمةٍ إسـلامياً، وإنمـا تكتفي بالعـاطفة وحـرصـاً على المصلحة والقيادة من أن تجتمع حول علماء يدعون إلى التربية، ويُعلنون الجهاد، ويُقاتلون المستعمرين بضراوةٍ، ويُؤثّرون على الهندوس فيشدّونهم

نحو الإسلام، وعلى هذا عملت إنكلترا، وأخذت تجرّ المسلمين نحو هذا الخطّ، وتعمل على إبراز غير الملتزمين منهم.

قسّمت إنكلترا مقاطعة البنغال إلى قسمين غربي وشرقي عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) على أساسٍ ديني.

وعارض الهندوس هذا التقسيم إذ فقدوا حسب رأيهم السيطرة على ولايةٍ مهمةٍ، وعمّ الحزن دورهم، وتعاهدوا بعدم الطبخ في منازلهم دلالة على غضبهم، واجتمع خمسون ألفاً منهم عند صنم (كالي) إله التدمير - حسب عقليتهم - وتعاهدوا على مقاطعة البضائع الإنكليزية.

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) طالب المسلمون بإجراء انتخابات منفصلة، وترك الانتخابات المشتركة، وذهب وفد منهم لمقابلة نائب الملك في مقره الصيفي في (سيملا). وقد سُرّ المسلمون بتقسيم البنغال.

وفي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) أُلغي تقسيم البنغال على لسان الملك جورج في حفلة تتويجه امبراطوراً في مدينة دلهي. فعيّد الهندوس.

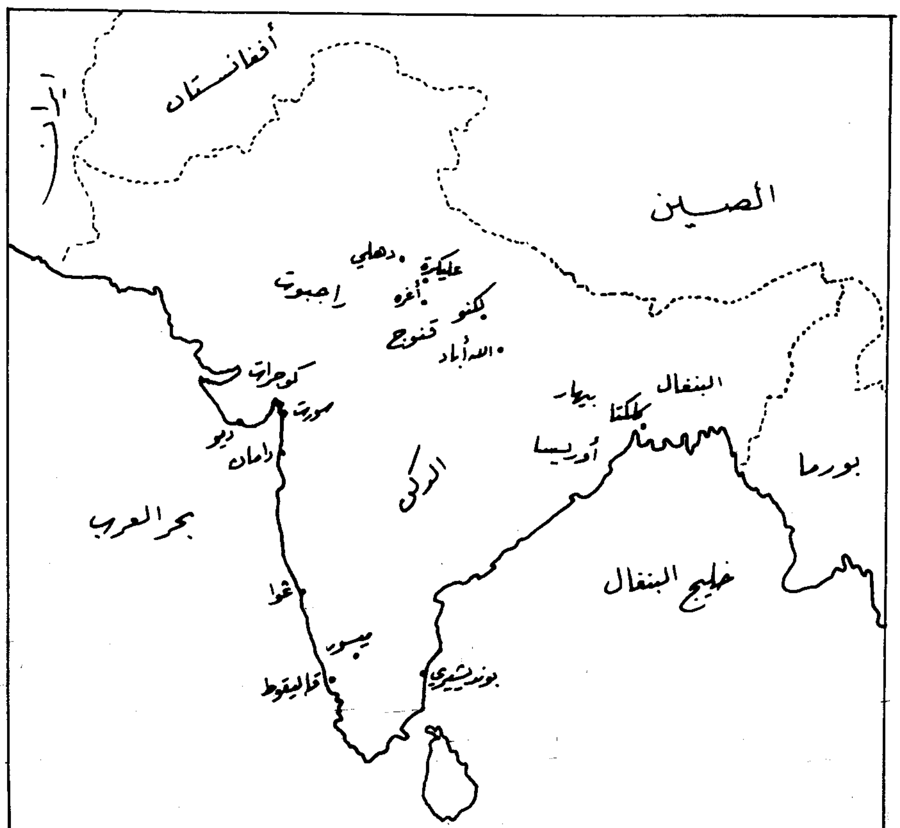
عقد المسلمون اجتماعاً في مدينة (دكا) في البنغال الشرقية عام ١٣٢٤ هـ برئاسة (النواب فخار الملك) ونتيجة هذا الاجتماع تشكّل حزب «الرابطة الإسلامية» وبدأ الخلاف بين الحزبين، حزب المؤتمر الوطني الهندي، وحزب الرابطة الإسلامية. واختلف المسلمون بعضهم مع بعضٍ إذ أصدرت جامعة (عليكره) فتاوى بحرمة الانضمام إلى حزب المؤتمر، وأصدر (عبدالقادر اللدهيانوي) فتوى بعدم حرمة الانتساب إلى حزب المؤتمر، ووقّع على هذه الفتوى بعض العلماء. وبقي بعض أعيان المسلمين في حزب المؤتمر أمثال محيي الدين أحمد (أبو الكلام أزاد)، وأنشأ مجلتي الهلال، والبلاغ، وذاكر حسين، كما كان فيه محمد علي جناح.

الثاني: العمل على إنشاء فرقٍ ضالةٍ تدّعي الإسلام في سبيل تهديم العقيدة. لقد شجّعت إنكلترا مرزا غلام أحمد القادياني على إحياء ما دعا

إليه الملك المغولي (أكبر شاه)، فأنشأ القاديانية، وكتب البراهين الأحمدية، وادّعى عام ١٣٢٢ هـ أنه المهدي المنتظر، وأعلن أن الأنكليز هم أولو الأمر فيجب طاعتهم، ولا يصحّ الخروج عليهم، كما لا يصحّ الجهاد ضدّهم، وعمل على التوفيق بين الأديان، فادّعى أنه يتقمّص روح السيد المسيح عليه السلام، وروح الإله (كرشنا) رب الخير عند الهندوس، وتوفي مرزا غلام أحمد عام ١٣٢٦ هـ، وانقسمت جماعته من بعده إلى قسمين:

١" ـ الأحمدية: وتدّعي أنه كان رجلاً مصلحاً.

٢" ـ القاديانية وتقول بنبوته، وكلاهما كاذب، ودعمه الإنكليز بكل إمكاناتهم، ولا يزالون يدعمون أتباعه في كل مكان.



الباب الأوّل

الهند

من إلغاء الخلافة حتى التقسيم

١٣٤٢ - ١٣٦٦هـ

١٩٢٤ - ١٩٤٧م

لعل المشكلة الرئيسية فيما أصاب المسلمين في الهند في الماضي وما يصيبهم في الحاضر إنما يرجع إلى نقطةٍ رئيسيةٍ وجوهريةٍ ألا وهي عدم تطبيق الإسلام.

يقضي الإسلام ألا يترك أتباعه في البلدان التي يحكمونها من الناس مُشركين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى، ويندرج تحت اسم مشركين: الوثنيون جميعاً الذين يعبدون المخلوقات من البشر أو الحيوان أو الجماد، ومن هؤلاء لا شكّ الهندوس الذين يعبدون براهما، والبوذيون الذين يعبدون بوذا، وما تفرّع من هاتين الديانتين وما شابههما، أي لا يسمح بالإقامة في دار الإسلام إلا للمسلمين وأهل الكتاب وما يتبعهم من مجوسٍ، وهذا من نجده في جميع البلدان التي فتحوها، ودانت لهم في الحكم في الفتوحات الأولى التي تمّت في صدر الإسلام أيام الخلفاء الراشدين، وفي عهد بني أمية. أما بعد ذلك فقد ضعفت الدولة الإسلامية، ومع ضعفها ضعف تطبيق الشريعة، وتساهل الناس في الأحكام، وعملوا على تسيير شؤون الدولة حسبما تقتضي مصالحهم. ونلاحظ ما حدث في الهند:

١ ــ لم يستقر العرب في الهند أيام الغزوات الأولى، ويوم فُتحت السند على يد محمد بن القاسم الثقفي، كما لم يستقر أولئك الذين فهموا الإسلام فهماً جيداً، وإنما حكموا الهند، وضاع أولئك الذين أقاموا هناك موقتاً لمصلحة رعاية شؤون الدولة، وكانوا قلّة أمام الأعداد الكبيرة من

الهنود سكان السند، فضاعوا بينهم، غير أن استمرار الغزو، وقدوم الكثير من المسلمين إلى الثغر، ومجاورة الأجزاء التي يحكمها المسلمون قد جعل انتشار الإسلام يعمّ معظم السند والبنجاب، أو ما يعرف اليوم باسم باكستان.

٢ ــ أن معظم المسلمين الذين استقرّوا في الهند كانوا من حديثي العهد بالإسلام، فلم يعرفوا دينهم حقّ المعرفة، ولم يعملوا على تطبيقه، بل لم يكن الأمر بأيديهم.

٣ ــ أن الهنود الذين دخلوا في الإسلام لم يُربوا تربيةً إسلاميةً صحيحةً من قبل الأشخاص الذين يعرفون الإسلام جيداً، فبقوا على كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية.

٤ ــ أن الحكومات الإسلامية التي حكمت الهند لم تكن لتستند على الشريعة، ولا لتحكم بما أنزل الله، وإنما همّها الحكم والسيطرة، ولما كانت أكثرية الرعية من الهندوس لذا فإن أكثر الحكام كانوا يعملون على إرضائهم ومسايرتهم، بل نلاحظ أن بعضهم قد عمل على إيجاد دينٍ مختلطٍ من الإسلام والهندوسية، فحرّم ذبح البقرة وسمح للمسلمين بالزواج من الهندوسيات، وللهندوس بالزواج من المسلمات، كما أباح الخمرة.. كل ذلك في سبيل إرضاء أكثرية الرعية التي هي من الهندوس وذلك كي يستقرّ له الوضع، وتبقى له السيطرة، وذلك كما فعل الحاكم المغولي (أكبر شاه) وغيره من حكام المقاطعات، بل إن ديانات وجدت من هذا النوع كالسيخ في منطقة البنجاب، والقاديانية، التي قامت تحت تأثير الحكام الإنكليز، وبإشرافهم وغيرها ولا تزال هذه الديانات قائمةً إلى اليوم، ولا يزال الإنكليز يرعون أتباع القاديانية داخل الهند وخارجها.

٥ ــ أن كثيراً من العلماء الذين جاءوا إلى الهند من علماء ومشايخ بلاد ما وراء النهر وبلدان شرقي الخلافة كانوا مولعين بفلسفة اليونان وعلومهم أكثر من اهتمامهم بدراسة القرآن وعلومه، والسنة.

٦ ـ أن الـذين دخلوا الهند من المتصـوفة الـذين يقولـون بالحلول ووحدة الوجود كانوا كثيرين، وهم على شبهٍ من متصوفة الهندوس الذين يقولون بالحلول، وهذا ما دعا قبول هذه الفكـرة لدى الهنـدوس والإقبال عليهـا فدخلوا بـالإسلام وتسمّـوا مسلمين على هـذا النـوع من الإسـلام الاسمي، والكفر الحقيقي، وهذا قد ساعد على انتشار الفرق الضالة أيضاً كالإسماعيلية والرافضة، بل إن بعض الحكام قد اعتنق الرفض وسعى على نشره، فكثرت نسبة أتباعه.

٧ ـ جهل أكثر الناس اللغة العربية بسبب أصولهم غير العربية من تـركٍ، ومغولٍ، وفـرسٍ، وأهم من ذلك عـدم تمسّكهم بالإسـلام الذي يحثّهم على تعلّم العربية التي هي لغة القرآن والسنة. وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في الهند، فكانت ألفـاظ القرآن تترجم، والتـرجمة لا تُعطي في كثير من الأحيان الغاية المرجوة، ولا تُؤدّي الهدف المقصود.

٨ ـ بلغ من اشتغال الحكام بالحروب أنهم لم يستطيعوا في الغالب أن يحفلوا بالعمل لنشر الدعوة وتطبيق الإسلام، وإنما كان جـلّ تفكيرهم ينصرف إلى فرض الضرائب، وإرضاء الرعية، وعدم إثارة مشاعرها الدينية الهندوسية.

٩ ـ كان المسلمون يفتحون المناطق، ويتركون الشعب حرّاً في معتقده دون تبيـان الحقيقة، وإظهـار مقاصـد الشريعـة، والمسـاواة، ولم يعمـل المسؤولون على نشر الإسلام.

١٠ ـ دخول الناس بالإسلام كان يتمّ وراء منفعةٍ أو بالإكراه، كما كان يحدث في بعض الأوقات على أيدي بعض الحكام، ولعل السلطان «تيبو» هو أحد الحكام المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مُهمّة تحويل الناس إلى الإسلام بالقوة، وهؤلاء الحكام قلّة، وهو أحـدهم. ففي سنة ١٢٠٣ هـ أذاع السلطان «تيبو» المنشور التالي على أهالي (مليبار): «بعد انقضاء أربع وعشرين سنةً على غزو بلادكم، لا تـزالون على عصيـانكم

وتمرّدكم، ولا زلتم مصدر القلق والاضطراب، وفي الحروب التي نشبت في خلال فصلكم الممطر، كنتم أنتم السبب في استشهاد كثيرٍ من جنودنا، وليكن هذا، فإن ما فات مات، وإني مستعد لأن أتناسى الماضي، وقد حان الوقت الذي يجب أن تعدلوا عن خطتكم، وتلزموا السكينة والهدوء، وتؤدوا ما عليكم من ضرائب كما يفعل الرعايا الأخيار، وما دامت المرأة فيكم لا تقنع برجلٍ واحدٍ، بل تُعاشر عشرة رجالٍ، وما دمتم تذرون أمهاتكم وأخواتكم ينغمسن في حمأة الرذيلة، فإن جميع الناس يولدون من سفاحٍ، وما دمتم في علاقاتكم أكثر قحةً من الوحوش الضارية لذلك أرى لزاماً عليّ أن أنهاكم عن هذه العادات الأثيمة، وأنصح لكم أن تكونوا كسائر البشر. وإذا عصيتم أمري، وخالفتم عن نصحي، فقد أقسمت قسماً حقاً غير حانثٍ فيه ولا آثم أن أحملكم على الصراط المستقيم وأن أنيلكم شرف الإسلام أجمعين، وأن أسوق جميع عظمائكم كبيركم وصغيركم».

وقد أشعل هذا المنشور نار الثورة في (مليبار). ففي مستهل عام ١٢٠٤ هـ أعدّ «تيبو» جيشاً جراراً يتألف من عشرين ألف مقاتلٍ لتنفيذ هذا المنشور بالقوة. وأصدر أوامر عامة: بأن كل شخصٍ في هذه المقاطعة يجب أن يتشرّف بالدخول في الإسلام من غير تمييزٍ، وأن دور الذين يفرّون تخلّصاً من هذا الشرف يجب أن يحرقوا وأن يقتفى أثرهم حتى يصلوا إلى مكامنهم، يجب أن تستعمل وأن تستخدم كافة وسائل الصدق والنفاق، والقوة أو الخداع في حملهم جميعاً على تغيير دينهم» وعلى أثر ذلك اختتن آلاف الهندوكيين، وحملوا على أن يأكلوا لحم البقر. على أن الجيوش الإنكليزية لم تلبث أن قضت على ما بقي من قوة للسلطان «تيبو» عام ١٢٠٥ هـ، واستشهد هذا الحاكم في مستهل عام ١٢١٤ هـ على أيدي الإنكليز الذين تمكّنوا من السيطرة على البلاد بعد ذلك. وأنكر معظم البراهمة والنيار الدين الإسلامي ورفضوه، وعادوا إلى دينهم القديم[1].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ـ الترجمة ـ الطبعة الثانية ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

ومن المعلوم عدم فائدة تحويل الناس إلى الإسلام عن طريق الإكراه إذ لا يلبث الناس أن يعودوا إلى دينهم القديم بعد زوال السبب كما رأينا أيام السلطان تيبو، ولعلّ هذا السلطان قد اتخذ هذه السبيل عندما وجد المستعمرين الصليبيين يتدخلون في شؤون البلاد، ويتخذون من الهندوس مطيةً لقتال المسلمين، فأراد أن يقطع الطريق عليهم، ويقضي على كل من يحتمل أن يكـون عميلاً لهم.

١١ ـ لا يعني هذا أبداً أنه لم يكن هناك علمـاء أجلّاء، ورجـال بررة، ومُربّون صادقون، ودعاة مخلصون من الهنود المسلمين وغيرهم. . . . لقد كان هناك كثيرون عملوا في الدعوة ونشر الإسلام، وخدموا العلم بما قدّموا من بحوثٍ ودراسةٍ، ونصحوا الحكام. وكان هناك كثيرون عملوا في الدعوة ونشر الإسلام، وخدموا العلم بما قدّموا وبذلوا جهدهم، وأخلصوا لله غير أن القلة تضيع في ذلك الموج الزاخر من السكان. . . . ومن المعلوم أن عدد الهنود اليوم يزيـد أكثر من أربـع مرات ونصف المـرة على عدد العرب جميعاً. . . لذا فإن المسلمين كانوا قلّةً وسط ذلك المحيط الهندي.

كان على المسلمين أن يفتحوا منطقةً إثر منطقةٍ، فإذا هيّأوا أمورهم في الأولى، وطبّقـوا الإسلام حتى لم يبق من سكـانهـا إلا من يجب أن يبقى ـ كما ذكرنا ـ من مسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والمجـوس ـ إن وجدوا ـ وكان المسلمـون أخوةً، وكتلةً واحـدةً، واعين للإسـلام، عارفين لمهمتهم في الحياة انطلقوا إلى منطقةٍ ثانيةٍ حتى ينتهوا من الهند، فلو فعلوا ذلك لعم الإسلام الهند من ذلك اليوم، ولاختفت تلك الديانات الوثنية الدنيئة التي يُصّور بعض مظاهرها منشور السلطان «تيبو» لو حدث ذلك لما عانى المسلمون اليوم ما يُعانون من أصحاب تلك الديانات.

وهذا شأن كـل البلدان التي دخلها المسلمـون وقت الضعف، في ماليزيا، وأندونيسيا، والفيليبين، وبلدان إفريقية غير العـربية، حيث دخلوا قلّةً، أو انتشـر الإسلام تـدريجياً، ولم يكن الحكم بـالإسلام، ولـم تكن

لتطبّق أحكامه، ولو تمّ الحكم باسم الإسلام لما أمكن تطبيقه لضعف السلطة، وعدم التطبيق في أي مصرٍ حتى تُعرف روح الإسلام، وصلاحيته بصورةٍ صحيحةٍ واقعيةٍ. فالمسلمون في هذه المناطق يعيشون بين وثنياتٍ كثيرةٍ، وتجد أنواعاً من الشرك غريبةً، حتى ليتأثّر أحياناً المسلمون ببعض هذه المظاهر ويرونها عاديةً، بل غدا بعضهم يُفسّرون الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ تفسيراً بعيداً عن معناها، ويُبرّرون من هذا المعنى وجود هذه الوثنيات، والواقع أن هذا لم يكن لو لم يكن الضعف قائماً، حيث لا نجد مثل هذه الوثنيات في البلدان التي دخلها المسلمون في عصر الفتوحات الأولى أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية، أما عندما ضعفت الدولة الإسلامية، ودخل المسلمون في تلك الأيام منطقةً لم يستطيعوا إلزام أهلها على ترك وثنياتهم وشركهم نتيجة الضعف، وعدم وجود سندٍ لهم قوي، فالخلافة الإسلامية إن كانوا يرتبطون بها ضعيفة، وإن لم يكونوا على ارتباطٍ بها فحكومتهم أكثر ضعفاً وأقلّ جنداً. وهنا نرجع إلى قول حكيم بن جبلة العبدي الذي قال لعثمان بن عفان، رضي الله عنه، عندما طلب منه وصف الهند «إن قلّ فيها الجيش ضاعوا وإن كثروا جاعوا. . .».

أما الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ فهي محصورة في المسلمين وديانات أهل الكتاب وما يتبعهم من المجوس، أي في طريقة عبادة الله الواحد الأحد، واتباع أحد أنبياء الله. هذا مع إقرارنا وإيماننا بأن ديانات أهل الكتاب قد حُرّفت ودخلها الكثير من الوثنيات والضلالات. أما لا إكراه في اتباع الشرك والضلال فهذا غير وارد أبداً، ولو ورد على الذهن لم تكن هناك من مُهمّةٍ للمسلمين في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولما فُرض الجهاد، ولما وُجدت الدعوة، وإنما ترك الأمر كيفما يُريد الطغاة والكفار. وهذا ينافي الفكر الإسلامي.

الفصل الأول

الصراع في الهند

لمــا أحسّ الهنـدوس بضعف المسلمين بعــد أن زالت سلطتهم، وأصبحت القوة بيد المستعمرين الصليبيين من الإنكليز الذين يحقدون على المسلمين، ويعملون على إضعـافهم، ويقرّبـون الهندوس في سبيـل هذه الغاية عندها أعلن الهندوس حربهم على المسلمين، فقد قام حزب سياسي إسلامي في مدينة (لكنو) عـام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) فقاومه الهنود فانتهى، وتمثّلت هذه العداوة وخطوطها الرئيسية فيما نشره أحد الثوريين الهندوس المدعو (هارديال) في جريدة (بارتاب) التي كـانت تصدر في لاهـور أيام الحكم البريطاني، وقال (هارديال): إن مستقبل الجنس الهندي وهندستان وبنجاب يقوم على أربع دعائم وهي:

١" ــ سانكاثان: أي الوحدة.

٢" ــ الراجا: أي الإله الهندي «رام راجا» ومعناه وحدة العقيدة وإجبـار السكان كلهم عليها.

٣" ــ شوذي: أي إرجاع المسلمين الهنود إلى عقيدة الهندوس.

٤" ــ دخول أفغانستان ومناطق الحدود وردّ أهلها عن الإسلام.

وتابع (هارديال) يقول: وما لم يقم الهندوس بتحقيق هذه الاعتبارات الأربعة فسيجابه أولادنا وأحفادنا خطراً دائماً، ولن تكـون سلامـة الجنس الهندي مضمونةً.

وأخذ غلاة الهندوس يُثيرون أبناء عقيدتهم على المسلمين، غير أن

بعض قادتهم ومنهم غاندي(١) كانوا يخشون من المسلمين لما يعرفونه عنهم من قوةٍ وشجاعةٍ وتضحيةٍ لارتفاع معنوياتهم وإيمانهم العميق بالإسلام، وأن قتل الفرد منهم نصر وحيازة على أمرٍ عظيمٍ وهو الشهادة في سبيل الله، وهي أول عوامل دخول الجنة، وهي الفوز الحقيقي، لذا كان غاندي يظهر بالمظهر المعتدل، ويُبدي أنه مُؤيّد لبعض مطالب المسلمين ليكسب بعض عناصرهم، وليحصل على تأييدهم، ويكون مركزه على شيءٍ من القوة، وعمل الإنكليز على إعلاء مكانته بالدعاية له، ورفع منزلته، ونتيجة هذا ولبعض مواقفه الظاهرية إلى جانب المسلمين، فقد صدّق بعض المسلمين المغفّلين ما يُقال عنه، وانطلقوا يُردّدون ذلك جهلاً وغفلةً، هذا إضافةً إلى موقف العلمانيين بين المسلمين الذين يريدون كسب موقفٍ لهم بأن الدين ليس له من قيمةٍ كبيرةٍ ـ حسب زعمهم ـ فهذا غاندي يقف إلى جانب المسلمين أنه هندوسي، والهندوس في صراعٍ مع المسلمين. ولهذا غدت

---

(١) غاندي: موهانداس كارامشامد غاندي ولد في ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٨٦ هـ (٢ تشرين الأول ١٨٦٩ م) ببلدة (بورمندار) كان أبوه من رجال الإدارة، أوفده إلى إنكلترا حيث درس القانون بجامعة لندن، ورجع إلى الهند عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) وبعد عامين انتقل إلى جنوبي إفريقية، واشتغل بالمحاماة في مدينة جوهانسبرغ، ثم عمل ضدّ التفرقة العنصرية، وأثناء حرب البوير نظم فرقة من الهنود هناك للعمل مع الصليب الأحمر، وفي عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) نظم مظاهرات ضد القوانين التعسفية، وسافر إلى لندن عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، حيث نظم وحدة إسعاف هندية. ولكن رجع إلى الهند ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م)، وبعد الحرب قام بحركة عدم التعاون وسيّر المظاهرات، ثم مقاطعة البضائع وإحراقها في بومباي، ثم تنظيم العصيان المدني، وحكم عليه ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) بالسجن في أحمد أباد مدة ست سنوات، وفي عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) قاد مظاهرة كبرى إلى البحر لمعارضة قانون احتكار الملح، فسجن عاماً في (بوما)، وخرج ليشترك في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، ثم قاد العصيان المدني فسجن مدة سنتين، ثم أخذ يوجه سياسة حزب المؤتمر. واغتاله أحد غلاة الهندوس في دلهي في ١٩ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨ م).

لغاندي مكانة دولية لا يستحقّها أبداً إذ كان مُغالياً في هندوسيته، متمسّكاً بها أشدّ التمسّك، حاقداً على الإسلام عكس ما أُشيع عنه.

ونتيجة ما أُشيع عن غاندي فقد أمكن إيجاد تفاهمٍ أحياناً بين الطرفين، وقد حاول محمد علي جناح[1] التوفيق بين حزبي الرابطة

---

(١) محمد علي جناح: ولد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) في مدينة كراتشي من أسرة هندوسية اعتنقت مذهب الإسماعيلية، وتزوّج بمجوسية، ودرس القانون في إنكلترا، انتسب إلى حزب الرابطة الإسلامية بعد تأسيسها بسبع سنوات، رأس البعثة الهندية التي قصدت لندن لشرح القضية الهندية عام ١٣٣٣ هـ، كما رأس اللجنة التي شكلتها الرابطة بالاشتراك مع حزب المؤتمر للمطالبة بالحكم الذاتي للهند عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م)، وشارك في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م). وتولّى رئاسة حزب الرابطة الإسلامية ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) حتى تولّى رئاسة دولة باكستان. وتوفي في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول ١٩٤٨ م).

كان أبوه تاجراً في مدينة كراتشي، وأصل أسرته من مدينة (كتهيوار) في ولاية كوجرات.

أتمّ الدراسة الثانوية عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م).

أفلس أبوه، وتوفيت أمه، وتوفيت زوجته.

عمل سنةً واحدةً في المحاماة في مدينة كراتشي.

انتقل إلى بومباي، وعمل في المحاماة، ورفض منصب قاضٍ.

ذهب إلى لندن، وعمل في المحاماة، وأصبح محامياً مشهوراً، ورجع عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م).

كان من أعضاء حزب المؤتمر البارزين، وذهب عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) مندوباً عن المؤتمر إلى لندن للدفاع عن فكرة الحكم الذاتي.

صار أمين سر حزب المؤتمر (دادا بهائي ناوروجي) عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م).

أصبح نائباً في المجلس التشريعي الإمبراطوري عن مدينة بومباي عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م).

عيّنه نائب الملك عضواً في المجلس التشريعي لمدة ثلاث سنوات ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م).

أصبح عضواً في الرابطة.

كان عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) عضواً في حزب المؤتمر ورئيساً للرابطة الإسلامية.

انفصل عن حزب المؤتمر عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).

الإسلامية والمؤتمر الوطني الهندي، إذ دعا إلى عقد مؤتمر الرابطة السنوي عام **١٣٣٥** هـ في مدينة «لكنو» حيث عُقد حزب المؤتمر الوطني الهندي مؤتمره السنوي.

كان محمد علي جناح في حزب المؤتمر، وبقي فيه مدةً بعد تأسيس حزب الرابطة ثم اقتضت المصلحة انتقاله وتغيير موقعه، فبدّل وترك حزب المؤتمر وانضمّ إلى الرابطة، وتولّى زعامتها، ولم يكن ملتزماً بالإسلام، وإن كان ينتمي إليه، وهنا تكمن المصلحة إذ من الضرورة بمكان عند الإنكليز أن يتولّى أمر الرابطة مسلم غير ملتزمٍ خوفاً من أن تسير في طريقٍ صحيحةٍ فتدبّ الحياة من جديدٍ في المسلمين وترفع راية الجهاد، وعندها لا بدّ للإنكليز من أن يشدوا رحالهم للفرار ومغادرة البلاد إلا إذا رغبوا في دفن جنودهم هناك وجعل الهند مقبرةً لهم، كما أن إنكلترا ترغب في استلام محمد علي لرئاسة الرابطة لتبقى خيوط اللعبة كلها في أيديها.

أخذت الدعايات توجّه لصالح محمد علي حتى أصبح على مستوىً قريبٍ من غاندي أو يتناسب مع النسبة العددية من السكان التي يمثّلها، فكانت وسائل الإعلام تسمّيه سفير الوحدة الهندية، وتكرّر أن حزب المؤتمر عرض عليه أن يختاره رئيساً دائماً للمؤتمر فأجاب: (إنهم إن قبلوا آراءه التي يُخالفونه فيها ويُخالفهم، فهو سعيد بأن يبقى عضواً كغيره من مئات الأعضاء). وتذكر: أنه مرّ في طريقٍ مرةً فهتف له الناس بصفة سيد باكستان، فأوقف سيارته، ووبّخ القائلين له بهذا اللقب، وقال لهم: (إن خير ما يرجوه أن يكون خادم باكستان لا سيّدها). هذه الدعاية جعلته أهلاً لأن يكون رئيساً لحزب الرابطة الإسلامية، وقد استمرت هذه الدعاية بعد نجاح الرابطة، وانقسام الهند، وظهور دولة باكستان، فتُردّد وسائل الإعلام أنهم عرضوا عليه أن يولّوه رئاسة دولة باكستان مدى الحياة فأنكر هذا المبدأ، وقال: (بأنها ستكون قاعدةً لمن يليه).

وإذا كان الهندوس أكثر عدداً من المسلمين إلا أن خوفهم من

المسلمين شديد لصلتهم بالعالم الإسلامي الذي يُؤيّدهم، إذ كان التعاطف بين المسلمين كبيراً رغم سيادة الجهل والفقر بينهم. وكانت أصوات المسلمين من أي مكانٍ يسمع صداها في الهند، ويُردّدها المسلمون الهنود، وهذا الذي كانت تخشاه إنكلترا والهندوس ويمكن ملاحظة بعض النقاط.

١ ــ إن المسلمين الهنود يعدّون العرب عنواناً لهم، ويُحاولون تقليدهم في كل أمورهم.

٢ ــ كان للدعوات التي قامت في البلدان العربية أثرها في الهند بغض النظر عن سلامتها أو غير ذلك. فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية، ودعوة المهدي في السودان كان لهما الأثر في الهند، وسار على نهجهما كثير من المسلمين.

٣ ــ كلما ألمّت نازلة في الأمصار الإسلامية بات الهنود المسلمون يعيشون معها ويتقصّون أخبارها، فعندما نفى الإنكليز أحمد عرابي من مصر إلى جزيرة سرنديب (سيلان) هرع المسلمون الهنود إلى منفاه يسألونه عن مصر وأوضاعها، وعن المهدية وأوضاع السودان.

٤ ــ قام المسلمون بمظاهرات عنيفة عام ١٣٣٠ هـ يندّدون بموقف إيطاليا، واحتلالها لليبيا، وجمعوا التبرعات رغم فقرهم، وأرسلوا البعثات الطبية، وبدأت دعوة التطّوع للذهاب إلى ليبيا لمجاهدة الطليان.

٥ ــ اتخذ حزب الرابطة الإسلامية قراراً يُعلن فيه استياء المسلمين من موقف بريطانيا ضدّ الدولة العثمانية في حرب البلقان.

٦ ــ احتجّ حزب الرابطة الإسلامية والمسلمون الهنود عامةً على معاملة هولندا الوحشية للمسلمين في أندونيسيا.

٧ ــ أعلن حزب الرابطة الإسلامية باسم المسلمين الهنود للحاكم الإنكليزي في الهند أن معاونة المسلمين متوقفة على ضمان فلسطين من

بلاد الشام ضمن إطارها العام العربي والإسلامي، ورفض فكرة الوطن اليهودي، والسماح لليهود بالانتقال إليها.

٨ ـ قامت مظاهرات في أرجاء الهند كلها احتجاجاً على نقض بريطانيا لعهودها التي قطعتها للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى.

٩ ـ وقامت مظاهرات أشدّ عنفاً عندما ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، ومن الذين قادوا تلك الحركات محمد إقبال الشاعر المعروف[1]، وأبو الكلام أزاد[2]، ومحمد علي جناح. وتشكل حزب الخلافة الذي عمل على إقناع الأتراك بالإبقاء على الخلافة، وحث الإنكليز للتوقّف عن دعم اليونان الذين كانوا قد استولوا على مدينة أزمير وما حولها، وعدم تقسيم تركيا، وإيقاظ المسلمين، وتوقف الحزب بإلغاء الخلافة.

---

(١) محمد إقبال: شاعر وفيلسوف ولد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م)، واندفع بحماسة للإسلام في الحرب العالمية الأولى، وقد عرض على لجنة نهرو فكرة دمج البنجاب، وإقليم الحدود الشمالية الغربية، وبالوشستان، والسند في إقليمٍ واحدٍ، ولكن فكرته رفضت، واشترك في مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) في لندن، وعرضت عليه منصب نائب الملك في جنوبي إفريقية فرفض ذلك، لأن حرم نائب الملك سافرة، وتستقبل الضيوف، وأجاب «ما دام هذا شرطاً فلا أقبله لأنه إهانة لديني، ومساومة لكرامتي» وتوفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).

(٢) أبو الكلام أزاد: خير الدين أسعد، ولد عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) في أسرةٍ قاومت الاستعمار البريطاني، واشترك أبوه في ثورة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م)، وبعد فشلها هرب إلى الحجاز، وتزوج من سيدةٍ عربية، وهناك ولد محمد إقبال الذي انتقل إلى القاهرة، ودرس في الأزهر، ورجع عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) إلى الهند، واشترك في حزب المؤتمر الهندي، وكان يطالب بالاستقلال التام للهند المتحدة عن بريطانيا، وقد أنشأ مجلة «الهلال»، واشترك في تأسيس كلية «ديوبند» الإسلامية، وتولّى منصب وزارة المعارف، وانتخب نائباً لرئيس حزب المؤتمر، فرئيساً، وبقي في ذلك المنصب حتى توفي في ٣ شعبان ١٣٧٧ هـ (٢٢ شباط ١٩٥٨ م). وانتخب كذلك رئيساً للاجتماع التاسع لهيئة اليونسكو.

كانت هذه المظاهرات وهذه الأحداث تزيد الهندوس تماسكاً، وفي الوقت نفسه تزيدهم كرهاً للمسلمين الهنود، بل إن هذا الكره لتتسع دائرته حتى تشمل المسلمين جميعاً إذ يحسّ الهندوس أن المسلمين في كل أرجاء الأرض يدعمون المسلمين الهنود، ويُقوّونهم على الهندوس، ودلالةً على هذا تفاعل المسلمين الهنود مع إخوانهم المسلمين في كل مكانٍ، حيث يردّون لهم جميلهم.

وكذلك فإن هذه المظاهرات وهذه الأحداث كانت تشدّ من عضد المسلمين، وتُقويّهم، وتجعلهم يشعرون أنهم جزء من الأمة الإسلامية ذات المجد والحضارة، وأن أمم الأرض اليوم تتكالب عليها، وأن ما يُصيبهم اليوم لا يتعدّى أنهم جزء من هذه الأمة. غير أن المسلمين مع هذا كله لم يكونوا قلباً واحداً حيث كانوا فرقاً، وإن كانوا ينضوون تحت اسمٍ عام هو «مسلمون» غير أن بعضهم بعيدون عن ذلك إذ إضافةً إلى المسلمين (السنة) كان هناك الشيعة الرافضة، وكان هناك الإسماعيليون من الفرق الباطنية الضالة، وهناك القاديانية الديانة الجديدة البعيدة كل البعد عن الإسلام، وفوق هذه الفرق المتباينة كانت هناك الخلافات في التوجّهات السياسية حيث وجد:

١ " ـ **المسلمون الذين يرون الدعوة إلى الوحدة الوطنية والوقوف في** وجه المستعمرين الدخلاء من الإنكليز، وتأسيس دولةٍ واحدةٍ تضمّ الهندوس والمسلمين، وقد رأى هؤلاء أنه من المصلحة الانضمام إلى حزب المؤتمر الوطني لتوحيد الجهود وبذل المساعي لنيل الاستقلال والخلاص من المستعمرين، وأن المتطرفين الهندوس قلّة يجب ألا يُعبأ بهم، ولا يُنظر إليهم، ومن أشهر هؤلاء جمعية العلماء، ومؤتمر الشيعة، ومؤتمر المؤمنين الهنود، ومن الزعماء حسين ذاكر[1] الذي تسلّم فيما بعد رئاسة الجمهورية،

---

(١) حسين ذاكر: ولد في حيدر أباد الدكن عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، وتخرج من الكلية الإسلامية في (عليكرة)، وتابع دراسته في برلين حيث حصل على شهادة الدكتوراة عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)، وعُيّن حاكماً لولاية (بيهار) عام ١٣٧٧ هـ =

وأبو الكلام أزاد الذي تسلّم حقيبة وزارة المعارف بعد الاستقلال مباشرةً. وغفل هؤلاء عن دور إنكلترا في تقوية الهندوس على المسلمين، وأن عاملاً مشتركاً يجمع بين الإنكليز والهندوس ضد المسلمين وهو الحقد الصليبي والوثني.

٢" ـ المسلمون الذين يرون ضرورة الانفصال عن الهندوس، وتأسيس دولة واحدة من المقاطعات التي يشكل فيها المسلمون أكثريةً، وعرفت هذه الدولة باسم «باكستان»(١)، وأول من دعا إلى ذلك الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، ونادى بها الطلاب المسلمون الذين يدرسون في إنكلترا.

وانقسم أصحاب هذا الرأي إلى اتجاهين:

أ ـ أحدهما يرى الاستقلال ضمن باكستان والارتباط مع العالم الإسلامي، على اعتبار أن باكستان جزء من الأمة الإسلامية. وذلك في ظلّ الخلافة الإسلامية، ويُمثّل هذا الجناح محمد إقبال.

ب ـ ثانيهما ويرى الاستقلال ضمن باكستان، والدعوة إلى إسلاميةٍ باكستانيةٍ محليةٍ، وقد قوي هذا الاتجاه بعد أن أقدم مصطفى كمال أتاتورك ـ قبحه الله ـ على إلغاء الخلافة الإسلامية.

وقد خفّ ضغط الإنكليز عن المسلمين عندما بدأوا ينادون بالعصبية الإسلامية المحليّة، ويبتعدون عن قضية الخلافة والوحدة الإسلامية، ولعلّ من أبرز من يمثل هذا الجناح محمد علي جناح.

= (١٩٥٧ م)، ثم نائباً لرئيس جمهورية الهند (راد كريشنان)، ثم خلفه في الرئاسة بعد وفاته في ٣٠ المحرم ١٣٨٧ هـ (٩ أيار ١٩٦٧ م)، وتوفي حسين ذاكر في ١٦ صفر ١٣٨٩ هـ (٣ أيار ١٩٦٩ م).

(١) باكستان: يقال إن «باك» تعني الأطهار، وتدلّ «ستان» على بلاد، فأصبح المقصود من الكلمة بلاد الأطهار. ويقال: إن باكستان قد اشتقت من الأحرف الأولى من المقاطعات التي تضمّ أكثريةً مسلمةً وهي: بنغال، بنجاب، بلوجستان، كشمير، كوجرات، السند، مقاطعات الحدود.

٣" ـ **المسلمون الذين يرون بقاء المسلمين والهندوس ضمن دولةٍ** واحدةٍ مع ضرورة تشكيل جمعية إسلامية قويةٍ تعمل على نشر الإسلام بين الهندوس، كما تعمل للحكم حسب الشريعة الإسلامية، وقد كان الخوف على مستقبل المسلمين في الهند، وعلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، ولعلّ من أبرز أصحاب هذا الرأي أبا الأعلى المودودي(١) الذي وقف أمام نقاط وتساؤلات:

أ ـ إذا لم تنجح الرابطة فسيُمنى المسلمون بالفشل.

ب ـ إذا نجحت الرابطة، هل سيُطبِّق زعماؤها الإسلام؟

ج ـ كيف يكون وضع المسلمين الذين سيبقون داخل الهند بعد التقسيم أمام حقد الهندوس؟

د ـ ألا يتهم الهندوس المسلمين في الهند بعد التقسيم أنهم أنصار إخوانهم في باكستان فيضطهدونهم ويزيد الحقد حقداً؟

هـ ـ هل يمكن أن تقوم دعوة لنشر الإسلام بعد التقسيم، والحرب الإعلامية الدائمة، والحرب الباردة بين القسمين؟

و ـ ألا يمكن أن تنشب حرب بين القسمين، ويشعل نارها الصليبيون الإنكليز، ويدعمون الهندوس، ويحصد المسلمون شرّاً عظيماً؟

---

(١) ولد أبو الأعلى المودودي في بلدة (أورانغ أباد) في حيدر أباد الدكن عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)، وهو من أسرة تقول أنها تنتسب إلى مودود أحد رواة الحديث النبوي، ويقال: إنه جاء إلى الهند مع جيش محمد بن القاسم الثقفي.
عمل المودودي صحفياً في (جبل بور) و(دلهي) و(حيدر أباد)، وفي شهر ذي القعدة ١٣٥٦ هـ (كانون الثاني ١٩٣٨ م) انتقل إلى البنجاب بدعوةٍ من محمد إقبال، واستقرّ في منطقة (جورداسبور)، ثم انتقل بعد ذلك إلى (لاهور)، وفي رجب ١٣٦٠ هـ (آب ١٩٤١ م) اجتمع خمسة وسبعون شخصاً من مختلف الاختصاصات، وشكلوا الجماعة الإسلامية، وانتخبوا أبا الأعلى المودودي كأول أمير لها.
ووضع عدداً من الكتب ذات الفكر الإسلامي، أثرى بها المكتبة، وكان له أثر كبير في فكر الشباب وأهل العلم، وتوفي في الأول من ذى القعدة ١٣٩٩ هـ (٢٢ أيلول ١٩٧٩ م).

طالب المسلمون أن تكون لهم السيادة في المقاطعات ذات الأكثرية المسلمة فرفض حزب المؤتمر ذلك رفضاً بشعاً، وتكلم غاندي وأتباعه كلاماً غير مقبول، وأصدر حزب المؤتمر قراراً يقضي بترك لغة «الأوردو» التي هي لغة المسلمين، واللغة الرسمية في البلاد، وجعل اللغة الهندوسية لغةً رسميةً على حين أن أكثرية السكان لا يفهمونها، بل إن الهندوس الذين أخذوا يُهاجمون لغة «الأوردو» لم يكن لديهم من لغةٍ يُهاجمونها بها، وأسلحةٍ يُشهرونها في وجهها إلا لغة «الأوردو» ذاتها، ولم يكن اتخاذ ذلك القرار إلا عداوةً للمسلمين.

ولما رأى المسلمون حرب الهندوس لهم صراحةً، ويعرفون كذلك حقدهم، وما تُخفي نفوسهم أكبر عندها قرّروا العودة إلى فكرة باكستان وتقسيم بلاد الهند. وطالبوا الحكومة الإنكليزية بالبقاء في الهند حتى يتمّ التقسيم كي لا يستأثر الهندوس بالحكم، ويُطبّقوا ما يريدون. والغريب أن المسلمين كأنهم قد غفلوا عن موقف الإنكليز منهم، ووقوفهم إلى جانب الهندوس علناً. وهذا ما ظهر أثناء التقسيم بكل وضوحٍ.

وكان من أشدّ الناس محاربةً لفكرة التقسيم «نهرو»[1] تلميذ غاندي، والمتعصّب لهندوسيته، ويريد إبقاء المسلمين تحت نفوذ الهندوس لإمكانية

---

(١) نهرو: جواهر لال نهرو، ابن موتى لال نهرو، الزعيم السياسي، اشترك مع غاندي، أسس صحيفة (أندبندنت) أي المستقل، انتخب رئيساً لحزب المؤتمر الهندي عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، اشترك مع (داس) في تأسيس حزب (سواراج) أي الاستقلال ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) وتوفي ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م)، ولد ابنه جواهر لال نهرو في مدينة (الله أباد) عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، ودرس في إنكلترا وحصل على الحقوق، ورجع إلى الهند عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) واشتغل بالمحاماة، وانضم إلى حزب المؤتمر عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م)، وسجن تسع مرات، تولّى رئاسة حزب المؤتمر ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وتسلم وزارة الخارجية في الحكومة الموقتة بعد الحرب العالمية الثانية، وتولى رئاسة الوزارة بعد الاستقلال، وبقي في هذا المنصب حتى هلك ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م). وله عدة مؤلفات.

التحكّم بهم، وإذلالهم واستعبادهم، وكان يُخالف أستاذه «غاندي» في مجاملة المسلمين أحياناً، وعارضه في موقفه من تأييد حركة الخلافة مع أن ذلك الموقف لم يكن سوى التقية بإظهار غير ما يُبطن.

وطالب المنبوذون بالاستقلال، وعددهم مائة مليون، وهدّدوا باعتناق الإسلام، فأغراهم غاندي، وطلب منهم السكوت في هذه الظروف، وأن لهم ما يريدون في المستقبل.

وشكّل الهندوس سبع وزارات فأساءوا للمسلمين كثيراً.

الفصل الثاني

التقسيم

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨ هـ (الأول من أيلول ١٩٣٩ م) ودخلت حكومة الهند الحرب دون أخذ رأي وزارة حزب المؤتمر التي تحكم الهند محلياً، وهذا ما دعا إلى أن تستقيل وزارة الحزب. وأخذ الوضع يزداد حرجاً في الهند نتيجة أحداث الحرب، وخاصةً عندما دخلت اليابان الحرب، واحتلّت أندونيسيا، والهند الصينية، وبورما، واقتربت من حدود الهند، فأعلنت انكلترا أنها ستعطي الهند الاستقلال بعد الحرب مباشرةً، ورحّب حزب المؤتمر بهذا الإعلان، وطالب باستلام الحكم.

قطع المسلمون كل أملٍ بإمكانية الاتحاد مع الهندوس في دولةٍ واحدةٍ، وأنه لا ضمان لهم على لغتهم، وثقافتهم، ودينهم، بل وحتى على حقوقهم الأولية إن بقي الحكم بيد الهندوس، وأن الإنكليز لن ينصفوهم أبداً، بل سيكونون ضدّهم وسيقفون بجانب الهنوس لذا لا بدّ من الانفصال عنهم، وكان هذا رأي حزب الرابطة الإسلامية، وكثير من أعيان الهند وعامتهم، على حين رأى بعض العلماء ضرورة البقاء مع الهندوس في إطارٍ واحدٍ لمصلحة الدعوة، والأقلية المسلمة التي ستبقى تحت حكم الهندوس، وذلك كما مرّ معنا.

وقد كثرت الاقتراحات حول مستقبل المسلمين في الهند، وكثرت المشروعات المتقدمة، ويكاد لا يوجد زعيم مسلم لم يُقدّم اقتراحاً، ولا

منظمة أو مؤسسة علمية إلا وأبدت رأياً، محمد إقبال، ومحمد علي جناح، وتشودري رحمة علي، وعبدالله هارون، وتشودري خليق الزمان وعبدالرحمٰن صديقي، واسكندر حيات خان، كلهم قدّموا مشروعات، وجامعة عليكرة، واتحاد الطلاب المسلمين في النبجاب قدّما مشروعين، وأبدى أبو الأعلى المودودي اقتراحات، وكلها تدور حول الاتحاد أو الانفصال التام، ويكاد يكون عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) هو عام هذه الاقتراحات والمشروعات، وإبداء الآراء وخاصة النصف الثاني منه بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية[1]. وكان بعض هذه المشروعات والاقتراحات يقتصر على انفصال المقاطعات التي يتألف سكانها من أكثريةٍ مسلمة على حين أن بعضها الآخر يضيف إليها شريطاً على نهر الغانج ليتصل غربي الهند بالبنغال في الشرق.

مؤتمر لاهور:

كان محمد إقبال قد دعا إلى تشكيل دولة باكستان والانفصال عن الهندوس، وذلك في رسالته إلى محمد علي جناح والمؤرخة في ١٨ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ (٢٨ أيار ١٩٣٧ م)، وتُوفي محمد إقبال في ٢١ صفر ١٣٥٧ هـ (٢١ نيسان ١٩٣٨ م)، وعُقد مؤتمر السند الإقليمي للرابطة الإسلامية في كراتشي برئاسة محمد علي جناح وقرّر في ١٦ شعبان ١٣٥٧ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٣٨ م) القرار الآتي:

«إن مؤتمر السند الإقليمي للرابطة الإسلامية يعتبر أن من الضروري كليةً من أجل سلامٍ دائمٍ في القارة الهندية الشاسعة، ومن أجل تطوّرٍ ثقافي ليس له ما يعوقه، ومن أجل الرقي الاقتصادي والاجتماعي وتقرير المصير السياسي للأمتين المعروفتين باسمي الهندوس والمسلمين، أن تُقسّم

---

(١) انظر هذه المشروعات والاقتراحات في «نشأة باكستان» شريف الدين بيرزاده، ترجمة عادل الصلاحي.

الهند إلى اتحادين، على أن يكون ثمة اتحاد للدول الإسلامية، واتحاد للدول غير الإسلامية.

وعلى هذا فإن المؤتمر يتقدم بتوصيةٍ إلى الرابطة الإسلامية لعموم الهند أن تعدّ مشروع دستور يمكن بموجبه للأقاليم ذات الأغلبية الإسلامية، وللدول الإسلامية الوطنية، وللمناطق التي تقطنها أغلبية إسلامية، أن تحصل على الاستقلال الكامل في صورة اتحادٍ قاصرٍ عليها مع إمكانية انضمام أية دولة إسلامية خارج حدود الهند إلى هذا الاتحاد. وأن يكفل الدستور ضمانات للأقليات غير المسلمة مماثلة للضمانات التي يُقرّ بها للأقليات الإسلامية في الاتحاد الهندي غير الإسلامي»[1].

دعا حزب الرابطة إلى عقد مؤتمر في مدينة «لاهور» وقد عُقد المؤتمر، ولقد أقرّت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند في اجتماعها الذي عقدته في **٥** صفر **١٣٥٨** هـ (**٢٦** آذار **١٩٣٩** م) في قلعة مصطفى، في ميروت القرار الآتي:

«بما أن الرابطة الإسلامية لعموم الهند تُعارض مشروع الاتحاد الذي تضمنه قرار حكومة الهند لعام (**١٩٣٥** م)، ونظراً لأن الجزء الإقليمي من الدستور قد أوجد مخاوف كبيرة لدى المسلمين والأقليات الأخرى فيما يتعلق بمستقبلهم، حيث أن المشروع الإقليمي قد قصر كليةً عن ضمان أدنى الحقوق المبدئية للأقليات الإسلامية في الأقاليم المختلفة، وبما أن رئيس الرابطة الإسلامية لعموم الهند قد فوّض بقرار اتخذ في دورة «باتنا» في (كانون الأول **١٩٣٨** م) باتخاذ الإجراءات الضرورية من أجل تمحيص إمكانية إيجاد بديل مناسب يحفظ مصالح المسلمين والأقليات الأخرى فإن رئيس الرابطة يُعيّن بالاتفاق مع اللجنة العاملة لجنةً مُؤلّفةً من السادة الواردة أسماؤهم أدناه للنظر في المشروعات المختلفة التي عرضها أشخاص ذوي

---

(١) نشأة باكستان. شريف الدين بيرزاده.

معرفةٍ كاملةٍ بالتطورات الدستورية في الهند والبلاد الأخرى، والمشروعات التي يمكن أن تُقدّم للرئيس فيها، ثم تقدّم تقريراً للجنة العاملة عن نتائج عملها في وقت مبكر:

١ ــ محمد علي جناح رئيساً	٥ ــ عبدالله هارون
٢ ــ اسكندر حيات خان	٦ ــ خ. نظيم الدين
٣ ــ نواب محمد إسماعيل خان صاحب	٧ ــ عبدالمتين تشودري صاحب
	٨ ــ أورا نغزيب صاحب
٤ ــ عبدالعزيز صاحب	٩ ــ نواب زاده ليقات علي خان صاحب

وتأكّد ذلك في الاجتماع الذي عقده مجلس الرابطة الإسلامية لعموم الهنـد في دهلي الجديـدة في ١٨ صفـر ١٣٥٨ هـ (٨ نيسـان ١٩٣٩ م) وكذلك في اجتماع المجلس الذي عقد في ١٢ رجب ١٣٥٨ هـ (٢٧ آب ١٩٣٩ م) واجتماع اللجنة العاملة الذي عُقد في ٣، ٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (١٧، ١٨ أيلول ١٩٣٩ م) وفي ٩ رمضـان ١٣٥٨ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩ م) مع إعلان صارم بأن الهند المسلمة: «تُعارض معارضةً مطلقةً لا يمكن الرجوع عنها أي «هدف اتحادي» يُؤدّي بالضرورة إلى حكم طائفة الأغلبية تحت قناع من الديمقراطية، ونظام حكم نيابي. فمثل هذا الدستور لا يناسب إطلاقاً سجية شعوب هذه البلاد التي تتألف من قوميات متعددة، ولا تُشكّل دولةً قوميـةً».

وعقدت اجتماعات في مطلع عـام ١٣٥٩ هـ (شباط ١٩٤٠ م) للجنة العاملة ولمجلس الرابطة لعموم الهند في دهلي وجرت دراسة جادة لمسألة تخصيص موطن منفصل للمسلمين، وتقرر اقتراح ذلك رسمياً في الدورة المفتوحة المقرر عقدها في صفر ١٣٥٩ هـ (آذار ١٩٤٠ م).

تمّ في الاجتماع الذي عقدته اللجنة العاملة في ١٢ صفر ١٣٥٩ هـ (٢١ آذار ١٩٤٠ م) تعيين لجنة خاصة لصياغة مشروع القرار الشهير بقـرار لاهور، وكان من أعضائها محمد علي جناح، واسكندر حيات خان.

«أعدت اللجنة مشروع قرار حول المستقبل الدستوري في الهند لتقديمه إلى لجنة الموضوعات» وبعد مناقشات وبحوث طويلة تبنّت لجنة الموضوعات مشروع القرار، وقد أعلن محمد علي جناح المسوّغات له في خطابه، ومما جاء فيه:

أ - «إن مشكلة الهند ليست مشكلة جاليات وطوائف، ولكن من الواضح أنها مشكلة أمم ومن الواجب معالجتها على هذا الأساس».

ب - «إن الهندوس والمسلمين قومان ينتسبان إلى فلسفتين دينيتين مختلفتين، وإن لهما أدب وعادات اجتماعية متباينة. وإن ربط مثل هاتين الأمتين معاً في دولةٍ واحدة حيث تكون إحداهما من حيث العدد أقلية، وتكون الأخرى غالبية سيُؤدّي حتماً إلى سخطٍ متزايدٍ، ويُؤدّي في النهاية إلى تحطيم أية صورةٍ تبنى على هذه الشاكلة لحكومة هذه الدولة».

ج - «إن المسلمين ليسوا أقليةً بالمعنى الشائع لهذه الكلمة أو الذي يفهم منها عامةً».

د - «إن المسلمين أمة وحدهم حسب أي تعريفٍ للأمة، ولا بدّ من أن يكون لهم موطنهم، وأراضيهم ودولتهم».

وفي ١٤ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٠ م) طرح القرار التالي في الدورة المفتوحة للرابطة الإسلامية لعموم الهند:

«تصديقاً وتأكيداً لما اتخذه كل من مجلس الرابطة الإسلامية لعموم الهند ولجنتها العاملة من إجراءات موضحة في قراراتها المؤرخة في ١٢ رجب ١٣٥٨ هـ (٢٧ آب ١٩٣٩ م) وفي ٣، ٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (١٧، ١٨ أيلول ١٩٣٩ م) وفي ٩ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩ م) وفي ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٨ هـ (٣ شباط ١٩٤٠ م) حول قضية الدستور، فإن هذه الدورة للرابطة الإسلامية لعموم الهند تعود فتؤكد تأكيداً جازماً أن مشروع الاتحاد الذي تضمنه قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م) لا يتفق

إطلاقاً مع أوضاع الهند الخاصة، ولا يمكن تطبيقه فيها، وهو غير مقبول قط لدى الهند المسلمة.

«وهي تُسجّل رأيها القاطع كذلك بأنه على الرغم من أن التصريح الذي أعلنه نائب الملك بالنيابة عن حُكومة صاحب الجلالة في ٥ رمضان ١٣٥٨ هـ (١٨ تشرين الأول ١٩٣٩ م) مطمئن لكونه يعلن أنه سيعاد النظر في السياسة والخطة التي بني عليهما قرار حكومة الهند لعام (١٩٣٥ م)، وذلك بالتشاور مع الأحزاب والمصالح المختلفة في الهند، فإن الهند المسلمة لن ترضى إلا بإعادة النظر من جديد في الخطة الدستورية كلها، وأن المسلمين لن يقبلوا بأية خطّةٍ مُعدّلةٍ إلا إذا تمّ وضعها بموافقتهم وإقرارهم ابتداءً.

تقرر أن الرأي العام لهذه الدورة للرابطة الإسلامية لعموم الهند هو أنه ما من خطةٍ دستوريةٍ يمكن أن تُطبّق في هذه البلاد، أو يمكن للمسلمين أن يقبلوها إلا إذا أعدت وفق المبادىء الجوهرية التالية: إن الوحدات المتصلة جغرافياً يجب أن تحدد ضمن أقاليم تشكل بعد إدخال التعديلات الضرورية في حدودها بحيث تجمع المناطق ذات الأغلبية العددية الإسلامية كأقاليم شمال غربي وشرقي الهند لتكون «دولاً مستقلةً» تتمتع الوحدات المكونة لها بحكم ذاتي وسيادة.

يجب أن يتضمّن الدستور ضمانات كافية وفعالة ومفوض بها، وذلك من أجل الأقليات الموجودة في هذه الوحدات والأقاليم، ولحماية حقوقها ومصالحها الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية وما إليها، وذلك بالتشاور مع هذه الأقليات. أما في بقية مناطق الهند حيث يكون المسلمون أقليةً فيجب أن نُحدّد في الدستور ضمانات كافية وفعالة ومفوض بها، وذلك من أجل المسلمين والأقليات الأخرى، ولحماية حقوقهم ومصالحهم الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية وما إليها، وذلك بالتشاور معهم.

إن هذه الدورة تُفوّض اللجنة العاملة كذلك بصياغة مشروع دستورٍ

وفق هذه المبادىء الجوهرية، يقضي بأن يتسلّم كل إقليمٍ في النهاية جميع السلطات كالدفاع والخارجية والمواصلات والجمارك وبقية الأمور الضرورية الأخرى»[1].

وهذا القرار يُعرف بـ «قرار لاهور» أو «قرار باكستان»، ولَمّا طرحه في (٢٣ آذار) لـذا يُعدّ هذا اليوم العيد الوطني في باكستان، ويحتفل به كل عام.

مقترحات كريبس[2]:

دخـل اليابـانيون «سنغـافورة» في ٢٩ محـرم ١٣٦١ هـ (١٥ شبـاط ١٩٤٢ م)، وأخذوا بالتقدم في جنوب شرقي آسيا نحو الغرب، فتساقطت أمامهم البلدان بسرعة إذ احتلّوا «رانغون» عـاصمة بـورما في (١٩ صفـر ١٣٦١ هـ (٧ آذار ١٩٤٢ م)، فذعر البريطانيـون، وأعلن تشرشـل في ٤ ربيع الأول ١٣٦١ هـ (٢١ آذار ١٩٤٢ م) أن كريبس سيسـافر فـوراً إلى الهند، ووصل فعلاً إلى دهلي بعد يومين أي في (٢٣ آذار) في الذكرى الثانية لقرار لاهور، فصرح:

«إن حكومة صاحب الجلالة تتقدم بالتصريحات الآتية:

١ ــ تتخذ مجرد أن تتوقّف الحرب، الخطوات اللازمة لكي تقام في الهند، على النمط المشروع فيما بعد، هيئة منتخبة تُكلّف بمهمة صياغة دستورٍ جديدٍ للهند.

---

(١) قرارات الرابطة الإسلامية ص ٤٧.

(٢) كريبس: هو ريتشارد ستافورد كريبس: قسيس سياسي لعب دوراً كبيراً في تشكيل حركة العمال الاشتراكية البريطانية. شغل منصب سفير بريطانيا في موسكو، وتسلّم منصب وزير المالية في وزارة الحرب التي كانت برئـاسة تشـرشل أثنـاء الحرب العالمية الثانية، وزار الهند والتقى بمحمد علي جناح، وغاندي، وأصبح بعـدها حامل الأختام الملكية، ورئيس مجلس العموم.

ب ـ تتخذ ـ حسب ما هو مشروح أدناه ـ الخطوات اللازمة لاشتراك الدول الهندية في الهيئة واضعة الدستور.

ج ـ تتعهد حكومة صاحب الجلالة بقبول وتنفيذ الدستور الموضوع بهذه الطريقة فوراً، واضعة الشروط الآتية فحسب:

١" ـ يحق لكل إقليمٍ من أقاليم الهند البريطانية غير مستعد لقبول الدستور الجديد بالاحتفاظ بوضعه الدستوري الحالي، على أن يُنَصّ على إمكانية التحاقه بالاتحاد فيما بعد، إن أراد ذلك.

في حالة وجود أقاليم لا تنضمّ للاتحاد فإن حكومة صاحب الجلالة مستعدة للموافقة على دستور جديدٍ يعطيها الوضعية الكاملة نفسها التي للاتحاد الهندي، ويتوصّل إلى وضعه بطريقةٍ مماثلةٍ للطريقة، الواردة هنا، هذا في حالة إبداء هذه الأقاليم رغبتها في هذا الأمر.

٢" ـ توقيع معاهدة تتفاوض بشأنها حكومة صاحب الجلالة مع الهيئة المكلفة بوضع الدستور، على أن تُغطّي هذه المعاهدة كافة الأمور الضرورية التي تنجم عن النقل الكامل للمسؤولية من يد بريطانيا إلى أيدٍ هنديةٍ. وسوف تنصّ هذه المعاهدة على حماية الأقليات الدينية والعنصرية حسب التعهدات التي قطعتها حكومة صاحب الجلالة، إلا أنها لن تفرض أية قيود على حق الاتحاد الهندي في أن يقرر في المستقبل نوع العلاقة التي تربطه بالدول الأخرى الأعضاء في رابطة الشعوب البريطانية.

٣" ـ سواء أقررت أية من الدول الهندية أن تلتزم بالدستور أم لا فإنه من الضرورة المفاوضة من أجل إعادة النظر في ترتيبات معاهدتها بالدرجة التي يقتضيها الوضع الجديد.

د ـ تشكل الهيئة التي تضع الدستور على الشكل التالي إلا إذا ما اتفق قادة الرأي الهندي في الجاليات والطوائف الرئيسية على طريقةٍ أخرى قبل انتهاء الحرب.

مجرد إعلان نتائج الانتخابات النيابية التي يجب أن تجري عند نهاية الحرب، فإن جميع أعضاء المجالس الدنيا للهيئات التشريعية الإقليمية تنتقل بوصفها هيئةً انتخابيةً واحدةً لانتخاب الهيئة التي تضع الدستور بطريقة التمثيل النسبي، وسوف تعادل هذه الهيئة من حيث العدد عشر عدد أعضاء الهيئة الانتخابية.

تدعى الدول الهندية لتعيين ممثليها بنسبة عدد سكانها على أن تكون هذه النسبة مثل نسبة ممثلي الهند البريطانية عامة، ويكون لممثلي الدول الهندية الصلاحيات نفسها التي للأعضاء الممثلين للهند البريطانية.

هـ ـ في المرحلة الحرجة التي تواجه الهند الآن وإلى أن يمكن وضع الدستور الجديد فإنه من الحتمي على حكومة صاحب الجلالة أن تتحمل مسؤولية إدارة وتوجيه الدفاع الهندي، وتحتفظ بها كجزء من جهودها في الحرب العالمية، إلا أن مسؤولية تنظيم ثروات الهند العسكرية والمادية والأدبية تنظيماً كاملاً تقع على عاتق حكومة الهند متعاونةً في ذلك مع الشعوب الهندية، إن حكومة صاحب الجلالة تدعو زعماء القطاعات الرئيسية من الشعب الهندي سواء في مجالس بلادهم أو في رابطة الشعوب البريطانية، أو الأمم المتحدة للمشاركة مشاركةً فوريةً وفعّالةً، وبذلك يستطيعون أن يقدموا معونةً إيجابيةً وبناءةً في أداء واجبٍ حيويٍ وضروري من أجل حرية الهند في المستقبل وفي اليوم التالي شرح كريبس هذه المقترحات بالإذاعة.

أعلنت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند بقرارها الذي اتخذته في **٢٥** ربيع الأول **١٣٦١** هـ (**١١** نيسان **١٩٤٢** م)، أن الرابطة لا تقبل هذه المقترحات بالصورة التي وردت بها، ولكنها في الوقت نفسه عبرت عن «امتنانها للاعتراف بإمكانية قيام باكستان ضمناً وذلك بالنص على إمكانية قيام اتحادين أو أكثر في الهند».

فكرة آرسي[1]:

رفض في البداية قرار لاهور في تقسيم الهند، وقال عنه: «إن هذا القرار يقسم الوليد إلى نصفين» ثم عاد وأيّده، وألقى كلمةً في دورة لجنة حـزب المؤتمـر لعمـوم الهنـد، وألـحّ على الاعتـراف بحق المسلمين بالانفصال، وطرح رأيه على التصويت في ١٦ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ (٢ أيار ١٩٤٢ م) فرفض المؤتمر القرار بأغلبية ١٢٠ صوتاً ضد ١٥ صوتـاً. وقام (جاڠات نارايين لال) بطرح قرار مناقض تمّ إقراره بأغلبية ٩٢ صوتاً ضد ١٧ صوتاً، ويعلن هذا القرار: «أن أي اقتراح يهدف إلى تجزئة الهند بطريقة إعطاء الحرية للدول أو الوحدات الإقليمية التي تشكلها بالانفصال عن الاتحاد الهندي يشكل خطراً كبيراً على خير مصالح الشعب في الدول والأقاليم المختلفة، وفي البلاد عامة، ولذلك فإن حزب المؤتمر لا يمكن أن يوافق على مثل هذا الاقتراح».

استقال آرسي من حزب المؤتمر، وتبعه سبعة من زملائه وذلك في اجتماع أفراد الهيئة التشريعية الإقليمية من أعضاء حزب المؤتمر الذي عقد في ٢ رجب ١٣٦١ هـ (١٥ تمـوز ١٩٤٢ م) وذلك ليـواصل مسعـاه في التقسيم، واتصـل آرسي بغانـدي، وهـو في السجن، وحصـل منـه على الموافقة على هذه الفكرة وفيما يلي نص هذه الفكرة:

«أساساً لقواعد التسوية بين حزب المؤتمر الهندي، والرابطة الإسلامية لعموم الهند، يوافق عليها كل من غاندي، ومحمد علي جناح، ويسعيان للحصول على موافقة كل من المؤتمر والرابطة عليها».

١" ـ تؤيد الرابطة الإسلامية المطلب الهنـدي في الاستقلال بعـد

---

(١) آرسي: لقب لـ (تشاكر أفارتي راجاجو بلا تشاري) عضو اللجنة العاملة لعموم الهند في حزب المؤتمر، له علاقة وثيقة بغاندي، وابنته زوج ابن غاندي، أحد قادة حزب المؤتمر، رئيس وزراء مدراس، وحاكم عام الهند بعد لورد مانتباتن.

ضمان الشروط الواردة أدناه والمتعلقة بدستور الهند الحرة، وتتعاون مع حزب المؤتمر في تشكيل حكومة موقتة للمرحلة الانتقالية.

٢" ـ تعيّن بعد نهاية الحرب لجنة من أجل تخطيط المناطق المتجاورة في شمال غربي الهند وفي شرقيها، والتي يُشكل المواطنون المسلمون أغلبيةً مطلقةً، ثم يجري في المناطق التي تخطط بهذا الشكل استفتاء للمواطنين على أساس تصويت البالغين أو أي امتياز عملي آخر تتقرر بموجبه قضية الانفصال عن هندستان. وإذا ما صوتت الأغلبية إلى جانب إقامة دولة ذات سيادة منفصلة عن هندستان، فإن هذا القرار سيُطبّق من دون إجحاف بحق المناطق الواقعة على الحدود في الاختيار بالانضمام إلى أي من الدولتين.

٣" ـ يعطى جميع الفرقاء الحق بالدفاع عن وجهات نظرهم قبل إجراء الاستفتاء.

٤" ـ في حالة الانفصال تعقد اتفاقيات متبادلة من أجل ضمان الدفاع والتجارة والمواصلات والأغراض الضرورية الأخرى.

٥" ـ إن أي تبادلٍ في السكان يجب أن يتمّ على أساسٍ واحدٍ فقط وهو الاختيار الشخصي البحت.

٦" ـ لا يلتزم بهذه الشروط إلا في حالة نقل بريطانيا كافة السلطات والمسؤوليات لحكم الهند إلى أهلها.

فكرة غاندي:

كان غاندي ضد فكرة التقسيم، ورغبته أن يبقى المسلمون تحت سيطرة الهندوس، ولكن عندما اشتدت حماسة المسلمين بالمطالبة بالانفصال عن الهندوس والاستقلال أظهر غاندي شيئاً من اللين لعله يركب الموجة ثم ينحرف بركاب السفينة.

جرت لقاءات بين محمد عليْ جناح وغاندي استمرت ثمانية عشر

يوماً من ١٢ رمضان ١٣٦٣ ـ ٣٠ رمضان ١٣٦٣ هـ (٩ أيلول ١٩٤٤ ـ ٢٧ أيلول ١٩٤٤ م)، وقد تَمّ خلال هذه المدة أربعة عشر لقاءً، وقد اقترح غاندي يوم ٢٧ رمضان ما يأتي:

«تقوم بتخطيط هذه المناطق لجنة يوافق عليها كل من حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية، ويجب التحقق من رغبات مواطني هذه المناطق المخططة بواسطة تصويت البالغين من أهاليها أو بوسيلةٍ مماثلةٍ.

إذا كان التصويت بجانب الانفصال، فيتمّ الاتفاق على أن تشكل هذه المناطق دولةً منفصلةً في أقرب وقتٍ ممكن بعد أن تصبح الهند حرة من الحكم الأجنبي، ويصبح من الممكن على هذا أن تقسم إلى دولتين مستقلتين ذواتي سيادة.

تعقد معاهدة انفصال تنصّ على قيام إدارةٍ نشيطةٍ ووافيةٍ لشؤون الخارجية، والدفاع، والمواصلات الداخلية، والجمارك، والتجارة، وما إليها من أمورٍ ستظلّ حتماً ذات مصلحة عامة للفريقين المتعاهدين، وتتضمن المعاهدة كذلك نصوصاً من أجل حماية حقوق الأقليات في كلتا الدولتين.

تتفق الرابطة والمؤتمر مجرد قبولهما هذه الاتفاقية على خطة عملٍ مشتركة لتحقيق استقلال الهند.

يظلّ من حقّ الرابطة ـ على أية حال ـ أن تبقى بعيدةً عن أي عمل مباشر يلجأ إليه المؤتمر، ولا يكون للرابطة رغبة في المشاركة فيه[1].

ولكن غاندي لم يكن موافقاً على التقسيم ورغبته بالسيطرة ماثلة أمام عينيه، وعندما قابله أبو الكلام أزاد في ٩ جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٣١ آذار ١٩٤٧ م) وسأله عن رأيه في التقسيم، أجاب، وهو يعلم أن أبا الكلام أزاد ضد التقسيم: لئن أراد حزب المؤتمر أن يقبل بالتقسيم فإن قبوله لن يكون إلا على جثتي، وإنني لن أقبل بتقسيم الهند ما دمت حياً، وإنني لم

(١) محادثات جناح ـ غاندي ص ٨٧.

أسمح للمؤتمر بقبوله ما وجدت إلى ذلك سبيلاً»[1]. وفي المجلس العام لحزب المؤتمر لعموم الهند الذي عقد في رجب ١٣٦٦ هـ وقرّر تقسيم الهند أيّد غاندي ذلك بحماسة.

البعثة الوزارية:

أخفق كريبس في مقترحاته عام ١٣٦١ هـ (١٩٤١ م)، وفشل محمد علي جناح وغاندي في محادثاتهما ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وقابل نائب الملك اللورد وافيل زعماء الهند فلم ينجح في مهمته، فاستدعي إلى لندن فسافر إليها في ٩ ربيع الثاني ١٣٦٤ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٥ م)، وأعلن وزير الدولة لشؤون الهند في مجلس العموم البريطاني أن الغرض من مقترحات كريبس ما زال قائماً. وجرت مراسلات بين نائب الملك وزعماء الهند، ثم عقد مؤتمر الزعماء في (سيملا) في رجب ١٣٦٤ هـ (حزيران ١٩٤٥ م) حضره واحد وعشرون عضواً، ولم يتخلف سوى غاندي. وأعلن في ٤ شعبان ١٣٦٤ هـ (١٤ تموز ١٩٤٥ م) فشل المؤتمر رسمياً، إذ رفض حزب المؤتمر الاشتراك في وزارة ائتلافية، ووافقت الرابطة، فشكل نائب الملك حكومة من الموظفين.

أعلن نائب الملك اللورد وافيل في ١٣ رمضان ١٣٦٤ هـ (٢١ آب ١٩٤٥ م) أنه قرر إجراء انتخابات عامة للجمعيات الوطنية الإقليمية والمركزية في أقرب وقتٍ ممكنٍ، وذلك بعد مشاورات أجراها مع حكومة صاحب الجلالة ومع الحكومات الإقليمية. كما أعلن بنفسه عن سفره إلى لندن لمقابلة الحكومة العمالية الجديدة بناءً على رغبتها. وسافر، ورجع في ١٢ شوال ١٣٦٤ هـ (١٩ أيلول ١٩٤٥ م) وصدق موضوع الانتخابات، وأنه سيتشاور مع الممثلين الجمعيات الوطنية.

جرت الانتخابات العامة وأُعلنت نتائجها في ٢٨ محرم ١٣٦٥ هـ (الأول

---

(١) الهند تفوز بحريتها ص ١٨٦.

من كانون الثاني ١٩٤٦ م) وقد فازت الرابطة فوزاً ساحقاً في المناطق الإسلامية إذ حصلت على ٥٠٢ مقعد من أصل ٥٦٠ مقعداً، وهي المقاعد المخصصة للمسلمين، ومعنى ذلك أن المسلمين يصرّون على إقامة دولة باكستان.

وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ (١٩ شباط ١٩٤٦ م) أعلن عن تشكيل لجنة وزارية تتألف من:

١ ــ بثيك لورنس: وزير الدولة لشؤون الهند.
٢ ــ ستافورد كريبس: رئيس مجلس التجارة.
٣ ــ ألبرت ألكسندر: القائد الأعلى للبحرية.

ومهمة هذه اللجنة السفر إلى الهند وإجراء مباحثات مع الزعماء الهنود.

وصلت اللجنة إلى «كراتشي» في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٦ م)، وقد أجرت محادثات استطلاعية مع نائب الملك، ومع أعضاء المجلس التنفيذي، ومع الزعماء الهنود.

رأت اللجنة ضرورة وضع دستور الهند المقبل، وإقامة حكومة موقتة لتقوم على إدارة الهند حتى يقرّ الدستور، وادعت أن الشعب باستثناء الرابطة الإسلامية يرغب في وحدة الهند، وقالت: إن خوف المسلمين من ضياعهم في الأكثرية جعلنا نبحث موضوع استقلال باكستان، وأنها ستشمل منطقتين: إحداهما في الشمال الغربي، وتتألّف من أقاليم البنجاب، والسند، والحدد الشمالية الغربية، وبالوشستان، والثانية في الشمال الشرقي وتتألف من إقليمي البنغال وأسام. وأبدت نظرها في إمكانية تعديل الحدود.

ونشرت اللجنة نسبة المسلمين في الأقاليم الستة، وجاءت كما يلي:

الإقليم	عدد السكان	عدد المسلمين	عدد غير المسلمين	نسبة المسلمين٪
البنجاب	٢٨,٤١٨,٨١٩	١٦,٢١٧,٢٤٢	١٢,٢٠١,٥٧٧	٥٧,٠٦
السند	٤,٥٣٥,٠٠٨	٣,٢٠٨,٣٢٥	١,٣٢٦,٦٨٣	٧٠,٧٤
الشمالية الغربية	٣,٠٣٨,٠٦٧	٢,٧٨٨,٧٩٧	٢٤٩,٢٧٠	٩١,٧٩
بالوشستان	٥٠١,٦٣١	٤٣٨,٩٣٠	٦٢,٧٠١	٨٧,٥٠
المجموع	٣٦,٤٩٣,٥٢٥	٢٢,٦٥٣,٢٩٤[1]	١٣,٨٤٠,٢٣١	٦٢,٠٧
البنغال	٦٠,٣٠٦,٥٢٥	٣٣,٠٠٥,٤٣٤	٢٧,٣٠١,٠٩١	٥٤,٧٢
أسام	١٠,٢٠٤,٧٣٣	٣,٤٤٢,٤٧٩	٦,٧٦٢,٢٥٤	٣٣,٧٣
المجموع	٧٠,٥١١,٢٥٨	٣٦,٤٤٧,٩١٣	٣٤,٠٦٣,٣٤٥	٥١,٦٩

أما بقية الأقليات المسلمة في بقية أنحاء الهند البريطانية فيعدون حوالي عشرين مليوناً متفرقين بين بقية المواطنين الذين يبلغ عددهم الكلي ١٨٨ مليوناً.

إن هذه تبيّن أن إقامة دولة باكستان منفصلةً وذات سيادةٍ على الأسس التي تطالب بها الرابطة الإسلامية لن تحلّ مشكلة الأقليات. ولسنا نرى ثمة ما يبرر أن تضمّ دولة باكستان ذات السيادة على تلك المناطق من البنجاب والبنغال وأسام حيث تكون أغلبية السكان من غير المسلمين. إن أية حجة يمكن استخدامها من أجلِ قيام باكستان يمكن - في رأينا - أن تستخدم كذلك، وبالقوة نفسها، من أجل فصل المناطق غير الإسلامية عن باكستان. وإن هذه النقطة تُؤثّر بشكل خاص على وضع السيخ.

لهذا بحثت اللجنة إمكانية قيام باكستان على نطاقٍ أصغر، حيث يخرج منها: إقليم أسام كله باستثناء منطقة (سيلهت)، والبنغال الغربية

(١) يزيد عدد المسلمين على هذا الرقم حيث كان الرقم قريباً من ٢٥ مليوناً، حيث أن نسبتهم تزيد على ١٢٪ بينما حسب هذا الإحصاء تبلغ ١٠,٦٢٪.

وتضم مدينة كلكتا حيث لا تزيد نسبة المسلمين فيها على ٢٣,٦٪ من مجموع السكان. وقطاعي (أمبالا) و (جولوندور) في البنجاب، وهذا الأمر لا توافق عليه الرابطة الإسلامية.

هذا إضافةً إلى وجود اعتبارات إدارية واقتصادية وعسكرية لها وزنها. مع ملاحظة وجود مسافة بين جزئي باكستان تزيد على سبعمائة ميل، وقد أوصت اللجنة بأن يتخذ الدستور الصورة الأساسية الآتية:

أولاً: يجب أن يُقام اتحاد هندي يضم الهند البريطانية والدول كذلك، ويضطلع بالموضوعات الآتية: الشؤون الخارجية، الدفاع، المواصلات، وتكون له الصلاحيات الضرورية لجمع الموارد المالية التي تتطلبها هذه الموضوعات.

ثانياً: يكون للاتحاد هيئة تنفيذية وأخرى تشريعية تتألف من ممثلين للهند البريطانية والدول كذلك. وإن أية مسألة تثير قضية طائفة كبيرة في الهيئة التشريعية تتطلب لاتخاذ قرار بشأنها أغلبية الممثلين الحاضرين، وتصويت كلا الجاليتين الرئيسيتين على هذه، كما تتطلب أغلبية الأعضاء الحاضرين والمصوتين.

ثالثاً: تبقى جميع الموضوعات غير موضوعات الاتحاد، وجميع السلطات والصلاحيات المتبقية عنه في أيدي الأقاليم.

رابعاً: تحتفظ الدول بالموضوعات والسلطات والصلاحيات كافةً غير تلك التي تتخلّى عنها للاتحاد.

خامساً: تبقى الأقاليم حرةً في تكوين مجموعات ذات هيئات تنفيذية وتشريعية، وتستطيع كل مجموعة أن تحدد الموضوعات الإقليمية التي ستشترك فيها معاً.

سادساً: يجب أن ينص دستور الاتحاد ودساتير المجموعات على أن من حق كل إقليم باتفاق أغلبية أعضاء جمعيته الوطنية التشريعية أن يدعو

إلى إعادة النظر في نصوص الدستور وذلك بعد مدة مبدئية قدرها عشر سنوات، وبعد كل عشر سنوات تالية.

وذكرت اللجنة أن ليس من هدفها إقامة دستور وإنما إقامة الجهاز الذي يضع دستوراً جديداً يقوم بوضعه الهنود من أجل الهنود...

والمجموعتان الرئيسيتان لا يمكن أن تشتركا في جهاز لوضع الدستور، والدستور يجب وضعه بسرعة، والانتخابات هي الوسيلة الصحيحة لوضع دستور مقبولٍ، والانتخابات تحتاج إلى مدة، والطريقة العملية هي اللجوء إلى الجمعيات الوطنية التي انتخبت حديثاً، ولكنها لم تمثل تمثيلاً صحيحاً وأعطت اللجنة أمثلةً لذلك أن عدد أعضاء الجمعية الوطنية لإقليم (أسام) هو ١٠٨ أعضاء وأن سكان هذا الإقليم هو عشرة ملايين، على حين أن عدد سكان البنغال هو ستة أضعاف سكان (أسام) أي ستين مليوناً بينما عدد أعضاء جمعيتها الوطنية هو ٢٥٠ عضواً أي ضعفين وثلث عدد أعضاء جمعية أسام. وكذلك الوزن الذي أُعطي للأقليات، وهو يختلف بين جهةٍ وأخرى حسبما أُعطيت الطائفة فقد أعطي المسلمون مثلاً ٤٨٪ من الجمعية الوطنية البنغالية على حين يُشكّلون ٥٥٪ من مجموع سكان الإقليم، ولذلك اقترحت اللجنة ما يأتي:

أ ـ يعطى كل إقليم عدداً كلياً من المقاعد يتناسب مع عدد سكانه، بنسبة مئوية قدرها مقعد واحد لكل مليون مواطن، كأقرب بديل للتمثيل بطريقة تصويت البالغين.

ب ـ تقسيم هذا العدد من المقاعد المخصصة للأقاليم بين الجاليات الرئيسية فيه بنسبة عدد أبنائها.

ج ـ النص على أن ينتخب ممثلو كل جالية في الإقليم من أعضاء تلك الجالية في الجمعية الوطنية التشريعية وحدهم.

ورأت كذلك أن يكتفى بثلاث طوائف رئيسية في الهند، وهي:

الهندوس (العامة)، والمسلمون، والسيخ، على أن تشمل الطائفة العامة كل من كان غير مسلم، وغير سيخ. وتُمثّل الأقليات الصغيرة في المسائل ذات الأهمية الخاصة للأقليات.

أولاً: اقترحت اللجنة أن تقوم كل جمعية وطنية تشريعية إقليمية بانتخاب العدد الوارد أدناه من الممثلين، على أن ينتخب كل قسم من الجمعية الوطنية (العام - المسلم - السيخ) ممثليه الخاصين بطريقة التمثيل النسبي، على أساس صوت واحد قابل للتحويل.

القسم (أ)	الإقليم	العام	المسلمون	السيخ	المجموع
	مدراس	٤٥	٤	-	٤٩
	بومباي	١٩	٢	-	٢١
	الأقاليم المتحدة	٤٧	٨	-	٥٥
	بيهار	٣١	٥	-	٣٦
	الأقاليم المركزية	١٦	١	-	١٧
	أوريسا	٩	-	-	٩
القسم (ب)	البنجاب	٨	١٦	٤	٢٨
	الشمال الغربي	-	٣	-	٣
	السند	١	٣	-	٤
القسم (ج)	البنغال	٢٧	٣٣	-	٦٠
	أسام	٧	٣	-	١٠
		٢١٠	٧٨	٤	٢٩٢
ثانياً:	ممثلو الدول الهندية				٩٣
					٣٨٥
ملاحظة: من أجل تمثيل الأقاليم التابعة للمفوض العام يضاف إلى:					

القسم (أ) العضو الممثل لدلهي في الجمعية الوطنية التشريعية	١
العضو الممثل لأجمر ـ مروارا	١
العضو الممثل لكورج	١
القسم (ب) العضو الممثل عن بالوشستان	١
	٣٨٩

ثالثاً: يجتمع الممثلون المختارون بهذه الطريقة في دلهي الجديدة في أول فرصةٍ ممكنةٍ.

رابعاً: ويعقد اجتماع تمهيـدي يتقـرر فيه النظام العام لسير العمل، وينتخب فيه رئيس المجلس وبقية موظفيه، كما يتم تشكيل لجنة استشارية خاصة بحقوق المواطنين والأقليات والمناطق القبليـة والمناطق المستثنـاة. وبعد هذا ينقسم الممثلون الإقليميون إلى الأقسام الثلاثة المبينة سابقاً.

خامساً: تقوم هذه الأقسـام بتقرير الدساتير الإقليميـة التي يتضمنها كل قسم، وتقرر كذلك ما إذا كان سيوضع دستور جماعي لمجموعة هذه الأقاليم، كما تقرر في حالة وضع مثل هذا الـدستور المـوضوعـات التي ستكون من اختصاص المجموعة، ويجب أن تتمتع الأقاليم بحقّ الانفصال عن المجموعة وذلك بمقتضى النصوص الواردة في الثامنة أدناه.

سادساً: يجتمع ممثلـو الأقسام الثلاثة بعد ذلك ومعهم ممثلـو الدول الهندية من أجل وضع دستور الاتحاد.

سابعاً: أي قرارٍ يرد في المجلس التأسيسي الاتحادي، من شأنه أن يغير المطالب الرئيسية أو يثير أية قضيةٍ طائفيةٍ كبيرةٍ يتطلب موافقة أغلب النواب الحاضرين، وتصويت الجاليتين الرئيسيتين كلاً على حدة.

يبتّ رئيس المجلس التأسيسي في أي من القرارات يثير قضيةً طائفيةً كبيرةً، كما يقوم بناءً على طلب من أغلبية نواب أي من الجاليتين الرئيسيتين باستشارة المحكمة الاتحادية قبل أن يبتّ برأيه في الموضوع.

ثامناً: بعد أن توضع الترتيبات الدستورية الجديدة موضع التنفيذ يصبح من حق كل إقليم أن يقرر الخروج من المجموعة التي وضع فيها. ويمكن اتخاذ هذا القرار بواسطة الجمعية التشريعية الخاصة بالإقليم بعد إجراء الانتخابات العامة الأولى في ظلّ الدستور الجديد.

يقوم سعادة نائب الملك بالطلب من الهيئات التشريعية الإقليمية أن تباشر بانتخاب ممثليها، كما يطلب من الدول أن تعين اللجنة المفاوضة.

ومن الضروري المفاوضة لإقرار معاهدة بين المجلس التأسيسي الاتحادي والمملكة المتحدة وذلك لتقرير بعض الأمور التي تنشأ من تحويل السلطة.

وفي المرحلة التي يجري فيها وضع الدستور لا بدّ من أن تستمر إدارة البلاد، ولذلك فإننا نُعلّق أكبر درجة من الأهمية على أن تُشكّل مباشرةً حكومة موقتة تتمتع بتأييد الأحزاب السياسية الرئيسية.

لكن حزب الرابطة الإسلامية قد أصدر بياناً في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ (٢٢ أيار ١٩٤٦ م) وانتقد فيه خطة البعثة الوزارية، وكذلك أصدرت اللجنة العاملة لحزب المؤتمر قرار في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ (٢٤ أيار ١٩٤٦ م) اعترضت فيه على خطة البعثة الوزارية.

فأصدرت البعثة الوزارية في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ (٢٥ أيار ١٩٤٦ م) بياناً إضافياً ردّت فيه على بيان الرابطة، وعلى قرار حزب المؤتمر.

ولكن في هذه الأثناء كان المسلمون يمشون في طريقهم، يُؤكّدون إصرارهم على الانفصال، وتأسيس دولة باكستان إذ أنهم لا يستطيعون البقاء مع الهندوس في دولةٍ واحدةٍ لأنهم لا يمكنهم أن يقبلوا بالذلّ، ولا أن يسلّموا أعناقهم للهندوس يتصرفون بهم كما يشأون بصفتهم أكثرية.

مؤتمر دهلي:

لقد كان قرار لاهور الحجر الأساسي في تأسيس دولة باكستان بعد أن يئس المسلمون من إيجاد حلٍّ معقولٍ للتعايش مع الهندوس.

وبعد الحرب العالمية الثانية اجتمع المسلمون في دهلي في جلسةٍ تشريعيةٍ وأبانوا فيه أسباب دعوتهم لاستقلالهم عن الهندوس، رغم المساعي التي بذلها زعماء الهندوس ليعدل المسلمون عن مطالبهم، وكان المؤتمر في دهلي قد عقد في **٧ جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ (٨ نيسان ١٩٤٦ م)**، وكان قرار هذا المؤتمر مبنياً على مؤتمر لاهور السابق الذي عُقد قبل ست سنوات. وقد جاء نص القرار كالآتي:

بما أنه يوجد في شبه القارة الهندية الواسعة مائتا مليون مسلمٍ ينتمون إلى عقيدةٍ تُنظّم كل ناحيةٍ من نواحي حياتهم (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية) ولا تقف عند حدود الأمور الروحية والعقدية والمناسك مما يختلف اختلافاً كلياً وجذرياً مع تعاليم الديانة الهندوسية وفلسفتها التي ما زالت منذ آلاف السنين تُغذّي وتدعم نظاماً طبقياً قاسياً أدّى إلى إنزال ستين مليون إنسان إلى منزلة المنبوذين، وجعل حواجز غير طبيعيةٍ بين إنسانٍ وآخر، وامتيازاتٍ اجتماعية واقتصادية، كما أدّى إلى حرمان فريقٍ كبيرٍ من أبناء هذه البلاد من العدالة، وهو يُهدّد المسلمين والنصارى وغيرهم من الأقليات بتردٍّ اجتماعي واقتصادي لا يمكن النهوض منه.

ولما كان نظام الطبقية الهندوسية يتنافى صراحةً مع الوطنية والعدالة والديمقراطية ومع جميع المثل النبيلة التي يقوم عليها الإسلام.

وبما أن الماضي التاريخي لكل من الفريقين: المسلمين والهندوس، وما لكل منهما من عادات وثقافات ونظمٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ، قد جعل من المستحيل دمجهما في وحدةٍ وطنيةٍ مستوحاةٍ من آمالٍ ومثلٍ مشتركةٍ.

وبما أنهما ما زالا بعد مرور قرونٍ على وجودهما معاً شعبين مختلفين.

وبما أنه بعد أن أدخل البريطانيون إلى الهند نظام الأكثرية السياسي على غرار الديمقراطية، الغربية القائمة على حكم الأكثرية بمعنى أن الأكثرية في قوم ما، أو في جماعةٍ ما تستطيع أن تفرض إرادتها على أكثريةٍ من قوم آخر أو جماعة أخرى على الرغم من معارضة هذه الفئة، كما حدث خلال سنتين ونصف من حكم حكومات المؤتمر الهندوكي التي تشكلت في العهد البريطاني في الولايات التي أكثرية أهلها هندوسية، حيث خضع المسلمون فيها إلى ما لا يوصف من مضايقاتٍ وضغوطٍ، مما أدّى إلى قناعة المسلمين ببطلان هذا النظام وعدم جدوى ما سُميّ بالحماية الدستورية، وما جاء في التعليمات المعطاة إلى الحكام، وانتهى بهم الأمر إلى النتيجة الحتمية، وهي أنه إذ أقيم اتحاد (فيدرالي) في الهند فإن المسلمين، حتى ولو كانوا أكثريةً في بعض الولايات، لن يكونوا أحسن حظاً مع الهندوس، وأن حقوقهم لن تصان قطّ مع وجود أكثريةٍ هندوكيةٍ دائمةٍ في الحكومة المركزية.

وبما أن المسلمين مقتنعون بأن إنقاذ مسلمي الهند من السيطرة الهندوكية وإعطاءهم الإمكانية الكاملة لتطوير أنفسهم على قدر عبقريتهم لا تتمّ إلا بإنشاء دولةٍ مستقلةٍ ذات سيادة تضمّ البنغال وآسام في الشمال الشرقي، وتضمّ البنجاب وولاية الحدود الشمالية والسند وبلوجستان في الشمال الغربي. لهذا يصرّح المؤتمر الإسلامي لجميع الهند، مركزاً وملحقات، في جلسته التشريعية، بعد أن أخذ بعين الاعتبار كل الأمور، بأن الأمة الإسلامية لن تخضع قط لأي دستورٍ يقضي بوحدةٍ هندية، ولن تشترك بأية هيئةٍ دستوريةٍ ترمي إلى هذه الغاية، وأن أي حلٍّ تفرضه الحكومة البريطانية لتحويل السلطة من الإدارة البريطانية إلى الشعب الهندي لا يتفق مع المبادىء التالية العادلة المدروسة لحفظ السلام الداخلي وهدوء البلاد لن يساهم في حلّ القضية الهندية. والحلّ هو:

١″ ـ أن تتشكّل في المناطق المشتملة على البنغال وآسام في الشمال الشرقي ومن البنجاب ومنطقة الحدود الشمالية الغربية وولايتي السند وبلوجستان في الشمال الغربي من الهند (أي مناطق باكستان) حيث يُشكّل المسلمون الأكثرية الساحقة، دولة مستقلة ذات سيادةٍ وأن تتخذ التدابير الحاسمة لإقامة هذه الدولة دون تأخير.

٢″ ـ أن يسنّ كل من شعبي باكستان وهندستان دستوراً لنفسه منفصلاً عن الآخر يتفق مع مبادئه.

٣″ ـ أن تتمتع الأقليات في باكستان وهندستان بالحماية التي نصّ عليها قرار المؤتمر الإسلامي لجميع الهند الصادر في ٢٣ آذار ١٩٤٠ م (١٤ صفر ١٣٥٩ هـ) في لاهور.

٤″ ـ إن قبول طلب المؤتمر الإسلامي بإقامة باكستان من غير تأخير هو شرط أساسي لتعاون المؤتمر في تشكيل الحكومة الانتقالية المركزية واشتراكه بها.

إن هذا القرار يعني بصراحة أن أية محاولةٍ لفرض دستور لهندٍ موحدةٍ أو اللجوء إلى أية تسويةٍ موقتةٍ، في المركز، خلافاً لطلب المؤتمر الإسلامي يجعل المسلمين أمام أمرٍ واحدٍ وهو المقاومة لمثل هذا الغرض بكل الوسائل الممكنة لضمان بقائهم العضوي.

وفي نهاية المؤتمر ردّد الجميع هذا الإعلان:

«إني أعلن بصراحةٍ، في هذا المقام، عن اعتقادي الجازم بأن أمن وسلامة ومستقبل المسلمين في شبه القارة الهندية منوط بقيام باكستان، وهو الحلّ الوحيد العادل للقضية الدستورية، وهو الذي يجلب السلام والحرية والرخاء لجميع الشعوب والجماعات الموجودة في شبه القارة الهندية العظيمة.

وأرى من واجبي أن أؤكد بصراحةٍ بأني سأُنفّذ بطيبة خاطر ودون تلكؤٍ

كل التوجيهات والتعليمات التي تصدر عن المؤتمر الإسلامي لعموم الهند لتحقيق أية حركةٍ يتبنّاها لبلوغ الهدف الوطني العزيز لباكستان.

وبما أني أؤمن بعدالة قضيتي وصدقها فإني أتعهد بأن أواجه أي خطرٍ، وأن أُقدّم أية تضحيةٍ يُطلب مني تقديمها»[1].

ردّ مقترحات البعثة الوزارية:

اجتمع مجلس الرابطة في ٦ و٧ رجب ١٣٦٥ هـ (٥ و٦ حزيران ١٩٤٦ م) واحتج على الانتقادات التي وردت في بيان البعثة الوزارية لفكرة باكستان، وأكّد أن دولة باكستان ذات السيادة هو هدف الرابطة الإسلامية الذي لا يمكن تغييره بحالٍ من الأحوال.

ورفض غاندي الاقتراح، ورفض التقسيم وذلك في ١١ شعبان ١٣٦٥ هـ (١٠ تموز ١٩٤٦ م) إذ رأى أن السيخ أعداء المسلمين الذين يكثرون في شرقي البنجاب سيكونون أقليةً في القسم (ب) الذي يضمّ أكثريةً مسلمةً، فلا يمكن أن يُستفاد من عداوتهم للمسلمين. وصرّح غاندي قائلاً: إن حزب المؤتمر يودّ أن يكون مُطلق الحرية والتصرّف فيما يُقرّره، وإنا لن نتنازل عن أي أمرٍ من أمورنا لأحدٍ.

---

(١) يلاحظ أن البارزين في المؤتمر كانوا أصحاب عواطف إسلامية، وأهل مصالح وسياسة، ركبوا الموجة، وبرزوا، ولم يكونوا أصحاب فكرٍ وعقيدةٍ، وهذا أصلاً خط القائمين على حزب الرابطة الإسلامية، وأما العامة فتندفع أيضاً بالعاطفة، لذا لم يرد ذكر تطبيق الشريعة الإسلامية في دستور باكستان الذي سيوضع، ولم يبحث هذا الموضع. كما يلاحظ أنه لم يرد اسم ولاية كشمير التي تضم أكثرية مسلمةً، فهل لأن حاكمها غير مسلم؟ وإذا كان كذلك فلماذا لم يرد ذكر الولايات التي يحكمها مسلمون مثل حيدر أباد وجوناكاد. كما يلاحظ أن ولاية أسام، والبنجاب الشرقية، والبنغال الغربية لم تدخل فيما بعد في الولايات التي شكلت باكستان، أخذاً باقتراحات البعثة الوزارية.

الوزارة المقترحة:

أكّد نائب الملك وبعثة الحكومة في ١٧ رجب ١٣٦٥ هـ (١٦ حزيران ١٩٤٦ م) في بيان لهم ضرورة تشكيل حكومةٍ هنديةٍ مُمثّلةٍ للشعب بأقلّ تأخيرٍ ممكنٍ. وفي الوقت نفسه وجّه نائب الملك دعوة إلى أربعة عشر رجلاً من الأعيان للاشتراك في الحكومة المقترحة، وأنها ستضمّ خمسةً من المسلمين ومثلهم من الهندوس وواحداً من النصارى، وواحداً من السيخ، وواحداً من المجوس (البارسي) وآخر من المنبوذين. وقد وافقت الرابطة على الاشتراك في هذه الحكومة على حين رفض حزب المؤتمر.

دعا نائب الملك نهرو لتشكيل حكومة موقتة فقبل نهرو الذي رفض شروط الرابطة للاشتراك بالحكومة، فامتنع محمد علي جناح من المشاركة بالحكومة.

احتجت الرابطة الإسلامية، واحتجّ المسلمون في ١٩ رمضان ١٣٦٥ هـ (١٦ آب ١٩٤٦ م) وقامت مظاهرات في مدينة (كلكتا)، واصطدموا مع الهندوس، ووقع مائة قتيل من الطرفين، وسمع المسلمون في مدينة (بومباي) فخرجوا بمظاهرات، وخشي نائب الملك مغبة ذلك، فطلب مشاركة الرابطة، وتوسّط أمير بهوبال، وفشلت الوساطة.

تدخل نائب الملك، وطلب من محمد علي جناح ترشيح خمسة أسماء. ثم اختلفوا على توزيع الوزارات، فأراد حزب المؤتمر الهندي وزارات الداخلية، والخارجية، والمالية، والتجارة، ولكن تدخّل نائب الملك، وأعطى حزب الرابطة وزارتي المالية والتجارة، وقدّم محمد علي جناح لهاتين الوزارتين (آصف علي) وزوجته هندوسية، وأحد المنبوذين.

وامتدت الفتنة إلى الهند كلها، وخاصةً ولاية (بيهار) حيث اشتدّ القتال، فعمل الهندوس على قتل كل من ينتسب إلى حزب المؤتمر من المسلمين، فنكب أكثر من خمسة ملايين مسلم. كما أخذ الهندوس يفتكون

بالتجار القادمين من دلهي للبيع في مناطق أعياد الهندوس، ولم يستمع أحد لنداءات الهدوء.

دعا رئيس الوزراء البريطانية إلى لندن محمد علي جناح ولياقت علي خان عن المسلمين، ونهرو وبتيل عن الهندوس، وبالديف سنغ زعيم السيخ، للمشاورة.

رفض نائب الملك والبعثة تشكيل الحكومة وعادت البعثة في ٣٠ رجب ١٣٦٥ هـ (٢٩ حزيران ١٩٤٦ م) إلى أوربا.

وكانت قد عقدت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية ومجلسها اجتماعاً في مدينة بومباي في الأول من رمضان ١٣٦٥ هـ (٢٩ تموز ١٩٤٦ م) حيث سحب المجلس موافقته السابقة على مقترحات بعثة الحكومة، وندد في بيان آخر أصدره أيضاً بالحكومة البريطانية وبحزب المؤتمر، وأعلن أن الوقت قد حان للعمل المباشر لتحقيق هدف إنشاء باكستان.

وفي ١٥ رمضان ١٣٦٥ هـ (١٢ آب ١٩٤٦ م) دعا نائب الملك الزعيم الهندي بانديت نهرو ليبحث معه تشكيل حكومة موقتة فوراً، وتألّفت الحكومة مباشرة برئاسة نهرو، وضمّت اثني عشر عضواً بينهم ثلاثة من المسلمين، وأقسمت اليمين الدستورية في ٥ شوال ١٣٦٥ هـ (الأول من أيلول ١٩٤٦ م)، ونتيجة موقف حزب المؤتمر فقد اندلعت الاضطرابات وحوادث العنف في أنحاء الهند جميعها.

وفي ٢ محرم ١٣٦٦ هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٦ م) طلبت حكومة صاحب الجلالة من نائب الملك أن يسافر إلى لندن بالطائرة مع ممثلين عن حزب الرابطة، والمؤتمر، وطائفة السيخ للمشاورة فسافر بعد أربعة أيام ومعه محمد علي جناح، ولياقت علي خان، ونهرو، وبالديف سنغ، وجرت المناقشات حول مقاطعة الرابطة الإسلامية للمجلس التأسيسي.

استمر النزاع بين الرابطة وحزب المؤتمر، ووجدت بريطانيا أنه لا

فائدة من استمرار المفاوضات مع المسلمين والهندوس فأعلن رئيس الوزارة البريطانية (كلمينت أتلي) في ٢٩ ربيع الأول ١٣٦٦ هـ (٢٠ شباط ١٩٤٧ م) أن الحكومة البريطانية قررت تسليم السلطة إلى الهنود في تاريخ لا يتجاوز (شهر حزيران من عام ١٩٤٨ م) شعبان ١٣٦٧ هـ.

استدعي نائب الملك اللورد (ويفل) وعُيِّن مكانه اللورد (مونتباتن)، وقد غادر (ويفل) الهند في الأول من جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٢٣ آذار ١٩٤٧ م).

جاء (مونتباتن) إلى الهند للإشراف على تنفيذ هذه القضية ومعه التعليمات الكافية لإنشاء حكومة مُوحّدة. وعندما وصل إلى الهند أعلن أنه من أنصار فكرة وحدة الهند، وحاول إقناع زعماء الهندوس بطريقته فلم ينجح، وحصل على عكس رغبته، ثم ذهب إلى لندن في ١٠ رجب ١٣٦٦ هـ (٣٠ أيار ١٩٤٧ م). لبحث خطةٍ جديدةٍ بديلة.

الخطة الجديدة: أعلن رئيس وزراء بريطانيا في (١٤ رجب ١٣٦٦ هـ - ٣ حزيران ١٩٤٧ م)، أكّد فيها أنه ليس للحكومة البريطانية أي نية لوضع دستورٍ نهائي للهند، فهذا أمر من شأن الهنود أنفسهم، كما أنه ليس في الخطة شيء يحول دون إجراء مفاوضات بين الجاليات من أجل توحيد الهند. كما أنه ليس في نية الحكومة قطع أعمال المجلس التأسيسي.

ومن المعلوم أن الرابطة الإسلامية لم تشارك في أعمال المجلس التأسيسي، وترى الحكومة البريطانية أن هذه الخطة قد تدفعها للمساهمة وإرسال مبعوثيها.

وفي الخطة تقسيم البنغال، وأخذ إقليم سيلهت من أسام وضمه إلى البنغال الشرقية، وكذلك تقسيم البنجاب.

وترى الخطة السرعة ونقل السلطة فوراً، على أساس أن الموعد المضروب غداً قريباً وهو شعبان ١٣٦٧ هـ (حزيران ١٩٤٨ م).

اجتمع مجلس الرابطة الإسلامية في مدينة دلهي في ٢١ رجب ١٣٦٦ هـ (١٠ حزيران ١٩٤٧ م)، وأعرب عن ارتياحه لإيقاف العمل بخطة البعثة الوزارية، ولكنه لم يستطع أن يقرّ تقسيم البنجاب، والبنغال كما جاء في الخطة الجديدة، غير أنه أعطى الصلاحيات لمحمد علي جناح بالتصرّف وقبول المبادىء الجوهرية الواردة في الخطة.

اجتمعت لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند في ٢٥ رجب ١٣٦٦ هـ (١٤ حزيران ١٩٤٧ م) وقرر الموافقة على هذه الخطة.

وصوتت كل من البنغال الشرقية، والبنجاب الغربية، والسند، وبلوشستان، وإقليم الحدود الشمالية الغربية إلى جانب باكستان.

وفي ٢٥ شعبان ١٣٦٦ هـ (١٤ تموز ١٩٤٧ م) قُدّم إلى المجلس النيابي البريطاني قرار استقلال الهند مؤلفاً من عشرين مادة وثلاثة جداول. وقد أقرّ مجلس العموم القرار في اليوم التالي، وأقرّه مجلس اللوردات بعد يومٍ أيضاً، وحاز القرار على التصديق الملكي في ٢٩ شعبان ١٣٦٦ هـ (١٨ تموز ١٩٤٧ م)، وقد جاء فيه: «تنشأ اعتباراً من ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) دولتان مستقلتان من طراز (الدومنيونات)[1] في الهند، تَعرف إحداهما بـ(الهند) وثانيتهما (باكستان)، وسيكون في كل دولةٍ حاكم عام يدير الدومنيون يتم تعيينه من قبل صاحب الجلالة». أما المقاطعات الأخرى والإمارات فلم يكن للهند رأي واحد، وإنما عدة آراء حسبما تقتضي مصلحتها، فترى في بعض المقاطعات أن ينظر إلى رأي السكان وذلك حينما يكون الحاكم غير هندوكي، أو عندما تكون أغلبية

(١) الدومنيونات: مستعمرات لها نظام حكم ذاتي، حيث يكون للمستعمرة استقلالها الداخلي، وحكومتها الخاصة، ومجلسها النيابي مع بقاء ارتباطها بالتاج البريطاني، وخضوعها لإشراف الحاكم العام الذي تعيّنه بريطانيا، وهذا النظام أوجدته إنكلترا، وهو خاص بمستعمراتها.

السكان من الهندوس، على حين ترى في مقاطعاتٍ ثانيةٍ أن ينظر إلى رأي الحاكم وذلك عندما يكون الحاكم هندوسياً متعاطفاً مع أبناء عقيدته أو عندما لا تكون الأكثرية للهندوس. أما نائب الملك (مونتباتن) فكان يرى أن تلتحق هذه المقاطعات والإمارات بإحدى الدولتين، كما يمكنها أن تبقى مستقلةً، وقد نشأ خلاف حول وضع بعض المقاطعات، وهي:

١ ـ جوناكاد:

وهي مقاطعة ساحلية في غربي الهند، في شبه جزيرة كوجرات، تبلغ مساحتها حوالي ثمانية آلاف كيلو متر مربع، يحكمها أحد المسلمين، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٪ من مجموع سكان المقاطعة البالغ عددهم ثلاثة ملايين.

وقد رأى الحاكم أن ينضم إلى باكستان، غير أن الهند عارضت ذلك، فاقترح إجراء استفتاء، فعارضت الهند ذلك أيضاً، وأرسلت إلى المقاطعة قوةً كبيرةً اكتسحت أرضها، وضمتها إليها، وطردت الحاكم المسلم، ورضيت إنكلترا بهذا، وسكتت عنه ثم باركته.

٢ ـ حيدر أباد:

وتقع في هضبة الدكن، وسط الهند، تبلغ، مساحتها ثلاثمائة وخمسين ألف كيلو متر مربع، أي أكبر من مساحة بلاد الشام، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة عشر مليوناً، يحكمها رجل مسلم، وقد رأى في بداية الأمر أن يلتحق بباكستان، ثم قدّر بُعد بلاده عنها، فرأى أن يبقى مستقلاً، ولكن الهند رفضت هذا الرأي، فاقترح الاستفتاء مع أن نسبة المسلمين في حيدر أباد لا تزيد على ١٠٪ من مجموع سكان المقاطعة فرفضت أيضاً هذا الرأي، ورفضت استفتاءً تقوم به الأمم المتحدة، وادّعت الهند حججاً واهيةً، ثم قامت بهجومٍ كاسحٍ على مقاطعة حيدر أباد في ١٢ شوال ١٣٦٧ هـ، واحتلتها بعد مقاومةٍ ضئيلةٍ، بعد وفاة محمد علي جناح

بيومين. ورضيت إنكلترا، وسكتت الأمم المتحدة، وهل كان بالإمكان أن يحدث هذا فيما لو احتلّت باكستان إحدى هاتين المقاطعتين أو إحداهما؟.

٣ ـ كشمير:

سنفرد لها الفصل التالي ـ إن شاء الله ـ لما لها من أهميةٍ، ولاستمرارها مشكلةً قائمةً، وتقع الخلافات والصراعات بل والحروب بين هند وباكستان بسببها.

٤ ـ نيبال، وبوتان، وسيلان، وسكيم:

هذه مقاطعات لم تدخل ضمن التقسيم، وإنما شكلت دولاً مستقلةً، وتضمّ نسبةً من المسلمين، ويمكن الرجوع إليها في الجزء [٢٢] من هذا الكتاب، وهو الجزء المخصص للأقليات المسلمة في العالم، ولكن انضمت «سيكم» إلى الهند عام ١٣٩٦ هـ.

٥ ـ غوا:

احتفظ البرتغاليون بهذا الميناء على الساحل الغربي، وهو من المستعمرات الأولى التي أنشأها المستعمرون الصليبيون البرتغاليون.

٦ ـ بونديشيري:

احتفظ الفرنسيون بهذا الميناء الواقع على ساحل الهند الشرقي، وهو من المراكز الرئيسية التي أسّسها الفرنسيون في بلاد الهند.

ويمكن أن نُوضّح ببعض الجداول آثار التقسيم الذي تمّ:

مساحة الهند قبل التقسيم	٤,٣٦٠,٠٠٠ كيلو متر مربع.
عدد سكان الهند قبل التقسيم	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون نسمة.

وقد قسمت على الشكل الآتي:

الدولة	المساحة	السكان
جمهورية هندستان	٣,٢٦٢,٠٠٠	٣٥٦,٠٠٠,٠٠٠
جمهورية باكستان	٩٤٣,٠٠٠	٨٠,٣٠٠,٠٠٠
ولاية كشمير	١٥٥,٠٠٠	٣,٧٠٠,٠٠٠
	٤,٣٦٠,٠٠٠	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد بقيت أقليات في كلتا الدولتين اللتين نشأتا عن هذا التقسيم وهي أقليات ذات نسبةٍ عدديةٍ يحسب لها حساب.

١" ـ **في هندستان**: كانت المجموعات العقيدية في جمهورية هندستان إثر التقسيم كما يأتي:

الهندوس	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٨٤٪
المسلمون	٤٢,٧٣١,٩٩٦	١٢٪
النصارى[1]	٥,٥٩٢,٤١٩	١,٥٪
السيخ[2]	٤,١١٤,٧٤١	١,١٪

(١) تنتشر النصرانية بشكلٍ خاصٍ على السواحل، وفي دهلي، ويقيم أكثر أتباعها في ولاية (ترافنكور) في جنوبي الهند، حيث يُشكّلون ثلث السكان، ثم في مدراس، وقد نشطت الإرساليات التنصيرية أثناء الاستعمار الصليبي.

(٢) السيخ: أسّس عقيدة هذه الفرقة الضالة (غورو) أي المعلم متأثراً بالهندوسية والإسلام، في أواخر القرن العاشر الهجري، وقد منحه السلطان (أكبر) عام ٩٨٦ هـ (١٥٧٧ م) قطعةً من الأرض بنيت عليها مدينة (أمريتسار)، وهي مكان مقدس عند السيخ، ويزيد عددهم على عشرة ملايين، ويحرّمون قصّ الشعر وخاصةً الشارب واللحى. ولد مؤسس هذه العقيدة بالقرب من مدينة (لاهور)، ويدّعي أتباعه أنه ذهب إلى مكة حاجاً، وقرأ القرآن، وهناك عرف أنه إله. وأقام =

الجينيون[1]	٢,٠٠٠,٠٠٠	٠,٦٪
الراجبوت[2]	٣,٢٢٤,٠٠٠	٠,٨٪
البوذيون[3]	٢١٠,٨٠٠	
البارسيون[4]	١٢٦,٠٠٠	
اليهود	٤٤	
	٣٥٦,٠٠٠,٠٠٠	١٠٠٪

٢" ـ في باكستان:

المسلمون[5]	٧٣,١٢٣,٠٠٠	٨٨,١٪
الهندوس[6]	٨,٩٦٤,٠٠٠	١٠,٨٪

= لهم (رانجيت سنغ) دولةً في البنجاب عام ١٢٢٤ هـ، وتوثّقت العلاقة بينهم وبين الإنكليز، واشتركوا معهم في الحرب ضدّ الأفغان، وانتهت هذه الدولة بموت مؤسّسها (رانجيت سنغ) عام ١٢٥٥ هـ.

(١) الجينيون: يعدّون أصغر الحشرات وأحقرها وكل ما في الطبيعة من ذي الروح أن فيه صفة الألوهية لذا فهم يقدسونه ويمنعون عنه الأذى.

(٢) الراجبوت: ويعيشون في المنطقة المسماة باسمهم، ويعتقدون أنهم منحدرون من النار، وربما ادعى بعضهم أنه مسلم، وادعى آخر أنه بوذي.

(٣) البوذيون: وهم قلة يعيشون في شمالي البلاد، في سفوح جبال هيمالايا، يحرّمون القتل، غير أنهم يأكلون اللحم.

(٤) البارسيون: أو الفرس، وهم من أتباع زرداشت، ويعرفون بالمجوس، وهم من عبدة النار ويقيم معظمهم في مدينة (بومباي) وما حولها.

(٥) تختلف نسبة المسلمين بين جناحي باكستان إذ تبلغ ٨٠,٤٪ في الجناح الشرقي بينما هي ٩٧,٢٪ في الجناح الغربي، ولكن تسجل بينهم ـ مع الأسف ـ طائفة الإسماعيلية التي تتركّز في مدينة كراتشي، وهي بالأصل ليست من المسلمين، وكذا فرقة القاديانية التي تتركّز في مدينة لاهور، وهي جماعة كافرة لا تمتّ إلى الإسلام بصلةٍ. ومعظم الشيعة يتركزون في الجناح الغربي.

(٦) الهندوس: ويتجمّعون في الجناح الشرقي من باكستان، وتصل نسبتهم هناك إلى =

النصارى [1]	٦٦٤,٠٠٠	٠,٨٪
البوذيون [2]	٢٤٩,٠٠٠	٠,٢٩٩٪
المجوس [3]	٥,٠٠٠	٠,٠٠٦٪
	٨٣,٠٠٥,٠٠٠	١٠٠٪

لم يتمّ التقسيم بسهولة فقد عمل الهنادك على تفريغ شحنات من حقدهم في الوقت قبل أن يفلت المسلمون من أيديهم، وتقام الحدود كحواجز تمنعهم من الوصول إلى أهدافهم. فقد وقعت مذابح أشد من المذابح التي وقعت قبل التقسيم حيث أحرق الهندوس والسيخ القطارات التي تنقل المسلمين من المناطق التي ستخضع للحكومة الهندية إلى المناطق التي ستحمل اسم باكستان. وقامت الفتنة في البنجاب الشرقية التي معظم سكانها من الهندوس والسيخ، وقد فُصلت عن باقي البنجاب التي عُرفت باسم البنجاب الغربية والتي أصبحت ضمن دولة باكستان، واستمرّت الفتن حتى خرج المسلمون جميعاً من هذه المقاطعة «بنجاب الشرقية» وتعرّض المسلمون أثناء ذلك للقتل والحرق وسبي النساء في المدن والقرى ومحطات السكك الحديدية، وربما يصعب تفصيل هذه الأحداث لكثرتها ولما فيها من مآسي تقشعر لها الأبدان، ويندى لها جبين الإنسانية، وعمّت هذه الحوادث أكثر المناطق، وخاصة دهلي، وفي بنجاب الشرقية حيث قتل مائتا ألف مسلم خلال يومي ١٤ و١٥ شوال ١٣٦٦ هـ في مدينة أمريتسار.

= ١٨,٤٪ من مجموع سكان ذلك الجناح، بينما يشكلون ١,٦٪ في الجناح الغربي.

(١) النصارى: ويتركّزون في باكستان الغربية ثم أخذوا بالازدياد في باكستان الشرقية.

(٢) البوذيون: ويتجمّعون في الجناح الشرقي.

(٣) المجوس: وجلّهم في الغربية في مدينة كراتشي.

الباب الثاني

ولاية كشمير

كشمير

تعريف:

إن لكشمير أهميةً خاصةً في هذه الظروف فهي بالإضافة إلى كونها منطقة نزاعٍ بين دولتين من كبريات دول آسيا، وهما باكستان والهند، ويمكن أن ينفجر الصراع بينهما في كل وقتٍ، وتقع الحرب بسبب كشمير بصورةٍ مفاجئةٍ كما حدث عام ١٣٨٥ هـ. فهي تقع أيضاً في منطقةٍ تتاخم دولاً من أكبر دول العالم وهي: الإمبراطورية الروسية، والصين، ولكلٍ منهما رأي في النزاع الباكستاني ـ الهندي ومصالح تقتضي بأن يُساعد كل منهما طرفاً دون الآخر، وربما جرّ هذا الوضع هذه الدول إلى حربٍ عالميةٍ. هذا بالإضافة إلى المذابح التي تحدث فيها بين المدة والأخرى، والتي تهزّ العالم بوحشيتها، ويتطلّع الناس لمعرفة أسبابها وأبعادها.

كشمير منطقة جبلية تقع بين الصين شرقاً، وباكستان غرباً، وبين باكستان والهند جنوباً، والصين وأفغانستان شمالاً، تنتصب في شرقها جبال (قره قورم) التي ترتفع قممها إلى أكثر من ثمانية آلاف متر، كما ترتفع جبال (لداخ) و(زسكار) في الجنوب الشرقي إلى ستة آلاف متر، وجبال (هيمالايا) التي ترتفع في هذه المنطقة إلى خمسة آلاف متر، وتمتدّ في الشمال الغربي جبال (هندكوش)، وفي الغرب يوجد وادي (كشمير) في الشمال، ووادي (جمو) في الجنوب، وبينهما جبال (بانجال)، ويعدّ هذان الواديان تتمةً لسهول باكستان.

والمناخ بارد جداً في فصل الشتاء لطبيعة البلاد الجبلية، إذ تغطي الثلوج الجبال أكثر أيام العام، أما الصيف فمعتدل في الجبال حار في الأودية.

وتجري الأنهار في هذه المنطقة، وإن كانت الأمطار غير ثابتة الغزارة، فقد تهطل بكثرةٍ وتفيض الأنهار، أو تشحّ في سنوات أخرى، وينخفض منسوب المياه، وأشهر هذه الأنهار نهر (السند) الذي يخترق منطقة (لداخ) و (زسكار)، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرفده نهر (جلجت) ثم يدخل باكستان، ويتجه نحو الجنوب الغربي. ونهر (جهلم) الذي يمرّ في وادي (كشمير)، ويدخل باكستان، ويرفد نهر (السند). ونهر (شناب) الذي يمرّ في وادي (جمو)، ويدخل باكستان، ويرفد نهر (السند) أيضاً.

تعدّ بلاد كشمير زراعيةً بالدرجة الأولى حيث تقوم المزروعات في الأودية، وعلى سفوح الجبال. ومن الزراعات ما هو مروي، ومنها ما يعتمد على ماء المطر، وأشهر المزروعات: (الرز وهو الغذاء الرئيسي للسكان، وتعدّ كشمير، والبنغال، والسند أهم مناطق زراعة الرز في شبه القارة الهندية، ثم هناك القمح، والشعير، والذرة، والقطن، والتوت الذي تربّى عليه دودة القزّ لإنتاج الحرير، والزعفران، والتبغ، وتقوم زراعة مختلف أنواع الفاكهة التي تحتاج إلى منطقةٍ باردةٍ كالتفاح، والدراق، والخوخ، وتعدّ باكستان سوقاً لفاكهة كشمير.

وتُغطّي الغابات مساحاتٍ لا بأس بها من البلاد، وتُقدّم ٢١٪ من مجموع واردات كشمير، إذ تُصدّر ٩٠٪ من أخشابها، وتستهلك ١٠٪ فقط، وتُرسل الفائض بواسطة الأنهار إلى غربي البنجاب.

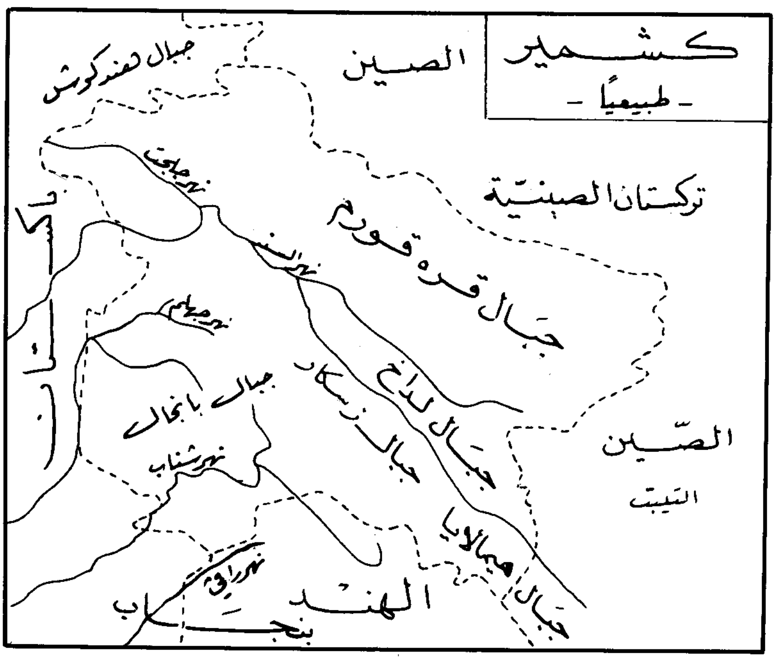
وتقوم في البلاد الصناعة اليدوية، وأشهرها الحياكة، والنقش على الخشب، وصناعة الفضة، ولها في ذلك شهرة عالمية. ونسج الحرير، ويوجد في العاصمة (سرنغر) معمل للحرير من أكبر مصانع العالم.

ويتكلم السكان لغةً جبليةً خاصةً، تشبه لغة البنجاب إلى حدٍّ ما، وهي من أصل سنسكريتي، ونرى فيها أثراً واضحاً من اللغة الفارسية.

يلبس الرجال عمامات حمراء، وسراويـل ضيقة على الأرجـل، أما النساء فيساعدن الرجال في أعمال الزراعة، ويلبسن جلابيب فضفاضـة، ويضعن على رؤوسهن قلنسوة، تُسمّى «قصّابة»، وملاءة تربط بالقلنسوة. أما حديثاً فأصبح الرجال والنساء يلبسون الأزياء العصريـة، أو يلبس الرجـال «الشيرواني» أي زي مسلمي باكستـان، أما النساء فيلبسن الزي الهنـدي للنساء المعروف بـ «الساري».

ويحمل السكان في الشتاء معهم المدافىء، من شدّة البرد، وتستعمل هذه المدافىء في البيوت، وتصنع من الطوب، ويُحاط بها كساء خشبي من الخارج.

ولون بشرة السكان الأبيض، وهم أذكياء بالفطرة، ضخام الأجسام، وأشهر قبائلهم: الشيخ، السيد، المغول، الباتان، وهذه قبائل إسلامية، أما قبائل الهنادك فأشهرها: البانديت، وريشـي، وقبائل البانديت متعصّبون جداً للبراهمية.



لمحة تاريخية:

وصل المسلمون إلى شمالي بلاد الهند منذ القرن الثاني للهجرة، وفتحوا أكثر المناطق الشمالية باستثناء كشمير لمناعتها الجبلية، واستمر الهنادك يحكمونها، وتنتشر فيها البوذية تارةً، وينسحب أفرادها نحو الصين تارةً أخرى حتى أيام التتار، وفي هذه الأثناء حاول محمود الغزنوي فتحها، فلم يُقدّر له. وفي أواخر القرن الثامن الهجري اعتنق ملكها البوذي (رينغن شا) الإسلام على يد الداعية (بلبل شاه)، وسمّى نفسه (صدرالدين)، وكان هو الحاكم المسلم الأول على كشمير، وأسلم معه عدد غير قليلٍ من الرجال الكبار في مجالات الحياة المختلفة، كما أسلم عدد كبير من سكان الولاية، وابتدأ الإسلام ينتشر في تلك الأرجاء، وابتدأ معه تاريخ كشمير يدخل مرحلةً جديدةً، حيث تخلّص السكان من اضطهاد الهنادك، واستمرّ الحكم الإسلامي فيها حتى عام ١٢٣٤ هـ حيث استولى عليها السيخ.

عندما دخل تيمور الهند عام ٨٠١ هـ كان يحكم كشمير الملك (إسكندر) منذ عام ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) فلم يغزها تيمور، وإنما أرسل إلى حاكمها الملك إسكندر فيلين هديةً منه لما سمعه من حسن معاملته لرعيته. ولما حكم الملك (أكبر) الهند (٩٦٣ ـ ١٠١٤هـ) بسط نفوذه على كشمير عام ٩٦٣هـ (١٥٥٧م)، وأصبحت مدينة «سرينغر» عاصمة كشمير مقرّاً لنائب الملك، واستمرّ حكم المغول لكشمير حتى عام ١١٦٤هـ (١٧٥٢م)، وشهدت البلاد خلال هذه المرحلة أفضل أيّام تاريخها.

وجاء الأفغان بعد أن ضعف الحكم المغولي، وسيطروا على كشمير، واستمرّ حكمهم لها مدة تسعٍ وستين سنة (١١٦٤ - ١٢٣٤ هـ) حيث ضعف حكمهم للتدخّل الإنكليزي في شؤون الأفغان، وتمكّنت مجموعة السيخ من فرض سيطرتها على كشمير.

حكم السيخ كشمير مدة ثمان وعشرين سنة (١٢٣٤ - ١٢٦٢ هـ)،

وكان عهداً أسـود على البلاد حيث انتشـر الظلم وسـوء المعاملة، وكـان التعصّب قوياً ضد المسلمين، فأهرقت الدماء ظلماً، وأُحرقت المساجد، واستعمل بعضها اصطبلاً للخيول، وقام المسلمون بعدة ثوراتٍ ضدّ السيخ، ثم جاء الإنكليز وأخذوا كشمير من السيخ عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م).

باع الإنكليز كشمير بمبلغ سبعة ملايين ونصف المليون روبية إلى أسرة (الدوغرا)[1] لمدة مائة سنةٍ ميلاديةٍ (١٨٤٦ ـ ١٩٤٦ م) بموجب اتفاقيةٍ عرفت باسم (اتفاقية أمريتسار) إذ وقعت الاتفاقية في مدينة أمر يتسار قاعدة السيخ. وكان من الطبيعي أن يدبّ الفـزع في قلوب الشعب الكشميري الذي يُشكّل المسلمون معظمه، لذا وجد الإنكليز أنه من الضروري ـ مكراً وخداعاً ـ أن يحصلوا على تعهدٍ من (الدوغرا) بأن يحكموا رعيتهم المسلمة بالعدل، وكان كل حاكمٍ من هذه الأسرة يتولّى الأمر يأخذ على نفسه هذا التعهد، غير أنه لم يكن سوى كلامٍ مكتوبٍ على الورق، على حين كان الظلم هو السائد.

وظلّ المسلمون طيلة قرنٍ كاملٍ مكبّلين بأغـلال العبوديـة في بلاد استحوذ عليها حكامها من أسرة (الدوغرا) عن طريق الشراء، وعدّوها ضيعةً خاصةً، ولم يكن وجود الحكومة إلا خدمةً لأغراض (المهراجا)[2] وأطماعه، ومن أجل ذلك فُرضت الضرائب الفادحة على أبناء الشعب، واستُنزفت ثمار كدّهم، وأقوات يومهم، ولم يكن ليستثنى من ذلك أي شخصٍ مهما كان فقيراً أو معدماً أو ضعيفاً بائساً. فإن أسرة (الدوغرا) دفعت الثمن لتحصل على أضعافه دون أية نظرةٍ إنسانيةٍ، ولتستبدّ بالسكان دون أية عـاطفةٍ أو رحمةٍ، ومن غير النظر إلى أية قيمةٍ من القيم الأخلاقية أو الإنسانية إذ كان

---

(١) الدوغرا: فرع من قبيلة الراجبوت، كانوا يقطنون مقاطعة (جمو)، وتـوصّل أحـد رجالهم إلى حكمها، وعمل أكثر أفرادها بالجندية ارتزاقاً.

(٢) المهراجا: لقب هندوكي يُطلق على الحاكم.

الحكام يتصرّفون بالناس كأنهم عبيد عندهم، وُجدوا لخدمتهم وتحقيق رغباتهم وشهواتهم.

ولقي المسلمون أشد أنواع الاضطهاد والتنكيل، فهم ليسوا على عقيدة (المهراجا) ولا من جنسه، لذلك حُرموا من الوظائف الإدارية كبيرها وصغيرها. وبينما كان الهنادك أحراراً في حمل السلاح كان على المسلم أن يُواجه عراقيل كثيرةً ومصاعب جمةً للحصول على رخصة حمل سلاحٍ. وإذا ما أسلم الهندوكي فقد أملاك آبائه، وإذا ما ارتدّ المسلم أُتيحت له فرص المعيشة على أحسن وجهٍ، وكان هناك قيود مفروضة على كثيرٍ من شعائر دينه فمثلًا كان ذبح البقرة لأكلها أو لتقديمها أضحية في العيد الأضحى يُعدّ جريمةً كبرى يُحكم على مرتكبها بالإعدام، وبقي هذا الحكم حتى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) حيث خفض إلى السجن عشر سنواتٍ من الأشغال الشاقة. وهكذا عاش ٨٠٪ من الشعب الذي يحكمه (المهراجا) في بؤسٍ وشقاءٍ وفقرٍ مدقعٍ، وساد الولاية الإرهاب والظلم[١]، وأُريقت الدموع والدماء مدراراً، واضطر آلاف السكان إلى الهجرة من مواطنهم إلى ولاية البنجاب حيث وجدوا الازدهار والنعيم بالنسبة إلى ما كانوا عليه. وكان (المهراجا) يمنع صدور الصحف، ويُعطّل بعضها. وأهانت حكومة (المهراجا) شعور المسلمين، وأجبرت بعضهم على السجود للأصنام قسراً، فقامت ثورة عام ١٣٥٠ هـ، وجاء المتطوّعون إلى كشمير، ولم تهدأ الثورة إلا بنزول الجيش الإنكليزي الذي نزل ليُساعد الظلم ويحميه، ويثني على جهوده، ويعمل على إخراس المظلوم ومنعه من طلب الإنصاف، وليقول له: إن المسلم لا حق له في هذه الحياة فإن أرادها فهو ليس سوى عبدٍ ما بقي على عقيدته.

(١) توالى ثمانية وعشرون رئيس وزارة على كشمير خلال قرن من الزمن هو مدة حكم أسرة (الدوغرا) لم يكن بينهم مسلم واحد. وأن الجيش كان مؤلفاً من ثلاثة عشر فوجاً، ولا يضمّ سوى فوجٍ ونصف من المسلمين رغم أن نسبتهم ٨٠٪ من مجموع سكان الولاية.

وعندما أسس محمد علي جمعية الخلافة نشأت لها فروع في ولايات الهند كلها، وكان (ميرواعظ يوسف شاه) من أشهر علماء كشمير من بين الذين ساهموا في ظهور تلك الجمعية، وهذا ما ساعد على نمو شيءٍ من الوعي السياسي، إضافةً إلى ما وقع من أحداثٍ متلاحقةٍ، إذ هدّم الهنادك مسجداً في بلدة (رياسي)، ومنعوا جمعاً من المسلمين في بلدة (كوتلي) من إقامة الصلاة، وفي (جمو) دنّس ضابط أمنٍ هندوكي المصحف الشريف، واعتقل في مدينة (سرينغر) مسلم يُدعى عبدالقدير لانتقاده السياسة الدينية غير المنصفة، كل ذلك أثار حمية المسلمين فعقدوا عدة اجتماعاتٍ لبحث مشكلاتهم.

الفصل الأول

بعد إلغاء الخلافة:

نشأ من اجتماعات المسلمين تشكيل المؤتمر الوطني الإسلامي برئاسة الشيخ محمد عبدالله، ورغم هذا العنوان الإسلامي الواضح إلا أنه ضمّ عدداً من الهنادك، وحضر الجلسة الأولى التي كانت عام ١٣٥١ هـ أربعون ألف رجلٍ، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على نقمة الشعب على (المهراجا) وسياسته وحكومته. ولكن بعد مدة انتبه المسلمون إلى أن مؤتمرهم كأنه فرع من حزب المؤتمر الهندي، وأن الشيخ محمد عبدالله ليس سوى منفّذٍ لتعليمات الزعيم الهندي (جواهر لال نهرو) لذا رجعوا إلى أنفسهم وشكّلوا المؤتمر الإسلامي الكشميري الذي انبثقت عنه (جبهة تحرير جمو وكشمير) أو أنها كانت الجناح العسكري له، واختير (شودري غلام عباس) رئيساً للمؤتمر الإسلامي، والذي دعا من أول يومٍ إلى إنقاذ هذه الولاية من براثن الملك الهندوسي (هري سنغ)، وانضمامها إلى دولة باكستان التي قدّم فكرة إنشائها الشاعر محمد إقبال في مؤتمر الرابطة الإسلامية في مدينة (إله أباد) عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)، وأعلن رئيس المؤتمر الإسلامي أن هذا هو هدف حركته. ومع أن الحركة كانت إسلاميةً واضحةً في عنوانها وأهدافها إلا أن رعايتها كانت تشمل جميع أبناء الشعب الكشميري إذ كانت تُقدّم المساعدات للطلبة الكشميريين المستحقّين من المسلمين ومن غير المسلمين على حدٍّ سواء.

ولما رأى الهندوس النجاح الكبير الـذي حقّقه المؤتمـر الإسلامي، والتجاوب السكاني الواسع معـه عملوا على تأسيس فرع لحزب المؤتمـر الهندي في كشمير، وذلك بالتفاهم بين الحاكم الهنـدوسي (هري سنغ) وحزب المؤتمر الهندي المركزي الذي كان برئاسـة (جواهـر لال نهرو)، وكان ذلك عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)، وكان هدف هذا الحزب الهندي ضمّ ولاية كشمير إلى الهند منذ الآن، والسعي لتكون إلى جانب هندستان فيما إذا انفصلت باكستان واستقلّت. والواقع أن هذا الحزب الجديد لم يكن سوى المؤتمر الوطني برئاسة الشيخ محمد عبدالله برز صراحةً بـأهدافـه، وجعل شعاره «اخرجوا من كشمير»، ويقصد بها أسرة (الدوغرا) على غرار شعار حزب المؤتمر الهندي «اخرجوا من الهند» ويعني الإنكليز.

وكان في عـام ١٣٦٣ هـ حزبان رئيسيان في ولاية كشمير.

١ ــ حزب المؤتمر الإسلامي برئاسة (شودري غلام عباس)، وهو على صلة مع حزب الرابطة الإسلامية.

٢ ــ حزب المؤتمر الوطني برئاسة الشيخ (محمد عبدالله) ويأتمر بأوامر حزب المؤتمر الهندي، أو هو فرع منه.

وفي عـام ١٣٦٣ هـ زار محمد علي جناح كشمير، والتقى بأعضاء الحزبين، وحاول التوفيق بينهما، والعمل على ضمّ حزب المؤتمر الوطني إلى حزب المؤتمر الإسلامي فرفض الشيخ محمد عبدالله ذلك.

وفي عـام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٤ م) قامت الثـورة، وقـاطـع الحـزبـان المهراجا، وحكم على الشيخ محمد عبدالله بالسجن مدة ثلاث سنوات، وأرسل (نهرو) محامياً من حزب المؤتمر الهندي هو (آصف علي) لِيُدافع عن الشيخ محمد عبدالله.

وكان في كشمير عالمان هما: (ميرواعظ محمد يوسف شاه) الذي أسّس جمعية (نصرة الإسلام)، وهي أكبر جمعيةٍ تعليميةٍ، وكان هذا العالم معروفاً بكراهيته لفرقة القاديانية الضالة، والمتعاونة سياسياً مع المستعمرين

الصليبيين الإنكليز. أما العالم الثاني فهو (ميرواعظ همداني)، فهو وإن كان على علمٍ غير أنه مغفل، واستغلّ المستغلّون غفلته، وأعطوه معلوماتٍ خاطئةٍ عن القاديانية، فكان يعطف على أتباعها، وكانوا على صلةٍ حسنةٍ به، وكان الشيخ محمد عبدالله رئيس حزب المؤتمر الوطني يُؤيِّد واعظ همداني، ويستغلّ غفلته، ويقدّمه أحياناً فيستطيع أن يخدع بعض الناس بوجود عالمٍ إلى جانبه، وسيره إلى جانب أهل العلم، وهذا ما يقع - مع الأسف - في كثير من الجهات، حيث تستغلّ غفلة العلماء أو جهلهم، فيُسيّرون في كل اتجاهٍ.

الاحتلال الهندوسي:

عندما تقرّر تقسيم الهند، وتمّ الاتفاق على ذلك، وافق الهندوس ظاهراً على هذه الاتفاقية، ولم يرضوا عنها ضمناً، وانتظروا الظروف والأحداث لنقضها، والتحكّم بالمسلمين - حسب قناعتهم - وقد صرّح بهذا (جواهر لال نهرو) لسياسيٍ بريطانيٍ في حديثٍ معه عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) حيث قال: «سنقوم بالموافقة على مطالبة محمد علي جناح لإقامة دولة باكستان المستقلّة، ولكن سنقوم فيما بعد بإيجاد السبل التي ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ويطالبون بالانضمام إلى الهند»[1].

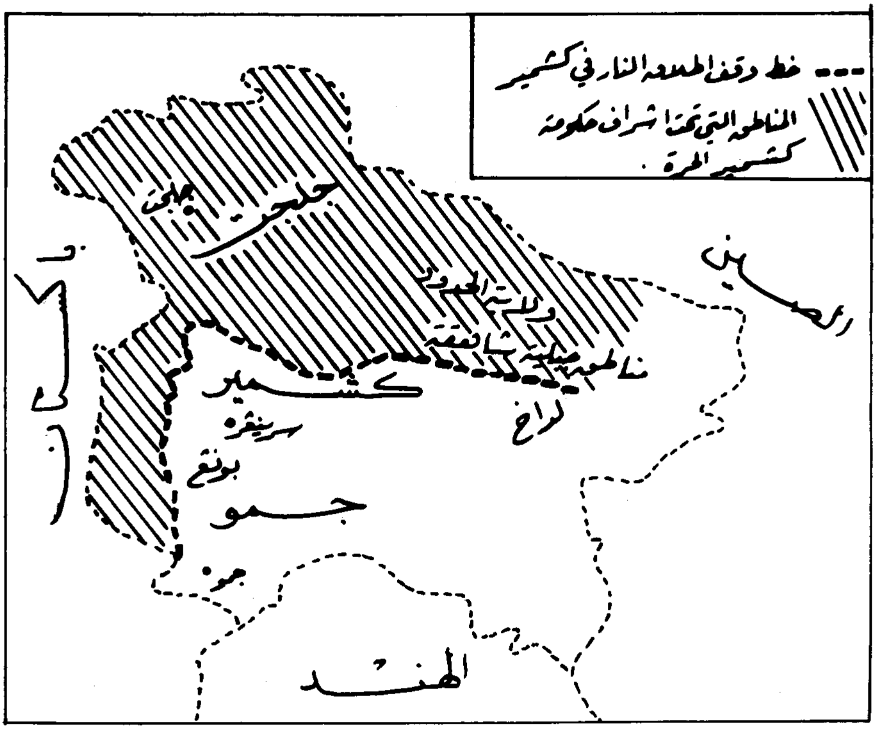
وفي تلك الأيام قرّر المؤتمر الإسلامي الذي كان يُمثّل الشعب في ولاية كشمير في الأول من رمضان ١٣٦٦ هـ (١٩ تموز ١٩٤٧ م) انضمام الولاية إلى باكستان. وكذلك قرّر الشبان المسلمون في الولاية أن يقوموا بالجهاد لتحرير الولاية وضمّها إلى باكستان.

وجاء وقت الاستقلال والانفصال ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) فأسرع ملك الولاية الهندوسي من باب الخديعة والمكر وعقد

---

(١) كشمير المسلمة تناديكم فهل من مجيب؟ أليف الدين الترابي - الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير.

اتفاقيةً مع باكستان بأن يبقى الوضع على ما هو عليه من التعاون بين الولاية (كشمير) والدولة الناشئة (باكستان)، وبذلك أصبحت باكستان مسؤولةً عن الدفاع عن كشمير، وعن شؤونها الخارجية، وعن المواصلات وذلك لأن ولاية كشمير كانت قبل التقسيم تتبع السلطات المحلية الموجودة في مدينة لاهور، وهي مدينة بقيت ضمن الأراضي الباكستانية بعد التقسيم، وكان من المفروض أن تكون هذه الاتفاقية توطئةً للانضمام التام.



أخرج (المهراجا) من السجن الشيخ محمد عبدالله إظهاراً لحسن النية وخديعةً، وهو ليس عنه ببعيدٍ، ولكنه في الوقت نفسه ألّف عصاباتٍ قتاليةً من الهنادك الكشميريين، ومن الذين جاءوا من الهند لهذا الغرض، وهاجمت هذه العصابات المسلمين، وقتلت منهم مائتين وسبعةً وثلاثين

ألفاً، وقامت مظاهرةً من المسلمين كردّ فعلٍ قادها (جودري حميدالله خان) في ١٩ شوال ١٣٦٦ هـ (٥ أيلول ١٩٤٧ م) فأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين الذين كانوا يُطالبون بانضمام كشمير إلى باكستان، وقبضت على أعدادٍ منهم فألقوا في غياهب السجون. وفي غرة ذي القعدة ١٣٦٦ هـ (١٦ أيلول ١٩٤٧ م) طالب مؤتمر الفلاحين في كشمير بانضمام الولاية إلى باكستان، لكن (المهراجا) رفض هذا الطلب. وقام بتوزيع الأسلحة على الهنادك، فقامت الثورة، وتدفّق المجاهدون لمساعدة المسلمين في كشمير، ولما رأى الشيخ عبدالله محمد ذلك خشي أن يفلت الأمر من يده، فأعلن وقوفه بجانب (المهراجا)، وتسلّم رئاسة حكومته، وقتل يومها من المسلمين اثنين وستين ألف مسلم[1]، ثم فرّ (المهراجا) هري سنغ إلى دهلي.

استطاع المجاهدون في كشمير تحرير جزءٍ من الولاية، وتشكّلت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) في ٩ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٤٧ م).

عقد (المهراجا) هري سنغ في دهلي حيث يُقيم بعد أن فرّ من عاصمته في كشمير اتفاقيةً مع الحكومة الهندية تتضمن ضمّ الولاية إلى الهند وذلك في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م)، غير أن هذه الاتفاقية غير صحيحة قانونياً لـ:

أولاً: كانت هذه الاتفاقية تتنافى مع قرار تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين: الهند وباكستان، وهذا القرار وافقت عليه الدولتان.

ثانياً: كانت هذه الاتفاقية تتعارض مع رغبات أغلبية سكان الولاية أي

---

(١) لا يريد الشيخ محمد عبدالله أن تذوب كشمير ضمن الاتحاد الهندي، كما لا يريد التحالف مع الهند وإنما يريد زعامة كشمير واستقلالها عن غيرها، فلو اتفق مع باكستان لضاعت زعامته لكثرة المسلمين، والصلة كبيرة مع باكستان، والحدود طويلة، على حين أن هذه الحدود بين كشمير والهند لا تزيد على ستين كيلومتراً.

المسلمين الذين اتخذوا قرار انضمام الولاية إلى باكستان، وكانوا يجتهدون لأجل ذلك.

ثالثاً: إن الملك الهندوسي (هري سنغ) الذي وقّع هذه الاتفاقية لم يكن حاكماً شرعياً للولاية، وذلك لأن اتفاقية (١٨٤٦ م) التي قد أصبحت أساساً للسيطرة الغاشمة لهذه العائلة على الولاية لم تكن اتفاقيةً شرعيةً على الإطلاق[١].

رابعاً: وقبل هذه الاتفاقية قد وقّع الملك نفسه اتفاقيةً لإبقاء الوضع كما كان مع دولة باكستان، فلهذا لم يكن له أن يُوقّع أية اتفاقيةٍ مع أية دولةٍ أخرى في هذه الصدد قبل إعلان إلغاء تلك الاتفاقية. هذا من ناحيةٍ ومن الناحية الثانية قد وقّع الملك هذه الاتفاقية بعد أن كان قد فقد السلطة على الولاية لفراره من العاصمة الكشميرية فلذا لم تكن لديه أية صلاحيةٍ شرعيةٍ لتوقيع هذه الاتفاقية.

فنظراً لهذه الوجوه والأوضاع يمكننا أن نقول بكل صراحةٍ أن هـذه الاتفاقية بشأن انضمام ولاية جمو وكشمير المسلمة إلى الاستعمار الهندوسي لم تكن لها أية قيمةٍ من النواحي الدستورية والقانـونية والخلقيـة، وحتى الاستعمار الهندوسي نفسه أيضاً كان يعرف هذه الحقيقة جيداً، لهذا نراه قد وعد الشعب الكشميري المسلم بأنه سيقوم بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الولاية، وإليكم نص ما كتبه الحـاكم العام للهنـد إلى الملك الهندوسي للولاية حين توقيـع اتفاقيـة ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٢٧ تشـرين الأول ١٩٤٧ م): «وفقاً لسياستنا إذ أصبحت مسألة انضمام ولايةٍ ما من المسائل الخلافية يرجع فيها إلى رأي الشعب، فإن حكومتنا بشأن انضمام ولاية جمو وكشمير إلى إحدى الدولتين تريد أن تُحلّ بالرجوع إلى الرأي العـام فور إعادة الأمن والاستقرار إلى الولاية».

---

(١) كما أن اتفاقية (أمريتسار) عام ١٨٤٦ م قد انتهى العمل بها بانتهـاء مدتهـا عام ١٩٤٦ م إذ كانت لمدةٍ مائةٍ سنة.

ثم أكّد جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند ذلك الوعد في برقيته التي بعث بها إلى رئيس وزراء باكستان لياقت علي خان في ١٦ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٤٧ م) قائلاً: «إننا تعهّدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور، وأن نترك مواطنيها ليُمارسوا حقّهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم، وهذا التعهّد لا نُعلنه أمام حكومتكم فحسب بل نُعلنه أمام أهالي كشمير وأمام العالم كله»(١).

ومع الأسف الشديد فإن هذه الاتفاقية الماكرة قد اتخذها الاستعمار الهندوسي الغاشم وسيلةً لإرسال جيشه للسيطرة على الولاية، والتحق هذا الجيش مع جيش الملك الهندوسي في الولاية ليشترك معه في مهمة قتل المسلمين وهتك أعراضهم. كما أعلنت الحكومة الهندوسية بأن الذين يرغبون بالهجرة إلى باكستان ستقوم الحكومة بمساعدتهم لتسهيل سفرهم إلى باكستان وتزويدهم بالسيارات الحكومية، فلهذا عليهم أن يجتمعوا في مكانٍ واحدٍ. ولكنهم عندما اجتمعوا في المكان المحدّد أطلقت عليهم النار فاستشهد حوالي نصف مليون من المسلمين، كما أن الذين تمكّنوا من الوصول إلى باكستان يصل عددهم إلى حوالي نصف مليون أيضاً. وجدير بالذكر أنه قبل بداية إطلاق النار تمّ القبض على الآلاف من النساء المسلمات الشابات لهتك أعراضهن، وكان من ضمن هؤلاء الشابات المسلمات ابنة القائد المؤسس لحركة تحرير كشمير (شودري غلام عباس)(٢).

في اليوم الذي أعلن فيه الملك الهندوسي (هري سنغ) اتفاقية ضمّ ولاية كشمير إلى الهند مع الحكومة الهندية في ١٢ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ

---

(١) لقد كرّر جواهر لال نهرو مثل البرقيات، وصرح مرات تزيد على العشرين بالمعنى ولكن كان كل ذلك خداعاً وزوراً.

(٢) كشمير المسلمة تناديكم فهل من مجيب؟ أليف الدين الترابي ـ الجماعة الإسلامية بولاية جمو وكشمير الحرة.

(٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ م) أعلنت الإذاعة في دهلي عن إرسال قوةٍ لحماية كشمير من الاعتداء، ولم تكن هناك طريق تسير عليه القوة فهبطت جواً ذلك أن البنجاب كانت لا تزال ولايةً واحدةً، وكانت في التقسيم ضمن دولة باكستان، وتفصل هذه الولاية بين الهند وكشمير، ولكن الهند بعدها رشت بمبالغ طائلة «روكلف» رئيس اللجنة المكلفة بالتقسيم فعمل على تقسيم ولاية البنجاب إلى جزأين: البنجاب الغربية وتتبع باكستان، والبنجاب الشرقية وتتبع الهند على أساس أن نسبة الهندوس فيها كبيرة إضافةً إلى نسبة السيخ إذ تعدّ هذه المنطقة مركزهم الرئيسي.

ومع وصول القوة الهندية وانضمامها إلى قوات الملك الهندوسي ابتدأ القتل والإبادة، وفي ٢١ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ م) دقّ الطبل في (جمو)، وأعلن عن وجوب خروج المسلمين إلى باكستان التي تطلبهم، فاجتمع المسلمون فكانوا يركبون في السيارات، فإذا وصلت بهم إلى خارج القرى والمدن تعرّضت لها القوات الهندوسية، وأخذت الفتيات الشابات من المسلمين وقتلت الباقي، واستمرّ القتل والوحشية بأبشع الصور مدةً طويلةً. ولنأخذ أمثلةً من قتل بعض القوافل المتجهة إلى باكستان:

خرج من منطقة (بندور) ألفان من المسلمين، ولم يصل منهم إلى باكستان سوى مائةٍ وخمسين رجلاً.

وخرجت قافلة من بلدة (جهني روديان)، وكان عدد أفرادها سبعة آلاف، وصل منهم إلى باكستان خمسمائة رجلٍ، بينهم ثلاثمائةٍ من الجرحى.

وخرجت مجموعة من بلدة (كوهته) عددها خمسمائة مسلمٍ، قتلوا جميعهم عدا الفتيات الشابات فقد اختطفن.

وخرج من بلدة (بدهي وتالاب موله) ثلاثة آلاف مسلمٍ، وصل منهم إلى باكستان سبعة أفرادٍ فقط.

وخرج من بلدة (نجري ورنب وجهته) ستة آلاف مسلمٍ لم يصل منهم إلى مأمنهم سوى ثلاثة رجالٍ.

وخرج ثمانية آلاف مسلمٍ من منطقة (سلني وهيرانجو وجاندي) بعد أن وعدوا بالمساعدة على الهجرة فجرّدوا من أمتعتهم وكل ما يملكون، ولم يصل منهم إلى باكستان سوى ألفين أكثرهم جرحى.

وخرج من منطقة (راج بوره، وكجودال) ألفان من المسلمين لم ينج منهم سوى مائة إنسان.

واجتمع في منطقة (السانبة) حوالي عشرة آلاف مسلمٍ من كل أنحائها، ولم يبق منهم سوى خمسةٍ وثلاثين فرداً، ورأى هؤلاء بأعينهم كيف اختطفت فتيات القافلة، واعتدي عليهن، ثم قتلت أسرهم أطفالاً وشباباً وشيوخاً بعد أن رأوا ما حلّ ببناتهم.

وكان المسلمون قد نظّموا المناطق التي تمكّن المجاهدون من بسط نفوذهم عليها، وألّف محمد إبراهيم حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) في ١٩ ذي القعدة ١٣٦٦ هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٧ م)، وتألّف الجيش الكشميري، وما أن وصلت القوات الهندية حتى انضمّت إلى قوات الملك الهندوسي وبدأ القتال، ومع أن المجاهدين كانوا يحملون أسلحةً عاديةً أو كانوا من غير سلاح غير أنهم استطاعوا - بإذن الله - من المحافظة على أرض حكومة كشمير الحرة في حين كان الهندوس مُزوّدين بالأسلحة الآلية، وبقي قسم من الولاية تحت سيطرة الهند.

إن الهند منذ أن أعلنت عن إرسال قوةٍ لحماية كشمير بدأت بحشد قواتها في الولاية عن طريق الجو، وعند الانتهاء من الاستعداد قامت بهجومٍ واسع النطاق ممّا عرّض باكستان نفسها للخطر فتقدّم القائد العام للجيش الباكستاني حينئذٍ بتحذيرٍ للحكومة الباكستانية مفاده أن باكستان إذا رغبت أن تتجنّب مواجهة سيلٍ آخر ضخمٍ من اللاجئين، وإذا أرادت ألا

تكون الهند في وضعٍ تستطيع معه أن تُهدّد باكستان وجناحها، وأن تغـزو باكستان متى عزمت، فلا مندوحة من وقف زحف الجيش الهندي عند خطٍ معينٍ، فـأرسلت بـاكستـان ولأول مـرةٍ في شهـر رجب ١٣٦٧ هـ (أيـار ١٩٤٨ م) عدداً محدوداً من جيشها إلى كشمير لاتخاذ مواقف دفاعية.

الفصل الثاني

سياسة الاستعمار الهندوسي في كشمير

بعد القتال الذي نشب في كشمير بين المسلمين من جهةٍ، ويُمثّلهم الجيش الكشميري الذي يتبع حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير)، والمجاهدون، والجيش الباكستاني الذي هبّ عندما أحسّ بالخطر يحدق بالمسلمين وبتدفّق المشرّدين من مسلمي كشمير، وباقتراب النار المشتعلة من باكستان، وببين الهندوس ويُمثّلهم جيش الملك الهندوسي، وقوات الهند الغازية، ولم تستطع قوة من إحراز النصر، وضمّ كشمير إلى إحدى الدولتين.

ولما كانت الهند تتوقّع أن تكون الحرب التي تخوضها قواتها في كشمير وبمساعدة جيش الملك الهندوسي سهلةً، ولا تزيد على جولةٍ غير أنها صُدمت بقوات المجاهدين، ولم تستطع التقدّم فعرضت الأمر على الأمم المتحدة، وتوقّعت أن تقف الأمم المتحدة بجانبها ما دامت ضدّ المسلمين، وقد عُرفت الأمم المتحدة دائماً بمثل هذه المواقف إذ تُحرّكها الصليبية، ولكن الأمر هنا مكشوف ومفضوح، ولا تريد أن تدين نفسها، ثم إن الهند لم تستطع حسم الموقف، وضمّ كشمير بالقوة، ولو تمكّنت لدعمتها الأمم المتحدة وطوت الملفّ بسرعةٍ، كما حدث في ضم (جوناكاد) و (حيدر أباد)، فلو حسمت الهند الموقف لسوّت الأمم المتحدة الموضوع، غير أن القتال دائر، والحرب سجال، والانحياز بالأمر لا يؤدّي إلى نتيجة.

رُفعت القضية الكشميرية إلى الأمم المتحدة في ١٨ صفر

١٣٦٧ هـ (٣١ كانون الأول ١٩٤٧ م) وفي اليوم التالي أبدت الهند وجهة نظرها، وادعت أن باكستان هي المسؤولة عن قيام الاضطرابات في الولاية، وطلبت إلى مجلس الأمن أن يُوعز إلى باكستان بسحب رجال القبائل الذين دخلوا الولاية (المجاهدون) غير أن مجلس الأمن لم يقبل هذا الطلب، واكتفى بالسكوت كنوعٍ من الرضا عما ينال المسلمين من إبادةٍ وأذىً. وبعد مناقشاتٍ طويلةٍ وإضاعةٍ للوقت في سبيل إعطاء الفرصة للهند كي تحسم الموقف بما تملك من قوةٍ، وبإرهاب السكان بما تقوم به من جرائم وحشيةٍ، وبعد أن طال الزمن دون نتيجة صدرت قرارات لجنة الأمم المتحدة في ١٢ صفر ١٣٦٨ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٤٩ م) وتنص على:

١ ـ وقف القتال وتحديد خط وقف النار.
٢ ـ تجريد ولاية جمو وكشمير من القوات العسكرية.
٣ ـ إجراء استفتاءٍ محايدٍ تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير مسألة انضمام كشمير إلى الهند أو باكستان.

أبدت الهند موافقتها على هذه القرارات كلامياً، ولكن بقيت مُتشبثةً في المنطقة التي دخلتها من كشمير.

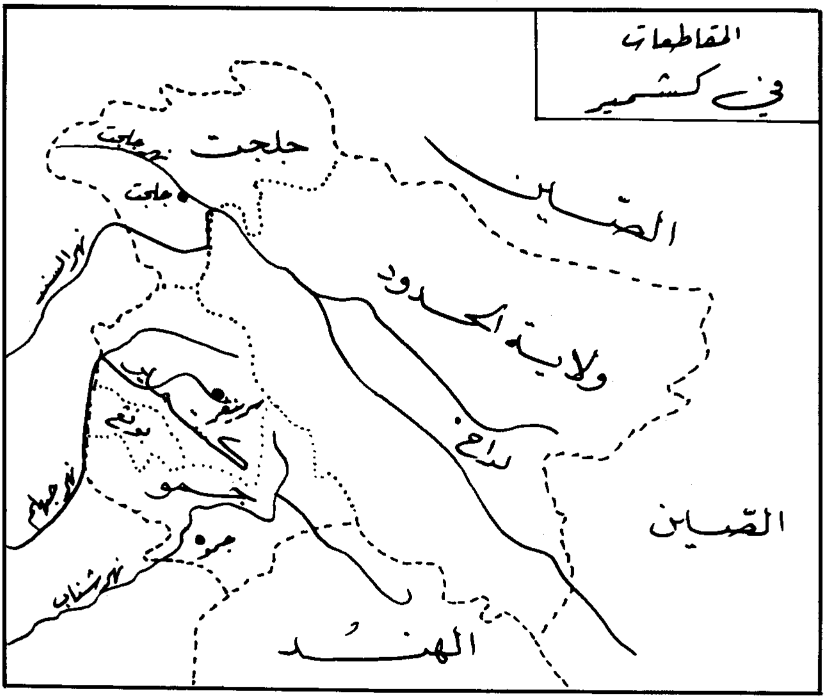
وأعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار نفسه في ٦ ربيع الثاني هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٥٢ م)، وأعادت الهند موافقتها على القرار، وأكّدت ذلك، ولكن نظرياً أيضاً، وبقيت في مواقعها، ورجع (نهرو) في ١٢ شوال ١٣٧١ هـ (٤ تموز ١٩٥٢ م) ليُؤكّد التزام بلاده بقرار الأمم المتحدة، حيث قال: (مهما يكن من الأمر، فإن حكومة الهند قرّرت منذ البداية التزامها بالمبدأ الذي يفيد بأن القرار النهائي ضمن أن انضمام ولاية جمو وكشمير إلى إحدى الدولتين لن يتمّ أبداً إلا حسب الرأي العام لشعب الولاية، وهذا العهد لن تنقضه مهما كانت الأوضاع، ونظراً لهذه الحقيقة فإن حكومة الهند قد وافقت على انضمام الولاية بصورةٍ موقتةٍ عام

١٩٤٧ م، وإن القرار النهائي لمصير الولاية سيتمّ حسب رغبة الرأي العام للشعب الكشميري).

وبقيت الهند تُؤكّد التزامها بقرارات الأمم المتحدة ما يقرب من عشر سنواتٍ تأكيداً كلامياً دون إظهار أية بوادرٍ للتنفيذ، ولكنها منذ عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) أخذت تتملّص تدريجياً من التطبيق، وأخيراً رفضت وجود قضية اسمها كشمير.

كانت الهند قد سيطرت على أكثر أقاليم (جمو) و(بونغ) و(كشمير)، ولم يبق تحت نفوذ حكومة كشمير الحرة سوى مناطق ضيقةٍ تُساير الحدود الباكستانية، كما بسطت الهند سيطرتها على إقليم (لداخ) كله، وأما حكومة أزاد الحرة فتتبعها مناطق (ولاية الحدود) و(جلجت واستور). وكان سكان الولاية يتوزّعون على أقاليمها عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) على النحو الآتي:

الإقليم	مجموع السكان	المسلمون	نسبة المسلمين	غير المسلمين
جمو	١,٩٨١,٤٣٣	١,٢١٥,٦٧٦	٦١,٣٪	٧٦٥,٧٥٧
بونغ	٤٢١,٨١٨	٣٨٢,٧٢٢	٩٠,٧٪	٣٩,١٠٦
كشمير	٧٢٨,٧٠٥	٦١٥,٤٧٨	٩٣,٤٪	١١٣,٢٢٧
مناطق الحدود	٣١١,٤٧٨	٢٧٠,٠٩٣	٨٨,٩٪	٤١,٣٨٥
لداخ	١٩٥,٤٣١	١٥٤,٤٩٢	٧٩,٠٪	٤٠,٩٣٩
جلجت واستور	١١٦,٠٤٧	١١٥,٦٠١	٩٩,٦٪	٤٤٦
	٣,٧٥٤,٩٢٢	٢,٧٥٤,٠٦٢	٧٣,١٤٪	١,٠٠٠,٨٦٠



أما الروابط بين باكستان وكشمير فترجع إلى جوانب الحياة جميعها.

العقيدة: تدين أكثرية سكان باكستان وكشمير بالإسلام، والعقيدة أهم جوانب الحياة، ومنها تنبع مختلف الروابط، وعلى أساسها قام تقسيم شبه القارة الهندية.

الأصل: يعود سكان باكستان وكشمير إلى أصلٍ واحد، وهو العرق الأبيض.

الجغرافية: تُعدّ أودية جمـو وكشمير تتمةً للسهول الباكستانية، وإن أنهار (السند) و(جهلم) و(شناب) و(رافي) تنبع من ولاية كشمير، وهي الأنهار الرئيسية في باكستان.

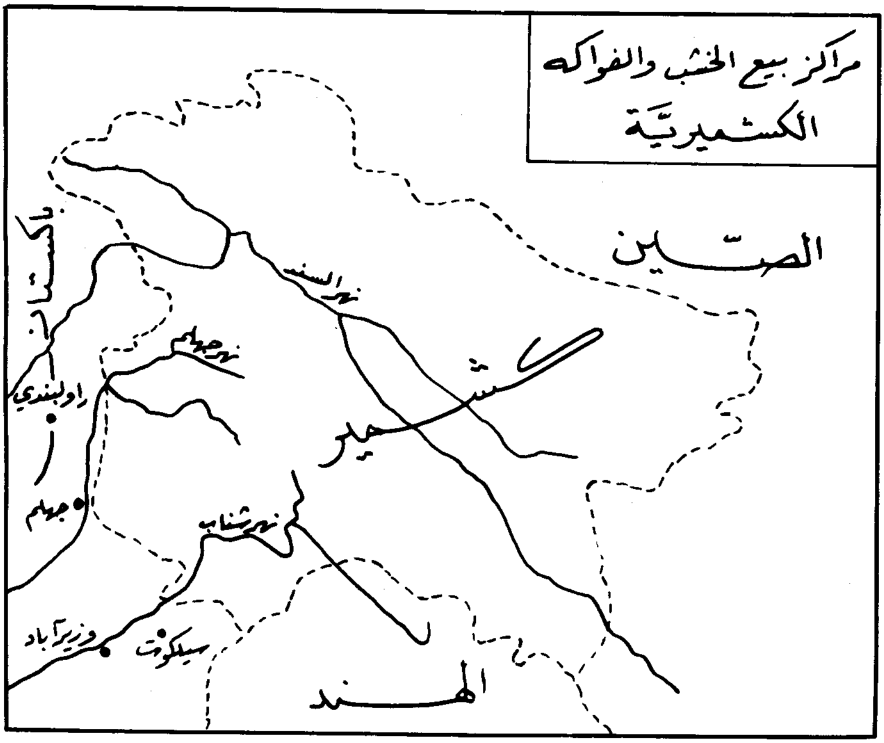
الاقتصاد: ينقل الكشميريون أخشابهم بواسطة الأنهار لتُباع في أسواق في بلدتي (جهلم) و(وزير أباد) فالأنهار (وسيلة النقل) باكستانية، والأسواق باكستانية، وتُشكّل الأخشاب ٢١٪ من صادرات ولاية كشمير. وكذلك تُباع

الفاكهة الكشميرية في مدن باكستان الرئيسية (راولبندي) و(كراتشي)، وهي سلعة هامة من الصادرات.

والطرق في كشمير تُساير مجاري الأنهار، وتصل إلى باكستان، وليس هناك من أية طريقٍ تصلها بالهند، سوى طريقٍ جديدةٍ فتحت لأغراضٍ عسكريةٍ فتحها الجيش الهندي.

وكل واردات كشمير من الملح، والقمح، والصوف، والزيوت إنما تستورده من باكستان، هذا بالإضافة إلى النفط الذي يصل إليها من حقول نفط (أتوك) الباكستانية.

وتعدّ (كراتشي) الميناء الباكستاني أقرب الموانىء إلى ولاية كشمير، وعن طريقه يمكن الاتصال مع الخارج وأخيراً يجد العمال الكشميريون مجال عملهم في فصل الشتاء البارد في باكستان الغربية.



كل هذه الروابط تجعل من حقّ كشمير ومن مصلحتها الانضمام إلى باكستان، وكذلك من حقّ باكستان أن تُطالب بكشمير، وتُدافع عن هذا الحقّ بكل إمكاناتها، وإلا عدّت مقصّرةً بحقّ شعبها، ومُفرطةً بالأساس والفكرة التي قامت عليها.

الجهـاد:

لما اشتدّ الضغط الهندي على السكان، وارتكب الهندوس أبشع الجرائم وأقذر الأعمال وجد المسلمون أنه لا بدّ من الجهاد ضدّ الظلم الواقع عليهم، وقاموا ببطولاتٍ رائعةٍ وأعمالٍ فدائيةٍ، فاهتزّ وضع المستعمرين وكاد الأمر يفلت من أيديهم فشنّت الهند حرباً واسعة النطاق على باكستان، واستمرّت تلك الحرب مدة أسبوعين فقط، وانتصرت باكستان، فلجأت الهند إلى الأمم المتحدة لتحفظ لها ماء وجهها، ورفعت القضية إليها، وعرضت الامبراطورية الروسية الوساطة، وتمّ عقد مؤتمر طاشقند الذي لم يكن في صالح باكستان.

وبعد وقف إطلاق النار قام الهندوس باعتداءاتٍ وحشيةٍ غدراً وحقداً فقتلوا الأبرياء، وهتكوا أعراض الحرائر، وقتلوا الأطفال أمام الأمهات والآباء، وقطّعوا أثداء النساء أمام ذويهم، وارتكبوا كل أعمال الخسّة والدناءة.

الغـزو الفكـري:

أدركت الهند أنها لا تستطيع السيطرة على ما تحت أيديها من كشمير بالقوة والإرهاب باستخدام الوحشية والإبادة والتمثيل بالأحياء والقذارة وهتك الأعراض فقط حيث كانت هذه الأعمال تُثير المسلمين، وتوُحّد صفوفهم، وتُثير عواطفهم، وروح الجهاد عندهم، لذا قرّرت الهند اتباع وسائل أخرى مع استمرار القيام بالأعمال السابقة، فقد أرسلوا أحد رجال المخابرات إلى إسبانيا ليتقصّى ما فعله الإسبان ضدّ مسلمي الأندلس للخلاص منهم، وقد رجع رجل المخابرات وفي جعبته أفكار يحملها، ثم أرسلته حكومته سفيراً

لها في موسكو ليُتابع مُهمّته في الوسائل التي اتخذها الروس ضد المسلمين، ونتيجة ما حصل عليه من معلوماتٍ من هنا من موسكو ومن هناك من مدريد، وبعد دراسة النتائج قررت الحكومة اتخاذ ما يأتي:

١" ـ تغيير مناهج التعليم في ولاية كشمير، حيث يُعمّم المنهج التعليمي الهندوسي الذي يشمل على المعتقدات الوثنية الهندوسية، والأساطير والخرافات، وفلسفة وحدة الأديان.

٢" ـ جعل التعليم مختلطاً، ومحاولة نشر الفساد بتعليم الرقص والغناء في المدارس.

٣" ـ تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس لمُخالفة العقيدة الإسلامية، ومُحاولة التأثير عن طريق العائلة.

٤" ـ مُحاولة تغيير اللغة لفصل الحاضر عن الماضي.

٥" ـ إباحة الخمر وتوزيعه مجاناً على حساب الدولة.

٦" ـ إثارة الخلافات القبلية والإقليمية والطائفية.

٧" ـ بث فكرة القومية الهندية، واستخدام وسائل الإعلام لنشر الإباحية والفاحشة.

٨" ـ الدعاية لفكرة تحديد النسل بين المسلمين بغرض وقف زيادة المسلمين.

٩" ـ تشويه التاريخ الإسلامي.

١٠" ـ الحرص على إيجاد قيادةٍ كشميريةٍ مسلمةٍ عميلةٍ تأتمر بأوامر الحكومة الهندية وتتلقّى التوجيهات منها.

وقامت الحركة الإسلامية بردّ فعلٍ لإبطال مفعول سياسة الاستعمار الهندوسي الفكرية ولجأت إلى بعض الأساليب الفعّالة ومنها:

١" ـ إنشاء مدارس إسلاميةٍ أهليةٍ لا علاقة للحكومة بها.

٢" ـ تأسيس قرى إسلاميةٍ أنموذجيةٍ.

٣" ـ القيام بنشر الدعوة والتوعية والعمل على توحيد المسلمين حيث تأسّست الجبهة الإسلامية التي ضمّت أكثر من عشرة أحزابٍ سياسيةٍ

وجمعياتٍ دينيةٍ.

٤" ـ المناداة بإجراء استفتاءٍ عام لتقرير المصير.

ونتيجة السياسة التي لجأت إليها الحركة الإسلامية نشأ جيل مسلم واعٍ، تخرّجوا من المدارس الإسلامية في الوقت الذي انطلق الجهاد في بلادً الأفغان، واشتدّ عوده مع هزائم الجيوش الروسية على أرض الأفغان حتى اضطرّت موسكو على الموافقة لسحب جيوشها لتحفظ ماء وجهها قبل أن ينسكب. وقامت أكثر من خمس عشرة منظمة جهاد ضمت أكثر من خمسين ألف مجاهد، واتحدت أخيراً باسم «الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير» كما اتحدت عشر منظمات سياسية باسم «حركة تحرير كشمير» وترأسها علي الجيلاني.

وبدأت حركة الجهاد، واستهدفت مراكز الجيش الهندوسي، وحانات الخمر، وأماكن الفاحشة، وقرّر أصحاب بعضها إغلاقها، وأعلنت بعض وسائل الإعلام قطع علاقتها بحزب المؤتمر الهندي، والحكومة الهندية، وكذلك قرّرت النساء المسلمات الالتزام باللباس الإسلامي، وذلك كله ولم ينتصف عام ١٤١٠ هـ (قبل نهاية عام ١٩٨٩ م)، وارتفعت أصوات المطالبة بتطبيق قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى إجراء استفتاء في الولاية لتقرير المصير.

وقام الاستعمار الهندوسي برد فعلٍ غاشمٍ إذ أعلن منع التجول في أكثر من عشرين مدينة، وزاد من وحشيته في الإبادة، والقتل، والسجن، وهتك الأعراض، وحرق الناس أحياءً، وخلال أربعة أشهر (جمادى الآخرة وحتى نهاية رمضان ١٤١٠ هـ (الأول من كانون الثاني وحتى نيسان ١٩٩٠ م) ارتكب الهندوس الأعمال الوحشية الآتية.

١ ـ قتل ٢١,٤٩٠ شهيداً.

٢ ـ جرح ٢٠,٠٠٠ إنسان.

٣ ـ إحراق ٦١٨ إنساناً وهم أحياء.

٤ ـ تشريد ٢٠,٠٠٠ إنسان لجؤوا إلى كشمير الحرة.

٥ ـ قتل ٣٥٧ امرأة بعد هتك أعراضهن والتمثيل بهن.
٦ ـ إلقاء القبض على ٥٠,٠٠٠ إنسان وإيداعهم السجن.
٧ ـ هتك أعراض عشرات الآلاف من النساء،ولم يفتضح أمرهن، في سبيل المحافظة على الشرف.
٨ ـ عزل الآلاف من الوظائف الحكومية.

هذا بالإضافة إلى تدمير آلاف المحلات وإتلاف المزارع، وإحراق البيوت، وهدم المدارس والمستشفيات، وأعمال النهب، وقتل الحيوانات.

ووقف العالم يتفرّج على ما يجري دون حركةٍ، وسكتت الأمم المتحدة، وارتاحت الصليبية، وسُرّ أتباعها، ولم يتحرك أولئك الذين يعدّون أنفسهم أوصياء على العالم، وعلى الحرية والسلام العالمي... ما دامت القضية تنال المسلمين، أما المسلمون فهم وراء الذين يسيرون في فلكهم، أو في غفلتهم سادرون، ووراء قضاياهم يلهثون، أو لا يدرون ماذا يجري لجهلهم، وسذاجة علمائهم، أما قيادات العمل الإسلامي فبين سجينٍ، ومضطهدٍ، وشريد، وربما لفّت التيارات بعضهم.

وأما الهند فمستمّرة في بطشها وغيّها تدّعي أن قضية كشمير قضية داخلية، ولا يحقّ لأحدٍ أن يتدخّل في شؤونها، فالولاية جزء لا يتجزأ من الهند، وقد انضمت إليها منذ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وأنها لا تُوافق على الاستفتاء لأن معنى ذلك السماح بتجزئة الهند، وأنها دولة علمانية، يعيش فيها من مائة مليون مسلم. وأن ما يحدث الآن في داخل كشمير لم يكن ليحدث لولا التدخل الخارجي من بعض أمصار العالم الإسلامي، وما إلى ذلك من مغالطات، فالواقع أن كشمير ليست ولايةً هنديةً، والقضية ليست داخليةً، وإنما لا تزال في الأمم المتحدة لم يُبتّ بها، وأن تقسيم شبه القارة الهندية كان على أساسٍ دينيٍ، ومعنى ذلك أن كشمير بأكثريتها المسلمة يجب أن تكون ضمن الأرض الباكستانية، وأن الهند ليست دولةً علمانيةً، وإنما التعصّب الهندوسي هو البارز، وما ينال المسلمين من

اضطهادٍ بين الآونة والأخرى لأكبر دليلٍ على التعصّب للهندوسية. وأنه ليس هناك من تدخّلٍ خارجيٍ، ولكن الضغط يُسبّب الثورة والظلم يُثير الناس، والحقد على الإسلام يُجبر الناس على الدعوة إلى الجهاد.

ونتيجة تفاقـم هذه الأحداث دعت الجماعات الإسلامية والسياسية في كشمير الحرة، وفي باكستان إلى عقد مؤتمرٍ إسلاميٍ لبحث ما يستجدّ على الساحة الكشميرية، وعقد المؤتمر في مدينة (مظفر أباد) عاصمة كشمير الحرة في ٢٢ شوال عام ١٤١٠ هـ (١٧ أيار ١٩٩٠ م) وحضره ممثلون عن كل من الدول الإسلامية: المملكة العربية السعودية ـ الكويت ـ الإمارات العربية المتحدة ـ مصر ـ تركيا ـ بنغالديش إضافةً إلى ممثلي الجماعات الإسلامية والسياسية في باكستان، وكشمير الحرة، وكشمير المحتلّة. وقد صدر بيان في نهاية المؤتمر استنكر فيه الأعمال الوحشية التي يقوم بها الهندوس، ودعا الحكومة الهندية إلى إجراء استفتاءٍ في الولاية لتقـرير مصيـرها، وهـو ما وعدت به كثيراً، وذكرها بتلك الوعود، وأعلن التضامن التام مع الحركات الجهادية في كشمير وبقية المناطق الإسلامية مثل: فلسطين، وأفغانستان، وأريتــريـا، والفيليبين و... انتهى المؤتمـر بهـذا الاستنكـار والكـلام ـ كالعادة ـ.

ومن المؤسف أن بعض الحكومات الإسلامية تُعلن دائماً عن صداقتها مع الحكومة الهندوسية وتأييدها. وإن كانت هذه الحكومات من التي تدور في أفـلاك الدول الكبـرى، وتتبع منـاهجها ردّاً لجميـل تثبيت مراكـزها، واعتمادها، ودعمها، بغضّ النظر عن الإسلام، والرحمة الإنسانية.

الفصل الثالث

الصراع الداخلي

تبلغ مساحة ولاية كشمير ٢٢٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، تشرف حكومة كشمير الحرة «أزاد كشمير» على أكثر من ثلاثة أرباع هذه المساحة (١٧٨,٠٠٠ كم٢)، ولكن هذه المساحة قليلة السكان لأن أكثرها جبلية، وتشمل هذه المنطقة جزءاً من إقليم (جمو) وآخر من إقليم (كشمير) وجزءاً من إقليم (بونغ)، وإقليم (جلجت واستور) كاملاً، وإقليم مناطق الحدود بحدوده جميعها، وتحتلّ الهند القسم الأعظم من أقاليم (جمو) و(كشمير) و(بونغ) ومنطقة (لداخ) كلها، وتبلغ مساحة هذه الأجزاء ٤٤,٠٠٠ كيلومتر مربع فقط، ولكن هذه المساحة هي المهمة، ويتجمّع فيها أكثر السكان.

كان عدد سكان كشمير عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) أربعة ملايين، ويتوزعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٠٧٥,٠٠٠	ويُشكّلون	٧٧٪
الهندوس	٨٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٢٠٪
السيخ	٨٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٢٪
البوذيون	٤٥,٠٠٠	ويُشكّلون	١٪
	٤,٠٠٠,٠٠٠		١٠٠٪

وأصبح عـدد السكـان عـام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) أربعـة مـلايين وخمسمائة وثلاثة وستون ألفاً، ويتوزّعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٠٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٦٥,٧٣٪
الهندوس	١,٤٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٣٠,٧٠٪
السيخ	١٠٥,٠٠٠	ويُشكّلون	٢,٣٠٪
البوذيون	٥٨,٠٠٠	ويُشكّلون	١,٢٧٪
	٤,٥٦٣,٠٠٠		١٠٠,٠٠٪

ويـلاحظ أن عدد المسلمين قـد تنـاقص بسبب القتـل، والهـرب، والهجـرة، وانخفضت نسبتهم من ٧٧٪ إلى ٦٥,٧٣٪ نتيجـة ذلك، أما الهندوس فقد زاد عددهم بنسبة ٧٥٪، فأصبحوا ١,٤٠٠,٠٠٠ بعد أن كانوا ٨٠٠,٠٠٠، وزادت نسبتهم العـددية بين السكـان من ٢٠٪ إلى ٣٠,٧٪ وذلك بسبب انتقال أعداد من الهندوس، ليحلّوا محلّ المسلمين الهاربين من القتل، ولترتفع النسبة العامة كي يستطيعوا مقاومة المسلمين، وليكونوا مخابرات الهند، كما أن أعداداً منهم كانوا من أفراد الجيش الهندي، وربما كان بعضهم جيشاً سرياً. أما السيخ والبوذيون فقد تزايدوا بشكلٍ طبيعي، وارتفعت نسبة كل فريقٍ على نسبته العامة بالنسبة إلى مجموع عدد سكان ولاية كشمير كلها نسبةً بسيطة.

ويُقدّر عدد سكان كشمير عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بخمسة ملايين، ويتوزّعون على النحو الآتي:

المسلمون	٣,٢٧٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٦٦,٠٠٪
الهندوس	١,٥٥٢,٠٠٠	ويُشكّلون	٣٠,٤٠٪
السيخ	١١٥,٠٠٠	ويُشكّلون	٢,٣٣٪
البوذيون	٦٣,٠٠٠	ويُشكّلون	١,٢٧٪
	٥,٠٠٠,٠٠٠		١٠٠,٠٠٪

لم تكن هذه الزيادة الطفيفة في نسبة المسلمين، وانخفاضها النسبي بين الهندوس لتدلّ على تحسّن الوضع، وإنما يعود ذلك إلى زيادة الولادات لدى المسلمين بالنسبة إلى غيرهم.

الصراع الدولي:

حكومة كشمير الحرة (أزادكشمير) ضعيفة الإمكانات لذا فهي تتبع إلى إشراف حكومة باكستان، وتعمل على ضمّ ولاية كشمير إلى باكستان بعد إخراج الهند من الأجزاء التي تحتلّها.

وباكستان أصلاً تعمل على ضمّ كشمير إليها، وتعدّها جزءاً منها، وترى أن تقسيم الهند إنما كان على أساس عقيديٍ، وولاية كشمير أكثر سكانها من المسلمين لذا يجب أن تتبع باكستان، كما أن أهلها يرغبون هذا، ويعملون لذلك، وتتمنّى باكستان إجراء استفتاء للسكان لمعرفة رغبتهم في تقرير مصيرهم، وتُطالب الأمم المتحدة بذلك، وتُذكّر أن الهند طالما وافقت على ذلك، ولكنها لم تُنفّذ، وعندما تطالب بذلك تتمنّع، وتتهرّب، ثم أصبحت ترفض الفكرة.

وأما الهند فإن احتلّت ما احتلّته من كشمير، ثم وافقت على إجراء استفتاء دعايةً، وكرّرت ذلك، وأخيراً أعلنت أن كشمير جزء منها، وأن ما يخضع لحكومة كشمير الحرة، إنما هو خضوع لباكستان، فباكستان هي المعتدية، وجرت حروب بين الدولتين، ولا تزال القضية مُعلّقة، والاتهامات قائمة.

الصـراع العقيـدي:

إن المسلمين كلهم تـربطهم العقيـدة مع بـاكستان، وهم يـرغبـون الانضمام إليها، ويزيد على ذلك أن مصالحهم تقتضي الالتحاق بباكستان، وهم يسعون إلى ذلك. ولكن لما كانوا يُشكّلون أكثرية السكان فهم ليسوا كتلةً واحدةً، ويضاف إلى الجهل الذي يبعد بعضهم عن بعض، ويسير كل في طريق، ويزيد على ذلك أصحاب المصالح الذين يـرغبون في كسب تأييد غير المسلمين لهم، من هندوس، وبوذيين، وسيخ فيظهرون الرغبة في العصبية الوطنية، ووحدة الصف، وهذه الكلمات التي وضعت لتحلّ محل الرابطة العقيدية، وربما وجد أصحاب المصالح القوة إلى جـانب الهند، فـأظهروا مـوافقتهم لها، والسيـر بجانبهـا، أو رأوا أن الكلمة المسمـوعة لإنكلترا فتقرّبوا من أعوانها القاديانيين، وبذا تتوزّع كلمة المسلمين، وتفرّق صفهم.

ويقف بالمقابل المسلمون الملتزمون الذين يعرفون واقعهم، ويدركون أمر دينهم، فلا يداهنون أحداً، ولا يسيرون إلا وفق ما تأمرهم به عقيدتهم، فيقفون في وجه المسلمين من أصحاب المصالح، وبقية الفئات من غير المسلمين، في الوقت الذي يريدون لهم فيه الخير، فيعملون على دعوتهم وهدايتهم، ويطلبون لهم الصلاح.

أما الهندوس فيرتبطون بالهند كلياً، من باب العقيدة، ويعلنون ذلك ولا يخفون، ويعترفون أنها حاميتهم، وإذا ما حدثت حادثة استنجدوا بها مباشرة، ولذلك فهـم في صراعٍ مع المسلمين الملتزمين، يتهمونهم أنهم أنصار لباكستان، وأنهم متعصّبون للإسلام في الوقت الذي ترك فيه الناس الدين، وأنهم متطرّفون، وإرهابيـون، وأخيراً أخـذوا يطلقـون عليهم هذه الأوصاف التي حملها الصليبيون، (الأصوليون) و(الإرهابيون).

وأما البوذيون والسيخ فهم أعداء للهند وأعداء لباكستان، وإن كانوا أقرب إلى الهند، أو أن حقدهم عليها أقل، لذلك فهم يعملون على إثارة

الفتن، ويعملون لإشعال نار الحرب بين الفريقين، وإذا سنحت لهم الفرصة عملوا على قتل من يستطيعون من المسلمين سراً وفي الخفاء.

الصراع الحزبي:

حاول المسلمون تنظيم أنفسهم، وقد انضم بعضهم إلى جمعية الخلافة وكان (ميرواعظ يوسف شاه) أحد الذين ساهموا في إنشاء تلك الجمعية.

وشكّل المسلمون المؤتمر الوطني الإسلامي برئاسة الشيخ محمد عبدالله، وانضمّ إليه عدد من الهندوس، ثم ظهر أن رئيسه يتلقّى التعليمات من حزب المؤتمر، وأن هذا التجمّع الإسلامي كأنه فرع لحزب المؤتمر.

شكّل المسلمون نتيجة ما حدث المؤتمر الإسلامي الكشميري برئاسة (شودري غلام عباس)، ووجد له جناح عسكري، هو جبهة تحرير جمو وكشمير، وكان يطالب بالانضمام إلى باكستان.

وفي عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) افتتح فرع لحزب المؤتمر الهندي.

وفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٢ م) زار محمد علي جناح كشمير، وحاول التوفيق بين المؤتمر الإسلامي والمؤتمر الوطني فلم يقبل الشيخ محمد عبدالله، وأصرّ على زعامته الوحيدة.

وعندما اندلعت الثورة في كشمير ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وحكم على الشيخ محمد عبدالله بالسجن ثلاث سنوات، أرسل (نهرو) محامياً، هو (آصف علي) ليدافع عنه، وعندما خرج من السجن تسلّم رئاسة حكومة كشمير التي تخضع للهند، ووقف بجانب المهراجا.

وهكذا وجد صراع حزبي بين المؤتمر الإسلامي الكشميري الذي يعمل للانضمام إلى باكستان وبين حزب المؤتمر الوطني الذي يسعى رئيسه وراء مصالحه.

ووجد صراع آخر بين العلماء إذ كان (ميرواعظ يوسف شاه) قد أسّس

جمعية نصرة الإسلام التعليمية، ويعمل على محاربة القاديانية الفرقة الضالة التي تدعّي الإسلام، وذلك خشيةً من إضلال الناس، وبالمقابل وجد (ميرواعظ همداني) الذي كان يعطف على القاديانية غفلةً، ومصلحةً، ويُؤيّده في ذلك الشيخ محمد عبدالله رئيس المؤتمر الوطني الإسلامي، وكان صراع بين الفريقين.

فالصراع الحزبي في كشمير يقوم على أسسٍ عقيديةٍ، فحزب المؤتمر الهندي يضم الهندوس، ويتبع سياسة الحكومة الهندية، ويدافع عنها، ويهاجم خصومها. والقاديانيون يُؤيدون ذلك ضمناً.

والجماعة الإسلامية تدعو إلى الإسلام، وتريد الخير للجميع لذا تعمل على هدايتهم، وتريد أن يكونوا مثلها، ومن يرضى لغيره ما يرتضيه لنفسه فقد بلغ ذروة الإخلاص والصدق، والمحبة للآخرين.

ولما كان المسلمون هم الغالبية لذا فهم حسب إيمانهم وحسب مصالحهم. فأصحاب المصالح انضموا إلى حزب المؤتمر الوطني الذي يرأسه الشيخ محمد عبدالله، وتؤمن لهم الهند مصالحهم.

والمخلصون والذين عندهم وعي سياسي انضموا إلى حزب المؤتمر الإسلامي الكشميري، ويرون الجهاد، والعمل للانضمام إلى باكستان، وشكّل الذين يحبون الزعامة أحزاباً وجمعياتٍ سياسية كثيرة، ولكنها جميعها تتفق في نقطتين الوقوف في وجه الهند، والرغبة بالانضمام إلى باكستان، ومن هؤلاء تشكلت الجبهة الإسلامية والتي ضمّت عشرة أحزاب وتجمعات دينية، وتشكل الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير وضمّ خمس عشرة منظمة، كما ترأس علي الجيلاني حركة تحرير كشمير التي شملت على عشر منظمات سياسية. ومن هؤلاء أيضاً تشكلت حكومة كشمير الحرّة (أزاد كشمير) برئاسة محمد إبراهيم. وكلها لا تخرج عن النقطتين الأساسيتين اللتين تجمع بين المسلمين ـ كما ذكرنا ـ وهما: الوقوف في وجه الهند، والعمل على الانضمام لباكستان لأنه حسب عقيدتهم، وفيه مصلحة لهم.

الباب الثالث

باكستان الكبرى

الفصل الأول

باكستان إحدى دول الدمنيون

ظهرت دولة باكستان كدولةٍ شبه مستقلةٍ ذات سيادةٍ في ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ ـ ١٤ آب ١٩٤٧ م) ظهرت كإحدى دول الدومنيون، وهي دول كانت تحت الاستعمار البريطاني، أُعطيت شبه استقلالٍ، وبقيت مرتبطةً ببريطانيا، ويجمعها رابط واحد، ويجتمع حكامها الذين تعيّنهم بريطانيا كل مدةٍ، ويكون لقاؤهم برئاسة رئيس الوزراء البريطاني.

عينت إنكلترا على باكستان محمد علي جناح حاكماً عاماً، على حين سُلّم لياقت علي خان رئاسة الوزراء. وتوالى على باكستان في هذا العهد الذي امتدّ تسع سنواتٍ ثلاثة حكامٍ، وكذلك تعاقب ثلاثة رؤساء للوزارة.

١" ـ محمد علي جناح:

وامتدّ حكمه من ٢٨ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٥ آب ١٩٤٧ م) حتى توفي في ٨ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول ١٩٤٨ م)، وقد عانت الحكومة الباكستانية الأولى معاناةً كبيرةً وذلك لـ:

أ ـ الوضع الجغرافي:

تألّفت دولة باكستان يوم تأسّست من جناحين: الجناح الغربي ويشمل ولايات السند، والنبجاب الغربية، وبلوشستان، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية، ويعرف هذا الجناح باسم «باكستان الغربية»، أما الجناح الشرقي فيضمّ البنغال الشرقية، ومقاطعة سيهلت، ويعرف باسم «باكستان الشرقية»،

وبين الجناحين مسافات بعيدة تزيد على ألف وخمسمائة كيلومتر، تشغلها دولة الهند، التي كانت وستبقى خصم دولة باكستان الأول، أُعلن ذلك أم لم يعلن، فلا يمكن الاتصال بين الجناحين إلا عن طريق الجو، ومما يزيد الأمر صعوبةً أن الجناحين مختلفين في طبيعتهما الجغرافية التي ينشأ اختلاف في الإنتاج، وكل جناح بحاجةٍ ماسةٍ إلى الجناح الآخر لتصريف بضائعه فيه، واستيراد ما يحتاج إليه منه، وعلى الحكومة أن تتخطّى هذه العقبة الكأداء وتجد لها حلاً لإمكانية السير، غير أن طاقات الدولة محدودة جداً لما تُعاني من مُشكلات أخرى.

ب ـ المهاجرون:

كان على الحكومة مواجهة مشكلة تسعة ملايين مسلمٍ مهاجرين من الهند إلى باكستان أو فارين من الظلم الهندوسي من غير مأوى إضافةً إلى مُعالجة أسر مليون آخرين قتلوا أثناء سيرهم إلى باكستان، ثم مواجهة مشكلة كشمير واللاجئين منها ويزيدون على المليون، والمهم توجد مشكلة تأمين المأوى والطعام لخمسة عشر مليوناً زيادةً على معاناتهم وما ينجم عنها من مشكلات.

ج ـ الاقتصاد:

لم يكن التقسيم عادلاً بالنسبة إلى الموارد الاقتصادية، إذ تمّ على الشكل الآتي: كان نصيب الهند من الأراضي الزراعية ٦٨٪ من أراضي شبه القارة الهندية على حين كان نصيب باكستان ٣٢٪ فقط، وإن كانت أراضي باكستان أكثر خصوبةً وأوفر ماءً.

أما منابع القدرة فإن معظمها كان من نصيب الهند، إذ أنتجت الهند بعد التقسيم مباشرةً ثلاثين مليون طن من الفحم الحجري. بينما لم تنتج باكستان أكثر من ثلاثمائة ألف طن لهذا كانت تستورد سنوياً من ٢ ـ ٣ مليون طن لسدّ حاجات السكك الحديدية.

أما بالنسبة إلى الصناعة فنلاحظ أن أكثر المعامل كان من نصيب

الهند، إذ نرى أيضاً أن باكستان تنتج ٨٠٪ من الجوت في العالم إلا أن مصانعه كلها كانت من نصيب الهند، وكذلك مناسج القطن ومغازله حيث أخذت الهند ٣٨٠ معملاً بينما لم تظفر باكستان بأكثر من ١٤ معملاً حيث تتركز الصناعة القطنية في مدن (بومباي) و (كلكتا) و (مدراس).

وكان نصيب الهند من السكك الحديدية ٨٣٪ وباكستان ١٧٪ فقط.

وكان في شبه القارة الهندية ٨٧ مدرسةً فنيةً قبل التقسيم، فلما تمّ الاستقلال، وجرى التقسيم كان في المقاطعات الإسلامية ست مدارس فقط وأساتذتها من الهندوس، بينما كانت واحدة وثمانون مدرسةً في المناطق الهندوسية.

وأُعطي للموظفين من مدنيين وعسكريين حرية العمل في أية دولةٍ من دول شبه القارة الهندية.

كما نجد أن الأثاث الحكومي لم تُعط منه باكستان شيئاً، وكان أكثره موجوداً في (دلهي) و (كلكتا) و (بومباي)، وهذا لا شك يُكلّف الكثير.

ويضاف إلى هذا أن الهندوس الذين كانوا يخرجون من باكستان يخرجون بأموالهم وأثاثهم، بينما المسلمون الذين يخرجون من الهند نحو باكستان يفرّون فراراً بأيديهم مذعورين من غير أموالٍ ودون أثاثٍ، وأحياناً حفاةً، يقطعون الطرق الطويلة مشياً خائفين، وكثيراً ما كانوا يضلّون الدروب حيث يهربون من الطرق الرئيسية خشية القتل، ومن يسافر بالسيارات أو القطارات فلا يصل أغلبهم، حيث تتعرّض السيارات والقطارات لهجوم السيخ والهندوس، وتصل وسائل النقل هذه إلى باكستان فارغةً أو ملأى بالجثث.

وكان العسكريون من أصحاب الرتب الكبيرة قليلين في باكستان نتيجة السياسة الاستعمارية البريطانية التي كانت تقوم على تقريب الهندوس، والعمل على إذلال المسلمين والحقد عليهم فتبعدهم عن الكليات العسكرية.

ولم تدفع الهند لباكستان نصيبها من المعدات حتى نستطيع أن نقول: إن إذاعة باكستان كانت في هذه المرحلة مؤلفةً من مجموعة خيامٍ.

وبالنتيجة كان على باكستان أن تقوم بالتصنيع بنفسها دون أن تهمل القطاع الزراعي الذي يعيش منه معظم السكان، ويتوقّف على دوام ازدهاره نجاحها في تأسيس ما يلزمه من معامل، وقد حالفها التوفيق في المحافظة على التوازن بين هذين القطاعين من النشاط البشري، وأصبح لديها عدد كبير من المصانع الحديثة.

د ــ المـال:

رفضت الهند أن تدفع لباكستان نصيبها من المال المضروب، وهو خمسمائة وخمسون مليون روبية والمقرّر دفعه، والمقصد من ذلك الرفض أن تعجز باكستان عن دفع رواتب موظفيها فتعمّ الفوضى، ولا تستطيع باكستان الاستمرار في البقاء، وتعود إلى الهند، ويرجع المسلمون تحت سيطرة الهندوس فيتحكّمون بهم.

هـ ــ العقيدة:

وهو أهم الجوانب التي عانى منها المسلمون في باكستان من أول الأمر. لقد قامت باكستان على أساس الإسلام، وانفصلت عن الهند، ورغبة السكان المسلمين أن تعمل حكومتهم بمقتضى المنهج الإسلامي فتُطبّق الشريعة على مختلف جوانب الحياة.

غير أن زعماء باكستان الذين تولّوا أمرهم لم يكن هذا تفكيرهم أبداً بل لم يخطر على بالهم المنهج الإسلامي، إذ كانت غالبيتهم تنتمي إلى الإسلام انتماءً، وليس له أي نسبةٍ في سلوكهم، أو في منهج حياتهم، بل إن عدداً منهم كان من الفرق الضالة التي تُحارب الإسلام وأهله، ولم يكن ليجمع شملهم، ويُسيّرهم في الدعوة إلى وحدة المسلمين وانفصالهم عن الهندوس سوى ارتقاء زعامة المسلمين، وتحقيق مصالحهم، بل هذا ما عملت له السياسة الإنكليزية إذ رغبت أن يتولّى قيادة المسلمين العلمانيون

منهم، ورجال الفرق الضالة من قاديانيين وإسماعيليين وهم الذين تستطيع أن تتفاهم معهم ما داموا يلتقون معها على محاربة الإسلام. وخوفاً من أن يقود المسلمين العلماء والقادة المخلصون فيعملون بمنهج الإسلام، ويخلصونَ في إعزاز أهله، ورفعِ مكانتهم، والأخذ بأيديهم نحو الرقي، وإعلاء راية الجهاد فيكونون سدّاً في وجه المستعمرين الصليبيين يحولون دون تنفيذ مخططاتهم، ويمنعونهم من استغلال الآخرين، ومن استعمار أراضيهم، وهذا ما يُؤثّر على حياة الصليبيين جميعاً، وعلى مكانتهم التي وصلوا إليها بتسخير الناس واستعبادهم، أما العلمانيون فهم كالهندوس تهمّهم مصالحهم ويمكن أن يعملوا من أجلها كل ما يُرضي المستعمرين الصليبيين.

اندفع المسلمون في الهند وراء الزعماء الذين تسلّموا القيادة من السياسة البريطانية التي أبرزتهم، وعملت على رفع مكانتهم، ونتيجة جهل المسلمين وبساطتهم ساروا وراء هؤلاء الزعماء، وهم يظنّون أنهم يعملون لصالحهم وللدعوة إلى الإسلام، فنادوا بالانفصال كما يريد القادة، ودعوا إلى تأسيس باكستان، واجتماع المسلمين بها، كما يرغب الزعماء، فلما ظهرت باكستان على أساس الإسلام شعر المسلمون بخيبة الأمل إذ لم يتغير عليهم شيء حيث بقيت القوانين الوضعية هي السائدة، والعمل بغير ما أنزل الله هو الشائع، إذن ما الفائدة التي جناها المسلمون من تضحياتهم التي قدّموها؟ صحيح أنه قد وقف تسلّط الهندوس على المسلمين في المقاطعات الإسلامية حيث كانوا هم أصحاب السلطة رغم أن المسلمين يُشكّلون أكثرية سكان تلك المقاطعات ولكنه في الوقت نفسه.

١" ـ بقي المسلمون في بقية المقاطعات التي أصبحت ضمن دولة الهند تحت تسلّط الهندوس الذين زاد حقدهم، بل أصبحوا يعدّون المسلمين في كل أرجاء الهند أعداءً لهم، أصدقاء لباكستان بل عملاء لها، أي خونة لوطنهم لذا كانت تحلّ بهم النكبات بين المدة والأخرى تحت هذا العنوان، وربما من غير عنوانٍ، ودون سببٍ، وتوضع الدراسات

والمخـطـطات للخلاص من المسلمين بـإبـادتهم، أو إجبـارهم على وقف النسل بالعقم الصناعي و. . .

٢" ـ قتـل من المسلمين بسبب التقسيم عـدة مـلايين، وشُـرّد أضعافهم، وحلّ بكشمير ما حلّ، وأصبح المسلمون كالمنبوذين في الهند.

٣" ـ أخذت الفرق الضالة في باكستان تتسلط وتتحّكم بالمسلمين باسم حزب الرابطة الإسلامية، وباسم الانتماء للإسلام دون أن يكون أي مدلولٍ أو مؤشر لهذا الإسلام.

أخذ المسلمون يصحون من رقدتهم ويشعرون أنهم لم يفعلوا شيئاً، ولم يتقدّموا خطوةً واحدةً نحو الإسلام بل بقوا في مكانهم في بُعدهم عن الدين، لذا أخذوا يُطالبون بتطبيق الإسلام ما دامت باكستان قد قامت على هذا الأساس، وأخذ العلماء يُطالبون أيضـاً، وينشطون بـالدعـوة. وبدأت الجماعة الإسلامية تُطالب بإعلان إسلام الدولة. وأعلن أبو الأعلى المودودي في كلية الحقوق في لاهور في شهر ربيع الأول ١٣٦٧ هـ ـ شباط ١٩٤٨ م ولأول مرة:

١" ـ أن الحاكمية في باكستان لله العلي الأحد، وما لحكومة باكستان من الأمر من شيء غير إنجاز أمر مالكها الحقيقي في أرضه.

٢" ـ أن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي لباكستان.

٣" ـ أن كل ما يُعارض الشريعة الإسلامية من قوانين البلاد الجارية يُلغى ويُبطل، وأنه لا يُنفّذ بعد ذلك قانون يُخالف الشريعة.

٤" ـ أن حكومة باكستان لا تتصرّف في شؤون الملك إلا ضمن الحدود التي رسمتها الشريعة.

٢" ـ الخوجا نظام الدين[1]:

تـوفي محمد علي جنـاح في ٨ ذي القعـدة ١٣٦٧ هـ (١١ أيلول

(١) الخوجا نظام الدين: ولد عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، درس القانون، اشتـرك في =

١٩٤٨ م) فعُيّن الخوجا نظام الدين ١١ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٤ أيلول ١٩٤٨ م) حاكماً عاماً لباكستان، وبقي لياقت علي خان[1] رئيساً للوزارة.

استمرّ أبو الأعلى المودودي بدعوته لتطبيق الشريعة في باكستان، فقُبض عليه مع بعض إخوانه، ومنهم طفيل محمد، وحسن إصلاحي وأُودعوا السجن في الأول من ذي الحجة ١٣٦٧ هـ (٤ تشرين الأول ١٩٤٨ م) وعُطّلت جرائد ومجلات الجماعة الإسلامية، ولكن بقيت المطالبة بإسلام الدولة لأن ذلك من مطالب المسلمين جميعاً وليس الجماعة الإسلامية وحدها، لنعدّ ذلك دعوةً أو مطلباً حزبياً، واضطرت الدولة أن تُعلن إسلام الدولة في ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ (١٢ آذار ١٩٤٩ م).

أخذت الأمور تسير بشكلٍ طبيعي في باكستان، وبدأت الأوضاع تتحسّن، وصارت الدولة تُشاركُ في الأحداث الدولية، وفي اللقاءات الإسلامية فعقد المؤتمر الإسلامي في مدينة كراتشي في باكستان، وافتتحه رئيس الوزراء لياقت علي خان في جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ (شباط ١٩٥١ م).

= الحركة الوطنية، انضم إلى حزب الرابطة الإسلامية، تولى رئاسة حكومة البنغال قبل التقسيم. تزعم عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) مجلس المستشارين للرابطة، وهو جبهة معارضة داخل الحزب، وتوفي في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٦٤ م).

(١) لياقت علي خان: ولد في ١٢ ربيع الثاني ١٣١٣ هـ (الأول من تشرين أول ١٨٩٥ م)، وتعلم بجامعة عليكرة بالهند، ثم درس الحقوق بجامعة أكسفورد، وبعد عودته إلى الهند اشتغل بالمحاماة، وانظم إلى حزب الرابطة الإسلامية، واللجنة المركزية للحزب، ومنذ ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) تولّى أمانة سر الحزب، وانتخب عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) عضواً في المجلس التشريعي المركزي للهند، كما عُيّن بعد الحرب العالمية الثانية وزيراً للمالية في الوزارة الائتلافية، واشترك في لجنة تقسيم الهند، وتولّى أول رئاسة وزارة في باكستان، واغتيل في ١٦ محرم ١٣٧١ هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٥١ م) بيد أحد الأفغان.

٣" ـ غلام محمد:

اغتيل رئيس الوزراء لياقت علي خان في ١٦ محرم ١٣٧١ هـ (١٦ تشرين الأول ١٩٥١ م) فعُيِّن غلام محمد حاكماً عاماً على باكستان، وكان من قبل يشغل منصب وزير المالية، وكلف الحاكم السابق الخوجا نظام الدين برئاسة الوزارة.

وبدأ الخلاف بين الحاكم العام الذي هو من إقليم البنجاب من جناح باكستان الغربي وبين رئيس وزرائه الخوجا نظام الدين الذي هو من البنغال، وأخذ هذا الصراع شكلاً بين جناحي باكستان. فالبنغاليون يشعرون أن الجناح الغربي قد سيطر على الجيش، وخاصةً أهل البنجاب منهم، كما سيطر هذا الجناح أيضاً على المؤسسات المدنية، ولم يحصل البنغاليون على التمثيل النسبي الصحيح في المؤسسات الإدارية على الرغم من أنهم كانوا يُشكّلون ٥٣٪ من مجموع السكان.

أخذ رئيس الوزراء يحمل فكرة أهل البنغال بالمطالبة بأن تكون اللغة البنغالية إحدى اللغتين الرسميتين في البلاد، بينما يرى أهل باكستان الغربية بأن تكون لغةً رسميةً واحدةً للبلاد هي لغة (الأردو) التي يعرفها أكثرية السكان في الجناحين إضافةً إلى سكان الهند، وذلك خوفاً من تعدد اللغة، وإبعاد الشقة بين جناحي البلاد.

بدأت مشكلات اللغة، كما برز الخلاف الديني في الجناح الغربي أثناء إعداد مسودة الدستور.

وفي ٣ شعبان ١٣٧٢ هـ (١٧ نيسان ١٩٥٣ م) أقيل الخوجا نظام الدين من رئاسة الوزارة، واختير مكانه محمد علي بوغرا، وهو من الجناح الشرقي أيضاً.

وفي ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) أجريت الانتخابات العامة، وتألفت جمعية تأسيسية لوضع الدستور، وكان أهم عملٍ لها أن وحّدت باكستان الغربية بعد أن كانت عدداً من المقاطعات.

كان غلام محمد يُعاني شللاً أفقده القدرة على العمل فترك منصبه في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م) وقبض على السلطة الجنرال إسكندر مرزا بيدٍ من حديد.

الفصل الثاني

الاستقلال

بعد أن ترك غلام محمد المنصب في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م) تسلّم السلطة الجنرال إسكندر مرزا[١]، وشدّد قبضته عليها.

وجرت في عهده الانتخابات، ووضع الدستور، وجرت انتخابات الرئاسة، وانتخب في ٢٣ رجب ١٣٧٥ هـ (٥ آذار ١٩٥٦ م) إسكندر مرزا رئيساً للجمهورية.

وفي ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م) أعلن الدستور، وقام النظام الجمهوري، وانتهى نظام الدومنيون، وشكّل شودري محمد علي[٢] الوزارة، وأصبح اسم البلاد حسبما نصّ الدستور الأول «جمهورية باكستان الإسلامية». كما نصّ الدستور على أن تكون الدولة جمهورية اتحادية تكون

---

(١) إسكندر مرزا: ولد عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) كان أبوه من أصحاب الأملاك الزراعية، تخرج من جامعة بومباي، وأكمل دراسته العسكرية في كلية (ساندهرست) البريطانية، وتدرج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة لواء، انتخب عضواً في الجمعية التأسيسية عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م)، وهو أول رئيس لجمهورية باكستان.

(٢) شودري محمد علي: ولد في البنجاب عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) من أسرةٍ فلاحية تنتسب إلى قبيلة «شودري»، درس الكيمياء، وتخرج عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م)، ثم انصرف إلى الشؤون المالية والاقتصادية، اشترك في لجنة تقسيم الهند، وتولى وزارة المالية في باكستان، وأشرف على خطة التصنيع، ثم شكّل الوزارة حتى استقال في ٦ ربيع الأول ١٣٧٦ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٥٦ م).

فيها الوحدات مستقلةً في حدودها ضمن السلطات المخولة لها، وكذلك نصّ على أن الدولة ترمي إلى توطيد المبادىء الإسلامية، وخاصةً العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الجميع، ويجب مراعاة تعاليم الإسلام.

وتوالى على هذا العهد ثلاثة رؤساء للجمهورية وهم:

١ ــ اسكندر مرزا:

تسلّم السلطة بعد أن تنحّى غلام محمد في ١٧ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ (٥ آب ١٩٥٥ م).

انتخب رئيساً للجمهورية في ٢٣ رجب ١٣٧٥ هـ (٥ آذار ١٩٥٦ م).

تسلم رئاسة الجمهورية في ١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م).

وقد اضطربت الأمور، واختلت الأوضاع الاقتصادية، فاتجه الشعب نحو البلدان العربية.

وفي ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ (٧ تشرين الأول ١٩٥٨ م) ألغى الرئيس اسكندر مرزا الدستور، وحلّ المجلس النيابي، وفرض الأحكام العرفية، وحلّ الحكومة المركزية، والحكومات الإقليمية، والأحزاب كافةً، وعيّن أيوب خان القائد العام للجيش والقوات المسلحة حاكماً عاماً في الرابع من ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩٥٨ م). وبعد عشرة أيام غادر الرئيس اسكندر مرزا البلاد، وتسلّم أيوب خان السلطة مكانه. ولا شك أن الدول الأجنبية التي لها مصالح في باكستان كانت ترغب في أن يكون الحكم عسكرياً فلا يرتفع صوت يعارض السياسة، ولا يطالب داعٍ بالوقوف في وجه المصالح الاستعمارية.

٢ ــ أيوب خان:

[٤ ربيع الثاني ١٣٧٨ ـ ٧ محرم ١٣٨٩ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩٥٨ ـ ٢٥ آذار ١٩٦٩ م)].

بعد ثلاثة أيام من استلام أيوب خان منصب الحاكم العام صدر مرسوم في ٧ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ يتضمن تغيير اسم البلاد من «جمهورية باكستان الإسلامية» إلى «الجمهورية الباكستانية» وإن لم يُنفّذ حتى صدر الدستور الجديد في ٦ محرم ١٣٨٢ هـ (٨ حزيران ١٩٦٢ م).

أكد أيوب خان سلطانه في استفتاء جرى في شعبان ١٣٧٩ هـ (شباط ١٩٦٠ م)، وحصل على (٧٥,٢٨٣) صوتاً من (٧٨,٧٢٠) صوتاً من أصحاب الحق في التصويت طبقاً للأسس التي وضعت آنذاك.

أعلن أيوب خان تحديد الملكية، ونقل العاصمة الاتحادية من «كراتشي» إلى «روالبندي» بحجة أن العاصمة يجب أن تكون قريبة من منطقة العمليات المتوقّعة في «كشمير».

وجرت اتفاقية بين باكستان والهند حول مياه نهر السند في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ (١٩ أيلول ١٩٦٠ م) حيث أخذت باكستان مياه أنهار: السند، وجيهلم، وشناب، على حين أخذت الهند مياه أنهار: ستلج، وبياس، ورافي. وكان الخلاف يحدث كثيراً بين الدولتين على مياه الأنهار، إذ أن معظمها يأتي من المناطق التي تسيطر عليها الهند في كشمير، وتجري نحو باكستان، ففي الوقت الذي تقطع فيه المياه عن باكستان تعيش تلك المناطق ظمأى، وقد قطعت الهند المياه عن مدينة «لاهور» عدة أسابيع في جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ (نيسان ١٩٤٨ م).

وصدر دستور جديد للبلاد في ٦ محرم ١٣٨٢ هـ (٨ حزيران ١٩٦٢ م). وقسمت كل من باكستان الغربية والشرقية إلى أربعين ألف دائرة انتخابية، وكل دائرة تضمّ حوالي ألف ناخب، وتنتخب ممثلاً عنها. ويُمثّل هؤلاء المنتخبون (الثمانون ألفاً) هيئة الناخبين. وتنضمّ كل عشر دوائر انتخابية وتشكل المجلس الاتحادي. ويُشكّل رؤساء المجالس الاتحادية ولجان المدن مجلساً ثانياً.

واشترط الدستور أن يكون الرئيس مسلماً، ويُختار لمدة خمس

سنوات، ويجوز إعادة انتخابه، وإذا استمر في منصبه فلا يحقّ له إعادة ترشيح نفسه، ما لم توافق على ترشيحه أغلبية الجمعية الوطنية، والجمعيتين النيابيتين، والرئيس هو القائد الأعلى للدفاع، وفيه تتركز السلطة التنفيذية العليا.

ويختار أعضاء مجلس الوزراء من خارج الجمعية الوطنية. ويصدر ما يراه ضرورياً من المراسيم في حالة غياب الجمعية الوطنية. وله أن يحلّ الجمعية الوطنية قبل أن تنتهي مدتها، وهو في هذه الحالة يعد مستقيلاً وعليه أن يعيد ترشيح نفسه.

ولا تكون القوانين نافذة المفعول إلا إذا حصلت على موافقة ثلثي أعضاء الجمعية الوطنية.

ويحق لثلثي أعضاء الجمعية الوطنية الطلب من رئيس الجمعية إعفاء الرئيس من منصبه في حالة اقتناعهم بحدوث مخالفة دستورية ارتكبها الرئيس، فإذا وافق على هذا الطلب ثلاثة أرباع أعضاء الجمعية يُعفى الرئيس، فإذا وافق النصف فقط يعد هذا النصف قد فقد مقعده في الجمعية الوطنية.

ويمارس السلطة التنفيذية في كل إقليم حاكم ذلك الإقليم.

وتتألف الجمعية الوطنية من مائة وخمسين عضو في كل إقليم إضافة إلى ست مقاعد خصصت للنساء.

وفي عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) جرى اتفاق مع الصين بشأن الحدود المشتركة بين الدولتين في «كشمير الحرة» ورسمت تلك الحدود.

وفي شهر رمضان من عام ١٣٨٤ هـ (كانون الثاني ١٩٦٤ م) صدرت أوامر بحلّ الجماعة الإسلامية، ومصادرة أموالها، وكانت الحكومة من قبل شهر قد صادرت مجلة «ترجمان القرآن» التي كان يصدرها أبو الأعلى المودودي، وزجّت به مع أعضاء جماعته البارزين في السجون. وتوقّع المراقبون السياسيون قرب نشوب حربٍ تشترك فيها باكستان، حيث

لم يسبق أن وقعت حرب بين دولة إسلامية وبعض أعدائها، وكانت في تلك الدولة حركة إسلامية نشطة، إلا وسبق هذه الحرب اعتقال أعضاء هذه الحركة الإسلامية واضطهاد أفرادها.

وأكّد الرئيس أيوب خان سلطته مرةً أخرى باستفتاء جرى على رئاسة الجمهورية في رمضان ١٣٨٤ هـ (كانون الثاني ١٩٦٥ م)، وقد حصل على (٤٩,٦٤٧) صوتاً ضدّ (٢٨,٣٤٣) صوتاً حصلت عليها منافسته فاطمة جناح شقيقة محمد علي جناح.

وفي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) وقعت الحرب بين باكستان والهند بشأن كشمير، إذ رأينا حركة الجهاد الكشميرية قد نشطت، وأحرزت انتصارات كثيرة على حكومة الهند المسيطرة على كشمير بالقوة، فرأت الهند أن توسّع نطاق الحرب على باكستان لتكون حرباً نظامية، فتحفظ ماء وجهها بهزيمتها أمام المجاهدين الكشميريين ، وكان الجيش الهندي مندفعاً نحو الحرب في باكستان، لينزع عن نفسه المهانة التي مُني بها في قتاله مع الجيش الصيني عام (١٣٨٢ هـ)، وفي ظن قادته أنهم سيحرزون نصراً حاسماً على باكستان.

اخترق الجيش الهندي خط وقف إطلاق النار في كشمير، واحتلّ أربعة مراكز في دولة كشمير الحرة، وأعلن وزير الدفاع الهندي النبأ أمام المجلس النيابي، فصفّق له النواب واقفين، وأحسّت دلهي بنشوة الظفر. وأعلنت الهند أنها ردّت على تحركات من أسمتهم بالمتسللين الباكستانيين إلى كشمير، وتوقّع بعض المراقبين السياسيين بأن العملية الهندية لن تتعدّى أن تكون أكثر من مناوشات على الحدود ـ كما تفعل عادةً ـ، ولم يكن لباكستان أن تسكت، فإن سكتت فستتمادى الهند كثيراً، وإن سكوت باكستان أول مرة سيشجع الهند على التمادي في الإغارة والهجوم، وستضعف معنويات الجيش الباكستاني، كما أن هذا سينعكس على

المسلمين الذين يعيشون داخل الهند حيث سيتجرأ عليهم الهندوس، إضافةً إلى أن قضية كشمير ستضيع.

قامت باكستان مباشرة بردّ فعلٍ مفاجىءٍ بجنوبي كشمير التي تحتلّها الهند، فانهارت المقاومة الهندية، وساد الذعر الشديد في صفوف الجيش الهندي لشدّة الضربة وعنصر المفاجأة، وأشاع الهنود من شدة الخوف أن باكستان تريد القيام بحركة التفافٍ واسعةٍ بقصد السيطرة على إقليم (جمو) الكشميري.

قامت الهند بهجومٍ على الحدود الباكستانية في منطقة (لاهور) من ثلاث نقاطٍ على جبهةٍ واسعةٍ بطول مائة كيلومتر بالإضافة إلى قصف المدن الباكستانية بالقنابل عن طريق الجو، وكان الهجوم الهندي بكل إمكاناتها ليكون رادعاً لباكستان، ولتنهار مقاومتها، ولتركع على ركبتيها ـ حسب ظنّ الهند ـ وهكذا انتقلت الحرب من كشمير إلى الأرض الباكستانية.

كانت خطوط الدفاع الباكستانية قويةً، والروح المعنوية لدى جنودها مرتفعةً فصمدت وردّت الهجوم الهندي، وهذا ما خيّب أمل الحكومة الهندية في إمكانية إحراز النصر بسهولةٍ حسبما كانت تُفكّر.

وفتحت الهند جبهةً رابعةً في جنوبي باكستان على محور كراتشي التي تُعدّ مكشوفة نسبياً لبعدها عن ساحة العمليات، وتظنّ الهند أن القوات الباكستانية ستسرع إلى الجنوب للدفاع عن كراتشي ميناء باكستان الأول، وخوفاً من عزلها في الداخل فيما إذا تمكّنت الهند من دخول كراتشي، واختراق خطوط الدفاع الباكستانية والسيطرة بالتالي على الساحل. ولكن خاب ظنّ الهند على هذا المحور أيضاً، وردّ الباكستانيون ذلك الهجوم، وظهر تماسكهم في القتال على حين كان الهنود لا يصمدون، وربما لو استمرّت الحرب لانتصرت باكستان ولانتهت قضية كشمير غير أن مجلس الأمن قد أصدر قرار وقف إطلاق النار في ٢٩ شعبان ١٣٨٥ هـ (٢٢ كانون الأول ١٩٦٥ م) فتوقّفت الحرب. ولننظر إلى قوات الطرفين:

	الهنـد	باكستان
القوات البرية	٦٦٠,٠٠٠ جندي وضابط	٣٠٠,٠٠٠ جندي وضابط
فرقة مشاة	١٩	٦
فرقة مدرعة	١	٢
لواء مشاة	٨	—
جماعة مشاة	٢	—
لواء مدرع	١	—
لواء مظلي	١	—
المدفعية:	٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ مدفع	٧٠٠ مدفع
القوات الجوية	٥٠٠ ـ ٦٠٠ طائرة مقاتلة	٣٠ طائرة مقاتلة
	٦ أسراب هليوكوبتر	٣٠ طائرة هليوكوبتر
	—	سرب استطلاع
	—	٣ طائرات نقل
القوات البحرية:		
وحدة	٤١	—
طراد	٢	١
حاملة طائرات	١	—
مدمرة	٦	١١
كاسحة	٦	٨
غواصة	—	١
فرقاطة	٨	—
سفن مراقبة	٩	١٠
سفن معاونة	—	٥

كانت القوات الهندية موزعةً بـاتجاه بـاكستان فقط، وكـأن المناطق الهندية لا تحتاج إلى حمايةٍ، أو أن الفكرة قـائمة مسبقـاً لقتال بـاكستان

والقضاء عليها، وإعادتها تحت سيطرة الهند، وإعادة سكانها كذلك إلى الوثنية الهندوسية، وليس باكستان فقط بل وأفغانستان، وهذا ما مرّ معنا في نداءات غلاة الهندوس.

كانت القوات البرية الهندية موزعةً على الشكل التالي ٨ فرق مشاة، و ٥ ألوية مشاة أيضاً مع الفرقة المدرعة على حدود باكستان الغربية، ومعدّة ضمن فيلقين أحدهما يُرابط في البنجاب والآخر في كشمير.

أما القوات الجوية فإن ٧٥٪ منها موجه إلى باكستان الغربية، وسلاح الجو يُشكّل ثلاثة عشر سرباً، سبعة منها في الغربية، وأربعة في الشرقية، واثنان في الوسطى.

أما القوات الباكستانية البرية فكلها في الغربية باستثناء الفرقة ١٤ مشاة فهي في الشرقية.

والأسلحة الهندية منوعة منها الأمريكي، ومنها البريطاني، ومنها الروسي، وحتى سلاح الطيران كذلك، حيث كان يضمّ بعض الطائرات الروسية (ميغ ٢١)، على حين أن الأسلحة الباكستانية تكاد تكون كلها من النوع الأمريكي.

ظهر في هذه الحرب أن الجيش الباكستاني كان أكثر تدريباً، وأكثر انسجاماً، وروحه المعنوية أكثر ارتفاعاً، ولا غرابة في ذلك فنظام الطبقات في الديانة الهندوسية تجعل الجيش مُفكّكاً، على حين أن الإسلام يجعل من مقاتليه كتلةً واحدةً. كما أن نظام الطبقات يجعل الجند لا يبالون بالنصر كثيراً، لذا تكون الحماسة عندهم ضعيفةً والاندفاع قليلاً، والتضحية معدومةً، بينما المسلمون يسعون وراء النصر ويطلبون الشهادة في سبيل الله، لذا فالحماسة قوية، والروح المعنوية عالية، والتضحية واجبة، والاندفاع عظيم، وقد أبدى الباكستانيون فعلاً في هذه الحرب أنواعاً من الفداء والتضحية كبيرة. وكذلك كان الهنود يستهينون بالباكستانيين لقلّتهم النسبية، ويحسبون أن النصر آتٍ لا محالة لذلك لم يبذلوا الجهد المطلوب، ولم

يستعدّوا الاستعداد الكافي، ولم يهتموا بخصومهم، وبالمقابل كان الباكستانيون يحسبون حساباً كبيراً للهنود لمعرفتهم بأعدادهم الكبيرة، ولعلمهم بأحقادهم الدفينة، وانتظارهم الفرصة لإعمال سلاحهم بالمسلمين لذا فقد استعدّوا، واندفعوا، وشجّع بعضهم بعضاً وكان لهم النصر ـ بإذن الله ـ.

وإضافةً إلى ذلك يجب ألا ننسى أن السلاح الباكستاني موحد، وكله أمريكي، على حين أن السلاح الهندي منوع منه الأمريكي، والروسي، والبريطاني، ولهذا دوره في التخطيط وفي القتال.

مؤتمر طاشقند:

لم يكن يتوقّع أحد أن يُسمح للروس بالتدخّل في شبه القارة الهندية التي كانت إنكلترا تعدّها أثمن درةٍ في التاج البريطاني لذا يجب حمايتها، والحفاظ عليها، وعدم السماح لأحدٍ بالاقتراب منها، ولكن ماذا حدث الآن؟ وكيف يسمح للروس بالولوج إلى داخلها، والوساطة بين أبنائها، والروس هم الذين يُخشى منهم قبل غيرهم، والإنكليز والأمريكان يتفرّجون؟ إنها السياسة واللعبة الدولية، ولننظر إلى بعض منطلقات اللعبة الظاهرة:

١" ـ إن باكستان والهند معاً تدوران في فلك السياسة الغربية، ولا يريد سدنة هذه السياسة أن ينحازوا لطرفٍ دون الآخر فيدفعوا من تخلّوا عنه للتحرّك نحو المعسكر الآخر، لذا أرادوا أن يظهروا على الحياد، والارتباط بالطرفين، ويُعطوا زمام المبادرة لغيرهم، فقدّموها للروس.

٢" ـ إن كفّة باكستان أخذت بالرجحان، وظهر التفوّق الباكستاني على الهند، ولهذا أسرع مجلس الأمن وأعلن وقف إطلاق النار قبل أن تحلّ الهزيمة بالهند.

٣" ـ إن الغرب يميل ضمناً إلى الهند فهي دولة هندوسية وثنية لا منهج لها يُخيف، ولا نظام يُخشى بأسه وإنما تأخذ المنهج والنظام الغربي دون معارضةٍ ما دامت لا تملك شيئاً. أما باكستان فهي دولة مسلمة،

والحركة الإسلامية فيها نشيطة، والإسلام له منهجه الخاص، ونظامه الخاص، وكلاهما يختلف ويتعارض مع النظام الرأسمالي بل والشيوعي وكل الأنظمة الوضعية، كما أن للمسلمين شخصيتهم المتميزة، ولهم تطلّعاتهم المستقبلية في الدعوة ونشر الإسلام، ومحاربة الظلم، والوقوف في وجه الاستبداد واستغلال الآخرين التي منها الاستعمار. وإذا كان حكام باكستان اليوم يسيرون في فلك السياسة الغربية لكن هذا غير مضمون في المستقبل وخاصةً إذا ما نجح الإسلاميون وآلت إليهم الأمور، وعندها سيلقون كل دخيلٍ ومستغلٍ خارج الحدود، ومن هنا كان تفضيل الغربيين للهند، ورغبتهم بأن تكون الحرب لصالحها.

٤″ ـ إن الروس يميلون إلى الهند أيضاً، فإضافةً إلى ما ذكرنا في الفقرة السابقة فإن الهند على خلافٍ مع الصين، وقد جرى بينهما قتال قبل ثلاثة أعوامٍ أي في عام ١٣٨٢ هـ، واندحرت الهند، ولا تزال تحقد على الصين، والروس على خلافٍ مع الصين من حيث الفكر الشيوعي والتطبيق الماركسي، وعدوّ عدوّك صديقك، فالروس أصدقاء للهند، ويريدون لها النصر، هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الروس يخشون انتصار باكستان الذي قد يُثير المسلمين الذين يسيطر الروس على بلادهم، كما أن انتصار باكستان قد يجعلها قويةً، وتتجه نحو أفغانستان، وتندمج معها، وخاصة أن قبائل الشمال الغربي الباكستاني (الباتان) لهم تتمة في أفغانستان ويُشكّلون ٦٠٪ من سكانها. فإذا ما اندمجت باكستان مع أفغانستان كانت دولةً قويةً على حدود الأمبراطورية الروسية. ومن هنا تكون روسيا قد أُصيبت بنكبتين: أولاهما وجود دولةٍ قويةٍ معاديةٍ لها ولسياستها، وفكرها، ومنهجها، ومعنى ذلك أنها ستكون في صراعٍ دائمٍ معها، وثانيتهما: أن الدولة الجديدة (باكستان+ أفغانستان) دولة مسلمة، وروسيا تسيطر على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي بل إن بعض الجمهوريات الإسلامية في تركستان والتي يسيطر عليها الروس، وتُسمّى بأسماء القبائل الرئيسية فيها (طاجيكستان، أوزبكستان، تركمانستان) تمتدّ هذه القبائل إلى داخل أراضي الدولة

الجديدة، ومعنى هذا أن المسلمين سينتفضون على الروس، وسيجدون الدعم، وستتفكك الإمبراطورية الروسية.

٥" ـ إن أفغانستان قد تركها الغرب ضمن دائرة النفوذ الروسي عندما جرى اقتسام مناطق النفوذ فيما بينهما، أو توزيع الغنائم، لذا تريد روسيا أن لا يمسّ أحد أفغانستان، وألا تكون دولة قوية على حدودها، وخاصةً باكستان التي تشترك مع أفغانستان بالعقيدة ووحدة القبيلة. ومن هنا كانت روسيا لا تريد لباكستان القوة، ولا تريد لها النصر بل تريد ذلك للهند وتقف إلى جانبها.

٦" ـ إن العلاقات توطّدت بين باكستان والصين، وخاصةً في الآونة الأخيرة بعد القتال الذي جرى بين الصين والهند، ولما كانت الصين على خلافٍ مع روسيا لذا فإن باكستان تقف ضدّ روسيا وفي الخندق الذي تقف فيه الصين.

ومن هنا كانت روسيا تلتقي مع الغرب في الرغبة في انتصار الهند على باكستان، ولذا فإن الغرب قد أراح نفسه من هذه التبعية حيث لا يريد الانحياز إلى أحد طرفي النزاع فكلاهما من أعوانه الذين يسيرون في فلكه، وألقى المهمة على روسيا، ويعرف أنها ستصل بالموضوع إلى الهدف نفسه الذي يريده، ومن ناحية أخرى لا يخشى على الهند من روسيا لبعدها عنها، ولتركيز وضعه في الهند، كما يرغب أن يقع الشقاق بين باكستان وروسيا على نطاقٍ أوسع مما هو عليه، حيث لروسيا أطماع في باكستان إذ تكون طريقها إلى المحيط الهندي بعد السيطرة المرتقبة على أفغانستان، ولها علاقات معها قبلية، كما أن الحدود ستكون طويلةً، وفيها مشكلة، وهي الحدود القائمة الآن بين باكستان وأفغانستان.

دعا الرئيس الروسي ألكسي كوسيغين رئيسي طرفي النزاع إلى عقد مؤتمر قمةٍ في مدينة طاشقند قاعدة جمهورية أوزبكستان الإسلامية التي تخضع للسيطرة الروسية كنوعٍ من الإغراء لباكستان، والرئيس الروسي

مسرور بهذه المهمة إذ لأول مرة يتوسّط روسي في قضيةٍ تتعلّق بـالهند، وبريطانيا بل والغرب يتفرّج.

عقد المؤتمر في ١٤ رمضان ١٣٨٥ هـ (٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م)، وقد حضره لال بهادور شاستري رئيس وزراء الهند ممثلاً لحكومته، ورئيس جمهورية باكستان أيوب خان، وكـان الرئيس الـروسي مدة المؤتمـر كلها موجوداً في طاشقند للتسوية بين الطرفين فيما إذا حدث اختلاف في وجهات النظر. وصدر إعلان طاشقند، وجاء فيه: يتضمن التزام الدولتين بالمبادىء الآتية:

- تصميم البلدين على إعادة العلاقات السلمية بينهما، وتدعيم العلاقات الودية بين الشعبين.
- التزام ميثاق الأمم المتحدة، وحلّ الخـلافات بـالطرق السلميـة لذلـك نوقشت مشكلة كشمير وتبادل الطرفان وجهات النظر بخصوصها.
- يلتزم البلدان بسحب قواتهما المسلحة في موعدٍ لا يتجاوز (٢٥ شباط ١٩٦٦ م) إلى المـواقع التي كـانت عليها قبـل الخامس من آب عـام ١٩٦٥ م، ويُراقب كل من الطرفين وقف إطلاق النار.
- تقوم العلاقات على أساس مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- يلتزم كل من البلدين بوقف الدعاية المعادية للآخر، وتشجيع الدعـاية التي تدعم العلاقـات الودية بينهما.
- عودة العلاقـات السياسيـة والاقتصاديـة والتجاريـة بين البلدين، وتبادل الأسـرى، وبحث المشكلات الخـاصة بـاللاجئين، وإعـادة الممتلكات والودائع التي استولى عليها كل جانب أثناء القتال.
- استمرار عقد الاجتماعات على مستوى القمة وعلى المستويات الأخرى في الأمور المشتركة، وإنشاء أجهزة هندية ـ باكستانية تخبـر حكومـاتها بالخطوات التي يجب اتخاذها مستقبلاً.

وفي ١ شـوال ١٣٨٥ هـ (٢٢ كانـون الثاني ١٩٦٦ م) اجتمـع في دلهي كل من رئيسي القوات الهندية والبـاكستانيـة. وبدأت في ٤ شـوال

١٣٨٥ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٦٦ م) عمليات انسحاب القوات، وتبادل الأسرى، وتحليق الطائرات الباكستانية فوق الهند في طريقها بين شطري باكستان، كما عادت علاقات التجارة والاقتصاد، والنقل، والتبادل الثقافي، وتشكلت في دلهي رابطة الصداقة الهندية ـ الباكستانية.

وهكذا ضاع انتصار باكستان وجهودها بل انقلب إلى شبه هزيمةٍ، إذ لم يعد لها الحق أن تتدخل في شؤون كشمير ما دامت الهند تعدّها جزءاً منها، والبحث في قضايا المسلمين فيها إنما هو تدخل في شؤون الهند الداخلية. وعدّت الهند هذه الاتفاقية نصراً كبيراً، ولقيت تأييداً كبيراً، أما في باكستان فقد لقيت هذه الاتفاقية معارضةً قويةً، وعُدّت فشلاً سياسياً إذ ذهب هدراً جهد الجيش الباكستاني.

ولكن نستطيع أن نقول: إن الهند التي عرفت قوة باكستان على الساحة وإمكانية جيشها لا بدّ لها من أن تعمل على إضعاف باكستان، ولعلّ أول ما يلفت النظر في وسيلة إضعافها هو تجزئتها بفصل شطريها بعضهما عن بعض، وقد بدأ العمل والتخطيط لذلك.

انفراد أيوب خان بالسلطة:

وضع أيوب خان دستوراً جديداً قام على أساس النظام الرئاسي، وعُرف بدستور (١٩٦٢ م) ١٣٨٢ هـ. على حين أن دستور ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) كان يقوم على أساس النظام النيابي، إذ كانت الانتخابات تتّم في الدستور السابق على مرحلتين، تختار في المرحلة الأولى «هيئة الناخبين» التي تتألف من ثمانين ألف عضو، تختار بالتساوي من إقليمي باكستان: الإقليم الشرقي، والإقليم الغربي، لمدة خمس سنواتٍ، وهي التي تنتخب الجمعية الوطنية ورئيس الجمهورية، وتتألف الجمعية الوطنية من ثلاثمائة وعشرة أعضاء، ورئيس الجمهورية يجب أن يكون مسلماً، ويجوز انتخابه مرتين، وإذا تجاوز حكمه الثمان سنوات لا يستطيع أن يُرشّح نفسه مرةً أخرى.

أما الدستور الذي وضعه أيوب خان عام ١٣٨٢ هـ فقد حظر نشاط الأحزاب السياسية، وجعل رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للدفاع، وهو الذي يختار الوزراء من خارج الجمعية الوطنية، كما يحقّ له أن يحلّ الجمعية الوطنية، ويمكنه أن يُصدر المراسيم في حال غياب الجمعية الوطنية، ولا يصدر أي مشروعٍ حتى يُوافق عليه الرئيس، وربما يُوافق على مشروع إذا أجازه ثلثا أعضاء الجمعية الوطنية، وقد يُقرّه بعد إجراء استفتاءٍ عليه. وجعل هذا الدستور الجمعية الوطنية ١٥٦ عضواً مناصفةً بين إقليمي باكستان، ويتمّ انتخاب مائة وخمسين عضواً منهم والست الباقية فقد خصصت للنساء بحيث يكون ثلاث نسوة من كل إقليم. أما الهيئة النيابية فتتألف من مائة وخمسين عضواً في كل إقليم ويضاف خمس نساءٍ للهيئة في كل إقليم. أما السلطة التنفيذية في كل إقليمٍ فهي بيد حاكمٍ يُعيّنه الرئيس، ويختار الوزراء. ويعني هذا أن كل شيء أصبح بيد رئيس الجمهورية. ونصّ الدستور على إقامة محكمةٍ دستوريةً عليا، ويجب ألاّ يصدر أي تشريعٍ يتعارض مع القرآن أو السنة. كما أن القوانين النافذة يجب أن تُراجع على هذا الأساس، ولذلك فقد أُقيم:

١ ــ مجلس البحوث الإسلامية.

٢ ــ المجلس الاستشاري للفكر الإسلامي.

المعارضة:

تلقّت الهند مساعداتٍ عسكريةٍ ضخمةٍ عام ١٣٨٢ هـ من الولايات المتحدة الأمريكية للخلاف القائم بين الهند والصين، والقتال الذي دار بينهما، وهُزمت فيه الهند، وكانت هذه المساعدات باسم دعم الهند غير أنها في الواقع قد أثارت الباكستانيين الذين عدّوا ذلك انحيازاً للهند ضدّهم، وغدَوا بحاجةٍ إلى من يقودهم خوفاً من قوة الهند وتطاولها عليهم وتهديدهم.

وبرز أيوب خان وتسلّم رئاسة حزب باكستان الإسلامي الذي أُسس

في مدينة كراتشي في شهر ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (أيلول ١٩٦٣ م)، وساعده في ظهور زعامته موت زعيم الهند (جواهر لال نهرو) في مطلع عام ١٣٨٤ هـ (أيار ١٩٦٤ م)، البارز في الهند، فخلى الجو لأيوب خان في ظهوره كزعيم في شبه القارة الهندية. واقترح أيوب خان عقد حلف استانبول في ربيع الأول ١٣٨٤ هـ فكسب تأييد مسلمي باكستان الذين شعروا بضرورة عقد هذا الحلف للوقوف في وجه الهند التي حصلت على تأييد الولايات المتحدة لها.

ومع هذه الدعاية التي حصل عليها أيوب خان إلا أن معارضةً أخذت تقف في وجهه، وحمل لواءها في بداية الأمر الخوجا نظام الدين الذي كان حاكم باكستان ثم رئيس وزرائها وذلك في العهد السابق. وتوحّدت جهود المعارضة في ١٢ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ (٢١ تموز ١٩٦٤ م) حيث ائتلفت خمسة أحزابٍ، فيما سُمّي حزب المعارضة المتحد، وأمكن التوصّل إلى إعلانٍ من تسع نقاطٍ اتخذ كبرنامج انتخابي، وهذه النقاط هي:

١ ــ وضع دستور (ديمقراطي).
٢ ــ الانتخاب الشعبي المباشر للجمعية الوطنية، والهيئتين النيابيتين في إقليمي باكستان.
٣ ــ إعطاء هذه الجمعيات سلطاتٍ تشريعيةً كاملةً في الأمور المالية وشؤون الميزانية.
٤ ــ إقامة نظامٍ نيابيٍ اتحاديٍ يحفظ لإقليمي باكستان استقلالهما الذاتي على أن يُمثّل الإقليمان تمثيلاً مُتكافئاً في الحكومة المركزية.
٥ ــ تقييد سلطات رئيس الجمهورية.
٦ ــ فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية.
٧ ــ إعطاء المحاكم العليا الاختصاص المتعلّق بمراجعة دستورية القوانين.
٨ ــ الإفراج عن المعتقلين السياسيين جميعاً.
٩ ــ إلغاء كل قوانين القمع.

أما الأحزاب فهي:

١ ـ الرابطة الإسلامية التي برئاسة الخوجا نظام الدين.

٢ ـ الجماعة الإسلامية برئاسة أبو الأعلى المودودي.

٣ ـ حزب نظام الإسلام برئاسة شودري محمد علي، الذي كان رئيساً للوزراء قبل تسلّم أيوب خان السلطة.

٤ ـ حزب عوامي الوطني برئاسة عبدالحميد خان بها شاني.

٥ ـ عصبة عوامي برئاسة نواب زاده نصر وأمانة سر مجيب الرحمن.

وطالبت المعارضة بتشكيل حكومةٍ انتقاليةٍ تُشرف على الانتخابات، وأن يُعطى مرشح المعارضة ما يُعطاه مرشح الحزب الحاكم، ولكن لم يأبه الحكم بمطالب المعارضة.

وكانت الحكومة وحزب باكستان الإسلامي الحاكم يُشيعون أن الهند تُشجّع المعارضة في الإقليم الشرقي، على حين تُشجّع الولايات المتحدة المعارضة في الإقليم الغربي. وأن هناك مؤامرةً تُحاك ضدّ باكستان تهدف إلى فصل إقليميها بعضهما عن بعضٍ، ولهذا نجد في المعارضة حزب عوامي بجناحيه، ومعروف عن هذا الحزب دعوته لتقسيم باكستان، وفصل الإقليم الشرقي عن الغربي، وكيف تتفق الجماعة الإسلامية والإسلام يدعو إلى الوحدة، مع هذا الحزب الانفصالي الذي يدعو إلى التجزئة.

اقترب موعد الانتخابات وأخذت المعارضة تبحث عن مرشحٍ للرئاسة، واستمرّ البحث شهرين، ولم تعثر على منافسٍ لأيوب خان، وفي ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ (١٩ أيلول ١٩٦٤ م) استقرّ الرأي على ترشيح فاطمة جناح شقيقة محمد علي جناح بعد تمنّعٍ وتردّدٍ، والغريب في ذلك تأييد الجماعة على هذا الترشيح على حين لا يصحّ ذلك شرعاً، وأبو الأعلى المودودي أهل علمٍ، وفي الجماعة كثير من هؤلاء، ومن هنا كان النقد، نقد الترشيح، ونقد الجماعة الإسلامية إحدى فئات المعارضة.

وأعلنت المحاكم إثر ذلك أن حظر الجماعة الإسلامية من قبل الحكومة لم يكن قانونياً.

انتهت المرحلة الأولى من الانتخابات في رجب ١٣٨٤ هـ (تشرين الثاني ١٩٦٤ م)، وجاءت المرحلة الثانية في رمضان ١٣٨٤ هـ (مع بداية عام ١٩٦٥ م) بالاقتراع على رئيس الجمهورية، وقد فاز أيوب خان على منافسته فاطمة جناح فوزاً ساحقاً إذ حصل على ٦٣٪ من مجموع الأصوات حيث نال ٤٩,٦٤٧ ألف صوت. على حين لم تحصل هي إلا على ٣٦٪ من مجموع الأصوات، وبدت المعارضة ضعيفةً، حيث نالت ٤٨,٣٤٣ ألف صوت.

وجاءت الحرب بين الباكستان والهند فانصرف الناس إليها، وسكتت المعارضة في تلك الظروف، غير أنها قد اشتدتّ المعارضة بعد الحرب حيث شكلت الجماعة الإسلامية مع بعض الأحزاب والجماعات ما عُرف باسم «حركة باكستان الديمقراطية»، وانتقد وزير الخارجية ذو الفقار علي بوتو اتفاقية طاشقند، وأُقيل من الوزارة، وشكّل حزب الشعب عام ١٣٨٧ هـ، وأخذ يُلقي تصريحات ضدّ الهند، وينتقد اتفاقية طاشقند، ويدعو إلى تحرير كشمير، ويُنادي بتطبيق منهجٍ اشتراكيٍ، فاكتسب شعبيةً وإن أحجم الكثير عن تأييده لدعوته إلى المنهج الاشتراكي رغم قبوله بكل ما سوى ذلك، ثم أخذ ذوالفقار علي بوتُو يُهاجم حكم أيوب خان، وقامت المظاهرات في ١٧ شعبان ١٣٨٨ هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ م) وبعد خمسة أيام اعتقل ذو الفقار علي بوتو، وزعماء حزب عوامي في الإقليم الغربي بتهمة التحريض على الفوضى، ولكن استمرّت المظاهرات التي كانت تقودها الجماعة الإسلامية. وأعلن أيوب خان في ٤ ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (٢١ شباط ١٩٦٩ م) أنه لن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية هذه المرة.

انضمّ إلى المعارضة الجنرال أصغر خان وكان من قبل من أعوان

أيوب خان، وشكّل حزب العدالة في شهر ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (آذار ١٩٦٩ م) كما مشى في المعارضة الجنرال عزام خان، والقاضي مرشد الذي كان رئيس قضاة باكستان الشرقية، وهكذا اتسع نطاق المعارضة، واشتدّت.

عزم أيوب خان على زيارة باكستان الشرقية في رمضان عام ١٣٨٨ هـ (أواخر عام ١٩٦٨ م)، وكانت باكستان الشرقية حتى هذه المرحلة بعيدةً عن المظاهرات، وخاصةً بعد اعتقال مجيب الرحمن وزعماء حزب عصبة عوامي في عام ١٣٨٦ هـ، وقيام الحرب الباكستانية ـ الهندية والتي ولدت لدى سكان جناح باكستان الشرقي شعوراً بالعجز العسكري من جانب الحكومة المركزية، وخاصةً بالنسبة لإقليمهم. وقد وضع مجيب الرحمن الذي آلت إليه زعامة حزب عصبة عوامي ست نقاطٍ في سبيل استقلال الإقليم الشرقي، ومعاملة إقليمي باكستان كوحدتين اقتصاديتين، وهذه النقاط هي:

١ ــ وضع دستورٍ جديدٍ لباكستان، وأن يُقيم هذا الدستور اتحاداً حقيقياً من الإقليمين، وأن يتمّ التحوّل بباكستان إلى نظامٍ نيابيٍ يتأكّد فيه تفوق السلطة التشريعية التي يتمّ انتخابها انتخاباً شعبياً مباشراً.

٢ ــ حصر وتركيز مسؤولية الحكومة الاتحادية في ناحيتي الدفاع والسياسة الخارجية، وما عدا ذلك من أمورٍ فيجب أن تدخل ضمن السلطة الكاملة للولايات التي يتكوّن منها هذا الاتحاد.

٣ ــ إيجاد نظامين مستقلين ومنفصلين للنقد في باكستان، وجعل النقد في كلٍ منهما قابلاً للتحويل الحرّ. وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فليس هناك ما يمنع من اتباع نظام نقدي مُوحّد لباكستان كلها، شريطة أن يتمّ إيقاف التدفّقات النقدية ورؤوس الأموال من باكستان الشرقية إلى الغربية. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن تكون هناك سياسة مالية ونقدية مستقلة لباكستان الشرقية.

٤ ـ نقل سلطة فرض الضرائب وجمع الإيرادات من الحكومة الاتحادية إلى حكومات أقاليم الاتحاد، على أن تُخصّص نسبة من حصيلة هذه الضرائب والدخول لمقابلة نفقات الحكومة الاتحادية.

٥ ـ إيجاد نظامين منفصلين للحسابات الخاصة بالدخل المتحصّل من المبادلات الخارجية لإقليمي باكستان، ويكون الوفاء بمتطلبات الحكومة الاتحادية من النقد الأجنبي مسؤولية إقليمي باكستان إما على أساس المساواة وإما وفقاً لمعادلات يتمّ تحديدها، وتكون حركة البضائع بين إقليمي باكستان حرةً دون قيودٍ أو عوائق جمركية، كما يجب أن يمنح الدستور إقليمي الاتحاد حقّ إقامة روابط تجارية مع الدول الخارجية.

٦ ـ الإقرار لباكستان الشرقية بحق إقامة تنظيماتٍ عسكرية خارج إطار القوات المسلحة النظامية.

ولما قام أيوب خان بزيارة باكستان الشرقية أخذت المظاهرات تعمّ مدن ذلك الإقليم، واشترك فيها أصحاب مشارب شتّى منهم الذين يريدون الانفصال، ومنهم العمال الذين يرغبون في تحسين الأجور، ومنهم الذين يريدون إصلاح الوضع النيابي، وقد لفّ الجميع القيام بالمظاهرات وقد يكون كثير ممن شارك في تلك الحركات قد انساق مع الجموع سوقاً حتى غدت الفكرة الغالبة أن النقمة عارمة، وتُمثّل أكثرية السكان. وهذا ما منع الحكومة من اتخاذ إجراءاتٍ صارمةٍ، وتضرب ضربةً حاسمةً، وأخذ الوضع يتدهور، وفقدت الدوولة سيطرتها على الموقف، فاضطر أيوب خان أن يلجأ إلى الجانب السياسي، فوجّه الدعوة إلى زعماء المعارضة لعقد اجتماعٍ سياسيٍ لمناقشة مسألة الاصلاحات الدستورية. ويبدو أن العسكريين بقواً بعيدين عن الساحة، ولم يروا ضرورةً في الانسياق وراء الرئيس أيوب خان إذ فقد سيطرته، كما لم يرغبوا في فصم الارتباط بين الجيش والشعب هذا بالإضافة إلى أن بعض كبار العسكريين قد أصبحوا ضمن صفوف المعارضة مثل الجنرال أصغر خان، والجنرال عزام خان و. . .

تأجّلت الاجتماعات لوجود بعض الزعماء السياسيين في السجن مثل: ذو الفقار علي بوتو زعيم حزب الشعب، ومجيب الرحمن زعيم حزب عصبة عوامي وغيرهما، وقد تمّ الإفـراج عنهم بعد طلب مُمثّليهم ليحضـروا المؤتمر.

عُقدت الجولة الأولى من المحادثات في مؤتمر المائدة المستديرة في مدينة راولبندي ، وحضره قادة حركة باكستان الديمقراطية، ولجنـة العمل الـديمقراطيـة التي تشكّلت في شوال ١٣٨٧ هـ (مـطلع عـام ١٩٦٨ م)، وكذلك الزعماء المستقلون أمثال الجنرال أصغر خان.

ظهرت خلافات في صفوف المعـارضة إذ أن مجيب الـرحمن كان يُطالب بالاستقلال الذاتي الكامل لباكستان الشرقية، وتمثيلها في المجلس النيابي الاتحادي على أنها تُمثّل أغلبية السكان، ونقل العاصمة الاتحادية إلى الجناح الشرقي، ولكن هذه المطالب قد وجدت معارضةً شديدةً وذلك أن أهم مشكلة تُعاني منها باكستان إنما هي قضية كشمير، وهي موجودة في الجناح الغربي، كما أن ازدحام السكان الكبير في الجناح الشرقي لا يُناسب معه نقل العاصمة إذ تصبح الحياة صعبةً مُعقّدة لكثافة السكـان الضخمة والتي ستزداد ضخامةٍ بنقل العاصمة إلى هناك. واستغلّ أيوب خان هـذه الخلافات، وفضّ المحادثات غير أنه وعد المعارضـة بالـرجوع إلى مبـدأ الانتخاب الشعبي المباشر، والتحوّل من النظام الرئـاسي إلى النظام النيـابي. ولكنـه لم ينظر إلى مـطالب مجيب الرحمن بـاستقلال بـاكستان الشـرقيـة الذاتي، وهذا ما جعل مجيب الرحمن يمتلىء حنقاً ويُصمّم على مُتـابعة مطالبه بل على العمل على تنفيذها.

لم تهدأ الاضطرابات بل زادت تفاقماً إذ لم تأبه المعارضة كثيراً بتلك اللقاءات، وساعد على ذلك أيضاً أن بعض زعماء المعارضة لم يحضروا مؤتمر المائـدة المستديـرة في راولبندي، ومنهم ذو الفقـار علي بوتـو من الجناح الغربي، وعبدالحميد بها شاني من الجنـاح الشرقي، حيث أصـرّ هذان الزعيمان على إسقاط الحكم بالوقوف في وجهه والقيام بمظاهـراتٍ

ضدّه، وانضمّ الفلاحون في باكستان الشرقية إلى المظاهرات وتفاقم الأمر، ولم يجد أيوب خان بداً من اعتزال الحكم فتركه في ٧ محرم ١٣٨٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٦٩ م)، وسلمه إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش الباكستاني الجنرال يحيى خان، وقد جاء في الخطاب الذي أعلن فيه هذا القرار: «هذه هي المرة الأخيرة التي أخاطبكم فيها بصفتي رئيساً للجمهورية، إن الموقف في باكستان يتدهور بسرعةٍ، وباستثناء الدور الذي يمكن أن تقوم به القوات المسلحة، فإنه ليست هناك طريقة دستورية أو عملية لمجابهة الموقف الراهن. إن الأمة كلها تطلب من الجنرال يحيى خان رئيس هيئة أركان حرب الجيش الباكستاني أن يُمارس صلاحياته الدستورية. إنّ أمن وسلامة بلدنا يتطلبان ألا يكون هناك عائق في طريق القوات المسلحة التي يجب أن تُمكّن بكل الطرق من ممارسة واجباتها الشرعية وبالنظر إلى ذلك فقد قررت اليوم اعتزال منصبي كرئيس للجمهورية لأساعد إخوتكم في القوات المسلحة بكل ما أستطيع تمكيناً للنظام وحكم القانون». وهكذا اعتزل أيوب خان وتسلّم السلطة يحيى خان.

كان أبو الأعلى المودودي قد حذّر أيوب خان من الاستقالة واعتزال الأمر، وتسليم السلطة ليحيى خان رئيس هيئة أركان حرب الجيش، فإن مؤامرةً تحاكُ ضدّ باكستان، ولكن أيوب خان لم يستمع إلى ذلك النصح، فحدث الذي كان مخططاً له.

٣" ـ محمد يحيى خان:

[٧ محرم ١٣٨٩ ـ ٣ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٢٥ آذار ١٩٦٩ ـ ٢٠ كانون الثاني ١٩٧١ م)]:

منذ أن تسلّم يحيى خان السلطة شكّل حكومةً عسكريةً، وفرض الأحكام العرفية على باكستان كلها، وحلّ الهيئات النيابية في إقليمي باكستان، ومنع الإضرابات، والمظاهرات، والاجتماعات، وأعطى العسكريين سلطاتٍ استثنائية، وهذا ما أعاد الهدوء غير أنه مشوب بحذرٍ

فافتتحت المدارس، ودارت آلات المعامل، وعادت الحياة في البلاد شبه طبيعيةٍ.

أخذ يحيى خان يجري حواراً ومناقشات مع السياسيين، فأبدوا آراءهم صراحةً، وأظهروا الشدّة في العمل على تنفيذها. وأعلن هو أن باكستان الشرقية لم تحصل في الماضي على حظّها العادل من الرعاية الحكومية، فأخذ لذلك يزيد من استثمارات الحكومة فيها، ويُعطي تسهيلات في الضرائب للمستثمرين، وهذا العمل شّجع أهل ذلك الإقليم على المطالبة بما يُحقّق العدالة، ويُصرّحون بأن ما كان يقوله بعض السياسيين صحيحاً، ولم يكن تضليلاً كما كانوا يظنّون، حيث لم تكن أقوال السياسيين لتُصدّق من قبل.

ومنع الاحتكارات فاستاء التجار الذين يستغلّون البضائع ويحتكرون.

أخذ سكان المقاطعات في باكستان الغربية يُطالبون بإعادة التقسيم على أساس أربع مناطق كما كان سائداً من قبل، وهذه المقاطعات هي: السند، والبنجاب، وبلوشستان، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية. وفي الوقت نفسه أخذ سكان باكستان الشرقية يُطالبون بالانفصال، وخاصةً بعد تصريحات الرئيس يحيى خان نفسه.

بدأ يحيى خان يتقرّب من السياسيين، وقرّر توزيع القادة العسكريين الذين اشتركوا في الحكومة العسكرية التي شكلها إثر تسلّمه السلطة على المناطق وتعيينهم حكاماً عليها، ومنهم (مارشال الجو نورخان، وأميرال البحار سيد محمد حسن، والفريق عبدالحميد خان) ليحلّ محلهم في الحكومة عناصر جديدة من السياسيين المستقلين الذين يرضى عنهم، ويُبدون تجاوباً معه. ولكن هذا كله لم يرض الشعب في الإقليمين.

أخذت الاضطرابات الطلابية تعمّ الجناح الشرقي من باكستان، وتبع ذلك العمال وفي ٤ شعبان ١٣٨٩ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م) أضرب سبعين ألف عامل من عمال النسيج، وانتقل الإضراب إلى الجناح الغربي من مدن: (كراتشي) و(لاهور) و(الملتان)، وأخذ شغب اللاجئين في

مدينة (دكـا) في ٢١ شعبان ١٣٨٩ هـ (أوائـل تشرين الثـاني ١٩٦٩ م)، وبدأت مقاومة المظاهرات بالاعتقالات، وإطلاق النار على المتظاهـرين.
أعلن يحيى خان في ٢٠ رمضان ١٣٨٩ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ م) عن إجـراء انتخابـاتٍ عامـةٍ في البلاد كلهـا في ٢ شعبـان ١٣٩٠ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٧٠ م)، وأن باكستـان الغربيـة ستُقسّم إلى عدة منـاطق، وأن الانتخابات ستكون مباشرةٍ، وهذا يعني إعطاء باكستان الشرقية الأغلبية في الجمعية الوطنية. وأن الجمعية الوطنية التي ستنتخب ستُعطى أربعة أشهرٍ، لتضع دستوراً جديداً، وسيكون النظام نيابياً، وسيترك النظام الرئاسي الذي كـان معمولاً بـه، وأن النشاطـات السياسيـة سيُسمح بهـا في ٢٣ شـوال ١٣٨٩ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٧٠ م).

كان من المقرر أن تجري الانتخابـات في ٢ شعبان ١٣٩٠ هـ (٢ تشـرين الأول ١٩٧٠ م)، ولكن أُجّلت إلى شـوال من العـام نفسـه، أي مـدة شهرين بسبب الفيضانات والأعاصير التي اجتاحت باكستان الشرقية، والتي ذهب ضحيتها ما يقرب من مليون إنسان.

جرت الانتخابات العامة وتكشفت في أجوائها الحقائق الآتية:

١" ــ أوعـزت الهند إلى أعـوانها الهنـدوس في باكستـان الشرقيـة وعددهم عشرة ملايين ليقفـوا إلى جانب مجيب الرحمن، وقد دُعم بالمال، والأعوان.

إن مجيب الرحمن يدعو إلى فصل الجناح الشرقي من باكستان عن الجناح الغربي، ويصـرّ على ذلك فـإذا نجح تمّ الانفصـال، وهذا أكبـر ما تتمنّـاه الهند، إذ تكون باكستان قد ضعُفت كثيراً وهي خصم الهند الأول، والتي انتصـرت عليها قبـل عـدة سنـواتٍ في الحـرب التي جـرت بينهمـا عـام ١٣٨٥ هـ. ولهذا دعمت الهند مجيب الـرحمن وبذلت الكثيـر في سبيل ذلك، هذا من جانبٍ ومن جانبٍ آخـر فإن نسبـة الهندوس سـترتفع في باكستان الشـرقية عنـدما تنفصـل عن باكستـان الغربيـة، وذلك لأن نسبـة

الهندوس في الجناح الغربي ضعيفة. بينما تصل في باكستان الشرقية إلى ١٨,٤٪ من مجموع سكان ذلك الجناح.

٢″ ـ أيّد الشيعة ذو الفقار علي بوتو، وقد أوعز لهم رئيس الدولة يحيى خان بذلك، وهو منهم، وإن انفصال باكستان إنما هو لمصلحتهم حيث ترتفع نسبتهم إذ تصل إلى ٨٪ في الجناح الغربي حيث يتركّزون فيه، على حين لا يوجد شيعة في الجناح الشرقي. لذا فنسبتهم في باكستان كلها (الشرقية والغربية) هي ٣,٤٪، فإذا انفصلت باكستان الشرقية ارتفعت نسبتهم في الغربية إلى ٨٪.

٣″ ـ أيّد القاديانيون ذو الفقار علي بوتو، وقد أظهروا في البداية العمل ضده، ثم تحولوا إلى جانبه ويبدو أن هذا التحول كان بإيحاء من الإنكليز، والقاديانيون مُنظّمون في الجيش، وأجهزة الدولة المختلفة. كان همّ الإنكليز اضعاف باكستان كدولةٍ مسلمةٍ، ولن يكون إضعافها إلا بانقسامها وتجزئتها. وكذلك فإن القاديانيين إنما يتجمّعون في باكستان الغربية، وتكاد تخلو منهم باكستان الشرقية، فإذا تمّ الانفصال كان مركزهم أقوى.

٤″ ـ عمل أصحاب المصالح من الأثرياء في باكستان الغربية لصالح ذو الفقار علي بوتو.

٥″ ـ قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية مائة مليون روبية لكل من مجيب الرحمن، وذوالفقار علي بوتو، وقد نقل هذا الخبر وزير الإعلام الباكستاني السابق حيث ذكر بأن السفارة الأمريكية قد سحبت أربعةً وثمانين مليون روبية بمعدل أربعة عشر مليوناً شهرياً ولمدة ستة أشهر من البنك المركزي لصالح مجيب الرحمن، وعلي بوتو، كما انخفض سعر الدولار بمقدار الخمس نتيجة تدفّقه بواسطة السفارة الأمريكية، وهذا ما صرّح به رئيس الدولة يحيى خان نفسه، حيث أشار إلى الأموال التي تدفّقت من الخارج، ولكن لم يفصح أكثر من ذلك. وقد طلبت منه الجماعة الإسلامية أن يذكر الأحزاب التي تلقّت المعونة، ولكنه صمت.

وتريد أمريكا من وراء هذا الموقف إضعاف باكستان أمام الهند، وإقلاعها عن التفكير بالبحث النووي، والمفاعل الذري، والقنبلة النووية، وانصرافها إلى شؤونها الخاصة، ومشكلاتها التي تنتج عن هذا الموقف من انقسامٍ وتجزئةٍ وضعفٍ، ثم الوقوف في وجه التيار الإسلامي الصاعد ومحاولة خنقه، وتقوية التيار العلماني المعادي للإسلام والملحد أيضاً.

٦" ـ وقفت جهات كثيرة ضدّ الجماعة الإسلامية وعملت على إخفاقها، بل كانت تحرص على الإيقاع بها والبطش بقادتها، ومن هذه الجهات الهند، والصين، وروسيا، وإنكلترا وكلها كان لها دور في هذه الانتخابات، ودعم وتشجيع لأطرافٍ دون أخرى، ومحاربة لفئاتٍ أشدّ وأعنف من فئاتٍ ثانيةٍ.

٧" ـ إن سكان باكستان الشرقية يسهل التأثير عليهم بسبب الفقر، والمجاهدة المستمرة لطبيعة البلاد، فالمجاعات تحدث باستمرارٍ بسبب تأخّر الأمطار الموسمية، والفيضانات التي تتعرّض لها البلاد دائماً نتيجة غزارة الأمطار وعدم ميل الأرض، والأعاصير التي تقف في وجه التيار المائي في الأنهار قبل انصبابها في البحر، كل هذا يجعل المآسي تتكرر، والنكبات تحلّ، والفقر يعمّ، والفقير عادةً لا يهتم بأكثر من تأمين عيشه، وقوت يومه، وكفاحه من أجل رزقه، لذا فأكثر السكان ينساقون وراء كل من يُلوّح لهم بتحسين وسائل العيش، ويُقدّم لهم بعض المناهج لذلك مهما كانت بسيطةً أو نظريةً. ويُضاف إلى ذلك أن أكثر سكان باكستان الشرقية من أصلٍ هنديٍ اعتنقوا الإسلام، وقد عُرف أكثر الهنود بالخمول والكسل، وخاصةً أن هؤلاء كانوا ينتمون بالأصل إلى مجموعاتٍ متواضعةٍ حسب تقسيم المجتمع الهندي الطبقي، فهم يقنعون بالقليل، ويقبلون البسيط، وكان أثر الإسلام فيهم ضعيفاً لبعدهم، وقلة العلماء، والفقر، والجهل، ووصول الإسلام إلى بلادهم في وقت التراجع وأيام الضعف. وكانت الهند تُدرك هذا، وتعرف إمكانية التأثير على سكان باكستان الشرقية، وهذا ما أعطاها

الأمل الكبير في إنجاح مُهمّتها بالتأثير على السكان، وفوز مجيب الرحمن، وتجزئة باكستان كمرحلةٍ أولى، ثم ضمّ ذلك الجناح الشرقي إليها كمرحلةٍ ثانيةٍ، ثم التحكّم بالمسلمين، والعمل على ارتدادهم عن الإسلام، وإعادتهم إلى الهندوسية في المستقبل وهذه هي أمنيتها، وما تهدف إليه، وتضع المخططات في سبيله.

وهناك نقطة لا بدّ من الانتباه إليها حتى نُدرك أبعاد هذه المرحلة، والأسباب التي تجعل دول العالم الكبرى تتدّخل في هذه الانتخابات، وتركّز جهودها عليها، وتُعوّل الكثير على نتائجها وهي أن باكستان كانت تقف دائماً الموقف المعارض والمعادي لدولة اليهود وأطماعها في المنطقة العربية، ومعنى هذا أنها تقف في الموقف الخصم للصليبية المتمثّلة في الدول الكبرى، وهي التي أقامت لليهود دولتهم، وهي التي تحتضنها، تدعمها وتُؤيّدها، وتتبنّى قضاياها كلها، وتسعى وراءها نيابةً عنها، ولذا لا بدّ من إضعافها وتحطيمها، وكان واضحاً لليهودية أن دولة باكستان تُشكّل خطراً جسيماً عليها، ولا بدّ من تصفية حسابها معها، وخاصةً أن الصناعات المحلية الباكستانية قد قويت فيها، ونمت إلى درجةٍ تجعلها تقترب من الاكتفاء الذاتي، وهذا يعني أنها ستستغني عن استيراد البضائع من الدول النصرانية، ولهذا قيمته الكبيرة في حسابات الاستعمار، كما أن اليهود يحلمون في التوسّع في الصناعة، وجعل الشرق سوقاً لهم ولبضائعهم بعد التمكّن من عقد معاهدة سلامٍ مع البلدان العربية بجهود الدول الكبرى وضغطها على حلفائها من الدول وعلى أعوانها، لذا فإن التقدّم الصناعي الباكستاني سيكون عقبةً مباشرةً أمام أحلام اليهود، ويجب ضربه من الآن، ومن وسائل تحطيمه إضعاف باكستان بتجزئتها. هذا على الرغم من أن بعض الدول العربية كانت تُؤيّد الهند في عدوانها على كشمير، وتقف في الصف المعادي لباكستان، وفي الخندق المقابل للمسلمين.

الانتخابات العامة:

جرت الانتخابات العامة في الموعد الذي حُدّد لها في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م)، واشترك فيها أكثر من خمسةٍ وعشرين حزباً، وتنظيماً سياسياً، وقد عملت الحكومة علناً لصالح ذو الفقار علي بوتو، وضدّ الجماعة الإسلامية، حتى استبدلت بعض الصناديق الانتخابية، وقُدّمت الطعون في ذلك من غير فائدةٍ، وانتهت الانتخابات وفاز حزب عصبة عوامي الذي يرأسه مجيب الرحمن بأكثرية مقاعد باكستان الشرقية، والتأم جناحاه تقريباً، وكذلك فاز حزب الشعب الذي يرأسه ذو الفقار علي بوتو، وتفوّق على بقية الأحزاب والجماعات في باكستان الغربية، ولكنه كان مُهدّداً بالتصدّع قريباً حيث كان يضمّ في صفوفه الشيوعيين، والرأسماليين، وأصحاب المصالح، وقد اتفقت آراؤهم في الانتخابات، والتقت مصالحهم، ثم عادوا إلى أفكارهم المتباينة، واتجاهاتهم المتضاربة بعد الانتخابات، وكانوا قد تركوها أو نسوها أثناءها.

أما الصف الإسلامي فكان مُفرّقاً قبل الانتخابات وظهر تصدّعه أثناءها حيث بذلت الأحزاب والحكومة والدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية ـ روسيا ـ الصين ـ الهند ـ إنكلترا) المال ومارست الضغط للوقوف في وجه مرشحي الجماعة الإسلامية، وتأييد أصحاب الاتجاه العلماني، وبرز أثناء الانتخابات رجال كثيرون ادّعوا العلم، وأُعطوا صفة أهل الفتوى، وانطلقوا وراء هذا الزعيم، وخلف ذلك الحزب العلماني، ومع ذلك الاتجاه، وحصلوا على بعض المنافع لقاء تعريضهم بالمرشحين الإسلاميين وخاصةً أعضاء الجماعة الإسلامية.

برز مجيب الرحمن في باكستان الشرقية بل ظهر كزعيم لها، وبرز ذو الفقار علي بوتو في باكستان الغربية، ومعنى ذلك أن الجمعية الوطنية ستكون بيد هذين الرجلين، وأن الصراع سيكون إقليمياً، وتمسّك مجيب الرحمن ببرنامجه ذي النقاط الست، وعارضه ذو الفقار علي بوتو. ثم طالب

زعيم باكستان الغربية باللقاء بمجيب الرحمن الذي تشدّد في طرح برنامجه، وظهرت مشكلات على ساحة اللقاء، ومنها:

١ ـ مشكلة مدى السلطات التي ستُمنح لرئيس الدولة.

٢ ـ مشكلة تقسيم السلطات، وتوزيع الحكومة المركزية بين إقليمي باكستان.

٣ ـ المدى الذي سيتمّ فيه إدخال مبادىء الشريعة الإسلامية.

كان مجيب الرحمن يريد الانفصال بالإقليم الشرقي. وذو الفقار علي بوتو يريد تقويم علاقات باكستان مع الدول الخارجية على أساس موقفها من قضية كشمير، فهو من هذا المنطلق أقرب إلى الصين منه إلى الولايات المتحدة، وهذا ما أعطاه تأييداً واسعاً في منطقة البنجاب، وكذلك أخذ يدعو إلى صنع القنبلة النووية، ويدعو إلى إعلان الحرب مع الهند مدة ألف عام. ولكن كلا الزعيمين كان يدعو إلى تطبيق النظام الاشتراكي، هذا لوضع شعبه البائس ليغريه ويجرّه وراءه، وذاك لإخفاء ارتباطاته والفلك الذي يدور فيه. والشعب المسلم لا يعرف الصدق من الكذب، ومدى إخلاص قادته.

والأمر الذي لا بدّ من التأكيد عليه هو أن على باكستان أن تقف بعد خروجها من محنتها الحالية فتُحدّد طريقها بوضوح لتجعل من الفكرة التي تولّدت عنها واقعاً تعيشه، إن باكستان ما كانت لتوجد لولا هذه الفكرة.

وبينما كانت المهاترات تدور حول الوضع وإذ ببعض الشباب يختطفون طائرةً هنديةً من كشمير إلى مدينة (لاهور) قاعدة منطقة البنجاب في باكستان الغربية، وبعد انتظار دام ثلاثة أيامٍ أُحرقت الطائرة، مما شجع الهند على قطع طريق الجو الذي يصل بين جزئي باكستان الغربي والشرقي، وكان ذلك حافزاً شجّع مجيب الرحمن على التصميم بالمطالبة بالانفصال حيث لا توجد سوى فرقتين من الجيش الباكستاني في الجناح الشرقي، وكانت الظروف ملائمةً لضرب باكستان وتحطيمها.

اضطرت السلطات المركزية الباكستانية إلى تحويل كافة المواصلات إلى شرقي باكستان حول الهند، والالتفاف حول شبه القارة كلها، ولكن ذلك كان يتطلّب من الطائرات التوقّف في مطار (كولومبو) عاصمة سيلان، وعندما رأت الهند استمرار المواصلات الجوية وجّهت ضغطاً سياسياً وتهديداً عن طريق الدول الغربية وروسيا لرئيسة وزراء سيرالانكا (باندرانايكا) لمنع الطائرات الباكستانية من التزوّد بالوقود في مطار (كولومبو)، ولكن سيرالانكا فضّلت الحياد، وإذ بمحاولة انقلابٍ فيها تقوم، وتعمل على فرض السيطرة على العاصمة كإنذارٍ أوليٍ. فاضطرت الحكومة السيرلانكية إلى الخضوع ومنع الطائرات الباكستانية من الهبوط في مطار (كولومبو). وهذا الانقطاع في المواصلات بين جزئي باكستان كأنه انفصال حدث قبل قيامه.

حاول ذوالفقار علي بوتو أن يقتسم السلطة بينه وبين مجيب الرحمن، ولكن لم يحصل التفاهم بينهما، إذ كان مجيب الرحمن يتشدّد في نقاطه الستّ، وفي نيته التأكيد على الانفصال، ولذا كان يطالب بعقد جلسات المجلس النيابي بأقرب فرصةٍ ليتمكّن من إقرار دستورٍ يرتضيه بناءً على أغلبيته المطلقة في المجلس، بينما يرى ذو الفقار علي بوتو تأجيل موعد انعقاد المجلس النيابي إلى أن يتمّ التفاهم مع مجيب الرحمن حول توزيع السلطة، وهكذا وقعت البلاد بين شقي الرحى.

وأثناء هذا الصراع حدّد الرئيس يحيى خان اليوم السادس من محرم عام ١٣٩١ هـ (٣ آذار ١٩٧١ م) موعداً لعقد جلسة المجلس النيابي، بيد أن ذو الفقار علي بوتو بادر إلى عقد اجتماعٍ واسعٍ في ٤ محرم ١٣٩١ هـ (٢٨ شباط ١٩٧٠ م) وأعلن فيه رفضه لحضور الجلسة رفضاً باتاً، وأعلن أن أي واحدٍ من أعضاء المجلس الذين ينتمون لحزبه إذا ذهب لحضور الجلسة فسوف تُكسر رجلاه ويُشجّ رأسه، وهدّد الأعضاء من غير حزبه بأنهم لن يعودوا إذا ذهبوا لحضور الجلسة، وهذا ما أجبر يحيى خان على تأجيل موعد الجلسة، وصدر إعلان التأجيل يوم ٤ محرم

١٣٩١ هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م)، وبصدور هذا التأجيل انفجر العصيان المُسلّح في باكستان الشرقية، وارتكبت أشنع الجرائم، وهُتكت الأعراض، وسُلبت المحلات التجارية، ووقعت حوادث حرق والناس أحياء. وأمام هذه الأعمال الشيوعية سافر يحيى خان إلى (داكا) قاعدة باكستان الشرقية، والتقى بمجيب الرحمن وبقي هناك عشرة أيام من ١٨ محرم إلى ٢٨ منه (١٥ آذار لغاية ٢٥ منه)، بغية التفاهم معه، وبذل جهده في سبيل ذلك، ولكن دون جدوى. وحدثت في هذه الأثناء محاولات اعتداء على الجيش الباكستاني المرابط هناك، والعمل على منع وصول المواد التموينية إليه، وهذا ما أجبره على التدخّل في اليوم الثاني لمغادرة يحيى خان المنطقة، واعتقل مجيب الرحمن.

وقبل أن نتعرض للأحداث أرى من الضروري إعطاء فكرة عن جناحي باكستان وعن موقف الدول الكبرى والهند من المطالب التي يحملها مجيب الرحمن بالنسبة إلى التقسيم.

باكستان الشرقية:

تبلغ مساحتها ١٤٣ ألف كيلومتر مربع، وهو ما يُعادل أقل من ١٦٪ من مساحة عموم باكستان، وتتألف من القسم الشرقي من مقاطعة البنغال التي جزئت إثر التقسيم، ومنطقة (سيلهت) التي أخذت من منطقة (أسام) وضُمّت إلى البنغال الشرقية لتشكل الجناح الشرقي لباكستان، وكان عدد سكانها يوم الاستقلال أربعين مليوناً، ثم هاجر إليها حوالي أحد عشر مليوناً من مسلمي البنغال الغربية، ثم تزايد السكان حتى بلغوا ثمانين مليوناً، وهو ما يعادل أكثر من ٥٣٪ من مجموع سكان باكستان كلها. وتكون الكثافة فيها أكثر من خمسمائة شخصٍ في الكيلومتر المربع الواحد، وهي من أكبر الكثافات في العالم، فالأرض تضيق بالسكان الأمر الذي يجعل الفقر ينتشر، إضافةً إلى أنه تصعب إقامة المصانع على أرضها لكثرة الفيضانات والأعاصير التي تتعرّض لها البلاد، وتُهدّم المباني والمنشآت، وهذا ما

يجعل أصحاب رؤوس الأموال يخشون من توظيف أموالهم في المشروعات الصناعية حيث نجد أن الجوت مثلاً يزرع بشكلٍ رئيسي فيها وينقل خاماً إلى باكستان الغربية ليُصنَّع هناك، وكان ينقل إلى الهند قبل التقسيم، وهذا ما يُسبِّب انتشار البطالة، هذا بالإضافة إلى تأخّر الأمطار الموسمية في السنوات العجاف التي تُسبِّب المجاعات، وطبيعة السكان الذين يعودون إلى أصلٍ هنديٍ يغلب عليه الخمول.

باكستان الغربية:

وتبلغ مساحتها ثمانمائة ألف كيلومتر مربع، وهذا ما يعادل أكثر من ٨٤٪ من مساحة البلاد، وتتألف من أربع مقاطعات هي: السند، والبنجاب الغربية، وبلوشستان، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية، ويبلغ عدد سكانها سبعين مليوناً، وهو يقلّ عن ٤٧٪ من مجموع سكان باكستان، فتقرب الكثافة من ستين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد. فالأرض واسعة، ويبذل الجهد لإقامة المشروعات الحيوية للحاجة إلى الماء، فتتقدّم الزراعة، وتتحسّن الأوضاع المعاشيّة، وتتوفّر الإمكانات لقيام الصناعة، ولا تتعرّض المنطقة للفياضانات ولا للأعاصير، ويعود السكان إلى أصول مختلفةٍ من عربٍ، وفرسٍ، وتركٍ، ومغولٍ، وأفغانٍ، وهنودٍ، ويُساعد المناخ على النشاط، لذا نجد التجار والصناع يلعبون دوراً رئيسياً في الحياة الاقتصادية، ويطمح الشباب للعُلا، فيتقدّمون إلى المعاهد العالية، والكليات العسكرية حيث نجد ٩٠٪ من ضباط الجيش الباكستاني من منطقة البنجاب، وكذلك فقد حصرت الصناعة والتجارة في باكستان الغربية، وتضمّ الكليات العسكرية أكثر أفرادها. وتعمّ لغة(الأوردو) باكستان الغربية على حين تسود اللغة (السنسكريتية) باكستان الشرقية.

ولا يربط جناحي باكستان بعضهما إلى بعضٍ سوى العقيدة، وهي الأساس التي قام عليه تقسيم شبه القارة الهندية. ومن ذاق الضغط والظلم والاضطهاد الهندوسي لا يُفكّر بانفصال الجزأين بعضهما عن بعضٍ، غير

أن الفقر والتلاعب بالعواطف قد يُثير بعض السكان دون إدراك النتائج. وهذا ما كان يفعله الشيوعيون مُستغلّين فقر السكان وجهلهم، وحاولوا القيام بانقلابٍ عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م)، ثم ضمّهم حزب عوامي مع من ضمّ من الانتهازيين وأصحاب المصالح، وكانت للحزب صحفه ومجلاته، ثم انقسم مع انقسام الشيوعية فسار فريق مع الصين واتجاهها، وانطلق آخرون مع روسيا وسياستها.

تنقل باكستان الغربية إلى الشرقية المواد الغذائية، وتمتنع عن تصديرها إلى الخارج والحصول على العملة الصعبة، وتستهلك موادها الخام كلها. على حين تُصدّر باكستان الشرقية موادها الخام إلى الخارج.

كان دخل الحكومة المركزية الباكستانية من ١٣٨٠ إلى ١٣٩٠ هـ يُقدّر بـ ٣٠,٢٣٠,٩٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

أعطت باكستان الغربية منها ٧٣,٦٪ يُقدّر بـ ٢٢,٣٢٨,٨٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

وقدّمت باكستان الشرقية منها ٢٦,٤٪ يُقدّر بـ ٧,٩٠٢,١٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

ولكن وزّع الدخل على الشكل الآتي:

أُعطيت باكستان الغربية ٥١,٣٪ يُقدّر بـ ٣,٩٠٠,٣٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

وأُعطيت باكستان الشرقية ٤٨,٧٪ يُقدّر بـ ٣,٦٧٠,٨٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

واستوردت باكستان الشرقية من الغربية بمبلغ يُقدّر بـ ١٠,٦٨٤,٧٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

بينما استوردت باكستان الغربية من الشرقية بمبلغ يُقدّر بـ ٦,١٥٧,٩٠٠,٠٠٠ روبية باكستانية.

موقف الدول:

إن الدول الكبرى والهند مهما كانت مُتباينةً في وجهات النظر السياسية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا إلا أنها كلها متفقة ضدّ باكستان، وتقف في صف تجزئتها، وتُؤيّد السياسة الهندية، سواء اتفقت معها في بقية الجوانب السياسية والفكرية والاقتصادية أم اختلفت.

وأما مجيب الرحمن، وذو الفقار علي بوتو فهما رجلان انتهازيان يُؤيّدان السياسة الأمريكية ويسيران في فلكها، وإن كانا يُناديان بالنهج الاشتراكي، فهذه طريقة استغلالية وغالباً ما يلجأ إليها السياسيون الانتهازيون إذ يدعون إلى حلّ المشكلات التي يُعاني منها الشعب، وآراءٍ نظريةٍ، وخداعٍ، نتيجة الجهل السائد لدى الناس الذين يقبلون هذا ممن يدعون إليه، وإن كان المنادون لا يؤمنون بما يدعون إليه، وإنما يتخذونه شعاراتٍ يكسبون الأتباع من خلالها، وقد انخدع الناس وغشّوا في مرحلة من الزمن بالآراء الشيوعية فساروا وراءها لغفلتهم فاستغلّ ذلك الانتهازيون وقادوا حملها وإن لم يؤمنوا بها، ومن هؤلاء مجيب الرحمن، وذو الفقار علي بوتو.

وقد تبيّن للناس بعد مدةٍ سوء ما ظنوا به خيراً، وعرفوا جهلهم فانطلقوا يلقون عن أنفسهم ما أثقل كواهلهم، وأمات إنسانيتهم، وزاد بؤسهم، وقاموا يتخفّفون من تلك الأعباء وطرحوا الشيوعية، وشيّعوا جنازتها.

وقد حاولت الدول أن تستفيد من إمكانية مجيب الرحمن وذوالفقار علي بوتو والقوة التي حصلا عليها من سيرهما في طريق الانتهازية، فعملت على تأمين مصالحهما لتستفيد منهما في تنفيذ مخططاتها وسيتبعان أوامرها ما دامت تُحقّق لهما المكاسب.

١" ــ الهند:

وتحرص على تجزئة باكستان، وترى في مجيب الرحمن رجلاً يخدم

مصالحها، إذ يدعو إلى الانفصال، فهي تدعمه للعمل على التجزئة، التي تضعف باكستان حيث ظهرت قويةً في الحرب التي خاضتها معها عام ١٣٨٥ هـ، وفي إضعافها يمكن ضمّ كشمير، وإبقاء باكستان دولةً مجاورةً ليست بذات شأنٍ.

وتريد الهند كذلك إظهار ضعف الرابطة الدينية لتغيير رأي المسلمين الذين يقطنون الهند، وقد يقول قائل: إن انفصال باكستان الشرقية والغربية قد يُعرّض الهند ذاتها لحركات مماثلة، ولكن الهند في الواقع تعدّ انفصال باكستان الشرقية مرحلةً تعقبها مرحلة ثانية، وهي ابتلاعها وضمّها إليها.

ويضاف إلى ذلك أن الصين كانت قد هدّدت الهند بالحرب فيما إذا قامت بهجومٍ على باكستان الشرقية عام ١٣٨٥ هـ أثناء القتال الذي دار بين الهند وباكستان، لذلك لم تتجرّأ الهند على الهجوم على باكستان الشرقية، والصين تُؤيّد وحدة باكستان بينما زعيم حزب عوامي عبدالحميد بهاشاني الذي يتلقّى الدعم منها يدعو إلى تقسيم باكستان.

كما تريد الهند ضرب الحركة الإسلامية بتشجيع خصومها، ونقد فكرة الرابطة الدينية، والعمل على إظهارها بأنها رابطة ضعيفة الأثر، واهية الفكر.

وترغب الهند أيضاً بزجّ الشيوعيين في مقاطعة البنغال الغربية بحربٍ في باكستان الشرقية لتشتيت شملهم وخاصةً بعد نجاحهم في انتخابات الهند، وتشكيل حكومة في تلك المقاطعة مع العناصر الموالية لهم.

ولهذا كلّه فقد دعمت الهند وشجّعت مجيب الرحمن، وتعاطفت مع حزب عوامي، وسمحت بإقامة حكومةٍ بنغاليةٍ في المنفى ضمن أراضيها.

٢″ ـ الصين:

ترى الصين ضرورة المحافظة على وحدة باكستان للوقوف في وجه الهند التي تسير في فلك المعسكر الغربي أو على الأقل لضرورة المحافظة

على توازن القوى لأن باكستان أيضاً تسير في المنحى الذي تسلكه الهند، ولهذا كانت تُؤيّد أيوب خان، ووقفت بجانب باكستان في حربها مع الهند عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، كما هدّدت الهند فيما لو هاجمت باكستان الشرقية. وقبل ذلك نشبت حرب عام ١٣٨٢ هـ بين الصين والهند. ومع هذا الموقف الذي تقفه فإن الجناح الذي يتزعمه عبدالحميد بها شاني من حزب عوامي يُنادي بتقسيم باكستان وانفصال الشطر الشرقي منها مرحلياً وانتهازيةً. ولكن الصين لا تريد أن تندفع أكثر من هذا لأنها غير مستعدةٍ لدخول حربٍ مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما تريد الهند جرّها إليه.!

وترى الصين أن مجيب الرحمن لا يريد التفاهم معها لذلك فهي تُؤيّد ذوالفقار علي بوتو، وتودّ أن يتسلّم رئاسة الدولة أو الحكومة على الأقل ليزداد التعاون بينهما، فهو يرغب في المحافظة على وحدة باكستان، وهذا ما يتفق مع سياستها الحالية، وهي تعرف الانتهازية التي يسلكها، فيمكنها نتيجة ذلك تأمين بعض مصالحها عن طريقه على الرغم من أنها تعلم أنه غير شيوعي.

وكذلك تفضّل الصين ذوالفقار علي بوتو على مجيب الرحمن لأنه أكثر جرأةً ووقاحةً في محاربة العناصر الإسلامية عامةً، والجماعة الإسلامية بشكلٍ خاصٍ، وهذا ما تسعى وراءه في تهديم كل العوامل والارتباطات الدينية، وكان مجيب الرحمن قد ذكر بأن الدستور الذي سيوافق عليه لن يُخالف القرآن والسنة، ومن هنا سيكون تأييد الصين لذي الفقار علي بوتو أوضح.

وتريد الصين حسب خطها الذي تنتهجه فشل الجماعة الإسلامية، وكل الهيئات الأخرى التي تأخذ الدين أساساً لسياستها، وهذه الجماعات في باكستان الغربية أقوى منها في باكستان الشرقية، وتأييد ذوالفقار علي بوتو في باكستان الغربي إضعاف لتلك الجماعات.

٣" ــ روسيا:

وترى ضرورة القضاء على باكستان لأن مبرر وجودها هو الدين،

وروسيا عدوة الدين الإسلامي، أو ترى على الأقل ضرورة المحافظة على توازن القوى، وضرب طرفٍ بآخر من الهند وباكستان فيما إذا اتجه أحدهما نحو المعسكر الغربي بقوة حيث يعدّ الطرف الآخر هذا التوجه ضدّه، وانحياز من قبل الغرب لخصمه فيتحرّك. وترى تأييد ذوالفقار علي بوتو الذي يدعو إلى وحدة باكستان، ويقف في وجه الدعاة والتنظيمات الإسلامية. ولكن روسيا تختلف عن الصين في عداوتها للهند حيث لم تدخل معها في الحرب كالصين، كما أنها ليست على تماسٍ مباشرٍ معها.

٤" ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

وترى العمل على تقسيم باكستان ودعم من يسعى لذلك أو يُنادي بهذا في سبيل إضعاف باكستان، كما تعمل على تقوية الهند لتكون مركز ثقلٍ بالنسبة إلى سياستها في المنطقة، وعندما تقوم بدعم باكستان إنما هو من أجل تحريض الهند وإبقائها على الخط، وتحذيرها من أن تسلك منهجاً آخر، فالعدوّ يتربص على الحدود، ولهذا نلاحظ أن الهند تُساير السياسة الأمريكية. كما تخشى الولايات المتحدة نجاح حركةٍ إسلاميةٍ قويةٍ تُغيّر سياسة باكستان رأساً على عقبٍ، وخاصة حصول الجماعة الإسلامية على تأييدٍ واسعٍ، ولهذا تُؤيّد ذوالفقار علي بوتو الذي يقف بعنفٍ في وجه التيار الإسلامي، كما تخشى الولايات المتحدة تغلغل النفوذ الشيوعي في باكستان الشرقية بشكلٍ واسعٍ نظراً لما تُعاني من خطر الفيضانات والأعاصير، وما يُلاقي السكان من الفقر والجهل. وترغب في تجزئة باكستان حيث تبقى باكستان الشرقية ضعيفةً، وتحتاج إلى المساعدة، ولا تستطيع روسيا تقديم تلك المساعدة لبعدها، ولتجنب الصدام مع الولايات المتحدة، كما لا تستطيع الصين ذلك حيث أن الهند تقف في وجهها، وتريد جرّها إلى معركة مع الولايات المتحدة، وهنا تجد أمريكا المجال مفسوحاً أمامها فتتقدم بالدعم، وتنمّي الأُسس الرأسمالية وتقف في وجه المد الشيوعي بالسعي على إخفاقه عملياً، وتكون باكستان الشرقية بعدها ضمن النفوذ الأمريكي.

وتخشى الولايات المتحدة نمو فكرة الرابطة الدينية التي تؤدّي إلى فكرة ديار الإسلام، لذلك فهي تشن حملة تشهيرٍ ضد حكومة باكستان التي قد تضرب على هذا الوتر أحياناً لتمرير بعض قراراتها أو لتحصل على تأييد وكسب الشعب نحوها. وقد قررت الولايات المتحدة وقف شحنات القمح التي وعدت بها باكستان بعد كارثة الإعصار عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وكذلك فإن البنك الدولي الذي تسيطر عليه كان قد قرّر إعادة النظر في منح باكستان قرضاً قدره (١٧٥) مليون دولار، كل ذلك في سبيل زيادة الأزمة الاقتصادية، وخاصةً في باكستان الشرقية لتزيد المطالبة بالانفصال. كما أن الولايات المتحدة قد أوقفت شحن الذخيرة والأسلحة إلى باكستان، ويعدّ هذا من أقوى الضغوط لأن الأسلحة الباكستانية أمريكية، وإذا فقدت الذخيرة أصبحت الأسلحة عديمة الفائدة. وإذا شعرت باكستان بالضعف فلن تتصدّى للهند التي تسعى لتقسيم باكستان، وتخطط لذلك، وتُهيء الظروف.

٥" ـ إنكلترا:

تسعى إنكلترا لتجزئة باكستان لإضعاف الحركة الإسلامية، وإضعاف باكستان خوفاً من استلام الجماعة الإسلامية السلطة في البلاد، ولإظهار التفكّك الإسلامي، وعدم إمكانية قيام دولةٍ على أساس دينيٍ، وقد قامت باكستان على هذا الأساس، وها هي تتجزّأ، وينفصل بعضها عن بعضٍ. ثم تبذل جهدها لتقوية أعوانها من الإسماعيليين، وأتباعها من القاديانيين، وإعادة اعتبارهم، ومحاولة حملهم إلى مركز الصدارة، وخاصةً أن أمرهم قد فُضح بعد أن عراهم أبو الأعلى المودودي في مقالاته التي كان يُسطّرها ضدّها، فظهروا على حقيقتهم، ولما كانت كلتا الطائفتين تتركّزان في باكستان الغربية فإن انفصال باكستان الشرقية ذات السكان الأكثر عدداً سيرفع من نسبتيهما في الجناح الغربي، ويكون لهما المركز القوي، وخاصةً إذ دعمتهما الرافضة التي تدّعي الإسماعيلية أنها جزء منها، أو أنها تعود بالأصل إليه، وهو غير صحيحٍ. لذلك كله كانت إنكلترا تشنّ حملات تشهير ضدّ باكستان.

ويمكن من كل ما تقدم التأكد من أن الدول الكبرى والهند تتفق في عدائها للإسلام وعُدوانها على أهله، وتعمل بكل إمكاناتها للحدّ من نشاطه سواء أكانت هذه الدول شرقيةً أم غربيةً، شيوعيةً أم رأسماليةً، وتتآمر وتُوحّد جهودها ضدّ التنظيمات الإسلامية، بل قد تتفق مع اختلافها في وضع مخططٍ واحدٍ لهذا الغرض.

وأخيراً فإن باكستان عضو في حلف جنوب شرقي آسيا، وقد انضمت إليه في مطلع عام ١٣٧٤ هـ (٥ أيلول ١٩٥٤ م). وعضو في الحلف المركزي (بغداد سابقاً) منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، وهي إحدى الدول الخمس التي تؤلف كتلة (كولومبو) والتي تشكّلت عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، وجميع هذه الأحلاف تلقى الدعم من المعسكر الغربي، ولكن السياسة اليوم هي اللفّ والدوران وعدم الاستقرار على خطٍ واحدٍ، وعدم معرفة الاتجاه الصحيح، واللعب على عدة حبالٍ.

وعلاقة باكستان قوية مع الدول الإسلامية، وهي إحدى الدول التي تقف ضدّ دولة اليهود دون تحفّظٍ، وتُساند الدول العربية في مُواجهتها لليهود، غير أن الدول الإسلامية لا مكان لها ـ مع الأسف ـ على ساحة السياسة الدولية حيث أنها تبع لغيرها وتدور في أفلاكها، أكثر مسؤوليها على ارتباطٍ بسواهم، وشعوبها إما مُغرّر بهم، وإما على جهلٍ بما يجري، أو فقراء يسعون وراء قوتهم، أو احتوى بعض قادتهم الساسة أو سادتهم، على حين أن لليهود تأثير على السياسة الدولية عن طريق أصحاب النفوذ فيهم، وعن طريق الدول النصرانية الكبرى التي تتبنّاهم والتي تُهيمن على مؤسسات الأمم المتحدة، وبيدها السياسة الدولية، والمخططات واللعب السياسية.

الأحـداث:

قلنا إن العصيان قد انفجر في باكستان الشرقية يوم ٤ محرم ١٣٩١ هـ (الأول من آذار ١٩٧١ م) نتيجة إعلان تأجيل اجتماع المجلس

النيابي، واضطر الرئيس يحيى خان للسفر إلى الجناح الشرقي من باكستان، واعتقل مجيب الرحمن يوم ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م).

ومع وصول الموسميات الصيفية انهمرت الأمطار بغزارةٍ أدّت إلى حدوث فيضاناتٍ في باكستان الشرقية نتج عنها مقتل ما يقرب من مائتي شخصٍ، وأُصيبت الممتلكات والمزروعات بأذىً شديدٍ قُدّر بحوالي ثلاثمائة مليون روبية، حيث تهدّم ثلاثمائة وخمسون ألف منزلٍ، وشُرّد ثلاثمائة ألف إنسانٍ، وأصبحوا دون مأوى. وقد نشأت الكارثة عن فيضان خمسة أنهرٍ رئيسيةٍ في باكستان الشرقية.

وقد زادت هذه الفيضانات من خطر حدوث مجاعةٍ في المنطقة التي هزّتها الأحداث الأخيرة عقب الانتخابات.

ونتيجة للأحداث المتلاحقة والمخططات المرسومة بدأت العناصر الانفصالية، وأغلبها من الهندوس بمغادرة مناطقها والتوجّه نحو الهند، وقد وصل عدد هؤلاء المغادرين إلى أكثر من تسعة ملايين إنسانٍ، وقد قرروا العمل من داخل الهند ضدّ باكستان. وكان يدّعي أكثرهم أن ضغط الجيش الباكستاني والأهالي المؤيّدين له هو الذي ألزمهم على الخروج، وذلك من أجل إثارة النقمة، والعمل ضدّ الباكستانيين.

ابتدأ العمل السياسي، فأرسل هؤلاء الهاربون وفوداً إلى كل الدول التي تُعادي باكستان لطلب المساعدة، فوصل إلى دولة اليهود في منتصف رجب من عام ١٣٩١ هـ (أوائل أيلول ١٩٧١ م) محمود قاسم باسم «مندوب بنغالديش» ليطلب العتاد الحربي، وقد لقي تجاوباً لدى المسؤولين اليهود بشرط موافقة الهند، وكان طلبه يشمل مليوني قذيفةٍ من مختلف العيارات، ومدافع ميدان، ومدافع مضادة للطائرات، ومدافع رشاشة، وصواريخ أرض أرض لتدمير الطائرات الباكستانية على أراضي المطارات،

وقال هذا المندوب: إننا لا نريد طائرات لأننا لا نملك لها مطارات. وذكر وزير خارجية دولة اليهود بأن بلاده تُؤيّد كفاح بنغالديش ضدّ باكستان المؤيّدة للعرب.

ولكن هذه الوفود إن وجدت الدعم والتأييد من دولة اليهود لكنها لم تجد مثل ذلك من بقية الدول التي ذهبت إليها، لأنها وإن كان بعضها يقف ضدّ باكستان غير أنه لا يريد أن يُورّط نفسه، فاللعبة يجب أن تكون محكمةً وخيوطها كلها بأيدي الدول الكبرى المشرفة على إخراج اللعبة وتنفيذها.

إن التحرك العسكري يجب أن يكون عن طريق الهند، وقد طلب اللاجئون إليها المساعدة منها، فلبّت الطلب، واستجابت مباشرةً، واتخذت من وجود اللاجئين في أرضها حجةً للضغط على باكستان بقبول واقع أمر (بنغالديش)، ولتبرير موقفها، ولكسب الرأي العام العالمي إلى جانبها. وقبل القيام بالعدوان على باكستان أعلنت أنها لا تستطيع احتواء هذه العناصر اللاجئة إليها.

الحرب:

أعلنت الهند أن ثوار (بنغالديش) قد شنّوا هجوماً على باكستان الشرقية، وقد أسّسوا دولةً لهم، ولكن الهند هي التي قامت بالهجوم فعلاً وبقوتها كلها باسم اللاجئين إليها من سكان باكستان الشرقية. ولما تضايقت باكستان من هذا الاعتداء السافر، والذي يفوق حجمه ستة أضعاف حجم قواتها اضطرت إلى أن تتحرّك في باكستان الغربية لتُخفّف ضغط ووطأة الهجوم الهندي على باكستان الشرقية، ولأنها لا تستطيع أن تتحرّك في جناحها الشرقي لقلّة قواتها هناك، ولأن الهند تحيط بها هناك من جهاتها الثلاث، أما الجهة الرابعة فهي بحرية، ولا تستطيع القطع البحرية الباكستانية إمداد الشرق منها للطريق الطويلة، وسيطرة الهند عليها حيث

توازي سواحلها، إضافةً إلى أن الأسطول الهندي قد يكون أكثر استعداداً في هذه الظروف، وأما الطريق الجوية فطويلة وتزيد على ١٥٠٠ كيلومتر، وكلها ضمن الأجواء الهندية، وأما الالتفاف حول الهند فلا يمكن للطائرات أن تقطع هذه المسافات الطويلة دون تـزوّدٍ بالوقود، وليس بها من مطاراتٍ يمكن أن تهبط فيها، وقد سبق أن ذكرنا ما حدث في (سيرالانكا) عندما أُخذت الطائرات الباكستانية تهبط في مطار (كولومبو) للتزوّد بالـوقود أثنـاء بداية الأزمة، وقد مُنعت، وعندما تساهلت رئيسة الوزراء (باندرانايكا) قامت محـاولة لـلانقلاب في البـلاد كمؤشّرٍ للتهـديد فيمـا إذا استمرّت بالسماح للطائرات الباكستانية بالهبوط في المطارات السيرالانكية.

بدأت الحرب بين الباكستان والهند على طول الجبهات في الشرق والغرب على حدٍّ سواء، وكان على الهند أن ترمي بثقلها كله على الجبهة الشرقية، وتنتهي من باكستان الشرقية، بينما تقوم بدور المدافع على طول الحدود الغربية.

وكانت الهند قد عقدت حلفـاً عسكريـاً مع روسيـا في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (٩ آب ١٩٧١ م) لتضمن مواجهة الصين بقوى عظمى إذا هي تدخلت في صراعها مع جارتها باكستان.

وفي ٢٥ جمـادى الآخـرة ١٣٩١ هـ (١٧ آب ١٩٧١ م) تقـدمت باكستان بشكوى إلى الأمم المتحدة لإيقـاف تدخـل الهند في مشكـلاتها الداخلية، وكررت هذه الشكوى في ١٥ شعبان ١٣٩١ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٧١ م).

وصـرحت رئيسة وزراء الهنـد انديـرا غانـدي في المجلس النيـابي الهنـدي في ١٥ رمضان ١٣٩١ هـ (٣ تشـرين الثاني ١٩٧١ م) إن على

جيش باكستان أن يرحل من باكستان الشرقية لأن وجوده فيها يشكل خطراً على أمن الهند وسلامتها.

وفي ٢ شوال ١٣٩١ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٧١ م) بمناسبة عيد الفطر عند المسلمين بعث الرئيس الباكستاني يحيى خان تحية للهند، وجاء فيها «إنه يمد يد الصداقة للهند، وهو يرجو أن تشدّ عليها لبدء عهدٍ جديدٍ من العلاقات الطيبة وحسن الجوار...» ولكن الهند في ٤ شوال أي بعد يومين فقط من تلك الرسالة دفعت الهند باثنتي عشرة فرقة من المشاة، وعدة ألوية من المدرعات لتقتحم حدود باكستان الشرقية[1].

كان عدد الجنود الهنود الذين اقتحموا حدود باكستان الشرقية يربو على ٢٤٠ ألف مقاتل، مزودين بدباباتٍ روسيةٍ، ذات مدافع ميدانية ثقيلة من عيار (١٣٠ ملم)، وبطائرات روسية من نوع (ميغ ٢٣).

١ ـ الجبهة الشرقية:

تقدّمت الهند على محاور ثلاثةٍ من ثلاث جهاتٍ لتطويق باكستان الشرقية، وسدّت منافذ البحر أيضاً. تقدّمت على محور (جيسور) في الغرب، ومحور (سيلهت) في الشمال، ومحور (كوميلا) في الشرق حيث تقترب الحدود الشرقية من العاصمة (دكا) ولا تبعد عنها أكثر من ستين كيلومتراً. وكان عدد أفراد الجيش الباكستاني المدافع في الشرق ما يقرب من ثمانين ألفاً تنقصه القوة الجوية التي تحميه من الجو، كما يفتقد إلى القوة البحرية الداعمة لتصدّ عنه الهجوم والقصف من جهة البحر هذا

---

(١) لا شك أن المساعدات الأمريكية لا تقدّم أسبوعياً أو شهرياً، وعندما أعلنت أنها قد قطعتها، فهو إعلان لمدةٍ موقتةٍ هي لا تقدّم بالأساس في هذه المدة شيئاً، ولم يكن هذا التصريح سوى مناورةٍ سياسيةٍ، فلا تأييداً لباكستان، ولا شجباً للعدوان الهندي.

بالإضافة إلى انقطاعه عن العالم، أما الجيش الهندي فكان يُقدّر بنصف مليون، مزوّد بالإمكانات كلها، وله السيطرة الجوية الكاملة، وخاصةً بعد تدمير الطائرات القليلة الباكستانية التي كانت قواعدها هناك، كما أن الأسطول الهندي كان يدكّ السواحل دون مقاومةٍ تذكر، ويُضاف إلى هذا كله العناصر المؤيّدة للانفصال، والتي تدعمها الهند، والعناصر التي تستأسد عند نهاية كل وضعٍ لتحتل مركزاً في العهد الجديد، وأصحاب المصالح الذين تشرئب أعناقهم ليبرزوا وليسعوا وراء مصالحهم.

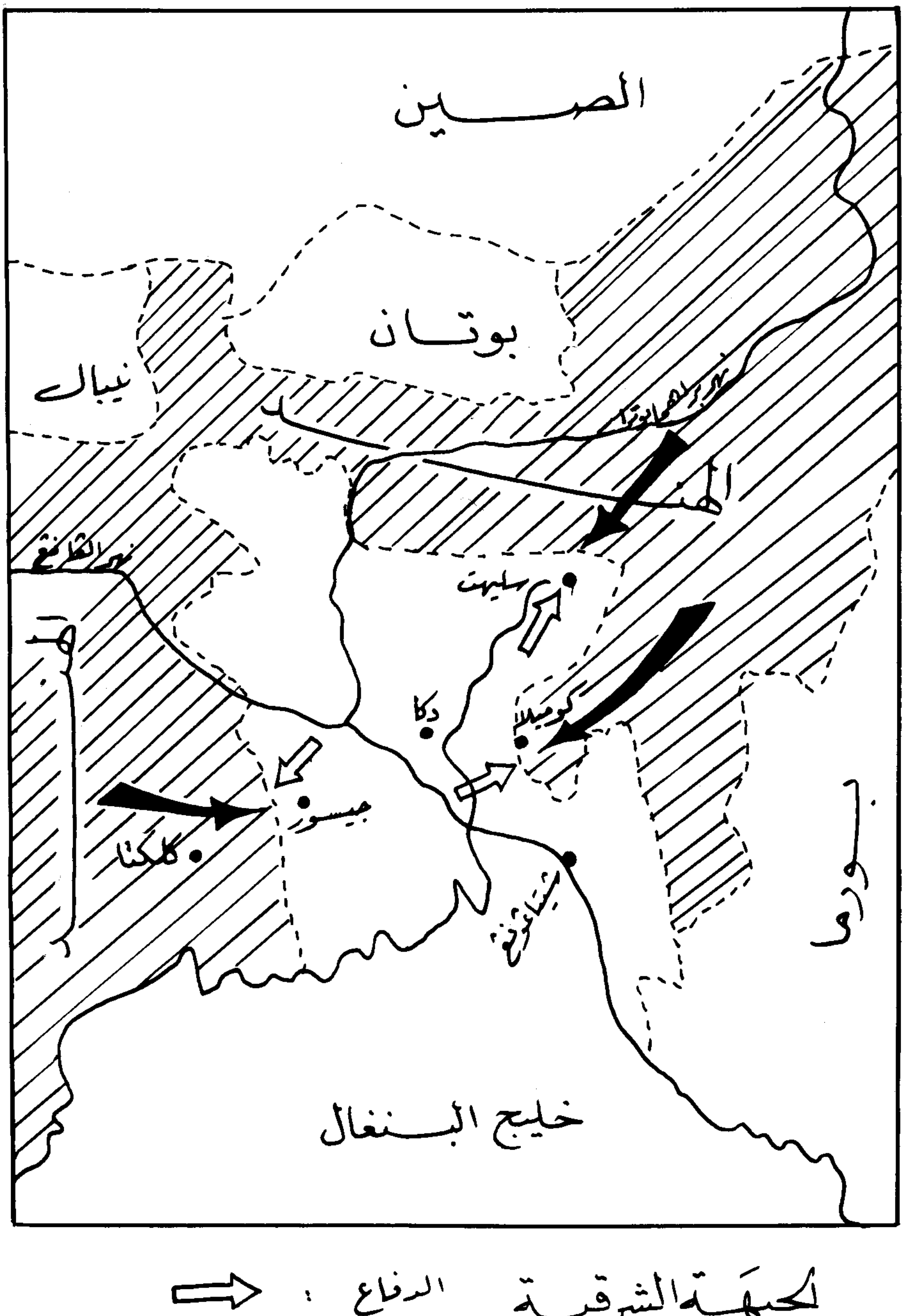
ورغم المعنويات العالية التي قاتل بها الباكستانيون إلا أن التفوّق الهندي الكبير، ووضع باكستان الشرقية المحاط بالهند من كل جهةٍ، وعدم إمكانية وصول الإمدادات، وعدم وجود الطيران، وسيطرة الهند على جوّ المعركة، واعتبار باكستان الشرقية محاصرة من كل جهةٍ مما يُؤدّي إلى الخوف من المستقبل الغامض، وتواطؤ الروس والأمريكان، وتخاذل الصين وخوفها، كل هذا أدّى إلى اندحار الباكستانيين في الشرق، وإن تأخّر الاستسلام بسبب الروح المعنوية المرتفعة لدى المقاتلين الباكستانيين حسب اعتراف الهنود بالذات، ولعدم إمكانية عمل المدرعات الهندية بشكلٍ واسعٍ بسبب طبيعة الأرض الترابية، وكثرة المجاري المائية. وقد تمكّنت أمريكا بسياستها أن تجعل الصين خارج دائرة الصراع، حيث أعلنت أمريكا أنها قطعت المساعدات عن الهند أثناء الحرب[1]، ثم أشاعت أن أسطولها السابع في المحيط الهادي بدأ يتحرّك نحو نقطةٍ مجهولةٍ، وفسّر عملاؤها المندسّون في كل مكانٍ أن هذا التحرّك نحو خليج البنغال لمساعدة باكستان، وهذا لإشاعة أن باكستان عميلة لأمريكا فيتغيّر الرأي العام العالمي عنها ويتجه نحو الهند. ثم ثبت أن الأسطول لم يتحرّك من مكانه، وأن القصد من هذه المناورة انتظار العالم لشيءٍ جديدٍ يحدث، ونتيجة لهذا

(١) قسمات العالم الإسلامي المعاصر ـ مصطفى مؤمن.

غلب على ظنّ بعضهم أن أمريكا تقف بجانب باكستان، وبهذه الدعايةِ خشيت الصين أن تظهر في موقف يساير الموقف الأمريكي فتفسح المجال للهجوم الإعلامي الروسي عليها، وهي التي تتهم الروس بالتواطؤ مع أمريكا، فتفقد أعوانها داخل الأحزاب الشيوعية في العالم والذين أصمت آذانهم الدعاية الروسية، وهذا ما جعل الصين تقف موقفها المحايد والذي وصف بالمخادع، والحقيقة أنها لا تجرؤ على الصدام مع أمريكا.

استسلمت باكستان الشرقية، وبدأت الإبادة والقتل الجماعي حيث قُتل مائتان من العلماء، وتبع ذلك مذابح رهيبة رافق أثناءها القتل بالمقاصل والتمثيل بالجثث، وسيطرت شريعة الغاب، أما العالم فوقف موقف المستمع المتفرّج، وكأن شيئاً لم يقع، فالإبادة لا تُصيب سوى المسلمين، وقتلهم أمر مرغوب فيه، لأنهم انتصروا على الروم بالماضي، ولم يفسحوا للصليبيين المجال للبقاء في بلادهم يفسدون، ووقفوا كذلك في وجه الاستعمار الصليبي، ويكفيهم هذا جرماً ليحلّ قتلهم، ويضاف إلى الجرائم السابقة أنهم لا يستمعون إلى الإرساليات التنصيرية، ولا يقبلون الارتداد عن الإسلام، ويدعون فوق كل هذا إلى الفضيلة إذ يأبون الزنا ويرفضون شرب الخمر، ويُحرّمون الربا، ويمنعون الاختلاط، ويحاربون السفور والتكشّف والتحلّل، وهذا ما يعيق ركب الحضارة ألا يكفيهم هذا كي يُبادوا.

أُعلن عن قيام دولة بنغالديش فاستلم رئاسة الدولة نصر الإسلام، وتسلّم رئاسة الحكومة تاج الدين أحمد. واستولت الحكومة على مزارع الشاي الواسعة، والمؤسسات الصناعية، وعدّت الجيش الباكستاني في الجناح الباكستاني الشرقي كله أسيراً، ووقّع قائده الجنرال (نيازي) وثيقة الاستسلام، وأعلن مندوب بنغالديش في بيروت (جلال الدين أحمد) أن دولته ستقوم على أساسٍ علماني.



الجبهة الشرقية

الدفاع :
الهجوم :

٢ ـ الجبهة الغربية:

كان على باكستان أن تحشد قوتها كاملةً، وأن تتقدّم على حدود كشمير، وتُنهي وضعها بحربٍ خاطفةٍ، وظهر تفوّق الجيش الباكستاني في الأيام الأولى من الحرب على هذا المحور، وهو محور وادي شناب (سيالكوت ـ جمو) ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تُحقّق الوصول إلى أهدافها، فلم تتمكّن من احتلال كشمير كما حُدّد للجيش من أهدافٍ. ولما رأت الهند التفوّق الباكستاني على هذه الجبهة، عادت فتحرّكت قواتها على ثلاثة محاور على طول الجبهة الغربية، ودفعت بثقلها كله، وزجّت بكل إمكاناتها العسكرية في سبيل كسر شوكة التفوّق الباكستاني في قطاع كشمير، ولإضعاف الروح المعنوية المرتفعة التي يُقاتل بها الباكستانيون.

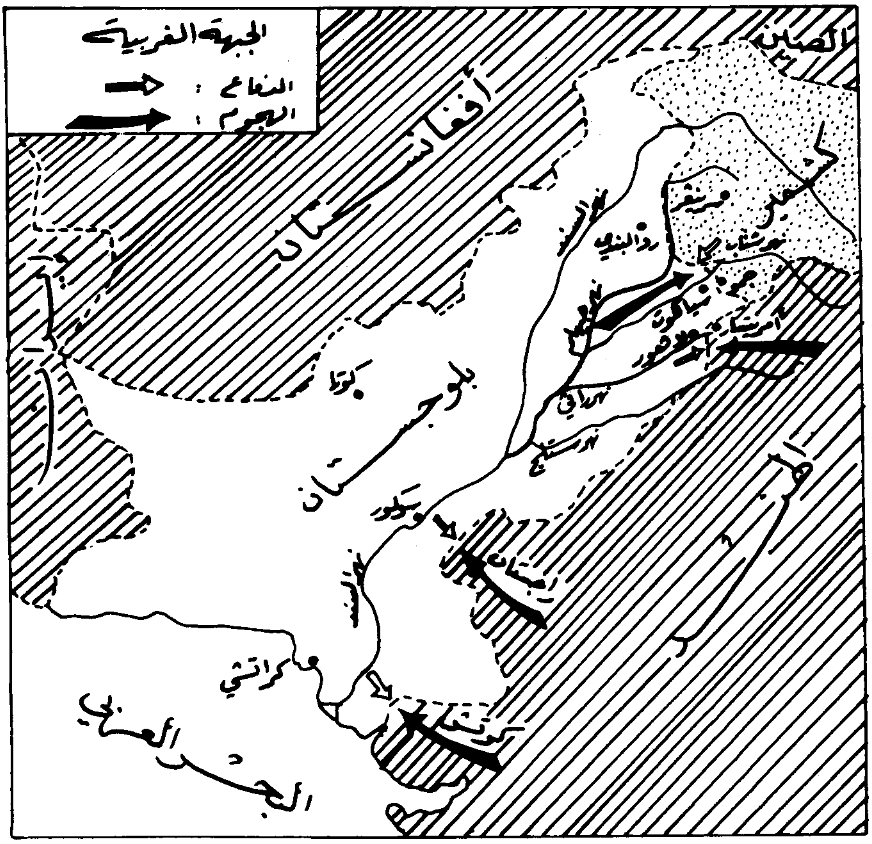
أ ـ تقدمت القوات الهندية في الجنوب من منطقة (كوتش)، وهي منطقة مختلف فيها على الحدود حتى الآن بين الدولتين، وهي في قطاعٍ قريبٍ من ميناء (كراتشي) المرفأ الأول في باكستان، وهذا ما يُخيف السكان، ويجعل الجيش الباكستاني يُسرع ليسدّ هذه الثغرة، ويُوقّف تقدّمه في كشمير.

ب ـ وتقدّمت القوات الهندية في منطقة (راجستان)، وهي منطقة صحراوية غير مُعزّزةٍ، وتتقدّم فيها الحدود الهندية داخل باكستان، ويظهر من أي نصرٍ يُحرزه الهنود الخوف من فصل باكستان إلى قسمين: جنوبي وشمالي، ويُقابل هذا التقدّم مدينة (سوكور) التي لا تبعد عن الحدود أكثر من ثمانين كيلومتراً، ويقوم على نهر السند هناك سدّ ذو أهميةٍ كبيرةٍ.

ج ـ وتقدّمت القوات الهندية على محور أمريتسار ـ لاهور، مستفيدةً من كثرة السكان هنا حيث الرعب، وتدبّ الفوضى مجرد أي انتصارٍ تحرزه الهند، كما تستفيد القوات الهندية هنا من وجود عناصر جماعة السيخ، وهم أشدّ حقداً وفتكاً بالمسلمين من أية جماعةٍ أخرى هناك.

ولكن الهند لم تستطع أن تُحرز التقدم السريع على هذه الجبهات إذ

كانت القوات الباكستانية تصدّ الهجمات الهندية ببسالةٍ، إلا أن الهجوم الباكستاني على كشمير قد خفّت حدّته، واستمرّت الجبهة الغربية على هذا الوضع حتى انتهاء الحرب، إذ لم تستطع قوة أن تُحرز نصراً بيّناً.



وقف القتال:

اجتمع مجلس الأمن وفشلت كل الاقتراحات المقدمة إليه بسبب مُعارضة الروس الذين كانوا يستعملون حقّ النقض (الفيتو)، ثم أُحيل الموضوع إلى الجمعية العمومية فاتخذت قراراً بوقف إطلاق النار، وانسحاب جيوش كلا الدولتين من أراضي الدولة الأخرى، غير أن الهند

استمرّت في عُدوانها رغم مُوافقة باكستان على هذا القرار. ثم وقف القتال في ٢٩ شوال ١٣٩١ هـ (١٧ كانون الأول ١٩٧١ م).

أما الدول التي ترتبط بأحلافٍ مع باكستان سواء دول حلف المعاهدة المركزية أم دول حلف جنوب شرقي آسيا، فلم تُحرّك ساكناً، لأنها لا تستطيع أن تتحرّك دون رأي إنكلترا أو أمريكا حسب فلك السياسة التي تدور فيها، وهاتان الدولتان راغبتان في الوصول إلى نتيجة كالتي حدثت رغم ما تدعيانه وتُشيعانه.

ولكن الروس اشتركوا بالحرب مباشرةً ونصروا أتباعهم، وساعدوا على انفصال شطرٍ من دولة، وكانوا يدّعون أنهم يُحاربون كل انفصالٍ، وقد سحقوا حركةً في المجر، وأخرى في تشيكوسلوفاكيا تحت شعار عدم الانفصال عن حلف (وارسو)، وكان اشتراكهم في الحرب ضدّ باكستان بقيادة خبرائهم ومدربيهم في الجيش الهندي للطائرات الروسية التي تملكها الهند، والتي زوّدت روسيا بها الهند وخاصةً بعد المعاهدية الهندية ـ الروسية التي سبق توقيعها قبل المعركة بمدةٍ قصيرةٍ.

وكذلك اشتركت دولة اليهود في هذه الحرب ضدّ باكستان عن طريق ضباط دخلوا ساحة المعركة، وتسلّموا قيادات فيها مثل: العقيد (جاكوب) الذي كان معاون قائد القوات الهندية التي اجتاحت باكستان الشرقية، وقد رفع التمثيل السياسي بين الهند ودولة اليهود بعد هذه الحرب مباشرةً إلى درجة سفارة بعد أن كان على درجة قنصلية.

وإذا كانت باكستان الشرقية قد استسلمت، ووقعت فيها مجازر رهيبة جداً وخاصةً ما تمّ منها على أيدي ما عُرف باسم ثوار «موكتي بهيني». إلا أنه في باكستان الغربية قد ابتدأت المظاهرات بعد وقف إطلاق النار، وكانت تُطالب باستمرار القتال، والعمل على إحراز النصر، فإن الهزيمة في باكستان الشرقية ليس معناها نهاية الحرب وخسارتها، وهذا يدلّ على ارتفاع معنويات الباكستانيين، وخاصةً بعد الانتصارات التي حقّقوها على الهند في

المعارك الطاحنة التي دارت رحاها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، كما تدلّ هذه المظاهرات على استعداد الباكستانيين للتضحية. كذلك كان المتظاهرون يُطالبون بمحاكمة يحيى خان، واعتباره مسؤولاً عن الهزيمة التي لحقت بالبلاد، إذ لم يقم بالدور السياسي المطلوب، ولم يستفد من العواطف الإسلامية الكامنة، ولم يتحرّك سياسياً فيتصل بالدول التي ترتبط بمعاهداتٍ مع بلاده، أو بروابط أخرى، إضافةً إلى التقصير بالاستعداد الذي كان يلزم المعركة.

سقوط يحيى خان:

استدعى الرئيس يحيى خان من نيويورك ذوالفقار علي بوتو الذي كان قد سافر قبل مدةٍ إلى الأمم المتحدة ليعرض وضع بلاده عليها، وما أن وصل إلى باكستان حتى سلّمه يحيى خان أمر البلاد، وغادرها متوجّهاً إلى طهران، بصفته من فرقة الشيعة، ثم عاد بعد مدةٍ لتُفرض عليه الإقامة الإجبارية في المنزل، وكانت قد شُكّلت لجنة من أجل النظر في إمكانية تقديم يحيى خان إلى المحاكمة غير أن ذلك لم يكن إلا في سبيل امتصاص نقمة الشعب عليه.

الفصل الثالث

الصراع الداخلي

لم يكن أحد ليتوقّع أن يحدث صراع داخلي في باكستان بهذه السرعة، فالصراع مع الهندوس لم تنته آثاره بعد، ولم تدمل جراحه ففي كل بيتٍ لا تزال أنّة، وفي كل دارٍ غصّة، لم يغسل الناس آثار دماء ذويهم، ولم تجفّ دموعهم عليهم، والقبور شواهد، ناهيك عن العذارى الداميات، والحرائر المفجوعات، وأهليهم الحيارى الصابرين. والاستقلال بالعقيدة لم تمض فرحته، والخلاص من الاضطهاد والظلم لم يقض على الزفرات، ولم يُنه الأنين. ولكن أعداء الإسلام لم يتركوا هؤلاء ولا أولئك إذ صعب عليهم أن يروا دولة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية فجنّ جنونهم، وطاش صوابهم، وانطلقوا يحرّكون خفايا النفوس، وكوامن الأفئدة، ولا يخلو مجتمع من أصحاب أهواء، وذوي مصالح، هذا مع العلم أن قادة هذه الدولة الجديدة باكستان لا يلتزمون بأحكام الإسلام، وإن كانوا ينتمون إلى أهله، وينتسبون إليه، فلو كانوا من الملتزمين لارتجّت أرض الصليبيين بتحرّك أهلها لمقاومة المتطرفين - حسب اصطلاحهم الصليبي - وهذا ما رأيناه عندما انقشع نور أمل لوصول فئةٍ إسلاميةٍ إلى حكم. . . ، إذ ضجت المحافل الصليبية وتداعى له أتباعها من الذين ينتمون إلى الإسلام، ويتسلّطون على أهله، وربما في مقدمتهم الذين يدّعون العمل بأحكامه، ويتاجرون بذلك، ويصدُّقهم المغفلون من رعاياهم ومن الظامئين إلى حكم الإسلام.

هبّ أعداء الإسلام يحرّكون التعصّب الإقليمي، ويثيرون الطامعين إلى المناصب، ويتصلون بأصحاب الأهواء، وبرز الذين يريدون الزعامة ورفعوا بعض الشعارات التي تُؤدّي إلى وقوع الصراع، وكانت الخلافات.

الصراع الإقليمي:

بعد أن نزل الخوجا نظام الدين من منصب الحاكم العام إلى منصب رئاسة الوزراء تحرّكت في نفسه نزعة الزعامة والرغبة بالرئاسة الأولى، ودفعه الأعداء، وشُحن بالعصبية الإقليمية، فادّعى بسيطرة الجناح الغربي على الشرقي رغبةً في زعامته، وحمل نقاطاً معينة وأخذ يطرحها.

ادّعى أن أكثرية الجيش من البنجاب مع أنه ليس هناك مانع من إقبال أهل البنغال إلى الجيش، وامتهانهم العسكرية، ولكنهم هم لا يرغبون ذلك، وأهل البنجاب يقبلون فهل نمنعهم.

وطالب أن تكون اللغة البنغالية لغةً رسميةً ثانيةً في الجناح الشرقي، ولكن وجود لغتين في دولةٍ واحدةٍ إشارةً إلى بداية ظهور الفرقة، وبدءاً لعلامة الانقسام، وحملاً لبقية الأقاليم لتطالب بلغاتها المحلية لتكون رسمية، وبعدها تكون التجزئةُ حيث لا توجد دولة في الدنيا كلها لها خمس لغات رسمية.

ونادى بنقل العاصمة من الجناح الغربي إلى الجناح الشرقي ما دام أكثر سكاناً، وهذا أمر غريب، فباكستان الشرقية تغصّ بالسكان، وقاعدتها لا تتسع لأي جديد. فإذا أصبحت عاصمةً مركزية صعب تأمين المرافق الرئيسية، والدول عادةً تؤسس عاصمة جديدةً بعيدةً عن مناطق الازدحام.

ومع هذه الطلبات الغريبة إلا أنها لقيت آذاناً صاغيةً نتيجة التعصّب الإقليمي ونتيجة الجهل بالدرجة الأولى. وأقيل الخوجا نظام الدين فزادت حماسته لمطالبه، وكانت بذرة الانشقاق، إذ حملها أصحاب المصالح،

والراغبون في الزعامات، والانفصاليون، ودعمهم أعداء الإسلام من مختلف الفئات لضرب باكستان، والفكرة التي قامت عليها حتى كان الانفصال كما رأينا.

ومما ساعد على ذلك النظام الاتحادي الـذي قامت عليـه الدولـة، والقوانين التي كانت تصدر، وترسّخ فكرة الإقليمية في سبيل إرضاء أهل تلك الأقـاليم ممن قويت عنـدهم النزعـة الإقليمية نتيجـة الجهل ونتيجـة دعايات أصحاب الأطماع والزعامات.

وإذا كانت الأقاليم في الجناح الغربي أقل حدّةً في النزعة الإقليمية لضعفها الاقتصادي إلا أنها قد وجدت. وإذا كان الدستور الذي أعلن في **١١ شعبان ١٣٧٥ هـ (٢٣ آذار ١٩٥٦ م)** قد وحّد أقاليم الجناح الغربي. ولكنها عادت مرةً أخرى إلى الظهور. وربما كان الصراع مع الهند قد خفّف من حدة تلك النزعة. غير أن انفصال باكستان الشرقية عاد فأحيا الإقليمية في الجناح الغربي، وبرزت خاصةً في إقليمي السند، وبالوشستان.

ولا شك أن أعداء الإسلام، وأعداء باكستان، والفكـرة التي قامت عليها باكستان كانوا وراء تلك النزعة، ومن الذين يثيرونها، لحقدهم على الإسلام، وليصبح لهم مجالاً للتدخّل نتيجة الضعف الذي تكون عليه تلك الأقاليم عندما تنفصل عن الأم، ونتيجة الجهل سار بعض الناس وراء هذه الشعارات بل انساق بعض المسلمين الملتزمين عصبيةً ـ مع الأسف ـ وعدّوا ذلك خدمةً للإسلام، إذ يجدون مجالاً لتطبيقة، وما ذلك إلا جهلاً، أو ظنوا أن ذلك يوصلهم إلى الزعامة فأعمى ذلك أبصارهم.

الصراع العقيدي:

إن المسلمين هم الأكثرية الساحقة في الدولة، بل إن باكستـان لم تنشأ إلا على أساس جمع المسلمين في الهند بدولةٍ واحدةٍ. فليس هناك صراع عقيدي واضح، وإنما يقف ضدّ المسلمين كل الأقليات الأخرى.

فالهندوس قلوبهم مع الهند، ولهم دور في الجناح الشرقي، وكانوا عاملاً أساسياً في الانقسام حيث تستفيد الهند من وراء ذلك، فتفكر في ابتلاع باكستان الشرقية بعد انفصالها نتيجة ضعفها وكثرة الهندوس النسبية فيها.

والبوذيون والسيخ يضعون العراقيل في وجه الحكومة، ويثيرون الفوضى حقداً على الإسلام، ويعملون على قتل من يستطيعون قتله خفيةً.

والإسماعيليون والقاديانيون يرتبطون بإنكلترا، ويحقدون على الإسلام، ويعملون على إثارة الفرقة بين أبنائه، وعلى تشويه تعاليمه وأفكاره وقيمه، وعلى بث الفساد بين أفراده.

والشيعة لا يعجبهم شيء إلا إذا كان منسجماً مع مبادئهم رغم ادعائهم الإسلام، وهم دائماً ضدّ السلطة، ويعارضون أي قانون يتفق مع المبدأ الإسلامي ما دام لا يحمل فقههم، وتتجه أنظارهم باستمرار نحو إيران.

والمسلمون منقسمون فالملتزمون فئة تدعو إلى تطبيق الإسلام، والعمل بأحكامه، والدولة لم تقم إلا على هذا الأساس. ويحرصون على بثّ الوعي بين السكان، والدعوة إلى الالتزام. أما غير الملتزمين فهم من أصحاب المصالح، والأهواء، والمناصب، والمرتبطين، والجهلة. وهم يرفضون الالتزام لأن ذلك يحول دون ما يرغبون فيه. ولذا فإنهم يقفون في وجه الملتزمين ويردّدون الشائعات التي يبثّها أعداء الإسلام، ويكونون بوقاً لها، وغير الملتزمين عادة من الملحدين والعلمانيين والجهلة، وهم بالأصل الذين يحملون أفكاراً رأسمالية واشتراكيةً، ويدورون في فلك الدول الكبرى، وهم أيضاً أصحاب المصالح والأهواء وطلبة المناصب.

الصراع الحزبي:

كان حزب الرابطة الإسلامية هو الحزب السياسي الوحيد، وهو الذي قام بدور رئيسي في سبيل قيام باكستان. وهو الحزب الذي استلم السلطة،

ومع أن الدولة قامت على أساس الإسلام إلا أن قادة هذا الحزب لم يكونوا ملتزمين بأحكام الإسلام وتعاليمه، فكان منهم المسلم، والقادياني، والإسماعيلي، والمتزوج بهندوسية، والمقترن بمجوسية، ومن هنا جاء دعمهم والسكوت عنهم من قبل الدول الكبرى خوفاً من أن يأتي مسلمون ملتزمون يُطبّقون الإسلام، ويحولون دون تدخّل المستعمرين الصليبيين، ويقفون في وجههم أمام استغلال المسلمين وبلادهم، وأمام تنفيذ المخططات الأجنبية. ومن هنا فلم تُطبّق أحكام الإسلام، وبقيت هذه الدولة التي قامت على الإسلام كأي دولةٍ علمانيةٍ أخرى، بل برز فيها القاديانيون، والإسماعيليون، وأكثر الفرق الضالة نتيجة تنظيمهم ومخططاتهم كأقليات.

ثم ضعف حزب الرابطة الإسلامية أمام ظهور النزعة الإقليمية. وظهرت مجموعة منه في الإقليم الشرقي برئاسة الخوجا نظام الدين، وجماعة تعارضه في الجناح نفسه برئاسة محمد علي بوغرا، وظهر حزب الرابطة في الإقليم الغربي معارضاً للأفكار التي يحملها أتباعه في الجناح الشرقي، ومع ذلك فقد بقي الحزب قوياً لأن السلطة بيده، والانتهازيون، وأصحاب المصالح، والذين يريدون العمل، والمتزلفون للحاكم كثيرون في كل مجتمع، وهم بجانب الحاكم، لذا بقي الحزب تبدو له شعبية ومؤيدون، وإن كانت شعبيةً ظاهريةً فالمنتفعون والمتزلفون ينفضون عنه مجرد تركه السلطة، ويلتفّون حول الحاكم الجديد.

وفي هذه الحالة لا بدّ من أن تنشط الجماعة الإسلامية التي تأسست منذ عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وتدعو إلى تطبيق الإسلام، وتذكر الناس والحكام أن الدولة قامت على أساس ديني، فإن لم يُطبّق كان العمل السابق كذباً على الأمة، والمجتمع مسلم، ويُطالب بإقامة أحكام عقيدته، وزاد نشاط الجماعة مع رؤية التأييد الذي وجدته في صفوف الشعب. غير أن السلطة قد وقفت في وجهها، ومنعت نشاطها، وألقت أميرها (أبو الأعلى المودودي) وكبار قادة الجماعة في السجن، وحلّت التنظيم وصادرت أملاكه،

وصحفه. ومن باب التضليل على الشعب العادي أو الجاهل ادعت الفئة المتسلّطة عليه أن الإسلام لا علاقة له بالسياسة، ولا علاقة للمسجد إلا بأداء الصلاة، ثم تغلق المساجد بعد العبادة، فلا دعوة ولا عمل، وأما ما كان يفعله رسول الله ﷺ، وما سار عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالح من أن الخليفة هو الإمام والخطيب في المسجد، وأنه القائد للجيوش في الحروب، وأنه المتكلّم باسم الدولة والمفاوض أثناء إبرام الصلح، وعقد العهود، وأن خطبه لم تكن قاصرة على النصح والتوجيه وإبانة الأحكام، وإنمــا كــانت تتنــاول وتهتم بشؤون المسلمين في كـل مكــان، وبحث مشكلاتهم، وما يُعانون، وإمكانيةِ مساعدتهم، وخطط الأعداء ضـدّهم إن كـانـوا أقليـةً يعيشـون بين ظهـراني غيـر المسلمين، ملزمين على ذلــك ومجبرين. ويدّعي المتسلّطون أن تلك عهود قد مضت ـ وكأن الإسلام إنما جاء لمرحلة معينة ـ والآن نخشى من إثارة الدول الكبرى، وإساءة العلاقات معها، إن قلنا أو دعونا لتطبيق الإسلام.

ومع النشاط الإسلامي، ونتيجة الفكرة التي قامت عليهـا باكستــان، وبسبب الكره للأعمال الوحشية والإجراميـة التي قام بهـا الهندوس بقيت الأحزاب تحمل العنوان الإسلامي، وإن كانت فارغـة المضمون. إذ بقي حزب الرابطة الإسلامية وكان برئاسة الخوجا نظام الدين، ونشأ حزب نظام الإسلام برئاسة شودري محمد علي الذي كان رئيساً للوزراء. وظهر حزب باكستان الإسلامي في ربيع الثاني **١٣٨٣** هـ (أيلول عام **١٩٦٣** م).

ونتيجة الحظر الذي فرض على الجمـاعة الإسـلامية نشط العلمـاء ليسدّوا الفراغ، ولكن لم يبحثوا بالأمور السياسية إلا بالمقدار الذي تسمح به السلطة، وكانت جمعية علماء الإسلام برئاسة مفتي محمـود، وجمعية علماء باكستان برئاسة شاه أحمد نوراني، وعبدالستار نيازي، وجمعية أهل الحديث. برئاسة الشيخ محمد عبدالله، وأمانة سر ساجد مير.

وبدأت الدول الكبرى تمدّ يدها، وتدفع بـطلاب الزعـامة، ونتيجـة

الجهل، وتفشي العنصرية ظهر في باكستان الشرقية حزب عوامي الوطني برئاسة عبدالحميد خان بها شاني، وحزب عصبة عوامي برئاسة نواب زاده نصر، وأمانة سر مجيب الرحمن، وكلاهما يحمل نهجاً اشتراكياً، تدعمه روسيا وتتخذ منهما مطيةً، وتدفع أحدهما لمنافسة الآخر، ليبقى لها شرف الهيمنة، وحتى إذا عثر أحدهما امتطت الآخر، أو جمح واحد، طاردته بالثاني، وهي لعبة الجياد الدولية المعروفة. ولما انقسمت الشيوعية بين روسيا والصين سار أحدهما وهو عبدالحميد خان بها شاني وحزبه عوامي الوطني مع الصين، ومشى نواب زاده ومجيب الرحمن وحزبهما عصبة عوامي مع روسيا.

ومع الخلاف الشديد بين هذه الأحزاب والتباين الفكري الواضح بينها، والشقة الواسعة في ارتباط بعضها فقد شكلت جبهة معارضةٍ واحدةٍ ضدّ أيوب خان عندما استبد بالسلطة، وأطلق يده فيها.

ومع السياسة الأمريكية التي أخذت تتبنّى أحزاباً سياسيةً تنهج نهجاً اشتراكياً في سبيل إجهاض الحركة الشيوعية، وإفراغ المعنى الاشتراكي من مضمونه تماماً فقد نشأ حزب الشعب برئاسة ذوالفقار علي بوتو عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وهو حزب ديمقراطي اشتراكي، يشير نحو اليسار ويتجه نحو اليمين.

وظهر حزب باكستان الوطني عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م).

وأسّس الجنرال أصغر خان حزب العدالة في شهر ذي الحجة ١٣٨٨ هـ (آذار ١٩٦٩ م).

هذه أهم التجمعات السياسية في باكستان الكبرى، وهناك تنظيمات كثيرة، فكلما أراد طامع الزعامة شكل حزباً، ووجد له أعواناً ومؤيدين نتيجة الجهل مهما كانت الأفكار التي يدعو حتى أن المسلمين الذين خرجوا من الهند واتجهوا نحو باكستان عندما جرى التقسيم شكّلوا حركةً قويةً عرفت باسم «حركة مهاجر قوامي».

كان الصراع شديداً بين التجمّعات الإسلامية والأحزاب العلمانية وإن حملت عناوين إسلامية ويدور الصراع حول الأفكار، وصلاحية الإسلام، ومقارنة بين الإسلام والنظم الوضعية، وبين النظام الإسلامي الاقتصادي، والمـذاهب الاقتصـاديـة المعـاصـرة، وحـول النـظم الاجتمـاعيـة، والقيم الإسلامية.

ويقع الصراع بين التجمعات الإسلامية نفسها حول كسب العناصر، والاجتهادات الفرعية، والتصرّفات الشخصية، وهذا ما يكون له أكبر الأثر ـ مع الأسف ـ في تفكّك الصف الإسلامي.

ويتهم الحزبيون العلمانيون الجماعات والأفراد الإسلاميين بالجمود، والرجعية وعدم فتح العيون على معطيات العصر العلمية والتقنية، ويحاولون التفريق بين الجماعات الإسلاميـة فيعزون التـطرّف إلى أقواهـا، وأكثرهـا التزاماً، فيعلنون الحرب عليها، ويصفون غيرها بالاعتدال، فإذا زالت من طريقهم وجّهوا سهـامهم على سواهـا الأقوى فـالأقوى حتى تحتـوى، أو تخضع أو تسقط، وهكذا حتى النهاية حسب مخططهم.

وينعت المسلمـون الملتـزمـون العلمـانيين بـالإلحـاد، والانحـراف، والتفلّت من القيم، والبعد عن الأخلاق الإسلامية، والسير وراء الشهوات البهيمية، والسعي وراء المصالح، وتقليد الأعداء، والجريان في فلك الدول الكبرى.

أما غير الإسلاميين فيقع الصراع بينهم حسب المذهب الاقتصـادي الذي ينادون به، وحسب الدولة الكبرى التي تتبنّى ذلك المنهج، وبالتالي حسب الفلك الذي يجري فيه ذلك الحزب، ثم الصراع على المصالح، والمنافع، والإفادة من السلطة.

الباب الرابع

باكِسْتَان

تجزّأت باكستان إلى قسمين فحملت باكستان الشرقية اسماً جديداً هو «بنغالديش»، بينما بقي الجناح الغربي، وهو باكستان الغربية يحمل اسم «باكستان»، وغدت دولةً وحدها، وقد توالى على حكمها منذ انفصال الجناح الشرقي منها عنها حتى الآن ثلاثة رؤساء.

١" ـ ذوالفقار علي بوتو:

تسلّم السلطة في باكستان بتكليفٍ من يحيى خان في ٣ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٢٠ كانون الأول ١٩٧١ م) ولكن استمرّت المطالبة بالقتال، ومحاكمة يحيى خان، فوعد ذوالفقار علي بوتو بالبدء بتنفيذ مشروعاته كلها، ومن جملتها ما يُطالبون به، بل وما يطلبونه وحتى مستقبلياً.

غيّر الرئيس الجديد القادة العسكريين، وعدّ بعضهم مسؤولين عن الهزيمة، كما بدّل المحافظين، ثم أسكت المطالبة بالحرب بمناورةٍ سياسيةٍ ماكرةٍ، وأمّم بعض المرافق الحيوية، كل هذا رغم أن البلاد لا تزال تنزف جروحها فهي بحاجةٍ إلى إسعافٍ قبل هذه المشروعات غير أنه أراد إشغال الناس بأمورٍ داخليةٍ لإبعادهم عن أهدافهم الأساسية.

قامت بعض المظاهرات أمام الإجراءات التي قام بها رئيس الجمهورية الجديد، وكان أعنفها ما حدث في منطقة «بلوشستان» حيث عاشت عاصمتها «كوتا» بحالة حربٍ مدة هذه الاضطرابات.

أعلن ذوالفقار علي بوتو عن إعطاء المقاطعات الباكستانية استقلالاً ذاتياً ضمن جمهورية باكستان، وربما كان ذلك لكسب ودّ سكان باكستان الشرقية التي انفصلت وسارت في دربها الخاص، غير أن بوتو لم يقطع الأمل بإعادتها، بإعطائها بعض مطالبها ضمن الاتحاد الباكستاني الجديد، ولكن لهذا القرار أثره الخطير، إذ كان لكل ولايةٍ لغتها الخاصة، ويمكن بذلك أن يُؤدّي هذا الاستقلال بعد مدةٍ إلى تباعدٍ بين هذه المقاطعات، ثم قيام عددٍ من الدول مكان الدولة الواحدة في باكستان، وهذا ما تريده الدول التي ترغب في تمزيق باكستان وإضعافها من أجل إماتة الفكرة التي قامت عليها يوم نشوئها عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ألا وهي الفكرة الإسلامية. فالأصل صهر هذه المقاطعات في بوتقةٍ واحدةٍ، وليس فصل بعضها عن بعضٍ مهما كانت الأغراض والدوافع السياسية.

بدأ ذوالفقار علي بوتو مباحثاته مع (مجيب الرحمن) الذي أُخرج من السجن، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وحاول (بوتو) أن يشترك معه بالحكم في سبيل المحافظة على باكستان الشرقية ضمن دولة باكستان الموحّدة، ولكن لم يحصل على الموافقة المرجوة، ثم أمر بنقل مجيب الرحمن إلى منزله، وأخيراً أطلق سراحه في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٢ م)[1] فغادر مجيب الرحمن باكستان متوجّهاً إلى لندن حيث عقد هناك مؤتمراً صحفياً دعا فيه إلى الاعتراف بحكومة بنغالديش، كما أجرى مباحثاتٍ مع رئيس الوزارة البريطانية، ولم يمكث في لندن سوى يومٍ واحدٍ غادرها بعد ذلك متوجّهاً إلى (دلهي) حيث كانت الهند قد أرسلت له طائرةً خاصةً أقلّته إلى عاصمتها، حيث استقبل هناك استقبالاً رسمياً، وبعد ذلك توجّه إلى (دكا) عاصمة بنغالديش الدولة الجديدة.

---

(١) اعتقل مجيب الرحمن في باكستان في ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م)، وابتدأت محاكمته في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (١١ آب ١٩٧١ م) بتهمة إثارة الحرب ضد باكستان، وذلك أمام محكمة عسكرية، وسمح له بالدفاع عن نفسه، وتكليف المحامين الذين يختارهم للدفاع عنه.

وكان في هذه المدة قد زار وزير الخارجية الروسية (غروميكو) الهند في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (٩ آب ١٩٧١ م)، وعقد معاهدةً معها لمدة عشرين عاماً.

اتفاقية سيملا:

في ١٧ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٧٢ م) بدأت محادثات القمة بين الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو ورئيسة وزراء الهند (انديرا غاندي) في مدينة سيملا الهندية التي تقع عند سفوح جبال هيمالايا على بعد ٢٢٠ كيلومتراً إلى الشمال من العاصمة الهندية (دلهي) في محاولةٍ للتوصّل إلى تسويات المشكلات المُعلّقة والناجمة عن حرب شوال ١٣٩١ هـ (كانون الأول ١٩٧١ م)، وعن تقسيم باكستان، وقيام دولة بنغالديش. ومن الجدير بالذكر أن مدينة سيملا هذه هي التي تقرّر فيها تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، بعد جهودٍ مضنيةٍ دامت خمسة أيامٍ، تمّ بعدها على الاتفاق الذي أذيعت بنوده في ٤ شعبان ١٣٦٥ هـ (٣ تموز ١٩٤٦ م).

وأهم بنود هذا الاتفاق الذي تمّ التوصل إليها بين الرئيس الباكستاني ذوالفقار علي بوتو ورئيسة وزراء الهند (انديرا غاندي)، والتي أذيعت في ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ (٢ تموز ١٩٧٢ م) كانت كما يأتي:

أولاً: استعادة باكستان لكل الأقاليم التي فقدتها في حرب كانون الأول مع الهند باستثناء المناطق الواقعة على طول خط وقف إطلاق النار بينهما في إقليم كشمير، وتُقدّر مساحة هذه الأراضي التي كانت قد احتلتها الهند بـ /٨٦٢٠/ كيلومتراً مربعاً، معظمها في المناطق الصحراوية من إقليم السند، ومنطقة مراعي (كوتشي)، وقطاع البنجاب.

ثانياً: انسحاب القوات الهندية إلى مواقعها قبل الحرب في السند، وكوتشي، والبنجاب لتستعيد باكستان أراضي تبلغ مساحتها /٨٢٢٠/

كيلومتراً مربعاً، وتستمر الهند في احتلال المساحة المتبقية، وهي تقع في كشمير وتبلغ مساحتها أربعمائة كيلومتر مربع.

ثالثاً: أن تُعيد باكستان إلى الهند الأراضي التي احتلتّها في قطاع البنجاب، وصحراء راجستان، وتبلغ مساحتها حوالي ستمائة كيلومتر مربع.

رابعاً: اتخاذ الخطوات اللازمة لاستئناف الاتصالات السلكية واللاسلكية والبريدية البحرية والبرية ـ بما فيها مراكز الحدود ـ والجوية بما فيها تحليق طائرات، كل منها في أجواء الأخرى، وتسهيل سفر مواطني البلدين.

خامساً: استئناف التجارة والتعاون في المجالات الاقتصادية والتبادل في المجالات العلمية والثقافية.

سادساً: ترك مسألة إعادة العلاقات بين البلدين لأحوالها الطبيعية لمزيدٍ من المحادثات بين مُمثّلي البلدين.

وكذلك أوضح الاتفاق أن يبدأ انسحاب قوات الطرفين إلى الحدود الدولية للدولتين بمجرد أن يصبح ساري المفعول بعد التصديق عليه من السلطة التشريعية في البلدين، وأن يتمّ هذا الانسحاب خلال ثلاثين يوماً من بدايته. كما اشتمل الاتفاق على المبادىء العامة لحسن الجوار بين الدول، ومنها نبذ استخدام القوة لتسوية المنازعات بين البلدين، ومراعاة تطبيق مبادىء ميثاق الأمم المتحدة في العلاقات بينهما، واللجوء للوسائل السلمية في حلّ خلافاتهما، واحترام كل منها لسلامة ووحدة أراضي الآخر، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية[1].

أصدر ذوالفقار علي بوتو قرارات ما عُرف بالإصلاحات الزراعية في الشهر الأول من عام ١٣٩٢ هـ (آذار عام ١٩٧٢ م)، وقد خفّضت هذه

---

(١) اتفاقية سيملا والمصالحة الهندية ـ الباكستانية. نازلي معوض أحمد ـ السياسة الدولية عدد ٣٠ تشرين الأول ١٩٧٢ م.

القرارات الحد الأقصى لملكية الأراضي الزراعية من ٥٠٠ إلى ١٥٠ أكراً من المروية، ومن ١٠٠٠ إلى ٣٠٠ أكر من الأراضي غير المروية، وتتولّى الدولة توزيع الزائد من أراضي كبار الملّاك على صغار الفلاحين.

وقام بتأميم شركات التأمين والمصارف المالية الباكستانية وهي خمسة عشر مصرفاً، برأسمالٍ قدره خمسة وعشرين مليون جنيه استرليني، كما أمّم أربعين صناعةً أساسيةً، وزاد في نصيب العمال من الأرباح.

ثم ألغى القانون العسكري في شهر صفر من عام ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) قبل أربعة أشهرٍ من التاريخ المحدّد لإلغائه، واتخذ دستوراً مُوقّتاً.

وفي ٨ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٣ م) وافقت الجمعية الوطنية على دستورٍ جديدٍ للدولة، وهو أساس أقام من البلاد نظام اتحادياً بعد الوحدة التي كانت قائمةً، وجل هذا الدستور رئيس الدولة رأساً دستورياً، فقط، أما رأس السلطة التنفيذية فهو رئيس الوزارة. وعيّن فاضل إلهي شودري رئيساً للجمهورية، وتسلّم ذوالفقار علي بوتو رئاسة الوزارة، وكانت البلاد بيده، أما رئيس الجمهورية فيعيش في الظلّ.

وتتألف الجمعية الوطنية من مجلسي الشيوخ والنواب، حيث يشمل مجلس الشيوخ ٦٣ عضواً ويضم مجلس النواب ٢١٠ أعضاء بينهم عشر نساء.

وفي عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) قامت حركة تمرّدٍ في ولاية (بالوشستان) بزعامة حزب عوامي الوطني، وتهدف هذه الحركة إلى انفصال بالوشستان عن باكستان، وتأسيس دولةٍ خاصةٍ على أساس القومية البالوشستية، وضمّ المناطق الأفغانية التي يُقيم فيها البالوش إليها، وكان الشيوعيون هم وراء هذه الحركة، ويعملون بالخفاء لتجزئة الأمصار الإسلامية في سبيل إضعافها وخاصةً تلك التي تجاور الإمبراطورية الروسية،

ثم تطبيق المنهج العلماني، وأخيراً يأتي دور ابتلاعها من قبل الروس بعدما يكون قد حلَّ فيها من الضعف ما حل، وما ساد فيها من المفهوم الاشتراكي لانتشار الفقر، فعمّت الدعاية للروس، وعملهم لمحاربة الأغنياء ودعم الفقراء.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) اعترفت باكستان بالدولة البنغالية وانفصالها عن باكستان.

اشتداد المعارضة:

أعلن ذوالفقار علي بوتو عن إجراء انتخابات في ١٧ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ (٧ آذار ١٩٧٧ م) وأعلنت الأحزاب أنها ستشارك فيها، وقدّمت المرشحين. وقد رشّحت الجماعة الإسلامية نائب أميرها، وهو (جان محمد العباسي) ضدّ ذوالفقار علي بوتو، ولكن لم يلبث أن صدر الأمر بإلقاء القبض عليه قبل تقديم أوراق ترشيحه بيومٍ واحدٍ، وهكذا فاز ذوالفقار علي بوتو بالتزكية.

وفي ٢٠ محرم ١٣٩٧ هـ (١٠ كانون الثاني ١٩٧٧ م) شكلت المعارضة تحالفاً ضدّ حزب الشعب الذي يتزعّمه ذوالفقار علي بوتو، وهو الحزب الحاكم، وكان هذا التحالف برئاسة مفتي محمود، أمير جماعة علماء الإسلام، وضمّ تسعة أحزابٍ وجماعاتٍ سياسيةٍ، ومنها:

١ ـ حزب طريق الاستقلال برئاسة الجنرال أصغر خان.
٢ ـ حزب باكستان الديمقراطي.
٣ ـ حزب عوامي الوطني.
٤ ـ حزب رابطة باكستان الإسلامية.
٥ ـ جماعة علماء الإسلام.
٦ ـ الجماعة الإسلامية.
٧ ـ جماعة علماء باكستان.
٨ ـ الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالولي خان.
٩ ـ الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة غوث بخش بزنجو.

غير أن الحكومة قد تدخّلت بشؤون الانتخابات، فقد كانت النتائج تُعلن بالإذاعة قبل انتهاء عملية فرز الأصوات، ونتيجة ذلك حصل حزب الشعب على مائةٍ وخمسةٍ وخمسين مقعداً من أصل مائتي مقعدٍ، ولكن التحالف الوطني لم يعترف بهذه النتائج، ووقعت أزمة بعد إعلان نتائج الانتخابات ذهب ضحيتها مقتل ثلاثمائةٍ وخمسين إنساناً، وألقي في السجون عشرات الألوف من الشباب.

وقد جعل التحالف الوطني أهدافه:

١ ـ إبعاد ذوالفقار علي بوتو عن الحكم.

٢ ـ إعادة الانتخابات النيابية العامة.

٣ ـ تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومع اشتداد المعارضة بدأ فعلاً حزب الشعب بالتصدّع فقد استقال منه أمينه العام مُباشر حسن، كما استقال سفير باكستان في إسبانيا اللواء الجوي عبدالرحيم خان.

وأخذ ذوالفقار علي بوتو يجري المباحثات مع التحالف الوطني، وما أن أعلن عن فشل هذه المباحثات حتى وقع الانقلاب ضدّ نظام حكم حزب الشعب برئاسة ذوالفقار علي بوتو.

□ □ □

٢" ـ ضياء الحق:

[١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٧ ـ ٦ محرم ١٤٠٩ هـ (٥ حزيران ١٩٧٧ ـ ١٨ آب ١٩٨٨ م)].

(١) ضياء الحق: ولد في ٢٢ محرم ١٣٤٣ هـ (١٢ آب ١٩٢٤ م) في بلدة (جولاندار) في مقاطعة البنجاب، وتعلّم في مدينة (دلهي) عاصمة الهند في كلية (سانت ستيفنز) الإنكليزية، وخدم بالجيش الإنكليزي، وأصبح ضابطاً عام ١٣٦٤ هـ في سلاح الفرسان، فلما تمَّ تقسيم الهند انتقل مع أسرته إلى مدينة (كراتشي) في =

أعلن قائد الجيش عن القيام بحركة ضدّ ذوالفقار علي بوتو لوضع حدٍّ لموجة العنف السياسي التي أدّت إلى مصرع أكثر من ثلاثمائةٍ وخمسين مواطناً، وإصابة الآلاف، وتدهور الوضع السياسي، والعجز عن الوصول إلى حلّ الأزمة، وخوفاً من قيام أعمال عنفٍ جديدةٍ، وخشيةً من إقحام ذوالفقار علي بوتو للجيش بالسياسة واستخدامه في عمليات القمع كما سبق أن فعل.

= باكستان، والتحق بالجيش الباكستاني، وكان منضبطاً، محباً لمهنته، مرتبطاً، وعلى صلةٍ وثيقةٍ بزملائه الضباط، ومحبوباً من قبل مرؤوسيه. والتحق بكلية الأركان، وتخرج منها عام ١٣٧٥ هـ، وبعدها عمل مدرساً فيها.

شارك في الحرب التي جرت بين الهند وباكستان عام ١٣٨٥ هـ، وسافر إلى الأردن من بلاد الشام عام ١٣٨٩ هـ، وكان مستشاراً عسكرياً هناك، وشهد ما دار من أحداث يومذاك في تلك المنطقة.

وساهم في الحرب التي جرت بين الهند وباكستان عام ١٣٩١ هـ، والتي انتهت بتجزئة البلاد، وقيام دولة بنغالديش. ورقي إلى رتبة جنرال عام ١٣٩٦ هـ، وعيّن قائداً عاماً للجيش رغم وجود ضباطٍ أقدم منه رتبةً.

وفي عام ١٣٩٧ هـ زادت المعارضة ضد الرئيس الباكستاني ذو الفقار علي بوتو، ووقفت في وجهه الجماعات الإسلامية، فحدثت فوضى واضطرابات في البلاد، فقاد ضياء الحق انقلاباً أطاح بنظام الحكم القائم برئاسة ذوالفقار علي بوتو ١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ (٥ حزيران ١٩٧٧ م)، وقدّم ذوالفقار علي بوتو إلى المحكمة بتهمة تدبير جريمة قتل لأحد رجال المعارضة، ونُفّذ حكم الإعدام به.

وشكّل ضياء الحق وزارةً شاركت فيها الجماعات الإسلامية، وعندما قامت الثورة الإسلامية في أفغانستان، وقف إلى جانبها، ودعم المجاهدين، وفتح باكستان أمام تحركاتهم، وأقام لهم المعسكرات، والمستشفيات داخل باكستان، وهذا ما شدّ من عزائمهم، وشجّعهم على القتال ومتابعة الجهاد.

وتحسنت علاقته مع الولايات المتحدة بعد انقطاع بسبب المفاعل النووي الباكستاني. وساهم في لجنة المصالحة التي شكلها مؤتمر القمة الإسلامي لحل الخلاف بين العراق وإيران، ولم تنجح هذه اللجنة في مهمتها.

وفي ٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٨ م) قُتل بحادثة طائرةٍ في طريقها من مطار (باوالبور) إلى مطار (راولبندي) وله ولدان وثلاث بنات.

فرض ضياء الحق الأحكام العرفية، وحلّ الجمعية الوطنية، والمجالس التشريعية الإقليمية، وأقال حكومات الأقاليم، وشكّل مجلساً عسكرياً من قادة الأسلحة الثلاثة: البرية، والبحرية، والجوية تحت رئاسته، وألّف وزارة من المدنيين تُعاونه في إدارة البلاد، كما أصدر عدداً من القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، فأقام الحدود، وفرض عقوباتٍ صارمةً على شاربي الخمر، وألغى الربا من المصارف.

كما اعتقل زعماء التحالف الوطني كي لا تكون الحركة موجّهةً ضدّ جماعةٍ معينةٍ ـ على ما يبدو ـ ولكن هذه الاعتقالات لم تطل، إذ أخرج الجميع من السجون.

وطالب ضياء الحق زعماء التحالف الوطني بالتعاون، وقد خاطبهم بأني قد نفّذت هدفكم الأول بإبعاد ذوالفقار علي بوتو عن الحكم، وألغيت كذلك الانتخابات الماضية، وأزلت كل نتائجها وآثارها، وهذا من هدفكم الثاني الذي سأتمّمه بإجراء انتخاباتٍ جديدةٍ، وقد وعد بأنها ستكون بعد ثلاثة أشهرٍ، أما أنتم فعليكم مساعدتي بتطبيق الشريعة الإسلامية التي هي المطلب الثالث لكم، وبذا تتحقّق جميع أهدافكم التي كنتم تعملون جاهدين في سبيل تنفيذها.

وعد ضياء الحق بعودة الحكم المدني، وأبقى فاضل إلهي شودري رئيساً للدولة. وقد أيّد الإسلاميون ضياء الحق في أول الأمر، وأسند إلى بعضهم المناصب الوزارية، فتسلّم وزارة الإعلام أحد أعضاء الجماعة الإسلامية. وكان طفيل محمد أمير الجماعة الإسلامية خال ضياء الحق، وعلى صلة وثيقة به، ومع ذلك فقد وقفت الجماعة منه موقف المعارض لاستمراره في الحكم العسكري.

وفي شوال ١٣٩٨ هـ (أيلول ١٩٧٨ م) ترك فاضل إلهي شودري رئاسة الدولة فضم ضياء الحق رئاسة الحكومة إلى رئاسة الدولة وتسلمهما.

قُدّم ذوالفقار علي بوتو إلى المحكمة بتهمة الأمر بقتل أحد معارضيه،

وقد ثبتت التهمة عليه، ونُفِّذ فيه حكم الإعدام بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٤ نيسان ١٩٧٩ م).

وفي ذي القعدة من عام ١٣٩٩ هـ (تشرين الأول ١٩٧٩ م) أجّل الانتخابات إلى أجلٍ غير مُسمّى التي كان قد سبق أن وعد بها. ولكنه في الوقت نفسه طالب بتطبيق الإسلام.

سياسة ضياء الحق:

سار ضياء الحق في سياسته في اتجاهين يكادان يكونان متضادين متنافرين إذ هما متباينين أشدّ التباين، وهذا ما وجّه إليه معارضة من خصمي كلا الاتجاهين، لقد سار في:

أ ـ اتجاه أمريكي:

إذ تقرّب من الولايات المتحدة الأمريكية وهو يهدف إلى:

١" ـ الحصول على السلاح.

٢" ـ إبعاد أمريكا عن الهند، ومحاولة عدم حصول الهند على السلاح من أمريكا لإضعاف الهند، قلةً في السلاح، وتنوّعاً في مصادره ولهذا أثره في التخطيط، مكانةً في السياسة الدولية.

٣" ـ التأمين على استمرار حكمه.

وقد لقي تجاوباً من طرف الولايات المتحدة، وسكتت مرحلياً عن اتجاهه الثاني، فهي تريد من نظامه:

١" ـ إذلال روسيا في بلاد الأفغان، كما سبق لروسيا أن أذلّت الولايات المتحدة في حرب فيتنام. ولكن لهذا حدّاً يجب أن يقف عنده، فلا يحقّ له أن يعمل على تمكين المجاهدين الأفغان من استلام السلطة، وإقامة حكومة إسلامية. وإنما إذلال روسيا فقط، ثم إقامة حكم علماني في بلاد الأفغان، وإسكات الإسلاميين والشيوعيين بعدها.

٢" ـ إبقاء باكستان في فلك النظام الرأسمالي، وعدم توجّهها نحو الصين، إذ توطّدت العلاقات بينهما بعد الحروب الباكستانية الهندية عام ١٣٨٥ هـ و ١٣٩٠ هـ.

ب ـ اتجاه إسلامي:

ضياء الحق حسبما يبدو صاحب اتجاهٍ إسلامي، ويريد تطبيق الشريعة، وإقامة علاقاتٍ وثيقةٍ مع كافة الأمصار الإسلامية بل لا مانع عنده من الوحدة الإسلامية، غير أنه يخشى:

١" ـ التفاهم مع الحركات الإسلامية في باكستان لأن الدول الكبرى لا ترضى عن ذلك وخاصةً الجماعة الإسلامية التي أسّسها أبو الأعلى المودودي عام ١٣٦٠ هـ، وهي الآن برئاسة طفيل محمد خال ضياء الحق. ولقد بدأ ضياء الحق عهده بالتقرّب من الحركات الإسلامية الباكستانية، وحصل على تأييدها، وشاركت معه في الوزارة الأولى التي شكّلها، وتحمّلت معه تبعات الحكم، ثم أحسّ بالخطر يقترب منه نتيجة هذه السياسة، فابتعد عن الحركات الإسلامية، غير أنه لم يستطع أن يتخلّى عن خطّه، فانزوى قليلاً، فأخذت تلك الحركات تُعارض خطّ سيره العسكري الأمريكي.

٢" ـ عملت الدول الكبرى ضدّه صليبيةً إذ هي ضدّ العمل الإسلامي، وخاصة صاحب الفكر الواعي منه مثل بعض التنظيمات الإسلامية التي قامت تدعو إلى الوحدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، والحقيقة ليست الدول الكبرى وحدها في هذه القضية، وإنما الدول كلها إذ لا تعدو أي دولةٍ أن تكون صليبيةً أو يهوديةً، أو ملحدةً، أو علمانيةً، أو وثنيةً، وكلها ضدّ الإسلام مباشرةً وعلى طول الخط، بل ويُضاف إليها الطغاة من كل صنفٍ وربما كان بعضهم من بين المسلمين وإن...

٣" ـ الأعداء في داخل باكستان من الأصناف كلها، فهم يتربّصون الدوائر به، مخالفةً صريحةً بالمنهج، وطمعاً في استلام السلطة، فأصحاب

النظام الشيوعي يجدون في ضياءً عدوّاً في العقيدة بإسلامه، وفي السياسة لمحاربته الشيوعيين في أفغانستان، ولاتجاهه الأمريكي، وأصحاب النظام الأمريكي يرون فيه عدوّاً بإسلامه، ومن الناحية السياسية فقد انتهى دوره عندهم.

ولهذا بدا ضياء الحق مُتبايناً في سياسته، مختلفاً في منهجه، لا يكاد يُعرف له خط، يسير مترنّحاً متخوّفاً.

غير أن الخطّ الذي استطاع أن يُوفّق فيه بين الاتجاهين دعم المجاهدين الأفغان، فهو في هذا الجانب يُحقّق خطه الأصيل في دعم المجاهدين، ويُرضي في الوقت نفسه أمريكا التي تريد إذلال روسيا فتسكت عن سياسته بحذرٍ، وتمدّ بتروٍّ. واستمرّ هذا حتى وُقّعت الاتفاقية بين الحكومة الباكستانية والحكومة الأفغانية في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م).

شعرت أمريكا بعد توقيع تلك الاتفاقية أنها قد أذلّت روسيا فخرجت من أفغانستان ذليلةً كليلةً، وبذا فإن دور ضياء الحق قد انتهى ويجب أن يتوقّف دعم المجاهدين الأفغان، ولا يصحّ أن يستمرّ أكثر من ذلك، إذ يُؤدي استمرار الدعم إلى تمكّن المجاهدين، وتمكينهم من استلام السلطة، وبذا أرادت أمريكا أن تتخلّص منه، وأخذت تُخطّط لذلك.

المعارضة الخارجية:

قلنا إن الدول كلها تقف ضدّ حكم ضياء الحق للمنهج الذي يسير عليه، وكذلك الطغاة في مختلف الأرض للسبب نفسه، ولكن يهمنا لفت الانتباه إلى بعض الدول الرئيسية وهي:

أمريكا: كانت تُؤيّده وتدعمه في المرحلة الأولى في سبيل الوقوف ضد روسيا في أفغانستان، فلما تمّ لها ما تريد، ووُقّعت الاتفاقية بين الحكومتين الأفغانية والباكستانية في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م)، وانسحبت روسيا، وانتهت بذلك مهمّة ضياء الحق.

روسيا: تقف صراحةً ضدّ ضياء الحق لأنه يقف في وجهها في أفغانستان، ويدعم المجاهدين ضدّها، وضدّ أتباعها الذين يحكمون «كابول»، ولمخالفته لها في العقيدة، فهي عدوّة الإسلام، وهو مسلم، وإن نجاحه في منهجه، وانتصار الأفغان، وتشكيل دولةٍ مسلمةٍ قويةٍ على حدودها ليُؤثّر عليها أشدّ الأثر، فلربما وهو الأغلب أن يُثير ذلك المسلمين الذين يخضعون للسيطرة الروسية، وهذا معناه تفكّك الإمبراطورية الروسية، وإضعافها، وتراجعها إلى دولةٍ من الدرجة الثانية أو الثالثة، بل ربما خضعت للمسلمين الذين يكون قد قوي شأنهم، وتخلّصوا من ربقة الذلّ التي فرضتها عليهم روسيا، وهذا ما تضعه نصب أعينها، ولا يغيب عنها أبداً نتيجة الظلم الذي تُمارسه، وهي تعلم أن شدّة الضغط يولّد الانفجار، فكيف إذا كان من يدعمه، وخاصةً إذا كان ينطلق من العقيدة الإسلامية، وتبنّي فكرة الجهاد.

هذا إضافةً إلى أنها تُعادي باكستان لصلتها الوثيقة مع الصين المنافسة الشيوعية لروسيا والتي تُوجّه إليها اللوم والاتهام في كل قضيةٍ دوليةٍ، أو لعبةٍ كان للروس فيها دور.

وأخيراً فإن روسيا مصلحتها مع الهند عدّوة باكستان، فكلا الخصمين لباكستان يريد القضاء على باكستان وزوالها من الخريطة عقيدةً وحقداً.

الهند: تنازع باكستان على كشمير، وتُضارّها على الولايات المتحدة الأمريكية، وتخشى من الإسلام، وعودة أهله لحكم الهند، وخاصةً أن في الهند أكثر من ثمانين مليون مسلم، واشتبكت معها في حربين، وتُعدّان خصمين دائمين أو عدوّين لدودين.

إنكلترا: تسير في السياسة نفسها التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية، وتحقد على باكستان إسلاميتها، وعلى ضياء الحق توجّهه الإسلامي، فتريد زواله.

الصين: ترغب في قوة باكستان لتنتصر على الهند التي تختلف مع الصين، ولتذلّ روسيا التي بينها وبين الصين بينونة صغرى.

أفغانستان: حكومة أفغانستان شيوعية تدعمها روسيا التي جيوشها بجانبها، وضياء الحق يُؤيّد المجاهدين الذين يُحاربون الحكومة الشيوعية العملية، فالخلاف بين باكستان وحكومة أفغانستان مستحكم، وبقاء طرف مرهون بزوال الطرف الآخر.

المعارضة الداخلية:

تتمثّل المعارضة الداخلية في عددٍ من الأحزاب والجماعات والمنظمات، وإن كانت هذه المعارضة تختلف في عنفها بين حزب وآخر، حسب منهجه الذي يسير عليه وسياسته التي يتبعها، ومن هذه التجمعات:

١″ ـ **حزب الشعب**: ويتزعّم هذا الحزب نصرت بوتو[1] زوجة ذوالفقار علي بوتو الذي أُعدم بالمحاكمة لإعطائه الأمر بقتل أحد معارضيه، وذلك بعد أن قام ضياء الحق بانقلابه ضدّ حكم بوتو. ويُعارض هذا الحزب نظام الحكم ثأراً، وحقداً، وطمعاً في استلام السلطة، هذا بالإضافة إلى النهج الاشتراكي الذي يعمل له، وسياسته نحو الشرق حسبما يزعم على حين يسير باتجاه الغرب، وبخطٍ موازٍ للسياسة الغربية تماماً وفي فلك السياسة الأمريكية.

وإذا كان ضياء الحق قد استقطب بعض زعماء هذا الحزب، وهذا أمر طبيعي ما داموا من الانتهازيين فهم مع كل حاكم، ورغم أن عدداً من قادته قد تخلّوا عن الحزب إلا أنه لا يزال قوياً.

٢″ ـ **الحزب الوطني الديمقراطي**: ويتزعمه خان عبدالولي خان، ويدعو إلى إقامة وطنٍ خاصٍ بقبائل «الباتان» المقيمة في الشمال الغربي

---

(١) إعطاء لقب الزوج للزوجة على طريقة الكفار.

من البلاد، وتتكلم هذه القبائل لغة «البشتو» التي تسود في بلاد الأفغان، وهذا الحزب، يسير تحت جناحه أعداد من الشيوعيين.

٣" ـ **الحزب الوطني الاشتراكي**: ويتزعمه غوث بخش بزنجو، ويدعو إلى إقامة وطنٍ خاصٍ بقبائل البالوش وينحو منحى الاشتراكية.

٤" ـ **حزب عوامي الوطني: وينهج خطاً اشتراكياً.**

هذه الأحزاب الأربعة لا ترى دعم المجاهدين الأفغان بدعوى مصلحة باكستان وحرصاً على اقتصادها، وتنتقد في الوقت نفسه محاربة النظام الشيوعي القائم في كابول والذي تدعمه روسيا. وتُهاجم أيضاً السير في ركاب أمريكا. ولكنها لا تعمل على الاصطدام مع الحكم إذ تعتقد أن النظام قوي، ومُركّز، ومُؤيّد من الجيش.

٥" ـ **المنظمات النسائية**: وغالباً ما تتزعّم هذه المنظمات النسوة اللاتي تحلّلن من القيم، وتحرّرن من الدين، وتأثرن بالأفكار المخالفة للشرع، وليس لديهن أي خلفيةٍ دينيةٍ لذلك يدّعين أن الإسلام يجور على المرأة ولا يعطيها حقها، على حين أن النظم الأخرى من شيوعيةٍ ورأسماليةٍ تُعطي المرأة كامل حقها، ولا يعرفن من هذه الحقوق سوى التحرّر من كل القيم، والسير كما يحلو لهن، والتصرّف كما ترغب الواحدة منهن.

هذا النوع يرى في الإسلام عدوّاً له لذا فهو يقف في وجه كل من يدعو له أو ينادي به، ومن هنا وقوفهنّ ضد نظام ضياء الحق.

٦" ـ **الشيعة**: وهذه الطائفة أمرها غريب جداً، فعلى الرغم من ادعائها الإسلام والانتساب له إلا أنها لا توافق على أي مشروعٍ إسلاميٍ إلا إذا كان على المذهب الشيعي، هكذا تدّعي، والواقع أنها لا تُعارض إسلامياً، وإنما تُعارض سياسةً فلا تقبل نظام الحكم القائم، وإنما تريد التبعية لإيران التي أصبح لها مكانة في نفوس الشيعة في بقية جهات العالم، وكان عارف الحسيني رئيس حركة تنفيذ الفقه الجعفري، والزعيم

الشيعي جعفر حسين يُعارضان دائماً الحكم، ويدعون أن عددهم عشرون مليوناً، والواقع أنه لا يزيد على سبعة ملايين، وإذا ضممنا إليهم الإسماعيلية وصل العدد إلى ثمانية ملايين فتكون نسبتهم ١٠٪ من مجموع سكان باكستان. وجرت لقاءات بين ضياء الحق ووزير الشؤون الدينية من جهة وبين الشيعة من جهةٍ أخرى، ووصلوا إلى بعض التفاهم بعد جهود مضنية ولم يكن لذلك أي أثر.

٧" ـ **الإسماعيلية**: وهم لا علاقة لهم بالشيعة، وهم أصحاب نفوذ وثراء، ويسيرون في فلك السياسة الإنكليزية، ويعملون ضدّ الإسلام، وإن ادّعوا أنهم أصل الإسلام وهذا ما يعلنون لكن ما يضمرون لا يبعد عن العمل ضدّ الإسلام، والهدم فيه بمختلف المعاول.

٨" ـ **القاديانيون**: ومع أن هؤلاء قلّة، ونقصت أهميتهم بعد أن أصدرت المحاكم الشرعية أنهم فرقة ليست مسلمةً إلا أن عناصرهم ذات مراكز حساسة، ويُخفون عقيدتهم في أغلب الأحيان. ومع ذلك فهم يتحرّكون تبعاً للسياسة الإنكليزية.

هذه الفئات الثمانية كانت عدوّةً لنظام ضياء الحق، ومعارضةً له، ولكن كانت معارضةً مخفيةً لا تظهر إلا نادراً، وإن كانت معروفةً صراحةً في مُخالفتها للنظام القائم. وكانت هناك معارضة صريحة وإن كانت أخفّ ضراوةً وأقلّ عنفاً، ومن هذه المجموعات.

أ" ـ **الجماعة الإسلامية**: وكانت تحمل على ضياء الحق اتجاهه نحو أمريكا، وحكمه العسكري، وعدم تطبيق الشريعة بشكلٍ جديٍ، وتساهله مع الشيعة، وسكوته عن بعض الذين يسيئون، وكان خورشيد أحمد نائب أمير الجماعة يُصرّح دائماً برفضه للحكم العسكري الذي ينطوي تحته الاستبداد، وكذلك أمير الجماعة القاضي حسين أحمد.

٢" ـ **أهل الحديث**: الذين كانوا يُطالبون بتشكيل مجلسٍ للعلماء

ليكون المرجع لتطبيق الشريعة، ونتيجة عدم القيام بتلبية هـذا المطلب، كانوا يحملون عليه.

٣" ـ **العسكريون**: الذين كانوا يريدون السيطرة، وقد مارسوها مدةً من الزمن منذ أيام أيوب خان، ويحيى خان، وحتى بوتو، ورغم أن الحكم عسكري إلا أنه لم تكن للقادة تلك الصلاحيات الواسعـة، والممارسـات الغريبة التي تعرفها الأنظمة العسكرية الأخرى.

فالمعارضة إذن ذات قواعد عريضةٍ غير أنها خامدة، وربما كانت تبرز أحياناً أما الحكم فكان يرتكز على كبار الضباط الذين هم دعامة الرئيس ضياء الحق، وبعض الزعماء المدنيين من السياسيين، ثم العامة وهم غالبية الشعب، وهؤلاء يُؤثّر فيهم الإعلام، وربما تستطيع المعارضات كسب أعدادٍ منهم بالتأثير والدعاية.

أجرى ضياء الحق استفتاءً عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) وحصـل على ثقة الشعب نتيجة هذا الاستفتاء، واستمرّت الأحكام العرفية معمول بها منذ قيام الانقلاب عام ١٣٩٧ هـ حتى عام ١٤٠٥ هـ، وبعـدها وعـد بإجـراء انتخاباتٍ، ووضع قوانين لها، ومنها:

أ ـ عدم الاختلاط: حيث ينتخب المسلمـون وحدهم ولهم ممثليهم، وينتخب غير المسلمين وحدهم ولهم ممثليهم.

ب ـ التمثيـل النسبي: فتكون الأصـوات للأحـزاب وليس للأشخـاص، ويُعطى الحزب من المقاعد بنسبة ما نال من الأصوات. والأحزاب التي لا تحصل على نسبة ٥٪ من مجموع الأصوات لا تُمثّل في الجمعية الوطنية .

ج ـ تقديم حسابـات الحزب: إن الحـزب الذي يُـريد أن يُشـارك في الانتخابات عليه تقديم حساباته المالية، ونظامه الأساسي للدولة.

ولكن التحالف الوطني قـد عارض هـذه القوانين، وعـدّها غيـر دستوريـةٍ،

والانتخابات يجب أن تكون حرةً، وغير مشروطة، وغير خاضعة لقوانين خاصة يصوغها كل حاكمٍ وفق هواه.

ولكن أجريت انتخابات البلدية على حين ألغيت الانتخابات النيابية.

انقلاب جديد:

بعد أن وُقّعت الاتفاقية بين باكستان وحكومة أفغانستان في سويسرا في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م)، وانسحبت روسيا من بلاد الأفغان عسكرياً أحسّ ضياء الحق أن وضعه في بلاده قد اختلّ، فأسرع يبحث عن الأسباب، ويفتش عن مخرج، فوجد.

أن المجاهدين الأفغان قد شعروا أنهم قد خُذلوا من باكستان، ولم يكن هذا توقّعهم، وهم قد رفضوا تلك الاتفاقية إذ لم يكونوا طرفاً فيها رغم أنها كانت بسببهم ومن أجلهم. وضياء الحق لا يريد خذلان المجاهدين، بل كان يقف إلى جانبهم حسب إمكاناته المادية، وطاقاته السياسية حيث هناك حدّ معين يمكن أن يقوم به، ولا يمكنه أن يتعدّاه.

وشعر أن خلافاً بينه وبين رئيس حكومته محمد خان چوينچو الذي كان يتسلّم حقيبة وزارة الدفاع إضافةً إلى رئاسته للحكومة، وكان ضياء الحق هو القائد الأعلى للجيش والقوات المسلّحة، وبحكم منصب الرجلين يحدث احتكاك لكن لم يصل إلى درجة الصدام. وأحسّ هنا ضياء الحق أن رئيس حكومته كان ضمن اللعبة حيث كان يرى أن المجاهدين يُشكّلون عبئاً على باكستان في الوقت الذي كانت تعاني فيه ضائقةً اقتصاديةً، لذا يجب طردهم من أراضي باكستان، والتفاهم مع الروس. وهذا ما جعل ضياء الحق يلجأ إلى انقلابٍ جديدٍ في بلاده بصورةٍ سلميةٍ.

ففي ١٤ شوال ١٤٠٨ هـ (٣٠ أيار ١٩٨٨ م) ألقى خطاباً بالتلفزيون أعلن فيه حلّ الجمعية الوطنية، وإقالة الحكومة برئاسة محمد خان چوينچو لأنها فشلت في وضع حدٍّ للفساد، ولكنه لم يُعلن الأحكام العرفية، ولم

يُعلّق الدستور، ولم يحظر نشاط الأحزاب، ووعد بإجراء انتخاباتٍ خلال ثلاثة أشهرٍ، وألغى زيارته للصين التي كانت مقررةً أن تكون في هذا اليوم. وغيّر المواقع في مسؤولي وسائلِ الإعلام، وعزل المفاوضين في جنيف من مناصبهم بعد توقيع الاتفاقية.

وعيّن رحيم الدين، وهو جنرال متقاعد، حاكماً لإقليم السند.

وفي ٢٤ شوال ١٤٠٨ هـ (٩ حزيران ١٩٨٨ م) شكّل وزارةً برئاسته، ضمّت أعضاء متبايني المشارب، فكان منهم صاحب زاده يعقوب خان الذي تسلّم حقيبة وزارة الخارجية، وقد كان يشغلها من قبل، وهو ضابط من أصدقائه، وهو الذي تولّى شأن مفاوضات جنيف مع ممثلي حكومة الأفغان الشيوعية.

وحبيب الحق وتسلّم منصب وزير المالية.

ومير هزار خان بجراني من أعضاء حزب الشعب البارزين سابقاً، ومن أعضاء الوزارة المُقالة.

ومير أفضل خان، وهو أيضاً من أعضاء الوزارة المُقالة، ومن قادة حزب الشعب سابقاً.

وكان تشكيل هذه الوزارة بعد لقاءٍ طويلٍ تمّ بينه وبين الشيخ حردان شاه الذي كان مستشاراً دينياً لرئيس الوزراء السابق محمد خان چوينچو.

وفي الأول من ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (١٥ حزيران ١٩٨٨ م) عاد فألقى كلمةً دافع فيها عما سبق أن اتخذه من إجراءاتٍ سابقةٍ، ووعد بأن تتغيّر قريباً الأوضاع الاقتصادية في باكستان كما ستتغيّر القوانين ـ إن شاء الله ـ.

وفي ١١ ذي القعدة أي بعد عشرة أيامٍ من إلقاء كلمته الأخيرة ألقى كلمةً جديدةً تساءل فيها عما سيكون جوابه فيما إذا سئل يوم القيامة لِمَ لم يحكم بالشريعة الإسلامية!!!

ويبدو كأنه أحسّ بما يُدبّر له، وشعر باللعبة الدولية ضدّه، وتوقّع أن

أيامه قد اقتربت على الانتهاء، فرأى ضرورة التزامه بخطه الإسلامي دون التفكير بالخوف من أمريكا، ولا حاجة لطلب رضاها، والأمر بيد الله، والآجال، والأرزاق بيده سبحانه وتعالى، وأخذ يفكر بالانطلاق من هذا المبدأ، وقرّر إجراء استفتاء عام (١٩٩٠ م) في الوقت الذي تنتهي فيه مدة رئاسته، إن بقي حياً، ليعرف ثقة الشعب وتجاوبه مع سياسته.

مقتل ضياء الحق:

أخذ ضياء الحق يقوم بأعماله بمنتهى السرية التامة من باب اتخاذ الأسباب، ويتوقّع حدوث ضربةٍ قاصمةٍ في البلاد، وإن لم يُعيّن مصدرها، غير أنه يتوقّعها من أمريكا التي كان يعمل على مسايرتها، ويُظهر السير في فلكها، وعلى منهجها.

وانتهت مهمة ضياء الحق عند أمريكا، فقد خرجت روسيا من أفغانستان مكرهةً، ولم يعد يصلح ضياء الحق عندها لحكم باكستان، إذ لم تعد تريد دعم المجاهدين الأفغان، ولم ترغب أن يصلوا إلى مرحلةٍ أكثر من التي وصلوا إليها بل تريد أن يتراجعوا، وليس أمام الشيوعيين، وإنما أن يبقى الطرفان على الوضع الذي هما فيه، حتى ييأس الشعب، وينفض يده من كلا الطرفين، ويأتي نظام علماني ترضى عنه، كأن يعود الملك السابق محمد ظاهر شاه.

وكانت أمريكا تعلم أن ضياء الحق حاكم باكستان كان يُجاملها، ويُظهر ما لا يُضمر، فهو يُعلن مُوافقته على السير في خطّها ليحصل على السلاح، وقد حصل، بل وبدأ العمل لإنتاج قنبلةٍ ذريةٍ باكستانيةٍ، وهذا ما أثار الهند، ودولة اليهود في فلسطين، وكان يُسايرها ليستمرّ حكمه، وقد تمّ ذلك، فقد حكم أكثر من أحد عشر عاماً.

ولكن أمريكا لا ترضى أن يستمرّ حكمه، لأنها لا ترغب في أن يستمرّ دعم المجاهدين الأفغان، وأن تستمر قوتهم. وكذلك فلا ترضى أن

تُستغلّ، ويستغلّ نظام ما حاجتها إليه، ويتقوّى، ويتسلّح، ويعمل على إنتاج قنبلةٍ ذريةٍ، فمن الأساس لا تقبل أمريكا أن تملك باكستان مثل تلك القنبلة، ولكن اقتضت الظروف أن تسكت عن هذا موقّتاً ما دامت بحاجةٍ مرحليةٍ إلى هذا الوضع، أما وقد انتهت الحاجة، ووصلت أمريكا إلى هدفها، فلتُطح بالنظام وبفكرة القنبلة أو بالأحرى تزول هذه الفكرة مع زوال النظام، ودفن صاحبه، وأخذت أمريكا تدبّر لإنهاء الوضع.

عرضت أمريكا على ضياء الحق شراء بعض الدبابات الأمريكية، وقد أحضرت بعضها إلى باكستان لرؤيتها ومعرفة مزاياها التعبوية، وتحدّد موعد لرؤية تلك المزايا على الطبيعة، وخرج ضياء الحق، ومعه رئيس أركان الجيش الباكستاني أخطر عبدالرحمن، وتسعة من كبار الضباط الذين يعتمد عليهم، والسفير الأمريكي في باكستان (أرنولد رافيل) والجنرال (هربرت واسوم) الملحق الأمريكي لشؤون الدفاع والخبير بسلاح الصواريخ والمدفعية التي يستخدمها المجاهدون الأفغان. ولم يخطر ببال ضياء الحق أي سوءٍ ما دام معه بعض المسؤولين الأمريكان، وكأنه نسي أنهم يُضحّون بكل شيءٍ في سبيل الوصول إلى أهدافهم المهمّة. وكانت الرحلة في منتهى السرية، وبعد رؤية المزايا التعبوية للدبابات المعروضة على الطبيعة انتقل الحضور إلى مطار (بهاوالبور) لينتقلوا منه إلى مطار (راولبندي)، وكانت الرحلة سريةً أيضاً لا يعلم بها إلا أصحابها، واستقلّوا طائرةً في

---

(١) أرنولد رافيل: من ولاية نيويورك، ولد في مدينة (تروى) عام (١٩٤٣ م) ١٣٦٢ هـ، وانخرط في السلك السياسي عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وعُيّن في إيران في مدينة أصفهان، ثم انتقل إلى مدينة طهران، وأصبح عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) مساعداً خاصاً لوكيل وزارة الخارجية، وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) المسؤول السياسي في السفارة الأمريكية في إسلام أباد، ثم مساعداً خاصاً لوزير الخارجية، ثم النائب الأول لوزير الخارجية الأمريكية ريتشارد مورفي، وفي عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) سفيراً لأمريكا في إسلام أباد، ويعدّ خبيراً بشؤون العالم الإسلامي.

اتجاههم إلى مطار (راولبندي)، وما أن أقلعت الطائرة حتى سقطت محترقةً بسبب انفجار قنبلةٍ فيها، وتناثرت قطعها على الأرض، وقد قُتل جميع من فيها، وذهبوا قتلى محترقين لا يُعرف أحدهم من الآخر وذلك في ٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٨ م).

الاتهـــام:

ذهب المحلّلون السياسيون مذاهب شتّى في الدوافع التي وراء عملية القتل هذه، ومن هذه الأقوال:

١″ ــ **أن الروس والهنود والأفغان** الشيوعيين وراء هذه الحادثة لحقد الروس وشيوعيي الأفغـان على ضياء الحق شخصيـاً إذ قوّى المجـاهدين الأفغان عليهم حتى أذلّهم. وأما الهند فلإضعاف باكستان وخوفها من أن تمتلك جارتها باكستان القنبلة الذرية، وأن تتحسّن علاقتها مع أمريكا أكثر مما هي عليه. وأن يتسلّم المجاهدون الأفغان السلطة في بلادهم ويتفاهموا مع باكستان، وتقوم وحدة بين الطرفين تُهدِّد الهند. هذا بالإضافة إلى بغض ضياء الحق شخصياً بسبب اتجاهه الإسلامي.

وذكر المعلّقون أن المخابرات البـاكستانيـة كانت مُختـرقةً من عـدة جهـاتٍ، فلم تُغن سريـة الـرحلة التي قـام بهـا ضيـاء الحق. واختـراق المخابرات الباكستانية ينطبق على رأي أصحاب القول وعلى غيرهم.

٢″ ــ **إيران**: كانت إيران على خلافٍ مع باكستـان بسبب المفهوم الإسـلامي (الإسلام أو الشيعـة)، وكان الشيعـة في باكستـان يريـدون أن يحملوا ضياء الحق على مسايـرتهم، وتطبيق مفهـومهم الخاص بـالإسلام حسب المنهـج الرافضي، والسيـر في ركاب السيـاسة الإيـرانية، وجـرت لقاءات وحوار. . .

وقُتل عارف حسين الحسيني (رئيس حركة تنفيذ الفقه الجعفري) في باكستان، وكان مقتله يوم ٢٢ ذي الحجـة ١٤٠٨ هـ (٥ آب ١٩٨٨ م)،

واتهم أنصاره الحكومة بالعمل على قتله. فقامت إيران بردّ الفعل وقتل من اتهمته بقتل أحد أعوانها الأساسيين في باكستان.

٣" ـ **دولة اليهود**: ويرى المحلّلون أن إقدام اليهود على هذا العمل ردّاً على مواقف باكستان الدائمة ضدّ دولتهم في فلسطين، واتخاذ مواقعها دائماً بجانب المسلمين، وخوفاً من القنبلة الذرية الباكستانية التي لن تكون لباكستان فقط، وإنما حسب اتجاه ضياء الحق للمسلمين جميعاً أي ضدّ دولة اليهود، فعملوا لإجهاض تلك القوة قبل تكاملها.

٤" ـ **الباكستانيون**: ومنهم العسكريون الذين يريدون السلطة، أو المدنيون من أصحاب الثأر كحزب الشعب، أو أصحاب المصالح أو أصحاب مناهج مُباينة لمنهج ضياء الحق وخاصةً الشيوعيين الذين قضّ مضجعهم دعم المجاهدين الأفغان، ومحاربة الحكم الشيوعي في كابل، وإذلال روسيا وإجبارها على الانسحاب من بلاد الأفغان. وقد حالت سلطات الأمن الباكستانية من وصول لجان التحقيق إلى مكان الحادث.

٥" ـ **أمريكا**: وهو الظنّ الراجح لما قد سبق وبيّناه. ولكن أبعد التهمة عنها قليلاً وجود أمريكيين معه وهم ذو مكانةٍ، ولكن نسي هؤلاء أن أمريكا لا تُبالي ببعض الضحايا مقابل تنفيذ مخططٍ، بل ربما تتخذ من رجالها طعماً لذلك، دون أن تُعلن.

وحسب الدستور الباكستاني يتسلّم منصب الرئاسة إذا مات أو قُتل رئيس البلاد فجأةً رئيس الجمعية الوطنية، وهكذا أصبح رئيس باكستان غلام إسحاق خان.

□ □ □

٣" ـ غلام إسحاق خان[1]:

[٦ محرم ١٤٠٩ هـ ـ .... (١٨ آب ١٩٨٨ م ـ ....)].

تسلّم غلام إسحاق خان السلطة في اليوم الثاني لمقتل ضياء الحق، فشكّل مجلس طوارىء ضمّ كلاً من وزراء الداخلية، والدفاع، والخارجية، والعدل، ورؤساء أركان القوات البرية، والبحرية، والجوية، ومُهمّة هذا المجلس حفظ النظام، والأمن، والإشراف على الانتخابات العامة التي ستجري في ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٨٨ م)، وهو المجلس الأعلى في البلاد.

وأعلن أن الانتخابات ستكون على أساسٍ حزبيٍ. وأما عن الشريعة الإسلامية فأبدى أن ما في الدستور من قوانين إنما هي موافقة للشريعة، وهذا يعني (لا حاجة للعمل على تطبيق الشريعة، فالأمر منتهٍ)، وأما عن تأييد المجاهدين الأفغان، فقال: إنهم طلبوا الحماية، وقد وُفِّرت لهم، وأن اتفاقية جنيف قد تمّ توقيعها ونحن ملزمون بتنفيذها، وسنحاول إقناع المجاهدين بقبولها.

---

(١) **غلام إسحاق خان ولد عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م)**، وهو من الإقليم الشمالي الغربي أي من قبائل الباتان، وقد عمل في بداية حياته جابياً للدخل، وبعد انتهائه من متابعة الدراسة عُيّن محافظاً لمصرف باكستان المركزي.

كان موضع ثقة ذوالفقار علي بوتو، وتسلّم في عهده وزارة المالية، ثم وزارة الدفاع، فلما آل الأمر إلى ضياء الحق مال إليه، وشغل منصب وزارة المالية مدة الأحكام العرفية ١٣٩٧ ـ ١٤٠٥ هـ.

وفي عام ١٤٠٥ هـ انتخب نائباً عن الإقليم الشمالي الغربي، واختير رئيساً لمجلس الشيوخ، وكان مرشح ضياء الحق في هذا الاختيار.

التحق بحزب الرابطة الإسلامية عندما قوي أمرها أيام وزارة محمد خان چوينچو، ثم تركها ليلة إقالتها عند حركة ضياء الحق البيضاء، كما تخلّى من قبل عن حزب الشعب. وكان أحد أركان الحكم الثلاثة وهم: ضياء الحق القائد الأعلى للجيش، وغلام جيلاني رئيس المخابرات العامة، وغلام إسحاق خان رئيس جهاز الخدمة المدنية.

ومن هذه الأقوال تبدو السياسة التي سيتبعها، وأنها مخالفة كلياً للسياسة التي كان عليها ضياء الحق، كما تعط هذه الكلمات دلائل لسبب انتهاء نظام الحكم السابق، ومقتل ضياء الحق، والأيدي التي كانت وراءه.

ولم يعلن عن نتائج التحقيق في مقتل ضياء الحق، ويبدو أن الأمر كان مُسوّىً من قبل ومتفق عليه. وتمّ تعيين الجنرال مرزا إسلام بك[1] قائداً عاماً للجيش.

ما أن انتهت البلاد من آثار مصرع رئيسها ضياء الحق حتى أخذ النشاط الحزبي يظهر بشكلٍ واضحٍ، وخاصةً حزب الشعب الذي كان برئاسة نصرت بوتو زوجة ذوالفقار علي بوتو، وكانت ترى في السياسة الأمريكية الخداع والمكر والتخلّي عن الأصدقاء وقت الضيق والشدة، أو أنها بالأحرى هي التي تتركهم لتجد آخرين تمتطيهم، وتنفّذ من ورائهم مخططاتها وأهدافها، فإذا زلّت بهم قدم دفعتهم إلى الخلف أو ألقت بهم في القمامات وتعهدت غيرهم، وقد ألقت بزوجها ذوالفقار علي بوتو، وتركته يذبح أمام ناظري ساستها، وهم يرقصون على ساحات ضياء الحق، لذا كانت ضد السياسة الأمريكية، وهذا ما جعلها تبعد، وتعيش خارج البلاد في منأى عن الساحة السياسية الباكستانية أما ابنتها بنازير بوتو[2] فقد

---

(١) مرزا إسلام بك، ولد في دكا، ونشأ في قرية (أعظم قره) في البنجاب، كان رئيساً لمجموعة الطلبة المسلمين ١٣٦٤ هـ - ١٣٦٦ هـ، وانضم للكلية العسكرية في (كاكول) ١٣٦٨ هـ، ثم التحق بفوج البالوش بالجيش الباكستاني ١٣٧٢ هـ، ثم بفريق القوات الخاصة ١٣٧٧ - ١٣٨١ هـ. وعين رائداً في كويتا ١٣٨٣ - ١٣٨٦ هـ، وأصبح برتبة مقدم ١٣٨٩ هـ فعين رئيس كتيبة مشاة، وأصبح قائد فرقة في جبهة لاهور عام ١٣٩١ هـ، وقائد لواء ١٣٩٤ هـ، ورئيس فرقة مشاة ١٣٩٨ هـ، وقائد فيلق للجيش، ثم نائباً لرئيس الأركان عام ١٤٠٧ هـ.

(٢) بنازير بوتو: ولدت في كراتشي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وتلقّت دراستها باللغة الإنكليزية في مدرسة القواعد في مدينة كراتشي، ثم التحقت بكلية (كليف) في الولايات المتحدة، وكانت رئيسة اتحاد الطلبة الباكستانيين في الجامعة، وبعدها انتقلت إلى جامعة (أكسفورد) في بريطانيا، وكانت أنموذجاً للطالبة غير المستقيمة، =

تبنّت السياسة الأمريكية لذا أخذت تظهر، وتبرز، وتتحدّث عنها وسائل الإعلام، وتُلمّع بشكلٍ قويٍ وخاصةً في الفتنة التي وقعت في كراتشي في شهر ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) والتي سبقت الانتخابات بقليلٍ، وملخصها أن سلطات مكافحة المخدرات في (سوهراب جوت) عثرت على ثلاثمائة كيلوغرام هيروين، وستة آلاف كيلوغرام من الماريغوانا، وكمياتٍ من الحشيش والأفيون، وثمنها أكثر من نصف مليار دولار، وحدث بين المهاجرين وهم المسلمون الهنود الذين لجأوا من الهند إلى باكستان، ويتكلّمون لغة الأردو، وبين الذين يتكلمون لغة البشتو قتال ذهب ضحيته مائة وثمانون شخصاً، وجرح ما يزيد على سبعمائة شخصٍ، والقصد من هذه الفتنة أن الذين يتكلّمون البشتو، وبعضهم من الأفغان قد اتهموا المهاجرين بأنهم كانوا السبب في إلقاء القبض على رجال العصابة، ومصادرة تلك الكميات من المخدرات، وقد استمرّت الفتنة عدة أيامٍ حتى تمكّنت السلطة من إخمادها ورحّلت ما يزيد على خمسةٍ وعشرين ألفاً من اللاجئين الأفغان عن كراتشي، واتهموا أنهم كانوا يُزوّدون المجاهدين الأفغان بالأسلحة، والمهم أن تُشوّه صورة المجاهدين.

حاولت بنازير بوتو استغلال هذه الفتنة، فبدأت تُصدر التصريحات، وتُهاجم قطاع الطرق، وتجار المخدرات، وتغمز من المجاهدين، ودعت إلى قيام المظاهرات لشجب أعمال اللصوصية وقطع الطرق وتقصد المجاهدين، ولكن لم تجد تجاوباً معها من قبل الشعب.

= وكانت مرافقةً لأبيها. سُجنت بعد اعتقال أبيها، ونفيت إلى بريطانيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، ولما ألغيت الأحكام العرفية عادت إلى باكستان عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م)، ورحّب بها الكثير، واستقبلت الزوار، وتزوجت شاباً باكستانياً من منطقة السند. وكانت في القنصلية الأمريكية في كراتشي بعد ساعات من مقتل ضياء الحق. عارضها الجناح اليساري في حزب الشعب لأنها سارت في فلك السياسة الأمريكية، واستغلّت النسب الشيعي فتقرّبت من أبناء هذه الطائفة.

أخذت بنازير بوتو تنشط بالدعاية، وتقرّبت من الشيعة بصفتها أحد بنات الطائفة، وأظهرت إيمانها بمعتقداتهم، وهي لا تؤمن بشيء، ونشط حزب الشعب بالدعاية أيضاً، وجاء موعد الانتخابات، وحصل الحزب على الأكثرية وكلّف رئيس الدولة غلام إسحاق خان بتشكيل الوزارة بنازير بوتو بصفتها زعيمة حزب الشعب الذي حصل على الأكثرية بالانتخابات.

وعزلت بنازير بوتو عندما استلمت الحكومة رئيس المخابرات الجنرال حميد غول، وعينت مكانه الجنرال شمس الرحمن كالو.

وفي يوم الاثنين ١٥ محرم ١٤١١ هـ (٦ آب ١٩٩٠ م) أقال الرئيس إسحاق خان حكومة بنازير بوتو، وعيّن غلام مصطفى جاتوي زعيم الائتلاف المعارض لحكم بنازير بوتو، وكانت الوزارة الجديدة حكومةً موقتةً، كما حلّ الرئيس الباكستاني الجمعية الوطنية، والجمعيات الإقليمية الأربعة، وحكام الأقاليم الأربع، بما فيهم حاكم البنجاب نواز شريف الخصم الرئيسي السياسي لبنازير بوتو.

وأعلن الرئيس الباكستاني عن إجراء انتخابات عامة جديدة في ٥ ربيع الثاني ١٤١١ هـ (٢٤ تشرين الأول ١٩٩٠ م) وأعلنت فوراً كل من نصرت بوتو، وابنتها بنازير بوتو عن ترشيح نفسيهما للانتخابات، وكذلك (زردري) زوج بنازير بوتو.

وصرّح الرئيس الباكستاني أنه اضطر إلى هذا الإجراء اضطراراً، حيث أن الحكومة أصبحت في نظره غير قادرةٍ على الاضطلاع بأعباء الأمور وفقاً للدستور، وكان لا بدّ من الرجوع إلى القاعدة الانتخابية، واتهم الرئيس حكومة بنازير بوتو بالفساد، وانتهاك الدستور، ومحاباة أولي القربى.

وأنشئت محاكم خاصة، وتقرّر أن تُحال أسرة بنازير بوتو وطائفة من

المقربين إليها إلى تلك المحاكم. وأعلن القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال «أسلم باغ» أن الجيش لا دخل له في السياسة، ولم ينو في وقت من الأوقات، ولم يزمع الاشتراك فيها أبداً.

واتهمت بنازير بوتو الجيش والمخابرات السرية بأنهما لعبا دوراً في إقالة حكومتها، ووصفت الإجراء الذي اتخذ بحقها أنه غير قانوني.

الفصل الثاني

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة باكستان ثمانمائة ألف كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكانها على مائة وعشرة ملايين حسب تقديرات عـام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) وبذا تزيد الكثافة على مائة وسبعة وثلاثين إنساناً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة عالية نسبياً، وإن كانت تختلف بين منطقة وأخرى، فهي مرتفعة في مقـاطعة البنجـاب، ومتوسـطة في السند، وقليلة في منـطقة الحـدود الشمالية الغربية، وضعيفة في بالوشستان. يبلغ طول حدود باكستان ٦٧٧٤ كيلومتر، منها مع أفغانستان ٢٤٣٠ كم، ومع الصين ٥٢٣ كم، ومع إيران ٩٠٩ كم ومع الهند ٢٩١٢ كم.

الصراع الإقليمي:

كانت البلاد وحدة، فلما جاء ذوالفقار علي بوتو إلى السلطة، أعـاد إلى البلاد النظـام الاتحادي، ووضع دستوراً جديداً وافقت عليه الجمعية الوطنية في ٨ ربيع الأول ١٣٩٣ هـ (١٠ نيسان ١٩٧٣ م)، ونصّ هذا الدستـور على قيام النظام الاتحادي، فأخذت البلاد تتعرّض لهزّات، وتسير في طريق التفكك، وخاصةً أن الجناح الشرقي من باكستان كان قد انفصل قبل أكثر من عامٍ قليلاً.

تحرّك أصحاب المصالح، والذين يريدون الزعامة، وأخذوا ينـادون بالانفصال، كي يتزعّموا ويسودوا في أقاليمهم، وقد غدت لهم أحـزاب،

وأصبحوا رؤساء لها، أما إن كانت البلاد واحدة فلا دور لهم ولا شأن. ويساعدهم على ذلك أن لكل إقليم لغته الخاصة التي تسود فيه، وإن كان معظمهم يعرف لغة الأوردو، وهي التي تجمع بينهم. وكان يُحرّكهم، ويدفعهم، ويدعمهم أولئك الذين يحقدون على باكستان، ويريدون تجزئتها، إما حقداً وكرهاً، وإما لإضعافها ومدّ نفوذهم، كالهندوس، والروس، وكل أعداء الإسلام، وفي التجزئة والضعف، يمكن كسب فئة من الفئات. ويدّعي هؤلاء المحبون للزعامة أن إقليماً يُسيطر على باقي الأقاليم لكثرة أبنائه وتعدادهم، فالقطعات العسكرية أكثر أفرادها من البنجابيين، ويعطون دليلاً لدعواهم بانفصال الجناح الشرقي من باكستان، وتشكيل دولة بنغالديش. وينسى هؤلاء أن أقاليمهم لو انفصلت لما استطاعت البقاء لفقرها وضعفها، فهي ستطلب الحماية، وستضطر عندها للسير في فلك غيرها، وستطلب المساعدة، وستجبر على أن تكون تابعةً لغيرها..

قامت حركة تمرّد في بالوشستان في عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) بزعامة حزب عوامي الوطني، وتهدف إلى فصل هذا الإقليم عن الأم، وكان الشيوعيون وراء هذه الحركة تبعاً لمصالحهم، وقد حُظر هذا الحزب بعد انقلاب ضياء الحق، ثم رجع إلى نشاطه بعد مقتل الرئيس الباكستاني ضياء الحق، وقد حصل على ثلاثة مقاعد في الجمعية الوطنية التي تشكلت بعد ذلك. وكذلك ظهر الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة (غوث بخش بزنجو)، ويعمل كالحزب السابق لفصل بالوشستان.

وقامت حركة في إقليم السند تدعو أيضاً إلى هذا الانفصال، وتعدّ أن بقية أقاليم باكستان تعيش على حساب السند، ولا شك أن وراء هذه الحركة كبار التجار، وطائفة الإسماعيلية ذات الإمكانات التجارية، وأصحاب المصالح، والشيعة الذين يكثرون في منطقة حيدر أباد السند، إذ يريدون الارتباط بإيران، وكذلك المجوس الذين لهم الهدف نفسه، ومن وراء ذلك كله إنكلترا التي تريد أن تمكّن نفوذها في السند عن طريق

أعوانها، وتضعف بذلك الأقاليم الأخرى التي تصبح داخلية فتمدّ نفوذها إليها، وتتحكّم بالمنطقة كلها. ويعمل لهذا أيضاً كل أعداء الإسلام إلى تؤدّي التجزئة الباكستانية إلى إضعاف فكرة الرابطة الدينية.

ويوجد أيضاً الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالولي خان، ويدعو إلى استقلال قبائل الباتان في إقليم الحدود الشمالية الغربية.

ويحتجّ الانفصاليون جميعاً بسيطرة البنجابيين على باكستان وضياع بقية الأقاليم، ويدلّلون على قولهم بالقوات العسكرية التي ينتمي أكثر أفرادها إلى البنجاب. وينسون أن فكرة قيام باكستان إنما كانت الرابطة الإسلامية، ودعوتهم إلى التجزئة والانفصال إنما هي محاربة لتلك الفكرة، وإماتة لها، ولكن أكثر أصحاب هذه الدعوة إنما هم من أصحاب مناهج أخرى معادية للإسلام، وهذا أساس دعوتهم، وقد يوجد بينهم قلة من المسلمين الملتزمين غير أن العصبية العنصرية قد أعمتهم، أو أن الادعاءات وتزيين الشعارات قد أصمّ آذانهم عن سماع الحق. ويجب ألا ينسى هؤلاء أن التجزئة هي إضعاف لكل إقليم، وجعله يطلب المساعدة والحماية، ويضطر للسير في فلك الأعداء، وهذا ما يخططون له.

الصراع العقيدي:

قلنا: إن عدد سكان باكستان قد وصل إلى مائة وعشرة ملايين عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م)، ويتوزّعون حسب العقائد على الشكل الآتي:

المسلمون: السنة الشيعة	 ١٠٣,٠٠٠,٠٠٠ ١,٥٠٠,٠٠٠	١٠٤,٥٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون ٩٥,٠٥٥٪

الإسماعيليون: النزاريون المستعليون	١,٠٠٠,٠٠٠ ٣٠٠,٠٠٠	١,٣٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون ١,٢٤٩٪
القاديانيون:		١٠٦,٧٠٠	ويُشكّلون ٠,٠٠١٪
الهندوس:		١,٧٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون ١,٦٠٠٪
النصارى:		١,٧٣٠,٠٠٠	ويُشكّلون ١,٧٠٠٪
السيخ:		٢٥٢,٣٠٠	ويُشكّلون ٠,٠٠٢٪
المجوس:		٦,٣٠٠	ويُشكّلون ٠,٠٠٠
البوذيون:		٣٠٤,٧٠٠	ويُشكّلون ٠,٠٠٣٪
		١٠٩,٨٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون ١٠٠,٠٠٠٪

فالعناصر غير الإسلامية كلها تقف في وجه المسلمين وتعمل ضدّهم، وترتبط بجهاتٍ أجنبيةٍ نتيجة العقيدة أو سعياً وراء المصلحة. فالهندوس يسيرون وفق السياسة الهندية، ويتجهون حسب ما اتجهت، يُحاربون المسلمين عقيدةً، وحقداً، ويُحاربون باكستان عقيدة وسياسة، فهم دائماً في الصف المعادي للحركة الإسلامية، وفي الجهة المقابلة للسياسة الباكستانية، وما داموا فئةً قليلةً فهم يقومون بعمل التخريب، وبثّ الإشاعات، ونقل المعلومات للهند، ويُعينون العملاء ضدّ الدولة، وأصحاب المصالح على الحركة الإسلامية، ويتفقون مع الفرق الأخرى ضدّ المسلمين، ويساعدون على نشر الفساد.

ويقوم السيخ والبوذيون بعمل مشابه للهندوس غير أنهم لا يُؤيّدون السياسة الهندية، ولا ينقلون إليها المعلومات، وتعدّ الحدود البنجابية مع الهند أكثر أمكنة السيخ، بينما يتوزّع البوذيون في المناطق القريبة من الهند في السند وبنجاب.

وأما القاديانيون والإسماعيليون فهم أعوان السياسة الإنكليزية، وحيثما تجد لإنكلترا نفوذاً في أية جهةٍ من جهات العالم تجد دعماً لهاتين الفئتين إن وجدتا هناك. ويتجمّع الإسماعيليون في كراتشي، وللقاديانيين نفوذ منذ أيام الاستعمار الإنكليزي، وإن كانوا يتكاثرون في البنجاب أكثر من بقية المناطق.

وأما النصارى فهم مع الدول الأوربية الصليبية وخاصةً إنكلترا، عقيدةً، وفكراً، وارتباطاً، وسياسةً، وتوجّهاً، حياتهم في باكستان، وقلوبهم وعقولهم في الدول الصليبية وكذلك وضعهم في كل بلدٍ يعيشون فيه أقليةً.

والمجوس رغم أنهم أصحاب دينٍ بالٍ، لا وجود له في أية بقعةٍ أخرى، ولا توجد دولة تدعي الإقرار به، إلا أنهم يتّجهون نحو إيران بدافع العصبية العنصرية حتى إنهم ليُسمّون البارسيين أي (الفرس).

والشيعة رغم أنهم يعلنون إسلامهم لكنهم يقفون أمام الحركات الإسلامية ويقومون بصراعٍ معها، ويكرهون علماء المسلمين والملتزمين بالإسلام، وإذا أرادت الحكومة أن تتوجّه نحو الإسلام، أبدوا مخالفتهم، فهم لا يريدون الإسلام إلا حسب مفاهيمهم، وعقيدتهم التي يرونها في الأئمة والنبوة، وقناعتهم في الصحابة، ومحاربتهم لكبار صحابة رسول الله ﷺ، هذا من حيث العقيدة، أما من حيث السياسة فلا يرون أيّ توجّه صحيح إلا إذا كان يُوافق هوى السياسة الإيرانية، وترضى عنه الحكومة الإيرانية، وهي لا تقبل إلا ما كان موافقاً للمبدأ الشيعي، وترفض كل ما سواه. ومن هنا فالشيعة في صراعٍ مع المسلمين الذين يعدّون أنفسهم منهم، وصراع مع بقية الأقليات كالمسلمين.

وأما المسلمون فهم في صراعٍ فيما بينهم أيضاً، إذ منهم المؤمنون ومنهم غير ذلك، فالمؤمنون إما يعيشون ضمن حركاتٍ، وجماعاتٍ، وتجمّعاتٍ، وهم غالباً على شيءٍ من الوعي والالتزام، ويعملون لدينهم، وإن كانوا يختلفون فيما بينهم، حسب الاجتهادات، وتفسير الأحداث،

وربما أحياناً تعصّباً للتنظيمات، وفي محاولة النشاط وكسب الأنصار. وغير المؤمنين فقد يكونون أصحاب عواطف ولكن غير ملتزمين، ويغلب عليهم الجهل، فيلعب بهم أصحاب المصالح، والأطماع، والدعوة إلى العصبيات، ومن هؤلاء تكسب الأحزاب العلمانية والملحدة كثيراً من عناصرها. ويكون من غير المؤمنين حملة الأفكار الملحدة، والمرتبطون بالسياسات الخارجية، والمتفرنجون الذين يرغبون بالتفلّت من القيم، والتحلّل من المبادىء فيسيرون حسب طريقة الكفار. ويقف هؤلاء في وجه التيار الإسلامي ويعملون على الحدّ من نشاطه بكل إمكاناتهم وطاقاتهم.

الصراع الحزبي:

رغم الخلاف الذي ذكرناه بين الأحزاب الباكستانية فقد اتفقت فيما بينها، وشكّلت جبهة معارضة ضدّ ذوالفقار علي بوتو، وحزبه «حزب الشعب» الحاكم، وكانت هذه المعارضة برئاسة مفتي محمود رئيس جماعة علماء الإسلام. وكان أن تصدّع حزب الشعب نتيجة قوة المعارضة.

وقام حزب عوامي الوطني بحركة تمرد في سبيل فصل إقليم بالوشستان عن باكستان، وقد فشلت هذه الحركة، وكانت بقية الأحزاب ضدّ هذه الحركة رغم أن هذا الحزب ضمن صفوف المعارضة.

ومع أن المعارضة كانت جبهةً واحدةً إلا أن الصراعات بين أحزابها لم تنته بل بقيت وإن كانت على نطاق أخفّ نسبياً.

وحملت المعارضة اسم «التحالف الوطني»، وفشلت المفاوضات بينها وبين الحكم ممثلاً في حزب الشعب، وقام الانقلاب، وجاء ضياء الحق.

حاول ضياء الحق مع التعاون مع التحالف الوطني، ولكن لم يسر خطوات طويلة، وحظر حزب عوامي الوطني، والحزب الشيوعي الباكستاني، ولكن نشأ غيرهما إذ تأسّس الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة خان عبدالمولى خان، ورفع شعار استقلال قبائل «الباتان». كما ظهر

الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة غوث بخش بزنچو، ويرفع شعار استقلال إقليم بالوشستان.

وحظرت الأحزاب كلها في رجب ١٣٩٧ هـ (تموز ١٩٧٧ م) ولكن عاد ففسح ضياء الحق لها المجال للاشتراك بالانتخابات، وممارسة النشاط الحزبي.

ولكن المعارضة رغم أنها تُمثّل قواعد عريضة إلا أنها ضعفت نتيجة السياسة التي اتبعها ضياء الحق، وهي سياسة ازدواجية، وأن الذين اعتمد عليهم لا يُمثّلون اتجاهات فكرية مثل محمد خان چوينچو الذي يعدّ من بقايا حزب الرابطة الإسلامية.

وبعد مقتل ضياء الحق عاد النشاط الحزبي قوياً، وجرت الانتخابات العامة، وظهر الصراع، وكانت نتائج الانتخابات كالآتي:

حزب الشعب الباكستاني الذي تتزعمه بنازير بوتو ابنة ذوالفقار علي بوتو	٩٣ مقعداً
التحالف الديمقراطي الإسلامي	٥٤ مقعداً.
جمعية علماء الإسلام	٨ مقاعد.
حركة مهاجر قوامي	١٣ مقعداً.
اتحاد عوامي الباكستاني	٣ مقاعد.
الحركة الوطنية البالوشية	٢ مقعد.
حزب الشعب الوطني	١ مقعد.
الحزب الديمقراطي الباكستاني	١ مقعد.
المستقلون	٢٧ مقعداً.
اتحاد عوامي الباكستاني	٣ مقاعد.
	٢٠٥

وكان قد توفي مفتي محمود رئيس جمعية علماء الإسلام، فخلفه ابنه فضل الرحمن، ولكن نافسه آخرون ومنهم دار خوستي.

وكذلك برز الحافظ محمد يحيى مكان الشيخ محمد عبدالله في جماعة أهل الحديث.

وكانت المعارضة لحكومة بنازير بوتو برئاسة غلام مصطفى جاتوي الذي كان من حزب الشعب الذي أسسه ذوالفقار علي بوتو، واستلم منصب حاكم السند، ثم ترك الحزب بعد إعدام بوتو، واختلف مع ابنته بنازير التي تولّت زعامة الحزب، فأسس حزباً جديداً هو حزب الشعب الوطني. ولما أقال الرئيس إسحاق خان حكومة بنازير بوتو كلّف غلام مصطفى جاتوي رئيساً للوزارة.

وجرت الانتخابات وفاز حزب الرابطة الإسلامية برئاسة نواز شريف، وشكل الحكومة.

الباب الخامس

بنغالديش

سبق أن قلنا أن العصيان قد انفجر في باكستان الشرقية نتيجة إعلان تأجيل اجتماع المجلس النيابي في ٤ محرم ١٣٩١هـ - (الأول من آذار ١٩٧١ م)، واضطر الرئيس يحيى خان أن يسافر إلى الجناح الشرقي من باكستان، واعتقل مجيب الرحمن[1] لأنه أعلن قيام دولة بنغالديش في ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ (٢٦ آذار ١٩٧١ م).

واستسلم الجيش الباكستاني في الجناح الشرقي للمهاجمين الهنود، وأعلن عن قيام دولة بنغالديش، وتسلّم رئاستها نصر الإسلام، أما الحكومة فقد تسلّمها تاج الدين أحمد، وعدّ الجيش الباكستاني كله أسيراً، ووقّع قائده الجنرال (نيازي) وثيقة الاستسلام.

أخرج مجيب الرحمن من السجن في باكستان الغربية، وأخذ ذوالفقار علي بوتو يفاوضه لاقتسام السلطة معه، فلم ينجح، وفُرضت على

(١) مجيب الرحمن: ولد في بلدة (تونجيبارا) في البنغال، في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٣٨ هـ (١٧ آذار ١٩٢٠ م)، ودرس وتربّى في مدارس الإرساليات التنصيرية، ثم التحق بجامعة كلكتا، ثم بجامعة دكا، وقد درس القانون، وقام بنشاط سياسي فأدخل السجن بعد طرده من الجامعة، وكان مُؤيّداً لقيام دولة باكستان، ولمحمد علي جناح، وتسلّم أمانة سر حزب رابطة عوامي الذي أخذ يدعو إلى استقلال باكستان الشرقية الذاتي، وانتخب عضواً في الهيئة النيابية الإقليمية عام ١٣٧٤ هـ، وتسلّم عدة مناصب وزارية في باكستان الشرقية، وعارض حكم أيوب خان العسكري، وألقي القبض عليه عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) وأدخل السجن.

مجيب الرحمن الإقامة الجبرية، وقُدّم للمحاكمة بتهمة إثارة الحرب على باكستان.

اعترفت الهند بدولة بنغالديش في ١٨ شوال ١٣٩١ هـ (٦ كانون الأول ١٩٧١ م).

وأطلق سراح مجيب الرحمن في ٢٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٢ م) فسافر فوراً إلى لندن، وعقد هناك مؤتمراً صحفياً دعا فيه إلى الاعتراف بدولته، وأجرى مباحثات مع رئيس وزراء بريطانيا، وأمضى يوماً واحداً في لندن، وانتقل إلى دلهي على متن طائرةٍ هنديةٍ خُصّصت له، فاستقبل استقبال الفاتحين. وانتقل من دلهي إلى (دكا) قاعدة بنغالديش الدولة الجديدة في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ م)، وقرّر أن يتولّى رئاسة الوزارة بنفسه، وأن يترك رئاسة الجمهورية بيد أبي سعيد شودري الذي كان رئيس وفد بلاده إلى الأمم المتحدة.

قطع مجيب الرحمن كل علاقة لبلاده مع باكستان مجرد عودته إلى (دكا) في ٢٦ ذي القعدة ١٣٩١ هـ (١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ م)، وعرض عليه ذو الفقار علي بوتو التنازل له عن السلطة في سبيل المحافظة على وحدة باكستان، غير أنه أصرّ على الانفصال، ولم يقبل عنه بديلاً، فلم تعترف باكستان بدولته، ولا بنظام حكمه مدة ثلاث سنوات.

أصدر مجيب الرحمن دستوراً موقّتاً ركّز سلطات الحكم فيه بيد رئيس الوزارة، وجعل من رئيس الجمهورية صورة، فكان منصب رئاسة الجمهورية مجرد منصب شرفي لا أكثر.

نصّ هذا الدستور الموقّت على إقامة جمعيةٍ تأسيسيةٍ مُهمّتها وضع دستورٍ دائمٍ، وتتألف هذه الجمعية من الأعضاء الذين تم انتخابهم في الانتخابات العامة التي جرت في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م).

تولّى مجيب الرحمن وزارات الدفاع، والداخلية، والإعلام، وشؤون مجلس الوزراء، وأصدرت الحكومة مباشرةً قراراً بالاستيلاء على ٧٠٪ من

محالج القطن الكبرى، والجوت، وعلى مزارع الشاي، وعملت على إدارة كل شركات التصدير.

وفي ١١ صفر ١٣٩٢ هـ (٢٦ آذار ١٩٧٢ م) في الذكرى الأولى لإعلان استقلال بنغالديش أعلن مجيب الرحمن تأميم المصارف، ومصانع الجوت، والنسيج، والسكر، والجزء الأعظم من المصايد الوطنية. أما مزارع الشاي، وحقول النفط التي تستثمر برؤوس أموالٍ أجنبيةٍ فلم تقترب منها الحكومة.

اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بدولة بنغالديش وبنظام الحكم في ٢٠ صفر ١٣٩٢ هـ (٤ نيسان ١٩٧٢ م)، ولكن الصين لم تعترف.

تلقّت بنغالديش مساعدةً عاجلةً من روسيا، وتلتها مساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية.

انضمّت بنغالديش إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في صفر ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) بينما كانت باكستان قد انسحبت من تلك الرابطة في ذي القعدة ١٣٩١ هـ (كانون الثاني ١٩٧٢ م).

بعد وصول مجيب الرحمن إلى بنغالديش دعت زعامات حزب عوامي الوطني لجنة حزب رابطة عوامي إلى تشكيل حكومةٍ وطنيةٍ كل الجماعات التي ناضلت من أجل الانفصال، كما طالبت المعارضة قيام ائتلاف وطنيٍ، وإجراء انتخاباتٍ جديدة، غير أن رئيس حكومة بنغالديش الأولى تاج الدين أحمد قد رفض ذلك، وأبى إلا أن تتشكل الحكومة الجديدة من أعضاء حزب رابطة عوامي الذين تمّ انتخابهم في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م)..

وفي صفر ١٣٩٢ هـ (نيسان ١٩٧٢ م) قامت مظاهرات من المعارضة، وقُدّر عدد الذين اشتركوا فيها بخمسةٍ وعشرين ألفاً، وخطب بالمتظاهرين عبدالحميد بهاشاني رئيس حزب عوامي الوطني، ودعا في

خطبته إلى إعادة اللاجئين البنغاليين من الهند، والذين يُقدّر عددهم بعشرة ملايين لاجيء.

حلّ مجيب الرحمن المنظمات العسكرية غير الرسمية حيث أصدر لها قراراً بحلّ نفسها، وتسليم أسلحتها للسلطات الحكومية، وتمّ تنفيذ ذلك، ولكن بقيت في الشمال بعض المنظمات المسلّحة، وتتبع مجيب الرحمن حزب عوامي الوطني الموالي للصين.

جرت الانتخابات الأولى في صفر ١٣٩٣ هـ (آذار ١٩٧٣ م) وحصل حزب رابطة عوامي على ٧٣٪ من مجموع الأصوات، وكسب ٢٩٢ مقعداً من أصل ٣٠٥ مقاعد للجمعية التشريعية المنتخبة مباشرةً، وتشكل المجلس النيابي الذي يعرف بـ (جانيفا سانغ ساد).

وبقيت مشكلات أساسية في بنغالديش، ومنها:

١″ ـ لم تعترف باكستان ببنغالديش، وطالبت بإطلاق سراح الأسرى الباكستانيين (الذين تمّ احتجازهم، والجيش)، ولكن مجيب الرحمن، وأنديرا غاندي رفضا ذلك حتى يتمّ اعتراف باكستان ببنغالديش.

٢″ ـ مشكلة البيهاريين الذين كانوا في بنغالديش قبل الأزمة، حيث كانوا يعملون هناك، ويُقدّر عددهم بمليوني إنسان، وقد ساعدوا الباكستانيين، ودافعوا عنهم، ووقفوا في وجه المنظّمات المسلّحة البنغالية، وقد كان هناك من البنغاليين المتشدّدين الذين يطالبون بإعدام البيهاريين جميعاً، بل وإعدام الباكستانيين، وقادة الجيش، وكان للبيهاريين منظمة مسلّحة تُدعى «الزرافة».

٣″ ـ مشكلة البنغاليين الذين يعيشون في باكستان ويُقدّر عددهم بنصف مليون.

وأخيراً اعترفت باكستان بدولة بنغالديش وبنظام الحكم القائم في محرم ١٣٩٤ هـ (شباط ١٩٧٤ م).

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٩٣ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٤ م) انتخب مجيب الرحمن رئيساً للجمهورية، أو نصّب نفسه.

١″ ـ مجيب الرحمن:

يعدّ مجيب الرحمن الرئيس البنغالي الثالث بعد نصر الإسلام، وأبي سعيد شودري اللذين كانا رئيسين صورةً، أما الرئيس الفعلي الذي بيده السلطة فهو مجيب الرحمن.

أطلق مجيب الرحمن على نفسه لقب «البانچاباندهو» أي أبو الأمة، واستبدّ بالحكم، فحلّ التنظيمات السياسية كلها سوى حزب رابطة عوامي، فكان الحزب الواحد، وهو الحاكم، وأوقف الحريات العامة، وكانت الأوضاع الاقتصادية سيئةً في البلاد، ولم تكن الأحوال الاجتماعية بأفضل منها، إذ كان الجهل عاماً، والفقر منتشراً، وتزايد السكان كبيراً، هذا بالإضافة إلى الفساد الإداري، والأزمات الطبيعية التي تحلّ بالبلاد، فتزيد من سوء الأوضاع الداخلية، فالفيضانات التي تغمر الأراضي الزراعية، وتُهدّم البيوت، وتُسبّب الضحايا، وتعقبها سنوات عجاف، فتتأثّر المزروعات، ويعيش الناس بضيقٍ شديدٍ، ويصبرون، والأعاصير التي تجتاح البلاد، وتُسبّب الدمار والموت. وإن الفيضان في صيف هذا العام أدّى إلى مجاعةٍ عارمةٍ، كما انتشر مرض الكوليرا، وضرب الاقتصاد الذي كان متأثّراً مسبقاً بالحرب.

ولم يكن العسكريون ليرضون عن السياسة العامة التي جعلت بنغالديش تحت الوصاية الهندية، ولم يكن مجيب الرحمن في منأى عن أفكار العسكريين فإن له أعواناً يندسّون في كل مكانٍ، لذا فقد أخذ يخشاهم. كما كان يُهدّد الاستقرار وجود مجموعات معارضة تلجأ إلى الإرهاب والذي شمل كلاً من نقيضي الأطراف السياسية. لذا فقد فرض حالة الطوارىء في ذي الحجة ١٣٩٤ هـ (كانون الأول ١٩٧٤ م)، وجمّد الحقوق الدستورية، وفي مطلع عام ١٣٩٥ هـ (كانون الثاني ١٩٧٥ م)

استبدل الحكومة النيابية بصورةٍ من الحكومة الرئاسية، وأصبح مجيب الرحمن رئيساً بيده السلطة كلها، وله الصلاحية المطلقة، وأنشأ ما يُسمّى بحزب عوامي لمزارعي وعمال بنغالديش، وفي صفر ١٣٩٥ هـ (شباط ١٩٧٥ م) أصبحت بنغالديش تحكم بنظام الحزب الواحد. وخوفاً من العسكريين فقد نظّم لحمايته جيشاً سرياً هو (واكي باهيتي) وسلّح ذلك الجيش الخفي ودرّبه.

وفي ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ م) قام انقلاب بقيادة الرائد «داليم» ضدّ مجيب الرحمن فأطاح به، وبنائبه، ورئيس وزرائه، والنظام القائم كله، وبأسرته أيضاً، ونصّب وزير التجارة السابق خاندكار مشتاق أحمد رئيساً للدولة.

٢" ـ مشتاق أحمد:

٢٨ رجب ١٣٩٥ ـ ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ ـ ٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م)].

كان مشتاق أحمد رجلاً متديناً، ضدّ الشيوعية، ويرى في النظام الغربي أخفّ الضررين، ولم يكن راضياً عن المساعدة الروسية التي قُدّمت لبنغالديش عند انفصالها عن باكستان، ولا عن التدخّل الهندي في شؤون بنغالديش، كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة الموقتة التي شُكّلت برئاسة تاج الدين أحمد، غير أن مجيب الرحمن قد فقد ثقته به، لذا أوكل إليه حقائب وزارية أقلّ أهمية حيث أسندت إليه وزارة العدل، ثم وزارة الري، وأخيراً وزارة التجارة.

فكان أول ما قام به تغيير الاسم الرسمي للدولة من «بنغالديش» إلى «جمهورية بنغالديش الإسلامية». وحاول الوصول إلى مفاوضات مع باكستان ليكون بينهما صلات وروابط متينة، وقبل الانفصال كان يسعى لمقاومة الانفصال والإبقاء على الصلة مع باكستان ضمن اتحاد غير أن

مجيب الـرحمن كان صـاحب الكلمة الأولى، ولا يستـطيع أحـد أن يقف أمامه.

وعمل على الابتعاد عن الهند بأسلوب مقبول. وقد أيّدت الولايات المتحدة هذا الانقلاب رغم أنه لا يسير في فلكها، ولكنه ابتعد عن روسيا التي لم تكن راضيةً عما حدث، وتشعر كأنه موجه ضد نفوذها وأعوانها، أما الصين فكانت ترى في هذا الانقلاب فشل لمحاولـة روسيا في محـاصرة الصين من جهة الجنوب عن طريق الهند، وبنغالديش، وفيتنام. . .

وعيّن ضياء الرحمن رئيساً للأركـان، ولكن الجيش أصبح مُفكّكـاً، فالقادة الكبار غير راضين عن الـوضع لأن الـذين دونهم من الضباط قـد أصبحت السلطة بأيديهم، أما الشباب من أصحاب الرتب الصغيرة فهم وإن كثر عددهم إلا أنه لا خبرة لهم في السياسة، ولا علم لهم بالإدارة.

وفي ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) قام انقـلاب مضاد قاده العميد خالد مشرف الذي أُحضر من الهند، وكان قائداً سابقاً لحامية (دكا)، ويُوالي الهند، وقد عُيّن رئيساً لهيئة الأركان.

٣" ـ خالـد مشـرف:

تـولّى السلطة مـدة أربعـة أيـام من ٢٩ شـوال إلى ٤ ذي القعـدة ١٣٩٥ هـ (٣ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) حيث قام انقلاب آخر، وأقصى خالد مشرف، واستولى على السلطة ثلاثة من رؤساء هيئة الأركان، وولّوا عليهم رجلاً غير سياسي هو «عبدالستار محمد صايم» رئيس قضاة المحكمة العليا.

٤" ـ عبدالستار محمد صايم:

تشكّلت حكومة حيادية لا تنتمي إلى أي حزب، وأُعيد الفريـق أول ضياء الرحمن رئيساً لهيئة أركان الجيش.

سُمح للأحـزاب السياسية بالنشاط في شهر رجب ١٣٩٦ هـ (تمـوز

١٩٧٦ م)، وتمّ الوعد بعودة الحياة النيابية، ولكنه في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٦ م) أُجّلت الانتخابات إلى أجلٍ غير مُسمّى، وأخذ الفريق أول ضياء الرحمن يستولي على سلطات الرئيس الإدارية من الرئيس عبدالستار محمد صايم تبعاً للأحكام العسكرية، وأخيراً استلم كامل السلطة، وأعلن نفسه رئيساً للبلاد في ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ (نيسان ١٩٧٧ م).

٥" ـ ضياء الرحمن:

منذ أن تسلّم السلطة عمل على إبعاد قادة انقلاب ٢٨ رجب ١٣٩٥ هـ (١٥ آب ١٩٧٥ م) عن البلاد، رغم أنهم هم الذين سلّموه رئاسة الأركان وأعطوه مكانةً. أما قادة انقلاب ٢٩ شوال ١٣٩٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ م) فقد عاملهم بوحشيةٍ تامةٍ إذ أعدم العقيد طاهر شنقاً، وحكم على الآخرين بالسجن مدى الحياة، واختلف مع رئيس القضاة عبدالستار محمد صايم.

عدّل الدستور، وجعل الإسلام نظام الدولة الأساسي بدلاً من العلمانية في سبيل إرضاء الشعب، حيث يعرف أن ماضيه لم يكن طيباً.

وقام بإجراء استفتاء في جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) فأعطى ٩٩٪ من الشعب ثقتهم لضياء الرحمن، وسياسته، ونظامه، وهذا أمر طبيعي إذ هذه نتيجة لكل استفتاء، الذي هو لعبة سياسية لكسب الصفة الشرعية للحكم.

كان ضياء الرحمن أثناء انفصال بنغالديش عن باكستان رائداً في الجيش، وقام بتصرّفاتٍ سيئةٍ، حيث كان وراء ذبح الكثيرين من الضباط الباكستانيين، والمئات من الجنود مع عائلاتهم في (شيتا غُونغ) ولا يزال المئات من الناس في السجون، وجريمتهم أنهم اتهموا بالتعاون مع الباكستانيين.

تضايق العسكريون من الأحكام التي فُرضت بحق زملائهم، وهم الذين رفعوه، واستاءوا من تصرّفاته إذ كان يدخل أعوانه في الجيش، وبرتبٍ عسكريةٍ دون أن يكون لهم دراية أو أقلّ خبرة بالشؤون العسكرية.

أخذ وضع الجيش يتدهور منذ مطلع عام ١٣٩٧ هـ (مطلع عام ١٩٧٧ م) إذ أخذ ضياء الرحمن يعيد تنظيم القوات المسلّحة، ويضع أعوانه في المراكز الحساسة، فقيادة وحدة المدفعية في الفرقة التاسعة المتمركزة في (دكا) قد تغيّرت خلال عامٍ واحدٍ ستّ مراتٍ مع أن قائد الفرقة التاسعة هذه الجنرال شوكت يُعدّ من أكثر العسكريين إخلاصاً لضياء الرحمن، وهو الذي وضع في يده كل شيءٍ منذ شهر صفر من عام ١٣٩٧ هـ (شباط ١٩٧٧ م).

التقى كبار الضباط على اختلاف أهوائهم بعضهم مع بعض، وطالبوا ضياء الرحمن بالتخلّي عن منصب رئاسة الأركان التي يشغلها، ويمارس مهماتها بنفسه، فوافق، ووضع نور السلام أحمد في هذا المنصب بعد أن رقّاه إلى رتبة جنرال، وهو أحد أعوانه المخلصين.

ومما زاد في تذمّر العكسريين الذي بدا واضحاً بعد ٢ شوال ١٣٩٧ هـ (١٥ أيلول ١٩٧٧ م) إثر توقيع اتفاقيّة سد (فراكا) مع الهند، ولم تكن هذه الاتفاقية في صالح بنغالديش، وهذا ما زاد من الشعور بالغضب، والنقمة على ضياء الرحمن من عسكريين ومدنيين، وتشكلت جبهة معارضة ضمّت مختلف المشارب، وكانت أكبر مراكز قوتها في (دكا) و(بوغرا) و(جيسور).

رأى ضياء الرحمن تشتيت شمل المعارضة قبل كل شيءٍ، ثم التفرّد بكل جبهةٍ وحدها، وتصفية الحساب معها، فدسّ أعوانه بين المعارضة، وعمل على جرّهم إلى معركةٍ قبل تركيز أمورهم، وتوحيد صفوفهم، وتعيين أهدافهم وخططهم، فنجح أعوانه، وقامت المعارضة باندفاعٍ، ووجدت وصول طائرةٍ يابانيةٍ مخطوفةٍ إلى مطار (دكا) فرصةً لها، وتحرّكت في

(جيسور) و (بوغرا) قبل الأوان ففشلت الحركة، وتمكّنت منها القوات المساندة لضياء الرحمن، فأعدم أحد عشر ضابطاً من كبار ضباط الطيران، كما أمر بقتل الكثيرين من غير الطيارين، هذا رغم وصول قوات الحركة الانقلابية إلى (دكا)، وسيطرتهم على الإذاعة مدة ساعةٍ كاملةٍ، وقد زاد عدد القتلى على خمسمائة قتيل، وفرّ من البلاد أكثر من ألفي عسكري.

وحظر النشاط على ثلاثة أحزاب، وهي: حزب الرابطة الديمقراطي الموالي للرئيس السابق مشتاق أحمد وحزب بنغالديش الشيوعي، وحزب (ج، س، د) الموالي للهند.

وفي شهر رجب ١٣٩٨ هـ (حزيران ١٩٧٨ م) جرت أول انتخابات رئاسية مباشرة في البلاد، وقد أعطت فوزاً ظاهراً لضياء الرحمن. فشكّل مجلس الوزراء ليحل مكان مجلس المستشارين الخاص به.

وفي ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (شباط ١٩٧٩ م) جرت الانتخابات النيابية العامة، وفي محاولة من الرئيس ضياء الرحمن لإقناع وحثّ أحزاب المعارضة للمشاركة بالانتخابات قام بتلبية بعض مطالبهم حيث ألغى كل البنود غير (الديمقراطية) من دستور (١٩٧٤ م)، وأطلق سراح المعتقلين السياسيين، وسحب الحظر عن الصحافة، ونتيجةً لذلك شارك تسعة وعشرون حزباً في تلك الانتخابات، وحصل حزب بنغالديش الوطني، وهو حزب ضياء الرحمن على ٤٩٪ من مجموع الأصوات، وفاز بمائتين وسبعة مقاعد في المجلس النيابي من أصل ثلاثمائة مقعد وذلك بالانتخاب المباشر. واجتمع المجلس في شهر جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (نيسان ١٩٧٩ م)، وتمّ تعيين رئيس مجلس وزراء جديد، وألغي قانون الأحكام العرفية، ورفعت حالة الطوارىء في شهر ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٧٩ م). وهكذا عادت الحرية إلى الحياة في بنغالديش بعد غيابٍ دام خمس سنوات.

اغتيل الرئيس ضياء الرحمن في محاولة انقلاب عسكريٍ يُعتقد أن

قائده الفريق محمد عبدالمنصور، وهو قائد وحدة عسكرية، وذلك في ٢٧ رجب ١٤٠١ هـ (٣٠ أيار ١٩٨١ م)، كما قُتل الفريق محمد عبدالمنصور لاحقاً في ظروفٍ مضطربةٍ، وتولّى الرئاسة القاضي عبدالستار محمد صايم، نائب الرئيس ضياء الرحمن.

٦" ـ عبدالستار محمد صايم:

عادت الفوضى السياسية إلى البلاد، حيث أخذت المظاهرات تعمّ المدن الكبرى احتجاجاً على إعدام الضباط الذين ساهموا في محاولة الانقلاب، كما كانت المعارضة تطالب بتقديم موعد إجراء الانتخابات الرئاسية.

جرت انتخابات الرئاسة في مطلع عام ١٤٠٢ هـ (تشرين الثاني ١٩٨١ م)، وقد فاز فيها فوزاً ظاهراً الرئيس عبدالستار محمد صايم مرشح حزب بنغالديش الوطني.

أعلن الرئيس عبدالستار أن سياسته تتمة لسياسة الرئيس السابق ضياء الرحمن، ولكنه وجد صعوبة بالغةً في إمكانية السيطرة على الوضع بالحكومة المدنية، لذلك شكل في ربيع الأول ١٤٠٢ هـ (كانون الثاني ١٩٨٢ م) مجلساً وطنياً للأمن ضمّ عدداً من العسكريين برئاسة الفريق حسين محمد إرشاد رئيس هيئة أركان الجيش. وفي ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (٢٤ آذار ١٩٨٢ م) استولى الفريق محمد إرشاد على السلطة بانقلاب أبيض، مدعياً أن الفساد السياسي، وسوء الإدارة الاقتصادية قد أصبح غير محتمل.

٧" ـ حسين محمد إرشاد:

أعلن الأحكام العرفية، ولقّب نفسه «الرئيس الإداري لقانون الأحكام العرفية»، ثم غيّر هذا اللقب إلى رئيس الوزراء في ذي الحجة ١٤٠٢ هـ (تشرين الأول ١٩٨٢ م)، ويساعده بصفةٍ رئيسيةٍ مجلس عسكري. وعين القاضي المتقاعد عبدالجواد حوري رئيساً.

منع النشاط الحزبي، وقدّم عدداً من الوزراء السابقين إلى المحكمة، وأودعوا السجن بتهمة الفساد. وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة الاقتصادية قد لقيت بعض النجاح وكسبت قدراً من التأييد، إلا أنه زادت المطالبة بالعودة إلى الحرية والحياة النيابية، وظهرت على الساحة السياسية مجموعتان رئيسيتان:

١" ـ تحالف خمسة عشر حزباً برئاسة جناح من حزب رابطة عوامي بزعامة الشيخة حسينة واجد ابنة مجيب الرحمن.

٢" ـ تحالف لسبعة أحزاب برئاسة جناح من الحزب الوطني البنغالي بزعامة الرئيس السابق عبدالستار محمد صايم، وخالدة ضياء أرملة ضياء الرحمن. وتوفي الرئيس عبدالستار في شهر صفر من عام ١٤٠٦ هـ (تشرين الأول ١٩٨٥ م) فبقيت الزعامة لخالدة ضياء.

وفي أواخر عام ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) شكّلت المجموعتان ائتلافاً عُرف باسم «الحركة نحو استعادة الديمقراطية»، وقد أصدرت هذه الحركة مطالبها التي منها:

١" ـ إلغاء الأحكام العرفية.

٢" ـ إطلاق سراح السجناء السياسيين.

٣" ـ إجراء الانتخابات النيابية.

وفي أوائل عام ١٤٠٤ هـ سُمح بالنشاط الحزبي، ووعدت الحكومة بإجراء سلسلة من الانتخابات المحلية تستمر طيلة فصل الشتاء، وستكون هذه الانتخابات مقدمة لانتخابات الرئاسة، وانتخابات المجلس النيابي والتي ستتم في العام نفسه.

وفي مطلع العام تأسّس حزب الشعب ليساند حسين محمد إرشاد في الوصول إلى الرئاسة، حيث سيكون مرشحه لهذا المنصب. وقد بنى الحزب سياسته على خطة مؤلفة من ثمانية عشر بنداً سبق للرئيس حسين

محمد إرشاد أن كشفها في وقتٍ سابقٍ، وتشمل تشجيع الاكتفاء الذاتي للزراعة، وعمومية الوظائف، واللامركزية في الإدارة، والدور المتواصل للقوات المسلحة في الحكومة.

قامت المظاهرات تُطالب بالعودة إلى الحكم المدني، فمنع النشاط السياسي مرة أخرى في الأول من ربيع الأول من عام ١٤٠٤ هـ (٥ كانون الأول ١٩٨٣ م) بعد مضي أسبوعين فقط على السماح به، وتمّ إلقاء القبض على القيادات الحزبية، وشمل ذلك موقتاً الشيخة حسنية واجد، وخالدة ضياء.

وفي ٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (١١ كانون الأول ١٩٨٣ م) أعلن حسين محمد إرشاد تنصيب نفسه رئيساً.

بقيت الأوضاع في البلاد غير مستقرّةٍ عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) إذ كانت الاضطرابات مستمرةً، والمظاهرات السياسية تقوم بين المدة والأخرى، وهذا ما جعل انتخابات المجالس المحلية تتأجّل بعد أن كان مقرراً لها أن تتم في جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ (آذار ١٩٨٤ م) بسبب اعتراض أحزاب المعارضة لأنها ستتم قبل انتخابات الرئاسة وانتخابات المجلس النيابي، وتدّعي المعارضة أن الرئيس حسين محمد إرشاد يريد تثبيت قواعد سلطته.

وتأجّلت كذلك انتخابات الرئاسة والمجلس النيابي والتي كان مقرراً لها أن تقوم في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م) تأجّلت إلى ١٥ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (٨ كانون الأول ١٩٨٤ م) بسبب مطالبة المعارضة الملحة على إلغاء الأحكام العرفية، وتشكيل حكومة انتقالية محايدة لتُشرف على انتخاباتٍ حرةٍ ونزيهةٍ.

وفي مطلع عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) وافق الرئيس حسين محمد إرشاد على إجراء الانتخابات على ثلاث مراحل في شهري صفر وربيع الأول (تشرين الثاني وكانون الأول) فيما إذا كانت المعارضة توافق على الاشتراك في الانتخابات، فكان ردّ الفعل من قبل المعارضة القيام

بحملةٍ تدعو إلى العصيان المدني، فما كان من الرئيس إلا أن أجل الانتخابات إلى وقتٍ غير مُسمّى.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ (كانون الثاني ١٩٨٥ م) أعلن الرئيس أن الانتخابات ستجري في ١٦ رجب ١٤٠٥ هـ (٦ نيسان ١٩٨٥ م) على أن يسبق ذلك رفع الأحكام العرفية في بعض النواحي، وعلى أن يجري تطبيق الدستور بشكلٍ كاملٍ بعد الانتخابات. وتبع ذلك تشكيل حكومة جديدة ضمّت كبار الضباط، فكانت عسكريةً بجميع أعضائها، ولم يدخلها أحد من أعضاء حزب الشعب الذي يُعدّ حزب الرئيس، وذلك استجابةً لمطالب المعارضة التي كانت تُطالب بقيام حكومةٍ محايدةٍ.

عادت المعارضة تُهدّد بمقاطعة الانتخابات لأنه يبدو على الرئيس أنه لا يريد أن يتخلّى عن السلطة لحكومةٍ محايدةٍ، لأن الحكومة العسكرية ليست حيادية وإنما هي تعمل بوحي من الرئيس أكثر من حكومةٍ مدنية تضمّ زعماء حزب الشعب نفسه، ولهذا عاد حسين محمد إرشاد إلى حظر النشاط السياسي مرةً ثانيةً. وأعقب ذلك بإجراء استفتاءٍ على الرئاسة فحصل على ٩٤٪ من مجموع الأصوات، وذلك في جمادى الآخرة من عام ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م). وتبع ذلك في شهر شعبان (أيار) انتخابات للمجالس المحلية، في المناطق الريفية دون مشاركة أحزاب المعارضة فحصل على ٨٥٪ من مجموع رؤساء المجالس إذ كانوا من مؤيديه، وإن لم يكونوا من حزبه (حزب الشعب). واجتمع مجلس الوزراء.

وفي مطلع عام ١٤٠٦ هـ (أيلول ١٩٨٥ م) نشأ اتحاد سياسي جديد، أطلق عليه «الجبهة الوطنية» وقد ضمّ خمسة أحزاب هي: حزب الشعب، حزب الشعب المتحد، ورابطة مسلمي بنغالديش، والجناح المنشق من حزب بنغالديش الوطني. وحزب «القونوتانترك». وتدعم هذه الجبهة السياسة الحكومية.

لم يكن من السهل رفع الحظر السياسي قبل اجتماع منظمة جنوبي

آسيا للتعاون والمقرر أن يكون اجتماعها في مدينة (دكا) في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م) حيث يخشى أن تقوم المعارضة ببعض حوادث الشغب.

وقبل منتصف عام ١٤٠٦ هـ (كانون الثاني ١٩٨٦ م) رفع الحظر عن النشاط السياسي، وبقي ذلك مدة عشرة أشهر، وبقيت خلالها الجبهة الوطنية تُساند الحكومة. أما المعارضة فقد قامت بإضرابات، ونظّمت مظاهرات طالبت فيها بإلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات الرئاسية والنيابية.

أعلن الرئيس حسين محمد إرشاد في أوائل شهر رجب ١٤٠٦ هـ (آذار ١٩٨٦ م) أن الانتخابات ستجري في النصف الثاني من شعبان ١٤٠٦ هـ (قبل نهاية نيسان ١٩٨٦ م) في ظلّ الأحكام العرفية، وإن كان بالواقع قد خفّف كثيراً من تلك الأحكام إذ أبعد قادة الجيش عن الوظائف المدنية، وألغى أكثر من مائةٍ وخمسين محكمةً عسكريةً، ومكتباً للأحكام العرفية. وبهذه الوسيلة شارك مرشحون من ثمانية أحزاب من اتحاد رابطة عوامي، وشملت المشاركة الشيخة حسينة واجد نفسها، وحزب جاميت الإسلامي، وأحزاب أخرى صغيرة. وجرت الانتخابات في ٢٨ شعبان ١٤٠٦ هـ (٧ أيار ١٩٨٦ م) بعد أن تأجّلت من ١٧ شعبان ١٤٠٦ هـ (٢٦ نيسان ١٩٨٦ م). ولكن اتحاد حزب بنغالديش الوطني بزعامة خالدة ضياء قاطع الانتخابات، ووصف سيرها بالغش، والتزوير، والعنف، والتهديد، وقد فاز حزب الشعب بـ١٥٣ مقعداً من أصل ٣٠٠ مقعد بالانتخاب المباشر، إضافةً إلى ذلك فإن ٣٠ مقعداً مخصصة للنساء في الجمعية التشريعية قد أخذت بالتعيين من حزب الشعب.

وفي شوال ١٤٠٦ هـ (حزيران ١٩٨٦ م) طالب تحالف رابطة عوامي مرةً ثانيةً بإلغاء قانون الأحكام العرفية، واستقالة الرئيس حسين محمد إرشاد، واستعادة النظام النيابي كاملاً، وتطبيق الدستور الذي ما زال معطلاً.

وفي ذي القعدة ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) أعلن الرئيس حسين محمد إرشاد أن قانون الأحكام العرفية سوف يُلغى ولكن بعد إجراء انتخابات الرئاسة. ومع أن أعضاء تحالف رابطة عوامي قد أقسموا اليمين القانونية كنواب في المجلس النيابي غير أنهم رفضوا حضور حفلة افتتاح المجلس. وفي أواخر شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ (أواخر تموز ١٩٨٦ م) عُلِّقت جلسات المجلس النيابي إلى أجلٍ غير معلوم. وتشكلت وزارة جديدة مدنية برئاسة ميزانور رحمن جواهري أمين السرّ العام السابق لحزب الشعب، وأدّت الوزارة اليمين الدستورية.

وكي يستطيع حسين محمد إرشاد ترشيح نفسه للرئاسة في الانتخابات التي ستجري في صفر من عام ١٤٠٧ هـ (تشرين الأول ١٩٨٦ م) منح نفسه التقاعد من منصبه رئيس هيئة أركان الجيش في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٧ م) وعيّن الفريق أول م. عتيق الرحمن مكانه بينما احتفظ بمنصبه كرئيس إداري لقانون الأحكام العرفية وقائداً أعلى للقوات المسلحة.

وفي محرم ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) انضمّ إلى حزب الشعب، وانتخب رئيساً له، واختير مرشحاً للحزب لمنصب الرئاسة، وعند الانتخابات في ١١ صفر ١٤٠٧ هـ (١٥ تشرين الأول ١٩٨٦ م) فاز فوزاً ساحقاً على منافسيه الأحد عشر حيث حصل على ٢٢ مليون صوت حسب النتائج الرسمية، ولكن قاطع هذه الانتخابات كل من حزب بنغالديش الوطني وحزب رابطة عوامي.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٦ م) دعا الرئيس حسين محمد إرشاد المجلس النيابي للانعقاد، الذي أقرّ تشريعات العفو العام، وأخذت تخفّ هيمنة النظام العسكري الذي فُرض على البلاد قبل أكثر من أربع سنوات، ثم ألغى قانون الأحكام العرفية، واستعاد دستور عام (١٩٧٢ م).

أخذ تحالف المعارضة ينتقد القانون العام، ويشنّ حملةً على الحكومة في سبيل إسقاط النظام، ويطالب بحلّ المجلس النيابي، وفي سبيل إفشال خطة المعارضة، تشكّلت وزارة جديدة شملت أربعة وزراء من حزب رابطة عوامي، وعُيّن وزير العدل القاضي «نور الإسلام» نائباً للرئيس.

استمرّت المعارضة في تنظيم الإضرابات والمظاهرات المعادية للحكومة، وتُؤيّدها نقابات العمال ومجموعات من الطلاب، ويُطالبون الحكومة بالاستقالة، ويطالبون الرئيس بتشكيل حكومةٍ انتقاليةٍ محايدةٍ للإشراف على انتخاباتٍ جديدةٍ.

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) أقرّ المجلس النيابي تعديل قانون المجالس المحلية، حيث أصبح بإمكانية القوات المسلحة أن تشارك في أربعةٍ وستين مجلساً شأنها في ذلك شأن الممثلين المنتخبين، وهذا ما أدّى إلى زيادة حدّة الإضرابات والمظاهرات، وأصبح بعضها يتسم بالعنف، وتدّعي المعارضة أن مثل هذا القانون يجعل الجيش مشاركاً بالحكم بصورةٍ مستمرةٍ، مع أن قانون الأحكام العرفية منذ تسعة أشهرٍ، ويهدف الرئيس من هذا المشروع تثبيت وضعه حيث يعتمد في حكمه على العسكريين. ولما زادت المعارضة اضطر إلى سحب القانون بعد شهرٍ من إقرار المجلس النيابي له، حيث أعاده إلى المجلس لإعادة النظر فيه. وتبع ذلك تعديل أساسي في الحكومة.

غير أن أضرار الفيضانات التي اجتاحت البلاد، ولم تعرف لها مثيلاً منذ أربعين سنة إذ نجم عنها خراب كبير للغاية فحجب ذلك الأحداث السياسية، وطغى عليها.

وفي ربيع الأول من عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) تجمّعت قوى المعارضة، ونظّمت احتجاجات، فقامت الحكومة بإلقاء القبض على الآلاف من الحزبيين النشيطين، وكان من بينهم الشيخة حسينة واجد، وخالدة ضياء، ولكن المظاهرات استمرّت، ووقعت صدامات بين

رجال الشرطة والمتظاهرين. وبعد ستة عشر يوماً من المظاهرات العنيفة فرض رئيس شرطة (دكا) حظراً على المظاهرات والمسيرات في العاصمة لمدة شهرٍ كاملٍ. وقد أدّت هذه الأعمال إلى خللٍ اقتصادي.

وفي ٦ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٧ م) أعلن الرئيس البنغالي حسين محمد إرشاد حالة الطوارىء، وذلك خوفاً من إضرابٍ عامٍ كانت تنوي المعارضة القيام به، فتوقّفت بذلك النشاطات السياسية كلها، وحُدّدت حالة الطوارىء مبدئياً بأربعة أشهرٍ. ورغم ذلك فقد قامت بعض المظاهرات ووقعت بعض الإضرابات لإجبار الرئيس على الاستقالة.

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (الأول من كانون الأول ١٩٨٧ م) كان عدد الذين تمّ احتجازهم نتيجة الإضرابات والمظاهرات ما يزيد على ستة آلاف مواطن، وقد أعلنت أحزاب المعارضة أن ممثليها في المجلس النيابي سوف يتخلّون عن مقاعدهم النيابية. وقد استقال فعلاً اِثنا عشر نائباً من المعارضة، وأبدى ثلاثة وسبعون من رابطة عوامي استعدادهم للاستقالة، فقام الرئيس البنغالي في ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٦ كانون الأول ١٩٨٧ م) بحلّ المجلس النيابي. وفي الوقت نفسه أطلق سراح الشيخة حسينة واجد، وخالدة ضياء ولكن فرض عليهما الإقامة الجبرية في المنزل لمدة أربعة أسابيع.

حاول الرئيس إجراء مفاوضات سلمية مع خالدة ضياء ومع الشيخة حسينة واجد لكنهما رفضتا ذلك، وأصرّتا على المعارضة، والقيام بحملة مقاومةٍ واسعةٍ لإجباره على الاستقالة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م) أعلن الرئيس أن الانتخابات العامة للمجلس النيابي سوف تجري في ١١ رجب ١٤٠٨ هـ (٢٨ شباط ١٩٨٨ م)، ولكن زعماء الأحزاب الرئيسية للمعارضة أعلنوا مباشرةً عزمهم على مقاطعة الانتخابات طالما بقي حسين محمد

إرشاد رئيساً للبلاد. ونتيجةً لهذه المقاطعة فقد تأجّل موعد إجراء الانتخابات العامة.

تشكّل تحالف سياسي من ستةٍ وسبعين حزباً سياسياً صغيراً، وشكّلوا مجموعةً معارضةً، في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (آذار ١٩٨٥ م).

وتشكل تحالف معارض للحكومة، وكان هذا التحالف بزعماء أ. س. م عبد الرب، وكان القصد من هذا التحالف المنافسة في الانتخابات العامة.

اتسمت انتخابات المجالس المحلية التي لم تقاطعها المعارضة بالعنف، واتصفت بالغشّ والتزوير، الأمر الذي جعل المعارضة تشنّ حملةً بالمقاطعة، وقد نجحت في مسعاها، وكان معدل المشاركة الفعلي للناخبين أقلّ بكثيرٍ من تقديرات الحكومة التي قدّرتها بـ ٥٠٪، وقد فاز حزب الشعب بأغلبيةٍ كبيرةٍ من المقاعد.

وفي أواخر شعبان ١٤٠٨ هـ (أواخر آذار ١٩٨٨ م) تشكّلت حكومة جديدة برئاسة «مودود أحمد» الذي كان يشغل نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للتجارة في الحكومة السابقة. كما اضطر الرئيس إرشاد إلى إلغاء حالة الطوارىء في الشهر التالي (رمضان) نتيجة حملة المعارضة القوية.

وأقرّ المجلس النيابي تعديلات أساسية في الدستور وبأغلبيةٍ مطلقةٍ في شهر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م)، وأصبح الإسلام دين الدولة.

وأخذ موقف المعارضة يتراجع بعد عطلة عيد الأضحى من عام ١٤٠٨ هـ (٢٩ تموز ١٩٨٨ م) وذلك بسبب خلافات وقعت في الصفوف حيث فُصل أمين السر العام لحزب بنغالديش الوطني أ. ك. م عبيدالرحمن مع عددٍ من أعضاء الحزب البارزين، ونشأ جناح منافس داخل الحزب لخالدة ضياء.

وجاء موسم الفيضانات، وكانت كارثة كبيرة، إذ اتضح أنها كانت من أعنف ما سجل في تاريخ المنطقة، وأعقب ذلك إعصار عنيف فحدثت

فيضانات لاحقة، وسبّب الإعصار وفاة ثلاثة آلاف إنسان، فطغت تلك المصائب على الأحداث السياسية.

وعيّن حسين محمد إرشاد نائباً له مودود أحمد على حين تسلّم رئاسة الوزراء ظفر أحمد.

سارت بنغالديش على سياسة (عدم الانحياز) حسب الاصطلاح الشائع، وإن كانت دول هذه السياسة لا يوجد بينها غير منحاز، وإنما هو اسم أطلق، وتحت عنوانه لعبة سياسية.

وتحسّنت العلاقات مع دولة باكستان منذ عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) أي بعد أن اضطرت باكستان إلى الاعتراف بدولة بنغالديش، ونظام الحكم القائم فيها، وخاصةً أنه كان قد أطيح بنظام مجيب الرحمن، وقُتل وأسرته، وكان هو عامل الانفصال، والذي شحن البنغاليين بشحناتٍ إضافيةٍ من الحقد والكراهية ضدّ الباكستانيين، وعمل على التوتر النفسي بين سكان الإقليمين. وتمّ تبادل السفراء بين البلدين، وأُعيدت التجارة، والبريد، والمواصلات السلكية واللاسلكية.

ولكن باكستان رغم كل ما تمّ من تحسين العلاقات إلا أنها رفضت قبول ثلاثمائة ألف من البيهاريين المسلمين الذين وقفوا بجانب الباكستانيين أثناء حرب الانفصال عام (١٩٧٢ م)، والذين كانوا لا يزالون محتجزين في بنغالديش في معسكرات اللاجئين.

ورسمت الحدود بين بنغالديش وبورما عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ويبلغ طول هذه الحدود مائةً وثلاثة وتسعين كيلومتراً، في أقصى الجنوب الشرقي من البلاد.

ولكن ما أن استقرّت الأوضاع الخارجية في بنغالديش حتى أخذت تتوتّر العلاقات مع الهند بسبب الإرهاب عبر الحدود، وخاصةً عبر مضائق (شيتا غُونغ) والحدود بين الدولتين طويلة تزيد على ٤,٠٥٣ كيلومتر، فالهند تحيط

ببنغالديش من كل ناحيةٍ باستثناء الساحل الذي يبلغ طوله ٥٨٠ كيلومتر، والحدود مع بورما وهي قصيرة، وقلنا أنها لا تتجاوز مائةً وثـلاثةً وتسعين كيلومتر. وكذلك كان التـوتّر بين الـدولتين بسبب الثوار البـوذيين (شانتي باهيني)، والذين يقومون بحرب عصاباتٍ ضدّ شرطة البنغال ويعملون على الهرب إلى الهند بعد قيامهم بعمليات الإرهاب، وكذلك بسبب السدّ الذي أقامته الهند على نهر الغانج، فحرمت البنغال من كثيرٍ من مياه الري، كما تأثّرت بذلك حركة النقل المائي في النهر، وخاصةً في سنوات الجفاف، كما حدث في صيف عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م).

وبنغالديش عضو في منظمة جنوبي آسيـا للتعاون الإقليمي، وتضم سبعـة دولٍ، هي دول القارة الهنـدية وتشمـل: بـاكستـان، بنغـالـديش، المالديف، سيرلانكا، الهند، نيبال، بوتان.

ويضم المجلس النيابي البنغالي ثـلاثمائـة عضو ينتخبـون انتخابـاً، ويضاف إليهم ثلاثون امرأة يُعيّنون تعييناً، ومدة المجلس خمس سنوات.

واللغة الرسمية هي البنغالية وإن كانت الإنكليزية هي الشائعة والتي يتحدث بها الناس، ويتفاهم بعضهم مع بعضٍ إن وجد بعض الـذين لا يجيدون البنغالية.

الفصل الثاني

الصراع الداخلي

تبلغ مساحة بنغالديش ١٤٤ ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م) ١١٤,٧٠٠,٠٠٠ شخص، وبذا تقارب الكثافة الثمانمائة شخص في الكيلو المتر المربع الواحد (٧٩٦ شخص) وهي من أكبر الكثافات في العالم. هذه الكثافة مع الفيضانات التي تتعرّض لها البلاد في كل سنةٍ تهطل فيها الأمطار الموسمية في وقت مبكرٍ، وكثيراً ما تتكرّر كل عدة سنواتٍ، ومع المجاعات التي تتوالى على المنطقة في كل سنةٍ تتأخر فيها الأمطار الموسمية عن موعدها، وغالباً ما تأتي كل عدة سنواتٍ، أي إما فيضان، وإما مجاعة وقلما تكون سنوات عادية. ومع الأعاصير التي تجتاح البلاد، وتُسبّب الدمار والخراب، كما تكون عاملاً في الفيضان إذ تحول دون انصباب مياه الأنهار في البحر بشكل طبيعي، فيرتفع مستوى مياه الأنهار، والروافد، ويحدث الفيضان. ومع كثرة المساحات التي تغطيها مجاري الأنهار، ومياه الفيضان، والمستنقعات مما يُقلّل ضيق المساحة الصالحة للزراعة، وفي الوقت نفسه يصعب إقامة المعامل، ولهذا كله ينتشر الفقر، ومع انتشار الفقر يعمّ الجهل، ومع سيادة الفقر والجهل، يكثر أصحاب المصالح، ويمكن اللعب بأفكار السكان، وتكثر الصراعات الداخلية. فكل موضوع يمكن أن يُثير خلافاً، وكل رأيٍ يمكن أن يجد له أعواناً، وتلتفّ حوله جماعة، وتحمله وتُصارع غيرها، وكل من يطرح فكرةً يصبح زعيماً، ويُشكّل حزباً، ويبدأ يسعى وراء

زعامته، ويركض وراء مصالحه، ومنها الرئاسة، ولذا نجد في بنغالديش أحزاباً كثيرةً لا نرى لها مثيلاً في بقية دول العالم، وإن كان بعضها لا يصل مؤيدوه إلى المائة.

الصراع الإقليمي:

منذ أن قامت باكستان في ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ (١٤ آب ١٩٤٧ م) بدأ الصراع بين شطريها، للاختلاف بطبيعة الأرض، وبكثافة السكان، وكثرة أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين، وطبيعة نشاط السكان، واختلاف أصولهم، وتفاوت لغاتهم، وتباين رغباتهم بالتوجّه إلى الالتحاق بحياة الجندية. وكان الأصل أن يبقى التماسك بين الشطرين ما دام هناك عدوّ مشترك، وخصم يتربص على الحدود، ولم تنته بعد المشكلات مع الهند التي كانا وإياها ضمن دولةٍ واحدةٍ، ولم يزل فيها أكثر من اثنين وأربعين مليوناً من المسلمين، والدماء لم تجفّ بعد، وقد أراقها الهندوس تعصّباً وحقداً على المسلمين، والجراح لم تضمد بعد، والانفصال إنما تمّ على أساسٍ عقيديٍ، وجناحا باكستان قاما على هذا الأساس، فالعقيدة تجمع بينهما وتوحّد بل هي الرابط الصحيح بين الناس، والوشيجة المتينة بين الخلق.

طرحت فكرة اللغة في بداية الأمر، فاللغة السائدة في الجناح الشرقي من باكستان هي البنغالية، وهي فرع من السنسكريتية، ولكنها لغة محلية لا يكاد يعرفها إلا القليل خارج حدود منطقتها، وأما في الجناح الغربي فلكل إقليم لغته المحلية الخاصة به، فالبنجابية في البنجاب، والسندية في السند، والبالوشية في إقليم بالوشستان، والبشتو عند قبائل الباتان في إقليم الحدود الشمالية الغربية، غير أن لغة «الأوردو» تجمع بينهم، فمعظم السكان يعرفها في الجناح الغربي، وكذلك فإن أكثر أهالي الجناح الشرقي يُجيد النطق بها، بل إنها معروفة في كثيرٍ من أرجاء دولة الهند. ولهذا رأى قادة باكستان أن تكون لغة «الأوردو» هي اللغة الرسمية، فهي لغة المسلمين في القارة

الهندية، وقامت باكستان على أساس الإسلام فالأمر الطبيعي أن تكون لغة الأوردو هي اللغة الرسمية، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن وجود لغةٍ واحدةٍ في جناحي البلاد يُعدّ عاملاً قوياً لترسيخ الوحدة بينهما، وعامل دعم لتوحيد الأفكار والمفاهيم، وتبادل الموظفين، وتكون لغة العسكريين الذين هم ضمن جيشٍ واحدٍ، غير أن العصبية ذرت قرنها وأخذ سكان الجناح الشرقي يُطالبون أن تكون اللغة البنغالية اللغة الرسمية الثانية، واستغلّ هذا الخوجا نظام الدين لمصلحته الخاصة ليعود حاكماً للبلاد بعد أن نزل إلى رئاسة الوزارة، ولقي تأييداً في البنغال، وأخيراً أُقيل أيضاً من رئاسة الوزارة. واستمرّ الصراع تحت شعار اللغة، حتى تمّ ما يريد البنغاليون.

وأثار البنغاليون فكرة سيطرة أهل البنجاب على الجيش فكان الجواب ليس هناك من مانع يحول دون انتساب البنغاليين إلى الكليات العسكرية، وكل من يتقدّم يؤخذ، ولكن لا يوجد من يتقدّم فهل نجبر الناس على الالتحاق بالجندية، وهذا شأن أقاليم أخرى فالبالوش، والباتان لا يرغبون بالجيش كثيراً، وأقل من ذلك قليلاً أهل السند، غير أن البنجابيين يفضلون العمل العسكري على غيره، فهل نحول بينهم وبين الجيش؟ ومن أين نأتي بالعسكريين إن حُلنا بين البنجابيين وما يريدون؟ وإننا نشجع سكان بقية الأقاليم للالتحاق بالكليات فلا نجد عندهم الرغبة، فما العمل؟. ولكن البنغاليين لا يريدون هذه المناقشة ولكن لا يريدون إثارة العصبية، ويعملون على الصراع الإقليمي.

وأثار البنغاليون أيضاً موضوع المعامل، والموظفين، ونقل العاصمة و. . . . وحجتهم دائماً أنهم الأكثر عدداً. واستمرّ هذا الموضوع حتى انتهى الصراع بين الإقليمين، وحدث الانفصال، وأصبح كل جناح دولةً خاصةً، ولم يعد البنغاليون يدّعون أن باكستان الغربية تستعمر الشرقية، ولكن بقوا ينسبون بعض التخلّف والتأخّر إلى الاستعمار الباكستاني، ويثيرون حقداً ضدّ الباكستانيين، وتحمل لواءه الفئات العنصرية والأقليات الدينية.

الصراع العنصري:

يعود معظم سكان بنغالديش إلى أصلٍ واحدٍ تقريباً، أو هم جميعاً من أصولٍ هنديةٍ على اختلاف أصولها التي لا تظهر والتي لا يبحث بها. ولكن نتيجة الخلاف العقيدي في الهند، وما جرى من أحداث أثناء التقسيم دخلت عناصر من إقليمٍ إلى إقليمٍ كما خرجت مجموعات أخرى من جزء إلى آخر، لقد انتقل من إقليم بيهار الذي يقع إلى الغرب من البنغال، وعلى نهر الغانج أعداد من المسلمين، بسبب الاضطهاد الهندوسي للمسلمين، والحقد الديني الموجود لدى أبناء هذه الطائفة البراهمية ضدّ المسلمين بادعاء أنهم دخلوا بلادهم، واحتلّوها، وحكموها، وقبلوا أعداداً من أبنائها فغدوا مسلمين فانفصلوا بذلك عن أبناء جلدتهم. وجاء المستعمرون الإنكليز فشحنوا هذا الحقد بعنفٍ، وأثاروا، وقرّبوا الهندوس، وأبعدوا المسلمين، وأوقدوا أوار الحرب بين الطرفين.

انتقل نتيجة ذلك أعداد من المسلمين البيهاريين بصفتهم قلّة في إقليمهم وهاجروا إلى البنغال لأن المسلمين كثرة، وذلك كي يتخلّصوا من ذلك الاضطهاد الهندوسي، وجاء التقسيم، وأصبحت البنغال جزءاً من باكستان التي ضمّت المسلمين فزادت هجرة البيهاريين حتى بلغ عددهم مليوني إنسان في البنغال.

فلما بدأت الأحداث الدامية في البنغال، وأخذت العناصر صاحبة المصلحة تدعو إلى تجزئة باكستان، وفصل الجناحين بعضهما عن بعضٍ. رأى البيهاريون - بواقع الفطرة - أن هذا العمل ليس في مصلحة المسلمين إذ فيه إضعاف لهم، وتشتيت لشملهم، ولن يخدم هذا المخطط سوى الهندوس، ويرون بأنفسهم اندفاع الهندوس في البنغال وراءه، وإذا ضعف أمر المسلمين، وقوي الهندوس فماذا يكون مصيرهم هم وأقصد البيهاريين؟ وإلى أين يذهبون وقد فارقوا بيهار مخالفين لأهلها من الهندوس؟ كما لا يمكننا أن ننكر أثر الإيمان الذي يجعلهم يقفون ضدّ هذا المخطط ما داموا

قد اقتنعوا أنه في غير صالح المسلمين، وأنه يهدف إلى الكيد لهم وإبادتهم، ومن هنا وقفوا بجانب الباكستانيين ليحولوا دون تنفيذ المخطط.

ولما نجح المخطط وتمّ الانفصال بدأ البنغاليون بتصفية حسابهم مع البيهاريين، فقتلوا من قتلوا، وأخرجوا من أخرجوا مع ارتكاب أبشع الجرائم بحقّهم، ووضعوا بعضهم في معسكرات للاجئين، ويزيد عدد هؤلاء على المائة ألف، وذلك ليبادلوا به بعض أسراهم. وبعد أن اعترفت باكستان بالوضع في بنغالديش، عُرض عليها تسلّم هؤلاء البيهاريين ما داموا قد كانوا بجانبهم، لكن باكستان رفضت ذلك.

شحن قادة البنغال الجدد سكان منطقتهم بالحقد والكراهية ضدّ البيهاريين بأن كانوا ضدّهم، وقد جاءوا إلى بلدهم ينافسون أهلها على موارد رزقهم، وأنهم عملاء لقادة باكستان الذين هم أعداء للبنغال وقبل الناس ـ مع الأسف ـ لجهلهم هذا الدعايات وكان الصراع بين البنغاليين والبيهاريين، بل كثيراً ما كان بعض البنغاليين يطالبون بقتل البيهاريين، وحتى الذين بين أيديهم من المحتجزين في معسكرات اللاجئين. هذا رغم أن البنغاليين والبيهاريين مسلمون، وهم إخوة، وكان يناضل بعضهم بجانب بعضٍ لانفصال المسلمين عن الهندوس. والآن قد طغت الدعايات، وتمكّن الهندوس من بثّ الشائعات بين المسلمين، واختراق صفوفهم، وإغراء جانبٍ وتحريضه ضدّ الآخرين حتى تمّ لهم ما يريدون من إضعافٍ وتجزئةٍ.

ولما كانت بنغالديش جزءاً من باكستان فلا شك أن فيها عدداً من الموظفين، وآخر من المواطنين، إضافةً إلى القطعات العسكرية، فلما تمّ الانفصال بقوا فيها، فكانت تشنّ عليهم حرباً لا هوادة فيها من الهندوس البنغاليين، ومن أصحاب المصالح، وممن شُحن حقداً من دعايات أولئك الذين يرغبون بالانفصال، بل إن بعضهم قد أخذ يطالب بقتل هؤلاء الباكستانيين جميعاً. وبقيت آثار تلك الدعايات إلى ما بعد صفاء الجو بين

الدولتين، واعتراف باكستان ببنغالديش، ولا يزال بعضها قائماً يغذيه الهندوس.

الصراع العقيدي:

تختلف نسبة المجموعات السكانية بعد مدةٍ وأخرى، وذلك حسب اختلاف نسبة الولادات بين تلك المجموعات، والمسلمون أكثر هذه المجموعات تزايداً لكثرة الولادات عندهم، وبينما نسبة المسلمين عند التقسيم ٨٠,٤ نجد أنها اليوم ٨٦,٦٪.

وأما المجموعة الثانية فهي الهندوس، ويشكّلون ١٢,١٪ بينما كانت نسبتهم عند التقسيم ١٨,٤٪، وباقي السكان فهم من البوذيين والنصارى، وتبلغ نسبتهما معاً ١,٣٪. وبذا يتوزّع السكان على الشكل الآتي:

المسلمون	٩٩,٣٣٠,٢٠٠	ويشكلون	٨٦,٦٪
الهندوس	١٣,٨٧٨,٧٠٠	ويشكلون	١٢,١٪
البوذيون	٧٩١,١٠٠	ويشكلون	٠,٧٪
النصارى	٧٠٠,٠٠٠	ويشكلون	٠,٦٪
	١١٤,٧٠٠,٠٠٠		١٠٠,٠٪

أما المسلمون فلا يحسّون بأي عصبية، ولا يُفكّرون بالصراع مع أية مجموعةٍ أخرى ما داموا هم الأكثرية، وربما كان الأمر على العكس إذ يحاولون إظهار التقرّب من بقية الفئات لتوحيد الجهود باسم العصبية الوطنية، وكي لا يتهموا بالعصبية، ويقودهم إلى هذا الزعماء من أصحاب المصالح، والعصبيات الوطنية، الذين يريدون أن يكسبوا المجموعات من غير المسلمين إلى جانبهم، ولا شك لبعدهم عن الإسلام إما قناعةً، وإما

خوفاً على مصالحهم وشهواتهم التي يحول الإسلام بينهم وبين ممارستها. ولا شك أن هناك مجموعات إسلامية واعية لإسلامها، عارفة به، مدركة لواقعها، تنظر إلى هؤلاء بعين الشفقة، وتريد لهم الخير، وتتمنّى لهم السعادة. لذا فهي تعمل على دعوتهم إلى الإسلام، ومن ناحيةٍ تقف في وجههم لأنهم على ارتباط بدولٍ أخرى تُعادي الإسلام، وتضمر لأهله السوء، وتعمل على الإضرار بالدولة في سبيل ابتلاعها. وهذه الجماعة الإسلامية تقف من هؤلاء كما تقف من الذين ينتمون إلى الإسلام انتماء، ويعملون على شاكلة أولئك، فموقفها إذن ليس موقف العصبية، وإنما موقف الخير والدفاع عن البلاد.

أما الهندوس فقد كانوا يحقدون على المسلمين منذ أن كانت الهند دولةً واحدةً، وقد كانوا هم الأكثرية، وأصحاب السلطة، فلما تمّ التقسيم، وأصبحوا أقليةً وسط مجتمعٍ إسلاميٍ في بنغالديش زاد حقدهم على الإسلام، وبقوا على ارتباطٍ مع أبناء عقيدتهم في الهند. ولما كانوا أقليةً فقد زاد تماسكهم بعضهم مع بعضٍ، وغدوا قوة يُرهب جانبها. فهم من ناحيةٍ اجتماعيةٍ يُشكّلون مجموعةً خاصةً منعزلةً حاقدةً، ومن ناحيةٍ دوليةٍ فهم خونة، أعداء لبلادهم لأنهم على صلةٍ بدولةٍ أجنبيةٍ تعمل على هدم دولتهم، وتخطط لإزالتها، ولما كانوا أقليةً كبيرةً، وشبه منظمةٍ لذا كان الزعماء من أصحاب المصالح يسعون جاهدين لكسبهم إلى صفهم، والإفادة من قوتهم، وقد لعبوا دوراً كبيراً في حرب الانفصال التي أدت إلى تقسيم باكستان إلى شطرين، وخدموا مصالح الهند في ذلك خدمات جلّى. ولا يزالون على صلة بالهند، وإذا ما توثّقت العلاقات بين بنغالديش والهند برزوا، وإذا ما فترت أو توتّرت أخفوا رؤوسهم وعملوا في الظلّ. ويعدّون أنفسهم أعداء للحركات الإسلامية، ويعملون على الوشاية بأفرادها، والتحريض عليها، ومحاولة ضربها، كما أنهم ضدّ كل مسلمٍ ملتزمٍ، ويظهرون له العداوة، ويكيدون له، ويعدّون أنفسهم في صراع مع المسلمين، ولصراعٍ عنيف مستقبلاً.

وأما البوذيون فشأنهم شأن الهندوس في حقدهم على الإسلام وكرههم للمسلمين، ولكنهم أقل عدداً، وأضعف هيبةً، وصلتهم بالهند قليلة الأهمية لأنها تتعصّب للهندوس، ولكن صلتهم قوية مع دولة «بوتان» التي تقع إلى الشمال من بنغالديش، ولا يفصل بينهما سوى أراضٍ هنديةٍ ضيقة المسافة، حيث لا يزيد عرضها على خمسةٍ وعشرين كيلومتراً، و«بوتان» دولة بوذية، ومن هنا كانت الصلة قائمةً بين هذه الدولة وبين البوذيين في بنغالديش، غير أن هذه الدولة قليلة الأهمية، ضعيفة الإمكانات، صغيرة المساحة، ضئيلة السكان، حيث تقبع في سفوح جبال هيمالايا إذ لا تزيد مساحتها على ٤١,٢٨٠ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على المليون، يعيش بينهم ٥٪ من المسلمين. ومن هنا كانت إمكانية البوذيين في بنغالديش على دخول ساحة الصراع قليلة، ويعملون على معاداة المسلمين ومحاولة تفتيت دولة بحرب عصابات في الداخل ضدّ الشرطة البنغالية، كما يقومون بشنّ غارات سرية على الحدود الهندية كي تقع الحرب بين الدولتين، وتجتاح الهند منطقة البنغال، وعندها يكون البوذيون قد حقّقوا بعض أهدافهم إذ نالوا من المسلمين، وأصبحوا على مقربة من دولة بوتان البوذية وعلى تماسٍ مباشرٍ معها، يمكنهم التسلّل إليها، وتلقّي بعض الدعم منها رغم فقرها.

وأما النصارى فعددهم قليل يصعب عليهم دخول ساحة الصراع، ولكن كان لهم شأنهم أيام الحكم الإنكليزي بل إن وجودهم في الهند أصلاً مرتبط بالاستعمار إما أنهم قد جاءوا معه أو أخذوا عقيدته تحت تأثيره، فلما ارتحل قلّ وزنهم. ولكن بقيت الإرساليات التنصيرية تقوم بدورها، وكان المستعمرون الصليبيون قد فتحوا لها الأبواب، وفسحوا لها المجال، وأمدّوها بالإمكانات كلها، فلما انسحب الصليبيون بقيت هي تؤدّي دورها، وظهر فقر البنغاليين واضحاً بعد انقسام الهند إذ انحصروا في منطقتهم، وإن بقيت الحالة مقبولةً نسبياً، فلما تجزّأت باكستان بدا الفقر جلياً، وغدت حاجةً السكان مُلحّةً، وخاصةً بعد حرب الانفصال التي أثقلت كاهل

الشعب، وجاءت إثرها الأعاصير والدمارّ، والفيضانات والخراب، وظهرت الحاجة إلى المساعدات فتداعت الإرساليات التنصيرية إلى التوجّه إلى بنغالديش إذ صار المجال خصباً، فلربما يضطر الناس لقبول النصرانية نتيجة الحاجة.

أخذ رجال الإرساليات التنصيرية يتوافدون على البلاد بل ونساؤها لأن لكلٍ دوره، ويتخذ وسيلته، ومعهم الإمكانات الضخمة التي تزيد على المطلوب، ولم يكن مجيئهم من جانبٍ إنساني فهذا أمر لا يعرفونه رغم أنهم يحملون شعاره، فما حدث أن ساعدوا أحداً على مدى تاريخ عملهم من غير عقيدتهم إلا إذا قبل النصرانية أو أظهر ميلاً نحوها. وبدأ عملهم، وأخذوا يبذلون الجهد، ويؤسّسون المشافي، وينشئون المدارس، ويفتحون أبوابها لأبناء عقيدتهم، ويقبلون فيها من يأتي إليهم في سبيل توجيههم، وتلقينهم المبادىء النصرانية، ويثيرون الشبهات حول الإسلام، ويطعنون فيه، وهذا كله أمام الصغار الذين لا يعرفون شيئاً بعد، وإنما يُتلقّون ما يُعطى بالنسبة إلى المدارس، وأمام الفقراء الذين يدفعون عن أنفسهم الموت أمام المرض الهاجم - حسب تصوّرهم الساذج - وليس لديهم من مال يقدّمونه للمستشفيات الجشعة بالنسبة إلى المشافي، وهؤلاء الصغار الفقراء، وأولئك المساكين الجهلة لا يعرفون شيئاً ومع ذلك إن لم يجد المشرفون على المدارس والمشافي تجاوباً وميلاً نحو النصرانية من الذين قُبلوا فيها يطردون مباشرة. وكذا يكون تقديم المساعدات، ونتيجة الجهل والفقر، والبعد عن الإسلام، ومتاجرة أصحاب المصالح فليس هناك من يقف في وجه الإرساليات التنصيرية سوى الحركات الإسلامية، وأهل العلم الذين يضطرون إلى تنبيه الشعب والعمل على نشر الوعي بين السكان، وهذا ما يُعرّضهم للإشاعات التي يبثّها رجال الإرساليات التنصيرية، والاتهامات التي يُلقونها، والأراجيف التي يُروّجونها، إضافةً إلى الحرب التي يجدونها من الدول الكبرى، ومن أعوانها المتسلّطين على البلاد. وهذا بين الحركات الإسلامية وبين تأدية دورها وبين الدعاة وأداء مهمتهم في

التوعية وإنقاذ الناس من براثن تلك الجماعات. فالصراع بين النصارى الممثّلين بالإرساليات التنصيرية بإمكاناتها الضخمة رغم قلة النصارى وبين الحركات الإسلامية والدعاة من أهل العلم مع مكانتهم، ومع إسلامية الشعب.

الصراع الحزبي:

برز حزب رابطة عوامي عندما ظهرت دولة بنغالديش، وآلت إليه السلطة، فاستبدّ بالحكم، وأخذ يضرب خصومه، ولم يلغ النشاط الحزبي في البلاد، وإنما أبقاه ليعرف خصومه، وقادتهم، ولكن وجّه ضربته الأولى على الجماعة الإسلامية بصفتها أنشط الحركات الإسلامية، ولخصومته وعداوته هو وحزبه للإسلام.

ظهرت المعارضة من رفاق الحزب السابقين الذين يتفقون معه بالنهج الشيوعي، وقاد هذه المعارضة عبدالحميد خان بها شاني الشيوعي الموالي للصين وزعيم حزب عوامي الوطني، فطالب الحكم بتشكيل ائتلاف وطني يضم أصحاب الفكر الماركسي، وقيام حكومةٍ وطنيةٍ تشمل أحزاب الائتلاف، وإجراء انتخابات جديدة غير أن مجيب الرحمن رفض كلياً، وأصرّ على أن الحكومة يجب أن تخصّ أعضاء حزب رابطة عوامي الذين تمّ انتخابهم في شوال ١٣٩٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٠ م). فقامت المعارضة بمظاهرات قادها عبدالحميد خان بها شاني. وعندها أخذ مجيب الرحمن يصفي رفاقه.

قام الانقلاب على حزب رابطة عوامي، ولم تعلم أمريكا بالانقلاب، وعمل قادته على الابتعاد عن روسيا والهند. وتشكّل حزب الرابطة الديمقراطية ليوالي الحكم القائم والرئيس مشتاق أحمد.

قام انقلاب ليدعم الموالاة للهند، ولكن لم يلبث سوى أربعة أيام، حيث قام انقلاب مضاد، وسمح للأحزاب بالنشاط، ولم يلبث أن استبد ضياء الرحمن بالسلطة، وشكل حزب بنغالديش الوطني ليدعمه بالحكم، وكان كلما اشتدت عليه المعارضة حظر النشاط الحزبي، فإذا شعر بضعف المعارضة سمح للأحزاب بمزاولة نشاطها. وكانت المعارضة تتمثّل في

حزب الرابطة الديمقراطية، وحزب بنغالّديش الشيوعي، والحزب الموالي للهند.

أطيح بحكم ضياء الرحمن وقتل، فتولّت زعامة حزب بنغالديش الوطني أرملته خالدة ضياء بعد وفاة الرئيس عبدالستار محمد صايم. واستبد حسين محمد إرشاد بالحكم، وأخذت المعارضة تقوى، وتمثّلت في:

أ ـ تحالف ضم خمسة عشر حزباً برئاسة جناح من حزب رابطة عوامي بزعامة حسينة واجد ابنة مجيب الرحمن.

ب ـ تحالف ضم سبعة أحزاب برئاسة جناح من حزب بنغالديش الوطني بزعامة خالدة ضياء أرملة ضياء الرحمن.

ثم شكّل التحالفان جبهةً مؤتلفةً واحدةً للمعارضة عُرفت باسم: «الحركة نحو استعادة الديمقراطية». أما الرئيس حسين محمد إرشاد فقد أسّس حزب الشعب ليسانده بالحكم، وكان الصراع عنيفاً بين الطرفين. وزادت المعارضة حتى شملت الأحزاب الصغيرة، والتنظيمات الاجتماعية، والثقافية وبلغ عدد التنظيمات المشاركة بالمعارضة ستة وسبعين تنظيماً.

وبالمقابل فقد شكل الرئيس حسين محمد إرشاد تحالفاً ضمّ خمسة أحزاب وهي: حزب الشعب، حزب الشعب المتحد، رابطة مسلمي بنغالديش، والجناح المنشق من حزب بنغالديش الوطني برئاسة عبيد الرحمن، وحزب «القونوتانترك»، وعرف هذا التحالف باسم «الجبهة الوطنية»، وكانت هذه الجبهة تساند الحكم.

وكانت المعارضة تقوم بمظاهرات، وتتقدم بمطالب، وأما الحكومة فتتخذ وسائل حظر النشاط على الأحزاب، أو تراوغ بتنفيذ بعض المطالب، أو تعد الوعود، ولا تنجز الموعود.

وكانت هناك أحزاب أخرى تلعب دوراً في السياسة العامة مثل: الحزب الاشتراكي الوطني (ساماجتانتريك)، وحزب بنغالديش الشيوعي، وحزب (ج، س، د) الموالي للهند.

وأما التنظيمات الإسلامية فأهمها: الجماعة الإسلامية التي تزاول نشاطها تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية البنغالية، وتصدر الجماعة جريدةً يوميةً تحمل اسم «الجهاد» ومجلةً أسبوعيةً، وأخرى شهريةً تحمل الاسم نفسه، وتشرف كذلك على المركز الإسلامي الذي تلقى فيه محاضرات، وتدار فيه المناقشات.

وهناك المؤسسة الإسلامية، وأهل الحديث، وجماعة التبليغ..

وبدأت الإرساليات التنصيرية تلعب دوراً كبيراً نتيجة الجهل، والفقر، ونتيجة الإمكانات الضخمة التي تملكها الإرساليات، والدعم الكبير الذي تلقاه من الدول الكبرى، فتكون عوناً صليبياً استعمارياً لتلك الدول، وحربةً لها لضرب الإسلام، ومحاولة تنصير أبنائه، أو إفسادهم على الأقل.

الباب السادس

جُمهُوريَّة المَالديف

لمحة عن تاريخ المالديف
قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى جزر المالديف عن طريق التجارة وذلك حوالي عام ١٨٩ هـ، وانطلق الدعاة إليها حتى عمّ فيها، وفي عام ٥٤٨ هـ أسلم السلطان، واعتنق السكان كافةً الديانة الإسلامية.

وجاء الاستعمار الصليبي فعرف البرتغاليون جزر المالديف عام ٩١٣ هـ، وأغاروا عليها عام ٩٦١ هـ، وبعد أن احتلّوها اتخذوا منها قاعدةً، وربطوها بمستعمرة «غوا» في غربي الهند.

زال الاستعمار الصليبي البرتغالي عن المالديف عام ٩٨١ هـ، كما زال عن كثيرٍ من المناطق التي سيطر عليها بسبب قلة عدد البرتغاليين مع سعة البقاع التي استعمروها، وللسياسة التي اتبعتها دولتهم في امتصاص دماء الشعوب التي سيطروا عليها، ولأنهم كانوا يكتفون باحتلال مراكز لهم على السواحل لتأمين سيطرتهم وضمان أخذ خيرات البلاد، وأخيراً زالت دولتهم باحتلال إسبانيا لأرضهم مما قضى على امبراطوريتهم التي أسّسوها. كما أن ظهور مستعمرين صليبيين آخرين منافسين لهم كان له دور كبير في زوال سلطانهم، واندحارهم أمام المنافسة. وفي هذه المدة من الحكم البرتغالي كانت الجزر تدفع ضريبةً سنويةً إلى مستعمرة «غوا».

وسيطر الهولنديون في القرن الحادي عشر الهجري (١٠٦٩ هـ) على جزيرة سيلان، وحلّوا محل البرتغاليين، فعقدوا معاهدةً مع سلطان

المالديف، وصارت الضريبة تدفع لحكام سيلان الهولنديين حيث كانت الجزر تحت حمايتهم.

ضعفت السلطة الاستعمارية الهولندية، وخرجت كثير من المناطق من قبضتهم، وأخذت تستقلّ عنهم، ومن هذه البلاد جزر المالديف. ولكن جاءتها غزوة قادمة من مليبار (ساحل الهند الغربي) فأخضعوها لحكمهم عام ١١٦٦ هـ، غير أن حكم المليباريين لها لم يزد على السبع سنوات حيث خرجوا منها، وعاد إليها استقلالها.

حلّ الإنكليز محلّ الهولنديين في سيلان، فكانوا على مقربةٍ منها، فاستغلّوا وجود بعض القلاقل فيها عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) فتدخلّوا بالأمر، وفرضوا على السلطان معاهدةً اعترف فيها بسيادة بريطانيا، وتعهّد بعدم الدخول في مفاوضاتٍ أو معاهداتٍ مع أي دولةٍ أجنبيةٍ أخرى إلا عن طريق حاكم سيلان البريطاني، ووافقت الحكومة البريطانية على حماية هذه الجزر من أي اعتداءٍ خارجيٍ، ولكنها تعهّدت في الوقت نفسه ألا تتدخّل في شؤون المالديف الداخلية.

استمرّت انكلترا صاحبة النفوذ في المالديف. وألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وإنكلترا تتحكّم في شؤون تلك الجزر الضعيفة اقتصادياً لقلّة مواردها، والضعيفة عسكرياً لقلّة سكانها، ولبعدها عن إخوانها في العالم الإسلامي، وهذا ما يُلزمها على التبعية والخضوع لأية قوةٍ تُهدّدها، أو لأي استعمارٍ يريد أن يعتدي عليها، ويجعل من أراضيها قواعد له يستخدمها لمصالحه، ومن خيراتها منفعةً له، ومن سكانها سوقاً استهلاكيةً لمنتجاته.

المالديف بعد إلغاء الخلافة

بقيت المالديف بعد إلغاء الخلافة تدور في فلك السياسة البريطانية صاحبة النفوذ فيها، ولا يمكنها غير ذلك لضعفها، ولجهل المسلمين الذين لا يكادون يعرفون شيئاً عنها.

أقامت الحكومة البريطانية قاعدةً جويةً لها في جزيرة (جان) أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب حصلت المالديف على استقلالها الذاتي، وذلك أنها كانت ترتبط بجزيرة سيلان التي حصلت على استقلالها عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وعندها تمّ عقد اتفاقٍ جديدٍ بين الحكومة البريطانية وبين جزر المالديف، ظلّت بموجبه جزر المالديف تحت الحماية البريطانية، وتعهدت إنكلترا بتسيير شؤون المالديف الخارجية، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية، وأُعطيت القوات الإنكليزية تسهيلات في الجزر من أجل الدفاع عنها أو عن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، ثم جُدّد هذا الاتفاق عام ١٣٧٣ هـ.

أعلنت الجمهورية في المالديف في ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ (كانون الثاني ١٩٥٣ م) بعد أن أُلغيت السلطنة في العام نفسه، وانتخب محمد أمين ديدي أول رئيس للجمهورية.

طُرح موضوع رئاسة الجمهورية على الجمعية الوطنية التي صوتت إلى جانب إعادة السلطنة، ولم ينصرم العام بعد، ونُصّب محمد فريد ديدي سلطاناً على المالديف في جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ (شباط ١٩٥٤ م)،

وهو ابن عم رئيس الجمهورية محمد أمين ديدي، وتسلّم رئاسة الوزارة إبراهيم ناصر.

حدثت معارضة شديدة بين جموع المسلمين على الاتفاق الذي وُقّع بين حكومة المالديف والحكومة البريطانية والذي يقضي بالسماح لبريطانيا بإعادة بناء قاعدتها الجوية في جزيرة (جان) في أقصى مجموعةٍ للجزر الجنوبية التي هي مجموعة «أدو» غير أن البريطانيين قد حرّضوا سكان الجنوب على إعلان استقلالهم عن حكومة المالديف المركزية وذلك عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م).

قامت عام ١٣٨٠ هـ حركة تمرّدٍ في الجزر الجنوبية، غير أن قوات الحكومة المركزية قد استطاعت القضاء على حركة التمرد بسهولةٍ. واضطرت الحكومة أن تنحني، وتُساير السياسة البريطانية، وتُجدّد الاتفاقية معها.

استقلت جزر المالديف في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ (٢٦ تموز ١٩٦٥ م)، وخرجت أيضاً من عضوية رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

بقيت المالديف خاضعةً للحماية البريطانية مدة ٧٨ عاماً، ولكن كانت هذه الحماية من نوعٍ خاص متميزٍ عن أنواع الحماية المعروفة، حيث لم يكن لبريطانيا في يومٍ من الأيام حاكم، ولا مندوب سامٍ، ولا أي مسؤول آخر من يمارس السلطة الفعلية، وإنما كان على رأس السلطة رسمياً سلطان منتخب، وهو صاحب الأمر والنهي، فالحماية لم تكن إلا نوعاً من التبعية القانونية التي حدّت من تعاملها مع الدول الأخرى.

وكانت جزر المالديف عضواً في حلف كولومبو منذ عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م).

الاستقلال

تقع جمهورية المالديف على بعد ٦٥٠ كيلومتراً من الشاطىء الغربي لسيلان، وتشغل في المحيط الهندي مساحة طولها ثمانمائة كيلومتر، وعرضها في أوسع الأماكن مائة وخمسة عشر كيلومتراً. وتتألف من ١٠٨٧ جزيرة منها مائتا جزيرة مأهولة بالسكان، وبقية الجزر خالية، يستغلّ بعضها في إنتاج المحاصيل الزراعية والأخشاب، وبعضها في السياحة، وهذه الجزر رملية مرجانية لا توجد فيها جبال، ولا أنهار، إلا بحيرات عذبة في بعض الجزر، والجزر صغيرة بصفة عامة فأكبرها لا يزيد طوله على اثني عشر كيلومتراً، ولا يتجاوز عرضها خمسة كيلومترات.

وتنقسم جمهورية المالديف طبيعياً إلى ثلاث عشرة مجموعة تفصل بينها بحار، وتنقسم الجمهورية إدارياً إلى تسع عشرة مجموعة، وعلى رأس كل مجموعة حاكم أو محافظ، مُعيّن من قبل الحكومة، يُدير شؤونها.

وعاصمة جمهورية المالديف جزيرة أو مدينة «مالي»، ويقع أمامها الميناء الرئيسي، ولكن المطار يقع على جزيرة «هولولي» التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن جزيرة «مالي».

والمناخ استوائي، رطب، معتدل.

ويبلغ عدد السكان ما يزيد على مائة وخمسين ألف إنسان، وجميعهم من المسلمين، وعلى مذهب الإمام الشافعي. ويعودون في أصولهم إلى

مـزيجٍ من الشعـوب، وإن كان هنـاك تشابـه بينهم وبين سكان سيـلان، واختلطَ سكان جزر الشمال مع سكان جنوب غربي الهند، واختلط سكان الجزر الوسطى مع العرب القادمين من جزيرة العرب، ومن شرقي إفريقية، وخاصةً من جزيرة «زنجبار»، أما سكان الجزر الجنـوبية فكـان اختلاطهم قليلاً لذلك فهم أقرب ما يكون الشبه بينهم وبين سكان جزيرة سيلان.

واللغة هي المالديفية، وترجع في أصولها إلى السنسكريتية والبالية، غير أنها الآن خاصة، وقد تأثّرت بلغة «الأوردو»، و«السيلانية» و«العربية» و«الفارسية».

استقلت جزر المالـديف في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ (٢٦ تمـوز ١٩٦٥ م)، وانضمّت إلى الأمم المتحـدة بعـد شهـرين من استقـلالهـا، وأصبحت العضو رقم ١١٧ فيها.

تبلغ مساحة جمهورية المالديف ١٩٨ كيلومتراً مربعاً فقط أي ما يزيد قليلاً على نصف مساحة دولة البحرين، فتكون الكثافة ٣٥٠ شخصـاً في الكيلو المتر المربع الواحد، وهي كثافة مرتفعـة نسبياً يمكن مقـارنتها مـع الكثافة في منطقة آسيا الموسمية، بل تعد هذه الجزر جزءاً منها، ويزيد السكان في كل عام حوالي ألفين وثلاثمائة شخص.

وسمح لبريطانيا بتجديد قاعدتها الجوية في جزيرة (جان).

جرى استفتاء شعبي بعد ثلاث سنوات من الاستقلال فوافق الشعب على إقامة النظام الجمهوري في الحكم، كبديل لنظام السلطنة التي كان قـائماً، وأعلن النـظام الجمهوري في ٢٠ شعبـان ١٣٨٨ هـ (١١ تشرين الثاني عام ١٩٦٨ م)، وتسلّم إبراهيم ناصر رئاسة الجمهوريـة، وكان من قبل يشغل منصب رئاسة الوزراء منذ عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م).

كانت البلاد تعرف من قبل باسم جزر المالديف، واستمر ذلك حتى مطلع عام ١٣٨٩ هـ (نيسان ١٩٦٩ م) حيث أُطلق عليها اسم «جمهورية المالديف».

١ " ـ إبراهيم ناصر:

انتهى حكم الملك «محمد فريد الأول» بعد حكمٍ دام أربعة عشر عاماً، ولكن مع الاحتفاظ بمكانته. وتسلّم إبراهيم ناصر منصب رئاسة الجمهورية.

وتتركز السلطات في يد مجلس الوزراء الذي يضع السياسة العامة للدولة، ويُباشر تنفيذها، ويرأس هذا المجلس رئيس الجمهورية، ومجلس الوزراء مسؤول أمام مجلس الشعب، الذي يتولّى السلطة التشريعية، ويتألّف هذا المجلس من خمسين عضواً يتمّ انتخابهم لمدة خمس سنوات.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) قررت الحكومة البريطانية إقفال قاعدة (جان) الجوية، وجلاء القوات من جمهورية المالديف، وهذا ما أدّى إلى وجود مشكلة اقتصادية، وانشقاق في القوات العسكرية.

وفي شوال ١٣٩٧ هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م) عرضت روسيا استئجار جزيرة (جان) بمليون دولار سنوياً، ولكن الرئيس إبراهيم ناصر رفض ذلك، وقال: إنه لا يؤجّر الجزيرة لأغراضٍ عسكريةٍ أو لقوةٍ كبيرةٍ.

كان الرئيس المالديفي إبراهيم ناصر قد عزل رئيس الوزراء أحمد زكي، وألغى منصب رئاسة الوزراء عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، وأعلن أنه لن يرشح نفسه لإعادة انتخابه في نهاية مدته الثانية عام (١٩٧٨ م).

وفي ٢١ شعبان ١٣٩٨ هـ (٢٦ تموز ١٩٧٨ م) جرى الانتخاب ولم يرشح الرئيس إبراهيم ناصر نفسه فعلاً، واختار المجلس وزير المواصلات مأمون عبدالقيوم لمنصب رئاسة الجمهورية.

٢ " ـ مأمون عبدالقيوم:

تسلّم مهمة منصب الرئاسة بانتهاء مدة الرئيس السابق إبراهيم ناصر في ١١ ذي الحجة عام ١٣٩٨ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٧٨ م)، وأعلن

أن مهمته الرئيسية سوف تكون تطوير المناطق الريفية الفقيرة، وسيستمر في سياسته الخارجية على السياسة القائمة بعدم الانحياز.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٠ هـ (مطلع عام ١٩٨٠ م) جرت محاولة انقلاب وتقوم على اغتيال رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته، واتهم فيها الرئيس السابق إبراهيم ناصر الذي كان قد غادر في اليوم الذي انتهت فيه مدة رئاسته، واتجه إلى سنغافورة حيث أقام هناك، واستدعي من قبل المسؤولين في جمهورية المالديف للحضور إلى بلاده للإجابة حول بعض التساؤلات التي تتعلق باختلاس موارد الدولة، فأبى، وطلب من حكومة سنغافورة اعتباره لاجئاً سياسياً فوافقت على طلبه، وبقي يعيش هناك، فلما جرت محاولة الانقلاب هذه، واتهم فيها أنكر ذلك، وامتنع عن القدوم أيضاً، وبعد سنةٍ من المحاكمات، وفي جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ (نيسان ١٩٨١ م) صدر الحكم على أحمد نسيم نسيب الرئيس السابق إبراهيم ناصر، ووزير الأسماك السابق بالسجن المؤبد بتهمة التآمر للإطاحة بنظام الحكم القائم، وأعلن إبراهيم ناصر أنه ليس له أي دخلٍ في تلك المؤامرة. ومن طرفٍ آخر جرت محاولة للاعتداء عليه لإخراجه من سنغافورة ولكنها فشلت.

وجرت محاولة ثانية للإطاحة بالرئيس مأمون عبدالقيوم عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ولكنها فشلت، وكانت أصابع الاتهام أيضاً تشير إلى الرئيس السابق.

وجرى استفتاء شعبي على الرئاسة في شهر ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) فنجح مأمون عبد القيوم، وحصل على ٩٥,٦٪ من الأصوات، فاستمرّت رئاسته.

وجرى استفتاء شعبي آخر على إعادة انتخابه للمرة الثالثة لمدة خمسة سنوات جديدة في مطلع عام ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م) وحصل على ٩٦,٤٪ من الأصوات، وتجدّدت بذلك رئاسته الثالثة، ولكن لم يلبث أن

جرت محاولة انقلاب أيضاً وذلك في ٢٤ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٨٨ م) حيث نزلت قوة بحرية من المرتزقة مؤلفةٍ من مائةٍ وخمسين من عناصر التاميل السيريلانكيين بإمرة أحد رجال الأعمال المالديفيين المدعو «عبدالله لطفي»، وقد نزلوا في جزيرة «مالي» العاصمة وحاولوا الاستيلاء على الدوائر الحكومية المهمة. فطلب الرئيس مأمون عبدالقيوم من الحكومة الهندية مساعدته فأرسلت ألف وستمائة رجل من فرقة الطوارىء، وقضت على محاولة الإطاحة بالحكومة، وذهب ضحية ذلك عشرون قتيلاً. وقد أشارت عدة مصادر على وجود صلةٍ بين رأس المحاولة «عبدالله لطفي» وبين الرئيس المالديفي السابق إبراهيم ناصر الذي أنكر بشدة صلته بتلك المحاولة الفاشلة. وأعلنت الحكومة المالديفية أن القوة الهندية ستبقى في البلاد حتى يتمّ إلقاء القبض على جميع الذين اشتركوا بمحاولة الانقلاب.

وفي شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) أمر الرئيس المالديفي بالحكم المؤبد على اثني عشر رجلاً من سيريلانكا وأربعة من المالديف من ذلك اشتركوا بمحاولة الانقلاب.

وفي الثاني من شهر ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (الأول من تشرين الثاني ١٩٨٩ م) سحبت الحكومة الهندية مائة وستين من قوة الطوارىء الموجودة في المالديف.

وفي جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (كانون الثاني ١٩٩٠ م) عقدت اللجنة الهندية ـ المالديفية اجتماعات في سبيل التعاون الاقتصادي والتقني، وأهم نقطة بحث كانت في تلك اللقاءات إمكانية إلغاء تأشيرة الدخول بين البلدين.

وأصبحت المالديف عضواً في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في رمضان من عام ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م).

وهي كذلك عضو مؤسس في منظمة جنوبي آسيا للتعاون الإقليمي (سارك) في ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (كانون الأول ١٩٨٥ م).

المراجع

- تقويم البلدان الإسلامية: الأمانة العامة لمؤتمر العالم الإسلامي. باكستان ـ كراتشي ١٩٦٤ م.
- تقويم العالم الإسلامي: جمعية الدراسات الإسلامية ـ القاهرة ١٩٧٠ م.
- قسمات العالم الإسلامي: مصطفى مؤمن ـ دار الفتح ـ بيروت ١٩٧٤ م.
- القاموس السياسي: أحمد عطية الله. دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م.
- كشمير المسلمة تناديكم: أليف الدين الترابي. الجماعة الإسلامية في كشمير ١٩٩١ م.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن علي الحسني الندوي. إدارة إحياء التراث الإسلامي ـ قطر.
- محمد علي جناح: إحسان حقي. دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٧ هـ.
- باكستان: شريف الدين بيرزاده. ترجمة عادل الصلاحي. الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ١٩٦٩ م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

التاريخ الإسلامي

- ٢٠ -

التاريخ المعاصر

جنوب شرقي آسيا

ماليزيا وأندونيسيا

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد بن عبدالله إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين *أما بعد*:

فإن جنوب شرقي آسيا هو المنطقة الأنموذجية التي انتشر فيها الإسلام حتى عمّ، ولم تنطلق إليها سرية، ولم ترتفع نحوها راية للجهاد، ولم تسر إليها كتيبة، ولم يتقدّم إليها جيش فتحٍ، وإنما انتشر الإسلام عن طريق التجارة أو في الحقيقة عن طريق حسن المعاملة، ومكارم الأخلاق، واحترام المبادىء، وتقدير القيَم، وأدب التصرّف. لقد أُعجب السكان بهذه القيم فتمثّلوها، وبهرتهم الأفكار فقبلوها، فوجدوا أنفسهم مسلمين.

لقد فتح سكان جنوب شرقي آسيا صدورهم للإسلام قبل أن يفتحوا أذرعتهم إليه، ورحّبت به قلوبهم قبل أن تُرحّب به ألسنتهم، واستقبلته أنفسهم قبل أن تستقبله أجسامهم، لقد ترنّموا برؤية الحرية تُنفّذ، وطربوا لمشاهدة المساواة تُطبّق، وتعشّقوا العدل فوجدوه أمامهم، وتغنّوا بالنظام فرأوه مُتمثّلاً بهؤلاء القادمين من التجار، وحلموا بالمحبة بين الناس فشاهدوها حيّةً بين الوافدين إليهم حيث يحبّ بعضهم بعضاً، ويحبّون الآخرين لذلك يدعونهم لهذه المبادىء، ويتمنّون لهم الخير، ويرغبون أن يكونوا مثلهم، وهذا غاية الكمال أن تريد للآخرين ما تريده لنفسك، فتدعوهم ليكونوا مثلك، وهل يرغب المرء لنفسه إلا أن يكون في القمة،

رغب أهالي سكان جنوب شرقي آسيا هذا كله، ورأوه، فأقبلوا عليه فوجدوا أنفسهـم مسلمين.

لقد صار أهـل تلك المناطق مسلمين أو أصبحـوا أرقى وأرفع ممـا كانوا، كانوا يطلبون الحرية فلا يجدونها وإنما يجدون قوياً يستبدّ، وطاغيةً يتسلّط، وعزيزاً يتصرّف، وليس من أحدٍ يستطيع أن يقول كلمةً يُدافع فيها عن ماله، أو عرضه، أو شخصه، وأحسّوا الآن أنهم قد وُلدوا من جديدٍ، ليسوا بحاجةٍ إلى دفاعٍ بل إلى قـولٍ، فالمـالُ مُؤمّن، والعرض مُصـان، والشخص مُكرّم، فلا مجال لسخطٍ فاندفعوا نحو العمل فكان الإنتاج، وكانت الحضارة.

كانوا يرغبون بالمساواة ولكن أنّى لهم بها، وقد كان هناك سادة فلا يُساويهم أحد، وكان هناك كهنة فلا يصل لمستواهم فرد، وهؤلاء وأولئك يرعون سائمين في أعراض الآدميين، ويتصرّفون في الأمّة مُبذّرين، ويعبثون في أجساد الآخرين لاعبين فمن يُعادلهم، وهم من غير طينة البشر، إنهم الرؤوس وغيرهم الأقدام، وشعر السكان الآن أنهم في عالمٍ آخر: الناس كلهم سواء كأسنان المشط الواحـد لا فضل لعـربيٍ على أعجميٍ، ولا لأبيض على أسـود، ولا لغنيٍ على فقيـرٍ ولا لـرئيسٍ على مرؤوسٍ إلا بـالتقوى، والتقـوى هي طاعة الله، والخوف منـه، وتكون بتـطبيق أوامره، واجتناب نواهيه، ومن أوامره إعمار الأرض ومحبّة الآخرين، وتقديم الخير للناس، فكان إعمار الأرض، وكان الإنتاج، وكانت محبّة الآخرين، وكان التعاون، وكان الإخلاص فكانت الوفرة، وكان الخير، وكانت الحضارة.

كانوا يرغبون بالعدل ولا يحسّـون به فـالرأس من طبقـةٍ ولا يُحكم عليـه، والسيد من أسرةٍ ولا يُؤاخذ، والغني من فئةٍ ولا يُعامل كالآخرين، والمزارع من طبقةٍ ومحكوم، وابن الصانع من أسرةٍ ومُؤاخذ مباشرةً، والغني يستخدم غيره ويـأمر، والفقيـر من فئةٍ ومستخـدم ومأمـور، أما الآن وقـد أصبحوا مسلمين، واقتدوا بمن رأوا فقد أصبحوا في وضعٍ آخر، ابن رأس

السلطة وابن الخادم عنده في مستوىً واحدٍ، يُحكم له وعليه، والسيد والعبد في وضع واحدٍ يُؤخذ له ومنه، والغني والفقير المعدم على صعيدٍ واحدٍ، كل في عمله مأمور، ووزنه فيما يُحسن «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». وكان الشعور بالمسؤولية، وكان الإحساس بالمكانة وكان الإقدام على العمل، وكان العطاء، وكانت الحضارة.

كانوا يحبّون النظام، ولكن لا يمكنهم تطبيقه، فالكبير يتجاوزه، والصغير يُطبّق عليه، الرئيس يخترقه، والمرؤوس يُطبّق عليه، الغني لا يهتمّ به، والفقير مُكلّف بالحفاظ عليه، فأصبح كل يتهرّب منه، ويعمل على تجاوزه حتى عمّت الفوضى، واختلّ كل أمرٍ، وجاء الإسلام، واختلف الأمر، وتباين الوضع، فالناس كلهم ضمن النظام لا يخترقه إلا شاذّ، ولا يتجاوزه مُكلّف، تبدو معالمه في صفوف الصلاة، والاقتداء بإمام واحدٍ، والركوع والسجود معاً، لا يُسابق الإمام أحد، ولا يتأخّر عنه فرد، وتبدو معالمه في الصيام في الإفطار بلحظةٍ واحدةٍ، والإمساك كذلك، والامتناع عن كل شيءٍ يدخل إلى الجوف، وتبدو معالمه في الزكاة، ومضي الحول على المال، والنسبة التي يؤدّيها المسلم، وتبدو معالمه في الحج، في الإحرام، والطواف، والسعي، والرمي لا تجد مُخالفةً في اتجاه سيرٍ، ولا نقصاً في عدد الأشواط، أو الجمرات، بل وفي كل حركةٍ. وهذا شأن كل مكلّفٍ بغضّ النظر عن الأنساب، والغنى، والمنصب، والمكانة، وطول الأجسام، واختلاف الألوان، وتباين الأجناس، وبالأساس لا توجد طبقات في المجتمع المسلم. هذا النظام الذي ساد قضى على الفوضى، وحثّ على الإتقان، والدقة، والتقيّد بالموعد، الذي هو أيضاً من صفات المسلم، وكان العمل المتقن، والإنتاج الدقيق، وكان الإبداع، وكانت الحضارة.

كان سكان جنوب شرقي آسيا يحبّون أن تعمّ المودة والمحبّة بينهم وأن يسود الوئام بين أفرادهم، ولكن لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، فالقوي يأكل الضعيف فيكون الحقد من المأكول، وصاحب المكانة يدوس على

البسيط، وتكون الضغائن عند المُداس، والغني يريد أن يستعبد الفقير، وتكون الحسرة عند من لا مال له، ورأس السلطة وحاشيته، والكهنة وأتباعهم فوق بقية الشعب يُسخّرونهم، ويتخذونهم مطيةً، ويريدون أن يتصرّفوا بهم حسب أهوائهم ووفق شهواتهم، وهكذا يشعر المرء أنه يعيش بين ذئابٍ تنهشه وأنيابٍ تريد أن تُمزّقه، وتكون الإحن، ويتولّد الحقد، وتُشحن النفوس بالضغائن، فلما عمّ الإسلام انتهى هذا كله، وأقبل الناس يُطبّقون هذه التعاليم الجديدة بكل سرورٍ وبهجةٍ، كالإنسان الذي حصل على أمنيةٍ كان يحلم بها دائماً ويتمنّاها، ويشعر أن فيها سعادته، وفيها راحته، فعمّت المحبّة، وساد الوئام والألفة، وطُبّق النظام، وشاع العدل، وعُرفت المساواة، وانتشرت الحرية، وكانت الحضارة.

أحسّ سكان جنوب شرقي آسيا بعد انتشار الإسلام أنهم يعيشون في كنف الإنسانية، وبدأوا يشعرون بآدميتهم، فقد انتقلوا من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الهمجية إلى الإنسانية، ومن البدائية إلى الرقي والحضارة، وأن هذه النقلة العظيمة إنما كانت نتيجة العقيدة الجديدة التي آمنوا بها، واتبعوا مبادئها.

هذا ما قدّمه الإسلام لسكان هذه المنطقة، ولغيرها ممن اتبعه، وهذه هي الحضارة: حرية، ومُساواة، وعدل، ونظام، ومحبّة، إنها مبادىء عظيمة وأمور معنوية ترقى بالنفس البشرية فتدفعها للعمل والإنتاج، وتسمو بها فتحملها للتفكير والإبداع، وترتفع بها فتجعلها تحسّ بواجب الأخوة والانتماء للأمة الإسلامية، والحبّ لكل فردٍ منها كما يحبّ المرء لنفسه «لا يُؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»، وهذه هي الحضارة والارتقاء، وهذه هي بذرة السمو، وغرسة الاختراع.

فالحضارة اصطلاح معنوي تنمو وتترعرع بمقومات العدل، والمساواة، والحرية، والمحبّة، والنظام، وتُورق، وتتفرّع أغصانها، وتُزهر، وتُثمر أشياء ماديةً، وإذا تعهدناها بالفكر، ورعيناها بالعلم والتجربة أنتجت،

وأعطت الابتكارات، ومختلف الاختراعات، ومع استمرار الرعايـة والتعهّد يستمرّ العطاء، ويكون التطوّر العلمي، وتقدّم التجربة والابتكار.

وقبل أن يشتدّ عود حضارة الإسلام في جنوب شرقي آسيا، ويبـدأ خيرها المعطاء جاءها سيل جارف من البحر دفعتـه أوربا إليهـا، وإن لم يستطع اقتلاع جذورها إلا أنه كسّر أغصانها بـالقهر، ومنـع عنها السقـاية بالظلم فجفّت أوراقها وذبلت، ثم أخذت تتساقط، وحاول اجتثاثها بالقوة فلم يتمكّن، فكلّف المزارعين والمشرفين على البستنة باستمرار اتباع سياسة الظمأ حتى تموت الجذور، وبقي يتابع أولئك المزارعين والمشـرفين فإذا تساهل أحدهم باتباع تلك السياسة أو أخذته الشفقة على زرعه والرحمـة على شجره طُرد من حقله، أو دُفن في أرضه.

وهكذا يبقى الزرع جافاً ذابلاً، والشجر أصفر تتساقط أوراقه وتموت أغصانه، ويطلب السقاية والرعاية، ويحتاج إلى الماء لتعود إليه الحياة من جديدٍ فجذوره ضاربة في الأرض حيّة، وسوقه باسقة فيها آثار رطوبةٍ، ودلائل نُضرةٍ، ولكن يحول المزارعون دون الـريّ، والحرّاس من أعلى يمسكـون العصا يهشّون بها، ويخيفون من يُفكّر بالريّ.

ويشيع الحرّاس أن هذا الذبـول من الإسلام، فـإذا أردتم النضرة، ودعوة الخضرة فعليكم بترك ما كان سبب الجفاف وتـراجع النمـو، وإننا نحرص ونستعمل كافة الأسباب من أسمدةٍ ومُنشّطاتٍ ولكن دون فائدة لوجود الإسلام. لقد استعملوا الروث الحيواني كسمادٍ دون السماح بالريّ فأثاروا الشهوة الحيوانية لدى فريقٍ فادعوا النمو والتطوّر، وأعلنوا أن هذا حضارةً ومن الحضارة.

وأخذ الحرّاس ينجرون من الأغصان اليابسة أسلحةً يضعونها بأيدي المزارعين ليحموا بساتينهم من أهلها، وليضربوا بها أي مزارعٍ إن شذّ،

وليستعملها المزارعون بعضهم ضدّ بعضٍ لتأديب من جمح، وإعادته إلى حظيرته أو استبداله بآخر، وأثناء عملية النجارة ظهرت معهم بقايا الأخشاب فاستعملت للتدفئة والإنارة، وهكـذا كان من النجـارة وسائـل بناء وإفـادة ووسائل ضرب وتدمير وعدّوا كليهما حضارةً.

وشغل الحرّاس الأهالي بالقفز والرقص والغنـاء وسموه فنّاً، وبالتفلّت والعري ونعتوه تقدّماً، وبـالفساد والعهـر ووصفوه حـريةً وحقـاً، وألهوهـم باللعب وقذف الطابة وسمّوه تطوّراً، وعلّموهم الكذب في وسائل الإعلام، وتغيير الحقائق، والتجسّس وقالوا عنه ذكاءً وبراعةً، وأعطوا هذا كله اسم حضارة. واتخذوا هذا جميعاً ليُبعدوا الناس عن التفكير بماضيهم المشرق والحضارة الحقيقية التي كانوا يعيشون في ظلّها، وعرفوا آثارها ونتائجها.

ليست الحضارة قفزاً ورقصاً، ولا قذفاً ولعباً، ولا وسائل إبادة الخلق وتدمير البشرية، ولا تجسّساً وكذباً، وتشويهاً للحقائق وإنما الحضارة شعور النفس بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، ويتمّ هـذا بالحـرية، والمسـاواة، والعدل، والنظام، والمحبّة، وتأمين ضرورات الحياة براحةٍ، وإذا ما شعرت النفس بهذا انطلقت نحو الإنتاج، والعلم، والإبداع، والابتكار، والاختراع. وأمر طبيعي ألا تستطيع نفس أن تعيش في ظلّ التفرقة، والفوضى، والكراهية، ويُمارس عليها كل أنواع الضغط، وأشكـال الظلم، وأصنـاف الجور، ثم يطلب منها الإنتاج، والاختراع.

لقد عمل الذين جاءوا بالسيل الصليبي الاستعماري والذين كانوا معه كل وسائل الظلم، والإفقار، وجميع أسباب المرض والجهـل حتى ضاق الناس ذرعاً بالحياة، ونسوا الماضي، وجهلوا الحقيقة، ولم تعد معرفتهم تتعدّى وسيلتهم لتأمين لقمة العيش، والهرب من القسوة، وطريقة العزلة.

وترك الصليبيون المستعمرون المنطقة بعد أن اطمأنوا على ما فعلوه، وبعد أن وجدوا من الأعوان من يسدّ مسدّهم إن غابوا، ويُنفّذ مخططهم إن

رحلوا، ويقبل توجيهاتهم وإن بعُدوا، ويأخذ بإرشادهم وهم في بلادهم فخفّفوا بذلك عن أنفسهم مغبة نقمة الأهالي، والصدام معهم، إذ تركوا الناس يُقاتل بعضهم بعضاً، ويتجهم ويتهم بعضهم بعضاً وهم في منأى يضحكون، مصالحهم تُؤمّن، ومخططاتهم تُنفّذ، وأعداؤهم يقتتلون، وقسم من هؤلاء الأعداء يُدافع عنهم، ويكفيهم مؤونة الصراع.

وطالت الأيام والحالة تسير على هذه الصورة، ولم يعد أهل العصر يعرفون إلا الواقع، ويسمعون شائعات الصليبيين الاستعماريين أن هذا التخلّف بسبب الإسلام، ويُردّد هذا المشرفون على البساتين من أعوان الحراس، ومن ينتمون نسباً إلى الإسلام، لا عقيدةً وفكراً، وإنما يدعونه ادعاءً، وأنهم من أهله، وقد يُصدرون الفتاوى، ويُقدّمون الفقه حسب تحليلاتهم الإعلامية، وتعليقاتهم السياسية. ويقوم التخبّط السياسي، وتعمّ الفوضى الاجتماعية.

ونحن نريد أن نلقي ضوءاً على تاريخ هذه المنطقة نبيّن فيه، الواقع المعاصر، وأسباب هذا الواقع المرّ ليتعرّف الناس على الحقيقة، وعندها يمكنهم معرفة العلاج اللازم والدواء الشافي.

وتضم هذه المنطقة ثلاث دولٍ إسلاميةٍ هي: ماليزيا، وأندونيسيا، وبروني.

ونرجو من الله أن نُوفّق في هذه المهمّة، وأن نُلهم الحقّ، وأن تسدّد الخطا، فهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ شعبان ١٤١٢ هـ
٦شباط ١٩٩٢ م

الباب الأوّل

ماليزيا

لمحة عن ماليزيا قبل إلغاء الخلافة

وصل الإسلام إلى ماليزيا في القرن السابع الهجري، وإن كنا لا نستطيع أن نُحدّد بالضبط السنة التي انتشر فيها لأن وصول أفرادٍ قلائل، وتشكيل جماعاتٍ صغيرةٍ لا تأثير لها على المجتمع لا يُسجّلها التاريخ، بل لا يعرفها، وخاصة أنه كان تاريخ ممالك لا شعوب، وسجلّ دولٍ لا دعوات، إذ لا يمكن أن يكون بداية وصول الإسلام هو قيام دولته وامتداد سلطانه.

من المعروف أن علاقة شبه جزيرة الملايو كانت قويةً مع الهند وخاصةً مع سواحلها الغربية التي انتشر فيها الإسلام في وقتٍ مبكرٍ نتيجة التجارة، وانتقال المراكب المستمر بينها وبين أطراف شبه جزيرة العرب التي انطلق منها الإسلام.

وكانت روابط شبه جزيرة الملايو متينةً مع جزيرة سومطرة المواجهة من ناحية الغرب، والتي وصل إليها الإسلام أيضاً لأن أطرافها الشمالية أقرب إلى الغرب حيث كانت تمخر السفن الإسلامية، وتتحكّم تلك السفن في طرق المحيط الهندي البحرية، وفي موانئه، وقواعده، ومراكزه، وبحاره، وينتقل المسلمون التجار والدعاة على سواحله يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية التي تتلاءم والفطرة البشرية، وتُعطي معاملتهم وسلوكهم وأخلاقهم صفةً تختلف عما يتصف به بقية التجار، بل كان كل

تصرّفٍ ينبع من تلك العقيدة. وكثيراً ما كان الدعاة يتخذون التجارة وسيلةً ليتصلوا مع السكان وليدعوهم إلى الإسلام.

لقد وصل الإسلام إلى جزيرة سومطرة في القرن السابع الهجري، وعندما زار الرحالة الإيطالي (ماركو بولو) المنطقة عام ٦٩٢ هـ وجد التجار المسلمين في ميناء (برلاك) على الساحل الشمالي للجزيرة ذات الصلة الوثيقة بالملايو، ومن سومطرة انتقل الإسلام إلى الملايو.

وتقول إحدى الروايات: إن ميناء (مالاقا) الواقع على الطرف الغربي من بلاد الملايو قد وصل إليه الإسلام قبل هذه المدة، فتروي أن سفينةً عربيةً قادمةً من (جدة) يقودها (سيدي عبدالعزيز) قد رست في ميناء (مالاقا) عام ٦٧٦ هـ، واستطاع ركابها أن يُؤثّروا على ملك (مالاقا)، فيعتنق الإسلام، وأطلقوا عليه اسم (محمد شاه)، وتبعه شعبه في اعتناق الإسلام، وبذا قامت أول دولةٍ إسلاميةٍ تعمل على نشر الإسلام فيما جاورها من البلدان، وفي غضون نصف قرنٍ أصبحت مدينة (مالاقا) مركزاً يشعّ الإسلام على المناطق المجاورة، فأسلمت (باهانغ)، وجنوبي الملايو.

ويُقال: إن حاكم مدينة (مالاقا) قد اعتنق الإسلام ليحصل على تأييد التجار المسلمين الذين حلّوا محلّ الهنادكة في الزعامة التجارية، إذ كان الحكام يُحاولون إرضاء التجار المسلمين لتوسعة الحركة التجارية في موانئهم بسبب غناهم، وقد كانت أموال المسلمين أكبر موردٍ لتلك الإمارات بسبب التجارة الواسعة التي تقوم فيها.

ويروى أن الإسلام قد انتقل من مدينة (باساي) في شمالي سومطرة إلى مدينة (مالاقا) بعد أن أسلم حاكمها ليتزوج أميرةً مسلمةً من (باساي) ذلك لأن المسلمة لا يسمح لها دينها بالزواج من غير مسلمٍ، وكان ذلك حوالي عام ٨٠٣ هـ، ثم اعتنق الشعب في (مالاقا) الإسلام بعد أن أسلم حاكمه.

وتذكر بعض الروايات أنه في القرن السابع الهجري قامت مملكة (تيماسيك) في سنغافورة، وفي أوائل القرن الثامن الهجري قامت في جزيرة (جاوه) إمبراطورية (ماجاباهيت) الهندوسية القوية التي استطاعت القضاء على مملكة (تيماسيك) - وكان الإسلام قد وطد دعائمه في أجزاء من شبه جزيرة الملايو- واستطاع ملك (تيماسيك) أن يُغادر سنغافورة مركز حكمه السابق، وأن ينتقل إلى مدينة (مالاقا) مع ألف وخمسمائةٍ من أفراد عائلته، وأن يُؤسّس هناك حكومةً، وقد اعتنق الإسلام بتأثير من اعتنقه من قبل سكان (مالاقا)، وقد أطلق على نفسه اسم (اسكندر شاه)، وكان ذلك في بداية القرن التاسع الهجري عام ٨١٧ هـ.

والخلاصة أن التجارة قد لعبت الدور الرئيسي في انتشار الإسلام في الملايو، ولم تكن التجارة هي الهدف الأساسي بل كانت الدعوة تسير إلى جانب التجارة، وإن وجد تجار همّهم الأول الربح، والدعوة ثانوية عندهم، أو يقتصرون في عملهم على ما يُحقّقون من أرباحٍ، ولكن كان هناك أيضاً دعاة تفرّغوا للعمل في سبيل الله، وهم إما من الذين كانت أحوالهم المادية تساعدهم، أو من الذين كانوا يكتفون بالقليل يحصلون عليه من بعض الأعمال التجارية على نطاقٍ ضيقٍ.

وقد كان ميناء (سري فيجايا) في شبه جزيرة الملايو أكبر مرفأ تصل إليه السفن الإسلامية في توجّهها نحو الشرق، وخاصةً بعد القرن الرابع الهجري عندما أُغلق ميناء (كانتون) الصيني بوجه التجار الأجانب نتيجة اضطراباتٍ وقعت في مملكة (تانغ) الصينينة، وفي ذلك الوقت أصبحت مدينة (سري فيجابا) أبعد نقطة تصل إليها السفن الإسلامية شرقاً آنذاك، ورغم ما حدث في العالم الإسلامي من أحداثٍ جسيمةٍ في غزو المغول، وتدمير بغداد على يد (هولاكو) عام ٦٥٦ هـ، وسقوط الخلافة العباسية، والذي أدّى إلى تمزّقٍ سياسيٍ كبيرٍ في عالم الإسلام إلا أن المسلمين قد بقوا سادة التجارة في المحيط الهندي.

ومن المحتمل أن يكون تجار جنوبي الهند هم الذين كان لهم الأثر الواضح في إسلام الشعب في شبه جزيرة الملايو، إذ أن المسلمين هناك يتبعون مذهب الإمام الشافعي، وهو المذهب المنتشر في جنوبي الهند، بينما كان أثر الكوجراتيين أقلّ حيث يتبعون مذهب الإمام أبي حنيفة الذي لم ينتشر في الملايو. كما أن الصوفية قد انتشرت هناك من جنوبي الهند، وليس من شبه جزيرة العرب، وقد يكون تجار غربي الهند وجنوبيها قد لعبوا دورهم معاً في الدعوة، وهذا لا ينفي أثر الدعاة العرب الذين ما انفكوا يفدون إلى البلاد بعد أن توقّفت الفتوحات الكبرى، وانصرف المسلمون إثر ذلك إلى نشر الدعوة عن طريق التجارة، والتنقّل لهذه الغاية.

وعندما سقطت مدينة (مالاقا) بأيدي المستعمرين الصليبيين من البرتغاليين عام ٩١٧ هـ، اختير مركز (آتشيه) في شمالي سومطرة ليكون مقراً للدعاة، وهكذا عاد لجزيرة سومطرة مركزها التجاري والإسلامي بعد أن فقدته مدة قرنين من الزمن وهما: الثامن والتاسع الهجريين لمصلحة مدينة (مالاقا).

وعن طريق التجارة تحدث العلاقات الحسنة، والصداقة، والاحتكاك مع السكان، ويكون إقناع الشعب للدخول في الإسلام، إضافة إلى الزواج الذي يتمّ بين التجار المسلمين وبين بعض الأسر وغالباً ما تكون الفتيات من العائلات المرموقة فتدخل الفتاة بالدين الإسلامي، وعن طريقها يعتنق أهلها وقومها عقيدتها لما يرون من معاملةٍ كريمةٍ وخلقٍ رفيعٍ، كما أن هؤلاء التجار كثيراً ما كانوا يتخذون عبيداً يساعدوهم في شؤونهم التجارية وخدمتهم فيُسلمون ويعتقونهم بعد إسلامهم، فيجدّون بالعمل ويخلصون، فتزيد مكانتهم في المجتمع. وإن اتصال التجار المسلمين غالباً ما يكون مع الأثرياء ومع الحكام، وهذا ما يُعطيهم مركزاً رفيعاً، ويُقدّم التجار للحكام خدمات، ويقابلهم الحكام بأحسن منها ردّاً للجميل، والحاكم يريد أن يظهر بموقع الأعلى، ويعطي حسب مكانته، كما يهدفون إلى زيادة نشاط

التجار، إذ أن أكثر موارد الإمارات كان يأتي عن طريق التجارة. ويتكلم الحاكم لغة التجار ليتمّ التفاهم بينهم، وليكونوا أقرب إلى نفوسهم، حيث تُقرّب اللغة بين الغرباء، كما يراعون تقاليدهم حتى يغدو بعض سلوكهم إسلامياً، وهذه المنزلة التي يصل إليها التجار تجعلهم يستطيعون معها التأثير على السكان، وجذبهم إلى الإسلام.

وقد كان انتشار الإسلام في الملايو وفي كل مناطق الشرق الأقصى سلمياً على عكس الطريقة التي سار عليها المستعمرون الصليبيون. وقد كانت الخلافة الإسلامية في هذه المرحلة في فترة غيابٍ عن الساحة، وكانت التجزئة والخلافات هي السائدة في أكثر أمصارها، وكان الدعاة المسلمون من أقاليم شتى، لذا لم يفكر المسلمون الذين حكموا تلك الأرجاء أن يربطوها بمركزٍ معين خارج المنطقة، وهذا عكس ما فعله الأوربيون الذين ربطوا المناطق التي سيطروا عليها ببلادهم الأصلية مباشرةً، وهذا ما أبعد عن المسلمين فكرة السيطرة وحبّ التسلّط فأقبل السكان نحوهم، على حين ابتعدوا عن الأوربيين، وقد يكون تصرّف المسلمين هذا نتيجةً للأوضاع السيئة التي سادت الدولة الإسلامية في مركزها لذلك كانت دعوتهم إلى إقامة إماراتٍ إسلاميةٍ مستقلةٍ يُطَبّق فيها حكم الإسلام، بل ربما أصبحت فكرة دار الإسلام نظريةً في رأي الكثيرين منهم، ولم تعد فكرة إقامة دولةٍ مركزيةٍ قويةٍ وتتبعها كل الإمارات الإسلامية على شكل ولاياتٍ، وتُحدّد حدود كل إمارةٍ حسب أصول السكان ولغاتهم، أو حسب الأرض وطبيعتها، لم تعد هذه الفكرة تخامر أذهان أمراء تلك الدول التي قامت آنذاك، واكتفى الحكام والأمراء من فكرة «دار الإسلام» معاملة المسلمين معاملةً حسنةً في إماراتهم بغضّ النظر عن مكان مولدهم، ومناطق تنقّلهم حيث إن جنسية المسلم هي عقيدته، ويعدّونهم من رعاياهم أينما كانوا.

ومما ساعد على انتشار الإسلام في الملايو بشكلٍ كبيرٍ ردّ الفعل

لقدوم المستعمرين الصليبيين، ومعاملتهم السكان معاملةً سيئةً، فانحاز الشعب إلى جانب المسلمين الذين وقفوا معهم موقفاً واحداً ضدّ أولئك المستعمرين الصليبيين الأوربيين، واشتبكوا معهم في حربٍ طاحنةٍ في معظم جهات العالم من الأندلس حتى الشرق الأقصى.

لم تكن تلك الإمارات الإسلامية التي قامت في تلك المنطقة مستقلةً تماماً فهي لا تشمل إلا رقعةً صغيرة المساحة نسبياً، قليلة السكان بالمقارنة مع الدول الكبيرة، ولا مكانة للدول الصغيرة فلا بدّ لها من أن تجري في فلك غيرها أو تكون طعماً للغزاة، ومن هنا كان المسلمون أمةً واحدةً كي لا يطمع فيهم طامع، ولا يكونوا تبعاً لغيرهم، وكان على المسلمين أن يتجمّعوا بعضهم مع بعضٍ، ولكن أقاليمهم متباعدة، وديارهم نائية، وكان عليهم أن يرتبطوا مع دولة الإسلام غير أنها في غيابٍ عن الساحة، لذا فإن كلّ إمارةٍ كانت منعزلةً عن الأخرى، وتتبع مملكةً واسعةً، وهي مستقلة استقلالاً ذاتياً.

كانت إمارة (مالاقا) الإسلامية في أول عهدها تخضع لمملكة تايلاند، وتُؤدّي لها أتاوةً ذهباً مقابل استقلالها الذاتي، وتطبيق ما تشاء من قوانين ونظمٍ على أفرادها، غير أنه في عام ٨٠٨ هـ زار هذه الإمارة الإسلامية الأمير الصيني المسلم المعروف باسم (تشتغ)، ووعد حاكمها بأن يوفّر له حماية امبراطور الصين من تهديدات تايلاند، وفيما إذا حاولت التعرض لها بسوءٍ، فأعلن الحاكم عندها استقلال إمارته، وتميّزت دولته بشخصيتها الفكرية والسياسية، وأصبح يُجهّز السرايا، ويعدّ الجيوش للفتح ونشر الإسلام، واستطاعت إمارة (مالاقا) ضمّ المناطق المجاورة إليها، واحتواء منطقة (باهانغ)، واستمرت هذه الإمارة تُؤدّي دورها حتى ابتليت بالاستعمار الصليبي.

تعاقب على حكم (مالاقا) سبعة حكامٍ كان أبرزهم (منصور باشا) الذي دام حكمه تسعة عشر عاماً (٨٦٣ ـ ٨٨٢ هـ) وقد انطلقت جيوشه في

شبه جزيرة الملايو كاملةً، وحتى حدود بورما، وإلى أواسط سومطرة، وقد حمى العلماء، واعتنق في أيامه الإسلام معظم الشعب الملايوي، واستعملت الحروف العربية في الكتابة، وأصبح الإسلام قانون بلاده، ويمكن أن ندرك مدى التأثّر النفسي والارتباط بالمسلمين خارج المنطقة من اتخاذ لقب تركي (باشا) حيث كانت الدولة العثمانية قد أخذت تبرز وكان السلطان محمد الفاتح - رحمه الله - قد فتح القسطنطينية قبل ست سنواتٍ فقط من تسلّم (منصور باشا) الحكم وذلك في عام ٨٥٧ هـ، كما أنه لم يتخذ لقب سلطان تقديراً للعثمانيين، واعترافاً بالتبعية الضمنية.

وقد قامت عدة إماراتٍ في شبه جزيرة الملايو في هذه المرحلة ومنها: قدح، بيرق، باهانغ، جوهور.

ووصل تأثير الإسلام إلى جزية (بورنيو) حيث ساد دولة (بروني) القوية نتيجة العلاقة التجارية مع الصين من جهةٍ ومع العالم الإسلامي في ناحية الغرب من جهةٍ ثانيةٍ. وعندما وصل الإسبان إلى شمالي جزيرة (بورنيو) عام ٩٢٧ هـ وجدوا حاكم (بروني) مسلماً.

الاستعمار:

لم تكن ما أطلق عليها بـ (الاكتشافات الجغرافية)، كما لم يكن الاستعمار إلا حرباً صليبية قامت بها أوربا ضد المسلمين، إذ قامت تلاحقهم بعد أن طردتهم من الأندلس لتحيط بهم، وتحاول القضاء عليهم.

وإذا كانت الاكتشافات والاستعمار قد حملا بعض الجوانب الاقتصادية إلا أنهما بالواقع كانا يتستران به، وقد أعلن ذلك الأوربيون ودوّنوه، ولما كانوا قد أصبحوا أصحاب القوة والنفوذ والسيطرة والهيمنة فقد فرضوا ذلك على الناس، ووضعوه ضمن المناهج، ودرّسوه، واقتنع به الضعفاء والمستضعفون حتى غدا شبه حقيقة، فالغالب يفرض عادةً ما يُريد والمهزوم يقبل ما يُعطى له إن لم يكن موجّه يُنبّهه، أو محرّك يُوقظه، وكان

المسؤولون عن المسلمين ـ مع الأسف ـ هم الذين يتولّون مناهج الأوربيين أكثر من المستعمرين الصليبيين أنفسهم عوضاً من أن يُوجهّوا شعوبهم، لذا ليس غريباً أن نصل إلى ما وصلنا إليه، والواقع أن رائحة الصليبية كانت تملأ جو تلك المراكب التي انطلقت عليها طلائع الصليبية والذين أسموهم بالمكتشفين، كما كانت تخيم على حملات المستعمرين وشركاتهم الاستعمارية.

الاستعمار البرتغالي:

انطلق المستعمرون الصليبيون البرتغاليون من قاعدتهم «غوا» على سواحل الهند الغربية، ووصلوا إلى مالاقا عام ٩١٥ هـ، وقاموا بهجومٍ عليها، ولكنه فشل، وبعد عامين أعاد الصليبيون البرتغاليون الكرّة، وقاموا بهجومهم الثاني، وقبل الهجوم ألقى قائدهم «البوكرك» خطاباً جاء فيه: (الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التي سنُقدّمها للرب عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد، ونُخمد نار هذه الطائفة المحمدية حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً، وأنا شديد الحماسة لمثل هده النتيجة، فإذا استطعنا الوصول إليها فسيترك المسلمون الهند كلها لنا، إن غالبية المسلمين ـ وربما كلهم ـ يعيشون على تجارة هذه البلاد، ولقد اغتنوا، وأصبحوا أصحاب ثرواتٍ ضخمةٍ، و(مالاقا) هي مركزهم الرئيسي، فمنها ينقلون كل عامٍ التوابل والأدوية إلى بلادهم دون أن نستطيع منعهم، فإذا تمكّنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد أو محطة واحدة مناسبة في كل هذه المنطقة ليستمروا في تجارتهم، وأؤكد لكم أنه إذا استطعنا تخليص مالاقا من أيديهم فستنهار القاهرة، وبعدها تنهار مكة نهائياً، وعلى البندقية (ڤينيسيا) بعد ذلك أن ترسل تجارها إلى البرتغال، إذا أرادات شراء التوابل).

وكانت أوربا الصليبية تنتظر نتيجة الهجوم على (مالاقا)، وسقطت (مالاقا) عام ٩١٧ هـ بيد البرتغاليين، وكان لهذا السقوط أثر كبير في أوربا

حتى استدعى الأمر إلى إقامة «قداس شكر» في روما عام ٩٢١ هـ، وذكر (كاميلو بورتيون) في الخطبة التي ألقاها أمام (ليو العاشر) أن هذه المعركة ستُسهّل استعادة القدس، وفسّر كيف أن الصليب قد وصل إلى أماكن بعيدةٍ، واتهم حاكم (مالاقا) بأنه مسلم متعصّب يكره النصارى، ونادى بحربٍ صليبيةٍ جديدةٍ لاحتلال القدس.

وكتب «بيرس» لملك البرتغال «عمانويل» بهذه المناسبة يقول: (إن البوكرك يُقاتل ضد محمد، ومن الواضح أن قوة الرب تساعده، لأن الربّ يرغب أن تترسّخ جذور النصرانية في سائر مملكتك. ويقول: وبقدر ما لـ (مالاق) من فائدةٍ دنيويةٍ فإن لها الفائدة الدينية نفسها فإن محمداً محاصر، ولا يستطيع أن يتوسّع بعد الآن بل سيهرب بأسرع ما يمكن).

عمد الصليبيون البرتغاليون إلى استعمال القسوة الوحشية ضدّ المسلمين، دون أن يكون لهم أي رادعٍ، وصاحب سيطرتهم على (مالاقا) نشاط تنصيري مُركّز، وهذا ما دفع المسلمين للقيام بردّ فعلٍ والنشاط بالدعوة إلى الإسلام.

وكان أول عملٍ قام به البرتغاليون الصليبيون بعد استيلائهم على (مالاقا) بناء حصنٍ بحجارةٍ انتزعوها من قبور المسلمين، ثم قاموا بإعدام دفعات متتالية من الأهالي. وقام زعيم البحرية مع بحارته بأعمال القرصنة في المحيط الهندي فانقلب الأمن فيه إلى خوفٍ. كل هذا جعل الثورات تقوم ضدّ الاستعمار الصليبي البرتغالي الأمر الذي أضعفه، وخاصةً أن سكان البرتغال قليلو العدد حيث لا يستطيعون مع هذه القلّة وضع جيشٍ كبيرٍ في كل منطقةٍ من المناطق الواسعة التي سيطروا عليها في إفريقية وآسيا. ومما زاد في ضعف البرتغاليين أن إسبانيا كانت قد احتلت أراضيه عام ٩٨٩ هـ، للخلافات الناشبة بين الدولتين فأصبحت المستعمرات البرتغالية كلها تتبع إسبانيا، وإن كان الجنود الذين يحمونها برتغاليين.

الاستعمار الإسباني:

وتمكّن الإسبان من اجتياز المحيطين الأطلسي والهادي والوصول إلى إمارة راجا سليمان (الفيليبين) بإمرة (ماجلان) الذي أعلن صليبيته، وأراد تنصير السكان فقتلوه، وتابع نائبه (دل كانو) السير فوصل إلى جزيرة (بورنيو)، وجزر (المولوك) ورجع بعدها إلى إسبانيا عن الطريق التي عرفها البرتغاليون وسيطروا عليها، وأخذت الحملات الإسبانية تتوالى على الفيليبين للانتقام والسيطرة.

وعند وصول الإسبان إلى المشرق كان التجار المسلمون من جزيرة (بورنيو) يقومون بتجارةٍ نشطةٍ رائجةٍ مع بقية الجزر، وربما كانوا المسيطرين الوحيدين على التجارة الخارجية لتلك الجزيرة، كما أن الدعاة إلى الإسلام كانوا يبذلون جهوداً واسعةً للدعوة، وللتوعية عن أهداف المستعمرين الصليبيين، وعملهم ضدّ الإسلام، وحقدهم الشديد، كما إن إمارة (بروني) قد أطلقت صيحة الدعوة لإسلام جاراتها.

وكان مسلمو (بورنيو) يمدّون يد المساعدة للمسلمين في القسم الجنوبي من الفيليبين بعد أن توقّف التوسّع الإسلامي في الجزر الشمالية نتيجة احتلال الإسبان لمدينة (مانيلا)، وعندما وصلت هذه المعلومات لحاكم الفيليبين الإسباني (فرنسيسكو دي سندي) كتب إلى سلطان (بورنيو) (سيف الرجال) يطلب منه التوقّف عن إرسال الدعاة إلى (الفيليبين) وأواسط (بورنيو)، وأن يقبل منصّرين كاثوليك في (بورنيو)، ولكن هذا الطلب قد رفض بحزمٍ، وكان ذلك عام ٩٨٧ هـ. ولم تستطع إسبانيا أن تقوم بـرد فعلٍ لعدم الإمكانات لديها آنذاك.

واحتلت إسبانيا البرتغال، ولكنها لم تستطع أن تحلّ في المستعمرات محلّها لأن الأسطول الإسباني قد تحطّم في معركةٍ شهيرةٍ مع إنكلترا عام ٩٩٧ هـ، وهذا ما هيأ الجو لدولٍ أخرى أن تتقدّم نحو الساحة، وقد خلت

تقريباً، أو إن ما فيها من قوةٍ لم تعد مخيفةً، كما أن الطريق هناك لم تعد سرّاً، وخشيت أوربا الصليبية أن تفقد ما حصلت عليه، وأن يقوم سكان المستعمرات البرتغالية والإسبانية بردة فعلٍ يلقون فيها المستعمرين الصليبيين بالبحر، بل وتنطلق حركة جهادٍ ضدّ أوربا تدعم ما يقوم به العثمانيون من تقدّمٍ في أوربا الشرقية، لذا أسرعت دول أوربا البحرية لتسدّ ذلك الفراغ، وإن كان قد حصل بينها نزاع على الاستغلال وعلى الاستئثار ببسط النفوذ، وهذا ما جعل الناس يظنون ـ خطأً ـ أن أهداف الاستعمار لم تتعدّ النواحي الاقتصادية، لما حدث بين أولئك المستعمرين من منافسات.

الاستعمار الهولندي:

كانت هولندا في أوربا في حربٍ مع الإسبان ساداتها وحكامها السابقين، ولكن لم تعد تخشى أسطولهم الذي تحطّم في حربهم مع الإنكليز، فأصبحت السفن الهولندية بعدها تنتقل في تلك البحار دون خوفٍ من منازعٍ قويٍ.

اتجهت أربع سفنٍ هولنديةٍ نحو الهند عام ١٠٠٤ هـ، وبعد عامٍ وصلت إلى سومطرة وجاوة لأول مرةٍ، وحدث بينهم وبين الأهالي معارك، كما حدث مع البرتغاليين من قبل، وحاول البرتغاليون مقاومة الأسطول الهولندي فأمروا بواخرهم بالتحرّك من (مالاقا) و(جاوه) لهذا الغرض، وعدّوا كل سفينة لا تتبعهم غنيمةً لهم يأخذونها، ومنها السفن الأندونيسية، فاصطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين، وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عدّ الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضدّ البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تتزحزح عن مواقعها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز (مالاقا) مدة أربعين سنةً أخرى إلا أنها بقيت ضعيفةً لا يهتم بها أحد.

بدأت هولندا تشدّد قبضتها على المنطقة، وأسّست شركة الهند

الشرقية الهولندية عام ١٠١١ هـ على غرار شركة الهند الشرقية الإنكليزية التي تأسّست عام ١٠٠٨ هـ، ولكن الشركة الهولندية كانت أقوى، وأكثر نفوذاً لأنها ذات مال أوفر، وتنظيم أكبر، ووجدت الفرصة مناسبة لها للعمل لانشغال إنكلترا في حروبها مع الإسبان آنذاك، كما أن هولندا قد اتجهت إلى تلك المنطقة بكليتها بعد أن انهارت تجارتها مع الهند بسبب منافسة إنكلترا وفرنسا لها، وقد أحسّت بالثراء وضرورة الاستمرار بالاستعمار.

ظهرت المنافسة بين هولندا وإنكلترا في المنطقة، وكانت النتيجة أن اضطرت هولندا إلى إلغاء كل احتكاراتها في تلك الجهات، ولكنها كانت قد احتلّت (مالاقا) عام ١٠٥٢هـ، مع أن أمرها قد بدأ بالضعف بسبب التوسّع الإسلامي. وأخيراً احتلّت فرنسا الأرض الهولندية في أوربا عام ١٢١٠ هـ، فضعف أمر هولندا نهائياً وزالت، واستسلمت (مالاقا) للإنكليز.

انتهت الحرب بين هولندا وإنكلترا أيام حروب نابليون، وبعد هزيمة نابليون رجعت هولندا دولةً من جديد، فعادت حكومتها واستولت على ممتلكات الشركة الهولندية سابقاً، ولكن لم تعد إلى مركز (مالاقا) إلا في مناسبتين لمدةٍ محدودةٍ في كل مرةٍ، ثم تنازلت عنها نهائياً عام ١٢٤٠ هـ مقابل إعطائها مركزاً في غربي جزيرة سومطرة.

الاستعمار البريطاني:

بدأت المصالح البريطانية في بلاد الملايو من الناحية التجارية كما بدأت المصالح البرتغالية والهولندية من قبل، ففي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت شركة الهند الشرقية البريطانية بحاجةٍ إلى مركزٍ لتجارتها مع الصين، وكانت أول محاولةٍ لإقامة هذا المركز في شمالي جزيرة (بورنيو)، وكان هذا الجزء يتبع لسلطان (صولو)، وصولو مجموعة جزر في جنوبي الفيليبين، وكان هذا السلطان قد وقع في أسر البريطانيين

عندما استولوا على مدينة (مانيلا)، وقد أطلقوا سراحه، وتنازل للشركة عن منطقة في شمالي جزيرة (بورنيو) لتُقيم عليها مركزاً لتجارتها، ولكن هذا المركز كان خاسراً فلم يعوّض تكاليف إقامته.

وعملت الشركة بعدئذٍ لإقامة قاعدةٍ لها في شبه جزيرة الملايو، وقد تمكنت من ذلك بسهولةٍ إذ تملّك (فرنسيس لايت) باسم الشركة جزيرة (بينانغ) التي تخصّ إمارة (قدح) وذلك عام ١٢٠١ هـ، وبعد خمسة أعوام حاولت إمارة (قدح) استعادة الجزيرة، فوافقت الشركة على أن تدفع لسلطان إمارة (قدح) وخلفائه من بعده مبلغ عشرة آلاف دولار ماليزي سنوياً مقابل اقتطاع جزيرة (بينانغ)، وكذلك فإن الشركة تمكّنت من شراء ميناء سنغافورة عام ١٢٣٤ هـ.

وهكذا صار لشركة الهند الشرقية البريطانية ثلاثة مراكز تجارية في جنوب شرقي آسيا وهي: مالاقا، وبينانغ، وسنغافورة فوحّدتها بعضها مع بعض عام ١٢٤١ هـ، وألّفت منها مستعمرةً للأفواج القادمة من بريطانيا إلى جنوب شرقي آسيا بقصد الإقامة لأهدافٍ صليبيةٍ واقتصاديةٍ، وأصبحت هذه المستعمرة تُدار من قبل حكومة الهند. وفي عام ١٢٨٤ هـ سُلّمت المستعمرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية.

اتخذ البريطانيون طريق المكر في الإدارة فلم تتدخل أول الأمر في شؤون الحكومات الملايوية المحلية خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري لا شركة الهند الشرقية البريطانية التي كانت لها السيطرة في بداية الأمر ولا الحكومات المتعاقبة على السلطة في بريطانيا بعد أن سلّمت المستعمرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية، غير أن السياسة قد تغيّرت بعد أن استقرّ الوضع للبريطانيين، وغدوا دون منافسين.

أخذ الاستعمار البريطاني منذ عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٣ م) يتوسّع في شبه جزيرة الملايو، وقد تكرّس على شكل معاهدات مع سلاطين الولايات

أو الدويلات في شبه الجزيرة كلها حيث غدوا حكاماً محليين يرتبطون بالنفوذ البريطاني ويخضعون له. وفي عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ م) جرت مفاوضات بين البريطانيين وبين حكام ولاية (بيرق) وعقدت معاهدة بين الطرفين كان الهدف منها أن يأخذ سلطان (بيرق) برأي المقيم العام البريطاني، ويعمل بموجبه في كل الأمور خلا ما يمسّ الإسلام والعادات الملايوية، على أن العادات غالباً ما تنبع من العقيدة. وفي العام نفسه دخل سلطان (سلانغور) في معاهدةٍ مشابهةٍ، وقبل بالمقيم البريطاني في ولايته، وكذلك اتخذت ترتيبات مشابهة فيما بعد مع سلاطين (نيغري سمبلان) و(باهانغ).

ثم راحت بريطانيا تجمع هذه الإمارات وتُقسّمها كما تشاء، وكما يحلو لها وتقتضيه مصلحتها الاستعمارية، ففي عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) شكّلت اتحاداً من كلٍ من (بيرق) و(سلانغور) و(نيغري سمبلان) و(باهانغ)، وأصبحت هناك الولايات الأربع ذات مقيمٍ عامٍ بريطانيٍ واحدٍ، وحكومةٍ مركزيةٍ واحدةٍ.

وقبلت ولاية (جوهور) الحماية البريطانية عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م). وبموجب معاهدة (بانكوك) عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) سلّمت (تايلاند) كل حقوق السيادة، والإدارة، والحماية، والسيطرة على الدول الشمالية الأربع وهي: (كيلانتون) و(ترينغانو) و(بيرليس) و(قدح) إلى البريطانيين. وعلى الرغم من أن شروط المعاهدة المعقودة مع سلاطين هذه الدول كانت مشابهة تماماً لشروط المعاهدات السابقة في ولايات شبه جزيرة الملايو الأخرى فإن هذه الدول قد بقيت خارج الاتحاد السابق، وإن شكّلت فيما بينها اتحاداً عرف باسم (اتحاد الملايو). وقبلت كل دولةٍ منها في الوقت نفسه مستشاراً بريطانياً لديها. ولم تصبح أية ولايةٍ من هذه الولايات الملايوية مستعمرةً بريطانيةً بل بقيت السيادة في كلٍ منها إلى سلطانها رغم

وجود رباطٍ إداريٍ بين الولايات والجاليات البريطانية المقيمة فيها، حيث كان المفوض السامي لدول الملايو حاكماً لهؤلاء المقيمين.

وكانت هناك مجموعة ثالثة من دول الملايو سمتها بريطانيا (مستوطنات المضيق)، وتشمل: (بينانغ) و(مالاقا) و(ويلسلي).

وأما بقية الولايات الملايوية وهي (جوهور) فقد عقدت بريطانيا عام **١٣٣٢** هـ (**١٩١٤** م) معها معاهدةً جديدةً قبل بموجبها السلطان مستشاراً عاماً بريطانياً.

وفي شمالي جزيرة (بورنيو) كانت سلطنة (بروني) قويةً، ولكن لم يبتدىء القرن الحادي عشر الهجري حتى تقلّصت سلطتها إذ أقام الهولنديون مراكز تجارية لهم على أرضها، ثم اقتصرت هذه المراكز على (ساراواك) وأجزاء من (بورنيو الشمالية)، ومع ذلك فقد بقيت السلطنة قويةً حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وكان سلطانها يشمل: أرض دولة (بروني) الحالية، و(بورنيو الشمالية) وبعض أراضي (ساراواك).

تدخّل المغامر البريطاني (جيمس بروك) عام **١٢٥٩** هـ في خلاف نشب بين نائب السلطان في (بروني) والثوار الملايويين وملاك الأراضي فكافأه السلطان على جهوده وإمكانيته في تهدئة الوضع بأن عيّنه حاكماً على (ساراواك) عام **١٢٦٩** هـ، ثم عيّن البريطانيون قنصلاً لديه. ثم تنازل سلطان بروني للبريطانيين عن مراكز لهم في شمال شرقي (بورنيو) نتيجةً للأعمال التي قاموا بها. كما تنازل سلطان (صولو) عن مراكز أخرى لهم عام **١٢٩٦** هـ (**١٨٧٨** م). ثم تأسست شركة (شمالي بورنيو) البريطانية عام **١٣٠٠** هـ (**١٨٨٢** م)، وأخيراً توطّد سلطان البريطانيين على الجزيرة كافةً عام **١٣٠٦** هـ (**١٨٨٨**م) عندما أصبحت (بورنيو الشمالية) و(بروني) و(ساراواك) مشمولة بالحماية البريطانية، ومقسّمة إلى أجزاء حسبما تقتضيه مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبية.

وهكذا خضعت ماليزيا للاستعمار البريطاني بسبب ضعف السلاطين، وتفرّق كلمة المسلمين، وعدم وعيهم لأساليب المستعمرين الصليبيين، وقوة الأعداء المادية، وأخذت الحياة الإسلامية تنسحب تدريجياً من المجتمع أمام طغيان الجاهلية التي ملكت رصيداً قوياً من التفوّق العسكري، والعلمي، والمادي، والتي أذلّت المسلمين، وعملت على إضعافهم، فلم يستطع المسلمون الذين أذلّهم تفوّق الجاهلية المادي أن يقفوا طويلاً أمام طوفانها فأخذت تتحكم في البلاد، وتنشر الفساد، ويزداد أثرها يوماً بعد يوم مع انحسار الإسلام من المجتمع وتحكّم المادة، فانصرف أكثر الناس إلى تأمين المكاسب والأرباح، وقد يستمرّ هذا الوضع إن لم ينتشر الوعي، ويعرف الناس واقعهم الحقيقي وأساليب المستعمرين الصليبيين وأهدافهم التي يرمون إليها، ويحاول الأعداء أن تستمر هذه الحال لتبقى لهم السيطرة، ويبقى لهم النفوذ. ولكن سيزول هذا ـ بإذن الله ـ بوعي المسلمين، وتمسّكهم بعقيدتهم، وقد يعودون إلى ذلك بعد الخواء الفكري والتعب النفسي الذي بدأوا يحسّون به بسبب بُعدهم عن الدين، فليست المادة كل شيءٍ في الحياة، وقد بدأت تظهر بعض الحركات تُنفّس عن الكرب، ولكنها لا تلبث أن تفشل بسبب ضعفها، وعدم الاستعداد الكافي مادياً ومعنوياً، وبسبب تكالب الدنيا على المسلمين، من أصحاب الأنظمة الوضعية، وأصحاب الأهواء والشهوات، وأصحاب الأطماع، ومن المتزلّفين والمنتفعين، من أصحاب الأفكار والمبادىء الأخرى، وممن ينتمي إلى الإسلام، ولا يلتزم به، من الذين يجرون في فلك غيرهم من الدول الكبرى، ومن وضعته مكانها ليُؤدّي دورها محلّها، ويُنفّذ مخططها، ويُطبّق منهجها، وقد يُعلن مع ذلك عداوته لها، والحرب عليها، ويدعي صدّق ادّعائه، وصحة انتمائه، ودعوته لذلك.

الفصل الأول

ماليزيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) فزال الرابط المعنوي الذي كان يجمع المسلمين، وانتهى آخر خيطٍ كان يصل بين الأمصار الإسلامية، فاتجه كل مصرٍ نحو مُشكلاته الخاصة يُحاول العمل على حلّها. وكانت بريطانيا قد فرضت سيطرتها التامة على الولايات الماليزية كلها سواء أكان ذلك في شبه جزيرة الملايو أم في جزيرة بورنيو، وبسطت حمايتها عليها، وجزّأتها بالشكل الذي يحلو لها وحسبما تقتضيه المصلحة الاستعمارية الصليبية. وقد كانت تلك الولايات مُقسّمةً ومجتمعةً على النحو الآتي:

١" ـ اتحاد يضمّ الولايات الأربع الآتية: بيرق، سالانغور، نيغري سمبلان، باهانغ، وقد قام هذا الاتحاد منذ عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، ولهذا الاتحاد حكومة مركزية، ويُشرف عليها مقيم بريطاني واحد.

٢" ـ اتحاد الملايو: ويضمّ الولايات الأربع الشمالية وهي: بيرليس، قدح، كيلانتون، ترينغانو، وقد قام هذا الاتحاد حسب معاهدة بانكوك عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)، وفي كل ولايةٍ مستشار بريطاني، وتعد الولاية ذات سيادةٍ، وتخضع لسلطانها. أما الجالية البريطانية فتتبع للمفوض السامي.

٣" ـ مستوطنات المضيق وتشمل: بينانغ، مالاقا، ويلسلي.

٤" ـ محمية جوهور: وقد قبل سلطانها بجانبه مستشاراً بريطانياً بعد عقد معاهدةٍ معه عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

٥" ـ محمية ساراواك: وتخضع للحماية البريطانية منذ عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

٦" ـ محمية بورنيو الشمالية: وتخضع للحماية البريطانية منذ عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).

وأخذت بريطانيا تُطبّق سياستها الاستعمارية الصليبية، فتقرّب غير المسلمين من هندوسٍ، وبوذيين، وهم ذو نسبةٍ كبيرةً نسبياً، وتُقصي المسلمين عن أعمال الدولة، وتضع غيرهم مكانهم، وتستولي على أملاكهم، وتضغط عليهم، وتفسح المجال على نطاقٍ واسعٍ للإرساليات التنصيرية، وتُقدّم لهذه الإرساليات كل ما تحتاج إليه، والمسلمون فقراء، ضعفاء، جهلة لا يستطيعون أن يقوموا بأي ردّ فعلٍ، أو يقفوا في وجه أي قرارٍ أو مخططٍ، فكانوا أقرب إلى الاستسلام، واستمرّ ذلك حتى الحرب العالمية الثانية.

الحرب العالمية الثانية:

دخلت اليابان الحرب إلى جانب دول المحور، واستطاعت القيام بحربٍ خاطفةٍ باحتلال جنوب شرقي آسيا، وكان من بين ما احتلته جزيرة بورنيو، وشبه جزيرة الملايو بعد حملةٍ دامت أكثر من شهرين من الزمن وذلك في ٢٠ ذي القعدة ١٣٦٠ هـ (٨ كانون الأول ١٩٤١ م)، كما استولت اليابان على سنغافورة معقل القوات البريطانية في المنطقة في ٢٩ محرم ١٣٦١ هـ (١٥ شباط ١٩٤٢ م). وقد قضى هذا الاحتلال الياباني على فكرة تفوّق الرجل الأبيض التي حاول المستعمرون الصليبيون ترويجها بين سكان المناطق المستضعفة وقد قبلها أولئك الذين أُصيبوا بالهزيمة النفسية،

كما حطّم هذا الاحتلال الضغط الذي كان الحكم البريطاني الاستعماري الصليبي يُمارسه، وشعرت بريطانيا بالخزي أمام السكان إذ كانت تُهدّد المنطقة كلها بقوتها المزعومة، وادعاءاتها الواسعة أمام الشعوب المغلوب على أمرها.

وضعت البلاد تحت الإدارة العسكرية اليابانية فعيّنت هذه الإدارة رؤساء يابانيين لمختلف دوائر الدولة غير أن مهمتهم لم تكن أكثر من الإشراف، حيث كان الموظفون الملايويون يقومون بأعمال الإدارة المحلية الفعلية، وبهذا فقد تمرّس السكان على القيام بالإدارة، وبرهنوا على مقدرتهم في إشغال المراكز التي كان يشغلها البريطانيون من قبل، وشعروا بالثقة بالنفس، وأنهم في غنىً عن الدخلاء الذي يجب طردهم، وأن ما كانوا يشعرون به لم يكن سوى ضعفٍ، ونتيجة الدعاية والتصرّف الاستعماري الذي قتل الروح المعنوية في نفوس السكان.

ولم يكن اليابانيون أرحم من غيرهم من المستعمرين، فالاستعمار هو الاستعمار، وعدوّه الأول هو الإسلام، ولا يختصّ بلونٍ أو جنسٍ، وإنما النفس البشرية قد جبلت على الغطرسة والسيطرة إن وُجدت في وضعٍ يُمكّنها من ذلك، ولم يكن لديها رادع يردعها أو وازع يمنعها، لذا كان الدين يُهذّب النفس البشرية، ويجعلها تشعر بشكلٍ مستمرٍ بمراقبة الله لها، حيث يطلع على ما تخفي وما تُعلن، وهذا ما يزرعه الإسلام في نفوس أبنائه، ولهذا خلت الفتوحات الإسلامية من أية صفةٍ امتاز بها المستعمرون سواء أكانوا صليبيين كالأوربيين أم وثنيين كاليابانيين إذ أنهم جميعاً متسلّطون مستبدّون أعداء للإسلام، وإن كانت العداوة تختلف نسبياً بين استعمارٍ واستعمارٍ إذ أن بعضهم يحمل حقداً دفيناً، ويرمي إلى أهدافٍ يريد تنفيذها، ويضع المخططات لتحقيق ذلك، وآخر يُعادي دون حقدٍ ومن غير مخططاتٍ عدائيةٍ.

وانتهت الحرب العالمية الثانية وهُزمت اليابان مع دول المحور، واضطرت للانسحاب من المناطق التي دخلتها، ومن بينها دول الملايو، ورجعت إنكلترا إلى قواعدها السابقة، ولتحلّ محلّ اليابانيين الذين غادروا المنطقة.

عودة بريطانيا:

عادت بريطانيا إلى الملايو بعد هزيمة اليابان، ومع أنها تحمل الخزي حيث لم تستطع الدفاع عن مستعمراتها رغم أنها كانت تتبجح بالقوة أمام الشعوب المستضعفة، وعادت كذلك متكبرةً فإنها قد انتصرت مع حلفائها على أعدائها، ومنهم اليابانيون الذي احتلّوا بلاد الملايو، ولكي تخفّف من ذلّ ما لحقها من عار الخروج والهرب من المنطقة أمام اليابانيين جاءت تعرض قيام وحدةٍ ملايويةٍ مركزيةٍ محلّ النظام الذي كان سائداً قبل الحرب والذي كان يتألف من دولٍ اتحاديةٍ كاتحاد دول الشمال، واتحاد الملايو، ومن دولٍ غير اتحاديةٍ كمحمية جوهور، وكان من المفروض وحسب هذا المشروع فإن مالاقا، وبينانغ، وويلسلي أي مستوطنات المضيق وبقية المحميات يجب أن تكون ضمن هذا الاتحاد، ولكن بريطانيا لم تفعل ذلك، إذ قصدت بالاتحاد فقط دول اتحاد الشمال (بيرق، سالانغور، نيغري سمبلان، باهانغ)، ودول اتحاد الملايو (بيرليس، قدح، كيلانتون، ترينغانو)، ومحمية جوهور.

أما مستوطنات المضيق فقد عدّتها أرضاً بريطانيةً، مع الوعد بإجراء انتخاباتٍ متى سمحت الأوضاع، وكانت الظروف مواتيةً، وهذا اصطلاح مرن يحتاج إلى مدةٍ غير محددةٍ.

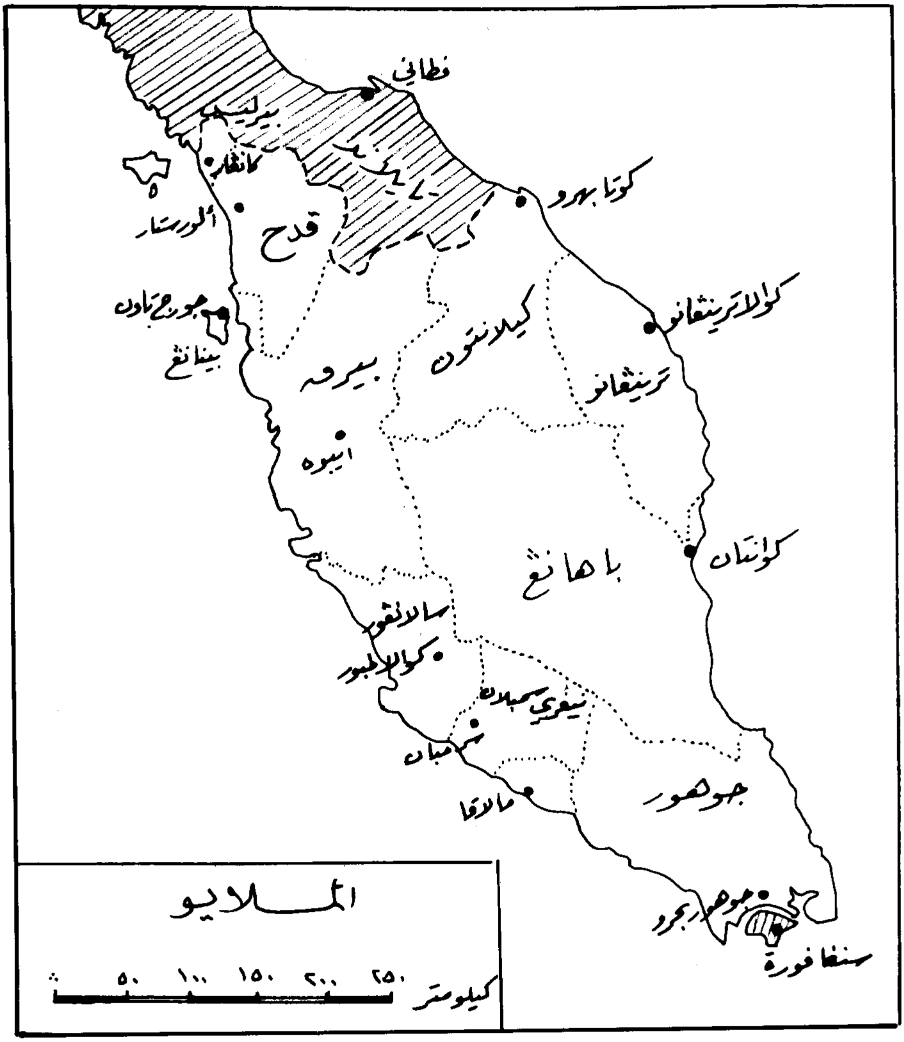
وأما سنغافورة فقد أصبحت مستعمرةً منفصلةً بحجة وجود المخازن والمستودعات القائمة فيها، وبسبب اقتصادها الخاص الذي يُعدّ حراً.

وأما ساراواك فقد رجع حاكمها إليها، واستأنف حكمه فيها بعد زوال الاحتلال الياباني، وقد قبل أن تدخل محميته السابقة تحت سلطان التاج البريطاني، وهكذا تحوّلت ساراواك إلى مستعمرةٍ بعد أن كانت محميةً، بعد أن وافق مجلس المحمية على ذلك.

وفي الوقت نفسه حوّلت بورنيو الشمالية إلى مستعمرةٍ بعد انتهاء حكم الإدارة العسكرية البريطانية. وبذا اقتصر مشروع الاتحاد على دول شبه جزيرة الملايو دون الجزر المحيطة بها مثل بينانغ، وسنغافورة، ودون المواقع ذات الأهمية الخاصة مثل مالاقا.

في ٢٦ رمضان ١٣٦٤ هـ (٣ أيلول ١٩٤٥ م) أعطت الخزانة البريطانية موافقتها على سياسة اتحاد الملايو بعد عودتها إليها بعد الحرب، كما وافقت على إرسال بعثة (ماك ميشيل).

وفي ١٧ محرم ١٣٦٥ هـ (٢١ كانون الأول ١٩٤٥ م) أذعن كل السلاطين للشروط الجديدة التي فرضتها عليهم بريطانيا، وإن كان بعضهم قد أبدى بعض التحفّظات غير أنهم كانوا راغبين بإظهار الإخلاص التام للبريطانيين. وأُلغيت كل المعاهدات التي كانت عبر السنوات التي مضت، والتي كان فيها البريطانيون يعترفون بها بحقوق السلاطين، وأصبح الآن دور البريطانيين فقط مساعدة السلاطين لحكم بلادهم، وإن كان الواقع يُشير إلى تلقّي التوجيه، وطلب تنفيذ ما تراه الدولة التي كانت صاحبة السيادة، وتعدّ نفسها أنها هي التي مكّنت لهم، وسلّمتهم المناصب التي يشغلونها الآن، وربما كانوا يُقرّون بذلك ويعترفون.



فطاني
كوتا بهرو
كانغار
ألورستار
قدح
جورج تاون
بينانغ
بيرق
كيلانتون
كوالاترينغانو
ترينغانو
ايبوه
كوانتان
باهانغ
سالانقور
كوالالمبور
سرمبان
مالاقا
جوهور
جوهور بهرو
سنغافورة
الملايو
كيلومتر ٢٥٠ ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠

مصور رقم [١]

ولكن مشروع الاتحاد هذا لم يوضع موضع التنفيذ نتيجة المقاومة العنيفة التي أبداها السكان ضدّه، حيث لم يُوافقوا على الاقتراح أبداً، وخاصةً ما نصّ منه على نقل السلطة من الحكام الملايويين، كما خاف أهل الملايو من موضوع الجنسية إذ خشوا أن يُعطى الصينيون القادمون إلى البلاد جنسية البلاد، وتُصبح لهم السيطرة حيث كانت بريطانيا تنوي هذا لإضعاف شأن المسلمين ونسبتهم، ونتيجة تلك المقاومة فقد سحب مشروع الاتحاد المقترح واستبدل بآخر.

قضى المشروع البديل الذي طُرح عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) أن تتمتع الدول والمقاطعات الملايوية المشار إليها بالمشروع السابق بشخصيتها ضمن اتحادٍ تُديره حكومة قوية، وبقي الحكام يتمتعون بسلطتهم ضمن الاتحاد المزمع قيامه، وأخذت وسائل التنفيذ طريقها.

وضع دستور جديد للملايو عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥م) حيث حُوّلت أكثر مسؤوليات الحكومة الاتحادية إلى المجلس التمثيلي للشعب، وجرت الانتخابات العامة ففاز حزب التحالف برئاسة تنكو عبدالرحمن حيث حصل على ٥١ مقعداً من أصل ٥٢ مقعداً.

وفي النصف الثاني من عام ١٣٧٥ هـ عقد اجتماع في لندن كان الهدف منه دراسة الطرق المؤدّية لقيام حكومةٍ محليةٍ. ونتيجة الاجتماع تمّ التوقيع على اتفاقٍ مُنح بموجبه اتحاد الملايو حق تأليف حكومةٍ وطنيةٍ، وضرورة اتخاذ الترتيبات للوصول إلى الاستقلال قبل نهاية شهر محرم ١٣٧٧هـ (آخر آب ١٩٥٧ م).

وافق المجلس التشريعي على مشروع الدستور الذي وُضع بعد التشاور بين الحكومة المحلية مُمثّلةً لأحزابها وبين الحكومة البريطانية. ووُقّع الاتفاق لقيام اتحاد الملايو من قبل حكام الولايات، ونيابةً عن ملكة بريطانيا وذلك في محرم ١٣٧٧ هـ (آب ١٩٥٧ م). وفي نهاية الشهر أُعلن

استقلال البلاد ٥ صفر ١٣٧٧ هـ (٣١ آب ١٩٥٧ م) وكان دستور الدولة الجديـد واحداً، إذ أصبح الاتحاد مملكةً دستوريةً، وملكها هو «يانك دي بارتوان»، وقد انتخب من قبل حكام الولايات لمدة خمس سنوات، وأصبح الإسلام ديناً للدولة، وقبلت عضواً في الأمم المتحدة في صفر ١٣٧٧ هـ (أيلول ١٩٥٧ م).

وبقي شكل الحكم اتحادياً مع تشريع ازدواجي، وأصبحت الملايو ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

أما شمالي جـزيرة بـورنيو فبعـد مدةٍ قصيـرةٍ من الحكم العسكري البريطاني الذي جاء عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعودة البريطانيين إلى المنطقة إثر هزيمة اليابان، وانسحابها من المناطق التي سبق لها أن احتلّتها أصبحت مقاطعة شمالي بورنيو وجـزيرة لابـوان مستعمرةً يحكمهـا بـريطاني يُسـاعده مجلس استشـاري، واستمرّ ذلـك حتى عـام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) حيث وضع دستور، وانتهى المجلس الاستشاري، وأُقيم مجلس تشريعي، وآخر تنفيذي. وكان الحاكم البريطاني يحكم المستعمرة بمساعدة المجلس التنفيذي الذي يُسمّى (المجلس الأعلى)، والمجلس التشـريعي الذي يُعرف باسم (مجلس الولاية).

وأمـا مقـاطعـة سـاراواك فقــد أصبحت مستعمـرةً عــام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) عنـدمـا تنـازل الحـاكم عن سلطتـه على الـولايـة إلى التـاج البريطاني.

وكـذلـك فـإن سنغـافـورة قـد أصبحت مستعمــرةً عـام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) حتى عام ١٣٧٧ هـ حيث وضع دستور ينصّ على قيام حكـومةٍ محليـةٍ ذات استقلالٍ ذاتيٍ مع إبقاء مسؤوليات الـدفاع والسيـاسة الخـارجية من مهمات الحكومة البريطانية، وأُجريت انتخابات على أساس هذا الدستـور

عـام ١٣٧٩ هـ، وهي أول انتخابـاتٍ جرت في سنغـافورة، وبـذا تكون سنغافورة قد حصلت على الاستقلال الذاتي.

حكم الطوارىء:

بـدأ الإرهاب الشيـوعي بشنّ حملةٍ من الغـارات على المؤسسـات الاقتصـادية، وقتـل الناس، في سبيـل نشر الـذعر، وشـلّ حـركـة البنـاء الاقتصادي في البلاد، فأعلنت الحكومة حالة الطوارىء، وفرضت الأحكام العـرفية، واستمـرّ ذلك مـدة اثنتي عشرة سنـة، وقامت الحكـومة تُـلاحق الشيوعيين، وتُكافح وسائلهم حتى تمكّنت من القضاء على الإرهاب في ٧ صفر ١٣٨٠ هـ (٣١تموز ١٩٦٠ م)، وعندها رفعت حالة الطوارىء.

شمالي بورنيو:

أخذت نسبة الأعضاء غير الموظفين الرسميين تـزداد في المجلسين التشريعي والتنفيذي لولاية شمـالي بورنيـو حتى غدوا الأغلبيـة، وأُجريت الانتخابات لأعضاء السلطة التشريعية للدولة في شهر ذي القعدة ١٣٨٢ هـ (نيسان ١٩٦٣ م).

وفي شهر ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (آب ١٩٦٣ م) وقبل أن تنضمّ إلى اتحاد ماليزيا تشكلت حكـومة بـرئاسـة رئيس للوزراء عـوضاً عن الحـاكـم البريطاني. كما أن السلطة التشريعية كان غالبية أعضائها قـد وصلوا إلى منصبهم بطريق الانتخاب، وهكذا وصلت إلى مرحلة الحكم الذاتي.

ساراواك:

وضع دستور جديـد لولاية ساراواك في مطلع عـام ١٣٧٦ هـ (آب ١٩٥٦ م)، وتمّ بموجبه انتخاب الأعضاء بالأغلبية، وبعد ثلاثة أعوامٍ أصبح

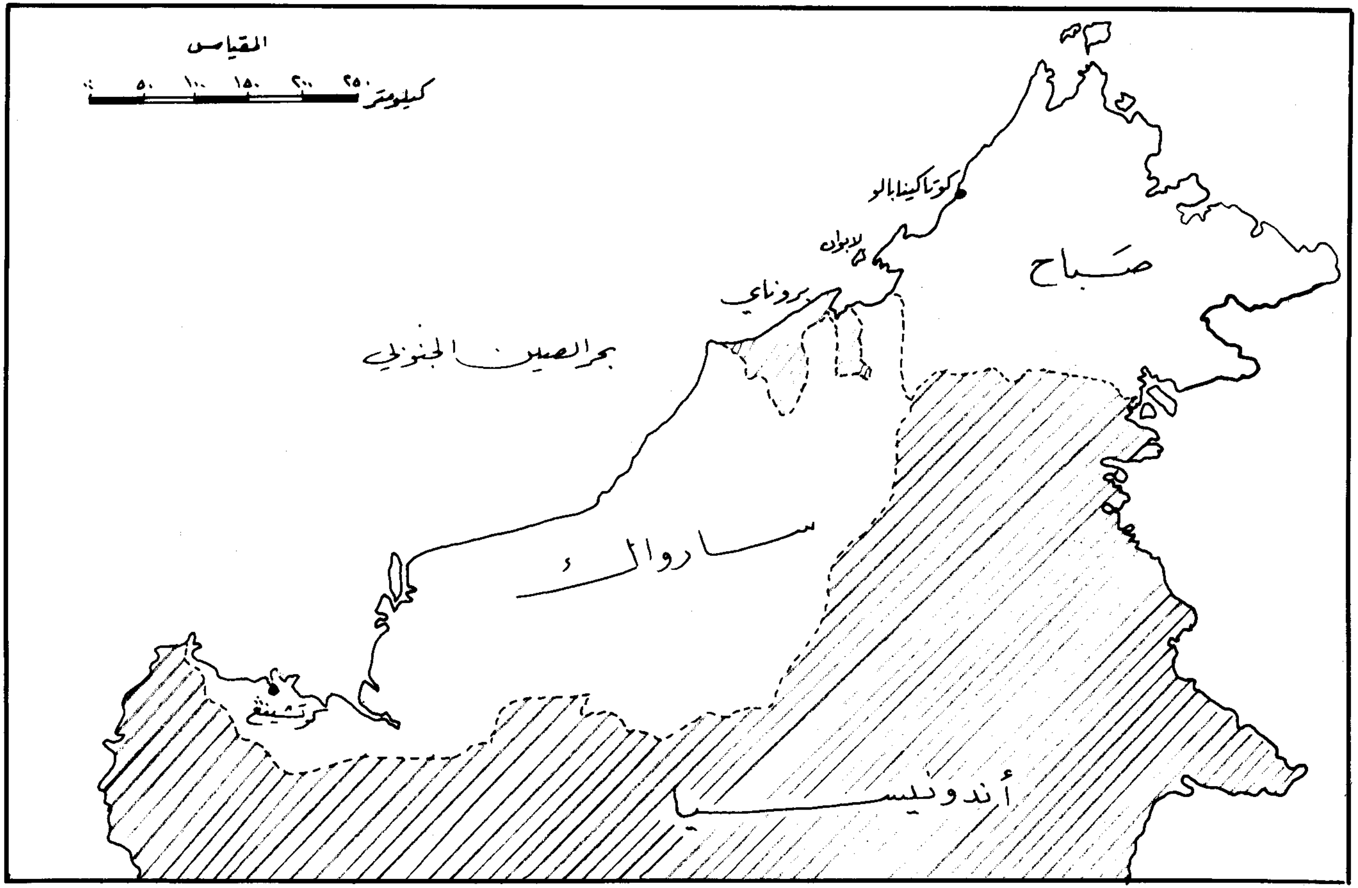
أعضاء الأقسام والمجالس الاستشارية يقومون باختيار أعضاء مجلس الولاية فيما بينهم.

وفي شهر شوال ١٣٨٢ هـ (آذار ١٩٦٣ م) قام مجلس الولاية بتعديل الدستور من أجل تحقيق الحكم الذاتي الشامل.

وأُجريت الانتخابات في ٢٥ ربيع الأول ١٣٨٣ هـ (١٥ آب ١٩٦٣ م)، ونجح حزب التحالف المؤيد لإقامة دولة اتحاد ماليزيا، وكان نجاحه كبيراً.

وهكذا أصبح اتحاد الملايو مستقلاً، وتتمتع كل من سنغافورة، وشمالي بورنيو، وساراواك بالاستقلال الذاي، وأصبح من الممكن طرح فكرة الاتحاد الماليزي العام.

وأظهرت بريطانيا أنها لا ترضى عن قيام أحزابٍ طائفيةٍ، وخصّت الإسلامية ـ حسب مصطلحها ـ ولا عن قيام أحزابٍ اشتراكيةٍ ما دامت تنظر إلى أمةٍ ملايويةٍ واحدةٍ.


المقياس
كيلومتر
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كوتاكينابالو
لابوان
بروناي
صباح
بحر الصين الجنوبي
ساراواك
كوتشينغ
أندونيسيا

مصور رقم [٢]

الفصل الثاني

الاستقلال

اقترح رئيس وزراء الملايو تانكو عبدالرحمن في ١٠ شوال ١٣٨٠ هـ (٢٧ آذار١٩٦١ م) العمل على توصّل الملايو مع بريطانيا، وشعوب بلاد سنغافورة، وبورنيو الشمالية، وبروناي، وساراواك إلى اتفاقٍ لوضع مخططٍ يهدف إلى إيجاد تعاونٍ سياسيٍ واقتصاديٍ بين هذه البلدان يُؤدّي إلى وحدتها ما دامت كلها تعود إلى أصلٍ واحدٍ. ولقد تجاوب الزعماء في كلٍ من سنغافورة، وبورنيو الشمالية، وساراواك مع هذا الاقتراح، وتبع ذلك محادثات بين الحكومات والممثلين الشعبيين، وأُعلن الاتحاد بموجب استفتاء جرى في ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ (أيلول ١٩٦٢ م)، ولقد أيّدت هذا المشروع المجالس التشريعية في بورنيو الشمالية وساراواك، ولكن حكومة بروناي لم تُقرّر الدخول في هذا الاتحاد.

عقد أخيراً اتفاق ماليزيا بين اتحاد الملايو، وسنغافورة، وساراواك، وبورنيو الشمالية وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في بورنيو الشمالية التي أصبح يُطلق عليها اسم (صباح) وفي ساراواك، وسنغافورة من يد البريطانيين إلى حكومة ماليزيا بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م)، كما وضّح الاتفاق العلاقات بين سنغافورة والاتحاد الجديد.

ولكن سنغافورة عادت فانسحبت من الاتحاد، ولم يمض عامان على قيامه.

وكانت كل من أندونيسيا والفيليبين تُعارض الاتحاد، فأندونيسيا ترى أن جزيرة بورنيو كلها أندونيسية، ولذا فهي لا تسمح بأن تنتزع منها أجزاؤها الشمالية، وتُمانع في ضمّ تلك الأجزاء إلى ماليزيا أو أية دولةٍ أخرى، وأما دولة الفيليبين فلها أطماع في شمالي جزيرة بورنيو، وخاصة بروناي حيث يتوفّر النفط، لذا فهي تُعارض في ضمّ تلك الأجزاء إلى ماليزيا، أو إلى أندونيسيا، أو استقلالها وإبعادها عنها.

وبعد اجتماعاتٍ متكررةٍ أعلنت أندونيسيا والفيليبين أنهما تُوافقان على قيام اتحاد ماليزيا فيما إذا وافق شعبا صباح وساراواك على قيامه، حيث لا تعارضان رغبات الشعوب، ولكن تشترطان على الإبقاء على الحكم الذاتي فيهما، إذ تأمل كلتاهما بفرض عقد الاتحاد بعد مدةٍ أو ترغبان بالإبقاء على جزءٍ من الأمل للمستقبل.

وحتى يحصل الاتحاد على موافقة أندونيسيا والفيليبين بقيامه وافق على تحقيق رغبات كلتا الدولتين، وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة التأكّد من رغبات شعبي صباح وساراواك في قيام الاتحاد، وحمل الأمين العام المسؤولية على عاتقه، وقام بالمهمة، وفي ٢٤ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٣ أيلول ١٩٦٣ م) رفع الأمين العام إلى الأمم المتحدة تقريراً يُؤكّد فيه دعم شعبي صباح وساراواك لاتحاد ماليزيا الذي أصبح واقعياً في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٦ أيلول ١٩٦٣ م).

ولكن أندونيسيا بالواقع لم ترض عن قيام اتحاد ماليزيا، وقد أعلن أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا آنذاك عن مجابهة ماليزيا، وتدخّلت الأمم المتحدة في ذلك، وشكّل سوكارنو فرقاً شبه عسكرية لسحق ماليزيا، غير أن هذه الفرق قد استغلّتها العناصر الشيوعية في تدريبها

وتسليحها، وأسرعت في إعلان ثورتها عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، ولكن هذه الثورة قد فشلت، ونُحّي سوكارنو إثرها عن الحكم حيث اتهم بدعم تلك الثورة. وبعد سقوط سوكارنو أُلغيت فكرة المجابهة، وحدث الاتفاق بين ماليزيا وأندونيسيا، وعادت أندونيسيا للأمم المتحدة، وكانت قد تركتها بسبب انتخاب ماليزيا عضواً في مجلس الأمن.

لم تكن حكومة الملايو تخشى انضمام سنغافورة إليها خوفاً من طغيان العنصر الصيني الموجود في سنغافورة إضافةً إلى ما هو موجود في الملايو، ولا من سيطرة الشيوعية إذ أن الأمن كان لا يزال من مهمة بريطانيا، ولكن تانكو عبدالرحمن رئيس الحكومة الملايوية كان يتوقّع أن استقلال سنغافورة إذا تمّ فسيسيطر عليها الشيوعيون، وستتخذ قاعدةً للهجوم على الملايو، لذا فأفضل حلٍّ هو دمجها مع الاتحاد الملايوي.

وكانت حكومة الملايو ترى من وجهة نظرٍ ثانيةٍ أن انضمام شمالي جزيرة بورنيو (صباح، ساراواك، بروناي) سيُعيد توازن العنصر العرقي بسبب العنصر الملايوي هناك.

وفي رمضان ١٣٨١ هـ (أوائل عام ١٩٦٢ م) صوّتت الفيليبين ضدّ اتحاد ماليزيا، إذ كان رئيس الفيليبين (ماكابغال) يعدّ شمالي جزيرة بورنيو جزءاً من الفيليبين، ويدّعي أن ذلك الجزء كان عام (١٨٧٨ م) يتبع جزر صولو التي هي جزء من الفيليبين، وأن انفصال شمالي بورنيو عن صولو إنما كان على صورة استئجارٍ لا على أساس بيعٍ، وكانت الشركة البريطانية تدفع دفعاتٍ نظاميةً سنويةً.

وفي شهري صفر وربيع الأول ١٣٨٢ هـ (تموز وآب ١٩٦٢ م) جرت لقاءات بين رؤساء أندونيسيا والملايو والفيليبين في مانيلا من أجل الوصول إلى صيغةٍ من التسوية، ولكن من غير فائدة.

وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (١٦ أيلول١٩٦٣ م) أُعلن الاتحاد الماليزي، وقطعت كل من أندونيسيا والفيليبين علاقتها مع دولة الاتحاد التي نشأت، وجرت اشتباكات وغارات على الحدود في بورنيو.

وفي أوائل عام ١٣٨٥ هـ (أواسط عام ١٩٦٥ م) انتخب (ماركوس) رئيساً للفيليبين، وسقط (ماكابغال) وتبدّلت السياسة العامة، وتحسّنت العلاقات مع ماليزيا بعد جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ (أيلول ١٩٦٥ م) وفي شهر صفر ١٣٨٦ هـ (حزيران ١٩٦٦ م) اعترفت الفيليبين باتحاد ماليزيا، وفي ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ (آب ١٩٦٦ م) وقعت اتفاقية سلامٍ بين الطرفين.

سنغافورة:

كان حزب العمل الشعبي هو صاحب النفوذ في سنغافورة، وكان رئيسه المحامي (لي كوان يو)، وفي الانتخابات التي جرت هناك عام (١٩٦٣ م) حصل الحزب على سبعة وثلاثين مقعداً من أصل واحدٍ وخمسين مقعداً في المجلس التشريعي السنغافوري.

وحصل خلاف بين هذا الحزب وبين حزب التحالف الملايوي في انتخابات شبه جزيرة الملايو، وقد نجح حزب التحالف، وحصل على تسعةٍ وثمانين مقعداً من أصل مائةٍ وتسعةٍ وخمسين مقعداً في المجلس التشريعي في شبه جزيرة الملايو.

وجرت محاولة للتفاهم بين الحزبين في جمادى الأول ١٣٨٤ هـ (أيلول ١٩٦٤ م) ولكن من غير فائدة، فقرر بعدها حزب العمل الشعبي مخاصمة حزب التحالف أي الحكومة الماليزية. وشكّل حزب العمل الشعبي حلفاً ضمّ عدداً من أحزاب المعارضة، وكان أكثر هذه التركيبة من العنصر الصيني، وهذا ما جعل الصراع عرقياً، ورأت ماليزيا أن انسحاب سنغافورة من الاتحاد إنما هو في مصلحته.

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ (٩ آب ١٩٦٥ م) استطاع ممثلو البيت الماليزي (ديوان راكات) إقرار لائحة تعديل دستوري يمكن فيها لسنغافورة الانسحاب من الحزب.

شمالي جزيرة بورنيو:

منح حزب التحالف الملايوي مدة أطول لمقاطعات شمالي بورنيو لتتمشّى مع سياسة الملايو، ومنح قطعتين من الأرض لإمارة بروناي تشجيعاً لدخولها في الاتحاد، ووعد قادتها بإعطائهم حكماً ذاتياً أكثر مرونة من صلاحياتهم.

خشي رئيس وزراء الاتحاد تانكو عبدالرحمن من عمل رئيس وزراء ولاية صباح على الانفصال وهو (دونالد ستيفنز) فأبعده عن منصبه وعيّن مكانه داتو مصطفى.

وكان رئيس وزراء ولاية ساراواك (ستيفن كالونغ) يعدّ مجموعة (الأبان) من أكبر المجموعات في الاتحاد، لذا عُزل، وعُيّن مكانه (أبان تاوي سلي) الذي يخضع لرأي كوالالمبور بصورةٍ أفضل.

اتحاد دول جنوب شرقي آسيا:

تمّ تشكيل اتحاد دول جنوب شرقي آسيا في جمادى الأولى ١٣٨٧ هـ (آب ١٩٦٧ م)، وقد ضمّ كلًّا من: أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، الفيليبين، تايلاند، ومن أهدافه المدوّنة تعضيد التعاون بين دول هذه المنطقة من أجل تحقيق التقدّم الاجتماعي والاقتصادي.

الدستور:

ماليزيا اتحاد يتألف من دول الملايو التسع: جوهور، قدح، كيلانتون، ترينغانو، بيرق، باهانغ، نيغري سمبلان، سلانغور، بيرليس،

ومن المحميات البريطانية السابقة: مالاقا، بينانغ، ومن المستعمرات البريطانية السابقة: صباح، ساراواك.

وعلى الرغم من أن دساتير هذه الدول الأعضاء في الاتحاد تختلف بعضها عن بعض في بعض التفصيلات، فإن أسسها واحدة، وهي المحافظة على نظام الحكم الملكي الذي يعتمد على الحياة النيابية، وينتخب الرئيس الأعلى لماليزيا، وهو الملك، من قبل مجلس الحكام لمدة خمس سنوات.

ويتألف المجلس النيابي الاتحادي لماليزيا من مجلسين: مجلس الشيوخ، ومجلس الممثلين.

يتألف مجلس الشيوخ من ٦٨ عضواً منهم ٢٦ عضواً منتخباً، عضوين عن كل دولةٍ عضوٍ في الاتحاد، ومن ٤٢ عضواً معينين من قبل الملك.

أما المجلس التمثيلي فيتألف من ١١٤ عضواً من دول اتحاد الملايو الإحدى عشرة، نصفها ينتخب من قبل الشعب، والآخر يُعيّنه الملك، ومن ٢٤ عضواً من ساراواك، و١٦ عضواً من صباح، وبذا يكون مجموع أعضاء المجلس التمثيلي ١٥٤ عضواً[1].

ويُعيّن الملك رئيس مجلس الوزراء الذي يختار الوزراء الذين يجب أن يكونوا أعضاء في المجلس التمثيلي، ويوافق عليهم الملك.

ويكون رئيس الوزراء هو الرئيس التنفيذي للحكومة الاتحادية. وقد

---

(١) ثم عدّل هذا، وأصبح يتألف من ١٣٢ عضواً من شبه جزيرة الملايو، و٢٤ عضواً من ساراواك و٢١ عضواً من صباح، يكون العدد الكلي هو ١٧٧ عضواً، وفي الانتخابات القادمة سيرتفع عدد أعضاء ممثلي ساراواك إلى ٢٧ عضواً ليكون العدد الإجمالي هو ١٨٠ ممثلاً.

اختير أول رئيس للوزراء تانكو عبدالرحمن، أما الملك الأول فكان اليانغ دي برتوان أغونغ، وهو ابن سيد حسن جمال الليل.

وتتمّ الانتخابات كل خمس سنواتٍ، وتجري من الاستقلال إلى الآن بشكلٍ رتيبٍ. والسلطة بيد تحالفٍ يشمل معظم الأحزاب في البلاد باستثناء الحزب الإسلامي وحزب العمل الديمقراطي.

الاضطرابات:

بعد الانتخابات الثالثة التي جرت منذ الاستقلال أي عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) حدثت اضطرابات عنصرية داخلية، واضطرت الحكومة إلى إعلان حالة الطوارىء، وتشكيل مجلس وطني للعمليات لإدارة البلاد، وللسيطرة على الأوضاع. وقد عُرفت تلك الاضطرابات بحوادث (١٣ آيار). وتنازل إثرها تانكو عبدالرحمن عن رئاسة الوزارة، كما ضمّ إليه حزب التحالف بعض عناصر المعارضة، وعرف بعد ذلك باسم الجبهة الوطنية، ولا تزال هي الحزب الحاكم إلى اليوم.

وبعد عامٍ عادت المشاغبات الداخلية العرقية التي نشأت عن رفض ماليزيا لسيطرة العنصر الصيني على اقتصادها، ورفضها نتائج الانتخابات التي تُؤيّد ذلك العنصر، مما عجّل باستقالة تانكو عبدالرحمن من رئاسة وزراء الملايو، ثم من رئاسة وزراء الاتحاد.

تون عبدالرزاق:

خلف تانكو عبدالرحمن، وامتص نقمة المعارضة، وجذبها إلى حزب التحالف، فشكّل الجبهة الوطنية من عشرة أحزاب، وتوفي في ١٣ محرم ١٣٩٦ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٦ م).

حسين بن عون بن جعفر:

خلف تون عبدالرزاق في رئاسة الوزارة. وكان الأمن في ماليزيا مُهدّدا دائماً من قبل الحركة الشيوعية، واستفاد المسؤولون أيضاً من هذا التهديد، فكل خصم لهم اتهموه بالشيوعية، وقاتلوه تحت هذا العنوان، وأبعدوا عنه الأتباع تحت هذا الشعار، وأشاع المستعمرون الصليبيون عن المسلمين أنهم من الشيوعيين، ووضعوا حركاتهم تحت هذا الصنف.

كان المسلمون في فطاني، وهي المنطقة الملايوية التي تقع في قبضة الاستعمار التايلندي البوذي، يثورون على مستعمريهم، ويتلقّون بعض المساعدات من إخوانهم الماليزيين، وإذا ما اشتدّ الضغط عليهم لجؤوا إلى أراضي ماليزيا أيضاً، وخاصةً إلى ولاية كيلانتون التي تجاور أرضها ديارهم، والحزب الإسلامي هو القوي فيها، وهو الحاكم في هذه الولاية، ومن هنا كان الدعم، وكانت المساعدات، ومن هنا أيضاً كانت الاتهامات، وكانت النقمة. ومن سوء حظ الشعب المسلم في فطاني أن شرذمةً صغيرةً من الحزب الشيوعي الملايوي الصيني قد لجأت إلى الغابات على الحدود بين فطاني وماليزيا، ليستظل بمظلّة المجاهدين المسلمين في فطاني. وكانت الحكومة الماليزية تطالب حكومة تايلند بإلقاء القبض على المتمردين الشيوعيين، فتقوم السلطات التايلندية بمطاردة وسحق المجاهدين المسلمين باسم ملاحقة الشيوعيين. وبدأت أعمال المجاهدين منذ عام **١٣٨٩ هـ** (**١٩٦٩ م**)، وكان المجاهدون الفطانيون يتهمون رئيس وزراء ماليزيا تانكو عبدالرحمن بممالأة التايلنديين لأن أمه منهم، وعندما انتهى سلطانه، وجاء تون عبدالرزاق توسّموا به خيراً، إلا أنهم صدموا عندما أعلن أنه سيقمع كل حركةٍ يقوم بها المجاهدون في تايلند بكل شدّةٍ وعنفٍ.

ولما كانت حكومة ماليزيا غير قادرةٍ على وقف عمليات الإرهاب الشيوعي لذا لجأت إلى التعاون مع حكومة تايلند، وهذا ما خفّف تدريجياً

من نشاط المجاهدين في تايلند، والمتمردين الشيوعيين في ماليزيا وخاصةً في مناطق الحدود المشتركة بينهما.

وفي عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) صدر عفو عام من قبل حكومة تايلند عن كل متمردي الحزب الشيوعي الملايوي الـذين استسلموا للسلطات، وفي جمادى الأولى ١٤١٠هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) وبعد عام من المفاوضات مع حكومة تايلند وافق ١١٨٨ عضواً من أعضاء الحزب الشيوعي الملايوي الباقين على إيقاف كل عمليات الإرهاب، وأدّت معاهدة السلام التي وقعّها زعيم الحزب الشيوعي المعارض وممثلون عن حكومتي ماليزيا وتايلند إلى عودة المتمردين الشيوعيين إلى ماليزيا، واشتراكهم في النشاطات السياسية بصورةٍ شرعيةٍ.

ولكن الأمر سهل بالنسبة إلى الشيوعيين حيث يمكن التفاهم، ويمكن التعاون، ويمكن اللقاء على كل الموائد، أما الأمر الذي لا يمكن السكوت عنه، ولا يمكن التساهل عنه فهم المسلمون حيث الأحقاد منصبة عليهم، والنقمة قائمة ولا يجلسون على مائدة، وقد عملت تايلند على سحقهم من طرفها. وفي ماليزيا طرد الوزير الأول في ولاية كيلانتون من منصبه، وهو من الحزب الإسلامي المـلايوي (P.M.I.P) وذلـك في شهر ذي القعـدة ١٣٩٧هـ (تشرين الأول ١٩٧٧ م)، وأدّى ذلك إلى قيام اضطرابات أعلنت في إثرها حالة الطوارىء من قبل الحكومة المركزية، ثم طُرد الحزب الإسلامي من الجبهة الوطنية في مطلع عام ١٣٩٨ هـ (كانون الأول ١٩٧٧ م).

وأثناء الانتخابـات الاتحاديـة عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) قـام حسين عون رئيس الوزراء بإصلاحاتٍ في وضع الجبهـة الوطنيـة إلا أن الحزب الإسلامي بقي يُعاني من إهمالٍ حادٍ، وعدم اعتبار.

ورفضت الحكومة الاتحادية في هذا العام إقامة جامعةٍ صينيةٍ فعادت الخلافات العنصرية تظهر من جديد.

سري محاذير محمد:

كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء الاتحادي منذ عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م)، وفي شهر رمضان من عام ١٤٠١ هـ (تموز ١٩٨١ م) أصبح رئيساً للوزراء خلفاً لحسين عون.

جرت الانتخابات النيابية في جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ (نيسان ١٩٨٢ م) وفازت الجبهة الوطنية بأكثر الأصوات في الولايات كلها مما زاد من قوتها السياسية، غير أن الحكومة قد أصبحت في وضعٍ حرجٍ في العام التالي إذ تورّط بعض الوزراء في فضائح مصرفيةٍ مخزيةٍ، وكان مصرف بيمبوترا (Pumputra) وهو من أكبر مصارف ماليزيا ظهر أنه قد أعطى قروضاً كبيرةً بطريقةٍ غير مشروعة لإحدى شركات (هونغ كونغ).

وأُعيد انتخاب الدكتور سري محاذير محمد رئيساً للوزراء دون منافس في شعبان ١٤٠٤ هـ (أيار ١٩٨٤ م).

وفي انتخابات ولاية صباح التي جرت في رجب ١٤٠٥ هـ (نيسان ١٩٨٥ م) حصل حزب صباح الاتحادي (P.B.S) على أكثر من نصف الأصوات، وبهذا أصبحت ولاية صباح هي الولاية الوحيدة التي لا تحكمها الجبهة الوطنية، واعترض المسلمون على شرعية حكومة حزب صباح الاتحادي مما أدّى إلى الدعوة إلى انتخاباتٍ جديدةٍ في جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (شباط ١٩٨٦ م) ففاز الحزب الحاكم بأغلبية الأصوات أيضاً. وفي ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ (تموز ١٩٨٦ م) وافقت الجبهة الوطنية على ضمّ حزب صباح الاتحادي إلى وحدتها الحاكمة. كما ضمت أيضاً المنظمة الوطنية لاتحاد صباح والتي كانت قد أُخرجت من الجبهة قبل عامين.

الخلاف في الحكومة:

اهتزت الحكومة الاتحادية برئاسة سري محاذير محمد وكذلك

المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو وذلك نتيجة استقالة نائب رئيس الوزارة موسى هيتام من منصبه بسبب خلافات جذرية مع رئيس الوزراء. وعلى الرغم من أن موسى هيتام قد عاد إلى منصبه إلا أن مؤيديه قد زادوا من انتقاداتهم لرئيس الوزراء مما وسّع الفجوة بين الفريقين.

وفي الانتخابات العامة التي جرت في ذي الحجة عام ١٤٠٦ هـ (آب ١٩٨٦ م) قبل موعدها الرسمي بتسعة شهور حازت الجبهة الوطنية على ١٤٨ مقعداً من أصل ١٧٧ مقعداً. حصلت منها المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو على ٨٣ مقعداً، والمنظمة الصينية الملايوية على ١٧ مقعداً، وأما حزب الحركة الديمقراطية، وهو من الأحزاب المعارضة فقد حصل على ٢٤ مقعداً. وفي انتخابات الولايات التي جرت في الوقت نفسه بقيت سلطة الجبهة الوطنية على الولايات كلها، وبعد الانتخابات العامة أبعد كل الوزراء الذين دعموا موسى هيتام.

وفي انتخابات المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو واجه رئيس الوزراء محاذير محمد تحدّياً شديداً من تانكو رازالي حمزة وزير التجارة والصناعة، ورغم ذلك فقد تمّ انتخاب محاذير محمد رئيساً للمنظمة للمرة الثالثة، وبهذا بقي في منصبه رئيساً للجبهة الوطنية وبالتالي رئيساً للوزراء، وإن كانت شعبيته قد ضعفت، وكذلك انتخب عبدالغفار بابا نائباً لرئيس المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو، المنصب الذي كان يشغله موسى هيتام. وبعد مدة أعلن رئيس وزراء الحكومة الاتحادية الدكتور محاذير محمد استقالة رازالي حمزة ووزير الخارجية ريس ياتم، وعدد من الوزراء الذين دعموا رازالي حمزة.

استمرّ النقد ضدّ سلطة محاذير محمد موجّهاً من المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو نفسها، ومن مجموعاتٍ سياسيةٍ أخرى، وفي الوقت نفسه برزت من جديد العصبيات العنصرية، واشتدّ الخلاف حول تدريس اللغة الصينية، والدين. وحدثت انقسامات في الجبهة الوطنية (الحزب الحاكم)، وتشكل في ولاية ساراواك حزبٌ سياسيٌ مستقلٌ في رجب ١٤٠٧ هـ (آذار

١٩٨٧ م)، إلا أن سلطة الجبهة الوطنية ما لبثت أن عادت ثانيةً إلى السلطة في الانتخابات التي جرت في شعبان ١٤٠٧ هـ (نيسان ١٩٨٧ م)، ولكن بعددٍ أقلّ من الأصوات.

وفي شهر صفر من عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الأول ١٩٨٧ م) حجزت الحكومة أكثر من مائةٍ وستة أشخاص، ووضعوا تحت الرقابة لمنع عمليات الشغب والعنف بين الملايويين والصينيين بسبب بعض الخلافات الدينية. وينتمي المحتجزون إلى الأحزاب السياسية جميعها تقريباً، ومنهم زعيم المعارضة (ليم كيت سيانغ) هذا بالإضافة إلى عددٍ من المحامين والصحفيين، وعُطّلت ثلاث صحفٍ، ومُنعت التجمّعات السياسية.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م) صدر قانون يقضي بإنزال أشدّ العقوبات على الناشرين والصحفيين الذين ينشرون أخباراً كاذبةً، وصدر قانون آخر أعطى وزير الإعلام الصلاحية في مراقبة البثّ الإذاعي والتلفزيوني، وصلاحية سحب رخصة أي شركة بث لا تلتزم بالقيم الماليزية - حسب تسمية القرار - وفي جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م) أُطلق سراح جميع المحتجزين باستثناء (ليم كيت سيانغ) زعيم المعارضة، وابنه فقد بقيا حتى رمضان ١٤٠٩ هـ (نهاية نيسان ١٩٨٩ م).

وفي جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) توصّلت المحكمة العليا إلى أن انتخابات المنظمة لاتحاد الملايو التي جرت عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) لم تكن شرعية، ولهذا أعلنت المحكمة أن هذه المنظمة غير قانونية لأن ما حدث لم يكن انتخاباً أبداً، فأعلن رئيس المنظمة محاذير محمد، رئيس الوزارة الاتحادية، أن قرار المحكمة العليا لم يكن ليؤثّر على شرعية الحكومة، ولا على رئيسها، وأيّده في ذلك تانكو محمود اسكندر. وأعلن محاذير محمد عن تشكيل منظمةٍ جديدةٍ لاتحاد الملايو، عُرفت باسم (u.m.n.o. Brau) وقال: إن على أعضاء المنظمة القديمة أن يُعيدوا

انتسابهم فيما إذا أرادوا الانضمام إلى المنظمة الجديدة. ثم أعلن أن رازالي حمزة ومُؤيّديه ليسوا أعضاءً في المنظمة الجديدة، وبعد المقاضاة نقلت كل موجودات المنظمة القديمة وأثاثها إلى المنظمة الجديدة.

وفي رجب ١٤٠٨ هـ (آذار ١٩٨٨ م) احتدم الخلاف بين السلطة التنفيذية والسلطة القضائية بسبب موافقة المجلس النيابي على الحدّ من صلاحيات السلطة القضائية والحيلولة دون إصدار قوانين من نفسها، ولهذا كتب رئيس المحكمة العليا تون محمود صالح بن عباس لرئيس الدولة يشتكي له من محاولات الحكومة للحدّ من صلاحيات السلطة القضائية.

وفي رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) مُنع محمود صالح بن عباس عن ممارسة صلاحياته ومنصبه انتظاراً لقرار المحكمة العليا التي عُيّن لرئاستها تون سري عبدالحميد عمر.

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م) صدر قرار المحكمة، وعُزل محمود صالح بن عباس من منصبه. وهنا طالب أعضاء القنصلية الماليزية باستقالة عبدالحميد عمر، ألا أن رئاسته للمحكمة العليا قد ثبتت في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م).

وفي رمضان عام ١٤٠٩ هـ (نيسان ١٩٨٩ م) رفضت المحكمة العليا التوقيع على طلب من القنصلية الماليزية نظراً لموقف القنصلية من عبدالحميد عمر. وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) عملت على الحدّ من السلطة القضائية بشكلٍ أوسع فأصدرت قانوناً أمنياً يحول دون التجاء الأشخاص الذين سبق لهم أن احتجزوا إلى القضاء.

وفي محرم ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م) كانت نتيجة الانتخابات التي جرت في عاصمة ولاية جوهور في غير صالح محاذير محمد وفي صالح معارضيه، ولكن التي جرت في جهاتٍ أخرى انتهت بفوز المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو التي يرأسها محاذير محمد. وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ

(أواخر أيلول ١٩٨٨ م) ترك ثلاثة عشر عضواً الجبهة الوطنية، وانضمّوا إلى المعارضة التي يقودها موسى هيتام، ورازالي حمزة.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (كانون الأول ١٩٨٨ م) قام موسى هيتام ومُؤيّدوه بوضع ستة شروط للموافقة على الانضمام إلى المنظمة الوطنية الجديدة، وأهم هذه الشروط:

١ ـ الموافقة الفورية على قبول أعضاء المنظمة القديمة أو الأصلية.

٢ ـ إعادة المناصب إلى الأفراد التي حازوا عليها في انتخابات (١٩٨٧ م).

٣ ـ العمل على إعادة المنظمة الأصلية.

وقد وافقت المنظمة الجديدة على هذه الشروط في جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ (كانون الثاني ١٩٨٩ م)، والتزمت بها في ولاية جوهور.

كانت جمعية الصينيين الملايوية (M.C.A) قد فقدت الكثير من مُؤيّديها منذ عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) بسبب المشكلات الداخلية، وبسبب عجز الحكومة عن الوفاء بوعودها للجمعية إلا أن دعم المنظمة الوطنية الجديدة لتلك الجمعية جعلتها تتمكّن من الوقوف على أرجلها، وتتغلّب على معارضيها.

ولما أُعلن أن موسى هيتام عضو في المنظمة الوطنية الجديدة شجّع هذا الإعلان ثمانية أعضاء من المنشقّين للانضمام إلى المنظمة في ولاية جوهور.

وفي شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أقامت الحكومة التي أسّسها رازالي حمزة حلفاً مع معارضها الأساسي «الحزب الإسلامي الماليزي» والذي كان عضواً في الجبهة الوطنية حتى أُخرج منها بجهود رازالي حمزة عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

وفي شوال ١٤٠٩ هـ (أيار ١٩٨٩ م) أسّس رازالي حمزة حزباً أسماه (روح الـ «٤٦») إشارةً إلى عام (١٩٤٦ م) الذي تأسّست فيه (المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو الأصلية).

وافقت الحركة الديمقراطية على التعاون مع روح الـ (٤٦) ومع الحزب الإسلامي الماليزي، وفي ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) انّضمت الجماعة الإسلامية الماليزية إلى روح الـ (٤٦)، وتركت الجبهة الوطنية، ثم شكّلت هذه الجماعات كلها حركة الاتحاد الإسلامي (A.P.U)، وفازت هذه الحركة بالانتخابات، ولكن عادت للجبهة الوطنية قوتها، وفازت بالانتخاباتِ عدّة مراتٍ.

ولاية صباح:

استقال نائب رئيس وزراء صباح (كودينغ) من منصبه في حزب اتحاد صباح، وانضمّ إلى حزب (A.K.A.R) الذي حاول الانضمام إلى الجبهة الوطنية على المستوى الاتحادي رغم أن ولاية صباح مستقلة.

المجتمع الهندي في ماليزيا:

في شهر ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) استطاع سامي قالو أن يبرز بين الهنود في ماليزيا، وأن يُدافع بحماسةٍ لرئاسته لذلك المجتمع، ويُعلن عن أهمية هذا المجتمع، إذ يُعدّ العضو الثالث في الجبهة الوطنية، وكانت المنافسة قويةً بين سامي قالو وبين النائب سوبرمانيان، ويبدو أن تفوّق سامي قالو قد بدا في أول الأمر بتأييد الأمين العام لحزب المؤتمر الهندي ڤيجاندران، غير أن الأمر لم يلبث أن تبدّل عندما وقع ڤيجاندران في عدة فضائح أخلاقية ألزمته إلى ترك مناصبه السياسية الأمر الذي أضعف من شأن سامي قالو.

وفي جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (كانون الأول ١٩٨٩ م) عقد محاذير محمد ورازالي حمزة عدة لقاءات في سبيل رأب الصدع الذي حدث في المجتمع الملايوي، إلا أن ذلك لم يؤدِّ إلى نتائج حميدة، وفي نهاية الشهر نفسه أعلن محاذير محمد عن تعيين عبدالغفار بابا نائباً له.

مشكلة فيتنام:

منذ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) وماليزيا تستقبل اللاجئين الفيتناميين، وتنتظر إعادتهم إلى الغرب حسب أقوال وادعاءات الدول التي كانت تتبنّى مساعدتهم، ثم تبيّن بوضوح في شهر شعبان ١٤٠٩ هـ (آذار ١٩٨٩ م) أن هذه الدول لا تريد استقدامهم إليها، كما أنها لا تعمل بجديةٍ في سبيل إعادتهم، وهذا ما دعا منظمة دول جنوب شرقي آسيا إلى العمل على فرز هؤلاء اللاجئين إليها لمعرفة اللاجئين حقيقةً من الهاربين في سبيل البحث عن وضعٍ اقتصادي أفضل، وقد وافق مجلس الأمم المتحدة على هذا القرار. وقد منعت ماليزيا في ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) دخول سفينتين تحملان أكثر من ألفي لاجىء من الرسو في موانئها أو دخول أي لاجىءٍ إلى بلادها.

وفي رجب ١٤١٠ هـ (شباط ١٩٩٠ م) جرت مباحثات في هانوي عاصمة فيتنام بين ماليزيين رسميين وفيتناميين لمناقشة اللاجئين الفيتنام، وقضايا أخرى تجارية واقتصادية.

وهكذا يتبيّن أن أكثر أحداث اتحاد ماليزيا إنما هي داخلية، وأن الأحداث الخارجية التي تعيشها تعدّ قليلةً.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة اتحاد ماليزيا ٣٣٠,٤٣٤ كيلومتر مربعاً، وهذه المساحة في منطقتين تفصل بينهما مسافة ٧٥٠ كيلومتر، المنطقة الأولى شبه جزيرة الملايو، وتبلغ مساحتها ١٣١,٥٨٧ كيلومتراً مربعـاً، وتضمّ إحدى عشـرة ولايـةً، وشمالي جـزيرة بـورنيو حيث يـوجد ولايتـان تبلغ مساحتهمـا معاً ١٩٨,٨٤٧ كيلومتراً مربعاً، إذ تبلغ مساحة ولاية صبـاح ٧٤,٣٩٨ كم٢ ، بينما تبلغ مساحة ولاية ساراواك ١٢٤,٤٤٩ كم٢ .

شبه جزيرة الملايو	١٣١,٥٨٧	كيلومتراً مربعاً
شمالي جزيرة بورنيو	١٩٨,٨٤٧	كيلومتراً مربعاً
المجموع	٣٣٠,٤٣٤	كيلومتراً مربعاً

وهذا يعني أن الجزء الماليزي الذي يقع في شمالي جزيرة بورنيو هو أكبر مساحةً بمرة ونصف من مساحة شبه جزيـرة الملايـو التي هي أصل الاتحاد الذي يحمل اسمها أيضاً.

ويبلغ عدد السكان ١٦,٧٠٠,٠٠٠ شخص حسب تقديرات عام ١٤١٢ هـ (١٩٩١ م)، ولكن سكان شبه جزيرة الملايو يشكلون ٨٢٪ من مجموع السكان، ولا يزيد سكان قطاع شمالي جزيرة بورنيو على ١٨٪ من المجموع العام، فيكون توزّع السكان كالآتي:

شبه جزيرة الملايو	١٣،٦٩٤,٠٠٠	شخص
شمالي جزيرة بورنيو	٣,٠٠٦,٠٠٠	شخص
المجموع	١٦,٧٠٠,٠٠٠	شخص

أ ــ الولايات فهي:

١" ــ في شبه جزيرة الملايو:

	مساحتها كم٢	عدد سكانها	عاصمتها
١ ــ بيرليس	٧٩٥	١٨٩,٣٥٨	كانغار
٢ ــ قدح	٩,٤٢٥	١,٤١٠,٠٠٠	ألورستار
٣ ــ بينانغ	١,٠٠٣	١,٢٦٦,٨٣٠	جورج تاون
٤ ــ بيرق	٢١,٠٠٥	٢,٢٥٦,٣٤٨	ايبوه
٥ ــ كيلانتون	٩,٤٢٥	١,١٢٣,٢٩٦	كوتابهرو
٦ ــ ترينغانو	١٢,٩٥٥	٦٩٤,١١٨	كوالا ترينغانو
٧ ــ باهانغ	٣٥,٩٦٥	٩٨٦,٤٢٤	كوانتان
٨ ــ سالانغور	٨,٢٠٠	١,٨٧٨,٥٢٤	شاه علام

٩ ــ نيغري سمبلان	٦,٦٤٣	٧٢١,٨٦٢	سرمبان
١٠ ــ مالاقا	١,٦٥٠	٥٨٠,٠٣٥	مالاقا
١١ ــ جوهور	١٨,٩٨٥	١,٣٥٨,٧٢٥	جوهور بحرو
العاصمة الاتحادية كوالالمبور	٢٤٤	١,٢٠٠,٤٨٠	كوالالمبور
المجموع	١٣١,٥٧٨	١٣,٦٩٤,٠٠٠	

٢ ــ في شمالي جزيرة بورنيو:

١٢ ــ صباح	٧٤,٣٩٨	١,٦٧٣,٠٠٠	كوتاكينابالو
١٣ ــ ساراواك	١٢٤,٤٤٩	١,٣٣٣,٠٠٠	كوتشينغ

ويبلغ طول سواحل البلاد ٤٨٣٠ كيلومتراً.

الصراع العنصري:

يتألف الشعب الماليزي من مجموعات متعددة، وأهمها:

الملايو	ويُشكّلون ٥٦ ٪	من مجموع السكان
الصينيون	ويُشكّلون ٣٢ ٪	من مجموع السكان
الهنود	ويُشكّلون ١٠ ٪	من مجموع السكان
مجموعات محلية	ويُشكّلون ٢ ٪	من مجموع السكان

وإن كانت هذه النسب تختلف قليلاً بين شطري البلاد.

ولما جاء الاستعمار الصليبي قرّب الصينيين، وشجّع هجرة الكثيرين منهم من الصين إلى ماليزيا، وسلّمهم بعض الأعمال، وأوكل إليهم بعض المناصب فتحسّنت أوضاعهم المعاشية فأخذت موجات منهم تفد إلى البلاد حتى ارتفعت نسبتهم إلى ما هي عليه الآن. كما نشّط المستعمرون الصليبيون تجارة الهنود، وساعدوهم على بناء المخازن والمستودعات، وذلك في سبيل زيادة أعدادهم حتى وصلت نسبتهم إلى هذا الرقم، وكل هذا في سبيل إضعاف نسبة المسلمين وإفقارهم، وعدم الحاجة إليهم. هذا بالإضافة إلى عمل الإرساليات التنصيرية.

وفي سبيل نجاح هذه المهمّة فقد نُظّم المستعمرون الصينيون والهنود ضمن تنظيمات وأحزاب كي يتمكّنوا من مساعدة بعضهم بعضاً، وحتى يتجه المسلمون نحوهم، ويُشاركوهم في بعض الأعمال فيسهل إفسادهم، وإبعادهم عن دينهم بعد أن عجزت الإرساليات التنصيرية على أن تقوم بدورها مادام المسلمون متمسكين بعقيدتهم. وهكذا يبدو الصراع عنصرياً غير أنه في الواقع عقيدياً.

أما اللغة فهي الملايوية رسمياً، مع وجود بعض الاختلاف بالنسبة إلى شطري الدولة. ففي شبه جزيرة الملايو تكون اللغة الملايوية هي الرسمية، ولكن تستعمل الإنكليزية على نطاقٍ واسعٍ. ولكن في شمالي جزيرة بورنيو تكون اللغة الرسمية هي الإنكليزية، واللغة الملايوية معروفة، ويتكلم بها عامة الشعب.

ويتكلم الصينيون اللغة الصينية غير أن اللهجات فيها كثيرة منها: الهوكيانية، الكنتونية، الهاكية، التوتشية، الهاينانية.

ويتكلّم الهنود لغاتٍ هندية كثيرة حسب المكان الذي قدموا منه، فهناك لغات: التاميلية، التلوجية، والأردو، والكوجراتية، والبنجابية، والهندستانية.

ويسعى المسلمون لتعلّم اللغة العربية، ولكن تقف أمامهم صعوبات منها: عدم وجود المعلمين، ومحاربة المستعمرين الصليبيين، وبقية العناصر من هنودٍ وصينيين إضافةً إلى العلمانيين من الملايويين إذ يدّعون أن اللغة العربية غير عالميةٍ، ولا فائدة من تعلّمها، وأن ارتباطها بالعقيدة أمر رجعي، كما أن الأمصار الإسلامية العربية لا تهتمّ بهذا، بل إن بعضها أخذ يتخلّى عن لغته - مع الأسف -.

الصراع العقيدي:

تتعدد الديانات في ماليزيا، وإن كان المسلمون يُشكّلون الأكثرية إلا أنها أكثرية نسبية، ولكنها كبيرة بالنسبة إلى بقية الديانات، وغالباً ما ترتبط الديانات بعناصر السكان، فالملايويون غالباً مسلمون، والصينيون بوذيون، والهنود هنادك، وإن كان بعض الصينيين والهنود مسلمين غير أن نسبة المسلمين بينهم قليلة جداً، وكذلك فإن بعض الملايويين غير مسلمين سواء أكانوا بوذيين أم هنادك أم عبدة أرواح، وهم أهل الغابات.

تبلغ نسبة المسلمين في ماليزيا	٥٢٪	فيكون عددهم	٨,٦٨٤,٠٠٠
وتبلغ نسبة البوذيين في ماليزيا	٢٧٪	فيكون عددهم	٤,٣٢٢,٠٠٠
وتبلغ نسبة الهندوك في ماليزيا	٨٪	فيكون عددهم	١,٢٣١,٠٠٠
وتبلغ نسبة النصارى في ماليزيا	٨٪	فيكون عددهم	١,٢٣٠,٠٠٠
وتبلغ نسبة عبدة الأرواح في ماليزيا	٢٪	فيكون عددهم	١,٣٣٣,٠٠٠

١٦,٧٠٠,٠٠٠

ولكن هذه النسبة تختلف بين شطري ماليزيا إذ نلاحظ ارتفاع نسبة

المسلمين قليلاً في شبه جزيرة الملايو على حين ترتفع نسبة النصارى قليلاً في ولايتي صباح، وساراواك، ويكون الاختلاف كالآتي:

	نسبة المسلمين	نسبة البوذيين	نسبة الهندوس	نسبة النصارى	نسبة عبدة الأرواح
١ ـ جزيرة الملايو	٥٥ ٪	٣٠ ٪	١٠ ٪	٣ ٪	٢ ٪
٢ ـ ولاية صباح	٣٨ ٪	٧ ٪	٣ ٪	١٧ ٪	٣٥ ٪
٣ ـ ولاية ساراواك	٢٢ ٪	٢٤ ٪	٥ ٪	١٦ ٪	٣٣ ٪

إن مختلف أصحاب الديانات من غير المسلمين يعملون جهدهم ضدّ المسلمين، ويُخطّطون لذلك، ويتولّى النصارى وإرسالياتهم هذا الأمر من تخطيطٍ وتنفيذٍ، ويتخذون الآخرين مطيةً بالعمل لإفساد المسلمين، وتشكيكهم في عقيدتهم، وإبعادهم عن دينهم، ومزاحمتهم بالأعمال، وشحنهم بالأحقاد ضدّ الإسلام. وتمكّنوا من الحصول على بعض النجاح، نتيجة العمل الدائب، ومناهج التعليم التي تركّز الهجوم على المسلمين وعقيدتهم، واتخاذ المشافي، والحاجة إلى العمل، وإلى الدواء، وإلى التعليم، ونتيجة فقر المسلمين المدقع في كثير من الأحيان، واتخاذ الجنس والمخدرات. . . وهذه كلها وسائل لإفساد الشباب المسلم، إضافةً إلى الدعايات ضدّ الفئات والتنظيمات الإسلامية، وإشاعة الشائعات وافتراء الكذب عليها، وعلى كل من يُؤيّدها ويُناصرها.

هذا مع العلم أن الدستور ينصّ على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة. ولكن هذا لم يمنع من سيطرة الجاهلية حيث نرى انتشار الربا والفساد، حتى الأعياد تنتشر فيها جاهليات إذ إضافةً إلى الأعياد الإسلامية التي هي عيدا

الفطر والأضحى قد اتخذوا أعياداً كثيرةً منها عيد المولد النبوي تقليداً لعيد الميلاد عند النصارى. واتخذوا من يوم الاستقلال عيداً وطنياً، وهو (٣١ آب)، وكذلك عيد ميلاد الملك. وكذلك تحتفل البلاد مسايرةً للبوذيين برأس السنة القمرية حسب التقويم الصيني، وعيد كعكة القمر، وهو بمنتصف الشهر الثامن حسب التقويم الصيني، وعيد ويساك، ويكون في شهر أيار، وهو عيد بوذا إله البوذيين ـ حسب اعتقادهم ـ.

ويحتفلون مسايرةً للهندوس بعيد ديبا فالي، ويكون في الخريف، ويُسمّونها احتفالات النور، وهي بمناسبة انتصار الإله كريشنا إله الهندوس ـ حسب اعتقادهم ـ على ملك الجنّ. وبعيد تايبوسام، ويكون في آخر فصل الشتاء، وهو ذكرى للإله سوبرا مانيام حسب عقيدة الهندوس.

ويحتفلون مسايرةً للنصارى بعيد الميلاد، وعيد رأس السنة النصرانية (الأول من كانون الثاني).

ويحتفلون مسايرةً للوثنيين، جماعة (دياق) بعيد بداية موسم زراعة الأرز (جاواي باتو)، وعيد التخلّص من نذير السوء (جاواي بورونغ)، وعيد الحصاد (دواي برسيمبان)، وعيد ذكرى الموتى (جاواي أنتو)، وعيد البطولة (جاواي كينالانغ)، وعيد الأول من تموز.

ويحتفلون مسايرةً للوثنيين، جماعة (الكادزان) بعيد الحصاد.

وهناك عيد (تاموبسار) حيث تقوم المهرجانات، والاحتفالات، والألعاب.

وتعطل الدوائر بمناسبة أعياد ميلاد حكام الولايات.

الصراع الإقليمي:

لما كان هناك اختلاف في بناء السكان وعقيدتهم بين شطري ماليزيا، وخاصةً بالنسبة إلى زيادة أعداد الوثنيين في الجناح الشرقي الأمر الذي

يجعل مجال الإرساليات التنصيرية واسعاً، لهذا فإن المستعمرين الصليبيين يركزّون على هذا الجناح، وهذا ما جعل نسبة النصارى ترتفع فيه، على حين أن مجالها محدود في الجناح الغربي لارتفاع نسبة المسلمين.

ولما كانت نسبة النصارى تتزايد في شمالي جزيرة بورنيو لذلك يكون السعي كبيراً لتمتدّ يد العمران نحو تلك الجهات على نطاقٍ أوسع بحجة أن المناطق هناك لا تزال مُتخلّفةً، وبحاجةٍ إلى جهودٍ كبيرةٍ لإعمارها، وهذا بطبيعة الحال يقتضي تخصيص نفقاتٍ من الميزانية لإعمار شمالي جزيرة بورنيو.

وإن الأحزاب القائمة في الجناح الشرقي والمؤسسات النصرانية تُطالب بهذا، وتُثير حماسة السكان للمطالبة بذلك، وتكون هذه المطالب ضمن قائمة الدعايات الانتخابية، وهذا ما أدّى إلى وجود صراعٍ ضمني بين الشطرين، حتى وصلت المطالبة إلى نقل العاصمة الاتحادية ودوائر الدولة إلى القسم الشرقي مادام الأكبر مساحةً.

وأما أهل الجناح الغربي فيرون أن تجمّع السكان إنما هو في شبه جزيرة الملايو، والأصل أن تكون العاصمة في هذا الشطر، وإن انتقالها يكلّف الكثير، والدولة بحاجةٍ إلى ضغط النفقات، وإنهم يرون العمل الحثيث لإعمار شمالي بورنيو، ولكن ليس على حساب الجزء الآخر، وإنما يجب الإسهام في إعمار الشطرين على حدٍّ سواء، والبذل لرفع المستوى في أنحاء البلاد كافةً، وأن التمييز سيجعل نزعةً إقليميةً بين السكان، وسينشأ عنه صراع في المستقبل، والبلاد في غنىً عن ذلك.

ويرى المسلمون أن من أسباب التخلّف في الجناح الشرقي إنما يعود إلى العقائد الوثنية البدائية المنتشرة هناك، ومن الضروري العمل على رفع المستوى الفكري والعقيدي بنشر الأفكار والعقائد السماوية وتهيئة الإمكانات لأصحابها لبثّ الدعوة، ونشر الحضارة، وإذا كان هذا مهيأً للنصرانية فقط

بما تملك من إمكاناتٍ ضخمةٍ وطاقاتٍ هائلةٍ، ولكن المسلمين لم يُهيّأ لهم شيء إذ ليس لديهم الإمكانات المادية ولا الوسائل الكفيلة بالحركة بل توضع في وجههم العراقيل، ويُحال بينهم وبين دخول هذا المجال، وبذا تبقى طاقاتهم مُعطّلةً، وإمكاناتهم مُبدّدةً، وحيويتهم مهدورةً. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن رجال النصرانية والإرساليات التنصيرية لم تستطع النجاح في مسعاها إلا بمستوى قليلٍ لعدم انسجام ما يدعون إليه مع الفطرة البشرية، وإذا لم تنجح لأي سببٍ من الأسباب فليفسح المجال أمام رجال الإسلام والحركات الإسلامية، وليسلك كل طريقه، وليُدلي كل بدلوه إن كان كلا الجانبين يعمل على رفع مستوى السكان الفكري والعقيدي، أو ليتعاون الجميع للوصول إلى هذا الهدف. ولكن المسؤولين يجيبون على هذا أننا لا نريد قيام صراعٍ عقيديٍ في مجال العمل، ومعنى هذا العمل على فسح المجال أمام طرفٍ واحدٍ، وهو رجال النصرانية والإرساليات التنصيرية، وإقفال الباب أمام رجال الإسلام والحركات الإسلامية، وهذا الواقع القائم، وهو ما يُسبّب الصراع العقيدي نتيجة التمييز الصارخ، والصراع الإقليمي نتيجة التفرقة الواضحة. وسيبقى الوضع ثابتاً لا يتزحزح فالسكان يرفضون النصرانية لارتباطها بالاستعمار الصليبي، وعلاقاتها بالأجانب فالإرساليات التنصيرية جميع رجالها من الغرباء، إضافةً إلى عدم انسجام النصرانية المحرّفة مع الفطرة البشرية، فما دامت تقوم على عبادة أحد المخلوقات فإنها تبقى على مستوى الوثنيات، وما فيها من فلسفةٍ، وجمع ثلاثةٍ في واحدٍ فيصعب على المرء العالم حلّ ذلك اللغز فكيف برجل الغابة البدائي، كما أن الرهبانية لا تتفق والنفس الإنسانية، ويلاحظ البدائيون ما يجري بالخفاء وراء تلك الطهارة المدعاة. وإذا كانت النصرانية قد عجزت عن دورها أفلا يسمح للمسلمين أن يُؤدّوا دورهم، دون أن يغلق الباب أمام النصرانية؟ الجواب: لا. لأنه لو فُسح المجال أمام المسلمين لتقدّم الإسلام وانتشر، وتوقّف المدّ النصراني نهائياً وهذا ما لا يريده المستعمرون الصليبيون، ولا ممثّلوهم من أصحاب السلطة، ولا الإرساليات التنصيرية،

ولا اتحاد الكنائس العالمي، ولا الملحدون، ولا العلمانيون، ولا أصحاب الأهواء والشهوات. ومعنى ذلك فسح المجال لعمل النصرانية فقط، وسدّ الباب بإحكام أمام المسلمين، وإيجاد الصراع العقيدي والإقليمي، والإبقاء على التخلّف رغم الادّعاء بالعمل على إزالته وإعمار الأرض.

الصراع الحزبي:

رغم ظهور التنظيم المبكر في ماليزيا إلا أنه لم يكن ذلك التنظيم العقيدي الواضح، وإنما كان تجمعاً يهدف ظاهراً إلى مقاومة الاستعمار، وفي الوقت نفسه يعمل للزعامة واستلام السلطة، أو لمدّ نفوذ وسيطرة جماعته العنصرية التي ينتمي إليها. وكان أهم هذه التنظيمات:

١ ـ الحزب الوطني الملاوي الذي قام إثر إلغاء الخلافة، وضمّ بعض الأمراء والمتعلّمين، وأخذ يُطالب بالاستقلال، ولكن لم تكن له تلك القواعد القوية التي يستطيع أن يتحرّك بها بشكلٍ واضحٍ بسبب فكرته الهشة التي لا تقومِ على عقيدةٍ، وبسبب عدم إدراك الشعب لأهمية التنظيم، ولفقر السكان الذي يجعلهم مشغولين بتأمين أسباب حياتهم المعاشية.

٢ ـ اللجنة الثورية الملاوية، وتأسّست عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، ورغم أنها تحمل اسم «الملاوية» إلا أن معظم أعضائها من الصينيين، ولكنها لم تلبث أن انقسمت على نفسها للاختلاف الذي وقع في الصين عام ١٣٤٦ هـ، لأن أوضاع الصين ظلّت تنعكس على الصينيين الذين يعيشون خارجها، ومنهم الذين يعيشون في الملايو.

٣ ـ تأسس الحزب الشيوعي في سنغافورة عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م)، وامتدّ نفوذه إلى الملايو، وكان أكثر أعضائه من الصينيين، وأخذ أمينه العام (لاي تك) يدعو إلى تشكيل جبهةٍ ضدّ الاستعمار، كي يستفيد من العناصر

الأخرى غير الشيوعية، وربما يُؤثّر عليها، ولينفتح على الجماعات الثانية غير الصينية ليبتعد عن الفكرة العنصرية، ويتمكّن من التغلغل في أوساطها، غير أنه لم ينجح وبقي حزباً صينياً. وقد شكّل جبهةً مُعادية لليابان أثناء الاحتلال الياباني. كما أنشأ جيش الشعب المعادي للمستعمر الجديد. وقد تعاون مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ما دامت روسيا وبريطانيا حليفتين. وبعد الحرب حلّ جيش الشعب نفسه، وأخذ كل فردٍ من أعضائه مكافأةً.

ثم شكّل الأمين العام (لاي تك) جمعية الرفاق المقاتلين السابقين، وهي وإن كانت تحمل اسماً يدلّ على الخط الشيوعي إلا أن الاتجاه العام كان يسير في فلك الرأسمالية بل السياسة الإنكليزية بالذات. وبعد مدةٍ نُحّي (لاي تك) عن منصبه الحزبي، ثم زال من الوجود بظروفٍ غامضةٍ حسب الطريقة الشيوعية المعروفة. وتسلّم الأمانة العامة للحزب (تشن بينغ) فادعى أن الأمين العام السابق للحزب الشيوعي (لاي تك) عميل بريطاني، زُرع في الحزب الشيوعي، وهذه طريقة شيوعية، كل زعيمٍ جديد يدّعي أن سلفه كان يمينياً، وهذا ما أدّى إلى تنحيته.

شكل الحزب الشيوعي «جيش الشعب» من جديد، وأعلن أنه يُعادي الاستعمار، ويُحارب بريطانيا، ثم عاد فغيّر الاسم إلى «جيش التحرير للشعوب الملاوية» عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، وانتقل يُقاتل في الغابة، وبدأت الاغتيالات، وكانت تدعمه منظمة «حركة الشعب».

٤ ــ المنظمة الوطنية الملاوية، وتشكّلت برئاسة داتو «عون بن جعفر» عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)، وكان قد برز بعد الحرب العالمية الثانية كزعيمٍ بين الملايويين، وتأسّست فروع لهذه المنظمة في كثيرٍ من المناطق، ومعظم عناصرها من شعب الملايو، وتسلّم زعامتها في ٢٤ ذي القعدة ١٣٧٠ هـ (٢٦ آب ١٩٥١ م) «تانكو عبدالرحمن» بعد داتو «عون بن جعفر» الذي ترك المنظمة، وانفصل عنها.

٥ ــ حزب استقلال الملايو، وأسّسه داتو «عون بن جعفر» عام ١٣٧١ هـ بعد أن انفصل عن المنظمة الوطنية الملاوية، وأراد أن ينفتح على بقية المجموعات التي يتألف منها الشعب الملايوي.

٦ ــ جمعية الصينيين الملاوية، وتضمّ العناصر الصينية التي تُخالف الشيوعية. وكانت مهمة الجمعية الصينية الملاوية الحفاظ على الانسجام العرقي أثناء التعايش مع المجموعات العرقية الأخرى، وشعرت أن وجودها داخل الحكومة سيُؤمّن لها بعض متطلبات المجموعة الصينية، كما تظهر بمظهر المدافع عن حقوق الصينيين، وحرصت على كسب تأييد المؤسّسات الصينية مثل اتحاد التجار وغيرها... نجح في انتخابات ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)كرئيسٍ للجمعية (ليم تشونغ) ضدّ منافسة (تان تشونغ لوك)، وأكّد (ليم تشونغ) لتانكو عبدالرحمن أن استمرار التعاون سيبقى مع حزب التحالف.

٧ ــ حزب المؤتمر الهندي ـ الملاوي: وأكثر أعضائه من أصلٍ هندي، ويحمل الاسم نفسه الذي يحمله الحزب الحاكم في الهند.

٨ ــ حزب الشعب التقدّمي، وجميع أعضائه من الهنود والصينيين غير المسلمين أي أن الحزب يحمل عدواةً للإسلام وإن لم يُعلن ذلك.

وهكذا فإن الأحزاب تحمل أكثريتها الصفة العنصرية، وخاصةً الصينية منها. وإن كانت العنصرية مرتبطةً بالعقيدة لذا نلاحظ أنها تحمل الفكرة عقيدةً وإن لم تُعلن ذلك، كما أن الهندية تحمل الهندوسية وإن لم تُظهر، وهذا ما تُغذّيه الصليبية، وأما الملايويين الذين يفترض أنهم يحملون العقيدة الإسلامية فإننا نلاحظ أنهم يبتعدون عنها، وهذا ما أنشأهم عليه المستعمرون النصارى، فهم يُعلنون إبعاد الإسلام ومنهجه عن الحياة تحت شعار الوطنية الملايوية.

ولما أراد داتو «عون بن جعفر» الانفتاح على الهنود والصينيين إشارةً إلى البعد عن الجانب العقيدي، وأسّس حزب استقلال الملايو عام ١٣٧٠ هـ، عندها أسرع منافسه تانكو عبدالرحمن، وأعلن عن قيام تحالفٍ بين الأحزاب الملاوية، والصينية، والهندية.

٩ ــ حزب التحالف: وتألف من اندماج المنظمة الوطنية الملاوية المتحدة، وجمعية الصينيين الملاوية، وحزب المؤتمر الهندي الملاوي، أي ضمّ المجموعات العنصرية الثلاث التي يتكوّن منها الشعب الملايوي وهي: الملايوية، والصينية، والهندية، وهذا يدلّ على أن التحالف لم يقم على أي مبدأ أو فكرةٍ سوى استلام السلطة واقتسامها فيما بينهم، ولو كان هناك أي معنى لعقيدة الشعب لما أقبل على التحالف البوذيون والهندوس، وقد وجدناهم يُلبّون أول نداءٍ يُوجّهه إليهم تانكو عبدالرحمن الذي كان أمير ولاية قدح فيما سبق، حيث يعرفون اتجاه المنظمة الوطنية الملاوية ورئيسها تانكو عبدالرحمن.

١٠ ــ الحزب الإسلامي: وكان برئاسة برهان الدين الحلمي، وكان يلقى مقاومةً عنيفةً من حزب التحالف أو بالأحرى من الطوائف كلها، ومن العلمانيين الذين ينتمون إلى الإسلام.

كما أن المشروعات التي يتقدّم بها كانت تُجهض من قبل الحكومة المركزية، وكان قد نجح هذا الحزب في ولايتي «كيلانتون» و«ترينغانو»، وتسلّم حكومتيهما، ولكن لم يستطع تطبيق برنامجه لموقف الحكومة الاتحادية منه.

١١ ــ الجبهة الوطنية: وتشكّلت عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) حيث شملت حزب التحالف والأحزاب المعارضة في سبيل البقاء بالحكم وإعطاء المعارضة نصيبها. فالمعارضة لم تكن إذن سوى جماعات مصالح دون أن

يكون لهم مبدأ يعملون له أو فكر ينادون به، فلما أعطوا شيئاً من السلطة إذا بهم يخضعون ويُؤيّدون ما كانوا بالأمس يُخالفونه وينتقدونه.

وتضمّ هذه الجبهة أربعة عشر حزباً سياسياً تهيمن عليه المنظمة الوطنية الملاوية المتحدة، وجمعية الصينيين الملاوية، وحزب المؤتمر الهندي ـ الملاوي، وجيركان راكيات ماليزيا.

وأما المعارضة فتتمثّل بالحزب الإسلامي الماليزي، ويُعدّ ضعيفاً لأن جميع الأحزاب، والتنظيمات، والديانات غير الإسلام تقف في وجهه مع العلمانيين وأصحاب المصالح من المسلمين. إضافةً إلى الحكومة الاتحادية التي تجهض كل مشروعاته ـ كما ذكرنا ـ ليظهر ضعفه أمام الناخبين فيصوتون ضدّه.

وهناك حزب العمل الديمقراطي أيضاً، ويعمل أيضاً ضدّ الحزب الإسلامي لاختلافه معه في المنهج والوسائل.

والحكم منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) أي من قبل الاستقلال بيد حزب التحالف الذي يرأسه تانكو عبدالرحمن، وهو الذي يتولّى رئاسة الوزارة، ولكن حدثت بعض الاضطرابات الداخلية عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، وعرفت بأحداث (١٣ أيار) فأعلنت الحكومة حالة الطوارىء. وتنازل بعدها تانكو عبدالرحمن بوترا عن رئاسة الوزارة إلى تون عبدالرزاق الذي يعدّ ثاني رئيسٍ للوزراء.

وخلفت الجبهة الوطنية في الحكم حزب التحالف، وقد تشكّلت في ٦ شعبان ١٣٩٤ هـ (٢٤ آب ١٩٧٤ م)، وهي ليست سوى تتمةٍ له، ومن صياغته. واستمرّت الجبهة بالحكم إلى الآن. ولكن كان قد توفي رئيس الوزراء تون عبدالرزاق في ١٣ محرم ١٣٩٦ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٧٦ م)، وخلفه داتوك حسين عون. وأحيل إلى المعاش، فتقلّد منصب

رئاسة الوزراء داتوك سري د. محاذير محمد في ١٥ رمضان ١٤٠١ هـ (١٦ تموز ١٩٨١ م).

وهذا يعني أنه لا توجد منافسات أو صراعات حزبية بالمعنى الصحيح الذي يوجد في البلدان التي تُسمّي نفسها بالديمقراطية، فالمعارضة غير موجودة، وإن وجدت فلمصلحة، فإذا ما أحسّت السلطة بشأن المعارضة أرضت قادتها ببعض المنافع، وضمّتهم إلى التحالف، وانتهى الأمر، ولهذا وجدنا أن التحالف يشمل أربعة عشر حزباً سياسياً يحكمون البلاد. أما المعارضة المتمثّلة بالحزب الإسلامي فالجميع يُوجّهون سهامهم إليه، وإذا حصل على نجاحٍ في بعض الولايات أحبطت الحكومة المركزية مشروعاته فكأنه لم يكن. ومعارضة حزب العمل الديمقراطي ضعيفة لأنه ليس له قاعدة عريضة بين أفراد الشعب.

هذا في شبه جزيرة الملايو، ولا يختلف الوضع عنه في شمالي جزيرة بورنيو حيث يحكم تحالف جبهة ساراواك الوطني الذي يتألف من أربعة أحزاب وهي:

١ ـ حزب بيساكا وبوميباترا بيرساتو ساراواك.

٢ ـ حزب ساراواك الاتحادي الشعبي.

٣ ـ حزب ساراواك الوطني.

٤ ـ بانسا ساراواك.

وليس للمعارضة وزن كبير لضعف نسبة المسلمين هناك، وتركهم شؤون السياسة والتنظيم نتيجة الفقر، والضغط. ويوجد في ولاية صباح حزب صباح الاتحادي (P.B.S) والمنظمة الوطنية لاتحاد صباح وحزب بيرجايا.

ميادين الصراع:

لما كانت أكثر الأحزاب تقوم على أسسٍ عنصريةٍ، وكذلك ترتبط العقيدة بالعنصرية لذا فإن الصراعات تبدو في كل الميادين عقيديةً، عنصريةً، حزبيةً، ولعل أبرز هذه الميادين:

١ ـ اللغة:

عند إعلان دستور (١٩٥٧ م) تقرّر أن تكون اللغة الملايوية هي الرسمية الوحيدة بعد عشر سنوات، ويجب على الولايات التي تنضمّ للاتحاد أن تُنفّذ هذا الشرط بعد عشر سنواتٍ من دخولها الاتحاد.

وفعلاً، فإن ولاية صباح قد جعلت اللغة الملايوية اللغة الرسمية، وذلك في شعبان ١٣٩٣ هـ (أيلول ١٩٧٣ م)، وتُدعى الآن اللغة الماليزية (باهاسا ماليزيا) أو اللغة الوطنية (باهاسا كيبانجاسان).

وقررت ولاية ساراواك في صفر ١٣٩٤ هـ (آذار ١٩٧٤ م) استخدام اللغتين الماليزية والإنكليزية رسمياً حتى عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) حيث أصبحت بعدها اللغة الماليزية هي الرسمية فقط.

أما في شبه جزيرة الملايو فقد غدت اللغة الملايوية هي الرسمية في ٢٢ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٣ آذار ١٩٦٧ م)، وبعد مشاغبات ٢٦ صفر ١٣٨٩ هـ (١٣ آيار ١٩٦٩ م) فقد أصبح استخدام اللغة الملايوية واسع الانتشار في شؤون الدولة، والمحاكم، والمجلس النيابي.

وفي الوقت نفسه كان يسمح بتعليم لغات أخرى، ولكن عدّت العناصر غير الملايوية هذا القرار بأنه لا يهدف سوى إذابة غير الملايويين في المجتمع.

٢ ـ التعليم:

سيطرت الحكومة عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) على المدارس كلها، وهذا

ما أثار الصينيين، وأحسّوا أن القصد هو التخلّص من أثرهم بإذابة أبنائهم في مجتمعهم الذي يحيون معه، فعمل بعض زعماء العناصر الصينية على إعادة تشكيل حزب العمل الديمقراطي (D.A.P) الذي كان في سنغافورة، وذلك عندما رأوا عدم ارتياح المجتمع الصيني من حزب الجمعية الصينية الملايوية (M.C.A)التي هي أحد أركان التحالف (U.M.N.O) الحزب الحاكم، وهي بالتالي أحد أركان الحكومة، وإعلان تشكيله رسمياً ليتمكّن من دخول الانتخابات في سبيل إنهاء الميزات التي حصل عليها الملايويون، وإيجاد مساواةٍ حقيقيةٍ في التعليم في المنهج حيث تصبح اللغات الملايوية، والصينية، والهندية، والإنكليزية رسميةً، وفي مستوىً واحد.

ووافق حزب الشعب التقدّمي (P.P.P) القوي في عاصمة ولاية بيرق مدينة (ايبوه) حزب العمل الديمقراطي وعملا معاً حسب خطٍ واحدٍ. وكانت الانتخابات عام (١٩٦٩ م) عامل إظهار قوةٍ للمجموعات العرقية، ولمصلحتها حيث تراجع حزب التحالف عما كان عليه سابقاً حيث حصل على ٦٦ مقعداً فقط، ونال ٤٨,٥ ٪ من مجموع الأصوات، على حين كان قد حصل في الانتخابات السابقة على ٨٩ مقعداً، ونال ٥٨,٤ ٪ من مجموع الأصوات، وحصل حزبا حركة الشعب الماليزية (جيراجان راكايات ماليزيا) والشعب التقدمي على ٢٥ مقعداً، وحصل الحزب الإسلامي (P.A.S) على ١٢ مقعداً وبذا حُرم حزب التحالف من الحصول على الأغلبية وهي ثلثا الأعضاء، ولم يعد بإمكانه إجراء تعديلاتٍ دستوريةٍ دون موافقة أعضاء آخرين في المجلس.

وفي ٢٦ صفر ١٣٨٩ هـ (١٣ أيار ١٩٦٩ م) نزل مُؤيّدو الأحزاب إلى الشوارع، وحصلت أعمال شغب، ووقعت صدامات، واشتباكات عنيفة، وأعلنت حالة الطوارىء. وبناءً على المادة ١٥٠ من الدستور أُعطيت جميع الصلاحيات لمجلس العمليات الذي يرأسه نائب رئيس مجلس الوزراء تون

عبدالرزاق، واستطاع المجلس بعد أربعة أيامٍ من الأعمال الدامية من السيطرة على الوضع الأمني في المدينة، وإن استمرت المشاغبات شهرين، وهددت الحكومة باتخاذ الإجراءات الصارمة بحقّ المجموعات الملايوية المسلحة التي أخذت تُطالب باستقالة تانكو عبدالرحمن. وأعلنت القيادات الملايوية في حزب التحالف أن أعمال الملايويين لم تكن سوى ردّ فعلٍ لتصرفات المعارضة التي وصفتها بالطيش.

وفي جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ (تموز ١٩٦٩ م) أعلنت إدارة التحالف الوطني عن طرح صيغةٍ جديدةٍ للفكرة الوطنية لدمج مختلف المجموعات العرقية في بوتقة الوطنية الماليزية.

وفي ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ (٣١ آب ١٩٧٠ م)، وهو يوم الاستقلال الوطني أعلنت الفكرة الوطنية الجديدة تحت شعار بنود الإيمان للولاء (روكان إيجارا)، وكان قد تشكل المجلس الاستشاري الوطني (N.C.C) منذ شهر ذي القعدة ١٣٨٩ هـ (كانون الثاني ١٩٧٠ م) لإيجاد خطوط عريضة للتعاون العرقي، وقد ضمّ هذا المجلس ممثلين عن الحكومة الماليزية، وحكومة الولاية، والأحزاب، والعلماء، والمدرسين، واتحاد التجار، والحرفيين، والصحافة، والمؤسسات، والأقليات.

٣ ـ الاقتصاد:

كان المستعمرون الصليبيون قد وجّهوا الملايويين نحو إنتاج الغذاء بالعمل الزراعي، والصينيين نحو العمل باستخراج القصدير وصناعته، والهنود نحو العمل بإنتاج المطاط وصناعته، وتحسّنت أوضاع الذين يعملون بالصناعة، ويسكنون المدن على حين لم تتحسّن أوضاع الملايويين الذي يُشكّلون أكثرية أهل الريف، فقررت الحكومة تحسين أوضاع الريف، ووضعت خطةً لمدة عشرين عاماً، وتبدأ من عام ١٣٩١ ـ ١٤١٠ هـ (١٩٧١ ـ ١٩٩٠ م) فعدّت العناصر غير الملايويين أن الموضوع عرقي بشكلٍ غير مباشرٍ. وضاقت أوضاع أهل الريف، فأقبلوا نحو المدن، وأخذوا يحتلّون البيوت والعقارات

عنوةً، ووصل عدد هؤلاء القادمين عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) إلى مائةٍ وثلاثة وخمسين ألفـاً يحتلّون أملاكاً وذلك في مدينة كوالالمبور وحدها، ونحا نحو أهل الريف الكثير من الصينيين والهنود، وكانت النسبة تتوزّع في العاصمة بين المحتلّين كالآتي: ٤٥ ٪ من الصينيين، و٤١ ٪ من الملايويين، و ٤ ٪ من الهنود، و ١٠ ٪ مختلطون، وعملت الحكومة على طرد المحتلين، ثم اتجهت النية نحو توطينهم بدفع مبالغ رمزية غير أن هؤلاء القادمين من الريف يصعب عليهم دفع أي مبلغٍ مهما كان ضئيلاً، ورفضت الحكومة إعطاء رخص احتلالٍ موقتةٍ خوفاً من أن يُشجّع ذلك الآخرين على القيام بأعمال احتلال جديدة.

٤ ــ الـوظائـف:

كان من أهداف السياسة الاقتصادية الجديدة (N.E.P) توزيع الوظائف بين المجموعات السكانية حسب نسبهم المئوية العامة والتي كانت عام (١٩٧٠ م) ١٣٩٠ هـ كالآتي:

الملايويون	٥٣,٢ ٪
الصينيون	٣٥,٣ ٪
الهنود	١٠,٧ ٪
آخرون	٠,٨ ٪

غير أن المجموعة الصينية قد رفضت هذه النسبة، وعدّت الحكومة منحازةً للملايويين، وتعمل ضد المجموعات الصينية خاصةً.

٤ ـ رأس المـال:

كانت نسبة رأس المال المساهم في القطاعين التجاري والصناعي موزّعـةً بين المجموعات السكانية عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) كالآتي:

الملايويون	٣٠٪
الصينيون	٤٠٪
أجانب	٣٠٪

ولما كانت نسبة الملايويين ضعيفةً مقارنةً بنسبتهم العددية لذا عملت على إقامة مؤسساتٍ عامةٍ لمساهمة الملايويين، ولكن التنفيذ لم يكن جيداً إذ كثيراً ما كانت تُحجز الأسهم باسمهم من قبل الأجانب، وقام الصينيون بردّ فعلٍ، وأنشأوا مؤسّسات أضخم من مؤسّسات الحكومة، وانتقدوا الدولة وعدّوها متحيزةً لصالح الملايويين، وكذلك قام الهنود بإنشاء مؤسّسات فاقت الصينية أيضاً.

ويرى الصينيون أن اتجاه الحكومة لإنعاش الملايويين لن يكون إلا على حسابهم وخاصةً أن الحكومة لا ترغب في إنقاص مساهمة المؤسسات الأجنبية، ولكن الحكومة تُعلن أنها ترغب في أن يحصل الملايويون على ٣١٪، ولن يكون ذلك إلا على حساب المؤسّسات الأجنبية.

٥ ـ الأرض الحكومية:

يُطالب الصينيون بامتلاك بعض أراضي الدولة، ولكن الحكومة ترفض ذلك، وتُعلن أنها لا تريد أن تثير مشكلة امتلاك الأرض. فالذين يعملون بالأرض، ويشتغلون بإنتاج الغذاء، وهم فقراء، ويعيشون في الريف لا تُعطيهم

الدولة الأرض المشاع، فكيف تقدّمها لمن لا يعمل فيها، ويعمل في غير عمل الفلاحة، ويعيش في المدينة، وحالته المادية أفضل حالًا إن لم نقل جيدة؟ ثم تُعطيهم الأرض بناءً على طلبهم، فهذا أمر غير مقبول، ولا هو بالعدل، ثم إن الذي لا يجيد الفلاحة سيهمل الأرض إن امتلكها وخاصة إن كان الامتلاك من غير تعب.

٦ ـ الأمـن:

إن أكثر الذي يعملون في قوى الأمن هم من الملايويين. وأخذ الصينيون يُطالبون بتجنيدهم في قوى الأمن، ولكن الحكومة لا تستمع لهذا الطلب لأنها لا تريد هيمنة غير الملايويين على قوات الأمن إذ تفقد قبضتها بذلك على العنصر الملايوي القوي.

٧ ـ الجامعات والمعاهد الفنية:

يُطالب الصينيون بالحصول على نسبةٍ في الجامعات والمعاهد الفنية تتناسب مع نسبتهم العددية في البلد، ولم يرضهم أبداً ما يحصلون عليه ويعدّونه قليلاً جداً، ولكن الحكومة ترى أن نجاح سياستها الاقتصادية إنما يعتمد على دخول الملايويين في المعاهد العليا وخاصةً الفنية منها.

ولم يُشارك الهنود في هذا الصراع الذي يدور تقريباً بين المجموعتين الرئيسيتين: الملايوية والصينية وذلك نتيجة قلّة أعداد الهنود، لذلك كانت أصوات قادتهم في حزب المؤتمر الهندي مسموعةً بل دخلوا كوسطاء بين المجموعتين الأخريين. ولكن في السياسة الاقتصادية الجديدة كانوا يريـدون لفت نظر الحكومة إلى ارتفاع نسبة البطالة بين الهنود والتي تفوق أية نسبةٍ بين المجموعات العرقية الأخرى. وكذلك فإن هجرة القرويين إلى المدن سيشكل ضغطاً على الموارد، وسيصيبهم خسارةً أكثر من غيرهم.

٨ ـ السلـطـة:

يدّعي الصينيون أن دستور ماليزيا قد احتفظ للمجموعة الملايوية بأحقية

المواطنة، واحتفظ كذلك بنسبة تمثيل أكبر للقرويين في الانتخابات، وأكثر القرويين من الملايويين.

بعد الانتخابات التي جرت في شهر صفر ١٣٨٩ هـ (أيار ١٩٦٩ م) ذكر وزير الداخلية تون إسماعيل أنه من الأفضل حلّ حزب التحالف إن بقيت الجمعية الصينية الملاوية وحزب المؤتمر الهندي اللذان هما عضوان رئيسيان في حزب التحالف كما هما عليه الآن ليسوا هم من الأحياء فيستفاد منهم، وليسوا من الأموات فينتهى منهم. ورداً من المجموعة الصينية على هذا التحذير تشكّلت حركة الوحدة الصينية بجهود (تون تان سوسين) وبعض الضباط من العناصر الصينية.

وعدّت الحكومة والجمعية الصينية الملاوية أن هذه الحركة خطيرة مادامت لم تُسجّل وقد أُلقي القبض على عضويين من مؤسسيها بتهمة إثارة الفتن، ولكن بعض زعماء هذه الحركة قرروا الانتساب إلى الجمعية الصينية، والعمل من داخلها فيزيد ذلك من نشاطها ومن مكانتها، ويكون عملهم بصفةٍ قانونيةٍ.

وجرت معركة بين الطرفين داخل الجمعية نفسها للسيطرة عليها بين الأعضاء القدامى والأعضاء الجدد، وانتصرت القيادة القديمة، ولكن نجح (تون تان سوسين) في تسلّم الزعامة. وقد أضعف القتال الجمعية.

وسّع تون عبدالرزاق حزب التحالف بضم بعض العناصر المعارضة إليه وبعض الشباب وتأسست الجبهة الوطنية التي تضمّ أربعة عشر حزباً بما فيها الحزب الإسلامي.

ولكن أخبر تون عبدالرزاق الجمعية الصينية الملاوية أنها لم تعد الجهة الوحيدة التي تمثّل المجموعة الصينية وتتكلم باسمها.

وأصبح حزب المؤتمر الهندي أكثر طواعيةً للجبهة الوطنية وخاصةً عندما تدخّل تون عبدالرزاق، وحلّ قيادته، وأعلن تقاعد زعيمه (سامبان ثان)، وتسلّم

نائبه (مانيكا ڤاساجام) الزعامة الجديدة في جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ (حزيران ١٩٧٣ م).

وفي الانتخابات التي جرت في شهر رجب ١٣٩٤ هـ (آب ١٩٧٤ م) أضيفت عشرة مقاعد لولايات شبه جزيرة الملايو فغدت ١١٤ مقعداً، حصلت الجبهة الوطنية على ١٠٤ مقاعد منها نال حزب التحالف منها على ٦٢ مقعداً، وكان حزب العمل الديمقراطي هو المعارض. وبدأ العمل لإيجاد وحدةٍ وطنيةٍ ماليزيةٍ.

وفي ٢١ ذي الحجة ١٣٩٣ هـ (١٤ كانون الثاني ١٩٧٦ م) مات تون عبدالرزاق رئيس الوزراء، وخلفه في منصبه داتوك حسين بن عون (ابن مؤسس حزب التحالف عون بن جعفر)، وبدأت المجابهات مع رؤساء وزراء الولايات ومنهم: داتوك هارون إدريس رئيس وزراء ولاية سالانغور الذي اتهم بالفساد، وطُرد من حزب التحالف، وسُجن، وخرج من السجن، وله قوته في الولاية، وداخل السلطة، حتى نجح عضواً في المجلس الأعلى لحزب التحالف.

ورئيس وزراء ولاية صباح تون مصطفى الذي نصّبته حكومة كوالالمبور، وقد وجد أنه من الواجب عليه مساعدة الحركة الإسلامية في جنوبي الفيليبين، فأشاعت الحكومة المركزية أنه يريد الانفصال عن ماليزيا وتشكيل دولة تضمّ صباح، ومقاطعات جنوبي الفيليبين وهي: ميندناو، وصولو، وبالاوان، وادعاء الانفصال لإيجاد نقمة ضده، وأظهرت الحكومة المركزية أن إمكانات تون مصطفى ضخمة لما تملكه الولاية من ثروات خشبيةٍ ضخمةٍ. ونتيجة عزمه على مساعدة الحركة الإسلامية أثار أحقاد الصليبية فقامت تعمل ضدّه، وتشيع الشائعات، وتدعو لقتاله، وطرده، والتخلّص منه.

عيّن رئيس وزراه الحكومة المركزية تون عبدالرزاق رئيساً لشرطة ولاية

صباح من قبله، كما عيّن رئيساً للقوات المسلحة في سبيل الاستعداد للإطاحة برئيس وزراء صباح تون مصطفى، وأيّدت الحكومة المركزية الحزب المعارض في ولاية صباح، وهو حزب (بيرجايا)، وضمّته إلى الجبهة الوطنية وذلك عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م). واستقال تون مصطفى من منصبه كرئيسٍ للوزراء، لكنه بقي مسيطراً على سياسة ولاية صباح كقائد لمنظمة صباح المتحدة الوطنية.

وفي انتخابات ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ (نيسان ١٩٧٦ م) فاز حزب (بيرجايا) المعارض لحزب تون مصطفى ففقد تون مصطفى سلطته.

تولّى رئاسة وزراء ولاية صباح تون محمد فؤاد، وكان يُسمّى قبل أن يُسلم (دونالد ستيفنز) لكنه قتل مع عددٍ من أعضاء حكومته في حادث طائرةٍ. وعيّن رئيساً للوزراء مكانه داتوك حارث صالح.

كانت جماعة (كادازان) في صباح، وجماعة (أبان) في ساراواك تنظران في بداية الأمر إلى البعد عن العاصمة المركزية كوالالمبور نظرةً إيجابيةً وذلك لأن تطور شبه جزيرة الملايو كان يفوق كثيراً تطور شمالي جزيرة بورنيو (صباح، ساراواك، بروناي)، ومع أن الوضع في التطور لم يتغير إلا أن النظرة قد تغيّرت، وأصبح البعد يشكل حجر عثرة، وذلك نتيجة الدعاية والسياسة التي تسير عليها الشخصيات ذات النفوذ هناك، وهي التي كانت أيام الاستعمار الإنكليزي، ولم تتبدّل، وبقي لها نفوذها، ولها مكانتها، وتريد التفرقة، وإيجاد الخلاف.

وفي انتخابات جمادى الأولى ١٤٠١ هـ (آذار ١٩٨١ م)التي جرت في صباح قاد رئيس الوزراء حارث صالح حزبه (بيرجايا) في تلك الانتخابات وفاز فيها فوزاً ساحقاً حيث حصل على ٦٠٪ من مجموع الأصوات، وحصل على ٤٧ مقعداً من مجلس الولاية البالغ ٥١ مقعداً أي خسر أربعة مقاعد فقط، وإن هذا الحزب متعدد العرقيات.

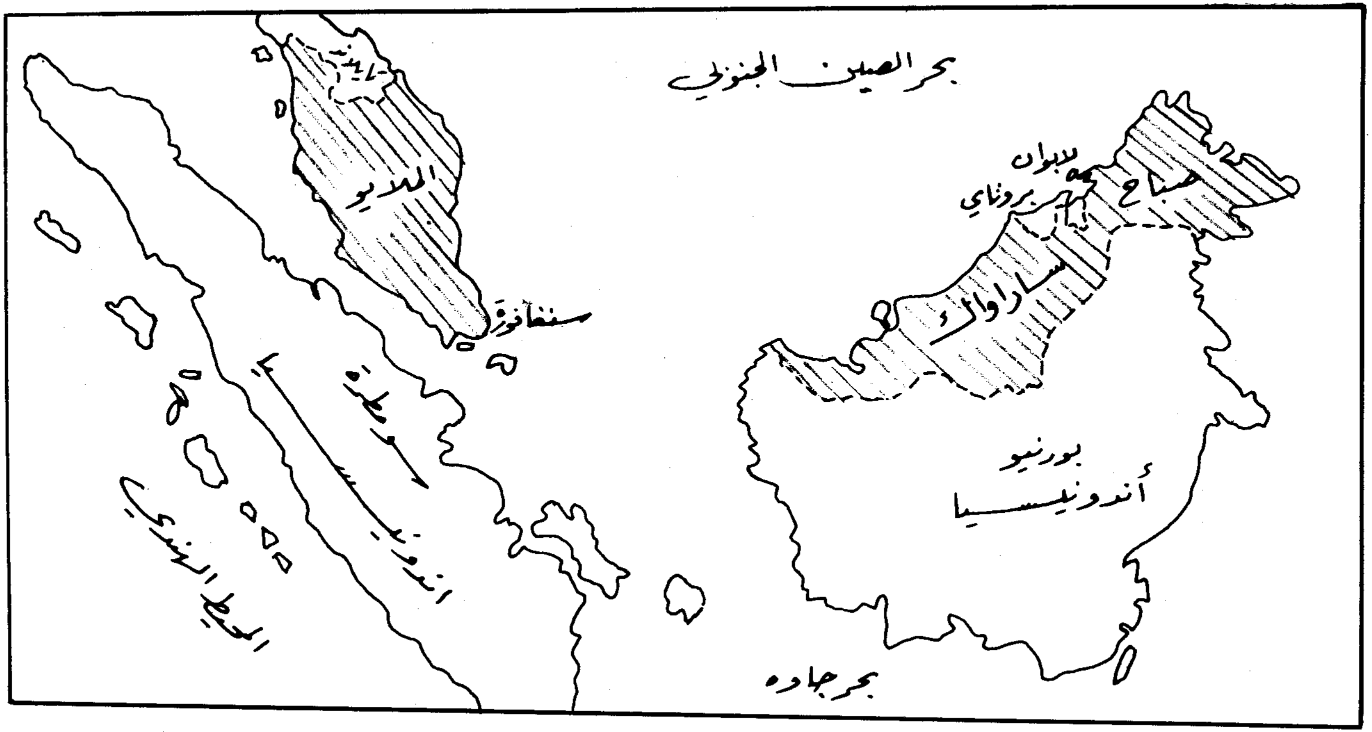
وفي ولاية ساراواك بقي داتوك باتنجي ثان سري عبدالرحمن يعقوب عشر سنوات في رئاسة وزراء الولاية، وكان من قبل وزيراً للتعليم، وقد ضعف جسمه، فتقاعد بسبب تردّي أوضـاعه الصحيـة، وخلفه ابن أخيـه داتوك عمار الطيب محمد الذي كان وزيراً اتحادياً في كوالالمبور.

وكان رئيس الوزراء السابق في ساراواك قد عيّن ديبرتوان حاكماً على ولاية ساراواك دون أخذ موافقة الحكومة الاتحادية.

وفي الانتخابات التي جرت في شعبـان ١٣٩٨ هـ (تموز ١٩٧٨ م) حصلت الجبهة الوطنية في ولايات شبه جزيرة الملايو على ١٣١ مقعداً من أصل ١٥٤ مقعداً. وكان الحزب الإسلامي قد انسحب من الجبهة منذ عام تقريباً. وفي ولاية كيلانتون مركز قوة الحزب الإسلامي نجح منافسه حزب (بيرجاسا) الذي هو عضو في الجبهة الوطنية[1].

---

(١) A history of Malaysia ' Barbara Waston Andaya and Leonardy. Andaya. 1991.


بحر الصين الجنوبي
لابوان
صباح
بروناي
ساراواك
بورنيو
أندونيسيا
بحر جاوه
سنغافورة
الملايو
سومطرة
أندونيسيا
المحيط الهندي

مصور رقم [٣]

الباب الثاني

أندونيسيا

لمحة عن تاريخ أندونيسيا قبل إلغاء الخلافة

لما كانت الجزر الأندونيسية تنتشر على مناطق واسعةٍ، وينفصل بعضها عن بعضٍ باليمّ بسبب وضعها الجزري، لذا فقد نشأت فيها عدة ممالك منذ قبيل الإسلام وحتى مجيء الاستعمار، ومن هذه الممالك ما كان سلطانها يمتدّ على رقعةٍ صغيرةٍ من الأرض قد لا تزيد على مساحة الجزيرة التي تقوم عليها، بل على جزءٍ منها، ومنها ما يتعدّى ذلك حتى يشمل الجزر كلها، بل يمتدّ ليشمل جزراً أخرى غير الجزر الأندونيسية، وقد يضمّ جزءاً من البر الآسيوي كأن تكون شبه جزيرة الملايو، أو غيرها. ومن هذه الممالك:

١ ـ امبراطورية سري فيجابا: وتأسّست جنوبي سومطرة في أوائل القرن السابق للبعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وازدهرت هذه الامبراطورية، ونشرت سلطانها على أكثر الجزر الأندونيسية، وعلى شبه جزيرة الملايو، ووصل نفوذها إلى الفيليبين شمالاً، وإلى جزيرة سيلان في الغرب، والتي خضعت وتبعت هذه الامبراطورية، وبقيت هذه الدولة حتى انتشر الإسلام بين أهلها في القرن السابع الهجري.

٢ ـ مملكة تاروماناغارا: وتأسّست في غربي جزيرة جاوة في القرن الثاني قبل الهجرة النبوية، وبقيت حتى القرن الخامس الهجري.

٣ ــ مملكة سوندا: وقامت عام ٤٢١ هـ، وحلّت محلّ سابقتها في غربي جاوة.

٤ ــ مملكة جاوه الوسطى: واستمرّت حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

٥ ــ مملكة ماتارام: وقامت في جاوه الوسطى، في أواخر القرن الثالث الهجري، فهي قد حلّت محلّ سابقتها، وبقيت حتى أخذ الإسلام ينتشر بين أبنائها. وقد تنقّلت مراكزها الإدارية عدة مرات.

٦ ــ مملكة جاوه الشرقية.

٧ ــ امبراطورية ماغافاهيت: وقامت في أواخر القرن السابع الهجري، واستمرّت حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (٦٩٣ - ٨٨٣ هـ) وبسطت سلطانها على الجزر الأندونيسية كلها إضافةً إلى الفيليبين وشبه جزيرة الملايو، وجزءٍ من الهند الصينية. وبدأ الضعف ينخر فيها بعد موت آخر أباطرتها الكبار (هايم ووروق)، حيث أخذت الأوضاع الإدارية تتردّى مما أدّى إلى قيام حركات انفصالٍ عنها في بعض البلدان التي كانت تابعةً لها، وحدثت اضطرابات، وحروب بين المقاطعات بعضها ضدّ بعضٍ، وتأخّرت الزراعة، وانتشرت المجاعة، وأقبل الناس نحو الإسلام إيماناً منهم بأنه دين الحق، ولذلك فإنه سينقذهم مما يُعانون. وقد انفصلت بعض الممالك عن هذه الامبراطورية ومنها:

أ ــ مملكة مينكابو: في سومطره الوسطى.

ب ــ مملكة آتشيه: في شمالي سومطرة، وانتشر فيها الإسلام، وكانت أقوى الممالك الأندونيسية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وبقيت حتى عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وكان لها دور كبير في قتال الهولنديين.

وليست هذه كل الممالك التي قـامت في الجزر الأنـدونيسية، بـل قامت ممالك ثانية ذات أهمية في الجزر الأخرى مثـل: مملكة بـروني، وساراواك في شمالي جزيرة بورنيو، ومملكة بانغر في جنوبهـا، وممالـك أخرى في جزيـرة سيلبيس، وجزر الصـوند الصغـرى. ولكن امبراطـورية ماغافاهيت قد وحّدت هذه الجزر جميعها، وضمّت هذه الممالك كلها.

وتعرّضت أندونيسيا للغزو الصيني، واحتلّ الصينيون جزيرة جاوه عام ٦٨٢ هـ أيام قبلاي خان حفيد جنكيزخان.

انتشار الإسلام:

من الصعب أن نُحدّد الزمن الذي وصل الإسلام فيه إلى تلك الجزر، وإن كان بعضهم يُؤكّد وصوله منذ المرحلة الأولى التي شعّ فيها نور الإسلام في أرض العرب، حيث انتقل منها بواسطة التجار الذين ما انقطعت سفنهم تمخر عباب البحر قادمةً وذاهبةً تحمل البضائع بين أندونيسيا وبلاد العرب، وإذا كـان التاريـخ قد انتقـل مع المجـاهدين إلى سـاحة المعـارك ليدوّن الفتـح، ويُسجّل انتصار الحق وهزيمة الباطل، وينسى ما عدا ذلك فرحةً بزهـوق الباطل وغبطةً بارتفاع راية الحق، ولكن التجارة بالواقع لم تتوقّف وانتقـال الأخبار لم ينقطع غير أنها عاشت تحت غطاء حركة الفتح التي طغت على كل ما سواها. ولكن يذهب بعض المؤرخين الآخرين إلى أن القرن السابع الهجري هو أول وقتٍ وصل فيه الإسلام إلى تلك الجهات، ويستندون في ذلك إلى ما كتبه الرحالة الأوربي (ماركوبولو) عن زيارته إلى جزيرة سومطرة عام ٦٩٢ هـ حيث قضى خمسة أشهرٍ فيها فيقول: «إن جميع سكان البلاد عبدة أوثانٍ اللهم إلا في مملكة (برلاك) الصغيرة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة حيث كان سكان المدن وحدهم مسلمين. أما سكان المرتفعات فكلهم وثنيون، أو متوحّشون يأكلون لحوم البشر». بينما تذكر كتب تاريخ الملايو: أن أول ملكٍ مسلمٍ حكم مملكة (آتشيه) هو (جيهان

شاه) وكان ذلك عام ٦٠٢ هـ وإنه لم يكن من سكان البلاد، وإنما تزوج منهم فقبلوه ملكاً.

ونعتقد أن الإسلام قد بدأ يطرق أبواب تلك المنطقة منذ أن توقفت موجة الفتوحات، حيث انصرف الناس بعدها إلى مختلف نواحي الحياة يعملون في الزراعة، ويُمارسون الصناعة، ويتنقلون بالتجارة، وازداد إقلاع السفن من سواحل جزيرة العرب ومن فارس مُيممةً وجهتها نحو المشرق تحمل معها البضائع، وإلى جانبها أخلاق التجار المسلمين التي تنبع من العقيدة، إلى جانب الدعاة الذين عملوا على نشر الدعوة والعمل في سبيل الله دون أي عملٍ آخر معتمداً في رزقه على ما كان قد جمعه، وكثيراً ما كان التجار يتخذون بضاعتهم وسيلةً للاتصال بالناس والعمل على هدايتهم.

وتروي كتب التاريخ أن بعض التجار الأندونيسيين قد وصلوا إلى بغداد أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وعندما قفلوا راجعين كانوا يحملون بين جوانحهم عقيدة الإسلام، وعندما وصلوا إلى بلادهم قاموا بدعوةٍ واسعة النطاق لها، وبدأ الإسلام ينتشر بين السكان ولكن على شكل أفرادٍ وجماعاتٍ بسيطة، وأخيراً استطاعوا أن يُؤسّسوا لهم تلك المملكة الصغيرة (برلاك) التي يتحدّث عنها الرحالة الأوربي (ماركوبولو). ولكن لم تكن لتخلو بقية المدن والجزر الأخرى من أفرادٍ مسلمين وأسرٍ كاملةٍ، ولكن لم يشعر بهم الغريب ما دام ليس لهم أثر واضح على حياة السكان لقلّتهم، وإلا هل يمكن أن ينتشر الإسلام دفعةً واحدةً في تلك المدة البسيطة التي تلت زيارة (ماركو بولو) لجزيرة سومطرة، حيث قام بزيارتها بعد أقلّ من نصف قرن الرحالة المسلم (ابن بطوطة) فوجد الحكم الإسلامي، وأكثرية الشعب تعتقد العقيدة الإسلامية، فقد كانت زيارته للجهة نفسها عام ٧٤٦ هـ، ويقول عن هذه المشاهدات: «وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك، شافعي المذهب، محبّ للفقهاء، يحضرون مجلسه للقراءة

والمذاكرة، وهو كثير الغزو والجهاد، ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه، وأهل بلاده شافعية، مُحبّون للجهاد، يخرجون معه تطوّعاً، وهم غالبون على من يليهم من الكفار، والكفار يُعطون الجزية على الصلح». وربما كان (ماركو بولو) يهوّن من شأن المسلمين من باب الحقد الصليبي.

وما إن بدأ التجار المسلمون يفدون إلى تلك السواحل، ويرحل عنها أبناؤها ليعودوا بعقيدةٍ جديدةٍ حتى بدأت البذور الأولى للدعوة تثبت جذورها في تلك الأرض، واتخذت الوسائل جميعها لهداية لناس، وأخذهم إلى طريق الإسلام، فالمسلم يحبّ الخير للناس جميعاً، ويحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، فيرغب لنفسه الأجر بهداية الآخرين، وكذلك يحبّ لهم الأجر بعد الهدى، وأكبر شيءٍ يمكن أن يُقدّمه للناس هو دعوتهم للإسلام فيحصل على أكبر أجرٍ، ويحصلون على أكبر خيرٍ إن تمكّن، ومن هذه الوسائل معاملة السكان كي يتعرّفوا على الخلق الإسلامي لإقبال الناس على هذا الدين، ولهذا اتخذ بعض الدعاة التجارة لتكون وسيلةً لهم للصلة مع السكان والتعامل معهم، ويشترون العبيد ويعتقونهم ليرفعوا من مكانتهم الاجتماعية، ويدعونهم إلى الإسلام، فيُسلمون غالباً، ويتزوّجون من سكان البلاد فتدخل المرأة في دين زوجها بعد أن تتعرّف على حقيقة الإسلام عن قربٍ، وتتبيّن المعاملة الإسلامية بالممارسة، ثم لا يلبث أن يتبعها بذلك أهلها وأقرباؤها، ويحرص السكان على تعلّم اللغة العربية على أنها لغة المسلمين التجار الأرقى، ولغة المصلحة بالنسبة لهم، والإنسان أقرب ما يكون إلى من يتفاهم معه مباشرةً دون وسيطٍ فيسمع الفرد الكلمة من المسلم فيعرف معناها، ويتأثّر، وصار كل من يتكلّم العربية يُسمّى مسلماً، وقبل بعضهم هذا الاسم، وأقبل على الإسلام.

وكان أهالي البلاد يحترمون التجار المسلمين والدعاة، ويكرمونهم لأخلاقهم الرفيعة التي تنبع من عقيدتهم ولغربتهم من ناحيةٍ ثانيةٍ، ولشعور

السكان أن هؤلاء الغرباء المسلمين أعلى منهم مستوىً، والغريب محبب مكرم، وإكرام الضيف معروف عند أكثر الشعوب، كما أن هذا الاحترام قد يكون ناشئاً عن الثروة التي يملكها هؤلاء التجار، والتي تجعل لهم مكانةً مرموقةً، ومركزاً ممتازاً في المجتمع، بل يتقرّب الناس منهم، وكذلك فإن الحكام بحاجةٍ إليهم لزيادة النشاط التجاري في بلادهم، ولزيادة دخل البلاد من عائدات التجارة، ومضاهاة الإمارات الأخرى بذلك النشاط، والثراء، والتطّور الذي يتمّ نتيجة كثرة التجارة، وكذلك يجب ألا ننسى الهدايا التي يحصل عليها المسؤولون من التجار، كل هذا يجعل للتجار المسلمين مكانةً عند حكام الإمارات الأندونيسية فيلتقون بهم، وغالباً ما يؤثرون بهم لثقافتهم، وعلمهم، ولكونهم دعاةً يعرفون أسلوب الدعوة وطريق الحوار، فإذا ما أسلم أحد الحكام توسّع انتشار الإسلام لأن الشعب غالباً ما يحرص على تقليد أمرائه. وكذلك تعتنق القبائل الإسلام مجرد اعتناق أحد كبارها له، وكانت تلك المناطق لا تزال تزخر بالحياة القبلية.

كما أن السكان قد تأثّروا بوضوح العقيدة الإسلامية ويُسرها، وبما فيها من المساواة بين الناس، وهذا على خلاف ما يعرفونه من فروقٍ قائمةٍ بين الناس في الديانات التي كانت تسود أندونيسيا، وكان الشعب يُعاني الكثير من ذلك، ويريد الخلاص مما هو فيه، ووجد الإسلام مُنقذاً له.

وقد يكون التأثّر بسبب تفوّق المسلمين بالحضارة، ومن المعروف تأثّر الناس بالذين يعتقدون أنهم أعلى مستوىً منهم، كما أن إقبال المسلمين على المؤاخاة بين أهل البلاد، وبُعدهم عن الغايات والأطماع التي يعرفونها من الغرباء غيرهم، كل ذلك قد أوجد عند الأندونيسيين تقبّلاً للانتساب إلى الإسلام وفخراً، وخاصةً أنهم وجدوا في الدعاة مثلاً أعلى وأنموذجاً رائعاً في الإنسان الكامل من حيث الأخلاق، والتواضع، والبعد عن الجشع رغم عملهم المادي الذي يُمارسونه. وحتى وجدوا من الأمراء الأندونيسيين الذين اعتنقوا الإسلام تغيّراً واضحاً في السلوك والأخلاق، ولم يتخذوا سيفاً، ولم

يرفعوا سوطاً لتحويل أتباعهم إلى عقيدتهم كما يفعل الأمراء غير المسلمين، أو كما فعل هؤلاء أنفسهم قبل أن يُسلموا، ولم يستعمل السيف إلا لإحقاق الحق، أو ردع باطلٍ، أو ضرب من يقف في وجه الدعوة، ويحول دون انتشارها.

وبعد مجيء الاستعمار وقدوم الإرساليات التنصيرية ازداد إقبال الناس نحو الإسلام مخالفةً للإرساليات التنصيرية وضدّها لما يرون من أعمال تلك الإرساليات غير الإنسانية، فقد حدث أن تنصّرت قريتان، ثم تركتا النصرانية واعتنق سكانهما جميعاً الإسلام لما شاهدوا وعرفوا من حقيقة تلك الإرساليات النصرانية.

ولم يدّع المسلمون القادمون أنهم من جنسٍ أسمى، أو عرقٍ أفضل، أو شعب أرقى، أو أنهم أكثر مدنيةً، أو أعلى مكانةً، كما يدّعي المستعمرون الصليبيون، فهذا أمر يعرفه الآخرون، ويُقرّون به، لا يدّعيه صاحب العلاقة نفسه.

كل هذا إضافةً إلى حاجة الإنسان إلى التدين التي جعلت السكان يُفكّرون تماماً في قضية العقيدة، ولما كانت الديانات الموجودة آنذاك في أندونيسيا لا تُحقّق شيئاً من رغبات الإنسان الفطرية، لذا فقد أقبل السكان على الإسلام بشكلٍ واسعٍ لا نظير له، إذ اعتنق الإسلام في أندونيسيا عشرات الملايين في مدةٍ لا تتجاوز القرن من الزمن، وكانت المناطق الداخلية أكثر إسراعاً للدخول بالإسلام من المناطق الساحلية التي كانت أشدّ اتصالاً بالمؤثّرات الأجنبية. وكانت المناطق الساحلية أكثر تقبّلاً للإسلام لكثرة التجار المسلمين، وأخذها الدين الذي يتلاءم والفطرة البشرية من بين المؤثّرات الكثيرة التي ترد إليها من التجار الذين يمثّلون مختلف الأمم والعقائد. ولم يبق بعيداً عن الإسلام في أندونيسيا إلا تلك القبائل المعزولة في الغابة التي لم تختلط بغيرها، وتنزوي على نفسها،

ولم يكن بالإمكان الاتصال بها. ولا تخلو جزيرة إلى الآن من أمثال هذه القبائل المنكفئة على نفسها في الأحراش وقلل الجبال.

ولما دخل الكثير من السكان في الإسلام ومن مختلف الفئات وحّدوا صفوفهم، وقاموا بحركة الانفصال عن امبراطورية (ماغافاهيت) بقيادة الزعيم (أونس) الذي عُرف باسم يونس، واستطاع أن ينتصر على ملوك تلك الامبراطورية، فإن المسلم لا يصحّ أن يبقى تحت حكم الجاهلية إن كان بإمكانه إقامة حكمٍ إسلاميٍ، وإن لم يستطع فعليه أن يرحل إلى دار الإسلام حيث يُقام حكم الله. وبذلك بدأت تتأسّس ممالك إسلامية في أندونيسيا.

هذا في الجزيرتين الغربيتين اللتين تمرّ منهما الطرق التجارية، أما بقية الجزر فقد جاءهما الإسلام من الجزيرتين السابقتين، ففي جزيرة (بورنيو) كان الإسلام أول ما دخل في صفوف شعب (بنغرماسين) الذي كانت له مملكة في جنوب غربي الجزيرة.

وفي شمالي الجزيرة كانت مملكة (بروني) التي انتشر فيها الإسلام أيضاً في وقتٍ مبكرٍ، ولما وصل الإسبان إلى الجزيرة عام ٩٢٨ هـ وجدوا ملك (بروني) مسلماً.

وفي غربي الجزيرة قامت مملكة (سوكدنة)، وقدعمّ الإسلام فيها عام ٩٥٧ هـ.

وهكذا عمّ الإسلام أكثر الساحل بينما بقي الداخل على الوثنية. وفي القرن الثاني عشر الهجري بدأ الإسلام ينتشر في قبيلة (إيدان) التي تقطن الداخل.

وأما جزيرة (سيلبيس) فقد انتشر الإسلام على الساحل أيضاً، ومنه انتقل إلى الداخل، وتعدّ قبيلتا (ماكاسّار) و(البوجي) أهم قبائل سكان

الساحل، بل وأغلب سكانه ينتمون إلى إحدى هاتين القبيلتين. أما سكان الداخل فهم من (الألفور) الذين ينتشرون في القسم الشرقي أيضاً، وقد بدأ الإسلام يشقّ طريقه إليهم، وقد زار البرتغاليون الجزيرة عام ٩٤٧ هـ، ولم يجدوا فيها إلا قليلاً من المسلمين في قاعدة (جوا) حاضرة مملكة (ماكاسّار) - على زعم البرتغاليين - ولكن ما جاء القرن الحادي عشر الهجري إلا وكثر المسلمون، وطلبوا العلماء من مملكة (آتشيه) في شمالي سومطرة، فلُبّي الطلب مباشرةً، وجاء العلماء، وذلك عام ١٠١٢ هـ. ودخل شعب (بوني) في الإسلام على يد شعب (ماكاسار)، واتخذ الهولنديون المستعمرون الصليبيون كل الوسائل، وبذلوا جهدهم كافةً لإثارة شعب (بوني) على قبيلة (ماكاسار). كما استطاع الدعاة في قبيلة (البوجي) أن يُحوّلوا قبيلة (السسك) التي تسكن في جزيرة (لمبوك) إلى الإسلام، كما عملوا على نشر الإسلام في جزيرة (سومباوا).

ويرتبط وصول الإسلام إلى جزر (المولوك) بتجارة القرنفل ففي القرن الخامس الهجري أذعن ملك (بيدور) الوثني للدخول في الإسلام على يد الشيخ منصور، ولقّب نفسه (جمال الدين)، وبعدها اعتنق كثير من رعاياه الإسلام. وقد استقبل البعثة الإسبانية عام ٩٢٨ هـ، وأكرم رجالها، ويقول الإسبان: إن عمره كان خمسةً وخمسين عاماً، وأنه لم يمض على قدوم الإسلام إلى هذه الجزيرة أكثر من خمسين سنةً. كما استقرّ الإسلام في جزيرة (ترنات) قبل ذلك بوقتٍ قصيرٍ.

وحاول الإسبان والبرتغاليون نشر النصرانية وبذلوا إمكاناتٍ ضخمةً في سبيل ذلك، ولكن السكان عندما أرادوا التخلّص من المستعمرين الصليبيين قاموا باضطهاد النصارى على أنهم من غراس المستعمرين، وتربطهم بهم صلة العقيدة، وسيبقون على هذا الأساس تبعاً لهم، وفي الوقت نفسه عملوا على نشاط الدعاة المسلمين.

وأخرج الهولنديون البرتغاليين والإسبان من الجزر الأنـدونيسية على أنهم من الكاثوليك، ومن بقي من آثارهم انتقل إلى جزر الفيليبين.

وقد أسّس المسلمون عدة ممالك في الجزر الأندونيسية ومنها:

١ ـ مملكة برلاك في سومطرة، وهي التي زارها الرحالة ابن بطوطة.

٢ ـ مملكة بنتام في غربي جاوه: وقد أسّسها السلطان (حسن الدين) عام ٩٧٦ هـ.

وكان البرتغاليون قـد احتلّوا (مالاقـا) عام ٩١٧ هـ، وسيـطروا على شمالي جزيرة سومطرة عام ٩٢٨ هـ، وأصبح مضيق (مالاقا) تحت نفوذهم وسلطانهم، لذلك اتخذ المسلمون طريقاً جديدةً لتجارتهم تمرّ من مضيق (الصوند) بين جزيرتي (جاوه) و(سومطرة) عوضاً عن مضيق (مالاقـا) بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة، وبهذا الانتقال توسّع انتشار الإسلام في غربي جزيرة جاوه، وقويت شوكة أتباعـه، فأسّسـوا مملكة (بنتـام) هذه، وتخلّصوا من حكم مملكة (فاغاغاران) الوثنية التي كانت تحكم المنطقة، كما استطاع المسلمون مـن إحـراز النصر على البرتغاليين الذين جاءوا إلى المنطقة لمساعدة الملك الوثني.

٣ ـ مملكـة ديماك في وسط جـاوه: أسّسها رمضـان فـاطمي عـام ٨٣٢ هـ.

٤ ـ مملكة متارام في شرقي جاوه: كانت (متارام) مملكةً قائمـةً، وكان ملوكها على الوثنية، وفي عام ٩٩١ هـ تولّى أمرها رجل مسلم اسمه (سنافاتي) وعمل على نشر الإسـلام، ووحدة جـزيرة (جـاوه) كلها تحت حكمه، وكاد أن يتمّ له الأمر لولا أن اتخذ سياسة إبقاء الممالك الصغيرة ذات استقلالٍ ذاتيٍ، وتخضع لسلطانه، فكان حكامها يظهرون له الطاعة، ويضمـرون الغـدر، فمـا أن وافتـه منيتـه حتى أعلنـوا العصيـان على المملكـة،

واندلعت الحروب بين هذه الممالك، وانتهى أمر مملكة (متارام) الإسلامية.

٥ ـ مملكة آتشيه في شمالي سومطرة: كانت هذه المملكة أولى الممالك الأندونيسية القديمة التي انتشر فيها الإسلام، وتوطّد، وتشجّع السكان لدينهم، ولكن قلّ جهادهم في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين لسيطرة البرتغاليين التجارية، وانتقال الطريق التجارية من مضيق (مالاقا) إلى مضيق الصوند، إضافةً إلى النزاع الذي حدث بين العلماء الذين يرفضون النفوذ الأجنبي وبين الحكام الذين لا يدعون إلى الجهاد، ولكن عادت لهذه المملكة قوتها في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وبدأت تقاوم المستعمرين الصليبيين حتى القرن الرابع عشر الهجري.

٦ ـ مملكة بالمبانغ في جنوبي سومطرة: وقد أسّسها السلطان عبدالرحيم عام ١٠٥٨ هـ، وكانت أول مملكةٍ في تلك الجهة رغم انتشار الإسلام منذ القرن السادس الهجري.

وبالقضاء على امبراطورية (ماغافاهيت) انتهى حكم الهندوس في تاريخ أندونيسيا باستثناء جزيرة (بالي) حيث تجمّع فيها الهندوس، والذين يُقدّر عددهم بأكثر من مليون.

الاستعمار:

في الوقت الذي بدأ المسلمون فيه يثبّتون أقدامهم في أندونيسيا كان المستعمرون الصليبيون من ناحيةٍ أخرى يغرزون مخالبهم في الأرض لتجد لأصحابها مركزاً ثابتاً تستقرّ فيه لتحقيق الأهداف التي يسعون لها.

احتلّ البرتغاليون (مالاقا) عام ٩١٧ هـ، واتخذوا منها قاعدةً لشنّ الحملات على الجزر الأندونيسية وخاصة جزر (المولوك)، وهي الجزر

التي يعرفونها باسم جزر (التوابل)، وقد تمكّنوا من السيطرة على شمالي سومطرة عام ٩٢٨ هـ، ووصلوا إلى جزيرة (سيلبيس) عام ٩٤٧هـ.

كما أن الإسبان قد وصلوا إلى جزيرة (بورنيو) وإلى جزر (المولوك) عام ٩٢٨هـ في طريق عودتهم، بعد مقتل قائدهم (ماجلان) في جزر (الفيليبين) بعد أن أظهر صليبيته علناً، وأراد فرضها على السكان. وإذا كانت البرتغال قد استطاعت أن تُثبّت أقدامها في الجزر الأندونيسية إلا أن إسبانيا قد عجزت عن ذلك إلا في جزر (المولوك).

قامت الثورات ضدّ البرتغاليين لتعصّبهم الصليبي، ولظلمهم، وقامت معها حركات ضدّ النصرانية التي عدّها السكان تتمةً للاستعمار الصليبي إذ هو الذي جاء بها، وهو الذي أغرى بها بعض الفقراء المغفّلين، وأصحاب المصالح الطامعين. وزادت هذه الحركات بعد أن قتل غدراً سلطان جزيرة (ترنات) عام ٩٧٨ هـ، ويُدعى (هارون)، وكانت تمتدّ سلطته حتى جزر الفيليبين.

وضعفت البرتغال بعد أن احتلّت إسبانيا أراضيها عام ٩٨٨ هـ، ثم إن إسبانيا لم تلبث أن ضعف أمرها بعد أن هُزمت أمام إنكلترا، وتحطّم أسطولها في معركة (الأرمادا) عام ٩٩٧ هـ، وهذا ما هيّأ الجو لدولٍ طامعةٍ عندها رغبة في الاستعمار، وعندها رغبة في الثراء، بعد أن كانت تسمع عن ثروات الشرق وغنى أهله، وعندها رغبة في أن تُساهم في قتال المسلمين، ولديها حلم في المنافسة لدولٍ تجول في تلك الأصقاع البعيدة، وانطلقت هولندا التي كانت في حربٍ مع الإسبان، وتخلّصت من سيطرتهم حيث كانت تخضع لهم، فخرجت تُنافسهم، وتُقاتلهم، وتُحاول أن تحلّ محلهم في مستعمراتهم التي احتلّوها، والتي ورثوها عن البرتغاليين أيضاً.

الاستعمار الهولندي:

وصل الأسطول الهولندي إلى سومطرة، وجاوه عام ١٠٠٥هـ لأول مرةً، وحدث بينهم وبين السكان معارك، وحاول البرتغاليون الوقوف في وجه الهولنديين فأمروا بواخرهم في (غوا) على ساحل الهند الغربي، وبواخرهم التي في (مالاقا) في شبه جزيرة الملايو بالتحرّك نحو أندونيسيا لمقاومة الهولنديين، وعدّوا كل سفينةٍ ليست لهم غنيمةً يأخذونها ومنها السفن الأندونيسية فاصطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عدّ الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضدّ البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تتزحزح عن مراكزها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز (مالاقا) مدة أربعين سنةً أخرى، كما احتفظت بجزءٍ من جزيرة (تيمور)، ومراكز صغيرة أخرى، ولكنها بقيت ضعيفةً لا يُهتمّ بها.

لم تُراع هولندا التحالف الذي تمّ ضمناً بينها وبين الأندونيسيين، فما أن خرجت البرتغال من الساحة القتالية حتى انقضّ الهولنديون على الجزر الأندونيسية وعلى السكان يعملون سلباً، ونهباً، وقتلاً، وتشفّياً، فما كان الذئب الجائع ليرعى حرمة الحمل، والهولنديون جاءوا طامعين بالثراء، يريدون العزة بعد الذلّ، حاقدين على الإسلام وأهله، وقد واتتهم الفرصة فانقضّوا كالذئاب الكاسرة الجائعة التي أثارتها غريزة جوعها نحو شياهٍ أمامها وحال بينهما حائل ثم زال ذلك الحائل فانقضّت تنهش غريزياً من غير وعيٍ.

بدأت هولندا تُشدّد قبضتها على الجزر، وأسّست شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠١١ هـ، ووجدت الفرصة مناسبةً لها لانشغال إنكلترا وإسبانيا في حروبٍ فيما بينهما، وبدأت المعارك بين الهولنديين وبين الممالك الإسلامية وخاصةً مملكة (متارام)، وشعر ملوك جزيرة (جاوه) بعد هذه المعارك بقوة مركز هولندا، التي بدأت توسّع سلطتها تدريجياً، وتُقيم

القلاع والحصون التي أصبح من أشهرها (بتافيا)، وهو الاسم الذي أطلقوه على مدينة (جاكرتا)، إذ أعطوها اسم إحدى القبائل الهولندية (بتافيا)، وأخذت هولندا تتجه كلياً نحو أندونيسيا، وترمي بثقلها هناك بعد أن انهارت تجارتها في الهند بسبب منافسة كلٍّ من فرنسا وإنكلترا لها.

أخذت المنافسة بين إنكلترا وهولندا تظهر في أندونيسيا منذ عام ١٠٢٧ هـ، وإن كانت هناك معارك جانبية من قبل، وإن بقيت المنافسة هناك وفي مناطق أخرى إلا أن الحرب قد انتهت بين الطرفين على إرغام هولندا على إلغاء احتكاراتها التجارية في الهند وفي أندونيسيا، وهذا ما سبّب زيادةً في خسائر شركة الهند الشرقية الهولندية والتي بلغت ستةً وتسعين ألف روبية عام ١٠٢٦ هـ.

احتلّت فرنسا أراضي هولندا عام ١٢١٠ هـ، وكانت إنكلترا وفرنسا في حروبٍ دائمةٍ فيما بينهما، ومنافسةٍ لا تنقطع، وباحتلال فرنسا لهولندا وضمّها إليها، وعدّها جزءاً منها أصبحت ممتلكات هولندا في الشرق فرنسيةً لذا أسرعت إنكلترا واحتلّت مخازن الشركة الهولندية في الهند، وفي سومطرة دون مقاومةٍ تُذكر، وانتهى أمر الشركة عام ١٢١٤ هـ.

وبعد انتهاء الحرب بين إنكلترا وهولندا أيام حروب نابليون بونابرت عادت الحكومة الهولندية فاستولت على ممتلكات الشركة السابقة من جديدٍ، وبدأت في استعمار أندونيسيا. وبعد هزيمة نابليون، واستقلال هولندا تمّ توقيع اتفاقية بين هولندا وإنكلترا، تركت هولندا بموجبها جزيرة سيلان، والكاب في أقصى جنوبي إفريقية، وجزائر الهند الغربية في أمريكا إلى إنكترا، وبالمقابل تخلّت إنكلترا عن أندونيسيا لهولندا، وكانت انكلترا قد احتلّت جزءاً من أندونيسيا، وفي عام ١٢٣٢ هـ رفع الهولنديون رايتهم من جديد فوق (بتافيا)، ولكن لم يدخل الهولنديون البلاد دون مقاومةٍ، فقد قامت عدة حروبٍ بين السكان وبين الدخلاء، كان من أشهرها:

١ ـ حروب (ديبو نيغورو) الأمير المسلم: واستمرّت خمسة أعوام، وانتهت عام ١٢٤٦ هـ.

٢ ـ حروب (بدري): وبدري جمعية دينية تأسّست قبل وصول الهولنديين بقليلٍ، وتعني البيضاء، رمزاً لطهارة القلوب، وصفةً للملابس البيضاء التي لبسوها، وبدأوا بالدعوة للإسلام، وعندما نزل الهولنديون في أندونيسيا أعلنت جماعة (بدري) الجهاد، واستطاعت إحراز النصر، وأقامت حكماً برئاسة مجلسٍ يضمّ ثمانية علماء، وبرز من أبطال الجهاد الشيخ مصطفى سحاب.

أشعلت هولندا الحرب الأهلية بين السكان بينما انصرفت هي لقتال جماعة (بدري)، واستمرّت الحرب خمس عشرة سنةً (١٢٣٧ ـ ١٢٥٣ هـ).

وكان الهولنديون ينتصرون على الملوك المحليين بالخديعة والمكر والغدر، لا بالقوة العسكرية، وإن كان النصر يتمّ أحياناً على بعض الملوك بالقوة وأفضلية السلاح.

وبعد أن سيطرت هولندا على جزيرة (جاوه) إثر حروب الأمير (ديبو نيغورو) اتجهت إلى الممالك الأندونيسية الأخرى تخضعها مملكةً مملكةً حتى استطاعت أن تتغلّب على الممالك جميعها في بداية القرن الرابع عشر الهجري، ولعلّ أشهر هذه الحروب التي جرت خارج جزيرة (جاوه) هي:

٣ ـ حرب (آتشيه) في شمالي سومطرة: وقد استمرّت هذه الحرب إحدى وثلاثين سنة (١٢٩٠ ـ ١٣٢٢ هـ) وقد أعلن سكان مملكة (آتشيه) الجهاد ضد الهولنديين الذين أرادوا أن يبسطوا نفوذهم على المسلمين، وكان السلطان آنذاك يدعى (إبراهيم منصور شاه)، وظهر من الأبطال في هذه الحرب (تنكو عمر)، ولكن إن انتهت الحرب عام ١٣٢٢ هـ فإن

الاضطرابات استمرت عشر سنوات أخرى أي حتى عـام ١٣٣٢ هـ قبيل الحرب العالمية الأولى.

قامت الحرب العالمية الأولى، وقد استقرّت أقدام الهولنـديين في أندونيسيا تقريباً، ولكن هذه الحرب لم تغيّر شيئاً من الأوضاع السياسية، وبعد انتهاء الحرب بدأت هولندا بتطبيق سياستهـا الاستعماريـة الصليبية، ومنها العمل على إبادة المسلمين، وإفسادهم، وإبعادهم عن دينهم، ونهب ثروات البلاد بما يرضي نهمها، وبما يجعـل السكان فقـراء الأمر الـذي يُلزمهم الحاجة والتوجّه نحو النصرانية ـ حسب التصور الصليبي ـ.

اتجه الأندونيسيون نحو توحيد الصفوف، وتأسيس الجمعيات، وتنظيم الأحـزاب، ولعب المسلمون الملتـزمـون الـدور الكبيـر فيهـا، ومن هـذه التنظيمات:

١ ـ الجمعية الخيرية في جاكرتا، وتأسّست عام ١٣١٩ هـ.

٢ ـ جمية مكارم الأخلاق الخيرية في (سورابايا) في شرقي جاوه.

٣ ـ شركة إسلام في (صولو)، وأسّسها الحاج (سمنهودي)، وكان يُسانده في الحركة (عمـر سعيـد شكرو أمينوتو) الذي صار فيما بعد زعيم هذه الهيئة، والتي انقلبت عام ١٣٣٠ هـ إلى حزبٍ سياسيٍ عُرف باسم حزب (شركة إسلام)، وعمل هذا الحزب على توحيد جهود الأندونيسيين، ورفع مستوى المعيشة للسكان، وابتدأ في كفاحه ضدّ الهولنديين، وتطورت المجابهة من سياسةٍ اقتصاديةٍ إلى جهادٍ مستمرٍ، وظـلّ دعامـةً من دعائم الاستقلال. وقد بدأ بمقاطعة الحكومة عام ١٣٤٢ هـ، إذ خرج أعضاؤه من المجلس النيابي.

٤ ـ الجمعية المحمدية: وأسّسها محمد دحلان عام ١٣٣١ هـ، وقد ركّزت جهودها على التعليم، ونشر مبادىء الإسلام، فافتتحت المدارس،

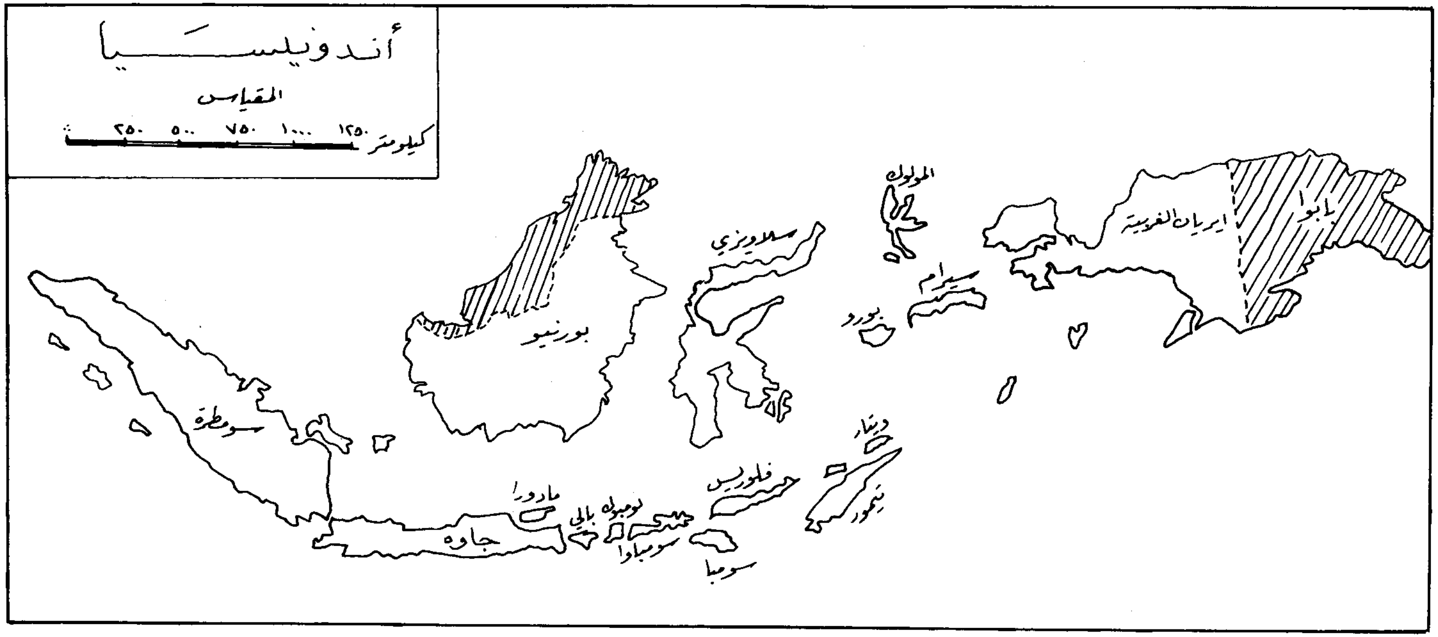
وأقامت جامعةً، كما أنشأت المساجد، والمستشفيات، وتعدّ أكبر جمعيةٍ تعليميةٍ في العالم، إذ تُشرف على ألفٍ وخمسمائة مدرسةٍ ثانويةٍ، وسبعمائة مستشفىً، وثلاثمائة دارٍ للأيتام.

٥ ـ جمعية الإرشاد في (سورابايا)، وأسّسها أحمد السكرتي، وهو ذو أصل سوداني، وتُركّز اهتمامها على التعليم، ولا تُدرّس إلا باللغة العربية، وأنشئت عام ١٣٣١ هـ.

٦ ـ الجمعية العائشية التي تأسست عام ١٣٣٥ هـ، وهي خاصة بالسيدات، ومركزها مدينة (ميدان) في جزيرة سومطرة.

٧ ـ الحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي بأندونيسيا وهو فرع للحزب الاشتراكي الهولندي بهولندة. وذلك أن هولندا كانت تعدّ أندونيسيا جزءاً منها على حين أن مساحة أندونيسيا تفوق مساحة هولندا بـ (٦٨) مرةً، ورضي هذا الحزب بهذا الاعتبار ورُضي به، وعدّ نفسه فرعاً للحزب الذي مركزه هولندا، وعندما انكشف أمر هذا الحزب عدّ نفسه مستقلاً وذلك عام ١٣٣٨ هـ، وبعد عامٍ واحدٍ أُعلن عن تأسيس الحزب الشيوعي، والتحق بالمنظمة الشيوعية العالمية (كومنترن)، وكان هذا الحزب يلقى كل تأييدٍ من السلطات الهولندية.

وقامت ثورة واسعة في البلاد لم تستطع القوات الاستعمارية الصليبية من إطفاء نارها إلا عام ١٣٤٦ هـ، وهذه الثورة، وهذا الوعي الذي تمثّل في تأسيس الجمعيات، وتنظيم الأحزاب لم يزد هولندا إلا حقداً على السكان المسلمين، وتصميماً على سلب خيرات البلاد كلها، وضرب السكان ضربةً رادعةً، وأعدّت الخطة اللازمة لذلك، واستمرّت في تنفيذها حتى اندلاع نار الحرب العالمية الثانية.


أندونيسيا
المقياس
كيلومتر ١٢٥٠ ١٠٠٠ ٧٥٠ ٥٠٠ ٢٥٠ ٠
سومطرة
جاوه
مادورا
بالي
لومبوك
سومباوا
سومبا
فلوريس
تيمور
ويتار
بورنيو
سلاويزي
الملوك
بورو
سيرام
ايريان الغربية
بابوا

مصور رقم [٤]

الفصل الأول

أندونيسيا من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) وهولندا تعمل على تطبيق سياسةٍ استعماريةٍ، صليبيةٍ حاقدةٍ، والسكان في ضيقٍ شديدٍ يوقدون نار الثورة ببطءٍ، ويتحرّكون بترنّحٍ مما يُعانون من الظلم، والفقر، والجهل، والمرض، والذلّ نتيجة تلك السياسة الغاشمة.

واستمرّ تأسيس الجمعيات وتنظيم الأحزاب، ومن أشهر هذه التنظيمات في هذه المرحلة:

١ ـ جمعية نهضة العلماء، وأسّسها هاشم أشعري عام ١٣٤٥ هـ، وصارت من أكبر الأحزاب السياسية، وللحزب قسم نسوي يُسمّى «مسلمات النهضة»، كما أقام فيما بعد عام ١٣٨٦ هـ، جامعة المسلمات الأندونيسية، فهو حزب سياسي تعليمي.

٢ ـ حزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذي أسّسه (سوتومو) عام ١٣٤٩هـ، وقد اتخذ أخيراً اسم (حزب أندونيسيا العظيم).

٣ ـ حزب الأمراء ويرى التعاون مع الحكومة الهولندية لإمكانية الحصول على الاستقلال.

٤ ـ حزب جاوه الفتاة.

٥ ـ الجمعية الوصلية.

٦ ـ جمعية الإصلاح الإسلامي في جزيرة (مادورا)، وغيرها من الجمعيات التي بلغ عددها سبعاً وخمسين جمعيةً.

٧ ـ الحزب الوطني وأسّسه أحمد سوكارنو عام ١٣٤٧ هـ.

٨ ـ الحزب الإسلامي الأندونيسي انفصل عام ١٣٥٤ هـ، بقيادة (سوكيمان) عن حزب شركة إسلام.

٩ ـ جمعية الشبان المسلمين.

١٠ ـ حزب التنوير الإسلامي.

وعدّت هولندا الحركة الإسلامية في الجزر الأندونيسية خطراً شديد الأهمية فهي تتعدّى حدودها الإقليمية الضيّقة لتُؤثّر وتستقطب دعم العالم الإسلامي، لذلك امتنعت السلطات الهولندية عن قمع الحركة الإسلامية بالقوة العسكرية في بادىء الأمر خوفاً من المضاعفات التي قد يُسبّبها مثل هذا الإجراء، وأخذ المسؤولون يُفكّرون في سبلٍ جديدةٍ تُمكّنهم من القضاء على خطر المقاومة الإسلامية، وأخيراً رأوا أن أفضل السبل إنما هو تشجيع الحركات الإلحادية، ونشر الفساد بالسفور، والاختلاط، ونشر ما يسمى بالفنّ، وتقديم المساعدات لأصحابه، وإيجاد تيارين رئيسيين في البلاد وهما: التيار الماركسي، والتيار القومي، وتلك آراء (سنوك هورو غونغي) المستشرق الهولندي المعروف والمكلّف بالقيام بهذه الدراسة، ويرى أن القومية يمكن أن تكون عامل إضعافٍ للحركة الإسلامية وضمان أمنٍ ضدّ قيام صلات بين الحركات التحررية في أندونيسيا وبين بقية أمصار العالم الإسلامي. وأما التيار الشيوعي الماركسي فهو كفيل ببثّ الإلحاد في صفوف الأهالي ونشر الفساد بينهم، وهو الأمر الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومته بضراوةٍ، والاتجاه إلى محاربته، والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ومؤسساته المختلفة، إضافةً إلى أن المسلمين إذ انتشر بينهم الإلحاد، وعمّ الفساد، فقدوا الروح المعنوية، وضاع مفهوم الجهاد، وانصرفوا إلى دنياهم لا يُبالون بشيءٍ آخر، وأضحت أكبر همّهم، ومبلغ

علمهم، وانطلقوا وراء شهواتهم يغبّون منها ما شاء لهم هواهم، ووجدت القوات الاستعمارية الصليبية الجو أمامها هادئاً والطريق ممهدةً للاستغلال ولبثّ النصرانية. وإن هذا التيار سيتلقى مساعداتٍ واسعةً من كل الشيوعيين في العالم، وسيكون قوياً يمكنه أن يثبت أمام ضربات المسلمين.

ثم وجدت هولندا أمراً خطيراً آخر تُشغل به المسلمين، وتُفتّت قُواهم، ذاك هو فتح الباب للقاديانية التي أوجدها الاستعمار الإنكليزي في شبه القارة الهندية، وتُعدّ من ألدّ أعداء الإسلام، وتعمل باسمه للمستعمرين، وهيّأت هولندا لها أفضل الظروف التي يمكن أن تُؤمّنها سلطة حاكمة، وافتتح مركز للقاديانية في البلاد، واندفع المسلمون يُقاومون القاديانية، ويذودون عن دينهم ضدّ التحريف والتضليل، فمن ناحيةٍ شُغل المسلمون في مجادلاتٍ فانصرفوا عن مقاومة الهولنديين، وهذا ما تبغيه السلطة الاستعمارية، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ اتجه الشيوعيون ودعاة العصبية القومية إلى بثّ آرائهم والدعاية لأنفسهم، وإظهار الاهتمام بقضايا الشعب البائس الذي يعيش في مستوى معاشي منخفض، فكانوا يمنّونه بمستقبل أفضل، ويعدونه بالحصول عليه والوصول إلى حياةٍ سعيدةٍ إن سار وراءهم، فصدّق الشعب الجاهل هذه الدعايات ومشى و.. وحصلت هذه الفئات الضالة والمنتفعة على مكاسب، وعلى تأييدٍ شعبيٍ على حين أدار الشعب ظهره للمسلمين بالنسبة إلى ما كان عليه سابقاً، ولم يعد زعماء الحركات الإسلامية قادرين على قيادة الأمة وهذا أمل الهولنديين الكبير حيث يمكنهم التفاهم مع أية حركةٍ سوى الحركات الإسلامية لأن الحركات القومية والاشتراكية لا تهتم بالقيم، ويهمّها الحصول على المنافع والوصول إلى السلطة.

بدأت حركة تقارب بين الجمعيات والأحزاب الإسلامية، وتشكّل منها بين الحربين شبه اتحاد باسم (المجلس الإسلامي الأعلى)، وشُغل بعقد مؤتمراتٍ إسلاميةٍ عامةٍ، كما شُغل بمسألة الخلافة، وشكّل جمعية الخلافة في الهند الشرقية، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

الاستعمار الياباني:

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية، ووقفت اليابان إلى جانب دول المحور ضدّ الحلفاء، وأشعلت حرباً خاطفةً في الشرق، واتجهت نحو أندونيسيا فاستسلمت هولندا مباشرةً عام ١٣٦١ هـ، بعد مقاومةٍ قصيرةٍ، وسلّمت أندونيسيا لليابان، وكانت اليابان قد أصمت بدعاياتها آذان الشرق الأقصى بأن آسيا للآسيويين، ويجب طرد الرجل الأبيض من الشرق، وإذا كانت هذه الدعاية قد استمع لها أولئك الذين ذاقوا مرارة الاستعمار من غير المسلمين الملتزمين، والذين يسيرون وراء مصالحهم، ولم يبق لهم مكان أيام الاستعمار الهولندي إلا أن هؤلاء وأولئك قد وجدوا أنفسهم بعد دخول اليابان البلاد أنهم قد خرجوا من براثن الاستعمار الهولندي الصليبي الأوربي ليقعوا بين مخالب الاستعمار الياباني الوثني الآسيوي.

اتبعت اليابان سياسة الاكتفاء الذاتي في كل البلدان التي وقعت تحت سيطرتها، ومعنى هذا أن كل منطقة ستضطر إلى إنتاج ما تحتاج إليه من الحبوب، والمواد الغذائية، والأولية اللازمة، وتعطّل بذلك كثير من الرجال عن العمل فاستطاعت السلطة إيجاد عملٍ لهم في القطاع الحربي، وبهذا أصبح توزيع ضرورات الحياة مختلّاً جداً لأن المنتجات الفائضة في منطقة لا يمكن تصريفها، وفي الوقت نفسه لا يمكن جلب الضروري لها، وأكثر المناطق الأندونيسية تنتج الفائض عنها، فتتكدّس المواد الفائضة ولا سبيل للحصول على الضروري ولا للحصول على المال.

ولم يمض شهر على الاحتلال الياباني حتى صدر مرسوم بحلّ الأحزاب السياسية جميعها بل والمنظمات الأخرى، ومنعها من الاستمرار في نشاطها، وقد درّب اليابانيون الناس تدريباً عسكرياً. وألّفوا منهم فرقاً للدفاع الوطني، وأرادوا أن تكون هذه الفرق ضدّ الحلفاء، ليتمكّنوا من البقاء في أندونيسيا، وكان قائد هذه الفرق الجنرال (سوديرمان) وهو من العلماء، وأكثر ضباطه من جمعية المحمدية، وكان الهدف التدريب، ولم

يرض المسلمون عن هذه الفرق فأسّسوا حزب الله برئاسة (زين العارفين) من جمعية نهضة العلماء، وقد تدرّبوا أيضاً على يد اليابانيين، ليخفوا تنظيمهم الذي كان على غايةٍ من السرية.

قام الأندونيسيون بحركات داخل بلادهم ضدّ الاحتلال الياباني، وكانوا ينتظرون غزو الحلفاء لبلادهم، ومساعدتهم على طرد اليابانيين، وكلهم أمل أنهم سيحصلون على الاستقلال مجرد جلاء اليابانيين عن البلاد، وذلك حسب وعود الحلفاء المتكررة وتصريحاتهم المتوالية، ولقاء نضالهم ضدّ المستعمرين الجدد.

واستسلمت اليابان بعد إلقاء القنبلة الذرية في ٧ رمضان ١٣٦٤ هـ (١٥ آب ١٩٤٥ م) وبعد يومين فقط أُعلن عن قيام حكومة أندونيسية برئاسة أحمد سوكارنو (١) ونائبه محمد حتا(٢)، وعملت لتحول دون عودة الهولنديين

(١) أحمد سوكارنو: ولد في ١٩ صفر ١٣١٩ هـ (٦ حزيران ١٩٠١ م) في بلدة (بليتار) في شرقي جزيرة جاوه، وكان أبوه معلماً، أما أمه فهندوسية من جزيرة (بالي)، وينتمي إلى جماعة (أبنجان) الدينية، وهي في عقائدها أقرب إلى الهندوسية والبوذية الديانتين اللتين كانتا سائدتين قبل الإسلام، وتنتشر هذه العقيدة في شرقي جاوه، ولكن يدّعي أتباعها الإسلام ظاهراً.
درس أحمد سوكارنو المرحلة الابتدائية في بلدته (بليتار)، ثم انتقل إلى (سورابايا) ليلتحق بالمرحلة الثانوية، وهناك انضمّ إلى جماعة (جاوه الفتاة)، وكان يكتب في جريدة (رسول أندونيسيا)، والتحق عام ١٣٨٨ هـ (١٩٢٠ م) بكلية الهندسة في جاكرتا وتخرج منها عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م)، وعمل بإحدى الشركات الهولندية، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعات الهولندية.
بدأ أحمد سوكارنو عمله السياسي عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م)، وبعد عام اعتقل، وأطلق سراحه بعد عامين، ثم لم يلبث أن اعتقل ونُفي إلى جزيرة (فلوريس) إحدى جزر مجموعة الصوند الصغرى، وبعدها نقل إلى (بنكولن) في جزيرة سومطرة، وأطلق سراحه عندما أفرج اليابانيون عن المعتقلين السياسيين، وتسلّم رئاسة الجمهورية، وكان يميل إلى الشيوعية، وتوفي في مستشفى جاكرتا في ١٧ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ (٢١ حزيران ١٩٧٠ م).

(٢) محمد حتا: ولد في جزيرة سومطرة في ٨ جمادى الأولى ١٣٢٠ هـ (١٢ آب ١٩٠٢ م)، درس الاقتصاد في جامعة (روتردام) في هولندا، واشترك في الجمعية =

إلى البلاد بعد انسحاب اليابانيين، وتحرّك الأندونيسيون لنزع السلاح من أيدي اليابانيين، وصارت فرق الدفاع نواة الجيش، بينما أسّس حزب الله حكومةً وسط جزيرة جاوه في بقعةٍ جبليةٍ عُرفت باسم (دار الإسلام)، وأطلقوا على عاصمتها اسم (المدينة المنورة)، وجعلوا لغتها الرسمية اللغة العربية، وعملوا على تطبيق الشريعة في الحكم، برئاسة زين العارفين.

ولكن القيادة العليا للحلفاء أصدرت أوامرها للقوات اليابانية المستسلمة بأن تُحافظ على الأمن، وتحتفظ بأسلحتها، وتنتظر وصول قوات الحلفاء لاستلام الأمر منها، ولم تُدرك الحكومة الأندونيسية سرّ وخطر هذا الأمر. وجاء الجنود البريطانيون، ولم يتألّم السكان من مجيئهم في بداية الأمر، ولكن لم يلبث أن أخذ الجنود الهولنديون يدخلون أندونيسيا تحت مظلّة وحماية البريطانيين، وطلب الهولنديون اعتقال الزعماء الأندونيسيين، وأخذوا يُحاولون إقناع حلفائهم بأن حركة الاستقلال هذه إن هي إلا مؤامرة يابانية، وادّعى الحلفاء أنهم جاءوا لحفظ الأمن والنظام، وعندما اتضح للسكان الهدف الحقيقي من وراء نزول الحلفاء نشب القتال بينهم وبين القوات الهولندية والبريطانية. وقد رفضت القوات الهندية المسلمة الموجودة في صفوف القوات البريطانية قتال إخوانهم المسلمين الأندونيسيين، إذ رفضوا الأوامر، وأعلنوا العصيان، وكانت الهند لا تزال دولةً واحدةً، لم تنفصل بعد إلى هند وباكستان، وكانت لا تزال تحت السيطرة البريطانية.

تداعى المسلمون من مختلف أرجاء أندونيسيا لعقد اجتماعٍ بعد أن وجدوا أن الحركات الاستعمارية الصليبية، والشيوعية الإلحادية، والمحلية العلمانية ومن يسير وراء هؤلاء جميعاً لمصلحةٍ له، كلهم يتفقون ضدّ

= الأندونيسية بهولندا، وفي المؤتمر الدولي لمناهضة الاستعمار العالمي في بروكسل في بلجيكا، وزار اليابان، وتولّى رئاسة تحرير جريدة (نداء الشعب)، واعتقل عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) حتى أطلق اليابانيون سراحه عندما دخلوا أندونيسيا بعد سجن دام سبع سنوات، ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، ثم اعتقل في جزيرة (بانكا) وكان صاحب دين وخلق.

المسلمين، ويعملون لإبعادهم بعد أن رأوا مكانتهم وقيادتهم للأمة، وعُقد هذا اللقاء في مدينة جاكرتا في الثاني من شهر ذي الحجة ١٣٦٤ هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٤٥ م)، وكان ذلك أكبر مؤتمرٍ إسلاميٍ، وتمّ الاتفاق على الانضواء في تنظيم إسلاميٍ واحدٍ، سمي (مجلس شورى مسلمي أندونيسيا) وعرف باسم «ماشومي»، ولم يُعارض أحد من الحضور ولم يتخلّف أحد، بل كان إجماع على ذلك، وهذا ما أخاف المستعمرين الصليبيين ففضّلوا التفاهم مع العلمانيين المحليين من شيوعيين، وقوميين، ومن عُرفوا باسم الوطنيين، وأسرعوا إلى عقد لقاءٍ بين ممثلي هولندا وممثلي الجمهورية الأندونيسية برئاسة الوسيط البريطاني اللورد (كيليرن)، ونتج عن اللقاء توقيع اتفاق (لنيجار دجاتي) الذي اعترفت هولندا بموجبه بسلطة الحكومة القائمة الفعلية على جزر (جاوه، سومطرة، مادورا) فقط، ولم يدم هذا الاتفاق طويلاً إذ أخذ الهولنديون يقومون بأعمال عسكرية ضدّ الحكومة الأندونيسية والأراضي التي تسيطر عليها. وتدخّلت الأمم المتحدة وألزمت هولندا على وقف إطلاق النار، وتبع ذلك عقد هدنة موقتة، وبعد جهودٍ توصّل الطرفان إلى اتفاق (رانفيل)، و(رانفيل) اسم الباخرة الأمريكية التي عقدت عليها المفاوضات في شهر صفر ١٣٦٧ هـ (كانون الثاني ١٩٤٨ م)، ولكن بعد أن انتقصت أراضي الجمهورية الأندونيسية، واقتصرت على قسمٍ من جزيرة جاوة، وقطعةٍ صغيرةٍ من سومطرة، وكانت عاصمة الجمهورية مدينة جوكجاكرتا، أما الهولنديون فقد بقوا في بتافيا (جاكرتا) ولكن لم ينته العام حتى قامت هولندا مجدداً بأعمالٍ عسكريةٍ، واحتلّت العاصمة جوكجاكرتا، واعتقلت الزعماء الأندونيسيين ومنهم: أحمد سوكارنو، ومحمد حتا، وعجوز سالم[1]، وسوتان شاهرير[2]، إضافةً إلى عددٍ من الوزراء

---

(١) عجوز سالم: شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات، وكان مسلماً تقياً، توفي عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م).

(٢) سوتان شاهرير: تسلّم رئاسة الوزراء عدة مرات، وكان في الوفد الذي فاوض هولندا للحصول على الاستقلال.

وكبار الموظفين وذلك في ١٧ صفر ١٣٦٨ هـ (١٨ كانون الأول من عام ١٩٤٨ م) فاستلم (سڤافردوين) أحد زعماء حزب ماشومي السلطة مع عددٍ من زعماء الحزب الوطني، ونقلوا مقرهم من العاصمة (جوكجاكرتا) إلى مكانٍ داخل جزيرة سومطرة وتابعوا قتال الهولنديين، وقام الجيش الأندونيسي والشعب بحرب عصاباتٍ أنهكت قوات المستعمرين الصليبيين الذين وجدوا أنهم لا طاقة لهم باستمرار المقاومة، كما أن الرأي العام ضدّهم، ويخضعون لضغطٍ خارجيٍ، ولذا فقد اضطروا إلى الموافقة على عقد مؤتمر المائدة المستديرة في (لاهاي) في شوال ١٣٦٨ هـ (آب ١٩٤٩ م) للمفاوضة على نقل السلطات كاملةً إلى الحكومة الأندونيسية ودون قيدٍ أو شرطٍ، وفي ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) تمّ نقل السلطات في احتفالٍ في مدينة (لاهاي)، وكان يُمثّل أندونيسا محمد حتا.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فقد عمل أعداء المسلمين جهدهم لتصديع حزب ماشومي الذي يُمثّل وحدة المسلمين، وكان أول انفصالٍ حدث في هذا التنظيم عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) عندما انفضّت جماعة من حزب (شركة إسلام) من التنظيم، وأعلنت عن إعادة قيام حزبهم، كحزبٍ مستقلٍ، ويعود ذلك إلى معارضة حزب ماشومي لحكومة عامر شرف الدين الشيوعية. ثم انشق عنه حزب التربية والاستقلال برئاسة سراج الدين عباس عام ١٣٦٨ هـ. وبعد خمسة أعوام حدث انفصال آخر عندما أعاد حزب نهضة العلماء قيام حزبه من جديد، واعتباره حزباً منفصلاً عن حزب ماشومي، بل أصبح يقف في الصف المعارض لحزب ماشومي على الحق وعلى الباطل، ومع ذلك بقي للحزب مكانته ويُمثّل الأغلبية الإسلامية[1].

---

(١) انعقد بعدئذٍ مؤتمر عام ضمّ الفئات الإسلامية كلها، وعُدّ حزب (ماشومي) أصلاً، وكل الأحزاب والمنظمات الإسلامية الأخرى فروعاً له.

ومن ناحيةٍ ثالثةٍ عمل أعداء المسلمين على مختلف أسمائهم على تقوية الشيوعيين للوقوف في وجه التيار الإسلامي، فقد أوكل رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو إلى عامر شرف الدين الشيوعي رئاسة الحكومة في ١٤ شعبان ١٣٦٦ هـ (٣ تموز ١٩٤٧ م) فاحتفظ لنفسه إضافة إلى رئاسة الوزراء بمنصب وزير الدفاع ليتمكّن من الإشراف على القوات المسلحة، ويستطيع اللعب بتصفية العناصر الإسلامية من الجيش وخاصة الضباط أصحاب الرتب العليا، وإحلال ضباط شيوعيين مكانهم، غير أن هذا العمل لقي معارضةً عنيفةً من الشعب، والصحافة، والمجلس النيابي، وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر محمد حتا نائب رئيس الجمهورية أن يستخدم سلطته فأصدر مرسوماً جمهورياً بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ م) يقضي بإقالة حكومة عامر شرف الدين، وتولّى بنفسه مهمة تشكيل وزارةٍ جديدةٍ فثارت ثائرة الشيوعيين، وابتدأ هجومهم العنيف.

الثورة الشيوعية الأولى:

ألّف الحزب الشيوعي الأندونيسي مجلساً للثورة وقيادةً عليا، وقدّم أحدهم، وهو (عيديد) مذكرةً إلى الحكومة يُطالب فيها بالتبادل السياسي مع الدول الشيوعية، وبالتأميم، ومصادرة الأملاك، وإقالة الحكومة القائمة التي يرأسها محمد حتا. وفي ١٩ شوال ١٣٦٧ هـ (٣ أيلول ١٩٤٨ م) دعت صحيفة العمال الشيوعية الحكومة إلى الانضمام إلى المعسكر الشيوعي تحت لواء (الكرملين)، والسير مع الدول الماركسية.

وفي ١٥ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٨ أيلول ١٩٤٨ م) بدأت الحركة الشيوعية باختطاف ضباطٍ من الجيش، وقامت بأعمال الإرهاب في كل مكانٍ، وتدخّلت الحكومة، فأنزلت قوات الجيش إلى الشوارع، وأنذرت المختطفين بالإفراج عمن اختطفوهم، فلم يستجب أحد للأوامر، بل زادت الحوادث عنفاً، واختطف الشيوعيون بعض القادة المسلمين، وكان منهم

الدكتور (ماوردي) وثلاثة من زملائه، وقتلوهم مباشرةً، ومثّلوا بجثثهم، وهاجموا مراكز الشرطة.

وفي ١٦ ذي القعدة ١٣٦٧ هـ (١٩ أيلول ١٩٤٨ م) أعلنت إذاعة (ماديون) عن قيام جمهورية أندونيسيا السوفيتية، وتولّى رئاسة الحكومة فيها عامر شرف الدين الذي ألقى بياناً من الإذاعة. وهكذا أصبح في أندونيسيا حكومتان، أولاهما وهي الشرعية برئاسة محمد حتا وعاصمتها (جوكجاكرتا)، وثانيتهما سوفيتية برئاسة عامر شرف الدين، وعاصمتها (ماديون).

أعلن المسلمون الجهاد، ودوّت كلمة (الله أكبر) في كل مكانٍ، وتحرّك الجيش الأندونيسي بقيادة (عبدالحارث ناسوتيون)[1] فاستطاع القضاء على الشيوعيين. وكان نتيجة الثورة قتل ألف وخمسمائة من العلماء وأساتذة المدارس الإسلامية، وإحراق جثثهم بعد إعدامهم، وكُويت أعين عددٍ كبيرٍ من الأطفال تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة عشرة بالحديد المحمّى.

وسيق زعماء الشيوعيين إلى السجون والمعتقلات، وقدّموا للمحاكمة، فحكم على عددٍ منهم بالإعدام، ونُفّذ بهم رمياً بالرصاص في ١٨ صفر ١٣٦٨ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٤٨ م) في مدينة (كارانغ أنغار) في مقاطعة (سوراكارتا) جزاءً بما اقترفت أيديهم، وفي مقدمتهم رئيس الحكومة عامر

---

(١) عبدالحارث ناسوتيون ولد عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) في جزيرة سومطرة، كان أبوه من رجال العلم، تعلم بإحدى المدارس الهولندية، وعمل مدةً بالتدريس، ثم التحق بالكلية العسكرية الهولندية في (باندونغ) وتخرّج عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، والتحق بجيش جزر الهند الشرقية، اشترك في حرب العصابات أثناء الاحتلال الياباني، ووقع في الأسر.
تولّى رئاسة الأركان بعد الاستقلال حتى ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، ثم تولّى منصب وزير الدفاع، أحبط الانقلاب الشيوعي في ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م)، أُعفي من منصبه، وتولّى مكانه سوهارتو.

شرف الدين إضافةً إلى تسعةٍ من رفاقه، وكان هذا بأوامر رئيس الحكومة، نائب رئيس الجمهورية محمد حتا على حين بقي أحمد سوكارنو صامتاً في هذه المدة كلها.

ولكن الحزب الشيوعي الهولندي الذي حرّك الثورة كان على نيةٍ أو على اتفاقٍ لإعادة الكرة من قبل هولندا على أندونيسيا، لذلك ما أن قُضي على الثورة الشيوعية حتى شعرت هولندا أن الوقت مناسب لها لتتحرك من جديدٍ فإن وضع البلاد لا يسمح لها بالدفاع عن أرضها. وفي الوقت نفسه يجب ألا تسمح للمسلمين باستلام السلطة، وهذا ما تؤيّدها فيه الدول الاستعمارية كلها وبالتالي الأمم المتحدة التي تتحرّك أساساً حسب إشارة ورأي تلك الدول الكبرى الاستعمارية الصليبية، فأسرعت هولندا وأرسلت قواتها التي احتلت العاصمة (جوكجاكرتا)، واعتقلت الزعماء في ١٧ صفر ١٣٦٨ هـ (١٨ كانون الأول ١٩٤٨ م) كما سبق أن رأينا، وكان اعتقال أحمد سوكارنو للتعمية، وللاحتفاظ به على رأس القائمة التي يُطلقون عليها اسم «الوطنية».

الفصل الثاني

الاستقلال

حصلت أندونيسيا على استقلالها - كما سبق أن ذكرنا - في ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) وكانت مُؤلفةً من جمهورية أندونيسيا والدويلات التي أقامتها هولندا، فهي دولة اتحادية، واستمرّ ذلك النظام حتى ٤ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ (١٧ آب ١٩٥٠ م).

عندما سُلّمت السلطات السياسية رسمياً إلى جمهورية أندونيسيا قامت اضطرابات خطيرة في مناطق الدويلات، وساد فيها العنف، وبدت بوادر حربٍ أهليةٍ، فتقدّم محمد ناصر أحد زعماء حزب ماشومي في المجلس النيابي باقتراحٍ عُرف فيما بعد بـ (اقتراح محمد ناصر الوحدوي)، ويقضي بأن تقوم كل دولةٍ من دول الاتحاد بما في ذلك جمهورية أندونيسيا (جمهورية جوكجاكرتا) بحلّ نفسها، ثم تقوم على أنقاض الجميع دولة جمهورية أندونيسيا، وقد حصلت الموافقة على هذا الاقتراح بالإجماع، وتمّ ذلك، وابتعد شبح الحرب الأهلية الذي كان مخيماً على البلاد، وينتظره المستعمرون الصليبيون الهولنديون.

عهد إلى محمد ناصر بتشكيل أول حكومةٍ في جمهورية أندونيسيا الموحدة في ٤ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ (١٧ آب ١٩٥٠ م). وبقيت هذه

الـوزارة في الحكم حتى ربيع الأول ١٣٧١ هـ (كـانون الأول ١٩٥١ م) حيث تعاون الشيوعيون مع رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو للوقوف في وجهها.

كلّف رئيس الجمهـورية زعيمـاً آخر من قـادة حزب مـاشـومي هـو (سويكيمان) لتشكيل الوزارة، واستمـرّت ما يقـرب من عامٍ في السلطة، وتقرّر إجراء انتخاباتٍ في مطلع عام ١٣٧٥ هـ (أيلول ١٩٥٥ م)، لتشكيل المجلس التأسيسي لوضع دستورٍ دائمٍ للبـلاد، ثم اعتباره مجلساً نيابيـاً، وتقـرّر أن يضمّ المجلس مـائتين وثـلاثـةً وسبعين عضـواً، وعهـد إلى برهان الدين هاراهـاب أحد قـادة حزب مـاشومي لتشكيـل الحكومـة التي ستشـرف على الانتخابـات، وأجريت الانتخـابـات، واشتـرك فيهـا سبعـة وعشرون حزباً، وأظهرت الانتخابات تقدّم أربعة أحزاب، وكانت النتـائج كالآتي:

حزب ماشومي	وحصل على ٥٧ مقعداً وظهرت شعبيته خارج جزيرة جاوه، ونال أقل الأصوات في شرقي جزيرة جاوه.
الحزب الوطني	وحصل على ٥٧ مقعداً، ونال أكثر الأصوات في جزيرة جاوة.
نهضة العلماء	وحصل على ٤٥ مقعداً.
الحزب الشيوعي الأنـدونيسي	وحصل على ٣٩ مقعداً.
الحزب النصراني البروتستانتي	وحصل على ٨ مقاعد.
الحزب النصراني الكاثوليكي	وحصل على ٦ مقاعد.
شركة إسلام	وحصل على ٥ مقاعد.
التربية الإسلامية	وحصل على ٤ مقاعد.

عهد رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو إلى رئيس الحزب الوطني (علي ساستروا ميغويو) بتشكيل الوزارة، فألّف حكومةً ائتلافيةً، كانت أميل إلى الشيوعية، ووقف حزب ماشومي موقف المعارضة، وكان قد قرر ألا يتعاون مع الشيوعيين أو مع من يعطف على الشيوعيين أو مع من يعطف عليه الشيوعيون، وعُرفت هذه السياسة بالمبدأ المجنّح، لهذا كانت معارضته عنيفةً، وبالتالي كان الحقد عليه شديداً.

قام الرئيس أحمد سوكارنو عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) بزيارةً للامبراطورية الروسية، تلتها زيارة إلى الصين، وعندما رجع إلى بلاده أعلن أن الطريق الوحيدة للتقدّم هو السير في خط «الديمقراطية الموجهّة»، وتقضي أن يُعيّن رئيس الجمهورية نصف أعضاء المجلس النيابي، فرفض المجلس النيابي هذه النظرية، فحُلّ بموجب مرسومٍ جمهوريٍ بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ (٥ تموز ١٩٥٩ م)، ثم أُلغي كذلك المجلس النيابي الذي تلاه، ودعي المجلس النيابي الذي أُلغي عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، ثم صدر مرسوم جديد بتاريخ ١٦ رمضان ١٣٧٩ هـ (١٣ آذار ١٩٦٠ م) ألغاه ليحلّ محلّه مجلس نيابي جديد يقبل نظرية «الديمقراطية الموجّهة»، ولقد رفض حزب ماشومي، والحزب الاشتراكي هذه النظرية، وأيّدها كل من الحزب الوطني، وحزب نهضة العلماء، والحزب الشيوعي وأعطى المجلس النيابي الجديد رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو لقب «القائد العظيم للثورة»، مما جعله فوق الدستور، ثم انتخبه عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) رئيساً مدى الحياة.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ كان نائب رئيس الجمهورية محمد حتا قد قدّم استقالته من منصه احتجاجاً على هذه السياسة، وعلى النفوذ الواسع الذي أصبح للشيوعيين الذين أصبحوا يستخدمون اسم الرئيس أحمد سوكارنو، ويتحركون من خلفه إضافةً إلى استخدام الحزب الوطني لهذا الاسم أيضاً، وأخذ محمد حتا يُؤيّد حزب ماشومي، وكل من يقف في وجه هذه

السياسة. وكانت حكومة الحزب الوطني الائتلافية التي يرأسها (علي ساستروا ميغويو) ضعيفةً، فأخذ الاستغلال الشيوعي يُسيطر على سياسة أندونيسيا الداخلية. وارتفعت الأصوات تُطالب بتحسين الأوضاع والاهتمام بالمناطق التي خارج جزيرة جاوة إذ كانت مهملةً، ونتيجةً لهذا الوضع حدث انقلاب في جزيرة سومطرة التي كانت تُعدّ مركزاً قوياً لحزب ماشومي، وقد حصل على ٩٠٪ من أصوات الناخبين فيها، وبسبب السياسة العامة استقال وزراء حزب ماشومي من حكومة سومطرة المحلية، وبدا التوتّر، وظهر عدم ارتياح السكان عامةً، ويُفاجأ الشعب بانقلابٍ في الجزيرة عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) يقوده العميد أحمد حسين المعروف باسم «نمر سومطرة» لجهاده الطويل ضدّ الهولنديين في معركة الاستقلال، ومن زعماء الثورة أيضاً مدير الجامعة، ومحافظ بنك أندونيسيا كما اشتعلت الثورة في جزيرة سيلبيس (سلاويزي). ولكن فشلت هذه الثورة بعد أن استمرّت مدةً من الزمن، وبعد خمودها استمرّ أفرادها يُقاتلون كحرب عصاباتٍ. واقترح رئيس الجمهورية تقسيم سومطرة إلى ثلاث مناطق بعد ثورتها في سبيل التجزئة، وارتفعت الأصواتِ تطالب باستقالة الحكومة، وتتجه الأنظار إلى محمد حتا ليتسلّم السلطة، ولكن الحكومة قرّرت البقاء في استلام السلطة، وأصرّ عليها الرئيس أحمد سوكارنو. وما كان من حزب ماشومي إلا أن سحب وزراءه منها، وتبعه حزب نهضة العلماء، فاضطرت الوزارة عندها إلى الاستقالة، وأعلن الرئيس أحمد سوكارنو حالة الطوارىء، وتطبيق الأحكام العرفية في سائر البلاد، وذهبت محاولات الرئيس في تشكيل وزارةٍ مع إبقاء حزب ماشومي بعيداً عنها سدى إذ أصرّ حزب نهضة العلماء على عدم الاشتراك في حكومةٍ لا يُشارك فيها حزب ماشومي، فشكّل الرئيس بنفسه وزارةً نصف أعضائها من المجلس النيابي دون استشارة الأحزاب.

وقُضي على الثورة تماماً عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، واعتقل بعد ذلك

محمد ناصر، وشرف الدين براويرا نيغارا، وبرهان الدين هاراهاب، وعدد آخر من قادة حزب ماشومي، وقادة حركة الشبان المسلمين الأندونيسيين، رغم أن الحكومة قد أصدرت عفواً عاماً عن كل من شارك في الثورة، وذلك في سبيل تهدئة الأوضاع.

محاولات اغتيال أحمد سوكارنو:

في هذه المدة جرت عدة محاولات لاغتيال الرئيس أحمد سوكارنو بسبب النقمة عليه نتيجة سياسته التعسفية، وتوجّهه نحو الشيوعية، ففي عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) هوجم بعد حفلةٍ مدرسيةٍ بقنبلةٍ يدويةٍ، ولكنه نجا، وجُرح غيره، وتمّ إلقاء القبض على الجناة، فأُعدموا رمياً بالرصاص.

وهاجمت طائرة مقاتلة القصر الجمهوري بجاكرتا، وضربت مكتب الرئيس بالصواريخ، ولكنه كان غائباً عنه، وهرب قائد الطائرة، ولكن أُلقي القبض عليه وأُعدم.

وجرت ثمان محاولاتٍ لاغتياله، ولكن كان ينجو في كل مرةٍ ليزداد عتواً وفساداً، ولتكون عاقبته وخيمةً أكثر ـ والله أعلم.

مشكلة غينيا الجديدة:

جزيرة غينيا الجديدة أكبر جزر أندونيسيا، وثاني أكبر جزر العالم مساحةً بعد (غروئنلندا)، تبلغ مساحتها ٧٨٥ ألف كيلو متر مربع، وتقع شمال استراليا، ويفصلها عنها مضيق (توريس)، وتنقسم إلى قسمين:

١ ـ القسم الغربي، ويعرف باسم «إيريان الغربية»، وتبلغ مساحته ٤١٣ ألف كيلومتر مربع، ولم تستطع الدولتان أندونيسيا وهولندا الاتفاق عليه في معاهدة ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) فبقي تحت السيطرة الهولندية.

وافقت هولندا تحت الضغط العسكري على إجراء استفتاءٍ عام بين السكان عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، فتحوّل هذا الإقليم إلى إشراف الأمم المتحدة في جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ (تشرين الأول ١٩٦٢ م)، وأخيراً انتهى الأمر إلى أن ضُمّ إلى أندونيسيا في شهر ذي الحجة ١٣٨٢ هـ (أيار ١٩٦٣ م)، ثم جرى استفتاء في ربيع الأول ١٣٨٩ هـ (حزيران ١٩٦٩ م) فأعطت غالبية السكان أصواتهم إلى جانب البقاء تحت الحكم الأندونيسي. وعاصمة هذا القسم مدينة (كوتابارو) وتسمى الآن (سوكارنابورا).

٢ ــ القسم الشرقي: وكان يتبع ألمانيا، ولكنه وضع تحت الانتداب الاسترالي إثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وبقي تابعاً لها، وتبلغ مساحة هذا القسم ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع.

ولا يزيد عدد سكان الجزيرة كثيراً على المليون، فالكثافة قليلة لا تكاد تصل إلى ١,٥ شخص في الكيلومتر المربع الواحد. ويعيش السكان فيها حياةً بدائيةً على شكل قبائل تنتقل بين الغابات.

وغينيا الجديدة غنية بالثروات المعدنية والطبيعية، ولا تزال بكراً، وتُغطّي المياه والمستنقعات الأجزاء المنخفضة منها.

الخلاف مع ماليزيا:

أعلن عن قيام اتحادٍ بين كلٍ من اتحاد الملايو، وسنغافورة، وبورنيو الشمالية، وساراواك، بناءً على استفتاء أجري في ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ (أيلول ١٩٦٢ م)، وأيّدت هذا المشروع المجالس التشريعية في (ساراواك) و(بورنيو الشمالية)، ولكن حكومة (بروني) لم تُقرّر الدخول في هذا الاتحاد. ثم بناءً على اتفاق ماليزيا الذي جرى بين (اتحاد الملايو) و(سنغافورة) و(ساراواك) و(بورنيو الشمالية) وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في (بورنيو الشمالية) التي أصبح يُطلق عليها اسم (صباح)،

و(ساراواك) و(سنغافورة) من يد الحكومة البريطانية إلى يد الحكومة الماليزية بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م).

ولكن أندونيسيا والفيليبين كانتا تُعارضان هذا الاتحاد. إذ ترى أندونيسيا أن جزيرة بورنيو كلها جزيرة أندونيسية، وقرّر الرئيس أحمد سوكارنو مجابهة ماليزيا، وتدخّلت الأمم المتحدة، وشكّلت الحكومة الأندونيسية فرقاً لسحق ماليزيا استغلّها الشيوعيون لتدريبهم وتسليحهم، وقد تكون شُكّلت خاصةً لهذا الغرض، وربما كان الشيوعيون هم أصحاب الفكرة، وهم الذين تبنّوها، وهم الذين شكّلوها، واستمرت المجابهة حتى سقوط سوكارنو، ثم حدث الاتفاق بين الطرفين.

القضاء على دار الإسلام:

سبق أن قلنا أن (زين العابدين) كان من حزب نهضة العلماء، ثم انفصل عنهم، وأسّس (حزب الله)، وقد أخفى تنظيمه بالتدريب على أيدي اليابانيين عندما كانوا محتلّين البلاد، فعندما قامت الحركات ضدّ اليابانيين، ثم انصرفوا لقتال الهولنديين، اتجهت جماعة زين العارفين إلى منطقةٍ جبليةٍ وسط جزيرة جاوه، وأسّست حكومةً خاصةً، وطبّقت المنهج الإسلامي على المناطق التي تُسيطر عليها، لذا عُرفت باسم «دار الإسلام» وأسمت عاصمتها «المدينة المنورة»، وجعلت العربية لغةً رسميةً لها. فعندما أخذ أحمد سوكارنو يخطط لإقامة حكمٍ استبداديٍ يعتمد على نظرية «الديمقراطية الموجّهة»، ويستند على الشيوعيين، ويُبعد الإسلاميين، ولما شعر أن الجو أصبح مناسباً له، أصدر أوامره للقيام بهجومٍ على دار الإسلام، فأزالها، وقتل قادتها، ونكّل بأهلها ليكونوا عبرةً لغيرهم.

وأصدر أمراً بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٨٠ هـ (١٧ آب ١٩٦٠ م) بحلّ حزب ماشومي، والحزب الاشتراكي واعتقال قادتهما، فكان اعتقال محمد ناصر و(شرف الدين براويرا نيغارا) و(برهان الدين هاراهاب) من قادة حزب

ماشومي. وتخلّص من المجلس النيابي، كما رأينا. وهكذا قضى على «دار الإسلام»، ومحمد حتا، والأحزاب الرئيسية، والقادة المرموقين، والمجلس النيابي، ولم يبق في الساحة سوى أفراد الحزب الوطني حزب أحمد سوكارنو، وبيدهم السلطة، ويتكلمون باسم الرئيس، ويسيئون التصرّف، والشيوعيين الذي يستغلّون الوضع، فيظهرون تأييد أحمد سوكارنو، ويستبدّون بالناس، ويُطمعون آخرين حتى أصبح الوضع بأيديهم.

الثورة الشيوعية الثانية ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م):

نظّم الحزب الشيوعي نفسه من جديد عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) بعد فشل ثورته التي قام بها عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، وابتدأ يتقوّى بأسلوبه المعروف بالالتواء، والتقرب من الشعب، وبمساعدة ضخمةٍ من رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو، ووزير الخارجية (سوبندريو)[1]، وأصحاب

(١) سوباندريو: ولد عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) ببلدة (كيبانغان) في جاوه الشرقية من أسرةٍ ثريةٍ، ودرس الطب بجامعة جاكرتا، وتخرج طبيباً عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وعمل طبيباً جراحاً أيام الاحتلال الياباني، ثم اعتزل الطب عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وأخذ الادعاء بالعمل لتحرير البلاد، وبالواقع فإنه كان يعمل لنفسه، إذ انتسب إلى الحزب الاشتراكي، وكان من رجالاته البارزين، ثم انتقل إلى الحزب الوطني عندما شعر بقوته، وعندما قوي حزب نهضة العلماء تقدّم بطلب للانتساب إليه، غير أن طلبه قد رفض، فسارع للانضمام للحزب الشيوعي فقُبل طلبه بشرط أن يبقى ضمن الحزب الوطني لخدمة الحزب الشيوعي.
أوفد إلى لندن عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ليعمل للحركة الوطنية، ثم حصلت البلاد على الاستقلال فتولّى منصب أول سفيرٍ للدولة الجديدة في لندن، ثم نقل سفيراً إلى موسكو عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، ثم استُدعي بعد سنتين إلى جاكرتا ليتولى منصب وزارة الخارجية، ثم تولّى منصب نائب أول لرئيس الوزراء عندما جمع سوكارنو بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة. اتصل نشاطه بحل مشكلة إيريان الغربية، وتصفية الديون اليابانية.
عمل في قسم الاستعلامات، وقويت صلته مع (شو أن لاي) رئيس وزراء الصين، ومع (شين يي) نائب رئيس الوزراء، وعمل رئيساً لقلم الاستخبارات، وكان يشغل هذه المناصب كلها يوم اعتقاله، أعدم عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

المصالح الآخرين، وبما يتلقّاه من أموال ضخمةٍ من المعسكر الشيوعي، وبما حصل عليه من تدريبٍ، وسيطرةٍ على فرق (سحق ماليزيا).

استمرّ الاستعداد، والتخطيط، والتدريب عدة سنوات، وأخذ يزيح العراقيل من طريقه، فقد أزاح محمد حتا باستقالته، وأزال دار الإسلام بالقضاء عليها، وانتهى من الأحزاب المعارضة له بحلّها، وتخلّص من المجلس النيابي بإبداله بمجلسٍ يكون حسب رأيه. واعتقد أن الجو أصبح مهيّأً له عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) بعد أن مهّد لذلك، فأعلن بأنه سيكون الحزب الوحيد، وأنه سيحوّل البلاد إلى دولةٍ تسير حسب المنهجِ الشيوعي، ولا يصحّ أن تبقى بهذه الفوضى، وأن أندونيسيا دولة لا تُناسبها إلا الشيوعية.

ابتدأت أعمال الشيوعيين الإرهابية في سبيل إخافة الناس، والتوجّه نحو الشيوعية في سبيل حماية أنفسهم، أخذ الشيوعيون بالهجوم على المدارس الإسلامية، والشخصيات البارزة منذ عام ١٣٨٤ هـ، وتكرّرت هذه الأحداث في عدة مدنٍ.

عقدت القيادة الشيوعية اجتماعاً في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ (١٥ أيلول ١٩٦٥ م)، وبحثوا موعد إعلان الثورة، وقرّروا أن يكون في ٥ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م)، وبرّروا إعلان ثورتهم بـ:

١ ـ مرض الرئيس أحمد سوكارنو الذي قد يُؤدّي به إلى الموت، فإذا لم يُسرعوا باستلام السلطة فستعم الفوضى، وربما يستغلّ الوضع الانتهازيون، ويقفزون إلى الحكم.

٢ ـ عدم مبالاة القوات المسلحة بهذا الأمر، وترك الوضع للظروف، وليكون مشاعاً للانتهازيين.

٣ ـ عدم أهلية مجلس الجنرالات الذي شكلته القوات المسلحة.

٤ ـ رغبة مجلس الجنرالات بالاستيلاء على السلطة.

٥ ـ الأخطار التي تُهدّد البلاد من الرجعية والامبريالية والتي تتلقّى الدعم، لذا يجب اتخاذ الخطوات السريعة لإنقاذ البلاد، ولن يكون هذا إلا باستلام السلطة.

وقد رفعت قرارات هذه الجلسة إلى الرئيس سوكارنو بصورةٍ سريةٍ، فوافق عليها، وأطلع عليها وزير الخارجية سوباندريو، وبعض أعوان الشيوعيين المرموقين.

وعقد اجتماع آخر ليلة تنفيذ المؤامرة، تقرّر فيه المباشرة بالتنفيذ حسب الخطة المرسومة ما دامت الاستعدادات قد تكاملت، ونُفّذت المرحلة حسب المخطط المطلوب.

وفي صباح يوم الخامس من جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (٣٠ أيلول ١٩٦٥ م) أمر رئيس الحرس الجمهوري اللواء (أنتونغ) اختطاف كبار الضباط الآتية أسماؤهم:

عبدالحارث ناسوتيون: وزير الدفاع
أحمد ياني: قائد الجيش البري
سوبرابتو
بارمان: المساعد الأول لقائد الجيش البري
هاريونو
باغاتيان
سوتويو

وكُلّف الضابط عبدالله عارف بتنفيذ المهمة، فقام بها، ولكن قُتل أكثر الضباط أثناء محاولة اعتقالهم، ومُثّل بجثثهم، ونجا منهم عبدالحارث ناسوتيون وزير الدفاع.

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم الثاني للحركة ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ (الأول من تشرين الأول) أذاعت محطات الإذاعة بعد الاستيلاء عليها أول بيانات الشيوعيين.

أعطى وزير الدفاع عبدالحارث ناسوتيون أوامره للواء سوهارتو[1] نائب اللواء أحمد ياني بتنفيذ الأوامر اللازمة للقضاء على الثورة الشيوعية، وانتفض الشعب يُلاحق الشيوعيين، وبدأت محطة إذاعة (باندونغ) تُذيع بأمر القوات المسلحة بيانات ضدّ الثوار الشيوعيين، ولم تمض ساعات حتى فشل الشيوعيون، وسيطرت القوات المسلحة على الوضع، وبدأ الصراع بين الرئيس أحمد سوكارنو من جهة وبين قادة الجيش من جهةٍ ثانيةٍ.

وفي بداية شهر رمضان ١٣٨٥ هـ (أوائل عام ١٩٦٦ م) أراد سوكارنو إعادة وضع الشيوعية على ما كانت عليه، فحلّ الوزارة، وشكّل حكومةً جديدةً أدخل فيها العناصر الشيوعية، وأبعد العناصر المناوئة لهم، وفي

---

(١) سوهارتو: ولد عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) انتسب إلى الجيش أبان الاستعمار الهولندي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) أي (جيش جزر الهند الشرقية)، ثم عمل في الجيش الوطني الذي نظمه اليابانيون أثناء احتلالهم أندونيسيا، واشترك في حرب التحرير عندما أعلن الاستقلال من جانبٍ واحدٍ، وبعدها عمل قائداً لمنطقة جوكجاكرتا في جزيرة جاوه الوسطى. وعمل في إخماد جزيرة سيلبيس (سلاويزي) عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وفي غزو إيريان الغربية ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، وتسلّم عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) منصب نائب رئيس الأركان، ثم قائداً لقوات (الكوستراد) الاحتياطية لإحباط حركة الانقلاب الشيوعي ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م). ثم عُيّن قائداً عاماً للجيش البري بعد اغتيال أحمد ياني.

وتسلم سوهارتو وزارة الدفاع بعد إعفاء عبدالحارث ناسوتيون منها في شوال ١٣٨٥ هـ (شباط ١٩٦٦ م)، ثم تولّى رئاسة الوزارة في صفر ١٣٨٦ هـ (حزيران ١٩٦٦ م). وأصبح الحاكم الفعلي لأندونيسيا بعد أن تنازل سوكارنو عن سلطاته التنفيذية في ١٣ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ (٢٢ شباط ١٩٦٧ م)، ثم انتخب رئيساً للجمهورية مع رئاسة الوزراء مع وزارة الدفاع في شهر ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (آذار ١٩٦٨ م). وأعيد انتخابه عدة مرات، ولا يزال إلى الآن.

مقدّمتهم وزير الدفاع عبدالحارث ناسوتيون، فأدّى ذلك إلى قيام مظاهراتٍ استمرّت شهراً ونصف الشهر اضطر بعدها أن يحوّل كل صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد سوهارتو، وصادق المجلس الاستشاري الأعلى على ذلك، وأن يستمرّ مفعول هذا المرسوم حتى الانتخابات العامة. وبقي سوكارنو في منصبه، ولكن اشتدّت المظاهرات الطلابية والشعبية ضدّه وضدّ الشيوعيين، وكانت تُحاول اقتحام القصر فيمنعها الحرس.

أعلنت الأحزاب السياسية في جاوه الغربية مطالبتها المجلس الاستشاري الأعلى بالنظر في أمر تنحية سوكارنو، وأعلنت رابطة القضاة والمحامين وجوب تقديمه للمحاكمة بصفته المسؤول الأول عن الثورة الشيوعية الثانية.

اتخذ المجلس الاستشاري الأعلى قراراً بإلغاء رئاسة سوكارنو مدى الحياة، وحدّدها بإجراء الانتخابات التي يجب أن تتمّ خلال عامين. وفي ١٣ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٢٢ شباط ١٩٦٧ م) وقّع سوكارنو على وثيقة يتنازل فيها عن السلطة، ويعطي الصلاحيات جميعها إلى سوهارتو، الذي سمّي رئيساً متصرفاً بالأعمال، ثم أصبح رئيساً للوزراء في شهر رجب ١٣٨٧ هـ (تشرين الأول ١٩٦٧ م) وفي ٨ ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (٧ آذار ١٩٦٨ م) اجتمع المجلس الاستشاري الأعلى برئاسة عبد الحارث ناسوتيون لينظر في أمر محاكمة سوكارنو، ثم اتخذ قراراً بتنحيته، وتعيين سوهارتو رئيساً للجمهورية بالوكالة، وفي ١٣ ذي الحجة ١٣٨٧ هـ (١٢ آذار ١٩٦٨ م) أقسم سوهارتو اليمين الدستورية أمام المجلس.

سوهارتو:

لا يختلف سوهارتو عن سلفه أحمد سوكارنو بالنسبة إلى معاداة الإسلام، فكلاهما في منطقة شرقي جاوه حيث يكثر أعداء الإسلام، وكلاهما من جماعة «أبنجان» الضالة التي تحاول أن تجمع بين الهندوسية

والإسلام، وإن كانا يختلفان من حيث المنهج، فأحمد سوكارنو يميل إلى الديمقراطية الموجّهة، وسوهارتو يأخذ بمبدأ الديمقراطية الحرة. وعداوة سوهارتو للإسلام هي التي أوصلته إلى سدة الرئاسة. وإن كان في بداية أمره يظهر العبادة كي لا يكون في الصف المقابل للاتجاه الإسلامي صاحب النفوذ الواسع، كما أن الدول الكبرى قد أعطته بعض الصفات الإسلامية ليكون مقبولاً في منصب الرئاسة، ولا يجد مُعارضةً قويةً من الحركات الإسلامية صاحبة الكلمة الكبيرة، وهو ذاته أخذ ينتقد سلفه أحمد سوكارنو ليحصل على رضا الشعب الذي كان يمقت سوكارنو، وذلك بتوجيهٍ من أصحاب النفوذ الصليبي. ولكن عندما آلت إليه الرئاسة بدت عداوته الصريحة للإسلام، وكلما تمكّن ظهرت أكثر ضمن السياسة العامة التي تسير عليها السياسة الاستعمارية الصليبية الهادئة بمحاربة الإسلام ببرودٍ، حيث يبدو المنهج في اتجاه والسير باتجاه آخر[1].

حلّ سوهارتو الوزارة الأندونيسية القديمة، وشكّل حكومةً جديدةً برئاسته، وقرّر المجلس الاستشاري تعيينه رئيساً للجمهورية حتى موعد الانتخابات العامة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، واعترفت الحكومة بالحزب الإسلامي الجديد (الحزب الإسلامي الأندونيسي)، وأصبح عدد الأحزاب في أندونيسيا عشرة وهي:

١ ـ حزب نهضة العلماء: ويرأس الهيئة التنفيذية أحمد شيخو.

---

(١) تأخذ السياسة الأندونيسية الاتجاه نفسه الذي تسير عليه الدول الإسلامية فلا تعارض أي موقفٍ حتى لا تتجه الأنظار نحوها، وتنتقد الخط الذي عليه، وفي الوقت نفسه لا تتبنّى أي مشروع، ولا تبرز في أي موضوعٍ، وإنما تُظهر الرضا بصمتٍ، والمسايرة بهدوءٍ، والموافقة ببرودٍ، ولكنها لا تقوم بعملٍ إيجابيٍ، ولا تُبدي حماسةً لرأيٍ، ولا تظهر فتوراً لاقتراحٍ. وتخطو خطواتٍ واسعةً لضرب العمل الإسلامي، بفتح المجال الواسع للإرساليات التنصيرية، وتضع القوانين للحدّ من النشاط الإسلامي، بل وتعمل للقضاء على الإسلام بمساعدة المنصّرين لتنصير المسلمين.

٢ ـ حزب شركة إسلام: ويتسلّم نيابة الرئيس محمد خليل إبراهيم.

٣ ـ الحزب الإسلامي الأندونيسي: برئاسة «مينتارغا».

٤ ـ الحزب الوطني الأندونيسي: «محمد اسنين».

٥ ـ الحزب الكاثوليكي: ويتسلّم الأمانة العامة «هارتشيهان».

٦ ـ الحزب البروتستانتي: ويحتلّ منصب أمين سر الرئاسة «سوغيب».

٧ ـ حزب ايبكي: والأمين العام «جيليس طاهر»، ويعني الحزب «مؤيدو حرية أندونيسيا».

٨ ـ حزب موربا الاشتراكي: ورئيسه «سوكرني كرتوديوريو» الذي لم يلبث أن تُوفي.

٩ ـ برتي الإسلامي: ورئيسه «رسلي خليل».

١٠ ـ الفئة العاملة: ويُمثّلها «سوكواتي».

وتقرّر أن تجري الانتخابات العامة في ١٠ جمادى الأولى ١٣٩١ هـ (٣ تموز ١٩٧١ م) وقد انتهت الحملة الانتخابية في منتصف ليلة الثاني من جمادى الأولى (٢٥ حزيران) بعد أن استمرّت شهرين، وأُعطيت الحرية التامة لكل حزبٍ في تبيان برنامجه، كما أُعطي كل حزب ساعةً كاملةً في الإذاعة والتلفزيون. وكانت حكومة سوهارتو قد ضمنت لنفسها حق ترشيح مائة عضوٍ في المجلس النيابي، وحاولت فصل معظم زعماء الأحزاب أصحاب الرأي المستقل، ورمت بثقلها خلف حزب الفئة العاملة (جولكار) الذي هو عبارة عن أمانة سر مشتركة لمنظماتٍ عاملةٍ، وأصبحت بالواقع حزباً حكومياً يُدير الجيش، ونتيجة تأييد الحكومة الواسع حصل هذا الحزب على نجاحٍ كبيرٍ. وكانت نتائج الانتخابات كما يأتي:

الحزب	عدد الأصوات	المقاعد النيابية
الفئة العاملة	٣٤,٣٤٨,٦٧٣	٢٢٧
نهضة العلماء	١٠,٢١٣,٦٥٠	٥٨
الحزب الإسلامي	٢,٩٣٠,٧٤٦	٢٤
شركة إسلام	١,٣٠٨,٢٣٧	١٠
الوطني الأندونيسي	٢,٧٩٣,٢٦٦	٢٠
النصراني البروتستانتي	٧٣٣,٣٥٩	٧
النصراني الكاثوليكي	٦٠٣,٧٤٠	٣
برتي الإسلامي	٣٨١,٣٠٩	٢
موربا الاشتراكي	٤٨,١٢٦	-
حزب أيبكي	٣٣٨,٤٠٣	-
		٣٥١
ويضاف إليهم ممثلو إقليم إيريان الغربية.		٩
		٣٦٠ مقعداً.

وبعد الانتخابات خفّ الضغط على الشعب ثم لم تلبث الحكومة أن أذاعت أن الترف السياسي القائم لا يمكن تحمّله ثم اتخذت قرارا بحرمان الأحزاب والمنظمات التابعة لها من حق ممارسة نشاطها في القرى. وردت على انتقادات الطلبة الداعية إلى الحدّ من التسلّط العسكري والفساد القائم بأن عملهم من الترف السياسي.

وبعد فشل الشيوعية الأكيد عاد التنصير إلى أندونيسيا بقوةٍ. والتنصير

والشيوعية حليفان ضدّ الإسلام ومتنافسان عند وجود مصالح لدولهما. وجاء الآن التنصير ليحلّ محل الشيوعية، وقد خابت، وليتسلّم منها دفة تسيير القافلة في طريق الإبعاد عن الإسلام، وهو بهذا يخدم مصالحه، ويكوّن مادةً خاماً لها، وقاعدةً أساسيةً ترتكز عليها فيما إذا آل الأمر إليها مرةً ثانيةً، أو كان على عاتقها العبء. وفتحت الدولة الباب أمام التنصير فهو يخفّف من معارضة الاتجاه الإسلامي، ويضعف حركاته.

دعت الحكومة الأندونيسية إلى عقد مؤتمرٍ للأديان في جاكرتا عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، فلبّى الدعوة من وُجّهت إليهم، وعقد المؤتمر في دار المجلس الاستشاري الأعلى، ووجه فيه الرئيس سوهارتو نداءً إلى أتباع الأديان كي يركز كل منهم اهتمامه التام على مهمة تصعيد مستوى الوعي الديني في أبناء طائفتهم، وأن يحرصوا على الحيلولة دون أن تحسّ طائفة من الطوائف أنها معرضة لدعايات طائفةٍ أخرى، ومستهدفة لنشاطها.

لقد قدّم الجانب الإسلامي في المؤتمر أسلوباً للتراضي صيغ في مشروع ميثاقٍ بين الأديان مُلبياً نداء الرئيس سوهارتو، ولكن الجانب النصراني سواء أكان الكاثوليكي أم البروتستانتي قد قابل ذلك المشروع بالرفض التام على الرغم من أن النصارى أقلية، وقد سُوّوا بالأكثرية المطلقة فالشكل الطبيعي أن تكون موافقتهم أكيدة.

وقد رصدت هيئة المعونات النصرانية العالمية مبلغ مائةٍ وخمسين ألف دولار، ورصد مجلس الكنائس العالمي مبلغ ثلاثمائة ألف دولار لعام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م)، وهذا مبلغ كبير في أندونيسيا، وهو للعمل التنصيري المحلي. أما المنظمات الإسلامية ففقيرة لا تستطيع العمل بينما كل الإمكانات متاحة أمام النصارى في المدارس، والجامعات والمستشفيات مفتوحة، وتستطيع فتح صدرها لأولئك الناس الفقراء.

وفي المناطق خارج جاوه مثل محافظات: نوساتنغارا، وكليمنتان يملك التنصير أحدث وسائل المواصلات مثل الطائرات العامودية، وطائرات

التشيسنا، والأجهزة اللاسلكية وغيرها، وهذا قد لا تملكه الحكومة.

وتحظى المؤسسات التنصيرية والإرساليات بالترخيصات اللازمة لإنشاء مطاراتٍ خاصة بها، وينال موظفو الحكومة المركزيون والمحليون على خدمات مؤسسات الطيران التنصيرية تسهيلات لتنقلاتهم حيث لا توجد خدمات نقل حكومية، وكذلك إدارة البريد لنقل البريد كالذي يحدث على خطوط التنصير الجوية بين (تيمور كوبانغ) و(انيفابو) حيث تتم رحلتان في الأسبوع.

وكذلك في أعماق إيريان الغربية حيث تتمتع هيئات التنصير والإرساليات فيها منذ أيام الاستعمار الهولندي بتسهيلاتٍ كبيرةٍ.

وليس العمل التنصيري بالأمر الذي يُستهان به، وهذا ما يجب أن يعرفه المسلمون حق المعرفة، فالمدارس والمشافي والمستوصفات والمساعدات المادية، وهذا يعقبه حضور دروس أساتذة إخصائيين في التنصير، ولا بد من أن يكون لذلك أثره الواضح في مجتمعٍ بسيطٍ يغلب عليه الفقر، والبؤس، والجهل، وليس له من موجهٍ يقوده إلى شاطىء الأمان، ويقيه زوابع هؤلاء الغرباء من المنصّرين.

وإذا سلم الأمر من المنصّرين فإن هناك أمراً خطيراً هو ناحية استخدام الجنس، وهو ما يعجز عن استخدامه المسلمون بسبب تعاليم دينهم الحنيف. إذ تقوم الفتيات النصارى بإغراء الشبان المسلمين، وإيقاعهم في حبائلهن لإدخالهم إلى النصرانية.

وقد بلغ تساهل الحكومة في أمر الإرساليات التنصيرية، وإطماع رجالها، ومعاداة المسلمين لدرجةٍ أنه قد يعتقل المسؤولون النصارى بعض معلمي الديانة الإسلامية بتحريضٍ من الطلاب النصارى، وذلك بسبب تفسير بعض الآيات الكريمة بشكلٍ لا يروق للنصارى، أو مجرد تلاوتها مثل:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

﴿ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وربما يقوم الطلاب النصارى باعتقال هؤلاء الأساتذة، وتسليمهم إلى موظفي الحكومة. كما تتعرّض بيوت المسلمين إلى زيارة هؤلاء المنصّرين لإسماع أهل البيت أو المنطقة لأقوالهم بالإكراه.

كما أن مخططات فئة الحرفيين (الجولكار)، وهي الفئة الحاكمة اليوم، تحظر على المؤسسات الإسلامية، وعلى الدعاة العمل في المدن والقرى من عواصم (الكاوادانان) فما دون أي المراكز والقرى. وهذا ما يجعل المجال فسيحاً أمام نشاط مجلس الكنائس العالمي أو الأندونيسي للمشاركة في أعمال التنمية ليصول ويجول رجال تنصيرها في القرى والأرياف بكل حرية باسم «التنمية والإنماء». ولا شك أن العمل في الأوساط الريفية سهل نتيجة الحاجة بسبب الفقر، ونتيجة انتشار الأمراض، وبسبب عدم المعرفة، وعدم وجود من يُنبّه ويُرشد، بل لا يوجد من يُوجّه، ولا من ينصح، فالدعاة محظور عليهم الدخول، والمنطقة مُتخلّفة، وهي مسرح لرجال الإرساليات التنصيرية.

استمرّ سوهارتو رئيساً للجمهورية حتى اليوم، وفي كل خمس سنواتٍ يُجدّد انتخابه دون منازعٍ في شهر آذار، فقد جُدّد انتخابه في الأعوام (١٩٧٣ م) و (١٩٧٨ م) و(١٩٨٣ م) و (١٩٨٨ م) ورغم ذلك فإن المؤشّرات كلها تدلّ على عدم رضا الشعب عنه، إذ جرت عدة محاولاتٍ لاغتياله ولكنها أُحبطت، كما جرت محاولة انفصالية في جزيرة إيريان

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ٧٢ - ٧٣.

الغربية. ويُقدّر عدد المعتقلين السياسيين عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) بخمسة وخمسين ألف رجل.

وانتُزعت السلطات التشريعية من المجلس النيابي أيام سوهارتو، وسُلّمت لزمرةٍ من العسكريين، ولجهاز الأمن الأساسي «كوبكامتيب»، وضغط على الحركات اليسارية، واتبعت سياسة حرة في الاقتصاد.

النظام السياسي:

أندونيسيا جمهورية يرأسها اليوم سوهارتو. ويُمارس رئيس الجمهورية السلطات التنفيذية ويُعاونه في الحكم مجلس وزراء مسؤول أمام رئيس الجمهورية، وهو الذي يُعيّن أعضاءه.

أما السلطة العليا في البلاد فتُمارسها «جمعية الشعب الاستشارية»، وهي التي تنتخب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنواتٍ، وتضمّ هذه الجمعية:

٤٦٠ عضواً من الهيئة التشريعية، التي تشمل ٣٦٠ عضواً منتخباً، و ١٠٠ عضوٍ مُعيّنٍ.

٤٦٠ عضواً من الحكومة، والمبعوثين، والجمعيات الإقليمية، وممثّلي الأحزاب والفئات.

والأحزاب القائمة في أندونيسيا هي

١ ـ الحزب الديمقراطي الأندونيسي ويشمل: الأحزاب النصرانية، والعلمانية.

٢ ـ اتحاد حزب التطور ويشمل الأحزاب الإسلامية.

٣ ـ أمانة سر المجموعات الفعالة (اتحاد مجموعات حكومية).

وتجري الانتخابات كل خمس سنواتٍ، وقد جرت عام (١٩٧١ م) و

(١٩٧٧ م) و(١٩٨٢ م) و (١٩٨٧ م)، وفي كل مرةٍ الفئة العاملة هي التي تفوز بأكثرية أعضاء الهيئة التشريعية، نتيجة تأييد الحكومة لها. كما كان فوزها غالباً ما يشمل المقاطعات كلها.

وكانت المعارضة تبرز بين الآونة والأخرى بشكلٍ من الأشكال، فقد تقدّم عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) خمسون رجلاً من كبار الشخصيات في أندونيسيا بعريضةٍ ينتقدون فيها السلطة ويُطالبون بالإصلاح.

وتقدّم سوهارتو بتشريعٍ يُطالب فيه جميع المنظمات السياسية لتتبنّى ما عُرف بـ (بانكاسيلا) التي توضّح فلسفة الدولة التي تدعو إلى اتفاق الرأي العام على نقاطٍ محددةٍ، والتسامح الديني، إذ أحسّت الحكومة بوجود أفكارٍ معارضةٍ، وتهدف في الحقيقة من وراء ذلك إلى سكوت المسلمين عما يجري من سياسةٍ تنصيريةٍ وعن الهجمة الصليبية الواضحة من عنوان التسامح الديني.

وحدثت أعمال شغبٍ ضدّ السلطة إذ وقعت تفجيرات، وأحداث تخريبٍ في العاصمة وما حولها، واتهمت الدولة المعارضة للبانكاسيلا بهذه الأحداث، وفي طليعتهم المسلمين الملتزمين، فألقت القبض على أعدادٍ منهم.

وفي شهر رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) بدأ تنفيذ (البانكاسيلا)، وبعدها اضطرت الأحزاب على الموافقة عليها. ولكن اشتدت المعارضة في السنتين التاليتين لحكومة سوهارتو في داخل البلاد وخارجها. وقامت الحكومة بردّ فعلٍ فألقت القبض في جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (شباط ١٩٨٧ م) على تسعةٍ من أعضاء حزب (ايبكي) مؤيدي حرية أندونيسيا بتهمة تورّطهم في محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) وأودعتهم السجن، ورفضت السماح للمحامين بالدفاع عنهم، بل وحتى المحامين الدوليين. كما صدر في جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

(شباط ١٩٨٨ م) تشريع يُؤكّد دور جهاز الأمن والمجموعات الفعّالة في الحكم.

أقال الرئيس سوهارتو الجنرال (مرداني) قائد جهاز الأمن، وعيّن مكانه الجنرال (تراي سوتريزنو) مكانه، وكان لهذا التغيير دور في توتّر الوضع في البلاد.

ورشّح الرئيس سوهارتو لمنصب الرئيس زعيم الفئة العاملة (جولكار) وهو (سودارمونو)، أما المسلمون فقد رشّحوا أمير اتحاد حزب التطوّر (جيلاني نارو)، وأبدى الرئيس حياده في هذا الموضوع فرجحت كفة مرشحٍ المسلمين، فاضطر الرئيس عندها إلى وقوفه بجانب (سودارمونو) صراحةً، وأجبر (جيلاني نارو) على سحب ترشيحه فنجح (سودارمونو) دون منازعٍ. وأبدى عضو مجلس الشعب (إبراهيم سالم) رأيه، وأعلن أن الترشيح غير عادلٍ، فمنع في المجلس من متابعة إلقاء خطابه، كما فقد عضويته في المجلس.

أعلن اتحاد حزب التطور عدم رضاه عن تعيين نائب الرئيس (سودارمونو)، وكان قد ازداد نفوذ هذا الحزب في صفر من عام ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م)، لاستبدال جهاز الأمن (كوبكا متيب) الخاضع للجنرال (مرداني)، وبدا هذا النفوذ، وخاصةً عندما ظهرت حملة ضدّ الشيوعيين، إذ نُفي ثلاثة من كبار أعضاء الفئة العاملة (جولكار)، وأُعدم ضابطان من القوات المسلحة سبق لهم أن أُدينوا في محاكمات عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) لتورّطهم في محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

وفي منتصف عام ١٤٠٩ هـ (أوائل عام ١٩٨٩ م) وقعت صدامات بين القوات المسلحة وبين السكان بسبب مصادرة الحكومة للأرض دون تعويضٍ مناسبٍ، وقد وقعت في عدة مناطق من جزيرة جاوه، وفي جزيرة

(سومباوا)، ولكن أعنفها ما وقع في جنوبي سومطرة إذ وقع ما يقرب من مائة قتيل بالصدامات التي حدثت هناك.

كانت مهمة جهاز الأمن (كوبكامتيب) إخماد حركات الجناح اليساري. أما مهمة هيئة التنسيق لتطوير الاستقرار الوطني (باكوستاناس) مكافحة الفساد، وتضم ممثلين عن الدولة، ودوائر الحكومة غير العسكرية.

وعندما عُيّن (سودارمونو) نائباً للرئيس استقال من زعامة الفئة العاملة (جولكار)، وتولّى مكانه الجنرال (واهونو) الذي كان مقبولاً من الأحزاب الأخرى.

وأندونيسيا عضو في اتحاد دول جنوب شرقي آسيا، وفي الدول المصدرة للنفط (أوبك).

غينيا الجديدة:

سبق أن قلنا: إن جزيرة غينيا الجديدة هي أكبر جزر أندونيسيا، وثاني جزر العالم مساحةً بعد غروئنلندة، حيث تبلغ مساحتها ٧٨٥ ألف كيلومتر مربع، وتقع شمال استراليا، ويفصلها عنها مضيق (توريس)، وتنقسم إلى قسمين:

١" ــ **القسم الغربي**: ويُسمّى إيريان الغربية، وتبلغ مساحته ٤١٣ ألف كيلومتر مربع، وكانت تتبع لهولندا كبقية الجزر الأندونيسية، فلما استقلّت أندونيسيا إثر معاهدة ٧ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ م) لم تستطع الاتفاق مع هولندا على هذا الجزء، وبقي يتبع السيطرة الهولندية.

وافقت هولندا على إجراء استفتاء في إيريان الغربية عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، وبقيت حتى ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٦٢ م) تحت السيطرة الهولندية، ووضعت مدةً وجيزةً تحت إشراف الأمم

المتحدة وذلك حتى ذي الحجة ١٣٨٢ هـ (أيار ١٩٦٣ م)، وحُوّلت بعدها إلى أندونيسيا.

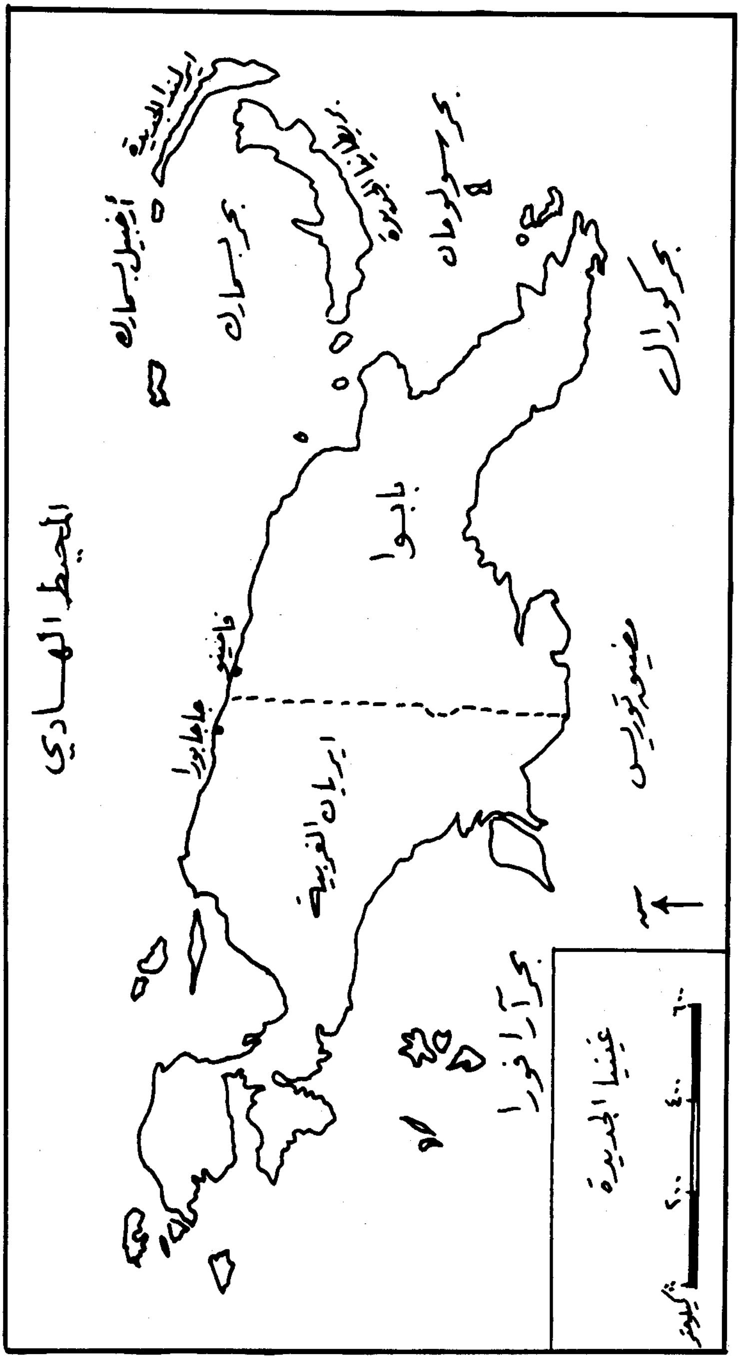
٢" ـ القسم الشرقي:

وكان تابعاً لألمانيا حتى الحرب العالمية الأولى، فلما هُزمت ألمانيا وضع هذا الجزء تحت انتداب استراليا، وبقي تابعاً لها، وتبلغ مساحته ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع، ويُعرف هذا الجزء باسم (بابوا).

يبلغ عدد سكان إيريان الغربية مليون وربع (١,٢٥٠,٠٠٠)، وعاصمتها جاجارابورا (سوكارنابورا). وفي جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ (أيار ١٩٧٧ م) قام تمرّد في إيريان الغربية، ويُقال إن منظمة (بابوا الحرة) كانت من ورائه، وتعمل للاتحاد مع (بابوا) الجزء الشرقي من غينيا الجديدة، وتُعرف هذه المنظمة باسم (أورغانيسيا بابوا ميرويكا)، واستمرّ القتال حتى شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م) حيث وقعت اتفاقية بين أندونيسيا وبابوا لإدارة وتنظيم الحدود بينهما، ولكن بقيت حوادث تقع على الحدود بين الآونة والأخرى.

وفي ربيع الثاني من عام ١٤٠٤ هـ (أوائل عام ١٩٨٤ م) انفجر القتال في عاصمة إيريان الغربية، ونتيجة ذلك انتقل حوالي عشرة آلاف لاجيءٍ إلى (بابوا)، وفي الشهر الأول من عام ١٤٠٥ هـ (تشرين الأول ١٩٨٤ م) وقعت اتفاقية بين أندونيسيا و(بابوا) لمدة خمس سنواتٍ، وأُنشئت لجنة أمنٍ للحدود مشتركة من الدولتين. ولكن استمرّ انتقال الأفراد من إيريان الغربية إلى بابوا طيلة عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م)، وإن كان قد رجع في العام التالي عدد قليل منهم.

كان القلق يسود سكان إيريان الغربية بسبب الشائعات التي يُطلقها المغرضون بأن الحكومة الأندونيسية تنوي إسكان خمسةٍ وستين مليوناً من أهل جاوه في إيريان الغربية على مدى عشرين سنة، ويُصدّق سكان أيريان


المحيط الهادي
بابوا
إريان الغربية
غينيا الجديدة
بحر آرافورا
بحر كورال

مصور رقم [٥]

الغربية هذه الشائعات نتيجة انتقال أفرادٍ من جاوه إلى منطقتهم، فكانت الاحتجاجات والتي تُعلن أن سياسة أندونيسيا تقوم على خفض نسبة السكان الميلانيزيين في سبيل سيطرة الجاويين وأن هذا الأمر يتعدّى أيضاً إلى التدخّل في شؤون سكان جاوه وإلزامهم على الهجرة، وكذلك صدرت احتجاجات من لجنة حقوق الإنسان. ورغم هذا كله فإن ستمائة وخمسين ألف عائلةٍ جاويةٍ قد وُطّنت في إيريان الغربية في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (آب ١٩٨٧ م).

تحسّنت العلاقات بعد زيارة رئيس الوزراء (باياس وينغتي) للرئيس سوهارتو في جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (كانون الثاني ١٩٨٨ م)، ولكن جرت غارات من قبل القوات المسلحة الأندونيسية خلال شهري ربيع الأول والثاني من عام ١٤٠٩ هـ (تشرين الأول والثاني من عام ١٩٨٨ م) في محاولاتٍ لاختطاف الزعماء الانفصاليين من الميلانيزيين، وهذا ما أدّى إلى إعادة التوتّر على الحدود.

وأخيراً جرت محادثات بين الطرفين من أجل الوضع على الحدود وذلك في ذي الحجة ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) وتقرّر إقامة قنصليةٍ لـ (بابوا) في (سكارنابورا) عاصمة إيريان الغربية، وفي الوقت نفسه تقوم قنصلية في مدينة (فامينو) الحدودية في (بابوا).

تيمور الشرقية:

عندما حلّ الهولنديون محلّ البرتغاليين في استعمار أندونيسيا بقيت للبرتغاليين بعض القواعد، وأهمها في جزيرة تيمور، إذ بقي لهم الجزء الشرقي منها، ومنطقة (أوكسي إمبينو) في الجزء الشمال الغربي، وعاصمة هذه القاعدة البرتغالية مدينة (ديلي) التي تقع على الساحل الشمالي للجزيرة.

تبلغ مساحة الجزء البرتغالي في جزيرة (تيمور) ١٤,٨٧٤ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها اليوم ٦٨٥,٠٠٠ شخص. ومع طول مدة

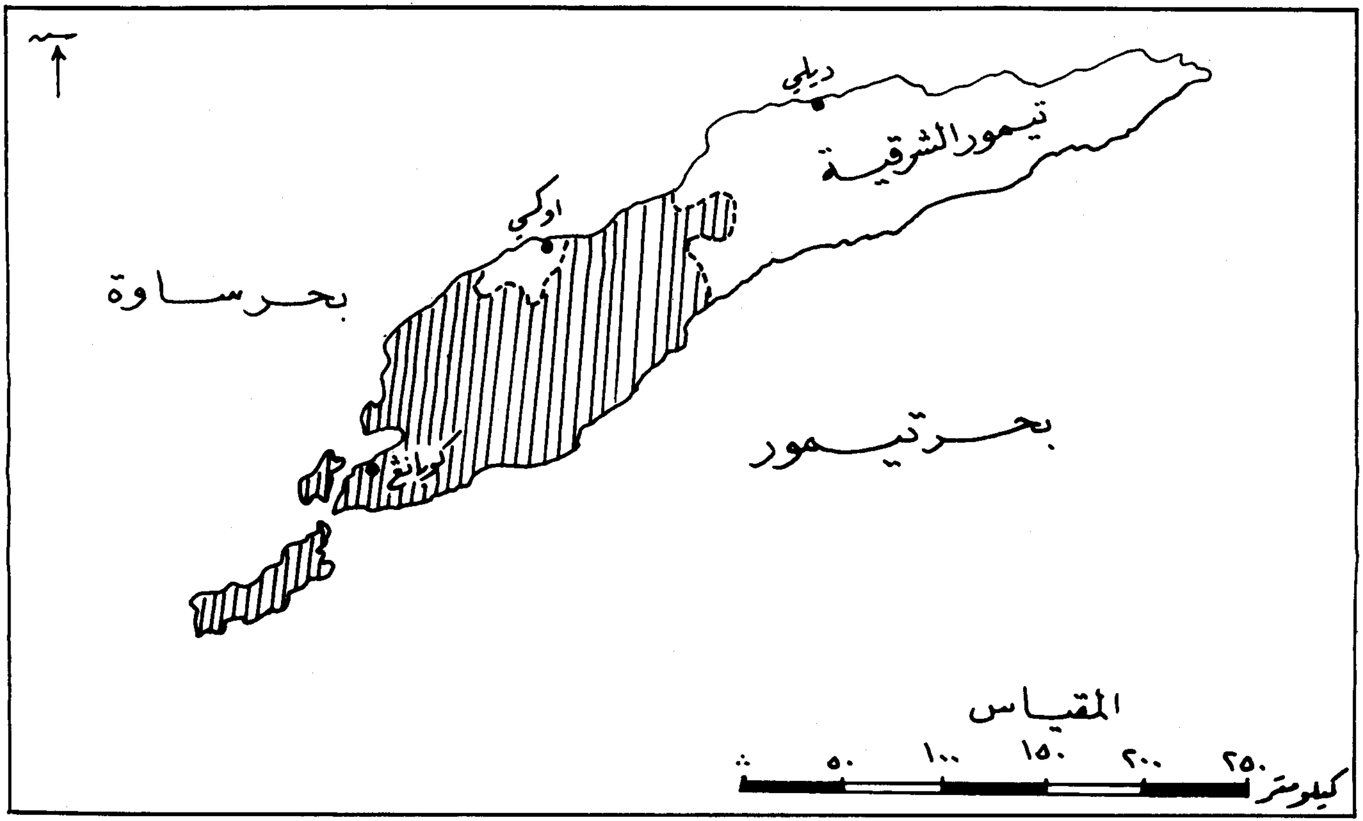
الاستعمار البرتغالي نشأت جماعة من السكان تختلف في ثقافتها ومفاهيمها عن بقية سكان أندونيسيا، فكانت هذه الجماعة ترى بقاءها مستقلةً عن بقية الجزر، وقد نظّمت نفسها.

انسحبت البرتغال من تيمور عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، غير أن العاصمة (ديلي) كانت تحت سيطرة الذين يرون استقلال تيمور الشرقية. فنشبت حرب أهلية في شعبان ١٣٩٥ هـ (آب ١٩٧٥ م)، وقامت الحكومة الأندونيسية بمساعدة بعض الفئات المؤيّدة للانضمام إليها ودعمتها بالسلاح، ثم عادت الحكومة الأندونيسية مباشرةً في ذي الحجة ١٣٩٥ هـ (كانون الأول ١٩٧٥ م)، وأنشأت حكومةً إقليميةً. وأعلن مجلس ممثلي الشعب في تيمور الذي شُكّل آنذاك في جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ (أيار ١٩٧٦ م) الانضمام إلى أندونيسيا وأعلنت الحكومة الأندونيسية الموافقة على ذلك، وأصبحت تيمور الشرقية الولاية السابعة والعشرين.

استمرّت المقاومة ضدّ أندونيسيا عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)، واستنكر مجلس الأمن الدولي تدخّل أندونيسيا في تيمور، ولم يُؤيّد ذلك الانضمام، وادّعت منظمة حقوق الإنسان أن مائتي ألف من سكان تيمور البالغ عددهم آنذاك ٦٥٠ ألفاً قد قُتلوا أثناء قيام حكومة أندونيسيا بعملية ضمّ تيمور إليها.

وفي جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (شباط ١٩٨٣ م) زارت بعثة من الأمم المتحدة تمثّل لجنة حقوق الإنسان، وتبنّت قرارا مؤكّدةً حق تيمور الشرقية في الاستقلال، وفي تقرير المصير. وجرى وقف إطلاق النار وفي ذي الحجة ١٤٠٣ هـ (أيلول ١٩٨٣ م) جرت مفاوضات بين ممثلي الحكومة الأندونيسية وفريق من سكان تيمور الشرقية الذين يدعون إلى استقلال منطقتهم.

ولكن لم تلبث أن عادت المعارك في العام التالي بين القوات المسلحة الأندونيسية وبين المتمردين، فقلّت الموارد، وانتشر الجوع، والأمراض بين المواطنين، وعمّ اليأس بالوصول إلى حلّ بين الطرفين.


ديلي
تيمور الشرقية
اوكي
بحر ساوة
كوبانج
بحر تيمور
المقياس
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كيلومتر

مصور رقم [٦]

وصوتت استراليا ضد ضمّ أندونيسيا لتيمور الشرقيـة في ذي القعدة ١٤٠٥ هـ (آب ١٩٨٥ م)، وكان لهذا أثره الكبير في المنطقة، حيث أدّى إلى توتّر الوضع ثانيةً.

وقام الرئيس سـوهارتـو بزيـارةٍ إلى تيمور الشـرقية في ربيـع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) وأعلن أن قيود السفر من وإلى تيمور يجب أن تُلغى، وكانت هذه القيود قد فُـرضت منذ أن ضمّت أنـدونيسيا تيمور الشرقية إليها عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

وامتنعت الأمم المتحدة عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) عن التصويت لضمّ أندونيسيا لتيمور الشرقية.

وقام البابا بزيارة تيمور الشرقية في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) خلال الزيارة التي قام بها لأندونيسيا.

السياسة الأندونيسية:

تتبع أندونيسيا سياسة عدم الانحياز على الرغم من علاقاتها الوثيقة مع المعسكر الغربي، ولا غرابة في ذلك فأكثر دول هذه المجموعة هذا شأنها، فليس المهم ما تُعلنه الدولة وإنما المهم الخط الذي تنتهجـه، وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) تحسّنت العلاقة بين أندونيسيا والامبراطورية الروسية، وقام وزير الخارجية الروسي بزيارةٍ إلى أندونيسيا في جولةٍ في جنوب شرقي آسيا لمناقشة مشكلة كامبوديا. وفي شهر صفر من عـام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م) زار الرئيس الأندونيسي سوهارتو الامبراطورية الروسية، وأجـرى مباحثاتٍ مع الرئيس الروسي غورباتشوف.

وعارضت منظمة جنوب شرقي آسيا التي تعدّ أندونيسيا أحد أعضائها البارزين الوجود العسكري الفيتنامي في كامبوديا.

ووقّعت أنـدونيسيا والصين الشعبيـة في شـوال ١٤٠٥ هـ (تمـوز

١٩٨٥ م) ميثاق التفاهم فيما يخصّ استئناف العلاقات التجارية المباشرة والتي عُلّقت منذ عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وأعلنت الحكومة الأندونيسية في شعبان ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) عن استعدادها لإعادة العلاقات السياسية مع الصين الشعبية بشرطٍ وتأكيدٍ من الصين ألا تتدخّل في شؤون أندونيسيا الداخلية. وكان الرئيس الأندونيسي سوهارتو قد أصرّ حتى تعود العلاقات السياسية بين الطرفين اعتراف الصين بالتورّط في محاولة الانقلاب الشيوعية الفاشلة في أندونيسيا عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م). والتقى الرئيس الأندونيسي سوهارتو في طوكيو مع وزير الخارجية الصيني، وأعلن فيما بعد بأن اتفاقية تطبيع العلاقات قد تمّت. وأن محادثات أخرى قد جرت بين وزراء خارجية البلدين في نطاق الأمم المتحدة في شهر صفر ١٤٠٩ هـ (أيلول ١٩٨٨ م).

وفي شهر صفر ١٤٠٩ هـ (١٩٨٨ م) أغلقت أندونيسيا مضائق الصوند ولومبوك لمدةٍ محدودةٍ أمام الملاحة البحرية بسبب المناورات بالذخيرة الحية فأعربت كل من الولايات المتحدة، وألمانيا الاتحادية، واستراليا قلقها أمام خرق القانون البحري للملاحة علماً بأن السفن الأجنبية المسالمة منها قد سُمح لها بالعبور من تلك المضائق، وبعد شهر قام وزير الخارجية والتجارة الاسترالي بزيارة جاكرتا رغم وجود التوتر بين البلدين بسبب إغلاق المضائق، وتدخّل أندونيسيا في (بابوا)، وأكد على التعاون بين البلدين في منطقة خليج تيمور، وزاد الأمر تحسّناً عندما زار وزير الداخلية الأندونيسي استراليا في ذي الحجة عام ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م) ثم تكرّرت الزيارة بعد شهرين.

وعندما أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن قيام حكومةٍ لها في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٨ م) اعترفت أندونيسيا بها، وافتتحت حكومة فلسطين سفارةً لها في جاكرتا في ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م).

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

تعدّ أندونيسيا أكبر مجموعة جزرٍ في العالم، وتقع هذه الجزر في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، بينها وبين قارة أوقيانوسيا من جهةٍ، وبين المحيطين الهندي والهادي من جهةٍ أخرى، ويزيد عدد هذه الجزر على [١٣٦٧٧] جزيرة منها [٦٠٤٤] جزيرة مأهولة بالسكان، والباقي منها لا يُقيم عليه البشر، بعضها كبير معروف، وبعضها صغير مجهول لا يكاد يعرف أسماءها إلا أهل تلك الجهات، منها ما هو غاصّ بالسكان حتى ليعدّ أكثر أرجاء الأرض ازدحاماً، ومنها ما هو قليل العمران حتى ليُعدّ من أقل بقاع الدنيا سكناً. وتنتشر هذه الجزر على مساحةٍ واسعةٍ تزيد على اثني عشر مليوناً من الكيلومترات المربعة بين برٍّ وبحرٍ، وتمتدّ على طولٍ يزيد على ستة آلاف كيلومتر بين الغرب والشرق، وعلى طولٍ يزيد على ألفي ومائة كيلومتر بين الشمال والجنوب، وتبلغ مساحة اليابس منها ٢,٣٧١,٤١٩ كيلومتراً مربعاً، أي أكبر من الدولة الأوربية التي كانت تستعمرها بثمان وستين مرةً.

تشمل هذه الجزر أربع مجموعات يختلف بعضها عن بعضٍ من حيث النبات، والحيوان، والأرض، والسكان، والمستوى الحضاري، وهذه المجموعات هي:

١ ـ جزر الصوند الكبرى أو الغربية: وتضمّ: سومطرة، جاوه، بورنيو، وما حول هذه الجزر من جزر صغيرة. وتُحيط بهذه الجزر بحار قليلة مما يدلّ على أنها كانت على صلةٍ بالبر الآسيوي، وكثير من أراضيها تُغطيها المستنقعات.

٢ ـ جزر الصوند الصغرى: وهي سلسلة من الجزر الصغيرة تمتدّ من شرق جاوه نحو استراليا، وأشهرها: بالي، لومبوك، سومباوا، سومبا، فلوريس، تيمور. وتتألّف هذه الجزر من قمم الجبال الوعرة جداً التي ترتفع من أغوار البحار الشديدة العمق، الحديثة العهد.

٣ ـ الجزر الشرقية: وتضمّ جزر: سيلبيس (سلاويزي)، مولوك التي تمتدّ حتى الفيليبين.

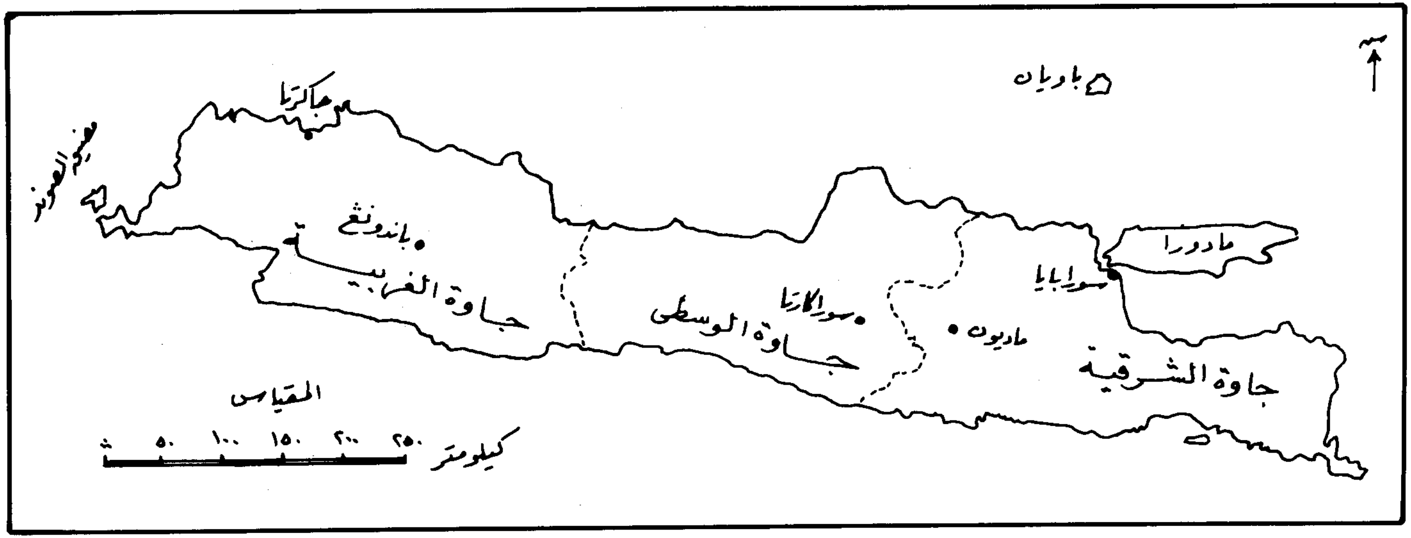
٤ ـ غينيا الجديدة: وتملك استراليا القسم الشرقي منها، على حين يتبع القسم الغربي منها أندونيسيا ويعرف باسم «ايريان الغربية».

وقد حملت هذه الجزر عدة أسماء على مدار التاريخ، فقد أطلق عليها قديماً اسم «نوسنتارا» ويُقصد بهذا اللفظ الجزر الواقعة بين المحيطين، وهما: الهندي والهادي، أو بين القارتين، وهما: آسيا وأوقيانوسيا، إذ أن لفظ «نوسا» يعني (الجزائر) أو (وطن)، ويعني لفظ «انتارا» (بين). كما أطلق عليها اسم: جزائر الهند، وجزائر الملايو. وسمّاها الهولنديون جزائر الهند الشرقية الهولندية. أما المسلمون فقد كانوا يعطون اسم (جاوه) لكل تلك الجزر حيث تضمّ أكثر السكان، فأطلقوا اسم الجزء على الكل. ومنذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري حملت اسم «أندونيسيا»، ولكن لم تعترف هولندا بهذا الاسم إلا بعد الاستقلال. وهذا الاسم نفسه يدلّ على معنى جزائر الهند، ويشمل بالأصل مجموعات من الجزر خارج حدود دولة أندونيسيا كتلك المجموعات من الجزر التي يُطلق عليها اسم «ميلانيزيا» و «ميكرونيزيا»، كما تشمل أيضاً بالأصل جزر الفيليبين.

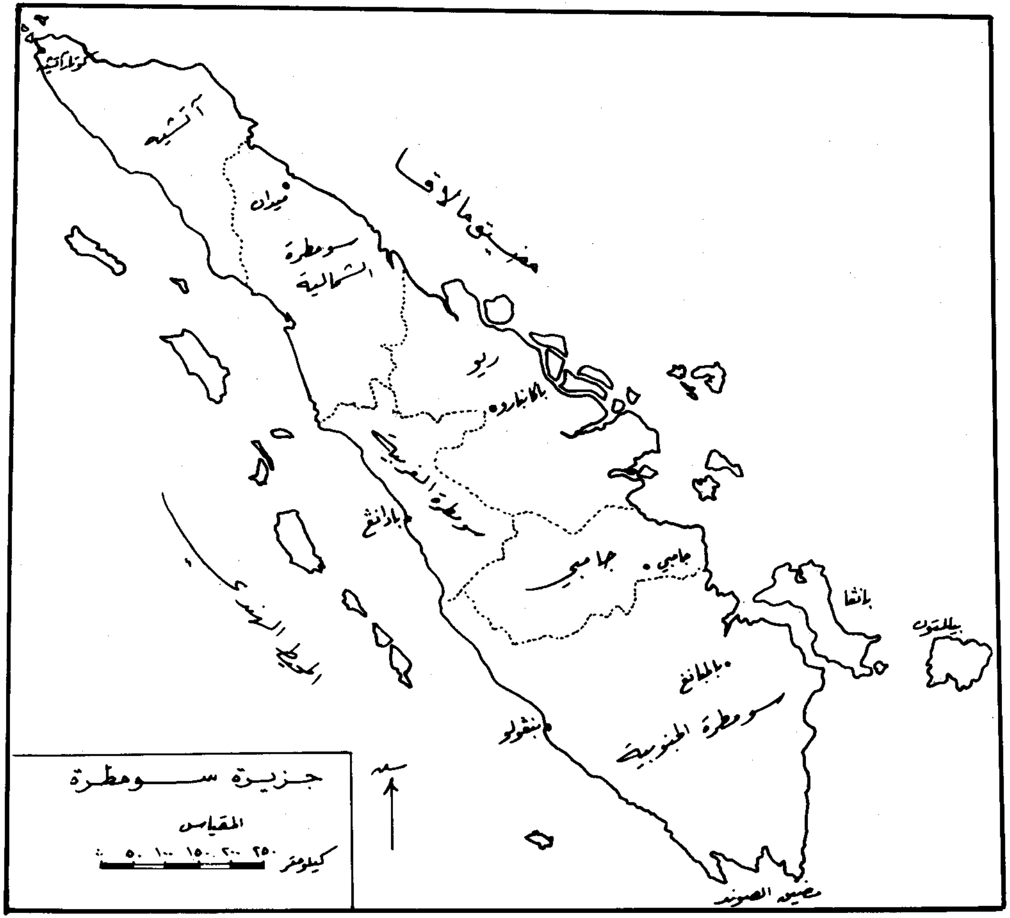
وتُعدّ جزر الصوند الغربية قوام أندونيسيا، فجزيرة **جاوه** وحدها تضمّ ٦٠٪ من مجموع سكان أندونيسيا، ويزيد عدد سكانها اليوم على مائة مليون، على حين أن مساحتها لا تزيد على **١٣٢** ألف كيلومتر مربع، وبذلك تزيد الكثافة على ثمانمائةٍ شخص في الكيلومتر المربع الواحد، فتكون بذلك من أكثر بلاد العالم ازدحاماً بالسكان، وتُقيم فيها أكثر الجاليات الأجنبية، فيعيش فيها أربعة أخماس الأوروبيين، ومعظم الصينيين، وستون ألفاً من العرب الحضارمة. وفيها كذلك ثلاثة أرباع شبكة السكك الحديدية التي في أندونيسيا. [انظر مصور [٧]].

وتُعدّ جزيرة **سومطره** ثاني جزر أندونيسيا أهميةً، وتبلغ مساحتها **٤٢٠** ألف كيلومتر مربع، وهي ثالث جزيرة مساحةً في أندونيسيا، والسادسة في العالم بعد غروئنلنده، وغينيا الجديدة، وبورنيو، وبافن، ومدغشقر. ويُعدّ مضيق (مالاقا) الذي يفصلها عن شبه جزيرة الملايو ذا أهميةٍ كبيرةٍ، وهو الممر الوحيد نحو الشرق الأقصى، ويزيد عدد سكانها على الثلاثين مليوناً، فهي ثاني جزيرة في أندونيسيا سكاناً بعد جاوه، ولكن الكثافة لا تزيد فيها كثيراً على سبعين شخصاً في الكيلو متر المربع الواحد. وسومطره أكبر مصدرٍ للنفط في أندونيسيا، كما أن الجزر القريبة منها، وهي: بانكا، وبيللتون، وسنكب تصدر كمياتٍ كبيرةً من القصدير، وفي جزيرة سومطره ربع شبكة الخطوط في أندونيسيا. [انظر مصور [٨]].

وثاني جزر أندونيسيا مساحة هي **بورنيو**، وتبلغ مساحتها **٧٣٤** ألف كيلومتر مربع، وتُعدّ ثالث جزر العالم مساحة بعد غروئنلنده، وغينيا الجديدة، ويُسمّيها الأندونيسيون «كيليمنتان» وأندونيسيا لا تمتلك الجزيرة كلها، ففي القسم الشمالي منها: تقع دولة بروني، كما تمتلك ماليزيا مقاطعتي صباح، وساراواك. ويوجد في الجزيرة النفط والمطاط، ولا يزيد عدد سكانها على ستة ملايين، لذا فإن الكثافة قليلة لا تزيد على ثمانية أشخاصٍ في الكيلو المتر المربع الواحد. [انظر مصور [٩]].


باويان
جاكرتا
باندونغ
جاوة الغربية
جاوة الوسطى
سوراكرتا
ماديون
سورابايا
مادورا
جاوة الشرقية
المقياس
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كيلومتر

مصور رقم [٧]


جزيرة سومطرة
المقياس
كيلومتر
آتشيه
ميدان
سومطرة الشمالية
مضيق ملاقا
ريو
سومطرة الغربية
بادانغ
جامبي
بالمبانغ
سومطرة الجنوبية
بنغكولو
بيليتون
المحيط الهندي

مصور رقم [٨]



جزيرة بورنيو
المقياس
كيلومتر
بحر الصين الجنوبي
صباح
"ماليزيا"
ساراواك
"ماليزيا"
بورنيو الشرقية
بورنيو الغربية
بونتيانك
بورنيو الوسطى
بحر جاوه

مصور رقم [٩]

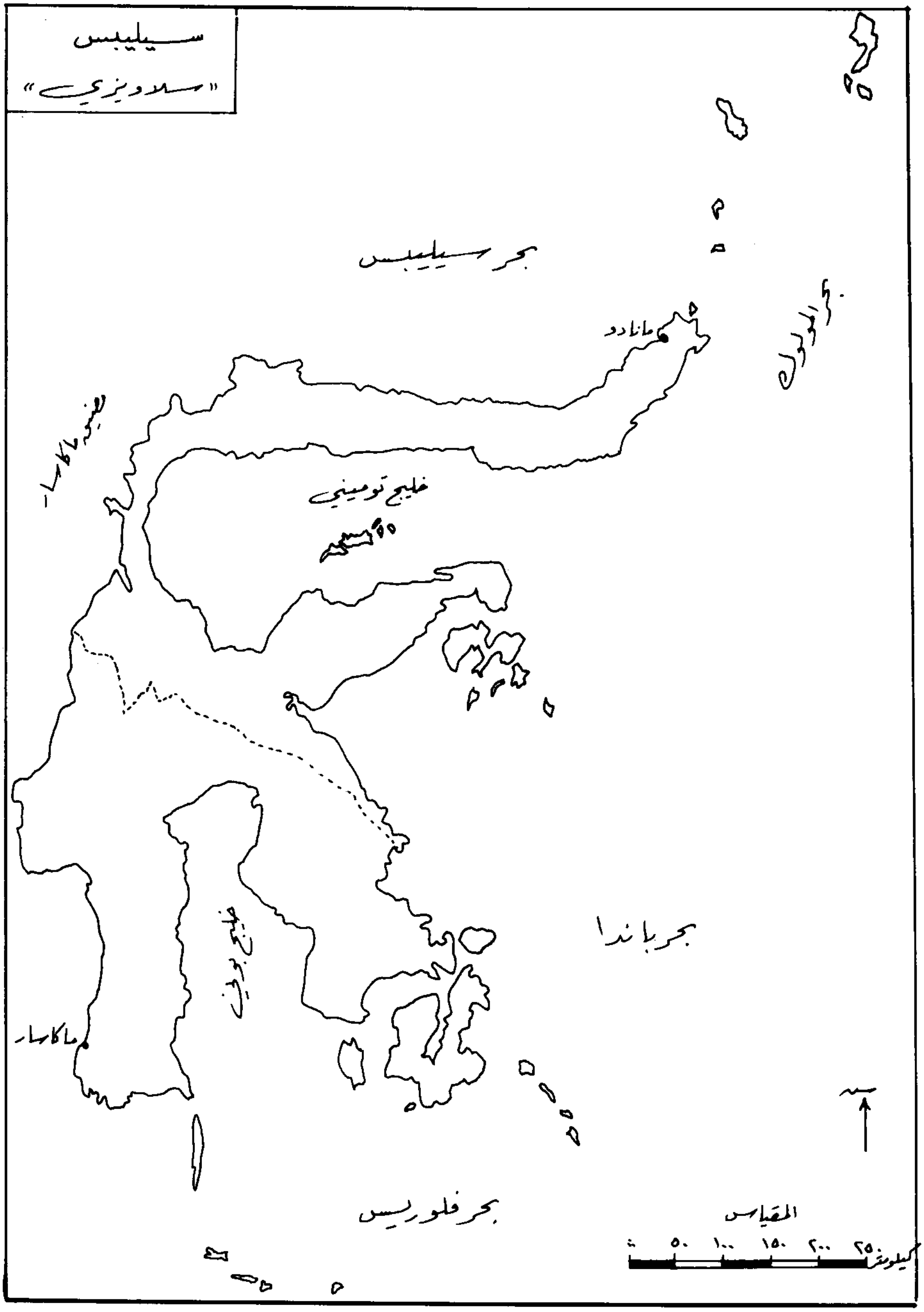
وجـزيرة سيليبس التي يُسمّيهـا الأنـدونيسيـون «سـلاويـزي»، وتعـدّ رابع جزر أندونيسيا مساحةً، وتبلغ مساحتها **١٧٩** ألف كيلو متر مربع، غير أن سكانها لا يزيدون على ثمانية مـلايين، وبذا تكـون الكثافـة فيها **٤٢** شخصـاً في الكيلومتر المربع الواحد، وتُعدّ أهم مركز في أندونيسيا بإنتاج الحرير. [انظر مصور [١٠]].

وجَزر **المولوك**، وهي مجموعة جزرٍ كانت تُعرف باسم جزر التوابل، وأهمها جزيرة هالماهيرا، ثم هناك جزيرة ترنات، وسيرام، وأمبون، وبورو، وقاعدة الجزر مدينة أمبون. [انظر مصور [١١]].

وجزر **الصوند الصغرى** وتمتـدّ شرق جـاوه، ويُسميها الأنـدونيسيون «نوساتنغارا»، وأول هذه الجزر جزيرة «**بالي**» التي لا يزال يُقيم فيها أتباع الديانـة الهندوسيـة، والنساء فيهـا شبه عـارياتٍ، ويقضي السكـان أوقات فراغهم بالرقص، ويحرقون موتاهم على منصات زاهية الألوان، ولا تزال عبادة الإله (سيوه) هي السائدة، ويزيد عدد سكان الجزيـرة على الثلاثـة ملايين والنصف. [انظر مصور [١٢]].

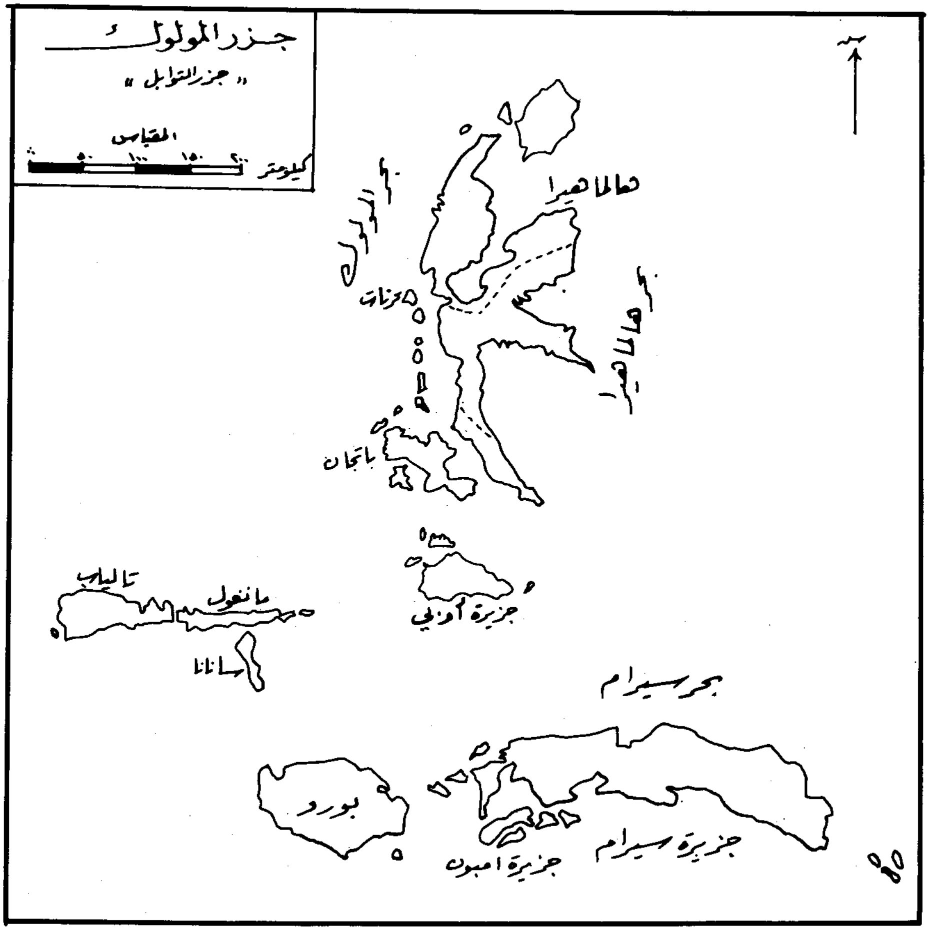
وتليها جزيرة **لومبوك وسمباوا**، **وسومبا**، **وفلوريس**، **وتيمور**، **وجزر تانيمبار**، وأخيراً جزيرة **غينيا الجديدة**.

تبلغ مسـاحة أنـدونيسيا **١,٩١٩,٤٤٣** كيلومتـر مربـع، ويبلغ عـدد سكانها حسب تقديرات عام **١٤١٢ هـ** **١٨٨** مليوناً، وبذا تكون الكثافة ما يقرب من **٩٢** شخصـاً في الكيلومتر المربع الواحد، ولكن هذا لا يدلّ على توزّع السكان بشكلٍ صحيحٍ حيث يختلف من منطقة إلى أخرى، وهذا



سيليبس
"سلاويزي"
بحر سيليبس
مانادو
بحر الملوك
مضيق ماكاسار
خليج توميني
بحر باندا
خليج بوني
ماكاسار
بحر فلوريس
شمال
المقياس
٢٥٠ ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
كيلومتر

مصور رقم [١٠]



جزر الملوك
"جزر التوابل"
المقياس
كيلومتر
بحر الملوك
تيرنات
جيلولو
ترناتي
بحر هالماهيرا
باتجان
تاليابو
مانغول
سانانا
جزيرة أوبي
بحر سيرام
بورو
جزيرة سيرام
جزيرة امبون

مصور رقم [١١]


بحر بالي
بالي
بالي
لومبوك
نوسا تنغارا الغربية
سومباوا
بحر فلوريس
نوسا تنغارا الشرقية
فلوريس
سولور
ألور
سومبا
جزر الصوند الصغرى
المقياس
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كيلومتر

مصور رقم [١٢]

العدد في نموٍ مستمرٍ إذ يزيد ١,٩ ٪ سنوياً، وإذا قارنـا هذا العـدد مع سكان بقية المناطق الواقعة على خط الاستواء لوجدناه كبيراً جداً، وذلك بسبب اعتدال المُناخ، وخصوبة التربة، وهذا ما لا يتوفر في بقية المناطق التي تقع على خطوط العرض نفسها حيث تغطي الغابات مساحاتٍ واسعةً من الأرض، وتكون الأيدي العاملة قليلةً لا تستطيع استثمار البلاد، إضافةً إلى المستوى الحضاري المتأخّر، وانتشار الزراعة البدائية، وهذا ما نجده نفسه أيضاً في بعض الجزر الأندونيسية القليلة السكان، كجزيرة بـورنيو، وسيليبس، وغينيا الجديدة، وغيرها. وتعود أكثرية السكان إلى جزيرة جاوه حيث تزيد الكثافة على ثمانمائة شخصٍ في الكيلو متر المربع الواحد فتُعدّ من المناطق المزدحمة بالسكان في العالم، وهذه الكثافـة أدّت إلى قطع الغابة، وتحويل الأرض إلى مساحاتٍ مزروعةٍ، واستثمـار المعادن، ومـدّ السكك الحديدية، وإقامة المباني، وأنه كلما ازداد السكان اضـطروا إلى زيادة العمل والاستثمار ليُؤمّنوا أنفسهم، ويسدّوا حاجتهم. ولكن السكـان في أندونيسيا غير موزّعين بصورةٍ عادلةٍ في الجزر كلها، فإن بعضها يُعاني نقصاً كبيراً في اليد العاملة، ولا تـزال الزراعـة البدائيـة منتشرةً في أكثـر المناطق، والغابات تُغطّي مساحاتٍ واسعةً من الجزر، وتنتشر المستنقعات على أراضي شاسعةٍ، والسكك الحديـدية معـدومة في الجـزر كلها عـدا جزيرتي جاوه وسومطرة.

وتقسم أندونيسيا إدارياً إلى :

المنطقة	المساحة	عدد السكان	العاصمة
جاوه الغربية	٤٦,٣٠٠	٣٥,٥٠٠,٠٠٠	باندونغ
جاوه الوسطى	٣٤,٢٠٦	٣٢,٥٠٠,٠٠٠	سمارانغ
جاوه الشرقية	٤٧,٩٢٢	٣٥,٥٠٠,٠٠٠	سورابايا
سومطرة الشمالية	٧٠,٧٠٧	١٢,٥١٥,٠٠٠	ميدان
سومطرة الغربية	٤٩,٧٧٨	٦,٥٠٠,٠٠٠	بوكيت تنغي
سومطرة الجنوبية	١٠٣,٦٨٨	٨,٥٠٠,٠٠٠	بالمبانغ
كيليمنتان الغربية	١٤٦,٧٦٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	بونتياناك
كيليمنتان الجنوبية	٣٧,٦٦٠	٣,٦٠٠,٠٠٠	بانغرداسين
كيليمنتان الوسطى	١٥٢,٦٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠	توكونغ
كيليمنتان الشرقية	٢٠٢,٤٤٠	١,٥٠٠,٠٠٠	ساماريندا
سلاويزي الجنوبية	٧٢,٧٨١	٦,٧٥٠,٠٠٠	ماكاسار
سلاويزي الوسطى	٦٩,٧٢٦	١,٥٠٠,٠٠٠	
سلاويزي تنغارا	٢٧,٦٨٦	١,٢٠٠,٠٠٠	
سلاويزي الشمالية	١٩,٠٢٣	٢,٦٠٠,٠٠٠	مانادو
نوساتنغارا الغربية	٢٠,١٧٧	٣,٢٢٥,٠٠٠	ماتارام بـ (لومبول)
نوساتنغارا الشرقية	٤٧,٨٧٦	٣,٢٢٥,٠٠٠	كوبانغ بـ (تيمور)
تيمور الشرقية	١٤,٨٧٤	٦٨٥,٠٠٠	ديلي

بالي	٥,٥٦١	٣,٥٠٠,٠٠٠	دينباسار
إيريان الغربية	٤٢١,٦٨١	١,٢٥٠,٠٠٠	جاجابورا
جامبي (سومطرة)	٤٤,٩٢٤	١,٧٥٠,٠٠٠	جامبي
ريو (سومطرة)	٩٤,٥٦٢	٢,٧٠٠,٠٠٠	باكانبارو
مولوك	٧٤,٥٠٥	٣,٣٠٠,٠٠٠	سواسيو
بنغولو	٢١,١٦٨	١,٥٠٠,٠٠٠	بنغولو
لامبونغ	٣٣,٣٠٧	٥,٨٠٠,٠٠٠	
آتشيه (سومطرة)	٥٥,٣٩٢	٣,٦٥٠,٠٠٠	كوتار آتشيه
يوغياكارتا	٣,١٦٩	٣,٥٥٠,٠٠٠	
	١,٩١٩,٤٤٣	١٨٨,٠٠٠,٠٠٠	

الصراع العنصري:

ينتمي سكان أندونيسيا إلى جنس الملايو، وهم بالأصل من العنصر المغولي، أي من العرق الأصفر، هاجروا قبل الميلاد بمدةٍ طويلةٍ من جنوب شرقي البر الآسيوي أي من المنطقة المعروفة اليوم باسم «الهند الصينية». وحدثت تلك الهجرة عقب نزوح جماعةٍ كبيرةٍ من الصين ومنغوليا، إذ ضغطوا على السكان السابقين لهم، وأجبروهم على ترك مناطقهم والتوجّه نحو الشواطىء، وحلّوا محلّهم، واضطروا ثانيةً إلى مُغادرة المناطق الساحلية تدريجياً تحت ضغط وزيادة القادمين الجدد من الصين ومنغوليا، وأخذوا يرتحلون من الشواطىء جماعاتٍ وقبائل، يركبون البحر، ويتّجهون نحو الجزائر القريبة منهم، والمبعثرة في ذلك اليمّ الواسع، وينتشرون فيها حتى عمروها كلها.

وكان يُقيم في الجزائر الأندونيسية قبل قدوم عنصر الملايو الـزنوج الذين يُعدّون أول من سكن البلاد، وبشرتهم سوداء، وقامتهم قصيرة، فلما جاءهم عنصر الملايو، تقوقعوا على أنفسهم، وتجمّعوا في الداخل، وأقاموا في الغابات منعزلين عن القادمين الجدد، يعيشون عيشةً بدائيةً، ولا تزال هكذا حياتهم، ديانتهم وثنية، يمتهنون صيد الحيوانات، ويلتقطون الثمار، ويبنـون بيوتهم من أغصـان الأشجار، ويستـرون عوراتهم بـأوراقها، وقـد تختلف القبائل المجاورة بعضها مع بعضٍ، وربما يصل الأمر إلى الصدام.

ثم جاءت مجموعـات أخرى كتجـارٍ من الهند، ومن الصين، ومن العرب، ومع مجيء الاستعمار جاءت مجموعات من الأوربييـن، واستقـرّ بعض أفرادها في البلاد، وأثناء الحرب العالمية الثانية دخل اليابانيون مع احتـلال دولتهم لأندونيسيـا، واستقرّ بعضهم حيث أقـاموا، غيـر أن هـذه المجموعات كلها ذات أعدادٍ قليلةٍ نسبياً فلا تسـاوي مجموعهـا ٦٪ من مجموع سكان البلاد، أي لا يصل عددها أبـداً إلى عشرة مـلايين، وإن كانت كل مجموعةٍ قد عملت على نقل عقيدة أبنائها إلى أندونيسيا، وإذا كانت أعداد من الهنود قد دانوا بالإسلام، وكذلك قلّة من الصينيين إلا أن الهنـدوسية، والبـوذية، والكـونفـوشيـة، لا تـزال دليـلا على وصـول تلك المجمـوعات، كمـا أن النصرانيـة لا تزال أثـراً على قـدوم المستعمـرين الأوربيين، والشنتوية إشارةً على احتلال اليابانيين. ويصل عدد العرب إلى مائةٍ وستين ألفاً، غير أنهم أكثر المجموعات الأخرى احتراماً عند السكان للروابط العقيدية بين الطرفين، ويعدّ الأنـدونيسيون العـرب مثلهم الأعلى لحملهم رسالة الإسلام ونقلها إليهم، وللعرب جمعيات خاصة بهم، تعمل للحفاظ على لغة أبنائها، وصلة بعضهم مع بعضٍ، وتنمي عندهم الصلة مع أصولهم.

ونتيجة غلبة عنصر الملايو على البلاد فليس هناك من صراعٍ مع بقية العناصر التي تعدّ ضعيفةً لقلّتها، وتبقى لهذا العنصر الهيمنة والسيادة، هذا

بالإضافة إلى الأثر الإسلامي الراسخ في النفوس والذي لا يقر النظرة العنصرية ولا يعترف عليها أبداً، ويعدّها عصبية نتنةً فوجود الشعوب والقبائل للتعارف لا للتمايز، والتمايز إنما هو بالتقوى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

وإن تعدّد اللغات في أندونيسيا لا يعود إلى اختلاف العناصر، فاللغات كلها تنضوي تحت مجموعة اللغة الملايوية الأم، وإنما يعود إلى تبلبل الألسنة نتيجة ترامي أطراف البلاد، وتباعد أقسامها، وصعوبة الانتقال بين أجزائها. ويتكلّم السكان أكثر من ثلاثين لغةً، ومائتين وخمسين لهجةً مختلفةً. وأهم هذه اللغات:

١ ـ اللغة الجاوية: ويتكلم بها خمسة وسبعون مليوناً في جاوه الغربية والشرقية.

٢ ـ اللغة الصوندية: ويتكلّم بها عشرون مليوناً في وسط جزيرة جاوه.

٣ ـ اللغة المادورية: ويتكلم بها عشرة ملايين في جزيرة مادورا.

وإن انتشار التجارة، وتنقّل التجار بين الموانىء الأندونيسية المختلفة قد جعل اللغة الملايوية تعمّ مناطق واسعةً على الرغم من بقاء اللغات الأخرى واللهجات المحلية، وتعرف اللغة الملايوية الأندونيسية بـ (لغة هاسا)، وكانت تكتب بالحرف العربي، وحاولت هولنده إلغاء هذا الحرف ولكن لم تجرؤ على ذلك لصلة هذا الحرف بالعقيدة الإسلامية، وكانت محاولة هولنده لإبعاد الصلة بين الأندونيسيين وبقية أمصار العالم الإسلامي، وخاصةً البلدان العربية، ولكن عندما أُلغيت الخلافة، واستبدل مصطفى كمال الحرف العربي باللاتيني، تجرّأت هولنده على ذلك واستعملت الحرف اللاتيني لكتابة لغة (هاسا) الأندونيسية وذلك عام ١٣٤٦ هـ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(١٩٢٧م)، وقد عمّت هذه الكتابة في الصحف، والمجلات، والدوائر الرسمية حتى شاعت. ونجد الكثير من الكلمات العربية في لغة (هاسا). وكانت اللغة الهولندية هي الرسمية أيام الاستعمار الصليبي الهولندي، وتُدرّس في المعاهد والمدارس، ثم حلّت اللغة الإنكليزية محلّها بعد زوال الاستعمار الهولندي، لأنها معروفة عالمياً، على حين أن اللغة الأندونيسية لا تعرف خارج البلاد، وهذا ما يُسبّب صعوبةً بالغةً للسكان، ولنضرب مثلاً من تلك الصعوبة، رجل من جزيرة مادورا، فهو يتحدث باللغة المادورية في بيته على أنها اللغة المحلية، ويتحدّث باللغة الأندونيسية (هاسا) في وظيفته على أنها اللغة الرسمية، ويعرف الهولندية منذ أيام الاستعمار الهولندي، ويلمّ بشيءٍ من اليابانية منذ عهد الاحتلال الياباني، ويتكلم بعض العربية من القرآن الكريم بصفته مسلماً. ويُفضّل السكان اللغة العربية، ويتمنّون تعلّمها لارتباطها بعقيدتهم، وتوجد عدة مدارس لا تُدرّس إلا اللغة العربية، ورأينا كيف كانت الجمعيات الإسلامية تحرص وتعمل على تدريس اللغة العربية.

الصراع الإقليمي:

رغم تعّدد الأقاليم بتعّدد الجزر، ورغم تنّوع اللغات باختلاف الأجزاء إلا أننا لا نلاحظ صراعاً بين الأقاليم، وذلك لأن جزيرة جاوه تطغى على بقية الجزر بكثرة السكان إذ يُقيم فيها وحدها كما رأينا ٦٠٪ من مجموع سكان أندونيسيا كلها. وبقية الجزر تُعدّ بالنسبة لها قليلة الأهمية لقلّة عدد سكانها، فأكثرها سكاناً بعد جزيرة جاوه هي جزيرة سومطرة ولكن لا يصل عدد سكانها إلى ثلث عدد سكان جاوه، أما الجزر الأخرى فلا تقارن بالسكان مع جزيرة جاوه أبداً، ومع ذلك يمكن أن نجد بعض الملاحظات.

أولاً: نجد صراعاً في جزيرة جاوه نفسها بين أقسامها الغربية حيث السكان مسلمون وبين الأجزاء الشرقية حيث تنتشر الفرقة الضالة «ابنجان»

التي تقوم مبادئها على محاولة التوفيق بين الإسلام والهندوسية، وتعمل هذه الطائفة لبثّ أفكارها بمختلف الوسائل ومحاولة إبعاد الناس عن عقيدتهم.

ونجد أن الدعم الاستعماري الصليبي كان للجزء الشرقي قوياً مادياً ومعنوياً، حتى انتشر الإلحاد وعمّ الفساد، وقد قام الشيوعيون بحركتين معتمدين على هذه المنطقة. وإن الرئيسين اللذين تولّيا أمر البلاد منذ الاستقلال حتى الآن وهما: أحمد سوكارنو ومحمد سوهارتو إنما ينتميان إلى طائفة «ابنجان» هذه.

ثانياً: إن جزيرة سومطرة هي الجزيرة الثانية في أندونيسيا بعد جاوه، وقد يكون صراعاً بينهما، ويحمل جانباً عقيدياً أساسياً، فسكان سومطرة على ما يبدو تزيد بينهم نسبة الملتزمين بأحكام الإسلام، وتكثر عندهم العاطفة الدينية، ونلاحظ أن المسلمين فيها قد تحرّكوا مرتين، وهبّوا على شكل ثوراتٍ ضدّ التسلّط العلماني والإلحادي، كما أن المستعمرين الهولنديين عندما رجعوا إلى البلاد بعد الحرب العالمية الثانية، وقضوا على الجمهورية الناشئة، تشكلت حكومة موقتة في سومطرة لقتال المستعمرين الصليبيين، ومتابعة طريق الاستقلال.

وأن القضاء على الثورتين الشيوعيتين كان على أيدي رجال من سومطرة على رأسهم عبدالحارث ناسوتيون. كما كان محمد حتا، وهو من سومطرة أيضاً، حجر العثرة في وجه الشيوعيين والعلمانيين.

وأن جزيرة سومطرة كانت معقل حزب ماشومي، وقد حصل في الانتخابات على ٩٠ ٪ من الأصوات فيها، على حين كان الحزب الوطني، والشيوعي يعتمدان على أصوات السكان في جزيرة جاوه، وخاصةً الجزء الشرقي منها.

ثالثاً: إن جزيرة بالي صغيرة لا تزيد مساحتها كثيراً على خمسة آلاف وخمسمائة كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين إنسان غير

أنها كانت موضع اهتمامٍ كبيرٍ أيام المستعمرين الصليبيين، ثم أيام الذين خلفوهم في السلطة وذلك لأن أكثرية سكانها من أتباع الديانة الهندوسية القديمة التي لا تقيم للقيم كبير وزنٍ، فنساؤها يخرجن شبه عاريات، فيتخذن وسيلةً للإفساد، وتُتخذ الجزيرة مركزاً للسياحة لتلك الغاية، وتوجّه العناية إليها على أنها واجهة البلاد، ويُنفق الكثير من الأموال في سبيل ذلك، ويعيش أهلها برفاهيةٍ على حساب سكان أندونيسيا، وترتفع مكانة طلاب الزعامة مروراً منها.

الصراع الحزبي:

منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الصليبيين أرض أندونيسيا بل أي أرضٍ إسلاميةٍ أخذوا يعملون جاهدين لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم، وحاول السكان الوقوف في وجههم، ومقاومة ذلك غير أنهم لم يتمكّنوا لأسبابٍ كثيرةٍ منها:

١ ـ الضعف المادي الذي كان عليه المسلمون أمام المستعمرين الصليبيين سواء أكان ذلك من ناحية السلاح أم من ناحية المال والتنظيم، حيث كان المسلمون لا يزالون يعتمدون في قتالهم على الأسلحة اليدوية المعروفة آنذاك على حين كانت الأسلحة الآلية قد بدأت تأخذ طريقها في تسليح الجيوش الأوربية الاستعمارية، وكان المسلمون فقراء على حين كانت هناك إمكانات ضخمة وراء المستعمرين ووراء الإرساليات التنصيرية.

٢ ـ الضعف الذي كانت عليه أمصار العالم الإسلامي حيث لم يجد الأندونيسيون من يدعمهم أو يستندون عليه، أو يُوجّههم ويُنبّههم من خطر هؤلاء المستعمرين الصليبيين، إذ كان المسلمون عامةً على مستوىً متدنٍ من الوعي، ويغطّون في نومٍ عميقٍ.

٣ ـ لم تترسّخ مبادىء الإسلام بعد في نفوس الأندونيسيين بشكلٍ

جيدٍ، فدخولهم بالإسلام لا يزال حديثاً، ووصل إليهم في وقت ضعف المسلمين، ولو أن العاطفة كانت قويةً.

٤ ـ الجهل الذي كان عليه الأندونيسيون.

٥ ـ كانت المقاومة تعتمد على العاطفة التي ينقصها أيضاً التنظيم والتخطيط.

لهذا كله تمكّن المستعمرون الصليبيون من السيطرة على أندونيسيا، كما سيطروا في الوقت نفسه على كثيرٍ من الأمصار الإسلامية ولجأوا إلى المخططات نفسها، ولم تُجد مقاومة أهل البلاد.

ومع مرور الزمن أخذ المسلمون يُدركون خطر هؤلاء الدخلاء على عقيدتهم، ويشعرون من تصرّفاتهم، ومن مُمارستهم السياسة الاستعمارية والصليبية، الخطر الذي سيحيق بهم، وبمستقبل أبنائهم من بعدهم، فأخذوا يُحاولون تنظيم أنفسهم، وبدأت تظهر الجميعات، ورغم أنها كانت خطوةً متطوّرةً إلا أنها:

أ ـ قد جاءت متأخّرةً، حيث ظهرت في مطلع القرن الرابع عشر الهجري أي أنه قد مضى على مجيء الصليبيين ما يقرب من أربعة قرونٍ، فكان الصليبيون قد ثبّتوا أقدامهم، ورسّخوا بعض أفكارهم، وكسبوا بعض عناصر لهم مستغلّين فقر السكان، وحاجتهم، وجهلهم، وضعفهم. كما كان الصليبيون قد طبّقوا سياستهم الاستعمارية في امتلاك الأرض، وعملوا بالتجارة، ونهبوا الأملاك الأمر الذي زاد من فقر الأندونيسيين، وحاجتهم وجهلهم.

ب ـ لم تكن هذه التنظيمات عامةً بين المسلمين، حيث كان بعضهم منعزلاً على نفسه يسعى وراء عيشه، يخشى بطش المستعمرين، ومكرهم، ويرى بعضهم الآخر أن هذه التنظيمات كانت تفرقةً للمسلمين

أكثر من أن تكون جامعةً لهم، وموحّدةً لهم، ورافعةً من شأنهم، هذا رغم أن بعضها ـ كما رأينا ـ يُعدّ أكبر الجمعيات التعليمية في العالم.

ج ـ لم تكن لتعمل على تثبيت العقيدة بالشكل المطلوب، وإنما كانت تعتمد على العاطفة، وجمع الأشخاص، وتنظيمهم من غير بناءٍ سليمٍ يقوم على ركائز ثابتةٍ، وهذا ما كان يُثير الخلافات في الرأي، ويدعو إلى الانشقاق والتمزّق، وشنّ الهجوم الكلامي، والابتعاد عن الجماعة، وربما العودة بعد مدةٍ.

د ـ تخضع لمكر الأعداء الذين كانوا يُحاولون الإيقاع بين العناصر، والفئات، والجمعيات، ونتيجة الجهل، والغفلة أحياناً، وضعف الدعائم التي تقوم عليها فكان يتمّ الاستماع إلى كلام الصليبيين الذين بيدهم السلطة، ويمنّون أصحاب التطلّعات الفوقية. هذا إضافةً إلى استعمال المستعمرين للوسائل الأخرى كافةً، من مناصب، وأموال، وتقديم شهوات و. . . وما أكثر هؤلاء الضعفاء في المجتمعات الفقيرة، الجاهلة، والتي لا تستند على ثوابت إيمانية فينحرفون.

وانتبه المسلمون إلى بعض واقعهم الذي هم فيه، فالتقوا واجتمعوا في شبه اتحاد باسم (المجلس الإسلامي الأعلى) لكنهم شُغلوا بعقد المؤتمرات ومسألة الخلافة، وأسّسوا جمعية الخلافة في الهند الشرقية، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

وعندما احتلّت اليابان أندونيسيا أثناء الحرب العالمية الثانية، ودعت السكان إلى التدريب العسكري كي يُقاوموا المستعمرين الأوربيين أسرع المسلمون، وانخرطوا في صفوف تلك الفرق، التي عرفت باسم «فرق الدفاع الوطني» والتي شُكّلت لتلك الغاية، إذ نظر المسلمون إلى المستعمرين الصليبيين الذين كانوا يعملون على تنصير السكان، ويفتحون الأبواب أمام الإرساليات التنصيرية، ويقفون في وجه المسلمين، ويعملون

على مُحاربتهم، وقد وجدوا الفرصة الآن للتقوية، وللوقوف في وجه المتنصرين من أبناء البلاد، ولمقاومة العلمانيين والمُلحدين الذين يلقون الدعم أيضاً من المستعمرين الصليبيين، وقاد هذه الفرق أحد العلماء، وهو (سوديرمان)، وكان كثير من الضباط أعضاء في الجمعية المحمدية، وإن كانت اليابان قد حلّت كل الأحزاب والتنظيمات، ومنعتها من ممارسة نشاطها. وإذا كان المسلمون قد نظروا إلى اليابانيين نظرتهم إلى المستعمرين الصليبيين ما داموا مثلهم ضدّ الإسلام، ورأوا إقامة تنظيمٍ لحماية المسلمين من الانجراف في التيارات الهدامة، ولكنهم لم يجدوا بداً من الانخراط في فرق الدفاع الوطني التي يُشرف عليها اليابانيون، وذلك لإخفاء تنظيمهم السري للغاية، وحماية أفرادهم، وتدريب أنفسهم، وكان قائد هذا الحزب «زين العارفين» أحد أعضاء جمعية العلماء سابقاً. وعندما أخذت اليابان تتراجع كانت فرق الدفاع الوطني نواة الجيش الأندونيسي، وهذا ما جعل للمسلمين قوة في الجيش استطاعت أن تحبط ثورتين شيوعيتين.

أما بالنسبة إلى المسلمين غير الملتزمين فقد كان لهم أحزاب منها الحزب الوطني، وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي، والحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي، والحزب الشيوعي وغيرها من أحزابٍ صغيرةٍ. وإذا كانت هذه الأحزاب المتباينة تنظيماً، المختلفة منهجاً كانت تلتقي على محاربة الإسلام، والعمل على الإيقاع بين الجمعيات والحركات الإسلامية، وقد كانت الشيوعية أكبر دعمٍ للحزب الوطني. وكان هدف الثورة الشيوعية الرئيسي رجالات المسلمين البارزين، وإذا كان ذلك كله إلا أن المسلمين لم ينتبهوا إلى هذا لغفلتهم، وفقرهم، وضعفهم.

وعاد المسلمون إلى الفرقة بعد الاستقلال، فانشقّت الأحزاب بعضها عن بعضٍ، وتفرّقت عن ماشومي، حيث عاد حزب شركة إسلام إلى استقلاليته، وتبعه حزب التربية والاستقلال. وكان حزب نهضة العلماء يقف

موقف المعارض لحزب ماشومي دائماً. وإذا جرت محاولات لضمّ الجماعات الإسلامية ثانيةً إلى حزب ماشومي الذي عُدّ أصلاً وبقية التنظيمات فروعاً له إلا أن الأمر كان نظرياً، وذلك لعدم الوعي، وعدم معرفة الواقع الذي يعيشون فيه رغم مشاهدة ما تفعله الأحزاب العلمانية والإلحادية، ولا شك فإن لإسلام غالبية السكان دوراً في ذلك. إذ كل يدّعي الإسلام ولو لم يكن يعترف عليه.

وفي بداية أيام سوهارتو برز الحزب الإسلامي الأندونيسي كحزبٍ جديدٍ. وهكذا أصبحت أربعة أحزاب إسلامية هي: نهضة العلماء، وحزب مسلمي أندونيسيا، وشركة إسلام، وبرتي الإسلامي. وحزبان نصرانيان، هما: النصراني البروتستانتي، والنصراني الكاثوليكي، وحزب اشتراكي واحد، هو حزب موربا الاشتراكي، وحزبان علمانيان هما: الحزب الوطني الأندونيسي، وحزب مؤيدي حرية أندونيسيا (ايبكي) وحزب يضم الفئات العاملة وتدعمه الحكومة وهو حزب الفئة العاملة، وله الأكثرية في المجلس النيابي.

وفي رمضان ١٣٨٥ هـ (كانون الثاني ١٩٦٦م) صدر مرسوم يُخوّل رئيس الجمهورية حلّ أي حزبٍ سياسيٍ إذا لم يبلغ عدد أعضائه حداً معيناً، أو إذا تعارضت سياسةُ الحزبِ مع أهداف الدولة. ثم عادت الحكومة فطلبت من الأحزاب المتقاربة الأهداف التجمّع بعضها مع بعضٍ لتقليل العدد مع إلغاء الأسماء التي تدلّ على العقيدة في سبيل الوحدة الوطنية، وعدم إثارة النعرات الدينية ـ حسب زعم الدولة ـ والواقع من أجل إبعاد الشعب ذي العاطفة الإسلامية عن الأحزاب التي تتبنّى الإسلام، وبذا بقيت ثلاث مجموعات حزبية هي: الفئة العاملة، وهو حزب الحكومة، والحزب الديمقراطي الأندونيسي، ويضم خمسة أحزاب غير إسلامية، وهي: الحزب الوطني الأندونيسي، والنصراني البروتستانتي، والكاثوليكي، وموربا، وايبكي، واتحاد حزب التطور (الأحزاب الإسلامية).

الصراع العقيدي:

يتوزّع السكان في أندونيسيا حسب العقيدة إلى ما يلي:

السكان	عددهم	نسبتهم من مجموع السكان
المسلمون	١٧١,٠٨٠,٠٠٠	٩١٪
هندوس وبوذيون	٧,٥٢٠,٠٠٠	٤٪
نصارى	٥,٦٤٠,٠٠٠	٣٪
وثنيون	٣,٧٦٠,٠٠٠	٢٪
	١٨٨,٠٠٠,٠٠٠	١٠٠٪

يكثر المسلمون في كل مكانٍ تقريباً في الجزر الأندونيسية، وإن كانت نسبتهم تنخفض في جزيرة بالي، وتكاد تنعدم في وسط الغابات، حيث يقلّ السكان هناك، وتعيش قبائل بدائية وثنية، وخاصةً في غينيا الجديدة، وبورنيو، وبعض غابات سومطرة، وجاوه. والمسلمون جميعاً من أهل السنة، وعلى المذهب الشافعي، وأما طائفة «الأبنجان»، وهي فرقة ضالة، وتعدّ على المسلمين، وليست منهم، وتتركّز في شرقي جاوه، وإن كانت قليلة الأعداد إلا أنها كثيرة النفوذ، وتلقى التأييد والدعم الأجنبي، ومنها كما ذكرنا رئيسا أندونيسيا اللذان تواليا على الحكم حتى الآن، وهما: سوكارنو، وسوهارتو.

أما الهندوس والبوذيون فيتركّزون في جزيرة بالي، والمدن الكبرى، وقد جاءوا إلى هذه البلاد قبل الإسلام على شكل تجارٍ، ونشروا وثنيتهم، والتي تقلّصت مع دخول الإسلام إذ اعتنق كثير من أتباعها الإسلام لما رأوا

ما يتفق مع فطرتهم، ووجدوا الفروق الكبيرة بين ما كانوا عليه وبين الإسلام. وتجمّعت بقاياهم في جزيرة بالي، وجاء الاستعمار الصليبي يدعمهم ليقفوا في وجه المدّ الإسلامي.

ويعيش النصارى في جزيرتي جاوه وسومطرة وخاصةً حيث الحياة المتطوّرة نسبياً، كما توجد تجمّعات أخرى في بعض المدن الكبرى. وهؤلاء النصارى من الأوروبيين الذين بقوا في أندونيسيا بعد جلاء المستعمرين الصليبيين، وكانوا قد حصلوا على امتيازاتٍ واسعةٍ وأراضٍ خصبةٍ فبقوا يستغلونها، كما يعملون في التجارة، ثم هناك الذين تنصّروا من أبناء البلاد سواء قديماً على أيدي المستعمرين الصليبيين والإرساليات التنصرية أم حديثاً لم يُقبلوا على النصرانية إلا نتيجة الحاجة كي يحصلوا على المساعدات المادية، أو ليتمكّنوا من التعليم أو الدواء ودخول المشافي، وربما كان بعضهم يعمل للحصول على المنصب، هذا بالإضافة إلى الجهل الذي يعيشون في ظلّه ويضغط عليهم ضغطاً عنيفاً، وإن كان أكثرهم ممن كان على الوثنية، وتحصل الإرساليات التنصيرية الآن على بعض النجاح داخل الغابات حيث يعيش الوثنيون، وفي المناطق الفقيرة حيث يقطن أناس بأشدّ الحاجة إلى تقديم يد المعونة، وهذه المناطق وتلك مُحرّمة على المسلمين للعمل فيها، ويجب ألا ننسى أبداً قلة الإمكانات الإسلامية عامةً على حين يملك المنصّرون على اختلاف مُسمّياتهم إمكاناتٍ ضخمةٍ. والنصارى نوعان منهم الكاثوليك الذين اعتنقوا النصرانية على يد البرتغاليين والإسبان، والبروتستانت الذين أخذوا ديانتهم على يد الهولنديين والإنكليز، ولكلا الطرفين إرساليات تنصيرية خاصة به عملت قديماً، وتعمل الآن، كما لكل فريقٍ كنائسه ومؤسساته، بل وحزبه الخاص به، ويُقدّر عدد البروتستانت بأكثر من ضعف عدد الكاثوليك.

أما الصينيون الذين يدينون بالكونفوشية فقد جاءوا تجاراً، ويعيشون في المدن الكبرى، ولا وزن لهم، وينصرفون غالباً إلى شؤونهم المعاشية، وأعدادهم محدودة.

والوثنيون الآخـرون من عُبّاد المخلوقـات، وهم البدائيـون فيعيشون داخل الغابات منعزلين، وإن أخذت تغزوهم الإرساليات التنصيرية، وتكسب أعداداً منهم سنوياً لذلك فهم في تناقصٍ مستمرٍ.

وإن الوثنيات من هندوسيةٍ، وبوذيةٍ، وكونفوشيةٍ، وطوطميةٍ ليست لها دعاة لديانتها لبدائيتها، وبُعدها عن الفطرة، وعدم موافقتها للنفس الإنسانية، لذا فهي لا تتزايد بالتوسع، وإنما بالولادات فقط، بل إنها تتناقص باستمرارٍ إذ يعتنق بعض أفـرادها الإسـلام، ويذهب بعضهم إلى النصـرانيـة. وفي الماضي كان أكثر تناقصها يذهب لحساب الإسلام، أما الآن فإنـه يذهب لحساب النصرانية إذ منع المسلمون من الدخول إلى مناطق الغابات حيث تعيش تلك الوثنيات، وفُتح الباب للنصـرانية فقط، وفُسـح لها المجـال، وأُعطيت لها حرية التنصير فدخلت بإمكاناتها الضخمة، وحصلت لذلك على بعض النجاح، ولكن وجد الوثنيون على بدائيتهم أن النصرانية ليست سوى وثنيةٍ مادامت تقوم على عبادة مخلوقٍ، غير أنه إنسان لكنه مخلوق، وهم يعبدون مخلوقات أخرى سواء أكـانت حيوانيـةً أو نباتيـةً أم من الجماد، فالفروق بسيطة، وإن ما فيها من مبادىء لا يتفق كذلك والفطرة البشرية، ولهذا كان الإقبال على النصرانية قليلاً، يتفق مع ما يُقدّم للوثنيين وغيرهم أحياناً من منافع مـاديةٍ، وأصـول ديانتهم أسـاساً في نفـوسهم ضعيف لا يعرفون شيئاً عنها إن كانوا غير وثنيين، وإن كانوا من الوثنيين فالأمر أبسط بكثيرٍ. إذن لم يكن هناك صراع بين المسلمين والوثنيين. وإنمـا الصراع مستحكم بين المسلمين والنصارى، وهو قائم منذ أن وصل المستعمرون الصليبيون إلى تلك الجهات، ولم يكن النزاع على الوثنيين كل يريد جرهم نحو ديانته أبداً، فأهل البلاد اتجهوا نحو الإسلام أصلاً، اتجهوا رغبةً، إذ لم يكن للمسلمين قوة، ولم يُجرّدوا سيفاً، وإنما ذهبوا تجاراً غير أن أهل البلاد وجدوا في الإسلام ما يتفق مع الفطرة البشرية، ووجدوا فيه ما ينسجم مع تطلّعاتهم الروحية ومع رغباتهم فأقبلـوا نحوه ودانوا به، وخضعوا للحكام

المسلمين ليس رهبةً وإنما محبةً، حتّى عم الإسلام.

وعندما جاء المستعمرون الصليبيون وقف أهل البلاد ممن أسلم وممن لم يسلم ضدّ هؤلاء القادمين الغزاة، وحاولوا منعهم من الدخول ولكنهم عجزوا لقوة الأسلحة وفعّاليتها وحسن التنظيم. ولو كان المسلمون قد دخلوا بالقوة وفرضوا دينهم بالسيف لانحاز سكان البلاد إلى المستعمرين الصليبيين لطرد المسلمين كما كانوا يفعلون مع المستعمرين الجدد ضدّ المستعمرين الذين سبقوهم، إذ عدّ الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضدّ البرتغاليين، ورأوا في الإنكليز أعواناً لهم على الهولنديين، ووجدوا في اليابانيين خطراً أقلّ عليهم من الهولنديين والإنكليز.

كل هذا مع أن المستعمرين الصليبيين كانوا يتقرّبون من الوثنيين ومن أصحاب الديانات الأخرى من هندوسيةٍ، وبوذيةٍ، وكونفوشيةٍ، ويُقدّمونهم، ويدعمونهم، ويُعطونهم المساعدات لكسبهم إلى جانبهم، ضدّ المسلمين، بل يُولّونهم المناصب ليسدّوا الفراغ الذي وُجد بإبعاد المسلمين، ومع كل هذا لم يحصل الصليبيون إلا على نتائج ضعيفةٍ جداً، لا تكاد تُوضع في الحساب. وكان هذا تصّرف المستعمرين جميعاً من برتغاليين، وإسبان، وهولنديين، وبريطانيين، كلهم يحملون أحقاداً، وجاءوا بروحٍ صليبيةٍ، وأخذوا يُنفذّون ما أتوا به في جعبتهم لا يختلف مستعمر عن آخر في سياسته ضد المسلمين، وإن تباينوا في المذهب بين كاثوليك وبروتستانت، وافترقوا في نشاط إرسالياتهم التنصيرية، إذ يفسح كل مستعمرٍ المجال لإرسالياته بشكل أوسع، ويقدّم لها الإمكانات الأكبر، وإن كان لا يقف في وجه إرساليات المستعمر الآخر.

ولم يكن الافتراق بالمنهج ليُشكّل حاجزاً بين المستعمرين، فلم تكن الرأسمالية لتستغني عن الشيوعية في دعمها لمحاربة الإسلام، ولم يكن الإلحاد ليقف في الصف المعادي للتنصير مادام كلاهما يعمل لهدم الإسلام، ولم يكن المعسكر الغربي ليناهض المعسكر الشرقي في هذه السياسة

المعادية للإسلام مادام هدفهما واحداً وهو ضرب عقيدة سكان أندونيسيا، فقد دعمت هولندا المستعمرة الصليبية الرأسمالية التي تسير في فلك المعسكر الغربي وإرسالياتها التنصيرية البروتستانتية الحزب الشيوعي بالإمكانات كافةً ليُؤدّي دوره في نشر الإلحاد، وبثّ الفساد، وضرب الإسلام، والشيوعية معروفة بإلحادها، ونظامها المخالف للرأسمالية، وارتباطها بروسيا قائدة المعسكر الشرقي، ونصرانيتها الأرثوذكسية، حتى إذا اشتدّ عود الحزب الشيوعي قام بثورته، وحركته لاستلام السلطة، وكان المستعمرون يشعرون بالراحة ما دام سيخلفهم عدوّ للإسلام ظاهر العداوة، ولما فشل الحزب في حركته رجعت هولندا إلى البلاد بهجمةٍ وحشيةٍ لتتسلم راية محاربة الإسلام.

وكان الاستعمار الصليبي منذ أن وطأ أرض أندونيسيا أو غيرها من أمصار الإسلام يعدّ العدّة لتربية رجال مُعادين للإسلام فيما إذا اضطر الصليبيون إلى الخروج من البلاد، وقد أعطوا رجالهم المعتمدين لديهم المخطط الذي يهدف إلى التعاون مع كل شيطانٍ في سبيل ضرب الإسلام، ونشأ هؤلاء الرجال، وتلقّوا التربية اللازمة، وبرز أحمد سوكارنو، ولما آل الأمر إليه أخذ في تنفيذ ما رُسم له، وظهر عجزه وحده ومع حزبه، فأخذ بالتعاون مع الشيوعيين، فظهروا على الساحة ثانيةً، وأعادوا الكرة بالقيام بحركةٍ عندما وجدوا أنها أقوى من الأولى فخسروا الجولة مرةً أخرى، وأطاحت بهم وبرفيقهم سوكارنو، غير أنه مع الأسف قد ظهر، رجل آخر من فرقة سوكارنو الضالة نفسها وهي طائفة الأبنجان، وإن كان يختلف عنه بأنه يُعادي الشيوعية، ويسير في ركب الرأسمالية، وكلاهما واحد في موقفهما من الإسلام بل صديقان حميمان في هذا المجال، يتفقان في المخطط الواحد، ويتعاونان معاً، لما كان يُبدي ارتباطه بالصلاة ليسهل وصوله إلى القمة وربما هكذا أشاعت وسائل الإعلام التي تُعادي الإسلام كي يطفو على السطح، وقد كان ذلك، وتسلّم الأمر، ذلك هو «سوهارتو».

ولما تمكّن سوهارتو وغدا صاحب الكلمة الأولى، وتسلّم بيده السلطة أظهر ما كان يُخفيه، وأبدى ما كان يستره، فجمع الأفراد من الاشتراكيين، والجماعات من العمال غير الملتزمين بعقيدتهم، وكل الفئات البعيدة عن الإسلام، وشكّل منها حزباً عدّه حزب الدولة، وأطلق عليه اسم الفئات العاملة «جولكار»، وتضمّ أمانات سّرٍ مشتركة لمنظماتٍ عاملةٍ. ودُعمت هذه الفئة بمائة عضوٍ في المجلس النيابي، وهم الذين يحقّ للحكومة ترشيحهم، وبالقرارات والتعليمات التي تصدر لمصلحتها، وبالمساعدات التي تُقدّمها، وبالتبنّي لها رسمياً.

وقفت الحكومة موقفاً معادياً بصراحةٍ للإسلام، ومُؤيّداً بوضوح للنصرانية وللإرساليات التنصيرية، إذ أصدرت تعليماتٍ تحول دون خروج الدعاة المسلمين إلى القرى وما دون ذلك من مناطق الريف والغابة، وقصرت عملهم على المدن والمراكز الحضارية الكبرى، على حين تركت المجال للنصارى كي يعملوا حيثما شاءوا وأمدتهم بوسائل الوصول إلى الغابة والجهات البعيدة كلها، ومن المعلوم أن المدن تضمّ الذين عندهم وعي بشكل عام أكثر من غيرهم، واختاروا عقيدتهم عن قناعةٍ ولا مجال للعمل معهم، على حين أن القبائل البدائية في الغابة ومناطق الريف ينقصهم الوعي، وهم إما وثنيون أي لا عقيدة لهم أو أنهم أصحاب ديانةٍ ولكنهم على جهلٍ بها، ولا تُشكّل شيئاً في حياتهم فيمكن التأثير عليهم وأخذهم إلى ديانةٍ أخرى، وإضافةً إلى ذلك فإنهم فقراء يسعون وراء حاجتهم فيمكن كسبهم إلى عقيدة من يقدّم لهم المساعدة المادية أو الدواء، والإرساليات النصرانية، واتحاد الكنائس يملكون هذا كله... ولهذا فقد نجحوا نوعاً ما في جهودهم، فضاعفوا من تلك الجهود، وزادوا من إمكاناتهم، وبذلوا من طاقاتهم، وتكاثرت إرسالياتهم وكان الغزو التنصيري الواسع في أندونيسيا.

ومع كل هذا فإن نجاح النصارى كان ضئيلاً في المدن والمراكز الحضارية، لأن الناس أكثر وعياً، ووجد المنصّرون، كما وجدت الحكومة

أن سكـان أندونيسيـا رغم فقرهم، وعـدم معرفتهم، وقلّة وعيهم، فـإنهم يتعاطفون مع كل شيءٍ يحمل اسم الإسلام، وينفرون من كل ما يحمل اسم النصرانية، ومن هنا كانت تحصل الأحزاب الإسلامية على تأييد العامة على حين لا تنال الأحزاب النصرانية أي عطفٍ من الشعب، ولا تحصل على أي تجاوبٍ، لذا أصدرت الحكومة الأندونيسية تعليماتٍ تقضي بعدم حمل أي حزبٍ أو تنظيمٍ أي اسمٍ أو شعارٍ يـدلّ على عقيـدةٍ معينةٍ أو ديانةٍ، حتى لا تكون هناك أيّة عصبياتٍ، أو إثارات طائفية - حسب زعم المسؤولين -.

والواقع أن الأمر خطير جداً في أندونيسيا ويجب تداركه، فالهجمة الصليبية شرسة، وتآمر المسؤولين معها واضح رغم ادّعائهـم الإسلام، أو إظهارهم الحياد، وأن حرية الأديان مصونة، والواقع أن المسلمين لا حرية لهم ولا حقّ لهم بالنسبة لأصحـاب الديـانات الأخـرى مع أنهم الغـالبية المطلقة.

ولاحظنا أن الصراعات الإقليمية، والعنصرية، والحزبية تحمل جميعها المعنى العقيدي، فالصراع بين الإسلام والنصرانية شديد في أندونيسيا، غير أنه صراع غير متكافىء، إذ تملك النصرانية الإمكانات الضخمة، والدعم الدولي، ومساعدة الحكومة، وتأييد كبار المسؤولين ممن ينتمي إلى الإسلام اسماً، ولا يملك الإسلام أي شيءٍ بل إن أتباعه لا يملكون الـوعي ولا المعرفة، ولا المخططات المهيّأة ضدّهم، وهم هدف الصليبية العالميـة، ومكـان رمي سهام الفـرقة الضـالة الحـاكمة «أبنجـان»، والـذين ارتبـطت مصالحهم مع الدول الكبرى النصرانية.

الباب الثالث

برُوناي

لمحة عن بروناي قبل إلغاء الخلافة

كانت بروناي في الماضي دولةً ذات شأنٍ يمتدّ سلطانها على مناطق واسعةٍ من جزيرة بورنيو بما في ذلك المناطق الساحلية لشمال الجزيرة وهي ولايتي (صباح) و(ساراواك) حالياً، واللتان أصبحتا فيما بعد ولايتين تتبعان ماليزيا.

أخذ الإسلام ينتشر في جنوب شرقي آسيا منذ نهاية القرن السابع الهجري، وأخذ يتوسّع نفوذ المسلمين عن طريق التجارة، وغدا مع الزمن لهم عدة سلطنات في تلك المنطقة، وفي عام ٨٢٨ هـ زار سلطان بروناي (أوانغ ألاك بتاتار) سلطان مالاقا المسلم محمد شاه (باراميسورا)، واعتنق الإسلام، ورجع إلى بلاده مسلماً فدعا شعبه، فاستمع إليه من استمع، وأخذ الإسلام ينتشر في بروناي بسرعةٍ متزايدةٍ.

وفي القرن العاشر الهجري كان نفوذ سلطنة بروناي قد وصل إلى الأوج حيث شمل أكثر أراضي جزيرة بورنيو كما شمل جزر صولو في جنوبي الفيليبين اليوم، وجزءاً من بقية الجزر الأخرى.

في هذا الوقت كان الاستعمار الصليبي الأوربي قد وصل إلى المنطقة، وأخذ يتدخّل في شؤونها، ويحتلّ أراضيها، وقد وصل المستعمرون الصليبيون الإسبان إلى بروناي عام ٩٢٧ هـ، وكان التجار المسلمون يجوبون سواحل جزر المنطقة كلها، ويقومون بأعمالٍ نشطةٍ،

وكانت تجارتهم رائجةً على نطاقٍ واسعٍ، ولم يكن الدعاة أقلّ نشاطاً من التجار، بل إن التجار أنفسهم كانوا دعاةً.

واحتلّ الإسبان الجزر الشمالية مما يُعرف اليوم باسم الفيليبين، ودخلوا مدينة مانيلا، فتوقّف نتيجة ذلك المدّ الإسلامي في تلك الجهات، وأخذ الصراع بين الإسبان النصارى في الشمال وبين المسلمين في الجزر الجنوبية يشتدّ في محاولةٍ من الإسبان لمدّ نفوذهم على الجزر الجنوبية وإخضاعها لسيطرتهم الصليبية، فكان سلطان بروناي يمدّ المسلمين، ويدعمهم بكل إمكاناته، فما كان من الحاكم الإسباني للجزر الشمالية إلا أن كتب إلى السلطان يطلب منه التوقّف عن هذا الدعم، والامتناع عن إرسال دعاةٍ من قبله إلى الجزر الجنوبية وإلى أواسط جزيرة بورنيو بل وإلى قبول مُنصّرين كاثوليك في جزيرة بورنيو، غير أن السلطان قد رفض هذا الطلب بحزمٍ، ونقل مقرّه من بروناي إلى جزر صولو ليكون أقرب إلى الإسبان للمواجهة من باب التحدّي والرغبة بالمنازلة، ولم تستطع إسبانيا أن تقوم بردّ فعلٍ لضعفها آنذاك وعدم توفّر الإمكانات لديها، وذلك عام ٩٨٧ هـ.

ونتيجة ضعف إسبانيا والبرتغال لسيطرتهم على أجزاء واسعةٍ لا إمكانية لهم بالسيطرة عليها بشكلٍ قويٍ لذا فقد تقدّمت دول صليبية أوربية أخرى لسدّ هذا الفراغ ودعم النصرانية بقوةٍ، هذا إضافةً إلى الصراع القائم بين هذه الدول في أوربا، ورغبةً من هذه الدول في منافسة إسبانيا والبرتغال للحصول على خيرات المستعمرات واستغلال موارد البلاد التي وصلت إليها هاتان الدولتان أو كنوعٍ من نقل الصراع إلى هذه المناطق وتتمةً له.

دخلت هذا الصراع أو هذه المنافسة هولندا، وفرنسا، وانكلترا، وأسّست كل منها شركةً للاستغلال واستثمار ما تضع يدها عليه. وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت شركة الهند الشرقية البريطانية بحاجةٍ إلى مركزٍ لتجارتها مع الصين. وكانت أول محاولةٍ لإقامة

هـذا المركـز في شمالي جـزيرة بـورنيو، وكـان هذا الجـزء يتبع سلطان (صولو)، وكان هذا السلطان قد وقع في أسر البريطانيين عندما استولوا على مدينة مانيلا، وقد أطلقوا سراحه، فتنازل لشركة الهند الشرقية البريطانية عن منطقةٍ في شمالي جزيرة بورنيو لتُقيم عليها مركزاً لتجـارتها كفـداء لفكاك أسره.

وكان الهولنديون كذلك قد أقاموا مراكز تجاريةً لهم في سلطنة بروناي منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري، ثم اقتصرت هـذه المراكـز على (ساراواك) وأجزاء من برونيو الشمالية.

وفي عـام ١٢٥٩ هـ تدخّـل المغامـر البريـطاني (جيمس بروك) في خلافٍ نشب بين نائب السلطان في بروني وبين الثوار الملايويين ومـلاك الأراضي فكافأه السلطان على جهوده وإمكانيته على تهدئة الوضع بأن عيّنه حاكماً على (ساراواك) عام ١٢٦٩ هـ.

وفي عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧ م) دخل سلطان بروناي في اتفاقيةٍ مع بريطانيا لمقاومة القرصنة وتطوير العلاقات التجارية.

عيّن البـريطانيـون قنصلاً لهم لـدى سلطان بـرونـاي، وتنـازل لهم السلطان عن مراكز في شمال شرقي جزيرة بورنيو نتيجةً للأعمال التي قاموا بهـا، كما تنـازل سلطان (صولـو) عن مراكـز أخرى لهم عـام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ م). ثم تأسّست شركة (شمالي بورنيو) البـريطانيـة عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م)، وأخذ نفوذ بريطانيا يتوسّع، ونفوذ سلطان بروناي يتقلّص حتى وصل إلى ما هي عليه الآن من ضيقٍ في المساحة، وضعفٍ في النفوذ. وأخيراً توطّدت سيطرة البريطانيين على جزيرة بورنيو كلهـا، وقُسّمت إلى أجزاء حسبما تقتضيه مصلحة بريطانيا الاستعمارية الصليبية.

وفي عـام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) وُضعت بـرونـاي تحت الحمـايـة البريطانية، وكذلك وضعت بورنيو الشمالية (صباح) و(ساراواك).

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وقّع البريطانيـون اتفاقيـةً مع سلطان بروناي قضت بوضع مقيمٍ بريطانيٍ في حاشية السلطان كمستشارٍ للأمور الإدارية، وانبثق نتيجة ذلك شكل حكومةٍ شملت مجلس شورى استشاري. ومنذ أن اتسع النفوذ البريطاني وبروناي مسرحـاً لنشاط الإرسـاليات التنصيـرية المدعومة بقوة المستعمر ومدّه بالإمكانات الضخمة.

الفصل الأول

بروناي من إلغاء الخلافة حتى الاستقلال

أُلغيت الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م)، وبروناي محمية بريطانية، السلطان صورة رمزية، وأصحاب النفوذ هم البريطانيون، يستغلّون خيراتها، ويتصرّفون بشؤونها باسم الدفاع عنها، ويجعلون أرضها مرتعاً لإرسالياتهم التنصيرية.

احتلّ اليابانيون بروناي في الحرب العالمية الثانية في شهر ذي القعدة ١٣٦٠ هـ (كانون الأول ١٩٤١ م) ولكن لم تلبث اليابان أن انسحبت من بروناي كما انسحبت من غيرها إذ هُزمت في تلك الحرب، ولم يمض على بدء الاحتلال أربعة أعوامٍ.

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) عيّن البريطانيون حاكم (ساراواك) مندوباً سامياً لبريطانيا في بروناي، واستمرّ هذا المنصب حتى ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (أيلول ١٩٥٩ م) حيث دُوّن الدستور لبروناي، وقد أعلنه السلطان في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٩ م)، ونصّ على قيام مجلسٍ خاصٍ للسلطان، ومجلسٍ تنفيذي، وآخر تشريعي، وأُلغي عندها منصب المندوب السامي، وقامت في البلاد إدارة منفصلة بناءً على اتفاقيةٍ وُقّعت بين السلطنة والحكومة البريطانية.

وقام الاتحاد الماليزي ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن حكومة بروناي لم

تُقرّر الدخول فيه، ثم اندلع تمرّد في بروناي، وبورنيو الشمالية (صباح)، وأجزاء من ساراواك في شهر رجب ١٣٨٢ هـ (كانون الأول ١٩٦٢ م) تبنّاه جيش التحرير في شمالي بورنيو، وقاده أحمد محمد الزهاري، والهدف منه معارضة الانضمام إلى الاتحاد الماليزي، وأعلن المتمرّدون عن قيام دولة «كاليمنتان الثورية» غير أن التمرّد قد أُخمد بعد عشرة أيام من اندلاعه بمساعدة قواتٍ بريطانيةٍ حُملت من سنغافورة. وأُعلنت حالة الطوارىء في البلاد، وحظر نشاط حزب الشعب، ونفي أحمد محمد الزهاري إلى الملايو. وأخيراً عقد اتفاق ماليزيا بين كل من (اتحاد الملايو) و (سنغافورة) و (ساراواك) و (بورنيو الشمالية) وبين الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ صفر ١٣٨٣ هـ (٩ تموز ١٩٦٣ م)، وقد نصّ هذا الاتفاق على انتقال السيادة في (بورنيو الشمالية) التي حملت اسم (صباح)، و(ساراواك)، و(سنغافورة) من يد البريطانيين إلى حكومة ماليزيا بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ هـ (٣١ آب ١٩٦٣ م)، كما وضّح هذا الاتفاق العلاقات بين سنغافورة والاتحاد الجديد. وقرّر سلطان بروناي عدم الانضمام إلى هذا الاتحاد، كما عارضته الحكومتان الأندونيسية، والفيليبينية. وهكذا بقيت سلطنة بروناي وحدها، منفصلةً عن اتحاد ماليزيا الذي يشمل الأراضي المحيطة بها، وبعيدة عن أندونيسيا التي تملك باقي أجزاء جزيرة بورنيو، وهي القسم الأعظم منها، والتي تعدّ دولة بروناي جزءاً صغيراً على سواحلها الشمالية لا يكاد يُعادل ٧٩٪ أي أقل من ١٪، ويملك اتحاد ماليزيا ما يقرب من ثلث الجزيرة، والباقي من نصيب أندونيسيا.

وطُبّق الدستور الذي أصدره السلطان منذ عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن بقيت الأحكام العرفية معمولاً بها بدءاً من حوادث التمرّد التي قامت في البلاد.

وعُدّل الدستور في ٤ رمضان ١٣٨٤ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٦٥ م)

ليكون المجلس التشريعي عن طريق الانتخاب، فالمجلس التنفيذي (مجلس الوزراء) يرأسه السلطان.

أما المجلس التشريعي فيضمّ واحداً وعشرين عضواً يُؤخذ عشرة منهم بالانتخاب، وخمسة بالتعيين، وستة يدخلون المجلس بحكم وظائفهم الرسمية. ومندوب السلطان ويُسمّى (منتري بيسار) أي الوزير الأكبر فيُمارس السلطة التنفيذية نيابةً عن السلطان، ويحضر جلسات المجلس التشريعي باسمه.

وفي ٢ رجب ١٣٨٧ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٦٧ م) تنازل السلطان سيف الدين عمر علي الذي كان بيده الحكم منذ عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) عن السلطة إلى ابنه حسن البلقياح الذي لا يزيد عمره على الواحدة والعشرين سنةً، وتمّ تتويجه في ٧ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ (الأول من آب ١٩٦٨ م) باسم (معز الدين ودود الله)، وهو السلطان التاسع والعشرون.

وفي رمضان ١٣٩١ هـ (تشرين الثاني ١٩٧١ م) منحت بريطانيا الحكم الذاتي لسلطنة بروناي.

وفي ذي الحجة ١٣٩٥ هـ (كانون الأول ١٩٧٥ م) أصدر مجلس الأمم المتحدة قراراً دعا فيه بريطانيا بالانسحاب من بروناي، وعودة المنفيين السياسيين، وإجراء انتخابات عامة.

تمت مفاوضات بين سلطنة بروناي وبين بريطانيا عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م)، وأعقبتها تأكيدات من أندونيسيا وماليزيا على احترام استقلال سلطنة بروناي، ووُقّعت اتفاقية بعد ذلك بين الطرفين في شهر صفر ١٣٩٩ هـ (كانون الثاني ١٨٧٩ م) قضت بأن تصبح بروناي دولةً مستقلةً خلال خمس سنواتٍ، وفي ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٨٤ م) أي حسب الوقت الذي نصّت عليه الاتفاقية أُعلن استقلال

دولة بروناي. وشغل السلطان حسن إضافةً إلى منصب السلطان رئاسة الوزراء، ووزارة المالية، والداخلية، وضمّ مجلس الوزراء ستةً آخرين بينهم والده السلطان السابق، وأخوان للسلطان حسن.

الفصل الثاني

الاستقلال

حصلت بروناي على الاستقلال في ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٨٤ م)، غير أنها دولة صغيرة لا تستطيع الدفـاع عن نفسها، وهي محطّ أنظار الكثير من الدول، وكل منها يريد السيطرة عليها لغناها بالنفط، وفي الوقت نفسه فهي بحاجةٍ إلى الكثير من البضائع من مختلف الصناعات إذ ليس لديها أية صناعةٍ، وإن إعطاء إنكلترا الاستقلال لها يبقيها بحاجةٍ إليهـا للدفاع عنهـا على الأقلّ وردّ الأطمـاع التي تتجه نحوها، فالاستقلال معناه اسمي أولاً، وهذه الغـاية من تقسيمـات الدول الاستعمارية الصليبية للدول الإسلامية ففي الوقت الذي نجد الدول تضمّ مساحاتٍ واسعةً، وفيها أعداد كبيرة من السكان، وتملك إمكانات ضخمة للدفاع عن نفسها بل وعن غيرها، وبإمكانها أيضاً اكتساح مناطق غيرها نجد بعض القطع من الأراضي الإسلامية أشبه بدمىً، وتُسمّى دولاً، إذ لا تشمل الواحدة منها سوى رقعةٍ صغيرةٍ لا تزيد أحياناً على مساحة مدينةٍ واحدةٍ، وربما لا تصل إلى مساحة بعض المدن، وسكان عددٍ منها قد لا يصل إلى عدد سكان مدينةٍ متوسطةٍ أو دون ذلك، وهذه ما تريده الدول الاستعمارية الصليبية إذ تبقى هذه الدويلات بحاجةٍ للدفاع عن نفسها، ولا تجد طلب ذلـك إلا من الـدول التي كـانت تستعمـرهـا، وأوصلت المسؤولين إلى السلطة. وإذا كانت هذه الدويلات غنيـةً عاش أهلهـا في بحبوحـةٍ ورفاهٍ

زائدٍ، وربما أبطرتهم النعمة فأبعدتهم عن الفطرة فأسرفوا وبذّروا بشكلٍ لا يقبله العقل فكانوا مثلاً سيئاً عن المسلمين وهذا ما تدّعيه الدول الصليبية أن هؤلاء يُمثّلون المسلمين، ويصل بهم الأمر إلى أن يشمخوا بأنوفهم على إخوانهم في العقيدة، وتكون التفرقة. وقد يبطر الغني ولا يجد جاره الفقير ما يسدّ رمقه، ويكون الحقد في أبناء البلد الواحد، وهذا ما تسعى إليه الدول الصليبية المستعمرة. وبريطانيا قد أعطت بروناي الاستقلال، ولكن بقيت مسؤولةً عن الدفاع عنها. حتى أن بريطانيا قد أعطت الاستقلال وربما استعملت عبارة «منحت» كأنها صاحبة حقٍ في هذه السيطرة، ومنحت الدولة الضعيفة استقلالها.

وعادت العلاقات فتحسّنت بين بروناي وبريطانيا بعد أن ساءت قليلاً عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) عندما أسّست بروناي مؤسسةً ماليةً لإصدار أوراق النقد الخاص بها بعد أن كانت مرتبطةً بمؤسسةٍ بريطانيةٍ. فأظهرت بريطانيا غضبها من ذلك لأن بروناي أقدمت على هذا العمل دون علمها، وحتى لا تقوم بعد ذلك بأي عملٍ دون استشارة بريطانيا. ورجعت العلاقات إلى حالتها الطبيعية عندما وافقت الحكومة البريطانية على إبقاء أفواج من قواتها (جورفا) التي كانت متمركزةً في بروناي منذ عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، ويجب أن تبقى في بروناي بعد الاستقلال على حساب السلطنة لحماية حقول النفط والغاز. وكان هذا مجرد تهديدٍ من بريطانيا لبروناي حيث لم تُؤكّد مصير هذه القوات بعد عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) عندما تعود (هونغ كونغ) إلى الصين، وهي موقع القاعدة الرئيسية لهذه القوات.

وتطورت علاقات بروناي إلى شكلٍ جيدٍ مع دول جنوب شرقي آسيا، وخاصةً مع سنغافورة. وتمّت زيارات ملكية إلى تايلاند وأندونيسيا عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)، وفي الوقت نفسه أُنشئت علاقات سياسية مع اليابان.

انضمّت بروناي إلى الأمم المتحدة، وإلى السوق الأوربية المشتركة،

ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة دول جنوب شرقي آسيا، وعُقد مؤتمر وزراء خارجيتها في عاصمة بروناي في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٩ هـ (تموز ١٩٨٩ م).

وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (أيلول ١٩٨٦ م) تُوفِّي والد السلطان، وهو السلطان السابق سيف الدين محمد عمر علي. ووسّع السلطان المجلس التنفيذي، وأصبح يضمّ أحد عشر عضواً، وذلك عندما أعاد تنظيم الحكومة. وكذلك منح الأعيان أوراقاً تجاريةً كانت خاصةً بأفراد الأسرة الحاكمة.

وأظهرت بروناي رغبةً في إقامة علاقاتٍ وثيقةٍ مع الولايات المتحدة الأمريكية، وانكلترا، وأندونيسيا، وماليزيا، وفي مطلع عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) دفع السلطان مساعدةً لثوار «الكونترا» في نيكارغوا على حين كان الكونغرس الأمريكي قد حظر أي مساعدةٍ لهم، وقد اكتشف أمر ذلك لأن المساعدة قد أودعت بشكلٍ خاطىءٍ في حساب بنك رجل الأعمال السويسري في شهر رجب من عام ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م).

وفي هذا الوقت بالذات رجب ١٤٠٧ هـ (آذار ١٩٨٧ م) أبدت بروناي اهتمامها للانضمام إلى اتفاقية الدفاع للدول الخمس المرتبطة ببريطانيا، وهي: ماليزيا، وسنغافورة، وأستراليا، ونيوزيلاندا. وتحسّنت العلاقات مع ماليزيا بشكلٍ واضحٍ عندما عرضت ماليزيا في رجب ١٤٠٧ هـ مساعدة بروناي على إنشاء جيشٍ بقواتٍ احتياطيةٍ، وعندما زار رئيس الوزراء الماليزي بروناي للقيام بمحادثاتٍ. وفي مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أعلن البلدان إمكانية إقامة تعاونٍ مستقبليٍ بانتاج الأجهزة الدفاعية.

كما تحسّنت العلاقات مع أندونيسيا، وقد منح السلطان في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (أيلول ١٩٨٧ م) أندونيسيا قرضاً بمبلغ مائة مليون دولار دون

فائدةٍ لإقامة مشروعاتٍ صناعيةٍ ومواصلاتٍ، وتُدفع على مدى خمسٍ وعشرين سنة.

وتوطّدت العلاقات كذلك مع الفيليبين، وقامت رئيسة الفيليبين كورازين أكينو بزيارةٍ لبروناي في الأول من عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م)، وعرض السلطان مبدئياً المساهمة في المجموعة الدولية لتمويل خطط تطوير الاقتصاد الفيليبيني. وهكذا تحسّنت علاقات بروناي مع دول المنطقة المجاورة، والتي كانت تقف في وجه استقلال بروناي، وكلها تطمع في ضمّها إلى أراضيها لغناها، وما تحسّنت العلاقات أيضاً إلا بتقديم المساعدات أيضاً، وعرض المال.

ولم تقتصر أموال هذه الدولة المسلمة على الأمصار والبلدان المجاورة، وإنما كانت تستفيد منها بريطانيا أيضاً، حيث كانت تُسيطر عليها في الماضي، وتُدافع عنها في الوقت الحاضر، وترتبط معها بعلاقاتٍ وثيقةٍ. ففي ربيع الأول ١٤١٠ هـ (تشرين الأول ١٩٨٩ م) وقّعت بروناي مع بريطانيا اتفاقية تفاهمٍ لشراء طائراتٍ مُقاتلةٍ، وسفن دورياتٍ، ومعداتٍ عسكرية أخرى بما تُعادل قيمتها مائتين وخمسين مليون جنيه استرليني، والخبير المدقّق في هذه الصفقة يجد أن هذه المعدات ليست من الأسلحة المتطورة، وإنما على العكس من الأسلحة التي تريد بريطانيا أن تنسّقها من قواتها إذ لم تعد مناسبةً، هكذا جرت عادة الدول الاستعمارية الصليبية فيما عُرف باسم «تسليح الدول النامية». والأصل المسلمة منها.

وفي مطلع عام ١٤٠٩ هـ (آب ١٩٨٨ م) جرت مناورات مشتركة بين قواتٍ من بروناي وأخرى بريطانيةٍ.

وأُلغيت حالة الطوارىء بعد مرور ستٍ وعشرين سنةً على تطبيقها، وعقد السلطان العزم على إجراء انتخاباتٍ عامةٍ.

الفصل الثالث

الصراعات الداخلية

بروناي دولة صغيرة تبلغ مساحتها ٥٧٦٥ كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها حسب تقديرات عـام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بمائتين وثمـانين ألفاً، وتكون الكثافة ما يقرب من ثمانين شخصاً في الكيلوالمتر المربع الواحد. ويبلغ طول سواحلها مائة وستين كيلومتراً.

يعتمد اقتصادها على النفط والغاز الطبيعي، وتوجد خمس آبار في الداخل، وبئران على الساحل، ويُقدّر إنتاجها من النفط بسبعة ملايين طن، وما يقرب من (٧١٨,٠٠٠) طن من مشتقات النفط، أما الغاز الطبيعي فيُقدّر إنتاجها منه بـ(٨٦٥٤) متراً مكعباً. ويعمل في هذا الميدان ٥,٧٪ من اليد العاملة. ويُشكّل النفط والغاز ٩٢٪ من الدخل الوطني.

ويعمل ٥٪ من اليد العاملة في الزراعة، والغابة، وصيد الأسماك، وأشهر زراعتها الرز، والموز، والأناناس. ويُقدّر صيد السمك بـ(٢٦٥٢) طناً سنوياً، ويُقدّم ٦٥٪ من الاستهلاك المحلي، ويأتي هذا الصيد من مياه المحيط، والمياه العذبة الداخلية، ومن نهر بـروني الكبير، ولا شـك أن معظمه من مياه المحيط الهادي. وتُقدّم الزراعة وما يتبعها ١,٣٪ فقط من إجمالي الدخل الوطني.

ويُعدّ دخل الفرد في بروناي من المعدلات المـرتفعة إذ يصـل إلى

(١٥٣٩٠) دولاراً أمريكياً سنوياً. وأكثر العمال من خارج بروناي إنما هم من ماليزيا، ومن ولاية ساراواك بشكلٍ خاصٍ.

إن الدستور الذي أعلنه السلطان في ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢٩ أيلول ١٩٥٩ م) قد أعطى السلطان السلطة التنفيذية المطلقة، ويُعاونه، ويعمل تحت استشارته أربعة مجالس، وهي: المجلس الديني، والشورى، ومجلس رئاسة الوزراء، ومجلس الوراثة. وعندما اندفع تمرّد رجب ١٣٨٢ هـ (كانون الأول ١٩٦٢ م) عُلّقت بعض أحكام الدستور، وكان الحكم يصدر بمرسوم ملكي.

المجلس الديني:

ويضمّ أعضاء يتمّ تعيينهم من قبل السلطان، ويعرض المجلس جميع المسائل الإسلامية التي تُعرض عليه على السلطان بصفته رئيساً للدين الإسلامي في بروناي.

مجلس رئاسة الوزراء:

ويرأسه السلطان، ومن اختصاصه النظر في جميع المسائل التنفيذية.

مجلس الشورى:

ويرأسه السلطان، ومن اختصاصه الإشارة على السلطان في المسائل التي تتعلّق بحقّ امتياز الرحمة الملكية، وتعديل الدستور، والترقية، ومنح ألقاب الشرف.

مجلس الوراثة:

ويخضع للدستور، ويُقرّر من يتولّى العرش فيما إذا دعت الحاجة إلى ذلك بغياب السلطان فجأةً.

والدولة مُقسّمة إلى أربع مناطق إدارية، وعلى كل منطقةٍ ضابط ملايوي مسؤول أمام رئيس الوزراء وأمام وزير الشؤون الداخلية.

الصـراع العنصـري:

يشكل أهل الملايو ٧١٪ من مجموع السكان، وإضافةً إليهم يعيش في بروناي أعـداد من الصينيين يُشكّلون ١٩٪ من سكان البـلاد، وهناك مجموعات أخرى من الفيليبين، والأندونيسيين، والتايلانديين، واليابانيين، والأوربيين يُشكّلون جميعاً ١٠٪ من السكان، وبذا يكون التوزع على النحو الآتي:

المجموعة	العدد	النسبة
الملايو	١٩٨,٨٠٠	٧١٪.
الصينيون	٥٣,٢٠٠	١٩٪.
مجموعات أخرى	٢٨,٠٠٠	١٠٪.
	٢٨٠,٠٠٠	١٠٠٪.

ولما كانت أكثرية السكان يعودون إلى أصل الملايو لذلك لا نجد صراعاً عنصرياً قوياً، وخاصةً أن المجموعات الأخرى إنما تعود إلى أصولٍ متعددةٍ وجنسياتٍ كثيـرةٍ. ويمكن أن يقوم الصينيـون فقط ببعض التمرّد، والحديث عن المشاركة بالسلطة غير أنهم ضعاف، وإن كـانوا يتجمّعـون بعضهم مع بعضٍ.

وفي أيـام السيطرة الإنكليـزية كـانت بريـطانيا تتعهـد الأقليات غيـر المسلمة كلها في محاولةٍ منهـا لإضعافٍ المسلمين والإقـلال من شأنهم، وتقوية الآخرين عليهم، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ في محاولةٍ لكسب هذه الأقليات إلى صفها كمرحلةٍ أولى ثم شدّهـم إلى عقيدتها ما داموا على عقيدةٍ هشّةٍ لا تقوم على فكرٍ، ولا تنسجم مع أقلّ متطلبات الفطرة. وبهذه المعـاملة فقد

سيطر الصينيون على قطاع التجارة الخاص في بروناي، ونشطوا نشاطاً واسعاً، فلما بدأت فكرة الاستقلال، وأعلن السلطان عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) أن بروناي ستصبح دولةً إسلاميةً مستقلةً بدأ الصينيون يتذمّرون، وأعلنوا أنهم أصبحوا مُهدّدين، وأنهم سيصبحون من غير ولايةٍ لهم، أي أن بريطانيا كانت ولية أمرهم، فإن أكثرية السكان ملايويين، ويعرفون باسم «باميبيبوتراس» أي أولاد التربة، وأصبح الكلام يكثر من الغرباء من الصينيين، ومن تايلاند، ومن هونغ كونغ، ومن غيرهم أنهم سيُعاملون معاملةً غير عادلةٍ مع الملايويين، وهذا بدفعٍ وتحريضٍ من الصليبيين في محاولةٍ لإبعاد شعار الإسلام على حين أن الصليبيين وغيرهم من أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أنهما عاشوا في ظلّ الإسلام في أمنٍ وسلامٍ على مدة قرونٍ، على حين لم يجد المسلمون راحةً أبداً في بلادهم أنفسهم عندما سيطر عليها المستعمرون الصليبيون، هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى فإن رفع هذا الشعار الإسلامي ليس إلا اسماً، فلو كان حقيقةً لما ترك في البلد وثنيون أبداً على اختلاف ما يدينون من بوذيةٍ، أو كونفوشيةٍ، أو طوطميةٍ أو عبادةٍ للأرواح، فديار الإسلام هي التي يُطبق فيها المنهج الإسلامي، ولا يسكنها إلا المسلمون والذمّيون من أهل الكتاب النصارى واليهود، وما يلحقهم من المجوس. ومن عدا ذلك فعليه الرحيل أو اعتناق الإسلام أو إحدى ديانات أهل الكتاب، أو المجوسية.

ويتكلّم السكان اللغة الملايوية، وهي الرسمية والشعبية، وإن كانت المراسلات كافة لا تتمّ إلا باللغة الإنكليزية، والتي تعدّ شائعةً، كما أن الصينيين يُحافظون على لغتهم فيُعلّمونها في مدارسهم، ويتكلّمونها فيما بينهم وإن كانوا يعرفون الملايوية، ويفهم أكثرهم الإنكليزية، وكذا المجموعات الأخرى من بقية الجنسيات.

الصراع الحزبي:

تأخّر التنظيم في بروناي، وإن كان المسلمون من السكان ينظرون

إلى المستعمرين الصليبيين أنهم مغتصبون بالقوة التي يملكونها، ويعدّونهم أعداء، ويستعلون عليهم ما داموا أبناء البلاد، وأنهم على الدين الحق، وعلى أن النصرانية تقوم على عبادة مخلوقٍ، وإن كان عبداً من عباد الله الصالحين، وأحد أنبياء الله ورسله، فهم لا يختلفون عن الديانات التي يرون أهلها بجوارهم (عبدة الأرواح، والبوذيون، والكونفوشيون، والشنتويون، والهندوس) فكلهم يُقدّسون مخلوقات، وإن تباينت هذه المخلوقات بتكريمها من خالقها. والمسلمون أكثرية.

فلما أخذ التفكير بموضوع الاتحاد الماليزي خشي بعض المسلمين من الانضمام إليه، وهم يرون أن ماليزيا مرتبطة ببريطانيا بشكلٍ أوثق، وأن نسبة المسلمين فيها ضعيفة نسبياً لا تتجاوز ٥٥٪ فلم يرغب بعضهم بهذا الانضمام، وكانوا أقرب إلى أندونيسيا حيث غالبية السكان من المسلمين (٩١٪) من مجموع السكان، كما أن النشاط الإسلامي كان واسعاً، وحزب ماشومي نشطاً. فتجمّع بعض المسلمين وشكّلوا حزب الرايات البرنوي، وكذلك قام حزب الشعب الذي كان له دور فعّال، وقد عملا على مقاومة هذا الانضمام، وحدثت حركة التمرّد عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)، ولكن أخمدت خلال عشرة أيامٍ، ونفي أعضاء حزب الرايات البروني كلهم، ومُنع حزب الشعب من مزاولة النشاط.

وفي عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) تشكّل الحزب الوطني الديمقراطي البروني (B. N. D. P) وهيكله رجال الأعمال الذين لهم ولاء للسلطان، وركّزوا سياستهم تحت شعار الإسلام، وشكّلوا مجموعةً وطنيةً حرّةً، غير أن السلطان قد حرّم على موظفي الدولة من الانضمام لهذا الحزب، وهم يشكلون ٤٠٪ من اليد العاملة، وهذا ما قلّل من القاعدة التي يعتمد عليها، ومن مجال نشاطه، كما استبعد الحزب أيضاً من انضمام الصينيين إليه والجنسيات الأخرى غير الملايوية وبالتالي غير المسلمين، لذا بقي محدود العدد، ومع ذلك فقد ظهرت فيه تشعّبات بالآراء، واختلاف على الزعامة،

وتشكلت أجنحة، وحدث انشقاق، وفي عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) نشأ حزب جديد، هو حزب بروناي الوطني المتحد.

لقي حزب بروناي الوطني المتحد موافقة السلطان، وركّز جهده على التعاون مع الحكومة، وانفتح على المسلمين وغير المسلمين، وبعد عامين من تأسيسه صدر أمر ملكي بحلّه وذلك في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ (شباط ١٩٨٨ م) بعد أن أعطى السلطان صفة رئاسة الحكومة فقط دون ذكر رئاسة الدولة، غير أن الحكومة اتهمته بالاتصال بمؤسساتٍ أجنبيةٍ، وألقت القبض على بعض قادته، ومنهم عبداللطيف حامد، وعبداللطيف شوشو، وألقتهم في السجن لغاية ١٤١٠ هـ (١٩٨٩ م).

وهناك جبهة استقلال الشعب، ولكن لم يعد لها دور أيضاً.

الصراع العقيدي:

يشكل المسلمون أكثرية السكان إذ تبلغ نسبتهم ٧٦٪ من مجموع أهل بروناي، ويلي ذلك أتباع الديانة البوذية، وتختلط البوذية بالكونفوشية عند كثيرٍ من الصينيين، وتبلغ أتباعها ١٦٪، وأصبحت نسبة النصارى ٤٪، ومثل ذلك نسبة عبدة الأرواح.

الجماعة	العدد	النسبة
المسلمون	٢١٢,٨٠٠	٧٦٪.
البوذيون	٤٤,٨٠٠	١٦٪.
النصارى	١١,٢٠٠	٤٪.
عبدة الأرواح	١١,٢٠٠	٤٪.
	٢٨٠,٠٠٠	١٠٠٪.

لا يوجد تكافؤ في الأعداد كي يقع صراع بين أصحاب الديانات، غير أن قوة الاستعمار الصليبي قد أوجدت مجموعةً نصرانيةً أولاً وجعلتها تستطيع الصراع، والتغلّب بما يملك أهلها من السيطرة، والإمكانات الضخمة، واتخاذ أساليب المكر، والتخطيط السياسي.

ما أن انتشر الإسلام في تلك الربوع وعمّ حتى جاء الاستعمار الصليبي. لقد أتى النصارى بقوةٍ لم يكن المسلمون يملكونها. ووصل الصليبيون بمكرٍ وتخطيطٍ لم يكن المسلمون يعرفونهما. وجاء المستعمرون بدعمٍ من أوربا والصليبية العالمية، ولم يكن هناك من يدعم المسلمين في جنوب شرقي آسيا لأن أوضاع المسلمين العالمية في وضعٍ لا يُساعدهم على تقديم أي مساعدةٍ، وفي حالةٍ لا يعرفون معها شيئاً عن إخوانهم. وقدم النصارى وقد تمكّنت المبادىء عندهم، وترسّخت الأفكار لديهم، ولو أنها لا تنسجم مع الفطرة على حين كان المسلمون في بداية عهدهم بالإسلام لم يتعمّق في النفوس وخاصةً أنهم أقبلوا عليه وليس هناك من مرشدٍ واعٍ، ولغتهم غير لغة الإسلام ولكن قبلوه لأنه يتفق مع تطلّعاتهم، وينسجم مع الفطرة البشرية.

لقد جاء المستعمرون بحقدٍ صليبيٍ عارمٍ، ولم يلجؤوا إلى الإبادة خوفاً من تجمّع المسلمين فوراً، ونهوضهم نهضة رجلٍ واحدٍ، وإعلان الجهاد، وبالواقع أنهم جاءوا وفي نفوسهم خوف شديد من المسلمين حيث لهم وقائع معهم، ويعرفون حروبهم، وفي الوقت نفسه فقد طمعوا بتنصير هؤلاء لمعرفتهم بحداثة عهدهم بالإسلام غير أنهم لم يستطيعوا إحراز أي نجاحٍ يذكر في تنصير المسلمين رغم ما حشدوا له، وما ذلك إلا لأن الديانة النصرانية محرّفة عما نزلت عليه، فأصبحت لا تنسجم مع الفطرة البشرية، فلم يجد فيها الناس أي دافعٍ دينيٍ لاعتناقها، ولا أي مُشجّع لإرواء الجانب الروحي عند الإنسان السوي، فهي أشبه بطقوس الوثنية، وتتفق معها في عبادة المخلوقات، وتكريم القديسين، وتقديس الصور

و. . . ولكن إن لم ينجح المنصّرون في محاولاتهم الجادة والعنيفة لتنصير المسلمين لكنهم أحرزوا طرقاً من نجاحٍ في كسب بعض العناصر الوثنية إلى عقيدتهم بالإغراءات.

ولما لم ينجح المنصّرون في مهمّتهم الأساسية، ولم يجدوا أملاً بالنجاح في المستقبل عندها عمدوا إلى محاولة إفساد المسلمين في سبيل إبعادهم عن عقيدتهم، كما أنهم اتخذوا المكر والوسائل الأخرى لإضعاف المسلمين وجعلهم بحاجةٍ إلى المنصّرين، وبحاجةٍ إلى أن يسعوا وراءهم، وراء حاجياتهم الأساسية.

قرّب المستعمرون الأقليّات غير الإسلامية، ورفعوها فوق المسلمين، وأعطوها المناصب، وفسحوا لها المجال بالنشاط، وقد لاحظنا أن الصراع العنصري كان يحمل في جنباته الصراع العقيدي.

وعمل المستعمرون الصليبيون على إفقار المسلمين بالاستيلاء على أملاكهم، وأخذ أموالهم، وإبعادهم عن المناصب فشعر المسلمون بالضعف وأحسّوا بالحاجة.

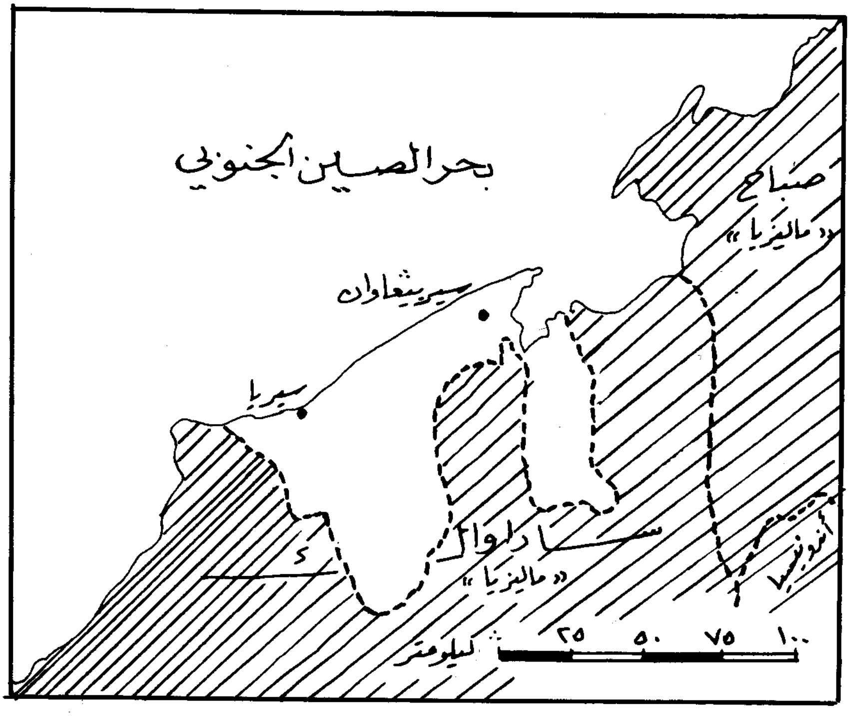
ولجأ الدخلاء إلى الحيلولة دون تعليم المسلمين بإغلاق المدارس الإسلامية، ومنع الكتاتيب من مزاولة نشاطها، ومنع الدروس في المساجد بادّعاءاتٍ لا أساس لها من الصحة، فانتشر الجهل بين المسلمين، وشعروا بالنقص المادي والعلمي عند الآخرين، وانتشرت مدارس الإرساليات النصرانية وامتنع المسلمون من الإقبال عليها في بداية الأمر، ثم أخذوا يتسلّلون إليها تدريجياً، فأدّت دورها بإفساد العقيدة، واستهوت الطريقة الغربية من سقط. ثم لجأ الدخلاء إلى طريقة الجنس وسخّروا بنات الجماعات الأخرى رديفةً لبناتهم فأغرت الشهوة الكثير، وأضلّت من أضلّت.

وكانت السلطة بعيدةً عن هذا منصرفةً إلى تحقيق رغباتها وشهواتها،

فكانت الهزيمة النفسية لدى الشعب عامةً، وأخذ يلهث الساقطون منه وراء التقليد وتأمين الرغبات وأهواء النفس، وهكذا نجح المستعمرون الصليبيون في تأدية دورهم.

وعندما استقلت البلاد أحسّ السلطان والمسؤولون بما حدث، ورأوا أن البلاد بحاجةٍ إلى الإعمار، والإعمار بحاجة إلى سكانٍ أصحاب إمكاناتٍ، والبلاد يمكنها توفير ذلك بما لديها من إمكاناتٍ وثرواتٍ نفطيةٍ، ودخل الفرد المرتفع يمكن أن يُغري الكثيرين من خارج البلاد بالإقبال نحوها، واتخاذها وطناً، ومجالاً للعمل والنشاط، ورأى السلطان تشجيع المسلمين للقدوم إلى بلاده، وبين المسلمين أصحاب الإمكانات العلمية والعملية، وبينهم المشرّدون الكثيرون الذين يفتشون عن مكانٍ يأوون إليه، فاتجهت أنظارهم نحو بروناي، وأسرعوا يقدّمون الطلبات، غير أن التقديم كان إلى السفارات البريطانية، إذ لم تكن سفارات بروناي قد تكاملت حتى تستطيع تغطية هذه الخطوة. فأجهضت بريطانيا هذا المشروع بحقدٍ صليبيٍ. وانتهى الأمر. وسكتت بروناي. فالصراع العقيدي يتمثّل في كلّ جانبٍ من جوانب الحياة. وتغلّبت الصليبية عالمياً، وضعف المسلمون دولياً، وأخذ النصارى يتحكّمون بالمسلمين تحت أسماء متعددة منها النظام الدولي الجديد، والديمقراطية، والمصلحة الوطنية و.... ويُفسّر كل اصطلاحٍ حسب ما تريده الصليبية فتُنتهك الديمقراطية وتُداس للمحافظة على النظام الديمقراطي، ويُفتك بالمسلمين حرصاً على السلام... والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وهنا لا بدّ من أن نذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).


بحر الصين الجنوبي
صباح
« ماليزيا »
سيريتغاوان
سيريا
ساراواك
« ماليزيا »
أندونيسيا
٢٥
٥٠
٧٥
١٠٠
كيلومتر

مصور رقم [١٣]

الخاتمة

إن منطقة جنوب شرقي آسيا منطقة مُهمّة بالنسبة إلى المسلمين، وقد ركّزت النصرانية عليها اهتمامها الآن. ويبدو أن الاستعمار الصليبي سيلجأ في عملية التنصير الجديدة حسب المخطط الذي سار عليه في الاستعمار، إذ بدأ من هامش العالم الإسلامي، وأخذ يتقدّم تدريجياً حتى وصل إلى القلب على المدى البطيء وخلال عدة قرونٍ.

لقد وصل الاستعمار إلى قلب العالم الإسلامي إثر الحرب العالمية الأولى، وعمل عن طريق أعوانه على إلغاء الخلافة فانفرط عقد الجامعة الإسلامية، وإن كان ضعيفاً مهلهلاً من قبل، لكنه كان صورةً على الأقلّ، وله أثره النفسي والمعنوي، وقد زال الآن. وأخذ المستعمرون الصليبيون بعدها يُطبّقون سياستهم في إضعاف المسلمين، وإفقارهم، وتجهيلهم حتى أُصيب بعضهم بعقدة النقص، واتخذ الدخلاء طريقة الغزو الفكري، وإبعاد اللغة العربية عن العلم والتعليم، ومحاولة إدخال كلمات فيها لإمكانية تغييرها، ووضع اللغة الإنكليزية بجانبها في كل شيءٍ للغرض نفسه، وأخيراً شعرت الدول الكبرى بهيمنتها التامة.

ويبدو أن المخطط التنصيري يسير على خطا المخطط الاستعماري وحسب مراحله، وقد بدأ بهامش العالم الإسلامي بشكلٍ مكثّفٍ، وهذا ما نراه في أندونيسيا خاصةً ثم في بقية دول جنوب شرقي آسيا، وإن كان هذا لا يمنع من تمهيدٍ في قلب العالم الإسلامي لتسهيل المهمّة في المستقبل

إذ نجد إبراز الصلبان في المسلسلات التلفزيونية وغيرها، وحتى وُجِّهت الشركات والمؤسسات لهذا الجانب وربما لم تُوجّه وإنما بدافعٍ ذاتيٍ مما تحمل من الصليبية، فأصبح عدد من شركات إنتاج السيارات يضع الصليب بصورةٍ واضحةٍ من الخلف والأمام، وبشكلٍ بارز ليتعوّد الناس على رؤيته، ولم يكن هذا من قبل. والمسلمون نيام يتركون الأمر لأعوان أعدائهم.

يجب على المسلمين أن ينتبهوا من رقدتهم، ويتعرّفوا على مجريات الأمور في واقعهم قبل أن يستفحل الأمر، فالوضع جد خطير، وهجمة الصليبية شرسة وقذرة، وقد ركّزت جهدها على جنوب شرقي آسيا دون إهمال بقية المناطق. ويجب نشر الوعي، والمعرفة، والتنبيه على ما يقع.

والله ولي التوفيق. ولنضع نصب أعيننا قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨).

الفهرس

التاريخ الإسلامي

- ٢١ -

التاريخ المعاصر

المسلمون في الأمبراطورية الروسية

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقياً : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين فارج الهمّ، وكاشف الغمّ، ومُبدّد الظلمات، والهادي إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام على قائدنا وسيدنا محمد بن عبدالله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، رافع راية القوة والجهاد، والداعي إلى الحق وصراطٍ مستقيم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الجزء والمسلمون في الامبراطورية الروسية يرسفون في قيود الذلّ، ويحيون حياة القهر، ويعيشون عيشة البؤس وقد طال عليهم عهد الضغط والتمييز والسحق من قبل الأعداء المتسلّطين عليهم، المستبدين بهم، وزادت عليهم العتمة والظلام إذ حيل بينهم وبين إخوانهم، وحُرموا من ممارسة شعائر عقيدتهم، ومن الاطلاع على مصادرها، ومعرفة منابعها حتى نسوا أكثر ما يجب عليهم علمه، وفُرض عليهم مناهج تُخالف مبادئهم، وأُجبر أبناؤهم وأحفادهم على الإلحاد واتباع ما يجب الابتعاد عنه، ولم يروا إلا بصيصاً من نورٍ من خلال ثقوبٍ لا يرى منها شيء، وامتدّ عليهم الزمن..،.. ولكن لم تلبث أن نفدت الطبعة الأولى.

وصدرت الطبعة الثانية وكانت القيود قد كُسّرت، والحدود قد حُطّمت، والسجون قد هُدّمت، وفتحت الأبواب والمنافذ، ودخل النور شديداً فعشيت عيون المسلمين داخل الامبراطورية المفككة فخرجوا يتلمسون الطريق

لا يعرفون أين يسيرون، يريدون من يهديهم، من يرشدهم إلى الطريق، من يأخذ بأيديهم نحو سبيل الرشاد، من يصلهم بالماضي الذي يرتبطون به، وقد أضاعوه، ويعرفون أنه كان سبب عزّهم، وقد حوربوا من أجله، وأُبعدوا عنه ليُنال منهم، ولإمكانية إذلالهم حيث لا يمكن إخضاعهم ما تمسّكوا به. وهو الآن أملهم ينظرون إليه بالأفق بعيداً ويريدون الإسراع إليه لالتقاطه، فلكم حلموا به وتمنّوا الوصول إليه.

وأسرعت أقوام إلى تلك الشعوب بكل منها يريد أن يسير بها حسب هواه، سارت بإمكاناتها المتاحة لها لتمسك بيد ذلك الأعشى وتأخذ به إلى ما تريد، وهو لا يمكنه التمنّع حيث لا يعرف دربه، ولا يملك بالأساس المقاومة لأنه صفر اليدين، ويتقبّل كل دعايةٍ ويُصدّق ما يقال له. أسرعت إيران، ومدّت يدها لتلقي العلم وتتلقّى طلبته، وحتى البهائيون قدّموا أنفسهم، وعجّلت الدول النصرانية في محاولة منها لإبقاء الأعشى على ضلالته، وخطا خطواتٍ واسعةً بعض من ينتمي إلى الإسلام، ولكن يريده على الطريقة الغربية، ليُعطي الأعشى صورةً غير صحيحةٍ عن الإسلام. أما المسلمون فجهلهم كبير بإخوانهم الذين خرجوا من وراء الستار الحديدي، وإمكاناتهم ضعيفة، لا رعاة لهم، ولا سراة، فإذا تحرّكوا فبالفراغ، وإذا تكلموا فمن غير وضوحٍ في الرؤية، ولكن نرجو من الله أن تتغيّر الحال بسرعة بعد أن أخذ المسلمون في اليقظة حيث رأوا العالم والرعاة عليهم، والسهام كلها موجهة الى صدورهم، وهم هدف الأرض التي تريد أن تُفرغ شحنات حقدها عليهم بعد أن تمكّنت من السيطرة، ونثرت الرعاة من كنانتها فما منهم إلا لها تابع.

وقد أبقيت مادة هذا الجزء من الكتاب كما هي رغم كل ما حدث فما ذلك إلا مرحلة من التاريخ وما أنا إلا مدوّن له.

نرجو من الله التوفيق، وسداد الخطا، والعناية والرعاية منه فهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيِّد المرسلين، وخاتم النَّبيِّين، وإمام المتقين مُحمَّد بن عبدالله، وعلى بقية أنبياء الله، وصحابة رسول الله، ومن اتّبع هُداه إلى يوم الدِّين *أمابعد*،

فإنّ كلمة «إمبراطورية» كلمة أجنبيّة وتعني سيطرة شعبٍ على شعوبٍ أُخرى، وتسخير هذه الشعوب، وخيرات بلادها كلِّها لمصلحة الشَّعب المسيطر وأهله، وفي هذه الإمبراطورية يُسيطر الرُّوس على شعوبٍ كثيرةٍ منها التتار، والترك، وشعوب القفقاس، وهذه كلُّها شعوب إسلامية إضافةً إلى شعوبٍ ثانيةٍ تخضع مثلها للروس. وقبل الثورة الشيوعية في ١ محرم ١٣٣٦ هـ كان يُطلق على هذه الدولة اسم «الإمبراطورية الروسية» فلمّا قامت الثورة تغيّر نظام الحكم، وتبدّلت مراكز القوة، وساد نظام اقتصادي غير الذي كان من قبل، أمّا سيطرة الروس على بقية الشعوب فقد استمرّت، واستمرّ معها الروس يستغلّون خيرات أراضي الشعوب لمصلحتهم، فَنَعِمَ الرُّوس بالسيطرة وبالرفاهية على حساب تلك الشعوب المُستضعفة، ولم يكن مع ما حدث ضرورة لتغيير اسم الدولة.

أما الرُّوس فقد رغبوا أن يُخفوا استغلالهم لأنّهم يدّعون تحريم الاستغلال فكيف يُحاربونه ويُمارسونه في الوقت نفسه؟ لهذا غيّروا اسم دولتهم، وأطلقوا

عليها اسم « الاتحاد السوفيتي » إخفاءً لاستغلالهم، وتمويهاً على بقية الشعوب، بأن الاتحاد يضمّ مجموعة شعوبٍ اختارت عن رضىً منها اتحاد بعضها مع بعض، وأصبح بناءً على ذلك الاسم العالمي لهذه الدولة « الاتحاد السوفيتي » وبناء على اختيار القائمين على رأس هذه الدولة. أمّا الواقع فهو غير ذلك، ولمّا كان الاسم يُخفي تحته معنى كبيرًا يُخالف الحقيقة لذا أردت أن أكشف عن هذه الحقيقة وأُعطي التسمية التي تـدلّ عليهـا، وهـي « الإمبراطـوريـة الروسية » وهو الاسم الذي كان سـائـداً فيما مضى، وهـو اسم يصـف الواقـع ويرمز له، مع اعترافي بأن كلمة « الاتحاد السوفيتي » قد أصبحت علماً تدلّ على منطقةٍ معيّنةٍ من الأراضي الشاسعة، وقد غدا هذا الاسم عالمياً، ومُتعارفاً عليه بين الدول، يُكتب على الخرائط، والمصورات، والاطـالس، والكتـب، وتتناقله وكالات الأنباء ووسائل الإعلام المختلفة. إنه لم يتغيّر شيء على أوضاع السياسة الداخلية، وأساليـب السيطـرة، وطـرق الاضطهـاد، وأعمال القسر والظلم والوحشية بل ربما زاد الأمر مع تطوّر وسائل التعذيب وفنون الإبادة. فالشعب الرُّوسي هو المسيطر على شعوبٍ كثيرةٍ، ولا يقبل من هـذه الشعوب إلا أن تُغيّر عقيدتها، وتصبح نصرانيـةً على المذهب الأرثوذكسي فقط، وتذوب في المجتمع الروسي وتفقد شخصيتها حتى تحصل على بعض المساواة مع الروس وتتمّ عندها الوحدة الوطنية ـ حسب رأي الروس ـ وتعيش هذه الشعوب المستعمَرة التابعة للروس بفقرٍ وبؤسٍ لتبقى بحاجةٍ إلى الروس يمنّون عليها بفضلاتهم، ولتعيش ضعيفةً يُمكن للروس أن يضمنوا استمراريـة بقائهم مُستعمرين لها، ولتوفِّر لسادتها الروس كل ما هم بحاجةٍ إليه من خيرات بلادها وثروات قُطعانها.

والاتحاد هو الاتفاق بين دولتين أو أكثر عن رضىً واختيارٍ وقناعةٍ لانضمام بعضها إلى بعض لتأسيس دولةٍ واحدةٍ، شعوبها مُتكافئة في الأهلية والعمل، مُتساوية في الحقوق والواجبات، لا يستغلّ بعضها بعضًا، وهذا مـا لا يوجد في الإمبراطورية الروسية، إذ لاحظنا أن الروس يستعمرون غيرهم من

الشعوب، ويفرضون سيطرتهم عليهم. إذن لا يصحّ أن نقول: الاتحاد السوفيتي، وإنما نقول: الامبراطورية الروسية، وإن كنّا نستعمل هذا الاصطلاح دولياً وفي وسائل إعلامنا، إذ أنه اسم يدلّ على شيءٍ مُجرّدٍ لا على حقيقةٍ علميةٍ أو سياسةٍ واقعيةٍ. وإذا كان نظام الحكم الشيوعي الواحد هو الذي يجمع بين هذه الشعوب ويجعل منها دولةً واحدةً فإن هذا النظام قد فرضه الروس أيضاً على هذه الشعوب وحملوها عليه بالسيف، وقد ذهب ملايين البشر عند تطبيقه لأنهم رفضوه وأبوْا تنفيذه، كما أُتلفت الزروع، وأُبيدت القطعان، ولا يزال السيف مُصلتاً على من يرفع رأسه أو يُعلن أيّ تذمُّرٍ أو سُخطٍ. فكما فُرض بالقوة لا تزال القوة هي المُبقية عليه، الحاملة له، المُدافعة عنه، وفي الوقت الذي تتخلّى عنه القوة تتخلّى عنه الشعوب ويسقط إلى الأبد.

ومن هذا المنطلق لا يصحّ أن نستعمل اصطلاح «الامبراطورية العربية الإسلامية» وهو الذي اعتاد بعض الكُتّاب أن يستعملوه جهلاً أو نقلاً عن المستشرقين الذي يريدون تشبيه الحكم الإسلامي بحكوماتهم المستعمرة ليصلوا من ذلك إلى أن الدولة الإسلامية كانت مستعمرةً استغلّ فيها العرب الإسلام ليُسيطروا على الشعوب الثانية. والواقع أن العرب لم يكونوا شعباً سيطر على بقية الشعوب الإسلامية، وإنما قد حمل إليها الإسلام، واعتنقته عن قناعةٍ وإيمانٍ، وقد كوّنت مع الشعب العربي أُمّةً واحدةً هي الأُمّة الإسلامية، وشكّلت لها دولةً واحدةً هي دولة الخلافة التي امتدّ ظلّها الوارف على كل الشعوب الإسلامية والدليل أن هذه الشعوب قد تمسّكت بالإسلام وحافظت عليه وعملت على الدعوة إليه بكل إمكاناتها، وربما شملت شعوباً أخرى غير الإسلامية ولكنها قبلت دفع الجزية لتعيش في نعيمٍ، وعاهدت المسلمين فكان لها الحقّ بأن تنعم بما ينعم به المسلمون من رخاءٍ وطمأنينةٍ وسعادةٍ. وكانت خيرات كل إقليمٍ ينعم به أهله إلا إذا فاضت عنهم فإنها تُنقل حينئذٍ إلى أقاليم ثانيةٍ، وإذا حدثت مجاعة في مكانٍ أسهم أهل بقية الأقاليم في دعمه

أخوةً وإحساناً، لا يختلف في ذلك إقليم عربي عن غيره من الأقاليم الإسلامية الثانية، ولم يكن للشعب العربي من فضل سوى حمل رسالة الإسلام، والشعوب الإسلامية كلها في نظر الإسلام واحدة، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (١).

ويستعمل المستشرقون اصطلاح «الامبراطورية العربية الإسلامية» خُبثاً وتفريقاً بين المسلمين إذ يُريدون أن يقولوا: إن الشعب العربي كان مُسيطراً على الشعوب الإسلامية الأخرى، ويُصرّون على هذا الاصطلاح كي تنقم الشعوب الإسلامية من غير العرب على العرب.... وذلك مكراً وخديعةً فيجب أن ننتبه إلى ذلك عند الكتابة والقراءة.

وإذا كانت أعداد الروس كبيرةً حيث تطغى على أعداد الشعوب الأخرى التي يُسيطرون عليها، ويُعدّون ثلاثة أمثالها إلا أن بلادهم الأصلية ضيّقة جداً بالنسبة إلى أعدادهم، وصغيرة جداً بالنسبة إلى الأراضي التي يستعمرونها ويفرضون سيطرتهم عليها حيث لا تُعادل مواطن الروس أكثر من ١/١٥ من مساحة دولة الامبراطورية الروسية.

هذه الأعداد الكبيرة من الرُّوس وانتشارها في الأراضي التي تخضع لسلطانها جعل كثيراً من الناس يُطلقون على البلاد كلها اسم «روسيا» وبالتالي يُسمّون سكانها «روساً» جهلاً وعدم معرفةٍ بالحقيقة وعلى الرغم من أن نسبة الروس خارج مواطنهم لا تصل إلى ٢٥٪ في أحسن الأحوال، إضافةً إلى الهزيمة النفسية التي يعيشها قسم من المسلمين، والتبعية الفكرية والعلمية التي نحياها اليوم إذ نتلقّى كل شيءٍ من أعداء الإسلام عامةً ومن الغرب خاصةً، نتعلّم، ننقل، نُترجم، نُعجب بما يكتبون وبما يُحرّرون، وبما

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣

يبحثون، وهم يُريدون طمس كل أثرٍ إسلاميٍ لهذا فهم لا يعتنون ببلدان المسلمين التي تحت السيطرة الروسية خاصةً وتحت نير الإلحاد الشيوعي عامةً، وإن كانوا يختلفون معهم سياسياً، وفكرياً، وفي النظام الاقتصادي، ولكن لا يُريدون التنبيه إليها، ولا إعطاءها الصفة الاستقلالية، فهم أقرب إلى الروس مهما اختلفوا معهم، ومهما تباينت الأنظمة، ومهما باعدت بينهم المذاهب وهي أمور مُفرّقة بين الطرفين ومع ذلك فإنّ بعضهما أقرب إلى بعض من أيٍّ منهما إلى الإسلام الذي يعدّونه العدو المشترك لهما، وتتقارب مصالح الطرفين وتتباعد تبعاً لوجود العنصر الإسلامي في أيّ موضوعٍ من الموضوعات.

وإضافةً إلى ذلك يجب ألّا ننسى جهل الناس للمنطقة الصغيرة التي تقع داخل دولةٍ كبيرةٍ، فالمعرفة العامة والدراسة الإجمالية تضيع معها البقاع الصغيرة، والمعرفة في البلدان الإسلامية لا تتجاوز ذلك عن الامبراطورية الروسية كما لا تتعدّى الدراسة ذلك. كما علينا ألا نغفل حقيقة جهلنا، وواقع تخلّفنا، وعدم اهتمام الباحثين منا في ذلك، لأن التربية في أكثر بلدان العالم الإسلامي لا تُعير الدراسات الواجبة علينا اهتماماً يتّفق وعقيدة السكان التي تجعل منهم إخوةً لنا، ومن هذه الدراسات، التاريخ الإسلامي المُنقّى ممّا اعتراه من افتراءات المُغرضين وعمل أصحاب الأهواء وفعل المستشرقين، ومن بينها أيضاً دراسة الأقليات المسلمة، والبلدان والمناطق الإسلامية التي تخضع للسيطرة الأجنبية سواء أكانت سيطرةً شيوعيةً أم رأسماليةً فإن ما يقع فيها من أحداثٍ لا يصل إلينا، وإن حصل فلا نُبالي كأنه يحدث على كوكبٍ آخر، كما لا تُنبّه الدراسات إلى توضيح مُخطّطات أعداء الإسلام كالذي تُخطّطه الإرساليات التنصيرية في أندونيسيا وغيرها.

وربما طُرحت تساؤلات في هذا الميدان، هل بقي المسلمون الذين يخضعون لنير السيطرة الإلحادية كواقعهم في الامبراطورية الروسية وغيرها على شيءٍ من عقيدتهم أم انحرفوا عنها تماماً واتّبعوا ما تمليه عليهمُ الشيوعية

بآرائها وأفكارها وحربها للإسلام خاصةً؟ والواقع أن الجواب أمر صعب إذ الحكم على عقيدة أُناسٍ يُصلت السيف على رقابهم لترك هذه العقيدة لا يُمكن أن يكون دقيقاً، وإن كانت هناك مُؤشّرات تنفي ذلك الانحراف عن جماعاتٍ وتُؤيّده على أخرى، وهذا أمـر طبيعـي ففـي كـل مجتمعٍ أُنـاس صالحون وآخرون طالحون، بعضهم متمسك بعقيدته وآخر أهمل شيئاً منهـا، وثالث انحرف عنها نهائياً. ولكن الحكم يكون صحيحاً عندما يزول عنهمُ الطغيان، وتُعطى لهمُ الحرية الدينية، ومن خلال أحداث التاريخ المعاصر كانت الوقائع كلها إيجابيةً عندما مُنحوا شيئاً من الحرية الدينية في سبيل استغلال الوقت، وكسب المسلمين إلى جانب المُتسلّطين، أو ظنًّا من الطُّغاة أن أثر الدين الإسلامي قد زال من نفوس الذين يتسلّطون عليهم، وما كان من نتائج إيجابيةٍ لمصلحة الإسلام قد أذهلت الطُّغاة الأمر الذي يجعلهم في كل مرةٍ ينقضون ما أعطوه ويزيدون من شدّة بغيهم، وظلمهم، وضغطهم، والتنكيل بمن يُشمّ منه رائحة التديُّن والعمل للإسلام أو الدعوة إلى الترابُط على أساس العقيدة.

وقد رأيت من واجبي أن أُوضّح كل هذا، وإذا كنت من أوائـل الذيـن نبّهوا إلى دارسة المسلمين الذين قد أغفلهم إخوانهم، وهم الذين يخضعون للسيطـرة الروسيـة، ويعيشـون وراء الستـار الحديـدي، وأصـدرت كتـابي «تركستان الغربية» عـام ١٣٩٠ هـ، ثم اتبعتـه بكتـاب «قفقـاسيـا» عـام ١٣٩١ هـ، وكتاب «المسلمون تحت السيطرة الشيوعية» عام ١٣٩٤ هـ، وكلها قد تكرّرت طبعاتها وتعددت ولم أكتف بهذا بل قدّمت ما هو ضروري في هذا المجال في كتاب «العـالم الاسلامـي» وكتـاب «التـاريـخ الإسلامي» في جزأيه السابع والثامن، كما تناولت ذلك في الكتاب الذي أصدره المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول الذي عُقد في مدينة الرياض عام ١٣٩٩ هـ وهو «البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر» وقد وضع بالاشتراك مع الأخوين الكريمين الدكتور محمد السيد غلاب والدكتور

حسن عبد القادر صالح. وأعطيت فكرةً عن ذلك ليست قليلة في كتاب « تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر » والذي وضع بالاشتراك مع الأخ الكريم الدكتور اسماعيل ياغي، وقامت بنشرة مكتبة دار المريخ بالرياض.

ودعت دولة الإمبراطورية الروسية علماء لزيارة بلدها وأرتهم ما تُريد أن يزوروه، وفي أوقاتٍ أعدَّت فيها ما يُخفي الحقيقة، فأقامت مؤتمر سمرقند عام ١٣٩٤ هـ بمناسبة مرور ١٢٠٠ عام على ولادة الإمام البخاري، كما حضر بعضهم مؤتمر طاشقند الذي عُقد في شهر شعبان عام ١٣٩٩ هـ بمناسبة مرور عشر سنواتٍ على إصدار مجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي ». وعندما عاد هؤلاء وأولئك كتب بعضهم عما رأى، وما رأى إلا ما أُريد له أن يرى. كما كتب آخرون في الموضوع من خلال ما كُتب، وما نُشر، وما صدر عن وسائل الإعلام الروسية، ولعلّه من المفيد أن نذكر أشهر ما كُتب.

صدر عن دار الفكر الجديد في بيروت عام ١٤٠٠ هـ كتاب « صفحات من تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد السوفيات » بقلم الشيخ طه الولي.

وصدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٩٥ كتاب « المسلمون في المعسكر الشيوعي ». للدكتور علي المنتصر الكتاني. كما صدر عن رابطة العالم الإسلامي أيضاً « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » عام ١٤٠٠ بقلم محمد صفوت السقا الذي حضر مؤتمر سمرقند عام ١٣٩٤ مندوباً عن الرابطة.

وترجم إحسان حقي كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » لمؤلفيه « شانتال لمربيه كلكجي » و « الكسندر بينيغسن » الفرنسيين، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٣٩٧ هـ.

وصدر عن دار الشروق بجدة عام ١٤٠٣ « المسلمون في الاتحاد السوفياتي للدكتور محمد علي البار ».

وترجمت مجلة الأسبوع العربي في عددٍ من أعدادها « المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي » عن الفرنسية والذي وضعه (بينيغسن) و (لومرسييه) .

وقد رأيت أن أُسجِّل بشكلٍ موجزٍ شيئاً عن المسلمين في الإمبراطورية الروسية مُوضّحاً حقيقة الأجزاء التي تخصّ الروس وقبائلهم، ثم حربهم للمسلمين، وسيطرتهم على أمصارٍ إسلاميةٍ واسعةٍ واستعمارهم لها، وبقاء هذا الاستعمار حتّى اليوم مع حربٍ دائمةٍ للإسلام وأهله، وما يُعانيه المسلمون اليوم هناك، وما هي بلدانهم وحالتهم فيها في الوقت الحاضر ؟ وذلك كي يتبيّن القارىء حقيقة الأمر، ويُقارن بين الواقع وبين ما كتبه الناس دعايةً أو خداعاً أو جهلاً .

ونسأل الله التوفيق، وسداد الخطا، والعون في هذه المُهمّة، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لله، وأن يتقبّلها منا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرياض: غرة شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٧ هـ

محمود شاكر

الباب الأوّل

قبلَ الاستعمار الرّوسي

الفصل الأول

مواطن الروس وعاداتهم

أول ما عُرف الروس في القرون الإسلامية الأولى، وكانوا يعيشون في شرقي أوربا على شكل قبائل تنتقل في أراضٍ تزيد مساحتها على مليون كيلومتر مربع، وأشهر فروعها: الروس الكبار وهم الذي يعيشون حول موسكو في أحواض المجاري العليا لأنهار الفولغا، والدون، والدوينا، والدينيبّر، ويعدّون أصحاب السلطة الرسمية على بقية الروس، وربما من هنا جاءت تسميتهم بالكبار. والروس الصغار، وهم الأوكرانيون، ويقطنون حول مدينة « كييف » حول المجرى الأوسط لنهر الدينيبّر. والروس البيض ويُقيمون حول مدينة « منسك » عند المجرى الأعلى لنهر الدينيبّر وفروعه. ويُجاور هذه القبائل الروسية من الغرب قبائل بولونية. ومن الجنوب الغربي قبائل رومانية، ومن الجنوب قبائل من القوزاق قليلة الأعداد، وتُشكّل ديارهم السابقة الأجزاء الجنوبية من أوكرانيا اليوم، وأما الشرق والجنوب الشرقي فكانت تمتدّ أراض جرداء مُخلخلة السكان، وإن كانت تظهر تجمّعات البُلغار في الشرق عند المجرى الأعلى لنهر « الفولغا » وفروعه حول مدينة قازان، والتي كانت تُعرف باسم « بُلغار » أو تقع على مقربةٍ منها. وفي الجنوب الشرقي حول المجرى الأدنى لنهر « الفولغا » وإلى الشرق منه توجد قبائل « الخزر ». وأما الشمال فتكاد تكون المنطقة خاليةً من السكان لبرودتها وجفافها النسبي.

وعُرفت القبائل الروسية بكثرة أعدادها وتزايدها السريع، وكثيرًا ما كان تجار الرقيق يُغيرون عليها ويختطفون الأبناء، وينقلونهم إلى أسواق الرقيق حيث يبيعونهم هناك، وأحياناً أخرى ليست قليلة تعمد الأُسر لبيع أولادٍ من أسر ثانيةٍ اغتصاباً أو اختطافاً، كما أن القتال بين القبائل الروسية الكبيرة كثيراً ما ينتج عنه بيع الأسرى من كلا الطرفين، وهؤلاء الأرقاء هم الذين عُرفوا في أسواق الرقيق أو في التاريخ باسم «الصقالبة» بل إنّ هذا الاسم قد أُطلق على القبائل الروسية، وإن الرقيق الذي هو من أصل روسي لم يُطلق عليه صقلبي إلّا لأنّه يعود إلى الصقالبة الذين هُمُ الروس، وإن كان هذا يُطلق أحيانًا على من يُشبههم في اللون وهو الأبيض المائل إلى الحمرة[1]. ونتيجةً لهذا كان يُقال أحياناً: الصقالبة الروس، والصقالبة البُلغار وهكذا فالروس جزء من الصقالبة، إذ كانوا يعدّون الروس الكبار الذين حول موسكو وحدهم هم الروس، وقد جاء في معجم البلدان: الروس: أُمّة من الأُمم، بلادهم متاخمة للصقالبة والترك، ولهم لغة برأسها ودين وشريعة لا يُشاركهم فيها أحد، قال المقدسي: هم في جزيرة وبئة يُحيط بها بحيرة[2] وهي حصن لهم ممّن أرادهم، وجملتهم على التقدير مائة ألف إنسان[3]، وليس لهم زرع ولا ضرع[4]، والصقالبة[5] يُغيرون عليهم ويأخذون أموالهم، وإذا وُلد لأحدهم مولود ألقى إليه سيفاً وقال له: ليس لك إلا ما تكسبه بسيفك، وإذا حكم

(١) صَقْلَب: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، وآخره باء موحدة. قال ابن الأعرابي: الصقلاب: الرجل الأبيض، وقال أبو عمرو: الصقلاب: الرجل الأحمر. قال أبو منصور: الصقالبة: جيل حُمْرُ الألوان، صُهْبُ الشعور يُتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم. وقيل للرجل الأحمر صقلاب على التشبيه بألوان الصقالبة. وقال غيره: الصقالبة: بلاد بين بُلغار وقسطنطينية. «معجم البلدان».

(٢) محاطة منطقتهم بالأنهار وروافدها من كل جهة تقريباً، فكأنها جزيرة وسط بحيرة.

(٣) هذا التقدير لا يستند على شيء، والعدد أكبر من هذا بكثير ـ والله أعلم ـ.

(٤) هكذا كانوا يتصورون أنه لا زراعة ولا مرعى في تلك الجهات لشدة البرد.

(٥) الصقالبة: يشبهون الروس في شكلهم، فسُمُّوا باسمهم نتيجة صفتهم، وهم جيرانهم.

ملكهم بين خصمين بشيءٍ ولم يرضيا به قال لهم: تحاكما بسيفيكما، فأيّ السيفين كان أحدّ كانت الغلبة له.

كما وصفهم ابن فضلان في رسالته وصفاً مطولاً يُعطي صورةً عن طباعهم وسلوكهم وبعض عقيدتهم قال: ورأيت الروسية وقد وافوا بتجارتهم فنزلوا على نهر إتل[1] فلم أر أتمّ أبداناً منهم كأنّهم النخل شقر حمر لا يلبسون القراطق[2] ولا الخفاتين[3]، ولكن يلبس الرجل منهم كساءً يشتمل به على أحد شقّيه ويُخرج إحدى يديه منه، ومع كل واحدٍ منهم سيف وسكين وفأس لا تُفارقه، وسيوفهم صفائح مُشطّبة أفرنجية، ومن حدّ ظُفُر الواحد منهم إلى عنقه محفر شجرٍ وصور وغير ذلك، وكل امرأةٍ منهم على ثديها حُقّة مشدودة إمّا من حديدٍ وإمّا من نُحاسٍ وإمّا من فِضّةٍ وإمّا من ذهبٍ على قدر مال زوجها ومقداره، وفي كل حُقّةٍ حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي أيضاً، وفي أعناقهن أطواق ذهب وفضة لأن الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم صاغ لامرأته طوقاً وإن ملك عشرين ألفاً صاغ طوقين وكلما زاد عشرة آلاف درهم يزيد لها طوقاً آخر، فربما كان في عنق الواحدة منهن أطواق كثيرة. وأجلّ الحليّ عندهم الخرز الأخضر من الخزف الذي يكون على السُّفن يُبالغون فيه ويشترون الخرزة منه بدرهم وينظمونه عقداً لنسائهم.

وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائطٍ ولا يغتسلون من جنابةٍ كأنهم الحمير الضالة، يجيئون من بلدهم فيُرسون سفنهم بـ (إتل)، وهو نهر كبير، ويبنون على شاطئه بيوتاً كباراً من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر، ولكل واحدٍ منهم سرير يجلس عليه ومعه

---

(١) نهر إتل: نهر الفولغا.
(٢) القراطق: جمع قُرطق: قميص او معطف قصير يصل الى منتصف الجسم.
(٣) الخفاتين: جمع خفتان: وهو صدرية تحت الثياب.

جواريه الرّوقة للتجار، فينكح الواحد جاريته ورفيقه ينظر إليه، وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحالة بعضهم بحذاء بعض، وربما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جاريةً فيُصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه. ولا بدّ لهم في كل يومٍ بالغداة أن تأتي الجارية ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتُقدّمها إلى مولاها فيغسل فيها وجهه ويديه وشعر رأسه، فيغسله ويسرّحه بالمشط في القصعة ثم يمتخط ويبصُق فيها ولا يدع شيئًا من القذر إلّا فعله في ذلك الماء فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي يليه فيفعل مثل ما فعل صاحبه، ولا تزال ترفعها من واحدٍ إلى واحدٍ حتى تديرها على جميع من في البيت، وكل واحدٍ يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها. وساعة موافاة سفنهم إلى هذا المرسي يخرج كل واحدٍ منهم ومعه خبز ولحم ولبن وبصل ونبيذ حتى يوافي خشبةً طويلةً منصوبةً لها وجه يُشبه وجه الإنسان وحولها صور صغار وخلف تلك الصور خشب طوال قد نُصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول: يا رب قد جئت من بُعْدٍ ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً ومن السمّور كذا وكذا جلداً، حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول: وقد جئتك بهذه الهدية، ثم يترك ما معه بين يدي الخشبة ويقول: أُريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم فيشتري مني كل ما أُريد ولا يُخالفني في جميع ما أقول، ثم ينصرف، فإن تعسّر عليه بيعه وطالت أيامه عاد بهديةٍ أُخرى ثانيةً وثالثةً، فإنّ تعذّر عليه ما يُريد حمل إلى صورةٍ من تلك الصور الصغار هديةً وسألها الشفاعة وقال: هؤلاء نساء ربنا وبناته، ولا يزال من صورةٍ إلى صورةٍ يسألها ويستشفع بها ويتضرّع بين يديها فربما تَسهَّل له البيع فباع فيقول: قد قضى ربي حاجتي واحتاج أن أُكافئه، فيعمد إلى عدّةٍ من البقر والغنم على ذلك ويقتلها ويتصدّق ببعض اللحم ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها ويعلّق رؤوس البقر والغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض، فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت ذلك فيقول الذي فعله: قد

رضي عني ربي وأكل هديتي. وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمةً نـائيـة عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يُكلّمونه بل لا يتعاهدونه في كل أيامه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً، فإن برىء وقام رجع إليهم، وإن مات أحرقوه، وإن كان مملوكاً تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير، وإذا أصابوا سارقاً أو لصّاً جاؤوا به إلى شجرةٍ طويلةٍ غليظةٍ وشدّوا في عنقه حبلاً وثيقاً وعلّقوه فيها ويبقى مُعلّقاً حتى ينقطع من المكث إما بالرياح أو الأمطار، وكان يُقال لي، إنهم كانوا يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلّها الحرق، فكنت أحبّ أن أقف على ذلك حتى بلغني موت رجلٍ منهم جليل فجعلوه في قبره وسقّفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها، وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينةً صغيرةً ويجعلونه فيها ويحرقونها، والغني يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة أثلاثٍ: فثلث لاهله، وثلث يقطعون لـه بـه ثيـابـاً، وثلـث يشترون به نبيذاً يشربونه يوم تَقْتُلُ جاريته نفسها وتُحرق مع مولاها، وهم مستهترون بالخمر يشربونها ليلاً ونهاراً، وربما مات الواحد منهم والقدح في يده، وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه: من منكم يموت معه؟ فيقول بعضهم: أنا، فإذا قال ذلك وجب عليه لا يستوي له أن يرجع أبداً، ولو أراد ذلك ما تُرك، وأكثر ما يفعل هذا الجواري. فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره، قالوا لجواريه: من يموت معه؟ قالت إحداهُنّ: أنا، فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث ما سلكت حتى إنهما ربما غسّلتا رجليها بأيديهما، وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له، وإصلاح ما يحتاج إليه، والجارية في كل يوم تشرب وتُغنّي فارحةً مُستبشرةً، فلمّا كان اليوم الذي يُحرق فيه هو والجارية حضر إلى النهر الذي فيه سفينته فإذا هي قد أُخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخلنج وغيره وجعل حولها أيضاً مثل الأناس الكبار من الخشب ثم مُدّت حتى جُعلت على ذلك الخشب وأقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلّمون بكلامٍ لا أفهمه وهو بعد في قبره لم يخرجوه ثم

جاؤوا بسريرٍ فجعلوه على السفينة وغشّوه بـالمضرّبـات[1] الديبـاج الرومـي والمساند الديباج الرومي ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ففرشت على السرير الذي ذكرناه، وهي وُلّيت خيـاطتـه وإصلاحـه، وهـي تقتـل الجواري، ورأيتها حواء نيّرة ضخمة مُكفهرّة، فلما وافوا قبره نحّوا التراب عن الخشب ونحّوا الخشب واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه فرأيته قد اسودّ لـبرد البلد، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً وفاكهةً وطنبوراً فأخرجوا جميع ذلك وإذا هو لم يتغيّر منه شيء غير لونه، فألبسوه سراويل ورانًا وخفًّا وقرطقاً وخفتان ديباج له أزرار ذهب، وجعلوا على رأسه قلنسوة من ديباج سمور، وحملوه حتى أدخلوه القُبّة التي على السفينة، وأجلسوه على المضرّبة، وأسندوه بالمساند وجاؤوا بالنبيذ والفواكه والريحان فجعلوه معه، وجاؤوا بخبزٍ ولحمٍ وبصلٍ فطرحوه بين يديه، وجاؤوا بكلبٍ فقطعوه نصفين وألقوه في السفينة، ثم جاؤوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه، ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا، ثم قطّعوهما بالسيوف، وألقوا لحمهما في السفينة، ثم جاؤوا ببقرتين فقطّعوهما أيضاً، وألقوهما في السفينة، ثم أحضروا ديكاً ودجاجةً فقتلوهما وطرحوهما فيها، والجارية التي ستُقتل ذاهبةً وجائيةً تدخل قُبّةً قبّةً من قبابهم فيُجامعها واحد واحد، وكل واحد يقول لها: قولي لمولاك إنما فعلت هذا من محبتك، فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاؤوا بالجارية إلى شيءٍ عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجلها على أكفّ الرجال وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلامٍ لها، فأنزلوها ثم أصعدوها ثانيةً ففعلت كفعلها في المرة الأولى ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثةً ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا لها دجاجةً فقطعت رأسها ورمت به فأخذوا الدجاجة وألقوا بها في السفينة، فسألت الترجمان عن فعلها فقال: قالت في المرة الأولى: هوذا أرى أبي وأمي، وقالت في المرة الثانية: هوذا أرى جميع قرابتي الموتى قعوداً،

(١) المضرّبات: نوع من المساند.

وقالت في المرة الثالثة: هوذا أرى مولاي قاعداً في الجنّة والجنّة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي إليه، فمرّوا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا معها فدفعتهما إلى المرأة العجوز التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها، ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما إلى الجارتين اللتين كانتا تخدمانها، وهما ابنتا المعروفة بملك الموت، ثم أصعدوها إلى السفينة ولم يُدخلوها إلى القُبّة، وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ودفعوا إليها قدحاً من نبيذٍ فغنّت عليه وشربته، فقال لي الترجمان: إنها تُودِّع صواحباتها بذلك، ثم دُفع إليها قدح آخر فأخذته وطوّلت الغناء والعجوز تستحثّها على شربه والدخول إلى القُبّة التي فيها مولاها، فرأيتها وقد تبلّدت وأرادت الدخول إلى القبّة فأدخلت رأسها بين القُبّة والسفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القُبّة ودخلت معها العجوز وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يُسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري فلا يطلبن الموت مع مواليهن، ثم دخل القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جنب مولاها الميت، وأمسك اثنان رجليها، واثنان يديها وجعلت العجوز التي تُسمّى ملك الموت في عنقها حبلاً مُخالفاً، ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها خنجر عظيم عريض النصل فأقبلت تُدخله بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتُخرجه، والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت، ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبةً فأشعلها بالنار، ثم مشى القهقري نحو قفاه إلى السفينة، والخشبة في يده الواحدة ويده الأُخرى على استه، وهو عريان، حتى أحرق ذلك الخشب الذي قد عبوه تحت السفينة من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها، ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحدٍ خشبة وقد ألهب رأسها فيُلقيها في ذلك الخشب، فتأخذ النار في الحطب، ثم في السفينة، ثم في القبة، والرجل والجارية وجميع ما فيها، ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتدّ لهب النار واضطرم تسعُّرها، وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يُكلّم الترجمان الذي معي، فسألته عما قال له، فقال: إنه يقول أنتم معشر العرب

حمقى لأنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب فتأكله الهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته، ثم ضحك ضحكاً مُفرطاً وقال: من محبّة ربّه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعته، فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والرجل الميت والجارية رماداً رِمْدِداً، ثم بنوا على موضع السفينة، وكانوا أخرجوها من النهر، شبيهاً بالتل المدوّر ونصبوا في وسطه خشبةً كبيرةً، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا.

قال: ومن رسم ملوك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده فهم يموتون بموته ويُقتلون دونه، ومع كل واحدٍ منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه وتصنع له ما يأكل ويشرب وجارية أخرى يطؤها، وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره، وسريره عظيم مُرصّع بنفيس الجواهر، ويجلس معه على السرير أربعون جاريةً لفراشه، وربما وطىء الواحدة منهن بحضرة أصحابه الذين ذكرنا، ولا ينزل عن سريره، فإذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت، وإذا أراد الركوب قدّموا دابته إلى سريره فركبها منه، وإذا أراد النزول قدّم دابته حتى يكون نزوله عليه، وله خليفة يسوس الجيوش ويواقع الأعداء، ويخلفه في رعيته[1].

هذه العادات السيئة والخرافات التي كانت سائدةً يومذاك عند الروس، وربما لا يزال أثرها عند بعضهم حتى الآن إذ لا يخجل أحدهم من وطء المرأة أمام أقرانه.

---

(١) رسالة ابن فضلان.

الفصل الثاني

اعتناق الرّوس للنصْرانيّة

كانت القبائل الروسية كلها على الوثنية في بداية أمرها، وقد انتشرت الديانات الأخرى في المناطق المجاورة لها. فقد كان الروم في القسطنطينية نصارى أرثوذكس، واعتنق الخزر الديانة اليهودية عند المجرى الأسفل لنهر الفولغا، كما انتشر الإسلام في بلاد البُلغار من جهة الشرق، وكان الإسلام قد وصل إلى تلك الجهات عن طريق تُجّار الفِراء الذين كانوا يرحلون إلى تلك الأصقاع الشمالية.

وليس كل سكان منطقة الخزر من اليهود بل هم أقلّهم والمسلمون والنصارى بين السكان أكثر من الخزر اليهود، وكذلك الوثنيون، كما أن البُلغار ليسوا جميعهم من المسلمين، وإنّما هم أقلية، والحاكم منهم، والأكثرية لا يزالون على الوثنية، وقد مرّ ابن فضلان برحلته إلى كلتا الدارين، فذكر شيئاً عن أوضاعها، وفي الأصل هو مبتعث من الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك البُلغار. ولما كانت المنطقتان اليوم من الأجزاء التي يُسيطر عليها الروس فأرى من الفائدة ذكر بعض وصفه لتلك الجهات.

قال ابن فضلان عن بلاد الخزر، الخزر اسم إقليم من قصبة تُسمّى « إتِل » و « إتِل » اسم لنهرٍ يجري إلى الخزر من الروس وبُلغار، وإتِل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة، والإتل قطعتان: قطعة على غربي هذا النهر المسمى

إتل وهي أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن الغربي منهما، ويُسمّى الملك بلسانهم «يَلك» ويُسمّى أيضاً «باك»، وهذه القطعة الغربية مقدارها في الطول نحو فرسخ، ويُحيط بها سور إلّا أنه مُفترش البناء، وأبنيتهم خركاهات لبود إلّا شيء يسير بني من طين، ولهم أسواق وحمّامات، وفيها خلق كثير من المسلمين يقال: إنهم يزيدون على عشرة آلاف مُسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجداً، وقصر الملك بعيد من شطّ النهر، وقصره من آجُرّ وليس لأحدٍ بناء من آجُرّ غيره، ولا يُمكّن الملك أن يبني بالآجر غيره، ولهذا السور أربعة أبوابٍ: أحدها يلي النهر وآخرها يلي الصحراء على ظهر هذه المدينة، وملكهم يهوديّ، ويُقال: إنّ له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجلٍ، والخزر[1] مسلمون، ونصارى، وفيهم عبدة الأوثان، وأقلّ الفِرق هناك اليهود على أن الملك منهم، وأكثرهم المسلمون والنصارى إلّا أن الملك وخاصته يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم، وأحكام مصرهم على رسومٍ مخالفةٍ للمسلمين واليهود والنصارى، وجريدة جيش الملك اثنا عشر ألف رجل، فإذا مات منهم رجل أُقيم غيره مقامه، فلا تنقص هذه العدّة أبداً، وليست لهم جراية دائرة إلا شيء نزريسير يصل إليهم في المدة البعيدة إذا كان لهم حرب أو حَزَبَهم أمر عظيم يجمعون له. وأما أبواب أموال صلات الخزر فمن الأرصاد وعشور التجارات على رسومٍ لهم من كل طريقٍ وبحرٍ ونهرٍ، ولهم وظائف على أهل المحالّ والنواحي من كل صنفٍ مما يُحتاج إليه من طعامٍ وشرابٍ وغير ذلك، وللملك تسعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان، إذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه وإنّما يصل إليه هؤلاء الحُكّام، وبين هؤلاء الحُكّام وبين الملك يوم القضاء سفير يُراسلونه فيما يجري من الأمور يُنهون إليه ويردّ عليهم أمره ويمضونه.

---

(١) يقصد سكان منطقة الخزر.

وليس لهذه المدينة قرى إلّا أن مزارعهم مفترشة، يخرجون في الصيف إلى المزارع نحواً من عشرين فرسخاً فيزرعون ويجمعون إذا أدرك بعضه إلى النهر وبعضه إلى الصحاري فيحملونه على العجل والنهر، والغالب على قوتهم الأرُزّ والسمك وعدا ذلك مما يوجد عندهم يحمل إليهم من الروس وبُلغار وكويابه، والنصف الشرقي من مدينة الخزر فيه معظم التّجار، والمسلمون، والمتاجر، ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية ولا يُشاركه لسان فريق من الأمم، والخزر لا يُشبهون الأتراك، وهم سود الشعور، وهم صنفان: صنف يسمى قراخوز، وهم سمر يضربون لشدّة السمرة إلى السواد كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهرو الجمال والحسن، والذي يقع من رقيق الخزر وهم أهل الأوثان الذين يستجيزون بيع أولادهم واسترقاق بعضهم لبعض، فأمّا اليهود والنصارى فإنهم يدينون بتحريم استرقاق بعضهم لبعض مثل المسلمين.

وبلد الخزر لا يُجلب منه إلى البلاد شيء، وكل ما يرتفع منه إنما هو مجلوب إليه مثل الدقيق والعسل والشمع والخزّ والأوبار[1]. وأما ملك الخزر فاسمه خاقان، وإنه لا يظهر إلّا في كلّ أربعة أشهرٍ مُتنزهاً، ويُقال له خاقان الكبير ويُقال لخليفته خاقان به، وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ويُدبّر أمر المملكة ويقوم بها، ويظهر ويغزو وتُذعن له الملوك الذين يُصاقبونه، ويدخل في كل يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الإخبات والسكينة، ولا يدخل عليه إلّا حافياً وبيده حطب، فإذا سلّم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب فإذا فرغ من الوقود جلس مع الملك على سريره عن يمينه، ويخلفه رجل يُقال له «كندرخاقان» ويخلف هذا أيضاً رجل يُقال له «جاويشغر»، ورسم الملك الأكبر أن لا يجلس للناس ولا يُكلّمهم ولا يدخل عليه أحد غير من ذكرنا. والولايات في الحلّ والعقد والعقوبات وتدبير المملكة على خليفته خاقان به،

---

(١) معجم البلدان: ويبدو أن ياقوت قد أخذ هذا من الاصطخري ٢٢٠ - ٢٢٤ ومن ابن حوقل ٢/٣٨٩ ولم يرد هذا في رسالة ابن فضلان التي بين أيدينا.

ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يُبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتاً، ويُحفر له في كل بيت منها قبر وتُكسّر الحجارة حتى تصير مثل الكُحل وتُفرش فيه وتُطرح النورة [1] فوق ذلك، وتحت الدار نهر والنهر نهر كبير يجري، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ويقولون حتى لا يصل إليه شيطان، ولا إنسان، ولا دود ولا هوام، وإذا دُفن ضُربت أعناق الذين يدفنونه حتى لا يُدرى أين قبره من تلك البيوت، ويُسمّى قبره الجنّة، ويقولون: قد دخل الجنّة، وتُفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب.

ورسم ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأةً، كل امرأةٍ منهن ابنة ملكٍ من الملوك الذين يُحاذونه يأخذها طوعاً أو كرهاً، وله من الجواري السراري لفراشه ستون، ما منهن إلّا فائقة الجمال، وكل واحدةٍ من الحرائر والسراري في قصرٍ مُفردٍ لها قُبّة مُغشّاة بالساج، وحول كل قُبّةٍ مضرب، ولكل واحدةٍ منهن خادم يحجبها، فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى يجعلها في فراشه ويقف الخادم على باب قُبّة الملك، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظةً واحدةً. وإذا ركب هذا الملك الكبير ركب معه سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين المواكب ميل، فلا يراه أحد من رعيته إلّا خرَّ لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه، ومدة ملكهم أربعون سنةً، إذا جاوزها يوماً واحداً قتلته الرعية وخاصّته وقالوا: هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه. وإذا بعث سريةً لم تولّ الدُّبُرَ بوجهٍ ولا بسببٍ، فإن انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها، فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم، وهم ينظرون، وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودُورهم، وربما قطّع كل واحدٍ منهم قطعتين

---

(١) النورة: حجر الكلس.

وصلبهم، وربما علّقهم بأعناقهم في الشجر، وربما جعلهم ـ إذا أحسن إليهم ـ ساسةً.

وللملك الخزر مدينة عظيمة على نهر «إتِل»، وهي جانبان: في أحد الجانبين المسلمون، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه، وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يُقال له خزّ، وهو مسلم، وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة إلى ذلك الغلام المسلم، ولا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره، وللمسلمين في هذه المدينة مسجد جامع يُصلّون فيه الصلاة ويحضرون فيه أيام الجمع، وفيه منارة عالية وعدّة مُؤذّنين، فلما اتصل بملك الخزر في سنة ٣١٠ أن المسلمين هدموا الكنيسة التي كانت في دار البابونج أمر بالمنارة فهُدَمت وقتل المؤذنين وقال: لولا أني أخاف أن لا يبقى في بلاد الإسلام كنيسة إلّا هُدّمت لهدمت المسجد. والخزر وملكهم كلهم يهود، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته، ويُخاطبهم بالعبودية، ويدينون له بالطاعة، وقد ذهب بعضهم إلى أن يأجوج ومأجوج هم الخزر(١).

وقد انتشر الإسلام في منطقة الخزر عن طريق إمارة طارقي الشامية في شمال بلاد داغستان والتي أسسها القوموق أشهر القبائل الداغستانية في القرن الأول الهجري. وشكل طبيعي أن ينتشر الإسلام بسرعةٍ نتيجة موافقته للفطرة البشرية ونتيجة انتشار هذه الخرافات والأساطير والظلم التي رأينا جانباً منها عند تلك الأمم من غير المسلمين.

أما البُلغار فهم مجموعة قبائل تعرف مدينتهم باسمهم ويُشبهون الصقالبة من حيث اللون، وقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ما يلي: بُلغار(٢): بالضمّ، والغين معجمة: مدينة الصقالبة، ضاربة في الشمال، شديدة البرد لا

---

(١) رسالة ابن فضلان ومعجم البلدان.

(٢) بلغار: موقع مدينة قازان اليوم.

يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفاً ولا شتاءً وقلّ ما يرى أهلها أرضاً ناشفةً، وبناؤهم بالخشب وحده، وهو أن يركبوا عوداً فوق عودٍ ويُسمّروها بأوتادٍ من خشبٍ أيضاً محكمة، والفواكه والخيرات بأرضهم لا تنجب، بين إتل مدينة الخزر وبُلغار عن طريق المفاوز نحو شهر، ويُصعد إليها في نهر إتل نحو شهرين وفي الحدور نحو عشرين يوماً، ومن بُلغار إلى أول حدّ الروم نحو عشر مراحل، ومنها إلى كُويابة[1] مدينة الروس عشرون يوماً، ومن بُلغار إلى بَشْجِرد[2] خمس وعشرون مرحلة، وكان ملك بُلغار وأهلها قد أسلموا في أيام المقتدر بالله وأرسلوا إلى بغداد رسولًا يُعرّفون المقتدر[3] ذلك ويسألونه إنفاذ من يُعلّمهم الصلوات والشرائع، لكن لم أقف على السبب في إسلامهم[4].

ويقول ابن فضلان: لما وصل كتاب (ألمس بن شلكي بلطوار) ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله يسأله فيه أن يبعث إليه من يُفقّهه في الدين ويُعرّفه شرائع الإسلام ويبني له مسجداً وينصب له منبراً ليُقيم عليه الدعوة في جميع بلده وأقطار مملكته ويسأله بناء حصنٍ يتحصّن فيه من الملوك المُخالفين له، فأُجيب إلى ذلك، وكان السفير له نذير الحزمي[5]، فبدأت

---

(١) كويابة: يبدو أنها موقع موسكو اليوم.

(٢) بشجرد: الباشغرد قبيلة تقيم شرق بلغار، ومدينتهم اليوم (أوفا).

(٣) المقتدر: المقتدر بالله الخليفة العباسي جعفر بن أحمد المعتضد تولّى الخلافة ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ.

(٤) يبدو أن سبب إسلام بُلغار التجار الذين كانوا يفدون إلى تلك الجهات للتجارة بالفرو، وأثناء دخولهم على الملك عرفّوه ديانتهم فأُعجب بها، ووجد الفرق كبيراً بينها وبين الخرافات التي تسود مجتمعه، وكيف لا يكون فرق والإسلام من عندالله خالق البشر، وما يسود المجتمع البُلغاري خرافات صاغتها أهواء البشر؟.

(٥) نذير الحزمي: يبدو أنه كان أحد كبار التجار المسلمين الذين وفدوا على ملك البلغار وحدثوه في شأن الإسلام، وكان الملك قد سُرّ بحديثه وأُعجب ببيانه فأرسله إلى الخليفة العباسي كسفير له رغم أنه من المسلمين ومن رعايا العباسيين.

أنا بقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أُهدي إليه والأشراف من الفقهاء والمعلّمين، وكان الرسول من جهة السلطان سوسن الرسي[1] مولى نذير الحزمي، قال: فرحلنا من مدينة السلام[2] لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٩، ثم ذكر ما مرّ له في الطريق إلى خُوارزم ثم منها إلى بلاد الصقالبة ما يطول شرحه، ثم قال: فلما كُنّا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة وجّه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يديه وإخوته وأولاده، فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاوَرْس، وساروا معنا، فلما صرنا منه على فرسخين تلقّانا هو بنفسه فلما رآنا نزل فخرّ ساجداً شكراً لله، وكان في كُمّه دراهم فنثرها علينا، ونصب لنا قبابًا فنزلناها، وكان وصولنا إليه يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٠. وكانت المسافة من الجرجانية، وهي مدينة خُوارزم، سبعين يوماً، فأقمنا إلى يوم الأربعاء بالقباب التي ضربت لنا حتى اجتمع ملوك أرضه وخواصّه ليسمعوا قراءة الكتاب، فلمّا كان يوم الخميس نشرنا المِطردَين[3] اللذين كانا معنا وأسرجنا الدابة بالسرج الموجّه إليه، وألبسناه السواد وعمّمناه وأخرجت كتاب الخليفة فقرأته وهو قائم على قدميه ثم قرأت كتاب الوزير حامد بن العباس وهو قائم أيضاً، وكان بديناً، فنثر أصحابه علينا الدراهم، وأخرجنا الهدايا وعرضناها عليه، ثم خلعنا على امرأته وكانت جالسةً إلى جانبه، وهذه سنتهم ودأبهم، ثم وجّه إلينا فحضرنا قبّته وعنده الملوك عن يمينه وأمرنا أن نجلس على يساره، وأولاده جلوس بين يديه، وهو وحده على سرير مُغشّى بالديباج الرومي،

---

(١) سوسن الرسي: يبدو أنه كان رئيس الوفد العباسي إلى ملك البلغار على الرغم من أن المصادر تُشير كلها إلى ابن فضلان، ويبدو أن ذلك كان بسبب رسالة ابن فضلان التي خلّفها لنا وبسبب مكانة ابن فضلان، فهو القائد العباسي المشهور الذي أعاد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية وقضى على الطولونيين فيها.

(٢) مدينة السلام: بغداد.

(٣) المطردين: مثنى مطرد وهو اللواء.

فدعا بالمائدة فقُدّمت إليه وعليها لحم مشوي، فابتدأ الملك وأخذ سكيناً وقطع لقمةً فأكلها وثانيةً وثالثةً ثم قطع قطعةً فدفعها إلى سوسن الرسول فلما تناولها جاءته مائدة صغيرة فجُعلت بين يديه، وكذلك رسمهم لا يمُدُّ أحد يده إلى أكلٍ حتى يُناوله الملك فإذا تناولها جاءته مائدة، ثم قطع قطعةً وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة، ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة وكذلك حتى قُدّم إلى كل واحدٍ من الذين بين يديه مائدة، وأكل كل واحدٍ منا من مائدةٍ لا يُشاركه أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً، فإذا فرغ من الأكل حمل كل واحدٍ منا ما بقي من مائدته إلى منزله. فلمّا فرغنا دعا بشراب العسل، وهم يُسمّونه «السجو» فشرب وشربنا. وقد كان يُخطب له قبل قدومنا: اللهم أصلح الملك بلطوار ملك بُلغار، فقلت له: إن الله هو الملك ولا يجوز أن يُخطب بهذا لأحد سيما على المنابر، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد وصّى لنفسه أن يُقال على منابره في الشرق والغرب: اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفراً الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين، فقال: كيف يجوز أن يُقال؟ فقلت: يُذكر اسمك واسم أبيك، فقال: إن أبي كان كافراً وأنا أيضاً ما أحبّ أن يذكر اسمي إذ كان الذي سمّاني به كافراً، ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين؟ فقلت: جعفر، قال: فيجوز أن أتسمّى باسمه؟ قلت: نعم، فقال: قد جعلت اسمي جعفراً واسم أبي عبدالله، وتقدّم إلى الخطيب بذلك، فكان يخطب: اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبدالله أمير بُلغار مولى أمير المؤمنين؛ قال: ورأيت في بلده من العجائب ما لا أحصيها كثرةً، من ذلك أن أول ليلةٍ بتناها في بلدة رأيت قبل مغيب الشمس بساعة أُفق السماء وقد احمرّ احمراراً شديداً وسمعت في الجو أصواتاً عاليةً وهمهمة فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني، فإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال الناس والدواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه قِسيّ ورماح وسيوف، وأتبيّنها وأتخيّلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها رجالاً أيضاً وسلاحاً ودوابّ، فأقبلت هذه القطعة على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة،

ففزعنا من هذه وأقبلنا على التضرُّع والدعاء، وأهل البلد يضحكون منا ويتعجّبون من فعلنا، قال: وكنا ننظر إلى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعاً ساعة ثم تفترقان، فما زال الأمر كذلك إلى قطعةٍ من الليل ثم غابتا، فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون هؤلاء من مؤمني الجنّ وكفّارهم يقتتلون كل عشيةٍ، وأنهم ما عدموا هذا منذ كانوا في كل ليلةٍ[1].

ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتي لنتحدّث، فتحدّثنا بمقدار ما يقرّ الإنسان نصف ساعةٍ ونحن ننتظر أذان العشاء، فإذا بالأذان فخرجنا بالقبة وقد طلع الفجر، فقلت للمؤذن: أي شيءٍ أذّنت؟ قال: الفجر: قلت: فعشاء الأخيرة؟ قال نُصلّيها مع المغرب، قلت: فالليل؟ قال: كما ترى وقد كان أقصر من هذا وقد أخذ الآن في الطول، وذكر أنه منذ شهر ما نام الليل خوفاً من أن تفوته صلاة الصبح، وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار ثم يصلّي الغداة وما آن لها أن تنضج، ورأيت النهار عندهم طويلاً جداً، وإذا أنه يطول عندهم مرّةً من السنة، ويقصُر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، فلما كانت الليلة الثانية جلست فلم أر فيها من الكواكب إلا عدداً يسيراً ظننت أنّها فوق الخمسة عشر كوكباً متفرقةً، وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتةً، وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم، والقمر إنما يطلع في أرجاء السماء ساعة ثم يطلع الفجر فيغيب القمر. وحدثني الملك أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوماً يقال لهم: (وِيسو) الليل عندهم أقل من ساعة. ورأيت البلد عند طلوع الشمس يحمر كل شيء فيه من الأرض والجبال، وكل شيءٍ ينظر الإنسان إليه حين تطلع الشمس كأنها غمامة كبرى فلا تزال الحمرة كذلك حتى تتكبّد

---

(١) هذه ظلال الغيوم المختلفة الكثافة لاختلاف كمية بخار الماء فيها، وتظهر بين الأشعة كأنها تتحرّك بسرعة وتتموج، وتلتقي بغيوم أخرى مختلفة الشحنة الكهربائية فتحدث الأصوات التي هي نوع من الرعد، وهذا لا يوجد مثله في المناطق ذات العروض الدنيا، لذا فقد وجدوا فيها عجباً وبسبب الشفق تبدو حمراء.

السماء[1] . وعرّفني أهل البلد أنه إذا كان الشتاء عاد الليل في طول النهار وعاد النهار في قصر الليل، حتى إن الرجل منا ليخرج إلى نهر يُقال له « إتل » بيننا وبينه أقل من مسافة فرسخ وقت الفجر فلا يبلغه إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء، ورأيتهم يتبّركون بعواء الكلب جداً ويقولون: تأتي عليهم سنة خصبٍ وبركةٍ وسلامةٍ[2] .

كانت توجد إذن ثلاث مناطق في تلك الجهات وهي:

١ً ـ منطقة الخزر ويحكمها اليهود، ويعيش بينهم مسلمون، ونصارى، ووثنيون، وكل فرقةٍ أكثر من اليهود عدداً ولكنهم جميعاً يدينون لليهود الخزر بالطاعة.

٢ً ـ منطقة بُلغار ويحكمها مسلمون اعتنقوا الإسلام حديثاً، وبقي عدد منهم على الديانة الوثنية.

٣ً ـ منطقة الروس وسكانها من الروس ولا يزالون جميعهم على الوثنية.

كان الروس الوثنيون مجالاً للصراع لكسبهم إلى إحدى الديانتين اللتين يدين بها حكام الخزر وهم اليهود وحكام بلغار وهم المسلمون، وكما فشل البلغار في كسب الروس إلى الإسلام كذلك فشل اليهود في إدخالهم في دينهم، كما أن النصرانية من جهات الرومان قد أدلت بدلوها مع ملك الروس (فلاديمير)، وأمام هذا الصراع جمع فلاديمير وجهاء قومه،

---

(١) تقع بلغار على خط عرض ٥٦ شمالاً، أي في العروض العليا. ومن المعلوم أنه كلما ابتعدنا عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً يزداد الاختلاف بين طول النهار والليل، بينما يكادان يتساويان في المنطقة الاستوائية. وفي نصف الكرة الشمالي يزداد طول النهار صيفاً ويقصر طول الليل حتى لا يزيد الليل على ساعة واحدة في الدائرة القطبية وبعدها في القطب يصبح النهار ستة أشهر والليل مثله. أما في خط عرض بلغار فيكاد الليل لا يزيد طوله على ست ساعات ولكن يبقى النور واضحاً والشفق دائماً، كما ذكر ابن فضلان تقريباً.

(٢) هذا اختصار لما جاء في رسالة ابن فضلان ويكاد يتفق مع ما أخذه ياقوت عنه.

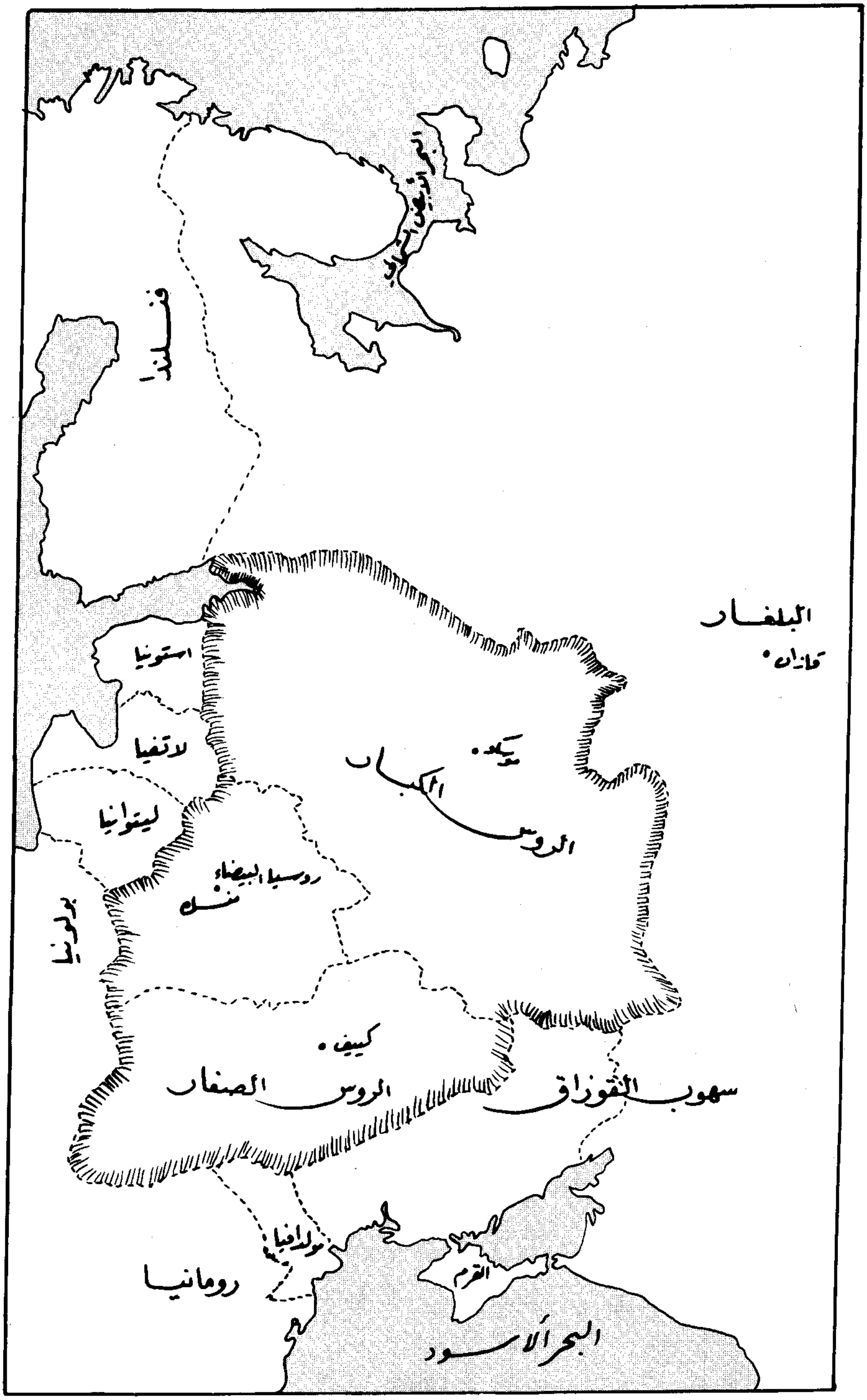
واستنصحهم في هذه التيارات الدينية، فأجابوه: أيها الأمير إن كل امرىء يمتدح ديانته فإذا أردت أن تختار أحسنها فابعث برجالٍ عقلاء إلى البلاد المختلفة ليكشفوا لك أيّة أُمّةٍ من الأمم تُعظّم الله بالطريقة المثلى التي تليق بمقامه الأسمى.

اختار (فلاديمير) لهذا الغرض عشرة رجال اشتهروا بالرأي والحكمة، فوجدوا أن بلاد البُلغار لا تزال فيها أماكن حقيرة المظهر حيث لا يزال الإسلام فيهم حديث العهد، ولم يُطبّق النظام الإسلامي بعد بصورةٍ كاملةٍ. (والإسلام ليس مجرد عبادةٍ وشعائر تُؤدّى وإنما هو نظام يشمل جوانب الحياة كلها يبدأ بالنظافة ويصل إلى الحكم) وكذلك لم يُسرّ رجال الروس في بلاد الخزر فالمستنقعات والبيئة القذرة وروائح بقايا الأسماك و... ولكنهم سُرّوا بالقسطنطينية، وما بها من فخامة البناء وعظمة الإشادة في كنيسة (أيا صوفيا) وملابس رجال الدين الجميلة المتميزة، وروائح البخور المنبعثة من داخل الكنيسة، ولم يعرفواهم هذا من قبل إذ لم يرتقوا بعد في سلم الحضارة، ولم يفهموا معنى العبادة والإخلاص فيها والتوحيد، فنقلوا انطباعاتهم إلى ملكهم (فلاديمير)، فتحوّل إلى النصرانية وجهر بها عام ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) ديانةً له، وتبعه قومه، وهكذا أصبحت النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عقيدة الروس، وبدأت تترسّخ في النفوس، على حين بقيت القبائل غير الروسية وثنيةً تتنقّل في شرق مواطن الروس وتخضع للقبائل التي أصبحت نصرانيةً أرثوذكسيةً.

وبعد مدةٍ ضعُفت دولة الخزر وقلّ شأن سكانها.. كما أن دولة البُلغار قد هاجر كثير من قبائلها، واتجهوا نحو الجنوب الغربي ويمّموا شطرهم نحو جنوب شرقي أوربا، فاستقرّ البلغار في الموضع الذي تقوم فيه دولة بلغاريا اليوم، واستوطن البوشناق في غربي يوغوسلافيا، في بلاد البوسنة. وأقامت قبائل الكومان في ترانسلفانيا (جهات رومانيا) حيث أقام البوشناق أول

أمرهم قبل أن يرتحلوا إلى البوسنة، وأقامت بعض قبائل (الباشغرد) في المجر. وقد بقيت قبائل من الباشغرد في مواطنها في حوض نهر الفولغا، وهي التي تعرف اليوم باسم (الباشكير) أو الباشغرد وعاصمتهم مدينة (أُوفا) المعروفة، وبصورةٍ عامةٍ ضعُفت دولة بُلغار، وإن كان هذا الانتقال قد بدأ منذ السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م).

وهكذا أصبح شرقي أوربا منطقةً قليلة السكان أو شبه فارغةٍ على حين تزدحم المواطن الروسية بأهلها، وأصبح شرقي أوربا مجالاً للاستيطان، حيث يأتي التتار ويستقرّون فيه، بعد انتصارهم على أهله ودُوَلهم الضعيفة.


البلغـــار
قازان
فنلندا
استونيا
لاتفيا
ليتوانيا
موسكو
الروس الكبار
روسيا البيضاء
منسك
بولونيا
كييف
الروس الصغار
سهوب القوزاق
مولدافيا
رومانيــا
القرم
البحر الأســود

الفصل الثالث

التتار في شرقي أوروبا

قوي أمر قبائل التتار في شرق ديار الإسلام في مطلع القرن السابع الهجري، إذ بدأت هذه القبائل تجمع نفسها وتتحرّك يميناً ويساراً، وبدت إمكاناتها القتالية الكبيرة، إذ كانت قدرتها على الحركة عظيمةً، وأفرادها من البدو الذين لا يعرفون الخوف، ويندفعون وراء معيشتهم. في هذا الوقت كانت آخر فلول الصليبيين ترحل عن بلاد الشام من ديار الإسلام، وقد خشي الصليبيون أن يُسلم التتار باحتكاكهم مع المسلمين كما سبق أن أسلم بعض أبناء أرومتهم من الترك، من تركمانٍ وغزٍّ وسلاجقةٍ. وإذا حدث هذا فإن الحيوية ستعود إلى القوة الإسلامية ولن تؤول في النهاية إلّا على النصارى، كما حدث عندما أسلم السلاجقة واصطدموا مع النصارى البيزنطيين عام ٤٦٣ فانتصروا عليهم انتصاراً حاسماً في معركة ملاذكرت والتي كان الجيش النصراني يزيد على مائتي ألف مُقاتل على حين كان الجيش المسلم لا يزيد على عشرين ألف مُحارب، وقد أُسر الأمبراطور البيزنطي نفسه وأكثر قواده وبطارقته، وقد فدى السلطان أسيره الامبراطور (ديوجنيس رومانوس) واطلق سراحه مع جماعةٍ من أمرائه وقواده بشرط أن يُطلق سراح كل أسيرٍ مسلمٍ بيد الروم، وأن يُرسل إليه عساكر الروم وقت طلبها. ويخشى الصليبيون على أوربا نفسها إذا ما أسلم التتار، لذا كان على الصليبيين أن يعملوا دون إسلام التتار بالدرجة الأولى، وبعدئذٍ يعملون لدى التتار ليشنّوا

حرباً على المسلمين، فيقع المسلمون آنئذٍ بين نارين نار التتار في الشرق ونار الصليبيين التي تُسعر من جديد من الغرب. ومن هذا المنطلق فقد أرسل الصليبيون الرسل للتتار، وأغروهم بديار الإسلام وحرّضوهم على غزوها وامتلاكها، كما أُدخلت النساء النصرانيات إلى بيوت التتار لتُؤدّي دورها في هذه المهمة، فكانت على شكل حليلاتٍ أو خليلاتٍ، وتقوم بما يقوم به الرسل النصارى بشكلٍ مُستمرٍّ. وكان للصليبيين ما أرادوا فقد اقتنع التتار بالفكرة، ولم يبق إلا وجود المبرر للقيام بهذا العمل أو مُحرّض له دوافعه المباشرة. وقد وُجد المبرر عندما وقع الخلاف بين جنكيزخان قائد التتار المغول وبين خوارزمشاه محمد تكش.

انطلق التتار نحو الغرب واجتاحوا ما اجتاحوه بوحشيةٍ لا تكاد تُوصف، وفي عام ٦٢٠ دخلوا بقيادة جوجي بن جنكيزخان باب الأبواب (دربند) وانطلقوا إلى بلاد القفقاس، فقاتلوا قبائل اللان والجراكسة وانتصروا عليهم، ثم اقتحموا شرقي أوربا فدخلوها ونهبوها، وقاتلهم البُلغار فانتصروا عليهم، وقُتل كثير من التتار ومن بقي منهم عاد إلى جنكيزخان وخلت أراضي شرقي أوربا وبلاد القفقاس من التتار.

توفي جوجي بن جنكيزخان قبل أبيه بمدةٍ قصيرةٍ. وقبل أن يموت الأب قسّم ما أخضع من بلدانٍ بين أولاده الأربعة. فأعطى ابنه الكبير «جوجي» بلاد القفجاق، وداغستان، وخُوارزم، وبُلغار، وروسيا، ولما كان جوجي قد مات قبل أبيه فإن نصيبه كان لابنه باتو بن جوجي.

وأعطى ابنه الثاني «جغطاي» بلاد الأويغور، وتركستان وما وراء النهر، وكان هذا الولد أكثر إخوته مُحافظةً على تعاليم أبيه المصورة فيما عُرف باسم «اليساق».

وأعطى ابنه الثالث «تولوي» بلاد خراسان، وفارس، وما يُؤمّل أخذه من ديار بكر والعراقين، وما يتبع تلك الجهات.

وأما ابنه الرابع « أوغطاي » فقد أعطاه بلاد المغول، والصين، والخطا، إلى منتهى المعمورة من ناحية المشرق، وجعله الخان الأعظم من بعده، ويرجع إليه المغول جميعاً وأولاده البقية في أمورهم كافةً، ويقدّمون إليه بعض ما يحصلون عليه من مغانم وأسلاب.

توفي جنكيزخان عام ٦٢٤ وذهب كل من أبنائه الأربعة إلى ما حصل عليه. ولم تنقد هذه الأسرة لحكم الخان الأعظم « أوغطاي » أي منذ بداية الأمر وبعد وفاة جنكيزخان مباشرةً. فلم يكن « باتو بن جوجي » راضياً عن تسلّم عمه « أوغطاي » مركز الخان الأعظم، وفي الوقت نفسه كان باتو مُميزاً بين أبناء عمومته إذ كان على المغول أن يُرسلوا إلى بيته ثلث ما يحصلون عليه من مغانم في حروبهم شأنه في ذلك شأن الخان الأعظم، وذلك بسبب أن منصب الخان الأعظم كان يجب أن يكون حسب تعاليم المغول من حقّ أبيه « جوجي » وهو من بعد أبيه أيضاً، وكذلك كان لباتو مركز بين المغول جميعاً إذ كان على خلافٍ مع الخان الأعظم ويُنافسه.

وجّه الخان الأعظم « أوغطاي » عام ٦٣٣ جيشاً قوامه ثلاثون ألفاً ووجهته إلى شرقي أوربا بقيادة باتو بن جوجي ويعمل تحت إمرته أبناء عمومته الثلاثة كيوك بن أوغطاي، ومانغو بن تولوي، وبايدار بن جغطاي، فقضى باتو على دولة الخزر، ودخل بُلغار، ثم احتلّ موسكو، واتجه بعدها إلى « كييف » وكانت آنذاك أكبر مدن الروس فأبادها التتار. وانقسم جيش باتو بعد ذلك إلى قسمين: قسم سار بإمرته إلى بلاد المجر فانتصر على المجر وذبح كامل أفراد جيشها، وسار الثاني بإمرة « بايدار » نحو بولندا، وقد أحرق ما استطاع عليه من المدن.

توفي الخان الأعظم « أوغطاي » عام ٦٤٤، فاستُدعي ابن أخيه باتو للرجوع إلى بلاد المغول، وعُيّن « كيوك » بن « أوغطاي » خاناً أعظم، وقد توفي عام ٦٤٦، وخلفه ابن عمه « مانغو بن تولوي » بعد اضطراباتٍ حول

الملك في عاصمة المغول « قره قورم »[1] فوجّه أخـاه الأول « كـوبيلاي » إلى الصين فاتخذ بكين عاصمةً له. ووجّه أخاه الآخر « هولاكو » إلى جهة الغرب نحو بغداد. وتوفي « مانغو » عام ٦٥٥، فخلفه أخوه « كوبيلاي » الذي أخضع الصين، وأصبحت عاصمته بكين حاضرة المغول بدلاً من « قره قورم ». كل هذا زاد من عدم رضا باتو عن عمومه وأبنائهم وأسّس أسرةً خاصةً عُرفت باسم « مغول الشمال » أو « القبيلة الذهبية » وحكمت المنطقة التي كانت من نصيب والده في تركة جده جنكيزخان. واستقرّ التتار الذين مع باتو في تلك المنطقة من شرقي أوربا القليلة السكان، واتّخذوا من مدينة « سراي »[2] على نهر الفولغا قاعدةً لهم على مجرى النهر الأوسط، وقد أكمل بناءها بركة خان عام ٦٥٣ عندما تسلّم أمر الخانية، وهو الخان الثالث لمغول الشمال، وكان قد بُدئ في بنائها عام ٦٤٠.

وتعّد قبيلة مغول الشمال أو القبيلة الذهبية أول قبائل المغول في اعتناق الإسلام، وقد كان باتو يعطف على المسلمين، ويكره ابن عمه « كيوك » الخان الأعظم الذي تنصّر. وعندما توفي باتو عام ٦٥٠ خلفه ابنه (حرتق) ولكنه لم يلبث أن توفي فشغل منصب الخانية عمه بركة خان[3] الذي كان قـد أسلم منذ حوالي عام ٦٥٠، وعندما تسلّم خانية مغول الشمال أظهر تضامنه مع المسلمين، فراسل السلطان ظاهـر بيبرس حـاكم الدولـة المملـوكيـة في مصر والشام، وتحالف معه ضدّ ابن عمه هولاكو الذي يقود التتار المغول في قتال المسلمين ويتّجه نحو بغداد، وقد تمكّن من الانتصار على هولاكو في بعض المعارك التي جرت بينهما. واستمرّت الصلة بين مغول الشمال ودولة المماليك كل مدة الخلاف بين المماليك والدولة الإيلخانية التي أسسها هولاكو في فـارس

(١) يقوم مكانها اليوم مدينة أولان باتور عاصمة منغوليا الخارجية.

(٢) تقوم مكانها اليوم مدينة ساراتوف.

(٣) أبو المعالي ناصر الدين بركة خان.

وما حولها من بلاد الجبل والعراق، وإن كان هذا الخلاف يضعف أحياناً عندما يُسلم أحد حكام الدولة الإيلخانية ويتفهّم موضوع الإسلام وبالتالي تقلّ الصلة بين مغول الشمال والمماليك إذ لم تعد هناك ضرورة للاتصال الدائم والتفاهم المستمر، وبقي ذلك حتى اكتسح تيمورلنك المنطقة، كما أن دولة مغول الشمال كانت قد ضعُفت.

توفي بركة خان عام ٦٦٥ واستمرّ الصراع مع الدولة المغولية الإيلخانية، وكان يدخل هذا الصراع البيزنطيون أحياناً ويقفون بجانب الدولة الإيلخانية على حين يقف المماليك ومغول الشمال في الصف الآخر، وممن اشتهر بين خانات مغول الشمال محمد أوزبك (٧١٢ - ٧٤٢) الذي زار المنطقة في أيامه ابن بطوطه الرحالة المعروف، وتوقتاميش (٧٦٢ - ٧٩٨) الذي اشتهر في حروبه ضدّ تيمورلنك.

كانت دولة مغول الشمال واسعةً تمتدّ من أواسط بولندا في الغرب حتى وسط سيبيريا في الشرق، ومن المحيط المتجمد الشمالي حتى أذربيجان وجنوب خُوارزم، ويتميز بين سكانها عنصران رئيسيان هما: التتار في شرقي أوربا وغربي سيبيريا والروس في الأجزاء الغربية من الدولة هذا بالإضافة إلى عناصر ثانيةٍ من الأتراك في خُوارزم، والأذربيجانيون في أذربيجان، وشعوب بلاد القفقاس وغيرهم، وكل هذه الجهات تتبع مدينة سراي.

بدأ الضعف يدبّ في الدولة بعد عصر القوة الذي زاد على ١٢٠ سنة، فعندما توفي محمودجاني ابن محمد اوزبك عام ٧٥٨ خلفه ابنه محمد بردي بك وكان ظالماً، قتل الكثير من أقربائه ليصفو له الحكم، وليُرهب الناس، وبالغ في فرض الضرائب فكرهه الشعب وتوفي عام ٧٦٢، وخلفه ابنه توقتاميش وكان صغيراً فاستقلّت بعض نواحي دولته إذ قامت خانية خاصته في سيبيريا الغربية قاعدتها مدينة «سيبير» وقد أسسها الحاج محمدخان. واستقل الحاج شركس في استراخان، كما استقلّ «ماماي» صهر محمدجاني بك في القرم،

كما استقلّت منطقة خُوارزم إذ كان تيمورلنك قد استولى عليها. وهكذا أصبحت الدولة الواحدة خمس دولٍ.

وزاد الضعف إذ جاء تيمورلنك واكتسح المنطقة، واحتلّ مدينة سراي في مطلع القرن التاسع، ولم يُوحّد بين التتار، وإنما زاد في فرقتهم، وعاد فانسحب من المنطقة ليُتابع أعماله العسكرية في جهاتٍ أُخرى، وكان لدخول تيمورلنك مدينة (سراي) أثره الكبير إذ بدأ الروس يظهرون على الساحة فقد هاجموا مدينة قازان وخرّبوها، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ أضعف تيمورلنك قبضة خانات سراي على أطراف دولتهم فاستقلت قازان عام ٨٤١، وأصبحت خانيةً خاصةً، وهذا ما شجّع الروس للوقوف في وجه التتار الذين ظهر ضعفهم واضحاً للعيان.

ومن المفيد أن نعلم أن الإمارات التتارية التي انفصلت عن مدينة « سراي » وهي: القرم، واستراخان، وخُوارزم، وسيبيريا الغربية، وقازان لم تكن يداً واحدةً تقف في وجه الروس، وإنما كان بعضها يدعم الروس ضدّ خانيات التتار الأخرى التي ذكرناها، أو يقف أحياناً بجانبهم ضدّ إخوانه المسلمين وأشقائه التتار.

الفصل الرابع

الصّراع بين التتار والرّوس

تحرّك الروس ضدّ التتار منذ أن شعروا بضعف الدولة غير أن (توقتاميش) عندما رجع إلى قاعدة ملكه (سراي)، ودان له التتار بمساعدة تيمورلنك، تمكَّن أن يُعيد الروس إلى الطاعة وأن يدخل موسكو عام ٧٨٣ .

عاد الخلاف بين توقتاميش وتيمورلنك، ووقع القتال بينهما عام ٧٨٨ ، واستمرّ حتى عام ٧٩٧ حيث هُزم توقتاميش في الحرب، وفرّ من البلاد ، واختفى، ولم يُعلم له مكان، ودخل تيمورلنك مدينة سراي، وعيّن عليها أميراً من قبله، وانسحب من البلاد، ووقعت الحرب بين التتار والليتوانيين، وانتصر التتار .

وعاد الروس الى حركتهم بعد أن رأوا ضعف التتار، وقام القتال بين الطرفين عام ٨١١ ، ثم اتفق الطرفان على قتال الليتوانيين، وانتصر بعض أمراء التتار لليتوانيين. وأصبح أمراء التتار في خانياتهم المتعددة بعضهم يُحالف الروس وبعضهم يتعاون مع ليتوانيا، كما يُقاتل بعضهم بعضاً الأمر الذي أضعف من قوتهم، وشجّع الروس عليهم.

وظهرت الدولة العثمانية كقوةٍ مُسلمةٍ في الجنوب، وتمكّن محمد الفاتح عام ٨٥٧ من فتح مدينة القسطنطينية، وتغيير اسمها إلى استانبول (دار الإسلام)، وجعلها قاعدة الدولة العثمانية، وبهذا الإجراء انتهى دور

القسطنطينية في قيادة مذهب الأرثوذكس الذي يدين به البيزنطيون ويعتنقه الروس، وانتقلت قاعدته إلى موسكو. فغدت موسكو خليفة القسطنطينية ويجب أن تُؤدّي الدور الذي كانت تُؤدّيه القسطنطينية من قبل، كما على الروس أن يقوموا بالمهمة التي كان يقوم بها البيزنطيون بصفة أن كلاهما حامٍ للمذهب الأرثوذكسي، البيزنطيون من قبل، والروس من بعد، ومن هذا المنطلق فقد أثار المسؤولون الروس الروح الصليبية لدى مواطنيهم، وعدّوا التتار والعثمانيين شيئاً واحداً، فالتتار مسلمون يحكمون الروس، والعثمانيون مسلمون قضوا على النصارى الأرثوذكس المُتمثّلين في الدولة البيزنطية، كما أن التتار والعثمانيين يعودون إلى أرومةٍ واحدةٍ هي التترية وإلى عرقٍ واحدٍ هو العرق الأصفر، وهذا ما وحّد الروس فالتفّوا حول أمير موسكو عام ٨٨٦، وعدّوا أنفسهم دولةً منفصلةً عن الدولة المغولية، ولها استقلاليتها وشخصيتها.

وفي الوقت الذي وحّد فيه الروس جهودهم وقواتهم وإماراتهم لم يُبال التتار بهذا كله وإنما بقوا على تفرقتهم وخصوماتهم فيما بينهم بل يستعين بعضهم بالروس ضد بعض، وهذا ما زاد الأمر خطورةً وفداحةً، وكذلك لم يكن شأن العثمانيين بأفضل من ذلك بل كانت هذه المرحلة مرحلة خلافاتٍ داخليةٍ نشأت بعد انحسار موجة المدّ التتاري بقيادة هولاكو، وعندما عادت للعثمانيين الوحدة والقوة أيام السلطان سليم توجّه الاهتمام نحو قتال الفرس الشيعة والخصام مع المماليك حكام الشام ومصر، وإذا كان لهذا ما يُبرره وهو ظهور الصليبيين مُتمثّلين بالبرتغاليين في جنوبي بلاد العرب وشرقي إفريقية وعلى سواحل الخليج العربي، ولم يستطع المماليك أن يُدافعوا عن ديار الإسلام وفي الوقت نفسه لم يسمحوا للعثمانيين بمنازلة الصليبيين مرورًا بأرضهم لذا فقد قرّر العثمانيون القضاء على دولة المماليك بعد التخلّص من الصفويين الشيعة الذين كانوا على شبه صلةٍ مع الصليبيين نتيجة الكراهية بينهم وبين العثمانيين والمماليك أو لخلافهم مع المسلمين (أهل السنة). وقد قام العثمانيون بهذا الدور المحمود لهم والمسجّل لصالحهم فقد دوّخوا دولة الصفويين،

وأزالوا دولة المماليك وتسلّموا خلافة المسلمين. وعندما قام سليمان القانوني بالأمر بعد أبيه السلطان سليم تعرّض لحركات ضدّه في بداية الأمر ثم انشغل بأمرٍ آخر هو التقدّم العسكري في أوربا (التقدّم العسكري أقصد أنه لم يكن الهدف من الحرب العثمانية في أوربا والفتوحات التي تمت يومذاك نشر الإسلام - على ما يبدو - إذ لم يتبع السبيل الصحيح إلى ذلك، وإنما كان الهدف عسكرياً بالدرجة الأولى ولا علاقة بخلافات الدول النصرانية الأوربية بعضها مع بعض) كما اهتمّ في موضوع إعادة الملاحة والحيوية إلى البحر المتوسط بعد أن أصبحت السفن الأوربية تلتفّ حول إفريقية عن طريق رأس الرجاء الصالح للوصول إلى الشرق مباشرةً، لذا فقد عقد المعاهدات مع بعض الدول الأوربية ذات العلاقة مثل الإمارات الإيطالية، وفرنسا، وانكلترا، ولكن لم يصل إلى نتيجة لأن هذه الدول كانت تحرّكها الصليبية أكثر مما تحرّكها المنافع الاقتصادية إذ كانت تعقد المعاهدات مع السلطان سليمان القانوني ولكنها تتحرّك وراء صليبيتها وتُساعد البرتغال وتنتقل سفنها عن طريق الرجاء الصالح، ومن المنطلق نفسه فقد أعطى السلطان سليمان القانوني صلاحياتٍ واسعةً لقنصليات الدول النصرانية الأوربية وجعل لها حقّ محاكمة رعاياها في داخلها بل لا يحقّ للدولة العثمانية النظر في خصومات رعايا دول أوربا في بلادها ثم تجاوز ذلك أحياناً فوصل إلى رعايا الدولة العثمانية من النصارى الذين نالوا حظاً لم ينله غيرهم من سكان الدولة جميعاً من المسلمين. وإذا كانت هذه أمور جديرة بالاهتمام ودواعيها تقتضي أن يلتفت السلطان إليها ويُعطيها الكثير من وقته غير أن معالجتها جاءت في غير صالح العثمانيين وهي مُسجّلة عليهم، ولم يكن السلطان ليشعر بخطرها ما دامت القوة بيده يُحرّكُها على الوجهة التي يُريدها، ويُوقفها في مكانها في الوقت الذي يشاء، ولكن عندما فقدت الدولة قوتها غدت تلك القوانين التي عُرف بها السلطان سليمان فسُمّي بالقانوني ذات مفعول للأوربيين، كما أصبحت تلك الامتيازات التي مُنحت للنصارى سواء أكانوا من رعايا الدولة

أم من رعايا الدول النصرانية والمقيمين في أرض الدولة من أكبر الخطر على الدولة والذي يُهدّدها ومن أكبر المشكلات التي تحدث في الدولة وتُسبّب لها أخطر المزالق.

ويبدو أن العثمانيين لم يكونوا ليهتمّوا بالروس إما ازدراءً بقوتهم واحتقاراً وإما لانشغالهم بما هو أكبر من ذلك ـ حسب رأيهم ـ وظهر بعدئذ خطأ السياسة العثمانية فإن الاهتمام الذي أولته للروس والذي لم يكد يذكر في بداية الأمر، قد جعلهم يتقوّون لدرجةٍ كبيرةٍ، وتتّسع دولتهم، ويُنازلون العثمانيين بعد ذاك، ولمّا أحسّت الدولة العثمانية بقوّة الروس فجأةً أرادت أن تَتدارك الماضي ولكن الأمر قد فات فعانت من الروس أمرّ المصائب، وتلقّت على أيديهم ضربات كادت تُودي بها، ولولا اختلاف المصالح بين الدول النصرانية لكانت نهاية الدولة العثمانية على أيدي الروس. ولو أنها انتبهت إليهم وأولتهم قليلاً من الاهتمام في بداية الأمر بدعم التتار، والعمل على وحدتهم، والضغط على الروس لبقوا على حجمهم الطبيعي تحت سيطرة التتار، ولكان الوضع غير ما أضحى عليه ـ والله أعلم وهو المُقدّر لكل شيء ـ.

ويظهر أن الروس كانوا أكثر إدراكًا لمُهمّتهم، وأكثر وعياً لما يُحيط بهم، وأكثر تخطيطاً لما هم قادمون عليه، فقد حرصوا على أن يكون ابتلاعهم لإمارةٍ بعد أخرى مع مُحاولة إيقاع الخلاف بين الإمارات التتارية ومُحاولة عدم التفاهم فيما بينها الذي ربما يقع بسبب وحدة العقيدة وقرابة خانات أكثر من إمارةٍ بعضهم مع بعض وقد تصل أحياناً هذه القرابة إلى درجة الأخوة. كما عملوا على الاتجاه نحو الشرق حيث إمارة قازان وعدم التوجه نحو الجنوب حيث إمارة القرم لأن التحرك ناحية الجنوب ربما جعل العثمانيين يُحسّون بالخطر المرتقب الأمر الذي يُلزمهم بالنزول إلى الميدان ومُقارعة الروس بثقلهم كاملاً، وهذا أمر لا يُمكن للروس أن يطيقوه في تلك المرحلة. لذا نُلاحظ

أن الخصومة كانت على أشدّها مع إمارة قازان أو أن اهتمام الروس بإمارة قازان كان كبيراً حيث يبدو للمتتبّع للأحداث أنهم يُريدون ابتلاعها من غير مُواربة. وفي الوقت نفسه فإن التفاهم مع إمارة القرم كان يمتدّ على مدةٍ من الزمن ليست قصيرةً، وعندما يقع الخلاف بسبب اتفاق القرم مع قازان لقرابة بين خاني الإمارتين أو لحدوث شيء من الوعي الذي لا يُمكن أن نحذفه أبداً يضبط الروس أعصابهم لدرجةٍ كبيرةٍ وإذا وقع القتال الذي لا يُمكن أن يتحاشاه المرء مهما عمل لأنه ليس مُرتبطاً به فقط فإن القرم تكون هي الإمارة المعتدية أو هي البادئة في هجومها على الروس، وذلك لمنع إمكانية تدخُّل العثمانيين، وإبقائهم على تفكيرهم السابق بضعف الروس، وإمكانية قيام التتار وحدهم بالوقوف في وجههم. وربما شعر العثمانيون في بعض الأوقات بخطر الروس غير أن ما هم فيه كان يُشغلهم عن ذلك أو كانوا يعدّون أمر الروس ثانوياً بالنسبة إلى المشكلات التي تُواجههم باستمرار. وعندما كانت رسل التتار ووفودهم تنطلق إلى السلطان سليمان القانوني كان يحرص على إلقاء النصح عليهم ودعوتهم إلى الوحدة والوقوف صفّاً واحداً في وجه الروس.

وعندما ابتلع الروس إمارات قازان، واستراخان، وسيبيريا الغربية، واتّجهوا بعدها نحو إمارة القرم أحسّ العثمانيون بسخونة الموقف ونزلوا عندها إلى الميدان ولكن الأوان قد فات، فالروس قد زادت قوتهم، واتّسعت دولتهم، وكبُرت إمكاناتهم في الوقت الذي ضعُفت فيه الدولة العثمانية، وبدأت تتراجع، وتكالبت عليها أمم الأرض، وعمّت المشكلات الداخلية، لذا فقد كان الصراع بين العثمانيين والروس في غالب الأحيان لصالح الروس، وإن كُنّا لا نعدم رؤية أيامٍ تتجلّى فيها الروح المعنوية العالية لدى العثمانيين فيُحرزون النصر ويُحققّون التقدّم، ويبرز بينهم قادة وأبطال يصلون إلى مصاف أعلى القادة.

الباب الثاني

الاستعمارُ الرّوسيّ

الفصل الأول
استعمار بلاد التتار

أثار الروس الروح الصليبية بين مواطنيهم، فادّعوا أن المسلمين، وهم التتار قد احتلّوا أراضيهم في شرقي أوربا، ثم إن العثمانيين قد قضوا على الدولة البيزنطية حامية المذهب الأرثوذكسي والنصرانية، ودخلوا القسطنطينية قاعدة ذلك المذهب وجعلوها مدينةً إسلاميةً وحاضرة الدولة العثمانية المسلمة، وبذلك فقد دنّسوا عقيدة الروس، والروس خلفاء البيزنطيين وورثتهم الشرعيين، فعليهم مهمة كبيرة وشاقّة هي قتال المسلمين، ولنبدأ حسب إمكاناتنا الحالية بالتتار ويجب ألا نعتمد على أحدٍ وإنما علينا أن نستغلّ الظروف ونهتبل الفرص. وفي الوقت نفسه فقد أعلنوا للملأ أن أراضيهم التي يُقيمون عليها قد غصّت بهم، وازدحمت بأهلها على حين أن المناطق الشرقية تكاد تكون فارغةً فعليهم أن يتوجّهوا إليها يُحيونها ويُعمرونها فإنه أفضل من بقائها مُهملةً لا خير منها يُجبى، ولا إنتاج يُؤخذ.

وتوجّه الروس باهتمامهم نحو الشرق، وركّزوا جهودهم نحو إمارة قازان.

١ ـ إمارة قازان: كانت قازان مقرّ البُلغار، وخضعت للتتار، تعدّ على أطراف بلاد المسلمين بعد إسلام التتار، وقد هدّمها الروس عام ٨٠٢ هـ، ثم عادت إلى الظهور ثانيةً عندما اختلف محمد أولوغ مع أخيه ففرّ إليها، وطلب من البلغار، والجوفاش، والتتار المقيمين حولها السكن فيها فأطاعوه،

وبدأت الحياة تدبّ فيها من جديد ، فأسس فيها إمارة عام ٨٤٢ لم تلبث أن قويت .

هاجم محمد أولوغ موسكو لأن أهلها قد رفضوا حمايته ، وطلبوا منه مغادرة بلدهم عندما التجأ إليهم فاراً من أخيه ، وانتصر عليهم ، واكتفى بجمع الغنائم ، ثم كرّر الهجوم ، وانتصر ، وعاود الغزو عام ٨٥٠ فأسر بطريق موسكو ، ثم أطلق سراحه .

اختلف محمد أولوغ مع ابنه محمود ، وقُتل الأب ، وسيطر الولد ، ففرّ إخوته إلى موسكو خوفاً من أخيهم ، واستمرّ محمود في خلافٍ مع موسكو حتى عام ٨٧٢ حيث خلفه ابنه إبراهيم الذي تعرّض لهجمات عمه قاسم من موسكو وبجندٍ من الروس .

وتوفي إبراهيم خان عام ٨٨٣ وخلفه ابنه إلهام خان غير أن الابن الثاني وهو محمد أمين قد فرّ إلى موسكو مغاضباً لأخيه ومُنازعاً له ، ودعمه الروس بجيشٍ كثيف تمكّن به من احتلال قازان واستلام خانيتها ، وأسر أخيه إلهام خان وحمله إلى موسكو ليُسجن هناك ، وبقي في مُعتقله حتى تُوفي .

وكره أهل قازان محمد أمين وطلبوا أحد أبناء التتار ليولّوه عليهم ، ولكنهم فشلوا في خطتهم إذ دعم الروس محمد أمين بجيش انتصر به على خصومه عام ٩٠٢ ، ولكن جاء بعد مدة ماموق خان ودخل قازان وفرّ محمد أمين مع أهله إلى موسكو .

كره أهل قازان ماموق خان فكتبوا إلى الأمير الروسي ايڤان الثالث يُعلمونه برغبتهم وهي عدم رضاهم عن محمد أمين وعن ماموق خان وإنما يرغبون في تولية عبد اللطيف أخي محمد أمين خاناً عليهم ، وقد نصّبوه عليهم فعلاً وسار ماموق خان إلى بلاد النوغاي .

ورجع محمد أمين خاناً على قازان عام ٩٠٨ بعد أن انتصر على أخيه

عبد اللطيف الذي حُمل أسيراً إلى موسكو، ووقع الخلاف بين قازان وموسكو واستمـرّ حتى عـام ٩٢٥ حيـث تُـوفي محمد أمين، كما تُـوفي قبلـه أخـوه عبد اللطيف، ولم يكن لهما عقبٌ فعيَّن الروس أحد أمراء التتار خاناً على قازان وهو شيخ علي، ولكن لم يحبه أهل قازان فاتفقوا مع خان القرم على إرسال أخيه صاحب كراي ليكون خاناً عليهم، فسار إليهم والتجأ شيخ علي إلى موسكو، وصفا الجو بين القرم وقازان. فأرسل الروس جيشاً بقيادة شيخ علي عام ٩٣٠ و ٩٣١ فارتكب أبشع الجرائم في المرتين.

عرض صاحب كراي على السلطان العثماني سليمان القانوني أن تتبع قازان الدولة العثمانية فرفض الروس ذلك، وسيّروا جيشاً إلى قازان بإمرة شيخ علي، ولم يحدث قتال، ولكن فرّ صاحب كراي من المدينة بحجة الذهاب إلى السلطان، وخلّف ابن أخيه صفا كراي نائباً عنه.

أنهكت الحرب أهل قازان فسار بعض الأمراء إلى موسكو وعرضوا الصلح وطلبوا تعيين خان من قبل موسكو عليهم فعيّنت عام ٩٣٩ جان علي في الوقت الذي سار فيه صفا كراي إلى القرم، وبقي العداء بين القرم وموسكو وهاجمت القرم بلاد الروس عام ٩٤٠ .

قتل أمراء قازان جان علي عام ٩٤٢ بعد خلعه من الخانية، ورجع صفا كراي إلى قازان وهاجم بلاد الروس عام ٩٤٣ ، ثم وقع صلح بين الطرفين، وتجدّد القتال عام ٩٤٦ ، وهاجم الروس مدينة قازان عام ٩٥٣ ، وفرّ صفا كراي منها وتسلم أمر الخانية شيخ علي ولم تمضِ سوى مدة وجيزةٍ حتى غادرها ورجع صفا كراي الذي تُوفي عام ٩٥٦ ، وبقيت قازان دون خانٍ ، فاستغلّ الفرصة أمير موسكو وهاجمها بجيشٍ كثيفٍ ومعه شيخ علي وذلك عام ٩٥٧ ولكن لم يتمكّن من احتلال المدينة، ونصّب الروس عليها شيخ علي للمرة الثالثة.

رفض أمراء قازان خانية شيخ علي فخرج من مدينتهم عام ٩٥٨ ، وجاء محمد خان مع خمسمائة فارس من النوغاي إلى قازان وأصبح خاناً عليها ، وسار الروس مع شيخ علي إلى قازان واحتلّوها بعد قتالٍ مريرٍ ، ودخلوها يـوم ٢٤ شوال عام ٩٥٩ ، فأزالوا هذه الإمارة التي بقيت مدة مائة وثماني عشرة سنة (٨٤١ ـ ٩٥٩). ثم اتجهوا إلى المناطق المحيطة بها ، والتي تقوم فيها بعض الإمارات ، وحاول العثمانيون توحيد صفوف التتار للوقوف في وجه الروس فأطاعهم خان القرم ، وخان استرخان ، وأمير النوغاي ، غير أن سقوط قـازان أطاح بالاتفاق ونشأت أحداث جديدة بدّلت كل شيء .

٢ ـ **الباشغرد :** بعد أن سقطت قازان أعلن بعض الباشغـرد في (أوفـا) الطاعة للروس على خوفٍ منهم، فأقبل الروس ودخلوا بلاد الباشغرد ، وضمّوها إليهم.

٣ ـ **بلاد النوغاي:** بعد أن سقطت قازان قام المرزا إسماعيل في بلاد النوغاي على أخيه الأمير المرزا يوسف وقتله ، وتسلّم الإمرة مكانه ، وراسل أمير الروس ايڤان الرهيب ، وأعلن الخضوع له ، وساعده في دخول استراخان .

٤ ـ **استراخان:** كان يحكم استراخان منذ عام ٩٤٨ الخان (آق بـاك) ، وأحس بخطر الروس، فوافق على تفاهم التتار بعضهم مع بعض، ولكن لم يقو على مواجهة الروس عندما تقدّموا إلى بلاده بعد أن احتلّوا قازان وخاصة أن المرزا إسماعيل أمير بلاد النوغاي الجديد قد قدم مع الروس فاستسلمت استراخان ودانت للروس عام ٩٦١ م .

٥ ـ **سيبيريا الغربية:** أعطى باتو بن جوجي بن جنكيزخان أخاه شوبان شرق جبال الأورال، وذلك حوالي عام ٦٤٠ ، فأسّس شوبان قلعةً ومدينةً على نهر صغير يُسمّى سيبيركا ، وحكم المنطقة ، وبقيت أسرته من بعده يتوالى أفرادها في إمرة المنطقة ، وتُعرف بالأسرة « الشيبانية » وتتبع في أمورها مدينة

سراي قاعدة حكم مغول الشمال. وبعد مُدَّةٍ أسلم أبناء هذه الأسرة كبقية أفراد القبيلة الذهبية، وتمكَّن الحاج محمد خان أحد حكّام هذه الإمارة أن يمتلك نواحي نهر أوبي ورافده أرتيش وأقام خانيةً خاصة انفصلت عن مدينة سراي في الوقت الذي بدأت تنفصل عنها الخانيات الأخرى مثل قازان، واستراخان.

وتوالى خانات هذه المنطقة حتى أيام كوتشم خان حيث رفض الاتفاق الذي يقضي بأن تكون سيبيريا خاضعةً للروس، وبدأ حوالي عام ٩٧٧ يُقوّي أمر دولته، وصاهر النوغاي، وغدا يُغير على مواقع الروس القائمة على نهر (كاما)، وشجّع قبائل القوزاق في جنوبي أوكرانيا بعصيان الروس، وكان هجومه على الروس قوياً عام ٩٨١ .

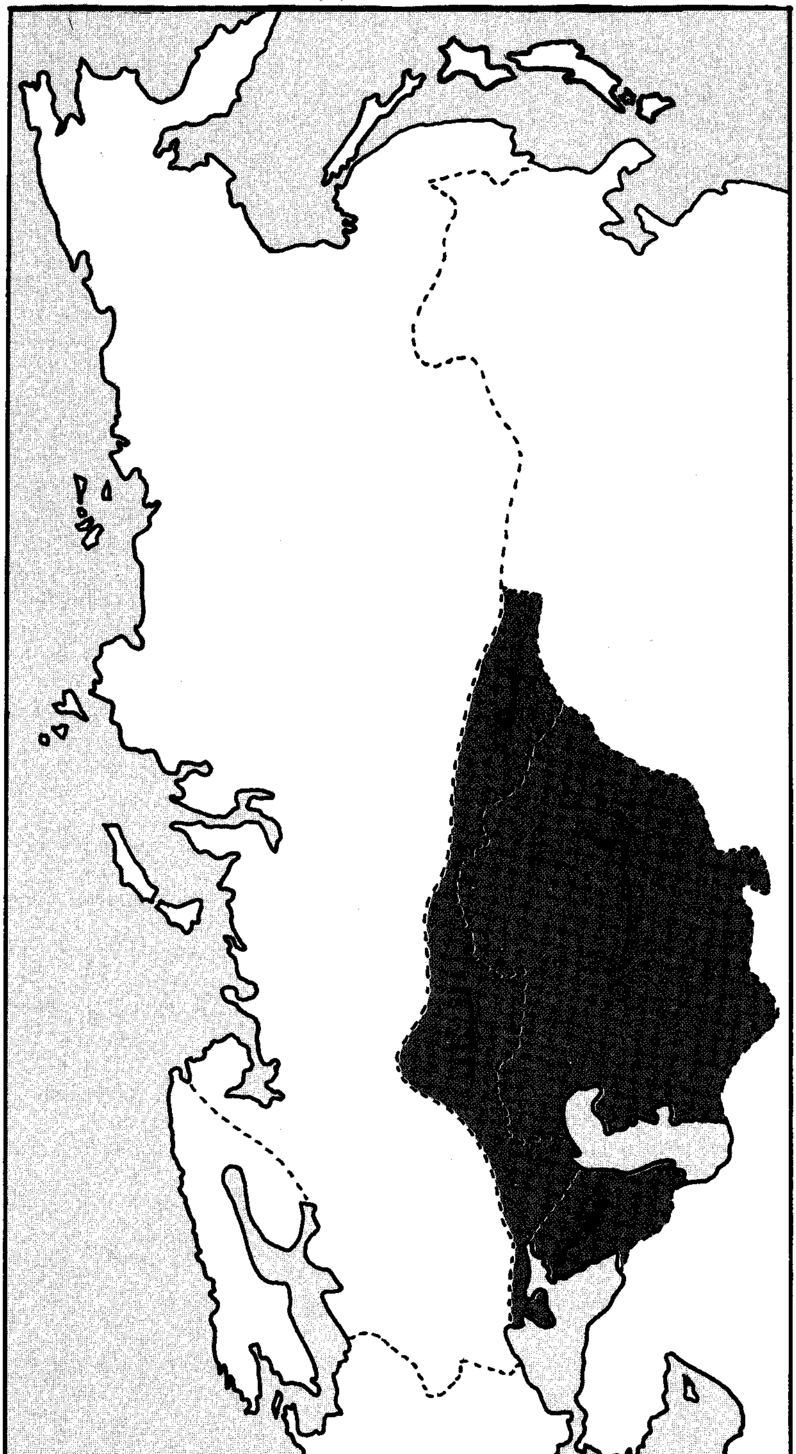
شجّع الروس أحد أشقياء القوزاق الذين يُقيمون على ضفاف نهر الدون والذي يلتفّ حوله عدد من قطاع الطرق، ويُدعى «يرمق» وأمدّوه بقوةٍ من الروس، وأغروه بكوتشم خان، فسار نحو التتار الذين يعيشون في مدينة (سرايجق) التي أسسوها عام ٩٠٧ على نهر أورال بعد أن فرّوا من مدينة سراي يوم خرابها في ذلك العام، فسار «يرمق» عام ٨٩٥ نحو «سرايجق» فانتصر على التتار، وهدّم مدينتهم، واتجه بعدها نحو مدينة (سيبير)، ودخلها عام ٩٨٩، وفي عام ١٠٠٣ باعها إلى الروس، أما خانها فقد فرّ إلى بلاد الباشغرد، واختفى فيها، وبقي حتى تُوفي.

وقام علي بن كوتشم خان في مدينة سيبير ثانيةً، وبايعه أهلها خاناً عليهم، ولكنه عجز من إنقاذ بلاده، وتبعه أخوه ايشم خان عام ١٠١٧، وفشل أيضًا، كما فشل ابنه كراي خان في حركته عام ١٠٧٨ هـ. وهكذا تبع التتار في سيبيريا الغربية إلى الروس.

غدت بلاد التتار كلها تحت استعمار الروس باستثناء بلاد القرم التي أجلّها

الروس خوفاً من الصدام مع العثمانيين، وريثما يقوى أمرهم وليتمكّنوا بعدها من منازلة القرميين والذين يُحاولون أن يقفوا وراءهم.

وأعلن الروس أن كل الجهات التي تقع إلى الشرق من (سيبير) حتى مياه المحيط الهادي تتبعها، وبـذا فقـد أصبحـت في حـوزتهم وتحت تصرّفهـم، وأطلقوا عليها اسم (سيبيريا) نسبةً إلى (سيبير) عاصمة التتار في شرق الأورال.



الفصل الثاني

استعمار القرم والصدام مع العثمانيين

كانت القرم قد استقلّت عن سراي منذ عام ٨٣٩، وحكمها حاجي كراي حتى عام ٨٧١ فخلفه ابنه منكلي كراي فاختلف مع أخيه حيدر فانتصر الثاني، وفرّ منكلي كراي إلى مدينة (أكفا) حيث التجأ إلى الجَنَوِيِّين الذين كانت (أكفا) إحدى مراكزهم. وعندما انتصر السلطان محمد الفاتح العثماني على الجَنَوِيِّين ودخل مدينة (أكفا)، حمل معه منكلي كراي إلى استانبول أسيراً، ثم أعاده خاناً على القرم.

قام أحمد خان حاكم سراي بهجوم على القرم وانتصر على منكلي كراي، واحتلّ القرم عام ٨٩٢، فعيّن جاني بك خاناً على القرم، بينما اختفى منكلي كراي قرب مدينة (باغجه سراي)، وبعد مدةٍ خرج من مخبئه وانتصر على جاني بك الذي فرّ إلى روسيا.

تحالف أحمد خان مع الليتوانيين ضدّ تحالف منكلي كراي مع الروس، ووقعت الحرب، وانتصر منكلي كراي على مرتضى خان خليفة أحمد خان، وأخذه أسيراً عام ٨٩٠، وفي العام التالي هاجم أهل سراي القرم فجأة وأحرزوا النصر، وتمكّنوا من فكّ أسر خانهم أحمد خان، كما حملوا عدداً من القرم أسرى. وهاجم في السنة التالية منكلي كراي مدينة سراي بمساعدة الروس، وانتصر وفكّ أسرى القرم.

وهاجم منكلي كراي ليتوانيا بتحريضٍ من الروس وكاد يقضي عليها لولا تدخّل حاكم سراي. وبناءً على ذلك فقد هاجم منكلي كراي عام ٩٠٧ مدينة سراي وهدّمها. واستمرت العلاقة طيبةً بين القرم والروس حتى عام ٩١٨ عندما هاجم ولدا منكلي كراي بلاد الروس بالتفاهم مع الليتوانيين.

توفي منكلي كراي عام ٩١٩ وخلفه ابنه محمد كراي الذي أرسل أخاه صاحب كراي إلى قازان ونصّبه خاناً عليها، كما استولى على استراخان، وهكذا توحّد التتار تقريباً فخاف الروس من ذلك، وهاجموا قازان فاضطرّ خانها صاحب كراي أن يُغادرها بعد أن خلّف عليها ابن أخيه صفا كراي لكن لم يلبث أن غادر قازان بعد أن تصالح أهلها مع الروس عام ٩٣٩، غير أن أوضاع قازان كانت تتغيّر باستمرار، وهاجمت القرم بلاد الروس عام ٩٤٠، وعاد صفا كراي مرتين إلى قازان حتى توفي عام ٩٥٦.

تولى حكم القرم سعادة كراي بعد أبيه محمد كراي واستمرّت مدة خانيته (٩٣٠-٩٥٢) وخلفه عمه صاحب كراي حتى ٩٥٨ عندما جاء ابن أخيه دولت كراي من استانبول وقتله وتسلّم الخانية مكانه.

في هذا الوقت بدأ الروس يُسيطرون على بلاد التتار إمارةً بعد أُخرى، ولم يتركوا إلا خانية القرم خوفاً من الصدام مع العثمانيين الذين يحسّون أن إمارة القرم تجاورهم، وما انتهى الروس من بلاد التتار إلا واتّجهوا نحو القرم، ويومها شعر العثمانيون بخطورة الموقف غير أن هذا الشعور قد جاء متأخراً، فالدولة العثمانية قد ضعف أمرها ولم يعد بإمكانها القتال على عدة جبهات في آنٍ واحدٍ، والروس قد اشتدّ ساعدهم ولم يعد بالإمكان مقاومتهم بسهولةٍ، والتتار الذين يمكن الإفادة منهم قد خضعوا للروس، وفي الوقت نفسه فقدت القرم أعوانها من التتار الذين يمكن أن ينصروها إذا حَزَب الأمر.

وحدث أمر خطير يجب الانتباه إليه وهو أن الشاه الصفوي طهماسب قد كاتب الأمير الروسي ايڤان الرهيب عام ٩٧٨ وعرض عليه الاتفاق معه لمحاربة الخلافة العثمانية ففتحت هذه المراسلة أعيُن حكّام الروس إلى المنطقة التي بينهم وبين الدولة الصفوية، وهي بلاد القفقاس، فرأوا أن تكون تحت حوزتهم، وأنها ستكون ساحة الصدام بينهم وبين العثمانيين هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ ثانيةٍ شعر الأمير الروسي أن هناك خلافاً مُستحكماً بين الصفويين الشيعة وبين العثمانيين المسلمين (السنة) فيجب الإفادة منه على نطاقٍ واسعٍ، ومن هذه الإفادة يجب السيطرة على منطقة القفقاس، وهذه السيطرة هي التي ستُمكّن من الانتصار على العثمانيين، ودون ذلك لا يُمكنه إحراز النصر، لأنها هي المنطقة البرية التي سيحدث على أرضها الصراع، وهي المنطقة المنيعة، وسكانها أهل قوّةٍ يُرجّحون كفّة الذين يكونون بجانبه، فمن ضمّهم إليه تمكن من تحقيق الهزيمة لخصمه. أمّا إذا التقى العثمانيون بالروس بحراً على مياه البحر الأسود فسيكون النصر بجانب العثمانيين ـ والله أعلم ـ لأن الروس لا يملكون بعد قوةً بحريةً تُعادل وتُكافىء قوة العثمانيين الذين مضى عليهم مدةً طويلةً يخوضون معارك بحريةً، لذا يجب أن يكون القتال برياً في بداية الأمر، ولكن لا يصحّ الانسياح في أرض القفقاس قبل الانتهاء مما بقي للتتار من إمارات، وهي خانية القرم. ومن المعلوم أن الروس لم ينتصروا بقوّتهم وشجاعتهم وإنما انتصروا بضعفنا وتفرّقنا وإغفالنا لديننا الذي يدعو إلى الوحدة ويرفع معنوياتنا عالياً، ويحثّ على الجهاد.

لمّا أحسّ العثمانيون بمُخطّط الروس حاولوا أن يتداركوا شيئاً من الخطأ الذي وقعوا فيه، أو يتلافوا ما حدث من تقصيرٍ وإن كان الأمر قد فات، فبدأوا يعملون بتخطيطٍ في هذه الجبهة أكثر من غيرها، فتأخر تنفيذ المخطط الروسي بعض الوقت، وأطال من عمر إمارة القرم بعض الزمن، وأبعد سقوط بلاد القفقاس بيد الروس مدةً وجيزةً.

دعم العثمانيون التتار، ووضعوا بولونيا تحت حمايتهم عام ٩٨٣، واعترفت

النمسا بذلك، وأغار التتار على بولونيا عام ٩٨٤، فاستنجدت بالخليفة العثماني مراد الثالث (٩٨٢ ـ ١٠٠٣) فأعلن حمايتها بمعاهدةٍ رسميةٍ.

وتوفي الشاه الصفوي طهماسب عام ٩٨٤، وخلفه ابنه حيدر فقُتل بعد عدة ساعاتٍ، ودُفن مع أبيه، وتولّى أخوه محمد خدابنده، واختلف الناس عليه، فاستغلّ العثمانيون هذه الفرصة، وأرسلوا جيشاً احتلّ بلاد الكرج، ودخل عاصمتها تفليس عام ٩٨٥، وفي العام التالي وبعد انقضاء فصل الشتاء، دخل العثمانيون شروان (أذربيجان الشمالية)، وفي عام ٩٩١ استولى العثمانيون بقيادة عثمان باشا على بلاد داغستان، ثم سار هذا القائد بجنده إلى بلاد القرم عبر جبال القفقاس لتأديب خان القرم محمد كراي الثاني الذي رفض إرسال مددٍ للعثمانيين لمحاربة الصفويين، ولكنه أنهكه التعب وغارات الروس غير أنه قد وصل إلى القرم ودخل بمساعدة إسلام كراي أخي خان القرم الذي قتل أخاه، وانضمّ إلى العثمانيين عام ٩٩٢، وأصبح بعدها خانات القرم ولاةً عثمانيين.

وجد الروس أن العثمانيين قد انتبهوا إلى أمرهم، وأن أملهم بالتوسّع قد ضَعُف إذ أن العثمانيين قد عدّوا إمارة القرم جزءاً من بلادهم، وان بولونيا قد أصبحت محميةً لهم، ومكّنوا لأنفسهم في بلاد القفقاس، وأكبر من هذا أن التتار يتحرّكون بأمرهم ويُغيرون على الروس، وعندما قام القوزاق باحتلال مدينة آزاق (آزوف) التي تعدّ من بلاد القرم أرسل لهم الخليفة العثماني إبراهيم الأول (١٠٤٩ ـ ١٠٥٨) جيشاً استردّها عام ١٠٥٢ هـ. وأمام هذه الأحداث، وانتعاش الدولة العثمانية نسبياً أخّر الروس ما كانوا يفكرون القيام به من ضمّ القرم، ومحاولة السيطرة على بلاد القفقاس، ولم تحدث بين العثمانيين والروس حروب عنيفة في هذه الآونة، ولكن وقعت بعض المعارك القليلة الأهمية كما حدث عام ١٠٨٨ عندما استنجد القوزاق بالروس ضد العثمانيين فوقع قتال استمرّ حتى عام ١٠٩٢. وكان الروس ينتظرون زيادة ضعف الدولة العثمانية، وزيادة حروب الدول الأخرى لها كي يبدأوا بالهجوم.

شعر الروس أن الدولة العثمانية قد ضعُفت، وأنه يمكن العودة إلى طريق الهجوم واقتطاع جزءٍ بعد آخر منها، وتسلّم السلطة بطرس الأكبر (١١٠١ ـ ١١٣٨) وهو صاحب أطماعٍ واسعةٍ، وصليبيةٍ واضحةٍ، وتهوّرٍ كبيرٍ، وكان ذلك إيذاناً ببدء العداء السافر، والحروب التي لا تكاد تنقطع بين الطرفين.

سار بطرس الأكبر قيصر روسيا نحو مدينة آزاق (آزوف) وضرب عليها الحصار، ولكنه أُجبر على فكه عام ١١٠٧ أمام هجمات الخليفة مصطفى الثاني (١١٠٦ ـ ١١١٥) الذي يقود العثمانيين بنفسه. غير أنّ الروس قد عادوا في العام التالي ١١٠٨ ودخلوا مدينة آزوف إذ استغلّ قيصرهم اشتباك العثمانيين مع النمسا والبندقية في معاركٍ عنيفةٍ. وأعلن بطلجي محمد باشا الصدر الأعظم أيام الخليفة أحمد الثالث (١١١٥ ـ ١١٤٩) الحرب على روسيا، وحاصر قيصر روسيا بطرس وخليلته كاترين الأولى، ونجا الجيش الروسي من الإبادة، والقيصر وعشيقته من الأسر بإغراء كاترين الأولى للصدر الأعظم بلطجي محمد باشا غير أن الروس قد تنازلوا عن ميناء آزوف، وتعهّدوا بعدم التدخّل بشؤون القوزاق، وبعد عزل الصدر الأعظم الخائن، عقدت معاهدة مع الروس لمدة خمس وعشرين سنةً، غير أن الروس لم يلتزموا بالعهود، وتجدّد القتال، ولكن تدخّلت الدول، وعقدت معاهدة أدرنة من جديد عام ١١٢٥، تنازلت فيها روسيا عن كل ما سبق أن احتلته على سواحل البحر الأسود، وكما تخلّت عن كل ما كانت تدفعه لخانات القرم من جزيةٍ، وهذه أوّل مرّةٍ ينتهي أثر حكم التتار للروس نهائياً.

وضعُفت الدولة الصفوية فرأى قيصر روسيا أن يُعدّل خطّه حيث يجب أن يكون العمل في بلاد القفقاس والقرم معاً. وعندما احتلّ العثمانيون أرمينيا وبلاد الكرج احتلّ الروس بلاد الداغستان وأصبح الطرفان وجهاً لوجهٍ، وكاد الاشتباك يحدث لولا تدخّل فرنسا بطلبٍ من روسيا التي خشيت من مغبّة الصدام.

احتلّت روسيا بولونيا وأصبحت على جبهةٍ ثانيةٍ مع العثمانيين من جهة الغرب، كما احتلّت آزوف، ولكنها تعهّدت في معاهدة بلغراد عام ١١٥٢ بعدم بناء سفن في البحر الأسود، وهدم ما بنته من قلاعٍ في مدينة آزوف. وأخطأ العثمانيون بتسليم حكم الأفلاق والبغدان (رومانيا) إلى نصارى من الروم الأرثوذكس، فعملوا ضمن مخطّطٍ رهيبٍ إذ بدأوا بالإساءة إلى السكان ومحاولة إذلالهم واستعبادهم فَكَرِهَ السكان العثمانيين نتيجة ذلك وبدأوا يميلون إلى الروس.

حرّضت الدولة العثمانية خان القرم (كريم خان) عام ١١٨٢ فقام بغارةٍ على الروس فخرّب بعض القُرى، وحمل عدداً من الأسرى، وفشل العثمانيون في حروبهم مع الروس الذين احتلّوا اقليمي الأفلاق والبغدان (رومانيا) عام ١١٨٣. وبدأ الروس يُحرّضون النصارى الأرثوذكس الذين يعيشون في أراضي الدولة العثمانية للقيام بحركاتٍ ضدّ دولتهم، فقاموا بحركةٍ في جزيرة القرم.

بدأ مخطط الروس الهجومي، إذ هاجموا الميناء العثماني على البحر الأسود (طرابزون) واقتحموا القرم، ودخلوها عام ١١٨٥، وفصلوها عن الدولة العثمانية وجعلوها تحت الحماية الروسية، وعيّنوا عليها (جاهين كراي) خاناً لها من قبل الإمبراطورة كاترين الثانية (١١٧٦ - ١٢١١). وحرّضوا الثوّار على الدولة العثمانية مثل علي بك والي مصر وغيره، وكانوا يطلبون من أجل عقد معاهدةٍ للصلح: استقلال القرم، وحُرّية ملاحة الروس في البحر الأسود، وحماية روسيا للنصارى الأرثوذكس في الدولة العثمانية، فلم يحدث الاتفاق. ثم انتصر العثمانيون نصراً جانبياً. وثأر الروس بحصار الصدر الأعظم وجيشه في بلغاريا فاضطرت الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة قينارجة عام ١١٨٧ اعترفت فيها بِـ:

١ - استقلال القرم، وإقليم قوبان (شمال غربي بلاد القفقاس)،

وبسارابيا (جزء من رومانيا على ساحل البحر الأسود).

٢ ـ حرية الملاحة الروسيّة في البحر الأسود.

٣ ـ حماية الروس للنصارى الأرثوذكس في الدولة العثمانية.

٤ ـ دفع غرامةٍ حربيةٍ قدرها خمسة عشر ألف كيس تُدفع على أقساط على مدّة ثلاث سنواتٍ.

وأصبح على الروس أن يشنّوا الحرب إثر الحرب على العثمانيين ليقتطعوا بعد كل حربٍ جزءاً من أراضي الدولة العثمانية، وقد بدأوا بإشعال الفتن داخل بلاد القرم فثار السكان على الخان (دولت كراي) وعزلوه ونصبوا مكانه (جاهين كراي) المُؤيَّد من قِبل روسيا، وانقسم الناس فريقين، وكادت تشتعل نار الفتنة الأهلية فأسرع الروس واحتلّوا القرم وقامت الإمبراطورة كاترين الثانية بزيارة ذلك الإقليم بعد استعداداتٍ واسعةٍ لتلك الزيارة. وكانت روسيا تُريد الحرب من جديدٍ لتحصل على أراضٍ من جديد. وعلمت الدولة العثمانية تلك الرغبة فأرادت أن تبدأ هي بالقتال قبل استعداد الروس. وطلبت من حكومة القيصرة:

١ ـ تسليم حاكم الأفلاق والبغدان الذي أعلن العصيان، وفرّ إلى روسيا.

٢ ـ التنازل عن حماية الكرج لأنّها تحت سيادة الدولة العثمانية.

٣ ـ عزل القناصل الذين يُثيرون السكان، وقبول قناصل عثمانيين في موانيء البحر الأسود.

٤ ـ أن يكون للدولة العثمانية الحقّ في تفتيش المراكب التجارية الروسية خوفاً من نقل الأسلحة.

رفضت روسيا هذه الطلبات فأعلنت الدولة العثمانية الحرب عليها عام ١٢٠٠، وخاف القائد الروسي من القتال فطلب من القيصرة الأمر

بالانسحاب من بلاد القرم فرفضت وأمرته بالتقدّم، فامتثل، وأعلنت النمسا الحرب على الدولة العثمانية تضامناً مع الروس بدافع صليبي، وهُزِم العثمانيون. وانسحبت النمسا من الحرب وتابعت روسيا القتال، وارتكبت أبشع الجرائم لإلقاء الذعر بين السكان الآمنين، وتدخّلت الدول وتمّ الصلح، وعُقدت معاهدة «ياسي» عام ١٢٠٦ أخذت روسيا بموجبها القرم، وجزءاً من بلاد الشراكسة، وبسارابيا، ومناطق أخرى، وهكذا انتهى أمر التتار، وزالت خانية القرم، وضمّتها روسيا إليها مُبتلعةً لها ومستعمرةً، وكان الصدام بين العثمانيين والروس، وسيستمر مرحلةً طويلةً.

الفصل الثالث

استعمار بلاد القفقاس

بلاد القفقاس هي البلاد الواقعة بين بحر الخزر في الشرق والبحر الأسود في الغرب، وبين نهر (ترك) ونهر (قوبان) في الشمال، ونهري (كورا) و (ريفون) في الجنوب، وتشكل جبال القوقاز العمود الفقري وتتجه من الجنوب الشرقي عند مدينة (باكو) أو شبه جزيرة (أبشيرون) إلى الشمال الغربي عند مضيق (كرش) بين بحري الأسود وآزوف، وتمتدّ هذه الجبال على طول ١٢٠٠ كم. وتكون صعبة الاجتياز، قليلة الممرات، كثيرة الارتفاع إذ يصل ارتفاعها إلى ٥٦٣٠ في قمة (البروز)، وتُغطّي الثلوج الدائمة مواقع منها مثل ثلاجة (ماروخ). وتُعرف الأجزاء التي في شمالها باسم (دشت القفجاق) أي صحراء القفقاس، أما الأجزاء التي تقع في جنوبها بينها وبين أذربيجان وأرمينيا فتُعرف باسم ما وراء القوقاز. واسم (قبج) و (قفج) و (قبجاق) و (قفجاق) و (قفقاس) و (قوقاز) تدلّ كلها على مُسمّىً واحدٍ.

تبلغ مساحة المنطقة ما يقرب من نصف مليون كيلومتر مربع، وإن كانت صحراء القفقاس الشمالية تشغل أكثر من ثلث هذه المساحة، وهي مرتبطة سياسياً الآن بالأجزاء الشمالية من المنطقة والتي لا تُعدّ من بلاد القفقاس، أمّا التقسيمات الإدارية فيها فلا تزيد مساحتها على ٣٢٤,٢٠٠ كيلو متر مربع، وتُشكّل الأجزاء الواقعة إلى شمال خط ذرا جبال القوقاز ما يقرب من ثلث

هذه المساحة (١١١,٨٠٠ كم٢) بينما تشغل الأجزاء الجنوبية ما يقرب من الثلثين (٢١٢,٤٠٠ كم٢)، الأجزاء الشمالية يدين معظم أهلها بالإسلام، أما الأجزاء الجنوبية فالأقسام الشرقية منها (أذربيجان) والأقسام الغربية (آجاريا وأبخازيا) مسلمة، أما الجهات الوسطى فأكثرية سكانها من النصارى (الكرج والأرمن). يُعدّ الإسلام في الأجزاء الشمالية منها حديث العهد إذ انتشر أيام العثمانيين باستثناء المناطق الشرقية (داغستان) التي عمّها الإسلام منذ أيام الراشدين. وأما الأجزاء الجنوبية فالمناطق الشرقية منها (أذربيجان) انتشر فيها الإسلام منذ أيام الراشدين، وكذا حالة المسلمين الذين يعيشون بين النصارى في المناطق الوسطى على حين أن الجهات الغربية تعدّ تابعةً للأجزاء الشمالية انتشر فيها الإسلام أيام العثمانيين.

إن طبيعة البلاد الجبلية قد جعلتها موطناً لكثيرٍ من الشعوب المختلفة، إذ أقام بعضها بقصد الغلبة على المنطقة وما حولها، واستقرّت فيها جماعات رغبةً في التجارة لأنها إحدى الطرق الرئيسية بين الشمال والجنوب، وممراتها مُحدّدة تضطر القوافل إلى أن تسلكها، والتجأت إليها أقوام فراراً من جيرانها وتحصّنت في مواقعها المنيعة، وكثيراً ما كانت شعوبها تمتنع عن غيرها من الدول القوية التي تقوم بالقرب منها، أما في أرضها فلم تنشأ حكومات كبيرة لطبيعة أرضها المُجزّأة وشعوبها المُفرّقة. وهذا ما أطمع فيها، فقد غزاها الآشوريون، والكلدان، والمصريون القدماء، وخضعت لبيزنطة فانتشرت النصرانية في جنوبها. وأكثر مناطقها تعرّضاً للغزو ما كان في الجنوب لأن أكثر المناطق المعمورة يومذاك كانت في الجنوب والجنوب الغربي، وفيها قامت الدول القوية والإمبراطوريات، فقد امتلكت الصين أقسامها الجنوبية، وهي نفسها كانت موضع النزاع بين الفرس والرومان.

ولما كانت مناطقها منعزلةً بعضها عن بعض بسبب الجبال المنفصلة بعضها عن بعض بالأودية لذا فقد كثرت شعوبها وتعدّدت قبائلها إذ استقلّت كل

جماعةٍ في بقعةٍ جبليةٍ، وانعزلت عن غيرها، ولهذا فقد احتفظت كل مجموعةٍ بلغتها وعاداتها وبقيت محافظةً عليها ولا تزال إلى الآن، وتعود هذه الجماعات إلى أصول مختلفةٍ وترجع اللغات إلى أرومات متباينةٍ.

أضحت الأجزاء الجنوبية والشرقية جزءاً من ديار الإسلام منذ عهد الفتوحات الأولى، إذ فتح سراقة بن عمرو أذربيجان، واتّجه نحو الشمال، وكان على مقدمة جيشه عبد الرحمن بن ربيعة الذي سار نحو باب الأبواب، أما على ميسرته فقد كان حبيب بن مسلمة فدخل بلاد الكرج وأرمينيا حوالي عام ٢٢ هـ، في أواخر أيام الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأوائل أيام الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وإذا كانت الأجزاء الشرقية قد تمكّن فيها الإسلام ودخلته قبائل منها، مثل القوموق، وداغستان إلا أن المناطق الجنوبية قد كان انتشاره فيها بطيئاً، لتمكّن النصرانية، وطبيعة البلاد الجبلية إذ اعتصم عدد من السكان في مواقع منيعةٍ، ولأن الروم كان يُحرّضونهم باستمرارٍ ضدّ المسلمين، ويدعونهم إلى المقاومة، ويمدّونهم بكل مُتطلباتها من سلاحٍ وغذاءٍ، ومُقاتلين أحياناً، وفي الوقت نفسه يجب ألّا ننسى ما كانت تُعاني الدولة الإسلامية يومذاك من خلافاتٍ وفتنٍ أقضّت مضاجع أبنائها، وحدّت من انتشار عقيدتها، فكان سكان جنوب بلاد القفقاس (الكرج والأرمن) كلما أُسْعِرت نار الخلافات في الدولة الإسلامية خلعوا الطاعة، وأعلنوا العصيان، وأظهروا التبعية للروم، وكلّما هدأت حدّة الخلافات اتّجه المسلمون نحو الفتح، وبدت قوتهم خنع سكان جنوبي القفقاس وأبدوا الطاعة، وطلبوا العفو ـ ومع الأسف ـ كثيراً ماعاد هذا العفو على المسلمين بالضرر والوبال! تغلب عليهم الرحمة ويُصدّقون خصمهم ويعطون الأمان، ثم يتكرّر العصيان وطلب العفو وهذا كله جعل انتشار الإسلام في المناطق الجنوبية قليلاً. أما الأجزاء الشمالية فقد بقيت بعيدةً عن أيدي الفاتحين مدةً طويلةً من الزمن لتوقّف الفتوحات وضعف الدولة الإسلامية وانقسامها، ولذا بقي السكان على وثنيتهم.

حكم بنو ساج الأجزاء الجنوبية الشرقية منذ عام ٢٧٧ بعد أن انقسمت الدولة الإسلامية وذهب ريحها. ثم تقدّم البيزنطيون إليها عام ٣٢٩ . وبعدها أعلن الكرج الانفصال ودخلوا مدينة « تفليس » عام ٤١٧ ، وهم من أتباع الديانة النصرانية، واستمر ذلك حتى جاء السلاجقة عام ٤٥٧ وفتحوا المنطقة، ودخل ألب أرسلان بلاد الكرج عام ٤٦٥ .

جاء جنكيزخان قائد المغول فسيطر على المنطقة كلها، وعندما قسّم دولته، كانت بلاد القفقاس من نصيب أسرة ولده الكبير جوجي، وكانوا على الوثنية فلم يتبدّل شيء، فلما أسلم مغول الشمال دخلوا في صراعٍ مع أبناء عمومتهم مغول الدولة الإيلخانية الوثنية فلم يكن هناك مجال لانتشار الإسلام وخاصةً لأن مغول الشمال لا يزالون في بداية إسلامهم، ولا يملكون الحماسة اللازمة للدعوة كما ليس لديهم الفقه المطلوب للعمل. ثم لم يلبث أمرهم أن ضعُف، وتجزّأت دولتهم، ثم احتلّ تيمورلنك المنطقة، وإن كان ينتمي إلى الإسلام إلّا أنه لا يعرف منه سوى التبعية، وكان طاغيةً جبّاراً لا يروي ظمأه سوى رؤية الجُثث المُبعثرة في العراء أو كومات الجماجم المُلقاة أمام فسطاطه ولا يمكن لمثل هذا أن يكون فيه أيٌّ خير لدينه، بل يُعدّ مُنفّراً، ويكفي سلوكه وسلوك قادته أن يكون وسيلة كرهٍ للإسلام وأهله، وتُبعد أكثر مما تُقرّب، وتجعل الوثنيين في منأى عن الإسلام.

وعاد الضعف إلى دولة مغول الشمال، وزاد انقسامها وتفرّقها، وقام الروس يُحاربونها حتى إذا سيطروا على بلاد التتار الشرقية وجّهوا جهودهم نحو القرم فأحسّ عندها العثمانيون بخطورة الموقف فنزلوا إلى بلاد القرم وعدّوها جزءاً من دولتهم، ثم بدؤوا العمل في بلاد القفقاس، فاحتلّوا بلاد الكرج عام ٩٨٥ ، وبلاد شروان، ومنها انتقلوا إلى بلاد داغستان فاحتلّوها عام ٩٩١ ، واستمرّ توسُّعهم حتى عام ١٠٤٩ حتى شمل بلاد القفقاس كلها، وإن كان هذا التوسُّع بين مدٍّ وجزرٍ بين العثمانيين والصفويين، ومع نزول

العثمانيين في تلك الجهات بدأ الإسلام ينتشر بين السكان وكان لهذا أثره الواسع لصالح العثمانيين إذ وقف السكان المسلمون بجانبهم ضدّ الصفويين الشيعة وضدّ الروس النصارى. وفي الوقت نفسه فقد استفاد الروس من الصراع بين العثمانيين والصفويين فتدخّلوا بين السكان، وساعدهم على ذلك الكرج الذين كانوا على ديانتهم.

ابتدأ نفوذ الروس يدخل إلى المنطقة منذ التوجّه إلى القرم والانتهاء من بلاد التتار الشرقية، ومراسلة الشاه الصفوي طهماسب للقيصر الروسي إيڤان الرهيب ومحاولة التفاهم معه حيث شعر القيصر بأهمية بلاد القفقاس لـه، إذ بعد دخول استراخان عام ٩٦١ تقدّم الروس في صحراء شمال القفقاس (دشت القفجاق)، وأصبحوا على حدود بلاد القوموق، والشاشان، والبلكار، والأديغة.

وعندما ضُعف أمر الصفويين، وكان العثمانيون قد ضعُفوا أيضاً وكلاهما يدخل في صراعٍ مع الآخر عندها تقدّم بطرس الأكبر قيصر روسيا، واحتلّ بلاد داغستان، وسواحل بحر الخزر الغربية، وإنقاذاً لجزء من هذه البلاد تقدّم العثمانيون ودخلوا أرمينيا، وبلاد الكرج، غير أن حاكم منطقة «رشت» الصفوي استنجد بالقيصر الروسي بطرس الأكبر ضدّ العثمانيين فأسرع لنجدته وتنازل الشاه الصفوي طهماسب الثاني للروس عن داغستان، وشروان بل وعن «جيلان» و «مازندران».

استقلّت بلاد «قبرطاي» عام ١١٥٢ إثر معاهدة بلغراد بين العثمانيين والصليبيين، وبهذا الاستقلال عن العثمانيين بدأ الوهن يتسرّب إلى النفوس والضعف يدخل المنطقة، وبعد مدةٍ سيطر الروس على الأطراف الشمالية لبلاد القفقاس. ثم إن القيصر الروسي الجديد بول الذي خلف القيصرة كاترين الثانية رأى أن يخرج من بلاد الكرج إذ لا فائدة من مساعدتهم، ثم عدل عن رأيه، وهاجم المنطقة وضمّها إليه، وهذا ما أجبر القائد الداغستاني عمر خان

على مُهاجمة الروس في بلاد الكرج، ودعمه العثمانيون، كما ساعده الشاشان، ولكنه فشل في هذا الهجوم، فابتلع الروس بلاد الكرج عام ١٢١٥ وعدّوها جزءاً من أراضيهم. ولم يلبثوا أن تقدّموا في بلاد شروان وأذربيجان عام ١٢٢٨، وكانوا إثر كل انتصارٍ يُحقّقونه على العثمانيين أو على الفرس يضمّون جزءاً من بلاد القفقاس فهم في توسّع دائمٍ وزيادةٍ مستمرةٍ في قوتهم، والمسلمون في تأخُّرٍ وضعفٍ.

وجد مسلمو بلاد القفقاس أنفسهم وحيدين في هذا الميدان لأن العثمانيين والفرس يتراجعون باستمرارٍ، ولهذا فإنه يجب الاعتماد على النفس، ومن هذا المنطلق بدؤوا يُهيّئون أوضاعهم الداخلية حتى إذا تمّ ما أرادوا ألّفوا حكومة عام ١٢٤١ في بلاد الداغستان على رأسها العلماء، وبرز بينهم الشيخ شامل الذي أرسل العلماء إلى المناطق الأخرى لاستنهاض الهمم. وبدأ القتال عام ١٢٥٦ بين الشيخ شامل وبين الروس، بدأ الشيخ شامل خطته بالهجوم على الروس واستمرّ عشر سنوات في هجومه مستفيداً من انشغال الروس بحرب القرم، فاضطروا أن ينسحبوا من عدة مناطق، فلما انتهت حرب القرم عام ١٢٧٥ حشدت روسيا جيشاً لا قبل له به إذ يزيد على ثلاثمائة ألف مقاتلٍ، وبدأت الهجوم على بلاد الشراكسة واكتسحت البلاد جزءاً بعد آخر وقامت بأبشع الأعمال الوحشية لتخيف السكان فيُتركوا ديارهم، ويصل الرعب إلى المناطق الأخرى فيدبّ الذعر وتضعف المعنويات وبدأت أفواج الشركس، والشاشان، والداغستان تُغادر ديارها نتيجة الوحشية الروسية، وتتجه نحو البلاد العثمانية. فنقلتهم الدولة إلى أوربا إلى خطّ النار ليُؤدّوا دورهم لما عُرف عنهم من شجاعةٍ وتضحيةٍ، غير أن الدول الأوربية النصرانية قد أدركت دور هؤلاء القفقاسيين فألزمت الدولة العثمانية في مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ على نقلهم ثانيةً من جبهات القتال، فأخذتهم الدولة من ميدان المعارك ووزّعتهم على هامش الصحارى والبوادي ليردّوا غارات البدو عن المدن والحضر في بلاد الشام والعراق.

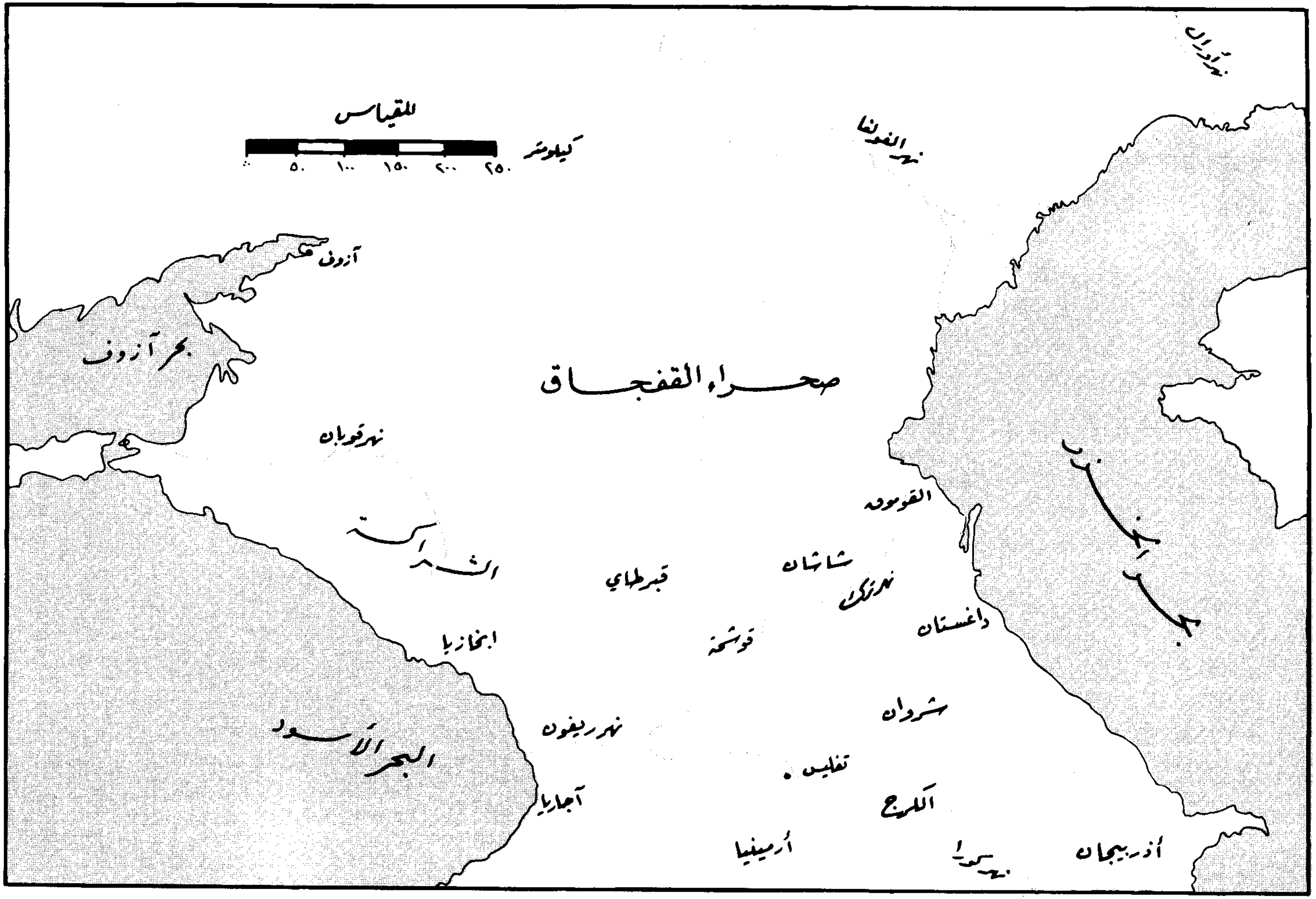
وأُسر الشيخ شامل عام ١٢٨١، وتفرّقت الجيوش القفقاسية، ودخلت روسيا المنطقة وابتلعتها وبدأت تُمارس أنواع الاضطهاد والانتقام من كل الجماعات التي نالت على أيديها من الهزائم ما نالت، لذا تكرّرت هجرات السكان إثر هذه السياسة الروسية الحاقدة.

وصل الروس بعد السيطرة على هذه المناطق إلى جهاتٍ جبليةٍ تصعب فيها العمليات العسكرية، ويصعب فيها التقدّم، وخاصةً أن سكانها من المسلمين الذين يُمكنهم أن يُدافعوا عن بلادهم بشكلٍ عنيفٍ، إضافةً إلى اقتراب الروس من قلب العالم الإسلامي، وهذا لا يُهمّهم الآن أو لا يُريدون الدخول مع أهله في حربٍ صليبيةٍ طويلة الأمد ربما تكون في غير صالحهم أو على الأقل لا يدرون نتائجها. وإنما يُريدون قبل هذا تقوية دولتهم في التوسّع، واحتلال المراكز الحسّاسة، وإيجاد المواقع التي يُمكنهم الدفاع عنها، لذا كان عليهم أن يتوجّهوا إلى ناحيتين اثنتين أولاهما نحو تركستان والشرق، والثانية العمل للسيطرة على المضائق العثمانية (البوسفور والدردنيل) ما داموا قد وصلوا إلى بقاعٍ جبليةٍ حصينةٍ يُمكنهم أن يثبتوا فيها أمام خصومهم إذا ما داهموهم (العثمانيون أو الفرس).

كان يُمكن للروس أن يتوقفوا عند ذرا جبال القوقاز فهي أقوى الموانع الطبيعية بالنسبة لهم، ويُمكنهم أن يُقيموا عليها القلاع التي تقيهم شرّ الجوار، وربما كان هذا تفكير بعض قياصرتهم وقادتهم فقد وصلوا إليها، واحتلّوا البقاع المفتوحة قبلها والتي لم تكن صالحةً لإقامة حدودٍ دفاعيةٍ فيها تذود عن الروس خطر الخصوم صحراء القفجاق، وسهول القوموق، وسهول بلاد الأنغوش، وبلاد الأديغة إذ هي على اتصالٍ مباشرٍ بسهول بلاد التتار (حوض نهر الفولغا)، والسهول الروسية، وسهول أوكرانيا، وسهول القوزاق. غير أن الذي جعلهم يتقدّمون خُطوةً أُخرى أو يُغيّرون مُخطّطاتهم، في خط الدفاع إنما وجود النصارى الكرج والأرمن فهم من

رعاياهم حسب اعتقادهم وخوفاً من أن ينتقم منهم الذين يحكمونهم سواء أكانوا عثمانيين أم فُرساً فيما إذا اضطهد الروس المسلمين الذين يعيشون تحت سيطرتهم وهذا ما هو مقرّر لديهم مُسبقاً إذ أنّ الحقد يغلي في نفوسهم بشكلٍ عنيفٍ.

وإضافةً إلى ذلك فإن الروس قد رغبوا في أن يكون الكرج والأرمن ضمن حدود دولتهم لأنهم مُقاتلون أشداء لطبيعة بلادهم الجبلية فهم يُشبهون السكان الذين يُجاورنهم، فهم من ناحيةٍ يسكنون مناطق الحدود التي يُمكن أن تتعرّض لغارات أو غزو سكان المناطق الجبلية الذين يعيشون بالقرب منهم، ومن ناحيةٍ أخرى يخشى مسلمو شمال القفقاس على هذه الحالة من القيام بحركاتٍ لأنهم بين نارين نصرانيين نار الروس من الشمال ونار الأرمن والكرج من الجنوب. وكذلك لو كان مسلمو شمال القفقاس هم سكان الحدود لأمكنهم أن يكونوا على صلةٍ قويةٍ ومتينةٍ بالمسلمين في البلدان المجاورة (الدولة العثمانية والدولة الفارسية)، وربما اتّخذت حكومات تلك البلدان من مسلمي شمال القفقاس عيوناً لها، ولهذا السبب نتوقّع أن يكون القيصر الروسي بول الأول (١٢١١ - ١٢١٥) قد غيّر خطته في دعم الكرج ومساندتهم.


للقياس
كيلومتر
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
نهر الفولغا
نهر أورال
آزوف
بحر آزوف
صحراء القفجاق
نهر قوبان
الشراكسة
القوموقه
شاشان
قبرطاي
نهر ترك
داغستان
ابخازيا
قوشحة
شروان
نهر ريفون
البحر الأسود
تفليس
الكرج
آجاريا
أرمينيا
نهر كورا
أذربيجان
بحر الخزر

الفصل الرابع

استعمار تركستان

بعد أن تمكّن الاستعمار الروسي في بلاد القفقاس بدأ يُفكّر في الجبهة التي يفتحها من جديدٍ على المسلمين إذ لم ير المتابعة من حيث وصل فليس من مصلحته كما خطّط سدنته أن يدخلوا قلب بلاد المسلمين قبل أن يُخضعوا أطرافه، ويُقوّوا أنفسهم لدرجةٍ يُمكنهم بعدها أن يخترقوا الحواجز التي بينهم وبين وسط بلاد المسلمين، ووجدوا أن منطقة تركستان هي الجبهة الجديدة التي عليهم أن يفتحوها فهي منطقة ضعفٍ بسبب الخلاف القائم بين دولها المتفرّقة، ولا يخضع لهذه الدول سوى مساحاتٍ ضيّقةٍ من الأرض، كما لا تضمّ سوى أعدادٍ قليلةٍ من السكان لا يُمكن مُقارنتها مع جموع الروس الهائلة. وربّما كان دخولهم لمنطقة تركستان خطةً يتقدّمون منها بعدئذٍ نحو الجنوب لتهشيم الجناح الشرقي من بلدان المسلمين ثم تطويق المسلمين بعدها، إذ يكون نصارى أوربا قد أحاطوا بالمسلمين من الغرب وكسروا ذلك الجناح أيضاً. وهذا لا يمنع من دخول الروس مياه المحيط الهندي من تلك الجهات ومنازلة الاستعمار الغربي هناك إن لم يخضع لمطالب الروس ومقاسمتهم المغانم في المستعمرات.

وتعني كلمة « تركستان » بلاد الترك، وهي وسط آسيا حيث تنتقل قبائل كثيرة يعود معظمها في أرومته إلى العنصر التركي، وتشمل اليوم بلاد التركمان، وخُوارزم، وبلاد ما وراء النهر، وسهوب قبائل القازاق الممتدة إلى

الشمال من المناطق السابقة. وإذا كانت منطقة تركستان اليوم جُزأين يُسيطر الروس على الجزء الغربي منها على حين يخضع الجزء الشرقي منها للسيطرة الصينية، وإن بحثنا في هذا الكتاب يقتصر على الجزء الأول الذي يقع ضمن البلاد التي تشملها الإمبراطورية الروسية، إذ هو الموضوع الأساسي له.

وصل المسلمون إلى المنطقة في أيام الفتوحات الأولى، ودخل الأحنف بن قيس مدينة مرو، وفي أيام الفتوحات الثانية تمكّن قتيبة بن مسلم الباهلي من عبور نهر جيحون، ودخول مدينة بخارى، وبقية المدن، واستقرّ الإسلام في تلك الجهات بعد أن شقّ أهلها عصا الطاعة عدة مراتٍ، عاش بعدها السكان آمنين في ظلّ دولة الإسلام، وإذا كانت المنطقة قد أنجبت عدداً من القادة لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ الدولة العباسية فإنها كذلك قد أخرجت عدداً من العلماء كان لهم دور كبير في العلم، وخلّدهم المجد على مدى التاريخ، وربّما لا يذكر المسلم المنطقة إلّا ويتداعى إلى ذهنه البخاري المتوفّى (٢٥٦)، والترمذي المتوفّى سنة (٢٧٩)، والنسائي المتوفّى سنة (٣٠٣)، والطبري المتوفّى سنة (٣١٠) والنسفي المتوفّى سنة (٧١٠)، والخُوارزمي المتوفّى سنة (٢٣٢).

كانت القبائل التركية القاطنة في شرق المنطقة لا تزال على الوثنية، وما أن تدخل المنطقة في تحرّكها وراء الماء والكلأ حتى تعتنق الإسلام، وقد لعب بعضها دوراً كبيراً في الحياة السياسية كالسلاجقة الذين كان لهم الدور الأول في الدولة من ٤٤٧ حتى ٦٥٦، وكانت حروبهم الواسعة ضد أعداء الإسلام من الروم والصليبيين.

وضعفت الدولة العباسية، وقامت الإمارات والدول المنفصلة في شرقي بلاد الخلافة، ومنها هذه المنطقة، وكان آخر هذه الدول «الخُوارزمية» التي قضى عليها جنكيزخان عام ٦٢٢ هـ. وحكم المغول بعدها المنطقة، وكانت من نصيب أسرة جغطاي. ووقع الخلاف بين أبناء المغول، واعتنق الإسلام

خان أسرة جغطاي « طرماشيرين » (٧٢٢ ـ ٧٣٥) وأسلم معه أكثر أفراد أسرته، وانقسمت المنطقة إلى عددٍ من الإمارات الصغيرة في النصف الثاني من القرن الثامن، وهذا ما مهّد لقيام تيمورلنك الذي سيطر على المنطقة، والذي قام بحروبه المشهورة في غربي آسيا وشرقي أوربا، وفي الصين، واستمرّت قبضته على المنطقة حتى توفي عام ٨٠٨، ولكن ما أن وافته المنية قد تجزّأت دولته بين أحفاده.

وجاء الشيبانيون من سيبيريا ويعودون في أصلهم إلى مغول الشمال (شوبان بن جوجي بن جنكيزخان) وهم الذين يعرفون بالأوزبك وحكموا بلاد ما وراء النهر من ٩٠٦ حتى عام ١٠٠٧، وتبعهم (الجانيون)، وهم أنسباء الشيبانيين، ويعودون في أصولهم إلى خانات استراخان قبل أن يحتلّها الروس، واستمرّوا حتى عام ١٢٠٠.

وقامت على أنقاض دولة الجانيين عدة خانيات منها:

١ً ـ **خانية بُخارى** التي تعرّضت للهجوم الروسي ١٢٨٢ ـ ١٢٨٩ حيث اقتطعوا أجزاء منها، واستمرّت حتى عام ١٣٢٨ حيث تولّى أمرها سيدمير عليم، وقد أعلن استقلال خانيته عن حماية الروس عندما قامت الثورة الشيوعية، ولكن لم تلبث أن داهمته جيوش الشيوعيين عام ١٣٣٨ ففرّ من البلاد، وخضعت بلاده للاستعمار الشيوعي.

٢ً ـ **خانية خُوارزم**: كانت تتبع مغول الشمال ثم استقلّ فيها الشيبانيون أو الأوزبك عام ٩٢١، وأسّسوا خانيةً مستقلةً، واصطدموا مع خانات بُخارى، واستمرّ حكمهم حتى عام ١٢١٩، ثم تسلّم وزراؤهم منهم الحكم حتى عام ١٢٨٩ حيث ألحقت بالإمبراطورية الروسية، ودخل محمد سيد محمد رحيم في طاعة الروس عام ١٢٩٠، ومع هذا فقد كان الحُكّام يعدّون أنفسهم مُستقلّين، وانسحب الروس عندما قامت الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦، ولكن

رجعوا إليها وأخضعوها لاستعمارهم في رمضان عام ١٣٣٧، وسقط حكم آخرخان. وأقام الروس فيها حكومةً عُرفت باسم «جمهورية خراسان السوڤيتية».

٣ ـ خانية خوقند أو فرغانة: تشكّلت عام ١١١٢، واستولى عالم خان على طاشقند عام ١٢١٥، وتسمّى باسم «خان» لأول مرة، ووقعت الحروب بينها وبين خانية بخارى، واستمرّت حتى عام ١٢٩٣ عندما جاءها الاستعمار الروسي، وكان آخر خاناتها ناصر الدين خان.

كما قامت بعض الإمارات المستقلة في طاشقند وبعض المدن الأخرى.

بعد أن سيطر الروس على منطقة سيبيريا الغربية نهائياً عام ١٠٧٨ بدؤوا بالتوسع شرقاً، وعدّوا الأقسام الشرقية كلها تابعةً لها، وأطلقوا عليها اسم «سيبيريا» نسبةً إلى عاصمة التتار في تلك المنطقة «سيبير»، ولما كانت المنطقة قليلة السكان تتنقل في أجزائها الشمالية قبائل بدائية تعود إلى أصولٍ مغوليةٍ أيضاً، أو على الأقل إلى العرق الأصفر، وتلك الجهات باردة جداً تُعدّ جزءاً من البقاع الصحراوية الباردة الأمر الذي يجعل قاطنيها لا يتزايدون بكثرة نتيجة الظروف الطبيعية القاسية. أما الأقسام الجنوبية فإن الغابة الصنوبرية أو المخروطية تغطيها بشكلٍ عامٍ وأحياناً الغابة المختلطة وخاصةً في الجهات الشرقية، وهذه البقاع تكاد تخلو من السكان لهذا كان تقدّم الروس فيها سريعاً ولم يحتاجوا إلى أيّة مشقةٍ بل لم يصطدموا بأيّة قوةٍ تُعرقل سيرهم، وبذا أصبحت سيبيريا كلها تابعةً للاستعمار الروسي، وتزيد مساحتها على ١٣ مليون كليو متر مربع أيّ أكبر من مساحة أوربا كلها وتُعادل مرةً وثلث المرة من مساحتها، ووصلت الإمبراطورية الروسية من ناحية الشرق إلى المحيط الهادي، وحدود الصين.

بعد أن سيطر الروس على منطقة سيبيريا الغربية نهائياً عام ١٠٧٨ أصبحت تركستان تحدّهم من جهة الجنوب حيث تمتدّ سهوب القازاق

الواسعة والتي تُعدّ قليلة السكان الأمر الذي أغراهم بهـا ، وما أن انتهوا من بلاد القفقاس حتى توجّهوا إلى تركستان فسيطروا على سواحل بحر الخزر الشمالية الشرقية عام ١٢٤٩ ، وتقدّموا نحو نهر سيحون ، واحتلّوا طاشقند ، وسمرقند ووصلوا حتى نهر جيحون (أي فصلوا بين الأراضي التابعة لخانية خوقند والأراضي التابعة لخانية بُخارى) وتوقّفوا عند نهر جيحون ولا يزال الحدّ الفاصل بين الإمبراطورية الروسية وبلاد أفغانستان وذلك في المدة (١٢٧٠ ـ ١٢٨٦)، ثم توسّعوا نحو الجنوب على سواحل بحر الخزر الشرقية ليحيطوا بخانية خوارزم من جهة الغرب.

لم يبـق أمـام الاستعمار الروسي إلّا هـذه الخانيـات الثلاث خـوقنـد ، وبُخارى ، وخُوارزم إضافةً إلى بلاد الطاجيك ، وبلاد التركمان. لقد بدؤوا بخانية خوقند التي أصبحت منعزلةً عن الخانيتين الأخريين ففرضوا سيطرتهم عليها عام ١٢٩٣ .

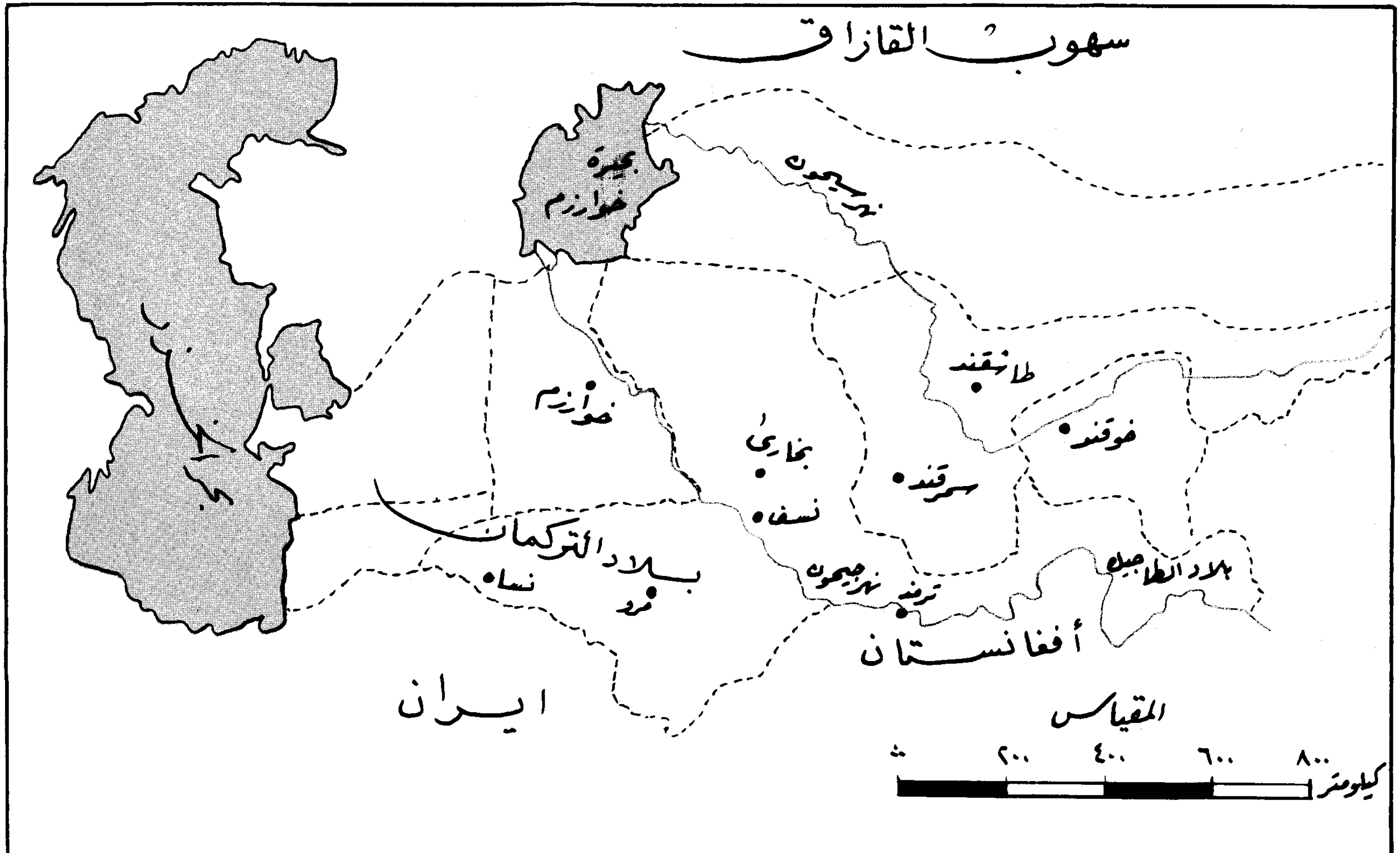
اتّجه الروس بعد خوقند إلى خانية بُخارى ففرضوا سيطرتهم عليها عام ١٣٠٢ وتابعوا سيرهم إلى بلاد التركمان فدخلوها بعد مقاومةٍ عنيفةٍ في العام نفسه وبعد أن صمد التركمان في وجه الاستعمار ودافعوا عن عاصمتهم « مرو » دفاعاً مجيداً ، ووصل الروس إلى سواحل بحر الخزر الشرقية عام ١٣٠٤ ، وأصبحوا على تماسٍ مباشرٍ مع إيران.

انعزلت خانية خُوارزم وبقيت وسط البلاد الخاضعة أو المحمية للروس فدخلوها عام ١٣٠٦ ، وتوجّهوا بعدها إلى بلاد الطاجيك فأخضعوها عام ١٣١١ ، وهي أساساً لا يُمكنها أن تُقاوم لضعف إمكاناتها ، وقلة أبنائها ، وعدم إمكانية دعمها إذ بقيت منطقةً منعزلةً ، هذا رغم طبيعتها الجبلية المساعدة للمقاومة.

لم يقنع الروس بما حصلوا عليه ، بل لا يمكن أن يقنعوا فإن حقدهم الصليبي ورغبتهم في التشفّي من المسلمين يجعلهم يطلبون المزيد ، وأرادوا

التوجّه نحو الجنوب ومُتابعة ضمّ الأراضي حبًّا في الاستعمار، ورغبةً في الوصول إلى مياه المحيط الهندي الحرّة (الدافئة)، وطلباً لزيادة القوة، وهدفًا في زيادة إذلال المسلمين، وإجباراً للدولة الأوربية الغربية لمقاسمة الروس نصيبهم في المستعمرات غير أن الاستعمار الإنكليزي كان هو الآخر يتوسّع من جهة الجنوب من الهند نحو الشمال فاصطدم الاستعماران (الروسي والإنكليزي) فتارةً كانا يتّفقان على تقاسم مغانم الاستعمار وتارةً كانا يختلفان، وهذا ما أوقف كل منهما في الحدود التي وصل إليها، وهو في الوقت نفسه الذي حفظ لأفغانستان وإيران استقلالها. وقد كان كلا الطرفين (الروس والانكليز) لا يتركان فرصة لزحزحة حدودهما ومحاولة بسط نفوذهما، حتى مرّت مرحلة كان الاتفاق بينهما على أن يكون نفوذ روسيا في شمالي إيران ونفوذ انكلترا في الجزء الجنوبي.

قامت قبائل الاوزبك بحركةٍ ضدّ الروس عام ١٣٢٢ عُرفت بحركة الجهاد، ولكنها فشلت، ولما قامت الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦ قام الأوزبك أيضاً بحركةٍ واسعةٍ ضدّ الاستعمار الروسي، وأعلنوا استقلال بلادهم، وشكّلوا حكومة تركستان التي كان مقرّها مدينة خوقند، فلما قوي أمر الشيوعيين داهموا حكومة تركستان بوحشيةٍ كبيرةٍ ذُعر منها كل إنسانٍ حتى ظنّ المراقبون جميعاً أنه لا يمكن أن تقوم بعدها حركة، ومع كل هذا فإن الظلم قد أدّى لقيام حركاتٍ أُخرى كانت دون سابقتها. وهكذا رزحت تركستان تحت الاستعمار الروسي.


سهوب القازاق
بحيرة خوارزم
نهر سيحون
طاشقند
خوقند
خوارزم
بخارى
سمرقند
نسف
بحر الخزر
بلاد التركمان
نساء
مرو
نهر جيحون
ترمذ
بلاد الطاجيك
أفغانستان
ايران
المقياس
٠
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
٨٠٠
كيلومتر

الفصل الخامس

المياهُ الدافِئَة (الحُرّة)

تفجّر الحقد الصليبي الروسي بقوةٍ عندما فتح العثمانيون القسطنطينية عام ٨٥٧ ، وجعلوها قاعدة دولتهم، وأطلقوا عليها اسم « استانبول » فعدّ الروس أنفسهم خلفاء البيزنطيين، ونقلوا إلى عاصمتهم « موسكو » مركز الكنيسة الأرثوذكسية ، وأخذوا على عاتقهم استعادة القسطنطينية وطرد العثمانيين منها ، وإرجاعها حاضرة المذهب الأرثوذكسي، ومنطلق قتال المسلمين في كل بقعةٍ ، واسترجاع بلاد الشام ومصر وكل ميدانٍ أخذوه من الروم.

ونشأت إمارة موسكو عام ٨٨٥ ، واستقطبت الروس المفرّقين، فقاموا يُقاتلون حُكّامهم التتار بدافعٍ صليبيٍ ما دام التتار مُسلمين، والذين احتلّوا القسطنطينية مسلمون ويزيد الأمر ارتباطاً أن العثمانيين والتتار يرجعون إلى أرومةٍ واحدةٍ. ولكن العثمانيين على بُعدٍ منهم، فلا يُمكن أن يصلوا إليهم، وعلى درجةٍ من القوّة فلا يُمكن أن ينالوا منهم لذا فإن حقدهم قد أفرغوه على التتار ، فأثاروا العاطفة النصرانية لدى الروس وأذكوا الروح الصليبية ضدّ المسلمين التتار ، والذين يُمكنهم الآن أن يدخلوا معهم في صراعٍ ، هذا ما أُثير داخلياً وسط المجتمعات الروسية أما الذي أُعلن فهو الرغبة في التوسّع شرقاً لإيجاد المجال الحيوي للروس الذين يزدحمون في مناطق صغيرةٍ نسبياً وتضيق بهم على حين أن البلاد الشرقية « بلاد التتار » مناطق مخلخلة السكان قليلة الكثافة، ولم يُخفوا التصريح أن المنطقة كلّها روسية وإنما جاء التتار

مُحتلّين فدخلوا البلاد وأعمروها، بل وحكموا الشعب الروسي، وهم عنه غرباء، وأن على الروس أن يتحرّروا من نير الحكم التتاري أولًا، ثم يطردون عدوّهم من البلاد التي احتلّها أو أن تعود ملكيتها على الأقل إلى أصحابها الأصليين، وهم الروس - على حدّزعمهم - وبهذا اتّفقت الجوانب الدينية والوطنية والسياسية حسب المفهوم الروسي، وقد بذل الروس إمكاناتهم كلّها في سبيل تحقيق ما خطّطوا له، وقد تمّ لهم ما أرادوا، وساعدهم على ذلك ضعف دولة التتار وانقسامها إلى عدة خانياتٍ، فاحتلّ الروس المنطقة وأتبعوها ببلاد القرم، وبلاد القفقاس، ووصلت دولتهم إلى مياه المحيط الهادي في الشرق، واشتدّ ساعدهم، وكثُرت إمكاناتهم، واتّسعت دولتهم.

التفت الروس بكل ثقلهم إلى العثمانيين، وكانوا من قبل يحرصون ألا يصطدموا معهم وإنما يُحاربون أنصارهم القرم أو القوازق أو الشراكسة وسائر سكان بلاد القفقاس وذلك لأن الروس كانوا يخشون قوة العثمانيين، وفي الوقت نفسه فإن العثمانيين لم يكونوا ليُبالوا بالروس - مع الأسف - فتركوهم حتى قوي أمرهم فلما أصبحوا أصحاب شدّةٍ لم يعُد باستطاعتهم أن يُقاتلوهم فاختلّ ميزان القوى وأصبح في مصلحة الروس إذ ضعُف شأن العثمانيين لضعف خُلفائهم، وقيام الحركات الداخلية في وجههم، وتكالب الدول النصرانية الأوربية عليهم، وتحريضهم النصارى من رعايا الدولة العثمانية، ووجود الامتيازات الكثيرة التي حصل عليها الأوربيون في أراضي الدولة العثمانية حتى أصبحوا بإمكانهم التدخُّل في شؤون الدولة الداخلية هذا في الوقت الذي أصبحت الدولة الروسية على درجةٍ من القوّة يصعبُ التغلّب عليها، إذن إن الذي شجّع الروس على منازلة الدولة العثمانية إنما هو ضعفها واختلاف كلمة أبنائها قبل أن تكون قوة الروس الذاتية.

لم يُعلن الروس أنهم يُريدون احتلال استانبول وإعادة اسمها القسطنطينية، وارجاعها قاعدة المذهب الأرثوذكسي، ومنطلق قتال المسلمين، وإنما أخفوا

ذلك، كما أخفى المستعمرون الآخرون حقيقة صليبيتهم، وكتموا واقع حقدهم الدفين، وأظهروا أنهم يُريدون إعمار الأرض، واستثمار خيراتها، والأخذ بأيدي أبنائها، ونشر الحضارة التي هي حضارة عالمية لمصلحة البشر جميعاً، وكذلك أعلن الروس أنهم يُريدون الوصول إلى الدافئة الحرّة، فإن بلادهم محصورة في الداخل لا يستطيع شعبهم التحرّك والمتاجرة، ولا تتمكّن حكومتهم من المساهمة في نشر الحضارة فإن البحار التي تُشرف عليها إنما هي مُتجمّدة لا تصلح للملاحة أكثر أيام العام، فالمحيط المتجمد الشمالي لا يتحرّر من الجليد إلا أياماً قليلة، وخليج (بوثني) الذي هو الجزء الشمالي من بحر البلطيق لا يقلّ تجمّده عن ثمانية أشهر، وهو بالأصل لا تُشرف عليه، ولا يُعدّ من بحارها، أما خليج فنلندة الذي تُشرف عليه، وهو فرع من بحر البلطيق أيضاً، فإنه يتجمّد ما لا يقلّ عن نصف العام، وفي الوقت نفسه فإن مفاتيح بحر البلطيق ليس بيدها وإنما هي بيد الدول الاسكندنيافية (السويد، والنرويج، والدانمارك)، وإذا ذهبنا شرقاً فإن بحر بهرنغ، وبحر أو خليج أُخوتسك يتجمّدان أكثر من نصف العام أيضاً، أما بحر اليابان الذي يكون حرًّا من الجليد فإن لها ميناءً عليه هو ميناء (فلاديفستوك) غير أنه لا يُستفاد منه إلّا قليلاً وذلك لأن البحر لا تملك مفاتحه أيضاً، والناحية الثانية وهي الأكثر أهمية أن المناطق الشرقية قليلة السكان، غير منتجةٍ فليس هناك ما يُجلب إليها ولا ما يُصدّر منها، والميناء بعيد كل البعد عن المناطق ذات الإمكانات الضخمة، وذات الأعداد الكبيرة من السكان، وإن هذه المسافة لتزيد على ستة آلاف كيلومتر. والبحر الوحيد الحرّ والقريب من مناطق الإنتاج، والكثافة السكانية، هو البحر الأسود، فالموانىء يجب أن تقوم عليه، والصادرات يجب أن تنطلق منه، والواردات يجب ان تتّجه إليه، ولا تقلّ الجوانب العسكرية فيه عن الجوانب التجارية ومع كل هذا فإن مفاتحه بيد الدولة العثمانية ولا يمكن أن تكون منه أيّة فائدةٍ عسكريةٍ أو اقتصاديةٍ إن لم تسمح بذلك الدولة العثمانية، وهي العدو الأول للروس، وهي الدولة التي

تُسيطر على المضائق (البوسفور والدردنيل) وتملك حركة هذا البحر، وبـذا يُعدّ بحراً مغلقاً لا فائدة منه، والميناء الذي يُشرف على المضيق الرئيسي وهو (البوسفور) هي ميناء استانبول (القسطنطينية)، وهو ما تُريد أن تملكه روسيا، وإذا سيطرت عليه فـإنما تكـون قـد حقّقـت أهـدافهـا الصليبيـة والعسكرية والتجارية ووصلت إلى المياه الدافئة (الحرة)، ولذا فإن كلمة المياه الدافئة إنما تعني استانبول أو (البوسفور والدردنيل) ومعنى الوصول إلى المياه الدافئة السيطرة على استانبول، لذا كانت دعوة روسيا العلنية إنما هو الوصول إلى المياه الدافئة دون أن تُفسّر ما تعني هذه العبارة، وإذا كان هذا الاصطلاح معروفاً لدى الساسة إلا أنه يبقى مُضمراً لدى الآخرين.

كان ساسة الدول الأوربية الغربية يعرفون ما تعني كلمة الوصول إلى المياه الدافئة، ويخشون أطماع روسيا ويعرفون أنها إذا سيطرت على استانبول، ووضعت المضائق تحت قبضتهـا، فـإنها ستتفـوق عليهـم، وستُنـافسهـم في المستعمرات، وربّما حلّت محلّهم، ورجعوا إلى حجمهم الطبيعي، بل ربّما أصبحوا تحت رحمتها أو على الأقل لا يريدون مُنافساً لهم قوياً فهم في غنى عن الصراعات، وما هم فيه من الاختلاف فيما بينهم يزيد عنهم. لذا لم يكونوا ليُوافقوا أبداً على سيطرتها على استانبول وتسلّم المضائق العثمانية خوفاً منها، لا حبًّا في العثمانيين، ولا حرصاً على المسلمين، ولو لم يكن الخوف قائماً من الروس، لا نتهى العهد العثماني قبل عدة قرون ـ والله أعلم ـ ولتقاسم الصليبيون أجزاء الدولة، وفرضوا سيطرتهم على المسلمين وأذلّوهم، وهذه أهداف الدول النصرانية كلهـا. فـالخلاف بين الدول النصرانيـة الأوربيـة، والحرص على مصالحها، والطمع في مزيدٍ من المستعمرات هو الذي أطال أمد العثمانيين. لذا كانت روسيا أحياناً تُلوّح لشعوب الدول الأوربية الغربية بالجانب النصراني، فتضطر الحكومات مسايرة شعوبها، والاتفاق مع الروس لمرحلةٍ وجيزةٍ تُحقق فيه بعض المصالح، وتُحرز فيه بعض الانتصارات لكن ضمن حدودٍ لا تسمح فيها للروس بتجاوز بعض الأطراف أو لدرجةٍ تجعلها

تفرض سيطرتها على المضائق وتنزل إلى المياه الدافئة.

إنّ السياسة الروسية لا تزال كما هي من عدة قرون أو منذ نشأتها تُخطّط للسيطرة على استانبول، وإعادة مدينة القسطنطينية، ونقل مقرّ المذهب الأرثوذكسي إليها من موسكو، وجعلها منطلق قتال المسلمين كما كانت أيام البيزنطيين، وجعل المضائق (البوسفور والدردنيل) في قبضتها، وتحصينها في وجه دول أوربا الغربية، والنزول إلى المياه الدافئة، وفرض نفوذها، وفكرها، وهيمنتها على العالم عن هذه الطريق. وسيبقى هذا محور السياسة الروسية ما دامت توجد دولة روسية سواء أكانت شيوعية أم رأسمالية أم أي نظام آخر، فالعقلية الروسية هكذا، ونشأ الروس على هذا، وتربّوا عليه، حتى طُبعوا عليه، وغدا من جبلتهم، وجُزءاً من تفكيرهم وحياتهم. وإن الصراع بين المعسكرين اليوم هو الذي يُبقي لتركيا كيانها وفي الوقت الذي يُمكن لروسيا أن تتفوّق على خصومها ستُنفّذ سياستها مباشرةً. والواقع أن الأمم تكون لها أهدافها ووسائلها وغاياتها ولن تتغيّر هذه أبداً ما دامت الأمة قائمة. وتنبع هذه الأهداف من عقيدة الأمّة. وليست الأمّة المسلمة في منأى عن هذا بل لها مُهمّتها في الحياة لا تتخلّى عنها أبداً وهي الدعوة إلى الله وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، والقضاء على الشرك والظلم، وعبادة العبيد، وتمكين منهج الله في الأرض. وإذا كُنّا نرى تغيير السياسات في بعض الأمكنة بتغيّر الرجال أو الأنظمة فهذا أمر شاذ لا يُمثّل المُهمّة المُلقاة على عاتق الأمّة، أو في أجزاء من الأرض لا تُمثّل الأمّة وحقيقة أهدافها، وإنما هي أهداف أنظمة ورجال وأوضاع تنطلق من مصالح ذاتيةٍ وأهواء نفسيةٍ تتعلّق بحبّ السيطرة أو الشهرة وإرواء رغبات النفس في الزعامة وقد تصل أحياناً إلى الشهوات وغرائز النفس.

الباب الثالث

المُسْلمُون تحتَ نير الاسْتعمَار الرّوسيّ

الفصل الأول

تباين أوضاع المُسْلِمين

أُخضع قسم من المسلمين لنير الاستعمار الروسي خلال مرحلةٍ طويلةٍ تزيد على ثلاثة قرونٍ ونصف القرن (٩٥٩-١٣٣٨)، وقد ذاقوا من ويلات هذا الاستعمار ما لم يحدث في التاريخ إلّا في أوقاتٍ قصيرةٍ جداً وقليلةٍ جداً، حيث طُبِّقتْ عليهم أعمال الوحشية كلّها، وأنواع الظلم والطغيان والبغي جميعها، وأُهينت كرامتهم، وهُدِّمت مساجدهم ودور علمهم، ومُنعوا من تأدية عبادتهم، وحُرموا من حريتهم الدينية، وشُرِّدَ قسم منهم من بلادهم، ونُفي آخرون، ولا يزال جزء منهم في منفاهم إلى الآن، كما لا يزالون جميعاً يخضعون لضغطٍ ثقيلٍ يسحقهم ويحول بينهم وبين الوصول إلى أقلّ مستوى من الحياة الكريمة وأول فكرة الحرية.

ويتباين هؤلاء المسلمون في عقيدتهم إذ أن أكثرهم ينتمي إلى الإسلام، وبعضهم يدّعيه وليس منه، وبعضهم يُحسب عليه وهو منه براء، كما أن الذين ينتمون إلى الإسلام يختلفون في فهمه له، وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه، ولما كان الحقد الصليبي هو المحرّك الأول للروس لذا فإنَّ إفراغ الحقد إنما ينصبُّ على المسلمين، وعلى قدر تمسُّكهم بعقيدتهم ينالهم الأذى الذي كثيراً ما يصل إلى مرحلة التصفية الجسدية بصورةٍ من الصور.

ويختلف المسلمون في أصولهم وإن كان أكثر الذين يعيشون في جحيم الحكم الروسي إنما يعودون إلى أصولٍ تركيةٍ وتتاريةٍ وهم أساساً يرجعون إلى أرومةٍ

واحدةٍ، وينصبّ عليهم لظى من الحقد الروسي لا نظير له. فالترك العثمانيون قد فتحوا القسطنطينية، وحوّلوها من مدينةٍ نصرانيةٍ أرثوذكسيةٍ إلى مدينةٍ إسلاميةٍ (استانبول)، وكانت بعد ذلك موسكو وريثة القسطنطينية ومُكلَّفةً بالانتقام لها والأخذ بثأرها ـ على رأيهم ـ وكان التتار يحكمون الروس، ووقف الروس على أقدامهم، وكان حقدهم منبعثاً من الأعماق ومريراً، وما أشدَّ ظلمُ الذليل إذا عزَّ، وأشدُّ من ذلك وطأةً على العزيز إذ ذلّ يوماً وتحكّم فيه الذليل.

ويفترق المسلمون الذين يكتوون بنار الحكم الروسي حسب طبيعة الأرض التي يسكنون عليها، فهناك سكان السهول، وهناك أهل الجبال. وقد انتقلت أفواج من الروس نحو سهول البلدان الإسلامية التي استعمروها واستولوا عليها، واغتصبوها من أهلها، واستثمروها لمصلحتهم واستقرُّوا فيها، حتى غدا المسلمون قلّةً وقد كاثرهم الروس، فنشأ كره شديد نتيجة ذلك من المسلمين على الروس، وقابل الروس المسلمين بكرهٍ مماثلٍ أدّى إلى الرغبة في قتلهم والتنكيل بهم وتحريض السلطة عليهم باستمرار للضغط عليهم، وادعاء ما لم يكن، والقول بما لم يحدث. أمّا سكان الجبال فلم يخضعوا لمكاثرة الروس لهم إذ ليس في أماكنهم ما يُشجّع أهل الريف الروسي للتحرُّك نحوها، فبقي سكان الجبال في معزلٍ عن جموع الروس المستعمرة فلم يحسُّوا بوطأة الاستعمار كما أحسّ سكان السهول. وبقي أهل الجبال يشعرون بشيء من العزّة والأنفة، وأنهم أصحاب الحل والعقد في بلادهم، فالروس ليسوا إلّا في قلاعهم، وحصونهم، ونقاط أمنهم، وثكناتهم يُشرفون إشرافًا عاماً. ولذا كان الكره الروسي لسكان الجبال كبيراً والحقد عليهم عنيفاً لما بقي عندهم من عزَّةٍ وقوةٍ. ويجب ألّا ننسى أن سكان السهول ألينُ عريكةً وأقلُّ شجاعةً، وبلادُهم سهلة الاجتياز يسهُلُ اقتحامها ويصعُبُ الدفاعُ عنها لذلك كانت مقاومتهم أقلّ. أما سكان الجبال فأعنف طبعاً وأكثر شجاعةً، وأكثر صبراً على منازلة الأعداء، ومناطقهم وعرة، صعبة الاقتحام يسهُلُ الدفاعُ عنها والتحصُّنُ فيها

لذلك كانت مُقاومتهم عنيفةً، وإخضاعهم شاقاً، وقد لقي الروس على أيديهم الهزائم، واندحروا أمامهم في عددٍ من الوقائع ولهذا أيضاً كان الحقد عليهم شديداً. وفي نقطة الافتراق بين سكان الجبال وسكان السهول جانبان: جانب اختلاف الأرض، وجانب اختلاف الطباع.

ويتمايز المسلمون حسب نمط حياتهم الاجتماعية فهناك أهل المدن حيث يكثر السكان، وينتشر العلم، ويزداد الوعي فيعرف الناس ما يحيط بهم، وما ينالهم من الاستعمار، لذا فهم أكثر مقاومةً، وأكثر تحرُّكاً ضدّ الأعداء، ومن هذا كان نصيبهم من بلاد الاستعمار يفوق نصيب إخوانهم أهل الريف، وقبائل البادية، غير أن الريف قد اشتدَّ غيظ الروس عليهم لأخذ أراضيهم، كما سبق أن بينّا، أما البداة فهم لبعدهم عن الحياة العامة وحركة المجتمع لم يصبهم في بداية الأمر إلا القليل من الضغط بل على العكس فقد حاول الروس تثقيف بعضهم والإفادة منهم بالوقوف في وجه التتار والترك، وسكان المدن وأهل الريف، وأبناء الجبال ومن يحلّ في السهول.

ويفترق المسلمون الذين يعيشون تحت السيطرة الروسية في العذاب الذي صُبَّ عليهم من قبل المُتسلِّطين عليهم حسب المراحل التي تمَّ استعمارهم فيها، ففي الأيام الأولى للاستعمار الروسي كان الحقد على المسلمين على أشدّه والكره لهم في عنفوانه والرغبة في الانتقام منهم في أوجها لذى فقد صبَّ الروس جام غضبهم كله على أول المدن التي دخلوها وهي مدينة قازان، وتلاها في ذلك بقية مدن التتار في حوض نهر الفولغا ثم بلاد القرم فشمالي القفقاس، وإن كان يجب أن نلاحظ أحداث الظلم والبغي والاضطهاد التي تقع إثر الحركات والانتفاضات ضدّ الروس إذ تتجاوز في وحشيتها كل ما سواها لذا يجب أن نضعها خارج الإطار العام الذي نتحدّث عنه. ولعلّ أكثر المراحل ظلماً للمسلمين في التاريخ الروسي الحكام الأوائل من أمراء موسكو أو قياصرة روسيا، ثم خفّ الظلم قليلًا في عهد القياصرة الثلاثة الأول من

أسرة رومانوف، ثم اشتدّ أيام بطرس الأكبر ومن تلاه من القياصرة حتى عهد كاترين الثانية، وأخيراً وصل السيل إلى أعلى مستوى له في العهد الشيوعي عامّة وفي مبتداه خاصّةً.

ويختلف الظلم الذي وقع على المسلمين من المستعمرين الروس حسب قرب المناطق الإسلامية من بلاد الروس وبُعدها عنها، أو يمكن أن تلحق هذه النقطة بالتي سبقتها فالمناطق القريبة هي التي كان استعمارها قبل غيرها، فقد ابتدأ الاستعمار ببلاد التتار فالقرم فبلاد القفقاس فتركستان.

وهكذا فالظلم لم يستثن أحداً من المسلمين بل لحق الجميع إما لعقيدةٍ، أو لجنسيةٍ، أو لسكنٍ، أو لشجاعةٍ، أو للحياة في الجبل، أو لامتلاك السهل، أو للقرب، أو لتفريغ الحقد في البدء. وربما إذا أردنا البحث والتفتيش نجد أن بعض الذين تجاوز عنهم الظلم وهم المنحلّون الذين لا يهتمّون بعقيدة ولا بسواها، أو الذين يتزلّفون سعياً وراء مصالحهم، أو البداة في أول عهد الاستعمار، وهؤلاء قلّة بالنسبة إلى السكان عامة.

وربما كان من المفيد أن نرى توزيع المسلمين حسب النقاط التي اختلف وقوع الظلم والبغي على المسلمين بموجبها وهي:

١ ـ **السكان:** لا يمكن الركونُ إلى الإحصاءات الروسية فيما يتعلّق بالمسلمين أبداً وذلك لأن الروس عملوا منذ سيطرتهم على بلاد المسلمين على الإقلال من عددهم لإضعاف شأنهم، وقد كانت إحصاءاتهم الرسمية تذكر أن تزايد نسبة المسلمين أكبر من غيرهم بكثير بسبب زيادة عدد الولادات، وفي الوقت نفسه هي ذاتها تُعطي أرقاماً متناقصةً لأعدادهم خلال سنوات من الزمن مُتتالية، فهذا التناقص يُؤكِّد ويُبيِّن بوضوحٍ أهداف الروس وتلاعبهم بالإحصاءات التي تتعلّق بالمسلمين.

وإن عدداً من المسلمين يرفض أن يُسجّل نفسه ضمن أعدادهم خوفاً من

السيف المصلّت فوق رقابهم فخشيةً من أن يناله شيءٌ يُسجّل نفسه بين أعـداد مجموعاتٍ أُخرى، وأكثر ما يكون ضمن مجموعات الوثنيين، هذا عند التتار في المناطق الشمالية حيث يجاورهم وثنيون.

وكذلك فإن أعداداً أُخرى تُريد أن تُبعد عن نفسها الرقابة كي تستطيع أن تقوم بتأدية عبادتها سرّاً دون أن يطّلع عليها أحد وبعيدةً عن أعين المراقبين، وترى أفضل طريقٍ لذلك إنما هو تسجيل نفسها خارج قوائمهم. وبصورةٍ عامةٍ نستطيع أن نقول: إن الذيـن يُسجّلـون أنفسهـم هـم الذيـن يتحدّون السلطة وحـدهـم، ويُصرُّون على الاعتراف بـإسلامهـم والتمسُّك بعقيدتهم، ولذا كانت أعـداد المسلمين في الإحصـاءات الروسيـة تتنـاقـص باستمرار.

ويجب ألا ننسى الأوقات التي كان فيها تحريم اعتناق الإسلام والدعوة له، وتصل العقوبة في كثيرٍ من الأحيان إلى الموت، ثم إن الذين يتنصَّرون من المسلمين يُعفون من الضرائب ومن الخدمة العسكرية وكان على المسلمين الذين حافظوا على عقيدتهم أن يُؤدُّوا ذلك عنهم، فأكثر المسلمين قد تحمّل هذا وصبر على ذلك في سبيل دينه، أما من يأتي ليرمي نفسه من جديدٍ في هذا الأذى والظلم ودفع المال وهو الفقير الضعيف، لذا لم يُعلن أحد عن إسلامه خوفاً إذ لو نجا من الموت وتخطّته عُقوبة الإعدام، لن ينجو غالباً من دفع الضرائب والقيام بالخدمة العسكرية المضاعفة أو أكثر من المضاعفة، ومن هذا المنطلق فلن يعتنق الإسلام أحد من جديد علناً، وإنما يُضمر ذلك خوفاً مما قد يُصيبه، وهذا ما لوحظ عندما أُعطيت الحرية الدينية لأسبابٍ اضطراريةٍ مرتين أو ثلاث مراتٍ فصدّق بعض الذين يُضمرون إسلامهم ويُخفون إيمانهم فأعلنوا ذلك وجاهروا به، وللسبب نفسه يعتقد المراقبون أنه لم يبق وثنيون في المناطق الشمالية وإنما قد دانوا جميعاً بالإسلام تحت تأثير التتار والمنفيين من بلادهم، ولكن يكتمون ذلك خوفاً من أن تنالهم المطرقة الروسية أو يحصدهم المنجل.

كما يجب ألا ننسى الحرب المعلنة باستمرار من قبل نظام الحكم على الدين عامَّةً حسب تصريحات وسائل الإعلام الروسية المختلفة، وعلى الإسلام خاصَّةً، وما يختلف أحد مع الآخرين أن القصد من هذه الحرب إنما هو الإسلام، فمن هو الذي يُريد أن يُعرّض نفسه لحرب الدولة، أو يرمي بشخصه ليكون هدفاً لسهام نظام الحكم المسمومة.

ونُلاحظ أن الجماعات السكانية الكبيرة كالتتار والأتراك أو العنيدة كسكان شمالي القفقاس كثير ما يصرُّ أبناء هذه الجماعات على تسجيل أنفسهم مسلمين مع عدم طلب ذلك منهم تحدّياً وتمسُّكاً بما يعتقدون، وربما كان بعضهم لا يعرف من أمور دينه سوى انتمائه للإسلام. ونُلاحظ أحياناً أُخرى أن تسجيل كلمة القوم تكفي للدلالة على الإسلام ومنها: التتار، الترك، داغستان، شركس، شاشان، ونرى أنَّ بعضهم يُصرّ عليها بفخرٍ واعتزازٍ لا عصبيةً وإنما لدلالتها على الإسلام. أما الجماعات الصغيرة ـ وما أكثرها ـ فهي التي يخشى أبناؤها الاعتزاز لقلّتها، ويكون ضياعهم أحياناً، فلا يُسجّلون ديانتهم، ولا يهتمُّون كثيراً بتدوين اسم قومهم لتُعرف عقيدتهم فيضيعون، ثم يضيع أحفادهم مع الزمن.

ومع هذا كلِّه فإن الإحصاءات الروسية قد أعطت عدداً للمسلمين عام ١٣٩٩ هـ هو ستة وأربعون مليون مسلم، وإذا كان هؤلاء المسلمون يختلفون بدرجات إيمانهم وهذا أمر طبيعي نجده في كل مجتمع، وإذا كانوا يختلفون أيضاً بدرجات إهمالهم لدينهم حتى وصل بعضهم إلى درجة الإلحاد بسبب نظام الحكم الذي يقوم على ذلك، فإن هذا أمر طبيعي أيضاً وإن كان لا يُؤخذ مقياساً ما دام سيف الإلحاد هو المصلت على الإيمان، وإنما يُؤخذ المقياس عندما تُعطى الحرية الدينية، ولكن هؤلاء يختلفون حسب العقيدة، وإذا كان أكثرهم ينتمي إلى أصحاب العقيدة الإسلامية الصافية فإن بعضهم يُعدُّون أحياناً بين المسلمين، ولكنهم يُنكرون ذلك في قرارة نفوسهم، ويأبون،

وأحياناً أُخرى هم يدّعون أنهم من أتباع الإسلام ، وإذا عددتهم بين المسلمين فليس ذلك إيماناً مني بأنهم مسلمون، ولا اعترافاً بأن عقائدهم تمتّ إلى الإسلام بصلة ، ولكن لأنهم يدّعون أحياناً الإسلام ، ويُصنّفون بناءً على هذه الدعوى الموقّتة مع المسلمين.

ولذا فأعتقد أن الاحصاءات الروسية غير صحيحةٍ، وأن عدد المسلمين أكبر من هذا الرقم بكثير ، ولا أكون مُبالغاً إذا قلت: إنه قد يصل إلى الضعف ، ولكن مع هذا كله أراني مُضطراً للبحث على أساس الإحصاءات الروسية لأنها المصدر الوحيد لذلك.

الأجناس: ينضوي تحت هذا الرقم [٤٦ مليون مسلم] ثلاثة وسبعون شعباً أو جنساً ، وتختلف هذه الشعوب بعضها عن بعض ، فمنها الشعب الكبير الذي يضمّ عدة ملايين من أبنائه وبعضها الصغير الذي لا ينتسب إليه إلا عشرات الألوف.

وأكبر هذه الشعوب الشعب التركي ، ويتجمَّع أكثر أفراده في منطقة آسيا الوسطى، حتى نُسبت إليه ، فيقال لها: تركستان أي بلاد الترك، ولكن ينضوي تحت هذا الاسم « الشعب التركي » مجموعات كثيرة، يُقال عنها كلها شعوب، وإن كانت تعود إلى أرومة واحدةٍ، ففي آسيا الوسطى يوجد الأوزبك ، والتركمان ، والقيرغيز ، والقازاق ، ونجد في بلاد القفقاس القراتشاي ، والبلكار ، والقوموق ، والنوغاي.

ويلي الشعبَ التركي الشعبُ التتاري الذي يتجمّع أكثر أفراده في حوض نهر الفولغا ، في جمهورية تتاريا ، وفي شبه جزيرة القرم ، وسيبيريا ، وهناك تجمُّعات من التتار في بلاد القفقاس، وفي آسيا الوسطى، كما أنّ كلّ التجمُّعات الإسلامية في الجزء الأوربي من الامبراطورية الروسية إنما هي من التتار ، ويُقدَّر عدد التتار في الامبراطورية الروسية بأربعة ملايين، وتسعمائةٍ

وثمانيةٍ وستين ألفاً. بل إن التتار والترك أيضاً إنما يعودون إلى أصلٍ واحدٍ، وإذا أردنا أن نتحدّث عن العروق فالفرعان ينتميان للعرق الأصفر. وقد يختلطان أيضاً فالأوزبك مثلاً: تتار وترك.

ثم شعب الباشكير الذي نستطيع أن نحصر معظم أفراده في حوض نهر الفولغا بل في الجمهورية التي تحمل اسم «جمهورية باشكيريا» والجمهوريات المجاورة لها، وخاصّةً تتاريا. ويُقدَّر عدد أفراد هذا الشعب حسب احصاءات ١٣٩٩ هـ بمليونٍ وثلاثمائةٍ وواحدٍ وسبعين ألفاً.

وهناك شعوب القفقاس، وهذه الشعوب قليلة الأعداد نسبياً، ورقعة الأرض التي تُقيم عليها ضيقة، وانفصال الأرض بعضها عن بعض بالأودية السحيقة والأنهار ذات المجرى العميق هو الذي عدّدها وأوجد الفروق بينها، وكل شعب ينضوي تحت اسمه عدد من القبائل أو الشعوب، وأشهرها:

١ً ـ الداغستان: ويضمّ القوموق، والنوغاي وهما من أصل تركي ـ كما مرّ ـ واللزكي، واللان، والعفر، ومن العفر مجموعة قبائل الآندي، وهذه كلها من أصول قفقاسيةٍ.

٢ً ـ الشاشان: وهم من أصولٍ قفقاسيةٍ، ويبلغ عدد أفراد هذا الشعب في الامبراطورية الروسية حسب احصاءات عام ١٣٩٩ هـ سبعمائةٍ وخمسةً وخمسين ألفاً وثمانمائة شخص.

٣ً ـ الأنغوش: ولا يزيد عددهم على مائةٍ وسبعة وخمسين ألفاً في الامبراطورية الروسية كلها، وهم وإخوانهم أكثر ما يتجمّعون في جمهوريتيهما التي تحمل اسميهما معاً.

٤ً ـ الشراكسة أو الجراكسة، ويُطلقون هم على أنفسهم اسم «الأديغة»، وهم مجموعة قبائل أو شعوب منها: القوشحة، والقبرطاي، والأبخاز، والأبزاخ، والأبازين، والشابسيغ، والبزادوغ، والحاتوقواي، وهذه كلّها تُعدُّ من شعوب شمالي القفقاس.

وفي جنوبي بلاد القفقاس أيضاً الأذربيجانيون ـ والأكراد، والأرمن، والكرج، والتاليش، والآجار.

وفي آسيا الوسطى يوجد إلى جانب الترك عدد من الأجناس أهمها:

١ً ـ الطاجيك: الذين يعودون إلى أصل فارسي، ويتجمّع أكثرهم في الجمهورية التي تحمل اسمهم.

٢ً ـ القره قالبك: الذين يتجمعون في الجمهورية التي تحمل اسمهم وهي ذات استقلالٍ ذاتي، وتتبع جمهورية أوزبكستان الاتحادية.

٣ً ـ الأويْغور: الذين يوجد عدد منهم في جمهورية قازاقستان، رغم أن هؤلاء يعودون في أصولهم إلى التتار.

ويوجد في حوض الفولغا أيضاً الأدمورت، والموردوف، والجوفاش، والماري، وغير هذه الشعوب التي ذكرنا كثير ممن هو أصغر منها. ولكن الكبيرة هي التي نالت من الروس أشدّ أنواع الظلم وأكثرها التتار وشعوب شمالي القفقاس.

العقائد: المسلمون فرقة أو جماعة واحدة، وليس هناك من فرقٍ، فالمرء إما مسلم وإما غير ذلك، صحيح أنه قد توجد بعض الخلافات في الاجتهاد ولكن لا تُخرج عن الملّة ولكن ضمن العقائد الأساسية في الإسلام، ولذا لن نعدّ كل من يُصنَّف ضمن قائمة المسلمين من الإسلام، لأنّه تصنيف رجالٍ غالباً ما يعملون بالعاطفة لتكثير سواد المسلمين، أو يأخذون بادّعاءات أصحاب الفرق التي يقولون بها تقيَّةً أو مصلحةً، ويقولون: لنا الظاهر والله يتولّى السرائر، وإذا كان هذا الكلام صحيح ولكن ليس على الإطلاق، لأنّه من واجبنا أن ننظر إلى الأعمال من عباداتٍ وإقامة الشعائر، إذ لا يمكن قبول ادعاء جماعةٍ أنهم من المسلمين ولا توجد في بلادهم كلها مسجد، ولا يُؤذَّن للصلاة، ولا تُؤدّى عندهم فريضة.

ونقول: إن معظم الذين يُصنَّفون عادةً ضمن المسلمين هم فعلاً من المسلمين من أهل السنة والجماعة ويُشكِّلون ٩١ ٪ من المسلمين، ويمكن أن نجد الفرق التالية حسب التصنيفات المتّبعة عادة:

١ً ـ المسلمون: وهم الأكثرية في كل المناطق باستثناء أذربيجان وطاجيكستان حيث يكثر الشيعة، ويأخذ هؤلاء المسلمين بمذهب الإمام أبي حنيفة باستثناء داغستان حيث يسود مذهب الإمام الشافعي.

٢ً ـ الشيعة: ويُشكّلون ٩ ٪، وهم في أذربيجان، وطاجيكستان، كما توجد أقلية في بلاد الأوزبك، ومثلها في بلاد التركمان.

٣ً ـ الفرق الضالة: يوجد مائة ألف اسماعيلي من الفرقة النزارية في إقليم باداخشان في جمهورية طاجيكستان. ويعيش ٣٥ ألفا من عبدة الشيطان في جمهورية أرمينيا وأكثرهم من الشعب الكردي، وعدة آلاف في جمهورية جورجيا. كما يوجد العدد نفسه من البهائيين يتوزّعون في عشق آباد حاضرة بلاد التركمان، وباكو عاصمة أذربيجان، ومدينة كوبا في أذربيجان أيضاً، وفي مدينة استراخان عند مصب نهر الفولغا في بحر الخزر.

ولا يعيش المسلمون وحدهم في المناطق التي يكثرون فيها، وإنما يسكن معهم المستعمرون الذين يدينون بالنصرانية وغالباً على المذهب الأرثوذكسي مذهب الروس، وتختلف نسبة النصارى أو المستعمرين من منطقة إلى أُخرى، وغالباً ما ترتفع في بلدان حوض نهر الفولغا، والقرم، وشمالي القفقاس، وتنخفض نسبياً في بلدان وسط آسيا.

وتوجد أقليات يهودية في القرم (٢٣ ألفاً)، وفي أذربيجان (٣٥ ألفاً)، وفي داغستان (٤ آلاف)، وفي بلاد الأوزبك (١٠٠ ألف)، وفي بلاد الطاجيك (١٥ ألفاً).

ولا شكَّ فإن المسلمين هم الذين ينالهم النصيب الأوفى من الظلم الروسي

والاضطهاد والأعمال الوحشية، وإن محاربة الدين إنما يقصد به الإسلام، ولم يكن المسلمون على درجةٍ واحدةٍ من ظلم الروس لهم بل لقد حاول المستعمرون استمالة بعض مشايخ السوء وأهل التصوّف الذين يدعون إلى الزهـد في الدنيـا ويُثبطون الهمم، وينفرون من الجهاد وذلك للوقوف في وجـه العلماء العـاملين المُدركين لحقيقة الاستعمار وأهدافه الصليبية. ورغبتهم ردّ المسلمين عن دينهم إن استطاعوا، ومحاولة إذلالهم.

طبيعة الأرض: تُعدُّ أرض بلدان حوض نهر الفولغا سهليةً رغم وجود بعض التلال، وكذا سيبيريا رغم وجود جبال الأورال القليلة الارتفاع الكثيرة الممرات، ورغم وجود السفوح الشمالية لجبال (آلتاي) الشاهقة لكنها تُعدُّ محدودة الرقعة بالنسبة إلى سهول سيبيريا الفسيحة. وكذا القرم رغـم امتـداد جبال القرم في الأجزاء الجنوبية منها، لكنها قليلة الارتفاع، كثيرة الأمطار الأمر الذي يُغيّر من الفكرة الجبلية الجرداء المنعزلة.

وتُعدُّ بلدان منطقة القفقاس جبلية رغم امتداد السهول في شمالي بلاد داغستان، وامتداد سهول أذربيجان حول نهر كورا، وسهول الكرج حول نهر كورا أيضاً وريفون، ورغم وجود بعض السهول الساحلية. وتُعدُّ كذلك بلاد الطاجيك، وبلاد القيرغيز جبليةً.

وتُعدُّ بلدان القازاق، والأوزبك، والتركمان سهوبيةً رغم وجود بعض السفوح الجبلية فيها جميعها ووجود هضبة (كاراغندا) في بلاد القازاق.

وقد أفرغ الاستعمار الروسي ظلمه على سكان السهول كي يستولي على أجزاء منها ويُقدِّمها لأبنائه الذين أصبحوا يُكـاثـرون السكـان الأصليين في ديارهم، كما أفرغ حقده على سكان الجبال، وخاصّةً شمالي القفقاس للمقاومة التي أبدوها والشجاعة التي أظهروها، والدفاع عن أرضهم، والاستبسال في سبيل عقيدتهم. أما سكان السهوب فكان الظلم عليهم أخفّ وإن كان الأمر

نسبياً، وعلى وجه العموم، أما الحالات الخاصة والمحلية والفردية فلها وضعها الذي لا يُعمَّم.

نمط الحياة: على الرغم من أن أكثر المسلمين الذين يعيشون في الإمبراطورية الروسية يحيون حياةً تُوصف على أنها قبلية للروابط، والصلة، واللهجة، والديار غير أنها ليست بدويةً متنقلةً كما يتبادر إلى الذهن، فأكثرهم مستقرّون متحضّرون يسكنون المدن والأرياف، ويعملون في الزراعة والتجارة، والتجارة معروفة بينهم من القديم، كما يمتهن بعضهم الصناعة، وقليل أولئك الذين يعملون في الرعي، ويمكن أن نحصرهم في سهوب القازاق حيث لا تزال بعض القبائل تزاول مهنة الرعي، وتنتقل وراء قطعان الأغنام، ومثلها في بلاد الأوزبك، والتركمان، والنوغاي في شمالي داغستان، وهناك بعض قبائل القيرغيز التي تعمل في بلادها في رعي الخيول، وبعض القبائل في الجبال حيث تنتقل بين الأودية والمرتفعات في الشتاء والصيف.

وقد صبّ المستعمرون الروس حقدهم على أهل المدن الذين هم أكثر إدراكاً من غيرهم لنوايا الاستعمار وأهدافه التي يُريد أن يحقِّقها، وعلى أهل الأرياف لسلب أراضيهم، أما البدو والقبائل المتنقلة عامة فهي أقل درايةً من غيرها، وأسهل للوقوع في الشرَك، واصطياداً بالفخّ، أو لتكون طُعماً لإيقاع غيرها، وقد حقَّق الروس بعض أغراضهم عن طريق هذه القبائل وخاصّةً قبائل القازاق في بداية الأمر حتى تنبّه بعضهم لما يُخطَّط لهم، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان.

مراحل الاستعمار: بدأ الاستعمار الروسي بابتلاع المناطق الإسلامية القريبة منه الأقرب فالأقرب حتى إذا ما انتهت الحرب العالمية الأولى كان قد سيطر على ما هو مسيطر عليه الآن، ويمكن أن نضع بصورةٍ تقريبيةٍ المراحل التي تمتّ له فيها السيطرة على المناطق.

من عام ٩٥٩ حتى ٩٦٨ هـ سيطر الروس على حوض الفولغا.
من عام ١٠٠٣ حتى ١٠٧٨ هـ سيطر الروس على سيبيريا الغربية.
من عام ١١٨٨ حتى ١٢٠٦ هـ سيطر الروس على جزيرة القرم.
من عام ١١٩٨ حتى ١٢٧٨ هـ سيطر الروس على شمالي القفقاس.
من عام ١٢٠١ حتى ١٢٢٨ هـ سيطر الروس على أذربيجان.
من عام ١٢٢٨ حتى ١٢٥٨ هـ سيطر الروس على قازاقستان.
من عام ١٢٧٠ حتى ١٣٣٨ هـ سيطر الروس على آسيا الوسطى.

وإن حقد الروس قد صُبّ على المناطق الأولى التي بدؤوا باستعمارها، ومع الزمن كان يخفّ هذا الحقد نسبياً، وإن كان يعود للغليان إثر كل حركة مقاومةٍ تبدو من المسلمين، أو الوقوف بصلابةٍ في وجه تقدّم المستعمرين الروس أو أمام تحقيق أهدافهم، غير أن الخط العريض كان خفّة الحقد مع الزمن، فأشدّه إذن ما كان في بلاد حوض الفولغا إذ بها ابتدأ الاستعمار، وهي أرض سهلة خصبة غنية يجب انتزاعها من أيدي أصحابها، وأعنفه في هذه المنطقة ما كان على قازان التي قاومت المستعمرين الروس بعنادٍ، كما أن أهلها من التتار الذين كانوا يحكمون الروس فيما مضى، ولا بدّ من إذلالهم، لهذا كله أفرغ الروس معظم ما يحملونه من شحنات الحقد الصليبي والسياسي والاستعماري. وأقلّه ما كان في بلدان آسيا الوسطى إذا استثنينا وقت حركات المقاومة وأيام الدفاع عن البلاد، وجماعة المجاهدين.

قرب المنطقة من البلاد الروسية: كلّما كانت المنطقة أقرب إلى مركز البلاد الروسية أو عاصمتها موسكو كلّما اشتدَّ عليها الأذى والضغط أكثر، لكره الجوار بعضهم إلى بعض والرغبة في امتلاك الأرض القريبة قبل غيرها، ولما كانت مراحل الاستعمار قد بدأت من المناطق القريبة لذا فإن هذه النقطة مرتبطة بسابقتها ونالت بلاد التتار في حوض نهر الفولغا أكبر شحنةٍ من حقد المستعمرين الروس.

ويجب ملاحظة طبيعة الحكّام إذ أن بعضهم أكثر رغبةً من بعض في الظلم والاضطهاد ، وبعضهم أشدّ حقداً من بعضٍ على المسلمين ، وبعضهم أكثر ميلاً إلى الضغط وسفك الدماء من بعض ، وربما كان ايڤان الرهيب ، وبطرس الأكبر ، والشيوعيون عامةً هم الذي يميلون إلى العنف ، ويمتلئون حقداً على المسلمين ، ويرغبون في فرض الرهبة أو طُبعوا على الظلم واستعمال القسوة .

وإن الحركات المحلية غير المُنظّمة، والمختلفة في التوقيـت ، والمتباينة في الأهداف ، والتي لم تعمّ المنطقة قد كتبت على نفسها الفشل ، وسبّبت مضاعفة حقد المستعمرين الروس ، وزيادة عدد النكبات وتكرارها على المسلمين ، وأخافت المؤمنين من إبداء شعائرهم ، وإخفاء عقيدتهم التي كادت تضيع مع الزمن بالكبت والإخفاء والخوف والتهاون .

الفصل الثاني
الاسْتعمَارُ أيّام الحُكم القَيْصَريّ

اندفع الروس من بلادهم في الغرب نحو بلاد التتار في حوض نهر الفولغا ، فدخلوا مدينة قازان أول عقبةٍ في وجههم ثم سيطروا على الشعوب والمناطق المجاورة لها ، وانحدروا مع مجرى نهر الفولغا وقد احتلّوا الحوض كلّه مع مدنه وحواضره . واستمرّوا في متابعة التتار حتى ضمّوا سيبيريا الغربية إليهم وقضوا على إمارة التتار فيها ، واندفعوا نحو الشرق في الأرض شبه الخالية من السكان والتي تُغطيها الغابة المخروطية والمختلطة ، وتشغل الصحارى الباردة شمالها ، والتي تنتقل فيها قبائل بدائية لا تزال على الوثنية ، وهي ذات أعدادٍ قليلةٍ .

وإذا توقّفوا قليلًا في تقدّمهم في بلاد القرم ليصفّوا حسابهم مع تتار قازان ، أو ينتهوا من إفراغ شحناتٍ من حقدهم عليهم ، ولدعم الدولة العثمانية لأهل القرم إلّا أنّهم قد استولوا عليها في النهاية ، وأرادوا الالتفاف على عاصمة العثمانيين والمضائق من جهة الشرق إذ لم تكن لديهم بعد الأساطيل البحرية الكافية والتي يُمكنهم مُنازلة العثمانين بها إلّا أنّهم وجدوا مُقاومة عنيفةً في بلاد القفقاس وخاصّةً في أجزائها الشمالية ، وعندما تخطّوا العقبات التي وقفت في وجههم ، وأرادوا مُتابعة سيرهم نحو المضائق العثمانية واستانبول وجدوا الدول الصليبية الغربية تحول دون تقدّمهم وترغب في المحافظة على الدولة العثمانية والإبقاء عليها لا حُبّاً فيها ولا حمايةً للمسلمين فإن ما في نفوس الدول الغربية لا يختلف عمّا في نفس الروس من حقدٍ

صليبيٍ وكرهٍ للمسلمين، وإنما خوفاً من توسّع الروس الذي لن يكون إلا على حساب الصليبية الغربية التي لا تستطيع الوقوف أمام الصليبية الشرقية إلا قليلًا، إذ ستحلّ محلّها في المستعمرات وتُنافسها في سلب الخيرات واحتلال أراضٍ جديدة.

لذا اتّجه الروس نحو الشرق بعد وقوف دول أوربا الغربية في وجه تحرّكهم نحو المضائق واستانبول، وساروا نحو نقطة الضعف التي وجدوها في آسيا الوسطى في بلاد تركستان، ولعلّهم بعد السيطرة عليها يُفتح لهم المجال بالتغلغل نحو الجنوب للوصول إلى مياه المحيط الهندي الدافئة غير أنهم قد اصطدموا بالاستعمار المتقدّم من الجنوب نحو الشمال فتوقّف كل منهما عند حدّه بعد مرور أزمات بينهما كانت تنتهي بالوفاق أحياناً وبالخلاف أحياناً أخرى ولكن دون الوصول إلى قيام حربٍ شاملةٍ بين الاستعماريين لأنّها قد تُؤدّي إلى مصلحة العدو المشترك الذي هو الإسلام، والخلاف والوفاق ليس إلا على أرض المسلمين، فليكن التفاهم وليكن التقاسم، وإن لم يكن العدل في القسمة إلّا أن الإجحاف لن يضرّ أحد الطرفين، وما دامت الفائدة لا تكون للمسلمين في كلتا الحالتين حتى ولا بأيّة حالةٍ فالأمر يسير.

الظلم في بلاد التتار: بعد أن سيطر المستعمرون الروس على بلاد التتار في حوض مجرى نهر الفولغا وعلى الشعوب المجاورة لهم كالباشغرد (الباشكير) وغيرهم، وانتهت المقاومة تماماً، التفت المستعمرون يُفرغون ما حملوه من حقدٍ عبر القرون الماضية، وما شُحنوا به من ضغنٍ على المسلمين، فأخذوا بالاستيلاء على الأراضي الخصبة الموجودة على طول مجاري الأنهار وتقديمها إلى النبلاء الروس، كما توافدت أفواج من الروس للسكن في المناطق الإسلامية والعمل فيها بعد أن تمّ الاستيلاء على الأرض، وهدّموا المساجد، ومراكز التعليم الديني، وشيّدوا القلاع الخاصّة بهم خوفاً من الحركات التي توقّعوا قيامها ضدّهم. وحاولوا تنصير المسلمين بحجة تحويلهم إلى سلاف،

وقد رفض المسلمون هذه الإجراءات مع استثناءاتٍ قليلة. وحتى نتابع تسلسل الأحداث أيام القياصرة الروس أرى من المفيد تحديد أسماء هؤلاء القياصرة ومدة حكمهم:

أولًا: أمراء موسكو (الروس الكبار):

١ ـ إيڤان الثالث (الكبير) : ٨٦٧ ـ ٩١١ هـ.
٢ ـ بازيل الثالث : ٩١١ ـ ٩٤٠ هـ.
٣ ـ إيڤان الرابع (الرهيب) : ٩٤٠ ـ ٩٥٤ هـ.

ثمّ ضمّ إيڤان الرابع إليه أوكرانيا (الروس الصغار) وأصبح قيصراً على روسيا.

ثانياً: قياصرة روسيا:

١ ـ إيڤان الرابع (الرهيب) : ٩٥٤ ـ ٩٩٢ هـ.
٢ ـ تيودور الأول : ٩٩٢ ـ ١٠٠٧ هـ.
٣ ـ بوريس كودرنوف : ١٠٠٧ ـ ١٠١٤ هـ.

قامت مرحلة من الفوضى والاضطرابات دامت من ١٠١٤ حتى ١٠٢٢ حيث تمكّنت أسرة رومانوف من استلام السلطة.

ثالثاً: أسرة رومانوف:

١ ـ ميخائيل : ١٠٢٢ ـ ١٠٥٥ هـ.
٢ ـ الكسيس : ١٠٥٥ ـ ١٠٨٧ هـ.
٣ ـ تيودور الثاني : ١٠٨٧ ـ ١٠٩٤ هـ.
٤ ـ إيڤان الخامس : ١٠٩٤ ـ ١١٠١ هـ.
وحكم معه بطرس الأكبر مدةً من الزمن.
٥ ـ بطرس الأكبر : ١١٠١ ـ ١١٣٨ هـ.
٦ ـ كاترين الأولى : ١١٣٨ ـ ١١٤٠ هـ.

٧ ـ بطرس الثاني : ١١٤٠ ـ ١١٥١ هـ .
٨ ـ الإمبراطورة حنّة : ١١٥١ ـ ١١٦٩ هـ .
٩ ـ ايڤان السادس : ١١٦٩ ـ ١١٧٠ هـ .
١٠ ـ إليزابيت : ١١٧٠ ـ ١١٧٦ هـ .
١١ ـ بطرس الثالث : ١١٧٦ ـ ١١٧٦ هـ .
١٢ ـ كاترين الثانية : ١١٧٦ ـ ١٢١١ هـ .
١٣ ـ بول الأول : ١٢١١ ـ ١٢١٥ هـ .
١٤ ـ إسكندر الأول : ١٢١٥ ـ ١٢٤١ هـ .
١٥ ـ نيقولا الأول : ١٢٤١ ـ ١٢٧٢ هـ .
١٦ ـ إسكندر الثاني : ١٢٧٢ ـ ١٢٩٨ هـ .
١٧ ـ نيقولا الثاني : ١٢٩٨ ـ ١٣٣٦ هـ .
قتله الشيوعيون في مدينة بطرسبرغ.

ولكثرة ما قتل القيصر الأول (ايڤان الرابع) من المسلمين، ولشدّة ما ظلم فقد أُطلق عليه لقب (الرهيب)، ومع ما وقع على المسلمين من اضطهادٍ وبغيٍ فقد صبروا وتحمّلوا كل أذى، ولما رأى المستعمرون الروس إصرار المسلمين على المقاومة بدأوا بتشريدهم عن ديارهم. غير أن الضغط والإرهاب على الذين بقوا في منازلهم، وعلى الذين شُرِّدوا من ديارهم، والنظرة الخاصّة لهم من قبل المستعمرين الروس، والمصائب المشتركة التي حلّت بهم، إذ ليس هناك من أُسرة لم تحلّ بها فاجعة أو لم تنزل بها نكبة، كل ذلك قد فرض عليهم نوعاً من التعاون والمحبة والألفة، إذ كان يساعد بعضهم بعضاً في كثيرٍ من النواحي المادية، ويتعاونون على الحياة ليتخطّوا العقبات التي تعترضهم مما أوجد الثقة بينهم إضافة إلى نظرة الاستعلاء التي لدى المسلم إذ يشعر على الرغم من الوضع الذي هو فيه أنه هو الأعلى ما دام مسلماً، وهو أرفع ثقافةً وأكثر إنسانيةً وفهماً للحياة من النصراني بل ومن أيّ صاحب عقيدةٍ أُخرى غير الإسلام، وأن عليه مهمة في الحياة هي هداية الناس وإخراجهم ممّا هم

فيه، كما عليه تبعة أخرى هي إنقاذ مجتمعه مما يُعاني من البؤس والشقاء والظلم والجهل، ومُقابل ذلك فعليه أن يتحمّل المشقّة والصعاب، ويذوق مرّ العذاب، وأجره في صبره، وثوابه في شكره مهما لقي. هذه المودة التي سادت بين المسلمين، والألفة التي عمّت أفرادهم، والمحبة التي تجلّت على أبنائهم سواء أكانوا من الظاعنين أم من المُشرّدين قد جعل عطفاً عليهم من الذين يأتون إلى مدنهم وقُراهم وأماكن إقامتهم ومن الذين يمرّون عليهم وهم راحلون في طريقهم إلى منفاهم، وجعل الناظرين يتساءلون عن هذه الأخوة القائمة بينهم، والمحبة الماثلة عليهم، والعزيمة الواضحة فيهم فيأتي الجواب يعزو ذلك كله إلى عقيدتهم الإسلامية فهذا حبّب المشاهدين بالإسلام فما وجدوا أنفسهم إلا وقد أصبحوا مسلمين.

كما أن هؤلاء المسلمين كانوا يدعون إلى اعتناق دينهم الذي فيه الخير والصلاح للناس جميعاً، يدعون على الرغم من معرفتهم بما يُحيط بهم من قسوةٍ، وما يُحدق بهم من عنتٍ، يدعون وهم يعرفون النتيجة ويتحمّلون المسؤولية، وإن كان الحذر والأناة يأخذان سبيلها، وإضافةً إلى هذا فإن المسلمين كانوا ينظرون إلى أنفسهم أنهم حُكّام البلاد الشرعيون، وأنّ الروس مغتصبون، ولا يصلحون للأمر ما داموا لا يدينون بدين الحق الذي يجعلهم يهتمّون بالرعية، وينظرون إلى الأفراد جيعهم نظرة العطف، والدليل على ما يجدونه هم من ظلمٍ من الحكام الطغاة الغاصبين.

وأصدرت القيصرية أمراً يجعل اعتناق أيّ دينٍ يُخالف الكنيسة الأرثوذكسية أمراً مُحرّماً، وفسحت المجال للنشاط التنصيري على مصراعيه وأمدّته بالدعم كلّه. وأمام الضغط الشديد، وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية، ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل ومن أجل الحصول على لقمة العيش في كثيرٍ من الأحيان، ومن الوصول إلى حقّ الانتساب إلى المدارس كانت جماعات من

المسلمين تُوافق البعثات التنصيرية، وتقبل الانتساب إلى النصرانية على مذهبها الأرثوذكسي ظاهراً، وتتمّ عملية التعميد، وتُسجّل في عداد النصارى، إذ لم يكن باستطاعة المسلمين بأن يتمتعوا بالمساواة مع الروس إلّا إذا تركوا دينهم واعتنقوا النصرانية الأرثوذكسية، وربما تتمّ المساواة وقد لا تتمّ وهو الغالب بل إنّ الثقة بالمسلمين المتنصرين لا يمكن أن يقبل بها روسي نصراني بسبب ما يحمل بين جوانحه من حقدٍ على هذا الدين.

نجحت سياسة التنصير نسبياً بعد أن استولت الحكومة القيصرية على أوقاف المسلمين، وأغلقت كلّ المدارس القرآنية، وفتحت مكانها مدارس خاصّةً بأبناء المرتدّين من المسلمين، وأعفت هؤلاء المرتدّين من دفع الضرائب ومن الخدمة العسكرية، وألزمت الذين تمسّكوا بدينهم بتأدية ذلك عنهم، وعدّت اعتناق الدين الإسلامي جريمةً يُعاقب فاعلها بالإعدام، وتكوّنت نتيجة ذلك جماعة من المرتدّين وسط المجتمع الإسلامي، وعندما عمل المستعمرون الروس على طرد المسلمين إلى أماكن نائيةٍ قدّمت أملاكهم للمرتدّين وإلى النبلاء الروس. وقد عُرف هؤلاء المُرتدّون من التتار باسم (كرياشن). وأعلن عن ارتداد ما يقرب من ثلاثمائة ألف من المسلمين، والوثنيين مع العلم أن جلّهم من الوثنيين ولكن يُجمعوا معاً للإيهام، وكان لهذا أثره الكبير إذ هاجرت أعداد كبيرة من بلاد التتار، واتّجهت إلى بلاد الباشكير، وإلى سهوب القازاق، وتركستان، ونشأت كراهية للروس من قبل التتار لا تمحى.

تطوّر مراحل الظلم: كانت هذه السياسة الروسية على أوجها أيام إيفان الرابع (الرهيب) واستمرّت في خلفائه، حتى هدأت نسبياً عندما تسلّمت أُسرة رومانوف الحكم، ولكن لم تلبث أن عادت سياسة الاضطهاد والتنصير إلى سابق عهدها أيّام بطرس الأكبر الذي يُعدّ القيصر الخامس من أسرة رومانوف ولكن كان مُشارِكًا لسلفه إيفان الخامس في السلطة، ويُعدّ بطرس

الأكبر من الأعداء الألداء للمسلمين وقد رجع بروسيا إلى سياسة القمع بالنسبة إلى المسلمين ومحاولة تنصيرهم.

تابع خلفاء بطرس الأكبر سياسته تجاه المسلمين، وتُعدُّ الامبراطورة حنّة (١١٥١ - ١١٦٩) أكثر ظلماً وتعسُّفاً إذ قامت بالدور نفسه الذي قام به القيصر إيڤان الرهيب، إذ أقفلت المساجد القائمة في حوض مجرى الفولغا الأوسط كلها، وصادرت الأوقاف، وهي التي أصدرت أمراً بإعفاء المسلمين المرتدّين من الضرائب ومن الخدمة العسكرية التي فرضها بطرس الأكبر، ومعاملتهم معاملةً حسنةً كي تشجّع غيرهم للسير على خُطاهم، كما أمرت بأن يُكلّف المسلمون المتمسّكون بعقيدتهم بأحطّ الأعمال، وأن يُجبروا بتأدية ما رفع عن المرتدّين من ضرائب وخدمةٍ عسكريةٍ، ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وإغلاق مدارسهم ومساجدهم كلها، ومصادرة الأوقاف الخاصة بالمساجد والمدارس الدينية، وإنشاء مدارس تنصيرية على طول مجرى نهر الفولغا من قازان حتى استراخان، واختطاف أبنائهم ووضعهم فيها إن لم يُقبلوا بأنفسهم على تسجيل أطفالهم فيها. أما عقوبة الذي يدعو إلى الإسلام فهي الموت. وبعد الامبراطورة حنّة تراخت قبضة القياصرة نسبياً عن المسلمين.

وتولّت أمر الامبراطورية الروسية القيصرة كاترين الثانية (١١٧٦ - ١٢١١) فأظهرت ليناً تجاه المسلمين إذ أمرت بمنع التنصير بالقوة، والسماح بفتح المساجد والمدارس التي سبق لها أن أُغلقت، ومنع اختطاف الأطفال المسلمين وفصلهم عن أهليهم ووضعهم في مدارس تنصيريةٍ، كما سمحت بتعليم المسلمين أبناءهم في مدارس خاصّة بهم، وأعلنت عن السماح للتتار الذين شُرّدوا من بلادهم بالعودة إلى ديارهم إن رغبوا، هذه المعاملة اللينة، ولو في ظاهرها، قد مهّدت لعودة التتار الذين نُصّروا بالقوة في عهد إيڤان الرهيب ومن تلاه بالعودة إلى الإسلام. وربما كانت رغبة كاترين الثانية كسب عطف

المسلمين نحوها، والتخفيف من مُقاومة المسلمين للاستعمار الروسي في القرم وبلاد القفقاس إذ كانت الحروب قائمةً، واستبسال المسلمين في الدفاع عن دينهم، وعن ديارهم، وخوفاً مما يرونه بما يحلّ بإخوانهم في بلاد حوض نهر الفولغا وخاصّةً التتار، فكانت ترى في تخفيف سياسة البطش تخفيفاً في المقاومة الإسلامية وتسهيلًا لتقدّم جيوشها في القرم والقفقاس. ولكن هذه السياسة لم تحل دون إجراءاتٍ أُخرى من الظلم والتعدّي، فقد أمرت بوضع اليد على أخصب الأراضي، وأقطعتها لنبلاء الروس، كما حدثت اعتداءات كثيرة على الأوقاف الاسلامية سواء أكانت أموالاً أم أراضي، وقد كثرت هذه الاعتداءات في القرم إذ بدأ التشفّي من سكان القرم بعد احتلال أراضيهم، التشفّي بإفراغ الحقد الذي يحمله الروس ضدّ القرميين لإسلامهم ولوقوفهم ببسالةٍ في وجه المستعمرين الروس.

ثمّ تجددت حملة الظلم أيام القيصر اسكندر الثاني (١٢٧٢ - ١٢٩٨)، وكانت حملة التنصير بشكلٍ فيها شيء غير قليلٍ من المكر، وذلك أنه أنشأ داراً للمعلمين خاصّةً بالتتار المرتدّين، وتُدرّس العلوم باللغة التتارية، فنشأ نتيجة ذلك جيل من المرتدّين الذي أخذوا بالثقافة النصرانية المادية مع المحافظة على لغتهم التي يُمكنهم بواسطتها التعامل مع قومهم التتار ودعوتهم إلى ترك الإسلام وأخذ النصرانية عقيدةً لهم. كما قام المُنصّرون بمساعدة مُنظّماتٍ أرثوذكسيةٍ بتجديد الحملة ضدّ الإسلام، وقد تمكّنوا من كسب ما يقرب مائة ألفٍ إلى ديانتهم غير أن أكثريتهم إنما هي من الوثنيين، ومع الأسف فإن هذه الأرقام التي تُعْطَى تضمّ المسلمين والوثنيين معاً، وربما تصوّر القارىء أنّها تضمّ المسلمين فقط أو مع بعض الوثنيين مع العلم أن المسلمين لا يُشكّلون فيها أكثر من ٢ ٪ والباقي من الوثنيين وفي ذلك إيهام كبير، ولإعطاء نتائج مُثمرةٍ لجهود المُنصّرين فيُشجّعونهم على الاستمرار والنشاط، وكي يجد المسلمون أمراً عادياً في ارتدادهم إذا ما فكّروا فيه حيث سبقتهم أفواج كثيرة من قومهم.

ونتيجة الضغط على التتار في حوض نهر الفولغا ومحاولة صهرهم في بوتقة المجتمع الروسي وهذا لن يتمّ إلا بارتدادهم وتخلّيهم عن الإسلام واعتناقهم النصرانية على المذهب الأرثوذكسي بالذات ودون سواه لذا فقد ارتبطت عندهم الفكرة الدينية بالعصبية القومية، فكانت كلمة تتار تعني إسلام، وعندما يعتزّ المرء منهم بقوله تتاري فإنما هو اعتزاز بإسلامه.

الظلم في بلاد القرم: لم ينل التتار في شبه جزيرة القرم ما ناله إخوانهم في حوض نهر الفولغا من ضغطٍ وظلمٍ وخاصّةً فيما يتعلق بسياسة التنصير التي سار عليها القياصرة الروس، أو بالأحرى الحاقدون المستعمرون، وذلك لأن الروس عندما استولوا على شبه جزيرة القرم كانوا قد أفرغوا شيئاً من حقدهم، ومضى على تسلّطهم مدة من الزمن تراخت خلالها قبضتهم قليلًا نتيجة شدّة الضغط التي مارستها فتراخت العضلات نسبياً. ومن جهةٍ ثانيةٍ فقد حرص المستعمرون الروس ألّا يشتدّوا كثيراً على تتار القرم خوفاً من تسرّب القوة العثمانية لهم، والتجسّس لها. وإذا كانت قد حدثت اعتداءات على أوقاف المسلمين فلم تكن على تلك الصورة التي وقعت في بلاد الفولغا، وإنما يُتلافى أمرها بعد مدة، وإذا كانت السلطة الاستعمارية قد اغتصبت السهول الساحلية لما وجدت فيها من مياه حُرّةٍ لم تعرفها في بقية مناطقها التي تُشرف على البحار، وشاهدت السواحل الدافئة التي هي محرومة منها في أرجائها الواسعة، وسُرّت بالسفوح الجبلية ذات المناظر الخلّابة والتي تُشرف منها على البحار ذات الحركة الدائمة والتي لا تنقطع صيفاً ولا شتاءً، فالسفن في ذهابٍ وإيابٍ دائبين، غير أن سكان القرم لم يكونوا يهتمّوا بتلك السهول كثيراً حيث كانت مُعرّضةً لأعمال القرصنة وخاصة من قبل أهل جَنَوَه الذين كانوا يدخلون إلى البحر الأسود، يطرقون تلك السواحل حتى لقد أضحت لهم مراكز فيها. وبصورةٍ عامةٍ فقد كانت وطأة الروس على تتار القرم أخفّ بكثير من وطأتهم على تتار الفولغا.

الاستعمار في سهوب القازاق: بعد أن احتلّ الروس سهوب القازاق وجدوا فيه مُجتمعاً بدوياً، معرفته بالإسلام معرفة سطحية، ولم يجدوا فيه تلك العزيمة القوية للدفاع عن عقيدته بالقتال وتحمّل النكبات والصبر على الأذى، لذلك فكّر الروس باتخاذ القازاق قوةً تساعدهم على الوقوف في وجه التتار والترك على حدٍّ سواء. فعمل الروس على نشر ثقافةٍ نصرانيةٍ ماديةٍ بين القازاق فنشأت جماعة ذات ثقافةٍ تختلف عن ثقافة القازاق القديمة وعن ثقافة التتار والأتراك المتأثّرة بالإسلام، فنشأ بينهم مُتعلّمون عملوا على بثّ الحضارة الغربية بين أبناء قومهم، ويرون أنه لولا الروس لبقي القازاق على درجةٍ من التخلّف لذا يجب التعاون غير المحدود مع الروس وتخليص ثقافة القازاق مما لحقها من آثار الإسلام. وقامت السلطة الاستعمارية بدعم هؤلاء ومدّهم باحتياجاتهم لإظهار أفكارهم ومشروعاتهم إلى الواقع فأقامت مدارس قازاقية روسية عام ١٢٥٧ هـ، وفي العام نفسه أنشأت مدرستين عسكريتين لأبناء القازاق في كل من «أومسك» و«أورنبرغ»، وبذلت جهودًا كبيرة لبثّ الثقافة النصرانية المادية الحديثة بلغة أهل القازاق. ويبدو أن كل ذلك كان طُعماً فلم يأت عام ١٣١٠ حتى بدأت تتدفّق أفواج الروس نحو سهوب القازاق وتستولي على أحسن الأراضي فيها، وما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ إلا وكان مليون روسي في بلاد القازاق، وقد تملكوا أفضل أراضيها، فقلّت المساحات الرعوية في المنطقة، وتناقصت معها أعداد القطعان، ونتج عن ذلك انخفاض في المستوى المعاشي للقازاق، فأحسّ القازاق بما كان يُدبّر لهم، وشعروا أن هذا الاستعمار الروسي إنما يُهدّد حياتهم بل وجودهم في ديارهم لذا نشأ نزاع دائم بين القازاق والمستعمر.

الاستعمار في شمالي القفقاس: لم يجد الروس مجالًا للاستيلاء على الأراضي في شمالي القفقاس والاستثمار الريفي كي تتدفّق إليها سيول الفلاحين الروس إذ أن الأرض جبلية والمساحات الزراعية محدودة، إضافةً إلى قوة

السكان وشجاعتهم، وتحصين بلادهم، وإمكانية الاتصال بالدولة العثمانية، لذا وجد الروس من الأفضل عندما سيطروا على المنطقة ألا يُثيروا السكان، ويكتفوا بإنشاء مراكز عسكريةٍ ونقاط حمايةٍ وتركوا الشأن كلّه بيد المتنفّذين، وهم العلماء الذين أعلنوا عداءهم الصريح للروس، ومع أن المستعمرين قد تحاشوا الصدام معهم لما لمسوه من قوة أبناء المنطقة، ولم يُحاولوا الدمج الثقافي، أو التنصير سواء أكان إجبارياً أم بالإغراء والعمل إلى ردّة السكان عن دينهم غير أن حروباً طاحنةً استمرّت بين السكان الذين قادهم العلماء وبين المستعمرين الروس الذين اتَّخذوا كل وسائل الوحشية ليدبّ الذعر في النفوس، وليهجر السكان بلادهم فيدخلها المستعمرون، وقد حدث هذا، وخاصّةً بعد أن ضعف أمر الشيخ محمد شامل ووقع أسيراً بيد الروس عام ١٢٨١ هـ، ثم حدثت موجات أخرى من الظلم والاضطهاد ألجأت السكان إلى انتفاضاتٍ اتّخذتها السلطات الاستعمارية حجةً لعمليات سحقٍ وإبادةٍ ففرّت جماعات إثر جماعاتٍ على شكل موجاتٍ متكرّرةٍ.

الاستعمار فيما وراء القفقاس: إن هذه المنطقة تختلف عما سواها من المناطق الإسلامية التي سيطر عليها المستعمرون الروس وذلك بسبب كثرة الصراعات القائمة فيها، حيث هناك أولاً صراع بين المسلمين وبين النصارى من الأرمن، ويكاد لا ينتهي هذا الخلاف.

ولما كان أكثر سكان المنطقة من الشيعة لذا فإن نزاعاً فكرياً قائماً، يُضاف إليه أن المتمسّكين بالشيعة يرون الاتجاه نحو إيران بسبب العاطفة الدينية، غير أن الشباب المثقّفين الذين يميلون دائماً إلى القوة لا يرون هذا الرأي فإن الاتجاه نحو إيران لا يُشكّل قوةً، فالشيعة نسبة قليلة في العالم الإسلامي لا تزيد على ٧ ٪ من المسلمين فيه، لذا من الأفضل الاتجاه نحو الدولة العثمانية صاحبة النفوذ بين المسلمين وأن أهل السنة يُمثّلون ٩٣ ٪ من المسلمين. وإذا كانت الدولة العثمانية قد أخذت طريقها نحو الضعف وأوشكت على الانهيار

إلّا أنه من الأهمية بمكان العمل على عودة القوة إليها وهو أمر ليس فيه استحالة. فلما دخل الروس مستعمرين للمنطقة لم يشعر السكان بوطأةٍ شديدةٍ عليهم نتيجة النزاعات القائمة بينهم، كما أن الروس قد أدركوا ذلك فلم يعملوا على دمج السكان بالمجتمع الروسي، ولم يلجأوا إلى سياسة التنصير فإنهم لو فعلوا ذلك لبرز العداء ضدّهم، ولوحّد هذا التصرّف السكان للوقوف في وجه المعتدين، غير أن الروس قد عملوا على مكافحة الاتجاه نحو الدولة العثمانية لما فيه من خطرٍ عليهم إن لم يكن عاجلًا فهو واقع في المستقبل لا محالة، وكان ضغطهم على الشيعة، وعلى الذين يرون الاتجاه نحو إيران أخفّ من ضغطهم على المسلمين، كما أن المعاملة لم تكن واحدةً لأفراد الفريقين.

الاستعمار في تركستان: سيطر الروس على تركستان، ولم يُحاولوا دمجها في المجتمع الروسي، ولم يُحاولوا تنصير أهلها بالقوة، وفوق كل هذا فقد أبقوا فيها محميّتين هما بُخارى، وخيوه (خُوارزم)، وتُحكمان تحت إشراف المستعمرين الروس، ولم تنفلت نحوها أفواج المستعمرين حيث تكثر فيها المساحات الصحراوية والسهبية، ويعيش السكان في واحات على طول مجاري الأنهار أو في الداخل وهذه الواحات لا تساعد على قدوم ريفيين جدد إضافةً إلى سكانها الذين تكاد تغصّ بهم، وباقي الأرض لا يصلح كذلك للاستثمار. لذا فإن العمال والمزارعين الروس الذين قدموا إلى تركستان كانوا قلّةً، أما الموظفون الذين جاءوا لإدارة شؤون البلاد، والجنود الذين قدموا لتثبيت أقدام المستعمرين وللحماية فقد أقاموا لهم مستوطناتٍ خاصّةً بهم مُهمّتها الإشراف العام.

لم يتدخّل الروس في الشؤون الدينية والتعليمية بشكلٍ مباشرٍ، وإنما بطريقةٍ ماكرةٍ فمن الجانب الديني شجّعوا الطرق الصوفية، والدعوة إلى التواكل، والاكتفاء بالقليل، والزهد بالدنيا، وقبول الخرافات، ومقت فكرة

الدين للدنيا والآخرة، وأن العمل مطلوب والجهاد واجب، ودعم الروس هؤلاء للوقوف في وجه العلماء الذي عرفوا حقيقة دينهم، وعلموا مُهمّتهم في الدنيا فحاولوا القيام بها والدعوة إلى النهوض بالعبء الملقى على عاتق المسلمين.

ومن الجانب التعليمي فقد حرص المستعمرون على الإبقاء على الأسلوب القديم في التعليم، ولم يُحاولوا إدخال أيّ تطوّرٍ في هذا المجال، لذا فقد استمرّ الجهل، وسادت الخرافة، وتأخرّت البلاد.

وقد عمل القلّة من المستعمرين الذين جاءوا على شكل عمالٍ وريفيين في استثمار القطن، والإشراف على السكان للعمل في هذه الزراعة، وتشجيع ذلك، وغدت تركستان مستوطنةً استثماريةً، ويُعدّ القطن الثروة الوحيدة، كما استفاد المستعمرون من القطعان الكثيرة التي ترعى في السهوب الواسعة.

ونلاحظ أن اضطهاد المستعمرين الروس للمسلمين قد اختلف بين جزءٍ وآخر، وأن أشدّه كان على سكّان حوض نهر الفولغا، وخاصّةً التتار منهم، كما اختلف الأمر بين قيصرٍ وآخر، كما أن ردود فعل المسلمين قد تباينت بين منطقةٍ ومنطقةٍ، وكان تطوّر المسلمين مُتمايزاً بين إقليمٍ وثانٍ.

الحرية الدينية: لم يتذوّق المسلمون في الإمبراطورية الروسية طعم الحرية أبداً منذ وطأت أقدام المستعمرين الروس أرضهم بل لم يعرفوا إلّا الظلم والاضطهاد حتى ألفوه وأصبح كل فردٍ وكل أسرةٍ منهم ينظر إلى الجزّارين وينتظر دوره في الذبح بسببٍ أو من غير سببٍ، كما تنظر الخراف إلى القصّاب في المسلخ وتحسّ أن دورها قادم لا محالة من غير أن تعرف ما الذي يدعوه إلى ذلك لصحّتها أم لهُزالها، لقوّتها أم لضعفها، لطعامها أم لتكون طعاماً لا تدري فهي عجماء. والمسلمون يشعرون أن النكبة نازلة بهم لا مناص إما لأرضهم الخصبة التي حباهم الله إياها ويُريد الروس أن يغتصبوها منهم، أو لأنّ بلادهم جبلية فقيرة، ولكنّها حصينة يخشى الظالمون أن يتحصّن بها

أهلوها، أو أنها صحراوية ولكن فيها مراعٍ. فهم بحاجةٍ إلى قطعانها، أو أنها سهبية فهم بحاجة إلى قُطنها فبأي أرضٍ يسكن المسلمون حتى يأمنوا المستعمرين الروس؟ وهؤلاء كان آباؤهم حُكّاماً يجب الانتقام منهم، وأولئك ضعفاء يُخشى عليهم من الآخرين فيجب استعمارهم قبل وقوعهم بيد غيرهم، بعضهم مُتمسّك بعقيدته فيجب إذلالهُ وردّه عن دينه، وذاك مهمل لشؤون عقيدته لا بدّ له من أن يتديّن في يوم فلا بدّ من القضاء عليه. فبأي حالٍ يجب أن يقع الظلم على المسلمين ولا ذنب لهم إلّا الحقد من الصليبيين. هذه هي الحرية العامة العادية فالأولى أن يكون الضغط على الحرية الدينية أكثر لأن أساس الظلم إنما هو قائم على التشفّي من أصحاب العقيدة الإسلامية لانتمائهم إليها والتمسُّك بها، لذا فلم يعرف المسلمون أيضاً للحرية الدينية طعماً.

أحسّ المسلمون بشيءٍ من الحرية الدينية أيام الإمبراطورة كاترين الثانية (١١٧٦ - ١٢١١) إذ رأت أن الضغط على المسلمين في المناطق التي تخضع لها إنما يُجبرهم ذلك على التحرُّك لمصلحة الدولة العثمانية التي هي معها في حربٍ، وتُريد انتزاع أجزاء منها واقتطاع بعض أراضيها، لذا كان من الضرورة بمكانٍ تخفيف الضغط عن مسلمي مناطق نفوذها لذا فقد أعلنت التساهل الديني عام ١١٧٨، وسمحت عام ١١٨١ للتتار بالعودة إلى قازان بعد أن كانوا قد طُردوا منها، ورفعت الحظر عن عملهم في التجارة بعد أن كانوا قد مُنعوا منها، ونادت بالحرية الدينية عام ١١٨٧، وأعطت المسلمين الحقّ في بناء المساجد، وتأسيس المدارس القرآنية، ووافقت على تأسيس المجلس الإسلامي في أورنبرغ عام ١١٩٧، فنشط عندها التتار بالدعوة إلى الإسلام حتى تمكّنوا من نشره في إقليم باشكيريا الذي كانت لا تزال فيه بعض الجزر الوثنية، كما عملوا على نشره في سيبيريا الغربية، وفي سهوب القوزاق.

لكن ذلك لم تكن إلّا مدة قصيرة وانقضت، وعاد الظلم يحيق بالمسلمين

من كل جانب، وخاصةً أولئك التتار الذين عملوا على نشر الإسلام في أول فرصةٍ سمحت لهم رغم قصرها، ولسببٍ، فكيف بهم لو كانت لهم حرية تامة؟ واشتدّ الضغط واشتدّ، وعظُم البلاء على المسلمين، واكفهرّ الجوّ عليهم، وخيّم الظلم، وصبروا، وبلغ من ذلك الصبر أن كتم كثير منهم إيمانه عدة قرونٍ من الزمن، فكان ينتقل الكتمان خلال هذه المدة من الأب إلى الابن فالحفيد.. حتى يأذن الله.

وظنّ الروس بعد هذه المدّة من الشدّة وهذا الوقت الطويل من البلاء أن الإسلام قد انتهى أمره في مُستعمراتهم أو على الأقلّ لم ينتشر بعد هذا، بل هو في اضمحلالٍ وضمورٍ، وسيُؤدّي مع الزمن إلى أُفوله نهائياً لذا لا مانع من التراخي في حقّ أهله فإن الشدّة تُطيل في أجله، وإن الاضطهاد الدائم يُؤلّف بين أبنائه، ويُوحّد بين أقاليمه. ولا شكّ أنّ هذا الزمن من الضغط قد أضعف عضلات الأيدي فتراخت القبضة الضاغطة وقلّ العزم فيها وخفّت القوة منها. وفي الوقت نفسه فإن الحياة النيابية قد دخلت روسيا بعد عناءٍ ثقيلٍ ومحاولاتٍ يائسةٍ للتمسّك بالتسلّط وقهر الشعوب، وقرر المجلس النيابي (الدوما) الروسي عام ١٣٢٣ هـ إعطاء الحرية الدينية الكاملة، ويا للفاجعة لدى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ولدى الحكم القيصري والنصارى عامةً.

لقد عاد إلى الإسلام التتار الذين فُرضت عليهمُ النصرانية في القرن العاشر في عهد القيصر الأول إيڤان الرهيب، لقد كتموا إسلامهم ما يقرب من أربعة قرونٍ، وهؤلاء الذين عرفوا باسم (ستارو كرياشين) أي المرتدّون القدماء.

وعاد إلى الإسلام التتار الذين أُجبروا على النصرانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين في عهد الامبراطورة حنّة، والقيصر إسكندر الثاني، أيّ لقد كتموا إيمانهم بين ربع القرن والقرنين وهم الذين عرفوا باسم (نوفو كرياشين) أي المرتدّون الجدد.

ودخل الإسلام إحدى وتسعون أسرةً عام ١٣٢٤ ، وفي العام نفسه اعتنقه أيضاً ثلاثة وخمسون ألفاً ، وهؤلاء جميعاً قد انتسبوا إلى الإسلام من جديد .

وإن قبيلة (الفوتياك) من الفنلنديين الشرقيين الذين يُقيمون شمال مدينة قازان قد انتشر الإسلام بين أبنائها على الرغم من أن مُعظمهم كان قد عُمّد ، أي دخل في النصرانية.

وإن قبيلة (الشريمس) وهي من الفنِّ أيضاً مثل قبيلة (الفوتياك) قد أسلم القسم الأعظم منها على الرغم من أن الكثيرين منهم كانوا نصارى اسماً ، وقد دخلت قراهم جميعها بالإسلام نتيجة اتصالهم بالتتار والباشكير الذين كانت عاداتهم مُتشابهة إلى حدٍّ ما ، وذلك على الرغم من الضغط الذي كان عليهم والحرب النفسية التي يلقونها إذ كانا قاسيين حيث كان الروس يُطلقون عليهم اسم (الكلاب المختونون) لأنهم يختنون أبناءهم إلا أنهم قد تحمّلوا هذا بصبرٍ وجلدٍ. وكانوا تحت هذه الظروف القاسية التي يعيشونها يتركون قراهم ويُؤسّسون قرىً خاصةً بهم على بعد عدّة أميالٍ، وكانوا في سجلّات الدولة وثنيين ، فلم يستطيعوا بناء مساجد لهم ، فما أن أعطيت الحرية الدينية حتى قامت المساجد وارتفعت المآذن.

وإن قبائل (الجوفاش) الذين بلغ عددهم المليون آنذاك وكانوا قد عُمّدوا جمبعاً فإن الإسلام قد انتشر بينهم حتى عمّ، وارتفعت المآذن في قرى هذه القبائل ، وأُقيمت المساجد ، وأقبل الناس عليها مُعلنين إسلامهم، وإن كثيرًا من القبائل الوثنية ما كان دخولها في النصرانية إلا تغطيةً لاعتناقها الإسلام.

أمام هذا التحوّل السريع نحو الإسلام خافت الحكومة الروسية على أتباعها من الذين كانت تُريد أن تُدخلهم في عقيدتها ، ورهبت أن ترى أمامها قوةً تحسب لها حساباً في الحالات العادية فكيف بعد أن أذاقتها مرّ العذاب، وكوتها بنار الظلم والاضطهاد ، واختطفت أبناءها من بين أيدي أهليهم،

وأنشأتهم على النصرانية، وبسبب هذا الخوف فقد أقامت الجمعيات الدينية لحماية عقيدتها، وفرضت اللغة الروسية، ولكن هذا لم يفدها شيئاً، إذ قام التتار في هذه المدة بنشاطٍ كبيرٍ للدعوة إلى دينهم سواء أكان في منطقة الأورال أم في شبه جزيرة القرم، وعادت روسيا فألغت الحرية الدينية، ولم تلبث أن اندلعت نار الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها قامت الثورة الشيوعية.

الفصل الثالث

المقَـاوَمَة الإسْلاميَّـة

لا نستطيع أن نُحدّد المقاومة الإسلامية كردٍّ فعلٍ للظلم الذي نالهم من الروس، فقد يُولّد الضغط انفجاراً، وربُّما ينتج عنه خنوع، وقد تُسبِّب سياسة اللين هدوءاً ورغبةً في التعاون، وربّما تُؤدّي إلى الثورة، لذا فإن ما حدث في المناطق الإسلامية التي هي تحت سيطرة الاستعمار الروسي من حركاتٍ ومقاومةٍ لم تكن بسبب عاملٍ واحدٍ وانما نتيجة عدة عواملٍ مجتمعةً وإن كانت تلتقي كلها تحت عنوانٍ واحدٍ هو مقاومة الاستعمار الروسي الغاشم.

في حوض نهر الفولغا: إنَّ عنف الصدمة التي أصابت المسلمين في حوض نهر الفولغا من وحشية الروس في ظلمهم واضطهادهم قد أذهلت الناس فأصمّت آذانهم وكمّت أفواههم بعد الذي أصابهم فما من أسرةٍ إلّا ونُكبت، وما من عائلةٍ إلا وحلّت بها مُصيبة، وما من فردٍ إلّا وأصابه شيء، فخنع السكان وسكتوا. فلمّا كانت أيام الإمبراطورة كاترين الثانية ورُفع شيء من الضغط عنهم شعروا بنزول قسطٍ من الهمّ عن كاهلهم واستنشقوا شيئاً من الحرية، وصحْوا قليلًا فقام الباشكير بحركة مقاومةٍ عام ١١٨٧ غير أنها قد قُمعت بعنفٍ وسُحق القائمون بها بصورةٍ أخافت الآخرين فسكتوا مُكرهين.

وعندما أُعطيت الحرية عام ١٣٢٣ هـ لاحظنا عودة الذين فُتنوا عن

دينهم بالقوة إلى إسلامهم وقام التتار خاصّةً بنشاطٍ واسعٍ في مجال الدعوة، واعتنق كثيرون الإسلام من جديد.

وأصرّ السكان على بقاء الحرف العربي في كتاباتهم رغم اختلاف اللغات، وحاول الروس تغيير هذا الحرف جاهدين ولكنهم عجزوا عن ذلك، وكانت اللغات السائدة بين مسلمي حوض الفولغا هي العربية، والفارسية، ولغة أهل قازان التتارية. وقد طُرحت فكرة الكتابة باللغة المحلية لكن لم يلبث أن انتبه المسلمون إلى ما في ذلك من خطرٍ في ظهور اللغات الإقليمية إذ تُشكّل تهديم وحدة الثقافة الإسلامية التي تضمّ المسلمين جميعاً، وبرزت محاولة للتقريب بين اللغات المحلية واللهجات.

وفي العام الذي أُعطيت فيه الحرية عُقد مؤتمر سري في غوركي (نيجني نوفوغورد) حضره ما يقرب من مائة مندوبٍ من التتار، طالبوا بالحقوق المدنية الشخصية، وبالمساواة مع الروس كحقٍّ من حقوق الوطنية. وبعد عامٍ عُقد مؤتمر ثانٍ سري في مدينة (بطرسبرغ) حضره مائة مندوب من مختلف المناطق الاسلامية، وفي العام نفسه أُعلن عن عقد مؤتمر في (نيجني نوفوغورد) حضره مائتا مندوبٍ من مختلف المناطق الإسلامية أيضاً، ومن مقرارته المطالبة بالحرية الدينية، وحرية التعليم، كما تقرّر إنشاء حزبٍ سياسي للمسلمين جميعاً الذين يعيشون في الامبراطورية الروسية.

قام هذا الحزب أو الاتفاق الإسلامي وعرض التعاون مع الأحزاب الحرّة التي كان يمثّلها حزب الدستوريين الديمقراطيين غير أن الحقد الصليبي جعل النصارى يرفضون هذا التعاون، وقطع قادة هذا الاتفاق الأمل من التفاهم مع الحكام أو مع الأحزاب أو مع أيّة مجموعاتٍ أو تجمّعاتٍ، الأمر الذي جعل الشباب الإسلامي بل وحتى القادة منهم يترك الإمبراطورية الروسية مُهاجراً إلى إحدى المناطق الإسلامية ليتخلّص مما يجد أو ينضمّ إلى الأحزاب والمُنظّمات التي تعمل لإسقاط النظام كالاشتراكية والشيوعية والتي عملت

أيضاً على خداع المسلمين وإخفاء حقيقتها، وانتهى حزب (الاتفاق الإسلامي)، وتشكّل بعد ذلك عدة أحزاب في بلاد حوض نهر الفولغا ومنها:

١ً - حزب برك (الوحدة): تأسّس في قازان عام ١٣٢٤ هـ، وأكثر قادته من العلماء (المُلّا)، كما دخل فيه عدد من الذين فُتنوا بالأفكار التي قامت تُعادي الإمبراطورية وتنزع إلى التغيير، لذا كانت الوجهات مُتباينةً فيه حتى تصل إلى حدّ التضارب، وكان يهدف إلى إقامة دولةٍ إسلاميةٍ مع منهجٍ اقتصاديٍ يعتمد على أُسسٍ اشتراكيةٍ في مجال الزراعة والعمل، ولم يعمُر أكثر من عدة أشهر إذ قضت عليه الدولة وألقت بقادته في السجن.

٢ً - حزب تانغتشيلار (محاربو نجمة الصبح): وتأسّس في قازان أيضاً في العام نفسه الذي قام فيه حزب الوحدة السابق، وكان الموجّهون فيه مُتأثّرين بالأفكار الاشتراكية، ويُرَكّزون اهتمامهم على الفلاحين الذين يرون أنهم مظلومون لدرجةٍ كبيرةٍ دون تحديد الجهة التي يأتي منها الظلم وهو الاستعمار الذي اغتصب منهم أراضيهم، واستعبدهم بعد ذلك. وقامت الدولة بالقضاء عليه كسابقه قبل أن ينصرم العام الأول على تأسيسه.

٣ً - حزب أورال تشيلار (محاربو الأورال)، وتأسّس هذا الحزب في مدينة أوربنورغ عام ١٣٢٥، وقد تبنّى رجاله الأفكار الشيوعية مع احترام وتقدير الإسلام، وهذا ناتج عن الجهل بالإسلام أولًا، ثم عن الهزيمة النفسية وسيطرة الأفكار الاشتراكية والشيوعية، وخداع الناس بها، ثم وقوع الظلم على البائسين الذي يُمثّلون أكثرية أهل الريف وجموعٍ كبيرةٍ من أهل المدن، والجميع يُريدون استغلالهم مع وجود عطفٍ عليهم، ولم تمض أكثر من أربعة أشهرٍ على قيامه حتى قُضي عليه.

وهذا يدلّ على مراقبة الدولة للناس مراقبةً شديدةً، ووجود البؤساء بأعدادٍ كبيرةٍ، وانتشار الأفكار المناهضة للسلطة، وكثرة النقد للنظام،

وشعور الحكومة بقرب الانهيار وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهذا ما شجّع على المجاهرة بالعداء، وانقياد المسلمين مع التيار المعادي للحكم دون التميّز بمعاداة الروس الذين هم بالأساس سبب ما نزل بالمسلمين من بلاءٍ وما أوصلهم إلى الصورة التي هم فيها من بؤسٍ وشقاءٍ، وأن تغيير الحكم لن يُبدّل شيئاً ما دامت السلطة بيد الروس، وهذا ما حدث فلم يحصد المسلمون سوى الشوك الذي ثقّب أجسادهم.

عقد المسلمون مؤتمراً كبيراً في مدينة موسكو شهده تسعمائة مندوبٍ من الأقاليم الإسلامية كافةً والتي تقع تحت دائرة نفوذ الإمبراطورية الروسية وكان ذلك في شهر رجب من عام ١٣٣٥ هـ، وبرزت في المؤتمر أفكار تحاول التوفيق بين الإسلام والاشتراكية نتيجة الجهل القائم على الرغم من السمة البارزة في المؤتمر في التركيز على الإسلام والارتباط فيه والتعظيم له، والتعاون مع أمصار الأمّة الإسلامية في أيّ مكانٍ كان موقعها على الأرض، وظهر على الساحة فريقان، فالتتار يرون استقلال المسلمين الذاتي ضمن دولةٍ روسيةٍ، ويُخالفهم أهل تركستان وأذربيجان الذين يرون اتحاد المسلمين وانفصالهم عن الروس. ولا نستطيع أن نقول: إن التتار كانوا أقلّ حماسةً من إخوانهم المسلمين من أهل تركستان وأذربيجان أبداً، وإنما كثرة الروس الذين عاشوا بجانبهم مُستعمرين، وطول الزمن الذي قضوا معهم وهو أربعة قرونٍ كان له أثر، مع أن رؤية المستعمرين الظالمين لهم على الدوام بالقرب منهم يُؤدّي إلى الكراهية لهم والحقد عليهم إلّا أن هذا يزيدهم استعلاءً عليهم بالإيمان لا حقداً ويريدون منهم أن يروا منهم أخلاقهم الإسلامية عندما يكونون حُكّاماً، أو على الأقل مُساوين لهم في شؤون السلطة. ومع وجود فريقين أو اتجاهين بين المسلمين في مؤتمر موسكو، فقد كان هناك اتفاق على بعض النقاط الأساسية، وصدر عن المؤتمر القرارات الآتية:

١ً ـ تشكيل إدارةٍ مركزيةٍ لتنسيق شؤون الملّة الإسلامية.

٢ - تشكيل مجلسٍ إسلاميٍ مركزيٍ (ملي شورى).
٣ - تشكيل لجنةٍ إسلاميةٍ تنفيذيةٍ.

وفي شهر رمضان من العام نفسه أي بعد شهرين من مؤتمر موسكو عُقد مؤتمر في قازان حضره مسلمون حوض نهر الفولغا والقرم وشمالي القفقاس فقط، وتقرّر فيه العمل على فكرة اتحاد المسلمين في الامبراطورية الروسية، وأعلن عن وحدتهم ثقافياً وسياسياً، وعُزّزت الإدارة الإسلامية المركزية بإنشاء مجلسٍ حزبيٍ (حزبي شورى) مقرّه قازان، وكان شديد الحرص على وحدة المسلمين.

بدأ المجلس الإسلامي بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط من التتار والباشكير. وأنشأ المجلس إدارةً دينيةً مركزها مدينة (أوفا) كُلّفت بالإعداد لعقد مجلسٍ ملّي في (أوفا) في ٤ صفر من عام ١٣٣٦ هـ لبحث مصير المسلمين في الإمبراطورية الروسية، غير أن الثورة الشيوعية قد قامت في مطلع العام أي حوالي الشهر قبل عقد المؤتمر فحالت دون إنجازه.

وإذا كانت الحركات الإسلامية المحلية قد اختلفت في أهدافها إلّا أن هناك نقاط اتفاقٍ تلتقي فيها جميعاً وتعمل لها بحرصٍ شديدٍ، وهي الحرية الجماعية، والمحافظة على الأساس الديني للمجتمع الإسلامي، وافترقت بين الانفصال عن الروس أو الاستقلال الذاتي ثقافياً وسياسياً داخل دولةٍ روسيةٍ اتحاديةٍ اشتراكيةٍ ليبراليةٍ. وكان الداغستانيون يرون أن يكون الإسلام أساساً للعمل، ويرى التركستانيون أن يكون التحرّك بمرونة على حين أن هناك من يرى العلمانية دون الرغبة في هدم الكيان الإسلامي - حسب قناعتهم - مع أنهم يعملون على هدمه دون علمٍ ومن غير درايةٍ، فإن العلمانية تعني اللادين أي لا إسلام.

في بلاد القرم: لم يلق التتار في شبه جزيرة القرم في هذه المرحلة ما لقيه إخوانهم التتار وغيرهم من المسلمين في حوض نهر الفولغا، إذ أعطتهم

الإمبراطورة كاترين الثانية التي ضمّت بلادهم إلى الإمبراطورية الروسية الحرية الدينية، وممارسة الشعائر كما أبقت الدعاء للخليفة العثماني أيّام الجمع، وإن لم يستمرّ هذا الأمر طويلًا، حيث صادرت أفضل الأراضي على شواطىء شبه الجزيرة، وعلى كلٍ فإن سياسة اللين هي التي كانت غالبة على السياسة الروسية، وهذا ما أوجد محاولاتٍ من السكان لمسايرة الروس والتعاون معهم، وإن كان هذا لدى فئاتٍ قليلةٍ غير أن هذه الفئات كانت ذات نفوذٍ في الأوساط وقد وُجدت نتيجة الخلاف بين الزعماء فلما كان الصراع قائماً بين العثمانيين والروس، وكانت شبه جزيرة القرم في مرحلةٍ من الزمن أحد مسارح هذا الصراع لذا فقد نشأ بين المُتنفّذين من يعمل للتعاون مع الروس مُنافسةً للذين يتعاملون مع العثمانيين وبخاصةٍ في الوقت الذي ظهرت فيه قوة الروس وبدا ضعف العثمانيين أو في الأيام التي مالت فيه كفّة القتال لصالح الروس الأمر الذي شجّع وجود عناصر مُؤيّدةٍ لهم أو حرّك ذلك ما في نفوس أصحاب الأطماع دون النظر إلى عواقب الأمور، ومصالح الأمّة الإسلامية والأخوة في العقيدة.

ودعا اسماعيل غسبرالي إلى استعمال اللغة التركية وكتابتها بأحرفٍ (كيريلية) روسيةٍ، وأسّس جريدة الترجمان التي استمرّت في الصدور ما يقرب من ثلث قرن (١٣٠١ - ١٣٣٢) في مدينة (باغجة سراي) قاعدة بلاد القرم، وكان صدورها بهذه اللغة التي اقترحها.

ووجد حزب (ملّي فرقة) أي الجماعة الإسلامية عام ١٣٣٥، وعندما حلّت الفوضى في الإمبراطورية الروسية بسبب الهجوم الألماني، والقضاء على الحكم القيصري شكّل المسلمون في القرم حكومةً إسلاميةً تتاريةً في مدينة (سمفروبول) بزعامة حزب (ملّي فرقة) فأعلنت استقلال البلاد، وأجرت الانتخابات العامّة، واجتمع المؤتمر الوطني المنتخب، ووضع دستوراً للبلاد، ولكن قُضي على هذه الحكومة بهجوم مُفاجىء من مدينة (سيباستيبول) بعد

ثلاثة أشهرٍ فقط من قيام الحكومة، وكان هذا الهجوم من قبل الحكومة الروسية.

وبعد ثلاثة أشهر أخرى احتلّ الألمان المنطقة، وشكّلوا حكومةً تتاريةً بإشرافهم من أعضاء حزب (ملّي فرقة)، وبقيت حتى جاء الروس البيض (المانشفيك) أو ما يدعون بالليبراليين، واحتلّوا القرم، وحلّوا حزب (ملّي فرقة)، واستمرّوا بالحكم حتى ورثهم الشيوعيون ثانيةً.

في شمالي القفقاس: جابه سكان شمالي القفقاس الروس بمقاومةٍ عنيفةٍ عام ١١٩٨ هـ قادها منصور أشرمه، ومع ذلك فلم يسمح الروس لأنفسهم بعد السيطرة على المنطقة التدخّل في شؤون البلاد وإنما تركوا للسكان قيادة حكم بلادهم، وهذا ما سبّب تشجيعاً من بعض المتنفذين للولاء إلى المستعمرين الروس، على حين وقف علماء الدين الإسلامي موقفاً عدائياً واضحاً للمستعمرين الأمر الذي جعل المقاومة تأخذ صفة الجهاد أي الطابع الديني. وقاد هؤلاء العلماء القتال ضدّ الروس حتى هُزموا أخيراً، ودخل المستعمرون البلاد بقسوةٍ ووحشيةٍ ذُعر منها السكان ففرّت جماعات من وجههم ورحلوا خارج البلاد، ثم قام الداغستان بحركةٍ أيضاً عام ١٢٩٦، ويبدو أن الداغستانيين كانوا هم المحرّكون الرئيسيون في بلاد شمالي القفقاس كلها. ونتيجة الضغط الذي استمرّ فقد فرّت جماعات جديدة من المنطقة كما أن جماعاتٍ أخرى خافت على نفسها فبدأت تحاول في أن تجد من تعتمد عليه لتحمي نفسها وأُسرها، فتعاون بعض الشباب مع الاشتراكيين، وانضمّ آخرون للشيوعيين، وتعاونت جماعة مع حكومة (بتروغراد) عندما قامت، غير أن هؤلاء جميعاً لم يكن لهم ذلك النفوذ الواسع، وإنما كان هذا للعلماء الذين كانوا يُقدّرون الوضع أكثر من غيرهم، ويعرفون ما يتّفق مع إسلامهم ومَن أولئك الذين يُعاودنه، لذا فلم يتعاونوا مع حكومة بتروغراد، ولا مع الاشتراكيين، ولا مع الشيوعيين، ولا مع المسلمين الذين اتّخذوا إحدى هذه الجماعات دعامةً لهم، أو سُلّماً يرتقون

عليه، أو وسيلةً لتحقيق مصالحهم، ولم يكونوا في الواقع سوى جماعاتٍ تستند عليها تلك الفئات لتأمين السيطرة على الحكم ثم الضغط على المسلمين، والنصر على مُنافسيها.

ولما كان العلماء هم أصحاب الكلمة المسموعة لذا فلم تنشأ أحزاب سياسية في داخل البلاد ذات أطماعٍ اجتماعيةٍ أو أهدافٍ مُعيّنةٍ لتحقيق بعض مصالح أعضائها، ويظهر أن القاعدة الصلبة في شمالي القفقاس إنما كانت مُركّزة في بلاد داغستان وقوامها العلماء، وقد أعدّوا ما استطاعوا لهم من قوةٍ وتنظيم لإعلان الجهاد، وما أن بدأت أحداث الفوضى في البلاد حتى سيطروا عليها وضبطوا أمرها دون التعاون مع جهةٍ أو المفاوضة مع تنظيم.

في أذربيجان: على الرغم من دخول أذربيجان تحت سيطرة الاستعمار الروسي إلّا أنّ النفوذ الديني كان للعثمانيين والإيرانيين إذ لم يُحاول الروس العمل على تحويل السكان إلى سلاف، كما أن التنصير الإجباري والضغط لم يكن على مستوى ما كان عليه في منطقة حوض نهر الفولغا، وهذه السياسة اللينة نسبياً قد أبقت نفوذاً سياسياً وثقافياً للدولة العثمانية وللإيرانية.

تأسّس في مدينة باكو عام ١٣٢٢ حزب همّة (الإرادة)، وكان شيوعياً، وبرز عام ١٣٢٤، ثم عمل سرًّا حوالي عشر سنوات (١٣٢٥ ـ ١٣٣٥).

تأسّس في مدينة غاندكا (كيروفوباد) حزب المساواة عام ١٣٢٩، ثم نقل مقرّه إلى مدينة باكو، وأصبح يتكلّم باسم العنصرية الأذربيجانية.

وتأسّس في مدينة باكو أيضاً حزب العدالة وكان جلّ أعضائه من الإيرانيين، وهو الذي أصبح فيما بعد الحزب الشيوعي الإيراني.

ويبدو من أسماء الأحزاب أن الفكر الاشتراكي هو الذي كان سائداً في أوساط المثقفين والسياسيين، وربما كان هذا استغلالًا للفئات الفقيرة البائسة التي وجدت نتيجة الاستعمار الروسي.

في قازاقستان: لم يتدخّل الروس المستعمرون في شؤون القازاق، بل تركوهم على عاداتهم وحياتهم البدوية، كما أعفوهم من الخدمة العسكرية، ولم يسمحوا بالهجرة للريفيين الروس من أجل الاستيطان هناك، واستمرّ الأمر كذلك حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وفي عام ١٣٠٩ صدر الأمر بالسماح للروس والأوكران بالاستيطان في بلاد القازاق فتدفّقت الجموع الكثيرة والتي وصل عددها قبيل الحرب العالمية الأولى إلى مليون مستوطن من الأوكران والروس في بلاد القازاق، وهذا ما دعا القازاق إلى القيام بردّ فعلٍ لمناهضة الاستعمار والانضمام إلى خصوم الحكم سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم.

تشكّل في قازاقستان عام ١٣٣٠ حزب (ألاش أوردا)، وهو غير مبالٍ بالإسلام لا إيجاباً ولا سلباً، ويعمل للوحدة التركية، ويُطالب بإيقاف التدفّق الاستعماري الروسي للمنطقة.

كما تأسّس حزب القبائل الثلاث (أوش جوز) ويدعو إلى الوحدة الإسلامية، ويُعادي الروس، ويُنافس حزب (ألاش أوردا)، وأخذ يتّجه نحو العمل إلى التغيّرات الجذرية، ويُناهض التتار، ونتيجةً للكراهية القائمة للحكم الروسي المُتسلّط فقد اتّجه قادة هذا الحزب إلى الشيوعيين.

وفي عام ١٣٣٤ انفجرت ثورة القبائل القازاقية ضدّ تصرّفات المستوطنين الروس وتجاوزاتهم، ولكن أُخمدت هذه الثورة بوحشيةٍ فأُبيدت قبائل كاملة، وفرّت قبائل أخرى إلى الصين. واضطر حزب (ألاش أوردا) الذي كان يعطف على الروس نسبياً ويُطالب بإيقاف تدفّق الأفواج الروسية نحو بلاد القازاق اضطر أن يُغيّر هذا الخط وأن يتبنّى فكرة طرد الروس من البلاد.

وفي ربيع عام ١٣٣٥ اندلعت حركة من جديد، وقامت جمهورية قازاقستان ذات الاستقلال الذاتي، وأوكل أمر هذه الجمهورية إلى حزب

(ألاش أوردا) الذي تولّى إدارة المنطقتين الوسطى والشرقية من قازاقستان، واستمرّت هذه الحكومة حتى جاء الشيوعيون.

في تركستان: بعد احتلال الاستعمار الروسي لتركستان ووضعها تحت إشراف إدارةٍ عسكريةٍ تخضع لها حكومة عموم تركستان، بقيت إمارتان هما: بُخارى، وخُوارزم (خيوه) كمحميتين وتتمتعان بالاستقلال الذاتي، وأُعفي السكان من الخدمة العسكرية، وتُركوا لقوانينهم وتقاليدهم، وعُزلوا عن التتار وسكان حوض الفولغا عامةً، كما لم يُحاولوا صهرهم بالمجتمع الروسي أو تنصيرهم، غير أن التمييز كان واضحاً بينهم وبين مستعمريهم. واستعمارهم واستغلالهم كان بيّناً أيضاً، ومن هنا كان الكره للروس المستعمرين جليًّا، وتمسُّكهم بالإسلام غير خافٍ.

تشكّل في إمارة بُخارى حزب الشباب البخاري الذي يدعو إلى الإسلام، ويُحرّض على الانفصال عن الامبراطورية الروسية، ويُظهر تحامله على أمير بُخارى الذي يرضى بحماية الروس، وقد نشأ هذا الحزب عام ١٣٢٧، واستمرّ في نشاطه.

وتأسّس عام ١٣٣٥ هـ في مدينة طاشقند حزب الشورى الإسلامية، وقد كان يتبنّى الإسلام، ويعمل على الانفصال عن الامبراطورية الروسية.

ويمكن أن نُعطي صورةً عن المسلمين في الإمبراطورية الروسية في هذه المرحلة وهي أنهم كانوا أصحاب عاطفةٍ إسلاميةٍ يعتزّون بدينهم ويفخرون بعقيدتهم، ويُؤدّون شعائرهم غير أنهم كانوا على جهلٍ تامٍ بالإسلام ففي الوقت الذي كانوا يدعون فيه إلى الإسلام ويستعلون بإيمانهم لم يكن عندهم مانع من الدعوة إلى تطبيق منهجٍ اجتماعيٍ أو اقتصاديٍ مُغايرٍ للإسلام، بل كانت هذه الدعوة هي الشاملة لأكثر السكان، والعامة في مختلف الأوساط، وربما يجد المسلمون غرابةً شديدةً في هذا الأمر، ولكن قد تقلّ هذه الغرابة

عندما يعرفون الجهل الذي كان سائداً إذ لم يكن مفهومهم عن الإسلام ليتجاوز أنه مجموعة من العبادات على المسلم أن يُؤدّيها أما أنه منهج حياةٍ يشمل جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فلم يكن هذا ليخطر ببال الكثير منهم، إذ لم يروا تناقضاً في تطبيق مناهج معاديةٍ للإسلام، وعلى هذا يكونون قد جزّؤوا الإسلام أجزاء عديدةً أخذوا جانباً واحداً منها وهو جانب العبادات، وعدّوه هو الإسلام، وتمسّكوا به ودعوا إليه وأهملوا الجوانب الأخرى وحسبوها خارجةً عن دائرة الإسلام.

وإضافةً إلى هذا الجهل الذي كان ـ مع الأسف ـ يسود الأمة الإسلامية كلها، يجب أن نلاحظ الأوضاع الاجتماعية التي كانت تسود مناطقهم إذ أن الفقر والبؤس هو الصفة الغالبة للمجتمع المسلم، وأن الظلم والاضطهاد هو الذي كان يُلاحقهم من مُستعمريهم، وأن حالة الروس أفضل وضعاً وأحسن حالاً، وأنهم مع ذلك يدعون إلى نظمٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ لتتحسّن أحوالهم ويصفون ما يدعون إليه أنه يُحقّق العدالة الاجتماعية، ويُوفّر حياةً ماديةً أفضل فتأثّر بذلك المسلمون وقاموا يدعون إلى ما يدعو إليه غيرهم، أو يُردّدون ما يسمعون وكل ظنّهم أن الوصول إلى ذلك يُؤمّن لهم سعادةً.

وأخيراً فإن الكره الشديد الذي تولّد لدى المسلمين ضدّ الروس لما قاموا به من ظلمٍ وأعمالٍ وحشيةٍ قد جعلهم ينضوون تحت لواء كل حركةٍ تُعادي نظام الحكم الروسي الاستعماري بغضّ النظر عمّا تحمل هذه الحركات من دعواتٍ باطلةٍ في نظر الإسلام، فإن المهم عندهم هو إسقاط نظام الحكم أو إذلال سدنته. لذا فقد تبنّى بعضهم أفكاراً تُخالف ما يدعون إليه من إسلام.

وإلى جانب الجهل وعدم الوعي لمفهوم الإسلام والكره الشديد للروس توجد سذاجة واضحة لدى المسلمين فما أسرعهم تصديقاً لأقوال تُجّار السياسة وما أكثرهم وقوعاً في حبائل الانتهازيين إذ كانت تنطلي عليهم الحيل

السياسية فيسير بعضهم في ركاب الاشتراكية وبعضهم في ركاب الشيوعية، وينتمي آخرون لتنظيمات المتنفذين، فقد اتّخذهم خصومهم مطيةً ووصلـوا إلى أهدافهم عن طريقهم وهم لا يدرون، وساروا في تكتلات خصومهم وهم يظنّون أنهم يخدمون دينهم، وصدّقوا أعداءهم في ادّعاءاتهم بعدم محاربة الإسلام بل بالعمل لإعطاء المسلمين حقوقهم، فانطلت عليهم مثل هذه الحيل وصدّقوا خداع الشيوعيين فوقعوا فريسةً لهم، وكانوا الهدف الأول لهم والذي وجّهوا إليه سهامهم فأصابوهم في مقاتلهم، وذاقوا مرارة الظلم، وفي النهاية عرفوا كذب المخادعين..... ولكن هل أفادتهم التجارب يا تُرى....؟ وهل يصحون للمستقبل....؟.

وكانت تنظيماتهم السياسية ضعيفةً تبدو على قادتها السذاجة مع تمسّكهم بالإسلام، ويظهر عليها تبديل الوجهة التي أرادوها بعد مناورات السياسيين الآخرين..... وهذا ما جرّهم إلى الهاوية، إذ لم يدركوا أبعاد المرحلة التي كانوا يجتازونها.

الفصل الرابع

مرحلة الفوضى والاضطراب

لكل أجلٍ كتاب، قامت دولة الروس، وتوسّعت، واستعمرت، وارتكبت أبشع الأعمال وأوحشها، وتسلّطت عليها أُسرةٌ فبغت وطغت، وتجبّر قياصرتها وتمادوا في الباطل حتى جاء أمر الله فسقطوا بعد أن أفسدوا، ثم ذاقوا مرارة ظلمهم فقُتل آخرهم، ولم تُسكب عليه دمعة.

مرّت على الامبراطورية الروسية في أواخر أيام قياصرتها مرحلة من الفوضى والاضطراب دامت ما يقرب من ربع قرن (١٣٢٣ - ١٣٤٧ هـ) (١٩٠٥ - ١٩٢٨ م)، وقد حكم هذه المرحلة ثلاث أنواع من الحكومات وهي: الحكم القيصري (١٣٢٣ - ١٣٣٥)، وحكومة موقتة لم تلبث إلا قليلاً (١٣٣٥ - ١٣٣٦) وكانت أقرب ما تكون إلى الجمهورية، والحكم الشيوعي وهو حكم الفرد أو الطبقة أو كلاهما معاً، وإذا كانت الأوضاع قد هدأت في أواخر عهد لينين إذ كمّ السيف كل فمٍّ وأخرس كل صوت، إلا أنه قد حدث بعده خلاف على التركة وظهر النزاع السياسي بين كلٍ من ستالين، وتروتسكي، وزينوفيف، وكامينيف حتى ظفر ستالين بخصومه وخرج من المعركة رابحاً، فتفرّد بالسلطة وسحق كل معارضةٍ وكتم أي نفسٍ وبدا الهدوء.

هذه المرحلة من الفوضى بدت للمسلمين خيراً في أولها فتحرّكوا ثم لم

يلبثوا أن رأوا أن الروس على اختلاف نزعاتهم ومهما بلغ ما بينهم من صدامٍ يبقى بعضهم أقرب إلى بعضٍ من المسلمين مهما تقرّبوا إليهم، وانضووا في صفوفهم وقاتلوا تحت لوائهم، وحملوا أفكارهم، بل وإنّ أيّ نصراني من أيةِ بقعةٍ من بقاع الأرض مهما نأت، وإلى أيّ مذهبٍ انتمى هو أقرب إليهم من المسلمين جميعاً حتى ولو تبنّوا آراءهم ودافعوا عنها، وما توا في سبيلها.

وكان المسلمون في هذه المرحلة على درجةٍ من السذاجة والغباء لا تُوصف، فقد استُغلّوا بأبسط الشعارات، وخُدعوا بأقلّ الكلمات، ومع تمسُّكهم بدينهم وكرههم للروس فقد انجرفوا معهم، وساروا مع هذه المجموعة من الأحرار، ومع تلك من الاشتراكيين، ومع أخرى من البيض، ومع رابعة من الثوريين، ومع البورجوازيين حتى سيطرت أبغضها إليهم وارتقت على أكتافهم فلما تمكّنت نكست بما عاهدت عليه وكانت أولى جرائمها وأخسّها وأوحشها ما وجهته إلى المسلمين الذي لا يزالون تُصيبهم النكبات فما ينهضون من نازلةٍ حتى تحلّ بهم أُخرى، وما يخرجون من حُفرةٍ حُفرت لهم إلا ليسقطوا في هوة أعدّت لهم.

ثورة عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥): قامت حركة عنفٍ بسبب تردّي الأوضاع وسوء تصرّف المسؤولين، وقد دامت عدة أشهرٍ ونتج عنها أن أعطيت الحرية الدينية، ووافق القيصر على النظام النيابي عام ١٣٢٤، وقد انتخب المجلس (الدوما)، وكان يضمّ خمسةً وعشرين عضواً من المسلمين.

ونتيجة قيام المجلس النيابي فقد حدث عدة أزماتٍ وزاريةٍ بين ١٣٢٤ - ١٣٣٢ بسبب الخلاف بين المجلس النيابي والحكومة. وتكوّنت معارضة ممن أطلقوا على أنفسهم اسم الأحرار، وتألّفت منهم كتلة ضمّت أنصار النظام النيابي. وبدؤوا يُطالبون بتشكيل وزارةٍ تنال ثقة المجلس النيابي، غير أن الإمبراطور كان يرفض دائماً هذا المطلب.

أما المعارضة الاشتراكية فقد كانت تتمثّل في فئاتٍ ثلاثٍ وهي:

١ ـ الاشتراكية الثورية: وهي أكثر الفئات الثلاث اعتدالاً.

٢ ـ المانشفيك: وهي مجموعة ماركسية، ولكنها لا ترى انتزاع السلطة بالقوة.

٣ ـ البلشفيك: وهي مجموعة ماركسية أيضاً، وتعمل على استلام السلطة بالقوة، ويرأسها لينين.

وإضافةً إلى المعارضة السياسية والنيابية هناك الرأي العام الذي كان مُستاءً لدرجةٍ كبيرةٍ من القيصر خاصّةً ومن القصر عامّةً، وربما كان (راسبوتين) وأثره الكبير على القصر أهمّ أسباب الاستياء، حتى إن مجلس الأعيان الذي كان يعدّه القيصر أكبر دعامةٍ له، وينظر الشعب إليه أنه ركيزة الأُسرة المالكة ونظام الحكم، قد صوّت هذا المجلس لصالح النظام النيابي، وحتى طالب أعضاء الأُسرة المالكة القيصر بوجوب تعديل طريقة الحكم.

وإن هزيمة روسيا أمام اليابان عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) قد شجّع الحركات المناوئة للسلطة الروسية، وبعد أن كانت تبدو في أعين المعارضة قويةً إذا بها تنهار في نظرهم، بل إن الغرب كله قد بدا هزيلاً، بعد أن كان يظهر كالشبح في نظر الشرقيين، وأصبح التفكير يتَّجه نحو إمكانية إحراز النصر من الشرق على الغرب. ومع الطغيان، وكثرة المفاسد فقد تحرّكت ثورة ١٣٢٣ هـ، واشترك فيها بعض المسلمين في بعض الأقاليم سواء أكان ذلك عفوياً أم عن سابق تصميمٍ، وخاصّةً في قازان (حوض الفولغا)، وفي باكو (أذربيجان).

أنشأ طلاب المدرسة المحمدية في قازان عام ١٣٢٢ هـ الحركة الإصلاحية التي كانت تدعو إلى المطالبة بالحرية السياسية غير أن مطالبهم قد تحوّلت بسرعةٍ إلى إضراباتٍ ثوريةٍ ضدّ الروس. غير أن المؤتمر الإسلامي الذي عُقد

في بطرسبورغ عام ١٣٢٤ قد رأى تأييد الحزب الديمقراطي الدستوري الروسي قد يُفيد منه المسلمون لذا دعا إلى دعمه.

وانتشرت الأفكار الاشتراكية في أذربيجان أكثر من غيرها من المناطق، وقد تأسّست عام ١٣٢٢ هـ نقابة عمال الطباعة المسلمين، وتأسّس الاتحاد الوطني لموظفي التجارة التتار، وكانت وجهات نظرهم تتفق مع الاشتراكية الديمقراطية.

واستمرّت الفوضى في الحكم، واندلعت نار الحرب العالمية الأولى، والوضع غير مُستقرٍّ، ومُعارضة الحكم والقيصر والقصر على أشدّها، وباشتراك روسيا في الحرب زاد الطين بلّةً.

ثورة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م): غادر العمال المعامل في بتروغراد يوم ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٣٥ هـ (٨ آذار ١٩١٧ م) وتظاهروا في الشوارع نتيجة المفاسد القائمة فاصطدموا مع الشرطة، وأخرجوا السجناء من المعتقلات، فاستدعت الحكومة الجيش فرفض قادته التدخّل إذ ادّعوا أنهم في شغلٍ بالحرب عما سواها فقدّمت الحكومة استقالتها، وأعطى القيصر نيقولا الثاني بصفته القائد الأعلى للجيوش الأمر لجنوده بالزحف على بتروغراد يوم ٢٠ جمادى الأولى (١٣ آذار) فأبوا وكان هو يُرابط في رئاسة الأركان بسبب ظروف الحرب.

تشكلّت حكومة مُوقتة يوم ٢١ جمادى الأولى برئاسة الاشتراكي كيرنيسكي، واشترك فيها الاشتراكيون والحزب الديمقراطي الدستوري. وتنازل القيصر عن العرش لأخيه الأكبر ميخائيل يوم ٢٣ جمادى الأولى (١٦ آذار) فجاء ميخائيل إلى بتروغراد فوجد أن الاحتفاظ بالحكم أمر مستحيل فتنازل عنه يوم ٢٤ جمادى، وخوّل الحكومة الموقتة تسيير شؤون البلاد، وأعلن أن اختيار نوع نظام الحكم في روسيا إنما يعود إلى الجمعية التأسيسية، وريثما تتكوّن فإن السلطات كافةً إنما تتولّاها الحكومة الموقتة.

كانت الحكومة الموقتة ضعيفةً بسبب الخلاف في الرأي بين الديمقراطيين الدستوريين وبين الاشتراكيين وخاصّةً فيما يتعلّق بالحرب. ولأن الديمقراطيين الذين وقف المسلمون بجانبهم قد كانوا يعملون ضدّهم ـ وليس هم وحدهم وإنما الروس كلهم ـ إذا كانوا يُطالبون بتخفيض عدد المسلمين في المجلس النيابي إلى خمسة أعضاء فقط، ونُلاحظ أن عدد الأعضاء المسلمين في المجلس الأول كانوا خمسةً وعشرين، وفي المجلس الثاني خمسةً وثلاثين عضواً، وفي المجلس الثالث كانوا عشرة أعضاء، وفي المجلس الرابع بقوا سبعة أعضاء.

ولم يكن الرأي العام ليهتمّ بالحرب وإنما شُغل بأحداث الإمبراطورية الداخلية ولعلّ منها توزيع الأراضي، حتى إن الجنود على الجبهة كان توزيع الأراضي يشغلهم إذ ستُوزّع وليس لهم من نصيب ما داموا بعيدين عن القسمة، ويرون أن من حقّهم أن يُعطوا ويعفوا من حضورهم ما داموا على الجبهة يذودون عن البلاد، ولكن هذا لن يحدث لذا كان كثير منهم يترك الجبهة وينطلق إلى منطقته ليأخذ نصيبه. ووجد (ميليوكوف) وزير الخارجية في الحكومة الموقتة وهو عضو في حزب الديمقراطيين الدستوريين أن يستقيل من منصبه لعدم اهتمام الرأي العام بشؤون البلاد العامّة والحرب، فلعلّ استقالته تلفت النظر، فترك منصبه في ١١ رجب ١٣٣٥ (بداية أيار ١٩١٧).

ولم يجد المسلمون لأنفسهم نصيراً بين الروس. وقد حضر بعضهم من التتار والقفقاس والقيرغيز مُؤتمر الأقلّيات الذي عُقد في لوزان في شعبان ورمضان ١٣٣٤ هـ (حزيران وتموز ١٩١٦) دون كبير اهتمام. وأسّس جماعة من اللاجئين التتار في ألمانيا صحيفة الجهاد برئاسة عبد الرشيد إبراهيم، وتُوجّه بصورةٍ خاصةٍ إلى أسرى الحرب المسلمين الذين أُخذوا من الجيوش الروسية، ولكن لم يلفت هذا أيضاً الانتباه.

عاد لينين إلى روسيا في جمادى الأولى ١٣٣٥ (آذار ١٩١٧) بعد أن

سمحت له ألمانيا بالمرور من أراضيها على الرغم أنه من بلادٍ مُعـاديـة والحرب قائمة بين الطرفين وكان يُقيم في سويسرا، وأخذ يُنادي بمبدأ تقرير المصير للأقلّيات، وهذا ما جعل بعض المسلمين ينضمّون إلى البلشفيك على أن هذه المناداة وعد منهم إذا ما تسلّموا السلطة فأصبح كثير من المسلمين يتمنّون أن ينجح البلشفيك في مُهمّتهم لينال المسلمون حقوقهم، فاتّجه المسلمون بذلك نحو الاشتراكية بدافع كره الروس، والنظام القائم، ورغبةً في أن يُحقق ذلك مصالـح للمسلمين، وهـذا مـا تّم في مُعظـم الأقـاليم الإسلاميـة عـدا بلاد داغستان، كما اعتمد البلشفيك في دعايتهم على إنهاء الحرب مُباشرةً وإجراء الصلـح، وتقسيم الأراضي بين الفلاحين، وتسليم السلطـات لمجلس العمال والجنود الذي تشكّل بصورةٍ عفويةٍ في بتروغـراد (سـوفيـت بتروغـراد)، وهكذا بدأ البلشفيك يقوى مركزهم إذا أخذ العمال والفقراء والمسلمون يتّجهون نحوهم أملاً بالفرج ومن غير علمٍ بما يكون، وفي الوقت نفسه كانت الحكومة الموقتة يزداد موقفها ضعفاً، وتزيد أحداث القتال الناس خوفاً من المستقبل.

اتّحد الزعماء المسلمون الذين يُؤيّدون الاشتراكيين الثوريين و الديمقراطيين الدستوريين وشكّلوا اللجنة الإسلامية التي نشأت عنها الجبهة الوطنية التتارية، ونظّمت لجان العمال التي انضمّ بعضها إلى بعض تحت اسم اللجان الاشتراكية الإسلامية، فلم تلبث أن أصبحت تسير بخط البلاشفة، وأصدرت صحيفة قيزيل بيرق (العلم الأحمر) رغم بعدها عن الشيوعية، وليس هناك من صلاتٍ بين الطرفين، وإنما تتفق معهم على موضوع إنهاء الحرب، وتقسيم الأرض وتحويل السلطة إلى السوڤييت (مجلس العمال).

وعقد الأعضاء المسلمون في المجلس النيابي (الدوما) الرابع مُؤتمراً في بيتروغراد، ودعوا أُناساً من غير النواب، وقرّروا إنشاء مكتبٍ مُوقتٍ للمسلمين في الإمبراطورية الروسية، وتولّى إدارته أحمد تساليكوف القفقاسي

المنشفيكي، كما قرّروا عدم التعاون مع الأحزاب الروسية، وفي طليعتها الحزب الديمقراطي الدستوري لخيانته المسلمين. وبجهود هذا المؤتمر تمّ عقد مؤتمر موسكو في ٨ رجب ١٣٣٥ (١ أيار ١٩١٧).

انعقد مؤتمر موسكو، وعمل على التوفيق بين الإسلام والاشتراكية، ولم يقاطع المؤتمر من المسلمين سوى بعض البلاشفة، وطالب الحكومة الموقتة بالمساواة في الحقوق المدنية مع الروس، والاستقلال بالأمور الدينية، وأن يكون المفتي مُنتخباً من قبل المسلمين ليس مُعيّناً من قبل الحكومة، وإنهاء الاستعمار الريفي، وحصر الأراضي بالسكان الأصليين، ولم يُطالب بالاستقلال الذاتي عن روسيا بل لم يقترح أحد من الحضور ذلك. كما كان من جملة مقرراته، أن يكون أسبوع العمل ٤٨ ساعة أي ٨ ساعات يومياً، وإلغاء الملكية الخاصّة، ومُصادرة أملاك الدولة وأديرة الكنائس، ومساواة المرأة بالرجل، ومنع تعدد الزوجات، وإنشاء مديرية للشؤون الإسلامية في (أوفا)، والمحافظة على الوحدة التركية، والوحدة الإسلامية. وانقسم المؤتمرون فريقين يرى أحدهما الاتحاد مع روسيا على حين يرى الآخر الاستقلال عنها. كما تقرّر إنشاء المجلس الوطني المركزي الإسلامي (ملّي شورى) ويكون مقرّه موسكو، وتُمثّله لجنة تنفيذية في بتروغراد، ولكن لم يكن لهذه المجالس أيّة سلطاتٍ، وكان المسلمون في كل إقليمٍ يُواجهون أعداءهم الروس، ويُواجهون المشكلات، وكل إقليمٍ يحلّ مشكلته بنفسه. وكان الجميع يتكلّمون بلهجةٍ تتاريةٍ. وعلى كل فقد كان النصر بشكلٍ عامٍ للمنشفيك.

وعقد مؤتمر في قازان في شهر رمضان ١٣٣٥ (تموز ١٩١٧) وحضره تتار الفولغا، وتتار القرم، ومندوبون عن شمالي القفقاس، ورفض التركستانيون والأذربيجانيون الحضور، وانبثق عنه مؤتمر ديني وآخر عسكري. وكان من قرارات المؤتمر الوقوف في الانتخابات إلى جانب

الاشتراكيين الروس، وإنشاء الوحدات العسكرية (الشورى الحربية)، وبدأوا بتشكيل الكتائب العسكرية. ثم اجتمع المؤتمر بفروعه الثلاثة في مطلع شهر شوال عام ١٣٣٥ (٢٢ تموز ١٩١٧)، وتنازلوا عن الأفكار الاتحادية مع الروس، وأعلنوا الاستقلال الثقافي لأتراك روسيا وسيبيريا وأنشأوا مديريةً وطنيةً للشؤون الإسلامية (ملّي إدارة) في أوفا.

ثورة ١٣٣٦ (١٩١٧ م): إن المشكلة في تأريخ الأحداث وجود أكثر من تقويم الأمر الذي يجعل الاختلاف بيّناً لدى القرّاء فالتقويم الروسي ينقص عن التقويم الشمسي المتعارف عليه (١٣) يوماً في هذا القرن، ويزيد يوماً آخر في كل قرنٍ، لذا ففي تقويمهم هي في تشرين الأول وهو الشائع والمتعارف عليه على حين أنها في الواقع في مطلع شهر تشرين الثاني، وقد أحببت التنبيه إلى هذا الخطأ.

أعطى لينين أوامره بصراحةٍ وبالهاتف لجماعته البلاشفة فتسلّموا السلطة دون مُقاومة، ولم يدعم الحكومة سوى الطلاب الضباط في الكلية الحربية والذين قُتلوا جميعاً، وفي اليوم الثاني تشكّلت حكومة جديدة برئاسة لينين، وفرّ رئيس الحكومة الموقتة كيرينسكي.

وفي اليوم الثاني لتشكيل الحكومة البلشفية تمّ تأميم الأراضي التابعة للكنيسة وللأغنياء، وتمّ طلب الصلح مُباشرةً، وعندما رفض رئيس الأركان السفر لإجراء المفاوضات مع الألمان، كُلّف مُلازم ثان للقيام بهذه المهمة، وبعد خمسة أيامٍ، وُضعت المعامل تحت رقابة العمال. ثم انعقدت الجمعية التأسيسية فكان أكثرية أعضائها بجانب الاشتراكيين الثوريين أنصار كيرينسكي فصدر قرار بحلّها يوم ٥ ربيع الثاني ١٣٣٦ (١٩ كانون الثاني ١٩١٨). ثم صدر قرار في ٧ جمادى الأولى ١٣٣٦ (١٩ شباط ١٩١٨) بتأميم الأراضي جميعها وإلغاء الملكية الخاصة. وفي مطلع شهر رمضان من العام نفسه (١٠ تموز ١٩١٨) حصر حق الانتخاب في السوڤييت.

المقاومة الروسية: وفي منتصف عام ١٣٣٨ (ربيع ١٩١٩) بدأت المقاومة الروسية للبلاشفة، وأحاطت ببلاد الروس تقريباً فمن جهة الجنوب قام الجنرال (الكسيف) الذي كان القائد الأعلى للجيش الروسي أيّام الحكم القيصري، وكان يساعده الجنرال (كورنيلوف) الذي عيّنه رئيس الحكومة الموقتة (كيرينسكي) قائداً عاماً للجيش ثم اختلف معه فأقاله، فحاول في عام ١٣٣٥ القيام بمحاولة انقلابٍ على حكومة كيرينسكي ولكنه فشل، كما كان يساعده الجنرال (دينيكين) الذي أصبح القائد العام لجيوش روسيا البيضاء.

ومن جهة الشرق في حوض نهر الفولغا قامت حكومة برئاسة لوبيديف الاشتراكي الديمقراطي. وكذلك قامت في سيبيريا حكومة مناوئة للبلشفيك، وتسلّم الأميرال (كولتشاك) وزارة الحربية فيها، ثم تفرّد بالأمر، وطرد زملاءه، وركّز السلطات في يده.

ومن ناحية الغرب قامت حركته في المناطق المُطّلة على بحر البلطيق.

المناطق الإسلامية: لما حدث الانقلاب الشيوعي في مطلع عام ١٣٣٦ هـ كانت الحركة الإسلامية نشيطةً غير أنها لم تكن مُنظّمةً، ولم تتوضّح طريقها بعد، ولم تُحدّد أهدافها، إضافةً إلى ذلك لم تكن لها أجهزة عسكرية تُمكّنها من حفظ أقاليمها، والسيطرة عليها، وفي الوقت نفسه لم تكن لها أجهزة مدنية تستطيع بواسطتها أن تُواجه الأزمات والمشكلات التي تكاد تستجدّ يومياً. كما أن الأفكار عند المسلمين كانت متداخلةً بعضها مع بعض ففي الوقت الذي يتمسّكون فيه بإسلامهم ويعملون له، ويدعون إلى الوحدة الإسلامية كانت الأفكار الاشتراكية المعادية للإسلام مقبولةً لديهم بل ربما يرون فيها الطريق السليمة ولا يجدون فيها تعارضاً مع عقيدتهم أبداً، وأنها ليست سوى منهجٍ اقتصاديٍ فيه حلّ ما يُعانون من مُشكلاتٍ حسب تصوّراتهم، ولعلّ ذلك دخلهم من معارضة الفكر الاشتراكي لنظام الحكم الروسي الذي لا يرون سواه خصماً لما قاسوا من ظلمه وما ذاقوا من مرارته لذا كانوا بجانب

الاشتراكيين يُؤيّدونهم دون أن يروا منهم مساعدة بل كانوا عليهم أيضاً حرباً فهم من الروس، غير أن مُعارضة نظام الحكم كانت تُغطّي سيئاتهم عند المسلمين، ومن ناحية أُخرى فإن الوضع البئيس الذي كانوا يعيشون فيه جعلهم يرون في الاشتراكية مُنقذاً، وأخيراً فالجهل هو سبب كل بلاءٍ، فقد كان جهلهم بالإسلام يزيد على جهلهم بالاشتراكية التي لا يعرفون منها ولا عنها شيئاً.

ولما قام الانقلاب الشيوعي في روسيا قام في الوقت ذاته انقلاب في المناطق الإسلامية على الحكومات القائمة فيها، ولكن لم يستهدف سوى الروس الذين كان الصراع فيما بينهم. أما المسلمون فقد وقفوا على الحياد، أو موقف المتفرّج إذ سرّهم أن يروا الروس يُقاتل بعضهم بعضاً وقد كانوا من قبل كتلةً واحدةً يفتكون بالمسلمين.

بعد أن تسلّم البلاشفة السلطة سعوا إلى كسب ودّ المسلمين فوجهوا نداءً إلى العمال المسلمين في أنحاء الامبراطورية كلها، ووقّع هذا النداء لينين رئيس الحكومة وستالين مفوض الشعب لشؤون القوميات وقد جاء في هذا النداء: يا مسلمي روسيا من تتار الفولغا والقرم، وقيرغيز وسكان سيبيريا وتركستان، وترك وتتار ما وراء القفقاس، وتشاشان وجبلي القفقاس الذين هدّم قياصرة روسيا المستبدّون مساجدهم وبيوت عباداتهم، والذين أُهينت مُعتقداتهم وعاداتهم. اعلموا أن معتقداتكم وعاداتكم ومعاهدكم الوطنية والثقافية ستكون بعد الآن حرةً محترمةً. نظّموا حياتكم الوطنية بحريةٍ تامةٍ من غير معارضةٍ من أحدٍ، فهذا حقّكم، واعلموا بأن الثورة كلها وبكامل مُنظّماتها، من منظمة اتحاد المندوبين إلى منظمة العمال إلى منظمة الجنود إلى منظمة الفلاحين تحمي حقوقكم، كما تحمى حقوق كل شعوب روسيا. فانصروا إذن هذه الثورة.

ثم بدأ زعماء البلاشفة يتصلون برجالات المسلمين ويطلبون منهم التعاون وجلب المسلمين إلى صفوف الثورة كي لا تتعرّض الحركة الانقلابية لحركةٍ

ثوريةٍ مُضادّةٍ يعود فيها القياصرة إلى التسلّط، ويكون نصيب المسلمين من الاضطهاد كبيراً، ولا شك فإن الاستجابة لزعماء البلاشفة وتحقيق رغباتهم كان يتفاوت من مكانٍ إلى آخر، ومن زعيمٍ إسلاميٍ إلى ثانٍ، كما أن ردود الفعل الإسلامية كانت مُتباينةً بين إقليمٍ وإقليمٍ.

أ ـ **حوض نهر الفولغا**: عندما نشب القتال بين البلاشفة من المسلمين سوى بعض أعضاء اللجنة الاشتراكية الإسلامية، وعددٍ قليلٍ من العمال، وسريةٍ أو سريتين من حامية المدينة من التتار، والطريقة الصوفية الفيزوقية التي تُسمّي نفسها جيش الله الفيزوقي إذ كانت تعدّ قتالها بجانب البلاشفة جهاداً في سبيل الله، وربما كان هذا التصرّف ناتج عمّا لقيه المسلمون من الحكم الروسي، وللجهل المُخيّم عليها وعلى أعضائها حيث لم يكن أحدهم يعرف حقيقة الانقلابيين أو القادمين للحكم، بل ولم يعرف شيئاً عن الإسلام.

إن اللجنة الثورية الأُولى التي تشكّلت في قازان يوم ١٠ محرم ١٣٣٦ لم يكن فيها أحد من المسلمين أبداً بل كانت تضمّ عشرين عضواً كلّهم من الروس. وإن مجلس مفوضي الشعب الذي أُنشيء في شهر صفر من العام نفسه كان يشمل عشرةً من الروس وتتارياً واحداً. غير أنه بعد عام بدأ بعض المسلمين ينضمّون للحزب الشيوعي بشكل فرديٍ لمصالح خاصة وجلّهم من أصحاب المنافع وأراذل الناس. إذ ظلّت السلطة الجديدة تعتمد على الروس أيضاً، وفي الوقت نفسه فإن المُنظّمات الإسلامية بقيت قائمةً ورفضت التعاون. وعندما طلب ستالين من رئيس (ملّي شورى) في بيتروغراد أحمد تساليكوف التعاون مع السلطة الجديدة بشروط لمصلحة المسلمين، عرض أحمد تساليكوف اقتراح ستالين على المجلس الملّي في أُوفا فرفض الاقتراح. ولكن ستالين وجد ضالته في رئيس لجنة قازان الاشتراكية الإسلامية منلا نور وحيدوف الذي قبل العرض بصفته الشخصية. وفي ربيع الثاني أُحدثت مفوضية مركزية للشؤون الإسلامية وكُلّفت ببلشفة المسلمين.

بقيت المنطقة تعيش في فوضى خلال عدة أشهرٍ من تسلّم البلاشفة السلطة إذ ظلّت المنظّمات الإسلامية قائمةً مثل منظمة (ملّي شورى) و (ملّي إدارة) وتعملان في البلاد التتارية وتُمارس مسؤولياتها إلى جانب النظام البلشفي، وكذلك كانت منظمة (حربي شورى) تسيطر على الوحدات العسكرية الإسلامية على حين كان جنود الجيش الأحمر ـ وكلّهم من المرتزقة ـ يُسيطرون على الوحدات غير الإسلامية، ومعنى ذلك أنه كانت ازدواجية في السلطة. غير أن الروس لم يلبثوا أن قرروا وضع حدٍّ لاستقلال المنظمات الوطنية الإسلامية وتصفيتها بمنتهى العنف وبشكلٍ سريعٍ.

عُقد في قازان المؤتمر الثاني العسكري لمسلمي الامبراطورية الروسية يوم ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٦ (٨ شباط ١٩١٨)، وحضره مائة وخمسون مندوباً يُمثّلون الجيوش الإسلامية، والعلماء، والمُنظّمات السياسية الباشكيرية والتتارية، كما حضره مُمثّلون عن مُنظّمة (ملّي شورى) في بيتروغراد، وعن مُنظّمة (ملّي إدارة) في أُوفا. كانت أكثرية الحضور يُمثّلون المعتدلين ممن يُطلق عليهم (اشتراكيون ثوريون ومنشفيك) وبجانبهم أقلية من البلاشفية وأنصارهم. وقد هنّأ المؤتمر مجلس مفوضي الشعب على حلّ الجمعية التأسيسية إذا لم يكن يريد قطع العلاقة مع حكومة موسكو. بشكلٍ صارمٍ، ولما وافق المجلس على قرارٍ يقضي بإحداث دولةٍ وطنيةٍ تتارية ـ باشكيرية باسم (ايديل أورال) ثارت ثائرة الأقلية واتّهمت الأكثرية بخلق الفتنة، وانسحبت من المؤتمر ٤ جمادى الأولى ١٣٣٦ (١٧ شباط ١٩١٨) احتجاجاً على هذا القرار فاستغلّ مجلس سوفييت قازان ما حدث واتّخذ ذلك ذريعة للتدخل، وفي ١٣ جمادى الأولى (٢٦ شباط) أعلن حالة الطوارىء، وألقى القبض على زعماء مُنظّمة (حربي شورى)، فهرب بقية الزعماء إلى ضاحية مدينة قازان والواقعة بعد نهر بولاق، وأعادوا تأليف حكومتهم هناك وعُرفت باسم جمهورية ما وراء بولاق (ترانس بولاق)، ولكن لم تلبث أن جاءتها قوة كبيرة قضت عليها. وهذه التجربة الوحيدة التي قام بها التتار للاستقلال عن الروس.

وصدر في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٣٦ (١١ آذار ١٩١٨) قرار بإلغاء فرقة الحرس الإسلامي في مدينة بتروغراد، وكذلك فقد صدر في ١١ جمادى الآخرة ١٣٣٦ (٢٦ آذار ١٩١٨) قرار بإلغاء منظمة (حربي شورى) المركزية مع جميع فروعها الإقليمية، وأُلغيت في ١٨ جمادى الآخرة (٢ نيسان) كل الصحف غير البلشفية، وبعد عشرة أيامٍ صدر قرار يقضي رسمياً على وجود منظمات (ملّي شورى) و (ملّي إدارة).

أُعطيت المفوضية المركزية للشؤون الإسلامية صلاحياتٍ واسعةً حيث كانت تعتني بشؤون المسلمين كلّها، وأُنشئت الكلية المركزية العسكرية في ١٧ رمضان ١٣٣٦ (٢٩ حزيران ١٩١٨) وتسلّم سلطان غالييف رئاستها، وأُلحقت هذه الكلية بالمفوضية المركزية.

ويبدو أن الذين تعاونوا مع النظام البلشفي لم تنسخ من أذهانهم فكرة العمل لتأسيس دولةٍ مسلمةٍ داخل دولةٍ روسيةٍ على أساسٍ اتحاديٍ، بل بقوا يعلمون ضمن هذا المخطط ويهدفون إلى إنشاء حزبٍ شيوعيٍ مستقلٍ وبإدارةٍ إسلاميةٍ، ولذا فقد نشأت مفوضيات إسلامية إقليمية ترتبط بالمفوضية المركزية، وأُطلق على هذه المفوضيات اسم «موسكومس»، وقد شجّع هؤلاء المتعاونون وعلى رأسهم ملانور وحيدوف، وسلطان غاليف على الاستقلال التنظيمي للشيوعية الإسلامية لعدم ثقتهم بالروس، وقد دعيا هذان الزعيمان إلى عقد مؤتمرٍ للعمال المسلمين في موسكو يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٣٦ (٨ آذار ١٩١٨)، ودُعي إليه الشيوعيون ومُؤيّدوهم، وأسفر عن تشكيل حزبٍ اشتراكيٍ شيوعيٍ إسلاميٍ. ثم دعا ملانور وحيدوف وسلطان غاليف إلى أول مؤتمرٍ شيوعيٍ إسلاميٍ يُعقد في قازان في ٥ رمضان ١٣٣٦ (١٧ حزيران ١٩١٨) وتقرّر في هذا المؤتمر الذي تمّ عقده في الموعد والمكان المحدَّدين له تسمية الحزب المزمع إنشاؤه الحزب الروسي للشيوعيين المسلمين، وأُخذ دستوره من الحزب الشيوعي الروسي لكنه ظلّ مستقلاً عنه.

وعمل سلطان غالييف مدير الكلية المركزية العسكرية على جمع الوحدات الإسلامية العسكرية التي وجدت والتي بلغ عدد أفرادها خمسين ألفاً في جيشٍ أحمر مسلمٍ واحدٍ يعمل على ترسيخ الثورة الاشتراكية في المناطق الإسلامية الخاضعة لروسيا أولًا ثم في بقية أرجاء العالم الإسلامي، غير أن أمله قد خاب إذ خاف الروس من إحياء فكرة الاستقلال الذاتي ضمن الدولة الروسية لذا فقد أسرعوا ووضعوا الكتائب الإسلامية تحت القيادة العامة للجيش الأحمر الروسي، ودمجوها مع أفواج رفاقهم الروس.

كان هدف الزعماء المسلمين الاشتراكيين إقامة دولةٍ شيوعيةٍ إسلاميةٍ تكون نموذجاً للعمل والفكر، ومنها تنطلق الاشتراكية إلى كل جهات العالم، ووقع اختيارهم على منطقة الفولغا التي تمتدّ من قازان إلى تشيليابنسك أي منطقة التتار والباشكير أو بالأحرى دولة (ايديل ـ أورال)، ولكن هذا لم يكن ليحظى على موافقة الروس بل لا يمكن أن يسمعوا به، غير أن الرغبة في عدم مواجهة المسلمين في هذه الظروف الحرجة قد ألجأتهم إلى الوعد بإنشاء الجمهورية التتارية ـ البشكيرية، وصدر مرسوم بذلك في ٨ جمادى الآخرة ١٣٣٦ (٢٣ آذار ١٩١٨). ولكن لم تلبث أن قامت الحرب الأهلية فعصفت بالمرسوم والوعد معاً.

ب ـ منطقة الأورال: شكل احمد زكي وليد حكومةً باشكيريةً في أورنبرغ في ربيع الأول ١٣٣٦ (كانون الأول ١٩١٧)، وقد وقفت هذه الحكومة على الحياد أمام الصراع القائم بين قوزاق أورنبرغ وبين المرتزقة من الجيش الأحمر، ثم عهد ستالين إلى شريف موناتوف الذي رضي أن يتعاون مع البلاشفة الروس بنيابة رئاسة مفوضية الشعب الإسلامي، فدبّ الخلاف بين أحمد زكي وليد وبين شريف موناتوف، واستطاع الثاني بدعم البلاشفة من إحراز النصر، وقبض الجيش الأحمر على أكثر أعضاء الحكومة الباشكيرية، وفرّ الباقون ومنهم أحمد زكي وليد إلى الجبال وذلك في أواخر شهر ربيع الثاني من العام نفسه.

جـ ـ منطقة القرم: عقد التتار في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣٥ (٢٣ آذار ١٩١٧) مؤتمراً وطنياً في مدينة سيمفيربول، وانتخبوا خلاله لجنةً مسلمةً تنفيذيةً كانت نواة الحكومة الوطنية التي قامت في صفر ١٣٣٦ (تشرين الثاني ١٩١٧) وقد دامت ما يقرب من ثلاثة أشهر إذ هاجمها البلاشفة في (سيبا ستيبول) وقضوا عليها في بداية جمادى الأولى ١٣٣٦ (١٣ شباط ١٩١٨)، وكان أعضاء حزب (ملّي فرقة) أي الحزب الوطني قد تأثّروا بالاشتراكية وبدأوا يُنادون بتأميم أملاك الأوقاف، والملكيات الواسعة، والنضال ضدّ علماء الدين، والتعاون مع الاشتراكية.

د ـ شمالي القفقاس: دعا بعض الزعماء إلى عقد مؤتمرٍ وهدفهم تأييد الحكومة الموقتة الروسية، ونتج عنه تنظيم اتحاد الجبليين، وقد حاولوا عقد مؤتمرٍ آخر في بلاد داغستان، ولكن فشلوا حيث النفوذ للعلماء المسلمين كما كان للطريقة النقشبندية دورها.

أعلن اتحاد الجبليين أن بلاد القفقاس جزء من روسيا، على حين أن الداغستان والتشاشان قد انتخبوا نجم الدين غوتسنسكي إماماً لهم، وأوزون حاجي مساعداً له، وأعلنوا عن قيام حكومةٍ مستقلةٍ. وحدثت في داغستان بعض الحركات الدموية لذا أسرع الإمام نجم الدين وأنصاره من الجبال للاستيلاء على السهول التي سبق للروس أن اغتصبوها من أصحابها، ولم يلبث أن قام الشيوعيون بانقلابهم، غير أن المسلمين قد بقوا بعيدين في داغستان عن الآثار المباشرة لذلك الانقلاب. أما بقية أجزاء شمالي القفقاس وهي بلاد الشراكسة فقد خضعت للروس البيض.

هـ ـ أذربيجان: تعطلّت الأحزاب بسبب الحرب، ولكن استعادت نشاطها بعد القضاء على النظام القيصري وقيام الحكومة الموقتة، وقد لقيت هذه الحكومة تأييداً في بادىء الأمر ثم تخلّى عنها المسلمون في أذربيجان،

ووقفوا على الحياد، وإن كان الجميع يرغبون هزيمة روسيا، وكان حزب المساواة يُطالب بأن تتولّى اللجنة الإسلامية إدارة البلاد، ويضمّ هذا الحزب الاشتراكيين، والذين يميلون إلى الدولة العثمانية، ومن يُنادي بالاستقلال الذاتي، غير أن الخط قد سار بعدئذٍ نحو الاستقلال التام والانفصال عن الإمبراطورية الروسية، واتجهوا نحو العثمانيين، وأسّسوا الحزب (الاتحاد التركي - المساواة) برئاسة محمد أمين رسول زاده، وانضمّ إليهم حزب الأحرار الزراعي، وحزب الاتحاد. وكان حزب همّة يُمثّل الاشتراكية الديمقراطية، ويبدو أن المسلمين قد بقوا متحدين لوجود عدوٍ لهم قريبٍ منهم وهم الأرمن الذين تمرّسوا على القتال وأحسنوا فنّه.

وتأخّر الصدام بين السكان والبلاشفة لبُعد الشقة بين أذربيجان وقلب بلاد الروس، ولقرب أذربيجان من الدولة العثمانية التي لا تزال قائمةً ومن إيران. ثم بدأ الصدام في ٥ جمادى الآخرة ١٣٣٧ (٢٠ نيسان ١٩١٨) بين المسلمين وبين البلاشفة الذين دعمهم الاشتراكيون الثوريون وحزب الطاشناق الأرمني (الوطني الاشتراكي)، ومجموعات من حزب همّة، وجرت مذابح ذهب ضحيتها ثلاثة آلاف مسلمٍ، واستولى البلاشفة إثر ذلك على السلطة، وأسّسوا حكومةً في ضاحية باكو. أما زعماء المسلمين فقد فرّوا إلى غاندكا (كيروفآباد) وأنشأوا هناك مجلس أذربيجان الوطني في شهر رجب وتمكّن أن يُقاوم مدة شهرٍ تقريباً.

و - تركستان: عندما قُضي على الحكم القيصري، وجاءت الحكومة الموقتة رفض اشتراكيو طاشقند الاعتراف بها، كما رفضت لجنة تركستان الاعتراف أيضاً. وبعد الانقلاب البلشفي بشهرٍ أعلن مجلس الشعب الإسلامي في مدينة خوقند استقلال تركستان الذاتي فسار إليها سوڤييت طاشقند في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٣٦ (٥ شباط ١٩١٨) فاقتحموا المدينة، ونهبوها، واستمرّت أعمال السلب والذبح ثلاثة أيّامٍ، ثم هُدّمت المدينة وأُضرمت فيها النار،

فذهب أكثر من مائة ألفٍ من أهل خوقند قتلاً، وكان عدد سكانها حوالي مائةً وعشرين ألفاً، والتحق من نجا من أعضاء الحكومة بفرق المجاهدين[1].

ز ـ بلاد القازاق: تقدّم الجيش الأحمر في سهوب القوزاق، وقضـوا على حكومة حزب (ألاش أوردا) المستقلّة استقلالاً ذاتياً، وسقطت بأيديهم المدن الواحدة تلو الأخرى، وقد تمكّنوا من دخول مدينة أُورنبرغ في الرابع من شهر ربيع الثاني.

وهكذا لم يبق للمسلمين من نفوذ وسلطة إلّا في أربعة مراكز هي: ١ً ـ داغستان وتشاشان حيث إمامة نجم الدين غوتسنسكي. ٢ً ـ حكومة غاندكا في أذربيجان. ٣ً ـ إمارة بُخارى. ٤ً ـ إمارة خُوارزم.

الثورة الأهلية: ثار الأسرى التشيكوسلوفاكيون الذين كانوا على طول خط حديد سيبيريا، ويستعدّون لترحيلهم وكانت حركتهم يوم ١٢ شعبان ١٣٣٦ (٢٥ أيار ١٩١٨) واستغلّت هذه الحركة كل العناصر المعادية للسطلة الجديدة البلشفية. وقف قـوازق الأورال ضـدّ سلطـة السـوفييـت، وكذلك فعل قوزاق أُورنبرغ، وشكّل خصوم البلاشفة حكومة (كوموتش) وبدأت تتجمّع عندهم العناصر المعارضة، وبدأ هجـومهـم فـاستـولـوا على الأورال، ودخل ديتوف زعيم قوزاق أُورنبرغ مدينة أورنبرغ يوم ٢٢ شعبان ١٣٣٦ (٤ تموز ١٩١٨)، واضطر الجيش الأحمر من إخلاء مدينة (أوفا) يوم ٢٤ شعبان.

---

(١) يُطلق الروس على فرقة المجاهدين اسم قُطّاع الطرق (البصمجية)، وقد شـاع هـذا الاسم ـ مع الأسف ـ حتى عمّ كتب التاريخ الذي يُسجّل عادةً بأقلام المنتصرين، ولأن المُؤرّخين، وهم من الصليبيين، يُسجّلون الأحداث عادةً من خلال نظرتهم وحقدهم، ولما كانت حكوماتهم أصحاب القوة والعلم المادي، وكان المسلمون في مرحلة من التأخّر والتخلّف المادي والعلمي لذا فإن المسلمين يأخذون عنهم ـ مع الأسف ـ ويعدّون ذلك علماً مُحقّقاً.

ونزل أحمد زكي وليد وزعماء الباشكير من الجبال التي التجأوا إليها، ودخلوا أورنبرغ وأقاموا فيها حكومةً باشكيريةً استطاعت بمدةٍ قصيرةٍ أن تُسيطر على كل منطقة الباشكير وكان المتطوّعون قوامة قوتها.

وهبّ القوزاق فشكّل حزب (ألاش أوردا) حكومتين إحداهما في قازاقستان الشرقية والثانية في الغربية، وإن بقيت بعض المدن بيد البلاشفة.

وقامت حكومة في سيبيريا الغربية في مدينة أومسك وكان الأميرال كولتشاك وزيراً للحربية فيها ثم سيطر على الوضع وتفرّد بالسلطة.

ودخل الألمان شبه جزيرة القرم وطردوا الفوج الأول السوفييتي التابع للجنة مدينة سيباستيبول، وعهدوا بالإدارة في شبه الجزيرة إلى رجلٍ مسلمٍ تتاريٍ من ليتوانيا ويُساعده جماعة من حزب (ملّي فرقة)، وعندما جلا الألمان، تشكّلت حكومة برئاسة سالم كريم وهو نائب سابق من الحزب الديمقراطي الدستوري في أولِ مجلسٍ نيابيٍ، وقد أيّده جماعة من حزب (ملّي فرقة) وعارضته جماعة أخرى برئاسة ولي إبراهيم الذي تعاون مع المنظّمات البلشفية السرية.

وفي أذربيجان تقدّم الجيش العثماني نحو مدينة باكو فحدث انقلاب تسلّم إثره السلطة الاشتراكيون الثوريون والمنشفيك المتحالفون مع حزب الطاشناق الأرمني، وفرّ كبار السوفييت بحراً مُتّجهين نحو استراخان فأُلقي القبض على سفينتهم، ونقلوا إلى بلاد التركمان حيث أُعدموا. ثم جاءت قوات إنكليزية من إيران، ودخلت مدينة باكو، ولما رحلت حلّت مكانها قوات عثمانية فشكّلت مع سكان البلاد حكومةً في مدينة غاندكا، ولما خرجت الدولة العثمانية من الحرب سحبت قواتها من أذربيجان، وحلّت محلّها قوات إنكليزية اشتركت مع الحكومة بإدارة البلاد، ثم جلا الإنكليز وبقيت الحكومة الوطنية فيها.

وسيطر المجاهدون على وادي فرغانة عام ١٣٣٨ ، وأعلن الروس المسالمة فحدث هدوء ثم عاد القتال وتوسّع نطاق عملياتهم حتى كان لهم دورهم في كل أنحاء المنطقة بما فيها إمارة بُخارى ، وقد وصل إليهم أنور باشا وزير خارجية الدولة العثمانية ـ سابقاً ، وأحمد زكي وليد رئيس حكومة باشكيريا سابقاً واستمرّت المعارك حتى عام ١٣٤٧ هـ ، وقُتل فيها أنور باشا .

ودخلت القوات الإنكليزية بلاد التركمان ، واحتلّت عاصمتهم مدينة (عشق أباد) ، غير أن أمير بُخارى قد وقف في وجه هذه القوات المستعمرة وصدّهم ، وانتصر عليهم .

وهكذا لم يبق للبلاشقة في المناطق الإسلامية سوى مدينة طاشقند وما حولها حيث يسيطر عليها سوڤييت طاشقند ويدعمهم مرتزقة الجيش الأحمر .

القضاء على الثورة: أمام هذا المأزق الحرج الذي وقع فيه البلاشفة لم يجدوا لديهم سلاحاً أفضل مما يُعيدونه من إعطاء المسلمين وباقي القوميات حقوقهم ، وقد أصدروا أوامرهم للمُنظّمات البلشفية يُجبرونها فيها على اتخاذ مواقف أكثر مرونةً وأحسن معاملةً وأقرب مُسالمةً للمسلمين ، وأمام هذا التصرّف اتجه عدد من زعماء المسلمين إلى إعادة النظر في مواقفهم السياسية تجاه البلاشفة على الرغم من أن أوامر الشيوعيين إلى منظماتهم كانت غير واضحةٍ تماماً بل فيها كثير من المرونة إضافةً إلى أن البلاشفة لا عهد لهم ولا ذمّة وإنما يتخذون المواقف المرحلية من خلال مصالحهم وما تقتضي عليهم الظروف فربما سالموا اليوم ألدّ أعدائهم ، وأظهروا الصداقة لأعنف خصومهم ، ولا مانع عندهم أن ينقضوا في الغد ما أبرموا اليوم ، ويُعلّقوا أصدقاء الأمس على حبال المشانق ، ويسحقوا الذين سبق لهم أن عاهدوهم ، بل وأن يُبيدوا رفاقهم الحقيقيين إن اختلفوا معهم في نقطةٍ ، أو اقتضت مصلحتهم ذلك ، أو خافوا منهم أن يسبقوهم في عملية القتل ، فإن لم يتّخذوا الموقف الحاسم بسرعةٍ سُحقوا .

وقد ساعد زعماء المسلمين على تغيير مواقفهم أن الأميرال كولتشاك وزير حربية الحكومة السيبيرية عندما قام بانقلاب على حكومته وتفرّد بالسلطة في شهر صفر ١٣٣٧ (تشرين ثاني ١٩١٨) أعلن وأكّد أنه لن يبالي بمطالب المسلمين في موضوع الاستقلال الذاتي بل لا يُعير قضاياهم اهتماماً. وكذلك فإن الجنرال دينيكين في منطقة أوكرانيا كان يُظهر عداءً للمسلمين أكثر من كولتشاك، إذ قضى على كثيرين من تتار القرم، وأغلق كل الصحف الإسلامية، وحظر على حزب (ملّي فرقة) النشاط في ٢٣ ذي القعدة عام ١٣٣٧ (٢٣ آب ١٩١٩)، فكان هذا أن التجأ حزب (ملّي فرقة) إلى العمل السري والتعاون مع البلاشفة. وإذا كان قد انتهى عهد دينيكين وجاء محلّه الجنرال رانجل الذي أراد أن يُصلح ما أفسد سلفه بوعود إلى المسلمين بالاستقلال الذاتي إلا أن الوقت قد فات.

ومما ساعد البلاشفة على تحقيق النصر انقسام خصومهم، وعمل كل جهةٍ وحدها، بل أكثر من ذلك. إذ كان البيض نفسهم في صراع بعضهم مع بعض، والحكومة الواحدة يتنافس زعماؤها فيما بينهم على السلطة، ويتفرّد أحدهم حتى يتقوّى أحد أعوانه، وربما كان الأميرال كولتشاك والجنرال دينيكين أنموذجين على ذلك. ويجب أن لا ننسى أبداً مخاصمة البيض للمسلمين في الوقت الذين كانوا هم فيه بأشدّ الحاجة إلى دعمهم ومُساعدتهم، وفي الوقت الذي نسي فيه البيض هذه الناحية أو قوة المسلمين فطن لها الشيوعيون، فمنّوا المسلمين بمعسول الكلام، وطيب الأماني ضمن مُخطّطٍ مرحليٍ، حتى إذا تمكّنوا طبّقوا سياستهم التي أضمروها للمسلمين.

أ ـ **في الأورال:** اجتمع أحمد زكي وليد وإخوانه اجتماعاً سرياً في جبال الأورال في مطلع شهر ربيع الأول ١٣٣٧ (٦ كانون الأول ١٩١٨) وقرّروا في ذلك الاجتماع ترك البيض مرحلياً والالتحاق بالروس الحمر، وفي ٢٠ ربيع الأول (٢٥ كانون الأول) أمر الأميرال كولتشاك بحلّ الوحدات

البشكيرية التي تُقاتل بجانبه. وفي ٢٥ ربيع الأول التقى الزعماء الباشكيريون مع السوڤييت في قريةٍ وراء خطوط الروس الحمر، وبحثوا في كيفية انضمام الوحدات الباشكيرية إلى السوڤييت. وفي ٣ جمادى الأولى (٦ شباط ١٩١٩) أعلن مجلس مفوضي الشعب العفو العام عن البشكيريين الذين يتركـون قـوات الأميرال كولتشاك. وفي ١٥ جمادى الأولى اجتاز خطوط النار ألفا مقاتلٍ من الباشكيرية بإمرة قادتهم. وفي اليوم التالي وقّع أحمد زكي وليد اتفاقيةً مع حكومة موسكو تقضي بتأسيس حكومةٍ باشكيريةٍ موقتةٍ تُديرها لجنة ثورية يشترك فيها سوڤييت وباشكيريون وطنيون. وهكذا خضعت منطقة الأورال للسوڤييت.

ب ـ **في منطقة القرم:** هاجم الجيش الأحمر منطقة القرم، وخرج أعضاء حزب (ملّي فرقة) يستقبلون المهاجين وينضمّون إلى صفوفهم، ويُقاتلون الروس البيض الذين زادوا من ضغطهم على سكان القرم الأمر الذي جعلهم يتجهون إلى الروس الحمر، وتمكّن السوڤييت من احتلال القرم في ربيع الأول ١٣٣٩ (تشرين الثاني ١٩٢٠ م).

جـ ـ **شمالي القفقاس:** دخل الجنرال دينيكين بقواته شمالي القفقاس في شهر شعبان ١٣٣٧ (أيار ١٩١٩)، غير أنها اصطدمت بالسكان، وقد رفض الجنرال دينيكين مطالب المسلمين كلها الأمر جعل المسلمين يُقاتلونه في الوقت الذي يحتاج فيه إلى توجيه قواته إلى وجهةٍ واحدةٍ، إذ كان يستعدّ للقيام بهجومٍ صاعقٍ على حكومة موسكو، وكان الشيخ أوزون حاجي والإمام علي أكوشا هما اللذان يقودان القوات المسلمة والتي انضمّ إليها الاشتراكيون والدستوريون الديمقراطيون.

واصطدم الجيش الروسي الأحمر مع القوات الروسية البيضاء، وانتصر الجيش الأحمر، واتّجه نحو شمالي القفقاس فوجد له رفاقاً هناك انضمّوا إليه

لا حبًّا بالسوفييت ولكن كُرهاً بالروس البيض، ولا عن عقيدةٍ ولا قناعةٍ وإنما عن كراهيةٍ، ورضىً بالأمر الواقع. واقتحم الجيش الأحمر داغستان واحتلّها أيضاً.

د ـ أذربيجان: كانت حكومة باكو تُسالم السوفييت خوفاً من جيوش الروس البيض التي كانت تُهدّدهم بقيادة الجنرال دينيكين، ومنذ شهر صفر ١٣٣٧ (تشرين الثاني ١٩١٨) بدأ الشيوعيون الذين فرّوا من المنطقة يعودون إليها بتأييد من حزبي (همة) و (عدالة) حيث يضمّ أولها أتراكاً أذربيجانيين، ويضمّ الثاني إيرانيين، وفي مطلع شهر جمادي الأخرة ١٣٣٨ (شباط ١٩٢٠) اندمج الحزبان السابقان مع الخلايا السرية الروسية الشيوعية في أذربيجان وشكّلوا الحزب الشيوعي الأذربيجاني، وبذا فقد قوي موقف الشيوعيين إذ أصبح عدد أعضاء هذا الحزب الجديد أربعة آلاف عضو، وهذا ما جعل الجيش الأحمر المرابط في داغستان يقتحم أذربيجان يوم ٦ شعبان عام ١٣٣٨ (٢٧ نيسان ١٩٢٠) ويحتلّها، ويجعلها تحت سلطانه، وقد وجد منظمةً شيوعيةً من أبناء البلاد يتعاون معها، ويُمكنه بدعمها قمع كل حركةٍ، وتحمّل أعباء الحكم.

هـ ـ بلاد القازاق: بعد أن تفاهم الباشكيريون مع السوفييت سار القازاق على طريقهم إذ التقى زعماء حزب (ألاش أوردا) بزعماء سوفييت بمدينة أومسك في شهر جمادى الآخرة ١٣٣٧ (آذار ١٩١٩)، وانسحبت الوحدات العسكرية الباشكيرية التابعة لحزب (ألاش أوردا)، وبعد شهرين أي في شهر شعبان اعترف القازاق بسلطة السوفييت على بلادهم، وفي شهر رمضان سافر أحمد بايترسون إلى موسكو حيث وقّع مع لينين وستالين اتفاقيةً تقضي بإقامة حكومةٍ يشترك فيها الوطنيون القازاق والسوفييت، ودخل الجيش الأحمر بلاد القازاق وهزم قوات الأميرال كولتشاك.

و ـ تركستان: قامت حركة المجاهدين تُقاتل بسبب الظلم الذي لحق

السكان من سوڤييت طاشقند ، وقوي أمر هذه الحركة وقد أتاها عدد من الباشكيريين فارين من ديارهم مع أحمد زكي وليد ، ووالدي طوقان ، كما فرّ إليهم أنور باشا ، وبلغت حركة المجاهدين من القوة حتى حسب كثير من الناس أن الإمبراطورية الروسية قد أفل نجمها على الأقلّ من منطقة تركستان ، ولكن منذ أن استطاعت الجيوش الحمراء شقّ طريقها إلى طاشقند في ربيع الأول ١٣٣٨ (تشرين الثاني ١٩١٩) دعماً لسوڤييت طاشقند بدأت الكفّة ترجح لصالح السوڤييت ، ويضعف أمر حركة المجاهدين ، وقد أرسل لينين لجنةً إلى طاشقند عرفت باسم (لجنة تركستان) ، وأغدقت الوعود للمسلمين ، وجرى تعديل على اللجنة السياسية القائمة لصالح المسلمين ، فصدّقت بعض النفوس وقبلت وعود السوڤييت ، ولم تكن هناك وسائل إعلامية لدى المسلمين توضّح الحقائق ، بل لم يكن المسلمون على تلك الدرجة من الوعي الأمر الذي أضعف حركة المجاهدين ، وإن استمرّت حتى عام ١٣٤٧ ، إلّا أن السوڤييت قد تمكّنوا في المنطقة ، إذ انضمّ إليهم عدد من أبناء البلاد .

ورغم أن لجنة تركستان قد أعطت السكان وعداً باستقلال المنطقة استقلالاً ذاتياً ، والإبقاء على مراكزهم الثقافية والتعليمية والدينية ، إلّا أن هذه الوعود كانت مرحليةً ، فما أن قوى أمر الروس الحمر في تركستان حتى اتّجهوا بقيادة فرونزي نحو إمارة بُخارى وخُوارزم واستولوا عليهما ، وغدت تركستان كلها تحت سلطان الروس ، وإن أبقوا لبُخارى وخوارزم شيئاً من الاستقلال تحت إشراف الشيوعية .

كما كان الروس الحمر قد احتلّوا سيبيريا ودخلوا مدينة (إيركوتسك) ، ووقع الأميرال كولتشاك أسيراً بأيديهم في أواخر شهر ربيع الأول ١٣٣٨ (كانون الأول ١٩١٩) .

وانتهت روسيا كذلك من حربها الهامشية التي خاضتها مع بولونيا عام ١٣٣٩ .

وما جاء شهر ربيع الثاني من عام ١٣٣٩ (نهاية عام ١٩٢٠) حتى انتهت الحرب الأهلية، وألقى الناس السلاح من وجه الشيوعيين الذي صفا لهم الجو وتفرّغوا لتنفيذ مُخطّطاتهم، غير أن أكثر بلاد المسلمين قد غدت خربةً وخاصةً منطقة حوض نهر الفولغا (بلاد التتار والباشكير) إذ كانت ميدان الصراع بين الروس الحمر والبيض، ومسرح العمليات ضدّ قوات الأميرال كولتشاك والأسرى التشيكوسلوفاكيين فأُبيدت أكثر الوحدات العسكرية الإسلامية، وانتهت المُنظّمات التعليمية والثقافية والدينية إذ أن جميع المتخاصمين أعداء للمسلمين، وتمتلىء قلوبهم حقداً عليهم فكلما انتصر فريق منهم أبدى قوته على المسلمين، وأرهب الناس بقتل المسلمين وارتكابه الأعمال الوحشية وكل فاحشةٍ. ولما استولى التشيكوسلوفاكيون على قازان في شهر ذي القعدة ١٣٣٧ (آب ١٩١٩) قبضوا على ملانور وحيد وقتلوه مباشرةً رمياً بالرصاص.

وعندما اطمأنّ الشيوعيون من خنوع الناس وانهيار القوة الإسلامية حيث لا يمكنها أن تقوم بحركة ردّ فعلٍ، عُقد مؤتمر في موسكو فاقترح ستالين إصدار قرارٍ بإجبار المسلمين على دمج الحزب الشيوعي الإسلامي بالحزب الشيوعي الروسي، وقد صدر القرار وتمّ الدمج، ولم يعد للمسلمين أية قوةٍ مُستقلةٍ، وإذا كان المرء يضحك من وجود حزبٍ شيوعيٍ إسلاميٍ إلّا أن هذا يدلّ على خطأ في تفكير المسلمين يومذاك وفي كل يوم يُفكرون فيه بالتنازل عن شيء من عقيدتهم أو الالتقاء بمنتصف الطريق مع خصومهم حسب اصطلاح السياسيين، كما يدلّ على عدم وجود ثقةٍ من الروس (بالمسلمين) ولو كانوا على عقيدتهم ما داموا يرجعون في أصولهم إلى الإسلام. والقصد هنا بالمسلمين الذي ينتمون إلى الإسلام بالوراثة. أما المسلم فلا يمكن أن يكون شيوعياً.

وبعد هذا النصر الذي أحرزه الشيوعيون بدأت التنظيمات والأفراد في

المناطق الإسلامية تتجه إلى الحزب الشيوعي وتنضمّ إليه خوفاً وتستّراً ومصلحةً وهوىً و ..... لقد قِبل الشيوعيون في صفوفهم الجناح اليساري في حزب (ملّي فرقة) الذي يتزعّمه ولي إبراهيم في القرم، وحزب (ألاش أوردا) القازاقي، وحزب (همّة) الأذربيجاني، وتجمّع شباب بُخارى التركستاني، وتجمّع شباب خيوه التركستاني أيضاً، وحزب (جديد) التركستاني كذلك، وكل العناصر التي تُسمّي نفسها ثوريةً، أو تدّعي ذلك وهي لا تعرف ما تعني هذه الكلمة، وتكفي هذه الدعوى الشيوعيين إذ تعني أن العنصر مستعد للسير بالشكل الذي يُراد له، وبالعقيدة التي تُطلب منه، وبالمخطط الذي يُرسم له مُقابل الانضمام الذي يهدف من ورائه إلى.... ولم يكن هناك من مانعٍ لدى سدنة الشيوعيين حيث يعلمون أن أكثرية المنضمّين إليهم لا يُؤمنون بمبادئهم ولا يقبلون أفكارهم وإنما سعوا إليهم خوفاً وتزلّفاً لأطماع ومكاسب، ولكنهم في الوقت نفسه هم يُريدون مُقاتلين يطعنون بهم خصومهم ويرمونهم في نحور أعدائهم حتى حين (مرحلياً) ثم يلتفتون إليهم يسحقونهم. إن الروس البيض أعداء الشيوعية ولكنهم أقرب إليها من المسلمين، فاستعملت الشيوعية المسلمين أداةً لضرب خصومها السياسيين، ثم سحقت هذه الأداة عدوتها اللدودة عقيدةً وفكرًا.

الفصل الخامس

الاستعمارُ الشيُوعي

هُزم المسلمون وليس غريباً أن يُهزموا بعد أن سلكوا طريقاً ليست مستقيمةً، لقد غُلبوا وكان عاقبة أمرهم خُسراً إذ لم تكن لهم شخصيتهم المتميّزة لقد أيّدوا الحزب الدستوري الديمقراطي فخذلهم، وساروا مع الاشتراكيين الثوريين فأذلّوهم، ودعموا الروس البيض فلحقهم الهوان منهم. وحاولوا إدخال الاشتراكية إلى أفكارهم فلفظهم أتباعها، وعملوا على التوفيق بين إسلامهم وما ساد مجتمعهم من آراء ومبادىء، فأبى الإسلام عليهم، ورفض المجتمع منهم بعد أن رآهم قد هان عليهم أمر دينهم، وارتموا في أحضان الشيوعية ضدّ النظام القيصري الذي أمعن في ظلمهم، وضدّ خصومهم الذين خذلوهم فذاقوا المرّ، ثم سُحقوا، وسار عليهم جُهّالهم، وحكمهم أراذلهم، فعزّ الذليل، وذلّ العزيز، وتسلّط الطغاة، وكُمّت الأفواه، وكان الضياع، مع الحديث عن الإسلام عاطفةً، والتمسّك بالانتماء إليه كلاماً. وكان ذلك عبرةً لكل مسلم في المستقبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

عقد الشيوعيون المؤتمرات لنشر الشيوعية في الشرق، وعملوا على استعمال اصطلاح الشرق على أنها آسيا بصفة أن روسيا تستعمر جزءاً كبيراً من آسيا يصل إلى أكثر من ثلث مساحتها، فعندما نقول الشرق، ليقف أهل الشرق ضدّ الغرب وهو بقية دول أوربا المُعادية أو المُنافسة لروسيا. غير أن هذه

المؤتمرات قد مُنيت بالفشل الذريع، إذ حُرّم الحزب الشيوعي في تركيا، وفي بلدانٍ ثانيةٍ، فجاءت الأوامر للشيوعيين بالتعاون مع الأحزاب الأخرى غير أن هذه السياسة لم تنجح أيضاً، لأن بعضهم قد ذاب في التنظيمات التي اشترك معها، أو نُبذ واضطهد، ووقع هذا الخلاف على أشدّه في الصين إذ ذُبح العمال الشيوعيون في مدينة شانغهاي وفي كانتون، ونتيجةً لذلك الفشل تغيّرت السياسة إذ جاءت تعليمات موسكو بترك التعاون مع الاحزاب، ونشر الدعاية ضدّها واتهامها بالارتماء في أحضان الدول الرأسمالية الاستعمارية ولم يكتب النجاح لهذه السياسة أيضاً.

وغيّر الشيوعيون سياستهم إذ وجهوا اهتمامهم بعد عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) إلى الصراع مع الأنظمة الفردية الجديدة التي برزت على السلطة في كلٍ من إيطاليا وألمانيا، فبدأت الدعاية ضدّها وتُركت مرحلياً العمل ضدّ الرأسمالية الفرنسية والإنكليزية.

السياسة الشيوعية: من المعلوم أن الشيوعية عدوّة للدين غير أن هذه العداوة كانت منصبةً على الإسلام، ولا يمكن أبداً المقارنة بين ما اتخذته الشيوعية من أساليب وقراراتٍ في عداوتها للإسلام مع ما اتخذته ضدّ النصرانية واليهودية ولا غرابة في ذلك فديانة سدنة الشيوعية هي النصرانية واليهودية، واليهود هم أصحاب الفكر الشيوعي، والذين يسيطرون على الحزب والذين يتولّون مهمة التوجيه فيه ويرسمون سياسته إنما هم من النصارى واليهود، وإذا تسلّق أحد الذين كانوا ينتمون إلى الإسلام على حبال الحزب وكانت عنده إمكانات ضخمة وطاقات هائلة إلا أن الجميع لا يثقون به ولا يدعونه يتصرّف، ولا بدّ من التخلّص منه، أو مراقبته والتحذير منه حتى يخشاه الأعضاء وينفرون منه، أو يُذلّونه بالقبض عليه ولو موقّتاً حتى يضعف شأنه ويقلّ وزنه عند الأفراد جميعاً، كما فعلوا بسلطان غالييف الذي سُجن مرتين رغم خدماته لهم.

وهناك ملاحظة أُخرى يجب أن ننتبه إليها وهي أن السياسة الشيوعية كانت على الأقلّ في هذه المرحلة تتخبط في قراراتها وتوجيهاتها، وهذا أمر طبيعي أيضاً وذلك لأنها تتبنّى سياسةً مرحليةً فهي بناءً على ذلك تتغيّر تبعاً للمرحلة التي تمرّ فيها، فنجد انها تُصادر الأوقاف ثم تعود فتسمح بها حسب الضغط الذي تتعرّض له أو المقاومة التي تصطدم معها.

ويمكن أن نرى بعض التقلّبات التي طرأت على السياسة الشيوعية فيما يتعلق بالمسلمين، وأسباب تلك التغيّرات بخطوطٍ عريضةٍ.

بعد الحرب الأهلية، وشعور الشيوعيين أن الأمر قد استقرّ لهم والوضع قد استتبّ أعلنوا حرباً عنيفةً على المؤسّسات الإسلامية والتي تتمثّل في الأوقاف والمحاكم الشرعية ومراكز التعليم الديني. كان الحكم القيصري قد ألغى الأوقاف في منطقة الفولغا، ويُنفق دخل هذه الأوقاف عادةً على رواتب العلماء والذين يقومون بخدمة المؤسّسات الدينية كالمساجد وغيرها، وعلى المشافي، ومراكز التعليم الديني وطرق الخير الكثيرة فلما تملّكت الدولة هذه الأوقاف ارتبط العلماء وموظفو المساجد، والمشافي، ومراكز التعليم بالسلطة، وأصبحوا تبعاً لها، ومنعت طرق الخير، وهذا ما تبغيه الدولة بأن يكون كل شيءٍ في يدها، وإذا كانت قد أُلغيت في منطقة الفولغا غير أنها قد بقيت في بلاد القرم، والقفقاس، وتركستان، غير أن سوڤييت طاشقند قد استولوا عليها في تركستان. ثم صدر مرسومان في ٢٥ شوال ١٣٤٠ (٢٠ حزيران ١٩٢٢) و ٥ جمادى الأولى ١٣٤٠ (٢٨ كانون أول ١٩٢٢) يقضيان بإعادة الأوقاف في تركستان، أما المدارس القرآنية فقد خضعت لإشراف لجنةٍ مختلطةٍ من العلماء والسوڤييت، ثم أُلحقت بإدارة التعليم. وربما كان هذا التراجع يعود إلى سببين اثنين:

أ ـ حركة المجاهدين لا تزال قائمةً، ويُريد الشيوعيون أن يُظهروا التسامح مع المسلمين كي لا ينفر الناس ويلتحقوا بحركة المجاهدين، أما

التساهل فربما يُؤدّي إلى السكوت، وعدم تأييد المجاهدين.

٢ - نصيحة سلطان غالييف التي قدّمها للشيوعيين بإعادة امتيازات المؤسسات الإسلامية التي أُلغيت استرضاءً للشعب الذي رأى قسوةً من الشيوعيين أكثر مما رأى من القياصرة.

كما أن دستوري محميتي بُخارى وخُوارزم اللذين صدرا عام ١٣٤١ قد أعطيا الحرية الدينية والحقّ في ممارسة الشعائر والعبادات بشرط ألا تمسّ حرية الآخرين. كما أن دستور محمية بُخارى لا يمنع علماء الدين من حق التصويت، على حين أن دستور خُوارزم لا يمنع أحداً من حقّ التصويت سوى علماء الدين. ويُشبه دستور أذربيجان في هذه الناحية دستور بُخارى إذ يسمح بتصويت علماء الدين في الانتخابات. مع العلم أن رجال الدين النصارى لا يملكون هذا الحقّ. كما أُلغيت المحاكم الشرعية، ثم سمح بها للأسباب نفسها.

ولكن عاد الشيوعيون فصفّوا الأوقاف نهائياً عام ١٣٤٤، وفي هذا العام تأسّس اتحاد الجماعة الإلحادية التي لا دين لها برئاسة أميليان ياروسلافيسكي وبدأت تقوم بنشاطها، وكانت تُسمّي نفسها (اتحاد من لا إله لهم).

وبعد أن قُضي على حركة المجاهدين وصفا الجو للشيوعيين قاموا بحركةٍ مُكثّفةٍ ضدّ الإسلام إذ مُنع المسلمون من أداء فريضة الحج، ومن تأدية الزكاة، وقامت كافة وسائل الإعلام بالهجوم على الصلاة والصيام وإلقاء التّهم على أصحابها والسخرية منهم. وكان في هذا الوقت قد تفرّد ستالين بالسلطة وتخلّص من رفاقه المنافسين له.

وأُلقي القبض على سلطان غالييف نصير الشيوعيين أول مرةٍ عام ١٣٤٢ والثانية عام ١٣٤٧، واشتدّ الضغط على المسلمين حتى انصرفوا إلى العمل السري وتشكيل مُنظّمات تعمل سرًّا وتدعو إلى القومية الإسلامية أي ارتبط

الإسلام بالقومية، والقومية دعوة عصبية عاطفية لا منهج لها، ولا فكر تعمل به. واستمرّ الضغط حتى قبيل الحرب العالمية الثانية.

ويُمكن إعطاء فكرة عن هذا الهجوم ببعض الأمثلة: كان يوجد في الامبراطورية الروسية عام ١٣٣٠ (١٩١٢ م) (٢٦٢٧٩) ستة وعشرون ألفاً ومائتان وتسعة وسبعون مسجداً سوى مساجد بُخارى وخُوارزم، أي بمعدل مسجدٍ لكل (٧٠٠ - ١٠٠٠ مسلم)، وقد بقي من هذه المساجد عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢) ألف وثلاثمائة وإثنا عشر مسجداً أي هُدّم وأُزيل ما يقرب من خمسةٍ وعشرين ألف مسجد خلال إحدى وثلاثين سنة.

عادت الأمور فتغيّرت بعد أن اندلعت الحرب العالمية الثانية إذ عادت الدولة تسترضي المسلمين فقد سمحت بإقامة أربعة مراكز دينية عام ١٣٦٠ أولها في أوفا للإشراف على الشؤون الدينية في حوض الفولغا والمسلمين الموزّعين في كافة أنحاء المنطقة الأوربية، والثاني في محج قلعة عاصمة بلاد الداغستان للإشراف على شؤون المسلمين في بلاد القفقاس، والثالث في باكو وهو شيعي ويتبعه المسلمون في أذربيجان، وأرمينيا وجورجيا، والرابع في طاشقند ويتبع له المسلمون في آسيا الوسطى كلها.

كما سمحت بإقامة مؤتمر لزعماء المسلمين في مدينة أوفا عام ١٣٦١، وقد تكلّم فيه الحضور عن ضرورة دعم الدولة الروسية ضدّ أعدائها، ولكن هذا كله أثناء الحرب وللضرورة لذا لا يمكن الركون على قرارات الحكومة، وفي الواقع ما انتهت الحرب حتى اتّهمت الدولة شعوباً كاملةً بالخيانة والعمالة للألمان، وقد قتلت من قتلت منهم، وأودعت الكثير السجن، وارتكبت المظالم والوحشية ونفت شعوب التشاشان، والبلكار، وتتار القرم. ولما انتهت مرحلة ما بعد الحرب وهلك ستالين ادعى سدنة الشيوعية أن ستالين قد أخطأ بذلك التصرّف وأن غروره هو أدّى به إلى القيام بهذا العمل، لذا فقد بُرّئت ساحة

التشاشان والبلكار وأُعيدوا إلى أوطانهم، وأُعيدت إليهم جمهورياتهم، وأما تتار القرم فلا يزالون في منفاهم هائمين على وجوههم في مجاهل سيبيريا.

والأمر الذي أصبح شائعاً في الإمبراطورية الروسية أنه كلما جاء زعيم جديد للشيوعية انتقد سلفه ليبرز فادعى أن سابقه قد اشتدّ على المسلمين، وأنه حاد عن المنهج الشيوعي في تساهله الذي أدّى أو كاد يُؤدّي إلى ظهور بورجوازيةٍ جديدةٍ، وقوميات وطنيةٍ فيبدأ يكيل الضربات التي يكون للمسلمين النصيب الأوفى فيها. لذا فاضطهاد المسلمين مُستمرّ ومُتزايد مع الزمن هذا من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر فإنه في أقلّ الأيام اضطهاداً عندما تبرز مشكلة فإن الوضع لا يختلف عما كان عليه أيام الحكم القيصري بل يزيد عليه كثيراً حسب الوسائل الحديثة، لذا فوضع المسلمين في تدهورٍ دائمٍ.

وإذا أردنا أن نتحدّث عن تفاصيل الاضطهاد فإننا نحتاج إلى عددٍ من الكتب ولذا فإننا سنقتصر على بعض الجوانب، ونأخذ أمثلةً محدودةً توضّح خطّ السياسة العامة.

إن مكافحة الإسلام والعناية بنشر الإلحاد يقعان من حيث المبدأ على عاتق كل مُنظّمات الحزب وعلى الكومسومول (اتحاد الطلاب)، وكذلك على الفروع الإقليمية لمؤسّسة ماركس ـ أنجل ـ لينين، وعلى كل وزارات الثقافة في جميع الجمهوريات. وأما عملياً فهناك مُنظّمة تُعرف باسم «جمعية نشر المعلومات السياسية» أنشئت إثر الحرب، وصلاحياتها شبيهة بصلاحيات (اتحاد من لا إله لهم)، وهي التي تقوم بحملات الدعاية ضدّ الإسلام، والمركز الرئيسي لهذه المنظمة هو موسكو، ولها فروع في كل الجمهوريات، وهذه الفروع تُشرف على نشاط المُنظّمات الإقليمية وما دونها من مُنظّماتٍ مُقامةٍ في المدن والقرى. وكل الوسائل مُجنّدة في نظر الشيوعيين للتأثير في الجماعات التي ما زالت على حد تعبيرهم (تحت تأثير الأفكار الدينية المسبقة): الأحاديث بالإذاعة، الأفلام السينمائية المعادية للدين، المتاحف، المعارض

الثابتة والمعارض المتحركة وخاصةً المحاضرات والصحافة. ويبدو أن الجهود الذي بذلتها المنظمة في هذا الصدد كانت جهوداً عظيمةً جداً ولا سيما ما كان منها في ميدان المحاضرات العامة. ومثال على ذلك أن الفرع القازاقي الذي كان يُشرف سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) على نشاط خمسة عشر فرعاً إقليمياً، وتسعةٍ ومائتي فرع في المدن والقرى، وخمسة عشر وثمانمائة مكتبٍ للدعاية نظّم خلال ثلاث سنوات ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨ م (١٣٦٥ ـ ١٣٦٧).

٣٠,٥٢٨ محاضرة عامة، منها ٢٣,٠٠٠ محاضرة ضدّ الإسلام[1].

وألقت المُنظّمة في أوزبكستان سنة ١٩٥١ م. (١٣٧١ هـ) أكثر من عشرة آلاف محاضرة ضدّ الإسلام[2] وأخيراً وفي سنة ١٩٦٣ م (١٣٨٣ هـ) ألقت المنظمة ذاتها في تركمانستان أكثر من ٥,٠٠٠ محاضرة ضدّ الإسلام. يُضاف إلى كل هذه الجهود العامة جهود خاصّة إذ يقصد العاملون ضدّ الدين منازل المسلمين ويجبرون أهلها على الاستماع إلى أقوالهم.

ويبدو أن الجهود المبذولة لمكافحة الإسلام عن طريق النشر هي أعظم بكثيرٍ من الجهود الكلامية، إذ بصرف النظر عن المقالات، التي لا تُعدّ ولا تُحصى والتي تنشر في الصحف ضدّ الإسلام، فقد طبعت المُنظّمة ما بين ١ كانون الثاني ١٩٥٥ م وبين ١ آب ١٩٥٧ (أي مدة سنتين ونصف)، أربعةً وثمانين كتاباً في ثمانين ألف نسخة وزّعتها في المناطق الإسلامية من الامبراطورية الروسية، وصدرت هذه الكتب على الشكل التالي:

٢٠ كتاباً عن أوزبكستان.
١٠ كتب عن بلاد التتار.
٩ كتب عن داغستان.

---

(١) جريدة قازاقستان ـ برافدا. ألما آضا في ١/٣/١٩٥٢.
(٢) جريدة قيزيل أوزبكستان. طاشقند في ١٨/٣/١٩٥٢.

٨ كتب عن قازاقستان
٧ كتب عن طاجيكستان
٦ كتب عن بلاد الباشكير.
٣ كتب عن القبرطاي.
٢ كتاباً عن قره قالبق.
١ كتاباً عن منطقة الأديغة.
١ كتاباً عن أوستين الشمالية
٦ كتب عن القيرغيز
٤ كتب عن أذربيجان.
٤ كتب عن تركمانستان.
٣ كتب عن منطقة قراتشاي الشركسية.

وبعد موت ستالين اشتدّت الحملة على الإسلام إذ ظهر في الإمبراطورية الروسية خلال سنوات، أي ما بين (١ كانون الثاني ١٩٦٢ وإلى ٣١ كانون أول ١٩٦٤) ٢١٩ كتابا ونشرةً ضدّ الإسلام خاصةً أو موجهةً إلى المسلمين، ومن هذه الكتب:

٤٧ كتاباً بلغات داغستانية مختلفة.
٢٦ كتاباً باللغة الأوزبكية.
١٥ كتاباً باللغة القازاقية.
١٤ كتاباً باللغة الأزرية.
١٢ كتاباً باللغة الطاجيكية.
٦ كتب باللغة التتارية القازانية.
٨ كتب باللغة القيرغيزية.
٧ كتب باللغة الباشكيرية.
٢ كتاباً بلغة القبرطاي.

٢ كتاباً باللغة التشاشانية.
١ كتاباً بلغة الأبخاز.
١ كتاباً بلغة القره قالبك.
١ كتاباً بلغة الأنغوش.
١ كتاباً بلغة قراتشاي.
٦٠ كتاباً باللغة الروسية موجّهة إلى المسلمين.
٢٧ كتاباً نشرت في داغستان [١].

أين محاربة النصرانية واليهودية من محاربة الإسلام؟ على حين أن المفروض أن تكون الكتب الموجهة ضدّ النصرانية تُعادل ٤ مرات ما كتب ضدّ الإسلام بالنسبة إلى أتباع الديانتين. والواقع أن الكتب التي توجّه ضد الدين عامة إنما يُقصد بها الإسلام.

إضافةً إلى هذا يجب ملاحظة منع تأدية الزكاة، ومنع السفر إلى الحج، وعندما سمح لعشرين شخصاً بأداء فريضة الحج عام ١٣٦٤، مُنعوا من الاختلاط بالمسلمين والتقيّد برفقة بعضهم لبعض (حيث يوجد بينهم مراقبون سياسيون)، وعدم الجرأة في تأدية الصلاة في المسجد لأن هذا يُعرِّض إلى السؤال والتعذيب أقلّ احتمال وربما يصل الأمر إلى الاختفاء. وزيادة ساعات العمل في رمضان، وتكليف المسلمين بالأعمال الشاقّة في هذا الشهر كي يمتنعوا عن الصيام إن أرادوا، وإلزام الفتيات المسلمات على السفور، والقضاء على صاحب أية كلمة نقدٍ مهما كانت، والسخرية من أهل الدين باستمرار و....

أما بالنسبة إلى الاضطهاد والقتل فيكفي أن نأخذ مثالاً واحداً أيضاً من

(١) انظر كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» تعريب إحسان حقي، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية صفحة ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

خلال أقوال صحفهم ومسؤوليهم:

بعد أن نجح الشيوعيون في ضمّ المناطق التي استقلّت عنهم اتجهوا نحو بلاد القرم، ولكن القرميين قاوموا الغزو الشيوعي ببسالةٍ فائقةٍ، ولما عجزوا عن ردّ العدوان لكثرة جيوشه وجوعه وضخامة إمكاناته اعتصموا بالجبال يُغيرون على المعتدين، ويقومون بالهجمات الناجحة على قطعاته، وكان الشعب جميعه يمدّهم بالمواد التموينية وينقل لهم الأخبار، فلما رأى الشيوعيون أن حبل المقاومة طويل لجأوا إلى حرب التجويع، فنقلوا ما كان في الجزيرة المقاومة من أقواتٍ، الأمر الذي عرّض السكان للهلاك، وقد نشرت جريدة «الازفستيا» في عددها الصادر في ٢٥ تموز تقريراً للرفيق كالينين عن مجاعة القرم جاء فيه ما يلي: (بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر كانون الثاني ٣٠٢,٠٠٠ مات منهم ١٤,٤١٣، وارتفع عددهم في شهر آذار إلى ٣٧٩,٠٠٠ مات منهم ١٩,٩٠٢ نسمة، وبلغ في شهر نيسان ٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤، وفي شهر حزيران ٣٩٢,٠٧٢ ولم يذكر عدد الموتى، إلا أنه قال: «إن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث التي يُستغرب لها أو تبدو عجيبةً في بابها»). وكان الشيوعيون قد قتلوا مائة ألفٍ قبل عامٍ أي أثناء دخولهم بلاد القرم، كما أنهم هجّروا خمسين ألفاً آخرين. ونصّبوا رئيساً لجمهورية القرم الإسلامية الشيوعي الهنغاري (بالاكون)، وأعدموا رئيس الجمهورية السابق (جلبي نعمان جهان) وألقوا جثته في البحر.

واستمرّ هذا الضغط وذلك الارهاب حتى جرّدوا المسلمين من أملاكهم وما لديهم من ثروات، وشرعوا بتهديم المساجد والمعاهد الدينية حتى لم يبق من ١٥٥٨ مسجداً كانت موجودة بالقرم إلا آحاداً قليلة، أما جمهرتها الكبرى فقد تحوّلت إلى أنديةٍ، وقهواتٍ، ودور لهوٍ، واصطبلات للخيل، وحظائر للمواشي، وبدأ عدد السكان البالغ خمسة ملايين عند قيام الانقلاب الشيوعي يتناقص تدريجياً.

وفي عام ١٣٣٨ أعلنت موسكو عن قيام جمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي، وعيّنوا عليها رئيساً شيوعياً هو (ولي إبراهيم)، ثم قتلوه عام ١٣٤٨ مع جميع وزرائه، لأنه اعترض على فكرة ستالين بإقامة دولةٍ يهوديةٍ في القرم، وبالتالي تدفّقت الهجرة اليهودية نحو القرم. وفي عام ١٣٤٩ نُفي أربعون ألف قرمي إلى سيبيريا للعمل في معسكرات العمل الإجباري فمات الكثير منهم من شدّة البرد والجوع وقسوة العمل، وفي العام نفسه قتل الشيوعيون رئيس الجمهورية الجديد (محمد قوباي) مع وزرائه لأنه اعترض على سياسة التجويع في بلاده، حيث استولت حكومة موسكو على منتجات القرم الزراعية وعملت على بيعها في الخارج. ثم كرّروا الحادثة عام ١٣٥٦ مع رئيس الجمهورية (الياس طرخان) إذ استدعوه إلى موسكو وقتلوه مع وزرائه رمياً بالرصاص. هذا مع العلم من أن الشيوعيين هم الذين كانوا يوافقون على تعيين هؤلاء الرؤساء للجمهورية، ولا يتسلّم وزير منصبه إلّا بعد صدور الموافقة من موسكو. هذا مع الوزراء ورؤساء الجمهوريات فما بالك في قتل الأفراد؟.

الواقع أن الكثير من عمليات السحق والإبادة الجماعية والفردية تتمّ في الإمبراطورية الروسية دون أن يعلم بها أحد، وإذا صدف ووصل الخبر إلى صحفي أو آخرين هل يستطيع إنسان أن يتفوّه بكلمة؟ لا يستطيع أي امرىء حتى ولو كان أقرب الناس إلى القتلى أو من شاهد الحادث أن يبوح بأي خبرٍ ولو صدف وتحدّث عُدّ كأنه لم يكن.

ولا شكّ فإن فرض اللغة الروسية على المسلمين هو أحد عوامل الاستعمار وسمة من سماته، وأصبحت اللغة الروسية تعدّ اللغة الأولى أو الثانية في كل الأقاليم الإسلامية الخاضعة لهذا الاستعمار، كما أن حرفها قد فرض على كثيرٍ من اللغات التي لم يكن لها حرف أو كانت تكتب باللغة العربية، وربما لم يبق من تلك الآثار إلا القليل وتُمثّلها مدرسة (ميري عرب) التي فتحت عام ٩٤١ هـ، ولكنها أُغلقت عندما حدث الانقلاب الشيوعي. ولكن أُعيد

فتحها عام ١٣٧٢ هـ، وهي تُخرّج الأئمة والذين يتولّون أمور بعض التعليم، ولكنّها لا تستطيع أن تسدّ الحاجة المطلوبة أبداً مع أختها في طاشقند، بل إن الفراغ قائم ولا يمكن ملؤه، بل لا يُفكّر أحد بإنشاء ما يمكن أن يسدّ الفراغ القائم فربما كان الاقتراح وحده يُؤدّي إلى الهلاك. وهناك المركز الإسلامي في داغستان في مدينة (محج قلعة) الذي لا يزال يستعمل اللغة العربية. والغاية من فرض اللغة الروسية إنما هو إزالة الشخصية الإسلامية، وإبعادها عن مصادر عقيدتها الرئيسيّة، وفصلها عن ماضيها، ودمجها في المجتمع الروسي بعد سلخها من عقيدتها.

ويحرص المستعمرون حرصاً شديداً على التعليم المختلط لأن فيه إبعاد عن العقيدة وإفساد للأخلاق، وتنشئة غير صالحة، ورغم كل ما فعلته روسيا فلا تزال تجد عقباتٍ في تطبيق هذا النظام في بلاد الداغستان وآسيا الوسطى وخاصةً في الأرياف فيها إذ لا يزال السكان يُصرّون على رفض الاختلاط، ويُطالبون بفصل الطلاب عن الطالبات.

ونتيجة الاضطهاد الواسع الذي تُمارسه السلطة الاستعمارية فإن عدد المسلمين قد تناقص على الرغم من أن زيادة الولادات لدى المسلمين تفوق غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى بكثير غير أن القتل هو سبب هذا النقصان، ويقال: إن عدد المسلمين الذين لاقوا حتفهم أيام ستالين يفوق على أحد عشر مليوناً، وإضافةً إلى القتل فإن المستعمرين يرغبون في إنقاص عدد المسلمين لتقليل أهميتهم لذا فإن الاحصاءات الروسية لا يُوثق بها أبداً في تعداد المسلمين، ويجب أن نعلم أن العدد الحقيقي يزيد على ما تعطيه المعلومات الروسية كثيراً.

ومما تستعمله السلطات الروسية الاستعمارية في تفتيت قوة المسلمين تقسيم أقاليمهم إلى وحداتٍ صغيرةٍ ورغم صغرها تضمّ مجموعاتٍ متنافرةً، ليسهل عليها التسلّط، ويسهل عليها فرض ما تشاء، ويمكن دمجها في المجتمع الروسي وهذا ما نراه في الباب القادم ـ إن شاء الله ـ.

الباب الرابع

التقسيمات السياسية

إذا ضُمّت إلى الإمبراطورية الروسية مُستعمراتها ما دامت على صلةٍ مُباشرةٍ بها فإنها تكون أكبر اتحادٍ سياسي في العالم إذ تقرُب مساحتها من تسعة ملايين من الأميـال المربّعـة [١]، فليس غـريبـاً أن تُقسم إلى عـددٍ مـن الوحدات السياسية، غير أن التقسيم في الإمبراطورية الروسية معقّد جداً فليست مُقسمة إلى مناطق منفصلةٍ بعضها عن بعضٍ ويضمّها اتحاد كالمملكة المتحدة (انكلترا) أو كالهند، أو تتألف من جمهوريات يجمعها رابط متين كالولايات المتحدة الإمريكية وكثيرٍ من الدول في العالم، ولكنها تتكوّن من مجموعةٍ من الجمهوريات ذات نوعٍ فريدٍ وغريبٍ في نسقه إذ يكون شكلًا هرمياً يُوجد في ذروته جمهوريات اتحادية يبلغ عددها خمس عشرة جمهوريةً لها استقلاليتها النظرية، وفي الواقع تتحرّك من العاصمة الاتحادية موسكو، فمن هناك تتلقّى الأوامر، وإلى هناك تُرفع الاستشارات، ومن هناك يُؤخذ الإذن والموافقة على كل موضوع، وهذه الجمهوريات هي:

أً - جمهورية روسيا الاتحادية: وعاصمتها مـوسكـو، ويتبعهـا كثير مـن المستعمرات وأكبرها سيبيريـا، وتبلغ مسـاحتهـا ٦,٥٩٣,٨٥٠ ميلًا مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ١٤٠ مليوناً.

---

(١) تبلغ مساحة الإمبراطورية الروسية مع مستعمراتها ٨,٥٩٩,٣٤١ ميلًا مربّعاً.

٢ً ـ جمهورية أوكرانيا: وعاصمتها كييف، وهي جمهورية روسية، وتبلغ مساحتها ٢٣١,٩٩٠ ميلًا مربّعاً، ويبلغ عدد سكانها ٥٠ مليوناً.

٣ً ـ جمهورية روسيا البيضاء: وعاصمتها منسك، وهي جمهورية روسية، وتبلغ مساحتها ٨٠,١٥٠ ميلًا مربّعاً، ويُقدّر عدد سكّانها بحوالي تسعة ملايين ونصف المليون.

٤ً ـ جمهورية ليتوانيا: وعاصمتها ڤيلنيوس، وتقع على بحر البلطيق، وتبلغ مساحتها ٢٥,١٧٠ ميلًا مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف المليون.

٥ً ـ جمهورية لاتفيا: وعاصمتها ريغا، وتقع على بحر البلطيق، وتبلغ مساحتها ٢٥,٥٩٠ ميلًا مربّعاً، ويُقدّر عدد سكانها بـ(٢,٧٥٠,٠٠٠).

٦ً ـ جمهورية استونيا: وعاصمتها تالّين، وتقع على بحر البلطيق، وتبلغ مساحتها ١٧,١٤٠ أميال مربّعة، ويزيد عدد سكانها قليلاً على المليون ونصف.

٧ً ـ جمهورية مولدافيا: وعاصمتها كيشينيف، وتقع على حدود رومانيا، وتبلغ مساحتها ١٣,٠٥٠ ميلًا مربّعاً، ويسكنها أربعة ملايين نسمة.

٨ً ـ جمهورية جورجيا: وعاصمتها تفليس، وتقع فيما وراء القفقاس، وتبلغ مساحتها ٢٦,٩٠٠ ميلًا مربّعاً، ويسكنها خمسة ملايين.

٩ً ـ جمهورية أرمينيا: وعاصمتها يريفان، وتقع فيما وراء القفقاس، وتبلغ مساحتها ١١,٤٦٠ ميلًا مربّعاً، ويُقدّر عدد سكانها بـ(٣,٢٥٠,٠٠٠).

١٠ً ـ جمهورية أذربيجان: وعاصمتها باكو، وهي جمهورية إسلامية، تقع فيما

وراء القفقاس، وتبلغ مساحتها ٣٣,٤٣٠ ميلاً مربّعاً، ويُقيم فيها خمسة ملايين ونصف المليون.

١١ً - جمهورية قازاقستان: وعاصمتها ألما آضا، وهي جمهورية إسلامية، تقع وسط آسيا، وتبلغ مساحتها ١,٠٤٨,٠٣٠ ميلًا مربّعاً، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة عشر مليوناً ونصف المليون.

١٢ً - جمهورية أوزبكستان: وعاصمتها طاشقند، وهي جمهورية إسلامية، تقع وسط آسيا، وتبلغ مساحتها ١٧٣,٥٤٦ ميلًا مربّعاً، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة عشر مليوناً.

١٣ً - جمهورية تركمانستان: وعاصمتها عشق آباد، وهي جمهورية إسلامية، تقع وسط آسيا، وتبلغ مساحتها ١٨٨,٤٠٠ ميل مربع، ويقدر عدد سكانها بحوالي المليونين ونصف المليون.

١٤ً - جمهورية قيرغيزيا: وعاصمتها فرونزى، وهي جمهورية إسلامية، تقع وسط آسيا، وتبلغ مساحتها ٧٦,٧٠٠ ميل مربّع، وعدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف.

١٥ً - جمهورية طاجيكستان: وعاصمتها دوشنبه، وهي جمهورية إسلامية، تقع وسط آسيا، وتبلغ مساحتها ٥٥,٤٠٠ ميلًا مربّعاً، وعدد سكانها (٣,٢٥٠,٠٠٠).

والأمر طبيعي ألّا تكون هذه الجمهوريات متساويةً من حيث المساحة، ومن الأمور العادية أيضاً أن تكون المساحات متقاربةً أو شبيهةً بذلك، إلّا أن تكون هناك مناطق صحراوية قاحلة أو غابية قليلة السكان، غير أننا نجد هنا في الإمبراطورية الروسية فروقاً غريبةً فجمهورية روسيا الاتحادية تزيد مساحتها على ١٣ مليون كيلومتر مربع على حين لا تزيد مساحة جمهورية أرمينيا على ثلاثين ألفاً من الكيلومترات المربعة. أي أن الجمهورية الاتحادية

تُعادل ٤٣٣ جمهوريةً مثل جمهورية أرمينيا وهذا أمر غير عادي، وما ذلك إلّا لأن المستعمرات إنما ترتبط بموسكو عاصمة روسيا الاتحادية، إذ لا يثق الروس أن ترتبط المستعمرات بغير موسكو وهذا دليل على الاستعمار، فإذا قيل أن هذا الأمر عادي فإن المستعمرات الفرنسية لم تكن لترتبط إلّا بباريس، والإنكليزية لا يُمكن أن ترتبط إلّا بـ (لندن) فإن هذا ما نريد أن نصل إليه، فإن انكلترا وفرنسا دولتان مستعمرتان ولا تختلف عنهما روسيا. وكذلك الحال والسبب نفسه بالنسبة إلى السكان فإن جمهورية روسيا الاتحادية يزيد عدد سكانها على ١٤٠ مليوناً، على حين لا يزيد عدد سكان جمهورية استونيا على مليون ونصف.

ويأتي في المرتبة الثانية بعد الجمهوريات الاتحادية جمهوريات ذات استقلالٍ ذاتيٍ، ويُطلق عليها اسم جمهوريات وليس لها إلا الاسم، وتُعطى صفة الاستقلالية الذاتية وليس لها من مضمونه شيء، وإنما ذلك إيهام الشعوب التي تحمل هذه الجمهوريات عادةً اسمها لتظنّ بنفسها الاستقلالية. ويزيد عدد هذه الجمهوريات على العشرين جمهوريةً يقع معظمها في الأقاليم الإسلامية بل إن هذا النوع من التقسيم إنما كان الهدف منه تجزئة المناطق الإسلامية، لذا فإن أكثر من خمس عشرة جمهوريةً إنما هي جمهوريات إسلامية، وأكثر من عشرٍ منها إنما يتبع أو يرتبط بموسكو مُباشرةً، والباقي يرتبط بجمهورية اتحادية أُخرى ويُفضّل أن تكون نصرانيةً، أما إن حال دون ذلك حائل وهو وجود جمهورياتٍ اتحاديةٍ تفصل بين هذه الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي وبين جمهورية روسيا الاتحادية، أو بين هذه الجمهوريات وجمهورية اتحاديةٍ نصرانيةٍ فعندها يكون لا بدّ من ربطها بجمهوريةٍ اتحاديةٍ ذات أكثريةٍ مسلمةٍ. وتتجمّع أكثر هذه الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي وذات الأكثرية المسلمة في منطقتين اثنتين هما: حوض الفولغا، وشمالي القفقاس.

وتأتي في قاعدة الهرم أو في المرتبة الثالثة من التقسيمات السياسية في

الإمبراطورية الروسية المقاطعات ذات الاستقلال الذاتي، وتحمل الاسم أيضاً خالياً من مضمونه، إذ ليس لها شيء من الاستقلالية فقد تتبع إقليماً أو جمهوريةً ذات استقلالٍ ذاتيٍ، وكلاهما يكون مرتبطاً بجمهوريةٍ اتحاديةٍ وغالباً ما تكون موسكو، ويُوجد عدد من هذه المقاطعات ذات أكثريةٍ مسلمةٍ. قسم منها يرتبط بموسكو، وآخر يرتبط بأوكرانيا، وقسم منها يلحق جمهورياتٍ ذات أكثريةٍ مسلمةٍ. وربما تقضي السياسة الروسية أن تُغيّر جمهوريةً ذات استقلالٍ ذاتيٍ إلى مقاطعةٍ ذات استقلالٍ ذاتي أو العكس، وفي الوقت نفسه يمكن تغيير ارتباطها من جمهوريةٍ إلى ثانيةٍ، كما حدث لشبه جزيرة القرم إذ كانت جمهوريةً ذات استقلالٍ ذاتيٍ، وترتبط بجمهورية روسيا الاتحادية، ثم تغيّر الوضع فأصبحت مُقاطعةً ذات استقلالٍ ذاتيٍ وترتبط بجمهورية أُوكرانيا الاتحادية.

وليس التمييز قائماً بين الجمهوريات فقط، فهي ليست سوى مساحات من الأرض، أما التمييز فإنما هو بين سكان هذه الجمهوريات. فالجمهوريات الروسية هي التي تأتي في الطليعة، وتليها في الترتيب الجمهوريات النصرانية إن كان سكانها من الأرثوذكس، أما إن كانوا من بقية المذاهب فتأتي بعد ذلك... أما الجمهوريات ذات الأكثرية المسلمة فهي في نهاية الجدول دون ترقيم... وبعد هذا كله تدّعي الدولة أنها لا تُقيم للأديـان وزنـاً، ولا تعترف بدينٍ، والدين هو أفيون الشعوب.

ويعيش في الإمبراطورية الروسية أكثر من تسعين شعباً، ولكنها ليست كلها على درجةٍ واحدةٍ في الحقوق والمستوى إذ يأتي في رأس القائمة الشعب الروسي الذي يدين بالنصرانية على المذهب الأرثوذكسي، ويُشكّل المنتسبون إليه الأكثرية العظمى إذ يزيدون على مائتي مليون، والشعوب الأخرى لخدمته ولرفاهيته، فخيراتها إليه، ومُنتجـاتها لأبنـائـه، وهـو الحاكم، والمُسيطـر، والمتسلّط، يأمر وينهى، ويُراقب هؤلاء وأولئك، ويعيش في بلدانهم على

حسابهم، ويستولي على أحسن الأراضي، ويُشرف على إدارة المصانع وإنتاج المزارع، ويتفقّد سير الحكم، وتطبيق مبادىء النظام، ويُعطي شهادات حسن السلوك، ويحرم المواطنة من يشاء. ثم تأتي الشعوب النصرانية الثانية مثل الكَرْج، والأرمن، وشعوب بحر البلطيق ويتقدّمها من ينتمي إلى المذهب الأرثوذكسي وتليها أصحاب المذهب الكاثوليكي ولا وزن للمسلمين أبدًا وبعد هذا فالدولة الروسية لا تُفرّق بين الأديان.

أما اليهود، وإن لم يكن لهم دور بارز إذ أنهم مكروهون بين شعوب العالم جميعاً لتصرّفاتهم وأعمالهم في الفتن ومحاولة الابتزاز، غير أن مركزهم كبير في المناصب العلمية والحزبية إذ من المعلوم أن الفكر الشيوعي إنما يعود في نشأته وتطبيقه إلى الفكر اليهودي والتخطيط اليهودي. والزواج السياسي أو التخطيطي بين اليهود والروس كثير.

أما الشعوب المسلمة فتأتي في المُؤخّرة من غير ترتيبٍ ليس لها حق في الحرية، ولا في المساواة، ولا في إقامة الشعائر، ولا أداء العبادات، ومن ينتمي منها إلى الحزب الشيوعي وهو الحزب الوحيد والمتسلّط في البلاد والعباد، فإن الثقة فيه مفقودة بالنسبة إلى العمل الذي يُؤدّيه أو المنصب الذي يشغله، ومهما تسلّق، وتزلّف، وزاود فالأمر واحد، الثقة مفقودة، وخاضع للمراقبة.

أما وقد رأينا التمييز في الإمبراطورية الروسية فهل يمكن أن نعدّها دولةً عنصريةً، إن الدراسة والبحث العلمي والموضوعية كل هذا يُصنّف حكومة الإمبراطورية الروسية ضمن الحكومات العنصرية والاستعمارية، غير أن الجهل بالواقع، والهجوم المبني على المخالفة، والصراع السياسي العالمي، والنزاع الاقتصادي كل هذا أيضاً يُبعد عن الدراسة المتأنّية والمعرفة الصحيحة بالواقع.

لم يكن هذا التقسيم قائماً على أسسٍ واقعيةٍ إذ لا يقوم على وحداتٍ

طبيعيةٍ كما يتوقّع بعضهم، ولا على عوامل تاريخيةٍ كما هو واقع في بعض الدول الاتحادية، ولا على أساسٍ لغويٍ كما يتبادر إلى ذهن بعضهم كما هي الحال في سويسرا، ولا على أُسسٍ دينيةٍ كما يخطر على البال، ولا على أُسسٍ اقتصاديةٍ كما يتداعى إلى الفكر أحياناً بسبب العامل الاقتصادي الذي تُعيره الدولة كبير أهمية، ولا على أسسٍ قوميةٍ كما تدّعي الدولة وتُنادي بهذا، وإنما كان التقسيم بناءً على مصلحة الحزب الذي يُهمّه بالدرجة الأولى إمكانية السيطرة على البلاد، إذن كان التقسيم يقوم على منطلق تفتيت مراكز القوة، وتفرقة أماكن التجمّع، وتجزئة الذين يُمكن أن يتوحّدوا، وضرب عوامل الوحدة التي يُمكن أن تُؤدّي إلى ربط جماعةٍ بأُخرى خارج نطاق الفكر الشيوعي، وبشكل صريحٍ وواضحٍ توزيع المسلمين وتقسيم مناطقهم إلى أقسامٍ صغيرةٍ يُمكن السيطرة عليها بسهولةٍ، وتُخفّف مراقبتهم خوفاً من وحدتهم، وإمكانية إيجاد النزاع بينهم في كل وقتٍ إذ تضمّ كل دويلةٍ مجموعاتٍ مُختلفةً في الأصل، مُتباينةً في اللغة، وإن وجد افتراق في العقيدة فهو الأمر الأفضل.

كان من الممكن أن تُقسّم الأقاليم الإسلامية في الإمبراطورية الروسية إلى ثلاث مناطق إداريةٍ، هي:

١ً ـ بلاد التتار والباشكير: وتضمّ حوض نهر الفولغا، ومنطقة الأورال وسيبيريا الغربية، وشبه جزيرة القرم.

٢ً ـ بلاد القفقاس: وتشمل اجزاءها وأقسامها كلها.

٣ً ـ بلاد تركستان: وتجمع كل جمهورياتها ومقاطعاتها.

ولو تمّ الأمر كذلك لكان التقسيم طبيعياً ومنطقياً بل وصحيح من الناحية العلمية، غير أن التقسيم الحالي يزيد على ثلاثين قسماً، بمختلف التسميات والمستويات، ويخصّ هذا التقسيم الأقاليم ذات الأكثرية المسلمة، ويجعل منها

رقعاً صغيرة المساحة تُسمّى جمهوريات، لا يصل سكان بعضها إلى المليون، وهي في منطقة جبلية ضعيفة الإمكانات، قليلة الواردات، لا يُمكنها الحياة وحدها، فلا بدّ من رعايتها، وعوضًا من أن تعيش مع أخواتها في الجوار، وشقيقاتها في العقيدة، تُؤلّف إقليماً واحداً مُتكاملًا فإنها تلجأ إلى البعيد تطلب منه الحماية والإسعاف، وبذا تبقى ضعيفةً بحاجة إلى المساعدة، ولا تقوى على الخروج عمّا يفرضه الاستعمار، ومن هذا المنطلق تدور السياسة الروسية.

الفصل الأول

حوض الفولغا - الأورال

كان المسلمون في حوض نهر الفولغا ومنطقة الأورال يُفكّرون بإنشاء دولةٍ تضمّ شعوب هذه المنطقة، وتسود فيها لغة تتارية واحدة هي لهجة أهل قازان حتى تندمج بعضها مع بعض في ثقافةٍ واحدةٍ، وتكون ذات لغةٍ واحدةٍ، وعمل المسلمون لهذه الفكرة كثيراً، وطالبوا بها مراتٍ ومراتٍ، واضطر الروس أن يعدوا المسلمين بذلك، مع أنهم غير مُستعدين لتنفيذها، لأنهم لا يرون فيها مصلحةً لهم، إذن لا يُمكن تحقيقها مهما سعى المسلمون لذلك، وفجأةً أعلن الروس عن تشكيل دولة باشكيريا في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٣٧ هـ (٢٣ آذار ١٩١٩) المستقلّة ذاتياً، ثم اتبعوا ذلك بإعلان تشكيل دولةٍ تتريةٍ في ٢٨ شعبان ١٣٣٨ (١٧ أيار ١٩٢٠)، وقد ضرب الروس بكل الوعود التي قطعوها على أنفسهم، وإن عملهم هذا قد استهدفوا منه:

١ً - تجزئة المنطقة إلى عددٍ من الدول، إذ قامت جمهوريات أُخرى ذات استقلالٍ ذاتيٍ في الإقليم نفسه، إذ لم يقتصر الأمر على دولتي باشكيريا، وتتاريا.

٢ً - إبعاد منطقة الأورال الغنية بالثروة المعدنية عن هذه الجمهوريات إذ نلاحظ أن منطقة (تشيليابينيسك) ومنطقة (ماغنيتوكورسك) قد بقيتا بعيدتين عن جمهورية باشكيريا وإن كانتا تقعان قرب الحدود تماماً، هذا بالإضافة إلى مناعة منطقة الأورال العسكرية.

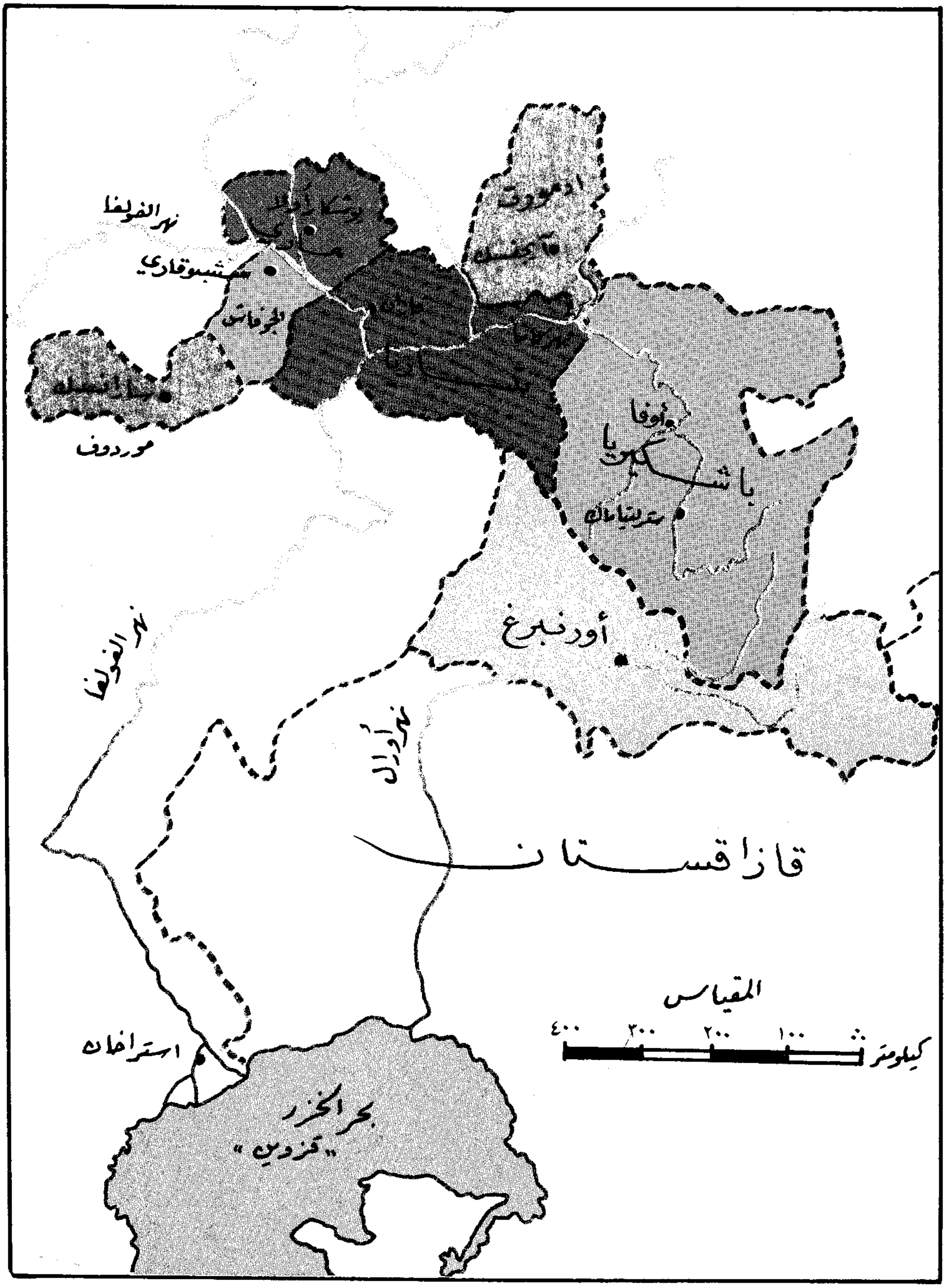
٣ً ـ إبعاد الجمهوريات المتعددة عن لغة التتار في قازان التي كانت يمكن أن تعمّ الإقليم كله وتُوحدّه ثقافياً . وأوجد الروس بديلًا لهذا عام ١٣٤٢ لغةً باشكيريةً خاصة تعتمد على لغة تتارية قديمة، وإن لم تنم هذه اللغة بسرعةٍ بسبب مقاومة التتار والباشكير لها على حدٍّ سواء، إلا أن نموها البطيء سيجعلها تظهر مع الزمن، ويتفرّق الشعب الواحد إلى شعبين بل إلى عدة شعوب. كما أحيوا كل لهجةٍ محليةٍ وجعلوها لغة لمن يتكلم بها، وجعلوا أهلها جمهوريةً خاصةً أو مقاطعةً مستقلةً.

٤ً ـ إبقاء المنطقة التي جنوب تتاريا حتى بحر الخزر (قزوين) خارج نطاق الإقليم، وهي حوض نهر الفولغا الأدنى، وتُوجد في هذه المنطقة قواعد إسلامية مُهمّة وهي: السرا (ساراتوف) قاعدة دولة التتار الأولى والرئيسيّة أو عاصمة مغول الشمال، و (استراخان) عند مصبّ نهر الفولغا في بحر الخزر، وهي عاصمة إمارةٍ تتاريةٍ أيضاً.. ولما كانت المنطقة المحيطة بحوض نهر الفولغا الأدنى قليلة السكان لذا فقد ملأها الروس بإقطاعها لأبناء جلدتهم، وهي المنطقة المحدودة بأنهار الفولغا ـ الدون ـ قوبان ـ تِرْك، والمعروفة بـ (دشت القفجاق) والتي كانت تنتقل فيها قبائل النوغاي.

٥ً ـ إبقاء تتار القرم بعيدين عن إخوانهم تتار حوض نهر الفولغا الأوسط، أو بالواقع تجزئة التتار.

٦ً ـ فصل مسلمي القفقاس عن مسلمي حوض نهر الفولغا لإبعاد المسلمين بعضهم عن بعض.

وأما الجمهوريات التي قامت في حوض نهر الفولغا الأوسط فهي.


نهر الفولغا
الجوفاش
موردوف
أوفا
باشكيريا
ستيرليتاماك
أورنبرغ
نهر الفولغا
نهر أورال
قازاقستان
المقياس
كيلومتر
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
٤٠٠
استراخان
بحر الخزر
"قزوين"

أ ـ جمهورية باشكيريا: وأُعلن تشكيلها في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٣٧ (٢٣ آذار ١٩١٩)، وكانت عاصمتها مدينة (سترليتاماك) لأن مدينة أوفا قد بقيت بيد الروس البيض حتى شهر ذي القعدة من العام نفسه، وتقع مدينة (سترليتاماك) على النهر المار من أُوفا، وهو أحد روافد نهر الفولغا، وإلى الجنوب من أُوفا وعلى بُعد ١٢٥ كيلومتراً منها.

تبلغ مساحة باشكيريا ١٤٣,٥٠٠ كيلومتر مربع، وتتألّف من الأجزاء الجنوبية من جبال أورال فهي منطقة جبلية، ولارتفاعها تتلقّى كميةً من الأمطار تفوق المناطق المجاورة لها. وتتجمّع مياه الأمطار في أنهار تُخدّد المنطقة، وتجري هذه الأنهار في أودية متوازيةٍ تقريباً وكثيرة التعرُّجات، ويلتقي عدد منها في وسط البلاد حيث تقوم مدينة أُوفا عاصمة الجمهورية، وبعد تجمُّعها تشكل نهر بيلايا الذي يرفد نهر كاما الذي يسير بدوره حتى يرفد نهر الفولغا جنوب مدينة قازان. أما مياه المنطقة الجنوبية الشرقية فإنها تُشكّل نهر أُورال الذي يصبّ في بحر قزوين. وعلى أطراف الأودية تقع أهمّ السهول حيث يتجمّع السكان، وأوسعها ما كان حول مدينة أُوفا إذ تكون هناك مجمع الأنهار.

يبلغ عدد سكان الجمهورية الباشكيرية حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ ما يقرب من أربعة ملايين (٣,٩٢٤,٠٠٠)، ويتوزّعون على المجموعات التالية:

٩٣٦,٠٠٠	باشكير	ويُشكّلون ٢٤,٣ ٪	من السكان
٩٤٠,٠٠٠	تتار	ويُشكّلون ٢٤,٤ ٪	من السكان
١٢٢,٠٠٠	جوفاش	ويُشكّلون ٣,٢ ٪	من السكان
١٠٧,٠٠٠	ماري	ويُشكّلون ٢,٨ ٪	من السكان
١٢٠,٠٠٠	مجموعات مُتفرِّقة	ويُشكّلون ٣,٠ ٪	من السكان
٢,٢٢٦,٠٠٠		٥٧,٧ ٪	

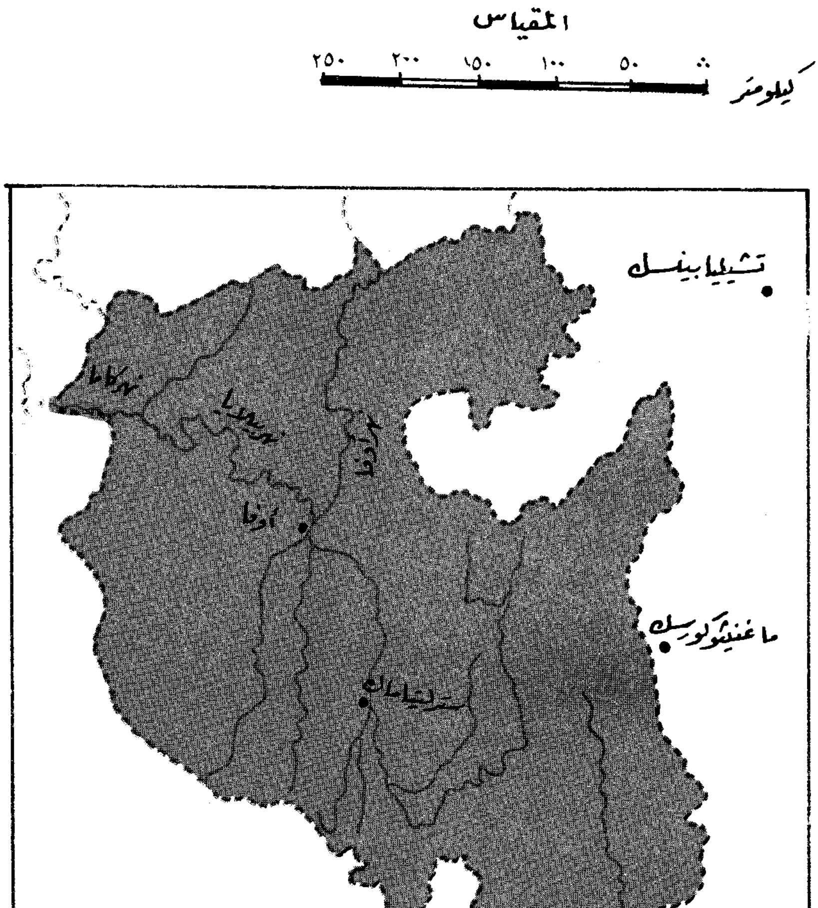
وهذه هي نسبة المسلمين في جمهورية باشكيريا .

أما باقي السكان فهم من المستعمرين الروس وهم :

١,٦٢٣,٠٠٠	روس	ويُشكّلون ٤٠,٣ ٪	من السكان
٧٥,٠٠٠	أوكران	ويُشكّلون ٢,٠ ٪	من السكان
١,٦٩٨,٠٠٠		٤٢,٣ ٪	

وهي نسبة النصارى في جمهورية باشكيريا .

ويبلغ عدد أفراد جماعة الباشكير (الباشغرد) في الإمبراطورية الروسية ١,٣٧١,٠٠٠ ، منهم ٧٢ ٪ يتجمّعون في هذه الجمهورية ، ويتوزّع الباقي ، وأكثرهم في جمهورية تتاريا المجاورة ، ويسكن الباشكير الريف عادةً . وهم من أصلٍ تتاريٍ ، ويتكلّمون لغةً تختلف اختلافاً بسيطاً عن لغة تتار قازان ، ومدينة أوفا هي مركز الإدارة الإسلامية لجميع المسلمين في المنطقة الأوربية من الإمبراطورية الروسية وسيبيريا . وارتدّت جماعة من الباشكير عن دينها في القرن الثاني عشر ، لكنهم بدأوا يعودون إلى الإسلام ، ولم يبق منهم عام ١٣٤٥ هـ سوى أربعة عشر ألفاً ، ولم يبق منهم الآن أحد إلّا وقد عاد إلى الإسلام ، فاليوم كلهم مسلمون .


المقياس
كيلومتر
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
تشيليابينسك
أوفا
ماغنيتوغورسك
سترليتاماك
أورنبورغ

٢ً - **جمهورية تتاريا**: تشكّلت جمهورية تتاريا ذات الاستقلال الذاتي في ٢٨ شعبان ١٣٣٨ (١٧ أيار ١٩٢٠)، وتبلغ مساحتها ثمانية وستين ألف كيلومتر مربع. وتتألّف أكثر أرضها مـن سهـولٍ فسيحـةٍ تتخلّلهـا بعـض الهضاب والتلال، ويجتمع فيها نهر الفولغا القادم من الغرب مع أكبر روافده وهو نهر كاما القادم من الشرق فيلتقيان جنـوب العـاصمـة قـازان، غير أن تنظيم مجرى نهر الفولغا بإقامة السدود عليه، جعل المياه تتجمّع خلف السدود التي أُقيمت عليه فتشكّل بعض البحيرات الواسعة على طول مجراه، ومنها البحيرة التي تمتدّ في أرض جمهورية تتاريا. فتكون بطول خمسين ومائة كيلومتر على مجرى نهر كاما أي من الحدود مع جمهورية أدمورت تقريباً حتى التقائه مع نهر الفولغا، وتكون على طول مائة كيلومترٍ على نهر الفولغا قبل التقائه بنهر كاما أي حتى الحدود مع جمهوريتي الجوفاش، وماري بل وتستمرّ مع مجرى النهر بين الجمهوريتين السابقتي الذكر، وكذلك تكون على طـول خمسين كيلومتراً بعد التقاء نهر الفولغا مع رافده الكاما بل وتستمر بعد الانتهاء من حدود تتاريا الجنوبية. وبذا تقع مدينة قازان عاصمة الجمهورية على بحيرةٍ واسعةٍ، وتتحرّك السفن منها وإليها ذاهبةً وآيبةً. وعندما دخل الشيوعيون قازان هدّموا أكثر مساجدها، وحوّلوا مدارس القرآن إلى مدارس لتلقين الفكر الشيوعي، وأحرقوا المطبعة التي كانت تطبع القرآن الكريم والكتب الدينية، كما استولوا على جامعتها التي كانت تضمّ سبعة آلاف طالبٍ.

يبلغ عدد سكان جمهورية تتاريا حسب الاحصاء الروسي عام ١٣٩٩ ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف (٣,٤٣٦,٠٠٠)، ويزيد عدد سكان العاصمة قازان على المليون ساكن.

يُؤلّف التتار والباشكير ٤٧،٦ ٪ من سكان جمهورية تتاريا ويُقدّر عددهم بـ(١,٦٤١,٦٠٠) نسمة، بينما مُعظم الباقي من الروس والأوكران، ويُحاول الروس ترويس هذه الجمهورية بإكثار زيادتهم فيها بالهجرة إليها لذا فإن

نسبة المسلمين قد انخفضت فيها بعد توافد أفواج الروس إليها ، فلا تزيد نسبة المسلمين اليوم في جمهورية تتاريا على ٥٥ ٪ والباقي من النصارى المستعمرين .

وقد حاول الروس منذ أن استعمروا البلاد عام ٩٥٩ هـ دمج التتار بالمجتمع الروسي ، وتحويلهم إلى سلافٍ بتغيير عقيدتهم ، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً كبيرة ، فلم يفلحوا ، وحافظ التتار على إسلامهم وتمسّكوا به وبعنصرهم حتى ارتبط عندهم مفهوم الدين بمفهوم العنصرية . وإذا كانت قد ارتدّت جماعة منهم عن دينها في نهاية القرن العاشر الهجري تحت الضغط والإرهاب ، وارتدّت جماعة أخرى في نهاية القرن الثاني عشر للسبب نفسه إلّا أنهم قد عادوا إلى دينهم جميعاً عندما أُعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢٣ ، وهذا يدلّ على أنهم لم يرتدّوا وإنما كتموا إيمانهم هذه المدة الطويلة لما لحقهم من أذىً وظلمٍ .

يُقدّر عدد التتار في الإمبراطورية الروسية حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ بـ (٤,٩٦٨,٠٠٠) ويعيش أكثر من ربعهم في جمهورية تتاريا ، وقريب من خمسهم في جمهورية باشكيريا ، والباقي مُوزّعون في حوض نهر الفولغا وخاصةً في مدينتي ساراتوف ، واستراخان ، وبعضهم في جبال الأورال وخاصةً في مدينة تشيليابينسك وبعضهم في مدينة أُورنبرغ ، ويعيش ما يقرُب من مليون تتاري في جمهوريات آسيا الوسطى وأذربيجان ويُقيم في سيبيريا ما يزيد على مائتي ألف ، كما أن معظم المسلمين في روسيا وجمهوريات الإمبراطورية الواقعة في أوربا إنما هم من التتار ففي موسكو يعيش مائة وخمسون ألفاً ، وفي لينغراد ستون ألفاً ، ومجموعات أخرى في ليتوانيا ، وأوكرانيا ، إضافةً إلى تتار بلاد القرم سواء الذين يُقيمون في بلادهم أم الذين لا يزالون في منفاهم .

ويُطلق على بعض التتار الذين يُقيمون في بلاد الباشكير اسم (التبتيار) وهم الذين فرّوا من قازان يوم احتلّ الروس بلادهم عام ٩٥٩ هـ .

وانطلقت جماعة من التتار إلى خارج حدود الإمبراطورية الروسية بسبب الضغط والإرهاب الذي لحقهم، واستقرّت جماعة منهم في أميركا الشمالية وخاصةً في نيويورك.

٣ ـ جمهورية جوفاشيا: وتبلغ مساحتها ١٨,٣٠٠ كيلومتر مربع، وهي منطقة سهلية، يمرّ نهر الفولغا في جزئها الشمالي. ويسكنها مليون ونصف المليون من البشر. ويتكلّم الجوفاش لغةً ليست من أصلٍ تركيٍ. وارتدّ كثير من الجوفاش، وعُمّدوا جميعاً أثناء موجة الإرهاب الروسي، ولما أعطيت الحرية الدينية عادوا إلى الإسلام، وعمّ ذلك منطقتهم الأمر الذي سبّب الضغط عليهم، وليكونوا بعيدين عن أثر التتار. تأسّست لهم جمهورية خاصة بهم عام ١٣٤٤، وعاصمتها مدينة (شبوقساري) التي تقع في الشمال على الضفة اليمنى لنهر الفولغا. وتبلغ نسبة المسلمين في هذه الجمهورية ٥٨ ٪.

٤ ـ جمهورية موردوف: وتمتدّ إلى جهة الغرب باتجاه بلاد الروس أكثر من بقية الجمهوريات، وتبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتشغل هضبة بينزا جزءاً من أرضها، وتخرج منها نهيرات ترفد نهر الفولغا، ويُقيم على أرضها أكثر من مليون وربع من السكان، يُشكّل المسلمون فيهم ٥٥ ٪، والباقي من النصارى المستعمرين الروس والأوكرانيين، ويتكلّم الموردوف لغةً خاصةً بهم لا تعود إلى أصلٍ تركيٍ. وعاصمتها مدينة سارانسك.

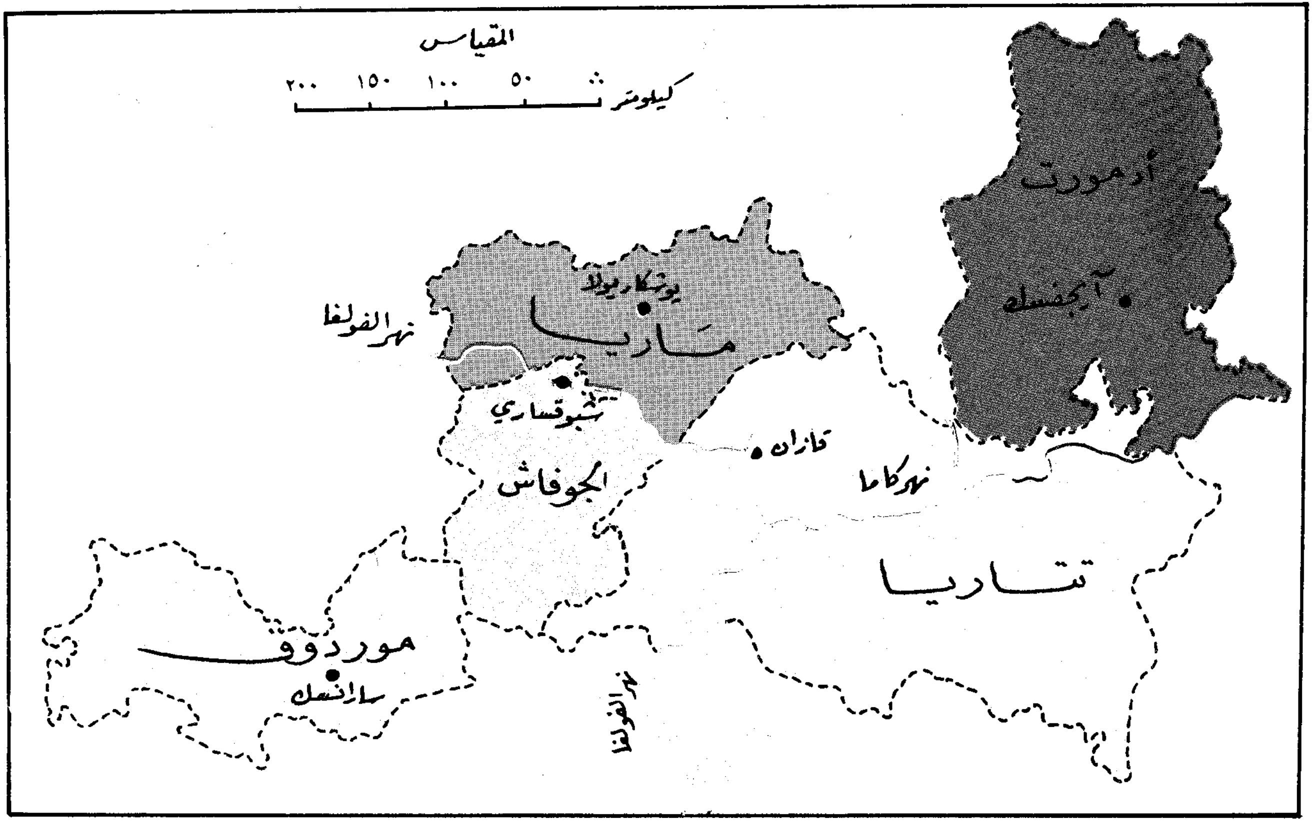
٥ ـ جمهورية أدمورت: أكثر الجمهوريات في حوض نهر الفولغا امتداداً نحو الشمال إذ تتجاوز خط العرض الشمالي ٥٨°. وتُؤلّف الهضاب أقسامها الشمالية على حين تتسع السهول في أجزائها الجنوبية. تبلغ مساحتها ٤٢,١٠٠ كيلومتر مربع، ويعيش على أرضها ما يقرب من مليون من السكان، وعاصمتها مدينة أيجفسك. ويتكلّم الأدمورت لغةً خاصةً بهم لا تمتّ إلى التركية بصلةٍ. وتعيش بينهم بعض قبائل (الفن) مثل (الفوتياك) و(الشريمس)، وقد أسلمت هاتان القبيلتان بسبب احتكاكها بالتتار

والباشكير على الرغم من أن أفرادهما كانوا نصارى اسماً، وقد عُمّدوا جميعاً، كما كان بعضهم وثنياً، ويُعدّون وثنيين حسب سجلات الدولة الاستعمارية التي لم تسمح لهم بإقامة المساجد، بل لو أعلنوا إسلامهم لأبيدوا حسب القانون الروسي التقدّمي الذي صدر يومذاك، ولكنهم كانوا يختنون أطفالهم لذا أطلق عليهم الروس اسم (الكلاب المختونون) تحقيراً لهم، وتحقيراً لمن يفعل هذا ويقصدون بذلك المسلمين إبعاداً عنهم، ووضع الكراهية في نفوسهم للمسلمين خوفاً من أن يُسلموا، لذا فقد هجرت هذه القبائل مُجتمعاتها، وأقاموا في قرىً خاصّةٍ بنوها بعيدةً عن المجتمع. فلما أُعلنت الحرية الدينية أعلنوا إسلامهم، وظهرت أن قراهم كانت إسلاميةً، لذا عملت القيصرية الروسية على فصلهم من المسلمين الآخرين من التتار والباشكير كي تبقى معلوماتهم عن الإسلام ضعيفةً حيث يمكن التأثير عليهم وفتنتهم عن دينهم، ولكن المستعمرين القياصرة قد فشلوا في مُهمّتهم، فلما جاءت الشيوعية تمكّنت من تحقيق ما خطّطت له القيصرية إذ أن الضغط والإرهاب قد مكّن لها ما تبغي، فأنشأت جمهوريةً خاصةً من الأدمورت عام ١٣٥٣ هـ، وعملت أيضاً على إبعاد أثرهم عن الذين بقوا على النصرانية أو الوثنية، وكان عملها قائماً على التهديد، وعلى الدعاية ضدّ الإسلام، غير أن المستعمرين عندما تساهلوا في الحرية الدينية قليلاً أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب الظروف التي كانت تُلم بالإمبراطورية وحاجتهم الماسّة إلى حماسة المسلمين، فأعلن من لم يُسلم سابقاً إسلامه، فوجد المستعمرون أن كل الأدمورت والفِنّ مُسلمين، فاشتدّ حنقهم عليهم، وزاد ظلمهم، وبدأ كتائب الروس تفد إلى بلادهم تستولي على أحسن الأراضي وتحرَم أصحابها من حقّهم فيها، وتتصرّف مع السكان تصرّف المستعمر الغاشم..... ووصل عدد المستعمرين إلى ما يقرُب من عدد السكان، إذ غدت نسبتهم ٤٨ ٪ بينما يُشكّل السكان المسلمون ٥٢ ٪.

٦ً - جمهورية ماريا: وتبلغ مساحتها ٢٣,٨٠٠ كيلومتر مربع، وتشغل السهول

أكثر أراضيها، ويمرّ نهر الفولغا في جزئها الجنوبي، واحتلّ الروس هذه المنطقة عام ٩٦٠ ومنذ ذلك الوقت ويلقى هذا الشعب الإهمال والاضطهاد، لذا لم تتطوّر بلادهم بالصورة التي تطوّرت بلدان أخرى، ويُقدّر عدد سكانها بثلاثة أرباع المليون، ويتكلّمون لغةً خاصةً لا تعود إلى أصلٍ تركيٍ. وقد ازدحم الروس في هذه الجمهورية وكاثروا سكانها وغدت نسبتهم ٤٨ ٪ من السكان وهي نسبة النصارى، أما السكان الأصليون فهم من المسلمين ويُشكّلون ٥٢ ٪.

ويُلاحظ في حوض نهر الفولغا والأورال أو في هذه الجمهوريات الست التي ذكرناها أن التتار والباشكير يعودون ولغتهم إلى اصلٍ تركي، وهما العنصران الفعّالان في النشاط الإسلامي وأن بقية الشعوب من أدمورت، وماري، وجوفاش، وموردوف شعوب خاصة، وكل منها يتكلّم لغةً خاصّةً به، ولا تمتّ إلى التركية بصلةٍ، وقد دخلوا الإسلام تحت تأثير التتار والباشكير. وقد قسّمهم المستعمرون الروس إلى هذه الأقسام لإحياء روح العصبية والعنصرية عند كل شعبٍ، ولتجزئة المسلمين عامّة، ولتطوّر كل شعبٍ حسب مفهومٍ خاصٍ لعلّ ذلك يُسهّل إبعادهم عن الإسلام، وبعضهم عن بعض.


المقياس
كيلومتر ٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠
أدمورت
آيجفسك
يوشكاريولا
ماريا
نهر الفولغا
تشبوقساري
قازان
نهر كاما
الجوفاش
تتاريا
موردوف
سارانسك
نهر الفولغا

٧ ـ إقليم أورنبرغ: وهو إقليم خاص أو مقاطعة ذات استقلالٍ ذاتيٍ، تبلغ مساحته ١١٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، تتألّف أجزاؤه الشرقية من السفوح الجنوبية لجبال أُورال، وتنحدر منها المياه المكوّنة لنهر أُورال، أما الأقسام الغربية فتمتدّ سهول نهر أُورال، وروافده التي تُشكّل بينها هضاباً. وبقي هذا الإقليم كحدٍّ فاصلٍ بين مسلمي حوض الفولغا ـ أورال وبين مسلمي آسيا الوسطى.

يتألّف السكان الذين يُقارب عددهم المليونين من الباشكير، والقازاق، والتتار، ويُشكّلون ٥٠٪ من السكان، أما البقية فهم من النصارى المستعمرين الروس والأوكرانيين. ومدينة أورنبرغ أهم مدن الإقليم، وهي عاصمته، وقد غيّر الروس اسمها إلى (شكالوف) ليُنسى الاسم التاريخي الإسلامي ذي الأهمية الكبيرة، وتقع على نهر أُورال، وكذلك مدينة (أورسك) التي تقع على النهر نفسه.

الفصل الثاني

بلادُ القرم

إن حقد الروس على بلاد القرم كبير، والروس سواء أكانوا قياصرةً أم شيوعيين فالأمر واحد، ونشأة هذا الحقد أن أهل القرم مسلمون قبل كل شيءٍ فهو حقد صليبي دفين، وزاد هذا الحقد لأن أهل القرم قد تعاونوا مع العثمانيين لصدّ عدوان الروس عنهم، ولم يجد الروس فرصةً ليشفوا غليلهم من تتار القرم، ولما احتلّوا القرم كظموا غيظهم خوفاً من الارتماء ثانيةً إلى العثمانيين ارتحالاً ونقلاً للأخبار ودعماً فيما إذا اقتربوا من شبه الجزيرة، كل هذا جعل الروس يسكتون موقتاً عن تتار القرم، رغم أنهم قد قتلوا خمسين وثلاثمائة ألفٍ عام ١١٨٥ قبل احتلالهم القرم الذي تمّ عام ١١٩٨ هـ.

وزاد الحقد عندما أُعطيت الحرية الدينية إذ بدأ العمل للإسلام، وفتح أهل القرم ذراعهم لإخوانهم تتار حوض الفولغا الذين نشطوا في الدعوة والعمل للإسلام. ولم يتمكّن الروس من تفريغ أي شحنةٍ مما تحمله قلوبهم من الحقد إذ اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وعاشت البلاد في وقتٍ حرجٍ.

وتأجّج الحقد في نفوس الروس أيضاً عندما شكّل أهل القرم حكومةً خاصةً بهم في مدينة (سيمفروبول) قبل الانقلاب الشيوعي، مذ قامت الحكومة الموقتة في البلاد الروسية، فلما حدث الانقلاب الشيوعي تحرّكت قواتهم فوراً من ميناء (سيباستيبول) واتّجهت إلى (سيمفروبول) وقضت على

الحكومة التتارية فيها غير أنها كانت على خوفٍ من الأحداث العامة لذا لم تتمكّن من الانتقام من أهل القرم بالشكل الذي يتناسب مع الحقد عليهم أو مع ما هو مزمع عليه. وفي الواقع لم يطُل مُقام الشيوعيين في القرم سوى ثلاثة أشهرٍ إذ احتلّها الألمان، وشكّلوا حكومةً بإشرافهم من حزب (ملّي فرقة)، ثم انسحب الألمان من المنطقة بعد مدةٍ. ولكن حقد الشيوعيون خاصةً على التتار قد جعلهم يعدّون ذلك تعاوناً مع الألمان، وعظم حقدهم على حزب (ملّي فرقة) الذي يعدّونه أقرب الفئات إليهم.

وسيطر على بلاد القرم بعد الألمان المانشفيك أعداء الشيوعيين، ولم يقلّ حقدهم كثيراً عن الشيوعيين بالنسبة إلى التتار عامةً وإلى حزب (ملّي فرقة) خاصةً، فحلّوا هذا الحزب وبدؤوا بتطبيق سياسة الانتقام، لكنهم لم يلبثوا أن هُزموا أمام الشيوعيين. وأحسّ التتار أن ساعة الانتقام قد جاءت مع مجيء الشيوعيين لذا فما عليهم إلا الدفاع عن بلادهم ببسالةٍ وإعلان الجهاد، ولكن ذلك لم يُغنهم شيئاً إذ أن القوة المهاجمة لا حصر لها فاضطروا إلى الانسحاب والاعتصام في الجبال الواقعة في جنوبي الجزيرة حيث بدأت المقاومة الجبلية، أو بدأت حرب العصابات حيث كانوا يُغيرون باستمرارٍ غاراتٍ مُوفقةً على المستعمرين، وكان الشعب جميعاً يدعمهم ويمدّهم بما يحتاجونه من مُؤنٍ وذخائر ومعلوماتٍ عن الإعداء إلا إذا استثنينا الشيوعيين أو الجناح اليساري من حزب (ملّي فرقة) الذين استقبلوا الشيوعيين الغُزاة وانضمّوا إليهم وساعدوهم في دخول الجزيرة، فهم أولاً من رفاقهم حسب مفهوم الشيوعيين التتار لا حسب مفهوم الشيوعيين المستعمرين الروس حيث هناك فرق كبير في المفهوم إذ أن فكرة سيدٍ ومسود قائمة ولو لم يعلن عنها أتباعها، ومن ناحيةٍ أُخرى ظنّ هؤلاء المُغفّلون من التتار أن هذه المساعدة وهذا الانضمام إليهم سيحميهم من حقد الروس الذين يتوقّعونه بين آونةٍ وأُخرى. وفعلاً فإن الروس قد أظهروا الرضا عن هؤلاء المغفّلين وقدّموهم على غيرهم ليتسفيدوا منهم، وليُحقّقوا منهم أغراضهم ثم يكون الحساب، ففرح هؤلاء المُغفّلون بما

نالوا من حظوةٍ عند أسيادهم وركنوا إليهم.

ورأى الشيوعيون أن حبل المقاومة طويل في الجزيرة لذا فقد لجؤوا إلى حرب التجويع إذ نقلوا الأقوات من الجزيرة، فنال الجوع الناس جميعاً بما فيهم المغفّلون الذي حسبوا أن هذا موقت اضطر المستعمرون إلى اللجوء إليه، وبدأ الناس يموتون جوعاً، وكان معدل الموت ثلاثمائة إنسانٍ يومياً، أما الذين تُصيبهم محنة الجوع فيقدّرون بعشرة آلافٍ يومياً مع زيادةٍ قليلةٍ في بعض الأيام أو نقصانٍ في بعض الأيام الثانية، ولم يكن غريباً أكل لحم الإنسان الميت، وأكل لحوم الحمير الأهلية والخيل بل هو من نوع الرفاهية إن حصلوا عليه، وأكل لحم القطط والكلاب (يُرجع إلى حديث الرفيق كالينين عن هذه المجاعة في بحث الاستعمار الروسي للقرم فيما سبق من هذا الكتاب) وعند هذه التصرّفات استسلم المجاهدون ونزلوا من حصونهم في الجبال، وفضّلوا لأنفسهم الموت من أن يُصيب الناس ما أصابهم من بلاءٍ بسبب اعتصام هؤلاء المجاهدين ومُقاومتهم.

وجاءت ساعة الانتقام وإفراغ الحقد الصليبي، فوُلّي أمر القرم الشيوعي الهنغاري (بالاكون) وأُعطي الصلاحيات الواسعة للانتقام بل أُعطي حق التصرّف بالقرم على أنها مزرعة له، وأهلها سوائم يرعون فيها، وبدأ الانتقام بصبّ الحقد على العدو الأول وهو الإسلام وذلك بإزالة كل مظهرٍ من مظاهره فابتدأ هدم المساجد فلم يبق من ١٥٥٨ مسجداً كان في الجزيرة سوى آحادٍ قليلةٍ أبقوا عليها إما أنها كانت في بعض ضواحي المدن وإما للخديعة وإظهار الكذب وقت الحاجة إلى ذلك، أما جمهرتها فقد أُزيلت وأُقيم مبانٍ مكانها أو تحوّلت إلى أنديةٍ، ومقاهٍ، ودور لهوٍ، واصطبلاتٍ للخيل، وحظائر للماشية، وحاناتٍ للخمر. ثم انتقل الانتقام إلى المعاهد العلمية الدينية حيث انتهى أمرها نهائياً وكأنها لم تكن، بل إن شدّة الحقد لم تجعلهم يُفكّرون بالإفادة من بنائها في مجالاتٍ ثانيةٍ بل أسرعوا في تهديمها وتقويضها على الرغم

من أن بعضها جدير بالإبقاء على بنائه لحداثته، وحسن هندسته، وإتقان الفنّ فيه. أما السكان فبدا عليهم التناقص إذ لا نستطيع أن نقول: إن الإبادة قلّت عن خمسمائة ألف إنسان، ومنهم رئيس الجمهورية السابق (جلبي نعمان جهان) الذي مُثّل بجثته ثم أُلقيت في البحر.

وظنّ المغفّلون من شيوعي التتار أنهم في منأى عن الحقد الذي يخصّ المُتديّنين منهم فقط، فزادوا في تزلفهم وتقرّبهم من الشيوعيين، ومن إظهارهم الشيوعية والتعصّب لها أكثر من الروس، وفي مشاركتهم في قتل المسلمين. وبعد خمس سنوات من الظلم الرهيب الذي تدمى له القلوب والذي أتحاشى ذكره لما يُصيب النفوس من هلعٍ ولما فيه من فحشٍ ووحشيةٍ خفّ الضغط ونال المغفّلون مقعدهم وأخذوا جزاءهم فنُصّب ولي إبراهيم رئيساً للجمهورية، وحسب أنه فاز بالفردوس الذي وعده به رفاقه، ونسي أنه ينتمي إلى الإسلام، وقد أدّى دوره بالإفادة منه، فلم ير نفسه إلا وهو في ساحة الإعدام مع جميع وزرائه فلقوا جزاءهم العاجل في الدنيا ولعذاب الآخرة اشدّ وأنكى. ونصّب الشيوعيون محمد قوباي مكانه رئيساً للجمهورية عام ١٣٤٧ هـ، وقد أوهموه أن ولي إبراهيم قد خان الشيوعية ولية نعمته، فخاف محمد قوباي في نفسه وزاود على الروس أنفسهم فلما كان عام ١٣٤٩ وجد نفسه ووزراءه معه في ساحة الإعدام، في المكان الذي أُعدم فيه سلفه ولي إبراهيم فلقي المصير نفسه، ونُصّب إلياس طرخان رئيساً للجمهورية فاستدعي إلى موسكو مع وزرائه جميعاً ونُفّذ فيهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص بعيداً عن بلدهم، في المكان الذي ربطوا أنفسهم فيه، وتعلّقوا به، ومنّوا أنفسهم منه.

وأيقن تتار القرم جميعاً أن الشيوعية سراب، وأن اتخاذ العامل الاقتصادي رابط بين الناس وهم، وأن الثقة بالروس غباء، وأن الحقد الصليبي لا يزول. ونجم عن هذه التصرّفات الشيوعية الاستعمارية حقد لدى التتار على الروس جميعاً بغضّ النظر عن أفكارهم، أو قابلوا الحقد الصليبي بحقدٍ مُماثلٍ، ولما

كان الحقد الصليبي لا يُفرّق بين المسلمين وأفكارهم وإن كان على أهل الدين أعظم وأشدّ فإن حقد التتار على الروس لم يعد يفرّق بين الروس وأفكارهم وإن كان على الشيوعيين أقوى وأعنف.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وانساح الألمان في الأرض الروسية، واحتدمت معارك عنيفة على أبواب القرم بين الروس والألمان، وكان بين المدافعين فيلق من أهل القرم قوامه ثمانية عشر ألف مُقاتل، وظنّوا أن الوقت قد حان للانتقام من الروس، وتوقّعوا ـ جهلاً ـ أن الألمان أخفّ وطأةً من الروس، أو أقلّ حقداً وظُلماً، ورُبّما حسبوا أن الدائرة قد دارت على الروس وأن الوضع سيكون لمصلحة الألمان لذا قرّروا الاستسلام للغزاة الجدد انتقاماً من الروس وتخلّصاً منهم وقد أذاقوهم الويلات وأنزلوا بهم النكبات، ولم يَدُرْ في خلدهم أن الكفر ملة واحدة، وأن عداوة النصارى إنما هي موجّهة للإسلام والمسلمين قبل كل شيء، وما أن علم الألمان أن المستسلمين من المسلمين حتى نزعوا منهم السلاح، وساقوهم حفاةً مسافة خمسين ومائة كيلومتر سيراً على الأقدام، ودون طعامٍ فسقط بعضهم على الطريق من شدّة الإعياء ثم سجنوهم في قلعةٍ قديمةٍ لا يدخلها النور، ومنعوا عنهم الطعام بحجة النقص في المواد التموينية عند الألمان فأخذوا يتساقطون موتى من الجوع، ثم تناقص عدد الموتى إذ بدأ الأحياء يأكلون لحم إخوانهم الموتى فأدرك الألمان ذلك، فأخرجوهم من السجن تحت الحراسة المشدّدة وأبادوهم رمياً بالرصاص.

وهُزمت ألمانيا، وعاد المستعمرون الشيوعيون إلى القرم أو عاد الأعداء القدامى، وأحسّ التتار من أهل القرم أن الموت يُلاحقهم من كل جهةٍ، فباتوا ينتظرون طريقةً جديدةً للقضاء عليهم، وحيلةً مستحدثةً يتذرّع بها الروس لهلاكهم، وإذ بالشيوعيين يُعلنون أن تتار القرم من عملاء الألمان ـ رغم ما حلّ بهم ـ لذا يجب محاكمتهم، فدخلوا العاصمة (باغجه سراي) وطمسوا معالم الإسلام فيها حتى دكّوا المساجد الأثرية مثل (جامع خان)، و (جامع

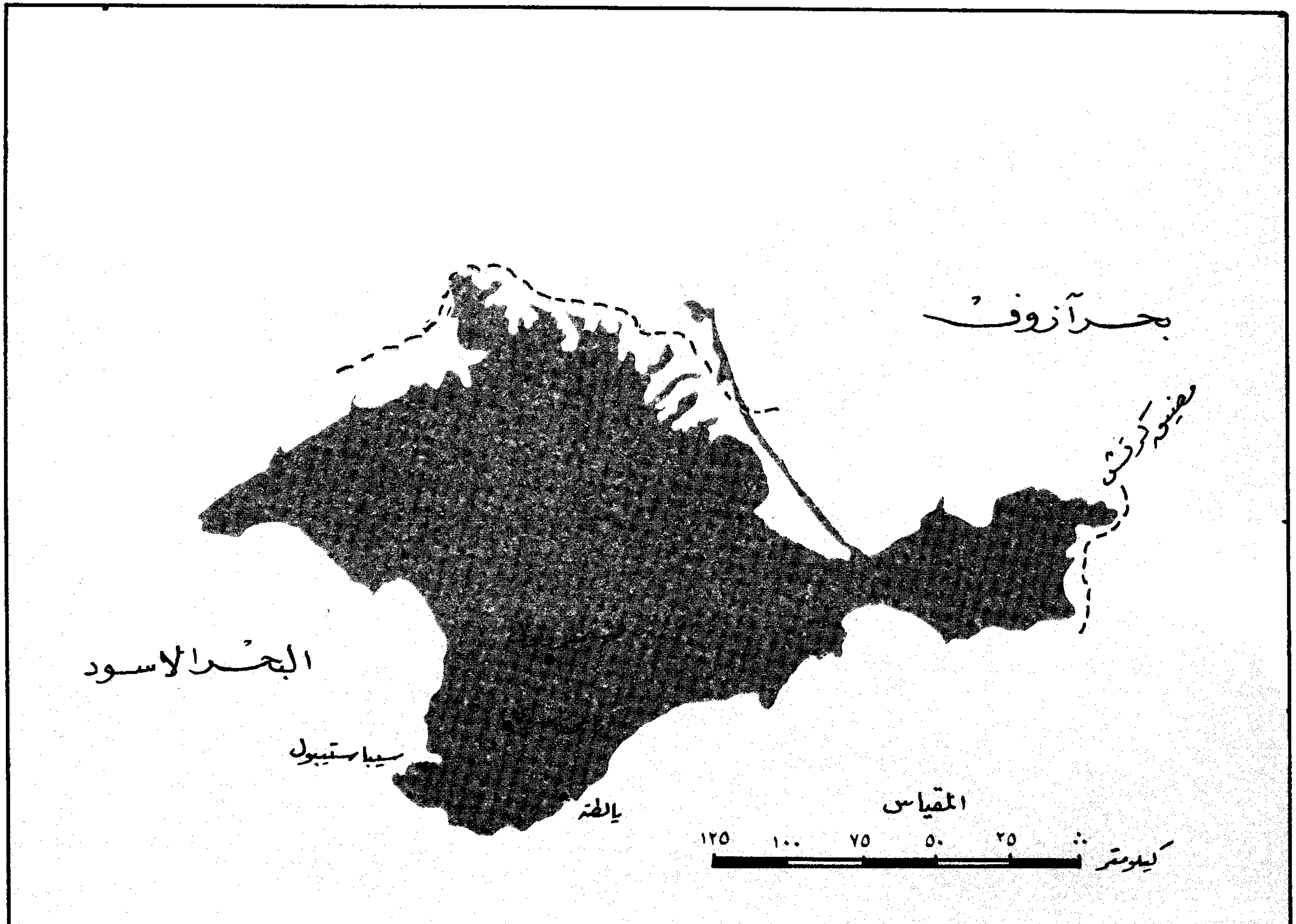
بازار) و (جامع أصماقويو) وغيرها كثير ، وجمعوا المصاحف وأحرقـوهـا في الميادين العامة ، وهذه محاكمة المباني قبل محاكمة السكان ، وكأنها كانت هي العميلة ، والحقّ أنها كانت عملية ضدّ الإسلام إذ انصبّ غضبهم وحقدهم على المؤسسات الإسلامية قبل التوجُّه إلى السكان ، ثم جاء دور الأهالي فانطلق الشيوعيون الروس المسلحون في المدن والقرى يفتحون نيران أسلحتهم على الناس دون تمييزٍ ، ويقتحمون الدور ، ويُذبّحون قاطنيها واستمرّ ذلك عدّة أيام حتى هدأت موجة الحقد ، وخرجت روائح الجثث فانتبهوا إلى ذلك ، وأخذوا يجمعونها ليلقوها في حُفرٍ أُعدّت لها فكان عدد القتلى يزيد على ربع مليون إنسان ، إذ نجا الذين فرّوا إلى الجبال واختفوا في المغارات والكهوف ، والذين لجؤوا إلى المزارع واختبؤوا في المجاري وتحت أكوام القشّ ، والذين ضاعوا بين أثاث المنازل وتحت الأنقاض ، وكان مجموع الذين نجوا ما يقرب من ٢٣٨،٠٠٠ ، فلما خرجوا من مخابئهم تبيّن أن عدداً أيضاً قد مات خوفاً ، أو جوعاً ، أو إرهاقاً ، ثم جاء الأمر من المستعمرين الشيوعيين الرحماء بنفي هؤلاء جميعاً إلى مجاهل سيبيريا ليعملوا هناك بـالأشغـال الشـاقّـة ، فبـدأت الجموع تتحرّك نحو سيبيريا وبقيت البلاد خاويةً من أهلها ، ليس فيها سوى خمسة عشر ألفاً كانوا من المتزلّفين أو المزاودين ، أو الذين أبقتهم السلطات الشيوعية لتستفيد منهم في مهمّةٍ خاصّةٍ قد تأتي في المستقبل أو تضطرهم الحاجة إليهم ، وتدفّقت جماعات المستعمرين من الروس والأوكرانيين فحلّت محلّ السكان الأصليين ، وحلّت السلطات الشيوعيـة جمهـوريـة بلاد القـرم ، وجعلتها مقاطعةً خاصةً ذات استقلالٍ ذاتي ، وألحقتها بأوكرانيا ، ويُقدّر عدد سكانها حسب إحصاء ١٣٩٩ بحوالي ٢,١٣٥,٩١٦ ويتوزّعون على الشكل التالي :

١,٤٦٠,٩٨٠	روسي .	٢٢,٥٩٧	يهودي .
٥٤٧,٠٠٠	روسي أوكراني .	١٥,٠٧٨	تتاري .
٤٣,٠٠٠	روسي أبيض .	١,١٥١	مجموعات ثانية .

ولا يزال تتار القرم يهيمون على وجوههم في مناطق متفرقةٍ من مجاهل سيبيريا يعملون بالأشغال الشاقة، ويُطالبون إعادتهم إلى وطنهم، وإعادة جمهوريتهم على الرغم من أنهم يعرفون أنها ستكون ألعوبةً بيد الروس، ولكنهم على الأقلّ يجتمعون، وتخفّ عنهم الأشغال الشاقة، ويذكرون أيامهم الخوالي في وطنهم وذكرياتهم فيه وذكريات آبائهم الذين قتلتهم أيدي المستعمرين الآثمة.

وفي عام ١٣٩٦ شعر الروس أو علموا من أعوانهم الذين أبقوهم لهذه الساعة أن بعض المنفيين من تتار القرم قد بدؤوا يعودون إلى بلادهم دون إذنٍ من السلطات الاستعمارية، فأرسل الروس ثلةً من رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها هؤلاء العائدون فوق رؤوس ساكنيها، ويقتادون الذين ينجون من الموت إلى السجن ليذوقوا طعمه بلونٍ آخر، ورفض المستعمرون عودة تتار القرم إلى وطنهم.

تقع شبه جزيرة القرم في شمال البحر الأسود، وتقترب من جهة الشرق من البر مكونةً شبه جزيرة (كرتش) التي تُؤلّف باقترابها من البر مضيق (كرتش) الذي يصل بين البحر الأسود وبحر آزوف، وتُشكّل الجبال القسم الجنوبي من شبه الجزيرة بينما تمتدّ في الشمال سهول فسيحة تضيق في النهاية فلا تتصل بالبر الأوربي إلّا ببرزخٍ ضيق جداً لا يزيد عرضه على عشرة كيلومترات. وتبلغ مساحة شبه جزيرة القرم ٢٦,١٥٠ كيلومتراً مربعاً أي قريباً من مساحة فلسطين، أما المنطقة التي كانت تخضع لنفوذها فتبلغ أضعاف هذه المساحة، وينتشر فيها التتار، ثم انتشر فيها القوزاق حتى تخوم أوكرانيا، ثم تقلّصت مع الزمن حتى انحصرت في شبه الجزيرة هذه.


بحر آزوف
مضيق كرتش
البحر الاسود
سيباستيبول
يالطة
المقياس
كيلومتر
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٥

الفصل الثالث

بلادُ القفْقَاس

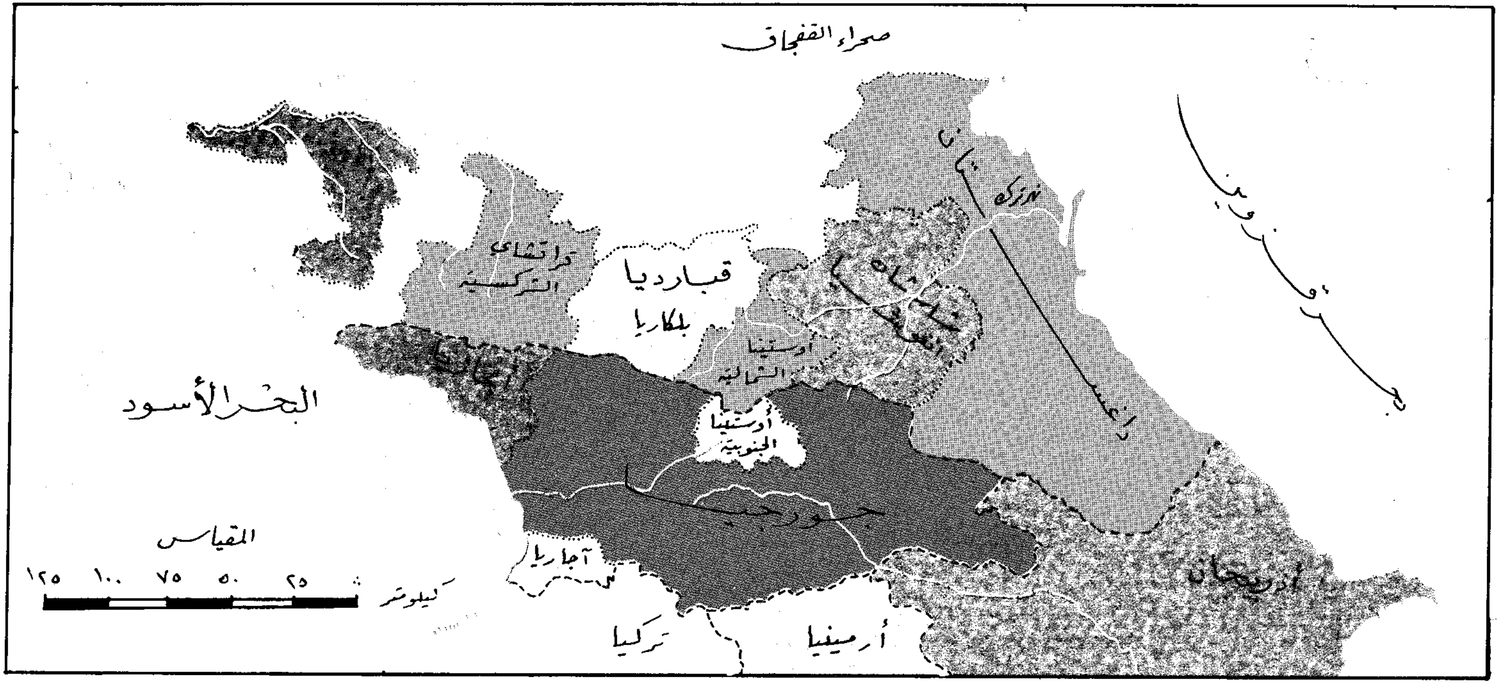
نُميّز في بلاد القفقاس منطقتين رئيسيتين هما: شمالي القفقاس، وسكانها جميعهم من المسلمين، وإذا كان إسلام القسم الشرقي قديماً يرجع إلى عهد الفتوحات الإسلامية الأولى، وهو بلاد داغستان، فإن إسلام القسم الغربي حديث يعود إلى أيام العهد العثماني، ويشمل بلاد الشاشان، والأنغوش، والبلكار، والشراكسة. وتقوم في هذا الجزء أربع جمهوريات ذات استقلالٍ ذاتيٍ وهي: ١ً ـ داغستان. ٢ً ـ شاشان أنغوشيا. ٣ً ـ أوستينا الشمالية. ٤ً ـ قباردیا ـ بلكارديا، كما يشمل هذا الجزء مقاطعتين ذواتي استقلالٍ ذاتٍ، وهما: أً ـ قراتشاي الشركسيّة. ٢ً ـ بلاد الأديغة، وكل هذه الأجزاء ترتبط بموسكو مباشرةً.

أما المنطقة الرئيسية الثانية فهي الواقعة جنوب ذرا جبال القفقاس، وهي التي تُعرف فيما وراء القفقاس، وتضمّ ثلاث جمهورياتٍ اتحاديةٍ، إحداها ذات أكثريةٍ مُسلمةٍ وهي أذربيجان، واثنتين ذواتي أكثريةٍ نصرانيةٍ، وهما: جورجيا وأرمينيا، هذا بالإضافة إلى أربع جمهورياتٍ ذات استقلالٍ ذاتيٍ، إحداها نصرانية، وهي أوستينا الجنوبية، وترتبط بجمهورية جورجيا الاتحادية، وثلاث جمهورياتٍ ذات أكثريةٍ مسلمةٍ، وهي: أبخازيا، وآجاريا وترتبطان بجمهورية جورجيا الاتحادية، وناختيشيفيان وترتبط بجمهورية أذربيجان الاتحادية، كما توجد مقاطعة ذات استقلالٍ ذاتيٍ، وهي مقاطعة

قره باخ وترتبط بجمهورية أذربيجان الاتحادية أيضاً . ويُلاحظ في هذه المنطقة أن إسلام القسم الشرقي قديم يعود إلى عهد الفتوحات الأولى في العهد الراشدي ، وهو أذربيجان أما القسم الغربي فالإسلام فيه حديث يرجع إلى العهد العثماني، وأما الوسط فهو جزيرة نصرانية تشمل أرمينيا وجورجيا وتضمّان أقليةً مسلِمةً لا تصل نسبتها إلى ٢٠ ٪ من السكان.

تبلغ مساحة بلاد القفقاس كلها ٣٢٤,٢٠٠ كيلو متر مربع أي ما يقرب من مساحة بلاد الشام ، ورغم صغر هذه المساحة فإنها تُقسّم إلى هذه الأقسام الكثيرة التي رأيت ، هذا بالإضافة إلى القسم الشمالي الشرقي الذي يُسمّى بصحراء القفقاس « دشت القفجاق » والذي كانت تتنقل في أرجائه قبائل النوغاي المسلِمة ، وقد ضمّه الروس إليهم وابتلعوه ، وطردوا منه أكثر قبائل النوغاي ، وأسكنوا مكانها بعض الروس ، وكانت هذه خطةً لفصل مسلمي حوض الفولغا ـ أورال عن مسلمي القفقاس .

يفصل شمالي القفقاس عن منطقة ما وراء القفقاس جبال القفقاس التي تمتدّ من الشمال الغربي من سواحل البحر الأسود إلى الجنوب الشرقي على بحر قزوين ، ويبلغ طول هذا الامتداد أكثر من ١٢٠٠ كيلومتر ، وهي جبال شاهقة يصل ارتفاعها إلى ٥٦٣٣ م في قمة « البروز » الواقعة في الوسط تقريباً ، وبذا تعدّ أعلى جبال أوربا ، وتسدّ هذه الجبال ما بين البحرين تماماً فلا يمكن اجتيازها إلّا من الجانبين على شاطىء البحرين كما يوجد في وسطها ممردريال الذي يجري فيه ـ نهر (ترِْك) ، ولارتفاعها الشاهق فإنها تكون باردةً جداً ، وتكون فيها مناطق ذات ثلوجٍ دائمة ، ومن أشهر تلك المناطق ثلاجة « ماروخ » ، كما أن ذلك الارتفاع يجعلها تتلقّى كمياتٍ كبيرةً من الأمطار التي تنساب على كلا السفحين فيها وتتشكّل منها ومن ذوبان الثلوج بعض الأنهار ذات الأهمية المحلية ، وأشهرها : نهر تِرْك في الشمال الشرقي ، ونهر قوبان في الشمال الغربي ، ونهر كورا في الجنوب الشرقي ، ونهر ريفون في


صحراء القفجاق
قراتشاي الشركسية
قبارديا
بلكاريا
أوستينيا الشمالية
أوستينيا الجنوبية
جورجيا
البحر الأسود
المقياس
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٥
كيلومتر
آجاريا
تركيا
أرمينيا
أذربيجان
داغستان
بحر قزوين

الجنوب الغربي، وأكثر الأنهار والنهيرات الأخرى إنما تتجمّع مياهها بعضها مع بعض وترفد أحد هذه الأنهار الأربعة. وتُعدّ جبال القفقاس الحدّ الفاصل بين آسيا وأوربا، وبذا تكون منطقة شمالي القفقاس ضمن القارة الأوربية، ومنطقة ما وراء القفقاس ضمن القارة الآسيوية، وإن هذه التقسيمات ليست إلّا اصطلاحات.

أ ـ منطقة شمالي القفقاس: وتقع إلى الشمال من الذرا الجبلية أو خط توزيع المياه وتضمّ الجمهوريات الآتية:

١ً ـ داغستان: وهي لفظ تركي يعني بلاد الجبل، إذ أنها تتألّف من مقطعين « داغ » وتعني جبل بالتركية و« ستان » وتعني بلاد بالفارسية. وتبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠ كيلومتر مربع أي ما يُقارب ضعف مساحة فلسطين. ويُمكن أن نُلاحظ فيها منطقتين مُتباينتين، الأولى في الشمال وهي منطقة سهلية يجري في جزئها الجنوبي نهر صولاق ونهر ترك حيث يتّجهان نحو بحر قزوين ليصبّا فيه، وإلى الشمال من مجرى نهر ترك تمتدّ رقعة شبه صحراوية هي بداية صحراء القفجاق. أما المنطقة الثانية فتقع في الجنوب، وهي جبلية تمتدّ من ذرا جبال القفقاس وتنحدر نحو بحر قزوين حتى تصل إلى الساحل، وقد تصل إليه مباشرةً فلا تترك مجالاً للسهل الساحلي، ويكون ممرّ ضيق حيث تقع مدينة باب الأبواب « دربنت »، واسمها يدل على ذلك، وقد يتسع السهل الساحلي قليلاً وبصورةٍ عامةٍ فهو لا يزيد على خمسة عشر كيلومتراً، ولكن يبدأ بالاتساع من العاصمة « محج قلعة » إلى الشمال حيث تنفتح السهول الشمالية الواسعة، وتجري على الجبال أنهار تتجه نحو البحر وتكون قصيرة المجرى، سيليةً في بدايتها، ذات مجارٍ عميقةٍ، ويقلّ انحدارها في السهل الساحلي.

تأسّست جمهورية داغستان في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣٩، ويُقدّر عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٩ بحوالي ١,٦٢٧,٠٠٠، وعاصمتها

مدينة (محج قلعة)، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٥,٣٪ من السكان وهم من:

الداغستان	وعددهم	١,٢٦٧,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٧٨,٠٪.
الأذربيجان	وعددهم	٦٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٤,٠ ٪.
الشاشان	وعددهم	٤٩,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٣,٠ ٪.
الطاط	وعددهم	٧,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٢ ٪.
التتار	وعددهم	٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,١ ٪.
			٨٥,٣٪ وهي نسبة المسلمين

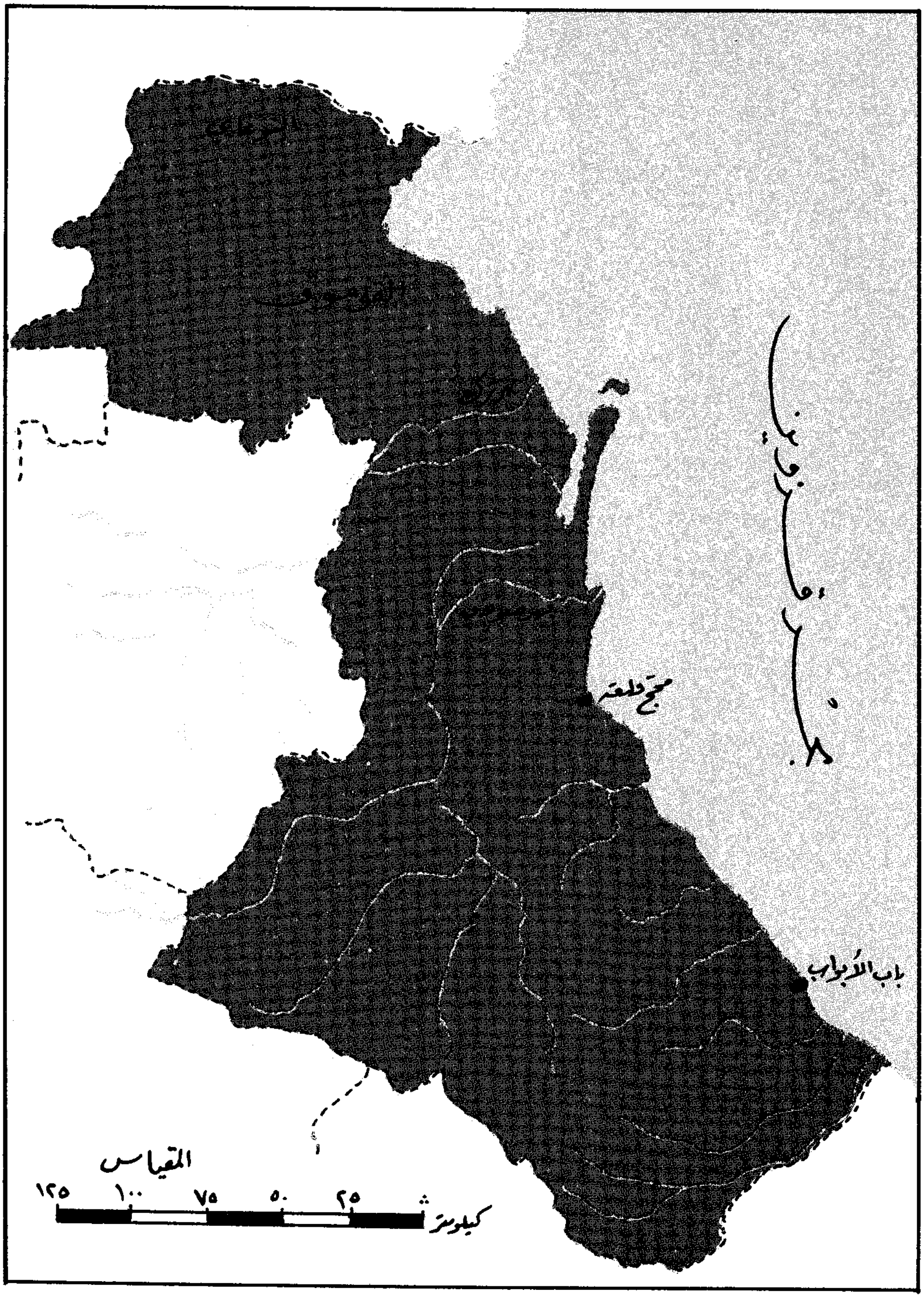
ويُشكّل النصاري ١٤,٧٪ وهم من المستعمرين:

الروس	وعددهم	١٩٠,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١١,٦٪.
الأوكرانيون	وعددهم	٥٠,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٣,١٪.
			١٤,٧٪ وهي نسبة النصارى

ويُوجد عدد قليل من اليهود في الجبل لا يزيد عددهم على أربعة آلاف، ويُعرفون باسم «داغ تشوفوت» أي يهود الجبل، وقد جاءوا إلى المنطقة منذ أيام الدولة السامانية.

ويُقيم أكثر الداغستانيين في الريف، ويعملون في الفلاحة وتربية الحيوانات، بينما يُقيم أكثر المستعمرين في المدن، ويُشرفون على الحكم واستثمار النفط، والصناعة، إضافةً إلى المُهمّة الرئيسية وهي مُراقبة حركات السكان.

وتضمّ كلمة الداغستان عشر مجموعاتٍ قبليةٍ منها القوموق، والنوغاي وهما في الشمال، ويعودون إلى أصلٍ تركيٍ. ومنها اللزكي واللان والعفر وهم في الجبال، ومن العفر قبائل الآندي التي كان لها دور في مُقاومة الاستعمار الروسي. وهؤلاء كلهم من المسلمين، ويعودون إلى أصولٍ قوقازيةٍ.



بحر قزوين
محج قلعة
باب الأبواب
المقياس
١٢٥ ١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥ ث
كيلومتر

كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة، وهي لغة التخاطب حتى عام ١٣٤٦ ، كما كانت تستعمل أحياناً اللغة التركية الأزرية. وحُظرت الكتابة باللغة العربية كلغةٍ أدبيةٍ منذ عام ١٣٤٠ .

وتُعّد العاصمة (محج قلعة) المركز الإداري الإسلامي لداغستان ومنطقة شمالي القفقاس كلها، ولغة المركز الرئيسية هي اللغة العربية.

٢ - جمهورية شاشان - أنغوشيا: وتبلغ مساحتها ١٩,٣٠٠ كيلومتر مربع أي ما يقرب من ضعف مساحة لبنان، وهي جبلية في الجنوب تُشكّل ذرا جبال القفقاس حدودها الجنوبية، وتمتدّ السهول في شمالها على مجرى نهر ترك وبعض روافده، كما تشمل على بعض أجزاء من صحراء القفجاق في شمال تلك السهول. وتجري الأنهار الصغيرة والنهيرات ويلتقي بعضها مع بعض لترفد نهر ترك قبل أن يصل إلى حدود جمهورية داغستان المجاورة لها من جهة الشرق.

وتُسمّى هذه الجمهورية باسم المجموعتين الرئيسيتين اللتين يتألّف منهما السكان، وهما: الشاشان والأنغوش. ويبلغ عدد سكان هذه الجمهورية ١,١٥٥,٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ، ويُقيم منهم ٣٧٥ ألفاً في العاصمة (غروزني) التي تقع على أحد روافد نهر ترك، وأغلب المقيمين فيها من المستعمرين الروس. ويتوزّع السكان المسلمون حسب المجموعات البشرية على النحو الآتي:

الشاشان	وعددهم	٦١١,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٥٢,٩٪
الأنغوش	وعددهم	١٣٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١١,٦٪
الداغستان	وعددهم	٢٢,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢,٠ ٪
		٧٦٨,٠٠٠	٦٦,٥٪ وهي نسبة المسلمين

أما بقية السكان فهم من المستعمرين النصارى الروس، ويبلغ عددهم ٣٨٧,٠٠٠ وتبلغ نسبتهم ٣٣,٥٪. ومُهمّتهم الإشراف على البلاد، وعلى استخراج النفط.

فالشاشان هم المجموعة الرئيسية ويبلغ عددهم في الإمبراطورية الروسية ٧٥٥,٨٠٠ يُقيم منهم ٨١٪ في جمهوريتهم، وهو كما ذكرنا ٦١١,٠٠٠ نسمة والباقي وهو ١٤٤,٨٠٠ أي ١٩٪ مُوزّعون في داغستان، وأوستينا الشمالية، وآسيا الوسطى. كما تُوجد أعداد منهم قد هاجرت من بلادها نتيجة الأعمال الوحشية التي قام بها الروس واستوطنت في تركيا، والعراق، وبلاد الشام، وأشهر مناطقهم في بلاد الشام رأس العين والقنيطرة في سوريا، وفي الزرقاء، وصويلح، وأزرق الشاشان، والسخنة في الأردن.

أما الأنغوش فيبلغ عددهم في الإمبراطورية الروسية ١٥٧,٠٠٠ نسمة يُقيم في جمهوريتهم منهم ١٣٥,٠٠٠ أي ٧٢٪ من عددهم الإجمالي، والباقي وهو ٢٢,٠٠٠ أي ٢٨٪ مُوزّعون في أنحاء الإمبراطورية.

ويتكلّم الشعبان لغتين مُتقاربتين تنتميان إلى أصلٍ قفقاسي، وليس لهاتين اللغتين المحليتين أبجدية، وقد عمل الشعب على كتابتها بالحرف العربي، غير أن الروس وقفوا في وجه هذا المشروع فكُتبتا بالحرف اللاتيني، ثم أصبحتا تكتبان بالحرف الروسي.

وقد قاتل الشاشان مع الشيخ محمد شامل قتالاً عنيفاً، وكانت بلادهم القلعة التي وقفت في وجه الروس، وكذلك اشتركوا في انتفاضة الداغستان عام ١٣٣٩ بينما لم يشترك إخوانهم الأنغوش في كلا الحربين. وهذا ما زاد من حقد الروس عليهم، وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية، واقترب الألمان من المنطقة صدرت إشاعات لا أساس لها من الصحة أن الشاشان يتعاونون مع الألمان، فما أن انتهت الحرب حتى عُدّ الشاشان عملاء، ونفوا جميعاً إلى مجاهل سيبيريا، وبقيت جمهوريتهم تحمل اسم جمهورية أنغوشيا، وبعد موت

ستالين أعيد النظر في الاتهام الذي وُجّه إليهم، فبُرّئوا منه، وأعيدوا إلى بلادهم عام ١٣٧٧، وأعيدت إليهم جمهوريتهم، ورجعت تحمل اسمهم.

وإسلام الشاشان الحديث يعود إلى العهد العثماني، ولا يزيد كثيراً على القرنين من الزمن، وقد ثبت بشكلٍ جيدٍ أيام حروبهم مع الشيخ محمد شامل ضدّ الروس، إذ كان لاندفاعهم وجهادهم أثر في تمكين الإيمان في نفوسهم.

٣ ـ جمهورية أوستينا الشمالية: تبلغ مساحتها ٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، وهي منطقة جبلية باستثناء الجزء الشمالي حيث تمتدّ السهول حول نهر ترك عندما يعود ثانيةً إلى أرضها متجهاً نحو الشرق. ويجري نهر ترك في أرضها عندما يكون جبلياً، وترفده كثير من الأنهار، ثم يدخل أراضي جمهورية قبارديا ـ بلكاريا، ويرسم فيها قوساً في زاويتها الشمالية الشرقية، ويعود إلى أراضي أوستينا الشمالية. ولهذا النهر أهمية كبيرة في هذه المنطقة، وهو النهر الوحيد الذي يبدأ في جريانه من جنوب ذرا جبال القفقاس، إذ ينبع من جورجيا وتجتاز مياهه خطّ الذرا فيُشكّل ممرّ دريال وهو الممرّ الوحيد الذي يخترق هذه الجبال من وسطها.

والأوستين من العناصر الشركسية، ويُطلق عليهم اسم القوشحة، كما يُسمّون بالآيرون، وإن كان هذا الاسم غالباً ما يُطلق على النصارى منهم، وإذا كان الإسلام قد انتشر في الأجزاء التي تقع شمال ذرا القفقاس عن طريق الدعاة فإن الأوستين الذي يسكنون في جنوب تلك الذرا قد بقوا على نصرانيتهم، وهذا ما جعل الروس يفصلون القسمين بعضهما عن بعض، حتى لا يتأثّر الجنوب بالشمال ويدخل أهله في الإسلام، وربطوا القسم الجنوبي «أوستينا الجنوبية» بجمهورية جورجيا الاتحادية النصرانية.

يبلغ عدد سكان عدد الجمهورية ٥٩٧,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ بينهم ٢٩٩,٠٠٠ من الأوستين، وتقع عاصمتها «أردجو نيكيرزي» على نهر (تِرْك) في مجراه الأعلى. وكانت هذه الجمهورية في بداية أمرها عندما

تشكّلت عام ١٣٤٣ هـ مقاطعةً ذات استقلالٍ ذاتيٍ، ثم غدت بعد عامين (١٣٤٥) جمهورية ذات استقلالٍ ذاتيٍ وترتبط مباشرةً بموسكو.

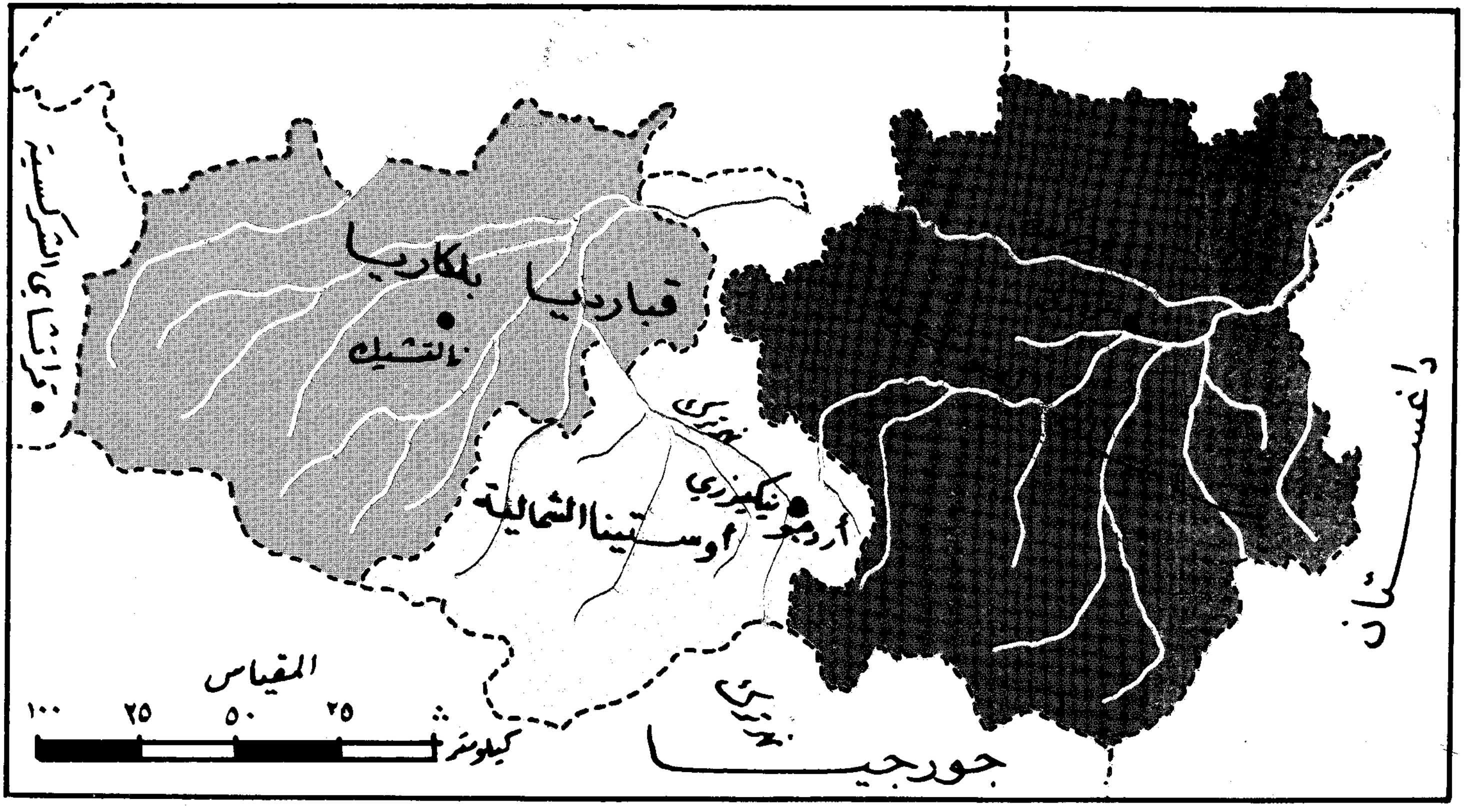
٤ - جمهورية قباردينا - بُلكاريا: تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كيلومتر مربع. وهي منطقة جبلية تُؤلّف حدودها الجنوبية ذرا جبال القفقاس وتميل نحو الشمال الشرقي، حيث تنحدر الأنهار الكثيرة ليلتقي بعضها مع بعض ويرفد نهر (تِرْك)، أما الأنهار في المنطقة الشمالية الغربية، فتؤول إلى صحراء القفجاق حيث تغيض فيها أو تنتهي بالري بعد أن استصلحت الأرض، لذا فإن بعض السهول تمتدّ في حوض نهر (تِرْك) في أقصى الشمال الشرقي.

تقع هذه الجمهورية بين أُوستينا الشمالية وقراتشاي الشركسية، وتُسمّى باسم العنصرين اللذين يُشكّلان معظم السكان، وهما: القبرطاي الذين هم من أصولٍ شركسيةٍ، ويتكلّمون اللغة الشركسية بلهجةٍ خاصةٍ، والبُلكار الذين يعودون إلى أصولٍ تركيةٍ ويتكلّمون لغةً تعود لأصلٍ تركيٍ أيضاً.

تبلغ نسبة المسلمين ٥٥٪ من السكان البالغ عددهم ٦٧٥,٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ، أي أن عدد المسلمين يُقدّر بـ(٣٧٣,٠٠٠)، أما الباقي و ٤٥٪ منهم من المستعمرين الروس ويُقدّرون بـ(٣٠٢,٠٠٠) أي تصل نسبتهم إلى ٤٥٪، ويُقيم أكثرهم في العاصمة (نالتشيك) التي تقع في وسط البلاد على هضبة جميلةٍ، ويصل عدد سكانها إلى ٢٠٧,٠٠٠ نسمة.

وفي الحرب العالمية الثانية اتّهم ستالين البلكار بالتعاون مع الألمان، لذا فقد نُفوا إثر الحرب إلى مجاهل سيبيريا، وبقيت الجمهورية تحمل اسم إخوانهم القبرطاي، فيُقال عنها جمهورية «قباردينا»، واستمرّ ذلك حتى عام ١٣٨٨ حيث بُرّىء البلكار من العمالة للألمان، وأُعيدوا إلى وطنهم وعادت الجمهورية تحمل اسمها الذي هو الآن.

ويعتني القبرطاي بتربية الخيل ويشتهرون بركوبها، وقد هاجر قسم منهم


قبارديا بلكاريا
نالتشيك
أوستينا الشمالية
أرجو نيكيزي
تيرك
جورجيا
داغستان
المقياس
١٠٠ ٢٥ ٥٠ ٢٥ ٠
كيلومتر

مع من هاجر من الشراكسة أثناء دخول الروس بلادهم وارتكاب الأعمال الوحشية بعد حروب الشيخ محمد شامل، وتُقيم نسبة من المهاجرين في بلدة خناصر جنوب حلب من بلاد الشام.

أما المقاطعات ذات الاستقلال الذاتي فهي:

أ - مقاطعة قراتشاي الشركسية: تبلغ مساحتها ١٤,١٠٠ كيلومتر مربع، وهي منطقة جبلية تُشكّل ذرا جبال القفقاس حدودها الجنوبية وتفصلها عن جمهورية أبخازيا، بينما تحدّها من الشرق جمهورية قبارديا - بلكاريا. ومن الشمال الشرقي إقليم ستافروبول، والتي تُعدَ جزءًا منه، ومن الغرب إقليم كراسنودار.

تتجمّع المياه المنحدرة على سفوح جبال القفقاس الشمالية، ويجتمع بعضها مع بعض لترفد نهر قوبان الذي يتكوّن من اجتماع الروافد الشرقية، والذي تقع عليه عاصمة المقاطعة «شركسك».

يبلغ عدد سكان المقاطعة ٣٦٩,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ، وينتمي السكان إلى مجموعتين رئيسيتين هما: القراتشاي وهم من أصولٍ تركيةٍ، وكذلك لغتهم التي يتكلّمونها، والشركس واسمهم يدل عليهم ولغتهم الشركسية. وقد خضعت المنطقة للروس بعد مؤتمر برلين عام ١٢٩٥، وهاجرت جماعات منهم مع من هاجر، وأكثر من يُقيم منهم في بلاد الشام يسكن في قريتي البويضان، وبلي في سوريا.

واتّهم ستالين القراتشاي أثناء الحرب العالمية الثانية أنهم عملاء للألمان فهُجّروا من منطقتهم عام ١٣٦٣، وبعد مُضي مدةٍ زال هذا الاتهام ورجعوا إلى مقاطعتهم عام ١٣٧٧ هـ.

أُنشئت هذه المقاطعة في ١١ جمادى الأولى عام ١٣٤٠ (١٢ كانون الثاني ١٩٢٢)، لكن لم يلبث الروس أن عادوا فقسّموها إلى منطقتين هما: مقاطعة

قراتشاي ذات الحكم الذاتي، ومقاطعة الشركس وذلك عام ١٣٤٢ هـ، ثم عادوا ثانيةً بعد عامين آخرين فجمعوهما، ولما هُجّر القراتشاي بقيت المقاطعة تحمل اسم مقاطعة الشركس ذات الحكم الذاتي، وعندما رجع المنفيون عاد الاسم إلى ما كان عليه يحمل اسم المجموعتين.

تدّفق كثير من المستعمرين الروس إلى هذه المنطقة حتى بقي السكان الأصليون يُشكلّون ٤٣٪ من مجموع السكان، غير أن نسبة زيادة المسلمين قد رفعت من هذه النسبة فهي عام ١٣٩٩ هـ تُعادل ٥٠٪. ويُقدّر عدد القراتشاي حسب الإحصاء المذكور بـ (١٣١,٠٧٤)، وأما الشركس فيقرب عددهم من مائتي ألف ويُضاف إلى هذا مجموعات ثانية أشهرها: الأباظة، وعددهم أربعة وعشرون ألفاً، والباقي وهو ١٣,٩٢٦ فهو مجموعات صغيرة من عناصر مختلفة.

ولا يوجد في المقاطعة الآن سوى أربعة مساجد مفتوحةٍ للعبادة.

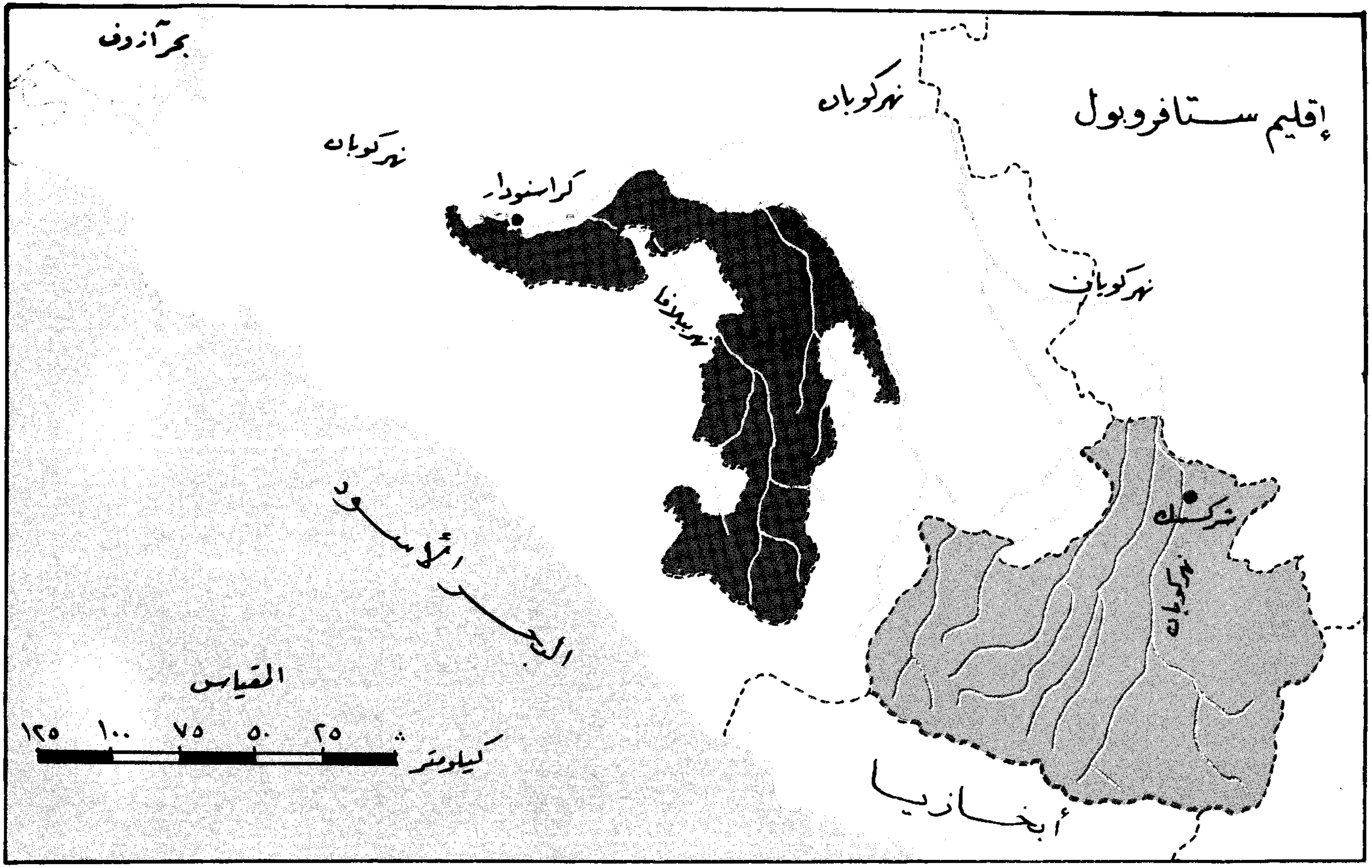
٢ - **مقاطعة الأديغة:** وتبلغ مساحتها ٧,٦٠٠ كيلومتر مربع، وقد تأسّست عام ١٣٤١ (١٩٢٢)، وكانت تُعرف باسم (منطقة الأديغة - الشركس) مع العلم أن كلمة (الأديغة) هو الاسم الذي يُطلقونه على أنفسهم، ولذا فهو يُرادف لفظ (شركس) وبعد عام ١٣٥٥ اقتصر الاسم على (مقاطعة الأديغة) ذات الاستقلال الذاتي. وتُشكّل جزءًا من إقليم (كراسنودار)، وهي مقاطعة داخلية، غريبة الشكل، كثيرة التعرّجات في حدودها، ويُعدّ الجزء الجنوبي منها منطقةً جبليةً يجري فيه بعض الروافد لنهر قوبان، على حين يكون الجزء الشمالي سهلياً إذ تجري المجاري السفلى لنهر قوبان، وبعض روافده، وتكون حدودها الشرقية مسايرة لمجرى بعض الروافد، على حين يشكّل نهر قوبان الحدود الشمالية لها.

يبلغ عدد سكان هذه المقاطعة ٤٠٤,٠٠٠ ساكن حسب إحصاء عام

١٣٩٩ هـ. وعاصمتها مدينة (مايكوب) الشهيرة. وسكان المقاطعة مجموعة من القبائل أشهرها: الأبزاخ، البزادوغ، الحاتوقواي، والشابسيغ و... وإن القبرطاي، والأبخاز، والشركس والأوستين من المجموعة نفسها وإن كانوا في جمهوريات ومقاطعاتٍ ثانية، وربما تختلف لغة الأبخاز قليلاً، والأصحّ لهجتهم، وقد كانت لغتهم تُكتب بالحرف العربي ثم غيّر المستعمرون الروس طريقة الكتابة إلى الحرف اللاتيني ثم الروسي عام ١٣٥٥ هـ.

وقد هاجر قسم منهم بعد سيطرة الروس النهائية على بلادهم إثر حروب الشيخ محمد شامل، ويُقيم الآن عدد منهم في بلاد الشام في حلب، ومنبج، وعندان، والرقة، وبعض قرى حمص، وفي دمشق، ومرج السلطان، ومنطقة القنيطرة، وعمان وغيرها.

وقد تكاثر الروس في هذه المقاطعة حتى لم يعدّ أهلها يُشكّلون سوى ٥٠٪ والباقي من الروس سواء أكانوا روساً أم من الأوكرانيين أم من روسيا البيضاء ومن الأرمن كذلك.



بحر آزوف
نهر كوبان
نهر كوبان
إقليم ستافروبول
كراسنودار
نهر بيلايا
نهر كوبان
تشركسك
نهر كوبان
البحر الأسود
القياس
١٢٥ ١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥ ٠
كيلومتر
أبخازيا

ب ـ ما وراء القفقاس: وهي المنطقة القفقاسية التي تقع خلف ذراجبال القفقاس. وتقوم فيها ـ رغم صغر رقعتها ـ إذ لا تزيد مساحتها على ٢١٢,٠٠٠ كيلومتر مربع ـ ثلاث جمهورياتٍ اتحاديةٍ، وثلاث جمهورياتٍ ذات استقلالٍ ذاتي، ومقاطعتان ذواتا استقلالٍ ذاتيٍ. وإن قيام ثلاث جمهورياتٍ اتحاديةٍ في تلك الرقعة المحدودة إنما الغاية منه تثبيت الوضع للروس خلف ذلك الحاجز الجبلي الشاهق، وإبعاد صورة النزاع التي كانت قائمةً في المنطقة لاختلاف العقائد، إذ وجدت جمهورية لأبناء كل عقيدةٍ، مع الحرص على إبقاء مجموعاتٍ من المسلمين تحت سيطرة النصارى خوفاً من اتفاق المسلمين وتشكيل حلف فيما بينهم ضدّ النصارى، ولإثارة الشحناء لو تمّ اتفاق ضدّ الروس، وفي الوقت نفسه تكون دعاية للروس في تلك الجهات النائية عنهم إذ تعتمد هذه الدعاية على الأدّعاء بأن الروس ليسوا مستعمرين، حيث تُؤلّف هذه المناطق جمهورياتٍ تحكم نفسها بنفسها، وقد ارتضت لنفسها أن تكون على صلةٍ قويةٍ مع الروس، وأن تُشكّل معهم اتحاداً. ولسكان المنطقة صلات مع الأمصار الإسلامية القريبة منها صلة في العقيدة، وصلة في القرابة، وصلة في الجوار، وصلة في الموطن، ولهذا أثره، وربما يتأثّر المفضّلون الذين لا ينظرون إلى حقائق الأمور، وإنما يُؤخدون بالدعاية. والجمهوريات الاتحادية هي:

أ ـ **أذربيجان:** وتبلغ مساحتها ٨٦,٦٠٠ كيلومتر مربع. وتتألّف من سهلٍ ساحليٍ على شكل مثلثٍ تُشكّل قاعدته ساحل البحر، ويمتدّ رأسه مع مجرى نهر (كورا) باتجاه الشمال الغربي، ويجري في وسطه نهر كورا الذي يصبّ في بحر قزوين مُشكّلاً امتداداً بسيطاً ناشئاً من رواسب النهر في البحر.

وتمتد في الشمال جبال القفقاس التي تُشكّل ذراها الحدّ الفاصل بين داغستان وأذربيجان، غير أن الحدود بين هاتين الجمهورتين تتجه نحو الشمال الشرقي باتجاه البحر بينما يستمرّ خطّ الذرا حسب اتجاهه العام نحو الجنوب

الشرقي، ويبدأ بالانخفاض تدريجياً حتى ينتهي في البحر مُشكّلاً شبه جزيرة (أبشيرون) التي تقوم فيها عاصمة البلاد (باكو). ومن جبال القفقاس تنحدر المياه بالاتجاهين، ومن المعلوم أن خطّ الذرا هو خط تقسيم المياه، فالمياه التي تتجه نحو الشمال الشرقي تُشكّل أنهاراً قصيرة تصبّ في بحر قزوين، والتي تنحدر نحو الجنوب تُشكّل أنهاراً تصبّ في نهر كورا الذي يُعدّ المستوى الأساسي لها، وإن كان بعضها وخاصةً الشرقي منها يذهب في ريّ السهل قبل أن يصل إلى نهر كورا.

وفي الغرب تمتدّ هضبة أرمينيا التي تنحدر منها المياه، فعلى سفوحها الشمالية تتشكّل أنهار تجري لتصبّ في نهر كورا، ومن السفوح الشرقية تتشكّل أنهار تتجه نحو الشرق والشمال الشرقي نحو نهر كورا غير أنها تذهب في ريّ السهل قبل أن تصل إلى النهر. ومن السفوح الجنوبية تنحدر المياه لتشكّل أنهاراً تتجه نحو نهر أراكس (الرس) الذي يجري بين هضبة أرمينيا وجبال أذربيجان، ويُعدّ هذا النهر الحدّ الفاصل بين جمهوريتي أرمينيا وأذربيجان من جهةٍ وبين ايران من جهةٍ ثانيةٍ.

وتمتدّ جبال أذربيجان الإيرانية في الجنوب، وتنحدر من سفوحها الشمالية المياه نحو نهر أراكس ومن سفوحها الشرقية تتجه الأنهار نحو البحر، ومنها ما يصل إليه، ومنها ما يذهب في ريّ السهل قبل أن يبلغ البحر.

نجح الشيوعيون في شهر جُمادى الأولى من عام ١٣٣٦ من السيطرة على باكو بمساعدة الاشتراكيين الثوريين، والفرق العسكرية الأرمنية لحزب الطاشناق، ومقاتلي حزب همّة، وتألّفت كومونة باكو السوفيتية، وبعد ثلاثة أيام من المعارك الدامية قتل خلالها ثمانية عشر ألفاً من المسلمين، وفرّ إثرها قادة حزب المساواة إلى مدينة غاندكا (كيروفأباد)، وشكّلوا هناك حكومةً معارضةً لحكومة كومونة باكو السوفيتية، وأُطلق عليها اسم (مجلس أذربيجان الوطني). وفي شهر شوال من العام نفسه اختلف الرفاق فيما بينهم إذ تخلّى

عنهم الاشتراكيون الثوريون، وحزب الطاشناق فسقطت الحكومة، ووقف المسلمون على الحياد فلم يتدخّلوا في النزاع القائم، ولا في شؤون الحكم.

قُضي على الحركة الشيوعية في ٧ ذي الحجة عام ١٣٣٦ (١٥ أيلول ١٩١٨) بمساعدة القوات العثمانية التي كان يقودها نوري باشا، والتي دخلت مدينة باكو، وتبعتها قوات حكومة مجلس أذربيجان الوطني في (غاندكا)، وحدثت مجازر في صفوف الأرمن، ولكن لم تلبث أن انسحبت القوات العثمانية من باكو إذ شنّت عليها القوات الإنكليزية هجوماً من جهة إيران، وخسرت الدولة العثمانية الحرب وانسحبت قواتها من ميادين القتال جميعها، وبقيت حكومة مجلس أذربيجان الوطني في السلطة. وعادت القوات الإنكليزية فانسحبت من أذربيجان، واستمرّت حكومة مجلس أذربيجان الوطني تُمارس مسؤولياتها في الحكم حتى ١٠ شعبان ١٣٣٨ (٢٧ نيسان ١٩٢٠) إذ داهمتها قوات الجيش الأحمر التي تمكّنت من السيطرة على البلاد، وقُضي على حكومة مجلس أذربيجان الوطني بعد أن حكمت الإقليم ما يقرب من سنتين (٧ ذي الحجة ١٣٣٦ حتى ١٠ شعبان ١٣٣٨)، وتأسّست بمجيء الشيوعيين جمهورية أذربيجان السوفيتية.

يبلغ عدد سكان جمهورية أذربيجان الاتحادية ٦,٠٢٨,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ بينهم ٥,٠١٧,٠٠٠ مسلم، وبذا تكون نسبة المسلمين ٨٣,٣٪ من السكان ويتألّفون من المجموعات التالية:

الأذربيجان	وعددهم ٤,٧٠٧,٨٦٨	ويُشكّلون نسبة ٧٨,١٪
الداغستان	وعددهم ٢٠٤,٩٥٢	ويُشكّلون نسبة ٣,٤٪
التاليش	وعددهم ٦٠,٢٨٠	ويُشكّلون نسبة ١,٠٪
التتار	وعددهم ٣٠,٩٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٥٪
مجموعات أخرى	وعددهم ١٦,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٣٪
	٥,٠١٧,٠٠٠	مجموع المسلمين ٨٣,٣٪

أما النصارى فيبلغ عددهم ٩٧٦,٠٠٠ ويُشكّلون نسبة ١٦,٢٪ من السكان ويتوزّعون حسب المجموعات الآتية:

الروس	وعددهم ٤٧٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٧,٩٪ من السكان
الأرمن	وعددهم ٤٧٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٧,٩٪ من السكان
الأوكرانيون	وعددهم ٢٦,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٤٪ من السكان
	٩٧٦,٠٠٠	١٦,٢٪

ويوجد عدد من اليهود، ويُقدّر عددهم بخمسةٍ وثلاثين ألفاً، فتكون نسبتهم حوالي ٠,٥٪.

يُمثّل الشيعة ٧٠٪ من المسلمين وأكثرهم يسكن الجنوب، ويُمثّل أهل السنة ٣٠٪ ومعظمهم يقطن الشمال، ويوجد عدد من البهائيين في كلٍ من مدن باكو، وكوبا. كما يعيش عدد من عبدة الشيطان (اليزيديون).

ويتبع جمهورية أذربيجان الاتحادية جمهورية (ناختشيفيان) ذات الاستقلال الذاتي، وتقع بين تركيا، وأرمينيا أي توجد أراضٍ أرمينية تفصل بين أذربيجان وناختشيفيان، تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٥,٥٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٢٤٠,٤٥٩ حسب إحصاء عام ١٣٩٩، ويتوزّع السكان على المجموعات الآتية:

الأذربيجانيون	وعددهم ٢٢٩,٩٦٨	ويُشكّلون نسبة ٩٥,٦٪ من السكان وأكثرهم من الشيعة.
الروس	وعددهم ٣,٨٠٧	ويُشكّلون نسبة ١,٦٪ من السكان وهم نصارى.
الأرمن	وعددهم ٣,٤٠٦	ويُشكّلون نسبة ١,٤٪ من السكان وهم نصارى.

مجموعات ثانية وعددهم ٢,٢٧٨ ويُشكّلون نسبة ١,٤٪ من السكان
وهم من المسلمين
والنصارى.

٢٤٠,٤٥٩ ١٠٠٪

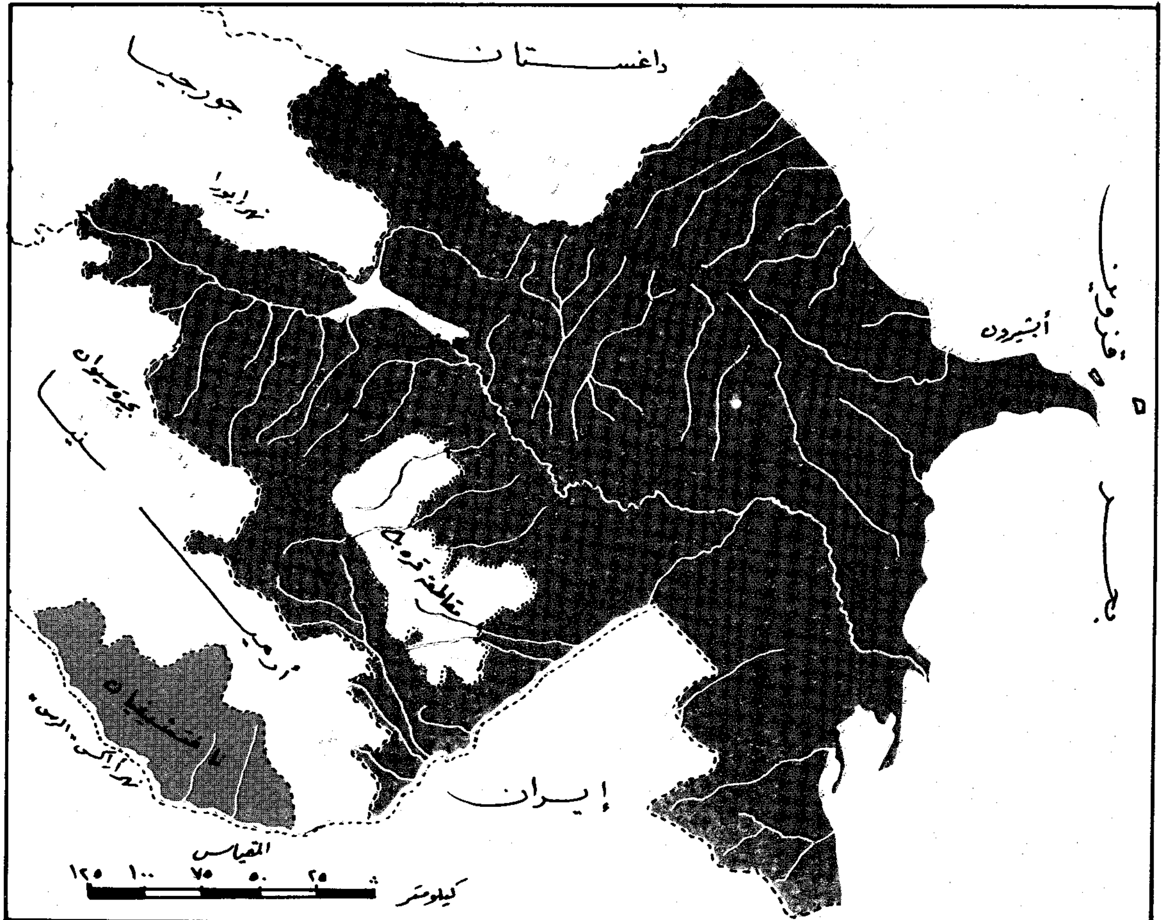
كما تتبع جمهورية أذربيجان الاتحادية منطقة قره باخ ذات الاستقلال الذاتي، وتقع وسط جمهورية أذربيجان إذ تُحيط بها الأراضي الأذربيجانية من كل جهةٍ، تبلغ مساحة هذه المقاطعة ٤,٤٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ١٦٢,١٨١ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ، ويتوزّع السكان على المجموعات الآتية:

الأذربيجانيون ويبلغ عددهم ٣٧,٢٦٤ ويُشكّلون نسبة ٢٣,٠٪ من السكان.
الروس ويبلغ عددهم ١,٢٦٥ ويُشكّلون نسبة ٠,٨ ٪ من السكان.
الأرمن ويبلغ عددهم ١٢٣,٠٧٦ ويُشكّلون نسبة ٧٥,٩٪ من السكان
مجموعات ثانية ويبلغ عددهم ٥٧٦ ويُشكلون نسبة ٠,٣٪ من السكان

ومن هؤلاء السكان يعيش عشرون ألفاً ممن يؤلّهون علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

وتُعدّ مدينة باكو عاصمة جمهورية أذربيجان الاتحادية من كبريات مدن الإمبراطورية الروسية وقد وصل عدد سكانها إلى ١,٥٥٠,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ.

ويتكلّم السكان اللغة الأزرية التي تعود إلى أصلٍ تركيٍ.



داغستان
جورجيا
بحر قزوين
أبشيرون
إيران
ناغورنو قرة باغ
أرمينيا
ناخيشيفان
القياس
١٢٥ ١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥ ٠
كيلومتر

٢ - جورجيا (بلاد الكرج) : وتبلغ مساحتها ٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربع ، وتقع بين جبال القفقاس وهضبة أرمينيا ، ونلاحظ أن جمهوريات شمالي القفقاس ومقاطعاته تحدّها من الشمال ، أما من الجنوب ، فنجد تركيا وجمهورية أرمينيا الاتحادية ، ومن الغرب البحر الأسود ، ومن الشرق جمهورية أذربيجان الاتحادية . وتقع في وسطها هضبة قليلة الارتفاع ، وتكون مركز توزّع المياه بين الشرق والغرب ، فالمياه المنحدرة من جبال القفقاس تنحدر في الغرب في جمهورية أبخازيا نحو البحر ، وفي جورجيا نحو نهر (ريفون) لترفده ، أما في الشرق فتنحدر نحو نهر كورا وروافده ، وكذا الأنهار المنحدرة من هضبة أرمينيا ، وبين نهري كورا في الشرق وريفون في الغرب ترتفع الهضبة التي في وسط جورجيا ، أو نستطيع أن نقول : إن جورجيا تتألّف من السفوح الجنوبية لجبال القفقاس والسفوح الشمالية لهضبة أرمينيا وفي نقاط التقاء السفحين يجري نهر كورا في الشرق ونهر ريفون في الغرب وبين النهرين مرتفع بسيط . ولما كانت السفوح الجنوبية لجبال القفقاس معرضةً للشمس التي تُعدّ قليلة السطوع في بلاد روسيا لذا قامت هنا أفضل المشافي .

ورغم أن جورجيا قد دخلها المسلمون أيام الفتوحات الأولى إلا أن رحمة المسلمين وعطفهم على أهل الذّمة ، والأحداث التي قامت يومذاك في الدولة الإسلامية ، ودعم الروم لأهل الكرج ، ومناعة البلاد كل ذلك قد أبقى النصرانية منتشرة في جورجيا .

يبلغ عدد سكان جورجيا اليوم حوالي ٤,٥٠٠,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ ، ويعيش بينهم أقلية من المسلمين لا يزيد عددها على ٨٣٥,٠٠٠ أي ما يعادل ١٩ ٪ من السكان ، ويعيش قسم منها في مدينة تفليس عاصمة جمهورية جورجيا والتي تقع على مجرى نهر كورا .

ويتبع جمهورية جورجيا الاتحادية بصفتها ذات أكثرية نصرانيةٍ جمهوريتان ذواتا أكثريةٍ مسلمةٍ وهما : أبخازيا وآجاريا ، ومقاطعة ذات أكثريةٍ نصرانيةٍ

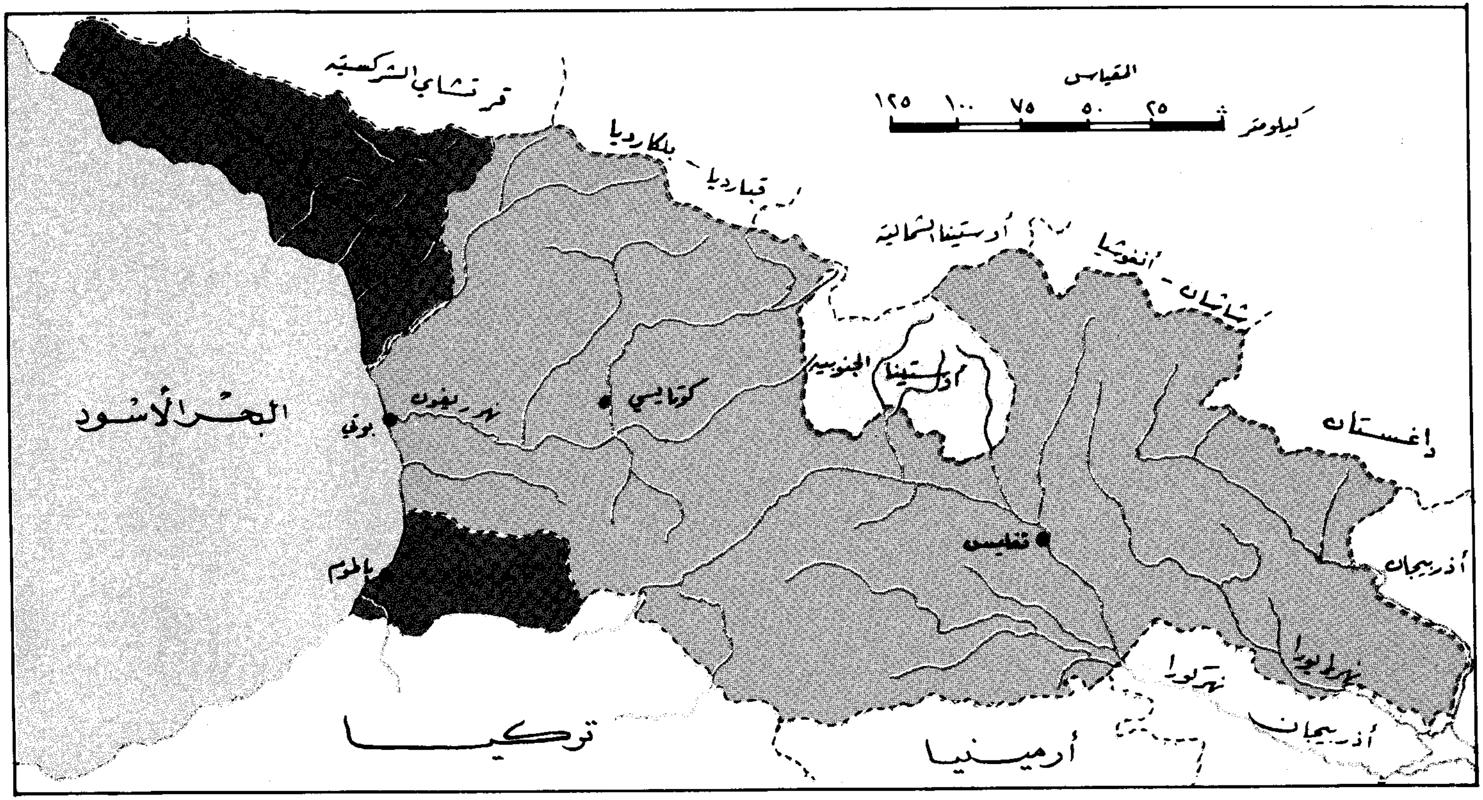
وهي أُوستينا الجنوبية.

١ً - جمهورية أبخازيا: وتبلغ مساحتها ٨,٦٠٠ كيلومتر مربع أي أصغر من مساحة لبنان بقليل، وتقع على ساحل البحر الأسود، وعاصمتها مدينة (سوخوم)، والأبخاز مجموعة من العناصر الشركسية انفصلت عنهم بجبال القوقاز، وقد كان كثير منهم يعتنق النصرانية فلما صدر المرسوم بالتسامح الديني عام ١٣٢٣ دخل قسم كبير منهم بالإسلام، يبلغ عدد سكان جمهورية أبخازيا ٤٨٦,٩٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩، ويُقدّر عدد الأبخاز بحوالي ٩١,٠٠٠ أي ٢٠ ٪ من السكان.

كانت تقوم حكومة (ايمارتي) في هذه المنطقة، فقضت عليها الإمبراطورية الروسية عام ١٢٤٥، وألحقتها بها، وبعد أن قام الحكم الشيوعي عام ١٣٣٦، وبدأ بتقسيم المنطقة أسس عام ١٣٤٩ جمهورية أبخازيا هذه وألحقها بجمهورية جورجيا الاتحادية.

٢ً - جمهورية آجاريا: تبلغ مساحتها ٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، بين جورجيا وتركيا، وتطلّ على البحر الأسود من جهة الغرب، وقاعدتها مدينة باطوم. لقد ضمّت روسيا إليها حكومة (غوريا) التي كانت قائمةً في المنطقة، وذلك بعد مؤتمر برلين عام ١٢٩٥، واضطرت الدولة العثمانية إلى الاعتراف بذلك، ثم تأسّست جمهورية آجاريا عام ١٣٤٠ هـ، وأُلحقت بجمهورية جورجيا الاتحادية. ويسكن هذه الجمهورية ٣٠٠,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ.

٣ً - مقاطعة أُوستينا الجنوبية: وتبلغ مساحتها ٣,٩٠٠ كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على ١٢٥,٠٠٠ نسمة، والأُوستين - كما مرّ معنا - من العناصر الشركسية، ويُعرفون باسم القوشحة، وأغلبهم من النصارى. لقد ضمّ الروس إليهم المنطقة إثر مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ هـ. ولما كان الإسلام قد انتشر بالأجزاء الشمالية من بلاد الأُوستين لذا أسرع الروس وفصلوا بين الشمال



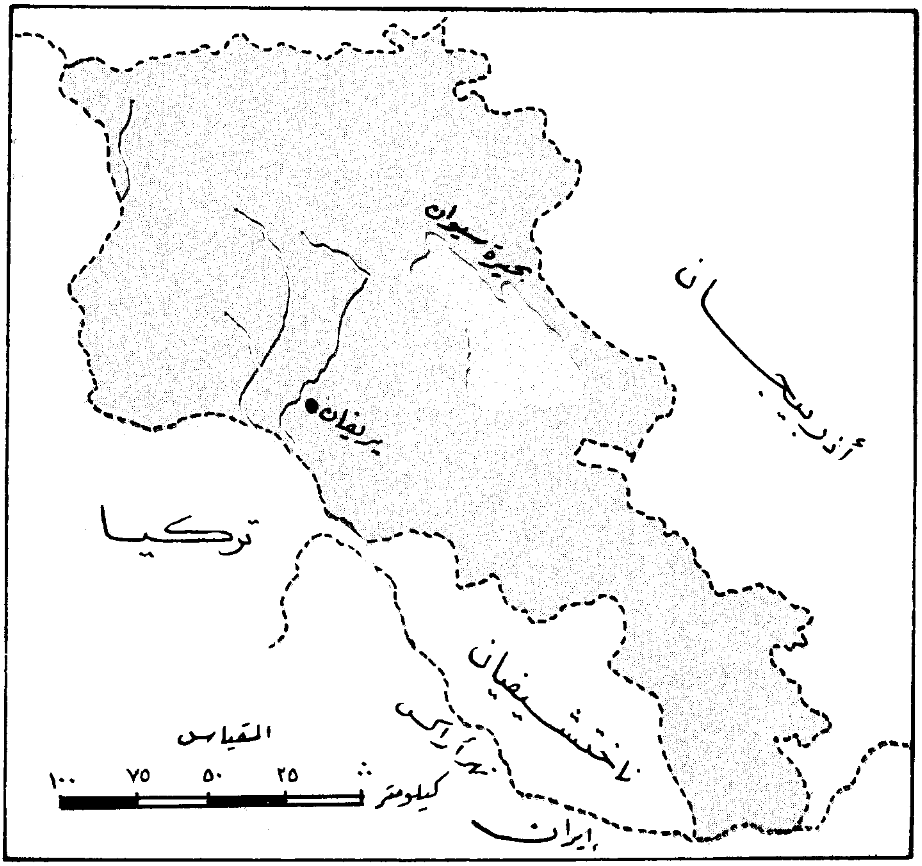
المقياس
١٢٥ ١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥ ٠
كيلومتر
قرتشاي الشركسية
قبارديا - بلكارديا
أوستينا الشمالية
شاشان - أنغوشيا
داغستان
أذربيجان
أوستينا الجنوبية
كوتايسي
نهر ريفون
بوتي
باطوم
تفليس
البحر الأسود
تركيا
أرمينيا
أذربيجان

والجنوب في محاولةٍ لوقف انتشار الإسلام. وأسّسوا مقاطعة أوستينا الجنوبية عام ١٣٤١ هـ. أما الكرج فإنهم يُطلقون على الأوستين اسم « توالتا ».

٣ً - جمهورية أرمينيا الاتحادية: وتبلغ مساحتها ٣٠,٠٠٠ كيلومتر مربع أي ما يقرب من ثلاثة أمثال مساحة لبنان. وهي منطقة جبلية تنحدر المياه من سفوحها الشمالية نحو نهر (كورا)، ومن سفوحها الجنوبية نحو نهر (أراكس) الذي يلتقي بالنهاية مع نهر كورا ليصبّان في بحر قزوين. ويُشكّل نهر أراكس الحدود بينها وبين كلٍ من إيران وتركيا. وفي وسط الهضبة توجد بحيرة (وان) التي تقع على ارتفاع ١٩٠٢م. وعاصمة أرمينيا هي مدينة (يريفان).

ويبلغ عدد سكان جمهورية أرمينيا ما يزيد على مليوني نسمة بينهم ١٢ ٪ من المسلمين أي ما يُعادل ٣٤٠,٠٠٠ مسلم، كما يُقيم ٣٥,٠٠٠ من عبدة الشيطان، وأكثرهم من الأكراد.

دخل المسلمون أرمينيا أيام الفتوحات الأولى في العهد الراشدي غير أن حكمهم لم يستقرّ فيها لذا بقيت نسبة المسلمين ضعيفةً بين السكان، فوضعها يُشبه وضع جمهورية جورجيا الاتحادية.


بحيرة سيفان
أذربيجان
يريفان
تركيا
ناختشيفان
نهر أراكس
المقياس
١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥ ٠
كيلومتر
إيران

الفصل الرابع

تُركستان

تعني تُركستان بلاد الترك، ولكن عندما نُطلق هذا اللفظ فإنما نعني به بلاد الترك في أواسط آسيا فقط إذ أصبح علماً على هذه المنطقة، وهي منطقة واسعة الأرجاء، فإضافةً إلى تُركستان التي تخضع للاستعمار الروسي، وهي المنطقة التي نحن بصدد البحث عنها، وتُعرف أحياناً باسم تركستان الغربية تمييزاً عن المنطقة التي تخضع للاستعمار الصيني والتي تُسمى تُركستان الشرقية، وإن كان الصينيون يُسمّونها «سينكيانغ» ويعني هذا اللفظ باللغة الصينية «المقاطعة الجديدة».

لا يحبّ الروس إطلاق لفظ «تُركستان» على هذه المنطقة خوفاً من إثارة الفكرة العنصرية أو العصبية لدى سكان المنطقة جميعاً والدعوة إلى وحدتهم على أساسها، وهم مجموعا ت كثيرة ويعيشون على رقعة شاسعة من الأرض تزيد على مساحات تركستان وتركيا و .... ما داموا لا يستطيعون الدعوة إلى الفكرة الإسلامية التي تجمع بعضهم مع بعض بل تعدّهم جزءاً من الأمة الإسلامية، فلفظ «تُركستان» يُنمّي عند السكان روح الوحدة، وإنما يحبّ المستعمرون الروس إطلاق لفظ وسط آسيا إذ هو اصطلاح عام يدخل ضمنه مجموعات قد تتمايز بالعقيدة، وربّما تتباين بالعنصرية، وقد تختلف باللغة، ومن الممكن ان تفترق الجماعات.

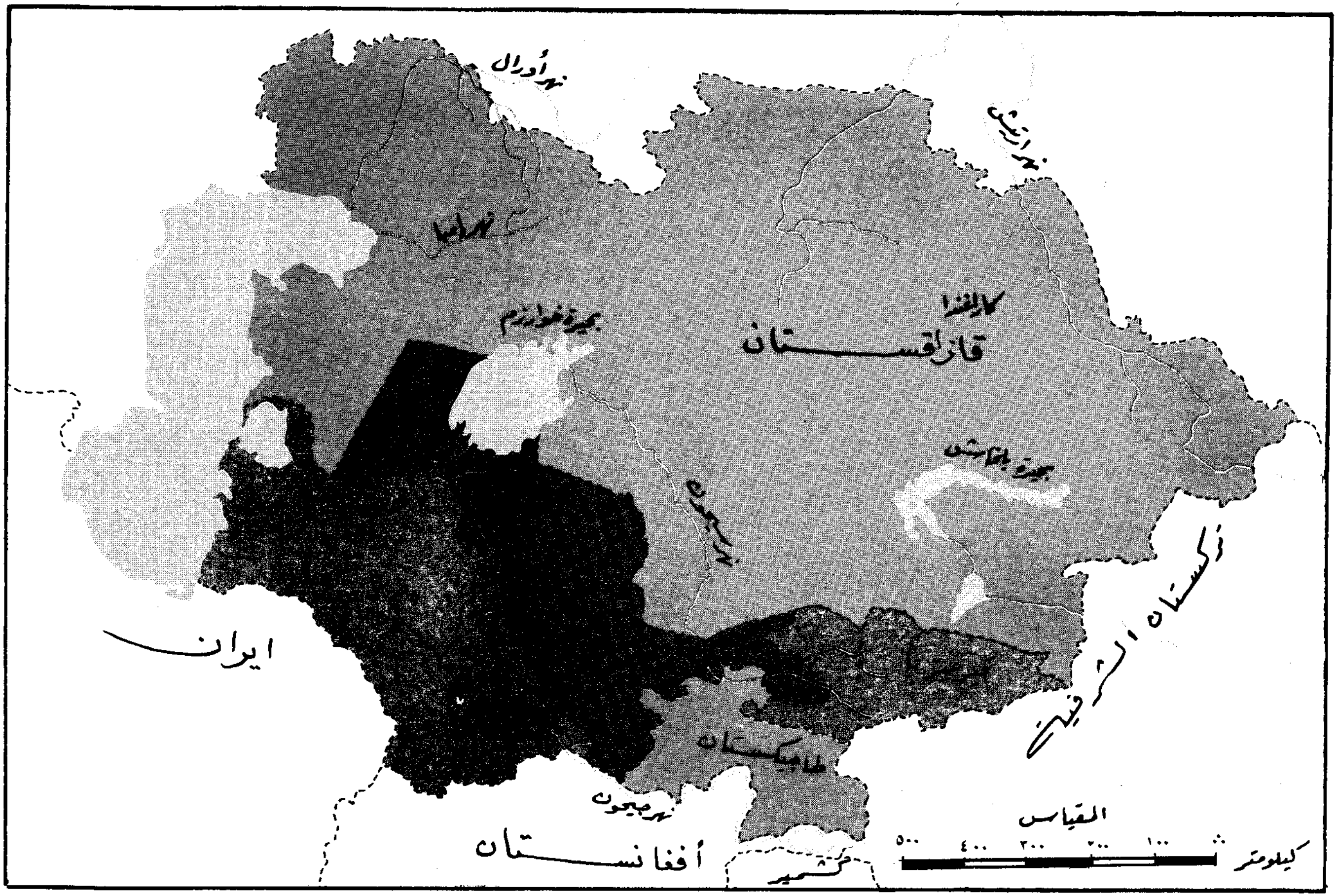
ويرغب الاستعمار الروسي تجزئة العنصر التركي الشامل للمنطقة إلى مجموعاته القبلية إذ عدّ كل مجموعةٍ عنصراً خاصاً، وأقام جمهورية تحمل اسمه، لذا فإننا نُلاحظ خمس جمهورياتٍ في هذه المنطقة هي: ١ً - قازاقستان (بلاد القازاق)، ٢ً - أُوزبكستان (بلاد الأوزبك)، ٣ً - تُركمانستان (بلاد التركمان)، ٤ً - قيرغيزستان (بلاد القيرغيز)، ٥ً - طاجكستان (بلاد الطاجيك)، رغم أن العنصر التركي يضمّها جميعها. كما فصل بعض المقاطعات وأعطاها استقلالاً ذاتياً عن هذه الجمهوريات زيادةً في التفرق. وإذا كان قسم من الطاجيك يعود العنصر الفارسي غير أن بقية السكان في بلاد الطاجيك إنما يرجعون إلى أصلٍ تركي. كما يحرص هذا الاستعمار على إيهام القازاق بأنهم عنصر خاص مستقل لا يمتّ إلى الترك بصلةٍ غير أن هذه السياسة الاستعمارية قد غدت معروفةً للناس جميعاً.

وأما كلمة بلاد ما وراء النهر المعروفة في التاريخ الإسلامي فإنها لا تشمل أجزاء تركستان كلها وإنما تضمّ أكثر أجزاء بلاد الأُوزبك فقط، والنهر المقصود إنما هو جيحون. فبلاد التُركمان تقع إلى الغرب منه، وكانت تُشكِّل جزءاً من خراسان، وحاضرة خراسان يومذاك هي مدينة «مرو» وهي في الوقت نفسه قاعدة بلاد التركمان، وبلاد القازاق بعيدة عن النهر، وبلاد الطاجيك وبلاد القيرغيز إنما تشغل أجزاء جبلية ويعدّ قسم منها من بلاد الخُطا التي كانت قائمة يومذاك.

وتشغل الصحارى والبوادي والسهوب القسم الأكبر من تركستان وخاصةً الأجزاء الوسطى والغربية ولا أثر لبحر قزوين اذ هو بحر مُغلق، يقع في منطقةٍ صحراويةٍ، وتمتدّ الأراضي التي حوله في ظلّ جبال القفقاس التي تحول دون وصول الآثار البحرية الى الجهات الشرقية، وكذا فإن بحر آرال (بحيرة خُوارزم) ضيّق ومُغلق أيضاً، على حين أن الأجزاء الشرقية تشغلها الجبال، ولما كانت هذه الجبال شاهقة الارتفاع فإنها تتلقى كمياتٍ لا بأس بها المطر،

وتتساقط عليها الثلوج ونتيجة ذلك تتشكّل فيها نهيرات يتجمّع بعضها مع بعض وتُؤلّف نهري سيحون وجيحون اللذين يتمكّنان بما يتلقيان من تغذيةٍ كافيةٍ من المياه أن يقطعا السهوب والصحارى وأن يصلا إلى بحيرة خُوارزم ليصبّا فيها، ويُكوّنان شريطاً من الخضرة يمتدّ على طـول مجريهما، أو واحـةً متصلةً. كما تنساب من الجبال الجنوبية مجارٍ مائية أو سيول تغيض أو تنتهي في الرمال فتُشكّل عند نهايتها واحات، وليست مرو، وسرخس، وتادزهن، ونسا، وعشق أباد سوى واحاتٍ تقع عند نهاية بعض المجاري المائية، وإن اختلفت هذه المجاري في اتساعها ومدة جريانها.

تبلغ مساحة منطقة تركستان ما يقرب من أربعة ملايين كيلومتر مـربـع (٣,٩١٠,٣٠٠ كيلومتر مربع) أي أكثر من سدس مساحة الامبراطورية الروسية الواسعة الأرجاء وتضمّ الجمهوريات الاتحادية الآتية:


نهر أورال
نهر ارتيش
نهر امبا
قازاقستان
بحيرة خوارزم
بحيرة بلخاش
نهر سيحون
تركستان الشرقية
ايران
طاجيكستان
نهر جيحون
أفغانستان
كشمير
المقياس
كيلومتر

أ ـ **قازاقستان:** وتبلغ مساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠ كيلومتر مربع، وبذا تُعدّ ثاني الجمهوريات في الإمبراطورية الروسية مساحةً بعد جمهورية روسيا الاتحادية. وتمتدّ في الغرب السفوح الجنوبية لجبال أُورال، وتنحدر منها المياه نحو نهر أُورال أو نحو المنخفض الأوسط حيث تنتهي في بحيرات مستنقعية أو تغيض في الرمال، وفي الشرق تمتدّ نجود قازاقستان بين الغرب والشرق، وتبدأ من الغرب بالمنخفض الذي يفصلها عن جبال أورال وتتصل في الشرق بجبال آسيا الوسطى الشاهقة الارتفاع وذلك عند الحدود حيث تفصلها عن تركستان الشرقية باستثناء فجاج تمرّ منها الأنهار ولعلّ بوابة (زونغارية) أشهر تلك الفجاج، وتنحدر المياه من هذه النجود نحو الشمال حيث سهول سيبيريا الغربية، وتشغل قازاقستان طرفاً منها، كما تنحدر بعض تلك المياه نحو الجنوب لتؤول إلى بحيرة (بالخاش)، وربما اتجه بعضها نحو نهر سيحون دون أن يبلغه إذ يغيض في الرمال، أو يُستفاد منه في الري.

في منتصف عام ١٣٣٨ انسحب القازاق من القتال بجانب الروس البيض لأن الأميرال كولتشاك قد تسلّم أمر الروس البيض وهو عدو للعناصر كلها عدا الروس، وقد أخذ يدعو إلى وحدة الروس، وانحاز القازاق بعدها للقوة البلشفية، واعترفوا بالحكم السوفيتي بعد هزيمة الأميرال كولتشاك، وتشكّلت لجنة ثورية قازاقية تسلّمت السلطة في منطقة القازاق، وكان نصف أعضائها من حزب (الأش أُوردا) والنصف الآخر من مندوبي السوفييت، وانضمّ أعضاء حزب ألاش أُوردا الذين هم في السلطة إلى الحزب الشيوعي واستمّروا في الحكم مدة عشر سنوات، ثم طُردوا إذ انتهى دورهم في الاستغلال، وتفرّد الشيوعيون في شؤون الدولة، وتسلّطوا على الشعب، وقد اتبعوا سياسة أسموها « سياسة التحضير » قضت على نصف أبناء القازاق.

تشكّلت جمهورية قازاقستان ليلة عيد الأضحى من عام ١٣٣٨ هـ، وكانت مدينة قزيل أُوردا هي العاصمة، وتقع على مقربة من مجرى نهر

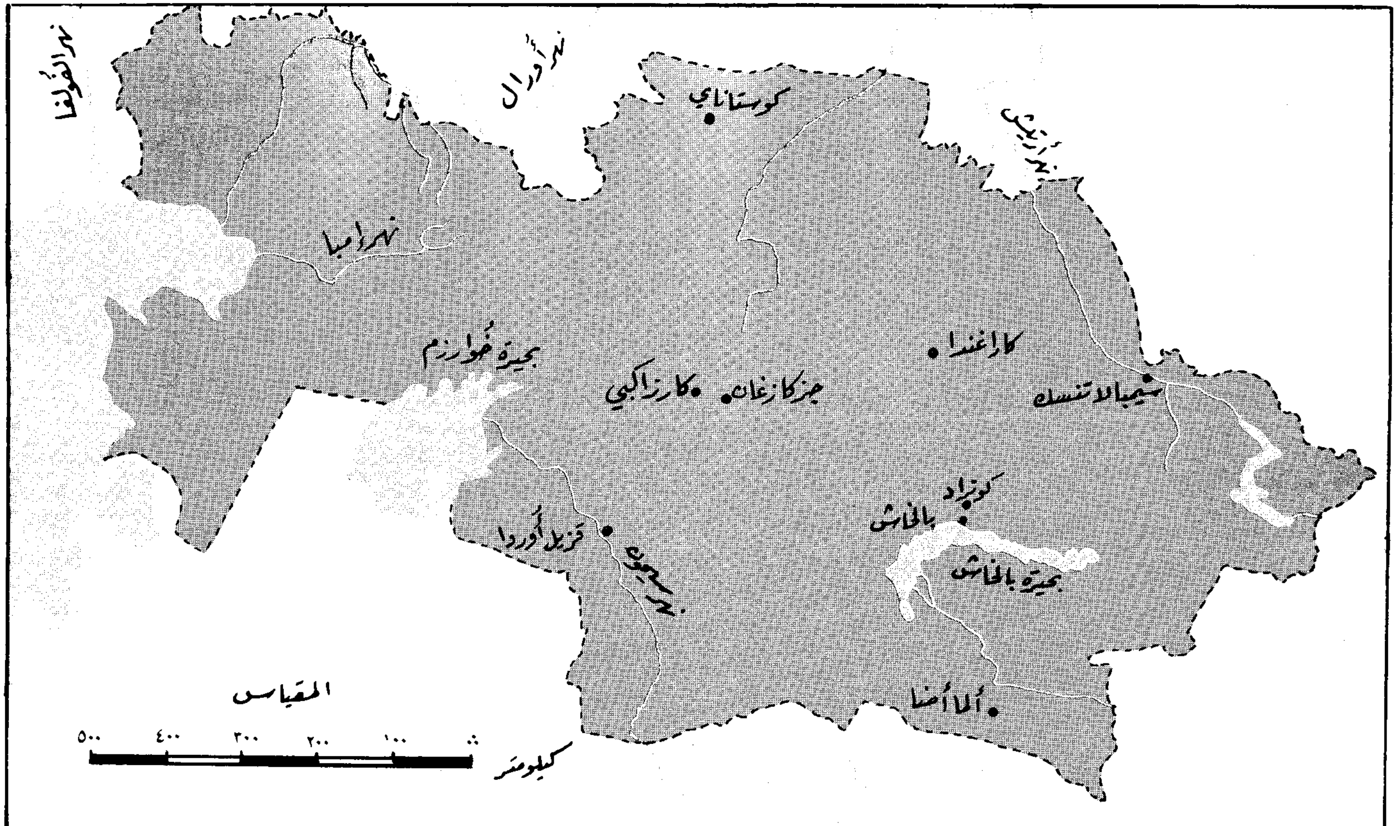
سيحون، واستمرّ ذلك حتى طُرد أعضاء حزب ألاش أُوردا من الحزب عام ١٣٤٨ هـ، وعندها نُقلت العاصمة إلى مدينة (ألماأضا) أي مدينة التفاح، ويبلغ عدد سكان جمهورية قازاقستان الاتحادية ١٤,٦٨٤,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩، ويتوزّع هؤلاء السكان على المجموعات التالية:

القازاق	ويبلغ عددهم	٥,٢٨٩,٠٠٠	ويُشكّلون	٤٠,٠٪ من السكان.
التتار	ويبلغ عددهم	٣١٣,٠٠٠	ويُشكّلون	٢,١٪ من السكان
الأُوزبك	ويبلغ عددهم	٢٦٣,٠٠٠	ويُشكّلون	١,٨٪ من السكان
الأُويغور	ويبلغ عددهم	١٤٨,٠٠٠	ويُشكّلون	١,٠٪ من السكان
الأذربيجانيون	ويبلغ عددهم	٧٣,٠٠٠	ويُشكّلون	٠,٥٪ من السكان
		٦,٠٨٦,٠٠٠		٤٥,٤٪ وهي نسبة المسلمين

وهؤلاء جميعهم من المسلمين، وغالباً ما يسكنون الريف، وأما النصارى فإنهم من المستعمرين الروس، وأغلبهم يسكن المدن، وقد بلغ عدد السكان العاصمة ٩١٤,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ لكثرة ما أقام فيها من المستعمرين، ويتوزّع هؤلاء المستعمرون حسب المجموعات التالية:

الروس	ويبلغ عددهم	٥,٩٩١,٠٠٠	ويُشكّلون	٤٣,٨٪ من السكان
الأوكرانيون من روسيا	ويبلغ عددهم	٨٩٨,٠٠٠	ويُشكّلون	٩,١٪ من السكان
البيضاء	ويبلغ عددهم	١٨١,٠٠٠	ويُشكّلون	١,١٪ من السكان
كوريون	ويبلغ عددهم	٩٢,٠٠٠	ويُشكّلون	٠,٦٪ من السكان
		٧,١٦٢,٠٠٠		٥٤,٦٪ من السكان

ويتكلّم القازاق لغةً تُعرف بالقازاقية تعود في أصولها إلى المجموعة التركية.


نهر الفولغا
نهر أورال
كوستاناي
نهر إرتيش
نهر إمبا
بحيرة خوارزم
كاراغندا
سيميبالاتنسك
جزكازغان
كارزاكي
كوزراد
بالخاش
قزيل أوردا
بحيرة بالخاش
المقياس
ألما أضا
٠
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
٤٠٠
٥٠٠
كيلومتر

٢ً - **أوزبكستان:** تبلغ مساحتها ٤٠٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتتألّف من منطقتين: الأولى بادية وسهوب تقع في الغرب وتحيط ببحيرة خُوارزم (بحر آرال)، ولولا المياه التي تُحمل إلى هذه البحيرة بواسطة نهري جيحون وسيحون لجفّت واندثرت، والثانية في الشرق وهي منطقة جبلية تنحدر منها المياه لغزارة أمطارها النسبية بسبب ارتفاعها، ومن هذه المياه تتشكّل أنهار سيحون وجيحون إضافةً إلى النهر الذي ينتهي في مدينة بُخارى، وهو نهر زرافشان وهكذا يتجمّع السكان في مناطق ثلاث في أوزبكستان:

أ - حول مجرى نهر جيحون حيث تتشكّل واحة على طول المجرى كما يتفرّع ويُشكّل دلتا قبل مصبّه في بحيرة خُوارزم، وتقوم بعض المدن على هذا المجرى مثل: ترمذ، ونسف، وآمُل، وخيوه، ونُوخوس.

٢ً - حول مجرى نهر بخارى (زرافشان) حيث تقوم مدينتان من أشهر مدن أُوربكستان وهما: سمرقند، وبُخارى.

٣ً - حول المجرى الأعلى لنهر سيحون حيث يمتدّ وادي فرغانة وتقوم عدة مدنٍ أشهرها مدينة خوقند، وكذلك وضع روافده حيث تقوم مدينة طاشقند عاصمة الجهورية، ورابع مدن الإمبراطورية الروسية سكاناً بعد موسكو، ولينينغراد، وكييف، إذ يقرب عدد سكانها من المليونين (١,٧٨٥,٠٠٠) حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ. وتقوم أكثر المدن الباقية عند أقدام الجبال حيث تجري بعض المياه، أما المنطقة الغربية الصحراوية فلا توجد فيها سوى بعض الواحات الصغيرة.

بعد أن دخل الشيوعيون المنطقة فرضوا حمايتهم على خانيتي بُخارى وخُوارزم اللتين كانتا قائمتين، ثم عقدوا معهما معاهدتين: أولاهما مع أمير بُخارى في ٦ رجب ١٣٣٩ (١٤ آذار ١٩٢٠) والثانية مع أمير خُوارزم (خيوه) في (١٠ محرم ١٣٤٠ (١٣ ايلول ١٩٢٠) واعترفوا فيهما باستقلال

هاتين الإمارتين، ولكن يبدو أن الروس قد غيّروا رأيهم بعد مدةٍ وجيزةٍ إذ كتب القنصل العام لجمهورية روسيا السوفيتية الرفيق كوغورنوف إلى رئيس جمهورية بُخارى الشعبية السيد عثمان خوجا يطلب منه وضع الوحدات العسكرية التابعة للحكومة البُخارية تحت سيطرة الحامية الروسية، وبعد يومين قام بزيارته، وفي هذه الزيارة أعلن علي رضا وزير الحربية في حكومة بُخارى «أن موجة جديدةً من الثورة قد ظهرت في جمهورية بخارى، وقد انتشرت في جميع أرجاء تركستان، وقضت على السيطرة الروسية فيها، لذا فقد رفض نقل السيطرة على قوات بُخارى المسلحة إلى عهدة الحامية السوفيتية، وأصرّ على ضرورة تخلّي السوفييت عن الحاميات التي يُسيطرون عليها، إذ جاءت قوات عسكرية تركية بقيادة أنور باشا وزير حربية الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى، وأحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقّي البارزين، واحتلّ بعض المناطق في بُخارى كمساعدةٍ لحكومة بُخارى التركية، وقد بدأت الحركة فعلاً غير أن قواتٍ روسيةٍ ضخمةٍ قد توجّهت إلى المنطقة واستمرّ الصراع ما يقرب من عامين، وقُتل أنور باشا ودخل المستعمرون الروس بُخارى وخُوارزم.

تأسست جمهورية أُوزبكستان الاتحادية من مطلع شهر ربيع الأول من عام ١٣٤٣ بدمج إمارتي بُخارى وخُوارزم بعضهما مع بعض، وأُخذت أجزاء منها وتشكّلت جمهوريتا طاجيكستان وتركمانستان، كما ضُمّت جمهورية قره قالباق إليها.

يبلغ عدد سكان جمهورية أُوزبكستان الاتحادية ١٥,٣٩١,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩، ويتألف السكان من المجموعات الآتية:

الأُوزبك	ويبلغ عددهم ١٠,٥٦٩,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٦٨,٧٪ من السكان
التتار	ويبلغ عددهم ٦٤٩,٠٠٠	ويُشكلون نسبة ٤,٢ ٪ من السكان
القازاق	ويبلغ عددهم ٦٢٠,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٤,٠ ٪ من السكان

الطاجيك	ويبلغ عددهم ٥٩٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٣,٩	٪ من السكان
القره قالباق	ويبلغ عددهم ٢٩٨,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١,٩	٪ من السكان
القيرغيز	ويبلغ عددهم ١٤٢,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٩	٪ من السكان
التُركمان	ويبلغ عددهم ٩٢,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٦	٪ من السكان
مجموعات أخرى	ويبلغ عددهم ٣٨١,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢,٦	٪ من السكان
	١٣,٣٧٤,٠٠٠	٨٦,٨	٪ من السكان

وهذه المجموعات كلها من المسلمين من أهل السنة والجماعة بينها مائة ألف من الشيعة التي يعيش معظم أتباعها في مدن طاشقند، وسمرقند، وبُخارى. ويتركّز الأُوزبك في الريف أما المستعمرون فأكثرهم يقطن المدن، وهم من النصارى ويتوزّعون على المجموعات الآتية:

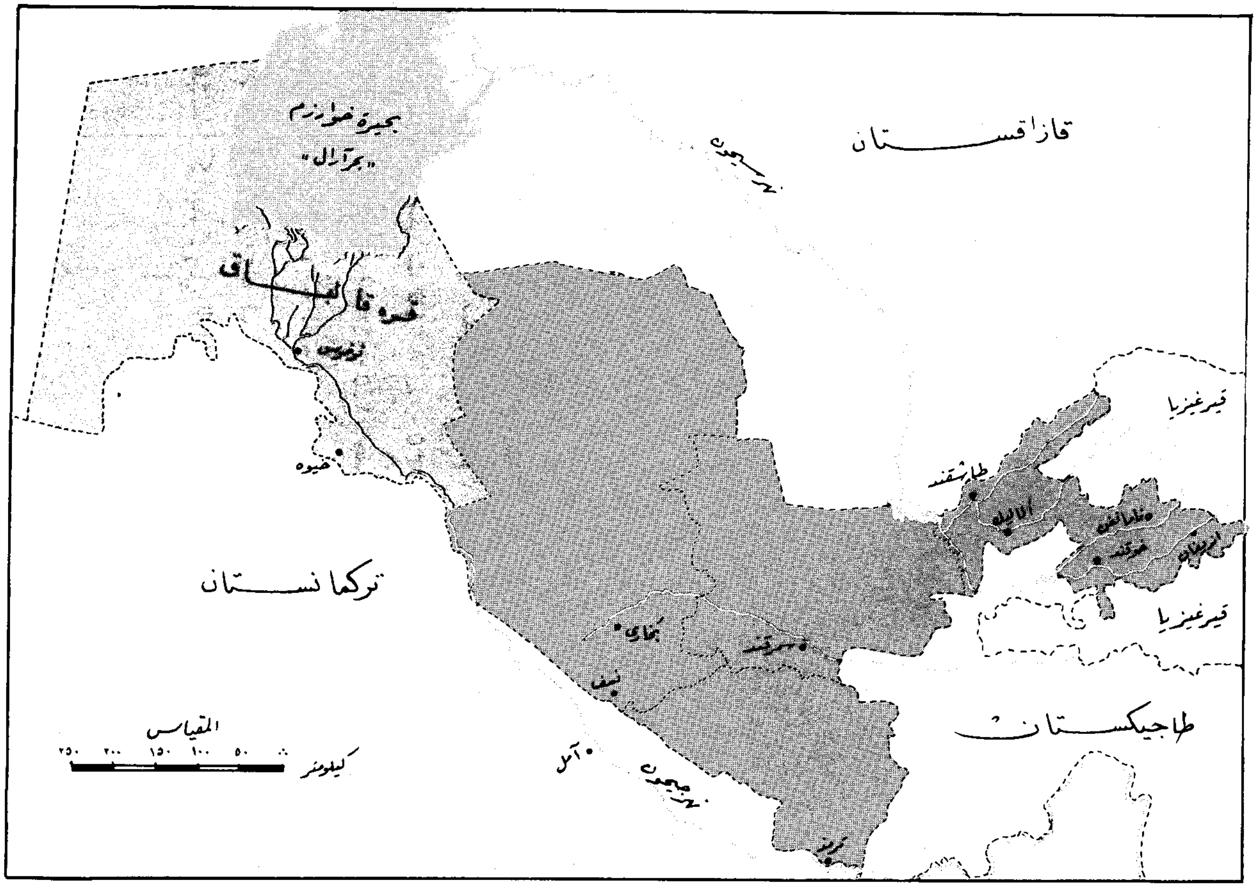
الروس	ويبلغ عددهم ١,٦٦٦,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١٠,٨	٪ من السكان
الأُوكرانيون	ويبلغ عددهم ١٦٣,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١,١	٪ من السكان
الكوريون	ويبلغ عددهم ١١٤,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٧	٪ من السكان
	١,٩٤٣,٠٠٠	١٢,٦	٪ من السكان

كما يوجد عدد من اليهود يُقدّر عددهم بمائة ألف ويُشلكون نسبة ٠,٦٪ من السكان.

يتكّلم الأُوزبك اللغة الأُوزبكية، وهي من المجموعة التركية، وقد كانت تكتب بالحرف العربي، ثم استبدل به الحرف اللاتيني عام ١٣٤٦ هـ. ويتبع جمهورية أُوزبكستان الاتحادية جمهورية قره قالباق ذات الاستقلال الذاتي كما تعدّ فرغانة التي قاعدتها خوقند مقاطعةً خاصةً، والعاصمة طاشقند مقاطعة خاصّة أيضاً.

أ - **جمهورية قره قالباق:** وتبلغ مساحتها ١٦٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتضمّ الأجزاء الجنوبية المحيطة ببحيرة خُوارزم، فهي منطقة صحراوية سوى

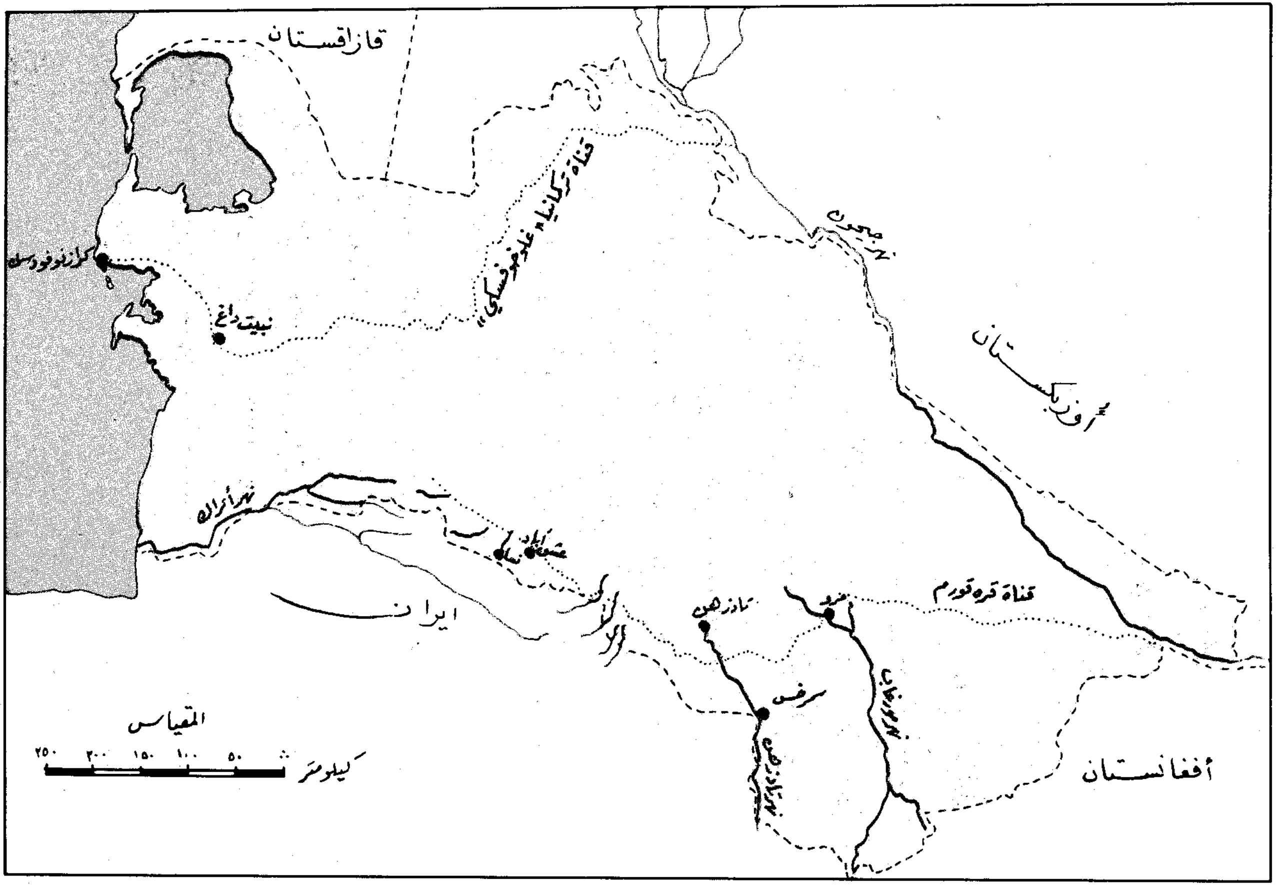
دلتا نهر جيحون وقد ضُمّت الى جمهورية أُوزبكستان عام ١٣٥٥ هـ. ويُقدّر عـدد سكـانها بحوالي ٩٠٥,٠٠٠ حسـب إحصـاء عـام ١٣٩٩ هـ، ويُشكّل المسلمون بينهـم ٩٥ ٪ بينما يُشكـل المستعمـرون الروس النصـارى ٢,٣ ٪، وعاصمتها مدينة (نوخوس) التي تقع على مجرى نهر جيحون عند بداية تفرّعه إلى ثلاثة فروعٍ رئيسية تكون دلتاه.



قازاقستان
بحيرة خوارزم
"بحر آرال"
نهر سيحون
قره قالباق
نوكوس
خيوه
تركمانستان
طاشقند
أنديجان
نمنكان
خوقند
فرغانة
قيرغيزيا
قيرغيزيا
طاجيكستان
بخارى
سمرقند
نسف
ترمذ
آمل
نهر جيحون
المقياس
كيلومتر
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠

٣ - تُركمانستان: وتبلغ مساحتها ٤٤٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، أي ما يقرب من مساحة العراق، وهي منطقة صحراوية تقوم الحياة فيها في الأجزاء الجنوبية منها حيث تأتيها المياه من مرتفعات شمالي أفغانستان مثل نهر مورغاب الذي ينتهي عند مدينة (مرو)، ونهر تادزهن الذي يحمل اسم هاري في أفغانستان، والذي يُشكّل الحدود بين بلاد التركمان وبين إيران والذي ينتهي عند مدينة تادزهن حيث يتفرّع إلى عدة فروع تنتهي كلها في الري، وتقع عليه مدينة سرخس المعروفة، وإما أن تأتي المياه من شمال إيران كتلك الجدوال الصغيرة التي تسبّب قيام المدن عند نهايتها مثل عاصمة البلاد (عشق أباد)، ومدينة (نسا) وهناك نهر أتراك الذي يصبّ في بحر قزوين ويُشكّل الحدود بين بلاد التركمان وإيران، ثم على مجرى نهر جيحون في الشرق، وتقوم بعض المدن على ساحل بحر قزوين، وما عدا ذلك فواحات صغيرة مبعثرة في أنحاء البلاد...

استولى الروس على القسم الأكبر من بلاد التُركمان إثر الحرب التركمانية ١٢٩٧ - ١٢٩٨، وقد دمّر التركمان الجيش الروسي عام ١٢٩٧ في قلعة تيب، وبعد هزيمتهم تعرّضوا لمذابح رهيبة عام ١٢٩٩. واشترك التركمان مع المجاهدين التركستانيين ضدّ الروس ١٣٣٥ - ١٣٤٠، كما قاموا بانتفاضةٍ استمرّت خمس سنوات ١٣٤٥ - ١٣٥٠، ويبلغ عدد سكان جمهورية تركمانستان الاتحادية ١,٥٠٠,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ. بينهم تسعمائة ألف تركماني، أما بقية السكان فهم من المستعمرين الروس، وأما بقية التُركمان فإنهم مُشرّدون في أنحاء مختلفة، وبين السكان المسلمين ثلاثون ألفاً من الشيعة. كما يعيش في العاصمة عشق أباد بعض البهائيين.


قازاقستان
أوزبكستان
أفغانستان
ايران
نهر جيحون
قناة قره قورم
نبيت داغ
نهر أتراك
سرخس
مرو
المقياس
كيلومتر
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠

٤ً - **جمهورية قيرغيزيا:** تبلغ مساحتها ١٩٨,٥٠٠ كيلومتر مربع أي أكبر من مساحة سوريا بقليل، وهي منطقة جبلية شاهقة الارتفاع، تفصلها جبال آسيا الوسطى عن قازاقستان وطاجيكستان، وتفصلها عن تركستان الشرقية التي تخضع لسيطرة الصين جبال تيان شان التي يصل ارتفاعها في أقصى شرقي قيرغيزيا إلى ٧٤٣٩ متر عن سطح البحر غير أن هناك ممرات تصل بين المنطقتين وأشهرها طريق الحرير.

وتجري في هذه الممرات أودية تنحدر مياهها نحو الغرب باتجاه نهر سيحون، أو نحو الشرق باتجاه نهر تاريم في تركستان الشرقية، وتنساب بعض الأودية في الشمال لتنتهي في سهوب القازاق. وتوجد بحيرة ايسك كول في شمال شرقي قيرغيزيا، وتنساح إليها مياه بعض المرتفعات المحيطة بها.

بعد أن سيطر القائد الروسي فرونزي على المنطقة أُلحقت أراضي قيرغيزيا بجمهورية روسيا الاتحادية أي بموسكو، وبعد مدةٍ أصبحت مقاطعةً ذات استقلالٍ ذاتي، وفي عام ١٣٥٥ أصبحت جمهوريةً اتحادية، كما أُطلق على العاصمة اسم القائد الروسي الذي فرض الاستعمار على قيرغيزيا بالقوة وهو ميخائيل فرونزي.

بدأت أفواج الروس تتدفّق على قيرغيزيا فأسّس المستعمرون عشرين قريةً روسيةً معظمها في المنطقة الشمالية المتاخمة لحدود قازاقستان وذلك عام ١٢٨٤، ثم زاد تدفّق المستعمرين والتوسّع نحو الجنوب فأُقيمت أكثر من ستين قريةً روسيةً في المدة ١٣٢٦ - ١٣٣٤ كان أكثر من خمسين منها في وادي فرغانة، واستمرّ تقدُّم الاستعمار نحو الجنوب حتى غطّى المنطقة.

وتناقص عدد القيرغيز إبان الاستعمار الروسي بسبب حرب الإبادة والموت جوعاً والهرب من البلاد. إذ قامت حركة في البلاد عام ١٣٣٥ قُتل خلالها مائة وخمسون ألفاً من القيرغيز. وماتت أعداد كبيرة جوعاً أثناء هربها

باتجاه الصين، وأُبيد سكان القسم الشمالي جميعاً، فكان النقص أكثر من ثلث السكان.

واستمرّ تناقص السكان بعد الحكم الشيوعي نتيجة القتل والإبادة وفي الوقت نفسه زاد تدفّق المستعمرين الروس إلى البلاد حتى أصبح عدد القيرغيز في منقطتهم عام ١٣٤٥ دون عدد المستعمرين الروس. واتّخذ المستعمرون سياسة توطين القبائل المتنقلة كي تسهل مراقبتها، لذا فقد صادروا الحيوانات غير أن السكان قاموا بذبح حيواناتهم ولم يُسلّموها فأثّر هذا على ضعف مستواهم المعاشي وفقرهم وتعرضهم للجوع، فلما طالب بعض زعماء القيرغيز المشاركين في الحزب الشيوعي والعاملين فيه الروس بالعمل على تحسين الأوضاع المعاشية طُردوا من الحزب، واتّهموا بالخيانة لمبادىء النظام، واختفى بعضهم، ومنهم رئيس وزراء قيرغيزيا يوسف عبدالرحمن (يوسوب عبد الرحمانوف) إذ طالب بعدم تصدير الخبز قبل شبع القيرغيز فعُدّ خائناً، فأُقيل من منصبه، وطُرد من الحزب، واختفى، وكذلك رزفيلوف الذي اختفى عام ١٣٥٦ بعد أن كان نائب ستالين في منصب زعيم القوميات وذلك عام ١٣٤١، ثم نائب رئيس وزراء جمهورية روسيا الاتحادية، كما قُضي على عبدالكريم صديق (صديقوف) حيث اتّهم بإفساد المزارع الجماعية. وعلى هذا نرى أنه بالإمكان أن يصل بعض المسلمين إلى مناصب عليا في الإمبراطورية الروسية ولكن لا يُوثق بهم، ويبقون تحت المراقبة، وليس بيدهم سلطة إنما يُؤدّون أعمالاً، ويقومون بواجباتهم تجاه ساداتهم الروس، فإذا بدا للسادة أن يقصوهم فعلوا ذلك مُجرّد إشارة، أو يقضوا عليهم استطاعوا ذلك مُجرّد كلمة.

ويُشجّع الروس العداء بين القيرغيز وسكان الصين، وقد وُضعت ملحمة تُسمّى «ألماناس» وتدور فصولها على قتالٍ دائمٍ بين القيرغيز وأهل الصين، وتُعطي عبارات التمجيد على الأبطال الذين ظهروا خلال قتالهم لسكان الصين. وقد أصبحت هذه الملحمة أكثر الكتب شعبيةً ورواجاً نتيجة التشجيع

الدائم من قبل المسؤولين الروس، وربما كان هذا بسبب البعد بين موسكو وقيرغيزيا الذي يجعل الروس يهدفون منه الى إبعاد القيرغيز عن الصين وخاصةً أن القيرغيز كانوا يقومون بحركاتٍ في بلادهم ويفرّون إلى الصين. كما أن السيطرة على قيرغيزيا أمر صعب لطبيعة بلادها الجبلية وسكانها الرعاة.

يبلغ عدد سكان جمهورية قيرغيزيا الاتحادية ٣,٥٢٩,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ، ويتألّف السكان من المجموعات التالية:

القيرغيز	ويبلغ عددهم ١,٦٨٧,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٤٧,٩٪	من السكان
الأُوزبك	ويبلغ عددهم ٩١٢,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢٥,٩٪	من السكان
التتار	ويبلغ عددهم ٧٢,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢,٠ ٪	من السكان
الأُويغور	ويبلغ عددهم ٣٠,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٨ ٪	من السكان
القازاق	ويبلغ عددهم ٢٧,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٧ ٪	من السكان
الطاجيك	ويبلغ عددهم ٢٣,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٧ ٪	من السكان
	٢,٧٢٨,٠٠٠	٧٧,٤٪	من السكان

وهؤلاء جميعهم من المسلمين. أما النصارى فهم من المستعمرين الدخلاء، والأصل ألا يدخلوا في الإحصاءات والنسب ولكن نضطر أن نضعهم لأنهم أصبحوا مستوطنين، ولن يرحلوا إلا إذا حدث حادث فإنهم وقتئذٍ سيفرّون خوفاً من السيف، وهم من:

الروس	ويبلغ عددهم ٧١٢,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢٠,٣٪	من السكان
الأُوكرانيين	ويبلغ عددهم ٨٩,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢,٣ ٪	من السكان
	٨٠١,٠٠٠	٢٢,٦٪	من السكان

٥ً - **جمهورية طاجيكستان:** تبلغ مساحتها ١٤٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، وهي منطقة جبلية شاهقة الارتفاع باستثناء المنطقة الجنوبية التي تقع جنوب

العاصمة (دوشنبه) حيث تكثر الأنهار التي تتجه نحو الجنوب لترفد نهر جيحون لذا تتشكّل بعض السهول، وتمتدّ الهضاب. كما تتجه أنهار نحو الشمال لترفد نهر سيحون، وتضمّ طاجيكستان جزءاً من مجرى ذلك النهر حيث توجد بعض السهول أيضاً.

تأسّست جمهورية طاجيكستان في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٤٣، ثم أُضيف إليها إقليم غورنو باداخشان ذو الحكم الذاتي، ويضمّ هضبة بامير والتي تُدعى سقف العالم لارتفاعها وتوزُّع الجبال منها، ويصل ارتفاعها إلى ٧٤٩٥ متراً. وقد جرى صراع عليه بين الأفغان والمستعمرين الروس، ثم بين الاستعماريين الانكليزي والروسي.

يبلغ عدد سكان جمهورية طاجيكستان الاتحادية ٣,٨٠٦,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ، ويتوزّع السكان حسب المجموعات الآتية:

الطاجيك	ويبلغ عددهم ٢,٢٣٧,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٥٨,٩٠٪ من السكان
الأُوزبك	ويبلغ عددهم ٨٧٣,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢٣,٠٠٪ من السكان
التتار	ويبلغ عددهم ٨٠,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٢,٣٠ ٪ من السكان
القيرغيز	ويبلغ عددهم ٤٨,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١,٢٠ ٪ من السكان
التُركمان	ويبلغ عددهم ١٤,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ٠,٣٠ ٪ من السكان
	٣,٢٥٢,٠٠٠	٨٥,٧٠٪ من السكان

والطاجيك يعودون إلى أصل فارسي، ويتكلّمون لغة الطاجيك التي تعود أيضاً إلى أصلٍ فارسي، وكانت تكتب بالحرف العربي حتى عام ١٣٥٨، ثم أُلزم أهلها على كتابتها بالحرف الكيريلي (الروسي)، وأما بقية العناصر فإنها تعود إلى أصل تركي، وكذلك لغاتهم. ويتكلّم سكان هضبة البامير لغةً إيرانيةً.

وأما من حيث العقيدة فإن الطاجيك نصفهم من المسلمين (أهل السنة

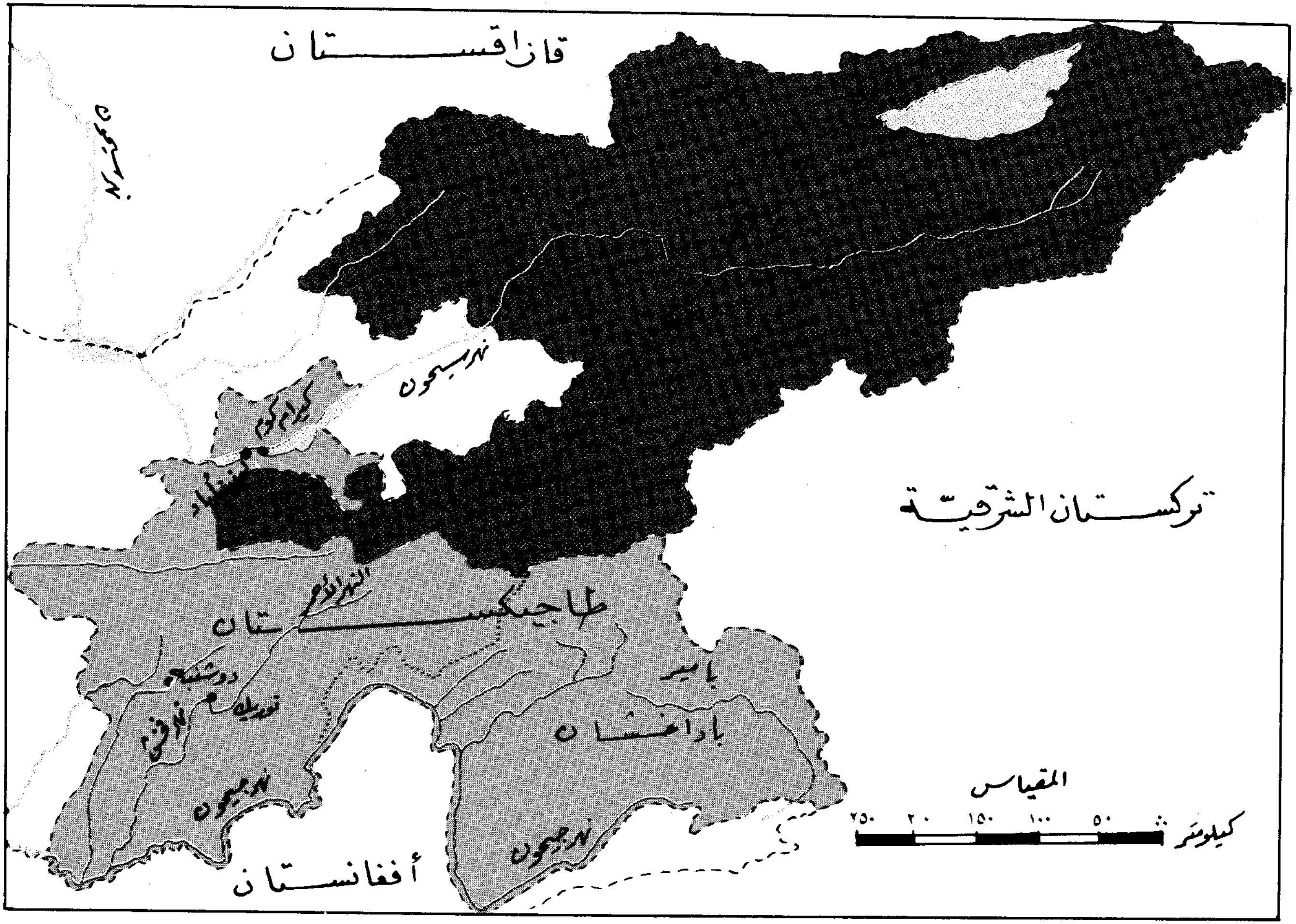
والجماعة) ويتبع النصف الآخر الشيعة، ويوجد من الإسماعلية مائة وعشرون ألفاً، وهم من أتباع آغاخان ويسكنون إقليم غورنو باداخشان.

ويستوطن بعض المستعمرين الروس طاجيكستان وهم من النصارى الأرثوذكس وهم من:

الروس	ويبلغ عددهم ٣٩٥,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١٠,٥٪ من السكان	
الأوكرانيين	ويبلغ عددهم ٣٦,٠٠٠	ويُشكّلون نسبة ١,٠ ٪ من السكان	
	٤٣١,٠٠٠	١١,٥٪ من السكان	

ويوجد عدد من اليهود ويبلغ عددهم ١٥,٠٠٠ ويُشكّلون نسبة ٠,٤٪ من السكان.

أً - **إقليم باداخشان:** وتبلغ مساحته ٦٣,٧٠٠ كيلومتر مربع، ويسكنه ١٢٧,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ. وهم يتوزعون على النحو الآتي: (١١٥,٠٠٠) من الطاجيك، و (٨,٥٠٠) من القيرغيز، و (١٧٨٠) من الروس، وفيه الإسماعيليون الذين ذكرناهم.


قازاقستان
تركستان الشرقية
نهر سيحون
طاجيكستان
دوشنبه
بامير
باداخشان
نهر جيحون
أفغانستان
المقياس
كيلومتر
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠ ٢٥٠

الفصل الخامس

سيبيريا

يُطلق اسم سيبيريا على الأراضي الواسعة الممتدّة شمالي قارة آسيا والواقعة بين جبال أُورال غرباً والمحيط الهادي شرقاً، وبين تُركستان وجبال أواسط آسيا جنوباً والمحيط المتجمد الشمالي شمالاً، وتشمل مساحاتٍ واسعةً تقرب مساحتها من أربعة عشر مليوناً من الكليومترات المُربعة أي ما يقرب من ثلث مساحة القارة الآسيوية أكبر قارات العالم وأوسعها.

نُلاحظ في سيبيريا ثلاث مناطق مُتميّزة بين الغرب والشرق وهي: ١ً - منطقة سهلية في الغرب تمتدّ من جبال أُورال في الغرب حتى منطقة الهضاب في الشرق ويجري فيها نهر أُوبي وروافده، ونهر ينيسي وما يصب فيه، وتتجه هذه الأنهار من الجنوب من مرتفعات قازاقستان وجبال آسيا الوسطى إلى الشمال، وتتجمّد في فصل الشتاء القارس فإذا جاء الربيع فاضت مياهها وخرجت من مجاريها وشكلّت كثيراً من المستنقعات. ٢ً - منطقة هضابية في الوسط بين مجرى نهر ينيسي ومجرى نهر لينا. ٣ً - منطقة جبلية في الشرق تنتهي عند ساحل المحيط الهادي وتُشكّل جُزراً وأشباه جزر.

كما نُلاحظ في سيبيريا ثلاث مناطق متميّزة بين الجنوب والشمال. ١ً - منطقة سهبية في الجنوب تميل إلى الدفء، وتنحصر في الغرب لانخفاض المنطقة على حين تكون باردة في الوسط والشرق لامتداد الهضاب والجبال،

وهذه المنطقة السهبية هي القابلة للنشاط البشري. ٢ً - منطقة غابية في الوسط تشغلها الغابات المخروطية والمختلطة. ٣ً - منطقة صحراوية باردة في الشمال تنتقل فيها مجموعات قليلة العدد، تعود في أصولها الى العرق الأصفر، وتعيش على أساليب بدائيةٍ.

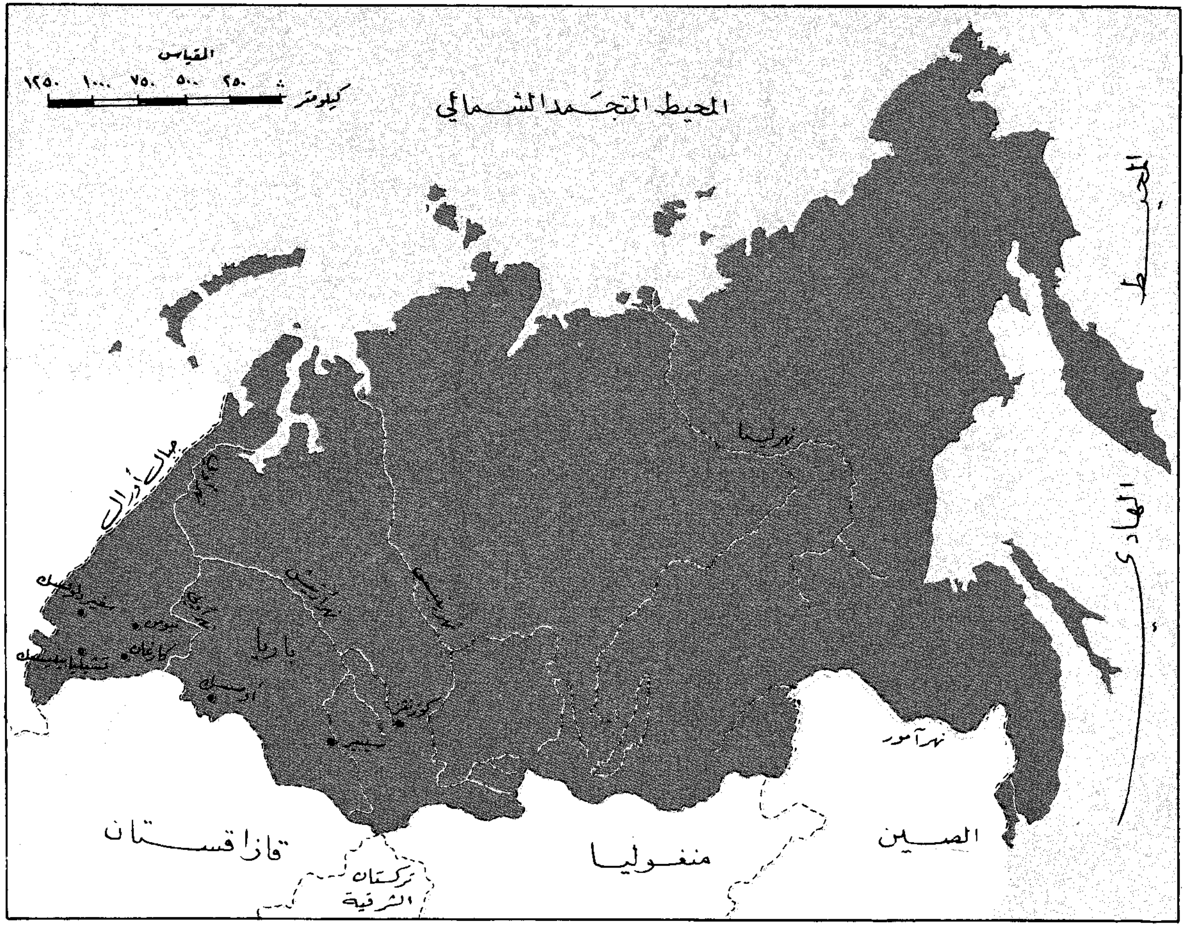
وقد رأينا أن مغول الشمال (القبيلة الذهبية) قد دخلوا جنوب غربي سيبيريا واستوطنوا فيها، وهي المنطقة القابلة للنشاط البشري - كما ذكرنا - وأقاموا فيها إمارةً محليةً، واتخذوا قاعدةً لهم بنوها على مجرى نهر أرتيش رافد نهر أُوبي، وأطلقوا عليها اسم «سيبير»، ولما ضعُف أمرهم في أواخر القرن العاشر على حين قوي أمر الروس، تقدّم الروس إلى إمارتهم وأخضعوها كما أخضعوا أخواتها الإمارات التتارية في حوض نهر الفولغا - والأُورال، وهي بالأساس ليست سوى جزء منها. وأراضيها ليست إلا امتداداً وتتمّة لأراضيهم وإماراتهم. وعدّ الروس أنفسهم مُلاّك هذه المناطق، وعدّوها مستعمراتٍ لهم. وعدّوا المناطق الشرقية لها والشمالية منها كلها تابعةً لها وبالتالي مُلكاً لهم، وأطلقوا اسم العاصمة «سيبير» على تلك الأجزاء كلها ومنذ ذلك الحين أصبح يُطلق عليها اسم سيبيريا، وعدّوها كلها تتبع موسكو وترتبط بها، وقد استثمروا ما أمكن استثماره من الأرض واستغلّوا العباد واستعبدوهم وأذاقوهم مرّ العذاب، واستمرّت هذه المنطقة تتبع روسيا وتعدّ مستعمرةً لها حتى هذا اليوم، وترتبط بموسكو.

ولا يمكننا أن نقتصر أبداً على المنطقة الجنوبية الغربية من سيبيريا ونقول: إن التتار المسلمين يعيشون في هذا الجزء من سيبيريا ونغفل باقي الأجزاء. فالروس هم الذين ألحقوا بقية أنحاء سيبيريا بهذا القسم، وأطلقوا عليها اسم قاعدته. كما علينا ان نُلاحظ المشرّدين من بلادهم الذين ينتقلون في تلك الجهات يعملون في قطع الغابة والأشغال الشاقّة، كما يجب ألا نُهمل أولئك الذين اعتنقوا الإسلام بدعوة من المُشرّدين الذين يلتقون أثناء نفيهم بالذين

ينتقلون هناك من رعاةٍ وجماعاتٍ بدائيةٍ ويحدّثونهم عن ظُلم الروس فيُقبلون على الإسلام، وإن كثيراً من المراقبين السياسيين ليقولون إن الجماعات البدائية كلها والتي تعيش في شمالي سيبيريا قد تحوّلت إلى الاسلام ولكن لا تستطيع أن تُعلن ذلك أو تظهر وبالتالي لا تستطيع أن تُؤدّي شعائرها وإنما يُعرف ذلك من بداية امتناعهم عن تناول لحم الخنزير، وعدم تعاطيهم الخمر، وختن أطفالهم، فإذا صحّ ذلك فإن أكثر سكان سيبيريا إنما هم من المسلمين الذين يخفون إيمانهم ولا يستطيعون الجهر به، ولجهلهم وخوفهم من بطش المستعمرين فإنهم لا يُؤدّون شعائره.

ومن المعلوم أن المنفيين لا تخلو منهم تلك المجاهل وإذا كنا نعلم الآن وجود تتار القرم هناك من خمسة وأربعين عاماً، ومن قبل كان الشاشان، وكان البلكار، وهؤلاء لهم صفة الشعب المنفي كاملاً، أما المجموعات الصغيرة والأفراد فلا يخلو منها وقت ولا يدري بها أحد. ونحن نعلم أن الإنسان المشرّد المظلوم يكون أكثر جُرأةً في الحديث، وأكثر تأثيراً على الآخرين لما يُبديه من وجهة نظره، ولو كانت من طرفٍ واحدٍ، وأكثر حُرقةً في كلامه، وأن الذي يحسّ بالظلم الدائم يتجاوب معه الآخرون ويستجيبون له، ويُستمع منه، ويُسايره الناس عطفاً عليه وإنسانيةً فما يرى المستمعون أنفسهم إلاّ وقد غدوا مُسلمين.

وإذا كانت أكثر التجمّعات الإسلامية تتجمّع وتتركّز في الجنوب الغربي من سيبيريا إلاّ أنه لا تخلو منها مدينة ولا تفتقدها تلك المجاهل، بل إن المجاهل قد تكون مقتصرةً على المسلمين الذين يقضون عقوباتٍ فرضها عليهم الروس، وهناك يعيشون في شبه خلوةٍ بعيدين عن أعين السلطة الشيوعية المستعمرة فيُؤدّون عباداتهم ويعودون ـ إن قدر الله لهم العودة ـ إلى أماكنهم وقد ازدادوا حماسةً لدينهم ورغبةً في الدعوة إليه بعد أن استهانوا النفي وعاشوا في المجاهل يقومون بالأشغال الشاقة.


المقياس
٠ ٢٥٠ ٥٠٠ ٧٥٠ ١٠٠٠ ١٢٥٠
كيلومتر
المحيط المتجمد الشمالي
المحيط الهادي
جبال أورال
نهر لينا
نهر آمور
قازاقستان
تركستان الشرقية
منغوليا
الصين

ويعيش عدة ملايين من المسلمين في سيبيريا الغربية، ولعلّ أكبر تجمعاتهم في:

تشيليابينسك	وفيها	٢٢٠,٠٠٠	نوفوسيبيرسك	٣٠,٠٠٠
سفردلوفسك	وفيها	١٨٠,٠٠٠	كورغان	٢٥,٠٠٠
تيومن	وفيها	١٤٠,٠٠٠	منطقة باريا	١٠٠,٠٠٠
أومسك	وفيها	٥٠,٠٠٠		

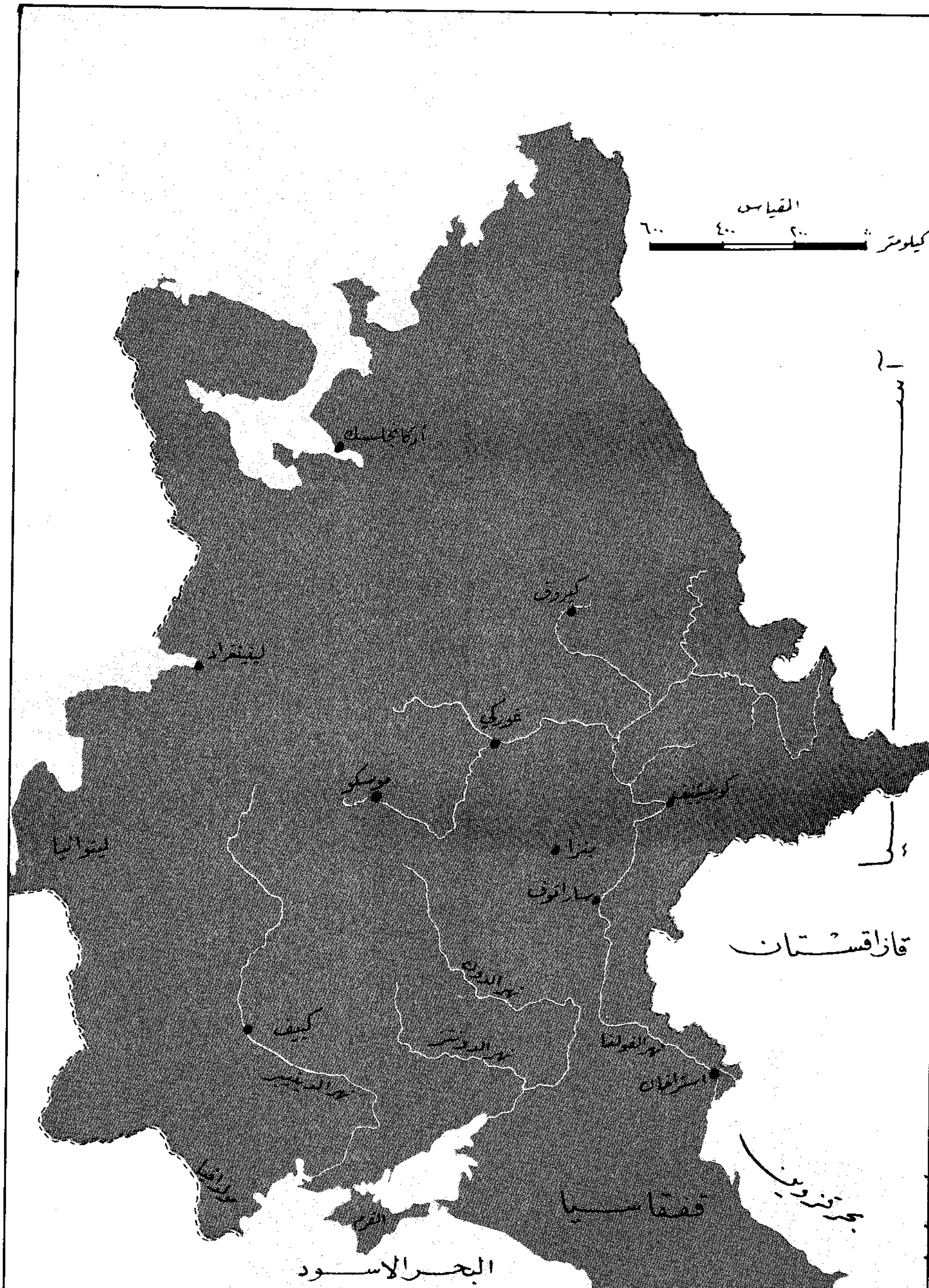
ويقطن سيبيريا عامة ما يزيد على اثني عشر مليوناً ويُقدّر عدد المسلمين بينهم بثلاثة ملايين أي يُشكّلون ما يعادل ٢٥ ٪ من عدد السكانّ، والغالبية من المستعمرين الروس.

ونتيجة تأسيس الإمبراطورية الروسية على هذا النحو، فإن أعداداً من المسلمين يُقيمون في المدن الروسية للعمل وغيره، كما يجب ألا ننسى أن التتار كانوا يحكمون الأجزاء الروسية الأصلية، ومنطقة بحر البلطيق ولهذين السببين نرى بعض التجمّعات الإسلامية في بلاد الروس منها:

يعيش في	موسكو	١٥٠,٠٠٠	مسلم.
	لينينغراد	٦٠,٠٠٠	مسلم.
	استراخان	١٠٠,٠٠٠	مسلم، والأصل فيها منطقة إسلامية وحاضرة إمارة تتاريةٍ مسلمةٍ.
	كيروف	١٠٠,٠٠٠	مسلم.
	ساراتوف	٥٠,٠٠٠	مسلم. والأصل فيها منطقة إسلامية وحاضرة الدولة التتارية المسلمة.
	بنزا	٨٠,٠٠٠	مسلم.
	كويبيشيف	١٦٠,٠٠٠	مسلم. والأصل فيها أنها ضمن المنطقة الإسلامية في حوض نهر الفُولغا.

غوركي	٧٠,٠٠٠	مسلم.
اليانوفسك	١٣٥,٠٠٠	مسلم.
أركانجلسك	٦,٠٠٠	مسلم.
مولدافيا	٢٥٠,٠٠٠	مسلم.
في حوض الدونتز	٩٠,٠٠٠	مسلم.
ليتوانيا	٦,٠٠٠	مسلم.

وهذه الأرقام حسب الإحصاءات الروسية لعام ١٣٩٩ هـ، ولا يوثق بها فالأعداد أكبر من هذا ـ والله أعلم ـ.



القياس
كيلومتر
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
أركانجلسك
كيروف
لينينغراد
غوركي
موسكو
كويبيشيف
بنزا
ساراتوف
ليتوانيا
قازاقستان
نهر الدون
نهر الدونتز
كييف
نهر الفولغا
استراخان
نهر الدنيبر
مولدافيا
القرم
قفقاسيا
بحر قزوين
البحر الاسود

الباب الخامس

اقتصاديّات الأقاليم الإسلاميّة في الأمبراطوريّة الرّوسيّة

لا أُريد هنا أن أبحث في اقتصاديات الأقاليم الإسلامية الخاضعة للاستعمار الروسي بشكلٍ مُفصّل فليس هنا موضع هذا البحث، وإنما أُريد أن أُبين أهمية هذه الأقاليم الاقتصادية إذ هي تُضيف عاملاً من عوامل تمسُّك الروس بها والعمل على إبقائها في حوزتهم وتحت سلطانهم، إذ تُعدّ شرياناً من شرايين حياتهم التي تمدّهم بالتغذية اللازمة لهم كي تسري فيهم الروح وتنبض فيهم الحيوية لإمكانية التطاول على بقية الأمم ومنافسة من يتصدّى لهم أو ينازعهم على زعامة العالم.

إن إمداد هذه الأقاليم الإسلامية للروس بعنصر الحياة لا يأتي من جانبٍ واحدٍ وإنما من جوانب الاقتصاد كافةً، للموقع دوره، وللرعي شأنه، وللزراعة أهميتها، وللطاقة أثرها الكبير، وللثروة المعدنية واستثمارها الخطر البيّن، وهذا أساس حياة الدول، ومنه تستمدّ قوتها، وبه تُصارع خصومها، وتتنافس الأمم لتأمينه والحصول عليه.

وقد وقعت هذه الأقاليم في قبضة الروس، فعدّوا ذلك فرصةً سانحةً للاحتفاظ بها، وعملوا جهدهم للإبقاء عليها فإلى جانب ممارسة الضغط واصطناع الرفاق قبضوا على شرايين الحياة بأيديهم ولم يسمحوا لها بإمداد سكان هذه الأقاليم بوسائل الحياة إلا بمقدار ما يحول بينهم وبين الموت ليبقوا

ساكنين، تُؤخذ خيرات بلادهم دون إمكانية الدفاع عنها، وتُسلب حرياتهم من غير سبيل للمطالبة بها، ويقومون بالأعمال النافعة لمغتصبيهم مُكرهين، وفي الوقت نفسه لا يُمكنهم الاستغاثة أو الاسترحام أو طلب يد الرحمة من أحدٍ من العالمين فهم بيد خُصومٍ مُجرمين والعالم بعد ذلك، إما طُغاة حاقدون يدعمون المجرمين وإما إخوة نائمون توزّعتهم أفكار الأعداء فهم بين مُشرق ومُغرّب ومن رحم الله يغطّ في نومه لم تُوقظه آهات البائسين ولا تمرّد الطغاة المستعمرين، وهو ينتظر تغيُّر ما في النفوس وإيقاظ الهمم ومجيء نصر الله بعدئذٍ.

الفصل الأول

الموقـــع

تقع بلاد الروس الأصلية في المناطق الشمالية شمال خط العرض ٤٨ شمالاً أي في المنطقة الباردة فهي لا تُنتج إلا محصولات منطقةٍ معينةٍ هي الباردة، وتُحرم من منتجات كثيرٍ مما تُقدمّه جهات ثانية وخاصّة تلك الثمار والفواكه التي تأخذ حلاوة مذاقها من أشعة الشمس الدافئة وهذا ما لا تعرفه بلاد الروس.

ومما يزيد في برودتها أو بتعبيرٍ أدق في قاريتها موقعها في شرقي القارة بعيدة عن التيارات الدافئة التي تصل إلى سواحل غربي القارة وتُساير شواطئها فتنشر الدفء هناك أو تضفي الجو اللطيف على تلك الأجزاء، وتحول دون تجمّد المياه في الخلجان والسواحل التي تصل إليها حتى ولو كانت على عروض أعلى من العروض التي تقع عليها بعض الشواطىء التي تشرف عليها الأرض الروسية مثل بحر البلطيق وخليج فنلندا. ولذا كانت بلاد الروس حبيسةً تُشرف على بحارٍ تتجمّد أكثر أيام العام فلا يُمكنها التحرّك في بحار العالم كبقية دول الأرض، ولا يستطيع أهلها التجوال عبر المحيطات كسائر الأمم، ولا تتمكّن أساطيلها الانتقال في المياه كغيرها من الأساطيل بل لا تملك أساساً أسطولاً، فأين المرافىء الحرّة التي يُبنى فيها؟ وأين المياه الدافئة التي يمخرها؟ لذا فأول ما فكّر فيه الروس عندما قوي أمرهم التوجّه نحو الجنوب للوصول الى المياه الدافئة ليتحرّروا من الموقع الذي قيّدهم، وليتفلّتوا من البقعة التي حبستهم،

وليتخلّصوا من عقدة النقص التي أورثهم إياها مكـان أرضهـم، وليستعمروا كما استعمر غيرهم، وفي الوقت نفسه يكونون قد حقّقوا هدفهم في السيطرة على المضائق العثمانية ووضعوا يدهم على استانبول، وانتصروا على المسلمين، وأفرغوا شيئاً من حقدهم الصليبي غير أن ذلك لم يتحقّق لوقوف بقية المستعمـريـن الصليبيين في وجههـم حـرصـاً على مصـالحهـم وخـوفـاً على مستعمراتهم، ولا يزال هذا هدفاً سامياً عندهم يسعون إليه، رغم انفلاتهم من عدة جهاتٍ في المحيطات، وبناء الأساطيل والسفن الكبيرة وتحرّكها في البحار كافةً لحرية التجارة والملاحة البحرية.

ولما حال المستعمرون الغربيون بين الروس وبين وصولهم إلى المياه الدافئة عن طريق البحر الأسود اتَّجه الروس نحو استعمار المناطق الشرقية فوقعت سيبيريا في قبضتهم، وظفروا في تركستان، وأخذوا بلاد القفقاس، وإذا كانوا قد حصلوا على زاويةٍ بحريةٍ في أقصى الجنوب الشرقي من سيبيريا تُشرف على المياه الحرّة في بحر اليابان، وأقاموا لهم ميناء (فلاديفستوك) إلا أن هذا لم يكن ليكفيهم لبُعد ذلك الميناء، وطول الطريق بينه وبين بلاد الروس الأصلية أو المناطق ذات الإنتاج الصناعي، وذات الاستهلاك، ومع أنهم قد مدّوا السكك الحديدية بين مناطق الإنتاج في الغرب وبين ذلك الميناء في الشرق رغم طول المسافة وصعوبة العمل غير أن ذلك لم يكن ليعوّضهم عن المياه الحرّة الدافئة في الغرب أو الجنوب لذا كانوا يُحاولون الوصول إليها في الغرب عن طريق الالتفاف حول تركيا وشجّعهم على ذلك استعمارهم لبلاد القفقاس، وهذا ما جعل للعراق وسوريا أهميةً خاصةً لتحقيق هذا الهدف الذي ما فتئوا يسعون وراءه ويلهثون خلفه لتحقيقه، ويغتنمون كل فرصةٍ لمدّ رأسهم في تلك الجهة أو للتقدّم ولو خطوةً صغيرةً في هذا الاتجاه.

وفي الوقت نفسه كان الروس يُحاولون التقدّم نحو الجنوب بعد أن استعمروا تركستان وعن طريقها للوصول إلى مياه المحيط الهندي غير أنهم قد

اصطدموا بالاستعمار الانكليزي وتمّ الصدام بينهما أحياناً بالمناوشة وأحياناً بالمناورة والمراوغة وقد تكون بالسياسة والمنافسة، وذلك عبر أراضي إيران أو في بلاد أفغانستان وفشل الروس في تحقيق هدفهم عن هذا الطريق أو أن كلاهما قد فشل، هذا في تقدّمه نحو الجنوب، وذاك في تحرّكه نحو الشمال لوقوف كل منهما في وجه الآخر، غير أن الروس لم يتخلّوا عن وجهتهم هذا واستمّروا يسعون وراء تحقيق هدفهم عن هذه الجهة كلما بدت لهم بارقة أملٍ في تنفيذ مآربهم، وما دخولهم أفغانستان عام ١٣٩٩ إلا محاولةً من هذه المحاولات ولكن طرح فكرة الجهاد لدى شعب أفغانستان المسلم قد خيّب آمالهم أو سيُخيّبها ـ إن شاء الله ـ.

ومما يزيد الأرض الروسية قاريةً بُعدها إلى الداخل الأمر الذي يحول دون وصول الرياح الطيبة البحرية الغربية الدافئة التي تحمل معها الدفء والغيث وهذا ما يزيد في بردها، ويُخفّف من غزارة مطرها، ويُقلّل من شأن زراعتها الأمر الذي يجعلها بحاجةٍ إلى الكثير غير أن الطرق مغلقة في وجهها، وتُحاول أن تجد حاجتها في منتجاتها فلا تُسعفها الظروف المُناخية، وتجد في الأقاليم الإسلامية الدافئة التي تُسيطر عليها ما يسدّ بعض احتياجاتها أو أكثرها لذا فهي تتمسّك بها وتحاول استنباتها أكثر الأنواع التي هي بحاجةٍ إليها أو ما يُشبهها.

الفصل الثاني

الرّعي وَالثروَة الحيَوانيَّة

إن الأرض الروسية الأصلية تضيق بسكانها لكثرتهم لذا فإن استثمار الأرض واستغلالها يكون حثيثاً حيث لا توجد مناطق شاسعة دون استثمار ترعى فيها الحيوانات أو مخصصة للرعي إلا في مساحاتٍ محدودةٍ، وإذا أضفنا إلى ذلك المناطق الشمالية الشديدة البرد التي لا تصلح أيضاً لتربية الحيوانات، لهذا كله كان الروس بحاجةٍ إلى ثروة حيوانيةٍ لاستهلاكهم على الأقلّ وهو غير مُتوفّر لهم، وبحاجةٍ قبل ذلك إلى مراعٍ لتربية تلك الحيوانات وهذا غير مُؤمّن أيضاً، ولكنه مُتوفّر على نطاقٍ واسعٍ في الأقاليم الإسلامية التي تخضع لاستعمار الروس، وهذا بالاصل ما كان من عوامل اندفاع الروس نحو تلك الأقاليم وإخضاعها لسيطرتهم واستعمارها.

إن الأقاليم الإسلامية الخاضعة للاستعمار الروسي ذات مساحاتٍ واسعةٍ تزيد على ثلث مساحة الإمبراطورية الروسية. وهي قليلة السكان الأمر الذي يُساعد على إمكانية وجود مراعٍ كافيةٍ، وهي ذات سهوبٍ واسعةٍ صالحةٍ للرعي، إذ أن قازاقستان أكثرها سهبية، وتقرب مساحتها من مساحة جزيرة العرب إذ تبلغ (٢,٧١٧,٣٠٠ كيلومتر مربع) كما أن أكبر مساحات كل من أوزبكستان (٤٠٨,٠٠٠ كيلومتر مربع) وتركمانستان (٤٤٥,٠٠٠ كيلومتر مربع) إنما هي سهوب، هذا بالإضافة إلى صحراء القفجاق (شمالي القفقاس)، وأطراف حوض نهر الفولغا تُعدّ كلها سهوبيةً، مع سهول سيبيريا

الغربية، وهذا ما يصلح لتربية الأغنام كما أن الواحات سواء أكانت المنفردة أم المستمرة المُتشكّلة على طول مجاري الأنهار تصلح لتربية الأبقار.

وهناك الأراضي الجبلية في الأورال، وطاجيكستان، وقيرغيزيا، وضهرة قازاقستان، وبلاد القفقاس حيث نجد المراعي الصالحة لتربية الأغنام على السفوح إضافةً إلى الماعز، ومما يُلاحظ أن القيرغيز يُربّون الخيل على شكل قطعان وينتقلون وراءها، ويستفيدون من لحمها، كما أن المجموعات الشركسية تشتهر أيضاً بتربية الخيل ولكن من أجل الركوب وأعمال الفروسية.

لذا ليس غريباً إذا قلنا: إن معظم الثروة الحيوانية في الإمبراطورية إنما هو من الأقاليم الإسلامية فيها، وفي طليعتها قازاقستان التي تقدّم وحدها ثلاثين مليون رأس من الأغنام وهو ما يزيد على ربع أغنام الإمبراطورية ويُعادل $\frac{١}{١٨}$ من الأغنام في العالم. كما تُربي قازاقستان ٦ ملايين رأس من الأبقار ويمكن ملاحظة الجدول الآتي:

قازاقستان	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	رأس غنم.
أوزبكستان	٩,٠٠٠,٠٠٠	رأس غنم.
قيرغيزيا	٧,٠٠٠,٠٠٠	رأس غنم.
طاجيكستان	٢,٣٥٠,٠٠٠	رأس غنم.
تركمانستان	٢,١٠٠,٠٠٠	رأس غنم.

أما الأبقار فتُربّى في:

قازاقستان	٦,٠٠٠,٠٠٠	رأس بقر.
أوزبكستان	٢,٤٠٠,٠٠٠	رأس بقر.

وتشتهر تُركمانستان بتربية الماعز إذ نجد فيها ٤,٠٠٠,٠٠٠ رأس منه.

وتشتهر كل من باشكيريا وداغستان بتربية الأغنام والماعز والأبقار، كما لا تخلو بقية الأقاليم من العناية بالحيوانات عامةً.

ولكثرة الظلم الذي مارسه الروس ولشدّة الضغط التي عاملوا بها المسلمين قام المسلمون بحركاتٍ ضدّ المستعمرين، ووجد الروس صعوبةً في القضاء على هذه الحركات، كما لاقوا عناءً في مراقبة السكان بسبب انتقال القبائل فاقتنعوا أن أفضل طريقةٍ لمراقبة القبائل وتحرّك رجالها إنما يكون بفرض الاستقرار عليها، فادّعوا أنهم سيتّبعون سياسة التحضير التي يُقصد منها خدمة الأهالي والأخذ بأيديهم نحو الحضارة غير أن الشعب كان يرفض كل ما يأتي عن طريق الروس لأنه قد خبرهم حيث أصبح يعرف أنهم لا يمكنهم ان يتّبعوا سياسة أو طريقاً إلا وفيه إذلال المسلمين والتمكّن منهم لذا فقد قابل السكان هذه السياسة الجديدة بالمقاومة فقرّرت السلطات الاستعمارية مصادرة حيوانات القبائل لتُجبرهم على الاستقرار، فذبحت القبائل ما تملك من حيوانات وفضّلت ذلك على تسليمها للمستعمرين فكان أن قلّ عدد الحيوانات، وانخفض المستوى المعاشي للسكان الذين اعتادوا الارتحال. وبعد مدةٍ عادت تربية الحيوانات إلى سابق عهدها وبدأت تزداد أعدادها لأن السكان لا يمكنهم الاستغناء عنها.

الفصل الثالث

المـــوارد الزراعيَّـــة

قلنا إن الأرض الروسية الأصلية باردة فهي لا تُنتج إلا أصنافاً محدودةً فيحتاج أهلها أنواعاً كثيرةً مما تُنبته البلدان الدافئة والحارة والمعتدلة فلما استعمر الروس الأقاليم الإسلامية حاولوا استغلالها واستعباد أهلها بكل ما أُوتوا من وسيلةٍ، وكانت هـذه الوسـائـل تتطـوّر مـع الزمـن، وقـد بـذل المستعمرون جهوداً كبيرةً من زراعة هذه الأقاليم وإنتاجها والحصول على خيراتها، وأقاموا مشروعاتٍ ضخمةٍ في سبيل الحصول على هذه الغاية أولاً.

لقد أقاموا كثيراً من السدود على الأنهار من أجل الريّ وتوسيع الرقعة الزراعية، ووصلوا الأنهار بعضها مع بعضٍ بقنواتٍ للغاية نفسها، ومدّوا شبكـات الريّ، وأصلحـوا الأرض إذ جفّفـوا المستنقعـات، ولعـلّ مـــن المشروعات البارزة: السدود التي أُقيمت على نهر الفولغا ورافده نهر كاما حيث تشكّلت بحيرات واسعة، والسدود التي أُقيمت على نهر سيحون. وقناة تركمانيا المعروفة بقناة «غلوخوفسكي» التي فُتحت عام ١٣٧٠، ويبلغ طولها ما يقرب من ألف كيلومتر (٩٦٥ كيلومتر) وتصل بين نهر جيحون الأدنـى وبين بحر قزوين عند ميناء «كرازنوفودسك»، ويُستفاد منها في الريّ وفي توليد الطاقة الكهربائية، وقناة «قره قورم» في بلاد التركمان أيضاً، وتصل بين نهر جيحون ونهري «مورغـاب» و «تـادزهـن»، ثم تستمـر لتصـل إلى نهايـة النهيرات المنسابة على مرتفعات شمالي إيران والواقع أن هناك مشروعات

ضخمةً كثيرةً، ولسنا الآن في مجال بحثها وإنما إلى الإشارة إليها.

ويجب أن نعرف أن الفائدة من هذه المشروعات كلها لا تعود أبداً إلى السكان المسلمين أهل البلاد الأصليين وإنما إلى المستعمرين الروس، إذ مرّ معنا أن أحسن الأراضي قد استولى عليها الروس، وأن المشروعات قد قامت لخدمة هؤلاء ولمصلحتهم وخاصةً في حوض نهر الفولغا، وقازاقستان، ومنطقة طاشقند، وانه عندما يتمّ استصلاح الأرض إنما تُعطى بادىء ذي بدء إلى الروس، وعندما تُفتح القنوات أو قبل ذلك عندما تبدأ دراسة المشروع تأخذ أفواج المستعمرين بالتدفّق نحو أرض المشروع لتأخذ نصيبها، فيأتي المشرفون والمسؤولون ويُوزّعون قطع الأراضي المستصلحة والتي تستفيد من القنوات على الروس، وأبناء البلاد ينظرون وقلوبهم تتفطّر دون أن ينالهم شيء. ويُضاف إلى هذا أن جميع الذين يعملون بالمشروع من ناحية الإشراف والإدارة إنما هم من الروس، ولهم وظيفة أُخرى هي مراقبة السكان، أما الذين يقومون بأعمال الحفر والجهد بل والأشغال الشاقة والحقيرة إنما هم من أبناء البلد الأصليين.

ونستطيع أن نقول: إن أكثر المحصولات الزراعية في الإمبراطورية الروسية إنما تأتي من الأقاليم الإسلامية الخاضعة لها، ولعلّه من المفيد ذكر بعض هذه المحصولات.

١ - **القمح:** وتُنتج الأقاليم الإسلامية ما يقرب من نصف الإنتاج في الإمبراطورية الروسية، وأهم مناطقه:

قازاقستان	وتُعطي	١٢,٥٠٠,٠٠٠ طن
قيرغيزيا	وتُعطي	٣٥٠,٠٠٠ طن
أُوزبكستان	وتُعطي	٣٠٠,٠٠٠ طن
طاجيكستان	وتُعطي	١٤٦,٠٠٠ طن
تُركمانستان	وتُعطي	٧٠,٠٠٠ طن

أذربيجان	وتُعطي	٥٠٠,٠٠٠ طن
		١٣,٨٦٦,٠٠٠ طن

وهذا ما تُنتجه الجمهوريات الاتحادية، أما الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي والمقاطعات ذات الاستقلال الذاتي فيُعطى إنتاجها ضمن إنتاج الجمهورية الاتحادية التي تتبعها ولكن نعرف أن إنتاج سيبيريا الغربية يكاد يقترب من إنتاج قازاقستان هذا إضافةً إلى حوض نهر الفولغا وبلاد القفقاس، ويكون عموم إنتاج الأقاليم الإسلامية أكثر من ثلاثين مليون طن على حين أن إنتاج الإمبراطورية الروسية لا يزيد في هذه الأيام على ستين مليون طن.

إن إنتاج الإمبراطورية الروسية من القمح لا يسدّ إلاّ جزءاً من الاستهلاك لذا فهي تضطر إلى الاستيراد وتأخذ كمياتٍ من الولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها، مع العلم أن الإمبراطورية الروسية كانت تُصدّر القمح أيام الحكم القيصري فماذا حدث؟ إن النظام الشيوعي ومصادرة الأرض وجعل أصحابها عمالاً فيها قد قلّل من الإنتاج لأن الذي يعمل لنفسه غير الذي يعمل إلى سواه في الجهد والعطاء لذا فقد انخفض الإنتاج رغم زيادة مساحات الأرض التي أصبحت تزرع قمحاً، وتطوّر وسائل وأساليب الإنتاج، وتطبيق العلم على العمل، واستعمال كل الأسمدة والـمُخصّبات إلاّ أن ذلك لم يفد شيئاً، وحاول الروس التشجيع وتنازلوا عن بعض مبادئهم في السماح بتملُّك مساحاتٍ صغيرةٍ فلم يغنهم ذلك فالقضية نفسية وليست عضلية.

٢ً ـ **الذرة:** وتقدم الأقاليم الإسلامية كميات كبيرة من الذرة وأهم مناطقها:

قيرغيزيا	وتعطي	٢٥٠,٠٠٠ طن
أذربيجان	وتُعطي	١٢٠,٠٠٠ طن

طاجيكستان	وتُعطي	٥٠,٠٠٠ طن
تُركمانستان	وتُعطي	٣٠,٠٠٠ طن
أُوزبكستان	وتُعطي	٢٥٠,٠٠٠ طن
		٧٠٠,٠٠٠ طن

وهو إنتاج الجمهوريات الاتحادية الإسلامية. ولا إحصاء لبقية الأقاليم إذ انها مُدمجة مع إنتاج الإمبراطورية الروسية الذي يُقدّر بعشرين مليون طن، وتحتلّ المرتبة الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية التي تُقدّم تسعين مليون طن.

٣ً ـ **الشوندر السكري**: وتحتلّ الامبراطورية الروسية المرتبة الأولى في العالم بهذا المحصول بإنتاج يُقدّر بخمسة وسبعين مليون طن، وتُقدّم الأقاليم الإسلامية كمياتٍ كبيرةً منها، وأشهر مناطق الإنتاج.

قازاقستان	وتعطي	٢,٠٠٠,٠٠٠ طن
قيرغيزيا	وتعطي	١,٩٥٠,٠٠٠ طن

٤ً ـ **القطن**: وتحتلّ الامبراطورية الروسية المرتبة الأولى في العالم بإنتاج القطن، والذي يأتي كلّه تقريباً من الأقاليم الإسلامية، وأهم مناطقه:

أُوزبكستان	٣,٠٠٠,٠٠٠ طن.
تُركمانستان	٥٤٠,٠٠٠ طن.
طاجيكستان	٥٠٠,٠٠٠ طن.
قيرغيزيا	٢٨٠,٠٠٠ طن.
أذربيجان	٢٨٠,٠٠٠ طن.
	٤,٦٠٠,٠٠٠ طن

وهو إنتاج الجمهوريات الاتحادية ذات الأكثرية المسلمة دون بقية الأقاليم. مع العلم أن إنتاج كلٍ من الولايات المتحدة الأمريكية والصين لا يزيد على

ثلاثة ملايين طن من القطن، أي ما يُعادل إنتاج أُوزبكستان وحدها.

هذه نماذج من منتجات الأقاليم الإسلامية، ويمكن أن نضيف لها الفواكه في شبه جزيرة القرم، وبلاد القفقاس، وجنوبي تركستان، وقيرغيزيا، وباشكيريا.

ولما كانت منتجات البلاد الحارة لا تُنتج في كل أراضي الإمبراطورية الروسية لذا فإن المسؤولين يعملون لاستنبات بعضها في الأقاليم الإسلامية للاكتفاء المحلي على الأقلّ، وكمثال على ذلك، شجيرات الشاي التي أصبحت تزرع على سفوح جبال القفقاس المتجهة نحو البحر الأسود، ونبات الساغيز الذي يُستخرج منه بعض أنواع المطاط الذي يُزرع في جنوبي تركستان.

ولا بدّ أخيراً من التنبيه إلى أهمية الغابة المخروطية والمختلطة في سيبيريا وما تُقدّمه من كمياتٍ كبيرةٍ من الأخشاب.

الفصل الرابع

الطاقة

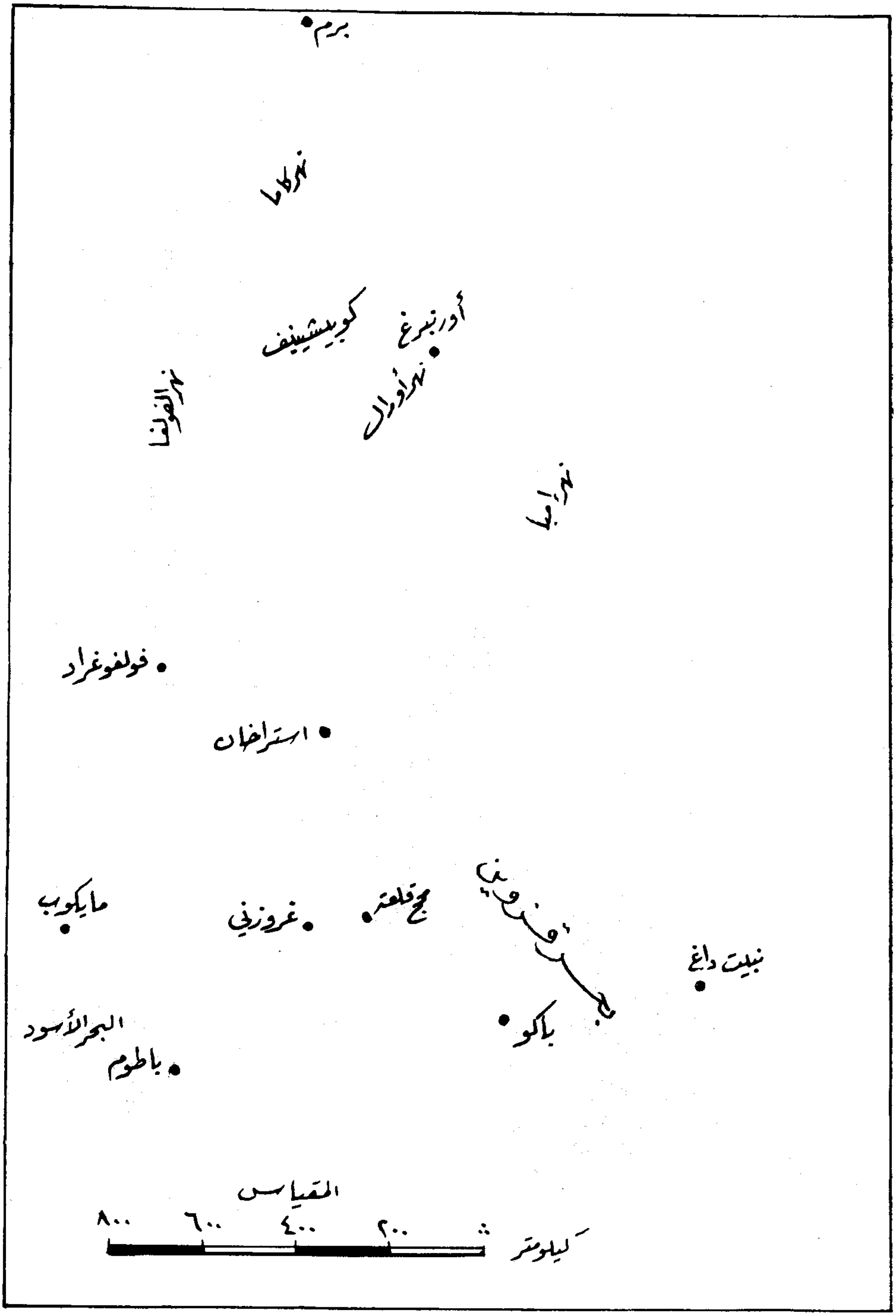
ليست الأقاليم الإسلامية في الإمبراطورية الروسية بأقلّ شأناً في الطاقة منها في الموارد الزراعية، إذ نُلاحظ أن معظم الإنتاج الروسي من النفط إنما يأتي من الأقاليم الإسلامية، وتُعدّ منطقة بحر قزوين ثاني منطقةٍ في العالم باحتياطي النفط بعد منطقة الخليج العربي، ولعلّ أشهر هذه المناطق:

١ً - حوض باكو في شبه جزيرة أبشيرون في جمهورية أذربيجان الاتحادية، وقد حفر أول بئر هناك عام ١٢٨٨ هـ، وتُرسل كميات كبيرة من هذا الحوض إلى مدينة استراخان على نهر الفولغا قبيل مصبه في البحر وذلك عبر مياه بحر قزوين. كما يمتدّ خطّان من باكو إلى باطوم على البحر الأسود لنقل النفط.

٢ً - حوض بنيت داغ في جمهورية تُركمانستان الاتحادية على الطرف الثاني من بحر قزوين.

٣ً - حوض شمالي داغستان قرب مدينة محج قلعة عاصمة جمهورية داغستان ذات الاستقلال الذاتي.

٤ً - حوض شمالي شاشان - أنغوشيا وأشهر مكامنه قرب غروزني عاصمة جمهورية شاشان - أنغوشيا ذات الاستقلال الذاتي، ويُعدّ هذا الحوض تتمةً لسابقه.



برم
نهر كاما
كويبيشيف
أورنبرغ
نهر الفولغا
نهر أورال
نهر إمبا
فولغوغراد
استراخان
مايكوب
غروزني
محج قلعة
بحر قزوين
نبليت داغ
باكو
البحر الأسود
باطوم
المقياس
٨٠٠ ٦٠٠ ٤٠٠ ٢٠٠ ٠
كيلومتر

٥ً ـ حوض مايكوب عاصمة مقاطعة الأديغة ذات الاستقلال الذاتي، وهو تتمة الحوضين السابقين إذ تقع كلها شمال جبال القفقاس، كما يتمم حوض مايكوب في الغرب حوض شبه جزيرة كيرتش في شبه جزيرة القرم.
٦ً ـ حوض نهر (إمبا) في شمال شرقي بحر قزوين، ويصبّ هذا النهر في بحر قزوين، ويجري في أراضي جمهورية قازاقستان الاتحادية.

ويُضاف إلى هذه الأحواض حوض نهر كاما الذي يرفد نهر الفولغا، ويقع في جمهورية تتاريا ذات الاستقلال الذاتي وتمتدّ هنا الأحواض التي تُعرف باسم أحواض الأورال ـ الفولغا من برم (مولوتوف) في الشمال حتى أورنبرغ (شكالوف) في الجنوب، ومن غرب نهر كاما حتى مدينة كوبيشينيف في الجنوب على نهر الفولغا، بل وتستمرّ نحو الجنوب على ضفة النهر اليمنى حتى مدينة فولغوغراد (ستالينغراد).

ولما كان أكثر إنتاج الإمبراطورية الروسية من النفط إنما يأتي من الأقاليم الإسلامية لذا فإن التنقيب عنه قد لعب دوره، ودُرست الأرض جيولوجياً بشكلٍ جيدٍ وأدّى ذلك إلى معرفة ثرواتها الدفينة، ولم تترك ضمن الاحتياطي، وبسبب هذا الإنتاج فقد ارتفعت مرتبة الإمبراطورية الروسية من إنتاج النفط واحتلّت المرتبة الأولى في العالم إذ تفوّقت على الولايات المتحدة بإنتاج قدره ٥٧٠ مليون طن عام ١٩٧٨ م (١٣٩٨ هـ).

وإذا كان الفحم الحجري لم يبلغ المستوى الذي وصل إليه النفط في الأقاليم الإسلامية، إلاّ أنّ إنتاجها لا يُعدّ قليلاً، وتُقدّم هذه الأقاليم كمياتٍ لا بأس بها من عددٍ من المناطق ولعلّ أهمها:

١ً ـ قازاقستان: وتنتج أربعين مليون طن، ويُعَدُّ حوض كاراغندة أهم أحواضها، وقد جُهّز بأحدث الآلات، ويبلغ عدد العروق الفحمية فيه الثلاثين عرقاً، ويتراوح سمك الطبقة الواحدة بين ٨ ـ ١٠ أمتار.

ويُعدّ فحم هذا الحوض أساس الصناعة في قازاقستان. ويُنقل الفحم منه إلى جنوبي الأُورال. كما توجد بعض الأحواض الصغيرة على بحيرة « بالخاش ».

٢ً ـ أُوزبكستان: وتوجد أحواض الفحم بالقرب من العاصمة طاشقند، ويُقدّر الإنتاج بسبعة ملايين طن.

٣ً ـ قيرغيزيا: وتُقدّم ما يزيد على ستة ملايين طن، وربما تطوّر الإنتاج بشكلٍ سريعٍ.

٤ً ـ طاجيكستان: وتُقدّم ما يزيد على مليوني طن.

٥ً ـ باشكيريا: وتشتهر مناطق الأورال بالفحم كما تشتهر بالثروة المعدنية الهائلة وبالنفط، وتُعطي جمهورية باشكيريا ذات الاستقلال الذاتي ما يربو على أربعة ملايين طن.

٦ً ـ سيبيريا: ونُلاحظ أن الجزء الغربي منها إنما هو من بلاد المسلمين، ويقع حوض الكوزباس الشهير على أطرافها الشرقية، وهو معروف بضخامة احتياطيه وتنوّع خاماته وجودتها، ويُقدم ما يزيد على ١٥٠ مليون طن من الفحم سنوياً غير أن ذخره يُمكن أن يُعطي أرقاماً كبيرة إذا ما وُجّهت العناية إليه.

وتولّد الطاقة الكهربائية من النفط ومن الفحم، كما تُؤخذ من المياه حيث نجد سدوداً ضخمة مثل:

١ً ـ سد منجيشار: في أذربيجان على نهر كورا، ويبلغ ارتفاعه سبعين متراً، ويُزوّد منطقة باكو بالكهرباء، وتبلغ طاقة المحطة الكهربائية ٣٦٠ مليون كيلوواط، وقد تحوّلت المنطقة إلى منطقة صناعية لوجود هذه الطاقة.

٢ً ـ سد كيرام كوم: في طاجيكستان على نهر سيحون، ويقع إلى الشرق من مدينة لينينأباد، وقد بُدىء بالعمل به عام ١٣٧٧ هـ، ويُشكّل

السد خلفه بحيرةً واسعةً، ويُستفـاد مـن هـذا المشروع في جمهـوريتي طاجيكستان وأُوزبكستان.

٣ً ـ سد نوريك: في طاجيكستان أيضاً على نهر الأحمر (فخش) جنوب شرقي العاصمة (دوشنبة) ويحجز السد خلفه بحيرة تستوعب كمية عشرة ملايين كيلومتر مكعب من الماء، وتقدر طاقة المحطة الكهربائية ٣,٧ مليون كيلو واط، ويستفاد من هذا المشروع في كل من جمهوريتي طاجيكستان وأوزبكستان.

٤ً ـ وهناك مشروعات فرغانة في أوزبكستان.

٥ً وبُنيت محطات كبيرة للكهرباء في جبال تيان شان الوسطى، وعلى شواطىء بحيرة (إيزيك كول) في جمهورية قيرغيزيا.

٦ً ـ وهناك سدود ضخمة على نهر الفولغا وفي بلاد القفقاس على نهر قوبان وغيره.

الفصل الخامس
الثروة المعدنيّة والصّناعة

إن الأقاليم الإسلامية في الإمبراطورية الروسية غنية بالثروة المعدنية غناها في الطاقة، بل تُعدّ جبال الأورال من أُولى مناطق العالم الشهيرة بثروتها المعدنية. ومن أشهر المعادن في هذه الأقاليم هي:

الحديد: وتنتج الحديد كل من جمهورية

قازاقستان الاتحادية وتعطي	١٥,٠٠٠,٠٠٠ طن.
وجمهورية أُوزبكستان الاتحادية وتعطي	١,٥٠٠,٠٠٠ طن.
وجمهورية أذربيجان الاتحادية وتعطي	١,٥٠٠,٠٠٠ طن.

كما يقدّم إقليم الأُورال ـ الفولغا، وبلاد القفقاس، وشبه جزيرة القرم كمياتٍ وفيرةً من هذا المعدن.

النحاس: وتنتج الأقاليم الإسلامية كميات من النحاس وأهم مراكز الإنتاج:

١ً ـ **قازاقستان** وتنتج وحدها ٥٠٠,٠٠٠ طن من النحاس، وأشهر المناجم فيها:

أ ـ كونراد: ويقع شمال بحيرة (بالخاش)، وقد اكتشف عام ١٣٤٧ هـ.

ب ـ كارزاك باي: في سهل الجوع، وهو أهم مناجم هذه الجمهورية، ويُقدّر ذخره بستة ملايين طن.

حـ ـ جزكازغان: بين بحيرتي خُوارزم وبالخاش.

٢ً ـ **أُوزبكستان:** وأشهر المناجم في هذه الجمهورية مناجم (ألماليك) التي تقع جنوب العاصمة طاشقند بثمانين كيلومتر، ويُقدّر إنتاجها بمائة ألف طن.

٣ً ـ كما يُستخرج النحاس من **أذربيجان** قرب حدود أرمينيا.

المنغنيز: يُؤخذ المنغنيز من قفقاسيا بكميات كبيرة تزيد على المليون طن، كما يستخرج من شرقي جمهورية قازاقستان، ومن جبال الأُورال.

الكروم: وتنتج الأقاليم الإسلامية في الإمبراطورية الروسية كثيراً من معدن الكروم وأهم هذه الأقاليم:

١ً ـ **قازاقستان:** وتنتج ما يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ طن سنوياً، ويُؤخذ من مناجم (كوستاناي) شمالي البلاد، وتقع إلى الشرق من مدينة (ماغنيتوكورسك)، ومن مناجم (سيمبالاتنسك) الواقعة على مجرى نهر (أريتش) الأعلى.

٢ً ـ **باشكيريا:** وتنتج ٢٠٠,٠٠٠ طن سنوياً حيث تعدّ جبال الأُورال ذات ذخرٍ كبير بالمعادن.

الألمنيوم: وأهم الأقاليم المنتجة له:

١ً ـ **أذربيجان:** ويُقدّر انتاجها بأربعة ملايين طن من فلزات البوكسيت (أوكسيد الألمنيوم) فهي بذلك تأتي في المرتبة الثانية في العالم بإنتاج الألمنيوم بعد الصين، وتُؤخذ الفلزات من مناجم (زاغليك) قرب الحدود الأرمينية.

٣ - **قازاقستان:** وتُنتج ما يقرب من مليون طن، وأهم مناجمها (أكمولينسك) في القسم الشمالي من هذه الجمهورية. وأخيراً لا بد من القول: إن جميع المعادن تتوفّر بكمياتٍ ضخمةٍ في الأقاليم الإسلامية الخاضعة للسيطرة الروسية، وإن ما ذكرته لم يكن إلاّ كأمثلةٍ على ذلك.

الصناعة: إن توفّر الطاقة والمواد الخام يُؤدّي إلى قيام صناعةٍ، غير أن المستعمرين الروس قد حرصوا على نقل كل إنتاجٍ إلى بلادهم لتعمر أراضيهم، ولتتطوّر منشآتهم، وتتحسّن أوضاعهم ولتبقى مستعمراتهم وأهلها في إهمالٍ وتخلّفٍ وبحاجةٍ إلى الروس الذين يُمكنهم بالتالي السيطرة على السكان والاحتفاظ بالأراضي المستعمرة. غير أنه لا بُدّ من قيام مراكز صناعيةٍ بسيطةٍ في أماكن إنتاج الطاقة وقرب مراكز استثمار الثروات المعدنية أو بجانب تجمُّع القوى العاملة الرخيصة لهذا نشأت بعض المناطق الصناعية حول مدينة باكو، ومدينة طاشقند، وكاراغندا، وغروزني، ومايكوب إلاّ أن أكثر المُشرفين على الصناعة، والمُدبّرين أمرها والعمال الرئيسسين فيها إنما هم من الروس المستعمرين، وبذا فإن فائدة السكان الأصليين من هذه الصناعة محدودة ولا تُشكّل إلا نسبةً ضئيلةً منها هذا رغم قلّتها ونقل معظم الإنتاج إلى بلاد الروس.

وفي الحرب العالمية الثانية ظهر خطأ هذه السياسة الروسية إذ أن تجمّع الصناعة في بلاد روسيا، وحشد العمال فيها، وتركّز المنشآت الضخمة هناك قد جعلها عُرضةً لخطر الحرب، وأُصيبت الصناعة بصدمةٍ عنيفةٍ فاقت الصدمة العسكرية بمراحل واسعةٍ الأمر الذي جعل الروس يُفكّرون بنقل كثيرٍ من المعامل إلى الأقاليم الإسلامية وسيبيريا اتقاءً لخطر الحرب بإبعادها عن منطقة الجبهة وميدان المعارك، في الوقت الذي هم بأشدّ الحاجة للوقت لمواجهة الأعداء وبأشدّ الحاجة من الوقاية، وكان النقل تحت قصف الطيران

وضرب المدفعية واشتداد الخوف، وبقيت هذه المعامل بعد الحرب في أماكنها الجديدة التي نُقلت إليها، وغيّرت روسيا سياستها الأُولى التي ظهر خطؤها بتجميع المؤسسات الصناعية في مكانٍ واحدٍ وعلى مقربةٍ من الأماكن التي يُحتمل أن يحدث فيها قتال.

وإن السياسة الصناعية الجديدة التي خطتها روسيا في بناء معامل في مستعمراتها - وإن كان بنسبةٍ محدودةٍ - كانت حكيمةً، بل هي ما يجب أن تُتّبع من البداية فإن قرب منابع الطاقة ومراكز استثمار الثروات يُوفّر الكثير من عمليات النقل في الوقت وفي الكلفة إضافةً إلى توفّر اليد العاملة وإن كان لا يُفكّر في موضوع اليد العاملة الرخيصة لأن النظام الشيوعي لا يُعير هذا الجانب اهتماماً إذ أن العمال جميعهم ملك للدولة يعملون لحسابها مقابل الطعام وتأمين الخدمات التي تُقدّمها عادةً الدول.

كما أفادت روسيا من هذه السياسة من جانب آخر إذ سمحت لها هذه السياسة بنقل أعدادٍ كبيرةٍ من الروس المستعمرين لإدارة هذا المعامل والمؤسسات الجديدة منهم إضافةً إلى عملهم الرسمي بالإشراف على المعامل يقومون بمراقبة السكان، ويُقللون نسبتهم، وبالتالي يحكمون البلد مباشرةً دون أهلها.

هذا إضافةً إلى ما دخل الأقاليم الإسلامية من لاجئين روس اثناء الحرب حيث تعرّضت بلادهم للخطر الألماني، حيث دخل جمهورية أُوزبكستان كمثال على ذلك أكثر من مليوني لاجىء روسي.

ومن المعلوم أن نظام الحكم سوفيتي أي عُمّالي، والقادمون من روسيا كلهم يعملون تحت هذا الاسم «عُمّال» أو «مُزارعون» لذا فجميعهم لهم حقّ الانتخاب وحقّ التمثيل وهذا الذي نجده أن أكثر الممثلين للإقاليم الإسلامية إنما هم من الروس رغم غُربتهم. عن هذه الأقاليم، وهذا أشدّ

أنواع الاستعمار وأكرهه، ولنأخذ بعض الأمثلة التي تُعدّ أقلّ الأقاليم في تدني نسبة الروس فيها:

أُوزبكستان: كان مجلس الشعب يضمّ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م).
٢٤٩ نائباً من الأُوزبك.
٨٣ نائباً من الروس.
٣٢ نائباً من التُركمان.
٣٦ نائباً من القازاق والطاجيك وقره قالبق.
———
٤٠٠ نائب.

تُركمانستان: كان مجلس الشعب يضمّ عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م).
٦٦ ٪ من النواب تُركماناً.
٣٤ ٪ من النواب رُوساً (روس وأوكرانيون).
———
١٠٠ ٪

وإن أكثر الوافدين الروس يعيشون في المدن لإضفاء الصفة الروسية عليها، ولتقليل خطر السكان على الحكم، ولإضعاف نسبة المسلمين فيها فالمدن عادةً مركز الثقافة والفكر ومُنطلق الحركات، ولنعطي مثالاً على ذلك مدينة طاشقند أوسع المدن الإسلامية وأكبرها وأشهرها. لقد كان مجلس المدينة عام ١٣٧٠ هـ. (١٩٥٠ م) يتألّف من:

٥١,٣ ٪ من الأُوزبك.
٣٧,٢ ٪ من الروس.
١١,٥ ٪ من جنسيات أخرى أهمها الأوكرانيون وهم أيضاً من الروس، ولكن للإيهام.
———
١٠٠,٠ ٪

وفي الوقت نفسه يعمل الروس لتقليل نسبة المسلمين في الأقاليم الإسلامية بنقل العمال المسلمين للعمل في روسيا حيث يضيعون هناك في خضمّ المجتمع الروسي الكثير العدد، ويحلّ محلّهم في الأقاليم الإسلامية عمال في الروس يحكمون البلد، ويرفعون نسبة المستعمرين ويُقلّلون نسبة المسلمين، وإن هذه السياسة أيضاً ستُشجّع الكثير من الضعاف وأصحاب الأطماع والمصالح إلى الانضمام إلى جانب الروس وحملهم أفكارهم وقبولهم بالدنيّة في سبيل وصولهم إلى مراكز أعلى، فإنهم مهما تبنّوا الأفكار الروسية لن يكونوا إلاّ تبعاً للروس وأداةً طيعةً بأيديهم لأنه لا يُوثق بهم ما داموا ينتمون إلى الإسلام أو إلى أصولٍ إسلاميةٍ إذا عددنا أنهم انتهوا من الإسلام، ولو تنكّروا إلى أصولهم فلن يُقبل هذا منهم، فقد سبق لهم أن مُسحت عنهم المغفرة الروسية.

ومن المعلوم أن مجلس العمال (السوفييت) أو ما يُسمّى بمجلس الشعب إنّما يضمّ أكثريةً عماليةً وفلاحيةً أي يُساقون، وتُفرض عليهم الأفكار فيتبنّونها، وتُعرض عليهم الآراء فيُصادقون عليها، إذ لا يعرفون الردّ عليها لأنهم لا يحملون أفكاراً، ولا يجرؤون المخالفة لأنهم مُستعَمرون، ولا يملكون حرية التصرّف لأنهم قد سُلبت منهم الحرية، منهم عبيد أذلاء للفكر الشيوعي الذي يمنع الحرية وللاستعمار الروسي الذي يكبت الحرية.

الخاتمة

لا بدّ قبل أن نختم البحث من أن نقلي ضوءاً على السياسة الروسية الشيوعية في الوقت الحاضر، وأن نعرف أوضاع المسلمين في الإمبراطورية الروسية ومدى تجاوبهم مع سياسة مستعمريهم، وتفكيرهم في انفصالهم، وفي إسلامهم، وفي نظرتهم إلى الروس وإلى الشيوعية..

أما الروس فقد اتخذوا بعد الحرب العالمية الثانية سياسةً ازدواجيةً إذ تختلف السياسة ضدّ الإسلام في داخل الإمبراطورية عما هي عليه في خارجها. إذ كان المسؤولون الروس قد أعلنوا عن تساهلهم في الحرية الدينية إبان الحرب فما أن انتهت حتى شُنّت على الإسلام، فاتَهم ستالين من اتَّهم من الشعوب الإسلامية، ونفى شعوباً كاملةً إلى مجاهل سيبيريا منها تتار القرم، والشاشان، والبلكار و... وأُبيدت جماعات، وزالتَ قبائل، وانتهى زعماء، وقُضي على أفرادٍ، وغاب أُناس في السجون و... هذا إضافةً إلى الدعاية ضدّ الإسلام، والحرب النفسية، والإبعاد عن المراكز.

ومات ستالين عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وتغيّرت السياسة بعده، وشُنّ الهجوم على حكمه، وعلى تسلّطه وعلى مركزيته، وزاد الهجوم على الإسلام بعد ركودٍ طفيفٍ رغم أنه كان فيما انتُقد به ستالين تصرّفاته الرعناء ضدّ المسلمين فأُعيدت بعض الشعوب إلى أوطانها من منفاها وهي الشاشان، والبلكار، وبقي تتار القرم حتى الآن يهيمون على وجوههم في غابات سيبيريا

وصحاريها الباردة، وكان الهجوم على الإسلام من أعلى السلطة من خروتشوف ومروراً بمن تولّوا السلطة بعده حتى غورباتشوف الذي شنّ هجوماً كاسحاً على الإسلام في خطابه الأخير (ربيع الثاني ١٤٠٧) في طاشقند.

أما بالنسبة إلى السياسة الخارجية فقد رغبت الحكومة السوفيتية أن تدخل إلى الأوساط الشعبية في الأمصار الإسلامية لكسب الأعوان لها ونشر المبادىء وحتى يتمّ لها ذلك لا بدّ من إزالة الفكرة التي يعرفها المسلمون بحقٍّ وهي معاداة الشيوعية للإسلام، لذا فقد بدأت الحكومة الشيوعية تدعو بعض العناصر البسطاء من المشايخ وغيرهم لزيارة الأقاليم الإسلامية وبعض أجزاء من بلادها، وكانت تذهب بهم إلى ما قد هيئته لهم من آثار المساجد، ويحضر بعض الذين لهم الصفة الدينية وبعض عناصرها المخصّصين لمثل هذه الغاية، وعندما يعود هؤلاء يذكرون في بلدانهم أنهم لم يروا إلا خيراً، فكان هذا بدء الدعاية لها ثم عملت على دعوة أعضاء من مجالس نيابية، ومنظمات وأخيراً أصبحت تعقد المؤتمرات وتدعو لها بعض الشخصيات الإسلامية والمؤسسات، ولا يستطيع أيّ وفدٍ أن يتحرّك إلا بما رُسم لأعضائه. لقد عُقد مؤتمر في سمرقند عام ١٣٩٤ بمناسبة مرور ألفٍ ومائتي عامٍ على ولادة الإمام البخاري - رحمه الله - بإشراف الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وكان رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشيخ ضياء الدين خان ايشان باباخان مفتي المسلمين في الإمبراطورية الروسية، وقد دُعيت إليه رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ولبّت الدعوة، كما حضرها ممثلون عن كلٍ من: أفغانستان، وأندونيسيا، والأردن، وباكستان، وبنغالديش، وبلغاريا، وتانزانيا، وتونس، والتوغو، وتشاد، وسريلانكا، والسودان، والصومال، والعراق، والكويت، ولبنان، وليبيا، وماليزيا، ومصر، والمغرب، ونيجيريا، واليمن الشمالية، وكان الحضور يُمثّلون مؤسساتٍ دينيةٍ وعلميةٍ كالإفتاء عادةً وكليات الشريعة.

وعُقد مؤتمر في طاشقند في شهر شعبان من عام ١٣٩٩ هـ (تموز ١٩٧٩ م) بمناسبة مرور عشر سنواتٍ على إصدار مجلة «المسلمون في الشرق السوفيتي» وقد حضره مندوبون من الأردن، وبلغاريا، وتركيا، وتونس، والحبشة، ولبنان، واليابان.

ولم تفد الشيوعية من هذه المؤتمرات ما كانت تبغيه إذ أن ما يحدث في الداخل كان يصل إلى الخارج وإن كان المسؤولون يظنّون أن ما يتمّ وراء الستار الحديدي لا يتعدّاه، إضافةً إلى الظنّ بأن الشعوب الإسلامية أغلبها لا يقرأ، وأن من يقرأ هو بعيد عن الإسلام. كما أن أكثر المسلمين قد أصبحوا على وعيٍ، ويعلمون أن الشيوعية ضدّ الأديان عامةً وتحقد على الإسلام بشكلٍ خاصٍ، لهذا لم تُثمر هذه المؤتمرات حسبما أراد لها مُنظّموها.

أما الشيوعيون فقد غدا تعصّبهم للروس أكثر من تعصّبهم لأفكارهم ومبادئهم التي يُنادون بها ومن هذا المنطلق فإنهم قد أصبحوا يُدافعون عن تصرُّفات الحكم القيصري ويُمجّدون الأعمال التي قام بها ضدّ المسلمين الذين يُسمّونهم أنصار الأفكار الدينية البالية.

وأمّا المسلمون فبعد أن هُزموا، واشتدّ الضغط عليهم، ولاحقهم الظلم في كل مكانٍ اظهروا الخنوع والاستسلام، وسارت جموع منهم في ركب الشيوعية، واتبعت مبدأ الإلحاد، وأهملت العقيدة نهائياً، ولكن هل كان هذا عن إيمانٍ كاملٍ وعقيدةٍ راسخةٍ أم خوفاً من السيف أو حرصاً على المصلحة بل ومن أجل لقمة العيش؟، والواقع أن الحكم على هذا أو ذاك أمر صعب لكن يكفي أن نُعطي بعض الخطوط العريضة وربما كان في ذلك مصلحة ألا نخوض في أكثر مما نطرحه.

إن النظرة العامة تدلّ على أن الناس جميعاً في الإمبراطورية الروسية قد أهملوا العقيدة نهائياً وتخلّوا عنها تماماً، ولم يبق من يتمسّك بها سوى قلةٍ ممن بلغوا من العمر عتياً يرتادون المساجد الباقية للدعاية، يرتادونها إما إيماناً وإما

وظيفةً ينتظرون ضيوف دعاية الحكومة، وكذا الأمر بالنسبة إلى المراكز الإسلامية القائمة في طاشقند، وباكو، ومحج قلعة، وأوفا.

غير أن هذه النظرة تمحي عندما نُلاحظ أن الاندماج بين المسلمين والروس لم يحدث، ويكاد يكون الزواج بين الطرفين نادراً، وأن الختان عام بين المسلمين لا يكاد يتخلّى عنه فرد واحد، وكذلك طريقة عقد الزواج، والطلاق، وعملية الدفن كلها تأخذ الصفة الشرعية.

وإذا انتقلنا إلى جانب اللغة نُلاحظ أن اللغة الروسية قد أصبحت رسميةً، ويعرفها المثقفون جميعاً، إلا أن الحديث خارج العمل لا يكون إلاّ باللغة الأصلية للإقليم، وتأخذ القصص الشعبية والملاحم التي تعتزّ بالأمجاد وتفخر بالانتصارات التي أحرزها الآباء دورها بين المواطنين وكلها مدونة باللغة المحلية للإقليم ولهذا قام الروس بحملةٍ واسعةٍ وهجومٍ عنيفٍ ضدّ هذه الملاحم في أذربيجان، وتُركمانستان، وبلاد القيرغيز، وعدّوا هذه الملاحم دعوةً للوحدة الدينية، وحرباً على لغة الروس غير أن هذه الحملة وهذا الهجوم لم ينجم عنه سوى ردّ فعلٍ ضدّ الروس، وربما نُلاحظ ما حدث في بلاد القيرغيز إثر تلك الحملة المسعورة ضدّ الملاحم الشعبية والتي كانت (١٣٧١ - ١٣٧٤ هـ)، فقد هاجمت صحيفة سوفيتسكايا التي تصدر في فرنزوي عاصمة قيرغيزيا باللغة الروسية وتنطق باسم الحزب هذه الملاحم فتصدّت لها صحيفة (قيزيل قيرغيزستان) التي تصدر باللغة القيرغيزية في العاصمة نفسها، وحدث خلاف عنيف بين الصحيفتين حتى تدخّلت السلطات، ولكن حدث ردّ فعلٍ بالنسبة إلى السكان ووقفوا بجانب (قيزيل قيرغيزستان).

كما حاول الداغستان إحياء أمجاد الشيخ محمد شامل وحروبه ضدّ القيصرية الروسية غير أن الشيوعيين قد تعصّبوا للروس وعدّوا هذا الإحياء ليس إلا إثارةً للعصبية الدينية لذا فقد وقفوا ضدّها، وأمام هذا التعصّب الروسي

فقد نما الشعور برابط الإسلام رغم اللامبالاة بالعقيدة حسبما يظهر ـ والله أعلم ـ.

بل إن التفسير التاريخي لكثير من الأحداث لا يزال مختلفاً بين الروس الشيوعيين وبين المسلمين حتى الشيوعيين منهم إذ يرى المسلمون أن الغزوات القيصرية لبلاد المسلمين هي غزوات استعمارية وأن مُقاومة أجدادهم لهذه الغزوات هي صفحات وضّاءة في تاريخ الوطنية على حين يرى الروس أن هذه الغزوات إنما كانت لإنقاذ أصحاب الأقاليم الإسلامية من الوقوع تحت السيطرة الاستعمارية ومن هذه المقاومة حركة الشيخ محمد شامل حتى اضطر الروس لدعوة عددٍ من الشيوعيين من كلا الطرفين للنظر في هذه الحركة هل كانت حركةً رجعيةً أم تقدميةً؟ ويبدو من هذه التعريضات الأساسية أنه لا تزال نقاط اختلافٍ قائمةً فيها رغم المنطلق الشيوعي الواحد، وبذا يظهر التفاوت واضحاً بين الفريقين.

ويبدو أن المسلمين يُخفون شيئاً وينتظرون الوقت المناسب، وهذا يظهر من استقبالهم للضيوف المسلمين، والإعلان أمامهم بقوةٍ وإصرارٍ أنهم مسلمون، وطلب نسخٍ من كتاب الله « القرآن الكريم » بصورةٍ سريةٍ، والتعاطف فيما بينهم أمام الروس، ومحاولة التقرّب من المسلمين الذين يدرسون هناك؟ وانضمام بعض الذين كانوا في الجيش الذي غزا أفغانستان إلى جانب إخوانهم المسلمين، واللقاءات السرية التي تتمّ لدراسة الأوضاع أو للقراءة في كتاب الله، ويحسّ الروس ببعض هذا. فقد روت صحيفة « كومسو مولسكايا برافدا » إن وفاة طالبٍ ثانوي في الصف التاسع كشف النقاب عن وجود مدارس دينيةٍ إسلاميةٍ سريةٍ في آسيا الوسطى. فقد تُوفي « دوليه أصلانوف » أخيراً بمرض في جمهورية طاجيكستان، بعد أن رفض مساعدة الطبيب قائلاً: (لا أُريد مساعدةً من مُلحدٍ، فكل شيءٍ بيد الله) ثم تُوفي وهو يشتم غير المؤمنين. ومضت الصحيفة تقول: إن الشيوعيين صُدموا أمام هذا الموقف خصوصاً أن الشاب عضو في « الكومسومول » أي رابطة الطلاب

الشيوعي. ثم قالت الصحيفة: ثم تبيّن أن أصلانوف العضو في الكومسومول منذ بضع سنواتٍ كان يحضر الدروس في المدرس الثانوية الحكومية، ثم يحضر دروساً أخرى في مدرسة دينية إسلاميةٍ حيث كان يُعدّ من أفضل الطلاب. وقد توجّه أحد المُحقّقين لجلاء قضية المدرسة السرية، فانتهى إلى مقهى لتقديم الشاي في مزرعة « جدانوف » التعاونية حيث تُوجد أربعة صفوفٍ من المراهقين، يتعلّمون هناك اللغة العربية والآيات القرآنية، ولكن حين اقترب المُحقّق من المكان سمع صفيراً خفيفاً، فلما دخل المحقق وجد الطلاب يشربون الشاي، وقد اختفت من بين أيديهم الكتب الدينية وأجزاء القرآن، وقالت الصحيفة: إن أولاد المزرعة التي معظم سكانها من المسلمين كانوا يقضون عدة ساعاتٍ يومياً في تعلّم القرآن. وختمت الصحيفة مقالها بما يلي: وهكذا فإن الأيدي القذرة لهؤلاء المشايخ تتولّى تكوين طباع الأطفال[1].

فالمسلمون ينتظرون ساعة الخلاص رغم كل ما يظهر عليهم من موافقةٍ للفكر الشيوعي أو خضوعٍ للسلطة الروسية حتى كبار الشيوعيين منهم يرون تعصُّباً من الروس يُخرجهم عن مبادىء الحزب والفكرة فيُضمرون ما لا يُظهرون. وأما الروس فلا يمكنهم التخلّي عن الأقاليم الإسلامية إلاّ بالقوة وذلك صليبيةً، واستعماراً، ولغنى الأقاليم، ولأنهم أصبحوا يعدّونها جزءاً من أملاكهم، كما يرون في التخلّي عنها إضعافاً لدولة روسيا العظمى، وذهاباً لهيبتها، وما غزوهم أفغانستان إلا خوفاً من ذهاب الهيبة الذي يُؤدّي إلى تمرُّد المسلمين حسب رأيهم وانفصالهم، ومع ذلك فقد وجدت في أفغانستان ما كانت تخشاه والذي غزت من أجله، وتخشى من الانسحاب أيضاً بعد أن ذُلّت قوتها خوفاً من نتائج وخيمةٍ تترقّبها.

ويتطلّب الأمر الاهتمام بالمسلمين الذين يخضعون للسيطرة الاستعمارية

---

(١) جريدة الحياة العدد ٥٦٧٦ تاريخ السبت ١٠ تشرين أول سنة ١٩٦٤ م.

الروسية، ومحاولة الاتصال بهم، ونشر الوعي بينهم عن طريق توجيه إذاعاتٍ لهم بلغاتهم المحلية، والتذكير بما فعله الروس من غزو بلادهم وإبادة جماعاتٍ كاملةٍ، وقتل الأجداد، وأخذ الخيرات، واستعباد الناس، وبقاء هذا مُستمّراً، والتمييز بين الروس النصارى الارتوذكس وبين المسلمين رغم المناداة بعكس ذلك مما يدلّ على كذب الأفكار الشيوعية والمبادىء التي يحملونها. هذا إضافة إلى إبراز ازدراء الروس لحركات المقاومة الإسلامية التي قامت دفاعاً عن العقيدة، وسيكون لهذا نتائجه بإذن الله، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وَجَاءَتِ النّتَائِج وَكَان الإنفِجَار

إن طبيعة النظام الذي يقوم على إذابة الفرد في المجتمع. وفقدان الحافز الشخصي بربط الفرد بالسلطة، وتقديم كل شيءٍ لها، واعتباره أجيراً عند الحكومة التي تملك كل شيءٍ، وهو لا يملك شيئاً، كل ذلك قد أضعف الإنتاج الذي أخذ يتناقص تدريجياً، وأخذ المجتمع يشعر بالضائقة الاقتصادية، لذا حاولت السلطة تفادي هذا العجز بالضغط على السكان لزيادة الإنتاج وتلافي ما حدث من نقص، غير أن الضغط لا يمكن أن يُقدّم عطاءً، وخاصة أن الضغط قائم وقد وصل إلى الذروة ولم يبق سوى الانفجار. والقضية نفسية، ولا يمكن للإنسان أن يعمل كالآلة فإن هناك شعوراً ودوافع وحوافز تلعب دورها، وتُحرّك جوارحه، وإن كان الضغط في بداية الأمر قد أعطى شيئاً من الإيجابيات كتغييرٍ للخط السابق، ثم لم يلبث أن عاد النقص يظهر، وبشكلٍ أكثر فداحةً من السابق، وهذا ما دعا المسؤولين إلى تغيير شيء في النظام إذ سُمح بتملّك ألف مترٍ مربعٍ كحديقةٍ بجانب المنزل، غير أن هذا لم يكن كافياً، وإن أعطى بعض التقدّم في ارتفاع الإنتاج.

ولما جاء خروتشوف إلى السلطة عاد إلى سياسة القهر، وطريقة الضغط، وزيادة محاربة الأديان أو بالأحرى صبّ العدوان على الإسلام فرجع الإنتاج إلى التقهقر، والمجتمع إلى الشعور بالضائقة، والأفراد إلى الإحساس

بالاختناق، بل ليس هناك من داعٍ لزيادة إعلان الحرب على الدين إذ لا يوجد من يفكر - حسب الظاهر - بهذا الجانب، فكان أن أدّى الأمر إلى ردّ فعلٍ واضحٍ، فإن إعلان الحرب على الإسلام قد حرّك كوامن النفس فبدت رغبة للتدين، وأبرزت بعض ما كان كامناً، وهذا ما زاد من الحرب، وزيادة الحرب لا تزيد إلا التحدّي، وإن كان لا يمكن إظهاره إلا أن النفوس قد شُحنت به، فالعقيدة لا تحارب بالضغط وإنما بالمحاورة والإقناع، وإظهار السلبيات وإيجاد البدائل. وكل هذا قد أوجد شعوراً بخرقٍ واسعٍ بين الشعوب المسحوقة والحكومة المتسلّطة، وهذا الخرق يصعب رتقه، وهذا يُؤجّج الضائقة النفسية من كبت الحريات، وخنق الفكر، والحرب على العقيدة، والضائقة الاقتصادية من نقص المواد، ورداءة النوعية، مع إلزامٍ على العمل دون جدوى.

سباق التسلّح: وكان السباق إلى التسلّح بين الشرق والغرب، وكلّ يلقي بطاقاته ويسخّر إمكاناته ليسبق الآخر، ويحصل على التفوّق، ويخيف خصمه، ووضع المعسكر الشرقي موارده كافةً لخدمة التسلّح، وألزم شعوبه على العمل في هذه السبيل. فذهب كل شيءٍ في طريق التسلّح، وحُرم الناس من كل شيءٍ في سبيل التفوّق، واستمرّ التسابق، وازدادت الضائقة على الرعية، ولم يعد الأمر يحتمل أكثر من وخزةٍ حتى ينفجر.

وأخذ التقدّم العلمي يُسرع الخطا. التلفزيون الغربي يبثّ برامجه خلال الأقمار الصناعية، والشعب في الامبراطورية الروسية متقوقع على نفسه لا يدري شيئاً عن الآخرين. الهاتف: يُكلّم الناس بعضهم بعضاً من أول المعمورة إلى آخرها باستثناء السكّان في الامبراطورية الروسية. (الفاكس) يراسل الأفراد بعضهم بعضاً، والمؤسسات يُعامل بعضها بعضاً خلاله، ويطلع بعضهم على آراء بعض بثوانٍ، وينقلون صفحات بخط الكاتب، غير أن البائسين في الامبراطورية الروسية لا يعرفون شيئاً من هذا، ولا يتصوّرونه، ويرتحل

السواح من بلدٍ إلى بلدٍ في أرض الله الواسعة، ويطلع الواحد منهم على ما في الدنيا كلها إلا الذين يعيشون في الامبراطورية الروسية إذ يصعب عليهم الارتحال حيث يُحرم عليهم الخروج، كما يُحرم على غيرهم الدخول إلى بلادهم اللهم إلا من اشتراه حكامهم لمصلحتهم فيأتي للتدريب والتلقين، أو من ينتمي إلى دولةٍ ارتبطت مع أصحاب السلطة عندهم فيأتي بعض أبنائها ليدرسون، أو ليُغرّر بهم، وقد تأتي وفود رسمية تتحرّك بمخططٍ، وتنتقل حسب توجيه، فلا ترى إلا ما يُراد لها أن تراه، ولا تعرف إلا ما يعطى لها لتعرفه، ولكن يخرج من ذلك السجن الكبير أصحاب النفوذ باسم السياسة، وشعار خدمة الحركة الشيوعية، وعنوان مصلحة الحزب فيمرحون على حساب التعساء، ويرتعون ليزداد الفقراء شقاوةً. وأخذت الشائعات تصل إلى الآذان أن الأموال التي يجنيها البؤساء في الامبراطورية الروسية يسطو عليها الكبار باسم مصلحة المجتمع، ويضعونها في مصارف أوربا الغربية التي هي محرمة في بلادهم، كما هو محرم عليهم تملك المال، وبدأت هذه الشائعات تضرب على الأوتار حتى غدت شبه مُؤكّدة لدى الشعب، فازداد الورم الخبيث، وزاد الانتفاخ إلى درجةٍ لا يمكن معه إلا الانفجار.

الخيارات المطروحة: وصل غورباتشوف إلى السلطة، وكان قد سبق له أن شغل منصب المسؤول عن المخابرات، ويعرف ماذا يجري داخل المجتمع، وما يُفكّر به الناس في أرجاء الامبراطورية الروسية، وكان أمام خيارين، إما أن يسير على نهج سلفه، وينفجر الوضع في البلاد عامةً، ولا يعرف النتيجة التي تؤول إليها الامبراطورية، وسيُعزى إليه سبب هذا الانفجار، ويُنعت بالفاشل، ويُوصف بالضعيف، وإما أن يسعى إلى التغيير، واختار الموقف الثاني.

كان على غورباتشوف أن يُفكّر من أين يبدأ بالتغيير ما دام قد اختار الموقف الثاني، حيث كان يخشى إن بدأ بإعطاء شيءٍ من الحرية أن يفلت زمام الأمر من يده، ويبدأ المعسكر الغربي بالتدخّل، ودعم الثائرين،

وانقلاب الوضع رأساً على عقب، حيث يعرف تماماً الحال التي تعيشها الشعوب في بلاده إذ لا تحتاج إلى أكثر من وخزةٍ بسيطةٍ حتى يحدث الانفجار.

رأى أن يبدأ بالاتصال بالغرب تحت مظلة الحدّ من استخدام الأسلحة النووية والتخفيف من التسابق إلى التسلّح، وتمّ اللقاء وأحسّ الغربيون المفاوضون بما يجيش في أفكار القادة الروس، فعرض الغربيون إعطاء دول أوربا الشرقية حرية اختيار النظام الذي تراه أو حسب الاصطلاح الأوربي - الحرية الديمقراطية - وهم يعلمون أن هذا وحده كفيل بتفتيت المعسكر الشرقي. وتساءل غورباتشوف من الذي يستطيع أن يتحمّل تبعات هذا التحوّل ونفقاته، وأبدى بصراحةٍ أن الامبراطورية الروسية عاجزة عن تقديم أي شيء إذ أنها في وضع من الارتباك لا تُحسد عليه، ولا يختلف وضعها كثيراً عما تُعانيه دول أوربا الشرقية، وكانت هذه العبارة وحدها كافية لكشف أوراق غورباتشوف، وما يجول في خاطره.

الدول البالطية: بقي وضع الدول البالطية نقطة غامضة لدى الطرفين، وكل جانبٍ يضعها في إطار تفكيره، إذ أن الغرب يعدّها دولاً من مجموعة دول أوربا الشرقية حيث ضمّتها روسيا إليها بعد الحرب العالمية الثانية، على حين أن القادة الروس يعدّونها جزءاً من امبراطوريتهم لا يتجزأ، ولهذا أخذت المشكلة الليتوانية شيئاً من الإطالة مع المرونة عندما طرح كل طرفٍ وجهة نظره، ولم يكن غورباتشوف قد طرحها أثناء اللقاء وعدّها أمراً طبيعياً حسب وجهة نظره.

وأخذت الدول البالطية تنفصل عن جسم الامبراطورية الروسية البالي.

انتشار اللهب: وتساءل غورباتشوف ثانيةً وإذا امتدّ لهيب الحريات إلى باقي جمهورية الامبراطورية الروسية وسط آسيا، وأجاب على نفسه: إننا بصراحةٍ تامةٍ لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي عن أية حركةٍ مهما كان

نوعها، وفي أي مكانٍ وقعت لأننا بأشدّ الحاجة إلى أية بقعةٍ، وفي الوقت نفسه لا نريد أن يحدث أي احتكاكٍ بين الشرق والغرب، لأن العاقبة ستكون وخيمة، وسينال الطرفان من جراء ذلك مصائب عنيفةً، وإن كنت على يقينٍ أن ما ينال الغرب أضعاف ما يصيب الشرق، ويعرف الغرب هذا تماماً - أراد غورباتشوف أن يستعمل أسلوب إبراز العضلات ليغطي السقطات التي وقع فيها ليعيد إلى نفسه شيئاً من المعنوية -.

أعلن الغربيون أنهم لن يتدخّلوا في هذا الأمر أبداً، وعلى الروس أن يحسموا الأمر بمنتهى القسوة، كما أعلنوا أنهم لا يريدون إنشاء خلافةٍ إسلاميةٍ من جديدٍ، بل علينا أن نتعاون معاً وبكل صدقٍ في خنق كل فكرةٍ تحمل هذا المعنى، وسحق كل حركةٍ تعمل لهذه الدعوة.

وتساءل غورباتشوف مرةً أخرى، وهل كان سكان أفغانستان من غير المسلمين؟ وهل يتصرّف معنا الأصدقاء الأمريكان في جمهوريات وسط آسيا السوفيتية مثل تصرفهم في أفغانستان؟ أجاب الرئيس الأمريكي جورج بوش: إن الأمريكان لم يتدخّلوا في شؤون أفغانستان أبداً، ولم يعملوا على ضمّها إلى أي حلفٍ تدعمه الولايات المتحدة، وهم قادرون على ذلك، وقد تركوا الأمر لأصدقائهم الروس الذين توانوا بالأمر فلما أقدموا تراخوا وتهاونوا، ولم يحسموا الأمر بسرعةٍ فتعالت صيحات الاحتجاج والمطالبة بالعمل الإنساني فاضطررنا إلى التدخّل. فعلّق الروس على ذلك: لتظهروا أمام العالم بالمنقذين. وفهم الروس أنه من المفروض حسم الموضوع بشكل سريع ولو كان فيه العنف والوحشية.

وقامت حركة في أذربيجان تريد الحرية أو أن ضغط التحمّل قد زاد فانفجر الوضع فأسرع الروس ودخلوا أذربيجان بسرعةٍ وقوةٍ، وحسموا الأمر بعنفٍ.

وارتأى المفاوضون أن أفضل طريقٍ لإضعاف المسلمين وإذلالهم هو تقوية

اليهود وتسليطهم عليهم واغتصاب منطقةٍ بعد أخرى من أراضيهم، ولا يكون هذا إلا بجمع أكبر عددٍ من اليهود في فلسطين، وعندها تزداد الكثافة فيها، ويضطرون إلى التوسعة في الأرض المجاورة لفلسطين، وهي أرض للمسلمين، فيقع الصراع بين الفريقين، ويدعم الأصدقاء اليهود فينتصرون ويتوسّعون، ويُذلّ المسلمون، ويتّجهون إلى المنطقة التي هي فلسطين وما حولها دون سواها، وينسون قضية المسلمين في الامبراطورية الروسية الذين لا يجدون أي دعمٍ، بل ولا أي تفكير بهم فيخنعون، ويضطرون إلى الانصياع والبقاء على أوضاعهم الراهنة. وتمّ قبول الرأي، ولذا كان من باكورة الأحداث التي تَمّت بعد لقاء العملاقين هجرة اليهود من الامبراطورية الروسية إلى فلسطين.

كما اقترح المتفاوضون إجراء صلح بين المسلمين واليهود ليتمكن اليهود من التوسّع بصورة سلمية نتيجة التفوق العلمي والمادي، ونتيجة الدعم والمد بالسلاح لإمكانية نجاح الاتفاق، وتنفيذ المخطط الذي تمّ رسمه. وكانت النتائج:

١ - تفتيت المعسكر الشرقي، وانتهاء المنافسة بين المعسكرين.

٢ - إرضاء اليهود في الولايات المتحدة لما تمّ من نتائج لصالح إخوانهم.

٣ - العمل ضدّ المسلمين، وإشغالهم بقضايا كبيرة في مناطقهم، وخوفاً من القيام بردود فعل منهم يجب تشتيت آراء الشعب.

٤ - حماية الامبراطورية الروسية من الانفجار - ظاهرياً وحسب ظنّ الروس -.

الانفجار: إن ما حدث لا يمكن أن يستمرّ طويلاً.

فاليهود الذين يُثيرون الحروب، ويمتصون الدماء بالمتاجرة بالسلاح قد انتهى دورهم بانتهاء المنافسة بين العملاقين، وخروج المعسكر الشرقي من الساحة. فلا بدّ لهم إذن من إيجاد بديل للحصول على المال، والطريق الأفضل هو إقامة النظام الرأسمالي مكان النظام الشيوعي للإفادة من الربا، والاحتكار،

والمتاجرة بالجنس، والأمر لديهم سهل فهم سدنة النظامين، والشيوعية من صنع أيديهم، ومن رسم أفكارهم، فتحرّك أعوانهم في هذا الخط.

والصليبية تريد إنهاء المنافسة تماماً للسيطرة الكلية على العالم، وإقامة نظامٍ دولي واحد فيه، والتحكّم به، وتنفيذ ما كانت تحلم به سابقاً ما دامت قد أصبحت سيدة العالم، وهذا كله يقضي الانتهاء من عملاقية الامبراطورية الروسية، وتحرّك أعوانها في هذا الاتجاه.

والقادة الروس الذين باتوا يتوقّعون انهيار امبراطوريتهم، وزوال نظامهم غدا من الأفضل لهم التقرّب من المعسكر الغربي ليبقوا في قيادتهم، وليرتقوا في مناصبهم خوفاً من محوهم فيما إذا استمروا على ما كانوا عليه فاتجهوا نحو الغرب يعملون ضمن مخططه وحسب التوجيه لحماية أنفسهم.

وهكذا تضافرت الجهود، واتّحد الهدف، وسار الجمع في هذه الطريق.

وإن النفس لم تعد تتحمّل الظلم أكثر مما تحمّلت.

وإن الفقر والحاجة ليدعوان إلى الوثوب.

وإن التسلّط لم يعد يطاق.

وإن ما حدث في أوربا الشرقية قد أعطى الأمل ومهّد الطريق.

توثّبت النفوس، وزاد الضغط قليلاً، فتمّ الانفجار، وتجزّأت الامبراطورية، وتناثرت الشظايا، وأخذت كل مجموعةٍ، واتجه كل شعب يفتش عن الماضي، وينظر إلى المستقبل، ويطلب مدّ اليد إليه ليعرف الطريق، وامتدّت الأيدي المغرضة، وليس للمسلمين راعٍ ولا موجه، ولا إمكانات ليُدلوا بدلوهم، فالبلاد مُجزّأة، والأمصار مُوزّعة، والأفكار مشتتة، والآراء مبلبلة.

نرجو من الله أن تتجمّع الجداول بعضها مع بعضٍ لتُشكّل نهراً غزيراً يستطيع أن يُزيل العقبات التي تعترض سيره.

المـراجـع

الكتاب	المؤلف	الناشر
• اقتصاديات العالم الإسلامي	محمود شاكر	مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٤
• التاريخ الإسلامي	محمود شاكر	المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الأجزاء السادس والسابع والثامن.
• تاريخ القرن العشرين	بييررونوڤن ـ تعريب نور الدين حاطوم	دار الفكر ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.
• الدعوة إلى الإسلام	توماس أرنولد ـ ترجمة حسن ابراهيم حسن ـ وعبد المجيد عابدين ـ واسماعيل السخراوي	مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٩٠ هـ
• رحلة ابن بطوطة	محمد بن عبدالله اللواتي ابن بطوطة	مؤسسة الرسالة تحقيق علي المنتصر الكتاني الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥ هـ
• رسالة ابن فضلان	أحمد بن فضلان بن العباس	مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق تحقيق سامي الدهان عام ١٣٧٩ هـ
• حاضر العالم الإسلامي	لوتروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب أرسلان	دار الفكر ـ بيروت

الكتاب	المؤلف	الناشر
• صفحات من تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد السوفيات	الشيخ طه الولي	دار الفكر الجديد ـ بيروت ١٤٠٠ هـ
• المسلمون في الاتحاد السوفيتي	محمد علي البار	دار الشروق ـ جدة ١٤٠٣ هـ الطبعة الأولى
• المسلمون في الاتحاد السوفيتي	محمد صفوت السقا	رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠
• المسلمون في الاتحاد السوفيتي	تعريب : إحسان حقي	مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ
• المسلمون تحت السيطرة الشيوعية	محمود شاكر	المكتب الإسلامي ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ
• المسلمون في المعسكر الشيوعي	علي المنتصر الكتاني	رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة. عام ١٣٩٣
• المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي	بنغيسين لومرسييه	ترجمة مجلة الأسبوع العربي في أعدادها ١١٦٥ ـ ١١٩٤
• معجم البلدان	ياقوت بن عبدالله الحموي	دار بيروت للطباعة والنشر

فهرست الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

التاريخ الإسلامي

٢٢

التاريخ المعاصر
الأقليات الإسلامية

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقيا : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

التّاريخ الإسلامي

- ٢٢ -

التاريخ المعاصر

الأقليّات الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين مُحمّد بن عبدالله، وعلى إخوانه الأنبياء أجمعين، وعلى آله وأصحابه الكرام، ومن سار على دربه إلى يوم الدّين أمابعد :

فإن هذا هو الجزء الأخير من موسوعة التاريخ الإسلامي ـ وقد انتهى بإذن الله ـ وموضوعه الأقليات المسلمة ما دامت جزءاً من كياننا.

إنّ المسلم عضو أساسي في الأُمّة الإسلامية أينما عاش سواء أكان ذلك في دار الإسلام أم بعيداً عنها، وله حقّ المسلم على إخوانه مهما نأت دياره أو بعُد موطنه، له حقّ الرّعاية وهو في مكانه، وحق المواطنة إن جاء إلى بلاد الإسلام. وتشمل الرّعاية الاهتمام به، ومعرفة أوضاعه، والعناية بشؤونه، والمطالبة بإنصافه إن ظُلم، وإجبار حُكّامه على العدل معه، وإلزامهم عدم الجور، والاعتراف بماله من حقوق، وإعطاءه حريته في ممارسة شعائره ونشاطه. ومع ضعف الأمة الإسلامية ضعُفت هذه المفاهيم في نفوس أبنائها، بل وغدت باهتةً عند الذين نتوقّع ألاّ تضعُف عندهم لما يحملون من مسؤوليةٍ أو ما يتمتّعون به من معرفةٍ. وغدا التفكير ينحصر في الذات عند أصحاب الأنانيات، وعند الذين يُلاحقهم الحيف أينما ساروا لما يحملون من فكرٍ وما يستقرّ

في نفوسهم من قيم ومبادىء فيضيقون ذرعاً بمن حولهم، أو ينحصر التفكير في المحيط الذي يعيش فيه المرء حتى نشأت العصبيات والعنصريات عند أصحاب الإقليمية الضيّقة والمحلّيّة، وقد يتعدّى التفكير ذلك فيصل إلى أصحاب العصبيات القومية، فإن تجاوز الأمر ذلك كان الناس أصنافاً، صنف فتنتهم الحياة المادية، وأصابتهم الهزيمة النفسية فانطلق بعضهم مُغرّباً وسار الآخر مُشرّقاً، وكلاهما يتّجه بتفكيره وراء ما يُملى عليه، وما يتلقّاه أو بما يُفسّره لنفسه من خلال المُعطيات الأساسية عنده ولا يصل أبداً إلى ما يجري في البلدان الأُخرى المستضعفة والتي تحلّ بها النكبات، إلا بمقدار ما يُريد به أن يُدافع عن وجهة نظره، وصنف همّ بعضهم الاختصاص - حسب زعمهم - وكأنه لم يُبق لفكره وعقيدته واتجاهه شيئاً، وهمّ بعضهم الآخر الرغيف فيلهث وراءه دون أن يحصل عليه، وربما شغل بعضهم نفسه لهواً أو هوى، وصنف يبحث أو يُريد أن يبحث عن أحوال إخوانه ولكن لن يجد عنده المادة التي يتطلّع إليها، أو لن يجد حسب رأيه الوقت للتعرُّف على هذا الموضوع، وإن كان هذا الأمر يصعب تعميمه ولكن لا يُستثنى منه إلاّ العدد القليل، وإذا كان بعض هذا الصنف قد احتواه الطُّغاة في أماكن كثيرةٍ أو سار برأي المستبدّين في عددٍ من البقاع إلاّ أنه ما زال يحمل أفكاره ويدعو لها، ويعمل لها نظرياً إذ أصبحت فارغة المعنى لأنها تُمثّل دعاةً يدعون: ما لا يعلمون، وعلى هذا بقي الواجب على هذا الصنف من المسلمين سواء أكان من الصالحين أم ممن هم دون ذلك، ومع هذا فلم يُؤدّ الدور المطلوب في دراسة أوضاع إخوانه الذين يعيشون حياة بئيسة سواء أكانوا أقلياتٍ أم في ديار الإسلام، ولم يُعط العناية الكافية بهم بل لم ينالوا جزءاً منها.

ومن جانبٍ آخر فإنّ هذه الأقلّيّات التي لم تجد الصلة، ولم تجد الرعاية، ولم تُسعفها ظروفها للوقوف وحدها بقوةٍ بقيت بعيدةً عن إخوانها المسلمين في ديارهم بل أصبحت في مهبّ الريح، أشعرتها العزلة بضعفها وعدم وجود السند، وتفاعلها مع المجتمع الذي تُقيم معه جعلها تتأثّر به، وتأخذ منه بعض

المفاهيم المادية، وفي الوقت نفسه تتخلّى عن بعض مفاهيمها، ومع مرور الزمن أفقدها بُعدها عن إخوانها رابط العقيدة معهم، ومن جهةٍ ثانيةٍ فقد نسيت أو أهملت بعض الأخلاق والصفات والتعاليم الإسلامية بل وبعض الشعائر وبصورةٍ عامةٍ فإن زاوية الانحراف قد ازداد انفراجها مع الزمن، وغدت تتقارب عاداتها مع عادات المجتمع الذي تعيش فيه وتتباعد عن عاداتها الإسلامية حتى لم يبق سوى رابط الانتماء إلى العقيدة مع بعض العواطف الباهتة وبعض التصرفات التي تعدّها أساسيةً ـ حسب زعمها ـ وما هي كذلك كالختان، وحضور أهل العلم أو المشايخ لكتابة عقود النكاح أو حضور الجنائز ودفن الموتى، على حين تُهمل كثيراً من الأسس الدينية إن لم نقل كلها.

ويجب ألا ننسى المناهج المقررة التي لا تعير هذا الموضوع أي جانبٍ من العناية. إن وضع التخلّف الذي نعيش فيه، ونسخ مناهج الغرب أو الشرق وإقرارها لأبنائنا في بيئةٍ مختلفةٍ عن البيئة التي وضعت فيها ولمجتمعٍ يتباين مع المجتمع التي وُجدت من أجله يتباين معه في العقيدة، وفي الفكر، وفي الأهداف التي يسعى إليها كل منهما.

وإن الهزيمة النفسية التي نحياها وتقليدنا للغرب أو للشرق في كل شيء أمر خطير، وإن أخذنا منهما دون دراسةٍ عمل قاتل، وإن المحافظة على التلمذة لهذا أو لذاك مشكلة، إذ نقلّدهما في كل شيء، ومن درس على أيديهما يبقى مُقلّداً ومُطيعاً وناقلاً، إن هذا التصرُّف لا يمكن أن يُعيد للأُمّة نهضتها وستبقى مُخدّرة... وبحاجةٍ إلى إنعاش بالتميُّز والتحرُّر من القيود التي فرضت عليها، والأفكار التي حُقنت بها، والضغوط التي طُبّقت عليها، ولا بدّ من تخليصها من الهزيمة النفسية التي أصابتها، وربّما كان في دراسة الأقليات إحساس لأبنائنا بما يُصيبنا مما يُصيب هذه الأقليات من إخواننا.

هذه الأقليات لا بدّ من التعرُّف عليها ودراسة أوضاعها ومُشكلاتها

وإمكانية مساعدتها للنهوض بها مما تُعاني والأخذ بيدها نحو الطريق السليم لتحسّ أن لها إخوةً ترتبط معهم برابط العقيدة وأنها جزء من الأُمّة المسلمة، ومن أجل هذا فالطريق الطبيعي أن يتعرّف المسلمون على هذه الأقليات لوضع يدهم على نقاط الضعف ومواضع التعب فلعلّ الدراسات تصف العلاج، وتضع الحلول لربط هذه الأقليات بأمّتها الإسلامية بشكلٍ صحيحٍ وتمثّل هذه الروابط.

والله نسأل التوفيق وسداد الخطا والحمد لله رب العالمين.

توزع الأقلّيات

من الصعب جداً إعطاء أرقامٍ دقيقةٍ عن عدد الأقلّيّات المسلمة سواء أكان ذلك في العالم كله أم في قارةٍ معينةٍ أم في رقعةٍ محددةٍ لأن أكثر الاحصاءات إنما تعتمد في كثيرٍ من الجهات على التقدير، وخاصةً في كثيرٍ من البلدان التي يعيشون فيها بحجة عدم إثارة القضايا الطائفية أو لأن أكثرية السكان من المسلمين على حين أن حُكّامهم من غير المسلمين، لذا يخشون كشف الحقيقة حرصاً على مناصبهم وهو ما يُسمّونه إثارة القضايا الطائفية ولا شك أن إرساليات التنصير، والحكومات النصرانية لها دورها الكبير في هذا الشأن، يُضاف إلى ذلك أن كثيراً من المسلمين يخافون تسجيل عقيدتهم في سجل الاحصاءات خوفاً مما قد يلحقهم من ظلمٍ وخاصةً في البلدان التي تتحكّم فيها الشيوعية أو يسود فيها الاستبداد، وكما هو معلوم أن الحيف يلحق بالمسلمين في معظم جهات العالم، والحرب إنما تُوجّه ضدّهم في كل مكان، فليست البلدان الشيوعية وحدها هي التي تُحارب الإسلام، وإنما هي التي تُعلن ذلك وتُصرّح به على حين يُخفي غيرها ذلك، ويتّخذ وسائل متنوعةً لتلك الحرب تصل إلى الإبادة أحياناً، لذا ليس غريباً أن لا يُظهر بعض المسلمين عقيدته، وربما كان أحياناً وراء تحقيق بعض المنافع يحصلون عليها من الإرساليات التنصيرية أم من المنظمات الشيوعية.

ولعلّ أكثر ما تقع الأخطاء إنما في إفريقية لعدم توفّر إحصاءاتٍ دقيقةٍ ، ولقيام عددٍ من الحكومات النصرانية تتحكّم بالأكثرية المسلمة ، ولدور الإرساليات التنصيرية الكبير ، إضافة إلى جهلٍ المسلمين.

ويقع التباين أحياناً في التقديرات للخلافات التي تقع في تحديد مفهوم الدولة الإسلامية ، وفي تحديد هذه الدول ، فالذين يعدّون بعض الدول إسلاميةً يُسقطون المسلمين فيها من الحساب فيقلّ عدد الأقليّات . والذين يعدّونها غير مسلمةٍ يحسبون من فيها من المسلمين ضمن الأقليات فيزيد عددها ، وإذا كنا نعد الدول إسلاميةً تلك التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠ ٪ ، غير أننا نقع في خطأ الإحصاءات أو تعمّد الخطأ الذي تقوم به دول معيّنة ، وتعمل جاهدةً لإنقاص عدد المسلمين فيها حرصاً على مصالحها وتعصباً لدينها أو لصليبيتها مثل الحبشة ، وسيراليون ، وساحل العاج ، والتوغو ، وبنين ، وإفريقية الوسطى ، والكاميرون ، وتانزانيا . ونحن نتبنّى إحصاءات المسلمين وتقديراتهم بعد مقارنتها ودراستها دراسةً موضوعيةً مع إحصاءات دولهم وتقديراتهم ، ومحاولة الخروج بنتائج صحيحةٍ.

يعيش خارج حدود العالم الإسلامي أقليات من المسلمين يصل عددهم إلى ما يقرب من /٢٦٨/ مليون مسلم ، فهم يُشكّلون ٢٤ ٪ من عدد سكان العالم الإسلامي ، ومع ذلك فهم أقليات يتوزّعون في عددٍ كبيرٍ من الدول ، منهم ٩٨ ٪ يعيشون على هامش العالم الإسلامي في البر القديم أي في القارات الثلاث آسيا وإفريقية وأوربا ، ويتوزّعون بصورةٍ غير متساويةٍ ، إذ يُقيم معظمهم في آسيا ويزيد عددهم هناك على ٢١٦ مليوناً ، ويُشكّلون أكثر من ٨٠,٣٦ ٪ على الرغم من أنه لا تُوجد نسبٌ عاليةٌ من المسلمين في البلدان التي يعيشون فيها كأقلّياتٍ ، وفي الوقت نفسه لا يزيد عدد تلك البلدان على العشرين دولة ، إلا أن تلك الدول ذات أعدادٍ كبيرةٍ من السكان الأمر الذي يجعل عدد المسلمين كبيراً ، وخاصة إذا علمنا أن ما يقرب من ٩٠ ٪ من

هذه الأقليّات يتجمّع في دولتين كبيرتين هما الصين والهند، إذ يُقدّر عدد المسلمين في الأولى بمائة مليون، وتبلغ نسبتهم ١٠٪، ويعيش في الثانية أقلّ من هذا العدد بقليلٍ، ويُقدّرون بـ ٩٤ مليوناً، وتبلغ نسبتهم ١٤٪ من السكان.

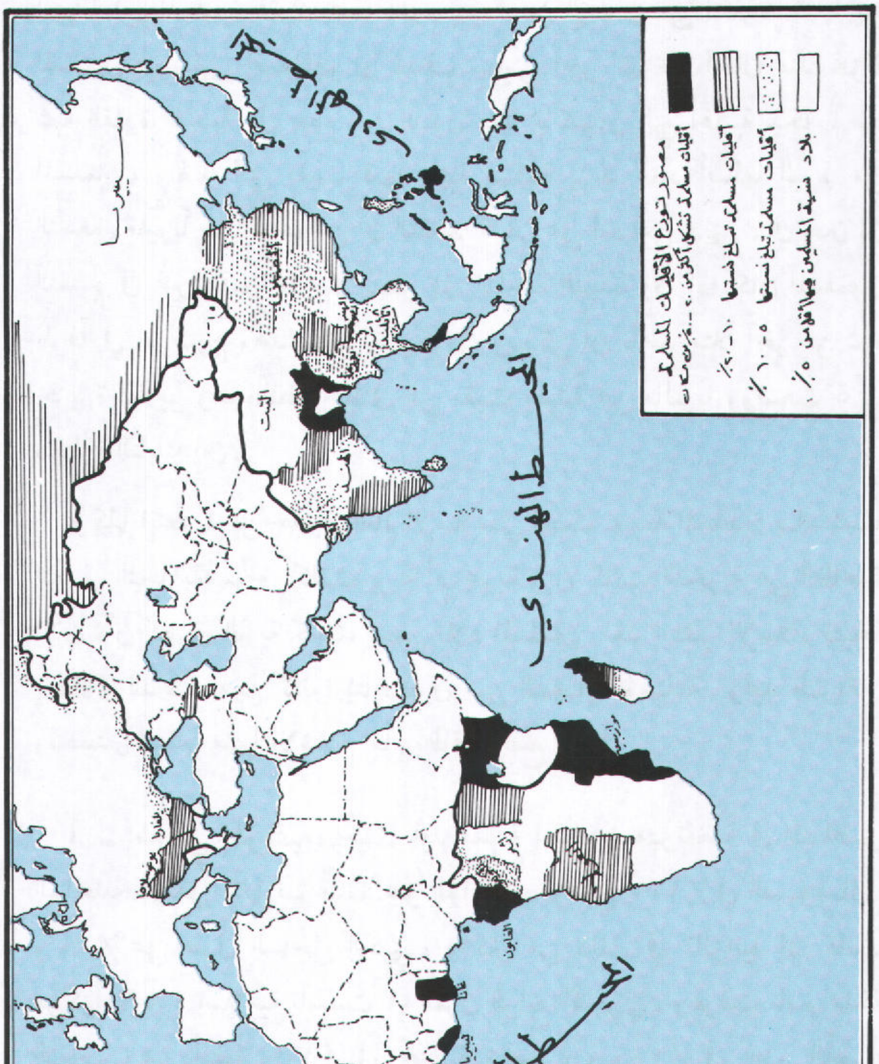
أما في إفريقية فيقطن /٣٠,٥/ مليوناً من المسلمين خارج حدود العالم الإسلامي، ويُشكّلون ما يقرب من ١١,٤٤٪ من الأقليّات التي تعيش على مقربة من الحدود الإسلامية، على الرغم من أن النسب ترتفع في عدد من الدول إلى أكثر من ٣٠٪ كما هي الحال في كينيا، وأُوغنده، ومالاوي، والغابون، وغينيا الاستوائية، وغانا، وليبيريا، كما يوجد عدد من الدول تزيد نسبة المسلمين فيها على ٢٥٪ مثل ملاغاشي، وموزامبيق، وبورندي و... ومع هذا فعدد المسلمين قليل، وذلك لأن عدد سكان تلك الدول إنما هو بالأصل قليل، ومجموع سكان إفريقية لا يزيد كثيراً على ثلث عدد سكان الصين، هذا مع العلم أن عدد الدول الإفريقية التي فيها أقلّيّات مسلمة كبير ويزيد على ٣١ وحدةٍ سياسيةٍ، وأن قارة إفريقية ذات نسبةٍ مسلمةٍ كبيرةٍ تصل إلى ٦٠٪ على حين أن نسبة المسلمين في قارة آسيا لا تصل إلى نصف هذه النسبة.

أما قارة أوربا فليس فيها سوى ١٦,٤٤٠,٠٠٠ مسلم من أبنائها، يعيشون كأقليّاتٍ، وتُساوي نسبتهم ٦,٢٪ بالنسبة إلى مجموع الأقليات المسلمة، وأن ٤٣٪ منهم يُقيم في يُوغوسلافيا، وبلغاريا، حيث يُقيم في الأولى أربعة ملايين ونصف، وتبلغ نسبتهم بالنسبة إلى سكان البلاد ٢٠,٤٪، ويُقيم في الثانية ما يُقارب المليونين والنصف، وتبلغ نسبتهم ٢١٪ بالنسبة إلى سكان البلاد، أما بقية بلدان أوربا فإن نسبة المسلمين فيها ضعيفة باستثناء مالطة التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ١١٪، ولكنهم لا يزيدون على الأربعين ألفاً، لأن سكان مالطة كلهم إنما هو /٣٥٠/ ألفاً فقط.

ومن المعلوم أن عدداً كبيراً من المسلمين في أوربا قد أُبيد بسبب الحقد الصليبي كما هي الحال في الأندلس وصقلية وكريت، وأن عدداً منهم قد هُجّر كما هي الحال في شرقي أوربا كما نالتهم الإبادة في ذلك الجزء من القارة، ويجب ألا ننسى الأعداد الكبيرة من المسلمين التي وفدت أوربا في الأيام المعاصرة لأسبابٍ كثيرةٍ وتبلغ عدة ملايين.

أما الأقليات المسلمة التي تعيش بعيدة عن العالم الإسلامي والتي تبلغ نسبتها ٢٪ فقط بالنسبة إلى مجموع الأقليّات المسلمة في العالم فهي تعيش في قارتي أمريكا وأُوقيانوسيا، ويصل عددها إلى أقل من خمسة ملايين، ويتجمّع معظمها في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ثلاثة ملايين، ويُشكّلون ٦٠٪ من مجموع المسلمين الذي يعيشون في العالم الجديد، والباقي يقطنون باقي دول أمريكا وأُوقيانوسيا. وبذا يكون توزّع المسلمين حسب القارات نحو النحو التالي:

آسيا	٢١٦,٠٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٨٠,٣٦٪	من مجموع الأقليات
إفريقية	٣٠,٥٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون	١١,٤٤٪	من مجموع الأقليات
أوربا	١٦,٤٤٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٦,٢٠٪	من مجموع الأقليات
العالم الجديد	٥,٠٠٠,٠٠٠	ويُشكّلون	٢,٠٠٪	من مجموع الأقليات
	٢٦٧,٩٤٠,٠٠٠		١٠٠,٠٠	


مصور توزيع الأقليات المسلمة
أقليات مسلمة تبلغ نسبتها ١٠ - ٢٠٪
أقليات مسلمة تبلغ نسبتها ٥ - ١٠٪
بلاد نسبة المسلمين فيها أقل من ٥٪
المحيط الهندي
المحيط الأطلسي
المحيط الهادي
سيبيريا
التبت
الصين
الهند
غانا
ليبيريا
الغابون
زائير
موزمبيق
يوغسلافيا

وإن نظرةً على مُصوّر توزّع الأقلّيات المُسلمة تُظهر لنا أن أكثر هذه الأقلّيات إنما يعيش على هامش العالم الإسلامي بسبب تأثير المسلمين على من جاورهم، وبسبب الدعوة إضافةً إلى أن تخطيط الحدود السياسية قد فصل أحياناً بين المسلمين فترك قسماً منهم بعيداً عن البلدان التي أكثر سُكانها من المسلمين في سبيل إضعافهم أو لهدفٍ سياسي آخر كما هي الحال عند تجزئة شبه القارة الهندية إلى عددٍ من الدول منها باكستان التي أغلبية سكانها من المسلمين، والهند التي بقيت فيها أقلية مسلمة يزيد عدد أبنائها اليوم على التسعين مليوناً على الرغم من أن التقسيم كان على أساسٍ دينيٍ، في حين أن التقسيم في غير هذه الحالة لا يُنظر إلى الناحية الدينية إلاّ إذا كان المسلمون طرفاً في الموضوع وهذا غالباً ما يكون، ويُمكن أن نأخذ مثلاً آخر من شبه جزيرة الملايو وهو منطقة فطاني التي بقيت بعيدةً عن ماليزيا ووضعت تحت سيطرة التايلنديين.

وكلما ابتعدنا عن حدود العالم الإسلامي قلّت نسبة المسلمين باستثناء الطرق التجارية سواء أكانت برية أم بحرية وإن كانت البحرية هي الظاهرة الآن لأنّ الطرق البرية كانت ضمن بلاد المسلمين. لقد انتشر الإسلام نتيجة إنطلاق الدعاة الذين كانوا يتخذون من التجارة وسيلةً، ونجد طريقين رئيسيتين انتشر منهما الإسلام على نطاقٍ واسعٍ وهما:

أ - شرقي إفريقية: حيث نجد نسبة المسلمين مرتفعةً في المناطق الساحلية، وتقلّ كلما توغّلنا نحو الداخل، وهي ١٠٠٪ في الصومال، و٧٠٪ على طول الساحل الكيني، وأكثر من ذلك في تانزانيا إذ كانت مركزاً لإمارةٍ إسلاميةٍ تأسّست في القرن الرابع الهجري، وعرفت باسم مملكة الزنج، وهي أيضاً ١٠٠٪ في جزيرة زنجبار، و١٠٠٪ في جزر القُمُر، و٥٠٪ على الساحل الموزمبيقي، وأكثر من ذلك على سواحل ملاغاشي الشمالية، وتختلف في الجزر المتناثرة في جزر المحيط الهندي، ومن المعلوم أن

المسلمين قد وصلوا في رحلاتهم البحرية في شرقي إفريقية إلى جنوبي موزمبيق، وكان آخر مرفأ لهم مدينة سُفالة في موزمبيق وتقع على خط عرض ٢٠° جنوباً.

ب - طريق جنوب شرقي آسيا: وقد عمّ الإسلام في أندونيسيا وماليزيا وجنوبي الفلبيين بل في كل تلك الجزر، ونلاحظ أن السواحل التي تقع على الطريق التجارية قد أصبحت فيها نسبة المسلمين أكثر من التي لا تمرّ منها السفن إذ انتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية أكثر من الشرقية لكثرة السفن الإسلامية التي تفد إليها وتعود، أو تتخذ عليها قواعد في انتقالها نحو الشرق، وكذا فإن جنوبي السواحل الشرقية كان أكثر نسبةً في المسلمين من الشمالية منها والمقعّرة، حيث تضطر السفن إلى الرسو في المناطق الجنوبية عندما تجتاز الممرّ الذي يفصل بين شبه القارة الهندية وجزيرة سيلان، وتسير بعدها مُيمِّمةً شطر سومطرة والملايو دون مسايرة السواحل، أما ارتفاع المسلمين في البنغال فإنما يعود إلى الفتح الذي جاء عن طريق الهند وبلاد السند، وليس عن طريق التجارة البحرية والدعوة، كما سبق أن ذكرنا، وعن طريق سومطرة انتشر الإسلام في بقية الجزر الأندونيسية وبلاد الفيليبين. وكانت بعض السفن تتخذ من غربي شبه جزيرة الملايو قاعدة لها أو يكون آخر طريق لها، إذ تنتقل البضائع بعد ذلك براً عبر برزخ الملايو الضيّق، ثم تعود إلى البحر ثانية نحو بلاد الهند الصينية والصين الأمر الذي جعل نسبة المسلمين مرتفعة في منطقة فطاني، عند مرور البضائع منها أو النزول إليها والإقلاع منها. وعند سير السفن على طول سواحل قارة آسيا الشرقية نجد المسلمين يتكاثرون في المحطات التي تتوقّف عندها السفن وتظهر في المناطق الممتدة في البحر أكثر من غيرها الأمر الذي يجعل منها بالضرورة محطاتٍ للسفن التي لم تكن لتبتعد كثيراً عن الشواطىء أي ترتفع نسبة المسلمين على السواحل المحدبة وتضعف على السواحل المقعرة التي تُشكّل خلجاناً لهذا نُلاحظ قلّة

نسبة المسلمين على سواحل خليج سيام المتقعر، على حين ترتفع النسبة في وسط سواحل فيتنام حتى قامت هناك إمارة (شامبا) الإسلامية، واستمرّت مدةً من الزمن وحتى بداية القرن الماضي، ثم تعود النسبة إلى الانخفاض بل إلى شبه الانعدام على سواحل خليج (طونكين)، ثم تبرز قاعدة (كانتون) وعدداً من المدن منها (هانغ تشو) التي أطلق عليها المسلمون اسم (خانسو)، ولكثرة سكان الصين تعددت المراكز على سواحل تلك البلاد الأمر الذي جعل نسبة المسلمين ترتفع على طول شواطىء الصين الشرقية بينما تنخفض النسبة في وسط البلاد بسبب البعد عن ديار المسلمين، ولم يصل المسلمون شمالاً إلى أكثر من شبه جزيرة (شانتونغ) لذا فإن نسبة المسلمين تقلّ كثيراً شمال سواحل الصين حتى تكاد تنعدم. هذا ما نلاحظه في كوريا وجزر اليابان وسواحل سيبيريا الشرقية.

وقد نلاحظ مناطق تكاد تكون خاليةً من المسلمين بجانب حدود العالم الإسلامي مثل التيبت التي لم يدخل إليها المسلمون لارتفاعها وكثرة البرد فيها، والجفاف، إضافة إلى قلة السكان، والمسلمون يريدون دعوة الناس، ولا يُفكّرون في التراب واحتلال الأرض، كما نلاحظ منطقة البنجاب الشرقية التي غادرها أهلها من المسلمين بعد تقسيم القارة الهندية إلى الهند وباكستان حيث تعرّض المسلمون هناك لأشدّ أنواع الاضطهاد، فغادرها أهلها فارين بدينهم، وإن لم ينج الكثير منهم من الموت عند الحدود حيث كان لهم الهنادك بالمرصاد. يدفعهم الحقد والتعصُّب. ونلاحظ انقطاعاً في انتشار الإسلام شمال إفريقية وذلك بسبب الإبادة التي لحقت بالمسلمين في الأندلس وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط، وكان آخرها جزيرة (كريت) التي كان فيها يوم خرج العثمانيون منها عام ١٣١٦ هـ من المسلمين ما يُقدّر بـ (تسعةٍ وثمانين) ألفاً، ثم أُجبر قسم منهم على الهجرة من أرضهم، واختفى قسم كبير آخر في ظل الحكم اليوناني الذي تسلّمها بعد أن دُوّلت، وبقي من المسلمين في الجزيرة عام ١٣٢٧ ثلاثة وثلاثون ألفاً أي زال

ثلثا عدد المسلمين في مدةٍ لا تزيد على أحد عشر عاماً، ثم استمرّ العدد في النقصان نتيجة الإبادة والتهجير حتى تكاد تخلو اليوم من أي مسلم. وكذا خضع جنوب شرقي أوربا كله للإبادة والتهجير والإجبار على الردة والتنصير حتى انخفضت نسبة المسلمين كثيراً بعد أن كانت أكبر مما هي عليه الآن بكثير على الرغم من أن زيادة تكاثر المسلمين تفوق غيرهم بكثير، ولا يزال الأمر وعلى أشدّه الآن وخاصةً في بلغاريا.

تطوّر وضع الأقلّيّات المسلمة: يُمكن ملاحظة عدة مراحل للأقلّيّات المسلمة وتوزّعها في العالم.

المرحلة الأولى: وهي التي سبقت القرن العاشر الهجري، ولا نستطيع أن نقول: إن هناك أقلّيّات مُسلمة، وإنما كان التجار الذين ينتقلون من ديار الإسلام، ويصلون إلى مناطق بعيدةٍ خارج حدود بلاد الإسلام وخاصةً إلى جنوب شرقي آسيا، وشرقي إفريقية ـ كما مرّ معنا ـ وتحدوهم الدعوة إضافةً إلى التجارة وقد يستقرّ لذلك بعضهم هناك من أجل الدعوة إن وجد ثمرةً في عمله أو أنه يُبشِّر بخير، وربّما كان لرواج تجارته أثر في استقراره، وربما كانت لبعض الأحداث السياسية أثر في البقاء أو في الهجرة من الأساس، وعلى كل حال فإن المسلم كان في أماكن استقراره الجديد يتمتّع بميزاتٍ حسنةٍ تفوق ما يتمتّع به أهل البلاد الأصليون وذلك لأسبابٍ كثيرة منها:

١ ـ السلوك الإسلامي الذي يتصرّف به التاجر المسلم أو الداعية، وهو سلوك أصيل غير متصنع.

٢ ـ التفوّق الحضاري لدى المسلمين.

٣ ـ الثراء المادي نتيجة رواج تجارة المسلمين لحسن معاملتهم.

٤ ـ الدعم الذي يتوقعه سكان البلد الأصليون والذي كان قائماً فعلاً، إذ أن الدولة الإسلامية كانت ذات مكانةٍ مرموقةٍ في العالم كلّه، وتدعم المسلمين أينما وُجدوا وترعاهم، وتُطالب الدولة التي يُقيمون على أرضها بحسن

معاملتهم، فهم سفراؤها ومن رعاياها. ويجب أن نُلاحظ نقطةً مُهمَّةً في هذا الشأن: وهي أن الدولة الإسلامية تدعم الدعاة والتجار المسلمين أيّاً كانت البلد التي انطلقوا منها سواء أكانوا من رعاياها أم من رعايا دولةٍ أُخرى، وذلك عندما تعددت الدول الإسلامية، وسواء أكانوا من أنصارها أم من خصومها السياسيين تنظر إليهم على أنهم مسلمون وهي دولة إسلامية، ولم تكن النظرة القائمة اليوم والتي لا تقوم على مفهومٍ صحيحٍ بل على مفهومٍ خاطىءٍ، وهو أنه لا علاقة لهم إلاّ إذا كانوا من رعاياها ومن أنصارها وأعوانها، إذ المفهوم اليوم يقوم على العصبية وعلى المصالح الشخصية وليس على أساسٍ إسلاميٍ. ومن هذا المنطلق ومن هذا الوضوح في الرؤية استطاع التجار والدعاة نشر الإسلام، ولم تلبث المناطق التي نمت فيها مجموعة إسلامية كأقلية أن غدت بلاداً إسلامية وربما بقي تجار ودعاة على شكل أفرادٍ ومجموعاتٍ صغيرةٍ في مناطق ثانيةٍ لكن لهم مركزهم الممتاز ولهم وضعهم الحسن، فالمسلمون جميعاً من ورائهم.

المرحلة الثانية: وتمتدّ من القرن العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر، وفيها جاء الاستعمار، وتفوّق النصارى الصليبيون على المسلمين، واحتلّوا أكثر بلدانهم، وقسّموها إلى أجزاء سواء أكانت أقساماً فيما بينهم أم أجزاء تتبع نوعاً واحداً من الاستعمار، ونتيجة هذه التجزئة فقد نشأت الأقاليم التى تعيش فيها أقليات مسلمة، وهي التي تقع عادةً على هامش العالم الإسلامي، إذ أن المستعمرين قد اقتطعوا أقاليم من أطراف العالم الإسلامي وألحقوها بالبلدان المجاورة لها فنشأت لذلك أقليات مسلمة في تلك البلدان التي أُنشئت حديثاً، وربما كانت إفريقية أهم مجال لقيام هذا النوع من الأقليات إذ ضُمّت أطراف السافانا التي انتشر فيها الإسلام إلى المناطق الغابية الجنوبية التي لم يصل إليها الإسلام بعد، وربما كان بعض هذا النوع في آسيا إذ ضمّ المستعمرون منطقة فطاني المسلمة بعد سلخها من شبه جزيرة الملايو إلى بلاد تايلاند البوذية.

أو أن المستعمرين قد احتلّوا بلاداً فأجلوا عنها قسماً من المسلمين حتى غدوا أقليةً في مناطق وتركّزوا في مناطق ثانيةٍ، كما هي حال المسلمين في الفيليبين الذين كانوا يحكمون الجزر كلّها، ويقوم راجا سليمان بإدارة شؤون الإمارة هناك فلما جاء الاسبان بدؤوا بحروبٍ ضدّ المسلمين فجلا أكثر المسلمين عن المناطق الشمالية وتركّزوا في الجزر الجنوبية فبقيت أقلية مسلمة في الشمال، وارتفعت نسبة المسلمين في الجنوب. ثم غدا المسلمون جميعاً أقليةً.

وفي هذه المرحلة كانت الأقلّيّات المسلمة تعيش في عزلةٍ عن مجتمعها، وفي انقطاعٍ عن إخوانها للضعف الذي أصابهم والغفلة التي أصابتهم بسبب الاستعمار الذي نزل بساحتهم وسياسته التي أورثتهم الجهل.

المرحلة الثالثة: وتمتدّ من بداية القرن الثالث عشر حتى الربع الأخير من القرن الرابع عشر. وهي تتمة للمرحلة السابقة من حيث ضعف المسلمين وعُزلة الأقلّيّات المسلمة، غير أن الأقلّيّات بدأت تزداد نتيجة انتقال أعدادٍ كبيرةٍ من المسلمين إلى بلدان أخرى خارج حدود العالم الإسلامي لأسبابٍ كثيرةٍ وربّما كان أهمها انتقال المسلمين في بلادهم المستعمرة إلى بلاد المستعمر بالذات، ولعلّ من هذه الأسباب في الانتقال:

١ً ـ العمل: سواء أكان الانتقال برأي المسلمين أنفسهم أو بالإجبار من قبل مُستعمريهم لاستخدامهم في الأعمال الشاقة كمناجم الفحم، أو للخدمة وخاصةً من البلدان الكثيرة السكان مثل الهند، وأندونيسيا، ومصر، وتركيا، وبلاد المغرب نسبياً، أو للعمل في الجيش في المستعمرات النائية كالهنود، والملايويين، والأندونيسيين الذين عملوا في إفريقية، وفي انكلترا نفسها، وفي هولندا، وسكان المغرب الذين عملوا في فرنسا.

٢ً ـ الهجرة: نتيجة الأوضاع السياسية في بلدانهم كهجرة بعض التتار من الإمبراطورية الروسية نتيجة الظلم الذي لحق بهم من قبل المستعمرين الروس، أو

المجموعات القفقاسية (داغستان ـ شاشان ـ شركس) بعد استعمار الروس لبلادهم ، أو البوشناق والكومان بسبب ضغط الصربيين النصارى بعد استيلائهم على أراضيهم بعد خروج العثمانيين منها ، وربّما نتيجة حركاتٍ داخلية وثورات ، كالأكراد الموزّعين في عدّة دولٍ والمضطهدين في كثيرٍ من الأحيان ، وقد تكون لأسبابٍ محليةٍ ونزاعاتٍ قبليةٍ أو عائليةٍ .

المرحلة الرابعة: وتمتدّ من الربع الأخير من القرن الرابع عشر حتى يومنا هذا ، وتمتاز عن المرحلتين السابقتين بزيادة عدد الأقليات ، ويمكن ملاحظة الأسباب الآتية لكثرة الأقليات أو الجاليات الإسلامية :

١ً ـ استقلّت أكثر دول العالم الإسلامي وكان لها سفارات وقنصليات في الدول الثانية غير المسلمة فكان على موظفي السفارة الإقامة في تلك الدول ، ولمّا كانوا في بيئةٍ مختلفةٍ عن بيئتهم ، ومجتمع يتمايز عن مجتمعهم فقد نشأت عندهم مُشكلة تعليم أبنائهم ، واحتكاكهم بالمجتمع الجديد واختلاطهم بأفراده وهذا ما أوجد التقاء المسلمين من موظفي تلك السفارات بعضهم مع بعض ، وظهور جالية سياسية إسلامية أو أقليّة ، ولا يقتصر هذا على العاصمة بل يتعدّى ذلك إلى المدن الكبرى حيث توجد القنصليات .

٢ً ـ اتّجه كثير من الطلاب لتلقّي العلم في تلك الدول نتيجة تطوّره وتوسّعه هناك على حين كانت البلدان الإسلامية مُتخلّفة فالطلاب إضافةً إلى من يلحق بهم من ذويهم يُشكّلون مجموعةً أخرى تُضاف إلى المجموعة السياسية ، وأكثر ما تكون هذه التجمّعات في المدن التي توجد فيها جامعات .

٣ً ـ ازداد اتجاه العمال المسلمين إلى تلك الدول للعمل ، وقد مرّت ضائقات اقتصادية في عددٍ من البلدان الإسلامية دعتهم للارتحال .

٤ً ـ حدثت أحداث في العالم الإسلامي ألجأت أعداداً من أبنائه للتوجّه إلى الدول غير المسلمة للإقامة فيها ، ومن هذه الأحداث الانقلابات

العسكرية، والحركات السياسية، وأعمال الاستبداد، والخلافات بين المنظّمات، وربّما كان حظّ بلدان العالم الإسلامي من هذه الأحداث كبيراً يفوق بقية بلدان العالم الأُخرى.

ومن التقاء هذه المجموعات تكونت الجاليات الإسلامية، أو الأقلّيّات، ومن المعلوم أن الدول الصناعية المتطوّرة هي التي تحظى بأكبر عددٍ من الأقليات إذ هي التي تحتاج إلى عددٍ كبيرٍ من العمال، ويفدها الكثير من الطلاب، وهي التي يلجأ إليها عدد من المشرّدين أملاً في وجود حمايةٍ أو وجود عمل مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وانكلترا، وفرنسا، وألمانيا الاتحادية، ثم بلجيكا وبقية دول أوربا الغربية. ويجب ألا ننسى الدول الجديدة ذات الإمكانات الكبيرة في الاستيعاب وتوفّر العمل كالولايات المتحدة الأمريكية في أول أمرها، وكندا، والأرجنتين، والبرازيل، وأستراليا، أو بالأحرى هذا شأن العالم الجديد عامّةً. وهناك الدول التي نقل المستعمرون إليها عدداً من سكان مستعمراتها أو من إفريقية لاستثمارها والحصول على خيراتها، فالزنوج في الولايات المتحدة، والإفريقيون، في شمالي أمريكا الجنوبية، والهنود و....

الأقليات المسلمة
في
قارة آسيا

تتجمّع مُعظم الأقليّات في آسيا في الجنوب الشرقي منها حيث يتكاثر السكان، ولم ترتفع نسبة المسلمين كثيراً لأن الفتوحات الإسلامية لم تصل إلى تلك الجهات، كما أن بعض المناطق لم تكن على الطريق التجارية لذا فقد تأخّر انتشار الإسلام فيها في الوقت الذي كان يُعدّ وقتاً للتوسّع الإسلامي إن لم نقل عن طريق الفتح فعن طريق الدعوة، إضافةً إلى بُعد البقاع مثل كوريا، وجزر اليابان، وفورموزا ولم تصل السفن الإسلامية إلى أبعد من شبه جزيرة (شانتونغ) والخليج المقابل للعاصمة الصينية بكين، إضافة إلى انعزال أجزاء في داخل القارة الواسعة مثل منغوليا وداخل الصين، واشتداد البرد في الأجزاء الشمالية، وامتداد الغابة المخروطية والصحارى الباردة الأمر الذي يُؤدّي إلى قلة السكان وقلّة المردود في الدعوة، وتُوجد أقلّيّات صغيرة في الشمال من حدود العالم الإسلامي، ويعود ذلك إلى بُعد سيبيريا ونأيها، وقلّة سكانها آنذاك، والمعوقات الطبيعية من الْمُناخ والغابات، مع العلم أن الفتوحات الإسلامية قد وصلت إلى بلاد ما وراء النهر في القرن الأول الهجري ولكن لم تلبث أن توقّفت، إذ لم تكن الدعوة منظمةً ليزداد الدخول في الإسلام والإقبال عليه، كما أن أعداد التجار الذين كانوا يفدون إلى تلك الجهات للاتجار بالفراء كان قليلاً لم يف بالغرض المطلوب، وكان تنقّلهم في مواسم معيّنة، وفي أوقاتٍ قصيرةٍ لا تتجاوز مطلع الصيف.

أما من جهة الغرب فلا تُوجد أقلّيّات لأن غربي آسيا إنما هو وسط العالم الإسلامي، إلا قبرص فهي ذات أقلّيةٍ مسلمةٍ لأن الحقد الصليبي قد ركّز عمله على جزر البحر المتوسط حتى أزال منها الإسلام، وتُعدّ جزيرة قبرص الجزء الباقي الذي لم ينته منه بعد، ولم يستطع المدّ الصليبي أن يقضي عليه حتى الآن بسبب موقف المسلمين هناك ودعم تركيا، ولا يزال يقوم بدوره.

أما الجنوب الغربي من آسيا فليس به من أقلّيات إذ أنه يقع في مركز العالم الإسلامي.

(١) الهــــند

وهي بلاد واسعة تزيد مساحتها على ٣,٢٨٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٥٨٥ مليون نسمة، يعيش بينهم أكثر من ٩٤ مليون مسلم، وبذا تكون نسبتهم ١٤٪ من السكان.

وصل الإسلام إلى الهند عن طريق الفتح، إذ دخل محمد بن القاسم الثقفي الجهات الشمالية الغربية عام ٩٤ هـ، وتوقّف بعدئذٍ الفتح، ثم عاد أيام الغزنويين، وفتح محمود الغزنوي (بومباي) وبعض تلك الجهات بين عامي ٣٩٢ - ٤١٥ هـ. ووصل المسلمون أيام الغوريين إلى البنغال، وقد فتحوا (دهلي)، و (بيهار) و (البنغال) حوالي عام ٥٩٧ هـ، وحكمت أسرة (تغلق) في (دهلي) الهند كلّها عام ٧٣٩ هـ. ثم جاء المغول وحكموا الهند كلها أيضاً في القرن العاشر فانتشر الإسلام في الداخل أيام آل تغلق ثم في عهد المغول.. وإذا كان الإسلام قد انتشر في الشمال نتيجة الفتح الذي كان طريقه من بحر العرب إلى البنغال فإن السواحل قد انتشر فيها الإسلام نتيجة التجارة والدعوة، وتعمّق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعاة في مناطقها المختلفة، ولولا المستعمرون الذين دخلوا البلاد مغتصبين، ووقفوا في وجه الإسلام وحاربوه بكل وسيلةٍ امتلكوها لعمّ المناطق كلّها. ولذا فإن المناطق الشمالية التي بين السند والبنغال والسواحل الغربية يجب أن تكون

نسبة المسلمين فيها أكثر من المناطق الداخلية والسواحل الشرقية، لكن توزَّعَ المسلمون في أرجاء الهند كلها عندما آل حكمها إليهم، فقلّ الفرق بين النسب المتباينة، ولما جاء الاستعمار وخضع المسلمون للاضطهاد والتفرقة اضطروا إلى التجمُّع في مناطق محدودةٍ حتى يكون بعضهم قريباً من بعض من أجل التعليم، وإمكانية الحياة الاجتماعية، والوقوف في وجه خصومهم الذين تمثّلوا في الهنادك والذين كان يحرّكهم المستعمرون للانتقام من المسلمين ـ على حدّ تعبيرهم ـ.

وكذا بعد الاستقلال إذ أصابهم الضغط الشديد بسبب عقيدتهم، ولأن الهنادك يُحرّمون لحم البقر، ويعبدون البقرة، والمسلمون يأكلون لحمها، ويحرثون عليها، ولا يُبدون لها التقديس الذين يُريده الهنادك الأمر الذي تحدث معه المذابح بين الطرفين من جراء ذلك، وهذا ما جعل المسلمين يعيش بعضهم بجانب بعضٍ، لهذا كله تجمّع المسلمون مرّةً ثانيةً في مناطق محدودة، وقد زاد سوء تصرّف الهنادك بعد تقسيم البلاد إلى دولٍ على أساسٍ دينيٍ فقلّ عدد المسلمين، وقلّ شأنهم، وتصوّر الهنادك أن المسلمين غدوا خصومهم، فبدأت نفوسهم تتوثّب للانتقام والمخططات توضع للفتك بهم، واختلفت نسبتهم في البقاع التي يحتمل أن تكون كبيرة فيها ومع هذا نُلاحظ الاختلاف في نسب المسلمين حسب المقاطعات التي يعيشون فيها تبعاً لموقعها.

ففي مناطق الشمال بين السند والبنغال ترتفع النسبة فهي:

في البنغال الغربية	٣١٪
وفي أسام	٣٤٪
وفي بيهار	١٤٪
وفي اتربرادش	١٦٪
وفي دهلي	٧٪

أما انخفاض النسبة في البنجاب الشرقية فيعود إلى هجرة المسلمين منها

وانتقالهم إلى الجزء الغربي منها حيث يقع ضمن دولة باكستان التي تجمّع فيها المسلمون.

وفي السواحل الغربية ترتفع النسبة وخاصة في الشواطىء التي كانت محطات للسفن، وتبلغ هذه النسبة في:

كوجرات	٩٪
وفي مهاراشترا	٨٪
وفي ميسور	١١٪
وفي كيرالا	٢٠٪

وتصل في جزر لاكاديف إلى ٩٤٪ بسبب أنها كانت محطاتٍ للسفن جميعها سواء تلك التي كانت تُريد أن تقف على سواحل الهند الغربية ولا تتعداه أم التي كانت تُريد أن تُتابع طريقها دون التوقّف في بلاد الهند. ونُلاحظ أن النسبة ترتفع في السواحل الغربية كلما اتجهنا نحو الجنوب، حيث تضطر السفن للتوقّف بعد أن تكون قد قطعت مسافاتٍ طويلةً على حين لا تضطر للتوقّف دائماً في المناطق الشمالية لأنها لا تكون قد سارت إلا مسافةً قصيرةً بعد انطلاقها من كراتشي.

أما على السواحل الشرقية فتكون النسبة في الجنوب أكثر منها في الشمال أيضاً، وذلك بسبب تقعّر الخليج البنغالي، والسفن يمكنها الانتقال مباشرةً نحو الملايو بعد اجتيازها مضيق سيلان لهذا نلاحظ أن نسبة المسلمين تكون:

في بونديشيري	٧,١٨٪	
وفي مدارس	٥,٤١٪	
وفي اندهرابرادش	٨٪	حيث يتجمّع المسلمون في حيدر آباد
وفي أوريسا	١,٥٠٪	


المقياس
كيلومتر ١٤٠ ٢٨٠ ٤٢٠ ٥٦٠ ٧٠٠
جمو و كشمير
باكستان
البنجاب الشرقية
هريانا
دهلي
راجستان
اتر براديش
لكنو
بيهار
أسام
ميغاليا
منيبور
تريبورا
بورما
البنغال الغربية
كوجرات
دامان
ديو
مدهيا براديش
أوريسا
ماهارشترا
حيدرأباد
اندهرا براديش
ميسور
غوا
مدراس
بونديشيري
تاميل نادو
جزر أندمان
جزر لاكاديف
جزر نيكوبار
سيريلانكا

مصور رقم [١].

وقد ذكرت فيما سبق أن ارتفاع نسبة المسلمين في البنغال إنما يعود إلى الفتح لا إلى الدعوة والتجارة. ويبدو كذلك أن السفن لم تكن لتتوقّف في محطات قبل مالاقا لذا فإن نسبة المسلمين في جزر (اندمان) و (نيكوبار) لم ترتفع كثيراً، وهي الآن ١١٪ لأنها لم تكن محطاتٍ دائمةً.

أما المناطق الداخلية فتُعدّ قليلة النسبة إذا قارناها مع ما حـولها وحتى إلى النسبة العامة إذ تبلغ في:

مانيبور	٦,٦٪	على حين أن ما حولها لا تقلّ نسبته عن ٣٠٪
وفي تريبورا	٠,٧٪	على حين ما حولها لا تقلّ نسبته عن ٣٠٪ وهي قريبة من الأولى، وكأنها وسط بنغالديش.
وفي مدهيا برادش	٤,٤٪	
وفي هيماشل برادش	١,٥٪	حيث تقع في الشمال في المنطقة الجبلية بعيدة عن طريق الفتح.
وفي هريانا	٤,١٪	

ولا شكّ فإن ارتفاع نسبة المسلمين في بعض المقاطعات يعود لدور حكـام الولايات فعندما يكونون من الراشدين يعملون للدعوة بل إن سلوكهم يجعل الهنود يُقبلون على اعتناق الإسلام. وهذا ما نلاحظه في بعض حكام منطقة الدكن، وفي كيرالا.

وتختلف نسبة المسلمين في المقاطعة الواحدة بين مكانٍ وآخر نتيجة التجمّع وعدم التجانس بين أصحاب الديانات المُختلفة.

ويُعاني المسلمون مشقّةً في حياتهم من الهنادك فلا تكاد تمرّ سنـة دون أن تُصيبهم نكبة أو تحلّ بهم نازلة وغالباً ما تكون في المناطق التي ترتفع نسبة المسلمين فيها لأن الأقاليم التي لا يُشكّل فيها المسلمون سوى نسبةٍ صغيرةٍ لا

يُمكنهم التحرّك بل يبقون مُجبرين لإظهار الطاعة وإبراز الخضوع، أما المناطق التي يُشكّلون فيها نسبةً كبيرةً فيرون أنفسهم مجبرين للدفاع عن عقيدتهم ولحماية أنفسهم، ولعلّ حقد الهنادك على المسلمين إنما يعود لسببين اثنين:

١ً - **الديانة الهندوسية (البراهمية)**: وهي التي تقوم على تقسيم المجتمع إلى طبقات خمس هي:

أ - الكهنة. وهم من عقل براهما.
ب - المحاربون. وهم من كتف براهما.
ج - المزارعون. وهم من أذرع براهما.
د - الخدم. وهم من أقدام براهما.
هـ - الشودرا. وهم ليسوا طبقة من الطبقات، وهم أجناس، وليس لهم الحقّ في الاجتماع مع أية مجموعة أخرى أو الاختلاط بها بل ومسّ أتباعها، ولا يحقّ لطبقةٍ أن تتصاهر مع الثانية أو تختلط معها، ومن هذا المنطلق فإن المسلمين غرباء عن هذا المجتمع البراهمي، لذا فإنهم ينظرون إليهم نظرةً خاصةً، ويعدّونهم دخلاء حتى على بلادهم.

من جهةٍ ثانيةٍ فإن المسلمين يعدّون البقرة حيواناً سخّرها الله للإنسان للإفادة من لبنها ولحمها والحراثة عليها على حين أن البراهميين يعدّون البقرة إلههم فيُقدّسونها، ومن هذا التباين فلا بُدّ من وقوع الخلاف بين الطرفين، ومن النظرة الخاصة للبراهميين إلى المسلمين الذين يذبحون البقرة، ولا يبدون لها أي مظهر من مظاهر التقديس يقع الحقد عليهم.

هذا بالإضافة إلى ما أثاره المستعمرون الإنكليز بين البراهميين والمسلمين من حقدٍ وضغائن.

٢ً - **التسلّط الانكليزي**: لقد بدأ التعامل التجاري بين الإنكليز

والبراهميين، ثم أثرى البراهميون، وشعروا أن ارتباطهم قد أصبح مع الإنكليز الذين أثاروهم ضدّ حكامهم المسلمين.

ووقف الإنكليز ضدّ المسلمين وبجانب البراهميين بعد أن تمكّنوا من السيطرة على البلاد وإخضاع الحكام من المسلمين، فاستولوا على أوقاف المسلمين التي كانت مصدر تمويل الكتاتيب، المدارس الوحيدة، وهذا ما عطّل تلقّي العلم فانتشر الجهل، وفي الوقت نفسه فقد سعى المستعمرون في تعليم الهندوس ليسدّوا بهم المراكز، وليتقوّوا بهم على المسلمين أو ليضربوهم بهم. كما استولى الإنكليز على أحسن أراضي المسلمين، فعاش المسلمون بعدها في فقرٍ وجهلٍ. واقتنع المستعمرون أنه من الصعب تنصير المسلمين لذا فمن الأفضل أن يعملوا على تنصير الهندوس ليكونوا أعواناً لهم في المستقبل، وقاعدةً يُثّبتون عن طريقها نفوذهم، أو يحكمون الهند باسمهم، ولا شكّ أن الحقد الصليبي كان له دوره في هذا الجانب فقد برز في معاداة المسلمين ودعم الهندوس ضدّهم وشدّ أزرهم بهم، وتقويتهم عليهم، وجاءت الإرساليات التنصيرية لتُؤدّي مُهمّتها في البلاد، وسيطرت على التعليم الحكومي، وامتنع المسلمون من التعليم على يد النصارى الذين كشّروا عن أنيابهم، وأعلنوا عن سياستهم صراحةً في الرغبة في تنصير الطلاب، وأقبل الهندوس على التعليم حتى أصبح التفاوت واضحاً بين الفريقين من ناحية العلم.

إذن ضعُف المسلمون علمياً واقتصادياً وسياسياً على حين قوي أمر الهندوس وذلك كله بدعم المستعمرين. ونتيجة للفقر الذي بدأ المسلمون يعانونه فقد انخرط عدد من أبنائهم في الجيش كجنود، فأذاقهم الإنكليز منتهى الذلّ والهوان، وبسبب تصرّف المستعمرين فقد قامت حركات من قبل المسلمين، فقُضي عليهم بمنتهى الوحشية عام ١٢٧٤، ولما انتهت الثورة أعلنت انكلترا انتهاء حكم شركة الهند الشرقية، وعدّت البلاد من أملاك التاج البريطاني يتصرّف بها كيف يشاء. فصبّ المستعمرون جام غضبهم على

المسلمين فصادروا أملاكهم، وهدّموا مساجدهم، وشُرّد الناس.

وقام بعض المُفكِّرين المسلمين يعملون لسدّ الثغرة التي حصلت وأدت إلى تأخّر المسلمين فنادوا بالعمل والتعليم، وتأسّست ندوة العلماء في مدينة (لكنو)، وأُنشئت دار العلوم التابعة لها عام ١٣١١، كما فكّر بعضهم بالتقرّب إلى الانكليز لينالوا شيئاً، وتأسّست كلية عليكرة، وأنشأ أحمد خان المُشرف عليها جريدة تهذيب الأخلاق.

خشي الإنكليز من قوة هذا التيار الإسلامي سواء السليم منه أم المنحرف فالمنحرف لا بدّ من أن يُقوّم، لذا فقد شجّع المستعمر الهندوس وطرح فكرة القومية الهندية، وتشكّل حزب المؤتمر الهندي الذي قام على هذه الفكرة، وانتسب إليه الهندوس، كما انضمّ إليه بعض المسلمين الذين يرون أن الموضوع ليس سوى منافسة بين الطرفين ومحاولة الحصول على منافع أكثر، ومن هذا نلاحظ أن بعض الهيئات الاسلامية قد اندمجت فيه مثل جمعية العلماء، ومؤتمر المؤمنين الهنود، ومؤتمر الشيعة، وكان هذا الحزب في البداية يُظهر احترام شعور المسلمين، ولكنه أظهر فيما بعد عكس ذلك فنادى بإخراج الغرباء من الهند، وعدّ المسلمين غرباء كالإنكليز، وبدأ التطرُّف من الهنود أو ظهرت بينهم جماعة من الغُلاة الذين نادوا بقتل كل من يظهر ميلاً نحو المسلمين أو يحاول مسايرتهم. وكان لا بُدَّ أن يظهر تجمّع خاص من المسلمين مقابل ذلك فوجدت الرابطة الإسلامية عام ١٣٢٤ بعد اجتماع في (دكا) في البنغال برئاسة النواب فخار الملك. وبدأ الخلاف واضحاً بين حزب المؤتمر والرابطة. وظهرت دعوة المُتطرّفين الهنود ولا شكّ أن أكثر الهنود في حزب المؤتمر كانوا يُؤيّدونهم. وتتلخّص هذه الدعوة في أربع نقاطٍ:

١ ـ سانكاثان: أي الوحدة.

٢ ـ الراجا: أي الإله الهندي «رام راجا» أي وحدة العقيدة، وإجبار السكان جميعهم عليها.

٣ ـ شوذي: أي إرجاع المسلمين إلى الهندوكية.
٤ ـ فتح أفغانستان ومناطق الحدود وردّ أهلها عن الإسلام.

ويعدّون سلامة الجنس الهندي ومستقبله متوقفةً على تحقيق هذه النقاط الأربع.

ومعنى هذا لا يمكن اللقاء بين الطرفين إلا أن بعض المسلمين بقوا يرون أن بقاء وحدة الهند مهم جداً، ويرى بعضهم أن هذا مفيد للدعوة الإسلامية بين الهنود... لذا بقي بعضهم في حزب المؤتمر مدةً، ثم انسحب مثل محمد علي جناح الذي انضمّ إلى الرابطة عام ١٣٣٣، وعرض عليه الهنود أن يبقى ويُصبح رئيساً لحزب المؤتمر لكنه رفض... ومنهم من بقي أمثال أبو الكلام أزاد الذي أصبح وزيراً للمعارف في الهند بعد استقلالها مباشرةً. وعندما ألغيت الخلافة العثمانية بتأثير الإنكليز حدثت ثورة عامة شملت معظم أرجاء الهند، وعرفت باسم حركة الخلافة احتجاجاً على الإنكليز ودورهم في ذلك ونقضهم للعهود التي قطعوها على أنفسهم للعرب.

ونتيجة تطرّف الهنود وردّ فعل المسلمين والخلاف العقيدي بين الطرف كان لابدّ من الانقسام وهو ما تم في النهاية.

تمّ الانقسام في ٢٨ رمضان عام ١٣٦٦ (١٥ آب ١٩٤٧)، وقامت دولتان في الهند، عُرفت أولاهما باسم الهند، وقد شملت المناطق التي أكثريتها من البراهميين، وعُرفت الثانية باسم باكستان، وشملت المناطق التي أكثريتها من المسلمين، وكانت عبارةً عن جُزأين أحدهما في الغرب، وأُطلق عليه اسم باكستان الغربية وشمل مناطق الحدود، والبنجاب الغربية، والسند، وبلوجستان، والثاني في الشرق، وشمل البنغال الشرقية وما حولها وهو الذي حمل اسم بنغالديش بعد تقسيم باكستان عام ١٣٩٠، وبين الجُزأين مسافة ١٥٠٠ كم من أراضي دولة الهند.

أما المقاطعات الثانية فقد كان الاقتراح أن يُنظر إلى رأي السكان باستفتاءٍ عامٍ أو يُؤخذ رأي حُكّامها، ولكن الهند أسرعت، واحتلّت هذه المقاطعات وهي: حيدر أباد، وجوناكاد، وكشمير رغم أن الأخيرة تسكنها أكثرية مسلمة، وإذا كانت قد انتهت مشكلتا حيدرأباد، وجوناكاد إلّا أن مشكلة كشمير لا تزال قائمةً، ونتيجة لهذا التقسيم فقد نشأ.

١ - وجود أقلّيةٍ مُسلمةٍ في الهند تُعادل ١٤٪ من السكان، وتتعرّض لنكباتٍ باستمرار.

٢ - مذابح رهيبة للمسلمين يوم التقسيم بسبب محاولتهم الانتقال من أراضي الهند إلى أراضي باكستان، وقد ذُبح يومها أكثر من مليون مسلم.

٣ - هرب تسعة ملايين مسلم من أراضي الهند إلى أراضي باكستان.

٤ - خلاف وحقد دائم بين الدولتين المتجاورتين، أدّى إلى قيام قتالٍ أكثر من مرةٍ فقد حدث قتال عام ١٣٨٥ هـ، كما اشتركت الهند بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تقسيم باكستان الذي تم عام ١٣٩٠، وكانت طرفاً في ذلك، ثم اندلع القتال عام ١٣٩١ بعد إشعال الهند نار الحرب بحجة اعادة الهندوس الذين غادروا بنغالديش إلى الهند لسوء الأوضاع الاقتصادية. ولا شك أن القتال مع دولةٍ مسلمةٍ سيُؤثّر ذلك على المسلمين الموجودين في الهند ويزيد في ذلك أن تكون الدولة التي نشب القتال معها هي باكستان والتي كانت مع الهند في دولةٍ واحدةٍ ثم افترقتا على أساسٍ دينيٍ. ويتكلّم السكان في الهند لغات مختلفة وكثيرة تزيد على مائتي لغة ولكن أهمها:

١ -	الهندية	ويتكلم بها	٥٠٪	وهي أقرب اللغات إلى السنسكريتية التي تُدرّس في الجامعات.
٢ -	البنغالية	ويتكلم بها	٨٪	وتسود في البنغال الغربية.

٣ ـ تلوجو	ويتكلم بها	١٠٪	وتسود في شرق الدكن .
٤ ـ تاميل	ويتكلم بها	٨٪	وتسود في مدراس وجنوبها .
٥ ـ ماراتي	ويتكلم بها	٨٪	وتسود في وسط الدكن .
٦ ـ كوجراتي	ويتكلم بها	٥٪	وتسود في شمال شرقي بومباي .
٧ ـ مالايام	ويتكلم بها	٤٪	وتسود في جنوب غربي الدكن .
٨ ـ الأوردو	ويتكلم بها	٢٪	وتسود في البنجاب الشرقية .
٩ ـ الأسامية	ويتكلم بها	٢٪	وتسود في آسام .
١٠ ـ الكشميرية	ويتكلم بها	١٪	وتسود في كشمير .
١١ ـ لغات أخرى	ويتكلم بها	٢٪	وتسود في مناطق أخرى .
		١٠٠٪	

كان البراهميون في الهند يعدّون المسلمين المقيمين معهم في دولةٍ واحدةٍ أعداءهم الحقيقيين نتيجة النظرة الدينية التي ألمحنا إليها ، ونتيجة الحقد الذي أورثهم إياه الاستعمار الإنكليزي ، وبسبب كثرتهم العددية لذا كانت مخططاتهم محاولة القضاء عليهم بأيّة صورةٍ كانت بالحرب ، بالإبادة ، بالارتداد عن دينهم ، بإذابتهم في مجتمعهم ، ووُجد مُخطّط من هذه المخططات يقضي بالعمل على الانتهاء منهم بقطع نسلهم عن طريق إعطاء النساء حقناً تحول بينها وبين الحمل ، وقد بدأ التنفيذ وتنبّه المسلمون إلى هذا ووقعت أحداث دموية إثر ذلك . كما وقعت أحداث في البنغال نتيجة لجوء أعداد منهم إلى الهند ، كما حدث في بيهار بسبب طرد جماعات من البيهاريين من بنغالديش . وتلتها جرائم البراهميين ضدّ المسلمين في أسام ، وأحداث ، وأحداث تكاد تكون يومياً .

ولعلّ من المُفيد أن نذكر الأقلّيّات المُسلمية في الهند حسب الولايات الهندية المختلفة تبعاً لإحصاء ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

الولاية	المسلمون	النسبة المئوية
اندهرا براديش	٣,٥٢٠,١٦٦	٪٨,٠٩
أسام	٣,٥٩٤,٠٠٦	٪٣٤,٠٣
بيهار	٧,٥٩٤,١٧٣	٪١٣,٤٨
كوجرات	٢,٢٤٩,٠٥٥	٪ ٨,٤٢
هريانا	٤٠٥,٧٢٣	٪ ٤,٠٤
هماشل براديش	٥٠,٣٢٧	٪ ١,٤٥
جموو كشمير	٣,٠٤٠,١٢٩	٪٧٥,٨٥
كيرالا	٤,١٦٢,٧١٨	٪١٩,٥٠
مدهيا براديش	١,٨١٥,٦٨٥	٪ ٤,٣٦
ماهارشترا	٤,٢٣٣,٠٢٣	٪ ٨,٤٠
مَني بور	٧٠,٦٩٦	٪ ٦,٦١
ميغاليا	٢٦,٣٤٧	٪ ٢,٦٠
ناغالاند	٢,٩٦٦	٪ ٠,٥٨
ميسور	٣,١١٣,٢٩٨	٪١٠,٦٣
أوريسا	٣٢٦,٥٠٧	٪ ١,٤٩
البنجاب الشرقية	١١٤,٤٤٧	٪ ٠,٨٤
راجستان	١,٧٧٨,٢٢٥	٪ ٦,٩٠
تاميل نادو براديش	٢,١٠٣,٨٩٩	٪ ٥,٤١
البنغال الغربية	٩,٠٦٤,٣٣٨	٪٣٠,٤٦
تري بورا	١٠٣,٩٦٣	٪ ٠,٦٨
اتر براديش	١٣,٦٧٦,٥٣٢	٪١٥,٤٨
اندمان ونيكوبار	١١,٦٥٥	٪١٠,١٢
دهلي	٢٦٣,٠١٩	٪ ٦,٤٧

الولاية	المسلمون	النسبة المئوية
لاكاديف	٣٠,.١٩	٪ ٩٤,٣٣
بونديشيري	٢٩,١٤٣	٪ ٧,١٨
اردوناشل	٨٤٣	٪ ٠,١٨
شندي كره	٣,٧١٠	٪ ١,٤٥
دادرا ، ناغار هاقلي	٧٤٠	٪ ١,٠٠
غوا ، دامان ، ديو	٣٢,٢٥٠	٪ ٣,٧٦
المجموع	٦١,٤١٧,٩٣٤	٪ ١١,٢١

وفي عام ١٣٩٦ ، انضمّت مقاطعة « سكيم » إلى الهند ، وهي منطقة جبلية تقع بين (نيبال) و (بوتان)، والمسلمون فيها ذو نسبةٍ ضعيفةٍ شأن تلك الجهات بسبب وعورة المنطقة، وارتفاعها ، وانعزالها ، ونأيها .

ورغم ما يحلّ بالمسلمين في الهند من نكباتٍ، وما يُجرّد عليهم من حرب فإن عددهم يُساعدهم للوقوف في وجه هذه التيارات، إذ يُؤسّسون المدارس والجامعات والمراكز الإسلامية الخاصة بهم التي يُربّون أبناءهم فيها حسب المناهج التي يختارونها لهم، ويُوجّهونهم الوجهة التي يُريدونها ، وفي الوقت نفسه يكونون في غنىً عن الدولة بشأن تسجيل أولادهم وبشأن إيجاد وظائف للمدرسين المسلمين، وتشمل هذه المؤسسات التعليمية مختلف مراحل التعليم، وأهمّ هذه المؤسسات هي:

١ - في شمالي الهند:

أ ـ دار العلوم التابعة لندوة العلماء ومركزها مدينة (ديوبند) في لواء (سهار نبور) في مقاطعة (اترابراديش)، وقد افتتحت باديء ذي بدء في

مسجدٍ صغيرٍ ١٢٨٣ هـ على يد الحاج محمد عابد، ثم توسعت. وتُصدر هذه الدار مجلتين اثنتين: أحدهما باللغة الأُوردية وتُسمّى بمجلة دار العلوم والثانية « دعوة الحق » وتصدر منذ عهد قريب باللغة العربية، ولهذه الدار مكتبة ودار للإقامة.

ب - دار العلوم في لكنو وتتبع ندوة العلماء أيضاً، وتُصدر هذه الدار ثلاث مجلات.

١ - الرائد: ويُصدرها النادي العربي.
٢ - البعث الإسلامي.
٣ - تعمير حيات: ويُصدرها المجمع العلمي باللغة الأوردية.

جـ - مدرسة الإصلاح: في (سرائمير) في لواء (أعظم ڠره) وهي تتبع ندوة العلماء.

د - الجامعة الرحمانية: في مونجير اقليم بيهار، وتتبع ندوة العلماء.

هـ - مدرسة مظاهر العلوم: وهي في لواء (سهارنبور) وتُركّز في دراستها على الحديث الشريف.

و - المدرسة العالية النظامية: في (لكنو) وتُدرّس القرآن الكريم، والتفسير، والحديث، والفقه، والمنطق، والنحو، والصرف، والتجويد.

ز - المدرسة العالية: في (رامبور) وتعتني بالفلسفة والمنطق أكثر من غيرها.

٢ - في غربي الهند:

١ - دار العلوم الأشرفية: وبُنيت في مدينة نانديرمن لواء (سورت) قرب بومباي وهي أقدم المدارس العربية.

ب - الجامعة الحسينية: في مدينة (رانديرر) لواء (سورت).

جـ - الجامعة العربية الإسلامية: في مدينة (دابهيل) لواء سورت.

٣ً - في جنوب شرقي الهند :

أ - جامعة دار السلام : في مدينة (عمر آباد)، وقد تأسّست عام ١٣٤٣ هـ في مقاطعة (مدراس) وأضافت إلى برامجها اللغة الإنكليزية والعلوم العصرية.

ب - مدرسة الباقيات الصالحات : في مدينة (ويلور)، وتأسّست عام ١٣٠١ هـ.

جـ - المدرسة الجمالية : في مدينة (بيرام بور)، وأُنشئت عام ١٣١٨ هـ.

٤ً - في جنوب غربي الهند (إقليم مالابار) :

أ - روضة العلوم.

ب - مدينة العلوم.

جـ - سلم السلام.

٥ً - في جنوبي الهند :

أ - أسس بشير أحمد سعيد مؤسسة تعليميةً عام ١٣٧١ هـ سمّاها « الوقف التعليمي لجنوبي الهند » وقامت هذه المؤسسة بإنشاء :

١ - كلية للشباب المسلم عام ١٣٧١ هـ سمّاها « الكلية الجديدة ».

٢ - كلية للبنات، وتضمّ مسجداً، وإن ٩٠٪ من طالباتها من غير المسلمات مع أن ٩٥٪ من نفقات الإنشاء، والتعليم إنما هي من أموال المسلمين.

ب - الكلية العثمانية في (كرنول).

جـ - كلية الفاروق بالقرب من قاليقوط.

د - كلية جمال محمد في (ترغنابلي).

٦ً - في وسط الهند (حيدرآباد) :

أ - الجامعة النظامية : وقد بدأت عام ١٢٩٢ كمدرسةٍ بسيطةٍ في مسجد

الجمعة في مدينة حيدر آباد، وتوسّعت حتى غدت جامعةً كبيرةً.

ب ـ الجامعة العثمانية: وقد تأسست عام ١٣٠٦ هـ، وتضم اليوم ٦١ كليةً، وفيها دار للنشر والتوزيع للعلوم الشرقية والمعروفة باسم (دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد).

٧ - هذا بالإضافة إلى مدارس الشيعة التي أهمها:

١ ـ الجامعة النظامية: في لكنو، وأُنشئت عام ١٣٠٨ هـ.

٢ ـ كلية الشيعة: في (لكنو)، وتأسّست عام ١٣٣٧ هـ.

٣ ـ سلطان المدارس: وأُنشئت عام ١٣١٠ هـ.

٨ - وهناك مدارس البوهرا الذين يبلغ عددهم ١٠ ملايين نسمة، ويُقيم معظمهم في بومباي، وهم أغنى طوائف الهند، وتعدّ من أهم مدارسهم: المؤسسة السيفية في مدينة (سورت)، والجامعة السيفية في المدينة نفسها، وهذه المدارس تُدرّس بالعربية.

٩ - أما الجامعات العصرية التي لا تتقيّد بتدريس العربية فأهمها:

أ ـ الجامعة الإسلامية في (عليكرة) التي أسّسها أحمد خان، وأصبح يتبعها فرع يضمّ كليةً خاصةً بالبنات.

ب ـ الجامعة الملية الإسلامية في دلهي.

ويوجد في مدينة عليكرة مركز ثقافي إسلامي له أهمية كبرى.

ويمكن أن نضيف إلى هذا كله أعداداً كبيرةً من المراكز وإنما اقتصرنا على أهمها، كما ونضيف أثر جماعة التبليغ التي أسّسها الشيخ محمد الياس الكاندهلوي ١٣٦٣ هـ. وينتقل أتباع هذه الجماعة في القرى والمدن يدعون إلى الإسلام ويتصلون بالناس، وقد خلفه في رئاسة هذه الجماعة ابنه محمد يوسف الكاندهلوي.



كشمير
باكستان
سهارنبور
رامبور
دهلي «دلهي»
عليكره
اغرا
لكنو
نيبال
بوتان
أسام
بورما
باتنا
مونغير
بنغلاديش
كلكتا
سورت
بومباي
دابهول
نانديز
حيدرآباد
خليج البنغال
المحيط الهندي
مدراس
ويلور
كاليقوط
المقياس
كيلومتر ١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠ ٦٠٠ ٧٥٠

مصور رقم [٢] .

ونلاحظ كذلك:

١ً ـ كلية الأنصار العربية في مالابورام في كيرالا.
٢ً ـ جمعية الصالحات في ماليغاون.
٣ً ـ دائرة الدراسات العربية في مدراس.
٤ً ـ الجمعية العربية الإسلامية في مراد أباد.
٥ً ـ الكلية العربية العزيزية في يونيكولام.
٦ً ـ كلية أنوار العلوم في حيدرأباد.
٧ً ـ كلية السعدية العربية في كاسارغود في كيرالا.
٨ً ـ هيئة الطلاب المسلمين بالهند في كالكتا.
٩ً ـ جمعية التعليم الإسلامي لعموم الهند في قاليقوط في كيرالا.
١٠ً ـ جمعية دعوة تبليغ الإسلام في قاليقوط في كيرالا.
١١ً ـ جمعية أهل الحديث في جمو وكشمير.
١٢ً ـ جمعية أهل الحديث في دهلي.
١٣ً ـ مجلس المسلمين للمشاورات في دهلي.
١٤ً ـ الجماعة الإسلامية بالهند في دهلي.
١٥ً ـ مجلس التعليم الإسلامي في حيدرأباد.
١٦ً ـ مجلس تعمير ملة عموم الهند في حيدرأباد.
١٧ً ـ مدرسة نور تحفيظ القرآن الكريم في حيدرأباد.
١٨ً ـ دار العلوم الرحمانية في حيدرأباد.
١٩ً ـ كلية الإلهيات في بتروكات في كيرالا.
٢٠ً ـ اتحاد مدارس اللغة العربية في تيرور انجادي في كيرالا.

ومئات المدارس والجمعيات.

ويُلاحظ أن المؤسسات التعليمية لم تقم في المناطق التي ترتفع فيها نسبة المسلمين مثل أسام، والبنغال الغربية، وكشمير وغيرها، وإنما تتجمّع في المناطق

التي كانت مقراً للحكم الإسلامي مثل دهلي (دلهي) أو لحكومات إسلامية مثل حيدرأباد، أو كانت محطات تجارية مثل منطقة بومباي وكيرالا. ولا شك فإن نشاط المؤسسات والأفراد له دوره في هذا المجال مثل الجماعة الإسلامية وندوة العلماء، وبشير أحمد سعيد، وهذا ما نجده في (لكنو)، ومدراس حيث ينتقل الطلاب إلى الجامعات والمؤسسات التعليمية من عدة مناطق ولو كانت بعيدة لينهلوا من العلم.

وإن لتجمّع الطوائف دوره أيضاً حيث تعمل كل طائفة لصالح أبنائها، كما هي حال الشيعة في (لكنو) وبومباي، وحال البوهرا في بومباي.

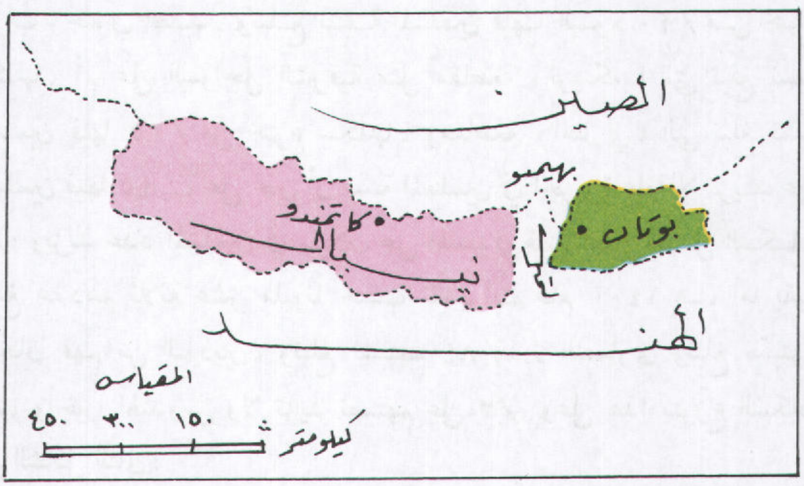
(٢) نيبال

وهي منطقة جبلية تقع شمال الهند وكانت تُعد جُزءاً منها قبل تقسيمها على أساسٍ دينيٍ ، فقامت على أساسٍ بوذيٍ ، وتبنّت النظام الملكي، وتبلغ مساحتها ما يقرب من ١٤٢,٠٠٠ كم٢ ، ولطبيعتها الجبلية، وانعزالها فإن المسلمين لم يفتحوها، وإنما انتشر الإسلام فيها بشكلٍ بطيء، ولا تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣,٨٪ من عدد سكانها البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة، أي يُقدّر عدد المسلمين بحوالي ٣٨٠,٠٠٠ ألفاً. ولقلّة المسلمين، وعُزلتهم، وعدم اهتمام إخوانهم بهم فإن معلوماتنا عنهم قليلة، ولا نعرف شيئاً عن مُؤسّساتهم، بل لم يرد ذكرهم على لسان أحدٍ سواء أكان ذلك من المؤسسات الاسلامية، والتي تجد دعماً من بعض الحكومات الإسلامية، ولا من المؤسّسات الشعبية أو الأفراد وأهل العلم.

وتقوم في العاصمة (كاتمندو) جمعية مسلمي نيبال، ولجنة الإصلاح لكل نيبال.

(٣) بوتـــان

منطقة جبلية صغيرة تقع شمالي الهند ، وكانت تُعدّ جُزءاً منها قبل تقسيمها على أساسٍ دينيٍ ، تبلغ مساحتها ٤١,٢٨٠ كليومتراً مربعاً ، وتُشبه نيبال من حيث الطبيعة ، وهي دولة صغيرة المساحة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٪ من عدد سكانها البالغ عددهم مليون نسمة ، وبذا يكون عدد المسلمين خمسين ألفاً ، وما ينطبق على المسلمين في نيبال ينطبق عليهم في بوتان من حيث العزلة ، وعدم الاهتمام الأمر الذي يجعلنا نخشى عليهم الضياع من النسيان .



مصور رقم [٣] .

(٤) سيرلانكا

سيلان جزيرة تقع جنوب الهند ، وتُعرف دولتها باسم سيرلانكا ، وتبلغ مساحتها ٦٥,٣٦١ كيلو متراً مربعاً ، ويبلغ أقصى طولٍ لها ٤٣٢ كيلو متراً بين الشمال والجنوب ، وأقصى عرض ٢٢٤ كيلو متراً بين الشرق والغرب .

وصل المسلمون إلى سيلان عن طريق التجارة من جنوبي جزيرة العرب ، ومن الهند ، ومن الملايو ، لذا فقد تكاثروا على السواحل سواء أكانت الشمالية الغربية مثل مقاطعة « منّار » حيث جاءها التُجّار من جنوبي جزيرة العرب وجنوبي الهند ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها اليوم ٤٠ ٪ من مجموع سكانها ، أم على السواحل الشرقية مثل مقاطعة « ترينكو » التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ٣٥ ٪ من مجموع سكانها ، ومقاطعة « امباري » التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ٤٥ ٪، على حين أن نسبة المسلمين في الجزيرة عامةً لا تزيد على ٨ ٪، ويزيد عدد المسلمين في سيلان على المليون قليلاً من أصل السكان البالغ عددهم ثلاثة عشر مليوناً حسب تقديرات عام ١٤٠٠ هـ ، أما بقية السكان فهم من البوذيين، وتبلغ نسبتهم ٨٤ ٪، ثم النصارى وتبلغ نسبتهم ٥ ٪، وأخيراً الهندوس ولا تزيد نسبتهم على ٣ ٪، وعلى هذا يتوزّع السكان على الشكل التالي :

البوذيون ١٠,٩٣٠,٠٠٠ ونسبتهم ٨٤ ٪

المسلمون	١,٠٤٠,٠٠٠	ونسبتهم	٨٪
النصارى	٦٥٠,٠٠٠	ونسبتهم	٥٪
الهندوس	٣٩٠,٠٠٠	ونسبتهم	٣٪
المجموع	١٣,٠٠٠,٠٠٠		١٠٠٪

ومُعظم المسلمين في الجزيرة يُطلق عليهم اسم (المورور)، وأكثرهم يعمل في فلاحة الأرض وزراعتها حيث ٥٥٪ منهم يعيش في الريف و ٤٥٪ يعيش في المدن، وإذا كان الدور الأول في انتشار الإسلام يعود للتجارة إلا أنه يجب ألا ننسى دور الدعاة الكبير، وهم قد جاءوا في أول الأمر مع التجارة وعن طريقها.

جاء الاستعمار البرتغالي عام ٩١١ هـ يحمل معه الحقد فنكّل بالمسلمين وأباد قُرىً كاملةً، وصادر أملاك المسلمين في الغرب، وقيّد حرّية المسلمين في التنقُّل داخل البلاد خوفاً من انتشار الإسلام على أيدي أولئك الذين يتنقّلون سواء أكان ذلك للعمل أم للدعوة إلى دينهم واضطر المسلمون عام ٩٣٣ أن يهجروا مواطنهم في الغرب وأن ينتقلوا إلى التلال الوسطى والسواحل الشرقية حيث كانت تلك الجهات لا تزال بأيدي السنهاليين. وقام البرتغاليون بمجزرةٍ رهيبةٍ ضدّ المسلمين عام ١٠٥٣ في مقاطعة (ماتارا) على الساحل الجنوبي، ويجب ألا ننسى أن إخراج المسلمين من الأندلس على أيديهم وأيدي الاسبان لم يمض عليه يومذاك أكثر من خمس عشرة سنة لذا فإن الحقد كبير ومحاكم التفتيش تعمل عملها.

وجاء مسلمون إلى الجزيرة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ومعظمهم من أندونيسيا والملايو جاءوا كجنودٍ أثناء الصراع الاستعماري، كما نزح إليها بعض الملايويين أثناء حكم الهولنديين لها. ويُقيم في البلاد جماعة من مسلمي الهند، وهم من رجال الأعمال والتجارة الواسعة.

وجاء الهولنديون عام ١٠٦٩ هـ فتابعوا سياسة البرتغاليين تجاه المسلمين، وأسّسوا المدارس التنصيرية للوقوف في وجه المدّ الإسلامي، وهذا ما جعل المسلمين يدخلون إلى الداخل يلتجئون إلى بعض الأمراء المحلّيين علّهم يجدون المأوى عندهم والرحمة الأمر الذي جعل الإسلام ينتشر في الداخل، وإن كانت النسبة لا تزيد على ٨٪ في أكثر المناطق اتساعاً بانتشار الإسلام في الداخل وهي مقاطعة «كاندي». وعمل الهولنديون على الضغط على المسلمين، ومنعوا الحرية الدينية، وعدّوا الإسلام ديناً غريباً يجب مقاومته، بمنع أبنائه من آداء شعائرهم.

وجاء الإنكليز عام ١٢١١ وساروا على السياسة نفسها التي سار عليها من سبقهم من النصارى. وأسّسوا المدارس التنصيرية أيضاً، وقصروا التعليم على المدارس الحكومية العلمانية، ووجهوها توجيهاً خاصاً ضدّ العقيدة الإسلامية. وأغروا المسلمين بدخولها، ولكن المسلمين عرفوا من المستعمرين النصارى الذين سبقوا الإنكليز ما نالهم، وما خططه المستعمرون لضرب العقيدة الإسلامية لذا فقد أحجموا عن انتسابهم إلى هذه المدارس الأمر الذي أبقاهم في حالة من التخلّف والجهل على حين سبقهم غيرهم لما نالوا من علمٍ على أيدي المستعمرين.

واستقلّت سيلان عام ١٣٦٧ هـ يوم استقلّت الهند إذ كانت جزءاً منها ويُلاقي المسلمون في ظلّ عهد الاستقلال الاضطهاد بين الآونة والأخرى، ولم يكن هذا الاضطهاد ليأتي مباشرةً من قبل الحكومة البوذية، وإنما من تحريض أصحاب الديانة البوذية، ودسائس النصارى غالباً.

وفي عام ١٣٩٨ كان للمسلمين ١٤٠٠ مسجد، و٤٠٠ مدرسة للقرآن الكريم، و٥٩٨ مدرسة، و ٢٥ كلية تدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وتُدار المدارس الابتدائية الإسلامية من قبل مُنظّماتٍ إسلاميةٍ، وعلى نفقتها الخاصة ومن أشهر هذه المنظمات هي:

١ ـ الجمعية التعليمية.

٢ ـ الجماعة الإسلامية: وقد تأسّست عام ١٣٥٤ هـ.

٣ ـ جماعة أنصار السنة: وقد تأسّست عام ١٣٦٧ هـ.

٤ ـ جماعة التبليغ: وقد تأسّست عام ١٣٧٣ هـ.

٥ ـ هيئة الشبان المسلمين.

٦ ـ جبهة اتحاد المسلمين.

٧ ـ جمعية الدعوى الإسلامية السلفية والإصلاح الاجتماعي.

ويوجد هناك مكتب لمنظمة التحرير الفلسطيني، ودائرة للأوقاف الإسلامية.

ومن أبرز الكليات والمدارس الإسلامية في سيرلانكا:

١ ـ كلية الزاهرة في العاصمة كولومبو، وقد تأسّست عام ١٣١٠ هـ، وكان لها خمس مدارس فرعية إلّا أن الحكومة البوذية قد وضعت يدها على المدارس الفرعية.

٢ ـ كلية السيدات المسلمات في مدينة «كيليا» الواقعة إلى الجنوب من مدينة كولومبو بخمسين كيلومتراً تقريباً. وتشمل على قسمٍ خاصٍ بالمسلمات اليتيمات.

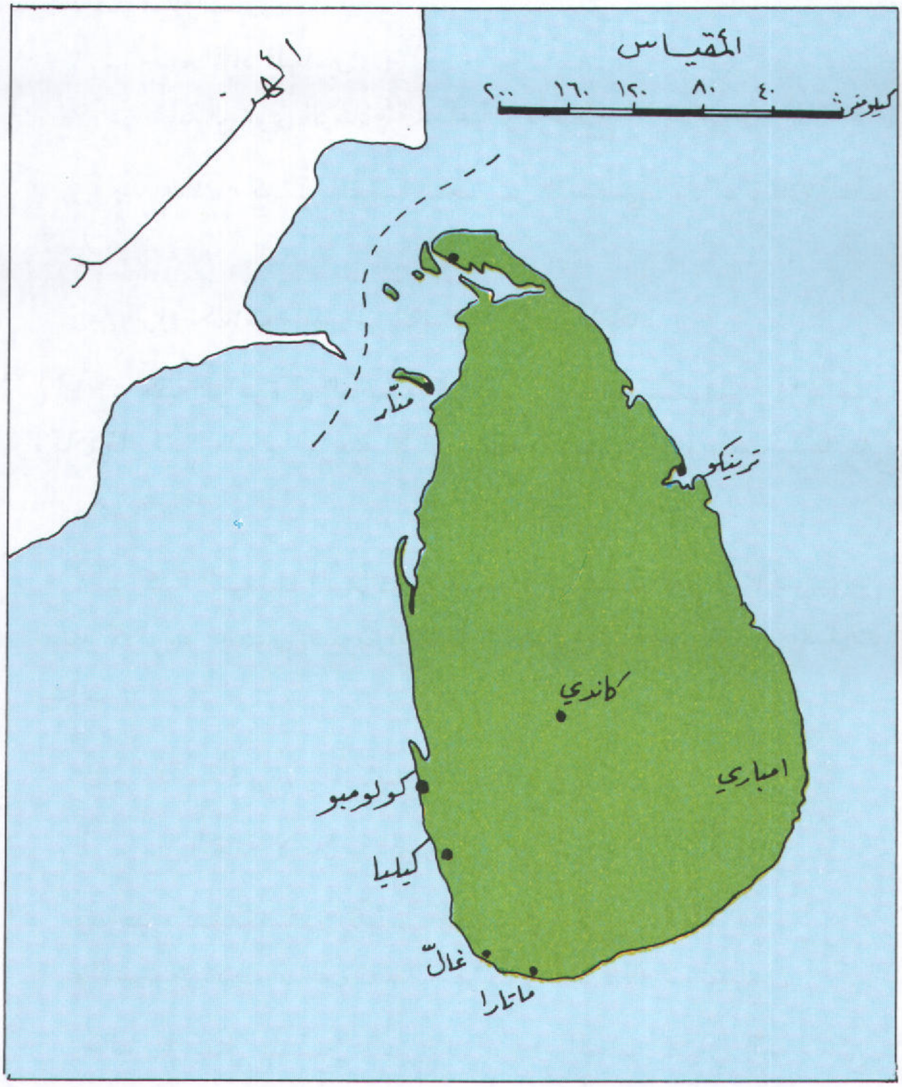
٣ ـ مدرسة دار الأيتام لأبناء المسلمين.

٤ ـ دار الثقافة الإسلامية المورية.

وتوجد مكتبة للمسلمين تأسّست عام ١٣٥٢ هـ.
وللمسلمين ثلاث صحفٍ تصدر شهرياً، واتحاد للطلاب المسلمين.

وغالباً ما يُمثّل المسلمين بعض النواب في المجلس النيابي السيرلانكي، وربما يختار منهم بعض الوزراء. وليس لهم تجمّع واحد، وإنما يتوزّعون بين

الأحزاب في البلاد، ويحرص المرشحون للمجلس النيابي في الحصول على أصواتهم لذا يعملون على إرضائهم أيام الانتخابات. ولكن هذا لا يحول دون نزول بعض النكبات بهم، ويرضى عن ذلك الحكم سرّاً أو في باطـن الأمـر، وإن كان يعلن عن أسفه، كما تظهر الأحزاب أسفها المُبطّن بالابتهاج.



مصور رقم [٤].

(٥) بورمـــا

تبلغ مساحة بورما ٦٨٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، ويسكنها ثلاثون مليوناً، ويدين معظمهم بالبوذية، ويعيش معهم عدد من المسلمين يتجاوز المليونين ومائة ألف مسلم أي تعادل نسبتهم ٧٪ من مجموع السكان، يقطن أكثرهم في العاصمة (رانغون)، ومدينة (ماندلي) التي تقع شمال العاصمة، وتبعد عنها ٥٩٠ كيلو متراً.

يتكلّم السكان عدداً من اللغات يزيد على العشر، وأهمها (البرمية)، وهي السائدة، ويتكلّمها أكثر السكان، أما المسلمون فيعرفونها، ولكن الكثير منهم يُتقن العربية.

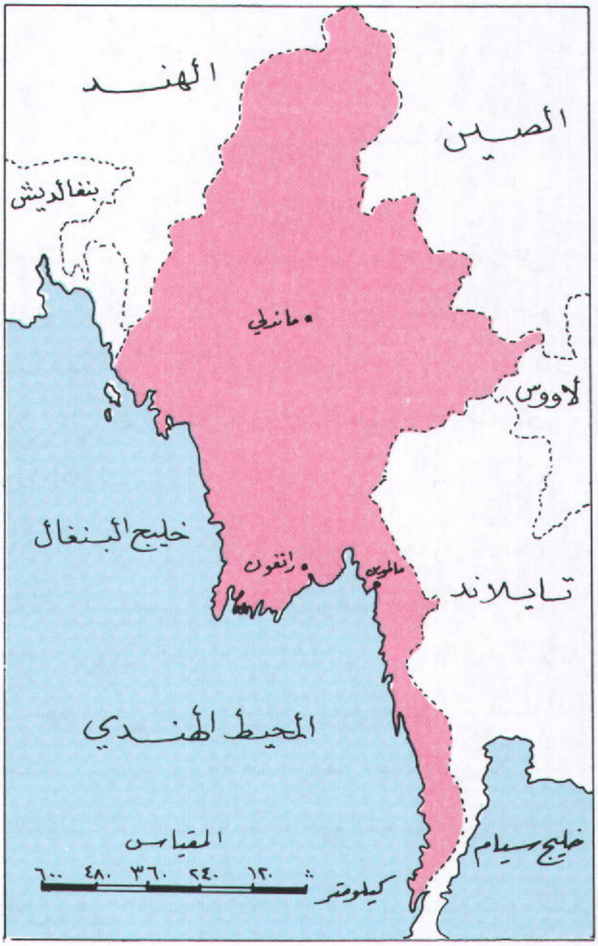
وصل الإسلام إلى بورما عن طريق التجارة، إذ كان بعض التجار العرب المسلمين يحطّون رحالهم على الشواطىء.

كما انتشر الإسلام بعد عام ٦٨٦ هـ عندما غزا المسلمون التتار من الصين بورما، وخلعوا ملكها الطاغية الأمر الذي سهّل حرية الدعوة، وأعطى الناس حرية اختيار العقيدة التي يتقبّلها عقلهم، وتنسجم مع فطرتهم. وعندما حكم الهند (أورانكزيب) في القرن الحادي عشر، اختلف مع أخيه (سوجا) الذي انتقل إلى بورما ومعه عدد من أتباعه المسلمين فتوغّلوا في الداخل، وتعايشوا مع السكان، ونشروا دينهم هناك.

وبين مسلمي بورما عدد من الهنود والصينيين، وينتقل كثير من المسلمين بين (يونّان) في الصين و (ماندلي) في بورما وفقاً لما يعرض لهم من ضرورات ودوافع. والرز هو غذاء سكان بورما الرئيسي، ويزيد إنتاجها على حاجتها.

ويُعاني المسلمون الويلات من البوذيين بتحريضٍ من سدنة المعابد البوذية خوفاً من انقراض دينهم أمـام التقـدّم الإسلامـي، وليس كهنـة النصـارى والإرساليات التنصيرية، وبعثات الاستعمار، ودعاته الظاهريين والمخفيين بأقلّ تحريضاً على المسلمين من سدنة البوذية ولذا نسمع بين الآونة والأخرى عن مذابح تُصيب المسلمين دون أسبابٍ أو بادعاءاتٍ كاذبةٍ.

ويوجد المركز الإسلامي في العـاصمـة « رانغـون ». كما تـوجـد الهيئـة الإسلامية بـ (مالابار) في مدينة (مولموين).


الهند
الصين
بنغالديش
ماندلي
لاووس
خليج البنغال
رانغون
مالوين
تايلاند
المحيط الهندي
المقياس
٦٠٠ ٤٨٠ ٣٦٠ ٢٤٠ ١٢٠ ٠
كيلومتر
خليج سيام

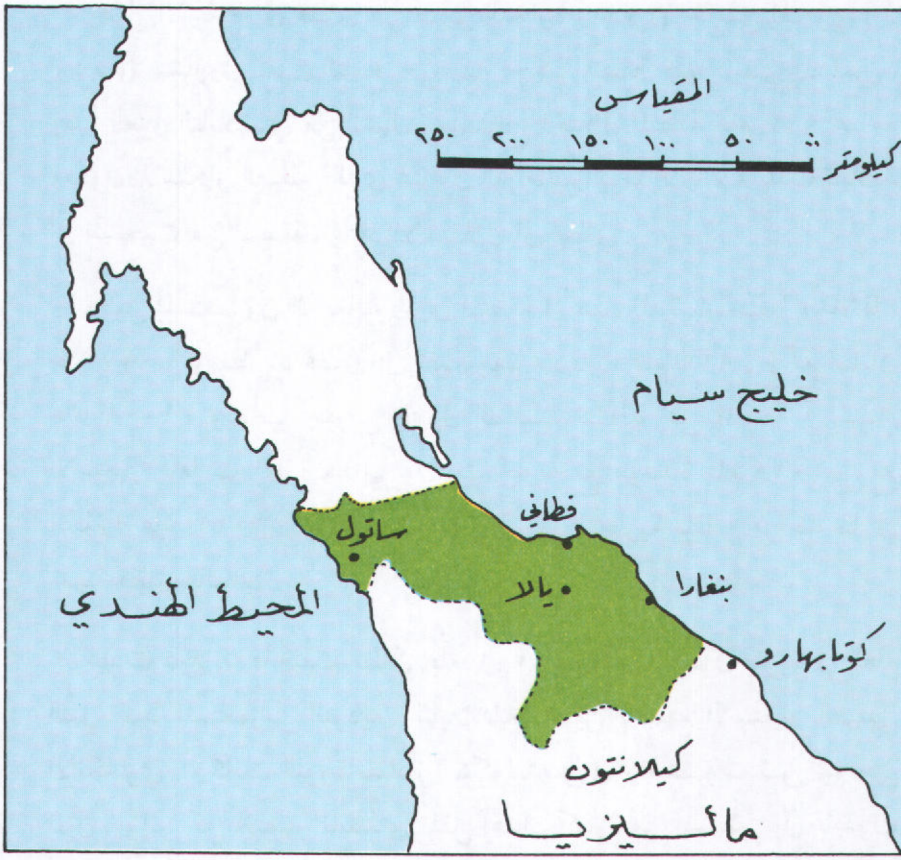
مصور رقم [٥] .

(٦) تـــايـــلانـــد

تبلغ مساحة تايلاند ٥٢٠ ألف كيلو متر مربع ، ويُقيم على أرضها أكثر من ستةٍ وثلاثين مليوناً ، يدين أكثرهم بالبوذية التي تنتشر في جنوب شرقي آسيا ، ويعيش بينهم عدد من المسلمين يُمثّلون ١٤٪ من السكان، فهم بذلك يزيدون قليلاً على خمسة ملايين، ويتجمّعون في منطقتين رئيسيتين هما : فطاني ، وحول بانقوك .

والواقع أن المسلمين في كلا المنطقتين يرجعون جميعاً في أصولهم إلى فطاني ، ومنها نُقل المسلمون إلى بانقوك وضواحيها كرهاً عندما كانوا يقعون في الأسر أثناء الحروب الطويلة التي نشبت بين فطاني وتايلاند ، وقد قصد حكام تايلاند بهذا النقل تفتيت قوة المسلمين هناك ، ثم مُحاولة إذابة المنقولين منهم في المجتمع البوذي في العاصمة وما حولها ، ويبلغ عدد هؤلاء الذين يعيشون في بانقوك وما حولها ما يزيد على المليونين من المسلمين .

أ ـ **فطاني** : هي المنطقة الواقعة بين ماليزيا وتايلاند ، وينتمي سكانها إلى المجموعة الملايوية ، ويتكلّمون اللغة الملايوية أيضاً ، ويكتبونها حتى الآن بأحرفٍ عربيةٍ ، ويصرّ السكان على لغتهم وعلى الحرف العربي ، على حين يُحاول الحُكّام التايلانديون نشر لغتهم لإذابة سكان فطاني في بوتقتهم ، وتقوم الثورة في سبيل المحافظة على الشخصية ومحاولة الاستقلال .


المقياس
٢٥٠ ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
كيلومتر
خليج سيام
فطاني
ساتول
يالا
بنغارا
المحيط الهندي
كوتابهارو
كيلانتون
ماليزيا

مصور رقم [٦].

يبلغ عدد سكان فطاني ثلاثة ملايين ونصف، وتزيد نسبة المسلمين بينهم على ٨٠٪، وبذا يكون عددهم ٢,٨ مليون، يُضاف لهم مليونان حول بانقوك، وأكثر من ثلاثة أرباع المليون في المناطق الباقية من شبه جزيرة الملايو والواقعة شمال منطقة فطاني وحتى ممر (كرا).

وصل الإسلام إلى فطاني عن طريق التجارة في القرن الخامس الهجري، ثم ازداد الانتشار في القرن التاسع حتى صار حكم المنطقة كلها بأيدي المسلمين، وبدأ الغزو التايلاندي من الشمال، واستطاع احتلال المنطقة عام ٩١٧ هـ مع وصول الاستعمار الصليبي الذي تمثل في البرتغاليين يومذاك، ثم لم تلبث تايلاند أن انسحبت من المنطقة، وعاد الاستقلال إلى فطاني.

وصل المستعمرون البرتغاليون إلى المنطقة في هذه المدة، واحتلّوا (مالاقا) عام ٩١٧، فاضطرت فطاني أن تُقيم معهم علاقات عام ٩١٩، ثم مع اليابان عام ١٠٠٩، وبدأت جيوش الدول الصليبية تتوافد على المنطقة في سبيل الاستعمار فأقامت إمارة فطاني علاقاتٍ تجاريةً مع هولندة عام ١٠١٨، ومع انكلترا عام ١٠٢١، ثم سمحت لكل الدول التجارية بإقامة مراكز لها في مدينة فطاني بالذات.

عادت تايلاند فاحتلّت فطاني عام ١٢٠١، وقام المسلمون بثورةٍ في العام التالي ضدّ المستعمرين البوذيين التايلانديين الذين دعمهم الاستعمار الصليبي الإنكليزي، وكانت الثورة بقيادة (تنكولميديـن)، واستمـرّت ثـورتهم حتى الآن، وإثر كل انتصار تايلندي تُنقل أعداد كبيرة من المسلمين إلى بانقوك وضواحيها. وكان البوذيون قد قسّموا إمارة فطاني إلى سبع ولاياتٍ في سبيل إضعاف المقاومة وتجزئتها غير أن الفطانين لم يُلقوا السلاح رغم أنهم هُزموا أمام خصمهم وسيطرت تايلاند على المنطقة، ثم عادت الثورة عام ١٢٢٣ بقيادة (داتوفنكلان) الذي أعلن استقلال بلاده، وتصدّى للمستعمريـن غير أنه لم ينجح، وقسّم المستعمرون فطاني إلى أجزاء أصغر. ثم قامت حركة ضـدّ

التايلانديين عام ١٢٤٧ بإمرة (تنكودين)، ولكنه فشل وبدأت الوحشية التايلاندية بالنهب والتهديم واغتصاب الأرض، والقتل، ونقل الناس إلى بانقوك. وفي عام ١٣٢٠ أُلحقت فطاني بتايلند، وارتبطت ببانقوك، وغدت مديريةً تايلنديةً.

وفي عام ١٣٢١ قام الأمير تنكو عبد القادر قمر الدين يُطالب بالحرية والاستقلال فانتهى به الأمر إلى الاعتقال وحُمل إلى بانقوك، وعمّت إثر ذلك الفوضى في منطقة فطاني لضعف تايلاند لأنها كانت مهددةً من قبل فرنسا التي دخلت الهند الصينية، ثم سُوّيت الخلافات بين فرنسا وانكلترا إذ ارتبطت تايلاند مع انكلترا التي وافقت لها على ابتلاع فطاني.

وفي عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) تكتّل الفطانيون الملايويون ضدّ السلطات التايلاندية بأن أضربوا عن دفع الضرائب وإيجارات الأراضي التي فَرضت عليهم ظُلماً، وفي العام نفسه نظّموا حركة تحرير ولكنها سرعان ما أُخمدت، وأُلقي القبض على عددٍ كبيرٍ من قادة الفطانيين وشعبهم، وعُذّب عدد كبير آخر، وفريق لقي حتفه، وآخر قد لاذ بالفرار وشُرّد، وانتقل من وطنه يهيم على وجهه.

وفي عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) قام انقلاب عسكري لقلب نظام الحكم الملكي المطلق إلى نظام ملكي دستوري، ولم يكن هذا الانقلاب ليُكتب له النجاح قبل الاتفاق مع زعماء فطاني، وعندها تقدّمت فطاني بمطالبها لحكومة بانقوك الجديدة، وكانت على النحو التالي:

١ ـ تعيين حاكمٍ واحدٍ على المديريات الأربع (فطاني، جالا، ساتول، بنغارا)، وتكون له سلطات واسعة، وحقّ عزل وإيقاف واستبدال جميع الموظفين، على أن يكون فطاني المولد، ويعود في منشئه إلى إحدى المديريات الأربع، ويختار من قبل أهل البلاد.

٢ ـ أن يدين ٨٠٪ من موظفي الحكومة بالدين الإسلامي.

٣ ـ أن تكون اللغتان الملايوية والسيامية رسميتين.

٤ ـ أن تكون اللغة الملايوية لغة التعليم في المدارس الابتدائية.

٥ ـ الاعتراف بالشريعة الإسلامية، وتطبيقها في المحاكم الشرعية على أن تكون إدارةً قائمةً بذاتها ومستقلةً تماماً عن المحاكم المدنية التي يرأسها تايلاندي.

٦ ـ تكوين مجلسٍ إسلاميٍ له جميع الصلاحيات في توجيه شؤون المسلمين، وأن يكون خاضعاً لسلطة رئيس الدولة العليا المشار اليه في الفقرة الأولى.

وفي طلبٍ لاحقٍ تقدّم به الفطانيون، وهو أن تكون الجنسية الملايوية هي الشخصية الاعتبارية في رسم السياسة العامة في المديريات الأربع.

وفي محادثاتٍ غير رسميةٍ مع مندوب بانقوك اتضح أن حكومة تايلاند مستعدة للاستجابة لمثل هذه المطالب جميعها باستثناء الطلب الأول، وبالطبع فإن فطاني تعرف كما تعرف بانقوك أن الطلب الأول هو حجر الزاوية في القضية كلها، ولهذا فقد وقع اختيار الوطنيين الفطانيين على الأمير (محمود محيي الدين) أصغر أبناء السلطان (عبد القادر قمر الدين) آخر حكام فطاني والذي كان لا يزال يعيش في منفاه في (كيلانتن)، وكان محمود محيي الدين قد عاد من لندن بعد أن أنهى دراسته هناك، قامت المعارضة وعمّت الفوضى فكانت أشبه بثورةٍ تزعّمها (محمود محيي الدين) عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م)، وكان السلطان عبد القادر في منفاه يدعم هذا، ولكنه لم يلبث أن توفي في ذلك العام.

إلاّ أن انتقال السلطة في تايلاند إلى العسكريين قد جرّ وبالاً كبيراً على الشعب المسلم في فطاني، إذ حمل هذا الانقلاب معه دعوةً جديدةً، وهي إحياء

العصبية السيامية ذات الصبغة التعصبية، وكان هذا لا بدّ من أن يصطدم مع الفطانيين الذين ينتسبون إلى عنصر آخر وهو الملايو.

إن الدعوة القومية تُسعر حرباً ضروساً لا تنتهي بين البلاد المتجاورة وتُشعل ناراً لا تنطفىء بين الشعوب المتقاربة الموطن، حيث يتعصّب كل امرىءٍ لعنصره، ويفخر بجنسه، فتصطدم الدعوات، وتتضارب الأفكار، وغالباً ما تكون على الحدود فئات تنتمي إلى جنسٍ غير جنسٍ أهل الدولة الذين هم ضمن إطارها، إنما يمتون إلى عنصر البلد الثانية، فيكونون عوناً لبني جلدتهم على أبناء مسكنهم، فيُقاسون الويل، ويُتّهمون بأنواع التُّهم وهم الذين جُرّوا إلى العنصرية جرّاً، واضطروا أن يسلكوا هذا السبيل اضطراراً.

وعندما اعتلى الفريق أول (فيبون سنقرام) السلطة في تايلاند عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) تعرّض الشعب الفطاني لضغطٍ أكثر، والحقيقة أن هدف تايلاند منذ عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) إنما هو ابتلاع الشعب الفطاني، وقد واصلت تايلانـد جهودها مباشرة بعد عام ١٣٥٧ هـ لتحويل الملايويين في فطاني إلى تايلانديين وذلك بإجبارهم على التزيّ بالزيّ التايلاندي، واستعمال اللغة التايلاندية، وقبول الثقافة التايلاندية، وحتى اتخاذ أسماء تايلاندية، ولقد حرّمـت استعمال اللغة الملايوية في المدارس الحكومية وجميع مصالح الدولة، وأصبح لزاماً أن تجري جميع الشؤون الحكومية باللغة التايلاندية. وبما أن البوذية هي الديانة الرسمية في تايلاند فقد حرّمت الدعوة والتبليغ لأي دينٍ آخر، ولم يُستثن الإسلام من ذلك، كما أصبح لزاماً على كل ملايوي يُريد أن يدخل مدارس الحكومة أو غيرها من مؤسسات الثقافة، أو يعمل في وظائف الدولة أن يتسمّـى بأسماء تايلاندية. وأوصدت في وجه الفطانيين الملايويين وظائف الدولة العليا، والمدارس الحربية والشرطة.

وتكوّنت في عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) لجنة الثقافة الوطنية السيامية، والتي كانت من أولى واجباتها الدعوة إلى إحياء العنصرية السيامية، وكان

الشعب الفطاني ضحيتها الأولى فهو شعب مسلم وذو ثقافةٍ إسلاميةٍ على حين أن السياميين بوذيون وأصحاب ثقافةٍ بوذيةٍ، وقد أغلق السياميون المساجد والمدارس الدينية، وأجبروا المسلمين على دخول المعابد البوذية، كما كانت هناك معاملة تمييزٍ واضحةٍ كل الوضوح.

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية ولم يستطع الفطانيون تنظيم أنفسهم لمقاومة هذه الاجراءات التي اتخذها التايلانديون ضدّهم، وفي ٨ كانون الأول ١٩٤١ م (ذي القعدة ١٣٦٠ هـ) نزل اليابانيون في (كيلانتن) وفطاني، وبينما كان اليابانيون يحتلّون البلاد، استطاع الانكليز أن يُهيئوا حركة مقاومةٍ أرضيةٍ لطرد اليابانيين، وقد اعتمدوا على تعاونهم مع الأمير (محمود محيي الدين) الذي اقتنع بوعود الإنكليز أن بلاده ستحصل على الاستقلال مجرد فوز الحلفاء في الحرب.

انتهت الحرب عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) واندحرت اليابان، وانتصر الحلفاء، ولم يحصل الفطانيون على شيءٍ من الوعود التي قُطعت لهم بل وضعت اقتصاديات البلاد تحت تصرّف انكلترا.

وفي ٢٤ آب ١٩٤٨ م (١٩ شوال ١٣٦٧ هـ) تكاتف المسلمون وعلماؤهم، وقدّم أحد العلماء وهو الحاج محمد سولونغ رئيس الهيئة التنفيذية لأحكام الشريعة الإسلامية باسم الشعب الفطاني مطالبه السبعة إلى الحكومة السيامية وهي:

١ ـ أن تُعيّن الحكومة التايلاندية حاكماً عاماً مسلماً على الولايات الأربع يختاره الشعب من أبناء هذه الولايات، وأن تُمنح له كافة السلطات التي تكفل له حرية التصرّف وإدارة هذه الولايات.

٢ ـ ان لا تخرج محصولات وموارد هذه الولايات الأربع إلى أية ولايةٍ أُخرى، بل يجب أن ينتفع بها محلياً في الإصلاحات التي تحتاجها الولايات الأربع.

٣ ـ أن تفرض الحكومة دراسة اللغة الملايوية في المدارس الابتدائية في الولايات الأربع حتى السنة الرابعة.

٤ ـ أن يكون ٨٠٪ من مجموع موظفي الدولة في هذه الولايات الأربع من المسلمين والمولودين في هذه الولايات.

٥ ـ أن تكون اللغة الملايوية بجانب اللغة التايلاندية في استعمالها في الدواوين وإدارات الحكومة.

٦ ـ أن تعترف الحكومة بشرعية المجلس الديني للولايات الأربع وأحقيته في إصدار القرارات التي تتعلّق بالمسائل الدينية، وأن تكون تلك القرارات والقوانين بموافقة الحاكم المسلم الذي يختاره الشعب من أبناء هذه الولايات الأربع كما هو مذكور في المطلب الأول.

٧ ـ أن تفصل الحكومة التايلاندية القضاء الشرعي عن القضاء المدني الحكومي في هذه الولايات الأربع، وأن يكون للقضاء الشرعي الاستقلال في إصدار الأحكام التي تُوافق الشريعة الإسلامية. ويُلاحظ أن هذه المطالب لم تتبدّل منذ دخول تايلاند منطقة فطاني.

كما رفع تقرير في العام نفسه (١٣٦٧ هـ) إلى الأمم المتحدة يتضمن طلب ايجاد تحالفٍ واسعٍ للبلاد الفطانية الملايوية يتمشّى مع رغبات شعوب العالم المحبة للسلام عامةً والشعوب الكبيرة خاصةً والتي تُؤيّد الحقوق الدولية، وإن قيام دولةٍ فطانيةٍ ملايوية على صغرها أمر يدعمه الحقّ الدولي والعدل، وأن شعبها كسائر شعوب الأرض من حقه أن يعيش كما تعيش الشعوب الأخرى.

وبسبب هذه المطالب قُبض على الحاج محمد سولونغ ورفاقه الأربعة، وقُدّموا للمحاكمة، وحُكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات إلا أنه أُفرج عنهم قبل أن يُمضوا المدة المُقرّرة، ثم أُلقي القبض عليهم مرةً أخرى، واغتيلوا

سرّاً في ولاية (سنغورا) في ١٤ ذي الحجة ١٣٧٣ هـ (١٣ آب ١٩٥٤ م).

وقد كان للانقلاب العسكري الذي وقع في تايلاند عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) اثره الكبير إذ طلب الوطنيون الفطانيون إجراء تحقيق في القضية الفطانية قبل الاعتراف بالوضع الجديد، ولكن بريطانيا اعترفت بالحكومة التايلاندية، وأذاعت عن رغبتها في ايجاد حلٍ عادلٍ لفطاني.

وأُرسلت البرقيات الكثيرة من مُؤسّسات ومُنظّمات ورجالات فطاني للأُمم المتحدة لإرسال وفدٍ للتحقيق من قبل مجلس الأمن ليرى طرق الحكم الفاشي التايلاندي وسيطرة الطاغوت، كما طالبت البرقيات بإجراء استفتاءٍ عادلٍ تحت إشرافٍ دوليٍ ليُقرّر الشعب الفطاني بمقتضاه نوع الحكومة التي يرضاها لنفسه من ضمن الشعوب التي كانت قد غُلب على أمرها، وسُلبت حريتها. وقد جاء وفد من الأمم المتحدة ليدرس أوضاع الفطانيين ولكن حيل بينه وبين الاتصال بالشعب وذلك في عام ١٣٦٨ هـ.

كما كانت هناك حركة منظمة تُعبّر عن رغبة الملايويين الفطانيين في الاتحاد مع الملايو بدلاً من تايلاند، وقد رفعت الحركة هذه عريضةً للأمم المتحدة تحمل ٢٥٠,٠٠٠ توقيعاً مع بصمات أصابعهم، وهذا العدد يُشكّل نصف عدد السكان الملايويين البالغين في مديريات (فطاني) و(جالا) و(بنغنارا) التي وجد فيها التنظيم، وعندما اكتشفت حكومة تايلاند أمر هذه الحركة نقلت كثيراً من قادتها إلى بانقوك.

وفي عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) قام انقلاب جديد في بانقوك.

ولكن السياسة العامة لم تتبدّل في تايلاند نتيجة الانقلاب العسكري الجديد، وإنما اتبع العهد الجديد، ما سار عليه أسلافه في محاولةٍ لصهر فطاني وإذابة كيانها، على اعتبار أن التايلانديين يعدّون هذا من أول أهداف بلدهم ومصالحه. وبالمقابل فلم يُفكّر الفطانيون بتغيير شيء في خطّتهم لأنهم كانوا

يتوقّعون ما حدث، وخاصةً بعد أن جرّبوا مختلف الوسائل مع أعدائهم، وعرفوا مكر التايلانديين وخداعهم، يتقرّب منهم كل حكم جديدٍ، ويظهر النوايا السليمة وإمكانية الوصول إلى الحقّ، حتى إذا ما استقرّ وضعه، وأمكنته الفرصة أعمل الناب، وكشف اللثام عن حقيقة نواياه.

تشكّلت أول حركةٍ كبرى عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) لتوحيد المسلمين وجمع كلمتهم وتنسيق جهودهم وكان لهذه المُنظّمة الدور الكبير في كل الأحداث التي تلت ظهورها.

وفي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) تكونت عدّة مُنظمات وأحزابٍ سياسيةٍ لمواصلة الكفاح ضدّ الحاكم السيامي، ولكن للقيادات المتعددة خطرها الكبير، وللتنظيمات الكثيرة دورها الخطير، حيث يمكن الاندساس بين الصفوف، ووجود الخلافات بين القيادات، والقتال بين الأفراد، والتنافس الدائم للظهور بالمظهر الأقوى، ولذا كانت أهم نقطةٍ يعتمد عليها الأعداء هي ايجاد الانقسام في صفوف الجماعة، ووجود الانشقاق بين الأعضاء لتعدّد القيادات، ولوجود هذه القيادات العديدة في فطاني سرعان ما كُشف سرّها على يد بعض الخونة المندسين، فألقي القبض على بعض الزعماء المخلصين أمثال الحاج (أمين) وذلك في عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م).

أمام الأمر الواقع ووجود بعض الخونة في الصفوف، وأمام الموقف الاستبدادي التايلاندي اضطرت المنظمات إلى اللقاء أولاً ثم تغيّرت الخطة السلمية التي كانت تنتهجها الثورة، فتشكّلت الفرق الفدائية المُسلحة لتقوم بحرب العصابات ضد الاستعمار التايلاندي.

وبدأ القتال ولا تزال الحركة قائمةً حتى يومنا هذا غير أن الخلاف بين الحركات عاد فبزغ قرنه.

الأساليب الاستعمارية: يلجأ الاستعمار التايلاندي إلى عددٍ من الأساليب

الماكرة والمخططات المدروسة في سبيل تمكين قبضته على فطاني، وإمكانية صهر الشخصية الفطانية في البوتقة السيامية وأهم هذه الأساليب:

١ - الهجرة: إن أرض فطاني معروفة بخصوبة تُربتها وغنى بقاعها، لذا تعمل الحكومة على تشجيع التايلانديين للهجرة من الشمال إلى الجنوب، من أرض سيام إلى أرض فطاني، وهي تعمل دائبةً على إقامة المعسكرات لاستقبال وتوطين هؤلاء المهاجرين، كما أنها تفتح الأراضي الواسعة ضمن الغابات، وتستولي على أحسن وأخصب البقاع، وتعدّ المدن للوافدين الجدد من الشمال بإقامة المرافق العامة من مدارس ومصحّات، وتُقدّم كافة التسهيلات للمنتقلين التايلانديين، على حين أن القرى والمدن الموجودة في البلاد كثيرا ما تكون محرومةً من هذه المرافق. إضافة إلى هذا كله فهي تنقل الموظفين مع عائلاتهم للعمل في فطاني واستلام وظائفهم فيها، وتمنّيهم بالأماني فيما إذا استقرّوا حيث هم، وتبذل لهم العطايا السخية في سبيل ذلك، وتأمل الحكومة من هذا الأسلوب.

١ - إضعاف نسبة المسلمين في هذه المناطق الفطانية، ورفع النسبة العددية البوذية.

٢ - اتخاذ هؤلاء المهاجرين جواسيس وعيوناً لها ينقلون لها أخبار الفطانيين كاملةً.

٣ - الاستعانة بالوافدين الجدد في حالة وجود صدامٍ واشتباكاتٍ بين الطرفين.

٤ - تحقيق السيطرة الاقتصادية بسيطرة المهاجرين البوذيين على الموارد والأراضي الزراعية.

٥ - نشر الثقافة والعادات البوذية في هذه المناطق.

وقد بلغت خطورة هذه الهجرة أن بلغ عدد المهاجرين حتى عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) ٥٠,٠٠٠ نسمة وتُعادل هذه الهجرة ٨٠٠٠ عائلة.

وقد استولوا على مساحاتٍ واسعةٍ من الأراضي.

٢ ـ الاقتصاد: استولت حكومة تايلاند على أخصب أراضي المسلمين، وأعطتها للبوذيين السياميين، وبالتالي فإن حجم الإنتاج والمحصول الزراعي الذي بقي للمسلمين أصبح صغيراً جداً، كما أن رؤوس الأموال موزعة بين البوذيين والصينيين والهنود، ومن هنا نتبين ضعف دخل الفرد المسلم وانخفاض مستوى معاشه. ومع ذلك فإن البقية الباقية من المسلمين المزارعين تُفرض عليهم الضرائب العالية بخلاف المزارعين التايلانديين الذين تُقدّم لهم التسهيلات. كما أن الحكومة تتحكّم في سعر مادة الرز والتي تعدّ المحصول الأول في فطاني.

وتأمل الحكومة التايلاندية من هذا الأسلوب أن يخضع الشعب ويرضخ للأمر الواقع، ويستكين، فكما هو معروف أن الشعب الغني يصعب حكمه وإخضاعه بينما الشعب الفقير يسهل إسكاته وإجباره على قبول الأمر والواقع المفروض وهذه سياسة الاستبداديين التي يلجأ إليها الطغاة والمستعمرون، فيسعون إلى إفقار الشعب بأية وسيلةٍ من الوسائل، ويتمادون في إذلال الرعية مُتسلّحين بكافة وسائل التعسُّف.

٣ ـ التعليم: كانت المدارس والمعاهد في فطاني تُدّرس باللغة الملايوية، ويتولّى التعليم فيها أساتذة فطانيون، فقامت الحكومة التايلاندية بإنشاء مدارس يكون التعليم فيها باللغة السيامية، وأحضروا لها المدرسين السياميين، وجعلوا المناهج فيها تخدم مصالحهم، وذلك من أجل احتواء الشعب الفطاني. ثم قامت الحكومة بعد ذلك باغلاق تلك المدارس التي تُعلّم باللغة الملايوية، وعمدت إلى إغلاق أكثر الكتاتيب التي تنتشر في كثيرٍ من أرجاء المنطقة، بل وجعلت بعض هذه الكتاتيب تُعلّم باللغة التايلاندية وتحت إشراف الحكومة بالذات، وفي الوقت الذي قلّت فيه أهمية التربية الإسلامية أُدخلت البوذية. وكان على الطالب الذي يُريد الانتساب إلى مدارس الحكومة أن يُغيّر اسمه العربي أو

الملايوي إلى اسمٍ سياميٍ بوذيٍ ، وفوق هذا ضيّقت مجالات العمل أمام الذين يتخرّجون من المدارس التي تُعلّم باللغة الملايوية ، إذ اشترطت على هؤلاء الخريجين أن يُجيدوا الكتابة والقراءة بالتايلاندية وإلا فلا قيمة لشهاداتهم أبداً . هذا بالإضافة إلى تعيين الموظفين الذين يجهلون الإسلام في مراكز الإفتاء والقضاء وتعليم التربية الإسلامية ، وتأمل الحكومة من تطبيق هذا الأسلوب إبعاد المسلمين عن لغتهم ودينهم لإمكانية صهرهم في البوتقة السيامية . أما بالنسبة للمدارس الإسلامية في فطاني فيطلق عليها (فندق Funduk) .

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة موجة من اختطاف المدرسين . حيث وقعت ٤ حوادث اختطاف خلال أسبوعين في بداية ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) وطالب المختطفون بفديةٍ قيمتها ١٢,٥٠٠ دولار لذا أسرعت الحكومة ، وأغلقت أكثر من ثلاثين مدرسة ابتدائية وثانوية في إقليم فطاني لأجلٍ غير مُسمّى . وإلى جانب هذه الأساليب الرئيسية توجد طرق ثانية يلجأ إليها التايلانديون منها .

أ ـ محاولة نشر الخلاف والخصومات بين العلماء عن طريق بثّ الفتن وإثارة الخلافات بين المدن ، والمناطق ، والأهالي .

ب ـ إقامة معابد بوذيةٍ في كل القرى والمدن الإسلامية حتى يُظنّ أن هذه الولايات بوذية وليست إسلامية .

حـ ـ منع دخول المسلمين من خارج فطاني إليها ، وكذا الصحفيين .

د ـ محاولة نشر المفاسد بإقامة بيوت الدعارة الرسمية والملاهي الليلية ، وتعليم الرقص في المدارس .

هـ ـ تحريف آيات كتاب الله وأحاديث الرسول الكريم أثناء ترجمتها إلى اللغة التايلاندية .

و ـ إجبار المسلمين أثناء قصدهم بيت الله على السفر إلى بانقوك ومن

هنـاك إلى مكّـة، والمرور بهم على المعسكـرات الحربيـة والمعتقلات والسجون ومراكز التعذيب.

ز ـ استقدام عدد من المدرسين اليهود من فلسطين وذلك لبثّ كراهية العرب في النفوس، ومن ثمّ كراهية المسلمين عامةً، وبذا لا يمكن أن يتلقّى الفطانيون أيّة مساعداتٍ من العالم الإسلامي.

ولم تكن هذه السياسة وليدة الأيام الأخيرة وإنما مضى على تطبيقها أكثر من نصف قرنٍ، وكانت بعض التحليلات السياسية تصدر عن مشكلة فطاني في بعض الصحف العالمية ويمكن أن نلمح عن بعضها باقتطاف فقرات منها:

« إن تايلاند في ممارستها سياسة استيعاب الشعب الفطاني الذي يتحدّث لغة الملايو، قد أجبر على تعلّم اللغة التايلاندية، وهكذا فإن حقوقه الأساسية قد أُهدرت وسُرقت، وإن الاحتجاجـات والاضطـرابـات مستمـرة. وإن الشعب الفطاني عازم على الإبقاء على كينونته، وإن معركة التحرير مستمـرة على الرغم من جميع أساليب الكبت والإرهاب التي يُمارسها حُكّام تايلاند. وفيها يظهر عدم رضى الشعب الفطاني من السلطات التـايلاندية لفـرضهـا الضرائب الكثيرة ولاتباعها أساليب تعليمية في المدارس لا تتمشّى مع أهداف الشعب الفطاني.

إن الزيـادة الكبيرة في الضرائـب وسـوء استعمال السلطـة وفـرض أعمال السخرة والعمل الإجباري كان يمكن أن يحتمل دون اللجوء إلى القيام بثورة، ولكن كانت القشّة التي قصمت ظهر البعير، ظهر الشعب الفطاني الرازح تحت وطأة الاستبداد وتحت ضغط قوانين التعليم الجديدة وهي تتلخّص في إلغاء التعليم الإسلامي حتى في المساجد وإلزام أطفال المسلمين الفطانيين بدراسة وتطبيق القوانين البوذية في المدارس التايلاندية، وكذلك سمح للأُسر التايلاندية بالاستيطان في القرى الفطـانيـة الخالصة، ومنحهـم حقـوق تملّـك الأراضي ومعاونتهم حتى يتمكّنوا من حصاد محصـولاتهم. إن (تـايلاندة) الفطـانيين

(تحويلهم إلى تايلانديين) وتدمير عقيدتهم الإسلامية كان دائماً من وراء جميع هذه الاضطهادات غير الإنسانية، فقد كان ينبغي أن يُؤخذ في الحسبان أن فطاني بلد ملايوي، وأن اللغة السيامية لا يُتحدّث بها إلاّ حيث يُوجد الموظّفون التايلانديون على طول الساحل، وفي بعض المناطق الداخلية في المدن الكبرى »[1].

وكتب بارارا وتنغهام جونز « إن الحظر الذي فُرض على التعليم الفطاني قد أثار ضجةً عارمةً، وإن القوانين المُجحفة والحظر الذي فُرض على المدارس الملايوية، والذي كان قد رُفع مباشرةً بعد زمن التحرّر عندما كانت سيام وما زالت ينظر إليها نظرة العدو، هذه القوانين قد طُبّقت الآن، وعلى طول الطريق كنت أرى المدارس الملايوية مُغلقةً ومهجورةً وحتى المدارس الإسلامية الخالصة قد طُبّقت عليها هذه القوانين.

وعلى الرغم من أن مدرسة أو مدرستين من مدارس الملايوية ما زالت باقيةً وخاصةً في (يالا) و(بنغنارا) فإن عدداً أكبر قد أُجبر على الإغلاق وذلك قبل يومٍ أو أكثر من زيارتي.

وبما أن الشعب الفطاني قد رفض أن يرسل أبناءه للمدارس التايلاندية، وظلّ يُقاوم بعنفٍ اللغة التايلاندية (طوال زيارتي لم أجد إلاّ شخصاً فطانياً مُوظّفاً سابقاً يستطيع أن يقرأ أو يكتب اللغة التايلاندية) فإن هذا الإحجام عن التعليم من شأنه أن يُعطّل تقدّم البلاد الاجتماعي والاقتصادي. وتظل الشقّة تتسع بين الشعب الفطاني والغزاة التايلانديين بينما يُهاجم المستعمرون التايلانديون الشعب الفطاني، ويتّهمونه بالجهل والتخلّف. ومن وضع الفطانيين المنبوذين من المجتمع فإنه ليس غريباً أن تتحول العناصر الأكثر ثورةً وحماسةً إلى أعداء للمجتمع وتصبح لصوصاً وقُطّاع طرقٍ وجماعات اغتصاب.

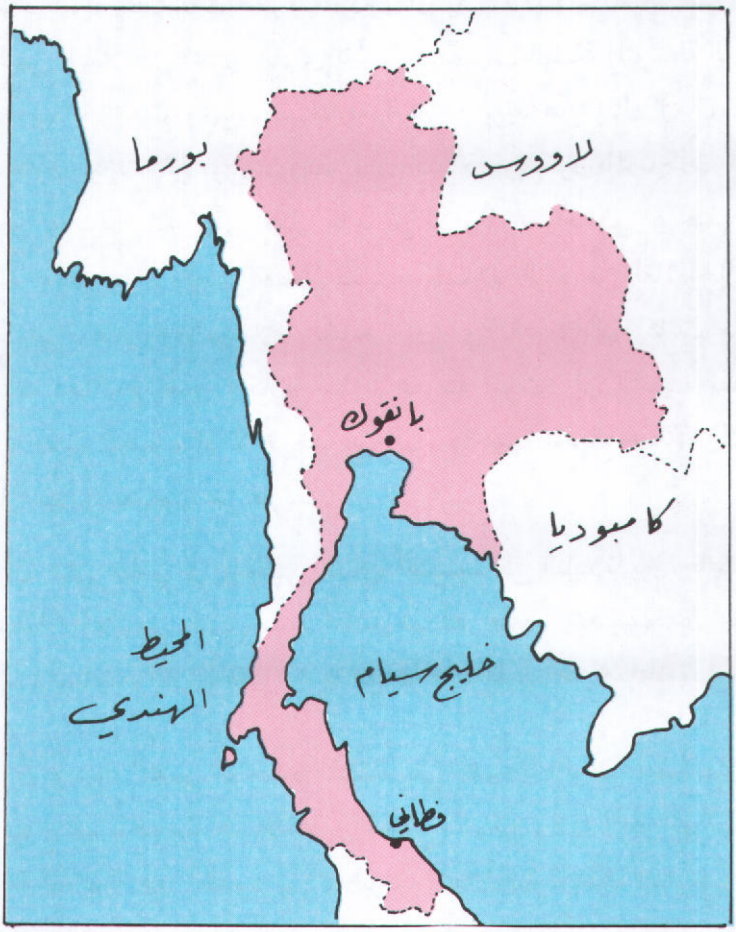
---

(١) بينانغ غازيت شباط ١٩٢٣ م.

وعلى الرغم من أن الخروج على القانون وتكوين العصابات ليس وقفاً على جنس فالتايلانديون أو الصينيون أو الملايويون يمكن أن يكونوا كذلك. وإن فساد الموظفين التايلانديين على مستوى القطر والتمييز والعنصرية يُعرّض الملايويين الفطانيين للتهديد والاضطهاد والتعب النفسي المُستمرّ. وبمجرد الاتهام بإيواء عصابات السرقة ودون أن يُقدّم المتهم للمحكمة، يقوم البوليس التايلاندي بحرق القرى الآمنة، وتخويف الطبقة المتوسطة الثروة من أصحاب الحوانيت وتهديدهم ليدفعوا له ما يُريد من المال (مال حماية)، ويدخلون بيوت الملايويين، ويضربون النساء، وينهبون الممتلكات الصغيرة المتحركة كيفما يشاءون، وكثيراً ما يُرمى الأبرياء بالرصاص أو يختفون، ولا يُسمع عنهم أبداً، وتعيش فطاني بسبب انقطاعها التام عن العالم الخارجي في حالةٍ من الذعر والاستسلام القبيح. إن أي نقد ـ مهما كانت درجته ـ للسلطة الحاكمة يعتبر «كلام ضار» عقوبته الموت. إن الشعب الفطاني لا يملك حرية التعبير، إذ لا توجد صحف، وأجهزة المذياع قليلة، ولا يوجد جهاز سياسي يُعبّرون عن طريقه.

إن ممثلي فطاني في المجلس النيابي أغلبيتهم من التايلانديين خاصةً، وإن الأعضاء الملايويين الذين سبق اختيارهم قد فقدوا شعبيتهم بين مواطنيهم لأنهم لم يستطيعوا أن يُحققوا شيئاً من شأنه التخفيف عن مواطنيهم.

إن وسيلة التعبير الوحيدة المتبقية هي المسجد، وهنا أيضاً فإن القادة المسموح لهم بالحديث هم الأئمة (الحجاج)، ومن وقت لآخر تُهرّب جريدة باللغة الملايوية عبر الحدود من الملايو. وإن الأخبار القليلة الخارجية أو حتى الأخبار الداخلية المحلّية يتداولها الناس بينهم مُشافهةً. وعلى الرغم من هذا الاضطهاد الذي دام أكثر من نصف قرن فإن الحكم التايلاندي لم يتمكّن من انتزاع جنسية الشعب الفطاني. وقد أعجبت بصفة خاصة بالمقدرة التي أبقى بها الشعب الفطاني على تقاليده.



مصور رقم [٧] .

وحتى تاريخ زيارتي هذه لم يتمكّن مراقب أجنبي من زيارة فطاني قبل الحرب. وعلى الرغم من معرفة الناس باحتمالات الصدام في كل نقطةٍ توقفنا فيها، فإنهم كانوا يتجهون نحونا لعرض ظلاماتهم ومتاعبهم »[1].

وكتبت جريدة سنغافورة مقالاً بعنوان « المعركة من أجل البقاء » لصحفي اسمه (يلي بري) عام ١٩٧٠ م ومما جاء فيه: « يقولون إن التايلانديين يربطون معارضة فطاني كلها وحركتهم الوطنية بالشيوعية أو العصابات وذلك للإغراء بها، ووصمها بالعار وهذا هو السبب كما يقولون الذي يجعل البوليس التايلاندي يترك الشيوعيين يهربون إلى الجنوب حتى يجدوا من يرمون عليه اللوم على نشاط الشعب الفطاني السياسي العنيف.

إن حركة المقاومة الفطانية قد احتجّت على هذا التصرّف في خطاب أرسلوه إلى الصحافة الملايوية أخيراً يقولون فيه: إنهم قتلوا الموظفين التايلانديين ووضعوا الحواجز على الطرق لأسباب سياسية. والمتطرفون يُعارضون تسميتهم بالمسلمين التايلنديين، ويرون أن يُطلق عليهم المسلمون الفطانيون. إن نعتهم بالمسلمين التايلانديين محاولة لمسح كيانهم وإغراق جنسيتهم.

إن جهود تايلاند في إجبارهم على قبول الأسماء التايلندية والثقافة التايلاندية المقصود منها استيعابهم (تمثّلهم) في الجنسية التايلاندية، وهذا ما يرفضونه بشدّة.

إنهم يتهمون حكومة تايلاند بالعمل على تدمير لغتهم وذلك بإصرارها على استعمال اللغة التايلاندية في المدارس والمصالح الحكومية والمحاكم، وتغيير أسماء الأماكن وعلامات الطرق من اللغة الملايوية إلى التايلاندية وباختصار

---

(١) نقلاً عن « فطاني » نشر هيئة اتحاد فطاني الحرة.

مسح جميع الآثار الملايوية من الخارطة، كما أن تهجير التايلانديين من الشمال والوسط إلى فطاني جزء من خطة التـدمير هـذه كما يقـول المتطـرفـون. إن الهدف هو إغراق السكان المحليين الملايويين الفطانيين بأكثريةٍ تايلانديةٍ في المديريات الأربع الفطانية وبذلك تُسيطر على المنطقة أكثرية تايلاندية.

وأسلوب آخر يُحاولونه كما يقول السكان المحليون: هو منع الاتصال بين الشعب الفطاني وماليزيا وبـالعكس. وهـذه المشـاعـر مشتركـة بين الشعـب الفطاني، وتدلّ على مدى الضجر والرفض الذي يملأ قلوب الفطانيين.

لقد أُلغيت وظيفة القاضي المسلم، وأُجبر المسلم الفطاني على رفع قضاياه التي كانت تحكم بها المحاكم الإسلامية إلى المحاكم التايلاندية. في عام ١٩٤٦ أعادت حكومة تايلاند امتيازات المسلمين عندما وجدت أن تطبيق القوانين أصبح مُتعذراً وفي العقد نفسه وضّح الشعب الفطاني رغبته في الاستقلال الذاتي المحلي مع بعض المطالب الأخرى. لقد طالبوا بتعيين حاكمٍ عام ليحكم المديريات الجنوبية الأربع، وأن تستخدم جميع الأموال التي تجمع من الجنوب لمصلحة المديريات الفطانية، وطالبوا أيضاً بأن تكون اللغة الملايوية لغة التعليم في المدارس، وأن يخصص ٨٠٪ من الوظائف الحكومية للفطانيين، كذلك طالبوا بتخصيص محاكم ومجالس إسلامية، وأن يكون لها الحقّ في وضع القوانين الإسلامية للمديريات الجنوبية.

إن حركة التحرير التي قامت في الملايو بعد الحرب لإجلاء البريطانيين قد امتدت إلى تايلاند. وفي عام ١٩٤٧ عندما أعاد انقلاب آخر «فيبون سنقرام» إلى الحكم ظهر قائد فطاني يدعى الحاج سولونغ إلى المُقدّمة، وعندما أُلقي القبض عليه، وحوكم بالخيانة عام ١٩٤٨ حدثت اضطرابات وتصادم بين البوليس التايلاندي والثوار الفطانيين.

وفي الملايو تكوّنت حركة التحرير الفطانية الكبرى للعمل على تسليح

الشعب الفطاني وتبليغ مطالبه للأمم المتحدة، مطالبه الخاصة بدمج إقليم فطاني في الملايو، على أن حكومة كوالالمبور كثيراً ما نفت صلتها بهذه الحركة. وفي عام ١٩٥٢، أُطلق سراح الحاج سولونغ وما لبث أن اختفى عام ١٩٦٠، وتدل جميع الوثائق المعادية لحكومة بانقوك على أنه أُغرق في (سونكلا) في عام ١٩٦٢ م[١].

إن الثوار الفطانيين ينظرون إلى تاريخ بلادهم على أنه المسوغ الرئيسي لاستقلالهم وحتى المسلمين الذين يميلون إلى بانقوك ينظرون إلى تاريخهم العظيم نظرة تفخيم وإعجاب. إن حنقهم على وضعهم الاقتصادي المُتردّي وخوفهم من تخلّف تراثهم الحضاري وثقافتهم في وسط مجتمعٍ بوذيٍ. كل هذا يجعل الشعب الفطاني مقتنعاً بأن قادة بانقوك لم يستطيعوا أن يُخفّفوا من حدّة مشكلتهم.

ولَمّا شعرت الحكومة التايلاندية بأن برامجها لتحوير مقومات الشعب الفطاني والسيطرة عليهم لم تؤت أكلها وعملت على إجراء عددٍ من التغييرات في السنوات الأخيرة لتقريب الادارة من الشعب، إلا أن استجابة تايلاند هذه كانت وما زالت عسكريةً في المقام الأول. فقد شنّت الحكومة حملةً قويةً في تشرين الثاني للقضاء على نشاط الشعب الفطاني السياسي، وبينما تنشط حركة القمع والقهر هذه في الأسابيع الأخيرة تبذل الحكومة جهداً جهيداً لكسب قلوب الشعب عن طريق بعض الإصلاحات المدنية. والملاحظ في أغلب الأحيان كما يقول الموظفون التايلانديون: إن هذه البرامج الإصلاحية كثيراً ما تعود إلى نتائج عكسيةٍ نسبيةٍ لأن الموظفين المسؤولين عن تنفيذها نوع سيء يقبلون الرشوة وإدارتهم ضعيفة. وكل فشلٍ في خطتهم يتيح الفرصة لإلهاب حركة المقاومة كحركة (باية).

---

(١) يوجد اختلاف كبير في اختفاء الحاج محمد سولونغ من الوجود.

إن حكومة تايلاند وبرامجها الإصلاحية لا تُمثّل لقائد هذه الحركة (بايه) أو (بابا إدريس) كما يسميه الشعب الفطاني سوى خداع يهدف إلى إبادة المسلمين في فطاني.

هذه الأساليب التي تقوم بها تايلاند في الداخل على حين تقوم بدعايات وأساليب خارجية لا تقلّ خطورةً عمّا تقوم به في الداخل ومن أهم الأعمال والدعاية الخارجية:

١ ـ التهمة بالشيوعية: لقد شدّدت حكومة تايلاند حملة القمع والإرهاب مُؤخّراً بحجة القضاء على المخربين والشيوعيين. ومن سوء حظّ شعب فطاني أن شرذمةً صغيرةً من الحزب الشيوعي الملايوي الصيني قد لجأت إلى الغابات على الحدود بين فطاني وماليزيا. والحكومة الماليزية تقوم بمطالبة الحكومة التايلاندية بإلقاء القبض عليهم، فتقوم السلطات بالإعلان أنها بصدد مطاردة الشيوعيين الصينيين وهي في الحقيقة تعمل على سحق روح المقاومة لدى الشعب الفطاني، ولقد أصدر مركز بحوث الشؤون الحالية في لندن دراسة في شهر كانون أول عام ١٩٦٩ عن تايلاند قال فيها بصدق: « ولكن بانقوك يبدو أنها تُراقب مقاومة الشعب الملايوي للاستيعاب باهتمام أكبر مما تُراقب حوادث الشغب على حدود ماليزيا التي يقوم بها الشيوعيون الملايويون الصينيون » ويقول: « ولعلّ التساهل النسبي الذي تبديه السلطات التايلاندية تجاه الإرهابيين الصينيين قد تأثّر بأهميتهم كقوة مساومة للتقرّب إلى بكين، ولكن استيعاب الشعب المسلم يعطي الأولوية الكبرى، إن شعب فطاني ليس شيوعياً، وإنما يُطالب بأعلى صوته بحق تقرير المصير ».

ونقول: إن المقصود من هذه التهمة منع الحركة من تلقّي أيّة مُساعداتٍ خارجيةٍ وخاصةً من ماليزيا وأندونيسيا والبلاد الإسلامية الأخرى، والدول المعادية للشيوعية، والدول الشيوعية التي تعرف الحقيقة أيضاً.

إن حكومة تايلاند قد تُظهر التأييد الشكلي لماليزيا في وقوفها ضدّ النشاط الشيوعي على الحدود الفطانية الماليزية من باب السياسة فقط، ونظراً لارتباط كلٍ من الدولتين في أحلافٍ واحدةٍ.

إن الحركة الشيوعية نشطة هي وعصاباتها في غربي فطاني حيث يكثر الصينيون في شمال غربي ماليزيا في ولاية (بيرليس)، بينما تُوجد مُنظّمة حركة تحرير فطاني على حدود فطاني مع ولاية (كيلانتن) في ماليزيا وذلك لأن الحزب الإسلامي هو الحاكم في ولاية (كيلانتن) وله قوة كبرى فيها وفي ولاية (ترينغانو) الواقعة في جنوبها. ويدعم هذا الحزب منظمة حركة تحرير فطاني، وتلقى منه كل تأييد. وإن كثيراً من الأُسر الفطانية ما غادرت مواطنها في فطاني إلا بسبب الاضطهاد أو انشغال عمدها في القتال، وانتقلت إلى ولاية (كيلانتن) في ماليزيا وخاصةً مدينة (كوتابهارو). وإذا ما حدث الصدام بين الفريقين المتخاصمين، ولم يستطع الفطانيون الصمود التجؤوا إلى ماليزيا وغاباتها، حتى إن الحكومة الماليزية لو أرادت منع هذا الانتقال لعجزت لصعوبة مراقبة الحدود ضمن الغابات والأحراش.

والمسلمون الفطانيون يُواجهون الشيوعيين، ويتعرّضون لأذاهم ووحشيتهم كما يتعرّضون للتايلانديين.

٢ ـ التهمة بالاتصال مع أندونيسيا: تتهم حكومة تايلاند أندونيسيا بمساعدة الفطانيين وتحريضهم على الثورة ضدّ تايلاند في سبيل ضمّ فطاني وماليزيا إليها. وقد جاء هذا الاتهام في جريدة (سيام ناكورين) التي تصدر في بانقوك في عدد ٢ آذار ١٩٦٥، تحت عنوان «أندونيسيا ترغب في ضمّ فطاني (بما في ذلك ماليزيا وجميع الجزر الواقعة جنوب الفيليبين التي ينتسب سكانها للجنس نفسه، ويتحدثون اللغة الملايوية)». وإن الطلبة الفطانيين الذين يذهبون إلى أندونيسيا وماليزيا للدراسة يتعرّضون لتفتيشٍ دقيقٍ.

إن حكومة تايلاند ترى أن العناصر التي تُؤيّد حركة فطاني ينتسبون إلى ماليزيا

وأندونيسيا. وهي تهدف إلى منع الشعب الفطاني من الذهاب إلى تلك الجهات.

٣ ـ محاولة تنسيق الجهود مع حكومة الفيليبين: إن في الفليبين أقلية من المسلمين يصل عددها إلى ٦ ملايين مسلم، ويُشكّلون ١١٪ من مجموع السكان، ويعيش معظمهم في الأجزاء والجزر، الجنوبية، وتعمل حكومة الفيليبين على استيعابهم وإذابة كيانهم، ولما كانوا يرفضون هذا الاستيعاب وتلك الإذابة، لذا عملت الحكومة على اضطهادهم ومحاولة إبادتهم وتلجأ إلى الأساليب نفسها التي تلجأ إليها حكومة تايلاند. إذن تلقى كلتا الدولتين مصاعب واحدةً في سبيل الوصول إلى أهدافها، وهذا ما حدا بتايلاند إلى الاتصال بحكومة الفيليبين لتنسيق جهودهما وتبادل الخبرات، والاستفادة من التجارب.

٤ ـ اتصلت حكومة تايلاند برابطة العالم الإسلامي، وطلبت منها فتح فرع لها في بانقوك وذلك في سبيل تغطية الأعمال الاجرامية التي تقوم بها، ومن المعلوم أن في بانقوك كلية إسلامية تخضع للحكومة وإشرافها، وفي مناهجها ومدرسيها ما يدلّ على إشراف تايلاند التام عليها. كما أن المسلمين الذين يُقيمون في منطقة بانقوك قد تأقلموا بالبيئة التي عاشوا فيها منذ قرنين من الزمن، ولم تعد لهم أيّة صلةٍ بالإسلام سوى الانتساب إليه. وقد رفضت الرابطة هذا الطلب لعلمها بما يدور على أرض فطاني.

٥ ـ فتحت أبواب البلاد أمام الدعاية القاديانية التي هي بنت الاستعمار الإنكليزي وربيبته وعدوة الإسلام، ومرتدة عنه، وقد نشأت في الهند أثناء الحكم الإنكليزي لها، كما كانت تايلند تحت نفوذ الاستعمار نفسه، وذلك لإفساد عقيدة المسلمين وجعلهم يرضون بالحكم التايلاندي، ومن المعلوم أن الاستعمار الهولندي في أندونيسيا قام بهذا الدور، وهكذا فأنواع الاستعمار واحدة وإن تعددت الأسماء والأشكال ولا فرق بين الاستعمار الأوربي والآسيوي.

٦ ـ التعاون مع اسرائيل، وسنغافورة التي يرأس حكومتها يهودي، إذ تستفيد من إسرائيل التي ترسل لها المدرسين ليعلّموا في فطاني، على أنهم غرباء، كما أن إسرائيل وسنغافورة تتولّى الدعاية في الخارج ضدّ الحركة الفطانية لمصلحة تايلاند. هذا إضافةً إلى العلاقات التجارية التي تربط البلدين والتي تستفيد منه إسرائيل بشكلٍ خاصٍ بسبب المقاطعة العربية، وللحصول على منتجات البلاد الحارة حيث لا تستطيع التعامل مع أندونيسيا وماليزيا لأنهما دولتان مسلمتان ولا تعترفان باسرائيل.

القتال: بعد أن وحّد الفطانيون جهودهم، ومُنظّماتهم، وأوجدوا الفرق العسكرية، وأولوها العناية الخاصة، وكانت منظمة حركة التحرير الوطني الفطاني تشمل جانبين.

١ ـ الفرع العسكري: ويُعرف باسم جيش التحرير الوطني الفطاني، وأمين سر الشؤون العسكرية هو الحاج (غوانغ غمبول) بينما السيد (بابا إدريس) يتسلّم قيادة القوات المقاتلة.

٢ ـ الفرع المدني: ويشمل نواحي الإعلام والتنظيم ويتسلّم السيد (صالح عثمان) أمانة سر الشؤون الداخلية. ويترأس المؤتمر السيد (هاشم عبد الرحمن)، ويتسلم أمانة السر الأولى السيد (عبد الجبار الحاج يوسف).

وقد بدأت القوات الفطانية أعمالها العسكرية في شهر آب ١٩٦٩ في بعض قرى وجبال فطاني، تمكّنت هذه القوات من قتل أكثر من ٣٠٠ جندي من القوات التايلاندية حتى أواخر شهر كانون أول عام ١٩٦٩ أي في الأربعة الأشهر الأولى من بدء عملها. وعقب هذا الانتصار الذي أحرزته القوات الفطانية أعلنت الحكومة التايلاندية الأحكام العرفية في الولايات الفطانية، وأرسلت الإمدادات لقواتها حتى بلغ مجموع القوات التايلاندية المحاربة في الجنوب ١٠,٠٠٠ جندي من ضمنها ٢٠٠٠ جندي من القوات البحرية.

وفي بداية شهر تشرين الثاني من عام ١٩٧٠ أرسلت الحكومة التايلاندية قواتٍ إضافيةً من القوات الانتحارية التي سحبتها من قاعدة (هواهين) وذلك بسبب اشتداد المعارك في الجنوب، والهجمات العنيفة التي شنّها الفطانيون. وقامت هذه القوات الإضافية بإلقاء القبض على المواطنين المسلمين الفطانيين وزجّتهم في السجون دون محاكمة، بتهمة أنهم من رجال جيش التحرير الوطني الفطاني أو أنهم من المتعاونين مع هؤلاء المجاهدين الأبطال. ويلقى جيش التحرير الفطاني كل تأييدٍ ودعمٍ من قبل عامة الفطانيين، وهم يصبرون على ما يلقونه من أذىً واضطهادٍ، ويؤمل أن تتحقق أهدافهم، وبعضهم يُؤدّي عمله المعتاد نهاراً، وفي الليل ينخرط في صفوف المجاهدين.

ب ـ حول بانقوك: تعدّ منطقة فطاني ضمن العالم الإسلامي لأنها تقع على هامشه فهي تتمةٌ لأجزائه غير أن سيطرة تايلاند عليها قد جعل سكانها يُشكّلون أقليةً ضمن تايلاند.

ويعيش حول بانقوك أيضاً ما يقرب من مليوني مسلم، وإن كان أصلهم من فطاني نقلوا منها على مدار عدّة قرونٍ خلال الصراع بين الفطانيين وتايلاند، وكان الهدف من نقلهم إضعاف قوة فطاني وإذابة قسمٍ من المسلمين في المجتمع التايلاندي، وكان النقل يتمّ إثر كل قتالٍ تنتصر فيه تايلاند فتتصرّف بالسكان المسلمين تصرّف العدو المنتصر.

وقد حقّق التايلانديون شيئاً من هدفهم في إذابة هؤلاء المسلمين المنقولين من فطاني إلى منطقة بانقوك حيث تنتشر المفاسد على نطاقٍ واسعٍ، ويعيش المسلمون فقراء كأقليةٍ وسط مجتمعٍ بوذيٍ له تقاليده وعاداته ولغته، ولا بدّ مع الزمن من أن يتخلّى المسلمون عن بعض عاداتهم ويكتسبوا عادات جديدةً كانت بالأمس غريبةً عنهم، وربما يجبرهم الفقر على ذلك، وتدعوهم الحاجة، ولا يستطيع الجهل أن يُعطيهم مناعةً، لذا فقد وقع كثير منهم فريسةً بين مخالب المفاسد وتحت وطأة الفقر ونتيجة الجهل.

غير أن الصحوة الإسلامية قد نالت عدداً منهم وبدأت تتوسّع، وأصبح المسلمون يأبون ما يرضاه البوذيون لأنفسهم، وعاد الإسلام يتقرّب من نفوس بعضهم ونرجو للخير أن تمتدّ جذوره وتتعمّق في تلك البيئة، وغدا للشباب الإسلامي بعض اللقاءات الخاصة لتدارس الإسلام وهناك بعض المؤسسات الاسلامية مثل: الكلية الإسلامية في بانقوك، والجمعية الإسلامية، ومكتبة الجمعية الإسلامية، ورابطة خريجي الجامعات المصرية، ومركز خريجي الجامعات العربية، ومؤسسة المركز الإسلامي.

ويوجد في فطاني مدرسة مهد العلوم، ومدرسة وانتاناتام الإسلامية، ومركز القادة المسلمين بجنوب تايلاند.

مشكلات فطاني: يجد الفطانيون أمام جهادهم عدّة مشكلاتٍ أهمها:

١ ـ وضع فطاني: فطاني منطقة صغيرة، لم تقم فيها دولة خاصة في هذا العصر لذا لم يسمع بها إلا القليل، ولهذا فلم تلق كثيراً من الاهتمام، إضافةً إلى الحصار الذي يفرضه عليها المستعمرون التايلانديون بمنع المسلمين وحتى الصحافيين الأجانب من الوصول إلى ساحة القتال أو منطقة الثورة، ويقع على عاتق الثورة الدعاية اللازمة لها، وخاصةً بين صفوف المسلمين الذين يجهلون كل شيءٍ عن فطاني ويجب أن يكونوا السند الحقيقي لها.

٢ ـ ماليزيا: فطاني امتداد للملايو فهي جزء منها، وترتبط معها برابط العقيدة والجنس واللغة، ومع ذلك فلا تلقى المساعدة اللازمة، ويوم كان (تانكو عبد الرحمن) رئيساً لوزراء ماليزيا كان يتوانى في مساعدة الفطانيين الذين كانوا يتهمونه بالتحيز إلى جانب التايلانديين لأن أمه منهم. وعندما انتهى حكمه في ايلول ١٩٧٠ وجاء بعده (تانكو عبد الرزاق) توسم الفطانيون فيه خيراً إلا أنهم صدموا عندما أعلن أنه سيقمع كل حركةٍ يقوم بها الانفصاليون التايلانديون بشدّةٍ. وقد قام بزيارة إلى بانقوك عاصمة

تايلاند في مطلع عام ١٩٧١ لإظهار حسن الجوار.

ولا توجد منطقة برية تفصل الفطانيين مع الخارج سوى ماليزيا.

٣ - الأحلاف: إن حلف جنوب شرقي آسيا يضمّ تايلاند، وماليزيا، والفيليبين، وأندونيسيا، وسنغافورة مما يجعل هذه الدول يقف بعضها بجانب بعض، وهذا ما يحول دون ان تلقى فطاني المساعدة من هذه الدول القريبة منها، وهذا بالتالي يجعل دول المعسكر الغربي كلها تدعم تايلاند، وتقف ضدّ الفطانيين وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وإن كان الخلاف الذي يحدث أحياناً بين دول المعسكر هذا للتنافس الاستعماري يجعل مشكلة فطاني تحتلّ مركزاً في بعض الصحف أو يغضّ النظر عن وصول بعض الأسلحة إليها. وكذا تدعم اسرائيل الحكومة التايلاندية.

أما المعسكر الشيوعي فهو يدعم الحركة الشيوعية التي توجد على الحدود الفطانية الماليزية من جهة الغرب.

إضافةً إلى حرب المعسكرين لمنظمة حركة تحرير فطاني الوطني لأنها تحمل بعض الجوانب الإسلامية.

٤ - السلاح: يجد الفطانيون صعوبةً بالغةً في الحصول على السلاح للأسباب التي ذكرناها، ويضطرون إلى دفع المبالغ الكبيرة ثمن البندقية الواحدة، فمثلاً يستعملون البنادق M. 60 الأمريكية وهي ما يستعمله التايلانديون ذاتها، ولكنهم يدفعون ثمن البندقية الواحدة ١٠٠٠ دولار في حين يحصل الفلسطينيون عليها بمبلغ ٦٥ دولار، فالفرق واضح بين الرقمين. أما الجهة التي يحصل الفطانيون على السلاح منها فلا توجد وإنما أصحاب المصالح من التايلانديين هم الذين يبيعون الأسلحة إضافةً إلى ما يأخذه المقاتلون في الاشتباكات ومن هنا يبدو واجب المسلمين كبيراً أمام الفطانيين.

(٧) فـيـتنام

تبلغ مساحة فيتنام ٣٣٦,٠٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها ما يزيد على خمسين مليوناً، يعيش بينهم ما يقرب من مليون وربع المليون من المسلمين، وبذا يُشكّلون ٢,٥٪ من مجموع السكان، ولكن لم يسمع بهم أحد من المسلمين ـ مع الأسف ـ.

تتألّف سواحل فيتنام من قوسين أحدهما مقعر في الشمال يُشكّل خليج (طونكين) الذي يصبّ فيه النهر الأحمر، وعليه تقع العاصمة (هانوي)، والقوس الثاني مُحدّب يُساير السفوح الشرقية لسلسلة جبال (أنام)، وتتشكّل سهول ساحلية ضيقة، تتسع في الجنوب حيث تمتدّ دلتا نهر (الميكونغ)، ويُعرف الإقليم هناك باسم (كوشانشين)، ويُشرف من ناحية الغرب على خليج (سيام).

كان في منطقة فيتنام عدد من الإمارات منها: إمارة فيتنام في الشمال، ومنها إمارة تشامبا في الوسط، وكانت قد تأسست حوالي عام ٤٢٠ قبل الهجرة، أما القسم الجنوبي فكان يتبع كامبوديا.

بدأ الإسلام يصل إلى سواحل إمارة تشامبا عن طريق التجارة التي نشطت في تلك العصور، وأخذ يدخل إلى نفوس بعض الأفراد، وازداد إقبال الناس

عليه في القرن الرابع الهجري، وقامت المصاهرات بين التجار العرب المسلمين وبين السكان، وزوّج ملك تشامبا ابنته من أحد التجار العرب، ولم تلبث إمارة تشامبا أن انقلبت إلى إمارةٍ إسلاميةٍ، وتبنّى شعبها الإسلام، وبدأت هذه الدولة تتوسّع حتى بلغت أوج قوتها واتساعها عام ٨٧٥ هـ. ثم قام صراع بينها وبين إمارة فيتنام في الشمال التي أخذت تغزوها، واستمرّ هذا الغزو وهذا الصراع عدة قرونٍ ويمكن أن نُميز فيه عدة مراحل في هذه الحروب:

المرحلة الأولى: وتمتدّ من ٨٧٥ ـ ٩٤٧ هـ، وقد تمكّنت فيتنام في هذه المرحلة أن تدخل مدينة (فيجايا) عاصمة دولة تشامبا، وأن تقتل ستين ألف مسلم، وتأسر ثلاثين ألفاً آخرين، وتسوقهم إلى عاصمتها (هانوي)، وكان بينهم خمسون شخصاً من أفراد الأسرة الحاكمة في تشامبا.

المرحلة الثانية: وتمتدّ من ٩٤٧ ـ ١٠٦٠ هـ، واستطاعت فيتنام في هذه المرحلة دخول منطقة (كاوتهاوا) وهزيمة ملك تشامبا (باتهام).

المرحلة الثالثة: وتمتدّ من ١٠٦٠ ـ ١٢٣٧ هـ، وفيها فقدت تشامبا منطقة (كاوتهاوا) نهائياً، ونقلت مقرّ الحكم إلى مدينة (باندورانغا)، وغدت جموع الفيتناميين تفد إلى منطقة تشامبا، وتستقرّ فيها، وتحصل على أحسن الأراضي وأفضل الأماكن دون مُقابلٍ، تُنتزع من أيدي أصحابها التشامبيين وتُقدّم للوافدين.

المرحلة الرابعة: وكانت عام ١٢٣٨ حيث سيطرت فيتنام على أكثر أراضي تشامبا، ووزّعتها على أبنائها، وطردت منها أهلها، وعندها غادر ملك تشامبا (بوتشون) موطنه، وطلب اللجوء السياسي إلى كامبوديا فرحّب ملكها به وبمن معه، وأخذ التشامبيون المُشرّدون يتجهون إلى كامبوديا، ويستقرّون هناك، وهكذا زالت إمارة تشامبا، وضُمّت أرضها إلى فيتنام التي

أطلقت اسم دولتها على جميع المنطقة، وشُرّد أهل تشامبا في عددٍ من الجهات، وإن كان أكثرهم قد استوطن كامبوديا، ومن بقي منهم في موطنه عاش في أحضان الظلم، وفي مجتمع البؤس والشقاء.

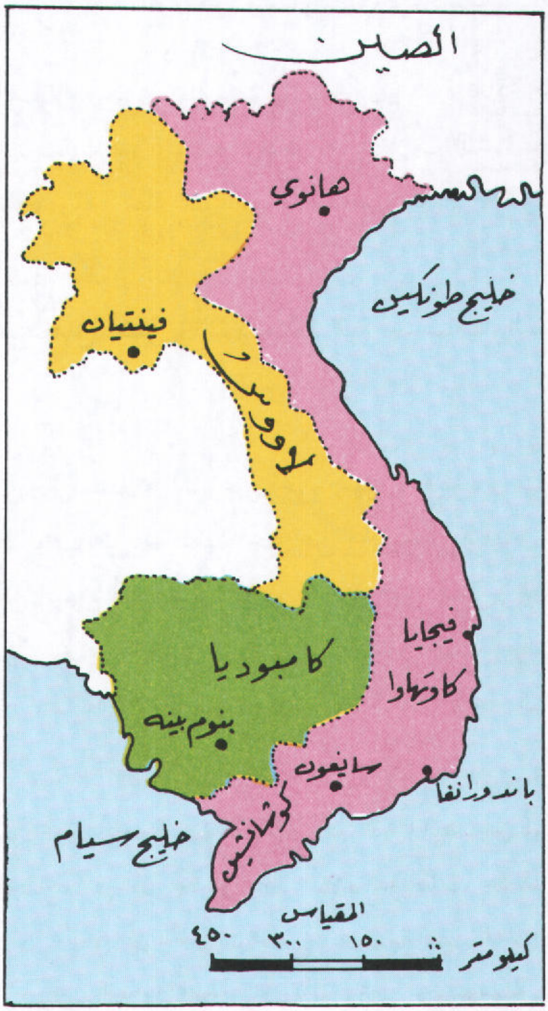
منذ أن دخل الفيتناميون مدينة (فيجايا) عاصمة تشامبا، وهم يُمارسون أعمال الاضطهاد والتعذيب، ويقومون بالإبادة الفردية والجماعية ضدّ شعب تشامبا، وهذا ما أدّى إلى خروج كثيرٍ من أبناء تشامبا إلى الدول المجاورة لاجئين إليها فارين بدينهم وخوفاً على حياتهم ومن أن يفتنهم القوم الظالمون، كما انطلق بعضهم عبر البحر باتجاه ماليزيا وأندونيسيا، وحطّ بعضهم رحاله في ولاية (كيلانتان) في ماليزيا، وأقاموا فيها مسجداً خشبياً يتسع لأكثر من ألف مُصلٍّ، ويُعرف حتى الآن - إذ لا يزال قائماً - باسم مسجد (كامبونغ لاوت) أي مسجد قرية البحر، وقد نُقل هذا المسجد منذ بضع سنين إلى مركز الدراسات الإسلامية العالية في (كيلانتان) ويقع على بُعد سبعة أميالٍ من مدينة (كوتابهاور) عاصمة الولاية.

واستمرّ تناقص التشامبيين أو المسلمين في فيتنام بسبب الهرب، والإبادة، وعندما دخلت فرنسا مستعمرةً للمنطقة لم تقف دون عمليات القتل والاضطهاد ضدّ المسلمين، حتى خلت أكثر السهول والمدن منهم، وبقي أكبر تجمع لهم في الجبال، وقد كتب (تشارلس ليمير) أحد أفراد الجالية الفرنسية في مقاطعة (بينه دينه) أي فيجايا تقريراً جاء فيه «إن في المناطق المرتفعة ثمانين قريةً تشامبيةً تضمّ أكثر من خمسمائة ألف مسلم». وجاء في تقرير آخر له «إن التشامبيين لا يزالون موجودين حتى الآن إلا أنهم مُعرّضون لعملية الإبادة الجماعية من قبل فيتنام، ويستحقّون حمايةً مباشرةً من الحكومة الفرنسية أو يُوضعون تحت حماية منظمةٍ دوليةٍ، ولكن فرنسا لم تفعل شيئاً، فالحقد الصليبي لا يقلّ عن الحقد البوذي.

ومن الصعب جداً أن نعرف شيئاً عن المسلمين في «فيتنام» لأن الحكومة

الشيوعية هناك لا تسمح بحالٍ من الأحوال أن تخرج أيّة معلوماتٍ لا تعود بالفائدة على الحزب الحاكم، والمعلومات عن الإسلام والمسلمين من باب أولى ألا تسمح بها، وقد لا يعرف كثير من الناس حتى الآن أن في « فيتنام » مسلمين، وكل ما نعرفه أنه يوجد ما يقرب من أربعين ألف مسلم في إقليم « كوشانشين » وهو الجزء الجنوبي من فيتنام، وقد ضُمّ إليها من كامبوديا قبل أن يستولي الفيتنامون على بلاد (شامبا)، ويتـوزّعـون في منطقـة تشـادوق (ChauDoe) الواقعة على حدود كامبوديا على يمين نهر (الميكونـغ)، ومنطقـة تاي نينه (Tay Ninh) القريبة أيضاً من حدود كامبوديا، ومنطقة « سايغـون » عاصمة فيتنام الجنوبية، والتي تُسمّى اليوم (هوتشي مينه Hiocehi Minh)، كما نعلم أنه يُوجد خمسون ألفاً في إقليم (بينه تيهوان)، إلا أنهم في هذا الإقليم قد أصابهم جهل كبير بالإسلام لانقطاع الصلة به، وانقطاع الاتصال بينهم وبين إخوانهم في إقليم « كوشانشين »، وغدت مساجدهم لا تفتح إلاّ يوم الجمعة، ويُصلّي فيها الأئمة نيابةً عن الشعب، كما أنهم يصومون شهر رمضان عنهم، وعندهم بعض السور القصيرة من القرآن الكريم مكتوبة، وهذا بالنسبة الى الكبار، أما الذين تربّوا تربيةً عصريـةً فلا يظنّـون بـالـديـن ولا يعرفون عنه إلا كما يقول الأعداء إنه تقليد من تقاليد أجدادهم القدامى، وقد ارتدّ بعضهم فاعتنق النصرانية، ومنهم من سار في طريق البهائية لوصول دعاتها إليهم.

وفي عام ١٣٨١ قام بعض الأفراد المسلمين من التشامبين في « كوشانشين » وشاركهم بعض التجار الهنود بالدعوة إلى الإسلام الصحيح فوجدوا تجاوباً كبيراً، وتنبّه آلاف المسلمين فأقبلوا على تعلّم العبادات وبعض الأحكام، وبنوا المساجد في مناطقهم بشكلٍ هادىء وعلى حين غفلةٍ من الحكام، وتأسّست جمعية تُدعى الجمعية التشامبية الإسلامية الفيتنـاميـة، وتهدف إلى مساعدة المسلمين في تأدية واجباتهم الدينية في تجمّعاتهم الإسلامية التي تعيش وسط المجتمع الفيتنامي البوذي.


الصين
هانوي
خليج طونكين
فينتيان
لاووس
كامبوديا
بنوم بينه
فيجايا
سايغون
خليج سيام
المقياس
١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠
كيلومتر

مصور رقم [٨] .

أما حالتهم السياسية فقد وجد اثنان من المسؤولين من المسلمين في المدة الثانية من العهد الجمهوري أحدهما عضو في مجلس النواب والآخر عضو في مجلس الشيوخ. وكانت الحكومة الفيتنامية تُخصّص وزارةً تُدعى وزارة التنمية للشعوب الأقليـة، فتُشرف هـذه الوزارة على حيـاة التجمّعـات الإسلاميـة والقبائل المنتشرة في المناطق المرتفعة، وتختار لها وزيراً تشامبياً ـ عادةً ـ.

أما من الجانب العسكري فالمسلمون مبعدون عنه إبعاداً تاماً حيث لا يشملهم نظام التجنيد، ولا تسمح الحكومة للطلاب التشامبيين بالالتحاق بالكليات الحربية، وإذا تجاوزت أحياناً سمحت لعددٍ محدودٍ عدا الكلية الجوية.

ومع هذا استطاع المسلمون أن يُشكّلوا قوةً يحسب لها الفيتناميون ألف حساب.

الواقع الحالي: تمّ استيلاء الشيوعيين على جمهورية فيتنـام عـام ١٣٩٥ هـ فانطلق مئات الألوف من مناطقهم بحثاً عن الحرية في البلدان الأخرى من العالم، وخوفاً من انتقام الشيوعيين الذي عرفوه عند الهجوم العام على مدينة (هوى Hue) القريبة من الحدود بين دولتي فيتنام حيث أمضى الشيوعيون عشرين يوماً في دفن الآلاف من موظفي الحكومة جماعةً إثر جماعة وهم أحياء.

ولجأ الشيوعيون بعد انتصارهم الكامل عام **١٣٩٥ هـ إلى أسلوبٍ آخر** إذ أقاموا سبعين سجناً ضخماً مُوزّعةً في أنحاء البلاد، وأطلقوا عليها اسم «مراكز الإصلاح والتكوين»، وزجّوا فيها بموظفي الحكومة السابقة مدنيين كانوا أم عسكريين على مستوى البلاد كلها. وقد نال كثير من هؤلاء السجناء رحمة الشيوعيين، إذ كانوا يطلقون سراح ضحيتهم بعد أن يتأكّدوا انها لن تعيش أكثر من عدّة أيام ليُهيىء أهلها لها جنازتها حسب تقاليدهم المحلية.

بهذا الأسلوب يموت المسلمون وغير المسلمين في فيتنام حتى هذه اللحظة، إضافةً إلى أنه يُؤخذ بعض المعروفين من الرجال ليُقتلوا دون علم أحدٍ، فقد سيق إلى (هانوي) عبد الحميد بن عيسى (دوحاميد) وأخوه عبد الرحيم بن عيسى (دورحيم) وكانا من كبار موظفي الحكومة السابقة، والشيخ (توكونغ توان) المعروف باسم (عبد الكريم) عضو مجلس النواب السابق، ولم يسمع عنهم حتى الآن أي خبر. وزُجّ بآلاف المسلمين في السجون، وهم يموتون فيها جماعةً بعد جماعةٍ، كما قُبض على أئمة المساجد بحجة أنهم رفضوا رفع صورة الزعيم الصيني (هوتشي مينه) في مساجدهم، وسيقوا إلى أماكن مجهولة ولا يُعرف عنهم حتى الآن شيء.

وأخذ الشيوعيون المساجد والمدارس التي يتعلّم فيها الأولاد تلاوة القرآن لتكون وحداتٍ صحيةً وإدارات ومقرّاً لاجتماعات عامة أو خاصة حسب أهوائهم، وأبقوا المسجد الجامع الذي يقع قرب مبنى مجلس الأمة في «سايغون» العاصمة السابقة، وهو أكبر المساجد في فيتنام، وذلك ليصلي فيه رجال السياسة الذين يزورون تلك الجهات، وللدعاية بأن الحرية الدينية ممنوحة للمسلمين. ووعدوا بإبقاء هذا المسجد، كما أعادوا المسجد في هانوي ـ العاصمة ـ للمسلمين بعد أن حوّلوه إلى مصنعٍ مدةً من الزمن، وكان هذا حسب الوعد أعطوه للسفير الباكستاني أحمد خان الذي قام بزيارة المنطقة مع عددٍ من سفراء الدول الإسلامية. ولا يسمح الشيوعيون للمسلمين بأداء صلواتهم بشكلٍ عادي، فقد اشترطوا عليهم ألا تُقام صلاة الجمعة في هذا المسجد إلا بعد الحصول على التصريح بذلك من الشرطة المحلية، وتسجيل أسماء الذين سيحضرون الصلاة وعنوان كل واحدٍ منهم، وهذا التصريح يجب الحصول عليه أسبوعياً.

وبعد مضي أربع سنواتٍ على قيام الحكم الشيوعي في فيتنام الجنوبية وصل فيها المسلمون إلى حالةٍ لا يملكون فيها ما يُكفّنون به موتاهم، ففي عيد

الأضحى عام ١٣٩٨ سقط الإمام محمد داود من فوق المنبر وهو يخطب الناس، فلم يجد المسلمون ما يُكفّنون به إمامهم. ولا تجد النساء ما يسترن به عوراتهن عند الصلاة، وتُباع الأملاك بأثمانٍ بخسةٍ لا تُساوي ثمن وجبة طعام، ويُقيم كثير من المسلمين في أماكن لا تُقيم في مثلها البهائم.

وهكذا بقي من آثار المسلمين في فيتنام مسجدان أحدهما في عاصمة الشمال (هانوي) بعد أن أُعيد لهم، وآخر في (سايغون) عاصمة الجنوب، وكلاهما للدعاية وأثر من الآثار الباقية.

(٨) لاووس

تبلغ مساحة لاووس ٢٣٦,٠٠٠ كيلومتر مربع ، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين ، وهي منطقة داخلية الأمر الذي جعل الإسلام لم يصل إليها فهي بعيدة عن مكان منشئه في الداخل ، وبعيدة عن الأمكنة التي وصلت إليها فتوحاته ، وبعيدة عن السواحل التي وصل إليها عن طريق التجارة ، وهي بلاد جبلية قليلة السكان لم تجذب إليه الدعاة ، ولم يندفع نحوها التجار .

لا يزيد عدد المسلمين في لاووس على عدة آلاف ، يتجمّع معظمهم حول العاصمة (فينتيان) ، ويعملون بالتجارة ، ولهم جمعية معترف بها من قبل السلطات الحكومية إذ لا تُشكّل خطراً على الدولة لقلّة عدد المسلمين هناك ولانصرافها عن موضوع الدين الإسلامي .

يُحتمل أن يكون المسلمون التشامبيون قد لجؤوا إلى لاووس قبل اتجاههم نحو كامبوديا ، وربما انطلق بعضهم إليها يوم شُرّدوا بشكلٍ جماعي عام ١٢٣٨ هـ ، ومن سار إليها استوطن فيها ، ولكن مرّ عليهم زمن طويل لم يتلقّوا فيه أمور دينهم ، وكل ما تعلموه قراءة بعض سور وآيات من القرآن الكريم دون فهم معناها ، وتعرّض الأبناء لحملات التنصير فتأثّر بعضهم بها ، وارتدّ بعضهم عن دينه .

لقد أصبح عدد المسلمين في لاووس أقلّ من ذي قبل بسبب ما أصابهم من جهلٍ، وارتدادٍ، وتركٍ للعقيدة، وإبادةٍ، وهجرةٍ. وليس لهم أيّة هيئةٍ تُشرف على حياتهم الدينية وتُوجّههم، فتفرّقوا حسب ظروف المعيشة بسبب الحرب، ولا يتجاوز عددهم بضعة آلاف بما فيهم الهنود والباكستانيون، وليس لهم من مسجدٍ يُؤدّون فيه عبادتهم، وإنما هناك أماكن مخصصة لصلاة الجمعة فقط.

ومما يجدر ذكره أن هناك الآلاف من التجار الهنود والباكستانيين يتوزعون في أنحاء المنطقة (فيتنام ـ لاووس ـ كامبوديا) ويكثرون في فيتنام ويُشاركون إخوانهم التشامبيين، وهم الذين أقاموا مسجد سايغون. كما يوجد آلاف من اليمنيين والحضارمة، وقد قامت الحكومة اليمنية بعد سيطرة الشيوعيين على البلاد وبمساعدة الهيئات الدولية بنقل رعاياها وإعادتهم إلى بلادهم الأصلية.

(٩) كامبوديا

تبلغ مساحة كامبوديا ١٨٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويُقيم على أرضها أكثر من سبعة ملايين، يعيش بينهم عدد قليل من المسلمين لا يزيد على مائة وعشرين ألفاً أي ما يُساوي ٢٪ من مجموع السكان.

وصل الإسلام إلى السواحل ولكن بأعدادٍ قليلةٍ لأن السواحل مُتقعّرة حيث خليج (سيام) الذي تُشرف البلاد عليه، لذا تُعدّ داخليةً، إذ لم تكن هناك من محطاتٍ تجاريةٍ للسفن التي تقطع البحر ذهاباً وإياباً من وإلى الشرق الأقصى. ثم أخذ الإسلام يجد له مسالك نحو الداخل في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ولكن بنسبة ضعيفة، لذا بقيت الأعداد قليلةً، واستمرّ ذلك حتى عام ١٢٣٨ هـ عندما سقطت إمارة تشامبا بيد الفيتناميين فانتقلت جماعات من المسلمين التشامبيين إلى كامبوديا الأمر الذي زاد فيه عدد المسلمين حتى بلغوا المليون، وأصبحت نسبتهم ١٤,٧٪ من مجموع السكان. وظهرت قرى إسلامية في أنحاء مختلفةٍ من كامبوديا، ثم أخذت هذه القرى ترتبط بعضها مع بعض برباط العقيدة إضافةً إلى اللغة والعادات والمصير المشترك، فنشأت نتيجة هذا صلة تجمعهم تحت قيادةٍ واحدةٍ تُشرف على حياتهم الدينية ضمن الحدود التي رسمتها وزارة الدين البوذي في كامبوديا، وبذا بدوا أكثر تنظيماً من المجتمع الذي يعيشون فيه، وهذا ما أوجد حقداً

بُوذياً على المسلمين أو حقدت الدولة عليهم، ونفرّت السكان البوذيين منهم خوفاً من أن يتأثّروا بهم. وبقيت هذه القرى والمدن محافظةً على وضعها بالنسبة إلى المحيط الذي حولها إذ لم يختلط أهلها بسكان كامبوديا البوذيين.

حاولت الحكومة الكامبودية إخفاء كل ما يُمكن إخفاؤه من أحوال المسلمين فيها، وعن عددهم عن أمصار العالم الإسلامي، ومن الأساليب التي اتبعتها في ذلك تحديد عدد الحجاج في كل عامٍ بوضع الشروط والموانع في وجه الذين يُريدون أداء فريضة الحج، وعدم السماح للطلاب المسلمين بالخروج إلى الدول الإسلامية لتلقّي العلم الإسلامي وإتمام التحصيل عدا أفرادٍ محدودين، ومنها تقليل عدد المسلمين في الإحصاءات الرسمية، لذا نجد هذا الرقم مائة وخمسين ألفاً، ويصل أحياناً إلى خمسمائة ألف، وقد يرتفع إلى سبعمائة ألف، وهذا أقلّ من الواقع بكثير إذ يزيد على المليون - كما ذكرنا -.

حياة المسلمين الاجتماعية: أما حياتهم الاجتماعية فيُلاحظ التباين الواضح بين التشامبيين والكامبوديين كاختلافهم في الدين، وفي اللغة، وفي العرف وغيرها من العادات والتقاليد المحلية الأُخرى مما جعل التشامبيين يعيشون في قُرىً مستقلةٍ يُطلق عليها اسم فهوم التشام (PHuMocHaM) أي قُرى التشام.

فلكل قريةٍ أماكن معدة لصلاة الجماعة تيسيراً للساكنين في النواحي البعيدة عن مسجد القرية هذا بالنسبة إلى القرى التي فيها مساجد، أما القرى التي ليست بها مساجد وهي الكثرة فإن المسلمين يُعدّون بجانب الأماكن المُخصّصة لصلاة الجماعة مكاناً واسعاً وسط القرية ليُقيموا فيه صلاة الجمعة إذ أنه حتى الآن لا تُوجد إلا مائة واثنان وثلاثون مسجداً فقط موزعة في القرى الكبيرة.

وتحتفظ هذه القرى التشامبية بأصالتها على مدى السنين الطويلة، وتتميز بميزتها الإسلامية إذ لا مصاهرة بين التشامبيين والكامبوديين لاختلاف الدين

حيث أن نظام الزواج والطلاق والميراث في الإسلام يُطبّق في المجتمع التشامي اللهم إلا إذا أسلم الطرف الثاني وعدد هؤلاء الذين أسلموا من الكامبوديين للزواج قليل بالإضافة إلى أنهم إذا انضمّوا إلى مجموعةٍ مسلمةٍ تعلّموا لغتها ولبسوا لباسها وعملوا بتقاليدها فصاروا بذلك كالتشامبيين.

ويُشرف على كل قريةٍ تشامبيةٍ حاكم عالم[1] بأحكام الدين ومساعد له أو مساعدان، ويقوم الحاكم أو مساعده بالإشراف على المسلمين في الأحكام التي تتعلّق بالعبادات والأحوال الشخصية، ويُعيّن الإمام الذي يخطب للناس ويؤمّهم في الصلاة، والمؤذن، وذلك في يوم الجمعة، أما في الأيام الأخرى فيقدّم أحسنهم قراءةً وعلماً ليؤم الناس في الصلاة، ويقوم هؤلاء المذكورون بهذه الأعمال الدينية تطوّعاً لا يأخذون عليها أجراً لأن هذه الأعمال لا تمنعهم من ممارسة حرفهم المختلفة التي يعيشون عليها.

وتنظيم هذه القرى تحت قيادة اللجنة العليا لشؤون المسلمين التي تتكوّن من إمامٍ فقيهٍ يُطلق عليه تشيف سوبريمي (Supreme chef) ونائبين ومستشارين له، فتُدير هذه اللجنة شؤون المسلمين تحت إشرافٍ مُباشرٍ من وزارة الدين البوذي ـ في الحكومة الكامبودية.

وبعد حادث ١٣٩٠ هـ وإعلان الجمهورية ظهرت في كامبوديا جمعيتان الأولى منها الجمعية الإسلامية المركزية في كامبوديا التي تهدف إلى تثقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية الصحيحة ومساعدتهم في تحقيق الحياة الاجتماعية على الوجه الأكمل وفقاً لتعليم الإسلام، والأخرى جمعية الشبان المسلمين في كامبوديا التي تقوم بجمع الشباب المسلمين في أنحاء البلاد وتوحيد صفوفهم وحلّ مُشكلاتهم التعليمية والاجتماعية والدينية وغير ذلك وإنشاء المساكن الداخلية للطلاب المسلمين الفقراء في العاصمة وغيرها. والواقع أن الجمعيتين

---

(١) حسب مستوى علوم الدين الإسلامي في كامبوديا فقط.

على الرغم من نشأتها في عهدٍ قريبٍ ـ قد قامتا بخدمة الإسلام والمسلمين في كامبوديا وخاصةً في أيام الحرب بشكلٍ جيد إذ أن الألوف من المسلمين في المناطق التي خضعت للسيطرة الشيوعية قد تمكّنوا من الفرار منها واللجوء إلى المناطق القريبة من العاصمة بنوم بينه (PHNOMO PENH) حيث يعيشون في حالة فقرٍ يُرثى لها فقامت اللجنة الفرعية للجمعية الإسلامية لمواجهة هذه الحالة السيئة بأعمالٍ اجتماعيةٍ وأنشطةٍ متعددةٍ بالاشتراك مع بعض المنظمات الإنسانية الأهلية والعالمية مما لم تستطع كثير من الهيئات الدينية المحلية القيام بها.

حياة المسلمين الثقافية: أما حياتهم الثقافية فإنهم كانوا ولا يزال بعضهم حتى الآن يمتنعون عن إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية خوفاً من أن يُصبحوا في المستقبل بعيدين عن الإسلام فاكتفوا بتعليمهم في المساجد والأماكن المُعدّة لصلاة الجماعة التي يحضر إليها الأولاد ذكوراً وإناثاً صباحاً ومساءً ليتعلّموا قراءة القرآن وأحكام الدين. مما يتعلّق بالعبادات والأحوال الشخصية[1].

فالنتيجة أن التعليم بقي محدوداً فنتج عن ذلك تخلّف المسلمين في المجالات الكثيرة في الحياة إلاّ أنهم يُفضّلون الجهل بالعلوم المتنوعة مع التمسُّك بالإسلام على المعرفة بالعلم التجريبي مع ترك الدين، والسبب في ذلك يرجع إلى واقع الحياة لمعظم المُتعلّمين علوماً تجريبيةً ممن تربّوا على أيدي المستعمرين التي أذهبت عنهم الأخلاق الحميدة والإحساس بالمسؤولية، والتي صوّرت لهم الحياة الإسلامية غير صالحةٍ في عصر الإنسان المتطور ـ حسب زعمهم ـ فتصرّف هؤلاء المُتعلّمون في حياتهم الواقعية على ضوء ما لقّنهم أساتذتهم المستعمرون.

---

(١) ذلك لأن التشامبيين لا يعرفون عن الإسلام غير التوحيد ثم العبادات والأحكام التي تتعلق بالأحوال الشخصية.

أمام هذه الظاهرة التي هي نتيجة التعليم في المدارس الحكومية لا يملك المسلمون ما يُدافعون به عن دينهم غير إبعاد أولادهم عن هذه المدارس.

حياة المسلمين الاقتصادية: أما حياتهم الاقتصادية فقد تأثّرت بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ بثقافتهم تأثيراً ملحوظاً، إذ أنهم لا يستطيعون ممارسة الأمور الاقتصادية المعاصرة بمستوى التعليم الذي هم عليه فتخلّفوا بذلك تخلّفاً بعيداً في هذا المجال بالنسبة إلى سكان البلاد وخاصةً الصينيين والأجناس الأخرى الذين استخدمتهم السلطات الاستعمارية في هذا المجال فمهّدت لهم الطرق التجارية والصناعية الخفيفة وسهّلت لهم السبل إليها لأغراضٍ معينةٍ.

لذا نجد المسلمين يلجؤون إلى وسائل الكسب الخفيفة كصيد الأسماك وزراعة الأرز باستخدام الحيوانات في حراثة الأرض والآلات الزراعية البسيطة، ومنهم من يعتمد على حرف الصناعة اليدوية البسيطة، وقليل منهم من يعمل في التجارة ولكن كامبوديا بلاد خصبة غنية بمواردها الطبيعية تُساعد سكان البلاد جميعاً على أن يعيشوا حياة الكفاية من غير حاجةٍ إلى بذل مجهوداتٍ كبيرةٍ.

حياة المسلمين السياسية: لا ينال المسلمون حقّهم في المجال السياسي، ففي العهد الملكي الذي انتهى عام ١٣٩٠ هـ لا نجد غير اثنين من المسلمين موظفين في الدوائر السياسية أحدهما يعمل عضواً استشارياً في شؤون المسلمين في الديوان الملكي، وثانيهما يعمل مساعداً لوزير الدين البوذي.

وقد زاد عدد المسلمين في السلك السياسي في العهد الجمهوري زيادةً قليلةً فنجد أحدهم يشغل منصب أمين السر الثالث في السفارة الكامبودية في واشنطن، وآخر يتسلّم المندوب الدائم لجمهورية كامبوديا في جنيف، وثلاثة موظفين في وزارة الخارجية في (بنوم بينه) عاصمة كامبوديا.

ويوجد في السلطة التشريعية عضو في مجلس الشيوخ وأربعة أعضاء في مجلس النواب، كما يشغل أحد المسلمين منصب وكيل الأمانة العامة لشؤون الدولة.

حياة المسلمين العسكرية: شارك المسلمون في الدفاع عن سيادة كامبوديا واستقلالها عندما بدأ الهجوم عليها من قبل فيتنام الشمالية وجماعة (الفيتكونغ) لأنها لم تسمح لفيتنام الشمالية باستخدام أراضيها لمهاجمة فيتنام الجنوبية وذلك بعد قيام النظام الجمهوري مقام النظام الملكي الذي كان يسمح بذلك. وشكّل المسلمون فرقةً تُسمّى فرقة (ه بي آي) ضمّت كتائب الجنود المُتطّوعين، واستمرّت في الدفاع عن البلاد حتى ساعة انتصار الشيوعية عام ١٣٩٥ هـ فانسحبت من كامبوديا، وانضمّت إلى جهة (فول رو) التي لا تزال تُقاتل في المناطق المرتفعة من الهند الصينية [١]. وما هذا القتال إلا لأن المسلمين هناك قد عرفوا الشيوعية حقّ المعرفة، وليس من رأى كمن سمع. إذ ذاق الناس الويلات باسم «الثورة الاجتماعية».

قام المسلمون في كامبونغ تريس (Kampongtrais) بإعلان الجهاد المُقدّس لاسترجاع حقوقهم في أداء الواجبات الدينية، وتابعهم المسلمون في كل منطقة من المناطق الخاضعة لسيطرة الشيوعيين. وشعر الشيوعيون بالفشل في إجبار المسلمين على ترك دينهم لذا فقد لجؤوا إلى القتل الجماعي والإبادة التامة لبعض القرى المسلمة، وإحراق الكتب الدينية، ومنع جميع أنواع العبادات، واتخاذ المساجد مخازن للحبوب، ومستودعات للآلات الزراعية، وحظائر للخنازير، وتكليف أئمة المساجد برعايتها وقتلهم إذا مات خنزير منها،

(١) الهند الصينية: اسم يُطلق على المنطقة التي تشمل فيتنام ولاووس وكامبوديا الآن، وكانت من قبل تشمل مناطق أوسع إذ تضمّ إضافةً إلى ما ذكرنا تايلاند وبورما، لكن الدول الأولى كانت تعرف باسم الهند الصينية الفرنسية وهي التي بقيت تحمل الاسم، والثانية يطلق عليها الهند الصينية الانكليزية والتي زال عنها الاسم عندما استقلت.

وإلقاء القبض على حُكّام القرى المسلمة والأساتذة وأئمة المساجد وتقديمهم إلى (المنظمة العليا للشيوعيين Ong Kaloeu) حيث غابوا هناك إلى الأبد.

وفي ١٤ أيار ١٩٧٢ (الأول من ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ) في الساعة الثامنة صباحاً قام المسلمون في قرية (كامبونغ تريس) بالهجوم على الحراس الشيوعيين فقتلوا أكثر من خمسين شيوعياً منهم، وفي اليوم التالي اجتمع المئات من الشيوعيين الكامبوديين ومعهم كامل أسلحتهم فهجموا على القرية المذكورة فذبحوا أكثر من ثلاثة آلاف مسلم من بينهم النساء والأطفال والشيوخ، ولم ينج من هذه المذبحة سوى الإمام عبد المطلب واثنين من إخوته حيث تمكّنوا من الفرار والالتجاء إلى محافظة (كامبونغ تشام).

وفي مقاطعة (ستونغ ترانغ) أصدر الشيوعيون الحكم بالإعدام على كل من له صلة بالدين من أئمةٍ، وحُكّامٍ، ومُدرّسين، ومنعوا الباقين من تأدية الواجبات الدينية وهدّموا المساجد، وأجبروا المسلمين على أكل لحم الخنزير وارتكاب المحرمات.

وفي يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٤ م (١٢ ذي القعدة ١٣٩٤ هـ) تمّ إعدام ٣٥٠٠ مسلم على أيدي الشيوعيين في محافظة (كامبونغ تشام) في مقاطعة (تبونغ كهوم).

ووقعت عدّة مظاهرات وانتفاضات للأسباب نفسها في إقليم (كوه تهوم) في ١٦ ذي القعدة ١٣٩٤ هـ (٣٠ تشرين الثاني من العام نفسه) وكان من بين الضحايا الإمام ادريس سليمان.

وفي ١٣ كانون أول عام ١٩٧٤ م (٢٩ ذي القعدة ١٣٩٤ هـ) قام المسلمون بهجماتٍ انتقاميةٍ على الشيوعيين، إذ كان الشيوعيون يُجبرون الفتيات المسلمات على خدمة الجيش الشيوعي في الغابات حتى إذا أصبحن حبالى ردّوهن إلى أهليهن.

وقد دمرّ الشيوعيون سبعةً وعشرين مسجدا في كامبوديا، في المرحلة

الأولى قبل عام ١٣٩٥ هـ، وقتلوا واحداً وسبعين رجلاً من قـادة المسلمين، وأبادوا قرىً كاملةً، وأبادوا الألوف إثر الألوف بصورةٍ جماعيةٍ.

أحوال المسلمين بعد الحرب: تمّ استيلاء الشيوعيين الكامبوديين على البلاد في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٩٥ هـ (١٧ نيسان ١٩٧٥ م)، وسارعوا في تنفيذ خطة الإخراج والتفريق والتبديل إذ صدر منهم الى الشعب بعد يومين فقط من تسلّمهم الحكم أمر بخروج الناس كليةً وعلى الفور إلى حيـث يُـوجّههـم الرجـال الشيوعيون، فأخرجوا الناس من المدن والقرى بحجة أن الطائرات الأمريكية ستُغير عليهم فلا بدّ من الخروج بوجه السرعة ولا يسمح لهم بأخذ أية حاجة، وستُطلق النار على من يُحاول حمل شيء معه فخرج الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والمرضى من المستشفيات باتجاه الغابات ونتج عن ذلك موت الكثير منهم لعدم كفاية الطعام والأدوية، وفي الغابات فرّق الموجهون الشيوعيون الناس دون مراعاة وحدة الأسر فسار الرجل إلى مكانٍ، وزوجه وأولاده إلى مكان، وبناته إلى مكان... وكُلّفت كل جماعة بأعمالٍ شاقةٍ دون النظر إلى الجانب الصحي والإمكانات، وفي الوقت نفسه أُجـريـت لهم خطّـة تبـديـل الأسماء، وبذلك منعوا إمكانية قيام أيّة مقاومةٍ، واستغلّوا الطاقة البشرية.

بدأ شعب كامبوديا يعيش حياةً غريبةً فلا بيع بينهم، ولا بريد يحمل الرسائل، ولا صحف ولا مجلات تنقل الأخبار، وتُعـرّف النـاس على بعـض الموضوعات، ولا يعرف الرجل مكان أهله، ولا تعلم الأم أسماء أولادها، ولا يدري الأبناء أخواتهم، وليس من عبادة بأي شكل من الأشكال، ولا أي أمر يتعلّق بالأحوال الشخصية والقضايا الأخلاقية، فليس هناك من زواجٍ أو حلال أو حرام. والمجموعات المُكلّفة بالأعمال تشتغل بصورةٍ جماعيةٍ وتسكن بشكلٍ جماعي، ومن رفض امرأً فقد حكم على نفسه بالموت، ونُفّذ إعدامه أمام الآخرين درساً لهم وزجراً، وفي ظلّ هذه الحياة الجهنمية فكّر الناس في التخلّص منها بعدما وصلوا إلى العجز التام عن تحمّلها، فمـن استطـاع الهرب

فقد فرّ، ومن لم يستطع فإنما ينتظر مصيره المحتوم في الهلاك عـاجلاً أو آجلاً .

لقد تمكّن سكان المناطق القريبة من تايلاند من الفرار ، ويوجد بينهم ألفان من المسلمين، ولقد كان عدد الفارين كبيراً إلا أن معظمهم قد قُتل أثناء عبوره الحدود إذ أطلق عليهم الحراس الشيوعيون النار .

وروى المسلمون من المنطقة الواقعة قرب مدينة (بوي يت Poioet) قصة عبورهم نهر (اوغراو) الصغير الذي يُشكّل الحدود بين محافظة (باتّامبانغ Battambang) الكامبودية و(آرانيا براتهيت Aranya Prnather) التايلندية ، أنهم استطاعوا أن يتفقوا مع إخوانهم على موعد يعبرون فيه النهر، وهم مجموعة تضمّ أكثر من أربعمائة نفس، وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ (٢٨ حزيران ١٩٧٥ م) في وقتٍ متأخرٍ من الليل تحرّكت هذه المجموعة تحت ظلام الليل الحالك لتقطع النهر إلى أرض تايلاند ،ولكنهم لم يتمكّنوا جميعاً إذ تنبّه الحراس الشيوعيون فأطلقوا عليهم النار فقتلوا بعضهم، وهم الذين تأخّروا في الطريق لعجزهم بسبب السن أو لأنهم كانوا يحملون أطفالهم على أكتافهم.

وتتابع اللجوء ، وبعض الجماعات كانت تسير من العاصمة (بنوم بينه) إلى حدود تايلاند ، تكمن في النهار وتسير في الليل، وتستغرق معها المسافة أكثر من أربعين يوماً ، يعيشها الأفراد على أعصابهم، وبعد ذلك منهم مـن يصـل ، ومنهم من يقضي نحبه سواء أكان بالقتل أم بالإرهاق. ويقول بعض من نجا وسار المسافات الطويلة: إن جميع سكان المدن في كامبوديا قد تمّ نفيهم وطردهم إلى القرى والغابات بطريقةٍ شرسةٍ، ولم يسمح لهم هناك بالاجتماع مع أسرهم من جديد ، والمسلمون بينهم يُعاملون أقسى المعاملة، ويذوقـون أبشـع أنواع العذاب.

وإضافةً إلى النفي والطرد المتكرر الذي يتعرّضون له يجد هؤلاء المنفيون أنفسهم مضطرين لتغيير هوياتهم كأن يقبلوا أسماءً غير أسمائهم وألقاباً غير ألقابهم. ويقوم الشيوعيون بتلك الإجراءات علانيةً دون مراعاة النواحي

الصحية الرديئة لدى المسلمين، دافعين الكثير من الأشخاص إلى الموت وهم بأشدّ الحاجة إلى الناحية الطبية والعلاج، فكانوا يطردون الجرحى، والذين أُجريت لهم عمليات جراحية خطيرة ولم يشفوا بعد، ويطردون النساء ساعة المخاض دون شفقةٍ ولا رحمة.

ويُعدّ خائناً كل من عمل مع النظام القديم، ولم يتعاون مع الشيوعيين قبل سقوط العاصمة (بنوم بينه) سواء أكان موظفاً أم طالباً أم مزارعاً أم عاملاً، وقد تعرّض هؤلاء إلى الإبادة أو إلى الإلقاء في السجن حتى تدركه هناك منيته بطريقة أو بأخرى.

وشتّت الشيوعيون العائلات المسلمة، ووزّعوا أفرادها مع العائلات غير المسلمة من بُوذية وغيرها، ومنعوا التقاء المسلمين بعضهم مع بعض خوفاً من أداء الواجبات الدينية.

وأجبر الشيوعيون الفتيات المسلمات على الزواج من جنودهم، وأخذوا أولاد المسلمين الصغار إلى معاهد ليُلقّنوهم الفكر الشيوعي، وساقوا القادرين من الشباب والرجال والنساء إلى الأعمال الإجبارية الشاقّة ليُؤدّوا خمس عشرة ساعة عمل مقابل تقديم قليل من الرز وكمية من الملح مما أدّى إلى سقوط عدد كبير من القتلى، وإصابة أعداد بالمرض والعجز البدني الكامل نتيجة سوء التغذية والإفراط في العمل الشاق، وبعدها يقوم الشيوعيون بقتل هؤلاء إذ لم تعد من ورائهم منفعة، وقد يكون القتل بتحطيم الرؤوس تحطيماً.

وهدّم الشيوعيون المدارس الدينية والمساجد، ونبشوا قبور المسلمين، ومُحيت معالمها. ونتيجة هذا قامت عدة انتفاضاتٍ، ولكن ماذا تعمل انتفاضة رجال معدودين لا يملكون سلاحاً أمام جيوشٍ مُقاتلةٍ مُزوّدةٍ بكامل الأسلحة. في ٢٥ كانون أول من عام ١٩٧٥ م (٢٢ ذي الحجة ١٣٩٥ هـ) ثار سكان (كروتشي تشمار) و(تشهي) وتمكنوا من قتل مائة شيوعي فكانت

النتيجة أن دُكّت البلدتان بمدفعية الأسطول البحري حتى هُدّمتا تماماً، وقُتل أكثر من ألفي مسلم. وفي ٣٠ كانون الثاني من عام ١٩٧٦ م (٢٨ محرم عام ١٣٩٦ هـ) حدثت انتفاضات في مدينتي (كامبونغ تشام) و(بوه كهنور) فحدثت في المدينتين مذابح رهيبة لا مثيل لها.

فالتشامبيون هم العنصر الإسلامي في الهند الصينية، ويزيد عددهم على المليونين وربع المليون، ويتوزّعون الآن على دول المنطقة على الشكل الآتي: مليون يعيش في كامبوديا، وهو بالأصل قد هاجر إليها. ومليون وربع قد بقي في منطقته الأصلية تشامبا التي هي جزء من فيتنام اليوم، وعدة آلاف في لاووس جاءوا إليها مهاجرين.

أما المسلمون من غير التشامبيين فيُقدّرون بربع مليون نصفهم في فيتنام ونصفهم الآخر في كامبوديا، وعدة آلاف في لاووس.

وبذا يكون مجموع المسلمين في دول الهند الصينية الثلاث أكثر من مليونين ونصف، ويُشكّلون ٤٪ من مجموع سكان المنطقة، غير أن هذه النسبة تختلف بين دولةٍ وأُخرى فهي:

١٤,٧٪ في كامبوديا.
٣ ٪ في فيتنام.
وأقلّ من ٠,٥ ٪ في لاووس.

ويتعرّضون اليوم جميعاً للإبادة والتشريد، والذي يُبكي حقاً أن فيتنام بقيت تشغل وسائل الإعلام بأحداثها عدة سنوات، ولم تذكر كلمة واحدة عن المسلمين، ولم يدر أحد من المسلمين أن فيها إخواناً له.

جبهة فول رو: اسم يُطلق على الجبهة المتحدة لتحرير الشعوب المُضطهدة، وهذه الكلمة F.U.L.R.O مختصرة من Front Unifié de

. Libératior des Races Opprimées

رغم طول المدة التي مضت على تسلّط الفيتناميين على أراضي تشامبا غير أن التشامبيين بصفتهم مسلمين، ويختلفون عن المحيط الذي يعيشون فيه لا يزالون ينظرون إلى اليوم الذي يتخلّصون فيه من أعدائهم الفيتناميين، ويستردّون فيه حقهم في بلادهم وممارسة شعائرهم وتطبيق نظامهم في الحياة، لذا حدثت اتصالات بين التجمّعات التشامبية في كل مكان من دول الهند الصينية، وظهرت قوة تشامبية في المناطق المرتفعة من فيتنام الجنوبية عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)، واتصلت بقوة أخرى في إقليم (كوشانشين) واتحدتا بجبهةٍ واحدةٍ عُرفت بهذا الاسم (فول رو) عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، وبدعم من مملكة كامبوديا تألّفت هذا الجبهة، وتضمّ:

١ ـ القوة التشامبية وهي الفئة الغالبة وتتألف من المسلمين في دول الهند الصينية.

٢ ـ قوةً من سكان المناطق المرتفعة في تشامبا من غير المسلمين.

٣ ـ الكامبوديين الذين يُقيمون في إقليم (كوشانشين)، وهم بوذيون.

وبعد ثلاث سنوات استطاعت هذه الجبهة تشكيل قوة مسلحة، وأسلم عدد كبير من البراهميين والبوذيين والنصارى من جنود جبهة (فول رو) نتيجة احتكاكهم بزملائهم المسلمين، وهذا أفضل ما أثمر من جهود الجبهة. وقامت الجبهة بأعمالٍ أقضت مضاجع فيتنام لكن لم تلبث أن ضعفت بسبب الخلافات فيما بينها ومطاردة الشيوعيين لها. واعتقل قائد القوات المسلحة في عاصمة كامبوديا (بنوم بينه) وأودع السجن، حتى دخلها الشيوعيون عام ١٣٩٥ هـ حيث فرّ من السجن والتجأ إلى السفارة الفرنسية حيث قُبض عليه، وسيق إلى مكانٍ مجهولٍ، ولم يعلم مصيره، كما قُتل نائبه في باريس، ثم اختفت الجبهة عن المسرح.

وتعرّض سكان المنطقة وخاصةً المسلمون للإبادة بعد سيطرة الشيوعيين،

وبدأت الجماعات تفرّ إثر الجماعات من مناطقها وتطلب اللجوء إلى أوربا وأمريكا، ولكن ما أن يصلوا إلى مخيمات اللاجئين في تايلند وجزر جنوب شرقي آسيا حتى تتلقّفهم الهيئات التنصيرية التي تُقدّم لهم ما يسدّون به رمقهم ويحفظون به حياتهم المهدّدة بالجوع والمرض، وما تُقدّم إلى المسلمين شيئاً إلا في نهاية الركب وإذا قبل الواحد منهم التنصير. ومن ينقل من الأبناء إلى أوربا أو أمريكا يُؤخذ إلى المدارس النصرانية وإلى الكنائس ليُفتن عن دينه وهو لا يعلم شيئاً بعد، يحدث هذا والمسلمون نيام يختلفون فيما بينهم، ويتسابقـون في الخطب الكلامية، والارتماء أمام الشرق أو الغرب، والتطاول في البنيان، وإلقاء المال في أحضان الغانيات.

(١٠) سنغافورة

جزيرة صغيرة في نهاية شبه جزيرة الملايو، تبلغ مساحتها ٥٨٤ كيلومتراً مربعاً فقط، كانت تؤلف ولاية من ولايات الملايو، وأحياناً تنفصل عنها، واليوم تؤسس دولةً يبلغ عدد سكانها ما يقرب من مليوني نسمة، يقيم بينهم ٣٤٠ ألفاً من المسلمين، وتكون نسبتهم ١٧٪ من مجموع السكان، وقد انتشر فيها الإسلام مع انتشاره في شبه جزيرة الملايو وأندونيسيا، ونتيجة لموقعها المهم كطريق للتجارة فإنها كانت ملتقى لجماعاتٍ كثيرةٍ، وعندما جاء الاستعمار إلى المنطقة جعلها قاعدة لسفنه ومركزاً لمسؤوليه الأمر الذي جعل مقاومة الإسلام فيها كبيرة مما أبقى نسبة المسلمين قليلةً.

ومن المؤسسات الإسلامية في سنغافورة:

١ً - جمعية الأمانة الإسلامية.

٢ً - جمعية التبشير الإسلامي.

٣ً - جبهة المسلمين بسنغافورة.

٤ً - هيئة حسن أوقاف المسلمين.

٥ً - برتو بوهان مسلمين.

٦ً - مدرسة الجنيد الإسلامية.


مالـــيزيـــــــا
ســــنغافورة
المقياس
كيلومتر
٠ ٢٫٥ ٥ ٧٫٥ ١٠ ١٢٫٥

مصور رقم [٩] .

(١١) الفيليبين

تقع جزر الفيليبين في منطقة جنوب شرقي آسيا، وتعد جزءاً من أرخبيل الملايو الذي يضم أندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة، والفيليبين، وتبعد سواحل الفيليبين الشمالية عن جنوبي الصين حوالي ٨٠٠ كم، ولا تزيد المسافة بين جزر الفيليبين الشمالية الصغيرة وفورموزا على ١٧٥ كم.

يبلغ عدد جزر الفيليبين ٧١٠٠ جزيرة، بل إن عدد هذه الجزر يزيد وينقص يومياً حسب المد والجزر، وهذا ما يجعل عدداً كبيراً منها غير مأهول، وتتفاوت هذه الجزر في مساحتها تفاوتاً كبيراً، إذ تزيد مساحة جزيرة لوزون كبرى الجزر على ١٥٠ ألف كيلو متر مربع، وتبلغ مساحة ميندناو ثاني جزيرة في البلاد ١٤٠ ألف كيلو متر مربع على حين يوجد ما يقرب من خمسمائة جزيرة لا تتجاوز مساحة الواحدة منها ٢,٦ كيلو متر مربع.

تبلغ مساحة الفيليبين ما يقرب من ثلاثمائة ألف كيلو متر مربع، (٢٩٩,٦٨١) كم^{2}، ويبلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب ١٨٠٠ كم. وتنقسم هذه الجزر الكثيرة إلى ثلاثة أقسام رئيسية، فتقع جزيرة لوزون في القسم الشمالي (Luzon) وهي أكبر الجزر، وتليها في المساحة جزيرة ميندناو

(Mindanao) وتقع في القسم الجنوبي الذي يضم مجموعة أخرى من الجزر يطلق عليها أرخبيل صولو (Sulu). أما القسم الأوسط فيعرف باسم فيسايا (Visaya) ويضم مجموعة كبيرة من الجزر أهمها:

مندورو (Mindoro) وسامار (Samar) وليت (Leyte) وسيبو (Cebu) وبوهول (Bohol) ونيغروس (Negros) وباناي (Panay). وتمتد في الغرب جزيرة بالاوان مع مجموعة جزر صغير لتحيط ببحر صولو وتعد من ذلك الأرخبيل.

يبلغ امتداد جزر الفيليبين من الشمال إلى الجنوب حوالي ١٨٠٠ كم.

بدأ الإسلام يصل إلى تلك الجزر في القرن الثالث الهجري عن طريق التجار والدعاة، وكثيراً ما كان التجار هم الدعاة، وما جاء القرن الخامس حتى بدأ أثر الإسلام يظهر واضحاً سواء أكان من حيث العدد أم من حيث الطابع السلوكي، وإذا كانت الجزر الجنوبية أكثر حظاً بقدوم التجار إليها وبالتالي باعتناق الإسلام من أبنائها إلا أنه لم تلبث أن حظيت الجزر الشمالية بما نالته الجنوبية منها إذ نزل إلى جزيرة (لوزون) الشمالية شريف من الملايو مع مجموعةٍ من المسلمين نشروا الإسلام هناك، وجاء منها «رجا سليمان» الذي كان سلطاناً على تلك الجهات وقت وصول المستعمر «ماجلان» إلى تلك الجزر. ومع أن المسلمين لم يكونوا كثرة عددية، إلا أنهم سرعان ما أصبحوا العنصر الغالب، والفئة الحاكمة في البلاد لأنهم أكثر مدنية، وأكثر نشاطاً. وجاءت أفواج من التجار العرب وانتشرت في مختلف الجزر، وبدأت تدعو إلى الإسلام.

وكان في البلاد عدة سلطنات مستقلة، تبرز من بينها سلطنة إسلامية في منطقة «مانيلا» حيث تخضع لها أكثر سلطنات الشمال، وتظهر في الجنوب سلطنة صولو التي تشرف على أكثر إمارات وسلطنات الجنوب. وكان على رأس كل سلطنة أو إمارة حاكم يُدعى «داتو» ويندمج بعضها مع بعض في كيانات أكبر يحكمها «راجا»، وكان أشهر هؤلاء «راجا» حاكم مانيلا، و «راجا»

سلطان صولو.

وأخيراً وصل «ماجلان» إلى هذه الجزر عام ٩٢٧ هـ بعد رحلةٍ بحريةٍ استمرّت عاماً وسبعة أشهرٍ، استسلم في نهايتها لليأس، وظنّ أنه وصل إلى جزر التوابل، وهي جزر (المولوك) في أندونيسيا، ولكن سرعان ما تبيّن له أن الأرض التي رست سفنه على شواطئها ليست هي الجزائر التي قصدها، فأطلق عليها اسم «سانت لازار».

اتفق ماجلان مع حاكم جزيرة «سيبو» ويُدعى «هومابون» على أن يدخل الحاكم في النصرانية الكاثوليكية مُقابل أن يكون ملكاً على جميع الجزر تحت التاج الإسباني، وأخذ ماجلان يعمل على تمكين صديقه من السيطرة على بقية الجزر، وانتقل الاسبان من جزيرة «سيبو» إلى جزيرةٍ صغيرةٍ بالقرب منها، على مسافة عدة كيلومتراتٍ، وتقع إلى الشرق من مدينة «سيبو» حاضرة الجزيرة، وهي جزيرة (ماكتنان)، وكان عليها سلطان مسلم يُدعى «لابولابو»، ولما علم الإسبان بإسلام حاكم الجزيرة هذه «ماكتنان» طاردوا نساءها، وسطوا على طعام أهلها، فقاومهم الأهالي، فأضرم الإسبان النار في أكواخ السكان، وفرّوا هاربين.

رفض «لابولابو» الخضوع لماجلان، وحرّض سكان الجزر الأُخرى عليه، ورأى ماجلان الفرصة مناسبةً لإظهار قوّته، وأسلحته الحديثة حتى يخافه بقية الأمراء والسلاطين فذهب مع فرقةٍ من جنوده مُزوّدين بالأسلحة لقتال «لابولابو» وتأديبه.

طلب الصليبي «ماجلان» من «لابولابو» التسليم قائلاً: (إنني باسم المسيح أطلب منك التسليم، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد). فأجابه «لابولابو»: (إن الدين لله، وإن الإله الذي أعبده هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم)، ثم هجم على ماجلان، وقتله بيده، وشتّت شمل فرقته، ورفض تسليم جثّته للإسبان، ولا يزال قبره شاهداً على

ذلك هناك، ويُمثّل أول قدمٍ صليبيةٍ وطئت تلك الأرض.

انسحب الإسبان من تلك الجزر بعد هزيمتهم ومقتل قائدهم، وتابع « دل كانو » نائب ماجلان الطريق، فوصل إلى جزيرة « بورنيو »، ومنها إلى جزر « المولوك »، وعاد منها إلى إسبانيا عن طريق رأس الرجاء الصالح تحت إشراف البرتغاليين سادة تلك الطرق آنذاك فوصل الى إسبانيا في شوال عام ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) على ظهر سفينةٍ واحدةٍ، وهي التي بقيت من أصل خمس سفنٍ تألّف منها أُسطول ماجلان عند بدء الرحلة، وصل ومعه ثمانية عشر راكباً من أصل ٢٦٥ راكباً انطلقوا من اشبيلية.

بعثت إسبانيا أربع حملاتٍ صليبيةٍ مُتتابعةٍ، ومن سوء حظّ هذه الحملات أنها نزلت على شواطىء جزيرة « ميندناو » حيث يكثر المسلمون، فقُتل أفراد الحملات جميعاً لأنهم أظهروا الحقد الصليبي ضدّ المسلمين. وكان على رأس إحدى هذه الحملات « روي لوبيز » بين عامي ٩٤٩ ـ ٩٥٠ هـ وهو الذي أطلق اسم الفيليبين على هذه الجزر تيمُّناً باسم الأمير « فيليب » أمير النمسا، والذي أصبح ملكاً على إسبانيا فيما بعد باسم « فيليب الثاني ». ومع الوجود الإسباني توقّف أيضاً قدوم موجات الماليزيين التي بدأت منذ ٨٢٢ قبل الهجرة تقريباً وحتى مجيء الأسبان.

بعد إبادة الحملات الإسبانية المُتكرّرة، بدأ الغزو الإسباني الحقيقي عام ٩٧٣ هـ أي بعد معرفتهم الأولى لهذه الجزر بسبعٍ وأربعين سنةً، وقد أعلنوا صراحةً أنهم جاءوا لتطبيق سياسةٍ صليبيةٍ هدفها.

١ ـ توسعة رقعة الممتلكات الإسبانية.
٢ ـ تنصير سكان البلاد التي يحتلّونها.

وصلت الحملة الإسبانية الكبيرة بقيادة « ميغل لوبيز » إلى تلك الجُزُر، واستقرّت في جزيرة « سيبو » حيث شيّدت قلعةً « حصينةً » فيها لإقامة الجنود، ثم اتّخذ « لوبيز » من هذه الجزيرة قاعدةً لغزو الجُزُر الأُخرى حتى

استطاع أن يستولي على مملكة « راجا سليمان » بعد قتالٍ مريرٍ ، وأنشأ الإسبان على أنقاض قاعدة هذه المملكة مدينة « مانيلا ». وكان من عادة القوات الإسبانية أن تتحصّن في القلاع خوفاً من انقضاض سكان المستعمرات عليها ، لذلك بنوا في داخل مدينة « مانيلا » مدينة أُخرى أحاطوها بأسوارٍ ضخمةٍ، وأطلقوا عليها اسم « انترامورس » أي المدينة المُسَوّرة، وجعلوها مقرّاً لحكومة الاحتلال.

ومن مدينة « مانيلا » خرجت حملات أُخرى لمدّ سلطان إسبانيا على جزيرة « لوزون » وغيرها من المناطق الشمالية والجزر الوسطى. وجد الإسبان أمامهم في هذه الجزر بعض السكان من المسلمين، وهم الحُكّام فيها أيضاً فأعطوهم اسم « المورو »، وهو الاسم الذي كانوا يُطلقونه على المسلمين في المغرب ، فأطلقوه هم والبرتغاليون على المسلمين في كل مكانٍ وجدوهم فيه في مدغشقر ، وسيلان، وجنوب شرقي آسيا وكل مكان[1] .

حاول الإسبان السيطرة على الجُزُر كاملةً، وإذا كانوا قد استطاعوا أن يُخضعوا الجزر الشمالية حيث المسلمون قلّة إلا أنهم قد عجزوا عن إخضاع الجزر الجنوبية التي استعصت عليهم رغم جميع المحاولات التي بذلوها في غزوها ، إذ صمد المسلمون من سكان هذه الجُزُر صموداً قويّاً جعل معه الإسبان ييأسون نهائياً من السيطرة على المناطق الإسلامية هناك ، لذلك انصرفوا إلى المناطق الأخرى يُوطّدون بها سلطانهم، ويدعون فيها إلى النصرانية الكاثوليكية ، ونتيجة هذا فقد انقسم سكان الجزر إلى عدة مجموعاتٍ، واحدةٍ تتألّف من الذين غُلبوا ، وتحوّلوا إلى الكاثوليكية، وقد أعطت زمامها إلى المدنيين الإسبان وإلى السلطات الكنسية، ويعيش هؤلاء

(١) يُطلق على المسلمين في سيلان اسم « الموروز » وفي مدغشقر « المورو ». وتعني كلمة « المورو » السمر ، ويُقصد بها المسلمون.

غالباً على شكل جماعاتٍ مُستقرّةٍ في قرىً تُدعى « الباريوز »، ويعملون في زراعة الرز الرطب. والثانية مجموعة الوثنيين التي تمسّكت بمعتقداتها في الأرواح، وانعزلت في الجبال والمناطق الداخلية من البلاد في الجزر الرئيسية، أما المجموعة الثالثة من السكان فهي التي لم تهزم، وقد كان أفرادها يعيشون تحت سلطة أربع سلطناتٍ إسلاميةٍ، وكانوا يكسبون عيشهم من التجارة ومن صيد البحر.

إن الوجود الإسباني في جُزُر الفيليبين قد نتج عنه أيضاً وجود عنصرٍ خليطٍ عُرف باسم « مستيزو »، وقد نشأ من تزاوج السكان مع الإسبانيين أو الصينيين، وأصبح لهذا المزيج دور في المجتمع، وامتزجت أقليات أخرى فيما بعد شملت الهنود والأوربيين والأمريكان.

استمرّت المقاومة الإسلامية على الرغم من أن الإسبان قد ارتكبوا الجرائم والمذابح الوحشية كالتي ارتكبوها في الأندلس، ولم يستطع التفوّق العددي الإسباني، ولا قوة نظامهم الحربي، ولا أسلحتهم الحديثة أن تُحطّم مقاومة المسلمين، إذ أن الأسلحة لا تقف أمام الإيمان، والاستعداد لا يكون بالأسلحة فقط وإنما بالروح المعنوية التي لا مصدر لها إلا الإيمان، ولا تُقاتل الشعوب إلا بعقيدتها، ولا تنتصر إلا بايمانها، ومن أهمل جانب الإيمان انقلبت معاركه إلى هزائم. والمسلم يرفض الخضوع للمغتصب، ولمن لا يدين بدين الحقّ، ومع هذا الرفض استعلاء بالإيمان، وهذا ما جعل المقاومة الإسلامية عنيفةً. وبقيت سلطنات المسلمين مُستقلّةً في الجنوب.

وإنه لمؤسف حقاً أن تاريخ الفيليبين المُدوّن لم ينظر إلى المقاومة الإسلامية في وجه الاستعمار الإسباني نظرة الدفاع عن الحقّ، ونظرة البطولة التاريخية لأبناء البلاد بل نظر إليها على أنها عمل من أعمال القتل والسلب أو قطع الطرقات والقرصنة، ويرجع ذلك إلى الكتب الإسبانية التي أجمعت على وصف المسلمين بالقراصنة، وهي الكتب الوحيدة المُدوّنة حيث لم يُدوِّن مسلمو

تلك الجهات تاريخ الحركة، وكذلك المسلمون الآخرون، وتبع ذلك كثير من مؤرخي الفيليبين الذين انساقوا وراء المستعمرين أو أخذوا عنهم، أو وجدوا الكتب أمامهم فنقلوا عنها دون نقدٍ وتحليلٍ، كما يرجع هذا إلى موقف العالم المتمدين من المسلمين بل ومن الإسلام، وإن هذه الكتابات لم تكن مُجرّدة بل تحمل بين طياتها العداء الصريح.

والواقع فإن الضغط الإسباني على السكان قد جعلهم يتقارب بعضهم من بعض، ويندمجون في كياناتٍ مُستقلّةٍ، إذ حكمت إسبانيا المناطق التي سيطرت عليها بالحديد والنار، وفرضت على السكان الديانة النصرانية الكاثوليكية، والثقافة واللغة الاسبانية، ونظراً إلى أن مختلف القبائل كانت تنظر إلى الاسبان كعدوٍ مشتركٍ فقد ألّفت هذه النظرة بين مختلف القبائل بغضّ النظر عن خلافاتها فيما بينها، وبغضّ النظر أيضاً عن عقائدها المتقاربة أو المتباينة، واندلعت الثورة عام ١٢٩٠ هـ، ثم عادت فتأججّت عام ١٣١٤ هـ، واضطر الحاكم العام إلى أن ينسحب إلى «هونغ كونغ» في العام نفسه، وإذا كانت القوات الإسبانية قد تمكّنت من القضاء عليها، إلا أن منظمةً سريةً بقيت تعمل في الخفاء، واتصل بها الأمريكان للمساعدة في طرد الإسبان من تلك الجُزُر ليحلّوا محلّهم، وبدأت العمليات المشتركة عام ١٣١٦ هـ، ودُمّر الأسطول الإسباني داخل خليج «مانيلا». واتفقت امريكا وإسبانيا سرّاً على أن تنسحب إسبانيا من تلك الجُزُر مقابل خمسة ملايين دولار، وانسحبت إسبانيا من الفيليبين بعد معارك تمثيليةٍ، وعاد الحاكم العام الإسباني من هونغ كونغ، وهو الجنرال «غوينالدو» فأعلن استقلال الفيليبين عن إسبانيا، وكانت قد تمت معاهدة باريس في العام نفسه وفيها تخلّت إسبانيا للولايات المتحدة عن الفيليبين، وكوبا، وبورتوريكو. وهكذا أصبحت جزر الفيليبين تتبع الولايات المتحدة التي لم تف بما وعدت به المنظمة الوطنية التي اتفقت معها ضدّ الإسبان.

رفض السكان معاهدة باريس، كما رفضوا الحكم الأمريكي إلا أن الولايات المتحدة قد تمكّنت من القضاء على الثورة عام ١٣١٩ هـ، وعدّت البلاد إحدى ولايات الولايات المتحدة.

لم يتغيّر الوضع بالنسبة للمسلمين، فالاستعمار واحد، ونظرته الصليبية إلى الإسلام واحدة، فاستمر المسلمون في مقاومتهم التي دامت مدة عشرين سنة، أصابهم خلال هذه المرحلة ما أصابهم أيّام الإسبان، حيث عُزلت المناطق الجنوبية عزلاً تاماً، وأُهملت إهمالاً واضحاً الأمر الذي أدّى إلى تأخر المسلمين بالنسبة إلى النصارى الذين يدعمهم الاستعمار الصليبي، وكان التعليم تحت إشراف الإرساليات النصرانية، وهذا ما جعل الثقافة الإسلامية تتقهقر، والجهل يسود بين أبناء المسلمين.

حصلت الفيليبين على استقلالٍ ذاتيٍ عام ١٣٥٣ هـ، وقامت حكومة محلية تعمل على استقلال البلاد التام خلال عشر سنوات، إلا أن منصب الحاكم العام الذي يُمثّل الولايات المتحدة قد بقي قائماً، وبقيت الولايات المتحدة تتولّى شؤون الدفاع والخارجية. ومع هذا فقد انفتحت البلاد نسبياً نحو الخارج، ووصلت إليها بعض الشخصيات الإسلامية التجارية مثل « منيب الكزبري » الذي وصل إلى الفيليبين من دمشق عام ١٣٤٧ هـ، فتزوّج من هناك، وأنجب اثني عشر ولداً، وشجّع الروح الإسلامية، كما وصل إلى هناك من باكستان « عبد العليم الصديقي » الذي كان له تأثير كبير على المسلمين.

قامت الحرب العالمية الثانية، واحتلّت اليابان البلاد عام ١٣٥٨ هـ، وطردت القوات الأمريكية منها، فتكوّنت في البلاد فرق لحرب العصابات، وتمكّن الجنرال « ماك ارثر » من العودة عام ١٣٦٣ هـ، فحارب إلى جانبه أهل البلاد، حتى تمكّنوا من طرد اليابانيين في النصف الثاني من شهر رجب عام ١٣٦٤ هـ. وهُزمت اليابان أخيراً في الحرب نهائياً. وقد قاتل المسلمون

في هذه المدة قتالاً عنيفاً، واشتركوا في كل مراحل التحرير والنضال.

حصلت الفيليبين على الاستقلال في أول شهر شعبان من عام ١٣٦٥ هـ، وأصبح الحكم فيها رئاسياً يُشبه الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تتألّف السلطة التشريعية من مجلسين: مجلس الشيوخ ويتألّف من أربعةٍ وعشرين عضواً يتجدّد ثلثهم بالانتخاب المباشر كل سنتين في قائمةٍ واحدةٍ حيث ينتخب كل من يحقّ له الانتخاب ثمانية مرشحين في قائمةٍ واحدةٍ. ومدة عضوية المجلس ست سنوات، أما مجلس النواب فيتألّف من مائةٍ وعضوين، ينتخبون حسب نظام المناطق.

ويضمّ عادة مجلس النواب عضوين مسلمين، كما يضمّ مجلس الشيوخ عضواً واحداً. أما مجلس الوزراء ففيه وزير مسلم تُسند إليه عادةً حقيبة وزارة الأقليات على اعتبار أن المسلمين يُمثّلون أكبر أقليةٍ في البلاد فيتسلّمون هذه الوزارة.

وفي البلاد حزبان رئيسيان هما: الحزب الوطني، وهو الحزب الحاكم إذ يضمّ الأغلبية اليوم، والحزب المُعارض، إلا أن ماركوس رئيس الجمهورية قد أعلن الأحكام العرفية، وجمّد الأحزاب، ثم أعلن إلغاءها، حتى انتهى مطروداً من البلاد.

وتُعاني البلاد مشكلاتٍ منها: مشكلة الجريمة، والفساد الخلقي، وتزايد السكان الذي يصل إلى ٣٪ سنوياً، وتكاد تكون أكبر نسبة زيادة في العالم، ومشكلة الهوكس (الشيوعية) والبلاد تسير في فلك الرأسمالية، إلا أن الحرب الصليبية ضدّ المسلمين قد فاقت كل مُشكلةٍ حيث قامت جبهة تحرير مورو بالثورة لإنقاذ المسلمين من الإبادة، وتتعرّض المناطق الجنوبية للخراب والتدمير، ويتعرّض أهلها لأبشع أنواع القتل، وينال المسلمون في كل مكانٍ من الجزر العذاب، والعنت، والإبادة، بصفتهم « مسلمين ».

وتُعدّ الفيليبين من البلاد الكثيرة السكان، ويتركز معظم أهلها في الجزر

الشمالية والوسطى على حين تعدّ جزيرة (ميندناو) وهي جزيرة واسعة، وثاني جزر البلاد بعد (بوزون) قليلة السكان. ونتيجة الزيادة الكبيرة فإن تطوّر العدد يأخذ شكلاً سريعاً، ويمكن ملاحظة الجدول الآتي:

عام ١٢١٤ كان عدد السكان ١,٥٠٠,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٠٥ كان عدد السكان ٥,٩٨٤,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٥٨ كان عدد السكان ١٦,٠٠٠,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٨٠ كان عدد السكان ٢٧,٤٥٥,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٨٥ كان عدد السكان ٣٢,١٠٠,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٨٦ كان عدد السكان ٣٢,٩١٣,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٩١ كان عدد السكان ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ ساكن.
عام ١٣٩٤ كان عدد السكان ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ ساكن.
عام ١٤٠١ كان عدد السكان ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ ساكن.
عام ١٤٠٧ كان عدد السكان ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ساكن.

النهضة الإسلامية:

وبعد الاستقلال بقليلٍ وحوالي عام ١٣٧٤ هـ نشأت نهضة إسلامية، ويتركّز اهتمامها في إنشاء مدارس لتُوفّر للناشئة التعليم الديني، وهيئات تأخذ بأيدي المسلمين الضعفاء والذين أذلّهم الاستعمار في مختلف نواحي الحياة، لرفع مستواهم الاجتماعي بصفةٍ عامةٍ، ويرعى هذه النهضة «اتحاد مسلمي الفيليبين» وهي هيئة كان معترفاً بها رسمياً.

وقد نظّم الاتحاد ثلاثة مؤتمرات دولية للبحث في شؤون المسلمين في الفيليبين وذلك في سنوات ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧ هـ حضرها ممثلون عن أكثر الدول الإسلامية، وكانت النتيجة أن تقرّر إنشاء معهد إسلامي يرعى الطلاب من مرحلة التعليم الأولى حتى نهاية التعليم الجامعي، وقد شمل كليةً

للتجارة، وأُخرى للفنون، وثالثةً لتخريج المعلمين لسدّ حاجات النهضة التعليمية، وكانت الحكومة تعترف بهذه الكليات وتمنح خريجيها درجة بكالوريوس. وهناك قسم عربي خالص في لغته ومناهجه إلا أنه لم يتجاوز المستوى الابتدائي نظراً للصعوبة التي يلقاها المعهد في الحصول على المدرسين، ويُحاول إرسال الطلبة إلى البلدان العربية لسدّ هذا النقص، كما يُحاول استقدام المدرسين من البلدان العربية لهذا الغرض، ولطالما أخذ المسلمون في الفيليبين وعداً من إخوانهم العرب بإرسال المدرسين ولكن دون تنفيذ. ويُشرف على هذه المعاهد هيئة التعليم الإسلامية.

وفي عام ١٣٨١ هـ تمّ إنشاء مركزٍ إسلاميٍ يضمّ مسجداً، ومكتبةً، ومدارس، ومنازل للطلاب.

وقد بدأت المعاهد والمدارس تُخرّج أعداداً منها يلتحقون بوظائف الدولة، ويعملون في المحاماة، وينخرطون في صفوف الجيش.

ويبدو أن هذه النهضة كانت قذى في أعين الصليبيين فحرّكت حقدهم، وبدأ العمل ضد المسلمين في مُحاولةٍ لوأد نهضتهم بل لإبادتهم والاستيلاء على أراضيهم ذات الخيرات والإمكانات الضخمة.

وإذا كان يبدو على الحكومة الفيليبينية السكوت على هذه النهضة الإسلامية والرضا عليها في بعض الأحيان إلا أنها كانت في الواقع تحرّض عليها سرّاً، وتُخطّط للخلاص منها، ولم يكن التخطيط ناشئاً من داخل البلد فقط، وإنما هناك الصليبية العالمية، وعلى رأسها الإرساليات التنصيرية، إضافةً إلى حكومات الدول النصرانية ذات العلاقة مع اليهودية التي كان لها دور كبير في هذا الميدان كما يظهر من مجريات الأحداث.

ومع التطوّر الإعلامي، ومع زيادة المواصلات فإن الرحلة إلى الحج والاتصال ببعض المسلمين خارج بلاد الفيليبين قد زادت وزادت معها المعرفة

التي أدّت إلى النهضة الإسلامية، وزاد الحرص على التعليم وإرسال البعثات، وهذا ما أقضّ مضاجع المسؤولين في البلاد أولاً، ثم الإرساليات التنصيرية، والمؤسسات الصليبية العاملة في هذا الحقل.

عمل المسلمون جبهةً واحدةً في سبيل نهضتهم ورفع مستوى إخوانهم الذين عمل الاستعمار على تأخّرهم طيلة وجوده في أرض الفيليبين، ولكن الحُكّام الجدد من أبناء البلاد، وهم من النصارى الذين سلّمهم الاستعمار مقاليد الأمر، وعمل على رفع مستواهم مدة حكمه لم يرق لهم الوضع الإسلامي الجديد، فرغبوا في الإجهاز عليه قبل نضجه، والقضاء على معاقل المسلمين في الجنوب في جزيرة «ميندناو» وجزر «صولو» والاستيلاء على أراضيهم.

عمل هؤلاء الحكام من النصارى على شقّ صفوف المسلمين قبيل البدء بالحرب الصريحة والإبادة السافرة، كما لعب اليهود دوراً كبيراً في تشجيع النصارى بالإسراع في تنفيذ مخططاتهم، والزحف على أراضي المسلمين في الجنوب بغية طرد أهلها منها أو الفتك بهم، والاستيلاء عليها لعلّ المسلمين يتّجهون إلى الصليبيين فيقلّل ذلك من الحديث عن فلسطين والتحرّك في قضيتها، وكان لرئيس جمهورية الفيليبين مستشار يهودي يدعى «منسي» وآخر يسمى «عمانويل السالدي جويز». واختصاص الأخير شؤون الأقلّيات، وهو متهم بالأحداث التي أصابت المسلمين أخيراً، وإضافةً إلى كونه مستشاراً لرئيس الجمهورية، فهو ثري جداً، وله مصالح واتصالات واسعة في كل البلاد.

استطاع رئيس الجمهورية «ماركوس» زعيم الحزب الوطني الحاكم أن يُوحي لأحد زعماء المسلمين، وهو «محمد علي ديمابورو» بإنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وبهذا تفرّقت كلمة المسلمين، إذ أصبحت تضمّهم مُنظّمتان بعد أن كانوا جبهةً واحدةً، فكان «أحمد دوموكو ألنتو» يُمثّل

جمعية الأنصار، و« محمد علي ديمابورو » يُمثّل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعلى الرغم من أن هذين الزعيمين هما من أعضاء الحزب الوطني، لكنهما يُستغلاّن كواجهاتٍ تظهر للناس أن الحكم يُحسن معاملة المسلمين، إذ يُقلّد الزعماء منهم مناصب حيويةً في الدولة، والواقع أنهم كانوا يُرضونهم ببعض المناصب لتعمى عنهم أخبار المسلمين، وما يحدث لهم من اضطهادٍ، وطردٍ من أراضيهم.

ابتدأ العمل ضدّ المسلمين بالاستيلاء على أراضيهم في الجنوب بتحريض من اليهود، وقد تشكّل لهذه الغاية عام ١٣٩٠ هـ عصابة أسسها « ماركوس » بنفسه، وأشرف عليها، وادعى أنه لا علم له بها، وأطلق عليها اسم عصابة الفئران، وكانت سريةً، ومُزوّدةً بأحدث الأسلحة، واتخذت من الارهاب والوحشية وسيلةً لإرهاب المسلمين كي يُغادروا أرضهم، كما وجدت عصابة أُخرى أطلقت على نفسها اسم « الأُخطبوط ». وهي مُدرّبة تدريباً عالياً، وكانت تقوم بغاراتٍ على المزارع لتدبّ الفزع في نفوس أهلها فيُغادرونها.

وقبل البدء بالخطّة ونشر الفوضى أوجد النصارى بعض الأسباب التي تُؤدّي إليها، فقد طالبوا بسيادة القانون المدني على المسلمين كي يتمكّن غير المسلمين من الزواج ببنات المسلمين، وهو مُحرّم عليهم، إذ لا تسمح أحكام الشريعة الإسلامية المعمول بها بين صفوف المسلمين بمثل هذا الزواج، وينتج عن تطبيق القانون المدني عزل الشريعة عن الحياة الاجتماعية، ومن هذا المنطلق يبدأ الهجوم على الإسلام والفكر الإسلامي، ويقع النزاع، وتحدث الصدامات، ويفسح المجال لتنفيذ الخطّة المُبيّتة عندما يرفض المسلمون الأخذ بهذا القانون.

إن مناطق المسلمين في الجنوب تتمثّل في جزر: تاوي تاوي، وصولو، وباسيلان، ثم جزيرة ميندناو، وجزيرة بالاون، وما حول هذه المناطق من

جزرٍ صغيرةٍ أخرى.

ثورة المسلمين الأخيرة: كانت الخطة الصليبية تقضي بأن يتمّ الاستيلاء على أراضي المسلمين في البداية لجرّهم إلى القتال وهم غير مستعدّين على حين تهيّأ النصارى واستعدّوا، وذلك بأن يزحف النصارى من الشمال، ويُسجّلون الأراضي في الجنوب على أسمائهم بمساحاتٍ مُقدّرةٍ سابقاً ومُختارةٍ، ولم تكن مُسجّلةً على أسماء المسلمين أصحابها الأصليين من قبل إذ رفضت الدولة تسجيلها عندما طلب أصحابها ذلك. وتتمّ عملية التسجيل للنصارى بمساعدة السلطات، وبعدها يُطالَب أصحابها من المسلمين بمغادرتها فتحدث الصدامات، وتتدخّل الدولة لمصلحة النصارى، وقد تمّ هذا فعلاً.

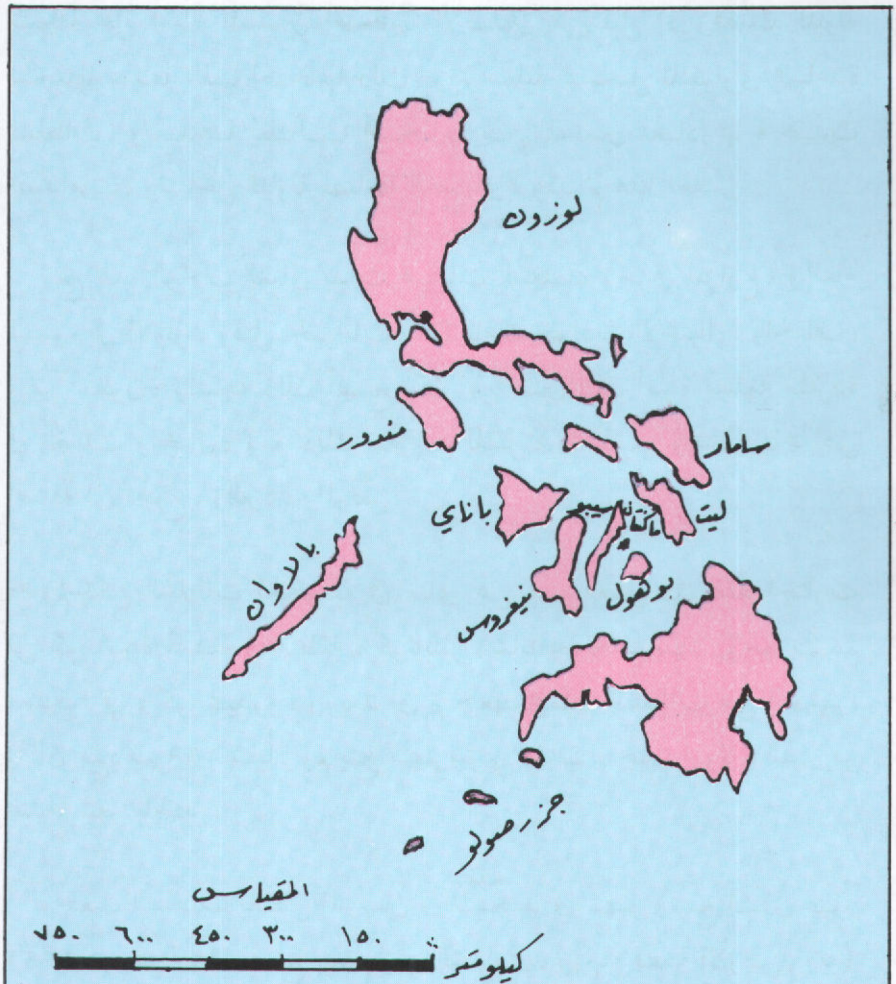
ومع هذا الزحف الشمالي بدأت عمليات الشغب، وحرق المزارع، وإلقاء السموم في الآبار، وقتل الحيوانات، كما قامت حوادث الاغتيال، والخطف، وبقر البطون، ونتيجة ذلك أصبح أكثر من ستين ألف أسرةٍ مُسلمةٍ مُشرّدةً في الغابات والجبال، ومع ذلك تتعرّض للقتل، والسلب، وهتك الأعراض إضافةً إلى الجوع، والبرد، والمرض.

ولم تكن السلطات الحكومية في منأى عن هذه العمليات، فقد اختارت من كل أسرةٍ مُسلمةٍ في منطقة « كوتاباتو » شاباً بحجّة تدريبهم، وجهّزت لهم معسكراً في « كوريجيدور »، وبعد أن تمّ جمعهم عملت السلطات على إبادتهم، وكان عددهم ١٦٩ شاباً، ولم ينج منهم سوى الشاب « جيبن أرولا » الذي فرّ عندما شعر بالخطر.

وجمعت السلطات بعض المسلمين في المسجد في شهر ربيع الثاني عام ١٣٩١ هـ بحجّة عقد صلح بينهم وبين النصارى، وإنهاء قضية الأرض، وبينما كان المسلمون في المسجد إذ دخلته جماعة مسلحة من النصارى، وبدأت بإطلاق النار من المدافع الرشاشة التي بأيدي افرادها فكانت النتيجة أن قُتل

سبعون مسلماً، وجُرح خمسون آخرون بجراحاتٍ مختلفةٍ.

وفي الوقت نفسه كان اليهود ورجال السلطة يُوزّعون السلاح على القبائل الوثنية لإحداث الفتن، وهذه القبائل حسب دعواهم بعيدةً عن مجال النزاع، فكان الوثنيون يقومون بـالهجـوم على المسلمين، ويُنـزلـون بهم الضربـات، ويُثيرون الفتن والقلاقل، وينشرون الرعب والذعر.



مصور رقم [١٠].

وقد بلغ عدد جيش الفئران في منطقة « كوتاباتو » قبل تدخّل الدولة رسمياً ثلاثمائة وخمسين ألف رجل، وقد أقدموا على حرق البيوت والمنازل في منطقة « واو » وذلك في شهر جمادى الأولى ١٣٩١ هـ، كما اشتركت الشرطة معهم في إحراق خمسة مساجد، وثمانيةٍ وخمسين منزلاً في بلدة « بولوان »، وقتلوا عشر نساء، وعشرة أطفال في قرية « أوبي ».

وأما مُنظّمة الأخطبوط فقد أغارت على أربع مدن في مقاطعة « كوتاباتو »، واشتركت مع الفئران في قتل ثمانية وستين مسلماً من الشيوخ، وجرحوا طفلاً واحداً، وقد دافع الشيوخ عن أنفسهم أثناء العملية فقتلوا ثلاثةً من أفراد هذه العصابة. كما ارتكب أفراد مُنظّمة الأخطبوط جرائم أخرى كثيرةً منها قتل سبعين مسلماً في مسجدٍ، وذبح سبعة أطفال في مدرسةٍ تبعد كيلومتراً واحداً عن مدينة « كوتاباتو ».

هذه نماذج من الحوادث التي وقعت في الفيليبين قبل ثورة المسلمين الأخيرة، وأمام هذه الحوادث بدأ المسلمون يُحاولون الدفاع عن أنفسهم فتسلّحوا بالمدي، والعصي، والبنادق القديمة التي بين أيديهم من أيام حرب العصابات أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي الوقت نفسه عدّت الحكومة هذا التصرّف من قبل المسلمين تمرُّداً وكان ذريعةً للقضاء عليهم بحجّة أنهم يمتلكون الأسلحة، فهم من الذين يُثيرون الفتن، طالما وُجدت بحوزتهم.

أظهر المسلمون التمرُّد والعصيان أمام هذا الطوفان من الاعتداءات عليهم فوجّه إليهم الجنرال « غارسيا » قائد الجيش في مدينة « بولوان » إنذاراً بأنهم سيتعرّضون للقتل الجماعي ما لم يُسلّموا أنفسهم في مدة أسبوعٍ واحدٍ، وسيكون الهجوم بعدها مُدمّراً، واطلق عليهم اسم أصحاب القمصان السود، ويزيد عدد القوات التي تتبع هذا الجنرال على عشرين ألف مقاتل.

وبعد هذه الأحداث وأمام هذا الواقع رفع زعماء المسلمين شعار الوحدة الإسلامية للمحافظة على أرواح المسلمين، وأصدروا بياناً وقع عليه ثلاثون

رجلاً من كبار زعمائهم، أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح التي يتعرّض لها المسلمون مثل مذبحة « زبيدة »، ومذابح المساجد، والتفرقة في المعاملة، وعدم احترام الشعائر الدينية، وعدم معاقبة المجرمين المسؤولين عن هذه الأحداث، وتواطؤ قوات الجيش والشرطة مع مرتكبي الجرائم، ومُحاولة تصفية المسلمين من الجنوب، وهم أصحاب الأرض الأصليون.

ومن جانب آخر فإن الشباب المسلمين ـ أمام هذه الأحداث ـ قد تجمّعت أعداد كبيرة منهم، ومعهم عدد من الزعماء، وتحصّنوا في بلدة « بابا لومان »، وقد برز في هذا التجمّع « أوتوغ مالاتام » و« كاملون »، وطالبوا بفصل المناطق الإسلامية « مينداناو » و« صولو » و« بالاوان » حيث يتركّز المسلمون، وذلك لحمايتهم من المجازر التي بدأت تقع، كما طالبوا العالم الإسلامي والأمم المتحدة بحمايتهم.

اتصل الأمين العام للمؤتمر الإسلامي آنذاك، تانكو عبد الرحمن، رئيس وزراء ماليزيا سابقاً برئيس جمهورية الفيليبين ماركوس، واستفسر منه عن هذه الأحداث، وطالبه بوقف المذابح، وهذه الأعمال الوحشية، كما أرسل بلاغاً للأمم المتحدة عن هذه الأحداث التي تلحق بالمسلمين هناك، وأصبحت القضية دوليةً، فأراد ماركوس الإسراع في حلّ المشكلة بضرب المسلمين ضربةً قاصمةً قبل أن يستفحل الأمر ـ حسب زعمه ـ.

أرسلت الحكومة في شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٩١ هـ قواتٍ ظاهرها لحلّ النزاع بين الطرفين وحقيقتها لضرب المسلمين، وفي الواقع فقد تحالفت هذه القوات مع النصارى، وهاجمت المسلمين بالدبابات والطائرات ورغم ثقل هذه القوة فقد تمكّن المسلمون من قتل عشرين جندياً من قوات الحكومة، وإسقاط طائرةٍ عاموديةٍ، وتدمير دبابةٍ واحدةٍ. وأعلن « إبراهيم اسماعيل » أحد زعماء المسلمين في الفيليبين بياناً وضّح فيه أن الصدام وقع بعد ذبح عشرة من المسلمين ذبح النعاج. وبعدئذٍ حاصرت قوات الحكومة المُزوّدة

بمدافع عيار ١٠٥ مم، وطائراتٍ عاموديةٍ ودباباتٍ حاصرت المسلمين الذين تحصّنوا في بعض الجزر.

بدأت المعارك بشكلٍ رسميٍ وسافرٍ بين قوات الحكومة والمجاهدين المسلمين منذ مطلع عام ١٣٩٢ هـ، واستمرّت بقوةٍ عدة سنواتٍ، ورغم التباين في عدد المقاتلين بين الطرفين، وقوة الأسلحة الضخمة التي تملكها قوات ماركوس بينما لا يملك المجاهدون سوى البنادق القديمة وما يحصلون عليه من غنائم من أسلحة العدوان فقد تمكّن المسلمون من الصمود والمقاومة وإنزال الضربات المتتالية بقوات الحكومة وقتل الأعداد الكبيرة منها، والحصول على الكثير من الأسلحة المختلفة غنائم من العدو وأمام انتصارات المجاهدين وافق ماركوس على إجراء المفاوضات مع جبهة تحرير مورو، وقد تمّ ذلك في مدينة طرابلس حاضرة الجمهورية العربية الليبية في أواخر عام ١٣٩٦ هـ ومطلع عام ١٣٩٧ هـ. وقد اشترك في المفاوضات حكومة جمهورية الفيليبين، وجبهة تحرير مورو الوطنية، والجمهورية العربية الليبية، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية السنغال، وجمهورية الصومال وتمّ الاتفاق على ما يلي:

أولاً: إقامة الحكم الذاتي للمسلمين في جنوبي الفيليبين في إطار الوحدة الترابية لجمهورية الفيليبين.

ثانياً: تتكّون مناطق الحكم الذاتي للمسلمين في جنوبي الفيليبين مما يلي:

١ - باسيلان.
٢ - صولو.
٣ - تاوي تاوي.
٤ - زامبوانغا الشمالية.
٥ - زامبوانغا الجنوبية.

٦ - كوتاباتو الشمالية.

٧ - ماغونيداناو.

٨ - سلطان كودرات.

٩ - لاناو الشمالية.

١٠ - لاناو الجنوبية.

١١ - دافاو الجنوبية.

١٢ - كوتاباتو الجنوبية.

١٣ - بالاوان.

١٤ - جميع المدن والقرى الواقعة في المنطقة المذكورة أعلاه.

ثالثاً:

١ - تكون السياسة الخارجية من اختصاص الحكومة المركزية الفيليبينية.

٢ - تختصّ السلطة المركزية بمسائل الدفاع الوطني، على أن يُترك أمر تنظيم التحاق قوات جبهة تحرير مورو الوطنية بالقوات المسلحة الفيليبينية للبحث في وقتٍ لاحقٍ.

٣ - يكون للمسلمين في مناطق الحكم الذاتي الحقّ في إنشاء محاكمهم الخاصة التي تُطبّق فيها الشريعة الإسلامية، ويُمثّل المسلمون في كل المحاكم بما فيها الحكم الذاتي والمحكمة العليا، ويصدر بشأن تعيينهم قرارات من رئيس الجمهورية، ويُؤخذ في الاعتبار المؤهّلات المطلوبة بالنسبة للمُرشّحين.

٤ - يكون لسلطات الحكم الذاتي في جنوبي الفيليبين الحقّ في إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات على أن تترك مسائل علاقة هذه المؤسسات التربوية والعلمية بنظام التعليم العام في الدولة للتباحث فيما بعد.

٥ - يكون للمسلمين نظام إداري خاص بهم يتّفق وأهداف الحكم

الذاتي ومؤسساته، وتبحث العلاقة بين هذا النظام الإداري والنظام الاداري المركزي فيما بعد.

٦ - يكون لسلطات الحكم الذاتي في جنوب الفيليبين نظام مالي واقتصادي خاص بهم وتُحدّد علاقة هذا النظام بالنظام المالي والاقتصادي المركزي للدولة فيما بعد.

٧ - تتمتع سلطات الحكم الذاتي في جنوبي الفيليبين بحقوق التمثيل والمشاركة في الحكومة المركزية وكافة أجهزة الدولة الأخرى، ويتحدّد عدد الممثّلين، وطرق المشاركة فيما بعد.

٨ - يُشكّل مجلس تشريعي ومجلس تنفيذي في مناطق الحكم الذاتي للمسلمين على أن يتمّ تشكيل المجلس التشريعي عن طريق الانتخاب المباشر، ويتمّ تشكيل المجلس التنفيذي بالتعيين من قبل المجلس التشريعي، ويصدر قرار من رئيس الجمهورية بتشكيل كل منهما. ويتمّ فيما بعد الاتفاق على عدد أعضاء المجلس.

٩ - تختصّ الحكومة المركزية بمسائل التعدين والمناجم. وتُحدّد نسبة معقولة من مدخول المناجم والتعدين إلى مناطق الحكم الذاتي.

١٠ - تنشأ سلطات أمنٍ محليةٍ خاصةٍ في منطقة الحكم الذاتي للمسلمين في جنوبي الفيليبين وتُحدّد علاقة هذه السلطات بسلطات الأمن المركزية فيما بعد.

١١ - تشكيل لجنةٍ مختلطةٍ من مُمثّلين عن الحكومة المركزية لجمهورية الفيليبين ومُمثّلين عن جبهة تحرير مورو الوطنية تجتمع بمدينة طرابلس في الفترة من ٥ شباط ١٩٧٧ م إلى تاريخ لا يتعدّى ٣ آذار ١٩٧٧ م، وتختصّ بمناقشة تفاصيل النقاط المتروكة للبحث بقصد التوصل إلى حلولٍ من شأنها ما ينسجم وأحكام هذا الاتفاق.

١٢ - يتمّ الإعلان عن وقف إطلاق النار عقب التوقيع على هذا الاتفاق مباشرةً على أن لا يتجاوز ذلك يوم ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٧ م، ويتمّ تشكيل لجنةٍ مشتركةٍ من الطرفين ومساعدة منظمة المؤتمر الإسلامي التي تُمثّلها اللجنة الوزارية الرباعية تتولّى الإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار، كما تختصّ بالإشراف على ما يلي:

أ - إصدار عفوٍ شاملٍ في مناطق الحكم الذاتي، وإسقاط أية دعوى قضائية ناتجة عن الأحداث التي وقعت في جنوبي الفيليبين.

ب - إطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين ذوي العلاقة بالأحداث في جنوبي الفيليبين.

جـ - عودة جميع اللاجئين الذين تركوا مناطقهم في جنوبي الفيليبين.

د - ضمان حرية التنقّل والاجتماع.

١٣ - يتمّ عقد اجتماعٍ مشتركٍ في جدة في الأسبوع الأول من شهر آذار للتوقيع بالأحرف الأولى على ما توصلت إليه اللجنة المشار إليها في الفقرة رقم (١١).

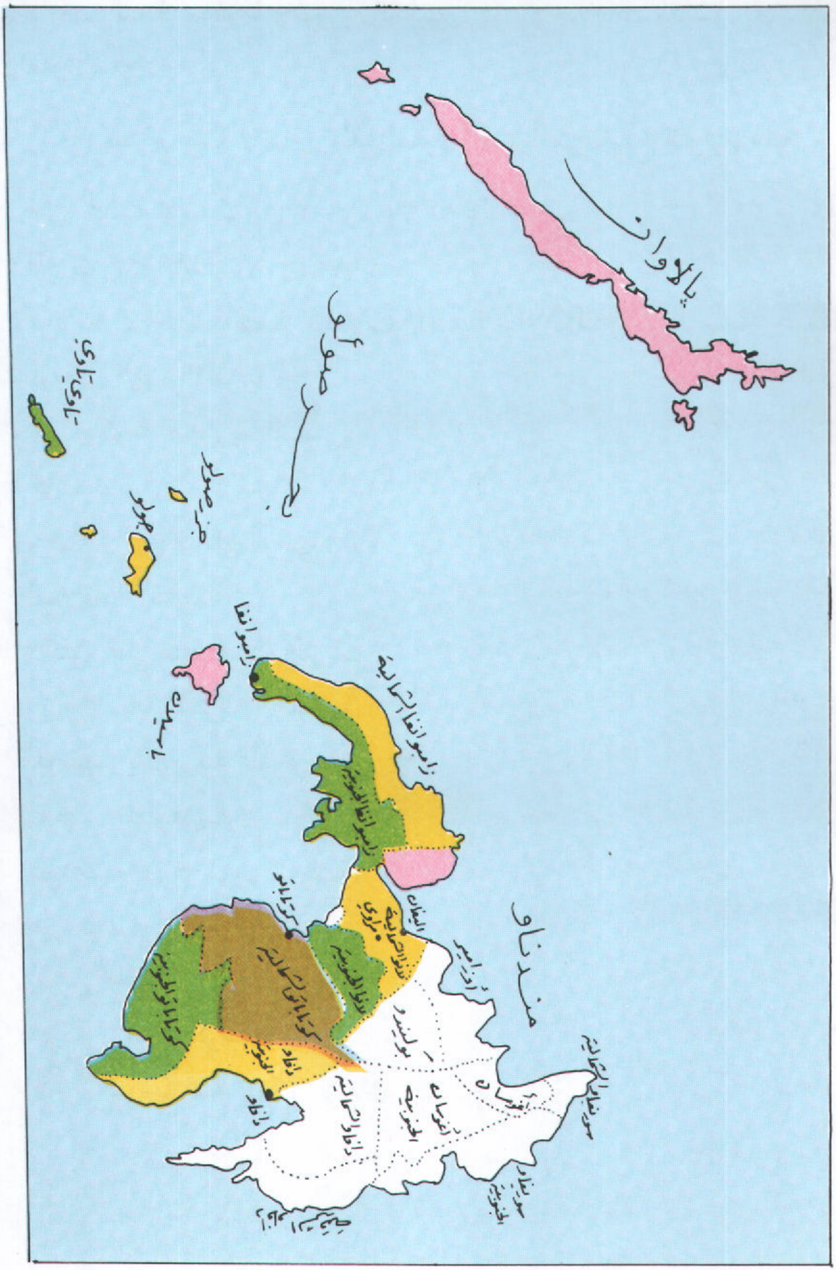
١٤ - يتمّ توقيع الاتفاق النهائي بشان إقامة الحكم الذاتي المشار إليه في الفقرتين الأولى والثانية في مدينة مانيلا بجمهورية الفيليبين بين الحكومة الفيليبينية وجبهة تحرير مورو الوطنية والمؤتمر الإسلامي مُمثّلاً باللجنة الوزارية الرباعية والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

١٥ - يتمّ بعد التوقيع على الاتفاق في مانيلا مباشرةً تشكيل حكومةٍ مؤقتةٍ في منطقة الحكم الذاتي يُعيّنها رئيس الجمهورية على أن تتولّى الإعداد لانتخابات المجلس التشريعي لإقليم الحكم الذاتي، وتسيير الحكم في المنطقة وفقاً لهذا الاتفاق حتى يتمّ تشكيل حكومةٍ من قبل المجلس التشريعي المنتخب.

١٦ ـ تتخذ حكومة جمهورية الفيليبين كل الاجراءات الدستورية لتنفيذ الاتفاق كاملاً.

رابعاً: يصبح هذا الاتفاق نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ التوقيع عليه.

حُرّر بمدينة طرابلس في ٢ محرم ١٣٩٧ هـ.
الموافق ٢٣ كانون الأول ١٩٧٦ م
من ثلاث نسخ أصلية باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية جميعها متساوية في القوة القانونية.
عن حكومة جمهورية الفيليبين.
كارميلوس. ز. بارنيرو.
وكيل وزارة الدفاع الوطني.
للعلاقات المدنية.
دكتور علي عبد السلام التريكي.
وزير الدولة للشؤون الخارجية.
للجمهورية العربية الليبية.
ورئيس المفاوضات.
عن جبهة تحرير مورو الوطنية.
نور ميسواري.
رئيس الجبهة.
الدكتور أحمد كريم جاي.
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.



مصور رقم [١١] .

ويبدو أن هذه الاتفاقية لم تكن إلاّ لتُتيح الوقت للرئيس ماركوس لتنظيم قواته من جديد، والاستعداد للدخول ثانيةً في معركةٍ حاسمةٍ تقضي على المسلمين.

وفي الواقع فلم يمض أكثر من أربعة أشهر بقليل على توقيع الاتفاق حتى أعلنت حكومة جمهورية الفيليبين عن تخلّيها عن جميع التزاماتها السابقة، وعدم احترام ما وافقت عليه ووقعت عليه والتزمت به وبتنفيذه، وأوقفت كل الأعمال المتعلقة بتنفيذ الاتفاق. ولم يُجد تدخّل الأمين العام للمؤتمر الإسلامي واللجنة الرباعية في ذلك. بل إن قوات الحكومة لم تُوقّف عملياتها كاملةً خلال هذه المدة، بل حدثت أعمال عدوانية في منتهى الوحشية، وإن كانت على نطاقٍ محلي، وتوسّعت تدريجياً حتى إعلان التخلّي عن الاتفاق، ومن المعارك المشهورة معركة «بولوان» في جزيرة مينداناو عام ١٣٩٧ هـ، وقد نتج عنها استشهاد أكثر من ٥٠٠ مسلم، وزاد عدد الجرحى على ٣٠٠ جريح، وكان هجوماً وحشياً على المسلمين من قبل قوات ماركوس. ومعركة «كوتاباتو» التي حدثت في مطلع شهر ذي الحجة من عام ١٣٩٧ هـ، إذ هاجمت قوات ماركوس مركز قيادة جبهة تحرير مورو إلا أن المسلمين قد قاموا بهجومٍ معاكسٍ، وكبّدوا القوات المهاجمة خسائر كبيرةً، وغنموا أسلحة كثيرة، وعاد الهجوم الحكومي بعد أسبوعٍ فتضاعفت خسائر المهاجمين.

وهاجمت قوات نظام ماركوس في ١٧ شوال عام ١٣٩٧ هـ بقوةٍ كبيرةٍ من قواتها البحريةٍ قرية «سوباه بوكول» في شبه جزيرة «زامبوانغا»، وكانت هذه القوات مُعزّزةً بغطاءٍ جويٍ لحماية القوات البرية الزاحفة على القرية والتي تضمّ أكثر من أربعة آلاف جندي، وأصلت البلدة بوابلٍ من القذائف المحرقة، إضافةً إلى قذائف البوارج البحرية، وقد نتج عن ذلك أن دمّرت البلدة تدميراً كاملاً. ولم يتمكّن السكان من الهروب أو اللجوء إلى الملاجىء فسقطوا صرعى.

وبعد عشرة أيامٍ من هذا الهجوم الوحشي أعادت قوات ماركوس الكرّة فأغارت على بلدة « تيكتابول » في المقاطعة نفسها في ٢٤ شوال ١٣٩٧ هـ، وكان سكان البلدة المسلمون مجتمعين للصلاة في المسجد، فإذا بالطائرات تقصف البلدة الآمنة بيوتاً ومنازل ومساجد وأسواقاً ومدارس دون تمييزٍ.

ثم زحفت القوات الحكومية على قرية « تيك باو »، وبدأ الهجوم بقصفٍ جوي بالقنابل المُحرقة والمُحرّمة دولياً، ثم جاء دور القوات البرية فأشعلت الدبابات الأرض ناراً، وهي تُحاصر البلدة لئلا يتمكّن أحد من الخروج، واستمرّ القصف والضرب أربعة أيامٍ مع لياليها، وكانت نتائج المعركة قتل سبعمائة مسلمٍ معظمهم من أبناء الكتاتيب والشيوخ ولم يُحص عدد الجرحى، ولم يتمكّن المسلمون من نقل الجُثث ودفنها فبقي بعضها في العراء وتفسّخ. وجاءت قوات جبهة تحرير « مورو » فنشبت معركة بين الطرفين أسفرت عن تراجع القوات الحكومية إلاّ أن الطائرات قد هاجمت قرية « تاقيتي » ودمّرت عشرات البيوت، وقتلت الكثير من السكان المسلمين الآمنين. ووصلت قوات جبهة تحرير مورو الوطنية، وتصدّت لقوات الحكومة التي وصلت إليها تعزيزات كثيرة فانهزمت القوات النصرانية، وفقدت في المعركة أكثر من مائتي قتيل. والمعارك كثيرة في شبه الجزيرة هذه وتكاد لا تُعدّ لكثرتها، بل ما خلت منطقة إسلامية من هذه المعارك، ولكن نعطي أمثلةً عن بعضها فقط.

ومن جملة معارك أرخبيل صولو معركة بلدة « باتيكول Paticul » التي جرت في ٢١ شوال ١٣٩٧ هـ، إذ بينما كان المسلمون يُؤدّون صلاة الجمعة بدأت القنابل المُحرقة تتساقط على القرية فأحرقت السوق والمسجد فقتلت خمسين مُصلياً، وجُرح جميع من في المسجد. وأُحرق السوق كاملاً، وكانت الخسائر المادية كبيرةً، ثم واصل النصارى هجومهم البري لاحتلال القرية، بقيادة الجنرال « تيودلفوباتيستا » أحد قادة العسكريين الكبار. فاستشهد في هذه المعارك ما يزيد على خمسائة مسلمٍ من المدنيين. وأسرعت قوات جبهة

تحرير مورو الوطنية بقيادة « عثمان صالح » فطوّقت قوات ماركوس واستطاعت إفناءها عن آخرها بما فيها الجنرال « باتيستا » الأمر الذي أهلع قلب ماركوس لأن باتيستا من الْمُقرّبين إليه، ومن الذين يعتمد عليهم، ومن كبار القادة. فاستدعى ماركوس رؤساء الأركان ووضع المخطط لإبادة المسلمين جماعياً في تلك المنطقة، وأعلن عن مكافأة وقدرها مائة ألف دولار لمن يأتي بعثمان صالح حياً أو ميتاً، وفي اليوم التالي سارت قوة برية كبيرة، تدعمها أسراب الطائرات، وأعطيت القيادة للكولونيل « بنيامين في » الذي سقط في المكان نفسه الذي سقط فيه « باتيستا » ولم يمض على ذلك سوى ٢٤ ساعة. وأذاع ماركوس أن « باتيستا » قُتل غدراً، وهو يُحاول المفاوضة للصلح.

هذه نماذج من المعارك الدائرة هناك، على أرض جنوبي الفيليبين، والمسلمون في بقية جهات العالم غافلون، بل إن كثيراً من حكومات البلدان الإسلامية ما تتعاون مع حكومة ماركوس، وتدعمها بعصب حركة القتال من النفط والوقود و... مع أن بعض الحكومات في بداية الأمر قد حرصت وقتاً ما على دعم المقاتلين ثم ما لبثت أن تناست الأمر مع مرور الزمن... واستمرّ دولاب المعارك مُتحرّكاً.

وبدت علامات المعارضة تظهر ضد حكم ماركوس المطلق، ورغبت عندها الولايات المتحدة الامريكية في تغيير الواجهة السياسية خوفاً من التغيير المفاجىء، وضياع خيوط اللعبة من يدها، وبرز بنينو اكينو على رأس المعارضة وأخذ يُوجّه النقد للحكم ويُظهر عواره، وقُتل فجأةً، واتهم ماركوس بقتله، وجاءت الانتخابات وبرزت كورازونو أكينو كزعيمة للمعارضة، وهي زوجة بنينو أكينو، وحاول الحكم توجيه الانتخابات، غير أن الأمر قد فضح، وفشل ماركوس، وبعد موجة من الصراع على السلطة والخلاف اضطر ماركوس إلى مغادرة البلاد، وتولّت كورازونو أكينو الحكم

في ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ (٢٥ شباط ١٩٨٦)، وأعلنت عن إعطاء المسلمين الحكم الذاتي.... ولكن لم يحدث شيء حتى الآن.

ويُقدّر عدد سكان الفيليبين اليوم بحوالي ستين مليوناً وتقدر نسبة المسلمين بينهم بـ ١١ ٪من مجموع السكان أي ما يقرب من ستة ملايين ونصف، يعيش أربعة ملايين ونصف في الجنوب والباقي مُوزّع في بقية أرجاء البلاد، وإن كان أكبر تجمّعٍ لهم بعد الجنوب إنما هو حول العاصمة مانيلا.

وتوجد أعداد من البوذيين، ومجموعة من الوثنيين الذين يؤمنون بالأرواح، وتشكل كل مجموعة من هاتين المجموعتين ما يقارب ٢ ٪من مجموع السكان، أما الباقي وهو ٨٥ ٪من النصارى.

ويتكلّم السكان أكثر من ٧٨ لغة محلية أهمها: (التالوغ) التي تنتشر بين سكان مانيلا والمحافظات المجاورة لها، والتي أصبحت تُعدّ لغةً وطنيةً، وقد انتشرت الإسبانية أيام الاستعمار الإسباني، والانكليزية أثناء الاستعمار الأمريكي. ونجد في لغات أهل البلاد ألفاظاً من اللغات العربية، والهندية، والصينية، والإسبانية، والانكليزية.

ويتكلم المسلمون لغتين من اللغات السائدة في البلاد، وهي لغة « ثاوصو » وهي قر . من الأندونيسية، ولغة « مراتاو » وهي الغالبة في جزيرة « ميندناو »، وتضمّ ألفاظاً عربيةً كثيرةً، كما تكتب بالحرف العربي.

وتُعدّ اللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية للحكومة، وأكثر من يتكلم بها أهل المدن.

وتُعدّ مناطق جنوب شرقي آسيا من المناطق الفقيرة، وبدأت أفواج من هذه المناطق تتجه إلى دول الخليج العربي للعمل فيها. غير أن حكومة الفيليبين تحرص حرصاً شديداً على عدم ذهاب المسلمين منها إلى دول الخليج خوفاً من تأثرهم بالإسلام بشكلٍ أفضل، وكي لا تتحسّن أوضاعهم المعاشية إذ ترغب

أن يبقوا بحالةٍ بئيسةٍ حتى تبقى إمكانية السيطرة عليهم قائمةً. لذا فإن مكاتب تأمين العمل في الفيليبين تضع العراقيل في وجه سفر المسلمين، وتدعي أنها لا تضمن إمكانية فعّاليتهم بشكلٍ جيد. كما تُطالبهم بدفع نفقات السفر حتى يصعب خروجهم من البلد. و...

وتوجد في الفيليبين بعض المؤسسات الإسلامية منها:

أنصار الإسلام في زامبوانغا.

المركز الثقافي للجماعة الإسلامية في زامبوانغا الجنوبية.

أنصار الإسلام في كوتاباتو.

معهد رانو في لانو الشمالية.

مدرسة الفلاح الإسلامية في لانو الجنوبية.

المنظمة الإسلامية المتحدة في لانو الشمالية.

أنصار الإسلام في لانو في مدينة مراوي.

جامعة الفيليبين الإسلامية في لانو في مدينة مراوي.

جمعية أجاما الإسلامية في مراوي.

معاهد مراوي الإسلامية في مراوي.

معهد الدراسات الإسلامية في مراوي.

معهد مندناو العربي في مراوي.

جمعية الهداية إلى الإسلام في مانيلا.

المركز الثقافي الإسلامي بالفيليبين في مانيلا.

الهيئة الإسلامية بالفيليبين في مانيلا.

(١٢) الصـــين

الصين دولة واسعة تزيد مساحتها على تسعة ملايين كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكانها على ألف مليون نسمة، وبذا فهي أول دول العالم سكاناً، وثالثتها مساحةً بعد الامبراطورية الروسية، وكندا. ويسكن فيها أكثر من مائة مليون من المسلمين، وبذا تزيد نسبتهم على ١٠٪ من مجموع السكان.

وصل الإسلام إلى الصين عن طرق ثلاث:

١ً ـ طريق الفتح وهو ما يخص تركستان الشرقية التي تقع في الغرب، ومع أنها وما حولها من مقاطعات تقع ضمن العالم الإسلامي إلا أنها اليوم تخضع للصين لذا أرى نفسي مضطراً لبحثها ضمن دولة الصين وأن سكانها إنما يعيشون أقليةً في تلك الدولة الواسعة الأرجاء.

٢ً ـ طريق الدعوة والانتقال في المنطق الداخلية وخاصةً الجهات المجاورة لتركستان الشرقية، وربما كان العهد المغولي أكثر العهود لانتشار الإسلام في المناطق الداخلية من الصين.

٣ً ـ طريق الدعوة والتجارة البحرية في المناطق الساحلية.

يقسم الصينيون تاريخهم إلى سبع مراحل حسب الأسر الحاكمة أو الأنظمة القائمة وهي:

١ ـ عهد تانغ: التاريخ القديم

٢ ـ عهد سونغ:	٣٠٨ ـ ٦٧٥ هـ (٩٢٠ ـ ١٢٧٦ م).
٣ ـ عهد يوان «العهد المغولي»:	٦٧٥ ـ ٧٦٩ هـ (١٢٧٦ ـ ١٣٦٧ م).
٤ ـ عهد منغ:	٧٧٠ ـ ١٠٥٢ هـ (١٣٦٨ ـ ١٦٤٢ م).
٥ ـ عهد تسونغ «العهد المانشوري»:	١٠٥٤ ـ ١٣٢٩ هـ (١٦٤٤ ـ ١٩١١ م).
٦ ـ العهد الجمهوري:	١٣٢٩ ـ ١٣٦٩ هـ (١٩١١ ـ ١٩٤٩ م).
٧ ـ الحكم الشيوعي:	١٣٦٩ ـ (١٩٤٩ ـ).

أ ـ الفتح في الغرب: فتح قتيبة بن مسلم الباهلي تركستان الشرقية ودخل مدينة كاشغر عام ٩٦ للهجرة، وتبعت هذه المنطقة الدولة الإسلامية حتى ضعف أمر المسلمين وذهبت ريحهم، وهذا ما شجع الصين لغزو تركستان الشرقية، وتمكنت من دخولها بين عامي ١١٤٩ـ١١٩٩، أي في العهد المانشوري، وأُطلق عليها اسم «سينكيانغ» أي المقاطعة الجديدة. ولكن الحركات لم تهدأ فيها أبداً وكلها تُناهض الاستعمار الصيني، وتدعو إلى الاستقلال. وكانت تركستان الشرقية تتألف من منطقتين رئيسيتين هما: زونغارية في الشمال، وتعيش فيها قبائل «دونغارية»، وقاعدتها مدينة «غولدجا»، ومنطقة كاشغر في الجنوب، ويطلق على قبائلها «الكاشغرية»، وعاصمتها «كاشغر»، وتُعرف المنطقة باسم «هوي كيانغ» أي أرض المسلمين. وبين المنطقتين جبال (تيان شان) أي جبل السماء. وكانت منطقة

تركستان مُقسّمةً إلى عدد من الأقسام يحكم كل قسم أمير محلي، ومن هذه الأقسام أُوروجي، وكاشغر، وحامي، ويارقند، ويأخذ حاكم كل قسمٍ لقب «بيك» أو «شاهان»، أما أمير «أوروجي» فيُلقّب بـ«هوي هوي وانغ» أي السلطان المسلم، وهو أقوى أمراء تركستان الشرقية.

في بعض الخلافات التي قامت بين الأمراء أُخذ أحد أمراء الجنوب إلى الشمال ويُدعى «عبد الرشيد»، وبعد مدةٍ طالب بالعودة إلى الجنوب فرجع إلى (يارقند) عن طريق «حامي»، ولكن قضى نحبه في الطريق، وكان ولده محمود يحقد على قبائل الشمال من الدونغارية، وقد حاول الاستقلال في مدينة (يارقند) غير أنه فشل، وأُبعد إلى مدينة «ايلي» في تركستان الغربية.

كان لمحمود ولدان أحدهما يدعى «ببرست» ويُلقّب بالخوجا الكبير، والثاني «علي» ويُلقّب بالخوجا الصغير، وقام علي بثورة، غير أنه فشل، ففرّ إلى خوقند، ثم انتقل إلى إقليم (باداخشان) في بلاد الطاجيك.

ثورة ١٢٣٦: كان حفيد الخوجا الكبير ويُدعى (جهانكير) يُقيم في مدينة خوقند في إقليم فرغانة من بلاد تركستان الغربية، وكان المسلمون الناقمون على حكم الصين يأتون إليه، ويثيرونه ضدّ المستعمرين الصينيين حتى ثار عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م)، وتمكّن من دخول مدينة كاشغر عام ١٢٤٢ هـ، ولكنه هُزم في معركة نهر (الخون) عام ١٢٤٣ هـ، وفرّ إلى خوقند، ثم قُبض عليه غدراً، وسيق إلى بكين حيث لقي مصرعه.

ثورة يعقوب بيك[1]: كانت مدينة (كاشغر) قسمين: قديم يُقيم فيه

(١) ولد يعقوب بيك في بلدة (بيشقند) من ضواحي مدينة (خوقند) عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م)، وينتسب إلى آل تيمور من ناحية الأم. وتزوج أخت أمير (طاشقند). وقاتل المستعمرين الروس في مدينة (آقمسجد) مع أهالي خوقند عام ١٢٧٠ هـ، وأصبح المساعد الأول لحاكم (خوقند) عالم قولي.

المسلمون، وحديث يسكنه الصينيون، ويحكم المدينة أمير يُدعى صادق بيك، فدعا إلى مدينته أمير خوقند (عالم قولى) ليتولى أمرها لكنه اعتذر، وأرسل مندوباً عنه (بزرك خان) ابن أخ (ولي خان) حاكم كاشغر سابقاً، ومعه يعقوب بيك.

ووصل خبر دخول الروس مدينة طاشقند ومصرع عالم قولي أمير خوقند في القتال الدائر مع الروس، ورفض يعقوب بيك التعاون مع حاكم خوقند الجديد (خدايارخان)، وسار مع (بزرك خان) واثنين وستين رجلاً إلى كاشغر ودخلوها دون وقوع أي حادث، وندم صادق بيك على تلك الدعـوة التي وجّهها إلى حاكم خوقند، وحاول إقناع (بزرك خان) بالرجوع غير أنه رفض، وتسلّم الحكم، وأعلن نفسه حاكماً على كاشغر، وأوكل مهمة الدفاع عنها إلى يعقوب بيك.

قصد يعقوب بيك مدينة (يارقند) ودخلها، وانتصر على الصينيين، وأصبح ملكاً مطلقاً على المنطقة عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥). ثم أوفد سيّده (بزرك خان) إلى مكة المكرمة ليؤدي فريضة الحج، وفي الواقع كان ذلك إبعاداً له، وسيطر يعقوب بيك على مدينة (خوتان) بعد اغتيال أميرها (حبيب الله)، ثم استولى على مدينة (أورومجي) بعد خلافه مع سلطانها (تومين خان). وحاول الروس كما حاولت انكلترا صداقته واسترضاءه.

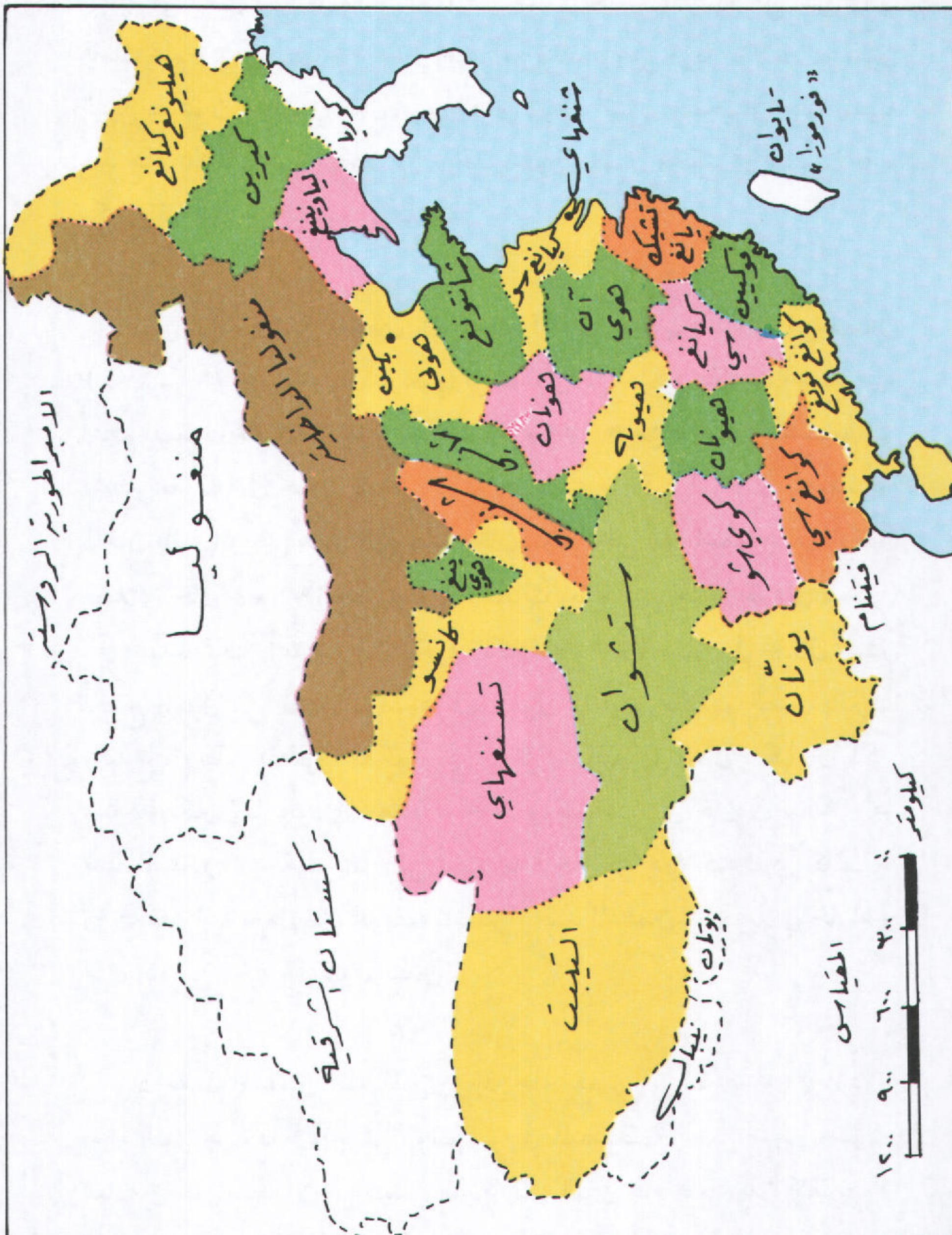
ووقـع الخلاف بين يعقـوب بيـك وبين الروس، ثم صفـا الجو بينهما، واعترف الروس بسيادته على منطقة تركستان الشرقية بعد توقيع اتفاقية تجاريـة بين الطـرفين، وأرسـل ممثلاً لـه إلى العـاصمـة الروسيـة بطـرسبرغ (لينينغراد). وكان الروس ينوون المكر والخديعة به، ويستعدّون لقتاله، وجهّزوا حملةً قويةً عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) لهذا الغرض غير أن ثورةً قد قامت في منطقة خوقند حالت دون تنفيذها وسيرها.

وجاءت بعثة انكليزية إلى كاشغر، ثم أرسل يعقوب بيك مندوباً له للتفاوض مع نائب الملك الذي رفض ذلك، فلما قوي أمر يعقوب بيك أشارت لندن على نائب الملك بالتفاوض معه، ووُقّعت معاهدة عام ١٢٩٠ هـ اعترفت انكلترا بموجبها بسيادته على منطقة تركستان الشرقية كلها. ثم اعترفت الدولة العثمانية بذلك.

بدأ القتال بين يعقوب بيك والصين، وتمكنت القوات الصينية من دخول مدينة (أورومجي) عام ١٢٩٣ هـ، ثم انتحر يعقوب بيك عام ١٢٩٤ هـ لما حلّ به وبجيشه، وقُتل ابنه خير الله أيضاً، وهو في طريقه إلى مدينة كاشغر ليواري جثّة أبيه. وتولّى أمر تركستان الشرقية (تولوي بيك) بن يعقوب بيك، وأعلن نفسه ملكاً على كاشغر، ولكن اختلف المسلمون فيما بينهم لمصالح شخصية، ودخل الصينيون مدينة كاشغر في أواخر عام ١٢٩٤ هـ، وقتلوا زوجة يعقوب بيك وثلاثةً من أبنائه وثلاثةً من أحفاده و١٢٦٦ رجلاً أُعدموا جميعاً في وقتٍ واحدٍ.

ثم قامت ثورة أخرى عام ١٣٥٠، واستمرت خمسة أعوام، أخضعت الصين إثرها المسلمين بعد أن ساعدتها روسيا.

٢ً - **طريق الدعوة والتجارة البرية:** ومن تركستان الشرقية بدأ المسلمون يدخلون الصين تجاراً ودعاةً، حتى وجدت جاليات إسلامية كبيرة في بعض المدن مثل مدينة (يانغ تشو)، ويعود وجود الجالية الإسلامية في هذه المدينة إلى القرن الثاني الهجري، وقد هلك عدة آلاف من المسلمين فيها عام ١٤٢ هـ عندما حدثت فيها ثورة، ونهب قائدها المدينة وقتل آلاف البشر، وكانت هذه الثورة بإمرة (تيان زين كونغ). وكذلك عاصمة الصين القديمة (تشانغ آن) المعروفة الآن باسم (سي آن) والموجودة في ولاية (شنسي) في شمال الصين، وقد أقام في هذه المدينة عدد من أفراد الجيش


الإمبراطورية الروسية
منغوليا
تركستان الشرقية
التبت
المقياس
كيلومتر

مصور رقم [١٢].

الإسلامي الذي يبلغ قوامه أربعة آلاف جندي جاءوا للقضاء على الثورة التي قامت عام ١٣٩ هـ (٧٥٦ م) في عهد أسرة تانغ ، ومن ذرية هؤلاء : المسلمون الذين يعيشون هناك في شمال غربي الصين ، وقد أنشيء مسجد في هذه المدينة منذ عام ٦٥ للهجرة (٦٨٤ م)، وقد دعم المسلمون الحكم في الصين لأنه لم يكن يقف في وجه الدعوة الإسلامية.

ولكن زاد نفوذ المسلمين في العهد المغولي «يوان» الذي استمرّ من (٦٧٥-٧٦٩ هـ). إذ أن قوبلاي بن تولوي بن جنكيزخان قد أصبح خاناً أعظم للمغول عام ٦٥٥ هـ ، وقد تمكّن عام ٦٧٩ هـ من دخول مملكة سونغ التي انحصر نفوذها في جنوبي الصين، ونقل عاصمته من قره قورم في منغوليا إلى (خان باليغ) ويعني هذا الاسم مقر الخان ، وهي التي غدا اسمها بكين، وتوفي قوبلاي خان عام ٦٩٣ هـ ، وتوالى الخانات بعده حتى جاء (طوغان تيمور) وفي عهده تمكن أعداؤه من دخول بكين عام ٧٧٠ هـ ، وفي خلال سنتين أُخرج المغول من الصين. وقد عرف المغول في أيام حكمهم الصين بالترف والبذخ، وبناء القصور الفخمة التي لا تزال باقية إلى الآن ، كما أن أكثر مساجد بكين إنما يعود إلى هذه المرحلة . ووقف قوبلاي خان في بداية الأمر ضدّ المسلمين نتيجة تحريض ابن أخيه أبا قاخان بن هولاكو الذي كانت له زوجة نصرانية تعمل على تحريضه باستمرار ضد المسلمين، ثم قوبلاي خان غيّر ما أراده ابن أخيه وقرّب المسلمين.

زاد نفوذ المسلمين أيام المغول ، إذ جاء بعضهم من تركستان وبلاد ما وراء النهر جنوداً في الجيش ، وترقّوا في المنصب، ولعل أشهر هؤلاء القادمين كان سيد الأجل شمس الدين عمر الذي جاء عام ٦٥٧ كضابط في الجيش ، ثم أصبح حاكماً عسكرياً في مدينة (تاي يوان)، ثم حاكماً لمدينة (بنيانغ) ثم نقل إلى منصب القاضي إلى مدينة (ينينغ) أي بكين ثم حاكماً

عليها. ثم أصبح مديراً سياسياً في بلاط (قبلاي خان)، ثم عُيّن عام ٦٧١ هـ حاكماً على ولاية (ستشوان)، ثم حاكماً لولاية (يونّان) عام ٦٧٣ هـ، وقد أنشأ المدارس والمعاهد الدينية في هذه الولاية. وتوفي وترك خمسة أولاد كان لهم كلهم دور في الإدارة، وكانوا من كبار الموظفين في الدولة. وهذا أنموذج من أثر المسلمين في عهد المغول، إذ كان المسلمون حكام ثمان ولايات من أصل اثنتي عشرة ولاية تتألف منها دولة الصين.

ولم يتغيّر وضع المسلمين كثيراً في عهد أسرة منغ (٧٧٠-١٠٥٢ هـ)، وإن كانوا قد تأثّروا بالحياة الصينية واندمجوا فيها مع الاحتفاظ بالسمة الإسلامية الكاملة، وكان لهم دور كبير في الدولة أيضاً.

وجاءت الأسرة المانشورية إلى الحكم «تسونغ» (١٠٥٤-١٣٢٩ هـ) فتغيّر وضع المسلمين عما كان عليه سابقاً فقاموا بالحركات التي اضطروا عليها. كان المسلمون الذين جاءوا إلى الصين قد تأثّروا بعادات أهل البلاد، وقلّدوهم في كل شيء سوى شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وكان بجانبهم أيضاً المسلمون الذي اعتنقوا الإسلام.

لقد كان المسلمون بشكلٍ عام أحسن من الصينيين البوذيين أو الكونفوشيين من الناحية المادية والفكرية والثقافية وهذا ما أثار عليهم حقداً، كما أثارت عادات المسلمين وشعائرهم حسداً وكرهاً لهم من قبل الحكام الصينيين حيث يرون فيهم مجتمعاً خاصاً لا يدين لهم بالولاء، ولا يأخذ بأسلوبهم في التقدير والاحترام. هذا إضافةً إلى الحقد الذي أشعل ناره الموظفون الصينيون لمصالحهم الخاصة، ومنها تسلّم المناصب مكان المسلمين إذ كان المسلمون يتسلّمون الوظائف العليا لإمكاناتهم ومؤهلاتهم فيحسدهم الصينيون الذين هم دونهم وغير مؤهلين، وليس لديهم إمكانات، ولكنهم لا

يعترفون بذلك ويسعون لتسلّم المناصب، فيحيكون المؤمرات ويدسّون الدسائس. وحدثت اشتباكات مسلحة لم تكن في صالح المسلمين.

وأخطر ما في الأمر أن اثنين من قواد المسلمين قد وقفا بجانب (ينغان وانغ) آخر أمراء أسرة (منغ) في محاولة لاستعادة الملك، وهما (تنغ كوتونغ) و(ميراين) إذ رفعا العصيان في ولاية (كانسو) عام ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م) ففشلت الحركة، وقُتل خمسة آلاف مسلم. وهذا ما جعل الحكم المنشوري يشكّ في نوايا المسلمين تجاهه، فزاد حقد الحكام على المسلمين، وانتظروا الفرصة المناسبة للنيل منهم، وكره المسلمون الحكام لهذا وأساءوا الظنّ بهم، وتمنّوا الخلاص منهم، وقاموا بالحركات ضدّهم، ومن هذه الحركات:

١ - **ثورة لانتشو عام ١١٩٦ هـ:** كان الناس في (سينينغ) على رأي في قراءة القرآن الكريم، وهي القراءة بصوتٍ خفي. وقد سافر أحد علمائهم وهو محمد أمين (مامين شين) إلى مدن آسيا الوسطى مثل خوقند، وسمرقند، وبخارى ورأى الناس يقرؤون القرآن بصوت مرتفع فأخذ بذلك، وعندما عاد إلى بلده بدأ يقرأ ويدعو إلى القراءة بصوت مرتفع، وهذا ما أدّى إلى خلافٍ وقتال بين المسلمين، واستغلّت الدولة هذا الخلاف، وأرسلت جيشها عام ١١٩٦ هـ (١٧٨١ م) فحاصر المسلمين في بلدة (لانتشو)، وقتل منهم الكثير.

٢ - **ثورة شيفانبو:** وهي تتمة للثورة الأولى، إذ حاصر الجيش الصيني المسلمين في هذه المدينة، ورفض المسلمون تسليم أنفسهم للجيش... فقتل منهم الكثير.

وصدرت أوامر ملكية بمنع المسلمين من المجادلة في الأمور المذهبية والدينية.

كانت هاتان الحركتان في ولاية (نينغ هشيا) التي عاصمتها (سينينغ).

٣ - **ثورة شانسي:** حدثت خلافات بين المسلمين وغيرهم في ولاية شانسي عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) فجاء القائدان الصينيان (تولونغ أو) و(شن باو) وأخرجا المسلمين من مدينة (سي آن) عاصمة الولاية ففرّ عدد من المسلمين، وهلك قسم كبير منهم، واستنجد المسلمون في شانسي بإخوانهم في ولاية كانسو.

٤ - **ثورة كانسو:** أنجد (ماهوا لونغ) وهو خليفة الإمام محمد أمين في كانسو إخوانه في شانسي عندما طلبوا منه النجدة، كما جاءت المساعدات من مدن وولايات أخرى، وانتصر المسلمون على قوات الحكومة، فجاء القائد المانشوري (تسو تسونغ تانغ) وهو القائد الأعلى لإقرار الأمن، واتخذ مدينة (سي آن) مقراً لقيادته، واشتبك مع الثائرين بقتال استمر حتى عام ١٢٨٨ هـ، وانتهت المعارك بهزيمة المسلمين، وفرار بعضهم إلى تركستان الشرقية حيث اشتركوا في ثورتها هناك والتي سبق أن تكلمنا عنها.

٤ - **ثورة يونّان:** جاء المسلمون إلى يونّان أيام الحكم المغولي، عندما عيّن الامبراطور قبلاي خان السيد الأجل حاكماً على يونّان، فانتقل إليها مع عدد من رجال الجيش المؤلف من المسلمين حيث أنشأ المدارس والمعاهد الدينية. وكثر المسلمون في هذه الولاية. وعندما جاء حكم الأسرة المانشورية وزادت المفاسد، وعمّت الفوضى قامت الحركات في يونّان، وكانت أولى هذه الحركات عام ١٢٣٣ هـ وقد فني فيها عدد كبير من المسلمين على يد قوات الحكومة، وتبع ذلك حركةً عام ١٢٤١ هـ، واستمرّت سنتين. وحركة عام ١٢٤٩ هـ، واستمرّت ست سنوات، وقُتلت ستمائة عائلة من المسلمين في مدينة (منغ تينغ).

ثم قامت ثورة في مدينة (يونانفو) عام ١٢٧٢ هـ ، واستمرّت حتى عام ١٢٩٠ هـ أي بقيت ثماني عشر سنة ، وسببها خلاف وقع بين العمال من المسلمين وغير المسلمين ويعود ذلك إلى تفوّق العمال المسلمين الذي أدّى إلى حقد زملائهم عليهم. وكان بين قتلى المسلمين زعيم يُدعى (ماهوتشانغ) وله شقيق يدعى (ماهسيان) من ضباط المدرسة العسكرية، فتزعّم حركة المسلمين. وجاء رئيس الأركان الصيني ليحلّ النزاع بين الطرفين غير أنه أوقع مجزرةً رهيبةً بالمسلمين إذ كان يحقد عليهم مع أن والي المقاطعة كان بجانب المسلمين، ويرى أنهم أصحاب الحق، وقد ذهب ضحية هذه المجزرة ثلاثمائة عائلة مسلمة في بلدة (نينغ تشو) وذلك في ١٦ رمضان من عام ١٢٧٢ هـ (١٩ أيار ١٨٥٦ م).

ومن جانب آخر قام المسلمون في منطقة العاصمة وعدّوا (ماتسه هسينغ) إماماً لهم، واتخذوا مدينة (كوان آي) مركزاً للعمليات العسكرية التابعة لهم، وبدؤوا في قتال الصينيين أيضاً، وقد انتصروا في عدة معارك.

وفي ناحية ثالثة قام زعيم آخر وهو (تووين شيوي)، وتلقّب بالسلطان سليمان، ودعا إلى استقلال منطقة يونّان، وجعل (تاليفو) عاصمةً له، وكانت نداءاته باللغة العربية.

وهكذا كان (ماهسيان) الضابط في المدرسة العسكرية يسيطر على المناطق الواقعة إلى الشرق من العاصمة (يونّانفو)، و(ماتسه هسينغ) يُحاصر العاصمة، و(تووين شيوي) يفرض نفوذه على الجهات الواقعة إلى الغرب من العاصمة. وساعد المسلمين على ذلك أن حكومة الصين كانت مشغولةً بحرب الأفيون مع انكلترا، وتواجه ثورة يعقوب بيك في تركستان الشرقية، وثورة البوكسر الأمر الذي جعل حلّ مشكلة يونّان إلى الأمراء المحليين.

عرض القائد للجيش الامبراطوري طلب المفاوضة مع المسلمين لإحلال السلام فوافق بعضهم، ثم قدّم عروضاً لزعماء المسلمين، ومنها منح

(ماهسيان) رتبة زعيم للجيش الامبراطوري فوافق على ذلك، وأصبح اسمه (ماجولونغ)، وغدا أمر ولاية يونّان بيده فعين صينياً في منصب رئيس خزانة الولاية، وبعد مدة تسلّم منصب الوالي على المقاطعة فقام بأكبر المجازر ضدّ المسلمين. وعرض القائد للجيش الامبراطوري على (ماتسه هسينغ) منصباً عالياً ولكنه رفض وقبل راتباً شهرياً قدره مائتي مثقال من الفضة. أما (تووين شيوي) فقد رفض المبدأ أساساً، ودخل المسلمون بإمرة (ماجولونغ) العاصمة عام ١٢٧٧ (١٨٦٠ م).

وهكذا انقسم المسلمون إلى قسمين مختلفين قسم بإمرة (ماجولونغ) في العاصمة (يونّانفو)، وقسم بإمرة (تووين شيوي) في (تاليفو).

بدأ الصراع بين الطرفين، ورجحت كفة (تووين شيوي) الذي استطاع أن يفرض الحصار على العاصمة (يونّانفو) قاعدة خصمه وذلك عام ١٢٨٦ هـ، ثم دالت عليه الأيام، وهُزم، واضطر في النهاية أن يسلّم نفسه للوالي في ١٥ ذي القعدة من عام ١٢٨٩ هـ (١٥ كانون الثاني من عام ١٨٧٣ م).

٣ - **طريق التجارة البحرية**: وصل المسلمون إلى الصين عن طريق البحر، وقد اتجهوا إليها تجاراً ودعاةً بل كان التجار هم الدعاة وما كانت التجارة لديهم إلا وسيلةً للسفر والاتصال بالناس كي يدعوهم إلى عبادة الله. وكانت مدينة «كانتون» أول مكان استقرّوا فيه، ومنها توغلّوا إلى الداخل، فوصلوا إلى مدن (تشوان تشو) و(يانغ تشو) و(هانغ تشو) على ضفاف نهر (يانغ تسي).

وتروي بعض الكتب أن أول مبعوث مسلم وصل إلى الصين أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، رضي الله عنه، عام ٣٤ هـ. ويبدو أن الروم والفرس قد حاول كل منهما الاستعانة بملك الصين ضد المسلمين وخوفوه منهم فطلب يستوضح الخبر فأرسل له الخليفة بعثة تبين له الإسلام. كما بلغ

عدد البعثات الإسلامية إلى الصين أيام الأمويين ست عشرة بعثة، وأيام العباسيين اثنتي عشرة بعثة.

كان للمسلمين في كانتون حياتهم الاجتماعية والسياسية الخاصة بهم، حيث كانت لهم محلّة خاصة غربي المدينة تُعرف باسم (فانغ فنغ) أي محلّة الأجانب، ولهم شيخ منهم يتولّى أمورهم باسم ملك الصين. وقد بنى في كانتون مسجد الذكرى في القرن الثاني الهجري، ويُعرف بجامع المنارة.

أما في مدينة (تشوان تشو) فقد وجدت فيها جالية إسلامية منذ عصر (سونغ)، وكان المسلمون يسكنون في محلّة خاصةٍ بهم، تقع على جانب النهر جنوب المدينة، ثم اتصلت بالمدينة نتيجة زيادة عدد المسلمين، وقد بنى فيها أحد التجار العرب ويُعرف باسم مجيب مظهر الدين مسجداً عام ٥١٥ هـ، ويُعرف بالجامع الطاهر، ويُعدّ اليوم من الأبنية الإسلامية الأثرية. وقد زار الرحالة ابن بطوطة المنطقة في عهد المغول، والتقى بالعلماء فيها ومنهم شرف الدين التبريزي، وبرهان الدين الكازروني.

وسكن المسلمون في مدينة (هانغ تشو) داخل باب السلام، وبنوا المساجد والمدارس هناك، وزارهم ابن بطوطة أيضاً، وسمّى (هانغ تشو) الخنساء، وذكر أنها مؤلفة من ست مدنٍ، وقال: إن الملك يقيم في المدينة السادسة، والمسلمون في الثالثة.

المسلمون في الصين: مما سبق يظهر أن المسلمين قد انتشروا في كل أرجاء الصين، ولكن تختلف نسبتهم بين منطقة وأخرى حسب الطرق التي دخل منها المسلمون.

ففي الغرب نلاحظ تركستان الشرقية وتُعدّ جزءاً من العالم الإسلامي، وقد دخلها المسلمون فاتحين واستقرّ بعضهم فيها، ونرى أن نسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٥٪، وأما الباقي وهو ٥٪ فهم من المستعمرين سواء أكانوا من الصينيين البوذيين أم من الروس النصارى الأرثوذكس. وتبلغ مساحة

تركستان الشرقية ١,٧١٠,٧٤٥ كيلومتر مربع أي ما يُعادل مساحة ليبيا، ويقدر عدد سكانها بثمانية ملايين ونصف المليون، ويعود سكانها إلى أصول تركية منهم: الأويغور ويُمثّلون ٨٠٪ .

القازاق ٩ ٪ .

القيرغيز ٢ ٪ .

الأوزبك ١ ٪ .

المغول ٢ ٪ .

العرب (الهوي) ١ ٪ .

الصينيون والروس ٥ ٪ .

وإلى جوار تركستان مقاطعات تعدّ أيضاً تتمة للعالم الإسلامي لأن المسلمين يُشكّلون نسبة كبيرة بين السكان تزيد على ٥٠٪، وقد انتشر الإسلام في هذه المناطق نتيجة المجاورة لتركستان أي القرب من المسلمين، وأسلم عدد من المغول بعد اعتناق أبناء جلدتهم الإسلام في العالم الإسلامي، كما دفعت غارات المغول في القرنين السابع والثامن أمامها جموعاً من المسلمين إلى أراضي الصين، وقد استقرّوا في تلك الديار. كما وصل الدعاة إلى هذه المناطق فكان لهم أثرهم في نشر الإسلام. ومن هذه المقاطعات: كانسو: وتبلغ مساحتها ٣٦٧ ألف كيلومتر مربع أي ضعف مساحة سوريا، ويُقدّر عدد سكانها بثلاثة عشر مليوناً إذ تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٧٩٪ من مجموع السكان، ومعظم المسلمين فيها من جماعة (الأويغور) أحفاد المغول، ويُسمّيهم الصينيون (هواي هواي)، أما هم فيؤثرون اسم (كياومن) أي أهل الدين، وقد قسم الصينيون هذه المقاطعة لإضعاف قوة المسلمين. وأما مقاطعة (نينغ هسيا) وهي تجاور مقاطعة (كانسو) بل كانت جزءاً منها، وهي منطقة صغيرة تبلغ مساحتها ٦٦,٥٠٠ كيلومتر مربع، ويُقدّر عدد سكانها بمليوني نسمة، وتُعادل نسبتهم ٧٥٪ من مجموع السكان أي أن عددهم يساوي مليون ونصف المليون.

وتقلّ نسبة المسلمين من الغرب إلى الشرق أي تقلّ كلما ابتعدنا عن العالم الإسلامي، وإذا لاحظنا منطقة ارتفعت فيها نسبة المسلمين فذلك لسببٍ من الأسباب مثل مقاطعة يونّان التي تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٣٠ ٪ من مجموع السكان بسبب أثر السيد الأجل شمس الدين عمر وحكمه للمقاطعة أيام المغول، ولاقترابها من الهند ثانيةً، كما أن بعض المقاطعات قد تولّى أمرها حكام مسلمون. فنجد نسبة المسلمين ٣٥ ٪ في مقاطعة (شنسي) التي تجاور مقاطعة (كانسو) ثم تهبط إلى ١٧ ٪ في مقاطعة (شانسي)، وتقلّ النسبة عن ١ ٪ في مقاطعة (كوانغ سي) التي تقع على حدود الصين مع فيتنام إذ لا يوجد فيها سوى أربعين ألف مسلم، على حين يبلغ عدد سكان المقاطعة أربعةً وعشرين مليوناً، ويتجمع ثلث المسلمين في العاصمة (كوين لين). وتصل نسبة المسلمين إلى ١٠ ٪ في مقاطعة (هيونان)، و١٢,٥ ٪ في مقاطعة (هيوبه)، و٦,٥ ٪ في (هونان)، و٥ ٪ في (كيانغ سي)، وأقل من ١ ٪ في (آن هوي)، وفي (كوي شو)، وفي (منغوليا الداخلية)، وفي (كيرين) في منشوريا، وفي (هليونغ ليانغ) في منشوريا أيضاً، وفي التيبت التي أصبحت ثلاث مقاطعات هي: (التيبت) و (شامدو) و (تسينغ هاي).

وتعود نسبة المسلمين إلى الزيادة نسبياً في المناطق الساحلية إذ نجد النسبة ٢,٥ ٪ في مقاطعة (كوانغ تونغ) إلا أن قسماً كبيراً من المسلمين يُقيم في عاصمة الولاية (كانتون) لذا فنسبتهم في المقاطعة قليلة، ولم يبق من مساجد هذه المدينة سوى خمسة مساجد. وتصل النسبة إلى ١١ ٪ في مقاطعة (فوكيين)، ويتجمّع اكثر مسلمي هذه المنطقة في مدينتي (آموي) و(تشانغ تشو) اللتين تقعان في جنوبي المقاطعة، وللمسلمين في كل من هاتين المنطقتين عدد من المساجد. وتقلّ نسبة المسلمين في مقاطعة (تشيكيانغ) فلا تزيد على ٤ ٪ بعد أن كانت أكثر من هذا بكثير، وتعدّ مدينة (هانغ تشو) أكبر مدينة يقطنها المسلمون اليوم في تلك المقاطعة. وقد ورد اسم هذه المدينة

كثيراً لدى الجغرافيين المسلمين، وذكر ابن بطوطة أنه لاحظ فيها محلةً إسلاميةً عظيمةً، ولم يبق منها اليوم سوى بضع مئات من الأسر الإسلامية، وأربعة مساجد. ثم تزداد نسبة المسلمين في (شانغهاي) فتصل إلى ١٣,٦٪ من مجموع سكان المقاطعة بسبب اتساع التجارة القائمة في المدينة.

ثم تنخفض نسبة المسلمين ثانية في مقاطعة (كيانغ سو) فلا تزيد على ١,٥٪ وذلك بسبب اتجاه خط الساحل نحو الداخل وقلة المرافىء التجارية الأمر الذي لا يستدعي قدوم التجار المسلمين إليها، ولا مرور السفن بالقرب من سواحلها، ولعلّ مدينة (تانغ كينغ) الداخلية أكبر المدن التي يتجمّع فيها المسلمون، حيث يقيم فيها اليوم عشرون ألفاً، ولهم خمسة وعشرون مسجداً.

ومع تقدم خط الساحل إلى الأمام، وتكوين شبه جزيرة (شانتونغ) تتقدّم التجارة حيث تضطر السفن للمرور فيها الأمر الذي يستدعي زيادة نسبة المسلمين حيث تصل إلى ٦٪ في المقاطعة كلها، على حين ترتفع إلى أكثر من ذلك في المناطق الساحلية.

ويقيم في العاصمة بكين عدد من المسلمين، وهي اليوم تُشكّل مقاطعةً خاصةً، وإن كانت ليست ساحليةً إلا أنها كانت من مقاطعةٍ ساحليةٍ تعرف باسم (تشيهلي)، وبصفتها العاصمة، ومدينة كبيرة فإن نسبة المسلمين ترتفع إلى ١٠٪، وهي نسبة المسلمين في الصين كلها، وذكرنا أنه كان يوجد في الصين أربعون مسجداً، ويعود أكثرها إلى العهد المغولي. وقد أرسل السلطان العثماني عبد الحميد بعثةً أسست في بكين مدرسةً فأقبل عليها المسلمون إقبالاً جيداً، وكان في بكين جريدة للمسلمين تعرف باسم (تشنغ تشونغ نغاي كوباو) أي الجريدة الوطنية.

أما المقاطعة المحيطة بالعاصمة بكين والتي تُعرف باسم (هوبه) فإن نسبة المسلمين فيها ٥,٥٪، ويؤلف ساحلها خطاً متراجعاً من الشاطىء الأمر الذي

يُقلّل من قدوم السفن إليها ، وإن كانت ترسو السفن هناك في منطقةٍ صغيرة آخر الخليج لتُفرّغ البضائع المحمولة إلى العاصمة القريبة .

ويبدو أن سفن المسلمين قديماً كانت آخر محطاتها الخليج الذي يقترب من العاصمة بكين، وما بعد ذلك فلا يذهب إليه التجار المسلمون لذا فإن عددهم يقلّ حتى يكاد ينعدم في الشرق، وإن مقاطعة (لياونينغ) التي تُؤلّف جنوبي منشوريا تقلّ فيها نسبة المسلمين عن ٠,٥ ٪.

ولعلّ عدم ذهاب التجار المسلمين إلى مناطق أبعد من الصين إنما يعود لأسبابٍ كثيرةٍ منها : أن السكان يقلّون وترتبط التجارة مع كثرة السكان ، وكثيراً ما كانت الدعوة ملازمةً للتجارة، ومنها بدء زيادة البرد ، ومنها السفن الشراعية التي كانت وحدها هي المعروفة والتي يصعب عليها أن تبتعد كثيراً عن السواحل التي يكثر فيها المسلمون ، وربما زيادة البعد يستدعي زيادة في الغياب عن أهل البلاد وهذا غير مفضل، وربما كان المسلمون يُفضّلون تثبيت دعائم الإسلام في منطقة قبل الانتقال إلى غيرها و . . .

ويبدو أن الضغط الشديد الذي مارسه الأباطرة المانشوريون ضدّ المسلمين قد جعل المسلمين يركنون إلى الهدوء ، ويلجؤون إلى الجانب السلمي ، كما رغب الأباطرة بالحلّ نفسه ، ووافقوا على إعطاء ترخيص لإمام مسجد بكين (الياس عبد الرحمن وانغ) بإنشاء معهد إسلامي يُدرّس باللغة العربية وذلك عام ١٣٢١ هـ.

وكان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني يدعو إلى الجامعة الإسلامية ، ورغب في معرفة أخبار المسلمين في الصين فأرسل أحد رجاله ويُدعى أنور باشا لهذه الغاية ، ولكن المبعوث لم ينجح فيما أرسل من أجله. غير أن إمام مسجد بكين الياس عبد الرحمن وانغ قد زار استانبول، والتقى بالسلطان ، واقترح عليه إرسال بعثةٍ للصين، فوافق السلطان وأرسل اثنين هما : حسن

ورضا حافظ، فأسسا مدرسةً في مسجد في بكين، وبلغ عدد طلابها مائة وعشرين طالباً. غير أن السلطة الصينية قد لاحقت هذين المبعوثين بحجة اتصالها بالمسلمين وتطوافهما في مراكز المسلمين. فالتجأ الرجلان إلى سفارة ألمانيا في بكين... وأخبرت السفارة الألمانية استانبول بذلك غير أن السلطات الصينية لم ترع حصانة للسفارة فاقتحمت السفارة، وفرّ الرجلان إلى السفارة الفرنسية فحمتهما، وأعادتهما إلى استانبول.

المسلمون في العهد الجمهوري: إن نتيجة اضطهاد الحكم المنشوري للمسلمين جعلهم يُؤيّدون قيام الحكم الجمهوري الذي قاده (سون يان سين) والذي لُقّب بأبي الجمهورية، هذا إضافةً إلى عدم الرضا عن الحكم السابق والناشيء من الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار، وقد تمكّن أنصار الحكم الجمهوري من السيطرة على البلاد عام ١٣٢٩ هـ، وتأسّست الجمهورية ـ حسب أقوال أنصارها ـ على الوطنية والديمقراطية والمساواة، وعُدّ المسلمون أحد العناصر الخمسة التي تتكوّن منها الأمة الصينية ـ على رأيهم ـ وهي:

١ ـ العنصر الصيني.
٢ ـ العنصر المانشوري.
٣ ـ العنصر المغولي.
٤ ـ العنصر الإسلامي (الهوي).
٥ ـ عنصر التيبت.

ومن ثم كان العلم الصيني مؤلفاً من خمسة ألوان هي: الأحمر، والأزرق، والأصفر، والأبيض، والأسود، ويشير اللون الأبيض إلى المسلمين. واستقرّت الأوضاع بشكلٍ عام باستثناء تركستان الشرقية. وكانت بعض المؤسسات الإسلامية تُؤدّي جزءاً من دورها.

المؤسسات الإسلامية: قامت بعض المؤسسات للمسلمين في العهد الجمهوري، وكان هدفها الاهتمام بتعليم أبناء المسلمين ورعايتهم ومن أهم هذه المؤسسات.

١ ـ جمعية التقدّم للمسلمين: وتأسست في بكين عام ١٣٣٠ هـ أي بعد عام تقريباً من قيام الحكم الجمهوري، ونهض بها أحد وجهاء أهل بكين وهو (وانغ هاو زين)، وقد وضع مخططاً لتعليم أبناء المسلمين، وسعى لأن تكون في كل مسجد مدرسة للتعليم، واعتمد على التبرعات، وقد لقيت نجاحاً وإقبالاً من أكثر المسلمين.

٢ ـ جمعية الأدب الإسلامي: وقام بها الحاج هلال الدين في شنغهاي عام ١٣٤٤ هـ، وهدفها التعليم الإسلامي، وإيجاد العلاقات بين الدول الإسلامية، ودعم الأعمال الخيرية، والدعوة إلى الإسلام، وإصدار مجلة إسلامية شهرية، وغدا لها عدد من المراكز التابعة لها ومن أبرزها.

دار المعلمين (تشندا) في بكين: وقد تأسّست عام ١٣٤٤ هـ في مدينة (تشي نان) عاصمة مقاطعة (شانتونغ)، ثم نقلت إلى بكين عام ١٣٤٨، وكان لها مطبعتان إحداهما عربية والأخرى صينية، وعندما احتلّ اليابانيون شمالي الصين انتقلت عام ١٣٥٦ هـ إلى (كوين لين) عاصمة (كوانغ سي) في الجنوب على مقربة من فيتنام. وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية عادت إلى بكين، وأخيراً أصبحت فرعاً لمعهد الصين الإسلامي.

والمدرسة الإسلامية في شنغهاي.

ومدرسة (تيهوا) الثانوية في شنغهاي.

ومدرسة شمال غربي الصين لأبناء المسلمين في بكين.

وكلية النبي محمد، ﷺ، في (هانغ تشو).

ودار المعلمين (يونغ تونغ) في مدينة (نينغ هشيا).

ومدرسة الهلال للبنات في بكين.

٣ ـ اتحاد المسلمين وقد تأسس في شنغهاي عام ١٣٥٨ هـ، ويضمّ أكثر الزعماء وأصحاب النفوذ، وكان يلقى دعم اليابانيين.

٤ ـ الجمعية الاتحادية الإسلامية للصين: وتأسست عام ١٣٥٧ هـ، وكان هدفها مقاومة اليابانيين ومحاربة دعايتهم.

قضية تركستان الشرقية: قلنا إن الأوضاع قد هدأت في الصين بعد قيام الحكم الجمهوري باستثناء تركستان إذ بقيت المشكلات فيها، وما ذلك إلا بسبب تصرّف الصينيين. وسبق أن قلنا أيضاً: إن العهد الإمبراطوري المنشوري لما استولى على تركستان الشرقية ألغى نظام البكوات الذي كان قائماً، ووحد أقسام تركستان في ولايةٍ واحدةٍ جعل قاعدتها (أورومجي) إلا مدينة حامي حيث أبقى نظام البيك أو الشاه فيها فكان يسمى حاكمها (حامي وانغ) أن شاه حامي، وعندما قام النظام الجمهوري كان مسعود بيك هو حاكم منطقة حامي، وكان طاغيةً جباراً كرهه الناس، وحكم على عدد من رعاياه بالقتل، فتقدّم أهل المنطقة بكتاب استرحام إلى الحكومة بقبول رفع قضاياهم إليها دون حاكمهم، ونصحت الدولة الحاكم بالكفّ عن أسلوب حكمه، فأظهر القبول لكنه لم يلبث أن عاد وقتل من سبق أن وعد بالعفو عنهم، فثارت ثائرة السكان المسلمين، وقتلوا المفوض السياسي (آي شانغو) في مدينة (نان شان كو)، وانتخب الثائرون (تيمور) أميراً لهم، كما انضمّ إليهم أحد الزعماء وهو (خوجانياز)، وقاتلوا جيش الصين الذي جاء لحربهم بإمرة (يوان). ولكن هذا القائد قد عرض السلم والصلح، وأعطى الأمان لـ (تيمور) ولجنده، وأكّد العفو وإلحاق الثائرين بجيش الصين مع الأعطيات والرتب، كما عرض الأماني، فقبل تيمور وغادر البلاد إلى روسيا وانتهت الحركة.

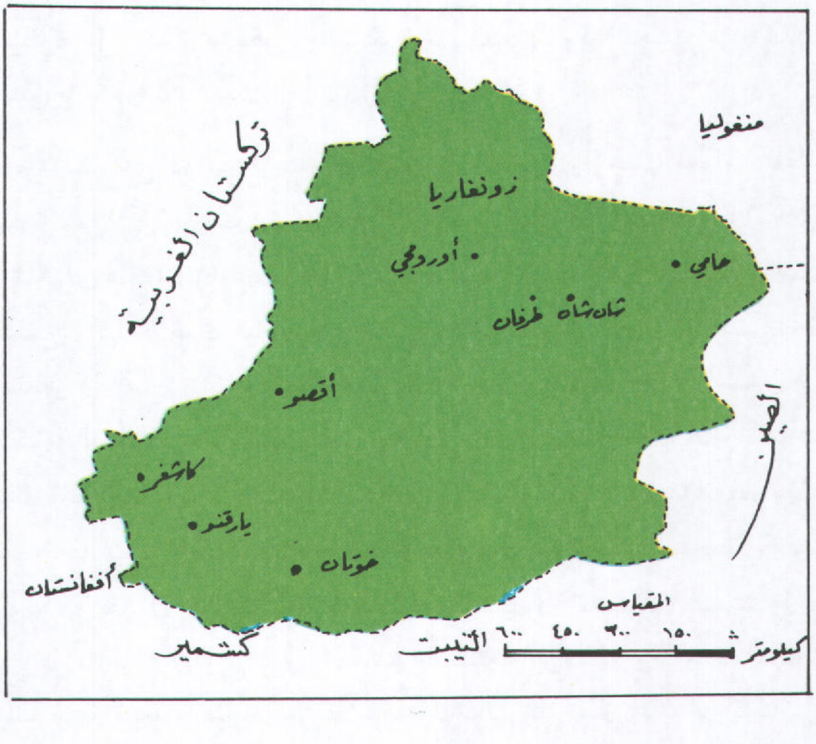
ثم قامت حركة أخرى عام ١٣٤٩ هـ، وكان قد تولّى حكم حامي شاكر بيك بن مسعود بيك، وكان ضعيفاً فجاء الحاكم العام الصيني وقسّم منطقة حامي إلى ثلاثِ وحداتٍ إداريةٍ، فبدأ التذمر، ثم حدث اعتداء من رئيس الشرطة على امرأة مسلمة، فامتلأ أهلها حقداً وغيظاً وتظاهروا بإقامة حفل

على شرف رئيس الشرطة وقتلوه أثناء الحفل مع حرسه البالـغ عـددهـم اثنين وثلاثين جندياً، وثاروا على السلطة فوقـف المسلمـون بجانبهـم واعتصمـوا في المرتفعات. وطلب الحاكم العام الدعم من روسيا فأمدته بقوةٍ فلم تجد نفعاً إذ انتصر المسلمون، واستولوا على مدينة (شانشان) كما سيطروا على (طرفان)، واقتربوا من (أورومجي) قاعدة تركستان. وأرادت الحكومة تهدئـة الوضع، والسـؤال عـن الحاكم العـام، فكـان الاقتراح عـزل الحاكم العـام، غير أن المسلمين كانوا قد تمكنوا من الاستيلاء على (أورومجي) وطرد الحاكم العام قبل أن تعزله الدولة، وتسلّم قادة المسلمين السلطة في الولاية ووزعوا المناصب والمراكز على أنفسهم فما كان من الحكومة إلا أن رضخت للأمر الواقع واعترفت بما حدث، وأقرّت لقادة الحركة بالمراكز التي تسلّموهـا، وهـدأت الأمور.

ولما اضطربت الأمور في حامي عام ١٣٤٩ هـ بسبب اعتداء رئيس الشرطة على المرأة المسلمة حدث اضطراب بين المسلمين في كل منطقة تركستان الشرقية بل في كل مكان وصل إليه الخبر وسكانه من المسلمين فقام (تيمور) واستولى على مدينة (آقسو)، كما قام زعيم آخر اسم (أمين) واستولى على مدينة (خوتان)، ثم اتفقا واتجها نحو (كاشغر) واستوليا عليها، وكان فيها (ثابت داملا) أي الملا الكبير، فوجدها فرصة، وأعلن قيام حكومة كاشغـر الإسلامية، وكان أيضاً (خوجا نياز) قد جاء إليها للتفاوض مع الثائـريـن للصلح فوافقهم وانضمّ إليهم، وأُطلق على الحكومة الجديدة اسم «الجمهورية الإسلامية في تركستان الشرقية» وقامت يوم ٢١ رجب من عام ١٣٥٢ هـ (١٢ تشريـن الثـاني ١٩٣٣ م) على المبـادىء الإسلاميـة، وقـد اختير (خوجانياز) رئيساً للدولة، و(ثابت داملا) لرئاسة مجلس الوزراء. ولكن لم تلبث هذه الحكومة طويلاً إذ داهمها الروس والصينيون وقضوا عليها في شهر ربيع الأول من عام ١٣٥٣ هـ (حزيران عام ١٩٣٤ م) وأُعدم (خوجا نياز) و(ثابت داملا) وأعضـاء الحكـومـة جميعهـم مـع عشرة آلاف مسلم.

وكانت مساعدة الروس للصين بالأعوان، وبالأسلحة، والذخائر، والمعدات الحربية، والطائرات مع قائديها والمستشارين، وتقديم نصف مليون روبل روسي ذهبي مقابل حق الروس في التنقيب واستثمار الثروات المعدنية، والحصول على الثروات الحيوانية، واستخدام عدد من الروس في الخدمات الإدارية في تركستان، وحفظ الجيش الروسي للأمن الداخلي.

ولم تلبث أن اندلعت نار الحرب العالمية الثانية، وعادت روسيا تدعم الصين لقتالها ضدّ اليابان التي احتلت شمالي الصين، وسدّدت ضرباتٍ ناجحةً في جنوب شرقي آسيا، فلما انتهت الحرب عادت روسيا لتحقيق أغراضها في الصين وتوسيع مستعمراتها بمحاولات لاقتطاع تركستان الشرقية وضمها إلى مستعمراتها.



مصور رقم [١٣].

ثم قام علي خان بحركة عصيان في منطقة (ايلي) في شمالي تركستان، وأخرج الحامية الصينية، وأنشأ إدارة مستقلةً عن (أوروبجي)، وربما دعمته في هذا روسيا.

وحصلت تركستان الشرقية على الاستقلال الذاتي عام ١٣٦٦ هـ، وعُيّن مسعود صبري رئيساً للحكومة، وأمين بوغره نائباً للرئيس، وعيسى يوسف أميناً عاماً للسر.

الحرب العالمية الثانية واليابانيون: بدأت اليابان بعد الحرب العالمية الأولى تفكر في السيطرة على القارة الآسيوية، ومن أجل هذا يجب أن تكون صلتها حسنة بالمسلمين لأنهم يُشكّلون ما يقرب من ٣٠٪ من مجموع سكان هذه القارة، لذا بدأت تهتمّ بهم، وفي الوقت نفسه كانت ترى أن بدء السيطرة على آسيا إنما يكون بالسيطرة على الصين، وقد تمكّنت من احتلال مانشوريا عام ١٣٥٠ هـ.

وعملت على دراسة أوضاع المسلمين في الصين، وأرسلت أعوانها للقيام بهذه المهمة، كما ادعت أنها حامية الإسلام، وصدرت مجلة (نور الإسلام) في شنغهاي عام ١٣٤٢ هـ، وحملت على الحكومة الصينية لأنها تقوم بأعمال ضدّ المسلمين. كما حرصت اليابان على كسب ود المسلمين في الصين. وتأسس اتحاد المسلمين في الصين، كما ذكرنا، عام ١٣٥١ هـ. وحاولت إثارة المسلمين على الحكومة الصينية، واستقبلت بعض الفارين من أواسط آسيا بعد نجاح الشيوعية هناك، فبدأت تظهر جالية إسلامية، وإن كانت صغيرةً إلا أنها تضمّ بعض العلماء، فدعمت الحكومة اليابانية نشاط هذه الجالية، وأُسّس مسجد في مدينة كيوتو، وآخر في كوبي. كما نظّمّ التركستانيون أنفسهم، فأنشأوا لهم المدارس، ومطبعة، وأصدروا مجلةً شهريةً باللغة التركية. وقامت بعثات يابانية بزيارة بعض البلدان الإسلامية، وتاجرت بما حصل عليه التركستانيون من معاملةٍ طيبةٍ في اليابان، حتى في الصين نشرت مجلة إسلامية في بكين

وتُسمّى « تشنغ تو » أي الصراط المستقيم في عددها الصادر في تموز من عام ١٩٣٢ م (ربيع أول ١٣٥١ هـ) مقالاً جاء فيه: إن امبراطور اليابان قد أصدر أمراً بمنح الحرية للمواطنين اليابانيين في اعتناق دين الإسلام إن رغبوا في ذلك.

وتقدّمت اليابان من عام ١٣٥٢ هـ حتى عام ١٣٥٧ هـ في شمالي الصين، واحتلّت بكين، ونظمت بعثةً عام ١٣٥٧ هـ مؤلفة من خمسة صينيين من أهل بكين للسفر إلى موسم الحج وأداء فريضة الحج، والاتصال بزعماء المسلمين في الموسم والعمل للدعاية لليابان، غير أن هذه البعثة قد اصطدمت ببعض الطلاب الصينيين الذين يدرسون في مصر.

وعملت اليابان على تنظيم المسلمين في الصين في المناطق التي احتلتها، وقام اتحاد المسلمين في الصين واتخذ إحدى الجامعات في شمالي الصين مقراً له، وأصدر مجلة « الإسلام »، وأصبح له ٣٩٤ فرع في مختلف أنحاء الصين، وكان النشاط يقوم على أساس محدد لكل فرع إذ قسمت الصين إلى مناطق رئيسية للنشاط. وبشكل عام كانت الحكومة اليابانية تعامل المسلمين معاملة أفضل من معاملة العناصر غير المسلمة. وفي الوقت ذاته كان الشيوعيون يعملون على التقرب من المسلمين، ويعدون الوعود المعسولة.

وفي الوقت الذي بدأت اليابان تتقدّم نحو الجنوب انتقلت الحكومة أيضاً نحو الجنوب أمام الزحف القادم من الشمال، ونقلت مقرّها من (نانكين) إلى (تشونغ كنغ)، ولم تعد تستطع السيطرة على المقاطعات الشمالية الغربية سيطرةً تامةً، الأمر الذي مهّد للشيوعيين القيام بنشاطٍ واسعٍ، إذ كانت حكومة الصين الوطنية التي لم تعد تسيطر إلا على جزء من الصين بصورةٍ فعّالةٍ وصحيحةٍ كانت تظنّ أن المقاطعات الشمالية الغربية ستقف في وجه المدّ الشيوعي لانتماء أبنائها إلى الإسلام، ولم تعرف مدى الجهل السائد، كما أن التعاون القائم بين حكومة الصين الوطنية وبين حكومة الامبراطورية الروسية لقتال اليابانيين قد مهّد أيضاً للنشاط الشيوعي. وأمام هذا النشاط فقد غُرّر

بكثير من المسلمين فقاتلوا بجانب الشيوعيين إما بسبب الجهل الذي يجعلهم لا يعرفون شيئاً عن الشيوعية، أو بسبب الوعود المعسولة التي قدّمها لهم الشيوعيون، أو بسبب الغفلة إذ انطلقوا يُقاتلون وهم يظنون أنهم يسيرون لقتال اليابان، وبذا فقد وزّع المسلمون بين الأجنحة المتصارعة كلها فاليابان تدّعي أن المسلمين يقفون بجانبها ويُؤيّدون حكومة الصين التي يشرفون عليها، والصين الوطنية تعتقد أن المسلمين معها ضدّ اليابان، كما أن الشيوعيين قد أثّروا على بعض المسلمين.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تمكّن الشيوعيون من السيطرة على شمال غربي الصين، وتوجّهوا نحو تركستان الشرقية بعد أن هُزم الجنرال (حسين مابوفانغ) في معركة (لانتشو) في مقاطعة (كانسو) يوم ٢٩ شوال عام ١٣٦٨ هـ (٢٥ آب ١٩٤٩ م)، بعد أن فقد عشرين ألفاً من جنده، وبعد قتالٍ متواصلٍ دام عشرين يوماً، ونجا هو بنفسه، وانتقل مع عائلته بالطائرة إلى جنوبي الصين، ثم سار إلى (هونغ كونغ). كما أن جماعة علي خان قد تقدّموا نحو الجنوب من مقاطعة (ايلي) في شمالي تركستان الشرقية حيث كان قد استقلّ فيها بدعم من الروس. وقامت الدعاية الروسية فأضعفت المعنويات. وتقدّم الشيوعيون نحو (أوروبجي) من جهاتٍ ثلاث، ففرّ من تركستان الشرقية زعماؤها المسلمون أمين بوغرا، وعيسى يوسف، وجلال الدين وانغ زين شان، والجنرال ماتشن هسيانغ قائد الحامية مع خمسمائة من الموظفين. وسيطر الشيوعيون على المنطقة، وفي بداية عام ١٣٦٩ هـ كانوا قد سيطروا على البر الصيني كله، وانتقلت حكومة الصين الوطنية إلى جزيرة فورموزا (تايوان) حيث استقرّت هناك، ولم يتمكن الشيوعيون من احتلال تلك الجزيرة إذ كانت الدول الغربية وخاصةً الولايات المتحدة الأمريكية تدعمها، وأصبح في الصين منذ ذلك اليوم حكومتان إحداهما شيوعية وتسيطر على البر الصيني كله باستثناء موقع (ماكاو) في الجنوب وإلى الجنوب من مرفأ (كانتون) ويخضع للسيطرة البرتغالية، وعلى الطرف المقابل له موقع

(هونغ كونغ) ويخضع للنفوذ الانكليزي ، والحكومة الثانية في تايوان وتدعى حكومة الصين الوطنية ، وتدّعي أنها الحكومة الشرعية .

وعندما سيطر الشيوعيون على الصين كان يُقدّر عدد المسلمين فيها بـأكثر من ثمانية وأربعين مليوناً ، في الوقت الذي كان عدد سكان الصين يُقدّرون بأربعمائة وثمانين مليوناً ، وهذا يعني أن المسلمين يُشكّلون ١٠٪ من السكان . وكان عدد المساجد في البر الصيني يزيد على اثنين وأربعين ألف مسجد . غير أن الشيوعيين قد أعطوا أرقاماً مخالفةً للواقع إذ قلّلوا من عدد المسلمين ومؤسساتهم ، ولم يصل عدد المسلمين في تقديراتهم إلى خمسة عشر مليوناً ، ولذا سأقدّم للقارىء الكريم جدولاً بالمقاطعات الصينية حسب التقسيمات التي كانت معروفةً يومذاك وعدد المسلمين في كل مقاطعة منها إضافةً إلى عدد المساجد فيها ، ودون الالتفات إلى التقديرات التي أعطاها الشيوعيون الذي يناهضون الإسلام بالدرجة الأولى .

المقاطعة	المساجد	عدد المسلمين
١ - تركستان « سينكيانغ »	٢٠٤٥	٢,٣٥٠,٩٥٠
٢ - كانسو	٣٨٩١	٣,٥١٠,٩٢٠
٣ - نينغ هسيا	٦٥٥	٧٥٣,٤٠٠
٤ - تسينغهاي	١٠٣١	١,١٨٦,٥٩٠
٥ - تشيهول	٢٤١	٢٧٨,٩٥٠
٦ - ولايات الشمال الشرقي	٦٥٧٠	٧,٥٣٣,٦٨٠
٧ - سوى يوان	٢٥٣	٣٨٤,٦٢٠
٨ - جهاهار	١٧٥	١٧٥,٠٥٠
٩ - هوبه	٢٩٤٢	٢,٣٧٩,٤١٠
١٠ - هيونان	٢٧٠٣	٣,٠٩٤,٨٠٠
١١ - شنسي	٢٦١٦	٤,٢١٩,٠٩٠

المقاطعة	المساجد	عدد المسلمين
١٢ ـ شانسي	١٩٣١	١,٥٨٩,٥٧٠
١٣ ـ شانتونغ	٢٥١٣	٢,٨٩٠,٤٣٠
١٤ ـ يونّان	٣٩٧١	٤,٥٦٨,٢٩٠
١٥ ـ كوي شو	٤٤٩	٥١٩,١٦٠
١٦ ـ ستشوان	٢٢٧٥	٢,٦١٥,٣٣٠
١٧ ـ كوانغ سي	٤٢٩	٢٨٠,١٨٠
١٨ ـ كوانغ تونغ	٢٠١	٥٥٨,٤٥٠
١٩ ـ هونان	٩٣٢	١,٣٠٢,٩٠٠
٢٠ ـ هيوبه	١١٣٤	١,٥٨٧,٠٨٠
٢١ ـ كيانغ سي	٢٠٥	٢٨٦,٥٩٠
٢٢ ـ تشيكيانغ	٢٣٩	٣٥٧,٣٠٠
٢٣ ـ آن هوي	١٥١٥	٢,٢٨٨,٥٨٠
٢٤ ـ كيانغ سو	١٣٠٢	١,٩٦٣,١٧٠
٢٥ ـ فوكيين	١٥٧	٤٧١,٥٧٠
	٤٢,٣٧١	٤٨,١٠٤,٢٤٠

الحكم الشيوعي: عندما سيطر الشيوعيون على الصين في مطلع عام ١٣٦٩ هـ انتقلت حكومة الصين الوطنية إلى تايوان، وانتقل معها عدد من المسلمين. ولكن الشيوعيين أظهروا شيئاً في التسامح الديني في بداية أمرهم كي يثبتوا أقدامهم، غير أن هذا التسامح كان مخططاً له، ومن أجل تقييد حرية المسلمين حتى لا يتصرّفوا أي تصرّف إلا برأي الحزب، وكي يعطوا معلومات للزوار تنسجم وما يريدون، وليطبعوا باسم الإسلام كتباً مُضلّلة من أجل هذا كله شكّلوا جميعةً في البر الصيني حملت اسم « الجمعية الإسلامية الشعبية » كان من أعضائها حاكم تركستان الشرقية « سينكيانغ » برهان الدين

شهيدي، وسيف الدين كبير. وقد قامت هذه الجمعية بإنشاء عددٍ من المراكز التعليمية والاجتماعية والتي حملت اسم الإسلام أيضاً. وألفت الكتب عن الإسلام حسب وجهة نظر الشيوعية، كما طبعت القرآن الكريم وبهامشه تفسير حسبما يرى رجال الحزب، وبدأت ترسل البعثات إلى الحج ممن تختارهم لا ممن يرغب، وكانت أول هذه البعثات عام ١٣٧٥ هـ. وأسّست معهد بكين الإسلامي في ذلك العام، والذي كان يصدر عنه مجلة «المسلمون في الصين». وكانت أيضاً تصوّر أفلاماً عن حياة المسلمين وترسلها إلى أمصار العالم الإسلامي للدعاية الشيوعية.

وتعمّقت جذور الشيوعية في الصين فترك سدنتها ما كانوا قد أظهروه من تسامح، ولقد بدؤوا بمصادرة الأوقاف الإسلامية فاحتجّ بعض المسلمين، ففرض الشيوعيون حصاراً اقتصادياً على مدينة «خوتان» في تركستان ذهب ضحيته عشرة آلاف مسلم. ورفض المسلمون إرسال بناتهم ليعشن حياةً مشتركةً مع الشباب حسب أوامر وتعليمات الشيوعية، فأُبيد ثلاثة آلاف وخمسمائة مسلم في مدينة كاشغر في مطلع عام ١٣٧٧ هـ. وأُغلق معهد بكين الإسلامي عام ١٣٧٩ أي لم يستمر سوى اربع سنوات، ومع إغلاق توقّف صدور مجلة «المسلمون في الصين» التي كان يُصدرها. وكذلك مُنعت البعثات إلى الحج منذ عام ١٣٨٤ هـ. ورفض الشيوعيون إرسال بعثات للأزهر في مصر للتعليم، وكانت آخر بعثة ذهبت عام ١٣٥٦ هـ. وفرضت الحياة الجماعية في المعسكرات التي تُقام عادةً، وعُزل المسلمون في كيانات صغيرة باسم «الحكم الذاتي». وبدأ نقل أسر مسلمة كاملة من تركستان، وكانسو، وشنسي، ويونّان لتقيم في الأماكن البوذية، وكان يحلّ مكانها أسر بوذية... كان كل ذلك يدعو إلى انتفاضاتٍ محليةٍ أو انتقادات فردية يعقبها إبادة كاملة للمحلّة أو المنطقة مهما اتسعت ما دام فيها من يثير على الحكم.

وزادت الأمور صعوبة عندما بدأت الثورة الثقافية عام ١٣٨٦ هـ إذ أُغلق

الكثير من المساجد، وأُبيد الكثير من الفئات المعارضة، والتهمت الثورة كل ما خلّف المسلمون في الصين من تراث وأتت على كثيرٍ من الآثار، بل وأطاحت بما نتج عن مرحلة التسامح الديني الذي أبداه الشيوعيون في بداية أمرهم، وشعر جميع من ينتمي إلى الإسلام حتى ولو كان ممن أضلّه الله أن الثورة الثقافية إنما كانت تهدف المسلمين قبل كل شيء، وتبغي أن تأتي عليهم وعلى كل ما يتصل بهم، وكانت السنوات العشر العجاف ١٣٨٦ - ١٣٩٦ هـ.

ومات ماوتسي تونغ رمز الشيوعية الصينية وحدثت خلافات على السلطة، ورجع الشيوعيون إلى المراقبة تحت عناوين لا تحمل تحتها أي مضمون والتوجيه وبثّ الفكر الشيوعي من خلالها، وتطبيق المبادىء والفساد بواسطتها، مات ماوتسي تونغ عام ١٣٩٦ هـ، وأُعيد فتح معهد بكين الإسلامي ليُدّرس العلوم من وجهة النظر الشيوعي، وأعيد معه إصدار مجلة «المسلمون في الصين» لتثبتّ الدعاية الشيوعية، وليُسجّل أقلامها ما يريده ساداتها، وعادت البعثات إلى الحج بدءاً من عام ١٣٩٩ هـ ليطلع رجالها على ما يدور هناك، وأعيد فتح ألف وتسعمائة مسجد في تركستان لتُؤدّي غرضاً من فتحها في استقبال الزوار والدعاية بالحرية. والضغط قائم، والحرية ممنوعة بكل أشكالها، والقتل قريب جداً ممن يُفكّر في أمر قد لا يرضى عنه الشيوعيون.

وفي الجنوب موقع هونغ كونغ الذي لا يزال تحت السيطرة الإنكليزية، منذ أن استولوا عليه عام ١٢٥٨ هـ. ويسكن في هونغ كونغ عشرة آلاف مسلم بين أربعة ملايين، وبذا تكون نسبة المسلمين أقل من نصف بالمائة.

وإلى الغرب من موقع هونغ كونغ على الطرف الثاني من الخليج موقع ماكاو الذي كان تحت سيطرة البرتغاليين، ولا يزيد عدد سكانه على نصف مليون، كما لا تزيد نسبة المسلمين فيه على نصف بالمائة.

ويزيد عدد سكان الصين الشعبية على مليار إنسان، ولما كانت نسبة

المسلمين فيها حوالي ١٠٪ لذا فإن المسلمين فيها اليوم يزيدون على المائة مليون، ويتوزعون على مختلف المقاطعات الصينية بنسبٍ مختلفة، لذا رأيت أن أُدرج هذه المقاطعات حسب التقسيمات الحالية، ومساحة كل مقاطعة مع عدد المسلمين فيها، ونسبتهم المئوية بالنسبة إلى مجموع سكانها.

المقاطعة	المساحة بالكلم²	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١ - تركستان الشرقية	١,٧١٠,٤٥٠	١١,٩٠٠,٠٠٠	١١,٣٠٥,٠٠٠	٩٥٪
٢ - كانسو	٣٦٧,٠٠٠	١٨,٢٠٠,٠٠٠	١٤,٣٧٨,٠٠٠	٧٩٪
٣ - نينغ هسيا	٦٦,٥٠٠	٢,٨٠٠,٠٠٠	٢,١٠٠,٠٠٠	٧٥٪
٤ - ستشوان	٥٧٢,٠٠٠	٩٨,٠٠٠,٠٠٠	٧,٨٤٠,٠٠٠	٨٪
٥ - يونّان	٤٣٧,٠٠٠	٣٢,٢٠٠,٠٠٠	٩,٦٦٠,٠٠٠	٣٠٪
٦ - شنسي	١٩٦,٠٠٠	٢٩,٤٠٠,٠٠٠	١٠,٥٨٤,٠٠٠	٣٦٪
٧ - شانسي	١٥٧,٠٠٠	٢٥,٢٠٠,٠٠٠	٣,٧٨٠,٠٠٠	١٥٪
٨ - كوانغ سي	٢٢٠,٠٠٠	٣٣,٦٠٠,٠٠٠	٥٧,١٢٠	٠,١٧٪
٩ - هيونان	٢١١,٠٠٠	٥٣,٢٠٠,٠٠٠	٥,٥٨٦,٠٠٠	١٠,٥٠٪
١٠ - هونان	١٦٧,٠٠٠	٧٠,٠٠٠,٠٠٠	٤,٥٥٠,٠٠٠	٦,٥٠٪
١١ - هيوبه	١٨٨,٠٠٠	٤٤,٨٠٠,٠٠٠	٥,٦٠٠,٠٠٠	١٢,٥٠٪
١٢ - منغوليا الداخلية	١,١٨٣,٠٠٠	١٨,٢٠٠,٠٠٠	١٩,٠٠٠	٠,١٠٪
١٣ - كوي شو	١٧٤,٠٠٠	٢٨,٠٠٠,٠٠٠	٢٨,٠٠٠	٠,١٠٪
١٤ - آن هوي	١٣٠,٠٠٠	٤٩,٠٠٠,٠٠٠	٩٨,٠٠٠	٠,٢٠٪
١٥ - كيانغ سي	١٦٥,٠٠٠	٣٢,٢٠٠,٠٠٠	١,٢٨٨,٠٠٠	٤٪
١٦ - كوانغ تونغ	٢٣٤,٠٠٠	٥٦,٧٠٠,٠٠٠	١,٤١٧,٥٠٠	٢,٥٠٪
١٧ - فوكيين	١٣٤,٠٠٠	٢٥,٢٠٠,٠٠٠	٢,٥٢٠,٠٠٠	١٠٪
١٨ - تشيكيانغ	١٠٥,٠٠٠	٤٣,٤٠٠,٠٠٠	١,٧٣٦,٠٠٠	٤٪
١٩ - شنغهاي	٥,٠٠٠	١٤,٠٠٠,٠٠٠	١,٩٠٤,٠٠٠	١٣,٦٠٪
٢٠ - كيانغ سو	١٠٥,٠٠٠	٦٥,٨٠٠,٠٠٠	٦٥٨,٠٠٠	١٪
٢١ - شانتونغ	١٥٦,٠٠٠	٧٩,٨٠٠,٠٠٠	٤,٧٨٨,٠٠٠	٦٪

المقاطعة	المساحة بالكلم²	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
٢٢ - بكين	٧,٠٠٠	٩,٨٠٠,٠٠٠	٩٨٠,٠٠٠	١٠ ٪
٢٣ - هوبه	٢٠٢,٠٠٠	٦٠,٢٠٠,٠٠٠	٣,٠١٠,٠٠٠	٥ ٪
٢٤ - لياونينغ	١٥٠,٠٠٠	٤٣,٤٠٠,٠٠٠	١٧٣,٠٠٠	٠,٤ ٪
٢٥ - كيرين	١٥٨,٠٠٠	٢٨,٠٠٠,٠٠٠	١٤٠,٠٠٠	٠,٥ ٪
٢٦ - هيليونغميانغ	٤٥٥,٠٠٠	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	ـــ	ـــ
٢٧ - التيبُّت	١,٢٢٧,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠	ـــ	ـــ
٢٨ - تسينغ هاي	٧٢٣,٠٠٠	٢,٨٠٠,٠٠٠	ـــ	ـــ
	٩,٤٧١,٠٠٠	١,٠١٢,٢٠٠,٠٠٠	٩٦,٠٢٠,٦٢٠	١٠ ٪

(١٣) تـايوان "فورموزا"

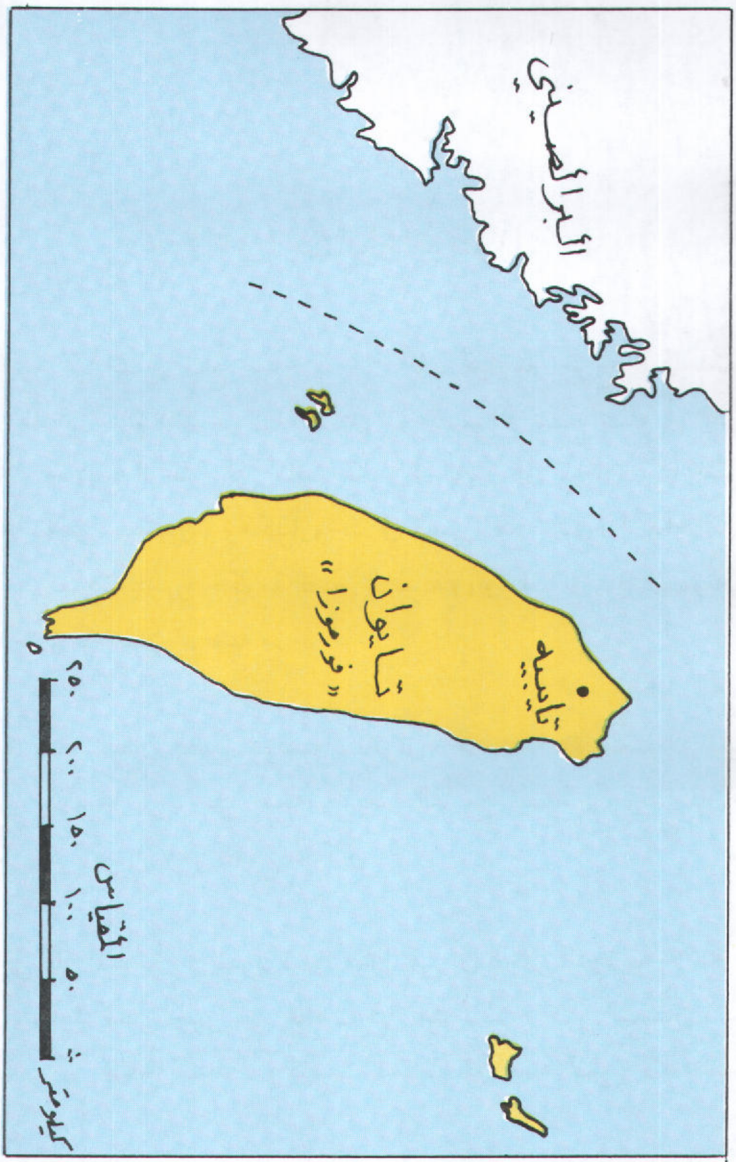
جزيرة من الصين تبلغ مساحتها ٣٨ ألف كيلومتر مربع، انفصلت عن الصين بعد أن تسلّم الشيوعيون الحكم في البر الصيني في مطلع عـام ١٣٦٩ هـ، وانتقلت الحكومة الوطنية التي كانت قائمةً في الصين إلى تايوان، كما انتقل مع الحكومة بعض المسلمين، وهكذا وجد في الصين حكومتان: إحداهما في البر الصيني، وتعرف باسم «حكومة الصين الشعبية»، والثانية في تايوان، وتُعـرف باسم «حكومة الصين الوطنية».

يبلغ عدد سكان الصين الوطنية «تايوان» ما يزيد على العشرين مليوناً، ويعيش بينهم ما يزيد على خمسة وأربعين الفاً من المسلمين، وبذا فإن نسبة المسلمين تقل عن ١ ٪ من مجموع السكان.

ولعلّ قلّة المسلمين في جزيرة فورموزا هي أن السفن التجارية الإسلامية لم تكن لتتجاوز شمال الجزر التي عرفت فيما بعد باسم «جزر الفيليبين» بسبب الأعاصير التي تجتاح المنطقة، وكانـت السفـن شراعيـةً تخشى الابتعـاد عـن الساحل كثيراً.

وتوجد في عاصمة تايوان (تايبيه) بعض المؤسسات الإسلامية مثل: رابطة

الشباب المسلم الصيني، والهيئة الصينية الإسلامية، والمؤسسة الثقافية والتعليمية الصينية.



مصور رقم [١٥].

(١٤) اليابان

هي مجموعة جزرٍ تمتدّ من الشمال إلى الجنوب، أربع منها كبيرة، وتبلغ مساحة الدولة الحالية ثلاثمائة وسبعين ألف كيلومتر مربع. ولم يصل الإسلام إلى اليابان عندما وصل إلى الشرق الأقصى لأسبابٍ كثيرةٍ منها البُعد، والسفن الشراعية التي كانت يومذاك وسيلة المواصلات البحرية والتجارة، ومنها محاولة تركيز التجار المسلمين على مناطق قبل التحرّك إلى أخرى، ومنها التقوقع الياباني الذي كان معروفاً، والذي استمرّ حتى عام ١٢٨٦ هـ حيث أُلزمت على الانفتاح والاتجار مع الأجانب وفتح بعض مرافئها لهم.

وجدت اليابان بعد صلتها مع الأجانب أنها في حالةٍ من التخلّف والتأخّر فاتجهت إلى إرسال بعض أبنائها لدراسة العلوم التجريبية فقط في دول أوربا المتطوّرة، ولم تلبث إلا مرحلة قصيرة حتى بدا عليها التطوّر، وظهر عليها التقدم في المجال العلمي والبحث التجريبي، واستطاعت أن تخوض حرباً عام ١٣٢٢ هـ مع روسيا خرجت إثرها منتصرةً، وكان لهذا الانتصار أثره الواسع في اليابان بل وفي عددٍ من الدول الآسيوية حيث ظهرت الدول الأوربية على حقيقتها، وأنه من الممكن إحراز النصر عليها إذا كان الجد والسعي رائد الشرق. وقد أرسل السلطان العثماني عبد الحميد مندوباً عنه إلى اليابان وهو القائد العثماني برتوباشا ليهنىء الميكادو بهذا النصر.

إن الانغلاق الذي كان قائماً في اليابان حال دون وصول الإسلام إليها رغم وصوله إلى الصين القريبة منها، ورغم وجوده في الأجزاء الساحلية الصينية بنسبٍ لا بأس بها، فلما تمّ الانفتاح بدأ يصل إلى اليابان بعض التجار المسلمين، وخاصةً من الهند التي كانت تتبع انكلترا التي هي أول دولةٍ أجنبية حصلت على حقّ التجارة مع اليابان، غير أن عدد هؤلاء المسلمين لم يكن ليزيد على بضعة أفراد، لا يصل عددهم إلى الأربعين أبداً، وليس لديهم الإمكانات الكافية للعمل الإسلامي، كما لم يكن هذا همّهم الأول، وإن كنا لا نستطيع أن نُجرّدهم من فكرة العمل للإسلام لأن هذا من فطرة البشر الذين يعيشون في مجتمعٍ يختلف عنهم في العقيدة إذ يرغبون ويعملون على كسب أفرادٍ وجماعات إلى عقيدتهم وخاصةً المسلمين الذين يرون في هذا أجراً كبيراً.

وبعد الانفتاح الياباني وخاصةً بعد الانتصار على الروس عام ١٣٢٢ شعر اليابانيون جميعاً من الإمبراطور حتى الفرد العادي من الشعب أن الديانة الشنتوية اليابانية متخلّفة جداً لا يقبل العقل طقوسها، ولا ينسجم الفكر مع تعاليمها إذ لا يمكن أن يكون الإمبراطور ابناً للإلهة الشمس حسب ما تنص عليه تعاليمهم، وما الشنتوية سوى فرع من البوذية اختصّت بها اليابان، لذا اجتمع كبار رجال البلاد للبحث في هذا الموضوع الخطير، وإن كان قد سبق لهم أن رأوا فشل الجماعات التنصيرية التي قدمت إلى البلاد لهذه الغاية بل إن رجالها قد لقوا ازدراءً من الشعب الياباني وربما كان ذلك لصلة النصرانية بالدول الأوربية التي يمقتها اليابانيون ولأن تعاليم النصرانية لا تتفق أيضاً مع الفطرة البشرية بما فيها من رهبانيةٍ، وجمع ثلاثة آلهةٍ في إلهٍ واحدٍ، ورفع مركز العبد إلى مكانة الألوهية والتقديس و... فاقترح أحد رجالات اليابان النظر في كتابٍ قدم به مؤلفه إلى اليابان وهو (حسّان ينوس) أحد مسلمي الصين في العام المنصرم (١٣٢٣ هـ) إلاّ أن الميكادو وزعماء اليابان قد رأوا أن تكون الدعوة عامة لأصحاب مختلف الديانات كي يكون الأمر واضحاً،

وهو على درجة تستحق ذلك، وكي يكون ذلك حجة على أصحاب الديانات الثانية، وحتى لا يكون لهم اعتراض، ومن هذا المنطلق فقد دعيت كل من الدولة العثمانية، وايطاليا، وألمانيا، وفرنسا، وانكلترا، والولايات المتحدة لترسل من تختار للدعوة لدينها، ومما يلاحظ أن روسيا قد استبعدت لكراهيتها من قبل اليابان، ولقرب انتهاء الحرب التي وقعت بين الطرفين والتي لا تزال آثارها قائمةً. كما يظهر أن الدول النصرانية إنما تُمثّل مذهبيها الكاثوليكي والبروتستانتي، وغاب أصحاب المذهب الأرثوذكسي المذهب العالمي الثالث للنصرانية مع غياب روسيا صاحبته وحاميته. ويظهر أن هناك عطفاً على الإسلام مع وجود بعض التساؤلات لعل في طليعتها تعدد الزوجات، وقتال المسلمين من التتار والقفقاس مع الجيوش الروسية ضدّ اليابان مع العلم أنهم يعلمون العلم الأكيد أن هؤلاء ما جاءوا للقتال إلا مكرهين، فهم مغلوب على أمرهم، محكومون من قبل الروس، كما أنهم يخضعون لضغطٍ شديد من قبل مستعمريهم، لقد علموا هذا من قبل الأسرى الروس الذين في قبضة اليابانيين، وكان من بينهم ألفان من التتار المسلمين.

ولبّت الدول المختلفة الدعوة لهذا المؤتمر، وأرسلت مبعوثيها، وعُقد المؤتمر برئاسة الامبراطور الياباني الميكادو موتسوهيتو، وزاد عدد الحضور على مائة وعشرين عضواً من مختلف الدول، وتكلّم المندوبون، وردّ بعضهم على بعض في اليوم الأول، وفي اليوم التالي أعلن أن الجميع قد أبدوا وجهات نظرهم ومحاسن دياناتهم، ونحن سنترك الرأي للشعب ونعطيه حرية الاختيار للدين الذي يراه، ولكل فردٍ الحق بما يقتنع ويهوى. ولكن رأى مندوبو الدول النصرانية أن الاتجاه العام لدى اليابانيين قد انصرف نحو الإسلام وذلك من خلال ما لقيه كلام بعثة الدولة العثمانية، وقوة الحجة، وانسجام التعاليم مع الفطرة البشرية وهذا ما يسعى اليابانيون وراءه، إضافةً إلى أن مندوبي هذه الدول قد سألوا إرسالياتهم التي سبق لها أن ارتادت اليابان

وعملت في ميدان التنصير فأجاب رجال الإرساليات بأنهم لم يجدوا المُناخ المناسب ولا البيئة الملائمة بل وجدوا إعراضاً يصل في كثيرٍ من الأحيان إلى الازدراء. لذا شاع الخبر في الدول المختلفة أن امبراطور اليابان الميكادو سيعتنق الإسلام، وسيتبعه شعبه فأثار هذا الدول الصليبية عامةً والكنائس والبابوية فعملت جميعها مُتكاتفةً لثني الامبراطور عن عزمه.

كان الامبراطور سياسياً واعياً لوضع بلده عارفاً بطبيعة شعبه وفي الوقت نفسه لم يذق حلاوة الإيمان بعد ليتمسّك بموقفه كما لم يعرف حقيقة الإسلام لذا لم يرغب أن يقف في وجه الدول الكبرى حيث لم يتمكن من معاداتها جميعها، وإنما أعطى حرية الاختيار للشعب كي يعتنق الديانة التي يراها مناسبةً له، كما أنه اتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني وطلب منه أن يبعث إلى اليابان معلمين للإسلام ومرشدين كي يقوموا بالدعوة هناك، وقد وجد أن هذه الطريق لا تُسبّب له أي إزعاج فالحرية معطاة، ومُنصِّرون يأتون، وهو يعلم علم اليقين أن الشعب الياباني يرفضهم كما يأتي الدعاة المسلمون فليُقدّموا من نشاطهم ما أمكنهم ولنرى ثمرة جهدهم وعملهم.

وشاع بين الناس اتجاه امبراطور اليابان نحو الإسلام، وأضحى اعتناق اليابانيين للإسلام وشيكا، وروّج ذلك المُنصّرون قبل المسلمين فتحرّكت لدى النشيطين من المسلمين الرغبة في السفر إلى اليابان والعمل للدعوة، وشكّل بعضهم جمعيات لهذا الغرض، ولم تثمر النتائج برحلات، وانطلق أفراد تأخذهم الحماسة.

انطلق من مصر أحمد الفضلي وهو ضابط سبق له أن عمل في السودان، وسافر إلى اليابان، وتزوّج من سيدةٍ يابانيةٍ ورجع إلى مصر، وقد أسلمت زوجه وأمها، ثم عاد إلى اليابان، واستقرّ هناك، ورُزق بمولود ربما كان أول مسلم ياباني.

وسافر علي أحمد الجرجاني صاحب جريدة الارشاد من مصر للدعوة في اليابان، وتعرّف هناك على أحد المسلمين الهنود وهو حسين عبد المنعم، وقد أسلم على يديهما (جازينف) وقدّم داره لتكون مقراً للجمعية التي أزمعوا على إنشائها، واستمرّت رحلته اثنين وثلاثين يوماً، ويقول: (أما الذين اعتنقوا الإسلام على أيدينا فبلغ عددهم نحو الاثني عشر ألف رجل)[1]، وهذا كلام غير صحيح، وربما نطق أكثر هذا الرقم بالشهادة مجاملةً على عادة اليابانيين فاعتقد أنهم قد اعتنقوا الإسلام.

واتجه نحو اليابان عبد الرشيد إبراهيم عبر سيبيريا وهو من التتار المسلمين الذين غادروا البلاد بعد أن عاد الضغط الروسي على المسلمين بعد إعطاء الحرية الدينية عام ١٣٢٥ هـ، وقد شجّعه جمال الدين الأفغاني بالرحلة إلى هناك بعد أن طلب امبراطور اليابان من السلطان عبد الحميد إرسال دعاةٍ من المسلمين ليتعرّف الشعب على الإسلام. ووصل عبد الرشيد إلى يوكوهاما في اليابان بتاريخ ٢٥ شوال عام ١٣٢٦ (٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٠٨ م)، وتعرّف على رجل من المسلمين الهنود يحمل اسم (محمد حسن أوغاي)، ثم اتجه عبد الرشيد إلى العاصمة طوكيو، ووصل إليها بعد ثمانية أيام من نزوله في اليابان، فاستقبل استقبالاً حسناً، وفسح له المجال للعمل فاتصل بكثير من الشخصيات، ودعي إلى عدد من الحفلات، وكانت الصحف تتابع أخباره، وتنشر كلامه، وتنقل في المدن والقرى، فوجد خمسة وعشرين من الشيعة الهنود، ويقيمون في مدينة (كوبي)، وأربعة من المسلمين في مدينة (أوزاكا)، وثلاثة في مدينة (يوكوهاما)، وخمسة في مدينة (ناغازاكي) ويعودون جميعاً إلى الأصل الهندي. ولم يتعرف من غير الهنود إلا على أحمد فضلي الذي ألقى محاضرةً عن الإسلام يوم الاثنين في الأول من شهر ربيع الأول من عام ١٣٢٧ هـ بتشجيع من عبد الرشيد في مدينة طوكيو، وربما كانت هذه أول

---

(١) الرحلة اليابانية ص ١١٩.

محاضرة تلقى عن الإسلام في بلاد اليابان كلها. ورغب عبد الرشيد أن يتبيّن مدى معرفة اليابانيين عن الإسلام فوجد أنهم لا يعرفون شيئاً، وكل ما هنالك من معرفة أنه كان ألفان من المسلمين التتار بين أسرى الروس في اليابان، وقد وجدوا معاملة طيبةً وخاصةً من قبل اليابانيين، وقال له أحدهم: رأيت ثلاثة من المسلمين في اليابان، أحدهم جاء من استانبول، ويدعو إلى تعدد الزوجات، والثاني جاء من مصر ليعرض الإسلام على الميكادو فلم يُوفّق (ربما يقصد علي أحمد الجرجاني) والثالث من الهند. إضافة إلى معلوماتهم أن المسلمين التتار والقفقاس قد قاتلوا بجانب الروس في الحرب التي دارت بين اليابان وروسيا عام ١٣٢٢ هـ، ويستغربون هذا أشد الاستغراب وقد سألوا عبد الرشيد مراتٍ عن هذا الموضوع، ورغم إجابته بأن المسلمين كانوا مكرهين على القتال إلا أنهم لم يقتنعوا بذلك بسبب طبيعتهم الخاصة عن القتال، وربما قبلوا إرغام الروس للتتار على القتال، ولكنهم لم يقبلوا ذلك بالنسبة إلى سكان القفقاس. كما عرفوا بعض الطلبة المسلمين الصينيين الذين جاءوا مع أبناء قومهم من الصين للدراسة في اليابان، وكان عدد المسلمين بينهم ثمانية وثلاثين طالباً. وربما اقتنع بأن سماحة الإسلام بتعدد الزوجات قد يكون عقبة في إقبال اليابانيين على الإسلام.

اتصل عبد الرشيد برجالات من اليابان فأسلم عدد منهم ولعلّ أول من قبل الإسلام على يدي عبد الرشيد رجل يعمل في دائرة الأركان الحربية، ويدعى (أوحاره)، وقد أطلق عليه اسم «أبو بكر»، كما أسلم (أوقوما)، و(ياناكا)، و(نكوشيما)، و(نكاياما)، و(هونجي) وكلهم من رجالات اليابان البارزين، وقد شجّع هؤلاء الرجال عبد الرشيد إبراهيم على الموافقة على بناء مسجدٍ للمسلمين في طوكيو، وتأسيس جمعية للإشراف على شؤون المسجد وشؤون المسلمين في تلك الديار، ورأى نفسه مضطراً للموافقة، وقد حصلوا على الترخيص لتأسيس الجمعية في ١٨ جمادى الأولى من عام

١٣٢٧ هـ (٦ حزيران ١٩٠٩ م)، وبُدىء بإنشاء المسجد، وعُرفت الجميعة باسم (جمعية آسيا ـ غي ـ كاي) وتعني (القوة المدافعة عن آسيا).

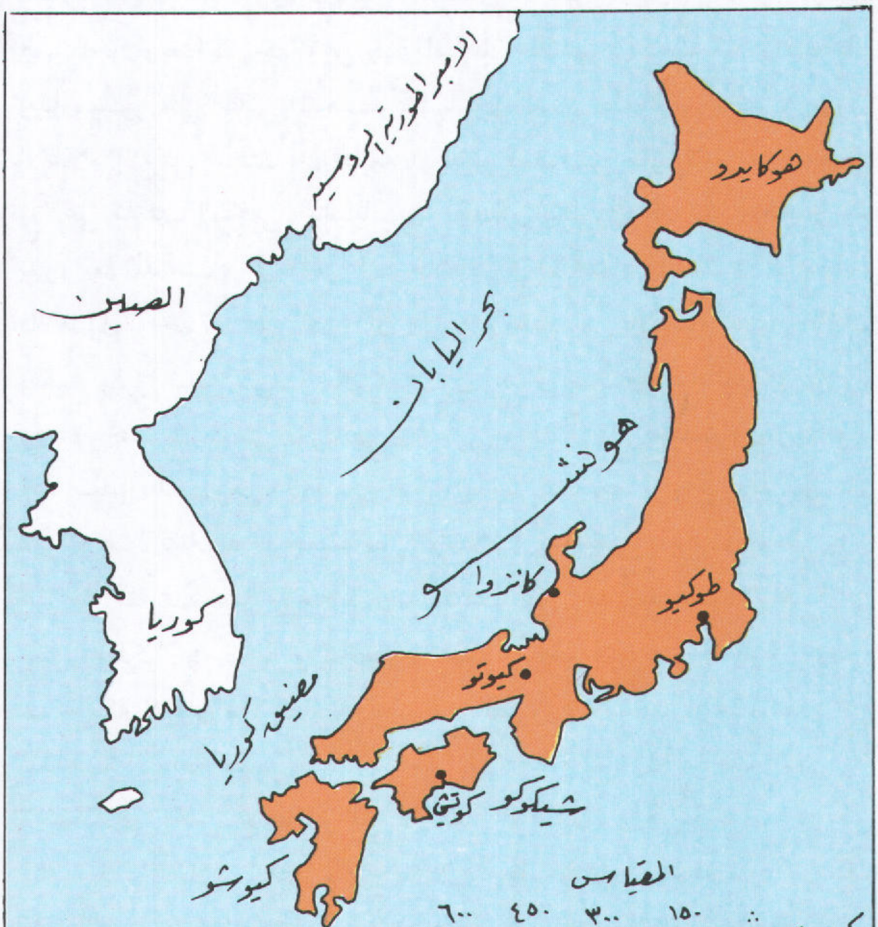
وبينما كان عبد الرشيد إبراهيم في اليابان قام الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني في ١٠ ربيع الأول من عام ١٣٢٧ هـ (٣١ آذار ١٩٠٩ م)، وأظهر اليابانيون الأسف. وبذا انقطع الدعم عن عبد الرشيد، وكان قد استدعى عدداً من التتار المسلمين الفارين من وجه الاضطهاد الروسي. انقطع الدعم لزوال السلطان الذي كان يحمل فكرة الجامعة الإسلامية ويُنادي بها، ويعمل لها، وجاء خلفه الذين يحملون فكرة القومية، القومية الطورانية التي لا تلتفت إلى أية دولة أو جماعة خارج أبناء جلدتها... وأصبح عبد الرشيد مضطراً لمغادرة اليابان، وتركها يوم الثلاثاء ٢٧ جمادى الأولى من عام ١٣٢٧ هـ (١٥ حزيران ١٩٠٩ م) بعد أن أمضى فيها ما يزيد على سبعة أشهر. غادرها بعد أن ترك بعض الركائز للعمل الإسلامي. ولم يكن هناك بوادر للبناء على هذه الركائز لأن الدول الإسلامية جميعها تقريباً كانت تحت النفوذ الاستعماري الذي يحول دون الدعم لهذا الموضوع، ومن نجا من الاستعمار لم تكن أوضاعه الاجتماعية والمادية لتُساعده على ذلك، هذا بالإضافة إلى المشكلات التي كانت تقف دون السير في هذا الاتجاه، ولم يكن كذلك العمل الشعبي مُهيأً للقيام بمثل تلك المهمة مع التخلّف ووجود الكوابح الاستعمارية، وليس العمل الفردي بأفضل حالاً لانعدام المعرفة وضعف الإمكانية، وبذا فقد توقّف انطلاق المسافرين من دعاة ومرشدين إلى تلك الجهة الظمأى القابلة للزرع.

غير أنه حدثت أمور سياسية من قبل الدولة اليابانية وإن كانت لا ترمي إلى الدعوة الإسلامية غير أنها تحمل هذا الاسم أو هذا الشعار ذلك أن اليابان بعد انتصرت على الروس فكرت بالتوسّع في القارة الآسيوية، ولما كان المسلمون يُشكّلون ما يقرب من ثلث سكان هذه القارة لذا فكرت الدولة

بالإفادة منهم حيث تجعلهم يتّجهون نحوها كمنقذةٍ لهم من الاستعمار الصليبي الغربي، الذين يقاتلونه ويلتقون في كراهيته مع اليابان، ومن هنا أظهرت اهتمامها بالإسلام ورغبتها في نشاط أهله في بلادها، أو أنها عدت نفسها حاميةً له، وبدأت الدعاية لا للإسلام ولكن للإفادة من أبنائه وعواطفهم، مثل أن الإسلام للشرق وقد انتشر بين الملل الشرقية على حين أن النصرانية لم تنتشر في الشرق إلا بين بعض أبناء الطبقات الوضيعة. ومع ما في هذا الطرح من خطأ في الأصل إذ أن الإسلام إنما جاء للناس كافةً لم يختصّ بشرقٍ أو بغربٍ إلا أن العاطفة هي التي تغلب وأكثر الناس لا يعلمون، فالجهل شائع، وعدم المعرفة أمر قائم، والاعتماد على العاطفة وليس على الفكر. وإذا كان الذي يُنادي بذلك على جهلٍ، ولكنه يُقدّمه أيضاً لأناس غلب عليهم الجهل.

وبدأت تنمو لدى اليابانيين فكرة الوحدة مع الصين التي تضمّ كتلةً هائلةً من البشر، وإذا ما تمت مثل هذه الوحدة فإنه يصبح بالإمكان الوقوف أمام العالم، والصين تضمّ أعداداً ليست قليلة من المسلمين، وتحقيقاً لفكرة الوحدة فإن اليابان قد فتحت مدارسها أمام الطلاب الصينيين الراغبين في الدراسة، وبدأ بعض الطلاب يقبلون من الصين إلى اليابان، وإن كان عددهم قليلاً نسبياً إلا أنها ظاهرة تسترعي الانتباه وبين هؤلاء الطلاب بعض المسلمين.

ومع الدعاية، ومع انتشار فكرة الوحدة مع الصين، ومع فكرة التوسع بدأ التنفيذ والتطبيق فقد ضمّت اليابان إليها كوريا عام ١٣٢٩ هـ، وليس في كوريا مسلمون، ثم بدأ العمل للتوسع في منشوريا، ولم تمض مدة حتى دخلتها، غير أن المسلمين في منشوريا لم يختلطوا مع اليابانيين، ولم يمكنهم التأثير لأنه من الأساس لا يملكون إمكانية التأثير لعدم معرفتهم الصحيحة بالإسلام، ولنظرة اليابانيين الفوقية لهم. ومع ذلك فقد رجع عدد من اليابانيين إلى بلادهم من منشوريا مسلمين. وبدأ التوسع في الصين واحتلت اليابان الجزء الشمالي من البر الصيني، وحاولت تحسين علاقاتها مع المسلمين، وأوجدت لهم تنظيم «اتحاد


هوكايدو
الصين
بحر اليابان
هونشو
كوريا
كانزوا
طوكيو
كيوتو
مضيق كوريا
شيكوكو
كوتشي
كيوشو
المقياس
٦٠٠ ٤٥٠ ٣٠٠ ١٥٠ ٠
كيلومتر

مصور رقم [١٦] .

المسلمين في الصين »[1] وعملت على نشاطهم ودعمهم. وجاء عدد من المسلمين من الهند ومن جاوة في اندونيسيا إلى اليابان، ولكن لم يكن لهذا كله أثر في الدعوة إلى الإسلام في اليابانيين لأن هؤلاء المسلمين لم تكن لديهم الإمكانات المطلوبة للعمل للدعوة إذ لم يكونوا مُؤهّلين ولم تكن لديهم معرفة أو خبرة في هذا المجال، هذا من جهة ومن جهة ثانيةٍ فإن خلافهم فيما بينهم كان واضحاً، وكان يدور على أساس المذهب، فالمسلمون الذين جاءوا من الهند لا يرون الإسلام إلا على مذهب أبي حنيفة، والذين قدموا من جاوه لا يريدون العمل إلا على مذهب الشافعي، واليابانيون المسلمون ينظرون إلى هذا مُتعجّبين ولم يدروا ما المذاهب، ولم يعلموا أنها خلافات في الاجتهاد وليست في الأصول، فالأصول واحدة، حتى ظنّوا أن الإسلام عدد من الأقسام بينها خلاف واضح وفيها تباين بيّن، وحال هذا دون اعتناق عدد من اليابانيين الإسلام، وأرسل محمد عبد الحي قوربانعلي ومحسن جاباك أوغلي يستفسرون ويسألون محمد سلطان المعصومي الخوقندي المكي المدرس بالمسجد الحرام وذلك في عام ١٣٥٧ هـ، يسألونه ما حقيقة دين الإسلام؟ وما معنى المذهب؟ وهل يلزم على من تشرّف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة؟ أي يكون مالكياً أو حنفياً أو شافعياً أو حنبلياً أو غيرها... أو لا يلزم؟. فبين لهم حقيقة الإيمان والإسلام، وليس من الضروري التقليد لمذهبٍ معينٍ من المذاهب الأربعة فليس ذلك بواجب ولا مندوب، إذ المذهب ليس إلا اجتهاداً في بعض الأحكام التي لا تمسّ الأصول. ولكن الجواب لم يكن ليقطع دابر الخلاف الذي لم يوجد إلا للجهل أو عدم المعرفة فلو كان العلم قائماً لما حدث الخلاف أصلاً. ولا يزيل الجواب تعنتاً ولا يُقدّم حكمةً.

وفي الحرب العالمية الثانية أسلم عدد آخر من اليابانيين لوجودهم بين المسلمين في أندونيسيا والملايو والمناطق الأخرى التي احتلّها اليابانيون. وفرّ من الصين

(١) انظر الموضوع السابق (الصين).

عدد من المسلمين بعد سيطرة الشيوعيين عليها واتّجهوا نحو اليابان. ثم وصل عدد آخر من الدعاة من الهند وباكستان ومن جماعة التبليغ خاصة، غير أن أكبر الأثر للدعوة إلى الإسلام في اليابان إنما هو اليابانيون أنفسهم.

يُقدّر عدد المسلمين اليوم في اليابان بأكثر من عشرين ألف مسلم، ولهم بعض المؤسسات الإسلامية، وأكثرها وأشهرها في طوكيو ومنها: الجمعية الإسلامية اليابانية، الجمعية الثقافية الإسلامية، جميعة الطلاب المسلمين، المركز الإسلامي الدولي، المركز الإسلامي في اليابان، ويُصدر مجلةً شهريةً اسمها «السلام». والمؤتمر الإسلامي الياباني. ويقوم في طوكيو مسجد للمسلمين. كما افتتح في طوكيو معهد لتدريس اللغة العربية يتبع جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. كما توجد مساجد أخرى في بعض المدن مثل: كيوتو، كانزوا، نارتو، كوتش، كوبي.

ويبدو أن عدداً من أهل العلم وأساتذة الجامعات قد أعلنوا إسلامهم وبدؤوا يعملون له، وربما كانت انطلاقة إسلامية جيدة في اليابان فيما إذا صدق المسؤولون والذين بيدهم الإمكانات، وأخلص الدعاة.

(١٥) كوريـا

ذكرنا أن سفن المسلمين التجارية لم تكن لتتجاوز الصين لأسبابٍ كثيرةٍ لعلّ منها طبيعة السفن الشراعية آنذاك، والبرد الذي يُخيّم على المناطق الشمالية، ومحاولة التركيز على مناطق حتى تزداد نسبة المسلمين فيمكن للدعوة أن تنجح بكثرة أنصارها، وتأسيس إماراتٍ إسلاميةٍ يكون لسلطانها القوة، وعدم وجود الموارد المُشْجّعة آنذاك. لهذا كله لم يصل الإسلام إلى كوريا والمناطق القريبة منها.

وعندما انقسمت كوريا إلى قسمين: كوريا الشمالية وتبلغ مساحتها ١٢٢ ألف كم٢، وكوريا الجنوبية وتبلغ مساحتها حوالي ١٠٠ ألف كم٢، وحدث خلاف في العقيدة بين الجُزأين، وقامت الحرب بينهما عام ١٣٧٥ هـ، ووصلت قوات دولية لدعم كوريا الجنوبية، كان من بين فرق هذه القوات فرقة تركية، وكان إمامها الشيخ عبد الرحمن فاستطاع أن ينشر الإسلام بين أعدادٍ قليلةٍ من السكان، ويُقدّر عدد المسلمين اليوم هناك بثلاثة آلاف وخمسمائة مسلم بين خمسة وثلاثين مليوناً من السكان، أي يوجد مسلم واحد بين كل عشرة آلاف ساكن.

ويتجمع أكثر المسلمين في مدينة (سيؤول) العاصمة، ولهم مسجد وسط المدينة، كما يُنظّمهم اتحاد المسلمين في كوريا، وتصدر لهم مجلة شهرية تحمل اسم «صوت الإسلام». ويوجد الاتحاد الإسلامي، والمنظمة الخيرية الإسلامية، وكلاهما في مدينة سيؤول العاصمة، ونشاطهما محدود لضعف الإمكانات، وعدم تأهيل القائمين بالنشاط.

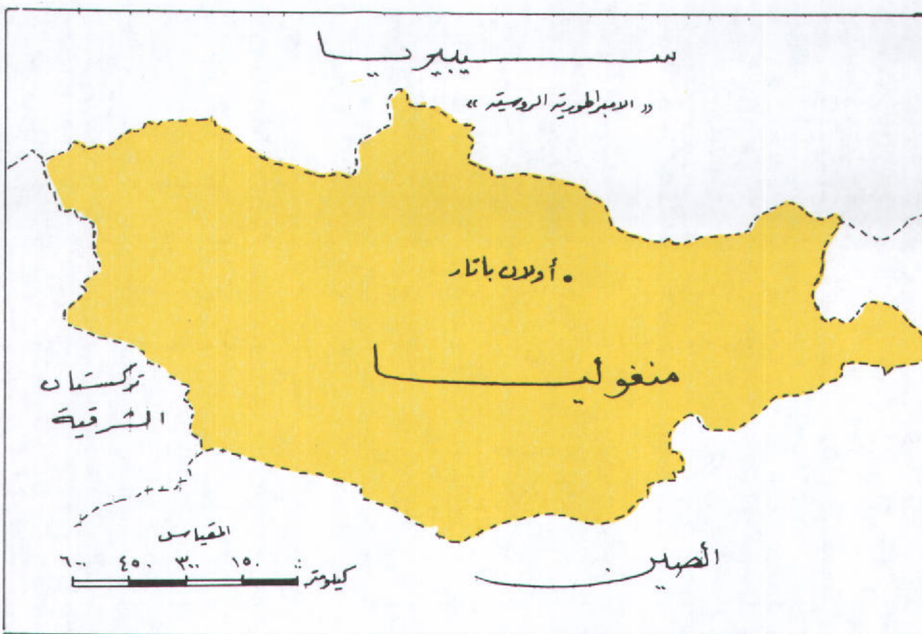
أما كوريا الشمالية فتكاد تخلو من المسلمين، لما ذكرنا سابقاً ولعقيدتها التي لا تسمح باعتناق أيّ دينٍ أو اتباع أي مذهب اللهم إلا إذا استثنينا النصرانية على المذهب الارتوذكسي ديانة ومذهب الروس.



مصور رقم [١٨] .

(١٦) منغوليـــا

منطقة واسعة من الصحراء وسط آسيا، كانت تتبع الصين، تزيد مساحتها على مليون ونصف من الكيلومترات المربعة، ولكن لا يزيد عدد سكانها على المليون ونصف بسبب الجفاف، ويعيش فيها أقل من ١٥ ألف مسلم. ولذا فإن نسبتهم حوالي ١٪ فقط.



مصور رقم [١٩].

(١٧) قبرص

قبرص أكبر جزر البحر المتوسط الشرقي، وأقربها إلى ساحله الشرقي، تبعد عن السواحل التركية الجنوبية مسافة ٦٥ كيلومتراً، وعن الساحل السوري تسعين كيلومتراً، وعن الساحل المصري أربعمائة كيلومتر، وعن سواحل بلاد اليونان مسافة تسعمائة كيلومتر، فهي جزيرة آسيوية، نتيجة قربها منها وصلتها بها.

وتتألف أرض قبرص من سلسلةٍ جبليةٍ تُوازي الساحل الشمالي، وهي في امتداد وطبيعتها تتمة لجبال الأمانوس السورية ـ التركية، ومن مرتفعات في الوسط والجنوب الغربي وتُعدّ أيضاً امتداداً لجبل الأقرع في سورية، وبين هذين القسمين أودية وسهول تقوم فيها العاصمة (نيقوسيا). فالجزيرة من حيث الطبيعة والتضاريس تُعدّ آسيويةً إذ هي تتمة للأرض السورية.

ومع هذا تصرّ الدول الأوربية على تصنيفها بين الدول الأوربية والجزر الأوربية تأكيداً على نصرانيتها، ويتابع الأوربيين كتابنا الذين يكتبون في الجغرافيا والتاريخ أو السياسة والاجتماع لأنهم ليسوا سوى نقلةٍ من غير نظر ومسجلين من غير فكر. ونحن بناء على واقع الجزيرة الجغرافي نؤكد أنها آسيوية، ونؤكّد حقّ أبنائها المسلمين في أرضهم.

تبلغ مساحة جزيرة قبرص ٩٢٥١ كيلومتراً مربعاً أي تقرب مساحتها من مساحة لبنان، ويبلغ أقصى طول للجزيرة ٢٣٥ كيلومتراً، وأقصى عرض ٩٠ كيلومتراً. ويزيد سكانها قليلاً على ستمائة ألف، يُشكل النصارى بينهم ٧٩٪، والمسلمون ١٩,١٪، واليهود ١,٩٪، والنصارى هم من الارثوذكس وقليل من الموارنة.

دخلت النصرانية إلى قبرص عام ٥٧٤ قبل الهجرة (٤٨ م)، وآل الحكم فيها إلى أيدي الروم البيزنطيين حتى جاء الإسلام، وأنقذها من أيدي الظلم والطغيان الذي كان سائداً فيها.

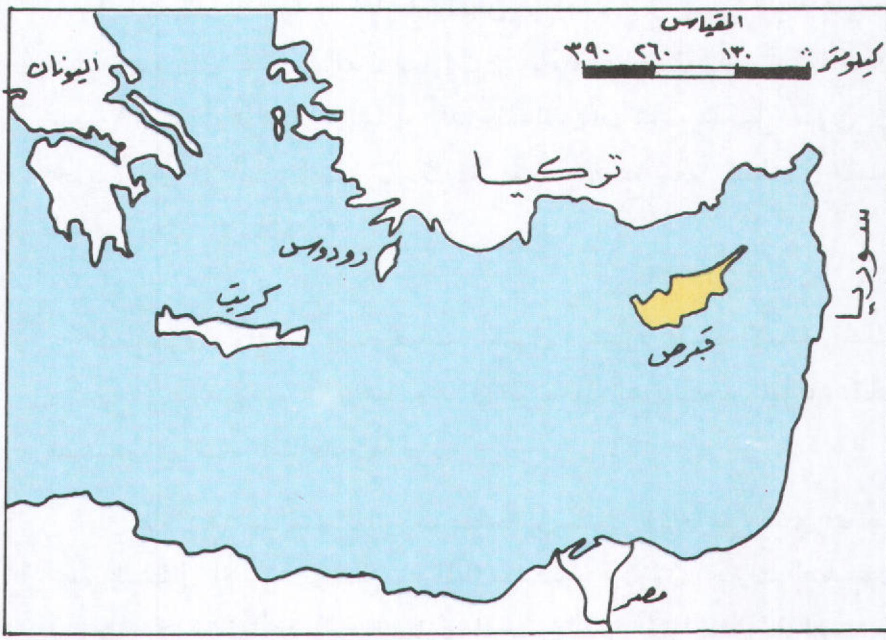
وصول الإسلام: رأى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهو أمير الشام يومذاك أن يُنازل الروم في البحر، وأن يحتلّ القواعد المهمة التي يتخذها البيزنطيون قواعد ينطلقون منها للإغارة على ديار الشام ومن بين هذه القواعد جزيرة قبرص، ولكن لم يكن للمسلمين يومذاك أسطولٌ بحريّ كي يواجه أساطيل الروم فاستأذن من الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في بناء أسطول، فلم يجد الخليفة أن الأمر قد حان بعد لبناء أسطول إسلامي.

فلما كان عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، عاد معاوية، رضي الله عنه، للاستئذان في بناء أسطول إسلامي فوافق الخليفة واليه على الشام بل وشجّعه على ذلك، وخاصةً بعد أن تعرّضت مصر عام ٢٥ هـ لغزوٍ بحري رومي.

قام معاوية، رضي الله عنه، بالأمر واستعمل على البحر عبدالله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة، وتمكّن المسلمون من فتح جزيرة قبرص عام ٢٨ هـ على يد حملاتٍ بحريةٍ خرجت من الشام ومصر، وصالح معاوية أهل قبرص على دفع ٧٢٠٠ دينار سنوياً، ومن بين صحابة رسول الله، ﷺ، الذين اشتركوا في فتح قبرص أبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس، وعبادة بن الصامت الذي استصحب معه زوجه أم حرام في تلك الغزوة.

كان الأسطول الإسلامي الذي غزا قبرص يتألف من ١٧٠٠ سفينة، رغم أن هذا الغزو كان أول غزوةٍ غزاها المسلمون في البحر، وتعهّد أهل قبرص بصلحهم إبلاغ المسلمين عن أية استعدادات يقوم بها الروم ضدّهم.

حدثت فتنة ابن السوداء (عبدالله بن سبأ) اليهودي في المجتمع الإسلامي، وظنّ أهل قبرص أن أمر المسلمين قد ضعف، وأن قوة الروم البيزنطيين يمكن أن تحميهم فأخلّوا بشروط الصلح، فدعا معاوية، رضي الله عنه، للجهاد في قبرص، وغزا قبرص عام ٣٤ هـ، واحتلّ المجاهدون قسطنطينة عاصمة الجزيرة آنذاك، وسيطر المسلمون على أرجاء الجزيرة كافة، وأسكن فيها معاوية، رضي الله عنه، اثني عشر ألفاً من جند المسلمين، ودعا الناس للهجرة إليها، فانتقل إليها كثير من أهل بعلبك، ونشروا فيها الإسلام، وبنوا المساجد.



مصور رقم [٢٠].

الصراع: وفي عام ٧٥ هـ حاول جوستنيان الإغارة على المسلمين في قبرص مستغلاً الخلاف بين الخليفة عبدالله بن الزبير في مكة المكرمة وحاكم بلاد الشام عبد الملك بن مروان غير أن أهل الجزيرة قد طردوا جوستنيان من أرضهم. ولكن الروم استطاعوا دخولها بعد مدة. وهكذا عادت الجزيرة مرة أخرى إلى أيدي البيزنطيين، بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من خمس وأربعين سنة.

وفي عام ١٠٩ هـ أغار المسلمون على قبرص، وفرضوا على أهلها جزيةً كبيرةً، وأغار الروم على مصر عام ١١٨ هـ فقابل المسلمون هذه الغارة بغارةٍ على قبرص عام ١٢٦ هـ، وحملوا معهم عدداً كبيراً من سكان الجزيرة الى الشام واحتفظوا بهم كأسرى. وكانت مصر وقبرص هدفي الهجوم الإسلامي والرومي في شرقي البحر المتوسط.

وفي أيام الدولة العباسية أغار المسلمون على قبرص في عهد الخليفة هارون الرشيد عام ١٧٤ هـ، وتتابعت الغارات في أيام هذا الخليفة وأشهرها ما كان عام ١٩٠ هـ، وعلى هذا لم تستطع أقدام المسلمين أن تثبت بشكلٍ قويٍ في الجزيرة لأن الأوضاع العامة لم تكن مستقرّةً يستطيع معها المسلمون القيام بالدعوة ونشر الإسلام.

الصليبيون: وفي الحروب الصليبية استولى ريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا على قبرص عام ٥٨٧ هـ، وهو في طريقه إلى الشام ليتخذ منها قاعدةً لمدّ الصليبيين في الشام بالمساعدات الحربية.

وفي عام ٦٩١ هـ سلّمت بيروت صلحاً إلى سنجر الشجاعي الذي فتحها باسم السلطان الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون، فترك الصليبيون بيروت، كما تركها عدد من النصارى المحليين الذين آثروا مشاركة الصليبيين مصيرهم، وتوجهوا جميعاً إلى جزيرة قبرص، ولا يزال فيها إلى اليوم طائفة

منحدرة من الموارنة الذين أفرد لهم الحكم الحالي فيها مقعداً نيابياً يشغله واحد منهم في هذه الأيام.

وبعد إجلاء الصليبيين عن الشام نهائياً عام ٦٩٢ هـ تجمّعت القوى الباقية من الصليبيين في الشرق كافةً في جزيرة قبرص، واتخذتها مقراً لها، كما أصبحت شواطئها ملجأ للقراصنة الذين يُغيرون على السفن الإسلامية التي تنتقل في البحر المتوسط مما سبب المتاعب لدولة المماليك في مصر، والتي كان لها دور كبير في طرد الصليبيين من ديار الإسلام، وغدا الصراع بين الصليبيين في قبرص والمماليك في مصر.

انطلقت حملة من قبرص بقيادة ملكها بطرس الأكبر نحو الاسكندرية، واحتلتها عام ٧٦٧ هـ، غير أن المماليك قد أجلوا الصليبيين عن الإسكندرية بعد ثلاثة أيام، وعقد صلح بين المماليك ومملكة قبرص عام ٧٧٢ هـ، ورجع التجار ينتقلون بين الدولتين من جديد.

وفي أيام السلطان المملوكي برسباي عادت الغارات على قبرص، وكانت أولى هذه الغارات عام ٨٢٨ هـ، وتتألف من خمس سفن، وقد أحرقت ميناء (ليماسول) وما فيه من سفن، وعادت إلى مصر محملةً بالأقمشة والمواد الغذائية، وكانت الثانية عام ٨٢٩ هـ وتتألف من أربعين سفينة، وعادت ومعها ألف أسير، وفي المرة الثالثة كان الهدف فتح الجزيرة وليس الغارة عليها، وانطلقت الحملة المصرية عام ٨٣٠ هـ، وانتهى القتال بأسر ملك قبرص (جيمس لوزينيان) وحمله إلى القاهرة. واضطرت قبرص أن تدفع الجزية للمسلمين وبقيت تحت حكم الصليبيين.

استطاعت جيوش البندقية أن تحتلّ قبرص عام ٨٩٥ هـ، وأن تحكمها، واستمرت حتى جاء العثمانيون، ولم يكن البنادقة ليختلفوا عن الصليبيين إلا في الاسم، فما البنادقة إلا فرع من الصليبيين.

العثمانيون: كانت في بداية الأمر هدنة بين العثمانيين بعد أن قوي أمرهم وبين البنادقة والإمارات الإيطالية كلها من أجل إعادة الملاحة إلى البحر المتوسط، فلما فشل الأمر، وظهرت صليبية أوربا كلها بما فيها الإمارات الإيطالية اقتحم عندها العثمانيون قبرص عام ٩٧٩ هـ، وطردوا البنادقة منها، كما لاحقوهم في جزيرة كريت حتى أخرجوهم منها، وبطرد البنادقة من قبرص انتهت الحروب الصليبية حقيقةً.

بقي العثمانيون في قبرص ثلاثة قرون (٩٧٩ -١٢٩٦) عملوا من بدايتها على تطويد دعائم الإسلام في الجزيرة، فقد أسكن فيها السلطان سليم الثاني حاميةً عثمانيةً منذ أن فتحها، وقام فيها الدعاة، ولم يمض قرن من الزمن على الفتح حتى كان المسلمون ثلاثة أمثال النصارى فيها، إذ كان سكان الجزيرة عام ١٣٠٨ ثمانين ألفاً، منهم ستون ألفاً من المسلمين، والباقي من النصارى، وهكذا غدت قبرص بلاداً إسلامية وجزءاً من ديار الإسلام بأرضها وأهلها.

وضعفت الدولة العثمانية، وقويت الدول الأوربية النصرانية، ومالت كفة الدول الأوربية بعد أن كان رجحان كفة العثمانيين هو الظاهر منذ أن بدأ الصراع بين العثمانيين المسلمين وبين الأوربيين النصارى، وبدأت الدول الأوربية تقتطع جزءاً بعد آخر من أراضي المسلمين، وكانت انكلترا تنظر إلى قبرص كقاعدة مهمة لها في الطريق إلى الهند لذا عمل رئيس وزراء انكلترا اليهودي دزرائيلي على فرض معاهدة عام ١٢٩٦ مع الدولة العثمانية، وقد عرفت تلك المعاهدة باسم «التحالف الدفاعي» أكره فيها السلطان العثماني على قبول الاحتلال البريطاني لجزيرة قبرص مقابل ضمان بريطانية الدفاع عن الممتلكات العثمانية في آسيا ضدّ روسيا، كما تعهدت انكلترا بدفع مبلغ من المال سنوياً يقدر بـ (٩٢,٨٠٠) جنيه، وهو ما يفيض عن ميزانية قبرص إلى العثمانيين، وادعت انكلترا أن هذا الاحتلال موقت ريثما تعيد روسيا للعثمانيين المناطق التي احتلتها وهي أقاليم قارص، وباطوم، وأردهان. ولما

كانت انكلترا لا تستطيع أن تتصرّف وحدها دون موافقة الدول الكبرى، لذا فقد اتفقت مع فرنسا أن تطلق يدها في تونس، كما اتفقت مع روسيا أن تبقى الأقاليم التي احتلتها بيدها، وليبقى احتلال قبرص قائماً، وتُوّجت تلك الاتفاقات الثنائية بعقد مؤتمر برلين الذي تمّ عام ١٢٩٦، والذي أُبرم بعد أربعين يوماً فقط من معاهدة «التحالف الدفاعي» التي عقدت بين الدولة العثمانية وانكلترا.

احتلت انكلترا قبرص وأكثر سكانها من المسلمين فعملت قبل كل شيء على إضعاف المسلمين بتشجيع هجرة النصارى اليونان إليها، وفي الوقت نفسه الضغط على المسلمين الاتراك للهجرة منها، واستمرّت انكلترا في سياستها هذه حتى اندلعت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣، وكل هذه المدة وقبرص تتبع اسمياً الدولة العثمانية وفعلاً كانت تحت السيطرة الانكليزية.

لما انحازت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أنهت انكلترا تبعية قبرص بالدولة العثمانية وضمتها مباشرةً إلى ممتلكات التاج البريطاني. ومنذ ذلك الوقت والقبارصة النصارى الذين هم من أصلٍ يوناني وإخوانهم بقية النصارى يطالبون باستقلال الجزيرة وإلحاقها باليونان وخاصة أن النصارى قد غدوا أكثريةً في الجزيرة في عهد السيطرة الانكليزية. واضطرت الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب إلى التنازل عن تبعية الجزيرة الاسمية الرسمية لها وذلك في معاهدة لوزان التي وقعتها إثر الحرب عام ١٣٤٢ هـ.

الحكم الانكليزي: عيّنت انكلترا معتمداً لها في قبرص عام ١٣٤٣ فأنشأ لجنة تنفيذية للحكم تضمّ سبعةً من الانكليز، ومجلساً تشريعياً يضمّ أربعةً وعشرين عضواً، يتمّ انتخاب خمسة عشر منهم [اثنا عشر من النصارى وثلاثة من المسلمين]، ويعين المعتمد التسعة الباقين.

وتأسست حركة (انيوسيس) وتعني الاتحاد مع اليونان، وتمثل النصارى وخاصةً اليونانيين منهم وكان أكثرهم قد هاجر إلى الجزيرة بتشجيعٍ من الإنكليز، وعلى رأس هذه الحركة الأساقفة في قبرص جميعا. وقد وقعت أحداث دامية عام ١٣٤٩ هـ ذهب ضحيتها مئات السكان من المسلمين والنصارى، وأنشأت إثر تلك الأحداث مجلساً تشريعياً ضمّ الذين يتعاونون معها ويُنفّذون سياستها.

اتخذت انكلترا قبرص أثناء الحرب العالمية الثانية قاعدةً حربيةً للحلفاء، وامتلأت الجزيرة بالمؤن، وتطوع أكثر من عشرة آلاف قبرصي في القوات البريطانية، فانتشر الثراء. كما جعل الانكليز من قبرص قاعدةً تجاريةً لنشاط اليهود وللفساد، كما غدت بعد الحرب وبعد مقاطعة العرب للبضائع اليهودية مركزاً لتهريب البضائع، ومقراً لعصابات الصهاينة. واعترفت قبرص بدولة إسرائيل، وكان بينهما تبادل قنصلي.

وأثناء الحرب العالمية الثانية زار رئيس بريطانيا تشرشل قبرص عام ١٣٦٢ هـ، وسمح بقيام الأحزاب السياسية فيها، كما دعا إلى انتخابات عامة للبلديات، وتشكّلت إثر ذلك عدة أحزاب وهي:

حزب الوطنيين Kehe.
حزب المزارعين Pek
حزب الاشتراكيين Pesp.

هذا إضافةً إلى الحزب الشيوعي Akel الذي يخضع للحزب الشيوعي اليوناني Eam الذي يسير على نهج موسكو، ويُوجّه من مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا. وبعد فشل الحزب الشيوعي Eam في اليونان بدأ الشيوعيون في قبرص يُطالبون باستقلال جزيرتهم، وقد كانوا من قبل يُطالبون بانضمامها إلى اليونان، ويتوقّعون نجاحهم هناك، فعندما باءوا بالفشل رأوا أن يجربوا

معركتهم هنـا لذا بدؤوا يُطالبون باستقلالها. ولكن منع هذا الحزب من ممارسة نشاطه عام ١٣٧٥، إلا أنه بقي يعمل سراً، وقد اتهمته منظمة (إيوكا) التي تشكّلت آنذاك بالخيانة.

ذهب وفد قبرصي بعد الحرب إلى انكلترا للمطالبة بحق تقرير المصير، وفي عام ١٣٦٧ أضرب الشيوعيون واستمرّ إضرابهم ثلاثة شهور، وبرز في هذه الآونة على المسرح السياسي المطران مكاريوس الذي انتخب رئيساً لأساقفة قبرص، فدعا لإجراء استفتاء فوافقت الكنيسة وجرى استفتاء من طرف النصارى فقط.

حاولت اليونان عرض قضية قبرص على الأمم المتحدة غير أنها باءت بالفشل، كما حاول المطران مكاريوس ففشل أيضاً، فبدأت أعمال التخريب لتوجيه النظر العالمي إلى الجزيرة. وعرضت القضية عام ١٣٧٤ على الأمم المتحدة ولم تكن النتيجة مرضية لليونان. كما فشل المؤتمر الثلاثي في لندن عام ١٣٧٥ في التوصل إلى نتيجةٍ ترضى عنها الأطراف المعنية كلها.

لجأ اليونانيون إلى أعمال العنف ضدّ انكلترا صاحبة السلطة والتي ترفض ضمّ الجزيرة إلى اليونان، وضدّ الأتراك المسلمين الذي يخشون على أنفسهم من الوقوع تحت رحمة اليونانيين، ولهم معهم سابقة، كما لهم في مسلمي جزيرة كريت عبرة، وتدفّقت الأسلحة من اليونان إلى قبرص، والتقى المتطرفون من حركة (اينوسيس) وشكّلوا منظمة (أيوكا E. O. K. A) أي الجبهة الوطنية لتحرير قبرص، وتشمل ثلاثة أقسام: وهي القسم السياسي، وقسم التنسيق، وقسم التنفيذ ويرأس الأخير الجنرال (غريفاس)، وهو جنرال يوناني متقاعد، وصل إلى الجزيرة على شكل زائر عام ١٣٧٣ هـ.

بدأت منظمة (أيوكا) بأعمال العنف على نطاقٍ واسعٍ، واضطرت انكلترا إلى جلب امدادات عسكرية للمحافظة على النظام والأمن، وقامت في تركيا

مظاهرات ضدّ اليونان اتسمت بالعنف. فقاطعت اليونان المجلس العسكري لحلف البلقان المنعقد في انقره، وامتنعت أيضاً عن المناورة العسكرية لحلف شمالي الأطلسي، وقاطعت صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي الذي عُقد في استانبول، وهددت الغرب بالوقوف على الحياد، وذلك في سبيل لفت نظر العالم إليها، وكسب تأييد الغرب لها ضدّ انكلترا في ضم الجزيرة إلى اليونان.

اهتمت الولايات المتحدة بالأمر، واعتذرت تركيا عن أعمال العنف التي قامت على أرضها ولكن أعمال الإرهاب استمرّت في قبرص، وقامت انكلترا بنفي المطران مكاريوس مع ثلاثة من أعوانه إلى جزيرة (سيشل) عام ١٣٧٦ بغية تسليط الأضواء عليه وعلى أنصاره وإعطائهم حكم الجزيرة في المستقبل حيث ينفذون سياستها، واتخذت بريطانيا من قبرص قاعدةً للقوات البريطانية والفرنسية التي نزلت في قناة السويس عام ١٣٧٦ إبّان الاعتداء الثلاثي على مصر.

عرضت قضية قبرص على الأمم المتحدة عام ١٣٧٦ دون جدوى، ورفضت انكلترا مشروع الهند الخاص بقبرص. وتفاقمت أعمال العنف، ولكن انكلترا سمحت للمطران مكاريوس بالإقامة في أثينا ليكون قريباً من أحداث قبرص، وليُوجّه الحياة السياسية فيها، كما فرّ (غريفاس) من قبرص إلى اليونان.

ولننظر إلى مختلف الآراء ذات العلاقة في موضوع جزيرة قبرص.

١ ـ **اليونان:** ترى أن أكثرية سكان الجزيرة من اليونانيين الذين يريدون الانضمام إلى اليونان، وأن انكلترا تحول دون هذا الانضمام لتحتفظ بسيطرتها عليها. وكذلك تقوم تركيا بالدور نفسه لتبتلع الجزيرة في المستقبل، وأنها تُشجّع عناصرها في الجزيرة على أعمال العنف لتحول دول انضمامها إلى اليونان، وليساعدها ذلك على ضمّ قبرص لها في المستقبل.

٢ ـ **تركيا:** ترى أن الأكثرية النصرانية في الجزيرة ليست من أصلٍ قبرصيٍ ، وإنما هاجرت إليها لهدفٍ سياسي تحت نظر وسمع الانكليز لذا فليس للعناصر الدخيلة الحق في تقرير المصير. وإنما الحق فقط لعناصر السكان الأصليين الذين كانوا قبل دخول الانكليز عام ١٢٩٦ . وتبرهن على رأيها بما يلي:

كان عدد سكان قبرص عام ١٣٠٨ أي بعد دخول الإنكليز إليها باثني عشر عاماً ثمانين ألفاً ستون من المسلمين، وعشرون من النصارى، فالنصارى يشكلون ٢٥ ٪ فقط من سكان الجزيرة، على حين أصبحوا عام ١٣٨٠ أي بعد ما يقرب من سبعين سنة من السيطرة الإنكليزية:

١٠٤,١٨٣ مسلمين (أتراك).
٤٤٨,٠٤٣ نصارى (يونان).
٥٥٢,٢٢٦ المجموع.

إذ ليس من المعقول أن تكون زيادة النصارى هذه إلا عن طريق الهجرة، ومن المعلوم أن زيادة المسلمين في المواليد اكبر من زيادة النصارى، ولم يتضاعف عدد المسلمين على حين زاد النصارى بنسبة ٢٥٠٠ ٪، وهذا غير معقول إلا عن طريق دخول اليونانيين أفواجاً إلى الجزيرة بمساعدة الإنكليز.

كما أن المسلمين يخشون على أنفسهم من الانضمام إلى اليونان لأن مصيرهم سيكون مصير ٨٩ ألف مسلم كانوا في جزيرة كريت عندما انضمت إلى اليونان بعد أن خرج منها العثمانيون عام ١٣١٦ حيث أُجبر قسم على الهجرة وأُبيد الباقون تحت ظلم الحكم اليوناني، فهل يوجد إنسان عاقل في الدنيا يحكم على نفسه بالموت ويُسلّم نفسه للجزّار. لذا ترى تركيا رأي المسلمين في قبرص بأن تبقى الجزيرة مستقلة ويعيش المسلمون والنصارى بأمنٍ معاً. ويتركّز المسلمون في شمالي الجزيرة.

٣ - **انكلترا:** ترى من مصلحة انكلترا نفسها أن تبقى في الجزيرة، وأن في هذا البقاء مصلحة للغرب ولدول حلف شمالي الأطلسي، وكي لا تختلف تركيا واليونان اللتان في الحلف وبجانب الغرب.

وإذا كان لا بد من استقلال قبرص فيجب أن تكون فيها حكومة تتعاون معها وتُنفّذ سياستها، وتؤيّد الغرب، وقد هيّأت المطران مكاريوس وأعوانه لهذا الغرض، وسلّطت عليهم الأضواء، وعملت على تسليمهم الحكم. وفي الوقت نفسه فهي تعطف على النصارى وتكره المسلمين بدافع الحقد الصليبي. ومع هذا فإن اليونان تُعلن عن تفاهم تركيا وانكلترا ضدّ اليونان، وتحرص دولة اليونان النصرانية على ضغط الغرب على انكلترا بدافع الحقد الصليبي لتعمل لضمّ قبرص إلى اليونان.

٤ - **دول أوربا الغربية:** ترى رأي انكلترا في استقلال الجزيرة، وتعتقد أن في ذلك مصلحةً لها، وفي الوقت نفسه تساير اليونان بدافعٍ صليبي لتخفف من تطرّفها، وكذلك يجب دعمها كدولةٍ نصرانيةٍ، وتخشى من وقوع الحرب بين تركيا واليونان، وبعدهما عن الغرب، وعن حلف شمالي الأطلسي.

٥ - **دول أوربا الشرقية:** وتعمل على إبقاء أعمال العنف كي يمتدّ النفوذ الشيوعي ويبرز في هذا المناخ الملائم له، ولتُبيّن عُوار النظم الغربية بما يحدث في قبرص.

٦ - **الدول الإسلامية:** لا تنطلق من دافع ذاتي وسياسة خاصة، وإنما يسير أكثرها في فلك المخططات العالمية، ومع الدول الغربية بالدرجة الأولى، لذا فهي مع اليونان النصارى، وليست مع المسلمين، وتعلن أن الصراع بين تركيا واليونان، وتسلّط الأضواء على موقف تركيا من الغرب وعضويتها لحلف الأطلسي، واعترافها بإسرائيل وتنسى اليونان، وتضع اللوم على الدول

الغربية التي سببت كارثة فلسطين، ومشكلات البلدان العربية ومع أن هـذه الدول تسير في فلك الدول الغربية إلا أن بعضها يعلن اتجاهه نحو الشرق لتغطية موقفه، وخداع الشعب. كما أن الدول هذه تُصرّح باستمرار أن الصراع يقوم على أساسٍ عصبيٍ لا على أساسٍ دينيٍ، وتُؤيّد اليونان صراحةً إلا بعض الدول المعتدلة، وهي قليلة. غير أن الشعوب جاهلة لا تعرف حقيقة الأمر فيسير قسم مع حكامه ويُردّد كلامه وهو من أصحاب المصالح والمنتفعين والباقي فهو مغلوب على أمره مُقيّد لا يُسمع له صوت ولا يُسمح لقلمٍ له بالكتابة.

اقترحت تركيا التقسيم إذا لم يكن التعايش ممكناً، وأصرّت اليونان على الاستفتاء، ما دامت قد أدخلت إلى الجزيرة ما يُؤمّن لها ما تبغي ويزيد.

وفي عام ١٣٧٨ اقترحت انكلترا الخطة السبعية، وتقضي بأن يبقى وضع الجزيرة لا يتغير مدة سبع سنوات، وفي أثناء هذه المدة ينتخب الشعب مجلسين أحدهما للمسلمين الأتراك والآخر للنصارى سواء أكانوا من اليونان أم موارنة أم غير ذلك. أما الإدارة العامة فتتألف من مجلس الحاكم العام الذي يضم ممثلين عن الحكومتين التركية واليونانية إلى جانب أعضاء من المجلسين. ولكن هذه الخطة قد رفضت من الأطراف كافةً. ورغم أن الخطة قد عُدّلت إلا أن نار الفتنة قد اشتعلت واستمرت حتى عام ١٣٧٩ هـ.

وأريد أن أوضح أن المسلمين ليسوا جميعاً من الاتراك، وإنما فيهم من بقايا العرب، ومن القبارصة الأصليين، وحتى من بعض اليونانيين ولكن يُطلق أحياناً على الجميع أتراكاً على صفة التغليب، وكذلك فليس النصارى جميعاً يونانيين، وإنما فيهم موارنة من أصل لبناني، وقبارصة أصليين، ولكن يطلق على الجميع يونانيين على صفة التغليب.

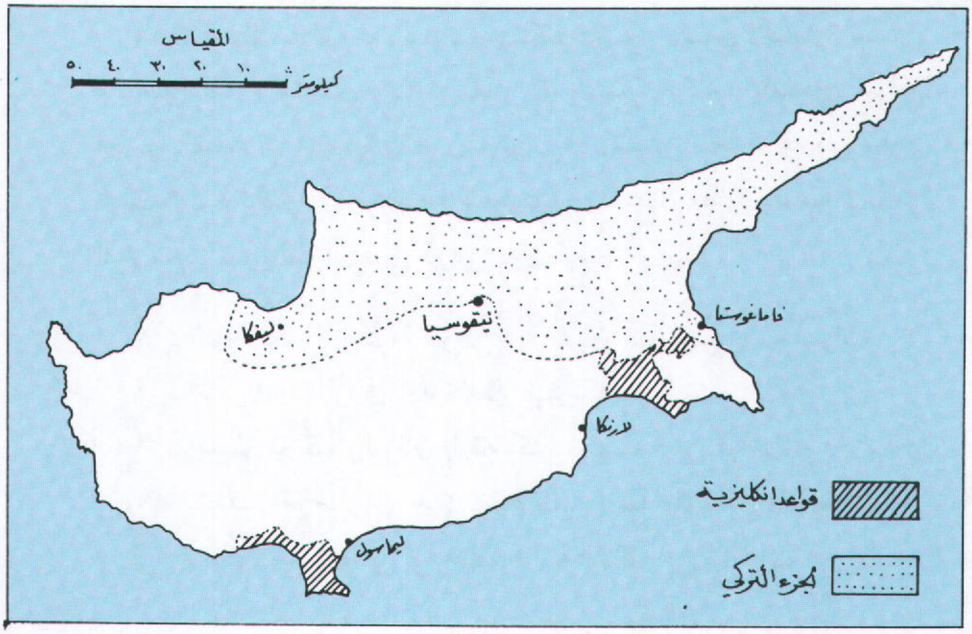
الاستقلال: عدّل المطران مكاريوس موقفه، وقبل الاقتراح الانكليزي بعد أن حاربه مدةً ليظهر بمظهر غير المرتبط حتى إذا أمّن لنفسه المركز عـاد فوافق على استقلال الجزيرة بعد مدةٍ من الحكم الانتقالي، وهيّأت انكلترا إخراج المسرحية.

عُقد مؤتمر في مدينة (زوريخ) في سويسرا بين كل من رئيسي وزراء تركيا واليونان وهما يومذاك عدنان مندريس، وكرامنليس، بعد اجتماع وزراء خارجية الدولتين سرّاً، حيث عملت انكلترا له بعد نجاح خطتها وتأمين أعوانها، وبعد الاتفاق انتقل وزيرا خارجية الدولتين إلى لندن للالتقاء بوزير الخارجية البريطانية (سلوين لويد) وحضر اللقاء كل من المطران مكاريوس وفاضل كوتشوك ممثلين عن القبارصة المسلمين والنصارى، ثم حضر مندريس وكرامنليس، ورغم أن عدنان مندريس قد دخل المستشفى إثر حادث طائرة نجا منه إلا أن الاتفاق قد تمّ في ٨ شعبان عام ١٣٧٨ (١٩ شباط ١٩٥٩ م) وينص الاتفاق على:

١ ـ تكون قبرص جمهوريةً مستقلةً رئيسها من الجالية اليونانية، ونائبه من الجالية التركية، وينتخبان لمدة خمس سنوات، وللاثنين فقط حق الرفض لأي قانون.

٢ ـ يتألف مجلس الوزراء من عشرة أعضاء، منهم سبعة من اليونانيين وثلاثة من الأتراك، وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة، ويجب أن يعهد إلى وزير تركي بإحدى وزارات الدفاع أو المالية أو الخارجية.

٣ ـ ينتخب مجلس النواب (التشريعي) لمدة خمسة أعوام، وتنتخب كل جاليةٍ على انفراد، حيث يمثل اليـونـانيـون ٧٠٪ مـن أعضـاء المجلس، والأتراك ٣٠٪، وتكون القرارات بالأغلبية المطلقة، أما التعديل فيجب أن يكون بأغلبية الثلثين.


المقياس
٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠ كيلومتر
نيقوسيا
ليفكا
فاماغوستا
لارنكا
ليماسول
قواعد انكليزية
الجزء التركي

مصور رقم [٢١] .

٤ ـ يتألف الجيش من عشرين ألـف جنـدي ، ٦٠٪ مـن اليـونـانيين و٤٠٪من الأتراك .

٥ ـ تضمّ قوات الأمن ألفي جندي ٧٠٪ من اليونانيين و٣٠٪ من الأتراك ، ويقوم تحالف عسكري بين كل مـن تـركيـا وقبرص واليـونـان . وتستبعد فكرة اتحاد قبرص مع أية دولةٍ اخرى كلياً أو جزئياً ، كما وتستبعد فكرة تقسيمها .

٦ ـ تحتفظ انكلترا بقـاعـدتين عسكـريتين في جنـوبي الجزيـرة تكـون مساحتها تسعةً وتسعين ميلاً مربعاً ، كما تستمرّ انكلترا باستعمال المواقع الحربية القائمة في الجزيرة والطرق والموانيء ، وتستمر حكومة قبرص بتقديم التسهيلات لانكلترا في ميناء (فاماغوستا) ، واستعمال مطار نيقوسيا في زمن السلم والحرب ، والطيران فوق قبرص دون قيد .

٧ ـ تمنح انكلترا حكومة قبرص ١٢ مليون جنيه مدة خمسة سنوات .

٨ ـ تشترك انكلترا في إدارة مطار نيقوسيا .

٩ ـ يسمح لتركيا واليونان بإبقاء كتائب صغيرة من قواتها في الجزيرة .

١٠ ـ تقسم قبرص إلى خمس مقاطعات ، منها مقاطعة (فاماغوستا) في شرقي الجزيرة ، ويحكمها تركي حيث غالبية السكان من الأتراك .

دخل مكاريوس قبرص ، وأُغلقت معسكرات الاعتقال ، وجمعت الأسلحة من منظمة (أيوكا) ، ووافق الجنرال (غريفاس) على الاتفاق ، وغادر قبرص إلى أثينا ، وكان قد دخلها سراً .

وفي ٢٢ شعبان ١٣٧٨ (٥ آذار ١٩٥٩ م) تشكلت أول وزارةٍ قبرصيةٍ ، ضمت أحد عشر وزيراً ، سبعة منهم من اليونانيين وأربعة من الأتراك .

كان المطران مكاريوس وفـاضـل كـوتشـوك والوزراء وحـاكم الجزيـرة يشكلون اللجنة الموقتة لتنفيذ الاتفاقيات بشأن قبرص . وخفّضت القوات

البريطانية في الجزيرة من خمسة وعشرين ألفاً إلى ستة آلاف جندي. كما تمّ الاتفاق بين حكومات تركيا وقبرص واليونان على عقد حلفٍ دفاعي.

وقع الخلاف بين مكاريوس وغريفاس، ثم تم الصلح بينهما بلقاء في جزيرة رودوس في ربيع الأول عام ١٣٧٩ هـ.

وجدت منظمة سرية عرفت باسم (جبهة تحرير قبرص) حملت على المطران مكاريوس في تساهله بحق أبناء عقيدته.

شكل المطران مكاريوس حزباً عرف باسم (أدما) كما تشكل حزب معارض له باسم اتحاد قبرص الديمقراطي، وكان هذا الحزب بزعامة (جون كليرديس).

وبدأت الاجتماعات لوضع الدستور، وتوقّفت الاجتماعات بسبب تهريب أسلحة من تركيا إلى قبرص، ثم عادت الاجتماعات إذ ظهر أن التهريب كان عملاً فردياً، ووضع الدستور وجرت الانتخابات في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ (١٣ كانون أول ١٩٥٩ م)، وانتخب المطران مكاريوس رئيساً للجمهورية، وفشل خصمه (جون كليرديس) الذي أيدّه الشيوعيون، كما نجح فاضل كوتشوك نائباً للرئيس، ولم ينافسه أحد من الأتراك، وتم الاتفاق على اختصاص كل منهما اتفاقاً تاماً.

كان من المقرر أن يكون الاستقلال في ١٥ شعبان ١٣٧٩ هـ (١٦ شباط ١٩٦٠ م) ولكنه تأخّر حتى ٢٢ صفر ١٣٨٠ هـ (١٦آب ١٩٦٠ م) بسبب الخلاف بين انكلترا وحكومة قبرص على مساحة القواعد الانكليزية على الأرض القبرصية. وحسب إحصاء ١٣٨٠ هـ وجد أن السكان في قبرص يتوزّعون حسب الجنسية على الشكل التالي:

٤٤٨,٠٤٣ من اليونان. ويُشكّلون ٧٨ ٪من مجموع السكان.
١٠٤,١٨٣ من الأتراك. ويُشكّلون ١٩ ٪من مجموع السكان.

٢,٦٢٨	من الأرمن.	
٢,٧٠٨	من اللبنانيين.	
٢٣,١١٣	جنسيات مختلفة أغلبهم من اليهود	٣ ٪من مجموع السكان.
٥٨٠,٦٧٥		١٠٠٪

أما حسب الأديان فكان الإحصاء كما يأتي:

النصارى	٧٩٪	وهم أرثوذكس وقليل من الموارنة.
المسلمون	١٩,١٪	
اليهود	١,٩٪	
	١٠٠٪	

وهكذا قامت الدولة القبرصية على أساسٍ ديني فعلاً، وديمقراطي شكلاً، وبدأت بمساعدة اليونان وإسرائيل، وتملك الثانية أكبر سفارة في الجزيرة.

عودة الاضطرابات: إن الأساس الذي قامت عليه الدولة القبرصية لا يمكن أن ينهي الخلاف، وقد عادت الفوضى بعد مدةٍ وجيزة إذ رجعت المعارك الدموية بين الطرفين عام ١٣٨٣، وربما كان سببها المباشر أن الجنرال غريفاس قد عهد برئاسة ما سمي بالحرس الوطني رغم أنه غريب عن قبرص، فبدأ غريفاس يتصرّف بالأمن كما يحلو له، وهذا ما جعل الأتراك يتصلّبون في مواقفهم وينكفئون على أنفسهم، ودبّ الخلاف وحدث الصدام، وتفرّد اليونانيون بالحكم، وهذا ما جعل الأمم المتحدة تتدخل في الأمر وترسل قوات للمحافظةعلى الأمن بدلاً من القوات البريطانية عام ١٣٨٤ هـ، وبعد عام هاجمت قوات الحكومة القبرصية الأحياء الإسلامية وفتكت بالمسلمين بأبشع الوسائل باسم القبارصة اليونانيين، كما قامت الطائرات بقصف المساجد ودور المسلمين.

كان المجلس النيابي القبرصي عام ١٣٨٥ يتألف من خمسين نائباً منهم ٣٥ من اليونانيين و١٥ من الأتراك، وتحتلّ الأحزاب المقاعد على النحو التالي:

حزب الجبهة البطريركي ٣٠ نائباً	ورئيسه المطران مكاريوس وأعضاؤه جميعاً من اليونانيين.
الحزب الشيوعي (اكيل) ٥ نواب	ورئيسه أ ـ بابيونو وأعضاؤه جميعاً من اليونانيين.
حزب الأتراك الوطنيين ١٥ نائباً	ورئيسه رؤوف دنكتاش واعضاؤه جميعاً من الاتراك.
حزب الاتحاد القبرصي	وجميع الأعضاء فيه من اليونانيين، وليس لهذا الحزب مقاعد في المجلس.

عادت الأحداث الدموية إلى الجزيرة عام ١٣٨٧ هـ حيث هاجمت مجموعات من الحرس الوطني الذي يرأسه الجنرال (غريفاس) القرى والأحياء الإسلامية، ونتج عنها مقتل أربعين شخصاً مسلماً، وجرح المئات، فطالبت تركيا الحكومة اليونانية بسحب قواتها من الجزيرة والتي زاد عددها على ستة عشر ألفاً من الجنود، كما طالبت الحكومة القبرصية بطرد الجنرال غريفاس، وحلّ الحرس الوطني، فسحبت اليونان قسماً من قواتها، ورفضت الحكومة القبرصية حلّ الحرس الوطني، ولم تجد المفاوضات، ولم تنته الأحداث رغم وجود القوات الدولية في الجزيرة.

وقعت محاولة تمثيلية لاغتيال المطران مكاريوس لتقوية مركزه وتسليط الأضواء على شخصه. وإذا كنا قد لاحظنا تأييد النصارى جميعاً لليونان من يونانيين وقبارصة ولبنانيين وبغضّ النظر عن اتجاهاتهم سواء أكانت شيوعية أم رأسمالية، ولكن يبدو أن الصف اليوناني قد انقسم في هذه الآونة بين مؤيدين للاستقلال وبين الراغبين بالانضمام إلى اليونان، ويتزعّم الجناح الأول المطران مكاريوس، ويدعمه المعسكر الغربي سرّاً والمعسكر الشيوعي ظاهراً،

أما الجناح الثاني فيتزعّمه الجنرال غريفاس قائد الحرس الوطني وزعيم منظمة (أيوكا)، ويناصره المتطرفون من القبارصة النصارى وتدعم ذلك الحكومة اليونانية.

اشترى المطران مكاريوس صفقة أسلحة من تشيكوسلوفاكيا لإظهار التوازن بين المعسكرين على حد تعبيره، وليبدو على الحياد، وليُرضي الشيوعيين غير أن هذا قد أثار عليه الحكومة اليونانية فطلبت منه:

١ - تسليم الأسلحة التي استوردها من تشيكوسلوفاكيا لتسليح أنصاره إلى جنود الأمم المتحدة في الجزيرة.

٢ - تشكيل حكومة اتحاد وطني يشترك فيها أنصار الجنرال غريفاس.

٣ - اعتراف مكاريوس بأن اليونان هي المركز السياسي الوطني للشؤون القبرصية.

وصرّحت له بأنه إذا قام بتنفيذ هذه المطالب فإن الصف اليوناني يلتئم من جديد مقابل الصف التركي. وقد وافق المطران مكاريوس على تسليم الأسلحة التشيكية إلى القوات الدولية، وعلى إجراء تعديل وزاري بسيط في وزارته مقابل إقناع الجنرال غريفاس بمغادرة قبرص.

وفي هذه الآونة سُرقت ملفّات القصر الجمهوري، ونقلت إلى اليونان، وتتعلق محتوياتها بالوعود التي قطعها المطران مكاريوس للروس أثناء زيارته موسكو.

أُشيع أن غريفاس قد غادر قبرص وبدأ يعمل في اليونان على تشكيل جماعات ضدّ مكاريوس لضمّ الجزيرة إلى اليونان. ولما لم يرضخ مكاريوس لكل ما تُريده اليونان منه حرّكت عليه عناصرها في قبرص. وطالب مجلس (السندوس الكنسي القبرصي) باستقالة مكاريوس من سلطاته الزمنية دون أن يُعطوه الخيار بين السلطة الزمنية والدينية، ويتألف هذا المجلس من ثلاثة

أساقفة اثنان منهما يعارضان الأسقف مكاريوس، ويدعوان إلى اتحاد قبرص مع اليونان من خلال النظرة الدينية، ورفض مكاريوس هذا الطلب وحرّك أعوانه في الشوارع ليقفوا ضدّ هذا المخطط الذي يرمي إلى إزاحته عن مركزه في قبرص، لكن اليونان قد أنذرت بحربٍ أهليةٍ طاحنةٍ تدور في الجزيرة إذا ما استمر مكاريوس في الحكم، وأبلغت هذا إلى قواتها المرابطة في قبرص والبالغ عددها آنذاك ثلاثة آلاف جندي، كما أبلغت ذلك إلى جماعاتها المسلحة التي تأخذ أوامرها من الجنرال غريفاس. أما المسلمون في قبرص فينظرون دائماً إلى مصير إخوانهم في جزيرة كريت فيأخذهم الخوف من مستقبلهم المجهول، وأما المسلمون في بقية العالم فبعضهم يغطّ في نوم عميق، وبعضهم لا يدري ما يجري، تخفيه عنه وسائل الإعلام العالمية والمحلية التي من واجبها توضيح ذلك، والجميع يخضعون لضغطٍ شديدٍ من الطغاة لا يجعلهم يُفكّرون في شيء إلا بما يُصيبهم هم.

وفي ربيع الأول من عام ١٣٩٢ أُقيل وزير الخارجية القبرصية من منصبه وهو سبيروس كبريانو وهو مسلم تركي بضغطٍ يوناني على المطران مكاريوس.

وبدأ غريفاس يُساند إسرائيل، ويدّعي أن مكاريوس يُؤيّد العرب الذين يجعلون سفاراتهم تحت تصرّف الفدائيين الفلسطينيين، ولم يكن يوجد سوى ثلاث سفارات عربية في قبرص. ويعتقد غريفاس أن العرب لا بدّ لهم من أن يؤيدوا الأتراك ويتعاطفوا معهم لما من أثر للرابطة الدينية، والواقع أن العرب لم يكونوا على هذه الساحة بل كانوا على صلةٍ مع مكاريوس إذ لم يكن للدين أي أثر ـ مع الأسف ـ وهذه الصلة بين بعض الدول العربية ومكاريوس قد اتخذ منها غريفاس مادة للهجوم على خصمه مكاريوس، وبنى على توقّعات لم يُفكّر بها العرب، ولو كانت تخطر على بال أحدهم لما اتصل بهم مكاريوس فهو صليبي بل أشد صليبيةً من غريفاس غير أن المتاجرة بالدعايات لتحقيق الأهداف أمر واضح سياسياً.

وفي ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٩٤ وقع انقلاب على المطران مكاريوس، وتسلّم الحكم (غلافكوس غلاريدس)، وفرّ مكاريوس إلى مالطة فانكلترا فالولايات المتحدة بعد أن أذاعت نيقوسيا نبأ موته.

استنفرت كل من تركيا واليونان قواتها، وأنزلت تركيا قوةً في قبرص في غرة شهر رجب من العام نفسه أي بعد أسبوع من وقوع الانقلاب، ثم أعلن وقف إطلاق النار بعد مدةٍ، ثم تجدد القتال في ٢٦ رجب، واستطاعت القوات التركية دخول ميناء (فاماغوستا)، وأن تتابع سيرها نحو الغرب حتى مدينة (مورفو). أعلنت اليونان عن انسحابها من حلف شمالي الأطلسي، وفي الوقت نفسه صرّحت بأن الحرب غير واردة مع تركيا بسبب جزيرة قبرص. وأعلنت تركيا أن غايتها من الإنزال قد تحقّقت، بعد أن سيطرت على ما يقرب من ثلث الجزيرة، وهو المكان الذي يكثر فيه الأتراك الذين كانوا يستقبلون القوات التركية بالترحيب. وتوقّف إطلاق النار ثانيةً في ٢٨ رجب من عام ١٣٩٤ هـ.

وبعد مناورات تمكّن المطران مكاريوس من أن يعود إلى قبرص.

ولا يزال الوضع كما هو، لم يتغير شيء حكومة للقبارصة الأتراك في الجزء الشمالي، وأخرى للقبارصة اليونان في الجزء الجنوبي، والصراع قائم بين الإسلام والنصرانية في هذه الجزيرة، وإن كان الناس والحكومات وأجهزة الإعلام يعطونه الصفة العنصرية.

وقد جرت الانتخابات عام ١٤٠١ في القسم اليوناني، وقد حصلت الأحزاب على النسب التالية من مقاعد المجلس النيابي:

حزب التجمع الديمقراطي	٣٩,٨٪	ويرأسه غلافكوس كليريدس
الحزب الشيوعي	٣٢,٧٪	ويرأسه أزيسساش بابيونو
الحزب الديمقراطي	١٩,٥٪	ويرأسه سبيروس كبريانو

الحزب الاشتراكي	٠٨,٠ ٪	ويرأسه فاسوس ليساريدس
	١٠٠ ٪	

كما جرت الانتخابات عام ١٤٠٥ هـ والتنازع على المقاعد بين الأحزاب السابقة، وكان مجموع عدد الناخبين في هذه المرة مائة وخمسون ألف ناخب. والوضع على حالته لم يتغير شيء إذ كل طرف لا يزال يصرّ على موقفه.

ويوجد في قبرص من المؤسسات الإسلامية: الجمعية الإسلامية في قبرص، والاتحاد القبرصي التركي الإسلامي.

نحن والأقليات
في
آسيا

يبدو من المعلومات السابقة عن الأقليات المسلمة في قارة آسيا أن معرفتنا عنها إنما هي معرفة ضحلة رغم الصحوة الإسلامية التي نتكلّم عنها باستمـرار، ورغم النهضة الإسلامية الشاملة التي نتحدّث عنها على الدوام. وإذا توفّرت لدينا بعض المعلومات شبه الكافية أحياناً فإن هذا لا يعود إلى جهودنا التي قلما نبذلها للوصول إلى معرفة أحوال إخواننا، وإنما إلى أسباب أخرى لا تتعلّق بنا بأية حال، ومنها:

١ - وصول المسلمين إلى منطقةٍ وحكمهم لها - سابقاً - فتتوفر عندها بعض المعلومات كما هي الحال في الهند، وتركستان الشرقية، والفيليبين، وإن لم يكن هذا الأمر عاماً كما سيبدو لنا.

٢ - قيام ثورة في منطقة وهذا ما يجعـل الأنظـار تتجـه نحوهـا، ووسـائـل الإعلام تتحدّث عنها وتنقل أخبارها كما هي الحال في فطاني، وجنوبي الفيليبين، ومنها الصراع مع الصليبية في قبرص.

٣ - خروج بعض أبناء منطقةٍ من المنـاطـق لأسبـابٍ سيـاسيـةٍ أو غيرهـا والكتابة عنها، كما هي الحال في الصين التي خرج منها بعض أهلها عندما سيطر عليها النظام الشيوعي فدوّنوا عن بلادهم بعض الكتب.

٤ - عدد المسلمين الكبير في منطقة يجعلهم يقومون بإنشاء مؤسسات لهم يحافظون فيها على كيانهم وذاتيتهم كما هي الحال في الهند، والصين، وغيرهما.

ويلاحظ أنه ربما يوجد أكثر من سبب في منطقة من المناطق، كالحكم الإسلامي والكثرة في الهند، والكثرة والارتحال كالصين، والحكم والثورة في الفيليبين، والكثرة، والحكم، والثورة في فطاني. وما عدا ذلك فالمعلومات ضحلة جداً، قد لا يجد المرء مجالاً ليسجل شيئاً عنها مثل: نيبال، وبوتان، وسيرلانكا، وبورما، وتايلاند، وكامبوديا، وفيتنام، ولاووس، وتايوان، ومنغوليا، وكوريا، وأرمينيا، وجورجيا، وسيبيريا وسنغافورة.

وربما وجد بعض المسلمين لأنفسهم أعذاراً وحججاً واهيةً ومنها أن أكثر هذه المناطق قد خضعت للسيطرة الشيوعية التي تجعل ستاراً حديدياً بين السكان في ذلك السجن الكبير وبين الذين يعيشون خارجه، غير أن هذا الجواب غير صحيح فإن المعلومات كثيراً ما تتسرّب من داخل السجون إلى خارجها، والمرء لا يعدم حيلة ولا يفقد الوسيلة للوصول إلى هدفه، وإذا صحّ هذا عن المسلمين تحت السيطرة الشيوعية فما هي معلوماتنا عن المسلمين الذين يعيشون في دولٍ مفتوحةٍ للعالم كله شأن سيريلانكا، ونيبال، وبوتان، وبورما، وتايلاند، وسنغافورة وغيرها، وما هذه إلاّ حجة الضعيف المتكاسل أو العاجز والذي لا يريد العمل.

الواقع أننا قد أعرضنا عن هذه البلاد المتخلّفة إذ لا يتجه إليها أحد يطلب العلم ولا يرحل إليها أحد يطلب الرحلة والنزهة والسفر والمتعة فمؤسساتنا لا تظهر إن أقمناها هناك، ومراكزنا لا تبرز إذا أسسناها هناك، ونحن نريد الدعاية والشهرة والظهور بالعمل والسمعة. وحتى السفارات الإسلامية والبعثات السياسية إلى هذه البلدان إنما هي من الدرجة الثانية. أعرضنا عن دول آسيا واتجهنا إلى أوربا وأميركا الشمالية نبني المراكز

الإسلامية ذات الفن المعماري الرائع ، ونُقيم المساجد الواسعة ، ونرسل البعثات ، ونرحل في الصيف للراحة ، وفي الشتاء للنزهة هـذا مـع العلم أن صراعنـا مـع النصرانية ليس في أوربا وأميركا الشمالية وإنما في آسيا وإفريقية ، إن العالم المتقدّم قد أهمل الجانب الديني فقلّ أن يُقبل عليه وحتى على ديانته بالذات ، وإن كان هذا لا يمنع من سعينا وعملنا المتواصل في سبيـل إقنـاعـه بـالحق ودعوته إلى الخير ، ولكن نقول: إن ما ينفق في أوربا وأميركا الشمالية لو بذل في آسيا وإفريقية لأعطى فوائد أضعافاً مضاعفة لما يمكن أن يأتي من أوربا وأمريكا الشمالية. وإن المساجد والمؤسسات الإسلاميـة القـائمـة في البلـدان الآسيوية التي تعيش فيها أقليات مسلمة على حالةٍ لا تتناسب أبداً والمهمة التي أُعدّت من أجلها ، كما لا تتناسب أبداً مع مؤسسات الإرسـاليـات التنصيريـة الكثيرة التي بُذل من أجلها الكثير ، وأُقيمت بشكلٍ تنسجم ومعطيـات العصر ، وتتفق مع ما يحتاجه أبناء المنطقة من مالٍ ، ودواءٍ ، وعلمٍ ، وغذاءٍ ، وتتلاءم مع أحدث الأساليب العملية في كسب الناس وجذبهم، وكل هذا ما تُحرم منه المؤسسات الإسلامية إن وجدت ولا توجد في أغلب الأحيان لأننا قد أعرضنا عن هذه الجهات وانصرفنا إلى أمكنةٍ أخرى ليست بحاجةٍ إلى ما نفعل بل لا يُلتفت إلى ما نبني، وإنا لنقيم المراكز أحياناً في جهاتٍ يقلّ روّادها إن لم ينعدموا .

وإني لا أقول بالإهمال التام فربما نرسل الدعاة ولكن نظرةً واحدةً إلى جدول الدعاة يأخذنا العجب إذ قلما يزيد عدد الدعاة على الاثنين أو الثلاثة في البلدان التي يكثر أبناؤها فيبلغون عشرات الملايين، وقد ينقص عدد الدعاة إلى الداعية الواحد فماذا يفعل هذا أمام أفواج مُنصّري الإرساليات التي تتجاوز المئات أحياناً. وبعد فإن هذا الداعية لا يملك من الإمكانات شيئاً أمام الإمكانات الضخمة الموضوعة تحت تصرّف أفـراد الإرسـاليـات ومبعوثيها مع الدعـم الكـامـل مـن مجلس اتحاد الكنـائس العـالمي ، والدول النصرانية كلها وسفاراتها وبعثاتها السياسية هذا بالإضافة إلى عدم التأهيل

الكافي للدعاة من لغةٍ وتحصيلٍ علمي، وتربيةٍ تطبيقيةٍ في السلوك والعمل، ومعرفة في البيئة التي يذهب إليها، والمناخ الذي يعيش فيه، وهذا كله مُهيّأ لأفراد الإرساليات الذين أُعدّوا إعداداً كاملاً، وخضعوا لدورات التدريب والتحقوا بمدارس العمل للتنصير.

ومع النهضة الإسلامية التي نتحدّث عنها قامت بعض الحكومات الإسلامية ـ جزاها الله خيراً ـ بافتتاح بعض المعاهد العلمية في بعض الدول الآسيوية لتعليم اللغة العربية كهدفٍ وكوسيلة للتعريف بالإسلام وأهله، ومع ما في العمل من خيرٍ ومن نفعٍ ـ إن شاء الله ـ إلا أنها دون الحاجة بكثيرٍ إذ لم يزد عدد هذه المعاهد عن اثنين أو ثلاثة في أكثر جهات العالم سكاناً وأشدّها ازدحاماً، إضافةً إلى أن المبتعثين لإدارة هذه المعاهد والعمل فيها لم يُؤهّلوا ولم يُوجّهوا، ولم يدرسوا المناطق التي سيذهبون إليها، ولم يعرفوا شيئاً عن أهلها، وإنما كان اختيارهم عن غير دراسة، وليس لديهم الامكانات التي يمكنهم أن يجذبوا السكان عن طريقها، ولم يُوضع تحت تصرّفهم شيءٌ. ومع تقديري التام لأولئك العاملين في هذا الميدان وجزاهم الله خيراً إلاّ أني أقول: إننا بحاجة إلى من يُقدّم الإسلام للناس سلوكاً قبل أن يُقدّمه علماً، وإلى من يُعطيه عملاً قبل أن يعطيه قولاً، وإلى من يُبيّنه على الواقع قبل أن يُبيّنه نظرياً، فالإسلام إيمان بالقلب وتصديق وعمل بالجوارح، وهذا ما نُقصّر فيه في اختيار أولئك العاملين. وخاصةً أن الفكرة التي سادت لدى أولئك عن الإسلام نابعة من تصرّف بعض المنتمين إليه الذين ينطلقون إلى هناك لقضاء بعض مصالحهم أو شهواتهم.

ينطلق إلى جهات جنوب شرقي آسيا بعض أصحاب المصالح للحصول على العمال والمستخدمين والخدم ذلك أن تلك الجهات ـ كما ذكرنا ـ أكثر مناطق العالم سكاناً وأشدّها ازدحاماً، ونتيجة تخلّفها هي ذات مستوىً معاشيٍ منخفضٍ لذا فإنا أصبحنا نتجه إليها لتأمين ما نحتاج إليه من عمالٍ

للمعامل، وعاملين في حقل الطب وبعض الميادين، ومستخدمين في الدوائر، وخادمات في المنازل بعد أن ارتفع مستوى بعض دولنا المعاشي بسبب تدفّق النفط من أراضيها نعمةً من الله وعطاءً. هؤلاء الذين ينطلقون ليس لهم من همٍّ سوى الوصول إلى ما ذهبوا من أجله، وإن كانوا يختلفون في سلوكهم، فقليل منهم الصالحون وأكثرهم الفاسقون، وهم الذين اعطوا صورةً غير صحيحةٍ عن الإسلام وأهله. وأقول: إن هذا مجال للاتصال مع الأقليات المسلمة في جنوب شرقي آسيا خاصةً وبالسكان عامةً وبصورةٍ إيجابيةٍ ونُقدّم عن طريقه خدماتٍ لإخوتنا هناك، وننشر ديننا بين أهل تلك المناطق فنُعطيهم الخير العميم مع العقيدة. إننا بحاجةٍ الى استقدام العمال، وإنهم بحاجةٍ إلى القدوم إلينا لتحسين أوضاعهم الاجتماعية. كان يمكن أن نستقدم المسلمين أولاً وقبل غيرهم لرفع مستواهم المعاشي، ولتعريفهم بالإسلام بصورةٍ عملية بعد أن انقطعت حياتهم عنه طويلاً لبُعدهم ووضعهم بين الكافرين، وتسلّط أعدائهم عليهم، وانخفاض مستواهم وجهلهم، ولمصلحتنا إذ نكون قد أمنا على أولادنا، وقد وضعناهم بين أيديهنّ كمربياتٍ وخدم ويكنّ أميناتٍ عليهم أكثر من الكافرات بأية صورةٍ من الصور، غير أن هذا التصرّف يقف في وجهه عائقان: أولها مكاتب العمال هناك التي تحرص أن تستبعد المسلمين من إرسالهم كي لا تتحسّن أوضاعهم المعاشية فيضعون العراقيل في وجههم ويدّعون لمكاتب الاستقدام أن المسلمين ليسوا أكفاء للعمل ولا يضمنون تصرّفاتهم، ولكنهم في الحقيقة يُؤثرون عليهم النصارى والبوذيين أبناء جلدتهم، لذا فاستقدام المسلمين قليل، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فنحن لا نبالي بالموضوع كثيراً، ولا نهتّم به، ولذا فلا نُتابع ما نرغبه. وثانيهما أن قسماً منا يرغب في استقدام النصارى إذ يرى أن الإساءة للمسلمين أمر صعب والاستهانة بأعراضهم فعل مستنكر أما غيرهم فيبيحه لنفسه ولا شك أن هذا جهل إذ الإساءة لا تصحّ للمسلم ولا لغيره، وانتهاك الأعراض حرام سواء أكان الفعل مع مسلمات أم مع غيرهن.

ويمكننا لو كنا على مستوى المسؤولية أن نفتح معاهد لتعليم العربية أو نُقيم دوراتٍ لذلك، فلا يتمّ استقدام أحد دون اتباع دورة للغة العربية أو التخرج من المعهد فمن ناحيةٍ ننشر لغتنا، ونجد مجالاً للعمل لمن يُتقنها، وفي هذا سبيل لمعرفة إعلامنا وما نريد العمل له، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ يأتي المستقدمون وهم على معرفةٍ نسبيةٍ بلغتنا وتزداد هذه المعرفة بالاختلاط، وهو أفضل من أن يأتي المستقدمون دون سابق معرفة للغة فنضطر لمخاطبتهم بلغةٍ كلها رطانة فنفسد لغة أبنائنا، وإننا لنجد أن الخادمة في البيت تُعلّم أهل المنزل جميعاً لغتها، ولا يُؤثّرون فيها بتعلّم لغة أصحاب الدار، وهذا ما يلاحظ لدى الأطفال بشكلٍ خاصٍ.

ويمكننا لو كنا على مستوى المسؤولية أن نجعل أكثر هؤلاء القادمين لا يعودون إلى بلادهم إلاّ وقد دخلوا في الإسلام وحصلوا على خير الدنيا والآخرة. نجعلهم يدخلون في الإسلام بسلوكنا ومعاملتنا لهم وتصرّفنا معهم، لكن ـ مع الأسف ـ كثيراً ما يعودون ورأيهم بالإسلام وأهله أكثر سوءاً من الوقت الذي جاءوا فيه، لما يرون منا، ولم يعلموا أن واقع الإسلام غير واقع أتباعه. وصحيح أن بعضهم يعتنق الإسلام في ديارنا وبعد قدومهم إلينا إلاّ إنّ نصف هؤلاء إنما اعتنقوه لمصلحة لهم أو لغايةٍ في نفس يعقوب. فيجب أن نُفكّر بواقعنا ونصلح حالنا التي نحن عليها.

وينطلق بعض الشباب من الدول الإسلامية إلى بلدان جنوب شرقي آسيا للحصول على المتعة حيث تتوفّر هناك بأحطّ المستويات فيتمرّغون هناك بالوحل، ولا يدرون مع طيش الشباب وسن المراهقة التي قد تصل ببعضهم إلى الستين عاقبة أمرهم وما يفعلونه من الإساءة إلى أمتهم وبلدانهم... وتتكرر الرحلات الجوية اسبوعياً إلى «بانكوك» و«مانيلا» تحمل هؤلاء الشباب. ومن هؤلاء وتصرّفاتهم تُؤخذ الصورة ـ مع الأسف ـ عن الإسلام وأهله.

هذه العلاقات والصلات بين المسلمين والأقليات في القارة الآسيوية. أما معرفة عام المسلمين عن إخوانهم هناك فتكاد تكون معدومة لأنهم لم يتلقـوا أيـة معلومات عن ذلك في المدارس والجامعات، كما لم تتطرق وسائل الإعلام إلى ذلك، فكم استمرّت هذه الوسائل تنقل للناس جميعاً أخبار فيتنام أيام مشكلاتها، وحروب بعضها مع بعض، ولم يسمع أحد منا عن وجـود مسلمين هناك. وتناقلت وسائل الإعلام العالمية والمحلية عن أخبار كامبوديا والفارين من التسلّط الشيوعي واللاجئين إلى الحدود التايلاندية، وأوضاعهم السيئة، وأسرعت الإرساليات التنصيرية، وهُرع اتحاد الكنائس العالمي، وسعت لجان المساعدة الدولية، ولم يتحرّك المسلمون أبداً لأنهم لم يعلموا أن لهم إخوةً يعيشون في تلك الجهات.

وأخيراً فإنه يعيش في القارة الآسيـويـة مـا يقـرب مـن ٢١٦ مليـون مسلم كأقليات يعيش منهم ما يقرب من ١١٠ مليون مسلم في دولٍ ذات أنظمة رأسمالية أو حرة - كما يقولون - ويتوزّعون كما يلي:

١ -	الهند	ويعيش فيها ٩٣,٨٠٠,٠٠٠	حيث يشكلون	١٤٪	من مجموع السكان
٢ -	نيبال	ويعيش فيها ٣٨٠,٠٠٠	حيث يشكلون	٣,٨٪	من مجموع السكان
٣ -	بوتان	ويعيش فيها ٥٠,٠٠٠	حيث يشكلون	٥٪	من مجموع السكان
٤ -	سيريلانكا	ويعيش فيها ١,٠٠٠,٠٠٠	حيث يشكلون	٨٪	من مجموع السكان
٥ -	بورما	ويعيش فيها ٢,١٠٠,٠٠٠	حيث يشكلون	٧٪	من مجموع السكان
٦ -	تايلاند	ويعيش فيها ٥,٠٠٠,٠٠٠	حيث يشكلون	١٤٪	من مجموع السكان
٧ -	سنغافورة	ويعيش فيها ٣٤٠,٠٠٠	حيث يشكلون	١٧٪	من مجموع السكان
٨ -	الفيليبين	ويعيش فيها ٦,٥٠٠,٠٠٠	حيث يشكلون	١١٪	من مجموع السكان
٩ -	تايوان	ويعيش فيها ٤٥,٠٠٠	حيث يشكلون أقل من	١٪	من مجموع السكان
١٠ -	اليابان	ويعيش فيها ٢٠,٠٠٠	حيث يشكلون		من مجموع السكان

١١ - كوريا الجنوبية	ويعيش فيها ٣,٥٠٠	حيث يشكلون	من مجموع السكان
١٢ - قبرص	ويعيش فيها ١٠٥,٠٠٠	حيث يشكلون	١٩٪ من مجموع السكان
١٣ - لاووس	ويعيش فيها ٦,٠٠٠	حيث يشكلون	من مجموع السكان
	١٠٩,٣٤٩,٠٠٠		

ويعيش منهم في دولٍ شيوعيةٍ ما يقرب من ١٠٧ مليون مسلم وإن كنا قد عددنا الجمهوريات الاتحادية في الإمبراطورية الروسية دولاً خاصة، فما كانت أكثرية سكانها من المسلمين جعلناها ضمن أمصار العالم الإسلامي ولم نتعـرّض لها هنا، وما كان فيها المسلمون أقليات صنّفناها في بحثنا هذا، وجعلنا لمنطقة سيبيريا وضعاً خاصاً ما دامت في آسيا، وربما وجد بعضهـم في ذلـك بعـض التجاوز، كما سيراه في منطقة القفقاس التي وضعناها مع العالم الإسلامي أيضاً لنسبة المسلمين المرتفعة فيها.

وتتوزّع الأقليات المسلمة في القارة الآسيوية والتي تخضع للسيطرة الشيوعية بين الدول الآتية:

١ - الصين	ويعيش فيها ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠	حيث يشكلون	١٠٪ من مجموع السكان
٢ - منغوليا	ويعيش فيها ١٥,٠٠٠	حيث يّشكّلون	١ ٪ من مجموع السكان
٣ - فيتنام	ويعيش فيها ١,٢٥٠,٠٠٠	حيث يّشكّلون	٢,٥ ٪ من مجموع السكان
٤ - كامبوديا	ويعيش فيها ١,٠٠٠,٠٠٠	حيث يّشكّلون	١٤,٧٪ من مجموع السكان
٥ - كوريا الشمالية			
٦ - أرمينيا [١]	ويعيش فيها ٣٤٠,٠٠٠	حيث يّشكّلون	١٢٪ من مجموع السكان
٧ - جورجيا [١]	ويعيش فيها ٨٥٥,٠٠٠	حيث يّشكّلون	١٩٪ من مجموع السكان
٨ - سيبيريا [١]	ويعيش فيها ٣,٠٠٠,٠٠٠	حيث يّشكّلون	٢٥٪ من مجموع السكان

(١) يرجع إلى الجزء السابق من هذه الموسوعة وهو الجزء ٢١ «المسلمون في الامبراطورية الروسية».

١٠٦,٤٦٠,٠٠٠ تحت السيطرة الشيوعية
١٠٩,٣٤٩,٠٠٠ أنظمة رأسمالية

٢١٥,٨٠٩,٠٠٠ مجموع الأقليات المسلمة في القارة الآسيوية

ويتساوى تقريباً المسلمون الذين يعيشون كأقليات في دول القارة الآسيوية بين الدول التي تتبع الأنظمة الرأسمالية والدول التي تخضع للأنظمة الشيوعية، وكلاهما مهمل من قبل أمصار العالم الإسلامي جميعها بما فيها من تناقضات في الأفكار والاتجاهات.

أما الذين يعيشون في ظل النظم الرأسمالية فقد لاحظنا أن علاقاتنا معهم علاقة سلبية من جانبنا ننظر إليهم نظرة الأدنى، ونريهم سلوكاً ومعاملةً بعيدة عن الإسلام تُبعد ولا تُقرّب.

وأما الذين يخضعون للأنظمة الشيوعية فندّعي أنهم محجوبون عنا بستارٍ حديدي يلفظون ما بقي عندهم من أفكار أو عقيدة تحت الضغط والإكراه، ويمكننا رغم حجبهم عنا أن نُوجّه لهم إذاعات بلغاتهم، وأن نهتمّ بهم بدراستنا، وتأليف الكتب المُوجّهة لأبنائنا بلغتنا ولهم بلغاتهم وإننا لن نعدم الوسيلة بإدخالها إليهم داخل سجونهم التي يحيون فيها يُقاسون ما يُقاسون، ولكننا لم نفعل إهمالاً وغفلةً.

الأقليّات المُسْلِمَة
في
قـَارة إفريقيـَة

يقع اختلاف كبير في الدول الإسلامية في إفريقية وبالتالي في الأقليات المسلمة إذ أن بعض الكُتّاب يعدّون دولاً غير مسلمةٍ معتمدين بذلك على إحصاءات أو تقديرات حكوماتها التي تُعادي الإسلام وتُحاول الإقلال من أعداد أتباعه ومن شأنهم، كي تبقى لها شرعية الحكم حسب بعض المفاهيم السائدة، وهذا شأن أكثر الدول التي تُسيطر النصرانية على حكوماتها مثل سيراليون، وساحل العاج، والتوغو، وبنين، وفولتا العليا، وإفريقية الوسطى، والحبشة، وتانزانيا و...

والواقع أن الإحصاءات في معظم الدول الإفريقية غير دقيقةٍ ويعتمد معظمها على التقدير لذلك لا يُمكن الاعتماد عليه، وتوزيع أصحاب العقائد على أساسه، مع العلم أن الإرساليات النصرانية تلعب دورها في هذا الشأن وتزيد، وتنقص، إضافةً إلى الحكومات التي تتبعها، ومن هنا يقع الاختلاف، وإذا كان معظم الكُتّاب يعتمدون على إحصاءات الأمم المتحدة على أنها عالمية فهي بالأساس إنما تقوم على تقديرات هذه الدول، ولا تقوم الأمم المتحدة بنفسها بإجراء إحصاءات.

وقد حرصت حرصاً شديداً على تحرّي الدقّة قدر الإمكان في محاولة لتفهُّم الحقائق والنظر في التقديرات التي يتبنّاها المسلمون، والتي يتبنّاها

النصارى، والتي تذكرها الإرساليات النصرانية والتي تعتمدها الدولة وعلى هذا بنيت كتابتي.

إن عدد الأقليات المسلمة في إفريقية ضئيل فلا يزيد عددها على ٣٠,٥ مليوناً، ولا تُشكّل بالنسبة إلى الأقليات المسلمة في العالم بأكثر من ١١,٨٪، وذلك لأن الدول الإفريقية التي يعيش فيها المسلمون أقليةً ذات أعدادٍ قليلة السكان وخاصةً في المناطق الوسطى والجنوبية من القارة إلاّ إذا استثنينا اتحاد جنوبي إفريقية.

ولعلّ انتشار الإسلام كأقليةٍ في هذه المناطق يعود لأسبابٍ مختلفةٍ فقد انتشر الإسلام في المناطق الشرقية عن طريق التجارة والدعوة وإقامة الممالك والإمارات الإسلامية على الأجزاء الساحلية والجزر القريبة منها، فقد كانت السفن التجارية منذ القديم تنتقل بين جنوبي جزيرة العرب وسواحل إفريقية الشرقية، وتعدّ الأقليات المسلمة في هذا الجزء من القارة أكبر الأقليات ويبلغ عددها ١٨,٣٧٥ مليوناً وتكون نسبتها ٦١٪ من مجموع الأقليات المسلمة في إفريقية، وتتوزّع في خمس دولٍ هي: كينيا، وأوغنده، وموزامبيق، ومالاوي، ومالاغاشي وتزيد النسبة فيها جميعاً على ٢٥٪ بالنسبة إلى مجموع سكان كل دولةٍ.

أما وسط إفريقية فقد انتشر الإسلام فيه في وقتٍ قريبٍ بعد قيام دولة ماجد بن سعيد في شرقي إفريقية عام ١٢٧٣ هـ، ونقل عاصمته إلى البر الإفريقي في (دار السلام) بعد أن كانت في جزيرة (زنجبار)، وبدأ المسلمون يتوغّلون الى الداخل حيث أخذوا يُقيمون مراكز دائمةً للدعوة والتجارة بعد أن كانت مراكزهم موجودة على السواحل فقط وينتقلون إلى الداخل للتجارة أو الدعوة ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى قواعدهم على السواحل، ولكن ذلك لم يطل إذ بدأ الاستعمار يدخل أيضاً وسط إفريقية، ويقف في وجه

المسلمين الأمر الذي جعلهم ينسحبون تدريجياً أمام القوى الاستعمارية، ويبلغ عدد الأقليات المسلمة في هذا الجزء من القارة ٤,٤ مليوناً، وهو ما يُعادل ١٢,٤ ٪ من مجموع الأقليات المسلمة في إفريقية، وتتوزّع في أربع دول هي: بورندي، ورواندا، وزائير، والكونغو، ولكن نسبة المسلمين ضعيفة في هذه الدول، وهي ٢٥ ٪ في بورندي، و١٠ ٪ في زائير، و٦ ٪ في راواندا، وأقل من ٢٠ ٪ في الكونغو.

أما في غربي إفريقية فقد كان انتشار الإسلام فيه نتيجة الدعوة التي قامت بجهود دولة المرابطين التي قامت في المغرب في القرن الخامس الهجري وكان لها أثرها البالغ، ثم بجهود الدول التي تتابعت في المغرب والتي قامت في منطقة مالي ثم دولة عثمان دونفديو في منطقة نيجيريا، والحاج عمر في غربي إفريقية اللذين قاما في العصر الحديث وعملا على نشر الإسلام، ونتيجة الوضع القبلي والاتجاه نحو الإسلام في القبيلة إذا ما أسلم أحد أمرائها، ويجب ألا ننسى الدعاة والتجار الذين لم يخل منهم وقت. ويأتي غربي إفريقية بعد شرقيها من حيث عدد الأقليات المسلمة إذ يبلغ عددهم في الغرب ٥,٥٧ مليوناً تقريباً، وهذا ما يعادل ١٩,٣ ٪ من مجموع الأقليات المسلمة في إفريقية، ويتوزّعون في أربع دول هي: ليبيريا، وغانا، والغابون، وغينيا الاستوائية، وتزيد نسبة المسلمين في كل دولة من هذه الدول على ٣٠ ٪ من مجموع سكانها فهي ٤٥ ٪ في الغابون، و٣٥ ٪ في غينيا الاستوائية، و٣٠ ٪ في كل من غانا، وليبيريا.

أما جنوبي إفريقية فقد انتشر الإسلام فيه عن طريق الهجرة وخاصةً من جنوب شرقي آسيا ثم نتيجة الدعوة، إلا أن عدد المسلمين هناك لا يزال قليلاً لا يزيد على ١,٨ مليوناً، وتُعدّ نسبتهم قليلةً لا تتجاوز ٥ ٪ إلاّ إذا استثنينا أنغولا التي تصل نسبة المسلمين فيها إلى ١٥ ٪، ويتوزّع المسلمون هناك في ثمان دولٍ أو وحداتٍ مستقلةٍ وهي: أنغولا، وزامبيا، وزيمبابوي، وسوازيلند، وبتشوانا، وليسوتو، وناميبيا، واتحاد جنوبي إفريقية، ويُعادل

مجموع المسلمين في هذا الجزء من القارة ٦ ٪ من مجموع الأقليات المسلمة في إفريقية.

أما باقي المسلمين في القارة وهو ما يزيد على ٠,٤ مليوناً، ويُعادل ١,٣ ٪ من مجموع الأقليات المسلمة في إفريقية فيتوزّع في عددٍ من الجزر، ويزيد عدد الوحدات التي تضمّها هذه الأجزاء على أكثر من ثمان وحدات أهمها: كنـاريا (الخالدات)، وماديرا، وجزر الرأس الأخضر، وانوبون، والقديسة هيلانة، وموريشيوس، وريونيون، والدبرا، وسيشل، إلا أن سكان هذه الجزر قليل، كما أن نسبة المسلمين فيها قليلة فهي ٢٥ ٪ في جزيرة انوبون، و ٢١ ٪ في برنسيب وساتومي، و ٢٠ ٪ في موريشيوس، و ١١ ٪ في جـزر الرأس الأخضر، و١٠ ٪ في جزيرة ماديرا، و٧٪ في كناريا، و٥ ٪ في جزر آصور، ودون ١ ٪ فيما عدا ذلك.

ويُلاحظ مما سبق أن نسب الأقليات المسلمة في إفريقية تزداد في غربي إفريقية وشرقيها نتيجة قيام ممالك وإمارات تتبنّى الدعوة إلى الإسلام، وتقلّ هذه النسب في الوسط والجنوب حيث لم يصل المسلمون إلى تلك الجهات أيام قوة المسلمين، وقد اعتمدنا في تقسيم القارة إلى غربٍ وشرقٍ ووسطٍ وجنوبٍ حسب انتشار الإسلام فيها، وليس حسب التقسيمات الجغرافية البحتة والمتبعة عادة لدى الجغرافيين.


العالم الإسلامي
غانا
كينيا
زائير
تانزانيا
انغولا
زامبيا
ناميبيا
بتسوانا
زيمبابوي
موزامبيق
غينيا الاستوائية
كابيندا
سانت هيلانه
المقياس

مصور رقم [٢٢] .

أ - شرقي إفريقية

انتشر الإسلام في شرقي إفريقية عن طريق التجارة البحرية فوصل إلى (سفالة) في موزامبيق، ولهذا فإن نسبة المسلمين ترتفع على السواحل، وتقلّ في الداخل وخاصة في المناطق الواقعة جنوب خط الاستواء باستثناء تانزانيا التي تعدّ مصراً إسلامياً حيث ترتفع نسبة المسلمين فيها إلى ٦٥٪ إذ كانت منطقةً تتبع عُمان، ثم كانت قاعدة حكم ماجد بن سعيد في القرن الماضي، وجزر القُمر التي تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٩٩٪ إذ كانت ملاذاً لكثيرٍ من المهاجرين من أرض المسلمين بعامةٍ وشبه جزيرة العرب بخاصةٍ.

وقد أسّس عدد من المهاجرين إمـاراتٍ على طـول سـواحـل إفـريقيـة الشرقية، وأسهمت في نشر الإسلام ومنها:

١ ـ إمارة لامو: التي نشأت في أواخر القرن الأول الهجري على يد أحد العمانيين من آل الجلندي.

٢ ـ إمارة كلوة: التي أسّسها أحد الشيرازيين حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، وشملت مناطق واسعةً تمتد من (ممباسا) في الشمال وحتى جزر القُمر في الجنوب.

٣ ـ إمارة باتا: التي نشأت في مطلع القرن الثامن على يد سليمان بن

سليمان بن مظفر النبهاني صاحب عُمان، وقد ورث حكم مدينة (باتا) بزواجه من ابنة حاكمها، فنقل قاعدة حكمه إليها، ووسّع بلاده... هذا بالإضافة إلى المدن الكثيرة الممتدة على طول الشواطىء والمراكز التجارية ومحطات السفن.

ثم جاء البرتغاليون في مطلع القرن العاشر يدفعهم الحقد الصليبي فاحتلّوا المدن الإسلامية في شرقي إفريقية، ولما استقرّ لهم الأمر بدؤوا بضرب المسلمين واضطهادهم، وبدت وحشيتهم بشكلٍ جليٍّ، ولكن لم ينته القرن العاشر حتى انحسر النفوذ البرتغالي بمقاومة أهل البلاد له تحت زعامة أهل عُمان، ودعم العثمانيين، ثم مساعدة الإنكليز الذين كانوا يُريدون أن يحلّوا محل البرتغاليين.

عاد إلى المدن الإسلامية في شرقي إفريقية نشاطها وحيويتها بعد انتهاء نفوذ البرتغاليين، وخاصةً أن اليعاربة حُكّام عُمان الذين كان لهم دور في القضاء على البرتغاليين قد امتدّت تجارتهم إلى شرقي إفريقية، وقام سيف بن سلطان بفتوحاتٍ واسعةٍ هناك أثناء ملاحقة البرتغاليين، وأصبحت السلطة هناك مُرتبطةً بعُمان.

وجاء البوسعيديون إلى حكم عُمان بعد اليعاربة عام ١١٥٤، وفي عام ١٢٤٨ نقل سلطان عُمان (سعيد بن سلطان) مقرّ حُكمه من مسقط إلى زنجبار، فارتبط شرقي إفريقية كله بزنجبار... وعندما توفي سلطان زنجبار سعيد قسّم مملكته بين ولديه (ماجد) الذي كان له شرقي إفريقية، ونقل حكمه إلى دار السلام، وبدأ يتوغّل في الداخل، و(تويني) الذي حكم عُمان وذلك عام ١٢٧٣ هـ.

وبعد موت ماجد ضعف سلطان شرقي إفريقية إذ حكمه أخوه الصغير (برغش). وتتوزّع الأقليات المسلمة في شرقي إفريقية بالدول التالية:

(١) كينيا

تبلغ مساحتها ٥٨٢,٦٠٠ كيلومتر مربع، ويخترق خط الاستواء أرضها. كان القسم الساحلي منها يتبع سلطان زنجبار، بينما كان القسم الداخلي مستعمرةً انكليزيةً، وقد دخل النفوذ الإنكليزي وراء شركة شرقي إفريقية البريطانية التي بدأت العمل مع أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وتمكّنت هذه الشركة من عقد معاهدة مع سلطان زنجبار (برغش) بن سعيد بن سلطان وذلك في عام ١٣٠٤، وتدفع الشركة البريطانية بموجب هذه المعاهدة ٢٠٪ من أرباحها إلى سلطان زنجبار.

وفي الوقت نفسه تأسست الشركة الألمانية لشرقي إفريقية، وأخذت الحكومة الألمانية تتدخل مباشرةً لحماية مصالح الشركة هناك. وفي عام ١٣٠٦ اتفقت انكلترا وألمانيا فيما بينهما على تقسيم مناطق النفوذ في هذا الجزء من إفريقية، وامتد الخط الفاصل بينهما من بلدة «ڤانغا» على ساحل المحيط الهندي إلى بلدة (شيراتي) على بحيرة فيكتوريا. كما وافق على هذا الاتفاق كل من فرنسا، وايطاليا، وحتى الحبشة الدولة النصرانية في إفريقية، إذ أخذت فرنسا منطقة جيبوتي، وايطاليا الجزء الجنوبي من الصومال الذي أخذت انكلترا منه جزءاً في الجنوب وآخر في الشمال، وأخذت الحبشة أيضاً الجزء الغربي من الصومال والذي لا يزال تحت سيطرتها، وهو ما يعرف باسم

« الأوغادين ». وجعل الإنكليز من المنطقة الساحلية محميةً تابعةً لهم مع بقائها تتبع السلطان اسمياً.

وتوفي سلطان زنجبار برغش وخلفه سيد خليفة الذي اضطر إلى التنازل عن المنطقة الساحلية التي كانت تتبعه إلى الانكليز، وتنازلت أيضاً الشركة الانكليزية في شرقي إفريقية عن أملاكها إلى حكومتها، وضمّت انكلترا بعد مدةٍ هذه المحمية مع المستعمرة الداخلية مع الجزء المقتطع من الصومال، وشكّلت منها دولة كينيا، ووضعتها تحت الاستعمار حتى نالت استقلالها عام ١٣٨٣ هـ.

أعلنت حكومة كينيا الجمهورية، ويزيد عدد سكانها اليوم على ستة عشر مليوناً، يشكل الإفريقيون الغالبية العظمى من السكان، وما بقي وهو لا يزيد كثيراً على ١٦٥ ألفاً فهم من الآسيويين والأوربيين، أما الآسيويون فإن الغالبية منهم من العرب ويعيش أكثرهم على الساحل، ومن الهنود والباكستانيين ويتوزّعون، وقد استقدموا للعمل بمدّ السكك الحديدية، ولزراعة القطن، ومن الإيرانيين. وأما الأوربيون فلا يزيد عددهم على الأربعين ألفاً.

يُشكّل المسلمون ٣٥٪ من مجموع السكان، ويشكل النصارى ١٦٪، أما ما بقي من السكان فهم لا يزالون على الوثنية وعبادة قوى الطبيعة.

الوثنيون	يُشكّلون	٤٩٪	ويبلغ عددهم	٧,٨٤٠,٠٠٠
المسلمون	يُشكّلون	٣٥٪	ويبلغ عددهم	٥,٦٠٠,٠٠٠
النصارى	يُشكّلون	١٦٪	ويبلغ عددهم	٢,٥٦٠,٠٠٠
		١٠٠٪		١٦,٠٠٠,٠٠٠

وتختلف الوثنيات حسب القبائل. وأما المسلمون فالغالبية من أهل السنة والجماعة، وتوجد أقلية من الشيعة. وتعود أصول بعض المسلمين إلى العرب

والصوماليين والهنود، وأما الشيعة فأغلبيتهم تعود إلى أصول إيرانية. وتزداد نسبة المسلمين إلى مجموع السكان على طول سواحل كينيا، وفي المنطقة الصومالية، وتقلّ في الداخل عدا العاصمة «نيروبي» وبعض التجمّعات الأخرى منها ما هو على حدود الحبشة، ومنها ما هو على حدود أوغندا. وتعدّ المدن الساحلية ذات صبغةٍ إسلامية مثل: «مومباسا» و«مالندي» التي تُقيم فيها جماعة كبيرة من حضرموت، وفيها مدارس تحفيظ القرآن الكريم، و«لامو» التي تقع على جزيرة وجميع سكانها من المسلمين، و«باتا»، وكثير من المسلمين من يعمل في التجارة، ولذا فقد أفادت الدعوة الإسلامية من حركة التجار وانتقالهم.

أما النصارى فإن نسبة الكاثوليك منهم ٩٪ من مجموع السكان وبذا يكون عددهم ١,٤٤٠,٠٠٠، ونسبة البروتستانت ٧٪ من مجموع السكان وعددهم ١,١٢٠,٠٠٠.

ينتمي الإفريقيون في كينيا إلى العناصر الحامية النيلية، ومن الحامية التي من أشهرها البانتو، ويعيش السكان على شكل قبائل يزيد عددها على الأربعين قبيلة، أشهرها «الكيكويو» ويقرب عددهم من المليونين، و«الكامبا» و«الوو» و«الميرو» و«التركانا» و«النانـدي»، وتعيش قبائل «الجالا» في أقصى الشمال بالقرب من مجموعة الصوماليين و«الماساي» في أقصى الجنوب و«بورانا» و«وانغا».

واللغة الوطنية في البلاد هي السواحلية التي اتخذت الحرف العربي حرفاً لكتابتها، أما اللغة الرسمية فهي الإنكليزية، وهناك اللغات القبلية الخاصة، كما أن اللغة العربية شائعة ومعروفة في المناطق الساحلية، وبين الكثير من المسلمين.

تعرّض المسلمون في كينيا وشرقي إفريقية عامةً إلى حربٍ صليبيةٍ مع مجيء البرتغاليين، وبعد زوالهم عاد النشاط النسبي للمسلمين، لكن لم يلبث أن جاء الاستعمار الصليبي الحديث فوقف في وجه المسلمين إضافةً إلى الجهل الذي

كان سمة هذه المرحلة التي يعيشها المسلمون آنذاك، غير أن مدّ السكك الحديدية والتوسع في زراعة القطن قد جعل عدداً من المسلمين الهنود الذين كانوا هم العمال الرئيسيين في هذين المجالين غير أن أثرهم كان محدوداً، وفي الوقت نفسه بدأ التجار يتحرّكون نحو الداخل بينما كانت مهنتهم محصورةً في الأجزاء الساحلية، وهذا ما جعل في المراكز التجارية بعض تجمّعات المسلمين مثل: «كيتوتو» و«سابي» و«ميومياس».

عندما جاء الاستعمار الصليبي الجديد لم يجد في كينيا من يستطيع أن يعهد إليهم ببعض الأمور إلا المسلمين لأن مستواهم الحضاري أعلى مستوى من غيرهم فاضطر أن يوكل إليهم بعض المهمات إذ لم يجد سواهم، وكان لهذا التصرّف أثره السيء على المسلمين أنفسهم إذ ربط سكان البلاد بين المستعمرين والموظفين بل إن العمال الذين استقدمهم من الهند للعمل في السكك الحديدية، والمزارعين الذين جاء بهم للعمل في مزارع القطن وقصب السكر كانت نسبة منهم من المسلمين، ومن المعلوم أن الهند كانت مستعمرةً انكليزية، ويستفيد من أهلها بصورة كبيرة لكثرة السكان ولمستواهم المعاشي المتدّني فجلب هؤلاء كان على أنهم من الهند المستعمرة الانكليزية وليس لأنهم من المسلمين. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الهيئات التنصيرية قد حملت على السياسة الانكليزية حملة شعواء لأنها تتعاون مع المسلمين فعقدت عام ١٣١٨ مؤتمراً كنائسياً عمل على حث رجال السياسة الإنكليزية على الحد من نفوذ المسلمين ومحاولة إضعاف مستواهم المعاشي بإبعادهم عن أي عمل يقومون به لمصلحة الحكومة. فكان لهذا العمل في بدايته حقد من السكان على المسلمين وربطهم مع الاستعمار وفي نهايته إبعادهم عن العمل، وزيادة نفوذ الهيئات النصرانية التي نشطت وفتح المجال على مصراعية أمام مؤسساتها المختلفة من صحية وتعليمية وتنصيرية.

وتبع ذلك أن الحكومة الاستعمارية قد وضعت يدها على معظم أراضي المسلمين وأملاكهم، وجعلتها من ضمن أملاك الدولة. وعملت في الوقت

نفسه على الحدّ من نشاط المسلمين التجاري فتردّت أوضاعهم الاقتصادية وساءت أحوالهم الاجتماعية.

ودعمت السلطات الاستعمارية الفرق الضالة التي يوجد لها بعض أتباع أمثال الاسماعيلية، والقاديانية، والبهائية لمحاربة الإسلام، وتمييع مفاهيمه بطرح مفاهيم هذه الفرق التي لا يقبل بها عقل ولا يرضي عنها إنسان ولصقها بعدئذ بالإسلام، وإدعاء هذه الفرق احياناً أنها مسلمة للغرض نفسه.

ووقفت السلطات الاستعمارية أمام التعليم الإسلامي الذي كان وحده قائماً في البلاد قبل مجيء الاستعمار، ومع أنه كان يقتصر على الكتاتيب للناشئة، ولكن كانت حلقات الفقه، والتفسير، والحديث، واللغة تعقد في المساجد ويحضرها الكبار ومن يريد من الناشئة، وأعطت هذه الحلقات طاقات فكرية وعلمية قلّ مثلها. فلما جاء الاستعمار أطلق العنان وفسح المجال للإرساليات التنصيرية بفتح المدارس والإشراف على المناهج ودعمها بكل الإمكانات هذا إضافةً إلى دعم اتحاد الكنائس العالمي لها. ومع أن بعض العلماء قد حاولوا تطوير التعليم الإسلامي وإدخال العلوم والوسائل الحديثة إليه إلا أن ذلك كان يحتاج إلى جهودٍ ضخمة وإمكانات كبيرة وهذا ما لا تستطيعه الجماعات الإسلامية في كينيا لذا لم يفلح كثيراً لأوضاع المسلمين السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، وكل ناحية تحتاج إلى معالجة.. وعمل الشيخ الأمين ابن علي المازروي على بث روح العمل والنشاط من غير كبير فائدة، وكانت آراؤه ينشرها في مجلته «الإصلاح» التي أصدرها باللغتين العربية والسواحيلية. وكانت اهتماماته تنصبّ على فتح مدارس إسلامية خاصة، والتوجيه على أن المسلمين أينما كانوا إنما هم جزء من الأمة المسلمة، والمسلمون في كينيا أحد هذه الجماعات.

وبعد الحرب العالمية الثانية تأسس معهد ممباسا الإسلامي ليكون نواةً لجامعةٍ إسلاميةٍ ولكن اشترك فيه ـ مع الأسف ـ غير المسلمين فابتعد عن

الخط الذي رسم له ، فأصبح معهداً فنياً للجميع . ولم تنجح فكرة التعليم العالي في كينيا . وبعد الاستقلال أنشئت عام ١٣٨٣ المؤسسة الإسلامية في مدينة « نيروبي » العاصمة للعمل في مجال الدعوة وتأسيس المدارس الخاصة ، والمعاهد لتحفيظ القرآن الكريم .

ويزيد عدد الجمعيات الإسلامية على اثنتين وخمسين جمعية ، ويجمعها منذ عام ١٣٩٤ مجلس أعلى يُعرف باسم « المجلس الأعلى لمسلمي كينيا » ، كما توجد عدة مكتبات إسلامية عامة في مختلف أنحاء كينيا ، وأهمها مكتبة الجامع الكبير في نيروبي وتتبعها قاعة واسعة للمطالعة ، ولعل كثرة الجمعيات في كينيا من أكبر مشكلات المسلمين ، إذ لكل جالية جمعياتها الخاصة بها ومدارسها بل ومساجدها .

ونشاط الحركة الإسلامية في كينيا يبدو في نمو مدارسهم ومعاهدهم ، وأهم الجمعيات الإسلامية : الجمعية الخيرية الإسلامية ، والاتحاد الوطني لمسلمي كينيا ، وهيئة الشبان المسلمين ، والمؤسسة الإسلامية ، والهيئة الإسلامية ، والبعثة الإسلامية لكينيا ، واتحاد كوكني الإسلامي هذا في نيروبي ، والجمعية الصومالية الإسلامية ، والجماعة الإسلامية وهي فرع للجماعة الإسلامية في باكستان والهند ، ومؤسسة القرآن الكريم .

ويوجد في ممباسا البعثة الإسلامية لكينيا ، والهيئة الإسلامية ، وجمعية الدعوة الإسلامية الباكستانية ، والجمعية النسائية العربية الإفريقية .

وفي ثيكا البعثة الإسلامية لكينيا .

وفي كيسومو هيئة النساء المسلمات بكينيا .

وفي كيليفي مركز التضامن الإسلامي للدعوة الدينية والإرشاد .

وفي لامو الإصلاح الإسلامي .

وفي ماليندي الجمعية الخيرية لمسلمي كينيا .

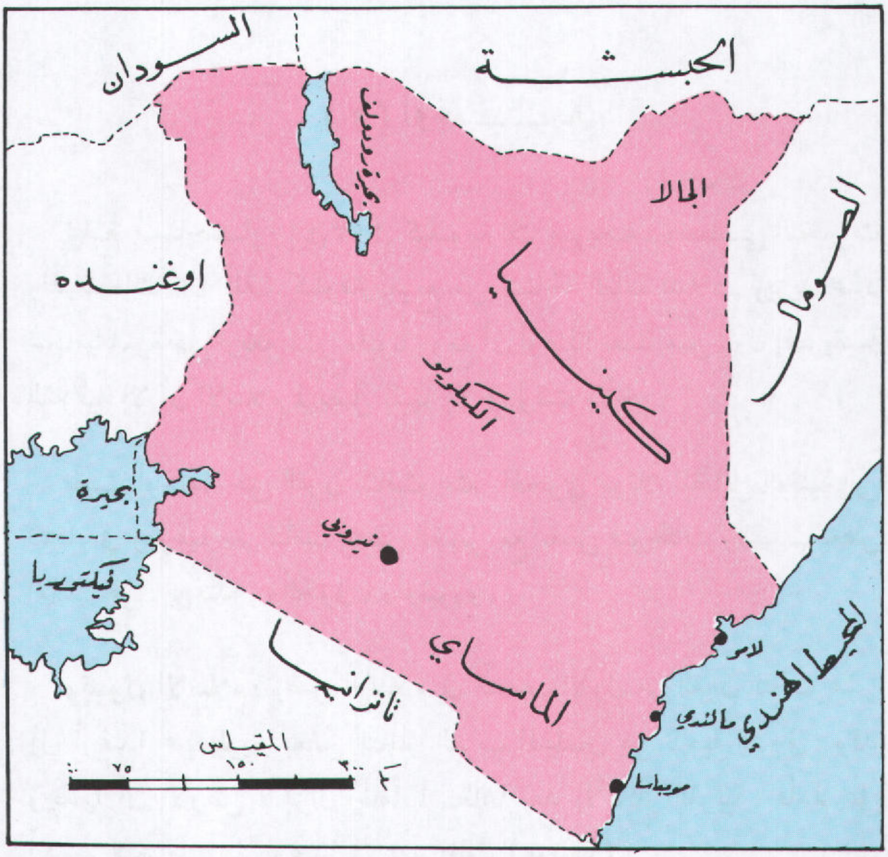
وأهم المدارس :

مدرسة الفلاح الإسلامية في أسيولو.
ومدرسة الإنابة الإسلامية في لامو.
ومدرسة مبيا الابتدائية في ماندورا.
ومعهد النساء المسلمات في ممباسا.
ولجنة مدرسة مونغانوريانا الإسلامية في نيروبي.

وهناك مشروع تعليمي جيد باسم «مجمع تعليمي في نيروبي» يضم مدرستين إحداهما ابتدائية والأخرى ثانوية، ومعهداً دينياً ثانوياً، وجامعة، ومدرسة ثانوية للبنات، وعيادة طبية. ومعهد للمعلمين في ممباسا، وإنشاء مركز الفلاح للدعوة الإسلامية في نيروبي.

غير أن هذه المشروعات كلها تحتاج إلى دعم لتوحيد الجهود، والمساعدات المادية، والمعلمين، والاخصائيين، والتوجيه، ويقع الجزء الكبير من هذا النشاط على المسلمين ومؤسساتهم الشعبية والدولية خارج حدود كينيا، إذ أن امكانات المسلمين في كينيا لا تزال محدودة وخاصةً من ناحية الطاقات، ولا شك فإن للتوجيه أثره الكبير إذ أن الجهل منتشر لا أقول في كينيا فقط وإنما في أكثر أمصار العالم الإسلامية فنجد مثلاً في كينيا «الجمعية الإفريقية الإسلامية اليهودية» وهذا ما يعيق العمل الإسلامي. كما يجب أن ينصرف جزء من التوجيه إلى مفهوم الأمة الإسلامية إذ لاحظنا أن لكل جالية مؤسساتها سواء أكانت اجتماعية أم تعليمية أم للعبادة... وهذا ما يؤسف له.

وللمسلمين في كينيا محاكم للأحوال الشخصية يرأسها قاض مسلم.


السودان
الحبشة
الجالا
الصومال
اوغنده
كينيا
الكيكويو
بحيرة
فيكتوريا
نيروبي
الماساي
تانزانيا
المحيط الهندي
لامو
مالندي
مومباسا
المقياس
٧٥
١٥٠
٣٠٠

مصور رقم [٢٣] .

(٢) اوغـــــندا

تبلـغ مسـاحتهـا ٢٤٣,٤١٠ كيلـومترات مـربعـة، وتغطــي البحيرات والمستنقعات ٤٢ ألف كيلومتر مربع من المساحة العامة للبلاد. ويزيد عدد سكانها اليوم على أربعة عشر مليوناً. ومع أن أوغندا تُعـدّ مـن دول إفـريقيـة الشرقية إلا أن الإسلام لم يصل إليها إلا في وقت متأخر.

بقيت أوغندا حتى القرن الثالث عشر الهجري موئلاً للقبائل الوثنية التي تنتقل في ربوعها. ثم التأمت بعض القبائل مع بعض فتوحّدت وأسّست بعض الممالك هي: بوغندا، وأنكولي، وأونيورو.

وصول الإسلام: وصل الإسلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر إلى أوغندا عن طريق بعض التجار العرب المسلمين من ناحية الشرق، وقد وجدوا أن الأرض لا تزال خاماً لم تطأها بعد الأفكار الغريبة، فأسلم على أيديهم كثير من أهل بوغندا في عهد الملك (موتيسا).

كما وصل الإسلام إلى أوغندا في نهاية القرن الثالث عشر من الشمال عن طريق مصر، إذ كان قد وصل إلى حكم مصر عام ١٢٨٠ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي وكان يرغب في الشهرة والدعاية لنفسه فسار في طريق السياسة التوسعية لإشباع ما تصبو إليه نفسه، ورأى أن أفضل المناطق التي

يمكن أن يحقق فيها سياسته، البلاد التي تحدّ دولته من الجنوب حيث الإمارات والممالك ضعيفة والفراغ السياسي موجود، وكان حكمه يمتدّ حتى جنوب السودان اليوم، وأن الأرض التي تحدّه من الجنوب هي أوغندا، وتخلو من الحكم القوي فتسهل له السيطرة عليها، ومنها تتدّفق مياه نهر النيل، فيستولى على منابعه، ويضمن تلك الأصول من أن تقع بيد غيره، ويدرس مشروعات الري، ويُوحّد وادي النيل، ويُحقّق ما تتوق إليه نفسه من دعايةٍ أمام شعبه فالتفت إلى تلك المناطق بفكره كله، وأخذ يعد العدة ويرسل الرسل بعد أن تنازلت له الدولة العثمانية أيضاً عن سواحل البحر الأحمر الغربية وسواحل خليج عدن، وتشمل اليوم أريتريا والصومال والمنطقـة التي تحت نير الاستعمار الحبشي الصليبي اليوم.

رحب ملك «أونيورو» ويدعى «كباريكا» بهذا المشروع، ورفع العلم المصري على عاصمته أمام عددٍ كبيرٍ من شعبه. كما أرسل «موتيسا» ملك «بوغندا» سفراءه لاستقبال وفود المصريين القادمين من الشمال، وبعث هداياه إلى الخديوي إسماعيل، وطلب منه أن يبسط نفوذه على أرضه، وأن يبعث باثنين من العلماء ليهتدي وشعبه عن طريقهما إلى الدين الإسلامي. وأرسل إسماعيل فعلاً العلماء ليكونوا دعاةً له لا ليعملوا للإسلام إلا عندما يرى له فيه مصلحة ككثيرٍ من الحكام عامـة وهـذا مـا يحدث عـادة عنـد حُكّـام المصريين.

وفي عام ١٢٨٧ تم فتح قناة السويس، وكانت أكثرية أسهم شركة القناة بيد فرنسا صاحبة الفكرة والتخطيط والمشرفة على العمل والتنفيذ، والتي أصبح نفوذها يتسع تدريجياً في مصر حتى لم يعد لها منافس، فرأى كردّ فعلٍ لذلك تقوية النفوذ الإنكليزي حتى يقف في وجه النفوذ الفرنسي أو يُحقّق توازن القوى فعهد إلى ضابط إنكليزي يهودي اسموه «صمـوئيـل بيكـر» لتحقيق سياسته التوسعية فأعطاه مهمة فتح أراضي أوغندا أو ما أسماه

« مديرية خط الاستواء » وكلّفه بـالعمـل على تنشيـط التجـارة المشروعـة، والوقوف في وجه تجارة الرقيق التي كانت انكلترا تعمل على منعها ـ لا إنسانية وإنما من أجل المحافظة على سياستها الاقتصادية، وخاصةً الصناعة التي كانت تخشى من منافسة البضائع الامريكية لها حيث كان الرقيق ينقل إلى أمريكا، ويعمل هناك حيث المواد الأولية رخيصة، فيجتمع رخص المادة الخام مع رخص اليد العاملة الأمر الذي يجعل الصناعة قليلة التكاليف فتنافس البضائع الانكليزية الغالية الثمن ثم تقضي عليها ـ. وعيّن اسماعيل هذا الضابط برتبة فريق في الجيش المصري وقد نسي إسماعيل أن بيكر لا يمكن أن يعمل إلا لمصلحة الإنكليز واليهودية ولم يفكر في خدمة العرب والإسلام. وبعد انتهاء مدة العقد مع بيكر الذي لم يؤد المهمة التي أُنيطت به ـ كما هو متوقع ـ اختار إسماعيل ضابطاً بريطانياً آخر هو الكولونيل « غوردن » الذي جاء إلى مديرية خط الاستواء ليخدم المصالح البريطانية إذ منع السلطة المصرية من الوصول إلى مياه بحيرة فيكتوريا خوفاً من وصول المسلمين إلى تلك الجهات وتأثيرهم على سكان تلك المناطق، بل تركها ميداناً للتوسع الانكليزي، وأرسل بعثةً إلى (موتيسا) ملك بوغندا تحول دون دخوله في الإسلام وتدعوه إلى اعتناق النصرانية، وبعد نهاية مدة عقده كحاكم لمديرية خط الاستواء عيّنه إسماعيل حاكماً عاماً للسودان ـ مكافأة له ـ بما في ذلك مديرية خط الاستواء إضافةً إلى سواحل البحر الأحمر الغربية. فعمد (غوردن) إلى بث الفوضى، وإثارة الاضطرابات، والإساءة إلى زعماء القبائل في المنطقة حتى يشعر أهل البلاد بفساد الحكم المصري ويطلبون الانضواء تحت السيطرة الإنكليزية إضافةً إلى توسعة شقـة الخلاف بين السـودانيين والمصريين، ورغـم هذه المخططات الاستعمارية فقد رسخت أقدام المسلمين هناك وإن بقوا دون سندٍ يستندون إليه أو دعم يتقوون به ويتحركون للعمل.

وفي عام ١٢٩٣ زار (ستانلي) الرحالة المستعمر المشهور (موتيسا) ملك بوغندا، وتبع هذه الزيارة توافد الإرساليات التنصيرية إلى البلاد، فجاء

البروتستانت ثم قدم الكاثوليك، وبدأت هذه الإرساليات تتنافس لردة الملك (موتيسا) عن تأييد المسلمين وجرّ الشعب إليها. وبدأ الخلاف بين البروتستانت والكاثوليك، ولم يدخل المسلمون في هذا النزاع لذا بقوا موضع احترام وتقدير.

انسحب المصريون من السودان وبالتالي من أوغندا عام ١٣٠٣ إثر الثورة المهدية، وبذا أصبح في أوغندا فراغ سياسي. ولما عاد المصريون إلى السودان بجنودٍ مصرية تحت إمرة ضباط انكليز توقف التقدّم الفعلي عند حدود أوغندا حسب خطة استعمارية ليبقى جنوب السودان بلا سلطة تحكمه فيسرع المستعمرون الصليبيون ويضعون يدهم عليه. إذ لو ضمّت أوغندا إلى مصر والسودان لم يستطع المستعمرون أن يحولوا دون دخول الإسلام إليها تحت تأثير المسلمين من الشمال.

مات الملك موتيسا عام ١٣٠٢، وخلفه ابنه (موانغا) وفي عهده قتل الأسقف (هانتغتن) رئيس الإرسالية البروتستانتية فقامت قائمة انكلترا، واضطر الملك (موانغا) للفرار والتنازل عن الحكم لأخيه (كيويوا) الذي سرعان ما أُقصي عن الحكم إثر المحاولة التي قام بها المسلمون في بوغندا لاستلام السلطة، وبدعمٍ من الملك نفسه، وعُيّن مكانه أخ له آخر يدعى (كالما) الذي قام بطرد رجال الإرساليات النصرانية فأبعد عن الملك مباشرةً، ولكن عاد (موانغا) إلى الحكم عام ١٣٠٨ بعد مُفاوضاتٍ، وطُرد «كالما»، وكان لهؤلاء الملوك الإخوة عمّ يُدعى (نوح) قد اعتنق الإسلام، وتولّى أمر المسلمين الذين عدّوه ملكاً لهم ١٣٠٨ ـ ١٣١٠، وهو أخو الملك (موتيسا).

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وصل إلى المنطقة التجار الهنود، والعمال الذين عملوا في زراعة قصب السكر والقطن وجميعهم يحمل الجنسية الانكليزية، وقوي مركز المسلمين بمجيء الهنود لأن أعداداً منهم تنتمي إلى الإسلام وهذا ما جعل انكلترا تتوجّس خيفةً من التقدّم الإسلامي فبدأت

تعد العدّة للإيقاع بالمسلمين.

الاستعمار: كان الصراع قائماً بين الإرساليات أتباع المستعمرين، وكانت الهزائم تتوالى على البروتستانت الذين استنجدوا بشركة شرقي إفريقية البريطانية التي أرسلت بدورها النقيب (لوغارد) على رأس قوةٍ قضت على استقلال بوغندا عام ١٣١٢، وانتقلت السلطة من يد الملك الشرعي للبلاد إلى المندوب السامي الذي بدأ يعمل كما يحلو له ضمن خطة الإنكليز الاستعمارية الصليبية، وفرض على البلاد معاهدة (مانغو) التي تمّ توقيعها عام ١٣٢٣، وكانت بوغندا مركز تجمّع المسلمين في تلك الأرجاء وكان ملكها يومذاك (نوح أبوقو).

قيّدت انكلترا الملك بعددٍ من المستشارين، وحدّت نشاطه بشيءٍ من القوانين، وجعلت البلاد محميةً بعد أن ضمّت إليها أراضي واسعةً من المناطق التي تُجاورها حيث يقلّ المسلمون ويكثر الوثنيون، وأطلقت على هذه الأجزاء كلها اسم «أوغندا».

مات الملك «موانغا» عام ١٣١٥ فخلفه ابنه «داودي شوا» وكان عمره سنةً واحدةً فقط.

كان سياسة انكلترا في هذا القسم من إفريقية تقضي بضمّ جنوبي السودان إلى أوغندا وعدّهما دولةً واحدةً، وذلك لإبعاد جنوبي السودان ذي الأكثرية الوثنية عن شماله المسلم لتحول دون تقدّم الإسلام نحو الجنوب، ولتقطع الطريق على الدعاة والتجار المسلمين، ويزيد بذلك عدد الوثنيين في هذه الدولة المقترحة، ويقلّ عدد المسلمين فيضعف شأنهم ويقلّ مركزهم. وبدأت تهيء لذلك الخطة فعدّت جنوبي السودان منطقةً مقفلةً لا يدخلها من الشمال إلا من ترضى عنه، وشقّت الطرق بين أوغنده وجنوبي السودان، وهي غير موجودة مع الشمال، كما وجّهت أهل جنوبي السودان لإتمام دراستهم الجامعية في جامعة «ماكريري» الأوغندية التي افتتحتها بدلاً من الخرطوم، ويظهر هذا جلياً مما وصفه الحاكم البريطاني العام للسودان في أواخر عام ١٣٤٧ بأن

سياسة جديدة في السودان ستتبع، تقوم على عدة أُسسٍ أهمها:

١ً - إلغاء تطبيق القوانين الحديثة واللجوء إلى العرف والتقاليد كمصدرٍ للتحكيم بين أبناء الجنوب.

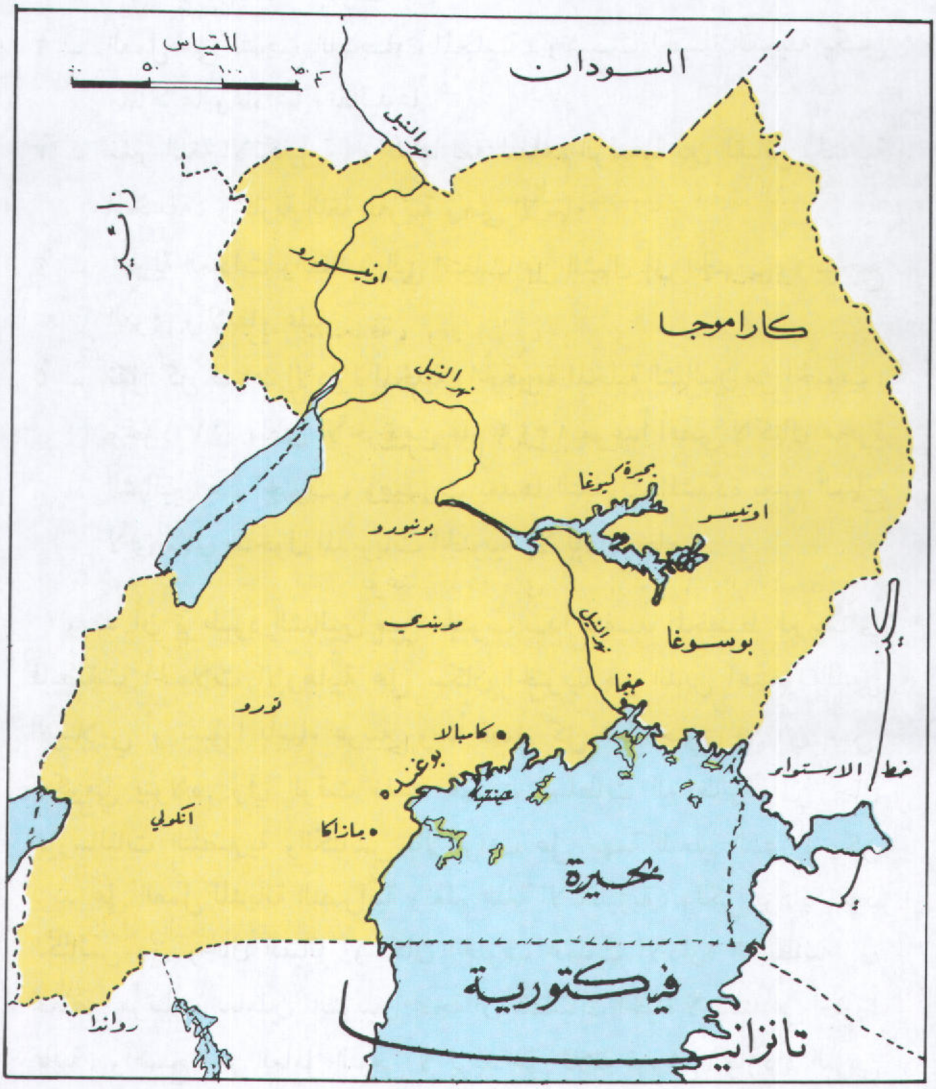
٢ً - العمل على تشجيع اللهجات المحلية، وتثبيت الحياة القبلية بكل مظاهرها وعاداتها وتقاليدها.

٣ً - نشر اللغة الإنكليزية، وجعلها لغة التفاهم الرئيسية بين القبائل الجنوبية المختلفة، ومحاربة اللغة العربية وحتى الأسماء.

٤ً - محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال إلى الجنوب، وتشجيع العري والإبقاء عليه.

٥ً - نقل كل ضباط الإدارة المحلية والحكومة المحلية الشماليين من الجنوب، وتحدّد ١٧ جمادى الآخرة من عام ١٣٤٩ موعداً أقصى لاكتمال هجرة الشماليين من الجنوب، وصدرت بعدها التعليمات المشدّدة بعدم السماح لأي شمالي بدخول المديريات الجنوبية إلا بإذنٍ خاص.

وبعد أن تمّ طرد الشماليين من الجنوب بدأ تنفيذ المخطط البريطاني فانطلقت الحملات الإرهابية على سكان الجنوب من الذين اعتنقوا الدين الإسلامي أو تسمّوا بأسماء عربية. وبدأ فصل كل مسلم جنوبي من أي عملٍ حكومي يتولاّه. وفي الوقت نفسه عهدت السلطات البريطانية إلى رجال الإرساليات التنصيرية والكنائس بالإشراف على مهمة التعليم الذي لم يكن يزيد على العمل للديانة النصرانية وتعليم اللغة الانكليزية، ولكي يزداد نفوذ الكنائس بين رجال القبائل وسكان الجنوب عمدت الإدارة البريطانية إلى تخفيض مرتبات العاملين الجنوبيين بحجة أن متطلبات الحياة لا تستدعي أجوراً عالية، وأصبح أجر العامل اليومي لا يزيد على ثلاثة قروش، وازداد البؤس بين الجنوبيين نتيجة انخفاض دخلهم وهنا تدخّلت الكنائس وقدّمت لهم المساعدات المادية والعينية وسدّت النقص الذي نشأ عن تخفيض مرتباتهم


المقياس
السودان
النيل
كاراموجا
النيل
بحيرة كيوغا
اوتيسو
بونيورو
موبندي
بوسوغا
النيل
جنجا
تورو
كامبالا
بوغندة
عنتبة
خط الاستواء
ماساكا
انكولي
بحيرة
فكتورية
رواندا
تانزانيا

مصور رقم [٢٤] .

وبذلك تمّ دعم الكنائس وسيطرتها على العاملين في القطاع الحكومي بالمدن[1] .

وفرضت انكلترا في معاهدة (مانغو) التي وقعت عام ١٣٢٣ أن يكون الملك، ورئيس الوزارة، ووزير المالية من أتباع كنيسة بريطانية، أما وزير العدل فيجب أن يكون من أتباع كنيسة الروم الكاثوليك لتضمن بذلك حرية النصارى ونشاطهم ولتقف في وجه الإسلام ودعاته. كما منحت هذه المعاهدة الكنيسة الإنجيلية مساحةً من الأرض تُقدّر بائنين وستين ميلاً مربعاً، ونتيجة وطأة هذه المعاهدة بدأ التنظيم والتجمّع للمطالبة بتحقيق رغبات الشعب.

قام حزب زعماء القبائل (الباتاكا) يُطالب بشعبية المجلس النيابي (اللوكيكو)، وحرية الصحافة، والاجتماع، والرأي. وبعد الحرب العالمية الأولى قامت حركة من شباب أوغندا تطالب بإيجاد مجلس نيابي للفلاحين (لوكيكو باكوبي) لإصدار تشريعات تُناسب الفلاحين لأن القوانين التي تصدر لا تُحقّق إلا مصلحة المستعمر.

ومات (الكاباكا) ملك بوغندا (داودي شوا) عام ١٣٥٨ فخلفه ابنه «ادوارد فريدريك موتيسا» باسم «موتيسا الثاني» ولم يكن يتجاوز الخامسة عشرة فعُيّن ملكاً تحت الوصاية، وكان قد درس في مدارس الإرساليات التنصيرية، وسافر بعدها إلى جامعة (كامبردج) حيث تلقّى علومه فرجع يحمل أفكار الانكليز.

انتهت الحرب العالمية الثانية وانتهت معها الأحكام العرفية فبدأت الحركات والتجمعات الحزبية، وقام عمال مدينة (كامبالا) بالإضرابات مطالبين بزيادة الأجور، وهاجموا وزير المالية (كولوبيا) وإذا كانت قد قمعت الثورة إلا أن التنظيمات الحزبية قد ظهرت.

---

(١) مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٩ صفر ١٣٩١ هـ.

ظهرت عام ١٣٦٩ عدة أحزاب منها: حزب العمال الإفريقي، وعصبة موظفي أوغندا، واتحاد أوغندا الإفريقي، وتقدّمت الأحـزاب مـع حـزب زعماء القبائل (الباتاكا)، واتحاد فلاحي أوغندا بمذكرة إلى الحكومة تُطالبها بأمور أهمها:

١ - إقالة الحكومة.

٢ - قيام حكومة جديدة يشترك الشعب في انتخابها مع انتخاب أعضاء المجلس النيابي.

٣ - إعطاء الإفريقيين الحق في حلج أقطانهم.

٤ - إعطاء الإفريقيين الحق في التجـارة خـارج أوغنـدا مبـاشرةً دون وساطة.

قيّدت الحكومة النشاط الحزبي، ولكنه نشأ حزب جديد يضمّ كثيراً من عناصر المنظمات السابقة وقد عُرف باسم «مؤتمر الشعب الأوغندي» ويرأسه «موسازي»، ووقع خلاف بين الملك (موتيسا الثاني) والحاكم البريطاني عام ١٣٧٣ إذ بدأ الملك يساير الاتجاه الوطني، فأرادت السلطات البريطانية نفيه إلى لندن إلا أن الشعب قد ثار تأييداً لملكه وضدّ الاستعمار، واتخذت الحكومة طريق العنف فلم ينفعها ذلك واضطرت انكلترا عام ١٣٧٥ إلى إعادة الملك إلى عرشه. وتألّفت عام ١٣٧٩ «حركة الحرية في أوغندا» إلا أن الحاكم البريطاني منع نشاطها فعمل أفرادها في السر، وقدّم المجلس النيابي مذكرة تدعو إلى إجراء انتخابات للجمعية التشريعية لوضع دستور للبلاد، ومفاوضة انكلترا من أجل الحصول على الاستقلال. وتمّ ذلك وحصلت البلاد على الاستقلال عام ١٣٨٢. وينص الدستور على أن تكون أوغندا جمهورية تتألف من ستة أقاليم، وأن تكون بوغندا مملكةً ضمن هذه الجمهورية، ويكون ملكها «موتيسا الثاني» على أن يكون ولي عهده بدر بن نوح زعيم المسلمين. وأصبح في البلاد تنظيمان سياسيان هما: الحزب الديمقراطي، وحزب

مؤتمر الشعب الأوغندي.

الاستقلال: كان رئيس الحزب الديمقراطي رئيساً للوزراء عندما حصلت البلاد على الاستقلال عام ١٣٨٢ وهو « بنديكتو كيدانوكا » غير أن الانتخابات قد رفعت إلى الحكم حزب مؤتمر الشعب الأوغندي فشكل رئيسه « ميلتون أوبوتي » الوزارة وتسلّم الحكم.

حدث تمرّد عام ١٣٨٤ واضطر رئيس الوزارة استدعاء القوات البريطانية للمساعدة في القضاء على التمرد، وأدّى ذلك إلى عزل قائد الجيش « أوبولوت » ثم اعتقاله، وتولّى القيادة « عيدي أمين ».

وأصبح « ميلتون أوبوتي » عام ١٣٨٥ رئيساً للدولة واحتفظ في الوقت نفسه برئاسة الحكومة، وأصبح يتمتع بسلطاتٍ واسعةٍ، وبناءً عليه أصدر دستوراً جديداً ألغى فيه النظام الاتحادي الذي كان قائماً بين أقاليم أوغندا، كما ألغى الوضع الخاص الذي كان يتمتع به إقليم بوغندا، وعندما حاول ملك بوغندا « موتيسا الثاني » عرض الأمر على الأمم المتحدة قام الحرس الخاص الموالي للرئيس « أوبوتي » عام ١٣٨٦ بالهجوم على القصر الملكي، واستولى عليه، وفرّ (الكاباكا) ملك بوغندا موتيسا الثاني إلى بوروندي وأقام فيها، ثم انتقل إلى لندن، وأخيراً مات عام ١٣٨٩ في العاصمة البريطانية بظروفٍ غامضةٍ، اتهم فيها الرئيس « أوبوتي » بدسّ السمّ له. ولم يمض شهر حتى جرت محاولة لاغتيال « أوبوتي » وأُصيب خلالها بفمه، ودخل المستشفى، فاتخذ إجراءاتٍ حاسمةً ضدّ المعارضة حيث أُعلنت حالة الطوارىء بتصديق المجلس النيابي، وحُظر نشاط الحزب الديمقراطي المعارض والأحزاب الأخرى جميعها عدا « حزب مؤتمر الشعب الأوغندي » الحزب الحاكم، الذي أصبح مُستبداً، حسب طريقة حكم الحزب الواحد، وبدأت عملية جمع الأسلحة من السكان.

وفي عام ١٣٩٠ أعلن الرئيس « أوبوتي » عن مقرراته في :

١ً - تأميم تجارة الاستيراد والتصدير باستثناء النفط.
٢ً - امتلاك الحكومة ٦٠٪ من أسهم الشركات جميعها من زراعيةٍ وصناعيةٍ والبالغ عددها ثمان وثمانون شركة.
٣ً - تحويل جميع المصارف العاملة في أوغندا إلى شركاتٍ أوغندية.
٤ً - قصر عمل الأجانب في التجارة على مناطق معينةٍ وسلعٍ محدّدةٍ.

وفي مطلع عام ١٣٩١ أُعلن عن قيام انقلاب عسكري يتزعمه قائد الجيش « عيدي أمين » معلناً أن الرئيس « أوبوتي » كان استبدادياً في حكمه، مُتسلّطاً، رفض إجراء انتخابات، ولم يراعِ أوضاع البلاد الاقتصادية عندما قام بإجراءاته الأخيرة، كما كان يتحيز للإقليم الشمالي الذي ينتمي إليه، وهذا ما أدّى إلى بثّ الانقسام في صفوف الجيش الأوغندي.

وافق عيدي أمين على استلام رئاسة الجمهورية بعد قيام انقلابه بشهر واحد، فألغى الأحكام العرفية المعمول بها منذ عام ١٣٨٦، أما « أوبوتي » فقد التجأ إلى تانزانيا الدولة المجاورة والتي لم تعترف بالنظام القائم في أوغندا حتى زواله، وبقيت العلاقات متوترةً بين الدولتين وحدثت بينهما عدة اشتباكات، كما كانت العلاقات متوترةً مع السودان.

طرد عيدي أمين البعثة الإسرائيلية من أوغندا وسجن بعض أفرادها إذ كانت تتصرّف بحريةٍ كأنها على أرضها فلم يطق أن يجد في بلاده سلطتين رغم أن هذه البعثة قد سبق لها أن دعمته، وكان على صلةٍ حسنةٍ ببلدها، وبدأ الخلاف، وقامت إسرائيل بعملية فدائية وأنقذت أفراد بعثتها الموقوفين في مطار « عينتيبة »، وبدأ اليهود يعملون ضدّ عيدي أمين. كما ضايقه تصرّف الإرساليات النصرانية فحدّ من سلطتها وأعدم أحد القساوسة، فكان نتيجة

ذلك أن عمل اليهود والصليبيون ضدّه. ولم يجد دعماً له سوى المسلمين فظهر نشاطهم، ولما أُبعد من أمامهم النشاط الصليبي واليهودي ارتفعت نسبة المسلمين حتى وصلت إلى ٤٠٪ من مجموع السكان، وهذا ما أثار الصليبية واليهودية ضدّه أيضاً.

بدأت اللعبة الدولية، وأُثير الخلاف بين اوغندا وتانزانيا، ووقعت الحرب بين الدولتين، واندحر الأوغنديون بعد مقاومةٍ عنيفةٍ، وانسحب عيدي أمين نحو الشمال، ودخلت القوات التانزانية عاصمة أوغندا كامبالا، وقامت حرب إبادةٍ ضدّ المسلمين فذبح منهم ما يقرب من نصف مليوناً وشُرّد مثلهم، وسُلّم حكم أوغندا جوزيف بن عيسى مدير جامعة (ماكريري) وهو نصراني متعصب، وأُطلق عليه اسم «يوسف لولوي»، وبعد شهر قام انقلاب بزعامة وزير الدفاع، وأُخرج جوزيف بن عيسى من البلاد. وأُجريت الانتخابات، وعاد «ميلتون أوبوتي» لرئاسة الجمهورية.

السكان: ينتمي سكان أوغندا إلى الزنوج، وقبائل البانتو التي اكتسحت البلاد، واختلطت موجة كبيرة منهم مع السكان الأصليين، وشكّلوا سكان أوغندا الحاليين. وأهم قبائل البانتو هي: (الباغندا): ويشكلون ١٧٪ من السكان، ثم (الباسوغا) و(البانيورو)، وقد حدثت منافسة بين (الباغندا) والبانيورو خلال القرن الثالث عشر استطاعت (الباغندا) بعدها أن تحتلّ مركز الصدارة، ويلي قبائل البانتو النيليون الحاميون وأشهر قبائلهم: (الأوتيسو) ويعيشون شرق بحيرة (كيوغا)، و(الكاراموغا)، ثم النيليون وأشهر قبائلهم (لو) ويعيشون حول خليج (كافيروندو)، و(اللانغو) في المديرية الشمالية شمال بحيرة (كيوغا)، و(الألور) شمال بحيرة (ألبرت)، ثم هناك بعض الأقزام الذي يعيشون منعزلين في الغابة، هذا بالإضافة إلى ما جاءها من عناصر عن طريق آسيا وشمالي إفريقية.

ومعظم السكان من الإفريقيين وقليل منهم من الغرباء الذين يُشكّل الهنود

ثلاثة أرباعهم، وقد دخلوا إلى البلاد على شكل تجار، وصار لهم شأن في التجارة، كما جاء بعضهم على شكل عمال للعمل في مدّ السكك الحديدية، واستقرّ قسم منهم، وهناك بعض التجار العرب الذين جاء أكثرهم من جنوبي شبه جزيرة العرب. كما توجد قلة من الأوربيين حيث يأتون إلى أوغندا بكثرة ولكن لا يستقرّون لأنهم كانوا يعتقدون بانتشار مرض النوم في البلاد رغم أن المُناخ يناسبهم لاعتداله بسبب الارتفاع.

اللغة: يتكلم السكان اللغة السواحيلية الخاصة بأوغندا، وهي دخيلة إلى البلاد، ومزيجة من لهجات البانتو مع اللغة العربية، وتكتبَ بالحرف العربي، واللغة الرسمية هي الانكليزية، ولكل قبيلةٍ أيضاً لغتها الخاصة، ويحرص المسلمون من السكان على تعلّم اللغة العربية، ولكنهم لا يجدون المجال أمامهم ميسراً حيث لا توجد إلا قلّة تتكلّمها.

العقيدة: لا تزال أكثرية سكان أوغندا على الوثنية، ولم يستطع المسلمون أن يُؤثروا على السكان بسبب الظروف التي تحيط بهم، وبسبب وقوف الاستعمار والإرساليات التنصيرية والصليبية واليهودية في وجههم وما تملك من إمكانات وطاقات ونلاحظ أن نسبتهم لا تزيد اليوم على ٣٥٪ وإن كانت قد ارتفعت أيام عيدي أمين إلى ٤٠٪ إلا أنها عادت فتناقصت لما لحقها من قتل وتشريد. وكذلك فإن النصارى لا تزيد نسبتهم على ٣٠٪ رغم الإمكانات الكبيرة والجهود التي تبذل والإرساليات التنصيرية ودعم اتحاد الكنائس العالمي، والدول النصرانية، فالسكان يتوزّعون حسب العقائد على النحو التالي:

المسلمون ويُشكّلون ٣٠٪	من مجموع السكان ويبلغ عددهم	٤,٩٠٠,٠٠٠
النصارى ويُشكّلون ٣٠٪	من مجموع السكان ويبلغ عددهم	٤,٢٠٠,٠٠٠
الوثنيون ويُشكّلون ٤٠٪	من مجموع السكان ويبلغ عددهم	٤,٩٠٠,٠٠٠
١٠٠٪		١٤,٠٠٠,٠٠٠

المسلمون: يتجمع المسلمون:

في مقاطعة بوغندا في (مانغو) و(مازاكا).

وفي المقاطعة الغربية في إقليم (انكولي) و(تورو) و(موبندي) و(بونيورو).

وفي المقاطعة الشرقية في إقليم بوسوغا.

وفي المقاطعة الشمالية على طول مجرى نهر النيل.

وشعارهم لبس الطاقية أو الطربوش، وحالتهم المادية أحسن من غيرهم من الوثنيين بسبب نشاطهم. وقد يكون الإقبال على الدخول في الدين الإسلامي يومياً لأنه دين الفطرة مع كل ما يقف أمام المسلمين من عقبات من دعايةٍ، وإغراءاتٍ من رجال الإرساليات التنصيرية، ومن افتراءات من قبل أعداء الإسلام عامةً ومن القاديانيين خاصةً على قلّتهم.

ويُؤسّس المسلمون الجمعيات، ويفتتحون المدارس، ومن أشهر هذه الجمعيات «الجمعية الإسلامية الأوغندية» التي يرأسها زعيم المسلمين هناك بدر بن نوح الذي كان أبوه نوح قد اعتنق الإسلام أيام أخيه الملك «موتيسا الأول» وهو أخ له غير شقيق، وابن الملك سونا. وكان بدر بن نوح ولي العهد السابق لملك بوغنده وبصفته الرسمية هذه كان له الأثر الكبير، وتلقى هذه الجمعية تأييداً من معظم المسلمين في أوغندا، وتساعد هي بدورها عدداً من الجمعيات الأخرى الأقل مركزاً مثل: جمعية مساعدة المدارس الإسلامية، وجمعية التبليغ الإسلامي. ومنذ عام ١٣٨٥ أصبحت هذه الجمعية تلقى معارضةً من قبل الحكومة حينما أُلغي النظام الخاص في إقليم بوغندا، وأُزيلت الملكية، إذ فقد زعيم المسلمين بدر بن نوح صفته الرسمية، وهو المشرف الأول على هذه الجمعية.

في عام ١٣٧٩ دخل في الإسلام رجل يدعى «أكبر منجوتي» وتسلّم وزارة الزراعة في حكومة «أوبوتي»، وهو قريب له، وأسس في عام ١٣٨٦

مع وزير الصحة « شعبان انكوتو » جمعية الاتحاد الوطني لتقدّم المسلمين في أوغندا، وهكذا انقسم المسلمون إلى قسمين:

١ً - الجمعية الإسلامية الأوغندية، ورئيسها بدر بن نوح، وتعدّ من المعارضين للحكومة بسبب الوضع السابق لرئيسها الأمير بدر بن نوح.

٢ً - جمعية الاتحاد الوطني لتقدّم المسلمين في أوغندا، ويرأسها أكبر منجوتي، وأمينها العام شعبان أنكوتو، وتلقى التأييد الكامل من الحكومة وتقف في وجه الجمعية الأولى.

ولما كانت الجمعية الإسلامية الأوغندية تلقى تأييداً كبيراً في صفوف المسلمين، ولها مركزها بين الشعب. وكان الحزب المعارض « الحزب الديمقراطي » يملك شعبيةً أيضاً رغم أنه محظور النشاط منذ عام ١٣٨٩ هـ، وهذا ما أكسب معارضة الدولة قوةً كبيرةً وإن كانت كامنةً، ولما كانت الشعوب تطمع في التغيير الدائم وهذا ما جعل الاستعمار يخشى من حدوث انقلاب مفاجىء قد لا يعرف عنه شيئاً. وأخشى ما يخشاه الاستعمار قيام حركة يكون للمسلمين فيها يد أو يكونون هم القوة المحرّكة لها لذلك عمل على تغيير الوضع الذي كان قائماً في أوغندا واستبداله بحكمٍ عسكري إذ يناسب الحكم العسكري المستعمرين حيث يمنع كل معارضة مهما كان نوعها، ويظهر بمظهر القوة، وحتى لا تكون معارضة المسلمين قوية فقد اختير أحد الضباط المسلمين قائداً لهذا الانقلاب، وهو عيدي أمين الذي تولّى قيادة الجيش عام ١٣٨٤، وكان دعماً للرئيس « أوبوتي » في كل تصرّفاته، وتدرّب هذا القائد في إسرائيل، ولكن لما تسلّم السلطة لم يستطع رؤية سلطة أخرى غير سلطته فطرد الإرساليات النصرانية ورجالها، والبعثة الإسرائيلية وأعضاءها.

وقد انضمّت أوغندا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي أيام عيدي أمين ولكنها لم تحضر المؤتمر الإسلامي العاشر إذ تغيّرت جهة الحكومة على ما يبدو.

النصارى: لقد اعتنق عدد من السكان النصرانية تحت تأثير الإرساليات التنصيرية وإغراءاتها القائمة في الدخول إلى المدارس، والمستشفيات والمساعدات، وتحت تأثير الاستعمار وإغراءاته في الوظائف والبعثات وتسهيل المهمات ومع العلم أن التعاون قائم بين المؤسسات الاستعمارية ورجال الإرساليات. وتعمل في أوغندا إرساليات كاثوليكية فرنسية وبروتستانتية إنكليزية. ويُعدّ النصارى أحسن بقية عناصر السكان من الناحية المادية والاجتماعية ويسيطرون على كثيرٍ من أجهزة الدولة، هذا بالإضافة إلى إشرافهم على مدارس الدولة ومدارسهم الخاصة ومشافي الدولة ومشافيهم الخاصة ويتلقّون الدعم من معظم الدول النصرانية ومن اتحاد الكنائس العالمي لذا فإمكاناتهم ضخمة يستطيعون القيام بمؤسساتٍ كبيرةٍ ذات طاقات عالية.

وقد توقّف انتشار النصرانية مع زوال الاستعمار وطرد رجال الإرساليات، ثم رجع قليلاً بعد عودة الحكومة إلى التحيّز إليهم والوقوف بجانبهم.

الوثنيون: يُشكّل الوثنيون أكثرية السكان، ويعيشون على شكل قبائل لكل قبيلة معتقداتها الخاصة بها وطقوسها التي تختلف بها عن غيرها، وقد كانوا موضع الاهتمام عند المستعمرين ورجال الإرساليات النصرانية لجرّهم إلى ديانتهم ولوقوفهم مع النصارى في وجه الإسلام. كما أن نشاط المسلمين إنما يوجه بالدرجة الأولى إليهم وقد كسب المسلمون أكثر أتباعهم اليوم من بين هؤلاء الوثنيين الذين يتوقّف وجودهم على نشاط المسلمين في تلك الديار، وعلى مساعدتهم من قبل الدول الإسلامية عامةً والعربية منها خاصةً.

التعليم: إن وصول الإسلام إلى أوغندا كان حديثاً كما رأينا، وتلاه مجيء الاستعمار ودخول الإرساليات التنصيرية، وكل هذا كان في وقتٍ واحدٍ تقريباً، واتجه التجار المسلمون إلى تأسيس المدارس لكن لم يتجاوزوا في إنشائها المرحلة الابتدائية، وحاولت الإرساليات وضع التعليم كله في قبضتها،

وكانت قادرةً على ذلك لما تملك من إمكاناتٍ ماديةٍ ودعمٍ من السلطات الاستعمارية. ولم تُؤسّس حتى عام ١٣٥٦ سوى عشر مدارس إسلامية ابتدائية. ثم بدأت السلطات الحاكمة تعمل على فتح المدارس والتعليم ولكن تعمدّت إغفال المسلمين وتعليمهم... ونتيجة هذه السياسات فقد أُغلق عدد من المدارس الإسلامية مع قلّتها.

ففي عام ١٣٦٥ كان عدد المدارس الإسلامية الابتدائية ١٨ مدرسة أغلق منها ٦ مدارس.

وفي عام ١٣٨٠ كان عدد المدارس في أوغندا كما يلي:

المدارس النصرانية	٢٣٨٨	١٤٠٧ للكاثوليك.
		٩٨١ للبروتستانت.
المدارس الإسلامية	١٧٩	
المدارس الحكومية	١٢٩	
	٢٦٩٦	

أما المدارس الثانوية فكان على النحو التالي:

المدارس النصرانية	٢٨٢	١٥٢ للكاثوليك.
		١٣٠ للبروتستانت
المدارس الإسلامية	١٨	
المدارس الحكومية	٦١	
	٣٦١	

وتتركّز المدارس الإسلامية في بوغندا إذ أن المقاطعات الأخرى كانت شبه خالية ونلاحظ هذا من الجدول التالي:

	بوغندا	المقاطعة الشرقية	الغربية	الشمالية	المجموع
مدارس النصارى	٧٨	٦٨	٦٠	٧٦	٢٨٢
مدارس المسلمين	٨	٦	٢	٢	١٨
مدارس الحكومة	٣٤	٢٠	٢	٥	٦١

أما المدارس المهنية فكانت كما يلي:

	أولية	ثانوية	معاهد عليا
النصرانية	٢٤	٣	٣٧
الإسلامية	١	٢	١
الحكومية	٢	-	١٦

وهذا يدلّ على أن التعليم كان بيد الإرساليات التنصيرية، وهذا ما يُؤثّر على وضع المسلمين الاجتماعي، كما كان التعليم المهني كذلك بيد النصارى، وهذا ما يُؤثّر على وضع المسلمين الاقتصادي وبالتالي يتخلّف المسلمون بالنسبة إلى المجتمع الذي يؤثر فيه، ويستمرّ هذا التخلّف مع ازدياد نسبته، وخاصة أن الإمكانات النصرانية ضخمة، والدعم لهم كبير أما المسلمون فلا دعم لهم، وكل نشاطهم بإمكاناتهم المتواضعة وجهودهم الخاصة، وإخوانهم في الأمصار الإسلامية في غفلةٍ عنهم، ونسيان.

المؤسسات الإسلامية: على الرغم من الجهود الإسلامية الخاصة في أوغندا فقد نشأت بعض المؤسسات ذات المكانة ومنها:

المجلس الإسلامي الأعلى لأوغندا في كمبالا.
الجمعية الإسلامية الأوغندية.
جمعية الاتحاد الوطني لتقدّم المسلمين في أوغندا وتأسّست عام ١٣٨٦.
الجماعة الإسلامية بأوغندا.

الكلية العلمية في « كبيلي » ضاحية كمبالا .
جمعية التبليغ الإسلامي .
جمعية مساعدة المدارس الإسلامية .
ومن المدارس الإسلامية :
معهد بلال الديني في كمبالا .
مدارس التقوى الإسلامية في مدينة (مازاكا) .
مدرسة الدين والتهذيب الإسلامي في مدينة (كتومو) وفيها مسجد ، ودار لإقامة الطلاب .

المعهد الديني في مدينة (جنجا) .
مدرسة الحنان في (جنجا) .
مدرسة (كويمبا) الإسلامية العليا في كمبالا .
معهد النهضة الإسلامية في (بوسمباتيا) .

وأشهر المساجد في أوغندا كلها مسجد (نكسيرو) القائم في العاصمة كمبالا ، ومسجد (كبيلي) في ضاحيتها .

ويُعاني المسلمون من قلة التعليم للغة العربية لعدم وجود أساتذة لذلك ، ومن الفقر والمرض نتيجة الجهل والتخلّف ، ولا توجد لديهم الإمكانات المادية ، ومن ثم تحدّيات القاديانيين والبهائيين والإسماعيليين والفرق المنحرفة ، وفوق هذا كله الخلافات القائمة بين الجمعيات والمؤسسات ، وكيد النصارى والمستعمرين .

ومع كل هذه العراقيل والتحدّيات أمام الدعوة الإسلامية في أوغندا فإن بعثات التنصير تشير في تقاريرها إلى تزايد انتشار الإسلام على نحوٍ يُعدّ تهديداً خطيراً لها في البلاد ، وتعزو ذلك إلى ما كان من نشاط التجار المسلمين والدعوة إلى الإسلام أثناء معاملاتهم ، وإلى نظام الزواج في الشريعة

الإسلامية الذي يُلائم البلاد، وإلى اعتبار كل مسلم يفد إلى البلاد أن من واجبه الدعوة إلى الإسلام. وإذا ما تزوج مسلم من نصرانيةٍ أو وثنيةٍ لا تلبث أسرتها أن تتحول إلى الإسلام جملة، هذا في الوقت الذي ينظر أهل البلاد إلى النصرانية أنها إحدى المستحدثات أو الواردات من أوربا مع الاستعمار، وخاصةً أنهم يجدون المسلمين القادمين أكثر اختلاطاً بهم واندماجاً معهم.

ولما رأت البعثات التنصيرية سرعة انتشار الإسلام عملت ومن يقف وراءها على إسقاط نظام الحكم، وأُثير الخلاف بين تانزانيا وأوغندا، ودخلت جيوش تانزانيا كمبالا، وسقط نظام الحكم، وهرب عيدي أمين وقُتل نصف مليون من المسلمين وشُرّد مثلهم، وطُويت الصفحة، وسكتت أجهزة الإعلام العالمية ووكالات الأنباء وباركت المؤسسات النصرانية والإرساليات وكبريات الدول الاستعمارية...

أوغندا واليهود: عرضت انكلترا على اليهود أن تكون أوغندا وطناً قومياً لهم، وكانت قد دخلتها حديثاً وجعلتها مستعمرةً لها، وبحث وزير المستعمرات البريطاني «تشمبرلن» مع «هرتزل» منح اليهود تلك البقعة من الأرض، وعلى الرغم من موافقة المؤتمر الصهيوني على ذلك إلا أن القادة اليهود المتطرفين رأوا يومذاك رأي الدول الاستعمارية الصليبية في نقطة ارتكاز لهم في قلب المناطق الإسلامية التي ستُفصل عن مركز الخلافة الإسلامية بجهد دول أوربا الصليبية الحاقدة والتي تخشى أن يحاول المسلمون مرة أخرى ـ بعد تجزئة بلادهم ـ العودة إلى فكرة جمع الأمة المسلمة وإعلان الجهاد. هذا بالإضافة إلى الفكرة الدينية التي تُحرّك اليهود وترى في فلسطين بقعةً مقدسةً لهم.

وإذا كانت الحركة اليهودية قد قرّرت فيما بعد أن تكون فلسطين أرضاً للميعاد ـ على حد تعبيرهم ـ إلا أنها كانت تنظر في الوقت نفسه إلى إفريقية سندها في ذلك إذ هي التي ستُمكّنها من الوقوف على قدميها، ومن

الاستمرار في البقاء في وسط ذلك الإطار الواسع القي يحيط بها والذي ينفصل عنها كل الانفصال.

ونشط اليهود في الدول الإفريقية قبل استقلالها، وساعدهم على ذلك المستعمرون لتكون لهم ركائز قبل خروجهم من البلدان المستعمرة للمحافظة على مصالحهم، واعتمدوا اليهود ليكونوا الأداة المُنّفذة لرغباتهم. وقدّم اليهود مساعدات للدول التي استقلّت، وفي عام ١٣٨٢ يوم استقلّت أوغندا لم يكن فيها سوى خبير يهودي واحد. واهتمت دولة اليهود بالقطاع النقابي بشكل خاص فأولت شؤون العمال ومشكلاتهم عنايةً فائقةً، فقد أنشأ الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة معهداً نقابياً في (كمبالا) للتدريب النقابي العمالي، وقد مهد هذا لاتحاد عمال إسرائيل (الهستدروت) سبيل الاتصال والارتباط بعدد من القيادات العمالية الإفريقية.

(٣) موزامبيق

تمتدّ على الساحل الشرقي لإفريقية بطول يَزيد على ١٩٠٠ كيلومتر، وتزيد مساحتها على ٧٧١,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويسكنها ما يزيد على اثني عشر مليوناً، تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٣٠٪، وبذا يكون عددهم ٣,٦٠٠,٠٠٠ مسلم، يكثرون في المناطق الساحليةِ، ويقلّون في الجهات الداخلية.

دخل الإسلام إلى موزامبيق عن طريق التجارة البحرية والدعوة، وأسّس المسلمون مدناً أشهرها مدينة « سفالة » التي تحدّث عنها الرحالة « ابن بطوطة »، كما دخل عن طريق إمارة الزنج التي قامت في القرن الرابع الهجري، والتي كانت عاصمتها مدينة « كلوة » التي تقع في تانزانيا اليوم، وقد امتدّ سلطان هذا الإمارة على الأجزاء الشمالية من موزامبيق، كما تمكنت هذه الإمارة عام ٥٣٥ أن تسيطر على مدينة سفالة، وأن تستثمر مناجم الذهب في بلاده « زيمبابوي » اليوم، وفي مدينة « مونيكا ».

وتأسّست في القرن العاشر نواة إمارةٍ إسلاميةٍ تُدعى « شيكانغا » بالقرب من « مونيكا » غير أن البرتغاليين قد قضوا عليها عام ٩٧٧ هـ.

ونفذ الإسلام للداخل عن طريق تجمّعات المسلمين على طول الساحل وخاصةً من « سفالة » و« كيلمين »، وشقّ طريقه نحو جنوبي « ملاوي » ويذكر

توماس أرنولد أن أسلاف قبائل « الياوو » في نياسالاند (ملاوي) قد جاءوا من قرب الساحل الشرقي ، واعتنقوا الإسلام من زمنٍ بعيدٍ ، وكانوا حلفاء العرب ، وقد انتشر الإسلام هناك بسرعة في العقد الأول من القرن العشرين (الرابع عشر الهجري).

وعندما جاء الصليبيون البرتغاليون في القرن العاشر شنّوا حرباً صليبيةً شعواء على المسلمين فخرّبوا المدن ، وقتّلوا من السكان ، وأفرغوا شحنات من حقدهم على أهالي البلاد ، وإذا كان البرتغاليون قد طُردوا من الأجزاء الشمالية إلا أنهم استطاعوا الاحتفاظ بمراكزهم في « موزامبيق » الأمر الذي جعل المسلمين يُعانون الشدائد ، ويضطرون للهجرة ومغادرة ديارهم لقسوة البرتغاليين ووحشيتهم.

حكمت البرتغال موزامبيق من مستعمرتها « غوا » في الهند ، ثم غدت مستعمرة مفردةً ، ثم عدّها البرتغاليون جزءاً من بلادهم.

التعليم: عمد البرتغاليون إلى إهمال أوضاع المسلمين وخاصةً فيما يتعلق بمؤسساتهم كالمساجد والمدارس ، فالمساجد قليلة صغيرة بسيطة وغالباً ما تتبعها المدارس التي ليست سوى كتاتيب . أما التعليم العام فقد أفسدته الإرساليات التنصيرية ، وانتشرت الأفكار المخالفة للإسلام . ووقعت البرتغال عام ١٣٥٩ معاهدة مع الفاتيكان حوّلت التعليم بموجبها في موزامبيق إلى سلطة الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا منع فتح المدارس الإسلامية مهما كان نوعها ، وهذا ما أدّى إلى زيادة ضعف المسلمين وتخلّفهم ، كما أن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية السيئة لا تساعدهم على القيام بأي عمل إيجابي ، ولم تكن أوضاع المسلمين في الأمصار الإسلامية أفضل بكثير ، وإذا كانت قد حدثت صحوة إسلامية حسبما يقولون إلا أن الإهمال لا يزال قائماً . فالمسلمون في موزامبيق بحاجةٍ إلى جهود ضخمة لإنقاذهم مما يُعانون .

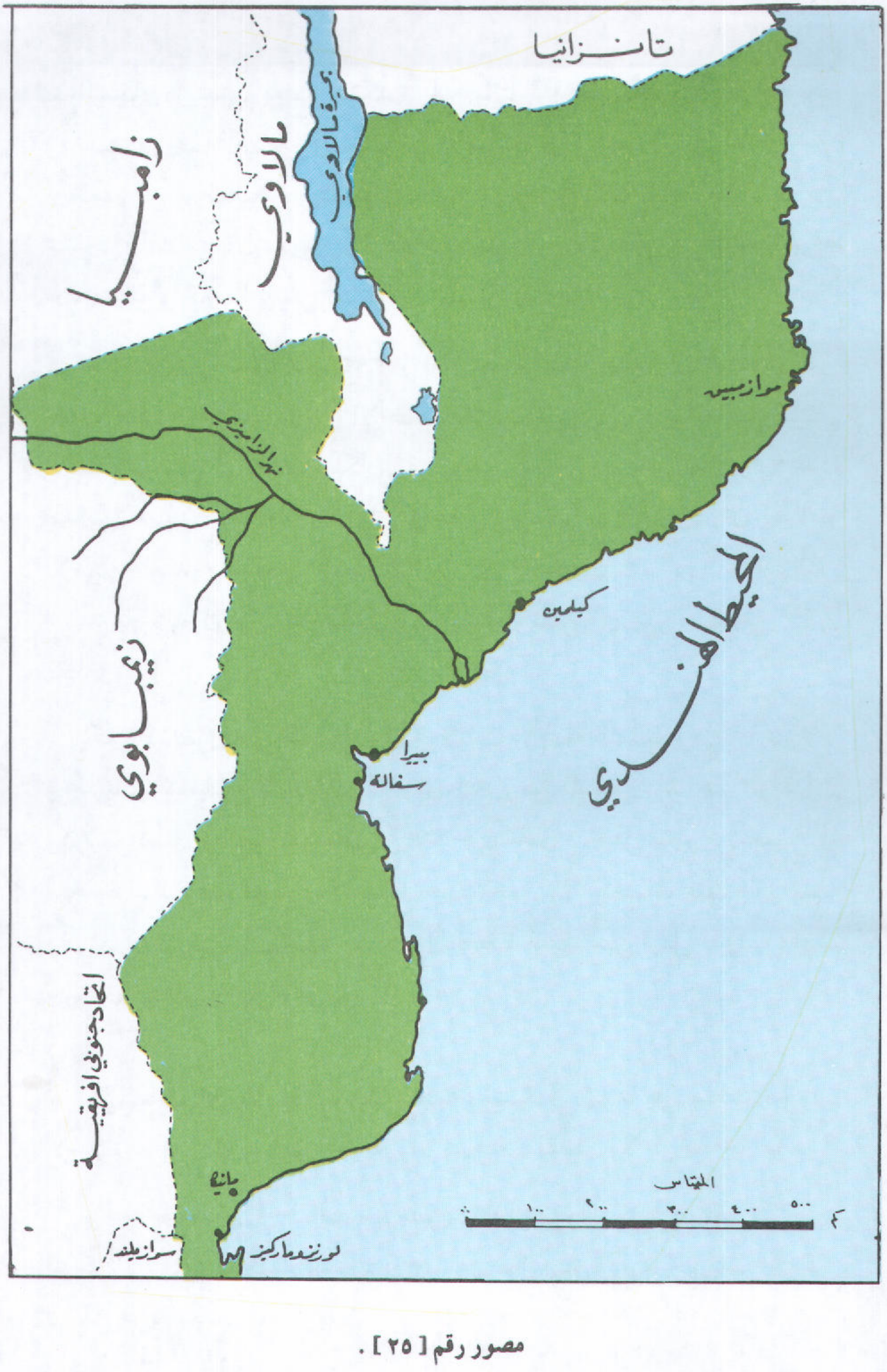
السكان: ينتمي معظم السكان إلى البانتو ومنهم « الياوو » و « الشونه » و« تسنغا »، **هذا إضافةً إلى عدد من الأوربيين ولا يزيدون على المائة ألف**، معظمهم من البرتغاليين، ويتمتعون بامتيازاتٍ واسعةٍ، كما يوجد ما يقرب من عشرين ألفاً من الآسيويين أكثرهم من الهنود وبينهم عدد من أبناء الفرقة الإسماعيلية وأكثر ما يعيش أتباعها في المنطقة الساحلية.

استقلت موزامبيق عام ١٣٩٥ بعد اضطراباتٍ عنيفة في البلاد وتغيُّر نظام الحكم في البرتغال، وفي الإحصاء الذي أُجري في موزامبيق قبيل الاستقلال تبيّن أن عدد السكان يقرب من ٩,٧٥٠,٠٠٠ إنسان وأن عدد المسلمين بينهم هو ٣,٢٠٠,٠٠٠ أي تقدر نسبتهم بـ ٣٣٪ إلا أن الهيئات الإسلامية تُقدّر المسلمين بخمسة ملايين أي ما يعادل ٥٢ ٪، أما الدوائر التنصيرية والدول الأوربية فتقول: إن نسبة المسلمين في موزامبيق هي ١٠٪ فقط.

يكثر المسلمون على الساحل وفي الولايات الأربعة الشمالية وهي: (نمبولا، وزمبزيا، ونياسا، وكابادلقادو). وإن ٩٥ ٪ من المسلمين إنما هم إفريقيون و٥٪ من آسيا. وغالبية المسلمين من الفلاحين الفقراء، وقلّ منهم من يعمل في التجارة لذلك فهم مهملون لا يسمع عنهم أحد، ولا يتحدّث عنهم إخوانهم، ولا يمدّون لهم يد المساعدة إضافة إلى الضغط عليهم من قبل الدولة. فهم يعيشون في فقر وجهل ومرض.

المؤسسات الإسلامية: توجد منظمة رئيسية في البلاد هي منظمة « أنوار الإسلام »، أما المؤسسات الخيرية والاجتماعية، فقليلة ولا توجد أية مؤسسة

يوجد مسجدان في العاصمة « مابوتو » (لورنزوماركيز)، كما يوجد المركز الإسلامي، ويقوم مسجد في مدينة « موازمبيق »، ويوجد قاض شرعي في كل من المدينتين المذكورتين.



تانزانيا
بحيرة مالاوي
مالاوي
زامبيا
نهر الزامبيزي
زيمبابوي
كيلمين
المحيط الهندي
بيرا
سفالة
اتحاد جنوب افريقية
سوازيلند
لورنزو ماركيز
المقياس
كم

مصور رقم [٢٥] .

(٤) مَالاوي

جمهورية صغيرة تمتدّ على ضفاف بحيرة (مالاوي) التي كانت تُعرف باسم « نياسا » كما كانت البلاد تُعرف باسم « نياسالاند »، وتبلغ مساحتها ١١٨,٤٨٤ كيلومتراً مربعاً، وعاصمتها مدينة « زومبا » الواقعة إلى الجنوب من البحيرة.

يُقدّر عدد سكان مالاوي اليوم بستة ملايين ونصف المليون، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٣٥٪ أي يبلغ عدد المسلمين ٢,٢٧٥,٠٠٠ مسلم.

ينتمي أكثر سكان مالاوي إلى قبائل البانتو، وأهم هذه القبائل هي: « التومبوكا » في الشمال، و « الشوا » في الوسط، و « النيانجا » في الجنوب، وهناك قبائل « الناخوندي » و « التونغا » كما قدمت من موزامبيق قبائل « الياوو » و « اللوموي » و « الناغوي ». وينتشر الإسلام بين قبائل « الياوو » حيث تعدّ أكثريتها من المسلمين، وبين بعض القبائل الصغيرة مثل الجومبي.

وصول الإسلام: وصل الإسلام إلى مالاوي عن طريق التجار والدعاة الذين قدموا إلى المنطقة أيام إمارة الزنج في القرن الرابع، وأيام حكم عُمان لشرقي إفريقة منذ القرن الثاني عشر الهجري، وارتحل التجار المسلمون إلى سواحل بحيرة (مالاوي)، وانتشر الإسلام، وكانت تجارة سالم جومبي تصل إلى أواسط البلاد، واستمرّت خمسين سنة.

الاستعمار : تبعت المنطقة إلى البرتغاليين، وهم يقيمون على السواحل، واستمرّ ذلك حتى عام ١٢٧٦ حيث وصل أول رحّالة نصراني هو (لفنغستون)، وتتابعت بعده الإرساليات التنصيرية، وقد وجدوا الإسلام منتشراً بين قبائل (الياوو)، ولا تكاد تخلو قرية من قراهم من مسجد، فأسّست الإرساليات مقراً لبعثةٍ لها في (ماغومورو)، بين قبائل (الياوو) وذلك عام ١٢٧٨ غير أنه قد أُغلق بعد عامين لفشله وعدم إمكانية تنصير مسلمٍ واحدٍ رغم الإغراءات العريضة والدعايات الواسعة، ولم تُحقق الإرساليات نجاحاً أبداً، فخابت.

وفي عام ١٢٩٢ أقامت البعثة التنصيرية الثانية مقراً لها بين قبائل (الياوو) أيضاً في (كيب ماكلير)، وبعد ست سنواتٍ استطاعت وبعد جهودٍ كبيرةٍ بُذلت أن تُنصّر مسلماً واحداً، والحقيقة أنه أظهر النصرانية للحصول على بعض المساعدات، فأقامت دعاياتٍ واسعةً لما حقّقته، وإن كانت تعرف الواقع، ولذا نقلت مقرها إلى بلدة (ليفغستونيا).

عندما دخل الاستعمار الانكليزي إلى المنطقة عام ١٢٧٦ وحلّ محلّ النفوذ البرتغالي كان أول عمل قام به بعد أن أبعد التجار المسلمين عن المنطقة وخاصةً الذين كانوا يتبعون تجارة سالم جومبي، وصرفت السواحليين إلى البلاد التي قدموا منها. ثم منحت الإرساليات التنصيرية حق الإشراف على التعليم. وفرض تعليم الدين النصراني في المدارس الرسمية كلها عام ١٣٤٦.

دخل النفوذ الانكليزي إلى مالاوي عام ١٢٧٦ عن طريق الشركات التجارية البريطانية، ومدّ (سيسل رودس) نفوذ السلطة إلى البلاد، وقاوم المسلمون هذا النفوذ مدة سنتين كاملتين، ثم هُزموا.

وأعلنت انكلترا حمايتها على أرض مالاوي عام ١٣٠٩، وكان أول مندوبٍ سامٍ لها (هري جنستون) فأعلن حرب إبادةٍ عامةٍ على المسلمين، فكان يصيد بعضهم كالطيور في الرحلات التي يقوم بها بين منطقةٍ وأخرى،

وكان المسلمون يومذاك أكثريةً تكاد تصل نسبتهم إلى ٦٠ ٪ فانخفضت هذه النسبة إلى ٢٥ ٪ بالإبادة والتشريد، ثم عادت إلى الارتفاع قليلاً وهي اليوم - كما ذكرنا - ٣٥ ٪.

استقلت مالاوي عام ١٣٨٣ وكان الحكم فيها ملكياً، ثم أعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٨٦. ويتكلم السكان اللغة الانكليزية إلى جانب لغة (تشيشوا) إحدى لهجات قبائل البانتو.

التعليم: كان التعليم قبل خضوع مالاوي للاستعمار باللغة العربية والسواحيلية، فلما جاء الاستعمار حُوّل التعليم إلى اللغة الإنكليزية أو إلى اللهجات المحلية بحروفٍ لاتينيةٍ إذ وضعت أبجدية لاتينية لأكثرية اللهجات المحلية، فكان ذلك ضربةً قوية للتعليم الإسلامي. ثم صدرت عدة قوانين عام ١٣٤٦ جعلت من الديانة النصرانية مادةً دراسيةً إجباريةً في المدارس جميعها وفي مختلف المراحل، لذا فقد رفض المسلمون إرسال أبنائهم للمدارس، فتأخّر المستوى التعليمي عندهم، وارتبط معه المستوى الاقتصادي.

عمل المسلمون على افتتاح مدارس لهم بجهودٍ خاصةٍ وإمكاناتٍ ضعيفةٍ فكان عطاؤها قليلاً يتفق مع الإمكانات التي بُذلت في سبيل تأسيسها. ثم جاء إلى ملاوي عدد من العمال الهنود (هند - باكستان - بنغالديش...) فأسّسوا جمعية التبليغ، وافتتحوا اثنتا عشرة مدرسة تسير حسب المناهج الهندية، وإن كانت قد سدّت بعض الثغرات غير أن مشكلة اللغة بقيت ثغرة قائمة.

وجاء الاستقلال فألحقت المدارس الهندية بإدارة التعليم الحكومية، ولكن قامت منظمة الشباب المسلم بتأسيس المدارس غير أن إمكاناتها محدودة لذا يوجد نقص في طباعة الكتب، وفي الأساتذة المؤهلين، وفي الإقبال على التعليم، وفي المدارس عامة، فلا توجد مدارس إسلامية إلا في مائة قرية بين خمسمائة قرية منتشرة في أرجاء البلاد.

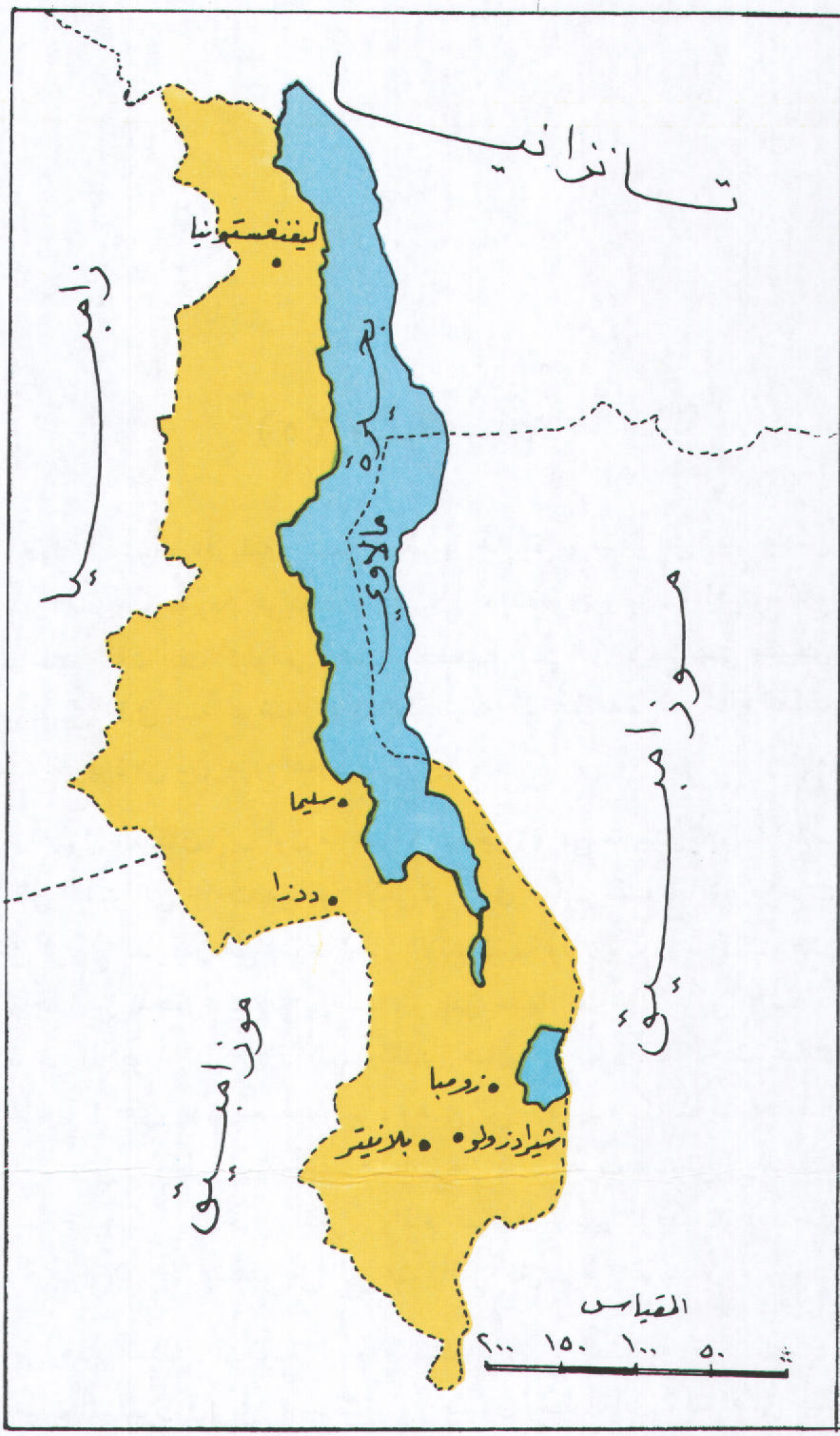
وأما المدارس والمعاهد المهنية التي يُقبل عليها الشباب فهي لا تزال كلها بيد الإرساليات التنصيرية، وبذا فالمسلمون محرومون منها إلا الذين يُضحّـون ويقبلون الانتساب إلى مدارس الإرساليات ولا شك أنهم يخسرون الكثير... وإذا كان المسلمون قد أسسوا معهداً مهنياً حديثاً لكنه لا يصل إلى المستوى المطلوب، وإنما ليسدّ الثغرة الواسعة الموجودة في هذا الميدان.

وأخيراً توجد مدارس ابتدائية أشبه ما تكون بالكتاتيب تتبع المساجد البالغ عددها خمسمائة مسجد.

المؤسسات الإسلامية: أكثر ما يتجمع المسلمون في المناطق القريبة من بحيرة مالاوي، وخاصة في المناطق الشمالية والجنوبية منها، وفي «مولنجي» و «زومبا» و سليما» و «ددزا» و «شيراد زولو» و «ليلـونغـوى». ومعظـم المسلمين يعملون في الزراعة والرعي.

والمؤسسات الإسلامية محلية، ترتبط بالمدن والقبائل بالدرجة الأولى ومنها:

الشباب المسلم.
جمعية اليمي المسلمة.
جمعية زومبا المسلمة.
جمعية بلانتير المسلمة.
المركز الإسلامي الاجتماعي.



تانزانيا
ليفنغستونيا
سليما
ددزا
زومبا
شيرادزولو
بلانتير
المقياس
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠

مصور رقم [٢٦].

(٥) مَـالاغــاشي

دولة في شرقي إفريقية، تشمل أراضيها جزيرة مدغشقر التي تُعدّ خامس جزر العالم مساحةً بعد غرينلندا، وغينيا الجديدة، وبورنيو، وبافن، وتبلغ مساحتها ٥٩٠ ألف كيلومتر مربع، ويفصلها عن البر الإفريقي مضيق موزامبيق الذي يبلغ عرضه ٤٠٠ كيلومتر، وقد عدّ بعض الرحّالة العرب هذه الجزيرة من بين جزر القُمُر.

أصول السكان: إن أول ما عمر هذه الجزيرة على ما يبدو - والله أعلم - قبائل البانتو التي جاءت من البر الإفريقي، وفي الوقت نفسه جاءتها موجات من الزنوج الشرقيين من مجموعة الجزر الأندونيسية والملايو، وربما كانت هذه الموجة أكبر المجموعات التي دخلتها، وأُطلق عليها اسم « مالاغاشي » اشتقاقاً إما من الملايو أو من مالاقا الميناء الذي كان ترحل منه المجموعات الملايوية في طريقها إلى مدغشقر، وهي التي جعلت اسم الدولة حالياً « مالاغاشي »، كما قدمت إليها جماعات من بلاد العرب وفارس، وانتقلت إليها مجموعات من جزر القمر، وأقام فيها في العصر الحديث عدد من الأوربيين لا يزيد عددهم على اثني عشر ألفاً أكثرهم من الفرنسيين.

ومن هذه القبائل الموجودة اليوم « السكالاف » أو الصقالبة كما أسماهم العرُب المسلمون في جزيرة مدغشقر، ويعيشون وسط الغابة، وقد اعتنق عدد

منهم الإسلام، ولا يزال قسم منهم عليه حتى الآن.

وقبائل الفلانة، وكانوا قد اعتنقوا الإسلام أيضاً.

وقبائل التيمور الذين يسكنون جنوب شرقي الجزيرة، ويبدو أنهم يعودون إلى أصل عربي، ويحافظون على وحدة قبيلتهم، ولا يزال لهم ملك خاص بهم، وقد تتولى النساء أمرهم، فالآن تملكهم امرأة، اسمها «باسولا»، ويقولون: إن هذا الاسم عربي محرّف وهو «بتول بنت موسى» والله أعلم ـ وعاصمة هذا القبيلة مدينة «وي بن».

وقبائل «الهوفا» هي التي سبقت إلى اعتناق الإسلام، فلم يحسن إسلامها، وعاد كثير من أفرادها إلى معتقدات آبائهم الأولين، وهي تسكن جنوب شرقي مدينة «ماجونغا»، واختلطت كثيراً بالعرب، ونشأ جيل من هذا الاختلاط أُطلق عليه اسم «مورنا»، وإن كان كثيراً ما يقصد بكلمة «مورنا» قبيلة «الهوفا» بالذات أي يطلق اسم الجزء على الكل. ولعل كلمة «مورنا» مشتقة من كلمة «مورو» وهي تسمية البرتغاليين للمسلمين، لأن أكثر «الهوفا» كانوا من المسلمين. وتحافظ قبيلة «الهوفا» على وحدة أبنائها، ولا يزال لها ملك يسري حكمه على أبناء القبيلة كلهم، وبيت الملك في قبيلة «الأنكار» أو «الأزانكار» والملك اليوم هو إبراهيم موسى، ولولا كتابات الأنكار لكان تاريخ الجزيرة مظلماً، ويُعدّ ملكهم أول من علّم أبناءه اللغة العربية.

وصول الإسلام: جاء المسلمون إلى جزيرة مدغشقر من كل جهة، جاءوا تجاراً، ودعاة، وعمالاً، وللاستقرار. جاء العرب إلى جهة الشمال، ونزلوا في مدينة (ديغو)، وربما استقرّ بعضهم وأسس مدناً وقرى، وأطلق عليها اسم البلد الذي جاء منه، فنجد مثلاً مدينة «سالالا» في شمال غربي جزيرة مدغشقر، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن اسمها قد جاء من مدينة «صلالة» العُمانية. وانتقلت جماعات إلى الساحل الشرقي ونزلت فيه.

وجاء المسلمون إلى الشمال الغربي من جزر القُمُر، ونزلوا في « ماجونغا » ومنها انتقلوا إلى أكثر جهات الجزيرة وعمروا أجزاء منها.

وجاء مسلمون من اندونيسيا والملايو وحلّوا في الساحل الشرقي واختلطوا مع العرب هناك، وهم المالاغاشيون غالباً، وانتشروا في كثير من أرجاء مدغشقر.

وجاء المسلمون من ناحية الجنوب الغربي من سفالة، وهم من العنصر الافريقي الذي اختلط مع العرب. وقد عمّ الإسلام الجزيرة، وحكمها أهله. وزار الرحّالة الأوربي (ماركوبولو) المنطقة عام ٦٨٠ وقال: إن الجزيرة يحكمها أربعة شيوخ كلهم مسلمون، وذكر أن الكتابة العربية هي السائدة.

اللغة: يتكلم السكان جميعاً اللغة المالاغاشية وهي تختلف بين منطقة وأخرى حسب لهجة القبيلة التي تتكلمها، وتعود هذه اللغة إلى أصول سواحيلية وملايوية، كما أن للغة العربية أثراً واضحاً على هذه اللغة ويعود الفضل للمسلمين الذين عليهم أن يتكلّموا بعضها لقراءتهم لكتاب الله القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وبعض أمور الفقه... إضافةً إلى الأثر العربي القادم من الجزيرة العربية مباشرةً أم من العرب الذي سبق لهم أن نزلوا على الساحل الإفريقي واختلطوا بسكانه ثم انتقلوا من زنجبار، وجزر القُمُر، وسفالة إلى جزيرة مدغشقر، وعلى هذا فقد دخلت كلمات عربية كثيرة إلى اللغة المالاغاشية سواء جاءت من اللغة العربية مباشرة أم من اللغة السواحيلية التي تضمّ أيضاً الكثير من العربية، ولا تزال بعض الكلمات العربية حتى اليوم في اللغة المالاغاشية ومنها أسماء أيام الأسبوع، وأسماء البروج، والتحية. كما كانت اللغة المالاغاشية تكتب بالحرف العربي حتى جاء الاستعمار الفرنسي عام ١٢٩٩ هـ حيث أحلّ الحروف اللاتينية محلّ الحروف العربية، ولا تزال كذلك حتى بعد خروج المستعمرين.

لقد كانت جميع الكتابات الرسمية في قصور ملوك (الهوفا) بالعربية،

وتغيّرت الأمور مع مجيء المستعمرين البرتغاليين، وإن كان المؤرخ (فلاكور) قد ذكر أن أهالي ولاية (مافيتانانا) يستعملون الحروف العربية التي كانت عندهم منذ قرنين، ولكن المدغشقريين بدّلوا صور اللفظ فجعلوا الياء زاياً، والثاء تاءً.

أما اللغة الفرنسية فهي اللغة الرسمية على أن الذين يفهمونها لا تزيد نسبتهم على ٢٠٪ من مجموع السكان.

ويحرص المسلمون على تعلّم العربية، وإن كانت هذه اللغة قد تأثرت في مدغشقر بما أصاب العقيدة من إهمالٍ لها وبُعدٍ عنها.

الاستعمار: ضعف أمر المسلمين، وأحاط البرتغاليون بإفريقية بعد معرفتهم رأس الرجاء الصالح في محاولة لهم لملاحقة المسلمين، والإحاطة بهم من كل جهةٍ بعد أن طردوهم من الأندلس عام ٨٩٨ هـ، ووصل الصليبيون البرتغاليون إلى مدغشقر عام ٩١٣ هـ فقاومهم المسلمون مقاومةً عنيفة، وحالوا دون دخولهم إلى الجزيرة غير أن (دوسان توما) أحد رجال التنصير قد استطاع أن ينزل إلى الجزيرة بعد أن أظهر للسكان السلم والوداعة، وجاءت نجدة من بلاد العرب أعانت أهل الجزيرة على البرتغاليين. وعاود البرتغاليون المحاولة في السنة الثانية، وعملوا في أهل الجزيرة قتلاً، وفي البلاد تخريباً لإخافة الناس، ولدبّ الذعر في النفوس مجرد السماع بقدوم البرتغاليين، ثم رجعوا بعد أن ارتكبوا الكثير من أعمال الوحشية إلى مقرهم في موزامبيق، وأخيراً استطاعوا دخول مدغشقر، وسيطروا عليها تماماً فنكّلوا بالمسلمين وأطلقوا عليهم اسم «المورو»، كما فعلوا في سيلان، وكما فعل الإسبان في الفيليبين، بل إن كلمة «مورو» تعني المسلمين عند سكان شبه جزيرة ايبريا (الإسبان والبرتغاليون) فحيثما وجدوا مسلمين أطلقوا عليهم هذا الاسم.

ونتيجة الضغط الاستعماري الصليبي العنيف اضطربت نفوس المسلمين،

ووجدت الخرافات طريقاً إلى عقولهم، ودخل على عقيدتهم ما ليس منها فابتعدوا عن الإسلام.

وضعف أمر البرتغاليين وطُردوا من الأجزاء الشمالية من شرقي إفريقية بجهود من حكام عُمان والدولة العثمانية ومساعدة الانكليز فتقلّص نفوذهم وضاعت هيبتهم، وبدأ نفوذ حكام عُمان يصل إلى جزيرة مدغشقر وخاصةً عندما آل أمر دولة عُمان إلى البو سعيدين عام ١١٥٤، ونقل سعيد بن سلطان مقرّ حكمه من عمان إلى شرقي إفريقية، وتـزوج مـن ملكـة مدغشقر، في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وبسط نفوذه على الجزيرة، غير أن الصليبيين من البرتغاليين لم يكونوا بعيدين عن المسرح إذ كانوا يُثبِّتون أقدامهم في موزامبيق على الطرف الثاني من المضيق ومقابل مدغشقر فكانوا يُشجّعون الإرساليات التنصيرية لدخول مـدغشقـر مُظهـريـن الحبّ والسلام، كما أن البرتغاليين أنفسهم كانوا يُغيرون على الجزيرة بين الآونة والأخرى، ويُقاتلون أهلها، كل هذا أضعف انتشار الإسلام، وعزل المسلمين عن إخوانهم في الأمصار الإسلامية.

وضعفت دولة ماجد بن سعيد العُمانية في شرقي إفريقية، ودخلت فرنسا وانكلترا إلى الساحة، وبدأ الصراع بينهما في سبيل الحصول على مناطق نفوذ، وحالت ملكة مدغشقر (رانا فالونا) دون السيطرة الاستعمارية على بلادها غير أنها قد توفيت عام ١٢٨٦ فزاد بعد موتها التنافس بين الدول الأوربية لضمّ أجزاء من شرقي إفريقية إلى مستعمراتها، وتمكّنت فرنسا من بسط نفوذها على الجزيرة عام ١٢٩٩ هـ، ثم عدّتها مستعمرةً لها عام ١٣١٤ هـ. وشجّع الفرنسيون البعثات التنصيرية الكاثوليكية في مـدغشقـر، وفـرضـوا الحصار على السكان، فانقطعت الصلة بين المسلمين في داخل الجزيرة وخارجها فزادت عزلتهم.

وقام المسلمون بعددٍ من الحركـات ضـدّ المستعمـريـن الصليبيين ولعـل

أشهرها ما كان عام ١٣٦٨ هـ في سبيل الحصول على بعض الحقوق الأساسية غير أن الحركات كانت تُقمع في منتهى الوحشية، ويزداد الضغط على المسلمين إثر كل حركة فيُشرّد من يُشرّد، وينتقل من ينتقل إلى الغابة والأماكن النائية، ويزيد الانعزال، وتقطع الصلة بين المسلمين أنفسهم داخل الجزيرة.

وأخيراً استقلّت البلاد عام ١٣٨٠ غير أن النفوذ الفرنسي بقي قوياً فيها، وأصبحت جمهوريةً وعُرفت باسم « مالاغاشي ».

واستولى الجيش على الحكم عام ١٣٩٢ برئاسة الجنرال « روماسو » بتدبيرٍ من فرنسا، وبقي رئيس الجمهورية السابق في قصره حتى نهاية مدة رئاسته القانونية، وأصبح الرائد « ديدوراتسيراكا » وزيراً للخارجية. وحدثت اضطرابات عام ١٣٩٤ وقام خلاف بين وزير الخارجية ووزير الداخلية « ديدومافو » انتهت بعزل الجنرال « روماسو » وتعيين وزير الداخلية « ديدومافو » رئيساً مكانه غير أنه قُتل بعد أحد عشر يوماً، وأصبح وزير الخارجية « ديدوراتسيراكا » رئيساً مكانه.

وضع المسلمين الحالي: يبلغ عدد سكان « مالاغاشي » اليوم ما يزيد على ثمانية ملايين إنسان، نصفهم من الوثنيين، والباقي نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من النصارى.

الوثنيون	٤,٠٠٠,٠٠٠	ويُمثّلون	٥٠ ٪ من مجمع السكان.
المسلمون	٢,٠٠٠,٠٠٠	ويُمثّلون	٢٥ ٪ من مجموع السكان.
النصارى	٢,٠٠٠,٠٠٠	ويُمثّلون	٢٥ ٪ من مجموع السكان.
المجموع	٨,٠٠٠,٠٠٠		١٠٠ ٪

والمسلمون أكثرهم من أهل السنة والجماعة، وهم الذين جاءوا من بلاد العرب ومن الساحل الإفريقي وخاصةً من جزر القُمُر، وبعض من جاء من

الهند، ومن أتى من اندونيسيا والملايو.

وينتمي بعض المسلمين إلى المذهب الأباضي وهو فرع من الخوارج في الأصل، أو أقل فِرق الخوارج تعصباً وأقربها إلى السنة، ويرفض أتباع هذا المذهب اليوم أن ينسبوا إلى الخوارج، وقد اعتدل رأيهم، وهؤلاء أصلهم من عُمان سواء أجاءوا منها مباشرةً أم من زنجبار وبعض أجزاء الساحل الإفريقي، لأن شرقي إفريقية كان يتبع عُمان، وقد نقل سعيد بن سلطان مقرّ حُكمه من عُمان إلى شرقي إفريقية في زنجبار عام ١٢٤٨، ثم نقل ابنه ماجد مقرّه من جزيرة زنجبار إلى البر الإفريقي في دار السلام ولا تزال هذه المدينة عاصمة تانزانيا إلى اليوم، وهذا ما جعل المذهب الأباضي ينتشر في شرقي إفريقية.

وينتمي بعض المسلمين إلى المذهب الشيعي وقد جاء بعض أتباعه من فارس، كما جاء بعضهم من الهند، ولهؤلاء مساجدهم الخاصة ولا يصلّون مع المسلمين.

وهناك فرقة «البهرة» التي جاءت من الهند وأتباعها قلّة، ولهم مساجدهم، وهم في الأصل من فرقة الإسماعيلية انتقلت من اليمن إلى الهند، ومعنى «البهرة» التجار، ويختلفون عن الإسماعيلية في أئمتهم وبعض عقائدهم.

كما يوجد أتباع لفرقة الإسماعيلية وهم أيضاً من الهند، ويُعرفون باسم الخواجات، وأتباع آغاخان. والإسماعيليون ليسوا من المسلمين، ولا يمتّون إليهم بصلةٍ من حيث العقيدة، وكل ما هنالك أنهم يدّعون الإسلام إن وجدوا في مجتمع مسلم أو دعتهم الظروف للانتساب إلى الإسلام، ويعملون ضدّ المسلمين، كما أن عقائدهم وتصرّفاتهم تُنفّر، لذا فالصليبيون وأعداء الإسلام عامةً يدعمونهم بكل وسيلةٍ، ويُسمّونهم بالمسلمين لغاية في نفوسهم وهي الإبعاد عن الإسلام.

وقد كانت نسبة المسلمين في الجزيرة أكبر من هذا وربما كانت تصل إلى النصف أو تزيد عليه، غير أن الانقطاع عن المسلمين والحياة وسط مجتمعٍ وثنيٍ والضغط عليهم قد أنساهم عقيدتهم وعبادتهم ولم يعد لهم أية معرفة من أمور دينهم فتحوّل بعضهم إلى الوثنية، وعُدّ من أتباعها، كما كسبت النصرانية عدداً منهم. ويعرف بعضهم هذا التحوّل فقد قالت قاضية مدينة « توليار » وتُدعى « سولانغ »: « إن أهلي الأوائل كانوا من المسلمين، وأمي مسلمة تتعبّد كما يتعبّد المسلمون، وتقرأ كتاباً لا أعرف حروفه تتعبّد بذلك »[1]. كما قالت عن فتاةٍ كانت معها: « إن أصلها عربي مسلم فهي من « ديغو » حيث العرب هناك »[1] وقد علقت الفتاة على ذلك بقولها: هذا صحيح وعمي لا يزال مسلماً يُصلّي صلاة المسلمين، أما والدي فقد أدخله الأوربيون في النصرانية، وصرت أنا نصرانية كاثوليكيةً تبعاً لذلك[1]. وقال أحد ميكانيكي الطيران « إن النصارى لم يُغيّروا فيّ إلا اسمي أما الباقي فلا [2] ».

وإذا كان عدد المسلمين في مالاغاشي ليس قليلاً إلا أنهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وإنما يحتفظون بعادات أصبحت من نظمهم وتقاليدهم ومنها الختان، وعدم أكل لحم الخنزير، ودفن الموتى و ....

يحدث هذا والمسلمون نائمون لا يدرون ماذا في مدغشقر؟ ولم يسمع أحدهم عن إخوانهم هناك ماذا يحلّ بهم!! يضيعون بين الوثنية، ويرتدّون تحت تأثير النصرانية.

حتى التمثيل السياسي للدول الإسلامية في « مالاغاشي » يكاد لا يوجد إذ توجد قنصليات لمصر، وليبيا، والجزائر، ويتعلّق هذا التمثيل بالأمور السياسية التي لا ارتباط لها بالدعوة أو بمعرفة المسلمين، وتتقلّب القضايا

---

(١) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين ص ١٤٧.

(٢) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين ص ١٣٣.

باستمرار، كما أن مُمثّلي هذه الدول قد لا يُمثّلون واقع الإسلام وإنما واقع المسلمين البئيس من تخلّف، ونهم في المادة، ورغبة في الجنس، وتطلّع إلى المنصب والشهرة.

وأخيراً أصبح لرابطة العالم الإسلامي في مكة مركز في العاصمة تناناريف.

ويعيش المسلمون حياة التخلّف نتيجة الحاجة، فالفقر يقصم ظهورهم، والجهل يعمي عيونهم، والمرض يصمّ آذانهم وهذا ما يدفعهم إلى عدم التفكير بمستقبلهم، ويُلقيهم في أحضان الإرساليات التنصيرية، ويرميهم في البيئة الوثنية وكل همّهم الحصول على ما يسدّ رمقهم ويستر جزءاً من عوراتهم، وإخوانهم لا يعرفون شيئاً عنهم، ولا يسمعون بهم، وفي بعض الأحيان يتلفون الأغذية، ويُبذّرون الأموال في غير طاعة الله، وفي المعصية، وفي بلاد الأجانب.

إن ما حلّ بالمسلمين في مالاغاشي لم يكن إلا نتيجة اضطهاد المستعمرين، وسلبهم أملاكهم والاستيلاء على أحسن أراضيهم، وإبعادهم عن وظائف الدولة، وجعل التعليم تحت إشراف الإرساليات التنصيرية وهذا ما يرفضه المسلمون ويجبرهم على الابتعاد عن التعليم خوفاً على عقيدتهم، وكانت النتيجة أن أضاعوها.... ولم يبقوا على علم شيء من أمور دينهم.

أما النصارى فأكثرهم من الكاثوليك وتبلغ نسبتهم ٧٠٪ من مجموع النصارى والباقي من البروتستانت

الكاثوليك	١,٤٠٠,٠٠٠	ونسبتهم	٧٠٪
البروتستانت	٦٠٠,٠٠٠	ونسبتهم	٣٠٪
مجموع النصارى	٢,٠٠٠,٠٠٠		١٠٠٪

وقد كسبهم الاستعمار ورجال الإرساليات التنصيرية من سكان البلاد

الوثنيين ومن بعض المسلمين، بما قدّموا من دعم، وإغراءات، وبما كان عليه السكان من جهل، هذا بالإضافة إلى من أقام من المستعمرين في الجزيرة سواء أكانوا من برتغاليين أم فرنسيين أم من غيرهم من الأوربيين. ويمكن أن نلاحظ بعض أحوال أصحاب العقائد في البلاد عن طريق إعطاء فكرة عامة عن المدن.

التنظيم الإداري: تقسم دولة مالاغاشي إلى ست مقاطعات إدارية تُمثّل وحداتٍ قبليةً على الرغم من تداخل القبائل بعضها مع بعض وهذه المقاطعات هي:

١ ـ مقاطعة تناناريف: وقاعدتها عاصمة البلاد «تناناريف»، وتُسمّى باسمها، وتضمّ أحد عشر مسجداً، تسعة منها لأهل جزر القُمُر، وكلهم من السنة، أما المسجدان الآخران فأحدهما لأهل السنة من الهنود والثاني للشيعة من أهل العراق وإيران. وفي العاصمة أيضاً بعثة للنجف أي الشيعة، وجمعية الخوجة الاثني عشري الشيعية أيضاً، كما يوجد مركز لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

وبالمقابل يوجد ٢٢٠ كنيسة، ١٥٠ منها للكاثوليك و ٧٠ للبروتستانت، ومن هنا تبدو إمكانات النصارى الضخمة بالنسبة إلى إمكانات المسلمين الضعيفة إن لم نقل غير الموجودة، وتظهر المقارنة في البناء، فالكنائس كلها على الروابي الخضراء وكثيراً ما تلحق بها مكتبات ومستوصفات، وحدائق على حين تكون المساجد صغيرة في المناطق المزدحمة بالسكان، ولا تكاد ترى النور، سقوفها قليلة الارتفاع، ونوافذها ضيقة، لا ساحة لها، ولا أماكن للوضوء وإن وجدت ـ وقلما توجد ـ فغير نظيفة، وفوق هذا كله فرجال الكنيسة متعلمون يحملون شهادات عليا في اللاهوت، وأما أئمة المساجد فيكاد أحدهم لا يجيد فاتحة الكتاب مع بعض سور القرآن القصيرة.

وتقع مقاطعة تناناريف وسط البلاد في منطقة مرتفعة وإلى الجنوب الغربي

منها تقع أعلى المرتفعات في الجزيرة. وقد تأسّست في تناناريف الجمعية الإسلامية بعد أن حُلّ المجلس الإسلامي في ماجونغا.

٢ - مقاطعة ماجونغا: وهي في الشمال الغربي، وعاصمتها (ماجونغا) حيث تعرف باسمها، وفي المدينة ثلاثون مسجداً، وفيها جالية عربية من اليمن، وأخرى من الهند، وأكثر المسلمين من جزر القُمُر، وحالة المسلمين المادية حسنة، ولذا فالحقد يتزايد عليهم، وهم في تناقص.

تشكّل في ماجانغا المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٣٧٤، وكان أكثر القائمين عليه من أهالي جزر القُمُر. كما افتتح المسلمون مدرسة فيصل الإسلامية عام ١٣٧٦.

ونزل غضب الصليبيين والحكومة على هذه المدينة فقتلوا كثيراً من المسلمين وخاصةً الذين ينتمون إلى جزر القُمُر، واضطر أن يرتحل عن المنطقة الكثير منهم عائدين إلى موطنهم الأول، وبعد أن كان عدد المسلمين يزيد على ربع سكان المدينة البالغ مائة ألف، لم يبق منهم سوى ثلاثة آلاف، وذلك عام ١٣٩٧ هـ. كما يوجد في المدينة عشر مدارس إسلامية على شكل كتاتيب. وبعد الكارثة حُلّ المجلس الإسلامي الأعلى.

ويوجد بين المسلمين مجموعة من طائفة البهرة الهنود.

ومقاطعة ماجونغا هي منطقة قبيلة (الايبوانا) التي هي فرع من قبيلة (الانتانكارانا).

٣ - مقاطعة ديغو: وتقع في الشمال، وعاصمتها مدينة (ديغو) التي تنسب إليها، وفي المدينة خمسة عشر مسجداً، وثمان مدارس إسلامية على شكل كتاتيب، ويرجع قسم كبير من المسلمين إلى جزر القُمُر، وتُعدّ (ديغو) مدينة إسلامية، وهي رابع مدن الجزيرة سكاناً.

٤ً ـ مقاطعة تاماتاف: وتقع في الشرق، وعاصمتها مدينة « تاماتاف » وهي مدينة ساحلية، تعدّ أكبر موانىء البلاد، ويكثر فيها المسلمون، كما تكثر مساجدهم.

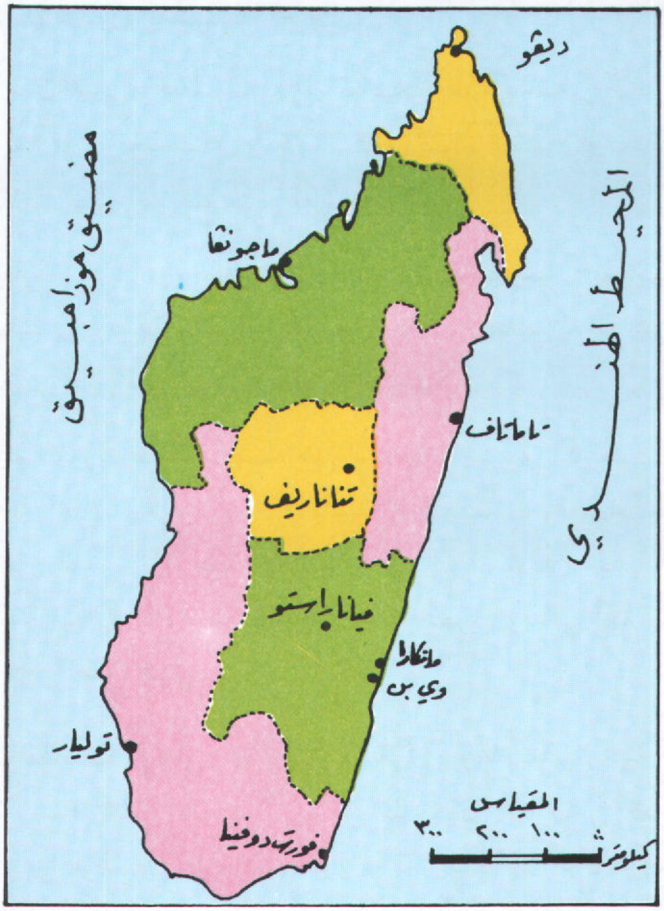
٥ً ـ مقاطعة فيانارانتسو: وهي في الجنوب الشرقي، عاصمتها مدينة « فيانارانتسو » الداخلية التي تقع على المرتفعات، وفي هذه المقاطعة تعيش قبائل التيموريين والأنكار التي لا تزال تعد نفسها ممالك، ولها ملوك ـ كما ذكرنا ـ كما يعدّون أنفسهم من العرب.

ومن مدن هذه المقاطعة إضافةً إلى العاصمة مدينة « مانكارا » التي تقع على الساحل الشرقي، وتُعدّ ميناء، وأكثر المسلمين ضياعاً يعيشون في هذه المدينة، وفيها مسجد صغير متواضع بناه أهالي جزر القُمُر.

ومدينة « وي بن » أو « فوهيبنو » وتقع جنبو مدينة « مانكارا » على الساحل أيضاً، وبينهما عشرون كيلومتراً فقط، وهذه المدينة هي عاصمة التيموريين، وليس فيها سوى مسجدٍ واحد صغير.

ومدينة « فورت دوفينا » ميناء على الساحل الجنوبي الشرقي، ويزيد سكانها على الثلاثين ألفاً، و١٥٪ منهم من المسلمين، وفيها مسجد صغير لأهالي جزر القُمُر، ومسجد آخر للهنود من السنة، إذ أن الجالية الهندية في هذه المدينة منها السنة، ومنها الشيعة، ومنها البهرة. ويدّعي أكثر أهل السنة منهم أنهم من أصلٍ عربي.

٥ً ـ مقاطعة توليار: في الجنوب الغربي، وعاصمتها مدينة « توليار » التي تُعدّ ميناء تلك الجهات، ويُشكّل المسلمون ٥٠٪ من مجموع سكان المدينة، وعلى الرغم من هذه النسبة المرتفعة للمسلمين إلا أنه لا توجد مدرسة إسلامية واحدة يتلقى فيها المسلمون شيئاً من أمور دينهم، ويدّعي السكان أنهم من أصلٍ عربي. وفي المدينة « توليار » خمسة مساجد: ثلاثة منها لأهل


ديقو
ماجونقا
مضيق موزامبيق
المحيط الهندي
تماتاف
تنناناريف
فيانا راستو
مانكارا
وي بن
توليار
فورت دوفيط
المقياس
٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠
كيلومتر

مصور رقم [٢٧] .

السنة والجماعة من مسلمي جزر القُمر، وواحد للشيعة وآخر للبهرة. كما توجد مجموعة من الطائفة الإسماعيلية.

ونلاحظ أن ضياع المسلمين في جنوب مدغشقر أكثر منه في شمالها، وإن كان جميع المسلمين فيها في ضياع تام.

ويمكن أن نلخص أعداد المسلمين في دول شرقي إفريقية بما يأتي:

١ - كينيا	٥,٦٠٠,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٥٪ من مجموع السكان.
٢ - أوغندا	٤,٢٠٠,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٠٪ من مجموع السكان.
٣ - موزامبيق	٣,٦٠٠,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٠٪ من مجموع السكان.
٤ - مالاوي	٢,٢٧٥,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٥٪ من مجموع السكان.
٥ - مالاغاشي	٢,٠٠٠,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٥٪ من مجموع السكان.
	١٧,٦٧٥,٠٠٠		

ب - غربي إفريقية

لقد انتشر الإسلام في غربي إفريقية نتيجة الدعوة التي قامت بها الدول التي تأسّست هناك ولعلّ أهمها دولة المرابطين الذين أرسلوا الدعاة إلى جهاتٍ كثيرةٍ من القارة الإفريقية حتى وصلوا إلى الغابون وأقاموا رباطاً في كل مكان حلّوا به، ثم الدول التي نشأت في تلك الجهات مثل: غانة، ومالي وغيرهما، وفي العصر الحديث قامت الدعوة على نطاق واسع من قبل دول الفولاني مثل دولة عثمان دونفديو في شمالي نيجيريا وحركة الحاج عمر وغير ذلك.

ومما ساعد على انتشار الإسلام كذلك الحياة القبلية، فإسلام أحد أمراء القبائل يُشجّع كثيراً من الأفراد على اعتناق الإسلام. وإن حركة القبائل من أجل المرعى أو اندفاعها نحو الجنوب أمام ضغط من الشمال يجعل هذه الحركة على تماسٍ مع قبائل أخرى فينتشر بينها الإسلام، لذا فإن انتقال الإسلام نحو الجنوب باتجاه خليج غانة كان بسبب حركة القبائل وانتشار الدعاة، ولم يبق من هذه الدول المتعددة المشرفة على ذلك خليج غانة سوى قلّةٍ منها فيها أقليات مسلمة وما عداها فيقع ضمن العالم الإسلامي إذ تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع السكان، ولولا ضغط الاستعمار ووقوفه في وجه الإسلام وفسح المجال للإرساليات التنصيرية لتُشرف على التعليم وتسعى للحدّ من انتشار الإسلام عن طريق تقديم المساعدات والإغراء، لولا ذلك لعم الإسلام المنطقة كاملةً. أما الدول التي لا تزال فيها أقلية مسلمة فهي:

(١) ليبيريا

دولة صغيرة تبلغ مساحتها ١١١,٣٣٧ كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها بثلاثة ملايين ونصف المليون، يُقيم بينهم أكثر من مليون من المسلمين الذين ينتمون إلى القبائل التي تُقيم في الداخل، وبذا تكون نسبتهم حوالي ٣٠٪ من مجموع السكان. أما الساحل فقد سكنه الامريكيون السود الذين أُعتقوا، وأقاموا عليه بين سيراليون وساحل العاج، وتأسّست مدينة منروفيا عام ١٢٣٧ هـ لسكن هؤلاء المحرّرين، وإن اسم الدولة ليدلّ على الحرية التي أُعطيت لهؤلاء الذين كانوا عبيداً يعملون في أمريكا. ثم ضمّت إلى المنطقة الساحلية أجزاء داخلية على حساب دولة الحاج عمر لتحول دون اقترابه من السواحل من أجل أن تحصره في المناطق الداخلية، وأنشأت دولة ليبيريا عام ١٢٦٣ هـ.

وإذا كانت المنطقة الساحلية مقرّاً لهؤلاء الزنوج الذين أُعتقوا من العبودية بعد أن اعتنقوا النصرانية إلا أن نسبتهم قليلة لا تزيد كثيراً على ١٪ لأن عددهم لا يصل إلى ٤٠ الفاً ومع ذلك فهم الذين يسيطرون على الحكم، وأما الداخل فإن كثرة السكان تقطن الداخل وهي: قبائل الماندي، والفانتي، والكرو، والسوليا، وجماعات قليلة من الفولاني، وإضافةً إلى جماعات الجالونكي في الساحل. وإذا كان الزنوج من النصارى فإن المسلمين ينتمون

إلى هذه القبائل.

وصول الإسلام: إن الدول المسلمة التي قامت في غربي إفريقية قامت على أسسٍ قبليةٍ بعضها ينتمي إلى الفولاني وبعضها إلى الماندي، وتحرّكت هذه القبائل نحو الجنوب وانتشر الإسلام مع حركتها واحتكاكها وتفاعلها مع القبائل الأخرى، كما جاءت جماعات من الفولاني إلى المنطقة وأثّرت على قبائل السوليما الوثنية فاعتنق كثير من أفرادها الإسلام، ووصل الفولانيون حتى الساحل ونشروا دينهم بين جماعات الجالونكي.

وبرز في مجال الدعوة إبراهيم موسى، وإبراهيم سوري اللذان أقاما في بلدة (فوغومبا) وانطلقا منها، وقد عملا على تأسيس المدارس وإقامة المساجد. ونشأ تعاون بين قبائل الفولاني وقبائل السوليما على العمل للإسلام. ويجب ألا ننسى دور تجار الهاوسا الذين يصلون إلى الساحل، ويعملون على نشر الإسلام، كما جاء الأثر من منطقة سيراليون عندما توسّع فيها النفوذ الإسلامي. ويذكر توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) عن انتشار الإسلام على الساحل الغربي من إفريقية فيقول: «وهناك ملاحظة من أسبق ما لوحظ عن نشاط الدعوة الإسلامية في البلاد المجاورة لسيراليون نجدها في التماسٍ لحلّ شركة سيراليون، أمر مجلس العموم بطبعه في الخامس والعشرين من مايو ١٨٠٢ [1]؛ وهذا نصه [منذ مدة لا تزيد على سبعين عاماً، استقرّت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سيراليون من ناحية الشمال ما يقرب من أربعين ميلاً، سمّوها بلاد الماندينغو، وكما هي العادة عند فقهاء هذا الدين (الإسلام) فتحوا مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد (ﷺ) وجروا على عادة المسلمين وخاصةً في عدم بيع أبناء دينهم بيع الرقيق. وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن. واستأصلوا ما كان هناك من عاداتٍ تُساعد على تخريب الساحل من

---

(١) عام ١٢١٧ هـ.

السكان. وعلى الرغم من وجود كثيرٍ من اضطراباتٍ قوميةٍ، جلبوا إلى البلاد حضارةً بلغت درجةً عظيمةً نسبياً، كما جلبوا إليها الاتحاد والطمأنينة. وكان من أثر ذلك أن ازداد السكان زيادةً سريعةً، وانتقل إلى أيديهم شيئاً فشيئاً كل النفوذ في تلك الجهة من البلاد التي يُقيمون فيها. أما هؤلاء الذي تعلّموا في مدارسهم فإنهم يسيرون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة للماندينغو، ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة. وهناك رؤساء آخرون ينتحلون الأسماء التي اتخذها هؤلاء المسلمون لأنفسهم بسبب ما يُقترن بها من احترامٍ وتوقير، ويبدو أنه من الممكن أن ينتشر الدين الإسلامي في أمنٍ وسلامٍ انتشاراً سلمياً، في كل المنطقة التي تقع فيها مستعمرة الماندينغو، حاملاً معه تلك المزايا التي تتغلّب فيما يظهر دائماً على خرافات الزنوج]. كما جاء في كتاب الدعوة إلى الإسلام: ولا تقوم هناك بالدعوة أية جماعة خاصة من الدعاة تفرّغت لهذا الغرض، بل كل مسلم هناك داعية نشيط. وإذا ما اجتمع في مدينة ستة رجالٍ منهم، وأقل من ذلك أو أكثر، وعزموا أن يقيموا فيها مدة من الزمن سارعوا إلى بناء مسجدٍ وأخذوا ينشرون الدعوة...

التعليم: يوجد التعليم الإسلامي الأولي في المساجد على شكل كتاتيب، وهذه غالباً ما تعلّم القرآن الكريم، وبني أكثر من خمسين مدرسة تدرس مناهج الدولة إضافةً إلى التعليم الإسلامي، وتقدم لها الدولة بعض المساعدات. ويعمل المجلس الإسلامي الوطني لبناء تسع مدارس إسلامية عليا في الأجزاء الادارية التسعة، إضافةً إلى مركز لتدريب المعلمين، ومركز للدعوة الإسلامية. ومن المدارس المعروفة.

مدرسة إبراهيم شريف الإسلامية التذكارية في مونروفيا، ومدرسة الاتحاد باهن نيمباكونتي في مونروفيا، ومدرسة فوفونا في مونروفيا أيضاً. ومدرسة الرشاد الإسلامية في بونيهيل، ومدرسة سبيل الفلاح في سان، ومدرسة

زورزور في لوما.

المؤسسات الإسلامية: توجد عدة منظمات إسلامية منها:

١ً - المجلس الإسلامي الليبيري.

٢ً - المؤتمر الإسلامي في منروفيا.

٣ً - الاتحاد الإسلامي في منروفيا.

٤ً - حلف سلافيا الإسلامي.

ثم اتفقت هذه المنظمات فيما بينها عام ١٣٩٤ وشكّلت المجلس الإسلامي الوطني الليبيري.

٥ً - جميعة شباب مسلمي ليبيريا في غبانغا.

٦ً - جمعية الدعوة الإسلامية في كاكاتا.

٧ً - الجمعية الوطنية لمسلمي ليبيريا في منروفيا.

٨ً - ولرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مركز في منروفيا.

اللغة: يتكلم السكان لغاتٍ متعددةً حسب القبائل التي ينتمون إليها، وأهم هذه اللغات «الكرو» و«الفانتي» و«الماندينغ» لغة الماندي. أما لغة الدولة الرسمية فهي الانكليزية. فالمسلمون يعرفون الانكليزية، ويتحدّث كل منهم لغة قبيلته التي ينتمي إليها، ويحرصون جميعاً على معرفة العربية، والذين يتلقون تعلياً إسلامياً لا بدّ لهم من أن يعرفوا شيئاً من لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.


غينيا
سيراليون
ساحل العاج
لوما
غبانغا
يونيهميل
سان
كاكاتا
منروفيا
المقياس
كيلومتر
٢٥٠ ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠

مصور رقم [٢٨] .

(٢) غـانـا

دولة تشرف على خليج غانة، تبلغ مساحتها ٢٣٧ ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة عشر مليوناً، تعيش بينهم أقلية مسلمة تُعادل ٣٠٪ من مجموع السكان ٣,٩٠٠,٠٠٠ مسلم، وعاصمة البلاد مدينة «أكرا» التي تقع على الساحل.

السكان: مجموعات من القبائل الزنجية أشهرها «الأشانتي» في الداخل، وتتركّز حول مدينة «كوماسي»، ويكثر الإسلام بين أفرادها. و«الفانتي» على الساحل، والمسلمون بينها قلّة. و«الايوي» في الشرق، وقبائل أخرى تعيش في الشمال أصغر من الأولى منها: «وو» و«دوغامبا» و«مامباروسي» وفي الجنوب قبائل «الموسي» إضافةً إلى مجموعات صغيرة من قبائل «الهاوسا» و«الفولاني»، وبعض الأوربيين على الساحل الذين أكثرهم من الإنكليز، وجالية من بلاد الشام يصل عدد أفرادها إلى ألفي إنسان.

وصول الإسلام: اتجهت جماعات من قبائل الماندي نحو الجنوب، وأسّست إمارةً «جونغا» في أراضي شمال شرقي غانا اليوم، وذلك في نهاية القرن العاشر الهجري، وكانت أعداد كبيرة من المسلمين بين أفراد هذه القبائل، وكانوا يُؤلّفون جزءاً من حاشية مُؤسّس هذه الدولة وهو «جاكابا»، كما أنهم كانوا دعامته في حروبه ضدّ أعدائه، ويقودهم قائد

يُدعى « محمد الأبيض » ، وانقسمت هذه الدولة بعد وفاة مؤسسها بين ولديه ، فاتّخذ كل من هذين الولدين إماماً لنفسه من أبناء محمد الأبيض . ويبدو أن أثر المسلمين كان واضحاً على هذه الدولة إذ كانت كتابتهم باللغة العربية ، وهذا ما ظهر من بعض الوثائق التاريخية لهذه الدولة .

ثم جاءت جماعة أخرى من قبائل الماندي أيضاً تتحدّث لغة « الدوغامبا » وذلك في منتصف القرن الحادي عشر ، واستقرّت في شمال شرقي دولة غانا اليوم ، وأسّست مدينة « ينديي » ، ونشرت الإسلام بين قبائل « الدوغامبا » ، وربما كانت بعض بطون قبائل الهاوسا معها وعاونتها على نشر الإسلام .

وفي بداية القرن الثاني عشر توغل التجار المسلمون من قبائل الهاوسا والبورنو نحو الجنوب للحصول على الكولا ، ونشروا الإسلام بين قبائل « الدوغامبا » في القرن الثالث عشر ، وغدا أكثر أفراد هذه القبائل من المسلمين ، وحرصوا على استقدام الأئمة من المناطق الشمالية . وفي الوقت نفسه أخذ الإسلام طريقه إلى قبائل « المامبروسي » ، وغدت مدينة « غامباغا » مركزاً إسلامياً ، وكان لكل قبيلة من قبائل الشمال هذه إمارة خاصةً ، إذ كانت إمارة « جونغا » و« الدوغامبا » و« والمامبروسي » و« وو » وكلها في شمال دولة غانا اليوم .

أما وسط غانا فقد وصل إليه الإسلام عن طريق تجار الهاوسا ، والفولاني ، والبورنو ، وانقلبت بعض المدن إلى مراكز تجارية مثل : مدينة « سلاغا » وهذا ما جعل الحياة الاقتصادية تزدهر لدى قبائل الأشانتي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، ومع بداية القرن الثالث عشر وصل الإسلام إلى مدينة « كوماسي » .

وانطلق التجار المسلمون نحو الجنوب عبر نهر الفولتا ، ووصلوا إلى الساحل ، وعملوا على نشر الدعوة . وحتى في أيام الاستعمار جاء العمال المسلمون من البلدان المجاورة لغانا للعمل في مناجم الذهب واستغلال الموارد

الغذائية، كما جاء تجار الفولاني والهاوسا ونشروا الإسلام في الجنوب بين أفراد قبيلتي «الموسي» و«الكوتوكولي». وهكذا وصل الإسلام إلى كل أرجاء غانا وإن كان في الشمال أكثر منه في الجنوب.

الاستعمار: وصل المستعمرون الانكليز إلى سواحل غانا في أواخر القرن العاشر حوالي عام ٩٧٠ هـ، وبدؤوا يمارسون القرصنة والنخاسة، ويأخذون ما أمكنهم من ثروات البلاد، ويسرقون ما قدروا عليه من أبناء المنطقة، ثم حوّلوا الجزء الساحلي إلى مستعمرةٍ. وتقدّم المستعمرون الإنكليز من الساحل نحو الداخل عام ١٢٩١ هـ، وتمكنوا من هزيمة إمارة الاشانتي التي كانت في تلك الآونة أكبر الإمارات الداخلية ولها هيمنة على عددٍ منها، ثم فرضوا عليها الحماية عام ١٣١٤ هـ، وهكذا غدا للإنكليز مستعمرة على الساحل ومحمية في الداخل، ثم ضمّوا القسمين بعضهما إلى بعض عام ١٣١٩ هـ، وأسّسوا منهما مستعمرة ساحل الذهب. وبقي الأمر بيد الانكليز حتى نالت البلاد استقلالها عام ١٣٧٨ هـ.

التعليم: أعطى الاستعمار فرصةً واسعةً للإرساليات التنصيرية كي تشرف على التعليم وتفتح المدارس الخاصة بها وقدّم لها الإمكانات والمساعدات الضخمة، وربما كان هذا أكبر تحدٍّ واجه ويواجه المسلمين هناك إذ تضطر أعداد من المسلمين للانتساب إلى هذه المدارس، وإن كانت تسعى للمحافظة على شخصيتها ولكن هذا السعي يبقى ضعيفاً أمام المغريات العريضة، كما يضطر آخرون للدخول إلى مشافي الإرساليات وقبول مساعداتها نتيجة المرض والفقر والجهل الذي يعيشه السكان.

أما التعليم الإسلامي فيقوم بالجهود الخاصة، وما هي إلاّ جهود الفقراء المرضى الجهلة!! إنها جهود بسيطة لذا نرى الكتاتيب التابعة للمساجد والتي تنتشر في الشمال والوسط بصورة خاصة. وإن كانت بعض المدارس تأخذ طريقها للظهور والنمو. كما أن هناك بعض بعثات تعليمية من البلدان العربية

كهيئة الدعوة والارشاد والافتاء والبحوث العلمية في السعودية، والأزهر في مصر وذلك من أجل تعليم قواعد الإسلام واللغة العربية وخاصة في معهد النورية في أكرا.

وتعدّ مدينة أكرا العاصمة ومدينة كوماسي في الداخل أشهر المراكز التعليمية بالنسبة للتعليم الإسلامي وتعليم اللغة العربية حيث نجد في أكرا: مدرسة إرشاد إسلام، والمدرسة الثقافية العربية الإسلامية، ومدرسة الرحمانية الإسلامية، ومدرسة الرشاد العربية، ومدرسة النورية، ومدرسة فوزية الإسلامية.

ونجد في مدينة كوماسي: المدرسة الرشادية، والمدرسة الثانوية الإسلامية، ومدرسة المقاصد الإسلامية (الانكليزية - العربية)، والمدرسة الانكليزية والعربية الايمان، والمدرسة الانكليزية والعربية الإمامية، والمدرسة الإسلامية الوطنية الغانية للغة العربية والانكليزية.

ونجد مدارس أخرى موزعة في المدن مثل: المدرسة العربية المتحدة في المنطقة الوسطى، ومدرسة العلوم الدينية والإسلامية في تاميل.

واللغة الرسمية هي الانكليزية. ولكل قبيلة لغتها، ويحرص المسلمون على تعلّم العربية، وبذا فهم يجيدون اللغة الانكليزية، ويتحدّثون لغة قبيلتهم، ويعرفون العربية.

المؤسسات الإسلامية: قلنا إن المؤسسات الإسلامية إنما تقوم على الجهود الخاصة بأبناء البلاد رغم الحياة الصعبة التي يحيونها والتحدّيات العنيفة التي تُواجههم، وإذا كانت هناك بعض البعثات من عددٍ من الدول الإسلامية فهي لا تسدّ الحاجة بل ولا تكفي لسدّ ثغرة لأنها على شكل أفرادٍ محدودي العدد، وإذا وجدت بعض المساعدات فهي طفيفة لا تغطي جزءاً من الطلب، وغالباً ما تكون عينية. ومن هذه المؤسسات:

في أكرا: اتحاد الطلبة المسلمين.

البعثة الإسلامية.

رابطة الشبان المسلمين.

المجلس الإسلامي الأعلى بغانا.

مركز الإصلاح والبحث العلمي.

منظمة اتحاد إسلامي.

منظمة الشبان المسلمين.

في كوماسي: جمعية نشر الإسلام.

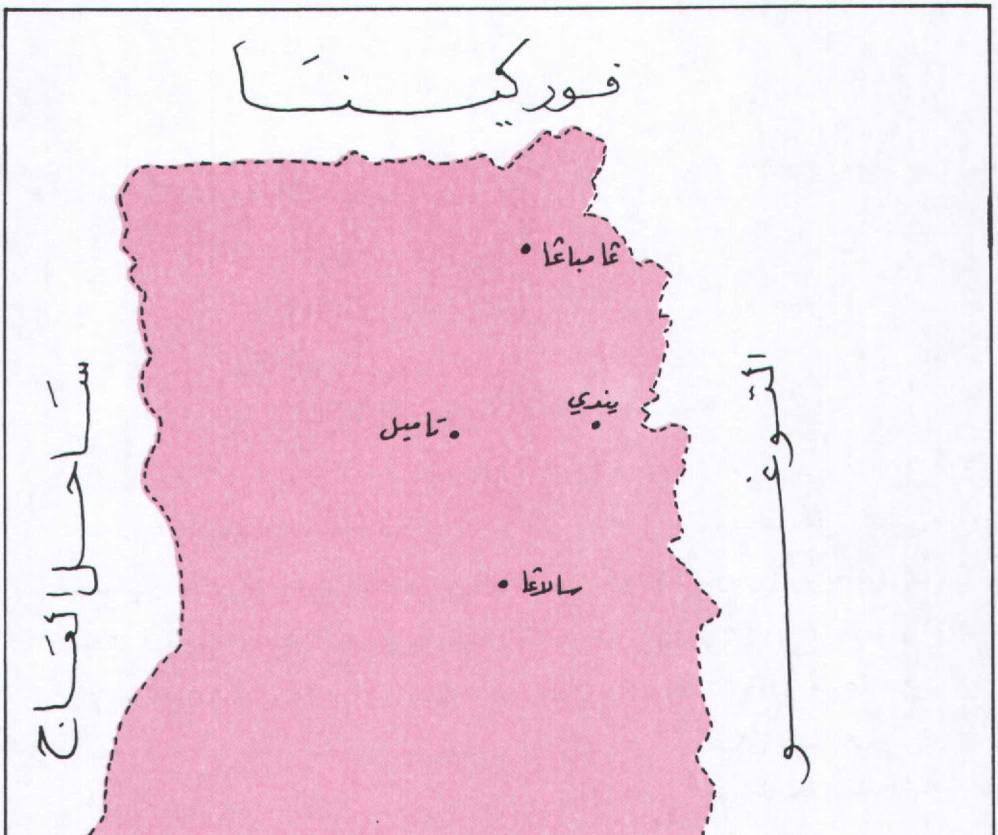
جمعية النهضة الإسلامية.

حركة الشبان المسلمين.

في تاميل: جمعية الشبان المسلمين.

في مقاطعة برونغ أهافو: البعثة الإسلامية.

وترفع بعض الهيئات الإسلامية نسبة المسلمين إلى ٤٠٪ من مجموع السكان، على حين تنقص الهيئات الاستعمارية ورجال الإرساليات التنصيرية هذه النسبة إلى دون ٢٠٪.


فوركينا
غامباغا
بيندي
تاميل
سالاغا
كوماسي
كيتا
أكرا
ساحل العاج
توغو
المحيط الاطلسي
المقياس
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كيلومتر

مصور رقم [٢٩] .

(٣) غينيا الإستوائية

دولة صغيرة تبلغ مساحتها ٤٢,٠٧٩ كيلومتراً مربعاً، وتتألف من إقليمين رئيسيين هما: ريوموني، ويقع في البر الإفريقي بين (الكاميرون) و(الغابون)، ويشرف على المحيط الأطلسي، وتبلغ مساحة هذا الإقليم ٢٦,٠٤٥ كيلومتراً مربعاً أي ما يُعادل قريباً من مساحة فلسطين، وتتبع هذا الإقليم مجموعة جزر صغيرة، تقع مقابل ساحل الغابون الشمالي. والإقليم الثاني هو جزيرة (فرناندوبو) مع ساوتومي، وبرنسيب وأنوبون وبعض الجزر الصغيرة الملحقة بها، وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٦,٠٣٤ كيلومتراً مربعاً.

ريوموني ٢٦,٠٤٥ كيلومتراً مربعاً.

فرناندوبو وساوتومي وبرنسيب وأنوبون ١٦,٠٣٤ كيلو متراً مربعاً.

المجموع ٤٢,٠٧٩ كيلومتراً مربعاً.

السكان: يعود السكان في أصولهم إلى جماعات البانتو، وأشهر قبائلهم «الفانغ» التي يُقيم أفرادها في إقليم ريوموني، ويزيد عددهم على نصف سكان البلاد، وينتشر الإسلام بين أبنائها أكثر من غيرها من القبائل الأخرى، وتتكلّم لغة البانتو، بينما اللغة الرسمية هي الإسبانية. وهناك قبيلة «بوفي»، وهي القبيلة الثانية في إقليم ريوموني، ومدينة «باتا» هي مركز هذا الإقليم. أما في إقليم «فرناندوبو» وبقية الجزر فتُقيم قبيلة «بوبي» هذا بالإضافة إلى

عددٍ من المولّدين الذي نشأوا من الزواج بين المستعمرين الإسبان وبين أبناء البلاد، ويسكن البلاد عدد من الأوربيين لا يصل عددهم إلى عشرة آلاف أغلبيتهم من الإسبان الذين يصل عددهم إلى سبعة آلاف إسباني. وهاجر إلى المنطقة أيضاً عدد من العمال النيجيريين ويزيد عددهم على الأربعين ألفاً، وأكثرهم من المسلمين.

يبلغ عدد سكان البلاد أكثر من خمسمائة ألف، ويتوزّعون بشكلٍ غير متساوٍ، وإن كانوا يتناسبون تقريباً مع المساحة مع زيادةٍ قليلةٍ في إقليم «فرناندوپو» وبقية الجزر.

ريوموني	٢٢٥,٠٠٠
فرناندوبو	٧٥,٠٠٠
ساوتومي وبرنسيب وأنوبون	٢٠٠,٠٠٠
المجموع	٥٠٠,٠٠٠

وقد اهتمّ المستعمرون الإسبان بجماعة قبيلة «البوبي» في إقليم فرناندوبو وبقية الجزر وخصّهم بالتعليم، وعمل على نشر النصرانية بينهم على المذهب الكاثوليكي، وقد أثمرت جهوده معهم بعض الشيء لذا فقد زاد من عنايته بهم على حين ترك بقية السكان في إقليم ريوموني الذين انتشر الإسلام بينهم يُعانون الجوع، والفقر، والجهل، والمرض، وقدم المساعدات الكافية لأبناء عقيدته وأهمل غيرهم، وكانت إقامة أكثر أبنائه في فرناندوبو، وخاصةً في عاصمة الإقليم «سانتا إيزابيلا» عاصمة البلاد كلها، وتقع على الساحل الشمالي للجزيرة. وخصّص لسكان هذا الإقليم أيضاً مقاعد في الجمعية الوطنية بما يفوق نسبتهم إلى مجموع السكان، ولهم الحقّ في الاعتراض على أية قرارات متعلقة بتوزيع المخصصات المالية. ونتيجة هذا التمييز من السلطة الحاكمة لجماعةٍ دون أخرى أصبح سكان إقليم «فرناندوبو» يشعرون بالتميز الديني والحضاري ويُطالبون بالانفصال عن إقليم «ريوموني».

وربما ساعدت الأرض في إقليم فرناندوبو أيضاً إلى تطوّر السكان إذ أن الجزيرة بركانية الأصل فتربتها خصبة كثيرة الإنبات، كما أن الارتفاع يُعطي شيئاً من الاعتدال يُساعد على النشاط حيث يصل ارتفاع الجبال فيها إلى ثلاثة آلاف متر.

وصول الإسلام: وصل الإسلام إلى البلاد في أواخر القرن الخامس الهجري ايام المرابطين في المغرب عندما كانوا يرسلون الدعاة إلى جهات غربي إفريقية كلها، وقد انتقل الدعاة المسلمون إلى غينيا الاستوائية عن طريق الكاميرون والغابون.

وبعد دولة المرابطين كان لدولة البورنو في شمال شرقي نيجيريا دور في نشر الإسلام في هذه الانحاء. ثم جاء الدعاة من نيجيريا أيام نشاط دولة عثمان دونفديو وخلفائه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. وأخيراً وصل دور التجار والعمال النيجيريون الذين أسهموا إسهاماً لا بأس به في نشر الإسلام.

ويُلاحظ أن انتشار الإسلام في إقليم ريوموني أوسع بكثير من انتشاره في إقليم فرناندوبو وذلك للصلة البرية بين ريوموني والمناطق المجاورة له والتي كان يصل إليها الدعاة على حين كانوا لا يهتمون كثيراً بالانتقال إلى الجزيرة ولو كانت قريبة أو ربما كانوا يجدون صعوبةً في ذلك، حتى في أيام المرابطين. فلما وصل الإسلام إلى قبيلة الفانغ التي تنتشر ديارها في جنوبي الكاميرون وشمالي إقليم ريوموني أخذ طريقه بين أفراد القبيلة جميعاً سواء أكانوا في هذا القسم أم في ذاك، هذا بالإضافة إلى جهود الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية التي كثّفت جهودها في جزيرة فرناندوبو حيث المسلمون قلّة.

تبلغ نسبة المسلمين في غينيا الجديدة ٣٥٪، وإن كانت هذه النسبة

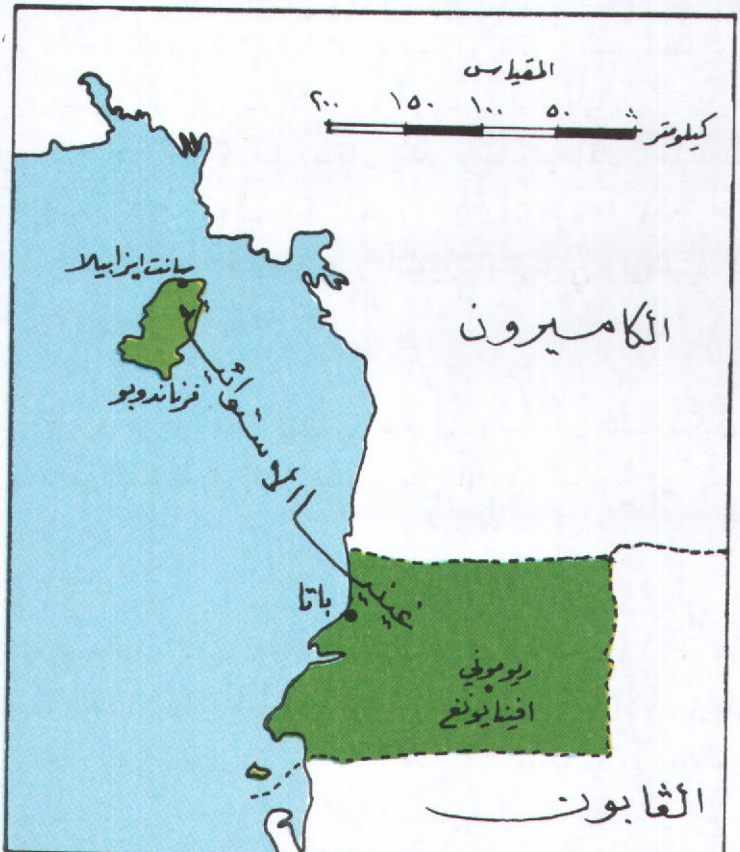
موضع اختلاف إذ أن الهيئات الاستعمارية والإرساليات التنصيرية تخفض هذه النسبة إلى دون العشرين بالمائة على حين نجد أن الهيئات الإسلامية ترفعها حتى تصل الى أكثر من ٥٠٪ أحياناً. ويبدو أن المستعمرين ورجال الإرساليات التنصيرية ينظرون إلى ارتفاع نسبة النصرانية في إقليم فرناندوبو فيبنون حكمهم من خلال رؤيتهم هذه، كما أن الهيئات الإسلامية تنظر إلى نسبة المسلمين في إقليم ريوموني فيعطون حكمهم على ذلك دون النظر إلى جزر ساوتومي وبرنسيب وانوبون التي ترتبط بغينيا الاستوائية والتي لاحظنا أن عدد سكانها مائتا ألف، والتي يقلّ فيها المسلمون والنصارى على حدٍ سواء إذ لا ترتفع نسبة المسلمين في أحسن الأحوال على ٢٥٪ من مجموع السكان وتكون نسبة النصارى أقل من هذا، وتبقى نظرة الهيئات الإسلامية أقرب إلى الصواب لأن عدد سكان إقليم ريوموني يُعادل ثلاثة أمثال سكان إقليم فرناندوبو، فإذا أخذنا سكان هذين الإقليمين فقط تكون نسبة المسلمين ٥٥٪، وهذا ما تُقدّمه الهيئات الإسلامية، غير أننا إذا ضممنا جزر أنوبون وساوتومي وبرنسيب ترجع النسبة إلى ٣٥٪ وهو ما قرّرناه.

وعلى كل يتركّز المسلمون في إقليم ريوموني، ويُشكّلون غالبية سكان هذا الإقليم، وتنتشر المساجد في المدن الكبرى مثل باتا، و« افينايونغ » وأكثر مدن الداخل.

الاستعمار: حطّ الاسبان رحالهم في غينيا الاستوائية عام ١١٩٤، وعرفت بعدها باسم غينيا الإسبانية، وأخذوا في اتباع السياسة الصليبية الاستعمارية، إذ فسحوا المجال لعمل رجال الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية ودعموهم بكل إمكاناتهم وطاقاتهم وكانوا كأنهم هم السلطة الحاكمة، ولما رأوا الإسلام ينتشر في إقليم ريوموني أهملوه، وركّزوا جهدهم على سكان إقليم فرنانـدوبـو حيث سكن عدد منهم على أرضه وقدّموا المساعدات الضخمة للسكان حتى

تنصّر بعضهم وارتبطوا جميعاً بالاستعمار وتحسنت أحوالهم المادية، وتطوّرت أوضاعهم، على حين تخلّف المسلمون وبقوا يعيشون تحت وطأة الفقر، والمرض، والجوع، والجهل.

حصلت غينيا الاستوائية على الحكم الذاتي عام ١٣٨٠ هـ، ثم استقلّت عام ١٣٨٨ هـ واتحدّ إقليماها وعُرفت باسم «غينيا الاستوائية» تمييزاً لها عن بقية الأجزاء التي تحمل هذا الاسم نفسه، ولقربها من خط الاستواء.



مصور رقم [٣٠].

(٤) الغـــابون

تبلغ مساحتها ٢٦٧,٦٦٧ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها الآن على ١,١٠٠,٠٠٠ إنسان، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٤٥٪ من مجموع السكان، وبذا يكون عدد المسلمين ٤٩٥,٠٠٠ مسلم.

السكان: ينتمي معظم السكان إلى أصول زنجية وحامية فتعيش في الشمال قبائل الفانغ وفي الجنوب تقيم قبائل البانتو، كما يوجد بعض الأقزام الذين لا يزالون يعيشون في الغابات، وهناك قبائل البونغو التي ينتمي إليها رئيس الجمهورية الذي دخل في الإسلام عام ١٣٩٣ هـ، وأسلمت معه أسرته جميعها، وتبعه عدد من المسؤولين وأفراد القبيلة التي ينتمي إليها. ومن بين القبائل (الباوين) و(أدونا) و(البونو) وأغلب أفراد هذه القبائل من المسلمين.

وتقدر نسبة النصارى بـ ٣٥٪ من مجموع السكان ثلاثة أرباعهم من الكاثوليك، والباقي من البروتستانت، وهناك ٢٠٪ من سكان البلاد لا يزالون على الوثنية.

واللغة الرسمية في البلاد هي الفرنسية، ولكل قبيلة لغتها الخاصة.

وأشهر المدن ليبيرفيل، وهي العاصمة وتقع على الساحل، وبورت جانتيل، وتقع على الساحل أيضاً إلى الجنوب من العاصمة، وفرنسيفيل، ومواندا، ولامبارين، وماكوكو، وكوالموتو في الداخل.

وصول الإسلام: وصل الإسلام إلى الغابون في عهد دولة المرابطين الذين امتدّ نفوذهم إلى المنطقة، وقد أرسل أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين عام ٤٩٣ هـ أحد الدعاة وهو (مولاي محمد) الى منطقة الغابون للدعوة إلى الإسلام، واستمرّ وصول الدعاة مدة أيام المرابطين وعهد الموحدين الذين جاءوا بعدهم، وعلى هذه الطريقة تابع ملوك المسلمين في الشمال إرسال الدعاة إلى تلك الجهات.

وأُقيمت زوايا ومساجد على نهر (أوغوي) وقريباً من مصب نهر (الغابون) إلاّ أن ضعف المسلمين فيما بعد قد مكّن أعداءهم الذين أخذت قوتهم في التزايد من أن يُطوّقوا السواحل، ويتمكّنوا من النزول فيها ثم السيطرة عليها، وقد عملوا في تجارة الرقيق فنقلوا من موضع مدينة ليبيرفيل ما يربو على نصف مليون نفس مقيدين بالحديد إلى الأرض الجديدة (أمريكا) بينما تناقص عدد دعاة الإسلام الوافدين إلى الغابون حتى انقطعوا تماماً.

الاستعمار: وصل إلى منطقة الغابون الأوربيون الصليبيون باسم الكشوف الجغرافية في القرن العاشر الهجري، وكان من طلائعهم البرتغالي (دي جوكام) الذي وضع أسس تجارة الرقيق بهذه الجهة، وأسس مركزاً للنخاسة في موضع مدينة (ليبيرفيل)، وشحن الجموع الكثيرة من ذلك المكان إلى الأرض الجديدة. فكان البرتغاليون روّاد الأوربيين لهذه المنطقة وفي هذه السياسة.

ثم جاء الفرنسيون ونزلت جنودهم في هذا الساحل، واشتروا قطعة وأقاموا عليها مستعمرةً عام ١٢٥٥ هـ، وبعد عشر سنوات أقاموا مركزاً لتجارة الرقيق قرب الساحل، ثم بدؤوا يتوغلّون إلى الداخل يتابعون مهمتهم في نشر الحضارة النصرانية ـ على زعمهم ـ باختطاف الناس وتقييدهم وشحنهم في السفن للعمل في أمريكا، متاجرين بهم. ثم ضمّ الفرنسيون الجهات التي

سيطروا عليها وتوغّلوا فيها إلى منطقة الكونغو. ثم فُصلت عنها، وغدت مستعمرةً خاصةً، وأصبحت بعدئذٍ جزءاً من بلادٍ واسعةٍ أطلق عليها اسم «إفريقية الاستوائية الفرنسية»، واستمرّت كذلك حتى حصلت على استقلالها عام ١٣٨٠ هـ.

وفي أيام الاستعمار الفرنسي فُتحت أبواب الغابون للإرساليات التنصيرية الكاثوليكية وحتى البروتستانتية، وأُعطيت كامل الصلاحيات بالتصرّف في معاملة السكان، كما قُدّم لها كل ما تحتاج إليه، واستطاعت أن تكسب جزءاً من وثنيي المنطقة إلى ديانتها بعد عملٍ يزيد على القرن.

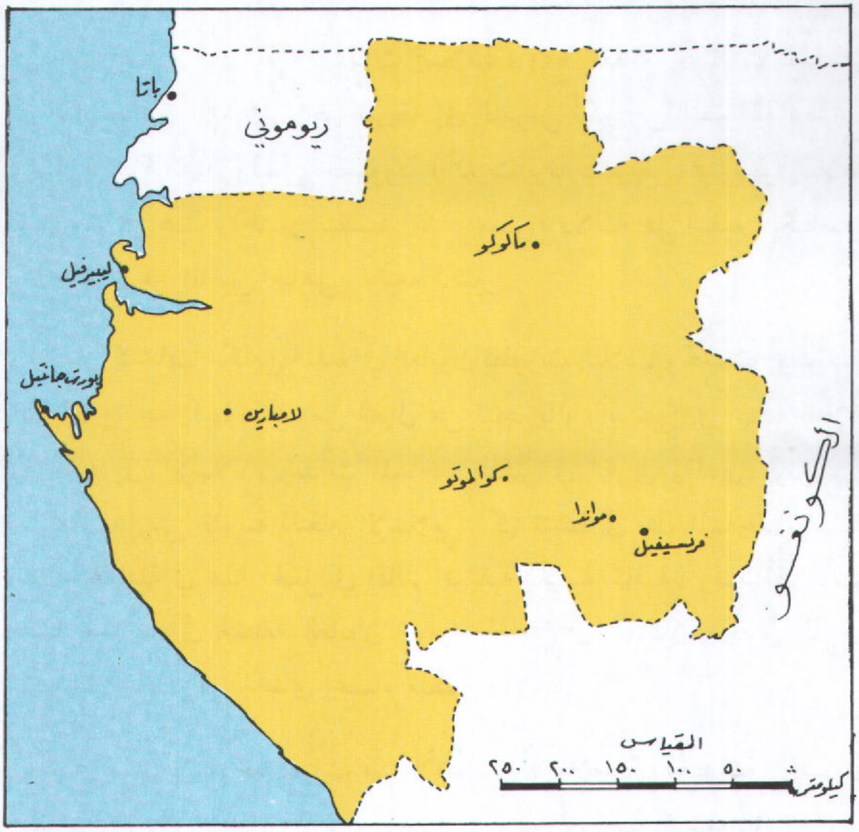
ومع عدم وجود أيّة مساعداتٍ إسلاميةٍ، ومع انعدام إمكانات المسلمين في الغابون فإن الإسلام يأخذ طريقه إلى النفوس أكثر من النصرانية بكثير، وسبق أن ذكرنا أن رئيس الجمهورية (ألبرت برنارد بونغو) قد شهر إسلامه عام ١٣٩٣ هـ، واختار لنفسه اسم «عمر» دلالةً على التغيير الكامل والانسلاخ عن الماضي الجاهلي، وتبعه الكثير..

ومع اكتشاف مكامن النفط في الغابون تطوّرت البلاد، وتحسّنت أوضاعها المادية، واتّجه إليها كثير من العمال من نيجيريا، وأسهموا في نهضة البلاد والدعوة إلى الإسلام، وبدأت المساجد تنتشر في القرى والمدن، وتُؤسّس بجانبها المدارس الأولية للتعليم الإسلامي. كما تنشط في بناء المساجد مؤسسة الفلاح العاملة في هذا الحقل في أقاليم إفريقية الغربية كافة، وقد أقامت خمسة مساجد في منطقة الغابون. ومن المعلوم أن الغابون إحدى الدول المصدرة للنفط وهي إحدى أعضاء منظمة «الأوبك».

ولما كانت لا توجد بعثات من الأمصار الإسلامية ومعرفة لأحوال المسلمين فإن الإرساليات التنصيرية تدّعي وتشيع أن نسبة المسلمين في الغابون ضئيلة جداً لا تكاد تصل إلى ١٪ من مجموع السكان.

ويمكن أن نلخّص أعداد المسلمين في غربي إفريقية بما يأتي :

١ ـ ليبيريا	١,٠٠٠,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٠٪ من مجموع السكان.
٢ ـ غانا	٣,٩٠٠,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٠٪ من مجموع السكان.
٣ ـ غينيا الاستوائية	١٧٥,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٣٥٪ من مجموع السكان.
٤ ـ الغابون	٤٩٥,٠٠٠	ونسبتهم فيها	٤٥٪ من مجموع السكان.
المجموع	٥,٥٧٠,٠٠٠		



مصور رقم [٣١] .

جـ - وسط إفريقية

تأخّر انتشار الإسلام وسط القارة الإفريقية بسبب طبيعة تلك البلاد الداخلية التي تكثر فيها الغابة، وترتفع الحرارة، وتزداد الوحوش الضارية، وبسبب قلّة السكان إذ تُعدّ تلك الجهات خاليةً تقريباً ممن يقطنها أو يتنقل في مجاهلها، وإن وجدوا فحياتهم في عزلةٍ تامةٍ داخل الغابات، ووسط تلك المناطق العذراء، وبسبب انصراف المسلمين إلى التجارة، ودعوتهم في المناطق القريبة من السواحل ولدى السكان المتحضرين وبين الناس المجتمعين، وهذا ما تفقده الجهات الداخلية حيث لا يوجد سكان وإن وجدوا فقلّة ولا يمكن الالتقاء بهم لا من أجل التجارة ولا من أجل الدعوة لما فرضوه على أنفسهم من عزلةٍ وتقوقعٍ وخوفٍ من الآخرين وسوء ظن بهم، ولتخلّفٍ اعتادوا عليه في البقاع التي وجدوا فيها، وبسبب ضعف المسلمين عامةً في الأمصار الإسلامية كلها أينما كانت وحيثما وُجدت، وتقوقع دولهم جميعها في أراضٍ محدودةٍ فُرضت عليهم بسبب الضعف أمام الدول النصرانية الناشئة وبسبب الجهل الذي يعيشونه. واستمرّ ذلك حتى خضعت المناطق الشرقية من إفريقية إلى حكم عُمان في العصر الحديث. وقد نقل سعيد بن سلطان عام ١٢٤٨ مقر حكمه من مسقط إلى زنجبار، فارتبط شرقي إفريقية بزنجبار.

وآل حكم شرقي إفريقية إلى ماجد بن سعيد عام ١٢٧٣ الذي رأى أن

تثبيت أركان دولته لا يكون إلا بمدّ نفوذها إلى الداخل إذ أن امتداد الحكم على شريطٍ ساحليٍ ضيقٍ لا يمكنه الوقوف في وجه خصمٍ طويلاً، ولا يستطيع المقاومة بل يصعب الدفاع عنه، وهذا ما حدث عندما جاء الصليبيون البرتغاليون من الجنوب فلم يستطع المسلمون الوقوف في وجههم لا لتفرّقهم فقط وإنما لامتداد أراضيهم الطويل على شكل شريطٍ ضيقٍ ليس له ظهير يسنده أبداً. وسار البرتغاليون على الطريقة نفسها التي سار عليها المسلمون من قبل إذ لم يُحاولوا التعمّق في داخل إفريقية وإعماره وإقامة السكان فيه لذا لم يقووا على الدفاع عن تلك الأراضي التي وقعت في قبضتهم وفرضوا استعمارهم عليها فتخلّوا عنها وإن احتفظوا بأجزاء منها في موزامبيق. لقد عمل ماجد بن سعيد على الدخول في البر الإفريقي فنقل عاصمته من زنجبار إلى دار السلام إشارةً إلى ذلك وعمل على إحياء بعض الأجزاء بمدّ الطرقات إليها، ومع فتح الطرق يدخل الناس، ويستثمرون الأرض، ويتحرّك التجار، وتظهر المراكز التجارية وهكذا بدأ انطلاق المسلمين إلى وسط إفريقية على محاور رئيسية هي الطرق التي فتحت والتي قامت على جوانبها المحطات التجارية، وكانت هذه المحطات مراكز للدعاة ولنشر الإسلام في كل جهة، ولكن لم يطل الأمر حتى جاء المستعمرون الصليبيون، وظهرت طلائعهم على شكل رحّالةٍ مكتشفين حتى لا يتعرضوا للخطر وحسب تقاريرهم التي يقدمونها لدولهم الاستعمارية توضع المخططات، وتُنفّذ طبقاً للقوة الموجودة، إذ ترسل قواتها لتبسط نفوذها، وتطرد المسلمين من المناطق التي وصلوا إليها، فلم يلبث أن هُزم المسلمون وطُردوا، لأنه لم تكن لديهم قوات كبيرة، إذ لم يأتوا مستعمرين، وإن ذهبوا إلاّ أن الإسلام الذي حملوه إلى تلك الجهات قد بقي. وأهم الدول التي توجد فيها أقليات إسلامية في هذا الجزء هي:

(١) بوروندي

جمهورية صغيرة تقع وسط إفريقية الإستوائية في هضبة البحيرات، تبلغ مساحتها ٢٧ ألف كيلو متر مربع، أي ما يعادل مساحة فلسطين، ويُقدّر عدد سكانها بأربعة ملايين، وبذا تكون الكثافة عالية تزيد على ١٦٠ شخص في الكيلو متر المربع الواحد، وتعود زيادة الكثافة إلى اعتدال المناخ بسبب ارتفاع الأرض، وتبلغ نسبة المسلمين ٢٥٪ من مجموع السكان أي أن عدد المسلمين يُقدّر بمليون مسلم.

السكان: تعود أصول السكان إلى العنصر الزنجي ممثلاً في قبائل (الهوتو) التي تؤلف ٦٥٪ من مجموع السكان. أما بقية القبائل فهي مزيج من الزنوج والعناصر الحامية وأشهرها قبائل (التوتسي) وتؤلف ٢٥٪ من مجموع السكان، وهناك قبائل صغيرة وغرباء من الدول الإفريقية الأخرى ويُشكّل الجميع ١٠٪ من السكان.

تصل نسبة المسلمين بين قبائل الهوتو إلى ٢٤٪، وبين قبائل التوتسي إلى ١١٪ بينما ترتفع نسبة المسلمين بين الغرباء في بوروندي إلى ٨٥٪.

يتكلّم السكان اللغة (الكيروندية) أي البوروندية، وتعدّ اللغة الوطنية، وتكتب بأحرفٍ لاتينيةٍ، كما يعرف معظم السكان اللغة السواحلية، وينظرون

إليها على أنها والعربية لغتا المسلمين. أما اللغة الرسمية فهي الفرنسية، وهناك لغات محلية للقبائل، وللغرباء لغاتهم مثل السنغالية، والماندينغ (لغة مالي)، والزائيرية حيث تعيش جماعات من هذه البلاد في بورندي.

وصول الإسلام: بعد طرد البرتغاليين من شرقي إفريقية بدأ المسلمون يدخلون إلى قلب إفريقية، ويقيمون مراكز دائمةً لهم للحكم والتجارة والدعوة، وكان على كل مركزٍ والٍ من قبل سلطان زنجبار سيد السواحل آنذاك، وكان رؤساء القبائل الإفريقية في تلك المنطقة يدفعون الجزية ويُعاهدون الولاة، وكانت الجزية ريالين عن كل شخصٍ، وكان تطبيق الحددو قائماً. ولم يعمد السلطان في تنفيذ سياسته إلاّ على ثلاثمائةٍ من جنده المسلمين بالقسي والرماح جاء بهم من جزيرة (سوقطرى)، وكانت هناك فرقة من الجنود المرتزقة من أهل البلاد تقوم بحراسة الطرق التي مُدّت في المنطقة كافةً، ووصلت إلى غربي البحيرات الكبرى بما في ذلك بورندي، كما كان من وظيفة هذه الفرقة القبض على المجرمين. ومع التوسع في المواصلات كان التقدّم في التجارة نحو الداخل وانتشار اللغة السواحيلية والعربية أحياناً.

وصل المسلمون إلى سواحل بحيرة تانجانيكا ومن تلك السواحل حيث أُقيمت المراكز للدعوة انطلق المسلمون نحو زائير، وبورندي، ورواندا تجاراً ودعاةً، وبدأ الإسلام ينتشر في تلك الجهات منذ ذلك الوقت. إذ كان المسلمون يركبون من شواطىء بحيرة تانجانيكا إلى ميناء (رومنغ) في بورندي اليوم. ونتيجة هذا التوسع والبعد عن شرقي إفريقية وقاعدة الحكم فقد نشأت إمارات محلية، بل تعدّى أمراؤها أحياناً التسمية فأطلقوا على أنفسهم اسم سلطان. وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري أرسل سلطان زنجبار والياً على تلك المناطق هو حامد بن محمد بن جمعة المرجبي، غير أنه وجد أمامه عقبة هي الأمراء المحليون فوقع في خلاف معهم، وانتصر عليهم الواحد بعد الآخر فوحّد المنطقة، وتولّى أمرها من عام ١٣٠٤ حتى عام ١٣٠٧ هـ.

الاستعمار: وصل الرحّالة ستانلي إلى المنطقة والتقى بالأمير حامد الذي قدّم له الكثير من المساعدات ولأمثاله أيضاً من الرحّالة الآخرين، وقد وجد (ستانلي) هذا أن وجود حامد على رأس إمارته سيعرقل كثيراً من المخططات الاستعمارية الصليبية فكتب ذلك إلى ملك البلجيك الذي اتفق مع الانكليز، واحتالوا على حامد ليسافر إلى شرقي إفريقية ففعل وغادر المنطقة عام ١٣١٠ هـ، فضعف أمر المنطقة بغياب أميرها، فأرسل ملك البلجيك حملات ضخمة من المرتزقة لاحتلال وسط إفريقية تحت شعار محاربة الرقيق.

اتفقت الدول الاستعمارية انكلترا، وفرنسا، وألمانيا، وأيطاليا على تقسيم منطقة شرقي إفريقية فيما بينها، وأخذت ألمانيا الجزء الجنوبي من شرقي إفريقية الذي كان يتبع سلطان زنجبار، وقد أطلق على هذا القسم اسم «تانغانيكا». ثم امتدّ النفوذ الألماني نحو الداخل حتى شمل منطقة رواندا وبورندي غير أن الاستعمار الألماني لم يدم كثيرا بسبب اندلاع نار الحرب العالمية الأولى وهزيمة ألمانيا فيها.

هُزمت ألمانيا في الحرب فانتُزعت منها مستعمراتها، ووضُعت تحت الوصاية، ثم خلفتها دول استعمارية أخرى، أو أن الدول الاستعمارية المنتصرة قد تقاسمت المستعمرات الألمانية فيما بينها، وكانت رواندا وبورندي من نصيب بلجيكا التي تستعمر أرض زائير المجاورة، وكانت سياسة بلجيكا قاسية جداً ضدّ المسلمين حيث منعت اتصال بعضهم مع بعض، وسلبت منهم أملاكهم لبناء الكنائس وفتح المدارس التي كانت تتبع الإرساليات التنصيرية التي قصر الاستعمار البلجيكي عليها التعليم عام ١٣٤٧ هـ، وكان طبيعياً أن يرفض المسلمون إرسال أبنائهم إلى القسيسين والرهبان ليتولوا تربيتهم وتعليمهم وهذا ما جعل الجهل ينتشر بين أبناء المسلمين وفي صفوفهم.

استقلّت البلاد عام ١٣٨٢ هـ، وكان نظام الحكم فيها ملكياً ثم أصبح جمهورياً عام ١٣٨٦ هـ، وأُعطي المسلمون بعدئذٍ شيئاً من الحرية، واعترف

بالدين الإسلامي رسمياً، وعادت الجمعية الإسلامية إلى نشاطها، وأقامت بعض المساجد في (مورامفيا) و(جيتيقيا) و(نغوزي).

العقيدة: يُمثل المسلمون ٢٥٪ من مجموع السكان.
يُمثل النصارى ٦٥٪ من مجموع السكان.
يُمثل الوثنيون ١٠٪ من مجموع السكان.
المجموع ١٠٠٪

ولكن هذه النسب تختلف بين القبائل الكبيرة.

الهوتو: يُمثّل المسلمون ٢٤٪ بين أفراد هذه القبيلة.
النصارى ٦٤٪ بين أفراد هذه القبيلة.
الوثنيون ١٢٪ بين أفراد هذه القبيلة.
١٠٠٪

التوتسي: يُمثّل المسلمون ١١٪ بين أفراد هذه القبيلة.
يُمثّل النصارى ٣٧٪ بين أفراد هذه القبيلة.
يُمثّل الوثنيون ٥٢٪ بين أفراد هذه القبيلة.
١٠٠٪

الغرباء: يُمثّل المسلمون ٨٥٪ وأكثرهم من مالي، والسنغال، وغينيا، والبلدان العربية. وشبه القارة الهندية.

ويمثل النصارى ١٥٪ وأكثرهم من الأوربيين.

المسلمون: يُؤلّف أهل السنة والجماعة ٨٠٪ من المسلمين، وغالبيتهم على مذهب الإمام الشافعي.
ويؤلف الأباضيون ١٠٪ من المسلمين.
ويؤلف الشيعة ٨ ٪ من المسلمين.
٩٨٪ من المسلمين.

أما الباقي ٢ ٪ منهم من الإسماعيلية، وهم ليسوا من المسلمين، لأن عقيدتهم تتباين والإسلام، وإن كان هذا ينطبق أحياناً على غيرهم لكن لا يُصرّحون بذلك. ويلقى الإسماعيليون دعماً من غير المسلمين.

النصارى: يُشكّل الكاثوليك ٦٢ ٪ من مجموع النصارى.
يُشكّل البروتستانت ٣٨ ٪ من مجموع النصارى.
١٠٠ ٪ من مجموع النصارى.

ويبدو أن أكثرية السكان من الوثنيين، وليسوا من النصارى، كما تشير إلى ذلك الاحصاءات، غير أن سيطرة رجال الإرساليات التنصيرية والنفوذ الأوربي قد أجبر الكثير من الوثنيين على إظهار النصرانية وقبلوا التعميد حيث كانت الوظائف تُعطى للذين يظهرون النصرانية، كما كانت تيسّر لهم الخدمات التعليمية والصحية وتقدّم لهم المساعدات المادية.

المؤسسات الإسلامية: يتجمّع أكثر المسلمين في العاصمة (بوجومبورا) التي يبلغ عدد سكانها أكثر من مائتي ألف، ويسكن المسلمون في أحيائها الكبيرة، ولهم فيها سبعة مساجد، وفيها جماعة من التجار المسلمين القادمين من مالي.

أسّس المسلمون عام ١٣٦٢ هـ الجمعية الإسلامية، وقد رفضت السلطات البلجيكية الاعتراف بها. ومن الهيئات القائمة الآن: الجمعية الإفريقية للمدارس والشؤون الإسلامية (أسمابو).

الجمعية العربية الإسلامية (أمابو).
مؤتمر الدراسات الإسلامية الشرقية.
ومن أشهر المدارس:

١ ـ مدرسة التوحيد الأهلية: وهي ابتدائية للبنين والبنات، وتهتمّ بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية.

٢ ـ مدرسة الحسين الأهلية.

٣ ـ مدرسة الإرشاد.

٤ ـ مدرسة التهذيب.

٥ ـ المدرسة السنية.

٦ ـ مدرسة الجمعية العربية الإسلامية. وتسمّى الآن المدرسة الحكومية، وقد تسلّمتها الحكومة بعد خلاف جرى بين أعضاء الجمعية.

ورغم أن هذه المدارس إسلامية إلا أنها لا تجد حاجتها من الأساتذة المسلمين، لذا فهي تأتي بالأساتذة النصارى.

(٢) روانــــدا

تقع شمال بورندي، وتماثلها في المساحة، والأرض، والمُناخ، والسكان. تبلغ مساحتها ٢٦ ألف كيلومتر مربع، ويسكنها أربعة ملايين إنسان.

السكان: يتألف السكان من قبيلتين رئيسيتين وهما: (الهوتو) التي تعود إلى أصل زنجي، و(التوتسي) التي تعود إلى أصلٍ خليطٍ من العناصر الحامية والزنجية، وهما القبيلتان الموجودتان نفسهما في بورندي. وأفراد (الهوتو) قصار نسبياً، يبلغ متوسط طول الفرد ١٥٧ سم، ويمتازون بالشفاه الغليظة، والأنف الأفطس، والرأس الضخم، والصدر العريض، والشعر المفلفل. أما أفراد قبيلة (التوتسي) فيمتازون بطول القامة، ويبلغ طول الفرد وسطياً ١٧٦ سم، ويتصفون بدماثة الخلق والذكاء، وسمرة اللون. غير أن قبيلة (الهوتو) هنا هي القبيلة الحاكمة، وهي الأقل عدداً، على حين أن قبيلة (التوتسي) هي الأكثر عدداً ولكنها هي المحكومة على عكس ما هو في بورندي، وتمكّنت (الهوتو) أن تُجبر الكثير من أفراد قبيلة (التوتسي) على الهجرة من أراضيها والانتقال إلى الدول المجاورة أوغندا، تانزانيا، زائير، بورندي.

وصول الإسلام: وصل الإسلام حديثاً إلى رواندا التي هي جزء من وسط إفريقية، وقد جاء الإسلام عن:

١ - طريق التجار العُمانيين وبقية أجزاء جنوبي جزيرة العرب.

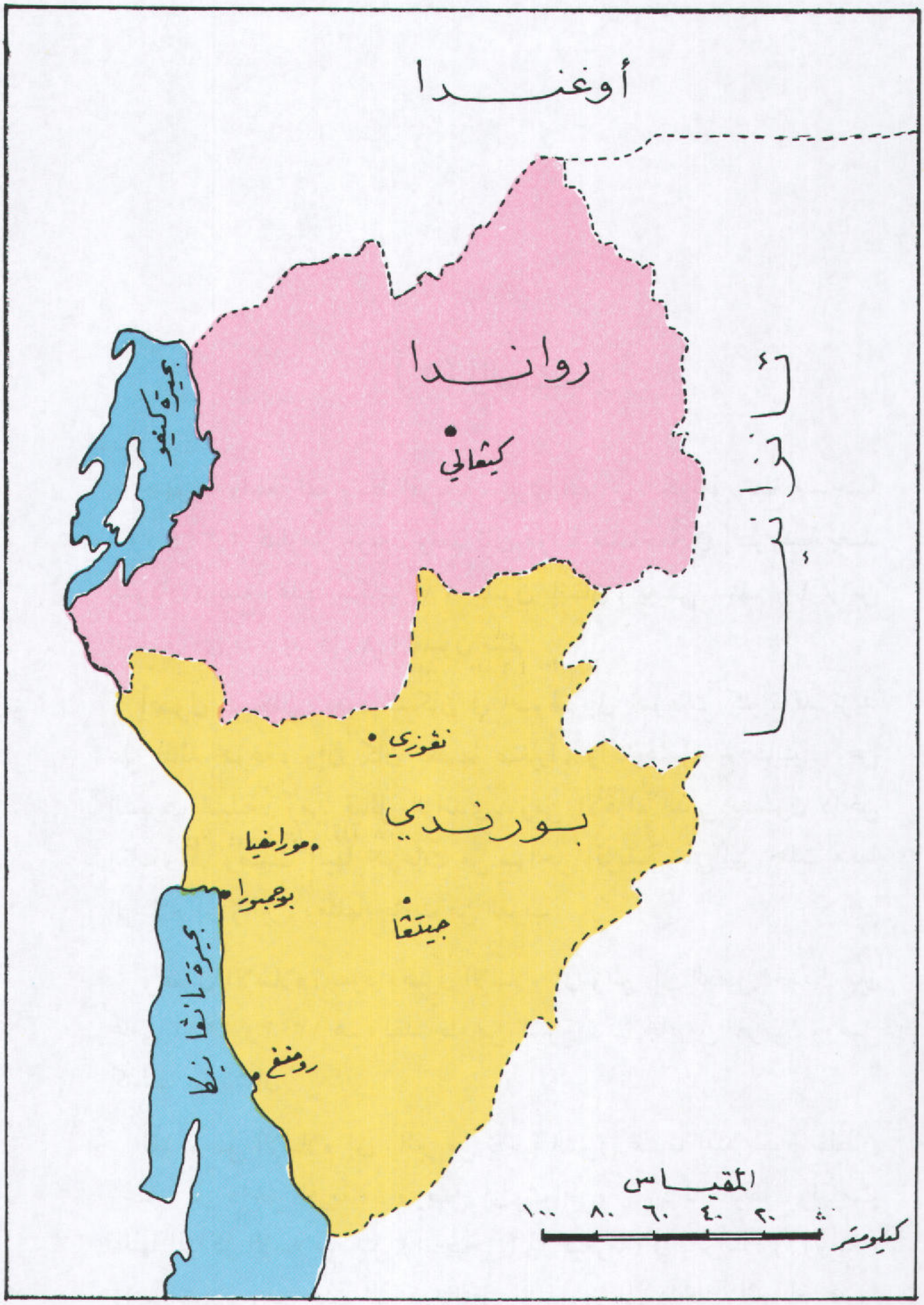
٢ - طريق المسلمين القادمين للتجارة والعمل من غربي إفريقية وخاصةً من السنغال، وغينيا ومالي.

٣ - طريق بوروندي.

وقد وقف الاستعمار في وجه الإسلام سواء أكان هذا الوقوف مُتمثلاً برجال المستعمرين أم برجال الإرساليات التنصيرية التي تعمل بدعمٍ من الاستعمار، وقد بقيت رواندا عشرين سنةً تخضع للسيطرة الألمانية، وضعف هذه المدة للسيطرة البلجيكية، وقد لقي المسلمون الاضطهاد من كلا الاستعمارية.

تبلغ نسبة المسلمين في رواندا ٦٪ من مجموع السكان، وبذا يبلغ عددهم ما يقرب من ٢٤٠ ألف مسلم، ويتجمّع أكثرهم في العاصمة (كيغالي)، ولهم حي خاص بهم، ولهم مسجدان بني أحدهما عام ١٣٧٣ هـ، كما يوجد مسجد في مدينة (رواماكانا) التي تبعد ٥٦ كيلومتر عن العاصمة.

ويُعاني المسلمون في رواندا عزلةً عن إخوانهم في الأمصار الإسلامية، وقلّ أن يهتمّ بهم أحد لقلّة عددهم، وتوجد لهم هيئة في العاصمة تُعرف باسم «هيئة المسلمين برواندا».


أوغندا
رواندا
كيڤالي
بحيرة كيفو
بوروندي
نڤوزي
مورامفيا
بوجمبورا
جيتڤا
رومنغ
بحيرة تانغانيقا
المقياس
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠
كيلومتر

مصور رقم [٣٢].

(٣) زائير

جمهورية واسعة تقع وسط إفريقية، يجري فيها نهر الكونغو، تبلغ مساحتها ٢,٣٤٤,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتُعدّ ثاني دولة مساحةً في إفريقية بعد السودان، يبلغ عدد سكانها ٢٨ مليون إنسان، يعيش بينهم ١٠٪ من المسلمين أي ما يزيد على ٢,٨ مليون مسلم.

أصول السكان: يعود السكان في اصولهم إلى مجموعاتٍ كثيرةٍ قد تزيد على المائة مجموعة، وإن كان بعضها صغيراً، وأكثرها زنوج البانتو، ومن الشعوب النيلية، ومن قبائل الزاندي، ومن الأقزام الذين يعيشون داخل الغابة، كما وصلت إليها مجموعات من سواحل إفريقية وهي التي حملت معها الإسلام إلى زائير، ومثلها جاءت من الغرب.

وصول الإسلام: يعود وصول الإسلام إلى زائير إلى العصر الحديث بين عامي ١٢٨٢ و١٣٠٣ هـ، لقد جاء من الشرق، كما جاء من الغرب، ووصل كذلك من الشمال.

لقد وصل الإسلام إلى زائير من ناحية الشرق عندما امتدّ نفوذ سلطان زنجبار إلى داخل إفريقية، ووصل إلى شواطىء بحيرة تانغانيكا، وأُقيمت عليها المراكز الإسلامية مثل (أوجيجي) و(كيغوما) في تانزانيا، و(رومنغ) في بورندي، ومن هذه المراكز انتقل المسلمون إلى داخل زائير إذ عبروا

البحيرة من الضفة الشرقية إلى الغربية، ومن هناك توجّهوا نحو الغرب حيث وصلوا إلى مجرى نهر الكونغو فأقاموا المراكز لهم على طول مجراه، ومنها (كاسنغو)، و(بانغوي) و(نياقفه) وتمتدّ هذه المراكز على مجرى نهر الكونغو شمالاً حتى مدينة كيزنغاني (ستانلي فيل).

ووصل الإسلام إلى زائير من جهة الغرب عن طريق التجار من إفريقية الغربية، وخاصةً من نيجيريا، ومالي، والسنغال، وغينيا. وإن كان لهؤلاء التجار أثرهم إلا أنه دون أثر التجار الدعاة القادمين من الشرق، إضافةً إلى أن أثر التجار القادمين من إفريقية الغربية كان مُوزّعاً على حين كان أثر تجار المشرق مجتمعاً نتيجة تأسيس المراكز على نهر الكونغو.

ووصل الإسلام إلى زائير من جهة الشمال عن طريق الحملات المصرية في منطقة بحر الغزال، وإن كان هذا الأثر ضعيفاً إلا أنه لا يمكن إغفاله، وهكذا انتشر الإسلام في المنطقة الشمالية الشرقية من زائير.

حكم الإمارات الإسلامية في شرقي زائير حامد بن محمد بن جمعة المرجبي باسم سلطان زنجبار وشرقي إفريقية، ولكن عندما غادر المنطقة متجهاً إلى سلطانه في المشرق ضعف أمر المسلمين فأرسل ملك البلجيك حملاتٍ قوية استطاعت دخول المنطقة وإخضاع أمرائها حسب توصيات الرحالة الصليبي (ستانلي)، وهكذا خرج شمال شرقي زائير من يد المسلمين، وأعلن ملك البلجيك سيادته عليها وعدّها مستعمرةً له عام ١٣١٢ هـ. وبدأ بعد ذلك اضطهاد المسلمين حيث صدر قرار بحصر التعليم في مراكز البعثات التنصيرية، وهبّ المسلمون يطالبون بحرية التعليم، فاستغلّت الحكومة هذا الأمر، وعدّته تعصباً وإثارةً للشغب وأخذت في القتل والتشريد، وقضت على الممالك الصغيرة التي كانت موزعةً في شرقي زائير، وهُدّمت مساجدها ومدارسها وقراها كلها حتى أصبحت أثراً بعد عين، ولا تُعرف مواقعها إلا من خلال كتابات بعض الرحالة البلجيك الذين زاروا المنطقة بعد تلك النكبات، كما

قُوّضت المراكز التجارية الفخمة التي أقامها كبار التجار مثل (عوني الحرة) و(سعيد بن عبدلي). واستمرّ هذا الاضطهاد حتى استقلال البلاد عام ١٣٨٠ هـ.

وقد زار أحد الرحالة البلجيك المنطقة في تلك الآونة، وهو (فرتيز درليندن)، فنقل لنا شكيب أرسلان بعض ما كتبه هذا الرحالة فيقول: «وإن العنصر العربي لا يزال عظيماً في جهات (كاسونغو) ولكن مجده الماضي قد زال» ويصف بلدة كاسونغو القديمة فيقول: «فهي قرية جميلة مبنية باللبن مقطعة الشوارع، وهناك عرب صراح يلبسون جبباً بيضاء، ويتلفعون بكوفيات مُطرّزة تطريزاً بديعاً، سيماهم تدلّ على الكرامة والوقار، وحركاتهم وسكناتهم مقرونة بالأدب التام، والكياسة المتناهية، والرصانة الفائقة، فنسق حياتهم يختلف كثيراً عن نسق الزنجباريين العبيد القدماء، الذين يظهرون عظمة تستحق السخرية، بتقليدهم ساداتهم العرب في كسوتهم ورفاهيتهم.

ومرةً دعاني أحد العرب في (كاسونغو) إلى منزله قائلاً: صباح الخير تفضّل. فدخلت إلى بيته فوجدته مفروشاً بالحصير [1] ومزيناً بالمتاع اللطيف، وأبواب البيت والشبابيك كلها منقوشة، وعلى أحد الأبواب كتابة عربية أظنّها آية من القرآن، فقدم لي العربي طاساً لذيذاً من القهوة، وباعني بعض الحصر، وهو يظهر أنه أسدى إليّ مكرمة.

وترى القرى على الطريق المؤدية من (كاسونغو) القديمة إلى (كاسونغو) [2] كلها جميلة نظيفة، والمسحة العربية بادية عليها، ولكن مرض النوم فاشٍ في هذه الأنحاء، وقد نقص كثير في عدد الأهالي في جوار (كاسونغو). ولا تجد في جوار (كاسونغو) أكثر من ألف مستعرب من

(١) البيت المفروش بالحصير كان في تلك الجهات أمراً عظيماً لأن بيوت الزنوج والبدائيين كانت على درجةٍ من البساطة.

(٢) يقصد إلى (كاسونغو) الجديدة.

الرجال البالغين، ثلاثة أو أربعة عرب صراح وأربعة أو خمسة زنجباريون. وليس بين الأهالي جامعة يخشى من عواقبها، فنقدر أن ننظر إلى المستقبل باطمئنان.

ثم ذكر مدينة «نيان غفه» فنقل عن القائم المقام (غليروب) السويدي قوله في عام ١٨٨٦ م (١٣٠٤ هـ): «إن نيان غفه» هي مقر العرب الأصلي، وهي مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما وادٍ عميق تكثر فيه مزارع الأرُز، فإذا بلغ ارتفاع نهر الكونغو معظمه طغت المياه على هذا الوادي. وقد ازدادت من عهد (ستانلي) ازدياداً عظيماً، فأهلها اليوم يبلغون عشرة آلاف. وترى على جانب الوادي أفخر المزارع والمغارس وجميع الأشجار المثمرة المجلوبة من إفريقية الشرقية، كذلك أدخل العرب فيها المواشي والحمير الفارهة للركوب».

قال (فرتيزدرليندن): «أما اليوم فقد نزلت (نيان غفه) عن درجتها هذه بسبب ثورة عام ١٨٩٣ م (١٣١١ هـ) وبمرض النوم أيضاً، ولم يبق فيها إلا ألف رجل. وتحوّلت تلك المخارف البديعة التي كانت مصطفةً بها الأشجار على ضفتي النهر إلى شعاب سطا عليها العوسج والشوك، ولم يبق في (نيان غفه) منزل يستحق الذكر سوى منزل (بيانيسنغا) هذا الزعيم العربي الذي بقي أميناً للحكومة البلجيكية، وحظي بمقابلة الملك في قصر بروكسل».

ثم ذكر في الصفحة ٢٧٤ من الكتاب نهراً يتشعّب من نهر الكونغو، ويمتدّ نحو ٣١٥ كيلومتراً بعرض يتفاوت بين ٢٠٠ و٦٠٠ م وقال: «إن على جانبيه القرى، وإن الأهالي هم من العرب والمستعربين، والطراء من أماكن بعيدة». ووصف العرب بالنظافة والاتقان في العمل، وقال: «إن المستعربين والعبيد الذين يخدمونهم يُشكّلون قرىً نظيفةً تُحيط بها مزارع أرز واسعة» ثم أطرى على هؤلاء شدة أنهماكهم بالتجارة.

وفي الصفحة ٢٩٠ ذكر قريةً مستعربةً مدحها بنظافتها وبيّن الفرق العظيم بينها وبين القرى الأخرى التي يسكنها غير المستعربين، وشاهد فيها سوقاً مهمةً تُقام كل يوم من الصبح إلى نحو الظهر في ساحة القرية، ووصف الدكاكين التي فيها، معروضة أمامها أصناف البضائع، وحوانيت الخياطين، وباعة الخزف والخوص وغير ذلك، وقال: إن المستعربين رحّبوا به ترحيباً ودعوه إلى منازلهم فعاجوا [١] على معلم كتّاب أمامه جماعة من الصبيان يعلمهم القرآن.

وذكر أن سكان هذه القرية المستعربة يبلغ عددهم ألفي رجل. وقال: إنه سأل المسيو (دومولنستر) المندوب العام في الكونغو [٢] عن عدد المستعربين في الولاية الشرقية من الكونغو فقال له: لا أقدر أن أجزم بشيء، ولكني أظنّ أنهم نحو مائتي ألف. فقال له: أفلا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة؟ فأجابه: كلا، لأنهم متفرقون، ولأننا نحن نملك القوة اللازمة لقمع كل ثورة. ثم قال: «طالما اتّهم العرب والمستعربون تُهماً باطلةً، فلا أُنكر أنه يجب علينا مُراقبتهم وإجبارهم على طاعة القوانين، ولكن مما لا أُنكره أيضاً أنهم عنصر جيد في البلاد لأنهم قوّامون على الزراعة، مدنيون بطبعهم، وعندهم ميل إلى الجنس الأبيض، ونحن كل سنة نشتري منهم في جهات «ستانليفيل» [٣] و«بونتيارفيل» [٤] و«لوكاندو» و«كيروندو» [٥] مقداراً من الرز» [٦].

---

(١) عاجوا: مرّوا.

(٢) الكونغو: زائير اليوم، وكانت من قبل تسمى الكونغو البلجيكي تمييزاً لها عن الكونغو الفرنسي، وذلك أيام الاستعمار.

(٣) ستانليفيل: تعني مدينة ستانلي، وستانلي طليعة الرحالة الصليبيين إلى المنطقة، وتسمى اليوم «كيزانغاني».

(٤) بونتيارفيل: وتسمى اليوم «أوبوندو».

(٥) والمدن هذه كلها على نهر الكونغو الآن.

(٦) حاضر العالم الإسلامي ـ ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب أرسلان.

خرج المستعمرون الصليبيون ولكن بقي التاريخ يُدرّس في المدارس أيام الاستقلال كما كان يُدرّس أيام الاستعمار على الرغم من العلاقات والصلات مع عددٍ من الدول الإسلامية وخاصةً العربية منها إلا أنه لم يهتم أحد بذلك ولم يلتفت إلى ما هو أدنى من ذلك. يصوّر هذا التاريخ المسلمين حكاماً مستعمرين يُرمز إليهم برجلٍ عربي، ويُستثار الرجل الأسود لمطاردة العربي المسلم وملاحقته وإخراجه من البلاد. وقد تعرّضت زائير عقب الاستقلال لفتنٍ وأحداثٍ داميةٍ أصاب المسلمين أذاها. وعندما استقرّت الأوضاع اعترف بالدين الإسلامي رسمياً بين عقائد الشعب.

يسكن المسلمون الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من زائير، كما يعيش عدد منهم في العاصمة (كينشاسا) حيث أقاموا هناك جمعية للمسلمين، والكلية الإسلامية. ومن المدن الأخرى التي يكثر فيها المسلمون نسبياً (كيزانغاني) في الشمال الشرقي، و(كاسونغو) و(كيفو) في الشرق.

وقد أخرجت حكومة زائير من البلاد أهالي مالي، والسنغال، وغينيا، ونيجيريا وكلهم من المسلمين.

اللغة: اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد، وإلى جانبها يوجد عدد من اللغات واللهجات ومنها:

اللينغالا في مدينة كينشاسا وحوض نهر الكونغو الأدنى.

والتشيلوبا في منطقة كاساي.

والسواحيلية في المناطق الشرقية وهضبة شابا.

ويحرص المسلمون على تعلّم اللغة العربية غير أن الإمكانات غير موجودة.

المؤسسات الإسلامية: لا توجد في زائير من المؤسسات الإسلامية سوى المجلس الإسلامي الزائيري الأعلى، والجمعية الخيرية الإسلامية في العاصمة كينشاسا.

وتنتشر المدارس الابتدائية في المناطق الإسلامية، وإن كانت كلها على مستوى متدنٍ مع الأسف، ولا يوجد غير مدرسة إسلامية عليا واحدة وهي الكلية الإسلامية في كينشاسا أيضاً، ولا يجد المشرفون على هذه المدارس الأساتذة الأكفاء، بل لم يجدوا جزءاً مما يحتاجون إليه.

وأمام هذا المستوى الضعيف لدى المسلمين يوجد عشرون ألف مدرسة تنصيرية في المرحلة الابتدائية، وخمسة عشر ألف بعثةٍ تنصيريةٍ من الولايات المتحدة، وبلجيكا، وايطاليا، وفرنسا. ويوجد في مدينة كينشاسا وحدها أربعة عشر ألفاً من القسس والرهبان. والبعثات التنصيرية تشرف على التعليم عامةً، والثانوي والجامعي خاصةً. ونفوذ البعثات التنصيرية كبير لدرجة أن أبناء المسلمين يُعمدّون عقب ولادتهم وإلا فلن يجدوا لهم أماكن في المدارس التنصيرية، ولن يُسجّلوا في السجلات المدنية.

وأمام هذه البعثات التنصيرية ماذا يوجد للأمصار الإسلامية في زائير!!!

وتوجد ترجمة مزيفة لمعاني القرآن الكريم.

ولليهود نشاط كبير في زائير، ويحاولون السيطرة على موارد البلاد وعلى الصحافة وكل وسائل الإعلام، وتغمر بضائعهم الأسواق، ويدرس عدد من أبناء زائير في إسرائيل.

(٤) الكونغـــو

تقع على الضفة اليُمنى لمجرى نهر الكـونغـو الأدنـى، تبلـغ مسـاحتهـا ٣٤٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويقرّب عدد سكانها من ١,٧٥٠,٠٠٠ إنسان. يُعـدّ نهر الكونغو ورافده نهر أوپانغي الحدّ الفاصل بين الكونغو وجارتها زائير. وكانت تُعرف باسم الكونغو الفرنسي تمييزاً لها عن الكونغو البلجيكي التي هي زائير اليوم، ثم أصبحت تنسب إلى عاصمتها فيُقال « كونغوبرازافيل » للسبب نفسه، ويُقال أيضاً « كونغو ليوبولدفيل » التي هي اسم زائير أيضاً، إذ كانت مدينة كينشاسا اليوم تُسمّى ليوبولدفيل، وتعني مدينة ليوپولد، وليوپولد هو ملك البلجيك يومذاك. أما برازا الذي تُنسب إليه عاصمة الكونغو فهو القائد الفرنسي الذي أخضع المنطقة. ولا يفصل بين عاصمتي الجارتين زائير والكونغو سوى نهر الكونغو.

السكان: يرجع أكثر السكان إلى أربع مجموعات قبلية: هي: الكونغولية، والبـاتيكـا، والمابـوشي، والسنغـا. ويُقيم عـدد مـن أهـالي الدول المجـاورة والإفريقية الأخرى مثل: غينيا، ومالي، والسنغال، ونيجيريا والكاميرون، كما يستوطن البلاد أكثر من ثلاثة آلاف من الأوربيين معظمهم من الفرنسيين. وتعدّ اللغة الفرنسية هي الرسمية، ولكل قبيلة لغتها الخاصة بها.

يزدحم السكان نسبياً في القسم الجنوبي، وخاصةً في المدن التي توجد في

هذا الجزاء، ومنها برازافيل العاصمة، وميناء بوينت نوار، ويسكن المدن أكثر من ثلث السكان.

تزيد نسبة المسلمين على ٢٠٪ من السكان، وبذا يكون عددهم حوالي ٣٦٠ ألف مسلم، وأكثرهم يسكن المدن الرئيسية وفي مقدمتها العاصمة.

وصول الإسلام: وصل المسلمون إلى الكونغو من طريق الغرب على عكس زائير التي وصل إليها الإسلام من جهة الشرق. فقد وصل إلى الكونغو من جهة الغابون لذا كان انتشاره في الجزء الجنوبي الغربي هذا إضافةً إلى ما يمكن أن يكون قد وصل عن طريق التجارة البحرية.

كما وصل الإسلام إلى الكونغو من الكاميرون أي من الجهة الشمالية الغربية. ومع كل هذا يمكن أن نقول: إن انتشار الإسلام كان محدوداً في الماضي. غير أن وصول تجار الهاوسا، والفولاني والعمال من غربي إفريقية في المرحلة الثانية قد أضاف نشاطاً جديداً للدعوة وانتشار الإسلام، وبذا فقد ارتفعت نسبة المسلمين في العصر الحديث وخاصةً أيام الاستقلال بالنسبة إلى ما كانت عليه سابقاً.

الاستعمار: منذ أن دخل الفرنسيون المنطقة تدفقّت البعثات التنصيرية التي نالت حق الإشراف على التعليم، وحق المساعدة والدعم، وفي الوقت نفسه أعطيت الصلاحيات الواسعة، وكان لها النفوذ، وكانت مهمتها الوقوف في وجه المسلمين ومنعهم من فتح مدارس لتعليم أبنائهم، وأعطتهم الخيار في البقاء دون تعليم أو الانتساب إلى المدارس النصرانية. واستمرّ وضع العقبات في وجه المسلمين حتى نالت البلاد الاستقلال عام ١٣٨٠ هـ.

ثم كانت المهمة الثانية وهي العمل على تنصير السكان، وقد تمكنت أن تكسب عدداً من السكان الذين كانوا لا يزالون على الوثنية، وكان إدخالهم في النصرانية عن طريق الإغراء وتقديم المساعدات لا عن طريق القناعة

والإيمان بالديانة النصرانية، وتبلغ نسبة النصارى في الكونغواليوم ٣٨٪ من مجموع السكان وبذا أصبح السكان يتوزّعون على الشكل التالي:

الوثنيون وعددهم	٧٥٦,٠٠٠	وتبلغ نسبتهم	٤٢٪ من مجموع السكان.
النصارى وعددهم	٦٨٤,٠٠٠	وتبلغ نسبتهم	٣٨٪ من مجموع السكان.
المسلمون وعددهم	٣٦٠,٠٠٠	وتبلغ نسبتهم	٢٠٪ من مجموع السكان.
المجموع	١٧٨٠,٠٠٠		

المؤسسات الإسلامية: تقوم عدة مؤسسات إسلامية في الكونغو لكن ليس لها أية مقومات المؤسسات التي عليها مهمات أساسية، ومسؤولية عن القيام بالواجب الذي وجدت من أجله، وأهمها ما كان في العاصمة.

تقوم في مدينة برازافيل.

الجمعية الإسلامية.

اللجنة الإسلامية.

مكتب رابطة العالم الإسلامي.

مدرسة الهلال.

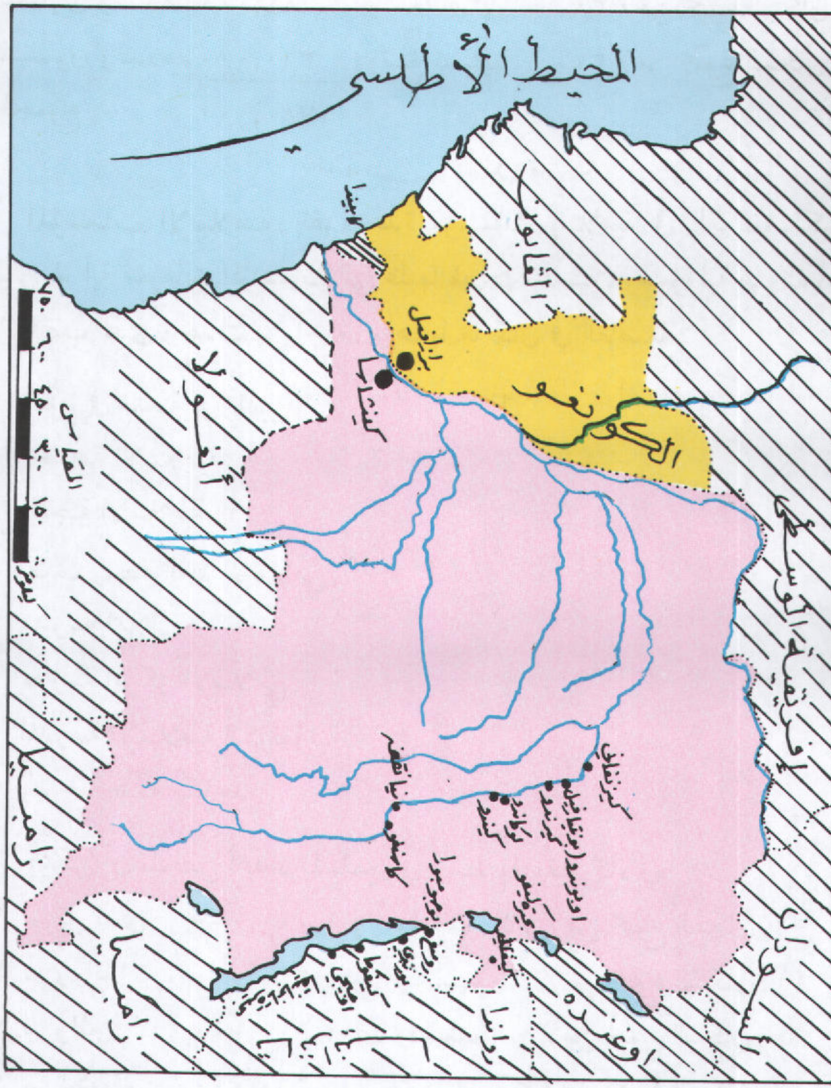
مدرسة المركز الإسلامي.

المدرسة الإسلامية الكونغولية.

ويوجد خمسة مساجد.

ويمكن أن نلخص أعداد المسلمين في وسط إفريقية كالآتي:

١ - بورندي:	١,٠٠٠,٠٠٠	ونسبتهم	٢٥٪ من مجموع السكان.
٢ - رواندا:	٢٤٠,٠٠٠	ونسبتهم	٦ ٪ من مجموع السكان.
٣ - زائير:	٢,٨٠٠,٠٠٠	ونسبتهم	١٠٪ من مجموع السكان.
٤ - الكونغو:	٣٦٠,٠٠٠	ونسبتهم	٢٠٪ من مجموع السكان.
المجموع	٤,٤٠٠,٠٠٠		



المحيط الأطلسي
الكونغو

د - جنوبي إفريقية

يقلّ عدد المسلمين كلما اتجهنا نحو الجنوب في قارة إفريقية سواء أكان ذلك من ناحية الغرب حيث تصبح المناطق صحراوية بسبب تيار (بنغويلاّ) البارد، وحيث توقّف انتشار الإسلام مع نهاية الأجزاء الغربية من القارة وقبيل الانتقال منها إلى الأجزاء الجنوبية الغربية للبعد عن مركز الدعوة الذي غالباً ما كان في غربي القارة أم كان من ناحية الشرق حيث لم تتجاوز سفن المسلمين ميناء (سُفاله) في موزامبيق اليوم إلا قليلاً ويعود ذلك لقلة السكان آنذاك في المناطق الجنوبية، وكانت السفن الإسلامية تحمل الدعاة مع التجّار أو هم أنفسهم في أغلب الأحيان، ولم يكن من مجال كبير للتجارة جنوب (سُفاله) لقلة السكان ـ كما قلنا ـ وليس معنى ذلك أن المسلمين لم يعرفوا ذلك الجزء من القارة، لقد عرفوه في رحلاتٍ قليلةٍ، ولكن لم يمكثوا هناك طويلاً لقلة السكان، لذا فقد كان انتشار الإسلام محدوداً جداً.

واستعمر هذا الجزء من القارة بعد زمن من معرفة الأوربيين له، ثم عُرفت الثروات المعدنية فيه فبدأت الهجرات نحوه بتوجيه من المستعمرين كي يستفيدوا من المهاجرين في استثمار الخيرات والعمل في هذه المستعمرات، وكان بعض المسلمين بين أولئك المهاجرين، وأكثرهم ولا شك من البلَدان التي كانت تخضع لسيطرة المستعمرين الذين يتسلّطون على هذا الجزء من

إفريقية. ولما كان المستعمرون في المرحلة الأخيرة من الإنكليز بالدرجة الأولى أو أن الإنكليز كانوا يسيطرون على أكثر أجزاء هذه المنطقة لذا فإن أكثر المهاجرين كانوا من البلدان التي كانت تخضع للسيطرة الإنكليزية، وأولها شبه القارة الهندية من هنود، وباكستانيين، وبنغاليين، ومن الملايو أيضاً وبعض الأمصار الإسلامية الأخرى. ومع هذا فإن نسبة المسلمين قليلة وأعدادهم ضئيلة، ومن هذه البلدان التي تقع في هذا الجزء الجنوبي من إفريقية، وفيها نسبة ضعيفة من المسلمين لا تتجاوز في أحسن الأحوال ٤٪ باستثناء أنغولا التي تصل النسبة إلى ١٥٪ من مجموع سكانها على بعض الأقوال، ولكنهم في قمة الضياع وذروة النسيان، وهذه الدول هي:

(١) زامبيا

جمهورية واسعة تبلغ مساحتها ٧٥٢,٦١٤ كيلومتراً مربعاً أي ما يعادل مساحة بلاد الشام وبلاد العراق معاً. ويبلغ عدد سكانها ما يزيد على ستة ملايين نسمة.

السكان: يعود السكان في أصولهم إلى زنوج البانتو، ويتوزّعون على عددٍ كثيرٍ من القبائل يزيد عددها على السبعين قبيلة، أشهرها (التونغا) و(النيانغا) و(البمبا) و(اللوزي) وأكثر المسلمين إنما يعودون إلى هذه القبيلة الأخيرة (اللوزي). هذا إضافةً إلى جماعاتٍ آسيويةٍ وفدت للعمل أكثرها من شبه القارة الهندية والملايو وفيهم نسبة من المسلمين، وجماعات إفريقية من دولٍ مجاورةٍ، ولعلّ أكثرها من زائير، ومالاوي.

وصول الإسلام: وصل الإسلام إلى زامبيا عن طريق التجار الذين قدموا من الساحل الإفريقي الشرقي وتوغّلوا في الداخل، وانتشر الإسلام عن طريقهم، وإن كان على نطاقٍ ضيقٍ لقلة السكان يومذاك، ويبدو أن هذا يعود للمراحل الأولى من انتشار الإسلام، وزاد انتقال التجار من الساحل أيام مملكة الزنج التي كانت قاعدتها مدينة كلوة التي تقع اليوم في جنوبي تانزانيا، واستقرّ عدد منهم في المنطقة، ويعود بعضهم إلى أصلٍ عربي.

ومع مجيء الاستعمار الانكليزي هاجرت بعض المجموعات المسلمة من الصومال وكينيا واستقرّت في زامبيا، كما استقدمت السلطات الاستعمارية العمال من شبه القارة الهندية لمدّ الخطوط الحديدية، وكان قسم منهم من المسلمين، فظهر نشاط إسلامي، وجمعت العقيدة بين الجماعات المتعددة من الملايو، والهند، وبلاد العرب، والصومال، وكينيا، والزامبيين، وأحسّت السلطة الاستعمارية بهذا فعملت على الحدّ من نشاط الدعوة الإسلامية.

الاستعمار: أسّس (سيسل رودس) شركة جنوبي إفريقية البريطانية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وقد عقد معاهدةً مع ملك (لونيغولا) عام ١٣٠٦ هـ، وُضعت المنطقة إثرها تحت الحماية البريطانية، ونُسبت المنطقة إليه، فعُرفت باسم روديسيا وتضمّ الشمالية (زامبيا) والجنوبية (زيمبابوي)، وبدأ البريطانيون يُهاجرون إليها، وبعد عام (١٣٠٧ هـ) تنازلت الشركة (شركة جنوبي إفريقية البريطانية) عن حقوقها في المحمية إلى الحكومة الإنكليزية، وأعلنت انكلترا عن قيام مستعمرتين لها هما: روديسيا الشمالية، وروديسيا الجنوبية.

ألفت انكلترا اتحاد وسط إفريقية تحت سيطرتها عام ١٣٧٣ واستمرّ عشر سنوات، واستقلّت بعد ذلك روديسيا الشمالية عام ١٣٨٣ هـ باسم زامبيا نسبة إلى نهر الزامبيزي الذي يجري في أرضها، وبُعداً عن الاسم الاستعماري الذي عُرفت به سابقاً.

المؤسسات الإسلامية: يزيد عدد المسلمين في زامبيا على مائة ألف مسلم، وبذا تكون النسبة أقل من ١,٧٪ من مجموع السكان، وقد انقطع هؤلاء ـ مع الأسف ـ عن إخوانهم في بقية الأمصار الإسلامية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرّت على المسلمين وتمرّ بهم الآن، مع العلم أن هناك مجموعة في زامبيا كانت على الإسلام من القديم، وانقطعت عن إخوانها

فنسيت كل شيء عن عقيدتها مع الزمن ونتيجة معيشتها وسط المجتمع الوثني حتى غدت جزءاً منه، ولم نعرف ذلك إلاّ مما بقي لديها من آثار الإسلام من عدم أكل لحم الخنزير، والختان، وعدم شرب الخمر.

وتقوم الآن بعض المؤسسات الإسلامية بجهودٍ محليةٍ، وفيها خير - إن شاء الله - لإخلاصها وصدق نيتها، ومن هذه المؤسسات:

اتحاد المنظمات الإسلامية في لوزاكا.

الجمعية الإسلامية في لوزاكا.

رابطة النساء المسلمات في لوزاكا.

جمعية الشباب المسلم، وأكثر أعضائها من الهنود والباكستانيين، وهي في لوزاكا أيضاً.

المركز الثقافي الإسلامي في لوزاكا.

جمعية ندولا الإسلامية في مدينة ندولا.

ويلاحظ أن أكثر المؤسسات يتجمع في العاصمة، أما المساجد فلا بد لها من أن توجد في أماكن تجمع المسلمين، وبلغ عدد المساجد والمصليات في زامبيا سبعةً وستين بين مصلى ومسجد منها:

١١	في العاصمة لوزاكا	وفي مدينة شنغولا	٣
٦	في مدينة ندولا	وفي مدينة كيتوي	٣
٦	في مدينة لوندازي	وفي مدينة باتاكا	٣
٦	في مدينة شيباتا	وفي كوبر	٥

وتقوم جميعها بجهودٍ محليةٍ، ولذا فإنها بسيطة تنم عن مستوى أصحابها.

اللغة والتعليم: اللغة الرسمية هي اللغة الانكليزية، وتوجد لغات محلية لكل قبيلة وأشهرها (التونغا) و(البمبا) و(نيانغا) و(لوزي).

وأكثر من ٥٠٪ من أبناء المسلمين يتلقّون التعليم في مدارس الحكومة، وبعض المسلمين يرفضون إرسال أبنائهم لمدارس الدولة، وفي الوقت نفسه لا توجد مدارس خاصة لأبناء المسلمين إذ لا توجد سوى بعض الكتاتيب ولا يزيد عددها على ثلاثة كتاتيب لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم ومبادىء الإسلام. ولذا فإن الجهل ينتشر بين صفوف المسلمين إضافةً إلى ما ورثوه منذ أيام الاستعمار حيث كان التعليم تحت إشراف الإرساليات التنصرية، وأهملت السلطات الاستعمارية أبناء المسلمين عن قصد. ومع ذلك فليس هناك من اهتمام من المسلمين في الأمصار الإسلامية بإخوانهم في زامبيا.

(٢) زيمبابوي

جمهورية تبلغ مساحتها ٣٨٩,٣٦١ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ما يزيد على ثمانية ملايين نسمة، ويعيش بينهم ما يزيد على ٥٠ ألف مسلم، وبذا تكون نسبة المسلمين أقل من ١ ٪ من مجموع السكان.

أصول السكان: ينتمي سكان زيمبابوي إلى زنوج البانتو، وأشهر قبائلهم (الماتبل) و(الماشونا) ومن هذه القبائل (الوارمبا) التي تدّعي أنها تنحدر من أصول عربية، وهناك قبائل (المانيكا)، وتسكن القبائل التي تدّعي النسب العربي اليوم عند أطلال مدينة (زمباوي) التي تقع جنوب مدينة بورت فيكتوريا بخمسة وعشرين كيلومتراً.

ينتمي ٩٤ ٪ من سكان زيمبابوي إلى أصلٍ إفريقي، وبذا يبلغ عددهم حوالي ٧,٥٤٠,٠٠٠

وحوالي ٥ ٪ من سكان زيمبابوي من أصل أوروبي، ومن المولدين، ويبلغ عددهم حوالي ٤٠٠,٠٠٠.

وهناك ١ ٪ من سكان زيمبابوي من أصولٍ آسيوية، ومجموعات ثانية، ويبلغ عددهم حوالي ٦٠,٠٠٠

المجموع ٨,٠٠٠,٠٠٠

وإن هذه النسبة الضعيفة من الأوربيين هي التي كانت تتحكم بشؤون

البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويملكون أفضل الأراضي الزراعية، ويسيطرون على الشركات المستثمرة للمعادن.

وصول الإسلام: وصل الإسلام إلى زيمبابوي عن طريق المناطق الساحلية إذ انطلق التجار منها نحو الداخل، انطلقوا من مدينة (سُفالة) واختلطوا مع السكان فانتشر الإسلام عن هذه الطريق، كما انطلق التجار من مدينة (كلوه) حاضرة مملكة الزنج، واستثمر المسلمون مناجم الذهب هناك.

ويبدو أن الإسلام قد وصل إلى منطقة زيمبابوي مبكراً، فلقد عثر الدكتور (ستانلي تيمبور) على قبرٍ في أراضي زيمبابوي على مقربةٍ من نهر زامبيزي، وقد نُقش عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم» - لا إله إلا الله محمد رسول الله - هذا قبر سلام بن صالح الذي انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة في السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبي العربي ﷺ». وقد استدلّ من ذلك على أن المسلمين قد وصلوا إلى تلك الأصقاع من جنوبي إفريقية، وأنهم استثمروا مناجم الذهب، كما استدل من آثارٍ عربية أخرى كُشفت في تلك البقاع على أن المسلمين قد طالت عمارتهم وإقامتهم لتلك البلاد قبل أن تطرقها طلائع الصليبيين الأوربيين من البرتغاليين.

وقد أقام المسلمون المساجد على طول الطريق التي سلكوها من الساحل إلى الداخل.

الاستعمار: جاء البرتغاليون من جنوب إفريقية بعد أن وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح والتفّوا حول القارة الإفريقية مع مطلع القرن العاشر، وتمكّنوا من السيطرة على سواحل إفريقية الشرقية فقطعوا الصلة بين المسلمين في الأجزاء الشرقية وإخوانهم المسلمين الذين يُقيمون في الداخل، ومع مرور الزمن نسي المسلمون في الداخل أمور دينهم، ولم يعودوا ليعرفوا عنها شيئاً، وخاصةً أن البرتغاليين قد بقوا في سيطرتهم على منطقة موزامبيق، بينما هم قد

طُردوا من الأجزاء الساحلية الشمالية التي هي تانزانيا وكينيا اليوم لذا فقد استمرّ هذا الانقطاع في الصلة بين المسلمين في منطقة زيمبابوي وإخوانهم في بقية جهات العالم.

وبدأ التنافس الاستعماري في السيطرة على المناطق الداخلية من إفريقية الجنوبية وكانت المنافسة على أشدّها بين الانكليز والبرتغاليين. الانكليز الذين يسيطرون على جنوبي إفريقية والبرتغاليون الذين يحتلون منطقة موزامبيق، وكان (سيسل رودس) الانكليزي أكثراً مكراً إذ أسّس شركتين استعماريتين لاستغلال المنطقة الداخلية وذلك عام ١٣٠٦، وبعد عام (١٣٠٧ هـ) عقد معاهدةً مع ملك قبائل (الماتبل) جعلت هذا الملك وقبيلته ومنازلها تحت الحماية البريطانية، ولكن لم يلبث أن تنازل (سيسل رودس) عن الشركتين للحكومة البريطانية التي أعلنت عن قيام مستعمرة روديسيا (زامبيا وزيمبابوي).

ومع السياسة الاستعمارية التي فرضها الأوربيون ضدّ المسلمين فإنهم استقدموا بعض سكان شبه القارة الهندية للعمل في روديسيا وكان في هؤلاء العمال نسبة من المسلمين، أو أن الواقع لم يخف الانكليز من المسلمين في هذا الجزء من إفريقية، إذ لم يجدوا سوى بعض آثار عن المسلمين يتمثّل في بعض التصرّفات مثل ختن أطفالهم، وعدم أكل لحم الخنزير، وعدم أكل لحم مذبوح من قبل غيرهم، ويتزوج بعضهم من بعض لا يتعدّون ذلك... أما عدا هذا فلا يُؤدّون شيئاً من شعائر بل لا يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون، ويعدّهم النصارى في صفوف الوثنيين، وإن كانت بعض أسماء أسرهم تدلّ على أصولهم الإسلامية مثل: البكري، والمصري، والشريفي وغيرها.

ومع تطوّر الإعلام في العصر الحديث، وزيادة الصلة مع العالم الخارجي أحسّ بعض المسلمين بل لم يكونوا مسلمين في واقعهم، وعرفوا ماضيهم فعادوا إلى إسلامهم أو أعلنوا إسلامهم، وقام بهذا مائتا شخص عام ١٣٨١ هـ

وأسموا بلدهم (إسلام أباد) وكان اسمها من قبل (موهيرا)، وفي عام ١٣٩٤ هـ أعلن أربعة عشر بطناً من قبيلة (الوارمبا) إسلامهم، وربما تبع ذلك الباقون من القبيلة، وهذه القبيلة التي أسلمت منها المجموعة السابقة وهي التي تدّعي أنها تنحدر من أصل عربي.

اتبع المستعمرون والقلة البيضاء التي تقيم في زيمبابوي سياسة التفرقة العنصرية فشكّل الأفارقة جبهة تحرير زيمبابوي، وحصلت على التأييد الواسع، فأعلنت انفصالها عن انكلترا واستقلالها عام ١٣٨٥ هـ.

المسلمون في الوقت الحاضر: يتجمّع أكثر المسلمين في الجزء الجنوبي الشرقي حيث تقوم أعمال التعدين، وتكثر الأعمال الزراعية، وقد شكّلوا بجهودهم الخاصة وإمكاناتهم المحلية بعض المؤسسات ومنها:

منظمة الشباب المسلم في مدينة بولاويو، ومجلس الشباب المسلم في جنوبي زيمبابوي، وجمعية الطلبة المسلمين في مدينة (قي قي)، والبعثة الإسلامية، وجماعة التبليغ.

ويبدو أن نجاح الدعوة الإسلامية سيكون واسعاً فيما لو لقي القائمون عليها دعماً ومساعدة سواء أكان ذلك مادياً أم بالدعاة والمربين أم بالمدرسين والموجهين، فإن النقص كبير والحاجة قائمة.

ويوجد في زيمبابوي ثلاثون مسجداً وعشرون مصلى، ولا توجد مدارس إسلامية يتلقّى فيها أبناء المسلمين أمور دينهم وإنما توجد بعض الكتاتيب الملحقة بالمساجد، وقد لا يتوفّر من يقوم على المسجد وإن وُجد فلا يملك الكفاءة المطلوبة، وإمكاناتها ضعيفة جداً تأتي من جمع التبرعات.

(٣) بـتسوانـا

جمهورية داخلية يزيد عدد سكانها على ٨٥٠ ألف نسمة، وتبلغ مساحتها ٦٠٠,٣٧٢ كيلومتراً متربعاً، لم يصل إليها الإسلام لـوقـوعهـا في الداخـل وبُعدها عن السواحل، وقربها من أقصى الجنوب، كما لم يعرفها الأوربيون حتى القرن الثالث عشر الهجري. وبقيت تعيش فيها قبائل من البانتو، وقليل من قبائل البوشمن البدائيين، ويعيش الجميع حياة بسيطة مع صراعٍ بين القبائل.

السكان: يعود معظم السكان إلى أصولٍ إفريقية، وينتمون إلى ثمان قبائل رئيسية من قبائل البانتو أهمها مجموعة (السوتو) ومجموعة (البُتسوانا)، وإلى جانب قبائل البانتو يعيش مـا يقـرب مـن عشريـن ألفـاً مـن جماعـة (البوشمن) ويتناقص عددهم باستمرار، وهم من الجماعات البدائية المعروفة.

وبجانب الأفارقة يعيش ما يقرب من ثلاثين ألفاً من الآسيويين، مع عددٍ من الأوروبيين لا يزيد على الأربعة آلاف، ومعظم السكان يقيم في القسم الشرقي من البلاد.

ولما كانت فقيرةً فإن أكثر السكان يعملون في الرعي، ويغادر بعضهم البلاد من أجل العمل فيتجهون نحو اتحاد جنوبي إفريقية وزيمبابوي. ويعدّ الرعي الثروة الرئيسية.

الاستعمار: انتهز البوير الخلاف القائم بين القبائل البتسوانية، فتقدموا من جنوبي إفريقية لفرض سيطرتهم على المنطقة غير أن الخلاف بين البوير والإنكليز حمى بُتسوانا من الوقوع في أيدي المستعمرين. وفي الوقت نفسه كان البرتغاليون يبذلون جهدهم للسيطرة على بتسوانا ليصلوا بين مستعمرتيهم موزامبيق على ساحل إفريقية الشرقي وأنغولا على ساحلها الغربي.

وعملت انكلترا على فرض حمايتها على بُتسوانا عام ١٣٠٣ هـ، واستمرّت هذه الحماية حتى نالت استقلالها عام ١٣٨٦، وفي العام التالي أعلنت الجمهورية.

المسلمون: لا يزيد عدد المسلمين على ستمائة شخص، وهم من أصلٍ آسيوي يعمل معظمهم بالتجارة، وفي العاصمة (غابرون) مسجد تتبعه مدرسة يتعلم فيها أبناء المسلمين، وكذلك في مدينة (لوباتسي) مسجد وتلحق به مدرسة. ومع قلة هذا العدد فقد عقد في (بُتسوانا) المؤتمر الأول للشباب المسلم في جنوبي إفريقية، وحضرته إحدى عشرة دولة هي: كينيا - موزامبيق - رينيون - ليسوتو - مالاوي - زامبيا - زيمبابوي - موريشيوس - اتحاد جنوبي إفريقية - بتسوانا - سوازيلند، وقد نظم من قبل الاتحاد العالمي للشباب المسلم بالرياض بالاشتراك مع الشباب المسلم في اتحاد جنوبي إفريقية، وتمّ عقده في مدينة (غابرون) في عام ١٣٩٧ في منتصف شهر جمادى الآخرة.

(٤) سوازيلند

مملكة صغيرة تبلغ مساحتها ١٧,٣٤٣ كيلومتراً مربعاً، تقع في الداخل، وإن كانت قريبةً من مياه المحيط الهندي، تُحيط بها أراضي اتحاد جنوبي إفريقية من ثلاث جهات، أما الجهة الرابعة وهي الشمالية الشرقية فتحدّها دولة موزامبيق، وهي من دول رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

يسكنها ما يزيد على النصف مليون إنسان قليلاً، بينهم ما يقرب من ثمانية آلاف أوربي. إضافة إلى عددٍ ينتمون إلى أصولٍ آسيوية. ويعيش بينهم أيضاً ما يقرب من عشرين ألف مسلم، وبذا تكون نسبة المسلمين ٤٪ من مجموع السكان، وأغلبهم من العناصر الآسيوية.

يرجع السكان في أصولهم إلى زنوج البانتو، وتُعدّ قبائل (سوازي) أكبر المجموعات القبلية في البلاد، وعاصمتهم مدينة (مبابان).

(٥) لـــيسوتو

مملكة صغيرة تقع وسط دولة اتحاد جنـوبي إفـريقيـة، تبلـغ مسـاحتهـا ٣٠,٣٥٥ كيلومتراً مـربعـاً، وهـي مـن دول رابطـة الشعـوب البريطـانيـة (الكومنولث).

يعود سكانها إلى جماعات زنوج البانتو، وتُعدّ جماعة (ليسوتو) أكبر الجماعات التي تعيش في هذه الدولة لذا فقد أخذت اسمها. ويزيد عدد السكان على المليون والربع يعيش بينهم عدد من الأوربيين لا يتجاوزون الألفين، كما هاجر إلى المنطقة بعض الآسيويين وأكثرهم يرجع إلى سكان شبه القارة الهندية.

ويُقدّر عدد المسلمين في مملكة (ليسوتو) بخمسة وعشرين ألفاً أي أن نسبتهم حوالي ٢٪ من مجموع السكان، وأكثر المسلمين في هذه المملكة من العناصر الآسيوية.

ومدينة (مازيرو) هي عاصمة البلاد.

(٦) أنغـــولا

دولة شيوعية واسعة المساحة تزيـد على ١,٢٤٦,٧٠٠ كيلـومتر مـربـع ، سيطر عليها البرتغاليون أثناء التفافهم حول القارة الإفريقية في محاولة تطويق المسلمين ، وذلك في مطلع القرن العاشر ، واستمرّت في أيديهم بعد أن توغّلوا في الداخل حتى نهاية القرن الرابع عشر . وحرصت البرتغال على أن تصـل بين مستعمرتها أنغولا وبين مستعمرتها موزامبيق على ساحل إفريقية الشرقي غير أن انكلترا حالت دون ذلك إذ سيطرت على المناطق الداخلية وكانت هي الثانية تُريد أن تصل بين مستعمراتها في جنوب القارة ومستعمراتها في الشمال. وتمكّنت انكلترا من السيطرة على الأجـزاء الداخليـة ، وبقيـت المستعمـرات البرتغالية مفصولةً بعضها عن بعض ، على حين اتصلت المستعمرات الانكليزية في نهاية الأمر أو بعد الحرب العالمية الأولى عندما هُزمت المانيا وخرجت من تانغانيكا وحلّت محلّها انكلترا .

واكتشفت الثروات المعدنية في جنوبي زائير ، وكان أقرب طريق لها إلى البحر عن طريق انغـولا ، فـوُصـل جنـوبي زائير بخطٍ حـديـدي إلى مينـاء (لوبيتو) الانغولي ، وأفادت أنغولا من هذه الطريق .

وحاولت البرتغال التمسُّك بمستعمراتها ما وسعها ذلك ، وكانت أكثر دول إفريقية قد نالت استقلالها فقامت المقاومة في وجه المستعمرين البرتغاليين ،

ودعم الشيوعيون أحد الأجنحة وتمكّنوا من السيطرة على السلطة بعد انسحاب البرتغاليين، وهكذا غدت أنغولا دولةً شيوعيةً.

أما وضع المسلمين فربما كان أسوأ من أي وضعٍ آخر، فقد جاء البرتغاليون في وقت مُبكرٍ، وأنزلوا غضبهم على المسلمين يدفعهم إلى ذلك الحقد الصليبي الذي ورثوه عقيدةً وشُحنوا به في الأندلس أثناء القتال الذي دار بينهم وبين المسلمين، وأثناء قيام محاكم التفتيش المشهورة، وفي الوقت نفسه كان المسلمون على درجةٍ من الضعف لم تُمكّنهم من معرفة شيءٍ عن إخوانهم الذين ابتلُوا بالاستعمار الصليبي البرتغالي، وخضعوا لإشراف الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية، واستمرّ الضغط عليهم عدة قرون، فلما بدأ المسلمون يتيقّظون كان إخوانهم في أنغولا قد ابتلُوا بالاستعمار الشيوعي الملحد الذي يحمل أيضاً حقداً صليبياً متوارثاً، فأُقفل الباب أمام المسلمين نسبياً، أو غدا حجةً لنا ـ معشر الضعفاء اللاهين ـ لذا فوضع المسلمين غامض أكثر من غيرهم، وهم يعيشون في بحرٍ من الضياع.

لذا لا يعرف المسلمون في أمصارهم عن وضع إخوانهم شيئاً، فبينما نجد كتاب (تقويم البلدان الإسلامية) الذي أصدره المؤتمر الإسلامي في كراتشي عام ١٣٨٤ هـ يجعل نسبة المسلمين ٢٥٪ نرى بعض الكتب لا تصل بنسبتهم إلى ١٪، وربما كان الأمر مبالغاً فيه من الناحيتين وأعتقد أن نسبة الذين ينتمون أو كانوا ينتمون تصل إلى ١٥٪ من مجموع السكان، وبذا يكون عددهم ما يزيد على المليون قليلاً، إذ يزيد عدد سكان أنغولا على سبعة ملايين نسمة. ولما كنا لا نعرف شيئاً عنهم فإننا بالتالي لا نعلم إن كانت لهم مؤسسات خاصة بهم أم لا، ونحن مقصرون في كل ذلك.

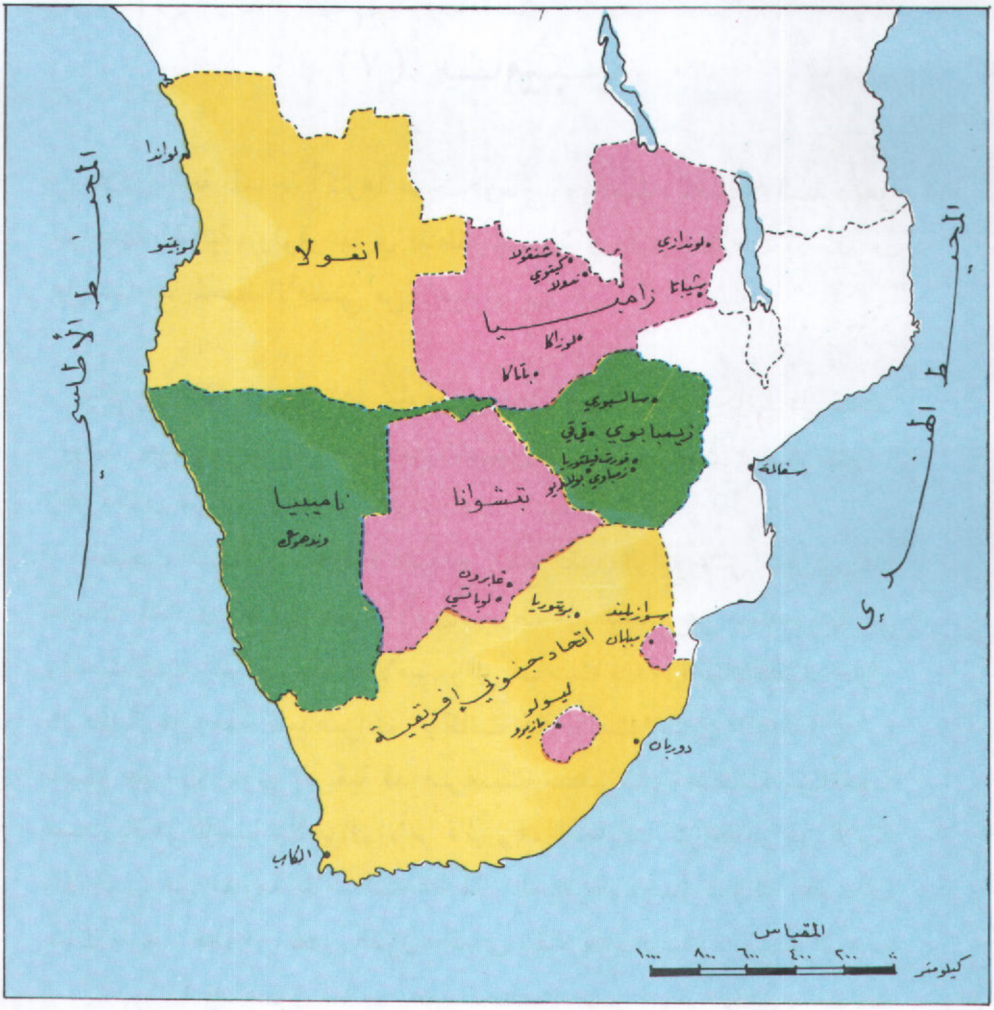
(٧) نـاميبـيا

بلاد واسعة المساحة أكثرها صحـراويـة لمرور تيـار بنغـويلا البـارد على سواحلها الشمالية، ولوقوعها في المنطقة المدارية في غربي القارات إذ تُشرف على سواحد المحيط الأطلسي من ناحية الغرب.

تبلغ مساحتها ٨٢٤,٢٩٢ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على نصف مليون، يعيش بينهم عدد قليل من المسلمين لا يتجاوز ٢,٥٠٠ مسلم كثيراً، وبذا تكون نسبتهم حوالي ٠,٥ ٪ من مجموع السكان.

خضعت المنطقة للسيطرة الألمانية مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري. فلما هُزمت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أجبرت على التخلّي عن مستعمراتها التي وضعت تحت إشراف عصبة الأمم، والتي قـامـت بـدورهـا بتكليـف دولٍ بالوصاية على هذه المستعمرات، وكانت قد كلّفت جنوبي إفريقية بإدارة ناميبيا غير أن جنوبي إفريقية قد فـرضـت سيطـرتها، وطبّقـت سيـاستهـا العنصرية على ناميبيا ولا يزال الأمر قائماً رغم الدعايات التي تصدر بين الآونة والأخرى عن مقاومة الأمم المتحدة لهذه السيطرة، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن هناك تأييداً خفياً من بعض الدول الكبرى لبقاء هذه السيطرة واستمرار هذه السياسة. ولذا فالمسلمون ضائعون بين المختلفين وليس لهم من دعم، وإخوانهم غيّهم بين الشرق والغرب، وبين الجهل واللهو.

وعاصمة ناميبيا مدينة (وندهوك) الداخلية التي لم تتفتح على الحضارة بعد لما يُعاني أهلها البسطاء.



مصور رقم [٣٤].

(٨) اتحاد جنوبي افريقية

وصل البرتغاليـون إلى رأس الرجـاء الصـالـح في أقصى جنـوبي القـارة الإفريقية عام ٩٠٣ هـ، وهم في طريقهم للالتفاف حول بلاد المسلمين بعـد أن تمكّنوا من طردهم من الأندلس قبل خمس سنوات. وعندما ضعف المسلمـون، وأخذ الأوربيون بلادهم بدأت المنافسة بين دول أوربا حول مناطق النفوذ والسيطرة، وأصبح رأس الرجاء الصالح ضمن منـاطـق النفـوذ الهولنـدي. وغدت المنطقة عام ١٠٩٢ هـ مكاناً رسمياً للسجناء السيـاسيين ذوي المكـانـة الخاصة، وخاصة الأندونيسيين منهم، والذين كانت بلادهم آنذاك ضمن دائرة النفوذ الهولندي.

كان الشيخ يوسف من مدينة (ماكـاسّـار) الواقعـة في جنـوبي جـزيـرة (سيلبيس) في اندونيسيا وشقيق سلطان (بانتام) الذي خلعه الهولنديون من ملكه فقاد أخوه الشيخ يوسف المقاومة في بلاده ضدّ المستعمرين الهولنديين، ولم تستطع هولندا القضاء على هذه المقاومة إلا بعد أن أقنعت الشيخ يوسف بالاستسلام مقابل إصدار العفو العام عن الذين اشتركوا معه في القتال جميعهم وذلك عام ١٠٩٥ هـ، إلا أن المستعمرين ـ كعادتهم ـ لم يفوا بالتزاماتهم، إذ قبضوا على الشيخ يوسف نفسه وألقوه في السجن، ثم نقلوه إلى رأس الرجاء الصالح عام ١١٠٥ هـ، ومعه تسعة وأربعون من أنصاره، فكانت هذه

هي المجموعة الإسلامية الأولى التي حلّت في جنوبي إفريقية.

ووصل بعد ثلاثة أعوام (١١٠٨ هـ) أيضاً (رجاح تامبورا) سجيناً، وكان قد اتهم بإشعال الثورة في أندونيسيا ضدّ الهولنديين. وإن السبب الذي جعل الهولنديين يتخذون هذه البقعة سجناً سياسياً هو قلّة السكان بشكلٍ عام وعدم وجود مسلمين هناك الأمر الذي يجعل تأثير السجناء المسلمين محدوداً على السكان، وليس هناك من خوف على قيام حركات تأييد وتضامن أو دعم.

ثم جاء إلى المنطقة الإمام عبدالله قاضي عبدالسلام للسبب نفسه، وقد وضع أثناء سجنه كتاباً عن التشريع الإسلامي عام ١١٩٥ هـ باللغة العربية وبلغة الملايو، ولا يزال الكتاب موجوداً هناك ضمن المخطوطات الإسلامية في مكتبة (عرفان رقيب)، كما كتب هذا الإمام عدة نسخ من كتاب الله، وفي أيامه أصبح عدد الدعاة يزيد على المائة في منطقة جنوبي إفريقية، واتخذوا من سجنهم في بيوتهم أمكنة لنشر الدعوة، كما أشادوا مراكز أخرى على الرغم مما كانوا يتعرّضون له من البلاء والمراقبة الشديدة والمضايقة والعذاب الذي يودي بحياة بعضهم أحياناً.

انتهى حكم الهولنديين لرأس الرجاء الصالح، وجاء بعدهم الإنكليز عام ١٢٢١ هـ بعد حروب نابليون، وأصبحت المنطقة الداخلية مجالاً للتوسّع للمستوطنين الهولنديين والانكليز على حدٍ سواء، وتغلّبت القوات الإنكليزية على الهولنديين، وقامت حرب البوير من ١٣١٧ حتى ١٣٢٠ هـ خضع إثرها الإفريقيون للقوات الإنكليزية.

صحا السكان بعد حرب البوير، فأعطت انكلترا جنوبي إفريقية الحكم الذاتي عام ١٣٢٨ هـ، فأصبح الإفريقيون أحراراً، وشكّلوا حكومةً ذاتية، وكانت بعد الحرب العالمية الثانية ضمن دول رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، واستقدم الانكليز أثناء سيطرتهم على المنطقة العمال من الهند التي كانت ضمن مناطق نفوذهم، ولعل أكثر هؤلاء الهنود كان من ساحل

الهند الغربي (ماليبار).

جرت الانتخابات العامة في جنوبي إفريقية عام ١٣٦٧ هـ، وسارت الحكومة بعدها في سياسة التطوّر المنفصل للمجتمعات العنصرية التي كانت تهدف إلى فكرة سياسة البيض الدائمة على ثلثي المنطقة، أما الثلث الباقي فيقسم إلى عشر مستوطنات للسود بأشكالها الغامضة للاستقلال المنفصل، وانسحبت حكومة جنوبي إفريقية من رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) عام ١٣٨١ هـ بسبب سياستها العنصرية الخاصة بها.

تبلغ مساحة أراضي اتحاد جنوبي إفريقية ١,٢٢١,٠٣٧ كيلومتراً مربعاً فهي من الدول الإفريقية ذات المساحة الكبيرة، وتتألف من أربع مقاطعات هي:

١ ـ ولاية الكاب: في الجزء الجنوبي الغربي وتشرف على ساحل المحيط الأطلسي من جهة الغرب وساحل المحيط الهندي من جهة الجنوب، وقاعدتها مدينة الكاب (الرأس)، وهي أكبر المقاطعات.

٢ ـ ولاية ناتال: على ساحل المحيط الهندي أي من جهة الشرق وتعد مدينة (دوربان) قاعدتها، وهي أشهر الموانىء على الساحل الشرقي. وهي أصغر المقاطعات، وتجاور مملكتي (ليسوتو) و (سوازيلند).

٣ ـ ولاية الترانسفال: وهي منطقة داخلية، ولكنها أكثر المقاطعات سكاناً.

٤ ـ ولاية الأوارانج: وهي منطقة داخلية، وتجاور مملكة (ليسوتو).

وللدولة عاصمتان، عاصمة تشريعية هي (الكاب)، وعاصمة إدارية وهي (بريتوريا).

السكان: يبلغ عدد سكان اتحاد جنوبي إفريقية ما يزيد على ثمانية

وعشرين مليوناً، ويُصنّفون إلى مجموعات هي:

أ ـ **الإفريقيون:** ويزيد عددهم على ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ وينتمي معظمهم إلى زنوج البانتو، ومن أشهر مجموعاتهم (الزولو) و (النغوني) و (السوازي) و (السوتو) و (الفندا) و (التسونغا) ومن مجموعة (التسونغا) (الرنغا) و(التسوا)، وربما كان شعب الزولو أقوى وأكبر هذه المجموعات، هذا إضافة إلى (الهوتنتوت).

ب ـ **الملوّنون:** ويقرب عددهم من ثلاثة ملايين، وقد نشؤوا من تزاوج طلائع الأوربيين مع شعب الهوتنتوت.

جـ ـ **الآسيويون:** ويقرب عددهم من المليون، ومعظمهم من شبه القارة الهندية، ثم من الملايو، وأندونيسيا، وأغلبية الهنود من الهندوس، ويعيش ٥٠٪ منهم في إقليم ناتال على الساحل الشرقي.

وتعدّ هذه المجموعات الثلاث مجموعةً واحدةً وتُعرف بالافريقانز، ولكل مجموعةٍ لغتها الخاصة بها، بل لكل قبيلة من الإفريقيين لغتها.

د ـ **البيض:** ويزيد عددهم على أربعة ملايين ونصف المليون، وهم من أصولٍ هولنديةٍ، وإنكليزيةٍ، وألمانيةٍ، وفرنسيةٍ، ويتكلّمون لغةً خاصةً مشتقةً من الهولندية وممزوجة بالألمانية والفرنسية. وهذه المجموعة هي المُتحكّمة بشؤون البلاد والمهيمنة على السكان وتتبع سياسة التفرقة العنصرية.

تتبع الدولة سياسة التطور المنفصل الذي يقوم على التمييز العنصري، وتقسم البلاد إلى مناطق ذات أجناس، تعيش كل مجموعةٍ منها في عزلةٍ اجتماعيةٍ، وقد قُسّمت الأرض إلى:

٨٧٪ من مساحة الأرض نصيب البيض، وعرفت باسم (مناطق البيض).

١٣٪ من مساحة الأرض نصيب السود على اختلاف مجموعاتهم، وقد

جزئت إلى ثمان مستوطنات.

ويُفترض أن تحصل على استقلالها الذاتي في المستقبل، وقسّمت كل مدينةٍ بل وكل قريةٍ إلى أجزاء فرعية وإلى مناطق منفصلة احتفظ بها بشكلٍ عامٍ لتكون من أحد أقسام المجتمع الأربعة، وتعدّ جريمة إذا قام عضو من مجموعةٍ في منطقة بمجموعةٍ أخرى.

المسلمون: بدأ وصول المسلمين إلى جنوبي إفريقية عام ١٠٦٢ هـ ويقرب عددهم اليوم من نصف مليون مسلم أي يُشكّلون ٢٪ من مجموع السكان، ويعود أكثرهم إلى مناطق بعيدة عن جنوبي إفريقية، فقد جاؤوا من:

١ ـ سيلان.

٢ ـ اندونيسيا.

٣ ـ البنغال.

٤ ـ الهند: وخاصة من الساحل الغربي ماليبار.

أما سبب مجيئهم فيمكن أن نُرجعه إلى أربعة أسباب:

أ ـ الجنود: وأكثرهم من جزيرة سيلان (سيريلانكا) اليوم، وكانوا في خدمة شركة الهند الهولندية الشرقية.

ب ـ المنفيون السياسيون: وكان أغلبهم من أندونيسيا.

جـ ـ العمال: وهم الذين جاءوا من الهند أيام استعمار الانكليز لها.

د ـ رجال الأعمال: وهم الذين قدموا إلى المنطقة للتجارة والاستثمار.

ولا شك فإن المسلمين كانوا على درجة من الضعف، ومن الجهل، وعدم المعرفة بحيث لا يستطيعون أن يعرفوا أبعاد الخدمة التي يُؤدّونها للمستعمرين مهما تضاءلت أهميتها في نظرهم.

ويجب أن نُضيف المسلمين من أهل البلاد الأصليين، إذ اتجهت بعض جماعات من البانتو إلى الإسلام بسبب العزلة التي فرضت عليهم والتفرقة

العنصرية التي تمارسها عليهم الجماعة البيضاء، وهي من أتباع النصرانية.

وينتمي المسلمون إلى الجماعات كلها وحتى البيضاء منها، كما يتوزّعون في الأقاليم الأربعة التي تتألف منها الدولة. وإذا كانت الإحصاءات قليلة إلاّ أنّه لدينا إحصاء يعود إلى عام ١٣٩٠ هـ يمكن أن نسترشد به رغم مرور زمن عليه، مع العلم أنه ينقص منه إحصاء إقليم الأورانج الذي لا يضمّ إلا عدداً محدوداً من المسلمين، ولم ندر ما السبب في هذا النقص؟.

	الكاب	الناتال	الترانسفال	الأورانج	المجموع
الملوّنون	١٢٧,٧٩٣	٣,٨٩١	١٢,٥٥١	٣٩	١٤٤٣٧٤
الآسيويون	٩,٨٠٨	٧٢,٩٧٢	٤٢,٦٧٧	-	١٢٥٤٥٧
البيض	٤١٢	١٣٢	٣٩٠	-	٩٣٤
	١٣٨,٠١٣	٧٦,٩٩٥	٥٥,٦١٨	٣٩	٢٧٠٧٦٥

ويلاحظ أن إقليم الكاب يضمّ ما يقرب من نصف المسلمين، ويأتي هذا العدد من زيادة المسلمين بين الملوّنين، على حين يزداد المسلمون في إقليم الناتال بين الآسيويين، وكذلك إقليم الترانسفال.

وكانت تقديرات المسلمين في جنوبي إفريقية عام ١٤٠٣ ما يزيد على ٤٣٠,٠٠٠ مسلم وتتوزع كما يلي:

الكاب:	٢٣٠,٠٠٠	مسلم.
الناتل:	١٢٠,٠٠٠	مسلم.
الترانسفال:	٨٠,٠٠٠	مسلم.
المجموع	٤٣٠,٠٠٠	مسلم.

أما اليوم فيزيد العدد على ستمائة ألف. وقد أُقيم مركز إسلامي في معزل (أواب)، وهناك مشروع لإقامة مركز في معزل (سويلو) قرب (جوهانسبرغ) في إقليم الترانسفال، وكان عدد المسلمين في المعازل عام

١٣٩٠ ما يزيد على ٥٧٤ مسلماً.

ويعمل أكثر المسلمين في البناء، والنجارة، والسباكة، ويعملون في إقليمي الناتال والترانسفال بالتجارة وإدارة الأعمال.

المؤسسات الإسلامية: أسّس المسلمون عدّة مؤسسات لهم رغم قلّة عددهم، ورغم العنت الذي يلقونه، ويُعدّ النشاط كبيراً إذا قارناه مع بقية دول إفريقية عامةً، وخاصةً مع الدول في الجزء الجنوبي من هذه القارة التي يعدّ المسلمون فيها من الضائعين.

المساجد: إن أول مسجد بني في جنوبي إفريقية كان عام ١٠٧٦ هـ، وذلك في مدينة الكاب في حي أهل الملايو. ويزيد عدد المساجد اليوم على مائتي مسجد، وتتوزّع في الأقاليم كالتالي:

إقليم الكاب:	٧٠	مسجداً.
إقليم الناتال:	٧٠	مسجداً.
إقليم الترانسفال:	٦٠	مسجداً.
المجموع	٢٠٠	

وغالباً ما تلحق في كل مسجد مدرسة لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم وأمور الدين.

معاهد العلم: بدأ الاتجاه نحو التعليم بشكلٍ مقبولٍ نسبياً، فقد وجدت أقسام للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة (دوربان) في إقليم ناتال، وفي جامعة (وسترن كاب)، وجامعة (ويست فيل).

ومعهد دراسات الشريعة الإسلامية في (كاب تاون).

ومعهد التعليم الإسلامي الشرقي في ناتال.

المعهد الإسلامي بواترفال (جوهانسبرغ).

الصحافة: يُصدر المسلمون في جنوبي إفريقية الصحف والمجلات منها اليومي، ومنها الشهري أو السنوي، ولعلّ أبرزها:

١ - مسلم نيوز	تصدر يومياً.
٢ - القلم	تصدر يومياً.
٣ - أخبار المسلمين	تصدر منذ عام ١٣٨٠ هـ نصف شهرية.
٤ - الكلام	وتُصدرها حركة الشباب المسلم شهرياً.
٥ - مسلم ديجست	وتُصدرها حركة الشباب المسلم شهرياً في دوربان.
٦ - انقلاب	ويصدرها اتحاد الطلاب المسلمين شهرياً.
٧ - المجلس	يصدرها المجلس التشريعي الإسلامي في الكاب.

المنظمات: يوجد عدد كبير من المنظمات الإسلامية في جنوبي إفريقية.

في إقليم الكاب: المجلس الإسلامي أنشيء عام ١٣٩٥ هـ، ويمثل الهيئة الوطنية لجميع مسلمي جنوب إفريقية.

مجلس العلماء لجنوبي إفريقية في دورمرتون.

المجلس التشريعي الإسلامي.

حركة الجهاد الإسلامية الدولية.

اتحاد الطلاب المسلمين لجنوبي إفريقية.

جميعة الدعوة الإسلامية.

إقليم ناتال: المجلس الإسلامي لجنوبي إفريقية في دوربان.

مركز الدعوة الإسلامية في دوربان.

وقف التجار المسلمين الخيري في دوربان.

جمعية الثقافة الإسلامية لمنطقة ستنغر.

حركة الشباب المسلم لجنوبي إفريقية.

دار اليتامى والمساكين المسلمين في دوربان.

دائرة الدراسات العربية.

جماعة التبليغ.

دار العلم.

إقليم ترانسفال: لجنة نور الإسلام ـ ليناسا.

هيئة ليناسا الإسلامية.

بعثة العقيدة ـ ليناسا.

المركز الإسلامي.

الوقف المركزي الإسلامي.

جمعية العلماء ـ ترانسفال ـ جوهانسبرغ.

هيئة الشبان المسلمين بنوني الجنوبية (ضاحية جوهانسبرغ الشرقية) ترانسفال.

ويُعاني المسلمون العنت من الأطراف كافة، وقد اعتقل الشيخ عبدالله هارون في ربيع عام ١٣٨٩ هـ، وهو رئيس تحرير صحيفة أخبار المسلمين، واتهم بأنه يُنادي بأفكار معادية للعنصرية، وقد قتل في السجن في أوائل خريف ذلك العام. وبعد عدة أشهر خططت الحكومة العنصرية لهدم ٣٦ مسجداً من أصل ٥٥ مسجداً قائماً في مدينة (كيب تاون).

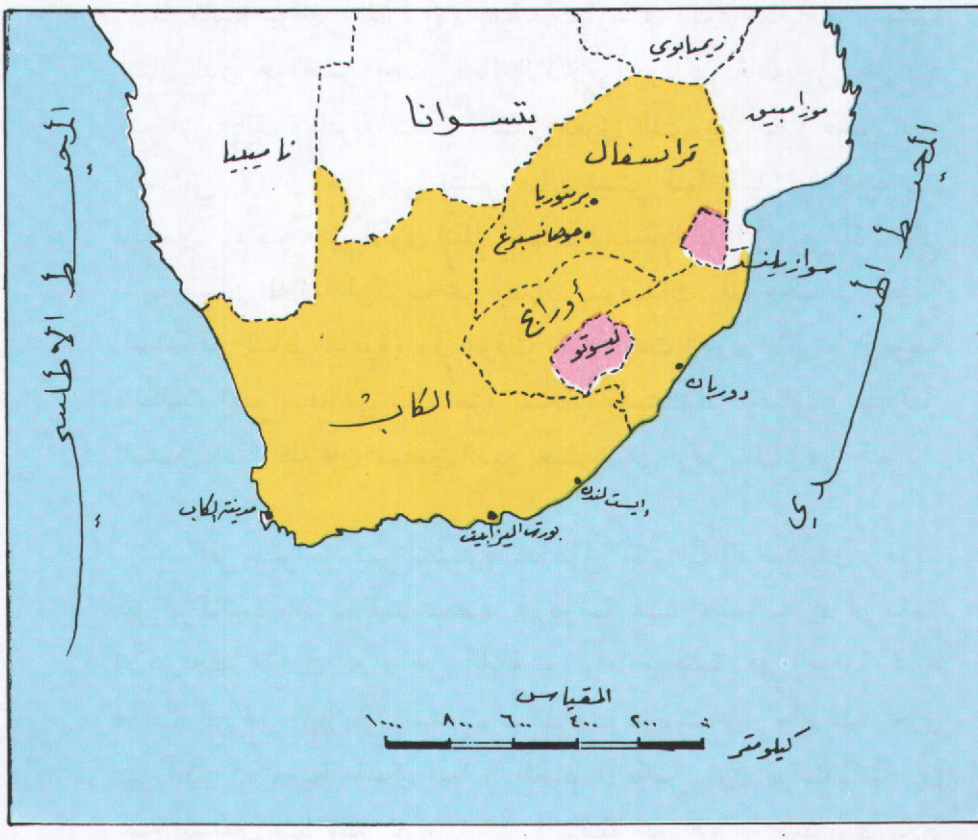
ويُعاني المسلمون في اتحاد جنوبي إفريقية الاضطهاد الذي تقوم به الحكومة العنصرية والتي تعدّ المسلمين خطراً عظيماً عليهم يفوق خطر الشيوعية والسود ـ حسب رأيهم ـ.

ويُعاني المسلمون أيضاً خطر أتباع القاديانية والبهائية الذين يدّعون أحياناً الإسلام فيُعطون بذلك فكرة سيئة عن عقيدة المسلمين وفي الوقت نفسه يعملون على تهديم المجتمع الإسلامي من داخله، هذا بالإضافة إلى الدعايات الكثيرة التي يروّجون لها أو يشيعونها هم.

ويُواجه المسلمون نقص المشافي، والمدارس، والمعاهد الفنية، ووسائل الدعاية لرسالة الإسلام، والفرق المختلفة بين صفوفهم، وعدم الصلة مع الدول الإسلامية وخاصة أن معظم الأمصار ليس لها تمثيل سياسي مع دولة جنوبي إفريقية، ويجهد المسلمون هناك للحصول على أساتذة لتدريس اللغة العربية، والقرآن الكريم، والتفسير والحديث.

ويمكن أن نلاحظ أعداد المسلمين في جنوبي إفريقية كما يلي:

١ - زامبيا:	١٠٠,٠٠٠	ونسبتهم		١,٧ ٪	من مجموع السكان.
٢ - زيمبابوي:	٥٠,٠٠٠	ونسبتهم	أقل من	١ ٪	من مجموع السكان.
٣ - سوازيلند:	٢٠,٠٠٠	ونسبتهم		٤ ٪	من مجموع السكان.
٤ - ليسوتو:	٢٥,٠٠٠	ونسبتهم		٢ ٪	من مجموع السكان.
٥ - بتسوانا:	٠٠,٦٠٠	ونسبتهم		——	من مجموع السكان.
٦ - أنغولا:	١,٠٠٠,٠٠٠	ونسبتهم		١٥ ٪	من مجموع السكان.
٧ - ناميبيا:	٢,٥٠٠	ونسبتهم		٠,٥ ٪	من مجموع السكان.
٨ - جنوبي إفريقية:	٦٠٠,٠٠٠	ونسبتهم		٢ ٪	من مجموع السكان.
المجموع	١,٧٩٨,١٠٠				


زيمبابوي
موزامبيق
بتسوانا
ناميبيا
ترانسفال
بريتوريا
جوهانسبرغ
سوازيلند
أورانج
ليسوتو
دوربان
الكاب
مدينة الكاب
بورت اليزابيث
ايست لندن
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
المقياس
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠
كيلومتر

مصور رقم [٣٥] .

هـ ـ الجزر الافريقيّة

لما كانت سواحل القارة الإفريقية انكسارية في أكثر جهاتها إذا استثنينا الشمال الذي هو ضمن أمصار العالم الإسلامي، والذي يقابله جزر غير أنها تتبع أوربا القارة القوية اليوم، والشمال الغربي الذي يقع أيضاً ضمن العالم الإسلامي إلاّ أن الجزر التي تنتشر هناك تعيش فيها أقليات إسلامية لأن المسلمين أيام فتوحاتهم الأولى لتلك الجهات لم يتعدّوا البر الإفريقي إذ لم تكن لديهم السفن الملائمة لركوب بحر الظلمات يومذاك. فلما وجدت السفن المناسبة فتر نشاط الدعوة، وفي الوقت نفسه قويت الدول الأوربية الصليبية فانطلقت تضع يدها على تلك الجزر استعماراً واستعداداً لمحاولة تطويق المسلمين، لهذا كله فإن المسلمين الذين يعيشون على أرض تلك الجزر قلّة.

أما باقي السواحل فهي انكسارية لذا تقلّ الجزر المقابلة لها، وإن وجدت فهي بركانية، وقد تعرّضنا لبعضها في دراسة غينيا الاستوائية إذ أن القسم الأكبر منها يقع في البر والجزر تابعة له، وأما مدغشقر فهي جزيرة كبيرة فصلت عن البر الإفريقي بانهدام وقد تعرّضنا لها لاتساعها. وأما بقية الجزر فهي أكثر في المحيط الهندي منها في المحيط الأطلسي، وفي الوقت نفسه فإن نسبة المسلمين فيها أكبر للتجارة التي لم تنقطع عبر التاريخ بينها وبين بلاد العرب منطقة إشعاع الإسلام، وقد ترتفع نسبة المسلمين حتى لا تدع نسبة

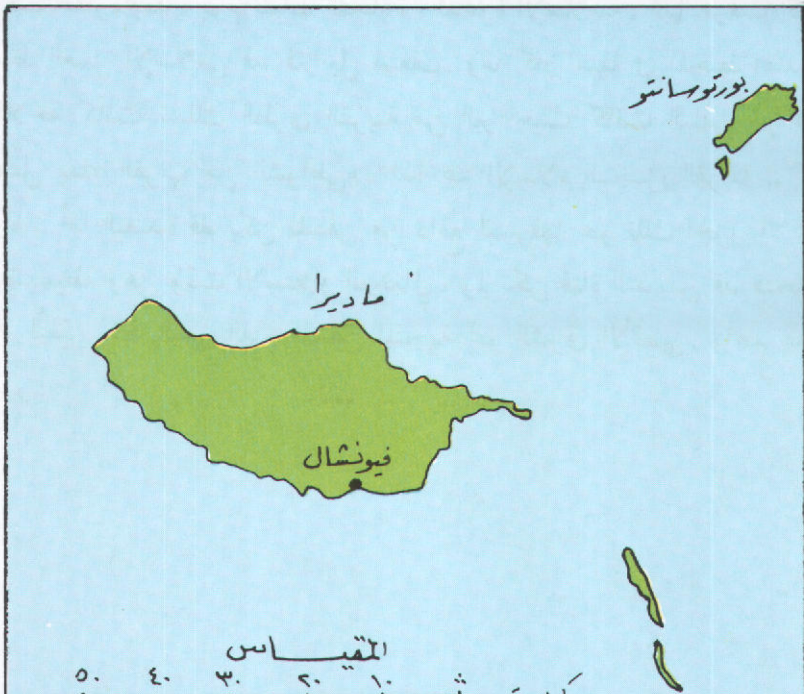
أخرى لغير أتباعه، وبذا تكون ضمن أمصار العالم الإسلامي ومنها (بمبا) و(زنجبار) و(مافيا) وهي تتبع تانزانيا التي هي مصر من العالم الإسلامي، ومنها (جزر القُمُر) التي ترتفع فيها نسبة المسلمين أيضاً إلى ٩٩٪ وتُشكّل دولةً تُعدّ من أمصار العالم الإسلامي. وما عدا ذلك من الجزر فإن أقلياتٍ تُقيم على أرضها لا بدّ من إلقاء نظرةٍ عليها.

تكون أكثر هذه الجزر على شكل مجموعاتٍ صغيرةٍ، ونسبة المسلمين فيها قليلةً، ولعلّ ذلك يعود إلى قلّة سكانها، وضآلة مواردها الأمر الذي يجعل التجار لا يتجهون نحوها، إذ لا يطمعون في خيراتها، والمتاجرة مع أهلها. كما أنها ليست على طرق الملاحة فما كان في المحيط الأطلسي فإنها لا تُشكّل محطّاتٍ للسفن إذ أن التجارة مع أمريكا لم تكن قائمةً حيث لم تكن قد عُرفت القارة بعد، يوم نشاط التجارة والدعوة الإسلامية، فلما عُرفت كان نشاط العمل الإسلامي قد فتر بل ضعف. وما كان منها في المحيط الهندي فالملاحة كانت تسلك الطرق القريبة من البر حيث كانت السفن شراعية تُفضّل بقاء القرب من الشواطىء، لذا عم الإسلام الجزر القريبة ـ كما رأينا ـ أما البعيدة فلم يكن للسفن من دافع ليسوقها نحو تلك الجزر إلا في مدة بسيطة وهي وقت الاستعمار البرتغالي، ولم تكن قناة السويس قد فتحت بعد لتُغيّر خط السير العام للسفن المتجهة نحو الشرق الأقصى. وأهم هذه الجزر:

(١) جزر ماديرا

مجموعة جزر صغيرة أكبرها جزيرة (ماديرا) وهي الرئيسية فيها ، ثم جزيرة (بورتوسانتو) ، تقع قريبة من خط العرض ٣٢° شمالاً على العتبة القارية الإفريقية. تبعد حوالي ٦٠٠ كيلومتر عن الساحل الإفريقي ، وهي تُقابل مدينة صافي المغربية. تبلغ مساحتها ما يبلغ تسعمائة كيلومتراً مربعاً . عاصمتها مدينة (فيونشال) . تخضع للسيطرة البرتغالية .

يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة وخمسين ألفاً يعيش بينهم ما يقرب من خمسة وثلاثين ألفاً من المسلمين ، وبذا تكون نسبتهم حوالي ١٠٪ من مجموع السكان .

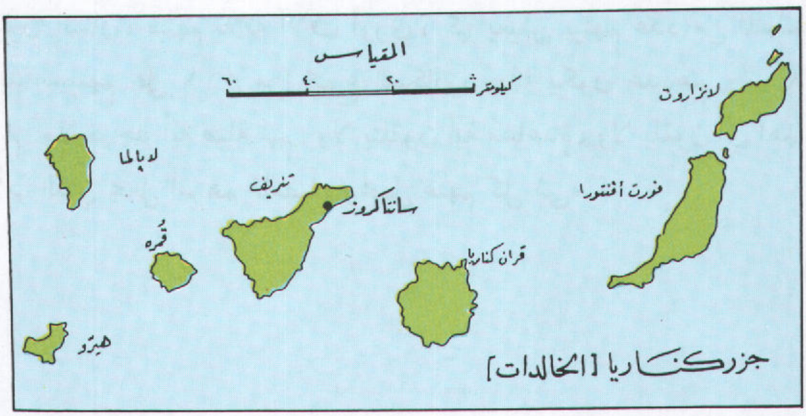


مصور رقم [٣٦] .

(٢) جزر كناريا

وأطلق عليها المسلمون الجزر الخالدات، تقع على العتبة القارية، على خط عرض ٢٨° شمالاً، مقابل ساحل المغرب الجنوبي الذي لا تبعد عنه أكثر من مائةٍ وخمسةٍ وعشرين كيلومتراً، تُقابلها مدينة (طرفايا) المغربية. وتُشكّل مجموعة جزرٍ سبعة منها كبيرة هي: (هيرّو) و(لاپالما) و(قُمَرة) و(تنريف) و(قران كناريا) و(فورت اڤنتورا) و(لانزاروت) إضافةً إلى عددٍ من الجزر الصغيرة. تبلغ مساحتها ٧,٢٧٣ كيلومتراً مربعاً. وتخضع للسيطرة الإسبانية.

يبلغ عدد سكانها ما يزيد على المليون قليلاً، ويعيش بينهم سبعون ألف مسلم، وهو ما يعادل ٧٪ من مجموع السكان.

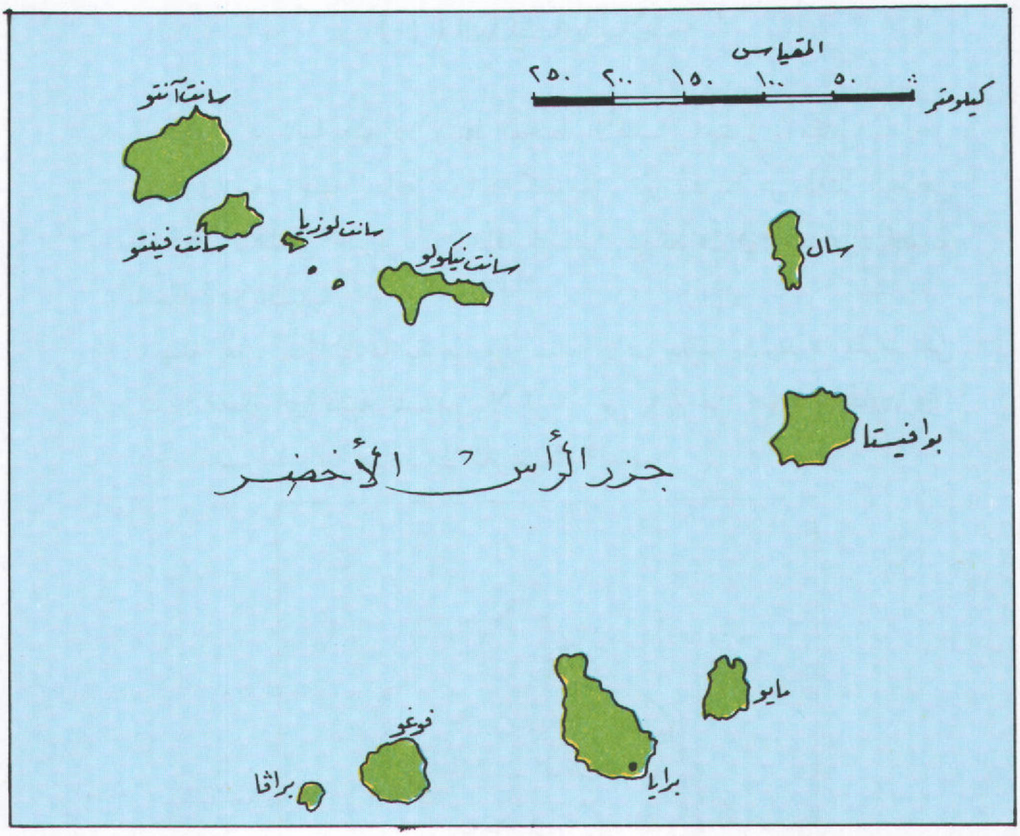


مصور رقم [٣٧].

(٣) جزر الرأس الاخضر

مجموعة جزر تقع مقابل الرأس الأخضر الذي أُقيمت عليه عاصمة السنغال مدينة دكار، وقد حملت اسم ذلك الرأس، وتبعد عنه مسافة ستمائة كيلومتر، وتظهر على العتبة القارية، وهي عشرة جزرٍ كبيرةٍ نسبياً، هي: (براڤا) و(فوغو) و(سانتياغو) و(مايو) و(بوافيستا) و(سال) و(سانت نيكولو) و(سانت لوزيا) و(وسانت فينتو) و(سانت آنتو) هذا إضافةً إلى عددٍ آخر من الجزر الصغيرة، وتبلغ مساحتها كلها ٤٠٣٣ كيلومتراً مربعاً.

تخضع هذا الجزر للسيطرة البرتغالية، عاصمتها مدينة (برايا) التي تقع في جنوبي أكبر الجزر وهي (سانتياغو)، ويبلغ عدد سكانها ما يزيد على ربع مليون إنسان، بينهم ثلاثة آلاف أوربي، كما يعيش بينهم عدد من المسلمين تزيد نسبتهم على ١١٪ من مجموع السكان، وبذا يكون عددهم ٢٨,٠٠٠ مسلم. ولا توجد أيّة صلة بهم، ولا يتلقون أية مُساعدةٍ، ولا يلقون أي اهتمامٍ الأمر الذي يجعل أمرهم غامضاً، ونجهل عنهم كل شيء.



المقياس
كيلومتر
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
سانتا آنتو
سانت فينتو
سانت لوزيا
سانت نيكولو
سال
بوافيستا
جزر الرأس الأخضر
مايو
برايا
فوغو
براڤا

مصور رقم [٣٨] .

(٤) القديسة هيلانة

جزيرة بركانية منفردة وسط المحيط الأطلسي الجنوبي، مقابل سواحل أنغولا، وتبعد عنها مسافة ١٦٠٠ كيلومتر، تبرز قريبةً من العتبة الوسطى للمحيط الأطلسي الجنوبي، أو الحافة الوسطى كما تُعرف في الجغرافيا. تخضع للسيطرة الإنكليزية.

يبلغ عدد سكانها ما يقرب من سبعة آلاف يعيش بينهم ما يقرب من سبعين مسلماً أي نسبة المسلمين لا تزيد على ١٪ من مجموع السكان. ولا توجد معهم أيضاً أية صلةٍ، ولا نعرف شيئاً عنهم.



مصور رقم [٣٩] .

(٥) ريـونـيون

جزيرة بركانية تبلغ مساحتها ٢٥١٠ كيلومترات مربعة تقع إلى الشرق من جزيرة مدغشقر، وتفصلها عنها مسافة ٧٥٠ كيلومتراً.

عرفها المسلمون، وحطّوا على سواحلها دون أن ينزلوا فيها إذ لم تكن مأهولةً بعد. ثم نزل فيها الفرنسيون عام ١٠٢٥ هـ، وأطلقوا عليها (بربوا) اسم أول فرنسي نزل فيها. وعندما جرى القتال بين الفرنسيين والانكليز في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري أيام حروب ناپليون بونابرت انتصر الانكليز في النهاية وجرى الصلح، وتمّ الاتفاق حيث أخذ الانكليز (موريشيوس) و(سيشل) وانسحبوا من (بربوا) حيث رجع إليها الفرنسيون وأطلق عليها اسم (ريونيون).

جلب الفرنسيون إليها العمال من جـزر القُمُـر ومـن بقيـة مستعمـراتهم الإفريقية، وإن كانت غالبية العمال من جزر القُمرُ، وذلك للعمل في مزارع قصب السكر، ثم جاء تجار من الهند وخاصة من منطقة (كوجرات)، كما جاء بعضهم من جنوبي إفريقية، وكان قد ولد هناك.

السكان: يرجع أصل السكان إلى (الكريول) الذين هم مزيج من الهنود والزنوج، كما أقام فيها بعض الأوربيين والجماعات الأخرى الصغيرة القادمة للعمل، ويبلغ عدد السكان ما يزيد على نصف مليون قليلاً.

يدين ٧٥٪ من السكان بالنصرانية، وأكثرهم من الكاثوليك.

و١٥٪ من السكان بالهندوكية، وهم من الهنود.

و١٠٪ من السكان بالإسلام، وهم من الهند، وجزر القُمر، ومجموعاتٍ ثانيةٍ أي أن عدد المسلمين هو ٥٠ ألفاً، ٢٧ ألفاً منهم من الهند، و١٨ ألفاً من جزر القمر، وخمسة آلاف من باقي الجنسيات. ويُقيم أكثر المسلمين في العاصمة سان دينز.

يوجد في جزيرة ريونيون أربعة عشر مسجداً، وقد بني أول مسجد في الجزيرة في مدينة (سان دينز) عام ١٣٤٨ هـ، ويُسمّى (خير المساجد). ويوجد مركز إسلامي، ويُصدر مجلةً دوريةً تُدعى (الإسلام)، وتلحق المركز مدرسة إسلامية.

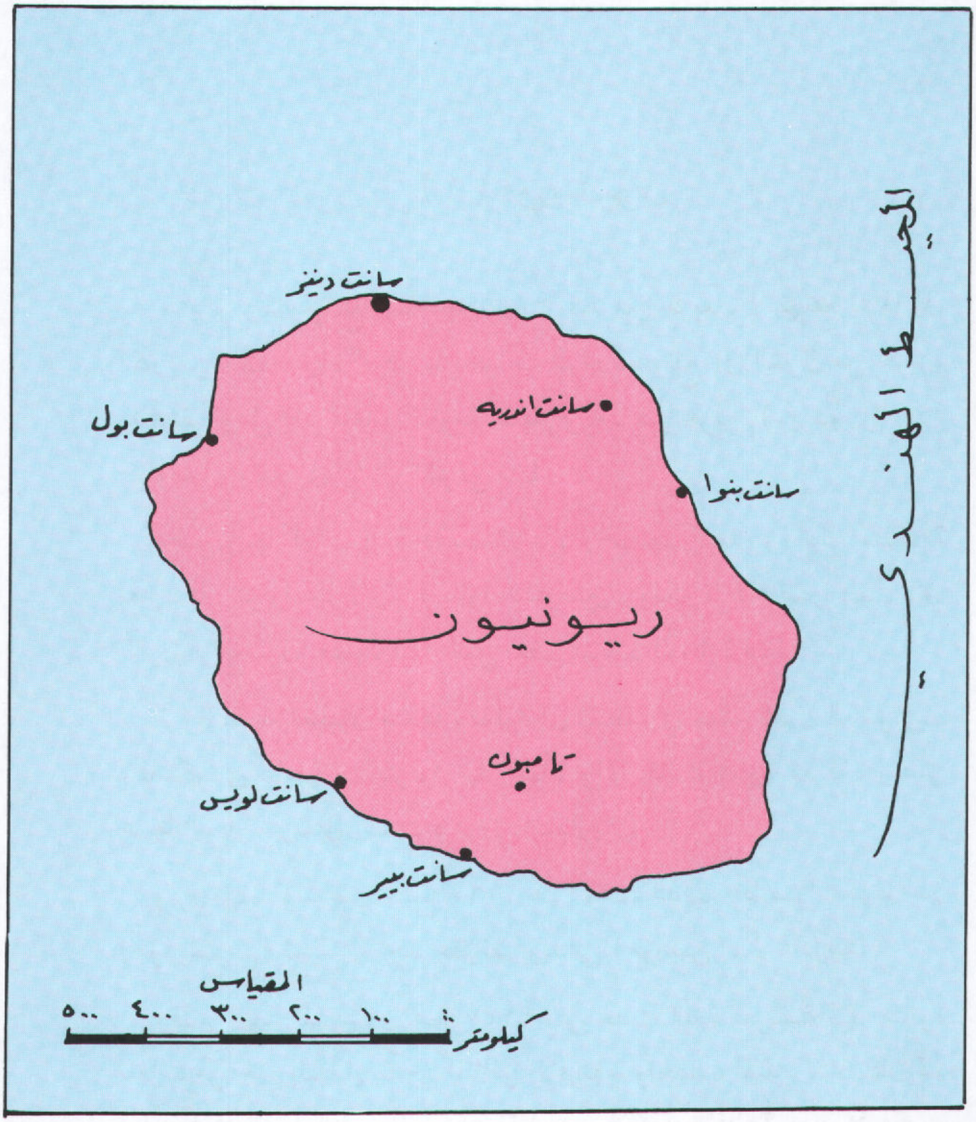
وتوجد إحدى عشرة مدرسة تدرس الدين بلغة (الأوردو).

المدن: أهم المدن العاصمة (سان دينز) وفيها مساجد أشهرها المسجد الرئيسي (نور الإسلام)، ومسجد (خير المساجد)، وفيها المركز الإسلامي لجزر ريونيون.

سانت بيير: وهي المدينة الثانية في الجزيرة، ويبلغ عدد سكانها ٥٠ ألفاً، يعيش بينهم ١٥٠٠ مسلم، وفيها مسجد يُدعى (أطيب المساجد)، وتلحق به مدرسة، وفيها جمعية السنة الإسلامية والجماعة.

سانت بول: وسكانها خمسة عشر ألفاً بينهم ٥٠٠ مسلم، وفيها مسجد (رونق الإسلام) وتلحق به مدرسة.

وسانت لويس: وفيها مسجد صغير. **وتامبون:** ويعيش فيها مائة وخمسون مسلماً، ولهم مسجد (نور مسجد)، كما توجد مساجد في كل من سانت بنوا، وسانت اندريه.


المحيط الهندي
سانت دينيز
سانت اندريه
سانت بول
سانت بنوا
ريونيون
تامبون
سانت لويس
سانت بيير
المقياس
٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠
كيلومتر

مصور رقم [٤٠] .

(٦) موريشيوس

جزيرة بركانية تبلغ مساحتها ٢٠٤٥ كيلومتراً مربعاً، لا ترتفع تلالها إلى أكثر من ٨٨٠ متراً، تحيط بها الحواجز المرجانية. تقع إلى الشرق من جزيرة مدغشقر وعلى بُعد ثمانمائة كيلومتر منها. وتبعد عن جزيرة (ريونيون) ٢٥٠ كيلومتراً، وتقع إلى الشمال الشرقي منها.

وصل إليها العرب، إذ دفعت الأعاصير سفنهم إليها، ولم تكن مسكونةً بعد، فلم ينزلوا بها لأنهم لم يأتوا مستوطنين، ولكثرة الأعاصير فيها، وفي القرن الرابع نزل بعضهم فيها لحمل بعض الموارد للتجارة فيها.

ثم زارها البرتغاليون عندما وصلوا إلى المنطقة في مطلع القرن العاشر أيام (فاسكودي غاما) ولم ينزلوا بها أيضاً، وإنما كانت زيارة معرفةٍ، وأطلق عليها البحار البرتغالي اسمه، وهو (داسكارين).

ونزل بها الهولنديون عام ١٠٦٠ هـ، وهم الذين أطلقوا عليها اسم (موريشيوس) نسبة إلى أحد عظمائهم ويدعى (موريس)، ثم غادروها.

وقدم إليها الفرنسيون عام ١١٢٧، ووجدت اللغة الفرنسية فيها متأثرةً بلغات من جاء إليها أيضاً من المناطق الإفريقية والجهات الهندية، إذ كان قد حلّ بها في القرن التاسع أُناسٌ من الملايو، وجماعة من إفريقية، وفئةٌ من الهند، وبقي الاستعمار الفرنسي فيها ما يقرب من قرن من الزمن

(١١٢٧ ـ ١٢٢٥ هـ). وأسسوا فيها مدينة (بورت لويس) التي غدت عاصمة الجزيرة.

وأخذها الانكليز من الفرنسيين عام ١٢٢٥، وتسلّطوا على أهلها، ولكن بقيت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة الانكليزية.

وحصلت البلاد على الاستقلال عام ١٣٨٨ هـ.

السكان: يبلغ عدد سكان الجزيرة ما يزيد على المليون، وتعود أصول أكثرهم إلى (الكريول) الذين هم مزيج من الهنود والإفريقيين، إضافةً إلى عددٍ من الفرنسيين ومجموعة من الهنود ولا تزيد نسبة الجميع على ٦٧٪ من مجموع السكان، حيث توجد مجموعات ثانية صغيرة متفرقة وصلت إلى الجزيرة.

يتحدّث معظم الأهالي اللغة الفرنسية أو المشتقة من الفرنسية، كما أن الهنود يتحدثون لغتهم، ويحرص المسلمون من أية فئةٍ تعلّم العربية، أما اللغة الرسمية فهي الانكليزية.

يدين ٥٠٪ من السكان بالهندوسية مما يدل على كثرة السكان الهنود فيها، و٣٠٪ يدين بالنصرانية، و٢٠٪ يدين بالإسلام، وبذا يُقدّر عدد المسلمين بمائتي ألف مسلم.

كان أول قدوم المسلمين كمجموعات بعد الاستعمار أيام السيطرة الفرنسية إذ جاءت مجموعات من الهند من منطقة (كوجرات)، ومن منطقة (كوشن) وذلك حوالي عام ١١٣٤. وقد بنى المسلمون أول مسجد عام ١٢٢٠ في مدينة بورت لويس، ولما آل حكم الجزيرة إلى الانكليز استقدموا العمال من الهند أيضاً للعمل في مزارع قصب السكر، فكان بعض العمال من المسلمين.

ويُقيم أكثر المسلمين اليوم في العاصمة (بورت لويس)، وتعدّ مدينةً إسلاميةً إذ تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٦٠ ٪، وفيها خمسة عشر مسجداً.

المساجد: يوجد في الجزيرة أكثر من مائة مسجد، وأكبرها الجامع الكبير في بورت لويس، ويُعرف باسم (مركزي مسجد) أي المسجد المركزي، ومسجد المدينة المنورة (مدينة مسجد) في العاصمة أيضاً، وتلحق بكل مسجد من مساجد الجزيرة مدرسة تعلم الطلاب مبادىء الإسلام، والقرآن الكريم، ومبادىء اللغة العربية، وهي على شكل كتاتيب.

المدارس: إن أكثر طلاب المدارس من أبناء المسلمين على الرغم من قلة نسبتهم، فهم يحرصون على العلم أكثر من غيرهم، وإضافةً إلى الكتاتيب التي تحدّثنا عنها ـ يوجد للمسلمين مدارس خاصة بهم ومنها:

١ ـ كلية الثقافة الإسلامية، وتأسست عام ١٣٧٤، وتبلغ نسبة الطلاب المسلمين فيها ٩٢ ٪، وتُدرِّس الثقافة الإسلامية ساعة واحدة على مدى سنوات الدراسة كلها، وهي بمستوى الثانوي.

٢ ـ مدرسة إمداد الإسلام.

٣ ـ مدرسة الفتيات المسلمات.

٤ ـ مدرسة دارون فلال، وتأسّست عام ١٣٧٣، ولا يؤلف الطلاب المسلمون فيها سوى ٢٠ ٪ من مجموع الطلاب، وتُدرِّس اللغة العربية والشريعة الإسلامية رغم حرصها على تعلّمها، مما يؤدي عملياً إلى إهمالها لضعف نسبة المسلمين؟.

٥ ـ المدرسة الإسلامية العالية، ويَؤلّف الطلاب المسلمون ٩٥ ٪ من مجموع الطلاب وقد تأسست عام ١٣٧٥ هـ.

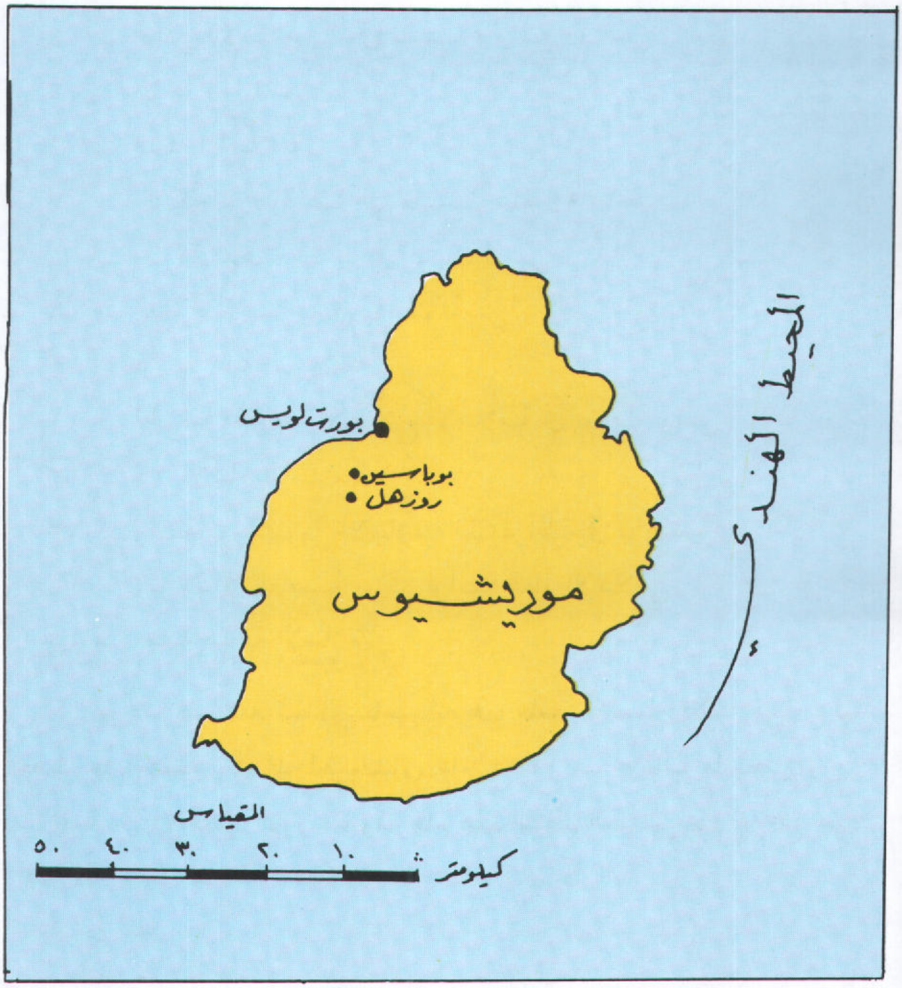
كما توجد للمسلمين ثلاث مدارس ابتدائية، ومدرسة متوسطة واحدة خاصة بهم. ولا تجد هذه المدارس حاجتها من مدرسي اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

الصحافة: يصدر المسلمون جريدة (ستار) .

المنظمات: توجد عدّة مؤسسات للمسلمين منها :

١ ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
٢ ـ المركز الإسلامي .
٣ ـ حركة الطلاب المسلمين .
٤ ـ النادي الإسلامي الذي تأسس عام ١٣٧٦ هـ .
٥ ـ الإخوان المسلمون .
٦ ـ البعثة الإسلامية .
٧ ـ حركة المرأة المسلمة التي تأسّست عام ١٣٩٤ هـ .
٨ ـ حركة الدعوة العربية في بورت لويس .
٩ ـ الدائرة الإسلامية في بورت لويس .
١٠ ـ دار الرعاية الإسلامية .
١١ ـ الجمعية الخيرية والإصلاح الإسلامية في بورت لويس .
١٢ ـ دار الأيتام الإسلامية .
١٣ ـ رابطة موريشيوس الإسلامية الديمقراطية في بوباسين .
١٤ ـ ويوجد في العاصمة مركز لرابطة العالم الإسلامي .
١٥ ـ جمعية هداية الإسلام .

كما يوجد لهم شبه تنظيم سياسي يعرف باسم « العمل الإسلامي » وقد حصل على مقعدين في المجلس النيابي عام ١٣٩٤ هـ . وغالباً ما يُختار وزير من المسلمين في مجلس الوزراء ، وقد قام هذا التنظيم السياسي عام ١٣٧٨ هـ .



المحيط الهندي
بورت لويس
بوباسين
روزهل
موريشيوس
المقياس
٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠
كيلومتر

مصور رقم [٤١] .

(٧) جزر سيشل

مجموعة جزرٍ تبلغ مساحتها ثلاثمائة كيلومتر مربع، أكبرها جزيرة (ماهي) التي يبلغ طولها تسعة وعشرون كيلومتر، ومتوسط عرضها حوالي عشرة كيلومترات، ويُضاف إلى هذه الجزيرة اثنتان وتسعون جزيرة صغيرة، أشهرها جزيرة الطير ذات الحياة الطبيعية، وسكانها لا يزيدون على العشرات، وتبعد مائة كيلومتر عن عاصمة البلاد (فيكتوريا). وتقع البلاد شمال شرقي جزيرة مدغشقر، وتبعد عنها ١٢٠٠ كيلومتر.

يعود سكانها إلى خليط من زنوج البانتو والحاميين، ويُعرفون بالكريول التي تعني أصلاً المختلط.

الاستعمار: وصل الفرنسيون في القرن الحادي عشر الهجري إلى جزر سيشل، وقد فرضوا لغتهم التي دخلها بعض لهجات السكان الأصليين حتى عُرفت أيضاً بالكريول أي الخليط. وبقي الفرنسيون في الجزر ما يقرب من قرنين، ثم حلّ الإنكليز محلّهم بعد انتصار الانكليز على الفرنسيين في حروب نابليون، وجرت بعد ذلك اتفاقات انتهت بدخول الانكليز إلى سيشل وخروج الفرنسيين منها، ورغم مجيء الانكليز إلا أنّ اللغة الفرنسية المحرفة قد دخلتها بعض الكلمات الانكليزية، ويُسمّى السكان لغتهم بـ (سيشليانو) أي ينسبونها إلى الأرض التي يُقيمون عليها.

وبقيت جزر سيشل تحت السيطرة الانكليزية حتى نالت استقلالها عام ١٣٩٦ هـ.

المسلمون: جاءت أول جماعة من المسلمين إلى جزيرة سيشل في القرن الثالث عشر الهجري، وكانت من الملايو، وقد مات بعضهم ورجع الآخرون،وقد خلّفوا مقبرة هي القائمة الآن، والتي يدفن المسلمون فيها موتاهم اليوم.

ثم جاءت جماعة أخرى من الهند من منطقة كوجرات، واستقرّت في سيشل. ولا يزيد عدد المسلمين اليوم على عدة مئات ولم تصل نسبتهم إلى ١٪، وأكثرهم من الذين جاءوا مسلمين، وقليل منهم من أسلم من أهل البلاد.

يوجد في العاصمة (فيكتوريا) مركز إسلامي تأسّس عام ١٣٩٨، ويصدر مجلة (اقرأ) باللغة الإنكليزية. وتلحق بالمركز مدرسة صغيرة على شكل كتاتيب تُدرّس ساعةً واحدةً يومياً، وتُعلّم مبادىء الإسلام وشيئاً من العربية.

لا يوجد في البلاد أية سفارة لمصر إسلامي سوى سفارة ليبيا.

ويبلغ عدد سكان البلاد كلها سبعين ألفاً، خمسون منهم يُقيم في العاصمة (فيكتوريا) وباقي جزيرة ماهي، ويتوزّع الباقي في الجزر الأخرى.

(٨) جزر الدبرا

مجموعة جزر تقع شمال جزيرة مدغشقر، تبعد عنها مسافة ٣٠٠ كيلومتر وتخضع للسيطرة الإنكليزية. يسكنها ما يقرب من خمسين ألفاً، ويعيش بينهم ألف مسلم، فتكون نسبة المسلمين حوالي ٢٪ من مجموع السكان. وهكذا نلاحظ أعداد المسلمين في الجزر الإفريقية كما يأتي:

١ - جزر ماديرا وعدد المسلمين فيها ٣٥,٠٠٠ ونسبتهم ١٠٪ من مجموع السكان.

٢ - جزر الخالدات وعدد المسلمين فيها ٧٠,٠٠٠ ونسبتهم ٧٪ من مجموع السكان.

٣ - جزر الرأس الأخضر وعدد المسلمين فيها ٢٨,٠٠٠ ونسبتهم ١١٪ من مجموع السكان.

٤ - القديسة هيلانة وعدد المسلمين فيها ٧٠ ونسبتهم ١٪ من مجموع السكان.

٥ - جزيرة ريونيون وعدد المسلمين فيها ٥٠,٠٠٠ ونسبتهم ١٠٪ من مجموع السكان.

٦ - جزيرة موريشيوس وعدد المسلمين فيها ٢٠٠,٠٠٠ ونسبتهم ٢٠٪ من مجموع السكان.

٧ ـ جزر سيشل وعدد المسلمين فيها ٣٥٠ ونسبتهم ٠,٥ ٪ من مجموع السكان.

٨ ـ جزر الدبرا وعدد المسلمين فيها ١,٠٠٠ ونسبتهم ٢ ٪ من مجموع السكان.

المجموع ٣٧٤,٤٢٠

ونلاحظ في دول الأقليات في القارة الافريقية عامة:

المنطقة	عدد الدول	عدد المسلمين
شرقي إفريقية	٥	١٨,٣٧٥,٠٠٠
غربي إفريقية	٤	٥,٥٧٠,٠٠٠
وسط إفريقية	٤	٤,٤٠٠,٠٠٠
جنوبي إفريقية	٨	١,٧٩٨,١٠٠
الجزر الإفريقية	٨	٣٧٤,٤٢٠
	٢٩	٣٠,٥١٧,٥٢٠

نحن والأقليات في افريقية

إن شأن الأقليات المسلمة في إفريقية شأنها في آسيا من حيث عدم معرفة إخوانهم المسلمين لهم، والإهمال الذين يلقونه بل ربما يزيد الأمر كثيراً في إفريقية، وتأتي هذه الزيادة من أن المسلمين في أيام قوتهم لم يحكموا جزءاً واحداً من هذه المناطق التي توجد فيها الأقليات، وإنما انتقل إليها الإسلام وأتباعه في مرحلة من الضعف، فعندها انتقل الضعف أيضاً إلى الإمارات التي قامت في شرقي إفريقية مثل إمارة الزنج التي كانت حاضرتها مدينة (كلوة) في جنوبي تانزانيا اليوم، والإمارات الثانية التي قامت في بعض الجزر في شرقي إفريقية. وجاء الاستعمار الصليبي البرتغالي ووجدها ضعيفةً فتمكن من بسط نفوذه عليها بل سار في طريقةٍ صليبيةٍ هي التدمير والتحطيم ومحاربة المسلمين، وإعطاء الإرساليات التنصيرية حق الإشراف على التعليم فانكفأ المسلمون على أنفسهم يحاولون تضميد جراحهم لكنها بقيت تنزف إذ لم يكن هناك إسعاف فانصرف كل لشأنه بل لا يستطيع الانصراف لأن الحراب لا تزال تعمل في جسم المسلمين فعاشوا في حالةٍ من المرض ومن الجهل حتى نسوا إخوانهم بل نسوا أنفسهم الأمر الذي جعلهم لا يعرفون شيئاً من أمور دينهم، ولا يعلمون شيئاً عن أحوال إخوانهم، بل لا يستطيعون أن يُفكّروا كيف تمرّ بهم الأيام وهم على حالةٍ بئيسةٍ فانزووا بعيدين عن المجتمع يحرصون على تأمين حياتهم بالشكل الذي يناسب البيئة الجديدة التي يعيشون فيها من جديد، دون علم،

دون معرفة، دون عقيدة.

ولما قامت قوة العُمانيين في شرقي إفريقية أيام اليعاربة وخلفائهم البوسعيديين لم يستطيعوا إحراز تقدّم علميٍ للمسلمين أو نشاطٍ كبيرٍ للدعوة، وإن حصل تقدّم سياسي وتوغّل في قلب إفريقية في النهاية، وانطلق التجار، ومع التجار تقدّمت الدعوة، أما الساحل فلم يحدث شيء سوى ما حدث في زنجبار. والسواحل المقابلة لها من انتشار المذهب الأباضي. ولم تلبث أن جاءت قوى صليبية استعمارية جديدة تمثّلت في فرنسا وانكلترا في البداية ثم تبعتهما ألمانيا وإيطاليا، وإذا كان البرتغاليون قد انتهوا فقد حلّت محلّ قوتهم أربع قوى، وبدأت المطارق تضرب فوق رؤوس المسلمين رغم ما فيهم من مرضٍ وجهلٍ. حتى يئس المسلمون ونسوا أمور دينهم فعلاً وهذا ما رأيناه في مدغشقر، وزامبيا، وزيمبابوي، وأنغولا تماماً. والمسلمون في الأمصار الإسلامية الأخرى لم تكن حالهم بأفضل كثيراً، وكل ما يمتازون به أنهم يعيشون وسط مجتمع أكثريته من المسلمين إن لم نقل غالبية أهله منهم.

هذه حالة المسلمين في شرقي إفريقية حيث الطرق البحرية مفتوحة، ولم تنقطع السفن عنها في يومٍ من الأيام فما بالك في المناطق الداخلية حيث الدروب غير مأمونة ومحفوفة بالخطر من كل جانب من الإنسان ومن الحيوان على حدٍ سواء هذا إن وجدت، وقلما توجد. ويمكن أن نقول: إن الجهل بالأقليات المسلمة يزداد كلما اتجهنا نحو الجنوب ومن ثم نحو الغرب، فتكون أكثر الأقليات نسياناً أو ضياعاً ما كان منها في أنغولا.

وعندما بدأت المواصلات تتحسّن ووسائل الإعلام تتطوّر لم يكن حظ الأقليات المسلمة في إفريقية بأحسن حالاً من إخوانهم الذين يعيشون أقليات في آسيا حيث لم يتجه المسلمون نحوهم فبلادهم ليست منهلاً للعلم كي يغدوا إليها، وليست مركز إشعاعٍ حضاريٍّ ليستنيروا منها، وليست مكان

ترفيه بكل معنى الترفيه لينطلق المترفون والأثرياء إليها ، وليست دولهم من التي تتحكّم بالشعوب أو لها نفوذ بين أمم الأرض حتى تُمثّل بسفارات من الدرجة الأولى ، فإن وجد التمثيل السياسي ، وقلما يوجد ، فهو من الدرجة الثانية أو الثالثة ، وربما أكثر الدول الإسلامية ليس لها سفارات في دول الأقليات الإسلامية في إفريقية .

ومع أن الصراع بين الإسلام والنصرانية إنما هو على الشعوب المتأخرة أو النامية على اصطلاحهم وهي الموجودة في إفريقية وآسيا ولكننا تخلّينا عن الميدان ، وتركناه للنصرانية وإرسالياتها تعمل عملها واتجهنا ـ لما سبق أن ذكرناه ـ إلى أوربا وأمريكا نبني المراكز الإسلامية ونرسل الدعاة وظنّي وإن كان العمل مفيداً نسبياً ومثمراً إلا أنه لا يُعادل شيئاً مما يمكن أن تجنيه المراكز والمؤسسات فيما لو أُقيمت في آسيا وإفريقية وأُنفق عليها النفقات نفسها .

ويزداد جهل المسلمين بالأقليات الإفريقية عن الآسيوية إذ أنه لا يوجد احتكاك بين المسلمين في أمصارهم وبين تلك الأقليات فقد لاحظنا في آسيا أنه قد أصبحت ترد جموع من العمال الآسيويين للعمل في بعض الأمصار وخاصة دول النفط فحدث شيء من الاحتكاك والتعرّف عن أوضاع المسلمين بل إن جماعات من غير المسلمين من هؤلاء العمال قد يدخلون في الإسلام من جديد نتيجة هذا الاحتكاك ، وذلك لأن الشعوب الآسيوية أكثر خبرةً وأكثر تطوّراً ونشاطاً ، أما الإفريقيون فلا يزالون في المرحلة الأولى من التطوّر ، مع العلم أن الآسيويين ليسوا أولئك المهرة وإنما الأمور نسبية . إننا لاحظنا جموعاً من الفيليبين ، وكوريا ، وتايلاند ، والهند تتجه للعمل في دول النفط من الأمصار الإسلامية ، ولا نجد هذا في دول إفريقية .

ولو تعرّضنا لمجالات أخرى لوجدنا حواجز أخرى تحول دون الاحتكاك منها المُناخ ، ومنها درجة التطوّر ، ومنها عدم الجمال ، فليس في إفريقية المراكز

القائمة في مانيلا، وبانكوك، وسنغافورة... ومع المفاسد القائمة التي تُعطي صورة مُشوّهة عن المسلمين إلا أنه أحياناً ينشأ مجال للتوبة والعمل الصالح أو لدخول بعض الجماعات في الإسلام.

ولا أقول إنه لا توجد هناك اهتمامات بالأقليات المسلمة في إفريقية، فقد توجد، ولكن لا تُؤدّي الغرض المطلوب أو هي دون المستوى اللازم للمهمة المناطة فقد ترسل بعض الدول بعثات للدعوة أو تكون للتمثيل السياسي، ولكن مع الأسف لا تُعطي إلا صورةً مُشوّهةً عن المسلمين، فبعثات الدعوة تعمل بالسياسة ورجال السلك السياسي يقومون بأعمال دون ذلك. وبالمقابل هناك أعمال إيجابية نسبياً فرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة تعمل على إنشاء مراكز إسلامية في دول الأقليات خاصةً وفي الأمصار أيضاً في سبيل توجيه المسلمين ولكن هذه المراكز لا تملك عادة الإمكانات الكافية التي يمكن مقارنتها مع أضعف إمكانات الإرساليات التنصيرية، ومع ذلك تُؤدّي بعض الواجبات، كما تقوم دائرة الافتاء والإرشاد والبحوث الإسلامية بإرسال الدعاة وغالباً ما يكونون على درجةٍ جديدةٍ من الصلاح ـ هكذا نظنّ ـ ولكن العدد قليل جداً لا يُغطي جزءاً من العمل فما هو أثر داعية في دولةٍ واسعةٍ!! وليس لديهم أيضاً المؤهلات اللازمة للعمل المناط بهم. كما تقوم هذه الدائرة بإرسال الكتب الإسلامية ولكن من غير تخطيط ودراسةٍ منهجيةٍ للكتب المرسلة، فقد تكون مفيدةً جداً غير أنها لا تصلحُ للمبتدئين أو لأهل تلك البلدان ذات الثقافة الإسلامية المحدودة.

إن الأقليات المسلمة في إفريقية بحاجة إلى مدّهم بالأساتذة للدراسات الإسلامية والعلوم العربية، وبحاجة إلى الكتب النافعة الإسلامية والثقافية، وبحاجة إلى دُعاةٍ مؤهلين يتمثّلون الإسلام بسلوكهم وأقوالهم، وبحاجة إلى مراكز للتوجيه على أن تضمّ مكتباتٍ ومستوصفات، وبحاجةٍ إلى مساعداتٍ ماديةٍ، وتمثيلٍ سياسي مع دولهم على أن يكون رجال السلك السياسي من

أصحاب الثقافة الإسلامية... إننا إذا قمنا بهذا نستطيع أن نقف في وجه الإرساليات التنصيرية، بل ستنسحب من الميدان، وتتخلّى عنه مقهورةً أمام المدّ الإسلامي الذي سيجتاح القارة ـ بإذن الله ـ.

إن الأقليات المسلمة في إفريقية تتوزّع في تسعٍ وعشرين وحدةً، أربع وعشرون منها مستقل، ومع هذا الاستقلال فإن المسلمين في ضياع يكاد يكون تاماً، وليس بين هذه الدول سوى دولةٍ شيوعيةٍ واحدةٍ هي أنغولا، التي ربما يكون ذلك سبباً في تعليل تقصيرنا، وما هو بسبب. حتى لنستطيع أن نقول: إن المسلمين في نصف الكرة الجنوبي في القارة الإفريقية في ضياع، وإن اهتمام إخوانهم بهم ضئيل. وأما الوحدات الخمسة غير المستقلة وهي جزر، أربع منها في غربي إفريقية، وهو كناريا (الخالدات) تحت السيطرة الإسبانية، وجزر ماديرا وجزر الرأس الأخضر تحت النفوذ البرتغالي، والقديسة هيلانة تحت النفوذ الإنكليزي وهذه الأجزاء في غاية الاهمال والضياع، ويشبه وضع المسلمين فيها وضعهم في أنغولا، وربما نُعلّل هذا الضياع بسبب العنت الاستعماري والتسلط الصليبي غير أن هذا لا يعفينا من المهمة الملقاة على عاتقنا، فالصليبيون يتصرّفون من منطلق عقيدي ومصلحي، ونحن لا نعرف الانطلاق. وأما المستعمرة الخامسة وهي التي تقع في شرقي إفريقية في المحيط الهندي فهي جزر الدبرا التي تخضع للسيطرة الإنكليزية، فشأن المسلمين فيها كشأن إخوانهم في غيرها.

ونُلاحظ أن المناطق التي تقع في إفريقية شمال خط الاستواء تزيد فيها نسبة المسلمين على ٢٥٪، أما المناطق التي جنوب خط الاستواء فتنخفض مباشرة إلى ما دون عشر إذا استثنينا شرقي إفريقية بسبب التجارة التي كانت قائمة والإمارات التي نشأت في المنطقة، وبوروندي التي كانت جزءاً من تانزانيا التي تعدّ من بين أمصار العالم الإسلامي. وأما الجزر التي تقع شمال خط الاستواء في المحيط الأطلس غرب القارة الإفريقية فإن النسبة فيها منخفضة

أيضاً لانفصالها عن البر الافريقي، وعدم انتقال التجار إليها لقلة سكانها، وضعف الملاحة عند المسلمين في غربي إفريقية، كما أنه في وقت القوة الإسلامية لم تكن أمريكا قد عُرفت على نطاقٍ واسعٍ لتكون هذه الجزر محطاتٍ تجاريةً، فلما عرفت وازداد سكانها كانت قوة المسلمين قد أفلت.

وقلت: إن أمريكا لم تكن معروفةً على نطاقٍ واسعٍ لأن المسلمين كانوا قد وصلوا إليها واستقرّ بعضهم فيها، ولكن لم تكن على تلك الأهمية لقلّة السكان الذين يُقيمون فيها ممن أُطلق عليهم اسم (الهنود الحمر)[١].

من دلائل الإهمال الإسلامي للأقليات في إفريقية أن كل الدول التي تحكمها الأقلية النصرانية لا نعرف نسبة المسلمين فيها بشكلٍ صحيحٍ بل قريبٍ من الصحة، وبناءً عليه نعدها دولاً غير مسلمة ومنها: سيراليون، وساحل العام، والتوغو، وبنين، وإفريقية الوسطى، وتانزانيا، والحبشة. وتزداد عدم المعرفة فنخرج فولتا العليا، وغينيا ـ بيسارو ـ والكاميرون من دائرة أمصار العالم الإسلامي وذلك لعدم معرفتنا أي شيءٍ عن هذه الأمصار فجهلنا لها يجعلنا نستبعد أن تكون ضمن العالم الإسلامي.

ويختلف من يتعرّض لمثل هذه الموضوعات ـ وقلّما أن يُتعرّض لها ـ في تعريف المصر الإسلامي، فيرى بعضهم أنها الدول التي انضمّت إلى منظمة المؤتمر الإسلامي لذا فإنه يُدخل الغابون، وأوغندا ضمن أمصار العالم الإسلامي ويخرج من دائرة العالم الإسلامي دولاً أبعدتها السياسة ودولاً نأى بها حكامها من النصارى، وبذا يكون قد نظر إلى الحكام وأهمل الشعوب، والمستعمرون الصليبيون كثيراً ما سلّموا مناصب الحكم إلى أبناء عقيدتهم من النصارى قبل أن يخرجوا من البلاد. وبعضهم من لا يقبل إلا الاحصاءات التي تُقدّمها

(١) انظر الكشوف الجغرافية حقيقتها ودوافعها ـ للمؤلف.

الأمم المتحدة، وما هي إلا إحصاءات الدولة بالذات فيكون قد وقع في الغلط الأول، لذا فإنا نعتمد تقديرات المسلمين ونأخذ الشعوب ونُغفل الذين سلطـوا على البلاد والعبـاد. ولا تـوجـد دول مختلـف في انتمائهـا إلى العـالم الإسلامي إلا في القارة الإفريقية، مع خلافٍ أيضاً عن الأمصار التي تخضع للسيطرة الشيوعية الروسية والصينية.

الأقليّات المُسْلِمَة
في
قَارة أُوروبا

اتجه المسلمون نحو أوربا فاتحين في مراحل متعددةٍ من التاريخ، كما اتجهوا مهاجرين واستقرّوا فيها. لقد ساروا إليها من الجنوب الغربي، كما انطلقوا من الجنوب، ومن الجنوب الشرقي، ومن الشرق.

لقد توجّه المسلمون من الجنوب الغربي ففتحوا الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري، واستقرّوا هناك، ودعوا إلى دينهم فانتشر، وخيّمت حضارتهم على ربوع الأندلس عدّة قرون وكانت مركز إشعاع يُقبل إليها طلاب العلم من أوربا ينهلون من المعارف. ومن الأندلس اتجه المسلمون نحو فرنسا فأخذوا أكثر من نصفها الجنوبي، واستوطنوا في الجنوب أكثر من نصف قرن، وكانت مدن ذلك الجزء في تلك المرحلة من التاريخ مَعْلَماً من معالم الحضارة، وربما برز اسم مدينة « مونبليه » بين أسماء ما جاورها من المدن لكثرة من جاءها من روّاد العلم. ثم نزل المسلمون في جنوب شرقي فرنسا عام ٢٨٥ للهجرة، ووصلوا إلى شمالي ايطاليا وإلى سويسرا، واستمر كيانهم هناك حتى عام ٣٦٥ هـ.

وتوجّه المسلمون فاتحين لجنوب أوربا ففتحوا مالطة عام ٢٥٦، كما كانوا قد فتحوا (قوصرة)[1] وصقلية، وسردينيا، وكورسيكا، وجزر البالئار،

---

(١) تسمى اليوم بانتيليرا.

وجنوبي ايطاليا، وجزيرة كريت، واستقرّ المسلمون في هذه المناطق مدةً من الزمن، وبلّغوا دينهم ونشروا حضارتهم حتى جاء الغزو الصليبي.

أما من جهة الجنوب الشرقي فقد غزا المسلمون القسطنطينية بإمرة يزيد ابن مُعاوية بن أبي سفيان عام ٥٠ هـ، وتأخر فتحها لأسبابٍ كثيرةٍ، وتوقّف الفتح في هذه الجهة عدة قرون حتى قامت الدولة العثمانية وتقدّمت في أوربا من ناحية الجنوب الشرقي، وامتدّت فتوحاتها هناك، واستقرّ بعض العثمانيين في تلك الجهات، كما أسلم بعض سكان المنطقة، فظهر الكيان الإسلامي من جديدٍ في أوربا بعد أن كاد يندثر، واستمّر التقدّم حتى جاء الغزو الصليبي فقضى على هذا الكيان ولم يبق منه إلا القليل.

واعتنقت الإسلام جماعات في شرقي أوربا عُرفت باسم (البُلغار) كما عرفت بذلك حاضرتها، وهي في موقع مدينة (قازان) اليوم. اعتنقت هذه الجماعات الإسلام في وقتٍ مُبكّرٍ عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يفدون إلى تلك المناطق، ويتاجرون بالفراء وكافة السلع التي يحصلون عليها من البلاد الشمالية، وقد طلب البُلغار من الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يرسل إليهم من يفقههم في الدين، فأرسل إليهم وفداً معه قائده أحمد بن عباس (ابن فضلان)، وذلك عام ٢٩٥ هـ، وقد دخلت جماعات كثيرة منهم في الإسلام، ولكن لم تمض مدة حتى تحرّكت قبائلهم نحو الغرب والجنوب الغربي، واستقرّت في جنوب شرقي أوربا منهم المسلمون، ومنهم الذين تأثّروا بالإسلام، ومنهم غير المسلمين، ومن هذه القبائل البُلغار الذين سكنوا المنطقة التي أخذت اسمهم وهي (بلغاريا)، وقبائل (الباشغرد) الذين أقاموا في المجر، وهم من المسلمين، ولا تزال جماعات منهم في مواطنهم الأصلية في حوض نهر الفولغا وجبال الأورال، ويُعرفون بالاسم نفسه (الباشغرد) أو (الباشكير)، ولهم جمهورية خاصة بهم اليوم[1]. ومنها قبائل

---

(١) انظر الجزء السابق من هذه الموسوعة، وهو الجزء الحادي والعشرون «المسلمون في الامبراطورية الروسية».

البوشناق (البوسنة) التي تُقيم في يوغوسلافيا اليوم، وتُعرف منطقتها باسمها (البوسنة والهرسك)، ومنها قبائل الكومان التي أقامت في منطقة ألبانيا اليوم، وكان لها تأثير كبير على النصارى حتى نشأت كنيسة خاصة عُرفت باسم كنيسة (البوجوميل) التي تحمل اسم الطائفة الخاصة بها، ويظهر على هذه الكنيسة الأثر الإسلامي واضحاً. غير أن أكثر هذه القبائل قد زال عنها الأثر الإسلامي لأنها لم تكن من قبل قد تمكنت به، ولانقطاع صلتها مع إخوانها المسلمين في بقية الأمصار.

وجاء الإسلام إلى أوربا من جهة الشرق أيضاً، فعندما دخل المغول أوربا واجتاحوا روسيا وبعض جهات أوربا الشرقية (٦٣٣ - ٦٣٥ هـ)، وجعلوا منها مقاطعةً مغولية، ولكن لم تلبث أن أسلمت هذه القبائل، فكان حوض نهر الفولغا، وجبال الأورال، وشبه جزيرة القرم والأجزاء الشمالية منها ذات أكثريةٍ مسلمةٍ إضافةً إلى تجمّعات أُخرى في المدن الكبرى أمثال موسكو وكييف وغيرها، وكانت للمغول دولة كبرى مقرها (ساراي) على نهر الفولغا هي مكان (ساراتوف) اليوم[١].

ومع الغزو الصليبي الذي قام مع نهاية القرن التاسع الهجري طُرد المسلمون من الأندلس، وقامت محاكم التفتيش، فأُبيد جميع من طالتهم أيدي الصليبيين، ونجا من تمكّن من الفرار، وهناك من أعلن اعتناق للنصرانية خوفاً وجزعاً أو تقية وانتظاراً، وبذا فقد خلا جنوب غربي أوربا من أي أثرٍ للإسلام. وكان قد سبق هذا إبادة المسلمين أيضاً في جنوب أوربا من جزر صقلية، والبالئار، وشرّدوا من جزر سردينيا وكورسيكا، وكذلك من جنوبي ايطاليا، ومن جزيرة قوصرة، وجزيرة كريت ولم يبق سوى أثر في جزيرة مالطة إن تجاوزنا بعض الشيء.

---

(١) انظر الجزء السابق من هذه الموسوعة، وهو الجزء الحادي والعشرون «المسلمون في الامبراطورية الروسية».

ومع الغزو الصليبي نفسه ومع ضعف الدولة العثمانية وتراجعها التدريجي نحو الجنوب الشرقي كان المسلمون يتراجعون، وعندما زالت الخلافة وقضي عليها لم تبق إلا أقليات في جنوب شرقي أوربا، تجمّع بعضهم فكانوا أكثريةً في دولة ألبانيا، فهي دولة مسلمة اليوم بالنسبة العددية والانتماء، وفي مقاطعة البوسنة والهرسك في يوغوسلافيا، ولا يزالون يخضعون لحرب الإبادة في بلغاريا، كما أُبيد منهم من أُبيد في جزيرة كريت، وشُرّد من شرّد، وفرّ الذي استطاع النجاة حتى خلت الجزيرة من أي أثرٍ للإسلام. وبقيت مجموعة أيضاً من المسلمين في كل من اليونان، والمجر، ورومانيا.

أما من ناحية الشرق فقد ثبت التتار رغم الضغط العنيف والحقد الصليبي الشديد، وإن كان قد أُبيد منهم الكثير، وفرّت أعداد حتى سيطر في النهاية الاستعمار الصليبي الإلحادي الروسي الشيوعي فسحق الناس وأذلّهم إلى درجةٍ كبيرةٍ من الذلّ أنستهم عقيدتهم كما أنستهم إياها التربية الإلحادية، وألجأهم إلى كتمانها وإخفائها السيف المصلت دائماً على المسلمين فكل من يتوجّه منهم نحو الإسلام يكون الموت مصيره وبأقصى سرعة.

ومع بداية القرن الرابع عشر الهجري لم يكن في أوربا من أثر للإسلام سوى التتار في أوربا الشرقية وأقليات من المسلمين في جنوب شرقي القارة في يوغوسلافيا، ورومانيا، وبلغاريا، واليونان إضافة إلى دولة ألبانيا ذات الأكثرية المسلمة.

العصر الحديث: بدأ المسلمون يرجعون إلى أوربا حديثاً ولكن ليس على الصورة التي دخلوا فيها أول مرةٍ حيث لم يأتوا في هذه المرة فاتحين، ولم يُقبلوا دُعاةً، ولم يفدوا مؤثرين، وإنما جاءوا عمالاً، وجاءوا فارين من بلدانهم تحت الضغط الذين يحيق بهم، وتحت تأثير المخططات المرسومة لهم ولبلدانهم، وجاءوا طلاباً للعلم ومُتأثّرين في أغلب الأحيان، كما أرسلوا ممثلين سياسيين لدولهم.

سيطرت انكلترا على شبه القارة الهندية عام ١٢٧٤ هـ سيطرة تامة وعدّتها جزءاً منها، أو سمتها من ممتلكات التاج البريطاني فانتقل عدد من الهند للعمل في انكلترا التي تحتاج مثل هذه الأيدي العاملة وخاصةً في الصناعة الناهضة، كما عمل عدد منهم في الجيش أو سيقوا إليه، فخدم بعضهم في انكلترا نفسها ليكون على مقربة من ميدان الأحداث التي كانت تعجّ بها أوربا يومذاك.

وسيطرت فرنسا على الجزائر عام ١٢٤٦ هـ وعدّتها جزءاً من أراضيها، ثم سيطرت على تونس في مطلع القرن الرابع عشر، وعلى المغرب في الثلث الأول من القرن نفسه، وبدأت هجرة عمالية من بلاد المغرب إلى فرنسا، وخاصةً من الجزائر.

واشتدّ الضغط الروسي على التتار ففرّ عدد منهم إلى أوربا الغربية، واستقرّوا فيها، وتبعهم أمثالهم عندما قامت الحركة الشيوعية، وتغلّب الجيش الأحمر على الأمصار الإسلامية في شرقي أوربا والتي تخضع للروس.

وبدأ المسلمون يتجهون إلى العلم فانطلقوا نحو مصدره الذي غدا في أوربا حيث سار عدد من الرجال يطلبون العلم في مختلف فروعه وخاصةً في فرنسا وانكلترا، فبدأت تظهر بعض التجمعات الإسلامية وإن كانت لا تزال على مستوى ضيق ومحدود.

وأخذت الدول الإسلامية تستقل عن المستعمرين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، فكانت تُؤسّس سفارات لها في ديار الغرب، وتبعث بالممثلين السياسيين لها فكانوا وأُسرهم يُقيمون هناك، ويزداد عددهم يوماً بعد يوم مع استقلال دول جديدة.

وبعد الحرب العالمية الثانية سقطت دول أوربا الشرقية تحت السيطرة الشيوعية فهرب كثيرون من المسلمين إلى دول أوربا وخاصةً من اليوغوسلاف والألبان.

وزادت الأزمات السياسية في البلدان الإسلامية، وكان يخرج إثر كل أزمة فوج من المسلمين، ولم يجدوا لهم مكاناً أرحب من دول أوربا ذات الحياد مثل سويسرا والنمسا أو الدول الاسكندينافية، وإن لم تخل دولة في غربي أوربا منهم، إذ هي التي تفتح أبوابها عادةً لمثل هؤلاء الهاربين بينما أبواب دول شرقي أوربا موصدة لا تفتح إلا أمام الشيوعيين والذين تحرّكوا في سبيلها، وهربوا من أجلها.

وجاءت الحكومات العسكرية إلى بعض البلدان الإسلامية، وهي معروفة بالطغيان إلا من رحم، ومعروفة بالدور الذي جاءت من أجله، ومعروفة بأن حكم العقل والمنطق غير وارد، فكثر المُشرّدون المسلمون، وكان الرُّحَّل ينتقلون باستمرار من منطقة إلى أخرى.

وازداد طلب العلم، وكثرت الحاجة إلى الخبرة، وتضاعفت الرغبة في الرحلة سواء أكانت للاطلاع أم إلى النزهة. كل هذا زاد من عدد المسلمين في أوربا، وغدوا جالية كبيرة تُشكّل في كثيرٍ من الدول المجموعة الثانية من حيث العقيدة، وغدت بحاجةٍ إلى بعض المؤسسات لتحافظ على كيانها، أو أنها وجدت نفسها بحاجة إلى هذه المؤسسات مع الزمن ما دامت مستقرّة أو مستمرّة في قدومها وإن تبدّل أعضاؤها، وهذا ما لفت نظر الأوربيين إلى هذه الظاهرة، وشغلت حيزاً من تفكيرهم فيها. وهذا الكيان الإسلامي الجديد لا بدّ من أن يكون له أثره على عقيدة سكان أوربا، حتى صار عدد منهم يُقبل على الإسلام، ومنهم رجال لهم مركزهم العلمي أو السياسي أو الاجتماعي، وبذا نستطيع أن نقول: إن الإسلام بدأ يغزو أوربا من جديد، وسنتحدث عن هذا الغزو حسب الكيانات السياسية القائمة، وإن كانت بعض الاختلافات بين دول أوربا الغربية ودول أوربا الشرقية. وسنتعرّض في كل كيان إلى لمحةٍ خاطفةٍ عن تاريخ الإسلام في هذا الجزء سواء أكان في الماضي أم في العصر الحديث.

أ ـ دول غربي أوربا

لا يقصد بدول غربي أوربا البلدان التي تقع في غربي تلك القارة وإنما يقصد به الدول التي تأخذ بنظام الدول الواقعة في غربي أوربا ، وهو ما يُعرف بالنظام الحر ، أو نظام الغرب ، أو النظام الرأسمالي والذي يقابل نظام دول أوربا الشرقية أو النظام الشيوعي . لذا فإننا سنجد دولاً تقع فعلاً في غربي أوربا وأخرى في وسطها ، وثالثة في الجنوب منها ، ورابعة في الجنوب الشرقي .

يزداد عدد المسلمين في هذه الدول حسب المستعمرات القديمة فنجد الهنود مثلاً يكثرون في انكلترا وأقصد بالهنود سكان شبه القارة الهندية كلها (الهند ـ باكستان ـ بنغالديش ـ سيريلانكا) ويكثر سكان بلاد المغرب في فرنسا ، واسبانيا ، وبصورة عامة يكثر العمال المسلمون القادمون من البلاد الناطقة بالفرنسية والبلدان التي كانت مستعمراتٍ فرنسية في فرنسا ، بينما يكثر العمال المسلمون القادمون من البلدان الناطقة بالإنكليزية في انكلترا .

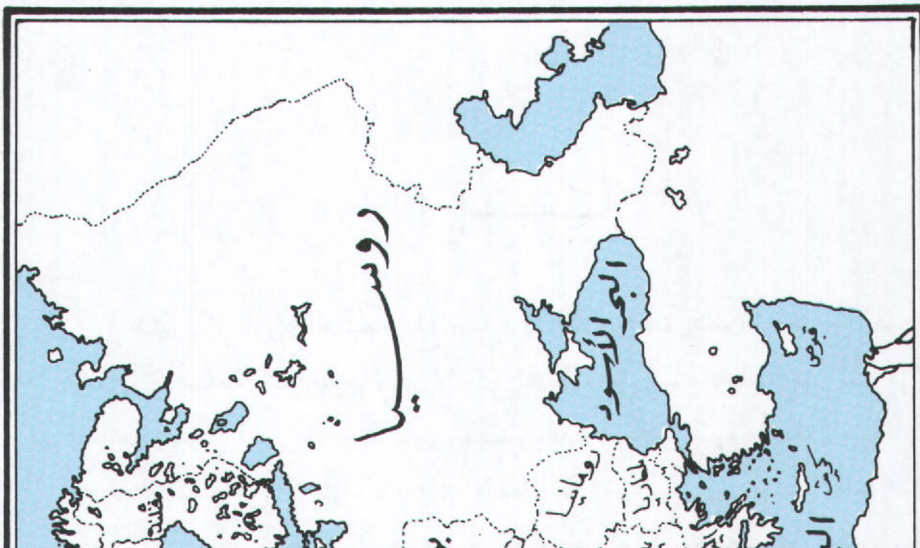
ويزداد عدد المسلمين في هذه الدول حسب التطوّر الصناعي إذ نلاحظ أن الدول الصناعية مثل انكلترا ، وفرنسا ، وبلجيكا وألمانيا و . . . يكثر فيها العمال المسلمون ، وغالباً ما يأتي هؤلاء العمال من الأمصار الإسلامية الفقيرة والكثيرة السكان وفي مقدمتها تركيا ، وبلاد المغرب ، وباكستان ، مع قلة نسبية من أندونيسيا وأخرى من مصر إضافةً إلى الهند حيث تعيش فيها أقلية مسلمة

تزيد على الثمانين مليوناً ، بينما نجد العمال المسلمين أقل من ذلك في البلدان الأقل تطوراً مثل اسبانيا ، وايطاليا ، وسويسرا ، والنمسا ، واليونان.

ويزداد المسلمون في بلدان أوربا الغربية حسب التطوّر العلمي إذ هذا يجعل الطلاب المسلمين الوافدين إليها يأخذون من معارفها التي غدت مشهورة بها مثل انكلترا ، وفرنسا ، وألمانيا.

ويزداد السياسيون والمصطافون في سويسرا بشكل عام ، وربما كانت هذه أكثر من غيرها . ويكثر الأتراك في جنوب شرقي القارة ويعود معظمهم إلى أيام الفتوحات العثمانية حيث استقرّ عدد من الأتراك هناك . ويزداد التتار في فنلندا و . . .

وعلى هذا نجد أكثر المسلمين يتجمّعون في فرنسا ، وانكلترا وألمانيا للتطوّر الصناعي ، والعلمي ، إضافةً إلى أثر الاستعمار حيث توجه سكان المستعمرات إلى بلد المستعمر للعمل والخدمة ، ونجد الأتراك في اليونان. وإذا كان أكثر العمال من تركيا ، والمغرب وباكستان فإن طلاب العلم من مختلف الأمصار الإسلامية ، ولا يقلّ عنهم السياسيون إذ أكثر الأمصار الإسلامية قد تعرّضت لمحن ونكبات ، وحكومات عسكرية ، وإن كان حظ بلاد الشام أكثر من غيرها ، لطبيعة أهلها الحركية وللتركيز عليها من قبل الأعداء ، ودول هذا الجزء هي :



مصور رقم [٤٢] .

(١) إسبانيا

إحدى دول أوربا الواسعة تبلغ مساحتها ٥٠٤,٧٨٢ كيلومتراً مربعاً، فهي تشغل $\frac{٤}{٥}$ مساحة شبه جزيرة ايبريا كما تسيطر على سبتة ومليلة من سواحل المغرب وبعض الجزر القريبة منها. ويُقدّر عدد سكانها اليوم بأربعين مليوناً، واللغة الرسمية هي الإسبانية، وهي بالأصل لغة قشتالة، وفي هذه اللغة ما يقرب من ستة آلاف كلمة عربية، وتوجد لغات محلية منها الكتالانية والجيليقية، وينص دستور البلاد أن ديانة الدولة هي النصرانية الكاثوليكية.

دخل المسلمون البلاد فاتحين عام ٩٢ هـ، واستمرّ المدّ الإسلامي حتى ضعف أهله، وتقاعس حملته فقوي أمر الإسبان، وبدؤوا يتوسّعون من الشمال إلى جهة الجنوب، ورقعة الأرض الإسلامية تتقلّص حتى لم تبق لهم سوى دولة غرناطة التي سقطت أخيراً بأيدي الإسبان عام ٨٩٨ هـ. وبدأت حرب الإبادة ضدّ المسلمين فقتل من قُتل، ومن استطاع الفرار نجا بدينه، ومن لم يستطع النجاة أظهر النصرانية وأسرّ بالإسلام، وحافظ عدد من هؤلاء على دينهم بهذه الصورة، وإن كان التطبيق والسلوك يتناقص باستمرار مع الزمن، وربما ينتهي هذا بعد جيلين أو ثلاثة أجيال على الأكثر غير أن الذي ساعدهم على المحافظة على شيء من الإسلام أنهم كانوا يُؤلّفون جمعياتٍ سرية يُعلّم بعضها بعضاً الإسلام، كما كانوا يُعلّمون أطفالهم شيئاً من أمر دينهم.

كما ألّفوا كتباً باللغة الإسبانية ولكنهم استعملوا الحرف العربي في كتابتها، وهذه الكتب في سيرة رسول الله، ﷺ، وتفسير بعض سور القرآن لتلقينها لأطفالهم ولاستمرار معرفتهم لها، ولا تزال هذه الكتب في المكتبات الإسبانية. ويحاول هؤلاء المسلمون سرّاً الهرب إلى المغرب كلما وجدوا فرصةً مناسبةً لهم. وقد سُمّي هؤلاء المسلمون سراً بـ (الموريسكيون) وتعني المسلمون الصغار.

لم يف النصارى بشروطهم التي تعهدوا بها في معاهدة تسليم غرناطة، وتعهد بها البابا أيضاً، وعاد فرناندو وإيزابيلا بتعهدهما في ٢١ محرم ٨٩٧ هـ ثم أكّداه ثانية عام ٨٩٨ في ربيع الأول. لكن بعد سبع سنوات عاد الملكان فأجبرا المسلمين الذين بقوا في الأندلس على التنصر عام ٩٠٤ هـ، وأجبراهم على الانتقال من مدينة غرناطة إلى ما حولها من القرى والأرياف. ومن رفض التنصر أُبيدوا جميعاً إذ رفضت بعض القرى التنصر مثل (بَلْفِيق) و(أَنْدَرَاش) و(نجر) و(البُشَرّة).

وكان (الموريسكيون) المسلمون سراً يأملون وصول العثمانيين إليهم وإنقاذهم غير أن آخر حملةٍ كانت لمهاجمة الأندلس عام ٩٤٢ هـ بإمرة خير الدين باربروس الوالي العثماني على الجزائر. ورفض بعض المسلمين أيضاً التنصر، وانحازوا إلى جبل (بللنقة)، وأخذوا أموالهم وعائلاتهم، وجاءتهم قوة كبيرة بإمرة صاحب قرطبة فقاتلوهم وجرت بين الطرفين عدة معارك ذكرها بعضهم أنها وصلت إلى ثلاث وعشرين معركة انتصر المسلمون فيها جميعها، وقتلوا من أعدائهم الكثير ومنهم صاحب قرطبة أمير الجيش النصراني، عندئذ سمح لهم الإسبان بالانتقال إلى المغرب مع عائلاتهم وأموالهم وما يمكن حمله من السلاح.

وشعر الإسبان بكتمان الإسلام عند بعض الموريسكيين فأخرجوهم عام ١٠١٧ بعد أن أخذوا منهم أموالهم كلها، وأبناءهم الذين تقلّ أعمارهم عن خمسة أعوام، وخرج يومها حوالي مليونين من الذين يكتمون إسلامهم

وتوزّعوا على الشواطىء المغربية والعثمانية، وغيّروا حينئذٍ أسماءهم النصرانية التي تسمّوها عندما أظهروا النصرانيـة، ورجعـوا إلى أسمائهـم الإسلاميـة التي سمّاهم بها آباؤهم. ومع طرد هذا العدد الكبير من الأندلس لكنه بقيت أعداد أخرى لا نعرف عددها. وكان من يظهر لمحاكم التفتيش أنه يكتم إسلامه تحرقه حيّاً.

عمل الأندلسيون الذين فرّوا إلى المغرب والذين كانوا يكتمون إسلامهم على غزو الأندلس بمساعدة الجزائريين وتأييدٍ من العثمانيين غير أن السلطان السعدي المأمون قد فضح هذا الأمر تقـرّبـاً مـن النصـارى للمنـافسـة على السلطة، وهذا ما جعل الاسبان يقضون على من بقي من الموريسكيين ـ حسب رأيهم ـ وذلك عام ١٠١٩ هـ، وهذا أيضاً ما أسقط هيبة السلطان المأمون فقُتل عام١٠٢٢هـ، وقويَ أمر منافسيه، وانتهت الدولة السعدية عام ١٠٧٧ هـ.

وبقي بعض الموريسكيين في الأندلس غير العدد الكبير الذي طرد، والعـدد الكبير الذي أُبيد إذ ضبطت محاكم التفتيش عـام ١١٨٣ هـ مسجـداً سريـاً في مدينة قرطاجنة أو بالطبع مكان يلتقي فيه الذين يكتمون إسلامهم ويُؤدّون صلاتهم التي تُدركهم.

وأُعطيت حرية الأديان عام ١٣٨٧ هـ حيث صدر قانون بذلك، وأعلن عدد منهم إسلامهم، أو أشهروه، أو أعلنوا أنهم رجعوا إلى الإسلام، وتسمّوا بأسماء إسلامية، ويذكر منهم المحـامـي خليـل بـن أميـة، ويـوسـف علي الجابري[١] و...

ويُقيم في إسبانيا اليوم أكثر من مائة ألف مسلم، أكثر من نصفهم عمال موقّتون أكثرهم من المغرب وأقلهم من الجزائر، و١٥ ألفاً إسبان، أو يحملـون

(١) المسلمون في اوروبا وامريكا ـ علي المنتصر الكتاني ـ الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ المجلد الاول ص ١٨٣.

الجنسية الإسبانية، و ١٥ ألفاً من الطلاب، و ١٢ آلاف من المقيمين الأجانب ثلاثة أرباعهم من بلاد الشام.

يتوزّع المسلمون في مدن إسبانيا وأكثرهم في مدريد (مجريط) وغرناطة.

المؤسسات الإسلامية: يوجدد عدد من التنظيمات الإسلامية غير المتفقة ـ مع الأسف ـ منها :

١ ـ الجمعية الإسلامية في مدريد ولها فرع في غرناطة، وفروع أخرى في بقية المدن، وتُصدر مجلة (العروة الوثقى)، وترتبط هذه الجمعية بمركز آخن في المانيا.

٢ ـ المركز الإسلامي في غرناطة وله فرع في مدريد وفروع في بقية المدن ويرتبط بالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين.

٣ ـ الاتحاد الإسلامي في برشلونة وسرغوسة.

٤ ـ اتحاد الطلاب المسلمين في غرناطة.

٥ ـ الهيئة الإسلامية في غرناطة.

٦ ـ المعهد الإسلامي الإسباني وقد تأسّس عام ١٣٧٤ بتوجيه من طه حسين، وهكذا أسماه، وفي واقعه معهد مصري للدراسات الأندلسية، وليس فيه شيء ما يُشير إلى الإسلام.

وتوجد أماكن للصلاة لأكثر هذه المؤسسات وغالباً ما تلحق بها مدارس للتعليم الأولي.

وفي شمال إسبانيا بينها وبين فرنسا في جبال البيرنة إمارة أندورة التي استقلت عام ١٣٧٨، ولا تزيد مساحتها على ٤٥٣ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على ستة آلاف، تدين بالكاثوليكية، وتتكلّم اللغة الكتالانية، ولها أميران الأول منهما هو رئيس جمهورية فرنسا، والثاني أسقف إسبانيا، ويُسمّى رئيسها النقيب العام. ولا يوجد في هذه الإمارة مسلمون.



فرنسا
اندورة
قشتالة
سرقوسطة
كتالونيا
برشلونة
براغه
اوبورتو
مدريد «مجريط»
طليطلة
قلمرية
لشبونة
بلنسية
جزر البليار
منورقة
ميورقة
يابسة
قرطبة
المرسية
اشبيلية
قرطاجنة
غرناطة
المقياس
كيلومتر
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
مالقة
سبتة
مليلة

مصور رقم [٤٣] .

(٢) البرتغـــال

إحدى دول شبه جزيرة إيبريـا تحيـط بها إسبـانيـا مـن الشمال والشرق وتشرف على المحيط الأطلسي من الغرب والجنوب. تبلغ مساحتها ٨٨,٤٢٩ كيلومتراً مربعاً دون جزر الآصور وماديرا التي تعدّهما من أرضها. فإذا أضفناهما إليها كانت المساحة ٩١,٥٣٠ كيلومتراً مربعاً أي ما يعادل مساحـة الأردن تقريباً.

يزيد عدد سكان البرتغال اليوم على عشرة ملايين نسمة، وتدين الغالبية بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي، ويوجد بينهم خمسة وثلاثون ألفاً من النصارى البروتستانت، وألف ومائتا مسلم، وألف من اليهود.

تاريخ المسلمون: فتح المسلمون البرتغال عام ٩٢ هـ عندما دخلوا شبه جزيرة ايبريا، وكانت تعرف باسم غربي الأندلس، ولا يزال الجزء الجنوبي منها يحمل هذا الاسم. وأسلم عدد من السكان الأصليين، ولكن حدثت مجاعة عام ١٢٣ هـ في الجزء الشمالي حيث استوطنت بعض القبائل البربرية المسلمة فاضطرت إلى الرحيل عن الأمكنة التي سبق أن استقرّت فيها، فجاءت جماعات نصرانية وحلّت محلّ تلـك القبـائـل التي ارتحلـت، وأسّسـت عـام ١٣٣ هـ إمارةً نصرانيةً بدأت تتوسّع نحو الجنوب على حساب المسلمين الذين بدؤوا يميلون إلى الضعف.

دخل المنصور بن أبي عامر هذه الإمارة، ولكنه لم يقض عليها، وإنما اكتفى بأخذ الجزية منها، وكانت بلدة (أبورتو) عاصمة هذه الإمارة، ومن اسم هذه المدينة أخذت البلاد اسمها. وعندما قُضي على الدولة الأموية عام ٤٠٠ هـ استطاعت إمارة (أوبورتو) أن تستولي على (براغة)، واستمرّت على توسعها على حساب الإمارات الإسلامية التي نشأت في جنوبي البرتغال اليوم، وهي إحدى دول ملوك الطوائف، وتمكّنت عام ٤٢٩ هـ أن تستولي على مدينة (قلمرية) من ملوك بني الأفطس، وقد نقلت العاصمة إليها.

وعندما جاء المرابطون إلى الأندلس، وقضوا على ملوك الطوائف توقّف المدّ البرتغالي، واستمرّ هذا التوقف ما يزيد على مائةٍ وخمسين سنة، فلما ضعفت دولة الموحدين التي خلفت المرابطين عاد البرتغاليون للتوسّع، وضمّوا إليهم أراضي البرتغال اليوم جميعها، ونقلوا العاصمة من (قلمرية) إلى أشبونة عام ٦٤٨ هـ، وبذا بقي المسلمون في أراضي البرتغال حوالي خمسة قرون ونصف من (٩٢ ـ ٦٤٧ هـ).

وعندما قضى الإسبان على دولة غرناطة عام ٨٩٨، وبدأت حرب الإبادة ومحاكم التفتيش قامت مثلها في البرتغال حيث المسلمين جميعاً.

المسلمون اليوم: وتشكّلت جالية إسلامية قليلة العدد اليوم لا يزيد عدد أفرادها على ١٢٠٠ مسلم، وقد استّسوا لهم جمعية عام ١٣٨٨ هـ، وتُصدّر مجلة شهرية باللغة البرتغالية تحمل اسم (الإسلام). وكان مركزها مقر التقاء للمسلمين، ثم بنوا مسجداً لهم في العاصمة.

(٣) جبل طارق

جبل طارق امتداد من البر الاسباني في البحر المتوسط بطول ٤,٥ كيلومتر وعرض لا يزيد على ١,٢ كيلومتر، وتكون مساحته ستة كيلومترات مربعة، ويبلغ ارتفاعه ٤٢٩ متراً.

كان يُطلق عليه قديماً اسم (أعمدة هرقل) بسبب الأعمدة التي كانت قائمةً على طرفي المضيق على شاطىء جبل طارق من الجهة الشمالية الأوربية وعلى شاطىء سبتة من جهة الجنوب على العدوة الإفريقية، وتنسب هذه الأعمدة إلى (هرقل) أحد أبطال الأساطير الإغريقية، لأن المرور منه إلى البحر المحيط الأطلسي لا يقوى عليه إلا الجبابرة.

كما أُطلق عليه اسم رأس (كالبي) بسبب الصخرة التي تـربـض على الرأس تشبه الكلب، ولعلّ الفينيقيين هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم، ولغتهم تلتقي مع اللغة العربية في الأصول. كما أُطلق عليه اسم (معبر الأسد) للسبب نفسه. وهناك من يقول: إن مضيق جبل طارق قد حُفر بيد البشر للوصل بين البحرين.

ومنذ الفتح الإسلامي اقترن اسمه باسم فاتحه طارق بن زياد، ولا يـزال يحمل هذا الاسم. وقد حاول عبد المؤمن بن علي السلطان الموحدي أن يُطلق

عليه اسم (جبل الفتح) وذلك عام ٥٥٥ هـ، بعد أن بنى عليه مدينةً عُرفت باسم (مدينة الفتح) لتكون قاعدةً لجنده، ولكن اسم جبل الفتح قد زال بزوال دولة الموحدين.

وفي عام ٧٠٩ هـ استولى عليه النصارى، وطـردوا منـه جميـع سكـانـه المسلمين، غير أن السلطان المريني قد عاد واستولى عليه عام ٧٣٢ هـ، وحاول إعادة تسميته جبل الفتح. ورجع عليه النصارى عام ٨٦٨ هـ أي قبل سقوط غرناطة بثلاثين سنة، وبقي في أيديهم.

احتلّت انكلترا جبل طارق عام ١١١٦ هـ عندما اضطرت أن تتخلّى عن مدينة (طنجة) لمصلحـة المغـرب، واعترفـت إسبـانيـا بهذا الاحتلال عـام ١١٢٦ هـ، وهاجر منه أكثر الإسبان، وجاء الانكليز بمهاجرين إليه من مالطة، وجنوه، وإسبانيا. ولا يزال بأيدي الانكليز، وهو منطقة حُرّة. وتُطالب به إسبانيا.

السكان: يبلغ عدد سكان منطقة جبل طارق أكثر من ثلاثين ألفاً منهم:

٢٢,٥٠٠ كاثوليك

٢,٣٠٠ بروتستانت.

٣,٢٠٠ مسلم.

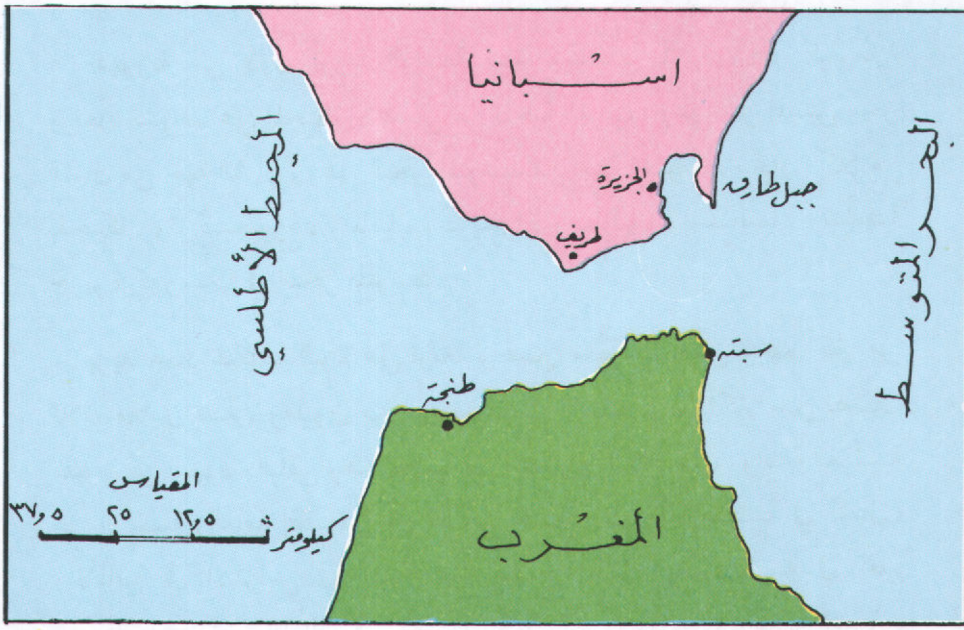
٦٠٠ يهودي.

١,٤٠٠ من جنسيات أخرى.

٣٠,٠٠٠ المجموع.

ويُضاف لهذا سبعة آلاف عدد أفراد الحامية الإنكليزية. وللمسلمين مكان للصلاة فقط. واللغة الرسمية هي الانكليزية، والإسبانية لغة معروفة بين السكان.

أما مضيق جبل طارق فإن طوله يبلغ ثلاثة وأربعين كيلومتراً. وأقرب نقطة بين العدوتين هو أربعة عشر كيلومتراً، وقد تصل أحياناً إلى ٣٨ كيلومتراً، وهو أعرض نقطة بين إفريقية وأوربا.



مصور رقم [٤٤].

(٤) فرنسا

جمهورية من دول أوربا الواسعة تبلغ مساحتها ٥٤٧,٠٢٦ كيلومتراً مربعاً، تشرف على المحيط الأطلسي من ناحية الغرب، وعلى بحر المانش وبحر الشمال من جهة الشمال، وعلى البحر المتوسط من جهة الجنوب، وتجاور كلاً من بلجيكا، ولوكسمبورغ، وألمانيا، وسويسرا، وايطاليا، وإسبانيا، وتتبعها جزيرة كورسيكا في البحر المتوسط.

يزيد عدد سكانها اليوم على أربعة وخمسين مليوناً، يعيش بينهم أكثر من ثلاثة ملايين مسلم، ومليون من البروتستانت النصارى، وأكثر من نصف مليون من اليهود والباقي وهم الغالبية من النصارى الكاثوليك. واللغة الفرنسية هي الرسمية والعامة إضافةً إلى لغاتٍ محليةٍ مثل الفلامنكية في الشمال، والألمانية في الألزاس في الشرق مع حدود ألمانيا، والبروفانسية في إقليم البروفانس في الجنوب الشرقي على الساحل المتوسطي في جهة الشرق، والايطالية في جزيرة كورسيكا، والاسبانية والبشكنجية على الحدود مع اسبانيا، والبريتانية في الغرب في شبه جزيرة بريتاني.

المرحلة الأولى للمسلمين: تقدّم المسلمون في فرنسا بعد فتح الأندلس فقد بدأ الفتح عام ٩٥ هـ حيث دخلوا منطقة سبتمانيا وتقدّموا في وادي الرون حتى وصلوا إلى مدينة صانص على مقربةٍ من باريس من ناحية الشرق،

كما تقدّموا في حوض الغارون ففتحوا مدنه طولوز (طلوشه) وبوردو (بردال) ثم تقدّموا نحو الشمال حتى (بواتييه) حيث جرت معركة بلاط الشهداء عام ١١٤ هـ، والتي هُزموا فيها وقُتل قائدهم أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقي، واضطروا للانسحاب من حوض نهر الغارون، وحوض نهر الرون، ولكنهم احتفظوا بمقاطعة سبتمانيا (المدن السبعة) ما يقرب من تسعين سنة نشروا فيها حضارتهم، وكانت هذه المنطقة في هذه المرحلة مناراً للعلم، وأشهر مدن هذه المقاطعة (مونبليه).

وفتح الأغالبة جزيرة كورسيكا عام ١٨٨ وبقيت بأيدي المسلمين ١٢٨ سنة إذ استطاع النصارى الاستيلاء عليها عام ٣١٧ هـ.

ورست سفن بعض الأندلسيين على شواطىء إقليم بروفانس شرق مدينة مرسيليا، ونزل أهل السفن في البر عام ٢٧٧ هـ، واعتصموا بالجبال، وأسّسوا إمارةً عُرفت (دولة جبال القلال) ويُسمّيها الاوربيون (الدولة الفركسينية) وتوسّعوا في تلك الجهات فوصلوا إلى شمالي ايطاليا وإلى سويسرا، واستمرّوا هناك حتى عام ٣٦٥ حيث اضطروا أن ينسحبوا منها أمام الضغط الصليبي الذي بدأ يشتدّ.

وفي عام ٩٥٠ استطاع والي الجزائر العثماني أن يحتلّ مدينة نيس، وأن يستقرّ فيها مدة سنة.

وخلت فرنسا بعدها من المسلمين إلا من الذين كان القراصنة الفرنجة يأسرونهم من سفن المسلمين، ومن غاراتهم على شواطىء المغرب فيبيعونهم في أسواق فرنسا عبيداً. وكذلك وصل إلى فرنسا عدد من المسلمين عام ١٠١٧ هـ عندما صدر الأمر بطرد (الموريسكيين) من الأندلس، فقد كان عدد منهم يُقيمون في المناطق الشرقية في أرياف بلنسية ومرسية، فأرادوا الإبحار إلى البلدان العثمانية غير أن السفن قد قادتها الريح نحو فرنسا فألقوا مراسيهم هناك، ونزلوا حيث ذابوا مع السكان على مر السنين. واستمرّت أرض فرنسا

خاليةً من الإسلام حتى جاء العصر الحديث.

المرحلة الثانية للمسلمين في فرنسا: احتلّت فرنسا الجزائر عام ١٢٤٦ هـ، ثم توسّعت فضمّت تونس، والمغرب، وموريتانيا ومناطق واسعةً من إفريقية الغربية والوسطى وغيرها... وبدأت الهجرة من هذه البلدان إلى فرنسا للعمل وخاصةً من الجزائر، ويظهر أنها بدأت بعد عام ١٢٨٨ إثر ثورتي محمد المقراني، وأولاد سيدي الشيخ، ويبدو هذا من صدور قرار عام ١٢٩٢ هـ يفرض على الراغب في الهجرة الحصول على موافقة مسبقة من السلطات الفرنسية، وتقديم كفالة مالية تضمن عودته لبلده، غير أن هذا القرار قد أُلغي عام ١٣٢٢ هـ فأخذت الهجرة في الزيادة.

بدأت هجرة الباعة الصغار والمختصين بنقل الحيوانات وكانت جهتها الشاطىء الفرنسي الجنوبي وخصوصاً مدينة مرسيليا، ثم تدفّقت اليد العاملة وخاصةً للعمل في مناجم الفحم في شمالي فرنسا. ولم تلبث المصانع الفرنسية أن أصبحت هي التي تطلب اليد العاملة الجزائرية. ثم صدر قرار في ١٥ ذي القعدة ١٣٣٤ يقضي بمصادرة الجزائريين ونقلهم إلى فرنسا للعمل هناك، وكان أكثر القادمين من منطقة (القبائل)، ثم لحق بهم العمال من تونس والمغرب حيث شملهم قرار المصادرة. ولا يدخل في قائمة هؤلاء العمال الأعداد الكبيرة من الجنود الذين دعوا لتأدية الخدمة العسكرية الإلزامية من بلاد إفريقية الشمالية.

وبعد انتهاء الحرب عاد كثير من المهاجرين إلى أوطانهم خلال عام ١٣٣٧، لكن لم تلبث الحكومة الفرنسية أن شعرت بحاجتها الشديدة إلى اليد العاملة لإعادة إعمار ما خرّبته الحرب، واستصلاح الألزاس واللورين المقاطعتين الشرقيتين اللتين استرجعتها فرنسا من ألمانيا بعد أن خسرتها في حرب عام ١٢٨٨ هـ، الأمر الذي جعل الهجرة تعود إلى فرنسا بشكلٍ كثيفٍ من غير مصادرة حكومية فقد زاد معدل الهجرة سنوياً من الجزائر إلى

فرنسا بمعدل ١٧,٥٠٠ مهاجر في الأعوام ١٣٤٠ـ١٣٤٢ هـ، وزاد من حدّتها سوء الأوضاع الاقتصادية في الجزائر بسبب تصرّف المستعمرين الذين شعروا بنشوة الظفر، كما آثر عدد من الجنود الجزائريين الذي خدموا في أوربا العودة إلى فرنسا بعد أن سُرّحوا من الجيش مع انتهاء الحرب، وشملت هذه الهجرة مختلف المناطق الجزائرية، هذا رغم الخلاف القانوني بين الحكومة الفرنسية المركزية التي تشجع الهجرة، والسلطات الفرنسية المستعمرة في الجزائر التي تقف في وجه هذه الهجرة وتُعاكسها باستمرار.

وخفّ تيار الهجرة أيام الأزمة الاقتصادية التي بدأت عام ١٣٤٧، ولكن عاد فقوي بعدها في أعوام ١٣٥٤ و١٣٥٧، ولكن اندلاع نار الحرب العالمية الثانية أوقف الهجرة، غير أنها لم تلبث أن عادت عندما هُزمت فرنسا وتسلّمت حكومة فيشي المُؤيدة لألمانيا الحكم إذ اضطرت لأيدٍ عاملةٍ لبناء السور على شواطىء المحيط الأطلسي وذلك عام ١٣٦١ فلما أنزل الحلفاء مع حكومة فرنسا الحرة برئاسة ديغول قواتٍ على سواحل نورماندي، وأحرزت النجاح توقفت الهجرة بل انقطعت الصلة بين فرنسا وشمالي إفريقية حيث بقيت السلطة بيد أنصار حكومة فيشي، واستمر ذلك حتى استسلام ألمانيا ونهاية الحرب.

وجدت فرنسا نفسها بحاجة إلى بناء ما خرّبته الحرب فشجّعت الهجرة فتدفّقت أفواج المهاجرين، واستمرّ ذلك حتى استقلّت الجزائر فأوقفت الهجرة عام ١٣٩٣، وقامت فرنسا بالفعل نفسه عام ١٣٩٤ هـ باستثناء هجرة الأسرة للالتحاق بذويها، وبذا أصبحت هذه الجالية شبه مُستقرةٍ، وأصبحت الزيادة تأتي من الولادة أيضاً، وغدا لها مشكلات.

ولم تقتصر الهجرة على الجزائر، وإنما هناك هجرة من تونس، والمغرب، وموريتانيا. وهناك هجرة يوغوسلافية وتركية أيضاً ويمكن أن نلاحظ تطور

الهجرة من بعض البلدان المغربية :

عدد التونسيين في فرنسا عام	١٣٨٨	٦١,٠٢٨ مسلماً .
وأصبح	١٣٩٥	١٣٩,٧٣٥ مسلماً .
وأصبح	١٣٩٨	١٧٦,١٥٤ مسلماً .

ونسبة النساء بين هذه الجالية ٢٥ ٪ بينهن ٢٨ ٪ من العاملات .

أما عدد المغاربة في فرنسا فكان عام	١٣٨٨	١٤,٢٣٦ مسلماً .
وأصبح	١٣٩٥	٢٦٠,٠٢٥ مسلماً .
وأصبح	١٣٩٨	٣٧٦,٠٥٣ مسلماً .

ونسبة النساء بين أفراد هذه الجالية ٢٥ ٪ بينهن ٣٧ ٪ من العاملات .

وكان عدد المسلمين في فرنسا الآن ما يزيد على ثلاثة ملايين، يمكن أن نعطي تقديراً لهم حسب الجاليات :

الجزائرية	٨٥٠,٠٠٠
تونسية	٢٠٠,٠٠٠
مغربية	٤٠٠,٠٠٠
تركية	١٠٠,٠٠٠
يوغوسلافية	٩٠,٠٠٠
فرنسية	٨٠٠,٠٠٠
بلاد الشام	٥٥,٠٠٠
إفريقية السوداء	٩٥,٠٠٠
	٢,٥٠٠,٠٠٠

هذا إضافةً إلى الطلاب الدارسين، والبعثات السياسية والاقتصادية

واللاجئين السياسيين، والمشرّدين بسبب الأزمات في بلادهم، وهذا ما يجعل الرقم يقارب الثلاثة ملايين فإذا علمنا أن سكان فرنسا هو أربعة وخمسون مليوناً فمعنى أن نسبة المسلمين فيها تزيد على ٥,٥ ٪ من مجموع السكان[١] .

ومعظم هؤلاء المسلمين من الطبقة العاملة، وإن المسلمين الذين يحملون جنسيةً فرنسيةً، ويزيد عددهم على ثمانمائة ألف لا يتمتعون بالحقوق الدينية التي يتمتع بها النصارى إذ تتدخل الدولة في شؤونهم وتنظر إليهم نظرةً غير طيبةٍ. وقد اعتنق عدد من الفرنسيين الإسلام، ويقدر عدد الذين يعتنقونه سنوياً بألف إنسان.

ويمكن ملاحظة تطور عدد المسلمين في فرنسا بالعصر الحديث حسب الجدول الآتي:

١٣١٨	١,٠٠٠	مسلم.
١٣٣٠	٦,٠٠٠	مسلم.
١٣٤٣	١٢٠,٠٠٠	مسلم.
١٣٥٥	٧٠,٠٠٠	مسلم.
١٣٧٠	٢٣٠,٠٠٠	مسلم.
١٣٩١	٢,٠٠٠,٠٠٠	مسلم.
١٤٠٧	٣,٠٠٠,٠٠٠	مسلم.

المنظمات الإسلامية: يوجد عدة جمعيات إسلامية ومنظمات، غير أنها ضعيفة، ويزيد من ضعفها عدم اتحادها إن لم نقل اختلافها فيما بينها، وقد يُؤدّي هذا الخلاف أحياناً إلى الافتراءات بعضها على بعض، وقد يصل إلى تحريض المسؤولين على بعضها ـ مع الأسف ـ. ومن هذه التنظيمات.

---

(١) من بحث للدكتور محمد محمود هواري بعنوان «بعض مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب»، وهو نائب مدير المركز الإسلامي بآخن. وقد تصرّفت بنصه.

١ ـ اتحاد الطلبة المسلمين: ومركزه باريس، ويتبع اتحاد الطلاب المسلمين الذي مركزه آخن في ألمانيا الغربية. ولهذا الاتحاد مركزان آخران أحدهما في (طولوز) والآخر في (كليرمون فران).

٢ ـ جمعية المسلمين الدولية: ومركزها باريس أيضاً، وقد انفصلت عن اتحاد الطلبة المسلمين، وتصدر مجلة (العالم الإسلامي) باللغة الفرنسية.

٣ ـ جمعية المسلمين الفرنسيين: وتصدر مجلة «الدراسات التقليدية» شهرياً.

٤ ـ أخوية المسلمين في أوربا: أسسها الجزائريون الذين يحملون الجنسية الفرنسية، وذلك عام ١٣٩٢ هـ.

٥ ـ صداقة مسلمي باريس: تأسّست عام ١٣٨٣ مهمتها التعريف بالإسلام، وبناء المساجد، وفتح المدارس، وتربية الأطفال، وتعمل الآن بترجمة الكتب، وتصدر مجلة «فرنسا الإسلام» شهرياً.

٦ ـ حركة الاعانة والدفاع عن المهاجرين المسلمين: وأسّسها جزائريون اختاروا الجنسية الفرنسية، وانتقلوا إلى فرنسا.

وهناك جمعيات ذات صبغة إقليمية «صداقة العمال المغاربة» و«صداقة جزائري فرنسا» و«صداقة العمال التونسيين».

٧ ـ الإخوان المسلمون في أوربا. باريس.

٨ ـ الهداية الإسلامية. باريس.

٩ ـ الهيئة الإسلامية للطلاب بفرنسا. باريس.

١٠ ـ الهيئة الثقافي الإسلامي في اللورين. نانسي.

١٢ ـ رابطة الطلاب المسلمين في فرنسا. باريس.

١٣ ـ الهيئة الإسلامية. باريس.

١٤ ـ مكتب رابطة العالم الإسلامي. باريس.

المساجد: يوجد عدد من المساجد في فرنسا، ومصليات كثيرة، وفي مدينة باريس يقوم جامع باريس، ومسجد الدعوة، ومسجد التبليغ، ومسجد

الرابطة، وتقام صلاة الجمعة فيها كلها، كما يوجد مسجد في ضاحية العاصمة الشرقية (آنيير)، وتقوم مساجد في مدن مرسيليا، وليون، وطولوز، وليل، وبوردو.

وتعمل جهات متعددة ضدّ المسلمين، ومنها الصليبية حيث تأسّست جمعية عام ١٣٧٧ هـ تسمى (لوڤر دي نوتردام ذي سالران) تعلن أنها تريد إعادة البربر إلى الكاثوليكية وجيرانهم من سكان البحر المتوسط، وقد تدعو الأطفال للقيام بنشاطات في الصيف لتؤدّي دورها، وقد أخذت ألفي طفل مسلم. ومنها اليهود الذين يعملون جاهدين ضدّ الإسلام.

وفي جنوب شرقي فرنسا على ساحل البحر المتوسط جنوب إقليم البروفانس بالقرب من حدود ايطاليا تقوم إمارة (موناكو) وهي مستقلة منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، وأصبحت ملكية منذ عام ١٣٨٢ هـ، ولا تزيد مساحتها على ١,٧ كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على خمسة وعشرين ألفاً، يعيشون على السياحة وندوات القمار، ولا يقيم فيها مسلمون بصورة دائمة، وإنما رحلات موقتة.


بحر المانش
بلجيكا
ليل
لوكسمبورغ
ألمانيا
باريس
ستراسبورغ
سويسرا
بواتييه
ليون
إيطاليا
المحيط الأطلسي
بوردو
« بردال »
مونبلييه
سبتمانيا
نيس
موناكو
طولوز
« طلوشة »
ناربونة
مرسيليا
المقياس
كيلومتر
٥٠
١٠٠
١٥٠
٢٠٠
٢٥٠
اندورة
اسبانيا

مصور رقم [٤٥] .

(٥) بـلجيكا

مملكة صناعية صغيرة المساحة حيث لا تزيد على ٣٠,٥١٣ كيلومتراً مربعاً. ويبلغ عدد سكانها اليوم ١٠,٤٠٠,٠٠٠ نسمة. ويتكّلم السكان لغتين هما الفرنسية في الجنوب والشرق، حيث يتكّلم بها شعب الوالون، أما الفلمنك في الشمال والغرب فيتكّلم اللغة التي تنسب إليه (الفلمنكية). وأغلبية السكان يدينون بالنصرانية الكاثوليكية ويعيش معهم:

٦٠,٠٠٠ من النصارى البروتستانت.

٤٢,٠٠٠ من اليهود.

١٨٠,٠٠٠ من المسلمين.

المسلمون: لم تطأ أقدام المسلمين أرض بلجيكا في الماضي. وإنما يعود تاريخ هجرتهم إليها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث جاءتها جماعة من الألبان، وفي مطلع عام ١٣٨٠ هـ بدأ الأتراك يصلون إليها ثم تبعتهم جموع المغاربة، ولا تزال هذه المجموعات تُشكّل أكثرية المسلمين.

١٢٠,٠٠٠ من المغاربة.

٣٠,٠٠٠ من الأتراك.

١٠,٠٠٠ من الألبان.

١٦٠,٠٠٠ المجموع.

٦,٠٠٠ من المسلمين البلجيك.
٦,٠٠٠ جنسيات أخرى.

١٧٢,٠٠٠ المجموع.

وهناك آلاف من الطلاب المسلمين الذين يدرسون في جامعاتها الأربع، إضافةً إلى التجار ورجال السلك السياسي الإسلامي.

يُشكّل المسلمون المجموعة الدينية الثانية بعد الكاثوليك، وتبلغ نسبتهم ١,٧٪ من مجموع السكان، وقد اعترفت الحكومة عام ١٣٩٤ هـ بالدين الإسلامي رسمياً. وتدفع الحكومة عادة أجور القائمين على الأديان التي تعترف بها. وبذا فقد حصل المسلمون على هذه المساعدة، ومن جهةٍ ثانيةٍ فإن أبناء الأديان التي لا يُعترف بها يُلزمون على تعلّم الديانة النصرانية، وكذلك تُؤخذ منهم ضرائب لتُدفع إلى رجال الدين الذين يُعترف بدينهم.

المنظمات الإسلامية: بدأ المسلمون يجمعون أنفسهم لأداء صلاة الجمعة والعيدين، وللتعارف، وقد ساعدتهم سفارتا باكستان والسنغال فأمّنتا لهم قاعات للاجتماع عام ١٣٨١.

وتشكّل عام ١٣٨٣ (المجلس العام الإسلامي) بمساعدة سفارات بعض الدول الإسلامية، فقام عام ١٣٨٨ بتأسيس المركز الإسلامي الثقافي، واعترفت به الحكومة البلجيكية، ومنحته الشخصية المدنية.

قررت الحكومة البلجيكية الاحتفال عام ١٣٠١ بمناسبة مرور خمسين سنة على تأسيسها ودعت المواطنين المساهمة في هذه الذكرى الوطنية فأقام بعض التجار الذين كانوا يعيشون في مصر بناء مسجد على الطراز المعماري الإسلامي... فبقي البناء بعد الانتهاء من الاحتفالات، وقد قُدّم للمسلمين عام ١٣٨٧ وتسلّموه بعد عامين على أنه هبة لمدة ٩٩ سنة قابلة للتجديد على أن يتعهده المسلمون في بلجيكا ويقوموا على تجديده.

وفي بلجيكا أكثر من خمسة وعشرين مسجداً، إضافةً إلى أكثر من مائة مصلى.

وفي المساجد والمصليات يقوم التعليم لمبادىء الدين، والتعريف بالإسلام، كما تسمح الحكومة للمركز الإسلامي بتدريس الإسلام لأبناء المسلمين في المدارس الرسمية.

ومن أشهر المساجد أربعة في مدينة بروكسل، وأربعة مساجد أخرى في ضواحيها في سان جون مسجدان، وفي ملونبيك مسجد، وفي سكاربيك مسجد أيضاً. وثلاثة مساجد في مدينة آنفرس، ومسجد في غانت، وآخر في شارلروا، وواحد في ليبج، وسبعة مساجد في منطقة ليمبورغ في الشرق.

وللمسلمين مقبرتان إحداهما في (ليبج) والأخرى في (شارلروا).

ويُصدر المركز الإسلامي نشرة شهرية اسمها (رسالة المسجد).

(٦) هولنـــدا

مملكة صغيرة لا تزيد مساحتها على ٣٣,٦١٢ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها اليوم خمسة عشر مليوناً. نصفهم من البروتستانت والنصف الآخر من الكاثوليك، وتدين الأسرة المالكة بالنصرانية البروتستانتية، ويعيش معهم ما يقرب من مائتي ألف مسلم، وثلاثين ألفاً من اليهود.

واللغة الرسمية هي الهولندية، وهي فرع من الألمانية، أو هي لغة جرمانية الأصل بين الألمانية والإنكليزية. وفي البلاد أكثر من ثلاث عشرة جامعة، وقد عُرفت جامعة (ليدن) بالاهتمام بطباعة الكتب الإسلامية.

المسلمون: لم يطأ المسلمون أرض هولندا في ا لماضي، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بدأ بعض المسلمين يصلون إلى هولندا وأغلبهم من البلدان التي تسيطر عليها هولندا مثل أندونيسيا وسورينام، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٤ لم يكن عدد المسلمين في هولندا ليزيد على أربعة آلاف مسلم، ووصل عددهم عام ١٣٧١ إلى خمسة آلاف.

ومنذ عام ١٣٨٨ بدأت هولندا تستقدم اليد العاملة للعمل في المصانع فجاء المسلمون من المغرب وتركيا حتى زاد عددهم عام ١٣٩٣ على مائةٍ وخمسين ألفاً، ويصل عددهم اليوم إلى مائتي ألف ونرى أن الجماعات الكبيرة منهم تعود إلى البلدان الآتية.

تركيا ومنها	٧٠,٠٠٠
المغرب ومنها	٦٠,٠٠٠
اندونيسيا ومنها	٣٥,٠٠٠
الهند ومنها	١٥,٠٠٠
من جنسيات أخرى	١٠,٠٠٠
من هولندا	,٦٠٠
يحملون الجنسية الهولندية	٩,٤٠٠
المجموع	٢٠٠,٠٠٠

ويتجمع أكثر المسلمين في المدن الكبرى لاهاي (دن هاخ)، وأمستردام، وروتردام، وأوترخت ويُشكّل المسلمون اليوم ١,٣٥٪ من مجموع السكان. ولا يجد الهولنديون حرجاً من الذين يعتنقون الإسلام من أبنائهم كما لا يُضايقون المسلمين، وإنما يسمحون لهم بتدريس أبنائهم المنتسبين إلى المدارس الرسمية الإسلام أو نقلهم إلى المراكز والجمعيات الإسلامية إن كان معترفاً بها. وفي الوقت نفسه تُعطى هذه المؤسسات الحق في عقد الزواج للذين ينتمون إلى الإسلام.

المنظمات الإسلامية: منذ أن زاد عدد المسلمين بدؤوا ينظمون أنفسهم، وأكثر هذه المنظمات إنما قامت على أساس اللغة وأهم هذه المنظمات.

١ ـ مؤسسة الإسلام بهولندا وتأسست عام ١٣٨٩، وتضمّ أبناء الجالية الأندونيسية التي لها مدرسة لتعليم الإسلام، وتصدر مجلة (الفلاح) الشهرية باللغات الأندونيسية، والهولندية، والانكليزية. ومقرها في لاهاي ولها فروع في بعض المدن الأخرى مثل روتردام.

٢ ـ اتحاد المسلمين في هولندا: ويضمّ أكثر أبناء الجالية التركية، ومقر الاتحاد مدينة (أوترخت) وله فروع في عددٍ من المدن الأخرى، وفي المقرّ الرئيسي مسجد، ومدرسة للأطفال.

٣ ـ اتحاد الجمعيات الإسلامية: ويضم عدة فروع لأبناء المسلمين الهنود الذي هاجر أكثرهم من سورينام ويتكّلمون لغة (أوردو)، وقد تأسّس هذا الاتحاد عام ١٣٨٩.

٤ ـ اتحاد الجمعيات الإسلامية في هولندا: ويضمّ مختلف الجمعيات الإسلامية، وقد تأسس عام ١٣٩٤، وعمل هذا الاتحاد على شراء كنيسة بروتستانتية في (أوترخت) وتحويلها إلى مسجد بعد موافقة الحكومة وأبناء الحي. ويُعمل أيضاً بمساعدة سفارات بعض الدول الإسلامية على بناء مسجد ومركز إسلامي في مدينة أمستردام. ويُشرف على كثيرٍ من المصليات في المدن الكبرى. وكذلك بنى الأتراك عام ١٣٩٥ مسجداً في مدينة (ألميلو).

ويوجد في جامعة (ليدن) مركز للدراسات العربية والإسلامية.
وللمسلمين مسالخ لبيع اللحوم وذبح الحيوانات على الطريقة الشرعية.
وللمسلمين عدد من المقابر في مدن لاهاي، أوترخت، آرنم.

وتضايق المسلمين فرقة القاديانية التي لها مقر ومعبد في لاهاي، ويُشرف على المعبد هنود حصلوا على الجنسية الهولندية. وقد ترجموا معاني القرآن الكريم بشكل يسيء إلى الإسلام، هذا بالإضافة إلى أثر اليهود الذين يسيطرون على الصحافة، ولهم دور كبير في التجارة والصناعة.

(٧) لوكسمبورغ

مملكة صغيرة لا تزيد مساحتها على ٢٥٨٦ كيلومتراً مربعاً، انفصلت عن ألمانيا عام ١٢٨٤ هـ، يقرب عدد سكانها من أربعمائة ألف أكثرهم من الكاثوليك، بينهم ثلاثون ألفاً من النصارى البروتستانت وألفان من المسلمين، وألف واحد من اليهود. وترتبط لوكسمبورغ وبلجيكا وهولندا باتحادٍ اقتصاديٍ يُعرف باسم (البنيلوكس).

يتكلّم السكان لهجةً ألمانيةً خاصةً، هي اللغة اللوكسمبورغية، أما اللغة الرسمية فهي الألمانية والفرنسية. ولما كانت المنطقة صناعية لذا فإنه يسكنها مجموعات من الدول المجاورة يزيد عددها على تسعين ألفاً.

المسلمون: أكثر المسلمين من المغرب وتركيا، ومعظمهم من العمال لذا كانت إقامتهم موقتةً، وليس لهم أي تنظيم، وغالباً ما يرتبطون بإخوانهم في بلجيكا.


المقياس
كيلومتر
٤٠
٨٠
١٢٠
بحر الشمال
هارلم
امستردام
ليدن
لاهاي
أوترخت
ألميلو
أرنم
روتردام
أنفرس
غانت
بروكسل
ليمبورغ
لييج
شارلروا
فرنسا
ألمانيا

مصور رقم [٤٦] .

(٨) انكلترا

مملكة اتحادية تتألف مع أربع مقاطعات ثلاث منها تقع في الجزيرة الكبرى، وهي: انكلند، وويلز، واسكوتلندا، والرابعة هي شمالي ايرلندا. تبلغ مساحتها ٢٤٠,٨١٣ كيلومتراً مربعاً.

يبلغ عدد سكانها ما يقرب من سبعة وخمسين مليوناً، يتجمّع أكثرهم في انكلند التي تضم ما يقرب من خمسين مليوناً والباقي يُقيمون في المقاطعات الثلاث.

واللغة الرسمية هي الانكليزية ويعدّها سكان المقاطعات الثلاث أنها دخيلة إذ هي مزيج من لغة السكسون الجرمان الذين غزوا الجزيرة من ألمانيا في القرن الثاني قبل الهجرة، ولغة الفرنسيين الذين غزوا انكلترا في القرن السادس والسابع الهجريين، أما اللغة الأصلية فهي الكلتية (السلتية) التي لا تزال معروفة في ويلز (بلاد الغال) وبعض جهات اسكوتلندا. وتوجد في انكلترا أربع وأربعون جامعة.

ويدين السكان بالنصرانية (المذهب الانكليكاني) في انكلند و(البريزبتري) في اسكوتلندا، والمذهبان فرعان من البروتستانت، ويعيش بينهم.

٦,٠٠٠,٠٠٠ من الكاثوليك أكثرهم في شمالي ايرلندا، وويلز، واسكوتلندا.

١,٥٠٠,٠٠٠ من المسلمين نصفهم يحمل الجنسية الانكليزية، وأكبر تجمعاتهم في انكلند.

٥٠٠,٠٠٠ من اليهود.

المسلمون: لم يصل المسلمون في الماضي إلى انكلترا ويستقرّوا فيها على شكل جماعي، وربما كان أواخر القرن الثالث عشر أول وصولهم إليها واستقرارهم فيها. فقد جاءت جماعة من عدن حوالي عام ١٢٨٨ هـ واستقرّت في كارديف بصفة أفرادها قادمين من مستعمرةٍ إنكليزيةٍ. ثم وفدت جماعة أخرى من قبرص بعد أن وضعت انكلترا يدها عليها إثر مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ هـ، وجاءت جماعة من مصر، وأخرى من الهند وبدأ المسلمون يتوافدون إليها حتى وصل عددهم قبيل الحرب العالمية الثانية إلى خمسين ألفاً.

وبعد الحرب العالمية الثانية هاجرت أفواج من ألبانيا ويوغوسلافيا فوصل عدد المسلمين إلى مائة ألف، ثم ازداد عدد القادمين إلى انكلترا من المسلمين في مطلع عام ١٣٨٠ وخاصةً من الهند وباكستان، ولم تلبث انكلترا أن أصدرت قوانين عام ١٣٨٢، و١٣٨٩ و١٣٩١ حدّدت فيها الهجرة إذ وصل عدد المسلمين عام ١٣٩١ إلى مليون مسلم حسب تقديرات الإنكليز أنفسهم، ونصفهم يحمل الجنسية الانكليزية، وبعضهم وهو بضعة آلاف اعتنقوا الإسلام من أبناء انكلترا الأصليين.

ويوجد أكثر من خمسة وعشرين ألفاً من أبناء المسلمين يدرسون في الجامعات الانكليزية. ولم تعترف انكلترا بالإسلام كدين رسمي فيها، كما لا توجد مدارس إسلامية سوى أكاديمية الملك فهد التي افتتحت حديثاً.

ويُقدّر عدد المسلمين اليوم في انكلترا بمليون ونصف مسلم، وبذا تكون نسبتهم ٢,٦٣ ٪ من مجموع السكان. ويتجمّعون في المدن الكبرى مثل: لندن، وبرمنغهام، ومانشستر، وكارديف، وليفربول، وليدز، وبرادفورد، وغلاسكو، وبلاكبورن.

المنظمات الإسلامية: أقام المسلمون المهاجرون من شبه القارة الهندية عام ١٣٠٤ جمعيةً لهم في لندن وتُعدّ أقدم جمعية في دول الغرب، وأُقيم اثناء الحرب العالمية الثانية المركز الثقافي الإسلامي ويضمّ مكتبةً، ويُصدر مجلةً خاصةً. ومن هذه المنظمات:

في لندن: ١ً ـ البعثة الإسلامية بالمملكة المتحدة وتأسست عام ١٣٨٢، وتتبعها خمسة مراكز في غلاسكو، وبرمنغهام، وبلاكبورن، وبرادفورد، وروشديل، وأكثر الأعضاء من باكستان، وتستعمل هذه المراكز لغة (أوردو).

٢ً ـ اتحاد جمعيات الطلاب الإسلامية: وتأسّست عام ١٣٨٤، وقد أسس له مركزاً، وتتبعه سبع وعشرون جمعية طلابية، ويصدر مجلة (المسلم) كل شهرين.

٣ً ـ اتحاد المنظمات الإسلامية في المملكة المتحدة وايرلندا: وقد تأسّس عام ١٣٩٠ هـ، وقد انضمّ إليه ست وستون جمعية إسلامية، ويُقيم مؤتمراً سنوياً.

٤ً ـ جمعية الطلاب المسلمين.

٥ً ـ الوقف التعليمي الإسلامي: وقد تأسّس عام ١٣٨٦، ويعمل على تعليم أطفال المسلمين، ويتبعه خمسة مساجد في كل من لندن، وبرمنغهام، ومانشستر، وبرادفورد، ولوتن.

٦ً ـ المجلس الإسلامي لأوربا : وقد تأسّس عام ١٣٩٣ هـ.
٧ً ـ وقف الطلبة المسلمين.
٨ً ـ المركز الثقافي الإسلامي.
٩ً ـ الاتحاد الإسلامي النوى: وقد تأسّس عام ١٣٩٠، ويصدر مجلة المرأة المسلمة.
١٠ً ـ المسجد والمركز الإسلامي في (برنت).

وتوجد مجلات:

١ً ـ امباكيت العالمية وتصدر مرتين في الشهر.
٢ً ـ مجلة الشرق الجديد.
٣ً ـ مجلة نيوهورايزون (الأفق الجديد).
٤ً ـ مجلة الغرباء.

هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه عن مجلة (المسلم) ومجلة (المرأة المسلمة). وعدد من الصحف والمجلات التي تطبع هناك.

وفي برمنغهام: ١ً ـ منظمة الشباب المسلم.
٢ً ـ وقف مسجد برمنغهام.
٣ً ـ وقف (بانمام إسلام).
٤ً ـ مجلة (بانمام إسلام) وتطبع بلغة الأوردو شهرياً.
٥ً ـ مجلة المسلم الصغير وتُطبع باللغة الانكليزية شهرياً.

وفي بريستول: ـ الجمعية الإسلامية.
وفي أكسفورد: ـ جمعية مسجد أكسفورد.
وفي غلاسكو: ـ هيئة الطلاب المسلمين بجامعة غلاسكو.
وفي ليستر: ـ المؤسسة الإسلامية.

وفي والسول ستاف: ـ الجمعية الخيرية الإسلامية.

وفي برادفورد: ـ الجمعية الإسلامية التوكلية.

وهناك تنظيمات إقليمية أو مذهبية أحياناً ومنها:

جمعية مسلمي الهند الغربية، وجمعية مسلمي قبرص، وجمعية مسلمي أندونيسيا، وجمعية الهنود المسلمين، وجمعية مسلمي موريشيوس، وجمعية مسلمي نيجيريا، وجمعية مسلمي سيلان، وجمعية التبليغ، وهناك عدة جمعيات باكستانية، والدائرة الإسلامية السنية الحنفية في بريستون، والجمعية الخيرية للجماعة العربية، والجماعة الإسلامية لمركز الأبحاث الإسلامية والبنغالية، والجمعية الفلسفية الإسلامية، والجمعية الإسلامية الشيعية، وجمعية الاثني عشرية لشرقي إفريقية، وجمعية الشباب الصومالي في كارديف.

ومع هذا النشاط كله لا توجد مدارس إسلامية، وإنما تقوم مدارس أولية تلحق بالمساجد، وفي انكلترا أكثر من مائة وخمسة وعشرين مسجداً، منها عشرة جوامع، وتتوزع هذه المساجد في انحاء البلاد منها:

٥٥ مسجداً في لندن وضواحيها	١٧ مسجداً في منطقة ميدلاند
٢١ مسجداً في منطقة يوركشاير	٣ مساجد في مقاطعة اسوتكندا
٢٧ مسجداً في منطقة لانكشاير	٢ مسجد في مقاطعة ويلز

ويقف اليهود والقاديانيون في وجه الإسلام والمسلمين.

(٩) إيـرلـنـــدا

جمهورية صغيرة تبلغ مساحتها ٧٠,٢٨٢ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين، كانت مقاطعةً انكليزيةً، أعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٣٥ هـ، واستقلت عن انكلترا عام ١٣٦٨ هـ.

يتكلّم السكان اللغة الكلتية وهي الرسمية، ويدينون بالكاثوليكية، ويعيش بينهم مائة وثلاثون ألفاً من البروتستانت، وستة آلاف يهود، وألفا مسلم.

وتُشكّل ايرلندا خمسة أسداس الجزيرة (ايرلندا) وتحتلّ مقاطعة ايرلندا الشمالية (الانكليزية) الباقي، وتدعم الجيش الجمهوري لاستقلال ايرلندا الشمالية عن انكلترا وإلحاقها بإيرلندا حيث يعتقدان عقيدةً واحدةً هي الكاثوليكية، وتشملها جزيرة واحدة.

المسلمون: يعيش معظم المسلمين في ايرلندا في العاصمة دوبلن، وهجرتهم إليها حديثاً، ولهم جمعية دوبلن الإسلامية، ولقلّة عددهم يلتحقون عادةً بإخوانهم في انكلترا.



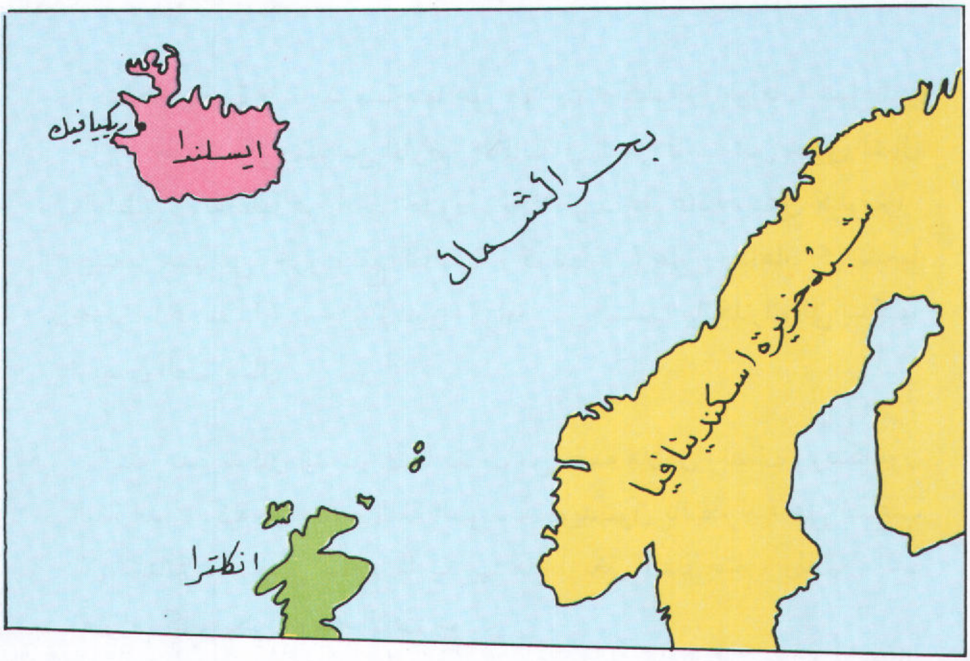
المقيـاس
كيلومتر ٠ ٤٥ ٩٠ ١٣٥ ١٨٠ ٢٢٥
المحيط الأطلسي
بحر الشمال
اسكوتلندا
غلاسكو
بلفاست
ايرلندا
دوبلن
بريستون
برادفورد
ليدز
ليفربول
مانشيستر
شيفيلد
ليستر
برمنغهام
كارديف
بريستول
لندن
بحر المانش

مصور رقم [٤٧] .

(١٠) إيسلندا

وتعني أرض الجليد، وهي جزيرة بركانية جبلية، تخرج فيها عيون من المياه الحارة، تقع بين خطي عرض ٦٤,٣٠ و٦٦ شمالاً في عرض المحيط الأطلسي، تبعد عن انكلترا سبعمائة كيلومتر إلى الشمال الغربي منها، وتبعد عن شبه جزيرة اسكندينافيا ١٢٠٠ كيلومتر. تبلغ مساحتها ١٠٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على ربع مليون، يُقيمون على أطرافها ويعتمدون في حياتهم على صيد السمك، وبعض الصناعات الكيمياوية، وأكثر من نصفهم يسكن العاصمة (ريكيافيك) التي تقع على الساحل الغربي.

كانت تتبع الدانمارك، وقد انفصلت عنها عام ١٣٦٠ هـ، وأُعلنت فيها الجمهورية. ويتكلّم السكان اللغة الايسلندية التي تشبه اللغات الاسكندينافية، وهي اللغة الرسمية فيها، ويعتنق الأهالي النصرانية على المذهب البروتستانتي، ويعيش بينهم ما يزيد على ألف كاثوليكي، وعشرات من السكان اعتنقوا الإسلام.


ريكيافيك
ايسلندا
بحر الشمال
شبه جزيرة اسكندينافيا
انكلترا

مصور رقم [٤٨] .

(١١) الدانمارك

مملكة صغيرة لا تزيد مساحتها على ٢٣,٠٦٩ كيلومتراً مربعاً، تشمل شبه جزيرة جوتلند التي تمتدّ من الأرض الألمانية في البحر فاصلةً بين بحري الشمال والبلطيق، وتفصلها عن ألمانيا حدود برية لا تزيد على ثمانيةٍ وستين كيلومتراً. ويتبعها عدد من الجزر وتقع العاصمة (كوبنهاغن) على إحداها، كما تتبعها جزيرة (غرينلندا)، وجزر (فارو) الواقعة بين ايسلندا وانكلترا والتي يسكنها أربعون ألف إنسان.

يبلغ عدد سكان الدانمارك ما يقرب من خمسة ملايين ونصف، ويتكلّمون اللغة الدانماركية التي تشبه اللغة السويدية، ويدينون بالنصرانية على المذهب البروتستانتي، ويعيش بينهم ما يقرب من أربعين ألف مسلم، وثلاثين ألف نصراني كاثوليكي، وستة آلاف يهودي.

المسلمون: بدأ القاديانيون نشاطهم منذ عام ١٣٧٥ هـ، ولم يكن المسلمون قد وصلوا بعد إلى الدانمارك للاستقرار فيها، وكان القاديانيون يدّعون أنهم من المسلمين، وكان المجال مفتوحاً وليس هناك من ينافسهم، أو ينقض زعمهم أنهم مسلمون. ورغم أن عددهم كان لا يزيد على الستين إنساناً إلا أنهم بنوا معبد (نصرة جهان).

وأخذ المسلمون يتجهون نحو الدانمارك منذ عام ١٣٨٠، وبقوا حتى عام ١٣٨٨ ولم يتجاوز عددهم بضعة مئات، ثم جاءت جماعات من تركيا، ويوغوسلافيا، وباكستان فوصل عددهم إلى ستة عشر ألفاً عام ١٣٩١، وكانت مجموعاتهم من:

تركيا	٢,٠٠٠	
باكستان	٥,٠٠٠	
يوغوسلافيا وألبانيا	٣,٠٠٠	
البلدان العربية	٢,٠٠٠	
الدانمارك	٣,٠٠٠	٣٠٠ من أصل دانماركي اعتنقوا الإسلام، والباقون حصلوا على الجنسية.
جنسيات أخرى	١,٠٠٠	
	١٦,٠٠٠	

ووصل عدد المسلمين في الدانمارك إلى ١٨,٠٠٠ عام ١٣٩٣، ويُقدر عددهم اليوم بأربعين ألفاً.

كان المسلمون حتى عام ١٣٩٠ يستأجرون قاعةً لتأدية صلاة العيد. أما الصلاة الدائمة فقد استأجروا لها غرفةً أطلقوا عليها (مسجد التابعين).

وفي عام ١٣٩١ سمحت بلدية مدينة (كوبنهاغن) بإقامة صلاة عيد الأضحى، فحضر الصلاة ستة آلاف مسلم. وفي العام نفسه شكّلوا لجنة تأسيسية لبناء مسجد ومركز إسلامي، واحتفظوا باسم مسجد التابعين.

وفي عام ١٣٩٤ تمّ افتتاح فرع لرابطة العالم الإسلامي في كوبنهاغن، وفيها تقوم مدرسة الفيصل، ومدرسة الأقصى. كما أنشئت مدرسة عراقية، وأخرى عرفت باسم (الصفا) وثالثة باسم (الصامد).

وتم شراء مكان للمركز الثقافي الإسلامي، وصدرت مجلة (أخبار المسلمين) ثم احتجبت بعد عامين. وافتتحت فروع للمركز الثقافي الإسلامي حيث يدرس القرآن الكريم. وأنشئت المكتبة الإسلامية منذ عام ١٣٩٣ هـ.

وقامت جمعية الشباب المسلم عام ١٣٩٦ وأخذت تصدر مجلة (الصراط) ثم احتجبت لأسباب ماديةٍ، وتُشرف هذه الجمعية على (الروضة العربية) وعلى (المدرسة العربية الإسلامية).

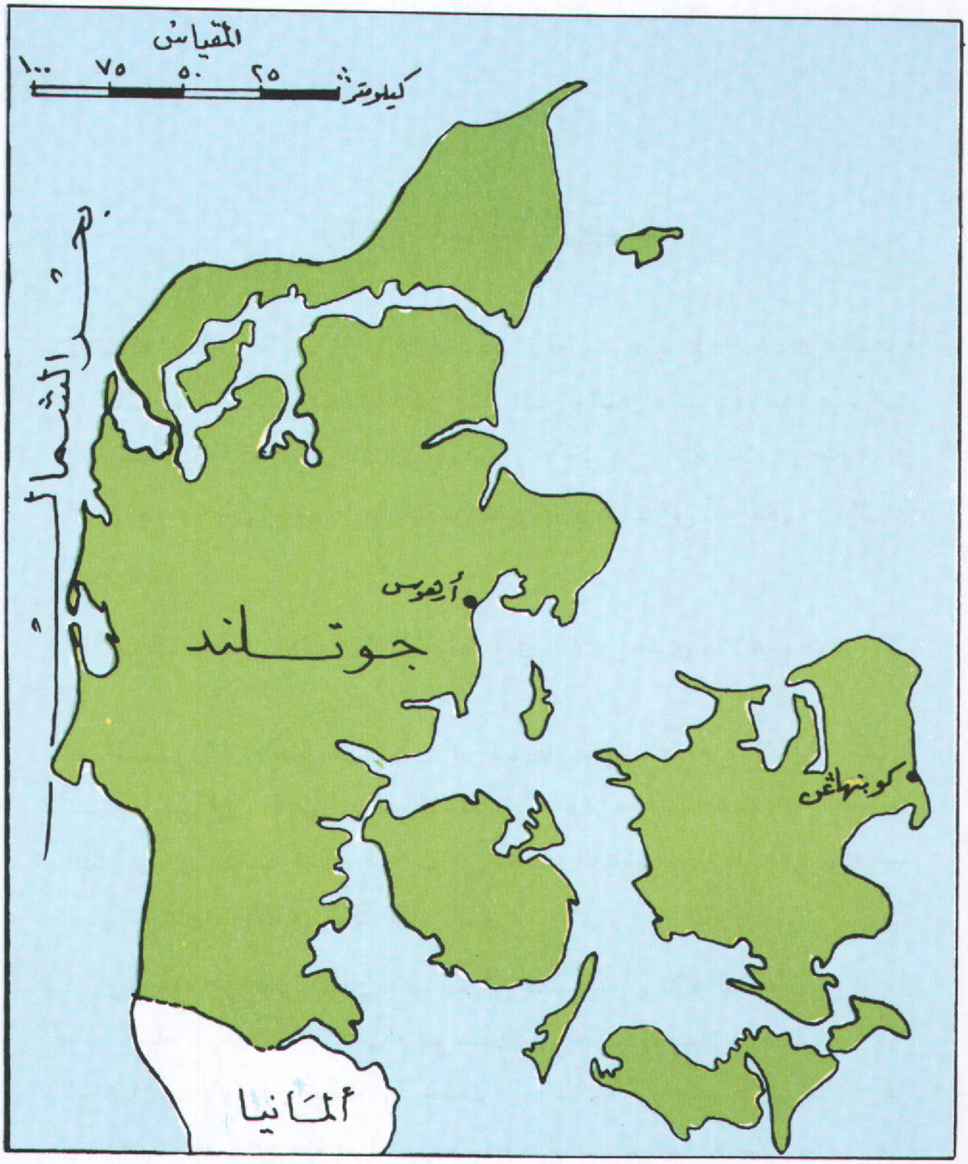
وتعدّ الجالية التركية أنشط الجاليات الإسلامية إذ لها عدة مساجد، وزاد عدد المساجد في الدانمارك أخيراً على عشرة مساجد.

وبنى المغاربة مركزاً إسلامياً في مدينة (أورهوس) التي تُعدّ ثاني مدينة في البلاد من حيث عدد السكان.

وأنشأ الباكستانيون (دار المطالعة) لإعارة الكتب بلغة الأوردو. كما أسّسوا مجلة (صدى باكستان).

وأسس المسلمون من الدانمارك والدول الاسكندينافية الأخرى عام ١٤٠١ هـ (دار الدعوة) التي تصدر مجلة (وجهة نظر الإسلام).

ويلقى المسلمون عنتاً من اليهود والقاديانيين في كل مشروع يريدون القيام به.



المقياس
كيلومتر ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠
بحر الشمال
أرهوس
جوتلند
كوبنهاجن
ألمانيا

مصور رقم [٤٩] .

(١٢) ألمـانيـا الغربيـة

دولة صناعية من دول أوربا الوسطى تبلغ مساحتها ٢٤٨,٤٥٤ كيلومتراً مربعاً، يبلـغ عـدد سكـانها أكثر مـن اثنين وستين مليـونـاً، نصفهـم مـن البروتستانت وأكثرهم في الشمال، ونصفهم الآخر من الكاثوليك، وأكثرهم في الجنوب، ويعيش بينهم ما يقرب من مليونين ونصف من المسلمين، و٣١ ألفاً من اليهود.

يتكلّم السكان اللغة الألمانية، وتقوم في البلاد إحدى وثلاثون جامعة.

المسلمون: لم يصل المسلمون في فتوحاتهم إلى الأرض الألمانية، كما لم يصلوا إليها في الماضي بغية الاستقرار، مع أنه قد حدث احتكاك بين الطرفين، إذ كانت هناك صلات بين الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد وبين شارلمان وذلك في نهاية القرن الثاني الهجري.

وسارت جموع من الألمان مع الجيوش الصليبية إلى بلاد المسلمين ونزلوا في بلاد الشام، وعاشت جماعات منهم هناك حتى فشلت الحملات الصليبية وطُرد أتباعها من الأوربيين نهائياً. ولم يحدث تأثّر بالإسلام واضح لأنهم قد خرجوا يقودهم الحقد وفي نفوسهم تصوّر سيء مسبق مع كراهية للإسلام.

وعندما نشأت دولة بروسيا، وبدأت تتصل مع دول العالم تَمّت بينها وبين

الدولة العثمانية علاقات سياسية، وتوطّدت تلك العلاقات حتى استعان البروسيون بالمدرّبين المسلمين على الفروسية وذلك في عهد السلطان العثماني محمود الأول (١١٤٣-١١٦٨)، ووصل عدد المدرّبين في نهاية القرن الثاني عشر إلى حوالي ألف مُدّرب مسلم، وربما كان العثمانيون يُفكّرون بالدعوة إلى الإسلام بين الألمان من وراء هذه الصلات، وهذا ما يبدو من طلب العثمانيين المسلمين هناك بإقامة مصليات لهم، وربما كان أولها عام ١١٤٤ أي منذ بدء توطّد العلاقات، ثم إن مبعوث السلطان عبد الحميد (١١٨٧-١٢٠٣) وهو (أحمد أفندي) قد جاء في أحد تقاريره التي كان يرفعها إلى السلطان: (إن سكان برلين يعترفون بالنبي محمد، ولا يتردّدون عن إعلان استعدادهم لقبول الإسلام)[1]، وإن كان هذا من باب المجاملة التي عُرف بها الألمان، ما دامت لا تُؤدّي إلى شيء.

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري انتقل عدد من الألمان إلى إفريقية لتأسيس مستعمراتهم في الكاميرون، وتانزانيا، والتوغو واحتكّوا هناك بالمسلمين وأسلم قسم منهم، وبقي منهم من بقي وذاب في المجتمع هناك، ومنهم من عاد إلى بلاده يحمل عقيدته الجديدة معه، ومنهم الألماني الذي اختصّ بالدراسات الإفريقية وهو (ادوارد شينتس) الذي اعتنق الإسلام عام ١٢٩٣ وتسمّى باسم (محمد أمين) وحصل على رتبة باشا، وبها عُرف، وأصبح حاكماً للمديرية الاستوائية (أوغندا) في أواخر عهد الخديوي اسماعيل باشا عام ١٢٩٦ هـ.

كما سبق أن أسلم دوق (بادن) في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وتزوّج بفتاةٍ تركيةٍ وبنى مسجداً بين مدينتي (هيدلبرغ) و(فرانكفورت)،

---

(١) بعض مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب ـ محمد محمود هواري.

كما أسلم عام ١٢٥١ هـ (غوستاف آدولف فون فريدي) وظهر فيما بعد في عدة مواقع في خدمة الجيش العثماني في (استانبول) وشمالي إفريقية.

وفي الحرب العالمية الأولى أُقيم معسكر في الأراضي الألمانية للمعتقلين المسلمين بالقرب من مدينة برلين في (ونسدروف)، وأُقيم مسجد في تلك الجهات، وقد بقي حتى عام ١٣٣٧ حيث عاد الأسرى إلى بلادهم، غير أن بعض هؤلاء قد آثر البقاء في ألمانيا.

وبعد الحركة الشيوعية في روسيا فرّ عدد من المسلمين إلى ألمانيا، وكان أكثرهم من أصل ألماني، ثم تبعهم بعض التتار من القرم وشرقي روسيا بعد أن وئدت فكرة استقلالهم إثر دخول الجيش الأحمر أراضيهم، فأُعطي لهؤلاء الفارين موضع المعسكر السابق ليقيموا على أرضـه منازلهم، وبقي المسجد يُؤدّي دوره.

وبدأت جماعات من إيران وأفغانستان تفد إلى الموانىء الألمانية وخاصةً هامبورغ على شكل عمال وتُجّار، ويستقرّ بعضها هناك.

وأثناء الحرب العالمية الثانية وفد إلى ألمانيا عدد من اللاجئين المسلمين من المناطق التي تُسيطر عليها روسيا، كما فرّ عدد من جنود الجيش الروسي هرباً بدينهم من الشيوعية والروس، وأعقبهم آخرون من المناطق التي وصلت إليها الشيوعية وتسلّمت الحكم فيها مثل بلغاريا، ورومانيا، ويوغوسلافيا، وبولندا وأقام أكثر هؤلاء اللاجئين في مدينة ميونيخ وضواحيها ومقاطعة (بايرن) الجنوبية.

واستقلّت ألمانيا الغربية عام ١٣٧٥، وبدأت الصناعة تتطوّر بسرعة أو تعود إلى سابق أيامها واقتضى تطوّرها الحاجة إلى اليد العاملة، وبدأ الطلب من العمال الأتراك فتوافدوا من مطلع عام ١٣٨١، ووصل عدد المسلمين مباشرة إلى ١,٢٥٠,٠٠٠ مسلم عام ١٣٩٣، ويمكن ملاحظة هذه الزيادة من الجدول الآتي:

١٣٣٨ هـ	١,٠٠٠	مسلم.
١٣٧١ هـ	٢٠,٠٠٠	مسلم.
١٣٩١ هـ	١,١٥٠,٠٠٠	مسلم.
١٣٩٣ هـ	١,٢٥٠,٠٠٠	مسلم.
١٤٠٧ هـ	٢,٥٠٠,٠٠٠	مسلم.

كما يمكن ملاحظة الجاليات المسلمة وتطور زيادتها.

	عام ١٣٩١	عام ١٤٠٧
أتراك	٩٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠
مغاربة	١٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠
يوغوسلاف	١٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠
آخرون	٥٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠
المجموع	١,١٥٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠

وبذا تكون نسبة المسلمون في المانيا هي ٤٪ من مجموع السكان، وبين هؤلاء المسلمين أكثر من ثلاثين ألفاً من اللاجئين المسلمين الروس، ثم الألمان الذين اعتنقوا الإسلام.

وتُقدّر المصادر الألمانية الكنسية عدد المسلمين ذوي الجنسية الألمانية بستة آلاف وخمسمائة مسلم فقط، من بينهم ألف وخمسمائة من أصلٍ ألماني. ويبدو أن هذا الرقم أقل من الواقع بكثير إذ اعتمد على التسجيلات الرسمية فأهمل من اعتنق الإسلام من الألمانيات، وكذلك أغفل الأولاد الذين ولدوا من آباء مسلمين بالأصل وتزوّجوا من ألمانيات، ويعدّ هؤلاء بالآلاف وخاصة إذا علمنا أن أخذ الجنسية الألمانية في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري كانت واسعة النطاق وخاصةً على صعيد العمال، ولم تكن هناك قيود أمامها كما هو اليوم، مع العلم أن عدداً من المسلمين يتزوج بالفتيات الألمانيات

ليحصل على الجنسية وخاصةً أولئك المشرّدين الذين لا يستطيعون الحصول على جوازات سفر من سفارات بلادهم، وأكثر هؤلاء من بلاد الشام.

كما تُردّد المصادر الكنسية نفسها أن مجموع عدد المسلمين في ألمانيا الاتحادية يتراوح بين ١,٥ ـ ١,٨ مليون مسلم، وإن هذا التقدير يُهمل أيضاً عدد الأطفال المسلمين، والزوجات اللواتي لا يعملن.... وإن عدد المسلمين إنما هو مليونان ونصف بينهم نصف مليون دون الخامسة عشرة وسبعمائة ألف امرأة.

وأهم مناطق تجمع المسلمين مقاطعة (رينانيا وستفاليا) ولا سيما في (كولن)، ثم في برلين الغربية، وفرانكفورت، وميونيخ، وشتوتغارت، وهامبورغ، فضلاً عن التجمّعات الطلابية في الجامعات.

التنظيمات الإسلامية: ١ً ـ تأسّست جمعيات بعد الحرب العالمية الأولى لكنها لم تلبث أن تفرّقت إذ عاد كثير من أعضائها إلى بلادهم حيث كانت تضمّ كثيراً من الأسرى.

٢ً ـ تشكّلت بعدئذٍ جمعية إسلامية من الألمان المسلمين لكن لم يلبث أن تسرّب إليها القاديانيون، فكان عبثهم شديداً وخطرهم كبيراً.

٣ً ـ وتألّفت جمعية الجالية الإسلامية في ألمانيا.

٤ً ـ وتأسّست الإدارة الدينية للمسلمين المهاجرين في ألمانيا الاتحادية، وكان كثير من أعضائها جنوداً مسلمين فرّوا من الجيش الروسي، وكانوا يتكلّمون اللغة التركية، وبنوا مركزهم في مدينة (ميونيخ)، وأصدروا مجلة (المهاجرون) باللغة الألمانية، وتصدر مرةً كل ثلاثة أشهر، وكان لهم سبع مدارس مُوزّعة في مدينة (ميونيخ) والمدن الأخرى القريبة منها مثل (نوريمبرغ) و(أولم) و(أوغزبرغ).

٥ً ـ وأسّس الإيرانيون مركزاً إسلامياً في (هامبورغ) ومسجداً، وكان المسجد يتسع لمائة وخمسين مصلياً.

٦ً ـ أُقيم مسجد آخن عام ١٣٨٤، وأصبح مركزاً للمسلمين في مقاطعة (وستفاليا) ومنذ أن وصل إليه عصام العطار دبّ النشاط في ذلك المركز، ويُشرف الآن على اتحاد الطلاب المسلمين في أوربا، وعلى اتحاد العمال المسلمين في أوربا، وعلى الدار الإسلامية للإعلام في العاصمة مدينة (بون) والتي تُصدر مجلة (الرائد) باللغة العربية وبعض الكتب الإسلامية. ويتبع هذا المركز عدد من المراكز الإسلامية وخاصةً في مدن المقاطعة إضافةً إلى المراكز في كثيرٍ من دول أوربا الغربية، وهذا النشاط أثار عليه منافسة المسلمين وخصومة الأعداء. ويُعدّ تنظيم الطلائع الإسلامية المشرف على هذا النشاط.

ويقوم المركز بتعليم أطفال المسلمين الإسلام ومبادىء اللغة ويُخصص يومين للأطفال العرب، ويومين لأطفال الأتراك، ويعقد ندوةً أسبوعيةً للمسلمين المقيمين في مدينة آخن وما حولها، وأُخرى شهرية يحضرها المسلمون في المناطق القريبة وتكون يوم السبت الأول من كل شهر، كما يُقيم مخيماً سنوياً.

٧ً ـ وتأسّس مركز إسلامي ومسجد في ميونيخ في الجنوب عام ١٣٨٥ واشتريت أرض عام ١٣٨٦ لإقامة مسجد ومركز بشكل دائم، ويتولّى هذا المركز النشاط الإسلامي في جنوبي ألمانيا، ويتبع التنظيم الدولي للإخوان المسلمين.

٨ً ـ أسّس المسلمون الاتراك في ميونيخ جمعيةً خاصةً بهم عُرفت باسم (جمعية المسلمين الأتراك ـ ميونيخ) وذلك لأنهم لم يُشاركوا في مركز ميونيخ رغم أن ٩٥٪ من المسلمين في منطقة ميونيخ وضواحيها من الأتراك.

٩ً ـ يقوم مركز إسلامي في (بوخم).

١٠ً ـ بنت الجالية التركية في مدينة (لوبيك) في الشمال مسجداً، ويزيد عدد أفراد هذه الجالية في هذه المدينة على خمسة آلاف مسلم.

١١ً ـ وأسّس الايرانيون في هامبورغ اتحاد الطلبة المسلمين (مكتب مبرز).

١٢ً ـ الجمعية الاسلامية في هامبورغ.

١٣ً ـ الرابطة الإسلامية الألمانية في هامبورغ.

١٤ً ـ جمعية الطلبة المسلمين في كولن.

١٥ً ـ الجمعية الثقافية الإسلامية في كولن.

١٦ً ـ ندوة اللغة العربية والإسلام في مونستر.

١٧ً ـ تذيع إذاعة (كولن) يوم الجمعة باللغة التركية بعض الموضوعات الإسلامية.

ويقف في وجه النشاط الإسلامي البهائيون الذين لهم مركز في فرانكفورت، والقاديانيون الذين معابد في كل من هامبورغ، وبرلين، وفرانكفورت، ومما يُؤسف له أنهم قد ترجموا معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية حسب معتقداتهم التي تُخالف أصول الإسلام، وهي التي تُوزّع في الأسواق، ولا يوجد سواها. واليهود وأخطر ما فيهم أن بعضهم يظهر الإسلام ويعمل على حربه في الداخل ويدّعي ادعاءات كاذبة ويفتري الكذب وهو يعلم، ومنهم رجل من أصلٍ قفقاسي متزوج بنصرانيةٍ يُشرف على مقبرة ميونيخ، وفتاة تُدعى (بهتان) وتملك مكتباً للسياحة في مدينة ميونيخ.


المقياس
كيلومتر ٤٠ ٨٠ ١٢٠ ١٦٠ ٢٠٠
بحر البلطيق
بحر الشمال
لوبيك
هامبورغ
ألمانيا الشرقية
برلين
هولندا
دوسلدورف
كولن
آخن
بون
بلجيكا
لوكسمبورغ
فرانكفورت
تشيكوسلوفاكيا
نورمبرغ
هيدلبرغ
فرنسا
شتوتغارت
أولم
أوغزبرغ
ميونيخ
سويسرا
النمسا

مصور رقم [٥٠] .

(١٣) النمسـا

دولة قارية صغيرة تقع وسط أوربا تبلغ مساحتها ٨٣,٨٤٩ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على ثمانية ملايين. وهي دولة ألمانية تتكلّم اللغة الألمانية، وإن كان للشعب لهجة محلية. كانت في الماضي تتألّف من مناطق واسعة وتدعى امبراطورية النمسا - هنغاريا وتشرف على الإمارات الألمانية التي استقلت عنها فيما بعد، وأسّست دولةً خاصةً بها طغت على النمسا.

تجزأت النمسا بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبحت ضعيفة بعد هزيمتها مع ألمانيا، وفي عام ١٣٥٧ غزاها هتلر وضمّها إلى ألمانيا، ثم أسّست من جديد بعد الحرب، ولكنها بقيت تحت السيطرة الروسية حتى استقلّت عام ١٣٧٥ هـ.

يدين السكان بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي ٨٥٪ منهم، والباقي على المذهب البروتستانتي، ويعيش معهم أربعون ألف مسلم، وخمسة عشر ألفاً من اليهود، ولليهود أثر كبير على الصحافة، وفي النمسا أربع جامعات.

المسلمون: جرى احتكاك بين النمسا والمسلمين في الحروب التي شنّتها أوربا ضدّ الدولة العثمانية لتقف في وجه تقدّمها في أوربا، وقد تمكّن العثمانيون من حصار النمسا عدة مرات أولها كان عام ٩٣٥ أيام السلطان سليمان القانوني، واضطرت النمسا لدفع الجزية للعثمانيين، لكنها تخلّصت من

هذه الجزية عام ١٠١٥ بدفع مائتي ألف دوكا دفعةً واحدةً بينما كانت تدفع سنوياً ثلاثين ألف دوكا. ثم وصل العثمانيون مرة أخرى إلى فينيا بإمرة قره مصطفى، وحاصروها مدة شهرين في عهد السلطان محمد الرابع.

وضعف أمر الدولة العثمانية، وأخذت النمسا مقاطعة البوسنة والهرسك إثر مؤتمر برلين في رجب من عام ١٢٩٠، فانتقل عدد من مسلمي هذه المقاطعة إلى بلاد النمسا ما داموا قد أصبحوا تابعين لها. وتزوّج بعض المسلمين هناك من نساء نمساويات.

وبعد الحرب العالمية الثانية هاجر عدد من اليوغوسلافيين إلى النمسا أو فرّوا بعد سيطرة الشيوعية، وبعد أن انسحب الروس من النمسا عام ١٣٧٥ هـ بدأ العمال الأتراك يفدون إليها للعمل. وقد تطوّر عدد المسلمين في النمسا حسب الجدول الآتي:

عام ١٣٧١ كان عدد المسلمين في النمسا ٣,٠٠٠ مسلم.
عام ١٣٨٥ كان عدد المسلمين في النمسا ٢٠,٠٠٠ مسلم.
عام ١٣٩١ كان عدد المسلمين في النمسا ٣٥,٠٠٠ مسلم.
عام ١٤٠٧ كان عدد المسلمين في النمسا ٤٠,٠٠٠ مسلم.

ويتوزّع هذا العدد حسب الجنسيات كما يلي:

١٨,٠٠٠ يوغوسلافي.
١٣,٠٠٠ تركي.
٣,٠٠٠ طالب.
٣,٠٠٠ نمساوي بعضهم من أصلٍ مسلم من البوسنة (يوغوسلافيا).
٣,٠٠٠ من جنسيات أخرى.

٤٠,٠٠٠ المجموع.

ويتجمّع أكثر المسلمين في مدن فينيا ، وسالزبورغ ، ولينز ، وكلاجنفورت .

التنظيمات الإسلامية: أسس المسلمون الذين قدموا إلى النمسا من البوسنة والهرسك قبيل الحرب العالمية الأولى « الجمعية الثقافية الإسلامية » ، وكانت النمسا يومذاك قد اعترفت بالدين الإسلامي رسمياً ، وقدّمت مساعدةً لبناء مسجد غير أن ظروف الحرب قد قضت على المشروع من أساسه. واستمرّت هذه الجمعية حتى أُلغيت عام ١٣٥٨ إبان الحكم الألماني .

وتأسّست عام ١٣٧٠ « جمعية مسلمي النمسا » ولكنها حُلّت عام ١٣٨٢ .

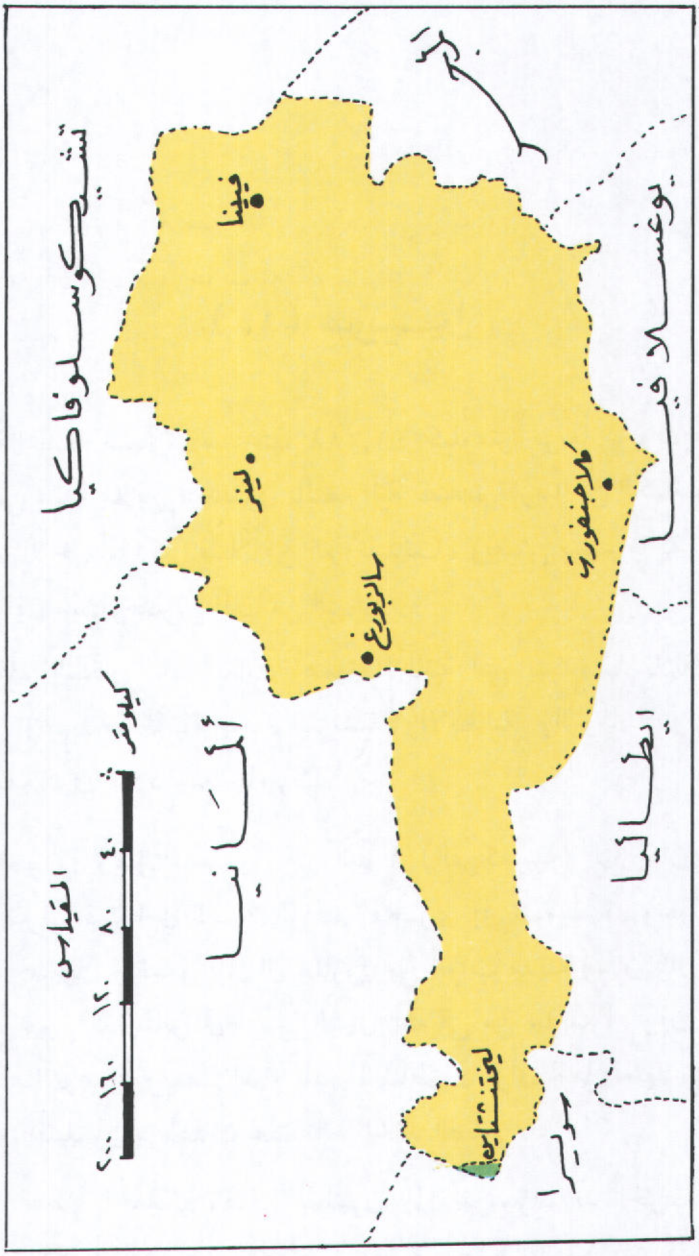
وتأسست عام ١٣٨٢ « جمعية الخدمات الإسلامية الاجتماعية » وانضمّت اليها معظم المجموعات الإسلامية ، ولها مركز للصلاة في فيينا ، ومكتبة إسلامية ، وتُصدر مجلة (الصراط المستقيم) باللغات الألمانية ، واليوغوسلافية ، والتركية ، وللجمعية فروع في عددٍ من مدن النمسا .

وهناك اتحاد الطلبة المسلمين ومقرّه المعهد الإفريقي الآسيوي في فيينا الذي هو مؤسسة كاثوليكية .

ووجدت جمعية الطلبة الإسلاميين الايرانيين ومقرّها المعهد الافريقي الآسيوي نفسه .

وحتى الآن لم تعترف بالإسلام ، إذ ألغت اعترافها السابق ، وعمل سفراء بعض الدول الإسلامية على فتح مركز إسلامي في فيينا .

ولا توجد مدارس إسلامية ، والمسلمون هناك مهملون وقد ارتدّت ٧٦ عائلة عن الإسلام للجهل ، والدعاية والتشكيك .


تشيكوسلوفاكيا
فيينا
لينز
سالزبورغ
كلاغنفورت
يوغسلافيا
إيطاليا
ألمانيا
سويسرا
ليختنشتاين
المقياس
كيلومتر
٤٠ ٨٠ ١٢٠ ١٦٠ ٢٠٠

مصور رقم [٥١] .

(١٤) سويسرا

دولة اتحادية صغيرة، مساحتها ٤١,٢٨٨ كيلومتراً مربعاً. ويزيد سكانها قليلاً على سبعة ملايين، يدينون بالنصرانية نصفهم تقريباً من الكاثوليك والنصف الآخر أو أكثر قليلاً من البروتستانت، ويعيش بينهم ما يقرب من أربعين ألف مسلم وعشرين ألف من اليهود.

ويتكلّم السكان أربع لغات أهمها الألمانية التي يتكلم بها ثلاثة أرباع السكان، ولهم لهجة خاصة بهم، ثم الفرنسية، والايطالية، والرومانية، والأخيرة لغة لاتينية. وفي البلاد سبع جامعات.

المسلمون: وصل المسلمون من الدولة (الفركسينية) التي كان مقرها جنوب شرقي فرنسا في القرن الرابع الهجري إلى سويسرا، وتجوّلوا في أرجائها جميعها، وتقدّموا إلى أن صاروا على أبواب مدينة (سان غال) وعلى ضفاف بحيرة كونستانز في أقصى الشمال الشرقي من سويسرا، وإن لم يطل مُقامهم هناك غير أن بعض أسماء المدن والمناطق لا تزال تحمل لغتهم وأثرهم، وقد زال المسلمون من هناك تحت تأثير الحقد الصليبي.

وفي العصر الحديث وصل المسلمون إلى سويسرا بعد الحرب العالمية الأولى، وكان أكثرهم من اللاجئين السياسيين، ولكن العدد بقي قليلاً حتى عام ١٣٧١ حيث لم يزد على الألفين، كما اعتنق بعض السويسريين الإسلام،

وبعد هذه المرحلة بدأ العمال المسلمون يفدون إلى البلاد فوصل العدد إلى ثلاثين ألفاً عام ١٣٩١، وأكثرهم كانوا يُقيمون بصورةٍ موقتةٍ (٢٣ ألفاً) و(٢ ألف) يُقيمون بصورةٍ دائمةٍ والباقي وهو خمسة آلاف من السويسريين، ألفان حصلوا على الجنسية السويسرية، وثلاثة آلاف اعتنقوا الإسلام من غير أن يُعلنوا ذلك خوفاً من حقد النصارى عليهم، ويصل العدد اليوم إلى أربعين ألفاً.

التنظيمات الإسلامية: ١ً - سافر سعيد رمضان إلى سويسرا في مطلع الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، وأقام في مدينة جنيف، وافتتح مركزاً إسلامياً، وأصدر مجلة (المسلمون) التي كانت تصدر في القاهرة ثم في دمشق، ولكن لم تطل أيام المركز.

٢ً - وتأسّست جمعية إسلامية عام ١٣٩٢، وقامت ببناء مسجدٍ ومركزٍ إسلامي، وكانت تُشرف على تعليم أطفال المسلمين في المسجد.

٣ً - وقامت المؤسسة الإسلامية في مدينة جنيف عام ١٣٩٣، وأقامت مسجداً، ومكتبةً، ومدرسةً وقاعةً للمحاضرات، وأنفقت المملكة العربية السعودية على هذا المشروع.

٤ً - يقوم المعهد الإسلامي في مدينة جنيف.

٥ً - يقوم المعهد الإسلامي في مدينة زوريخ.

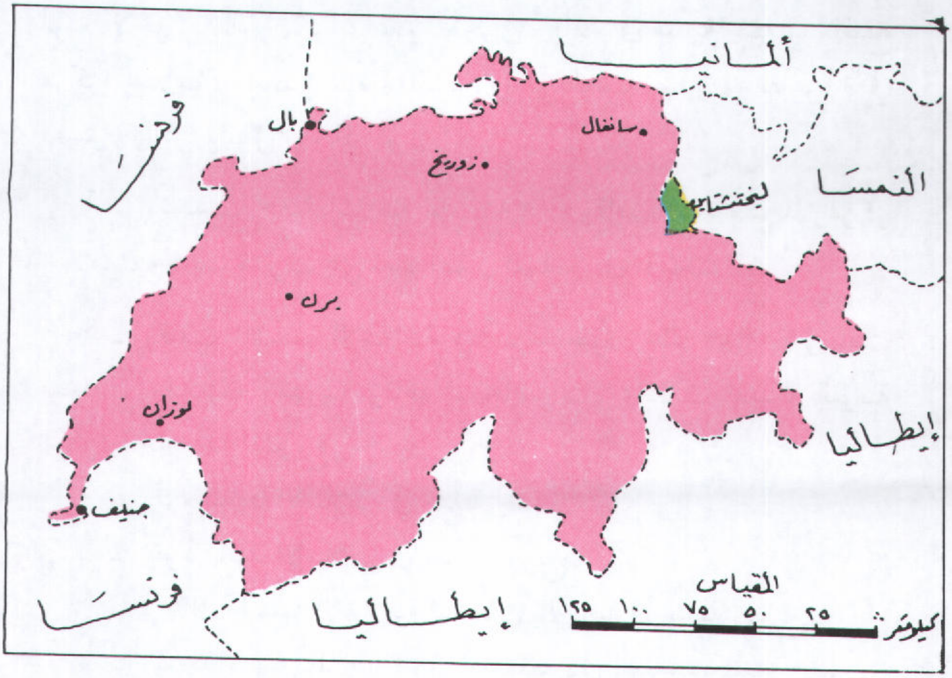
٦ً - وهناك الجمعية الإسلامية للناطقين بالألمانية في مدينة زوريخ.

٧ً - ويوجد معهد الطلاب العرب والمسلمين في ليونسيديكس.

ويجد المسلمون عنتاً كبيراً من اليهود الذين لهم تأثير كبير على الرأي العام، ومن القاديانيين الذين لهم معبد في مدينة زوريخ وقد أُقيم منذ عام ١٣٨٢ هـ.

وإلى الشرق من سويسرا بينها وبين النمسا توجد مملكة صغيرة تُسمّى

(ليختنشتاين) لا تزيد مساحتها على ١٥٧ كيلو متراً مربعاً، وقد استقلّت عن النمسا في أواخر عام ١٣٣٦، ولا يزيد عدد سكانها على خمسة وعشرين ألفاً يتكلّمون اللغة الألمانية، ويدينون بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي، ويعيش بينهم سبعة آلاف مسلم بصورة موقتة يحيون كعمال.



مصور رقم [٥٢].

(١٥) إيطاليـــا

جمهورية متوسطية تبلغ مساحتها ٣٠١,٢٤٤ كيلومتراً مربعاً، فهي من الدول الكبيرة المساحة في أوربا، ويزيد عدد سكانها على خمسةٍ وخمسين مليوناً، عاصمتها مدينة روما التي تضمّ دولة الفاتيكان، كما توجد في داخل ايطاليا أيضاً جمهورية (سان مارينو) التي لا تصل مساحتها إلى اثنين وستين كيلومتراً مربعاً ولا يزيد عدد سكانها على تسعة عشر ألفاً. ويدين الايطاليون بالنصرانية على المذهب الكـاثـوليكـي، ويعيش بينهـم مـائـة ألـف نصراني بروتستانتي، وثمانين ألف مسلم، وخمسة وثلاثين ألفاً من اليهود.

وكانت مُجزّأةً وتوحّدت عام ١٢٨٨ هـ، وأُلغيـت الملكيـة فيهـا بعـد الحرب العالمية الثانية وأُعلنت الجمهورية. ويتكلّم السكان اللغة الإيطالية، وفيها أربع مقاطعات ذات استقلالٍ ذاتي وهي: جزيرة صقلية، وجزيرة سردينيا التي تتكلّم لغةً خاصةً بها، ووادي (الأديج) حيث يتكلم السكان اللغة الألمانية وهي على حدود النمسا وقاعدتها مدينة (ترنتو)، والوادي الأوسط حيث تسود اللغة الفرنسية على الحدود السويسرية الفرنسية، وقاعدتها مدينة (الأوسط).

وتتبع ايطاليا عدة جزر أهمها: صقلية وسردينيا، وقوصرة، وإلبا.

المسلمون: فتح المسلمون جزر البحر المتوسط ومنها صقلية، وسردينيا، وقوصرة، كما فتحوا جنوبي ايطاليا ولذا فإن احتكاكاً كبيراً قد حدث بين المسلمين وبين الطليان، وربما كان أكثره في جزيرة صقلية حيث طال بقاء المسلمين حتى انتشرت حضارتهم، وعمت لغتهم، وساد دينهم.

قوصرة: جزيرة صغيرة لا تزيد مساحتها على مائة كيلومتر مربع، تقع بين تونس وصقلية، ولا تبعد عن تونس أكثر من سبعين كيلومتراً، وتُعرف اليوم باسم (بانتيليرا)، وتتبع ايطاليا. وتأتي أهميتها من موقعها.

فتح المسلمون قوصرة في وقتٍ مبكرٍ، في عهد الفتوحات الأولى، أيام عبد الملك بن مروان، وعمّ فيها الإسلام، وانتشرت العربية، وبقيت الجزيرة في حوزة المسلمين حتى قوي شأن أوزربا فقامت حرب الإبادة في الجزيرة، كما هُجرّ قسم من السكان عن أرضه، وبقي في قوصرة عدد ضئيل من المسلمين انقطعت صلتهم مع إخوانهم في الأمصار الإسلامية الأمر الذي أدخل كثيراً من التشويهات على العقيدة، وعدد المسلمين اليوم فيها محدود.

صقلية: جزيرة كبيرة تبلغ مساحتها ٢٥,٤٦٠ كيلومتراً مربعاً، ويزيد سكانها على خمسة ملايين، وهي ذات موقع مهم إذ تقسم البحر المتوسط إلى قسمين، وتتحكم في ممراته، ولا يفصلها عن شبه جزيرة ايطاليا سوى مضيق (مسينا) الذي لا يزيد عرضه على خمسة كيلومترات.

فتح المسلمون صقلية أيام دولة بني الأغلب عام ٢١٢ إذ أرسلوا لها جيشاً بقيادة الفقيه أسد بن الفرات فدخل الجزيرة وحرّرها من الطغيان البيزنطي الذي زال نهائياً عنها عام ٢٩٠، وبقيت بيد المسلمين، وعادت غارات البيزنطيين على الجزيرة في عام ٣٥٥، واستطاع النورمانديون دخولها عام ٤٨٤ هـ بأمر من البابا بعد أن تجزأت إلى عددٍ من الإمارات الصغيرة. فلما استقرّ الوضع للنورمانديين بدأت حرب الإبادة والتنصير، وحدثت مجازر وأحداث تقشعر لها الأبدان، وكتم بعض الناس إسلامهم مدة، وأظهروا

النصرانية، ومنهم الحسن الوزّان المشهور [1]. وقد كان معظم سكان الجزيرة من المسلمين، واللغة السائدة هي العربية، حتى اضطر روجر النورماندي أن يُبقي على اللغة ريثما تسنح له الفرصة لإلغائها كما استفاد من العلماء الذين كانوا في الجزيرة إذ كانت الحضارة هي السائدة. واستمرّت حرب الإبادة ضدّ المسلمين حتى خلت الجزيرة منهم، وإن بقي أثرهم الحضاري.

سردينيا: جزيرة كبيرة تبلغ مساحتها ٢٤,٠٨٩ كيلومتراً مربعاً. غزاها المسلمون عام ٩١ هـ، واستطاع بنو الأغلب فتحها عام ١٩٤، وبقيت في أيدي المسلمين حتى عام ٤٢٣ حيث تمكّن النصارى من دخولها ومع تسلّطهم بدأت إبادة المسلمين وتهجيرهم حتى خلت الجزيرة من المسلمين.

جنوبي ايطاليا: فتح المسلمون جنوبي إيطاليا عام ٢٢٤ هـ، وقامت هناك حكومة إسلامية، ووصل الغزو إلى قرب مدينة روما، غير أن خلاف المسلمين فيما بينهم قد أضعف أمرهم وقوّى عدوهم، فاشتدّ ضغط الصليبيين على المسلمين حتى زالت دولتهم، واضطروا إلى مغادرة مواقعهم، ومن بقي منهم قُتل أو أُجبر على التنصّر، ومع الزمن زال الإسلام الذي كتم في القلوب عدة قرون.

وكذلك وصل المسلمون إلى شمالي ايطاليا حوالي عام ٢٩٤ هـ من الدولة (الفركسينية) إذ وصلوا إلى شواطىء جنوه، وإلى البيه مونت في وادي (سوزا) غرب (تورينو)، ولا تزال الأسماء التي أطلقوها على المناطق في وادي التيرول كما هي، ومنها (الأوسط) وغيرها. وبقي المسلمون هناك حتى عام ٣٦٥ حيث سقط آخر معاقلهم، وهو حصن (فركسينت) بيد النصارى. واستولت الكنيسة على كثيرٍ من الأراضي التي كانت بأيدي المسلمين.

وفي أيام الدولة العثمانية دخل المسلمون ميناء اوترانتو في الجنوب عام

---

(١) يمكن الرجوع إلى رحلة ابن جبير.

٨٨٥ أيام السلطان محمد الفاتح، وبقوا فيها حتى عام ١١٢٤ هـ. وزال أثر الإسلام من ايطاليا بعد هذه المدة حتى العصر الحديث.

وفي الوقت المعاصر جاء مسلمون مهاجرون من أوربا الشرقية فارين من الضغط الشيوعي، فاستقرّ بهم المقام في ايطاليا، كما وفد إليها عمال للعمل في المصانع الايطالية إضافةً إلى الطلاب الذين يدرسون في جامعاتها، ورجال السلك السياسي، والايطاليون الذين اعتنقوا الإسلام.

التنظيمات الإسلامية: ١ً ـ تأسست جمعية (الاتحاد الإسلامي في الغرب) لرعاية المسلمين القادمين من أوربا الشرقية وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، وقد حصلت على مقبرةٍ للمسلمين، وكانت تقوم بالواجبات المترتبة عليها تجاه المسلمين. ومقرّها مدينة روما، وتعمل لتأسيس مدرسة لأبناء المسلمين.

٢ً ـ أُنشىء المركز الإسلامي في مدينة روما عام ١٣٨٦.

٣ً ـ اتحاد الطلبة المسلمين وله فروع في خمس مدن.

٤ً ـ المركز الصحافي للدراسات الإسلامية في روما.

٥ً ـ المركز الإسلامي في ميلانو.

ويقف في وجه المسلمين اليهود الذين لهم تأثير على الصحافة وعلى الرأي العام، والقاديانيون الذين يطبعون كتبهم ويوزعونها، والبهائيون الذين ترجموا معاني القرآن الكريم إلى الإيطالية حسب عقيدتهم الزائفة.



المقياس
كيلومتر
٧٥
١٥٠
٢٢٥
ترنتو
ميلانو
تورينو
جنوه
سان مارينو
كورسيكا
إلبا
روما
سردينيا
نابولي
برنديزي
اوترانتو
مسينا
صقلية
قوصرة
تونس

مصور رقم [٥٣] .

(١٦) مَالطَـة

دولة تتألّف من مجموعة جزر، تُعـرف بـاسم أكبرهـا (مـالطـة)، تبلـغ مساحتها جميعها ٣٢٦ كيلومتراً مربعاً، تغطي جـزيـرة مـالطـة منهـا ٢٣٦ كيلومتراً مربعاً، وغوزو ٦٣ كيلومتراً مربعاً، وكومينو ٢٦ كيلومتر مربعاً، وفليفلا كيلومتراً مربعاً واحداً.

تبعد هذه الجزر عن جزيرة صقلية ٩٣ كيلومتراً، وعن تونس ٢٩٠ كيلومتراً. ولا يزيد عدد سكانها على ثلاثمائةٍ وخمسين ألفاً، بينهم أربعون ألف مسلم أي يُشكّلون ١١٪ من مجموع السكان.

المسلمون: فتح الأغالبة مالطة عام ٢٥٦، واستمرّ المسلمون فيها حتى عام ٤٨٣، فعمّ الإسلام، وانتشرت اللغة العربية، فلما جاء النورمانديون أيام روجر أرغموا أهلها على الخروج من الإسلام.

استمرّ حكم النورمانديين مالطة حتى عام ٩٣٧ إذ انتقل إليها فرسان القديس يوحنا عام ٩٢٩ بعد أن طردهم العثمانيون من جزيرة رودوس، وفي عام ٩٣٧ تمكّن هؤلاء الفـرسـان مـن السيطـرة على مـالطة، وأنهوا حكـم النورمانديين.

نزل العثمانيون في مالطة مدةً قصيرةً عام ٩٥٩ وغادروها بعدئذ، ثم ألقوا الحصار عليها أربعة أشهر عام ٩٧١ ولكنهم أخفقوا في فتحها.

بقي فرسان القديس يوحنا حتى طردهم من مالطة نابليون بونابرت عام ١٢١٣ وهو في طريقه إلى مصر يقود حملةً للسيطرة عليها ، ولكن الانكليز أخرجوا الفرنسيين منها عام ١٢١٧ ، وبقيت مالطة بعدها بيد الانكليز حتى حصلت على استقلالها عام ١٣٨٤ ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) ، وبقي للانكليز قواعد فيها .

يتكلّم السكان لغةً يسمونها المالطية ، وما هي في الحقيقة سوى لهجةٍ خاصةٍ قريبة من اللهجة التونسية ، ومن اللغة العربية ، وقد كتبت هذه اللهجة بالحرف اللاتيني في القرن الثاني عشر الهجري ، وكانت من قبل تكتب بالحرف العربي . ويقال : إن هذه اللغة من أصل فينيقي . ويدين أغلب السكان بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي . وفي البلاد جامعة واحدة .

وجاء مسلمون من ليبيا وتونس مهاجرين إليها ، وأقامت ليبيا عام ١٣٩٤ مركزاً إسلامياً ومسجداً تُؤدّى فيه الصلاة : الجماعة وصلاة الجمعة والأعياد .



مصور رقم [٥٤] .

(١٧) اليونان

جمهورية صغيرة تبلغ مساحتها ١٣١,٩٤٤ كيلومتراً مربعاً، وتشمل عدداً كبيراً من الجزر منتشرة في بحر ايجه الذي بينها وبين تركيا، وتتبعها حتى الجزر التي تقوم قرب السواحل التركية، وأهم الجزر اليونانية، رودوس، وكريت. كانت مملكةً، وأُعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٩٣ هـ.

ويزيد عدد سكانها على عشرة ملايين، يعيش بينهم ربع مليون مسلم تقريبا.

المسلمون: فتح المسلمون جزيرة رودوس في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٣١ هـ، تمهيداً لفتح القسطنطينية، ثم عادوا فانسحبوا منها عام ٣٩ هـ للأحداث التي قامت داخل المجتمع الإسلامي، ثم عادوا ففتحوها أيام سليمان بن عبد الملك عام ٩٩ للغرض نفسه لكن عادوا فانسحبوا منها بعد عامٍ واحدٍ أيام عمر بن عبد العزيز.

وفي العهد العثماني دخل المسلمون رودوس عام ٩٢٩ أيام السلطان سليمان القانوني، وبقيت بأيديهم أكثر من أربعة قرون، ثم أُجبروا على الانسحاب منها عام ١٣٣١ حيث تبعت ايطاليا حتى عام ١٣٦٧ حيث أُلحقت باليونان، وكان الإسلام قد ساد بين أهلها، وبعد مجيء النصارى بدأت أعمال العنف

والإبادة والتهجير حتى لم يبق من المسلمين سوى عشرة آلاف مسلم. وهي لا تبعد عن الشواطىء التركية سوى ثمانية كيلومترات، وتبلغ مساحتها ١٢٥٠ كيلومتراً مربعاً.

وغزا المسلمون جزيرة كريت التي تبلغ مساحتها ٨,٣٠٠ كيلومتر مربع في منتصف القرن الأول الهجري أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ولكن لم يتمكنوا من فتحها، وجاءتها جماعة من الأندلس بإمرة أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي عام ٢١٢، وأسّسوا فيها حكومةً لهم استمرّت حتى عام ٣٥٠ حيث عاد إليها الروم، ويُسمّيها المسلمون (اقريطش) وفي أيام الحكم الإسلامي اعتنق جميع أهلها الإسلام فلما جاء البيزنطيون بدؤوا بحرب الإبادة والتهجير والتنصير حتى لم يبق للمسلمين أي أثر... ومع ذلك فقد بقي الظلم يلحق أهلها النصارى.

وجاء العثمانيون إلى جزيرة كريت عام ١٠٨٠ بناءً على طلب أهلها المضطهدين في سبيل إزالة الظلم عنهم، ورجع كثير من أهلها إلى الإسلام، كما أسلم الكثير من جديد، وغدا معظم أهلها من المسلمين، وضعفت الدولة العثمانية، ودخل محمد علي باشا والي مصر عام ١٢٣٩ كريت، واستمرّت تتبع مصر حتى عام ١٢٥٦ حيث أُعيدت للدولة العثمانية، وأجبرت على الانسحاب منها عام ١٣١٦، واستقلت، ثم تبعت اليونان عام ١٣٣١ هـ. عندما خرج العثمانيون من جزيرة كريت كان عدد المسلمين فيها ٨٩ ألف مسلم بقوا بعد عشر سنوات ٣٣ ألفاً، واستمرّ العدد في النقصان نتيجة الإبادة والتهجير والتنصير حتى خلت نهائياً من المسلمين.

أما أرض اليونان فلم يصل إليها المسلمون إلا في العهد العثماني فقد فتح السلطان مراد الأول مقدونيا عام ٧٨٢، وفتح السلطان بايزيد الأول منطقة تساليا، وفتح السلطان محمد الفاتح بلاد الموره عام ٨٦٣، كما فتح السلطان نفسه جزر بحر إيجه وهكذا أصبحت بلاد اليونان اليوم كلها ضمن أراضي

العثمانيين. وانتقل إلى الأرض اليونانية عدد كبير من المسلمين من الأتراك والبلغار والألبان، ووصل عدد المسلمين في اليونان إلى ما يقرب من نصف السكان.

وعندما ضعفت الدولة العثمانية وبدأت الدول الصليبية تُثير في وجهها المشكلات فكان مما أثارته دفع اليونانيين للثورة ضدّ العثمانيين فجرت حروب بين الطرفين دفع النصارى في أوربا كلها اليونانيين وأمدوهم بالسلاح والمال والقوات، وانتهى القتال بين الجانبين واستقلّت اليونان، وعندما سيطرت على الوضع بدأت تمارس ضغوطاً عنيفةً ضدّ المسلمين، إذ ألزمت أعداداً من المسلمين في مقدونيا على الهجرة، كما طردت المسلمين الألبان من منطقة الجنينة التي استولت عليها من ألبانيا عام ١٣٣٢، ونتيجة هذا الضغط فقد غادر اليونان ١,٢٠٠,٠٠٠ مسلم. وبذا بدأ عدد المسلمين في اليونان بالتناقص حسب الجدول الآتي:

كان عدد المسلمين في اليونان عام ١٣٣٩ ١,٤٠٠,٠٠٠ مسلم أي ما يزيد على ربع السكان عامةً.

فأصبح عام ١٣٥٩ ١٣٤,٧٢٢ مسلماً.
عام ١٣٧١ ١٣٤,٠٠٠ مسلم.
عام ١٣٨١ ١٢٦,٠٠٠ مسلم.

وكان قد بقي عدد من المسلمين في منطقة غربي اليونان فذُبح أكثرهم بعد الحرب العالمية الثانية والباقي قد طُرد.

وينتمي المسلمون في اليونان إلى ثلاث مجموعات هي الأتراك، والألبان، والبلغار (البوماك)، وبعض الشراكسة، ويُشكّل الأتراك ثلاثة أرباع المسلمين، ويتجمّع المسلمون في خمس مناطق هي:

١ - **تراقيا الغربية:** وهي تتمة لتراقيا التي تقع في تركيا، ويُقدّر عدد سكانها بأربعمائة وخمسين ألفاً يعيش بينهم مائة وثلاثون ألفاً من المسلمين أي ٢٩٪ من مجموع سكان هذه المقاطعة، على حين كانوا يُشكّلون عام ١٣٣٧ بالنسبة إلى سكان المقاطعة ٦٠٪ إذ كانوا ١١٤,٨١٠ مسلم، على حين كان عدد سكان المقاطعة هو ١٩١,٣٥٠ إنسان في ذلك العام، وبدأ التناقص حسب الجدول الآتي:

عام ١٣٣٧ كان المسلمون ١١٤,٨١٠ مسلم.
عام ١٣٤١ كان المسلمون ١٢٩,١٢٠ مسلماً.
عام ١٣٩١ كان المسلمون ٩٠,٠٠٠ مسلم.
عام ١٣٩٥ كان المسلمون ١١٧,٠٠٠ مسلم.
عام ١٤٠٧ كان المسلمون ١٣٠,٠٠٠ مسلم.

ويُقدّر عدد المهاجرين من تراقيا الغربية بـ ٥٤٠,٠٠٠ من عام ١٣٣٨ حتى عام ١٣٩٥، وقد انتقل معظمهم إلى تركيا، وهاجر بعضهم إلى استراليا. وفي الوقت نفسه انخفض عدد القرى المسلمة في المدة نفسها من ثلاثمائة قرية إلى اثنتين وأربعين قرية. وأكثر المسلمين في تراقيا الغربية يعود إلى أصلٍ تركي.

١ - **مقدونيا:** ويُقيم فيها خمسة عشر ألفاً من المسلمين معظمهم من الألبان، والبلغار (البوماك)، والغجر، وأكثرهم يسكن مدينة (سالونيك).

٣ - **جزر بحر ايجه:** ويوجد ما يقرب من خمسة عشر ألفاً من المسلمين يتوزعون في جزر بحر ايجه، وأكثرهم من الأتراك.

٤ - **مقاطعة إيبروس:** في الشمال الغربي، وهذه المنطقة تتبع إلى ألبانيا بالأصل احتلتها اليونان عام ١٣٣٢، وقد جرى تبادل سكان مع ألبانيا. وكان يُقيم في هذه المقاطعة أكثر من خمسين ألف مسلم معظمهم في مدينة (جنينة) عاصمة المقاطعة، ويقرب عددهم الآن من خمسة عشر ألفاً.

٥ً - **أثينا:** بصفتها العاصمة، ويسكنها اليوم ما يزيد على خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين، منهم الأتراك، ومنهم الألبان الذين انتقلوا إليها، كما توجد فيها جالية عربية.

مع العلم أن اليونانيين لا يضطهدون المسلمين لأنهم أتراك أو بلغار، أو ألبان وإنما لأنهم من المسلمين فالحقد ليس قومياً وإنما صليبياً، وهذا يبدو من إبادة المسلمين في جزيرة كريت رغم أنهم من أصلٍ يوناني، ويتكلّمون لغةً يونانيةً أيضاً.

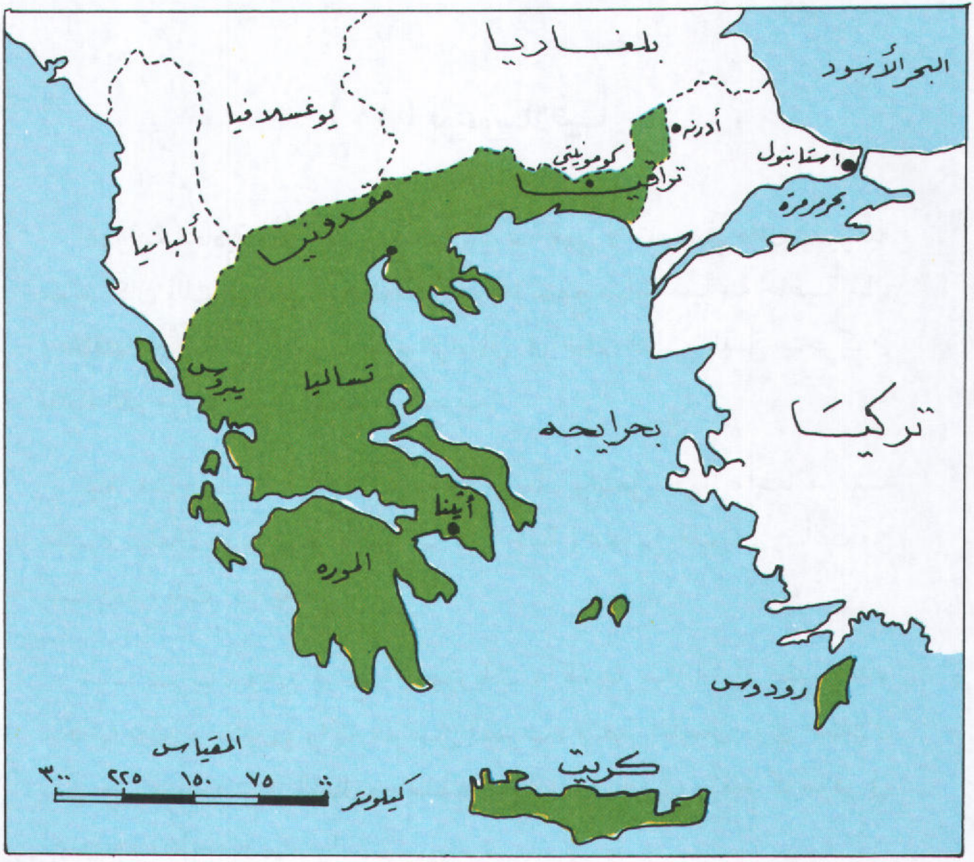
المساجد: كان عدد المساجد كبيراً أيام الحكم العثماني، وقد انخفض إلى ٣٠٠ مسجد عندما آل الأمر إلى اليونانيين، ثم انخفض العدد ولا يزال في تناقص مستمر، ويوجد الآن أربعة عشر مسجداً في عاصمة تراقيا الغربية (كومونيتي)، ويزيد سكانها على ثلاثين ألفاً نصفهم من المسلمين. كما يوجد عشرة مساجد في (ايزكيدي)، وخمسة مساجد في جزيرة (رودوس).

المدارس: يوجد ما يقرب من مائتي قرية مسلمة في كل قرية مدرسة ابتدائية للأطفال المسلمين. وتقوم خمس مدارس تُعلّم اللغة التركية بالحرف العربي، ومتوسطتان، وثانويتان، ومدرستان إسلاميتان لتخريج الأئمة أحدهما تُسمّى بالرشادية والثانية بالخيرية. وتوضع القيود الكثيرة في وجه مدارس المسلمين.

التنظيمات: أُسّس عام ١٣٥١ منظمة اتحاد الإسلام، وتصدر مجلةً نصف شهرية تحمل اسم (المحافظون). وهناك جمعية يقظة الإسلام، وتصدر مجلة (الثبات) التي تصدر أسبوعياً.

وهناك اللجنة الإسلامية في مدينة كيوركاو.

وفي الوقت الذي تجد هذه المنظمات كل الضغوط في وجهها، نجد دعم منظمة قومية هي منظمة (الشباب الاتراك)، وهي تحمل أفكار كمال أتاتورك، وتصدر ثلاث صحف اسبوعية هي: الهجوم، القومية، وبريد الأقلية.


بلغاريا
البحر الأسود
يوغسلافيا
أدرنه
كوموتيني
اصطانبول
تراقيا
بحر مرمرة
مقدونيا
ألبانيا
يبروس
تساليا
تركيا
بحر إيجه
أثينا
المورة
رودوس
المقياس
كريت
كيلومتر
٣٠٠ ٢٢٥ ١٥٠ ٧٥ ٠

مصور رقم [٥٥] .

(١٨) يوغوسلافيا

جمهورية اتحادية شيوعية، ومع أنها شيوعية فهي لا تدور في فلك الشيوعية سواء أكان فلك موسكو أم فلك بكين، وإنما تنتهج سياسة شيوعيةً خاصةً بها، وعلاقتها جيدة مع أعوان النظام الرأسمالي في العالم الثالث الذين يتحرّكون باتجاه الشرق، ويتلقّون الدعم من الغرب.

تبلغ مساحتها ٢٥٥,٨٠٤ كيلومتراً مربعاً، وتشغل جزءاً واسعاً من شبه جزيرة البلقان، ويزيد عدد سكانها على خمسةٍ وعشرين مليوناً، وتتألف من ست جمهوريات اتحادية هي:

١ - **صربيا**: وهي أوسع الجمهوريات وأكثرها سكاناً، إذ يقدر عدد سكانها بعشرة ملايين، وأكثرهم من الصرب، وتضمّ إقليمين ذوي استقلال ذاتي هما: فويفودينا في الشمال وعاصمته مدينة (نوفيساد)، وإقليم كوسوفو في الجنوب، وعاصمته برشتينا.

٢ - **سلوفينا**: ويبلغ عدد سكانها ١,٩٠٠,٠٠٠، ويقطنها (السلوفين)، وعاصمتها (لوبليانا).

٣ - **كرواتيا**: ويزيد عدد سكانها على ٥,٥٠٠,٠٠٠، وهم من الكروات، وعاصمتها مدينة (زغرب).

٤ً - **البوسنة والهرسك:** ويقدر عدد سكانها بخمسة ملايين، وتضمّ البشانقة بشكل رئيسي ثم الكروات، والصرب، وعاصمتها مدينة (سيراجيفو).

٥ً - **مقدونيا:** ويقطنها مليونان معظمهم من المقدونيين، وعاصمتها مدينة (سكوبيا).

٦ً - **الجبل الأسود:** أصغر الجمهوريات، ولا يزيد عدد سكانها على ثمانمائة ألف، وعاصمتها (تيتوغراد).

ينتمي سكان يوغوسلافيا إلى عدة مجموعات أكبرها: السلاف الجنوبيون (الصقالبة الجنوبيون) ومنهم الصرب، والكروات، والبوشناق، ومنها الألبان، والمقدونيون، والأتراك وبناءً على ذلك تتعدد اللغات واللهجات.

واللغة الصربية هي الرسمية، ولكنها تستعمل أبجدتين، فالصرب والبوشناق يستعملون أبجدية هي الروسية، والكروات والسلوفين يكتبون أبجدية أخرى هي اللاتينية.

احتل الرومان المنطقة، وبدأت النصرانية تنتشر في أرجائها عن طريق روما، ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية على نفسها **عام ٣٩٥،** أخذت النصرانية تصل إلى المنطقة عن طريق القسطنطينية، وهكذا وجد الكاثوليك كما وجد الأرثوذكس. لقد اعتنق السلوفين والكروات الكاثوليكية، ودان الصرب بالأرثوذكسية.

المسلمون: وفي أواخر القرن الرابع الهجري وصل البشانقة والكومان إلى المنطقة من بُلغار في حوض نهر الفولغا، وكان بعضهم يحمل عقيدة الإسلام، وإن لم تكن تعاليمه قد رسخت تماماً في نفوسهم، وقد أقاموا في المنطقة الجبلية، وشكّلوا لهم حكومةً خاصةً بين الكروات والسلوفين الكاثوليك والصرب الأرثوذكس، واعتنق بعض البشانقة النصرانية تأثراً بالمحيط الذي

يعيشون فيه ولأن عقيدة الإسلام لم تكن عميقة الجذور في قلوبهم، غير أنهم لم تقبل نفوسهم كل ما في النصرانية سواء أكانت كاثوليكيةً أم أرثوذكسيةً بسبب بعض المفاهيم التي كانت لديهم، لذا كانت لهم كنيسة خاصة لا مثيل لها في العالم عرفت بـ (البوغوميل)، وقد اعتنقها مع الألبان أيضاً، ولا شك أن هذه الكنيسة متأثّرة بالإسلام تأثّراً كبيراً للخلفية السابقة لديهم ولاحتكاكهم بإخوانهم البشانقة الذين سبق لهم أن أسلموا في مواطنهم الأولى وإن لم يتمسّكوا بذلك. وقد اضطهدت الكنيسة الكاثوليكية البشانقة كما اضطهدتم الكنيسة الأرثوذكسية سواء أكانوا مسلمين أم نصارى بوغوميل، واستمرّ ذلك حتى جاء العثمانيون.

دخل السلطان العثماني مراد الأول بلاد الصرب، كما دخلها ابنه بايزيد الأول، وبعد معركة (كوسوفو) عام ٧٩٢ اعتنق عدد من الصرب الإسلام. وبعد عام ٨٦٤ في عهد السلطان محمد الفاتح غدت بلاد الصرب ولايةً عثمانيةً إذ فتحها بناءً على طلب المضطهدين من البشانقة، والكومان، والألبان وجميع أتباع كنيسة البوغوميل، فلما تمّ الفتح أقبل هؤلاء على الإسلام طواعيةً ورغبة. كما أسلم عدد من الصرب إضافةً إلى الأتراك الذين استقرّوا في المنطقة، واستمرّ ذلك أكثر من أربعة قرون.

ضعف أمر العثمانيين واضطروا إلى التنازل عن منطقة البوسنة والهرسك في مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ إلى دولة النمسا التي أخذت في اضطهاد المسلمين وأجبرت عدداً كبيراً منهم إلى الهجرة نحو بلاد الأناضول والمناطق التي بقيت بيد العثمانيين. أما البشانقة الذين ظلّوا في ديارهم فقد ثاروا ضدّ حُكّامهم الطغاة النمساويين بسبب ما أصابهم من بلاء على أيديهم وكانت ثورتهم عام ١٣١٨ بقيادة (علي فهمي جاتيش) فحصلوا على الاستقلال الذاتي. وعندما زار ولي عهد النمسا وزوجته المنطقة أُطلق عليهما النار وكان نتيجة ذلك أن اندلعت الحرب العالمية الأولى. وزال النمساويون من المنطقة.

كان البشانقة أكثريةً في منطقتهم قبل مجيء النمساويين، غير أن المُتسلّطين النمساويين لم يقوموا بإجراء إحصاء إلا بعد أن هاجر الكثير من المسلمين، ووفد الكثير من النصارى لامتلاك الأراضي التي هجرها أصحابها هاربين من الضغط وخوفاً من أن يفتنهم الذين كفروا، ومع ذلك فإن إحصاء النمساويين قدر المسلمين بنسبة ٣٨,٧٪ من مجموع سكان المقاطعة، واستمرت هذه النسبة في التدني حتى عام ١٣٥٠ هـ، حيث وصلت الى ٣٠,٩٪ وبلغ عدد البوشناق الذين هاجروا من بلادهم أكثر من ثلاثمائة ألف هذا عدا عن الأتراك والجماعات الإسلامية الأخرى التي تركت المنطقة نتيجة الضغط والاضطهاد، فقد هاجر مثلاً جميع الشراكسة الذين كانوا يسكنون المنطقة.

ظهرت مملكة الصرب بعد الحرب العالمية الأولى فظنّ المسلمون أن الفرج قد اقترب ما دام النمساويون قد زالوا وزالت معهم النسيطرة الكاثوليكية، ولكن لم يلبثوا أن عرفوا أن ملّة الكفر واحدة، إذ غدر بهم الأرثوذكس، وصبّوا عليهم كامل الحقد والغضب فهدّموا المساجد، وقضوا على المدارس والكتاتيب. لقد هدّم ٢٦٨ مسجداً من أصل ٢٧٠ مسجداً كانت قائمةً في مدينة بلغراد عاصمة الصرب العاصمة الحديثة. أما المسجدان الباقيان فقد أصبح أحدهما وهو مسجد (بتار) مقرّاً للمجلس النيابي الصربي، وكان أجمل مساجد بلغراد وأوسعها، وأما مسجد (بيرقلي) وهو الأخير فقد بقي لقدمه وتاريخه إذ يُعدّ أقدم المساجد في بلاد الصرب حيث بني عام ٨٢٨ هـ. كما أُلغي ٢٧٠ من الكتاتيب وانتهت المدارس الإسلامية الكثيرة كلها.

أسّس المسلمون الحزب الإسلامي برئاسة محمد سباهو عام ١٣٣٨ إثر الحرب العالمية الأولى، وقد ألّف عدداً من الحكومات بين الحربين.

وقامت الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨ هـ، وواجه المسلمون عدواناً شرساً من الكاثوليك، ولم ينج منه الأرثوذكس، واحتلّ الألمان منطقة الصرب، ووصل في النهاية الشيوعيون إلى الحكم، فسادت موجة عنيفة ضدّ المسلمين

خاصةً باسم محاربة الأديان عامةً، فقُتل ٢٤ ألفاً من المسلمين بعد الحرب مباشرةً، منهم ١٥ ألفاً من منطقة (طوزلا) شرقي مقاطعة البوسنة، وثلاثة آلاف من مدينة (سيراجيفو) عاصمة مقاطعة البوسنة. وستة آلاف من مقدونيا وكوسوفو، وقُتل مفتي مقاطعة (كرواتيا) الشيخ مصطفى يوصولاجيتش. وحكمت محكمة سكوبيا في مقدونيا على سبعة عشر زعيماً ألبانيا كانوا يُقيمون في يوغوسلافيا بالإعدام، وبعد عام حكمت على ثلاثة آخرين بالإعدام أيضاً، وعلى أربعةٍ وعشرين بالأشغال الشاقة. وأعدم أربعة من زعماء جمعية الشبان المسلمين في سيراجيفو، وحكم على تسعةٍ آخرين بالأشغال الشاقة، كما حكم على اثني عشر عالما بالأشغال الشاقة، منهم الشيخ قاسم دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك، والشيخ عبدالله دروبسيوفتش، وأما المساجد، فقد كان في بلاد البوسنة والهرسك ١٧٠ ألف مسجد، و٨٧٠ مسجداً في العاصمة سيراجيفو، و٢٧٠ مسجداً باقية في بلغراد هُدّمت كلها عدا واحد منها بقي، وإن كانت قد هُدّمت مئذنته ثم أُعيدت. وأُغلقت الكلية العليا للتربية الإسلامية في سيراجيفو، والمدارس الدينية جميعها باستثناء واحدةٍ فقط أبقوا عليها للدعاية بكفالة الحرية الدينية عندهم على ما يبدو.

المجموعات الإسلامية: يعود المسلمون في يوغوسلافيا إلى ثلاث مجموعات رئيسية وأخرى ثانوية. أما الرئيسية فهي:

١ً ـ البوشناق. ٢ً ـ الألبان. ٣ً ـ الأتراك.

أما المجموعات الفرعية فهي:

١ً ـ الصرب. ٢ً ـ الكروات. ٣ً ـ السلوفين.

ولا تتزايد هذه المجموعات بنسبةٍ واحدةٍ، فأكثرها تزايداً الألبان فالأتراك فالبوشناق، ومع ذلك يبقى البوشناق أكثر تزايداً من أية مجموعة أخرى غير إسلامية، ويُوضّح الجدول التالي ذلك:

	عام ١٣٥٠	عام ١٣٩١	النسبة المئوية للزيادة
البوشناق	١,٠١١,٠٠٠	١,٥٢٠,٠٠٠	٥٠,٢
الألبان	٤٠٠,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠	٢٠٠
الأتراك	١٥٠,٠٠٠	٣٨٠,٠٠٠	١٥٣
بقية المجموعات	٦٦,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٥٠,١
مجموع المسلمين	١,٦٢٧,٠٠٠	٣,٢٠٠,٠٠٠	٩٩
غير المسلمين	١٢,٣٧٣,٠٠٠	١٧,٤٠٥,٠٠٠	٤٠,٦
مجموع السكان	١٤,٠٠٠,٠٠٠	٢٠,٦٠٥,٠٠٠	

ومن هذا يتضح أن نسبة المسلمين تتزايد باستمرار بالنسبة إلى غيرهم من السكان، ولن يمضي وقت طويل حتى يصبح عدد المسلمين يساوي ربع سكان يوغوسلافيا.

يكثر البوشناق في جمهورية البوسنة والهرسك.

يسكن أكثرية الألبان في إقليم كوسوفو، كما يعيش بعضهم في جمهورية الجبل الأسود.

ويُقيم أكثر الأتراك في جمهورية مقدونيا.

ويتوزّع المسلمون عام ١٣٩١ حسب المناطق التالية:

جمهورية صربيا	١,٣٥٠,٠٠٠
البوسنة والهرسك، وكرواتيا، وسلوفينا	١,٨٥٠,٠٠٠
مقدونيا	٤٥٠,٠٠٠
الجبل الأسود	١٥٠,٠٠٠
المجموع	٣,٨٠٠,٠٠٠

وقد تحسّنت أوضاع المسلمين بعد عام ١٣٩٣ إذ اعترفت الدولة بكيان المسلمين، وأُعيدت لهم بعض مساجدهم ومدارسهم، وأصبح للمسلمين حرية العبادة، وإقامة المساجد، وتشييد المدارس، ونشر الكتب وشراؤها.

ويُقدّر عدد المسلمين اليوم في يوغوسلافيا بأكثر من أربعة ملايين ونصف وتكون نسبتهم ٢٠,٤٥ ٪ من مجموع السكان.

يكثر البوشناق في جمهورية البوسنة والهرسك ويُشكّل المسلمون اليوم ما يقرب من نصف السكان ويمكن ملاحظة تطوّر السكان وارتفاع نسبة المسلمين من الجدول الآتي:

عام	عدد سكان المقاطعة	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١٢٩٧	١,١٥٣,٠٠٠	٤٤٩,٠٠٠	٪ ٣٨,٩
١٣٢٨	١,٨٤٨,٠٠٠	٥٥٨,٠٠٠	٪ ٣٢
١٣٥٠	٣,٣١١,٠٠٠	١,٠١١,٠٠٠	٪ ٣٠,٥
١٣٩١	٣,٦٦٣,٠٠٠	١,٥٢٠,٠٠٠	٪ ٤١,٥
١٤٠٧	٤,٦٠٠,٠٠٠	٢,٢٨٠,٠٠٠	٪ ٤٩,٨

أما الألبان فيزيد عددهم اليوم على مليون ونصف المليون، ويعدّ إقليم كوسوفو أكبر مناطق تجمعهم، وقد أخذ هذا الإقليم من ألبانيا بعد الحرب العالمية الأولى.

وأما الأتراك فإن عددهم قد بدأ يتناقص بسبب هجرة أعداد منهم إلى تركيا نتيجة الضغط والاكراه، ولا يزيد عددهم اليوم على أربعمائة ألف.

وأما البلغار (البوماك) أو الغجر فإن عددهم حوالي مائة ألف.

ويزيد عدد المسلمين من الصرب على ربع مليون، أما الكروات فإن الإسلام قليل بينهم، ولا يزيد عدد معتنقيه على خمسة عشر ألفاً وأقل من

ذلك السلوفين حيث عدد المسلمين السلوفين هو خمسة آلاف فقط. ويكون توزع المسلمين حسب المجموعات العنصرية كما يأتي:

البوشناق	٢,٢٨٠,٠٠٠
الألبان	١,٥٠٠,٠٠٠
الأتراك	٤٠٠,٠٠٠
البلغار	١٠٠,٠٠٠
الصرب	٢٥٠,٠٠٠
الكروات	١٥,٠٠٠
السلوفين	٥,٠٠٠
المجموع	٤,٥٥٠,٠٠٠

والبوشناق أحسن حالاً من بقية المجموعات الإسلامية، ولكل مجموعةٍ لغتها الخاصة، ومدارسها الإسلامية الخاصة بها أيضاً.

وفي يوغوسلافيا اتحاد إسلامي عام يرأسه كبير العلماء، وفي أربع جمهوريات مجالس للعلماء يُنظّمون شؤون المسلمين.

ففي مدينة سيراجيفو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك مركز رئيس للهيئة الإسلامية العليا التي تشرف على المسلمين في كل من جمهورية البوسنة والهرسك، وسلوفينا، وكرواتيا.

وفي مدينة برشتينا عاصمة إقليم كوسوفو مركز رئيسي للهيئة الاسلامية العليا التي تشرف على شؤون المسلمين في جمهورية صربيا بما فيها إقليمي (كوسوفو) و (فويفودينا).

وفي مدينة سكوبيا عاصمة مقدونيا مركز رئيسي للهيئة الإسلامية العليا التي تشرف على شؤون المسلمين في جمهورية مقدونيا.

وفي مدينة تيتوغراد عاصمة جمهورية الجبل الأسود مركز رئيسي للهيئة الإسلامية العليا التي تشرف على شؤون المسلمين في جمهورية الجبل الأسود.

الوضع الحالي للمسلمين: أخذ عدد المساجد يزداد بعد عام ١٣٩٣ حيث اعترفت جمهورية يوغوسلافيا بكيان المسلمين فيها، وقد وصل عدد المساجد إلى ٢٧٠٠ مسجد، كما استردّ المسلمون أكثر المساجد التي سُلبت منهم. وتتوزّع في مختلف المناطق وإن كان أكثرها يوجد في:

منطقة سيراجيفو حيث يوجد	١٠٩٢ مسجداً.
وفي إقليم كوسوفو حيث يوجد	٦٧٠ مسجداً.
وفي جمهورية مقدونيا حيث يوجد	٣٧٢ مسجداً.
وفي جمهورية الجبل الأسود حيث يوجد	٧٦ مسجداً.
	٢١١٠
في بقية المناطق حيث يوجد	٥٩٠ مسجداً.
	٢٧٠٠ مسجد.

كما استعاد المسلمون الكثير من المدارس، وبدأ عدد الحجاج اليوغوسلاف يزداد سنة بعد أخرى. وربما بعد هلاك تيتو عاد الوضع إلى السواد تدريجياً.

يتعلّم أطفال المسلمين مبادىء الإسلامي والقرآن الكريم في كتاتيب. وكان عدد أطفال المسلمين عام ١٣٩١ ما يزيد على ١٢٠ ألف طفل مسلم. وكان من هذه الكتاتيب في:

منطقة سيراجيفو	٥٦٩
إقليم كوسوفو	١٢٥

وفي مقدونيا	١٩
وفي الجبل الأسود	٢

والتعليم حرّ في هذه المرحلة في كل جمهوريات يوغوسلافيا.

أما المرحلة المتوسطة والثانوية فالتعليم رسمي يتبع الدولة مع إمكانية وجود مدارس خاصة بشرط السير على منهج وزارة التعليم فتوجد للمسلمين مدرسة ثانوية في مدينة سيراجيفو (مدرسة خسروبك)، وثانوية ثانية في مدينة برتشينا، وافتتحت عام ١٣٩٧ الكلية الإسلامية في سراجيفو، وافتتح فرع فيها للفتاة المسلمة وتوجد مكتبة خسروبك في سيراجيفو أيضاً تضمّ الكثير من الكتب العربية.

ومن الآثار الإسلامية العثمانية مسجد الغازي خسروبك المتوفى ٩٤٨ في سيراجيفو، وكان والياً على المنطقة، وأنشأ المكتبة التي ذكرناها، وتعدّ من الآثار أيضاً، وفي مدينة سكوبيا عاصمة مقدونيا جامع السلطان مراد الذي بني عام ٨٢٤، وجامع الغازي (أُوزبك).

الأحداث الأخيرة: لقد تمتع إقليم كوسوفو بالاستقلال الذاتي منذ عام ١٣٥٤ (١٩٧٤ م)، غير أن القادة الصرب الجدد بعد هلاك تيتو عدّوا أن الألبان في هذا الإقليم قد أخذوا أكثر من حقهم في عهد تيتو الأخير الذي امتد أربع عشرة سنة ١٣٨٦ - ١٤٠٠ هـ (١٩٦٦ - ١٩٨٠ م)، كذا وجّهت أنظار الحقد الصليبي نحو سكان هذا الإقليم.

وكان الجيش الصربي قد دخل هذا الإقليم ثلاث مرات في العهد السابق، وكان في كل مرةٍ يرتكب أبشع أنواع الوحشية ضد المسلمين، وها هي المرة الرابعة، إذ تحرّكت مائة وأربعون دبابة مع خمسة وأربعين ألف جندي يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠١ هـ (٢٨ آذار ١٩٨١ م) بحجة القضاء على الانتفاضة القائمة في الإقليم للمطالبة بالحقوق، ووقف المجازر التي تلحق

بالمسلمين. وقد تمّ اعتقال ثمانية وعشرين ألف مواطن.

وتكررت العمليات الوحشية، فقد فرض منع التجوّل في ٢٠ رجب ١٤٠٩ هـ (٢٥ شباط ١٩٨٩ م) وبدأت أعمال القتل والإبادة.

وبمناسبة مرور ستمائة عام على معركة كوسوفو التي جرت عام ١٣٨٩ م والتي دخل إثرها العثمانيون الصرب، قامت أعمال رهيبة في ٢٥ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (٢٨ حزيران ١٩٨٩ م).

وألحق الإقليم إثر ذلك بجمهورية الصرب مباشرة، وأبطل الاستقلال الذاتي.

وقد منع التعليم الإسلامي في كوسوفو بعد الحرب العالمية الثانية، ولا يزال المنع ساري المفعول. وعملت السلطة الصربية على تحديد النسل، وقتل الأطفال، وأصدرت مرسوماً بحرمان الطفل الثالث من أية حقوق للإنسان وذلك في سبيل القضاء على المسلمين بوقف النسل.

وقامت السلطات الصربية بهدم مسجد (نامازغاه) في بلدة (برزرن) في إقليم كوسوفو، لبناء مصنع للنصارى الصرب الذين سيحلون محل المسلمين الذين سيبعدون عن أرضهم.

ولم يقتصر الأمر في محاربة الإسلام ومحاولة إبادة المسلمين على إقليم كوسوفو، وإنما كان الأمر عاماً في مختلف المقاطعات، وإن كان إقليم كوسوفو قد نال أهله الظلم والقتل أكثر من غيرهم، الأمر الذي دعاهم للانتفاضة فعدّ الصرب ذلك حجة لتنفيذ مخططاتهم في الإبادة.

وقد حوّلت السلطة الصربية المدرسة الإسلامية في (ترافينك) في مقدونية إلى سوق تجارية. وهدّمت مسجد (فائق باشا) الأثري الذي يعود إلى القرن التاسع الهجري في مدينة (سكوبيا) عاصمة مقدونية في ٢٥ ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ م)، كما نسفت قبل عامين مسجداً، وسبّب

الانفجار أذىً كبيراً للجوار إذ قتل الكثير، وجرح الأعداد.

وشكّلت السلطة هيئةً دينيةً من بعض المسلمين التابعين لها، وأطلقت عليها اسم (المشيخة الإسلامية) برئاسة أحد الضباط المتقاعدين هو (حسين موكيج)، وكانت هذه المشيخة تُبرّر للسلطة تصرفاتها، وتُصدر الفتاوى بصحة ما يقوم به رجال الحكومة.

التجزئة: وهبّت على يوغوسلافيا رياح التغيير التي عصفت بحلف وارسو والنظام الشيوعي في أوروبا الشرقية والامبراطورية الروسية فأزالت النظام وفتّت الدولة.

فالنظام غير صالحٍ، والاتحاد كان متأرجحاً، مشدود بعضه إلى بعض بخيط أوهى من خيط العنكبوت، يربطه الظلم، ويمسكه الخوف، فلما بدأ بشرقي أوربا طار الخوف وتصدّى الناس للظلم.

وسبق أن قلنا: إن الصرب تختلف عن كرواتيا وسلوفينا عقيدةً، فالصرب أرثوذكس والكروات والسلوفين كاثوليك، كما يختلف الطرفان من حيث كتابة اللغة فالصرب يكتبون لغتهم بالحرف الروسي على حين يكتبها الكروات والسلوفين بالحرف اللاتيني.

قامت كرواتيا تطالب بالانفصال عن الاتحاد اليوغوسلافي والاستقلال، ووقفت الصرب في وجه هذا الطلب، ووقعت الحرب بينهما، حتى تمّ الانفصال.

ثم قامت البوسنة والهرسك تطالب بالانفصال، وقد لقي أهلها العنت لإسلامهم من النصارى سواء أكانوا أرثوذكس أم كاثوليك. واستقلت جمهورية البوسنة والهرسك برئاسة علي عزت، واعترفت بعض الدول بهذا الاستقلال.

ولكن الصليبية لن تسكت عن هذا الاستقلال إلا إن كان هناك مخطط

تعمل لتنفيذه. وقد بدأ الصراع داخل البوسنة والهرسك، بين الصربيين، والكروات، والبوشناق المسلمين، ولا شك أن الجيش اليوغوسلافي يدعم الصربيين، ويمدهم، على حين أن البوشناق لا سلاح عندهم، ولا دعم لهم، ولا إمكانات لديهم، وأخذت النكبات تحلّ بالمسلمين، وحرب الإبادة تعمل على استئصالهم، فقد أخذ الجيش يحصد بالمسلمين.



مصور رقم [٥٦].

(١٩) فنلندا

جمهورية، إحدى الدول الاسكندينافية، كانت تتبع مملكة السويد حتى احتلّها الروس عام ١٢٢٤، ثم نالت استقلالها بعد سيطرة الشيوعية على روسيا في مطلع عام ١٣٣٦ هـ، غير أن الروس عادوا فاحتلّوها عام ١٣٦٠ أثناء الحرب العالمية الثانية، وحصلت بعد الحرب على استقلالها بعد أن فقدت عشر مساحتها حيث ضُمّت إلى روسيا. وتُعدّ الآن دولةً حيادية.

تبلغ مساحتها ٣٣٧,٠٣٢ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين، يُشكّل العنصر الفنلندي ٩٢٪ من الشعب، والباقي أكثرهم من السويديين، ثم من الترك. ونتيجة المناخ القاسي لشدّة البرد فإن خمس السكان يقيمون في الجزء الجنوبي منها في العاصمة هلسنكي وما حولها.

يتكلّم السكان اللغة الفنلندية وهي لغة آسيوية قريبة من اللغة التركية إن لم تكن من فروعها، وتعدّ اللغة السويدية هي اللغة الثانية في البلاد، وينطق بها عشر الشعب، وفي البلاد ست جامعات.

يدين السكان بالنصرانية على المذهب البروتستانتي المذهب الرسمي للدولة، ويشكل أتباعه ٩٥ ٪ من مجموع أصحاب الديانات، ثم توجد قلة من النصارى الأرثوذكس وأخرى من الكاثوليك، وما يقرب من ثلاثة آلاف مسلم وألف وخمسمائة من اليهود.

المسلمون: عندما احتلّت روسيا بلاد فنلندا عام ١٢٢٤ انتقل إليها عدد من المسلمين التتار من منطقة قازان للتجارة للفراء، وأسّسوا لهم جميعة عام ١٢٤٦ كانت تتبع في إدارتها الدينية إلى الدائرة الإسلامية في مدينة أوفا عاصمة الباشكير. فلما استقلّت فنلندا عن روسيا عام ١٣٣٦ فضّل هؤلاء التتار البقاء حيث هم. ووصلت بعدئذٍ هجرات أخرى من المسلمين، فحاول الجميع تنظيم أنفسهم، وشكّلوا هيئةً، وطالبوا الحكومة بالاعتراف بالإسلام كدين رسمي فحصلوا على ذلك عام ١٣٤٤ هـ، ولم يـزد عـددهـم بعـد على الخمسمائة، ثم ارتفع العدد عام ١٣٥١ إلى ستمائة وخمسين مسلماً.

وتطوّرت الصناعة الفنلندية بعد الحرب العالمية الثانية، وزادت تجارة الأخشاب، فاتجه بعض العمال المسلمين وبعض رجال الأعمال منهم إلى فنلندا، فوصل عدد المسلمين عام ١٣٧٥ إلى تسعمائة مسلم، ثم إلى ألفين عام ١٣٩١، ويُقارب عددهم اليوم الثلاثة آلاف، ويعود أكثرهم إلى أصولٍ تركيةٍ وتتاريةٍ، ويوغوسلافيةٍ، وباكستانية، ومغربيةٍ.

أسّس المسلمون في العاصمة هلسنكي مركزاً إسلامياً يضمّ مسجداً، ومدرسة، ومكتبة، وقاعةً للمحاضرات، ومقرّاً للإمام، كما أقاموا نادياً للشباب المسلم.

ومع عدد المسلمين القليل فإنهم يتوزّعون في أكثر المدن والقرى وهذا ما يُعيق التنظيم والعمل، ويصعب معه التعليم الذي يجد أمامه عقبةً أخرى هي تنوّع لغات المسلمين. وأهم المدن التي يتوزّع فيها المسلمون هي: هلسنكي، وتامبيري، وتوركو، وكوتكا.

وتوجد جميعة للمسلمين في هلسنكي، وأخرى في تامبيري. كما توجد الجمعية التركية الفنلندية في هلسنكي ولها فروع في عدة مدن.

(٢٠) السويـد

مملكة، إحدى الدول الاسكندينافية، تبلغ مساحتها ٤٤٩,٧٥٠ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين ونصف. يتكلمون اللغة السويدية التي تعود إلى أصل جرماني، ويدينون بالنصرانية على المذهب البروتستانتي، وبينهم خمسة وخمسون ألفاً من النصارى الكاثوليك، وثلاثون ألفاً من المسلمين، وثلاثة عشر ألفاً من اليهود، وفي البلاد ثلاث جامعات.

المسلمون: يبدو أن التجار المسلمين قد وصلوا في رحلاتهم إلى السويد، ولكن لم يظهر لهم أي أثر من ناحية العقيدة. كما حارب التتار المسلمون في القرم البولنديون، والسويديون في القرن التاسع الهجري، فكان احتكاك كراهيةٍ لا صلة مودة أو معاملة.

وأول من وصل من المسلمين إلى السويد تتار من الامبراطورية الروسية، ومن بعض مسلمي فنلندا، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ بعض أهل السويد يعتنقون الإسلام، ومع ذلك فلم يزد عدد المسلمين عام ١٣٧١ على الألف. وبعدها أخذ العمال المسلمون يتّجهون إلى السويد فوصل عدد المسلمين عام ١٣٩٢ إلى ثمانية عشر ألفاً، نصفهم تقريباً من الأتراك والتتار والنصف الباقي من المجموعات الأخرى يأتي في طليعتهم العرب واليوغوسلاف. ثم بدأت جماعات من الأكراد تفد إلى السويد، ويُقدّر عدد المسلمين عام

١٤٠٧ بثلاثين ألفاً. كما وصل إسماعيليون من أوغندا.

واعترفت حكومة السويد بالإسلام ديناً رسمياً في بلادها في مطلع القرن الخامس عشر.

التنظيمات الإسلامية: ١ً - أسّس بعض مسلمي فنلندا الجامعة الإسلامية السويدية عام ١٣٦٧ هـ، وقد ضمّت مسجداً في بنائها. ولكنها لم تلبث أن زالت بعد عودة مؤسسها إلى فنلندا.

٢ً - أسّس أحد مسلمي السويد نادياً ومسجداً على حسابه، ولكنه أقفله بعد عام لأنه لم يستطع أن يتحمّل أعباءه إذ لم تكن في حسابه النفقات على تلك الدرجة.

٣ً - تأسست عام ١٣٩٣ (الجمعية الإسلامية)، وأنشأت لها مركزاً في العاصمة استوكهولم، كما افتتحت مدرسة في العاصمة، وتمكّنت من الحصول على اعتراف الحكومة السويدية بالإسلام، ثم أسّست مركزاً إسلامياً في استوكهولم وآخر في مدينة مالمو، وسيضمّ هذا الأخير مكتبةً، ومدرسةً، وداراً للحضانة، ومأوى للعجزة، ومركزاً لبيع اللحوم الحلال. كما توجد في مدينة مالمو نفسها رابطة الجمعيات الإسلامية.

ويُعاني المسلمون من خطر القاديانيين الذين يقومون بالنشاط منذ عام ١٣٧٨ في المدن الكبرى، والإسماعيليين الذين جاءوا من أوغندا، واليهود الذين يملكون أهم الصحف والمجلات ولهم تأثير على الرأي العام.

كما يُعاني المسلمون من توزّعهم في المدن مع قلتهم، ومع تعدّد لغاتهم لتعدّد أصولهم.

(٢١) النرويج

مملكة، إحدى الدول الاسكندينافية، استقلّت عن السويد عام ١٣٢٣ هـ، تبلغ مساحتها ٣٢٤,٢١٩ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من أربعة ملايين ونصف.

يتكلّم السكان اللغة النرويجية وهي من أصلٍ جرماني، قريبة من اللغة السويدية، واللغة الدانماركية. وأكثرية السكان من النرويجيين، وتوجد أقلية فلندية لا تتجاوز خمسة عشر ألفاً، ومجموعة من اللاب الذين يعيشون في السكان، ولا يزيدون أيضاً على ثلاثين ألفاً.

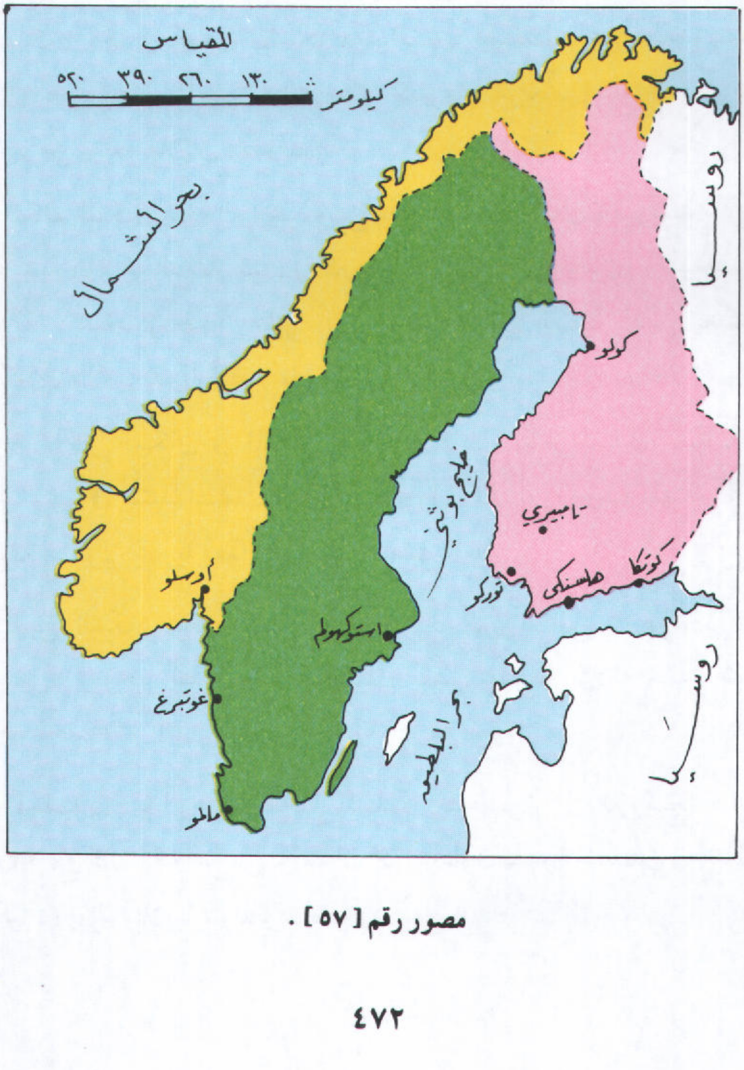
يُقيم أكثر السكان في المناطق الساحلية ذات المناخ المعتدل نسبياً، ويعمل كثير منهم في صيد السمك، حتى لتعدّ أول دول أوربا بهذه المهنة، كما تملك الدولة أسطولاً تجارياً يُعدّ من أكبر أساطيل العالم.

يدين السكان بالنصرانية على المذهب البروتستانتي، وهو دين الدولة الرسمي، وتوجد أقلية من الكاثوليك يُقدّر عددها بثلاثة عشر ألفاً، كما يوجد أحد عشر ألف مسلم، وألف واحد من اليهود.

المسلمون: بدأ بعض العمال المسلمين يتجهون إلى النرويج بعد عام ١٣٨٠، وكان أكثرهم من باكستان إذ يُشكّلون نصف المسلمين، والباقي من تركيا، ويوغوسلافيا، والمغرب.

تأسست الجمعية الإسلامية الحنيفية في العاصمة (أوسلو). وكذلك المركز الإسلامي الثقافي، وفي عام ١٣٩٤ تأسس اتحاد الجمعيات الإسلامية بجهود العاملين في مركز رابطة العالم الإسلامي في عاصمة الدانمارك كوبنهاغن والذي افتتح فرعاً لها في أوسلو.

ويُعاني المسلمون مُشكلةً في التعليم لتعدّد اللغات بتعدّد المجموعات مع قلة المسلمين.



مصور رقم [٥٧].

ونُلاحظ في دول غربي أوربا الأقليات المسلمة كما يأتي:

الدولة	عدد السكان بالآلاف	عدد المسلمين بالآلاف	نسبة المسلمين
١ - إسبانيا	٤٠,٠٠٠	١٠٠	٠,٢٥٪
٢ - أندوره	٦	—	—
٣ - البرتغال	١٠,٠٠٠	١,٢	—
٤ - جبل طارق	٣٠	٣,٢	١٠,٧٪
٥ - فرنسا	٥٤,٠٠٠	٣,٠٠٠	٣,٧٪
٦ - بلجيكا	١٠,٤٠٠	١٧٢	١,٧٪
٧ - هولندا	١٥,٠٠٠	٢٠٠	١,٣٣٪
٨ - لوكسمبورغ	٤٠٠	٢	٠,٥٠٪
٩ - انكلترا	٥٧,٠٠٠	١,٥٠٠	٢,٦٠٪
١٠ - ايرلندا	٣,٠٠٠	٢	—
١١ - ايسلندا	٢٥٠	٠,٧	—
١٢ - الدانمارك	٥,٥٠٠	٤٠	٠,٣٨٪
١٣ - ألمانيا الغربية	٦٢,٠٠٠	٢,٥٠٠	٤٪
١٤ - النمسا	٨,٠٠٠	٤٠	٠,٥٠٪
١٥ - سويسرا	٧,٠٠٠	٤٠	٠,٥٧٪
١٦ - ليختنشتاين	٢٥	٧	٢٨٪
١٧ - ايطاليا	٥٥,٠٠٠	٨٠	٠,١٤٪
١٨ - سان ريمو	١٩	—	—
١٩ - مالطة	٣٥٠	٤٠	١١٪
٢٠ - اليونان	١٠,٠٠٠	٢٥٠	٢,٥٠٪
٢١ - يوغوسلافيا	٢٥,٠٠٠	٤,٥٠٠	١٨٪

٢٢ ـ فنلندا	٥,٠٠٠	٣	—
٢٣ ـ السويد	٨,٥٠٠	٣٠	٠,٣٥٪
٢٤ ـ النرويج	٤,٥٠٠	١٥	٠,٣٣٪
المجموع	٣٨٠,٩٨٠	١٢,٥٢٦,١	٣,٣٪

تتوزّع الأقليات المسلمة في اثنتين وعشرين وحدةً سياسيةً في غربي أوربا ، ولا تكاد تخلو منطقة من المسلمين إلا إذا استثنينا إمارتي (أندوره) بين فرنسا وإسبانيا و (سان ريمو) وسط ايطاليا ، وهما صغيرتان لدرجةٍ ليس غريباً معها ألا يوجد فيهما مسلمون .

يبلغ عدد المسلمين في دول أوربا الغربية أكثر من اثني عشر مليوناً ونصف المليون ، وبذا تكون نسبتهم ٣,٣٪ من مجموع سكان هذه الدول البالغ ما يقرب من ٣٨١ مليوناً . وتكون هذه النسبة مرتفعةً لأنهم يزدادون في البلدان الكبيرة ذات السكان الكثيرين . فإن أكثر هذه الدول سكاناً هي ألمانيا الاتحادية (الغربية) [٦٢ مليوناً] يبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من مليونين ونصف ، وتكون نسبتهم ٤٪ من مجموع سكانها ، ويلي ذلك انكلترا [٥٧ مليوناً] وفيها ١,٥ مليوناً من المسلمين ، ونسبتهم فيها ٢,٦٪ ثم فرنسا [٥٤ مليوناً] وفيها ثلاثة ملايين مسلم ، ونسبتهم ٣,٧٪ ، وهذه هي الدول الصناعية الكبرى في غربي أوربا ، والمتطوّرة أكثر من غيرها ، فيفد إليها العمال للصناعة ، كما يأتي الطلاب للعلم ، إضافةً إلى أنها تُعدّ في طليعة الدول المستعمرة في الماضي ، وكان لها في الماضي مستعمرات في بلاد المسلمين الأمر الذي يجعل صلة بين الطرفين من الناحية السياسية ، وقد استمرّت هذه الصلة بعد الاستقلال ، وهذا ما يدعو الكثير للسفر فيها ، وللأسباب كلها يتجه إليها أعداد من المسلمين للسياحة والنزهة وزيادة المعارف والأبناء . وإذا كانت تقلّ النسبة في الدول التي تليها وهي ايطاليا [٥٥ مليوناً] وإسبانيا [٤٠ مليوناً]

ولعلّ سبب انخفاض هذه النسبة يعود إلى إبادة وتشريد المسلمين الذين دخلوا هذه البلاد فاتحين فنشأ حقد بين الطرفين إضافةً إلى عدم التطوّر الواسع في هذين البلدين غير أن عدداً من العمال قد اتجهوا إليها لأن إسبانيا وايطاليا كانتا تستعمران أجزاء من بلاد المغرب فنشأ عن ذلك معرفة للغة، والصلة، يُضاف لها القرب لذا فأكثر العمال والطلاب إنما هو من بلاد المغرب. ولكن الدولة السادسة في عدد السكان وهي يوغوسلافيا [٢٥ مليوناً] ترتفع فيها نسبة المسلمين إلى ١٨٪، ويعود ذلك إلى أثر الفتح العثماني. وهكذا فإن الدول الست الكبرى في غربي والبالغ عدد سكانها [٢٩٣ مليوناً] تعيش فيها أكثر الأقليات المسلمة في أوربا [١١,٦٨ مليوناً] وتكون نسبة المسلمين فيها مجتمعةً ٣,٩٨٪ من مجموع سكان هذه الدول:

الدولة	عدد السكان بالآلاف	عدد المسلمين بالآلاف	نسبة المسلمين
ألمانيا الاتحادية	٦٢,٠٠٠	٢,٥٠٠	٤,٠٠٪
انكلترا	٥٧,٠٠٠	١,٥٠٠	٢,٦٠٪
فرنسا	٥٤,٠٠٠	٣,٠٠٠	٣,٧٠٪
ايطاليا	٥٥,٠٠٠	٨٠	٠,١٤٪
إسبانيا	٤٠,٠٠٠	١٠٠	٠,٢٥٪
يوغوسلافيا	٢٥,٠٠٠	٤,٥٠٠	١٨,٠٠٪
	٢٩٣,٠٠٠	١١,٦٨٠	٣,٩٨٪

وتأتي بعدئذٍ إحدى عشرة دولة متوسطة يتراوح عدد سكان الدولة الواحدة بين ثلاثة ملايين وخمسة عشر مليوناً، يبلغ عدد سكانها جميعها [٨٦,٩ مليوناً]، ولا يزيد عدد المسلمين فيها على [٧٩٣,٢ ألفاً] وبذا فلا تصل النسبة للمسلمين فيها على ١٪، وذلك لأن هذه الدول لا تعدّ متطوّرة

صناعياً باستثناء بلجيكا وهولندا اللتين ترتفع فيهما نسبة المسلمين وتزيد على ١٪ [بلجيكا ١,٧٪] وهولندا [١,٣٣٪]، وربما كانت النسبة مرتفعةً أيضاً لكونهما دولتين استعماريتين في السابق إذ كانت هولندا تستعمر أندونيسيا، ولبلجيكا مستعمرات في وسط إفريقية فيها نسبة من المسلمين.
وقد انتهى المسلمون من البلدان التي وصلوا إليها فاتحين في سويسرا، والبرتغال، والنمسا انتهوا بالإبادة والتشريد، ولا شك فإن عدم التطوّر الصناعي له دور في انخفاض النسبة في هذه البلدان إذ لا تحتاج إلى أيدٍ عاملةٍ، وإذا كانت سويسرا ذات مركز سياحي فإن هذا يجعل النسبة ترتفع إلى أكثر من نصف بالمائة قليلاً [٠,٥٧٪] لأن السياح إنما تكون إقامتهم موقتة. وأما الدول الثانية ايرلندا، والدانمارك، والنرويج، والسويد، فهي شمالية باردة إضافة إلى ضعف شأنها الدولي نسبياً. وإذا كانت ترتفع نسبة المسلمين في اليونان فإن ذلك يعود إلى أثر الفتح العثماني مع العلم أن النسبة يجب أن تكون أعلى من هذا بسبب دخول المسلمين في صدر الإسلام إلى بعض جزر اليونان غير أن الحرب الصليبية قد أبادت الكثير وشرّدت الأكثر.

الدولة	عدد السكان بالآلاف	عدد المسلمين بالآلاف	نسبة المسلمين
١ ـ البرتغال	١٠,٠٠٠	١,٢	—
٢ ـ بلجيكا	١٠,٤٠٠	١٧٢	١,٧٠
٣ ـ هولندا	١٥,٠٠٠	٢٠٠	١,٣٣٪
٤ ـ ايرلندا	٣,٠٠٠	٢	—
٥ ـ الدانمارك	٥,٥٠٠	٤٠	٠,٣٨٪
٦ ـ النمسا	٨,٠٠٠	٤٠	٠,٥٠٪
٧ ـ سويسرا	٧,٠٠٠	٤٠	٠,٥٧٪

الدولة	عدد السكان بالآلاف	عدد المسلمين بالآلاف	نسبة المسلمين
٨ - اليونان	١٠,٠٠٠	٢٥٠	٢,٥٠٪
٩ - فنلندا	٥,٠٠٠	٣	—
١٠ - السويد	٨,٥٠٠	٣٠	٠,٣٥٪
١١ - النرويج	٤,٥٠٠	١٥	٠,٣٣٪
	٨٦,٩٠٠	٧٩٣,٢	٠,٩١٪

أما الوحدات السياسية الباقية فسبع وهي صغيرة لا يزيد عدد سكانها مجموعةً على المليون كثيراً [١,٠٨ مليون]، أما عدد المسلمين فلا يزيد كثيراً على اثنين وخمسين ألفاً [٥٢,٢٧ ألف]، وبذا تكون نسبة المسلمين قريبةً من ٥٪ من مجموع السكان، رغم أن (أندوره) و (سان ريمو) ليس فيهما مسلمين أصلاً غير أن نسبة المسلمين ترتفع في مالطة إلى ١١٪ من مجموع سكانها، وقريبة من ذلك تكون نسبة المسلمين في جبل طارق (١٠,٧٪) لأن هاتين المنطقتين قد دخلهما المسلمون فاتحين، وخضعتا للسيادة الإسلامية وفي الوقت نفسه خضعتا لحرب الإبادة والتشريد، وكذلك تعدّ مالطة كثيرة السكان بين هذه المجموعة (٣٥٠ ألفاً]، ونُلاحظ أيضاً أن نسبة المسلمين مرتفعة كثيراً في إمارة (ليختنشتاين) فهي [٢٨٪] وإن كان المسلمون فيها من العمال ويُقيمون إقامة موقتةً. وأما (لوكسمبورغ) فهي أكبر هذه المجموعة سكاناً [٤٠٠ ألف] لكن لا يوجد فيها إلا عدد قليل من المسلمين [ألفان] وهم من العمال لأن (لوكسمبورغ) منطقة صناعية. أما ايسلندا فالبعد شمالاً والبرد الشديد، وعدم وجود صناعة كل هذا لا يستدعي إقبال الناس من خارجها إليها إلا للسياحة.

الدولة	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١ ـ أندورة	٦,٠٠٠	—	—
٢ ـ سان ريمو	١٩,٠٠٠	—	—
٣ ـ مالطة	٣٥٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٪١١
٤ ـ جبل طارق	٣٠,٠٠٠	٣,٢٠٠	٪١٠,٧
٥ ـ ليختنشتاين	٢٥,٠٠٠	٧,٠٠٠	٪٢٨
٦ ـ لوكسمبورغ	٤٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠	٪٠,٥٠
٧ ـ ايسلندا	٢٥٠,٠٠٠	٠,٠٧٠	—
	١,٠٨٠,٠٠٠	٥٢,٢٧٠	٪ ٥

ويمكن أن نقول: إن الأقليات المسلمة في دول أوربا الغربية كلها قد وجدت حديثاً عدا الأقلية في يوغوسلافيا واليونان فإنهما من أثر الفتوحات العثمانية في أوربا. وأن المسلمين الذين جاءوا مع الفتوحات الأولى قد أُبيدوا أو فرّوا مُشرّدين نتيجة الحقد الصليبي اللهم إلا إن كانت هناك بقية في مالطة.

نحن والأقليات المسلمة في غربي أوربا

يختلف وضع الأقليات المسلمة في غربي أوربا عما رأيناه في آسيا وإفريقية، يختلف بتميّز الأقليات عن المجتمعات التي يعيشون بينها، وتختلف المجتمعات كما يختلفون هم، وبعدئذ يختلف المسلمون باهتمامهم بالأقليات في أوربا عن اهتمامهم بالأقليات في آسيا وإفريقية.

إن أغلب الأقليات المسلمة في غربي أوربا مختلفة عن المجتمع الذي تعيش فيه عنصراً ولغةً عدا العناصر التي اعتنقت الإسلام من المجتمعات الأوربية نفسها وهي قليلة نسبياً أما الأغلبية فهي غريبة، وربما نستثني أيضاً ما في يوغوسلافيا من مسلمي البوشناق والصرب، والألبان، على حين أن الأقليات المسلمة في آسيا وإفريقية غالباً ما تكون من المجتمع نفسه، لذا فإن الأوربيين ينظرون إلى المسلمين الذين يعيشون بينهم على أنهم غرباء عنهم على حين لا تكون هذه النظرة بالنسبة إلى مسلمي آسيا وإفريقية.

لما كان أغلب المسلمين في أوربا قد جاءوا إليها عمالاً أو طلاباً، أو لاجئين سياسيين أو مُشرّدين لذا فهم في وضع أدنى من وضع الأوربيين غير المسلمين. فالعمال إنما جاءوا لفقرهم وسوء أوضاعهم الاقتصادية في أوطانهم التي خرجوا منها، واضطروا بناءً على ذلك إلى العمل في مختلف المهن العادية أو الوضيعة أو التي هي دون ذلك، وهذا ما يجعلهم يشعرون أنهم دون

الشعوب التي يعيشون بينها وفي الوقت نفسه فإن الأوربيين ينظرون إليهم نظرة الازدراء لحالتهم المادية وأوضاعهم المعاشية وأعمالهم وتخلّفهم، ولا شك فإن النظرة قائمة أيضاً من أنهم قادمون من بلدانٍ مُتخلّفةٍ. وأما الطلاب فإنهم أيضاً قد جاءوا ليحصلوا على العلم لأن أوطانهم غير مُتقدّمةٍ، وهم بحاجةٍ إلى هذا العلم، وليس وضع اللاجئين السياسيين أو المشرّدين بأفضل حالاً فإن أوضاع البلدان الإسلامية الاقتصادية والسياسية هي التي تدفع بهذه الأفواج من العمال أو المشرّدين إلى تلك الجهات. على حين أن الأقليات في آسيا وإفريقية لا توجد هذه النظرة لهم، وليس لديهم تلك الهزيمة النفسية التي يُعانيها أولئك المسلمون في ديار الغرب إذ أنهم جزء من المجتمع الذي يعيشون فيه.

إن المسلمين الذين استقرّوا في بلدان أوربا سواء أكان ذلك بالحصول على الإقامة الدائمة أم بالتجنّس أم بأية صورةٍ من الصوّر إنما يُواجهون مشكلاتٍ جديدة هي التفتيش عن وسيلةٍ في سبيل المحافظة على عقيدة أبنائهم، فالتعليم الإسلامي غير ميسورٍ، والحياة وسط جوٍّ إسلامي غير مُتوفّرة والاحتكاك مع المجتمع الغربي له خطره على السلوك والمفاهيم و...

كان اهتمام المسلمين في الأمصار الإسلامية يتّجه إلى أوربا أكثر من أن يتجه إلى المسلمين فيها، فأوربا بلاد حضارةٍ فيجب أن نبني فيها ونشيد ما يتناسب مع حضارتها ومع أبنائها أكثر مما يحتاج إليه المسلمون فيها. المسلمون بحاجةٍ إلى التعليم وإلى التوجيه والرعاية وإعطاء الثقة غير أنه لا يُقدّم لهم هذا وإنما يتوجّه أصحاب الامكانات ومن بيدهم الأمر إلى بناء المراكز الفخمة في بنائها وفنّها وزخرفتها أكثر مما يجب لتقوم بالإشراف على العمل وتوحيد الجهود للتأييد والدعاية للدولة التي تتبنّى العمل. المسلمون بحاجةٍ إلى أن يكون إخوانهم القادمون إليهم يتمثّلون الإسلام سلوكاً ومنهاجاً فتذهب إليهم العناصر التي تُريد أن تُساير الغرب في سلوكه ومنهاجه خوفاً من اتهامها

بالرجعية فهي مهزوزة نفسياً قبل أن تنطلق إلى أوربا وقبل أن تحتكّ بالأوربيين.

إن أوربا ذات حضارةٍ ماديةٍ لا تتأثّر بالدين كثيراً ولا تهتمّ بعقيدتها أصلاً سوى من كان من أبنائها من موظفي الكنيسة ورجال الدين لذا فإنه يصعب التأثير عليهم وأخذهم نحو الإسلام إلا إذا قرؤوا كثيراً واتّجهوا بقلوبٍ مفتوحةٍ نحو الحقّ بعيدةٍ عن التعصّب والهوى، وهذا ما يصل إليه بعض أهل العلم ورجال الفكر الذين لا يرون أنفسهم إلا وقد أصبحوا مسلمين، أما الشعوب فهي بحاجةٍ إلى رؤية الحضارة على المسلمين، ورؤية التصرّف المادي السليم ولكنهم لا يرون إلا تخلّفاً من القادمين الجدد، ومن العمال، ويرون تصرّفاً غير طبيعيٍ، فقادمون يُنفقون في هوى النفس كأنهم يأخذون من وادٍ من ذهبٍ في ليلةٍ واحدةٍ بل في بضع ساعات، على حين أن إخوانهم يعيشون في حالةٍ تعدّ من أصعب حالات البؤس، فيقولون في أنفسهم لو كان دين هؤلاء حقاً لما كان فيه هذا التباين. وينظر الأوربيون إلى المراكز الفخمة التي تُشاد، وليس فيها رواد على حين أن مراكز أخرى بحاجةٍ إلى ترميم لا يصل إليها دينار واحد، وهم يظنّون أنه ما دام الأمر كله لله فيجب أن يتعادل هذا المركز وذاك حيث لا يعرفون أن هذا يتبع دولة كذا وكذا وذاك يرفض التبعية ويأبى إلا أن يكون العمل كله خالصاً لله. ويرون أن القائمين على مركز يتقاضون المعونات وينفقون بغير حساب على حين أن القائمين على مركزٍ آخر يبدو عليهم التعب والضيق للسبب نفسه... وبشكلٍ عام يرى الأوربيون أن الإسلام لو كان صحيحاً لكفى المال الذي يُنفق في أوربا لإنقاذ وضع المسلمين من التخلّف الذي يُعانونه، ولكان العطاء للمراكز الإسلامية واحداً، ولكان التصرّف الفردي ـ وهو عام تقريباً بنظرهم ـ يتفق مع الخلق فالداعية ينسجم قوله مع فعله، لهذا كلّه فإن التأثير الإسلامي في أوربا قليل، وإحجام الأوربيين عن الإسلام يرفد إحجامهم عن

الدين عامةً، وبقاؤهم ضمن الإطار المادي البحت مع افتقارهم إلى الروح وهو ما يحسّون به أحياناً.

ووضع المسلمين في أوربا يحتاج إلى بحثٍ فالعمّال في سنٍ معينةٍ وفي مستوىً معينٍ وفي ظروفٍ معينةٍ وكلها أمور تحتاج إلى دراسة للأخذ بأيدهم وإنقاذهم مما يُعانون نفسياً ومادياً وسلوكياً. والطلاب في سنّ معينةٍ، وتفتّحٍ نحو الحياة يختلف عما هو عند العمال، وانتقالٍ من بيئةٍ لها سماتها الخاصة بها إلى بيئةٍ أُخرى تتباين مع الأولى تبايناً واضحاً، فيحتاج إلى التوجيه للمحافظة على مقوماته، وإمكانية متابعة العلم الذي أرسل لتحصيله كي تفيد منه أمته. والمشرّدون وما يُعانون من مشكلاتٍ وانقسامات بل إن انقسامهم في أوطانهم قد نقلوه معهم إلى أوربا وعاشوا فيه وعقلية الخلافات والعصبيات كلها قائمة وتحتاج إلى معالجة.

وبصورةٍ عامةٍ فإن اهتمام بعض الحكومات وبعض المؤسسات بالأقليات المسلمة في أوربا الغربية جيد، إذ ينطلقون من أن أوربا ذات حضارةٍ، ومنهل للعلم، ومركز للتجارة، ومكان للسياحة، ومأوى للهرب، ويذهب إليها الزوّار للأهل المشرّدين والأبناء المتعلمين، ففي هذا الاهتمام دعاية لهم وشهرة سواء أكان لدى الأوساط الإسلامية أم الغربية، ويُعرفون، ويُظنّ بهم أنهم ذو مكانةٍ لدى المسلمين فيُقدمون، وتحرص الأوساط الغربية على بقائهم في مراكزهم، كما تحرص الأوساط الإسلامية على الوقوف بجانبهم، وهذا ما يفقد العمل الأجر، كما يفقده جانب العدل إذ ينال الدعم من يقبل التبعية ويُحرم منه من يريد الاستقامة في العمل والإخلاص لله. فهذا الاهتمام سياسي بالدرجة الأولى ولو بُذل في إفريقية لأثمر ونما بشكلٍ جيدٍ ولتحوّلت إفريقية كلها إلى الإسلام.

إن من الحقّ أن يُدعم المخلصون دعماً صادقاً ليس فيه طلب انضواء تحت الجناح كي يثمر، وأن يدعى المُتزلّفون إلى طريق الصواب. إن من الحق أن

يكون دعم الدول التي تُقدّم المساعدات للجمعيات والمنظمات الإسلامية في أوربا دعماً لله، لا للدعاية والشهرة والأشخاص، حتى تتفاهم المنظمات ولا تفترق. إن من الحق أن تهتم المنظمات الإسلامية على تأليف القلوب وتوحيد الجهود كي تصبّ الجهود كلها في مكان واحد هو الدعوة الصادقة. إن من الحق أن يكون مبعوثو المؤسسات الإسلامية يتمثّلون الإسلام سلوكاً ومنهاجاً. وأخيراً فإن الرجال الذين يرسلهم مركز البحوث والدعوة والإرشاد والافتاء في المملكة العربية السعودية على مستوى جيد نسبياً غير أن عددهم غير كافٍ ويحتاجون إلى زيادةٍ في رفع المستوى وبُعد النظر.

إن الحركة الدائبة من وإلى دول غربي أوربا تجعلنا على معرفةٍ تامةٍ بالأقليات المسلمة فيها، غير أن هذه المعرفة لا تُقدّم الفائدة المرجوة لها، فما يُعطى لا يتناسب مع الواجب المُلقى على عاتق مسؤولي الأمر في المسلمين بل ولا يُشكّل جزءاً منه، كما أن الأسلوب الذي يُعطى فيه لا يتفق مع المبدأ الذي يقوم عليه، ومع هذا كله فإن الأمل كبير في الدعوات الصادقة والجهود الخالصة لإنقاذ أوربا مما تُعاني من الضلال والانحراف والغرق في المادة بل وإنقاذ الذين ينتمون إلى الإسلام ويسيرون في الاتجاه نفسه لاهثين وراء أوربا.

الأقلية المسلمة في دول شرقي أوربا

أقصد بدول شرقي أوربا الدول التي تأخذ بالنظام الشيوعي وتُطبّقه حسب مفهومها، وهي الدول التي تدور في فلك موسكو، وتنتظم في حلف وارسو. فدولة ألبانيا لا تدخل ضمن هذه الدول رغم أنها شيوعية ورغم أنها تقع في جنوب شرقي أوربا، لا تدخل ضمن هذه الدول لأن أكثرية سكانها من المسلمين فهي ليست دولة أقلية مسلمة وإنما أكثرية، وبذا تكون ضمن أمصار العالم الإسلامي، ولا تدخل ضمن هذه الدول أيضاً لأنها لا تدور في فلك موسكو، وإنما تسير حسب المنهج الصيني. ولا تدخل دولة يوغوسلافيا ضمن هذه الدول رغم أنها شيوعية ورغم أنها في جنوب شرقي أوربا لا تنتظم ضمن هذه الدول لأن شيوعيتها من نوعٍ خاصٍ، ولا تدور في فلك موسكو، لذا كانت دراسة الأقلية فيها ضمن المجموعة الأولى - كما رأينا -.

وصل الإسلام إلى هذه المنطقة ثلاث مرات، الأولى منها: عندما هجرت مجموعة من القبائل السلافية التي كانت تُقيم في حوض نهر الفولغا الأعلى حول عاصمتها (بُلغار) موقع قازان اليوم، هجرت مواطنها في أواخر القرن الرابع الهجري، واتجهت نحو الجنوب الغربي مُيمّمةً وجهها نحو جنوب شرقي أوربا، وكان الإسلام قد انتشر بين هذه القبائل ولكن بشكلٍ مبدئي، ولم يكن عاماً يشمل أفرادها جميعاً. ولما وصلت هذه القبائل إلى جنوب شرقي

أوربا حطّت رحالها وتوزّعت بطونها في المنطقة. نزل أكثرها قرب سواحل البحر الأسود وأعطوا البقعة التي حلّوا بها اسم عاصمتهم القديمة (بُلغار) فكانت أرضي بلغاريا، ونزلت بعض بطون قبائل الباشغرد (الباشكير) في منطقة المجر اليوم لأن أكثر هذه القبائل قد بقي في موطنه الأول، ولهم اليوم جمهورية خاصة بهم، وقاعدتها مدينة (أوفا). أما قبائل البوشناق والكومان فقد سكنوا في جمهورية البوسنة والهرسك اليوم (في يوغوسلافيا).

ووصل الإسلام في المرة الثانية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري عندما دخل التتار روسيا ووصلوا إلى بولندا ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الإسلام، فلما ضعف أمرهم وخرجوا من المنطقة بقيت بعض تجمعات لهم في روسيا، وعلى سواحل البحر البلطيق، وبولندا، بل وانتقلت جماعات منهم نحو تشيكوسلوفاكيا و...، وقد حافظ التتار على إسلامهم رغم الضغوط الكثيرة التي تعرّضوا لها. بينما أضاع المسلمون في المرة الأولى عقيدتهم مع الزمن.

ووصل الإسلام في المرة الثالثة عن طريق العثمانيين الذين فتحوا المنطقة، وأصبحت بلغاريا، ورومانيا، والمجر ضمن دولتهم بل وضمّت أجزاء من بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، والدولة الوحيدة التي لم يصل إليها العثمانيون من هذه الدولة إنما هي ألمانيا الشرقية. وقد استقرّ عدد من العثمانيين في البلاد التي دخلوا إليها، كما اعتنق الإسلام عدد من أبناء البلاد المفتوحة فشكّل العنصران أقلية إسلامية ذات شأن، فلما اشتدّ الضغط الصليبي على العثمانيين وأجبروا على الانسحاب بقي أكثر الذين استقرّوا في المواطن التي استوطنوها غير أن الحرب الصليبية بقيت تُضيّق الخناق على المسلمين في سبيل إخراجهم من الأماكن التي حلّوا بها، واضطر عدد إلى الهجرة، وصمد الباقون غير أن الحرب عليهم قد استمرّت وبين الآونة والأخرى يضطر فريق للفرار أو الهجرة ولا يزال الأمر قائماً حتى الآن.

من هذه البلدان ما وصل إليها الإسلام مرتين مثل: بلغاريا، والمجر

وبعض أجزاء من بولندا، ومنها ما وصل إليها مرةً واحدةً مثل، رومانيا ومنها ما لم يصل أبداً في الماضي مثل ألمانيا الشرقية.

إن الوضع الإسلامي في هذه المناطق في تراجعٍ وانحسارٍ فالضغط عليهم شديد، منه باسم القومية لإخراج الأتراك من المنطقة، ومنه باسم الشيوعية التي تُحارب الدين، ومنه باسم الوحدة الوطنية لتغيير الأسماء الإسلامية، والأعياد، واللباس، والعادات الاجتماعية كالزواج، وأسلوب الدفن والمقابر الخاصة كما يحدث في بلغاريا اليوم.

ولن نتعرّض إلى روسيا الآن لأننا قد بحثناها في الكتاب السابق (الجزء الحادي والعشرون) غير أننا نشير إلى أنه تعيش فيها أقلية مسلمة كبيرة يعود أكثرها إلى التتار، وإن كان عدد منها يعود إلى العهد العثماني، وهو الذي يوجد في منطقة مولدافيا، وهذه الدول هي:

(١) بـلغاريـا

دولة صغيرة تُشرف على البحر الأسود تبلغ مساحتها ١١٠,٩٢٨ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ١١,٥ مليوناً، ويُقدّر عدد المسلمين فيها بمليونين ونصف المليون وبذا تكون نسبتهم ٢١,٠٪ من مجموع السكان. والبُلغار من أصلٍ تركي قدموا من الشرق من حوض نهر الفولغا الأعلى، وغزوا هذه الأراضي التي كانت تنتقل فيها قبائل صقلبية من أصلٍ سلافي، وأعطوا المنطقة التي سيطروا عليها اسم عاصمتهم السابقة التي خرجوا من منطقتها (بُلغار)، ولكن هؤلاء البلغار سرعان ما تعلّموا لغة السلافيين وتكلّموها، فأصبحوا سلافاً، وتأثّروا بأهل البلاد، وتشبه هذه اللغة التي تعلّموها اللغة الروسية. كذلك دانوا بالنصرانية حوالي عام ٣٥١ هـ.

الفتح العثماني: فتح السلطان مراد الأول صوفيا والجزء الجنوبي من بلغاريا عام ٧٧٤ هـ، ثم فتح ابنه السلطان بايزيد الجزء الشمالي عام ٧٩٦، لكنها خرجت عن سيادة العثمانيين عندما هُزموا أمام تيمورلنك في أرض الأناضول، غير أنها لم تلبث أن رجعت أيام السلطان محمد الفاتح وبقيت تخضع للدولة العثمانية حتى مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ حيث نالت الاستقلال الذاتي، ونالت منطقة الروميللي الشرقية استقلالها الذاتي أيضاً عام ١٣٠٣، وبقي الأمر هكذا حتى عام ١٣٢٦ حيث استقلّت، وأسّست مملكة خاصة بها

تُعرف باسم (مملكة بلغاريا) . وأثناء الحكم العثماني استوطن عدد من العثمانيين المنطقة ، كما اعتنق الإسلام عدد من أهل البلاد ، وقد عُرف هؤلاء باسم (البوماك) .

وانحازت في الحرب العالمية الأولى إلى جانب العثمانيين والألمان، وأصابها أذى بسبب الهزيمة التي لحقت بدول الاتفاق هذا . وبعد الحرب العالمية الثانية تسلّم الشيوعيون الحكم فأصاب المسلمين الحيف حقداً من الشيوعيين الصليبيين عليهم، إذ لو لم يكونوا صليبيين ـ حسب دعواهم ـ لنال النصارى من الأذى ما ينال المسلمين، ولكننا نجد أن أذى المسلمين يأتي من قبل الصنارى بدعوى الإلحاد ومحاربة الأديان، وتارةً باسم العصبية القومية ومحاربة الأتراك... مع العلم أن الحيف لا يلحق سوى المسلمين فاليهود ، والنصارى ، والملحدون في منأى عن ذلك .

المسلمون: قلنا : إن عدد المسلمين في بُلغاريا يبلغ المليونين ونص المليون مع العلم أن السكان المسلمين في بُلغاريا يرفعون هذا الرقم إلى أكثر من هذا ، ومع هذا الرقم الكبير ، ونسبتهم الكبيرة (٢١٪) فإنه ليست لهم مدارس خاصة بهم، ويُمنعون من الحج، كما يمنعون من اقتناء المصاحف، ومن الهجرة، وليس لهم وجود في مؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من عددهم الكبير نسبياً .

يتوزّعون في ست مناطق، ولهم ١٢٠٠ مسجد ، ويرعى شؤونهم مفت أكبر تختاره الحكومة ممن يُؤيدّونها ويتزلّفون لها ، ويغلب عليهم طابع الفقر والبؤس، وتعدّ مناطقهم من أكثر مناطق بلغاريا تخلّفاً .

وإن تكاثر المسلمين كان وما زال يُسبب قلقاً دائماً للسلطات الحاكمة في بلغاريا مما جعلهم يُفكرّون في وسيلةٍ لإذابتهم في المجتمع البلغاري وذلك بمحو طابع الإسلام ، ولتحقيق هذا الهدف ارتأى المسؤولون في بلغاريا في

منتصف القرن الرابع عشر الهجري وضع مشروع شامل يبدأ بتنصير المسلمين بصورة جماعية عن طريق العنف إذا اقتضى الأمر، وقد تصدّى المسلمون لهذا المشروع وقاوموه مقاومةً قويةً، وذهب الكثير منهم إلى السجون نتيجة ذلـك، ومات بعضهم تحت سياط التعذيب الوحشي. وعندما تسلّم الشيوعيون السلطة أُلغي هذا القرار إلغاءً موقتاً لكسب المسلمين إلى جانبهم في الوقت الذي كانوا فيه بحاجةٍ إليهم فلما تمكّنوا بعثوا المشروع من جديد وبشكل أكثر عنفاً وبربريةً حقداً على الإسلام وخوفاً من زيادة المسلمين.

يعود المسلمون في بلغاريا إلى مجموعات ثلاث، وتختلف زيادة كل مجموعة عن الأخرى مع العلم أن أقلها زيادة يُعادل ضعف زيادة غير المسلمين من أي عنصر كانوا وهذه المجموعات هي:

١ً - الأتراك: ومعظمهم من أصل عثماني، وليس فيهم سوى عدد ضئيل من التتار الذين نزحوا إلى المنطقة من الامبراطورية الروسية. ولا يزيد عدد هؤلاء التتار على عشرة آلاف مسلم، وأهم مراكزهم مدينة (بورغاز) الميناء على البحر الأسود. وتُشكّل هذه المجموعة ٦١٪ من المسلمين.

٢ً - البُلغار: ويُعرفون بالبوماك، ويكثرون في الجنوب، وأشهر مدنهم (سموليان)، وتُشكّل هذه المجموعة ٢٢٪ من مسلمي بلغاريا.

٣ً - الغجر: وهم من البدو الرحـل، ومعظـم الغجـر في بلغـاريـا مـن المسلمين، وتُشكّل هذه المجموعة ١٧٪ من المسلمين. ويمكن ملاحظة زيادة هذه المجموعات من الجدول الآتي.

المجموعة	عام ١٣٦٩	عام ١٣٧٦	عام ١٣٩١	الزيادة
الأتراك	٦٨٣,٠٠٠	٧٤٠,٠٠٠	٨٩٠,٠٠٠	٣٠ ٪
البلغار	١٥٠,٠٠٠	١٩٠,٠٠٠	٣٢٠,٠٠٠	١١٣٪
الغجر	١١٥,٠٠٠	١٤٥,٠٠٠	٢٤٠,٠٠٠	١٠٩٪
مجموع المسلمين	٩٤٨,٠٠٠	١,٠٧٥,٠٠٠	١,٤٥٠,٠٠٠	٥٣ ٪

ومن المعلوم أن قلة زيادة الأتراك إنما تعود إلى هجرة الكثير منهم إلى تركيا تحت الضغط، ولكن على الرغم من هذه الزيادة القليلة فإنها تعادل ضعف زيادة غير المسلمين ويمكن ملاحظة ذلك بالمقارنة مع زيادة غير المسلمين من الجدول الآتي:

	عام ١٣٦٩	عام ١٣٧٦	عام ١٣٩١	الزيادة المئوية
غير المسلمين	٦,٠٧٤,٠٠٠	٦,٥٢٥,٠٠٠	٧,١٥٢,٠٠٠	١٥٪

وبهذه الزيادة التي يتفوّق بها المسلمون على غيرهم فإن نسبتهم تزداد بشكلٍ دائم وستصل إلى الربع في وقتٍ قريب، وهذا ما تخشاه السلطة التي هي من الشيوعيين النصارى. ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول الآتي:

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧١	١٣٩١	١٤٠٧	الزيادة المئوية
المسلمون	٩٤٨,٠٠٠	١,٠٧٥,٠٠٠	١,٤٥٠,٠٠٠	٢,٦٧٩,٦٠٠	٥٣٪
غير المسلمين	٦,٠٧٤,٠٠٠	٦,٥٢٥,٠٠٠	٧,١٥٢,٠٠٠	٨,٨٦٨,٤٨٠	١٥٪
سكان بلغاريا	٧,٠٢٢,٠٠٠	٧,٦٠٠,٠٠٠	٨,٦١٢,٠٠٠	١١,٥٤٨,٠٨٠	
نسبة المسلمين	١٣,٣٪	١٤٠١٪	١٧٪	٢١٪	

ويتلخص المشروع الشيوعي الجديد في النقاط الآتية:

١ - تغيير أسماء المسلمين إلى أسماء بلغارية (نصرانية) واتبعت في ذلك الخطوات الآتية:

أ - يُعطى للمسلمين طلبات جاهزة يُسجّل فيها ربّ الأسرة اسمه وأسماء أفراد عائلته وما يُقابلها من أسماء نصرانية يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة أسماء مرفقة من قبل السلطات الشيوعية.

ب - عدم تسجيل المواليد الجدد بأسماء إسلامية.

جـ ـ لا تتمّ إجراءات الزواج وتسجيله إلاّ بأسماء غير إسلامية.

د ـ لا تُعطى شهادات من أي نوعٍ أو بطاقة شخصية إلاّ بأسماء غير إسلامية.

هـ ـ لا تُصرف مرتبات العمال والأجور إلا بعد تغيير الأسماء.

هذا بالإضافة إلى عدة إجراءاتٍ تعسفيةٍ أخرى تجعل من العسير بل من المستحيل على أي مسلم أن يُنجز أبسط الأعمال إلاّ بعد تغيير اسمه.

ويلاحظ أن المسلمين البُلغار ينطبق عليهم هذا الذي يُطبّق على الأتراك إذن فالقضية ليست قومية وإنما صليبية، وكذلك فأسماء البلغار المسلمين يجب تغييرها فالموضوع ضدّ الإسلام وصليبي بحت رغم ادعاء محاربة الأديان جميعها، فجورج، وانطونيوس، ونيقولا أسماء نصرانية وليست بلغارية وهي مقبولة بل مطلوبة.

٢ً ـ بدأت السلطات الشيوعية في منع النساء المسلمات من ارتداء الزي الإسلامي (المحتشم) إذ لا تستطيع المرأة المسلمة بلباسها المحتشم أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة.

٣ً ـ صدرت الأوامر بإلغاء مقابر المسلمين على أن تكون هناك مقابر مشتركة للجميع من مسلمين وغير مسلمين، وأن تُلغى إجراءات الدفن التي تقوم على الطريقة الإسلامية.

٤ً ـ منع الأضاحي في عيد الأضحى المبارك.

تقدّم المسلمون بعريضة إلى الحزب الشيوعي لأنه الجهة الوحيدة التي يسمح لهم بالتحدث معها، فكان الردّ أن عليهم مسايرة تطوّر الديالكتيك الماركسي.

ولا يزال المسلمون يقاومون هذه الإجراءات التي تتنافى مع أبسط حقوق الإنسان والمبادىء الإنسانية، فالمسلمون يُقادون يومياً بالعشرات إلى

السجون، ويُكابدون أشدّ أنواع العذاب النفسي والبدني[1]. وقد أُبيد عدد ممن عارض هذه الإجراءات. وتتعاون الكنيسة الارتوذكسية مع الشيوعية في محاربة الإسلام.

وكان في بُلغاريا ١٢٠٠ مسجد، ويبدو أن بعضها قد هُدّم، وحُوّل بناء بعضها الآخر إلى مُهمّةٍ أُخرى، وأُقفل ما بقي منها أخيراً. وإن متحف صوفيا قد كان بالأصل مسجداً، ولا يُسمح ببناء مساجد من جديد كما لا يُسمح بالأذان، ولا تُوجد في البلاد مدارس إسلامية.

---

(١) عن مجلة الغرباء التي تصدر في لندن ـ السنة العاشرة ـ العدد الثالث تموز وآب ١٩٧٢ م.

(٢) رومـانيـا

دولة شيوعية تُشرف على البحـر الأسـود ، تبلـغ مسـاحتهـا ٢٣٧,٥٠٠ كيلومتر مربع ، ويُقدّر سكانها بأربعة وعشرين مليوناً ، وهي من الدول التي يتزايد عدد سكانها بسرعة بالنسبة إلى دول شرقي أوربا ويمكن أن نلاحظ من الجدول التالي :

١٣٧١ كان عدد السكان ١٦,٤٥٠,٠٠٠
١٣٩١ كان عدد السكان ٢٠,٤٧٠,٠٠٠
١٤٠٧ كان عدد السكان ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ .

احتلّ الرومان المنطقة من عام ١٠١ حتى ٢٧١ ميلادية ، فكثر جنودهم ، وسادت لغتهم ، حتى عُرفت المنطقة بهم .

فتح العثمانيون البقعة التي تحتلّها اليوم رومانيا أيام السلطان محمد الفاتح ، واستمرّ الحكم العثماني حتى مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ حيث استقلّت مقاطعات الأفلاق ، والبغدان ، وترانسلفانيا واتخذت اسم رومانيا . وأثناء الحكم العثماني استوطن كثير من العثمانيين في المنطقة وخاصة الجزء الساحلي المعروف باسم دوبروجه والواقع بين نهر الدانوب والبحر الأسود ، كما أسلم عدد من أبناء البلاد ، وهاجر جماعات من التتار واستقرّت في المنطقة .

أغلبية السكان من الرومان وتُقيم بجانبهم أقلية مجرية يصل عدد أبنائها إلى المليونين، كما توجد أقلية ألمانية، وأخرى تركية وهي مسلمة.

واللغة الرسمية هي الرومانية وهي من أصل لاتيني فتشبه الايطالية، والفرنسية، والبرتغالية، والاسبانية، وتقوم ست جامعات.

يدين ٨٤٪ من السكان بالنصرانية على المذهب الارثوذكسي، وتتعهد الدولة بالانفاق على الكنائس الأرثوذكسية دون سائر مراكز العبادات والجماعات الدينية الأخرى حتى النصرانية منها كالكاثوليكية. و١٣٪ يدين بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي والباقي، وهو ٣٪ هو من نصيب المجموعات المسلمة، واليهود. والنصارى البروتستانت وهم من الأقلية الألمانية. ولا يزيد عدد اليهود على مائة وعشرين ألفاً.

إن عدد المسلمين قد أخذ في التناقص منذ خروج العثمانيين، ويعود هذا التناقص لسببين اثنين، أولهما الاضطهاد الذي لحق بالمسلمين حتى أُجبر عدد منهم على الهجرة نحو تركيا، ولا شك أن هذا الاضطهاد قد أودى أيضاً بحياة الكثير، وثانيهما وهو فقدان أجزاء من الأرض الرومانية لصالح الجوار إذ ضمّت روسيا إليها منطقة بسارابيا التي يُسكنها كثير من المسلمين، وكذلك

ضمّت الجزء الشمالي من منطقة (بوكوفينا) التي فيها عدد من المسلمين، وفي الوقت نفسه استولت بلغاريا على جنوبي منطقة دوبروجا التي يقطنها عدد من المسلمين، وذلك في بدء الحرب العالمية الثانية، وبذا تناقص عدد المسلمين في منطقة رومانيا، ويُمكن أن نلاحظ ذلك من متابعة تطور عدد المسلمين.

كان عدد المسلمين في رومانيا عام ١٣٥٨ هـ ما يعادل ٢٦٠,٠٠٠ من أتراك، وتتار، وغجر، وكانت نسبتهم يومذاك ١,٣٪ من مجموع السكان.

كان يُقيم ١٢٠,٠٠٠ في منطقة بسارابيا و١٢٠,٠٠٠ آخرون في جنوبي منطقة دوبروجا (أي ٢٠,٠٠٠ فقط في منطقة رومانيا الحالية).

وأصبح عدد المسلمين في رومانيا عام ١٣٧٣ ما يعادل ٦٠,٠٠٠ مسلم نتيجة الزيادة الطبيعية، ولا تزيد نسبتهم على ٠,٣٦ ٪ من السكان، منهم ٣٥,٠٠٠ من الأتراك والتتار والباقي وهو ٢٥,٠٠٠ من جنسيات أخرى، وكان عددهم عام ١٣٩١ يساوي ٩٠,٠٠٠ مسلم نتيجة الزيادة الطبيعية أيضاً مع هجرة بعضهم، وغدت نسبتهم ٠,٤٤ ٪ من مجموع السكان، وذلك لأن زيادة المسلمين أكثر من غيرهم.

ويُقدّر عددهم اليوم بحوالي ١٢٠,٠٠٠ مسلم. ويُقيم أكثر المسلمين في منطقة دوبروجا، وتُعدّ مدينة كونسطانطة أكبر مركزٍ لتجمعهم، فهي مقرّ المفتي، ولهم مسجد فيها.

يلاقي المسلمون ضغطاً من الشيوعيين ومن النصارى معاً. فليس لهم أي تنظيم إذ لا يسمح النظام القائم بهذا أبداً. وكانت لهم جريدة قبل الحرب فأُوقفت بعد تسلّم الشيوعيين السلطة مباشرةً.

وربما يسعى المسلمون للمحافظة على كيانهم فتعدّ جزيرة (اده قلعة) بلداً إسلامياً، وكذلك بلدة المجيدية في الجنوب، وبلدة (باباداغ) في الشمال.

وربما كان الضغط عليهم أقل مما هو على إخوانهم في بلغاريا لقلة عددهم إذ لا يخشى منهم لقلة عددهم. مع العلم أن الكراهية والحقد ينصبّ على الأتراك بصفتهم مسلمين لا من وجهة نظر قومية كما يخيل لبعضهم أحياناً.

(٣) المجـــر

دولة شيوعية تبلغ مساحتها ٩٣,٠٣٦ كيلومتراً مربعاً، وهي قارية، لا منفذ لها على البحر، يبلغ عدد سكانها أحد عشر مليوناً حسب تقديرات عام ١٤٠٧ هـ. يتكلم السكان اللغة المجرية، التي تعدّ لغة آسيوية، وهي قريبة من التركية والفنلندية أي من لغات العرق الأصفر. ويدين السكان بالنصرانية ثلثاها على مذهب الكاثوليك والثلث الآخر على مذهب البروتستانت، ويعيش بينهم ثمانون ألفاً من اليهود، وستة آلاف من المسلمين.

كانت تعيش في منطقة المجر قبائل ألمانية وصقلبية فغزتهم قبائل قادمة من الشرق من آسيا في القرن الرابع الهجري بزعامة أربد، واستبدت هذه القبائل الغازية بالمنطقة وكاثرت السكان. وفي أواخر القرن الرابع الهجري وصلت قبائل الباشغرد المسلمة إلى المجر قادمةً من حوض نهر الفولغا الأعلى واستوطنت المنطقة، واحتفظت بإسلامها في الوسط الذي كانت تعيش فيه غير أنه في القرن الخامس الهجري دان سكان المجر بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي، فبدأ الضغط على المسلمين والتضييق عليهم، وإن كان يسمح لهم بالسفر إلى الدول الإسلامية كي يتعلموا أمور دينهم، وقد ذكر ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان أنه التقى بأحد أفراد هذه المجموعة عام ٦٢٦ هـ في مدينة حلب فقال: «وأما أنا فإني وجدت بمدينة حلب طائفةً

كبيرةً يقال لهم الباشغردية، شقر الشعور والوجوه، يتفقهون على مذهب الإمام أبي حنيفة، رضي الله عنه، فسألت رجلاً منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم، فقال: أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة أُمّةٍ من الإفرنج يقال لهم الهُنْكَر، ونحن مسلمون رعيةً لملكهم في طرف بلاده نحو ثلاثين قريةً، كل واحدةٍ تكاد تكون بليدة، إلا أن ملك الهُنْكَر لا يُمكّننا أن نعمل على شيءٍ منها سوراً خوفاً من أن نعصى عليه، ونحن في وسط بلاد النصرانية، فشمالينا بلاد الصقالبة، وقبلينا بلاد البابا يعني روميا، والبابا رئيس الإفرنج، وهو عندهم نائب المسيح، كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين، يُنفّذ أمره في جميع ما يتعلق بالدين في جميعهم. قال: ولساننا لسان الإفرنج، وزيّنا زيّهم، ونخدم معهم في الجندية ونغزو معهم كل طائفة لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفي الإسلام - فسألته عن سبب إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد كفر؟ فقال: سمعت جماعةً من أسلافنا يتحدّثون أنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفرٍ من المسلمين في بلاد البُلغار، وسكنوا بيننا وتلطفوا في تعريفنا ما نحن عليه من الضلال وأرشدونا إلى الصواب من دين الإسلام، فهدانا الله، والحمدلله، فأسلمنا جميعاً، وشرح الله صدورنا للإيمان، ونحن نقدم إلى هذه البلاد ونتفقه فإذا رجعنا إلى بلادنا أكرمنا أهلها وولّونا أمور دينهم»[1].

وإن ملوك المجر قد أصدروا ضدّ المسلمين قوانين تعسفية إذ كان هؤلاء الملوك قد اعتنقوا النصرانية، وقامت أوربا بحرب صليبية ضدّ المسلمين، وأول هؤلاء الملوك من المجر (لا ديسلاوس) الذي تسلّم الملك عام ٤٧١ هـ واستمرّ حتى عام ٤٨٩ حيث شنّت أوربا حربها الصليبية في آخر عامٍ من حكمه فأصدر تلك القوانين وتبعه الملوك الذين جاءوا بعده، حتى كانت أيام الملك شارل روبرت (٧٠٨-٧٤٣) حيث أرغم جميع رعاياه الذين لم يكونوا نصارى على أن يعتنقوا النصرانية أو يغادروا البلاد.

---

(١) معجم البلدان - ياقوت الحموي - مادة باشغرد.

وربما زاد من حقد المجر الصليبي أنها تعرّضت لغزو المغول من ناحية الشرق إذ غزاها باتو بن جوجي بن جنكيزخان في الربع الثاني من القرن السابع الهجري، ولم يلبث هؤلاء المغول أن اعتنقوا الإسلام في النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

وإضافةً إلى مجيء الباشغرد من الشرق جاء من جهة الغرب مسلمون من المغرب ومن الأندلس، وعملوا على نشر الإسلام، وهذا ما ذكره أبو حامد الغرناطي في كتابه (تحفة الألباب ونخبة الآداب) وذلك في القرن السادس الهجري.

وجاء الفتح العثماني في أوربا، وانتصر السلطان سليمان القانوني على المجر عام ٩٣٣ وتمكن من دخول بودابست عام ٩٣٦، وأصبحت المجر ولايةً عثمانيةً، وأخذت الدولة بالضعف بعد السلطان سليمان، واضطر العثمانيون إلى الانسحاب من المجر عام ١١١١ هـ، وما أن انسحبوا حتى شُنّت الحرب ضدّ المسلمين في المجر. وكان المسلمون قد كثروا أثناء الحكم العثماني، وخاصةً في الجنوب فقد كان في مدينة بودابست وحدها ثلاثة وثمانون مسجداً منها اثنان وعشرون جامعاً، وكذلك كانت هذه المدينة تضمّ عشر مدارس إسلامية، غير أن التعصّب الصليبي قد أجبر الكثيرين إلى الهجرة بعد حرب الإبادة التي تعرّضوا لها. كما أن النصارى قد هدّموا جميع المساجد والمدارس ولم يبق سوى مسجد واحد حُوّل إلى كنيسة.

ولمعرفة هذه الوحشية الصليبية يمكن أن نقول: إن عدد المسلمين في المجر قُدّر عام ٦٢٦ أي في عهد ياقوت الحموي بمائة ألف مسلم، أجبروا على النصرانية في النصف الأول من القرن الثامن. وأن عدد المسلمين في المجر كان في عام ١١٠٠ هـ في نهاية الحكم العثماني ما يزيد على الربع مليون أُبيدوا، أو هجروا، ولم يبق منهم سوى بضعة مئات.

كان عدد المسلمين في المجر عام ١٣٦٨ هـ ما يقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة، خمسمائة منهم في العاصمة بودابست، ووصل هذا العدد عام ١٣٩١ إلى خمسة آلاف منهم ألف في العاصمة. ويُقدّر عددهم الآن بستة آلاف، وليس لهم أية مدرسة أو مسجد، ولا يستطيعون المطالبة بذلك.

(٤) بولـــــندا

دولة شيوعية تبلغ مساحتها ٣١٢,٦٨٣ كيلومتراً مربعاً ، ميزة هذه الدولة أنها ظهرت واختفت عدة مرات في التاريخ. لقد تقاسمت كل من بروسيا ، وروسيا ، والنمسا أراضي بولندا في القرن الثاني عشر الهجري ، غير أن دولة بولندا عادت فظهرت بعد الحرب العالمية الأولى لكن الألمان احتلّوها أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبعد الحرب عادت للظهور إلاّ أن الروس قد استولوا على القسم الشرقي منها وعوّضوها عن ذلك بضمّ جـزءٍ مـن ألمانيـا لها ، وتبلـغ مساحة هذا الجزء ١١٥,٥٠٠ كيلومتر مربع ، وفي عام ١٣٧٢ هـ سيطر الشيوعيون على السلطة.

يبلغ عدد سكان بولندا عام ١٤٠٧ هـ ما يزيد على ثمانية وثلاثين مليوناً ، وتعدّ بولندا من أكثر شعوب أوربا نمواً في السكان. وغالبية السكان من البولنديين وتوجد بينهم أقلية ألمانية ، وأخرى روسية.

يتكلم السكان اللغة البولندية ، وهي لغة صقلبية تشبه اللغة الروسيـة ، غير أنها تكتب بأحرف لاتينية على حين تكتب اللغة الروسية بأحرفٍ كيريلية ، وتتكلم الأقليات بلغات أصولها إضافةً إلى البولندية.

يدين السكان بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي الذي يعتنقه ٩٥٪ من السكان ، وتوجد مجموعة من البروتستانت ، وهم غالباً من الألمان ، ومجموعـة مـن

الأرثوذكس وهم غالباً من الروس، وإضافةً إلى النصرانية يعيش في البلاد خمسة وعشرون ألفاً من المسلمين ومثلهم من اليهود.

وبولندا هي الدولة الوحيدة التي تعترف بالتعليم الديني بين الدول الشيوعية، وهذا ما يسبب نقمةً شعبية ضدّ السلطة تظهر أحياناً.

المسلمون: وصل التتار في غزوهم أوربا إلى بولندا، وتوقفوا هناك، وكانت صدامات بين الطرفين. وأسلم التتار، ولم يلبث البولنديون أن تعرضوا لهجومٍ من قبل الألمان من ناحية الغرب فاضطروا إلى الاستعانة بالتتار المسلمين فوافق التتار شريطة أن يُضمن لهم إقامة الشعائر... واستقرّ عدد من الجنود التتار بالأرض البولندية. وبنيت مساجد ومدارس في مدينة (لوبلين) التي تقع في شرقي بولندا. غير أنه قد تعرّض المسلمون لحربٍ صليبيةٍ في القرن العاشر الهجري نتيجة الحقد، وإن كان القتال بين البولنديين وبين دولة القرم قد ساعد على إثارة الحقد، واستمر هذا الاضطهاد حتى القرن الثاني عشر حيث زالت بولندا نتيجة اقتسام الدول لأراضيها وأصبح أكثر المسلمين في بولندا تحت سلطة الروس الذين يمارسون الضغط على المسلمين في المناطق المسلمة التي يُسيطرون عليها وعلى الأقليات المسلمة التي تعيش في بلادهم. وبذا فقد استمرّ الضغط على المسلمين.

لقد كان ملوك بولندا في الماضي يستفيدون من المسلمين الذين يعيشون في دولتهم إذ كانوا يرسلونهم إلى الدول الإسلامية لمعرفتهم اللغات الشرقية، وكذلك يسمحون لهم باستقدام أئمةٍ وعلماء للدين من الأمصار الإسلامية، وبإرسال أبنائهم إلى مصر لطلب العلم والتفقه في الدين فضلاً عن السماح لهم بأداء فريضة الحج. واستعمل التتار الحرف العربي في كتابتهم، وتحوي المتاحف نسخاً من القرآن الكريم، وكتب الحديث والتفسير وغيرها مكتوبة بالحرف العربي بأيدي تتار بولنديين، غير أن الظروف التي خضعوا لها قد جعلتهم يتركون لغتهم التركية والحرف العربي الذي يكتبون به، وأصبحوا يتكلمون اللغة البولندية، والروسية، والليتوانية.

ولما عادت بولندا إلى الظهور بعد الحرب العالمية الأولى وجد فيها ما يزيد على مائة ألف مسلم، وفسح لهم المجال فبنوا المساجد والمدارس، وكانت مدينة (ولينوس) في شمال شرقي البلاد، اكثر المناطق نشاطاً لهم إذ كانت مقرّ المفتي، ومقرّ الجمعية الثقافية الإسلامية، وبدأ العمل في بناء مسجد في العاصمة (وارسو) غير أن الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من ضمّ أجزاء لروسيا قد أثّر على المسلمين.

وظهرت دولة بولندا من جديد بعد الحرب العالمية الثانية لكن مع تغييراتٍ واسعةٍ في الحدود حيث أصبح مركز نشاط المسلمين (ولينوس) ضمن روسيا أي خارج حدود بولندا، وبذا قلّ عدد المسلمين في بولندا، وكان مجموع عددهم عام ١٣٨٣ هـ ما يزيد على أحد عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف من أصلٍ بولندي، ووصل عددهم عام ١٣٩١ إلى خمسة عشر ألفاً، ويُقدّر عددهم عام ١٤٠٧ بخمسة وعشرين ألفاً، وقد أسسوا لأنفسهم الجمعية الإسلامية البولندية، ولهم ثلاثة مساجد أحدهما في العاصمة (وارسو) واثنان في مقاطعة (بيالستوك) في الشمال الشرقي، وواحد في بلدة (بوهنكي) والآخر في بلدة (كروزنياني). كما أُسّست جريدة باللغة البولندية عام ١٣٩٣ اسمها (المجلة الإسلامية)، ويوجد بعض المعلمين يعلمون الأطفال مبادىء الإسلام.

ولا يُعرف أين غابت أعداد المسلمين الكبيرة بين الحربين [١٠٠ ألف بعد الحرب العالمية الأولى تناقص العدد حتى بقي ١١ ألف بعد الحرب الثانية]، كما كان عدد المساجد بعد الحرب الأولى ستة عشر مسجداً بقي منها المساجد الثلاثة التي ذكرناها.

(٥) تشيكوسلوفاكيا

دولة شيوعية تبلغ مساحتها ١٢٧,٨٦٩ كيلومتراً مربعاً ، وهي دولة قارية لا منفذ لها على البحر . كانت أرضها مملكةً بوهيميةً في مطلع القرن العاشر غير أن ملكها قد قتل في مواجهة العثمانيين عام ٩٣٣ أيام السلطان العثماني سليمان القانوني ، ودخل العثمانيون منطقة سلوفاكيا ، أما بوهيمية وفي المنطقة الغربية فقد خضعت للنمسا والتي ضمّت إليها سلوفاكيا أيضاً بعد انسحاب العثمانيين عام ١١١١ هـ ، وأصبحت ضمن امبراطورية النمسا .

ظهرت دولة تشيكوسلوفاكيا من جديد بعد الحرب العالمية الأولى ، غير أن الألمان قد احتلّوها قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكنها عادت فظهرت بعد الحرب ، وسيطر الشيوعيون على السلطة عام ١٣٦٧ هـ . وهي جمهورية اتحادية تتألف من اتحاد جمهوريتي التشيك في الغرب ، ويُشكّل أبناؤها ٦٥٪ من السكان ، وعاصمتهم براغ ، وهي العاصمة الاتحادية ، وجمهورية سلوفاكيا في الشرق ، ويُشكّل السلوفاك ٣٢٪ من السكان ، وعاصمتهم برتسلافا ، وهناك أقليات ألمانية ، ومجرية ، وبولندية ، وروسية وتشكل ٣٪ من السكان .

ويتكلّم التشيك لغةً خاصةً بهم ، وكذلك يتكلّم السلوفاك لغةً سلوفاكية ، وكلتا اللغتين من أصل صقلبي ، تشبهان اللغتين الروسية والبولندية . ويُقدّر عدد السكان عام ١٤٠٧ بستة عشر مليوناً .

يدين ثلاثة أرباع السكان بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي، والباقي من النصارى البروتستانت، ويعيش في تشيكوسلوفاكيا ٢٠,٠٠٠ يهودي، وثلاثة آلاف مسلم.

المسلمون: خضعت سلوفاكيا للعثمانيين فأقام بعضهم فيها كما اعتنق بعض أبناء البلاد الإسلام، فلما أُجبر العثمانيون على الانسحاب وتبعت المنطقة إلى النمسا بدأ الحقد الصليبي يظهر وبدأ الضغط على المسلمين، فهاجر الكثير، وتحمل الأذى والضغط الذين بقوا في البلاد، ولكن أُزيلت المساجد، والمدارس الإسلامية، ولم يبق سوى مسجد واحد.

وكان عدد المسلمين في تشيكوسلوفاكيا عام ١٣٩١ ألفي مسلم، ويُقدّر عددهم الآن بثلاثة آلاف. وعمل هؤلاء المسلمون على إقامة مدرسة لأطفالهم وتمكّنوا من ذلك بفضل الله، وأنشيء مركز إسلامي في براغ عام ١٣٩٤ هـ بجهود بذلها سفراء الدول الإسلامية، وما عدا ذلك فليس للمسلمين أي كيان هناك.

(٦) ألمانيا الشرقية

دولة شيوعية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وفُصلت من ألمانيا، تبلغ مساحتها ١٠٨,١٧٩ كيلومتراً مربعاً، كما أُخذ منها ١١٥,٥٠٠ كيلومتر مربع وألحقت ببولندا عوضاً عما احتلّته روسيا من أراضي بولندا، وتقاسمت روسيا وبولندا منطقة بروسيا، وجُزئت برلين إلى مدينتين، وعُدّ الجزء الشرقي منها عاصمة لألمانيا الشرقية، وبين الجزأين بنى الشيوعيون سوراً كي لا يفرّ الشرقيون إلى الغرب.

يُقدّر عدد سكان ألمانيا الشرقية بسبعة عشر مليوناً، وهم في تناقص للهرب إلى ألمانيا الغربية، وقد قلّ السكان بمعدل ٦٪، يتكلّم السكان اللغة الألمانية، ويدين ٩٠٪ منهم بالبروتستانت، و١٠٪ بالكاثوليكية.

المسلمون: بني مسجد للأسرى من الحلفاء في مدينة برلين أثناء الحرب العالمية الأولى، وهؤلاء الأسرى من المغرب، والهند، والتتار، والبوشناق (يوغوسلاف)، وذلك في معتقل (ونسدروف)، وعاد الأسرى بعد الحرب إلى أوطانهم، وبقي بعضهم في ألمانيا، وهدم المسجد عام ١٣٤٦.

وبعد الحرب العالمية الثانية عندما تسلّط الشيوعيون على الحكم فرّ كثير من المسلمين إلى ألمانيا الغربية، فلم تبق إلا قلّة منهم في ألمانيا الشرقية وقُدّر عددهم عام ١٣٧١ بـ ٥٠٠ مسلم.

وأصبح عددهم عام ١٣٩١ ٢٠٠٠ مسلم.
ووصل العدد عام ١٤٠٧ إلى ٣٠٠٠ مسلم.

وليس للمسلمين أي كيان أو تنظيم، وإنما هم في مرحلة من الضياع.

ويمكن أن نُلخّص الأقليات المسلمة في دول شرقي أوربا بالجدول الآتي:

الدولة	عدد السكان بالآلاف	عدد المسلمين بالآلاف	نسبة المسلمين
١ ـ بلغاريا	١١,٥٠٠	٢,٥٠٠	٢١٪
٢ ـ رومانيا	٢٤,٠٠٠	١٢٠	٠,٥٠٪
٣ ـ المجر	١١,٠٠٠	٦	
٤ ـ بولندا	٣٨,٠٠٠	٢٥	
٥ ـ تشيكوسلوفاكيا	١٦,٠٠٠	٣	
٦ ـ ألمانيا الشرقية	١٧,٠٠٠	٣	
	١١٧,٥٠٠	٢,٦٥٧	٢,٢٦٪
ويُضاف إلى ذلك روسيا	١٧٧,٥٦٣	١,٢٥٧	
	٢٩٥,٠٦٣	٣,٩١٤	

أما منطقة الفولغا ـ أورال، وشمالي القفقاس، والقرم، وألبانيا فهي مناطق ذات أكثرية إسلامية، فلا تدخل في موضوع الأقليات، ويمكن الرجوع إليها في الجزء السابق من هذه الموسوعة (المسلمون في الامبراطورية الروسية).



بحر البلطيق
بولندا
برلين
ألمانيا الشرقية
وارسو
لوبلين
روسيا
براغ
تشيكوسلوفاكيا
بوكوفينا
النمسا
المجر
بودابست
رومانيا
بخارست
يوغوسلافيا
البحر الأسود
صوفيا
بوغاز
تركيا
اليونان
المقياس
٤٠٠ ٣٢٠ ٢٤٠ ١٦٠ ٨٠ ٠
كيلومتر

مصور رقم [٥٨] .

نحن والأقليات المسلمة في شرقي أوربا

تعيش الأقليات المسلمة في شرقي أوربا في حالةٍ بئيسةٍ جداً فالحرب تُشنّ على الإسلام بشكلٍ دائمٍ، ويُنظر إلى المسلمين نظرةً خاصةً ملؤها الحقد والكراهية، وكل تصرّفٍ من قبلهم يُفسّر تفسيراً مُعادياً للدولة والنظام وتحلّ نتيجته بالمسلمين المصائب والنكبات، وتحت وطأة هذا الضغط تخلّى كثير من المسلمين عن عقيدتهم. ولا يسمح النظام في تلك الدول للمسلمين بتنظيم أنفسهم أو تعليم أطفالهم الإسلام، أو اللقاء فيما بينهم لتدارس أمور دينهم، وهذا ما أنساهم المعرفة بمبادىء الإسلام، فتخلّى بعضهم عن الدين، وكل لقاءٍ أو تجمّع مهما كان صغيراً يُعدّ خطيراً على النظام لذا فإن القائمين عليه يُهجرّون من الدنيا بسرعةٍ.

ودول أوربا الشرقية أو كل الدول التي تأخذ بالمبدأ الشيوعي بلدان مُغلقة لا يدخل إليها إنسان إلا بعد موافقة السلطات وفرض الرقابة. فالمسلمون لا يستطيعون الخروج من مناطقهم حتى لا يتصلوا بإخوانهم في بقية المناطق ويتأثّروا بهم، بل لا يمكنهم الارتحال لتأدية فريضة الحج إذ أنه محرم عليهم. ولا يستطيع أحد أن يزورهم وإذا وافقت السلطات لأحدٍ كان مُراقَباً ويُرافقه رجال من الأمن. هذه العزلة أورثت لديهم الجهل بأمور الدين فسهُل على بعضهم التخلّي عنه.

إن المسلمين تحت السيطرة الشيوعية يُحرمون من أي فكرٍ أو علمٍ أو قراءةٍ للكتب سوى ما يُوفّرها لهم الشيوعيون حسب آرائهم، فحرية الفكر مُقيّدة، وحرية الرأي مُعطّلة، هذا الانقطاع بين المسلمين في دول أوربا الشرقية وبين الأفكار الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي قد حدّ من تفكيرهم وضيّق أفقهم، وعطّل عقولهم فيّسر ذلك على بعضهم التخلّي عن عقيدتهم.

إن الاضطرار لتأمين القوت اليومي مع الجهل بالإسلام إضافةً إلى المصلحة ورغبات النفس والخوف من السيف المصلت فوق الرقاب باستمرار قد دفع ببعض المسلمين في دول أوربا الشرقية إلى مُسايرة السلطات رغم علمه بباطلها وظُلمها، ومع ذلك فإن الحكومات الشيوعية لا تثق بالمسلمين مهما تخلّوا عن دينهم، ودافعوا عن الشيوعية صدقاً أم ظاهراً فالمسلمون في موضع الاتهام باستمرار.

ويُضاف إلى هذا كله أن المسلمين في الأمصار الإسلامية قد عدّوا هؤلاء المسلمين قد التحقوا بالشيوعية وقبلوا مبادئها، فأهملوهم إهمالاً كلياً مُتذرّعين بأن بلادهم مُغلقة فاعتبروا هذه حجةً لهم وتراخوا والواقع أن هذا ليس إلا بسبب الكسل إذ يمكن التعريف بهم، وتوجيه الإذاعات لهم بلغاتهم، والعمل على إدخال الكتب لهم، ولا يعدم المرء الوسيلة إلى ذلك.

والواقع أن الدول الإسلامية فريقان: فريق يدرس البلدان الشيوعية من وجهة نظرٍ عنصريةٍ، أو دراسةً جغرافيةً بحتة بعيدة عن أي معلوماتٍ عن الإسلام إذ لا يُبالون بذلك، ولذا فإن المسلمين في دول هذا الفريق لا يعرفون شيئاً عن إخوانهم في البلدان الشيوعية، وربما كانت الدراسة من وجهة التأييد أي الثناء على التسلّط الشيوعي وتصرّف الحكومات، وهذا ما يُفقد البحث الجوانب العلمية كلها. وأما الفريق الثاني فإنه لا يهتمّ بهذه الدول ولا يُعير سكانها أيّ بالٍ ما دام الإلحاد هو المسيطر، وهذا ما يُبعد عن الخط العلمي الصحيح أيضاً، فالتعريف بالمسلمين واجب، وفيه تشجيع لإخوانهم لينهضوا بالمهمة الملقاة على عاتقهم.

ومع هذا كله فإن هناك من المسلمين من تصلّب في موقفه أمام الأعداء وحافظ على انتمائه للإسلام ـ مجرد انتماء ـ حتى ارتبط العنصر بالعقيدة وأكثر ما ينطبق هذا على التتار إذ أصبحت كلمة تتار تعني المسلم، ويتمسّك التتاري بانتمائه لا من باب العصبية العنصرية وإنما لأنه يُرادف الإسلام.

وكثيراً ما يخشى بعض السكان من ذكر الدين فلا يُعلن عن عقيدته في الإحصاء وتأخذ السلطة أعداد المسلمين من انتماءاتهم العنصرية فالتتار، والترك، والداغستان والباشغرد (الباشكير) تعني الإسلام، ومن هذا المنطلق فإن أعداد المسلمين تتناقص في الاحصاءات الروسية. وهذا غير صحيح فالمسلمون أكثر المجموعات تزايداً، غير أن إخفاء ذكر الدين يُسبّب هذا التناقص وتُسجّل المجموعات الصغيرة من المسلمين ضمن المجموعات الوثنية أو النصرانية إن كانت في المجموعة بعض البطون تعتنق النصرانية أو تُعلن عن وثنيتها. ولا شك فإن الإبادة والتهجير عاملان من عوامل عدم الزيادة الواضحة في عدد السكان.

ولما كانت الأقليات المسلمة في دول شرقي أوربا ضعيفة الشأن لقلّة عددها باستثناء بلغاريا فإنه لا يخشى منها لذا لا نجد هجوماً دائماً عليها، وتخطيطاً لإذابتها وصهرها في المجتمع الذي تعيش فيه، ووضع المشروعات لتهجيرها أو إبادتها ولكن نجد هذا فقط في بلغاريا التي يُعدّ المسلمون فيها كثرة.

نظرة عامة على المسلمين في أوربا

المنطقة	السكان	المسلمون	النسبة
أوربا الغربية	٣٨٠,٩٨٠,٠٠٠	١٢,٥٢٦,١٠٠	٣,٣٪
أوربا الشرقية	٢٩٥,٠٦٣,٠٠٠	٣,٩١٤,٠٠٠	١,٣٪
دول الأكثرية المسلمة	٢٤,٦٨٧,٠٠٠	١٤,٧٣٣,٠٠٠	٥٩,٠٪
المجموع	٧٠٠,٧٣٠,٠٠٠	٣١,١٧٣,١٠٠	٤,٤٪

يُلاحظ أن عدد المسلمين في دول أوربا الشرقية هو أقل من عدد المسلمين في دول أوبا الغربية، غير أن دول ومناطق الأكثرية المسلمة إنما تقع في أوربا الشرقية فإذا أضفناها انعكست الآية، وأصبح المسلمون في الشرق أكثر مما هم في الغرب.

يُلاحظ أن عدد المسلمين في أوربا الشرقية ثابت بل يتناقص بسبب حرب الإبادة، والتهجير، والانتقال إلى الإلحاد على حين يتزايد المسلمون في أوربا الغربية مع زيادة التجنس، وطلب العلم، والهجرة إلى العمل، والتشريد في أمصار العالم الإسلامي حيث ما تنفكّ النوائب تحلّ بها، وأكثر ما تصيب المسلمين بل ربما نستطيع أن نقول: إن المسلمين هم المستهدفون بالدرجة الأولى، ويجب ألاّ ننسى الإقبال على الإسلام في الغرب، واعتناقه من قبل بعض سكان أوربا الغربية، وإن كان العدد قليلاً نسبياً.

ويُلاحظ أن المسلمين في أوربا الشرقية في الغالب من أبناء البلاد على حين أنهم في أوربا الغربية غرباء عنها يحلّون فيها موقتاً، وإن كان بعضهم قد حصل على جنسية البلد الذي يُقيم فيه أو على الإقامة الدائمة، وهناك بعض الذين اعتنقوا الإسلام ـ كما ذكرنا ـ من دول الغرب.

إن ما يحلّ بالمسلمين من بلاء في أوربا يختلف في الشرق عما هو في الغرب، ففي الشرق مفروض عليهم، خارج عن إرادتهم، سببه التسلّط والحقد على الإسلام الحقد من الإلحاد الذي تتبنّاه الحكومات، والصليبية المتوارثة عند أبناء البلاد النصارى، ونتحمّل قسطاً مما ينشأ من إهمالنا لإخواننا وتقصيراً بطبعنا، أما في الغرب فيعود البلاء إلى المسلمين أنفسهم، فالخلاف فيما بينهم، والعصبيات التي تحملها بعض الفئات، والعنصرية، والإقليمية، والرغبة في الدعاية للدول التي تُقدّم بعض الدعم كل هذا له أثره الكبير ويُضاف له أيضاً الصليبية الكامنة في شعوب أوربا.

إن المسلمين في أوربا الغربية على صلةٍ مستمرةٍ بإخوانهم في الأمصار الإسلامية، وبالتيارات الفكرية المعاصرة، لانفتاح دول تلك المنطقة، بينما يُحرم المسلمون في شرقي أوربا من هذه الصلة لانغلاق الحكومات المتسلّطة عليهم، بل يُحرمون من نسخٍ من القرآن الكريم فهم لا يرون النور ولا يسمعون بالأفكار، على أفواههم أقفال وعقولهم مُعطّلة، ورجال الرقابة يسترقون السمع منهم ويحصون أنفاسهم.

ولقد عانى سكان أوربا الشرقية كثيراً من النظام الذي يحكمهم فإضافةً إلى الضغط قد لحقهم الفقر، وشعروا بالتخلّف بالنسبة إلى حياة إخوانهم في أوربا الغربية.

وزاد الضغط حتى انفجر الوضع، وخرج منه السكان، فتخلّوا عن نظامهم، ومعسكرهم، وانطلقوا يتبعون النظام الحرّ، وتنفّس الناس بعد طول كبتٍ، وتوحّدت ألمانيا.

ولكن حظ المسلمين لن يكون كبيراً فالصليبية تلاحقهم أينما كانوا سواء أكان أتباعها من النصارى ملحدين أو علمانيين، أم عاديين، وسواء أكانوا كاثوليك أم أرثوذكس، أم بروتستانت.

الأقليّات المُسْلِمَة
في
قارة أمريكا

تُشير الأخبار إلى احتمال وصول المسلمين إلى أمريكا قبل معرفتها من قبل الأوربيين، وإذا كان ذلك فإن المسلمين الذين كانوا هناك قد أُبيدوا مع من أُبيد من السكان الأصليين أو مع من هلك في نطاق المحاولات الصليبية لإبادة المسلمين من قبيل ما اقترف النصارى الإسبان ضدّ المسلمين في الأندلس إثر سقوطها بأيديهم عقب ما أسموه بحرب الاسترداد، ويُلاحظ أن خروج المسلمين من الأندلس عام ٨٩٧ قد أعقبه معرفة أمريكا الذي حدث مصادفةً في محاولة الإسبان تتبع المسلمين بعد طردهم من الأندلس والعمل على تطويقهم عسكرياً واقتصادياً. وهناك بعض ما يُشير إلى وجود مسلمين في أمريكا عندما وصل إليها الأوربيون، ويبدو أن بعضهم كان يُقيم في أمريكا الشمالية على أرض الولايات المتحدة اليوم، وقد وصلوا إليها من الأندلس أو من بلاد المغرب، كما كان يُقيم بعضهم الآخر في أمريكا الجنوبية على أرض البرازيل اليوم وقد وصلوا إليها من غربي إفريقية من مملكة مالي التي كانت قائمةً في القرن السابع الهجري، وقد تركوا هناك بعض الآثار، غير أن كلا الجماعتين قد أُبيد على أيدي الصليبيين الإسبان الذين كانوا يمتلئون حقداً على الإسلام والمسلمين وربما لم يكن هناك شيء أكره إليهم من هذا الاسم فهم قد طردوهم من الأندلس ويُلاحقونهم، وقد وجدوا أمامهم جماعةً صغيرةً ضعيفةً مُوزّعةً من المسلمين في هذه الأرض التي نزلوا بها، ولم يعلموا بعد أنها أرض

جديدة لذا فقد قضوا عليهم مباشرةً ودكّوا كل أثر من آثارهم.

ومن المعلوم أن بعض المسلمين قد أظهروا النصرانية في الأندلس خوفاً على حياتهم أو أُكرهوا على قبول النصرانية عقيدةً لهم ولكنهم احتفظوا بدينهم في قلوبهم وقد عُرف هؤلاء باسم (الموريسكيين) أي المسلمين الصغار. واستعان الإسبان ببعض هؤلاء في سيرهم إلى الأرض الجديدة، وفي التحرّك داخلها لأنهم كانوا أكثر ثقافةً وحضارةً ومعرفةً من الإسبان إضافةً إلى لغتهم العربية التي كانت هي الشائعة، وهي التي يتحدّث بها المسلمون القدماء في أمريكا وهذا ما يدلّ على أن الإسبان كانوا يجزمون بوجود مسلمين هناك، غير أنه قد ضاع كل خبرٍ عنهم بتصرّف الإسبان الحاقدين، ثم جاءتنا أخبار هذه المرحلة وتاريخها من أوربا برأيها وتحليلها وأهدافها وتخطيطها فكانت هذه معلوماتنا لا غير، وكان من هؤلاء الموريسكيين (استفانكو) كما كان دليل (مرقص وتيزا) لمعرفة أريزونا أحد هؤلاء المسلمين أيضاً، وقد أقام هذا الدليل كما أقام غيره هناك، غير أن قلّتهم جعلتهم لا يتركون أثراً بل ربما هم ضاعوا وسط البيئة التي عاشوا فيها إذ كانوا يُظهرون النصرانية، ولا يجرؤون على إعلان إسلامهم.

وفي القرن الثاني عشر الهجري وصلت إلى أمريكا أفواج من زنوج إفريقية استرقّهم النخاسون، ونُقلوا للعمل في الولايات المتحدة، وكان من بين هؤلاء الزنوج عدد من المسلمين غير أنهم قد أضاعوا دينهم نتيجة العمل الشاق الذي كانوا يُمارسونه، ونتيجة السيف المصلت فوق رؤوسهم، وقد هلك الكثير منهم بالعمل، وقُتل الكثير بأيدي السادة من غير حساب، لأن العبيد كانوا عندهم كجزءٍ من المتاع يتصرّفون به تصرّفهم بالمتاع تماماً فهو ملكهم، وهم المسؤولون عنه فقط. وقد صوّرت رواية (الجذور) الأصول الإسلامية للزنوج الإفريقيين المقتلعين من أوطانهم، والمنقولين لتعمير العالم الجديد، وقد نبش كاتبها (اليكس هالي) قصة جده الأعلى، وهو زنجي

إفريقي مسلم يُدعى (كونتاكانتي) اصطاده النخّاسون من موطنه في غامبيا حوالي عام ١١٦٤ ، وشحنوه إلى الولايات المتحدة حيث فشلت محاولاته المتكررة للفرار ، وعُوقب في إحداها بقطع نصف قدمه ، ثم لم يكن هناك من مناص في أن يعيش حيث المكان الذي نُقل إليه ، ويتزوج ويُنجب ، ويرى الأحفاد وذريتهم.

وفي القرن الرابع عشر زادت الاتصالات بين أجزاء العالم، واحتاجت البلدان الجديدة إلى إعمارٍ ، وتوالت النكبات على الأمصار الإسلامية، وزاد ضغط المُتسلّطين عليها والمُسخّرين فيها على المسلمين فارتحلت أعداد منهم واتجهت نحو البلدان الجديدة، كما أن طلاّب العلم قد زاد رحيلهم إلى تلك الجهات، وبذا ظهرت جالية إسلامية.

وإذا كان المسلمون الأوائل قد أُبيدوا ، والذين ساروا مع المكتشفين قد ضاعوا فإن عدداً من السود قد عرفوا واقعهم ورجعوا إلى دينهم في أمريكا الشمالية ، كما دخل أمريكيون في الإسلام سواء أكانوا من شمالي أمريكا أم من جنوبيها ، وكذلك رفدتهم عناصر جديدة من الأمصار الإسلامية جاءت لأسبابٍ كثيرةٍ، وحصل بعضها على الجنسية، وأقام بعضها الآخر بشكلٍ دائمٍ ، وفيهم من ذوي الفكر وأصحاب الإمكانات الكبيرة، وهناك أيضاً الذين يُقيمون إقامةً موقتةً، وإن كل جزءٍ من قارة أمريكا يختلف عن الجزء الآخر ، فهناك الشمال ، والوسط ، والجنوب.

ونجد في أمريكا الشمالية الدول الآتية:

(١) الولايات المتحدة الأمريكية

عالم واسع، تبلغ مساحتها ٩,٣٦٣,٤٩٨ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها حسب تقديرات عام ١٤٠٧ هـ ما يزيد على ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠.

استقلت عن انكلترا عام ١١٩٠ وكانت ثلاث عشرة ولايةً، ثم أخذت الولايات تنضمّ إليها حتى غدت ثمان وأربعين ولايةً، ثم انضمّت إليها آلاسكا وجزر هاواي عام ١٣٧٩ فأصبحت إحدى وخمسين ولايةً.

يعود ٨٥٪ من السكان إلى أصل أوربي، ويعود الباقي إلى أصول إفريقية وآسيوية. ويُشكّل الزنوج ما يزيد على ثلاثين مليوناً، ونستطيع أن نقول: يتألّف السكان في الولايات المتحدة من:

٢٠٢,٣٥٠,٠٠٠	من أصول أوربية، ومعظمهم من الانكلوسكسون
١,٥٠٠,٠٠٠	هنود حمر.
٣٠,٠٠٠,٠٠٠	زنوج من أصول إفريقية.
١٥٠,٠٠٠	أفارقة.
٦,٠٠٠,٠٠٠	من أصول مختلفة من آسيويين (فيليبين ـ يابانيون ـ صينيون ـ هنود ـ ماليزيون ـ أندونيسيون ـ عرب ـ ايرانيون ـ أفغان).
٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠	

واللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية، مع أن لكل مجموعة لغتها الخاصة، ولكن تذوب مع الزمن في المجتمع الأمريكي، وإن كان بعضها يحرص على المحافظة على لغته الخاصة.

يدين معظم السكان بالنصرانية على المذهب البروتستانتي، غير أنه يوجد لبقية المذاهب النصرانية أتباع كما توجد أعداد من الديانات الأخرى، ويمكن أن نبينها في الجدول الآتي.

بروتستانت	١٧٢,٧٨٩,٠٠٠
كاثوليك	٥٣,٢٥٠,٠٠٠
أرتوذكس	٤,٥٠٠
يهود	٦,١٠٠,٠٠٠
مسلمون	٣,٢١١,٠٠٠
بوذيون	١٥٠,٠٠٠
	٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠

المسلمون: يمكن أن نُؤرّخ للمسلمين في الولايات المتحدة في هذه المرحلة الأخيرة بأوائل القرن الرابع عشر الهجري أواخر القرن الثالث عشر، إذ هاجرت أعداد إلى الولايات المتحدة من المسلمين لكن كانت قليلة لا يتسنّى لها مع عددها الضئيل التأثير وبخاصة في ذلك المحيط الواسع، كما أن هؤلاء المهاجرين قدموا إلى البلاد ومقصدهم الرئيسي كسب العيش، ولم يكونوا على درجةٍ من الثقافة تتيح لهم تأثيراً على المجتمع الذي يعيشون فيه، إضافةً إلى الذين فرّوا من وجه النكبات التي نزلت بهم في بلادهم أو حلّت بأوطانهم فهم مُشرّدون يخشون العاقبة ويخافون النتيجة، ولم يكونوا بحالةٍ أفضل كثيراً من الناحية العلمية من أولئك الذين جاءوا لكسب القوت، وقد سُدّت في وجههم السبل، ولم يكن هؤلاء المسلمون على أمرٍ جامعٍ أو نظام فقد جاءوا من مناطق مختلفة وعاشوا مُتفرّقين، وإن شعروا بحاجةٍ إلى مؤسساتٍ تجمعهم غير

أن مستواهم، واختلاف ديارهم، وتباين لغاتهم، وفقرهم، وسعيهم وراء العمل وتفرّقهم لم يفسح لهم المجال بذلك.

لقد اتصلت الولايات المتحدة بالعالم الإسلامي اقتصادياً في بداية الأمر، ثم زادت هذه الصلات مع الزمن وظاهرتها صلات ثقافية ثم سياسية. لقد وصل إلى الولايات المتحدة مهاجرون من شتى الأمصار الإسلامية. جاء إليها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري مهاجرون غالبيتهم من القبائل التتارية التي كانت قد استوطنت في شرقي بولندا وغربي روسيا وأصابها اضطهاد القياصرة الروس ثم تابع الشيوعيون الاضطهاد نفسه وزادوا عليه في القرن التالي فاتجه بعضهم إلى الولايات المتحدة هاربين، ووصل منهم إليها أكثر من ألفي شخص أقام معظمهم في مدينة نيويورك في حي (بروكلين).

وجاء مغتربون من بلاد الشام وبخاصة في أوائل القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر الهجريين لما نزل في بلاد الشام من محن. وأقام أكثر النصارى في مدينة (ديترويت) على البحيرات العظمى، واستوطن أكثر المسلمين في ولاية (إيوا) في مدينة (سيدار رابيداز) التي تقع غرب نهر المسيسيبي على أحد روافده الصغيرة، وأسّسوا لهم مسجداً هناك عام ١٣٥٢، وتبع هؤلاء مهاجرون من بلاد عربية أُخرى مثل اليمن ومصر وغيرهما، وكان معظمهم بحارة تركوا سفنهم واستقرّوا في الولايات المتحدة، ثم حذا حذوهم آخرون من ايران، وتركيا، والهند، وماليزيا، واندونيسيا، وأفغانستان، واستوطن بعض هؤلاء في غربي الولايات المتحدة. وكذلك هاجر عدد من اليوغوسلاف المسلمين، وعاش أكثرهم في مدينة شيكاغو، وقد انتقلوا من بلادهم إلى هناك إثر الاضطهاد الذي لحق بهم في بلادهم عندما تسلّم الشيوعيون حكمها. ثم انتقلت أعداد من ألبانيا عندما سيطر الشيوعيون على الحكم فيها أيضاً بعد الحرب العالمية الثانية، وأقاموا في مدينة (ديترويت).

ويذهب عدد من المسلمين في كل عام إلى الولايات المتحدة لتلقّي العلم في جامعاتها المختلفة التي تُعدّ بالمئات، وقد أصبح بعضهم يشغل مناصب علمية كبيرة، ومنهم من حصل على الجنسية الأمريكية بالمولد، وبعض هؤلاء من سكان الفيليبين، وقد ولدوا عندما كانت الولايات المتحدة هي صاحبة السلطة المباشرة في جزر الفيليبين. كما أن الولايات المتحدة كثيراً ما تحرص على استبقاء النوابغ في بلادها فتعرض عليهم التسهيلات والإغراءات.

وأقبل على اعتناق الإسلام بعض الذين هم من أصل أمريكي نتيجة الاحتكاك بالمسلمين سواء أكان داخل الولايات المتحدة أم خارجها إذ عاش بعضهم في بلدانٍ إسلاميةٍ. ومن الصور المعبرة لهذا التأثّر بالإسلام خارج الولايات المتحدة الأمريكية ما كان من (محمد اسكندر) الذي كان قنصلاً لبلاده في (مانيلا) بالفيليبين، وهناك اطلع على بعض الكتب الإسلامية فأسلم عام ١٣٠٦ هـ، وعاد إلى بلاده عن طريق الهند بعد أن استقال من منصبه، واتصل في الهند ببعض المسلمين، واستقرّ أخيراً في نيويورك حيث أنشأ مكتباً باسم (شركة النشر الشرقية)، وأصدر العدد الأول من مجلة (العالم الإسلامي) عام ١٣١١ هـ، وتوفي عام ١٣١٤، وقد أتاحت الحرب العالمية الثانية السبيل للتعرّف بين الجنود الأمريكيين بالمسلمين عندما عملوا في بلادهم، ومنهم من تأثّر بالإسلام، ودان به، ويُقدّر عددهم بخمسين ألف أمريكي مسلم.

ورجع عدد من الزنوج إلى أصولهم الإسلامية، وقد بدأت هذه الحركة في أحد أحياء مدينة (ديترويت) عام ١٣٤٩ على يد تاجرٍ عربي كان يبيع الزنوج الملابس ومعاطف المطر، ويُعلّمهم أصول الدين الإسلامي، ويُعرف هذا الشخص باسم (محمد فريد) ويُسمّونه بالانكليزية (فارد محمد)، وأغلب الظنّ أنه شامي من فلسطين درس العلوم السياسية في جامعة كمبردج بانكلترا، وتوفي عام ١٣٥٣، وكان قد تعرّف على شخص من بين الزنوج

اسمه (اليجابول) ونشأت بينهما صداقة وطيدة فسمّى نفسه (أليجا محمد)، ومن تعاون هذين الرجلين نشأت حركة الزنوج أو حركة المسلمين السود، إذ تطوّرت الدعوة الفردية إلى عقد اجتماعات.

وهناك رواية تقول: هناك رجل يُدعى (دورعلي) قام بالدعوة بين الزنوج، وركّز جهده في منطقة (نيوجرسي) وقد نجح في مهمته، وكان يلقب كل رجل من أتباعه اسماً ينتهي بلقب (بيك) وقد توفي عام ١٣٤٨ هـ، وبوفاته تفرّق أصحابه، وتبع الكثير منهم الإسلام، وبقي اسم جمعيته. وعلى أنقاض هذا العمل قام (أليجا محمد) الذي ادعى أنه أرسل إلى السود في أميركا، وتبعه الكثير من السود نتيجة ما كانوا يُعانون من ظلم، فجعل لجماعته فروعاً في مناطق متعددة وأنشأ أماكن للعبادة في مختلف المدن الكبرى وسمّاها (المعابد)، وكان في كل معبد مدرسة لجماعته وأولادهم سمّاها الجامعة الإسلامية.

وأنشأت هذه الحركة محلات تجارية لها، ودارًا للطباعة، وجريدة أسبوعية، ومطاعم، وفنادق خاصة بهم، وتبنّى (أليجا محمد) نظاماً دقيقاً فرضه على أتباعه، وأنشأ المزارع وأقام المنشآت. وعرفت هذه الجماعة باسم (المسلمين السود) ثم أطلقوا على أنفسهم (أمة الإسلام)، وكانوا يسعون لإنشاء دولة خاصة بهم في المكان الذي يتهيّأ لهم في الولايات المتحدة، ولهم نظام عسكري يُسمّونه (ثمرة الإسلام).

وفي الوقت الذي كانت تتكوّن فيه حركة المسلمين السود أسلم عدد من الزنوج وسار بخطٍ سليمٍ وزاد عددهم وأسّسوا جمعياتٍ لهم مثل (دار الإسلام) و(أنصار الإسلام) و(معهد التبشير الإسلامي)، و(معهد الأمة) و(مسجد المهاجرين) و(مسجد ياسين) والمشكلة أنهم كانوا يختلفون فيما بينهم بين المدة والأخرى فينشق بعضهم عن بعض، ويُؤسّس كل فريق لنفسه مؤسسةً خاصةً به.

ومن روّاد الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة بين المسلمين السود (صوفي عبد الحميد) وهو من سكان حي (هارلم) بنيويورك، اعتنق الإسلام عام ١٣٥٠ ومضى يدعو إليه، فأسلم على يديه عام ١٣٥٥ حوالي مائتين وأربعين رجلاً وقد آزره في دعوته رجل مصري يُدعى (حافظ مندلي).

ولكن بقيت حركة المسلمين السود هي البارزة بين كل الحركات بسبب تنظيمها وكثرة أتباعها وشخصية قائدها (أليجا محمد). ولد (أليجا محمد) في مدينة (ساندرافيل) في مقاطعة جورجيا عام ١٣٢٥، ونشأ على بغض البيض إذ شاهد في طفولته غارات البيض على السود ليلاً، وما كان يُصيب أبناء جلدته من قتلٍ ومن تعذيب. وهكذا أثّرت رواسب مُعاناة السود الطويلة من البيض في الولايات المتحدة لذا فقد تبنّت حركة المسلمين السود وشجّعت على أسلوب الحقد والعنف بطرقٍ بشعةٍ.

وثمة شخصية بارزة أُخرى بين المسلمين السود في الولايات المتحدة هو (ريمون شريف) ختن (محمد فريد)، ويُعدّ زعيم منظمة (ثمرة الإسلام) وقائد (ضباط الشعب الأسود) إذ كان لهذه المنظمة شرطة خاصة بها.

ويبدو أن (أليجا محمد) كان متأثّراً بالقاديانية، وربما كان على صلةٍ بهم ولا نعرف فيما إذا كان (محمد فريد) الذي أثّر به كان أحدهم. وما ادعاؤه بالنبوة للشعب الأسود إلا من هذا الباب، وقبل الكثير من الزنوج هذه الفكرة بسبب ما يُعانونه من اضطهاد وعنف البيض.

وظهر من بين المسلمين السود من لاحظ انحراف خط الحركة عن الإسلام فدعا إلى التصحيح، وكان من أبرزهم (مالكوم إكس) وكان يُدعى (مالك التباز) إذ تعرّف عليه (أليجا محمد) في السجن، فلما أطلق سراحه عام ١٣٧٢ هـ، كان أكثر وضوحاً، وقد اختلف الرجلان بعضهما مع بعض، وكادت تطغى شخصية (مالك) على (أليجا) لذا قرر فصله من الحركة،

وأحرق منزله، وقرر التخلّص منه فأطلق عليه الرصاص وقتل عام ١٣٨٥ هـ.

وتوفي (أليجا محمد) عام ١٣٩٥ فتولّى رئاسة الحركة بعده ابنه (ولاس محمد) وتسمّى باسم (محمد وارث الدين)، وكان على رأي (مالكوم) فأخذ يتجه بالحركة نحو الإسلام، وأصبح يُطلق على جماعته اسم البلاليين، كما غيّر اسم المعبد إلى مسجد، وحاول إبعاد فكرة التعصّب من ذهن أنصاره، وبدأت الصلة تتحسّن مع التنظيمات الإسلامية الأخرى.

للبلاليين أكثر من مائتين وخمسةٍ وعشرين مسجداً في أنحاء الولايات المتحدة، وأكثر من مائتي مركز إسلامي إضافةً إلى مؤسساتهم العامة. كما أن هناك منظمة نسائية تعمل لتربية المسلمات السوداوات على العفاف وعلى طاعة الرجل الذي له القوامة في الأسرة.

وبجانب منظمة البلاليين توجد هيئتان في الولايات المتحدة للمسلمين السود أيضاً وهما:

أ - المسلمون الحنفيون. وقد انفصلوا عن البلاليين عام ١٣٧٨.
٢ - الحزب الإسلامي لأمريكا الشمالية.

يُقدّر عدد المسلمين السود بمليونين، وإن كان هناك خلاف في هذا الرقم، إذ يدّعي البلاليون أن عددهم وحدهم مليونان.

الجنسيات التي ينتمي إليها المسلمون: ينتمي المسلمون في الولايات المتحدة إلى عددٍ كبيرٍ من الجنسيات، ويقرب عددهم من مليون وربع مليون، يُشكّل العرب منهم نصف مليون تقريباً، و٦٢٪ منهم من بلاد الشام.

٤٨١,٠٠٠ عرب منهم:	١٥٠,٠٠٠	من سوريا
	١٠٠,٠٠٠	من لبنان
	٥٠,٠٠٠	من فلسطين
	١٥,٠٠٠	من الأردن
	٣١٥,٠٠٠	مجموع الشاميين
	٢٠,٠٠٠	من السعودية ، أكثرهم من الطلاب
	٥,٠٠٠	من الكويت ، أكثرهم من الطلاب
	٣,٠٠٠	من عُمان ، أكثرهم من الطلاب
	٤,٠٠٠	من الإمارات ، أكثرهم من الطلاب
	٩,٠٠٠	يمانيون ، من العمال والتجار
	٤٠,٠٠٠	مجموع القادمين من جزيرة العرب
	٢٥,٠٠٠	من العراق
	٦٠,٠٠٠	من مصر
	٥,٠٠٠	من السودان
	٣,٠٠٠	من ليبيا
	٨,٠٠٠	من تونس
	١٥,٠٠٠	من الجزائر
	١٠,٠٠٠	من المغرب
١٩٠,٠٠ أتراك منهم:	١٥٠,٠٠٠	من تركيا
	١٥,٠٠٠	من تركستان
	٢٥,٠٠٠	من التتار
	٢٥٠,٠٠٠	إيرانيون
	٥٠,٠٠٠	باكستان
	٤٠,٠٠٠	يوغوسلاف ، معظمهم من البوشناق

٤٠,٠٠٠	ألبان
٢٥,٠٠٠	هنود
١٥,٠٠٠	اندونيسيا
٤٥,٠٠٠	من ماليزيا، وافغانستان، وكامبوديا، وفيتنام، وشراكسة
٢٥,٠٠٠	أفارقة
١,١٦١,٠٠٠	
٥٠,٠٠٠	أمريكيون بيض
٢,٠٠٠,٠٠٠	أمريكيون سود
٣,٢١١,٠٠٠	

ولا شك فإن عناصر كل مجموعةٍ يتوزّعون في مناطق متعددةٍ، وإن كانت هناك مدن تضمّ أفراداً كثيرين من مجموعةٍ معينةٍ حتى ليُقال عنها إنها مركز تجمعٍ لهم.

الجمعيات: عندما يحلّ المهاجرون في الولايات المتحدة، وينخرطون في المجتمع الأمريكي يفقدون الكثير من مفاهيمهم وأسلوب حياتهم، ومع الزمن ينسون لغاتهم، ويتركون واجباتهم الدينية، ويحيون الحياة الأمريكية وبخاصةٍ إذا علمنا أنهم ليسوا على المستوى العلمي أو الفكري المطلوب، وأنهم مُتخلّفون، مُشرّدون، فقراء، جاءوا يلتمسون الرزق، وإن كان بعضهم قد جاء مهاجراً لأسبابٍ سياسيةٍ وعنده خلفية فكرية غير أنه لا يلبث أن تضيع أسرته في الجو الجديد إن لم يضع هو، لكن زيادة عدد المسلمين نتيجة قدوم مهاجرين جدد قد جعل بعضهم يفكر في نفسه، وفي أسرته، وفي إخوانه، وواجبه تجاه عقيدته، أو تجاه بلاده وقومه حسب رأي بعضهم فبدأ لذلك

اللقاء والتنظيم، فأسّس العرب أول جمعيةٍ لهم في مدينة (ديترويت) عام ١٣٣٠ ثم لم يلبثوا أن أقاموا مسجداً عام ١٣٣٧ هـ، ثم تأسّست ثاني جمعية في مدينة (ميشيغان) في ولاية أنديانا عام ١٣٣٣ هـ، وأُطلق عليها اسم (البدر المنير)، وتبع ذلك تأسيس جمعياتٍ إقليميةٍ، فكان لكل جاليةٍ في منطقة يزداد عدد أفرادها جمعية خاصة بهم، فكانت جمعية شباب العرب، والأتراك، والألبان و... وأُقيم مسجد في (سيدار رابيدز) عام ١٣٤٧، وتم بناؤه عام ١٣٥٨...

كما بدأ الطلاب يُنظّمون أنفسهم، ولكنه على أساسٍ إقليميٍ أيضاً فكانت جمعية الطلبة الباكستانيين، والماليزيين، والأتراك، والإيرانيين و... هذا إضافةً إلى البلالين الذين تُعدّ مدينة شيكاغو مقرّهم الرئيسي إلا أن مُؤسّساتهم خاصة بهم أيضاً.

ثم أخذت هذه الجمعيات يلتقي بعضها مع بعض وتُؤلّف اتحاداً فيما بينها يقوم على أساس الوشائج الوثيقة فيما بينها وهو الإسلام، فقد قام اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا عام ١٣٨٤، ويُصدر مجلة (الاتحاد)، وقام اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا، ويضمّ خمسة وعشرين مركزاً وجمعية عام ١٣٩٢، وفي العام نفسه قام مجلس الجمعيات الإسلامية في أمريكا. وتلا ذلك إقامة جمعيات إسلامية على أساس الاختصاص مثل: جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، وجمعية العلماء والمهندسين المسلمين، وجمعية العلماء الاجتماعيين. وقامت اتحادات لجمعيات في منطقةٍ واحدةٍ مثل: اتحاد الجمعيات في الشمال الشرقي عام ١٣٩٧ هـ.

المساجد: ولما كانت العقيدة ذات أثرٍ كبيرٍ في حياة الإنسان لذا فإن المسلمين عندما يحلّون في مكانٍ لا بدّ أن يُفكّروا في المسجد الذي يُؤدّون فيه عباداتهم، ولعلّ الجالية البولندية المسلمة، وهي من التتار كانت أول من

أقام مسجداً وذلك في مدينة (ديترويت) عام ١٣٢١ هـ، وأعيد بناؤه عام ١٣٨٠ هـ. كما أقامت الجالية نفسها مسجداً لها أيضاً في نيويورك. وتبعتها بقية الجاليات فاشترت الجالية المصرية مطعماً في (نيوجرسي) وحوّلته إلى مسجد عام ١٣٩١، كما حوّلت كنيسةً اشترتها عام ١٣٩٩، وألحقت بالمسجد مدرسة لتعليم الأطفال مبادىء الإسلام واللغة العربية، وتهتم بالتربية والتوجيه لهم في مواجهة المجتمع المدرسي الأمريكي الذي يعيشون فيه.

وأقام المسلمون السود معابدهم التي أصبحت فيما بعد مساجد في كثيرٍ من أرجاء البلاد، وهذه خاصة بهم لا يُشاركهم فيها أحد.

وكان بعض الذين يدخلون في الإسلام يبنون المساجد حماسةً لدينهم الجديد كالمسجد الذي بناه (محمد عبد الله يرنولوز) في (لوس انجلوس) عندما أسلم، وربما كان أول مسجد بني على الساحل الغربي.

وزاد عدد المساجد حتى وصل إلى ستمائة مسجدٍ مُوزّعةً في أنحاء البلاد غير أن صفة الإقليمية كانت هي الغالبة عليها فلكل جاليةٍ مسجدها، غير أن هذه المرحلة قد انتهت وأتت مرحلة اللقاء فكان مجلس الأئمة عام ١٣٩٢ هـ، وتلاه اللقاء في ٢ ربيع الثاني عام ١٣٩٨ في المركز الإسلامي في (فيلادلفيا) والذي انبثق عنه مجلس المساجد، وتدور أبحاث المجلس في خطب الجمعة، والمناسبات الإسلامية، ومواقيت الصلوات في كل مدينة، والعمل على بناء المساجد و...

المراكز: بدأت فكرة تأسيس مركز إسلامي في العاصمة واشنطون منذ عام ١٣٥٦، وبدأ العمل لها، فوُضع الحجر الأساسي عام ١٣٦٧، وانتهى العمل منه بعد عشر سنوات حيث افتتح عام ١٣٧٧ وحضر حفل الافتتاح الرئيس الأمريكي (آيزنهاور). كما افتتح المركز الإسلامي في نيويورك،



قارة أمريكا الشمالية
المقياس
١٦٠٠ ١٢٠٠ ٨٠٠ ٤٠٠
آسيا
كندا
خليج هدسن
الولايات المتحدة
المحيط الهادي
المحيط الأطلسي
خليج المكسيك
المكسيك
سان فرانسيسكو
لوس انجلوس
سكرمنتو
شيكاغو
انديانا بوليس
توليدو
مونتريال
كويبك
نيويورك
فيلادلفيا
واشنطن
برمودا
كوبا
هايتي
جامايكا
نيكاراغوا
غوادالوب
جزر الهند الغربية
مكسيكو
بنما

مصور رقم [٥٩] .

وغالباً ما يُشارك السلك السياسي الإسلامي في بناء المراكز الإسلامية، وتُنفق بعض الدول على بنائها وتأثيثها والإشراف عليها. ويتبع المركز في نيويورك مدرسة لتعليم اللغة العربية ومبادىء الإسلام.

وأُقيم مكتب لرابطة العالم الإسلامي في نيويورك عام ١٣٩٦ هـ.

توزّع المسلمين: لما كانت البلاد واسعةً، والمسلمون مُوزّعون في أرجائها أرى من المفيد إعطاء لمحةٍ عن توزّعهم في الولايات كلها عسى أن يضع المرء يده على بعض الداء الذي يُعاني منه المسلمون هناك من التفرقة، والإقليمية، والنزعات الشخصية للبحث في موضوع شمولية العمل، وإعطاء بعض العلاج أو الحلول لتقدّم الدعوة لعلّ في ذلك فائدة.

سبق أن قلنا: إن عدد الولايات إحدى وخمسون ولايةً وسنبدأ فيها ـ إن شاء الله ـ ولايةً ولاية بدءاً من الشمال الشرقي باتجاه الجنوب، وننتقل بعدها نحو الداخل تدريجياً حتى نصل إلى ساحل المحيط الهادي، ونشير بعدها إلى الولايات البعيدة عن الأرض الأم (آلاسكا وجزر هاواي)، ونكون بذلك كأننا سرنا مع الزمن لقيام الولايات المتحدة وانضمام الولايات إليها تدريجياً، وتقع هذه الولايات ضمن أقاليم:

إقليم نيو انكلندا (انكلترا الجديدة): توجد ست ولايات في الشمال الشرقي تعرف باسم (نيو انكلندا) وهي أساس الولايات المتحدة، تبلغ مساحتها ١٧٢,٤٥٤ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة عشر مليوناً، وهي:

١ً ـ **الماين:** وهي أكبر هذه الولايات إذ تزيد مساحتها على ستة وثمانين ألف كيلومتر مربع، كما يزيد عدد سكانها على المليون، وعاصمتها مدينة (أوغوستا)، وليس فيها مسلمون.

٢ً ـ **نيوهامشير:** وتبلغ مساحتها ٢٤,٠٩٧ كيلومتراً مربعاً، وسكانها

حوالي ثمانمائة ألف، وعاصمتها مدينة (كونكورد)، وليس فيها مسلمون.

٣ً - **فرمونت**: وتبلغ مساحتها ٢٤,٨٨٧ كيلومتراً مربعاً، وسكانها حوالي نصف مليون، وعاصمتها مدينة (مونبليه)، وليس فيها مسلمون، وهذه الولايات الثلاث تحدّ كندا، وتعدّ المقاطعات الكبيرة في هذه المجموعة.

٤ً - **ماساتشوستس**: وتبلغ مساحتها ٢١,٣٨٦ كيلومتراً مربعاً، يزيد عدد سكانها على ستة ملايين، وعاصمتها مدينة (بوسطن)، وفي الولاية ثلاث جمعيات إسلامية في كل من مدن كوينسي، وروكسبري قرب بوسطن، وفي (سبرنغفيلد).

في مدينة (كوينسي) تأسست الجمعية الإسلامية في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع عشر، وقامت ببناء مسجد أسمته (مركز انكلترا الجديدة الإسلامي) وتلحق به مدرسة للأطفال، ومكتبة.

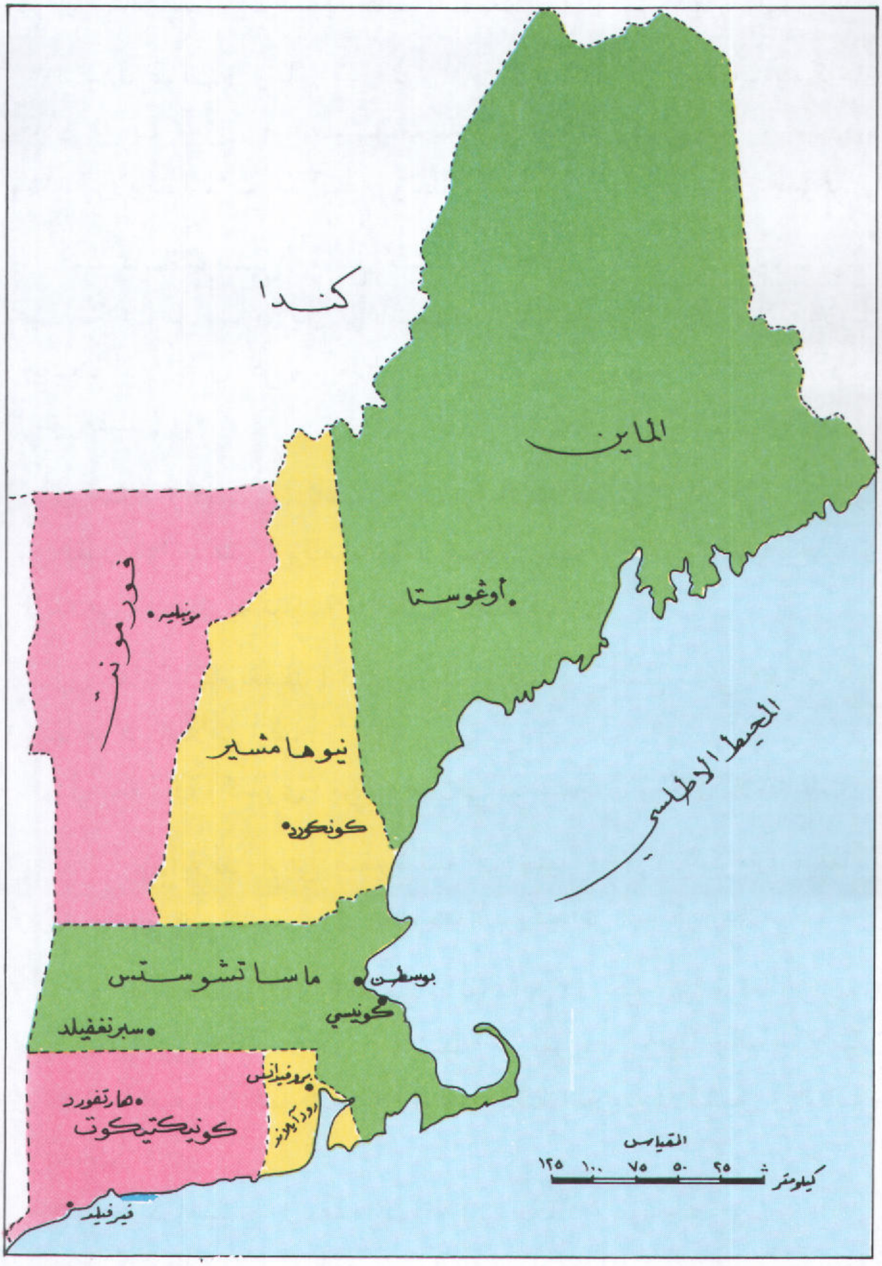
وفي مدينة (سبرنغفيلد) أكثر المسلمين فيها من أصل شامي من لبنان، وفيها مركز إسلامي أيضاً.

وفي مدينة (روكسبري) مركز إسلامي فيه مسجد، ومكان للاجتماعات.

٥ً - **رودآيلاند**: وهي صغيرة تبلغ مساحتها ٣,١٤٤ كيلومتراً مربعاً، ويزيد سكانها على المليون، وفي عاصمتها (بروفيداس) مركز إسلامي.

٦ً - **كونيكتيكوت**: وتبلغ مساحتها ١٢,٩١٣ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين، عاصمتها (هارتفورد)، وفيها جالية إسلامية في مدينة (فيرفيلد) الساحلية، كما توجد جمعية إسلامية للألبانيين في مدينة (ولكوت).

يزيد عدد المسلمين في هذه المنطقة (نيوانكلند) على خمسةٍ وستين ألفاً، وأول ما قدم إليها من المسلمين كانوا من الشاميين من لبنان، ثم قدم إليها المسلمون من ألبانيا، والهند، وباكستان، وجاءها التتار من الامبراطورية


كندا
الماين
أوغوستا
المحيط الاطلسي
فيرمونت
مونبلييه
نيوهامشير
كونكورد
ماساتشوستس
بوسطن
كوينسي
سبرنغفيلد
بروفيدانس
رود آيلاند
هارتفورد
كونيكتيكوت
فيرفيلد
المقياس
كيلومتر ٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٥

مصور رقم [٦٠] .

وفلوريدا التي أخذت من إسبانيا في القرن الثالث عشر الهجري، وأما كولومبيا التي تشمل العاصمة الاتحادية فقد أخذت من أراضي ماريلاند.

١٠ - **ديلاوير**: وهي ولاية صغيرة تبلغ مساحتها ٥,٣٢٨ كليومتراً مربعاً أي ما يُعادل نصف مساحة لبنان. ويبلغ عدد سكانها ٦٢٥,٠٠٠ نسمة. عاصمتها مدينة (دوفر). وتُشرف المقاطعة من ناحية الشرق على الخليج المعروفة باسم (خليج ديلاوير).

١١ - **ماريلاند**: وتبلغ مساحتها ٢٧,٣٩٤ كيلومتراً مربعاً أي ما يُعادل مساحة فلسطين، ويُقدّر عدد سكانها بأربعة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة (أنابوليس)، وأكبر مدنها (بالتيمور) التي يتجمع فيها أكثر المسلمين في هذه الولاية، وقد أسّس الأمريكيون الأفارقة فيها مسجد الصفا، كما تقوم فيها جمعية إسلامية. وتوجد جالية من المسلمين في مدينة كولومبيا إلى الجنوب الغربي من (بالتيمور) وعلى بعد عشرين كيلومتراً منها.

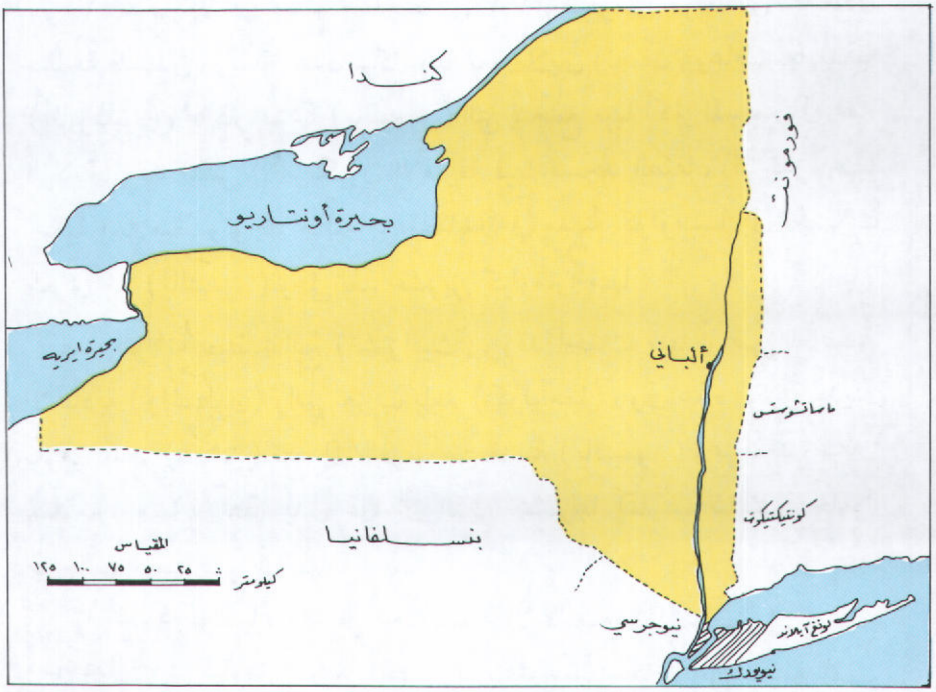
هذه الولاية تحيط بخليج (تشيزابيك)، وقد أخذت منها أراضي العاصمة الاتحادية (واشنطون) والتي تعرف باسم (كولومبيا)، وفي هذه الولاية مدينة تُعرف باسم (دمشق) تقع إلى الغرب من مدينة (بالتيمور) وعلى بعد خمسين كيلومتراً منها، وهذا يدل على أن الذين أسّسوها إنما هم شاميون جاءوا مهاجرين واستوطنوا أرضها.

١٢ - **كولومبيا**: وتشمل العاصمة الاتحادية (واشنطون)، وتبلغ مساحتها ١٧٩ كيلومتراً مربعاً فقط، ولا يزيد عدد سكانها على ثمانمائة ألف.

تألّفت في واشنطون عام ١٣٧٢ جمعية إسلامية، وكانت تسعى إلى تأسيس مركزٍ إسلامي، وتعاون رجال السلك السياسي في عددٍ من الدول الإسلامية، وأنشىء المسجد عام ١٣٨٠، وأُلحقت به مدرسة، غير أن السياسيين - مع الأسف - لم يهتموا بالجانب الإسلامي كما يجب لذا لم يُؤدّ المركز مهمته كاملة رغم ما أنفق عليه، وقد انسحب منه الامريكيون المسلمون. ويُعدّ المركز الإسلامي في واشنطون معلماً رئيسياً.

وأسّس أحد المسلمين من منطقة الكاريبي عام ١٣٧٠ جمعية الأخوة العالمية الإسلامية في حي هارلم، ولهذه الجمعية جريدة أسبوعية، تحمل اسم (شروق الشمس المغربية)، ولها عدد من المطاعم لتقديم اللحم الحلال، مثل مطعم بني هلال، ولهم مدارس، ومسجد.

وتأسّست جمعية المهورست في المستشفى المركزي للمدينة، ولها مسجد لإقامة صلاة الجمعة والجماعة.



مصور رقم [٦١].

وفي حي برونكس يقوم مسجد الله، ويتبع الجمعية التي تحمل الاسم نفسه.

وفي حي ستاتن آيلاند يقوم مسجد الأكاديمية الإسلامية حيث يتجمع المسلمون هناك، وأكثرهم من الهنود، والأتراك.

وفي كينيغ بوينت يقوم مسجد للجالية التركية.

ويحظى حي بروكلين بأكبر نصيب من المساجد حيث نجد:

- مسجد الألبانيين.
- مسجد الدعوة: وهو للأمريكان من أصل إفريقي.
- مسجد ياسين وهو للأمريكان من أصل إفريقي.
- مسجد الأنصار وهو للأمريكان من أصل إفريقي. ويتبع جمعية انصار الإسلام.
- مسجد التتار البولنديين.
- مسجد الفاروق.
- مسجد أبو بكر الصديق.



مصور رقم [٦٢].

وفي نيويورك اتحاد المسلمين الأمريكيين، ومعهد غويانا، وجمعية أنجمان في لونغ آيلاند، والمركز الإسلامي في كورونا.

٨ - **نيوجرسي**: وتبلغ مساحتها ٢٠,٢٩٥ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على تسعة ملايين، وهي تقابل مدينة نيويورك، وتزيد فيها المؤسسات على أية ولايةٍ أخرى، إذ توجد في كل مدنها تقريباً.

في مدينة جرسي (جرسي سيتي) توجد جالية مصرية، وقد استأجرت عام ١٣٩١ مطعماً وحوّلته إلى مسجد، ثم اشترت كنيساً ماسونياً وحوّلته إلى مسجد عام ١٣٩٣، وتقوم بإصدار نشرة تحمل اسم «الدعوة».

كما ألحقت بالمسجد مدرسةً لتعليم أبنائها مبادىء الإسلام.

وفي مدينة (نيوأرك) التي تُعدّ المدينة الأولى، والتي تقع إلى الغرب من (جرسي سيتي) على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً، بل تتصل بها، وكلاهما تتمّان مدينة نيويورك حيث لا يفصل (جرسي سيتي) عن نيويورك سوى نهر هدسون، في هذه المدينة (نيوأرك) ثلاثة مساجد، وعدة مؤسساتٍ، وأكثر المسلمين فيها إنما هم أمريكيون من أصل إفريقي. تقوم مُؤسّسة (بيت قريش) وهي اقتصادية اجتماعية، أنشأها الأمريكيون الأفارقة ويتبعها مسجد، ومدرسة تدرس مناهج التعليم في الولايات المتحدة وتُضيف إليه اللغة العربية، ومبادىء الإسلام. كما أسّس الأمريكيون الأفارقة مسجد دين الله ويتبع الجمعية التي تحمل الاسم نفسه. وأقام الأذربيجانيون الفارّون من أذربيجان (جمهورية اتحادية تخضع للامبراطورية الروسية وتقع على حدود إيران) مسجداً يعرف بالمسجد الأذري.

وفي مدينة باترسون يكثر المسلمون من العرب، والتتار، واليوغوسلاف، والأمريكيين الأفارقة، حتى غدوا يُشكّلون عشر سكان المدينة، وقد أقاموا فيها ثمانية مساجد، منها التتاري، والعباد و... وقد وحّدوا جهودهم فيها



نهر هدسون
باترسون
نيوجرسي
نيوآرك
اليزابيث
نيويورك
نيوبرانشويك
أولدبريدج
بنسلفانيا
ترنتون
نهر ديلاوير
كامدن
سالم
المحيط الأطلسي
المقياس
كيلومتر
٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠

مصور رقم [٦٣] .

عام ١٣٩١ وأسّسوا جمعية (المركز الإسلامي الموحد)، وبدؤوا ببناء المراكز الإسلامية، وإقامة بعض المؤسسات.

وفي مدينة (كامدن) جمعية لها فرع للنساء المسلمات، وأقاموا مسجداً لها، يُعرف باسم (مسجد الأخوة) على اسم الجمعية (الأخوة العالمية الإسلامية) وهم من الأمريكيين الأفارقة. وتُعدّ مدينة (كامدن) تتمّةً لمدينة فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا ولا يفصل بينهما سوى نهر ديلاوير.

وفي مدينة (هامنتون) أقام الأمريكيون مسجد (الدين الإلهي)، ومسجد المهاجرين.

وفي مدينة (ريفرديل) أقام العرب جمعيةً إسلاميةً ومركزاً.

وفي مدينة (أولدبريدغ) تقوم منظمة الخدمة الإسلامية، وتصدر نشرة باللغة الانكليزية تحمل اسم (الفجر). وهناك مشروع لإقامة مركز إسلامي في هذه المدينبة يضمّ مسجداً، ومدرسةً، وقاعةً للمحاضرات، وقد بُدىء العمل به منذ عام ١٤٠٠، ولم ينته بعد.

وأقام الشراكسة في بلدة (هالدون) مسجداً.

وفي مدينة نيوبرانشديق جمعية إسلامية لها فرع للنساء المسلمات.

وفي بلدة كاردواك مؤسسة المسجد التي أقامت مسجداً.

وفي مدينة ترنتو تقوم الجمعية الإسلامية.

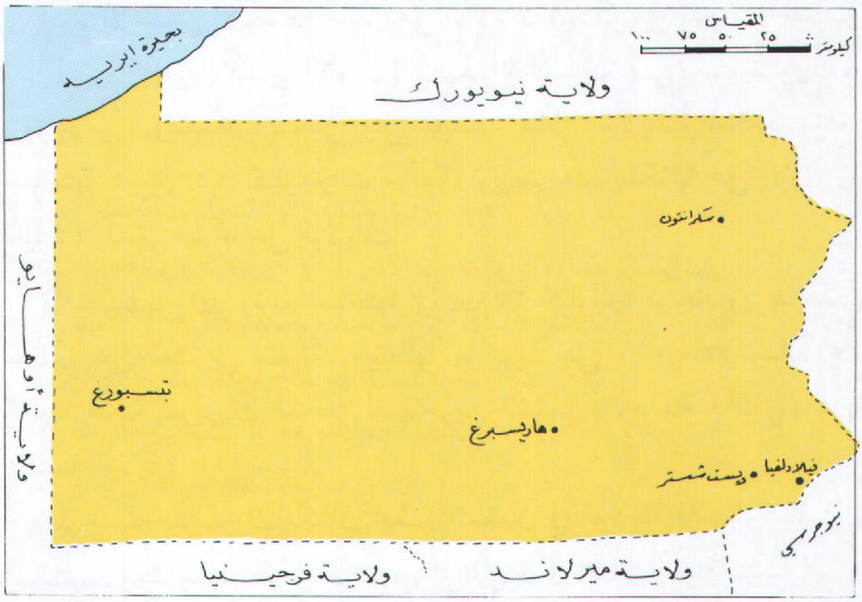
وفي مدينة اليزابيت توجد مدرسة الجهاد.

وفي مدينة سالم توجد جمعية دين الله.

٩ً - **بنسلفانيا**: وتبلغ مساحتها ١١٧,٤١٢ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على اثني عشر مليوناً ونصف المليون، وعاصمتها مدينة (هـاريسبرغ)، ويتجمّع المسلمون في المدينتين الكبريين فيها وهما فيلادلفيا، وبتسبورغ، هذا بالإضافة إلى العاصمة حيث يُقيم بعض المسلمين.

ففي مدينة فيلادلفيا التي يزيد عدد سكانها على المليونين يوجد مركز جمعية الأمة الإسلامية الإفريقية التي أسسها أبو بكر علي بعد أن أسلم عام ١٣٨٢ وتضمّ الأمريكيين الأفارقة مع بعض البيض. وتوجد جمعية الأخوة العالمية الإسلامية، وهي من الأمريكيين الأفارقة أيضاً، ولها مسجد يحمل اسم مسجد الأخوة. وفيها الجمعية الإسلامية الألبانية، ومسجد المجاهدين الذي هو للأمريكيين الأفارقة، وتقوم مؤسسة المسجد التي تعمل إلى بناء مسجدٍ واسعٍ. وفي فيلادلفيا مدرسة كوبا.

وفي مدينة بتسبورغ تقوم ثلاثة مساجد أحدها للحزب الإسلامي. وفي العاصمة هاريسبرغ جمعية إسلامية، وأخرى في مدينة (ويست شستر).



مصور رقم [٦٤].

إقليم الأطلسي الجنوبي: ويضم تسع ولايات وهي أيضاً من أساس الاتحاد الذي قامت عليه الدولة عدا فرجينيا الغربية التي ظهرت أيام الحرب الأهلية،

الروسية فارين مـن الاضطهـاد هـذا بـالإضـافـة إلى المسلمين السـود مـن الامريكيين.

ويوجد أعداد من الطلاب في جامعات هذه المنطقة، ولاتحاد الطلبة المسلمين فروع في هذه الجامعات، وتُقام صلاة الجمعة بانتظام في جامعة (هارفارد)، وفي معهد (ماسّاتشوستس) للتكنولوجيا، كما تلقى محاضرات في هذه الجامعات عن الإسلام.

ويبدو أن ميناء بوسطن هو الذي جذب المهاجرين المسلمين إلى هذه المنطقة، وربما كان هذا ما يفسر وجود المسلمين في الولايات الثلاث القريبة منه (ماساتشوستس، ورودآيلاند، وكـونكتيكـوت) وعـدم وجـودهـم في الولايات الثلاث الأخرى (الماين، ونيوهامشير، وفورمونت).

إقليم الأطلسي الأوسط: يُطلق على الولايات الثلاث التي تقع إلى الجنوب مـن الأولى إقليم الأطلسي الأوسـط وهـذه الولايـات هـي: نيـويـورك، ونيوجرسي، وبنسلفانيا، وهي مثل سابقتها أساس الولايات المتحدة، تبلغ مساحتها ٢٦٦,١٠٩ كيلومترات مربعة، ويزيد عدد سكانها على الأربعين مليوناً، ولنلقي ضوءاً على الولايات.

٧ - **نيويورك**: وتبلغ مساحتها ١٢٨,٤٠٢ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على العشرين مليوناً، ويقطنها ما يزيد على ٣٥٠,٠٠٠ مسلم، إذ كانت مدينة نيويورك مدخلاً للمهاجرين المسلمين، ومدينة (ألباني) هي عاصمة الولاية.

وتعدّ مدينة نيويـورك مكـان تجمّـع المسلمين في الولايـة ففيهـا كـافـة مؤسساتهم، ومساجدهم، ومراكزهم، والتي تتوزع في مختلف أحياء المدينة.

لقد أسّس المهاجرون العرب جمعيةً في حيّ منهاتن عام ١٣٧٢، وعملوا على مشروع بناء مركزٍ واسع ليكون مقراً للجمعيات الإسلامية، وقد ارتبط به فعلاً جمعية الأطباء المسلمين، والجمعية النسائية الإسلامية.

وأسّس الحنفيون من الأمريكيين الأفارقة الذيـن يـرأسهـم حماس عبد الخالص المسجد الحنفي بعـد أن انفصـل رئيسهـم عـن (محمد أليجـا) عـام ١٣٨٤ .

وأقام المسلمون الأمريكيون الأفارقة مسجد الأمة، ومسجد المهاجرين في واشنطون .

كما تشمل العاصمة الاتحادية على المركز الإسلامي الذي يتبع الحزب الإسلامي، وقد أسّس هذا المركز عام ١٣٩٤ هـ .



مصور رقم [٦٥] .

١٣ - **فرجينيا**: تبلغ مساحتها ١٠٥,٧١١ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من ستة ملايين، وعاصمتها مدينة (ريتشموند).

لقد أسس المسلمون من الأمريكيين الأفارقة مركزاً إسلامياً في العاصمة (ريتشموند). وتوجد جالية إسلامية في مدينة الاسكندرية حيث توجد مؤسسة التنمية الإسلامية. ويقوم مسجد التقوى في مدينـة نـورفـولـك. وأقيم أخيراً في مدينة هامبتون مركز إسلامي بإشراف الجمعية الإسلامية في المدينة.

١٤ - **غربي فرجينيا**: تبلغ مساحتها ٦٢,٦٢٩ كيلومتراً مربعاً، ويقـرب سكانها من المليونين، وهي منطقة داخلية، عاصمتها مدينة (شارلستون).

١٥ - **كارولينا الشمالية**: وتبلغ مساحتها ١٣٦,٥٢٤ كيلومتراً مربعاً، ويزيد سكانها على خمسة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة (راليه).

يقوم مسجد عباد الرحمن في مدينة (دورهام)، ومسجد الجماعة في مدينة غرينزبورو، ومسجد الإسلام في (شارلوت).

١٦ - **كارولينا الجنوبية**: تبلغ مساحتها ٨٠,٤٣٢، ويقرب سكانها من ثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة كولومبيا يوجد مسجد يحمل اسم (مسجد المسلمين).

١٧ - **جورجيا**: تبلغ مساحتها ١٥٢,٥٨٩ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين، وعاصمتها مدينة (أطلنطا) التي أقام فيها المسلمون من الأمريكيين الأفارقة مسجداً سمّوه (مسجد طالب)، كما ستنتهي إقامة المركز الإسلامي، ويقدر عدد المسلمين فيها بستة آلاف وخمسمائة مسلم.

١٨ - **فلوريدا**: تبلغ مساحتها ١٥١,٦٧٠ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على سبعة ملايين، وقد أسس الأمريكيون الأفارقة المسلمون في مدينة جاكسونفيل مسجداً. وتوجد في مدينة (وينتربارك) جمعية وسط فلوريدا الإسلامية، وجمعية إسلامية أخرى في مدينة (تامبا).



مصور رقم [٦٦] .

وبعد الانتهاء من الأقاليم الشرقية المشرفة على المحيط الأطلسي ننتقل إلى الأقاليم الوسطى.

الأقاليم الوسطى: تُعدّ المناطق الواقعة بين جبال الأبلاش في الشرق وجبال الروكي (الصخرية في الغرب) أقاليم وسطى، وتشمل السهول أكبر مساحات منها، ويرويها نهر الميسيسيبي وروافده، ويُعدّ هذا النهر أساس التقسيم

في هذه الأقاليم، فالمناطق التي تقع إلى الشرق منه تُعرف بالشرقية، وتُسمّى التي إلى الغرب منه بالغربية، وتختلف بين الشمال والجنوب ايضاً، ولهذا تُعرف بالشكل الآتي. الإقليم الأوسط الشمال الشرقي، والأوسط الجنوب الشرقي، والأوسط الشمال الغربي، والأوسط الجنوب الغربي.



مصور رقم [٦٧] .

الإقليم الأوسط الشمال الشرقي: يُعدّ هذا الإقليم من المناطق التي هاجر إليها المسلمون في مراحل هجرتهم الأولى، كما يُعدّ المنطقة الثانية التي يتجمّع فيها المسلمون بعد الإقليم الأطلسي الأوسط، إذ يزيد عدد المسلمين فيه على ثلاثمائة ألف مسلم، ولا تكاد تخلو مدينة من مدنه أو قرية من مسلمين، وأما ولاياته فتشرف كلها على البحيرات الكبرى، فلكل ولاية شاطىء على هذه

البحيرات يطول أو يقصر، وهذه الولايات هي:

١٩ً - **ميشيغان:** تقع أراضيها بين بحيرتي سوبيريور وميشيغان، ثم بين ميشيغان من جهة الغرب وبحيرتي هورون وايريه، تبلغ مساحتها ١٥٠,٧٧٩ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على عشرة ملايين، وعاصمتها مدينة (لانسينغ).

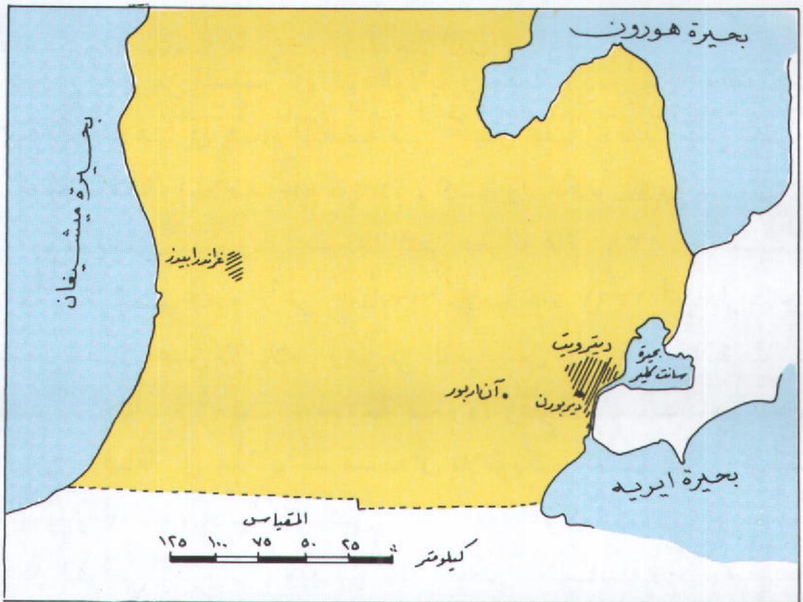
يتجمّع كثير من المسلمين في هذه الولاية في مدينة (ديترويت) وضواحيها إذ يقرب عددهم في هذه المنطقة من خمسين ألفاً. وقد أسّس العرب المهاجرون جمعية إسلامية عام ١٣٣٠، واشتروا مكاناً كانوا يُؤدّون فيه صلاتهم، ويلتقون فيه، وبنوا مسجداً انتهى عمرانه عام ١٣٨٨، وألحقت به مدرسة. وتأسّست جمعية الأخوة العالمية الإسلامية عام ١٣٦٧ أنشأها اسماعيل شمسان بعد أن اعتنق الإسلام، وهو من الأمريكيين الأفارقة، واشترت بيتاً وجعلته مسجداً، ثم ألحقت به مدرسة صغيرة، ويُعرف المسجد باسم مسجد المؤمنين. وإضافةً إلى هذا يوجد مسجدان للأمريكيين الأفارقة، وثالث للشيعة، وخامس للجالية الألبانيين، وهذا يعدّ مركزاً إسلامياً ويقوم في إحدى ضواحي ديترويت، ويُصدر مجلة باللغتين الألبانية والانكليزية، وتصدر كل ثلاثة أشهر.

وفي مدينة (ديربورن) التي تقع جنوب غربي ديترويت بل تكاد تلتصق بها، أسّس المسلمون من لبنان جمعيةً اسمها «جمعية ديربورن الإسلامية الأمريكية» وذلك عام ١٣٤٢، ثم أقاموا مسجداً، وضمّوا إليه نادياً، ومدرسة للأطفال عام ١٣٥٩، وأسّس الشيعة جمعية النادي العربي الهاشمي عام ١٣٤٢، فكان مركزاً إسلامياً، وبنى كذلك الأمريكيون الأفارقة مسجداً، كما أسّس الباكستانيون جمعيةً إسلاميةً عام ١٣٩٢. ثم قام (مجلس ديترويت الاسلامي) لتوحيد جهود الجاليات الإسلامية.

وتوجد جالية في مدينة (آنّ اربوْر) إلى الغرب من ديترويت، وهي مدينة

جامعية ، وقد عمل الطلاب على تأسيس (بيت الطلبة المسلمين) ويلحق به مسجد ، ومدرسة للأطفال ، وغرف للطلبة .

وفي مدينة (غراند رابيدز) جمعية إسلامية تعمل على تعليم الأولاد ومحاولة اجتماع المسلمين بعضهم مع بعض .



مصور رقم [٦٨] .

٢٠ً - **أوهايو :** وتبلغ مساحتها ١٠٦,٧٦٥ كيلومتراً مربعاً ، ويزيد عدد سكانها على اثني عشر مليوناً . وعاصمتها مدينة كولومبوس . وتقوم تجمّعات إسلامية في مدنها الكبرى ، والمسلمون فيها من المهاجرين ومن الأمريكيين الأفارقة وإن بدأ الأمريكيون يزيدون على المهاجرين .

أسّس (ولي أكرم) عام ١٣٥٠ جمعية إسلاميةً للأمريكيين الأفارقة في مدينة كليفلاند ، فأقامت مسجداً يُعدّ أول مسجد في هذه المدينة ، وتلحق به مدرسة ، وقاعة اجتماعات ، ونادٍ . وأقام الأمريكيون الأفارقة (مسجد المؤمن) و(مسجد التبليغ) ، على حين أقام المهاجرون مركزاً إسلامياً .

وفي مدينة سنسناتي مركز إسلامي أقامه المهاجرون.

وفي مدينة توليدو (طليطلة) جالية من المسلمين المهاجرين أكثرهم من العرب، وقد أقاموا مسجداً، وأسّسوا جمعيةً إسلاميةً عام ١٣٦٧، وبنوا مسجداً عام ١٣٧٤ وتلحق به مدرسة ونادٍ، وقاعة للقاءات.

وفي مدينة آكرون أسس المهاجرون جمعية ومركزاً إسلامية، كما أقام الأمريكيون مسجداً يطلق عليه (مسجد الفلق).

وفي مدينة يونغستون أقامت جمعية الأخوة العالمية الإسلامية مسجد الأخوة.

وتوجد جالية إسلامية في كل من (كانتون) و(سبرنغفيلد).



مصور رقم [٦٩].

٢١ - **انديانا:** تبلغ مساحتها ٩٣,٩٩٤ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ستة ملايين، وعاصمتها مدينة انديانا بوليس.

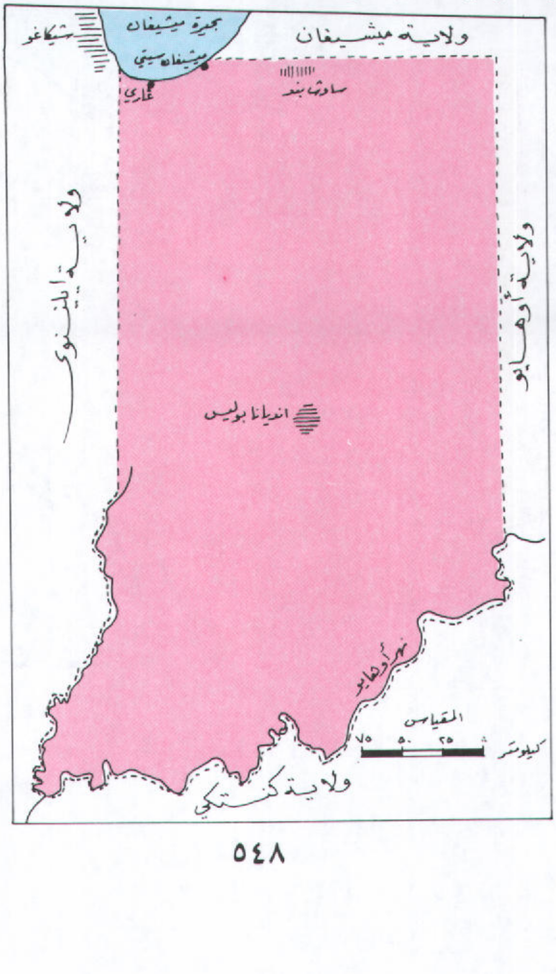
أسّس الأمريكيون الأفارقة مسجد الفجر في عاصمة الولاية انديانا بوليس.

وأسّس اللبنانيون مسجد الأمين عام ١٣٨٠، ثم تسلّمه الطلبة المسلمون الذين أنشؤوا جمعية الطلبة المسلمين فأصبح مقرّاً لهم.

وأنشأ اللبنانيون أيضاً مسجداً في مدينة (ساوث بند).

وبنى المسلمون في مدينة ميشيغان سيتي مسجداً عام ١٣٤٢.

وهكذا يبدو أن المسلمين يتجمّعون في عاصمة الولاية، وفي الشمال على شواطىء بحيرة ميشيغان وبالقرب منها.



مصور رقم [٧٠].

٢٢ - **إيلينوى:** وتبلغ مساحتها ١٤٦,٠٧٦ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة عشر مليوناً، وعاصمتها مدينة سبرينغفيلد.

يتجمّع أكثر المسلمين في أكبر مدنها وهي شيكاغو حيث تقوم فيها وفي ضواحيها أكثر المنظمات الإسلامية. فقد تأسّست فيها جمعية إسلامية عام ١٣٨٩، وتمكنت من إقامة مركز إسلامي فيه مسجد، وقاعة للاجتماعات، ونادٍ، وينتمي أعضاؤها إلى أصول مختلفة.

وأسّس العرب في شيكاغو جمعية (مؤسسة المسجد) عام ١٣٧١، واشتروا كنيسة وحوّلوها إلى مسجد عام ١٣٧٤، ولم يمض سوى أربع سنوات حتى اختلفوا وباعوا المسجد، لكن عادوا فاشتروا أرضاً على نية إقامة مركز إسلامي.

وأقام المسلمون الألبانيون مركزاً إسلامياً في ضاحية ستيكني، وكذلك فعل اليوغوسلاف (المركز البوسنوي الإسلامي) ومركز آخر في شيكاغو، وأقام المسلمون الأمريكيون الأفارقة (مسجد الشهيد). وأنشأ المسلمون الهنود في شيكاغو جمعية اسمها (اللجنة الاستشارية للمسلمين الهنود) وذلك عام ١٣٨٧ هـ.

٢٣ - **ويسكونسن:** وتبلغ مساحتها ١٤٥,٤٣٩ كيلومتراً مربعاً، ويقرب سكانها من ستة ملايين وعاصمتها مدينة (ماديسون) التي تقوم فيها جمعية إسلامية مركزها اسمه (البيت الإسلامي)، وتلحق بها مدرسة وفرع للنساء المسلمات.

الإقليم الجنوبي الشرقي: لا يزيد عدد المسلمين في هذا الإقليم على الثلاثين ألفاً، وأكثرهم من أصلٍ عربي، جاءوا مهاجرين في بداية الأمر، كما أن للطلاب المسلمين في الجامعات دوراً في النشاط الإسلامي، وولايات هذا الإقليم هي:

٢٤ً - **كنتاكي**: وتبلغ مساحتها ١٠٤,٦٢٣ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ٣,٨٢٠,٠٠٠، وعاصمتها مدينة (فرانكفورت).

وفي مدينة لويسفيل تقوم في جامعتها جمعية الطلاب المسلمين.

٢٥ً - **تنيسي**: وتبلغ مساحتها ١٠٩,٤١٢ كيلومتراً مربعاً، ويربو عدد سكانها على ٤,٨٠٠,٠٠٠ نسمة، وعاصمتها مدينة (ناشفيل)، وتشتهر مدينة ممفيس على نهر الميسيسبي.

ويوجد مركز إسلامي في مدينة (جاكسون)، وتقوم الجمعية العلمية الإسلامية في المدينة نفسها (جاكسون).

٢٦ً - **ألباما**: وتبلغ مساحتها ١٢٣,٦٦٧ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين، وعاصمتها مدينة (مونتغمري). وتوجد جمعية إسلامية في مدينة (هانتسفيل) وأكثر أعضائها من الشاميين. وتسمّى الجمعية (الجمعية العلمية الإسلامية).

٢٧ً - **ميسيسبي**: وتبلغ مساحتها ١٢٣,٥٨٤ كيلومتراً مربعاً، ويقرب عدد سكانها من الثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة (جاكسون).

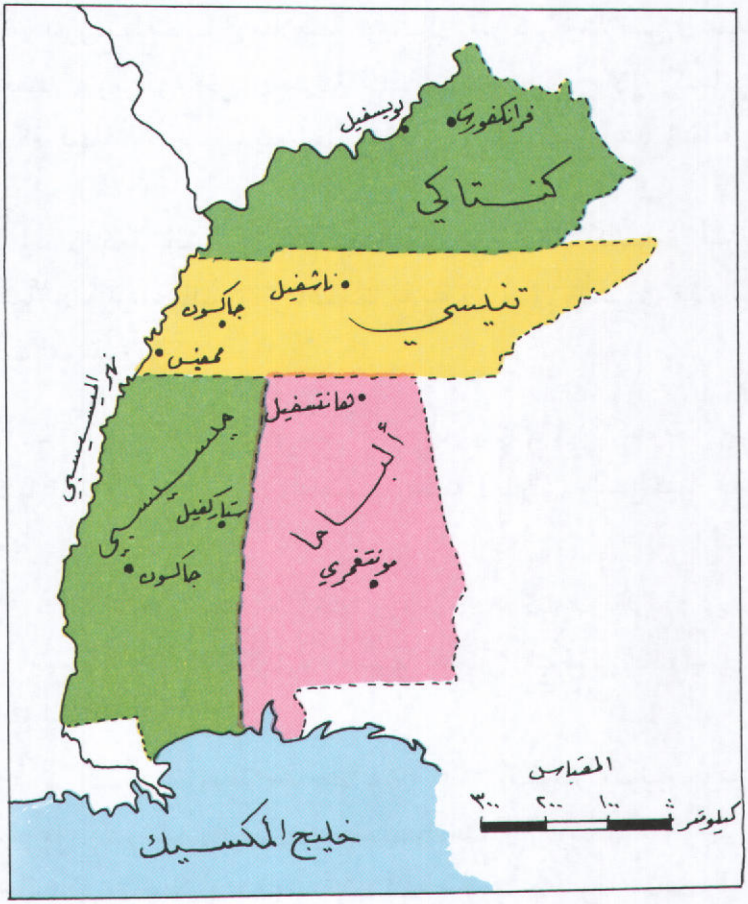
وفي بلدة ستاركفيل مسجد.

الإقليم الشمالي الغربي: يتناقص السكان في غرب نهر الميسيسبي، كما يتناقص المسلمون بينهم، ولذا نجد أكثر المسلمين في هذا الإقليم إنما يتجمعون في المدن التي تقع قريبةً من النهر، فنجد الولايات الآتية:

٢٨ً - **مينيزوتا**: تبلغ مساحتها ٢١٧,٧٣٦ كيلومتراً مربعاً، ويقدر عدد سكانها بأربعة ملايين ونصفها وعاصمتها سان بول.

يوجد مركز إسلامي في مدينة مينابوليس الواقعة على نهر الميسيسبي.

٢٩ً - **إيوا**: تبلغ مساحتها ١٤٥,٧٩١ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد



مصور رقم [٧١] .

سكانها على ثلاثة ملايين ، وعاصمتها (دي موان) . ويقوم مسجد في مدينة (سيدر رابيدز) القريبة من نهر الميسيسبي .

٣٠ - **ميسوري :** تبلغ مساحتها ١٨٠,٤٥٦ ، ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين ونصف ، وعاصمتها مدينة جيفرسن سيتي ، وتقوم في مدينة سانت لويس جمعية الطلبة المسلمين ، كما تقوم شركة (المنتوجات الإسلامية

الدولية) بتوزيع الكتب الإسلامية. وهناك مركز إسلامي في مدينة سبرينغفيلد، ومركز آخر في مدينة كنساس على حدود ولاية كنساس بل ومشتركة فيها. وتوجد مدينة القاهرة على نهر الميسيسبي عند التقائه بنهر أوهايو.

٣١ - **داكوتا الشمالية**: تبلغ مساحتها ١٨٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويسكنها ثلاثة أرباع المليون، وعاصمتها مدينة (راني)، وليس في هذه الولاية تجمّعات للمسلمين.

٣٢ - **داكوتا الجنوبية**: تبلغ مساحتها ١٩٩,٥٥٠ كيلومتراً مربعاً، ويسكنها ثلاثة أرباع المليون، وعاصمتها مدينة (بيار). وليس فيها تجمّعات إسلامية.

٣٣ - **نبراسكا**: وتبلغ مساحتها ٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع: ويسكنها مليون وسبعمائة ألف إنسان، وعاصمتها مدينة (لينكولن)، وليس فيها تجمّعات إسلامية.

٣٤ - **كنساس**: وتبلغ مساحتها ٢١٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويزيد سكانها على المليونين والنصف، وعاصمتها مدينة (توبيكا). وتوجد فيها (الرابطة الإفريقية الإسلامية) ومقرّها مدينة (ويشبتا) وقد أقامت في هذه المدينة (مسجد المغرب). وفي مدينة (مانهاتان) جمعية للطلبة المسلمين وتقوم بنشاط في نطاق الجامعة، وقد أنشأت مركزاً إسلامياً. وفي مدينة (أمبوريا) اتحاد للطلبة المسلمين.

ويُلاحظ أن مساحة الولايات قد أخذت بالزيادة، ويزيد عدد المسلمين في هذا الإقليم على مائة ألف مسلم، وقد جاء عدد من البلدان العربية مهاجراً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، غير أن الزيادة قد جاءت من إسلام الأمريكيين الأفارقة.

الإقليم الجنوبي الغربي: ويضمّ أربع ولايات وينتهي في الجنوب بخليج



مصور رقم [٧٢] .

المكسيك ، ودولة المكسيك ، إذ تشرف ولايتان من هذا الإقليم على مياه الخليج ، وهاتان الولايتان يوجد فيهما مسلمون إذ جاءوا إليهما عن طريق البحر ، ولا تزال ولاية تكساس محط أنظار المهاجرين ، حيث لا تزال بحاجةٍ إلى إعمار ، ويزيد عدد المسلمين في هذا الأقليم على سبعين ألفاً ، يعود قسم منهم إلى بلاد الشام ، وإلى مصر ، وبقية البلدان الإسلامية ، إضافةً إلى عددٍ

من الأمريكيين الأفارقة الذين دخلوا في الإسلام، أما ولايات هذا الإقليم فهي:

٣٥ - **أوكلهوما:** وتبلغ مساحتها ١٨١,٠٠٠ كيلومتر مربع أي قريباً من سوريا في بلاد الشام، ويقرب سكانها من ثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة (أوكلهوما سيتي)، وقد بدأ المسلمون يتجهون إلى هذه الولاية، وتوجد جالية مسلمة في مدينة (طولوزا) في شمال شرقي الولاية، ولهم مسجد يدعى (مسجد السلام).

٣٦ - **أركنساس:** وتبلغ مساحتها ١٣٧,٥٣٩ كيلومتراً مربعاً، ويصل عدد سكانها إلى مليون وربع المليون، وعاصمتها مدينة (ليتل روك). ولا تقيم فيها جالية مسلمة.

٣٧ - **لويزيانا:** وتبلغ مساحتها ١٢٥,٦٧٥ كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها بأربعة ملايين ونصف، وإن زيادة السكان تعود إلى كونها تشرف على البحر، وعاصمتها مدينة (باتون روج)، وفيها مدينة الاسكندرية. واسمها نسبة إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا إذ كانت تتبع فرنسا قبل قيام الاتحاد.

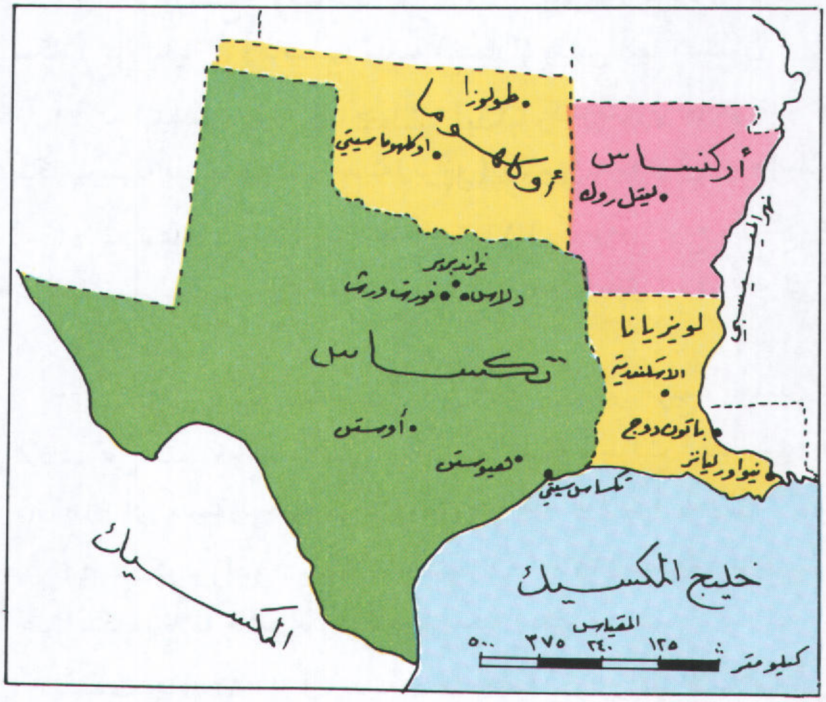
وفي العاصمة (باتون روج) جمعية إسلامية، ومركز إسلامي، كما توجد جمعية أخرى في مدينة (نيو أورليانز).

٣٨ - **تكساس:** وهي ولاية واسعة تقرب مساحتها من ٦٩٢,٤٢٠ كيلومتراً مربعاً، ويقرب عدد سكانها من أربعة عشر مليوناً. وعاصمتها مدينة (أوستن).

يزداد المسلمون في هذه المقاطعة إذ تقوم جمعية هيوستن الإسلامية في المدينة التي تحمل الجمعية اسمها. ويوجد في العاصمة (أوستن) مسجد يحمل اسم المدينة.

وهناك جمعيات إسلامية في مدن (فورت ورث) و(غراندي‌ريو)

و (رتيشردس) ، وهناك المؤسسة الإسلامية بأمير كا في مدينة (تكساس سيتي) .



مصور رقم [٧٣] .

إقليم الجبال: ويمتدّ من حدود كندا إلى حدود المكسيك ، ويشمل مناطق جبلية ، وصحارى بينها في الجنوب ، وقد امتدت يد الإعمار إليه حديثاً ، لذا فقد كان السكان الأصليون هم الأكثرية ، ثم كاثرهم الأوربيون ، ومع هذا الإعمار ، انتقل إليه بعض المهاجرين المسلمين ، وخاصة إلى الأجزاء الجنوبية منه ، إذ يعيش معظمهم في ولايتي (كولورادو) و(أريزونا) .

ورغم أن مساحة هذا الإقليم واسعة إلا أن سكانه قلّة بسبب طبيعة المنطقة الجبلية والصحارى . وأما ولايات هذا الإقليم فهي :

٣٩ - **مونتانا:** وتبلغ مساحتها ٣٨١,٠٠٠ كيلومتر مربع ، ويقرب

سكانها من تسعمائة ألف، وعاصمتها مدينة هلينا. ولا تقيم فيها جالية مسلمة.

٤٠ .. **وايومينغ:** ومساحتها ٢٥٣,٥٩٧ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على المليون، وعاصمتها مدينة (تشيان) وليس فيها مسلمون.

٤١ - **ايداهو:** وتبلغ مساحتها ٢١٦,٤١٣ كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها بستمائة ألف، وعاصمتها مدينة (بوازو). وليس في هذه الولاية تجمع إسلامي.

٤٢ - **نيفادا:** وتبلغ مساحتها ٢٨٦,٣٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها تسعمائة ألف، وعاصمتها مدينة (كارسون سيتي) ولا يُقيم في هذه الولاية مسلمون.

٤٣ - **يوتا:** وتبلغ مساحتها ٢٢٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكانها على المليون وستمائة ألف، وعاصمتها مدينة (سولت ليك سيتي) Salt lake city أي مدينة البحيرة المالحة، وليس في هذه الولاية مسلمون.

٤٤ - **كولورادو:** وتبلغ مساحتها ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة (دنفر).

تأسّست عام ١٣٩٢ في مدينة دنفر جمعية كولورادو الإسلامية، وبدأ العمل لإنشاء مركزٍ إسلامي. وتوجد مراكز إسلامية في كل من مدن نوروالك، ونيوكاسل. وتقوم جمعية إسلامية في مدينة (كومرس).

٤٥ - **أريزونا:** تبلغ مساحتها ٢٩٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة (فونيكس).

تأسّست جمعية إسلامية في مدينة (فونيكس)، واستأجرت مكاناً اتخذته مركزاً لها، وأطلق عليه مركز أريزونا الإسلامي، وفيه تعليم لأبناء المسلمين.

وفي مدينة (توكس) مركز إسلامي، وكذلك في كل من (سكوتسدال) و(تمبي) وهما ضاحيتان لمدينة فونيكس.

ويبدو أن ولاية أريزونا قد وطأت أقدام المسلمين أرضها مع المكتشفين الإسبان الذين اصطحبوا معهم بعض مسلمي الأندلس، وكذلك جاء الجمّال

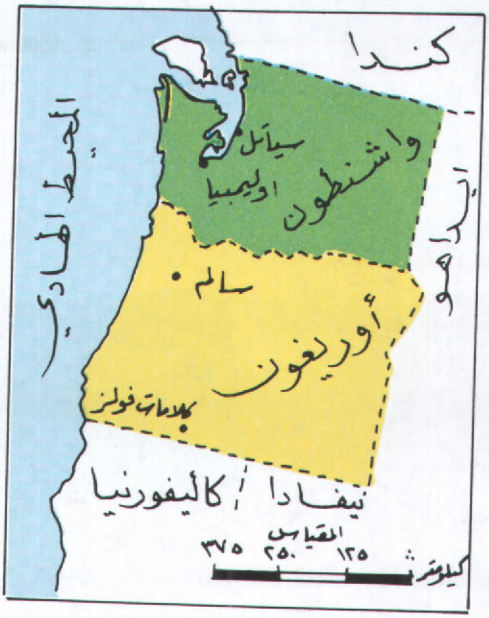
الحاج علي عام ١٢٥٦ ليعمل فيها بناء على رغبة الولايات المتحدة في تربية الجمال فيها، ثم تركها وأقام في كاليفورنيا، وجاء المسلمون إليها أخيراً في القرن الرابع عشر الهجري.

٤٦ - **نيومكسيكو**: وتبلغ مساحتها ٣١٥,١٢٠ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها مليون ونصف، وعاصمتها مدينة (سنتافي).



مصور رقم [٧٤].

إقليم المحيط الهادي: ويضمّ هـذا الإقليم خمس ولايـات تشرف على المحيط الهادي، ثلاث منها ملتصق بجسم الدولة الأساس، واثنتان تبعدان عنه، ألحقتا حديثاً به. وبسبب بعد هذا الإقليم فقد تأخّرت هجرة المسلمين إليه، وفي السنوات الأخيرة بدأت تتجه نحوه وإن كادت تنحصر في ولاية كاليفورنيا لُمناخها وطبيعة أرضها. وزاد عدد المسلمين على مائة وثلاثين ألف مسلم، وهذه الولايات هي:



مصور رقم [٧٥].

٤٧ ـ **واشنطون:** وتبلغ مساحتها ١٧٦,٧١٧ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين وستمائة ألف، وعاصمتها مدينة (أولمبيا).

وقد أنشأ المسلمون المهاجرون جمعيةً إسلامية في مدينة (سياتل)، وأقاموا لهم مسجداً.

٤٨ ـ **أوريغون:** وتبلغ مساحتها ٢٥١,١٨٠ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة (سالم).

وأسّس المسلمون المهاجرون من العرب جمعية إسلامية في مدينة (كالامات فولز).

٤٩ - **كاليفورنيا:** وتبلغ مساحتها ٤١١,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويُقدّر عدد سكانها بستة وعشرين مليوناً، وعاصمتها مدينة (سكرمنتو).

وصل إلى كاليفورنيا الحاج علي وهو الجمّال الذي استقدمته الحكومة الأمريكية إلى أريزونا لاختراق صحرائها عام ١٢٥٦ هـ، ثم انتقل منها الى كاليفورنيا واستوطن فيها. ثم جاء مسلمون من منطقة البنجاب في شبه القارة الهندية عام ١٣٢٤ غير أن القاديانيين قد أضلّوهم فتركوا الإسلام وأصبحوا قاديانيين. غير أن المسلمين لم يلبثوا أن ابتدؤوا بالهجرة إليها حتى كثر عددهم.

يتوزّع المسلمون في أكثر مدن ولاية كاليفورنيا، ولعل أشهر مناطق تجمعهم هي: لوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، وسكرمنتو، وسان دياغو، وسان جوز.

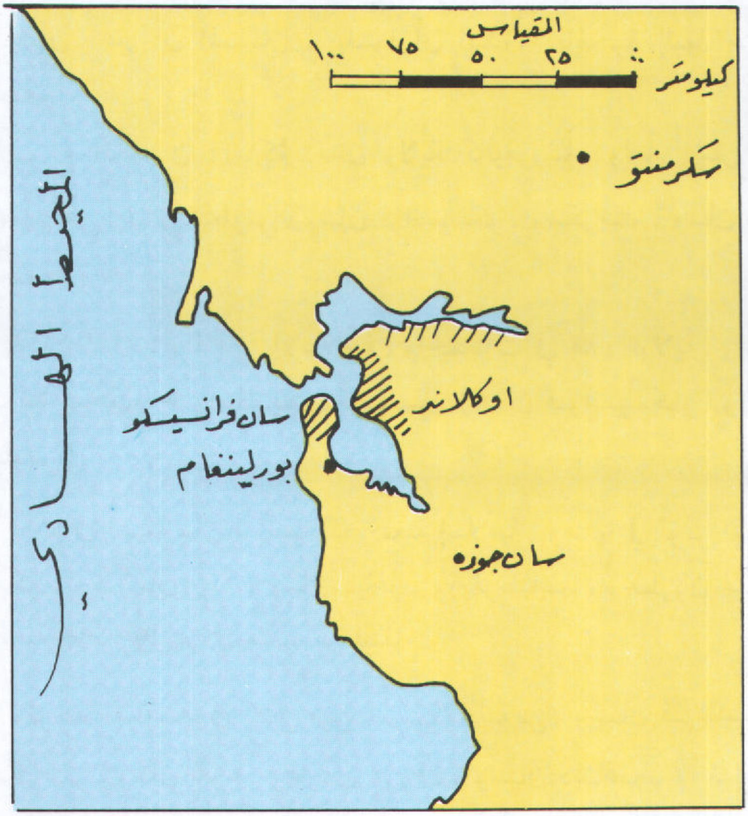
تكثر المساجد والمراكز الإسلامية، والجمعيات في هذه الولاية، وإن كان أكثرها يتجمّع حول المدينتين الرئيسيتين (سان فرانسيسكو) و(لوس أنجلوس).

تقوم في مدينة سان فرانسيسكو جمعية إسلامية، ومثلها في لوس انجلوس، وسكرمنتو، وسان جوز، وسان دياغو، وريفرسايد، وغاردن غروف، وجمعية خاصة بالتتار في مدينة بورلينغام.

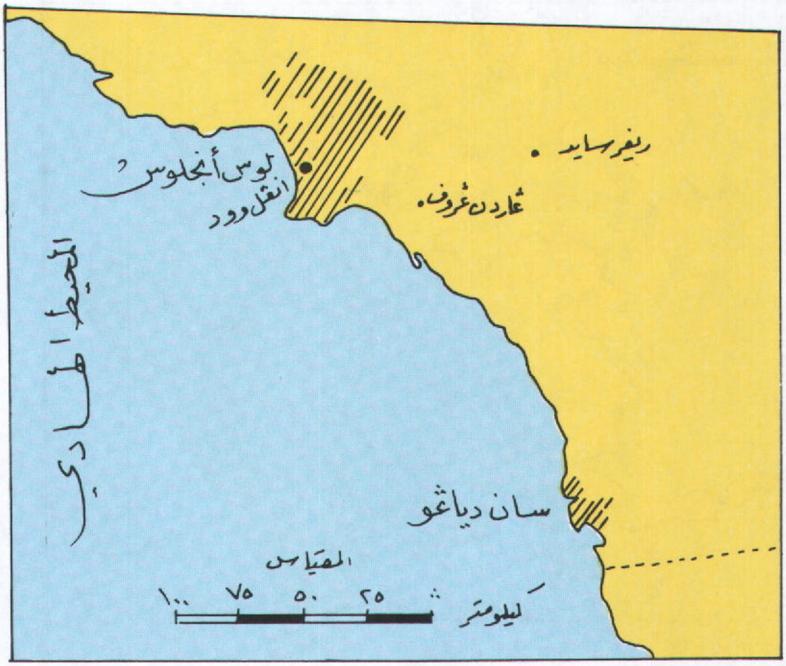
وتوجد مساجد في كل من لوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، وسكرمنتو، وسان جوز، وغاردن غروف، وسان دياغو، وأنغل وود، ومسجد للتتار في بورلينغام. وقد بنى الهنود المسلمون مسجد سكرمنتو، على حين بنى المسلمون الأمريكيون (مسجد المؤمن) في لوس أنجلوس.

وتقوم مراكز إسلامية في كل من سان فرانسيسكو ولوس انجلوس، وهناك اتحاد الطلبة المسلمين في جامعات كاليفورنيا.

وتأسس في لوس انجلوس عام ١٣٩٥ معهد الدراسات الإسلامية، ويضم مدرسةً للتعليم، ومركزاً للمعلومات، وقسماً للترجمة، ومكتبةً، وقسماً داخلياً للطلبة. وهناك مشروع لبناء جامعةٍ إسلاميةٍ في المنطقة. ويكون التعليم باللغة العربية والانكليزية.



مصور رقم [٧٦].



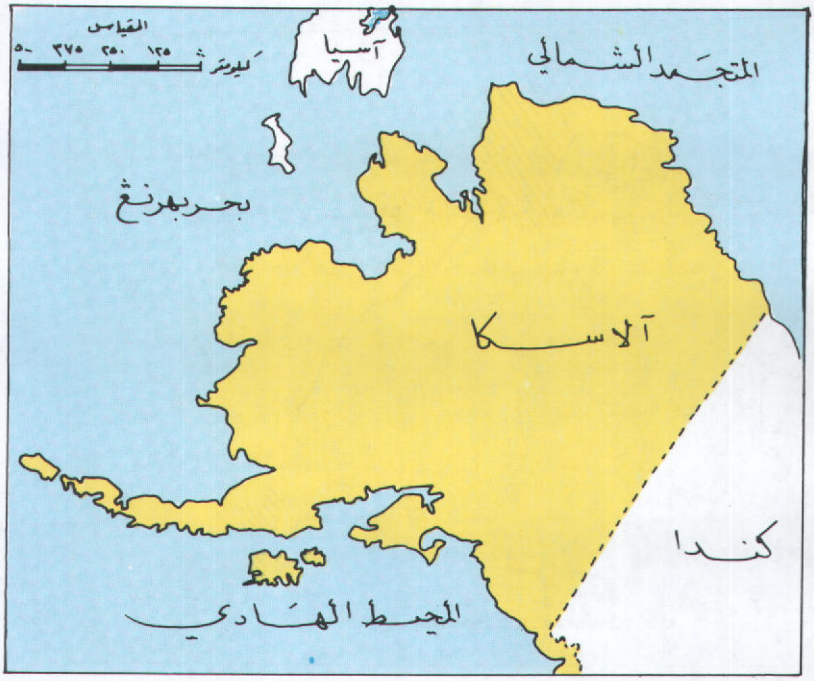
مصور رقم [٧٧] .

٥٠ ـ الآلاسكا : تبلغ مساحتها ١,٥١٨,٧٧٦ كيلومتراً مربعاً ، وهي بذلك أكبر الولايات مساحةً ، ولكن لا يزيد عدد سكانها على النصف مليون . وعاصمتها مدينة (جنوه) .

أصل السكان من قبائل الأسكيمو ، وجاءها بعدئذ الأوربيون ، وتعني كلمة آلاسكا في لغة الأسكيمو (الأرض الأم) .

اشترت الولايات المتحدة هذه المقاطعة من الامبراطورية الروسية عام ١٢٨٤ هـ بسبعة ملايين ومائتي ألف دولار . ثم انضمّت إلى دولة الولايات عام ١٣٧٩ هـ .

ولا يُقيم مسلمون في أرض الآسكا .



مصور رقم [٧٨] .

٥١ً - **جزر هاواي:** مجموعة جزر وسط المحيط الهادي، يزيد عددها على ثلاث وعشرين جزيرة، ثمان منها مأهولة، والباقي غير مسكون.

عرفها الأوربيون عام ١١٩٤ ، وأسموها جزر الساندويتش، وكانت تحت حكم أربعة ملوك محليين. ثم توّحدت، وكانت تتبع انكلترا، ثم خضعت للولايات المتحدة. وأُعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٠٢ هـ. وأصبحت جزءاً من الولايات المتحدة عام ١٣١٦ ، وأصبحت مقاطعة عام ١٣١٨ هـ وأخيراً أصبحت ولايةً أمريكيةً عام ١٣٨٠ هـ.

تبلغ مساحتها ١٦٦,٦٤٢ كيلومتراً مربعاً، ويزيد سكانها على المليون، وعاصمتها مدينة (هونولولو). يعيش في جزر هاواي ما يقرب من ٥٥٠

مسلما، وينتمون لجنسياتٍ مختلفةٍ، ومستواهم المادي والثقافي جيد، وقد بنوا مركزاً ومسجداً لهم.

إن معظم المسلمين في الولايات المتحدة ينتمون إلى أهل السنة والجماعة، وتوجد إلى جانبهم أعداد ضئيلة من الشيعة، وتعدّ مدينة ديترويت وما حولها أكبر تجمّعٍ لهم. ويقوم خلاف وجدل أحياناً بينهم وبين المسلمين.

ويجد المسلمون عقبةً في وجه نشاطهم ووجودهم يتمثل في.

١ً ـ اليهود الذين يحقدون على المسلمين خاصةً وعلى أصحاب الديانات الأخرى، والأمم، والأجناس كلها، ولعلّ أشدّ خطرهم ما يوجّه إلى المسلمين.

٢ً ـ الصليبية: المتمثّلة في النصارى بسبب الحقد الديني، والخلفية التاريخية، والدعايات ضد الإسلام، والمعلومات الخاطئة الثابتة في أذهانهم عن الإسلام والتي يروّجها الأعداء في وسائل الإعلام، والفكر المادي والرغبة في المحافظة عليه وعلى الشهوة.

٣ً ـ البهائيون: الذين لهم مجلس في (تينك) في ولاية نيوجرسي، ثم انتقل إلى (ويلميت) في ولاية الينوى، ويدّعون أحياناً أنهم من المسلمين، وهم كفار من ألد أعداء الإسلام.

٤ً ـ القاديانيون الذين بدا نشاطهم في ولاية كاليفورنيا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وتوسّعوا إلى الغرب، ويزيد عددهم على خمسة آلاف ولهم مراكز في كل من: واشنطون، ونيويورك، ولوس أنجلوس، ودايتون (أوهايو)، وبتسبورغ (بنسلفانيا)، وشيكاغو (الينوى)، ولهم مؤسسة فضل الأمريكية، ويُصدرون مجلة شروق الشمس.

ويدّعون الإسلام أحياناً، وليسوا هم من أهله.

٥ً ـ الإسماعيليون: ويدّعون الإسلام أحياناً، ولا يمتوّن إليه بصلة إلا ما كان من الناحية التاريخية أما من ناحية العقيدة فالبعد واسع جداً بينهما.

وإن ادعاء البهائيين، والقاديانيين، والاسماعيليين الإسلام إنما هو دعاية ضدّ الإسلام لما عندهم من شركٍ وتأليه البشر.

٦ً ـ وهناك جماعة تدعى (المورمان) ويوجد أتباعها في (بروفو) بولاية يوتا.

(٢) كنـــدا

دولة اتحادية، عرفتها أوربا عام ٩٠٣ هـ، تنافست انكلترا وفرنسا على استعمارها، وأخيراً خضعت للنفوذ الإنكليزي، تبلغ مساحتها ما يقرب من عشرة ملايين كيلومتر مربع، ويقرب سكانها اليوم من اثنين وثلاثين مليوناً.

حصلت على استقلالها الذاتي عام ١٢٨٤ هـ، واستقلّت عن انكلترا عام ١٣٤٥ هـ. ثم ضمّت إليها عام ١٣٦٩ مستعمرتي اللابرادور، والأرض الجديدة اللتين كانتا لا تزالان تحت استعمار انكلترا. وقد زاد عدد سكانها بسرعة بسبب الهجرة إليها، ونوضّح ذلك بما يلي:

كان عدد سكانها عام ١٢٢١ هـ ما يقرب من ٤٣٣,٠٠٠
كان عدد سكانها عام ١٣٢١ هـ ما يقرب من ٦,٠٠٠,٠٠٠
كان عدد سكانها عام ١٤٠١ هـ ما يقرب من ٢٤,٠٠٠,٠٠٠
كان عدد سكانها عام ١٤٠٨ هـ ما يقرب من ٣١,٩٩٠,٠٠٠.

وسكانها من أصول مختلفةٍ، ٤٢٪ منهم من أصلٍ إنكليزي، و٣٠٪ من أصل فرنسي، والباقي وهو ٢٨٪ من أجناسٍ متعددةٍ، وإن كان ما يزيد على الربع مليون منهم من سكان البلاد الأصليين من أسكيمو، وهنود حمر.

اتجه بعض المسلمين إلى كندا في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، وكان معظمهم من بلاد الشام، وبلاد البلقان (ألبان وبوشناق) وجلّ هؤلاء كانت

هجرتهم للأسباب السياسية التي كانت تتعرّض لها بلادهم. لقد وصل ثلاثة عشر مسلماً إلى كندا عام ١٢٨٩ هـ واستوطنوا في اونتاريو، وهم طليعة المهاجرين. ولما كانت تلك المرحلة مرحلة جهل بالنسبة إلى المسلمين فإن أكثر الذين هاجروا قد ضاعوا في المجتمع الذين يعيشون فيه. وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ المسلمون يُهاجرون إلى كندا، وكانوا في هذه المرة أفضل نسبياً من سابقيهم، وتلا ذلك هجرة بعد الحرب العالمية الثانية، وهم أيضاً أفضل ممن سبقهم، ولا تزال الهجرة قائمةً، فالبلاد تحتاج إلى إعمارٍ إذ هي مترامية الأطراف، وفي الوقت نفسه تتوالى الخطوب على المسلمين. والهجرة تتكوّن في هذه المرة من الشباب المثقّفين وأهل العلم والحركيين الذين لم يُرغب بإقامتهم في بلادهم أو لم يستطيعوا البقاء لما يرون من مآسي، أو لم يتحمّل الطغاة وجودهم، ولم ترغب الصنائع بقاءهم، وهم في المهجر يقومون بنشاطهم الذي يخدم الذين سبقوهم بصورةٍ عامةٍ ويفيد الجميع، إضافةً إلى ما يُقدّمونه من خدمات للبلاد التي يحلّون فيها.

يُقيم معظم المسلمين في كندا في المناطق الجنوبي الشرقية، وإن كان توزّعهم يشمل معظم الولايات، والإعمار بدأ من الجنوب الشرقي، وتكاثر السكان، وبالتالي كان المسلمون، بأكثرهم يستوطن في ولاية أونتاريو ثم في كويبك.

و ٩٢ ٪ من المهاجرين هم من المسلمين، و ٤ ٪ من الشيعة، و ٣ ٪ من فرقة الاسماعيلية الضالة. أما جنسياتهم فإن ما يقرب من ٣٠٪ هم من أصولٍ عربية، و٣٠ ٪ من أصلٍ هندي، والباقي وهو ٤٠ ٪ من أصولٍ مختلفةٍ.

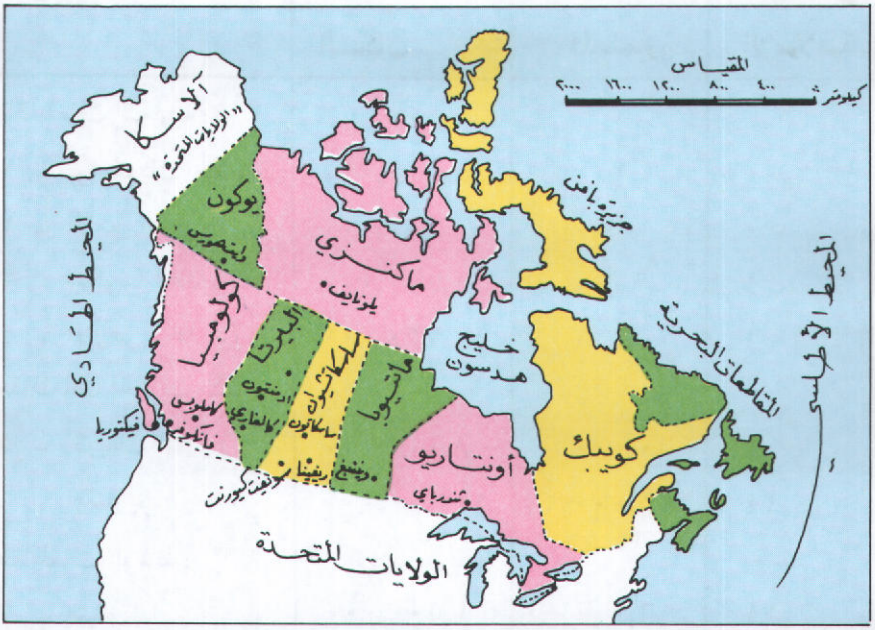
وقد اعترفت حكومة كندا بالإسلام رسمياً عام ١٣٩٣ هـ.

ولا تزال الهجرة قائمة إلى كندا لقد وصل إليها عام ١٤٠١ من المهاجرين ٢٤٢,٤٣٩، وفي عام ١٤٠٢ وصل إليها ١٢٨,٦١٥ من أممٍ مختلفةٍ من بينها المسلمون التي تتوالى عليهم الخطوب، وهذا ما يجعل أعدادهم تزيد بسرعة.

تتألف كندا من ثلاث عشرة ولاية، تتباين في عدد سكانها، وفي عدد المسلمين الذين يعيشون فيها، وفي تنظيماتهم ومؤسساتهم، وهذه الولايات هي:

الولاية	عدد السكان	عدد المسلمين	الجمعيات الإسلامية
المقاطعات البحرية:			
١ - برانشويك الجديدة	١,٠٠٠,٠٠٠	٢٠٠	٠
٢ - الأمير ادوارد	١٨٠,٠٠٠	٢٠٠	٠
٣ - سكوتيا الجديدة	١,٠٠٠,٠٠٠	١٠٠٠	١
٤ - الأرض الجديدة	٧٥٠,٠٠٠	٤٠٠	١
مقاطعات الجنوب الشرقي:			
٥ - كويبك	٨,٠٠٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	١
٦ - أونتاريو	١٢,٠٠٠,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	٢٤
مقاطعات الوسط:			
٧ - منيتوبا	١,٥٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠	١
٨ - ساسكاتشيوان	١,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠	٢
٩ - البرتا	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠	٣
مقاطعات الغرب:			
١٠ - كولومبيا	٣,٥٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠	٣
مقاطعات الشمال الغربي:			
١١ - الشمال الشرقي (بافن)	٧,٠٠٠		٠
١٢ - ماكنزي	٢٢,٠٠٠	٢٠٠	٠
١٣ - يوكون	٣١,٠٠٠	٣٠٠	٠
	٣١,٩٩٠,٠٠٠	٢٣٧,٣٠٠	٣٦

وبذا تكون نسبة المسلمين في كندا أقل من ١٪ (٠,٧٢٪) ولكن هذه النسبة تتزايد بسرعة بسبب الهجرة.



مصور رقم [٧٩] .

تضمّ الولايات البحرية أربع ولاياتٍ صغيرةٍ وهي :

١ - **برانشويك الجديدة:** وتبلغ مساحتها ٧٣,٤٣٧ كيلومتراً مربعاً. وتحدّ الولايات المتحدة، ويقرب عدد سكانها من المليون. وعاصمتها مدينة (فريدريكتون). ويعيش في هذه الولاية ما يقرب من مائتي مسلم.

٢ - **الأمير ادوارد:** جزيرة في خليج سانت لورانس تبلغ مساحتها ٥,٦٥٧ كيلومتراً مربعاً، ويقرب عدد سكانها من ١٨٠ ألفاً، وعاصمتها شارلوت تاون. ويعيش في هذه الجزيرة ما يقرب من مائتي مسلم.

٣ً - **سكوتيا الجديدة:** وهي شبه جزيرة ملتصقة بأرض ولاية برانشويك الجديدة، تبلغ مساحتها ٥٥,٥٠٠ كيلومتر مربع، ويزيد سكانها على المليون قليلاً، وعاصمتها مدينة هاليفاكس.

تأسست جمعية إسلامية في مدينة دارتموث تحمل اسم (جمعية الولايات البحرية الإسلامية) وذلك في عام ١٣٥٨.

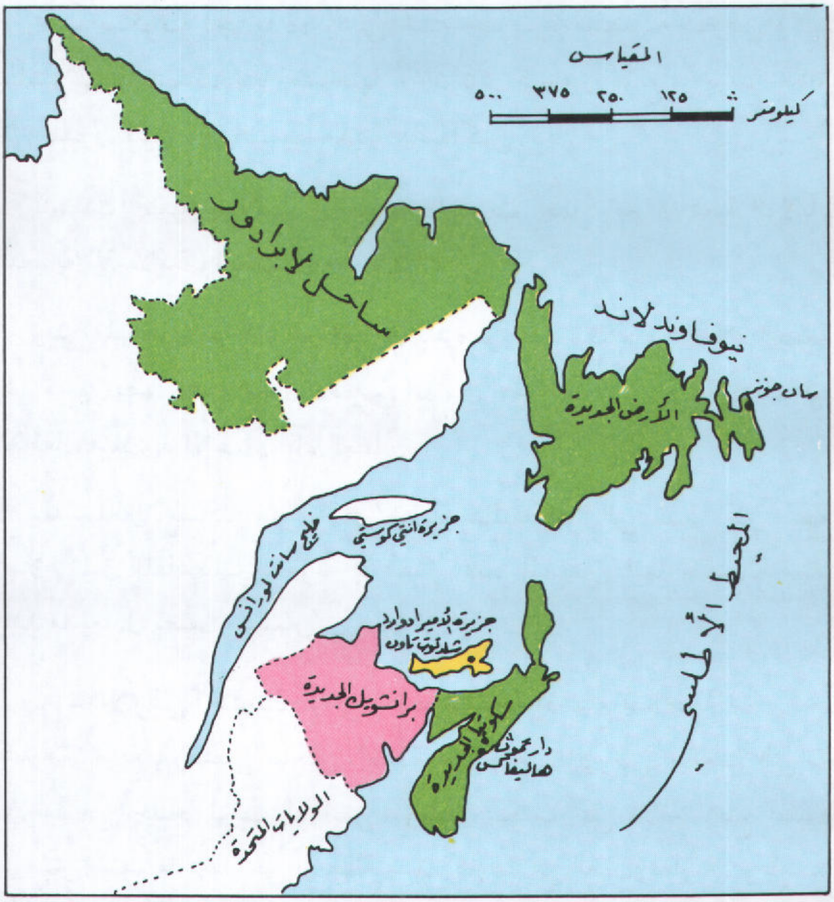
وبنى المسلمون مركزاً إسلامياً في بلدة ترورر، وتقام فيه صلاة الجمعة، كما تقام أيضاً في جامعة (دلهوسي)، وفي هذا المركز مدرسة يتعلّم فيها الأطفال مبادىء الإسلام أيام العطل.

وللمسلمين مسجد ومركز في مدينة هاليفاكس التي تضمّ أكبر تجمّعٍ إسلاميٍ في المقاطعات البحرية إذ يُقدّر عدد المسلمين فيها بخمسمائة مسلم، وهو ما يعادل نصف المسلمين في هذه الولاية.

٤ً - **الأرض الجديدة:** وهي واسعة المساحة إذ تبلغ مساحتها ٤٠٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتشمل ساحل لابرادور، وجزيرة الأرض الجديدة التي تقع في مدخل خليج سانت لورانس، ويزيد سكانها على ثلاثة ارباع المليون. ويعيش بينهم ما يزيد على أربعمائة مسلم أكثرهم من العمال المغاربة، وعاصمتها مدينة سانت جونز التي تضمّ مركزاً ومسجداً للمسلمين. كما تقوم فيها جمعية إسلامية تعرف باسم (جمعية مسلمي الأرض الجديدة).

أما بقية الولايات الثمان فهي كبيرة وهي:

٥ً - **كويبك:** فهي أكبر ولايات كندا مساحة إذ تضمّ بقية منطقة اللابرادور، وتبلغ مساحتها أكثر من مليون ونصف كيلومتر مربع (١,٥٤٠,٦٦٨ كم٢)، ويقرب عدد سكانها من ثمانية ملايين. وعاصمتها مدينة (كويبك).



مصور رقم [٨٠] .

عرف الفرنسيون هذه المقاطعة عام ٩٤١ هـ . وعُدّت مستعمرةً فرنسيةً عام ١٠٧٤ هـ ، وعُرفت باسم (فرنسا الجديدة) أو كندا ، وبقيت بيد فرنسا عام ١١٧٧ حيث سيطر عليها الإنكليز ، وعُرفت باسم (مقاطعة كويبك) ، ثم سُمّيت عام ١٢٠٥ باسم كندا الدنيا ، ثم كندا الشرقية . ومع خضوعها للإنكليز إلا أن الفرنسيين بقوا يُهاجرون إليها ، ويُشكّلون الآن ثلث سكان الولاية .

وفي عام ١٤٠٠ هـ جرت محاولة لانفصال هذه الولاية عن الاتحاد الكندي، غير أن الانتخابات قد أعطت ٥٩,٥٪ لمصلحة بقاء الولاية ضمن الاتحاد الكندي، و٤٠,٥٪ لمصلحة الانفصال الأمر الذي أبقى الاتحاد الكندي كما هو.

وبولاية كويبك لغتان رسميتان هي: الإنكليزية والفرنسية.

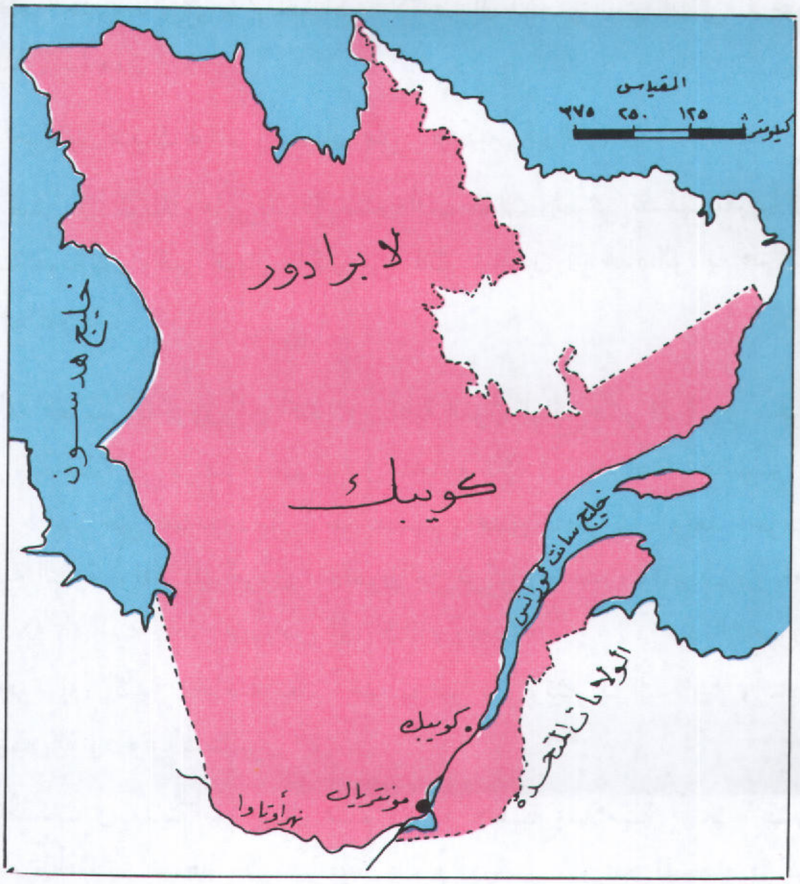
يعيش في كويبك ما يزيد على ستين ألف مسلم، ويعيش نصفهم تقريباً في مدينة مونتريال وضواحيها. وأكثر من ثلث المسلمين في هذه الولاية هم من العمال المغاربة.

بدأ العرب يُهاجرون إلى كندا في بداية القرن الرابع عشر الهجري، غير أنهم لم يحافظوا على دينهم إذ اندمجوا في المجتمع الكندي، فتساهل بعضهم في أمور دينهم حتى ضاعوا، بل ارتدّ بعضهم واعتنق النصرانية، وبعد الحرب العالمية الثانية توافد المهاجرون المسلمون من تركيا، والهند، والمغرب، وبعد عام ١٣٨٧ اتجه بعض المصريين إلى كندا. وبعد عام ١٤٠٠ عاد الشاميون للهجرة إلى كندا وخاصةً بعد أحداث سوريا، وتشريد السكان. وأنشط المسلمين الهنود والباكستانيون.

تأسّست في مدينة مونتريال عام ١٣٨٢ جمعية إسلامية، وبعد عشر سنوات أقامت مسجداً في ضاحية سانت لورانس، ويتبع المسجد مركز إسلامي، وناد، ومدرسة، ومكتبة، وتعتمد الجمعية على مساهمة الجالية المسلمة. وللعرب جمعية قومية تُدعى «الرابطة العربية الكندية» وليس لها اهتمام في الجانب الإسلامي، ولذا فإن مساهمة العرب في المركز الإسلامي ضعيفة.

ولاتحاد الطلبة المسلمين فروع في الجامعات في ولاية كويبك حيث يوجد ثلاث جامعات (ماك غيل) و(لويولا) و(دوسون). كما أن إذاعة كويبك

تُقدّم للمسلمين برامج يومية وأسبوعية. وتُعدّ مدينة مونتريال أكبر مدن كندا ويزيد عدد سكانها على الثلاثة ملايين.



مصور رقم [٨١].

٦ً - **أونتاريو:** تعدّ مركز الثقل السكاني والعلمي في كندا، يُقيم فيها أكثر من ٤٠ ٪ من سكان كندا أي ما يزيد على اثني عشر مليوناً: وهي ثاني ولايات كندا مساحةً بعد (كويبك) حيث تبلغ مساحتها ١,٠٦٨,٣٦٠ كيلومتراً مربعاً. وعاصمتها مدينة تورنتو التي يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين.

يزيد عدد المسلمين في أونتاريو على نصف المسلمين في اتحاد كندا، حيث يبلغ عددهم ١٢٥ ألفاً، يسكن معظمهم المدن الكبرى، وهي التي تقع في الجنوب على شواطىء البحيرات الكبرى أو على مقربةٍ منها، وهي المناطق ذات الأهمية في كندا كلها.

لعل أول من هاجر من المسلمين إلى ولاية أونتاريو الشاميون ثم الألبان، وبعد الحرب العالمية الثانية جاء مسلمون من أمريكا الوسطى وجنوبي إفريقية ومن البلدان العربية وخاصةً الشام ومصر والمغرب، ثم من الهند وباكستان.

يُقيم ٦٣٪ من مسلمي أونتاريو في مدينة تورنتو، وقد تأسّست فيها أول جمعية إسلامية عام ١٣٧٥، وكانت تُعرف باسم الجمعية الإسلامية الألبانية، ثم أصبح اسمها بعد مدة «جمعية تورنتو الإسلامية». وافتتحت فرعاً للنساء المسلمات في عام ١٣٨١ باسم جمعية النساء المسلمات، واشترت كنيسةً وحوّلتها إلى مسجد. غير أن الكسل لم يلبث أن دبّ فيها... فأرادت بيع المسجد، فاشترته المملكة العربية السعودية من أعضاء الجمعية السابقين وسلمته إلى اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا. ثم تشكّلت جمعية جديدة هي (جمعية مسلمي تورنتو) وأصبحت تُشرف على المسجد بالتعاون مع اتحاد الطلبة المسلمين، وعاد النشاط إلى المسجد حيث تُعطى فيه دروس عن الإسلام واللغة العربية، ويلتقي فيه المسلمون. وتأسّست جمعية أخرى عام ١٣٨٩، وهي جمعية المركز الإسلامي، وقد اشترت نادياً اجتماعياً للنصارى الكاثوليك وحوّلته إلى مسجد، وتُقام فيه صلاة الجمعة، وفيه قاعة للمحاضرات، وتُلقى فيه دروس باللغة العربية، وبلغة الأوردو. وتوجد جمعية مسلمي ألبانيا، وجمعية المسلمين الكندية. ويوجد في جامعة تورنتو فرع لجمعية الطلبة المسلمين، وتؤدى صلاة الجمعة في إحدى قاعات الجامعة. وتوجد جمعية للشيعة. كما تقوم جمعية لطائفة الإسماعيلية ولكن الإسماعيليين غير مسلمين.

وفي مدينة أتاوا تأسّست (جمعية أتاوه الإسلامية) عام ١٣٨٢ ، وتُعطى الدروس في مركزها ، ولها فرع للنساء ، وآخر للأشبال. وأخيراً قامت هذه الجمعية ببناء مسجدٍ لها على ضفة نهر أتاوا . وهناك مجلس للجاليات الإسلامية بكندا ، ومؤسسة مسلمي أتاوا ، والمدرسة الإسلامية.

وفي مدينة هاملتون تأسّست (جمعية هاملتون الإسلامية) عام ١٣٨٥ ، اتخذت شقةً اشترتها مركزاً لها ، ثم بنت مركزاً خارج المدينة ، ويتبعه مسجد ، ومدرسة. وقدّمت جامعة هاملتون للطلبة المسلمين قاعةً لأداء صلاة الجمعة فيها . وفي هذه المدينة جمعية باكستانية ، وجمعية مسلمي هاملتون.

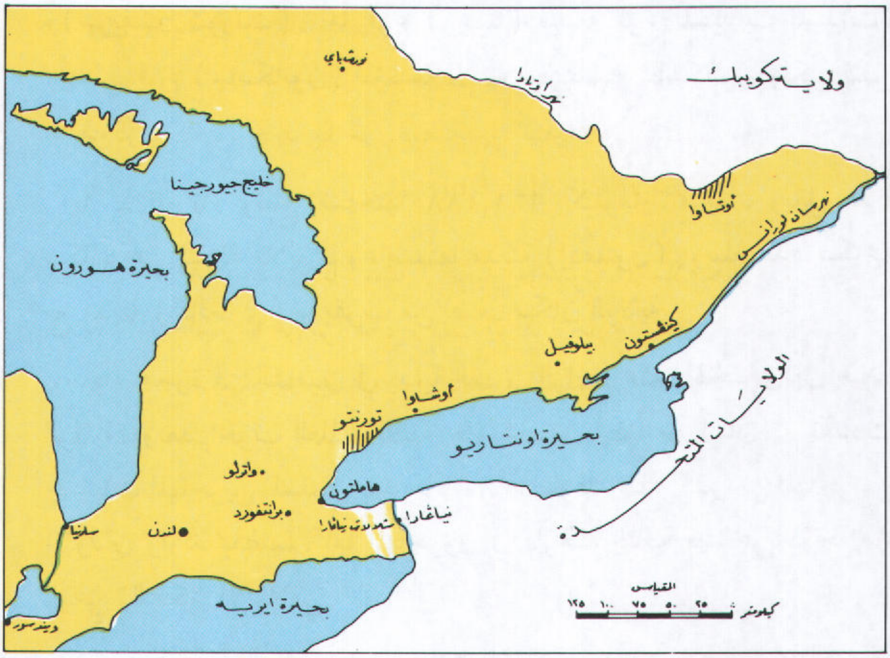
وفي مدينة لندن (جمعية مسجد لندن)، وقد تأسّست عام ١٣٦٨ هـ ، وقد أقامت مسجداً عام ١٣٨٥ ، ويُقدّم تلفزيون مدينة لندن برنامجاً اسمه (إسلام كندا) يُعرض يومي الثلاثاء والخميس من كل أسبوع.

وتقع مدينة (ويندسور) مقابل ديترويت في الولايات المتحدة، وأكثر المسلمين فيها من المهاجرين العرب ، وتأسّست فيها جمعية عام ١٣٧٤ ، وقامت ببناء مسجد عام ١٣٨٢ ، وتُعطى فيه دروس دينية.

وفي مدينة (أوشاوا) جمعية أوشاوا الإسلامية التي تأسّست عام ١٣٩٢ ، وقد استأجرت مركزاً لأداء صلاة الجمعة وإلقاء المحاضرات.

وفي مدينة برانتفورد جمعية إسلامية تأسست عام ١٣٩٤ هـ.

وفي مدينة (تندرباي) الواقعة على بحيرة سوبيريور جمعية (المؤسسة الإسلامية). وتوجد جمعيات إسلامية في كلٍ من (نورث باي) وتسمى جمعية كندا الإسلامية ، وفيها مسجد الملة الإسلامية. وفي مدينة كامبردج، ومدينة كينغ ستون، ونياغارا ، وواترلو ، وبلوفيل، وسارنيا.



مصور رقم [٨٢] .

٧ - **مينتوبا:** تبلغ مساحتها ٦٤٩ ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها مليون ونصف المليون، عاصمتها مدينة (وينبغ) التي يُقيم فيها نصف سكان الولاية تقريباً. وإعمارها حديث، وهجرة المسلمين إليها قريبة العهد.

يعيش في مينتوبا ستة آلافِ مسلم، يُقيم نصفهم في العاصمة، وقد أسّسوا جمعية مينتوبا الإسلامية عام ١٣٨٨، وقد بنت هذه الجمعية مسجداً.

٨ - **ساسكاتشيوان:** وتبلغ مساحتها ٥٧٠,١١٢ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على المليون قليلاً، وعاصمتها مدينة (ريجينا).

يسكن ثلاثة آلاف مسلم في هذه الولاية، نصفهم في العاصمة (ريجينا)، وأول المسلمين هجرة إليها هم الشاميون. وتأسّست جمعية ساسكاتشيوان الإسلامية عام ١٣٨٥ ولها فروع في كل من (ريجينا) و(ساسكاتون)،

و(سويفت كيورنت). أما فرع (ريجينا) فيتبعه فرع للسيدات المسلمات، ويُسمّي فرع (ساسكاتون) المؤسسة الإسلامية بمدينة ساسكاتون ولكن ليس لها مركز.

٩ - **البرتا:** وتبلغ مساحتها ٦٦١,١٨٨ كيلومتراً مربعاً، ويقل عدد سكانها عن الثلاثة ملايين، وعاصمتها مدينة (ادمنتون)، ويبلغ عدد سكانها مع مدينة (كالغاري) ما يقرب من نصف سكان الولاية.

جاء هجرة من الشاميين في بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى هذه الولاية، وبعد الحرب العالمية الثانية جاء شاميون أيضاً من لبنان، ثم تعددت جنسيات المهاجرين المسلمين بعد عام ١٣٨٠، وقد ضاع كثير من المهاجرين الأولين وارتدّ بعضهم، أما المهاجرون في المرحلة الثانية فهم على درجةٍ من الوعي والتفكير الإسلامي.

يوجد في هذه الولاية أكثر من ٢١ ألف مسلم نصفهم من البلدان العربية. يعيش نصف المسلمين في العاصمة ادمنتون، وخمسة آلاف في مدينة كالغاري، وألف في مدينة (لاك لابيش).

أسّس اللبنانيون في العاصمة جمعية (المركز الإسلامي الكندي) عام ١٣٤٨، وأقامت مسجد الرشيد عام ١٣٥٧ ويُعدّ أول مسجد بني في كندا، وقد ارتدّ عدد من المسلمين على الرغم من أن حالتهم المادية جيدة.

ونشأت جمعية كالغاري الإسلامية، وهي من أحسن الجمعيات تنظيماً، تأسست عام ١٣٧٦، واشترت عام ١٢٨٠ كنيسةً وحوّلتها إلى مسجدٍ، ثم بنت مسجداً وتلحق به مدرسة، ومكتبة، وقاعة للاجتماعات، وداراً للضيافة. وتلقى في المسجد المحاضرات، وتقوم النساء المسلمات بنشاطٍ ملحوظٍ.

وفي مدينة (لاك لابيش) التي تبعد ٢٢٥ كيلومتراً عن العاصمة شمالاً، يُقيم فيها عدد من الشاميين اللبنانيين، وقد تأسّست فيها جمعية عام ١٣٧٧،

وتسمى جمعية لاك لابيش العربية الإسلامية، وقامت بعد عام من تأسيسها ببناء مسجدٍ وتلحق به مدرسة إسلامية.

١٠ً - **كولومبيا**: تبلغ مساحتها ٩٤٩,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف المليون، وعاصمتها مدينـة فيكتـوريـا. ويعيش أكثر من ٩٠٪ من سكان الولاية في الجزء الجنوبي منها، و٦٥٪ منهم في الجزء الجنوبي الغربي، أما الأجزاء الشمالية فتكاد تكون خاليةً.

يعيش في كولومبيا واحد وعشرون ألف مسلم أكثرهم من البلاد العربية، والهند، وباكستان، وجزر فيجي فقد جاء الهنود عام ١٣٢٤، غير أن هجرة الآسيويين قد حددتها السلطات الكندية، وعاد بعضهم إلى أوطانهم أثناء الحرب، ثم رجعت الهجرة إلى كولومبيا بعد عام ١٣٨٠. يعيش تسعة آلاف منهم في مدينة فانكوڤر، وثلاثة آلاف في العاصمة فيكتوريا، وألف في مدينة كاملوبس. ويُعاني المسلمون من التفرقة العنصرية.

تأسّست في فانكوفر عام ١٣٨٣ جمعية (مركز كـولـومبيـا البريطـانيـة الإسلامي)، وكان أكثر أعضائها من مسلمي جزر فيجـي، وقـد أقـامـت مركزاً موقتاً للصلاة ولتعليم الأطفال، ثم بنت مسجداً. كما توجد المؤسسة الإسلامية التي تضم أعداداً من المسلمين ينتمون إلى جنسيات مختلفة.

وفي العاصمة فيكتوريا جمعيـة إسلاميـة، ولها مـركـز، غير أن المسلمين مُوزّعون بين العرب والباكستانيين بسبب اللغة، وعدم الوعي الإسلامي.

وتعيش جالية من الشاميين اللبنانيين في مدينة كاملوبس منذ مطلـع القـرن الرابع عشر الهجري، ومع انهم ينظمون أنفسهم بشكل جيدٍ إلا أنهم في مرحلة من الضياع وسط المجتمـع الكنـدي لعـدم تمسّكهـم ومحافظتهـم على عقيدتهم.

وشمال خط العرض ٦٠ شمالاً تمتدّ المقاطعات الشمالية الغربيـة التي تـزيـد

مساحتها على ٣,٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، وأكثرها متجمد، لذا لا يزيد عدد سكانها على الستين ألفاً، نصفهم من قبائل الأسكيمو. وقاعدتها كلها (يلونايف) في الوسط في ولاية (ماكنزي)، وهذه الولايات هي:

١١ً - **جزيرة بافن والجزر الشمالية:** وأكثرها متجمد، وتبلغ مساحتها ١,٨٧٧,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتعرف باسم المقاطعة الشمالية الشرقية.

١٢ً - **ماكنزي:** وتبلغ مساحتها ١,٥٠٢,٥٠٠ كيلومتر مربع، وتقع فيها عاصمة المقاطعات (يلونايف)، وفيها بعض المسلمين اللبنانيين. وتعتمد المقاطعة على الفراء والأخشاب، والثروة المعدنية.

١٣ً - **يوكون:** وهي المقاطعة الشمالية الغربية، وتبلغ مساحتها ٥٣٦,٣٢٤ كيلومتراً مربعاً، ويعيش فيها بعض المسلمين اللبنانيين، وهي مثل سابقتها تعتمد على الفراء، والأخشاب، والثروة المعدنية.

رأينا أن عدد المسلمين في كندا يزيد على مائتين وسبعةٍ وثلاثين ألف مسلم، وأن نسبتهم هي ٠,٧٢٪ من مجموع السكان، وإذا كانت هذه النسبة قليلةً إلا أنها تزيد بسرعة بسبب الهجرة المتزايدة نتيجة الخطوب التي تتزايد على المسلمين، وإن كانت حكومة كندا تطلب من المهاجر أن يكون لديه رصيد يزيد على نصف مليون دولار كندي. كما رأينا أنه تقوم أكثر من ست وثلاثين جمعية موزعة في أنحاء البلاد، ولا بدّ من تنظيمها أو تجميعها لإمكانية التعاون فيما بينها.

بدأ هذا التنظيم من قبل اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة الذي قام بعد تأسيس (الجمعية الإسلامية الدولية) في ٤ شوال ١٣٧١ (رابع عيد الفطر)، وفي اللقاء الثالث للجنة التنفيذية للجمعية المذكورة في شيكاغو تم تغيير الاسم حيث أصبح (اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا) وذلك عام ١٣٧٤ إذ ضمّ هذا الاتحاد ثمان وعشرين جمعيةً من بينها بعض جمعيات كندا.

كما تأسّست جمعية الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، وهكذا فإن التنظيم إنما جاء عن طريق المسلمين في الولايات المتحدة في بداية الأمر.

أما تنسيق العمل في كندا فقد بدأ عام ١٣٨٨ في بداية شهر شوال أيضاً بدعوة من الجالية الإسلامية في مدينة هاملتون في ولاية أونتاريو لباقي الجمعيات في الولاية، وتمّ اللقاء في مدينة لندن في الولاية نفسها، واتفق الحضور على تشكيل (مجلس الجماعات الإسلامية في اونتاريو)، ثم توسّع هذا المجلس عام ١٣٩٢، وأصبح يضم كافة الجمعيات في كندا، وحمل اسم (مجلس الجماعات الإسلامية في كندا)، واتفقوا على إصدار نشرةٍ شهرية تحمل اسم (إسلام كندا)، وقد انضمّ إليه آنذاك ست عشرة جمعية وترك الباب مفتوحاً لانتساب باقي الجمعيات إذ نص الدستور على أن لكل جمعية إسلامية في كندا يتفق دستورها وقانونها الأساسي وتعاليمها مع القرآن والسنة، وبحيث تكون عضويتها مفتوحة لكل مسلم مهما كان لونه أو جنسيته أو مذهبه الفقهي أن تنضمّ إلى المجلس، وهكذا تمّ بين الجمعيات شبه تنسيق.

ويقوم هذا المجلس بإلقاء المحاضرات، ونشر الكتب، وتنظيم معسكرات لأبناء المسلمين.

مع الأقليات المسلمة في أمريكا الشمالية

يعيش مسلمون في أمريكا الشمالية في عالمٍ واسعٍ يموج بالحركية والدأب، ولسعة رقعته يحتاج إلى إعمار فيتطلب أيدي عاملة، ولنموه وتطوّره يحتاج إلى فكرٍ، كما يلزمه البناء، وهذا ما استدعى هجرة المسلمين إليه والذين ينـوءون بظروفهم الاقتصادية، وأحوالهم المعاشية، وأوضاعهم السياسية، وإذا كانت الولايات المتحدة قد حدّت من الهجرة إليها لزيادة سكانها، أو لاكتفاء أرضها على رأي المخططين، إلّا أنّ الواقع يُؤكّد أنها ما زالت بحاجةٍ إلى الكثير، وإن طلب العلم والسياسة يدفعان بالكثير من الناس نحوها، كما أنها تستقطب الكثير من النابغين والنابهين وإذن فإن الاتجاه نحوها ما زال قائماً وبخاصةٍ من الأمصار الإسلامية المحكومة من صنائع الولايات المتحدة إذ تتشرّد أفواج نتيجة الضغط والإرهاب وأكثرهم من الـمُفكّرين، وأهل العلم، وأصحاب الاختصاص. كما أن كندا لا تزال تتقبّل الهجرة وإن كانت ضمن شروط، ويجب ألا ننسى الذين يدخلون في الإسلام من سكان أمريكا الشمالية، وأن الزنوج في الولايات المتحدة قـد أخـذوا في الإقبـال نحو الإسلام أو في العودة إليه، وهذا كله ما يجعل عدد المسلمين يزداد بسرعة، ونسبتهم ترتفع في الوسط الذين يعيشون فيه.

إن الاتجاه نحو العلم، والاتجاه نحو التصنيع، والاتجاه نحو التجارة، والاتجاه

نحو السياحة يقتضي السفر إلى أمريكا الشمالية، وينتج عن هذا الاحتكاك المتزايد مع سكان تلك الجهات، واللقاء مع المسلمين هناك، وهذا يُؤدّي بدوره إلى التعرّف عليهم، وفي الوقت نفسه العمل على محاولة الدعم والمساعدة في بناء المراكز والمساجد رغبةً أحياناً وللدعاية أحياناً أخرى، ولذا فقد نشط البناء والدفع، ونشط التنظيم، ونشط معه الاتصال بالجهات المساعدة، غير أن هذا النشاط لم يكن يُلازمه دائماً نشاط في العمل والحركية، ونشاط في الالتزام وتمثّل الإسلام عملاً وسلوكاً، وربما كان عملاً مساعداً للتحلّل، أو الإنفاق في غير محله، أو البناء للمساجد والمراكز الإسلامية في غير المكان المناسب، وهذا يُؤدّي بدوره إلى الخلاف بين أعضاء الجمعيات تبعاً للجهات الداعمة فيزيد خلاف المسلمين خلافاً، كما يُؤدّي إلى الخلاف بين الجمعيات والمراكز التي تتلقّى دعماً والتي لا تتلقّى مساعدةً إذ يمرح الأوائل ولا يُقدّمون شيئاً إن لم نقل يُسيئون في أكثر الأحيان، ويُقدّم الآخرون ولا يحصلون على شيء بل أحياناً لا يريدون الحصول إذ لا يرغبون أن يكونوا مطيةً أو أداةً تتحرّك حسب توجيهات من لا يُرضى عن سلوكهم وارتباطهم.

ويُعاني المسلمون في أمريكا الشمالية نفسياً من وجودهم وسط مجتمعٍ حضاريٍ متطورٍ على حين أنهم قادمون من بلادٍ مُتخلّفةٍ إضافةً إلى الوضع الذي هم فيه والذي دفعهم للهجرة، مع ما تأتي به الأخبار مما يحلّ في أوطانهم من نوازل ونكبات بسبب التخلّف والاختلاف، وفي الوقت نفسه فإن السكان ينظرون إلى المسلمين نظرةً خاصةً لما هم فيه سواء أكانوا ملّونين أم قادمين من بلادٍ غير متطوّرة، أم فقراء.

ويُعاني المسلمون في أمريكا الشمالية من توزّعهم في عالمٍ واسعٍ إذ قلما توجد في منطقةٍ جماعة مسلمة كبيرة تتكلّم لغةً واحدةً يمكنها الانطلاق والتفاهم، وإذا وجدت مثل هذه الجماعة في المدن الكبرى فإنها تسكن في

جهاتٍ مُتباعدةٍ يفرض عليها ذلك عملها فلا يمكنها الالتقاء والعمل بالشكل المثمر.

ويُعاني المسلمون في أمريكا الشمالية من التجمّعات العنصرية التي تنشأ من عدم المعرفة الصحيحة للإسلام، ومن اختلاف اللغة في أحسن أحوالها ولكن قد تصل إلى العصبية القومية التي تُؤدّي إلى الخلافات وإلى تقوقع بعض الجماعات على أنفسهم، وتأسيس جمعياتٍ خاصةٍ بهم، وإضافةً إلى العصبيات القومية نرى تجمع الزنوج الأفارقة وحدهم، وإن كانوا في عددٍ من الجمعيات المختلفة أيضاً، والتي يتّهم بعضها بعضاً في العقيدة أحياناً. وإذا وجدت المؤسسات الموحّدة والمنظمة لهذه الجمعيات إلا أن اللقاء يتمّ بين التنظيمات ولم يتعرّض للأفكار إذ يبقى كل سائراً في طريقه.

ويُعاني المسلمون من المسلمين الذين يزورون تلك البلاد، ولم يتمثّلوا الإسلام إذ تُعطي تصرّفاتهم صورةً سيئةً عن المسلمين تُؤيّد الدعاية التي تُروّج ضدّ الإسلام وأهله، على حين يجب أن تكون سليمةً لتمحو الصورة المأخوذة عن المسلمين من أعدائهم.

ويُعاني المسلمون من ضياع بعض المسلمين هناك وسط ذلك المجتمع المادي باسم الحضارة والتقدّم، ومن ارتداد بعضهم عن دينهم وهذا ما يُسهم في حملة الدعاية ضدّ الإسلام، إذ يذكرون أن العقيدة لو كانت صحيحةً لما تركها أهلها، وينسون من يدخل من النصارى في الإسلام، ويتجاهلون أن المصالح كثيراً ما تجعل العامة والجهلة يتركون عقيدتهم، وإن كان الذي يحدث بين المسلمين لا يُعادل واحداً من ألف مما يحدث بين النصارى.

ويُعاني المسلمون من الحرب التي تشنّها اليهودية، والصليبية، والقاديانية، والبهائية، والإسماعيلية، وما تحمله بعضها من أفكارٍ باليةٍ باسم الإسلام أحياناً.

ويُعاني المسلمون من عدم وجود هيئةٍ إسلاميةٍ ذات إمكاناتٍ تدعمها

الأمصار الإسلامية كلها، وتتمثـل الإسلام بشكـلٍ جيـدٍ يُطيعهـا الجميـع لتقيُّدها بالإسلام وسلوكها المنسجم مع المبدأ الذي تدعو له وتعمل من أجله.

وأكثر حلول هذه المشكلات التي يتعرّض لها المسلمون هناك إنما هي بأيدينا، والأمصار الإسلامية مسؤولة مسؤوليةً جماعيةً عن تفاهمها وتقديم ما يجب لتلك الأقليات.

الأقليّات المُسْلِمَة
في
أمريكا الوسْطى

تضيق الأرض بعد أمريكا الشمالية بالاتجاه جنوباً، وهذا يعني أنها لا تحتاج إلى سكانٍ كثيرين كي يعمروها، وبالتالي لا تحتاج إلى مهاجرين زيادةً عما فيها لذا فإن عدد المسلمين فيها قلّة. ويزيد الأمر في عدم الحاجة كثرة دول المنطقة مما يجعلها ضعيفةً لا تتطوّر بسرعةٍ أو بالصورة التي تطوّرت فيها الأجزاء الشمالية من القارة. وفي الوقت نفسه فقد بقيت تابعةً لدولٍ أوربيةٍ أو مستعمرةً لها مدةً طويلةً مما حال دون الأخذ بأساليب العلم والتطوّر إضافةً إلى أن أكثر هذه الدول الأوربية المستعمرة لم تكن مُتقدّمةً وهذا ما زاد في التخلّف.

ولما كانت هذه الدول غير متقدّمةٍ علمياً لذا لم يتجه إليها طلاب العلم من بلاد المسلمين. ولما كانت غير متطوّرةٍ لذا فإن الزيارة إليها للسياحة أو للتجارة قليلة لذا بقيت أعداد المسلمين فيها قلةً، ويعيشون بعيدين عن عيون إخوانهم في الأمصار الإسلامية، وبالتالي فإن المسلمين قد قلّ اهتمامهم بمن يعيش في هذه الجهات من المسلمين. حتى لا يُعرف عدد المسلمين في أكثر هذه الدول، وإنما تقديرات فيها تضارب كبير.

ويُطلق اسم أمريكا الوسطى على الجزء القاري الضيّق الذي يصل بين أمريكا الشمالية والجنوبية، إضافةً إلى الجزر المنتشرة في البحر الكاريبي وخليج المكسيك والتي تُشكّل عدة دولٍ أيضاً، لذا سنأخذ لمحةً عن المسلمين في كل جزءٍ من هذين الجزأين، وفي كلِ وحدةٍ سياسيةٍ من وحداتها.

الجـــزء القـــاري

يشمل هذا الجزء الدول الآتية:

١ً - **المكسيك**: تبلغ مساحتها ١,٩٥٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، وقد فقدت جزءاً كبيراً من أراضيها لصالح الولايات المتحدة عام ١٣٦٧ هـ. وتتألف من ٣٢ مقاطعة، فهي جمهورية اتحادية.

يتزايد عدد سكانها بسرعة، ويمكن معرفة هذه الزيادة من هذا الجدول.

كان عدد سكان المكسيك عام ١٣٧١	٢٦,٢٠٠,٠٠٠
كان عدد سكان المكسيك عام ١٣٩١	٥١,٥٠٠,٠٠٠
أصبح عدد السكان عام ١٤٠٧	٨٠,٠٠٠,٠٠٠

يتكلّم السكان اللغة الإسبانية، وهي اللغة الرسمية، وبجانبها يوجد ٥٦ لهجةً محليةً هندية.

يدين ٩٧٪ من السكان بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي، ويوجد بجانبهم مليون وربع من البروتستانت، كما يوجد ثلاثون ألف يهودي. وقد جُلب أكثر من ربع مليون إفريقي كعبيد إلى المكسيك في القرن الحادي عشر الهجري.

وتعدّ مدينة نيومكسيكو العاصمة أكبر تجمع سكاني في العالم، إذ وصل عدد سكانها إلى ثمانية عشر مليوناً. وتدفّقت كميات كبيرة من النفط عام ١٣٩٢ فتحسّنت أوضاع البلاد الاقتصادية.

تدلّ كثير من المؤشرات إلى وصول الأفارقة المسلمين إلى أرض المكسيك قبل وصول الإسبان إليها بمدةٍ تزيد على القرنين، ولكن أُبيد أكثر هؤلاء، ومن بقي ضاع في المجتمع النصراني الذي نشأ بعد الاستعمار الإسباني.

وجاء مع الاستعمار الإسباني عدد من الموريسكيين (المسلمون الذين قبلوا النصرانية ظاهراً تحت الضغط وأخفوا إسلامهم)، ولكن قُضي عليهم إذ كان يُحرق الواحد منهم حياً عندما يُعرف أمره، ومن بقي انصهر بعد مدةٍ.

ووصل شاميون من لبنان مهاجرين إلى المكسيك في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ونتيجة جهلهم، وانقطاعهم عن بلادهم، وحياتهم متباعدين بعضهم عن بعض ذابوا في المجتمع، وفقدوا شخصيتهم، إذ تزوج أبناؤهم بالنصرانيات ومع الزمن انسلخوا من عقيدتهم.

أسلم عدد من أبناء المكسيك بعد عام ١٣٩٠، ويوجد بعض المسلمين في العاصمة نيو مكسيكو، ولا يزيد عددهم على ١٥ مسلماً، وهناك تجمّع في مدينة توريون من المسلمين اللبنانيين يزيد على المائة مسلم.

وهناك تضارب كبير في عدد المسلمين في المكسيك فبعضهم يعدّهم بالمئات، ومنهم من يجعلهم بضعة آلاف، ومنهم من يصل بهم إلى ما يزيد على المائة ألف، وعلى كل حالٍ فليس لهم أي تنظيم، أو جمعية، أو مسجد، أو نادٍ. ولا أي أثر في الحياة العامة، وكل ما هنالك أن أحد المسلمين أصبح منذ عام ١٤٠٦ يُصدر صحيفة يُطلق عليها اسم (الإسلام)، ويرتبط إصدارها بـه، وبجهده الخاص جزاه الله خيراً. على حين أن النصارى الشاميين اللبنانيين يُصدرون مجلةً شهريةً باللغة العربية والإسبانية تُسمّى (الغربال).

ويلقى المسلمون عنتاً من الصليبية إذ للكنيسة الكاثوليكية سلطة واسعة في المكسيك، ومن اليهودية، ومن فرقة البهائية الضالة التي لها بعض الأتباع هناك.

٢ً - **هوندوراس البريطانية (بليز) :** تبلغ مساحتها ٢٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويُقدّر عدد سكانها بمائتي ألف، عاصمتها مدينة (بليز) التي تضمّ ثلث السكان.

خضعت للاستعمار الإنكليزي عام ١٢٧٩، وأُلحقت بجمايكا، ثم فُصلت عنها عام ١٣٠٢، وحصلت على استقلالها الذاتي عام ١٣٨٣.

وينتمي أكثر السكان إلى أصلٍ إفريقيٍ، ويتكلّمون اللغة الإنكليزية، وهي اللغة الرسمية، أما في مناطق الحدود مع غواتيمالا والمكسيك فيتكلّم السكان اللغة الاسبانية.

يدين ثلثا السكان بالنصرانية الكاثوليكية، والثلث بالنصرانية البروتستانتية.

يوجد في البلاد أكثر من ثلاثة آلاف عربي مُعظمهم من النصارى، أما المسلمون فلا يزيد عددهم على ثلاثمائة مسلم، نصفهم من أصلٍ إفريقيٍ، وربعهم من العرب، والربع الباقي من شعوبٍ ثانيةٍ، وتُقام صلاة الجمعة في مدينة بليز، ولكن ليس لهم أي تنظيم أو جمعية.

٣ً - **غواتيمالا :** وهي كلمة إسبانية مُحرّفة عن العربية (وادي المالح) تبلغ مساحتها ١٠٩,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين، وعاصمتها مدينة غواتيمالا.

يرجع نصف السكان إلى أصولٍ هنديةٍ، ثم تأتي مجموعة تدعى اللاندمينوس وهي هجين من الإسبان والهنود، وهناك أقليات من البيض والزنوج، ولا تزيد نسبة الأوربيين على ٩٪ من مجموع السكان.

يتكلّم السكان اللغة الإسبانية، وهي اللغة الرسمية، وتنتشر بين الشعب أكثر من عشرين لغةً محليةً، ويدين أكثر السكان بالنصرانية الكاثوليكية، وإلى جانبهم مائتا ألف بروتستانتي، وألفا يهودي.

غزا الإسبان غواتيمالا عام ٩٣١ هـ، ولكن حصلت على استقلالها عام ١٢٥٥، وفيها الآن خمس جامعات.

هاجر إليها عدة آلاف من العرب غير أن أكثرهم من النصارى، ويوجد عدد منهم من المسلمين يُقدّرون بمائتي مسلم وهم من الشاميين اللبنانيين والفلسطينيين، وليس لهم أي جمعية أو تنظيم كما لا يجدون أي اهتمام من قبل إخوانهم في الأمصار الإسلامية.

٤ً - **هوندوراس:** تبلغ مساحتها ١١٢,٠٨٨ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها أربعة ملايين ونصف المليون، وعاصمتها مدينة (تيغو سيغالبا).

أغلب السكان من (الميستيزو) الذين هم خليط من البيض والهنود، وهناك عناصر زنجية جُلبت كرقيقٍ للعمل في مزارع الموز. ولا يُشكّل الإسبان أكثر من ١٪ من السكان.

لغة البلاد الرسمية هي الإسبانية، ويتحدّث الزنوج الإنكليزية. ويدين معظم السكان بالنصرانية الكاثوليكية.

احتلّت إسبانيا البلاد عام ٩٠٨ هجرية، ولكنها انفصلت عام ١٢٣٧، وكانت عضواً في اتحاد جمهوريات أمريكا الوسطى، ثم استقلّت عام ١٢٥٤ هـ.

في البلاد ستة آلاف عربي أكثرهم من النصارى، ويوجد بينهم مائة مسلم من الشاميين من سوريا، وفلسطين، ولبنان، وليس لهم أية جمعية أو تنظيم، أو مسجد، كما لم يلقوا أي اهتمام من إخوانهم في الأمصار الإسلامية بل لم يسمعوا بهم.

٥ً - **سان سلفادور:** تبلغ مساحتها ٢١,٣٩٣ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة (سان سلفادور).

أغلب السكان من المستيزو ٧٥٪، و ٢٠٪ من الهنود الحمر، و ٥٪ من البيض.

تدين أكثرية السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ويوجد ١٥٠ ألفاً من البروتستانت و ٣٥٠ من اليهود.

احتلّت اسبانيا البلاد عام ٩٣٢ هـ، وبقيت حتى عام ١٢٥٤ حيث نالت البلاد الاستقلال.

هاجر إلى سان سلفادور ما يزيد على خمسة وعشرين ألفاً من العرب معظمهم من الشاميين الفلسطينيين وخاصةً من بلدة بيت لحم، ويوجد بين هؤلاء المهاجرين ما يزيد على المائة مسلم، ليس لهم أي تنظيم ولا يجدون أي اهتمام.

٦ً - **نيكاراغوا:** تبلغ مساحتها ١٢٧,٦٦٤ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة (ماناغوا).

احتلّت اسبانيا البلاد عام ٩٢٨، واستمرّت في استعمارها لها حتى عام ١٢٣٧، حيث شكّلت مع جاراتها اتحاد جمهوريات أمريكا الوسطى، ثم استقلّت عام ١٢٥٤ هـ.

أغلبية السكان من عنصر المستيزو، ويُشكّل الأوربيون ١٧٪ من مجموع السكان. وتدين الأغلبية بالنصرانية الكاثوليكية، ويوجد بينهم مائة ألف من البروتستانت.

يوجد في نيكاراغوا مائتا مسلم من أصلٍ شاميٍ من لبنان وفلسطين يعيشون على هامش الحياة.

٧ - **كوستاريكا:** تبلغ مساحتها ٥٠,٩٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها مليونين ونصف المليون، وعاصمتها مدينة (سانت جوز).

سيطر عليها الإسبان عام ٩٧١ هـ، وانفصلت عن إسبانيا ضمن اتحاد جمهوريات أمريكا الوسطى عام ١٢٣٧، ثم سيطرت عليها المكسيك عام ١٢٣٩، وأخيراً استقلّت عام ١٢٦٤ هـ.

ينتمي السكان إلى عدة أصولٍ، وترتفع نسبة الإسبان فيها، وعنصر الميستيزو هو الغالب. وتعدّ اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية.

يدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، وهي دين الدولة الرسمي، ويعيش معهم ثمانون ألف نصراني بروتستانت، وألف وخمسمائة من اليهود.

ينتشر الفقر والإدمان على الخمر وبقية المخدرات، وتسود الرذيلة. وتخضع الصحافة للسيطرة اليهودية.

يوجد ما يزيد على مائة مسلمٍ، منهم بعض الفلسطينيين، وأسرة من سنغافورة، ذات مركزٍ ونفوذٍ اقتصادي، وقد حصلت على رخصةٍ لبناء مسجدٍ وجميعةٍ إسلامية. وهناك عدد من الشيعة.

وتُدّرس اللغة العربية في معهد اللغات بجامعة كوستاريكا، ويقوم بتدريسها اثنان من المسلمين الفلسطينيين، أحدهما طبيب، وثالث من كوستاريكا، يعمل لمصلحة المسلمين ضد اليهود.

٨ - **بنما:** تبلغ مساحتها ٧٦,٧٣٨ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها مليونين ونصف المليون، وعاصمتها مدينة (بنما سيتي). وأهمية البلاد تعود إلى القناة التي تصل المحيطين الأطلسي والهادي، والتي تحمل اسم البلاد (قناة بنما).

كانت بنما جزءاً من كولومبيا، ثم انفصلت عنها بسعي من الولايات المتحدة التي لم تستطع التفاهم مع كولومبيا على فتح القناة. وفور الانفصال عام ١٣٢١ تمّ توقيع الاتفاقية لشقّ القناة الذي انتهى عام ١٣٣٣، وسيبقى للولايات المتحدة حقّ الإشراف على القناة حتى عام ١٤٢٠ هـ.

احتلّت اسبانيا منطقة بنما عام ٩٥٨ هـ، واستمرّ هذا الاحتلال حتى عام ١٢٣٧ حيث كانت جزءاً من كولومبيا.

ينتمي ٧١٪ من السكان إلى عنصر الميستيزو، و ١٥٪ يعودون إلى أصولٍ إفريقيةٍ، و ١٢٪ إلى أصولٍ أوربيةٍ أكثرها من الإسبان، و ٢٪ من سكان البلاد الأصليين. وقد وفد إلى البلاد بعض سكان جزر البحر الكاريبي وخاصةً من هايتي.

يدين ٩٠٪ من السكان بالنصرانية الكاثوليكية و ١٠٪ بالنصرانية البروتستانتية، وتوجد قلّة من اليهود تصل إلى الألفين ولكن تسيطر على التجارة والصحافة، وقلة من المسلمين.

ويتكلم السكان اللغة الإسبانية، وهي اللغة الرسمية، وأصبحت الإنكليزية معروفةً وتعدّ اللغة الثانية، ويوجد عدد من العرب يزيد عددهم على الألف أكثرهم من النصارى.

عند حفر قناة بنما وصل إلى البلاد عدد من العمال البنغاليين، وهم من المسلمين، ثم وصلت مجموعة من مسلمي الصين عام ١٣٢٦، وقد بلغ عدد أفرادها خمسمائة مسلم. وقد ذابت هذه المجموعة في المجتمع الذي تعيش فيه إذ نشأ أطفال المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، ولا يرتبطون بأية قيمة، وحاول القاديانيون إيقاع بقايا المسلمين في شركهم عام ١٣٤٨ غير أنهم فشلوا في ذلك.

وأصدرت الكنيسة الكاثوليكية عام ١٣٥٧ قانوناً منعت من هجرة العرب، والأتراك، والهنود، والعناصر السوداء التي لا تتكلّم الإسبانية.

يزيد عدد المسلمين اليوم على ألف وخمسمائة مسلم نصفهم يعود إلى أصلٍ هنديٍ وبنغاليٍ، والنصف الآخر يعود أصلٍ شاميٍ فلسطيني. والهنود حالتهم جيدة إذ هم من التجار وأكثرهم يعود إلى مدينة (سورت) قرب مدينة (بومباي)، وأما الفلسطينيون فهم فقراء يعمل أكثرهم باعةً مُتجوّلين، وقد جاءوا بالأصل سياحةً وتزوجوا فتياتٍ من سكان البلاد ليحصلوا على الجنسية. ويتجمع أكثر المسلمين في العاصمة (بنما سيتي)، وفي مدينة (كولون).

بنما سيتي: أسّس القاديانيون جمعيةً عام ١٣٤٩ وأعطوها اسم الإسلام، وسار معهم المسلمون لجهلهم وعدم معرفتهم بحقيقة القاديانية، وبنوا معبداً عُرف باسم (البعثة التبشيرية الإسلامية).

ويوجد في العاصمة ما يقرب من مائتي شامي أكثرهم من فلسطين وما يقرب من مائتي عائلةٍ مسلمةٍ من الهند، ويُقدّر عدد أبنائها بحوالي سبعمائة شخص، وهم التجار أصحاب اليسار، ويعرفون حقيقة القاديانية إذ أنها من نبات بلادهم، لذا لقد عملوا على تأسيس جمعيةٍ عُرفت باسم (الجمعية السنية لمسلمي الهند في بنما)، وقد استأجرت هذه الجمعية مكاناً لتأدية الصلاة فيه، وذلك عام ١٣٦٦، فلما رأى المسلمون ما حدث تركوا القاديانيين واتجهوا نحو الجمعية الإسلامية، والتي غدا اسمها (الجمعية الإسلامية الهندية ـ الباكستانية) لأن الهند كانت قد تجزأت لذا حملت الجمعية اسم البلدين، ولكن حدث عام ١٣٨٨ خلاف بين أعضاء الجمعية، ثم عادت إلى الظهور عام ١٣٩٣، وانضمّ إليها العرب، وأصبح اسمها (جمعية بنما الإسلامية).

وقد اشترى وجيه تجار الهنود (سليمان بيهيكو) أرضاً، وأقام عليه مسجداً عام ١٤٠١، وتشكّلت جمعية للإشراف عليه عُرفت باسم (مؤسسة جامع بنما)، وتقوم بتعليم أطفال المسلمين في الجامع، وفي مكانٍ مستأجرٍ وسط المدينة، وآخر مستأجر في الضاحية. وتخلّى المسلمون عن جمعية القاديانيين حتى

لم يبق فيها سوى فرد توفي عام ١٣٩١ فآلت أرضها إلى الجمعية الإسلامية. ثم باع المسلمون هذه الأرض، واشتروا مكاناً وسط المدينة، وأقاموا فيه مسجداً ومدرسةً أو مركزاً لهم، وتوحّد المسلمون والتفّوا حول الجمعية، حيث انضمّ الشاميون إليها، وأصبحوا يرسلـون أبنـاءهـم إلى المركـز كـي يتعلّموا مبادىء الإسلام، ويأتون هم لتعليم اللغة العربية.

وإذا كان قد انقرض القاديانيون إلا أن البهائيين قد جاءوا، وبدأ نشاطهم، وأقاموا لهم معبداً في إحدى ضواحي المدينة.

كولون: وتقع في المنطقة الحرة، وتُقيم فيها خمسون عائلةً مسلمةً معظمها من الشاميين من فلسطين ومن البقاع في لبنان بينهم نسبة ضئيلة من الشيعة، كما توجد منها عشر عائلات اعتنقت الإسلام من (بنما). وتأسّست في المدينة جمعية إسلامية عُرفت باسم (المركز الثقافي الإسلامي). وقد اشترى المركز مقرّاً لها يُعدّ مُصلىً، ومكاناً للاجتماع، ومدرسةً للتعليم، وساحةً للرياضة.

وحصل المركز على قطعة أرضٍ مساحتها ٣٥ ألف متر مربع لبناء جامعٍ ومدرسةٍ.

جزر البحر الكاريبي

تنتشر جزر كثيرة في البحر الكاريبي.

ويمكن ملاحظة أربع مجموعات من الجزر هي:

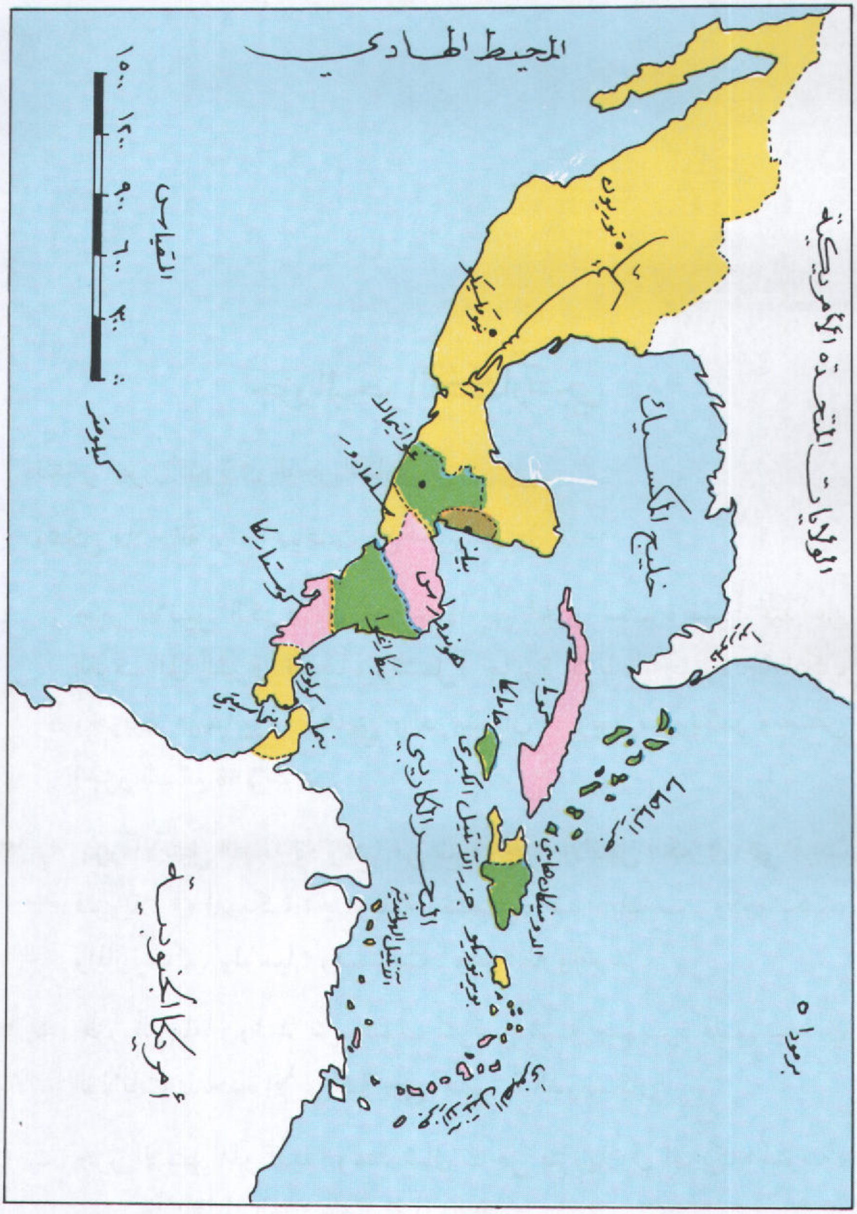
١ ـ جزر الآنتيل الكبرى: وتضم عدداً من الجزر الكبيرة نسبياً تمتد من الغرب إلى الشرق تقريباً، وتشمل: جزيرة كوبا، وجزيرة جامايكا، وجزيرة هيسبانيولا (هايتي والدومنيكان)، وبويرتوريكو وبعض الجزر الصغيرة الأخرى.

٢ ـ جزر الآنتيل الصغيرة: وتمتد من شرق جزر الآنتيل الكبرى حتى قرب فنزويلا في أمريكا الجنوبية وتشمل: غواديلوب، ودومنيكا، والمارتينيك، ولوسيا، وفينسانت، وغرناطة وغيرها.

٣ ـ جزر الباهاما: وتمتدّ من جنوب شرقي شبه جزيرة فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية حتى جمهورية الدومنيكان.

٤ ـ جزر الآنتيل الهولندية: وتمتد شمال ساحل فنزويلا في أمريكا الجنوبية، وهي جزر قليلة العدد، ضئيلة المساحة.

وكل مجموعة تضمّ عدداً من الدول أو الوحدات السياسة، وسنبيّن وضع الأقليات المسلمة في كل جزء ـ إن شاء الله ـ.


المحيط الهادي
الولايات المتحدة الأمريكية
خليج المكسيك
البحر الكاريبي
أمريكا الجنوبية
المقياس
كيلومتر

مصور رقم [٨٣] .

جزر الأنتيل الكبرى

١ - **كوبا**: تبلغ مساحتها ١١٤,٩٢٢ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها حوالي عشرة ملايين، وعاصمتها مدينة (هافانا).

عرفها كولومبوس عام ٨٩٨، واحتلّتها اسبانيا عام ٩١٧، وأبادت سكانها الأصليين، وتدفّق عليها الإسبان، وجلبوا إليها الرقيق من إفريقية، وبقي الاحتلال الإسباني حتى عام ١٣١٦ حيث تدخّلت الولايات المتحدة، وبقيت فيها مدة أربع سنوات، وأعلنت فيها الجمهورية عام ١٣١٩، واستولى باتستا على الحكم عام ١٣٥٢، واستمرّ في حكمه حتى عام ١٣٧٣ حيث سيطر الشيوعيون بزعامة كاسترو.

يتكلّم السكان اللغة الإسبانية، ويدين ٨٠٪ منهم بالنصرانية الكاثوليكية، و١٩٪ بالنصرانية البروتستانتية، ويوجد ألفان من اليهود. وينتمي ٧٣٪ منهم إلى العنصر الأبيض، و٢٧٪ إلى أصل إفريقي.

وصل المسلون إلى كوبا مع المستعمرين الإسبان، إذ كان عدد منهم من الموريسكيين، غير أنهم ذابوا في المجتمع مع الزمن، مع أن أحد ملاحي كريستوف كولومبوس وهو ردريك دي لب قد اعتنق الإسلام عندما رجع إلى إسبانيا رغم وضع المسلمين السيء.

ووصل شاميون في مطلع القرن الرابع عشر هجري، ثم جاء إليها مسلمون من الصين عام ١٣٢٦، ووصل عدد المسلمين عام ١٣٧١ إلى خمسة آلاف مسلم، ثم تراجع هذا العدد بعد السيطرة الشيوعية، ويُقدّر عددهم اليوم بألف مسلم، ولكنهم في طريق الضياع لطبيعة الحكم، والجهل بالإسلام، والبعد عن المسلمين، والإهمال.

٢ً - **جمايكا:** تبلغ مساحتها ١١,٤٢٤ كيلومتراً مربعاً، أي أنها أكبر مساحةً من لبنان بقليل، يقرب عدد سكانها من المليونين ونصف المليون، وعاصمتها مدينة (كينغستون).

وصل إليها كريستوف كولومبس عام ٩٠٠ هـ فأباد سكانها الأصليين، وبقي الاستعمار الإسباني فيها حتى عام ١٠٦٦ حيث حلّ محلّه الاستعمار الإنكليزي الذي استمرّ حتى نالت الاستقلال عام ١٣٨٢ هـ، وأصبحت عضواً في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

ينتمي أغلب السكان إلى أصولٍ إفريقيةٍ جُلبت كرقيق أيام الاستعمار حيث يُشكّلون ٨٥٪ من مجموع السكّان، واستقدم الانكليز عمالاً من شبه القارة الهندية وجنوب شرقي آسيا، وهاجر إليها الصينيون، وانتقل إليها بعض الأوربيين، وهؤلاء جميعاً يُشكّلون ١٥٪.

يتكلّم أكثر السكان اللغة الإنكليزية، وهي اللغة الرسمية في البلاد، وتدين الغالبية بالنصرانية البروتستانتية بشُعبها التي أفقدت الديانة معناها فأُهملت، ويعيش كذلك ما يزيد على مائتي ألف نصراني كاثوليكي في جمايكا، وعشرة آلاف هندوسي، وستمائة يهودي.

جاءت أعداد من المسلمين بين أفواج الرقيق، وكانوا في بداية أمرهم يُؤدّون بعض شعائرهم سرّاً، ويتعلّمون بعض أمور دينهم، غير أن ضغط العمل، وضغط الجلاّدين المستعمرين ومع الزمن انصهر هؤلاء ضمن مجتمع الرقيق، ونسوا ما كانوا عليه.

وعندما جاء الهنود كانت بينهم أعداد من المسلمين أيضاً ضاع معظمهم مع مرور الأيام، ويُقدّر عدد المسلمين اليوم بأكثر من ألف، إذ تنبّه بعضهم فعمل على تنظيم المسلمين بعد أن خفّ الضغط، وتكوّنت جمعية (مسلمي جمايكا) في عام ١٣٧٨. وللمسلمين اليوم مسجد في العاصمة (كينغستون)، ومسجدان في مدينة (اسبانش تاون)، وفي هذه المساجد الثلاثة تعليم لمبادىء الإسلام، وتدريس لأبناء المسلمين.

٣ - **هايتي**: تُشكّل ثلث جزيرة هيسبانيولا الغربي، تبلغ مساحتها ٢٧,٧٥٠ كيلومتراً مربعاً، أي ما يعادل مساحة فلسطين، ويبلغ عدد سكانها سبعة ملايين، وعاصمتها مدينة (بورت او برنس).

وصل إليها كريستوف كولومبوس عام ٨٨٩، وبقيت تحت الاستعمار الاسباني حتى احتلّتها فرنسا عام ١٠٢٦، واضطرت إسبانيا أن تعترف بهذا الاحتلال عام ١١٠٩ هـ، وجاء الفرنسيون بالرقيق من إفريقية، واستقلّت عن الاستعمار الفرنسي عام ١٢١٩ هـ، ولكنها خضعت لحماية الولايات المتحدة عام ١٣٢٣ واستمرّت على ذلك حتى استقلّت عام ١٣٥٣، وكانت أول جمهوريةٍ للأفارقة السود في أمريكا، ويُشكّل هؤلاء غالبية السكان.

يتكلّم السكان اللغة الفرنسية، وهي اللغة الرسمية، إلى جانب لغةٍ خاصةٍ بهم تُسمّى (الكريول)، وهي إحدى لغات غربي إفريقية. وتدين غالبية السكان بالنصرانية الكاثوليكية، كما تنتشر بعض الوثنيات الإفريقية.

كان أكثر الرقيق الذي حمل إلى هايتي من المسلمين من غربي إفريقية حيث الغالبية السكانية مسلمة، وحيث السيطرة للاستعمار الفرنسي، وإن الشدّة قد أنست الكثير إسلامهم مع الجهل الذي كان موجوداً، وقد قاد أحدهم وهو (ماكندال) وأصله من قبائل مالي (الماندينغ) ثورة ضدّ الفرنسيين عام ١١٧٢، فأحرقه الفرنسيون حياً عندما تمكّنوا منه. ومع الزمن ضاع المسلمون

هناك، ثم بدأت الآن أحفادهم تعود إليه، ويُقدّر عدد المسلمين اليوم في (هايتي) بألف مسلم، ولكن لا تنظيم لهم ولا رابط يجمعهم.

٤ً - **الدومنيكان:** تشغل الجزء الأكبر والشرقي من جزيرة هيسبانيولا، تبلغ مساحتها ٤٤,٤٤٢ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ستة ملايين ونصف المليون، وعاصمتها مدينة (سانت دومينكو).

وصل كريستوف كولومبوس إلى جزيرة هيسبانيولا عام ٨٩٨، وترك ابنه والياً عليها، وبقيت تحت الاستعمار الإسباني حتى عام ١٢١٠ حيث حلّ محله الاستعمار الفرنسي، غير أن السكان قد ثاروا في القسم الشرقي على المستعمرين عام ١٢٢٤ وشكّلوا حكومةً فعادت إسبانيا واحتلّت ذلك القسم الذي عُرف باسم الدومنيكان، غير أنها حصلت على استقلالها عام ١٢٦٠ بعد أن سيطرت عليها هايتي مدة عشرين سنة، ثم احتلّتها البحرية الأمريكية عام ١٣٣٤ حتى عام ١٣٤٢ حيث استقلّت بعدها.

ينتمي ١٥٪ من السكان إلى أصولٍ إفريقيةٍ، ومثلهم إلى أصولٍ إسبانيةٍ و١٠٪ هنود أمريكيون و٥٪ أوربيون و٥٥٪ من أصولٍ مختلفةٍ أغلبها خليط من الأوربيين والزنوج. ويدين معظم السكان بالنصرانية الكاثوليكية مع ١٥٠ ألف من النصارى البروتستانت.

وصل المسلمون الأندلسيون إلى جزيرة هيسبانيولا في القرن العاشر تجاراً وفارين من الاضطهاد الصليبي الإسباني، وأظهروا هناك دينهم، غير ان الكاردينال سيسنيروس أرسل عام ٩٢٣ مبعوثاً إلى الدومنيكان لإقامة محاكم التفتيش هناك ضدّ المسلمين. إلاّ أن الهجرة الإسلامية قد تتابعت، فأصدرت ملكة اسبانيا قراراً عام ٩٣٨ تمنع فيه هجرة المسلمين أو من هم من أصولٍ إسلاميةٍ حتى ولو كانوا عبيداً أو على الدين النصراني ظاهراً. وفي عام ٩٥٠ أصدر طاغية الإسبان كارلوس الخامس أمراً بطرد المسلمين المقيمين في أمريكا أحراراً كانوا أم عبيداً، وحدّد غرامةً قدرها عشرة آلاف

دينار مرابطي لكل من يُخالف هذا الأمر. ورغم كل هذه القوانين الجائرة لم يُقض على الإسلام في الجزيرة، بل نجح المسلمون في نشره بين أهل البلاد الأصليين إذ أصدر ملك الإسبان أمراً لحاكم الجزيرة نصه ما يلي: «نخبركم أن المغاربة (أي المسلمين) إذا كانوا كذلك ديناً أو أصلاً أو علّموا العقائد الإسلامية لغيرهم أو حاربوكم أو حاربوا الهنود الحمر الذين هم تحت حكمكم فإن لكم الحق في أن تستعبدوهم. أما المسلمون بين الهنود الحمر الذين اعتنقوا الإسلام فلا تستعبدوهم بأي حالٍ من الأحوال، وبالعكس حاولوا أن تغيّروا دينهم بالإقناع وبالطرق الشرعية حتى يقبلوا عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة»[1] ولقد وصل رعب الإسبان من المسلمين إلى درجةٍ أنهم خافوا من غزوٍ عثمانيٍ على مستعمراتهم الأمريكية عام ١٠٧٠ هـ. وقد ذاب المسلمون في القرن الحادي عشر الهجري من الدومنيكان.

وقد وصل بعض الشاميين المسلمين في مطلع القرن الرابع عشر الهجري إلى الجزيرة، ويوجد اليوم ما يزيد على المائة، ولكن لا تنظيم لهم، ولا معرفة عندهم، ولا اهتمام بهم.

٥ً - **بويرتوريكو:** تبلغ مساحتها ٨,٨٩٦ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة سان جوان.

عرف كريستوف كولومبوس الجزيرة عام ٨٩٩، واحتلّتها إسبانيا عام ٩١٤ وأبادت السكان الأصليين، وجلبت أعداداً من الأفارقة كرقيقٍ للعمل في الأرض، واستمرّ الاستعمار الإسباني حتى خلفته الولايات المتحدة عام ١٣١٦ كمستعمرةٍ جديدةٍ، وحصلت الجزيرة على استقلالها عام ١٣٧٢، ولكنها بقيت في شبه اتحاد مع مستعمرتها السابقة.

---

(١) المسلمون في أوربا وأمريكا ـ علي المنتصر الكتاني ـ المجلد الثاني ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

يدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ومعهم ثلاثمائة ألف من النصارى البروتستانت، وألف من اليهود. واللغة الرسمية هي الإنكليزية مع أن الإسبانية لا تزال لها جذور بين السكان.

وأكثرية السكان خليط من الإسبان والأفارقة مع أقليةٍ من الهنود الحمر، والأمريكيين. وهاجرت إلى البلاد جماعة من بلاد الشام من فلسطين ولبنان تشكل الأقلية المسلمة جزءاً منهم، ويُقدّر عدد المسلمين بأكثر من ألفي مسلم يُؤلّف الشاميون معظمهم، وقد حصلوا على الجنسية الأمريكية كأغلب السكان.

وهم ١,٦٠٠ من فلسطين. وهم جميع الفلسطينيين إذ لا يوجد بينهم نصارى.

٣٠٠ من لبنان. يوجد غيرهم من لبنان ولكنهم نصارى.

١٠٠ من جنسيات أخرى.

يعمل أكثر المسلمين تجاراً غير أن بعضهم أصحاب محلاتٍ وعندهم ثروات، وبعضهم باعة متجولون، حالتهم المادية غير حسنة. ويوجد أستاذان مسلمان في الجامعة أحدهما مصري والآخر مغربي.

يُقيم أكثر المسلمين في العاصمة سان جوان، ثم في مدن بونسي، أرسيبو، ريوبدراس.

وقد أهملوا أنفسهم إسلامياً، وأهملوا تعليم أبنائهم لذا فهم سائرون في طريق الضياع إذ غيّر بعضهم أسماءهم إلى أسماء نصرانية، وأباح بعضهم الزواج المختلط، فزوّجوا بناتهم للنصارى. ويتزوجون في الكنائس ولكنهم نظموا أنفسهم على أساسِ العصبية العربية فأسّسوا نادياً باسم «النادي العربي الثقافي» في ضاحية العاصمة في بلدة ريوبدراس عام ١٣٨٧، وتطوّع أربعة لتعليم اللغة العربية، ولكن لم يلبثوا أن اختلفوا عام ١٣٩٢ على أساسٍ سياسي، وأهمل النادي أخيراً عام ١٣٩٤.

فتح العرب نادياً آخر في مدينة أرسيبو ثم اختلفوا بعد عدة سنوات.

ولا توجد أية مؤسسة إسلامية أو مسجد رغم استعداد بعضهم لبناء مسجد وعنده الإمكانات الكافية، كما أن الحكومة مستعدة لتقديم قطعة أرض لإقامة البناء عليها.

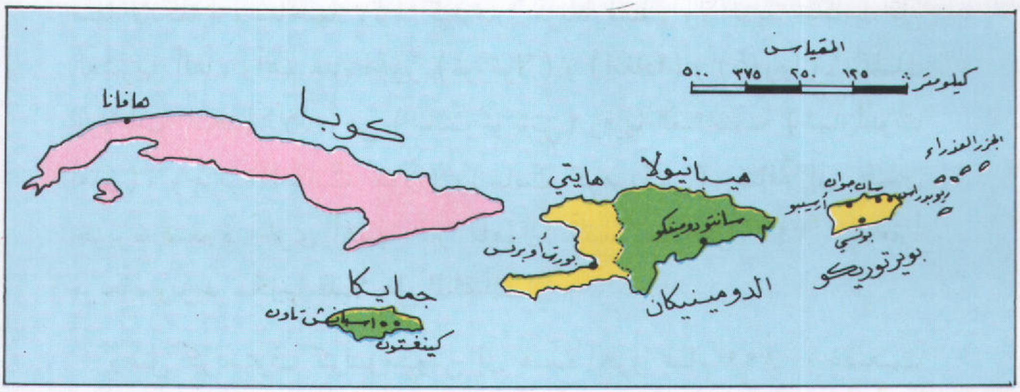
٦ - **الجزر العذراء**: مجموعة من الجزر الكثيرة تقع إلى الشرق من جزيرة بويرتوريكو بأربعين كيلومتراً منها تسع جزر كبيرة نسبياً تخضع ست منها لانكلترا ومساحتها ١٥٢ كيلومتراً مربعاً فقط، ولا يزيد سكانها على العشرين ألفاً، وأهم هذه الجزر (تورتولا) و (انغادا) و (غوروا)، وتملك الولايات المتحدة ثلاثاً وهي (سانت توماس) وفيها العاصمة (شارلوت أمالي)، وجزيرة (سانت جون) و(سانت كرمريكس) إضافةً إلى خمسين جزيرة صغيرة أخرى أغلبها غير مأهول. وتبلغ مساحتها ٣٤٥ كيلومتراً مربعاً، ويزيد سكانها قليلاً على المائة ألف.

وصل كريستوف كولومبوس إلى هذه الجزر عام ٨٩٩، وخضعت للاستعمار الإسباني، غير أن انكلترا سيطرت على جزء منها عام ١٠٧٧ هـ، كما استولت الدانمارك على ثلاثٍ منها ثم باعتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٣٦.

ينتمي ثلاثة أرباع السكان إلى أصولٍ إفريقيةٍ كانت قد جلبتهم إسبانيا كرقيقٍ أثناء استعمارها للجزر، والباقي خليط من الإسبان والأفارقة مع بعض الأوربيين والأمريكان. ويدينون بالنصرانية الكاثوليكية والبروتستانتية.

وقد انقرض المسلمون الذين جاءوا في المرحلة الأولى من إسبانيا كموريسكيين، إذ ظنّوا أنهم سيجدوون مخرجاً لهم لما يُعانون في الأندلس تحت سيطرة الإسبان فوجدوا الأمر نفسه، فقُتل من قُتل، وأُحرق حياً من أُحرق، وبقي يكتم إيمانه بعضهم غير أن الأجيال التالية قد ضاعت ثم ذابت.

وجاء في العصر الحديث بعض التجار الشاميين، ورجع بعض الأفارقة إلى الإسلام، وأصبح عدد الجالية الإسلامية ألفين وثلاثمائة مسلم، وهو ما يُعادل ٢٪ من مجموع السكان، وقد نظمّوا أنفسهم حديثاً فألفوا (الجمعية الإسلامية العالمية للجزر العذراء)، ولا يلقون أي اهتمامٍ من إخوانهم في الأمصار الإسلامية.



مصور رقم [٨٤].

جـزر الآنـتيل الصغرى

وهي مجموعة جزرٍ صغيرةٍ كثيرة العـدد أكبرهـا واديلـوب، دومنيكـا، والمارتينيك، وسانت لوشيا، وسانت فينسنت، وغرناطة، وتمتدّ من الشمال إلى الجنوب، وتسدّ البحر الكاريبي تقريباً، أو تصل بين جزر الآنتيل الكبرى وساحل فنزويلا، وإلى الشرق منها تقع جزيرة بربادوس.

بعض هذه الجزر كان يتبع انكلترا، وبعضها يلحق بفرنسا، وكل من القسمين يُنسب إلى الدولة التي كان يرتبط بها وإن أخذت أجزاؤه استقلالها الذاتي، وربما حمل اسم الجزيرة الكبرى، وللسهولة نُنظمُها في مجموعتين مع بعض الجزر التي لها صفة الاستقلالية.

الجزر الفرنسية: وهما جزيرتان مع ما يتبعهما من جزر صغرى:

٢ ـ مارتينيك: وتبلغ مساحتها ١,١١٠ كيلومترات مربعة، ويقلّ عدد سكانها أيضاً عن خمسمائة ألف، وعاصمتها مدينة (فورت دي فرانس).

احتلّ الفرنسيون هذه الجزر عام ١٠٤٥، وجلبوا إليها أعداداً كبيرة من الإفريقيين كعنصر رقيق لإعمار الأرض، ويُشكّل هؤلاء الأفارقة معظم السكان.

يُقيم في هذه الجزر بعض المغاربة المسلمين الذين يأتون للعمل بصورةٍ موقتةٍ، وليس لديهم أي تنظيم أو الأثر الإسلامي.

الجزر الإنكليزية: وهي جزر كثيرة بعضها حصل على استقلاله الذاتي، وبعضها لا يزال مُستعمراً، وأهم جزر القسم الأول:

١ - انتيغوا: وتقع شمال الجزر الفرنسية، وتبلغ مساحتها ٤٤٢ كيلومتراً مربعاً، ويقل سكانها عن المائة ألف، وعاصمتها (سانت جونز).

٢ - سان كيتس: وتبلغ مساحتها ٢٥٩ كيلومتراً مربعاً، ويقلّ سكانها عن ثمانين ألفاً، وعاصمتها مدينة (باستير).

٣ - دومنيكا: وتبلغ مساحتها ٧٥١ كيلومتراً مربعاً، ويقل عدد سكانها عن المائة ألف، وعاصمتها مدينة (ماليغوت).

٤ - سان لوشيا: وتبلغ مساحتها ٦١٦ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها مائةً وخمسين ألفاً، وعاصمتها مدينة (كروس ايسلت).

٥ - سانت فينسنت: وتبلغ مساحتها ٣٨٨ كيلومتراً مربعاً. ويبلغ عدد سكانها مائةً وعشرين ألفاً، وعاصمتها مدينة (كينغستاون).

أما القسم الثاني وهو الجزر التي لا تزال مستعمرات فأهمها.

١ - **باربودا:** وهي جزيرة تقع في الشمال بالقرب من الجزر العذراء، وتبلغ مساحتها ٢٥٠ كيلومتراً مربعاً، ولا يزيد عدد سكانها على الستين ألفاً، وعاصمتها مدينة (كودريغتا).

٢ - **مونت سيرّات:** وتبلغ مساحتها ٨٣ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها عشرين ألفاً، وعاصمتها مدينة (بلايموث).

٣ - **نيفيس:** وتبلغ مساحتها ٨٠ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها عشرين ألفاً، وعاصمتها (شارلستون).

ويمكن أن نضيف إليها جزيرة برمودا التي تقع شرق الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الأطلسي مقابل ولاية كارولينا وعلى بعد ١١٠٠ كيلومتر منها. تبلغ مساحة هذه الجزيرة ٥٤ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها مائة ألف، وعاصمتها مدينة هاملتون.

لقد اعتنق بعض سكان هذه الجزر الإسلام عن طريق هجرتهم إلى الولايات المتحدة أو إلى انكلترا، ويُقدّر عدد المسلمين فيها بالمئات، ويوجد مسجد في جزيرة (برمودا) يدعى (مسجد محمد).

غرينادا (غرناطة): تبلغ مساحتها ٣١١ كيلومتراً مربعاً، وتتبعها بعض الجزر الصغيرة التي تصل مساحتها إلى ٣٣ كيلومتراً مربعاً فتكون مساحة الدولة ٣٤٤ كيلومتراً مربعاً. ويبلغ عدد سكانها ١٢٠ ألفاً. وعاصمتها مدينة (سان جورج).

خضعت للسيطرة الفرنسية، ثم آل أمرها عام ١١٧٦ هـ إلى الإنكليز، وبقيت بيدهم حتى حصلت على الاستقلال الذاتي عام ١٣٨٧، ثم أصبحت مستقلةً ضمن دول رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) عام ١٣٩٤.

ينتمي أغلب السكان إلى مجموعة الزنوج الإفريقيين، و١١٪ من المولدين من تزاوج العناصر الفرنسية والإفريقية، و٥٪ من الهنود الأمريكيين. ولغة البلاد الرسمية هي الإنكليزية.

يدين السكان بالنصرانية، ويعيش بينهم مائتان وعشرون مسلماً، أكثرهم من أصلٍ إفريقي عادوا إلى الإسلام، وبعضهم من الهنود الأمريكيين، ويقوم البلاليون بنشاطٍ في غرينادا ولهم المؤسسة الإسلامية.

بربادوس: جزيرة تبلغ مساحتها ٤٣٠ كيلومتراً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على ثلاثمائة وعشرين ألفاً، وعاصمتها مدينة (بريدج تاون).

احتلّ الإسبان الجزيرة، وأبادوا سكانها الأصليين بدءاً من نزولهم فيها عام ٩٢٥ هـ، وجاءها البرتغاليون عام ٩٤٣، ثم خضعت للسيطرة الإنكليزية عام ١٠٣٨، فاستقدم الإنكليز الأفارقة الزنوج كرقيقٍ للعمل في الجزيرة، كما هاجر إليها الإنكليز أنفسهم، وفي القرن الرابع عشر الهجري استقدم الإنكليز العمال من شبه القارة الهندية للعمل في مزارع قصب السكر، وبين هؤلاء العمال نسبة من المسلمين.

٩٠٪ من السكان يعودون إلى أصولٍ إفريقية، والباقي من العناصر المولّدة والآسيويين. ويتكلّم السكان اللغة الإنكليزية، وهي اللغة الرسمية، ويدين أكثرهم بالنصرانية البروتستانتية، وبينهم أكثر من ١٢٠٠ مسلم.

أسّس المسلمون جمعية أهل السنة والجماعة (الآسجاه)، ونقابة الدعاة (الغيلد). وبنوا مركزاً إسلامياً عام ١٣٩٧ هـ، وتقام فيه صلاة الجمعة والجماعة، وتُعطى الدروس لتعليم اللغة العربية، والقرآن الكريم.

وفي الجزيرة ثلاثة مساجد وتلحق بها كتاتيب لتعليم اللغة العربية، والقرآن الكريم، ومبادىء الإسلام.

ويُذاع يوم الأحد من الإذاعة برنامج إسلامي.


باربودا
سان كيتس
نيفيس
أنتيغوا
مونت سيرات
واديلوب
دومينيكا
مارتينيك
سان لوشيا
سانت فينسنت
بربادوس
بريدج تاون
غرينادا
سانت جورج
جزر آنتيل الصغرى
المقياس
١٦٥ ١١٠ ٥٥
كيلومتر

مصور رقم [٨٥] .

الآنتيل الهولندية

وهي مجموعة جزر قسم منها قريب من ساحل فنزويلا وهي ثلاث جزر: كورساو، وبونير، وأروبا. وقسم يقع إلى الشمال الغربي من القسم الأول، وعلى بُعد تسعمائة كيلومتر منه في شمال جزر الآنتيل الصغرى، وشرق جزيرة بويرتوريكو وهي: ثلاث جزر غير أنها صغيرة. وهي: سان أوستاشيو، وسبا، ثلث جزيرة سان مارتن، والقسم الباقي من هذه الجزيرة يتبع واديلوب الفرنسية. تبلغ مساحتها جميعها ١٠٢٠ كيلومتراً مربعاً، وتتوزّع المساحة على الشكل التالي:

جزيرة كورساو	٤٦١ كيلومتراً مربعاً
جزيرة بونير	٢٩٠ كيلومتراً مربعاً
جزيرة أروبا	١٨٤ كيلومتراً مربعاً
جزيرة الجزر الشمالية	٨٥ كيلومتراً مربعاً
	١٠٢٠ كيلومتراً مربعاً.

ولا يزيد عدد سكانها على ربع مليون نسمة. وعاصمتها مدينة ويلمستاد الواقعة في جزيرة كورساو.

عرف الإسبان هذه الجزر عام ٩٠٥ هـ، وفرضوا سيطرتهم عليها، وبقوا

فيها حتى نزل الهولنديون فيها، وبدؤوا باحتلالها عام ١٠٤٤، وتمت سيطرتهم عليها عام ١٢٣١، واستمرّوا فيها حتى عام ١٣٧٤ حيث حصلت على الاستقلال، وتمّ اتحاد بينها وبين سورينام مع هولندا.

عمل المستعمرون سواء أكانوا من الإسبان أم من الهولنديين بالقضاء على السكان الأصليين تدريجياً منذ وصولهم إليها حتى عام ١٢٦٥، وما جاء عام ١٢٦٦ ويوجد إنسان من السكان الأصليين، وكان المستعمرون يجلبون الرقيق من إفريقية، ويُشكّل أحفادهم اليوم ٨٠٪ من مجموع السكان، والباقي وهو ٢٠٪ من المهاجرين الأوربيين والأمريكان.

يتكلّم سكان الجزر الشمالية اللغة الإنكليزية، أما سكان الجزر الجنوبية فيتكلمون لغةً مزيجةً من الإسبانية والبرتغالية والهولندية تُعرف بلغة (بابامياتو). وتدين الأغلبية بالنصرانية ويوجد بينهم ألف من اليهود، ولهم معبدان أحدهم في جزيرة (أروبا) والآخر في جزيرة كورساو، كما يوجد ألفا مسلم. ومعظم اليهود من أصلٍ أندلسي.

هاجر إليها الشاميون، منهم النصارى من لبنان ولهم نفوذ كبير في الحياة الاقتصادية والسياسية، ومنهم المسلمون وأكثرهم من مدينة طرابلس الشام، ويُشكّل هؤلاء المسلمون نصف مسلمي البلاد، أما النصف الباقي فهو من الهند وباكستان، ويُقيم أكثرهم في الجزر الشمالية، وهناك الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام أو رجعوا إليه، وقد اعترفت الدولة رسمياً بالدين الإسلامي، غير أنها لا تقدّم للمسلمين ما تُقدّمه من مساعدات لأصحاب الديانتين النصرانية واليهودية من رواتب للأئمة ، مدرسي الدين.

وقد تنصرّت أعداد من المسلمين الذين هاجر أجدادهم إلى تلك الديار إذ أضاعوا عقيدتهم تدريجياً مع الزمن حتى انتهت فتنصروا، غير أنه في الوقت نفسه أقبلت أعداد أُخرى من الأفارقة السود نحو الإسلام أو عادوا إليه.

تأسست جمعية إسلامية عام ١٣٨٤ في العاصمة ويلمستاد، وفي العام نفسه

قامت ببناء مسجد، غير أنه حدثت حركة تمرّد في البلاد عام ١٣٨٩ أتت على الكثير من أملاك المسلمين ومحلاتهم، فأدّى ذلك إلى ضعف الحالة المادية عندهم، ولم يتمكّنوا من تأدية رواتب لإمام المسجد فبقي ذلك العام دون إمام.

وتعمل الجمعية حالياً على إقامة مدرسة لتعليم أبناء المسلمين اللغة العربية ومبادىء الإسلام كي تحميهم من التحديات الكبيرة التي تُواجههم والتي تتمثّل في اليهودية والصليبية.

جزر الباهاما

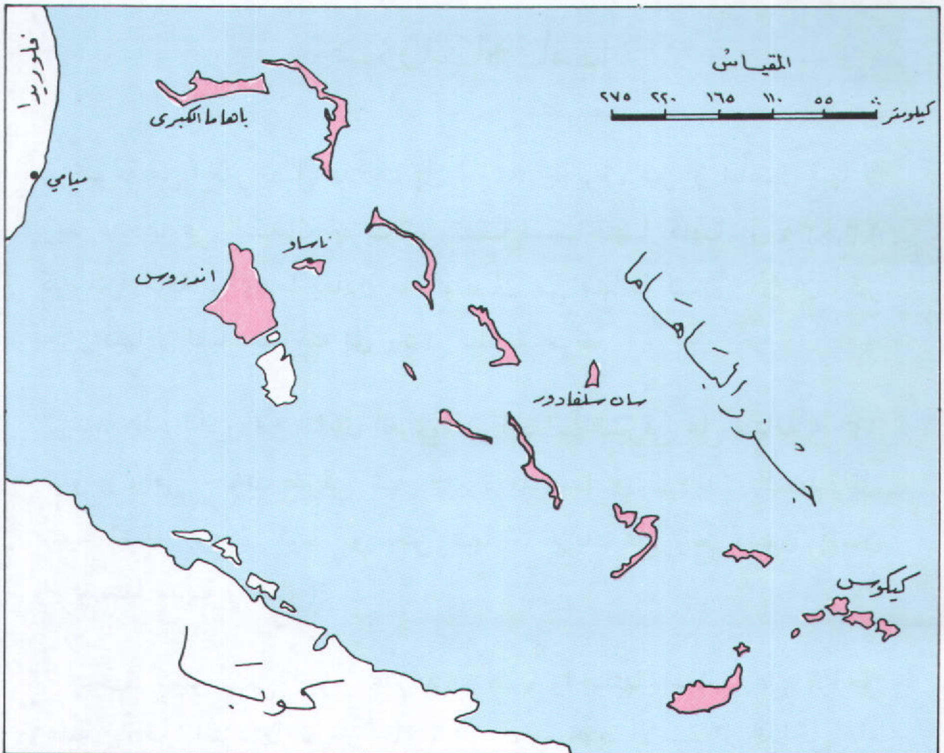
مجموعة من الجزر يصل عددهم إلى ٣٠٠٠ جزيرة، غير ان المأهول فيها لا يزيد عددها على السبعمائة جزيرة، وتصل مساحتها كلها إلى ١٣,٩٣٨ كيلومتراً مربعاً، أي ما يُعادل مرة ونصف من مساحة لبنان. إلا أن أكبر الجزر فيها لا تصل مساحته إلى ١٥٠ كيلومتر مربعاً.

تمتدّ هذه الجزر من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي على مسافة ١٣٠٠ كيلومتر، من جنوب شرقي شبه جزيرة فلوريدا في الولايات المتحدة إلى قرب شرق جزيرة كوبا. ويسكن فيها ما يزيد على ربع مليون إنسان وعاصمتها مدينة (ناساو).

عرف كولومبوس الجزر عام ٨٩٨ هـ، واحتلّتها إسبانيا على مراحل زمنيةٍ. وأخيراً انتزعتها انكلترا عام ١١٢٩، ومنحتها الاستقلال الداخلي عام ١٣٨٤، وأعطتها الاستقلال عام ١٣٩٣، وأصبحت عضواً في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث). وكانت في الماضي أهم مراكز بيع الرقيق.

ينتمي ٨٥٪ من السكان إلى أصولٍ إفريقيةٍ سوداء، و١٥٪ إلى المهاجرين من انكلترا، وكندا، وأمريكا. وتدين أكثرية السكان بالنصرانية البروتستانتية مع وجود أقليةٍ من النصارى الكاثوليك.

يُقدّر عدد المسلمين بثلاثمائة مسلمٍ معظمهم من الإفريقيين السود الذين عادوا إلى الإسلام، ويقوم البلاليون بنشاط بينهم، وقد أقاموا عدة مساجد وهيئاتٍ إسلاميةٍ.



مصور رقم [٨٦].

الجزء القاري:

	عدد المسلمين	عدد السكان
١ - المكسيك	٥٠٠٠	٨٠,٠٠٠,٠٠٠
٢ - بيلز	٣٠٠	٢٠٠,٠٠٠
٣ - غواتيمالا	٢٠٠	٨,٠٠٠,٠٠٠
٤ - هوندوراس	١٠٠	٤,٥٠٠,٠٠٠
٥ - سلفادور	١٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠
٦ - نيكاراغوا	٢٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠
٧ - كوستاريكا	١٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
٨ - بنما	١٥٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
	٧٥٠٠	١٠٦,٧٠٠,٠٠٠

جزر البحر الكاريبي

أ - جزر الآنتيل الكبرى:

١ - كوبا	١,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠
٢ - جمايكا	١٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
٣ - هايتي	١,٠٠٠	٧,٠٠٠,٠٠٠
٤ - الدومينيكان	١٠٠	٦,٥٠٠,٠٠٠
٥ - بويرتوريكو	٢,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠
٦ - الجزر العذراء	٢,٣٠٠	١٢٠,٠٠٠
	١٦,٤٠٠	٢٠,٦٢٠,٠٠٠

ب - جزر الآنتيل الصغرى:

الجزر الفرنسية	٢٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
الجزر الإنكليزية	٤٠٠	٧٥٠,٠٠٠
غرينادا	٢٢٠	١٢٠,٠٠٠
بربادوس	١٢٠٠	٣٢٠,٠٠٠
	٢٠٢٠	٢٢,٨١٠,٠٠٠

	عدد المسلمين	عدد السكان
ج - جزر الآنتيل الهولندية	٢,٠٠٠	٢٥٠,٠٠٠
د - جزر الباهاما	٣٠٠	٢٥٠,٠٠٠
	٢,٣٠٠	٥٠٠,٠٠٠

وبذا يكـون عـدد سكـان أمـريكـا الوسطـى وجـزر البحـر الكـاريبي ١٥٠,٦٣٠,٠٠٠ نسمة.

ويكون عدد المسلمين في هذه المنطقة ٢٨,٢٢٠ مسلماً.

وتكون نسبة المسلمين أقل من ٢ بالألف.

مع الأقليات المسلمة في أمريكا الوسطى

يعيش في أمريكا الوسطى وجزر البحر الكاريبي أكثر من ثمانية وعشرين ألف مسلم تسير بهم عجلة الزمن نحو الضياع لإهمال إخوانهم في الأمصار الإسلامية لهم حيث يتفاعلون مع المجتمع الذي يعيشون فيه تدريجياً فيذوبون شيئاً فشيئاً، إذ لا يملكون المقاومة وليس لديهم المناعة، يتحلّلون من العقيدة فكرة بعد فكرة ومسلكاً بعد مسلك، لا يتلقّون شحنات جديدة من الإيمان ولا ترفدهم عناصر مُشجّعة تحدّ من انحدارهم وتقف أمام انجرافهم في خضم التيار المادي الضاغط. وذلك لأسباب:

إن الأرض التي يحيون عليها ضيقة لا تستدعي إقبال مجموعات من البشر نحوها لإعمارها والعمل فيها كما هي الحال في أمريكا الشمالية أو الجنوبية، لذا فهي تكاد تقتصر على أبنائها الذي وصلوا إليها في السابق إن لم نقل: إن جماعات من أهلها ينطلقون منها يبتغون معايش أخرى في الأرض.

وإن بلادهم ليست متطوّرة لدرجةٍ تجذب إليها طلاب العلم من البلاد المتخلّفة عنها، والأمصار الإسلامية ـ مع الأسف ـ اليوم هي الشعوب المتخلّفة فلا يأتي منها إلى هذه البلاد عناصر فتية بإسلامها تُشجّع من هرم من إخوانها.

وإن بلادهم ليست صناعيةً تستقدم التجار والفنيين، وتستقدم السوّاح والزوار... فكل ما فيها يجعلها مقتصرةً على ما فيها من مسلمين، وربما تصل إليها وفود بعض المؤسسات والهيئات الإسلامية للتعرّف فيستقبلهم المسلمون هناك ويطرحون لهم مشكلاتهم، ويظنون أن الفرج قد جاء، وأن الحيوية قد عادت تدبّ في الأمصار الإسلامية، ويعود الوفد إلى بلده فيكتب التقرير المطلوب منه، فينام ويغطّ الناس في نومهم أيضاً، وتتكرر الوفود وكلما جاء وفد ابتعد الأمل وزاد اليأس، وأُضيف تقرير إلى تقرير، وأضاف السكان ظنّـاً سيئاً إلى ظنونهم السابقة... حتى غدوا لا يحبون طرح مشكلاتهم إذ تعوّدوا على معرفة النتائج... والمشكلة أن المسلمين في تلك الجهات يُعاملون معاملة فيها كثير من التمييز بينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى من نصارى ويهود، ويجدون تحدّيات عنيفة من أصحاب تلك الديانات ومن البهائيين والقاديانيين وفي الوقت نفسه لا يجدون أي دعم من قبل إخوانهم في الأمصار الإسلامية، فعقيدتهم سبب ما يتحملون لذا يتساهل كل جيلٍ في أمر دينه عن الجيل الذي سبقه حتى...

كان على المسلمين أصحاب الإمكانات والمسؤولية في أي جهة كانوا أن يدركوا هذا ويعطوه حقّ قدره إن كانوا يُؤمنون بالله ورسوله، ويعملون من أجل دينهم، لقد ذاب مسلمون سابقـون في هـذه البلاد، كـانـوا أكثر إيمانـاً وأكثر صلابة... لقد أخفوا دينهم في الأندلس عندما تسلّط عليهم النصارى وأظهروا النصرانية، وانتقلوا إلى الأرض الجديدة كي يُمكنهم أن يُحافظوا على دينهم، وأن يُؤدّوا شعائرهم، وهم على علم أن الموت يُلاحقهم إن عُرف منهم ذلك، فاستُشهد منهم من استُشهد، بعضهم أُحرق حيّاً، وبعضهم قُتل، وبعضهم استُعبد، وبعضهم لُوحق وشُرّد، وبعضهم من بقي يكتم إيمانه، وينقله إلى أبنائه وأحفاده ويُعلّمهم مبادئه ومع ذلك فقد ذابوا في بوتقة الزمن وكانت الأيام كفيلةً لأن تفعل ما لم يتمكّن البشر على فعله، وسيذوب هؤلاء إن لم يتدارك الأمر أهلُه.

إن أعداء الإسلام يُسرّون عندما يـرون أن المسلمين كـانـوا يـركبـون الصعاب فيما لو أُصيب مسلم بمكروه واليوم ليس عندهـم مـن استعـدادٍ لأن يتركوا ما هم فيه من النعيم أو أن ينزلوا عما يمتطونه من سهل ولو أطبقت مصائب الدنيا على المسلمين جميعاً وهنا يشعر الأعداء أنهم قد اقتربوا من النتائج التي يعملون لها ويسعون للوصول إليها.

إن المنصفين ولو كانوا من غير المسلمين لو تخلّوا عن حقدهم لبكوا دماً مما آل إليه أمر هذه العصبة من المؤمنين، لقد كشّر أعداؤهم الأنياب عليهم، وبدؤوا بتمزيقهم وتخلّى إخوانهم عنهم... ثم يُريـدون منهـم الثبـات والصبر وإنا لنرجو أن يكون الايمان سلاحهم، والصبر عدتهم، وأن يُغيّر همة المؤسسات والهيئات الإسلامية وأصحاب الإمكانات والمسؤولية.

الأقليّات المُسْلِمَة في أمريكا الجنوبيّة

تتسع الأرض في أمريكا الجنوبية فهي بحاجةٍ إلى أعدادٍ وفيرةٍ من البشر لإعمارها وقد وفد عليها المهاجرون، وكان بينهم جماعات من المسلمين. وإذا كانت البلاد قد بقيت مستعمرةً من قبل دولٍ غير متطوّرة لذا لم تتقدّم كثيراً في مضمار العلم فلم يُقبل عليها الطلبة، ولا في مجال الصناعة فيُقبل عليها التجار، ولا في جانب التطوّر فيأتي إليها السوّاح إلا أن كثرة المهاجرين إليها قد جعلت أعداد المسلمين كبيرة نسبياً، وفي الكثرة ما يُساعد على التعاون في الحياة، وما يُخفّف على الغربة، وما يُهوّن من مشقّة التنظيم وايجاد وسائل التعليم. وهذا ما ينطبق على البلدان الواسعة الأرض التي وفدت عليها أعداد كثيرة لإعمارها مثل البرازيل والأرجنتين، والبلدان التي تتـوجّـه نحو الشرق والشمال الشرقي باتجاه البلدان التي تدفع بأبنائها للهجرة مثل بلاد غويّانا وفنزويلا. أما البلدان الصغيرة والجبلية والفقيرة والتي تقع في الغرب فيقلّ فيها المسلمون، وبالتالي يقلّ اهتمام إخوانهم بهم على حين يزداد ذلك الاهتمام ولو نسبياً في البلدان التي يكثر فيها المسلمون.

تقوم في أمريكا الجنوبية أربع عشرة وحدة سياسية. تسود اللغة الهولندية في سورينام، واللغة الفرنسية في غويانا الفرنسية، والبرتغالية في البرازيل، والإنكليزية في ترينداد وتوباكو، وغويّانا، أما الدول التسع الباقية فتعم اللغة الإسبانية فيها.

تسود النصرانية الكاثوليكية في أكثر دول أمريكا الجنوبية وهي الدول التي تتكلم الإسبانية، والفرنسية، والبرتغالية، أما النصرانية البروتستانتية فيزداد أتباعها في الدول التي تتكلم الانكليزية والهولندية، أي أن الديانة تتعلّق بالدول المستعمرة وهذا يعني أن الاستعمار قد فرض ديانته ومذهبه فرضاً على السكان فالنصرانية في أمريكا الجنوبية شأنها في كل المناطق مرتبطة بالاستعمار.

يُشكّل السكان الأصليون نسبة كبيرة من السكان الحاليين باستثناء الأرجنتين، والشيلي، والأورغواي حيث تقلّ نسبة السكان الأصليين.

وترتفع نسبة المسلمين في المناطق التي يكثر فيها الافارقة، والهنود، والعرب وهي غالباً المناطق الشمالية الشرقية والبرازيل والأرجنتين.

وسنتتبع الأقليات المسلمة في كل وحدة سياسية من هذه الدول الأربع عشرة.



كاراكاس
ترينداد وتوباكو
فنزويلا
جورج تاون
باراماريبو
كايان
غويانا
سورينام
بوغوتا
كولومبيا
كيتو
اكوادور
غواياكيل
بالم
مناؤس
ريسيف
البرازيل
كويابا
سلفادور
« باهيا »
البيرو
ليما
بوليفيا
برازيليا
لاباز
سانتاكروز
كوتشابامبا
سان باولو
باراغواي
ريو دي جانيرو
سانتوس
كوريتيبة
باراناغوا
أسونسيون
توكومان
قرطبة
روزاريو
منندوزا
سنتياغو
الأرجنتين
أوروغواي
بورتو اليغري
مونتفيديو
بوينس ايرس
المحيط الهادي
المحيط الأطلسي
جزر فوكلاند
المقياس
٠ ٤٠٠ ٨٠٠ ١٢٠٠ ١٦٠٠ ٢٠٠٠
كيلومتر

مصور رقم [٨٧] .

(١) ترينداد وتوباكو

اسم للجزيرتين الكبيرتين اللتين تتألف منهما الدولة، ورغم أن الدولة مجموعة جزر في البحر الكاريبي إلا أننا وضعناها ضمن مجموعة دول أمريكا الجنوبية لأن جزيرة ترينداد تكاد تلاصق ساحل أمريكا الجنوبية، ولأن طبيعة السكان وارتفاع نسبة المسلمين تجعلها بعيدةً عن ميزات جزر البحر الكاريبي، وهي أقرب إلى أمريكا الجنوبية.

تبلغ مساحة الدولة ٥١٣٠ كيلومتراً مربعاً أي ما يزيد على نصف مساحة لبنان، وتبلغ مساحة الجزيرة الكبرى ترينداد ٤٨٢٨ كيلومتراً مربعاً، أي أكثر من ٩٤٪ من مساحة الدولة. ويبلغ عدد سكانها ١,٣٥٠,٠٠٠ نسمة. وعاصمتها مدينة بورت أوف اسبين (ميناء إسبانيا). وتبعد جزيرة توباكو عن ترينداد اثنين وثلاثين كيلومتراً.

وعرف كريستوف كولومبوس جزيرة ترينداد عام ٩٠٤ وكان يسكنها من قبل الهنود الحمر، واحتلتها اسبانيا رسمياً عام ٩٤٠، ثم خضعت للسيطرة الانكليزية عام ١٢١٢، وجلبت اسبانيا من قبل الرقيق من إفريقية، وكذلك فعلت انكلترا من بعد للعمل في الأرض، غير أن انكلترا قد ألغت الرقيق عام ١٢٥٤، وبدأت تستقدم العمال من شبه القارة الهندية (من الهند وباكستان)، واستمرّ ذلك حتى عام ١٣٣٠، وحصلت البلاد على استقلالها

عام ١٣٨٢ ضمن رابطة الشعـوب البريطـانيـة (الكـومنـولـث)، وتشترك الولايات المتحدة الأمريكية في الدفاع عنها حسب اتفاقية عام ١٣٦٠ هـ.

يُشكّل الأفارقة ٤٣٪ من السكان ومعظمهم من الذين جلبوا إلى البلاد كرقيق.
والصينيون والهنود ٤١٪ وهم الذين استقدموا للعمل.
والشاميون ١١٪ وقد هاجروا إليها في القرن الماضي.
والأوربيون ٥ ٪ من إنكليز وإسبان وفرنسيين وبرتغاليين و...
١٠٠٪

واللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية في البلاد.
أما من حيث العقيدة فنلاحظ أن

النصارى يشكلون ٥٣,٤٪ من مجموع السكان، وهم كاثوليك وبروتستانت.
والهندوس ٣٤,٦٪ من مجموع السكان.
والمسلمون ١٢٪ من مجموع السكـان ومعظمهـم مـن أهـل السنـة والجماعة.
١٠٠,٠٪

المسلمون: لعـل الموجـة الأولى مـن المسلمين التي وصلـت إلى تـرينـداد وتوباكو كانت من الأفارقة الذين اختطفوا من مناطقهم، وبيعوا، وحملـوا إلى أمريكا للعمل بأشقّ الأعمال. وقد ضاع أكثر هؤلاء المسلمين لجهلهم، والعمل على تنصيرهم، وقسوة العمل، وتفرّقهم، وإن بدأ أحفادهم يرجعون إلى الإسلام تدريجياً.

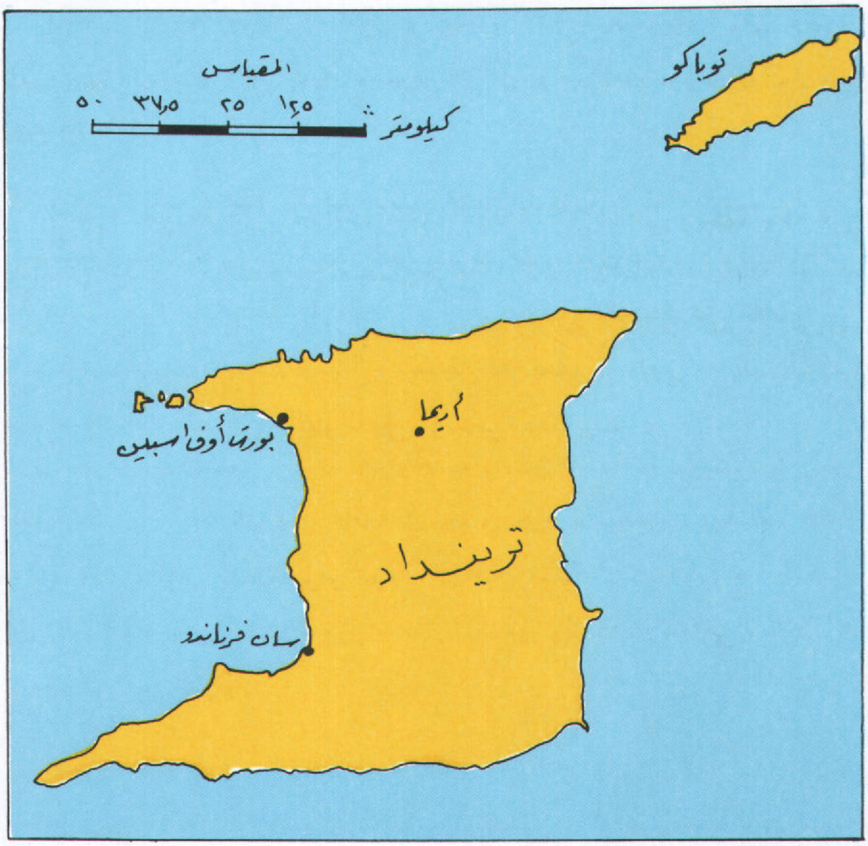
وجاءت الموجه الثانية بين الهنود من ١٢٦٠ حتى عام ١٣٣٠ وقد جاءوا للعمل بعد إلغاء الرقيق، وكانوا أفضل من الذين سبقوهم إذ حافظوا على عقيدتهم.

وهاجر الشاميون إلى هذه الدولة منذ مطلع القرن الماضي وبينهم نسبة من المسلمين. ولكن ارتدّ عدد من المسلمين لتمييز الإنكليز في المعاملة، وضاع عدد أيضاً بسبب الزواج من النصرانيات والتساهل التدريجي في أمر الدين، إضافةً إلى الجهل السائد بينهم.

ويُقدّر عدد المسلمين اليوم بمائة وخمسة وستين ألف مسلم، ويتوزعون في المدن الكبرى وأكثر القرى وخاصةً في جنوبي جزيرة ترينداد. ويُمثّلهم خمسة نواب في المجلس النيابي، ومرّ يوم كان فيه رئيس مجلس الشيوخ أحدهم، كما يضم مجلس الوزراء ثلاثة وزراء من المسلمين. والدين الإسلامي معترف به رسمياً من قبل الدولة.

أسّس المسلمون عام ١٣٤٣ جمعية تقوية الإسلام، غير أن القاديانيين قد تسلّلوا إليها فضعف أمرها، فتركها أكثر المسلمين، وأسّسوا جمعية أهل السنة والجماعة (الآسيجاه) عام ١٣٥٤، فقامت بنشاط كبير، وكُشف أمر القاديانيين فتركوا الجمعيات الإسلامية، وأسسوا لأنفسهم جميعة (رابطة مسلمي ترينداد) إذن بقوا يدّعون الإسلام، ويبلغ عدد القاديانيين أكثر من ألفي قادياني. ثم انفصلت عن جمعية السنة والجماعة جمعية الدعاة المسلمين (الغيلد) وذلك عام ١٣٨٠. كما يقوم البلاليون بنشاطٍ واسعٍ، فأسسوا عام ١٣٩٥ جمعية الحزب الإسلامي، وفي عام ١٣٩٧ بنوا مسجداً ومدرسةً وكليةً وقاعةً للمحاضرات في مركزهم.

يقوم في البلاد أكثر من سبعين مسجداً، وتشرف الجمعيات على التعليم الإسلامي، وتتحمل الدولة ثلثي نفقات المدارس لاعترافها الرسمي بالدين



مصور رقم [٨٨] .

الإسلامي. ويتجمّع المسلمون في العاصمة، وأريما، وسان فرناندو وقرى جنوبي ترينداد.

تُشرف جمعية أهل السنة والجماعة على أكثر من سبعين من الكتاتيب الموزعة في أنحاء البلاد، والتي تقوم على تعليم الأطفال للقرآن الكريم، وتتبعها سبع مدارس ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية.

وتُشرف جمعية تقوية الإسلام على خمس مدارس ابتدائية.

وتُصدر جميعة الدعاة المسلمين (الغيلد) مجلةً نصف شهرية هي (شعلة الإسلام)، وفي الوقت نفسه تبثّ برنامجاً اسبوعياً دينياً، ولها مركز يضمّ مكتبةً.

ويجد المسلمون عنتاً من القاديانيين الذين يدعون الإسلام ليُضلّلوا من يستطيعون إضلاله، ومن اليهود الذين يزيد عددهم في ترينداد وتوباكو على خمسمائة، هذا بالإضافة إلى النصرانية التي تعمل جاهدةً على تنصير من استطاعت عليهم بمختلف الوسائل، وتستغلّ فقر بعض المسلمين وجهلهم فتُقدّم لهم المساعدات وتعرض عليهم العمل، وتدعي كذباً وتفتري.

(٢) غويانا

تبلغ مساحتها ٢١٤,٩٦٩ كيلومتراً مربعاً ، وعدد سكانها المليون ، وعاصمتها مدينة جورج تاون. وصل إليها الإسبان عام ٩٠٥ وفرضوا سيطرتهم عليها حتى عام ١٠٣٠ حيث خضعت للسيطرة الهولندية ، وأخيراً سيطرت عليها انكلترا عام ١٢٩١ ، ثم حصلت على الاستقلال الذاتي عام ١٣٤٧ ، والاستقلال التام ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) عام ١٣٩٠ .

يعود ٥٥ ٪ من السكان إلى أصلٍ هندي (هند وباكستان) .
و٣٣ ٪ من السكان إلى أصلٍ إفريقي .
و ٤ ٪ من السكان من الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين .
و ٧ ٪ من السكان إلى عناصر مختلفة .
و ١ ٪ من السكان إلى أصل صيني .

وثلاثة آلاف من الأوربيين من عدة جنسيات .

أما من حيث العقيدة فيشكل:

النصارى	٤٠ ٪
والهندوس	٣٥ ٪

والمسلمون	١٥ ٪
وثنيات مختلفة	١٠ ٪ وتوجد بضع مئات من اليهود .
	١٠٠ ٪

واللغة الرسمية هي اللغة الإنكليزية، كما توجد إلى جانبها لغات كثيرة منها الأوردو، والصينية، والبرتغالية، ولكل مجموعةٍ لغتها الخاصة بها.

ويتنافس في البلاد حزبان رئيسيان هما: حزب الشعب التقدمي وأتباعه من الهنود، ومجلس الشعب الوطني وأنصاره من الذين يعودون إلى أصل إفريقي.

المسلمون: كانت هناك أعداد من المسلمين بين الأفارقة الذين حُملوا إلى العالم الجديد كرقيق، غير أن التحديات كانت تُواجههم، وتقف في وجههم، ومنها التعب الشديد حتى الإعياء، والحقد الصليبي الذي يصل إلى حد الابادة، والمحاولات الدائمة للتنصير، والجهل لذا فقد ضاع هؤلاء المسلمون الأوائل مع الزمن، إذ استمرت هذه التحديات حتى عام ١٢٢٧، ولم تعترف السلطة القائمة بالزواج الإسلامي حتى عام ١٢٧٧، إذ كان يُفرض عليهم الزواج بالكنائس.

ثم جاء الهنود وفيهم نسبة من المسلمين، وقد استُقدموا للعمل، والمسلمون بينهم يُشكّلون ٩٧ ٪ من عدد المسلمين في غويانا، أي أن عدد المسلمين الهنود هو ١٣٥,٠٠٠، وعدد المسلمين من الأفارقة هو ١٠,٠٠٠، والباقي وهو خمسة آلاف من المجموعات الثانية، وبذا فإن عدد المسلمين في غويانا هو مائة وخمسون ألفاً. والأفارقة رجعوا إلى الإسلام حديثاً. ويوجد في البلاد أكثر من مائتي مسجد، وفي معظمها كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم أو مجموعاتٍ لتعلّم مبادىء الإسلام، ويتجمع أكثر المسلمين في العاصمة جورج تاون (ديمارارا) وما حولها وفي بلدة (انتربرايز).

نظم المسلمون أنفسهم عام ١٣٥٥ ، وأسّسوا جمعية صدر أنجمان، ولما كان أكثر المسلمين من الهنود ، ولهم حزب سياسي هو حزب الشعب التقدمي لذا كانت هذه الجمعية تناصر هذا الحزب بحكم العصبية العنصرية التي لا يعترف عليها الإسلام. وهذا ما أدّى إلى انقسامها ، وإلى دخولها معترك السياسة ، ويتبع هذه الجمعية اتحاد الطلبة المسلمين، والجمعية النسائية، والحزب الإسلامي.

ونشأ نتيجة انقسام جمعية أنجمان عدة تنظيمات إسلامية منها جمعية الإحسان، والمجلس العام للأخوة الإسلامية، والمركز الإسلامي، ورابطة الشباب المسلم، والمجلس العام للإخوان المسلمين.

ويُصدر المسلمون مجلة (الغارديان الإسلامية)، وبعض النشرات في المناسبات، ومنها عيد الفطر.

ويجد المسلمون عنتاً من القومية الهندية المتمثّلة في حزب الشعب التقدمي، ومن الاتجاه العلماني الذي يُمثّله الحزب نفسه، ومن اليهودية إذ أقام اليهود (بيت إسرائيل)، ويعملون جادين ضدّ المسلمين، ومن الصليبية التي تحرص على تنصير المسلمين، وتقدّم كل المغريات في سبيل ذلك، إضافة إلى الحقد القائم ضد الإسلام، وأخيراً فإن العنت قائم من المسلمين أنفسهم بدعمهم بعض الأحزاب، واختلافهم فيما بينهم، وبذل كافة الجهود لنجاح الحزب الذي يُؤيّدونه، وإضاعة هذا الجهد بلا فائدة.


المقياس
كيلومتر
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠
فنزويلا
باريكا
«ديمارارا» جورج تاون
غويانا
سورينام
البرازيل

مصور رقم [٨٩] .

(٣) سورينام

تبلغ مساحتها ١٦٣,٢٦٥ كيلومتراً مربعاً، ويسكنها ما يقرب من نصف مليون، وعاصمتها مدينة (باراماريبو). عرفها الإسبان عام ٨٩٨ هـ، وادّعوا ملكيتها، ونازعهم الانكليز والهولنديون، ومكّن الهولنديون قبضتهم عليها عام ١٠٧٨ بعد أن احتلها الانكليز عدة مرات. وحصلت على استقلالها الداخلي عام ١٣٧٤، ثم شكّلت هولندا اتحاداً منها ومن كل من سورينام وجزر الآنتيل الهولندية.

جلب الهولنديون الرقيق من إفريقية، ونتيجة الاستعباد والظلم ثار الإفريقيون بقيادة أحد المسلمين، والتجؤوا إلى الغابات، وبدؤوا بصراعٍ مع الهولنديين، وتمّ الاتفاق بين الهولنديين والثائرين الذين عرفوا باسم زنوج الغابة (جيوكا) وذلك عام ١١٧٢. وبدأ الهولنديون بعدها يستقدمون العمال من الهند، والصين، واندونيسيا، ثم هاجر إلى البلاد بعض الشاميين، ويتألف السكان اليوم من:

الهنود ويشكلون	٣٧,٦ ٪ من السكان
الأفارقة	٤١,٧ ٪ من السكان.
أندونيسيين	١٥,٢ ٪ من السكان.
هنود حمر	٢,١ ٪ من السكان.

صينيين	١,٥ ٪ من السكان.
أوربيين	١ ٪ من السكان.
مجموعات ثانية	٠,٩ ٪ من السكان.

يتكلم السكان لغةً خليطة هي (تاكي تاكي) وتعدّ مزيجاً من الهولندية، والاسبانية، والإنكليزية مع عبارات من الأردو، والملايوية، ولكل مجموعةٍ لغتها فالهنود يتكلمون الأردو، والأندونيسيون يتحدثون بالملايوية، ولكن اللغة الرسمية هي الهولندية.

أما من حيث العقيدة فنجد ما يلي:

يُشكّل النصارى	٤٧,٦ ٪ من السكان.
ويشكل المسلمون	٢٥,٢ ٪ من السكان.
ويشكل الهندوس	٢٥,٠ ٪ من السكان.
ويشكل الوثنيون	٢,٢ ٪ من السكان. وهناك بضع مئات من اليهود.
	١٠٠,٠ ٪ من السكان.

ولكن ارتفعت نسبة المسلمين وهي اليوم تزيد على ٣٣٪ وذلك لإقبال أعداد جديدة على الإسلام، وفي الوقت نفسه تُهاجر جماعات من البلاد وغالباً ما تكون من غير المسلمين، ولذلك نلاحظ أن عدد السكان عامةً قلما يزيد، وإن كانت هناك زيادات فقليلة، وتُسجّل بعض الأعوام تناقصاً واضحاً في السكان. وبذا تكون سورينام أعلى بلدان العالم الجديد نسبة في المسلمين، وربما تصبح بعد قليل من جملة أمصار العالم الإسلامي.

المسلمون: يُعدّ الأفارقة الذين جُلبوا كرقيق أول المسلمين الذين وصلوا إلى سورينام، غير أن الظلم، وتفكُّك الأسرة، والجهل، والأشغال الشاقة، ونشأة الأجيال في مجتمعٍ بعيدٍ عن الإسلام كل هذا قد جعل هؤلاء المسلمين

ينتهون. غير أن الذين جاءوا من أندونيسيا كانوا كلهم من المسلمين، وهناك نسبة من المسلمين من الذين قدموا من الهند. إضافةً إلى عدة آلاف مسلم من مجموعاتٍ أخرى، ومنهم أفارقة عادوا إلى الاسلام. ويكون عدد المسلمين ١٧٠,٠٠٠ وهذا ما يُشكّل ٣٣٪ من مجموع السكان، منهم:

١٠٥,٠٠٠	اندونيسي.
٤٨,٠٠٠	هندي.
٥,٠٠٠	أفارقة.
١٣,٠٠٠	مجموعات ثانية.
١٧٠,٠٠٠	

وقد أسّس المسلمون الهنود جمعيةً لهم باسم جمعية المسلمين السورينامية (أهل السنة والجماعة على المذهب الحنفي) عام ١٣٧٥ هـ، وبنوا مسجد الأنصاري في العاصمة (باراماريبو)، والمسجد الجامع، وستة مساجد أخرى في مناطق متفرقة، وشيّدوا في العاصمة أيضاً مدرسة ابتدائية، وأخرى ثانوية، ومدرسة ابتدائيةً ثانيةً في جهة بعيدة عن العاصمة، ولهم منظمة جامعة العلماء التي تضمّ أئمة المساجد، ويُصدرون مجلة (الإسلام) باللغة الهولندية.

وأسس أهل جاوه الاندونيسيون الاتحاد الإسلامي السورينامي على المذهب الشافعي. ولا شك أن قيام الجمعيات على أساسٍ عنصري لا خير فيه إذ يُولّد الخلاف والشقاق، وهنا يحدث الخلاف حتى على اتجاه القبلة إذ يمكن التوجه شرقاً كما يمكن التوجه غرباً بسبب أن البعد يصبح واحداً تقريباً عن مكة لكروية الأرض، فالهنود يبنون مساجدهم ويجعلون قبلتها نحو الشرق على حين أن الأندونيسيين يتجهون نحو الغرب. ونشاط الهنود واضح وأكبر من نشاط الاندونيسيين بكثير.

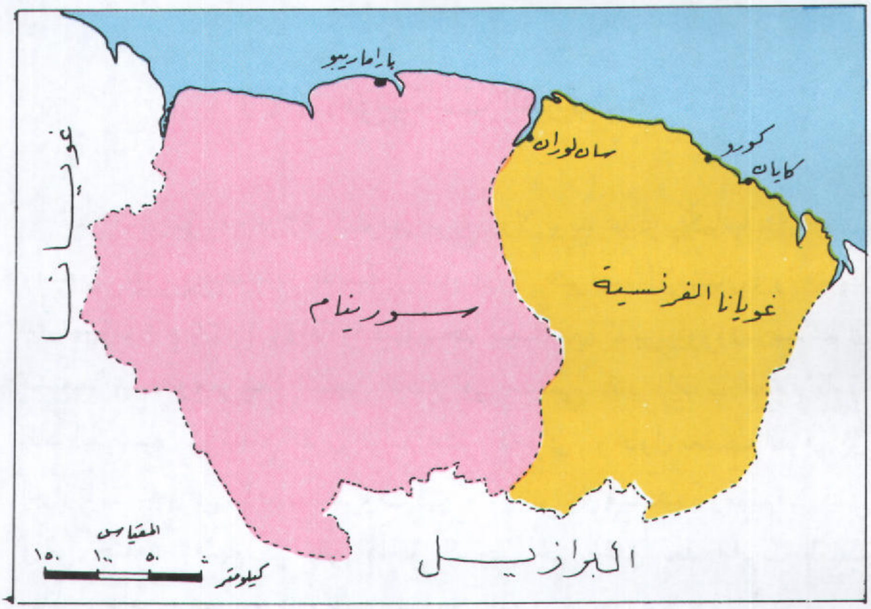
ويجد المسلمون عقبةً في وجههم إضافة إلى الصليبية واليهودية يجدون القاديانية، فقد تشكّلت عام ١٣٦٧ جمعية سورينام الإسلامية التي كانت تريد أن تبعد المسلمين عن التعصب المذهبي إذ يتعصّب الهنود لمذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ويتعصّب الأندونيسيون لمذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ غير أن القاديانيين قد تسلّلوا إلى هذه الجمعية، وبدؤوا بالدسّ حتى انتهت، وكسبوا بعض عناصرها المغفّلين، ويقدر عدد القاديانيين بسورينام بستة آلاف قادياني.

وفي سورينام ينتشر أكثر من خمسين مسجداً في مختلف أنحاء البلاد، وإن كان معظم المسلمين يتجمّع في العاصمة باراماريبو.

(٤) غويانا الفرنسية

تبلغ مساحتها ٩٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على خمسةٍ وسبعين ألفاً، وعاصمتها مدينة (كايان). عرفها الإسبان، واحتلّها الفرنسيون عام ١٠٣٥، وأقاموا فيها سجناً للسياسيين الذين يثورون ضدّهم في مستعمراتهم، وضمّ هذا السجن الكثير من مسلمي بلاد المغرب الذين ثاروا ضدّ الفرنسيين في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وحاول بعضهم الفرار إلى البرازيل، منهم من ساعدته الظروف فنجح ووصل إلى مقصده، ومنهم من فشل ولقي حتفه، ومنهم من بقي داخل السجن حتى أغلق بعد الحرب العالمية الثانية، وأُفرج عنه، وكان عدد المسلمين الذين خرجوا من هذا السجن يوم إغلاقه والإفراج عن نزلائه ألفين وخمسمائة مسلم، وخرجوا من السجن وليس لديهم الإمكانات العودة إلى بلادهم، وفي الوقت نفسه يريدون الزواج، وليس بينهم نساء، فتزوجوا من فتيات البلد، وفضّلوا البقاء في أماكنهم فلم يلبث أن ازداد عددهم الذي يُقدّر اليوم بسبعة آلاف وخمسمائة، وهو ما يُعادل ١٠٪ من مجموع السكان، ولا شك أن بينهم عدداً من الإفريقيين الذين عادوا إلى الإسلام ومن المهاجرين الشاميين الذين وفدوا إلى البلاد في القرن الهجري الماضي. ولكن ليس للمسلمين ـ مع الأسف ـ أي مسجد يلتقون فيه أو تنظيم يجمعهم، ويُقيم أكثرهم في العاصمة كايان، وكورو، وسان لوران.

وأكثر السكان من العناصر الإفريقية التي جُلبت كرقيق في أيامه السوداء ، إضافةً إلى بعض المهاجرين من الصين ، والهند ، وبلاد الشام ، ودول أوربا .



مصور رقم [٩٠] .

(٥) فــنزويــلا

تبلغ مساحتها ٩١٢ ألف كيلومتر مربع، ويزيد سكانها على خمسة عشر مليوناً، وعاصمتها مدينة (كاراكاس). عرف كـريستـوف كـولـومبـوس فنزويلا عام ٩٠٤، وبدأ الإسبان باحتلالها عام ٩٠٦، وبقيت في قبضتهـم حتى استقلت مع كولومبيا عام ١٢٣٦، ثم انفصلت عن كولومبيا عام ١٢٤٦.

يتألف ٧٠٪ مـن السكـان مـن عنصر الميستيـزو النـاشيء مـن اختلاط الإسبان مع الزنوج الإفريقيين، و٢٥٪ خليـط مـن الإسبـان والأمـريكيين الهنود مع نسبةٍ ضئيلـةٍ مـن الهنـود الحمـر المعـزولين في الجبـال، وبعـض الأوربيين، والعرب الشاميين.

أما من حيث العقيدة فيدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ومائة ألف من النصارى البروتستانت، وبضعة آلاف من النصارى الأرثوذكس هذا بالإضافة إلى أربعين ألف مسلم، وعشرة آلاف يهودي. واللغة الرسمية هي الإسبانية.

المسلمون: وصل إلى فنزويلا مع الإسبان بعض الموريسكيين (الذين يظهـرون النصرانيـة ويخفـون الإسلام) غير أنهم انتهـوا مـع الزمن، وتحت الإرهاب الصليبي.

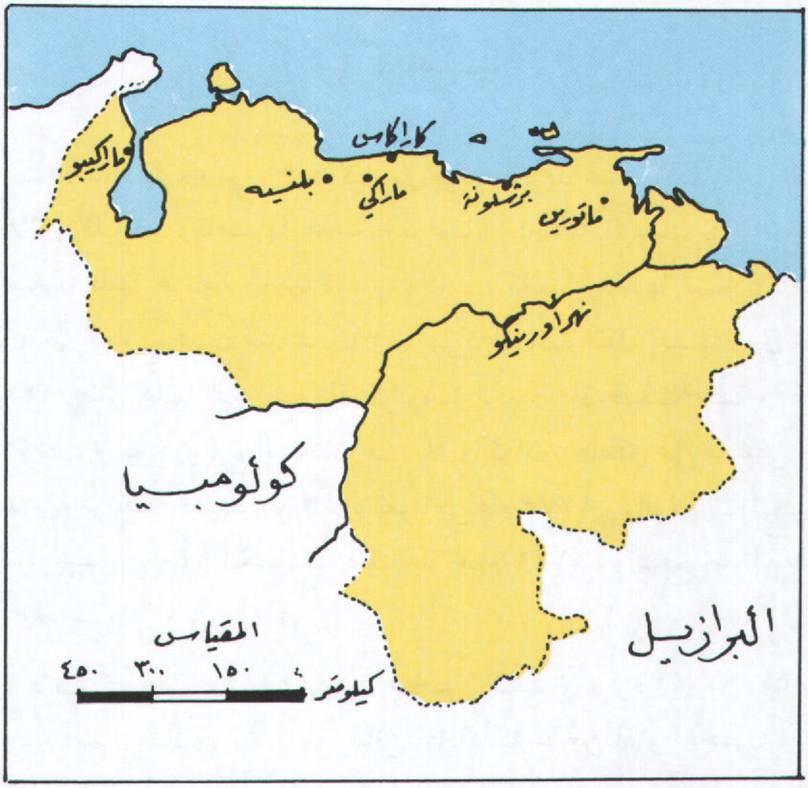
وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري وصل مهاجرون من بلاد الشام قُدّر عددهم بمائة وخمسين ألفاً، أكثرهم من النصارى وفيهم نسبة من المسلمين. كما هاجر إلى فنزويلا حديثاً بعض المسلمين من جزر البحر الكاريبي وترينداد.

يُقدّر عدد المسلمين اليوم بأربعين ألفاً كلهم من بلاد الشام سوى ألفين من مناطق ثانية، من مصر، وترينداد وغيرهما. يعيش عشرة آلاف منهم في العاصمة كاراكاس، ويتوزّع الآخرون، وأكثرهم يسكن بلنسية، وبرشلونة، ومراكيبو، وماراكي، وماتورين، وحوض نهر أورينكو.

تأسست عام ١٣٨٨ جمعية لبناء مسجد فنزويلا في العاصمة، وقد أقامته عام ١٣٩٢، ويتألف من دورين يقوم في أحدهما المسجد، وفي الآخر مركز، ومدرسة، وقاعة للاجتماعات.

ويوجد في العاصمة مركز فلسطيني، ويُصدر مجلة فلسطين باللغة الإسبانية.

ويجد المسلمون عنتاً من الصليبية، واليهودية، ورغم قلة عدد اليهود إلا أن دورهم كبير.



ماراكيبو
كاراكاس
بلنسيه
ماراكي
برشلونة
ماتورين
نهر أورينكو
كولومبيا
البرازيل
المقياس
كيلومتر
٠ ١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠

مصور رقم [٩١] .

(٦) كولومبـيا

تبلغ مساحتها ١,٣٩٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويزيد عدد سكـانها على اثنين وثلاثين مليوناً، وعاصمتها مدينة (بوغوتا). احتلّها الإسبان عام ٩١٥، وأطلقوا عليها غرناطة الجديدة عام ٩٧٢، وكانت أراضيها تشمل أراضي دولة بنما اليوم، وغدت منذ عام ١١٣١ مركزاً لنائب ملك إسبانيا، وفي عام ١٢٣٣ أُطلق عليها اسم جمهورية كولومبيا الكبرى إذ ضمّت أيضاً أراضي فنزويلا، واكوادور، ثم انسحبت فنزويلا واكوادور فأُطلق على ما تبقّى اسم جمهورية غرناطة الجديدة، ثم الاتحاد الغرناطي عام ١٢٧٣، ثم الولايات المتحـدة الكولومبيـة، وأخيراً انفصلـت عنهـا بنما عـام ١٣٢١، وأصبح اسم الدولـة (كولومبيا).

يتألف السكان من ٥٨٪ من عناصر الميستيزو، و٢٠٪ من عناصر أوربية أكثر إسبانية، و٧٪ من قبائل محلية أكثرها من الهنود الحمر، و٥٪ من أصولٍ إفريقية، و١٠٪ من جنسيات مختلفة بينهم ٦٠ ألف من بلاد الشام وأكثرهم من النصارى.

يدين معظم السكان بالنصرانية الكاثوليكية وهناك مائتا ألف نصراني بروتستانت، وثلاثون ألفاً من اليهود. إضافةً إلى عشرة آلاف مسلم.

وتنتشر المخدرات على نطاقٍ واسع، وتقوم حرب العصابات.

المسلمون: وصل بعض الموريسكيين إلى كولومبيا مع طلائع الإسبان

ولكنهم زالوا مع الإرهاب ومرور الأيام، وجاءت هجرة من بلاد الشام في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ضاع أكثرهم نتيجة الجهل، والزواج من النصرانيات، وإهمال إخوانهم لهم، والتوزّع.



مصور رقم [٩٢].

وزادت هجرة الشاميين بعد الحرب العالمية الثانية وخاصةً من فلسطين.

ويتوزّع المسلمون في كولومبيا في المدن الآتية:

١ - **بوغوتا**: وهي العاصمة، وتقع في وسط البلاد، على ارتفاع ٣٧٠٠ م، الأمر الذي يجعل المناخ فيها يميل إلى الاعتدال رغم وقوعها في المنطقة الحارة، وعلى مقربةٍ من خط الاستواء. يبلغ عدد سكان المدينة ما يقرب من ستة ملايين، ويعيش بينهم ما يقرب من خمسمائة مسلم، أكثرهم من الشاميين من منطقة فلسطين، وقليل منهم من جبل لبنان. أسس المسلمون «الجمعية الخيرية» عام ١٤٠٧ هـ، وتبع ذلك قيام مدرسة عربية، ومنحت الحكومة المسلمين قطعة أرض لبناء مدرسة ومسجد.

وكان المسلمون يؤدون صلاتهم في مسجد أقامه إبراهيم علي سالم، من بلاد الشام، ولكن اشترته الجمعية منه، وجعلته وقفاً للمسلمين.

٢ - **ميكاو**: وتقع في الشمال، ويزيد سكانها على المائة ألف، ويعيش بينهم أكثر من ثلاثة آلاف مسلم ٧٥٪ منهم من أهل السنة والجماعة، و٢٥٪ من الشيعة، وغالبية المسلمين في هذه المدينة من بلاد الشام. وحاول أصحاب النزعة العصبية إقامة نادٍ عربي غير أنهم فشلوا. واستأجر بعض الشباب المسلمين مكاناً صغيراً، وجعلوه مسجداً، وفي عام ١٤٠٠ هـ تأسست الجمعية الخيرية التي اشترت قطعة أرض كبيرة، وأقاموا عليها مدرسةً للعربية، حيث كان يتمّ تعليم الأطفال يومي السبت والأحد في مكانٍ مستأجرٍ. وبنيت المدرسة خلال أربع سنوات، وتمّ افتتاحها في الأول من ربيع الأول عام ١٤٠٠ هـ (١٧ كانون الثاني ١٩٨٠ م)، ووصل عدد طلابها عام ١٤١٠ هـ إلى أربعمائة طالب.

وانفصل الشيعة عن المسلمين، واشتروا قطعة أرض لبناء مدرسةٍ لتعليم أطفالهم، وتشييد «حسينية» لهم.

كما انفصل عن المسلمين أصحاب العصبية القومية، وأسّسوا « النادي العربي ».

٣ ـ سان اندرس: وهي جزيرة في البحر الكاريبي، قريبة من نيكاراغوا، ويوجد خلاف بين الدولتين على هذه الجزيرة. وكانت الولايات المتحدة قد قدّمتها لكولومبيا عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) بعد أن انتزعت منها (بناما).

هذه الجزيرة سياحية، يسكنها ما يقرب من مائة ألف، يعيش قسم من سكانها عرايا أو شبه عراة، ويقيم بينهم ما يقرب من ستين مسلماً معظمهم من الشام، أكثرهم من لبنان، وأقلّهم من فلسطين، كما توجد أسر من الشيعة، والدروز، وبعض النصارى العرب من الموارنة. وأكثر الشباب لا يتزوج إلا من مسلمات ـ ولله الحمد ـ. ومع الفساد الصارخ في هذه الجزيرة فقد استأجر بعض الشباب مكاناً لهم، وجعلوه مصلىً لهم وذلك عام ١٤٠٦ هـ، وفي العام التالي استدعوا رجلاً داعيةً من الشام من منطقة لبنان لتوجيههم، فاستطاع التأثير عليهم، واشتروا قطعة أرض، وبدؤوا بتأسيس مسجد ومدرسة، ولكن كثرة المشكلات جعل الداعية يرجع إلى بلده، وعاد الخلاف.

٤ ـ بارانغويلا: وتقع في الشمال على ساحل المحيط الأطلسي، ويزيد سكانها على المليونين، ويعيش فيها أكثر من خمسمائة مسلم، أكثرهم من الشام من مناطق لبنان وفلسطين. وهناك النادي العربي الذي يشرف عليه النصارى اللبنانيون، كما يوجد مركز لتجمّع الفلسطينيين، ويقوم على العصبية الاقليمية. وليس للمسلمين أية هيئة.

٥ ـ سانتا مارتا: وتقع قرب بارانغويلا على ساحل المحيط الأطلسي، ويعيش فيها ما يقرب من مائة وخمسين مسلماً، معظمهم من الشام من منطقة لبنان، من بلدة (بعلول)، وثلاث أسر من منطقة فلسطين، والعلاقة الاجتماعية جيدة بين المسلمين نتيجة صغر المدينة، والانتماء إلى بلدةٍ واحدةٍ.

وفي عام ١٤٠٧ هـ استأجر المسلمون منزلاً، وجعلوه مسجداً ومكاناً لتعليم أطفالهم مبادىء الإسلام، واللغة العربية. ثم تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية.

٦ ـ **ألبي دوبار**: وتقع في الشمال أيضاً، ويزيد سكانها على مائتي ألف، بينهم ثمانون مسلماً، كلهم من الشام من منطقة لبنان سوى أسرةٍ واحدةٍ من منطقة فلسطين. ولكن أكثرهم متزوج من نصرانيات. وهم في شبه ضياع. ثم هداهم الله، وأسسوا الجمعية الخيرية الإسلامية، وقدّم لهم أحد المسلمين الفلسطينيين غرفة من بنائه لتكون مسجداً، تبعه مكتبة، وبدأ النشاط.

٧ ـ **كالي**: وتقع في الجنوب الغربي، ويزيد سكانها على المليون. ويعيش بينهم ما يقرب من مائتي مسلم، وعندهم عصبية إقليمية فلسطينية، وهم في شباع ضياع لدينهم، كما يوجد أكثر من مائة من الشيعة ولكن أكثرهم قد تزوج من نصرانيات وهم من الشام من منطقة لبنان.

٨ ـ **بالميرا**: وتبعد عن كالي عشرين كيلومتراً فقط، وتقع إلى الشمال الشرقي منها، ويعيش فيها ما يقرب من خمسين مسلماً، ونشاطهم جيد، ويُعلِّم العربية لأبناء المسلمين شاب من بلاد الشام من منطقة فلسطين، اسمه (عبد الحميد طه)، ورغم أنه مولود هناك في كولومبيا إلا أنه ذهب إلى الشام، ورجع يجيد العربية، ويلتزم بهدي الإسلام. وقد استأجر للمسلمين جزءاً من عمارة، وجعله مصلىً لهم. وهو يدرس الطب في جامعة (كالي).

٩ ـ **باستو**: وتقع في الجنوب، وتعني بالإسبانية العشب. ويزيد سكانها على مائتي ألف، يعيش بينهم أكثر من مائة وعشرين مسلماً، وجميعهم من الشام من فلسطين، ومعظمهم من بلدة (كفر مالك)، ويعملون بتجارة الأقمشة والأحذية. ويحرصون على الزواج من مسلمات، ويرسلون أبناءهم الى الشام لتعلّم العربية. ولهم نادٍ يلتقون على أساس العصبية الإقليمية، وبدأ

الخلاف بينهم، وينتمون إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

١٠ - **أبيالز**: وتقع في الجنوب بالقرب من باستو، وإلى الجنوب منها. ولا يزيد عدد سكانها على المائة ألف، ويعيش بينهم ما يقرب من مائة وثلاثين مسلماً، وجميعهم من الشام من منطقة فلسطين، ومن بلدة (كفر مالك) أيضاً. ولهم نادٍ على أساس العصبية الإقليمية، وقد أثار الخلاف بينهم.

١١ - **مديين**: وتقع إلى الشمال الغربي من العاصمة بوغوتا، ويقرب سكانها من المليون ونصف، يعيش بينهم ما يقرب من مائة مسلم، كلهم من الشام من أقاليمها المختلفة، ويعيشون في شبه ضياع، ولا توجد صلات بينهم، وغالبهم قد تزوج من نصرانيات.

وفي المدينة مراكز لعصابات المخدرات، وتعدّ أشهر المراكز العالمية في هذه التجارة.

١٢ - **كوكوتا**: وتقع في الشمال الشرقي على الحدود مع فنزويلا، ويقارب سكانها النصف مليون، ويعيش بينهم ستون مسلماً، وكلهم من الشام، من منطقة فلسطين، من بلدة (كفر مالك)، وحالتهم المادية جيدة، وهي شغلهم الشاغل، وليس عندهم تفكير بدين، ولم يقبلوا فكرة العصبية أيضاً.

١٣ - **بيونا فونتورا**: مدينة ساحلية على ساحل المحيط الهادي، غرب مدينة كالي، وسكانها من الإفريقيين الذين حملهم المستعمرون أرقاء، وانتشر الإسلام فيها عام ١٣٩٦ هـ عن طريق مسافر مسلم جاء من الولايات المتحدة، التقى ببعض السكان فدعاهم، فاستمعوا منه، ثم رحل عنهم، لكنه بقي على صلةٍ معهم.

وانتقل بعضهم الى العاصمة بوغوتا، وأسسوا مع المسلمين هناك الاتحاد

الإسلامي الكولومبي، وجعلوا بيونا فونتورا مركزاً له، وجعلوا غرفة مسجداً ومركزاً للاتحاد، ودعمت السفارة الإيرانية المركز حيث استأجرت مقراً واسعاً، وأقامت فيه مدرسةً إلى جانب المسجد ثم وقع الخلاف.

هذا إضافة إلى أعداد موزّعين في كل أنحاء البلاد، وضائعين، ويُقدّر عدد المسلمين عامةً بحدود عشرة آلاف. فتكون نسبتهم ضعيفة لا تزيد على ٠,٠٣٪.

(٧) إكوادور

وتعني بالإسبانية الاستوائية، وتبلغ مساحتها ٢٨٣,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويصل عدد سكانها إلى عشرة ملايين، وعاصمتها مدينة (كيتو).

احتلّها الإسبان عام ٩٣٩، واستمرّ احتلالهم لها حتى عام ١٢٣٧، وانضمت بعد عام إلى كولومبيا، ثم انفصلت عنها عام ١٢٤٦ هـ.

يُشكل الهنود الأمريكيون ٦٠٪ من مجموع السكان.

وعنصر الميستيزو ٣٣٪ من مجموع السكان.

ويُقيم بعض الإسبان في المرتفعات، والزنوج في الساحل.

يتكلم السكان لغةً محليةً تُعرف بـ (الكشوية)، أما اللغة الرسمية فهي الإسبانية.

أما من حيث العقيدة فيدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، وبينهم ٣٥ ألف من النصارى البروتستانت، وألفان من اليهود، وبضع مئات من المسلمين لا يزيدون على أربعمائة مسلم.

المسلمون: وصل مهاجرون من الشام إلى اكوادور في بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويزيد عددهم على خمسة وعشرين ألفاً، بينهم بضع مئات من المسلمين، وأكثرهم من فلسطين، ويقيم معظمهم في العاصمة (كيتو)، وفي ميناء (غواياكيل).

وليس لهم أي تنظيم ولا أي مسجد يُؤدّون فيه عبادتهم.

(٨) البـــيرو

تبلغ مساحتها ١,٢٨٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويقرب عدد سكانها من العشرين مليوناً، وعاصمتها مدينة (ليما). غزاها الإسبان عام ٩٣٩ هـ، ولكن اصطدموا بدولة الأنيكا القائمة، والتي لم تستسلم حتى عام ٩٥١، واستمرّ الاحتلال الإسباني حتى عام ١٢٣٦.

يُشكّل شعب الأنيكاس، وهم من أهل البلاد الأصليين ٤٩٪ من مجموع السكان، أما عنصر الميستيزو الذي هو خليط من الإسبان والأهالي فيشكل ٣٥٪، وهناك مجموعة من الأوربيين وأكثرهم من إسبانيا ويشكلون ١٥٪ وهناك ١٪ من عناصر مختلفة.

ويدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ومعهم ٢٢٥ ألفاً من النصارى البروتستانت، وأربعة آلاف من اليهود، وأربعة من البهائيين، وألف من المسلمين. واللغة الرسمية هي الإسبانية، ولكن تسود اللغة (الكشوية) بين السكان.

المسلمون: هاجر الشاميون إلى البيرو في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وهاجر صينيون عام ١٣٢٦، فكان المسلمون خمسمائة مسلم، ويصل عددهم اليوم إلى الألف معظمهم من فلسطين، ويُقيم أكثرهم في العاصمة (ليما)، كما أسلم عدد من سكان البلاد الأصليين.

وحالة المسلمين في البيرو جيدة من الناحية المادية والاجتماعية، ويملك أحدهم فندق (دمشق) في العاصمة. ولكن ليس لهم أي تنظيم، ولا توجد مساجد في البلاد. ويقوم في العاصمة معهد (البيروني) للدراسات الإسلامية، كما تذيع محطة إذاعة (ليما) ساعة كل يوم باللغة العربية، ويُخصّص يوم الجمعة للحديث عن الإسلام.

(٩) بوليفيـــا

وتزيد مساحتها قليلاً على المليون كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ستة ملايين، وعاصمتها مدينة (لاپاز). كانت جزءاً من امبراطورية الانيكا، غزاها الإسبان عام ٩٤٥، واحتلّوها، واستمرّ الاحتلال حتى عام ١٢٢١ حيث قامت ثورة نالت بعد نجاحها الاستقلال عام ١٢٣٧ هـ.

يُشكّل السكان المحليون من الهنود الحمر	٥٤٪ من مجموع السكان.
ويُؤلّف عنصر الميستيزو	٣١٪ من مجموع السكان.
ويعيش من الأوربيين وخاصة من الإسبان	١٥٪ من مجموع السكان.
	١٠٠٪

وهناك ما يزيد على خمسة آلاف من العرب الشاميين، وأكثرهم من النصارى الكاثوليك.

أما من حيث العقيدة فيدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، وبينهم ستون ألفاً من النصارى البروتستانت، وأربعة آلاف يهودي، وعدة مئات من المسلمين. واللغة الرسمية هي الإسبانية، غير أن ثلث السكان يتكلّم اللغة (الكشوية)، ويتكلم آخرون باللغة (الايمرية).

بين العرب عدة مئات من المسلمين، يُقيم نصفهم في العاصمة (لاباز)، ويسكن بعضهم في (سانتاكروز) وفي (كوتشابامبا). وهناك بعض أبناء

البلاد الذين اعتنقوا الإسلام، ومنهم عبد المؤمن أحمد الذي كان أبوه قنصلاً لبلاده في المغرب فاعتنق ابنه الإسلام هناك، وعاد بحماسة للعمل الإسلامي، ويسعى جاهداً لتنظيم المسلمين وبناء مركز لهم.

ويجد المسلمون عنتاً من اليهود الذين لهم نفوذ في بوليفيا وخاصةً في الصحافة، والتجارة، والمصارف، كما أن العرب النصارى يبذلون جهودهم ليرتد المسلمون عن دينهم، ويدعونهم باسم العصبية العنصرية لهذا على الرغم من أن هؤلاء النصارى العرب ليس لهم أية إحساسات تجاه القضايا العربية.

وليس للمسلمين في بوليفيا أي تنظيم أو مركز لتأدية الشعائر.

(١٠) البـــرازيـل

أكبر دول أمريكا الجنوبية مساحةً وسكاناً، تُشكّل أراضيها ٤٣٪ من مساحة أمريكا الجنوبية، وهو ما يزيد على ثمانية ملايين ونصف من الكيلومترات المربعة، ويزيد عدد سكانها على مائة وثلاثين مليوناً، وعاصمتها الجديدة مدينة برازيليا. وتتألّف البرازيل من اتحاد اثنتين وعشرين ولاية، وخمس مقاطعات، ومنطقة العاصمة.

عرفها البّحار البرتغالي بيدروكابرال عام ٩٠٦، وبدأ الصراع بين إسبانيا والبرتغال على استعمارها حتى وقع الطرفان اتفاقية أصبحت البرازيل بموجبها للبرتغال. وقد أُطلق على البلاد اسم (البرازيل) باسم الخشب الذي حمله منها البحار البرتغالي الأول إلى بلاده.

تدفّق المهاجرون البرتغاليون اليها منذ عام ٩٣٦، وأسّسوا أول مدينة فيها واسموها (سانتوس)، وفي الوقت نفسه استعبد البرتغاليون الأفارقة، وبدؤوا ينقلون أفواجاً منهم كرقيق، وقد قُدّر عدد المنقولين بستة ملايين إفريقي. واتخذ البرتغاليون من مدينة باهيا (سلفادور) عاصمة لهم. ولما احتلت اسبانيا البرتغال غدت البرازيل تابعةً لإسبانيا، ولما عادت فانفصلت عنها عام ١١٧٤ رجعت البرازيل تتبع البرتغال، ولكن انتقلت العاصمة من باهيا إلى ريودي جانيرو. ولما احتلّ نابوليون بونابرت البرتغال عام ١٢٢٢ انتقل ملك البرتغال إلى البرازيل، ولكن لم يلبث نابوليون أن هُزم، ورجع ملك البرتغال إلى

بلاده، ولكن ترك ولي عهده في البرازيل وذلك عام ١٢٣٦ فلم يلبث ولي العهد أن أعلن نفسه امبراطوراً في البرازيل عام ١٢٣٧ ، وأعلنت الجمهورية عام ١٣٠٧ هـ. وانتقلت العاصمة من ريودي جانيرو إلى برازيليا التي أُنشئت حديثاً عام ١٣٨٠ هـ.

تُشكل العناصر الأوربية	٦٣ ٪ من مجموع سكان البلاد .
وعنصر الميستيزو	٢١ ٪ من مجموع سكان البلاد .
والأفارقة	١٥ ٪ من مجموع سكان البلاد .
هنود أمريكيون وعرب	١ ٪ من مجموع سكان البلاد .
	١٠٠ ٪

ويدين ٩٣ ٪ من السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ويوجد سبعة ملايين نصراني بروتستانتي، و٣٢٠ ألف مسلم و١٣٥ ألف يهودي إضافةً إلى بعض الوثنيين. واللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية، كما توجد لغات محلية.

المسلمون: وصل إلى البرازيل مع البرتغاليين فوج من المورسكيين، وليس هؤلاء أول المسلمين الذين وصلوا إلى أمريكا الجنوبية، وإنما هناك مُؤشرات ودلائل كثيرة تُبيّن وصول المسلمين من إفريقية الغربية إلى أمريكا الجنوبية قبل البرتغاليين بما يقرب القرنين من الزمن، ولكن أُبيدوا مع من أُبيد من السكان على أيدي الأوربيين الذين وصلوا إلى هناك يحملون الحقد، ويُشحنون به.

وقد منع البرتغاليون المورسكيين من الهجرة إذ اتجهت أعداد منهم ترغب ذلك فراراً من الخوف والضغط الذي يُعانون علهم يجدون في الأرض الجديدة فرجاً ومجالاً يظهرون فيه دينهم، ومع هذا المنع الذي مارسه البرتغاليون إلا أنه قد هاجرت مجموعات منهم، وانطلقت مجموعات أخرى هرباً من جنوب البرتغال، ويعتقد أن عدداً من بحارة البرتغاليين كانوا من المسلمين

(الموروسكيين) إذ كانوا على مهارةٍ بهذا الفنّ على حين لم يكن الإسبان والبرتغاليون قد أجادوه بعد. ولما أحسّت السلطات البرتغالية بهذا أقامت محاكم التفتيش على أرض البرازيل، وأعطت صفاتٍ عامةً للمسلمين المتسترين منها نظافة الملبس، والاستيقاظ المبكر، والغسل، والصيام، والقسم بالله بصورةٍ عفويةٍ و... وقد اتهمت أُناساً بالإسلام وأحرقتهم أحياناً. وتوجد أُسر نصرانية في البرازيل إلى اليوم تملك مصاحف قديمة انتقلت إليها بالإرث عن الأجداد، وورثوا معها المحافظة عليها والسرية، وهؤلاء قد كتموا إسلامهم ولكنه ضاع مع الزمن.

ولما جلب البرتغاليون الرقيق من إفريقية كان كثير منهم من المسلمين من قبائل الماندينغ (مالي)، والفولاني (البهل)، والهاوسا، وكان منهم بعض العلماء وتمسّكوا بدينهم، وكانوا يلتقون على تعلُّمه، بل أسلم على أيديهم بعض العبيد، وكانت لهم مُصليات سرية، ولقاءات تعليمية أشبه بالمدارس، وقد ثاروا على البرتغاليين وظلمهم عام ١٢٥١، وفشلوا، وتكرّرت ثوراتهم الفاشلة، فقام البرتغاليون بحربٍ صليبيةٍ حاقدة فقتلوا وأبادوا الكثير بل كل من تمكنوا منهم، وعاد دور التستّر بالإسلام، وكتم الإيمان مرةً ثانيةً، وارتدّ كثيرون، وعاشت جماعات حياةً نصرانيةً، وهي تدّعي الإسلام.

وجاءت هجرة من بلاد الشام في نهاية القرن الثالث عشر الهجري (١٢٧٨) وأكثرها من النصارى مع قلّة من المسلمين ثم زادت هذه الهجرة في مطلع القرن الرابع عشر وزاد فيها عدد المسلمين وذلك لأسبابٍ اقتصادية وسياسية، وكان أكثر المهاجرين الشاميين من سوريا ولبنان، ولكن بعد كارثة فلسطين عام ١٣٦٧ وما تلاها من محن ونكبات لم تنقطع أخذ الشاميون الفلسطينيون طريقهم إلى البرازيل.

ويُقدّر عدد المسلمين في البرازيل اليوم بـ ٣٢٠ ألف مسلم، ٨٠٪ شاميون، و٢٠٪ من الأفارقة، أما الشاميون فأكثر من نصفهم من سوريا

وتُعدّ مدينة سان باولو أكبر تجمّعٍ لهم، والنصف الآخر من اللبنانيين الذين يتجمّعون في مقاطعة بارانا في جنوب سان باولو، ومن الفلسطينيين الذين يكثرون في العاصمة برازيليا، وفي منطقة الجنوب في ولاية (ريوغراندي دوسول) في مدينة بورتو أليغرو. أما الأفارقة فيتركّزون في ولاية (باهيا).

وتوجد أقليات من فرق النصيرية والدروز. ولنعط لمحة عن توزّع المسلمين في الولايات بدءاً من الجنوب.

١ - **ريوغراندي دوسول** (وادي الجنوب الكبير): ويتجمّع فيها ما يزيد على عشرين ألف مسلم، جلّهم من فلسطين، هاجروا إليها مُؤخّراً، ويعمل أكثرهم تُجّاراً، ويتركّزون في مدينة (بورتو أليغرو)، كما يوجد مجموعات منهم في مدينة (ريوغراندي دوسول)، وليس للمسلمين أي تنظيم.

٢ - **سانتا كتارينا**: والمسلمون فيها قلّة.

٣ - **بارانا**: ويوجد فيها أكثر من أربعين ألف مسلم، معظمهم من الشاميين اللبنانيين، ويتركزون في المدن الكبيرة، وأهم هذه المدن:

قُريطبة: ويتجمّع فيها ما يقرب من عشرة آلاف مسلم، وهي قاعدة الولاية. وتأسّست فيها الجمعية الخيرية الإسلامية عام ١٣٧٧، وقد بنت نادياً عام ١٣٨٢، ومدرسةً عام ١٣٩١، ومسجداً عام ١٣٩٣. وأسّس الجزائريون ضاحيةً بالقرب من مدينة قُريطبة أطلقوا عليها اسم (أم الغيث).

لوندرينا: وفيها ما يزيد على عشرة آلاف مسلم أيضاً مع ضواحيها، وقد أسّسوا عام ١٣٨٨ (جمعية لندرينا وشمالي بارانا الخيرية الإسلامية)، وبنوا عام ١٣٩٣ مسجداً وبجانبه مدرسة.

باراناغوا: وهي ميناء الولاية ويعيش فيها ما يزيد على ستة آلاف مسلم، أغلبهم من الشاميين من البقاع، وأسّسوا جمعية باراناغوا الخيرية الإسلامية، وبنوا مسجداً، ومدرسة، ونادياً، ومركزاً إسلامياً.

وتقوم تجمّعات إسلامية في المدن الأخرى في الولاية.

٤ - **سان باولو:** ويتجمّع فيها ثلث مسلمي البرازيل، وأغلبهم من الشاميين السوريين، ويتركّز المسلمون في مدينتين أولاهما عاصمة الولاية (سان باولو) والثانية (بريتوس).

سان باولو: وتأسّست فيها (جمعية سان باولو الخيرية الإسلامية) عام ١٣٤٨، وانتهوا من بناء المسجد عام ١٣٧٠. وبنوا في ضاحية (فيلاكارون) مدرسة، واشتروا مزرعةً في ضاحيةٍ أخرى هي (سانتو أمارو)، وأقاموا عليها مدرسةً وناديًا. وبنوا مسجدًا في ضاحية (غوا رولوس) قرب مقبرةٍ يمتلكونها، وأوقفوا الوقف للمدرسة والمسجد. ووقع الخلاف بين المسلمين بسبب الدعوة إلى العنصرية العربية، حتى المجلة الأسبوعية التي كانت تصدر باسم المسلمين منذ عام ١٣٥١، وتحمل اسم (الذكرى) تغيّر اسمها إلى (العروبة). وتنصّرت أعداد مُرتدّةً عن دينها، وشاع الزواج المختلط، وأخذت الأسماء النصرانية تشيع بينهم.

وتوجد جمعيات خاصة بفرق النصيرية، والدروز، فهناك الجمعية العلوية، وجمعية البيت الدرزي.

ويوجد مركز للدراسات العربية، ومركز إسلامي كبير، وبعض الجمعيات الإسلامية الصغيرة. مثل جمعية أبي بكر الصديق، وجمعية (السانتو أمارو) الإسلامية التي تحمل اسم المنطقة، وجمعية الرفاهية والثقافة الإسلامية في منطقة (سان ميغيل)، وجمعية للشيعة تحمل اسم الجمعية الجعفرية. والنادي الإسلامي، والنادي الذي يحمل اسم قرية (السلطان) التي جميع سكانها من المسلمين المغتربين.

بريتوس: ويوجد فيها اثنا عشر ألفاً من المسلمين، أكثرهم من الشام من لبنان، وقد أسّسوا الجمعية الخيرية الإسلامية عام ١٣٨٢، وأقاموا مسجداً على أرض اشتروها، وافتتحوا مدرسةً صغيرةً.

٥ ـ ريو دي جانيرو: تضم المنطقة ثلاث ولايات هي: (غوانبارا)، وتشمل مدينة ريو دي جانيرو وما حولها، وولاية (ريو دي جانيرو) و(اسبريتو سانتو).

يوجد في المنطقة اثنا عشر ألف مسلم يتركّزون في مدينة ريو دي جانيرو، وقد أسّسوا (الجمعية الخيرية الإسلامية)، وقد بنت مسجداً، ومركزاً إسلامياً.

وفي المدينة جمعية نصيرية تحمل اسم (الرابطة) العلوية.

وفي ولاية (اسبريتو سانتو) تجمّع إسلامي صغير، وليس له تنظيم.

٨ ـ **ميناس چرايس:** يتوزّع في هذه الولاية أكثر من خمسة عشر ألف مسلم، يعود أكثرهم إلى أصولٍ عربية، وليس لهم أي تنظيم أو مؤسسة أو مكانٍ يُؤدّون فيه العبادات.

٩ ـ برازيليا: وهي عاصمة البلاد، ويقيم فيها أكثر من ثمانية آلاف مسلم، أكثرهم من الشام من فلسطين، وقد أسّسوا لهم جمعية عام ١٣٩٤ بعد أن انتزعت منهم الأرض التي خصصت لبناء مسجد، وعوض لهم بعدئذٍ عنها بأرضٍ داخل المدينة لبناء مسجد ومركزٍ إسلامي. كما يستفيدون من مدرسة للحكومة لتعليم أبنائهم الإسلام والعربية بعد الدوام.

١٠ ـ **ماتوغروسو:** وعاصمتها مدينة (كويابا) وفيها عشرة آلاف مسلم، وقد أسّسوا (جمعية كويابا الخيرية الإسلامية)، وأقاموا مسجداً على أرض اشتروها لهذا الغرض، ويعود أكثرهم إلى أصلٍ شامي من لبنان.

١١ ـ **باهيا:** يكثر فيها المسلمون الأفارقة وأصولهم من نيجيريا من قبائل الهاوسا، والفولاني، واليوروبا، وقد تخلّوا عن الإسلام، وإن لم يدخلوا في دين آخر، وبقيت عندهم بعض العادات من الآثار الإسلامية، ويدّعي بعض الذين درسوا أحوالهم أنهم قد تنصّروا. ويُقدّر عدد هؤلاء بستين ألفاً،

ومن المؤسف أنه لم يهتم بهم أحد، ولم يقم بدراسة أوضاعهم بجاثة على حين أن كثيراً من الغربيين قد قاموا بدراسة أحوالهم، ويرغبون بشدّهم نحو النصرانية، لذا يدّعون أنهم قد أصبحوا نصارى.

١٢ - **بارا:** ويوجد سبعمائة مسلم في عاصمتها مدينة (بالم)، وليس لهم أي تنظيم، وقد اعتنق حاكم المدينة الإسلام في عام ١٣٩٢ هـ.

١٣ - **الأمازون:** ويجتمع عدد من المسلمين في عاصمتها (ميناؤس) والتي تقع بعد التقاء نهر الأمازون برافده (ريو نغرو)، وفي العاصمة عدة آلاف من الشاميين السوريين، ولكن ليس لهم أي تنظيم وليت الأمر يقف عند هذا الحدّ بل تجاوزه كثيراً، إذ أن الرذيلة منتشرة في تلك الجهات، وقد اندمج المسلمون في ذلك المجتمع، وبدؤوا يتزوّجون من النصارى، وينشأ أبناؤهم على عقيدة السكان، ويُقلّدون تصرّفات الأهالي. ويملك أحد المسلمين محطة تلفزيون المدينة، وقد اعتنق أحد قضاة النصارى الإسلام عام ١٣٩٢ هـ.

هذه أهم الولايات التي تيعش فيها تجمّعات إسلامية أما بقية الولايات فهناك مسلمون مبعثرون، وهذا التوزّع يزيد في سرعة ضياعهم بل إنهم لا يهتمون بإسلامهم من الأساس - مع الأسف - فهم يعيشون كبقية أفراد المجتمع البرازيلي لا همّ لهم سوى الحصول على المادة والشهوة.

(١١) بَاراغوايْ

تُسمّى باسم النهر الذي يمرّ فيها، وتبلغ مساحتها ٤٠٦,٧٥٢ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة (أوسونسيون).

حاول الإسبان غزوها عام ٩٣٣ هـ، ولكن سيطر عليها الرهبان اليسوعيون، وبقوا فيها حتى طردهم منها الإسبان عام ١١٨١. وقاوم السكان الاحتلال الإسباني حتى حصلوا على الاستقلال عام ١٢٣٠.

يُشكّل عنصر الميستيزو ٩٨٪ من سكان البلاد، والبقية أقليات من الهنود الحمر، والأوربيين، والأفارقة. واللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية، ويتكلّم السكان لغةً محليةً تُدعى (الغوارانية)، وتدين الأغلبية بالنصرانية الكاثوليكية، ويوجد في البلاد ما يزيد على ستين ألفاً من النصارى البروتستانت، وألف وخمسمائة من اليهود.

هاجر الشاميون إليها في القرن الرابع عشر هجري، ويُقدّر عددهم بستة آلاف عربي، غير أن اكثرهم من النصارى، ويوجد بينهم ألف مسلم، يعمل كثيرٍ منهم باعة مُتجوّلون، ويقيمون قرب الحدود البرازيلية، وليس لهم أي تنظيم أو مؤسسة إسلامية أو مسجد يُؤدّون فيه شعائرهم، وغالبيتهم من لبنان وفلسطين.

(١٢) الأورغواي

وتبلغ مساحتها ١٨٥,٢٢٦ كيلومتراً مربعاً أي ما يُعادل مساحة سوريا ، ويزيد سكانها على ثلاثة ملايين ، وعاصمتها مدينة (مونتفيديو) .

وصل إليها الإسبان عام ٩٢٩ هـ ، واحتلّها البرتغاليون عام ١٠٩١ ، واستردّها الإسبان عام ١١٩٢ ، وبقوا فيها حتى نالت استقلالها عام ١٢٤١ .

يُشكّل الأوربيون ٩٠٪ من السكان ، ومعظمهم من الإسبان والايطاليين الذين وفدوا إليها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، والباقي من عنصر الميستيزو مع أقليةٍ من الزنوج الأفارقة .

يدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية ، ويوجد خمسون ألفاً من النصارى البروتستانت ، ومثلهم من اليهود ، وتُعدّ اللغة الإسبانية اللغة الرسمية .

هاجر إليها ما يزيد على خمسة عشر ألفاً من الشاميين ، ومعظمهم من النصارى ، وبينهم ألف مسلم ، لا تنظيم لهم ، ولا مؤسسة تجمعهم ، ولا مسجد ، ولا اهتمام من إخوانهم بهم ويسيرون نحو الضياع .

(١٣) الأرجنتين

تبلغ مساحتها ٢,٧٧٧,٠٠٠ كيلومتر مربع، فهي ثاني دول أمريكا الجنوبية مساحةً بعد البرازيل، ويبلغ عدد سكانها ثلاثين مليوناً، وعاصمتها مدينة (بونيس آيرس). وتتألّف البلاد من اثنتين وعشرين ولايةً اتحادية مع إقليم العاصمة الاتحادي.

احتلّها الإسبان عام ٩٢٢، واستمرّ استعمارهم لها حتى عام ١٢٣٢، وتدفّق المهاجرون إلى الأرجنتين من أوربا وخاصةً من إسبانيا وإيطالية، وجاء مهاجرون عرب وخاصةً من الشام. ويُشكّل الأوربيون اليوم ٩٠٪ من السكان منهم ٤٥٪ من ايطاليا، و ٣٠٪ من إسبانيا، و ١٥٪ من بقية دول أوربا. وهناك أقليات من العرب الشاميين، ومن الهنود الحمر. واللغة الإسبانية هي الرسمية.

يدين معظم السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ويوجد ما يزيد على سبعمائة ألف نصراني بروتستانتي، وستمائة ألف يهودي، وأربعمائة ألف مسلم، وعدة آلاف من النصارى الأرثوذكس.

المسلمون: لقد دخل إلى الأرجنتين عدد من الموروسكيين الأندلسيين، ولكن انصهروا في المجتمع النصراني مع توالي الأجيال، والسرية خوفاً من السلطات الحاكمة الحاقدة على الإسلام.

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري بدأ الشاميون يرتحلون إلى الأرجنتين وزادت هجرتهم بين الحربين العالميتين. ووصلت نسبتهم إلى ١,٣٪ من مجموع السكان، غير أن أكثرهم من النصارى، وبينهم أربعمائة ألف مسلم، وإذا كان الإسلام يغلب عليهم إلا أنه بينهم ما يزيد على خمسةٍ وعشرين ألفاً من النصيرية. وقد ارتدّ بعض المسلمين نتيجة حقد النصارى العرب على الإسلام وعلى العثمانيين، فكانوا يُطلقون على المسلمين أتراكاً من باب الازدراء - حسب زعمهم -. ولا تعترف الحكومة الأرجنتينية بالدين الإسلامي.

ويتوزّع المسلمون في المدن الكبرى وعدة ولايات ومنها:

بونيس آيرس: العاصمة وهي مدينة كبيرة يزيد عدد سكانها مع ضواحيها على عشرة ملايين، وفيها أكثر من مائة ألف مسلم. ويوجد حي أكثر سكانه من العرب، وهو حيّ (كونستيتوسيون) الذي معظم أهله من بلدة يبرود التي تقع شمال مدينة دمشق، وتبعد عنها ثمانين كيلومتراً وسكانها من المسلمين والنصارى.

وتأسّست في العاصمة عام ١٣٣٧ الجمعية الإسلامية السنية، وأنشأت نادياً إسلامياً فيه مسجد، ومكتبة، وقاعة اجتماعات.

كما تأسّست عام ١٣٨٠ الجمعية الأرجنتينية العربية الإسلامية، وقد تألّفت من انضمام ثلاث جمعيات، وأنشأت هذه الجمعية مدرسة وساهم فيها النصارى العرب، ثم هددوا، وعملوا على إلغاء التعليم الإسلامي، بل وأزالوا كلمة الإسلامية من اسم الجمعية. وقد تمّ لهم كل ذلك... ولكن عام ١٣٩٤ هـ. أعادت الجمعية صبغتها الإسلامية، وانسحب منها النصارى العرب مغاضبين. وتصدر هذه الجمعية مجلة (الإسلام) باللغة الإسبانية.

ويوجد في بونيس آيرس المركز الإسلامي الذي يعمل على الإشراف على الجمعيات الإسلامية. ومركز الدراسات الإسلامية. والمعهد الأرجنتيني العربي، والنشرة العربية الأرجنتينية (النيل).

ومما يُؤسف له أنه توجد أندية ذات صبغة إقليمية ضيقة جداً مثل النادي الحمصي، والجمعية اليبرودية. كما توجد جمعيات للفرق الضالة فهناك الجمعية الخيرية النصيرية (العلوية)، والاتحاد النصيري (العلوي)، والجمعية الدرزية.

هذا في الوقت الذي يرتدّ عدد من المسلمين عن دينهم، وزواج بعضهم بالنصرانيات، وتسمية أبناء بعضهم بأسماء نصرانية.

ويتجمّع عدد من المسلمين في ضاحية (فلورس) إحدى ضواحي بونيس آيرس، كما يوجد فيها عدد من طائفة النصيرية.

روزاريو: ويتجمع المسلمون في ولاية (شنتافي) في مدينة روزاريو حيث جمعية الاتحاد الإسلامي التي تأسّست عام ١٣٥٠، ويشترك في إدارتها مسلمون، ونصيرية، ودروز، وتشرف الجمعية على مدرسة صغيرة لتعليم اللغة العربية، ويعيش في هذه المدينة سبعة آلاف من الشيعة.

قرطبة: يعيش في ولاية قرطبة أكثر من ثلاثين ألف مسلم، يسكن مدينة قرطبة قاعدة الولاية أكثر من ثمانية آلاف مسلم، وقد تأسّست فيها عام ١٣٤٧ الجمعية الإسلامية العربية، ولها مقرّ صغير، وقد بنت المسجد الجامع، وهو أول جامع بني في الأرجنتين. ويقوم في المدينة أيضاً معهد التربية الإسلامية. وللمسلمين أيضاً مقبرة خاصة بهم.

مندوزا: يعيش في هذه الولاية أكثر من أربعين ألف مسلم، يتركز معظمهم في مدينة (مندوزا) عاصمة الولاية. وأكثر المسلمين فيها من بلدة (دير عطية) في الشام والتي تبعد مائة كيلومتر إلى الشمال من دمشق. وتأسّست فيها عام ١٣٤٤ الجمعية العربية السورية، وقد انسحب منها النصارى، وأنشأوا النادي السوري. وفي المدينة مركز إسلامي.

تكومان: وتوجد جمعية إسلامية في مدينة تكومان عاصمة الولاية التي تحمل اسم العاصمة، وتقع في شمالي الأرجنتين.

هذه أهم مراكز تجمّع المسلمين في الأرجنتين، وهناك أعداد كثيرة موزعة في مختلف الولايات والمدن.

ويُعاني المسلمون في الأرجنتين من اليهود والنصارى، وأشدّ النصارى مقاومةً للمسلمين النصارى العرب، كما يُعانون من إهمال إخوانهم في الأمصار الإسلامية إذ ينقصهم العلماء، والأئمة والأساتذة، والكتب، والتوجيه، والدعم.

(١٤) الشــيلي

وتبلغ مساحتها ٧٥٦,٦٢٦ كيلومتراً مربعاً ، ويبلغ عدد سكانها اثني عشر مليوناً ، وعاصمتها مدينة (سنتياغو) . كانت جزءاً من إمبراطورية الأنيكا ، واحتلتّها إسبانيا عام ٩٤٧ ، وبقي الاستعمار الإسباني فيها حتى عام ١٢٣٣ .

يُشكّل عنصر الميستيزو ٦٥ ٪ من سكان البلاد ، ويؤلف الإسبان ٢٥ ٪، وهناك أقلية أوربية أكثرها من الألمان ، وتُشكّل ٥ ٪، والباقي وهو ٥ ٪أكثرهم من السكان الأصليين ، ويقطن الشيلي أكثر من مائة وثلاثين ألف عربي من الشاميين ، أكثرهم من النصارى ، وبينهم ألف مسلم ، ولهم نادٍ ضخم قرب العاصمة (سنتياغو) ، ولهم مركزهم الاقتصادي .

يدين ٨٨ ٪ من السكان بالنصرانية الكاثوليكية ، و ١٠ ٪ بالنصرانية البروتستانتية ، و ٢ ٪ هم من النصارى الأرثوذكس العرب ، وخمسة وثلاثين ألفاً من اليهود ، وأربعين ألفاً من البهائيين .

واللغة الرسمية هي اللغة الإسبانية .

المسلمون : وصل إلى الشيلي فوج من الموروسكيين وقد ضاعوا مع الزمن ، ومع الهجرة الشامية في القرن الرابع عشر الهجري دخل ألف مسلم وتزايدوا ،

ويُقدّر عدد المسلمين اليوم بألفي مسلم. يُقيم ثمانمائة منهم في العاصمة سنتياغو، ويتوزّع الباقون، وقد دخلت البلاد مجموعات من مسلمي يوغوسلافيا وباكستان. وقد ارتدّ عدد من المسلمين عن دينهم عن طريق النصارى العرب الأرثوذكس الذين يسعون جاهدين لذلك بل أثّر هؤلاء على الكاثوليك من الشيلي فترك بعضهم الكاثوليكية واعتنق الأرثوذكسية. وبعض المسلمين يسمون أبناءهم بأسماء نصرانية.

تأسّست عام ١٣٤٥ جمعية إسلامية في سنتياغو، ولكن توقّف نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية لقلّة عدد المسلمين إذ هاجر قسم، وارتدّ قسم، وآخرون لا يبالون، ثم عاد النشاط إلى الجمعية عام ١٣٧٥، ولكن ليس لهم مسجد. ولكن يقوم بتعليم الأطفال بعض العارفين للعربية، وأُنشئت مدرسة ثم انتهت.

وتشترك الجمعية مع جمعيةٍ عنصرية (اسمها الاتحاد القومي العربي) في البناء، ويرأس الجمعيتين رجل واحد.

وفي جامعة سنتياغو قسم للدراسات العربية والإسلامية، كما تبث الإذاعة الشيلية من سنتياغو ساعةً يومية برنامج (صوت فلسطين) تُشرف عليه منظمة التحرير. ويُصدر النصارى العرب جريدة (العالم العربي).

ويجد المسلمون عنتاً من اليهود، ومن النصارى، ومن العرب النصارى. ويشعرون بتقصير إخوانهم في الأمصار الإسلامية تجاههم.

ويمكن أن نلخص أعداد المسلمين ونسبتهم في دول أمريكا الجنوبية بما يأتي:

الدولة	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١ ـ ترينداد وتوباكو	١,٣٥٠,٠٠٠	١٦٥,٠٠٠	١٢٪
٢ ـ غويانا	١,٠٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	١٥٪
٣ ـ سورينام	٥٠٠,٠٠٠	١٧٠,٠٠٠	٣٣٪
٤ ـ غويانا الفرنسية	٧٥,٠٠٠	٧,٥٠٠	١٠٪
٥ ـ فنزويلا	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	—
٦ ـ كولومبيا	٢٨,٠٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	—
٧ ـ إكوادور	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٠٠	—
٨ ـ البيرو	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠	—
٩ ـ بوليفيا	٦,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٠	—
١٠ ـ البرازيل	١٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٢٠,٠٠٠	—
١١ ـ باراغوي	٣,٥٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠	—
١٢ ـ أوروغواي	٣,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠	—
١٣ ـ الأرجنتين	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	١,٣٪
١٤ ـ الشيلي	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠	—
	٢٦٠,٤٢٥,٠٠٠	١,٢٦٨,٤٠٠	٠,٤٦٪

مع الأقليات المسلمة في أمريكا الجنوبية

يعيش في أمريكا الجنوبية أكثر من مليون وربع مسلم، ولكن لا يُشكّلون سوى نسبةٍ ضئيلة تقلّ عن نصف بالمائة (٠,٤٦٪)، ويتوزّعون في بلدان القارة كلها، غير أنهم في بعض بلدانها يرتفع عددهم نسبياً فيُساعدهم ذلك على تنظيم أنفسهم والوقوف في وجه التيارات التي تُريد أن تعصف بهم، ولكن هذا الوقوف ليس ثابتاً إذ أن جذوره غير عميقة في الأرض، ولا تستند على دعائم خارجية، والإمكانات المحلية ضعيفة، إذ لا علماء بينهم، ولا مساعدات تأتي إليهم، وإذا ما أرسل إليهم عنصر، فإن شخصاً واحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً أو يُقدّم شيئاً لعشرات الآلاف يعيشون بين مجتمع يخالفهم في العقيدة والحياة، وله إمكانات ضخمة، ويهبّ تياره بعنف، وإذا كان هذا الداعية نشيطاً واعياً مخلصاً أمكنه أن يدبّ النشاط في الحي الذي يعيش فيه أو المسجد الذي أرسل له، أو الجمعية التي تشرف على مؤسسةٍ إسلاميةٍ معينةٍ، كما حدث في مدينة لوندرينا في مقاطعة بارانا في البرازيل عندما وصل إليهم أحمد صالح المحايري، وإذا كان غير ذلك أوقع الخلاف بين المسلمين، كما حدث في مدينة سان باولو في البرازيل عندما جاء إليهم داعية للعصبية العنصرية.

أضف إلى ذلك أن المسلمين ليسوا جميعاً ينتظمون في جمعية أو مؤسسة أو يساهمون في النشاط الإسلامي وبناء المسجد أو افتتاح المدرسة وذلك لأسبابٍ

كثيرة: منها اختلاف المشارب والأهواء، ومنها الأفكار الدخيلة كالعصبيات وغيرها. ولا شك فإن البعيدين عن النشاط يتعرّضون للضياع أكثر من غيرهم لاندماجهم في المجتمع الأمريكي، والزواج من فتياته اللواتي يُربين أطفالهن تربيةً نصرانيةً، ولا شك فإن الأجيال القادمة ستضيع نهائياً ولا يتعدّى ذلك جيلاً أو جيلين. فالمرء قوي بأخيه يحول دون انزلاقه ويُسدّد من خطاه، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وما ينطبق على الدول ينطبق على المناطق إذ أن بعض الدول ذات مساحات واسعة، فالمدن والجهات التي يتجمّع فيها كثير من المسلمين يساعد بعضهم بعضاً، والبقاع التي يقلّ فيها المسلمون أو يتبعثرون فيها يسيرون بطبيعة الحال نحو الضياع، وهذه النواحي والدول التي يقلّ فيها المسلمون عامةً يقلّ أيضاً اهتمام إخوانهم بهم، فلا يرسلون إليهم أحداً، ولا يتفقدونهم، ولا يدعمونهم، وهذا لا شك يُؤدّي إلى ذوبان الشخصية أو الارتداد، وكثير من الجهات تسير في هذا الاتجاه، وعلى أصحاب الامكانات والمسؤوليات في أمصار العالم الإسلامي تدارك هذا الأمر قبل وقوعه.

ولعلّ من أهمّ العوامل الذاتية التي تُهدّد الأقليات المسلمة في أمريكا الجنوبية هي الدعوة العنصرية أو العصبية القومية فإضافةً إلى مخالفتها إلى الإسلام نراها تُفرّق المسلمين، وتُوقع بينهم الخلاف، وتشتت شملهم، ومما يزيد خطرها في هذا الجزء من العالم أن نسبة العرب مرتفعة ونسبة النصارى بينهم عالية وهذا ما يجعلهم يُعايشونهم ويتزوّجون منهم بسبب اللغة المشتركة والعادات المتقاربة أحياناً، فيضيع المسلمون، ويفقدون شخصيتهم، وهذا ما يعمل له النصارى، ويخططون له، والمسلمون في غفلةٍ لا أحد يُوقظهم، ولا يرعى شؤونهم.

ونزيد على هذا أن الخلاف القائم بين الدول التي انطلق منها المهاجرون قد حملوه معهم، أو تعصّبوا له مع أنهم في كثيرٍ من الأحيان ما خرجوا من بلدانهم

إلا وقد ضاقوا بهـا ذرعاً أو شرّدهم الطغاة فيها . وأحياناً أخرى يحمل هؤلاء المهاجرون الأفكار السائدة في أمصارهم الأصلية ، وقد يتبنّـونها ، أو يعمـل لها السفراء فيقع الخلاف وتحتدم الأزمات .

ونضيف إلى هذا التشتت القائم والتبعثر الموجود في تلك الجهات الواسعة حيث يصعب إقامة مؤسسة أو مسجد أو مدرسة لقلّةٍ قليلةٍ تعيش في جهاتٍ بعيدةٍ عن تجمُّعات المسلمين ومناطق تمركُزهم في المدن الكبرى ونواحٍ معينةٍ . ويجب ألا ننسى أبداً النزوات الشخصية والعقليات الغريبة وبخاصةٍ أن أكثر المسلمين في دول أمريكا الجنوبية من الشاميين الذين عُرفوا بالمخالفة ، والتشبُّـث بالرأي ، وحبّ الزعامة وهذا ما يُؤدّي إلى زيادة التفرقة .

ويجب أن نضع في اعتبارنا الحالة النفسية التي يعيشها المسلمون هناك ، والحالة المادية التي يحياها كثير منهم ، وأوضاع بلدانهم المؤسفة والتي خرجوا منها ومن أجلها . وعـدم اهتمام إخـوانهم في الأمصـار الإسلاميـة الأخـرى وخاصةً التي تبدو بمظهر العاملة للإسلام أو الداعية له ، والتي أحياناً تدفع الكثير من أجل ذلك .

وهناك العوامل الخارجية والتي تتمثّل في اليهود والنصارى وأخطر منهما الفرق الضالة التي تنتسب للإسلام أحياناً ، وتعمل على هدمه ، وفي الوقت نفسـه فإن في عقائدها وتصرّفاتها وسلوك أبنائها ما يُنفّـر مـن الإسلام ، ويحول دون الإقبال إليه ولا شك فإن أعداداً أخرى من الذين ينتمون إلى الإسلام فعلاً ليس سلوكهم بأفضل من أولئك ، وهؤلاء وأولئك يُشكّلون عبئاً على الإسلام ، ووقوفاً في وجه انطلاقه ، ودعماً للتحدّيات له .

وفي الوقت الذي يعيش المسلمون هناك تلك الصعوبات والتحديات يحيا إخوانهم في بعض الأمصار في نعيمٍ ويديرون لهم ظهرهم ، وإن كان يُشاطرهم الشقاء إخوان لهم في أمصار ثانيةٍ ، وينوءون بما يحملونه وربما زاد ذلك عنهم أضعافاً مُضاعفة ، وإن ظلم ذوي القربى لشديد .

الأقليّات المُسلِمَة
في
قـَارة أوقيانوسـَيا

قارة أوقيانوسيا أصغر القارات إذ لا تزيد مساحتها على تسعة ملايين من الكيلومترات المربعة، وفي الوقت نفسه فهي أحدث القارات معرفةً إذ تعـود هذه المعرفة إلى القرن الحادي عشر الهجري، عندما تمكّن تسمان الهولنـدي أن يصل إلى سواحلها الجنوبية عام ١٠٥٢ هـ، ولم تعرف كامل سواحلها إلّا في نهاية القرن الثاني عشر الهجري (١١٩٥). كما أن هذه القارة أقل قارات العالم سكاناً حيث لا يزيد عدد سكانها على عشرين مليوناً. كذلك تضمّ أقل القارات دولاً، إذ لا تتعدّى دولها الست، وأكثرها جزر متناثرة في المحيط الهادي، ومن هنا جاء اسم القارة (أوقيانوسيا) أي القارة المحيطية، ويمكن أن نستثني من ذلك أستراليا التي تشمل ٨٧٪ من مساحة القارة لذا كثيراً ما تحمل القارة اسمها فيقال قارة أسترالىا، وهذا غلط، أو هكذا يُحبّ بعضهم أن يُطلق عليها.

ولما كانت القارة حديثة المعرفة فإن وصول الإسلام إليها قد جاء حديثاً أيضاً في الوقت الذي يعيش فيه المسلمون ضعفاء، فهم فيها مُتأثّرون لا مُؤثّرين غير أن طبيعة عقيدتهم تجعل بعض السكان يقبلون نحوها، فهذا بفضل العقيدة التي هي من عند الله لا بجهدهم، ولو كانت الدعوة ترتبط فقط بوضع المسلمين اليوم لما أقبل أحد نحوهم لما أحـدثـوا، ولما أصـابهم مـن ضعفٍ، ووهنٍ، واستكانة، وذلٍّ.

وإذا كان بعض أفـراد مـن المسلمين قـد أسهمـوا في اكتشـاف داخـل استراليا ، فإنما جاء هؤلاء مأجورين لغيرهم، أو جاءوا مدفوعين غير مندفعين حيث لم يكونوا سوى أصحاب جمالٍ ، وأصحاب صبرٍ أكثر من غيرهم. وربما وجد الانكليز أن التضحية فيهم خير من التضحية بغيرهم، وعلى كل فقد كان جهد في معرفة هذا الجزء من العالم.

لقد هاجر معظم المسلمين إلى هذه القارة للعمل وإيجاد مجالٍ للرزق، فانطلقوا متفرقين، وعاشوا مُوزّعين، فلما زاد عددهم وخشي بعضهم على أبنائه أو على نفسه من الضياع عمل لتنظيم المسلمين، والتقت الجهود ، وقامت بعض الجمعيات ولكن غالباً ما تكون دون الحاجة المطلوبـة ، أو لا تستطيـع أن تُؤدّي دورها كاملاً لضعف الإمكانات وقلّة الطاقات المطلوبة.

وتنظر هذه الجمعيات، وينظر المسلمون في الغربة عامةً إلى إخوانهم في الأمصار الإسلامية، ويتوقّعون منهم شيئاً كثيراً ، ولكن لا يصل إلا القليل القليل إن وصل، ومن جهاتٍ قليلةٍ إن وجدت بسبب نأي الأفكار بهم بعيداً عن الإسلام في بعض الأمصار ، والتقوقع والالتفات إلى الذات إلى أمصارٍ أُخرى، وعدم الإمكانات في ثالثـةٍ، والانصراف إلى النعيم أو الملـذات التي تُشغلهم عن غيرهم ولو كانوا إخوانهم في رابعةٍ و . . .

وأما دول قارة أوقيانوسيا التي تضمّ تجمّعاتٍ إسلاميةٍ بارزةٍ فهي :

(١) أستراليا

تبلغ مساحتها ٧,٦٨٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ستة عشر مليوناً، وعاصمتها مدينة (كانبرا). وهي دولة اتحادية تشمل ست ولايات ومقاطعتين وهي:

١ - نيو ساوث ويلز. ٢ - فيكتوريا. ٣ - كوينزلاند. ٤ - استراليا الجنوبية. ٥ - تسمانيا. ٦ - غربي استراليا. والمقاطعة الشمالية ومقاطعة العاصمة.

بعد أن عرف جيمس كول سواحل استراليا في رحلاته الثلاث والتي انتهت عام ١١٩٥ هـ نشط العمل الانكليزي فيها، وتحوّلت إلى مستعمرةٍ إنكليزيةٍ، واستمرّ ذلك حتى عام ١٣١٩ حيث اتحدت الولايات بعضها مع بعض، وحصلت على شيءٍ من الاستقلال، ودخلت الحرب العالمية الأولى بجانب انكلترا، وخرجت من الحرب مستقلةً.

وصول المسلمين: استقدمت السلطات الإنكليزية عام ١٢٦٧ هـ اثني عشر جمّالاً من بلاد الأفغان ومعهم مائة وعشرون جملاً للولوج إلى داخل البلاد، والتعرّف على داخل فيافي أستراليا، واستمرّ استقدام الجمّالين وتعدّى الأفغان إلى الهند وإيران إلا أن الجميع كان يُطلق عليهم أفغان لسبقهم واقتران الجمال بهم، بل كان يختصر الاسم إلى (غان) بدلاً من كلمة أفغان.

وزاد بذلك عدد المسلمين حتى وصل عام ١٢٩٩ إلى ٥٠٠٣ مسلمين وعام ١٣١٩ إلى ٦٥٩٩ مسلماً.

لقد كان هؤلاء المسلمون يقيمون مصليات على طول الطرق التي يسلكونها، ولم يكن الدخول إلى قلب الصحراء من جهةٍ واحدةٍ بل كان من جهاتٍ متعددةٍ، إذ استقدمت السلطات في استراليا الغربية بين عامي (١٣١٢ و ١٣١٥ هـ) ستة آلاف وستمائة جمل مع أصحابها. وقد أقام بعضهم في مدينة (بورث)، وشيّدوا مسجداً لهم عام ١٣٢٣ هـ، ثم مدينة (كولغاري).

وأسهم رجال القوافل هؤلاء في مدّ الخط الحديدي بين (أدليد) و (أليس سبرينغ) عام ١٣١٤ هـ، ولما انتهت معرفة فيافي أستراليا غادر بعض الأفغان البلاد، ورجعوا إلى وطنهم، ومنهم من استقرّ، وعمل في ميدانٍ آخر مثل التعدين والتجارة، وظهر أن عدد الأفغان قد بدأ بالتناقص من عام ١٣٣٩.

ومنذ عام ١٣٣٤ بدأ مسلمون آخرون يتجهون مهاجرين نحو استراليا من أندونيسيا، والهند، ومصر، والشام، وتركيا، وألبانيا ويوغوسلافيا لما تتعرض لها بلادهم من ضائقاتٍ اقتصاديةٍ أو هزاتٍ سياسيةٍ، وما أكثر هذه وتلك في أمصار العالم الإسلامي. وتوقفت الهجرة أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم زادت بعدها، وتكاثر المسلمون حتى زاد عددهم على ربع مليون مسلم في استراليا، وإن كان هذا الرقم قد أعطاه الاتحاد الإسلامي الاسترالي في نشرته التي يُصدرها [١]، إلا أن آخرين قد رحلوا إلى استراليا وذكروا عدد المسلمين، فوصل عند بعضهم إلى مائتين وستين ألفاً [٢]، على حين هبط عند آخرين إلى

---

(١) النشرة الصادرة عن الاتحاد الاسلامي الاسترالي في ٢٠ جمادى الأولى عام ١٤٠١، ونقلته كذلك جريدة الجزيرة التي تصدر بمدينة الرياض.

(٢) من تقرير للدكتور عبدالله الزايد مدير معهد الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ورئيس بعثة دار البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية إلى أوقيانوسيا.

=

أربعة عشر ألفاً وخمسائة [١] . وأعطى فريق ثالث عدد العرب وبالغ فيه [٢] .

والذي يمكن الاعتماد عليه هو ما ورد عن اتحاد المجالس الإسلامية الإسترالية الذي ذكر أن عدد المسلمين في استراليا هو مائتان وخمسون ألفاً ، وأنهم ينتمون إلى ثلاث وعشرين جنسية ، ويتوزّعون كما يلي :

١٢٠,٠٠٠ في ولاية نيو ساوث ويلز ، منهم تسعون ألفاً في مدينة سدني .
٨٠,٠٠٠ في ولاية فيكتوريا ، منهم سبعون ألفاً في مدينة ملبورن .
٥٠,٠٠٠ في باقي جهات استراليا .

٢٥٠,٠٠٠

وقد اعترفت الحكومة الاسترالية عام ١٣٩٦ باتحاد المجالس الإسلامية الاسترالية الذي مقره مدينة ملبورن ، وله فرع في سدني ، ويضمّ ممثلاً عن كل ولايةٍ استراليةٍ ، ويتبعه اتحاد المجالس المحلية بكل ولايةٍ ، ويُضاف إلى هذا الاتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية ، وعدد المجالس الإسلامية الاسترالية المحلية تسعة ، ستة في استراليا وثلاثة في المناطق التابعة لها خارج استراليا .

ويُصدر الاتحاد صحيفةً باللغة الانكليزية والعربية ، والتركية ، واليوغوسلافية ، وتصدر كل شهرين مرة تُعرف باسم (المنارة الإسلامية) ،

= كما ذكرت مجلة المسلمون في عددها ٢١ تاريخ ٢٤ جمادى الأولى عام ١٤٠٢ هـ أن عدد المسلمين في استراليا ثلاثمائة ألف مسلم ، منهم ثلاثة آلاف وخمسائة قد اعتنقوا الإسلام ، وهم من سكان أستراليا .

(١) من تقرير السيد عبدالقادر بخش ممثل رابطة الشباب المسلم الفيجية بباكستان .

(٢) ذكرت مجلة العربي الكويتية في استطلاعٍ لها أن عدد العرب من مسلمين وغيرهم يبلغ نحو مائتين وعشرة آلاف نسمة ، غالبيتهم يعيشون حول (سدني) و (ملبورن) وتتعدد المساجد في مدنٍ متفرقةٍ من استراليا ، وكل جماعةٍ من المسلمين تبني لها مسجداً : الألبان ، والأتراك ، والقبارصة أقاموا المساجد في (ملبورن) ، والمنتمون إلى اندونيسيا ، وماليزيا ، وباكستان أقاموا المساجد في (كانبرا) و (بورث) ، ويجري بناء مسجدٍ جديدٍ في (دارون) في أقصى الشمال .

كما ان فرع الاتحاد في ولاية (كوينزلاند) يُصدر صحيفةً شهريةً اسمها (الهلال). كما يُصدر اتحاد الطلاب المسلمين نشرةً شهريةً اسمها (الإسلام) ومجلة أخرى تُدعى (النور).

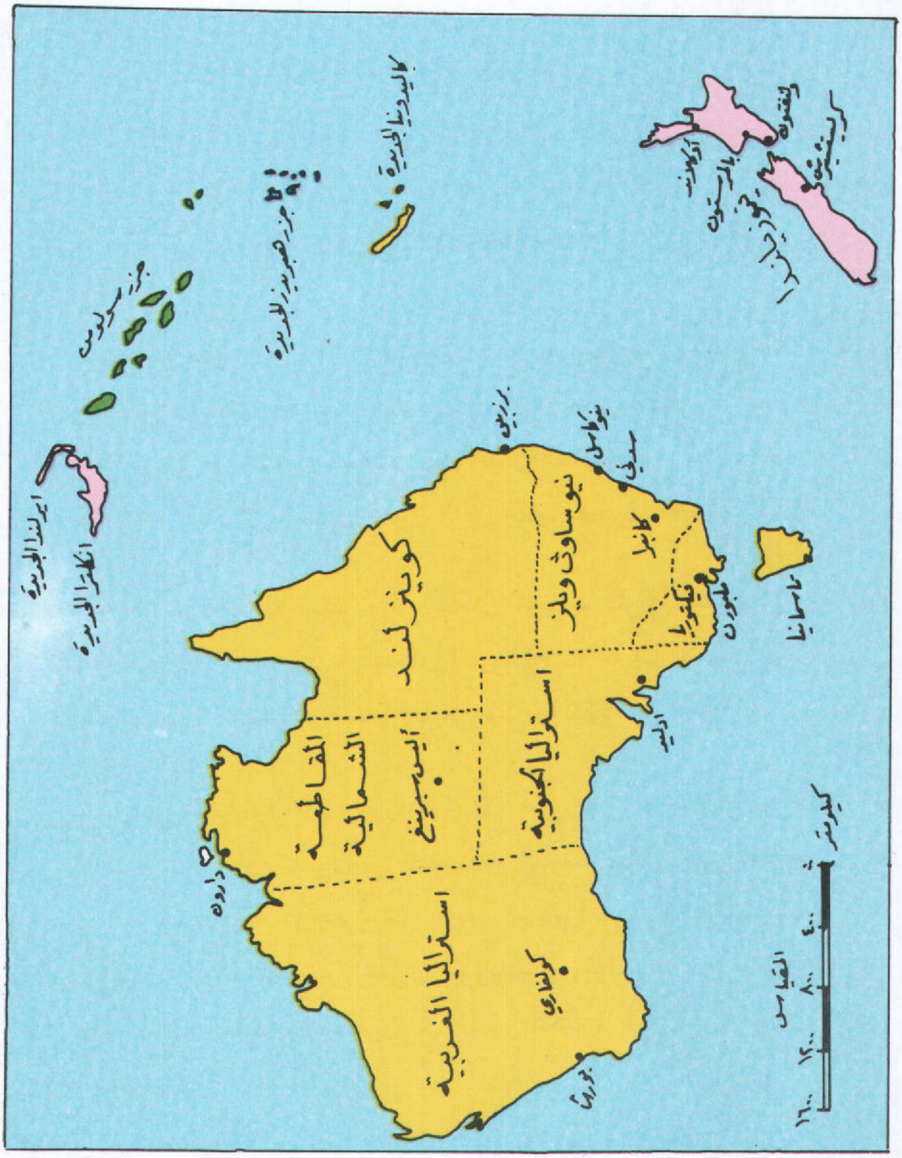
وألّف الاتحاد جمعيةً تجاريةً عام ١٣٨٨ عُرفت باسم (شركة الهلال التجارية الاسترالية) والإسهام فيها متاح لأي مسلم يعيش في استراليا، وهدفها مراعاة أحكام الشريعة في ذبح الحيوانات التي تُعدّ لحومها في صورٍ مختلفةٍ، ويُستهلك الإنتاج محلياً بصفةٍ أساسيةٍ، ويُصدر الباقي إلى البلدان الإسلامية.

وقام الاتحاد ببناء مدرستين إسلاميتين إحداهما في مدينة (سدني)، وسميت باسم الملك خالد، والثانية في مدينة (ملبورن)، وحملت اسم الملك فهد، وذلك للتبرع السخي من هذين الملكين السعوديين.

وأما المساجد فتكثر في استراليا، وقد بُني أول مسجد في مدينة أليدد عام ١٣٢٣ وأما اليوم فيوجد في:

سدني	ثلاثة مساجد وثلاثة مراكز إسلامية.
ملبورن	ثلاثة مساجد وثلاثة مراكز إسلامية.
كانبرا	مسجد واحد ومركز إسلامي واحد.
داروان	مسجد واحد ومركز إسلامي واحد.
أليس سبرينغ	مسجد واحد ومركز إسلامي واحد.
بورث	مسجد واحد ومركز إسلامي واحد.
برزبين	مسجد واحد ومركز إسلامي واحد.
نيوكاسل	مسجد واحد ومركز إسلامي واحد.

كما يوجد مسجدان في جزيرة تاسمانيا.


المقاطعة الشمالية
كوينزلند
نيوساوث ويلز
استراليا الجنوبية
استراليا الغربية
تاسمانيا
كالدونيا الجديدة

مصور رقم [٩٣] .

(٢) نيوزيـــلندا

تبلغ مساحتها ٢٦٩,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف، وعاصمتها مدينة (ولنغتون)، وهي اتحادية تتألف من تسع ولايات، وتشمل جزيرتين كبيرتين وعدداً من الجزر الصغيرة. عرفها تسمان الهولندي عام ١٠٥٢ هـ، ثم زارها في القرن الثاني عشر الهجري جيمس كوك.

ينحدر سكانها الأصليون من سكان جنوب شرقي آسيا، ولا يُشكّلون اليوم سوى ٩ ٪ من مجموع السكان الذين يغلب عليهم الأصل الإنكليـزي، والذين تدفقوا إليها بعد استعمارها من قبل دولتهم.

لم يصل المسلمون إلى نيوزيلندا إلا من عهدٍ قريبٍ لا يبعد عن عام ١٣٩٠، إذ هاجر مسلمون من جنوب شرقي آسيا، ومن جـزر فيجـي، وتجار من الهند من منطقة كوجـرات، ثم مـن ألبـانيـا، ويوغوسلافيـا، وتـركيـا، وباكستان، وأسلم عدد من سكان نيوزيلندا، ويزيد عدد المسلمين اليوم على أربعة آلاف مسلم، ويتجمّعون في المدن الكبيرة في (أوكلاند) والعاصمة (ولنغتون) و(كريستشيرش).

تأسّست في أوكلاند (جمعية حماية الإسلام النيوزيلاندية)، ثم تبعها تأسيس جمعيات إسلامية في (ولنغتون) و(بلمرستون) و(كريستشيرش).

وفي مدينة أوكلاند أيضاً مركـز إسلامـي يُعـرف بـالمركـز الإسلامـي النيوزيلاندي، وله فرع في العاصمة (ولنغتون). وقد بُني مسجد في المدينة نفسه عام ١٣٩٩، ويضمّ مقراً للمركز وقاعاتٍ للاجتماعات. وقد قامت الجمعية في أوكلاند بجهودٍ لقيام اتحادٍ يضمّ الجمعيات الإسلامية في مختلف مدن نيوزيلندا. كما تتصل بالمسلمين في جزر فيجي، واستراليا، والهند، وجنوبي إفريقية.

(٣) جـــزر فيـجي

تبلغ مساحتها ١٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، وتضمّ ٨٢٠ جزيـرة، ولكـن ليس بينها سوى مائةٍ وست جزرٍ مأهولةٍ بالسكان، والباقي لا يُقيم عليه البشر. ومن هذه الجزر اثنتان كبيرتان هما: (فيتي لفيو) و(فانيو لفيو)، وتُشكلان ٨٧ ٪ من مساحة البلاد، وهما من أصل بركاني وتُحيط بالجزر عادة شواطىء مرجانية.

استولت انكلترا على هذه الجزر عام ١٢٩١، وجعلتها مستعمرةً لها، واستقدمت لها العمال من الهند لزراعة قصب السكر، وحصلت على الاستقلال عام ١٣٩٠، وعاصمتها مدينة (سوقا).

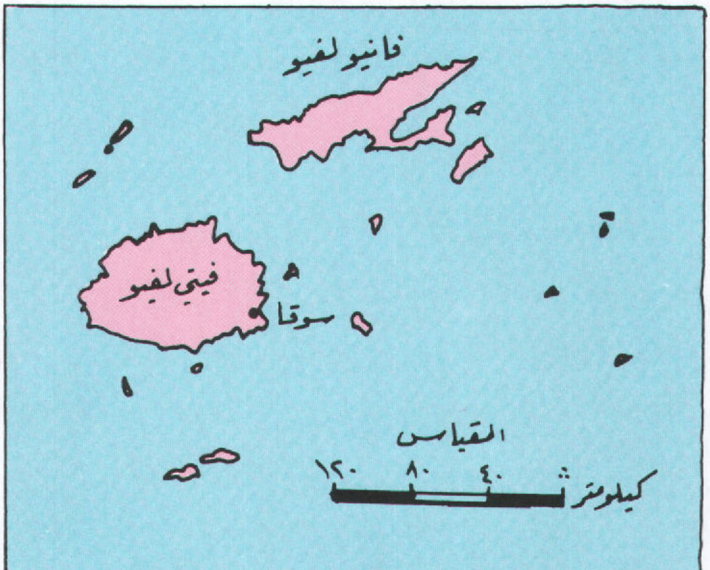
يزيد عدد سكان جزر فيجي على ستمائة ألف، ينتمي نصفهم على الأقل إلى أصلٍ هندي، والنصف الآخر من سكان البلاد الأصليين، ويوجد ما يقرب من ٤٥ ألف ساكن ينتمون إلى جنسيـات مختلفـة، منهـم الأوربيـون، ومنهم الصينيون.

وصل الإسلام إلى هذه الجزر عن طريق المهاجرين الذين وفدوا من شبه القارة الهندية (الهند وباكستان)، والذين استطاعوا أن يُـؤثـروا على بعـض السكان فيعتنقون الإسلام. كما جاء مهاجرون من المسلمين أيضاً من الملايو، وأندونيسيا، وشرقي إفريقية.

يُقدّر عدد المسلمين في جزر فيجي بأربعة وخمسين ألفاً وهو ما يُعادل ٩ ٪من مجموع السكان، يُقيم خمسهم في العاصمة، ويتوزّع الباقي في أنحاء البلاد، وإن كان معظمهم يسكن القرى.

شكّل المسلمون في جزر فيجي عام ١٣٤٥ هيئةً إسلاميةً، وتشرف هذه الهيئة على المساجد، على خمسة وعشرين مسجداً موزعة في كل البلاد. وعلى ثلاث عشرة مدرسةً ابتدائية غالبها يلحق بالمساجد، وعلى ست مدارس متوسطةٍ وثانويةٍ، وللشباب المسلم رابطة تُعرف باسم (رابطة الشباب الفيجية).

ويعمل الهندوس على محاربة المسلمين، وخاصةً أبناء جلدتهم الذين هم من الهند.



مصور رقم [٩٤].

وثمة جزر مبعثرة في المحيط الهادي تُؤلّف بقية أجزاء القارة الأوقيانوسية، وتُعدّ كاليدونيا الجديدة أكبرها، ومنها جزر سولومون، وهبريدز الجديدة، وجزر سانتاكروز، وكثير من مجموعات الجزر، ولا تزال كلها تحت السيطرة الفرنسية أو الإنكليزية، وتعيش فيها أعداد قليلة من المسلمين لا يكاد يبدو أثرهم في المجتمعات التي يعيشون فيها.

مشكلات الأقليات المسلمة

تُعاني الأقليات المسلمة في البلاد التي تعيش فيها مشكلاتٍ كثيرةً تقف في وجه نموها وازدهارها ورقيها وتطورها وتأدية دورها بل تقف في وجه حياتها وبقائها في تلك الأرض، وتعود هذه المشكلات إلى عدة أسبابٍ منها:

١ ـ أسباب ذاتية تتعلّق بالأقلية نفسها.

٢ ـ أسباب وطنية تتعلق بالبلد الذي تعيش فيه.

٣ ـ أسباب عنصرية وفكرية ترتبط بالبلد الذي تنتمي إليه.

٤ ـ أسباب عالمية.

٥ ـ أسباب محلية.

٦ ـ ضعف الإمكانات.

الأسباب الذاتية: يقوم كثير من أفراد الأقلية المسلمة، بتصرفاتٍ وأعمال تضعف شأن الجالية المسلمة وتفرّق صفها وتمنعها من التطور، وما هذه الأعمال إلا بسبب البعد عن الإسلام أو عدم معرفة الأفكار والمبادئ التي يقوم عليها، ومن هذه الأعمال:

أ ـ التجمّع على أساسٍ عنصريٍ، فغالباً ما نرى قيام مجموعة من بلدٍ معينٍ ببناء مسجدٍ لأفراد جماعتهم أو تسميته باسمها، أو إنشاء مُؤسّسةٍ

خاصة بهم، وربما يجد الإنسان مبرراً لافتتاح مدرسةٍ باسم جماعةٍ مُعيّنةٍ بسبب اللغة ومع ذلك فهذا أمر غير مقبول.

ب ـ تبنّي العصبية العنصرية، بشكلٍ صريحٍ أو المزج بين الدعوة إلى الإسلام والعصبية.

جـ ـ احتضان بعض الفرق التي تُظهر الإسلام، وتُبطن الكفر، وتعمل بكل جهد للصدّ عن دين الله، هذا إضافةً إلى أن سلوكها وعقيدتها يُعطيان صورة تُنفّر من الإسلام وصفائه.

د ـ الانتماء إلى فكر يُعادي الإسلام.

هـ ـ الانضمام إلى المجموعات المتنافسة سياسياً أو فكرياً في داخل البلد الذي تعيش فيه، وهذا يُؤدّي بطبيعة الحال إلى الوقوف في وجه الإسلام فيما إذا فاز الفريق الخصم.

و ـ الوضع الاجتماعي الذي عند بعض أبناء الأقلية بسبب الحالة المادية، غير أن الإيمان يتجاوز هذا والأمر لا يحتاج إلّا إلى التذكير، ورفع المعنوية.

ز ـ الحالة النفسية الناشئة عن الشعور بالتفوّق الحضاري للمجتمعات الغربية على المسلمين أو التي تظهر نتيجة التشرّد وأوضاع المسلمين في أمصارهم ودولهم. وهذا يحلّ مشكلته الإيمان أيضاً.

حـ ـ الرغبة في الحصول على إقامةٍ دائمةٍ في البلد الذي يعيش فيه أو يصل إليه، وهذا غالباً ما يتمّ عن طريق الزواج بإحدى الفتيات من البلد نفسه، وفي الوقت نفسه تُؤيّد ذلك وتدعمه الرغبة في الزواج الأمر الذي يجعله يقدم على الزواج من نصرانيةٍ، ويضطر لمسايرتها ومجاملة أهلها فينشأ الأولاد على النصرانية ويتمّ الضياع.

وأخيراً لا بدّ من النظر إلى الجهل، والتخلّف، وعدم المعرفة الصحيحة بالإسلام وهذا ما ينشأ عنه كل ما ذكرنا من تفرقةٍ وخلافٍ، وعدم بذل الجهود الواحدة لتطوّر الأقلية ورفع مستواها.

الأسباب الوطنية: وهي ترتبط بالبلد الذي تعيش فيه الأقلية، ومع أن هذه البلاد مُختلفة الديانات مُتباينة الأجناس إنما تعمل كلها ضدّ المسلمين ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

ـ الأسباب الدينية: وتقع من جانب النصارى وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى كالبوذية مثلاً في تايلاند وبورما، والهندوكية في الهند، كما تحدث في دول إفريقية، وفي البلدان التي يسيطر عليها الروس، وأوروبا الشرقية باسم الشيوعية، والنصرانية في الفيليبين ودول أوربا والعالم الجديد، واليهود في كل بقعةٍ من العالم، وحتى من الفرق الباطنية حيثما وُجدت. وربما كان لها بعض الدوافع يمكن أن نستعرض بعضها.

يتزايد المسلمون أكثر من غيرهم، وهذا ما يجعل نسبتهم في ارتفاعٍ مستمرٍ الأمر الذي يجعل أصحاب الديانات الأخرى يخشون الطغيان عليهم فيعملون على الوقوف في وجه المسلمين، وعمل القتل فيهم باستمرار، أو بين حينٍ وآخر بإيجاد سببٍ أو اختلاق حادثةٍ، ويحرص أصحاب الديانات الأخرى من مسؤولين في الحكم أو من الإرساليات التنصيرية في كل منطقةٍ تعيش فيها أقلية مسلمة أن يقلّلوا من شأن المسلمين وعددهم في بلدانهم فينشرون إحصاءاتٍ غير صحيحة يُعطونها صفة الرسمية. وإذا كان أصحاب بعض الديانات يتزايدون كالمسلمين وربما أكثر في بعض المناطق إلا أن الحقد يدفعهم للعمل ضدّ المسلمين ومحاولة التخلّص منهم والقضاء عليهم، وهذا أمر معروف لدى أتباع الديانتين الهندوكية والبوذية وما يحدث للمسلمين في الهند وما يحلّ بهم في تايلاند وبورما أمر شائع ومعروف ويتكرر باستمرار وما مذابح المسلمين في دهلي في الهند في أيام رمضان الأخيرة وعيد الفطر من عام

١٤٠٧ بخافيةٍ على أحد حتى اضطر المسلمون إلى ترك صلاة العيد والجمعة يومذاك لما نزل بهم، وخوفاً من أن يُبيدهم الهندوس بصورةٍ جماعية أثناء أدائهم العبادة فتزيد جراحهم جراحاً وألماً.

وتعمل الإرساليات التنصيرية على الوقوف في وجه الإسلام وتعدّ هذا من مهماتها الأساسية، ومن أولى واجباتها، وهي من أوسع المؤسسات في العالم، وأكثرها غنى، وأكبرها طاقة، وأضخمها إمكانات إذ تدعم من قبل اتحاد الكنائس العالمي الذي تموله معظم الدول في أوربا وأمريكا أو التي بيدها الثروة، ولها النفوذ والسيطرة في أكثر جهات العالم.

إن هدف هذه الإرساليات إنما هو نشر النصرانية ديانةً، وتثبيتاً لأقدام الدول التي تنتمي إليها هذه الإرساليات، وتصطدم أثناء عملها بالإسلام الذي ينتشر في المنطقة نفسها أيضًا، ولكن المسلمين لا يملكون من الامكانات ما يجعلهم يستطيعون منافسة هذه الإرساليات التنصيرية في كسب الناس وإعطائهم الوظائف، وافتتاح المدارس لهم، وتقديم الخدمات الطبية والأغذية لهم، ومدهم بالمساعدات المادية، بل والإغراءات في كل جوانب الحياة، وليس هناك من دولٍ أو جهاتٍ قويةٍ تدعمهم بما يمكنهم من الوقوف في وجه تلك الإرساليات ومن وراءها، وكل ما يملكه المسلمون طبيعة دينهم التي تتفق وفطرة البشر، على حين أن بقية الديانات تخالفها، لذا فإن انتشار الإسلام كان أوسع من انتشار النصرانية، ويكاد نموه يُعادل ضعف تقدمها الأمر الذي يجعل تلك الإرساليات تحقد على الإسلام والمسلمين ويُضاف إلى ما تحمله من أحقادٍ صليبيةٍ دفينةٍ تعود إلى التاريخ وكوامن النفس.

إن تزايد انتشار الإسلام، وتزايد المسلمين الكبير نتيجة زيادة الولادات، والحقد القائم يجعل المسلمين يتعرّضون لأخطار الإبادة كلما سنحت الفرصة لتلك المؤسسات التنصيرية والقوة بأيديها، والسلطة تعمل برأيها، فالدول الأوربية مثلاً هي صاحبة الكلمة في إفريقية، ولها السيطرة والنفوذ، وهي التي

تدعم تلك الأرساليات التنصيرية حيث استعمرت هذه الدول القارة الإفريقية وراء الإرساليات التي مهدت لها الطريق، ثم أوجدت لها القواعد والأتباع من الذين أدخلتهم في دينها وقدّمت لهم الإمكانات، وإذا كانت الدول الاستعمارية قد خرجت من غالبية دول إفريقية إلا أنه لا يزال عدد من الحكام يدينون لها بالولاء أو التبعية. وأن الدول الإفريقية التي يعيش فيها المسلمون أقليات إنما تحكم غالباً من قبل النصرانية بل إن عدداً من الدول الإسلامية لا تزال الأقلية النصرانية هي المتحكمة فيها حتى إنه ليظنّ كثير من الناس ومنهم المسلمون أن هذه الدول نصرانية، وقد سلّم الاستعمار هذه الأقلية الحكم قبل رحيله، وادّعى أنها أكثرية، وأعطى إحصاءاتٍ خاطئةً يبدو فيها المسلمون أقليةً، وقدّم تقديراتٍ غير صحيحةٍ ويمكن أن نذكر من ذلك (تشاد) و (السنغال) و (سيراليون) و (ساحل العاج) و (التوغو) و (بنين) و (إفريقية الوسطى) و (تانزانيا) و (الحبشة)، ويمكن أن نقول: إن كل الدول التي يعيش فيها المسلمون أقليات يتعرّضون للحرب الدينية والإبادة من قبل النصارى، حتى ولو كانوا أكثريةً وتتحكم فيهم الأقلية تعرّضوا للحرب نفسها، ويكفي أن نذكر أوغندا وما حلّ بها، وتانزانيا وما نزل بها، والحبشة وما يُصيب المسلمين فيها. وقد عهّد المستعمرون رجال الإرساليات التنصيرية بالحكام النصارى الذين آل إليهم الأمر، وطلب منهم أن يبتلعوا المناطق الإسلامية التي حولهم إن كانت ذات مواقع مُهمّةٍ وتُشكّل خطراً، ومن هنا نرى أن زنجبار قد ابتُلعت من قبل تانزانيا، وابتلعت اريتريا وبلاد عفر من قبل الأحباش. وإذا صدف أن تسلّم المسلمون السلطة نتيجة حركةٍ قاموا بها لأكثريتهم أوقعوا بينهم الخلاف، وتدخلت دول أوربا تُساند الطرفين، كي يفني المسلمون بعضهم بأيدي بعض، وما شأن (تشاد) عنا ببعيد، ولا وضع نيجيريا بغامض على أحد. وربما سلّم المستعمرون السلطة لمسلمين عندما لا يوجد غيرهم لكثرتهم المطلقة، أعطوا الحكم من ربوه على أيديهم، ولقنوه أفكارهم حتى غدا كأحدهم، وأوكلوا إليه المهمة نفسها،

وهذا أفضل لهم إذ يقتل المسلم المسلم والعدو ينظر مسروراً وكأنه لا دخل له، أو كأن ما يقع إنما يحدث على كوكب آخر.

إن وضع إفريقية وما يحدث فيها ينطبق على الجهات كلها، وإنما ضربت الأمثلة جميعها في دولها لأنها ذات صدى أكبر عندنا لقربها منا وصلتنا ببعض أحداثها على حين أن البلدان البعيدة لا نسمع عنها، ولا عما يحدث فيها، وفيما إذا كانت تضمّ مسلمين بين رعاياها أم لا، لجهلنا وعدم اهتمامنا بإخواننا الذي ينتج عن عدم أثر الدين في كثيرٍ منا.

ويُمكن أن نضيف إلى هذا الصراع القائم على أساسٍ ديني ما يحدث في البلدان التي يسيطر عليها الروس ودول أوربا الشرقية والبلاد الشيوعية حيث تقوم حرب ضدّ الأديان عامةً ولكنها في الواقع لا تُوجّه إلا ضدّ الإسلام، ويطلب من المسلمين تغيير أسمائهم، وترك عقيدتهم وكل ما يتعلّق بها من حياةٍ اجتماعيةٍ وشخصيةٍ، ومن يرفض ذلك فإن مصيره إلى القتل إن لم يتمكّن من الهرب.

والأمر الذي يُلفت الانتباه أن معظم الدول النصرانية تدّعي أنها علمانية، ولا تهتمّ بالديانات ولا تُفرّق بين أصحابها، وفي الوقت الذي تُعلن فيه هذا، وتُدوّنه في قوانينها أحيانًا تراها تُدعم اتحاد الكنائس العالمي وتمدّه بالأموال، وتبعث بالإرساليات التنصيرية وتُقدّم لها حاجاتها المادية كاملةً، وتُسخّر لها كل ما لديها من نفوذ، وتقف بجانبها في كل قضاياها بل كثيراً ما أثارت حرباً من أجل قضيةٍ بسيطةٍ تعرّض لها أحد رجال الإرساليات أو القساوسة. وإن ما ينال أصحاب الديانات في بلدانها من أذىً لا يُصيب إلا المسلمين، وإن القوانين التي تصدر وتتعلّق بالأديان لا تُوجّه إلا للمسلمين. وإن أصحاب الديانتين اليهودية والنصرانية في ممر هذه الدول التي تدّعي العلمانية، ويرفلون بثياب الحرية والنعيم في أحضانها. ولا يختلف هذا الأمر بين الدول الرأسمالية والدول الشيوعية التي من مبادئها محاربة الأديان غير أن هذه الحرب

لا تحلّ إلا بالمسلمين. أما اليهود والنصارى ففي ثياب العزّ ينعمون، ولا غرابة في ذلك فالرأسمالية والشيوعية من نتاج التخطيط اليهودي، وأكثرية سكانها من النصارى الذين يدفنون في صدورهم الحقد على الإسلام ويّورّثونه الجيل بعد الجيل. وحدث في التاريخ أن النازية اضطهدت اليهود ودبّرت لهم مذبحةً أثارت نقمة العالم، ولا يزال اليهود يُرددونها، ويُتاجرون بها، ويدّعون أنهم المضطهدون، وأن ما نالهم لم يكن لينزل بغيرهم. ولم تكن هذه المذبحة إلا نزوةً من نزوات النازية وانفعال زعيمها هتلر لما ارتكبه اليهود من خيانةٍ لألمانيا وراء مصالحهم الشخصية منهم لا ينظرون إلى الدول وحقوقها على مواطِنيها، وإنما يتجهون بتفكيرهم كله إلى أهداف اليهود، فهم لا يُؤمنون بالمواطنة، وإنما باليهودية العالمية، وأنهم شعب الله المختار، وليس عليهم في الأميين من سبيل. وتُدبّر للمسلمين في كل يوم مذبحة، وتنزل بهم في كل مكانٍ نائبةٍ من غير ذنب ومن دون تقصير بواجب، ولا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله ولا تتحرّك شعرة من الضمير العالمي بل ولا من المسلمين أنفسهم، ولا من ولاة أمورهم لما نحن فيه من ذلٍّ وبُعدٍ عن الإسلام.

والأمر الغريب أيضاً أن كثيراً من المسلمين في أمصارهم يُصدّقون ادعاءات هذه الدول وعلمانيتها، ويرون تطوّرها فيظنّون أن هذا التطوّر إنما هو نتاج السياسة العلمانية المزعومة فيُنادون بذلك، ويتحرّكون في هذا الاتجاه دون تفكيرٍ ومن غير نظرةٍ إلى الواقع الذي تنتهجه تلك الدول العلمانية.

الوحدة الوطنية: تدّعي كثير من الدول التي فيها أقليات مسلمة أنها تريد أن تكون هناك وحدة وطنية بين سكانها كي يكون انسجام تام بين أفراد الشعب، ولن يتمّ هذا الانسجام إلا إذا كانوا جميعاً يعتقدون عقيدةً واحدةً أو يعيشون على نمطٍ واحدٍ من الحياة على الرغم من أن عدداً من هذه الدول تُحارب العقيدة أياً كانت العقيدة أو تدّعي أنها تُعطي حرية الاعتقاد لجميع الأفراد الذين يُقيمون على الأرض التي تفرض سيطرتها عليها، وإن

أكثر من يدعي فكرة الوحدة الوطنية بصهر السكان جميعاً في بوتقةٍ واحدةٍ هم دول شرقي أوربا وجنوب شرقي آسيا وعلى الرغم من أن دول شرقي أوربا دول شيوعية لا تعترف بدينٍ من الأديان ـ حسب زعمها ـ ولا تقرّ بعقيدةٍ سوى العقيدة المادية التي يراها (كارل ماركس) ويُقرّها (لينين)، وكذا بعض دول آسيا القائمة في جنوب شرقي القارة، ثم في الفيليبين الدولة النصرانية، وفي بورما، وتايلاند الدولتين البوذيتين، وفي الهند الدولة البراهمية.

تدّعي بعض هذه الدول أن المسلمين المقيمين على أرضها يجب أن يعودوا إلى ديانة آبائهم وأجدادهم القدماء حتى تتم الوحدة الوطنية بين أفراد الشعب كله، وكأن العقيدة أمر سهل التغيير، ميسر تبديله، وهذا ما تقوله أكثر الدول التي ذكرناها، ولما كان هذا الأمر غير ممكن فإن الحرب تُشنّ على المسلمين بأشكال مختلفةٍ، منها الإبادة الجماعية كما حدث لمسلمي (تشامبا) في فيتنام، أو شنّ حربٍ عامةٍ عليهم كما حصل في الفيليبين، أو تُدبّر لهم المذابح وتُتخذ إجراءات ضدّهم بمنتهى السوء والوحشية وهي طريقة العقم، كما فعلت الهند وتفعل، ويقول الروس إن السبيل الوحيدة للوحدة الوطنية هي أن يكون السكان جميعهم من السلاف، كما يقولون: إن كلمة (سلاف) وإن كانت تدلّ على مجموعةٍ من الناس يعودون إلى أصلٍ واحدٍ إلا أنها تعني عقيدتهم أيضًا، وهي النصرانية الأرثوذكسية، لذا يجب تحويل السكان جميعهم، وصبغتهم الصبغة التامة بما تعني كلمة (سلاف) وإلا فلن تتمّ الوحدة الوطنية ولن يكون هناك تجانس بين السكان، وتسير على نهج روسيا دول أوربا الشرقية الشيوعية في رغبة تحويل السكان عن عقيدتهم، وتغيير أسمائهم، وتبديل عاداتهم، وترك أحوالهم الشخصية المتوارثة عندهم والتي تنبع من العقيدة، وإذا رفض المسلمون ذلك، وهذا أمر طبيعي تدّعي أنهم يُقاومون الإصلاح الاجتماعي، ويقفون في وجه الثورة الإصلاحية، وأنهم مُنظّمون مرتبطون بالدول الإسلامية الأخرى، وأنهم عملاء للإمبريالية والرأسمالية،

وهذا ما يحدث تماماً اليوم في بلغاريا، ويمكن الرجوع إلى الجزء الخاص ببلغاريا من هذا الكتاب. وبهذه الصورة تُفسّر الحركات، وتنعت المعاملات الطيبة البريئة بين المسلمين بعضهم مع بعض، وتكون المذابح الجماعية أو التشريد الجماعي، ولا يزال سكان القرم يهيمون على وجوههم في مجاهل سيبيريا.

وفي الصين يُقضى على المسلمين، ويفتنوا عن دينهم باسم الوحدة الثقافية، وبهذه الدعوة تُحرق المصاحف والكتب الدينية، وتهدم المساجد، وينتهي عمل الجمعيات الاجتماعية.

ولما كان للإسلام تنظيم خاص للمجتمع، وللمسلمين لغتهم الخاصة التي يريدون أن يُحافظوا عليها حفاظاً على شخصيتهم، ولهم تقاليدهم وعاداتهم الذاتية النابعة من عقيدتهم، لذا فإن انقياد المسلمين لنظامهم يُعدّ أمرًا طبيعياً وأساسياً، ولكن حُكّامهم يعدّون هذا تنظيماً سياسياً يُقاتلون عليه، أو انعزالاً خاصاً أو محافظةً على ذاتيةٍ مُعيّنةٍ خارجةٍ عن المجتمع يجب كسرها وصهر ما في داخلها ببقية المجتمع، ومن هنا تقوم المذابح فيهم، فإذا كانوا يتجمّعون في منطقةٍ واحدةٍ أو يتكاثرون في بقعةٍ معينةٍ طالبوا باستقلالهم الذاتي كي يُحافظوا على كيانهم وشخصيتهم كما تفرض عليهم عقيدتهم، وتُؤيّد ذلك القوانين الدولية وهيئة الأمم المتحدة وهذا ما يحدث في فطاني في تايلاند، وجنوبي الفيليبين، واريتريا، وعفر في الحبشة، غير أن المطالبة بالحكم الذاتي تجرّ عليهم حرب إبادة. أما إذا كانوا مُوزّعين ومتفرقين فإنه لا يمكنهم أن يُطالبوا بالاستقلال، وتقع فيهم النكبات باستمرار ويتعرّضون للقتل أو التشريد أو الرضوخ لما يُطلب منهم وهذا ما يحدث لمعظم الأقليات المسلمة في العالم، وإن كانت تبرز الآن قضية المسلمين في الهند، وفي بلغاريا.

وتتهم الحكومات الأقلية المسلمة التي تعيش في أرضها أن لها علاقات مشبوهة فإن كانت الدولة شيوعية اتهمت المسلمين بصلتهم مع أمريكا

والامبريالية العالمية، كما هي الحال في كل الدول الشيوعية، وإن كانت الدولة رأسمالية أو مُعادية للشيوعية اتهمتهم بالعمالة للشيوعية العالمية والصلة مع إحدى الدول الشيوعية، وهذا ما يتهم به المسلمون في الفيليبين وتايلاند، والواقع أن المسلمين ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء وإنما التهمة لإيجاد المبرر لشنّ الحرب عليهم أو تدبير المذابح لهم، وقد يكون بينهم أفراد من هنا وأفراد من هناك ولكن جمعتهم المصلحة العامة للمحافظة على البقاء.

الأسباب العنصرية: وهي ترتبط بالبلد الذي ينتمي إليه بعض أفراد الأقلية المسلمة. وتتباين ـ مع الأسف ـ الامصار الإسلامية في الأفكار التي تتبنّاها، وأكثرها بعيد عن الإسلام، أو متناقض معه، وفي الانتماءات الدولية والأفلاك التي تدور فيها، ويحرص المسؤولون في كل مصر أن يكون المهاجرون من مصره ضمن الخط الذي يسيرون فيه هم، ويبذلون جهدهم في سبيل ذلك تارةً عن طريق سفرائهم، وأُخرى عن طريق مبعوثيهم والذين يُرسلونهم أحيانًا لدعم المسلمين هناك كدُعاةٍ أو مُعلمين مرةً بالضغط والتحذير وأُخرى بالإغراء والمساعدة، ولما كان المهاجرون على درجةٍ من قلّة الوعي، أو فيهم عدد كبير من هذا النوع، لذا فإن بعضهم يتأثّر بهذا ويسير في الخط الذي يُراد له أن يتحرّك فيه، ولما كان المسؤولون في الأمصار الإسلامية مُختلفي الآراء، مُتبايني الأفكار، منقسمي الانتماءات لذا فإن الافتراق ينعكس على الأقليات المسلمة فيختلف بعضها مع بعض ويقع الصراع أحياناً وبهذا فإن المسؤولين في الامصار الإسلامية هم سبب الانقسام في الأقليات على حين يجب أن يكونوا عامل اللقاء والجمع وسبباً في النهوض والتطوّر عن طريق المساعدة والدعم، وتُضاف مُشكلة إلى الأقليات المسلمة تعدّ من أكبر المشكلات وأعقدها.

وتزداد المشكلة عندما يكون بين أفراد الجالية التي تنتمي إلى مصرٍ من الأمصار مجموعات غير مسلمة مثل الهندوس من الهند أو النصارى من بلاد

الشام إذ تنشأ عندها عصبية قومية فيضيع معها جزء من الأقلية المسلمة باتباعهم فكرة القومية المعادية للإسلام وسيرهم في طريق آخر، فيبتعدون عن إخوانهم المسلمين وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

ومما يُؤسف له أن بعض المسؤولين يعملون للدعاية لأنفسهم ولبناء أمجادهم على حساب تفريق أبناء الأقلية المسلمة، ويرسلون المبعوثين لهم لهذا الغرض باسم مساعدة الأقلية ومناصرتها وشدّ أزرها وتعليم أطفالها، ثم تكون الطامة.

أما بالنسبة إلى الأمصار الإسلامية فإن أكثرها قليل الاهتمام بالأقليات المسلمة لأنه من الأساس لا يقوم على مبادىء الإسلام أو يتبنّى الإسلام، وإنما بعضها يقوم على أسسٍ عنصريةٍ أو اقتصاديةٍ سواء أكان اشتراكياً أم شيوعياً أم رأسمالياً، وكلها تعمل على معاداة الدين أو تدّعي العلمانية على الأقل، ويُضاف إلى هذا الجهل والتخلّف السائد، أو الاهتمام بذاتها للتنمية أو للتمكين أو العمل للدعاية لنفسها، وقد يكون الفقر والضعف سبباً وإن كان ثانوياً جداً. وكثيراً ما تعمل بعض هذه الأمصار على محاربة الحركات الإسلامية ومعاداة هذا الإتجاه وبالتالي لا يمكنها أن تعمل هذا في بلدها ثم تتجه لتقوية هذا الخط خارج حدودها. وأما الأمصار التي تعمل لخدمة الأقليات المسلمة فقليلة ويبذل بعضها الكثير، ولكن يحتاج إلى التخطيط وتهيئة الكفاءات اللازمة والإخلاص بطرح العمل للذات وإبعاد فكرة احتواء المؤسسات والتنظيمات الإسلامية بين الأقليات أو في داخل بلدها، ومع ذلك فإن خيوط المساعدة مهما كانت دقيقة فإن أثرها جيد، ويجعل أفراد الأقليات المسلمة أكثر حركيةً ونشاطاً وشعوراً بارتباطهم بإخوانهم المسلمين في أمصارهم مهما نأت ديارهم.

الأسباب الدولية: تعمل أكثر دول العالم غير المسلمة وخاصةً الكبرى منها على إذابة الأقليات المسلمة في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها ليقضوا على المسلمين جزءاً بعد جزء، والأقليات أسهل الأجزاء قضاءً عليها لانفصالها

عضوياً عن جسم الأمة المسلمة وبُعدها عنها. وبذا يلتقي هذا الهدف مع هدف بعض الدول التي تعيش فيها هذه الأقليات كالهند، وبورما، وتايلاند، والفيليبين، وبلغاريا مثلاً.

وتكون الإذابة بإبعاد الأقليات عقيدةً وفكراً عن الأمة المسلمة بعد أن ابتعدت جسماً، ويكون الإبعاد باندماجها في المجتمع غير المسلم الذي تعيش فيه اندماجاً كلياً وصهرها في بوتقته حتى يتكلّم المسلمون لغته وينسون لغتهم ولغة القرآن الكريم التي يتعبدون بها، ويتعوّدون عاداته، ويتركون عاداتهم وتقاليدهم التي تنبع من عقيدتهم، ويتزوّجون من فتياته، وتُربّي نساؤهم أبنائهن على ديانة أهلهن فينشؤون على عقيدة أهلهن، ويُنكحون بناتهم إلى أبنائه تاركين ما يُحرّمه عليهم دينهم، وما هو إلا جيل ينقضي حتى يصبح المسلمون من مجتمع البلاد فكراً وعاداتٍ وعقيدةً.

وبعد ضياع المسلمين أو اندماجهم يُمكن بعدئذٍ للدول الكبرى إن تُلقي أمامهم شباكها لتجرّهم إلى فلكها، وتُغذّيهم بأفكارها وتسير بهم حيث تشاء، فدول العالم تتفق إذن في المرحلة الأولى على صهر المسلمين في مجتمعها ثم تختلف فيما بينها بعدئذٍ أو في المرحلة الثانية لاقتسامهم أو لجذبهم نحو فلكها إذ يسهل ذلك عندئذٍ. وسواء أساروا نحو اليمين أم اتجهوا نحو اليسار فالمصلحة لليهود الذين نشأت الرأسمالية وترعرعت في أحضانهم، ونمت الشيوعية من زراعتهم لها وريّها من قبلهم. وقد تربح الفرق الضالة من بهائيةٍ وقاديانيةٍ وغيرها وما هي منهم ببعيد فهم سدنتها أيضاً والذين أوجدوها، والمهم إفساد العقيدة، والأمر بعدها سهل، إذ يمكن للمخططين السيطرة وتحقيق الهدف.

لا شك أنه يضيع ويذوب في المجتمع غير المسلم من كان عنده استعداد للانحراف والانجراف في تيار المفاسد ومن كان بالأصل ضعيف الإيمان، وقد ارتدّ بالفعل عدد من المسلمين وتنصّروا، وربما تبع بعضهم البهائية أو القاديانية عن جهلٍ إضافةً إلى ما ذكرنا، ولها بعضهم حتى وقع، وخاض في

المياه الآسنة وبُؤر الفساد لا يُبالي بأي قيمة وفي الوقت نفسه قاوم كثيرون، ولكن مع مرور الزمن وتوالي الأيام أصاب بعضهم الوهن حتى انجرف، وثبت آخرون، ووُجّهت لهم التّهم، وأُطلقت عليهم الألقاب كي يسيروا في التيارات التي سار فيها بعضهم، وحتى يندمجوا في مجتمعهم كما اندمج غيرهم، فأُلصقت بهم عبارات الرجعية لمحافظتهم على أخلاقهم وسلوكهم، ووُصفوا بالتعصّب لتمسّكهم بعقيدتهم، وأُعطوا صفة التطرّف لتأديتهم بعض عباداتهم، ولن تزول عنهم هذه التّهم حتى ينسلخوا من دينهم، ويتركوا عقيدتهم، ويندمجوا في مجتمعهم، وما هذه التهم إلّا لهذا الهدف فإن فعلوا فقد زالت عنهم، وإن استمرّوا بقيت ملازمةً لهم، فإما أن يرضخوا، وإما أن يستعلوا لا يبالون ما داموا يعلمون أنهم على الحق، وأنهم الأعلون ما داموا مؤمنين.

وقد أصبحت هذه التهم تطلق على المسلمين في أي مكانٍ كانوا سواء في بلاد المسلمين أم في غيرها فإذا تركوا عباداتهم زالت عنهم صفة التعصّب، وإذا ساروا في دروب المفاسد غدوا تقدميين، وإذا تركوا الدعوة إلى التميّز والعمل على إبراز الشخصية الإسلامية زالت عنهم سمة التطرّف، وإن كانت هذه الصفة تزول بمجرد بداية المجاملة التي يليها الاحتواء من قبل التيارات العالمية أو الأنظمة المرتبطة بها، حتى لو بقي المسلمون من هذا النوع يُؤدّون عباداتهم ويُجيدون الحديث عن الإسلام، لأن قواعدهم تبقى بعيدةً عن هذه الألاعيب.

الأسباب المحلية: على الرغم مما يحيق بالأقليات المسلمة من أخطار تُهدّد كيانها، وتُعرّضها للإبادة فإنها لا تُشكّل مُنظّمةً واحدةً تسعى لدرء الخطر عنها، وتصدّ الهجوم عليها وتعمل في سبيل أفرادها يداً واحدةً للوقوف في وجه عدوها، وتحرص على رفع مستوى جماعتها تعليمياً، وصحياً، واجتماعياً، ومادياً وإنما تقوم في كل مكانٍ منظمات متعددة ـ كما رأينا ـ وتبقى كلها ضعيفة لصغر حجمها، وتعمل كلّ واحدةٍ مُفردةً محاولةً تأمين بعض الجوانب

التي يحتاج إليها أعضاؤها من مدارس وكتاتيب أو مستوصفات ومشافي بل تقوم أحياناً ببناء مساجد خاصة، وتقوم هذه الجمعيات أو المنظمات على أساس الأصل الواحد أو اللغة أو المذهب إن وجد هذا، وفي كثيرٍ من الأحيان لا يوجد أي مجال للافتراق سوى التعصب لهذه الجمعية أو تلك المنظمة، أو تسلّم هذا المركز أو ذاك، وفي كثير من الأحيان ما يصطدم بعضها مع بعض الأمر الذي يسهل على خصومها ضربها حركةً إثر حركةٍ، ومع التنبيه والتحذير من مغبة هذا التفرّق والانقسام فقلما يرعوي المسؤولون عنه، هذا بالإضافة إلى أن بعض المسلمين يمالئون هذا المسؤول أو ذاك، ويتقرّبون منه ويتزلّفون له وراء مصلحة دنيوية أو في محاولة لضرب إخوانهم المختلفين معهم، وهذا ما يزيد من تفرقة المسلمين إذ ينتقد بعضهم السلطة ويقف بعضهم بجانبها. وربما نرى أعداداً من المسلمين لا تنضم إلى المؤسسات الإسلامية بُعداً عن العقيدة أو لقناعتهم بعدوى جدواها أو انصرافاً عنها لاختلافاتها تارةً يتعلّلون بأعذار كهذه وتارةً من غير أعذار.

هذا في الحالات التي تقوم فيها مؤسسات إسلامية، وهي أحسن الظروف، ولكن هناك بلدان كثيرة ومناطق متعددة لا تقوم فيها مثل هذه المنظمات إما لقلة عدد المسلمين فيها، وإما لضعفهم وقلّة إمكاناتهم، وإهمال إخوانهم الذين لا يسعون لهذا، وقد اندمج أعضاء الأقلية المسلمة في مجتمعهم تدريجياً ومجموعة إثر مجموعة ولا بدّ لهم ممن يُنقذهم من وضعهم الذي هم فيه ويسير بهم نحو جادة الصواب.

وإن مما يقف في وجههم ويحول دون تأسيس منظمات لهم أحياناً توزّعهم في مناطق واسعة كما هي الحال في كندا، والولايات المتحدة، والبرازيل حيث البلاد واسعة وقد توجد مجموعة منهم في مناطق نائية اقتضت ظروفهم العمل فيها، فعددهم القليل هناك وبعدهم عن مناطق التجمعات الرئيسية، واختلافهم في اللغة، وافتراقهم في الوعي والمستوى الفكري، وضعفهم المادي،

وطبيعة عملهم، وجهلهم كل هذا يحول دون إقامة مؤسسات لهم تجمعهم وتعمل على النهوض بهم والدفاع عن حقوقهم.

وما يحدث في البلدان الواسعة يقع نفسه في الكبيرة أمثال نيويورك، وشيكاغو، وفيلادلفيا، وسانت لويس، ولوس انجلوس، وريو دي جانيرو، وبونيس آيرس وغيرها إذ أن هذه المدن تجعل سكانها المقيمين في جهةٍ يصعب عليهم الانتقال إلى جهةٍ ثانيةٍ أو من الأطراف إلى المركز صعوبة مادية، وصعوبة زمنية، وصعوبة في انتقال الأطفال إن رغبوا في الانتقال وحدهم، وهذا التوزّع يُؤدّي إلى عدم التمركز والتجمع في منطقة لإقامة جمعية مثلاً تعمل على تعليم أبناء المسلمين وتربيتهم، ولا شك فإن لطبيعة العمل دوراً في التقصير فقد يكون العمل ليلاً، وقد يكون شاقاً، وقد يكون في منطقة نائية يضطر معها إلى الغياب عن المنزل مدةً من الزمن.

ضعف الإمكانات: عندما جاء المستعمرون إلى المناطق التي سيطروا عليها، ومنها التي تضمّ أقلياتٍ مسلمةً، وهذا في إفريقية وآسيا خاصة، صرف المستعمرون نظرهم عن المسلمين حيث تركوهم في حالةٍ بئيسةٍ ينتابهم المرض، ويُؤثّر فيهم الجهل، ويعمل بهم الفقر فلم تُبْنَ في مناطقهم المشافي، ولم يسمح لهم بدخول دوائر الصحة الحكومية إلا إذا أظهروا ميلاً نحو عقيدة المستعمرين وهي النصرانية، وإلى الاستماع إلى المحاضرات التي تُلقى عليهم قبل الموافقة على المعالجة، أو أبدوا على الأقل بُعداً عن عقيدتهم الإسلامية، ولمحافظة المسلمين على عقيدتهم فضّلوا في كثير من الأحيان أن يفتك بهم المرض من أن يخضعوا لرغبات رجال الإرساليات التنصيرية.

وبقيت أحياء المسلمين وقراهم دون مدارس، وتقتصر على الكتاتيب التي يتعلّمون فيها مبادئ القراءة والكتابة، واللغة العربية، والحساب، وترتيل القرآن، وهذه إن وجدت، وفي أحسن حالات التعليم، وفي أحيان كثيرة سعى المستعمرون للوقوف في وجه هذه الكتاتيب أو إغلاقها. وأما المدارس

الحكومية والبعيدة عن مناطق المسلمين فقد كانت غالباً بأيدي رجال الإرساليات التنصيرية، ومناهجها بصورة عامة تُحارب الإسلام وتدعو إلى النصرانية، وتُشوّه الحقائق، وتفتري الكذب، ولهذا السبب فضّل أكثر المسلمين أيضاً إبقاء أبنائهم في حالةٍ من الجهل من أن يفقدوا عقيدتهم في تلك المدارس التنصيرية.

وإن المستعمرين قد أبعدوا المسلمين عن وظائف الدولة وأعمالها، ووضعوا يدهم على أملاك المسلمين، وأخصب أراضيهم بصورة من الصور، منها الشراء، ومنها التهجير، ومنها الاغتصاب، ومنها وضع اليد بدعوى الإهمال بسبب الفقر و.... فتركوهم بذلك في حالةٍ من الفقر بحيث لا يجدون ما يسدّون به رمقهم.

وخرج المستعمرون وبقيت حالة المسلمين على ما كانت عليه إذ أن الحكم الجديد الذي خلف الاستعمار قد سار على طريقة سلفه، وإن حمل صفة الوطنية، أو تستّر بها، لأن المستعمرين هم الذين سلّموا السلطة للحكام الجدد، إما لأنهم على عقيدةٍ واحدةٍ، وإما لأنهم قد تعهدوا بالسير على الخط الذي رسمه المستعمرون لهم، ولذا فلا يزال المسلمون يعيشون في حالة سيئةٍ فالفقر ينتابهم، والأمراض تفتك بهم، والجهل يعمّ أكثرهم، ومن سار من المسلمين في طريق التعليم الغربي، ووافق المستعمرين، وسار على خطهم، وقلّدهم في كل شيء فقد تحسنت أوضاعهم المادية نسبياً، ولكن نهجوا طريقاً لا يرضى عنها المسلمون، ولا يقبلها منهم خالقهم.

وأما الأقليات المسلمة في العالم الجديد فقد هاجرت من بلادها لتعيش في ظل حكوماتٍ تعرف خطها مسبقاً، ولكنها مضطرة إلى ذلك، ولا يمكنها إلا أن ترضخ للأمر الواقع، وتندمج مع المجتمع، وتسير في طريق الضياع، وترى أبناءها بعد مدة قد تنصروا وساروا في طريق آخر، وإما أن تنكفىء على نفسها وتعيش منعزلةً، وهذا أمر صعب لا يقدر عليه إلاّ الجيل الأول

والمتمسكون منهم بعقيدتهم، وذلك لقلّة العدد وضعف الإمكانات، وعندما زاد عدد المسلمين في ديار الغرب وجدوا المشكلات الشائكة أمامهم منهم من تخطّاها، ونظّموا أنفسهم وحاولوا الوقوف في وجه التيارات التي تريد أن تبتلعهم والمجتمعات التي تريد أن تصهرهم داخلها، ومنهم من وقع بين الأشواك يريد أن يجد المخرج فيستغيث، وينظر إلى إخوانه في الأمصار الإسلامية لينقذوه.

هذا بالإضافة إلى ما أوجده المستعمرون النصارى من فئات تدعي الإسلام أحياناً، وتعمل ضده ويمدّونها بكل ما تحتاج إليه من دعم كالقاديانية والبهائية مع الفرق الضالة الأخرى من حركاتٍ باطنيةٍ، وجماعات تميت الجهاد، وتُحبّب الناس بالعزلة والزهد والقناعة بالقليل ولبس الصوف وترك الحبل على الغارب أي الاستسلام للأعداء والسكوت عن كل ما يحدث باسم الزهد في الحياة الدنيا.

الخاتمـــة

هذه فكرة عامة عن أوضاع الأقليات المسلمة وما ينتابها في كل بقعةٍ من بقاع الأرض، لم أترك أية رقعةٍ منها مهما صغرت - على حدّ معرفتي - إلا وأعطيت لمحةً موجزةً عن المسلمين فيها، وما يُعانون عسى أن تكـون مـوضـع تدبُّر ودراسةٍ من قبل إخوانهم في الأمصار جميعها ليأخذ كل منا المهمة الملقاة على عاتقه حسب إمكاناته وطاقاته فالدعاة لهم دور، والهيئات الإسلامية عليهم مسؤولية، والأغنياء عليهم مهمة، والمسـؤولـون عليهـم واجـب كبير يتناسب كل مع دور بلده، وإمكاناتها، ووعي أبنائها، وتفهُّمه شخصياً للأمانة التي يحملها، بل ولكل مسلمٍ دوره في هذا المجال، منهم من يعمل على التعريف بالأقليات وأوضاعها ومشكلاتها وما تحتاج إليه، ومنهم من يتعرّف ويُعلّم ما عرفه ويدعو إلى المساعدة والدعم، ومنهم من يبذل، ومنهم من يتحرّك سياسياً، ومن يتصرف اجتماعياً، وهكذا فلكل دوره في هذا الجانب المهم من حياة المسلمين.

إن من أول الواجبات علينا معرفة إخواننا، والعمل على إنقـاذهـم مما هـم فيه، والدعم لحلّ مُشكلاتهم، والمطـالبـة بـالعمـل للمحـافظـة على عقيـدتهم ومساعدتهم على مختلف الجهات، وإن ضاعوا فنحن المسؤولون عن ضياعهم، وإن حققوا شيئاً من التقدّم فلنا الأجر - بإذن الله -.

وأخيراً فإني قد انتهيت ـ ولله الحمد ـ من هذه الموسوعة التاريخية بعد عملٍ وجهدٍ استمرّ عشرين عاماً، أرجو أن أكون قد وُفِّقت في عملي هذا وقدّمت فيه جديداً، وتركت بالياً ومدسوساً، ورسمت خطاً مُتميزاً للسير عليه، وعسى أن يُكمل آخرون ما بدأت به، ويُصحّحوا بعض ما وقعت فيه، ويُوسّعوا فيما أوجزته. كما أرجو أن يتقبل ربي مني عملي هذا، وأن يكون في سجل حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون حيث لم أبـغ إلا رضا الله بتوضيح بعض الحقائق التي حاول بعض المغرضين قلبها، وأن أذب عن بعض الصحابة والمصلحين الذين شوّه الدسّاسون سيرتهم، حتى كاد الدخيل أن يعـمّ، وأوشك الباطل أن ينتشر لولا أن تداركه رحمة من ربك فسخّر للحق من ينصره وللباطل من يطمسه، وحسبنا الله ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرياض: غرة ذي القعدة من عام ١٤٠٧ من هجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

محمود شاكر

المراجــع

الكتاب	المؤلف	النشر
١ ـ الأقليات المسلمة	سيد عبد المجيد بكر	إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ـ دعوة الحق ـ الأعداد ٢٣ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤.
٢ ـ انتشار الإسلام في اليابان	عبد الرشيد إبراهيم	مكتبة القدر ـ دار الخلافة استانبول ١٣٢٩ هـ باللغة التركية ـ ترجمة محمد صبحي فرزات ـ مخطوط.
٣ ـ تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر	بدر الدين. و. ل. جيّ.	دار الإنشاء للطباعة والنشر ـ طرابلس ـ لبنان رمضان ١٣٩٤ هـ.
٤ ـ جولة في جزائر البحر الزنجي	محمد ناصر العبودي	توزيع دار العلوم ـ الرياض ١٤٠٢ هـ.
٥ ـ الدعوة إلى الإسلام	توماس أرنولد	الترجمة إلى العربية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م.
٦ ـ الرحلة اليابانية	علي أحمد الجرجاني	مطبعة جريدة الشورى ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ.

٧ - مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين	محمد ناصر العبودي	النادي الأدبي - الرياض عام ١٤٠١ هـ.
٨ - المسلمون في أوربا وأمريكا	علي المنتصر الكتاني	دار إدريس ١٣٩٦ هـ - مجلدان.
٩ - معجم البلدان	ياقوت الحموي	دار بيروت - دار صادر.
١٠- مواطن الشعوب الإسلامية	محمود شاكر	المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - سلسلة كتب.
١١- الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية	عبد الله أحمد الداري	الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون جدة عام ١٤٠٣ هـ.

فهرس الموضوعات